أعيان العصر وأعوان النصر

باري

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عمشة　　الدكتور محمد موعد　　الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الرقم الاصطلاحي: ١-٠١١,١١٥٠
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-433-6
الرقم الموضوعي: ٩١٠
الموضوع: التراجم والسِّير والأنساب
العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر
التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدي
التحقيق: د. علي أبو زيد، ود. نبيل أبو عمشة، ود. محمد موعد، ود. محمود سالم محمد.
قدم له: مازن عبد القادر المبارك.
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
التجليد الفني: علي الحمصي وشركاه-بيروت
عدد الصفحات: ٧٥٢ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من
دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

الطبعة الأولى
1418هـ = 1998 م

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي على عاتقه ومنذ قيامه أن يسهم في خدمة التراث بما يقدر عليه من خلال أقسامه المتعددة خدمة للعلم والباحثين ؛ ذلك أنه كثر في السنوات الأخيرة نشر الكتب التراثية على أيدي غير المتخصصين ، الذين لم يلتزموا في تحقيقهم أسلوباً علمياً منهجياً ، فظهرت في الأسواق طبعات سقيمة لأسفار جليلة المضمون ، تطاول أعمال المجلين من المحققين ، أدت إلى اختلاط الغث بالسمين وأساءت إلى المكتبة العربية .

ومن هنا كلّف المركز لجنة من الأساتذة الخبراء أوكل إليها الإشراف على شؤون التحقيق والنظر فيما يقدمه المحققون الأكفياء من أعمال وتقديم الصالح منها للنشر .

ويوالي اليوم بالتعاون مع دار الفكر المعاصر نشر إصداراته فيقدم كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي .

نسأل الله أن يوفق المركز لخدمة التراث وأهل العلم إنه نعم المسؤول .

لجنة التحقيق والنشر في المركز

الصّفدي

هو خليل بن أيبك بن عبد الله الألَبَكي ، الغاري ، صلاح الدين ، أبو الصفاء ، الصفدي الأصل ، الدمشقي الدار والوفاة[١] .

كان والده عز الدين أيبك من أمراء المماليك في صفد ، وفيها وُلد ابنه خليل سنة ست وتسعين[٢] وست مئة للهجرة .

وكان لمكانة أبيه الاجتماعية أثر في نشأته التي نشأها بين العرب ، فتشرب الثقافة والفصاحة منهم ، كما تمتع بحياة سعيدة مترفة في كنف أبيه ، مما أعانه على إشباع رغباته وتنمية مواهبه ، فحفظ القرآن صغيراً ، وكان أبوه شديد العناية به ، فمنعه « من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة ، فطلب بنفسه وقال الشعر الحسن ، ثم أكثر جداً من النظم والنثر والتَّرسل والتواقيع »[٣] .

ويبدو أنه كان في بداية أمره ميالاً إلى إتقان الخط والرسم ، فبرع في ذلك ، قال ابن حجر : « وتعانى صناعة الرسم فمهر فيها ، ثم حبب إليه الأدب فولع به ، وكتب الخط الجيد »[٤] .

---

(١) ترجمته في : الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة : ٢٢٧/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٨/٢ ، وتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه : ٢٦٨/٣ ، وبدائع الزهور : ٧/٢/١ ، والبدر الطالع : ٢٤٤/١ ، والذيل على العبر لابن العراقي : ١٣٤/١ ، والنجوم الزاهرة : ١٩/١١ ، والمنهل الصافي : ٢٤١/٥ ، والسلوك : ٨٧/١/٣ ، والبداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ .

(٢) وقيل : ولد سنة (٦٩٧ هـ) . انظر البدر الطالع : ٢٤٣/١ . وفي تذكرة النبيه أنه رأى ولادته بخط الصفدي سنة (٦٩٦ هـ) .

(٣) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، والبدر الطالع : ٢٤٤/١ .

(٤) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .

ولم يكتف الصفدي بما أخذه عن علماء بلده ، إذ « كانت له همة عالية في التحصيل » ، فبدأ يتنقل بين المدن ، ويأخذ عن علمائها ، فارتحل إلى دمشق ، وحلب ، والقاهرة ، وغيرها من حواضر العلم ، وأخذ عمن لقيه فيها من العلماء .

وبدأ ذكر الصفدي يبرز بين علماء عصره وأدبائه ، وعُرف عندهم وعند أولي الأمر ، وأخذ يتسنم المناصب والوظائف المهمة في الدولة ، « وأول ما ولي كتابة الدرج بصفد ، ثم بالقاهرة »[١] . وولي « كتابة بيت المال بدمشق ، وكتابة الإنشاء بها وبالديار المصرية ، ثم ولي كتابة السِّر بحلب ، وباشر وظائف جليلة »[٢] . قال ابن حجر : « وباشر كتابة السِّر بحلب وقتاً ، وبالرحبة وقتاً ، والتوقيع بدمشق ، ووكالة بيت المال . وكان محبباً إلى الناس ، حسن المعاشرة ، جميل المودة . وكان في الآخر قد ثقل سمعه ، وكان قد تصدى للإفادة بالجامع »[٣] .

ويبدو أن الصفدي الذي أكثر من كتب التراجم لم ينسَ نفسه ، فقد أشار ابن العراقي إلى أن الصفدي ترجم نفسه بترجمة ، وكتب في أولها :

ترجمت نفسي جهلاً وذاك مني عجيب
لكن أمرك أضحى ومقتضاه الوجوب[٤]

شيوخه :

تتلمذ الصفدي على معظم علماء عصره ، وأخذ عنهم ، وقد صرح بذلك في أثناء ترجمته لهم في كتابه هذا الذي جعله لتراجم علماء عصره ومشاهيره ، فكثيراً ما كان يذكر

---

(١) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .
(٢) المنهل الصافي : ٢٤٢/٥ .
(٣) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .
(٤) الذيل على العبر : ١٣٥/١ .

أخذه عن المترجم له وإجازته له ، وما إلى ذلك . ولا نريد أن نحصي كل شيوخه في هذه المقدمة ، بل يكفي أن نذكر أبرزهم ، الذين أسهموا في تكوينه الثقافي المتنوع .

فقد أخذ الأدب عن شهاب الدين محمود بن سليمان (ت ٧٢٥ هـ) ، ولازمه في حياته .

وأعجب بابن نباتة محمد بن محمد المصري (ت ٧٦٨ هـ) ، ونمّى موهبته الشعرية عليه .

وأخذ النحو عن أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) .

وأخذ التاريخ والمغازي والسير عن فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ) ، والحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) .

وفي الحديث والرجال تتلمذ على الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢ هـ) .

وأخذ الفقه الشافعي عن القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) .

وقرأ على الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦ هـ) ، والشيخ علي بن محمد البندنيجي (ت ٧٣٦ هـ) ، وسمع من يونس الدبوسي .

كما أنه حصّل كثيراً من العلوم بنفسه ، فقرأ « شيئاً من الحديث ، وكتب بعض الطباق »[١] .

وقال ابن تغري بردي : « وكان بينه وبين علماء عصره وأدبائه مكاتبات ومراسلات »[٢] .

(١) الدرر الكامنة : ٨٨/٢ .

(٢) المنهل الصافي : ٢٤٢/٥ .

وقد تنامت شهرة الصفدي بين علماء عصره ، وشهد له بالفضل والتقدم تلاميذه وشيوخه ، حتى إن عدداً من شيوخه أخذ عنه ، قال ابن حجر : « وقد سمع منه من أشياخه : الذهبي ، وابن كثير ، والحسيني ، وغيرهم »[١] .

مكانته وأقوال العلماء فيه :

استطاع الصفدي أن يحصِّل علوماً مختلفة ، وأن يبدع فيها و يتقدم بين الناس على أترابه ، إضافة إلى موهبة فذة ، وذكاء حاد ، ومقدرة كبيرة على التتبع والحفظ ، وحسن المعاشرة للناس . وقد شهد له بذلك كل من ترجم له ، فقد نقل ابن حجر عن الذهبي قوله في الصفدي : « الأديب البارع الكاتب ، شارك في الفنون ، وتقدم في الإنشاء ، وجمع وصنف »[٢] . كما نقل عن الحسيني قوله : « كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم »[٣] .

ـ ونقل ابن قاضي شهبة عن الذهبي قوله في (معجمه المختص) : « الإمام العالم الأديب البليغ الأكمل ، طلب العلم ، وشارك في الفضائل ، وساد في علم الرسائل ، وقرأ علم الحديث ، وكتب المنسوب ، وجمع وصنَّف ، والله يمده بتوفيقه . سمع مني وسمعت منه ، وله تواليف وكتب وبلاغة »[٤] .

ـ وقال ابن إياس : « كان عالماً فاضلاً شاعراً ناظماً »[٥] .

ـ وقال ابن كثير : « كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب ، وله الأشعار

---

(١) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .
(٢) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة : ٢٢٨/٣ .
(٣) الدرر الكامنة : ٨٨/٢ .
(٤) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٢٢٨/٣ .
(٥) بدائع الزهور : ٧/٢/١ .

الفائقة ، والفنون المتنوعة ، وجمع وصنف وألف ، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات »[١] .

- وقال ابن حبيب : « كان عالماً فاضلاً ، كاتباً مجيداً ، رئيساً جليلاً ، إماماً في معرفة الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء ، بارعاً في النظم والنثر »[٢] .

- وقال ابن العراقي : « الإمام الأوحد ... وله نظم فائق ونثر رائق . وكان رأساً في صناعة الإنشاء »[٣] .

- وقال ابن تغري بردي : « كان إماماً بارعاً كاتباً ناظماً ناثراً شاعراً »[٤] .

- وكان لابن أبي حجلة رأي آخر في الصفدي نقله ابن إياس قال : « قال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة : كان الصلاح الصفدي يسرق من معاني الناس في الأدبيات وينسبها إلى نفسه ، وقد وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباتة ما ذكره في كتاب (خبز الشعير) ، وأظهر سرقات الصلاح الصفدي فيه ، فلما أن تزايد هذا الأمر من الصلاح الصفدي قلت في معنى ذلك : وهو قولي :

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته ... تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه ... جهلاً فراح كلامه في الريح »[٥]

شعره :

لم تتوقف موهبة الصفدي عند التأليف والتَّرسل والتاريخ واللغة ، وما إلى ذلك

---

(١) البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ .
(٢) تذكرة النبيه : ٢٦٨/٣ .
(٣) الذيل على العبر : ١٣٥/١ .
(٤) النجوم الزاهرة : ١٩/١١ .
(٥) بدائع الزهور : ٨/٢/١ .

من فنون القول والمعرفة التي أتقنها وصنف فيها المجلدات الكثيرة ، بل كان شاعراً فحلاً من شعراء عصره ، نظم في أغراض الشعر كلها وأجاد ، وله القصائد المطولة ، والمقطعات ، والأبيات المفردة ، وكثيراً ما كان يسمع الأبيات لغيره فيعجب بالمعنى ، ويدرك تقصير القائل عن الوفاء به ، فينظم هو في المعنى ذاته ما يراه أفضل مما قيل .

ولم يقتصر نظمه على الشعر ، بل له مشاركة جيدة في الفنون الشعرية المستحدثة ، فله الموشحات ، والأزجال ، والمواليا ، والألغاز والأحاجي ، وغير ذلك مما اشتهر في زمانه فأدلى بدلوه فيه .

وقد أكثرت كتب الأدب والتراجم من إيراد الأمثلة من شعره ونظمه ، ويكفي القارئ ما أورده الصفدي لنفسه في أثناء هذا الكتاب (أعيان العصر) من أشعار قالها في بعض من ترجم لهم مادحاً أو راثياً أو مجيباً أو مستجيزاً أو ملغزاً أو حالاً للغز سُئل عنه ، أو مقلِّداً أو معارضاً أو مبتدعاً .

ومرَّ بنا بعض الإشارات إلى شعره ذكرها معاصروه في الحديث عن مكانته ، ومنها أيضاً ما قاله ابن تغري بردي : « كان إماماً بارعاً كاتباً ناظماً ناثراً شاعراً ، وديوان شعره مشهور بأيدي الناس ، وهو من المكثرين »[1] . وقال ابن حبيب : كان « بارعاً في النظم والنثر ، ونظمه حسن كثير »[2] .

ولعل ابن تغري بردي قد أنصف الصفدي عندما تحدث عن شعره قائلاً :

« وشعر الشيخ صلاح الدين المذكور كثير ، وفضله غزير ، وهو شاعر مجيد ، على أن جيده يزيد على رديئه . ولولا أنه كان ضنيناً بنفسه ، راضياً بشعره ، لكان يندر له الرديء ، ويكثر منه الجيد . فإنه كان غوّاصاً على المعاني ، مبتكراً للنكتة البديعة ، عارفاً بفنون الأدب . لكن رأيت من نظمه بخطه عندما يعارض بعض من تقدمه من

(١) النجوم الزاهرة : ١٩/١١ .

(٢) تذكرة النبيه : ٢٦٨/٣ .

مجيدي الشعراء في معنى من المعاني اللطيفة ، فيأخذ ذلك المعنى أو النكتة فينظمها في بيتين ويجيد فيهما بحسب الحال ، ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بعينه بيتين أخر ، ثم بيتين ، ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى وهو يقول : وقلت أنا ، إلى أن يمله النظر وتسأمه النفس ويمجه السمع ، فلو ترك ذلك ، وتحرى في قريضه لكان من الشعراء المجيدين لما يظهر لي من قوة شعره وحسن اختراعه »[١] .

وأشار الشوكاني إلى اجتراء الصفدي على بعض معاني شيخه ابن نباتة فقال : « وكان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباتة وينظمها لنفسه ، وقد صنف ابن نباتة في ذلك مصنفاً سمّاه : (خبز الشعير المأكول المذموم) وبين سرقاته لشعره »[٢] .

مؤلفاته :

أثرى الصفدي المكتبة العربية بعدد كبير من الكتب في فنون شتى ، وأتى فيها بعلم غزير ، أخذه عن السابقين والمعاصرين ، ولوّنه بذَوب نفسه وفكره ، وبإنشائه الرائع وأسلوبه البديع .

وقد نقل عن الصفدي أنه قال : كتبت بخطي أزيد من ست مئة مجلدة ، أو ثمان مئة مجلدة[٣] ، وهذا يدلنا على سعة علم الشيخ وغزارة إنتاجه ومشاركته العظيمة في ثقافه عصره .

كما أكثرت كتب التراجم من الحديث عن مؤلفاته ووصف مضمونها وأسلوبه فيها ، ولست هنا صددَ إحصائها ، بل سأكتفي بذكر أهمها :

---

(١) المنهل الصافي : ٢٥٧/٥ .

(٢) البدر الطالع : ٢٤٤/١ .

(٣) انظر : تاريخ ابن قاضي شهبة : ٢٢٩/٣ ، والبداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ ، ومفتاح السعادة ، والدرر الكامنة : ٨٨/٢ .

١ ـ الوافي بالوفيات :

وسمّاه الصفدي مراراً في (الأعيان) باسم : (التاريخ الكبير) . وهو من أوسع كتب التراجم في المكتبة العربية ، وتميزت تراجمه في الغالب بالاختصار . وربما رأى بعض الباحثين أن كتابه (أعيان العصر) اختصار لكتابه (الوافي) ، وهذا غير صحيح ، لأنه لكل كتاب مزية وغاية ، وإن كنا نرى كثيراً من التراجم مكررة في الكتابين ، إلا أن هناك فروقاً واضحة تُدرك لأدنى مقابلة بين العملين .

وقد قامت على تحقيق الكتاب ونشره الجمعية الاستشراقية الألمانية في بيروت ، وأشرف الكتاب على نهايته .

٢ ـ الغيث المسجم في شرح لامية العجم :

عمد الصفدي في هذا الكتاب إلى شرح قصيدة الطغرائي المعروفة باسم (لامية العجم) فجاء الكتاب معبِّراً خير تعبير عن ثقافة الصفدي المتنوعة إذ تضمن إشارات كثيرة وفوائد متنوعة في فنون مختلفة ، ولم يقتصر على الشرح فحسب ، بل كان الشرح وسيلة لإبراز علمه وثقافته وتصيد شوارد الأشعار والأخبار والقضايا النحوية واللغوية ، وغير ذلك .

وقد طبع الكتاب في مجلدين ، غير ما طبعة .

٣ ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون :

ويقع الكتاب في مجلد كبير ، شرح فيه رسالة ابن زيدون الجدية ، فكشف غوامضها ، وأوضح رموزها وإشاراتها ، وفصل في أخبارها ، وشرح غريبها ، فجاء الكتاب حافلاً بالفوائد الأدبية واللغوية والتاريخية .

طبع الكتاب بتحقيق المرحوم الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

٤ ـ نَكْت الهَميان في نُكَت العميان :

أورد فيه تراجم وأخباراً لكثير من علماء الأمة ومشاهيرها من العميان .

وهو جزء واحد طبع بعناية أحمد زكي بك ، في مصر .

٥ ـ نصرة الثائر على المثل السائر :

ألّفه ردّاً ونقداً لما جاء في كتاب (المثل السائر) لابن الأثير .

طبع بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، في مجمع اللغة العربية بدمشق .

٦ ـ فض الختام عن التورية والاستخدام :

مطبوع . ومضمونه واضح من عنوانه .

٧ ـ جنان الجناس :

طبع غير مرة .

٨ ـ تشنيف السمع بانسكاب الدمع :

طبع في القاهرة سنة ١٣٢١ هـ .

٩ ـ تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب :

طبع في وزارة الثقافة بدمشق (١٩٩١ م) بتحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي ، وزهير حميدان الصمصام .

١٠ ـ كشف السّر المبهم في لزوم ما لا يلزم :

وهو أبيات ومقطعات شعرية ، مخطوط .

قدمه أحد الطلبة رسالة ماجستير في جامعة دمشق ، منذ سنوات .

١١ ـ ألحان السواجع بين المبادي والمراجع :

وهو كتاب جمع فيه رسائله إلى بعض معاصريه . أحال عليه غير مرة في (أعيان العصر) . وهو مخطوط .

١٢ ـ التذكرة :

وهو مجموع في الأدب والشعر كبير ، رتَّبه حسب الموضوعات ، وقسَّمه إلى أبواب في أنواع الفضائل والرذائل ، وفيه فوائد تاريخية واجتماعية ، وتراجم كثيرة لشعراء عصره وأدبائه جمع فيه كثيراً من أشعارهم وأخبارهم .

وهو مخطوط .

١٣ ـ أعيان العصر وأعوان النصر :

وسأفرده بحديث مستقل .

وفاته :

توفي خليل بن أيبك الصفدي بالطاعون في دمشق ليلة الأحد العاشر من شوال ، سنة (٧٦٤ هـ) .

أعيان العصر وأعوان النصر :

١ ـ اسم الكتاب :

ثمة خلاف يسير في اسم هذا الكتاب في بعض المصادر ، إلا أنه لا يثير فيه شكّاً ، ولا يحتاج إلى كبير مناقشة أو تحقيق ، لأن هذا الخلاف انبنى على تقديم وتأخير أسهم فيه اسم الكتاب نفسه وسجعته التي تحتمل الوجهين . ففي بدائع الزهور[١] ، والنجوم الزاهرة[٢] ، والسلوك[٣] : (أعوان النصر في أعيان العصر) .

وفي البدر الطالع[٤] ، والدرر[٥] : (أعوان النصر وأعيان العصر) .

---

(١) ٧/٢/١ .

(٢) ١٩/١١ .

(٣) ٨٧/١/٣ .

(٤) ٢٤٣/١ .

(٥) ٨٧/٢ .

وفي المنهل الصافي[١] : (أعيان العصر في أعوان النصر) .

بينما ورد اسمه صحيحاً في تاريخ ابن قاضي شهبة[٢] : (أعيان العصر وأعوان النصر) .

٢ ـ موضوع الكتاب :

يقوم كتاب **(أعيان العصر وأعوان النصر)** على تراجم الأعلام الذين أدركهم الصفدي ، أو لقيهم في حياته ، أو أخذ عنهم ، أو كانوا في زمنه في جميع أنحاء الخلافة الإسلامية . وهذا يعني أنه تناول سير (الأعيان) منذ سنة ست وتسعين وست مئة (٦٩٦ هـ) حتى سنة أربع وستين وسبع مئة للهجرة .

ولم يقتصر حديثه على الشعراء والأدباء والعلماء ؛ بل تناول كل من كان له شأن ما ، ولذلك نراه يترجم للسلاطين ، والأمراء على جميع مستوياتهم ، ولقادة الجند ، أو من يقوم على خدمة المساجد ودور العلم ، إضافة إلى الشعراء والأدباء والكتاب والقضاة ، ومن هنا جاء اسم الكتاب (أعيان العصر) ، وقد ضمَّ بين دفتَيْه أزيد من ألفي ترجمة بقليل .

٣ ـ منهجه في تأليف الكتاب :

رتَّب الصفدي تراجم الكتاب ترتيباً هجائياً ، فبدأ بحرف الألف وانتهى بالياء . وقد حافظ ـ من حيث الشكل ـ على هذا الترتيب . ثم حاول ترتيب التراجم ضمن الحرف الواحد ناظراً إلى الحرف الثاني ، وهنا نجده يقع في شيء من الخلل ، فأحياناً يقدم ما حقه التأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، إلا أنه في الغالب يلتزم الترتيب الصحيح .

---

(١) ٢٤٤/٥ .

(٢) ٢٢٩/٣ .

ولم يفرد الصفدي النساءَ في باب مستقل ، مثل كثير من المترجمين ، بل جاءت تراجمهن في مواضعها من الأحرف . ويلاحظ القارئ قلة من ترجم لهن من النساء .

وفي نهاية كل حرف يتوقف الصفدي عند (الأنساب والألقاب) ، فيذكر الأعيان الذين اشتهروا بأنسابهم أو ألقابهم التي تبدأ بهذا الحرف ، ثم يذكر أسماءهم موحياً للقارئ أن تراجمهم في موضعها في ترتيب الأسماء ، وكان في معظم الأحيان يبدأ هذا القسم بعنوان (اللقب والنسب) أو (الألقاب والأنساب) ، وأحياناً قليلة لا يذكر هذا العنوان ، فكنا نستدركه ونضيفه .

٤ ـ منهجه في الترجمة :

يبدأ الصفدي بذكر اسم العلم كاملاً (الاسم والنسب واللقب والكنية) ، ثم يصفه بأوصاف تليق به وتبيِّن مكانته العلمية والاجتماعية ومنزلته بين أقرانه وعند الصفدي ، فيتأنق في عبارته ، وينفث فيها أحسن ما عنده من أساليب الإنشاء وأجمل ما يتيسر له من السجعات . وهذا القسم من الترجمة كان يطول أو يُختَصر حسب العلَم المترجَم له ومنزلته .

فإذا فرغ من ذلك تحدَّث عن نشأته ، وأبرز أحداث حياته ، وأعماله ، وذكر شيوخه وتلاميذه ، وأشار إلى مؤلفاته إن وجدت ، وتحدث عن أشعاره وانتقى منها أمثلة ، وربما عقَّب على هذه القطعة أو تلك الأبيات مستحسناً أو منتقداً أو معارضاً أو مقلداً ، وكثيراً ما كان يورد ما دار بينه وبين المترجم له من مساجلات أو معارضات أو مساءلات أو ألغاز ، وربما استغرق ذلك منه قسماً كبيراً من الترجمة ، فإذا كفَّ عنه أحال القارئ المستزيد إلى كتابه (ألحان السواجع) أو أشار إلى أنه فصَّل أكثر في كتابه (التذكرة) .

وإذا كان العَلَم من الولاة أو الأمراء أو أولي الشأن ؛ فإنه يفصِّل في الحديث عما جرى في أثناء حكمه أو ولايته ، حتى تصبح الترجمة أحياناً تأريخاً يومياً أو شبه

يومي لأحداث حياة هذا العَلَم (انظر مثلاً ترجمة محمد بن قلاوون) ، وهنا تلين عبارة الصفدي ، ويتخلى عن أسلوبه الإنشائي العالي إلى أسلوب السرد التاريخي المبسَّط ، وكثيراً ما كان ينقل في هذه المواضع عبارات الناس كما هي ، أو كما تلفَّظوا بها في حواراتهم ، ولذلك تشيع الكلمات العامية وجمل العوام البسيطة أو الركيكة ، وكأنَّ الصفدي في هذه الحالة ينقل نقلاً أميناً ما جرى وما قيل دون أن يتدخل في ذلك ، ولعل حرصه هذا على النقل الدقيق الأمين هو الذي جعله يتخلى عن أسلوبه الرفيع الذي يبدأ به الترجمة عادة .

ومن عادة الصفدي أنه يؤرخ لولادة المترجَم له ولوفاته ، ولكنه يتخلى أحياناً عن أحد هذين الأمرين ، أو عنهما معاً ، وسكوته هذا لا يعني أن التاريخ مجهول ، لأن بعض المصادر أوردته ، فإما أن يكون الصفدي غير متثبت من ذلك ـ ولذلك نجده في بعض المواضع يقول : « ومولده .. » و « وتوفي .. » ثم يترك فراغاً ولا يذكر السنة ، وكأنه ينتظر التثبت من الأمر ، فبقي الفراغ كما هو ولم يستدرك التاريخ ـ وإما أن يكون سها عنه .

وقد اتَّبع سنة في ذكر الوفيات لم يُسبَق إليها ، إذ كان يقدم لذلك بعبارة مسجوعة يستخلصها من اسم الرجل أو لقبه توحي بانقضاء أجله ، وكل عبارة تختلف عن الأخرى من أول الكتاب إلى آخره ، وهو بذلك يحاول مجاراة ابن زيدون الذي وقف يرد على معزيه بوفاة ابنته ، فلم يُجب أحداً بعبارة قالها لمن سبقه .

وقد أعجب الصفدي بسرعة بديهة ابن زيدون ، ومقدرته وبيانه ، وأكبر فيه ذلك لا سيما أن ابن زيدون كان في حالة من الحزن لا تسمح له بالإبداع واختيار الأجود ، ولذلك حاول الصفدي مجاراته وتقليده في وفيات أعيانه ، وقد عبَّر عن ذلك في مقدمة هذا الكتاب ، ومع أنه التزم بهذا الأسلوب وألزم نفسه به ، إلا أنه لم يفعله في عدد لا بأس به من التراجم .

وثمة ظاهرة في عدد من التراجم لا بد من الإشارة إليها ، إذ كان من عادته أن يأتي

بشيء من شعر العَلَم في أثناء الترجمة فيقول : « ومن شعره » ، مورداً بعض الأبيات . وقد لا تسعفه الذاكرة أحياناً ، أو أنه لم يكن حافظاً لشيء من شعر بعض المترجمين ، فيترك فراغاً في ظنه أنه سيستدرك ذلك فيما بعد ، وبقيت الفراغات كما هي دون استدراك ، وسيلاحظ القارئ هذا الأمر في أثناء الكتاب . ولعل هذا الأمر مع ما ذكرته من النقص في ذكر بعض الولادات أو الوفيات يحملنا على الظن أن يكون الصفدي قد كتب الكتاب دون أن يبيضه .

ويلاحظ القارئ أن هناك بعض الأخبار أو الأحداث تتكرر في الترجمة الواحدة ، في البداية والنهاية ، مما يحمل على الظن أيضاً أن الصفدي كتب هذه الترجمة على مدة متراخية ، أو أنه أخذ عن أكثر من مصدر ، بيد أن هذه الظاهرة تكاد تكون نادرة ، (انظر مثلاً ترجمة علي بن أحمد بن زفر) .

ومن النادر في تراجم هذا الكتاب أن بعضها كان يكرر دون أن يتضح لنا سبب ذلك ، كما فعل في ترجمة (محمد بن محمد بن عبد الرحمن القزويني) ، و (يوسف بن محمد بن منصور بن عمران) . ولا يشترط في هذا التكرار المطابقة في العبارة والأسلوب .

وربما كان هذا التكرار من مصادر الصفدي ، فيدركه وينبه عليه ، كما فعل في ترجمة (يوسف بن هبة الله) و (يوسف بن هلال) ، إذ قال في ترجمة الأخير : « قلت : الظاهر أنه هذا الذي تقدم آنفاً ، وإنما وهم أثير الدين في اسم أبيه » .

ومن النادر أيضاً أن الصفدي قد ترجم في هذا الكتاب لبعض الأعلام الذين ماتوا بعده ، ولكنهم عاشوا معظم حياتهم في حياته ، (انظر ترجمة عبد الله بن سعد بن مسعود) .

٥ ـ مصادر الكتاب :

استمدّ الصفدي مادة كتابه من مشاهداته وما سمعه وعلم به في المقام الأول ، فهو يترجم لأعيان عصره ، بيد أن ذلك لا ينفي أن يكون أخذ من مصادر أخرى مما يثري

الكتاب ويرفع من قيمة مضمونه ، وربما لجأ إلى ذلك في تراجم شيوخه أو من هم في منزلتهم ، أو في تراجم العلماء والأعيان الذين بعدوا عنه أو شحَّت معلوماته عنهم .

وأبرز المصادر التي نقل عنها ، وصرح بذلك :

١ ـ الوافي بالوفيات ، له : نقل عنه وسمّاه : (التاريخ الكبير) .

وكثيراً ما تتطابق عبارة (الأعيان) وعبارة (الوافي) ، وإن كان يزيد في (الأعيان) ويأتي فيه بما لم يذكره في (الوافي) ، وهذا متوقع لأن طبيعة الكتابين ـ وإن تشابهت في الظاهر ـ إلا أنها مختلفة ، لأن (الوافي) أقرب إلى الاختصار لاتّساع مضمونه ، و (الأعيان) يحتمل التفصيل والتطويل ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نعد كتاب (أعيان العصر) مختصراً لكتاب (الوافي بالوفيات) وإن كانت معظم تراجم الأول موجودة في الثاني .

٢ ـ تاريخ البرزالي : يعدُّ كتاب البرزالي (شيخ الصفدي) مصدراً بارزاً لكثير من المؤرخين ، كابن كثير ، وابن حجر ، والذهبي وغيرهم ، لا للصفدي وحده ، فقد أخذوا عنه جميعاً وأكثروا كما أخذ الصفدي ، ونصَّ على ذلك في مواضع كثيرة .

٣ ـ الذهبي : ويبدو أن أكثر نقوله عنه كانت من كتابه تاريخ الإسلام ، وقد صرَّح بالأخذ عنه مراراً .

٤ ـ الطالع السعيد للأدفوي : صرح مراراً بالأخذ عنه ، وقد اتَّكأ عليه في تراجم علماء صعيد مصر وأعيانهم ، ويلاحظ القارئ أن الصفدي كان يأخذ الترجمة منه حرفياً في الغالب ، وينص على ذلك أحياناً ، ويسكت أحياناً أخرى .

٥ ـ ابن سيِّد الناس .

وقد صرَّح الصفدي بالأخذ عن هؤلاء وغيرهم مراراً ، إلا أن هذه المصادر كانت أكثر شيوعاً في (أعيان العصر) .

٦ ـ الأعيان أنفسهم : صرَّح الصفدي غير مرة أنه أخذ هذه الترجمة أو تلك الأخبار من صاحبها ، أو سمعها منه مباشرة (انظر مثلاً ترجمة علي بن الحسين بن قاسم بن منصور ، وترجمة علي بن داود) .

وربَّما نصَّ على أنه طلب من الرجل نفسه أن يكتب ترجمة عن حياته كي يودعها الصفدي في كتابه ، فكان ذلك مزية له . (انظر مثلاً ترجمة علي بن داود بن يحيى) .

كما أنَّه صرَّح أن ابن العوينة هو الذي أملى ترجمته على الصفدي .

٦ ـ تاريخ تأليف الكتاب :

ليس بين أيدينا ما يشير بوضوح إلى زمن محدد بدأ به الصفدي في تأليف هذا الكتاب ، إلا أنه يغلب على الظن أنه ألفه في مدة متراخية من الزمن تقترب من ثلاثة عقود على الأقل ، إن لم تزد عليها ، انتهت قبل وفاته بأيام ، ولذلك أكاد أقول أيضاً إن الصفدي كتب الكتاب مرة واحدة ولم يبيضه .

ومن دواعي هذا التخمين بعض الإشارات التي وردت في أثناء التراجم ، ففي ترجمة (أيدغمش علاء الدين أمير آخور الناصري) أشار إلى أنه كتبها سنة ست وخمسين وسبع مئة للهجرة ، وهذا يحملنا على التوقع أن يكون بدأ هذا الكتاب قبل هذا الزمن ، أو أنه بدأ بجمع تراجمه أولاً .

وامتدَّ العمل في الكتاب حتى وفاة الصفدي تقريباً ، فقد ترجم لأعلام ماتوا قبيل وفاته بشهر أو أقل (انظر ترجمة أحمد بن بلبان ، وعلي بن أيبك ، وعلي بن أبي بكر بن محمد) ، بل إنه ترجم لعلي بن إسماعيل بن جعفر الذي توفي يوم عيد رمضان ، أي قبل وفاة الصفدي بعشرة أيام فقط . ولذلك قدّرتُ أن يكون الصفدي كتب الكتاب مرة واحدة دون أن يبيضه .

٧ ـ منزلة الكتاب ومزاياه :

يعدُّ كتاب (أعيان العصر) من أوثق مصادر القرن الثامن على الإطلاق ،

فالصفدي عاش حياته كلها تقريباً في هذا القرن ، وهو من أبرز أدبائه ، ومن أكثرهم علماً وخبرة ، إضافة إلى مكانته الاجتماعية ونشأته في بيت أمير ميسور أعانه على الرحلة في طلب العلم والأخذ عن معظم علماء عصره ، يعينه في ذلك حافظة جيدة ، وذاكرة قوية ، وموهبة مبدعة ، وهمة لا تعرف الفتور ولا التواني .

وأستطيع القول إن الصفدي سنَّ للناس بعده سنة التأليف في هذا الفن (تراجم المعاصرين) ، فأنشأ بعده ابن حجر العسقلاني كتابه (إنباء الغمر بأبناء العمر) ، وتممه إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) في كتابه (إظهار العصر لأسرار أهل العصر) ، وترجم (بالتأريخ للأعيان من ٨٥٥ ـ ٨٨٥ هـ) . كما تَّممه أيضاً أحمد بن محمد الأنصاري ، ابن الحمصي الشافعي ، في كتابه (حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران) ، ترجم فيه لمعاصريه من سنة (٨٥١ هـ) حتى (٩٠٠ هـ) .

ولست بناسٍ في هذا المقام ما كتبه الثعالبي في (يتيمة الدهر) ، والباخرزي في (دمية القصر) ، لأن هذه الكتب جنحت إلى تراجم الشعراء والأدباء ، والصفدي لم يترك علماً مشهوراً ، أو من كان له أدنى شأن يذكر إلا وترجم له ، فحوى بين دفتيه تراجم السلاطين والأمراء والقضاة والولاة والعلماء والأدباء والشعراء ، حتى إنه ترجم لبعض مؤذني المساجد .

وثمة أمور وقضايا مهمة نثرها الصفدي في ثنايا تراجمه تعدُّ من مزايا هذا الكتاب ، وتعلي من قيمته ، ومن أبرزها ؛ إضافة إلى مضمونه :

١ ـ يعدُّ الكتاب مصدراً أساسياً من مصادر حياة الصفدي نفسه ، ففيه إشارات كثيرة إلى تواريخ أحداث مهمة في حياته ، كتسلمه لبعض المناصب ، أو لإجازاته التي أخذها من العلماء ، أو لرحلاته ، وما إلى ذلك . ففي ترجمة محمد بن أحمد بن محمد الشيرازي يقول : « وفي هذا اليوم [الخميس ١٨ ربيع الأول سنة ٧٣١ هـ] دخلت أنا في ديوان الإنشاء بدمشق » .

وفي ترجمة محمد بن أحمد بن تمام يشير إلى أنه أخذ منه إجازة سنة (٧٢٩ هـ) .

وذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر بن محمد بن طرخان أنه أجازه سنة (٧٢٨ هـ) .

والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب .

٢ ـ والكتاب أيضاً مصدر مهم لشعر الصفدي وأدبه : فقد أورد فيه قدراً كبيراً من أشعاره ومساجلاته ومعارضاته وألغازه وموشحاته ورسائله وتوقيعاته .

٣ ـ كما أنه بثَّ فيه كثيراً من آرائه النقدية وملاحظه على الشعراء والأدباء ، مما يُظهر منهجه النقدي ويكشف بعض جوانبه .

٤ ـ ويَظهر في الكتاب جانب مهم من جوانب ثقافة الصفدي من خلال تقييداته التي نثرها بين التراجم وضبط فيها الأعلام والألقاب والأماكن .

٥ ـ ويعدُّ هذا الكتاب مصدراً أساسياً من مصادر الشعر والأدب لرجال القرن الثامن .

٦ ـ كما يستطيع الباحث أن يجد فيه كثيراً من القضايا الاجتماعية ، والعادات ، والتقاليد ، والأزياء ، والأسلحة ، التي كانت شائعة في عصر الصفدي ، إضافة إلى تواريخ بناء عدد من المساجد ودور العلم والقلاع وما إلى ذلك .

٧ ـ وفي الكتاب كثير من المصطلحات التي كانت مستخدمة في ذلك الوقت تتكشف للباحث .

٨ ـ يضاف إلى ذلك كثير من الفوائد اللغوية الفصيحة والعامية والأعجمية ، فهو مصدر مهم ورد فيه ألفاظ ومسميات وأساليب مختلفة ، ولا سيما التي جاءت بلهجاتها العامية في سياق الحوار والأزجال الشعبية ، مما يفتح الباب لعلماء اللغة وتطور الدلالة ليخرجوا منها بدراسات ونتائج ذات قيمة بارزة .

وفوق ذلك كله الكتاب وثيقة تاريخية مهمة لكاتب معاصر وشاهد عيان لأحداث القرن الثامن الهجري .

مخطوطات الكتاب :

لم نستطع الحصول على نسخة كاملة من الكتاب غير النسخة التي نشرها مصورةً الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين ، وقد سعى القائمون على مركز جمعة الماجد بدبي جهدهم للحصول على نسخ أخرى من الكتاب ، فحصلنا على أجزاء متفرقة منه كانت تعيننا في أثناء التحقيق على حلِّ بعض المشكلات أو سدِّ بعض الثغرات ، وبقيت بعض أجزاء الكتاب مقتصرة على النسخة الوحيدة التي صورها د . سزكين ، وهي التي قام عليها تحقيق هذا الكتاب ونشره .

١ ـ نسخة الأصل :

قال د . سزكين مقدماً لهذه النسخة يصف الكتاب ومخطوطه : « لعل حجم الكتاب الذي ننشره بهذه الطبعة التصويرية كان عبارة عن (١٢) مجلداً بخط يد المؤلف .

بقي بخطه المجلد (١٢) في طوبقابوسراي أحمد الثالث (٢٦٢١) ، والرابع في مكتبة لاله لي (١٩٩٦) .

والخامس في آيا صوفيا (٢٩٩٦) .

والسابع في الإسكوريال (١٧٢٢) .

والثامن والتاسع في آيا صوفيا (٢٩٦٨ و ٢٩٦٩) .

والثاني عشر في طوبقابوسراي أحمد الثالث (٣٠١٠) .

كما بقيت عدة مجلدات أخرى من الكتاب بغير خط المؤلف في مكتبات إستانبول وغيرها .

فالنسخة التي اعتمدناها أصلاً لطبعتنا التصويرية هذه ، والمحفوظة في مكتبة عاطف أفندي في إستانبول تحت رقم (١٨٠٩) كان هلموت ريتر قد أشار إلى وجودها في مقالته عن بعض كتب الصفدي التي نشرها سنة (١٩٢٩ـ١٩٣٠ م) ، وهي مستنسخة سنة (٩٧٢ هـ) شاملة جميع الكتاب في مجلد ضخم . وأكملنا خمس صفحات كانت تنقص منها (ج ٣٢٦/٢ـ ٣٣٠) من الجزء الثامن الذي بقي بخط المؤلف في آيا صوفيا (٢٩٦٨) كما ذكر آنفاً » .

وقد أخرج سزكين هذه النسخة في ثلاثة أجزاء :

ـ الجزء الأول : يبدأ بمقدمة المؤلف ثم بترجمة (أباجي) وينتهي بترجمة (صرغتمش) . وعدد صفحاته (٣٥٠) صفحة .

ـ الجزء الثاني : يبدأ بترجمة (الضفدع) وينتهي بترجمة (محمد بن حسينا) ، وعدد صفحاته (٣٤٤) صفحة .

ـ الجزء الثالث : يبدأ بترجمة (محمد بن الحشيشي) حتى آخر الكتاب ، وعدد صفحاته (٣٦٩) صفحة .

ـ في كل صفحة من المخطوط (٣٧) سطراً ، وفي كل سطر (١٦) كلمة .

ـ كتب المخطوط بخط نسخي مقروء .

ـ نسخ المخطوط عبد الرحمن بن أبي بكر العواجي نزيل مكة المشرفة ، وقد فرغ من نسخه نهار الجمعة ، الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة للهجرة النبوية الشريفة .

وقد ترك الصفدي عدداً من المواضع في الكتاب فارغة على أمل أن يملأها فيما بعد ، ولم يفعل ، وأبقى الناسخ على هذه الفراغات ، وهي في الغالب عندما يريد

أن يورد شيئاً من شعر المترجم له ، وأحياناً قليلة عند ذكر ولادة المترجم له أو وفاته كما أسلفتُ .

٢ ـ النسخة (ق) :

وهي بخط الصفدي ، إلا أنها ناقصة ، واجتمع لدينا أجزاء منها هي :

ـ الجزء الثاني : يبدأ بترجمة (إدريس بن عبد الله عماد الدين اليمني) وينتهي بترجمة (بهادر بن عبد الله السنجري) .

يقع هذا الجزء في (١٨٣) ورقة . في كل صفحة (١٧) سطراً ، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة . وهناك بعض الفراغات فيه .

كتب بخط نسخي مقروء .

هذا الجزء في مكتبة طوبقابوسراي تحت رقم (A ٢٢٦٢١) .

ـ الجزء الخامس : يبدأ بأول حرف العين ، وينتهي بترجمة (عبد المحمود بن عبد الرحمن بن محمد) .

أوراقه (١٥٣) ورقة ، في كل صفحة (١٦) سطراً ، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة آيا صوفيا ، تحت رقم (٢٩٦٦) .

ـ الجزء السابع : يبدأ بترجمة (علي بن عيسى بن سليمان بهاء الدين) . وينتهي بترجمة (عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمود ضياء الدين الأنصاري) . أوراقه (١٣٥) ورقة ، في كل صفحة (١٤) سطراً ، في كل سطر (١٣) كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

الجزء من محتويات مكتبة الإسكوريال تحت رقم (١٧٢٢) .

ـ الجزء الثامن : يبدأ بترجمة (غازان بن أرغون) ، وينتهي بترجمة (محمد بن أحمد بن يعقوب) .

أوراقه (١٥١) ورقة ، في كل صفحة (١٦) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة آيا صوفيا تحت رقم (٢٩٦٨) .

ـ الجزء الثاني عشر : يبدأ بترجمة (محمود بن علي بن مقبل تقي الدين الدقوقي) حتى آخر الكتاب .

أوراقه (١٥٤) ورقة ، في كل صفحة (١٧) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة طوبقابي سراي ، تحت رقم (٣٠١٠) A ، مجموعة أنقروي .

٣ ـ النسخة (خ) :

يبدو أن هذه النسخة اختيارات من الكتاب ، فهي كاملة من حيث البداية والنهاية ، إلا أنها لا تحتوي على جميع التراجم ، بل اقتصرت على المشاهير منهم في الغالب .

وهي نسخة جيدة ، كتبت بخط نسخي مقروء سنة (٨٣٣ هـ) .

عدد أوراقها (١٧٩) ورقة من القطع الكبير . في كل صفحة (٣٣) سطراً ، في

كل سطر (١٤) كلمة . ورقمها (٢٩٨) . وهي من النسخ التي زودنا بها مركز جمعة الماجد بدبي .

٤ ـ النسخة (أ) :

نسخة ناقصة ، حصلنا على مجلدين منها :

ـ المجلد الأول يضم كل التراجم التي تبدأ بحرف الألف . ويقع في (١٧٠) ورقة ، في كل صفحة (٢٥) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

ـ المجلد الثاني : يضم التراجم التي تبدأ بحرف العين . ويقع في (٢١٦) ورقة .

كتب المجلدان بخط نسخي جيد . وهذه النسخة جيدة ودقيقة عالية ، إلا أنها غير كاملة .

٥ ـ النسخة (س) :

هي نسخة ناقصة ، حصلنا على جزأين منها :

ـ الجزء الثالث : يبدأ بترجمة (سليمان بن حمزة المقدسي الجماعيلي) ، وينتهي بترجمة (عطية بن إسماعيل اللخمي) .

أوراقه (٢٢٦) ورقة ، في كل صفحة (٢١) سطراً ، في كل سطر (١٢) كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء .

هذا الجزء في الأستانة تحت رقم (٥٨٧) .

ـ الجزء السابع : يبدأ بترجمة (محمد بن محمود) حتى آخر الكتاب .

عدد أوراقه (٤٠٣) ورقة . في كل صفحة (٢١) سطراً . في كل سطر (١٢) كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء .

موجود في الأستانة ، تحت رقم (٥٧٨) .

هـذان الجـزءان مصـوران عن نسخـة وقف السيـد مصطفى رئيس الكتـاب بالأستانة ، موجودان في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٠٩١) .

٦ ـ النسخة (ط) :

نسخة ناقصة ، حصلنا على ثلاثة أجزاء منها :

ـ الجزء السابع والجزء الثامن : يبدأان بترجمة (علي بن عبد الكريم بن طرخـان) وينتهيان بترجمة (محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي) .

عـدد الأوراق (٢٢٦) ورقـة . في كل صفحـة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٦) كلمة .

هما في مكتبة طوب قبوسراي تحت رقم (١٢١٦ ، H ، E) .

ـ الجزء الثاني عشر : يبـدأ بترجمـة (محمـد بن محمـد بن عبـد الرحمن بن يوسف بن القوبع) حتى آخر الكتاب .

عـدد أوراقـه (١٢٥) ورقـة . في كل صفحـة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٦) كلمة .

وهو في مكتبة طوب قبوسراي ، تحت رقم (١٢١٧) .

هذه النسخة تتطابق مع نسخة الأصل إلا في بعض المواضع . وقد نسخهـا أحمـد بن مسعود النابلسي سنة (٨٧٠ هـ) .

٧ ـ النسخة (ز) :

نسخة ناقصة ، وقفنا على جزء واحد منها ، يبدأ بترجمة (عبد الملـك بن أحمـد بن عبد الملك الأنصاري) ، وينتهي بترجمة (علي بن الحسين بن قاسم بن منصور بن شيخ العوينة) .

عـدد أوراقـه (١٢٨) ورقـة ، في كل صفحـة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٣) كلمة .

كتب هذا الجزء بخـط نسخي دقيق مقروء ، وهو في مكتبـة آيـا صوفيـا ، تحت رقم (١٥١٥) .

عملنا في التحقيق :

ـ اتَّخذنا النسخة الخطية الموجودة في مكتبة عـاطف أفنـدي أصلاً ، وهي النسخـة الوحيدة الكاملة التي صورها الـدكتور فؤاد سزكين ، ثم نسخنـا متنهـا ، وقـابلنـا أجزاء النسخ الأخرى التي حصلنا عليها مبيِّنين الفروق بينها ، وقد أثبتنا في المتن ما قدّرنا أنـه الصواب .

ـ كما عارضنا تراجم الكتاب بما في (الوافي) وأثبتنا الفروق بين الكتابين .

ـ ذكرنا بعض مصادر تراجم الكتاب في الحواشي ، ولم نحـاول الإكثـار من ذلـك ، إذ اكتفينا بأبرز المصادر .

خرَّجنـا الآيـات ، والأحـاديث ، والأشعـار ، والأمثـال ، مـا استطعنـا إلى ذلـك سبيلاً .

ـ وثَّقنا بعض الحوادث التاريخية والأخبار المهمة .

ـ شرحنا مصطلحات العصر الواردة في الكتاب .

ـ شرحنا من الألفاظ ما اعتقدنا أنه يحتاج إلى ذلك .

ـ عرَّفنا بمواضع الأماكن وحدَّدناها .

ـ قمنا بترقيم التراجم من أول الكتاب إلى آخره .

ـ صنعنا فهارس عامة للكتاب .

وقد حرصنا في هذا العمل على توخّي الدقة في إخراج النص على أفضل وجه ممكن وتوثيق مافيه ، وتجنبنا إثقاله بالحواشي المطولة ما وسعنا ذلك فطبيعة الكتاب لا تحتمل التطويل .

وكما هو مطلوب في نشر النصوص العلمية ، أبقينا كلام المؤلف على حاله في تراجم الأعلام ، وفي المختارات التي حلّى بها تراجمه من الشعر والنثر والأخبار ، التزاماً منا بالمنهج العلمي الذي رسخت قواعده عند المستشرقين وعند المحققين العرب معاً ، لأن هذه النصوص هي وثائق علمية ولغوية وتاريخية تعبر عن مرحلتها التي كتبت فيها ويمكن للباحثين أن يفيدوا منها في دراساتهم .

ومما لا شك فيه أنه قد واجهتنا صعوبات كثيرة وظروف معقدة في هذا العمل ، لم ندخر جهداً نستطيعه للتغلب عليها وتجاوزها ، فما وُفِّقنا فيه هو من فضل الله وتوفيقه وتيسيره ، وما تقاصرت همنا عن إدراكه فمن أنفسنا ، ونسأل الله العفو المغفرة ، ولعل أهل العلم والخبرة يلتمسون لنا عذراً ويرشدوننا إلى مافيه الخير والصواب لنا وللغتنا وتراثنا العظيم .

﴿ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنوبَنا وإسْرافنا في أمرِنا وثَبِّتْ أقْدامَنا ﴾

﴿ رَبَّنا افْتَح بَيْنَنَا وبينَ قَومِنا بالْحَقِّ وأنتَ خيرُ الفاتِحينَ ﴾

الكويت في : رمضان المبارك ١٤١٦ هـ
آذار ١٩٩٦ م

علي أبو زيد

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب [1]

الحمدُ لله الذي حَكَم على أهْلِ الوجود بالعَدَم ، وقَدَّرَهُ عليهم بالقدم [2] ، وقضى به على الخلق فما أفاد معه محاذاةُ حذرٍ ولا مناداةُ ندم ، وأورد الموت على فِناء أعمارهم فانهدّ وبناءِ أبشارهم [3] فانهدم . نحمده على نعمه التي فسحت مدّة الأجل ، ومنحت تراخي المهلة ولم تؤثر العَجَل ، ونَزَحت [4] القلوب إلاّ من الأمن ، ودفعت ما عَظُم وجلَّ من الوَجَلْ .

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةً هي الذخر يوم الفاقة ، والحق أن لا تُردَّ يوم الْمُحَاقَّة [5] ، والفارطُ الذي قدّمناه ونحن نرجو لحاقَه .

ونشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي حذّر معاطب الغرور ، وبصَّر عواقب السرور التي تليها الشرور ، وأظهرَ كواكب الحقّ فهي في فلك البدور تدور ، فهو الذي :

لم أُجْرِ غايةَ فكْري منه في صِفَةٍ ... إلاّ وَجَدْتُ مداها غايةَ الأَبَد

---

(١) هذه المقدمة خلت منها : (خ) .

(٢) (أ) ، (ك , : « في القِدَم » .

(٣) جمع بَشَرة ، وهو ظاهر الجلد .

(٤) نزحت القلوب : فرغت أو كادت تفرغ .

(٥) (أ) ، (ك) « يوم الحاقة » ، والحاقة : القيامة . والتحاقُّ : التخاصم ، وحاقَّه : خاصمه .

صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا شجًى في لَهَوات من كَفَرْ ، وكان الباطل بهم دجًى حتى جَلَوا الحقّ فلاحَ صباحُ الفلاح بهم وسَفَر ، وراضُوا الزمان فاستقاد لهم من بعد ما تقاعسَ ونَفَر ، ورآهم الزمان جَمال هذه الأرض في الحياة ، وبعد الممات جمال الكتب والسِّيَر ، فهم الذين سَجَع الحمام بمدحهم وصَدَح ، وشرح الخاطرَ وصفُهم [١] لمّا جال في سرد مناقبهم وسَرَح ، وإيّاهم أراد ابنُ الرومي لا مَنْ خاطبه ومدّ المدى لمّا مَدَحَ ، إذ يقول [٢] :

آراؤكُم ووُجوهُكم وحُلُومكم ... في الحادثاتِ إذا دَجَوْن نُجومُ
مِنْها معالمُ للهُدَى ومصابحٌ ... تجلو الدُّجَى والأُخْرَيات رُجُومُ

صلاةً لا يُمَلُّ الزمانَ دوامُها ، ولا يُرى الدهرَ انصرافُها [٣] وانصرامها ، ما نبتَ في رياض الدياجي نرجسُ نجوم ، وراحت أطيار الدراري على نهر المجرّة وهي تحوم [٤] ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الوقوف على أخبار من تقدّم ، وخَرب ربعُ عُمره بالموت وتَهَدَّم ، ووُصِف في حياته أو غادر للشعراء في رثائه لمّا تردَّى ما تردّم [٥] ـ ممّا تتشوَّقُ النفوس إلى الوقوف عليه ، وتتشوّف بجملتها إليه ، فإنّه : « في الذاهبين الأوّلين لنا بصائر » [٦] ، وفي آثار مَن درج وأخبارِه أدلّةٌ للتأسّي وأمائر ، وفي التفكّر في مصارعهم

---

(١) (أ) ، (ك) : « واصفهم » .
(٢) ديوانه : ٦/٢٣٤٥ .
(٣) ليست في (أ) ، (ك) .
(٤) (أ) ، (ك) : « وهي على نهر المجرة تحوم » .
(٥) تلميح إلى مطلع معلقة عنترة :
هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم
(٦) هو أول الأبيات التي أنشأها قس بن ساعدة في خطبته المشهورة في سوق عكاظ ، وروايته :
في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر

مـا يُصلح الظواهر والضمائر . وقـد حضّ القرآن على مثل هـذا وحثّ ، ورمّ[١] بـوعظـه ما رقّ من القسوة ورثّ . والتاريخ فنٌّ[٢] لا يملّه طرف مُطـالع ، ولا يسـأمـه سَمْعُ مصغٍ ولا مُراجع ، ولا يخلو من يقف على التواريخ من فائـدة ، ولا يطوي صُحُفَهـا إلاّ وقـد حصل منها على صِلَةٍ وعائِدَة ، ولا تمرّ به كائنة إلاّ تنبّه لها وأجراها على ما في ذهنـه من القاعـدة ، ومـا كان التراجم في/التواريخ إلاّ كتـاب وردَ من غـايب ، أو خبر جـاء بـه نجّابٌ إما بالمحاسن أو بالمعايب :

فـلا تبخلـوا مَـعْ بُعـدكم بـوجـوهكم علينـا ألاَ إنَّ الـوجـوهَ هي الكُتبُ

فكم قد سمعنا بموجودٍ ولم نتبيّن حالَه ، ولا عرفنـا حقّـه ولا مِحَـالَـه[٣] ، ولا علمنـا ما اتصف به من ذمّ أو مـدح ، ولا مـا التحف بـه من موجِب شكر أو قـدح ، وربّما كان للإنسـان قريبٌ وقـد دَرَج ، أو لَزَمٌ[٤] وقـد دخـل هـذه الـدارَ وخرج ، ولا عِلْمَ لـه بمـا عامله به زمانه ، ولا ما أحدث[٥] له حَدَثانُه :

وقـد فـارق النـاسُ الأحبـةَ قَبْلَنَـا وأعْيَـا دواءُ المـوت كلَّ طبيب[٦]

فإذا راجعَ التواريخَ كان كمن شاهَـدَ مَن مضى ، وعـاينَ مـا جرى بـه عليـه القَـدَرُ وقضى . وأنا أرى التأريخ والترجمة مَعَـاداً ثـانيـاً في المعنى لا في الوجود ، ونشراً أوّلَ قبل نشر الرُّفَات إلاّ أنها لم يُفضّ عنها خَتْمُ اللُّحود .

وكنت قد أنفقت مدّةً من العمر[٧] ما وجدت لها عوضاً ، ولا حسبتها إلاّ لمعـةَ برقٍ

(١) (أ) ، (ك) : « ورام » . والرم : الإصلاح .
(٢) (أ) ، (ك) : « فنٌّ فَذّ » .
(٣) محاله : فساده وكيده ومكره .
(٤) أي ملازم .
(٥) (أ) ، (ك) « حدث » . وحِدْثان الدهر : نَوبه وحوادثه .
(٦) « دواء » مطموسة في الأصل ، ثابتة في أ ، ك .
(٧) (أ) ، (ك) : « التي » .

أومضَ لي وَمَضى ، في جمع تاريخي الكبير الذي سميته : (**الوافي بالوفيات**) ، وسقت فيه ذِكْرَ جُمَلٍ من الأعيان من زمن النبيّ ﷺ وإلى زماني ، ونَصَبتُ فيه نفسي دَريئةً لمن طعن فيَّ أو رَمَاني ، إلاّ أنّه جاء مُطَوّلاً ، وأصبح وجه مَضمونه عن الاقتصار والاختصار مُخَوَّلاً ، فأردت بعد فراغي منه أن أقتصد وأقتصر ، وأختارَ ممّا أمتار وأختصّ وأختصر ، وأجمع تاريخاً لمن أدركه عصري وجنى ثَمَرَ غُصْنِه هَصْري ، وضمتني وإياه دائرةُ وجودي أو نُقْطة مِصْري ، أو كان في زماني ولم أره ، أو نقلَ الرواة الأثبات خبره :

أليسَ الليلُ يَجْمعُ أمَّ عمروٍ ... وإيانا فذاك لنا تَدانِي
وتَنظُرُ للهلالِ كما أراهُ ... ويَعلوها النهارُ كما عَلاني[1]

وما أحسنَ قولَ الآخرَ :

قال لي قائلٌ لأيّة حالٍ ... ترقب البدرَ ثمّ تَهْوَى سِواهُ
قلت إمّا لِشِبْهِهِ من حجبوهُ ... أو لأنّي أراه وَهْوَ يراهُ

وابتدأت ذلك من سنة ستّ وتسعين وست مئة ، وهي سنةُ مولدي ، ونَهْلَةُ مَوْرِدي ، وجَذْوة مَوْقِدي ، وبَدْأة[2] موعدي .

ورتَبتُ أسماء مَن فيه على حروف المعجم ، وأدَمْتُ غيث فوائده الذي انسجم[3] وجَعْجَعْتُ بفارسِ الإطناب فيه ، فكَرَّ وما فَكَّرَ ، وحَجَّ وما أحْجَم . وهو شيءٌ جمعتُه لنفسي لا لأحدٍ من أبناء جنسي ، وجعلتُهُ لي رأسَ مال ، وبضاعةً ضَمّت الحللَ المرقومة

(١) البيتان من قصيدة لجحدر بن مالك قالها لمّا سجنه الحجّاج الثقفي ، وهي في أمالي القالي : ٢٧٧/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب : ٢٠٨/٣ .

(٢) (أ) ، (ك) : « بداءة » ، وهما بمعنىً .

(٣) في الأصل و (ك) : « أنجم » ، وأثبتنا ما في أ وهي أشبه .

والبرود الأسمال[١] ، فمن رآه كثيراً ، وما حَلّ من قبله مَحّلاً أثيراً ، أو قابل صَفَحاتِ وجهه بالإعراض ، أو أرسل سهام نَظَرِه فما أصابت منه الأغراض ؛ فذاك أمرٌ به عليَّ قضى الباري ، وشيء جرى به القلم وما هو إلاّ كالجبّانة أزور فيها قبور أصحابي ، وأتردد منها إلى أجداث أترابي وأحبابي ، وألتف في أكفان شيبي الذي نزل بي وأقْسَم أنّه ما يرحل إلاّ بي ، فقد ذكرت فيه جماعة رأيتهم وما راءيتهم ، ودانيتهم حقَ الصحبة وما داينتهم[٢] ، ورّثت حبالُ صَبْري التي ورثتها لَما رثيتهم ، ممّن انتفعت بعلومهم ، ورُفعت بين نجومهم ، وشركت بعضهم في ماله ، وتركت النظر إلى البدر لأنه ما فاز بمثل جماله ، ولا حاز مثل كماله :

ومعاذَ الإلـه أن أتعزّى عنه طول الزمان أو أتسلّى

فكَمْ فيَنْ ذكرته مَن جرّعَني ما غَصّص ، وجرَّ عَنّي رداء[٣] الصبر وقلّص ، وتقدّم أمامي وهو يقودني إلى حفرتي بزمامي ، وغادرني بعده وحيداً ، وأخذ حظي معه وراح . وأهل هذا العصر يريدون شيئاً جديداً ، ولله أبو عبادةَ البحتري حيث يقول في رثاء المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان[٤] :

أأطلبُ أنصاراً على الدهر بعدما ثوى منهما في التُرْب أَوْسي وخَزْرجي
مَضَواً أُمَماً قبلي وخُلّفتُ بعدهم أخاطِبُ بالتأمير واليَ مَنْبجِ[٥] /

واللهَ أسألُ أن يجمعنا في دار كرامته ، ويَمُدَّ علينا ظلّ لطفه ورحمته ، ويُجْرينا على ما ألِفناه وألّفناه من نعمته :

وإن أستطع في الحشر جئتك زائداً وهيهات لي يومَ القيامة أشغالُ

(١) (أ) : « والأسمال » . وسمل الثوب : أخلق .
(٢) (أ) ، (ك) : « لّما دانيتهم » .
(٣) في الأصل « دواء » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) .
(٤) ديوان البحتري ٤١٨/١ .
(٥) منبج : من قرى الشام ، شمال مدينة حلب ، وهي بلدة البحتري .

اعترضت بهذه الجملة ، وزدتُ همّ القلب هذه الحَمْلَة ، فإنها من المصدور نَفْثة ، واستراحة في نصف الطريق ممّن أعيا ولَبْثة .

وأعود إلى ما كنت فيه ، وأفي له بحقه وأوفّيه ، فأقول : وقد[١] كنت رأيت فيما وقفت عليه من أخبار الوزير أبي الوليد أحمد بن زيدون المغربي أنّه لمّا كان بقرطبة وزيراً توفيت ابنته ، ولمّا فرغ من دفنها وقف للناس عند مُنْصَرَفِهم من الجنازة ليتشكر لهم ، فقيل : إنّه ما أعاد في ذلك الموقف عبارةً قالها لأحد[٢] .

قلت : وهذا من التوسّع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمرٌ صعبٌ إلى الغاية ، وأراه أنّه أشقّ ممّا يُحكى عن واصل بن عطاء وأنّه ما سُمع[٣] منه كلمةٌ فيها حرف راء ، لأنّه كان يلثغ بحرف الراء لثغةً قبيحة ، والسبب في تهوين هذا الأمر وعدم تهويله : أنّ واصل بن عطاء كان يعدل إلى ما يرادف تلك الكلمة في معناها وليس فيها راء ، وهو كثيرٌ في كلام العرب ، فإذا أراد العدول عن لفظ : (فرس) قال : (جواد) أو (سابح) أو (صافن) ، أو العدول عن لفظ : (رمح) قال : (قناة) أو (صعدة) أو (يَزَنيّ) أو غير ذلك ، أو العدول عن لفظ : (صارم) قال : (حسام) أو (لهذم) أو غير ذلك ، وأمّا ابن زيدون فأقول في حقّه : إنّه أقلّ ما كان في تلك الجنازة ، وهو وزير[٤] ، ألف رئيس ممّن يتعيّن عليه أن يتشكّر له ، ويضطرّ إلى ذلك فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارةٍ مضمونها التشكّر ، وهذا كثيرٌ إلى الغاية ، لا سيّما من محزونٍ فقدَ قطعةً من كبده :

ولكنّه صوبُ العقول إذا انبرتْ سحائبُ منه أعقبت بسحائب[٥]

---

(١) ليست في (أ) ، (ك) .

(٢) نفخ الطيب : ٥٦٥/٣ ، وقد نقل المقري كلام الصفدي الآتي عن كتابه (الوافي) .

(٣) (أ) ، (ك) : « لم تُسْمَع » . وانظر الأغاني : ١٤٦/٣ .

(٤) « وهو وزير » ليست في (أ) ، (ك) .

(٥) البيت لأبي تمام من قصيدة مدح بها أبا دلف العجلي ، مطلعها :

على مثلها من أربُع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

(ديوان أبي تمام : ٢١٤/١) .

وقد استعمل الحريري ـ رحمه الله تعالى ـ هذا في (مقاماته) ، فهو في كلّ مرّة يجتمع فيها الحارث بن هَمّام بأبي زيد ويحتاج إلى أن يقول : (فلمّا أصبح الصبح) ، تراه[١] يعبّر بعبارةٍ عن هذا المعنى بغير عبارته الأولى ، فتارةً قال : (فلمّا لاح ابن ذكاء ، وألحفَ الجوَّ الضياء) ، وتارة قال : (إلى أن أطلّ التنوير ، وحسر الصبح المنير) ، وتارةً قال : (حتى إذا لألأ الأفق ذَنَب السرحان ، وآنَ انبلاج الفجر وحان) ، وتارةً قال : (إلى أن عطس أنف الصباح ، ولاح داعي الفلاح) ، وتارةً قال : (فلمّا بلغ الليل غايته ، ورفع الصبح رايته) ، وهذا كثيرٌ في مقاماته ، وهو من القدرة على الكلام . وأرى الخطيب ابنَ نباتة[٢] ـ رحمه الله تعالى ـ ممّن لا يُلحق في هذا الباب ، فإنّه أملى مجلدةً معناها من أولها إلى آخرها : (يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه ، فإنّكم إليه راجعون) . وهذا أمرٌ بارعٌ مُعْجز ، والناس يَذْهلون عن هذه النكتة فيه ، وقد خطر لي أنا مِثْلُ ذلك عند ذِكْر وفاة كلٍّ من الأعيان الذين أذكرهم في هذا التأريخ ، فإن اتفق لي مثلُ هذا فهو بحول الله وقوّته ، وإنقاذِ الجبان من دحض هَوّته ، وإلاّ فَعَذْرُ المَزَلّة[٣] في هذا المقام واضح ، والإقالَةُ من عَثْرَته أمرٌ راجح ، وأعوذ بالله من إعجاب المَرْء بنفسه ، وجَرِّه رداءَ الخُيَلاء وهو حَقيرٌ في نوعه وجنسه .

وقد سمّيتُ الكتاب[٤] عندما أردتُ وضعه ، وقصدت تأليفه وجمعه (**أعيان العَصْر وأعوان النَّصْر**) ، وبالله الاستغاثة والاستعانة ، وطلبُ الإنابة إليه في الإعانة على الإبانة ، والعياذة ممّا نحن به في هذا الزمان من الزَمَانة ، إنّه وليّ الخيرات في الدنيا والآخرة سبحانه ، عليه توكلت وإليه أنيب .

---

(١) (أ) ، (ك) : « فتراه » .

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي (ت ٣٧٤ هـ) . وفيات الأعيان : ٢٨٣/١ .

(٣) (أ) ، (ك) : « المرء » ، وهي أشبه .

(٤) (أ) ، (ك) : « هذا الكتاب » .

حرف الهمزة

١ ـ أباجي*

الأمير سيف الدين ، النائب بقلعة دمشق .

أول ما عرفته[١] من شَانِه وألفته من ترفع مكانه أنّه كان في أعداد[٢] أمراء حلب ، وصار بعدَ ذلك مآلُه إلى دمشق والمنقلب . أظنّه جاء إلى قلعة[٣] دمشق بعد موت الأمير علاء الدين مُغَلْطَاي المرتيني[٤] نائبها ، وذلك في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة ، وضبطَ أمرَ القلعة ضبطاً تامّاً[٥] ، وحفظ أمرها حفظاً عامّاً ، خصوصاً في وقعة بَيْبغاروس[٦] ومَن بغى معه مِن[٧] تلك الروس ، لأنّه حصّنها ، وجمّلها بآلات الحصار وحسّنها ، وصابَرَ أولئك الغاوين ، ولم يتحيّز إلى فئة الباغين ، فشُكِر لذلك مقامُه ، وزاد في القلوب احترامه . وهو زوج أخت الأمير سيف الدين طَشْبَغَا الدوادار[٨] ، وكان شيخاً طُوالاً ذا رُوَاء ، وقوامٍ يحاكي القناةَ في الاعتدالِ والاستواء . قد قَرُبَ منه الأجلُ

---

* النجوم الزاهرة ٣٠٠/١٠ ، والذيل التام ١٤٢ وفيه : إياجي . وذكر ابن كثير بعض أخباره في البداية والنهاية : ١٤٥/١٤ و٢٥٦ .

(١) (أ) ، (ك) ، (خ) : « عرفت » .

(٢) (أ) ، (ك) : « عداد » ، خ : « عدد » .

(٣) خلت منها (أ) ، (ك) ، (خ) .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٥) (أ) ، (ك) ، (خ) : « أمراً تامّا » ، ولا وجه لها .

(٦) (أ) ، (خ) : « واقعة » . وفي الأصل ، و (أ) ، و (خ) : « بيبغاروس » ، تحريف ، وستأتي ترجمته في موضعها من حرف الباء .

(٧) (أ) ، (ك) ، (خ) : « في » .

(٨) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الطاء . والدوادار : حامل دواة الحبر .

وتَدَلّى ، ووصل إلى النقا ولم يبق إلاّ المُصَلّى ، ولم يزل على حاله إلى أن نزل من القلعة على ظهره ، وانحطّ بعد الرفعة إلى قعر قبره .

وتوفي رحمه الله تعالى يومَ السبت عاشر شعبان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

٢ ـ إبراهيم بن أحمد بن هلال*

القاضي برهانُ الدين الزَّرْعِي الحنبلي ، ناب في الحكم لقاضي القضاة علاء الدين بن المُنَجَّا[١] الحنبلي بدمشق .

مولده سنة ثمانٍ وثمانين وست مئة [٢] ، ووفاته في نصف شهر رجب الفرد يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

لم يحصد الموت مِنْ زرعٍ له نظيراً ، ولا اجتلى الناس من حوران مِثْلَه قمراً منيراً ، أتقن الفروع ، وبهر فيها من الشروع ، وجوّدَ أصول الفقه وشغل فيها الناس ، وأوضح لهم فيه ما حَصَل من الإلباس ، وبرع في النحو وظهر ، ومارس غوامضه ومَهَر ، وقرأ الفرائض ، وأتى فيها وحده [٣] بما لم يأتِ به ألف رائض ، واشتغل في الحساب [٤] ، وغَنِيَ بذهنه الوقّاد عن الاكتساب ، وكتب المنسوب الفائق ، وسلك فيه أحسن الطرائق ، وكان الناس يأتون إليه بالمجلدات ليكتب عليها أسماءها ، ويُزَيِّنَ بكواكب حروفه سماءها ، رغبةً في حُسْنِ خطّه[٥] ليقوم مَقَامَ الفواتح الْمُذَهَّبة ، والأعمالِ التي هي لأهل الصنائع مُتْعِبَة . ولقد كان قادراً على حكايات الخطوط المنسوبة ، والطرائق التي هي عند أرباب هذا الفن محسوبة ، فكم قد كَمَّلَ من مجلد انخرم ، وأخْمَدَ من نار

* الوافي : ٣٠٨/٥ ، والدرر : ١٥/١ ، والشذرات : ١٢٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢/١ .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٢) (أ) : « ثمان وست مئة » .

(٣) (أ) ، (ك) : « حذوه » ، ولا وجه لها .

(٤) (أ) ، (ك) ، (خ) : بالحساب » .

(٥) في الأصل : « حظّه » . تصحيف .

صاحبه الضَّرَم ، فإذا رآه العارف لم يُنكر شيئاً من أمره ، ولا علم فاسده[١] ولو بحث فيه مُدَّة عمره ، والمكاتيبُ الشرعيّة إلى الآن تشهد له بحُسْن العلائم ، وتَمُدّ لعيونِ الكُتَّاب منها موائدَ وتعمل لهم فيها ولائم .

وكان حَسَن الشكل والعِمَّة ، وافرَ العقل عاليَ الهِمّة ، نُدِبَ في أيّام الصاحب شمس الدين غبريال[٢] لنظر بيت المال ، فأبى وفكّر في العُقْبَى والمآل ، وكان بصيراً بالفَتْوى ، جيِّدَ الأحكام لا يقع منها في بَلْوى ، يتوقَّدُ ذهنه من الذكاء والفطنة ، ويدرك الغوامض التي مضى الأوائل وفي قلوبهم منها إحْنَةً ، وكان يميل إلى التسرّي بالأتراك ، ويقع معهنّ في الحبائل[٣] والأشراك ، فكنت أراه جُمعةً في سوق الجواري ، وجمعة في سوق الكتب ليجمع بذلك بين الدُرِّ والدَّرَاري . وتعلّم اللغة التركيّة من جواريه ، وتكلّم بها ، فقلّ من يؤاخذه فيها لمّا يجاريه . هذا مع براعة في عبارته ، وفصاحة في كلامه ، وبلاغة في إشارته .

أخذ الأصول عن العلاّمة كمال الدين بن الزَّمْلَكَاني[٤] ، قاضي القضاة ، وجلال الدين القَزْويني[٥] لمّا كان خطيباً ، وغُصْن برهان الدين المذكور من الشباب رطيباً . ورأيته يَحْضُر دروسَ العلاّمة ابن تيمية كثيراً ، ويأخذ من فوائده ما شادَ به مجداً أثيلاً أثيراً ، يجلس مُنْصِتاً لا يتكلّف لبحث[٦] ولا يتكلّم ، ويَرَى أنه يَتَعَلّقُ بأهدابه ويَتَعَلّم ، إلى أن قضى نَحْبَه وسكن تُرْبَه ، ولقي ربّه ، رحمه الله تعالى .

---

(١) مطموسة في الأصل .

(٢) عبد الله بن صنيعة القبطيّ الوزير ، (ت ٧٣٤ هـ) . انظر الأعلام ٣١٠ ، وذيل العبر : ١٨٢ ، والدرر : ٢٦٢/٢ .

(٣) (ك) ، (خ) : « تلك الحبائل » .

(٤) ستأتي ترجمته في حرف الميم .

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، (ت ٧٣٩ هـ) . الدرر : ٣/٤ .

(٦) ليست في (أ) ، (ك) .

وكان قد دَرّس في الوقف الجديد الذي أوقفه الأمير سيف الدين بَكْتُمُر[١] والي الولاة بمدرسة الشيخ أبي عمر[٢] بالصالحيّة ، وكان درساً حافلاً حضره الأعيان في خامس عشري شوال[٣] سنة تسع عشرة[٤] وسبع مئة ، ودرّس بالحنبليّة[٥] داخل باب الفراديس عاشر ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وحضره القضاة والفضلاء ، وأُوْليَ[٦] نيابة الحكم في مستهل جُمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وأعاد بالمدرسة الصدريّة[٧] وبالجوزيّة[٨] والمسماريّة .

٣ ـ إبراهيم بن أحمد بن عُقْبَة بن هبة الله بن عطاء*

القاضي صَدْر الدين بن الشيخ مُحيي الدين البَصْرَوي الحنفي .

درّس وأفتى وأعاد [وأعان][٩] الطلبةَ وأفادَ ، وليَ قضاءَ حلب ، وأقام بها مدّةً يسيرة ، فما بلغ ماطلب ، ثُمَّ توجَّهَ إلى مصر وسعى[١٠] سعياً شديداً ، وحصَّلَ بقضاء

(١) المعروف بالحسامي ، وستأتي ترجمته في موضعها من حرف الباء .

(٢) واقفها وبانيها الشيخ أبو عمر المقدسي ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، توفي بدمشق (٦٥٨ هـ) ، الدارس : ٧٧/٢ ، وما بعدها .

(٣) قوله « في ... شوال » ليس في (أ) .

(٤) في الأصل : « تسع وعشرين » . وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) ، (خ) . بدليل ماسيأتي .

(٥) الدارس : ٥٠/٢ ، وما بعدها .

(٦) الفضلاء : ليست في (أ) . وفيها : « تولى نيابة .. » .

(٧) واقفها صدر الدين بن المنجّا . الدارس : ٦٧/٢ .

(٨) (أ) ، (خ) : « والجوزيّة » . والمدرسة الجوزيّة بسوق القمح بالقرب من الجامع الأموي ، أنشأها محيي الدين ابن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . الدارس : ٢٣/٢ .
والمسمارية : قبلي القيميريّة الكبرى داخل دمشق ، بالقرب من مئذنة فيروز ، واقفها الشيخ مسمار ، وهو الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني المقرئ التاجر . الدارس : ٨٩/٢ .

* الوافي : ٣١١/٥ ، والبداية والنهاية : ٣٥٣/١٣ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ ، والمنهل الصافي : ٣١/١ ، وعقد الجمان : ٤١٥ ، وفيات سنة ٦٩٧ .

(٩) زيادة من (أ) و (ك) .

(١٠) (أ)، (ك) : « وسعى بها » .

حلب تقليداً ، وعاد فأدركه الأجل بدمشق ، وبطل قلم حياته من الحظ والمَشْق ، وتعجّب الناس من حرصه الذي بلغ النهاية مع ما كان له بدمشق من الكفاية .

وولد بصرى سنة تسع وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبعٍ وتسعين وست مئة ، في حادي عشر رمضان .

٤ ـ إبراهيم بن أحمد بن حاتم بن عليّ*

الفقيه أبو إسحاق البعلبكي الحنبلي[١] ، شيخ بعلبك .

أجاز له نصر بن عبد الرزاق[٢] ، وابن رُوْزَبة[٣] ، وابن اللَّتّي[٤] ، وابن الأواني[٥] وابن القُبَّيْطِي[٦] ، وعدّة .

وسمع من سليمان الإسْعَرْدي[٧] ، وأبي سليمان بن الحافظ ، وخطيب مَرْدَا[٨] . واشتغل على الفقيه اليُونيني[٩] ، وصحبَهُ .

* الوافي : ٣١١/٥ ، والدرر : ٨/١ ، والشذرات : ٢٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩/١ .

(١) ليست في (أ) ، (ك) .

(٢) (ت ٦٣٣ هـ) . الشذرات : ١٦١/٥ .

(٣) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي القلانسي العطار الصوفي ، (ت ٦٣٣ هـ) . السير : ٣٨٧/٢٢ ، والشذرات : ١٦٠/٥ .

(٤) عبد الله بن عمر بن علي الحريمي ، (ت ٦٣٥ هـ) . السير : ١٥/٢٣ .

(٥) في الأصل ، و (أ) و (ك) : « الأوني » ، وأثبتنا ما في الوافي : وهو إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الحنبلي الأواني ، (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٣٠٥/٢٣ والأواني : نسبة إلى أوانا ، بليدة كثيرة البساتين والشجر ، نزهة ، من نواحي دجيل بغداد . (معجم البلدان) .

(٦) أبو طالب عبد اللطيف بن أبي الفرج ، محمد بن علي ، (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ٨٧/٢٣ ، والعبر : ١٦٨/٥ .

(٧) (أ) ، (ك) : « سلمان » ، تحريف . وهو سليمان بن إبراهيم بن هبة الله ، (ت ٦٣٩ هـ) ، الشذرات : ٢٠٤/٥ .

(٨) محمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي النابلسي الحنبلي ، (ت ٦٥٦) . السير : ٣٢٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٨٣/٥ . ومردا : قرية قرب نابلس بفلسطين .

(٩) محمد بن عبد الله ، (ت ٦٥١ هـ) ، الشذرات : ٢٥٤/٥ .

كانت له وظائف ، ونَسَخَ من العلم صحائف ، كتب (المغني)[١] بقلمه ، وأدخله بنسْخِه تحت عَلَمه ، وتَفَقَّه لابن حنبل ، وكان يرى أنه في مذهبه من غيره أنبل ، مع تواضع ، لا يترفّع ، ولا يتعرّف إلى الكبر ولا يتفرَّع ، يبدأ من يلقاه بالكلام ، ويعامل الناس بالانقياد لهم والاستسلام ، إلى أن وافاه حِمَامه وانمحق من بدره تمامه .

وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين وست مئة[٢] ، ووفاته ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

٥ ـ إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن يعقوب*

العلاّمة ، شيخ القراء والنحاة ، أبو إسحاق الإشبيلي الغافقي .

شيخ سَبْتَة ، حُمل صغيراً إلى سبتة ، وسمع (التيسير)[٣] من محمد بن جوبر[٤] الراوي عن [ابن][٥] أبي جَمْرَة ، وسمع (الموطأ) و (الشفا)[٦] وأشياء . وأكثر عن

---

(١) أغلب الظنّ أنّه المغني في الأصول لابن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي (ت ٦٢٠) وهو في عشر مجلدات ، السير : ١٦٥/٢٢ ، والكشف : ١٧٥٠/٢ ، ووقع في مطبوعة الوافي بلفظ « المنتقى » مصححاً على مطبوعة الدرر : ٨/١ ، وأشار محقق الوافي في الحاشية [٤] إلى أنّه في الأصل : « المعنى » .

(٢) وفيه نظر ، لأنّ مَنْ أجازوا له وسمع عنهم توفُوا قريباً من هذا التاريخ ، والأرجح أنّه ولد قبل ذلك .

* الوافي : ٣١٢/٥ ، والدرر : ١٣/١ ، والشذرات : ٣٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٢/١ .

(٣) في الأصل ، و (خ) : « اليسير » . تصحيف . والتيسير هو كتاب أبي عمرو الداني في القراءات . وهو مطبوع .

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جوبر ، أبو عبد الله الأنصاري البلنسي (ت ٥٥٦) . غاية النهاية : ١٦٠/٢ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الوافي ، والدرر ، والمنهل .
وفي الأصل و (أ) : « حمزة » تصحيف ، وكذا وقع مصحفاً في أصل الوافي ، ونبّه محققه على ذلك .
وابن أبي جَمْرة هو محمّد بن أحمد بن عبد الملك راوي التيسير ، (ت ٥٩٩) . غاية النهاية : ٦٩/٢ ، والشذرات : ٣٤٢/٤ .

(٦) الشفا في تعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض . الكشف : ١٠٥٢/٢ ، وهو مطبوع .

أبي عبد الله الأزدي[١] سنة ستين ، وقرأ بالروايات على أبي بكر بن مشليون[٢] ، وقرأ كتاب سيبويه على أبي الحسين بن أبي الربيع[٣] .

ساد أهل الغرب في لسان العرب ، وبلغ من النحو غاية الأمل وأقصى الأرب ، وألّف كتاباً في شرح (الجمل) ، وانتهى فيه إلى ما رامه من الأمل ، ووضع مصنفاً في قراءة نافع ، ونفع بذلك كلّ كهل[٤] ويافع ، وأصبح قلبُ أهل الشرق وهو خافق من التطلّع إلى شيخ غافق ، وسكن لما ظعن من بلده في مدينة سبتة ، وقطع بها جمعة عمره وسَبْتَه ، حتى قضى نحبه ، وكدَّر الموت من الحياة شُرْبَه .

وولد سنة إحدى وأربعين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست عشرة[٥] وسبع مئة .

٦ ـ إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن أحمد*

الشيخ الفقيه ، الإمام الصالح ، الخيّر المُعَمّر ، عزّ الدين العَلَويّ الحُسَيني الغَرّافي[٦] ، ثم الإسكندري ، الشّافعي الناسخ .

---

(١) عبارة الوافي : « وأكثر عن أبي هريرة ، عن أبي عبد الله الأزدي » .

(٢) في الأصل و (أ) و (ك) : « سلبون » ، تصحيف وتحريف ، وابن مشليون هو محمد بن محمد بن أحمد بن مشليون ، أبو بكر بن أبي عبد الله الأنصاري البلنسي ، أستاذ مقرئ كبير ، توفي في حدود (٦٧٠ هـ) ، غاية النهاية : ٢٣٨/٢ .

(٣) عبد الله بن أحمد بن عبيد الله ، (ت ٦٨٨ هـ) ، البغية : ١٢٥/٢ .

(٤) في الأصل : « نهل » . تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) .

(٥) في المنهل الصافي : « توفي سنة عشرة وسبعمئة » .

* الوافي : ٣١٢/٥ ، والدرر : ١٠/١ ، والشذرات ٨٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٠/١ .

(٦) الغرّافي : نسبة إلى (غرّاف) ، نهر بين واسط والبصرة .

سمع بدمشق سنة اثنتين وخمسين من حَليمة حفيدةِ جَمَال الإسلام[١] ، ومن الباذرائي[٢] ومن الزين خالد[٣] .

وسمع بحلب من نقيب الشرفاء ، وأجاز له الموفق بن يعيش النحوي[٤] ، وابن رَوَاج[٥] ، والجُمَّيزي[٦] ، وجماعة .

وحدَّث وهو ابن بضعٍ وعشرين سنة ، وأخذ عنه الوجيه السبتي[٧] .

كان يرترق بالنَّسْخ ، وعنده في ذلك ثُبُوتٌ ورَسْخٌ ، مع زهد ونزاهة ، وتقدّم عند أهل الخَيْر ووجاهة . وكان أصغرَ من أخيه الشيخ تاج الدين الغرّافي[٨] بعشر سنين . ولمّا توفي أخُوه صار هو في المشيخة مكانَه ، وأسمع الحديث وشَيَّد أركانه ، وولي مشيخة دار الحديث النبهيّة[٩] مكان أخيه ، وسلك طريقه في تأنّيه وتراخيه .

قيل : إنّه حفظ (وجيز) الغزالي[١٠] ، وأحرز ما فيه من اللآلي ، وحفظ

---

(١) أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد السلمي ، (ت ٥٣٣ هـ) . والشذرات : ١٠٢/٤ .

(٢) أبو محمّد عبد الله بن أبي الوفاء ، (ت ٦٥٥ هـ) . السير : ٣٣٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٣) خالد بن يوسف بن سعد ، أبو البقاء النابلسي ، (ت ٦٦٣ هـ) . الشذرات : ٣١٣/٥ .

(٤) (ت ٦٤٣ هـ) . البغية : ٣٥١/٢ .

(٥) في الأصل : « رواح » وكذلك في المنهل . وفي « أ » : « دراج » ، تصحيف . وابن رواج هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الإسكندراني (ت ٦٤٨ هـ) . سير أعلام النبلاء : ٢٣٧/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٦) في الأصل « الجميري » ، وفي « أ » : « الحميري » ، تصحيف ، والجّميزي هو أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي شيخ الديار المصرية ، (ت ٦٤٩ هـ) . السير : ٢٥٣/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٦/٥ .

(٧) عبد الرحمن بن حسن السبتي ، وجيه الدين ، (ت ٦٨٦ هـ) ، الإعلام : ٢٨٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٧٣/٧ .

(٨) عليّ بن أحمد ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٩) في الوافي ، والمنهل : « النبيهيّة » ، وفي حاشية المنهل : « دار الحديث النبيهية بالإسكندرية ، وبها توفي ودفن صاحب الترجمة » .

(١٠) هو كتاب الوجيز في الفروع ، وهو عمدة في مذهب الشافعي ، الكشف : ٢ : ٢٠٠٢ .

(إيضاح) أبي عليّ[١] ، وأصبح يَسْرُدُ مافيه وهو مليّ ، وكان معين الدين المصغوني[٢] يقوم بمصالحه ، ويعينه بقضاء حوائجه ودفع[٣] جوائحه ، إلى أن فرغ مدى عمره ، ووصل نهايةَ أمره .

ولد بالثغر سنة ثمانٍ وثلاثين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشر المحرّم سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة . وهو من ذريّة موسى الكاظم رضي الله عنه .

٧ ـ إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن معالي*

الشيخ الإمام القدوة المُذكِّر القانت ، أبو إسحاق الرّقي الحنبلي / ، نزيل دمشق .

تلا بالروايات على الشيخ إبراهيم القُفصي[٤] ، وصحب الشيخ عبد الصمد ابن أبي الجيش[٥] ، وعني بالتّفسير والفقه والتذكير ، وبرع في الطب ، وشارك في المعارف ، وله بالوعظ إلى القلوب أيادٍ وعوارف ، وكان يشير في كلامه إلى لطائف مُحرِّكة ، ويُهدي بعبادته إلى السامعين فوائد بين النفوس والتقوى مُشَرِّكة[٦] ، طالما أجرى دمعاً ، وخَرَق بالموعظة سمعاً ، وجَرَّ لمن انتصب له رَفْعَاً ، يهزّ الأعطاف إذا لفظ ، ويحرّك القلوب الغافلة إذا وعظ ، على رأسه طاقية وخِرْقة صغيرة ، ونفسه غنيّة

---

(١) هو كتاب الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي ، في النحو ، وهو مطبوع .

(٢) (أ) : « الصغوني » ، وفي هامش نسخة للدرر ـ بخط المؤلف : « صوابه : الصفوئي » ولم تقف على ترجمته .

(٣) (أ) : « ورفع » .

* الوافي : ٣١٣/٥ ، ومرآة الجنان : ٢٣٨/٤ ، وذيل العبر : ٢٣ ، والدرر : ١٤/١ ، والشذرات : ٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٤/١ .

(٤) لم يترجم له ابن الجزري في غاية النهاية ، وجزم محقق الوافي أنّه يوسف بن جامع القفصي ، شيخ القرّاء ببغداد (ت ٦٨٢ هـ) ، وكذلك في المنهل وانظر غاية النهاية : ٣٩٤/٢ .

(٥) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش المقرئ النحوي ، (ت ٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٦) (أ) ، (ك) : « مشتركة » ، تحريف .

عن الملوك وإن كانت حالته فقيرة ، صُنع له منزلٌ [١] تحت المِئذنة الشرقية بالجامع الأموي من دمشق ، فلازمه إلى أن شالت نَعَامَتُه [٢] ، وسكنت بعد ذاك التذكار نَامَتُه [٣] .

وله نظمٌ يترقرق ، ونثرٌ بالبلاغة يتدفق ، وربما كان يحضر السماع ، ويجد الناسُ به مزيد انتفاع ، وحضوره بأدب ووقار ، وسكون لا تحرّكه نشوة العقار . وألّف تفسيراً للفاتحة ، وأتى فيه بكلّ فائدةٍ سانحة ، وله تواليفُ ومختصرات ، وتصانيف على المحاسن مُقْتَدِرات .

ولد سنةَ نيّفٍ وأربعين وست مئة ، وتُوفي ، رحمه الله تعالى ، سنةَ ثلاثٍ وسبع مئة في خامسَ عشرَ المحرّم ، ومِنْ نَظْمه :

يَزُورُ فَتَنْجَلي عَنّي هُمُومي ... لأنّ جَلاءَ هَمِّي في يَدَيْهِ
ويَمْضِي بالْمَسَرَّة حين يَمْضي ... لأنَّ حِوالتي فيها عَلَيْهِ
ولولا أنّه يَعِدُ التّلاَقي ... لكنتُ أموتُ مِنْ شوقي إليه

ومنه أيضاً :

لولا رجاءُ نَعيمي في دياركُم ... بالوَصْلِ ما كنتُ أَهْوَى الدارَ والوطنا
إنّ المساكن لا تحلو لساكنها ... حتى يشاهِدَ في أَثْنَائها السَّكَنَا [٤]

---

(١) (أ) ، (ك) : « صنع منزلاً » .

(٢) في الأصل : « سالت نعامته » ، تصحيف . وشالت نعامته : ارتحل ، وهو كناية عن الموت .

(٣) في اللسان : « أسكت اللهُ نأمته ، وهو من النئيم : الصوت الضعيف ، أي نغمته وصوته ، ويقال : نامَّته ، بتشديد الميم » اهـ .

(٤) في الوافي : « لا تخلو » ، تصحيف . والبيتان في المنهل .

٨ ـ إبراهيم بن أحمد بن ظافر*

القاضي بُرْهَان الدّين البُرُلّسي ، بضمّ الباء الموحدة والراء وتَشْديد اللام وبعدها سينٌ مهملة[١] .

كان فَقيهاً وبَيْنَ أهلِ العلم وَجيهاً ، يُعين في قَضَاء القُضَاة ، ويُحبّه كلّ من أَهَلَ مذهبه ويَرْضاه ، تَجمَّل به مذهب مالك ، وتكمَّل[٢] به نور القمر في الليل[٣] الحالك .

وكان ناظِرَ بيت المال بالقاهرة ، ونجوم أموال النجوم به زاهرة ، ولم يزل على حاله إلى أنْ لقي ربّه ، ونوّله ما أحبه .

ووفاته في شهرِ صَفر سنةَ ثمانٍ وسبع مئة ، وولي مكانَه في نظر بيت المال القاضي نور الدين الزواوي نائب المالكي .

٩ ـ إبراهيم بن أحمد بن أبي الفتح بن محمود**

القاضي الصدر[٤] شرف الدين ابن الشيخ العالم الكاتب كمال الدين ابن العطار .

كان قد باشر جهاتِ أخيه عِنْدَ موته ، وهي نظر الأشراف ، ونظر البيمارستان

---

* الدرر : ٩/١ .

(١) وفي معجم البلدان : « بَرَلُّس : بفتحتين وضمّ اللام وتشديدها : بُلَيْدَة على شاطئ نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندريّة » . ٤٠٢/١ . وفي القاموس : « بُرُلُّس ، بالضمات » .

(٢) (أ) ، (ك) « وتحَمَّل » .

(٣) قوله : « في الليل » خلت منها (أ) ، (ك) .

** لم نقف على ترجمة له .

(٤) ليست في (أ) ، (ك) .

الصغير ، ونظر المدرسة الظاهريّة[١] ، وبقي على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى في تاسع المحرّم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بالكرك في الجفل سنة سبع مئة ، وكان شَكِلاً حسناً .

١٠ ـ إبراهيم بن أحمد*

القاضي الرئيس الكبير جمال الدين ، رئيس الأطباء بالديار المصريّة ، المعروف بابن الْمُغْرَبي ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في مكانه .

لم يكن لأحدٍ مكانه عند السلطان الملك الناصر[٢] ، ولا عُقِدَتْ على مِثْل سَعَادته الخناصر ، يدخل إلى السلطان في كلّ يومٍ على الشمع ، فيشتمل عليه بالبصر ، ويصغي إليه بالسمع ، ويحكي له ما جرى[٣] في بارحته عند الحريم ، وما اتفق له مع آرام وَجْرَةَ وغزلان الصّريم ، ويُفْضي إليه بأسرارٍ لا يُوْدِعُها سواه ، ويقضي له كل ما وافق آفاق غَرضَه ولاءَمَ ولائِمَ هواه .

وكان فخر الدين ناظرُ الجيش يضيق منه ذَرْعُه ، ويَذْوِي من سُمِوم تَعَدِّيه عليه زَرْعُه .

وكانت إشاراته عند سائر أهْل الدولة مقبولة ، وطباعُهم على ما يراه من العزل والولاية مَقْبولة ، وقلَّ أن يكونَ يَوْمُ خِدْمَة وما عليه تشريف ، ولا لَهُ فيه أمْرٌ في تَجَدُّد السعد ولا تصريف .

---

(١) داخل بابي الفرج والفراديس بينهما ، بناها الملك الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦) ، الدارس : ٢٦٣/١ ، وهي الآن مكتبة عامة بدمشق .

* الوافي : ٣١٤/٥ ، والدرر : ١٦/١ ، والمنهل الصافي : ٣٥/١ .

(٢) محمد بن قلاوون ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) (خ) : « ما جرى له » .

وحاول جماعة ممّن هو قريب من السلطان إبعادَه ، وتَعِبَ كلٌّ منهم فما بَلَّغه الله[١] / قصده ولا أتمَّ له مراده :

إذا أنت أُعْطِيت السعادةَ لم تُبَل ولو نَظَرَتْ شَزْراً إليك القبائلَ

ولم يَزَلْ على حالِه إلى أنْ حَشْرَج ، ولم يكن له من ذلك الضّيق مَخْرَج ، ووصل الخَبَرُ إلى دِمَشْقَ بوفاته في أواخِر ذي القِعْدَةِ سنةَ ستٍّ وخمسين[٢] وسبع مئة .

وكان مليحَ الوَجْهِ ظريفَ[٣] اللباس ، مُتمكِّناً من السّلطان ، أراد القاضي شرف الدين النَّشو[٤] أن يُنْزِله منْ عَيْن السلطان بكلِّ طريق فلم يتّجه له فيه عَمَل ، فعمل أوراقاً بما على الخاصّ من الدّيون من زمان مَنْ تَقَدَّمه ، وذكر فيه جُمَلاً كثيرة باسم القاضي جمال الدين ابن المغربي ؛ مِنْ ثَمَن رَصاصٍ وبُرٍّ وحَرير وغيره ، ودخل وقرأ الأوراق على السلطان ، ليعلم أنّ له أموالاً متّسعة يتكسّب فيها ويتَّجرُ على السلطان ، وأعاد ذِكْرَ جمال الدين مَرّات ، فما زاد السلطانُ على أن قال : هذا القاضي جمالُ الدين ، لا تؤخِّرْ له شيئاً اِطْلع الساعةَ وادفع له جَميع مالِه .

وكان قد توجَّه مع السلطان إلى الكَرَك ، وأقام عنده يخدم حَريمه ، وحظاياه وخواصَّه من مماليكه وجواريه في أمراضهم .

وكان يَدْخل إليه كلّ يوم على الشمع قبل كل ذي وظيفة راتبة[٥] من أرباب الأقلام ، ويسأل عن مزاج السلطان وأحوالِه وأعراضِه في ليلته ، ثُمَّ في بقيّة أمراض

---

(١) (أ) ، (ك) ، (خ) : « بلّغه الله فيه » .

(٢) في المنهل : « سنة نيف وأربعين وسبع مئة تقريباً » .

(٣) (أ) : « طريف » .

(٤) عبد الوهاب بن فضل الله ، ناظر الخاص ، توفي سنة ٧٤٠ هـ » . وستأتي ترجمته .

(٥) عبارة الوافي : « وظيفة برّانيّة » !

الدّور والحريم والأولاد ، ويسأله عن أحوال المدينة وما[١] تَجدَّدَ فيها وما لَعَلَّه لوالٍ[٢] أو أمير أو قاض أو مُحتَسب إلى غيرهم من الرعايا ، فيُطْلعه على ما عِنْدَه ويَسمعه السُّلطانُ منه قَبْلَ الناس كُلِّهم ، وصار لذلك يُخشى ويُرْجَى ، ولا يَقْدِرُ أحد يَرَدُّ له شَفَاعَة ، وقلَّ أن يَمُرّ يومُ خدمةٍ وما رأيته قد لبس فيه تشريفاً إمّا من جهة السلطان ، أو من جهة الدّور ، أو من جهة أولاد السلطان ، أو من جهة بنات السلطان ، أو من جهة أمراء الدولة الكبار ، أو من جهة خَاصكيّة السّلطان[٣] ، وهذا أمرٌ زائد عن[٤] الحد ، هذا إلى ماله من المعلوم الوافر ، وأنواع الرواتب ، وكل من يُزَكّى في الطب بالشام ومصر ، وماله من الأملاك والمتاجر ، ولعلّ هذا لم يتفق لغيره ، لا في المدّة ، ولا في المادّة ، ومع ذلك فكان مُقْتَصِداً في نفقته على نفسه وعلى عِيَاله ، فما كان في مصر إلاّ قارون هذا القرن : ﴿ ورَحْمَةُ ربِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُون ﴾[٥] .

١١ ـ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سليمان*

القاضي أمين الدين ابن القاضي شهاب الدين بن غانم

كاتبُ الإنشاء بدمشق ، هو من بيت رياسة وكتابة إنشاء ، وسيأتي ذكر جماعةٍ من أهل بيته في هذا التاريخ ، كلٌّ واحد منهم في مكانه .

كان هذا أمين الدين ينظم البيتين والثلاثة ، ويُجيد في بعضها لِمَا لَهُ في البلاغة من الوِراثةَ ، ويَنْدُرُ له النّصْفَ والبَيْت ، ويُطْرِبُ به الحيّ والميْت ، لأنه كانت قريحته

(١) (أ) : « بما » .
(٢) أي : وما لعلّه وقع لوالٍ .. وهي قريبة ممّا في الوافي ، والمنهل .
(٣) هم خاصّة السلطان من المماليك ، يلازمونه في كلّ أوقاته .
(٤) (أ) ، (ك) : « على » .
(٥) [الزخرف : ٣٢/٤٣] .
* الدرر : ١٣/١ .

نظّامة ، وموادّه من العلم ما خالطت لَحْمَه ولا عِظامه ، وكانت تقع[١] له في أثناء المحاورات ألفاظٌ على طريقِ الاتباع . يخلُصُ من خصومه فيها بالباع والذراع ، وكان خَفيفَ الرّوح لدى المجالس ، يَخْلط جدَّ الملائك بمُجون الأبالس ، وله على بلوغ مآربه قُدْرَةٌ وتمكّنٌ ، وفي التوصّل إلى مَقاصده ذلّة وتَمَسْكُن ، قد جَبَلَ الله على ذلك طِباعَه ، وأَلِفَ الناسُ في ذلك لُطْفَه وانطباعه ..

ولم يزل على حاله إلى أن خانت[٢] الأمينَ مَنِيَّتُه ، ووارت قامَتَهُ حَنِيَّتُه .

وتوفي ، رحمه الله تعالى ، في بُكْرَةِ الإثنين ثالث جُمادَى الآخرة سنةَ إحْدَى وستّينَ وسبع مئة ، جُوَّا باب الفرج بدمشق ، ودفن بالصالحيّة مِنْ يَوْمِه .

ومَوْلِدُه تَقْريباً في سنة سبع وتسعين وست مئة .

دخل إلى ديوان الإنشاء بدمَشْق سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة .

وكان والده في مُدَّةِ مَقامِهِ بالديار المصريّة عند القاضي فخر الدين ناظر الجيش[٣] ، يطلبه فيتوجه في كلّ سنة إلى زيارةِ والده ، ويَعُود على البريد بعناية القاضي فخر الدين ، وكان فيه كَيَس ودُعَابَة ، وعنده عِشْرَة ولطف ، وإذا كان له أَرَبٌ في شيء توصَّل إليه بكلّ طريق ونالَه ، وإذا فرغ أربُه شَرَد وقَطَع الرَّسن ، وما يعود يَلْوي على إلْفٍ ولا وَطَن ، / فكنّا ـ جَمَاعةَ الديوان ـ نَعْرِف ذلك منه ، وأنّه متلوِّنٌ ذو استحالة .

وكنتُ في وقتِ عَزْمي على الحجّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة قد اتّفق معي ومع القاضي ناصر الدين كاتب السر[٤] بالشام على أنّه[٥] يحُجّ معنا ، وأعطانا على ذلك

(١) قوله « وكانت تقع » ليست في « خ » .
(٢) (أ) : « خانت » .
(٣) هو مَنْ يتولّى ديوان الجيش ويشرف على عددٍ من الموظفين الذين يتولون أموره الإداريّة .
(٤) هو الذي يوقّع القصص ـ أي الطلبات ـ بدل السلطان ، ويقرأ عليه الرسائل ويتولّى الإجابة عنها .
(٥) (أ) ، (ك) ، (خ) : « على أنْ » .

مواثيق وعهوداً ، فلمّا حقّت النَّهْضَة غاب عنّا ، ولم نَظْفَر به ، فلمّا عُدْت من الحج كتَبْتُ إليه مِنَ الطّريق :

أَفْدي الذين غَدَتْ محافَظَتِي على ... مِيْثَاقهم دُوْنَ الوَرَى تُغْرِيني
قالوا استحلْتَ وخُنْتَ عَهْدَك قلتُ ما ... أنا في مَحَبَّتِكُم أَمينَ الدين
ذاك ابنُ غانِمَ يَسْتَحِيلُ و يَسْتَحِي ... أن لا يَراه الدَّهرُ غَيْرَ خَؤُون

إلاّ أنّه كان فيه كَرَمٌ وجُود وتواضع واعترافٌ بالتَّقصير في فَنِّه ، وكان في وقتٍ قَدْ كَتَب إلى القاضي ناصِرِ الدين كاتبِ السرّ الشَّريف ونحن بمَرْج الغَسُولة[1] أبياتاً فكتب جوابَهُ القاضي ناصرُ الدين في وَزْنِه ورَوِيِّه ، ومن جُمْلَة الجواب :

أَيَا مَنْ غدا يستوعبُ الوقتَ مَدْحُهُ ... لِنَقْص فِعَالٍ وَهْوَ قَوْلٌ مُلَفَّقُ
إذا ما شكرْتَ اللهَ زاداكَ رِفْعَةً ... فشكْرُك إيّاهُ شِعَارٌ مُوَفَّق
تُسَوِّد أَوْرَاقاً وتكْتُبُ مَا أَتَى ... ويَظْهَرُ منك القولُ وَهْوَ مُزَوَّق
ونَظْمُك عِنْدي جَوْهرٌ ونظَامُهُ ... بَليغٌ وهذا النَّظمُ بالصِّدق أَلْيَقُ

فَتَأَذَّى[2] أمينُ الدين وقال : قَدْ تُبْتُ عَنْ نَظْمِ الشّعر ، فكتبتُ أنا إليه اِرْتجالاً :

تابَ أمينُ الدّين مِنْ نَظْمِه ... وخَلَّصَ الأَقْوَام مِنْ ذَمِّهِ
فقال لا عُدْتُ إلى مِثلها ... فقُلْتُ لَمْ تَهْربُ مِنْ سَهْمِهِ
فقال لي والله لو أنه ... مِسْكٌ لَمَا مِلْتُ إلى شَمِّهِ
فقد كفى ما نِلْتُه مِنْ أذىً ... وما التقى قَلْبيَ مِنْ هَمِّهِ

وكتب إليه القاضي ناصرُ الدين أَيْضاً في ذلك :

إن كان قد تاب بلا مِرْيَة ... وأحْسَنَ التَّوْبَةَ مِنْ جُرْمِهِ

(١) من قرى دمشق ، منزلٌ للقوافل فيه خان على يومٍ من حمص ، وقارا . معجم البلدان . ٢٠٤/٤ .
(٢) في الأصل : « فنادى » ، تصحيف .

وقـــدّمَ الإخـــلاصَ في فِعْلِـــهِ وقَـــوْلُـــه دَلّ على حَـــزْمِـــه

[منها][1] :

وإن أعـــاد القَـــوْلَ فيما بـــدا مِنْـــهُ ولاح الـــزَّيْف في نَظْمِـــه
فـــإنني مُسْتَـــأنفٌ هِمّـــةً في مَنْعِـــه القَـــوْلَ وفي ذمِّـــهِ

وكتبت أنا إليه أيضاً :

إنّ أمينَ الـــدّين مُـــذْ تَـــابـــا أَغْلَـــق لـــلأَبْـــواب أَبْـــوَابـــا
وكانت الأَعْطـــافُ مِنْ نَظْمِـــهِ ونَثْره تَهْتَـــزُّ إعْجـــابـــا
وكَيْفَ يَنْسَى لَـــذّةً طـــالمـــا دَارَ لهـــا بـــالكَعْبِ دَوْلاَبـــا[2]
مـــا زَال مُـــذْ شَبّ على نظمِـــهِ حتّى رأينـــا رأسَـــهُ شَـــابـــا
وذِهْنُـــــــهُ في كلِّ مَعْنىً إذا حَـــاوَلَـــهُ يَسْبِـــق نشّـــابـــا[3]
فـــإن يكن أمْسَى غَشِيـــاً كَما يَـــزْعُم أَعْطَينـــاهُ ركّـــابـــا

وكتب أمين الدين إليَّ ، وقد تَخَلَّفْتُ عنهم في بعض السَّفرات إلى مَرْج الغَسُولة :

خَليليّ مـــا الْمَرْجُ الخصيب بطيّبٍ إذا لم يرَ إبراهيمُ وَجْـــهَ خليلـــه[4]
ومـــا هُـــوَ إلاّ مـــارِجٌ بَعْـــدَ بُعْـــده ولـــو زَارَهُ جَـــال النـــدى بنخيلـــه[5]

وكتب إليّ وقد حَصَل لي يرقان :

حـــاشـــاك مِنْ ألمٍ ألَمّ بمهجـــة قَـــدْ مَسَّهـــا ألَمٌ مِن اليَرَقـــان

---

(١) زيادة من (أ) ، (ك) ، (خ) .
(٢) (أ) ، (ك) : « أنسى » « لها باللعب » .
(٣) في الأصل : « النشابا » ولا يستقيم بها الوزن .
(٤) « إبراهيم » هو صاحب الترجمة ، و « خليله » هو المصنّف خليل بن أيبك ، وهذا من التوجيه .
(٥) المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .

وكُفِيْتَ كلَّ مُلِمّـــةٍ ومَخَـــافَـــةٍ ... ولَبِستَ ثَـوْبَ سَـلامـــةٍ وأمـــان
مُتَمَتعـــــاً مُتَنعماً في جِلَـــقِ الْـ ... ـفيحـــاء ذاتِ جَنًى وذاتِ جِنَـــان
وترى بهـــا أَتْرَابهـــا وكـواعبـــاً ... بخـــدُودهنّ شقـــائـــقُ النعمان
يـــا أوحـــداً في جِيْلِـــه بجميلـــهِ ... كم في فنـون فِنـــاك مِنْ أَفْنَـــان
مَنْـذا يضـارع بحر شعرك في الـوَرَى ... يـــا حَبْرَ عِلْمٍ مـــالَـــهُ مِنْ ثـــانِ

وكُنْتُ قَدْ كتبتُ أنا إليه جَواباً من رَحْبَة مالكِ بنِ طوق[1] في سنة ثلاثين وسبع مئة :

كتـــابـــك نُـوْرٌ صُنْتَـــه بجفـوني ... وتـــاجُ عُـلاً أَعْـــدَدْتَـــه لجبيني
أتـــاني فـلا والله مـــا احتجتُ بعـده ... إلى أن تُقِرَّ الحـــادثـــاتُ عُيـوني[2]
ونَفَّسَ مِنْ ضيْـقٍ برحبـة مـالـك ... أكابـــدُه من لـــوعـــةٍ وحَنين
فمـــا الطرفُ إذ أبصرتَـــهُ بمسهّـــد ... ولا القلبُ إذ عـاينْتَـــه بحـزين[3]
تُغَـــازلني ألفـــاظُـــه في سُطـوره ... بسحر معـــانٍ من لـواحـــظ عِيْنِ
وأنظر في مَنْثُـــوره مُتَنزّهـــــاً ... فَـأَشْهَـدَ سجع الـوُرْق فوق غُصونِ
غَدَوْتَ أمينَ الـدين بـالفضل بـاديـا ... وفـــزتَ بسَبْـــق في العـــلاء مُبين
بَعثتَ مثـــالاً مـــا ظفرتُ بمثلـــه ... وحَسْبُـــــك من حُسْنٍ بغير قرين
فمـــا كلُّ حُسْن مثلُـــه بمُكَمَّـــل ... ولا كلُّ دُرّ مثلـــــــــــه بثمين
بضـائعـه تجلـو علينـا مَحَـاسنـا ... ولَسْتَ على هـــذا لهـا بـزَبُـون[4]
لأنّ الـذي وشّى مَطَـارف حسنهـا ... فتىً حـازَ أشتـاتَ الفضـائـل دُوني
أضعتُ أنـا فضلي وأصبحَ حـافظـا ... وكَيْفَ يَضيـع الفضـل عنـد أمين

(١) هي بين الرقّة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا ، أحدثها مالك بن طوق بن عتّاب التغلبي في خلافة المأمون ، معجم البلدان : ٣٤/٣ .
(٢) (أ) ، (خ) : « بغدها » .
(٣) (أ) : « منذ أبصرته » .
(٤) (أ) : « تجلو عليّ » .

١٢ - إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر شاكر بن عبد الله*

الشَّيخ الأَصيل تَقِيّ الدّين التنوخي . كان من جُمْلَة الشهود ، وهو كثير السكون ، قليل الكلام .

سَمِعَ من السَّخاوي[١] ، وابن قُمَّيْرَة[٢] ، وعز الدين بن عساكر[٣] ، وتاج الدين القرطبي[٤] ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البِرْزالي[٤] : قرأت عليه مشيخة ابن شادان الكبيرة[٥] وغيرها .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

١٣ - إبراهيم بن منير**

الشيخ الصالح الزاهد العابد البقاعي ، المعروف بابن الصيّاح[٦] .

كان من كبار الصُلَحاء الأخيار ، وممّن يتفتت المِسْك حسداً إذا ذُكرت عنه الأخبار ، له سِماء الولاية ، وعليه طِلاوة القُرب والعناية ، انعزل عن الناس ، ووجد

* الدرر : ١٨/١ .

(١) علم الدين عليّ بن محمد بن عبد الصمد المقرئ النحوي ، (ت ٦٤٣) ، البداية والنهاية : ١٧٠/١٣ ، والشذرات : ٢٢٢/٥ .

(٢) يحيى بن أبي السعود نصر بن أبي القاسم ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي ، (ت ٦٤٣) ، السير : ٢٤٩/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٥) تمييزاً لها من مشيخته الصغرى . الكشف : ١٦٩٦/٢ .

** الدرر : ٧٣/١ ، والإعلام : ٣٠٦ .

(٦) (أ) : « المعروف بالصيّاح » .

في الوحشة الإيناس ، انْجمع فامتدت له المعارف ، وانخزل فأُجزلت له العوارف ، وكان متوحشاً من نوعه ، نافراً عن الذي لا يراه في طوعه ، يمشي في الجامع كأنّه مُريب ، ويَنْفِر حتى تقول : هذا غريب ، لا يأنس بإنسان ولا يتألف بإحسان ، من رآه قال : هذا طافح السَّكْرَة ، لافح الجَمْرة ، سافح العَبْرة ، جامح الخَطْرة إلى الحَضْرة ، جانح الفكرة إلى الخلاص من العَثْرَة .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه مولاه فأسرع ، واخضَرّ له القبر فأمرى وأمرع . وتوفي رحمه الله تعالى في أوّل ليلة الأربعاء مستهلّ المحرم ، سنة خمس وعشرين وسبع مئة . وحمله الناس على الأعناق والرؤوس والأصابع ، ودفن بمقابر باب الصغير[١] ، وسبب مَوْتِه أنّه استدفأ بمجمرةٍ فاحْتَرق ، ودخل حجابَ المنون واخترق ، وكان له بيت في المئذنة الشرقية يأوي إليه ، وكان كثيراً ما يقول : يادائم المعروف ، يادائم المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يُحْصَى عدداً ، ياألله .

ورثاه الأديب جمالُ الدين محمد بن نباتة بقوله[٢] :

عَلَى مِثْلِهـا فَلْتَهْمِ أعيُنُنـا العَبْرَى ... وتُطْلِق في مَيْدَانها الشُّهْبَ والجَمْرَا[٣]
فقَدْنا بني الدنيا فلما تَلَفتت ... وجوهُ أمانينا فقدنا بني الأُخْرَى
لفقْدِك إبراهيمُ أمْسَت قلوبُنا ... مُؤَجَّجَةً لا بَرْدَ في نارها الحَرَّى[٤]
وأنت بجنّات النعيم مُهَنّأ ... بما كنت تُبْلِي في تطلّبه العُمْرا

---

(١) (أ) : « الباب الصغير » . وهو أحد أبواب مدينة دمشق من الناحية الجنوبيّة ، سمّي بذلك لأنّه أصغر أبوابها . والمقابر المشار إليها تقابل الباب ، وهي أكبر مقابر دمشق وأشهرها ، خطط دمشق : ١١٦ .

(٢) القصيدة في ديوانه : ٢٢٠ ، بزيادة بيتٍ في آخر القصيدة عمّا ههنا .

(٣) في الديوان : « والحمرا » ، تصحيف .

(٤) في الأصل و (ك) « موجّهة » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) والديوان .

عَريتَ وجَوَّعتَ الفؤاد فحبَّذا ... مساكنُ فيها لا تجوعُ ولا تعرى[١]
بكَى الجامعُ المعمورُ فَقْدَك بَعْدَما ... لَبِثْتَ على رغم الديار به عُمْرا
وفارقْتَهُ بَعْدَ التوطّن ساريا ... إلى جنّة المأوى فسُبْحَانَ مَنْ أسرى
كأنَّ مصابيحَ الظَّلام بأفْقِه ... لفَقْدِك نيرانُ الصَّبابةِ والذكرى
كأنّ المحاريبَ القيام بصدْره ... لفُرْقَة ذاك الصَّدْرِ قد قَوَّسَتْ ظَهْرا
مضيْتَ وخلّفت الدّيار وأهلَها ... بَمضْيَعةٍ تشكو الشدائد والوِزْرَا
فَمَنْ لِسهامِ اللّيل بعدك إنها ... مُعَطّلةٌ ليْسَت تُراشُ ولا تُبْرَى
ومَنْ لعفافٍ عن ثراءٍ ثنى الورى ... عَبيدَ الأماني وانْثَنيت به حُرّا[٢]
سيعلم كلٌّ مِنْ ذوي المال في غدٍ ... إذا نُصِبَ الميزانُ من يشتكي الفقرا
عليك سلامُ الله مِنْ مُتَيقّظٍ ... صَبُورٍ إذا لم يَسْتَطع بَشَرٌ صَبْرا
ومِنْ ضامرِ الكَشْحَيْن يَسْبق في غدٍ ... إلى غايةٍ مِنْ أجْلها تُحْمَد الضُّمْرا
أيَعْلم ذو التّسليك أنّ جُفُوننا ... على شخْصِهِ النائي قد انْتثرت دُرّا
وأنّ الأسى والحُزْنَ قد جال جَوْلةً ... فما أكثرَ القَتْلى وما أرْخصَ الأسْرَى[٣]
ألا رُبّ ليل قد حَمَى فيه مِنْ وغى ... حمى الشام والأجفانُ غافلةٌ تكْرَى
إذا ضَحك السمّار حجَّب ثَغْرَه ... كذلك يحمي العابدُ الثَّغْرَ والثَّغْرا
إلى الله قلباً بعده في تغابُنٍ ... إلى أن أرى صَفَّ القيامةِ والحشْرَا[٤]
لقد كنتُ ألقاهُ وصَدْريَ مُحْرَج ... فيفتحُ لي يُسْرا ويشرحُ لي صَدْرا
وألثمُ يُمناه وفكْريَ ظامئٌ ... كأنّيَ منها ألْثَمُ الوابلَ الغمْرا
أمولايَ إنّي كنت أرجوك للدُّعَا ... فلا تَنْسَني في الخلد للدَّعوة الكُبْرَى
سقى القَطْرُ أرْضاً قد حللتَ بتربها ... وإن كنتُ أستسقي بتربتك القطْرَا[٥]

(١) اقتبس قوله تعالى : ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾ [طه : ١١٨/٢٠] .
(٢) (أ) ، (ك) : « بني » ، وفي الديوان : « عن ثرىً وبني » .
(٣) في الديوان :« كالحزن » .
(٤) في الأصل : « لي الله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) والديوان .
(٥) (أ) ، (ك) : « بدعوتك » . وفي الديوان : « برؤيتك » .

١٤ ـ إبراهيم شاه بن بَارنْبَاي*

هو إبراهيم شاه ، وجَدُّه سُوْتَاي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه مِن حرف السين .

لَمّا قُتِلَ طَغَاي بن سوتاي ، على ما يأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، قام ابنُ أخيه إبراهيم شاه هذا مَقَامَهُ في الحكْم على ديار بكر من جهة **المُغل**(١) ، فتزوّج ابنة الملك الصالح شمس الدين صاحب ماردين(٢) ، ومَقَامُهُ بالْمَوْصل ، وكان يُظهر المودة لصاحب مصر ويبوء بخلاف ذلك بالإثم والإصْر مَكْراً منه ودهاءً ، وفخراً بذلك على غيره وبهاءً . وكانت رسله(٣) تفد على الأبواب الشريفة ، وتعود إليه(٤) بالهدايا والتحف الظريفة ، وهو يدّعي أنّه من جملة من وادَّها ، وقام على من عاداها في وقتٍ أو حادّها ، فتصل إليه التشاريف(٥) الثمينة ، والكتب التي تتنزل منها على قلب مثله السَّكينة .

وكان قد قُتِلَ عَمُّه طغاي في بعض حُروبه التي اتَّفقت ، وسالت سيول وقعتها واندفقت ، ولَمّا وَقفَ عليه قتيلاً نزل إليه وبكى ، وحطّ رأسه على حجره(٦) واتّكا ، واعتذر إليه ، وذاك(٧) يجود بنفسه ، وينظر إلى مكان رَمْسِه . لا جَرَمَ أنَّ إبراهيم شاه

---

* الدرر : ١٩/١ .

(١) المغل : المغول .

(٢) هو ابن الملك غازي بن قره أرسلان ، تولّى الحكم بعد وفاة والده سنة ٧١٢ هـ ، ودام حكمه ٥٤ عاماً . الدرر : ٢١٦/٣ ، والشذرات : ٣٠/٦ .

(٣) مطموسة في الأصل .

(٤) ليست في (أ) ، (ك) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « التصاريف » . وأثبتنا ما في (أ) و (ك) و (خ) ، وهي أشبه .

(٦) (أ) ، (ك) : « وحطّ حجره على رأسه » .

(٧) في الأصل : وذلك » ، ولا وجه لها .

ما تهنّا بعده ، وزار عن قريبٍ لَحْدَه ، لأنه مرض بالفالج وما نجع فيه مداواة طبيبٍ ولا مُعَالج ، وبقي قريباً من سَنَتين على جنبه مُلَقًّى ، لا يَترفع إلى عافيةٍ ولا يَتَرَقى / . وقيل : إن الشيخ حسن بن هندو[١] حاكم سِنْجار دسّ عليه من سمّه ، وأعدمه نسيم الحياة وشمّه .

وكانت وفاتُه في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

١٥ ـ إبراهيم بن بركات بن أبي الفضل*

الشيخ الصالح أبو إسحاق الصّوفي البَعْلَبَكّي الحَنْبَلي المعروف بابن قُرَيْشَة .

أحد الإخوة ، شيخ الخانقاه الأسديّة بدمشق[٢] ، وإمام تربة بني صَصْرى[٣] . سَمع من ابن عبد الدائم[٤] ، وعليّ بن الأوحد[٥] ،وابن أبي اليُسْر[٦] ، وأبي زكريّا بن الصيرفي[٧] وغيرهم .

وروى الكثير ، واشتُهر ، وسمع منه جَماعة ، وأجاز لي بخطّه في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة بدمشق .

كان شيخاً ذا شيبة مُنَوَّرة ، وشِكَالة بالمهابة مُسَوَّرَة ، حسَنَ الْمُلْتَقى لمن يعرفه ،

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٣٣٧/٥ ، والدرر : ٢٠/١ ، والشذرات : ١٢٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٥٨/١ .

(٢) داخل باب الجابية ، أنشأها أسد الدين شيركوه . الدارس : ١٠٩/٢ .

(٣) (أ) : « صرصرى » . تحريف . وهي عند الركنيّة بسفح جبل قاسيون ، الدارس : ١٩٧/٢ .

(٤) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة ، مسند الشام وفقيهها ، (ت ٦٦٨) ، البداية والنهاية : ٢٥٧/١٣ ، والشذرات : ٣٢٥/٥ .

(٥) عبد الله بن محمد بن علي القرشي الزبيري ، ابن الأوحد . (ت ٦٧٨ هـ) ، الشذرات ٣٦١/٥ .

(٦) إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي الدمشقي ، مسند الشام ، (ت ٦٧٢) ، الشذرات : ٣٣٨/٥ .

(٧) أبو زكريّا يحيى بن أبي منصور الحرّاني الحنبلي ، ويعرف بابن الجيشي ، (ت ٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦٣/٥ ، والإعلام : ٢٨٣/٨ .

كثيرَ الإنصاف لمن اجْتمع به وإن كان ما يُنْصِفه[١] ، حُلْوَ الْمُذَاكرة ، ظريفَ المحاضرة ، قد صحب المشايخَ ورآها ، ودخلَ غابَ أُسْدهم وعَرَاها ، عليه أُنْسُ الفقراء ، وحِشْمة الأمراء .

روى عنه عَلَمُ الدين البِرْزَالي في حياته ، وغَيْرُه . وعاش هُوَ من بعد ذلك وما انقطع سَيْرُه ، ولم يزل على حاله إلى أن لَبس كَفَنه ، وَلَحدَهُ اللاحِدُ ودَفنَهُ .

ولد سنة ثمانٍ وأربعين وست مئة ، وتُوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة أربعين وسبع مئة بجبل الصالحيّة .

١٦ ـ إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز*

شمس الدين الكُتبي الجَزَري ، المعروف بالفاشوشة ، ويُعرف بابن شمعون . كان يُذكر أنّه سمع من فخر الدين بن تيميّة[٢] .

كان يتجر بالكتب باللبّادين[٣] ، ويدخر منها كلَّ ما يطلبه مَنْ عاجَ إلى ملّة أو مالَ إلى دين .

وكان يَتَشيَّع ، ويَرى أنّ عَرْفَه بذاك يتضوّع وهو يتضيّع .

احتَرقت كتبه في حَرِيق اللبّادين المشهور[٤] ، وذهب له في ذلك خمسة آلاف مجلّدة على ما هو مذكور ، ولم يبق له إلاّ ما هو في العَرَض ، أو في العاريّة التي رمق منها عَيْشَه على بَرض[٥] .

(١) (أ) : « لا ينصفه » .

* الوافي : ٣٣٨/٥ ، تالي الوفيات : ٢٩ ، والشذرات : ٤٥٦/٥ .

(٢) محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد ، ت ٦٢٢ ، الإعلام : ٢٥٦ ، والسير : ٢٨٨/٢٢ ، والشذرات : ١٠٢/٥ .

(٣) أشار إليه صاحب الدارس غير مرّة ، انظر مثلاً : ٣٠٠/٢ ، ٣٠٧ .

(٤) قال الذهبي في العبر ـ أحداث سنة (٦٨١ هـ) : « في ليلة حادي عشر رمضان احترقت اللّبادين وجميع أسواقها الفوقانية والتحتانيّة ، وقواسيرها » ، العبر : ٣٣٣/٥ .

(٥) البَرَض : التبلّغ بالقليل من العيش .

توجّه في أيام الكامل بن العادل[١] إلى مصر في تجارة ، واتفق أن حضرت بنت بُوْري المغنية مَجْلس الكامل وغنّت :

يـــا طَلْعَـــةَ القَمَرِ الْمُنيرِ مِن جَـــوْرِ هَجْرك مَنْ مُجيري

فـأَعْجبَ السلطـانَ ذلـك ، وطلب الـزيـادَةَ عليـه ، فتـوجَّهَتْ إلى شمس الـدين المذكور ، وسألتْهُ الزيادةَ على ذلك ، فنظم لها :

قَسَماً بـــدَيْجُـــور الشُّعـــور وبِصُبْـــح أَسْفَـــارِ الثُّغـــورِ
وبـــأَسْمَرٍ حُلْـــوِ الْمِعـــا طِفِ واللَّمَى أَمْسَى سَميري
مـــا للصّـــوارم والقَنـــا فِعْـلُ اللـواحـظِ في الصّـدور

فَحَضَرَتْ عِنْدَ السلطـان وغنّتـه بـالأبيـات فـأَعْجَبَـه ذلـك ، وأطلق لهـا كلّ مـا في المجلس ، ثم إنّ شمس الدين عرض له مَرَض ، فنقلته ابنة بُوري إلى دارها وخـدمتـه إلى أن عُوْفِيَ ، فقالت له : كلُّ ما في هذا البيت هو من إحسانـك ، وحكَت لـه مـا جَرَى ، ومن شعره :

قـالـوا بـه يَبَسٌ وَفَرْط قَسَـاوةٍ وكأَنّـه في الحـالتين حَـديـدُ
فـأجبتهم : كَـذِبـاً ومَيْنَـاً قُلْتُم مِنْ أَيْنَ يشبـه طَبْعَـه الجُلْمود
وميـاهُ جلّـقَ كلّهـا مُنحـازةٌ في بَعْضِـه فهـو الفتى المحمـود
ألفـاظـه (بردى) وصُورَة جِسْمـه (ثورا) وأمّـا كِـذْبـه (فيَـزِيـد)[٢]

ولد سنة اثنتين وست مئة ، وتوفي سنة سبع مئة .

---

(١) هو الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيّوب (ت ٦٣٥) ، السير : ٢٠١/٢٣ ، وبدائع الزهور : ٢٥٨/١/١ .

(٢) (ثورا) و (يزيد) من فروع بردى ، وفي البيت تورية .

١٧ - إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن محمد بن علي*

القاضي شمس الدين أبو إسحاق ابن قاضي القضاة نجم الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين ، ابن قاضي القضاة شمس الدين بن سنا الدولة .

كان مُدَرِّس الركنيّة بدمشق[١] ، وعنده انقطاعٌ ومحبّة للفقراء .

روى عن خطيب مَرْدا ، وسمع من الفقير محمد اليونيني[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن شهر ربيع الأول / سنة عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٨ - إبراهيم بن حباسة**

القَاضي سَعْدُ الدين ، مُستوفي دِمشق وحَلَب وصَفَد .

كان مَليحَ الشّكالة ، سَديد المقالة ، دَرب صَنَاعة الدِّيوان وخَبرها ، وتَمَّمَ نَقْصَها وجَبَرها[٣] ، وكان - كما كان يُقَال - يَداً وفَكّاً ، ونِحْريراً لا يَرى الناقد فيه شَكّاً .

وليَ استيفاءَ صفد مُدّة ، ورأى فيها من السّعادة ضُروباً عدّة . وتوجَّه إلى بابِ السلطان في واقعة سنجر الساقي ، وانتصر عليه ، وجَعل رُوحه في التراقي .

ثم إنّه نُقل إلى استيفاء حلب ، فامترى فيها ضُروع السعادة وحلَب ، ثمّ نُقل[٤] إلى

---

* الدرر : ٢١/١ .

(١) مدرسة للشافعيّة في زقاق بني مفلح أمام المقدّميّة ، واقفها ركن الدين بن كوس (ت ٦٣١) ، الدارس : ١٩٠/١ .

(٢) تقدمت ترجمة خطيب مردا ، واليونيني ، في ترجمة إبراهيم بن أحمد بن حاتم بن علي .

** لم نقف على ترجمة له .

(٣) (أ) : « حبرها » .

(٤) (أ) : « انتقل » .

استيفاء النظر بدمشق ، وهو على سَعْده مقيم ، وحظُّه الزائد يستغني عن التقويم ، إلى أن فوّز[١] ، وحصل على ما تحوّز .

وتُوفي رحمه الله تعالى ، في ثالث عشر المحرّم سنةَ ثمان وعشرين وسبع مئة .

كان أوّلاً نَصْرانيّاً ، وباشر عَمالة خان سلاّر لما عمّره الجاولي . قال لي : حصّلت فيه خمسين ألف درهم . ثمّ إنّه أَسْلَم وعَمل استيفاء صفد ، ورأى فيه خيراً كثيراً ، ولّما وقعت فتنة علم الدين سنجر الساقي[٢] بينه وبين الأمير سيف الدين أرقطاي[٣] نائب صفد ، جهّزه إلى مصر ، فانتصر الساقي عليه قدّام السلطان ، وجهز الجميع إلى عند تنكز[٤] نائب الشام ، فتأخر بعده ولحقه ، ودخل إلى تنكز وحاققه ، فنصره الله عليه . وعاد إلى صفد وأقام مدّة ، ثمّ إنه رُسم له بحلب فتوجَّه إليها وأقام مدّة ، ثمّ جهز إلى دمشق مستوفي النظر ، فأقام بها مدّة إلى أن مات .

١٩ ـ إبراهيم بن الحسين بن صدقة بن إبراهيم*

شرف الدين أبو إسحاق البغدادي الْمُخَرِّمي الدمشقي .

سمع من ابن اللَّتي ، وأبي نَصْر بن عساكر[٥] ، وأبي الحسن بن مُقَيَّر[٦] ، ومُكْرَم بن أبي الصّقر[٧] ، وجَعْفر الهَمْدَاني[٨] .

---

(١) فوز : مات .

(٢) ت (٧٤٥) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٣٤٣/٥ ، والدرر : ٢٣/١ ، والشذرات ١٩/٦ وفيها إبراهيم ابن أبي الحسن .

(٥) عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر ، (ت ٦٣١) ، العبر : ١٢٦/٥ .

(٦) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن منصور بن المقيّر البغدادي ، (ت ٦٤٣) ، السير : ١١٩/٢٣ .

(٧) مكرّم بن محمد بن حمزة القرشي الدمشقي ، (ت ٦٣٥) . الشذرات : ١٧٤/٥ .

(٨) جعفر بن علي بن هبة الله الهَمْداني الإسكندراني أبو الفضل المقرئ ، (ت ٦٣٦) ، السير : ٣٦/٢٣ ، والشذرات : ١٨٠/٥ .

وأجاز له ابن صَبَّاح [١] والنَّاصح [٢] وأبو الوفاء محمود بن مَنْدَه [٣] .

تفرّد وروى الكثير وعُمِّر دهراً ، وأصْفَت لـه الحيـاة الشهيّـة نهراً ، وكان حَسَن الأخلاق ، تزكو محاسُنه على الإنفاق [٤] ، يَؤُمّ في مَسْجد ، ويُغِير في التَّسْميع ويُنْجِد ، إلى أن نزل ضريحَهُ ، وسكَّن الموتُ رِيحَه .

ولد سنة أربع وعشرين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وسبع مئة .

٢٠ - إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن عبد الرفيع الرَّبَعي المالكي*

قاضي تونس .

سمع من محمد بن عبد الجبار الرُّعيْني سنة خمس وخمسين (كتابَ البخاري) عن أبي محمد بن حوط الله ، وذكر أنّه سمع (الموطّأ) عن ابن حوط الله عن أبي عبد الله بن زَرْقون [٥] ، قال : وسمعت (أربعين السِّلَفي) [٦] على الفقيه عُثْمان بن سفيان التميمي سنة

---

(١) أبو صادق الحسن بن يحيى بن صبّاح المخزومي المصري نشو الملك ، ت (٦٣٢) . السير : ٣٧٢/٢٢ ، والشذرات : ١٤٨/٥ .

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الشامي ناصح الدين (ت ٦٣٤) ، السير : ٦/٢٣ ، والشذرات : ١٦٤/٥ .

(٣) محمود بن إبراهيم بن سفيان بن مندة العبدي الأصبهاني مسند وقته ، (ت ٦٣٢) ، الشذرات : ١٥٥/٥ .

(٤) (أ) : « الآفاق » : تحريف .

* الوافي : ٣٤٣/٥ ، والدرر : ٢٣/١ ، والمنهل الصافي : ٦٠/١ .

(٥) محمّد بن سعيد بن أحمد ، ت (٥٨٦) . السير : ١٤٧/٢١ ، والشذرات : ٩٦/٥ .

(٦) أبو طاهر أحمد بن محمّد السلفي الأصفهاني ، (ت ٥٧٦) ، ويعرف كتابه باسم « الأربعين البلدانية » ٥٤/١ .

ثمانٍ وخمسين عن الحافظ ابن المفضّل[١] ، وسمعت (مقامات الحريري) عليه أنا [و][٢] ابن جبير[٣] عن الخشوعي .

كان بمدينة تونس قاضياً ، وبما قُسِمَ له في العِلْم راضياً ، يَنْتَقي وينتخب ، ويدّخر أَجْرَه عند الله ويَحتسب .

اختصر (كتاب التفريغ) ، وسمّاه (السهل البديع)[٤] ، والكتاب المذكور لابن الجلاّب[٥] في مَذْهب مالك .

وعُمّر زمناً طويلاً ، ووَجَدَتْ مدّةُ حياته إلى الطّول سبيلاً ، إلى أن اجْتَحَفه سيل المنيّة ، وقطع من السير[٦] لَذّته الهنيّة .

ولد سنة ست[٧] وثلاثين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

٢١ ـ إبراهيم بن خالد بن عبّاس الأنصاري الدمشقي*

الأمير جمال الدين بن النَّحاس .

كان رجلاً عارفاً بالسَّعْي والتقدّم ، والتَّعْمير والتهدُّم ، قَفَز من سوق النّحاس إلى أن صار تُفدى كَفُّه وتُباس .

(١) علي بن المفضل بن علي المقدسي الإسكندراني ، (ت ٦١٢) ، السير : ٦٦/٢٢ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الوافي .

(٣) في الأصل : « أبو جبير » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمراد ههنا رحلة ابن جبير (ت ٦١٤) ، سمعها المؤلف عن صاحب الترجمة عن الخشوعي .

(٤) الكشف : ٤٢٧/١ .

(٥) أبو القاسم بن الجلاّب المالكي ، (ت ٣٧٨) ، السير : ٣٨٣/١٦ .

(٦) (أ) : « العيش » .

(٧) في الأصل « ثلاث » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل ، وهي الصحيحة .

* لم نقف على ترجمة له .

وتولّى بدمشق ولايةَ الحَرْب ، وتحدّث في الوَصْل والقَطْع والضَّرْب ، ولم يزل إلى أن ضَعُفَ باصرُه ، وقلّ في ذلك ناصرُه ، وناب عنه وَلَدُه مدّة[١] إلى أن عَمي ، وجاش صدره بالحِقْد وحَمي ، فعُزل عن الولاية ، وذهبت تلك العِناية ، ثمّ إنه لَبث مدّة إلى أن ما حَمَل النحاسُ التطريق ، وغصّ وَهيً في حُلْقُومه بالريق .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر [ذي][١] القعدة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

كان أوّلاً هو وأبُوه من سُوق / النّحاس بدمشق . وكان يخدم الأمراء ، وبالغ في خدمة الأفْرَم[٣] قَبْل النيابة ، فلما تولّى النيابة تولّى مدينة دمشق في ولاية الحَرْب ، وكان له ثَرْوَةٌ[٤] وأملاك وسَعادة ، ولم يزل إلى أن ضَعُفَ بَصرُه وناب عنه ولده إلى أن عَمِيَ فعُزِل ، ولَزم بَيْتَه إلى أن مات .

٢٢ - إبراهيم بن صابر*

مُقَدَّم الدَّوْلة ، عَهْدي به مُقَدَّمُ الدّولة في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وأظنّه كان فيها من قبل ذلك .

وكان السّلطان الملك الناصر مُحَمّد بن قلاوون يُعَظِّمه ويطلبه وهو في دَسْتة[٥] دار العدل ، ويقول : يا إبراهيم تعال ، فيجيء إليه ويُدْنيه حتى يَضعَ فمه في أذنه ، ويُسِرُّ إليه ما يأمره به ، ومِثْلُ الأمير سيف الدين الأكْوَز الآتي ذكره إن شاء الله[٦] واقف ، حتى صار أرفعَ من الحجّاب ومِنْ غيرهم .

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) آقوش نائب دمشق ، ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الألف .

(٤) في الأصل : « مروة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الدرر : ٢١/١ ، وفيه : « إبراهيم بن أبي بكر بن شدّاد بن صابر » .

(٥) الدست كرسيّ من أربعة كراسٍ لكُتّاب يكتبون بما يريد السلطان ويضعون توقيعهم بدله بإذنه نيابةً عنه ، وتُرسل للتنفيذ ، ويقال : كراسي الدست ، وتوقيع الدست ، أو كتبة الدست .

(٦) في حرف الألف .

وكان ضَخْماً طويلاً ، عارفاً بما يعانيه من التقدمة نبيلاً ، ابتزّ الناسَ أموالَهُم في الْمُصَادرات ، وتناولها في الأوائل والمبادرات . فحصَّل أموالاً جَمَّة ، وأملاكاً ما حَصَّلَها[١] قبله ذو هِمّة ، ورتبّه السلطان وعشرةً من رجاله يَمْشُون في ركاب شرف الدين النَشّو[٢] ناظر الخاص لمّا جُرِحَ تلك الجراحة ، وكان لا يُؤَذّن الفجر[٣] إلاّ وهُوَ في رجاله على الباب ، فإذا رَكِبَ كانوا معه إلى أن يدخل القلعة ، وإذا نزل منها مَشَوا في ركابه إلى أن يدخل بيته ، هكذا أبداً في السّفر والحضر ، ولكنّه بعد ذلك تَسلّمه عند غضب السّلطان عليه ، فكان يُعاقبه ويَضْربه ، فيقول : يا مُقدّم إبراهيم ، فيعتذر[٤] إليه بأنّه مأمور .

ومات هو[٥] وجماعة من أهله وجماعةٌ من الْمُصَادَرين تحت مَقَارِعِه ، إلاّ أنّه مع ضخامته وطوله لم يكن فظّاً غليظَ القلب ، بل كان فيه رحمةٌ ورِفْق بالضعيف ، واصطناعٌ للمسكين ، وإيثارٌ للفقير ، ولم يزل على حاله في الوجاهة مدّة حياة السلطان الملك الناصر ، وأقام بعده ، لكنّه ليس في تلك العظمة إلى أن توفي في سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، والظاهر أنّه نُكِبَ قَبْلَ مَوْته وصُودر ، والله أعلم .

٢٣ - إبراهيم بن سُلَيْمان *

ابن الشيخ الإمام العالم رضي الدين الحموي الآب كرمي .

- نسْبَة إلى آب كرم ، بُلَيْدَة صَغيرة قَريبة من قُونْيَه كثيرةُ الفواكه - الروميّ الحنفيّ المعروف بالمنطقي .

(١) في الأصل : « ما حَصَّله » . وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .
(٢) عبد الوهاب ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) و (خ) « المؤذّن » .
(٤) في الأصل : « فيعذر » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٥) في الدرر : توفي سنة (٧٤٢) .

* البداية والنهاية : ١٥٧/١٤ ، والدرر : ٢٧/١ ، والدارس : ٤٤٢/١ ، والشذرات : ٩٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٤/١ ، وقد خلت من ترجمته (خ) .

كان شيخاً عليه وَقَار ، ومَهَابةٌ لا يَعْتَريها احْتِقار ، أبيضَ الشّيبة طويلَها ، حَسَن الطَّلْعة أَسْيَلُها ، يَعْرف المنطق جيّداً ، ويُدْعَى فيه سيّداً ، تفرّد بهذا الفنّ في زمانه ، وكأنّه فيه أرسطو أوانه ، وكان ليّنَ العريكة ، كأنّه من سهولته تَريكة ، محسنٌ[١] إلى الطلبة والتلاميذ والأصحاب ، باذل البشر لمن أمَّه يتلقّاه بالتَّرْحاب . وكان ديّناً ، خيّراً أميناً ، حجّ سبع مرات ، ونال ما قَدَّره الله له فيها من المَبّرات ، ولم يزل على حالة إلى أن خَرَس المَنْطِقي ، وأتاه ما كان يَرْتَقِب ويَتّقي .

وتوفي رَحِمه الله تعالى ليلةَ الجُمعة سادسَ عُشْري[٢] شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة . وحَضَرَ جنازته جماعة .

وقرأ عليه جماعة من الأعيان والأفاضل ، وكان مُدَرّس القايمازيّة التي تحت القَلْعة[٣] ، وتولاّها بَعْدَه قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي الحنفي[٤] .

٢٤ ـ إبراهيم بن سليمان بن أبي الحَسَن بن ريّان*

القاضي كمال الدين ابن القاضي جَمَال الدين الطائي ، وسيأتي ذكر والده في مكانه إن شاء الله تعالى .

كان من جُمْلَةِ مُوقّعي حلب ، ووقّع في الدّست قَبْل مَوْته بقليل . وكان يكتب المَنْسُوب الرائق ، ويراعي فيه الأَصْلَ الفائق ، فتُخالُ طُروسَه حدائق ونباتاً[٥] في

---

(١) (أ) : « محسنا » .

(٢) في المنهل : « خامس عشرين .. » .

(٣) أنشأها صارم قايماز النجمي أستادار صلاح الدين الأيوبي ، الدارس : ٤٣٩/١ ، وفي المنهل : « بالقيمازية » .

(٤) علي بن أحمد بن عبد الواحد ، (ت ٧٤٨) ، وفيات ابن رافع : ٢٥١/١ ، والدرر : ١٨/٣ .

* الدرر : ٢٦/١ .

(٥) (أ) ، (خ) : « أو نباتا » .

خَدَّي غُلاَم مراهق ، وتظن أنها برود يمانية وليست مهارق ، وكان يُعرب جيداً ويُغْرِب ، ويأتي بما هو أغرب من عنقاء مُغْرِب[١] ، إلاّ أنّ الأجل تحيَّف كَمَالَهْ ، وأدخل على أَلِفِ قَدِّهِ مِن المنون الإمالة . وتوفي رحمه الله تعالى[٢] في يوم الثلاثاء ، ثالث عشري ذي القعدة سنة ست وخمسين وسبع مئة . ومولده بصَفد في حُدود العشرين وسبع مئة فيما أظن .

وكتبت / إلى أخيه القاضي شرف الدين حُسَيْن[٣] أعزّيه فيه ، وأوّل الكتاب قصيدةً ، وهي :

تَعَزَّ يا باهر السناء ... وطيّبَ الأَصْل والثّناء
واصبر لتحظى بخير حَظّ ... من غير حَضٍّ يومَ اللقاء[٤]
واثبتْ لفَقْدِ الكمال يا مَنْ ... كالُه خافق اللواء[٥]
أَكْرِمْ به من أخٍ كريم ... قد فاقَ في الفَهم والذّكاء
مُكَمَّل الذات قد تجلّى ... بالحلم والعلم والوفاء[٦]
يُمْناه كم قد برت يَراعاً ... كأنّه السيف في الْمَضاء
ووشّعَت طَرْسَها ووشّتْ ... بالزَّهْر من أحرف الهجاء[٧]
غلطت فيما أراه حقا ... إذ ليس والزَّهْرُ بالسواء
لأنّ زَهْرَ الرّياض يَذْوي ... وذا يُرى دائمَ الرِّواء[٨]

(١) العنقاء المغرب : طائر عظيم يبعد في طيرانه ، وربما عد من عجائب الدنيا ، وقيل هو طائر خرافي يضرب المثل به في الشيء الذي يُسمع به ولا يُرى ، (ثمار القلوب : ٤٥٠ ، واللسان : غرب) .
(٢) (أ) : « بحلب في » .
(٣) (ت ٧٧٠) ، والدرر : ٥٥/٢ .
(٤) (أ) : « حط » ، (خ) : « حظر » .
(٥) (أ) : « دافق » .
(٦) (خ) : « تحلى » . وفي (أ) : « بالحكم » .
(٧) (أ) : « ورصّعت » .
(٨) (أ) ، (خ) : « وزهر ذا » .

فمالـه ابن الوحيد ثانٍ في صحّة الوضع والصفاء
إعرابه ساد في البرايا إذ شاده مُحْكَم البناء[١]
طار (ابْنُ عصفورَ) منه خوفاً لمّا تعرّى منه (الكسائي)
وكان غُصْناً رطباً ثناه الـ ردى إلى روضة البَقاء
وراح غضّاً خفيف حَمْلٍ من الخطايا يوم الجزاء
وليس مثلَ الذي رثاه عَنَيْت نَفْسي ذاتَ الشّقاء
ستون عاماً كانت أمامي لم أدرِ حتى غَدَت ورائي
وأثقلت بالذنوب ظهري وأسمَعْتني داعي الفناء
دع ذا فخطبي بـه جسيم جلّ وَعُدْ بي إلى الرثاء
كانَ جميلَ الصفات فَرْدا في الجَهْر منه وفي الخفاء
وجُمْلَةُ الأمر فيه أني أقولُ قولاً بلا رياء
إنّ فراقَ الكمالِ صعبٌ حتى على البدر في السماء

وكان هو قد كتب إليّ من حلب في أوائل سنة خمس وخمسين وسبع مئة : يُقَبّلُ الأرض التي هي من براعته ويراعته مَجْمَعُ البَحْرين[٢] ، ومن لفظه وخطّه مَغَاصُ النفيسين من الدّرين ، فأضحت بذلك في الشام شامَة ، وغدا برقُ فضلها لامعاً لِمَنْ شامَه . ويُنْهِي بَعْدَ أشواق تفيء[٣] سطور الطروس في غضونها ، وأثنيةٍ تَسْتَنْزل الوُرْقَ بأطواقها من غصونها .

إنّه مابرح يتذكر مولانا وفوائده ويشاهدها ، ويتعاطى نشوة فضّ الختام ويتعاهدها ، ولم يزل له من أمثلة مولانا[٤] الواردة إلى أخي الملوك كؤوسُ مَدَام ، ولها

(١) (أ) : « سار » .
(٢) اسم كتابٍ في اللغة للإمام حسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠) ، وكنّى به ههنا عن الشعر والنثر .
(٣) في الأصل : « تغنى » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أنسب .
(٤) مابين « مولانا » و « مولانا » ساقطٌ من (أ) .

من ميم مسك قصيدته المميّة ختام ، ومن مخبآت شرح اللامية عرائسُ[١] تُجْلَى على الأفهام ، وإنما فيها أماكنُ تحتاج إلى مُقابلةٍ على النسخة الأصليّة ، ومواطنُ لم تكن مرآتها في قراءتها جليّة ، وتمّات تركت فعَسَلت[٢] مطالُعها إذ كانت من الكتابة خليّة ، فاختار المملوك حيث اسمه إبراهيم أن يَطْرَب بنوبته في نُسخته الخليليّة ، فإن اقتضى رأيُ مولانا أن يُنْعِم بتجهيز النسخةِ الصحيحة الكاملة ليقابل عليها نسخته التي حرمها[٣] الكاتب ما يجب من المقابلة ، ومنعها من جَبْرها بالتصحيح فاستحقّ المقابلة[٤] ، ليُحْكِمَ المملوك جوهريّ معانيها الصّحاح ، ويُزيلَ تعجُّبَه من فساد هذه النسخة المنسوبة إلى الصَّلاح ، وإنْ تعذّر تجهيزها جملةً فليكن[٥] مجلداً بعد مجلد ليقابلَ عليها ويعيدها[٦] إلى خليله ، و (العَوْدُ أحمد) إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا إليه الجواب ارتجالاً من رأس القلم :

لا يُنْكر النـاسُ قـطُّ شـوقي إلى كَمـالٍ حـوى المعـالي[٧] /
فـالبـدر أفنى الظـلام سيرا ليُرْزَقَ الفَـوْزَ بـالكمـال

يقبّلُ الأرضَ حيثُ ابنُ مُقْلَة لتلك الكتابة شاخص ، والفاضل[٨] لذلك الترسُّل ناقص ، والمَيْداني لتلك البلاغة على عَقِبَيْه ناكِص ، تقبيلَ مَنْ زكا ودّه ، وتأكّد في المحبّة عَهْدُه ، وتَجدّد في الثّناء على مرّ الزمان وَرْدُه ، وعَذُب في الدعاء وِرْدُه ، فما نبع إلاّ

(١) في الأصل : « غرائس » ، تصحيف . وشرح لامية العجم للمصنف .
(٢) أي اضطربت .
(٣) (أ) : « خرمها » .
(٤) تورية بالجبر والمقابلة ، من علم الحساب .
(٥) في الأصل و (خ) : « فيكون » ، وهي ضعيفة .
(٦) في الأصل : « ويعيده » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٧) في الأصل : « لا ينظر » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٨) هو القاضي الفاضل وزير صلاح الدين .

وأينع بالإجابة وَرْدُه ، وورود المشرب الذي حلا ، وغلا قَدْرُه في البلاغة وعلا ، وشاع ذكره لمّا ملأت محاسنُه الْمَلاَ ، واتضح معناه في ليل سطوره التي أسْدَفَت فقال « أنا ابن جلا » ، وضمّه[٧] إلى صدره فشفى به عليل[٨] مهجته ، ورفعه على ناظره فقضى له بتجديد بَهْجته ، وفَضه عن طروس فِضّة[٩] ، أو الدراري الثابتة في أوجها لا المنقضة ، فَسَرَّهُ إذْ فَسَّرَه ، وصَدّق بُمعْجز آياته لَمّا تصورّه ، وشنّفه وقلّده وسَوّره ، وَوَرَدَ مَنْهَل فضله الْمُصَفّى ، ورأى ما لو رآه الخياط[١٠] لمزّق حلل الرفّا[١١] ، وعلم أنّ الكتاب من قبله في نَقْص وإبراهيمَ الذي وفّى ، وقال : هذا الفن الفذّ الذي مات ، وما رآه أبو حيان في جيّان[١٢] ، وهذه الفضائل التي ضوّع رياها بَنُو ريّان ، وهذا النثر الذي شكا الفَقْرَ إليه صاحب القلائد[١٣] ، وهذا السجع الذي لا يتطاول إلى قصوره أصحاب البيوت ولا أرباب القصائد ، وهذا البيان الذي حَمْلَقَت إليه عين الجاحظ ، وهذا البديع الذي لاقَ بالأسماع وراق في اللواحظ ، وهذا وهذا وهذا ، إلى أن لم نجد للوصف ملجأً ولا للعطف ملاذاً .

وانتهى إلي ما أشار إليه مولانا من شرح اللاميّة التي في خدمته ، والنسخة التي أسقمها الناسخ وساقها إلى حوزته ، وما تحتاج إليه مع جبر مولانا من المقابلة التي يصحّ ما بها من السقم ، ويسلك[١] بها من الصواب أرشد نِعَم[٢] ، وقابل المملوك ذلك

(١) في الأصل : « وضمّته » ، وأثبتنا ما في (أ)و (خ) .
(٢) (أ) : « غليل » .
(٣) زيادة في (أ) ، و (خ) : « وسجعات ألفاظها في الأدب غضة بضة ، وكلمات كأنها الدرر المنفضة » .
(٤) لقبٌ لغير ما شاعر .
(٥) السريّ الرّفَاء ، شاعر سيف الدولة . وفي العبارة تورية .
(٦) موطن أبي حيان الأندلسي ، من بلاد الأندلس .
(٧) قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، لأبي النصر الفتح بن عيسى بن خاقان ، (ت ٥٣٥) ، الكشف : ١٣٥٤/٢ .
(٨) (أ) : « ويسلك كاتبها » .
(٩) (أ) ، (خ) : « لقم » .

بالامتثال ، وتحقق أنّ ذلك من جملة الإحسان والشفقةِ على المملوك حتى لا يُنْسَبُ إليه جهل ولا نقصان ، والمملوكُ مُعْتَقد[١] في فضائل مولانا ما يغنيه عن ذلك ، ولَوْ أَمْعَنَ النظرَ في أغلاطها ، وأَنعم ، بجُودِه ، التأملَ لضوّا ليلها الحالك ، وجعلها في الصّحة مناراً يَهْتَدِي به السالك ، فهو لا يأتي على لحن إلاّ أعربه ، ولا خطأ إلاّ صوّبه ، ولا نقص إلاّ أتَمّه ، ولا مشكل إلاّ ونوّر ليلته المدلهمّة ، على أنّ المملوك ما يَفْرح بأن يرى الأصل عنده كاملاً ، ولا يرى السعد لضمِّ أجزائه شاملاً ، ولا تزال الأجزاء مفرّقة[٢] في العاريّة جزءاً بعد جزء ، إمّا لجدّ من الطالب وإمّا لهُزْء ، فإن اقتضى الرأي العالي تجهيزَ النسخة التي في خدمته ليتولى المملوك مقابلتها بنفسه ، ويتشرف بخدمة مولانا بين أبناء جنسه فلمولانا علُّو الرأي وشَرَفُه ، وفردوسُ الأمر وغُرَفُه ، إن شاء الله تعالى .

٢٥ ـ إبراهيم بن صالح بن هاشم*

الشيخ عز الدين أبو إسحاق بن العَجَمي الحَلبي الشافعي .

سمع بدمشق مِن خطيب مَرْدَا ، ولم يكن بالْمُكْثِر ، وكان آخرَ مَنْ روى بالسماع ، عن[٣] الحافظ ابن خليل[٤] .

كان مِنْ بيت علم ورياسة ، وحِلْمٍ وسِياسة ، وحدَّث بدمشق وحلب ، وقصده الناس بالسّعي والطَّلب .

وأخذ عنه الشيخ شَمْس الدّين الذهبي وغيرُه ، ولم يَزَل إلى أن نَعَب غُراب بَيْنه ، وتام في القبر ملءَ عَيْنه .

(١) في الأصل : « فيعتقد » ، وأثبتنا ما في (أ) وهي أقرب .

(٢) (أ) : « متفرّقة » .

* الوافي : ٢١/٦ ، والدرر : ٢٧/١ ، والنجوم : ٤٩/٢ ، والشذرات : ٩٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٣/١ .

(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمنهل .

(٤) شمس الدين يوسف بن خليل بن قرّاجه ، عبد الله الدمشقي الحافظ المحدّث ، (ت ٦٤٨) ، السير : ١٥١/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٣/٥ .

تُوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وكان من أبناء التسعين ، كان عنده عن الحافظ ابن خليل ثلاثةُ أجزاء رواها غَيْرَ مَرّة ، وقَدِمَ دمشق غَيْرَ مرّة ، فحدّث بها ، ورحل الناس إليه .

٢٦ ـ إبراهيم بن عبد الله*

الشَّيْخُ الصّالح الكُرْدي الْمَشْرِقيّ المعروف بالهُدْمَة ، كان عابداً زاهداً ، صابراً لفَقْره مُجَاهداً ، مُنْجمعاً عن الناس ، مُنْقَطعاً عن مخالطة الأدناس ، ماله مطمعٌ في مَطْعَمَ ، ولا مَطْمَح إلى قُوتٍ وإنْ عمّ به من أنعم .

انقطع بقريةٍ بَيْن[١] القدسِ ، والخَليل ، ورَضِي بذلّته[٢] بين يَدَي الملك الجليل ، فأصلح لنفسه مكاناً وزَرَعَه ، وغَرس به شَجراً أطْعَمَه من رغبه في ذاك وأطْمَعَه / وتأهل بعد ثمانين وست مئة ، وجاءته الأولاد على كِبَر ، وكان أَمْرُه في ذلك من العِبَرْ ، وقُصِدَ بالزّيارة ، وظَهرت علامة كرامته والأَمارة ، وحكيت عنه كراماتٌ عِدّة ، وجُلِيَتْ مِنْ بركاته ليالٍ مُسْوَدَّة . ولم يزل إلى أن طُفِي مِصْبَاحُه ، وطغا من الموت اجتياحه .

وتوفي رحمه الله سنةَ ثلاثين وسبع مئة .

٢٧ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد**

زين الدين أبو إسحاق بن نجم الدين بن تاج الدين بن[٣] الشيرازي الدمشقي .

---

* الوافي : ٣٨/٦ ، والدرر : ٣٢/١ ، والشذرات : ١٥٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٨/١ .

(١) في الأصل « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل .

(٢) (أ) : « بلذّته » .

** الوافي : ٤٢/٦ ، والدرر : ٣٦/١ ، والمنهل الصافي : ٩٨/١ ، والشذرات : ٣٣/٦ .

(٣) قوله : « تاج الدين بن » ليس في (أ) و (خ) . وفي المنهل : « تاج الدين الشيرازي » .

كان شيخاً جليلاً ، مُسْنِداً نبيلاً ، يَشْهد مع العُدول ، وماله عن الخير عُدول ، له في مَسْجدٍ إمامَة ، والبهاء وراءَه وأَمامَه .

وكان قد سمع من السخاوي ، وكريمة[١] ، وتاج الدين بن حَمُّويه[٢] وجده وعِدة .

وخرَج له الشيخ الإمام صلاح الدين العلائي[٣] مشيخة وتفرد بعدّة أجزاء .

ولم يزل يُسمِع الطلَبة ، وما به من ذلك قَلَبة ، إلى أن سكن الثّرى ، وعَدم من الحياة القِرى .

ولد سنة أربع وثلاثين وست مئة ، وتوفي رحمه الله سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٨ ـ إبراهيم صارم العوّاد*

كان في صِنَاعة الطَّرَب كاملاً ، وعِلْمُه بدقائقها شَاملاً ، لعب بالكَمَنْجَا إلى أن لم يجد الأستاذ[٤] فيها له منه مَنْجَا ، وفاق في فنّها ، فلم يكن كمَنْ رَاحَ ولا كمن جا ، وأمّا الطّار فكلّ قلب طارَ إليه ، وتخيل أنّ[٥] الشمس والبدر في يديه ، ولم ير الناس مِثْلَه مَنْ يُطرب ، ولا ألطفَ من حركاته كلما صَرَخ في يَدَيْه يَضْرب ، وما يرى أحدٌ أنه مَلِكٌ فيه غَيْرُه ما مَلَكْ ، ولا أنه سلك في إتقانه ما سَلَكْ ، وأمّا العُود فكان إبراهيمُ فيه إبراهيم الموصلي[٦] ، بل لو عاصره لتحقق أنه مِثْلُ بَطْن عُوْدِه فارغٌ غَيْرُ مُمْتَلِي ، يكاد

(١) هي كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر ، توفيت سنة (٦٤١ هـ) .

(٢) عبد الله بن عبد الله بن حَمّويه الجويني الدمشقي ، (ت ٦٧٨ هـ) ، السير : ٩٦/٢٣ ، والعبر : ١٧٢/٤ ، والشذرات : ٣٦٠/٥ .

(٣) خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي (ت ٧٦١ هـ) ، وستأتي ترجمته .

* لم نقف على ترجمةٍ له . وفي (أ) و (خ) : « إبراهيم بن عبد الرحمن صارم الدين العوّاد » .

(٤) في الأصل : « الإسناد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) (أ) : « أنّه » .

(٦) (أ) : « فكان إبراهيم فيه كالموصلي » . والمراد المغنّي المشهور .

لخفّة يده يَجْري[١] الماءُ في عُوده ، ويُرى البَرْقَ مِنْ يَده في العَفَاقات[٢] يلمع في حدوره[٣] وصعوده ، كأنما هو حمامة تَسْجع على عودها ، وتغدو وتروح ، وإذا غنّى هو جاوبه عُوده ، ولم يكن شجر الأراك مع الحمام ينوح :

يَلْعَبُ بالعَقْل شَدْوُه لَعِبَ الْمَزْج بمنثور لؤلؤ الحببِ
لو تسمع الوُرْقُ شَدْوَه خَلَعَت عليه أطواقها من الطربِ

وجَرَت له مع الناصر أحمد[٤] أمور ، ولو صحّ أمْرُه لكان أميراً كبيراً وغيره المأمور ، ولكن فات ما ذُبِحَ ، وما خَسِرَ الاّ مَنْ ربح ، ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى البِلى بغُصّته ، ولم يقدر على شرح قِصّته .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

كان قد قرّبه الأمير سيف الدين تِنْكز ولازمه في سفره وحضره ، وكان يعلّم عنده جواريَ ، وأعطاه إقطاعاً جيّداً في حَلَقة دمشق ، وألبسه الكَلَفْتَا[٥] ، ولّما أُمسك تنكز طلبه طاجار الدوادار ودخل به إلى السلطان الملك الناصر ، وأقام بمصر تلك المدّة ، ثمّ إنّ السلطان الناصر أحمد أخذه معه إلى الكرك وأقام عنده تلك المدّة ، ووعده[٦] بأمورٍ منها أنه يعطيه أمرة طبلخاناه ، وهذا أقلُّ ما أعتقده في حقه ، وإلاّ من الناس من قال : إنه وعده بنيابة دمشق ، ثم إنه بعد ذلك كلّه أخذ منه الإقطاع ، واستمر بيده راتبٌ كان له أوّلاً على دار الطُّعْم بدمشق فارتفق به ، وبَطَّل الخدم إلى أن مات رحمه الله تعالى .

(١) (خ) : « يجري على » .
(٢) الذي في اللسان : « عَفَقَهُ عفقات : ضَرَبه ضَرَبات » .
(٣) في الأصل : « صدوره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٤) كذا ، والمشهور : « محمد » ، وهو ابن قلاوون .
(٥) لباس الرأس في عهد المماليك ، يشبه القلنسوة أو الطاقية ، ويسمّى أيضاً (الكلوتة) ، معجم دوزي : ٣١ .
(٦) في الأصل : « وأوعده » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

٢٩ ـ إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد ابن نصر*

القاضي الرئيس ، الكاتب البليغ شمس الدين ابن القاضي جمال الدين ابن الصاحب فتح الدين ابن القَيْسَراني المخزوميّ الخالديّ ، كاتب الإنشاء بالديار المصريّة ، كان شَكِلاً ، تامّاً في خلقه سادّاً[١] لما يسند إليه من الإنشاء من سَعَة خَرْقه ، أشقرَ بوجه أحمر ، قد بدا الشيب في لحيته كالروض إذا أزهر ، يكتب خطّاً تحسده العقود ، ويباهي به الروضَ الْمَجُوْد ، وتزدهي الكواكب بضيائه إذا كانت[٢] في منازل السعود[٣] / ، إنْ أنشأ وشى المهارق ، وأخمل زهر الخمائل والحدائق ، وَحَسَد العِذارُ الجديدُ سطورَه ، وتمنّى الروضُ اليانع لو حوى منثوره ، وودّ الأفق لو استعار من طَرْسه صُبْحَه ، ومِنْ مِداده دَيْجُوره ، يُرشِفُ السّمْعَ كلامُهُ مُدَاماً ، ويتعاطى كؤوسَ فقراته الندامى ، مِنْ بيت كتابةٍ ووزارة ورياسة قديمة وصدارة .

رافقْتُه في ديوان الإنشاء في قَلْعَة الجَبَل[٤] مدّة ، وحَلَلْتُ برؤيته من الهم شِدَّة الشدّة ، ثم إنه رسم له السلطان الملك الناصر بتوقيع الدّست قبل موته بقليل بسِفارة الأمير سيف الدين تِنكز فيما أظن .

---

* الدرر ١ : ٣٧ ، وفيه : « إبراهيم بن عبد الرحمن » .

(١) (خ) : « شاتاً » .

(٢) قوله : « إذا كانت » مطموسة في الأصل .

(٣) (أ) : « الصعود » .

(٤) ويقال لها قلعة القاهرة ، وقلعة صلاح الدين الأيوبي وهو الذي أنشأها ، تشرف على القاهرة ، النجوم : ٥٤/٦ .

قال قاضي القضاة بهاء الدين أبو حامد السبكي[١] : تولّى كتابة الدّست في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة[٢] .

ولم يزل على حاله في توقيع الدّست إلى أن دعاه الله لِلُقْياه ، وأوحشت الدنيا من بُقياه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أحد شهري ربيع من سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وكان عنده مماليك تُرك ، وله تجمّلٌ في مَلْبسه ، وورَّث نعمة طائلة ، وحَصَلت له وجاهةٌ عند النوّاب ، ولو دام له الأمير سيف الدين بَهادُر التمرتاشي[٣] لَرَقى .

وكان قد استعار من القاضي جمال الدين[٤] ابن العلاّمة شهاب الدين محمود جزءاً من (قَلائد العِقْيان) ، وأبطأ رَدّه ، قال جمال الدين ، فكتبتُ إليه :

قُـلْ لِرَبّ العُـلاَ فَتى القيسراني ... حين يـأتي مَنْشِيَّـة الْمَهْرَاني
حَلّ جيدي بالفضل منك فإنّي ... عَـاطِـلٌ من قـلائـد العقيـان

فلما وقف عليها القاضي الشريف شهاب الدين الحُسَيْني قال :

يـا ابن غيثِ النَّـدَى وبَحْر المعـاني ... دُرَّهُ في النّحـور والتّيجـان
أنت للمُلْـكِ زينـةٌ وجَمَـال ... غَنِيَتْ عَنْ قَـلائـد العِقْيَـان

وكتب لي شمس الدين المذكور توقيعاً بزيادةٍ عن السّلطان الملك الناصر محمّد ، وهو : « رُسِمَ بالأمر الشريف العالي ـ لا زالت أوامره تَزين المناصب بأكْفَائها ، وتَزيد

---

(١) هو أحمد بن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن عليّ بن عبد الكافي السبكي ، (ت ٧٧٣ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٥٧/٢ ، والدرر : ٢١٠/١ ، والبدر الطالع : ٨١/١ .

(٢) قوله « قال قاضي » حتى ههنا ليس في (أ) و (خ) .

(٣) الناصري ، وستأتي ترجمته .

(٤) إبراهيم ، وستأتي ترجمته .

المراتب وجاهة بمن تريد صلاحه في علائها ، ومراسيه تَمُنّ بعوارف آلائها لمن جعله عرفانُه من أوليائها ـ أن يزاد المجلسُ السامي القضائي[١] فلان الدين على معلومه[٢] الذي بيده الْمُسْتَقِرِّ باسمه في الشهر دراهم كذا غلّة كذا ، وفي اليوم خبز كذا ، لحم كذا ، شعير كذا ، وفي السنة كذا زيادة على الجوخة قرطيّة[٣] مُغَشّاه لتَفَرُّده في البلاغة عن مناضل[٤] أو مناظر ، وتفننه في الكتابة التي تثلج الصدور ، وتبهج النواظر ، وإتيانه بالمعنى[٥] البسيط في اللفظ الوجيز ، واعتراف أمثاله بالقصور عمّا ينتجه فكره السليم من التعجيز ، طالما دبّج المهارق بأبوابنا الشريفة برائقِ خطّه وفائق لفظه ، ونظم[٦] في تقاليد الوزارة المنيفة[٧] من دُرَرِ معانيه ما تتسارَعُ الهمم إلى التقاطه وحفظه ، فليتناول ذلك شاكراً لأنعمنا الشريفة على هذا المزيد ، وليعلم [أن][٨] إحساننا إليه ثابت ويزيد ، والله يُبَلّغُه من النعم ما يريد بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى ، فكتبت إليه أتشكر إحسانه ارتجالاً :

كَلِماتُ القَيْسَراني لُطْفُ مَعْنَاها بَراني
فَهْي في الحُسْن كليلى وإليها قَيْسُ راني

٣٠ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء*

الشيخ الإمام الورع العلاّمة شيخ الشافعيّة ، برهان الدين أبو إسحاق الفَزَاري ،

(١) في الأصل و (خ) : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .
(٢) في الأصل : « علومه » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٣) (أ) : « قرضيّة » .
(٤) (أ) : « مناصر » .
(٥) في الأصل « في المعنى » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٦) (أ) : « ونظر » .
(٧) (خ) : « المنيفة » .
(٨) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيها السياق .
* الوافي : ٤٣/٦ ، والفوات : ٣٢/١ ، والدرر : ٣٤/١ ، والشذرات : ٨٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٩/١ .

الصعيديّ الأصل ، الدمشقي الشافعي ، مدرّس الباذرَائيّة[١] وابن مدرّسها الشيخ تاج الدين .

سمّعه والده الكثيرَ في صغره من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر والموجودين في ذلك العصر .

قرأ العربيَّة على عمّه شرف الدين الفزاري[٢] ، وتفقّه على والده ، وقرأ الأصول وبعضَ المنطق ، وكان يخالف الشيخ تقي الدين بن تيميّة في مسائل ، وما تهاجرا قطّ ، وكلٌّ / منهما يحترم صاحبه إذا اجتمعا ، ولمّا بلغته وفاته استرجع وشيّع جنازته .

وكان رحمه الله تعالى قد نشأ في صيانَهْ ورقَى في ديانَهْ ، وإكْبابٍ على العِلْم والإفادة طول عمره ، وتواضعٍ وخيرٍ من أوّل حاله إلى خاتمة أمره ، وزاد اشتغالُه بعد أبيه ، وطالعَ ونظر ، وما اقتصر على التنبيه ، يكاد[٣] يستحضر غالب الرافعي في مسائله[٤] ، ويورد لفظه بتقاريره ودلائله ، حتى يقول : هذه المسألة في الصفحة الفلانية من المجلّد الفلاني ، ويكشف عليه فما يخطئ الصواب بل يقارب ويداني ، اشتُهر بذاك ، وعلم جَميع الكِتَاب حتى كأنه باب السواك ، وعلّق على (التنبيه)[٥]

---

(١) المدرسة الباذرائية بدمشق ، أنشأها عبد الله بن محمد بن الحسن الباذرائي البغدادي المتوفى سنة (٦٥٥ هـ) ، الدارس ١٥٤/١ .

(٢) أحمد بن إبراهيم ، وستأتي ترجمته .

(٣) (أ) : « فكاد » .

(٤) الرافعي هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، توفي في حدود سنة (٦٢٣ هـ) ، له كتابان في فروع الشافعيّة « المحرّر » و« فتح العزيز في شرح الوجيز » ، ولعل المراد أوّلهما ، انظر الكشف : ١٦١٢/٢ ، ٢٠٠٢ ، وفوات الوفيات : ٣٧٦/٢ ، والشذرات : ١٠٨/٥ .
وفي المنهل الصافي : « يكاد يقول في مسائل الرافعي : هذه المسألة في المجلد الفلاني في الكراس الفلاني ، في الصفحة الفلانية ، لأنه دربه وأدمن مطالعته » .

(٥) في فروع الشافعيّة ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، (ت ٤٧٦) ، وأشار في الكشف : ٤٨٩/١ ، إلى الشرح الذي صنّفه صاحب الترجمة .

شرحاً حافلاً ، وأتى به لغوامض المذهب كافلاً[١] ، لو أنصفه الناس لم تُرْفَع لغير الرافعي راية ، وتحققوا أنّ بداية هذا الكتاب مثل النهاية ، ولا بدّ لهذا الشرح من وقت يوفّى فيه حقه ، ويعطيه الطاعة كلّ فاضل ، فما يعوقه عن التقديم على غيره ولا يعقّه ، مع ما في فضله من فضولٍ في بعض الفصول ، وزيادات بيان لا تَعَلُّق لها بالفروع ولا الأصول . وعلّق على (منهاج النووي)[٢] جزءاً لطيفاً فيه نتف ، وكلامه فيه أطرب من حمام الأيك إذا هتف .

وكان صادق اللهجة فيما ينقله ، حاذق المهجة فيما يتروّى فيه أو يتعقّله ، طويلَ الروح على الدرس والإشغال[٣] ، كثيرَ التوغّل في الإيضاح والإيغال ، حريصاً على تفهيم الطالب ، يودّ لو بذل كنوز العلم وما فيه من المطالب ، لا يعجبه مَن يورد عليه تشكيكاً ، ولا مَن يطلب منه تنزيل ألفاظ ولا تفكيكاً ، لأنه هو فيما بعد ذلك يتبرع ، فما يحبّ من غيره أن يسابقه ولا يتسرَّع ، وذلك ليُبْسٍ في مزاجه ، وحدّة تلحقه عند انزعاجه ، وحاجة إلى استعمال خيار الشمبر[٤] لعلاجه ، فقد كان ذلك نَقْلَه[٥] على الدوام ، ولا يُخِلّ باستعماله في يوم من الأيام ، وكان رقيق البشرة ، ظاهرة الوضاءة ، كأن وجهه حِبَره[٦] ، وله حظّ وافرٌ من صدقة وصيام وتهجّدٍ في الليل وقيام ، قَلّ أن يخرج الشهر وما يعمل فيه لأهل[٧] مدرسته طعاماً ، ويدخلهم إلى منزله فراداً وتُواماً ، ويقف لهم عند الباب ويدعو لهم ويشكرهم ، ويعرّفهم بالميعاد الثاني وينذرهم .

---

(١) (أ) : « كاملاً » .

(٢) اسمه منهاج الطالبين في مختصر المُحرَّر في فروع الشافعيّة للإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) ، الكشف : ١٨٧٣/٢ .

(٣) (أ) : « والاشتغال » .

(٤) في اللسان : « وخيارٌ شنبر ضربٌ من الخرّوب ، شجرةٌ مثل كبار شجر الخوخ » .

(٥) النقل : ما يتنقل به على الطعام .

(٦) الحِبَرَة والحَبَرة : ضربٌ من برود اليمن مُنَمَّر .

(٧) (أ) : « لفقهاء » .

وفتاويه كلها مُسَدَّدة ، واحترازاته وقيوده فيها مشدّدة[١] . قد كفّ لسانه وسمعه عن الغيبة ومنعها من مجلسه دفعه ، منجمعاً عن الناس يجد في الوحشة منهم غاية الإيناس ، وتنجّز من السلطان مرسوماً أن لا يحضر مجلساً إذا عُقد ، ولا يُطلب لذلك إذا فُقد . وطُلب للقضاء بعد ابن صَصْرى فاستعفى لذلك وصَمَّم ، وألحّ عليه الأمير سيف الدين تنكز فخصَّص الامتناع وعَمَّم ، وحَجَّ غيرَ مَرَّة ، وتجرَّعَ من التكلّف لذلك كلَّ مُرَّة .

وحَدَّث بالصحيحين ، وفاز من الرواية والدراية بالقدحين الربيحين . وخرَّجَ له الشيخ صلاح الدين العلائي مشيخة قُرئت عليه ، وسردها الناس لديه .

وولي الخطابة بالجامع الأموي بعد عمّه الشيخ شرف الدين ، ثمَّ عَزَل نفسه ، وقلع منها ضرسه .

ولم يزل على تلك الطريقة التي أخذها عن السلف ، وتفرّد بارتكابها في الخلف ، إلى أن جاء المحاق لبدره ، وانطبقت على درّته الثمينة صدفتا قبره ، ففجع الناس فيه ، وعَدموا اللؤلؤ الذي كان يقذفه بحرُ علمه مِن فيه ، وراحَ إلى الله على أتمّ سداد ، وأكمل اعتداد[٢] ليوم المعاد . وكانت جنازته مشهودة ، وآلاف مَن حضرها غير معدودة ، فرحم الله روحه ، ونوَّر بالمغفرة ضريحه .

مولده في شهر ربيع الأوّل سنة ستين وست مئة ، ووفاته في يوم الجمعة سابع جمادى الأولى في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة .

وله نظمٌ ونثرٌ مَتع ، لا ينحطّ في ذلك ولا يرتفع ، ومنه قوله ، وقد ترك الخطابة :

وإنّي لأَسْتحيي منَ اللهِ كُلَّما وَقَفْتُ خَطيباً واعظاً فَوقَ مِنْبرِ /

(١) في الأصل : « مسددة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « اعتداده » .

ولستُ بريئـاً بينَهم فـأفيـدَهم ألا إنّما تشفي مـواعـظُ مَنْ بري

قلت : كذا أنشدنيها الشيخ أمين الدين محمد بن علي الأنفي عن مصنفها ، وكذا رأيتها في (البدر السافر) للفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي رحمه الله تعالى[١] ، ولو قال رحمه الله تعالى : « ألاَ إنما تشفي المواعظ مِنْ بَري » لكان ذلك أحسن وأمتن وأتم في الجناس . ورأيتها بعد هذا في ديوان الخطيب يحي بن سلامة الحصفكي[٢] ، وهو بها أحق .

٣١ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن بن نوح بن محمد*

الشيخ الأمين العدل بهاء الدين أبو إسحاق ابن الإمام العالم مفتي المسلمين شمس الدين أبي محمّد المقدسي الشافعي .

سمع الحديث من ابن مَسْلمة[٣] ، وابن علاّن[٤] ، وشرف الدين المرسي[٥] ، والمجد الإسفراييني[٦] ، وإسماعيل العراقي[٧] ، واليلداني[٨] ، والكفرطابي[٩] ،

(١) البدر السافر .

(٢) (ت ٥٥١ هـ) ، الوفيات : ٢٣٧/٢ ، وطبقات ابن السبكي : ٣٢٢/٤ .

* الدرر : ٣٧/١ ، والشذرات : ٥٤/٦ .

(٣) أبو العباس أحمد بن مفرّج بن علي الدمشقي ، سمع من الحافظ ابن عساكر ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨١/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٩/٥ .

(٤) مكّي بن الْمُسَلَّم بن مكّي بن خلف بن علاّن القيسي الدمشقي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٢٨٦/٢٣ .

(٥) أبو عبد الله محمد أبو الفضل الشرف السُّلَمي المرسي الأندلسي ، (ت ٦٥٥) ، السير : ٣١٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٦) محمد بن محمد بن عمر الصوفي ، (ت ٦٤٨) ، السير : ٢٥٨/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٧) أبو الفضل إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الأواني ثمّ الدمشقي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٣٠٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٥/٥ .

(٨) الإمام المحدّث أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني الدمشقي ، (ت ٦٥٥) ، السير : ٣١١/٢٣ ، والعبر : ٢٢٣/٥ ، والبداية والنهاية : ١٩٧/١٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٩) أبو الفضل عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بيان الكفرطابي ، (ت ٦٥٦) ، السير : ٢٩٣/٢٣ .

وابن طلحة[١] ، والشريف بهاء الدين النقيب[٢] ، وخطيب مردا ، وابن عبد الدائم ، وغيرهم ، وخرَّجتُ له مشيخة سنة[٣] حجّ ، وحدَّث بها بالمدينة في سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، قرأها عليه الشيخ عليّ الخَتْني[٤] ، ثمَّ رواها بدمشق غير مرّة .

وأجاز له ابن الجُمَّيزي ، والشاوي ، وأحمد بن الحَبّاب[٥] ، وجماعة في سنة سبعٍ وأربعين وست مئة . وأجاز له من بغداد محمّد بن المنّي[٦] ، والأعزّ بن العليق[٧] ، والمؤتمن بن قُمَّيرة[٨] ، وجماعة في سنة ثمان وأربعين .

وتفرَّد في دمشق برواية (كتاب الآداب) للبيهقي[٩] عن الْمُرْسي سماعاً ، وتَفَرَّد بغير ذلك .

---

(١) الكمال أبو سالم محمد بن طلحة القرشي العدوي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٢٩٣/٢٣ .

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحسيني ، نقيب الأشراف ، بهاء الدين علي بن أبي الجنّ ، (ت ٦٦٠) ، العبر : ٢٦١/٥ ، والشذرات : ٣٠٣/٥ .

(٣) في الأصل « منه » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) علي بن محمد بن عبد الله الفقيه الزاهد التركي ، (ت ٧١٧) ، الدرر : ١١٠/٣ ، ووقع في (أ) : « الحسيني » . تحريف .

(٥) أحمد بن محمد بن عبد العزيز السعدي المصري ، راوي صحيح مسلم عن المأموني ، (ت ٦٤٨) ، السير : ٢٣٤/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٠/٥ .

(٦) محمد بن مقبل بن فتيان بن مطر النهرواني الحنبلي ، (ت ٦٤٩) ، السير : ٢٥٢/٢٣ ، والعبر : ٢٠٤/٥ ، والوافي : ٥٢/٥ .

(٧) أبو نصر أعزّ بن فضائل بن أبي نصر بن عباسوه بن العليق البغدادي ، ويعرف بابن بندقة ، (ت ٦٤٩) ، السير : ٢٣٨/٢٣ ، والعبر : ٢٠٢/٥ ، والوافي : ٢٩٠/٩ .

(٨) مؤتمن الدين ، أبو القاسم يحيى بن أبي السعود التميمي اليربوعي البغدادي الأرّجي ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٩) أحمد بن الحسين بن علي صاحب السنن ، (ت ٤٥٨) ، وكتابه « الآداب » مخطوط ، كما في الأعلام : ١١٦/١ .

وكان في المباشرات مشكوراً ، وبالأمانة والعفّة مذكوراً ، وفيه خيرٌ وبِرّ ، وتعهّدٌ للأصحاب[١] في العَلَن والسّر ، وعنده كِفاية ونَهْضَة ، ومُرُوَّة يؤدي بها في الإحسان فَرْضَه ، ووقفَ على جهات البِرّ أوقافاً ، جعلت له في أغوارِ الذكر الجميلِ أحْقَافاً[٢] ، ولم يزل على حاله إلى أن بَرَّز للرحيل نُوْقَه ، وأقام الموتُ سُوقَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سَلخ جُمادى الآخرة سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة بالشاميّة الجوّانية[٣] بدمشق ، وكان ناظرَ المدرسة الرّواحيّة[٤] بعد أخيه أكثر من ثلاثين سنة ، وباشر وَقْفَ الحرمين وَوَقْفَ جامع العُقَيْبَة[٥] ، وغير ذلك .

٣٢ - إبراهيم بن عَرَفات بن صالح*

القاضي زَيْن الدين بن أبي الْمُنَى القنَائي الشَّافعي .

تَوَلّى الحكم بقِنا[٦] ، والتقى الإعْدَامَ بالبِيْض والقنا ، لأنّه كان يَتَصدَّق في كلّ يومِ عاشوراء بألْفِ دِينار على من هو مُحْتاج ويُلْحِقُ الفقير المسكينَ من جوده برَبّ التاج ، مع حُسْن وجهٍ ساعةَ البَذْل ، لا كما يتكلّف الخير وفِعْلَه الساقِطُ النذل .

(١) (أ) : « لأضيافه » .

(٢) جمع حقف : المعوجّ من الرمل .

(٣) هي المدرسة الشاميّة الجوّانية ، تقع قبلي المارستان النوري الذي صار متحف الطب في دمشق اليوم ، أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب ، الدارس : ٢٢٧/١ .

(٤) شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي ولصيقه ، بناها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة ، الدارس : ١٩٩/١ .

(٥) بدمشق ، كان مسجداً فوُسِّع وبنيت له مئذنة سنة (٨١٧) ، الدارس : ٣٢٩/٢ ، والعقيبة حي من أحياء دمشق إلى الآن يعرف بهذا الاسم .

* الوافي : ٥٥/٦ ، والدرر : ٤١/١ ، والمنهل الصافي : ١١٩/١ ، والطالع السعيد : ٥٦ ، وفي هذه المصادر خلاف حول زمن وفاته فقيل : « ٧٢٤ هـ » و « ٦٤٤ هـ » .

(٦) قنا : بلدة في صعيد مصر .

قالت امرأة : جئت إليه يومَ عاشُوراء فأعطاني ، وعدت إلى منزلي وأعطاني[١] ، ثمّ صِرْتُ إليه ثانياً فأنالني وخَوَّلني ، ثمّ رُدِدْتُ إليه ثالثاً فحَبَاني وما حَوَّلني ، ثمّ فَعَلْتُ ذلك مَرّاتٍ وهو يَجُودُ عليّ ببرِّه ، ولا يطوي عنّي حُسْنَ بِشْره ، إلى أن تكمّل لي منه ذلك اليوم ست مئة دِرْهَم ، فاشتريت بذلك مَسْكناً ، وأراحني من الهمّ .

وكانت له عقيدةٌ حَسَنة في أهل الصَّلاح ، ويأخذ من أدعيتهم ما هو أوْقَى له من السِّلاح .

ولم يزل على خيرٍ إلى أن فات وعُدَّ من الرُّفَات . ووفاتُه ، رحمه الله تعالى ، في بلده سنة أربعٍ وأربعين وسبع مئة .

٣٣ ـ إبراهيم بن علي الأَجَلّ أبي هاشم*

ابن الصدر الأديب المُعَمَّر أبي طالب مُحَمَّد بن مُحَمّد بن مُحَمد بن التامَغَار ، مَجْدُ الدين أبو الفتح بن الخِيَمي الحلّي[٢] .

سمع من والده بسماعه من بِنْتِ سَعْد الخير[٣] ، وسمع من الرشيد العَطّار[٤] مجلسَ (البطاقة) ، ومن ابن البُرْهَان[٥] (صَحيح مسلم) .

---

(١) الأعطان جمع عطن ، وهو موطن الإبل ، ومربض الغنم حول الماء .

* الوافي : ٥٧/٦ ، والدرر : ٤٨/١ .

(٢) في الوافي ، والدرر : « الحلبي » .

(٣) هي فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن عبد الكريم ، ولدت بأصبهان سنة (٥٢٢ هـ) ، سمعت وروت كثيراً ، توفيت بمصر سنة (٦٠٠ هـ) ، السير : ٤١٢/٢١ ، والشذرات : ٣٤٧/٤ .

(٤) الحافظ يحيى بن علي بن عبد الله بن مفرج القرشي ، (ت ٦٦٢) ، الشذرات : ٣١١/٥ .

(٥) رضي الدين إبراهيم بن عمر بن مضر الواسطي التاجر ، (ت ٦٦٤ هـ) ، الشذرات : ٣١٥/٥ .

وأجاز له الحافظ الْمُنْذِري[١] ، ولاحِق الأَرْتَاحي[٢] ، والبهاء زُهَيْر[٣] ، وأبو عليّ البكْري[٤] .

وخرّج له التقيُّ عُبَيْد مَشْيَخة ، وحدَّث قديماً ، وسَلَك طريقاً قويماً .

وأخذ عنه المِصْريون وسَمِعوه ، وارتضَوْه وما دفعوه ، وزانَ بالرواية زمانَه ، ورصّع دُرَّه في تاجها وجُمَانه ، إلى أن أدركته الوفاة ، وخَتَم الموتُ نُطْقَه وَفَاه . وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة . وولد سنة تسعٍ وأربعين وست مئة / .

٣٤ - إبراهيم بن عَليّ بن خليل الحرّاني*

المعروف بَعَيْن بَصَل .

كان على ما اشتُهِر من أمره عامِّيّاً حائكاً أُمّياً ، وله الشعر المقبول ، والطَّبْعُ الذي هو على القَريض مجبول .

أناف على الثمانين من عُمْره ، ولم يَخْمُد تَوقُّد جَمْره . نظر يوماً بعضُ أصحابه إلى امرأة برزت بصفحة بدْر في حُنْدُسٍ ، وغَرست فوق خدِّها زَهرة نَرْجس ، فسأله أن ينظم في ذلك شعراً ، ويُنَفِّسَ به كَرْب قلبه الْمُغْرَى ، فقال بديهاً ، وأنشد الحاضرين فيها :

(١) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري الشامي ، (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣١٩/٢٣ ، والشذرات : ٢٢٧/٥ .

(٢) أبو الكرم لاحق بن عبد المنعم بن قاسم الأنصاري الأرتاحي الأصل المصري اللبان ، (ت ٦٥٨ هـ) ، السير : ٣٥٠/٢٣ ، والعبر : ٢٥١/٥ ، والشذرات : ٢٩٦/٥ .
والأرتاحي : نسبة إلى أرتاح ، اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب . (معجم البلدان) .

(٣) بهاء الدين أبو العلاء زهير بن محمد بن علي الأزدي المهلبي المكي ، له ديوان شعر مشهور (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٥٥/٢٣ ، والوفيات : ٣٣٢/٢ ، والعبر : ٢٣٠/٥ ، والبداية والنهاية : ٢١١/١٣ .

(٤) صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد ابن الشيخ أبي الفتوح التميمي البكري النيسابوري ثمّ الدمشقي الصوفي ، (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٣ ، والوافي : ٢٥١/١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٦٩/٧ .

* الوافي : ٧٠/٦ ، والدرر : ٤٤/١ ، وفوات الوفيات : ٣٥/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٠/١ .

غَرَستْ في الخَـــدّ نَرْجســـة فحكت في أَحْسَن الصـــور
كـوكبـــاً في الجـوّ متّقـــداً قـــد بـــدا في جـــانب القَمَر[١]

وذَكر لي غيرُ واحدٍ أنّ القاضي شمسَ الدين بن خلكان رَحِمه الله تعالى قصده واستنشده شيئاً مِنْ شعره ، فقال : أمّا القديم فلا يليق ، وأمّا الوَقْتُ الحاضر فنعم ، وأنشده :

وما كلُّ وَقْتٍ فيه يَسْمَح خاطري بنظم قريضٍ فائِقِ اللفظ والمعنى[٢]
وهـــل يقتضي الشَّرْعُ الشريف تيمّاً بتُرْبٍ وهذا البحرُ يا صاحبي مَعْنا

وبَعضُ الناس يحكي أنّ ذلك اتّفق له مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل[٣] رحمه الله تعالى .

قلت : وليس ذلك بصحيح ، فقد ذكر الْمُؤَرّخون أنّ شَيِماً الحِلّي[٤] لما قدم إسْعَرْد[٥] ، قَصَده شعراؤها وأنشدوه أشعارهم ، وكان فيهم من أنشده شعراً استكثره عليه وقال : انظم الآن لي شيئاً فأنشده ذلك الرجل في الحال ، وهذا هو الصحيح ، لأنّ شيماً الحلّي توفي بالْمَوْصِل سنة إحدى وست مئة ، ولم يكن عَيْن بصل قد خلق .

وكان عَيْن بصل فقيراً يَهْبُه الناسُ قِماشاً ، وما يكلّفونه معاشاً ، وكان يلبس القطعة مُدّة ، وإذا أفلس باعَها ، ومدّ إليها كفّ نفقته وَباعَها ، فلامه بعضُ الناس على

---

(١) (أ) : « في الأفق » .
(٢) في الوافي : « رائق » .
(٣) محمد بن عمر بن مكي بن المرحل الشافعي ، (ت ٧١٦ هـ) ، الدرر : ١١٥/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٣/٩ .
(٤) أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر الحلّي الأديب ، (ت ٦٠١ هـ) ، السير : ٤١١/٢١ .
(٥) اسعرد ، بسكون السين والعين المكسورة : مدينة .

هذا الاعتماد ، وقال : هذا موجب لأنْ يسوء منهم فيك الاعتقاد ، فأنشده ارتجالاً وقال له لا تمتلي مني مَلالاً[١] :

وقائلٍ قال إبراهيمُ عَيْنُ بَصَلْ أضحى يبيعُ قَبَاً للناس بعد قَبَا
فقلت مَهْ ياعذولي كم تُعَنِّفُني لو جُعْتَ قُدْتُ ولو أفلست بعت قُبَا

ومّا يُنْسَب إليه قَوْلُه في الشّبكة والسّمك[٢] :

كَمْ كَبَسْنا بَيْتاً لكي نُمْسِكَ السكانَ منه في سائر الأوقاتِ
فسكنا السّكانَ وانهزم البيتُ لَدَيْنا خوفاً من الطاقات

قلت : وقد رأيتها أيضاً لغيره .

ولم يزل في اكتسابه ، وتعاطيه للشعر وانتسابه ، وتوكُّله على برّ الناس له واحتسابه ، يخبط بين الحياكة والحكاية ، وينقلب من الشكر إلى الشكاية ، إلى أن رقَدَ فما انتبه ، وعتب صاحبه الموتَ فيه فما أَعْتَبه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره الذي نسب إليه قوله[٣] :

جسمي بسُقْمٍ جُفونه قد أُسْقِما رِيمٌ بسَهْم لحاظه قلبي رمَى[٤]
كالرّمح مُعتدلُ القِوَامِ مُهَفْهَفٌ مُرُّ الجفا لكنّه حُلْو اللّمى
رشأ أحَلَّ دمي الحرامَ وقد رأى في شرْعهِ الوصل الحلالَ محرّما[٥]

(١) البيتان في الوافي : ٧١/٦ .
(٢) البيتان في الوافي : ٧١/٦ .
(٣) الأبيات في الوافي : ٧١/٦ . وفي المنهل الصافي : ١٢١/١ ، الأبيات السبعة الأولى .
(٤) في المنهل : « جفني » .
(٥) في الوافي : « في شَرْعه وصلي » .

رَبُّ الجمـــال بـوصلـــه وبهَجْرِه ... ألقى وأَصْلَى جَنَّـــــةً وجهنّما[١]
عن وَرْد وجنتـــه بـــآس عِـــذاره ... وبسيف نَرْجسِ طَرْفِه السّاجي حمى[٢]
عـاتبتـه فَقَسـا ، وفَيْتُ فخـانني ... قَرَّبْتُـــه فنـــأى ، بكَيْت تبسّما
حكّمتـــه في مُهْجَتي وحُشَـــاشَتي ... فجنى وجـــار عليّ حين تحكّما[٣]
يـا ذا الـذي فـاق الغصـونَ بقَـدّه ... وسَما بطلعتـــــه على قَمَر السما /
رِفْقـاً بمن لـولا جمـالُـك لم يكن ... حِلْفُ الصَّبـــابـــة والغرام مُتَيّماً
أَنسيت أيـامـاً مَضَت وليـاليـاً ... سلفت وعيشـاً بـالصَّريم تصرّمـا
إذ نحن لا نخشى الرّقيب ولم نخف ... صَرْفَ الـزمـان ولا نخـاف اللـوّمـا[٤]
والعَيْشُ غَضٌّ والحـواســـدُ نُـوَّمٌ ... عنّـا وعَيْنُ البين قـد كُحِلَت عَما
في روضـةٍ أبـدت ثُغُـورَ زُهـورهـا ... لَمّـــا بكى وبهـــا الغمامُ تبسّما
مـدّ الربيـعُ على الخمـائـل نَـوْرَه ... فيهـا فـأصْبَـح كالخيـام مُخيِّما[٥]
تبـدو الأَقـاحي مِثْـلَ ثغر مُهَفْهَف ... أضحى الْمُحِبُّ بـه كئيبـاً مُغْرَمـا
وعيـونُ نرجسهـا كأعين غـادَةٍ ... تَرْنـو فترمي بـاللـواحـظ أَسْهُما
وكـذلـك المنثـورُ منثـورٌ بهـا ... لَمَّـــا رأى وَرْدَ الغُصـــون مُنَظَّما
والطَّيرُ تَصْـدح في فُروع غصـونهـا ... سَحَراً فتـوقظ بـالهـديل النـوّمـا
والراح في راح الحبيب يُـديرهـــا ... في فِتْيَـــــة نظروا الْمَسرَّة مَغْنَما
فسقـاتُنـا تحكي البـدورَ ، وراحُنـا ... تحكي الشُّمـوسَ ، ونحن نحكي الأَنْجُما

قلت : وشِعْرُه كلُّه مِنْ هـذه النّسبـة ـ كما تراه ـ غَيْرُ متلاحمِ النَّسْج ، ولا مُسْتقيمُ النَّهج .

(١) في المنهل : « ألفى وصاله جنة » .
(٢) (أ) : « وآس » . وكذلك في المنهل .
(٣) في المنهل : « فجفا وجار » .
(٤) (أ) ، والوافي : « نطيع » .
(٥) في الوافي : « إلى » .

٣٥ ـ إبراهيم بن عليّ*

القاضي جمال الدين بن شمس الدين ابن شيخ السَّلاَمية الكاتب .

تصرّف في المباشرات الديوانية ، والوظائف السلطانية ، تارة بجبل صيدا ناظراً ، وتارة ببرّ دمشق ، وإن كان في المدينة حاضراً ، وتارة بحمص في نظر ديوانها ، والتقدم على أعيانها . ثم انتقل إلى الخزانة[١] العالية بالقَلْعَة ، ونَفَّق فيها من العمر سِلْعَه ، إلى أن سكن فما تحرّك ، واطمأنّ في قبره وتورّك .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة .

٣٦ ـ إبراهيم بن علي بن أحمد بن حمزة بن عليّ**

الشيخ الْمُسْنِد جمالُ الدين ابن الجُنُوبي ـ نسبة إلى الجُنُوب ـ التّغلبي[٢] الدمشقي .

كان من بيت عَدَالة وروَاية ، وكَلِف بالحديث وعُنِيَ به ، وكان مع ذلك فرّاشاً[٣] مُعْتبراً في هذه الحرْفة ، والصناعة الصّرفة ، وسكن مصر وروى بها ، ومشى في طرق الرِّوَاية ووَرَى[٤] بها ، وأسمع بدمشق أيضاً[٥] ، فسمع منه الذهبي ومَن عَدَاه ، ولبوا نداءه[٦] وأجابوا صداه .

---

* تالي وفيات الأعيان : ٣٧ .

(١) (أ) : « إلى شهادة الخزانة » .

** الدرر : ٤٦/١ .

(٢) (أ) : « الثعلبي » ، تصحيف ، وانظر في ترجمة والده : الشذرات : ٣٩٦/٥ .

(٣) (أ) : « فراسا » تصحيف ، والفرّاش هو العامل الذي يُعنى بفرش الأثاث والتعهّد برعايته في المساجد وغيرها من الأماكن .

(٤) مِن ورى الزند : قدحه .

(٥) « أيضاً » ليست في (أ) .

(٦) (أ) : « نداه » .

وكان يَرْوي عن ابن اللَّتي ، وبالإجازة عن محمود بن مَنْدَه ومحمد بن عبد الواحد المَديني[١] . ولَم يزل على حاله إلى أن ضُربت خيمة كَفَنِه ، ولم يُغْنِ عنه صِحّة رأيِه[٢] ولا أفَنِه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

٣٧ ـ إبراهيم بن علي بن أحمد بن يوسف بن علي بن إبراهيم*

قاضي القضاة الحَنَفي ، بُرْهان الدين ابن القاضي كمال الدين بن القاضي شهاب الدين الدمشقي ، هو سَبْط الشيخ ضياء الدين أبي المحاسن عبد الحق بن خلف بن عبد الحق[٣] الواسطي .

قرأ على والده القرآن ، وتَفَقَّه على الشيخ ظهير الدين الرومي[٤] ، والشيخ شرف الدين الفَزَاري[٥] والشيخ زين الدين بن المنّجا[٦] .

وقرأ العربيّة على الشيخ مجد الدين التونسي[٧] والشيخ نجم الدين بن ملّي[٨] .

---

(١) المحدّث المفتي أبو عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) ، السير : ٣٧٨/٢٢ ، والعبر : ١٣٠/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩١/٦ ، والشذرات : ١٥٠/٥ .

(٢) في الأصل : « رواية » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) بدليل السياق . والأفن : ضعف الرأي والعقل .

* الدرر : ٤٦/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٧/١ ، والبداية والنهاية : ٢١٢/١٤ .

(٣) قوله : « بن ... الحق » ليس في (أ) . وفي المنهل : « المعروف بابن عبد الحق » .

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) أحمد بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) المنجّا بن المنجّا التنوخي الدمشقي ، (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣٣/٥ .

(٧) أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٧١٨ هـ) ، الدرر : ٤٦١/١ .

(٨) أحمد بن محسن ، ستأتي ترجمته في موضعها .

وقرأ الأصول على الشيخ صفي الدين الهندي[١] .

ونشأ بدمشق ، ودرَّس بها ، وأَذِنَ له بالإفتاء في رحلةٍ رحلَها إلى مصر سنة ست وتسعين الشيخُ تقي الدين بن دقيق العيد[٢] ، وقاضي القضاة شمس الدين السّروجي[٣] ، وكان قد اشتهر بمعرفة كتاب (الهداية)[٤] وإتقانه ، وتحلّى منه بقلائد عقيانه ، وعُرِف بقيام أدلته وبُرْهانه .

طلب إلى مصر فولاه الملك الناصر محمّد بن قلاوون قضاء القضاة الحنفية بعد شمس الدين بن الحريري[٥] سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فأقام بمصر [حاكماً][٦] عشر سنين متوالية ، ونجومُ سعوده في أفق الكمال مُتلالية ، تُنَفذ / أحكامه في كل أمير ومأمور ، وتسري أوامره في العاطل والْمَعْمور[٧] .

وكان يكلّم السلطان في دَسْته كلاماً خَشِناً[٨] ، وهو يُظهر له احتمالاً حَسَناً ، وصمم عليهم أول ما دخل في الجلوس وما تمّ له ما أراد ، ولم يكن المالكيّ ممن يُعَدّ معه في طراد ، ثم إنه خرج[٩] هو وقاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى الشام معاً ،

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الأرموي ثمّ الهندي ، (ت ٧١٥ هـ) ، ذيل العبر : ٨٣ ، والدرر : ١٤/٤ .

(٢) محمد بن علي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني (ت ٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) في فروع الفقه الحنفي للشيخ برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي (ت ٥٩٣ هـ) ، الكشف : ٢٠٣١/٢ ، ومفتاح السعادة : ١٩٣/١ ، ومعجم المؤلفين : ١٤٩/١٢ ، وفي المنهل : « وله التصانيف المفيدة ، من ذلك شرحه على الهداية وضمنه الآثار » .

(٥) (أ) : « الجزري » تحريف ، وهو محمد بن عثمان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٧) في الأصل : « والمأمور » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٨) في الأصل : « حسنا » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٩) في المنهل : « إلى أن عزل بالحسام الغوري وعاد إلى دمشق » . والحسام هو الحسن بن محمد بن محمد الغوري ، محتسب بغداد وقاضي الحنفية في القاهرة .

وأصابتها عين الحسود فانصرعا ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وأقام هو بدمشق على حاله من غير حكم ، ولا مُدَاناة لفصحاء ولا بكم ، إلى أن نزل إلى حُفْرَته ، وانهال التراب على وَفْرَته[١]

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء تاسع عشري ذي الحجة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

مولده سنة ثمان وستين وست مئة .

٣٨ ـ إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد*

قاضي القُضاة ، نجم الدين أبو إسحاق ابن قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن بن محيي الدين أبي العباس الطَرْسوسيّ الحَنَفي قاضي القضاة بدمشق ، وسيأتي ذكر والده رحمه الله تعالى في مكانه من حرف العين .

مولده في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة . ووفاته رحمه الله تعالى يوم السبت بعد الظهر ، وصُلّي عليه بالجامع الأموي بعد العصر ، ودفن آخرَ النهار المذكور رابع شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة بالمِزَّة . وكانت جنازة حافلة ، بها الحكام والعلماء والأمراء ، وصلّى عليه ملك الأمراء الأمير علاء الدين أمير علي الماردِيني[٢] إماماً برّا باب النصر ، وعاده في يوم سبت ، وهو بالمزة ضعيف في هذه المرضة .

وكان قاضي القضاة نجم الدين رحمه الله تعالى مِلءَ[٣] منصبه ، بالغاً بحسن سعيه نهايةَ أَمله وغايةَ مطلبه ، نافذ الأحكام والقضايا ، عارفاً باستخراج النكت في الوقائع من خَبايا الحنايا ، عليه تُؤَدة وحُسْنُ سَمْت ، وله مهابة وطُول صَمْت ، ولم تُعَدّ له في

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

* الدرر : ٤٣/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٩/١ .

(٢) علي بن عثمان ، ستأتي ترجمته .

(٣) (أ) : « ملو » .

مدة ولايته هفوة تتعلق بأحكامه ، أو زلّة يؤاخذ بها في نَقْضه وإبرامه[١] وكان النواب يعظمونه ، ويجلّونه ويحترمونه[٢] لسعادة نطقه في المحافل ، وترفّعه في ذرا[٣] المعالي عن الأسافل .

تلفّت فوقَ القائمين فطالهم تشوّف بسّام إلى المجد قاعد[٣]
ولم أرَ أمثالَ الرجال تفاوتوا إلى الفضلِ حتى عُدّ أَلْفٌ بواحد[٤]

وكان قد ناب لوالده قاضي القضاة عماد الدين قريباً من سنتين ، ثم إنه في ذي الحجة سنة ستّ وأربعين وسبع مئة نزل له والده عن منصب[٥] القضاء ، وسأل له في ذلك الأمير سيف الدين يَلْبُغا ، فكتب له إلى السلطان ، وحضر تقليده الشريف بذلك .

[وكان قد كتب له قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن عليّ السبكي الشافعي رحمه الله تعالى بأهليّته لذلك وصلاحيّته ، وجهّز خطّه بذلك][٦] وباشر المنصب والتداريس على أتم[٧] ما يكون من العفّة والأمانة ، ونازعه قاضي القضاة شرف الدين المالكي في الجلوس ، فأجلس المالكيّ فوقه لكبر سنّه ، وقِدَمِ هجرته ، ولّما توفي المالكيّ جلس قاضي القضاة نجم الدين إلى جانب قاضي القضاة الشافعي ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان قد حجّ في صغره ، ثم إنه حجّ في سنة خمس وخمسين ، وعَزمَ على المجاورة ، فلم يتفق له ذلك ، ثم إنه حجّ في سنة ست وخمسين وسبع مئة ، ثم إنه عزم في سنة ثمان

(١) ليست في (أ) ، (خ) .
(٢) (أ) : « ذوي » .
(٣) (أ) : « تشوق » .
(٤) (أ) :« تفاوتت » .
(٥) (أ) : « منزل » .
(٦) زيادة من (أ) و (خ) .
(٧) في الأصل :.« على ما أتم » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

وخمسين وسبع مئة على الحج مع الركب الذي يتوجه في شهر رجب ، فحصل له هذا الضعف الذي مات فيه ، رحمه الله تعالى .

وكان رئيساً نبيلاً فيه مكارمُ وحِشمة ورياسة وقُعْدُد[١] وتُؤدة ، ولازم الاشتغال وطالع واجتهد ، ودأب وتعب ، ونظم أبياتاً ذكر فيها الخلاف الذي وقع بين الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وبين الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ، وقرأتها عليه ، فسمعها ولدي أبو عبد الله محمد وفتاي[٢] طَغاي بن عبد الله في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وسبع مئة بمنزله في باب البريد قبالة المدرسة المسرورية[٣] ، وهي :

الحمد لله الوليِّ الْمُنْعِمِ ... الْمَلِكِ الحقِّ الجوادِ الْمُكرِمِ[٤]
جَلّ عن الشبيهِ والأضْدادِ ... والأهْلِ والأنداد والأولادِ
سبحانه مِنْ ملكٍ قدير ... أتقن ما أبْدَع بالتدبيرِ
ثم الصلاةُ بالدوام السرمديّ ... على النبي الْمُصْطَفى محمّدِ
وآله ما غرّدت قُمْرِيّة ... على غصونِ الأيك في البَرِّيَّة
وبَعْدُ قد قال الإمام الأعظمُ ... أبو حنيفةَ الرّضى الْمُقَدّم
في هذه المسائل الْمُهمّه ... قولاً به جلا وجوه الغُمَّة
والأشعريْ خالفهُ فيها وقدْ ... أساء في خِلافه فيما اعتقدْ
والحقُّ ما قال أبو حنيفه ... أعطاه ربي الرتبة الْمُنيفة
أولها مَعْرِفة الإله ... واجبةٌ حقّاً بلا اشتباهِ

---

(١) في الأصل : « وتعدّد » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « وفتاوي » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٣) (أ) : « السروريّة » تحريف ، وهي بباب البريد في دمشق أنشأها الطواشي شمس الدين الخوّاص مسرور ، وقيل : منسوبة إلى الأمير فخر الدين مسرور المكّي الناصري العادلي ، الدارس : ٣٤٧/١ .

(٤) (أ) : « الأكرم » .

بالعقل لا بَعْدَ الخطاب فاعرفِ ... وعُذْرُهُ عند الإمام منتفِ[١]
معرفة الله على الكمال ... تَحْصَل بالعقل مع استدلالِ
ثالثها قال بأنّ العِصْمَه ... ثابتةٌ لأنبياء الأمّه
عن الكبير وعَن الصغير ... والأشعريْ خالفَ في الأخير
ويمكن السَّعيْدُ أن يُنْظمَ في ... أهل الشقاء والضلال فاعرف
ولا يَرى الشكوك في الإيمان ... ويَقْطع القول بلا نكران
وكلَ ما قَدْ كَتَبوا في الْمُصْحَف ... فهو كلام الله حَقّا فاكْتَف
وأثبت الرسالة الْمُكَرَّمَه ... من بعد مامات النبي فاعلمه[٢]
وَهْوَ إلى الآن رَسُولٌ مثلما ... قد كان في الحياة حَقّاً فافْهمَا
والله يَجْزي العبد في الأعمالِ ... من خَيْر ما يرجوه في المآلِ
والله عادلٌ فلا يُعَذِّبُ ... مَنْ لم يكن أذْنَبَ وَهْوَ المذهبُ
ولا يجوزُ القولُ بالتكليفِ ... في حكمةِ الله بلا توقيفِ
واللهُ لا يختار للعبادِ ... إتيانهم بالكفرِ والفَسادِ
ونِعْمةُ الله على الكفارِ ... كسمعهم ونظرِ الأبصار[٣]
وتَمّت المسائلُ الْمُهِمّه ... وتَم ما قالَ سِراجُ الأُمَّه

٣٩ - إبراهيم بن عُمَر بن إبراهيم*

الشيخ الإمام ، العلاَّمة ، ذو الفنون ، شيخ القُرّاء برهان الدين الرَّبَعي الجَعْبَريَ الشافعيّ ، ابن مؤذن[٤] جَعْبر ، شَيْخ حرم سيّدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه .

(١) (أ) ، (خ) « عند الأنام » .
(٢) (أ) : « أثبتت » .
(٣) (أ) : « لسمعهم » .
* الوافي : ٧٣/٦ ، والفوات : ٣٩/١ ، والدرر : ٥٠/١ ، وطبقات السبكي : ٣٩٨/٩ ، وغاية النهاية : ٢١/١ ، والشذرات : ٩٨/٦ ، والمنهل الصافي : ١٣١/١ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ .
(٤) في الوافي : « الشافعي مؤذّن » .

سمع في صباه ابنَ خَليل[١] ، وتلا بالسّبع على أبي الحسن الوُجُوهيّ[٢] صاحب الفخر المُوصِلّي[٣] ببغداد ، وتلا بالعشر على المُنْتَجب[٤] صاحب ابن كَدّيّ[٥] ، وأسند القراءات[٦] بالإجازة عن الشريف أبي البدر الداعي[٧] ، وقرأ (التعجيز)[٨] حفظاً على مؤلفه تاج الدين بن يونس ، وسَمع من جماعة ، وقدم دمشق بفضائل ، ونزل بالسُّمَيْسَاطية[٩] ، وأعاد بالغزالية[١٠] ، وباحثَ وناظرَ ، ثم إنه ولي مشيخة حرم الخليل عليه السلام ، فأقام به بضعاً وأربعين سنة .

ومن تصانيفه[١١] كتاب (نزهة البَرَرة في القراءات العَشرة)[١٢] ، و (شرح

---

(١) (أ) : « من خليل » ، تحريف ، وهو إبراهيم بن خليل الدمشقي ، (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .

(٢) علي بن عثمان ن عبد القادر المقرئ . (ت ٦٧٢ هـ) ، غاية النهاية : ٥٥٦/١ ، والشذرات : ٣٣٧/٥ .

(٣) محمد بن أبي الفرج بن معالي ، (ت ٦٢١ هـ) ، غاية النهاية : ٢٢٨/٢ .

(٤) الحسين بن الحسن التكريتي ، (ت ٦٨٨ هـ) . وغاية النهاية : ٢٤٠/١ .

(٥) إسماعيل بن علي بن سعدان بن كدّي الواسطي صاحب منظومة « درّ الأفكار في قراءة العشرة أئمة الأمصار » . (ت ٦٩٠ هـ) ، غاية النهاية : ١٦٧/١ .

(٦) (أ) : « القراءة » .

(٧) في الوافي : « ابن البدر » ، تحريف ، وهو محمد بن عمر ، أبو البدر الرشيدي ، (ت ٦٦٨ هـ) ، غاية النهاية : ٢١٨/٢ .

(٨) التعجيز في مختصر الوجيز ذي الفروع الشافعيّة ، مؤلّفه أبو القاسم عبد الرحيم ، تاج الدين بن محمد المعروف بابن يونس الموصلي ، (في ٦٧١ هـ) ، الكشف : ٤١٧/١ .

(٩) رسمت في (أ) بالشين المعجمة ، تصحيف ، وهي الخانقاه السُّمَيْسَاطيه نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي ، (ت ٤٥٣ هـ) ، الدارس : ١١٨/٢ .

(١٠) من زوايا الجامع الأموي ، نسبةً إلى الإمام الغزالي ، وتنسب أيضاً إلى الشيخ نصر المقدسي ، الدارس : ٣١٣/٢ .

(١١) ذكر الزركلي في الأعلام بعضاً من مصنفاته المخطوطة : ٥٥/١ ـ ٥٦ .

(١٢) (أ) : « في القرّاء العشرة » .

الشاطبية) كبير ، و (شرح الرائية)[١] ، ونظم في الرسم (روضة اللطائف)[٢] ، وكمّل شرح المصنف (للتعجيز) ، كتاب (الإفهام والإصابة في مصطلح الكتابة) نظم ، وكتاب (يواقيت المواقيت) نظم ، و (السبيل الأحمد إلى علم الخليل بن أحمد) ، و (تذكرة الحفاظ في مُشْتَبه الألفاظ) ، و (رسوم التحديث في علم الحديث) ، و (موعد الكرام لمولد النبي عليه الصلاة والسلام) ، وكتاب (المناسك) ، و (مناقب الشافعي) ، و (الشرعة في القراءات السبعة) ، و (عقود الجمان في تجويد القرآن) ، و (الترصيع / في علم البديع) ، و (حدود الإتقان[٣] في تجويد القرآن) ، و (كتاب الاهتدا في الوقف والابتدا) ، و (الإيجاز في الألغاز) ، و (اختصار مختصر ابن الحاجب)[٤] ، واختصر مقدمته في النحو[٥]. وتصانيفه تقارب المئة مصنف ، وكلّها جيد محرّرٌ .

رأيته غَيْرَ مرة ، وفاتني من الإجازة عنه ألفُ دُرّة ، لكن جالسته وسمعت كلامه ، ورأيته في منزلةٍ يكون الهلالُ عندها قلامَه .

وكان ذا وجهٍ نيّر ، وخُلُق خيّر ، وشيبة نوّرها الإسلام ، وحبّرها خدمة العلم الشريف بالأقلام .

ولعبارته رونق وحلاوة ، وعلى إشاراته وحركاته طلاوة .

حكى لي عن شيخ كان قبله بالحرم حكاية تضحك الثاكلة ، وتصيب من التعجب الشاكلة .

---

(١) الرائية منظومة في علم الخطّ لأبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب ، (ت ٤١٣ هـ) ، وأشار صاحب الكشف : ١٣٣٩/٢ ، إلى شرح الجعبري عليها .

(٢) (أ) ، والوافي ، والمنهل : « الطرائف » .

(٣) (أ) : « الإمعان » .

(٤) في الأصول . والكتاب المطبوع .

(٥) المسمّاة بالكافية ، وهي مقدّمة مشهورة متداولة .

ولم يزل على حاله حتى صوّح روضه ، وهُدم[١] من الحياة حوضُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في حدود الأربعين وست مئة ، فعاش تسعين سنة .

ومن شعره :

لما أعانَ اللهُ جَلّ بلُطْفِه ... لَمْ تَسْبِني بجمالها البيضاءُ
ووقعت في شَرَكِ الردى متحبّلاً ... وتَحكّمَتْ في مُهجتي السوداءُ[٢]

ومنه :

لما بدا يُوسُف الحسنِ الذي تَلِفَتْ ... في حُبِّه مُهْجَتي استحْيَتْ لواحيه
فقلت للنسوة اللاّتي شُغِفْنَ به ... فذلكنّ الذي لُمْتُنَّني فيه[٣]

ومنه :

أضاء لها دُجَى الليل البهيمِ ... وجَدَّدَ وَجْدَها مَرُّ النَّسيم
فراحت تقطع الفلواتِ شَوْقاً ... مكلّفةً بكلّ فتىً كريم
قفارٌ لا ترى فيها أنيساً ... سوى نجم وغُصْنِ نقىً وريمِ[٤]
نياقٌ كالحنايا ضامراتٌ ... يُحاكي لِيلُها ليلَ السليم
كأنّ لها قوائم مِنْ حديد ... وأكباداً من الصُّلْد الصميم
لها بقَبَا وسَفْحِ مِنىً غَرامٌ ... يلازمها ملازمة الغريم

---

(١) (أ) : « وتهدّم » .

(٢) (أ) : « أُوقِعْتَ » . والبيتان في المنهل الصافي .

(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ قالت فذلكنّ الذي لُمْتُنَّني فيه ولقد راودته عن نفسه ﴾ [يوسف : ٣٢/١٢] .

(٤) (أ) : « قفاراً » .

٤٠ ـ إبراهيم بن عيسى*

الأمير ناصر الدين ابن الملك المعظّم ابن الملك الزاهر[١] داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمّد[٢] بن شيركوه بن شادي .

كان جُنْدِياً من مُقَدمي الحلقة بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى في مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بجبل قاسيون ، وقد جاوز الخمسين .

٤١ ـ إبراهيم بن أبي الغَيْث**

الشّيخ جمال الدين ابن الحُسَام البخاري الفَقيه الشّيعي

كان المذكور مُقيماً بنواحي الشقيف من بلاد صفد[٣] بقرية مَجْدَل سليم .

أخذ عن ابن العَوّاد ، وابن[٤] مُقْبل الحِمْصِيّ . ورحل إلى العراق ، وأخذ عن ابن المطهّر .

وكان قد اتخذ في القرية المذكورة مجلسين ، أحدهما للوفود ، والأضياف ، والآخر

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) (أ) : « الزاهد » .

(٢) ليست في (أ) .

** الوافي : ٧٩/٦ .

(٣) قال ياقوت : « شَقيف أرنون : قلعة حصينة جدّاً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل » ، معجم البلدان : ٢٥٦/٣ .

(٤) (أ) : « وعن ابن » .

للطلبة وأهل العلم . رأيته أنا في قريته في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، ودارَ بيني وبينه بَحْثٌ في الرؤية وعدمها . وطال الوقوف على جَبلها[١] ، والطواف بحرمها ، وهو في ناحية الاعتزال واقف ، وأنا عن السنة مجادِل أثاقف ، وهو للحنظل ناقِف ، وأنا للعسل مُشْتارٌ ولاقف . وطال النزاع وامتد ، واحتدم كلّ منا الوغى واحتد .

وكان شَكِلاً حَسَناً ، وذا منطق لَسِناً ، قد أدمن مباحث المعتزلة والشيعة . وجعل التأويل له في حلة البحث وشيعة[٢] ، وكان يزور الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، ويحمله في مباحثه على ما عنده من الحميّة ، ويَطير بينهما شَرَرُ تلك النيران ، وتملّ من وَخْدِهما[٣] في قفار الجدل الأَزِمَّة والكيران ، ولم يزل في تلك الناحية قائماً بنصرة[٤] مذاهب الشيعة والاعتزال ، دائماً على جَذْب من يستضعفه من أهل السنة بالاقتطاع والاختزال ، إلى أن سكت فما نبس ، وبطل من حركاته واحتبس .

قال لي / القاضي شهاب الدين بن فضل الله[٥] : عهدي به في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره[٦] :

هل عاينت عيناك أعجوبة ... كمثل ما قد عاينتْ عَيْني

مصباح ليل مشرقٌ نورُه ... والشمسُ منه قابَ قوسين

---

(١) في الأصل : « حبلها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « وسيعة » تصحيف . والوشيعة خشبة يلفّ عليها ألوان الغزل ، والقصبة يَجْعَل منها النسّاج لحمة الثوب .

(٣) الوخد : سعة الخطو ، والإسراع .

(٤) (أ) : « لنصرة » .

(٥) أحمد بن يحيى ، وستأتي ترجمته .

(٦) الوافي : ٨٢/٦ .

ومنه[١] :

قـــامَتْ تُـــودّعني فقلتُ لهـــا امْهلي حَتّى أوَدِّعَ قبـــلَ ذاكَ حيـــــاتي
فـإذا عـزمْت على الرحيـل تركتِني رهنَ البلى ومُجَـــاورَ الأمـــواتِ

وقال ، وقد عمل مِصْيَدةً من رَحى عَملها لنمسٍ كان قد أفسد عليه خلايا نحل[٢] :

ومُقْشَعرِّ الجِلْـــدِ مـزورّ الحـــدق لا يرهب الليـلَ إذا الليـلُ غَســقْ
مُستترّ حتى إذا النجمُ بَسَـــــــقْ عـــدا على النحـل فـآذَى وَفَسـق
وفتَـح الأبـواب منهـــا وخَرَقْ وكسّر الأصنـــامَ فيهـــا ومَحَـقْ
سقّطتـــهُ بمستـــديرٍ كالطبـــقْ كضغطـــةِ القبر إذا القبرُ انطبـق
فمـا استقرت فـوقـه حتى اختنـق من صخر حـوران شـديـدِ المتسقْ
مَنْ لـجَّ في البحر تغشّـــاه الغَرَق أو سارعَ الـدهرَ إلى الحتف التحق[٣]

وقال وقد كُبس بيته ، وأخذت كتبه[٤] :

لئنْ كانَ حَمْـلُ الفقـهِ ذنبـاً فـإنّني سأقْلِعُ خوفَ الحبْس عن ذلك الذنبِ
وإلاّ فمـــا ذَنْبُ الفقيـــهِ إليكُمُ فيُرمى بـأنـواعِ المـذمّـةِ والسّبّ
إذا كنتُ في بيتي فريـداً عن الـورى فما ضرّ أهل الأرض رفضي ولا نَصْبي
أُوالي رسـولَ الله حقـــاً وصِنْـــوَه وسبْطَيـه والـزهراء سيـدة العُرب[٥]
على أنـــــهُ قَـــــدْ يَعْلَمُ اللهُ أنّني على حُبِّ أصحابِ النبي انطوى قلبي
أليسَ عتيـق مُـؤنس الطهرِ إذ غـدا إلى الغـارِ لم يصحَبْ سـواهُ من الصحب

(١) الوافي : ٨٢/٦ .
(٢) الوافي : ٨١/٦ .
(٣) في الوافي : « اختنق » .
(٤) الوافي : ٨٢/٦ .
(٥) في الوافي : « وصفوه » .

وهـاجَرَ قبـلَ النـاسِ لا ينكرونهـا ... بها جاءَتِ الآياتُ بـالنصّ في الكُتْب
وبـالثـاني الفـاروق أظهرَ دينـه ... بمكـةَ لمـا قـام بـالمرهف العضب
وأجهر مَن أمْر الصـلاة ولم تكن ... لتجهر في فرضٍ هنـاكَ ولا نـدب[1]
وقـد فتـحَ الأمصـارَ مـاردُ جَيْشـه ... وجالتْ خيولُ اللهِ في الشرقِ والغرب
وجهّـزَ جيشَ العُسْرةِ الثـالثُ الـذي ... تسمّى بذي النّورين في طاعـة الرّب
وإن شئتَ قـدِّمْ حَيْـدَراً وجهـادَه ... وإطفاهُ نارَ الشرك بالطعن والضرب
أخو المصطفى يوم المـؤاخـاة والـذي ... بصـارمـه جلّى العظيم من الكرب[2]
كـذاك بقـايـا آلـه وصحـابـه ... وأكرمْ بهم من خيرِ آلٍ ومن صحب[3]
أولئـكَ سـاداتي من النـاس كلّهم ... فسِلْمُهمُ سِلمي وحربُهمُ حربي
وفي بيعـة الرِّضـوان عنـدي كفايـةٌ ... فحسبيْ بهـا مِنْ رُتْبـة لهم حسبي

٤٢ - إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم*

الشيخ الإمام العالم المقرئ الزاهد الورع برهان الدين أبو إسحاق .

روى عن ابن عبـد الـدايم ، وسمع من فَرَج الحبشي[4] مـولى [ابن][5] القرطبي ، وعمـاد الـدين بن الحرستـاني[6] ، وابن أبي اليُسر ، وجمـاعـة من أصحـاب الخُشُوعيّ[7] وابن طَبَرْزَد[8] .

(١) في الأصل « أمن » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) (أ) : « من الكذب » .
(٣) (أ) : « أهله وصحابه » .

* الدرر : ٥٣/١ ، وغاية النهاية : ٢٢/١ ، البداية والنهاية : ٢٩/١٤ ، وفيات (٧٠٢ هـ) .
(٤) فرج بن عبد الله الحبشي الناصح ، (ت ٦٥٢ هـ) . العبر : ٢١٣/٥ .
(٥) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الدرر .
(٦) جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري الدمشقي ، (ت ٦١٤ هـ) ، السير : ٨٠/٢٢ .
(٧) أبو طاهر بركات بن إبراهيم ، (ت ٥٩٨ هـ) ، السير : ٣٥٥/٢١ .
(٨) عمر بن محمد بن معمر ، مسند العصر ، (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٢٦/٥ .

كان حَسَن الهيئة ، متواضعاً ، عديم الشر وادعاً ، كثير التودد لأصحابه ، غزير التقرب بالإحسان لمن يتعلق بأهدابه ، متين الديانة ، مُبين الصيانة ، خطيباً أديباً ، فصيحاً أريباً ، يهتف على المنبر كأنه حمامه ، ويسجع فيشبه السحرُ كلامَه ، إذا درّسَ أحيا أطلال العلوم الدّوارس ، وجَدّل بجداله أبطال المناظرين والفوارس ، ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن فلاح بالفلا وظفرُ المنيّة للَمّته قد فلا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشري شوال سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان شيخاً مباركاً معروفاً بالعلم والصلاح ، وأقرأ القراءات السبع ، وله تلاميذ وأصحاب .

وباشر نيابة الخطابة عن جماعة مدة طويلة ، واستنابه قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة لما توجه إلى مصر للقضاء[١] والخطابة . وكان مدرّساً ومعيداً .

ودفن بمقابر الباب الصغير ، وعمل[٢] عزاؤه تحت النسر[٣] بالجامع الأموي .

٤٣ ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم*

ابن أبي بكر بن محمد ، الإمام المحدّث ، رضي الدين ، أبو إسحاق الطبريّ الأصل ، المكيّ الشافعيّ ، إمام مقام إبراهيم عليه السلام بمكة .

سمع من ابن الجُمَّيْزي[٤] كثيراً ، ومن شُعَيْب الزَّعْفَراني[٥] ، وعبد الرحمن بن

---

(١) (أ) : « في القضاء » .

(٢) (أ) : « وحمل » .

(٣) أي قبة النسر بالجامع الأموي .

* الوافي : ١٢٦/٦ ، والدرر : ٥٤/١ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، والمنهل الصافي : ١٦٣/١ .

(٤) علي بن هبة الله بن سلامة بن الجميزي اللخمي . (ت ٦٤٩هـ) ، طبقات السبكي : ٣٠١/٨ .

(٥) شعيب بن يحيى بن أحمد ، أبو مدين القيرواني (ت ٦٤٥هـ) ، السير : ٢٦٨/٢٣ .

أبي حَرَميّ[١] ، وفاطمة بنت نِعْمَة ، والشرف الْمُرْسِي[٢] وجماعة . وقرأ كتباً كثيرة ، وأتقن المذهب .

حدّث بالبخاري عن عمّ أبيه يَعْقُوب بن أبي بكر ، والعماد[٣] ، وعبد الرحيم بن عبد الرحيم[٤] العجمي ، ومحمد بن أبي البركات بن أبي الخير الراوي[٥] بالإجازة العامة عن أبي الوقت[٦] ، وروى صحيح مسلم عن أبي اليُمْن[٧] بن عساكر .

كان يقول : عُمْري ما رأيت يهودياً ولا نصرانياً ؛ لأنه لم يخرج من الحجاز . ونسخ مسموعاته[٨] ، وخرّج لنفسه سباعيّات .

وكان متواضعاً وقوراً ، مُحِباً للرواية صبوراً ، متألهاً ذا دين متين ، وعزم ثابت . تأيَّدَ باليقين . لم يكن بين عينيه وبين الكعبة حاجب ، يقوم للصلاة مندوباً وقلبه من الخشوع واجب ، قلَّ أن ترى العينُ مِثْلَهَ ، أو تملَّ النظر إذا رأت شكله ، لازم إمَامة ذلك الْمُقَام ، وَأمِن بذلك الحرم الشريف حلولَ الانتقام ، تزدحم الصفوف خَلْفَه إذا أمّ ، وتَحْسَب أنه القمرُ في الدجا إذا تمَّ ، ولم يزل على ذلك إلى أن نزل إلى البرزخ ، وأعمالُه ترقى إلى عِلِّيين وتشمخ .

---

(١) فتوح بن بنين المكي الكاتب العطار المسند (ت ٦٤٥هـ) ، السير : ٢٦٩/٢٣ ، والوافي : ٣٥٤/٣ .

(٢) محمد بن عبد الله أبو الفضل السلمي الأندلسي (ت ٦٥٥ هـ) ، السير : ٣١٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٣) الإمام الخطيب عماد الدين داود بن عمر الزبيدي المقدسي ، ثم الدمشقي (ت ٦٥٦) ، السير : ٣٠١/٢٣ ، والعبر : ٢٢٩/٥ ، والبداية : ٢١٣/١٣ .

(٤) قوله : « عبد الرحيم » ليست في : (أ) ، ولم نعثر له على ترجمته ، ولعلّه عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجمي (ت ٦٥٨) ، والسير : ٣٤٨/٢٣ ، والعبر : ٢٤٧/٥ ، والبداية : ٢٢٥/١٣ .

(٥) لم نقف له على ترجمة .

(٦) عبد الأول بن عيسى بن شعيب (ت ٥٥٣) ، السير ٣٠٣/٢٠ .

(٧) عبد الصمد بن عبد الوهاب ، أمين الدين المحدّث (ت ٦٨٦) ، الشذرات : ٣٩٥/٥ .

(٨) (أ) : « مجموعاته » .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة .

٤٤ ـ إبراهيم بن قرونة*

بالقاف والراء والواو والياء آخر الحُروف ، وبعدها نون وهاء . القاضي الكبير ، مكين الدين .

أول ما عرفتُ من حاله أنّه كان مُستوفي الصحبة[١] مع الجَمالي[٢] ، وكان عنده مكيناً إلى الغاية ، لا ينفرد بأمر دونه ، وأظنه توجه معه لكشف البلاد الحلبية ، ثم إنَّ السلطان ولاّه نظر الجيش بالديار المصرية لمّا أمسك القاضي شمس الدين موسى بن التاج إسحاق[٣] ، وتوجّه معه إلى الحجاز ، ولم يزل في نظر الجيش إلى أن تولى نظر الخاص[٤] القاضي جمال الدين جمال الكفاة[٥] ، فجمع له بين نظر الجيش ونظر الخاص ، وبقي القاضي مكين الدين بطّالاً فيما أظن إلى أن حضر إلى دمشق ناظرَ النظار[٦] في زمن الأمير سيف الدين طُقُزْ تُمر ، فأقام بها يسيراً ، ولم تَطِب له وحضر عِوضَه القاضي بهاء الدين بن سُكّرة[٧] ، وتوجه مكين الدين إلى مصر عائداً في أوائل

---

* لم نقف له على ترجمة .

(١) استيفاء الصحبة : وظيفة جليلة القدر ، يحصّل فيها صاحبها أموال السلطان ، ويثبت التواقيع والمراسيم السلطانية في هذا الشأن . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٣٠) .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) (أ) : « موسى أبا إسحاق التاج » ، و (خ) : « موسى بن التاج أبي إسحاق » .

(٤) وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة ، وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ، وصار صاحبها كالوزير لقربه من السلطان ، وتصرفه ، وصار إليه تدبير جلة من الأمور وتعيين المباشرين ، (صبح الأعشى : ٣٠/٤ ، و ٣١٦/١١) .

(٥) إبراهيم بن عبد الله ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) ويسمّى ناظر الدولة ، وهو الذي يقوم مقام الوزير ، أو يشاركه في التصرف في الأمور المالية . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٣٤٤) .

(٧) أبو بكر بن بهاء الدين ، ستأتي ترجمته في موضعها .

شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وأقام بمصر إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان خيّراً لا شرَّ فيه . كثير الاحتمال ، وهو من رؤساء الكتاب .

٤٥ ـ إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود*

الشيخ جلال الدين بن القَلانسي .

ورد الديار المصرية ، فقال له العلامة شيخنا أبو الثناء محمود[١] ، والشيخ تقي الدين بن تَمّام[٢] : اقعد أنت في هذه الزاوية ، ونحن نذكُرُك للناس ؛ فاتخذ زاوية على بِرْكة الفيل[٣] في حكر الخازن مجاورةً لدار الأمير بدر الدين جَنْكِلي[٤] .

وكان قد نشأ في صناعة الكتابة أولاً ، ثم إنه تَرك ذلك ، وتزهَّد بدمشق مدة قبل غازان[٥] بقليل ، ولما انجفل الناس تَوَجَّه إلى مصر ، وقامت له في الصلاح سوق ، وحُمِلَت إليه الصِّلات في وُسُوق[٦] ، وتردد إليه الناس ، وزاد اشتهاره حتى خرج عن الحد ، وتعدّى القياس ، واعتقد فيه أمراء الدولة ، وأمسك هو ناموس الصول والصَّوْلَة ، ومال إليه جماعة من خواصّ السلطان وأحبُّوه محبةَ مَنْ / أدرك الأوطار في الأوطان ، ولكن في أثناء ذلك البخت ، ومُدَّة ذلك الدست والرَّخت[٧] ، رُمي عند

* الوافي : ١٣٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٤٥/١ ، والدرر : ٥٧/١ ، والشذرات : ٥٦/٦ .

(١) محمود بن سلمان بن فهد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) عبد الله بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في القاموس (برك) : بركة الفيل في مصر .

(٤) جنكلي بن البابا ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) القان غازان التتري ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) وسوق : جمع مفرده وسق وهو حمل بعير ، أو ستون صاعاً .

(٧) الرخت : لفظ فارسي بمعنى الزينة . معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ٨٢ .

الملك الناصر بحجر خَدَش[١] منه غَرْضاً[٢] ، وجعل سماءه أرضاً ، فأخرجه إلى القدس خروجاً جميلاً ، ووجد لفراق ما ألفه في مصر عذاباً وبيلاً ، ولم يتغيّر لمماليك السلطان فيه عقيدة ، وجزموا بأنَّ ذلك من أعاديهِ مكيدة ، وكانوا يُمدّونه بالذهب ، ويُلزمونه أخْذَ ذلك وقبولَه بالرَّغَب والرَّهَب ، وكانت نفسه كريمة ، وهمته عند الثريّا مقيمة ، ولم يزل على تلك الحال إلى أن خلا في القبر بعمله ، وانقطعت من الحياة مواد أمله .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكان قد قدم إلى دمشق في شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة من القدس ، ونزل بمغارة العُزير بالجبل ، وقصده الناس بالزيارة من الأمراء والقضاة والعلماء والصدور ، وحدّث بجزء ابن عَرَفة[٣] ، ثم عاد إلى القدس ، وتوفي ثالث القعدة من السنة المذكورة .

ومن شعره ، من قصيدة :

قد كنتُ تبتُ عن الهوى لكنّ حُبَّك لم يدعني

ولّما مات الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى ، رثاه شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى بقصيدة أوّلها :

أيا مقلتي جُودي بدَمْعِك لي جودي فما مثلُ مَنْ قَدْ بَان عنك بموجودِ
وإنْ غاض ماء الدمع فابكِ دَماً فما يُعدّ البكا إلا لأكرمِ مفقودِ[٤]

---

(١) في الأصل (حدس) تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) الغَرْض : غضروف الأنف .

(٣) الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي ، مؤدب من رجال الحديث ، كان مسند زمانه ، له جزء مرويّ على العصور (ت٢٥٧) ، الشذرات : ١٣٦/٣ ، والكشف : ٥٨٤/١ .

(٤) (أ) « منك الدمع » .

فما أنتِ إنْ قصّرتِ مني ولا أنا ... إذا لم تسل روحي دموعاً بمحمودِ
بروحيَ أحبابٌ مَضَوا وجلالُهم ... يلوحُ لعَيْني منه أكملُ مشهودِ
تولّوا وما عُوّضتُ من قربهم سوى ... تذكرِ عيشٍ مَرّ لي غيرِ مَرْدودِ
هُمُ وردوا قبلي من الموت منهَلاً ... وها أنا صادٍ وهْوَ أقربُ مورودِ
أعدّدهم حزناً وأبكي معَدّداً ... عليهم فحالي بين عَدٍّ وتَعديدِ
أولئك إخواني الذين فقدتُهم ... كما يَفْقد الظّامي المناهلَ في البيدِ
كأنّ رَداهم واحداً بعد واحدٍ ... على نسق الأحزان أسماءُ توكيد
أقول لأيامٍ تقضّت وشُمْلُنا ... كعِقْدٍ على جيد المسرّة مَعْقودِ[1]
أأيامنا عودي بهم وضَلالةٌ ... مَعالي لصمٍّ غيرِ سامعةٍ عودي
ولكنها زُورُ الْمُنَى وخِداعها ... تُخيِّل أمراً في الوَرَى غَيْرَ معهود
كفى حَزَناً أن الأسى مبعث الأسى ... فآتيه في ماضيه عِلّةُ تجديد
أسمّيهم حُزْنا ليُعْلَمَ أنه ... رثاءٌ أتى من مُوْجَع القلب مَعْمود
فيا أدمعي سُحّي ويا صبريَ انْتَقِص ... ويالَوْعَتي دُومي ويا حُرَمتي زيدي
تولّى ابنُ تمامٍ أخي ومُصَاحبي ... وأكرمُ محبوب إليّ ومودود
وقد كان أحلى في فؤادي من المنى ... وأشهى لعيني من كرًى بعد تسهيد
وقد كان لي في مصر أنسٌ مواصِلٌ ... فولّى وقد وافى نعيّ ابن عبّودِ
كريمٌ نمته دَوْحَة الدين والتقى ... فطابَ وسِرُّ الأصل يَظهر في العودِ
وأنكأ ما راعَ الفؤادَ رزيّةٌ ... أتت عن جلال الدين أكرمِ ملحود
تقَي نَقِي طالما طرق الدجا ... بكفٍّ قنوتٍ كفَّ من هدبه السودِ
ومن كان يحيي الليل لامَدَّ دَمْعه ... براق وليس الجَنْب منه بممدود
ويشرق بالأسرار آهلُ قلبه ... فيصبح بالعرفان موطنَ توحيد
وأكرمُ مِنْ غيثٍ توالى وليُّه ... وأرْأفُ من أمّ بأضعفِ مولود

(١) في الأصل : « مفقود » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

عـزوف عن الأسبـاب جـذّ حبـالهـا ... فجـذّت بسيف من تقى غير مغمـود
تخلّى عن الـدنيـا وفـارَقَ أنسهـا ... ومـا طَرْفُـه يـومـاً إليهـا بمردود
ومُثْرٍ من التقـوى فقير بـدانـة ... إلى الله مجـذوب بـأكمـل تجريـد
أخي وحبيبي مُـؤْنسي ومُصـاحبي ... ومن كان عنـدي يومُ رؤيتـه عيـدي
ومن كنت أتيـه فيفرجُ أُنسِـه ... إسارَ فـؤادٍ في يـد الحـظّ مصفـودِ/
بكيت ومـا يُجـدي البكاءُ وخَطبُـه ... أشـدّ ولكن ذاك غـايـةٌ مجهـودي
وذاك لأجلي لالـه إذ مـدامعي ... شفاءٌ لمـا في أضلعي من جوًى مودي
وإلاّ فمـا أغنى عن الـدمـع إذ سرى ... عن المنزل الغـاني إلى دار تخليـد[1]
وإني لأرجـو اللطف بي في لحـاقـة ... فلم يبـق إلاّ أن أُنـادي كما نـودي
أمن بعـد قربي من ثمـانين حجـةً ... يخـادعني إخـلاء نفسي وتفنيـدي
وقـد سـار قبلي من تقـدمتُ عصرَه ... ونِمتُ كأني بـالردى غَيرُ مقصـود
سقى جَدَثـاً قـد حَلّـه صَوْبُ رحمةٍ ... يَسـحُّ بتكريرٍ عليـه وترديـد
ولـو لم أُسَـلِّ القلبَ عنـه برؤيتي ... أخـاه لأودى بي بكائي وتسهيـد [ي]
ولكنّ لي في أنسـه بعـد وحشـةٍ، ... لهـا حُرَقٌ في مهجتي أيَّ تبريـد
وقـد كانت الأيـام تبسـط لي الْمُنَى ... بصحبتـه قِـدْمـاً فـأنجزت مَوْعود[ي]
ولي في ابنـه ظنٌّ جميـلٌ وإنّـه ... سيخلفُه في الزهـد والنّسْـك والجُود
فـأحْسَنَ ربُّ النـاسِ فيـه عـزاءَهُ ... وآجَرَه فـالأجرُ أفْضَـلُ مَـوْجـود
وجـاد ثَرى ذا نـوءُ عفـوٍ ورحمـة ... وزان ذرى ذا نـوءُ عـزٍّ وتـأييـد

٤٦ ـ إبراهيم بن محمد بن سعيد*

الصدر جمال الدين الطَّيبِّي السفَّار ، رئيس العراق ، المعروف بابن السَّوامِليّ

(١) (أ) : « من سرى » .

* الوافي : ١٣٦/٦ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٢ ، والدرر : ٥٩/١ ، وعقد الجمان : ٤٣٨ ، وفيات (٧٠٦هـ) ، والشذرات : ١٣/٦ .
وفي (أ) : « إبراهيم بن سعد » وفي الدرر : « سعدي » .

كان في أوّل أمْره لـه مـالٌ يَسير ، وسـافر وأبعَـدَ في الصّين ، وفتـح اللهُ عليـه ، فاكتسب أموالاً جَمَّةً ، وبلغَ الغاية ، وتِعدَّى في المال مَدَى النهاية ، واستقبلَ مِنْ حاكم العراق بلاداً كباراً ، وأماكن لا تلْحق الريح لها غباراً .

وكان يؤدي المقرر ، ويَخُصّه باللؤلؤ المدوَّر مع رفقة بالرعية ، وتخفيف الوطأة عنهم في كلّ بليّة ، حتى أحبّه الناس طُراً ، وصار غالبُ أهل تلك البلاد بإحسانه[١] ، عبداً ، وإن كان حُرّاً وصار بنوه ملوكاً مُطَاعين ، مطاعيم في النادي وفي الهَيْجَا مَطاعين .

ولي ابنُه سراج الدين عُمَر نيابةَ الملك بالْمَعْبَر ، وابنَه محمد مَلَك شيراز ، وابنه عز الدين كافل[٢] جميع الممالك التي لفارس .

وكان جمال الدين المذكور يعتقد في أهل الصلاح والخير ، ويمدّهم بالمؤْنة والمَيْر ، يبعث في كل عام إلى الشيخ عز الدين الفاروثي[٣] ألف مثقال ، ثم إنَّ التتار مالوا عليه بالأخذ لماله[٤] حتى ضعضعُوه ، وأكلوه بعدما احتلبوه وارتضعوه . وقلّت أمواله ، فانتقل إلى واسط لمّا دَبَرت[٥] الطِّيْب ، ولم يكن العيش يصفو بها ولا يطيب .

قال ابن منتاب[٦] : قال لي السواملي : ما بقي لي سوى هذا الحَبّ[٧] ، وفيه ثمانون

---

(١) (أ) : « لإحسانه » .

(٢) (أ) : « كامل » ، تحريف ، والكافل : من الألقاب المختصة بنائب السلطنة .

(٣) في (أ) : « القادوي » ، تحريف . وعز الدين هو : عز الدين الفاروثي ، أبو العباس أحمد بن إبراهيم المقرئ (ت٦٩٤) ، العبر : ٣٨١/٥ ، والنجوم : ٧٦/٨ ، والبداية والنهاية : ٣٤٢/١٣ .

(٤) (أ) : « من ماله » .

(٥) في (أ) ، والوافي : « دثرت » ، وكلا اللفظين له وجه .

(٦) لم نقف على ترجمته . والخبر عنه في عقد الجمان : (٤٣٩) .

(٧) الحب : الجرة .

ألف دينار ، وبعث به إلى الصّين ، فكسب الدِّرْهَمْ تسعة ، ولم يزل إلى أن نزل[١] الضريح ، وعلم أنه ما يوجد عليها مستريح .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ستَ وسبع مئة في ثاني عشري[٢] جمادى الأُولى بشيراز .

والسواميل : هي الطاسات عند أهل السواد بواسط .

٤٧ ـ إبراهيم بن محمد بن قلاوون*

هو الأمير جمال الدين ، ابن السّلطان الملك الناصر ، محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي .

زوَّجَهُ والده بابنة الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا[٣] .

كان أكبر من أخيه الملك المنصور[٤] سيف الدين أبي بكر كان والدهما قد جهّزهما إلى الكرك ، لمّا كان أخوهما أحمد[٥] في الكرك ، فأقاما هناك مدة إلى أن تَرَعْرَعا ، وأقدَمَهُما القاهرة ، فأمَّرَ كُلاً منهما طبْلَخَانة[٦] ، ولم يُلَقّب أحداً منهما بملك ولا غيره ، بل كان الأمراء ومَنْ دونهم يقولون : سيدي إبراهيم ، سيدي أبو بكر .

---

(١) (أ) : « نزل في الضريح » .

(٢) (أ) : « ثاني عشر » .

* الوافي : ١٣٨/٦ ، والدرر : ٦٦/١ ، والمنهل الصافي : ١٥٤/١ .

(٣) أمير توفي سنة ٧٤٦ هـ . (المنهل الصافي : ٢٢/٥) . وستأتي ترجمته .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقا السلطانية ، أو بيت الطبل ، ويشتمل على الطبول والأبواق ، وإمرة الطبلخانة منصب للأمراء بعدد ما يملكون من مماليك ، فتدق الطبول أمامهم لذلك . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٤٣، ٢٢٨) .

وكان إبراهيم هذا قد انتشا ، وقارب أن يكون ليثاً بعد أن كان رشاً ، طُرَّ شاربُه ، وبقل عارضُه[١] ، وكاد يفترس مَن يدانيه أو يُعَارضه ، لكنه جُدِّر ، وجاءه الأجل الذي قُدّر ، فما رآه والده في ضعفه الذي اعتراه ، ولا مكّن أحداً من إخوانه أن يراه . ولما تكامل / جُدَرِيُّه نُجوماً ، وصار ذلك لشياطين ناظريه رُجُوماً ، قُصِف غُصْنُه ، وخُسِف حصْنُه ، فأمر السلطانُ القاضيَ شرف الدين النشّو ناظر الخاص بأن يدفنه عند عمّه الأشرف[٢] خليل ، وألا يَعْلَم ذلك حقيرٌ ولا جليل ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

٤٨ ـ إبراهيم بن مُحَمّد*

الإمام الفاضل بُرهان الدين السفاقسي المالكي

كان هو وأخوه شَمْس الدين محمد[٣] من كِبَار المالكية ، كان هذا برهانُ الدين قائماً بالعربية ، شائماً بُروقَ غوامضها اللامعة بما عنده من الألمعيّة . أعرب القرآنُ العظيم[٤] في أربعة أسفار كِبار ، أعاد بها لهذا الفن ما كان قد خَمُلَ وبَار ، تكلّم فيها على كل غامِض ، وحَسَده عليها غيرُه مِمّن لم يَصل إلى ذلك وقال : عُنقودها حامض ، وشرح كتاب ابن الحاجب في الفُرُوع[٥] ، وأتى فيه بفوائد من حسنها تروق ، ومن جزالتها تَرُوع ، إلاّ أنه لم يكمله ، فنقَصَ يسيراً ، وجعل طَرْفَ التطلع لتمامه[٦] حَسيراً .

---

(١) بقل عارضه : خرج شعره .

(٢) صلاح الدين خليل بن المنصور (ت٦٩٣) ، العبر : ٣٧٨/٥ ، والنجوم : ٥٣/٨

* الوافي : ١٣٨/٦ ، والدرر : ٥٥/١ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) واسمه : المُجيد في إعراب القرآن المجيد ، وحقق الجزء الاول منه ، د . محمّد موعد .

(٥) اسمه بتمامه لمختصر في فروع المالكية ، الكشف : ١٦٢٥/٢ .

(٦) أ : « طرف التطلع إليه حسيراً » .

ولم يزل يشتغل وَيدْأَب ، ويشعَبُ صَدْعَ العِلْم ويرْأب ؛ إلى أن وافاه حَيْنُه ، وقَضِيَ من الأجل دَيْنه .

توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مئة ، أو في أواخر سنة اثنتين وأربعين .

٤٩ ـ إبراهيم بن مُحَمد*

الإمام الزاهد

الْمُحدِّث شيخ خراسان ، صَدْر الدين أبو الْمَجامع ابن الشيخ سعد الدين بن المؤيَّد بن حَمُّويه الجُوَيْني الشافعي الصوفي .

سمع من الموفق الأركاني[١] صاحب المُؤيَّد الطوسي[٢] ، ومن جماعة بالشام والعراق والحجاز ، وعني بهذا الشأن جدّاً ، وكتب وحصّل .

قدم الشام سنة خمس وتسعين وست مئة ، وحج سنة إحدى وعشرين وسَبْع مئة ، ولقيه الشيخ صلاح الدين العلائي[٣] ، وخرّجَ لنفسه سُباعيّات[٤] بإجازات .

وسمع مُسْلماً من عُثْمان بن مُوَفّق وسمع ببغداد من الشيخ عَبْد الصمد[٥] ، ومن ابن

---

* الوافي : ١٤١/٦ ، والدرر : ٦٧/١ ، والمنهل الصافي : ١٥٥/١ .

(١) كذا في الأصل ، وفي الوافي : ابن الموفق الأذكاني .

(٢) المؤيد بن محمد بن علي رضي الدين ، أبو الحسن الطوسي المقرئ ، مسند خراسان (ت ٦١٧ هـ) ، الشذرات : ٧٨/٥ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الدرر : « تساعيات » ، وماهنا يشبه ما في الوافي . والسباعيات : الأحاديث التي تصل إلى الرسول ﷺ بسبعة رواة .

(٥) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش المقرئ النحوي اللغوي (ت ٦٧٦) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .

أبي الدِّينة[١] ، وابن الساغوجي[٢] ، وابن بلدجي[٣] ، ويوسف بن محمد بن سرور الوكيل[٤] .

وكانت له صورة إلى تلك البلاد كبيرة ، ومنازلُهُ في صُدور التتار أثيرة ، تتضاءل النجوم لعلوّ قَدْره ، وتنكشف الشموسُ الضاحيةُ لطُلوع بدره ، لا يصل أحد إلى لمس كُمِّه ، ولا يطمع القان الأعظم في اعتناقه وضمّه . ومما يؤيد هذه الدعوة ، ويحقق هذه الرجوى أن القان غازان أسلم على يده ، وتبرك بملاقاة جسده .

وأخبرني الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : أنبأني الظهير ابن الكازَرُوني[٥] ، قال في سنة إحدى وسبعين وست مئة : اتصلت ابنة علاء الدين صاحب الديوان[٦] بالشيخ صدر الدين أبي المجامع ، إبراهيم بن الجويني ، وكان الصداق خمسة الآف دينار ذهباً أحمر .

وللشيخ صدرُ الدين مجاميعُ وتواليفُ ، وله إجازة من نجم الدين عبد الغفار صاحب الحاوي[٧] .

---

(١) في الأصل : « المدينة » ، تحريف وهو محمد بن يعقوب بن أبي الفرج البغدادي (ت٦٨٠) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ ، وفي حاشية المنهل (١٥٦/١) : « توفي سنة ٦٧٠هـ) .

(٢) أ : « ابن أبي الساغوجي » ، ولم نقف على ترجمته .

(٣) في المنهل : « وابن بلدجي يوسف » . ولم نقف على ترجمته .

(٤) لم نقف على ترجمته .

(٥) علي بن محمد بن محمود ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) عطا مالك بن محمد الخراساني الجويني ، أخو الوزير الكبير شمس الدين (ت٦٨٣) ، الشذرات : ٣٨٢/٥ .

(٧) هو كتاب الحاوي في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت٦٦٥) ، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية ، الكشف : ٦٢٠/١ .
وخبر الذهبي نقله ابن تغري بردي في المنهل : ١٥٧/١ .

ولم يزل في تيار عظمته الطافح ، وسيلِ وجاهته السافح ، إلى أن سكن في الرّمس ، وذهب كأمْس .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس المحرم سنة ثلاث وعشرين [١] وسبع مئة .

ومولده سنةَ بِضْعٍ وَأربعين وست مئة .

٥٠ ـ إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد*

الشيخ برهان الدين ، أبو إسحاق الواني .

بواو بعدها ألف ونون ، رئيس المؤذنين بجامع بني أمية .

سمع من إبراهيم بن عمر بن مُضَر الواسطي[٢] ، وأيوب بن أبي بكر بن الفقّاعي[٣] ، وابن عبد الدائم .

كان شيخاً حَسَن الشَّيبة ، ظاهر الوقار ، والهيَبْة ، مُطاعاً في قومه ، مراعى في التقديم عليهم في لَيْلِه ويومه . أضَرَّ قبل موته بسنوات ، وفَقَد لفَقْد نَظَره من المرئيات الشهوات ، وكان يَطْلِع المئذنة ويؤذن بعد الجماعة وَحْدَه ، ويؤدي الأذان بصوتٍ لا تذكر نَغَمةُ الأوتار عِنْدَه ، والناس يقولون : هو يودّع الأذان ، ويُوْدِع الدرَ صدفَ الأذان .

ولم يزل على هذه الحالة إلى أن رأى الواني من الموت ألواناً ، وجاءه بعدما توانى .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس سادس صفر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ،

---

(١) في المنهل : « سنة اثنين وعشرين » .

* نكت الهميان : ٨٩ ، البداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، الدرر : ٥٦/١ ، الشذرات : ١٠٩/٦ .

(٢) (ت ٦٦٤) ، الشذرات : ٣١٥/٥ .

(٣) لم نقف على ترجمته .

وصلّي عليه ظهر الخميس /بالجامع الأموي ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، وأجاز لي سنة ثلاثين وسبع مئة .

٥١ ـ إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الخزرجيّ البناني الدمشقي*

الشيخ الصالح العالم برهان الدين .

روى الحديث عن ابن عبد الدايم ، وسمع من ابن النُشَّبِي[١] ، وابن أبي اليُسر وجماعة ، وكان من طلبة الشيخ يحي المنبجي[٢] المقرئ .

انتقل إلى القدس ، وكان إمام قُبة الصخرة بالمسجد الأقصى . وتقدم له اشتغال كثير في الفقه . وكان يبحث ويناظر الفقهاء ، ثم إنه تزهّد ، وصحب ابن هود[٣] مدة ، وسافر معه إلى اليمن ، وحج وعاد وأقام بدمشق مدة ، ثم إنه عاد إلى القدس ، وأقام به سنين إلى أن مات ، رحمه الله تعالى ، في يوم الأحد خامس شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

٥٢ ـ إبراهيم بن محمد**

الفقيه الفاضل برهان الدين المصري .

كان شاباً ، لم يُكْمِل الثلاثين . توفي في نصف شهر رمضان سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ودفن بمقابر الباب الصغير .

---

* لم نقف على ترجمته .

(١) محمد بن علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي (ت ٦٧٠) ، العبر : ٢٩٤/٥ .

(٢) (ت ٦٧٦) ، الشذرات : ٣٥٤/٥ .

(٣) بدر الدين حسن بن علي المرسي الصوفي (ت ٦٩٩) ، العبر : ٣٩٧/٥ .

** لم نقف على ترجمته .

وذكر أنه حفظ (الوسيط)[١] ، وعرض منه نحو النصف ، وحفظ (أربعين) الإمام فخر الدين الرازي[٢] .

أقام بالمدرسة الظاهرية مدة ، وكان يلازم النسخ والاستنساخ .

٥٣ ـ إبراهيم بن محمد بن عيسى*

الأمير شمس الدين بن الأمير الكبير بدر الدين بن التركماني .

سمع الحديث ، وحج وتوفي بالقاهرة بداره جُوّا[٣] باب البحر في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان فيه مروءة ومكارم أخلاق ، وصلي عليه بجامع دمشق صلاة الغائب .

٥٤ ـ إبراهيم بن محمد بن يوسف**

القاضي جمال الدين الحُسْبَاني

بضم الحاء المهملة ، وسكون السين المهملة ، وباء ثانية الحروف ، وألف ونون .

نائب الحُكم العزيز بدمشق لقاضي القضاة تقي الدين السبكي[٤] .

لمّا توفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وخمسين وسبع مئة عن نيف وثمانين سنة ، صلّى نائبُ الشام الأمير علاء الدين الماردانى عليه[٥] .

(١) هو الوسيط في الفروع للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥) ، الكشف : ٢٠٠٨/٢ .

(٢) وهو في أصول الدين لمحمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٩) ، الكشف : ٦١/١ .

* لم نقف على ترجمته .

(٣) في الأصل : « جوار » ، والأشبه ما أثبتناه .

** وفيات ابن رافع : ٣٢٦/١ ، والدرر : ٧٠/١ ، وخلَتْ من ترجمته (أ) .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) الأمير أمير علي الماردانى ، وتولّى نيابة دمشق سنة (٧٥٥هـ) ، (البداية والنهاية : ٢٤٩/١٤) ، وعزل عن النيابة سنة (٧٦٣) ، (البداية والنهاية : ٢٩٥/١٤) .

كان شديداً في أحكامه ، سَديداً في نقضه وإبرامه ، ولا يراعي ولا يداهن مخلوقاً ، ولا يعرف من كان مرموقاً بالأبصار أو مَوْموقاً[١] ، قد تلبّس بالصلابة ، وتأنّس بالتصميم دون اللين ، فلا يجيب مَنْ دَعَا به إلى دُعَابة ، وكان قاضي القضاة يعتمد في الأحكام الْمُعْضِلة على حكمه الْمُسَدَّد ، وتحقق أنه تفرّد في عصره بهذا الخُلْق ، وتفرّد ، إلى أن جاء الحُسْباني ، مالم يكن في حِسَابه ، وانفرد بعمله تحت الأرض وخلا به ولم يُخْلِّف مثله ، ولا من استظل بانَه وأثْلَه ، رحمه الله تعالى .

٥٥ ـ إبراهيم بن محمد بن ناهض*

الشيخ الإمام الأديب تقي الدين أبو إسحاق المعروف بابن الضُّرَيّر ـ تصغير ضَرير ـ الحلبي

كان إمام الفِرْدَوس بحلب ، ومعه أيضاً وظيفة في البيمارستان الذي أنشأه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي[٢] بحلب . وهذا تقي الدين كان أديبَ حلب ، وأحد من امترى أخلافَ الأدب وحَلَب . وأهدى إلى بني الزمان نفائس القريض وجَلَب ، وسلب الذّهن بعبارته الفصحى وخَلَب . وجدَّ في جمع الدواوين وكتبها ، وذهّبها بخطه وهَذَّبها . كتب مالا يحصى ، ونقب عن مصنفات أهل عصره واستقصى .

ولم يزل يكتب ويجمع ، ويسمو بهمّته إلى تحصيل ما يسمع ، إلى أن فتح الموت لابن الضَّرير عَيْنيه ، وخَرَّ صريعاً لليد والفم بَيْن يديه .

وتوفي رحمه الله تعالى في [عاشر][٣] شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسبع مئة . ومولده [أول سنة ٦٩٥هـ][٤] .

---

(١) التومّق : التّودّد .

* الدرر : ٦٨/١ .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) زيادة من (أ) (خ) يقتضيها السياق .

(٤) كذا فراغ في الأصول ، والزيادة من الدرر .

كان هذا تقي الدين أديب حلب ، ومأوى من يرد إليها من الشعراء والأدباء الغرباء .

كتب بخطه شيئاً [كثيراً][١] من كتب الأدب ومصنفات أهل عَصْره ، وكان له ذوق في الأدب ، ويحفظ شعراً كثيراً للمقدمين والمتأخرين . ولم أسمع له نظماً .

ولما وَرَدْتُ إلى حلب في سنة ست[٢] وخمسين وسبع مئة كتب بخطه من تصانيفي (توشيع التوشيح) ، وكتاب (نصرة الثائر على المثل السائر) ، وغير ذلك ، وسمع كتابي (الروض/الباسم) وغَيْرَه . وعلى الجملة كان فريد زمانه في بابه .

[٣] [ورثاه علي بن الحسين الموصلي[٤] بقوله :

يـــا ابن الضُّرَيّر كم عينٍ أضرّ بهـــا مرآكَ فـوقَ سريرِ المـوت محمـولا
قضّيتَ عمركَ في الفردوس مشتغـلاً ومـذ قضيت إليـه كنت منقـولا]

٥٦ ـ إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد الحلبي*

القاضي الرئيس الكاتب البليغ جمال الدين أبو إسحاق

كاتب السّر الشريف بحلب ، أحدَ مَن كتب المنسوب الفائق ، وأبرزه وهو أنقى من الأحداق ، وآنقُ من الحدائق ، كأنَّ طُروسَه خمائل ، وسطورَه أعطافٌ غِيد موائل ، لا يشبع الناظر من تأمّلها ، ولا تشكو القلوبُ من تحمُّلِها وتجمّلها ، إلى أخلاقٍ يتعلم

---

(١) زيادة من (أ) (خ) .
(٢) في (أ) : تسع .
(٣) ماسيأتي زيادة من (أ) ، (خ) .
(٤) (ت ٧٨٩هـ) ، الدرر : ٤٣/٣ .
* الوافي : ١٤٣/٦ ، والدرر : ٧١/١ ، والمنهل الصافي : ١٧٢/١ ، وفيه : « ابن سليمان : .

منها نسيمُ الصَّبا ، وتُثْني عليها النفحاتُ من زَهْر الرّبا ، ومفاكهةٍ ألذَّ من مسامرةً الحبيبِ ، وأشهى من التشفّي بأذى الحَسود والرقيب .

وكان يستحضر كثيراً من شعر المتأخرين ، وتراجم أهل الآداب[١] والصلاح من المعاصرين ، وله نظم يروق ونثر يفوق .

ولم يزل يتولّى ويُعْزَل من كتابة السر ، ويفعل ما تصل إليه مقدرته من البرّ ، إلى أن حَلّ به الحَيْن ، واتّخذ له من باطن الأرض أَينْ[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم عَرفة سنة ستين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وسبعين وست مئة في شعبان .

وكان قد توجّه مع والده إلى الديار المصريّة ، وباشر هناك كتابة الإنشاء ، وسمع من الأبرقوهي[٣] وغيره في ذلك العصر ، وكان القاضي علاء الدين بن الأثير[٤] يألف به ويأنس[٥] ويركَن إليه ، ولّما عُزِل القاضي عمادُ الدين بن القيسراني[٦] من كتابة سر حلب[٧] ؛ جهّز القاضي جمالَ الدين إليها ، فأقام بحلبَ قريباً من ست عشرة سنة ، وعزله الملك الناصر محمد بن قلاوون بتاج الدين ابن زين[٨] .

حضر في واقعة لؤلؤ مع الحلبيين سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وطُلب إلى القاهرة ، ورُسم عليه في دار الوزارة مُدة مديدة ، ثم أفرج عنه .

---

(١) (أ) : « الأدب » .

(٢) أين : أراد بها المحلّ والوعاء ، وأين : هي من أسماء الاستفهام التي تكون ظروفاً للمكان وأوعية لها .

(٣) في الوافي ابن الأبرقوهي ، وهو أحمد بن إسحاق ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) علي بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ليست في (أ) ، (خ) .

(٦) إسماعيل بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٧) (أ) ، (خ) : « من كتابة السّر بحلب » .

(٨) في (أ) : « الزين » .

ولّما توجّه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى إلى مصر في بعض سفراته ، طلبه من السلطان ، فرُتّب في جملة كتاب الإنشاء بدمشق ، وصاحب الديوان إذ ذاك ابن أخيه القاضي شرفُ الدين أبو بكر ، فأقام بها إلى أن عُزل ابن أخيه ، وعُزل هو بعَزْله ، فأقام في بيته بطّالاً إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر ، فتوجّه إليها ، فأقام هناك بطّالاً في سنة ثمان وثلاثين وما بعدها إلى أن توفي صلاح الدين يوسف بن عبيد الله[١] فرُتب عِوضَه في كُتّاب الإنشاء بمصر ، وسلّم إليه القاضي علاءُ الدين بن فضل الله[٢] ديوان الإنشاء بمصر ، فكان ينوبه في ذلك ، ثم إنه رُتب في توقيع الدَّستِ قُدّام السلطان ، وقدّام النائب .

ولّما تولى القاضي ناصر الدين بن يعقوب كتابة السّر بدمشق في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، رُسم للقاضي جمال الدين بعَوْدِهِ إلى كتابة سرّ حلب ، فتوجّه إليها مرة ثانية ، ولم يزل بها إلى أن عُزِلَ بالقاضي زين الدين عمر بن أبي السفّاح في جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ورُتّبَ له ما يكفيه ، ثم عزل ابن[٣] السفاح بالقاضي شهاب الدين الشريف ، فأقام قليلاً ، وعزل في جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأعيد القاضي جمال الدين إلى كتابة سر حلب ثالث مرة ، ولم يزل بها وابنه القاضي كمال الدين محمد يَسُدّ الوظيفة إلى أن عُزل القاضي بدر الدين محمد ناظرُ الجيش بحلب ، وهو ابن[٤] القاضي جمال الدين . وطلب هو وابنُه وابن أخيه إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، فرُسم بعزله عن كتابة السر ، ورتب له في كل شهر مبلغُ خمس مئة درهم ، ورُسِمَ لي أنا بالتوجه إلى كتابة سر حلب مكانه ، وأقام هو في بيته على راتبه إلى أن توفي رحمه الله تعالى فكتبت أنا إلى ولده القاضي

---

(١) صلاح الدين (ت ٧٤١) ، الدرر : ٤٤٧/٤ .

(٢) تولّى بعد والده سنة (٧٣٦هـ) ، البداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، والبدائع : ٤٨٧/١/١ .

(٣) (أ) ، (خ) : « ابن أبي السفاح » .

(٤) (أ) ، (خ) : « ابن أخي » .

كمال الدين محمد أعزّيه فيه :

مضى مَنْ كانَ للـدُّنيـا جَمالاً ... فَعَـزّوا في مُصيبَتـهِ الكَمالا[١]
كمال الـدين لا تَجْـزَع وسَلِّم ... لأمرِ شـاءَهُ البـارِي تَعـالى
أبـوكَ مَضى ولَمْ نَعرِفْ نظيراً ... لَـهُ فيما حَـوَاهُ ولا مِثـالا
تعـالى في منـاصبـه ولكن ... تـواضـع عنـد ذاك ومـا تعـالى[٢]
وكان لـه إلى الفقراء مَيْـلٌ ... أنـا لهم بـه جَـاهـاً ومَـالا
فمـا عرفـوا سـؤالاً منـه إذ لم ... يكن من غيره لهمُ سـوى لا[٣]
فمـا يـومـاً نـوى (لا) في نـداهم ... وبرهم وأولاهم نـوالا
ومـا مـالاً على أحـد رآه ... عليـه الـدهرُ قـد أخنى ومـالا
وكم والى أخـا ضَعْف وفقر ... وأولاه المبرة ثم والى
بِـودٍّ مـا تغير قـطّ يـومـاً ... على من يصطفيـه ولا استحـالا
ولطفٍ كالنسيم أتى ريـاضـاً ... فهبّ على أزاهرهـا شمالا[٤]
وعُمّر مـدة يروي حـديث الـ ... ـرسـول وكان ذاك لـه اشتغـالا
وكم من سيرةٍ للمصطفى قـد ... تـأنّـق في كتـابتهـا وطـالا
فـأبرزَهـا كخـودٍ في حُليّ ... تهـاوت في تثنّيهـا دَلالا
ومـا بـالى بَصْرفٍ أو بعَـزْل ... ولم يشغـل لـه في ذاك بـالا
تـوكّـل في الأمـورِ على إلٰـه ... يُـدبّر شـأنـه حـالاً فحـالا
تـولّى السرّ في حلبٍ زمـانـاً ... فمـا احتـاجت جِـلاداً أو جـدالاً

---

(١) (أ) ، (خ) : « في الدنيا » .
(٢) (أ) : « ولا تعالى » .
(٣) (أ) : « شيء » .
(٤) في الأصل : أزهارها ، ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (أ) .

وأغني الجيشَ عن حركاتِ غـــزوٍ لمـا ركبـوا السهـولـة والجبـالا
ووفّرهم فمـا هـزّوا رمـاحـا ورفعهم فمـا سلّـوا نصـالا[١]
وكم قـد سـاس في سيس أمـوراً رأى تكفـورهـا فيهـا الخبـالا[٢]
فينظر يقظـة خيـلاً ورجـلاً وتغروه مهـابتهم خيـالا
برأي كالحسـام الغضب مـاض أفـادتـه تجـاربـه صقـالا
وخـطٍّ لـو رآه الـزهر غَضّـاً لجـوّد تحت أحرفـه مثـالا
ونثرٍ تكرَعُ الأسماع فيـه على ظمأ فترشفـه زلالا
وكم نظمٍ ترقرق في انسجـام فلـولا الطرسُ يمسكـه لسـالا
فلم نرَ مثـل هـاتيـك السجـايـا ولا أزهى ولا أزكى خـلالا
أفـاض الله من كرم عليـه مـدى الأيـام رحمتـه سجـالا

وكتبتُ مع هذه الأبيات نثراً ذكرته في الجزء السادس والأربعين من (التذكرة) لي .

وكتب هو إليّ لغزاً ، وأنا[٣] وهو في القاهرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة :

إن اسم من أهـواه تصحيفـه وصَفٌ لقلب المُـدْنَف العـاني[٤]
وشطره من قبـل تصحيفـه يقـاد فيـه المـذنب الجـاني[٥]
وإن أزلت الربـع منـه غـدا مصحفـاً لي منـه ثلثـانِ[٦]
وهـو إذا صحفتـه ثـانيـاً اسمٌ لمحبـوب لنـا ثـاني

(١) في الأصل : « ورفعهم » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل (سيف) تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ)
(٣) ليست في (أ) .
(٤) يريد : العليل .
(٥) يريد : الغل .
(٦) يريد : ليل ، وهو ثلثا اسم غليل وهو تصحيف غلبك ، اسم الصفدي .

فكتبتُ أنا الجواب إليه عن ذلك وهو في « غلبك » :

لعـزك يـا من رؤيتي وجْهَـه تَكْحَـلُ بـالأنـوار أجفـاني
هـذي ضميري لحمي حلّـه وأيّـد القـول ببرهـاني
إن زال منـه الربـع مَـعْ قلبـه فـإنـه للْمُـذْنب[1] الجـاني
عليـك تصحيفُ الـذي رمتـه فـالقلب في تصحيفـه الثـاني[2]

وبيني وبينه محاورات ومكاتبات ذكرتها في كتابي ألحان السواجع[3] .

٥٧ ـ إبراهيم بن هبة الله بن علي*

القاضي نور الدين الحِمْيَري الإسنائي الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً أصولياً ذكيّ الفطرة .

أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطي[4] ، والأصول عن الشيخ شمس الدين محمّد بن محمود الأصبهاني[5] ، والنحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس[6] وصنّف في الفقه والأصول والنحو .

---

(١) في الأصل : للمدنف ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمراد من البيت لفظ (كبل) .

(٢) يريد : فالقلب عليل .

(٣) ليس في (أ) ، (خ) .

* الوافي : ١٥٧/٦ ، والدرر : ٧٤/١ ، والبغية : ٤٣٣/١ ، وطبقات السبكي : ٤٠٠/٩ ، والشذرات : ٥٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٣/١ ١ ، وأعلام الزركلي : ٧٨/١ .

(٤) (ت٦٩٧هـ) ، الشذرات : ٤٣٩/٥ .

(٥) (ت٦٨٨هـ) ، العبر : ٣٥٩/٥ .

(٦) محمد بن إبراهيم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

ولي القضاء بأقاليم منها قُوص[١] ، وأسيوط ، وإخميم[٢] ، وولي مُنية زِفْتا[٣] ومنية ابن خَصيب[٤] في أوائل عمره . وابتداء أمره .

وكان حَسنَ السّيرة في حكمه ، مرضي السريرة في طيشه وحلمه . طلب منه كريم الدين الكبير[٥] مالاً من زكاة حاصل الأيتام ، ودَفْعَ شيء من ذلك ليستعين به على تلك المهام ، فلم يعطه شيئاً ، وقال : العادة جرت بأن نصرف ذلك إلى الفقراء دونَ غيرهم ، ومتى عَدَلْنا به عنهم قَصَصْنا جناح طيرهم . ولما عاد كريم الدين إلى القاهرة بالغ في أمره مع قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، وبذل في صَرْفِه جَهْدَ الاستطاعة ، فما وافق على عزله ، ولا نقض بَرْم غَزْلِه ، إلاّ أنه صُرف بعد ذلك بمدّة ، وحضر إلى القاهرة ، وأقام بها لأمرٍ ما أطاق ردّه .

وكان قد قرأ على الشيخ نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الأصفوني[٦] الجبر والمقابلة ، ومن هذا النوع وماعادله ، وقرأ الطب على شهاب الدين أحمد المغربي[٧] ، واختصر (الوسيط) للغزالي ، وصحح ما صححه الرافعي على التوالي[٨] ، وشرح

---

(١) مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر (معجم البلدان) .

(٢) بلد بالصعيد (معجم البلدان) .

(٣) شمالي مصر على فوهة النهر الذي يؤدي إلى دمياط (معجم البلدان) .

(٤) مدينة كبيرة حسنة على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى ، (معجم البلدان) .

(٥) عبد الكريم بن وهبة ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (ت ٧٥٠هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٩٣/١ .

(٧) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) انظر : الكشف : ٢٠٠٩/٢ ، وفي طبقات السبكي (٤٠٠/٩) : « وقفت له على مختصر الوسيط وهو حسن ، وقد ضمنه تصحيح الرافعي والنووي » .

(المنتخب) في الأصول[١] ، وقَرَّب المدخل إليه والوصول . ونثر (ألفية) ابن مالك وشرحها[٢] ، وجعل فيها إطلاق الأذهان وَمَرَحِها .

ولم يزل بالقاهرة مقيماً بعد صَرْفِه ، وصَبْرِ قلبه على الأذى وغضِّ طرفه ، إلى أن حَدَث بعنقه طُلُوع ، عَدِم معه الهجوعَ ، ففارق أترابَه ، واستجنّ[٣] ترابَه ، ووصّى للفقراء بشيء من ماله ، وختم بذلك صالح أعمالِه ، ووقف وقفاً على جهة البّر ، وتقرّب بذلك إلى عالِم السرّ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

٥٨ ـ إبراهيم بن أبي الوحش*

ابن أبي حُلَيقة ، علم الدين بن الرشيد .

رئيس الأطباء بمصر والشام .

عُيِّن ، ، وهو نصرانّيٌ قبل أن يُسلم ، أن يكون بطريكاً للنصارى بمصر ، فما وافق على ذلك ، وأسلم .

كان المذكورُ يشارك في فنون الأدب ، ويَنْسلُّ مع مَنْ نسل إليه مِنْ كلّ حَدَب . وهو الذي عَمِل شراب الورد الطريّ بالشام ، ولم يُعْهد ذلك قبله على مرور الأيام .

ولّما مرض الظاهر بيبرس بالخوانيق لازمه علمُ الدين في مرضه ، وأتى إليه بما كان

---

(١) أي أصول المذهب الحنفي لمؤلفه حسام الدين محمد بن محمد الأخسيكتي الحنفي (ت ٦٤٤هـ) ، الكشف : ١٨٤٨/٢ ، ثم ذكر كتاب الإسنوي المذكور على أنه شرح لكتاب المنتخب في الحديث للمارديني (ت ٧٥٠) ، وهو ظاهر الوهم .

(٢) الكشف : ١٥٤/١ ، وطبقات السبكي ، والمنهل الصافي .

(٣) استجن : استتر ، والجنن أيضاً : القبر ، والميت ، والكفن .

* تالي وفيات الأعيان : ٤٦ ، والدرر : ٥٧/١ .

فوق غرضه ، فاتفق نضج الألم الناتئ في حلقه ، ولم يَجْسر أحدٌ يمدّ يده إليه لشراسة خُلقه ، فمدّ علم الدين يده إلى فيه ، وأدخلها ، وقرصَ الورم ، فانفجر لِوَقْته ، وخرجت المواد التي حار اللبيب في وصْف ألمها ونَعْته ، فعُوفي السلطان من ألمه البَرْح ، ووهبه الأمراء شيئاً يطول في ذِكره[١] الشرح ، فما سمحت نفس السلطان [له][٢] بمجموع ما وَهَب ، وخصّه ببعض ذاك الذي حَصَّل ونهب ، وشال الباقي إلى الخزانة ، وقال : خروج هذا خِفَّةٌ وعَدَمَ رَزَانة .

ولَمْ يَزَل علمُ الدين على حالته إلى أن نَزلت به مصيبة مالها علاج ولا رُقى ، ونزل حفرة لا يجد له منها مُرْتقى .

وَقيل : إن تَركتَه بلغت ثلاث مئة ألف دينار ، وهذا أمر تجاوز الحد والمِقْدار .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

٥٩ ـ إبراهيم بن لاجين بن عبد الله*

الشيخ الإمام العالم الفاضل البليغ برهان الدين الأغرّي ، بفتح الغين المعجمة ، الرشيديّ الشافعي ، خطيب جامع الأمير شرف الدين أمير[٣] حسين بن جَنْدربك بحكر جَوهْر النوبي بالقاهرة .

أخذ القراءات عن الشيخ تقي الدين ـ الصائغ[٤] ، والفقه عن الشيخ علم الدين

---

(١) في الأصل : « ذكرها » ، وأثبتنا مافي (أ) .

(٢) زيادة من (أ) .

* الوافي : ١٦٤/٦ ، والدرر : ٧٧/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٤/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٤/١٠ ، وغاية النهاية : ٢٨/١ ، والشذرات : ١٥٨/٦ ، وطبقات السبكي : ٣٩٩/٩ .

(٣) في (أ) والوافي : « ليث » .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها . وفي المنهل : « تقي الدين بن الصائغ » .

العراقي[١] ، والأصول عن الشيخ تاج الدين الباربناري[٢] ، والفرائض عن الشيخ شمس الدين الرواندي[٣] ، والنحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، والعلم العراقي ، وأثير الدين أبي حيّان[٤] ، والمنطق عن سيف الدين البغدادي[٥] . وحفظ (الحاوي) و (الجزولية) و (الشاطبية) ، وأقرأ الناس في (أُصُول) ابن الحاجب و (تَصْريفه) وفي (التسهيل) . وكان يعرف الطب والحساب وغير ذلك .

ولخطبته في النفوس تأثير ، وللدموع لها[٨] على الخدود جري وتعثير ، تَرقّ له القلوب القاسية ، وتتذكر النفوس الناسية . وعلى قراءته في المحراب مهابة وفصاحة ، ولها إلى الجوانح جنوح وفي الجوارح جراحة . لم أرَ في عمري مثل اتّضاعه على علّو قَدْره ، ولا رأيت[٧] ولا غيري مِثْلَ سلامة صدره ، مطّرح التكلف[٨] ، راضٍ بالقعود عن الدنيا والتخلف ، يحمل حاجته بنفسه ، ولا يحتفل بمأكله ولبسه[٩] .

تخرّج به جماعة وانتفعوا ، ورَدّ بمواعظة أهل الجرائم عن طريقهم[١٠] واندفعوا .

وعُرض عليه سنة خمس وأربعين وسبع مئة قضاءُ المدينة الشريفة وخطابتُها فامتنع ، وانخزل عن قبول ذلك وانجمع .

---

(١) عبد الكريم بن علي ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) محمد بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) في (أ) ، والوافي ، والمنهل : « الدارندي » ، ولم نقف على ترجمته .
(٤) وستأتي ترجمته في حرف الياء .
(٥) عيسى بن داود أبو الروح البغدادي الخوارزمي الحنفي (ت ٧٠٥ هـ) .
(٦) ليست في (أ) ، (خ) .
(٧) في (أ) : « ولا رأت عيني » .
(٨) في (أ) : « يطرح » .
(٩) في (أ) ، (خ) : « ولالبسه » .
(١٠) في (أ) ، (خ) : « عن طريقتهم » .

وله نظم إلاّ أنه ما أظهره ، ولا كلّف خاطرَه أن يؤلف جوهره ، إمّا عَدم رضى بما يأتيه منه ، أو تَوَرُّعاً عن قبوله[١] ونفوراً عنه .

ولم يزل على حاله في أشغاله الطلبة ، والإمامة ، والعمل على ما فيه[٢] خلاصه يوم القيامة ، إلى أن سار إلى الآخرة ، وصار بالساهره[٣] .

وكانت وفاته بالقاهرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وقلت أرثيه :

ملتُ بَعْـدَ البُرْهَـان للتقليـد ... في انسكاب الـدموع فوق الخُـدود
مـا أنـا واثقـاً بتسفـاح دمعي ... خـان صبري الأمينُ بعـد الرشيـد
كيف لا تَسفـح الـدّمـوعُ على مَنْ ... كان للطـالبين خيرَ مُفيـد
قـال لمّـا احتـواهُ طـاعـونُ مصرٍ ... كَمْ قتيـلٍ كما قُتِلْتُ شهيـدِ
فَهْـوَ في قبره مـع الحُـورِ يلهـو ... ببيـاضِ الطُلى ووَرْدِ الخُـدود
مـا تَملّت جُفـونُـه ببـدور ... قَبْلَهـا في براقـع وعقـود
يـا عـذولي على تَعـذُّر صبري ... في مُصـابٍ عَـدِمْتُـه في الـوجـود
كان إن قـام في الأنـام خطيبـاً ... علّم النـاس كَيْفَ نَثْر الفريـد[٤]
ثم أجـرى الـدمـوع خـوفاً ولـو ... أنّ قلـوب العُصـاةِ من جلمـود
بكـلام مِثـل السهـام مصيبـا ... تٍ تَشُـقّ القُلـوبَ قَبْـل الْجُلـود
حُـزْنَ مستعْمَـل الكـلام اختيـاراً ... وتجنّبن ظُلْمَـة التّعقيـد

(١) في الأصل : « قوله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .
(٢) قوله : « مافيه » ، ليس في (أ) ، (خ) .
(٣) الساهرة : الأرض .
(٤) (آ) ، (خ) : «العقود » .

مـــا على زهـــده وفَضْـل تقـــاه وعلومٍ قَـدْ حـازهـا من مـزيـد
أيهـــا الـــذاهبُ الـــذي نحن فيـــه في لظى وهَـوْ في جِنـان الخلـود[١]
لا تُرَعْ في المعـــاد حيث وجـــوه النّـاس فيـه مـا بين بيض وسُـود
لَـكَ في مَـوْقف القيـامـة وَجْـهٌ يُخْجـل البَـدْرَ في ليـالي السّعـود
وثنـــاءٌ كأنمـــا ضُربَ العنـ ـبر فيـــه بمـــاء وردٍ وعُـــود
قَنِعت أنفسُ البريـــــة إذ غبت بعيش مُعَجَّـــل التنكيـــد
فَسَقى الله تربـــةً أنت فيهـــا كلَّ يـوم مضي سَحَـــائبَ جُـود

٦٠ ـ إبراهيم بن يونس*

ابن موسى بن يونس بن علي الغانمي[٢] البعلبكي .

رحل وسمع وعلّق وكان جيّد القراءة فصيحاً ، حَسَنَ الوُدّ صحيحاً .

سمع بـالبلاد أشيـاخ عَصْره ، وعلّق الفوائـد[٣] وغيرهـا من أهل مصْره ، وارتحل إلى الحجاز ، وسمع هناك وفاز ، وجاور بمكّة ، وكتب بها من الفوائد[٤] شكّه .

ولم يزل على حاله إلى أن حلّ به غَريم أجله ، وقابل مَهْلَه بعَجَله .

توفي ، رحمه الله تعالى ، في ذي الحجة سنة إحـدى وأربعين وسبع مئـة . نقلت من خطه له :

---

(١) (أ) ، (خ) : « منه » .
* الوافي : ١٧٣/٦ ، والدرر : ٧٨/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٧/١ .
(٢) في الأصل : « القاضي البعلبكي » . وهو تحريف .
(٣) (أ) : « الفرائد » .
(٤) (أ) : « الزوائد » .

قـــال لي العـــاذلُ يـومـــأ : أنْتَ بَـــــــــــدْرِيٌّ حُنَيْني
قلتُ : لا ، قـــــــال : فِمْصْرِيْ ، قلت : لا ، إني حُسَيْني

٦١ ـ إبراهيم بن يحيى*

ابن أَحمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الشيخ الفقيه الإمام الْمُحَدِّث عمادُ الدين أبو إسحاق الفزاري البَصْروي ، ثم الدمشقي الحنفي .

قرأ القُرآن وسمع الحديث في سنة ثلاث وسبعين وست مئة وبعدها . وقرأ على الشيوخ كثيراً من الكتب والأجزاء ، وكان مشهوراً بحسن القراءة .

ومن شيوخه : ابن عبد الدايم ، وابن أبي اليُسر ، وأيوب الحمّامي[١] ، ومظفر بن الحنبلي[٢] ، وابن النَشَّبي ، وابن عبد[٣] .

قال شيخنا علم الدين : وجُمِعت له مشيخة عن نحو ثمانين شيخاً .

ثم إنه بعد ملازمته الطلبة والاشتغال بالعلم ، دخل في الجهات الديوانية ، وخدم بديوان الحشر[٤] ، ومَهرَ في ذلك ، وحَصّل أموالاً ، ثم إنه رأى رؤيا أوجبت له التوبة والإقلاع ، فحجّ وترك الديوان ، ولازم المسجد والتلاوة ، وبقي على ذلك نحو عشرين سنة ، وحَصَل له صمم ، وقوي به ، فكان لا يسمع إلاّ بمشقة ، وكان يحدث من لفظه .

---

* الدرر : ٧٦/١ .

(١) أيوب بن عمر بن علي بن مقلّد الحمامي الدمشقي المعروف بابن الفقّاعي . (ت٦٦٦هـ) ، المنهل الصافي : ٢٢٧/٣ .

(٢) مظفر بن عبد الكريم أبو منصور الدمشقي (ت٦٦٧) ، الشذرات : ٣٢٥/٥ .

(٣) لم نتبين المقصود .

(٤) في الدرر : « الجيش » ، تحريف ، والحشر ديوان مختصّ بوراثة من لا وراث له ، أو مَنْ ترك زوجة وبنتاً فقط ، يعطيهما ما فرض لهما ، ويأخذ الباقي ، معجم الألفاظ التاريخية : ٦١ .

ومما قرأه (صحيحُ مسلم) و (الترغيب والترهيب) على ابن عبد الدايم وغير ذلك .

ومما انفرد به أنه قرأ (الكافية الشافية) على ابن مالك .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب سنة خمس وأربعين وست مئة .

٦٢ ـ إبراهيم بن يوسف*

القاضي الرئيس المؤْتَمَن أمين الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية .

كان متصفاً بالأمانة الْمُفْرطة ، مُلتحفاً بالعِفّة التي من لم يَطّلع على أمره يعتقد أنها مغْلِطة[1] .

حاول السلطان الملك الناصر محمد أن يأخذه من أستاذه مَرّات ، وتحيّل عليه بأنواع من وعودِ الإحسان والمبرّات ، فما وافق مخدومُه ، ولا هو على ذاك ، وتحيّد جَهْدَه ، وتحيَّل ، ولم يقع في تلك الأشراك .

وكان كاتباً خبيراً ، عارفاً بأمور الديوان بصيراً ، وعنده مشاركة في علوم ، وممارسةٌ لما يتصف به أهل الحلوم[2] والفهوم ، وفيه سكون مفرط وعدم رَهْج[3] ، وانجماع سلك به في الدهر فَرْدَ نَهْج ، وله عبارة إذا ترسل ، ومقاصدُ بليغة بها يتوصّل إلى مُرَاده ويتوسّل ، ما خدم عند أحد إلا وسلّم إليه قياده ، ورأى أن بيدِهِ صلاحَه وفساده .

---

* الدرر : ٧٨/١ .

(١) (أ) ، (خ) : « منه مغلطة » .

(٢) (أ) : « العلوم » .

(٣) الرهْج : الشغب .

ولي نظر الجيوش بالديار المصرية في أيام الملك الصالح إسماعيل[١] ، فباشره بقُعْدُد وسكون ، وتقرر في ذهن أولياء الأمر أنه مهما رآه هو الذي يكون . وكان محظوظاً في خِدمه[٢] ، والسلام والأمانةُ ، نِعْمَ العونُ لأرباب السيوف والأقلام .

ولم يزل إلى أن بلغ نهاية أمده ، وتفرد في قبره بمعتقده .

وتوفي رحمه الله تعالى في المحرم سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وكان في أول أمره يكتب عند الأمير سيف الدين بَكْتُمر الحاجب[٣] بدمشق ، ولّما توجّه إلى مصر أخذه معه ، وهناك أسلم ، وكانَ أولاً سامرّياً ، وكان يميل إلى عقله ، ويعتمد على تصريفه ، ولّما أُمسك الحاجب أخذه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصري[٤] ، فمال إليه ، واعتمد عليه . ولما مات أرسلان أخذه الأمير سيف الدين طَشْتُمر حِمصّ أخضر[٥] عنده ، فدخل إليه وعلى الأمير جملة من الديون[٦] ، فما كان عن قليل حتى وفّى ديونه ، وجعل في خزانته جملة من الحاصل ، فأحبّه وزاد في تعظيمه وإكرامه ، ولما عاد الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب إلى الديار المصرية بعد نيابة صفد أراد عَوْدَه إليه ، فتعذر ذلك ، ودخل طشتمر إلى السلطان ، وسأله في إبقائه عنده ، فرسم له بذلك ، ولكن بقي أمين الدين . يتردد إلى باب الحاجب كل قليل ، وما جَسَر على مقاطعته ، وأراد السلطان الملك الناصر مراتٍ أن يأخذه ويستخدمه في نظر الدولة أو غير ذلك من الوظائف ، فيدخل طَشْتمر على الخاصكّية المقربين في ذلك ، فيسألون له السلطان في ذلك ، وكان طشتمر ما يفارقه ، ولّما أُخْرِج لنيابة صفد

---

(١) إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) قوله : « في خدمه » ، ليس في : (أ) ، (خ) .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) في الأصل : « الديوان » : تحريف .

أخذه معه . ولما توجّه إلى حلب أخذه معه . ولما دخل البلاد الرومية أخذه معه إلى الروم . ولما عاد منها عاد معه إلى مصر ، ولّما مات طشتمر رحمه الله طلبه الأمير سيف الدين قُماري[١] أخو بكتمر الساقي ، وكان في الأيام الصالحية أستاذ الدار[٢] فأقبل عليه إقبالاً زائداً ، وعظّمه ، ولّما مات جمال الكفاة ، ولاّه الصالح إسماعيل نظر الجيش ، فأقام فيه إلى آخرا أيام الصالح . ثم إنه حضر إلى القدس وأقام به ، وأوقف عليه قرية تعمل في السنة بمبلغ ، وحضر في أثناء ذلك إلى دمشق ، ثم توجّه إلى القدس . وأقام به ، ولّما أفرج عن الأمير سيف الدين شيخو[٣] ، وأعيد إلى مكانه ، طلبه إلى مصر ، وجعله ناظر ديوانه ، وكان عنده في الذروة من الوجاهة ، واستمر عنده إلى أن مات رحمه الله في التاريخ ، والله أعلم بسريرته ، فإنّ الناس كانوا يتهمونه في دينه .

وكتبت إليه وأنا بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة أتقاضاه نجاز منشور بإقطاع لابن أختي :

عجب الناس إذْ جعلتُك قَصْدي ... دُون قومٍ ما فضلهم بُمبين
قلت رأْيُ الرّشيد للخير هادٍ ... إذ غدا واثقاً بخير أمين

٦٣ ـ إبراهيم القاضي جمال الدين جمال الكفاة*

ناظر الدولة والجيوش والخاص ، هو ابن خالة القاضي شرف الدين النَشّو ، والنشّو هو الذي استسلمه واستخدمه مستوفياً[٤] في الدولة ، ثم إنه استخدمه عند الأمير

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) في الأصل : « أشاد الدار » ، تصحيف ، وفي (أ) ، (خ) : « أستاذدار » .
(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .
* الوافي : ١٨٠/٦ ، والدرر : ٧٩/١ ، والمنهل الصافي : ٩٦/١ .
(٤) المستوفي : موظف من كتاب الأموال بالدواوين . وانظر خبراً عن النشو في البداية والنهاية : ١٦٥/١٤ ، أحداث سنة (٧٣٢هـ) .

سيف الدين بشتاك الناصري[١] ، فلبث عنده مدة ، ثم إنَّ الناس رَمَوا بينه وبين ابن خالته النشّو ، فوقعت بينهما المعاداة الصعبة على سُوء ظَنٍّ من النشّو وزيادة توهم ، ولم يزل الأمر بينهما إلى أن أُمسك النشّو ، ومات هو وجماعته تحت العقوبة على ما سيأتي في ترجمته .

وتولى جمال الكفاة نَظَر الخاصّ ونَظَر الجيش ، ولم يَتَّفق ذلك قبله لغيره[٢] ، ولم يزل في عزّ وجاهٍ وتمشيةِ حالِ مَخدومه بشتاك[٣] إلى أن توفي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وولي الملك ولده أبو بكر[٤] ، وخُلع وولي الأشرف كُجُك[٥] ، وخُلع وهو على حاله ، وأحبّه قَوْصُون[٦] ، وبالغ في إكرامه ، ثم حضر الناصر أحمد من الكرك ، واستمر به على حاله ، وأخذه معه إلى الكرك ، وأقام عنده ، فلما تولّى الملك الصالح إسماعيل وهو في الكرك [بقي][٧] مدة ووظيفتاه[٨] ليس بها أحد ، فتولى مكين بن قروينه[٩] الجيش ، وبقي أخو جمال الدين ـ الكفاة ـ في الخاص[١٠] يسده إلى

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .
وفي المنهل الصافي ٣٧٢/٣ : « وبَشْتَك : بفتح الباء الموحدة من تحت وترقيقها ، وسكون الشين المعجمة ، وبعدها تاء مثناة من فوق مفتوحة ، وكاف ، ومعناه باللغة التركية : خمسة لاغير ، وصوابه في الكتابة : بش تك ، انتهى » .

(٢) « لغيره » ، ليست في (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : بمخدومه .

(٤) أ : « وولي ولده الملك المنصور ، والمآل واحد » . وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٧) زيادة يستقيم بها اللفظ ، قريبة مما في الوافي .

(٨) في الأصل : « ووظيفاه » ، تحريف . وعبارة المنهل : « وبقي مدة ووظائفه ليس بها أحد لغيبته مع السلطان » .

(٩) انظر خبره البداية والنهاية : ١٦٥/١٤ ، أحداث سنة ٧٣٢ هـ .

(١٠) عبارة الوافي : « وجُعِلَ أخو جمال الدين جمال الكفاة في الخاص » . وفي المنهل : « وجعل أخو جمال الكفاة في الخاص ليسده إلى أن يحضر » .

حين حضور أخيه ، فلما حضر جمال الكفاه من الكرك تسلم وظيفتيه في الجيش والخاص ، وبقي كذلك مُدّةَ وأضيف إليه نظر الدولة أيضاً ، وصار هو عبارةً عن الدولة ، ثم إنه أُمسك وحمل شيئاً من الذهب تحت الليل وأفرج عنه ، وخُلع عليه ، وأعيد إلى وظائفه ، ثم إنه أمسك ، وفَعَل كالمرة الأولى ، ثم أخرج عنه ، وأعيد ، وتمكّن من السلطان الملك الصالح إسماعيل ، وعَظُم عنده ، وكتب له الجناب العالي ، ولم يُكْتَب ذلك إلاّ للوزير ، ثم رُسِم لَه بإمْرَة مئة ، وتقدمة ألف[١] ، وأن يلبس الكَلَّوْته[٢] ، ويلعب الكرة[٣] مع السلطان في الميدان ، فما كان إلاّ وهو في هذا الشأن ، هل يقبل ذلك أَوْ لا حتى عُمل عليه ، وأُمسك هو وجماعة من مباشري الدولة ، فتوهمها كالواقعة التي قبلها ، فقتل هو بالمقارع[٤] وولده إلى أن مات هو تحت العقوبة ، ورَمَوْه بأمورٍ اللهُ أعلم بصحتها من فسادها .

وكان في أول أمره عند الأمير علاء الدين طَيْبُغَا القاسمي[٥] كاتباً ، ومدة مباشرته الخاص وما معه ست سنين .

وكان رحمه الله تعالى حسن الشكل ، مليح القامة ، حلو الوجه ظريف العمامه ، يتحدث بالتركي جيداً ، ونمّ في ذلك اللسان[٦] عن فصاحته متحيداً ، وما كتب أحدٌ أقوى من علامته ولا أكبر ولا أحسن ، ولا أقعد من حروفها ولا أمَدّ ولا أمتن ، بزته مليحة ، وعبارته[٧] فصيحة ، وفكرته متسرعة ، وخبرته عن صحة ذهنه مُتَفَرِّعَة ،

(١) « وتقدمة ألف » : ليست في : (أ) ، (خ) . وفي المنهل : « ثم إنه رسم له بإمرة ألف وتقدمة وأن يلبس الكلفتاه » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « الكلفتا » .

(٣) في (أ) بالكرة .

(٤) (أ) ، (خ) : « هو وولده بالمقارع » .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (أ) : « الشأن » .

(٧) في الأصل : « وعبارة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

وشجاعته بالإقدام مُتَدَرِّعة ، وهمته عن الرذائل مُتَوَرِّعة ، مع لطف عشرة ، وظرف تنديب[١] يُرْقص إذا أبدى[٢] بِشرَه ، يحبّ الفضلاء ويدنيهم ، ويعينهم بالجود ويُغْنيهم ، يقضي أشغالهم ، ويحمل أثقالهم ، وكان يُوْلَعُ بفنَ التصحيف ، ويأتي فيه بالرائق الظريف ، قال يوماً ونحن جلوس في دار ابن خالته ، وهو ما هو في عظمته وجلالته ، وقد جرى[٣] تصحيف عجيب ، بين مُبْتَدِي ومجيب ، فقال لي : هو بجبل[٤] يُشنق ، فما مَرّت بأذْن أحدٍ إلاّ وأطرق ، وغاص في بحرها واستغرق ، وقمت أنا إلى الطهارة لقضاء ما لا بد منه ، ولا غنى لكل أحد عنه ، وخاطري بما قاله متعلق ، وبَرْقُ فَهمها غير متألق ، وفي ذهابي ملتُ إلى قلبها وتصحيفها فظهرت لي فائدة تأليفها ، فعدت إليه قبل ذهابي ، وأسرعت إيابي ، وقلت له ما ظهر لي في حلّها ، وسقيته من وَبْلها وطلّها . فقال : يا مولانا ! كنت صبرتَ إلى أن قَضيت شغلك ، وأتيت بما وَسع فَضَاك وفضلك . فقلت : حلاوة الفهم ، أذهلتني عن رشق هذا السهم .

وكان جمال الكفاة رحمه الله تعالى في آخر أمره ، ونفاسة قدره ، قد سلك مسلك كريم الدين الكبير في اقتناء المماليك الأتراك ، وأكثر[٥] من جبّاتها في العقود والأسلاك ، قد تأنق في ملابسهم الفاخرة وتجديدها ، وتحلية مناطقهم التي علائقها يُطرب تغريدُها ، ولما هلك تحت العِقاب ، وحمل فوق الجنوية[٦] على الرقاب ، حزن لذلك أُودّاؤه وشمت بمصابه أعداؤه ، وذلك في أوائل صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

---

(١) النَّدْب : الخفيف في الحاجة ، الظريف النجيب .

(٢) (أ) : « بدا » .

(٣) (أ) ، (خ) : « جرى لهم » .

(٤) (أ) ، (خ) : « فقال هو لي » . وفي الأصل : « يحل » تحريف .

(٥) (أ) ، (خ) : « وكثّر » .

(٦) (أ) ، (خ) : « وحمل على الجنوية فوق الرقاب » .

وقلت أنا فيه :

عجبتُ من أمر جمـــال الكفـــاهْ وكـــونِـــه راحَ ثِمال العُفـــاهْ
في ليلـــة زالت سعـــادتـــه عنـــه إلى أن رَحَمْتـــه عِـــداه
تَكَلَّمت أجنـــابـــه وهـــو مـــا يقـــول في آلامـــه غيرَ آه
وكيف لا يَصْرُخُ مَنْ جنبـــه فتّحـــه ضربُ الغـــواني شفـــاه[1]

٦٤ ـ إبراهيم الحايك*

وقيل : المعمار . وقيل : الحجّار ، غلام النوري ، عامّي ظريف ، وشاعر عَرِي من حُلَل النحو والتصريف ، لكنّ قَريحته نظّامة ، وطِبَاعه لبرود الشعر رقّامَة ، لـه ذوق قـد شَبّ عَمْرُه فيـه عن الطَوق[2] ، وتوريـات تسير الثريـا من تحتهـا وهي من فـوق ، واستخدام له إلى تحريك الأعطاف وهزّها شوق ، ونكتٌ أدبية مـا يبلّ الفـاضل[3] منهـا غلة الشوق ، ومقاصِدُ غريبـة أحسنُ من رَوْق الشبـاب ومـا أحسنـه من رَوْق إلاّ[4] أن اللحنَ الخفي يخـونـه في بعض الأمـاكن وهـو قليـل ، وتصريف الأفعـال يعرض عنـه بلا دليل ، أما إذا تُرك وعامّيتـه في الأزجـال والبلاليق[5] ، ونفض يَـدَه من القريض لَمَ يكُن له فيه تعاليق ، فإنه يأتي بالعجـائب ، ويركب في طريق الإعجـاب ، والإعجـاز مُتُون الصَّبا والجَنَائِب ، فما يلحقه في ذلك مجار ، ولا يُرْهقه مُبار ، ولا يطمع لاحق لـه في شق[6] غُبار ، ولا أعلم له في ذلك نظيراً ، ولا استجليت في سماء فنه مِثْلَه قمراً منيراً .

---

(١) (أ) : « ضرب العوالي » .

* الوافي : ١٧٣/٦ ، وفوات الوفيـات : ٥٠/١ ، والـدرر : ٤٩/١ ، وبـدائع الـزهـور : ج١/ق١/ص٥٢٧ ، والمنهل الصافي : ١٨٨/١ ، وفيه : « إبراهيم الحائك » .

(٢) في المثل : شب عَمْرو عن الطوق .

(٣) يورّي بالقاضي الفاضل ، وهو صاحب اختراعات أدبية .

(٤) (أ) : «لأن » تحريف .

(٥) البلاليق : من الأنواع الشعرية المستحدثة .

(٦) شق : ليست في (أ) ، (خ) .

وكان فقيراً متخليّاً ، وأميراً في نفسه بالخمول مُتَحَلّياً ، يُعْرض عن الأكابر ، ويعد أهل[١] الدنيا عنده في أهل الْمَقابر[٢] ، قد لزم القناعة ، وأرخى على وجه الصبر قِنَاعَة ، فهو في « باب اللّوق » سابق غير مسبوق ، وفي ساحات المناشر سلطان من ينادم أو يعاشر ، قد هذّبه زَمَانُه ، وأُطلق في الراحة عِنَانُه ، يكتفي بالبلاغ ، ويَجْتزئ[٣] بما لَهُ في الحَلْق مَسَاغ .

ولم يزل في عالم[٤] إطلاقه ووميض برقة وابْتلاقه[٥] ، إلى أن خرب من المعمار رَبْعَ الحياة ، وعفر التراب محيّاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، بعدما نظم في الطاعون قبل موته ، وأنشد قبل فوته :

يا مَنْ تَمنى الموتَ قم واغتنم ... هذا أوانُ الموت ما فاتا
قد رَخُصَ الموتُ على أهله ... ومات مَنْ لا عُمْرُه ماتا

وكان قد كتب إليّ لما وردت[٦] القاهرة في خمس وأربعين وسبع مئة في زمن الملك الصالح إسماعيل قدّس الله روحه[٧] :

وافَى صلاح الدين مصراً فيا ... نِعْمَ خليلٌ حَلَّها بالفلاح
فَلْيَهْنِها الإقبالُ إذْ أصبحت ... بالملك الصالح دارَ الصّلاح[٨]

(١) (أ) ، (خ) : « أبناء » .
(٢) في الأصل : « مقابر » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .
(٣) (أ) : « يشتري » .
(٤) « عالم » : ليست في (أ) .
(٥) يقال : ابتلق الطريق : وضح .
(٦) (أ) : لما ورد إلى ، وما في الأصل يوافق الوافي .
(٧) ماسيأتي من هذه الأشعار أثبته المؤلف في الوافي .
(٨) وهما في المنهل الصافي : ١٨٩/١ .

فكتبت أنا الجواب إليه :

خليلٌ في الشام هلالٌ بدا ... وبدْرُ إبراهيم في مصر لاح
ذا كامل من حيث ذا ناقص ... وذاك بُرْهان وهذا صلاح

ومن شعره ، وفيه لحن يسير :

وصاحبٍ أَنْزَلَ بي صَفْعَةً ... فاغتظت إذ ضَيَّع لي حُرْمَتي
وقال في ظهرك جاءت يدي ... فقلت لا والعَهْد في رقبتي[1]

ومنه :

ومُفَنَّن يَهْوى الصِّفَاعَ ولم يكن ... إذا ذاك فَنّي
مَلَّكتُه عنقي الدقيق فراح يَنْخَلُه بغبن[2]
ما كان مني بالرضى لكنه ... من خَلْف أذني
لولا يدٌ سبقت له ... لأمرته بالكفّ عني

ومنه :

أيري إذا ندبته ... في حاجة تنزل بي[3]
قام لها بنفسه ... ما هو إلا عصبي[4]

ومنه :

عاتبتُ أيري إذْ جاء مُلتثماً ... بالخزي من عِلْقه فما اكترثا[5]

---

(١) البيتان في المنهل : ١٨٩/١ .
(٢) في الوافي : « ينجله » ... وفي الفوات بعجن .
(٣) (أ) ، (خ) : « لحاجة » . وفي المنهل : « لحاجة تختص بي » .
(٤) (أ) ، (خ) : « قام إليها مسرعاً » ، والبيتان في المنهل : ١٨٩/١ .
(٥) (أ) : « بالخزى » .

بـل قـــال لي حين لمتـــه قَسماً ... مـــا جـزت حَمّـــام قعره عبثـــا
كيف وفيهـــا طهـــارتي وبهـــا ... أقلِب مـــاء وأرفـع الحـــدثـــا[١]

وفيه :

لَمّـا جَلَـوا لي عروساً لست أطلبها ... قـالوا لِيهْنِـكَ هـذا العرسُ والـزينـه
فقلت لمـــا رأيت النهـــد منتفشـــاً ... رمّـانـة كُتِبَت يـاليتهـا تينـه[٢]

ومنه :

قـال لي العـــاذلـون أنحلـك الحُـ ... ـبّ وأصْبَحْتَ في السّقـام فريـدا
أإذا صِرت من جفـاهم عظـامـا ... أبـوصْـلٍ تعـود خَلْقـاً جـديـدا
مـــا رأينـــا ولا سمعنـــا بهـــذا ... قلت ﴿ كونوا حجارة أو حديداً ﴾[٣]

ومنه :

قسماً بمـــا أُوْليتُ من إحســـانـــه ... وجميلـه مـاعِشْتُ طُـوْلَ زمـاني[٤]
ورأيت مَنْ يُثْنِي على عليـــائـــه ... بـــالجـــود إلاّ كنتُ أوّل ثـــان

ومنه ، وفيه لحن وتحريف[٥] :

كلفي بطبـــاخٍ تنـوَّع حسنـــه ... ومـزاجُـــه للعـــاشقين يـوافـق
لكنْ مخـافي من جفـاه وكم غـدت ... منـه قلـوبٌ في الصـدور خـوافـق[٦]

---

(١) في الأصل : « وأدفع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « منتعشاً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، الوافي .
(٣) فيه اقتباس والآية [الإسراء ١٧/٥٠] .
(٤) (أ) ، (خ) : على إحسانه .
(٥) قوله : « وفيه لحن وتحريف » ، ليس في (أ) .
(٦) البيتان في المنهل : ١٩٠/١ .

ومنه وفيه لحن ظاهر[١] :

في خـــــدِّ مَنْ أحببتـــــه ... وردٌ جنيّ أَجْنـــــــــــــةُ
وشـــــامـــــةٌ ذقت لهـــــا ... حـــــلاوةً في صَحْنـــــه

ومنه :

لـــــجّ العـــــذول ولامَني ... فيمن أُحبُّ وعَنَّفـــــــــــا
فهممت ألطُمُ رأســـــــــه ... ممـــــا مُلئت تـــــأسفـــــا[٢]
لكنهـــــا زلقت يـــــدي ... نَـــزَلَتْ على أَصْـــل القفـــا

ومنه ، وفيه عيب التضمين[٣] :

هَـوِيْتُ طبّـاخـاً سَـلاَني وقـد ... قـلا فُـؤَادي بعـــد مـــا رَدّه
محترِقـــاً ولم يـزل بـــالجفـــا ... يَغْرف لي أحمضَ مـــاعنـــده

ومنه :

قـالـوا تَسَبَّبْ في الجنـائـز واكتسب ... رزقـاً تعيش بـه أَجَـلَّ حيـاة
فـــأجبتهم رَدّاً على أقـــوالهم ... أرأيتم حَيَّـــاً من الأمـــوات

ومنه :

شكـــــوت للحبّ منتهى حُرَقي ... ومـــا ألاقيـــه من ضنى جَسَـــدي
[قـــال تـــداوى بريقتي سحراً ... فقلت يـابردهـــا على كبـــدي][٤]

ومنه :

(١) قوله : « وفيه لحن ظاهر » ، ليس في : (أ) .
(٢) (أ) : « لَمّا ملئت » .
(٣) « وفيه عيب التضمين » ليس في : (أ) .
(٤) البيت من (أ) ، (خ) ، والوافي .

وقـــزّاز يُغَـــازلني بحـاشيـــة لهـــا رِقّـــه
أبيتُ مُسَهـــداً منـــه أَنيِّر مِنْ جَـوَى الحُرْقَـــه
أســدّي تحت طَـــاقَتـــه كأني حـــارِسُ الشقـــه

ومنه :

يـــا أغنيـــاء الـزمـــان هـل لي جرائمُ عنـــدكم عظـــام
فضّتكم لا تـــــــزال غَضْبي فـــلا ســـلامٌ ولا كـــلام
والـــــــذهب العَينُ لا أراه عَيْنيَ من عينـــــــه حرام[1]

ومنه :

يـــا قَلْبُ صَبراً على الفراق ولَـــوْ رُوِّعْتَ ممن تحبّ بـــــالبين[2]
وأنت يـــا دَمْـعُ إن ظهرت بمـــا يخفيـــــه قَلْبي سقطت من عيني

ومنه :

متى أرى المحبـوبَ وافَى بـالهنـــا ونحن في دار ولا واش لنـــــا
أيّ ثـــلاثُ مـــــالهن رابـــع مثـــالـــه الـــدّار وزيـــدٌ وأنـــا

ومنه مواليا :

يَقـل لهـا زوجهـا لا تَخْتَشِي مِنْ لُـوم ولا تقي كل من في الأرض وأنـا الكوم[3]
واتسيّبَي واطْعِمِيني أبْقَ من ذا اليـوم أَنْعس وأرقـد ومثلي مـا ترى في النـوم[4]

---

(١) (أ) : « لا تراه » .
(٢) (أ) : « رُميت » .
(٣) في الوافي : « يقول لها .. ولا تقي » .
(٤) قال ابن تغري بردي (١٨٩/١) : « وما أورده الصفدي هو الرديء من شعره فله أحسن من ذلك » . ثم قال : « قلت : وديوان شعره مشهور ، وهو في غاية الظرف والرقة ، وكان سريع البديهة » ، (١٩١/١) .

الألقاب والنعوت

☆ **الإبراهيمي** : الأمير سيف الدين بلبان الإبراهيمي . توفي بحماة .

☆ **الأمير حسام الدين لاجين** : أمير خازندار . توفي بالقاهرة .

☆ **الأمير علاء الدين طيبغا الإبراهيمي** : توفي بصفد .

☆ **الأبلوج** : الواعظ محمد بن عمر .

☆ **الأبرقوهي** : الشيخ شهاب الدين المسند أحمد بن إسحاق .

☆ **ابن الأثير** : عماد الدين إسماعيل بن أحمد ، وشمس الدين سعيد بن محمد ، وحفيده شمس الدين سعيد بن محمد ، والقاضي علاء الدين علي بن أحمد ، وكمال الدين محمد بن إسماعيل ، وتقي الدين يحيى بن عبد الرحيم ، وابن الأثير الواعظ ، شمس الدين الحسين بن أسد . وابن الأثير الأرمنتي ، علي بن عبد الرحيم .

٦٥ ـ أحمد بن إبراهيم*

ابن عبد الضيف بن مصعب الصدر نور الدين أبو العباس الخزرجي الدمشقي .

قرأ القرآن على السَّخاوي ، وروى الحديث عن التقي اليَلْدَاني ، وكان نحوياً لغوياً أديباً ، له فضائل وعَمَلٌ واشتغال ، وكان من أرباب الأموال .

كان فيه رئاسة وحِشْمَة ، وله في المكارم عَزْمَة وهِمّة ، وعنده قوة نفس وزَعَارة[1] ، وشمم سرى فيه من نَفَس الوزارة ، وله أدب وقريض ، وفضل عريض .

---

* الوافي : ٢٢١/٦ ، وتالي وفيات الأعيان : ٢٨ .

(١) أي : شراسة .

لم يزل في حاله ، على صحته وانتحاله ، إلى أن هانتْ من ابن مصعب حياته ، وتسلطت عليه من ثمرة الموت جُناته[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

ومن شعره ما كتبه في كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال :

وكنا عهدنا أرض جلّق رَوْضَة ... بها الحُسْن يَجْري مُطْلقا في عنانه
خشينا بها عين الكمال تُصيبها ... فما زال حتى ساءها بلسانه

٦٦ ـ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن*

الشيخ القدْوَة عماد الدين بن العارف الواسطي الشافعي الصوفي نزيل دمشق .

لقي المشايخ وتَعَبَّد ، وترك الرئاسة وتزهّد ، وقطَعَ العلائق وتجرّد ، وكتب المنسوب حتى أخْمَل الحدائق ، وأتى في طرسه بكل سطر على العقد فائق .

وكان يرتزق بنَسْخه ، ويتبلّغ منه بصَيدِ فَخّه ، ولا يحبّ الخوانق ، ولا الاحتجاز ولو في دانق .

وتفقه للشافعي ، ونظر في (الروضة)[٢] والرافعي[٣] ، وكان عنده أدب يتحلّى بقلائده وتتجلّى محاسنه في فرائده ، واختصر (دلائل النبوة)[٤] ، و (السيرة لابن

(١) (أ) : على ثمرة من الموت جناته .

* الوافي : ٢٢١/٦ ، وفوات الوفيات : ٥٦/١ ، والدرر : ٩١/١ ، والشذرات ٢٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٢١٠/١ ، وفيها جميعاً : شيخ الحزاميّة .

(٢) الروضة في الفروع للإمام النووي (ت٦٧٦هـ) .

(٣) في شرحه على الوجيز للغزالي .

(٤) لعلّه للبيهقي ، ولم يشر صاحب الكشف إلى هذا الشرح ، الكشف : ٧٦٠/١ .

إسحاق) مع القدرة والقوّة ، وتسلّك به جماعة ، وألف الضراعة من الرضاعة ، ونابذَ الاتحادية[١] وأرباب المعقول ، وقال فيهم ما أحبّ أن يقول[٢] .

عاش بضعاً وسبعين سنة ، وعينه من الانقطاع عن الدنيا وَسِنة ، ولم يزل على حاله إلى أن الْتَقمته الأرض ، وأودعته بطْنَها إلى يوم العَرْض .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى عشرة وسبع مئة بالبيمارستان الصغير .

ومولده في سنة سبع وخمسين وست مئة بواسط ، ومن شعره ...[٣] .

٦٧ ـ أحمد بن إبراهيم*

ابن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن عاصم .

الإمام العلاّمة المقرئ المحدّث النحوي الحافظ الْمُنْشئ ، عالم الأندلس .

طلب العلم في صغره ، وتلا بالسبع على الشيخ علي بن محمد الشاري[٤] ، صاحب ابن عبيد الله الحَجَري[٥] ، وعَلَى إسماعيل بن يحي الأزدي العطار[٦] صاحب ابن حَسْنُون[٧] .

---

(١) عقيدة لبعض المتصوفة .

(٢) « أن يقول » : مطموس في الأصل .

(٣) كذا بياض في الأصل و (أ) .

* الوافي : ١٢٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٢١٢/١ ، والدرر : ٨٤/١ .

(٤) (أ) : « الساري » ، تحريف ، والشاري هو الإمام الحافظ المقرئ المحدث علي بن محمد (ت٦٤٩هـ) ، والسير : ٢٧٥/٢٣ ، وغاية النهاية : ٥٧٤/١ .

(٥) الشذرات : ٢٨٩/٥ .

(٦) (ت٦٦٨هـ) ، غاية النهاية : ١٧٠/١ .

(٧) محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسنون الحميري الأندلسي مقرئ مشهور (ت٦٠٤هـ) ، غاية النهاية : ٢٤١/٢ .

وسمع من سعد بن محمد الحفار[١] ، ويحيى بن أبي الغُصن ، وإسحاق بن إبراهيم بن عامر[٢] الطَّوْسي - بفتح الطاء - ، ومحمد بن عبد الرحمن بن جوير[٣] البَلنسي ، وإبراهيم بن محمد الكَمَّاد[٤] ، والوزير عبد الرحيم[٥] بن عبد المنعم بن الغرس ، وأحمد بن محمد السّراج[٦] ، والمؤرخ أحمد بن يوسف بن فرتون[٧] ، ومحمد بن أحمد بن خليل السكوني الكاتب[٨] ، والقاضي محمد بن عبد الله[٩] الأزدي ، والقاضي يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن بن الْمُرابط[١٠] ، والحافظ ا أبي يعقوب المحسَّايُ ، وطائفة سواهم .

قال لي العلاّمة شيخنا أثير الدين رحمه الله : كان يحرر اللغة ، ويعلمني المنطق ، يعني النطق بها . وكان أفصح عالم رأيته ، وأشْفَعَه على خلق الله تعالى .

وقال الشيخ شمس الدين الذهبي فيما أخبرني به : من مسموعاته (السُنَن الكبير) للنَّسَائي سمعه من أبي الحسن الشاري بسماعه من أبي محمد بن عبد الله الحجري عن أبي جعفر البطروجي[١١] سماعاً متصلاً بينه وبين المصنف ستة ، وعني بالحديث عناية

(١) لم يذكره صاحب المنهل الصافي . كما لم يذكره ابن أبي الغصن .

(٢) (أ) : « ابن أبي عامر » . وهو متوفى سنة (٦٥٠هـ) . غاية النهاية : ١٥٥/١ ، وقيل (٦٥٥هـ) .

(٣) في الأصل ، والوافي (جرير) ، وهو تحريف وأثبتنا ما في أ ، والمنهل . وهو متوفى سنة (٦٥٥هـ) ، كما في النهاية : ١٦٠/٢ ، وفي المنهل : « جوير ، بجيم مشبوبة بشين » .

(٤) في الأصل : « الكباد » ، وفي أ : « العماد » ، تحريف ، وقد ترجم له الصفدي في الوافي : ١٢٠/٦ ، ووفاته سنة (٦٦٣هـ) .

(٥) في الأصل : « عبد الرحيم » والصواب ما أثبتناه ، كما في البغية : ٨٣/٢ ، والمنهل : ٢١٣/١ ، ومن مصنفاته : غريب القرآن . (ت٦٦٣هـ) .

(٦) الأنصاري الأشبيلي المحدث (ت٦٥٧هـ) ، غاية النهاية : ١٠٢/١ .

(٧) له الذيل على الصلة والاستدراك والإتمام (ت٦٦٠هـ) ، الأعلام للزركلي : ٢٧٤/١ .

(٨) (ت٦٤٦هـ) ، الوافي : ١٢٠/٢ .

(٩) في الوافي : عبيد الله ، وفي المنهل : « أبي عبد الله محمد بن عبيد الله الأزدي » .

(١٠) في الوافي : « عبد الرحمن المرابط » . وهو متوفى سنة (٦٥٨هـ) .

(١١) في الأصل : « البطروخي » ، تصحيف ، وهو : أحمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٥٤٢) ، السير : ١١٦/٢٠ .

تامة ، ونظر في الرجال ، وفهم وأتقن ، وجمع وألّف . أخذ عنه أبو حيّان وأبو القاسم محمد بن سهل الوزير ، وأبو عبد الله محمد بن القاسم بن رمّان ، والزاهد أبو عمرو ابن المرابط[١] وأبو القاسم بن عمران السبتي[٢] انتهى .

قلت : كان المذكور علاّمة عصره ، وفريدَ دهره ، ووحيد قُطره . هو في القراءات عالمها الدَّرِب ، وبَحْرَها الذي يبعث دَرَّة للمغترب .

وفي الحديث حافِظه ، وجامعه إذا رأى غيره وهو لافظه .

وفي أسماء[٣] الرجال جهبذها الناقد والساهر في شأنها وطرف النجم راقد .

وفي التاريخ قيمّ هذا الفن ، وقانص ماسنح منه وماعنّ . جمع تاريخاً ذيّل به على ابن بشكوال في (الصّلة) ، وجعل النسخة بذلك إلى زمانه مُتّصلة .

وفي النحو فريد فنونه المتشعبة ، وأفانينه المتلعبة ، نظر فيه ودقّق ، وبحث وحقق ، وحذف كثيرا من الفُضول ومزّق ، وغاظ قلوب مناظريه وحَرّق[٤] .

وله مشاركة في أصولي الفقه والدين[٥] ، وقوة نظريّة فَتّتْ في عَضُد الملحدين .

وكان صبّاراً على مِحَنِه ، واقفاً على أطلال الجَلَد ودمَنِه ، يضحك تبسُّماً ، ويشارك أصحابه في الخير مُقَسّماً ، وعنده ورع زائد ، وله[٦] عقل إلى الصواب قائد . ارتحل

---

(١) في المنهل : « والزاهد أبو عمر ، وابن المرابط » ، وهو سهو . وهو محمد بن عنان بن يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن الغرناطي أبو عمرو بن أبي عمرو ، توفي (٧٥٢هـ) .

(٢) في الأصل : « عمر بن السبتي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) (أ) : « وخاط قلوب مناظريه وخرّق » .

(٥) (أ) : « في الفقه وأصول الدين » .

(٦) ليست في (أ) .

الناس إليه لاتساعه في العلوم ، ومدّ باعه في المعارف التي مَنْ شبَّهَهُ فيها بالبحر فهو غير مَلُوم .

ولم يزل على هذه الطريقة المثلى ، وحقيقته الفضلى[١] ؛ إلى أن راح لِـ « كان »[٢] خَبَراً ، وشارك قوماً على البلى صبراً .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة . وقيل : في شهر رمضان سنة سبع وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وعشرين وست مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا أبو حيان رحمه الله تعالى من قصيدة يشير إليه فيها :

جَزَى الله عَنّا شيخَنا وإمامَنا ... وأستاذنا البحر الذي عم فائِده[٣]
لقد أطلعت جَيّان أوْحَد عصره ... فللْغَرْب فخر أعْجَز الشرقَ خالده
مؤرخه ، نَحْوِيّه ، وإمامه ، ... محدّثه جلّت وصحت مَسَانده
إذا جاهلٌ يغشاه فَهْوَ مفيده ... وإن آملٌ يعشو إليه فرافده[٤]

٦٨ ـ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن راجح*

الإمام نجم الدين ابن الشيخ عماد الدين ابن القاضي نجم الدين بن الشهاب المقدسي الحنبلي ، سبط الشيخ شمس الدين بن أبي عمر .

---

(١) قوله : وحقيقته الفضلى ، ليست في (أ) .
(٢) (أ) : « فكان » .
(٣) (أ) : « الحبر » .
(٤) (أ) : « فوائده » .
* الوافي : ٢٢٣/٦ ، والدرر : ٨١/١ .

تفقّه واشتغل ، ودأب ولكن ما أتم العمل ، وحَصَل له جنون ، وانخراط بلا عقلٍ في فُنون ، وكان يقف في الطرق ، وينشد أشياء مفيدة ، ويحكي أشياء قديمة وجديدة ، ويخلط الجدّ بالهَزْل ، ويساوي بانحرافه بين الولاية والعزل ، وينبسط على الْمُرْد الذين ما تَدَبَّجَتَ خدودهم ، ولا تسيجّت بآس العذار ورودهم ، ويشحَذ في كفّه ويحطّ في فكّه ، ويجوز زغل دينارِه على من يجهله[١] من غير حَكّه .

وكان له تلاميذه وَرِبُون[٢]، وحربه زبون[٣] ، ثم إنه يثوب إليه عَقْلُه ، ويجلو سَيْفَه من صَدَإِ[٤] به صَقْلُه ، فعل ذلك مرات ، واعتمده كرّات .

ولم يزل على ذلك إلى أن خنقته يد منونه ، في وسَط جنونه ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة عشر وسبع مئة .

ومولده في نحو ستين وست مئة .

وهو أخو المفتي شمس الدين الحنبلي نزيل مصر . قال الشيخ شمس الدين : كان يأكل الحشيشة .

٦٩ ـ أحمد بن إبراهيم بن صارو*

شهاب الدين أبو العباس البعلبكي ، نزيل حماة .

طلب الحديث في الكبر ، وسمع من المِزّي[٥] ، وزينب[٦] ، وأبي العباس

---

(١) (أ) : « يجوز على دينارِه على من يجهله » .

(٢) من المواربة ، وهي المداهاة والمخاتلة .

(٣) الحرب الزبون : هي التي يدفع بعضها بعضاً كثرة .

(٤) في الأصل و (أ) : « صدأته » ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى السياق .

* الدرر : ٩٠/١ .

(٥) يوسف بن عبد الرحمن ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) هي زينب بنت الكمال (ت ٧٤٠هـ) ، ذيل العبر ٢١٣ ، الدرر ١١٧/٢ ، والشذرات ١٢٦/٦ .

الجزري[١] ، وعدّة . وتلا بالسبع على الجَعْبري[٢] .

كان له ذوق في العلم ، وطوق تحلّى به من الحلم[٣] ، وله شعر يُظن أنه سحر . نزل بحماة . وجعلها بعد بعلبك حماه .

ولم يزل يتقلّب مع دهره ، ويتبرّض بحلوه ومرّه[٤] ، إلى أن حلّ به الموت ، ونزل به الفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وسبع مئة بحماة .

ومولده سنة عشر وسبع مئة .

ومن شعره : ...[٥]

٧٠ ـ أحمد بن إبراهيم*

ابن عبد الغني شمس الدين قاضي القضاة الحنفي بالديار المصريّة ، المعروف بالسَّروجي .

كان فاضلاً في المذهب ، يُغير ذِهْنُه على المعضلات وينهب ، والعُدُول يلتفعون[٦] به ، ويتمسكون بِسَببه ، عَدَّل جماعَة ، وأغناهم عن المجاعة . ولم يُسمع أنه ارتشى ،

---

(١) أحمد بن يحيى بن محمد (ت٧٢٨) ، الشذرات : ٨٦/٦ .

(٢) إبراهيم بن عمر الجعبري المقرئ (ت٧٣٢هـ) ، الدرر : ٠/١ ، والشذرات : ٩٧/١ .

(٣) (أ) ، (خ) : « في الحلم » .

(٤) (أ) ، (خ) : « ومرّه » .

(٥) كذا بياض في الأصل .

* تالي وفيات الآعيان : ٨ ، والبداية والنهاية : ٦٠/١٤ ، والدرر : ٩١/١ ، والمنهل الصافي : ٢٠١/١ ، وأعلام الزركلي : ٨٦/١ .

(٦) في (أ) : « ينتفعون » .

ولا راقب جاها[١] ولا اختشى ، ذا همة وافرة ، وكلمة على الحق مُتَضافرة ، لـه مشاركة جيدة في النحو والتصريف ، يطرز بها دُرُوسَهْ ، ويُجَلِّي بها في المحافل عروسه[٢] .

شرح (الهداية) في مذهبه شرحا كبيراً[٣] ، وحشاها من الفوائد[٤] لؤلؤاً نثيراً ، ولكن ما كمّله ، ولا غشّاه بالتتمة ولا زمّله ، وكان فيه سماحة ، وميل إلى الجود ورجاحة .

دَرَّس بالصالحية[٥] ، والناصرية[٦] ، والسيوفية[٧] ، والأركسية ، والجامع الطولوني ، وعزل غير مرة بالقاضي حسام الدين[٨] وأعيد ، وزان بذلك صناعة الترديد ، ولم يزل حاكما إلى أن عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ، فعزله لما في نفسه من القضاة ، وأظهر لذلك عذراً ، وإنما كان قد أسرّ أمراً في نفسه وقضاه ، فتألم السَّروجي ، وبات[٩] بليل من الهم دَجُوجيّ ، وأظهر القناعة بتدريس الصالحية والإقامة فيها ، ومنّى النفس بالعودة[١٠] ، وتلا آيات تلافيها ، فأخرجه ابن

---

(١) في الأصل : « جاهلاً » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) قوله : « يطرّز بها ... عروسه » ليس في (أ) .

(٣) سمّاه الغاية ، وهو في مجلدات ، ولم يكمله ، وكمّله القاضي سعد الدين محمد الديري (ت٨٦٧هـ) ، الكشف : ٢٠٣٣/٢ .

(٤) (أ) : « الفرائد » .

(٥) الصالحية في القاهرة ، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤١هـ) ، النجوم : ٣٤١/٦ .

(٦) الناصرية في القاهرة بجوار قبة الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب ، خطط المقريزي : ٤٠٠/٢ .

(٧) المدرسة السيوفية في القاهرة ، أوقفها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة (٥٧٢هـ) ، وهي أول مدرسة أوقفت على الحنفية بمصر ، (حاشية المنهل ٢٠٥/١) .

(٨) أحمد بن الحسن الرازي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٩) (أ) : « ونام » .

(١٠) (أ) : « بالعَوْد » .

الحريري منها بالنُّقباء ، وأشمَتَ به قلوب الحسدة والرقباء ، فزاد به الألم ، ومرض فجف من حياته ريق القلم .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة[١] .

٧١ ـ أحمد بن إبراهيم الخطيب شهاب الدين السنجاري*

[خطَب][٢] بكفر مَدْيَرا .

سمع بمصر وبالثغر من أصحاب السِّبط ، وحصّل من ذلك درر السِّمط ، وسمع بدمشق أشياء ، وأدرك بذلك منزلة علياء . وله نظم جَوَّده ، وفَضْل تعوّده .

لم يزل على حاله إلى أن ذوى عوده ، وتقلصت من الحياة بروده .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في سن الكهولة .

ومن شعره ...[٣]

٧٢ ـ أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء**

الإمام المقرئ النحويّ ، المفيد البارع ، الخطيب شرف الدين أبو العباس الفزاري الصعيدي الدمشقي الشافعي خطيب الجامع الأموي بدمشق .

---

(١) في المنهل : « مولده بثونة : بليدة من عمل سروج في سنة سبع ، وقيل : تسع وثلاثين وست مئة » .

* الدرر : ٨١/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) بياض في الأصول .

** تالي وفيات الأعيان : ١٠ ، والدرر : ٨٩/١ ، وغاية النهاية : ٣٣/١ ، والبغية : ٢٩٢/١ ، والشذرات : ١١/٦ ، والبداية والنهاية : ٣٩/١٤ ، وعقد الجمان ٤١٣/٤ ، وفيات (٧٠٥ هـ) .

تلا القرآن بثلاث روايات على السخاوي ، وسمع منه كثيراً ، وتلا بالسبع على غير واحد .

وأحكم العربية على مجد الدين الإربلي[١] ، قرأ عليه (المفصَّل) .

وسمع من عتيق السلماني[٢] ، والتاج القرطبي[٣] ، ونجم الأمناء عبد الرحمن ، وابن الصلاح[٤] ، وطائفة . ثم طلب الحديث بعد سنة ستين وست مئة ، وأكثر عن ابن عبد الدايم والكرماني[٥] وابن أبي اليسر ، وقرأ الكتب الكبار ، وقرأ المسند على شيخ الشيوخ ، وحدّث بالصحيح بإجازته من ابن الزَّبيدي[٦] .

وولي مشيخة الرباط الناصري[٧] ، ومشيخة التربة العادلية[٨] مدة .

وولي خطابة الجامع بالشاغور[٩] ، ثم نقل إلى خطابة الأموي ، وكان قرأ على الكراسي ، وحدّث (بالسنن الكبير) للبيهقي ، وسمع (شرح الشاطبية) من السخاوي .

وقرأ عليه العربية الشيخ برهان الدين ابن أخيه ، والشيخ كمال الدين ابن شُهْبَة ،

---

(١) أبو عبد الله الحسين إبراهيم اللغوي (ت ٦٥٦) ، السير : ٣٥٤/٢٣ ، والوافي : ٣١٨/١٢ .

(٢) عتيق بن أبي الفضل السلماني المقرئ (ت ٦٤٣ هـ) ، العبر : ١٧٧/٥ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي القرطبي (ت ٦٤٣ هـ) ، العبر : ١٧٩/٥ .

(٤) عثمان بن عبد الرحمن ، أبو عمرو (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٤٠/٢٣ .

(٥) بدر الدين عمر بن محمد (ت ٦٧٩) ، العبر : ٢٨٩/٥ .

(٦) سراج الدين ، أبو عبد الله الحسين بن المبارك (ت ٦٣١) ، السير : ٣٥٨/٢٢ .

(٧) بسفح جبل قاسيون ، داخل دار الحديث الناصرية ، الدارس : ١٩٣/٢ .

(٨) وتعرف بالتربة العادلية البَرانية ، غربي دار الحديث الناصرية البرانية بدمشق ، الدارس : ٢٦٠/٢ .

(٩) من أحياء دمشق إلى اليوم ، إلى الجنوب من المسجد الأموي .

والشيخ نجم الدين القَحْفَازي[١] . وتلا عليه الشيخ بدر الدين بن بُصْخَان[٢] والشيخ محمد بدر الدين البالسي[٣] .

وكان مليح القراءة ، ظاهر الوضاءة ، عذب العبارة ، لطيف الإشارة ، حَسَن النَغْمة ، يعد الناس سماعه نِعْمَة ، سريع السرد ، يَشهد له الذوق أنه في فنّه فَرْد ، محرّر الألفاظ مجوّدها ، معلّى قَدْر الخطابة مُسوَّدها ، عديم اللحن والتحريف ، بصيراً بالنحو والتصريف. تخرّج به جماعة صاروا بعده أشياخاً ، وكانوا وهو في فريضته فراخاً ، وله في التواضع أخبار ، وفي الأسماع منه أسمار ، مع التودد المفرط ، والكَيَس والدّعابة ، والخشوع والزهد والإنابة ، وصِدْق اللهجة والمروءة التي يسمح فيها ببذل المهجة . ولم يزل على هذه السبيل المرضيّة إلى أن انجزم فِعْلُه ، وانصرم فضله .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة خمس وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة[٤] .

وكان قد باشر مشيخة دار الحديث الظاهرية في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبع مئة عوضاً عن الشيخ شرف الدين الناسخ[٥] .

٧٣ ـ أحمد بن إبراهيم*

ابن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز ، الفقيه الفاضل شهاب الدين بن محمد[٦] الجزري الشافعي .

---

(١) علي بن داود ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) محمد بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) عمر بن محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) (أ) : « ثلاث وست مئة » .

(٥) هو عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا (ت٧٠٢هـ) . وستأتي ترجمته .

* لم نقف على ترجمة له ، وخلَتْ من ترجمته (خ) .

(٦) (أ) : « ابن مجد الدين » .

حصل تحصيلاً جيداً ، ولم يكمل الثلاثين سنة . وأكثر من المحفوظات في الفقه والأصلين والنحو وغير ذلك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمع بقراءتي كثيراً من الحديث ، وكان يحفظ أسماء مسموعاته وشيوخه ، ويذاكرني بها .

توفي رحمه الله تعالى في شهر المحرم سنة سبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة سبعين وست مئة .

٧٤ ـ أحمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد*

الشيخ شهاب الدين الجَعْبَري .

توفي ليلة الجمعة خامس جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبع مئة . وصلّي عليه بجامع الحاكم بالقاهرة ، ودفن عند قبر والده ظاهر باب النصر .

٧٥ ـ أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف**

القاضي الإمام العالم الفاضل جمال الدين أبو العباس العثماني الدِّيْبَاجي المَلَّوِي المعروف بالمنفلوطي .

كان رجلاً مباركاً صالحاً خيراً . اشتغل وحصّل ، ولازم الطريقة الحميدة ، وحج وجاورَ ، وَلَمّا قدم الشيخ علاء الدين القُوْنَوي[1] إلى دمشق قاضي القضاة ، قدم معه ، فولاّه قضاء بعلبك ، فأحسن السيرة في أهلها ، فأحبّوه ورأوا من عفافة وأمانته وديانته وصيانته مالم يروه من حكم قبله ، ثم إنه نقله إلى نيابة الحكم بدمشق ، فباشرها إلى أن

* الدرر : ٩٦/١ .

** الدرر : ٩٧/١ ، وطبقات السبكي : ٧/٩ .

(١) علي بن محمود ، وستأتي ترجمته .

توفي ، واستمر به قاضي القضاة علم الدين الإخنائي[١] ، فباشر ذلك أياماً يسيرة ومات . وباشر أيضاً إعادة[٢] الشامية البرانية ، وجلس بالجامع الأموي للإشغال، وسمع (صحيح) البخاري على الحَجّار[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر جمادى الأولى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة ، ودفن بالصوفية .

٧٦ ـ أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم بن شداد*

الشيخ الفقيه الإمام المقرئ ضياء الدين أبو الفضل ابن الشيخ الإمام الزاهد الورع شيخ القراء برهان الدين الإسكندري الشافعي إمام مشهد أبي بكر بجامع دمشق .

سمع من ابن عبد الدايم جميع (صحيح مسلم) حضوراً في الرابعة ، سنة ست وستين وست مئة ، ورواه عنه ، وسمع من ابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، والقاضي ابن عطاء[٤] ، وابن النُشَّبي ، وابن البن[٥] ، والكمال ابن فارس[٦] ، وطاهر الكحال[٧] ، والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر ، وابن البخاري[٨] ، وجماعة ، وله ثبت وإجازات . كان يجلس مع الشهود .

---

(١) محمد بن أبي بكر الإخنائي (ت ٧٣٢) ، وستأتي ترجمته .

(٢) ليست في (أ) . والمدرسة الشامية البرانية بدمشق ، أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب المتوفاة (٦١٦ هـ) ، الدارس ٢٠٨/١ .

(٣) أحمد بن نعمة بن حسن ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٩٥/١ .

(٤) أحمد بن محمد، وستأتي ترجمته .

(٥) لم نقف على ترجمته ، ولعلّه ابن النن ، انظر الشذرات : ٣٦٤/٥ .

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد (ت ٦٧٦) ، العبر : ٣٠٧/٥ .

(٧) (ت ٦٧٦ هـ) .

(٨) هو علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحي (ت ٦٩٠ هـ) .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رافقته في الحج ، وقرأت عليه بعدّة أماكن .

وتوفي رحمه الله تعالى تاسع عشري شعبان سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

مولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

٧٧ ـ أحمد بن أحمد بن محمد بن عثمان*

الشيخ موفق الدين بن تاج [الدين][١] السعدي الشارعي .

سمع من جد والده جمالِ الدين أبي عمرو عثمان[٢] ، وهو آخر من حدّث عن جدّ أبيه بالسماع .

أخذ عنه الوانى[٣] وابْنُه ، وأقضى القضاة أبو الفتح السبكي[٤] ، وشمس الدين السروجي[٥] ، والشيخ تقي الدين بن رافع[٦] ، وشهابُ الدين أحمد بن أيْبَك الدمياطي[٧] ، وسعد الدين الدِّهْلي[٨] . لحقه بآخر رَمَق . وله سماع من ابن البرهان[٩] أيضاً ، لم يزل يُسْمِعُ الطلبة عليه ، ويجلس في دست المشيخة ، وهم بين يديه . إلى أن وافاه أجله ، وما أمهله أمَلُه ، وقد[١٠] أجاز لي .

---

* الوافي : ٢٣٣/٦ ، والدرر : ١٠١/١ ، والشذرات : ١٢٠/٦ .

(١) زيادة من (أ) والوافي .

(٢) ويعرف بابن أبي الحرم السعدي المصري الشارعي الواعظ (ت٦٥٩) ، السير ٣٥١/٢٣ ، والعبر : ٢٥٤/٥ .

(٣) في (أ) : « الفراتي » ، تحريف ، والواني هو علي بن عمر (ت ٧٢٧) ، الدرر : ٩٠/٣ .

(٤) محمد بن عبد اللطيف ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) أحمد بن إبراهيم ، سلفت ترجمته .

(٦) صاحب الوفيات (ت ٧٧٤هـ) .

(٧) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٩) محمد بن إبراهيم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(١٠) (أ) : « وقد كان » .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

٧٨ ـ أحمد بن أحمد بن عطاء*

القاضي شهاب الدين الأُذْرَعيّ الحنفي وزَيرُ الشام .

حضر والده الحاج أحمد إلى دمشق ، وأقام بجبل قاسيون ، ونشأ ولده هذا بدمشق ، وكتب للأمير بدر الدين بَيْلَبَك الجاشنكير الحلبي[١] في دولة الظاهر . وحَنَا الأمير المذكور عليه ، لأنه ماهر . ثم إن الأمير قَطع خُبْزَه ؛ لأنه ظهر عَجْزُه ، ورُمِيَ بالبَرَص . وقيل إن البعد منه يُفترص ، فلازم شهابُ الدين المذكور باب الأمير بدر الدين المسعودي نائب الأمير حسام الدين طرنطاي[٢] ، فرتبه لمهات الأمير زين الدين كتبغا[٣] . فخدمه ، ونال بخدمته ما أمّل وابتغى ، فضمن له وابتاع ، وارتاع بعض الناس منه والتاع ، ولّما تَوَلّى كتبغا النيابة بمصر كان شهاب الدين ناظرَ ديوانِ النيابة بالشام ، وأضيفت إليه الحِسْبة مع ذلك النظام ، فشرع في المشترى والعمائر ، وأدار على الناس بذلك الدوائر ، وفي ضمن ذلك اشترى كثيراً لنفسه ، وتعدَّى بذلك طَوْرَ أبناء جنسه ، فلّما تملك كتبغا ، وحضر إلى دمشق سنة خمس وتسعين وست مئة ، والصاحب فخر الدين ابن الخليلي[٤] معه ، رتب شهابَ الدين المذكور في الشام وزيراً ، وقَدَّمَ على من كان كبيراً أو صغيراً ، فاقترح أن يكون الْمَشدَّ معه فتح الدين ابن صَبْرة[٥] ، ولم يرض بشمس الدين الأعسر[٦] رفيقاً ، وقال : هذا ثَبَتت خيانته فما

---

* تالي وفيات الأعيان : ٣١ ، والدرر : ١٠٠/١ .

(١) (ت ٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٣٥١/٥ .

(٢) طرنطاي بن عبد الله العادلي (ت ٧٣١ هـ) ، والدرر : ٢١٧/٢ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) ستأتي ترجمته في موضعها .

يسلك معي طريقاً ، فباشر الوزارة أياماً قلائل ، وظهرت لحموله دلائل . ولما خُلع كتبغا وهرب إلى دمشق وأقام بالقلعة ، وانفصل الحال ، وجُهّز إلى صرخد ، ولم يكن له إلى غيرها في ذلك الوقت منَفْد ، تولّى الأعسر الشدّ ، وصار الأمر له في الإعطاء والمنع ، والقبول والردّ ، فلم[١] يُقابل شهاب الدين إلاّ بالخير ، ولم يَلْحَقْه منه ضيم ولا ضير[٢] ، مع زيادة الإحسان والفضل باليد واللسان .

ولما نقل كتبغا إلى حماة توجّه[٣] شهاب الدين إليها ، ونزل بجملته عليها . ولما مات كتبغا التحق بالأمير جمال الدين الأفْرم[٤] ، وأحرق نفسه في خدمته وأراه أنه من غيره أقْدَرُ وأصرم ، وأشار عليه بعمارة الجامع الذي بالجبل ، وتولى من عمارته ما لا له به قِبَل .

ثم إنه مرض بالفالج ، وغلب في أمره الطبيب والمعالج ، إلى أن خطفته[٥] عُقَاب المنايا ، وطأطأ في القبر لتلك الحنايا ، وفرق[٦] ما حصّله ، ولم يلتئم شمل ما أَجْمَلَهُ[٧] وفَضَّله .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة .

٧٩ ـ أحمد بن أحمد بن الحسين*

ابن موسى بن موسك بن جكو ، الشيخ المحدث شهابُ الدين الهكاري .

(١) في الأصل : « لم » ، ولا يستقيم المعنى إلاّ بالعاطف .
(٢) قوله : « فلم يقابل ... ولا ضير » ، ليس في (أ) .
(٣) (أ) : « وتوجّه » .
(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٥) (أ) : « اختطفته » .
(٦) (أ) : « وتمزق » .
(٧) في الأصل : « فصله » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* ابن رافع : ٢٩٠/١ ، والنجوم : ٢٤٨/١ ، والدرر : ٩٨/١ ، وغاية النهاية : ٣٧/١ ، والسلوك :=

كان شيخ الإقراء بمدرسة المنصور[١] بالقاهرة ، ونال بذلك النجومَ الزاهرة ، ونزل له قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي[٢] عن مشيخة الحديث بالمنصورية فباشرها ، وحاش الفوائد للطلبة وحاشرها .

أخبرني الشيخ تقي الدين بن رافع أنه كتب (الكتب الستة) ، و (طبقات ابن سعد) . وكثيراً من أجزاء الحديث ، وعلّق منها ما هو قديم ، وما هو حديث .

ولم يزل على حاله إلى أن عَلِق به مخلب الحِمَام ، ونقل شهابه إلى الكسوف بعد التمام[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشر جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة بالقاهرة . وتوفي عن ست وسبعين سنة .

٨٠ ـ أحمد بن إدريس بن محمد بن مُفَرِّج بن مُزَيز*

الشيخ الإمام الفاضل الرئيس المعمَّر تاج الدين أبو العباس بن تقي الدين الحموي الشافعي الكاتب .

سمّعه أبوه حضوراً سنة ست وأربعين وست مئة من صَفيّة بنت عبد الوهاب القرشية[٤] . وارتحل به وسمّعه من مكي بن علاّن ، ومحمد بن عبد الهادي ، واليَلْدَاني ،

= ٨١١/٣/٢ . والظاهر أنّ ابن الجزري قد خلط بين ترجمته وترجمة ابنه .

(١) المدرسة المنصورية بالقاهرة أنشأها السلطان الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٣هـ) .

(٢) عبد الله بن محمد قاضي القضاة بالديار المصرية (ت٧٦٩) ، والشذرات : ٢١٥/٦ .

(٣) في الأصل : « بعد الكسوف إلى التام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

* الوافي : ٢٣٤/٦ ، والدرر : ١٠٢/١ ، والشذرات : ٠٤/٦ .

(٤) أم حمزة الأسدية الزبيرية الدمشقية (ت٦٤٦هـ) ، والسير : ٢٧٠/٢٣ .

والشرف الإربلي[١] ،والبكري[٢] ، واليونيني[٣] . وسمع ببلده من شيخ الشيوخ[٤] ، وبمصر من أصحاب البوصيري .

وأجاز له من بغداد إبراهيم بن الخيرّ[٥] ، وابن العُلَّيق ، ويحيى بن قُميَّرة ، وأخوه أحمد .

وقرأ عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية وعلى أبيه جزءاً في سنة ثمانين ، وحدّث بأشياء تفرّد بها . ورحل إليه الناس بسببها .

وكان ديِّناً ، رئيساً وقوراً صيّناً . ذُكر مرة لوزارة حماة ، ولو أراد لبلغ من المنصب منتهاه ، وكتب أبوه الخط الفائق ، وطريقه[٦] فيه أحسن الطرائق . مليح الوضع والترتيب ، جيّد الضبط للمشكل والغريب ، وقد رأيت بخطه أشياء كباراً ، مثل (صحاح الجوهري) ، و (الروض الأنف) ، وربما كتبها مراراً .

ولم يزل على حاله إلى أن ذاق ابن مُزَيْز من الموت طعم العلقم ، وجرّعه الرَّدى سُمَّ الأرقم .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

---

(١) الحسين بن إبراهيم (ت٦٥٦هـ) ، والسير : ٣٥٤/٢٣ .

(٢) الحسن بن محمد (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٣ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها ، وهو علي بن محمد بن أحمد (ت٧٠١هـ) .

(٤) هو شرف الدين الأنصاري .

(٥) إبراهيم بن محمود (ت٦٤٨هـ) ، السير : ٢٣٥/٢٣ .

(٦) (أ) : « وطريقته » .

٨١ ـ أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد*

الشيخ الإمام المقرئ الصّالح المحدّث مسند العصر شهاب الدين أبو المعالي بن القاضي رفيع الدين قاضي أَبَرْقُوه[١] الهَمَداني المصري القَرَافي[٢] الشافعي الصوفي .

حضر سنة سَبْعَ عَشْرةَ على عبد السلام السَّرقولي . وسمع في الخامسة سنة تسع عشرة من أبي بكر بن سابور بشيراز . وسمع ببغداد من أبي الفتح بن عبد السلام وابن صرما[٣] ، ومحمد بن البيّع[٤] ، وأكمل بن أبي أزهر[٥] ، والمبارك بن أبي الجود[٦] ، وصالح بن كَوّر ، وأبي علي بن الجواليقي[٧] ، وعدة . وبالموصل[٨] من الحسين بن باز[٩] ، وبحَرّان من خطيبها فخر الدين بن تيمية ، وبدمشق من ابن أبي لقمة[١٠] ، وابن البن[١١] ، وابن صَصْرَى[١٢] ، وبالقدس من الأَوهي[١٣] ، وبمصر من

---

* الوافي : ٢٤٢/٦ ، والبداية : ٢١/١٤ ، والدرر : ١٠٢/١ ، والشذرات : ٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٣٥/١ ، وعقد الجمان : ٢٠٠/٤ وفيات (٧٠١ هـ) .

(١) أبرقوه : بلد بأرض فارس ، من كورة باصطخر بأصبهان (معجم البلدان) .

(٢) القَرَافة : خطة بالفسطاط من مصر . (معجم البلدان) .

(٣) أحمد بن يوسف (ت ٦٢١ هـ) ، السير : ١٩١/٢٢ .

(٤) (ت ٦٣٣ هـ) ، الشذرات : ١١٠/٥ .

(٥) في الوافي : « زاهر » .

(٦) (ت ٦٣٣ هـ) ، السير : ٢٦٣/٢٢ .

(٧) الحسن بن إسحاق (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(٨) في الأصل : « بالمعضل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٩) في الأصل : « ابن بان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : الوافي ، وابن باز هو : الحسين بن عمر بن باز الموصلي (ت ٦٢٢ هـ) ، السير : ٢٥٨/٢٢ .

(١٠) هو محمد بن السيد بن فارس الأنصاري الدمشقي الصفار (ت ٦٢٣ هـ) . العبر : ٩٦/٥ .

(١١) أبو محمد الحسين بن علي الدمشقي (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(١٢) الحسين بن أبي الغنائم (ت ٦٢٦ هـ) وستأتي ترجمته في موضعها . وفي (أ) : « صرصرى » .

(١٣) في الأصل : « الأوفي » ، وفي الوافي : « الأوفي » : تصحيف ، وكذا في السير : ٣٤٨/٢٢ « الإوقي » ، وفي =

أبي البركات بن الجبّاب[١] ، وسمع منه السيرة ، وله معجم كبير ، بتخريج القاضي سعد الدين الحنبلي .

حدّث عنه أبو العلاء الفَرَضي[٢] ، والمزّي ، والبِرْزالي ، وابن سَيِّد الناس ، وأبو الفتح ، والقاضيان القُوْنَوي والأَخْنائي[٣] ، وخلق[٤] ، وأكثر عنه شمس الدين الذهبي ، وخلق كثيرون .

عُمِّر فتفرّد ، وتضرج خدّ الزمان به وتورّد ، ألحق الأحفادَ بالأجداد ، ورحل الناس إليه من أقاصي البلاد . وكان مباركاً خيراً ديّناً ، وصبره على الطلبة كثير وإن لم يكن ذلك هيّناً ، كان يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم ، وأخبره أنه يموت بمكة ، وكذا كان ، فإنه حج ، وفيها فَضّ الله خاتم عمره وفكّه ، وبها فتح الموت له فاه وفكّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشري الحجة[٥] سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده بأَبَرْقُوه سنة خَمْسَ عشرة وست مئة .

= الشذرات : ١٣٥/٥ في وفيات (٦٣٠هـ) ، ما نصه : « الأُوهي بفتحتين نسبة إلى (أُوَه) ، قرية بين زنجان وهمذان ، ثم ساق ترجمة المذكور ، واسمه الحسن بن أحمد بن يوسف نزيل بيت المقدس ، وكذا وقع الأوهي في العبر : ١١٩/٥ . وذكره ياقوت في معجم البلدان (أواه) فقال : « لقيته بالبيت المقدس تاركاً للدنيا ، مقبلاً على قراءة القرآن .. وسألته عن نسبه فقال : أنا من بلد يقال له : أوه فقال لي السلفي الحافظ : ينبغي أن تزيد فيه قافاً للنسبة ، فلذلك قيل لي : الأوقي » .

(١) في الأصل والشذرات : ٩٥/٥ : ابن الحباب ، والأشبه أنه تصحيف ، وأثبتنا ما في السير : ٢٤٤/٢٢ ، والوافي ، وابن الحباب هو : عبد القوي بن القاضي الجليس أبي المعالي (ت٦٢١هـ) ، وقال الذهبي في المشتبه (٢٠٥) : كان جدّهم عبد الله يعرف بالجبّاب لجلوسه في سوق الجباب .

(٢) هو محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء البخاري الكلاباذي الفرضي . (ت٧٠٠هـ) وستأتي ترجمته .

(٣) وستأتي ترجمتهم .

(٤) ليست في (أ) .

(٥) قوله : « في عشري الحجة » ، ليس في (أ) .

٨٢ ـ أحمد بن إسماعيل بن منصور*

نجم الدين الحلبي المعروف بابن التُّبَّلي[١] وبابن الجلال .

سمع من ابن رَوَاحة[٢] ، وابن خليل[٣] ، وجماعة . ولازم السماعَ مع الدمياطي[٤] فأكثر ، وقرأ بنفسه ، وتميّز بذاك على أبناء جنسه ، وكتب الطباق ، وبَرّز في حلبة السّباق .

قرأ عليه علم الدين البرزالي جزء ابن حرب[٥] رواية العباداني ، وأجاز الذهبيّ مروياته .

ولم يزل إلى أن قضى ، وترك دنياه ومضى .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده بحلب سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

٨٣ ـ أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم**

ابن سليمان بن حمايل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم ، الفقيه العدل شهاب الدين بن عماد الدين .

---

* الوافي : ٢٥٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٤٠/١ .

(١) التُّبَّلي : نسبة إلى تَبَّل من عمل حلب . (القاموس) .

(٢) عبد الله بن الحسين (ت٦٤٦هـ) ، الشذرات : ٢٣٤/٥ .

(٣) يوسف بن خليل بن مَرّاجة ، محدّث الشام نزيل حلب (ت٦٤٨هـ) ، الشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٤) محمد بن عبد العزيز (ت٦٩٣هـ) ، العبر : ٣٧٩/٥ ، والشذرات : ٤٢٤/٥ .

(٥) هو علي بن حرب بن محمد الطائي من رجال الحديث المصنفين فيه (ت٢٦٥هـ) ، انظر : الكشف : ٥٨٨/١ ، والأعلام : ٢٧٠/٤ .

** الدرر : ١٠٤/١ .

كان أديباً فاضلاً له نظم ونثر ، وله وظائف وشهادة ، وكان خبيراً بالشروط ، مليح الكتابة ، وحجّ مرات ، وكان مؤذّناً بالجامع الأموي .

وسمع من ابن الواسطي[١] ، وحدّث عنه بطريق الحجاز .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس عشري شهر الله المحرّم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

٨٤ ـ أحمد بن أوحد*

شهاب الدين ابن الأمير شرف الدين .

كان شهاب الدين من أمراء العشرات[٢] بدمشق . لما حضر الأمير علاء الدين[٣] إلى دمشق نائباً كان منحرفاً عنه لأجل والده ، ثم إنه سعى وتدخل إلى أن رضي عليه ، وأقبل بوجهه إليه ، وولاه مدينة دمشق ، فأقام في الولاية مدّة ، قاسى[٤] الناس منه بعض شدّة ، ثم إنه عزله وولاه شدّ غزة والساحل ، فتوجه إليها وجسْمُه من فراق دمشق ناحل ، فأقام هناك إلى أن قَدم الفخري[٥] وحكم بدمشق فأحضره ، وعَزَم على إهلاكه ، ولكن الله أخّرَه ، لميله إلى المصريين على ما سيأتي فيما بعد ، فسعى في إزالة ما في خاطره منه ، واجتهد في رضاه عنه . فتم له ما أراد ، ونال[٦] المنى والمراد ، فقرَّبَه وأدناه ، وولاه نيابة بَعْلَبَكّ وأقام بها قليلاً ، وعاد إلى دمشق ولم يجد إلى غيرها سبيلاً ، فأقام بها إلى أن أجاب الداعي ، وقام به الناعي ، وكان في عينيه فتل شديد ، وله أمل في الدنيا

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

* لم نقف على ترجمته .

(٢) (أ) : « العشراوات » . وأمير عشرة : مرتبة عسكرية يكون في خدمة صاحبها عشرة فوارس . (صبح الأعشى : ١٥/٤ ، ٢٧) .

(٣) سلفت ترجمته .

(٤) (أ) ، (خ) : « ولقي » .

(٥) سيف الدين قطلوبغا الفخري الناصري ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (أ) ، (خ) : « وحصّل » .

مديد ، وكان يخبر[١] بأشياء قبل وقوعها ، فتقع وَفقَ ما قاله أو مقارِبَاً ، ولم أدْرِ من أين له علم ذلك مستقيماً موارِباً . وكان القاضي شهاب الدين بن فضل الله يتعجب من تلك الأخبار ، ويقول : هذا علم النجوم عنده قد بار .

وتوفي رحمه الله تعالى شاباً في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

٨٥ ـ أحمد بن أَيْبَك*

ابن عبد الله الحُسَامي المصري الدمياطي شهاب الدين بن عز الدين الشافعي الجُنْديّ ، عرف بابن الدمياطي نسبة إلى جده لأمّه .

سمع من الحَجَّار[٢] ، وأحمد بن عبد الرحمن[٣] بن دُرادَه ، وأبي عليّ الحسن بن عمر الكردي[٤] ، ومحمد بن أحمد بن الدَمّاغ [ومحمد][٥] بن الحسين بن رشيق ، وشَهْدَة بنت أبي الحسن بن عبد العظيم الحصيني[٦] ، ووَزيرة بنت عمر بَن أسعد بن الْمُنَجَّا[٧] في آخرين . وسمع بالإسكندرية من إبراهيم بن أحمد بن الغَرّافي[٨] وغيره ، وبدمياط من جماعة .

وكتب عَنِّي وسمع بقراءتي بالقاهرة على الشيخين أثير الدين وفتح الدين[٩]

---

(١) (أ) ، (خ) : « يخبرنا » .

* الوافي : ٢٦٠/٦ ، والدرر : ١٠٨/١ .

(٢) أحمد بن نعمة بن حسن وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) « بن عبد الرحمن » ، ليس في (أ) ، (خ) .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوفيات .

(٦) (خ) ، والوافي : « الحصنيّ » .

(٧) توفيت سنة (٧١٧هـ) . وانظر ترجمتها في المنهل الصافي : ٣٨٢/٥ .

(٨) سلفت ترجمته .

(٩) أولهما أبو حيان الأندلسي ، والثاني ابن سيّد الناس .

وحدّث وهو شابّ ، وكتب بخطه ، وقرأ بنفسه ، وحصّل الأصول والفروع ، وانتقى على الشيوخ ، وجمع مجاميع ، وأرّخ الوفيات ذيلاً على الشريف عز الدين ، وقرأ الفقه ، وحفظ (ألفية ابن مالك) ، وجَمَع مشيخة للقاضي ضياء الدين بن الخطيب[١] ، فيها أربعون حديثاً ، تكلّم على كل حديث وما يتعلق به ، وقرأها عليه ، وسمعناها منه في سنة خمس وأربعين .

ولم يزل يسمع وينتقي ، ويرتفع في الانتخاب ويرتقي ، ويَمْتاح من قليب الدواة ويستقي ، إلى أن تحدّث الناس بوفاته ، وذهبت ذاته بصفاته ، وذلك في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكنت قد كتبت له على الأربعين حديثاً التي خرّجها للقاضي ضياء الدين أبي بكر بن الخطيب تقريظاً ، وهو ؛ وقفتُ على هذا التخريج الذي لا يَرُدّه ناظر ، ولا يدفع أدلته مناظر ، ولا يستغني عنه مُذاكر ولا مُحَاضر ، ولا يشبه حُسْنَه إلاّ الرياض النواضر ، على أنه لَمْعَةٌ من شهاب ، وهَمْعَةٌ من سحاب ، وجَرْعَةٌ من شراب ، ودَفْعَةٌ من عُباب ، لأن مُخَرِّجَه شهاب زين ليل العلم الداج ، وبَحْرُ ألفاظه درر ، وفوائده[٢] أمواج ، فلو عاصره ابنُ عساكر لم يذاكر ، أو الخطيبُ لما كان يطيب ، أو ابن الجوزي لانكسر قلبه ، وذهب لُبُّه ، أو ابن نُقْطة لَغرِق في بحره ، وبلّه وبُلَه بقطره ، أو الحاكم لقضى له بالتفضيل ، ولم ينظر في جرح ولا تعديل ، خَرجَّه لمولىً جَمّل البلدين ، ورئيسٍ يوضع تاجَ سيادته[٣] على فرق الفرقدين :

كريمٌ سادَ بالأفضال حتّى ... غدا في مَجْده بادِي السَّناءِ
له ذِكرٌ يُطَبِّق كلَّ أرضٍ ... فيملأ جوَّها طيبُ الثناء
فما يَخْفَى عُلاه على بصيرٍ ... وإنْ يخف فذو حسد يرائي[٤]

(١) يوسف بن أبي بكر بن خطيب بيت الآبار ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) في الأصل : « وفوائد » ، ومأأثبتناه من (أ) ، (خ) .
(٣) (أ) ، (خ) : « رياسته » .
(٤) في الأصل : « وإن يخفى » .

وهَبْني قلتُ هـــذا الصبـحُ لَيْـلٌ أيَعمَى العـــالِمـون عَن الضيـــاء

فلا أعلم تخريجاً أحْسَنَ منه ، ولا جزءاً غيره كلُّ الفوائـد تُؤْخَـذُ عنـه ، جمع فيـه بين الرّواية والدّراية ، وبَلَغ فيه إلى غايةٍ تدلُّ على أنّـه آيـة ، فـالله يشكر سعيـه ، ويتولّى بعَيْنه رَعْيَه ، بمنّهِ وكَرَمه إنْ شاءَ الله تعالى ..

٨٦ ـ أحمد بن بَدْليك*

الأمير شهاب الدين السّاقي المعروف بمشد الشرابخاناه[١] .

وَرَدَ هو وأخوته الأمير سَيْفُ الدين شادي ، وسيف الدين حاجي ، وركْنُ الـدين عمر إلى مصر من البـلاد الشّرقيـة ، وخـدم الأمير شهـاب الـدين أحمـد عنـد الأمير سيف الدين بكْتُمر الساقي فجعلـه سـاقيـاً ، ولَبِثَ عنـده مـدة ، ورآه السلطـان الملـك الناصر محمّد بن قلاوون فأعجبه ، فأخذه منه ، والظـاهر أنـه أخـذه بعـد موت بكْتُمر ، وجعله مشدّ الشرابخـانـاه ، ولم يزل عنـد السلطـان في أعـداد[٢] الخـاصكيـة ، ولمـا توفي السلطان أخرج إلى صفد ، إمّا في أيام قُوْصون أو بعـده ، أو أُخْرِجَ إلى حَلب ، ثم أُعيـد إلى مصر لما انقلبت الدولة ، ولما جُهِّز الحاج أرْقَطاي[٣] إلى نيـابـة حلب الأولى خرج هو معه ، ليقرّه في النيابة على العادة ويعود ، فورد المرسوم وهو في حلب أن[٤] يتوجـه إلى صفد ، ليقيم بها أميراً ، فأقام بها إلى أن قتل الكامل ، فتوجه إلى مصر ، ولمـا خلع المظفر

* الدرر : ١٤٤/١ ، والبداية : ٢٤٧/١٤ .

(١) مشد الشرابخاناه ، أو شاد الشرابخاناه : وظيفة يشرف صـاحبهـا على بيت الشراب ، وفيـه مختلف أنواع الأشربـة المرصـدة لخـاص السلطـان ، وتكـون لأمير من أكابر أمراء المئين الخـاصكيـة المـؤتمنين (صبح الأعشى : ١٠/٤) .

(٢) (أ) ، (خ) : « عداد » .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها ، وكذا ما سيأتي من الأعلام .

(٤) (أ) ، (خ) : « بأن » .

كان هُوَ مِنْ جملة من قام بخلعه ، وقتله ، وكانوا ستة تكتب المطالعة إلى السلطان ، ويطيرها إليهم ، وكان أحمد منهم ، وكانوا إذ ذاك : بيبغاروس ، والأمير منجك ، والأمير سيف الدين شيخو ، والأمير سيف الدين طشتمر طلليه ، وسيف الدين الجيبغا ، والأمير شهاب الدين أحمد المذكور ، ووقع بين هؤلاء المذكورين خُلْفٌ ، فقال الأمير شهاب الدين : أيش بنا هذه المرة ما فيها أحد من أولاد السلطان إلا نْجرا[١] بالسيف ، ومن صَحَّ منا جلس على التخت ، فأذعن الجماعة له الطاعة ، وتركوه مدة أيام[٢] ، وأخرجوه إلى صفد نائباً[٣] عوضاً عن الأمير سيف الدين قطز ، فوصل إليها في ثاني شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن أمسك الأمير سيف الدين منجك الوزير ، فحضر إليه الأمير قماري الحموي السلحدار في الظاهر بسبب الحوطةِ على موجود الوزير وحواصله ، وفي الباطن بإمساكه ، وكأنه فهم القضية ، فجهز إليه من تَلَقَّاه من الطريق ، ولم يمكّن أحداً من الاجتماع به ، ولا بمن معه ، ولما أراد قماري يتوجّه ، قال له ياخُوند : السلطان يطلبك ، فقال[٤] : لأي شيء ؟ ما قلت هذا في الأول ولا في الكتاب الذي على يدك[٥] ، أن معك مشافهة ولكن اطلبوا الأمراء ، فحضروا ومعهم[٦] نائب قلعة صفد ، وقال يا أمراء[٧] ، السلطان قد طلبني وأنا أتوجه ، فقالوا له : خير ، فطلب مباشِري ديوانه ، وقال : كم لنا في القلعة من القمح ، قالوا : مئة غرارة ، ففرقها جميعها على مماليكه ، وقال : اطلعوا اقبضوها ، فلما طلعوا ، وصاروا فيها أنزلوا كلَّ من فيها من المستخدمين ، وتملك القلعة مماليكه ،

---

(١) « بحرا » ، كذا في الأصل .

(٢) ليست في (أ) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « ثانياً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) . وقوله : « عوضاً » ليس في (أ) .

(٤) أ : « فقال له » .

(٥) (أ) ، (خ) : « الذي معك » .

(٦) في الأصل : « ومنهم » .

(٧) في الأصل : « وقال أمراء » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وقال لقماري : أنا أكتب إلى السلطان ، وأسيِّرُ معك شخصاً من جهتي بمطالعة مني ، وجهزها .

وبلغ السلطان ذلك ، فكتب في الظاهر إلى سائر نواب الشام أنّ أحمد الساقي قد شق العصا ، فاربطوا له الطرقات ، وأمسكوه ، وإن حارب حاربوه ، وكتب إلى جميع عُرْبَان الطاعة بذلك ، وكتب إلى الأمير سيف الدين أيتمش نائب الشام أن يتوجه إليه بنفسه في العسكر الشامي ، فلما بلغ ذلك أحمد كتب هو إلى نائب الشام يتشفع به ، ويسأله أن يكون في جملة أمراء دمشق[١] ، فكتب له إلى السلطان ، فأجيب إلى ذلك ، وكُتب له أمان شريف ، فجُهّز ذلك إليه ، فلم يذعن ، وقال : لو علمت أن ذلك صحيح حضرت ، وأصرَّ على حاله .

فحضر المرسوم بأن يجهز له[٢] أربعة آلاف فارس من دمشق ، ونائب غزة الأمير فارس الدين البكي بعسكر غزة ، والأمير سيف الدين بكلمش ناظر طرابلس بعسكرها . فتوجه الجميع إليه في أوائل المحرّم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ولما وصل نائب غزة هو والنائب الذي عيّن مكانه بصفد وهو الأمير علاء الدين الطنبغا برناق إلى قرية المجدل جهّز إليهما أحمد الساقي يقول : أنا ما أنا عاص ، ولكن هذه القلعة لا بدلها من نائب ، وأريد أن أكون بها نائباً ، فقالا له : إن كنت تريد ذلك ، فأطلق الأمير عز الدين أيدمر الشمسي ، والأمير عز الدين دقماق وكاتب السر وأخاه ناظر الجيش ، وكان قد اعتقلهم بالقلعة ، فقال هو : لا ، اعتقلتهم[٣] أيام حكمي ، والآن ما يخرجون إلاّ بمرسوم شريف ، فطلع المذكوران بمن[٤] معهما إلى صفد ، فرمي عليهم بالنشاب

---

(١) (أ) ، (خ) : « الشام » .
(٢) (أ) ، (خ) : « إليه » .
(٣) (أ) ، (خ) : « لا أنا اعتقلتهم » .
(٤) (أ) : « ومَنْ » .

والبندق والرصاص والزيارات والنفط ، وجرح بعض الخيل ، وطلع القلعة[١] ، وأغلقها ، وشال الجسر .

ولما كان يوم الجمعة ثامن عشر المحرم اتفق العسكر على الزحف على القلعة وإحراق الجسر ، وجهزوا إليه يعلمونه أنهم في غداة السبت يفعلون ذلك ، فاتق الله واحقن دماء المسلمين . فأطْلَقَ من كان عنده في الاعتقال ، وقال للعسكر : احلفوا أن لا تؤذوني وأنا أتوجه إلى باب السلطان ، فحلفوا له ، وأخذوا سيفه ، وجهزوه صُحْبة الأمير سيف الدين قطلوبغا الكركي وجهز مملوكه الطنبغا إلى نائب الشام يطلب منه شفاعة ، فكتب له ذلك ، وجهزوا معه أميراً من الشام وأميراً من طرابلس ، وأميراً من صفد ، وأميراً من غزة[٢] ، وساروا به إلى باب السلطان في ثالث عشري المحرم ، ورجعت العساكر إلى أماكنها .

ولما وصلوا به إلى قَطْيا[٣] ، تلقاه الأمير سيف الدين قماري ، فأخذه في زنجير مقرّم اليدين ـ على ما قيل ـ وتوجّه به إلى ثغر الإسكندرية ، ولم يزل بها معتقلاً ؛ إلى أن خُلع الملك الناصر حسن ، وتولى الملك الصالح صالح ، فأطلقت المعتقلين الذين في سجن الإسكندرية جميعهم ، وولاه نيابة حَماة ، فوصل إلى دمشق في حادي عشري شعبان سنة اثنتين خمسين وسبع مئة ، وصحبته الأمير سيف الدين جركتمر عبد الغني ، ليقره في النيابة ، ولم يزل في حماة نائباً حاكماً ؛ إلى أن اتفق هو والأمير سيف الدين بيبغاروس نائب حلب ، والأمير سيف الدين بكلمش نائب طرابلس ، على الخروج على الملك الصالح ، وراسلوا الأمير سيف الدين أرغون الكاملي نائب الشام على ذلك فما وافقهم . ولما تمّ أمرهم وهموا بالخروج حلّف نائب الشام عسكر دمشق للملك الصالح في العشر الأول من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وجرى ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة أرغون الكاملي .

(١) (أ) ، (خ) : « إلى القلعة » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في معجم البلدان (قطية) بالهاء : قرية في طريق مصر في وسط الرمل .

ولما وصل بيبغاروس ومن معه إلى دمشق نزل على قبة يلبغا ظاهر دمشق ، وتوجّه أحمد الساقي ومعه ألف فارس ، وأقام على المزيريب مدة أربعةٍ وعشرين يوماً ، ولما وصل الأمير سيف الدينين طاز إلى لُدّ[١] هرب ابن دلغادر[٢] من دمشق ، وجاء بيبغاروس إلى المزيريب ، واجتمع بأحمد وباتا ليلةً ، ثم إنهما هربا بمن معهما من العساكر إلى حلب .

ووصل السلطان الملك الصالح إلى دمشق ، وجهّز الأمير سيف الدين شيخو[٣] ، والأمير سيف الدين طاز ، والأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى حلب ، فهرب بيبغاروس ومن معه ، واجتمعوا بابن دلغارين ، وأقاموا هناك يعيثون في الأرض ، إلى أن أمسك ابن دلغادر أحمد وبكلمش ، وجهزهما إلى حلب ، فوصلا إليها ، والأمير سيف الدين أرغون الكاملي بها نائب في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، فاعتقلا بقلعة حلب ، وطالع بأمرهما ، فعاد الجواب على يد سيف الدين طيدمر أخي طاز بأت يجهز رأسيهما ، فحزّ رأس أحمد وبكلمش في حلب في العشر الأوسط من شهر الله المحرّم سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وتوجّه بهما المذكور إلى مصر ، وكان ذلك آخر أمر الساقي ، والله الباقي .

وكان هذا أمير أحمد شاباً طويلاً رقيقاً ، تراه بالإقدام والشجاعة حقيقاً ، حلو الوجه خفيف اللحية ، يعلوه رونق ، وعليه قبول وحَظّ مافرح به السدير في أيامه ولا الخورنق ، يميل إلى الصورة المليحة ، ويتعبّد بهواها كلّ بكرة[٤] وصبيحة ، لا يملك نفسه إذا رأى وجهاً حسناً ، ولا يرجع إلى عذل من يرده عن ذلك ولو كان لسناً ،

---

(١) (أ) : « لدّة » .

(٢) في الأصل : « دلغازين » ، والصواب ماأثبتناه .

(٣) (أ) : « سنجر » .

(٤) (أ) ، (خ) : « في كلّ عشية » .

وكانت له في ذلك تراجم معروفة في أيام الشهيد ، وأخباره فيها سار بها الركبان والبريد ، إلاّ أنه كانت نفسه أبيّة ، وعنده من مَيْعَة[١] الشباب نشوة السبيّة .

وكان يحدّث نفسه بأمور عظيمة ، وفتن لا تزال تصنع للشرور ولية ، وكان لذلك لا يقنع بغاية ، ولا يرى إلاّ ما هو عنده نهاية ، ولقد ثبت في واقعة صفد ثبوتاً دونه الجبال الرواسخ ، وأسكن جماعة ممن خالفه البرازخ .

ويحكى عنه أنه لما نزل من القلعة ودّع صغار أولاده ، وثمرات فؤاده ، فقطع القلوب أسفاً ، ورأى موته بعينه وهو في الحياة سلفاً ، فقلت فيه :

عجبتُ منْ أحمدَ الساقي وقد بَرَزتْ ... لهُ العساكرُ في موضُوْنةِ الزّردِ
ساقٍ سقتْهُ الليالي كأسَ حادِثها ... وراحَ من صِفَدٍ للحتْفِ في صَفَدِ
يعينُهُ ربُّه فيما ابتلاهُ بهِ ... فما على مثلِ مالاقاه منْ جَلَد

وجاءت الأخبار بأن الأمير سيف الدين قماري لما التقاه في قطيا عامله بأنواع من الإهانة ساعة اللقيا ، وأضاف زنجيراً إلى قيده ، وقرّم يده بشدته وأيْدِه .

وقيل : إنه توجّه به ماشياً ، وكاد لذلك يصبح جسده متلاشياً ، ولم يحسب له أحد في هذه المرة حساب السلامة ؛ لأنه فعل ما يوجب العذل والملامة ، ولكن ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[٢] ، وإذا قُدّر أمرٌ على المرء ما يفيده زَجْرٌ ولا عتاب ، فأقام في سجنه تلك المدة ، وفرّج الله عنه من تلك الشدة ، ورسم له بنيابة حماه ، فتوجه إليها ، وقدم بعد الذل في عزّ دائم عليها ، فسبحان اللطيف الخبير ، ومن يرسل رياح الفرج فينشق[٣] المحزون منها نشر[٤] العبير . وقلت أنا فيه أيضاً :

---

(١) (أ) : « منعة » . وميعة الشباب : أوله وبهاؤه .
(٢) الرعد ٣٨ .
(٣) (خ) : « فيتنشق » .
(٤) (خ) : « أرج » ، (أ) : « أريج » .

تَلـقَّ حـوادِثَ الـــدنيـــا بصبرٍ ففي صرْف الـزمـانِ تَرَى العجـائب
فهـــذا أحْمَـــدُ الســـاقي تـوالى عَلَيْـه من القَضَـا مطَرَ المصـائب
ومـــا أعطى لـــه أحـــدٌ حيـــاةً وهـا هـو في حمـاةَ اليـومَ نـائب

وكان فيها نائباً قد تمكن لا ترد له إشارة ، ولا يعطل السلطان مما يرومه عشاره كلّ ما يكتب به يجاب فيه بالقبول ، وكلّ ما يأباه يتلاشى غضنه إلى الذبول ، ولكن نفسه تريد بلوغ ما فيها ، وإدراك أمانيها ، وعقله من الصواب نَفُور ، ودمه - كما يقال - يَفُور ؛ إلى أن دبرّ ما دبر ، وأثار من الفتنة ما عاد على وجهه وغَبَّر ، وكان هو الذي حرك ذاك الساكن ، وعمل على خراب ما دخله من المنازل والأماكن ؛ إلى أن خرّب بيده بيوته ، وطار خلف الشر إلى الروم خوفاً من أن يفوته ، ولم يزل بتلك الخزنوانه[1] ؛ إلى أن غدر به ابن دلغادر وخانه ، وما زال عليه إلى أن أماته ونسي أمانه ، وأراه الله عقبى جناية الخيانة ، وجُزّ في حلب رأسه ، وخُرِّق من الحياة قرطاسه ، ولم ينفعه ياقوته ولا ماسه وتبرأ من فعله القبيح وَسْواسُه ، ولم يرض له بالخنا خُنّاسُه ، فسبحان من بيده الحياة والنشور ، وإليه ترجع الأمور ، لا إله إلاّ هو .

وقلت لما جُزَّ رأسه ، وجُهّز إلى مصر :

إيـــــاك والبغيَ فشهبُ الردى في أفُـق البغي غـدت ثـاقِبَـه
مـا أحمـدُ السـاقي الـذي مُـذ بَغى مـا أحْمَـدَ اللهُ لَـهُ عـاقِبَـه

٨٧ - أحمد بن بكتمر*

أمير أحمد بن الأمير سيف الدين بكتمر الساقي .

كان وجهه عليه لمحة من البدر ، ومهابته تملأ الجوانح والصدر ، مليحاً إلى غاية ،

(١) في الأصل : « الخزاونة » ، تحريف ، والخنزوانة : الكِبْر .

* الوافي : ٢٦٦/٦ ، والدرر : ١١٤/١ .

جميلاً في نهاية ، وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في محبته متغالياً ، ولم يره الناس في وقت منه خالياً ، كان يوماً نائماً على فخذ السلطان وقد عزم على الركوبْ ، وأُحضرت الخيل والعساكر تنتظر قيامه والوثوب ، وأبوه بكتمر واقفاً خجلاً ، وقلبه يخفق وَجِلاً ، وكلما همّ بأخذه يمنعه ، ويكابده[١] في أمره ويخدعه ، فقال : ياخوند ، الناس في خدمتك وإلا في خدمته ؟ فقال : ما أركب حتى ينتبه أحمد من نومته ، وكان الناس يظنون أنه ابن السلطان يقيناً ، ويقولون : ما رأينا مثله عنده مكيناً ، وأمَّره مئة ، وجعله مُقَدّم ألفٍ مع صغر سنّه ، وجعل بعد ذلك شخصه من قلبه في كِنّه ، وكان وهو صغير ضعيف القائمة ، لا يستطيع النهوض لِعِلَّةٍ له ملازمة ، فلم يزل السلطان عليه بالأدوية والعقاقير ، والمعالجة بأنواع من[٢] التداوي والتدابير ؛ إلى أن نهض غصنه قويماً ، وانعطف قَدّه من الميل سليماً ، وزاد حُسْنُه وبهاؤه ، وذهب عنه داؤه وأقبل دواؤه ، وصح من خمر الشباب انتشاؤه ، وثبت إلى القمرين انتماؤه .

وزوّجه السلطان بابنة الأمير[٣] المرحوم تنكز[٤] نائب الشام ، وجرى ذلك العقد على أحسن ما يكون من النظام ، وحَسْبُك بهذه الدرة الثمينة ، وما جُمع من هذا القرين وهذه[٥] القرينة ، وكان عرسها عرساً ما فرحت به بوران[٦] ، ولا كان للفَلَك له دوران ، وقف السلطان بنفسه وفي يده العصا ، ورتّب السماط ترتيباً خالف فيه العادة وعصى ، واحتفل بذلك زايداً ، وجعل هواه لنفسه قائداً ، وله العذر فيما توهمه في ذلك من الحسن والزَّيْن ؛ لأنها ولدا مملوكيه العزيزين .

---

(١) (أ) : « يكابره » .

(٢) (من) : ليست في (أ) .

(٣) « بابنة الأمير » ليست في (أ) .

(٤) (أ) : « سيف الدين تنكز » .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) هي زوجة المأمون ، وهي ابنة وزيره الحسن بن سهل .

وكان أمير أحمد المذكور يقضي عند السلطان أشغالاً لا يقضيها غيره ، ولا يحوّم في جوها إلاّ طيرُه ، ولم يزل بدره في مطالع سعوده ، ومعارج[١] صعوده ؛ إلى أن توجّه مع السلطان إلى الحجاز ، وقضى فرضه وفاز من الأجر بما فاز ، وعاد راجعاً ، وبدره يُرى في سماء الملك طالعاً ، فمرض مرضاً حِدّاً ، وزاد به جدّاً فَأذوى ريحان شبابه ، ونغَّصَ بموته حياة أترابه .

وتوفي رحمه الله تعالى في طريق الحجاز عائداً في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وعمره يقارب العشرين .

وقلت ذلك الوقت :

ورقيبٍ بليّتي في الهوى منه ما تَمُرْ
ذاك قد طال عُمْرُه ويموتُ ابْنُه بكتَمُرْ

وكتبت إلى أبيه تهنئة لما أعطي تقدمةَ الألف عن الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى من جملة كِتاب : وأمّا ما شملت به الصدقات الشريفة للمقر العالي المولوي الأميري الوَلدي[٢] الشهابي من تقدمة الألف ، وخصّته به من هذا الإنعام الذي صحّ قياسه ولم يكن قياسَ الخُلْف ، فإنه بحمد الله واحد كالألْف إنْ أمرّ عنا ، وفردٌ يبلغ به مولانا ـ أعز الله أنصاره به[٣] ـ الأمان من الزمان والمنى ، وبه يُحقق المملوك قول الأول الذي لم يحجده جاحد :

والناسُ أَلْفٌ مِنْهُم كَوَاحِدِ .

ولم أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتوا إلى المجد حتى عُدّ ألف بواحد

(١) (أ) : « تعارج » .
(٢) (أ) : « الكبيري الولدي » .
(٣) (به) ليس في (أ) .

والله تعالى يديم هذه الأيامَ الشريفة التي أرت مولانا فيه ما سرّه[١] ، وبلغت به رتبةً ذُبالهُا النجوم وطريقُها المجرّة ، وتقرّ به عين مولانا الكريمة ، فمثل هذا الولد من يكون[٢] للقلب قراراً ، وللعيون[٣] قُرّة ، وكان المملوك يودّ لو كان حاضراً في[٤] ذلك اليوم الذي هو تاريخ الهناء ، وموسم الفرح المؤبدّ على مرّ[٥] الآناء ، وإن كان المملوك قد غاب بقالَبه ، فقد حضره[٦] بقلبه وعرف قيمة إيجابه وسلبه ، والله تعالى يديم لمولانا وله وللمملوك حياة مولانا السلطان خلّد الله ملكه ، وجعل أقطار الأرض ملكه بمنه وكرمه .

٨٨ ـ أحمد بن أبي بكر بنْ عَرّام*

بهاء الدين ، الأسواني الْمَحْتِد الإسكندراني المولد .

قرأ القراءات على الدّلاصي[٧] ، والفقه للشافعي على الشيخ أبي بكر بن مُبَادِر[٨] ، وعلى علم الدين العراقي وقرأ عليه الأصولين[٩] وعلى الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، والنحوَ على مُحْيي الدين حافي رأسه[١٠] ، وعلى الشيخ بهاء الدين بن النحاس .

---

(١) في الأصل : ماأسرّه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في (أ) : « فمثل هذا الولد يكون » .
(٣) (أ) : « للعين » .
(٤) (في) ليس في (أ) .
(٥) (أ) : « ممرّ » .
(٦) (أ) : « حضر » .
* الوافي : ٢٧٠/٦ ، والدرر : ١١١/١ ، والطالع السعيد : ٧٣ .
(٧) عبد الله بن عبد الحق ، وستأتي ترجمته .
(٨) عبد الله بن مبادر ، وستأتي ترجمته .
(٩) (أ) : « الأصلين » .
(١٠) محمد بن عبد الله بن عبد العزيز (ت ٦٩٣ هـ) ، والوافي : ٣٦٤/٢ ، والبغية : ١٣٨/١ .

وسمع على أبي عبد الله محمد بن طرخان[١] ، وأبي الحسن الخزرجي ، وعلى تقي الدين بن دقيق العيد ، وعلى الدمياطي وغيرهم .

وتولى نظر الأحباس[٢] بالإسكندرية ، وصحب أبا العباس المُرْسي ، وأخذ التصوف عنه ، وعن والده ، وأمّه بنت الشيخ الشاذلي .

وكان المذكور ينظم وينثر ، ويجري في ميدان الأدب ولا يَعْثُر ، وكان مقداماً متديناً ، سالكاً نهج الخير صيّناً .

صنّف في الفقه والعربية ، وعلّق على (المنهاج) للنووي تعليقة أنوارها مُضِيَّة ، وله مناسك وما أشبه ذلك .

ولم يزل في شوطه إلى أن عثر فما قام ، واتخذ بطن الأرض دار مُقام .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة عشرين وسبع مئة ، ومولده سنة أربع وستين وست مئة ، ومن شعره :

وَحَقِّك يا ميُّ الذي تعرفينه ... من الوجدِ والتبريح عندي باق
فبالله لا تَخْشَيْ رقيباً وواصِلي ... وجُودي ومُنّي وَانْعمي بتلاق

ومنه :

أيا طِرْسُ إن جئتَ الثغور فقَبِّلَنْ ... أنامِلَ ما مُدّت لغير صنيع
وإياك من رشح الندى وَسْطَ كفّه ... فتُمحى سُطُور سُطِّرت لرفيع

قلت : شعر نازل .

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) هو النظر في أرزاق الجوامع والأربطة والزوايا والمدارس من الأراضي المفردة لذلك . معجم الألفاظ التاريخية ١٥٢ .

٨٩ ـ أحمد بن أبي بكر*

ابن محمد بن محمود بن سلمان بن فهد ، شهاب الدين ، ابن القاضي شرف الدين ، ابن القاضي شمس الدين ، ابن القاضي شهاب الدين محمود .

كان القاضي شهابُ الدين المذكور من جُمْلةِ موقّعي الدَّست[١] ، وكان أوّلاً من جُملة كُتّاب الإنشاء ، فلما توفي والده القاضي شرف الدين بالقدس ـ على ما سيأتي ـ أُعطي مكانَ والده . فباشَره ، فكان هَشّاً بشّاً بمن يراه ، مُكرِماً لَمن أَمَّه أو قصد ذراه . نفسُه مُتّسعة للجود ، قائمةٌ بما يَجبُ من حَقِّ الوفود . لا يتكلمُ إلا وهو يضحك ، ولا يُفارقُ لجودِ طِباعه نُصحَك . يقضي حوائج الناس في قِصَصهم[٢] ، ويُزيحُ عنهم ما تجرّعوه من غُصَصِهم . فأحبّه الناسُ ، وردّ عليهم ما كان حصل لهم في والده من الياس[٣] . ولم يزل على حاله ، إلى أن عاجله حَتْفُه ، وصُرِف إليه من الموت صَرْفُه .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم[٤] عاشوراء ، سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وسبع مئة .

واحتفل الناس لجنازته ، ودُفن في تُربة جدّه بالصالحيّة .

وعهدي به ، وهو كما احتلم ، يجري وراء الحيّة ، ويحملها بذَنَبها ، ويرفعها إلى فوق ، ويَقْصَعُها إلى أسفل ، ويرميها من يده ، وقد انقطع وَسَطها ، وانخلعت فقراتُ ظهرها .

---

* الدرر : ١١٣/١ .

(١) موقعو الدست : هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان ، ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر وسموا كتّاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه .

(٢) القصّة : هي الطلب أو الالتماس ، يرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص .

(٣) (أ) : « البأس » .

(٤) ليست في (أ) .

وستأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ تَرْجَمةُ كلٍّ واحد من أبيه وجَدّه[١] في مواضعها اللائقة بها .

وقلت أرثيه من أبيات ، التزمتُ فيها الفاء[٢] :

شِهـــابُ بني محمـودٍ اَصبـحَ آفِـلا ... وكانَ بـهِ صـدرُ المجـالسِ حـافـلا
تيقّـظَ طَرْفُ الـدّهر نحـوَ جَنـابِـهِ ... وقَـدْ كان في إغفـائِـهِ عنـهُ غـافـلا
يحنُّ إليـه الجُـودُ من حيثُ يُنتحى ... كا أنّـه من عِـزّه راح جـافِـلا[٣]
لقـدْ كانَ في بُرْدِ الشبيبـةِ والعُـلا ... وبَـذْل النّـدى مـا زال يختـالُ رافِـلا
سَمَـا بـأُصولٍ بـاسقـاتٍ إلى العُـلا ... بحيثُ رأينـا النّجمَ عن ذاك سـافِـلا
فيـا ضَيْعـةَ اللّهفـانِ بعـدَ مُصـابـهِ ... لقـدْ كانَ في دَفْـعِ الأذَى عنـهُ كافِـلا

٩٠ ـ أحمد بن أبي بكر*

ابن محمد بن سلمان بن حمايل ، القاضي شهاب الدين ، ابن القاضي بهاء الدين ، ابن القاضي[٤] شمس الدين بن غانم ، كاتب الإنشاء بدمشق .

كان والده القاضي بهاء الدين[٥] صاحبَ ديوان المكاتبات بطرابلس ، وسيأتي ذكرُه في مكانه من حرف الباء ـ إن شاء الله تعالى ـ . ولَما توفي والده بطرابلس ، تركه[٦] صغيراً ، فحضر إلى عند أقاربه بدمشق[٧] ، ثم توجّه إلى مصر ، فرُسِم له بأن يكون من

(١) (أ) ، (خ) : « وجدّه وجدّ أبيه » .
(٢) أي قبل حرف الروي وهو اللام للطلقة .
(٣) (أ) ، (خ) : « غيره » .
* الدرر : ١١٢/١ .
(٤) قوله « بهاء الدين بن القاضي » ليست في (أ) .
(٥) (أ) : « شهاب الدين » .
(٦) (أ) ، (خ) : « خلّفه » .
(٧) (أ) ، (خ) : « بدمشق وأقام مدة » .

جُملة كُتّاب الإنشاء بطرابلس ، ثم إنه سعى وانتقل[١] بمعلومه إلى دمشق ، ورُتِّب في جُملة كُتّاب الإنشاء في سنة خمس وأربعين أو مابعدها في غالب الظن ، وأقام بدمشق إلى أن توجّه في سنة ست وخمسين وسبع مئة إلى الديار المصرية ، وسعى هناك إلى أن رُتّب في جُملة كُتّاب الإنشاء في باب السلطان على معلومه الذي بدمشق ، بزيادةٍ في مصر .

ولم يزل هناك مريضاً مُتوّعكاً ، يقومُ ويقع ، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

وكان مولدُه بصفد تقريباً في سنة أربع وعشرين وسبع مئة أو في سنة ثلاث وعشرين .

وكان فيه سعيٌ وحُسنُ توسل ولُطْفُ توصّل ، وعلى أنفِه في مارنِه[٢] شامةٌ كبيرة حسناء خضراء . وكانت كتابته قوية ، ولم يكن له نظم ولا نثر .

٩١ ـ أحمد بن أبي بكر*

شهاب الدين أبو جَلْنَك ـ بالجيم واللام والنون والكاف ـ الحلبي الشاعر المشهور[٣] . بالعِشْرة والخُلطة التي تركَتْه بَرْوَة ، وجرّدت قِشْرَه .

كان فيه هِمَّةٌ وعنده شجاعة ، ولديه من الإقدام في المعارك[٤] أَجْزلُ بضاعة . نزل من قلعة حلب للإغاره[٥] ، والتتار يتوقّدُ من شَرّهم كلّ شرارة ، فوقع في فرسه سَهْمٌ

(١) ليست في (أ) .

(٢) أي جانبه .

* الوافي : ٢٧١/٦ ، وفوات الوفيات : ٦٠/١ ، والشذرات : ٤٥٦/٥ والمنهل الصافي : ٢٢١/١ ، وعقد الجمان : ١٥٢/٤ ، وفيات (٧٠٠ هـ) .

(٣) قوله : « الحلبي ... المشهور » ليس في (أ) .

(٤) « في المعارك » ليست في (أ) .

(٥) في المنهل : « ولما كانت وقعة التتار في سنة سبع مئة نزل . « من قلعة حلب لقتال التتار » .

عَقره ، وفتق جَنْبَه وبَقَره ، فبقي على ضخامته راجلاً ، وأُمْسِك به عاجلاً ، وجاؤوا به مُقدّمَ التتار ، فسأله عن عسكر المسلمين ، فرفع شأنهم ، وأعلى في الفروسية مكانهم . فغاظه ذلك منه وضربَ عُنُقَه في الحال ، وشمّر للارتحال .

وأصل مُنادمته لصاحب ماردين أو الموصل تَنْديبة[١] ، بَدَتْ منه بغير قصد ، وهي عجيبة . لأنه قصدَ الطهارةَ وعلى بابها خادمٌ ، يُناول كَيْلاً من الماء لكل قادم ، فدخل على عادة البلاد ، وما هي عليه من الأمر الْمُعْتاد ، فصاح به الخادم : قِفْ خُذْ هذا الكيل . فقال : لا ، أنا أخرى جُزافاً من الويل . فبلغت السلطان ، فقال : هذا ظريف يصلح لأن نُنادمَه ، ونَزيدَ خوافيَ جناحه وقوادمَه .

وأخبرني عنه الصاحب جمال الدين سليمان بن ريّان[٢] ، قال : لَزِمنا[٣] أبو جَلْنَك مدة ، ونام عندنا ليالي عدّة ، وكان ينتبهُ نِصفاً من الليل ، ويُكرّرُ عليَّ محافيظه ، ومنها (مُختصرُ ابنِ الحاجب) ، ثم[٤] يُشبّبُ بشبّابة ويُزمزم ، وإذا أصبح توضّأ وأتى بالواجب .

وما زال على حاله[٥] إلى أن ضُربتْ عُنقَه ، وخلا من كوكبه أُفقُه ، وذلك سنة سبع مئة .

وأنشدني القاضي جمال الدين بن ريّان قال : أنشدني من لفظه أبو جلنك لنفسه لغزاً :

اسمُ الذي أهواه في حُروفِه ... مَسْأَلةٌ في طَيِّها مسائِلُ
خُمساه فِعْلٌ وَهْوَ في تَصْحيفِهِ ... مُبيّنٌ والعَكْسُ سُمٌّ قاتِلُ

(١) أي طرفة .
(٢) توفي (٧٤٩ هـ) ، الوافي : ٣٦٧/١٥ ، والدرر : ١٤٥/٢ .
(٣) (أ) : « لازمنا » .
(٤) (أ) : « ثم إنه » .
(٥) (أ) : « وما زال كذلك » .

تُضيءُ بعـــدَ العَصْرِ إن جِئْتَ بـــه مُكرّراً مِنْ عَكْســـك الْمَنـــازلُ
وَهْـــوَ إذا صَحّفْتَـــه مُكرّراً فـــاكهـــةٌ يَلْتَـــذُّ منهـــا الآكِـــلُ
وَهْـــوَ إذا صحّفْتَـــه جَميعَـــه وَصْفُ امرئٍ يعجبُ منه العـاقِـلُ[1]
وفيـــه طِيبٌ مُطْرِبٌ جَميعَـــه هـــاجَتْ على أمثـــالِـــه البـــلابِـــلُ

قلت : هـذا لغزٌ في (**مسعود**) وهو لغز جيّـد ، ومقـاصـده جيـدة ، إلا أن قولـه « وصف امرئ يعجب منـه العـاقل » فيـه تسـامح ، فـإنـه لا يُقـال : « مُشَعْوِذ » وإنمـا يقال : « مُشَعْبِذ » بالباء مكان الواو .

وأنشـدني شيخُنـا العـلامـةُ أثيرُ الـدين ، قـال : أنشـدنـا عـلاءُ الـدين علي بن عبد الملك بن عبد الله بن عبـد الرحمن الحلبي ، قـال : أنشـدنـا[2] أبو جَلْنَـك لنفسـه ، وكان قد مدح قـاضيَ القضـاة شَمْسَ الـدين ابن خلكان ، فوقّع لـه بثُلثي رَطْلِ[3] خُبزاً ، فكتب أبو جلنك على بستانه :

عُجْنـــا ببُستـــانٍ حلَلْنـــا دَوْحَـــه في جَنَّـــةٍ قـــد فُتِّحَتْ أبـــوابَهـــا[4]
والبـــانُ تَحْسَبُهـــا ســـنـــانير رأَتْ قـاضي القُضـاةِ فنفَّشَتْ أذنَـابَهـا[5]

قلت : بلغني أن الشيخ بَدْرَ الدين محمد بن مالـك وضع على هـذين البيتين كرّاسـة في البديع ، وأنشدني بالسَّنَد المذكور أيضاً :

---

(١) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) (أ) : « أنشدني » .
(٣) في المنهل : « فوقع له برطلي خبز » .
(٤) في المنهل : « لله بستان ... كجنة » .
(٥) في (أ) : « سنانيرا » ، وكذا في المنهل ، وفيـه : « تحسبها » . وقـال ابن تغري بردي في المنهل معقباً على الصفـدي : « قلت : لعلـه وهم في هـذه الحكايـة ، ومـا هي مشهـورة إلا عن قـاضي القضـاة ابن الزملكاني » .

أتى العِـذارُ بمـاذا أنت مُعْتَـذِرُ ... وأنت كالـوَجْـدِ لا تُبقي ولا تَـذَرُ
لا عُـذرَ يُقْبَـلُ إن تمّ العـذارُ ولا ... يُنجيك من خوفه بأسٌ ولا حَذَرُ[1]
كأنني بـوحـوشِ الشَّعْرِ قـد أنِسَتْ ... بوَجْنتيـك وبـالعُشّـاقِ قـد نفروا

ومن شعر أبو جلنك أيضاً :

جَعَلْتُك المقصدَ الأسنى وموطِنَـك الـ ... ـبيتُ المقدّسُ من روحي وجثماني[2]
وقلبُـك الصَخْرةُ الصّماءُ حين قسَتْ ... قـامَتْ قيـامـةُ أشـواقي وأحـزاني[3]
أمّـا إذا كنت ترضى أن تُقـاطعني ... وأن يـزورك ، ذو زُورٍ وبُهتـان
فـلا يَغُرّنْـكَ نـارٌ في حَشَـايَ فَمِن ... وادي جهنّم تجري عينُ سُلْـوان[4]

قلت : ألطفُ من هذا وأخصرُ وأجمع ، قول القائل :

أيـا قُـدْسُ حُسنٍ قلبُـهُ الصخرةُ التي ... قسَتْ فهي لا ترثي لصبٍّ مُتيمِ
ويـا سُؤْليَ الأقصى عسى بـابُ رحمـة ... ففي كبـد المُشتـاق وادي جهنمِ[5]

وأنشدني العلامة أبو حيان ، قال : أنشدنا علاء الدين [علي][6] بن سيف الدين تنكز ، قال : أنشدنا أبو جلنك لنفسه :

مـاذا على الغُصْنِ الميّـالِ لـو عَطَفـا ... ومـالَ عن طُرقِ الهِجْرانِ وانْحَرفـا[7]

---

(١) في الشذرات : « ثمّ ... من شره خوف ولاحذر » . وكذا في عقد الجمان ، وأورد العيني القصيدة كلها .
(٢) (أ) : « جعلت مقصدك » .
(٣) في عقد الجمان : « وأشجاني » .
(٤) في عقد الجمان : « فلا تغرك » . وفيه تورية ، وعين سلوان : عين في القدس ، يقال إنها تجري مرة أو مرتين كل عام .
(٥) البيتان في عقد الجمان دون نسبة .
(٦) زيادة من (أ) ، وستأتي ترجمته .
(٧) في المنهل : « على غصنه » .

وعـادَ لي عـائـدٌ منـه إلى صِلَـةٍ ... حَسْبي من الشوقِ ما لاقيته وكفى[١]
صفـا لـه القلبُ حتى لا يـازجُـه ... شيءٌ سـواه وأمّـا قَلْبُـه فصفـا[٢]
وزارني طيفُـه وَهْنـاً ليُـؤنسني ... فاستصْحَبَ النومَ من جفنيَّ وانصرفا
ورُمتُ من خَصْرِه بُرءاً فـزِدْتُ ضنىً ... وطـالِبُ البُرْءِ والمطلـوبُ قـد ضَعُفـا
حكى الـدُّجـا شَعْرُه طُـولاً فحـاكمـه ... فضـاع بينهما عُمري ومـا انتصفـا[٣]

قلت : شعره متوسط .

٩٢ ـ أحمد بن أبي بكر بن منصور*

القاضي الإمام العالم شمس الدين ، قاضي طرابلس .

كان فاضلاً في أنواع من العلوم .

قال شيخنا البِرْزَالي : اجتمع به أصحابنا المحدّثون لّما توجهوا إلى هناك في صفر قبل وفاته ، وأثنوا عليه . وعاش ثلاثاً وسبعين سنة . وكان ذا مال وتجارة ، وفيه شجاعة ، وعنده عدة[٤] للقتال ، ويقاتل الفرنج . وله محاسن كثيرة . ومرض مرضة طويلة . وحصل له عُقيب[٥] المرض بِرْسام[٦] ، وتولّى غيره القضاء .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أول ربيع الأول ، سنة سبع وسبع مئة . وكان يعرف بالإسكندري .

---

(١) في المنهل : « وعائدي عائد » .
(٢) الصفا : الصخر .
(٣) الأبيات في المنهل الصافي ، والوافي .
* الدرر : ١١٣/١ .
(٤) (أ) ، والدرر : « عُدد » .
(٥) (أ) : « عقب » .
(٦) في الأصل « سرسام » تحريف ، والبرسام : علّة يُهذى بها .

٩٣ ـ أحمد بن أبي بكر بن حرز الله*

القاضي الفقيه[١] ، الإمام العالم ، شهاب الدين أبو العباس السُّلَمي المغربي المعروف بالأزندي .

كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل على الشيخ محيي الدين النووي ، ولازمه وصحبه مدة ، وكان الشيخ يحبّه ويُثني عليه ، وزكّاه في شهادة شهدها عند بعض القضاة وشفع له عند الشيخ برهان الدين المراغي[٢] ليُنزله في مدرسة .

وقرأ الأصول على القاضي عز الدين بن الصايغ ، والقاضي بدر الدين بن جماعة .

وقرأ النحو على ابن عبد القوي[٣] .

وولي القضاءَ ببلد الخليل ـ عليه السلام ـ وصَرْخَد[٤] وبصرى وغيرها .

وعاد إلى دمشق ، وحضر المدارس ، وجلس مع الشهود ، وولي تدريس الحلقة القوصية[٥] بالجامع . وكان يخطب أيضاً تارة نائباً وتارة مستقلاً .

وسمع الحديث من الشريف يحيى الحنبلي[٦] ، والنجيب المقداد[٧] ، وعمر بن

---

* الدرر : ١٠٩/١ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : المراضي ، تحريف ، وبرهان الدين هذا هو محمود بن عبيد الله ، ت (٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٣٧٤/٥ .

(٣) اسمه سليمان ، وستأتي ترجمته .

(٤) من قرى حوران .

(٥) حلقة بالجامع الأموي ، تنسب إلى مُدّرسها شهاب الدين القوصي ، وكيل بيت المال بالشام ، ت (٦٥٣ هـ) الدارس : ٣٣٣/١ .

(٦) ت (٦٧٢ هـ) ، الشذرات : ٣٤٠/٥ .

(٧) المقداد بن أبي قاسم ، ت (٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٣٧٥/٥ .

عصرون[١] ، وأبي حامد بن الصابوني[٢] ، والأمين الإرْبلي[٣] راوي (صحيح مسلم) ، والرشيد العامري[٤] ، وأبي بكر المِزّي[٥] ، والشيخ نصر بن عبيد المؤذّن وجماعة . وسمع بعض كتب الحديث الكِبار ، وحدّث وكتب في الاجازات .

وكان كريم النفس لا يدّخر شيئاً ، وفيه تواضع ، وأخلاقه حسنة[٦] ، وكان يحب الفقراء ، وصحب منهم جماعة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شوّال سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

٩٤ ـ أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن برق*

الأمير شهاب الدين متولي مدينة دمشق[٧] .

كان المذكور إنساناً حسنَ الأخلاق ، يخدم الناس على حالتي الجِدة والإملاق[٨] ، ويحب الفضلاء ويبرّهُم ويلاطفهم في وقائِعهم تحت يده ولا يضرُّهم . ساس الناس بدمشق سياسة جيّدة ، هرب مرات من الشر إذا وقع ، وتحيّده . وعلى ذهنه حكاياتٌ ووقائِع ، ونوادرُ إذا حكاها ، قلتَ : « جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع » .

(١) ت (٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٧٩/٥ .

(٢) محمد بن علي ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .

(٣) أبو القاسم بن أبي بكر ت (٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٣٠/٥ .

(٤) محمد بن أبي بكر ت (٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٨١/٥ .

(٥) أبو بكر بن عمر ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٧٠/٥ .

(٦) قوله « وحدّث وكتب » إلى ههنا ، ليست في (أ) .

* الوافي : ٢٧٤/٦ ، والبداية والنهاية : ١٧٦/١٤ ، والدرر : ١٠٩/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ .

(٧) زاد في (أ) : « سمع جزء الأنصاري ، وأمالي المخلص السبعة على ابن علاء الدين ، ومن مجلدات ابن الخليلي ، وسمع البخاري ، وحدّث بدمشق والمدينة » . وهي زيادة لا صلة لها بالمترجم له .

(٨) الجدة : الغنى ، والإملاق : الفقر .

وأول ما عُرف من أمره أنه أقام في ولاية صيدا زماناً ، وأخذ الناس به من ذلك الساحل في تلك المدة أماناً ، ثم إن الأمير تنكز سيف الدين [١] ـ رحمه الله تعالى ـ نقله إلى ولاية مدينة دمشق ، فأقام بها مُدّةً مديدة ، وحركاتُه فيها مُدّةَ الولاية سديدة .

ولم يزل على حاله إلى أن انطوى بَرْقُ ابن بَرْق ، فكأنه لم يلمع في غرب ولا شرق . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وتولى دمشق في صفر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وكان الأمير سيف الدين ـ رحمه الله تعالى ـ قد جعله حَكَمَ البُنْدُقِ [٢] عوضاً عن الأمير صارم الدين صاروجا [٣] ، فكتبت له بذلك توقيعاً ، وهو :

« الحمدُ لله الذي لم يزل حَمْدُه واجباً ، ورِفْدُه لكل خيرٍ واهباً ، وشُكْرُه للنِعَم جالباً ، وللنِقم حاجباً ، وذِكْرُه للبؤسِ سالباً ، وللنعيم [٤] كاسباً .

نحمده على نِعَمِه التي نصرعُ [٥] بالحمد أصنافَ أطيارها ، ونَقُصُّ بالشُكّرِ أَجْنِحَتها ، فلا قُدرة لها على مطارها [٦] .

---

(١) في الأصل « تنكز بن سيف الدين » ، وليس يصح ، وفي (أ) : « الأمير سيف الدين تنكز » .

(٢) البندق : كتل من الطين تكون كالبندق ، ثم تجفف بالشمس أو تشوى على النار . وحكم البندق هو مَن يحكم بين الصيادين بالبندق إذا اختلفوا حول ما يصطادون ، وهو غير البندقدار الذي يحمل قوس البندق خلف السلطان .

(٣) ت (٧٣٦ هـ) . وستأتي ترجمته .

(٤) (أ) : « النعم » .

(٥) في الأصل : « نضرع » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٦) في الأصل : « أمطارها » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة لا يكون لنا بها عن الفوز بالجنة عُذْرٌ ، ولا نجد بها نفوسنا[١] يوم البعث إلا في حواصل طيورٍ خُضْر .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . أفضلُ مَن قدّم ذوي الرُّتب ، وأشرفُ مَن حكم بالعدل العاري من الشُّبَه[٢] والرّيب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا في الحروب عُقبانَها الكواسر ، وفرسانَها الذين أشبعوا من لحوم العِدا ذواتِ المخالبِ والْمَناسِر[٣] ، ما أحمدَ الرامي في المرام عَزْمَه ، وسعت له في الرتب قَدَمُ قدمه ، وسَلَّم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فلما كان الرميُ بالبُنْدقِ فناً تعاطاه الخلفاءُ والملوك . وسلك الأمراء والعظماء طريقة[٤] لطيفة المأخذ ظريفة السلوك ، يرتاضون به عند الملل[٥] لاستراوح نفوسهم ، ويجنون ثمرات الْمُنى في التنزهِ من غروس عروشهم[٦] ، ويبرزون إلى ما يروقُ الطّرفَ ويروعُ الطيرَ من بَرْزاتهم[٧] ، وينالون ببنادق[٨] الطين من الطير ما لا ينالُه سواهم بجوارح صقورهم ولا بُزاتهم . قد نبذوا في تحصيل المراتب العليّة شواغلَ العُلَق ، وتدرّعوا شعارَ الصّدق بينهم وهم أصحابُ الْمَلَق ، ومنعوا جفونَهم من ورود حياض النوم[٩] إلاّ تَحِلّةْ ، وظهروا بوجوهٍ هي البدورُ وقِسيٍّ هي الأهِلّه ، وتنقلوا في صيد النسور تَنقُّل

(١) في الأصل : « نفوسا » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) قوله : « من الشبه » ليس في (أ) .
(٣) المناسر : جمع منسر ، وهو المنقار .
(٤) (أ) : « منه طريقة » .
(٥) في الأصل و (أ) : « الملك » . تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٦) في (أ) والوافي : « عروس غروسهم » ، وهي أشبه .
(٦) البرزة : هي المرأة تظهر على الرجال .
(٨) في الأصل : « من بنادق » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٩) في الأصل : « الموت » وهي بعيدة ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

الرُّخ ، وصادوا الطيور في الجو لَمّا نثروا حبّات الطين من كل قوس هي كالفخ ، وصرخوا على الأوتار فكانت ندامى الأطيار على سلاف المياه من جُمْلَة صَرْعاها ، واقتطفوا زهرات كل روضة أخرجت ماءها ومرعاها ، احتاجت هذه الطريقة إلى ضوابط تُراعى في شروطها ، وتسحبُ على الجادة أذيال مُروطها ، ليقفَ كلُّ رامٍ عند طوْرِ طيره ، ويَسْبِرَ بتقدُّمه غورَ غيره ، ليُؤمَنَ التنازعُ في المراتب ، ويسلم أهل هذه الطريقة[١] من العائب والعاتب .

وكان المجلسُ السامي الأميري[٢] الشهابي أحمد بن بَرق هو الذي جرّ فيها على المجرّة مِطْرَفَة ، وأصبح ابنَ بِجْدَتِها علماً ومعرفة ، تطرب الأسماعُ من نغمات أوتاره ، وتنشَقُّ مرائرُ الطيرِ من لون غُباره ، وتودّ المجرّةُ لو كانت له طريقاً ، والشمس جواده[٣] ، والسماء مَلَقَهُ ، وتتمنى قوسُ السماء الملوّنة ، لو كانت قوسه والنَّسْرُ طائِرَه والنجومُ بُنْدُقَه . كم جعل حُللَ الروضِ المرقومةِ بما صرعه مُطائَره ، وكم خرج في زُمَرٍ ﴿ والطيرُ فوقَهم صافّات ﴾[٤] ، فصاد[٥] بَدْرَ تَمّ حين بادره ، وكم ضرّج في مَعْرَكِ الجو من قتيلٍ ريشُه كالزَّرَدِ الموضون[٦] ، وكم أرسل البندق فكان سهماً ماضياً لأنه ﴿ من حمأ مسنون ﴾[٧] .

فلذلك رُسم بالأمر العالي لا زال طائرُه ميوناً ، ودُرَّ[٨] أَمْرِه في أَدْراجِ الامتثال

---

(١) قوله : « إلى ضوابط » ، حتى ههنا ، ليس في (أ) .

(٢) (أ) : « الأميري الكبيري » .

(٣) في الأصل و (أ) « جراوه » ، ولم يستبن معناها ، وأثبتنا ما في الوافي ، والملق : ضرب من سير الخيل السريع .

(٤) [الملك : ١٩/٦٧] .

(٥) (أ) : « فصار » .

(٦) الموضون : المضاعف النسج .

(٧) [الحجر : ٢٦/١٥] .

(٨) (أ) : « وذو » .

مكنوناً ، أن يفوّضَ إليه حُكْمُ البُنْدُقِ[١] بالشام المحروس على عادة من تقدّمه في ذلك من القاعدة المستمرة بين الرماة . فليتول ذلك ولاية يعتمد الحق في طريقها الواجب ، ويظهر من سياسته التي شخصت لها العيون وكأنما عَقَدَتْ أعالي كل جفن[٢] بحاجب ، وَلْيَرْعَ حَقَّ هذه الطريقة في حفظ[٣] مَوْثقِهْ ، وَلْيَجْرِ على السَّنَنِ المألوفِ من هذه الطائفة ﴿ وكلَّ إنسانٍ أَلْزَمناه طائِرَه في عُنقِه ﴾[٤] ، بحيث إنه يُنْزِلُ كُلَّ مُسْتَحق في مَنْزِلَتِه التي لا يعدوها ويقبل من الرامي دعوى صيده ، ويَردُّ مالا يعتدُ[٥] بها الرماة ولا يعدّوها ، مُتَثَبِّتا فيما يُحمل إليه من الرمي للحكم ولا يُرخِ على غيّه[٦] ذيلاً ، مُحَرِّرا[٧] أَمْرَ المصروع الذي أصبح راميه من كلفه به مجنون ليلى ، جرياً في ذلك على العادة المألوفة والقاعدةِ التي هي بالمنهج الواضح موصوفة ، وَلْيَتَلَقّ هذه النعمةَ بشُكْرٍ يستحقُّ به كُلَّ خير ، ويَتْلُ آياتِ الحمد لهذا الأمر السُّليماني الذي[٨] حكّمه حتى في الطير . والله يتولى تَدْبيرَه ، ويُصلح ظاهِرَ حُكْمِه والسَّريرة ، والاعتماد على الخط الكريم أعلاه ، والله الموفق بمَنّه وكرمه . إن شاء اللهُ تعالى » .

٩٥ ـ أحمد بن أبي بكر بن ظافر الخطيب*

الأمير الصّدْرُ الرئيسُ مجدُ الدين بنُ القاضي مُعين الدين الهمْداني المالكي ، خطيبُ الفيوم .

(١) في الوافي : « الحكم بين رماة البندق » .
(٢) في الأصل : « جنس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و وافي .
(٣) (أ) : « حفاظ » .
(٤) [الإسراء : ١٣/١٧] .
(٥) في الأصل : « يعتقد » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٦) (أ) ، والوافي : « عيبه » .
(٧) في الأصل : « مجردا » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٨) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
* الدرر : ١١١/١، والشذرات : ٤/٦ .

كان أديباً لَبيباً فَطِناً أريباً ، عنده حِشْمةٌ ورياسة ، وصدارةٌ ونَفَاسة ، وكان خطيبَ الفيوم ، خاضعاً[١] للحي القيوم ، يُبكي العيونَ إذا خطب ، ويحذِّرُهم البوائق والعَطَب ، وكانت له فضائل ، وفيه من الكلمة شمائل . قال شيخنا أثير الدين : كان أحد رجالات الكمال صورةً وكرماً ، وعِلماً وأدباً .

قلت : ولم يزل على حاله إلى أن ظَفَر على ابن ظافر من الموت ظافِر[٢] ، وأَنْشَبَ فيه مخالِبَه والأظافر . توفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

وكان صَاهَر الصاحب تاج الدين بن حنّا[٣] ، وهو ابن بنت الشيخ مجد الدين الإخميمي[٤] ، وهو أخو قاضي القضاة شرف الدين المالكي الحاكم بالشام ، وسوف يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ومن شعره : ....[٥]

٩٦ ـ أحمد بن بلبان*

الشيخ الإمام العالم الفاضل الْمُفتنُّ شهابُ الدين أبو العباس . ابن النقيب البَعْلَبكّي الشافعي ، مفتي دار العدل وشيخ الإقراء بالشام .

---

(١) (أ) : « خاشعاً » .

(٢) (أ) : « طافر » . تصحيف .

(٣) علي بن محمد بن سليم ، أحد رجال الدهر حزماً ورأياً وجلادة ، ت (٦٧٧ هـ) ، الشذرات : ٣٥٨/٥ .

(٤) اسمه محمد بن الحسن ، ت (٦٨٤ هـ) ، الشذرات : ٣٨٩/٥ .

(٥) كذا في الأصل ، ولم يورد شيئاً من شعره .

* الدرر : ١١٥/١ ، وغاية النهاية : ٤٠/١ ، والشذرات : ٢٠٠/٦ ، وفيه : « أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم » وهذا ماأشار إليه صاحب الدرر في قوله « كان اسم أبيه بلبان ، فغيّره عبد الرحمن ، قلت : وسمّى جدّه عبد الرحيم » ، ووقع اسمه في البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ هكذا : « أحمد بن عبد الله البعلبكي ، المعروف بابن النقيب » ، وكذلك في طبقات الشافعية : ١٨/٩ .

فاضل زاد على الأفاضل ، ومفتنٌ قصّرَ عنه مَن يُناظِرُ أو يُناضِل ، أقرأ الجماعة للسبع ، واحتفوا كأنهم أشبالٌ اجتمعوا على السبع ، وكان نَحْوُه يَعْذُبُ في الأسماع مَنْطِقُه ، ويروقُ إلى القلوب رونَقُه ، لو رآه ابنُ مالك كان له عبداً ، أو ابن الحاجب لَفَداهُ بعينه نقداً ، ولِفِقْهه على درسِ منهاجه فيه روضة ، وفتواه تُمرِعُ أَرْضَ السامع وتملأُ حوضه . وأصولُه باسقة ، وسهامُه إلى الأغراض بالصواب راشقة ، ينظم وينثر جيداً ، لكنه مُقِلّ ولو شاء لم يكن عن الإكثار متحيّداً . هذا كله إلى تواضُعٍ زانَه ، وتضاؤلٍ رفعَ شأنه وما شانه ، وعلا به أقرانَه ، وحشا به فَضْلَه فما أَسْعدَ قِرَانَه :

تلوحُ بين بني الدُّنيا فضائلُه ... كما تبرّجَتِ الأَقْمارُ في السَّدَفِ
بادي التَّواضُعِ للأَقْوامِ مِنْ كَرَمٍ ... إن التواضُعَ أقصى غايةِ الشَّرَفِ

ولم يزل على حاله إلى أن نُقب القبرُ لابن النقيب ، وأصابت كالَهُ عَيْنُ الرقيب . وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة .

ومولده في سنة أربع وتسعين وست مئة بقلعة بعلبك . كان والده بها نقيباً ، اجتمعتُ به بالديار المصرية وبالشام غير مرة ، وكان يتفضلُ ويجلسُ عندي بالحائط الشمالي من الجامع الأموي بدمشق وآخذُ من فوائده وألتقطُ من فرائده .

قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي ، وعلى الشيخ شهاب الدين الكفري[1] بالسَّبْع ، وحفِظَ (الشاطبية) و (المنهاج) للنووي ـ رحمه الله تعالى ـ ، وقرأ على الشيخ كمال الدين الزَّمْلكاني[2] ، وعلى الخابوري ، وعلى قاضي حماة ، وأُذِن له بالإفتاء بعد العشرين وسبع مئة ، وأُذِن له بذلك قاضي القضاة جلالُ الدين القزويني بالقاهرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة . وحفظ (مُخْتصرَ ابن الحاجب) و (الطوالع)[3] ،

(١) حسين بن سليمان ، ستأتي ترجمته .
(٢) محمد بن عبد الواحد كمال الدين بن الزملكاني ، ستأتي ترجمته .
(٣) طوالع الأنوار ، مختصر في الكلام للبيضاوي ، ت (٦٨٥ هـ) ، الكشف : ١١١٦ .

وبحثها على الشيخ شمس الدين الأصفهاني ، وقرأ (التقريب) و (التيسير)[١] في علوم الحديث ، و (العمدة)[٢] على ابن العطار[٣] ، وحفظ (الحاجبية) و (ألفية ابن مالك) وبحثها على قاضي القضاة ابن مسلم الحنبلي[٤] ، وعلى ابن المجد البعلبكي .

وناب في القضاء بدمشق لقاضي القضاة شهاب الدين ابن المجد[٥] ، وتردّد إلى القاهرة مرّات على فرس بريدٍ تارة ، وتارة على خيله لزيارة القاضي علاء الدين ابن فضل الله ، وأخذ له في بعض سفراته تدريس العادلية الصغيرة[٦] لما شغرت من فخر الدين المصري مضافاً لما بيده من تدريس القليجية[٧] الشافعية برُحَيْبَةِ خالد[٨] ، وأخذ حلقة الاشتغال بالجامع الأموي في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بعد الشيخ برهان الدين الفزاري[٩] ، وكان بيده الإقراء بالأشرفية[١٠] جوار الكلاّسة ، ومشيخة الإقراء بتربة أم الصالح[١١] .

---

(١) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير ، في أصول الحديث للنووي ، الكشف : ٤٦٥ .

(٢) هو « عمدة الأحكام عن سيد الأنام » لعبد الغني الجماعيلي ، ت (٦٠٠) ، الكشف : ١١٦٤ .

(٣) علي بن إبراهيم بن داود ، (ت ٧٢٤ هـ) ستأتي ترجمته .

(٤) لعله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر المزي ، قاضي المدينة . (ت ٧٢٦ هـ) ستأتي ترجمته .

(٥) ابن المجد الإربلي محمد بن المجد بن عبد الله بن الحسين ، ت (٧٣٨ هـ ، الشذرات : ١١٨/٦ ، والبداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، وفي طبقات الشافعية : « شهاب الدين ابن المجد عبد الله » .

(٦) العادلية الصغيرة : داخل باب الفرج ، شرقي قلعة دمشق ، أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، الدارس : ٢٧٨/١ ، وتقع اليوم في سوق العصرونية بدمشق .

(٧) القليجية : داخل البابين الشرقي وباب توما ، بناها ابن قليج . الدارس : ٣٢٩/١ ، وهي من المدارس المجهولة الآن .

(٨) هو خالد بن أسد البجلي القسري ، الدارس : ٤٣٠/١ .

(٩) إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم برهان الدين الفزاري (ت ٧٢٩ هـ) . سلفت ترجمته .

(١٠) دار الحديث الأشرفية ، بناها الأشرف مظفر الدين العادل ، الدارس : ١٥/١ .

(١١) فيها المدرسة الصالحية ، وواقفها الصالح إسماعيل بن أبي بكر ، الدارس : ٢٣٩/١ ، وانظر البداية والنهاية : ١٧٩/١٣ ـ ١٨٠ .

وكان أولاً يُقرئ أولاد القاضي مُحيي الدين بن فضل الله ، فحصّل بذلك هذه الجهات ، وأخذ له القاضي بدر الدين ابن فضل الله وظيفة الإفتاء بدار العدل في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر .

وكان له ذوقٌ جيّد في الأدب وينظم وينثر في الأدب جيداً ، ولكنه يتخيل في نفسه لِمَا كان عنده من الانجماع لغلبة السوداء عليه ، فما يعمل شيئاً .

وبيني وبينه مكاتبات مذكورة في الجزء الخامس من (التذكرة) التي لي ، وكتبت أنا إليه وأنا بالرحبة وهو مقيم بالقاهرة أسأله عن أخبار الأصحاب :

رحلْتُ وفي مِصْرَ لي سـادةٌ يطـولُ غرامي بهم واكتئـابي
جَفَـوْني وضَنّـوا بـأخبـارهم فـأصبحْتُ أطلبُهـا من صحـابي
عسى خبرٌ عنهم صـادِقٌ أُطـالِعُـه من كتـابِ الشهـاب

وكتبت له توقيعاً بإفتاء دار العدل بدمشق ارتجالاً ، وهو :

رُسِمَ بالأمر العالي المولوي السلطاني الصالحي العمادي ، لا زال شِهابُه لامعاً ، وسَحابُه بالنوال هامعاً ، وجنابُه لأرباب العلم جامعاً ، أن يُرتَّبَ في كذا رُكوناً إلى ما أتقنه من العلوم ، وسَهِرَ له والناسُ نيام بشهادة النجوم ، وسكوناً إلى ما حصّله في مذهبه وحرّره ، وأوضح دليله بالمباحث وقرّره ، لأنه الْمُقرئ الذي قتل السبع بدُربته خُبْراً ، ونزل به أضيافُ التلاميذ وكان لهم من السخاوي أَقْراً ، والنحوي الذي لو رآه الفارسيُّ[1] ترجّلَ له إعظاماً ، ولو شاهده ابنُ مالك كان له غُلاماً ، والفقيه الذي لو عاينه صاحبُ (التّنبيه)[2] غدق[3] به هذا الأمر ونام ، ولو نظر الغزاليُّ لَما كان حاكَ

(١) أبو علي الفارسي ، ت (٣٧٧ هـ) .

(٢) هو إبراهيم بن علي الشيرازي ، صاحب كتاب التنبيه في فروع الشافعية ، ت (٤٧٦ هـ) ، الكشف : ٤٨٩ .

(٣) كذا ، ولم يستبن المراد .

بُرودَ تصانيفه ولا رَقَمَها بالأقلام ، والأصوليُّ الذي لو تصدّى لـه السيفُ قطعـه بـالقول المصيب ، ولو تقدم عَصْرَه قليلاً قـال النـاس : مـا ابن الحـاجب في العين كابن النقيب ، والحَبْرُ الذي تتفيّأُ الأقلامُ إلى ظِلِّ فتاويه ، وتبدو وجوهُ المذهب وقد نضّرها كأنها البـدرُ في دياجيه . فليباشِرْ ذلك على العادة المألوفة ، والقاعدة المعروفة ، مُبـاشرةً تكون لـدار العَدْلِ طِرازاً ، ولذلك الحفل إذا أرشـدَهم قولُـه إلى النجـاةِ مجـازاً ، مُبـديـاً من فتـاويـه ما يقطعُ الحِجَج ، ويقذفُ بَحْرُه الزاخرُ دُرَّهـا من اللُّجج ، ويُمضي السيفَ قُولـه فيقول لـه الحقّ : لا إثمَ عليـك ولا حرج ، فرُبّ قضـايـا لا يكشف قِنـاعَ إشكالهـا غيرُ فتـواه ، وأمورٍ ينجلي فيها الحقّ ببيانـه ويُنْظَرُ جـدواه ، وتقوى الله أفضلُ حليـةٍ زانَتْ أفـاضِلَ الناس ، وخيرُ غنيمة تعجَّلَها أولو الحِلْم والباس ، فَلْتَجْعَلْها قائدةَ حِلْمِه ، وفائِـدةَ علمـه ، فقـد أصبح نجيَّ الملوك ، وقولُـه عِنْـدَهم أَنْفَسُ منَ الـدُّرِّ الْمُنَظَّم في السُّلـوك ، وألفـاظُـه عندهم حُجَّةٌ في الأوامر والنواهي ، وفتاويه عندها المآلُ وإليهـا التَّنـاهي ، والله يُسـدِّدُ أقوالَه ، ويوطِّدُ رُكْنَ أقواله بالتقوى فإنها أقوى له . والخَطُّ الكريم أعلاه حُجّةٌ في ثُبوت العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

٩٧ ـ أحمد بن بيلبك*

شهابُ الدين ابنُ الأمير بدر الدين المحسني .

كان والده نائباً بثَغْرِ الإسكندرية ، كَتَبَ طبقةً عُليا ، ونسخ بخطه أشيـا ، وعـانى النَّظمَ والنثر ، وأتى منهما بحـدائـق الـزَّهر ، وجمـع وصنف ، وأطرب الأسماع بكـلامـه وشنّف ، وراح عند الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعـالى ـ في[1] آخر أمره ، وكان يَسْمُرُ عنده في الليل[2] لتفريج همّ صدره ، ويقرأُ بين يديه في مجلّـدات كان يُحضرهـا ،

* الوافي : ٢٨٠/٦ ، والدرر : ١١٦/١ ، والمنهل الصافي : ٢٥٧/١ ، وفيه : « بيليك » .

(١) ليست في أ .

(٢) في الأصل : « الكيل » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

ويُريه أوائلها فينظرها ، ونظم بعض مسائل (التنبيه) أتى بذلك على غالبها ، وبرّز في نظمها ولَطُف ما قال به في قالبها ، وكان يعرضُها أولاً فأوّلاً على العلاّمة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي إلى أن كمّلها ، وختمَ عليه مُفصّلها ومُجملَها ، وتوجّه بعد تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ مرات إلى مصر وعاد ، وأَلِفت دمشقُ منه التداني والبعاد ، وآخر ما فارقها ، ونبذ عهدها وسارقها ، أنه توجه إلى مصر ، وسعى في نيابة دمياط ، وعمّر هناك عمارةً وقع منها في ألسنة العوام بين هياط ومياط .

ولم يزل بها نائباً إلى أن أساء الدهرُ إلى ابن الْمُحسني ، وذهب من حياته بالرائق السني ، وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وتسعين وست مئة .

وهو أخو الأمير ناصر الدين محمد بن المحسني .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

للهِ ساقٍ رشيقُ القَدِّ أهيَفُه ... كأنما صِيغَ مِنْ دُرٍّ ومِنْ ذهَب
يسقي مُعَتَّقةً تَحْكي شمائِلَه ... أنوارُها تَزْدَري بالسَّبْعَةِ الشُّهَب[1]
حُبابُها ثَغْرُه والطَّعْمُ ريقَتُه ... ولونُها لونُ ذاك الخَدِّ في اللَّهَبِ

قلت : شعر متوسط .

وكتبت أنا إليه وقد وقفت له على قصيدة في هذا الوزن بهذا[2] الروي يمدح بها رسول الله ﷺ :

---

(١) (أ) : « سقى معتقة يحكي شمائلها » .
(٢) قوله : « هذا الوزن بهذا » ، ليس في (أ) .

أيا قاصِداً في مدْحه أَشْرَفَ الورى وخَيْرَ نبيٍّ في البريَّةِ أُرْسِلا
جلَوتَ علينا فيه وَجْهَ قصيدةٍ أجلَّ مِنَ البَدْرِ الْمُنيرِ وأَجْمَلا
إذا نحن شبّهنا به نَظْمَ شاعرٍ وكُلُّ قوافيها الحِسانِ تقولُ : لا

٩٨ ـ أحمد بن أبي بكر*

الأميرُ شهاب الدين ابنُ الأمير الكبير سيف الدين نائب الشام ، أحدُ الولدين الذكرين اللّذين خلّفها الأميرُ سيفُ الدين تنكز ، كانا بمصر من جُمْلَةِ الأمراء ، وكان هذا « أحمد » هو الصغير ، والأمير ناصر الدين محمد[1] هو الكبير ، وكان اسمَ طويلاً ، قد أثّر الجدريُّ في وجهه .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

٩٩ ـ أحمد بن حامد بن عُصبة**

القاضي ، جمال الدين الحنبلي ، قاضي بغداد .

تولّى قضاء بغداد ، وكان فيها بمنزلة الأستاذ إلا أن « خَرَبندا »[2] تغيّرَ عليه خاطِرهُ ، وتنكّبَ عنه من نسيم إقباله عاطِرُه ، فيُقال إنه أَخْرقَ به وعزَّرَه ، وكاد لولا قليلٌ أن يُرى وقد نَقَبَ جَنْبَه وفَزَرَه[3] .

ما زال في حاله إلى أن عاملته الحياة بالجفاء ، وأعوزته الوقوفَ على ربوع الشفاء.

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

---

* لم نقف على ترجمته .
(١) ليس في (أ) و (خ) .
** الوافي : ٢٩٩/٦ ، والدرر : ١١٧/١ .
(٢) سلطان التتار ، ت (٧١٦ هـ) ، الشذرات : ٤٠/٦ .
(٣) فزره : شقه ، وضربه بالعصا على ظهره .

١٠٠ ـ أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن عليّ*

الإمام الحاكم بأمر الله ، أبو العباس بن الأمير أبي علي القُبّي ـ بالقاف والباء الموحدة ـ وعليّ المذكور ابن الخليفة الْمُسْترشِد[١] بالله بن الْمُسْتَظهِر الهاشمي العباسي البغدادي ، قدم مصر ، ونهضَ ببَيْعَته الملكُ الظاهر ، وبُويع سنة إحدى وستين وست مئة[٢] ، وخطبَ بالناس ، وعقد بالسلطنة للملك الظاهر بيبرس .

وكان مُلازماً لداره ، وكان شجاعاً له إقدام ، وعنده ثباتُ جَنَان في الحرب وإقدام ، لا يفرُّ من الحَين الْمُجْتَاح ، ولا يُرى في وسط المعركة إلا وهو إلى الموت يرتاح[٣] . هذا إلى ديانة متينة وصيانة مُبينة . له راتب يكفيه من غير سَرَف ، ويُقيم أَوَدَه إذا ماد أو انحرف .

امتدت أيامُه قريباً من أربعين سنة ، ثم إنه عهد بالخلافة إلى ولده المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ، وكان الحاكم قد نجا في كائنة[٤] بغداد ، واختفى ، ثم إنه سار مع الزين صالح بن البنا والنجم بن المشّا ، وقصدوا أميرَ خفّاجة حسين بن فلاح ، وأقاموا مدّة ، ثم توصلوا إلى دمشق ، وأقام بالبَرّ عند عيسى بن مهنا[٥] ، فعرّف به الناصر

---

* الوافي : ٣١٧/٦ ، والدرر : ١١٩/١ ، والبداية والنهاية : ٢٣٧/١٣ و ١٨/١٤ ـ ١٩ . ترجمته .

(١) في الأصل : « ابن المسترشد ، وأثبتنا ما في (أ) ، وفي البداية والنهاية ، ٢٣٧/١٣ : « .. القبي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد .. » .

(٢) انظر في هذه الأحداث : البداية والنهاية : ٢٣١/١٣ وما بعدها ، وبدائع الزهور : ٣١٢/١ ، والمختصر لأبي الفداء : ١٣٥/٤ .

(٣) (أ) : « إلى الحرب مرتاح » .

(٤) (أ) : « واقعة » . وهما بمعنى .

(٥) ابن مهنا ، (٦٨٣ هـ) ، الشذرات : ٣٨٣/٥ ، كان أمير سلمية سنة ٦٥٨ هـ ، البداية ٢٢١/١٣ غير صحيح لأن الحادثة قبل الستين .

صاحب حلب[١] ، فطلبه ، وجاء هولاكو ، ولَمّا جرى ما جرى ، ودخل المظفر دمشق بعد واقعة (عين جالوت) ، بعث أميراً يطلب الحاكم ، فاجتمع به وبايعه ، وتسامع به عربُ الشام ، فساروا معه[٢] ، وآلُ فَضْل وخلْق ، فافتتح بهم عانة وهِيت والأنبار ، وحارب « القراؤول » في[٣] سنة ثمان وخمسين وست مئة ، فهزمهم ، وقتل منهم ثمانية مقدّمين ، وأَزْيَدَ من ألف ، وما قُتل من عسكره سوى ستة ، فأقبل التتار مع قرّابغا ، فتحيّز[٤] الحاكم ، وأقام عند ابن مهنا ، ثم كاتَبه طَيْبَرس نائب دمشق ، فَقَدِمها ، فبعث به إلى مصر ، وصحبه الثلاثة الذين رافقوه من بغداد ، فاتفق وصول المستنصر قبله إلى مصر بثلاثة أيام ، فخاف الحاكم منه وتنكّر ، ورجع[٥] ماشياً وصحبته الزين الصالحي[٦] إلى دمشق ، فاختفى بالعقيبة[٧] ، ثم قصدا (سَلَمْيَّة) وصحبتهما جماعة أتراك ، فقاتلهم قوم ، ونجا الحاكم ، وقصد الأمير البرلي[٨] ، فقبّل البرلي يده وبايعه هو وأهلُ حلب ، وساروا إلى حرّان فبايعه بنو تميّة بها ، وصار معه نحو الألف من التركمان وغيرهم ، وقصدوا (عانة) فصادفوا المستنصر الأسود ، فعمل عليه ، واستمال التركمان ، فخضع الحاكم وبايعه ، والتقوا التتار ، فانكسر المسلمون ، وعُدم المُستنصر ونجا الحاكم ، فأتى (الرحبة) ونزل على ابن مهنا ، فكتب إلى السلطان ، فطلبه ، فسار إلى القاهرة ، وبويع بإمرة[٩] المؤمنين ، وسكن في برج القلعة[١٠] ليس له في الأمر شيء

---

(١) هو يوسف بن محمد ، ت (٦٥٨ هـ) ، التحفة : ١٥٤/٢ .

(٢) كذا في الأصل و (أ) ، وعبارة الوافي : « فسار ومعه ابن مهنا وآل فضل » .

(٣) (أ) ، والوافي : « في آخر » .

(٤) في الوافي : « فتحيّن » .

(٥) « الواو » زيادة من (أ) ، وفي الوافي : « وقصد » .

(٦) في (أ) : « الصالح » .

(٧) العقيبة : حي في وسط دمشق الآن ، على مقربة من قلعة دمشق ، إلى الشمال منها .

(٨) في الوافي : « البزلي » .

(٩) في الأصل : « بأمر » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(١٠) (أ) : « في برجٍ من القلعة » ، وفي الوافي : « في برجٍ بالقلعة » .

سوى الدعاء في الخطبة ، وطلب له إلى مصر الإمام شرف الدين بن المقدسي [١] ، فأقام معه نحو سنة يُفقهه ويعلّمه ويُكتّبه ، وأجاز له ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر ، ولم يحدّث .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وخرّج له ابن الخبّاز بخطه الوحش وانتخابه العفش أربعين جزءاً بالإجازة ، فبعث بذلك إلى الوراقة .

وكانت وفاته سنة إحدى وسبع مئة ، في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى ، ودُفن بمشهد السيدة نفيسة .

وقد تقدم ذكرُ حفيده أحمد بن سليمان ، وسيأتي ذكر ولده سليمان ـ إن شاء الله تعالى [٢] ـ في حرف السين مكانه .

١٠١ ـ أحمد بن الحسن*

ابن عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي .

قاضي القضاة ، شهاب الدين أبو العباس ابن الشيخ شرف الدين ابن الحافظ جمال الدين .

كان من أعيان الحنابلة وفرسانها الْمُقاتلة ، جيّداً في ذاته ، خيّراً في صفاته ، درّس بالصالحية وبحلقة الحنابلة ، وولي الإمامة بمحرابهم ، وولي القضاء بالشام نحواً من ثلاثة أشهر عوضاً عن قاضي القضاة تقي الدين سليمان في سنة تسع وسبع مئة في مستهل جمادى الآخرة [٣] ، ولَمّا جاء الملك الناصر من الكرك إلى دمشق عزله ، وأعاد قاضي القضاة تقي الدين سليمان .

---

(١) أحمد بن أحمد بن نعمة ، ت (٦٩٤ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٤١/١٣ .

(٢) زاد في (أ) ههنا : « وما فيه من الكلام الغريب » .

* تالي الوفيات : ٨ ، والشذرات : ٢١/٦ .

(٣) انظر أحداث سنة (٧٠٩ هـ) ن البداية والنهاية : ٥٠/١٤ ، والدارس : ٢٧/٢ ، وستأتي ترجمة سليمان .

وكان فاضلاً ، فقيهاً ، مناضلاً نبيهاً ، حسنَ العبارة ، إذا جرى في ميدان علمه لا يَشق أحدٌ غُباره .

وقرأ الحديث ، وروى عن ابن عبد الدائم .

ولم يزل على حاله إلى أن قضى إلى[١] سبيل ربه ، وعجز المداوي عن رُقاه وطِبّه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع عشري شهر ربيع الأول سنة عشر وسبع مئة .

ومولده ثاني عشر صفر سنة ست وخمسين وست مئة بسفح قاسيون .

١٠٢ ـ أحمد بن الحسن بن محمد*

مجير الدين الخياط الدمشقي .

كان المذكور شيخاً خياطاً ، وناظماً في ليل جهالته خبّاطاً ، وربما ندر له البيت والبيتان ، ورمى بالدرة فلقفها من أقلامه الحيتان[٢] ، مع ثقل في ألفاظه ، ما تنوء به أذهان حُفاظه . وكان كثير الدعاوى في هذا الفن ، غزيرَ الإدلال على مَن يسمع له ما شرد له وما عَن ، يقول : البارحة عركت أُذنَ أبي تَمّام ، وأريته جربّانَه في الحمّام ، وينشد قصيدة قد عارضها [في][٣] وزنها ، ويقول : هكذا تكون الدّرر في خَزْنِها . والبارحة ضربت المتنبي بألف بابوج ، وجعلت طرطوره مثل السراقوج ، وينشد قصيدةً يعتقد أنها نظيرُ شعر ذاك ، ويقول : هكذا تكون الجواهر في الأسلاك[٤] .

---

(١) في الأصل : « إلى أن قضى سبيل ربه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٣٣٢/٦ ، والدرر : ١٢٢/١ ، والمنهل الصافي : ٢٨٢/١ .

(٢) في (أ) : « فلقّفها من ألفاظه الحسن » .

(٣) زيادة من (أ) .

(٤) (أ) : « في العقود والأسلاك » .

وشعره في عدة مجلدات ، ليس لها نظيرَ في بابها ولا لِدات . قال لبنته المسكينة قبل موته : لا تبيعي كل مجلد من هذه بأقل من مئتي دينار ، وإياك أن يغرّك أحد ، فيأخذها بدون[١] هذا المقدار . فكانت بعد موته تبيع كل مجلد منها بدرهمين أو ثلاث ، وتتعجب من الناس كونهم مالهم عليها إقبال ولا انبعاث .

ولم يزل على ذلك الحال إلى أن لم يجد المجير من الموت مُجيراً ، وبَطَل ما كان له من العادة والهِجّيرى[٢] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وقد قارب السبعين أو تجاوزها .

ومن شعره ، ومن خَطِّه نقلت :

إلى كَمْ أيُّهـا الـدهرُ الخَـؤُون ... أَهُـونُ وأنت صَعْبٌ لا تَهُـونُ
ثَكِلْتُـكَ لا خليلُ لـديـك يُرجى ... صفـاءُ الـودِّ منـه ولا خَـدينُ
ولا سَكَنٌ إليـه من الليـالي ... إذا اضطربَتْ حـوادثُهـا سَكُـونُ
ولا قِرْنٌ من الإخـوان ذِمْرٌ ... بـه يُحمى الـذِّمـارُ ولا قرينُ[٣]
ولا تِربٌ يُصـابُ ولا صـديـقٌ ... كما لم يجتمـعْ ضَبٌّ ونـونُ
فـدَحْضـاً ثم تَعْسـاً ثم عَثْراً ... لِخَطْـوكَ أيّهـا الصَّعْبُ الخَـؤون[٤]
فيـاشرَّ الـدهـورِ إلامَ ظُلمي ... لـديـك ولا مَعينُ ولا مُعينُ
أُكَـذّبُ في لِئـامِ بَنيـك ظَنّي ... فتَصْـدُقُني المـآربُ والظُّنـونُ
وأَسْمَـحُ أَهْـلِ هـذا العَصْرِ نَفْسـاً ... بنـائـلِ خَيْرِه كَـزٌّ ضَنينُ[٥]

(١) (أ) : « بأقل من هذا » .
(٢) هجّيراه : دأبه وشأنه .
(٣) الذمر : الشجاع .
(٤) (أ) : « الحرون » ، وهي أقرب .
(٥) (أ) : « بنائل غيره » .

ولستُ فتًى على وَعَـكِ الليـالي ... إلى غير الْمُهَيْمِن أَسْتكينُ
وإن جـارَ الـزمـانُ فلي قنـاةٌ ... على غَمْـزِ الحـوادث لا تَلينُ
لأنّي من بني بيتٍ رفيـعٍ ... عليـه تَنزَّلُ الروحُ الأمينُ
يغرُّ ذوي الجهـالَـةِ فيَّ حِلْمٌ ... إذا طـاشَتْ حلـومُهم رَزِينُ
ومـا علمـوا بـأن جبـالَ حِلْمي ... لهم من خَلْفِهـا مَقْتي كمينُ
وألفـاظٌ أحـدُّ منَ المـواضي ... إذا شَحَـذَتْ مضـارِبَهـا العيـونُ

ومنها :

وفي مُتَشـاعري عَصْري أُنـاسٌ ... أقَـلُّ صِفـاتِ شِعْرِهمُ الْجُنـونُ
يظنّـونَ القريضَ قِـوامَ وَزْنٍ ... وقـافيـة ومـا شـاءت تكـون[1]
ومـا علمـوا بـأنّ الشِّعْرَ مَرْقى ... دُوينَ صُعـودِه يَنْـدى الجبينُ
وعِبْءٌ لـو تحمَّلَـهُ ثَبِيْرٌ ... لأُطَّ لـه ومنـه بـدا الأنينُ[2]
وبَحْرٌ نُهيَ لـه غَـوْرٌ بعيـدٌ ... عـزيـزٌ فيـه لُـؤلـوه الثّمينَ
ومضمارٌ فُحـولُ الشعر فيـه ... لهم من وَعْرِ شِقَّتـه صُفـونُ
وقـافيـةٌ هي الـذَّهَبُ الْمُصَفّى ... إذا امْتحنت بـل السِّحْرُ الْمُبينُ
معـانيهـا الثـواقبُ والقـوافي ... إذا يُفْـزَعْنَ أبكارٌ وعِينُ[3]

١٠٣ ـ أحمد بن حسن*

الأمير شهاب الدين بن المروانيّ .

---

(١) (أ) : « قيام » .
(٢) ثبير : جبل . وأطّ له : رقّ وصوّت من الثقل .
(٣) (أ) : « معايشها » .
* أشار بن كثير إليه وإلى سنة وفاته في البداية والنهاية : ١٦٢/١٤ .

كان أوّلاً مُتَوَلِّيَ البَرّ[١] بالكرك ، وأخوه علاء الدين[٢] بن المرواني متولي البر[٣] بدمشق ، فأُعرف في وقت أنه طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر ، وكتب الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ على يده مُطالعةً ، وكتبا إلى الأمير سيف الدين بكُتُمر الساقي وغيرِه بالشكر منه والوصيّةِ به ، فأخذ الكتُبَ وتوجّه بها ، ولم يفتَقِدْها إلا وهو بين يدي السلطان ، فمدّ يدَه ليُخرجَ الْمُطالعة ، فلم يجد لها أثراً ، فسقط في يده ودهش ، فتلافى أَمْرَه سيف الدين بكتمر الساقي ، وكتب إلى تنكز في معناه ، فاستأنف المكاتبة له ثانياً ، وجهّزها في البريد إليه ، فأقبل السلطانُ عليه بعد ذلك وعاد مُكرّماً .

وتولى نيابةَ بعلبك ، ولم يزل فيها إلى أن طُلب أخوه الأمير علاء الدين إلى مصر ، وولاّه السلطان الوجهَ القبلي ، فطلبه الأمير سيف الدين تُنكز من بعلبك وولاّه مكانه في ولاية البَرّ ، فأقام به إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبع مئة ، وكان قد توجه إلى مصر ، فحضر وهو مريض .

وكان فيه دين ، يتلو القرآن ويَتَنَفَّل وفيه خَيْر وعبادة .

١٠٤ ـ أحمد بن زكريا بن أبي العشائر*

الشيخ شهاب الدين أبو العباس المارديني .

روى الجزء الثاني من مشيخة ابن سلمة[٤] عنه . وكان مُقيماً بدمشق يصحب القاضي

---

(١) متولي البر : هو القائم بشؤون القرى المحيطة بالمدينة .

(٢) (أ) : « الأمير علاء الدين » .

(٣) (أ) : « البريد » ، تحريف .

* الدرر : ١٣٣/١ .

(٤) في الأصل : « مسلمة » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

محيي الدين بن الزكي[١] وأولادَه ، وينتمي إلى ابن العربي . ثم إنه سافر في الجفل إلى القاهرة واستوطنها .

قال شيخنا البرزالي : وأجاز لنا بدمشق ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالفيوم في شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة بماردين .

أنشدني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس قال : أنشدنا المذكور ، قال : أنشدنا الزين الجوبان لنفسه :

انْظُرْ إلى الشَّمْسِ وقد عَمَّمتْ رُؤْسَ الهِضابِ الصُّلَعِ بالأَصْفَرِ
كأنها في الجَوِّ قُلاّعةٌ وجاء فلاّحٌ عليها خري[٢]

١٠٥ ـ أحمد بن خليل*

شهاب الدين البزاعي التاجر الشاعر ، له ديوان شعر ، حدّث بشيء منه ، سمع [منه][٣] الطوفي الحنبلي ، وسراج الدين عبد اللطيف بن الكويك[٤] ، والسديد بن كاتب المرج ، وناصر الدين محمد بن الثقة الأسنائي .

كان المذكور سفّاراً ، يحمل من الفضل أسفاراً ، له عناية بديوان أبي الطيب ، وميل إليه كما يتحدّر قَطْر الصيّب ، يراجعه ويكرر على أبياته[٥] ، ويعتني بإظهار

(١) (أ) ، (خ) : « مجد الدين بن الزكي » . تحريف وهو يحيى بن محمد ، ت (٦٦٨ هـ) ، العبر : ٢٨٩/٥ ، والبداية النهاية : ٢٥٧/١٣ .

(٢) القلاعة : صخرة عظيمة وسط فضاء سهل .

* الدرر : ١٣٠/١ ، وخلت (خ) من ترجمته .

(٣) زيادة من (أ) ، وهي ثابتة في الدرر .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) (أ) : « ويكرّ على إثباته » .

عجائبه ومخبآته ، ولم يزل على حاله إلى أن مُرّغت بالموت صفاتُه ، وشُرِّعت[١] وفاته .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم عاشوراء سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وقد قارب المئة سنة .

ومن شعره : ...[٢]

١٠٦ ـ أحمد بن سعد بن مُحَمَّد*

أبو العباس العسكري الأندرشي[٣] الصوفي .

شيخُ العربية في زمانه بالشام ، وبارقُها الذي يَنْتجعُ قَطْرَه مَن شَام ، برع في النحو ودرّسه ، واقتطفَ أثمار ما علّقه من الفوائد وغَرَسه . أقرأ (التسهيل) بدمشق لجماعة تخرّجوا به وانتفعوا ، وخَرَجُوا من الجهالة واندفعوا . وشَرَح (التسهيل)[٤] ، وجعل غامِضَه كثيباً هِيل .

نَسَخ بخطه (تهذيبَ الكمال) واختصره ، وشرع في تفسيرٍ كبيرٍ وفَّرَ وقته عليه وقصره ، وكان دَيّناً ، وَرِعاً صَيّناً ، مُنقبضاً عن الناس إلى الغاية ، منجمعاً عنهم ليس له بأمرهم عناية ، لم أر في عمري ولا رأى غيري مثل انجماعه ، ولا مثل اطّراحه أمورَ الناس ودفاعِهْ . حضرت يوماً عند العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وهو عنده بعدما أمسك الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ بخمس سنين ، فذُكِرَ إمساك تنكز ، فقال : وتنكز أُمسك ؟ قلنا : نعم ، وجاء بعده أربعة نوّاب ، الأمير

---

(١) (أ) : « وسرّعت » .

(٢) بياض في الأصول .

* الدرر : ١٣٥/١ ، وفيه : أحمد بن سعد بن عبد الله ، والشذرات : ١٦٦/٦ ، والبغية : ٣٠٩/١ .

(٣) في الأصل : « الأندرسي » ، وأثبتنا ما في (أ) وبقية المصادر .

(٤) ذكره صاحب الكشف : ٤٠١ .

علاء الدين ألطنبغا ، الفخري ، وأيدغمش ، وهذا الأمير سيف الدين طقزتمر ! فقال : ما علمت بشيء من هذا ، وما في ذهني أن تنكِزَ أُمسك ! فتعجبنا منه ومن تخلّيه عن أحوال الناس والاشتغال بهم ». ويقع في دمشق مثلُ واقعة تنكز ، والفخري ، وألطنبغا ، وهو في دمشق ما[1] يعلم بشيء من ذلك ! هذا من أعجب ما يكون .

وكان له بيت في الجامع تحت المأذنة الشرقية ولم يزل مُكِبّاً على (التسهيل) حتى محقه الإسهال ، وذكره الموت بعد الإمْهَال والإهْمَال .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة خمسين وسبع مئة ، ومولده بعد التسعين والست مئة ، ووقف كتبه على أهل العلم ، وجعل أمرها لقاضي القضاة .

١٠٧ ـ أحمد بن سليمان بن مُحَمَّد بن هلال*

الصاحب تقي الدين ، ابن القاضي جمال الدين ، ابن القاضي أمين الدين ، ابن هلال .

خَرَجَتْ له شَفاعةٌ من دُور السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ونحن معه بالقاهرة في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بأن يكون في جملة كُتّاب الإنشاء بدمشق ، فوَعدهُنّ[2] بذلك إذا عاد إلى دمشق ، ثم إنه ذُكِرَ له أَمْرَه فما وافق ، ثم إنه سعى بعد موت جمال الدين عبد الله[3] بن غانم في زمن طقزتمر أن[4] يكون عوضَه فما اتفق له ذلك ، فتوجه إلى مصر ، وسعى في أيام

---

(١) (أ) ، (خ) : « ولا » .

* الوافي : ٤٠٥/٦ ، والدرر : ١٣٨/١ .

(٢) (آ) : « فوعد نساء السلطان » .

(٣) (أ) ، (خ) : « جمال الدين بن عبد الله » .

(٤) (أ) ، (خ) : « على أن » .

للملك الكامل ، وبذل مبلغاً كثيراً[١] في وكالة بيت المال والحسبة ، وتوقيع الدست بالشام ، فرُسم له بذلك ، وبلغ مبلغاً كبيراً[٢] ، ثم توقفت القضية ، فلما تولّى الملك المظفر ، قام معه الأمير سيف الدين بن فضل والصواف تاجر الخاص فرُسم له بنظر الشام عوضاً عن الصاحب علاء الدين بن الحرّاني ، لأنه كان قد تصوّر[٣] من الوظيفة ، وحضر إلى دمشق في زمن الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي بعد عيد رمضان سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، وباشر الوظيفة مدة تقارب نصف سنة إلى أن عُزل بالصاحب شمس الدين موسى[٤] ابن التاج إسحاق ، وحضر إلى دمشق في أواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان شاباً طويلا حَسَنَ الصورة ، مليح الشكل ، حركاته على الظُرف واللُطف مقصورة ، قد خُط عذاره بقلم الريحان ، وبَسَم عن ثغر كأنه الحُباب على بنت الحان ، بعِمّة أنيقة اللّف ، دقيقة الصّف ، وقلمُه سريع الحركة ، وحروفه أحسن في دُجى الحِبْرِ من النجوم الْمُشتبكة ، واستخفّ الناس به ، وقالوا : هذا صغيرٌ على هذه الوظيفة ، قليل الدُربة بتنفيذ أمور الدولة العالية المنيفة ، فلطف الله به ، وجاءت الجهات من عيونها ، وماتت نفوس حساده بغُبونها ، وكان قلمه رطباً لا يرد سائله ، ولا يُخيّبُ مَنْ أمّله وسائِلَه ، رأدَ معاليمَ جماعة ، وأجرى قلمه بصِلَةِ الرّزق ومدَّ باعَه ، إلا أن الناس عَبَرَتْ عيونُهم عليه ، ولَعِبوا في التَّصرفُ بين يديه ، وقلّت حُرمُته ، وحلّت بذاك جُرمتُه ، ونُهب المال وتمحّق ، ووقع في الضياع وتوّهق[٥] ، فكتب الأمير سيف الدين

---

(١) (أ) ، (خ) : « كبيراً » .

(٢) قوله : « وبلغ مبلغاً كبيراً » ، ليس في (أ) ، (خ) .

(٣) أي : صُرف .

(٤) ليس في (أ) و (خ) .

(٥) توهق : اضطر إلى ما يتحير فيه .

يلبغا ، وطلب الصاحب شمس الدين موسى ، فحضر كما ذُكر أولاً ، ولم يجد الصاحب تقي الدين عن دمشقُ متحوّلاً ، فلازم دارَه ، وأقام مكانه[١] كالقمر في الدّارَة .

وكان قد استدان من الصّواف مبلغ ثمانين ألفاً ، واتفق في تلك المدة أن حضر الأمير سيف الدين صرغتمش إلى دمشق متوجّهاً بالأمير فخر الدين إياس إلى نيابة[٢] حلب ، فطالب تقي الدين المذكور مطالبةً فيها غِلْظة ، وأراه مع مهابته أخلاقا فَظّة ، وجَدّ له واكفهر ، وجدّله وازْبَأَر[٣] ، فشفع فيه الأمير فخر الدين ، وضَمِنَ له القيام بذلك عند عَوْدِه من حلب ، وأنه ما يحوجه بعد هذا المجلس إلى طلب . فلما كان قبل وصول الأمير سيف الدين صرغتمش إلى دمشق بليلة واحدة ، ثارت على تقي الدين حُمّى بالهلاك معترفة وللحياة جاحدة ، وتبيَّع مع الحمى دمٌ كثير ، وهُيّج كَرْبٌ للتلاف مُثير ، أعجزَ الأطباءَ عن خلاصِه أو فَكَاكِه ، وتركوا ابنَ هلال في دَائِرة[٤] هلاكه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الجمعة سادس شهر رجب الفرد ، سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكان عمره خمساً وعشرين سنة .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة[٥] ما كتبه إلى المذكور[٦]:

هُنّيتَ ما أُوتيتَه مِنْ دَوْلَةٍ ... حملتْكَ في العينين مِنْ إجلالِها
في مُقْلَةِ الأَجْفانِ أنت فقُلْ لنا ... أنت ابنُ مُقلتها أو ابنُ هِلالِها

وانتقدَ الأفاضلُ عليه هذا المعنى ، لأنه ما يستقيم له المعنى الذي أراده ، فأنشدني بعد ذلك الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الخياط من لفظه لنفسه :

(١) (أ) ، (خ) : « في مكانه » .
(٢) (أ) : « مدينة » .
(٣) ازبأر الرجل للشر : تهيأ .
(٤) (أ) : « دارة » .
(٥) (أ) ، (خ) : « محمد بن محمد بن نباتة » ، وستأتي ترجمته .
(٦) ديوان ابن نباتة : ٤١٤ .

إنّ الـوَزارةَ والكِتـابـةَ لم تَجِـدْ أحـداً سواك يـزيـدُ في إجْـلالِهـا
جَعَلَتْـكَ في العينين منهـا يـا تُرى أنت ابنُ مُقلَتِهـا أو ابنُ هِـلالِهـا

١٠٨ ـ أحمد بن سليمان بن أحمد بن الحسن القُبّي*

ـ بضم القـاف وتشـديـد البـاء ـ ابن أبي بكر بن علي ، ابن الفضل بن أحمـد ابن عبـد الله بن أحمـد بن[١] إسحـاق بن جعفر بن محمـد بن هـارون بن محمـد بن عبـد الله بن محمـد بن محمد بن علي بن عبـد الله بن العبـاس بن عبـد المطلب ، الإمـام العباسي المصري ، أمير المؤمنين الحـاكم بـأمر الله ، أبو القـاسم ابن أمير المؤمنين المستكفي ابن أمير المـؤمنين الحـاكم ، وجـده الفضـل هـو المسترشـد بن المستظهر بن المقتـدي بن القـائم بن القـادر بن المقتـدر بن المعتضـد بن المـوفـق[٢] بن المتـوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور .

لّما توفي والده المستكفي بالله بقُوص ـ كما[٣] سيأتي في ترجمته في حرف السين ـ عهد بالأمر إلى ولده هذا أحمد ، فلم يوافق الملك الناصر[٤] محمد بن قلاوون على ذلك كراهيـة في والده ، وبويع أبو إسحاق إبراهيم ابن أخي المستكفي بيعة خفيّـة لم تظهر ، ولم تبـد كواكبها[٥] في أفق الخلافة ولم تُزهِر ، واستمر الأمر على ذلك إلى أن تولّى الأشرف كجك في أيام قوصون ، فطلب أبا القاسم هذا وبـايعـه بيعـة ظـاهرة ، سـاريـة في[٦] الآفـاق

---

* الدرر : ١٣٧/١ ، والشذرات : ١٧٣/٦ ، والبدائع : ٥٤٨/١/١ ، والمنهل الصافي : ٣٠٨/١ ، وفيه خلاف عما هنا في نسبه وسنة وفاته .

(١) قوله : « عبد الله بن أحمد بن » ليس في (أ) و (خ) .

(٢) في (أ) : « بن القادر بن المعتصم بن الموفق » .

(٣) (أ) ، (خ) : « على ما » .

(٤) في الأصل « المنصور » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٥) (أ) ، (خ) : « ولم يبد كوكبها » .

(٦) (أ) ، (خ) : « إلى » .

سائرة ، وكان قد لُقّب أولاً بالمستنصر ، فلُقّب الآن بالحاكم ، وكُني أبا العباس ، واشتدت أواخي خلافته والأمراس .

ولم يزل خليفة بمصر من سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة إلى أن خمدت أنفاسه ، ونقضت من الحياة أحلاسه[١] ، وتوفي ـ تغمده الله برحمته في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

١٠٩ ـ أحمد بن عبد الله*

ابن أحمد بن إبراهيم بن المسلم .

القاضي النبيل الماجد ، شهاب الدين ابن البارزي ، ناظر الأوقاف بدمشق ، حدّث بالغيلانيات[٢] عن غازي الحلاوي[٣] .

ورد إلى دمشق في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة من حماة ، فأكرمه ورتّبه في نظر الأوقاف ، وكان في حماة في زمن الملك المؤيد عماد الدين[٤] صاحباً ، وكان يحبه ويكرمه ، وكان كثير البِشْر طلق الوجه ، لا يعرف الرد ولا النَّجَّة[٥] ، كثير التودد والتقرب إلى القلوب ، لا يعرف إلا إيجاب الحقوق على نفسه دون السلوب ، يأخذ نفسه بالسيادة التي اعتادها ، وأكرم الله له وِلادها ، وأَلِف رضاعها فما أضاعها بختانة وِلادِها ، يتحيل على أن يخدم الناس بما

---

(١) (أ) ، (خ) : « أخلاسه » ، والحلس : العهد الوثيق .

* الدرر : ١٧٨/١ ، وهذه الترجمة ليست في موضعها .

(٢) الغيلانيات من أجزاء الحديث ، لمحمد بن عبد الله الشافعي ، برواية محمد بن غيلان البزار ، وكلاهما توفي سنة (٣٥٤ هـ) ، الكشف : ١٢١٤/٢ .

(٣) الدمشقي ، انتهى إليه علم الإسناد ، ت (٦٩٠ هـ) ، الشذرات : ٤١٧/٥ .

(٤) هو إسماعيل بن علي ، ت (٧٣٢ هـ) ، الوافي : ١٧٣/٩ .

(٥) النج : المنع .

عنده ، ويودّ أن كلَّ أحد يستظلُّ بانَه ورَنْدَه ، ويختار أن المحتاج والمحتال لا يقتدي إلا به ولا يقتدحُ إلاّ زِنْدَه ، وَرَدَ على أهل دمشق غريباً ، فكان إلى كل القلوب قريباً ، وإذا عاداه غِرٌّ به، ردّه بالإحسان إليه حبيباً ، بأخلاقٍ من أين للنسمات لُطفُها ، أو للغصون مَيلُها وعَطْفُها .

ومناقبٌ بيضُ الوجوه مُضيئةٌ أبداً تُكاثِرُ أَلْسُنَ الْمُدّاحِ
مَن قاس ذا شَرَفٍ به فكأنما وَزَنَ الجِبالَ القُودَ بالأَشْباحِ[1]

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن بَرَز إلى لحده ، وخلّف السؤددَ ينوحُ عليه من بعده . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وكان قاضي القضاة تقي الدين السبكي يعظّمه ويحترمه ويبرُّه .

١١٠ ـ أحمد بن سليمان*

ابن مروان بن علي بن سحاب .

الشيخ العدل الفاضل ، الأديب الصدر شهاب الدين أبو العباس ابن الشيخ نجم الدين البعلبكي .

كان تاجراً بالخوّاصين مدة ، ثم ترك ذلك ، وشهد على الحكّام ، ودخل في شهادة القيمة[2] ، وكان تقدّم له اشتغال في العربية والأدب ونظم الشعر ، وله قصائد .

وقرأ القرآن على علم الدين السخاوي ، وعرض عليه (الشاطبية) . قال شيخنا البرزالي : رواها لنا عنه مرات ، وروى لنا أيضاً « جُزء سُفيان »[3] ، وجزء

(١) القود : من صفات الجبال ، وهي المستطيلة الضخمة .

* الدرر : ١٣٩/١ ، الشذرات : ٢٩/٦ .

(٢) شهود القيمة يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال اليتيم ، وعليهم المدار وبشهادتهم يقدر المقدار .

(٣) سفيان بن عيينة الهلالي ، الكشف : ٥٨٧ .

« الصفار »[١] ، و « الأربعين السلفية »[٢] ، و « تاريخ هاشم بن مرثد » ، وروى لنا (نُسْخَةَ أبي مسهر)[٣] عن[٤] المشايخ الأربعة : التاج الشيرازي[٥] ، وابن علاّن ، وابن ريش ، وإبراهيم بن خليل[٦] ، وغير ذلك .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سادس ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وعشرين وست مئة .

١١١ ـ أحمد بن سلامة*

ابن أحمد بن سلامة . الإمام العلاّمة ، قاضي القضاة بدمشق المالكي ، القاضي فخر الدين أبو العباس ابن القاضي تاج الدين أبي الخير بن القاضي زين الدين أبي العباس الإسكندري .

كان جَبَلاً في علمه ، وشُعْلَةً في فَهْمه ، بحراً يتموج فُرُوعاً ، وحَبراً لا يُرى في معرك الجدال مَرُوعاً ، هذا إلى تفسير وحديث ، ومعرفة تواريخ مِنْ قديم وحديث ، وأصولٍ برّز في معرفة مسائلها ، وعرف مَأخذ قربها من الحق ووسائلها[٧] . جلس ببلده مدة للإفادة ، وكان للطلبة عليه في كل وقت قدومٌ ووفادة ، وانتفع الناس بعلومه المتقنة ،

---

(١) إسماعيل بن محمد ، ت (٣٤١ هـ) ، الكشف : ٥٨٨ .

(٢) وتعرف أيضاً بالبلدانية ، لأحمد بن محمد السلفي ، ت (٥٧٦ هـ) ، الكشف : ٥٤ .

(٣) عبد الأعلى بن مسهر ، من حفاظ الحديث ، كان شيخ الشام وحافظها بالحديث ، ت (٢١٨ هـ) ، السير : ٢٢٨/١٠ ، والشذرات : ٩٠/٣ .

(٤) في (أ) : « على » .

(٥) أحمد بن محمد بن هبة الله الدمشقي ، ت (٦٤٢ هـ) ، الشذرات : ٢١٣/٥ .

(٦) إبراهيم بن خليل الدمشقي ت (٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٤ ، والبداية والنهاية : ٩٢/١٤ ، والدرر : ١٤٠/١ ، والشذرات : ٤٧/٦ .

(٧) (أ) : « ومسائلها » .

وفوائده المفتنة [١] . ونـاب هنـاك في الحُكْم ، وشرّف نفسه عن قبول الهديّة والشُّكْم [٢] ، فشُكِرتْ سيرتُه ، وَطهُرت سريرتُه [٣] ، وظهر بالوجاهة ، فنقل إلى قضاء القضاة بدمشق فوردها بل ورّدها ، وعرّاها من السوء إذ عَراها وجَرَّدها ، وأقام بها سنة ونصفاً ، ثم دعاه خالِقُه ، وقذف به في حُفرة القبر حالقه .

وتوفيّ ـ رحمه الله تعالى ـ بُكرةَ الأربعاء مستهل ذي الحجة سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

وكان قدومه إلى دمشق في سابع عُشري جمادى الأولى سبعة عشرة وسبع مئة .

وكان محمود الطريقة ، وجمع في قضائه بين العلم المتين والنزاهة والصرامة ، وهو من بيتٍ كبير بالإسكندرية .

١١٢ ـ أحمد بن طَيْبُغا*

الأمير شهاب الدين المعروف بابن أخي الفخري ، أحد أمراء الطبلخانات بالشام ، توجه لنيابة الرحبة ، ثم إنه طلب الإقالة منها ، وحضر إلى دمشق في سنة سبع وخمسين وسبع مئة [وأقام][٤] بها قليلاً ، ثم توجه لنيابة حمص ، فأقام بها ، فلم توافِقْه ، وماتت زوجته وجماعةٌ من ألْزامِه وأهله[٥] ومماليكه ، وطال مرضُه فيها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في بُكرة الثلاثاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

---

(١) قوله : « وفوائده المفتنة » ليس في (أ) .

(٢) في الأصل : « الشكر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أنسب للسياق . والشكم : الجزاء والعطاء .

(٣) زاد بعدها في (أ) : « واشتهر بالنزاهة » .

* لم نقف على ترجمة له .

(٤) زيادة من (أ) و (خ) .

(٥) ليست في (أ) و (خ) .

وكانت نيابتُه بحمص قريباً من عشرة أشهر ، وكان شَكِلاً حسناً فيه حشمةٌ ورئاسة ، وحُمِدَت سيرتُه في النيابتين ، وكان قد وليها بعد موت نائب حمص الأمير علاء الدين علي بن الملك الزاهر[١] .

١١٣ ـ أحمد بن عبّاس*

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الماكسيني الأصل ثم الدمشقي ، ناصر الدين أبو العباس بن ناصر الدين الماكسيني أبي الفضل .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روى لنا عن الأمير شرف الدين يعقوب بن محمد بن الحسن الهَذَباني[٢] ، وحدّث والدُه عن حَنْبَل[٣] ، وهو من شيوخ الدمياطي . وروى جدّه عن الحافظ ابن عساكر .

روى لنا عنه ابن الصابوني[٤] . وهذا الشيخ كان جندياً في دولة الملك الصالح أيوب ، وكان رجلاً جيداً ملازماً للصلوات في الجامع .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة خمسَ عشرة وست مئة .

---

(١) ستأتي ترجمته .

* لم تقف على ترجمة له . وفي (أ) : « ابن عياش » .

(٢) ت (٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٣/٥ .

(٣) هو حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة ، ت (٦٠٤ هـ) ، السير : ٤٣١/٢١ ، والكامل : ١١٦/١٢ ، والعبر : ١٠/٥ ، والشذرات : ١٢/٥ .

(٤) هو الجمال بن الصابوني الحافظ ، ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .

١١٤ ـ أحمد بن العباس بن جَعْوان*

الإمام الزاهد شهاب الدين الأنصاري الدمشقي الشافعي ، أخو الحافظ شمس الدين محمد ، وسيأتي ذكره في المحمدين ـ إن شاء الله تعالى .

روى أحمد هذا (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدائم ، وسمع مع أخيه كثيراً ، وأقبل على الفقه فبرع فيه ، ولم يكن[١] مَن يوفيه قدره لما يوافيه ، وأفتى الناس زماناً ، وانقطع عنهم ينثر من[٢] العلم جماناً ، وهو من تلامذة الشيخ محيي الدين النووي .

ولم يزل على حاله إلى أن حلّت به المنية ، وجلّت به[٣] الرزية .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وست مئة .

١١٥ ـ أحمد بن عبد الله**

القاضي تاج الدين أبو الفضائل ، ابن الصاحب أمين الدين .

كان قيّما بصنعة الحساب ، إليه[٤] الانتماء والانتساب ، يخدم جريدته بنفسه ، ويتميز بذلك على أبناء جنسه ، فلا يحتاج إلى كشف عامل ، ولا يريد مع نفسه مشقة سيف ولا هِزّة عامل[٥] ، يكاد يعمل محاسبةَ كلِّ أحد من ذهنه ، ولا يحتاج إلى مساعد في ذلك ، ذكاءً من فطنته وإتقاناً لفنّه ، هذا إلى عفّة زانته[٦] ، وأمانةٍ لا يعلم أحد أنها

---

* الوافي : ١١/٧ ، والشذرات : ٤٤٤/٥ ، والمنهل الصافي : ٣٢٨/١ ، وفيه « أحمد بن محمد بن عباس » .

(١) (أ) : « ولم يكن فيه » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « فيه » .

** الدرر : ١٨٩/١ .

(٤) (أ) ، (خ) : « إليه فيها » .

(٥) عامل الرمح : صدره .

(٦) قوله : « هذا .. زانته » ليس في (أ) و (خ) .

حابته ولا خانته . تنقّل في المباشرات العالية ، وانفصل عنها وثناؤه فيها يرفض نفحات الغالية ، إلا أن الأقدار[١] لم تُصافه ، ولم تعامله بما يُحبُّ من إنصافه ، وآخر مامات تحت العقاب ، ورأى الذل الزائد بعدما خضعت له الرقاب .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبع مئة أو في أواخر شوّال .

كان أولاً قد دخل هو وأخوه القاضي كريم الدين ديوان الإنشاء في وزارة أبيهم ، واستمرّا في جُملة كُتّاب الإنشاء[٢] مدة ، ولما عرض السلطان ديوان الإنشاء في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، أخرجها ، ثم إنه ولّى القاضي تاج الدين استيفاءَ الصُّحبة[٣] وخَرْجَ القِلاع الحلبية كاشفاً[٤] هو والأمير سيف الدين جَرَكْتُمر وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وبقي في استيفاء الصحبة على أكمل ما يكون ، وترامى إلى النّشّو وأحبّه ، فلما كان في سنة تسع وثلاثين تولّى نظر[٥] الدولة ، وولي أخوه كريم الدين استيفاء الصحبة ، فلم يزل فيه إلى أن أُمسك هو ووالده الصاحب أمين الدين والقاضي شرف الدين النشّو ، وعوقبوا . ومات[٦] والده تحت العقوبة والنشو ، وصودر تاج الدين وأقام إلى أن أفرج عنه ، فحضر إلى القدس وأقام فيه مجاوراً مدة ، وعمل مجلداً في مساحته ، أعني المسجد الأقصى والحرم وما فيه من المعابد والقباب والأبواب ، وتعب عليه ، وأجازني روايته عنه في سنة خمس وأربعين وسبع مئة . فطُلب من القدس وتولى

---

(١) (أ) ، (خ) : « الزمان » .

(٢) (أ) ، (خ) : « في ديوان الإنشاء » .

(٣) وظيفة جليلة القدر ، يثبت صاحبها التواقيع والمراسم السلطانية ، وكل دواوين الأموال مرجعها إليه في حسابها .

(٤) الكاشف : هو الذي يشرف على أحوال الأراضي والجسور .

(٥) في الأصل : « نظم » ، وأثبتنا ما في (أ) والدرر ، وناظر الدولة ينظر في الأموال ، ويتفقد تصرفاتها ، ويُرفع إليه حسابها .

(٦) في الأصل : « وبات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

نظر البيوت بالقاهرة ، فاتفق له مع أرغون شاه لما كان يعمل الأستاذ داريّة [١] ما أوجب أنه [٢] طلب الإعفاء ، وأظنه بعد ذلك دخل إلى ديوان الإنشاء .

ثم إنه تولّى نظر النظّار بالشام ، فحضر في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر ، وتأمّر وعمّر وأرضى الناس ، ووصلت إليهم حقوقهم ، وكان لا يحابي أحداً ولا يحاسنه ، لكنه طلب الإقالة ، فأُعفي من نظر الشام ، وتوجه إلى مصر وأقام مدة ، ودخل ديوان الإنشاء ، وأقام به إلى أن أُمسك الوزير علم الدين بن زنبور ، فتولى نظر الجيوش بالديار المصرية فحقّق ودقّق [٣] وما راعى أحداً . ولما عُزل القاضي بدر الدين من نظر الخاص في سنة خمس وخمسين أُضيف إليه نظرُ الخاص ، فتورّع عن أخذ معلوم نظر الخاص وقال : معلوم نظر الجيش يكفيني ، وباشر ذلك وهو على قِدم العدالة فيه والأمانة وعدم الخيانة إلى أن تولى السلطان الملك الناصر حسن ثانياً ، فغيّروا خواطره عليه فأمسكه ، وصودر وعوقب ، وتنوّعوا في عقابه ، ومن ذلك أنهم حلقوا رأسه وجرحوه بالموس ، ثم جعلوا في قُبْعِه نبات وَرْدان [٤] وألبسوه فوجد لذلك ألماً مُبرّحاً ، نسأل الله العفو والعافية . وكان ذلك من حقد الأمراء والخاصكيّة عليه ، لأنه ما راعاهم بل راعَهَم ، ولم يحفظ جانبهم وأضاعهم .

وكنت قد كتبت له ـ رحمه الله ـ وأنا بالقاهرة [٥] توقيعاً شريفاً باستيفاء المارستان المنصوري عوضاً عن أخيه شمس الدين ، وهو :

« أمّا بعدَ حمد الله الذي زان أيامَنا الشريفةَ بتاجها ، ومنحَه من السيادة طريقةً

---

(١) الأستاذ دار : هو مَن يتولى شؤون مسكن السلطان .

(٢) قوله : « أوجب أنه » ليس في (أ) و (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « ودقق وضبط » .

(٤) بنات وردان : دواب معروفة .

(٥) قوله : « وأنا بالقاهرة » ليس في (أ) ، (خ) .

لا تنكّبُ السعود عن[١] منهاجها ، وخصّه بمناقب اتسقت فرائدُها اتساق اللآلي المنظمة في ازدواجها ، وأحله من المعالي رُتبةً تحسدها الكواكب الْمُشرقة[٢] في شرفِ أبراجها ، وصلاتِه على سيدنا محمد الذي حضّ على المعروف وحث ، وأذاع الجميلَ للناس كافةً وبث ، ونَشَرَ لِواءَ الثناء على الْمُحسنين ونَثّ ، وتمّم مكارم الأخلاق ، فَجَدّد[٣] منها ما كان قد بلي ورمَّ ما رثّ ، وعلى آله وصَحْبه الّذين ما منهم إلا مَنْ له الفضلُ المستوفى ، والجود[٤] الأوفى ، صلاة يكون الرضوان لها حِلفاً ، وتبوّئهم عند الله منازل الزُّلفى ، وسلامه .

فإنه لّما كان البيمارستان المنصوري وَقْف والدنا الشهيد الملك المنصور ـ قدّس الله روحه ـ ونوّر بالرضوان ضريحَه ، أجلَّ القُرُباتِ نَفْعاً ، وأخْصَبَ الْمَثُوبات مرعى ، يجري نفعُ أوقافه على الخاص والعام ، ويُنفقُ من حواصله في اليوم ما يُنفقُ من غيرها في العام . وتخْفق راياتُ الآيات الكريمة[٥] في أرجائه ، وتُنشرُ أعلامُ العلومِ في أثنائه[٦] ، ويزولُ به الإعدامُ والإيلام[٧] ، فكان حاتماً في حيّه ، والمسيحَ في إحيائه ، إلى غير ذلك من وجوه المعروف وأنواع البر المصروف ، وكان استيفاؤه يحتاج إلى مَن جُرّبَ سَدادُه وعُلِم رَشادُه ، وعُرفَ اعتمادُه ، وكان الحساب ميداناً وهو سابقهُ وجواده . والمجلس السامي القضائي التاجي ممن زانت أيامنا خَدمه[٨] ، ورسخت في ولائنا قدَمُه ، حتى أصبح بالمحامد مُتحلياً ، ولأقسام المحاسن مستوفياً ، يصحبه ركابُنا[٩]

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٢) في الأصل : « تجدها الكواكب المشرفة » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) ، وهي أنسب .
(٣) (أ) ، (خ) : « فتمّم » .
(٤) (أ) ، (خ) : « المجد » .
(٥) (أ) : « المكنونة » .
(٦) (أ): « أفنائه » .
(٧) (أ) ، (خ) : « الآيلام » .
(٨) في الأصل : « خدمته » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهو أنسب .
(٩) (أ) : « يصحب ركابنا » .

الشريف في الحضر والسفر ، ويتصف بسيادةٍ أخجلت الأفق ، [فالشفق][١] المحمرُّ فيه علامة الخفر ، وقد رأينا أن لا تنبت في الروض إلا قُضُبه المُورقَة ، ولا تَطلعُ في الأُفقِ إلا شهبُه المُشرقة ، ولهذا رجع إليه حقُّ[٢] الشُّفعة وانتهى ، وأحسن ما خلفت الدرة في السلك أختها ، فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يُرتبَّ في استيفاء البيمارستان المبرور وأوقافه عوضاً عن أخيه فلان ، فليباشر ذلك مباشرة تجمع [شتات][٣] الحزم ، وتلزم ثبات العزم ، حتى لا تفوت أوراقه ثمرةً تُجنى ، ولا يغيب شيءٌ من أموره عن بصره في الصورة ولا عن بصيرته في المعنى ، متطلباً كل عامل بما يلزمه في وضع الكتابة ، مُنكراً عليه إذا طاش سهمُ قلمه عن الإصابة ، لتمشي الأحوالُ فيه على النهج القوي القويم ، وتُصرف أمواله على الوجه الذي قصد به وجه العلي العظيم ، والوصايا كثيرة ، ومع كفايته لا بُدلّه منها على وصاه ، ولا ننبهه عليها بطَرْق حصاه ، وتقوى الله - عزوجل - في هذا وغيره أوثقُ العُرى ، وأعزُّ حصن يُتسنم منه الذرى . فالزم شعارها واقتف آثارها ، والله يتولى عونَك ، ويُديم صونَك . والخطُّ الشريف أعلاه الله وشرّفه أعلاه ، حجة بثبوته في الذي اقتضاه ، والله الموفق بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى » .

وكنت قد كتبت إليه عن الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - كتاباً هنّأته فيه بنظر الدولة ، وهو في التذكرة التي [لي][٤] .

١١٦ - أحمد بن عبد الله بن الزكي*

المعروف بالقاضي شُقير ، تصغير شقر ، القاضي شرف الدين الدمشقي الجزري .

تجرّد للفقر خمسةً وستين عاماً ، واجتلى الزهد في الدنيا قمراً تاماً ، وأعرض عن

(١) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيها السياق .
(٢) (أ) : « مَنّ » .
(٣) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيها السياق .
(٤) زيادة من (أ) يقتضيها السياق .
* الوافي : ١٣٨/٧ ، والتالي : ٣٥ .

الحطام الفاني ، وتحقق أن الفراق من الدنيا داني[١] ، ثم إنه جاور بمسجد الكهف الذي هو أسفل جبل قاسيون[٢] ، إلى أن أَنْفِقَ جِمَامُه[٣] ، وانمحقَ تمامهُ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس عشرة وسبع مئة في تاسع جمادى الآخرة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

١١٧ ـ أحمد بن عبد الله بن عبد الله بن مهاجر*

شهاب الدين الأندلسي الوادي آشي الحنفي .

هو فاضل مشهور ، وعَدْلٌ مذكور ، يَعْرِفُ مع الفقه النحو والعروض ، وجوادهُ في النظم الفائق مرَوض .

سكن طرابلس الشام مدة ، واجتمع فيها مع الأكابر بِعِدّه ، ثم إنه انتقل إلى حلب ، وبها نفق من البضائع[٤] ما جلب ، وكان ابن العديم قاضيها يواليه ، ويَطْرب لأماليه ، ويحثّه على معاليه .

رأيته بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، وكتب إليّ نَظْما يبل كبد مَن يَظْمَا ، وأجبته عن ذلك ، وذهبا مني في ليل الضياع الحالك ، ثم إنه بعد ذلك ساد ، وثنى الوساد .

---

(١) الأصل في الكلمة حذف الياء ، وأثبتت لتمام السجعة .

(٢) الدارس : ٢٧١/٢ .

(٣) الجمام : هو الكثير المجتمع .

* الوافي : ٧/ ١٣ ، والدرر : ١٨٢/١ والبغية : ٣١٨/١ .

(٤) (أ) : « الصنائع » .

ولم يزل إلى أن وصل[١] ابن مهاجر حينُه ، وأُغمضت بالمات عينُه . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ .....[٢]

أنشدني من لفظه لنفسه بحلب في التاريخ :

مـــا لاح في دِرْعٍ يصـولُ بسيفـــهِ والـوجْـــهُ منـــه يُضيءُ تحتَ المِغْفَرِ
إلا حسبتُ البحرَ مُـــدَّ بجـــدولٍ والشَّمْسَ تحت سحـــائب مِنْ عَنْبَرِ

قلت : جمع في هذا بين مقطوعين ، أحدهما قول أبي بكر الرصافي[٣] :

لـو كنتَ شـاهِـدَه وقـد حمي الـوغى يختـالُ في دَرْعِ الحـديـدِ الْمُسْبَـلِ[٤]
لرأيتَ منـــه والقضيبُ بكفِّـــهِ بحراً يُريـقُ دَمَ العُـــداة بجَـــدْوِلِ

والثاني قول المعتمد[٥] :

ولَمَّـــا اقتحمْتَ الـوغى دَارعـــاً وقنّعتَ وَجْهَـــكَ بـــالمغفرِ
حَسِبْنـــا مُحيَّـــاك شمْسَ الضُّحى عليهـــا سحـــائبٌ من العنبر

ومن شعره أيضاً :

تُسَعِّرُ في الـــوغى نيرانَ حَرْبٍ بـــأيـــديهم مُهنَّـــدةٌ ذُكـــورُ
ومِنْ عَجَبٍ لظىً قـــد سعّرتهـــا جـــداولُ قـــد أقلَّتهـــا بُـــدورُ

ومنه لغز في قالب اللَّبِن[٦] :

---

(١) (أ) : « واصل » .
(٢) كذا في الأصول ، وفي الدرر ، مات سنة ٧٣٩ هـ عن نحوٍ من خمسين سنة .
(٣) البيتان في الغيث المسجم : ٢٠/٢ .
(٤) (أ) : « غشي الوغى » .
(٥) ديوان المعتمد : ١٧ ، وقلائد العقيان : ٨ .
(٦) الأبيات في الوافي : ١٣٨/٧ .

مـــــــــــا آكلٌ في فَمَيْن يَغُـــــــــــوطُ من مَخْرَجين
مُغرَى بقَبْضٍ وبَسْـــــــــطٍ ومَـــــالَـــــهُ مِنْ يَـــــدَيْن
ويَقْطَـــــع الأرض سَعْيَـــــاً منْ غَيْرِمـــــــا قَـــــــدَمين

قلت : نظم رائق ، ولفظ يُخْجِلُ الحدائق ، ولكن ليست مقاصِدُه في هذا اللغز مليحة ، ولا معانيه صحيحة . وأحسن منه قول محَمَّد بن شرف القيرواني[١] :

ومـا بـالـغٌ في يَـومـه ألفَ لُقْمَـةٍ ولُقمَتُـه أضعافُ أضعـافِ وَزْنـه[٢]
إذا مـلأ المـأكـولُ جنبيـه لم يُقِم سـوى لحظـةٍ أو لحظتين ببَطْنِـه

١١٨ ـ أَحْمَد بن عبد الحليم*

ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم .

الشيخ الإمام العلاّمة المفسّر المحدّث المجتهد الحافظ شيخ الإسلام ، نادرة العصر ، فريد الدهر ، تقي الدين أبو العباس بن الشيخ شهاب الدين بن الإمام مجد الدين أبي البركات بن تيمية .

سَمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليُسر ، والكمال بن عبد[٣] ، وابن أبي الخير[٤] ،

---

(١) محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف ، أحد فحول شعراء المغرب ، له كتاب أبكار الأفكار ت (٤٦٠ هـ) ، الوافي : ٩٧/٣ .

(٢) (أ) : « ولقمته في الوزن » .

* الوافي : ١٥/٧ ، وفوات الأفيات : ٧٤/١ ، والبداية والنهاية : ١٣٥/١٤ ، والدرر : ١٤٤/١ ، وبدائع الزهور : ٤٧٥/١/١ ، الشذرات : ٨٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٨/١ .

(٣) (أ) : « ابن عبدون » ، وابن عبد هو الكمال بن السيد ، عبد العزيز بن عبد المنعم ، ت (٦٧٢ هـ) الشذرات : ٣٣٨/٥ .

(٤) أحمد بن أبي الخير ، سلامة بن إبراهيم الدمشقي الحنبلي ، ت (٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦٠/٥ .

وابن الصيرفي[١] ، والشيخ شمس الدين[٢] ، والقاسم الإربلي[٣] ، وابن علاّن ، وخلْقٍ كثير .

وبالَغ وأكثر ، وقرأ بنفسه على جماعة ، وانتخب ونسخ عدة أجزاء ، وسنن أبي داود ، ونظر في الرجال والعلل ، وصار من أئمة النقد ، ومن علماء الأثر ، مع التديّن والتأله . ثم أقبل على الفقه ودقائقه ، وغاص على مباحثه .

تحوّل به أبوه من حرّان إلى دمشق سنة سبع وستين وست مئة . و (تيمية) لقبٌ لجده الأعلى .

تمذّهب للإمام أحمد بن حنبل ، فلم يكن أحد في مذهبه أنبه[٤] ولا أنبل . وجادل وجالد شجعان أقرانه ، وجدّل خصومَهُ في وسط ميدانه ، وفَرّج مضائقَ البحث بأدلةٍ قاطعة ، ونصر أقوالَهُ في ظلمات الشكوك بالبراهين الساطعة ، كأنّ السُّنة على رأس لسانه ، وعلومَ الأثر مساقة في حواصل جنانه ، وأقوالَ العلماء مجلوةٌ نُصْبَ عيانه . لم أر أنا ولا غيري مثل استحضاره ، ولا مثل سبقه إلى الشواهد وسُرْعَةِ إحضاره ، ولا مِثْلَ عزوه الحديث إلى أصله الذي فيه نقطةُ مداره .

وأما علم الأصلين فقهاً وكلاماً ، وفهماً وإعلاماً ، فكان عجباً لمن يسمعه ، ومُعجزاً لمن يُعد ما يأتي به أو يجمعه . يُنزل الفروع منازِلَها من أصولها ، ويرد القياسات إلى مآخذها من محصولها .

---

(١) يحيى بن ابي منصور بن رافع الحراني الحنبلي ، ت (٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦٣/٥ .

(٢) قال ابن كثير في معرض تعداد شيوخه : « والشيخ شمس الدين الحنبلي ، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي » ، وأولهما هو محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني الحنبلي ، ت (٦٧٥ هـ) . الشذرات : ٣٤٨/٥ ، والثاني هو عبد الله بن محمد بن عطا الحنفي ، ت (٦٧٣ هـ) ، الشذرات : ٣٤٠/٥ .

(٣) القاسم بن أبي بكر بن القاسم بن غنية ، ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٧/٥ .

(٤) (أ) : « أنبه منه » .

وأما الملل والنحل ، ومقالاتُ أرباب البِدَعِ الأُوَل ، ومعرفةُ أرباب المذاهب ، وما خُصوا به من الفتوحات والمواهب ، فكان في ذلك بحراً يتموّج ، وسهماً ينفذ على السواء لا يتعوّج .

وأما المذاهب الأربعة فإليه في ذاك الإشارة ، وعلى ما ينقله الإحاطة والإدارة .

وأما نَقْلُ مذاهب السَّلَف ، وما حَدَث بعدهم من الخَلَف ، فذاك فنُّه ، وهو في وقت الحربِ مِجَنُّه ، قلَّ أن قَطَعه خصمُه الذي تصدى له وانتصب ، أو خلص منه مُناظِرهُ إلا وهو يشكو من الأيْنِ والنَّصب .

وأما التفسير فيدُه فيه طولى ، وسردُه فيه يجعل العيون إليه حُوْلاً . إلا أنه انفرد بمسائل غريبة ، ورجَّح فيها أقوالاً ضعيفة عند الجمهورُ معيبة . كاد منها يقع في هُوَّة ، ويسلم منها لما عنده من النيّة المرجوّة ، والله يعلم قصده ، وما يترجّح من الأدلة عنده . وما دَمّر عليه شيء كمسألة الزيارة[١] ، ولا شُنّ عليه مثلها إغارة ، دخل منها إلى القلعة مُعْتَقلا ، وجفاه صاحبه وَقَلا ، وما خرج منها إلا على الآلة الحدبا ، ولا درج[٢] منها إلا إلى البقعة الجدبا ، والتحق باللطيف الخبير ، وولّى والثناءُ عليه كنشر العبير .

وكان ذا قلم يسابقُ البرق إذا لَمَع ، والوَدْقَ إذا هَمَع ، يُملي على المسألة الواحدة ما شاء من رأس القلم ، ويكتب الكرَّاسَيْن والثلاثةَ في قعدة[٣] ، وحَدُّ ذهنه ما كَلّ ولا انثلم ، قد تحلّى بالْمُحلّى[٤] ، وتولّى من تقليده ما تولّى ، فلو شاء أورده عن ظهر قلب ، وأتى بجُملة ما فيه من الشّناع والثَّلْب .

---

(١) أي زيارة قبور الأولياء .

(٢) (أ) : « رجع » .

(٣) (أ) : « قعدة واحدة » .

(٤) المحلّى في الخلاف العالي في فروع الشافعية ، لأبي محمد بن حزم الظاهري ، ت (٤٥٦ هـ) : الكشف : ١٦١٧ .

وضيّع الزمانَ في ردّه على النصارى والرافضة ، ومن عاند الدين أو ناقَضَه ؛ ولو تصدى لشرح البخاري أو لتفسير القرآن العظيم ، لقلّد أعناق أهلِ العلوم بدُرّ كلامه النظيم .

وكان من صغره حريصاً على الطلب ، مجدّاً على التحصيل والدأب ، لا يُؤثِرُ على الاشتغال لَذّة ، ولا يرى أن تضيع لحظةٌ منه في البطالة فَذّة ، يَذْهَلُ عن نفسه ويغيب في لَذّة العلم عن حِسّه ، لا يطلب أكلاً إلا إذا أُحضِرَ لديه ، ولا يرتاحُ إلى طعام ولا شراب في أَبْرَدَيْه .

قيل : إن أباه وأخاه وأهله[1] وآخرين ممن يلوذون بظلّه سألوه أن يروح معهم يوم سبت ليتفرّج ، فهرب منهم وما ألوى عليهم ولا عرّج ، فلما عادوا آخرَ النهار لاموه على تخلّفه ، وتَرْكِه لاتّباعهم وما في انفراده من تكلُّفه ، فقال : أنتم ما تزيّد لكم شيئاً ولا تجدّد ، وأنا حفِظت في غيبتكم هذا المجلد ، وكان ذلك كتاب (جنّة الناظر وجُنّة المناظر)[2] ، وهو مجلد صغير ، وأمره شهير .

لا جرم أنه كان في أرض العلوم حارثاً وهو همّام ، وعلومُه كما يقول الناس تدخل معه الحمّام . هذا إلى كرم يضحكُ البرقُ منه على غمائمه ، وجودٍ ما يَصْلُحُ حاتَمٌ أن يكون في فَصِّ خاتمه ، وشجاعة يفرّ منها قَسْوَرة ، وإقدام يتأخر عنه عَنْترة . دخل على محمود غازان وكلمه كلاماً غيظاً بقوه[3] ، وأسمعه مقالاً لا تحملّه الأبوةُ من البنوّة .

وكان في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مئة ، قد قام عليه جماعة من الشافعية ، وأنكروا عليه كلاماً في الصفات ، وأخذوا فُتياه الحموية[4] ، وردوا عليه

(١) (أ) : « وأخاه وجماعة من أهله » .

(٢) لتاج العلاء أشرف بن الأغر بن هاشم العلوي الحسني الرملي ، وهو خمس مجلدات في التفسير ، توفي بحلب سنة (٦١٠ هـ) ، إيضاح المكنون : ٣٦٩/٣ ، وترجمته في لسان الميزان : ٤٤٩/١ ، ونكت الهميان : ١١٩ ، والأعلام : ٣٣٢/١ .

(٣) (أ) : « وكلّمه بكلام فيه غلظة وقوة » .

(٤) انظر البداية والنهاية : ٤/١٤ ، والدرر : ١٥٥/١ .

فيها ، وعملوا له مجلساً ، فدافع الأفرم[١] عنه ولم يُبلّغهم فيه أرباً ، ونودي في دمشق بإبطال العقيدة الحموية ، فانتصر له جاغان الْمَشدّ[٢] ، وكان قد مُنع من الكلام ، ثم إنه جلس على عادته يوم الجمعة ، وتكلم ثم حضر عنده قاضي القضاة إمام الدين[٣] ، وبحثوا معه ، وطال الأمر بينهم ، ثم رجع القاضي إمام الدين وأخوه جلال الدين وقالا : مَن قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عزّرناه .

ثم إنه طُلب إلى مصر ، هو والقاضي نجم الدين[٤] بن صَصْرَى ، وتوجها إلى مصر في ثاني[٥] عشر شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة ، فانتصر له الأمير سيف الدين سلاّر[٥] ، وحطّ الجاشنكير عليه ، وعقدوا له مجلساً انفصل على حبسه ، فحُبس في خزانة البنود[٧] ، ثم نُقل إلى الإسكندرية في صفر سنة تسع وسبع مئة ، ولم يُمكّن أحد من أصحابه من التوجه معه ، ثم أُفرج عنه وأقام بالقاهرة مُدة . ثم اعتقل أيضاً ، ثم أُفرج عنه في ثامن شوال سنة تسع وسبع مئة ، أخرجه الناصر لَمّا وَرَدَ من الكرك ، وحضر إلى دمشق ، فلما كان في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة جمع الفقهاء والقضاة عند الأمير سيف الدين تنكز ، وقرأ عليهم كتاب السلطان ، وفيه فَصْلٌ يتعلق بالشيخ تقي الدين بسبب فُتياه في مسألة الطلاق ، وعُوتب على فُتياه بعد المنع ، وانفصل المجلس على توكيد المنع .

---

(١) هو آقوش نائب دمشق . وستأتي ترجمته .

(٢) هو الأمير سيف الدين الحسامي ، وستأتي ترجمته .

(٣) عمر بن عبد الرحمن القزويني الشافعي ، ت (٦٩٩ هـ) . العبر : ٤٠٢/٥ ، والنجوم : ٥٨/٨ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

(٤) (أ) : « جلال الدين » ، والصحيح ما في الأصل ، وهو أحمد بن محمد بن سالم ، وستأتي ترجمته .

(٥) (أ) : « ثامن » .

(٦) الصالحي المنصوري ، ت (٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٧) هي من منشآت الدولة الفاطمية ، لخزن البنود من الرايات والأعلام ، ثم احترقت ، وآل أمرها إلى أن أصبحت سجناً للأمراء والوزراء والأعيان .

ثم إنه في يوم الخميس ثاني عشري شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة عُقد له مجلس بدار السعادة[١] وعاودوه في فتيا الطلاق [وحاققوه][٢] عليها ، وعاتبوه لأجلها . ثم إنه حُبس بقلعة دمشق ، فأقام بها إلى يوم الإثنين يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، فأخرج من القلعة بعد العصر بمرسوم السلطان ، وتوجه إلى منزله . وكانت مدة سجنه خمسةَ أشهر وثمانية عشر يوماً .

ولما كان في يوم الاثنين بعد العصر ، سادس شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة في أيام قاضي القضاة جلال الدين القزويني تكلموا معه في مسألة الزيارة[٣] ، وكُتب في ذلك إلى مصر ، فورد مَرسومُ السلطان باعتقاله في القلعة ، فلم يزل بها إلى أن مات - رحمه الله تعالى - في ليلة الاثنين عشري ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بقلعة دمشق في القاعة التي كان بها محبوساً .

ومولده بحرّان سنة إحدى وستين وست مئة .

وأول ما اجتمعت أنا به كان في سنة ثماني عشرة أو سبع عشرة ، وهو بمدرسته في القصّاعين بدمشق المحروسة ، وسألته مسألةً مُشكلةً في التفسير ، ومسألةً مُشكلة في الإعراب ، ومسألة مشكلة في الممكن والواجب ، وقد ذكرت ذلك في ترجمته في تاريخي الكبير[٤] . ثم اجتمعت به بعد ذلك مرّات ، وحضرت دروسه في الحنبلية ، فكنت أرى منه عجباً من عجائب البَرّ والبحر ، ونوعاً فرداً وشكلاً غريباً وكان [كثيراً][٥] ما ينشد قول ابن صردر[٦] .

---

(١) البداية والنهاية : ٩٧/١٤ .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) البداية والنهاية : ١٢٣/١٤ .

(٤) الوافي : ٢٠/٧ .

(٥) زيادة من (أ) .

(٦) علي بن الحسين بن يحيى ، ت (٤٦٥ هـ) ، له ديوان شعر مطبوع . والبيتان في الوافي ، والدرر .

تموتُ النّفوسُ بأَوْصَابِها ولم تَشْكُ عُوّادَها ما بها
وما أَنْصَفَتْ مُهجَةٌ تشتكي أذاها إلى غير أَحْبَابِها

ويُنشد أيضاً[١] :

مَن لم يُقَدْ ويُدَسّ في خَيْشومِه رَهَجُ الخميسِ فلن يقودَ خميسا

رأيته في المنام بعد موته ـ رحمه الله تعالى ـ كأنه في جامع بني أمية ، وأنا في يدي صورةُ عقيدةِ ابن حزم الظاهري التي ذكرها في أول كتاب (المُحَلَّى) ، وقد كتبتها بخطي ، وكتبت في آخرها :

وهذا نَصُّ ديني واعتقادي وغَيْري ما يَرَى هذا يجوزُ

وقد أوقفته على ذلك ، فتأملها ورآها وما تكلّم بشيء .

ذكر شيء من تصانيفه

ـ كتب التفسير :

(قاعدة في الاستعاذة) ، (قاعدة في البسملة) ، قاعدة في قوله تعالى ﴿ إياك نعبُد وإياك نستعين ﴾ ، قطعة كبيرة من أول سورة البقرة ، وفي قوله تعالى ﴿ ومِنَ النّاسِ مَنْ يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾[٢] نحو ثلاثة كراريس ، وفي قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُم كَمَثَل الذي استوقد ناراً ﴾[٣] نحو كراسين ، وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾[٤] سبع كراريس ، وفي قوله تعالى : ﴿ إلا مَن سَفِه نَفْسَه ﴾[٥] كراس ، آية الكرسي كراسان ، وغير ذلك من سورة البقرة .

(١) البيت لأبي تمام ، ديوانه : ٢٧٠/٢ .
(٢) [سورة البقرة : ٨/٢] .
(٣) [سورة البقرة : ١٧/٢] .
(٤) [سورة البقرة : ٢١/٢] .
(٥) [سورة البقرة : ١٣٠/٢] .

﴿ منه آيات محكمات ﴾[١] إلى آخرها نحو مجلد ، ﴿ شهد الله أنّه لا إله إلا هو ﴾[٢] ستة كراريس ، ﴿ ما أصابك من حَسَنة ﴾[٣] عشر كراريس ، وغير ذلك من سورة آل عمران .

تفسير المائدة مجلد كبير ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾[٤] ثلاث كراريس ، ﴿ وإذ أخذ ربُّك من بني آدم ﴾[٥] سبع كراريس ، قواعد سورة يوسف ، مجلد كبير ، سورة النور ، مجلد لطيف ، سورة تبت والمعوّذتين ، سورة الكافرين ، سورة الإخلاص ، مجلد ، سورة القلم ، وأنها أول سورة أنزلت ، تضمّنت أصول الدين ، مجلد ، سورة ﴿ لم يكن ﴾ وغير ذلك من آيات مُفرّقة .

ـ كتب الأصول :

(الاعتراضات المصرية على الفُتيا الحموية) أربع مجلدات ، أملاه في الجب ، (بيانُ تَلْبيسِ الجَهْميّة في تأسيس بِدَعهم الكلامية) ، وربما سمّاه (تلخيص التلبيس من تأسيس التقديس) ، (شرح أول المحصّل) للرازي ، بلغ ثلاث مجلدات ، شرح بِضْعَةِ عشر مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين الرازي ، (تعارض العقل والنقل) أربع مجلدات ، (جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشي) مجلد ، (الجواب الصحيح لِمَن بدّل دين المسيح) ، ثلاث مجلدات ، (منهاج الاستقامة) ، (شرح عقيدة الأصبهاني) مجلد ، (نَقْض الاعتراض) عليها لبعض المشارقة أربع كراريس ، (شرح أول كتاب الغَزْنَوي) ، مجلد ، (الرد على المنطق) مجلد ، ردّ آخر لطيف ، (الرد على الفلاسفة) مجلدات ، (قاعدة في القضايا الوهمية) ، (قاعدة فيما يتناهى ومالا يتناهى) ،

---

(١) [سورة آل عمران : ٧/٣] .

(٢) [سورة آل عمران : ١٨/٣] .

(٣) في الأصل (من مصيبة) والصواب (من حسنة) ، كما في الوافي ، وهي من [سورة النساء : ٧٩/٤] .

(٤) [سورة المائدة : ٦/٥] .

(٥) [سورة الأعراف : ١٧٢/٧] .

(جواب الرسالة الصفدية) ، (جواب في نقض قول الفلاسفة : إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية) ، (إثبات المعاد والرد على ابن سينا) ، (شرح رسالة ابن عبدوس) في كلام الإمام أحمد في الأصول ، (ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً) ، و (المعجزات والكرامات) ، مجلدان ، (قاعدة في الكليات) ، مجلد لطيف ، (الرسالة القبرسية) ، (رسالة أهل طبرستان وجَيْلان في خلق الروح والنور والأئمة المقتدى بهم) ، (مسألة ما بين اللوحين كلامُ الله) ، (تحقيق كلام الله لموسى) ، (هل سمع جبريل كلام الله أو نقله من اللوح المحفوظ) ، (الرسالة البعلبكية)، (الرسالة الأزهرية) ، (القادرية) ، (البغدادية) ، (أجوبة الشكل والنقط) ، (إبطال الكلام النفساني) : أبطله من نحو ثمانين وجهاً ، (جواب مَن حلف بالطلاق الثلاث) أن القرآن حرف وصوت . وله في إثبات الصفات وإثبات العلو[1] والاستواء مجلدات ، (المراكشيّة) ، (صفات الكمال والضابط فيها) ، (أجوبة في مباينة الله تعالى لخلقه) ، (جواب في الاستواء ، وإبطال تأويله بالاستيلاء) ، (جوابُ مَن قال لا يمكن الجمعُ بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه) ، (أجوبة كونِ العرش والسموات كُرَويّة) وسبب قصد القلوب جهةَ العلو ، (جواب كون الشيء في جهة العلوّ مع أنه ليس بجوهر ولا عرض معقول أو مستحيل) ، (جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ، وهل لازم المذهب مذهب) ، سمَّاه (الأربلية)[2] ، (مسألة النزول) واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع ، مجلد لطيف ، (شرح حديث النزول) في أكثر من مجلد ، (بيان حل إشكالات ابن حزم الواردة على الحديث) ، (قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه) ، مجلد ، (الكلام على نقض المرشدة) ، (المسائل الإسكندرانية في الرد على الاتحادية والحلولية) ، ما تضمنه فصوص[3] الحِكَم من الكفر والالحاد والاتحاد والحلول ، (جواب في لقاء الله) ، (جواب رؤية النساء رَبَّهُنّ في

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٢) (أ) : « الأزيلية » .

(٣) في الأصل : « حلول » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، وفصوص الحكم لابن عربي .

الجنة) ، (الرسالة المدنية في الصفات النقلية) ، (الهلاوونية) جواب ورد على لسان ملك التتار ، مجلد ، (قواعد في إثبات القدر والرد على القدرية والجبرية) ، مجلد ، (رد على الروافض في الإمامة)[١] لابن مُطهّر ، (جواب في حُسن إرادة الله بخلق الخلق وإنشاء الأنام لعلّة أم لغير علّة) ، (شرح حديث : فحَجَّ آدم موسى) ، (تنبيه الرجل الغافل على تمويه الجادل) . (تناهي الشدائد في اختلاف العقائد) ، (كتاب الإيمان) ، (شرح حديث جبريل في الإسلام ، والإيمان في عصمة الأنبياء فيما يبلغون) ، (مسألة في العقل والروح) (في المقرّبين[٢] : هل يسألهم منكر ونكير) ، (هل تعذب الروح مع الجسد في القبر ، وهل تفارق البدن بالموت أو لا) ، (الرد على أهل كسروان) ، (في فضل أبي بكر وعمر على غيرهما) ، (قاعدة في فضل معاوية وفي ابنه يزيد أنه لا يُسب) ، (في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس) (في كفر النُّصَيْريّة) (في جواز قتال الرافضة) ، (في بقاء الجنة والنار وفنائهما) ، وهو آخر ما صنّفه في القلعة . وقد رَدّ عليه العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي .

ـ كتب أصول الفقه :

(قاعدة غالبُها أقوال الفقهاء) ، مجلدان ، (قاعدة كل حمد وذم من المقالات لا يكون إلا من الكتاب والسنة) (شمول النصوص للأحكام) ، (قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام) ، (جواب في الإجماع وخبر التواتر) ، (قاعدة في أن خبر الواحد اليقين) ، (قاعدة في كيفية الاستدلال والاستدراك على الأحكام بالنص والإجْمَاع)[٣] ، (في الرد على مَن قال إن الأدلّة اللَّفظيّة[٤] لا تفيد اليقين) ، (قاعدة

---

(١) في (أ) والوافي : « علي ابن » .
(٢) في الأصل : « المقربين » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) في الأصل : « الإحكام » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٤) في الأصل : « القطعية » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

فيما يُظَنُّ مِنْ تعارض النص والإجماع) ، (مؤاخذة لابن حزم في الإجماع) ، (قاعدة في تقرير القياس) ، (قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الأحكام)[١] ، (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) ، (قاعدة في الاستحسان) ، (وصف العموم والإطلاق) ، (قواعد في أن المخطئ في الاجتهاد لا يأثم) ، (هل العاميّ يجب عليه تقليد مذهب مُعَيّن) ، (جواب في ترك التقليد فيمن يقول مذهبي مذهب النبي عليه السلام وليس أنا محتاج إلى تقليد الأربعة) ، (جواب من تَفَقَّه في مذهب ووجد حديثاً صحيحاً ، هل يعمل به أَوْ لا) ، (جواب تقليد الحنفي الشافعي[٢] في الجمع للمطر والوتر) ، (الفتح على الإمام في الصلاة) (تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة) ، (تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم) ، (قاعدة في تفضيل الإمام أحمد) ، (جواب : هل كان النبي - ﷺ - قبل الرسالة نبياً) ، (جواب : هل كان النبي - ﷺ ، متعبداً بشرع مَن قبله) ، (قواعد أن النهي يقتضي الفساد)[٣] .

- كتب الفقه :

(شرح المحرر في مذهب أحمد) ولم يُبيّض ، (شرح العمدة لموفق)[٤] ، أربع مجلدات ، (جواب مسائل وردت من أصبهان) ، (جواب مسائل وردت من الأندلس) ، (جواب مسائل وردت من الصلت) ، (جواب مسائل وردت من بغداد) ، (مسائل وردت من زُرع) ، (أربعون مسألة لُقّبت الدرّة المضيئة)[٥] ، (المارداني) (الطرابلسية) ، (قاعدة في المياه والمائعات وأحكامها) ، (المائعات وملاقاتها النجاسة) ، (طهارة بول ما يؤكل لحمه) ، (قاعدة في حديث القُلّتين وعدم رفعه) ، (قواعد في الاستجمار ، وتطهير الأرض بالشمس والريح) ، (جواز الاستجمار

(١) في الأصل : « والإجماع » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) (أ) : « للشافعي » .
(٣) في الوافي : « العناد » .
(٤) (أ) : « لموفق الدين » .
(٥) (أ) : « بالدرّة المضيّة » ، وفي الوافي : « لُقّبت الدرر المضية في فتاوي ابن تيمية » .

مع وجود الماء) ، (نواقض الوضوء) ، (قواعد في عدم نقض الوضوء بلمس النساء) ، (التسمية على الوضوء) ، (خطأ القول بجواز مسح الرجلين)[٨] ، (جواز المسح على الخفين المتخرّقين والجوربين واللفائف) ، (فيمن لا يعطي أجرة الحَمّام)[٢] ، (تحريم دخول الحمّام بلا مئزر) ، (في الحمّام والاغتسال) ، (ذم الوسواس) ، (جواز طواف الحائض) ، (تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتيمم ، والجمع بين الصلاتين للعُذر) ، (كراهية التلفّظ بالنيّة وتحريم الجَهْر بها) ، ([٣] في البسملة هل هي من السورة) ، (فيما يعرض [٤] من الوسواس في الصلاة) ، (الكلم الطيب في الأذكار) (كراهية [٥] بسط سجادة المصلي قبل مجيئه) ، (في الركعتين اللتين تُصلّيان قبل الجمعة) ، (في الصلاة بعد أذان الجمعة) ، (القنوت في الصبح والوتر) (قتل تارك أحد المباني وكُفْرُه) ، (الجمع بين الصلاتين في السفر) ، (فيما يختلف حكمه في[٦] السفر والحضر) ، (أهل البِدَع هل يُصلّى خَلْفَهم) ، (صلاة [بعض][٧] أهل المذاهب خلف بعض) ، (الصلوات المبتدعة) ، (تحريم السماع) (تحريم الشبابة) ، (تحريم الشطرنج)[٨] ، (تحريم الحشيشة [٩] ووجوب الحد فيها ونجاستها) ، (النّهيُ عن المشاركة في أعياد اليهود والنصارى وإيقاد نصف شعبان والحبوب في عاشوراء) ، (مقدار الكَفّارة في اليمين) ، (في أنّ المطلقة ثلاثاً ، لا تحل إلا بنكاح زوج ثان) ،

---

(١) (أ) : « خطأ القول بالمسح على الرجلين » .

(٢) في الأصل و (أ) : « الحكام » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الوافي : « قاعدة في » .

(٤) في الوافي : « فيما يعرض للمصلي » .

(٥) في الوافي : « كراهية تقديم بسط » .

(٦) في الوافي : « بالسفر » .

(٧) زيادة من (أ) والوافي .

(٨) في الوافي : « تحريم اللعب بالشطرنج » .

(٩) في الوافي : « الحشيشة القنّبية » .

(بيان الطلاق المُباح والحرام) ، (في الحَلْف بالطلاق متى نجيزه[١] ثلاثاً) ، (جواب مَن حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة)[٢] ، (الفرق المبين بين الطلاق واليمين) ، (لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف) ، (الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة) ، (كتاب التحقيق[٣] بين الأيمان والتطليق) ، (الطلاق البِدَعي لا يقع) ، (مسائل الفرق بين الحَلْف[٤] بالطلاق وإيقاعه والطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك) ، تقدير خمسة عشر مجلداً ، (مناسك الحج عِدة) ، (في حجة النبي - ﷺ) ، (في العمرة المكية) ، ([في][٥] شهر السلاح بتبوك وشرب السَّويق بالعقبة وأكل التمر[٦] بالروضة وما يلبس المُحرِم ، وزيارة الخليل عُقيب الحج ، وزيارة القدس مطلقاً) ، (جبل لبنان كأمثاله من الجبال ، ليس فيه رجال غُيّب ولا أبدال) ، (جميع [أيمان][٧] المسلمين مُكفّرة) .

ـ كتب في أنواع شتى :

جمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مُدَّة سبع سنين في علوم شتى ، فجاءت ثلاثين مجلدة ، (الكلام على بُطلان الفتّوة المُصطَلح عليها بين العوام) ، وليس لها أصل يتصل بعلي عليه السلام . (كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية) ، (بطلان ما يقوله أهلُ بيت الشيخ عَديّ) ، (النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة والخسوف والكسوف) ، (هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلّة) ،

---

(١) (أ) ، والوافي : « بالطلاق وتنجيزه » .
(٢) تتته في الوافي : « ثم طلّق ثلاثاً » .
(٣) (أ) ، والوافي : « في الفرق بين » .
(٤) في الأصل و (أ) : « والطلاق » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) زيادة من (أ) والوافي .
(٦) (أ) : « في الروضة » .
(٧) من (أ) والوافي .

(تحريم أقسام الْمُعزّمين بالعزائم الْمُعجَمة وصرع[١] الصحيح وصفة الخواتم) . (إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت) ، (كشف حال المَرازقة) ، (قاعدة في العُبيديين) .

ومن نظم الشيخ تقي الدين على لسان الفقراء الْمُجردين وغيرهم :

واللهِ ما فَقْرُنا اخْتيارُ ... وإنما فَقْرُنا اضْطِرارُ
جماعةٌ كُلُّنا كَسالى ... وأكْلُنا كله عيارُ[٢]
تسمعُ منّا إذا اجتمعنا ... حقيقةً كُلُّها فُشارُ[٣]

وله قصائدُ مطوّلة ، أجوبة عن مسائل كان يُسأل عنها نظماً ، مثل مسألة اليهودي ، وجوابه عن اللغز الذي نظمه الشيخ رشيد الدين الفارقي[٤] ، وغير ذلك .

ومدحه جماعة من أهل مصر ، منهم شهاب الدين أحمد بن محمد البغدادي المعروف بابن الأبرادي ، والشيخ شمس الدين بن الصائغ[٥] ، وسعد الدين أبو محمد سعد الله بن عبد الأحد الحرّاني[٦] ، وأكثر من ذلك ، ومنه قوله :

لئن نافَقوه وهو في السّجنِ وابتغَوا ... رِضاه وأبدوا رِقّةً وتودُّدا
فلا غَرْوَ إنْ ذلّ الخَصومُ لِبَأْسِه ... ولا عَجَبٌ أنْ خاف سطوتَه العِدا[٧]
فمن شِيَمةِ العَضْبِ الْمُهنَّدِ أنه ... يُخافُ ويُرجَى مُغْمَداً ومُجرّدا

---

(١) في الوافي : « وصدع » .
(٢) (أ) ، والوافي : « ماله عيار » .
(٣) فشار : أي هذيان .
(٤) في الأصل « الفاروقي » ، تحريف ، والفارقي هو أبو حفص عمر بن إسماعيل ، ت (٦٨٩ هـ) ، العبر : ٣٦٣/٥ ، والنجوم : ٣٨٥/٧ .
(٥) محمد بن عبد الرحمن ، ت (٧٧٦ هـ) ، الشذرات : ٢٤٨/٦ .
(٦) ت (٧٢١ هـ) ، الدرر : ١٣٣/٢ .
(٧) في الوافي : « أن هاب » .

وممن مدحه بمصر أيضاً شيخنا العلاّمة أبو حيان ، لكنه انحرف عنه فيما بعد ومات وهو على انحرافه ، ولذلك أسباب ؛ منها أنه قال له يوماً : كذا قال سيبويه ، فقال : يكذب سيبويه ، فانحرف عنه ، وقد كان أولاً جاء إليه والمجلس عنده غاصٌّ بالناس ، فقال يمدحه ارتجالاً :

لمّا أتينا تقيَّ الدِّينِ لاحَ لنا ... داعٍ إلى الله فَرْدٌ مالُه وزَرُ
على مُحيّاه من سِيما الأُولى صَحِبوا ... خَيْرَ البريَّةِ نورٌ دونَه القَمَرُ
حَبْرٌ تَسَرْبَلَ منه دَهْرُه حِبَراً ... بَحْرٌ تَقاذَفُ مِنْ أمواجِه الدُّرَرُ
قام ابنُ تَيْميَّةٍ في نَصْرِ شِرْعَتِنا ... مُقَامَ سَيِّدِ تيمٍ إذْ عَصَتْ مُضَرُ
فأظهرَ الحقَّ إذ آثارُهُ دَرَسَتْ ... وأُخْمِدَ الشرّ إذ طارت له الشرر
كُنّا نُحدَّث عن حَبْرٍ يجيءُ فها ... أنت الإمامُ الذي قد كان يُنتظَرُ

وكتب الشيخ كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني ـ رحمه الله تعالى ـ على بعض تصانيفه :

ماذا يقولُ الواصفون له ... وصفاتُه جلّتْ عن الحَصْرِ[1]
هو حُجّةٌ للهِ قاهِرَةٌ ... هو بيننا أُعجوبةُ العَصْرِ[2]
هو آيةٌ في الخَلْقِ ظاهِرَةٌ ... أنوارُها أَرْبَتْ على الفَجْرِ[3]

والذي أراه أن هذه الأبيات كتبها الشيخ كمال الدين في حياة الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، لأنه كان يخالفه ويريد أن ينتصر عليه بالشيخ تقي الدين بن تيمية ، والله أعلم .

ولما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ رثاه جماعة منهم الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ ،

(١) الأبيات مع ما كتبه قبلها ، في المنهل الصافي : ٣٦١/١ .
(٢) في المنهل : « الدهر » .
(٣) في المنهل : « للحق ظاهرة » .

وبرهان الدين إبراهيم[١] بن الشيخ شهاب الدين العجمي[٢] ، ومحمود بن علي بن محمود الدقوقي البغدادي[٣] ، ومجير الدين الخياط[٤] الدمشقي ، وشهاب الدين أحمد [بن][٥] الكرشت ، وزين الدين عمر بن الحسام[٦] ، ومحمد بن أحمد بن القاسم الحلبي الدمشقي الإسكاف ، وصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي[٧] ، وجمال الدين محمود بن الأثير الحلبي ، وعبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الحريري[٨] . المعروف بالْمُتيّم ، وتقي الدين محمد بن سليمان بن عبد الله بن سالم الجعبري[٩] ، وجمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم الخليل الخليلي[١٠] ، وحسن بن محمد النحوي المارداني[١١] ، وغيرهم .

أنشدني إجازة لنفسه الشيخ علاء الدين علي بن غانم[١٢] :

أيُّ حَبْرٍ مضى وأيُّ إمـــــــامِ فُجعتْ فيـــه مِلَّـــةُ الإسـلامِ
ابنُ تيميَّـــةَ التَّقيُّ وحيـــدُ الـــدّ (م) هْرِ مَن كان شـــامـــةً في الشَّـــامِ
بَحْرُ عِلْمٍ قد غاضَ من بعدما فا ضَ نـــداهُ وعمَّ بـــالإنْعـــامِ

(١) ليست في (أ) والوافي .
(٢) في الوافي : شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم العجمي .
(٣) ستأتي ترجمته .
(٤) أحمد بن الحسن ، سلفت ترجمته .
(٥) زيادة من (أ) والوافي .
(٦) هو عمر بن آقوش ، ستأتي ترجمته .
(٧) ستأتي ترجمته .
(٨) في الأصل : الجزري ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٩) الدرر : ٤٤٩/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .
(١٠) ت (٧٤٣ هـ) ، الشذرات : ٢٠٤/٦ .
(١١) (أ) : المارديني .
(١٢) هو علي بن محمد بن سلمان ، ستأتي ترجمته ، والأبيات في الوافي : ٣١/٧ .

زاهـــدٌ عـــابـــدٌ تنزّه في دُنـ ـياه عَنْ كلِّ ما بها من حُطامِ [١]
كان كَنْـزاً لِكُـلِّ طـــالبِ علمٍ ولِمَنْ خـــافَ أن يُرى في حَرَامِ
ولعافٍ قـد جـاء يشكـو من الفقـ ـر لـديـــه فنـــال كُـلَّ مَرَامِ
حـازَ عِلْماً فمـالـــه من مسـاوٍ فيـــه من عـــالمٍ ولا من مُســـامِ
لم يَكُنْ في الـــدنى لـــه مِنْ نَظيرٍ في جميـــعِ العُلـــومِ والأَحْكامِ [٢]
عـالِمٌ في زمـانِـه فـاقَ بـالعِلْـ ـمِ جميـعَ الأَئِمَّـــةِ الأَعْـــلامِ
كان في علمِـــه وَحيـــداً فريـــداً لم ينـالوا مـا نـالَ في الأَحْـلامِ [٣]
كل مَن في دمشـق نـــاح عليـــه ببُكاءٍ من شـــــــدّة الآلامِ [٤]
فُجِـــعَ النـــاسُ في الشَّرْقِ والغَرْ بِ وأضْحَـوا بـالحُـزْنِ كالأيتـامِ
لـو يُفيـدُ الفِـداءُ بـالرُّوحِ كُنّـا قـد فـديناه من هُجومِ الحِمامِ
أوحـدٌ فيـه قـد أُصيبَ البَرايـا فيُعـزّى فيـه جميـعُ الأنـامِ
وعـــزيـــزٌ عليهم أن يَرَوْه غـابَ بـالرَّغْمِ في الثّرى والرُّغـامِ [٥]
مـا يُرى مِثْـلُ يـومِهِ عنـدمـا سـا رَ على النَّعْشِ نحـوَ دار السـلامِ
حملـوه على الرِّقـــابِ إلى القَبْـ ـرِ وكادوا أن يَهْلكـوا بـالـزِّحـامِ
فهـــو الآن جـــارُ رَبِّ السماوا ت الرحيمِ الْمُهيمنِ العـــــلاّمِ
قـــدّسَ اللهُ روحَـــه وسقى قبـ ـراً [حـواه] بهَـا طِـلاتِ الغَمامِ [٦]
فلقـد كان نـادراً في بني الـدهـ ـر وحُسنـاً في أَوْجَـهِ الأيّـامِ

(١) في الأصل و (أ) : « حرام » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أنسب .
(٢) في الأصل والوافي : « في الدنيا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وبها يستقيم الوزن .
(٣) قوله : « فريدا ... ما » مطموس في الأصل ، واستدرك من (أ) والوافي .
(٤) قوله : « عليه ... من » مطموس في الأصل ، واستدرك من (أ) والوافي .
(٥) (أ) : « في الردى » .
(٦) الزيادة من (أ) والوافي .

وأنشدني أيضاً : إجازة لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن الوردي[١] :

قلوبُ النّاسِ قاسيةٌ سِلاطُ ... وليس لها إلى العَليا نَشاطُ
أَتَنْشَطُ قَطُّ بعدَ وفاةِ حَبْرٍ ... لنا من نَثْرِ جَوْهَرِه التِقاطُ
تقيُّ الدين ذو وَرَعٍ وعِلْمٍ ... خُروقُ الْمُعْضِلات به تُخاطُ
تُوفي وهو محبوسٌ فريدٌ ... وليس له إلى الدّنيا انبساطُ
ولو حَضروه حين قضى لألفَوْا ... مَلائِكَةَ النَّعيمِ به أحاطوا
قضى نَحْباً وليس له قرينٌ ... وليس يَلُفُّ مُشْبِهَهُ القِماطُ
فتىً في علمه أضحى فريداً ... وحَلُّ الْمُشْكِلاتِ به يُناطُ
وكان يخافُ إبليسُ سطاه ... لوَعْظٍ للقلوبِ هو السِّياطُ
فيا لله ما قد ضمَّ لَحْدٌ ... ويا لله ما غطى البَلاطُ[٢]
وحَبْسُ الدُّرِّ في الأَصْدافِ فَخْرٌ ... وعِندَ الشَّيْخِ بالسِّجْنِ اغْتباطُ
بنو تيميّةٍ كانوا فبانوا ... نجومُ العِلْمِ أدركها انهباطُ[٣]
ولكن يا نَدامَتَنا عليه ... فشَكُّ الْمُلْحدين به يُماطُ[٤]
إمامٌ لا ولايةٌ قطُّ عانى ... ولا وقَفٌ عليه ولا رِباطُ
ولا جارى الورى في كَسْبِ مالٍ ... ولم يَشْغَلهُ بالنّاسِ اخْتِلاطُ
ولولا أنّهم سجنوه شَرْعاً ... لكان به لقَدْرِهم انْحِطاطُ
لقد خفيَتْ عليّ هنا أمورٌ ... وليس يليقُ لي فيها انخراطُ[٥]
وعند الله تجتمعُ البرايا ... جميعاً وانطوى هذا البِساطُ

---

(١) ستأتي ترجمته ، والأبيات في ديوانه ٢٣٤ ، والوافي : ٣٢/٧ .
(٢) البيت ليس في (أ) .
(٣) في الأصل » « الهباط » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (أ) والوافي .
(٤) (أ) : « فشمل الملحدين » .
(٥) (أ) : « هدى أمور » .

وقلت أنا أيضاً أرثيه[١] :

إنّ ابنَ تيميّـــــةَ لمّـــــا قضى ... ضـاقَ بـأَهْـلِ العِلْمِ رَحْبُ الفضـا
فـأيُّ بَـدْرٍ قـد محـاه الرَّدى ... وأيُّ بَحْرٍ في الثرى غُيّضـــــا
وأيّ شَرٍّ فُتّحتْ عَيْنـــــــهُ ... وأيُّ خَيْرٍ طَرْفُـــــه غُمِّضـــــا
يـا وَحْشَـةَ السُّنَّـةِ مِنْ بَعْـدِه ... فرَبْعُهـا المعمـورُ قـد قُـوِّضـا
كم مَجْلسٍ كان هشيمـــــاً منَ الـ ... علمِ فلمّـــا جـاءه رُوّضـــا
وكلُّ حَفْـــلٍ أفْقُـــــهُ مُظْلِمٌ ... تَراه إنْ وافى إليـــــه أضـــا
ومُشْكِـلٌ لمّـــا دَجى لَيْلُـــه ... أعـــادَه يـومَ هُـدى أبيضـا
تراه إنْ بَرْهَن أقـــوالَـــــه ... فقَـلَّ أن تُـدْحَرَ أو تُـدْحَضـا
وبحثُـــه في مَـــدَدٍ طـــافِـحٍ ... وخَصْمُـــه في وَقْتِـــه انقضـا[٢]
يـودُّ لـو أبْلَعَـــهُ رِيقَـــه ... وهـو بـالحَـقِّ قـد أُجْرِضـا[٣]
أغصَّـــه حتى غـــدا مُطرقـــاً ... مِنْ نَـدمٍ كَفّيـه قـد عضّضـا[٤]
مـــا كان إلا أَسَـــدلًا خـــادِراً ... أضحى لـه غـابُ النُّهى مَرْبَضـا
وهـــــو يرى العِلْمَ في بُرْدِه ... وخَصْمُـــه قـــد ضَمّ جَمْرَ الغضـا
سُبحـــان مَنْ سخَّر قَلْبَ الـورى ... لقـولـه طَـوْعـاً وقـد قيّضـا
قـــد أجمـعَ النّـــاسُ على حُبِّـــه ... ولا اعتبـارَ بـالـذي أبغضـا
كان سليمَ الصَّـــدْرِ قـــد سلّم الـ ... أمرَ لبـاريـــه وقـــد فـوّضـا
كم حثّ للخير وكم ذي كرى ... أيْقَـــظ من نـومٍ وكم حرّضـــا
وأمرض الإلْحـــادَ لمّـــا جلى الـ ... ـحقّ وقَلْبُ الزّيغِ قـد أرْمضـا[٥]

(١) لم ترد هذه الأبيات في الوافي .
(٢) « وبحثه » مطموسة في الأصل ، والاستدراك من (أ) .
(٣) « يود » مطموسة في الأصل ، والاستدراك من (أ) .
(٤) (أ) : « باهتاً من » .
(٥) (أ) : « أمرضا » .

وغـــادر البـــاطـــلَ في ظُلْمَـــةٍ ... لَمّـــا رأى بـــارقَـــهُ أومضـــا
وهـــو عن الـــدنيـــا زوى نفسَـــه ... واللهُ بـــالجَنَّـــةِ قـــد عـــوّضـــا
فمـــالـــه في مَنْصِبٍ رَغْبَـــةٌ ... وعَـــزْمُـــه في ذاك مـــا اسْتَنهضـــا
كان إذا الـــدّنيـــا لـــه عَرّضت ... بـــزُخْرفٍ من نفسِهـــا أعرضـــا
ولـــو رأى ذلـــك مـــا فـــاتـــه ... منـــاصبُ مِن بَعْضِهنَّ القضـــا
وبعـــد هـــذا حكْمُـــه نـــافـــذٌ ... في كُـــلِّ مـــاقَـــدْ شـــاءه وارتضى
بنفسِـــه جـــاهَـــدَ جَهْراً وكم ... سَـــلَّ حُســـامـــاً في الـــوغى وانْتضَى
ويـــومَ غـــازان غـــدا عنـــدمـــا ... شـــدّدَ في القـــولِ ومـــا خَفَّضـــا[1]
شَـــقَّ ســـوادَ الْمُغْـــلِ زاهي الطُّـــلا ... كالمـــاء لمـــا مَـــزّقَ العَرْمَضـــا[2]
جـــادَلَ بـــل جـــالـــد مُسْتَمْسِكا ... بـــالحـــق حتى إنّـــه أَجْهَضـــا
ولم يكن فيـــه ســـوى أنـــه ... خـــالف أشيـــاءَ كَمَنْ قـــد مضى[3]
متَّبِعـــاً فيـــه الـــدّليـــلَ الـــذي ... بـــدا ولله فيـــه القضـــا
وبعـــد ذا راحَ إلى ربـــه ... مـــا ادّان مِنْ لَهـــوٍ ولا استقرضـــا
ثنـــاؤه مـــا انقَضَّ منـــه البِنـــا ... وذِكْرُه بين الـــورى مـــا انْقَضى
فجـــادَت الرَّحمَـــةُ أرضـــاً ثـــوى ... فيهـــا وسَقَّتْهـــا غُيـــوثُ الرِضى

وعلى الجملة ، فكان[4] الشيخ تقي الدين بن تيمية أحدَ الثلاثة الذين عاصرتهم ، ولم يكن في الزمان مِثْلُهم ، بل ولا قبلَهم من مئة سنة ، وهم الشيخ تقيُّ الدين بن تيمية ، والشيخ تقيُّ الدين بنُ دقيق العيد ، وشيخنا العلاّمة تقيُّ الدين السبكي . وقلت في ذلك :

---

(١) (أ) : « غزا عندما » .
(٢) العرمض : الطحلب .
(٣) (أ) : « أشيا كن » ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٤) (أ) : « كان » .

ثـــلاثـــــةٌ ليس لهم رابـــعُ فـــلا تَكُنْ من ذاك في شَـــكٍّ
وكلُّهم مُنْتسبٌ للتُّقى يَقْصُر عنهم وَصْفُ مَن يحكي[١]
فـــإن تَشَـــا قلت ابن تيميـــة وابن دقيـــق العيـــد والسبكي

١١٩ ـ أحمد بن عبد الحميد*

ابن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قُدامة ، الشيخ المُسْنِد المبارك عز الدين أبو العباس بن العماد المقدسي الصالحي .

سمع من الموفق[٢] ، وموسى بن عبد القادر[٣] ، وابن راجح[٤] ، وابن أبي لقمة ، والبهاء[٥] ، وأبي القاسم بن صَصْرى ، وشمس الدين أحمد البخاري ، وابن غسّان[٦] ، وابن الزَّبيدي[٧] .

خَرّجت له مَشْيخةٌ في ثلاث مجلدات ، وسمعها جماعة ، وظهر ، له أيام التتار سماعُ مُسْنَد أبي داود الطيالسي[٨] من الموفق .

تفرّد المذكور بأشياء أسمَعَها ، وبرواية أجزاء في [سماء][٩] السماع أطلَعَها ، وصار من أعيان أهل الإسناد ، وأشياخ الرحلة إليه من البلاد .

---

(١) (أ) : « وكلّهم يلقّب بالتقي » .
* الوافي : ٣٣/٧ ، والشذرات : ٤٥٥/٥ ، وعقود الجمان : ١٤٨/٤ ، وفيات سنة (٧٠٠ هـ) .
(٢) موفق الدين ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ، ت (٦٢٠ هـ) ، السير : ١٦٥/٢٢ .
(٣) موسى بن عبد القادر الجيلي ، ت (٦١٨ هـ) ، السير : ١٥٠/٢٢ .
(٤) أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف ، ت (٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٥/٢٣ .
(٥) عبد الصمد بن إبراهيم المقدسي ، ت (٦٢٤ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢٢ .
(٦) محمد بن غسان بن غافل ، ت (٦٣٢ هـ) ، السير : ٣٨١/٢٢ .
(٧) الحسين بن المبارك ، ت (٦٣١ هـ) ، السير : ٣٥٨/٢٢ .
(٨) سليمان بن أبي داود الطيالسي ، (ت ٢٠٤ هـ) الكشف : ١٦٧/٩ ، وبروكلمان : ١٥٥/٣ .
(٩) زيادة من (أ) .

ولم يزل على حاله إلى أن مال من ابن العماد عمودُه ، وحان خمودُه من اشتعال الشيب[١] وجموده .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع مئة .

ومولده سنة اثنتي عشرة وست مئة بالجبل .

١٢٠ ـ أحمد بن عبد الدائم*

ابن يوسف بن قاسم بن عبد الله بن عبد الخالق بن ساهل أمره شهاب الدين الكناني الشارِمْساحي ، أبو يوسف .

كان هَجَّاماً هجّا ، رجّاماً للأعراض رجّا ، أتى إلى دمشق في أيام القاضي الخوئي[٢] فيما أظن ، ودفع إليه ورقة فيها هجوه ، فلمّا رآها[٣] دفعها إليه وأعادها عليه ، فردّها إليه ثانياً ، فقال : يا مولانا كأنك ذاهل ؟ فقال : بل عالم غَيْرُ جاهل ، فقال : ما الذي حملك على هذا ؟ قال : رأيت الناس قد أجمعوا على كرمك ، ووفود الشعراء على حرمك ، ولست مجيداً في النظم فأُعرَف ، واسْمِي أحمد فما أُصْرَف ، ولو مدحتك أعطيتني قليلاً ولم يعلم بي أحد ، ولم يكن لي في الشهرة مُلْتَحَد ، فإذا هجوتك عَزّرتني ، وطوّفت بي وشَهَرتني ، فيقال : هذا الذي هجا قاضيَ القضاة ، وقابله بما لا ارتضاه ، فأحسنَ القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ صِلَتَه وأسناها ، وعلم أن هذا له طِباعٌ لا ينتهي عن الشر ولا يتناهى .

ولمّا عُزل القاضي شمس الدين محمد بن عدلان[٤] عن القضاء عند ورود الملك الناصر

---

(١) (أ) : « أشعال السبب » .

* الوافي : ٣٦/٧ ، وفوات الوفيات : ٨٢/١ ، والدرر : ١٦١/١ .

(٢) محمد بن أحمد ، ت (٦٩٣ هـ) ، الفوات : ٣١٣/٣ .

(٣) (أ) : فيها هجوه ، فدفعها » .

(٤) محمد بن أحمد بن عثمان ، ت (٧٤٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

من الكرك ، صنع قصيدة ، فتح فيها من الهجو القبيح وَصيدَه ، فاجتمع به وقال له : يا سيّدنا .

والله ما سَرَّني عزلُ ابنِ عدلان .

فقال له الشيخ شمس الدين : حاشاكم يا مولانا جزاكم الله خيراً ، فقال :

من غير صَفْعٍ ولا واللهِ أرضاني .

فقال : قبّحك الله يا نَجِس . وله تلك القصيدة التي أولها :

متَى يسمعُ السلطانُ شكوى المدارس وأوقافُها ما بين عافٍ ودارس[1]

وكان الشيخ العلاّمة أثير الدين قد تَوَجَّه إلى الإسكندرية ، فوقع الشَّناعُ أنه غرق في النيل ، ودفن بقرية (بولة) وهي قرية على شاطئ النيل ، فقال أبياتاً منها :

وقَدْ دَفنوا ذاك الخراء ببولةٍ وحُقَّ لذاك الْمَيْتِ تلك المقابرُ

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا العلاّمة أبو حيّان ، قال : أنشدني المذكور لنفسه بدمياط سنة أربع وتسعين من قصيدة[2] :

مُحَجّبةٌ بين التَّرائب والحَشا فدمعي لها طَلْقٌ وقلبي بها رَهْنُ[3]
وحالُ الهوى ما ليس يُدْرَك كُنْهُهُ وهل هو وَهْمٌ يعتري القلب أو وَهْن
ومَسْلَكُه بالطَّرْفِ سَهْلٌ وإنما له مَنْهَجٌ أعيا القُلوبَ به حُزْنُ
لديه الأماني بالمنايا مَشُوبةٌ وفيه الرّجا والخوفُ واليأسُ والأَمْنُ
وكم مَهْلَكٍ فيه يقينٌ لعاشِقٍ ومَطْلَبُه من دونهِ في الورى ظَنُّ

(١) البيت في الدرر : ١٦١/١ .
(٢) الأبيات التالية في الوافي : ٣٦/٧ .
(٣) (أ) : « لها رهن » .

وبالسند المذكور أيضاً قوله :

تَخْشَى الظَّبي والظِّبا من فَتْكِ ناظره ... وإن تثنَّى فـلا تَسْـأَلْ عَنِ الأَسَـلِ
لا وَاخَـذَ اللهُ عينيـه فقـه نشطَتْ ... إلى تـلافي وفيهـا غـايَـةُ الكَسَـلِ
ترمي القلـوبَ فما تـدري أقـامَ بهـا ... هـاروتُ أم ذاك رامٍ مِنْ بني ثُعَـلِ
هـذا الغـزالُ الـذي راقَت محـاسِنُـه ... فـلا عجيبٌ عليـه رِقَّـةُ الغَـزَلِ
لَمـا تـواليتُ مِنْ وَجْـدٍ ومِنْ شَغَفٍ ... تَحقَّـقَ النّـاسُ أني مُغْرَمٌ بعَلي

وبالسند المذكور أيضاً قوله :

لا تعجبـوا للمجـانيـقِ التي رَشَقَتْ ... عكّـا بنـارٍ وهـدَّتها بـأَحْجَـارِ
بـل اعْجَبـوا للسانِ النـار قـائلـةً ... هـذي منـازلُ أَهْـلِ النَّـارِ في النَّـارِ

قلت : أحسنُ منه ما أنشدنيه لنفسه شيخنا العلاّمة أبو الثناء محمود :

مَرَرْتُ بعكا عِنْـدَ تَعْليـقِ سُـورِهـا ... وزَنْـدُ أُوارِ النَّـارِ مِنْ تحتهـا وَارِ
فعـايَنْتُهـا بعـدَ التَنَصُّرِ قـد غَـدَتْ ... مَجـوسيّـةَ الأَحْجـارِ تَسْجُـدُ للنَّـارِ

قلت : وعلى الجملة فكان الشارمساحي شاعراً جيّداً .

ولم يزل يمدح ويهجو ، ويسنح ويرجو إلى أن سكنت شَقَاشِقُه ، وركنت إلى الخَرَسِ رواشِقُه ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حدود العشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

١٢١ ـ أحمد بن عبد الرحمن*

ابن عبد المؤمن بن أبي الفتح المقدسي ، الشيخ الصالح الْمُسنِد المقرئ تقي الدين أبو العباس الصُّوري ثم الصالحي الحنبلي .

* الوافي : ٤٦/٧ ، والدرر : ١٦٨/١ ، والشذرات : ٣/٦ .

سمع حضوراً من الْمُوَفّق ، وهو خاتمة أصحابه ، ومن ابن أبي لقمة ، وابن صصرى ، والقزويني ، والبهاء عبد الرحمن ، وابن الزَّبيدي ، وخرَّجَ أبو عَمْرو المقاتلي[١] له مشيخةً .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : سمعناها منه خاصّة .

وحدّث عنه ابن الخبّاز[٢] في حياة ابن عبد الدائم والبِرْزَالي والوافي والمقاتلي وابنُ المحبّ[٣] وآخرون .

وقد روى المذكور فأكثر ، وأسند عن جماعة ، فأثّل في السند وأثّر .

ولم يزل على ذلك النهج ، والإضاءة والرَّهج ، إلى أن أصبح هامداً ، ونقله حامِله إلى ضريحه عامداً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وسبع مئة ، وعاش أربعاً وثمانين سنة من العمر .

١٢٢ - أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم*

الهكّاري الصّرخدِي ثم الصالحي القوّاس الْمُسْنِد المعمر ، شهاب الدين . سمع من خطيب مَرْدا وغيرِه .

وسمع الناسُ منه لمّا تحققوا من خيره .

كان فيه دين ، ولم يُر منه ما يَشين .

---

(١) عثمان بن بلبان ، ت (٧١٧ هـ) ، ستأتي ترجمته .

(٢) نجم الدين ، إسماعيل بن إبراهيم ، ت (٧٠٣ هـ) ، ذيل العبر : ٢٤ ، والدرر : ٣٦٢/١ .

(٣) عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي ، ت (٧٣٧ هـ) . ذيل العبر : ١٩٦ ، والدرر : ٢٤٤/٢ .

* الوافي : ٤٧/٧ ، والدرر : ١٦٥/١ ، والشذرات : ١١٢/٦ .

ولم يزل يُسْمِعُ ، ويلينُ جانِبهُ للطلبة ويُطْمِع ، إلى أن أصاب القواسَ سهمُ الموت وصَرَخَ بالصرخديّ داعي الفوت .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وثلاثين وسبع مئة . وعاش تسعين سنة .

١٢٣ ـ أحمد بن عبد الرحمن*

ابن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور : الشيخ الإمام العابر الأعجوبة في هذا الفن شهابُ الدين المقدسي النابلسي الحنبلي مُفَسِّر المنامات .

سمع من عمّه التقي يوسف[١] سنة ست وثلاثين ، ومن الصاحب محيي الدين بن الجوزي[٢] ، وسمع بمصر من ابن رَوَاج ، والساوي[٣] ، وابن الجمّيزي وبالإسكندرية من السِّبْط[٤] ، وروى الكثير بالقاهرة .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي سمعنا منه أجزاء ، وكان عارفاً بالمذهب ، وذكَرَ[٥] التدريس بالجوزيّة لما قَدِمَ علينا ونزل بها . وقال : حدثني الشيخ تقي الدين بن تيمية أن الشهاب العابر كان له رِئيٌّ من الجن يخبره عن المغيّبات[٦] . والرجل كان صاحب أوراد وصلاة ومقامات .

---

* الوافي : ٤٨/٧ ، والبداية والنهاية : ٣٥٣/١٣ ، والشذرات : ٤٣٧/٥ ، وعقد الجمان : ٤١٦/٣ ، وفيات (٦٩٧ هـ) . ووقع في الأصل « طعمة » موضع « نعمة » ، وهو سهو .

(١) تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة ، ت (٦٣٨ هـ) ، الشذرات : ٢٠٢/٥ .

(٢) يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ، ت (٦٥٦ هـ) . السير : ٣٧٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٨٦/٥ .

(٣) كذا في (أ) ، والوافي ، وفي الأصل : « الشاوري » . والساوي هو يوسف بن محمود ، ت (٦٤٧ هـ) ، السير : ٢٣٣/٢٣ .

(٤) أبو القاسم بن عبد الرحمن بن الحاسب مكي الطرابلسي ثم الإسكندراني ، ت (٦٥١ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٣ .

(٥) في الوافي : « وولي » ، ووقع في بعض أصوله مثل ماههنا ، والجوزية بسوق القمح قرب الجامع الأموي ، أنشأها يوسف بن الجوزي ، وقد سلفت ترجمته قبل قليل ، الدارس : ٢٣/٢ .

(٦) (أ) : « بالغيبيّات » ، وفي الوافي : « بالمغيّبات » .

قلتُ : وكان وافر الحُرْفَة لا تُعرف له جُرْمَة ، للناس فيه عقائد ، وهو إلى الخير قائد ، وله عمّر الطِّبَرْس[١] (المجنونة) التي بجانب بركة الفيل ظاهر القاهرة ، وهي في مكانها ظاهرة .

أنشدني بعضهم قال : أنشدنا ابنُ الصَّاحب الماجن الذي كان بالقاهرة لما عَمَّر الطِّبَرْسُ المجنونة :

ولقد عجبت من الطِّبَرْس وَصَحْبِه ... وعقولهم بعقوده مفتونه
عقدوا عقوداً لا تصحّ لأنهم ... عَقَدُوا لمجنونٍ على مَجْنونه

وغَرِمَ الأمير المذكور عليها جُملةً ، وحباه من الدراهم حَمْلَةً ، وجعله بها مقيماً ، وأظهر هو من فضله في كهفها رقيماً ، وكان في تعبير الرؤيا آية ، وفي الكلام عليها غاية ، لم أسمع بمثل كلامه على المنام إذا فسَّره ، ولا أدري ما الذي أدّاه إلى تلك العجائب وجَسَّره ، وكان غالب الناس يَعُدّ ذلك من باب الكرامات ، لا من باب تأويل المنامات ، وبعضهم يقول : نِجامَة[٢] أو كِهانة ، وبعضهم يقول : قوةٌ في النفس لا مَهانة ، لأنه ربما قال لصاحب الرؤيا أخباراً ماضية ومستقبله ، وأحوالاً كان صاحب الرؤيا منها[٣] في غفلةٍ أوبلَه ، حتى يتعجب السامع ويهوله هذا الفَيْض الهامع ، وقام له بدمشق سوق ، وأما القاهرة فيكاد يركب فيها بالعَلَم والبُوق ، إلى أن رُسِمَ بتحويله منها ، وإبعاده عنها ، فأقام بدمشق على حالة مفخَّمة ، ورتبةٍ في النفوس مُعَظَّمة ، إلى أن أصبح العابر غابراً ، والمكاثر[٤] في تعظيمه لمصابه مكابراً .

أخبرني الحافظ أبو الفتح اليعمري[٥] قال : كنت عنده يوماً ، فجاءه إنسان ،

(١) علاء الدين الخزنداري الحاجب ، ت (٧١٩ هـ) ، الدرر : ٢٢٩/٢ .
(٢) النجامة : النظر في النجوم حسب مواقيتها لتقدير ما يمكن أن يكون .
(٣) (أ) : « عنها » .
(٤) (أ) : « والمكابر » .
(٥) ابن سيد الناس ، ستأتي ترجمته .

وقال : رأيت كأني قد صرت أُتْرُجَّة . فقال . فقال : أترّجة أت رج ه ، وعدها على أصابعه خمسة أحرف ، وقال لصاحب الرؤيا : أنت تموت بعد خمسة أيام . قال فقال لي بعض من حضر ، ذَكَرَه هو وأُنسيته أنا : القَاعِدَةُ عند أرباب التعبير أنه من رأى أنه صار ثمرة تؤكل فإنه يموت ، وهذه زيادة من عنده ، يعني عَدّ حروف الأُتْرُجَّة .

وأخبرني الشيخ الحافظ علاءُ الدّين مغْلطاي شيخ الحديث بالظاهرية بين القصرين[١] قال : جاء إليه إنسان فقال : رأيت في منامي قائلاً يقول : اِشرب شراب الهَكَّاري ، ففكر ساعة وقال[٢] : أنت فؤادك يؤلمك ، قال : نعم ، قال : اشرب لك[٣] عسلاً تَبْرأ ، قال : فقيل له : من أين لك ذلك ؟ قال : فكرت في أنهم يقولون[٤] : شراب ديناري كذا ، شراب كذا ؛ شراب كذا ، فلم أجد لهم شراباً يوصف بالهكّاري ، فرجعت إلى الحروف فوجدتها شراب الهك أرْي ، والأري هو العسل وذكرت الحديث « كذب عليك العسل »[٥] ، أو كما قال . وهذا ذكاءٌ مفرطٌ وذهن يشوب التعجب بالتحيّر ويَخْلط .

وحكى لي عنه القاضي بهاء الدين أبو بكر ابن غانم موقّع صفد وطرابلس قال : كنا عنده بدمشق وجاء إليه اثنان ، فقال أحدهما : رأيت رؤيا ، وقصّها[٦] ، فقال[٧] : ما رأيت شيئاً وإنما تريد الامتحان ، فخرجا بعدما اعترفا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : لما تكلم رأيت في ذيل أحدهما نقطة دم فذكرت الآية : ﴿ وجاؤوا على

---

(١) في الوافي : « بظاهرية بين القصرين بالقاهرة » .
(٢) (أ) : « وقال له » .
(٣) كذا ، وهم تركيب دارج ، وفي الوافي : « اشرب العسل » .
(٤) عبارة الوافي : « قال : سمعتهم يقولون » .
(٥) لفظ الحديث في الوافي : « كذب بطن أخيك ، اسقه العسل » .
(٦) في الأصل : « أقصها » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٧) (أ) ، والوافي : « فقال له » .

قميصه بدمٍ كذبٍ ﴾[١] ، فاتفق أن رأيت أحدهما فيما بعد فسألته عن القضية[٢] ، فقال : لما اجتزنا عليه ذكرنا أمره الغريب ، وقلنا : نمتحنه ، وصنعنا رؤيا للوقت ، فكان ما سمعت ، فقلتُ له : إنه قال : كذا وكذا فقال : صدق ، ونحن داخلون إليكم كان إنسان في الطريق يذبح فَرُّوجاً ، فرمى به فلوَّثنا الدم[٣] .

وحَكَى لي عنه أيضاً قال : جاء إليه إنسان وقال : رأيت كأنَّ في داري شجرة يقطين قد نبتت ، فقال له : أعندك جارية غير الزوجة ؟ قال : نعم ، قال : بعني إياها ، فقال : ماهذا ؟ قال : الذي تسمعُه ، قال : إنها ملك زوجتي ، قال : فقل لها تبيعني إياها ، فراح وعاد يقول : إنها لم تبعها ، فقال : تكسب مئتي[٤] درهم ، فعاد وقال : لم تبعها ، فألح عليها[٥] فقال : إنها لم تبعها ، فقال : أما الآن فقد آن تعبير رؤياك ، امضِ إلى هذه الجارية واعتبرها ، فتوجه وعاد وقال : إنه كان عبداً ، وزوجتي تكتمني أمره وتلبسه لباس النساء .

وأخبرني غير واحد عنه أنه جاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأني قد وضعتُ رجلي على رأسي ، فقال له : أفسّر لك هذه الرؤيا بيني وبينك أو في الظاهر ؟ فقال بل في الظاهر ، فقال له : أنت من ليالٍ شربت الخمر وسكرت ووطئت أمّك ، فاستحيا ومضى .

وعندي عنه من هذا جملة وافرة ، وأخبار على التعجب من آمره متضافرة ، يضيق عنه الوقت ويؤدي سردُه بعد المِقة إلى المَقتْ .

---

(١) [يوسف : ١٨/١٢] .
(٢) (أ) : « القصة » .
(٣) (أ) : « فلوثنا بالدم » ، والوافي : « فلوثنا به بالدم » .
(٤) في الوافي : « فقال له : بكسب مئتي » .
(٥) (أ) ، والوافي : « عليه » ، وهي أنسب .

وأما خروجه من مصر ، فأخبرني الشيخ الإمام الفاضل شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري [٢] عن علم الدين بن أبي خليفة [١] رئيس الأطباء بمصر حكاية أخبره بها شخص من الهند ، هي أغرب من سائر أمور شهاب الدين العابر وأعجب ، ذِكْرُها يهوّل العقل وأمرها ما يصدّقه أهل النقل .

وتوفي شهاب الدين رحمه الله تعالى في سنة سبع وتسعين وست مئة[٣] تاسع عشري ذي القعدة ، وحضر جنازته ملك الأمراء وغيره من القضاة والأكابر .

وكانت واقعته في مصر وخروجه منها في ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وست مئة .

١٢٤ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن رواحة*

نُور الدين الأنصاري الحموي الكاتب ، كتب الإنشاء بطرابلس والفتوحات لما[٤] تَولّى الأمير سيف الدين أَسْنَدْمَرُ[٥] نيابة طرابلس عزل نور الدين هذا وجعل أمره في طرابلس جُذَاذاً ، وولّى مكانه نور الدين بن المغيزل ، فتوفي بعد شهور ، وأعيد النور بعد النور ، واستمر في مكانه إلى بعض سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فرُتِّبَ عِوَضه ابن مقبل الحمصي ، وعاد ابن رواحة إلى حماة ، واستقر في أصل مخرجه ومنتماه ، ولم يزل بها حتى طفِئ نوره ، وبُهت لأمره حضوره .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة سادس عشر شعبان .

---

(١) المعروف بابن الأكفاني ، وستأتي ترجمته .

(٢) (أ) : « علم الدين أبي » .

(٣) وكانت ولادته سنة (٦٢٨ هـ) ، عقد الجمان : ٤١٦/٣ .

* الوافي : ٥٦/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٤ ، والدرر : ١٦٦/١ .

(٤) في الوافي : « ولما » .

(٥) ستأتي ترجمته .

١٢٥ ـ أحمد بن عبد الرحمن*

الشيخ الإمام الخطيب ابن العَجَمي خطيب جامع حلب .

اجتمعت به في حلب سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وأراني إجازة العلامة شيخنا شهاب الدين أبي الثناء[١] لأخيه عبد المؤمن وهي بخطّه نظمٌ ونثر ، وقد أثنى عليه وعلى فضائله ، وبرهن على شاهده ، بنظم دلائله ، وساقه في عداد الأُدباء السّادة ، والقالة القادة ، وخطُّه يزري بوشْي صَنْعَا ، وحروفه تفوق النجوم جَمْعَا ، وطروسُه غادةٌ بالسطور[٢] فرعاً . وهو أخو الشيخ عز الدين بن عبد المؤمن ، وسيأتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

لم يزل شمسُ الدين المذكور في دَرَج منبره ، ويلتقط الناس درَّه من معبره ، إلى أن كسفت شمسه وضمه رمسه ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

١٢٦ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله**

الشيخ الإمام المفتي القاضي شهاب الدين بن فارس الظاهري الشافعي ، أحَد المفتين والمدّرسين بدمشق .

أخذ العلم عن الشيخ برهان الدين الفزاري وغيره .

ولي قضاء الركب الحجازي مرات ، وبرَّد شوقه برمي الجمرات ، وكان حَسَن المحاضرة ، لَسِنَ المذاكرة ، قديم الهجرة في العلم ، رأى أولئك السادة القدماء أهل الحلم ،

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) هو الشهاب محمود ، وستأتي ترجمته .

(٢) (أ) ، (خ) : « وسطوره غادة بالسطور فرعاً » .

** الوافي : ١٣٩/٧ ، وفيه أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن . والدرر : ١٦٦/١ ، والشذرات : ١٧٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٣٠/١ .

وله ثروة ومعه مال جم ، وليس له غير التحصيل هَم ، وملكه يدخل منه[١] في اليوم جُمْله ، ولا يؤوده[٢] عند استخراج أجر[٣] أملاكه ما يروم حَمْله ، وكان مع ذلك يجلس في حانوت الشهود بالمسمارية ويقاسم ، ويُعْملُ في تحصيل ذلك الأنيق الرواسم .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الظاهري في باطن الأرض مقبوراً ، وترك ولده بماله الموروث محبوًّاً مجبوراً .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد حادي عشر شعبان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وسبعين وست مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة :

رأتْ شيبتي قالت: عجبتُ مع الصبَا ... مشيبك هذا صِفْهُ لي بحياتي
فقلت لها: ما ذاك شيبٌ وإنما ... سناكِ بقلبي لاح في وجناتي

[٤] وأنشدني من لفظه لنفسه :

عجبوا لخالِك كيف منك مُقَبِّلاً ... شفةً رَقَتْ عن لؤلؤ وجمان
فأجبتهم لا تعجبوا ما زال ذا ... مستلزماً كشقائق النعمان[٥]]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :

رَعَفَ الحبيبُ فقيل هل قبلتَه ؟ ... شوقاً إليه ودمع عينك يَسْجُمُ

(١) (خ) : « يدخله منه » .
(٢) في الأصل و (أ) : لا يؤده ، وفي : خ ، لا يؤده ، ولعل ما أثبتناه أقرب ، ومعنى يؤوده : يثقله .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) زيادة من (أ) و (خ) .
(٥) في الوافي : « الشقائق » .

فـــأجبتُ: لا، لكنـــه أخفى دمي في سفكـه وعليـه قـد ظهر الـدمُ[١]

وكان يقول بعد ذلك: الشعر مزبلة الفقيه، فأقول: كذا هو.

١٢٧ ـ أحمد بن عبد الرزاق الخالدي*

كان المذكور وزير الممالك القازانيّة والبلاد القانيّة، ظالماً غاشماً، سفاكاً للدماء هاشماً، استصفى أموال الرعايا، وحاجَّهم في أخذها منهم بالباطل وعايا.

ولم يزل في ظلمةِ ظُلْمِهِ خابطاً، وعمله بذاك عند الله حابطاً، إلى أن عضَّه السيف بريقه، واختطفَ بَصَره من بريقه.

وقُتِلَ هو وأخوه القطبُ وأخوهما زين الدين وذلك في سنة سبع وتسعين[٢] وست مئة.

١٢٨ ـ أحمد بن عبد القادر**

ابن أحمد بن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سليم القيسي، الشيخ الإمام العالم الفريد تاج الدين المعروف بابن مكتوم النحوي.

اشتغل بالحديث وفنونه، وأخذ الحديث عن أصحاب النجيب وابن علاّق[٣]، وهذه الطبقة.

كان فاضلاً في النحو قيّماً بغرائبه، متيّماً بتتبع ما تشعَّب من مذاهبه، جمع فيه وعلّق وفاض نِيْله وغَلّق، وكسَر سَدَّه وخلّق، وطار فيه إلى غايات النجوم وحَلّق،

---

(١) البيتان في المنهل الصافي: ٣٣١/١.

* الوافي: ٥٨/٧، والمنهل الصافي: ٣٣٦/١.

(٢) في المنهل الصافي: «في سنة تسع وتسعين».

** الوافي: ٧٤/٧، والدرر: ١٧٤/١، والشذرات: ١٥٩/٦، والبغية: ٣٢٦/١، والمنهل الصافي: ٣٣٨/١.

(٣) ابن علاق: عبد الله بن عبد الواحد بن محمد، ت (٦٧٢)، الشذرات: ٣٣٨/٥.

وخطه كما يقال طريقة بذاتها ، متفردة بلذاتها . وله نظم لا بأس به ولا لَوْمَ على كاسِبِه .

ولم يزل على حاله إلى أن باح الموت بسرّ ابن مكتوم ، وحل به الأجل المحتوم ، وفُضَّ له قبرُه المختوم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعونِ مصر .

ومولده[١] [في أواخر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وست مئة] .

كنت قد سمعت بأخباره وطربت لأشعاره ، فازددت له شوقاً ، ولم أجد لقلبي على الصبر طَوْقاً ، فقدر الله بالاجتماع ، وزادت بُرُوق فضله في الالتماع ، ورأيته غير مرة . ثم إني اجتمعت به في القاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة وسألته الإجازة بكلّ ما يجوز أن يرويه فأجازني[٢] مُتَلَفّظاً بذلك . وعمل تاريخاً للنحاة ولم أقف عليه إلى الآن ، وملكت بخطه (الدر اللقيط من البحر المحيط) وهو في مجلدين ، التقطه من تفسير شيخنا أثير[٣] الدين ، وتكلم هو في بعض الأماكن وليس بكثير بعض شيء ، فجاء كتاباً جيداً .

ومن شعره ، ومن خطه نقلتُ :

ما على الفاضل المهذب عارٌ ... إن غدا خاملاً وذو الجهل سامِ
فاللُّباب الشهي بالقشر خافٍ ... ومَصُون الثمار تحت الكِمامِ
والمقادير لا تلام بحالٍ ... والأماني حقيقةٌ بالمَلامِ
وأخو الفهم من تزوّد للمو ... ت وخلّى الدنى لنهب الطغامِ[٤]

(١) بياض في الأصول ، والزيادة من الدرر .
(٢) في الوافي : « فأجاز لي » .
(٣) (أ) : « أمين » ، وأثير الدين هو أبو حيان .
(٤) في الأصل و (خ) والوافي : « الدنيا » .

ونقلت من خطّه له :

عَرَتْني هُمــومٌ برَّحت وشــواغــل ... وأصبح دهري وَهْوَ بي متشاغِلُ[١]
وبعّـــــــد عن قلبي المسرَّةَ أنني ... على فَضْلِ ما عندي من العلم خامِلُ
يمر بيَ الطـــلابُ لا يعرفـــونني ... ويأتون ذا الحظِ الذي هو جاهلُ
ويُقرئ عِلْمَ النحـــــو دونيَ مَعْشرٌ ... منـــازلهم في المشكـــلات نــوازلُ
إذا سُئِلـوا أعيـــاهم أن يجـــاوبـوا ... كما عَيَّ لما سِيْلَ من قَبْلُ (باقلُ)[٢]
قُصَارى عُلاَهم أَنْ يقـالَ : مشـايخٌ ... وأقصى منـاهم أن يُقَـال : أمَـاثِـلُ
رَأَوا صُحُفاً فـاستقرؤوهـا وحـاولـوا ... بهـا مَعْلَماً فـاستقبلتهم مجـاهـلُ
وأضحَوْا شيوخاً بالصحائف وَحْدَهـا ... لهم رُتَبٌ عنـد الـورى ومَنَـازلُ
ومـا لازمـوا شيخـاً ولا حـاولـوا بـه ... وُصُـولاً إلى علمٍ لـه الشيـخ واصـلُ
ومن لم تُعَلّمـــه الشيـوخ فرأيـــه ... على كثرة الأوراق والكُتْبِ قـائـلُ[٣]
وإني وإن أصبحتُ لا رَبَّ رتبـــةً ... لـــديهم و منهم بي البرُّ نـــازلُ
لَيَعْرِفُ حقي كلُّ ذي أَلْمعيَّـــــة ... ويَقْـدُرُ لي القَـدْرَ الجليـلَ الأفـاضـلُ
ويَشهـدُ لي بـالفضـل نظمٌ مُهَـذَّبٌ ... ونَثْرٌ يُحـاكي الـدُرَّ مِنْـهُ الفـواصلُ
وأَبْكَـارُ أفْكَـارٍ كَشَفْتُ قنـاعَهـا ... وحَلَّيتُ منهـا مـا غـدا وهـو عـاطـلُ
وأبرزتهـا في صُـورة الـدهر غُرَّةً ... كما حُـلَّ عن وجـهِ المليحةِ حـائـلُ[٤]
ولي في أفـانين العلـوم مَجَـامـعٌ ... بها كل مـا يهوى المحـدِّقُ حـاصـلُ
سهرت عليهـا إذْ أخـو الجهـل راقـدٌ ... وفكرّت في تهـذيبهـا وهـو غـافـلٌ
ومن كان مثلي لم يكن هَمُّـــه الغِنى ... فيشغَلَـــهُ فيـــه عن العلم شـاغـلُ

---

(١) (أ) ، (خ) : « متثاقل » .
(٢) (أ) : « أن يجادلوا » . وفي المثل : « أعيا من باقل » .
(٣) كذا في الأصول ، والقائل : النائم .
(٤) في الأصل : « صورة الدهن » ، تحريف ، ولعلها « الذهن » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

ونقلت من خطه له : .

ومُعَـذِّرٍ قـال العـذولُ عليـه لي ... شَبِّهْهُ واحـذر من قصورٍ يَعْتَري[١]
فـأجبتـه هُوَ بَـانـةٌ من فـوقهـا ... بَـدْرٌ يُحَفُّ بهـالـةٍ مِنْ عَنْبَرِ[٢]

ونقلت من خَطّه له :

نَفَضْتُ يَـدي من الـدنيـا ... وَلَمْ أضرع لمخلـوقِ
لعِلْمِي أن رزقِيَ لا ... يجـاوزني لمرزوقِ
ومَنْ عَظُمت جَهَـالَتُـه ... يَرَى فِعْلِي من الْمُـوقِ

١٢٩ ـ أحمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن*

ضياء الدين بن الخطيب الأسنائي .

اشتغل بأسْنَا ، ثم بالقاهرة ، وأتى إلى دمشق وقرأ بها على النووي ، وسمع الحديث ، وصحب الشيخ إبراهيم بن مِعْضَاد الجعبري[٣] ، ثم اعتزل وأقام ببلده سنين ، انقطع عن الناس ، وأنف من ملاقاة الأدناس ، يتعبد في مكانه ، ويعتمد على الله في تحريكه وإسكانه ، إلى أن انطفأ ضياؤه وخمد من الأسنائي سناؤه .

وتوفي رحمه الله سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

---

(١) في الأصول : « تغيّري » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والمنهل ، وهي أشبه .
(٢) البيتان في المنهل الصافي : ٣٣٩/١ .
* الوافي : ٧٧/٧ ، والدرر : ١٧٦/١ ، وسقطت ترجمته من (أ) .
(٣) ت (٦٨٧ هـ) ، الوافي : ١٤٧/٦ .

١٣٠ ـ أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم*

ابن عبد العزيز بن جامع ، شهاب الدين العَزَّازي التاجر بقيسارية جَهاركس[١] بالقاهرة .

كان شاعراً جيدَ المقاصد ، لطيف الاقتناص للمعاني خفيَّ المراصد ، لتراكيبه حلاوة ، وعلى ألفاظه طلاوة ، وله شيء كثير من الموشحات ، وكلها بالصناعة البديعية مُوَشَّعات ، وكان قد أتقن فنّي القريض والتوشيح ، وغني اشتهاره في ذلك عن التلويح بالتصريح . وكان تاجراً فهو ينشر البزّين من نظمه وقماشه ، ويجعل النظم لأدبه والمتجرَ لمعاشه .

ولم يزل على حاله إلى أن طُوِيت من الحياة شُقَّتُه ، وعُدِمَ ما[٢] بين معاشريه لطفه[٣] ورقته .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد تاسع عشري شهر الله المحرم سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وحدَّث بشيء من نظمه ، أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدين أبو الفتح[٤] قال : أَنْشَدني من لفظه شهاب الدين العزَّازي يمدح سيدنا رسول الله ﷺ[٥] :

---

* الوافي : ١٤٨/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٤ ، وفوات الوفيات : ٩٥/١ ، والدرر : ١٩٣/١ ، والشذرات : ٢١/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٦٢/١ .

(١) قيسارية جهاركس : بناها الأمير جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي سنة (٥٩٢ هـ) .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « لطافته » .

(٤) ابن سيد الناس .

(٥) نقل ابن تغري بردي عن الصفدي بعض الأبيات في المنهل . والقصيدة معارضة لبردة كعب بن زهير .

دمي بأطلالِ ذاتِ الخال مطلولُ ... وجَيْشُ صَبْريَ مَهْزُومٌ ومفلولُ
ومن يُلاقِ العيون الفاتكاتِ بلا ... صَبْرٍ يدافعُ عنه فهو مخذولُ[1]
قُتلتُ في الحب حُبِّ الغانيات وما ... قَارفْت ذنباً وَكم في الحب مقتولُ[2]
لم يدرِ مَنْ سَلَبَ العشاقَ أنفسهم ... بأنه من دم العشاق مسؤولُ[3]
وبي أغنُّ غضيضُ الطرف مُعْتدلُ الـ ... ـقوامِ لَدْنُ مَهَزِّ العطف مَجْدُولُ
كأنّه في تثنّيه وخَطْرتِه ... غُصْنٌ من البانِ مطلولٌ ومشمولُ
سُلافةٌ منه تَسْبيني وسالفةٌ ... وعاسِلٌ منه يُصْبيني ومَعْسُولُ
وكلّ ما تدّعي أجفان مقلته ... يصحُ إلاّ غرامي فهو منحولُ

منها :

يا برق كيف الثنايا الغرُّ من إضَمٍ ... يا بَرْقُ أم كيف لي مُنْهنَّ تقبيلُ
ويا نسيم الصَبَا كَرِّرْ على أُذُني ... حَديثَهُنَّ فما التكرارُ مملولُ
ويا حُداةَ المطايا دُون ذي سَلَمٍ ... عوجوا وشَرْقيَّ بانات اللَّوى مِيْلُوا

منها :

منازلٌ لأكُفِّ الغيثِ توشيَةٌ ... بها وللنَوْر توشيع وتكليلُ[4]
كأنما طِيبُ رَيَّاها ونَفْحتُها ... بطيبِ تُرْبِ رسول الله مجبولُ
أَوْفَى النبيين بُرْهَاناً ومُعْجزةً ... وخَيرُ مَنْ جاءَهُ بالوحي جبريلُ
لَهُ يدٌ وله باعٌ يَزِينُهما ... في السِّلم طِوْلٌ وفي يوم الوغى طُولُ

---

(١) في الأصل : « وهو » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .
(٢) في الأصل : « فارقت » ، تصحيف وكذا في بعض نسخ المنهل ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .
(٣) (أ) ، الوافي ، للمنهل « عن دم » .
(٤) في الأصل : « توسيع وتكميل » ، وهو تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

منها :

سَلّ الإلـهُ بـه سيفـاً لملتـه ... وذلـك السيفُ حتى الحَشْرِ مسلـولُ
وشـاد ركنـاً أثيـلاً من نبـوَّتـهِ ... والكُفْرُ واهٍ وعَرْشُ الشرك مثلـولُ[1]
ويـل لمن جحـدوا برهـانـه وثَنَى ... عِنـان رشـدهم غيٌّ وتضليـلُ
أولئـك الخاسئـون الخـاسرون ومن ... لهم من الله تعـذيبٌ وتنكيـلُ
نَمَتْـهُ مِنْ هـاشم أُسْـدٌ ضَرَاغِمَـةٌ ... لهـا السيـوفُ نُيُـوبٌ والقنـا غيـلُ
إذا تفـاخر أربـابُ العـلا فهم الـ ... ـغرُّ المغـاويرُ والصِّيْـدُ البهـاليـلُ
لهم على العَرَبِ العَرْبـاء قـاطبـةً ... بـه افتخـارٌ وترجيـحٌ وتفضيـلُ
قَـوْمٌ عَمَـائمهم ذَلّت لعـزتهـا الـ ... ـقعسـاءِ تيجـانُ كسرى والأكاليـلُ

وهي قصيدة جيّدة غراء .

وبالسند المذكور له :

منـذ عشقت الشـارعيَّ الـذي ... بـالحسن يغتـال ويختـالُ
لم يبـقَ في ظهري ولا راحتي ... تـالله لامـآءٌ ولا مـالُ

وأنشدني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين العزّازي :

مـا عُـذْرُ مثلـك والركاب تُسـاقُ ... ألاّ تفيض بـدمعـك الآمـاقُ
فـأَذِلْ مصونـاتِ الـدموع فـإنمـا ... هي سُنَّـة قـد سَنَّهـا العشـاقُ
ولَرُبَّ دمـعٍ خـانَ بعـد وفـائـه ... مُـذْ حـانَ من ذاك الفريـق فراقُ
ووراء ذيـاك العُـذَيْبِ مُنَيْـزلٌ ... لَعِبت بقلبـك نحـوه الأشـواق[2]

(١) في الأصل : « وسار ركناً » . تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

(٢) في الأصل : « العشاق » ، وليس لها وجه ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

خُذْ أيمن الوادي فكم من عاشقٍ فتكت به من سِرْبِهِ الأحداقُ[١]
واحفظ فؤادك إن هفا بُرق الحِمى أو هَبَّ منه نسيمه الخفّاقُ

وكتب شهاب الدين العزّازي إلى ناصر الدين حسن بن النقيب[٢] ملغزاً في « شَبّابة » :

وما صفراءُ شاحبةٌ ولكن تُزَيِّنها لُنضارة والشبابُ
مُكَتَّبةٌ وليس لها بنانٌ مُنَقَّبةٌ وليس لها نقابُ
تُصيخُ لها إذا قبَّلْتَ فاهَا أحاديثاً تَلَذُّ وتُسْتَطابُ
ويحلو المدح والتشبيب فيها وما هي لا سعادُ ولا الربابُ

قلت : ما أحسن ما جاءت « الرباب » هنا .

وأجاب ابن النقيب عن ذلك :

أتت عجميَّةٌ أَعْرَبْتَ عنها لسلمانٍ يكون لها انتسابُ
ويُفهم ما تقولُ ولا سؤالٌ إذا حققت ذاك ولا جوابُ
يكاد لها الجماد يَهزّ عِطْفاً ويرقص في زُجَاجته الحُبابُ

قلتُ : الأول أجود وأحسن .

وقال العزّازي ملغزاً في القوس والنُشّاب :

ما عجوز كبيرةٌ بلغت عُمْـ ـراً طويلاً وتتّقيها الرجالُ[٣]
قد علا جسْمَها صفارٌ ولم تَشْـ ـكُ سَقَاماً ولا عراها هُزالُ
ولها في البنين سَهْمٌ وَقسمٌ وبنوها كِبارُ قدرٍ نِبَالُ

(١) في الأصل : « خذ من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) الحسن بن شاور الكناني ، ت (٦٨٧هـ) ، والشذرات : ٥/٤٠٠ .
(٣) كذا في أصول الصفدي ، وفي الدرر ، والشذرات : « يبتغيها » ، وهي أشبه .

وأراهـــا لم يُشْبهـوهـــا ، ففي الأمْ مِ اعـوجـــاج وفي البنين اعتـــدالُ

قلت : ما أصنع البيت الثالث وأحسنه .

ومن شعر العزَّازي :

قـــال لي من أحبـــه عنـــد لثمي وجنـــاتٍ يُحَـدِّثُ الـورد عنهـــا
خـلّ عني أمَـــا شبعت ؟ فنـــاديـ ـتُ : رأيتَ الحيـاة يُشْبَـع منهـــا ؟

ومنه :

جَعَلَتْ يـوم قـــارةٍ كُـلَّ وجـــهٍ شِـــدّةُ البَرْد وَهْـوُ للقـــار يحكي
وأسَـالَتْ منـا الـدمـوعَ ومـا زلْـ ـنـا بهـا في منـازلِ النبـك نبكي

ومن موشحات العَزّازي[1] :

ما على من هَام وجداً بذواتِ الحلَى مبتلى بالحِدَقِ السود وبيض الطُّلَى
بـــاللـوى مُليَّ حُسْنٍ لـــديـونـي لـوى
كم نـوى قتلي وكم عـــذبني بـــالنـــوى
قـــد هـوى في حبـــه قلبي بحكم الهـوى

واصطلى نـارَ تجنّيـــه ونـــار القِلى كيف لا يَذُوبُ مَن هَامَ بريم الفَلاَ
هـل ترى يجمعنـا الـدهر ولـو في الكرى
أم ترى عيني محيّـــــا مَنْ لجسمي برى
بـالسُّرى يـا حـاديَيْ ركبٍ بليل سرى[2]

عَلِـلاَ قلبي بتَـذْكار اللِّقـا عَلِّـلا وانـزلا دون الحِمَـا حُيَّ الحمى منزلا

---

(١) في المنهل الصافي : ٣٦٧/١ .

(٢) في الوافي : « بليلي » . وفي المنهل : « يا حاد ركباً لي بليل سرى » .

بي رشَـا دمعي بِسِرِّي في هـواه فشـا[١]
لـو يشـا بَرَّد مني جمرات الحشـا
مـا مشى إلا انثنى من سكره وانتشى

عَطِّلا من الحميّا يـا مُـدير الطَّلا مَـا حَـلا إذا أدارَ النـاظرَ الأكحـلا
هـل يـلامْ من غَلَبَ الحبُّ عليـه فهَـامْ
مستَهـامْ بفـاترِ اللحـظ رشيـق القـوام
ذي ابتسام أحسن نظماً من حبـاب المـدام[٢]

لو مَلا من ريقـه كأساً لأحيـا الملا أوْجَـلاَ وَجْهـاً رأيتَ القَمَر المجتلَى
لـو عَفَـا قلبـك عمَّن زلَّ أو من هفـا
أو صفـا مـا كان كالجلمـد أو كالصفـا
بـالـوفـا سَلْ عن فتىً عـذَّبْتَـه بـالجفـا

هل خلا فـؤاده من خطرات الـولا أَوْ سَـلا أوْ خـان ذاك المـوثـق الأوَّلا

وكنت أنا في وقت قد نظمت موشحاً في هذه المادة وهو :

لي إلى ظبي الحِمى شوق وقـد أنحلا إن حـلا فـإنـه جرَّعني الحنظـلا
بي قَمَرْ سبي الحشـا مني وعقلي قَمَرْ
لـو خَطَرْ أمسى بـه أهـل الهـوى في خَطَرْ
مُـذْ سَحَرْ بطرفـهِ اعتـل نسيم السَّحَرْ

واصطَلَى محبّـة تـذكار عَصْر خـلا وابتلا بـالـوجـد حتى أتعب العُـذَّلا
كم أَلَمْ من طيفـه لمـا بَجَفْنيَّ ألم

(١) في الأصل : « سري » .
(٢) (أ) : « أحسن من نظم » .

في الظُلَمْ أنصف لكن عين وُلّي ظلَمْ
أو نَسَمْ مبسَمُـــه أحيـــا جميـــع النسَمْ[1]

أوجـلا طلعتَـــهُ في دامس أَلْيـلا لاعتلى على بُـــدُور التم بين المـلا
إن قضى بقتلتي طرفُ غـــــزالي انقضى
إذ مضى في كبـــدي جفنـــاه فيما مضى
لـــو أضـــا برق الرضى لي ذات الإضى

لانجلى عني العَنَـا أو قَـلّ عني العُـلا وانسـلا قلب عـدوّ قـال عني سَـلاَ
إن صفـــا لي قلبـــه مِنْ هجره انصفـــا
إن تفـــاءلت لقلبي برضـــاه انتفـــا
أو طغـــا دمعي على جفن لـــه أو طفـــا

أَخْجَلا قطر غوادٍ قـد غـدت حُفَـلا كيف لا وهو حَيا دمعي وقد أسبلا
بئس مـا عـاملني الحب الـذي بي سَمَـا
عنـدمـا أجرى دمـوعي بـالجفـا عَنْـدَمـا
أَجْرَمـــا غفرتُ للـواشي الـــذي أجرمـــا

فاختلى بـه وخَلّى البـال رهن البلا أمَّ لا دون نعم في كل مـــــا أمّـــلا

١٣١ ـ أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم*

ابن أحمد بن محمد القزويني الطاوُسي .

الشيخ الكبير المقرئ المعمَّر الصوفي بالخانقاه السميساطية .

---

(١) (أ) : « لو » .

* الوافي : ١٥٨/٧ ، والـدرر : ١٩٣/١ ، والشـذرات : ١٠/٦ ، والمنهـل الصافي : ٣٧٣/١ ، وعقـد الجمان : ٣٧٠/٤ ، وفيات (٧٠٤ هـ) .

روى عن ابن الخازن[١] ، وعن ابن خليل ، والسخاوي ، وغيرهم . وحدَّث بالإجازة العامة عن الصيدلاني[٢] وغيره .

وكان من أعيان الصوفيّة ، حَسَنَ الأخلاق قاضياً للحقوق ، من أهل القرآن .

قال شيخنا البِرْزَالي : ذكر[٣] أنه قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وست مئة ، وسافر إلى بغداد سنة أربع وثلاثين مع ابن مرزوق[٤] ، كان يصلّي به ، أرسله معه الشيخ علم الدين السخاوي ووصّاه به .

وذكر أنه سمع بقزوين (صحيح مسلم) على يد أبي بكر الشحاذي ، وأنه اجتمع بالرافعي صاحب (الشرح[٥] الكبير) ، وأنه رأى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة خمس عشرة وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة أربع وسبع مئة[٦] ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن بمقابر الصوفية .

١٣٢ ـ أحمد بن عبد المحسن بن الحسن بن معالي*

القاضي الإمام نجم الدين أبو العباس الدمشقي الشافعي .

تَفَقَّه على الشيخ تاج الدين عبد الرحمن[٧] ولازمه ، وأعاد بحلقته ووليَ إعادة

---

(١) أبو بكر محمد بن سعيد الخازن ، (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٢٤/٢٣ .

(٢) أبو جعفر محمد بن أحمد الأصبهاني ، ت (٦٠٣ هـ) ، السير : ٤٣٠/٢١ .

(٣) (أ) : « ذُكر لي » .

(٤) إبراهيم بن عبد الله ، صفي الدين ، ت (٦٥٩ هـ) . الشذرات : ٢٩٧/٥ .

(٥) في الأصل : « الشيخ » ، وهو سهو .

(٦) في الأصل و (أ) : وست مئة ، وهو سهو .

* الدرر : ١٠٩/١ .

(٧) عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري ، ت (٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٦٧/٥ ، والنجوم : ٣١/٨ .

الظاهرية والقَيْمريَّة[١] وغيرهما . وولي قضاء القدس في أيام القاضي بهاء الدين ابن الزكي[٢] وناب في الحكم سنين عن ابن صَصَرى ، ودرس بالنجيبيّة[٣] وغيرها .

وسمع من ابن عبد الدائم ، وروى عنه ، وسمع من ابن أبي الخير ، وابن علان ، وجماعة . وحج غير مرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

١٣٣ ـ أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة*

ابن أبي المجد الشيخ الصالح المسند شرف الدين أبو العباس .

سمع من النجيب الحرَّاني[٤] ، وابن عَزّون[٥] ، والمعين أحمد بن القاضي زين الدين الدمشقي[٦] ، وابن ملكويه[٧] المشرف البروجردي ، وتاج الدين القسطلاني[٨] ، وسمع مشيخة الرازي[٩] ، والجمعة للنسائي على الشيخين المقدم ذكرهما .

---

(١) (أ) : « وأعاد بالظاهرية والقيمرية » ، والقيمرية : أنشأها الأمير ناصر الدين الحسين بن علي سنة (٦٥٦ هـ) ، والقيمري هو الإمام مقدم الجيوش ، ناصر الدين الحسين بن عبد العزيز ، (الدارس : ٣٣٥/١) .

(٢) يوسف بن يحيى ، ت (٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٤/٥ .

(٣) قرب ضريح نور الدين الشهيد ، مؤسسها النجيبي آقوش الصالحي ، الدارس : ٣٥٨/١ .

* الوافي : ١٤٢/٧ ، والدرر : ١٩٠/١ .

(٤) عبد اللطيف بن عبد المنعم بن الصيقل الحراني ، ت (٦٧٢ هـ) . العبر : ٢٩٨/٥ ، والنجوم : ٢٤٤/٧ ، والشذرات : ٣٣٦/٥ .

(٥) إسماعيل بن عبد القوي ، ت (٦٦٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢٤/٥ .

(٦) أحمد بن علي بن يوسف ، ت (٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٢/٥ ، والنجوم : ٢٣٧/٧ .

(٧) في الأصل : « ملكوته » ، تصحيف . وهو إسحاق بن محمود بن ملكويه ، ت (٦٦٩ هـ) ، الوافي : ٤٢٤/٨ .

(٨) علي بن أحمد بن علي القيسي ، ت (٦٦٤ هـ) ، الشذرات : ٣٢٠/٥ .

(٩) فخر الدين الرازي ، ت (٦٠٦ هـ) ، الكشف : ١٦٩٧/٢ .

وتوفي في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة ، ودفن بالقرافة .

ونقلتُ من خَطّ السَّراج الورّاق ، ما كتبه إلى الشيخ [١] ، لما قدم من الحجاز :

لم لا أراك من الحِجَـــــــــــا ز وقـــــد وصلتَ ولا أراكَـــــا
طَيِّبْ ســـــــــــواك فمي فلم يُعْجِبْـــــــهُ ذكرُ فتىً ســـــواكا

١٣٤ ـ أحمد بن عبد الواحد*

ابن عبد الكريم بن خلف ، الشيخ الأمين الفقيه العَدْل الفاضل فتح الدين أبو العباس ابن الشيخ الإمام العلامة كمال الدين الأنصاري الزملكاني .

حَدَّث عن خطيب مَرْدَا ، والبكري [٢] ، وابنِ عَبْد الدائم ، وغيرهم .

توفي رحمه الله تعالى ظهر يوم الاثنين ثالث عشر صفر سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده وأخيه الشيخ علاء الدين .

وفَتْحُ الدين هذا هو عم الشيخ العلامة كمال الدين ابن الزملكاني قاضي حلب [٣] .

وكان مولد فتح الدين في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : سمعت عليه خمسة عشر جزءاً .

---

(١) في (أ) : « الشيخ نجم الدين » ، ولا وجه لها ، والصواب « شرف الدين » ، وهو صاحب الترجمة .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) أبو علي الحسين بن محمد ، ت (٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٣ ، والشذرات : ٢٧٤/٥ .

(٣) محمد بن علي بن عبد الواحد ، ت (٧٢٧ هـ) ، وستأتي ترجمته .

١٣٥ ـ أحمد بن عبد الوهاب*

ابن خلف بن محمود بن بدر القاضي علاء الدين المعروف بابن بنت الأعز الشافعي .

حج ودخل اليمن ، وعاد وقدم دمشق ، وولي تدريس الظاهرية والقَيْمَريَّة ، وكان يركب البغلة ويتحنَّك[١] على عادة المصريين ، وهو أخو الأخَوَيْن قاضي القضاة محمد صدر الدين[٢] وقاضي القضاة عبد الرحمن تقي الدين[٣] .

وعاد من دمشق إلى مصر ودَرَّس بالكُهاريّه والقطبية[٤] ، وتولى الحسبة بآخَرَة .

وكان مليح الشارة[٥] ، فصيح العبارة ، مليح النضارة ، فيه كرم وإحسان وجود ، ومحاسنُ يتضوع من نشرها الوجود ، مع لطف مزاج ، واعتدالٍ لا يُؤَديّه إلى انزعاج ، كثيرَ التبسم ، شديد الاسترواح إلى المكارم والتَنَسُّم ، وكان فيه شهامة ، وعنده بالأمور العظام كفالة وزعامة .

ولم يزل بمصر على حاله إلى أن أجاب الداعي ، وقام به الناعي .

---

* الوافي : ١٦٣/٧ ، وفوات الوفيات : ١٠٦/١ ، والبدائع : ٥٨٥/١/١ ، والشذرات : ٤٤٤/٥ ، وعقد الجمان : ٩٤/٤ ، والمنهل الصافي : ٣٧٨/١ ، وطبقات السبكي : ٢٣/٨ .

(١) في الوافي : « يتحنّك بطيلسانه » ، والتحنّك : التحلّي ، وهو أن تدير العمامة من تحت الحنك . اللسان . مادة (حنك) .

(٢) كذا ، وفي البداية : ٢٩٧/١٣ : « صدر الدين عمر بن القاضي تاج الدين عبد الوهاب » ، وكذا في الشذرات : ٣٦٧/٥ .

(٣) ت (٦٩٥ هـ) ، البداية : ٣٤٦/١٣ ، والشذرات : ٤٣١/٥ .

(٤) المدرسة الكهارية بالقاهرة أنشأها الملك السعيد محمد بركة بن الظاهر بيبرس سنة (٦٧٧ هـ) ، وعرفت بالكهارية نسبة إلى الدرب الذي أنشئت فيه وهو درب الكهارية .
والمدرسة القطبية بالقاهرة أنشأها الأمير قطب الدين خسرو بن بليل من أمراء صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٠ هـ) في خط سويقة الصاحب داخل درب الحريري ، وجعلها وقفاً على الشافعية .

(٥) زاد في (أ) : « لطيف الإشارة » .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

أخبرني من لفظه شيخُنا العلامة أثيرُ الدين ، قال : حَضَرْنَا مع المذكور في الروضة فكتب إليّ ، وَوَجَّهَهُ مع بعض غلمانه :

حَيَّيْتُ أثيرَ الـــدين شيـخ الأدبـــا ... أقضي حقـــاً لـــه كما قـــد وَجَبَـــا
حَيَّيْتُ فتىً بطـــــــــاقِ آسٍ نَضِر ... كالقَـــدِّ بـــدا مُلِئْتُ منـــه طَرَبَـــا

قال : فأنشدته :

أهـدى لنـا غُصُنـاً من نـاضر الآسِ ... أقضى القضاةِ حليفُ الجود والباسِ
لّمـا رأى سَقَمي أهـداه مـع رشـأٍ ... حُلْـوِ التثني فكان الشـــافي الآسي

وأنشدني قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

تَعطَّلْتُ فـابيضّت دَوَاتي لحُـزْنِهـا ... ومُـذْقـلَّ مـالي قـلَّ منهـا مِـدادهـا
وللنـاس مُسْـوَدُّ اللبـاس حـدادهم ... ولكنَّ مُبْيَضّ الـدواةِ حِـدادهـا[1]

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

في السُمر معـــانٍ لاتُرى في البيضِ ... تـــاللهِ لقـــد نَصَحْتُ في تعريضي[2]
مـــا الشهـــد إذا طعمتـــه كاللبنِ ... يكفي فَطِنـــاً محـــاسنُ التعريضِ

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

وقـالـوا بـالعـذارِ تسـلَّ عَنْـه ... وما أنـا عن غـزال الحسن سَـال[3]
وإن أبْـدَت لنـا خـدّاه مسكاً ... فـإن المسـك بَعْضُ دم الغـزالِ

---

(١) البيتان في عقد الجمان : ٩٧/٤ .
(٢) في عقد الجمان : « للسمر ... تعريضي » .
(٣) في الأصل : « قالوا » ، وأثبتنا ما في الوافي وعقد الجمان ليستقيم الوزن .

١٣٦ ـ أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم*

شهابُ الدّين ، النويريّ المَحْتد ، القُوصيّ المولد .

سمع على الشريف موسى بن علي بن أبي طالب[١] ، وعلى يَعْقُوب بن أحمد ، وأحمد الحَجّار[٢] ، وزينب بنت مُنَجّا[٣] ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرهم .

وكتب كثيراً ، كتب (البخاري) مرّات ، كتبه ثماني مرات ، وكان يكتب النسخة ويقابلها ، وينقل الطباق عليها ويجلّدها ويبيعها بسبع مئة درهم وبألف[٤] ، وباعَ تاريخه مرة للقاضي جمال الكفاة بألفي درهم ، وكان يكتب في النهار الطويل ثلاث كراريس ، وحَصَل له قربٌ من الدولة في وقت ، وجمع تاريخاً كبيراً في ثلاثين مجلدة رأيته بخطّه .

كان المذكور قد تَقَدَّم عند السلطان الملك الناصر ، وعُقِدَتْ عليه الخناصر ، ووكَّلَهُ في بعض أموره ، وجعله في موضع[٥] سرِّه وسُروره ، وعمل عليه ولعب بعقله حتى رافَع ابنَ عُبَادة[٦] ، وهو الذي قربه إليه ورفع عندَه عِمَادَه ، فَضُرِبَ بالمَقارع نِكالاً ، وتخلّى السلطان عنه وأضحك منه الثكالى ، ولكنَّ ابنَ عبادة عَفَا عَنْهُ وما انتقم منه .

---

* الوافي : ١٦٥/٧ ، والبداية : ١٦٤/٤ ، والمنهل الصافي : ٣٨١/١ ، والطالع السعيد : ٤٦ ، والدرر : ١٩٧/١ ، ونسبه في المنهل يختلف عما هنا .

(١) أبو الفتح ، (ت ٧١٥ هـ) وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل الحجازي ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والحجار هو أحمد بن نعمة ت (٧٣٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) هي زينب بنت أحمد بن محمد بن عثمان ، ت (٧٥٠ هـ) ، والدرر : ١١٨/٢ .

(٤) (أ) : « وبألف درهم » .

(٥) (أ) : « وجعله موضع » .

(٦) أحمد بن علي ، وستأتي ترجمته .

وتقلَّب في خِدْم الديوان ، وباشر نظرَ الجيش بطرابلس في وقت ، ونظرَ الديوان بالدقهلية[١] والمرتاحيّة .

وكان حَسَنَ الشكل فيه مكارم وأريحيّة ، يتودَّدُ لأصحابه ، ويتردد لمن يتمسَّكُ بأسبابه ، مع ذكاءٍ في فطرته واحتشام في عِشْرَته . صام شهر رمضان وهو في كل يوم بعد العصر يستفتح قراءة القرآن إلى قريب المغرب ، ثم حصل له وجع في أطراف يديه زار منه منازل البلى وترك الدمع عليه مُسْبَلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره : .....[٢]

١٣٧ ـ أحمد بن عبد الله بن جبريل*

كاتب الإنشاء من الأيام الْمُعِزِيّة إلى آخر وقت القاضي شهاب الدين .

كان كاتباً مَأموناً ، مباركاً على الدول ميموناً ، تردد إلى الديوان زماناً ، وأخذ من السعد فيه[٣] أماناً ، إلى أن أضرَّ ولزم الجلوس في داره وأصرَّ . ولم يزل على ذلك إلى أن ودع أهله بالحزن بعد مَسَرَّة وهنا ، وأصبح بعمله في القبر مرتهناً .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسع وسبع مئة .

وهو والد القاضي صلاح الدين بن عبد الله ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ودارهم بالقاهرة في حارة زويلة .

---

(١) في الأصل : « بالدهقلية » ، وأثبتنا ما في الوافي ، ومعجم البلدان : ٤٥٩/٣ .

(٢) كذا .. بياض .

* لم نقف على ترجمته .

(٣) ليست في (أ) .

١٣٨ ـ أحمد بن عثمان بن قايماز*

ابن أبي محمد عبد الله الفارقي التركماني الدمشقي شهاب الدين ، والد شيخنا الشيخ شمس الدين الذهبي .

سمع صحيح البخاري سنة ست وستين على المقداد القيسي ، عن سعيد بن الرزاز[١] ، عن أبي الوقت .

وأجاز له تقي الدين بن أبي اليُسر ، وجمال الدين بن مالك ، وجماعة .

وسمع مع والده ببعلبك من التاج عبد الخالق[٢] وزينب بنت كِنْدي[٣] ، وجماعة .

كان فيه دين وخير ودفع الضرر[٤] عن غيره والضير ، افتكَّ من عكا أسيرين ، وأعتق جارية وغلامين ، وبرع في صناعة الذهب ، وكان في يده مثلَ اللهب . ولم يزل على حاله إلى أن انتهى شوطه ، وفرغ من سَوْق الحياة سَوْطه ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

١٣٩ ـ أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء**

شهاب الدين [بن][٥] السَّلْعُوس التنوخي الدمشقي ، أخو الصاحب شمس الدين[٦] .

---

* الوافي : ١٧٩/٧ ، والمنهل الصافي : ٣٨٥/١ ، ووقع في الأصل : « الفارقاني » تحريف .

(١) هو سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد بن عمر البغدادي ، أبو منصور بن الرزاز ، ت (٦١٦ هـ) ، السير : ٩٧/٢٢ .

(٢) عبد الخالق بن عبد السلام البعلبكي ، ت (٦٩٦ هـ) ، الإعلام : ٢٩١ ، والشذرات : ٤٣٥/٥ .

(٣) زينب بنت عمر بن كندي ت (٦٩٩ هـ) ، الوافي : ٦٦/١٥ .

(٤) (أ) : « الضرّ » .

** الوافي : ١٧٩/٧ ، والدرر : ٢٠٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٧/١ .

(٥) زي زيادة من (أ) ، والوافي .

(٦) محمد بن عثمان التنوخي الوزير ، ت (٦٩٣ هـ) ، العبر : ٣٨٠/٥ ، والنجوم : ٥٣/٨ .

سمع من ابن عبد الدائم ، وسمع بالإسكندرية في تجارته من عثمان بن عوف[١] . وسمع منه البرزالي .

كان في سمعه ثِقَل ، وهو لأجل التجارة لا يزال في نُقَل ، وفيه برّ وصَدَقة ، وله تطلُّع إلى الإحسان لا يُطْرِق معه حَدَقَهْ ، ونال الجاهَ العريض أيام وزارة أخيه ، ووَلي نظر الجامع الأُموي ، إلا أنه ثبتت أواخيه ، ولما قُتلَ أخوه عاد إلى حاله الأولى وانكفَّت يده الطولى .

ولم يزل كذلك إلى أن وقع ما لا بُدَّ منه ، ونفرت أوانس الحياة عنه ، وتوفّي رحمه الله تعالى كَهْلاً سنة سبع وتسعين وست مئة .

١٤٠ ـ أحمد بن عثمان بن إبراهيم*

ابن مصطفى بن سليمان ، الشيخ الإمام الفقيه تاج الدين أبو العباس المارديني الحنفي ، المعروف بابن التركماني ، وسيأتي ذكر والده وأخيه[٨] في مكانها إن شاء الله تعالى .

كان فقيهاً مُجيداً ، وأديباً مفيداً ، ومُبدياً للفوائد في الفنون ومُعيداً ، صنف في غير ما فن وأظهر ما بَطَنَ من الغوامض وما استَجَنَّ . له تعليقة على (الْمُحَصَّل) للإمام فخر الدين[٣] و (شرحٌ على منتخب) الباجي في أصول الفقه للحنفية ، وثلاث تعاليق على (خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل)[٤] للحنفية ؛ الأولى : في حل المشكلات ،

---

(١) عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن بن عوف ، ت (٦٧٤ هـ) العبر : ٣٠٣/٥ ، والنجوم ٢٥١/٧ .

* الوافي : ١٨٢/٧ ، والدرر : ١٩٨/١ ، والمنهل : ٣٨٢/١ ، والشذرات : ١٤٠/٦ ، والبغية ٣٣٤/١ .

(٢) علي بن عثمان (ت ٧٥٠ هـ) .

(٣) هو المحصّل في شرح المفصّل للرازي ، ت (٦٦٠ هـ) .

(٤) خلاصة الدلائل شرحٌ على مختصر القدوري ، ت (٤٢٨ هـ) ، وصاحب الشرح هو علي بن أحمد المكي الرازي ، ت (٥٩٨ هـ) ، وذكر صاحب الكشف : ١٦٣٢/٢ تعاليقَ التركماني عليه .

وتبيين المعضلات ، وشرح الألفاظ وتفسير المعاني للحُفَّاظ . والثانية : في ذكر ما أهمله من مسائل الهداية . الثالثة : في ذكر أحاديثهِ والكلام عليها وعلى متونها وعلى تصحيحها وتخريجها . (شَرْحُ الجامع الكبير) لمحمد بن الحسن [١] ، و (شرح الهداية) [٢] ، أظنه لم يكمل ، وكتابان في علم الفرائض مبسوط ومتوسط ، و (تعليق على مقدمتيّ ابن الحاجب) ، و (شرح المثرّب) لابن عصفور أظنه لم يكمل ، و (شرح عَرُوض ابن الحاجب) ، كتاب في (أحكام الرماية والسبق [٣] والمحلل) ، وكتاب (الأبحاث الجليّة على مسألة ابن تيميّة) [٤] ، و (شرح الشمسية) في المنطق [٥] ، أظنه لم يكمل ، و (شرح التبصرة) للخرقي [٦] ، في الهيئة أظنه لم يكمل .

وله نظم جيّدُ المقاصد ونَثْر [٧] يُعَدُّ في الفرائد ، وخَطّه أبهى من الحلل الموشاة والرياض التي [٨] بالأزهار مُغَشاة .

لم يزل في خدمة العلم إلى أن سكن التراب ، وفارق لداته [٩] والأتراب ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة في أول جُمَادى الأولى .

ومولده بالقاهرة سنة إحدى وثمانين وست مئة .

نقلتُ من خطه له [١٠] :

---

(١) الشيباني ، ت (١٨٧ هـ) ، الكشف : ٥٦٧/١ .

(٢) للإمام علي بن أبي بكر المرغيناني ، ت (٥٩٣ هـ) ، الكشف : ٢٠٣١/١ .

(٣) الكشف : ١٨/١ ، وفي المنهل : « والسبق الحلل » .

(٤) في الأصل : « على مسائل » وأثبتنا ما في (أ) و (خ) والوافي ، وانظر الكشف : ٢/١ .

(٥) للقزويني ، علي بن عمر ، ت (٦٩٣ هـ) ، الكشف : ١٠٦٣/٢ .

(٦) محمد بن أحمد الخرقي ، ت (٥٣٣ هـ) ، الكشف : ٣٣٨/١ .

(٧) في الأصل : « ونظم » ، وهو سهو .

(٨) (أ) ، (خ) : « التي هي » .

(٩) في الأصل و (أ) : « لذاته » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) .

(١٠) في المنهل الصافي أنه كتب هذه الأبيات إلى القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري .

غرامي بكم بين البريَّـة قـد فشـا ... فلستُ أبـالي بـالرقيب ومن وشى
ولا غَرْوَ أن غرّت صفاتـك من حكى ... فما قدر ما حاكَ الربيع ومـا وشى [١]
وإن قِستُهـا بـالـدُرِّ قـال لي السُهـا ... أفق إن ذاك الـدُر في بحره انتشـا [٢]
فقُمت بهـا أشـدو على كل مَشْهـدٍ ... فكلٌّ بـه عُجْبَـاً تـواجَـدَ وانتشى
مغـارِسُـه طـابت وطـاب أبَـوةً ... وذلـك فضـل الله يـؤتيـه من يشـا
ومـا أنبت الخَطيَّ إلاّ وشيجُـه ... ولا بـات إلا في مُطَهَّره الحشـا [٣]
فجـاء فريـد الـدهر أوْحَـدَ عَصْرِه ... وكم بين ذي نورٍ ومن كان ذا غِشا [٤]

ونقلتُ منه له أيضاً :

ملكتَ عَذارى الجامحات وعُونَهـا ... وفجَّرتَ مِنْ عُقْم المعـاني عيُـونهـا
رددت وجـوه الشـاردات أوانسـاً ... وذَلَّلت بـاللفـظ البليـغ متـونَهـا
فلا غَرْوَ أن هـزَّ الصَّبـا غُصُن الصِّبـا ... وقَبَّلَ مِنْ بَـان العُـذَيْب غُصُونَهـا [٥]
وأسكر صَبّـاً مُغْرَمـاً بحـديثكم ... وفَرَّعَ من حُسْنِ الحـديث شجـونهـا

١٤١ ـ أحمد بن عثمان بن مفرّج بن حامد*

الشيخ الصالح أبو العباس البعلبكي القيّم .

بلغ من العمر سبعاً وثمانين سنة ، وكان شيخاً صـالحـاً ، خـدم المشـايخ وسـافر إلى العراق .

---

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « إذ غرت » .
(٢) (أ) : « لي النهى » .
(٣) (أ) : « مطاهره » .
(٤) في الوافي : « عشا » .
(٥) في الوافي : « قضب الصبا » .
* لم نقف على ترجمته .

قال شيخنا البرزالي : وروى لنا عن ابن المقيّر[١] (الأربعين) للحاكم قرأتها[٢] ببعلبك ، وسمع أيضاً من ابن رواحة في أول سنة إحدى وعشرين وست مئة وسمع من الشرف المرسي ، وغيرهم ، ولزم المسجد في آخر عمره والعبادة .

وكان حسن السمت كثير المروءة ، ديّناً عفيفاً .

توفي رحمه الله تعالى في ثالث شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٤٢ ـ أحمد بن عثمان*

الأديب النظّام شهاب الدين الأَمْشَاطي .

كان ينظم الشعر القريض ، وهو فيه ذو طَرْفٍ غضيض ، ولكنه في الأزجال والموشحات وما يحتاج الأدباء فيه على رأي العوام من الزيلجات قيّم في وقته بالشام ، يعظمه أرباب هذا الفن بشهادة الحكام ، أخذ على ذلك دراهم ، واستعمل بها لجراحاتهم مراهم ، لعب مراتٍ وغَلَب ، ونُودي له بقيّم الشام من دمشق إلى حلب ، وكان له قدرة لنظمه الشعر ، فإنه به غَلالة الشعر .

ولم يزل على حاله إلى أن سُرّح الأمشاطي إلى البرزخ ، وأقام به إلى يوم القيامة مرسىً ومرشح .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأول من شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ومات في عشر الستين .

وكتب عنه ابن طغريل .

---

(١) عبد الرحمن بن المقير ، ت (٦٩٩ هـ) ، الشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٢) في (أ) : « قرأتها عليه » . والحاكم هو الإمام الحافظ محمد بن عبد الله النيسابوري ، ت (٤٠٥ هـ) ، الكشف : ٥٥/١ .

* الدرر : ٢٠١/١ ، والشذرات : ٦٦/٦ .

ومن شعره :

وفتّـاكِ اللـواحـظ بعـد هَجْرٍ حنـا كرمـاً وأنعم بـالمـزار
وظـل نهـاره يرمي بقلبي سهـامـاً من جفـونٍ كالشفـار
وعنـد النـوم قلت لمقلتيـه وحكم النـوم في الأجفـان جـار
تعـالى من تَـوَفّـاكم بليـلٍ ويعلم مـا جرحتم بـالنَهـارِ

وكان الأمشاطي قـد نظم هـو وابن مقـاتـل[1] زجلين ، فقطـع أربـاب فنّهما[2] للأَمْشَاطي بأنه الغـالب ، وابن مقـاتل يـدعي أنـه سـافر إلى مصر وأخـذ خـطّ الشيخ صدر الدين بن الوكيل وخط شيخنا أثير الدين وغيرهما من المصريين بأنـه هو الغـالب والأمشاطي مغلوب ، والذي نظمه الأمشاطي رحمه الله تعالى .

لَـكْ خَـدْيـا أح مـذ حـاز مُلَح رَوْضـو اصطبـح فيـه واغتَبَـقْ
خـال من سَبَـحْ أسبَى[3] المهـج زَهْرٌ خرج وأظْهَرُ فَرجْ
من هام بيه لَيْسَ يُلاَمْ
مُعَيْشِقي النـادر ليس في المـلاح نـدُّو
وجهـوالمضي الـزاهر يـدر الكمـال عبـدو
ولـو قـوام نـاضر في اللين أخـذ حَـدُّو
قـام في الريـاض خـاطر رأى الغُصِيْن قـدّو

عليـه رَجَـحْ مـات وانطَرحْ لَمّـا افتَضـح وفي الـورق
صـار منـدرج ومُنـدمـج وراح همـج من العِـوَج
حين قام ذاك القوام

(١) علي بن مقاتل ، ستأتي ترجمته .
(٢) في الأصل : « فيها » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في الأصل : « أسنى » ، وأثبتنا ما في (أ) .

جيت في الملاح نَـــدرة مطبـــوع حلـــو سُكّر
لـــك جفن بـــالكسرَة على المـــــلاح يُنْصَر
والريـــق لنـــا سَكرَة آه لـــو نطيـــق نسكر
وخـــد فيـــه خُضرَة أبيض شريـــــق أحمَرْ
نُـــورو اتضَـــحْ لِمَنْ لُـــحْ كِنّـــو قَـــدَح رَاقَ للحـــدَقْ
صَفَـــا نَتـــج لَمّـــا ابتهـــج نـــار دون وَهَـــجْ أو امتزج
والتام ماء[1] والْمُدَام

صـــادفت من عـــزَّر هجري في وَحْـــد اليـــوم
دَنَـــا رقيـــق أصفر بحـــال هـــلال الصـــوم
شكيت لـــو كم نسهر قـــال لي: اكتحـل بـــالنـوم
فنـــاديت[2] وقـــد أبحر دمعي ولي فيـــه عـــوم
يـــا مَن قـــداح رقّ وجرح ومـــا صفـــح ولي شُقَـــقْ
سُقمي نسَـــجْ من صَـــار نهـــج وَكْ مُتَّهـــج وفي لُجَـــج
قد عام كيف لو مُنَام

ظهرَ وكان[3] يخفي عني وصـــال حُبّي
وارتـــدَّ عن خُلْفي ومـــال إلى قُربي
نحمـــد ونشكر في كل الأمـــور ربّي
فقرَّ يـــاطَرْفي والتَـــذّ يـــاقلبي
وابـــدي الفرح واخفي الترح أمرك نجـــح كم بـــالقلـــق
تعمـــل حجـــج وتنزعـــج جـــاد بـــالفرج بعـــد الحرج
قسّام رزق الأنام

(١) (أ) : « ماه » .
(٢) (أ) : « ناديت » .
(٣) (أ) : « وما كان » .

معـــك قـــوّام أرشـــق من الغصن وأنضرْ
بليـــــل شعرو أورق وبـــــــالقمر أثمر
وخـــد رُوضُـــوا عبـــق جَنّـــانُـــو خـــال عنبَر
وكل من حقـــــــق في طلعتـــــك يبصَرْ
لـك خـديـا أح مـذ حـاز مُلح رَوْضـوا اصطبـح فيـه واغتبـق
خـــال من سَبَـحْ أسبى المهـج زَهْرُ وخَرَجْ وأظهَرْ فَرج

من هام بيه ليس يلام

والذي نظمه علاء الدين بن مقاتل :

طرفي لَمَـح بـــدر اتضَـحْ لي فيـه مُلَـح مـاعـو حَـدق
إذا اختلـج فيهـا الـدعـج يسْبي المهـج ولـو نسـج

رَقام عذارو لام

جـل الإلـه منشيـه من بعض ايـاتُـو
خَـدّو المضرج فيـه نـارُو وجَنّـاتُـو
والـورد كاد يبـديـه في غير أوقـاتـو
ومِن جنـا عينيـه لمى في وَجْنـاتـو
وردُو اتّفـح نشرُو انفضـح[1] وفيـه نضـح طـلّ العَرَقْ
وامتزج ذاك الـوهـج من الضَرَج فـاح لـو أرَج

نّام على الخزام

واعـظ هـويت وعَظْـوَ والخطبـة والإنشـاد
والختمـة من حفظـو والـدَرْس والإسْنَـاد
ومـزدوج لفظـو قـد أفرد العُبّـاد
شبّهتـو من حَظـوّ في ليلـة الميعـاد

(١) (أ) : « افتضح » .

حين قـــال صـح في مـــا شرح وقـــد فَصَـح لمـــا نطـــق
بـــــالمـــزدوج وابتهـــج وقـــد عَرَج على الـــدرج

وانقام بدر التمام

محبـوبـو لمـــا احرَفْ عنّـــو لشـــومٍ قسمُـــو
سَقمـــو عليـــه أسْرف حَتّي محـــا رَسْمُـــو
ومـــــا بقي يُعْرَف مِنّـــو ســـوى إسمـــو
وعلى الممات أشرف ومن نحـــول جِسمُـــو
قـــد صـــار سَبَـحْ ولا برح ولا انتزح عمَّن عَشَـــــق
ولا انحرج ولا انـــزعـــج لـــو انـــدَرَج وانـــدمـــج

لا لام ولا يُلام

سمـع بـــأوصـــافي ومـــا رويت عنّـــو
عمـــل على إنصـــافي ووصلي صـــار فنُّـــو
وعيشنـــا الصـــافي زال الكـــدَرْ عنّـــو
مـــع حظي الـــوافي ومـــا احْـلا مـــا إنّـــو
معي مَـــزَحْ ولي فتـــح بـــاب الفرح وقـــد غلـــق
بـــــاب الحرج وللفرج معي درج وجـــــا الفرج

والتام حفظ الذمام

مـــا ذي المـــلاّح إلا فتنـــة لمن يعشـــق
الله لهم حلّى بـــالبهجـــة والرونـــق
بحـــالهم أصـــلاً في الجنـــة ليس يخلـــق
فكيف نطيـــق نســـلا عنهم وفي جلّـــق
طَرفي لمـــح بَـــدْرَ اتضـــح في فيـــه[1] مُلَـح مَـاعُـو حَـدَقْ

(١) (أ): «لي فيه».

إذا اختلج فيها الدعج يسبي المهج ولو نَسجَ
رقّام عذارو لاَم

قلت : أنا أحاشي الشيخ صدر الدين والشيخ أثير الدين رحمهما الله تعالى أن يكونا حكماً لابن مقاتل على الأمشاطي ، وابن مقاتل قد جاء معه عدة عيوب منها قوله « جنا عينيه » مع قوله « منشيه ومبديه » ، وهذا لا يجوز قريضاً ولا زجلاً ، ومنها أنه قطع همزة الوصل وهو غير جائز عند الزجّالة ، ويسمون مثل هذا : « ركبة » ، ومنها أنه ذكر الواعظ وما لذكره هنا بمعنىً ، لأنهما ما اتفقا على أن ينظما في واعظ ، هذا إلى غير هذه الأشياء من العيوب .

١٤٣ ـ أحمد بن عسكر بن شدّاد*

الفقيه الفاضل كمال الدين .

كان رجلاً صالحاً فقيهاً نبيهاً متقشفاً متعفّفاً[١] مقلاً من الدنيا .

سمع كثيراً مع شيخه ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليُسر ، وغيرهما .

وحدَّثَ وحجَّ غَيْرَ مرة ، وكان يسافر إلى القدس ماشياً كلَّ سنة .

توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة اثنتين وسبع مئة . وحضر جنازته القضاةُ والعلماء .

١٤٤ ـ أحمد بن علي بن عبد الوهاب**

ابن يوسف بن منجا ، شهاب الدين الأُدْفوي[٢] .

---

* الدرر : ٢٠٣/١ .

(١) (أ) : « متعبداً » .

** الوافي : ٢٠٤/٧ ، والدرر : ٢١٧/١ .

(٢) (أ) : « الأدفوني » .

كان من الأذكياء العقلا ، والدِّينَةِ[١] النبلا ، صدوق اللهجة ، ظاهرَ الوضاءة من الخير والبهجة ، تفقه للشافعي ، وقرأ النحو ، وكان فَهِماً ذكياً[٢] ذا همّة ، وقريحة تجلو له الليالي[٣] المدلهمّة ، وفيه صَدقة وبِرّ ، وإخلاصُ باطنٍ وسِرّ ، وإكرامٌ للفقراء[٤] والصالحين والضيوف الواردين .

حضر إلى القاهرة ، وشرع في حفظ (التسهيل) ، فقرأ منه القليل ، ونزلَ به حادث المنايا ، ووارث الرزايا .

وتوفي بالمدرسة الصالحية في صفر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١٤٥ ـ أحمد بن علي بن عبد الله*

ابن أبي البدر ، المحدّث جمال الدين أبو بكر البغدادي القَلانِسي .

كان مفيد بغداد ، عُني بالرواية وهو ابن عشرين سنة ، وسمع الكثير من عبد الصمد[٥] ، ومحمد بن أبي الدينَّة[٦] وابن بَلْدجي وعِدَّه . وخرّج وأفاد[٧] ، وكتب وروى قليلاً .

---

(١) (أ) : « والأدنية » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « الدياجي » .

(٤) في الأصل : « للفقراء الواردين » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٢٤٣/٧ ، والدرر : ٢١٦/١ ، والشذرات : ١٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩٧/١ .

(٥) في الأصل و (أ) : « ابن عبد » ، والوجه إسقاط ابن كما في الوافي ، والمنهل . وهو عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش البغدادي (ت ٦٧٦ هـ) .

(٦) في الأصل و (أ) : « المدينة » ، والصواب : الدينّة ، كما في الدرر ، وهو محمد بن يعقوب (ت ٦٧٠ هـ) .

(٧) في الأصل : « وأعاد » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل ، وهي أشبه .

وحدّث عنه[١] التقي محمد بن محمود الكرخي[٢] وابنه أحمد ، وأحمد بن عبد الغني الوفاياتي[٣] ، وعبد الله بن سليمان الغراد ، ومحمد بن يوسف بن منكلي .

وكان صدوقاً فيما يدَّعيه وما يقوله ويعيه .

لم يزل يفيد ويطلب ، ويزيد ويكتب عن المشايخ في الإجازات ، ويكتب ما في الجزازات ، إلى أن باخ جمره ، وأناخ عليه بكلكله دهره .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وسبع مئة .

ومولده في جمادى الآخرة سنة أربعين وست مئة .

١٤٦ ـ أحمد بن علي بن هبة الله*

شمس الدين بن السّديد الإسْنَائي الشافعي .

قرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي ، وتولى الخطابة بإسنا ، وناب بها في الحكم وبأُدْفُو وبقوص ، ودَرَّس بها ، وبنى بها مَدْرسة ، ووقف عليها أملاكاً جيِّدة ، ووقف على الفقراء .

وكان قويَّ النَّفْس يبذل الألوف ليقهر أعداءه ويذيقَهُم الحتوف ، محافظاً على الرياسة ملازماً لطريق[٤] الخدمة للأكابر والسياسة ، واقفاً مع هواه لا يحذر مِنْ مَهْوَاه ، مُمَدَّحاً[٥] معطاءً مَهيباً ، واجداً بالتقدم في الدنيا وجد المتيَّم إذا رأى حبيباً ، انصرف

(١) في الأصل : « عن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل .

(٢) في الوافي : « الكرجي » . وفي المنهل كما هنا .

(٣) في المنهل : « الوفاياني » .

* هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل العذري القفطي . (ت ٦٩٧ هـ) ، الوافي : ٢٤٤/٧ ، والدرر : ٢٢٢/١ ، والطالع السعيد : ص ٥٠ ، والمنهل الصافي : ٤١٤/١ .

(٤) (أ) : « طريق » .

(٥) (أ) : « معظماً » .

منه على نيابة الحكم بقوص ثمانون ألف درهم ، وما دخل منه القلبَ ولا الصدر هَمّ ، وصادره الأمير سيف الدين كراي المنصوري[١] في آخر عمره وأخذ منه مئةً وستين ألف درهم .

وتوجه إلى القاهرة وتمارض فمرض ، ونزل به الأمرُ المحتوم وأصبح وهو تحت[٢] الأرض في حرز مختوم .

وكانت وفاته في شهر رجب الفرد سنة أربع وسبع مئة .

١٤٧ ـ أحمد بن علي*

ابن الشيخ الزاهد يوسف بن علي بن إبراهيم سبط الشيخ ضياء الدين أبي المحاسن عبد الحق[٣] الواسط الحنفي ، القاضي شهاب الدين أخو قاضي القضاة برهان الدين ابن عبد الحق بن خلف بن عبد الحق ، تقدم ذكره في الأباره[٤] .

توفي رحمه الله تعالى في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

١٤٨ ـ أحمد بن علي بن أحمد**

الشيخ فخر الدين أبو طالب الهمداني[٥] الكوفي الحنفي المعروف بابن الفصيح ، والفصيح جده لأمه .

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) (أ) ، (خ) : « وأصبح تحت » .

* الدرر : ٢٢٤/١ .

(٣) زاد في (أ) : « بن خلف بن عبد الحق » .

(٤) أي في « إبراهيم » .

** وفيات ابن رافع : ٣٢٣/١ ، والدرر : ٢٠٤/١ ، وذيل العبر : ٢٩٩ ، والنجوم : ٢٩٧/١٠ ، والجواهر المضية : ٧٩/١ ، وغاية النهاية : ٨٤/١ ، والذيل التام : ١٤٠ ، والدارس : ٤٠٣/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩٣/١ .

(٥) (خ) : « الهمذاني » ، تصحيف .

نظم (الفرائض السراجية)[١] و (كنز الدقائق)[٢] و (المنار في أصول الفقه)[٣] و (نظم شاطبيةً)[٤] أظهر رموزها وجاءت أصغر من الشاطبية .

وسمع على الصغاني وروى عنه .

وكان له في البلاد العراقية ذكر وسمعة ، وهناك له ضوء ونور يتوقد في شَمْعَه .

حضر إلى دمشق في[٥] أيام الأمير علاء الدين الطُنبغا نائب الشام ، وحصل له منه إقبال تام ، وكان مدرّسَ المدرسة التي بالقصّاعين يُظهر فيها فوائده ، وينظم في أجياد الدروس فرائده ، وعاد بالريحانية[٦] إلى أن مات بها ، وعَمَّر بالإفادة زوايا جوانبها .

وكان مشكورَ الوداد ، حَسَن الاعتقاد ، أكبَّ على الاشتغال ليلاً ونهاراً[٧] ، لا يردّ طالباً ، ولا يَصُدّ مغالباً ، إلى أن خرس ابن الفصيح وتبَوَّأ بطن الضريح .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد سادس عشري شعبان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمانين وست مئة . أنشدني من لفظه الإمام شمس الدين محمد بن سند اللخميّ[٨] قال : أنشدني : الشيخ فخر الدين لنفسه :

---

(١) هي فرائض السجاوندي ، محمد بن محمود ، وذكر صاحب الكشف : ١٢٤٨/٢ ، نظمَ ابن الفصيح لها .

(٢) في فروع الحنفية للنسفي ، ت (٧١٠ هـ) ، وذكر صاحب الكشف : ١٥١٦/٢ نظم ابن الفصيح له . والنظم مخطوط كما في الأعلام : ١٧٥/١ ، باسم « مستحسن الطرائق في نظم كنز الدقائق » .

(٣) اسمه : « منار الأنوار » للنسفي ، الكشف : ١٨٢٣/١ .

(٤) اسمها كما في غاية النهاية : « حلّ الرموز » .

(٥) ليست في (أ) و (خ) .

(٦) غرب المدرسة النورية ، أنشأها الطواشي خادم نور الدين الشهيد سنة (٥٦٥ هـ) ، الدارس : ٤٠١/١ .

(٧) زاد في (أ) و (خ) : « وسراً وجهاراً » .

(٨) أشار إليه ابن كثير في أحداث سنة (٧٦٦ هـ) (٣١٠/١٤) .

لا تجـزعَنَّ فليسَ ذاك بنـافـعٍ وَقَـعَ الـذي قـد كنتَ منـه تحـذرُ
فتلقَّـهُ بـالصبرِ أو متصبّراً والصبرُ بـالنفسِ الكريمـةِ أجْـدَرُ

١٤٩ ـ أحمد بن علي بن عُبَادة*

القاضي الرئيس شهابُ الدين الأَنْصَاري الحلبيّ .

نشأ بالدّيار المصرية ، وكتب واشتغل ، ووَلي شهادة الخِزانة[١] ، واتصل بخدمة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وحظي عنده ، وأَوْرَى السعدُ زَنْدَهُ ، واشتهر في مصر بالوجاهة ، وعامَلَهُ مخدومه بالدعابة والفكاهة ، وكان معه في وقعة التتار سنة تسع وتسعين وست مئة[٢] ، وتأخر بَعْدَهُ بدمشق ، وولي أمر التربة المنصورية[٣] بالقاهرة ، والأوقاف والأملاكَ السلطانية ، ولازمه ، واتحد به ، وشدَّ للموت حيازمه . وتوجه معه إلى الكرك وأقام بالقدس شهوراً ، وجانب جَدّاً كان في ذلك الوقت عثوراً ، ولّما عاد السلطان إلى مصر عاد معه إليها ، وقدم بالسعد والإقبال عليها .

وعرض عليه الوزارة فما وافق ، والظاهر أنه خادع في ذلك ونافق ، وأطلق له في حلب ضَيْعَة ، وجعل مَغْلَها له ورَيْعَة ، وضَيْعَةً أخرى بالسواد من دمشق .

وكان جيّد الطباع سهل الانقياد إلى الانتفاع ، تعرَّف به أقوام فأفلحوا ، وعاملوه بالوفاء فربحوا . ولما كان في خدمة السلطان لم يكن ذكرٌ لغيره ، ولا لأحد قدرة على سَيْره .

ولم يزل على حاله إلى أن فقدته أوطانه ، ولم ينفعه فيما نزل به سلطانه .

توفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة في سادس عشر جمادى الأولى .

---

* الوافي : ٢٤٥/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٣ ، والدرر : ٢١٠/١ .

(١) هي ضبط الأموال الديوانية وكتابة الحسابات .

(٢) انظر البداية والنهاية : ٦/١٤ .

(٣) بناها الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٤ هـ) .

١٥٠ ـ أحمد بن علي بن وهب*

العدل المعمّر تاجُ الدين أبو العباس بن محمد بن دقيق العيد ، أخو الشيخ[١] الآتي ذكره في المحمّدين إن شاء الله تعالى ، القشيري[٢] ، المنفلوطي .

سمع (الثقفيّات العشرة)[٣] وثاني (المَحَامِليّات)[٤] ، وثاني حديث سَعْدان[٥] ، و (أربعين) السلفي من ابن الجُميّزي ، وسمع (جزء) الصولي[٦] من ابن رواج ، وسمع من الزكي المنذري وغير واحد ، وحدّث قديماً .

سمع منه البرزالي ، وقطب الدين عبد الكريم[٧] وجماعة .

واشتغل بمذهبي الشافعي ومالك على أبيه ، ودرّس بالنجيبية[٨] بقُوص مكان والده ، وكان يُلقي الدروس في المذهبين ، وتولى الحكم بغرب قمولا[٩] وبقوص عن قاضي القضاة الحنفي ، ولكنه اختلط بآخرة ، وكان يتساهل في الشهادة وما يجري في ذلك

---

* الوافي : ٢٤٣/٧ ، والدرر : ٢٢٢/١ ، والطالع السعيد : ٥٠ ، والمنهل الصافي ٣٩٨/١ ، ووقع في الأصل : « ذهب » ، وهو تصحيف .

(١) (أ) : « الشيخ تقي الدين » .

(٢) (أ) : « اليشكري » ، سهو .

(٣) هي طائفة من أجزاء الحديث للقاسم بن الفضل الثقفي الأصفهاني ، ت (٤٨٩ هـ) . الكشف : ٥٢٢/١ .

(٤) هي الأجزاء المحامليات في الحديث ، وهي ستة عشر جزءاً ، ويقال لها أمالي المحاملي ، والمحاملي هو الحسين بن إسماعيل بن محمد المحاملي الضبي ، ت (٣٣٠ هـ) ، الأعلام : ٢٣٤ .

(٥) هو سعدان بن يحيى بن صالح اللخمي ، روى له البخاري والنسائي وابن ماجة ، ت (١٩٠ هـ) ، الوافي : ١٩٠/١٥ .

(٦) أشار إليه صاحب الكشف : ٥٢٢/١ .

(٧) ابن عبد النور الحلبي ، ت (٧٣٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٨) للمدرسة النجيبية بقوص بناها النجيب بن هبة الله الثعلبي رئيس قوص المتوفى (٦٢٢ هـ) .

(٩) غرب قمولا : بلدة في الجانب الغربي للنيل بقنا ، ثم أصبح جزء منها تابعاً لمركز قوص والآخر لمركز الأقصر . (الطالع السعيد : ١٢٧) .

على العـادة ، إلا أنـه كان كثير العبـادة ، يسرد الصوم إرادَهُ ، مـع أَوْرَادِه الـوَرّادَهْ ، ويكفل الأيتام ويزين خنصر البر بخَيْتَام ، وطـال عمره ، وتفرد بروايـة أشيـا ، وألحق بالأموات الأحْيَا .

ولم يزل على حاله إلى أن « أخنى عليه الذي أخنى على لُبَد »[١] وعَدم الرواة عنـده من الزّبَد .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده في أحد الربيعين ست وثلاثين وست مئة .

١٥١ ـ أحمد بن علي بن الزبير*

ابن سليمان بن مظفر : القاضي الفقيه شمس الدين أبو العباس الجيلي أَبُوه ، الدمشقي الشافعي الشاهد من صوفة الطواويس[٢] .

سمع مجلدين من (سنن البيهقي) من ابن الصلاح .

وروى عنه سائر من طلب ورحل الناس إليه حتى من حلب .

وكان ديّناً منطبعاً ، نـازلاً بـأكنـاف التلاوة متربعـاً ، حسن المنـادمـة حتى حص الإقلال[٣] خوافيه وقوادمه ، ولم يزل على ذلك إلى أن غُصَّ بالحِمَام ومـا وفى لـه الأمل بالذمام .

---

(١) عجز بيت للنابغة ، وصدره : « أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا .. » .

* الدرر : ٢٠٩/١ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والوافي : ٢٤٥/٧ .

(٢) ولهم خانقاه الطواويس بدمشق ، تنسب إلى شمس الملوك دقـاق السلجوقي ت (٤٩٧ هـ) ، الـدارس : ١٢٩/٢ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) الإفلاك ، يقال : فلّك الرجل إذا لجّ في الأمر . والحص : إذهـاب الشعر عن الرأس بحلق أو مرض .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

١٥٢ ـ أحمد بن علي بن نصر بن عمر*

فخر الدين السوسي المصري الشافعي ، نزيل القاهرة .

كان فقيهاً بارعاً في الأدب ، حَسَن الخلق ، مليح المحاضرة ، محبوباً إلى الناس ، له النظم والنثر .

توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ودفن بالقاهرة وله ثلاثون سنة .

ومن شعره :

شكت دارها فعل الهوى بقطينها ... وما استبدلته العَيْنُ من بعدِ عيْنِها [1]

وكثرة أنصار النوى وانفرادها ... فأنجدْتُها مِنْ عَبْرتي بكمينها

وما ادّخرت عيني مياهَ شؤونها ... لشيء سوى إنفاقه في شؤونها

جزاءً وفاقاً لو قنعت بنظرةٍ ... من الشمس لم يُرْمِدْكَ ضَوْءُ جبينها

أعد نظراً فالحسن في الكون كله ... مُعَارٌ له من كاف ليلى ونونها

يعانِقُك الغصن الرطيب بقدّها ... وتَسْيبك غزلان النقا بعيونها

وقد حاق فيك السحر من ظَبَياتها ... وقد مِلْتَ سكراً عند مَيْل غصونها [2]

فهَلْ غيرُ ليلى فاعلٌ فيك فِعْلَها ... إذن لست في دعوى الهوى بأمينها

وما شهد العشاق غَيْرَ جمالها ... ولا دانَ من دين الهوى غير دينها [3]

---

* الدرر : ٢٢١/١ .

(١) في (أ) : « شكت دارها ليلى وما فعل الهوى » .

(٢) في الأصل « مثل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أقرب .

(٣) (أ) : « وهل شهد .. من دان .. » .

ولا خَرِسُوا إلاّ لهيبة حسنها ... ولا نطقوا إلا بفضل فنونها
ولا دارَ في أفهامهم وعقولهم ... من السحر شيء غير سحر جفونها
ومن شرطها أن لا ينال محبُّها ... مُنى وصلها ما عاف طعم منُونها[١]
ولا تكتفي من مُدَّعٍ فرط حُبِّها ... بدعوى ولا أن أُكِّدت بيمينها[٢]
لها شاهد منها تميَّزَ عندها ... صدوقُ الدعاوى في الهوى من ظَنينُها[٣]
فقم صادقاً أو نم فللحب أهله ... وبع زلفاً بِيْضَ الليالي بجونها
وها كلمات في النصيحة مِنْ فتىً ... فصيح بألفاظ العِظات مُبينها[٤]
خذ العفو ممن تصطفيه ولا تسل ... عن الغيب واعرف خلة بقرينها
وأخرى أضاء الحق في جنباتها ... وخرَّقَ ليلَ الشك صبحُ جبينها[٥]
إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها

١٥٣ ـ أحمد بن علي بن مُحَمّد بن سلمان بن حمائل*

القاضي الفاضل الكاتب البليغ[٦] الناظم الناثر ، نجم الدين أبو العباس ابن الشيخ علاء الدين بن غانم .

أحد[٧] كتاب الإنشاء بدمشق ، وسيأتي ذكر جماعة من أهل بيته كل منهم في مكانه .

---

(١) هذا البيت ساقط من (أ) .
(٢) (أ) : « كدّيت » .
(٣) في (أ) : « ظنونها » . وفي رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري مشيراً إلى من تقبل شهادته . « .. إلا مجلوداً في حد ... أو ظنيناً في ولاء أو نسب » .
(٤) في الأصل : « العطاف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .
(٥) في (أ) : « يقينها » .
* الدرر : ٢١٩/١ .
(٦) ليست في (أ) .
(٧) في الأصل : (أخذ) ، تصحيف .

كان القاضي نجم الدين هذا أكبر من أخيه القاضي جمال الدين عبد الله الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى ، ولكنه لم يتفق له الدخول إلى ديوان الإنشاء إلا بعد أخيه جمال الدين عبد الله بمدة ، وكان نجم الدين ينظم القريض فيَدَّعي سامِعُهُ أنه أنقُ من الروض الأريض ، وأنّه للطافته يأسو به القلب المريض ، وتنظر[١] الزهر الثواقب إلى زهره الغض بطرفٍ غضيض ، ويكتب فيوشّي برود المهارق بقلمه ويرصع تيجان الطروس بجواهر كلمه ، كأنما طروسُه وَجَنَات طرّز وردها آسُ العذار أو قِطَعٌ مِنْ الليل الداجي جرت فيها أنهارٌ من النهار :

زهراء أحلى في النفـــوس من المنى وألـذّ من ريـق الأحبّـة في الفَمِ[٢]

وكان دخوله في الديوان بعد موت والده رحمهما الله تعالى في سنة ثمانٍ وثلاثين[٣] وسبع مئة .

جاء إلى مصر وتوصّل بالأمير بدر الدين بن الخطير[٤] وتنجَّز له توقيعاً من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقام إلى أن حضر القاضي شهاب الدين أحمد[٥] بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء بدمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، فجرت له معه كائنة خرج بسببها من الديوان ، ثم إنه توجه إلى مصر وعاد بتوقيع ثان في زمن الملك الصالح إسماعيل .

وقد خرج القاضي شهاب الدين بن فضل الله وعزل ، ولم يزل نجم الدين المذكور يكتب في ديوان الإنشاء إلى أن توجه في شهر رمضان سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مئة إلى

---

(١) في الأصل : (وتنظم) ، تحريف .
(٢) (أ) : « في الفؤاد ... بالفم » .
(٣) في الأصل : ثمانين وسبع مئة ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) مسعود بن أوحد . ستأتي ترجمته .
(٥) ليست في (أ) .

ثغر بيروت لضبط[١] متحصل الموقّعين من الميناء ، فأقام بها تارة يمرض إلى أن مات بعلّة الذَّرَب[٢] في أوائل ذي الحجة سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مئة ، ولم يخلف ابناً[٣] غير ابنةٍ صغيرة عمرها تقدير[٤] سبعة أشهر .

وكنت قد كتبتُ إليه وأنا بمرج الغَسُّولَة :

مولاي نجم الدين يا من فضله ... قد عَمَّني بخصائص الإحسانِ
أوحشتني في سَفرة قَضَّيتُها ... بالمرجِ منفرداً عن الخلان
فبكيتُ لما أنْ ذكرتك بالدِّما ... حتى مَلأْتُ المَرجَ بالمرجان

فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك :

شَوْقي صلاحَ الدين نحوك لم يزلْ ... مع فرط وجْدي آخذاً بعناني
أوحشت عينيَ منذ سِرْت ولم تزل ... والله يا مولاي نصب عيانيِ[٥]
راسلتني بلطائف يا حُسْنها ... هي في الضمير رسائلُ الإخوانِ
لا كان هذا المرجُ أجرى عَبْرتي ... في الخد كالبحرين يلتقيان
لما بكيتُ الخلّ صار الدمع في ... عنق المحب «قلائد العقيان»[٦]

وكتبتُ أنا إليه وقد انقطع من الديوان :

أمولاي نجم الدين أوحشت خاطراً ... لبعدك بعد القُرْب والأنسُ دائبُ[٧]
فنار الجوى لم يطفِها مِن مَدامعي ... لفقدك لما غبتَ عني السحائبُ

---

(١) (أ) : « يضبط » .
(٢) هو داء يكون في الكبد .
(٣) (أ) : « ولدا » .
(٤) (أ) : « تقدير عمرها » .
(٥) في (أ) : « سريت » .
(٦) (أ) : « لما بليت الحبل » .
(٧) في الأصل : « لبعدك بعد الأنس والقرب رائب » ، وهي قلقة .

وقد أظلم الديوان بعدك وحشةً ... وما حال أفقٍ نَجْمُه عَنْه غائبُ

فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك :

أيا مالكاً لي من علاه رغائب ... وفي كل وقت من نداه غرائبُ [١]
أتتنيَ أبياتٌ حسانٌ لطائفٌ ... فقلبيْ عليها دائم الوجد ذائبُ
وأنت الذي ما زلت كالبحر للورى ... لنا من أياديكِ الكرامِ عجائبُ [٢]

وكتبت أنا إليه وقد وعدني أن يربط لي بغلة على حشيشٍ عنده :

بغلتي هذه تريد حشيشاً ... ما أنا وزنه بعقلي المعيشي
فاصطنعني فإن كل مليكٍ ... ووزيرٍ في حمل هم الحشيشي

فكتب هو الجواب عن ذلك :

يا إماماً قد حاز كل المعاني ... طول دهري إليه كُلّ هشيشي [٣]
إنّ ذاك الحشيش صار يبيساً ... فرعَاه يا مَالكي إكديشي

وكتبت أنا إليه ملغزاً في « تميم » :

مولاي نجم الدين يا من له ... خليلُ ودٍّ وهو أزكى حميْمٍ
ما اسمٌ رباعيٌّ له أوّلٌ ... إن زال عنه لم نجد غير ميم

فكتب هو الجواب عن ذلك :

مولاي قد قلدت جيدي حُلَىً ... من جوهر اللفظ بعقد نظيْمٍ [٤]

---

(١) في الأصل : « عن علاه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في الأصل ، « في البحر كالوري » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في الأصل « هيش » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) في الدرر : « قد قلّدتني حلية » .

أهـــدَيتـــه من بحر علم لـــه ذخـــائر والقلب منهـــا يهيم[١]
مَـــوَّهتَ معنـــاه فتم العنـــا والبـــدر يسبي منـــه تـــاء وميم

وكتب إليَّ وقد انقطعتُ عن الديوان ، وهو ضعيفٌ :

أصبحتُ في الديوان وحدي في عنا وأذى أراه بخـــاطري وبعيني
كُنَّـــا بـــه مستـــأمنين ولفظنـــا من لطفـــه يـــدعى بـــذي السجعين
وبـــه صـــلاح لم يـــزل مـــع علمـــه تروى معـــاليـــه على السمعين
فنـــأى فصرتُ على البلى مستـــوقفـــاً أبكي على مـــا فـــات بـــالـــدمعين
وبلـوت أقـوامـاً لبستُ لأجـل مـا أخشـــاه من تنكيـــدهم درعين

فكتبتُ أنا الجواب إليه :

حاشاك تصبح في عنىً أو [في] ضنىً نفسي فـــداؤك في الردى من ذين[٢]
والقصـــد أن تمسي وتصبـــح دائمـــاً في صحـــــةٍ ثبتت قرير العين[٣]
فـــإذا سلمت ودُمْت لي مـــا ضرني من رحت أفقـــــدُه من الحيين
أدري محبتـــك التي صحت ومـــا رُميتُ بشيء في الـوفـــا من شين
من صـدق وُدِّك تشتهي وتـودُّ لـو أصلحتَ مـــا بين الـزمـــان وبيني
مـــاهـــذه الفتن التي إن أُخْمِـــدَتْ نـــار أجـدَّت بعـدهـا نـــارين[٤]
فكأنهـــا الفِتنُ التي يُحكى لنـــا فيما مضى من فتنـــــة الحكمين[٥]
ألقى العدَى وحدي وما درعي سوى صبرٍ تَنَـــاهَبَـــه ظُبى الجمعين
يـــادَهْر كفّ فقـد كفيتُ فمـا أنـا كابن الـــــزبير ولا أبي السبطين

(١) (أ) : « منه يهيم » .
(٢) زيادة يقتضيها السياق ويستقيم بها الوزن .
(٣) (أ) : « سالماً في » .
(٤) (أ) : « ماأخمدت » .
(٥) في البيت إشارة إلى قصة التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .

ومن الـذي لم يهتضـه زمـانـه ... أو مـا رمـاه عـدوه بـالمين
دع ذا فـإقبـالي على شـأني غـدا ... أولى لِتَبْرأ سـاحتي من دَيْني
مـا بعـد هـذا الشيب والسنّ الـذي ... أربت على الستين غير الحَيْن
واللهُ أعـدل حـاكمٍ بين الـورى ... وقضـاؤه فَصْـلٌ على الخَصْمَيْن[1]

١٥٤ ـ أحمد بن عمر بن زهير*

ابن عمر بن زهير بن حسين بن زهير بن عقبة الزرعي ، الشيخ الأصيل الفاضل شهاب الدين أبو العباس الزُّرْعي الحنبلي .

كان جَيّداً في قومه ، معروفاً بالعدالة والأمانة ، وله معرفة بالقسمة والمساحة ، وفيه تودُّدٌ وكرم .

سمع من جده .

وروى عنه بدمشق وَزُرّع[2] وبصرَى . وكتب عنه شيخنا البرزالي من نظمه ، كان بينهما مودَّة قديمة ، وكان التتار قد أسَرُوا له ولداً نوبة « غازان » ، فتوجه إليهم في طلبه ، وله قصائدُ في التشوق إلى زُرَع ، وله مراثٍ في ولده عمر ، كان كثير التلاوة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١٥٥ ـ أحمد بن عمر بن عبد الله**

ابن عمر بن يوسف بن يحيى بن عامر بن كامل بن يوسف بن يحيى بن قابس ، الشيخ الصالح أبو العباس بن الخطيب نجيب الدين ابن خطيب بيت الآبار .

---

(١) في الأصل : « الحكين » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الدرر : ٢٢٥/١ .

(٢) زُرع : إحدى قرى مدينة درعا اليوم ، وكانت تعرف بزُرًّا قبل القرن السابع . (وانظر معجم البلدان : زرّا) .

** الدرر : ٢٢٦/١ .

كان رجلاً جيداً فقيراً مقيماً بالجامع ينوب عن أخيه في الأذان ، ويذكّر يوم الجمعة .

سمع من جده لأمه الخطيب عماد الدين داود بن عمر[١] ، وهو عم والده ، ومن إخوته الضياء يوسف[٢] ، والموفق محمد[٣] ، وغيرهم .

كان صائماً يوم الاثنين ، وصلى المغرب في الجماعة وصعد إلى سطح الجامع بالقرية فزلت[٤] رجله ، فوقع فمات في رابع عشري ربيع الآخر سنة أربع وعشرين[٥] وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

١٥٦ ـ أحمد بن عُمَر بن داود الصفدي

شهاب الدين كاتب الإنشاء بالديار المصرية .

توجّه مع والده زين الدين إلى القاهرة في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ولما توفي والده رحمه الله تعالى أقام هناك فقرَّبه القاضي علاء الدين كاتب السر للعقل الذي كان[٦] رآه منه والسكون الذي كان فيه ، وكان[٧] قد حفظ (التسهيل) لابن مالك وكتب المنسوب ، ومرض مدة طويلة .

وتوفي رحمه الله في أواخر سنة إحدى وستين وسبع مئة .

---

(١) ابن يوسف الزبيدي المقدسي ، خطيب بيت الآبار ، ت (٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٧٥/٥ .
(٢) الشذرات : ٣٢١/٥ .
(٣) ستأتي ترجمته .
(٤) (أ) : « فزلقت » .
(٥) في (أ) والدرر : « خمس وعشرين » .
(٦) ليست في (أ) و (خ) .
(٧) ليست في (أ) .

وكان مولده بدمشق في سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكنت أنا إذ ذاك بالرحبَة ، فكتبت إلى والده أهنيه بذلك ، وأجابني والده عن ذلك ، والابتداءُ والجوابُ سقتهما في كتابي (ألحان السواجع) وسيأتيان في ترجمة والده إن شاء الله تعالى ، وبلغني أنه تَرَكَ موجوداً مبلغه مئة ألف درهم وأزْيَد .

١٥٧ ـ أحمد بن عمر بن عبد الله*

قاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة عز الدين ، أبو العباس المقدسي الحنبلي .

تولى هو وأبوه قضاء[١] القضاة بالديار المصرية ، وكان وجهه جميلاً ومجده أثيلاً ، بياض شيبه على خدّه كأنه الياسمينُ على ورده ، له مُرَوَّةٌ زائدة ، وكفٌّ بالنوال جائدة ، وكان معه أيضاً نظر الخزانة الكبرى ، وهو بالطلوع إلى القلعة مُغْرَى .

وما زال قاضياً إلى أن عَزَلَ السلطان محمد بن قلاوون القضاة الثلاثة دون المالكي[٢] . فلزم بيته إلى أن تعذَّرت وقاية التقي من الممات ودخل في بابِ مَضَى وقَضَى وفَاتْ ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة[٣] .....

وأجاز لي بخطه سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة بمصر .

١٥٨ ـ أحمد بن عيسى**

صدر الدين بن الشيخ مجد الدين بن الخشّاب ، وكيل بيت المال بالديار المصرية ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في مكانه .

---

* الوافي : ٢٦٦/٧ ، والدرر : ٢٢٥/١ .

(١) (أ) : « تولى قضاء » .

(٢) انظر البداية والنهاية : ١٨٠/١٤ ، أحداث سنة (٧٣٨ هـ) .

(٣) كذا وقع في الأصول ، ولم يذكر الصفدي في الوافي سنة وفاته ، وظاهر ما في الدرر أن وفاته بعيد سنة ٧٣٨ بيسير .

** الوافي : ٢٧٥/٧ ، وتالي وفيات الأعيان ، : ٤٩ ، والدرر : ٢٣٣/١ .

نال الوجاهة والصدارة وأصبح والأنامل تُومي إليه بالإشارة .

لم يزل على حاله إلى أن[١] نزلت به الداهية الصمّا وأنزلته من عزته الشمّا ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وتسعين وتسع مئة .

١٥٩ ـ أحمد بن فَرْح*

بالحاء المهملة ، ابن أحمد بن محمد :[٢] الإمام الحافظ الزاهد ، بقية السلف ، شهاب الدين أبو العباس[٢] اللخمي الإشبيلي الشافعي .

أسره الفرنج سنة ست وأربعين وست مئة ، وخُلّص وقَدِمَ مصر سنة بضع وخمسين .

وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٣] . وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري الحموي[٤] ، والمعين أحمد بن زين الدين ، وإسماعيل بن عزون[٥] والنجيب بن الصيقل ، وابن عِلاَّن[٦] ، وبدمشق عن ابن عبد الدائم وخَلْق .

وعُني بالحديث وأتقن ألفاظه وعرف رواته وحفاظه ، وفهم معانيه ، وانتقد لآليه ، وكان من كبار أئمة هذا الشان وممن يجري فيه وهو طلق اللسان[٥] ، هذا إلى

---

(١) (أ) : « حتى » .

* الوافي : ٢٨٦/٧ ، والعبر : ٣٩٣/٥ ، وطبقات السبكي ٢٦/٨ ، وتذكرة الحفاظ : ١٤٨٦ ، وشذرات الذهب : ٤٤٣/٥ ، والمنهل الصافي : ٥٩/٢ ، وعقد الجمان : ٩٨/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(٢) قوله « الإمام » حتى ههنا ، ليس في (أ) .

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) .

(٤) عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ت (٦٦٢ هـ) .

(٥) (أ) ، والوافي : « ابن عزوز » .

(٦) في الوافي والمنهل : ابن علاّق ، وهو عبد الله بن عبد الواحد (ت ٦٧٢ هـ) ، الشذرات : ٣٣٨/٥ .

(٧) (أ) : « العنان » .

مافيه من ديانة ، وورع وصيانة ، وكانت له حلقة أشغال[١] بُكرةً بالجامع الأموي يلازمها ويحوم عليه من الطلبة[٢] حوائمها .

سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي واستفاد منه ، وروى منه في تصانيفه عنه ، وعُرِضت عليه مشيخة دار الحديث النورية[٣] فأباها ولم يقبل حبَاها ، وكان بزيّ[٤] الصّوفيّة ، ومعه فقاهة بالشاميّة .

ولم يزل على حاله حتى أحزن الناسَ ابنُ فرح ، وتقدم إلى الله وسَرَح ، وشيّع الخلق جنازته ، وتولَّوا وضْعَه في القبر وحيازته .

وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

وله قصيدة غزلية في صفات الحديث ، سمعها منه الدمياطي واليونيني ، وسمع منه البرزالي والمقاتلي والنابلسي وأبو محمد بن الوليد . ومات بتربة أم الصالح بالإسهال . والقصيدة المذكورة :

غرامي (صَحيحٌ) والرَّجافيك (مُعْضَلُ) وحُزْني ودَمْعِي (مُطْلَق ومُسَلْسَلُ) [٥]
وصَبْريَ عنكم يَشْهَدُ العقلُ أنه (ضَعيفٌ) و(مَتْروك) وذُلّي أَجْمَلُ
ولا (حسَنٌ) إلاّ سَمَاعُ حديثكم مُشَافهةً تُمْلَى عَلَيَّ فَأنقُلُ
وأمْريَ (مَوْقوف) عليك وليس لي على أحدٍ إلاّ عليك الْمُعَوَّلُ
ولو كان (مرفوعاً) إليك لكنت لي على رغم عُذَّالي ترق وتُعْذَلُ

(١) (أ) : « اشتغال » ، وكذا في المنهل الصافي . وفي طبقات السبكي : « إقراء » .
(٢) في الأصل : « الطلب » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) أنشأها بدمشق نور الدين محمود زنكي المتوفى (٥٦٩ هـ) .
(٤) في الأصل : « يربي » ، تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .
(٥) في عقد الجمان ، والمنهل ، وطبقات السبكي : « مرسل ومسلسل » .

وعَـذْلُ عَـذُولي (منكرٌ) لا أسيغُـه ... و(زُوْرٌ وتـــدليسٌ) يُرَدُّ ويُهمَـلُ
أُقضّي زَمَـاني فيـك (متّصلَ) الأسى ... و(منقطعـاً) عمّـا بـه أتـوصّـلُ [١]
وهـا أنـا في أكفـان هَجْرك (مُـدْرَج) ... تكلّفني مَـــالاَ أطيـق فـــأحمـلُ
وأجريتَ دمعي بالدمـاء (مُـدَبَّجـاً) ... ومـــا هـو إلا مُهْجَتي تَتحلَّـلُ [٢]
(فمتّفِـقٌ) جفني وسهـــدي وعبرتي ... و(مفْتَرقٌ) صَبْري وقلبي المبلبـــلُ
و(مؤتلِفٌ) شجوي ووجـدي ولوعتي ... و(مختلِفٌ) حظي ومـا منـك آمَـلُ
خذ الوجد عني (مسنداً) و(مُعَنْعَنـا) ... فغيري (موضوعٌ) الهـوى يتحيّـلُ [٣]
وذي نبـذٌ من (مبهم) الحب فـاعتبر ... وغـامضـه إن رمت شرحـاً أحـوّل
عــزيـــزٌ بكم صبٌّ ذليـــلٌ لغيركم ... و(مشهـور) أوصاف المحب التـذلـلُ
(غَريبٌ) يُقَاسي البُعْدَ عنكِ ومـالَـهُ ... وحَـقٌّ الهـوى عن داره متحـوَّلُ [٤]
فرفقـاً (بمقطـوع) الـوسـائـل مـالـه ... إليـك سبيـلٌ لا ولا عنـك نَعـدِلُ
فـلا زلت في عـز منيـع ورفعـــةٍ ... ومـا زلت تعلـو بـالتجني فـأنـزلُ
أُوَرّي بسُعـــدى والربـــاب وزينبٍ ... وأنت الـــذي تُعنى وأنت المـؤمَّـلُ
فخـــــــذ أوّلاً من آخرٍ ثم أولاً ... من النصف منـه فهـو فيـه مكمّـلُ
أبرّ إذا أقسمت أني بحبّـــــــهِ ... أهيم وقلبي بـالصبـابـة يُشْغَـلُ [٥]

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكرتي .

---

(١) (أ) : « أتوسّل » .
(٢) في طبقات السبكي ، والمنهل : « وما هي إلا » .
(٣) في عقد الجمان :« لموضوع .. يتخيّل » ، وفي المنهل : « بموضوع .. يتجمل » .
(٤) في عقد الجمان : « وحقّك من دار الغنى » ، وفي المنهل : « وحقك عن دار القلى » .
(٥) في عقد الجمان : « يشعل » ، وفي طبقات السبكي : « مشعل » .

١٦٠ ـ أحمد بن مُحَسِّن*

بتشديد السين ، ابن مَلِيّ بن حسن[١] بن عتق أو عتيق بن مليّ : العالم[٢] الفاضل نجم الدين المعروف بابن ملّي الأنصاري البعلبكي الشافعي المتكلّم .

سمع من البهاء عبد الرحمن[٣] ، وأبي المجد ابن القزويني ، وابن الزّبيدي ، وابن رواحة ، واشتغل بدمشق ، وأخذ عن ابن الحاجب العربية ، وعن ابن عبد السلام الفقه ، وعن الزكي المنذري الحديث ، والأصول عن جماعة ، والفلسفة والرفض عن جماعة .

ودرّسَ وأفتى زماناً وناظَرَ وأورد بياناً . وكان متبحّراً في العلوم لا يعبأ بمن يشكر أو يلوم ، كثير الفضائل قادراً على أجوبة المسائل ، أَسَداً إذا ناظر ، بحراً إذا حاضر ، حاضِرَ الحجَّة ، خائض اللُّجّة ، حادّ القريحة ، رادَّ السهام التي تصيب مقاتَلَهُ[٤] وهي غير صحيحة .

دخل إلى مصر غَيْرَ مرَّة ، وتوجه إلى قوص وأسوان ، وامتزج فيهما بالأحباب والإخوان ، وولي بأسوان تدريس مدرستها مدّة ، وكابد من الرَّمْضَاء والحر شدّة ، وكان من تمكنه في العلوم يقول عند الدروس : عيّنوا آية حتى نتكلم[٥] عليها ، فإذا عينوا ما أرادوا تكلم حتى يذعنوا لما يقوله وينقادوا[٦] كأنما يقرأ من كتاب أو يستسقي من بحر زاخر العباب .

---

* الوافي : ٣٠٥/٧ ، وطبقات ابن السبكي ٣١/٨ ، والمنهل الصافي : ٦٥/٢ ، وعقد الجمان : ١٠٨/٤ ، والشذرات : ٤٤٤/٥ ، ووقع في الأصل « مكّي » ، وهو تحريف .

(١) في المنهل : « بن علي بن حسن » .

(٢) (أ) : « العالم البارع » .

(٣) عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٤ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢٢ .

(٤) (أ) : مقتله .

(٥) في الأصل : « حتّى لا نتكلم » ، وأثبتنا ما في « أ » والوافي .

(٦) في الأصل : « ويتفادوا » تصحيف ، وأثبتنا ما في « أ » .

وسمع منه الطلبة ، وقرأ عليه البرزالي موطأ القعنبي [١] ، وكان عديم المبالاة بالناس ، يَشْتَلِقُ [٢] على الأنواع والأجناس ، مستهتراً بمن يراه ، مشتهراً بترك أدب الكبار والسّراة .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن مَلِيّ بالعجز مليأً ، وأمسى وعذره عن الكلام جليّاً . وتو في رحمه الله تعالى بقرية بَخْعُون من جبل الظنّيّة [٣] سنة تسع وتسعين وست مئة في جمادى الآخرة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة ببعلبك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه الموطأ رواية القعنبي ، وعدة أجزاء بسماعه من الشيخ بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي ، وجزء أبي الجهم [٤] بسماعه من ابن الزبيدي [٥] .

١٦١ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن عبد الواحد بن علي بن سرور : المسند عماد الدين أبو العباس بن قاضي القضاة شمس الدين ابن الشيخ القدوة عماد الدين المقدسي البغدادي ثم المصري الحنبلي .

---

(١) أي موطأ الإمام مالك برواية القعبني ، عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، ت (٢٢١ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤٠/٣ ، والسير : ٢٥٧/١٠ .

(٢) عبارة الوافي : « قال الشيخ شمس الدين : مشتلقاً يخلّ بالصلوات » وانظر التاج : « شلق » .

(٣) في الوافي : « الظنين » وكذا في الشذرات والمنهل ، وطبقات السبكي ، وعقد الجمان ، وهو جبلّ بين طرابلس وبعلبك .

(٤) العلاء بن موسى بن عطية الباهلي (ت ٢٢٨ هـ) الكشف : ٥٨٤/١ .

(٥) (أ) : « من الرشيدي » .

* الوافي : ٣١٩/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ٣٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٧/٢ .

سمع سنة اثنتين وأربعين من الكاشغري[١] وابن الخازن ، وسمع[٢] بمصر من عبد الوهاب بن رواح[٣] ، وطائفة .

أخذ عنه الشيخ شمس الدين الذهبي ، وكان يؤم بمسجد[٤] وله مدارس ، ولديه في التفرد بالرواية مغارس ، وفاز بالعوالي وحاز من سندها اللآلي .

ولم يزل على حاله إلى أن مال عُمُدُهُ ، واتصل بغيره سنده . وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، كذا قاله شيخنا البرزالي ، وقال غيره : سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

وكانت وفاته بالقاهرة .

١٦٢ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن محمد بن يوسف : الفقيه الأديب المحدّث أبو العباس المرادي القرطبي المعروف بالعَشّاب .

روى « مسلسل الراحمون » عن أبي محمد بن بُرْطُلَه[٥] ، وكان صاحباً للبَطْرَني[٦] ، يسمعان معاً ، وسمع (الموطأ) عن ابن هارون[٧] ، وروى عن أبي القاسم بن البراء التنوخي ، وأبي محمد بن السفر ، وسمع (الشّفا)[٨] من أبي إسحاق بن عياش التُجيبي

(١) إبراهيم بن عثمان بن يوسف الكاشغري (ت ٦٤٥ هـ) ، السير : ١٤٨/٢٣ ، والعبر : ٢٢٢/٥ .

(٢) في الأصل « سمع » ، وابن الخازن هو محمد بن سعد بن الموفق (ت ٦٤٣ هـ) .

(٣) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي الإسكندري . (ت ٦٤٨ هـ) .

(٤) (أ) : « مسجداً » .

* الوافي : ٣١٩/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ١١٢/٦ ، وغاية النهاية : ١٠٠/١ .

(٥) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبيد الله ، غاية النهاية : ٤٢٨/١ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٦) أحمد بن موسى بن عيسى شيخ تونس توفي قبل (٧٠٠ هـ) بتونس ، غاية النهاية : ١٤٢/١ .

(٧) عبد الله بن محمد بن هارون مسند تونس توفي (٧٠٢ هـ) ، الدرر : ٣٠٣/٢ .

(٨) الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) .

بسماعه من السَّقوري[١] عن مؤلفه إجازة ، وسمع من عثمان بن سفيان التميمي سنة خمس وست[٢] وفيها مات .

ووَزَرَ للجَيّاني[٣] صاحب تونس ، وقرأ النحو .

وسمع منه يسير بن عرَّام ، والشيخ حسن البغدادي بقراءته وتلاوته به على أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الأعلى الشُبارقي[٤] عن أبي جعفر الحصّار[٥] تلاوةً وسماعاً بسنده .

ولم يزل في شانه مشتغلاً بإخوانه وأخدانه إلى أن نزل تحت الثرى وأمّ ربَّه وترك الورى وَرَا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

١٦٣ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم*

الفقيه المسند ، صفيّ الدين أبو العباس الطبري المكي ، أخو الشيخ زين الدين[٦] .

سمع (صحيح البخاري) من عبد الرحمن ابن أخي[٧] حَرَميّ العَطّار صاحب ابن عمار[٨] ، وسمع شعيباً الزعفراني ، وأبا الحسن بن الجُمَيزي .

---

(١) علي بن أحمد بن علي الغافقي (ت ٦١٦ هـ) ، غاية النهاية : ٥٢١/١ .

(٢) وكذا في الوافي ، وفي (أ) خمس وستين .

(٣) في الوافي : « الحياني » .

(٤) ت بعد (٦٦٠ هـ) ، غاية النهاية : ٤٦٤/١ .

(٥) أحمد بن علي بن يحيى (ت ٦٠٩ هـ) ، السير : ١٦/٢٢ .

* الوافي : ٣٢٠/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ١٨٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٩/٢ .

(٦) (أ) : « رضيّ » . وكذا في المنهل الصافي . وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري (ت ٧٢٢ هـ) .

(٧) كذا في الأصل و (أ) والوافي ، والمنهل . وانظر السير : ٢٦٩/٢٣ .

(٨) علي بن عمار المقرئ ، أشار إليه صاحب السير : ٢٦٩/٢٣ .

كان ديِّناً خيّراً ، وذا بصر بالصلاح لا يزال نيِّراً ، وحدَّث مدة ، وسمع منه عِدّه ، وأضرَّ دَهْراً ، وبقي إلى أن وقع من مكان جَهْراً ، فانقدحت بذلك عيناه وأبصر ، وغنم النظر من الحياة واستقْصَر .

ولم يزل إلى أن تكدّر لصفي الدين زمانه ، وأتاه من الموت حَدَثانه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

١٦٤ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم*

الشيخ الإمام الفقيه المقرئ المراغي الرومي الحنفي ، إمام الحنفية بجامع دمشق ، ومدرس المدرسة العتيقة[١] ، وشيخ الخانقاه الخاتونية[٢] ظاهر دمشق وغير ذلك .

كان ذا نَغْمَةٍ يقف لها الطير ، ويتلبّث بها[٣] البرق المتسرع في السير ، من يسمعه لا يعود يُعَرِّجُ على نغمات العُود ، وَيظنّ أنه أوتي مزماراً من مزامير داود ، إذا أمَّ في محرابٍ[٤] صلَّت وراءه سوابق الألحان وسلم إليه الفَضْلَ ابنُ سُرَيج وقال : ما أنا من خيل[٥] هذا الميدان . كان يَؤم بالأفرم ، فكان يدنيه ويقربه ويكرمه كأنه والده ، يرشّحه لكل خير ويدرّبه ، وكان قد عمَّر زاوية على الشرف الأعلى يأوي إليها الناس ويقضي المحتشمون فيها بعد صلاة الجمعة أوقات أنس وسماع ، لم يخلفها الزمان ، وكان ذا مروءة وحميّة وقيام مع الضعيف وعصبيّة ، ونفع أناساً كثيرين بجاهة عند الأفرم ، وقُرْبِهِ منه الذي كان لأجله يُبجّل ويُكْرَم .

---

* البداية والنهاية : ٨٤/١٤ ، والدرر : ٢٤٢/١ ، والدارس : ٤٥٣/١ .

(١) لم نقف عليها ، وفي البداية والنهاية والدارس أنه درّس بالمدرسة المعينية .

(٢) نسبة إلى خاتون زوجة نور الدين الشهيد ، الدارس : ١١٣/٢ .

(٣) (أ) : « لها » .

(٤) (أ) : « محرابه » .

(٥) (أ) : « فرسان » .

ولم يزل على حاله إلى أن بطلت ألحانُه وعطَل من الأنس[١] حانهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة في شهر ربيع الأول .

وكان قد نزل عن وظائفه لولديه عماد الدين وشرف الدين إلاّ أنّ تلك السوق الأفرميّة ذهبت ، وأفلَتْ نجوم سعودها وغَربت ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

١٦٥ ـ أحمد بن محمّد بن أحمد*

الشَّيْخُ الإمام العالم الرئيس كمال الدين أبو العباس البكري الشافعي ، وكيل بيت المال بدمشق ، وشيخ دار الحديث الأشرفية[٢] ، ومُدرّس الناصرية[٣] .

سمع (جزء ابن عرفة) على النجيب ، وحدَّث به مرّات ، وسمع من جماعة من أصحاب ابن طَبَرْزَد وغيرهم بالقاهرة والقدس ، وقرأ بنفسه الكتب الكبار ، وطلب مدة ، ورحل إلى الديار المصرية والإسكندرية ، وناب عن القاضي بدر الدين بن جماعة مدّة ، وترك النيابة ودرَّس بالشامية البَرَّانية والناصرية ، وولي وكالة بيت المال أكثر من اثنتي عشرة سنة ، وولي دار الحديث الأشرفية ومشيخةَ تربة أم الصالح ، وولي الرباط الناصريّ ، وحج سنة ثلاث وسبع مئة .

كان حَسَنَ الشكل مهيباً ، غزيرَ الفضل لا يرى له فيه[٤] ضريباً ، من بيت علمٍ

---

(١) (أ) : « الأمن » .

* الوافي : ٣٣٧/٧ ، وذيل العبر : ٩٩ ، والبداية والنهاية : ٩١/١٤ ، والدرر : ٢٤٦/١ ، والنجوم : ٢٤٣/٩ ، والشذرات : ٤٧/٦ ، والدارس ٢٥/١ ، والمنهل الصافي : ٧١/٢ ، ويعرف بابن الشريشي أيضاً .

(٢) في الأصل : « بالأشرفية » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل ، وهو منسوبة إلى الملك الأشرف موسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، المتوفى (٦٣٥ هـ) .

(٣) أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين يوسف المتوفى (٦٥٩ هـ) .

(٤) ليست في (أ) .

وكرم وحلم ، لاقَ بقلب الأفرم ، وكان لا يرى أنه في مُدّة معرفته خَرَجَ ولا أخْرَم ، هذا مع تشدُّدٍ في دينه ومهابة كأنما استعارها من الليث في عرينه ، أشعريّ الاعتقاد ، جوهريّ الفَحْص عن أمور مُبَاشرته والانتقاد[١] ، وشعره عند الشّعرى ، صرَّ منه دُرّاً ، وغيره صرَّ بَعْرا[٢] .

لم يزل على حاله إلى أن نقص كماله ، وفارقه أهلُه وولده وماله ، وتوفي رحمه الله تعالى بالكرك ، وقيل : بمنزلة (الحسا) سنةَ ثماني عشرة وسبع مئة لأنه كان قد توجه إلى الحجاز .

ومولده بسنجار سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

ومن شعره ما اشتهر عنه أن كتب به إلى بدر الدين بن الدقّاق[٣] ، وقال لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله : إنما هو بدر الدين بن العَطّار :

مولاي بدر الدين صِلْ مُدنَفاً ... صيّره حُبُّك مثلَ الخِلال
لا تخشَ من عيب إذا زرتَه ... فما يُعاب البدرُ عند الكمالِ[٤]

فلما بلغ صدرَ الدين بن الوكيل ذلك قال :[٥]

يا بَدْرُ لا تسمع كلام الكمال ... فكلّ ما نَمَّق زورٌ محالُ
فالنقص يَعْرُو البدرَ في تَمّه ... وربما يُخْسَف عند الكمال

وكتب الشيخ كمال الدين إلى ابن الرقاقي[٦] ناظر النظار بدمشق يستعفيه من بيت المال وقد بلغه أنه سعى له فيها :

(١) في الأصل : الاعتقاد ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .
(٢) فيه تورية بلقب شاعر في العصر المملوكي .
(٣) محمد بن الدقاق ، صهر الشيخ صدر الدين ، وناظر أوقاف حلب ، (الوافي : ٣٣٧/٧) .
(٤) في الوافي : « عار » . وفي المنهل : « عار إذا زرتني » .
(٥) الشعر في المنهل : ٧٢/٢ .
(٦) أبو بكر بن عبد العظيم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

إلى بـابـك الميـمـونِ وجهت آمـالي ... وفي فضلك المعهود قَصْدي وإقبالي
وأنت الذي في الشام مـا زال محسِناً ... إليّ وفي مِصْرٍ على كل أحـوالي[1]
أتتني أيـادٍ منـك في طيّ بعضهـا ... تملّـك رقّ الحُرِّ بـالثمن الغـالي
وقمت بحـق الْمَكْرُمـات وإنمـا ... هـو الرزق لا يـأتي بحيلـة محتـال
عليَّ لكم أن أعْمُر العُمْرَ بـالثنـا ... وبـالمدح مهما عشتُ من غير إخلالٍ[2]
وأُهـدي إليكم مـا حييت مـدائحـاً ... يغنّي بها الحادي ويصبو بها السـالي
وقـد بقيتْ لي بعـد ذلـك حـاجـةٌ ... لهـا أنت مسؤول فـلا تلـغ تَسْـآلي
أَرِحْنيَ من واو الـوكالـة عـاطفـاً ... عليَّ بـإحسـانٍ بـدأتَ وإفضـالي
وَصُنْ ماء وجهي عن مشاققـة الورى ... فهـذا على أرض وهـذا على مـالِ
ولا تَتَـأَوَّلْ في سـؤاليَ تركَهـا ... فـوالله مـالي نحـوهـا وَجْـهَ إقبـال
ورزقيَ يـأتيني وإني لقـانـعٌ ... لراحـة قلبي من زمـاني بـإقـلالي
وحـاليَ حـالٍ بـافتقـارٍ يصـونني ... ولبسي أسمالي مـع العـزّ أسمى لي
وتجبرُ وقتي كسرةُ الخبز وحـدهـا ... وأرضى ببالي الثوب مَعْ راحة البـالِ[3]
فهـذي إليكم قصّتي قـد رفعتُهـا ... لتغتنمـوا أجري ورأيكم العـالي

فقطَّع الأبيات كلها من الورقة وأبقى البيت الأخير وكتب تحته : رَأْيُنا العالي أن تعود إلى شغلك وعملك .

وقال في القاضي حسام الدين لما عزل :

يـا أحمـد الرازي قم صَـاغراً ... عُـزِلْتَ عن أحكامـك الْمُسْرِفَـة
مـا فيـك إلا الـوزن والـوزن مـا ... يمنعـك الصرف بـلا معرفـة[4]

(١) (أ) : « مازلت » .
(٢) (أ) : « أن عُمر » .
(٣) (أ) : « وتجبر قلبي » .
(٤) في الوافي : « لا » .

١٦٦ ـ أحمد بن محمد بن أحمد*

ابن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصاري البخاري القنائي ، محيي الدين بن كمال الدين بن ضياء الدين القرطبي .

كان شيخاً ثَبْتا ، يلزم عدالة وصمتا ، وله في بلده رياسة ظاهرة وأخلاق طاهرة .

سمع الحديث عن شرف الدين محمد بن عبد الله المرسي وغيره ، وحدَّث بقوص .

ولم يزل على حاله إلى أن غَمزت قناة القنائي يَدُ الموت ، وقام بنعيه إلى أصحابه الصوت ، وتوفي رحمه الله ببلده قنا سنة تسع وسبع مئة .

١٦٧ ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن مُحَمَّد**

علاء الدولة[١] البيابانكي ـ بباءٍ موحَّدة ، وياء آخر الحروا ، وألف وباء موحدة ، وبعدها ألف ونون وكاف ـ العلاَّمَة ركن الدين السّمناني .

تَفَقّه وشارك في الفضائل ، وبرع في العلم وأجوبة المسائل .

سمع من عز الدين الفاروثي ، والرشيد بن أبي القاسم[٢] ، ولبس منه عن السهروردي .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : أخذ عنه شيخنا صدر الدين إبراهيم بن حَمُّويَه ، ونور الدين وطائفة .

وروى عنه سراج الدين القزويني المحدّث[٣] ، وإمام[٤] علي بن مبارك

---

* الوافي : ٣٣٩/٧ .

** الوافي : ٣٥٦/٧ ، والدرر : ٢٥٠/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ .

(١) (أ) : « الدين » .

(٢) محمد بن أبي القاسم المقرئ الحنبلي رشيد الدين (ت ٧٠٧) ، ذيل العبر : ٣٩ ، والدرر : ١٥٠/٤ .

(٣) عمر بن علي (ت ٧٥٠) ، الدرر : ١٨٠/٣ ، وغاية النهاية : ٥٩٤/١ .

(٤) في الوافي : « إمام الدين » .

البكري[١] ، وحدَّث (بصحيح) مسلم و (شرح السُنة) للبغوي وبعدَّة كتب ألفها وهي كثيرة ، قال البكري : لعلها تبلغ ثلاث مئة مصنف ، منها كتاب (الفلاح) ثلاث مجلدات[٢] و (مصابيح الجنان) و (مدارج المعارج)[٣] .

كان من بيتِ وزَاره ، وعلى وجهه من النسك والورع إنارَه ، مليح الشكل خاشعاً ، ساكن الشر وادعاً ، كثير التلاوة ، ظاهر الطلاوة ، يحطّ على ابن عربي ويكفّره ، وعلى مَنْ تابعه ، ويعفّره ، ويحط على مصنفاته وينبه على محرّفاته .

وكان كثير البرّ والإيثار ، هاميَ الجود على ذوي الإعسار ، يدخله من أملاكه نحو تسعين ألف درهم ينفقها في وجوه البرّ ويتصدّق بها إما في الجهر وإما في السر .

زاره القان أبو سعيد واعتد بذلك أنّه يوم عيد ، وبنى خانقاه للصوفية ، ووقف عليها وقوفاً مختلفة ، وكان قد داخل التتار أولاً ، واتصل بالقان أرغون[٤] بن أبْغَا ، ونال من دنياه ما أمّل وبَغَا ، ثم إنه أقبلَ وأناب ، ورجع وتاب ، ومرض بتبريز زماناً طويلاً ، وامتدَّ مرضه إلى أن كاد يأخذه أخذاً وبيلاً ، ولما عوفي تعبدَّ وتأله واختلى بعدما تجرد ، وقدم بغداد ، وصحب الشيخ عبد الرحمن وحج ثلاث مرات ، وَرُدَّ إلى الوطن ، وخرج عن بعض ماله لنفقة المبرّات ، وتردد كثيراً إلى بغداد .

ولم يزل إلى أن دنا من قبره وتدلّى ، وأعرض عن هذا العرض الفاني ووَلّى ، وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد أن أَوْتَر في شهر رجب الفرد سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بقرية بَيابانك .

---

(١) علي بن مبارك شاه بن أبي بكر الشيرازي ولد (٧٠٩ هـ) ، وانظر : الدرر : ٩٧/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٢) وهو مختصر لشرح السنة للبغوي . الكشف : ١٠٤٠/٢ .

(٣) الكشف : ١٦٤٠/٢ .

(٤) ليست في (أ) .

١٦٨ ـ أحمد بن محمد بن أحمد*

شهاب الدين الفار الشطرنجي ، ويعرُف بالجُرَّافة[١] .

كان المذكور صغير الحبَّة لطيفَها ، كبيرَ النفس شريفها ، عليه من لقبه إشارة لا يكاد يُخطئ شكل الفارة ، وكان في أكله آفة ، فلذلك لقب بالجرَّافة .

وكان في الشطرنج عالية ، والناس في عشرته متغالية ، اجتمعت به غير مرة ، ولقيت بمحادثه كلَّ مسرّة ، وكان يحفظ من المواليا شيئاً كثيراً إلى الغاية ، وينظم هو أيضاً ما هو في بابه نهاية ، آخر عهدي به سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، ثم توجّهت إلى الديار المصرية سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ولم أرَه ولا سمعت خبره ، والظاهرُ أن الفارَ وثب عليه من الموت سنَّوْرُه ، وجاء من خمر المنيَّة دَوْرُه .

وكان يوماً قد اقترح عليَّ نظم بيتين مواليا يكون أول نصف كل بيت قلب القافية التي قبله ، وكان في المجلس أكابر ورؤساء من أهل الأقلام والمحابر ، وقال : إن هذا لا يقدر على نظمه ولا يعرف ناظم الوقوف على رسمه ، فقلت له : إلى أن تفرغ من دستك هذا تسع وتطمح بطَرفك إلى مالا تطمَع ، وكان الأمر كما ذكرت ، ولَطَفَ الله بما أشرتُ ، وقلت والقافية على ما أراده :

عَمَه عذولي علي قلبي لنارو لذَع ... عَذَل لبَرقو بآفاق التسلي لَمَعْ[٢]
عمل على نفع قلبي لو حصل لو نفع ... عُفْنَ الحبايب وصالي كم لدمعي همعْ

وأنشدني هو من نظمه لنفسه[٣] :

---

* الوافي : ٣٥٩/٧ ، والدرر : ٢٥٣/١ ، والمنهل الصافي : ٦٨/٢ .

(١) في المنهل : « وكان جده أحمد يعرف بالجرافة » .

(٢) (أ) : « بآثار التسلي » .

(٣) في الأصل : « لفظه نفسه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

حبّي الذي ما حوت مثلو دمن سنجار ولا ثبت لِقَوامُو غصن في الأشجار
لو خَدّ أحمر وخال أخضر حكى الزنجار يَجبْ عليّ احتمل جورو فديتو جار

وأنشدني له[1] أيضاً :

حبّي الذي في مديحو يعجز المحار أخفى الكواكب بحسنو حق في الأسحار
لو لحظ تركي فديتو بابلي سحار وجفن فاتر فؤادي في غرامُو حار

وأنشدني له أيضاً :

جواد صبري لبعد الحبّ مني خار وبحر دمعي جَرى في عشقتو زخّار
ظبي يخير الجواهر وهو من فخار قد ادّخرته لأيام الوغى ادّخار

وأنشدني له أيضاً :

وهبت للحِبّ مركوبي وهو غدّار غضب وولى بوجهو صرت في أكدار
ناديت يا منيتي يا عالي المقدار خدلك بِدَالو ودر وجهك فديتو دار

وأنشدني له أيضاً :

حبّيت عطّار لحظو في المهج جَزّار يغلب بحسنُو ملاح الترك في البازار
صادق إذا قال هو في الوعد لا نزّار قصدي رضاه انقطع عني الرجا أوزار

وأنشدني له أيضاً :

سلطان حسنو قد أرسل للمُهج أفكار يجرد البيض من لحظو بلا إنكار
نكّسْ بقدّو عصايب سَاير الأبكار وطُلْبْ جيش عذارو دار بالبيكار

وأنشدني له أيضاً :

---

(١) (أ) : « لنفسه » .

غنَّت فأغنت عن المسموع في الأقطار ودقّت الدف أجرت أدمعي أمطار
وصِرتُ في حبّها لا أختشي أخطار لما استمع لُبّ قلبي من يديها طار[١]

وأنشدني له أيضاً :

ترجَّلوا من على نجبٍ غدت أطوار وحَولها من خدمها والحشم أدوار
فخلتُ تلك المعاطف في ضيا الأكوار قضبان فضه قد انقضَّت من الأكوار

وأنشدني له أيضاً :

بسَالفو خِمْل ينمو مثل خضرة غار في ورد جُوري على قلبي بجُورُو غار[٢]
رشا وَفا لي على كيد العِدَا في غار واكمد حسودي وضدي في الثرى قد غار[٣]

وأنشدني له أيضاً :

جاني بشير أتى مقبل وأطفا نار وبت مسرور مفلج والدّجا قد نار
وارتجي إقبال ساعة نصر من خُنَّار مختص بالحسن كم أرسلت لُو دينار[٤]

وأنشدني له أيضاً :

من أُمها في القيادة أصبحت آفة وأختها في ربوع الحيّ وقافَة
فكيف يمكن تجي في القصف خوّافه وستّها الأصل شامية وطوّافة

١٦٩ ـ أحمد بن محمّد بن الرفعة*

الشيخ الإمام العلاّمة نجم الدين بن الرِّفْعَةِ الشافعي .

(١) هما في المنهل : ٦٨/٢ .
(٢) في الوافي : « جاز » .
(٣) (أ) : « في الهوى » .
(٤) هما في المنهل : ٦٩/٢ .
* الوافي : ٣٩٥/٧ ، وذيل العبر : ٥٤ ، والبداية والنهاية : ٦٠/١٤ ، والنجوم : ٢١٣/٩ ، وطبقات =

شيخ المذهب ، ونسيج وَحْدِه في طرازه الْمُذَهَّب ، لو عـاصَرهُ الْمُزَنِيّ[١] لَعُـدَّ قَطْرةً من بحره ، أو ابن سُريج[٢] لما عَلا في الذكر صهوة ظهره .

ولي حسبة مصر والوجه القبلي مُدّة[٣] ، وناب في الحكم وعَزَل نفسه لِمَا عـالَجَـهُ من الشّدة .

وكان حَسَنَ الشكل بهيّاً ، فصيح الألفاظ ذكياً ، كثير الإحسان إلى الطلبة ، قـائمـاً في قضاء حوائجهم بالتلطُّف والغلبة ، يجود لهم بعلمه ، ومـالِـه ولا يبخل عليهم بجـاهـه وإضفاء ظِلاله .

شرح (التنبيه)[٤] في خمسة عشر مجلـداً ، وشرح (الوسيـط)[٥] ولم يكملـه ، وهمـا شرحان يشهدان له بالرفعة في هـذا الشـأن وعلّو الرتبـة التي يسفل عن مكانهـا كيوان . ورأيت شيخنا شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي يكثر الثناء عليـه ويصفـه بمعرفة فروع المذهب وإتقانها وإجرائها على قواعدها الأصلية في مكانها . ويكفيـك أنـه في زماننا لا يُطلق اسم (الفقيه) إلا عليه ، ولا يشيرون بذلك في الدروس إلاّ إليه .

= الشـافعيـة : ١٧٧/٥ ، والـدرر : ٢٨٤/١ ، والشـذرات : ٢٢/٦ ، والمنهـل الصـافي : ٨٢/٢ ، وطبقـات السبكي : ٢٤/٩ .

(١) إسماعيل بن يحيى صاحب الشافعي (ت ٢٦٤ هـ) ، وفيات الأعيان : ٧١/١ .

(٢) أحمد بن عمر البغـدادي فقيـه الشـافعيـة في عصره (ت ٣٠٦ هـ) ، وفيـات الأعيـان : ١٧/١ ، والسير : ٢٠١/١٤ .

(٣) (أ) : « ولي حسبة القاهرة مدّة » .

(٤) في فروع الشافعيـة ، ألّفـه إبراهيم بن علي الفقيـه الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) ، وأشـار صـاحب الكشف : ٤٩١/١ إلى شرح ابن الرفعـة ، واسمـه : كفـايـة النبيـه في شرح التنبيـه ، وهـو مخطـوط كما في الأعـلام للزركلي : ٢٢٢/١ .

(٥) للإمام أبي حـامـد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ، واسم الشرح : الْمَطْلب ، وذكر صـاحب الكشف : ٢٠٠٨/٢ أنه في ستين مجلدة .

أخذ الفقه عن الظهير التَّزْمَنْتِي[١] ، والضياء جعفر بن الشيخ عبد الرحيم القنائي[٢] وغيرهما .

وسمع من محيي الدين الدَّميري[٣] ، ودرَّس بالمُعزيَّة ، وحدّث بشيء من تَصَانيفه ، وله مصنف سماه (النفائس في هدم الكنائس)[٤] .

ولم يزل في اشتغال وتصنيف إلى أن عَطَل من كفه قلمه وفقد الناس ذلك الدر الذي[٥] يخرجه فمه ، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة عشر وسبع مئة ، وقد شاخ .

١٧٠ ـ أحمد بن محمد بن سعد**

ابن عبد الله بن سعد بن مفلح الشيخ الصالح الفاضل المسند عماد الدين بن الأديب العالم شمس الدين المقدسي الصالحي الحنبلي .

روى عن المجد القزويني ، وابن الزبيدي ، والإربلي ، وابن اللَّتي ، وابن المقيّر ، وأجاز له الموفق [و][٦] فتح الدين بن عبد السلام[٧] ، ومسمار بن العويس[٨] .

---

(١) هو ظهير الدين التزمنتي ، توفي (٦٨٢ هـ) . والتزمنتي : نسبة إلى تزمنت ، بفتح فسكون ، من بلاد الصعيد ، كما جاء في طبقات السبكي : ١٣٩/٨ .

(٢) جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الحسيني القنائي (ت ٦٩٦ هـ) ، الشذرات : ٤٣٥/٥ .

(٣) عبد الرحيم بن عبد المنعم المصري (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣١/٥ .

(٤) الكشف : ١٩٦٦/٢ .

(٥) (أ) : « الذي كان » .

* الوافي : ٤٠٢/٧ ، والشذرات : ٤٥٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٢ .

(٦) زيادة يقتضيها السياق ثابتة في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٧) الفتح بن أبي منصور ، عبد الله بن محمد بن عبد السلام مسند العراق (ت ٦٢٤ هـ) ، السير : ٢٧٢/٢٢ .

(٨) هو مسمار بن عمر بن محمد (ت ٦١٩ هـ) ، السير : ٢٥٤/٢٢ .

وحدّث قبل الستين ، وحجّ مرات ، وحدّث بالحجاز وحماة ودمشق إلى أن ناحت به النوائح ، وقامت في ناديه الصوائح .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة في المحرَّم .

١٧١ ـ أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب*

الحافظ الشيخ الإمام العالم قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس بن صَصْرَى الرَّبَعيّ التغلبيّ الدمشقيّ الشافعي .

حضر على الرشيد العطار[١] سنة تسع ، والنجيب عبد اللطيف . وسمع بدمشق من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وجدّه لأمه المسلم بن علان . وتفقّه على الشيخ تاج الدين[٢] .

ودخل ديوان الإنشاء في ذي الحجة سنة ثمانٍ وسبعين وست مئة هو وشهاب الدين أحمد بن غانم[٣] ، ونظَمَ ونثَر ، وكتب المنسوب وبهر فيه لمّا مَهَر ، وكان قلمُه أسرعَ من رجع الطرْف ، ومن الذين يعبدون الله في الشِّرعة على حَرْف .

قيل : إنه كتب خمس كراريس في يوم ، وهذا أمر قلَّ أن يُعْهَدَ من قوم . شارك الناسَ في فنون ، وكان عنده من المسائل عيون ، له عبارة فُصحَى ، وحافظة[٤] لا تقبل ردّ السرد نصحًا . يحفظ أربعة دروس لمَدارِسِه[٥] ، ويلقيها من فمه ويطلع في آفاقها

* الوافي : ١٦/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٩٠ ، والبداية والنهاية : ١٠٦/١٤ ، وفوات الوفيات : ١٢٦/١ ، وطبقات الشافعية : ٢٠/٩ ، والدرر : ٢٦٣/١ ، والشذرات : ٥٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٧/٢ .

(١) هو يحيى بن علي بن عبد الله (ت ٦٦٢ هـ) وقد سلفت ترجمته .

(٢) الفركاح كما ذكر صاحب الدرر ، وتاج الدين هذا هو : عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري (ت ٦٩٠ هـ) ، الدارس : ٨٠/١ ، والشذرات : ٤١٣/٥ .

(٣) أحمد بن محمد بن سليمان بن غانم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « وحافظ » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٥) الغزالية ، والعادلية ، والناصرية ، والأتابكية ، كما في الوافي .

بدور سطورها كأنما يكتبها بقلمه ، ولا يكاد أحد يسبقه بسَلام ، ولا يَسْمع في العفو وبالصفح عمَّن يؤذيه كبيرَ عذل أو صغير مَلاَم . اشتهر بذلك وعُرِفْ ، وسار ذكره بذاك واسمه أحمد وصُرف .

وله أموال ضخمة ومماليك وخدم وحشم وحشمة ، وينطوي على تعبّد وديانة وعِفّة في الأحكام وأمانة ، وكان بصيراً بالأحكام مسعوداً فيها ، قل أنْ أتى إليه شاهد زور إلا وعرفه بديهاً ، وعرفه الناس بذلك فلم يسلك معه أحد هذه المسالك ، وكان يخدم القادمين ويزورهم ويتردد إليهم[١] وغيرهم ، وهداياه تضرب في أقطار الأرض إلى أعيان الدولة ومن دونهم من أرباب الصون أو الصولة ، ولذلك طالت مُدّته وعلى كَنَفه كِبارُ المذهب وأشياخه ، ومحذلقوه وأشراره وفراخه ، وعصره ملآنُ الجوانح بالأنداد والأضراب ، وفي وقته من يَقُول : لو[٢] أنصف لرآه وهو على[٣] بابه بوَّاب ، ومع ذلك فلم يتكدر عليه شرب ولا تنفر له بما لا يشتهيه سِرْب ، وله أصحاب وأتراب منحدون[٤] ، وعشراء وخلطاء لبلاغه أخبارَ الناس مُتَصدّون ، يواصلونه في كل يوم ولا[١٠] يصدُّون ، ويجتمع الناس عنده في[٥] بستانه اجتماعاً عاماً ، ويمد لهم خواناً قد نوّع فيه طعاماً يرون فضله تامّاً ، إلى غير ذلك من أنواع الحلوى[٦] ، والمآكل التي لا منَّ فيها ولا سَلْوى . يقصده الشعراء في المواسم ، ويرون ثغور جوده وهي بواسم ، لا يخشون مع ذلك بَوّابَه ولا عَيْنه ولا حُجّابَهْ[٧] ، ويعتدُّ هو أن تلك الجائزة واجبة .

---

(١) في الأصل : « إليه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « إنّه لو » .

(٣) في الأصل : « هو وعلى بابه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) (أ) : « به متّحدون » .

(٥) (أ) :« وهم لا » .

(٦) (أ) : « يوم السبت في » .

(٧) (أ) : « أنواع الفواكه والحلوى » .

(٨) في الأصل « حاجبه » وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أنسب .

وكان قد اشتغل بمصر على الأصبهاني[١] في أصول الفقه ، ودرّس بالعادليّة[٢] الصُغرى ، وبالأمينيّة[٣] ، ثم بالغزاليّة[٤] ، مع قضاء العسكر ومشيخة الشيوخ ، وولي القضاء سنة اثنتين وسبع مئة ، وأذن لجماعة في الإفتاء ، وخرَّج له الشيخ صلاح الدين العَلاَئي مشيخة فأجازه عليها بجملَة .

ولم يزل على القضاء إلى أن نزل به القضا ، وقضى نحبه ، فأدّى حق العدم وقضى .

وتوفي رحمه الله تعالى فجاءة في نصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وكان مولده سنة خمس وخمسين وستمئة .

ورثاه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود وغيره .

ولشعراء زمانه فيه أمداح كثيرة . وكان العلامة شهاب الدين محمود قد كتب إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري[٥] يهنّيه بفتح طرابلس ، ويصف جراحَةً أصابته بقصيدة أولها :

ما الحربُ إلا الذي تَدْمى به اللِمَمُ ... والفخر إلاّ إذا زان الوجوهَ دمُ
ولا ثبات لمن لم تلقَ جبهتُه ... حَدَّ السيوف ولا تُثنَّى له قدمُ[٦]

(١) هو شمس الدين ، محمد بن محمود ، العجلي الأصبهاني (ت ٦٨٨ هـ) وسلفت ترجمته .
(٢) هو يحيى بن علي بن عبد الله (ت ٦٦٢هـ) وقد سلفت ترجمته .
(٣) قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي ، بناها أمين الدين كمشتكين بن عبد الله ، الدارس : ١٣٢/١ .
(٤) المدرسة الغزالية بدمشق .
(٥) هو سنجر بن عبد الله البرنلي التركي (ت ٦٩٩ هـ) .
(٦) في المنهل الصافي : ٩٩/٢ .

فكتب الجواب عن ذلك قاضي القضاة نجم الدين ابن صَصْرَى :

وافَى كتابك فيه الفضل والكرمُ ... فجَلَّ قدراً وجَلّت عندي النعَمُ[١]
وجاء من بحرٍ قد سَما وطَمَى ... دُرُّ المعاني في الألفاظ تنتظمُ[٢]
وصفتَ حالي حتى خلتُ أنك قَدْ ... شاهدتها ولهيبُ الحَرَب تضطرمُ[٣]
ومَا جَرى في سبيل الله محتَسَبٌ ... فهو الذي لم يزل تسمو له الهِمَمُ[٤]
وجاءنا النصر والفتح المبين فلو ... شاهدت نورَ الظُبى تُجلى به الظلمُ
غدا العَدُوُّ ذليلاً بعد عِزّته ... حُليُّ أجيادهم بَعْدَ العُقود دمُ
قد فرَّقَ الجَمعَ منهم عَزْمُ طائفة ... لَم يثنِ همتها يوم الوغى سَأمُ
تُرْكٌ إذا ما انتضوا عزماً لهم تركوا ... أَمَامَهم كُلَّ جمع وهو مُنْهَزِمُ
لَمَّا بقَتْل العِدى خاضت سيوفهُم ... صَلَّت فقبَّلها يوم الوغى القمَمُ
حازوا الثوابَ الذي راموا وبعضُهم ... فازوا بما كسَبُوا منها وما غنِمُوا
وكنت مشتغلاً في يوم كسبهم ... عنه بما كَسْبُه عندي هو النِعَمُ[٥]
فكيف يُطلَبُ مني الأرفغانُ وقد ... شَهِدْتَ لي ولهذا بيننا حكَمُ
ألستَ أنت الذي قد قالَ مبتدئاً ... وذاك قولٌ بحكم الحق مُلتزمُ
هَجَمْتَه وسيوفُ الهند مُصْلَتةٌ ... وعُدْتَ والسَبْيُ والأموال تقتسمُ
وكان هَمُّك في الأرواح تكسبُها ... وهمُّ غيرك فيها المالُ والنَّعَمُ

---

(١) في الأصل : « حَلّت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، وهي أنسب .
(٢) في الوافي : « من بَحْر فضل » .
(٣) في الأصل « لهيب الحزن » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٤) (أ) : « به الهمم » .
(٥) (أ) ، والوافي : وقت .

ورثاه جماعة من شعراء عصره منهم العلامة شيخنا أبو الثناء ، أنشدنيها إجازةً وهي قصيدة عُظْمَى يَرْوَى بها مَنْ يظما :

أترى دَرَى داعي المنيّة مَنْ دَعَا ... أم أيّ ركن للشريعة ضُعضعا[1]
أم أيّ طودِ حجىً ترفَع في العُلا ... عصفت به ريح الصبا فتصدّعا
أم أيّ نجمِ هدى هوى من بعدما ... ردّ الكواكب عن مداه طُلَّعا
أم هل درى ناعيه أن الدين والـ ... ـتقوى ونَشْر العدل أوّلُ ما نعى
أصمى فؤادَ الحكم سهمٌ فجيعةٍ ... لم يبقِ في قوس النكاية منزعا
وأعاد شرح الشرع أضيع سائم ... لمّا رماه بقصد أفضل من رعى
لله أي رزيّةٍ أضحى بها ... قلب الهدى حين السكون مروّعا[2]
طرقت جناباً بالفضائل آهلاً ... فثَنَتْه مِنْ ربّ الفضائل بَلْقَعا
وردتْ مَعين ندى ففاض وقد طمى ... ورنتْ إلى نَوْء النوال فأتلعا
ما خصَّ ما طرقت به خلصاءه ... بل عمَّ فادحُها البريَّةَ أجمعا[3]
قاضي القضاة ومَنْ حوى رتباً سَمَتْ ... عَنْ أنْ تُسَامَ سناً وبزّت مَنْ سعى
شيخ الشيوخ العارفين ومَن رقا ... رتب السلوك تعبّداً وتورُّعاً
يأتمّ منه السالكون بعارفٍ ... بلغ العناء به المقام الأرفعا[4]

(١) (أ) : « دعا داعي » .
(٢) (أ) : « بعد الكون » .
(٣) (أ) : « ما طرّقت قصداً به خلصاؤه » .
(٤) « بلغ العناية والمقام الأرفع » .

وجرت لـــــه عين اليقين ففجّرت ... في حـالتيـه لكلّ ظـام منبعـا[١]
حـاوي العلـوم فمـا تفرّق في الـورى ... إلاّ الـذي منهـا لـديـه تَجَمَّعَـا[٢]
بَهَرت خـلال كمالـــه فسيـــادةٌ ... لا تُرْتَقى ومكارمٌ لا تُـــــدَّعى
وخـلائـق كالروض دَبَّجـه الحيـا ... أُصُـلاً فـوشّى حُلَّتَيْـه ووشّعـا
وتـواضـعٌ أمسى سنـــاه كَنَعْتـــه ... يَـدْنُـو وقـد سكن السماء تَرَفُّعـا
وريـاسـة مُـذْ كان لم نعرف لهـا ... إلاّ إلى رتب الكمـــال تَطَلُّعَـــا
ووفـور حلم إن يضـق عن مـذنب ... عـذرٌ أقـام العـذر عنـه ووسَّعـا
وكتـابـة يكسـو السجلّ جلالهـا ... تـاجـاً يـزين النيّرات مُرَصَّعـا
وبـــلاغـــة لا قلب إلاّ ودَّ أن ... تُمْلَى وتنشَر لـو تحـوَّلَ مسمعـا[٣]
وفصـاحـة في القـول أتقن عِلْمَهـا ... نظماً ونثراً حين حـازهمـا معـا
وتثبّتٌ في حكمـــه ومضـــاؤه ... تعنـو لـه البيض القواضب خُضَّعـا
وعبـارة كالنيـل نِيـل بَيَـانهـا ... مـع أنهـا أروى وأعـذب مشرعـا
وعبـادة في الليـل يجـزيـه بهـا ... في الحشر مَنْ يجـزي السعـودَ الركَّعا
مَنْ لـلأيـامى واليتـامى فـارقـوا ... بـــالرغم ذاك الكافـلَ المتبرِّعـــا
مَنْ للجـدال تضـايقت طرق الهـوى ... فيـه يَبين بـه الطريـق المَهْيعـا
مَنْ للقضـايـا العقم أصبح وجههـا ... إلاّ عن الـــذهن السليم مبرقعـــا
ولَكَمْ لـه مِن قَبْـلُ غُرَّ رسـائـلٍ ... أبـدى بهـا دُرَرَ البيـان فـأبـدعـا
من كلّ شـاردةٍ ترفّـعَ قَـدْرهـا ... أن يُرْتَقَى وسبيلهـــا أن يُتْبَعـــا
الـدَّهر أبْخَـلُ حين جـادَ بمثلِـهِ ... مِنْ أنْ يُـديم بـه الـوُجُـود مُمَتَّعـا[٤]
فـأعـادَ وَجْـهَ الأرضِ منـه مُجْـدِبـاً ... كَلْحـاً وبَطنَ الأرض منـه مُمْرَعـا

(١) (أ) : « اليقين بفيضها ... ظام أشبعا » .
(٢) في طبقات السبكي : « بما تفرق .. منها إليه .. » .
(٣) (أ) : « إذ تملى وتنشر أن تحول » .
(٤) (أ) : « أنْ يجود » .

يـا مَنْ يَقِلّ لـه البكاء ولـو غـدا ... ذوبَ القلـوب أسىً يَمُـدّ الأدمُعـا[١]
لـوسـالم الـدّهرُ امرءاً لكمـالـه ... لغـدا لنـا في خُلْـد مثلـك مَطمعـا
لكنّـه الـدّهرُ الـذي سـاوى الرّدى ... فيـه الأنـامَ عَصِيَّهم والطيِّعـا
فَـلأبكينّـك مـا حييتُ ومـا البكى ... في فَقْـدِ مثلـكَ يـا خليليَ مُقْنِعـا
ولألبسنّ عليـك ثـوبَ كآبـةٍ ... مهما تمـادت مُـدّتي لن يُنزعـا
ولأبعثنّ من الرّثـاء قـوافيـاً ... محـزونـةً تُبكي الْحَمام السُّجعـا
ولأمنَعَنْ عَيْنَيَّ بعـدك إن جَفـا ... طيفُ الخيـال جُفُونَهـا أن تهجَعـا
ويَقِـلّ ذاك فـإنّهـا جهـد الأخ الـ ... محـزون أنْ يُبكيـك أو يتفجّعـا

قلت : هذا القدر منها كافٍ ، وقد بقي منها خمسة وعشرون بيتاً .

١٧٢ ـ أحمد بن محمّد بن سلمان بن حمايل*

القاضي الكاتب الأديب شهابُ الدّين أبو العبّاس بن غانم ، هو ابن بنت الشيخ القُدْوَة غانم[٢] ، وكان يَذْكُرُ نَسبَه إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، أملاه من فمه على الشيخ أثير الدّين أبي حيّان .

سمع من ابن عبد الدائم ، وقرأ على ابن مالك جمال الدّين ، وخرَّج له البِرْزاليّ مشيخةً ، منهم ابن أبي اليُسر وأيّوب الحمّامي ، والزّين خالد ، وعبد الله بن يحيى البانياسيّ[٣] ، ومحمّد بن النُّشّبي ، ويحيى بن النّاصح[٤] ، وعرض على الشّيخ

---

(١) (أ) : « وإنْ غدا » .

* الوافي : ١٩/٨ ، وفوات الوفيات : ١٢٧/١ ، والبداية والنهاية : ١٧٨/١٤ ، والدرر : ٢٦٥/١ ، والشذرات : ١١٤/٦ ، والمنهل الصافي : ١١٤/٢ ، وفيه : « ابن سليمان بن حمائل » .

(٢) غانم بن علي بن إبراهيم المقدسي النابلسي ، (ت ٦٣٢ هـ) . الشذرات : ١٥٤/٥ .

(٣) (ت ٦٦٣ هـ) . العبرة : ٢٧٤/٥ .

(٤) يحيى بن الناصح عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي ، (ت ٦٧٢ هـ) ، العبر : ٣٠٠/٥ .

جمال الدّين بن مالك كتابه « العُمْدَة »[١] ، وبعدَهُ على ولده[٢] بدرِ الدّين . وقرأ الأدب على مجد الدّين بن الظهير[٣] .

وفارق أباه وهو صغير وتوجّه إلى السّماوة ، ونزل على الأمير حسين من[٤] خفاجة ، وأقام عنده مدّةً يصلّي بفي شيء من العلوم ، وكان الوقت قريب العهد بخراب بغداد ، وتَشَتَّتَ أهلُ بغداد في البلاد ، فظُنَّ به أنّه ابن الْمُستعصم الخليفة ببغداد ، واشتهر ذلك عنه ، واتّصل خبره بالظاهر بيبرس ، فلم يزل في اجتهاد إلى أنْ أقدمَهُ عليه لِمَا أهمَّه من أمره ، فلَمّا مَثُل بين يَدَيه قال له : ابنُ مَنْ أنتَ ؟ فَوَفّق[٥] ذلك الوقت لِمصلحته وقال : ابنُ شمس الدّين بن غانم ، فطلبَ والدَهُ من دمشق إلى القاهرة ، وحَضَرا بين يَديّ الظاهر فاعترف والده به ، فقال له : خذه ، فأخذه وتوجّه به إلى دمشق .

وكان قد كتب الإنشاء بدمشق وبمصر[٦] وبصفد وبغزّة وبقلعة الرّوم ، ثم توجّه إلى اليمن ، وخرج منه هارباً ، وقاسى شدائد من العُرْبان وتخطُّفِهم له حتّى وصَل إلى مكّة ، وكان سببُ خروجه إلى اليمن أنّه كان يكتب الدَّرْجَ[٧] بين يدي الصّاحب شمسَ الدّين غبْريال[٨] فاتّفَق أنْ هربَ مملوكٌ للأمير شهاب الدّين قرطاي[٩] نائب طرابلس ، فكتب بسببه إلى الصّاحب ، فوَقَعَ عليه ، فظفر به وجهّزه إلى مخدومه ،

(١) « عمدة الحافظ وعدّة اللافظ » مقدّمة في النحو ، ولابن مالك شرح عليها ، والشرح مطبوع .
(٢) في الأصل : « والده » ، سهو ، وأثبتنا ما في « أ » .
(٣) محمد بن أحمد بن عمر الإربلي ، (ت ٦٧٧ هـ) ، الجواهر المضيئة : ٥٢/٣ ، والشذرات : ٣٥٩/٥ .
(٤) (أ) : « بن » ، تحريف ، وهو حسين بن فلاح ، كما في الوفيات : ٣١٧/٦ .
(٥) وكذا هي في أصل الوافي ، وصيّرها المحقّق إلى « فوقف » .
(٦) ليست في (أ) .
(٧) كتّاب الدرج هم الطبقة الثانية من موظفي ديوان الإنشاء ، سُمّوا بذلك لكتابتهم في دروج الورق .
(٨) في الأصل : « غربال » ، تحريف . وهو عبد الله بن الصنيعة ، (ت ٧٣٤ هـ) .
(٩) ستأتي ترجمته في موضعها .

وقال لشهاب الدّين : اكتب على يده كتاباً إلى مخدومه واشفع فيه ، فكتب شهاب الدّين الكتابَ وتأنّق فيه ، وجاء من جملة ذلك : وإذا خَشُن المقرّ حَسُن المفرّ ، وتوهّم شهاب الدّين أنّ ذلك يُعجب الصّاحبَ ، فلَمّا وقف عليها[١] أنكرها دون ما في الكتاب ، وقال : يا شهابَ الدّين غَيِّر هذه فإنّها وحشة ، فطار عقل شهاب الدّين ، وضرب بالدواة الأرض ، وقال : ما أنا ملزوم بالغُلْف القُلف[٢] ، وخَرَجَ من عنده وتوجّه إلى الحجاز ، ودَخَل من مكّةَ إلى اليمن ، وتلقاه الملك المؤيَّد[٣] ، وأحسن إليه إحساناً زائداً ، وجعله كاتبَ سرّه ، فلم يَطِبْ له المقام ، وهربَ بعد خمسة أو ستّة أشهر ، وقلَّما خرج من مدينة إلاّ وهو مختفٍ .

وكان كاتباً مترسّلاً ، عارفاً بمقاصد الكتابة متوسّلاً ، يَسْتَحضر من اللُّغة جانباً وافراً ، ويُبدي في المنادمة وجهاً بالمحاسن سافِراً ، ويُوْرِدُ من كلام المعرّيّ قطعة كبيرة قد حفظها غائباً ، ويرمي منها سَهْماً في البلاغة صائباً ، خصوصاً من (اللُّزوميّات) ، وماله من العِظات والزهديّات . وإذا تكلَّم تَفَيْهَق ، وتنَطَّع[٤] في كلامه وتمنطق ، ويأتي في ترسُّله بالغريب ، والحوشيّ العَجيب ، وإذا فكَّر بشيء فَكَّر ، وغاص في[٥] المعاني وتذكَّر ، ووضع شَعْرَ ذَقْنِهِ في فيهِ وقَرَضَه[٦] ، وقال الشِّعرَ وقَرَضَه ، ويحوم بكلامه على المعنى الْمَقصُود زماناً ، وما يكسوه مع ذلك بياناً ، وكان مَتِع الكلام ، بريئاً من النَّقْص[٧] والملام ، لا يعبأ بملبس ولا مأكل ، ولا يتكلَّف لشيء سِوَى أنّه

---

(١) (أ) : « عليه » .

(٢) الأغلف الأقلف : الذي لم يختن . يعرض به لأنه كان نصرانياً .

(٣) صاحب اليمن ، داود بن يوسف بن عمر ، (ت ٧٢١ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « يتفهّق » ، وفي (أ) : « تقطّع » ، تحريف .

(٥) كذا في الأصل . وفي (أ) : « وإذا أنشا فكّر وغاص على .. » ، ولعلها أنسب ، يؤنس بذلك ما وقع في الوافي : « وكان إذا أنشأ أطال فكره » .

(٦) في الأصل : « وقرظه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر .

(٧) (أ) : « التنقّص » .

يعقلها ويتوكّل ، يلبس الجمجم[١] القَطن الصُّوفيّ ، والْمُقَدَّرة الصُّوف[٢] ، والطَّول المقفّص[٣] المعروف بأهل إسكندريّة الموصوف ، وخاتَمهُ كان سِواراً ، وفصّه يعمل منه شواراً[٤] ، وكان يَتحدّث بالتركيّ والعجميّ والكرديّ ، وإذا سافر خلع حُلّة الكُتّاب ولبسَ حلّة البدَويّ أو الجنديّ ، مع تندير وتنديب وتطاريب وتطريب .[٥]

وكان قد أحبّهُ صاحب حَماة المنصور[٦] ، وجعل ظِلّه[٧] ممدوداً غير مقصور ، حضر يوماً سِمَاطه وكان أكْثَرُهُ مَرَقاً ، وقد أضرم منه الجوع حُرَقاً ، فقال : بسم الله الرحمن[٨] الرحيم نَويت رَفْعَ الحدثِ واستباحةَ الصَّلاة ، الله أكبر . وكان المظفَّر بن المنصور[٩] يكره ابنَ غانم ، فاغتنم الوقيعة فيه وقال لأبيه : اسمع مَا يقول ابنُ غانم يَعيب طعامك ويُشبِّهه بالماء[١٠] ، فعاتبه المنصور على ذلك ، فقال : هذا ما قَصَدْتُه ! ولكنّ البسمَلة في كلّ أمر[١١] مستحبَّة ، والحدثُ الذي نويت رَفْعَه حَدَثُ الْجُوع واستباحَةِ الصّلاة في الأكل ، فقال : فما معنى (الله أكبر) ؟ قال : على كلّ ثقيل ، فاستحسَنَ المنصورُ منه ذلك . وخلع عليه .

وخرج مرَّةً مع المنصور إلى شَجريّات المعرّة ، وقد ضُربت الخيام وامتلأ الفضاء

---

(١) أي المداس ، معرَّبة .

(٢) قوله « المقدّرة الصوف » خلت منها « أ » ، وهي عبارة قلقة . وجاء في الوافي : « يلبس البابوج الذي يلبسه الصوفيّة » . وكذلك في المنهل .

(٣) ثوبٌ مقفَّص : مُخَطَّطٌ كهيئة القفص .

(٤) أي زينة .

(٥) (أ) : « تدبير وتذنيب وتطايب » . تحريف .

(٦) ناصر الدين أحمد بن الملك المظفر محمود ، (ت ٦٨٣ هـ) . تاريخ أبي الفداء : ١٨/٤ .

(٧) (أ) : « ظلّه عليه » .

(٨) الذي في الوافي : « فلَمّا وُضِعَ قال شهاب الدين لَمّا قيل الصلاة : نعم ، بسم الله » .

(٩) تقي الدين محمود ، (ت ٦٩٨ هـ) ، تاريخ أبي الفداء : ٤١/٤ .

(١٠) في الوافي : « بالماء الذي يُرْفَعُ به الحدث » .

(١١) (أ) : « حال » .

وما رأى الدخول إلى الخربشت[١] ، فصعِد إلى شجرة لِيَتحلّى والمنصور يراه ، فأرسل إليه شخصاً ليرى ما يفعل ، فلَمّا صار تحت الشجرة وقد تهيّأ لقضاء شغله فقال له : أطْعِمني من هذه التِّينة ، [فقال له : خُذْ ، وسلَحَ عليه سلحاً ملأت وجهه ، وتركته عبرةً ، فقال : ما هذا ؟ قال : أطعمتك من التينة][٢] ، فلَمّا اطَّلع المنصور على القضيّة خَرَّ مغشيّاً عليه من الضحك .

وكان ليلةً في سماعٍ ، فرقصُوا ثم جَلَسُوا ، فقام من بينهم شخص وطال الحال في استماعه وزاد الأمر ، فظلّ شهاب الدِّين مُطْرِقاً ساكناً ، فقال له شخص آخر : مَا بك مُطرِقاً كأنّما يوحى إليك ؟ فقال نعم ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ ﴾[٣] .

واجتمع ليلة عند القاضي كريم الدِّين الكبير في موضع[٤] بعلاء الدِّين بن عبد الظّاهر يتحدَّث معه ، فجاء إليه شخصٌ وقال له : معاوية الخادم يريد الاجتماع بك ، فقال : وَيْلَك[٥] ! مَنْ يفارق عليّاً ويروح إلى معاوية ؟!

وكتب إلى قاضي القضاة جمال الدِّين بن واصل[٦] ، وقد أقْعَدَهُ بحماة في مَكتبٍ عاقداً[٧] ، وفيه السَّيف عَلي بن مُغِيْزل[٨] :

مولاي قاضي القضاة يا مَنْ ... له على العَبْد ألْفُ مِنَّهْ
إليكَ أشْكُو قَرِينَ سُوْءٍ ... بُليتُ مِنْهُ بألْفِ محنَهْ
شهَرْتَه بَيْنَنَا اعْتِداءً ... أغْمِدْهُ فالسَّيْفُ سيفُ فِتْنَهْ

(١) موضع قضاء الحاجة ، وليست بالعربيّة .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من الأصل ، وهو ثابتٌ في (أ) والوافي .
(٣) سورة الجنّ : ١ .
(٤) في الوافي : « في مولد » .
(٥) عامية ، فصيحها : « ويلك » .
(٦) محمد بن سالم ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٧) (أ) : « عامداً » .
(٨) الوافي : ٢٣/٨ ، وكذا ما سيأتي من أشعار .

وكتبَ إلى قاضي قلعَة الرُّوم وقد جاءهُ ولد سمّاه أنساً واسْمُ أبيه مُبارَك :

تَهَنَّ يـــا مبـــاركاً بـــالـوَلَـــد المبـــارك
بمن سَمَـــوه أنســـاً لأنـــه ابن مـــالكي

ومن نظمه :

تَعَجَّبَ النّـــاس للبطيـخ حين أتى بحِيْن حَيْن وإذْ وافى بطـــاعُـــونِ
وكيف لا يقطعُ الأعمـارَ مَقْـدَمُـهُ وليس يُـؤْكَـلُ إلاّ بـــالسّكاكينِ

ومنه :

مَـا اعتكافُ الفقيـه أخْـذاً بـأجْرٍ بَـلْ بحكمٍ قضى بـــهِ رمضـــانُ
هـو شهر تُغَـلُّ فيـــه الشَّيـــاطيـ ـنُ ولا شَـــكَّ أنّـــه شيطـــان[1]

ومنه :

طَرفُـــكَ هـــذا بـــه فُتُـورٌ أضحى لقلبي بـــه فُتُـــون
قـــد كنتُ لـولاهُ في أمَـــانٍ للهِ مـــا تَفْعَـــلُ العيـــون

ومنه :

يـــا نـــازحـــاً عنّي بغير بِعـــادٍ لـولاك مـا علـقَ الهـوى بفـؤادي
أنت الـــــذي أفردتني مني فلي بـكَ شاغلٌ عن مَقْصدِي ومُرَادي[2]
سَهِرَتْ بحُبِّـــكَ مُقْلَتي فَحَـلاَ لَهـا فيـك السُّهَـادُ فـلا وَجَـدْتُ رُقَـادي
ورضَيتُ مَـــا تَرْضى فلـو أقْصَيْتَني أيَّـــامَ عُمْرِي مَـــا نَقَضْتُ ودادي
أنت العـزيـز عليّ أن أشكـو لـك الـ ـوجـد الـذي أهـدَيتـه لفـؤادي

(١) ضمّن فيه الحديث المشهور : « إذا دخل شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين » .
(٢) (أ) : « منك » .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وَاللهِ مَـــا أدعـو على هـــاجري ... إلاّ بـــأنْ يُمحَنَ بـــالعشـــقِ
حتّى يَرى مقـدارَ مـا قـــد جرى ... منـــه ومـــا قـــد تمّ في حقّي

وأنشدني له أيضاً :

يـــا حُسْنَهـــا مِن رِيَـــاضٍ ... مثـــلِ النّضَـــارِ نَضَـــارَهْ
كالـــزُّهر زَهْراً وعنهـــا ... رِيـــح العَبير عِبَـــارَهْ

وأنشدني له أيضاً :

بـــأبي صـــائغٌ مليـحُ التَّثَنّي ... بقَـوامٍ يُـزْرِي بِخُـوطِ البـــان
أمسكَ الكَلْبتين يـا صَاحِ فـاعجب ... لغـــزالٍ بكفّـــه كلبتـــان

ومن شعره :

أيُّهـــا الـلاّئمي لأكلي كُروشـــاً ... أتْقَنُـوهـا في غـايـة الإتقـان
لا تَلُمْني على الكروش فحبّي ... وَطَني من عـــلائمِ الإيمـــان

قلت أخذ هذا من قول النّصير الحمّاميّ[1] :

رأيت شخصـــاً آكـلاً كِرشـــةً ... وعنـــده ذوق وفيـــه فِطَنْ[2]
وقـــالَ مَـــا زلتُ محبّـــاً بهـــا ... قلتُ من الإيمـــان حُبُّ الـوَطَنْ[3]

ومن شعره في مقصوص الشَّعَرْ :

قـالُوا ذوائبـه مَقصُوصـة حَسَـداً ... فقلت قـاطعُهـا للحسنِ صـوّاغُ
صُـدْغَـان كان فـؤادي هـائمـاً بهما ... فكيف أسْلُـو وكلّ الشّعر أصـداغُ

(١) النصير بن أحمد ، (ت ٧١٢ هـ) . الفوات : ٢٠٥/٤ .
(٢) (أ) ، والوافي : « وهو أخو ذوق » .
(٣) (أ) ، والوافي : « لها » .

وكان القاضي فخر الدّين ناظر الجيوش[١] يُؤْثِرُ قُرْبَه ويحبُّ كلامه ، فاستخدمه في مصر في جملة كتّاب الإنشاء ، فأقام هناك ، ولَمّا توفي فخر الدّين خرج ابن غانم وحضر إليه[٢] مع القاضي محيي الدّين بن فضل الله[٣] سنة اثنين وثلاثين وسبع مئة .

ولم يزل بدمشق في جملة كتّاب الإنشاء إلى أن سَكَنت منه تلك الشّقاشق ، وقُرطسَت تلك السّهام الرّواشق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سَبع وثلاثين وسبع مئة ، وكان أكبرَ من أخيه الشّيخ علاء الدّين[٤] بأشهر ، وكذلك توفي بعده بأشهر ، وكان دائماً يقول : زاحمني أخي عَلِيٌّ في كل شيء حتّى في لَبَن أُمّي ، واختلط شهابُ الدّين قبل وفاته بسنتين ، وكان فيه تَشيُّعٌ من التَّشيُّع .

١٧٣ ـ أحمد بن محمّد بن عبد الله*

الحافظ القُدْوَة الزاهد جمال الدّين أبو العبّاس ابن الشّيخ القدوة محمّد الظاهريّ الحلبيّ مولى الظاهر صاحب حلب[٥] .

سمع[٦] سنة إحدى وثلاثين وبعدها من الفخر الإربلي[٧] ، وابن اللّتي ، والموفق يعيش[٨] ، وابن رَوَاحة ، وابن خليل ، وابن قُمَيْرَة ، وخلقٍ بحلب . وكريمة[٩] ،

---

(١) (أ) : « الجيش » .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) يحيى ، (ت ٧٣٨ هـ) . ذيل العبر : ٢٠١ ، والدرر : ٤٢٤/٤ .
(٤) عليّ ، وستأتي ترجمته في موضعها .
* الوافي : ٣٦/٨ ، وغاية النهاية : ١٢٢/١ ، والشذرات : ١٥٩/٦ ، والمنهل الصافي : ١٢١/٢ .
(٥) هو الملك الظاهر غازي ، وَلَد السلطان صلاح الدين ، (ت ٦١٣ هـ) ، العبر : ٤٦/٥ .
(٦) (أ) : « سمع منه » ، وما في الأصل يشبهه ما في الوافي .
(٧) فخر الدين محمد بن إبراهيم بن مسلم الإربلي ، (ت ٦٣٣ هـ) السير : ٣٩٥/٢٢ .
(٨) في الأصل : « وابن يعيش والموفق » ، سهوٌ ، صوابه ما في (أ) ، والوافي .
(٩) كريمة بنت عبد الوهاب بن عليّ القرشيّة ، (ت ٦٤١ هـ) . السير : ٩٢/٢٣ .

والضياء[١] ، وابن مَسْلَمة ، وخلق بدمشق . وصفيّة القرشيّة ، وجماعة بحماة ، وعبد الخالق بن أنجب النَّشْتَيْري[٢] بماردين . وعبد الرَّزّاق بن أحمد بن أبي الوفا ، وإبراهيم بن الحسن الزَّيّات ، وأحمد بن سَلامَة النَّجّار[٣] بحرّان ، وسمع من شُعَيب الزعفراني ، وابن الْجُمَيّزي ، والْمُرْسي ، وجَماعَة بمكّة . ويوسف السّاوي ، وأحمد بن الْجَباب بمصر ، وهبة الله بن روين الإسكندري .

وسمع بحِمص وبعلبك والقدس وغير ذلك ، وعني بهذا الشأن أتمَّ عناية ، وتعب وحصَّل وكتبَ ما لا يوصف كثرةً . وكانت له إجازات عاليَة من أبي الحسين القطيعي[٤] وزكريا العلبي[٥] وابن رُوْزَبة[٦] وأبي حفص السَّهْرَوَرْدي[٧] والحسين بن الزبيديّ[٨] ، وإسماعيل بن فاتكين والأنجب الحمّاميّ[٩] ، وطبقتهم .

وخرَّج لنفسه أربعين حديثاً في أربعين بلداً ، وانتقى على شيوخ مصر والشّام ، وخرَّج لأصحاب ابن كليب[١٠] ثم لأصحاب ابن طبرزد[١١] والكنديّ[١٢] ، ثمّ لأصحاب

---

(١) ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد ، (ت ٦٤٣ هـ) . السير : ١٢٦/٢٣ .

(٢) ضياء الدين أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب ، (ت ٦٤٩ هـ) . السير : ٢٣٩/٢٣ .

(٣) (ت ٦٤٦ هـ) . الشذرات : ٢٣٣/٥ .

(٤) كذا ، وأغلب الظنّ أنّه أبو الحسن القطيعي ، محمد بن أحمد بن عمر البغدادي ، (ت ٦٣٤ هـ) . العبر : ١٣٩/٥ ، والنجوم : ٢٩٨/٦ .

(٥) هو زكريا بن علي بن حسان ، (ت ٦٣١ هـ) . العبر : ١٢٤/٥ .

(٦) في الأصل : « روبه » ، تحريف .

(٧) شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) . السير : ٣٧٣/٢٢ ، والعبر : ١٢٩/٥ .

(٨) أبو عبد الله الحسين بن المبارك ، (ت ٦٣١ هـ) . السير : ٣٥٨/٢٢ .

(٩) الأنجب بن أبي السعادات بن محمد ، (ت ٦٣٥ هـ) . السير : ١٤/٢٣ .

(١٠) أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب الحراني ، (ت ٥٩٦ هـ) . السير : ٢٥٨/٢١ .

(١١) عمر بن محمد بن معمر ، (ت ٦٠٧ هـ) . العبر : ٢٤/٥ .

(١٢) تاج الدين أبو اليُمْن زيد بن الحسن ، (ت ٦١٣ هـ) . السير : ٣٤/٢٢ .

ابن البنّ[١] وابن الزّبيدي حتى[٢] إنّه خرَّج لتلميذه ومريده الشّيخ شعبان[٣] ، وكان في حسن التخريج عَجَباً ، وفي جَوْدَة الانتخاب آيةً لا يزال الطرف لها مرتقباً .

سمع على نحو سبع مئة شيخ أو ما يقارب ذاك ، وأثنى عليه في هذا الفنّ حتّى الْحَمام السّاجع على فروع الأراك ، وتفقّه لأبي حنيفة ، وحوى كلّ صفة في الخير مُنيفة .

قال الشيخ شمس الدّين الذّهبيّ : « وبه افتتحت السمَاع في الديَار المصريّة ، وبه اختتمت ، وعنده نزلت ، وعلى أجزائه اتّكلت » .

وسمع منه علم الدّين البِرْزالي أكثر من مئة[٤] جزء .

وقرأ هو القراءات على الشّيخ أبي عبد الله الفاسيّ[٥] بحلب .

ولم يزل بالدّيار المصريّة على حاله إلى أن عُطِّل تسميعُه وبَطَل تأصيله وتفريعُه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأوّل سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ستٍّ[٦] وعشرين وست مئة .

وكانت وفاته بزاويته الجمّاليّة في المقس بمصر .

١٧٤ ـ أحمد بن محمد بن جبارة*

ابن عبد المولى المرداويّ الصّالحيّ الحنبلي الإمام المفتي العلاّمة المقرئ النحوي شهاب الدّين أبو العبّاس .

(١) في المنهل : « ابن اللتي » .

(٢) في الأصل : « على » ، وهي قلقة ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

(٣) شعبان بن أبي بكر بن عمر الإربلي ، (ت ٧١١ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) (أ) والوافي ، والمنهل : « مئتي » .

(٥) محمد بن حسن بن محمد بن يوسف ، نزيل حلب ، (ت ٦٥٦ هـ) . غاية النهاية : ١٢٢/٢ .

(٦) (أ) ، والوافي : « إحدى » .

* الوافي : ٢٥/٨ ، والبداية والنهاية : ١٤٢/١٤ ، والدرر : ٢٥٩/١ ، وغاية النهاية : ١٢٢/١ ، والبغية : ٣٦٣/١ ، والشذرات : ٨٧/٦ .

سمع على ابن عبد الدائم وطبقته ، وقرأ القراءات على النبيه الرّاشديّ[١] ، وأخذ عنه النحو وربّما حضر دروس الشّيخ بهاء الدّين بن النّحاس ، وأجاد في النحو والقراءات ، وسكن حلبَ مدّة ، وارتحل منها وأقام بالقُدس إلى أن مات به ، وسمع السّيرة حضوراً في الرابعَة من خطيب مَرْدا ، وسمع من الكَرمَاني وابن أبي عمر[٢] ، وأخذ الأصول عن القَرافيّ[٣] ، وجاور بمكّة .

وكان ذا زُهْد وقناعة وبلاغة ونصاعة ، واشتهر بالقراءات ، وهاجر الناس إليه ، ووقع الاختيار من الطلبَة علَيْه ، وشرح (الشّاطبيّة) شرحاً مطوّلاً ، و (الرّائيّة) و (نونيّة) السّخاوي في التجويد ، وله تعاليق ، وعنده من الفضائل جَمْلٌ وتفاريق ، إلاّ أنّه كان يتجارف[٤] ، وينتقل بعد[٥] سَعَادة علمه لأجل ذاك ويتحارف .

قال الشيخ شمس الدّين الذّهبي : في شرحه للشّاطبيّة احتمالات واهيَة ، قرأت بخطّه يقول في قول الشّاطبي :

وفي الهَمْز أنحاءٌ وعند نُحَاتِهِ يُضيء سناه كُلَّما اسودَّ أليَلا

يحتمل خمس مئة ألف وجه وثمانين[٦] ألف وجه . قال : وسمعت منه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُسِرَ ابن جُبَاره ، وبطلت منه تلك الأمور[٧] والإشارة .

(١) الحسن بن عبد الله بن ويحيان ، (ت ٦٨٥ هـ) . العبر : ٣٥٢/٥ ، والنجوم : ٣٧١/٥ ، وغاية النهاية : ٢١٨/١ .

(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، (ت ٦٨٢ هـ) . العبر : ٣٣٨/٥ .

(٣) في الأصل : « العراقي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي وباقي مصادر ترجمته . والقرافي : شهاب الدين أحمد بن إدريس ، الفقيه الأصولي ، (ت ٦٨٢ هـ) . الوافي : ٢٣٣/٦ .

(٤) في (أ) : « يتحارف » .

(٥) (أ) : « مع » .

(٦) قوله « وثمانين ألف وجه » ليس في (أ) .

(٧) (أ) : « الرموز » ، وهي أجود .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة تقريباً .

١٧٥ ـ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسن*

الشّيخ الجليل المسند شمس الدّين أبو بكر بن العجميّ الحلبي الشافعي .

سمع من جدّه لأمّه[١] ، وأبي القاسم بن رواحة وابن خليل ، وحضر الموفّق بن يعيش ، وروى الكثير .

وروى عنه المُقاتلي[٢] ، وابن الواني ، وابن الفخر[٣] ، والمزّيّ ، والذهبيّ .

كان فيه غفلة ، ولعقله عنه جَفْلة ، إلاّ أنّه ليس بقادحٍ فيه ، ولا مُبْطل لما يسنده ويرويه . وقاسى من هولاكو عذاباً شديداً ، وأخذ منه أموالاً كان أمْرُه بها عنيداً .

ولم يزل على حاله إلى أنْ فَرَغ أجله ، وأرهقه من الموت عَجَلُه .

وتوفي بحلب رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

١٧٦ ـ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي**

ابن محمّد بن محمّد الإمام الحافظ الشّريف عزّ الدّين أبو القاسم ابن الإمام أبي عبد الله العَلَوي الْحُسَيني المصريّ ، ويعرف بابن الحلبي ، نقيب الأشراف بمصر .

---

* الوافي : ٤٤/٨ ، والدرر : ٢٧١/١ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) عثمان بن بلبان المقاتلي ، (ت ٧١٧ هـ) . الشذرات : ٤٦/٦ .

(٣) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، (ت ٦٩٩ هـ) . العبرة : ٤٠٣/٥ .

** الوافي : ٤٤/٨ ، والمنهل الصافي : ١١٩/٢ ، وعقد الجمان : ٣٣٧/٣ ، وفيات (٦٩٥ هـ) . والشذرات : ٤٣٠/٥ .

سمع من فخر القضاة ابن الَجَبَّاب[١] ، وسَمع من الزكي المنذري فأكثر ، ومن الرشيد العطّار ، وعبد الغني بن بنين[٢] ، والكمال الضرير[٣] وطبقتهم . وأجاز له ابن رَوَاج ، وابن الْجُمَّيزيّ ، والسّبط[٤] ، وصالح المدلجي[٥] ، وخَلْقٌ كثير .

وطلب الحديث على الوجه ، وكان ذا فهم وحفظ[٦] وإتقان وتخريج ، وكشفٍ للمعضلات وتفريج ، وله ذَيْلٌ على (وفيات) المنذري[٧] إلى سنة أربع وستين[٨] .

ولم يزل على حاله إلى أن سكن دار[٩] العمل ، وبطل منه العمل[١٠] ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست[١١] وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ستٍّ وثلاثين وست مئة .

١٧٧ ـ أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله*

الشّيخ العارف تاج الدّين أبو الفضل الإسكندري .

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، ابن الجباب . توفي (٦٤٨ هـ) . العبر : ١٩٨/٥ .

(٢) أثير الدين عبد الغني بن سليمان بن بنين المصري القباني الناسخ ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .

(٣) أبو الحسن علي بن شجاع بن سالم بن علي الهاشمي ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٦/٥ .

(٤) هو عبد الرحمن بن مكي الإسكندري ، سبط أبي طاهر السلفي . (ت ٦٥١ هـ) . العبر ٢٠٨/٥ .

(٥) صالح بن شجاع بن محمد ، أبو التقي المدلجي البصري ، (ت ٦٥١ هـ) . السير : ٢٩٠/٢٣ .

(٦) زاد بعدها في (أ) : « وقلم ولفظ » .

(٧) أي : الزكي . وعبارة الوافي والمنهل : « وله وفيات ذيّل بها على شيخه المنذري » ، واسم كتاب المنذري : « التكلة لوفيات النقلة » ط .لإعلام : ٣٠/٤ .

(٨) في الوافي والمنهل : « وسبعين » .

(٩) في الأصل : « ذاك » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(١٠) (أ) : « الأمل » .

(١١) في الوافي والمنهل : « خمس » . وكذلك وفاته في عقد الجمان .

* الوافي : ٥٧/٨ ، والدرر : ٢٧٣/١ ، وبدائع الزهور : ٤٢٤/١/١ ، والشذرات : ١٩/٦ ، والمنهل : ١٢٠/٢ ، وطبقات الشافعية : ٢٣/٩ .

كان رجلاً صالحاً له ذوق ، وفي كلامه ترويحٌ للنفس وسَوْقٌ[١] إلى الشّوق ، يتكلّم على كرسيّ في الجوامع[٢] ، ويقيّد نفوس المارقين بأغلالٍ وجوامع ، وله إلمام بآثار السّلف الصالح ، وكلام الصوفية ، إذا هبَّ نسيمه العَاطر[٣] الفائح شوّق كثيراً من القلوب ، ومحا بالدُّموع غزيراً من الذُّنوب ، وله مشاركة في الفضائل ، وعليه للصّلاح سيماء ودلائل ، وهو تلميذ الشّيخ أبي العبّاس الْمُرْسيّ صَاحب الشّاذلي ، وكان من كبار القائمين على الشّيخ تقي الدِّين بن تيميّة ، وله جلالة في النفوس بنفسه القويّة .

ولم يزل على حاله إلى أنْ ركدت تلك العبارة ، وانكدرت نجوم تلك الإشارة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في المنصوريّة في حادي عشر جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره[٤] :

مُرَادي منك نِسْيَانُ المراد ... إذا رُمْتَ السبيلَ إلى الرَّشادِ
وأنْ تَدَعَ الوجودَ فلا تَرَاهُ ... وتُصْبحَ مالكا حَبْلَ اعتمادِ[٥]
إلى كم غفلةٍ عنّي وإنّي ... على حِفْظِ الرِّعاية والودادِ
وَوُدِّي فيك لو تدري قديمٌ ... ويَوْمُ السَّبتِ يشهد بانفرادِي
وهل رَبٌّ سواي فتَرْتَجيه ... غداً يُنْجيك من كَرْبٍ شدادِ
فوَصْفُ العَجْز عَمَّ الكونَ طُرّاً ... فمفتقرٌ بمفتقرٍ يُنادي
وبي قد قامت الأكوانُ طُرّاً ... وأظْهَرْتُ المظاهرَ مِنْ مُرادي
أفي داري وفي ملكي وفُلْكي ... تُوَجِّه للسِّوى وَجْهَ اعتمادِ

(١) (أ) : « وتوق » .
(٢) (أ) ، والوافي : « الجامع » .
(٣) (أ) : « العطر » .
(٤) ذكر صاحب المنهل الأبيات الثلاثة الأولى .
(٥) في الوافي والمنهل : « ماسكاً » .

وهـا خلَعِي عليـكَ فـلا تُـذِلْهـا ومِن وَجْـه الرجـاء عن العبـادِ[١]
ووصفَـك فـالـزَمَنْـهُ وكن ذليـلاً تَرى منِّي المنى طَـوْع القيَـادِ
وَكن عبـداً لنـا والعبـدُ يرضى بمـا تَقْضي المـوالي من مُرادِ

قلتُ : شعرٌ نازلٌ ، هو يَجدُّ ، وكأنّه هازل .

١٧٨ ـ أحمد بن محمد بن علي بن جعفر*

الصدر الأديب الرئيس سَيف الدِّين السامَريّ ، نسبة إلى سُرَّ مَن رَأى ، نزيل دمشق .

صادره الصّاحب بهاءُ الدِّين بن حَنّا[٢] وأخذ منه نحواً من ثلاثين ألف دينار لَمّا[٣] قدم أخوه نورُ الدَّوْلَة السّامريّ من اليمن ، ونُكِبَ في دولة المنصور ، وطَلَبه[٤] الشّجاعي[٥] إلى مصر وأخذ منه قرية (حَزْرَما) وغيرها وتمام مئتي ألف درهم ، وكان يسكن داره[٦] المليحة التي وقفها رباطاً ومسجداً ووقف عليها باقي أملاكه .

وروى عنه الدّمياطيّ في (معجمه) وذكر أنّه يُعْرَف بالمقرئ .

---

(١) في مطبوعة الوافي : « وصن وجه » ، وكتب المحقق في الحاشية : « في الأصل والأعيان ومن » .

* الوافي : ٦٦/٨ ، وفوات الوفيات : ١٣٤/١ ، والمنهل الصافي : ١٤٨/٢ ، وعقد الجمان : ٣٧١/٣ ، وفيات (٦٩٦ هـ) . البداية والنهاية : ٣٥١/١٣ .

(٢) في الأصل ، والوافي : « حنيّ » تصحيف . وابن حنا هذا هو الوزير علي بن محمد بن سليم بهاء الدين بن حنّا ، (ت ٦٧٧ هـ) . الشذرات : ٣٥٨/٥ .

(٣) (أ) : « عندما » .

(٤) في الأصل : « وطلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٥) الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعي ، (ت ٦٩٣ هـ) . النجوم : ٥١/٨ .

(٦) في الأصل : « دار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي . وفي عقد الجمان : « وآخر ما بقي له قاعة جعلها خانقاه وتربة كما ذكرنا ، ووقف عليها مزرعة بالشاغور وبقايا من أملاكه » .

وكان قد سافر مرّة مع وجيه الدّين بن سُوَيْد[١] إلى الموصل فحضر المكّاسَة وعَفُّوا عن جِمَال الوجيه ومكّسُوا جِمالَ السّامري ، وأجحفوا به ، فقال :

صَحِبْتُ وجيهَ الدّين في الدّهر مرّةً ... ليحمل أثقالي ويَخْفرَ أجمالي
فَوَزّنني عن كلّ حقٍّ وباطِلٍ ... وعن فرسي والبغلِ والْجَمَل الخالي

فبلغ ذلك صَاحبَ الموصِل فأطلق القَفْل بجمُوعه .

وقال يشكرُ الأمير سيف الدّين طوغان[٢] وأسندمرُ والي البر[٣] بدمشق ويشكو نائبيهما الشّجاع هَمّام والعلم سَنْجر[٤] :

اسمُ الوزارة للأمير ومَالَهُ ... فيها سوى الأوزار والآثامِ
وجنايةُ القتلى وكلُّ جنايةٍ ... تُجنَى بأجمعها إلى هَمّامِ[٥]
سيفان قَدْ وَلِيا فكلٌّ منهما ... في حفظ مَا وُلّيه كالضرغامِ
وإذا عَرا خطبٌ فكلٌّ منهما ... أسَدٌ يَصُول ببأسه ويحامي
وببَاب كلٍّ منهما عَلَمٌ غَدَا ... في ظُلْمهِ عَلاَّمَةَ الأعْلاَمِ[٦]
فمتى أرى الدُّنيا بغير سَناجرٍ ... والكسرَ والتنكيسَ للأعلامِ

ومن شعره :

مَنْ سُرَّ مَنْ رَاءٍ ومَنْ أَهْلُها ... عند اللّطيف الرّاحم البَاري
وأيُّ شيءٍ أنا حتّى إذا ... أذْنَبْتُ لا تَغْفَرُ أوزاري
يا ربِّ مالي غَيْرُ سَبِّ الورى ... أرجو به الفوز من النّارِ

(١) محمد بن علي بن أبي طالب التكريتي التاجر الكبير ، (ت ٦٧٠ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٦٢/١٣ .
(٢) طوغان المنصوري ، (ت ٧١٠ هـ) ، الدرر : ٢٢٨/٢ .
(٣) في الوافي : « والي البريد » .
(٤) علم الدين سنجر التركي الصالحي الداوداري ، (ت ٦٦٩ هـ) . العبرة : ٣٩٩/٥ .
(٥) (أ) ، والوافي : « تجبى » ، ولعلّ الأشبه : وكل جباية تجبى .
(٦) في الأصل : « ويبات » تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، والوافي .

ولَمّا طلبَه الشّجاعي إلى مصر اعتقله وقام له بِمَا طلبَ منه وطلبَ الإفراج عنه وثقّلوا عليه فقال : والله مَا أُفْرِجُ عنه حتّى يَمدحني بقصيدة ، فإنّ هذا هجّاء ، فلَمّا مَدحه أفرج عنه .

وكان الشّيخ سَيف الدّين ظريفاً مزّاحاً ، كثيرَ التغرُّب نزّاحاً ، وهو من سَرَوات بغداد ومُحَاضرته يَغْنى النديم بها عن حانةِ النبّاذ . قدم إلى الشام بأمواله وحظي عند النّاصر بأقواله ، ولَمّا[1] نظم تلك الأرجوزة السامريّة التي أوّلها :

يا سائقَ العيس إلى الشآم مُدَّرِعاً مَطارفَ الظَّلامِ[2]

حطَّ فيها على مباشري حلب وأغرى النّاصر بمصادرتهم ، وقد اشتهر أمرها ، وأسْكر الأسماعَ خَمْرُها .

ولم يزل بدمشق[3] على حاله إلى أن رُمي لَسَنُه[4] بالبكم ، وقاده رسنه إلى ما قضاه الموت عليه وحكم .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ستٍّ وتسعين وست مئة وهو في عشر الثمانين ، ودفن في داره .

١٧٩ ـ أحمد بن محمد بن علي بن يوسف*

ابن ميسّر ، الصّاحب عزّ الدّين المصري ، ولي النظر على النظّار بمصر والشّام وغيرهما ، وتولّى نظر الأوقاف بدمشق .

---

(١) (أ) : « وله » .

(٢) في عقد الجمان :

يا سائق العيس إلى الشآم وقاطع الوهاد والآكام
مدّرعاً مطارف الظلام كبارق يلمع في غمام

(٣) ليست في (أ) .

(٤) (أ) : « لسانه » .

* الوافي : ٧٠/٨ ، والدرر : ٢٨٧/١ .

ولم يزل في سؤدده وتعاظمه وتمرُّده إلى أن تَعَسَّر العيش على ابن ميسَّر ، وقلَّ جمعه وكسَّر .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوّل شهر رجب سنة ستّ عشرة وسبع مئة .

ومولده حادي عشري[١] شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وست مئة .

تولَّى نظر الدَّواوين بمصر ، ونظر الإسكندريّة ، ونظر دمشق ، ونظر طرابلس ، ونظر الأوقاف بدمشق والحسبة ، ومات وهو في نظر الأوقاف . وكان [فيه][٢] محبّة لأهل الخير .

١٨٠ ـ أحمد بن محمد بن أبي القاسم*

ابن بَدْران ، الشَّيخ الفاضل شهاب الدِّين أبو بكر الكردي الدَّشْتي ـ بالدّال المهملة ، والشِّين المعجمة الساكنة ، وبعدها تاء ثالثة الحروف ـ الحنبلي المؤدِّب .

حضر في الثّانية على جَعْفَر الهَمذاني ، وسمع من ابن رواحة وابن يعيش ، وابن خليل ، والنفيسي بن رواحة[٣] ، وصفيّة القرشيّة[٤] ، وابن الصلاح ، والضياء .

وتفرَّد وروى الكثير ، حدَّث بمصر (بمسند) الطيالسي ، ورُتِّبَ مُسْمِعاً بالدَّار الأشرفية ، ومُعَلِّماً بمكتب الطواشي ظهير الدِّين[٥] ، وأكثر الطلبة عنه ، وخَرَّجَ له علم الدِّين البرزالي مشيخةً ، وكان في الرِّواية يتعزز ، ويتحلَّى بالطلب ويتمزَّز ، ويطلب نَسْخَ عدّةِ أجزاء لنفسه من السّامع ، ويرى أنَّ ذلك له كالقامع .

---

(١) (أ) : « عشر » .

(٢) زيادة من (أ) .

* الوافي : ٨٢/٨ ، والدرر : ٢٩٢/١ ، والشذرات : ٣٢/٦ ، والمنهل الصافي : ١٥٧/٢ .

(٣) أبو البركات محمد بن الحسين بن عبد الله بن رواحة (ت ٦٤٢ هـ) ، العبر : ١٧٣/٥ .

(٤) صفية بنت عبد الوهاب بن علي القرشية . (ت ٦٤٦ هـ) . العبر : ١٨٨/٥ .

(٥) مختار البلبيسي (ت ٧١٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

ولم يزل إلى أن انقلب دست الدَّشْتي ، وحار فيما نزل به الطبيبُ والمفتي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده بحلب سنة أربع وثلاثين وست مئة .

١٨١ ـ أحمد بن محمد بن قُرَصة*

شهاب الدِّين بن شمس الدِّين الأنصاري .

هو من بيت مشهور بالصعيد ، منهم جماعة فضلاء رؤساء ، تفرَّد هذا شهاب الدِّين من بينهم بنظم القَرْقيّات[١] وجوَّدَها ، وأجراها على قواعد العذوبة وعوّدها ، يأتي بها كأنَّها باكورة زَهْر أو كأسُ زُلال جُلي على الظمآن من نَهْر ، خفيفةٌ على القلب لذيذةٌ على السمع لِمَا لَهَا في العقل من السَّلْب ، ونظم الشعر جيِّداً ، ودخل به في جملة الشُّعراء ، ولم يكن مُتَحيِّداً ، وذاق النَّاسُ منه كؤوسَ العلاقم ، وجَرَّعهم من هَجوه سُمومَ[٢] الأراقم ، جاب الأقطار ، وجلبَ الأوطار ، ودخل الأمصار ، واجتدى بالمدح والهجو أفاتَ طَلَبُه أم صار ، وكان شيخاً كاد الدَّهرُ يحني صَعْدَته ويُري العيون هزَّته ورَعْدَته .

وكتب إليَّ أشعاراً غلت[٣] عندي أسعاراً[٤] ، منها :

مالي أرى الشعراء تكسبُ عاراً ... بهجائهم وتحمَّلوا أوزارَا

فلذاك طُفْتُ ببَاب كلِّ مهذَّبٍ ... وجعلتُ شعري في الكرام شعارا

مدحوا الأخساءَ اللِّئام فضيَّعُوا الـ ... أشعار لَمّا أرخصوا الأسعارا[٥]

---

* الوافي : ٨٣/٨ ، والدرر : ٢٩٣/١ .

(١) جمع قَرْقيّ ، وهو نوع من الزجل يتضمن هجاءً وثلباً . العاطل الحالي : ١٠ .

(٢) (أ) ، (خ) : « سمّ » .

(٣) في الأصل : « علت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهي أشبه .

(٤) (أ) : « أسعارها » .

(٥) (أ) : « أشعارهم لما » .

وجعلت في حلب الشّمال إقـــامتي ... يـــا حبـــذا دارُ الكرامِ جِـوارا
ولكم دعـــا مـــدحي نـوالَ معظّم ... فـأبَتْ عُتُـوّاً عنـه واستكبـارا
حتّى وجدت لها إمـاماً عـالمـاً ... أوصـافُـه تستغرق الأشعـارا
لـولا صـلاحُ الـدِّين لم أرَ جُلّقـاً ... ولكنتُ مِمَّنْ جـانبَ الأسفـارا
أســدى المكارمَ من أكفٍّ لم يـزل ... مَعرُوفُهـا يستعبـدُ الأحرارا
وصنـائعـاً غرّاً أفَـدْنَ منـائحـاً ... عُـوْنـاً ولَـدْن مـدائحـاً أبكارا
فَـوَجَـدْتُ في إجْمَـالـه وجَمَـالـه ... مـا يَمْـلأ الأسْماعَ والأبصـارا
مـولًى غـدت يمنـاه يُمْنـاً لامْرِئ ... يبغي نـوالاً واليسـار يسـارا
حلّى الـزمـانَ وكان قِـدْمـاً عـاطـلاً ... وأعـادَ ليـل الآملين نهـارا
وحـوى معـاليَ في دمشـق قـديمـةً ... وحـديثُها بين الـورى قـد سـارا[1]
بَلَغَتْ بـه رُتَبـاً فرُعن محلّـةً ... أمْسَتْ نجـومُ سمائهـا أقمـارا[2]
زانت فضـائلُـه بـدائـعَ نظمهـا ... كم مِعْصَمٍ أضحى يَـزين سـوارا
ومظفَّرِ الأقـلام كم أردى بهـا ... ملكاً وخـوَّف جحفـلاً جرّارا
عجبـاً لهـا تجري بـأسـودَ فـاحمٍ ... يكسي الطروسَ ظـلامُـه أنـوارا
تمضي بحيث ترى السيـوف كليلـةً ... وتطـولُ حيث ترى الرِّمـاحَ قِصـارا
تجري بواحـدهـا ثلاثُ سحـائب ... تحـوي الصواعـق والحيـا المـدرارا
وتمـدّه بـالفضـل حين تمـدّه ... ببـديهـةٍ لا تُتْعب الأفكارا[3]
إن رام نـائِلَـه العفـاةُ أمـدّهـا ... كرمـاً وإن رام الخميسُ مُغَـارا
مـلأ الكتـاب تهـدّداً فكأنّما ... ملأ الكتـاب أسنّـةً وشفـارا
تجني النّـواظرُ مِنْ محـاسنِ خطِّـه ... رَوْضـاً ومن ألفـاظـه أزْهـارا

---

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « مقيمة » .
(٢) (خ) : « قرعن » .
(٣) (أ) : « وتمدّنا بالفضل » .

خَطٌّ رماحُ الخطِّ من خُدَّامه ... إن رام ذِمْراً أو أعزَّ ذِمارا
وبلاغةٌ تَضْحَى بأدنى فقرةٍ ... تغني فقيراً أو تَقُدُّ فَقارا
ويشيمُ روّادُ الندى من بِشْره ... بَرْقاً ومن إحْسانه أمْطارا
بِشْرٌ يبشّر بالجميل وعادة الـ ... أزهار أنْ تتقدّمَ الأثمارا
وندًى يعمُّ ولا يخصُّ كأنّهُ ... هامي قِطار طبَّق الأقطارا
يستصغر الأمرَ العظيم إذا عَرَا ... بعزيمةٍ تَسْتَسْهِلُ الأوعارا
ويردُّ غَرْبَ الحادثات مُغَلَّلاً ... بسعادةٍ تستخدم الأقدارا[1]
كم ذلّلت صعباً وردَّتْ ذاهباً ... وحَمَت أذلَّ وذلّلت جَبّارا
ولقد عرفت النّاس من أوطارهم ... سبحان من خلقَ الوَرَى أطوارا
يا من عَرَفتُ بجودِهِ وَجْهَ الغنى ... حقّاً وكنتُ جَهلته إنكارا
أغنيتني بمواهبٍ مَوْصُولةٍ ... لم تُبْقِ لي عند الحوادث ثارا
لا زلتَ في عزٍّ يدوم ونعمةٍ ... ترقى على شُمِّ الجبال وقارا

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[2] ارتجالاً :

يا شاعراً ملأ الطروس نهاراً ... وأسالَ فيه من الدُّجى أنهارا
لم تُهْدِ لي نظماً بديعاً إنّما ... أهديتَ لي فَلَكاً أراه مُدَارَا
في كلِّ سَطْرٍ بُرج سعدٍ ثابتٌ ... تبدو معانيهِ به أقمارا
لا أرتضي بالروض تشبيهاً له ... إنّ الزواهر تَفْضُل الأزْهارا
قلّدتني منه قلادة مِنَّةٍ ... تستوقف الأسماعَ والأبْصَارا
يغنى النديم به فإنَّ قوافياً ... فيه تُدِير لِمَسْمَعَيْه عقارا
وترى اللَّبيب إذا تعاطى فَهْمَه ... لم يذكر الأوطانَ والأوطارا

---

(١) في الأصل : « مقللاً » ، تصحيف .
(٢) قوله : « عن ذاك » خلت منه : (أ) ، (خ) .

فكأنَّ ذاك الطرسَ وجْنَـةُ أغيـدٍ ... والسطْرَ فيـه قـد أسـال عـذارا
فـاعذر شهـاب الـدِّين من تقصيره ... أضحى يُلَفِّـق عنـدك الأعـذارا[1]
أنـا لا أُطيـق جـوابَ مَنْ أشعـارُهُ ... تنهـلُّ حين تَرُومُهـا أمطـارا
وإذا جرى في حَلْبـةٍ قَصَّرتُ عن ... غـايـاتـهِ بـل لا أشـقُّ غُبـارا
إنَّ الغـديرَ وإنْ تعـاظَمَ قـاصرٌ ... عن أن يقـاوِمَ بَحْرَك الـزَّخـارا
وكـذا أخو النظم المزلـزل ركنـه ... لا يستكنُّ مـع الجبـال قَرَارَا[2]
فخـذ القليـل إجـابـة وإجـازةً ... واعذر فمثلُـك من أقـال عثـارا[3]
واعتـدَّ إنَّـك لم تـزر في جلَّـق ... أحَـداً وإنَّـك جئت تقْبس نـارا[4]
فـلأنت تعلم أنَّني لم أرضهـا ... لـو أنَّ درهمهـا غـدا دينـارا
مـا قَـدْرُهـا مئـة لـو أنَّي سقتهـا ... إبـلاً يكـون حمـولهنَّ بهـارا

وكتب إليَّ قصيدة قطر الميزاب أوّلها[5] :

كم سَيفُ النظم أجرّده ... كم أُشْهره كم أغمـده
كم أنظم عِقْـدَ جـواهره ... في مـدح كَريمٍ أقصـده
كم أجمـعُ من معنىً حسَنٍ ... وبيـانُ الشَّرح يُقَيِّـده[6]

وقد سقتها بمجموعها في كتابي (ألحان السَّواجع)[7] .

ولم يزل على حَاله إلى أن أتى مرّةً من مصر ونزل بالتعديل ظاهر مدينة دمشق في

(١) في الأصل : « فلا عذر شهاب » .
(٢) في الأصل و (خ) : « أخا » .
(٣) في الأصل : « إجازة وإجازة » .
(٤) هذا البيت خَلَتْ منه (أ) .
(٥) ليست في (أ) .
(٦) في الأصل : « الشرع يسيده » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .
(٧) في الأصل : « كتاب ألحان الساجع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

بيت التحَفَهُ جدرانُه ، وتأنس به جردانه ، فنزلَ به ذباب السَّيف ، وعمل من دمه وَليمة لذباب الصَّيف ، وأصبحَ ورَأسُه قد بان عن جسده وطاح ، ودقيق ابن قُرصَة تذروه الرياح ، وكان مسكيناً يتحلَّب[١] أفاويق النَّدى ، ويحتلب[٢] ببلاغته أهل زمانٍ لا يجدون على نار المكارم هُدًى ، إلاّ من كان يرتاح للامتياز[٣] في عدّة[٤] الامتياح أو تهزُّه نغمَة العافين أو مدام المدّاح ، وقليلٌ ماهُم ، وقد بعد حماهم ، وكان المسكين يرمق عيشه على بَرَض ، ويمسي كالفارةِ في قَرض الأعراض بالقَرَض .

وكانت قتلته يوم[٥] الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وأنشدني من لفظه لنفسه بدر الدِّين حسن بن علي الغزّي[٦] :

مات ابنُ قُرْصَةَ بعد طُولِ تَعَرُّضٍ ... للموت مِيْتَةَ شرِّ كَلْب نابحِ
مازال يَشْحَذ مُدْيَةَ الْهَجو التي ... طلعت عليه طُلوعَ سعد الذابح
حتّى فَرَى وَدْجَيْه عبدٌ صالح ... عَقَرَ النطيحة عَقْرَ ناقةِ صَالح
فَلْيَحْيَ قاتِلُه ولا شَلَّتْ يدٌ ... كَفَتِ المؤونة كفَّ كلِّ جرائحي

وقلت أنا فيه :

دع الهجو واقْنَع بما نِلتَه ... من الرِّزق لو كان دُون الطفيفِ
فَقَرْضُ ابن قُرْصَةَ عَمَّ الورى ... ورَاعَ الدنيَّ بهَجْوِ الشَّريف
ومات ابنُ قَرْصَة من جُوعِهِ ... وشهوتُه عَضَّة في رغيف

(١) (أ) ، (خ) : « يحتلب » .
(٢) (أ) ، (خ) : « يختلب » .
(٣) (أ) : « للامتيار » .
(٤) ليست في (أ) ، (خ) .
(٥) (أ) ، (خ) : « في يوم » .
(٦) ستأتي ترجمته .

١٨٢ ـ أحمد بن مُحَمَّد*

فتح الدِّين بن البَقَقِيّ ـ بباء موحَّدة وقافين مفتوحات ـ .

كان مقيماً بالدِّيار المصريَّة يبحث ويناظر ويذاكر[١] بالفوائد المنتقاة ويحاضر ، قَلَّما ناظر أحداً إلاّ قطعه وأتى به إلى مضيق التسليم[٢] ودفعه ، إلاّ أنَّه مع ذكائه وحرصه في البحث وإعيائه[٣] كان يبدو منه من الاستخفاف ما لا يليق ، ويَظْهَرُ منه في الظاهر ما لا يَحْسُن أن يكون في السرِّ من الجاثليق ، حتّى ظهر أنّه زنديق ، وتبيَّن أنَّه مرتدٌّ عن الإسلام عن تحقيق ؛ لأنَّه كان يستخفُّ بالشَّرع الذي شَهدَت العقول بحسن وَصْفِه ، ويستهتر[٤] بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يَدَيْه ولا من خَلْفَه .

ولم يزل في جنونه ودَوَران مَنْجنونه ، إلى أن أطاح سَيْفُ الشَّرع رَاسَه ، وأطفأ ريح القتل نبراسه ، وأصبح الفتح قُبْحا ، وأورده الذَّبّ عن الدِّين القيِّم ذَبْحاً ، ضرب القاضي المالكي عُنُقَه بين القصرين سَنَة إحدى وسبع مئة في شهر ربيع الأوَّل وطِيْفَ برأسه ، وكان قد تكهَّل ، ولَمّا ضرب رأسه بالسيف لم يمضِ السيف قَطْعَ رقبته ، فتمَّم حزَّ رقبته بالسكين .

وأخبرني جماعة بالقاهرة عن ابن المحفّدار أنَّه قال له يوماً : كأنِّي بك وقد ضربت رقبتك بين القصرين ، وقد بقي رأسك معلقاً بجلدة ، فكان الأمر كما قال .

ومن شعره :

---

* الوافي : ١٥٨/٨ ، وفوات الوفيات : ١٥٢/١ ، والبداية والنهاية : ١٨/١٤ ، والدرر : ٣٠٨/١ ، والشذرات : ٢/٦ ، والمنهل الصافي : ١٨٧/٢ .

(١) (أ) : « ويذكّر » .

(٢) (أ) : « التسليم له » .

(٣) (أ) : « واعتنائه » .

(٤) (أ) : « ويستهزئ » .

جُبلتُ على حُبِّي لهـــا وألفتُـــهُ ولا بـــدَّ أن ألقى بـــه الله مُعْلِنَـــا
ولم يخلُ من قلبي هواها بقَدْرِ مـا أقـولُ وقلبي خـاليـاً فَتمكَّنَـا[1]

قلت : يشير إلى قول القائل[2] :

أتاني هـواهـا قبـل أنْ أعْرِف الهـوى وصـادف قلبـاً خـاليـاً فتمكَّنـا

ومنه :

لحى الله الْحَشيشَ وآكليهـــــا لَقَـدْ خَبُثَتْ كما طـاب السُّلاف
كما يصبي كـــذا تضني، وتُشقي كما يَشْفي وغـايتهـا الْحُرَاف
وأصغر دائهـــا والـــدّاء جَمّ بغـــاء أو جنـون أو نُشَـــاف

ومنه :

يـا مَنْ يخـادعني بـأسهم مَكْره بسَـلاسَـة نَعُمت كلمس الأرقم
اعْتَـدَّ لي زَرَداً تضـايـق نسْجُـه وعليَّ فَـكٌّ عُيـونهـا بـالأسهُم

ومنه ، وقد جلسَ عند بعض الأطباء ساعة فلم يُطعمه شيئاً ، فلَمّا قام قال :

لا تحسبـوا أنَّ الحكيم لبخلـه حمانا الغذا ما ذاك عندي من البخل[3]
ولكنّـه لَمَّـا تيقَّن أنَّنـا مرضنا برؤياهُ حَمَانا من الأكل[4]

ومنه :

أين المراتبُ في الـدُّنيـا ورِفْعَتُهـا مِن الـذي حـازَ عِلْماً ليس عنـدهم

---

(١) أوردها صاحب المنهل .
(٢) ينسب إلى المجنون ، ديوانه : ٢٨٢ .
(٣) في (أ) : « ولا » . والبيت من غير الواو مخروم .
(٤) (أ) : « لما تحقق » .

لا شـك أنَّ لنـا قَـدْراً رَأَوْه ومـا ... لمثلهمْ عنـدنـا قَـدْرٌ ولا لهم
هم الـوحـوش ونحن الإنس حِكْمَتُنـا ... تَقُـودهم حيثمـا شِينـا وهم نَعَمُ
وليس شيء سوى الإهمال يَقْطَعُنـا ... عنهم لأنهم وِجْـدَانُهم عـدم
لنـا المريحـان من علم ومن عـدم ... وفيهم المتعبـان الْجَهْـلُ والحشم[1]

قلت : كأنَّه نظم هذه الأبيات لَمَّا سمع أبيات الشَّيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى ، وهي ممّا أنشدنيه الحافظ أبو الفتح[2] ، قال : أنشدني لنفسه :

أهـل المراتب في الـدُّنيـا ورفعتهـا ... أهـلُ الفضـائـل مَرْذُولـون بينهم
فمـالهم من تَـوَقِّي ضَرِّنـا نظرٌ ... ولا لهم في تَرَقِّي قَـدْرنـا هِمَمُ[3]
قـد أنـزلـونـا لأنّـا غيرُ جنسهم ... منـازلَ الـوحشِ في الإهمـال عنـدهم
فليتنـا لـو قَـدِرْنـا أن نعرفهم ... مِقْـدارَهُم عنـدنـا أَوْلَـوْ دَرَوْهُ هم
لهم مريحـان من جـاه وفضـل غنى ... وعنـدنـا الْمُتْعِبَـان العلم والعَـدَم[4]

ومن شعر ابن البَقَقي :

الكَسّ لِلْجُحر غـدا ... مُعـانـداً في القِـدَم[5]
فـانظره يبكي حَسَـداً ... في كلِّ شهر بِـدَمِ

وما أحسن قولَ الحكيم شمس الدِّين محمَّد بن دانيال :

لا تَلُم البَقِّيّ في فعلـه ... إن زاغ تضليـلاً عن الحـقّ[6]
لـو هـذَّب النَّـامـوس أخـلاقـه ... مـا كان منسـوبـاً إلى البـقّ[7]

---

(١) (أ) : « ومن أدب » .
(٢) ابن سيِّد النَّاس .
(٣) (أ) : « ولا لهم مِنْ رقى في قدرنا » .
(٤) هذا البيت خلَتْ منه (أ) .
(٥) (أ) : « من القدم » ، ولا يستقيم . وفي الوافي : « من قدم » .
(٦) في المنهل : « البققي » .
(٧) كذا في (أ) ، والوافي ، والمنهل . وفي الأصل « الناس » ، ولا يستقيم بها الوزن .

وقَوْلَه فيه لَمَّا سجن ليقتل :

يظنُّ فتى البققي أنَّـــــــــه سيخلص من قبضـــة المـــالِكِيْ
نعم ســوف يُسْلِمــــه المـــالكيُّ قريبـــاً ولكن إلى مـــالِـــكِ

وقيل : إنَّه استغاث يَوْمَ قَتْلِه بالشَّيخ تقيِّ الدِّين بن دقيق العيد ، وقال : أنا تردَّدت إليك أربعة أشهر لازمتك فيها ، هل رأيت منِّي شيئاً ممّا ذكر هؤلاء ؟ فقال : ما رأيت منك إلاّ الفضيلة .

١٨٣ ـ أحمد بن محمد بن محمَّد بن هبة الله*

الشَّيخ الإمام العالِم الكاتب الْمُفْتِي ، كمال الدِّين أبو القاسم بن الصدر الكبير عماد الدِّين ابن القاضي الكبير شمس الدِّين أبي نصر بن الشِّيرازي الدمشقي الشافعي .

تفقَّه بالشَّيخ تاج الدِّين الفزاري ، والشيخ زَيْن الدِّين الفارقي[١] ، وقرأ الأصول على الشَّيخ صفيِّ الدِّين الهندي[٢] ، وسمع من الفخر عَلِيّ[٣] ووالدِه وغيرهما ، وحفظ كتاب المزنيّ[٤] .

وتميَّز وبَرَع ، وأخذ في طلب التدريس وشَرَع ، ودَرَّس بالبادرائيَّة في بعض الأوقات ، بالشاميَّة الكبرى مرّات ، ثم استمرَّ بتدريس الناصِريَّة[٥] مُدَّة ، وذُكر لقضاء

* الوافي : ١٢٥/٨ ، والبداية والنهاية : ٧٥/١٤ ، وذيل العبر : ١٩٠ . والدرر : ٣٠٠/١ ، والدارس : ١٥٧/١ ، والشذرات : ٩٥/٦ .

(١) عبد الله بن مروان (ت ٧٠٣ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٢) محمد بن عبد الرحيم (ت ٧١٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٩٦ هـ) ، العبرة : ٣٦٢/٥ ، والنجوم : ٣٢/٨ .

(٤) المشهور باسم « مختصر المزني » لإسماعيل بن يحيى المزني صاحب الإمام الشافعي ، (ت ٢٦٤ هـ) ، الوافي : ٢٣٨/٩ .

(٥) داخل باب الفراديس شمال الجامع الأموي ، أنشأها الملك الناصر يوسف بن صلاح الدين . الدارس : ٣٥٠/١ .

الشّام في عِدَّه ، وكان خيِّراً متواضعاً ، ديِّناً لأفاويق الرِّفاق راضِعَاً ، حَميد النشأة ، جميل البدأة[١] ، خبيراً بالأمور ، ذَرِباً بأحوال الجمهور ، أثنى عليه قاضي القضاة بَدْرُ الدِّين محمّد بن جماعة ، وقاضي القضاة ابن الحريري ، وقالا للسُّلطان : يصلح للقضاء .

وكان فيه حياءٌ وسكون ومَيْلُ إلى التخلِّي ورُكُون ، حاقَقَه مرَّةً ابن جَملة[٢] بحضرَة الأمير سيف الدِّين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ وأراد مناظرته فتألَّم ، وأضرب عنه وتحلَّم ، وترك السَّعي في الشاميّة لذاك .

وكان بَديعَ الكتابة ، جميع سهام[٣] أقلامه فيها للإصابة ، كتب الرَّيْحان والمحقّق ، وزادَ في ذلك على ابن البوَّاب ودقَّق ، وكان خَطُّه قيد النواظر ، ونزهةَ من يرتع في الرِّياض النّواضر ، كلُّ سطر كأنَّه سُبْحَةُ جَوْهَرٍ راق نظمُها ، وفاق على الكواكب وَسْمُها .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل بكمال الدِّين مُحاقه وفات إدراكه وإلحاقه[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ستّ وثلاثين وسبع مئة في ثالث عشر صفر ، ودُفِنَ بتربتهم .

ومَوْلِدُهُ سنة سبعين وست مئة .

---

(١) (أ) : « حميد النشاءة ، جميل النهاية والبداءة » .
(٢) يوسف بن إبراهيم (ت ٧٣٨ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٣) ليست في (أ) .
(٤) (أ) : « ولحاقه » .

١٨٤ ـ أحمد بن محمّد بن مُحَمَّد بن نصر الله*

القاضي الرئيس جمال الدِّين التّميمي القلانسيّ الدِّمشقي ، وكيل بيت المال ، وقاضي العسكر ومدرِّس الأمينيّة والظَّاهريّة وموقِّع الدَّست .

روى عن [ابن][1] البخاري وبنت مكّي[2] ، وأذِنَ لجماعةٍ في الإفتاء .

كانَ جميل الشكل مليحَ العِمّة ، بهيَّ الْمَنْظَر مُتَّسِع الهِمّة ، وكتابتُه مثل الرّوضِ الذي عَرْفُهُ باسم ، أو العقودُ التي تَفْتَرّ عنها المباسِم ، يخاله النّاظرُ سُطورَ رَيْحَان أو حبابا قد كَلَّل لؤلؤه ياقوتَ خدٍّ من بنت الْحَان .

ولم يزل راقياً في بروج سُعُوده ، باقياً في اقتبال صعوده ، إلى أن هتفَ به داعي حَتْفِه ، وفَرَّق بينه وبين أُلَّافه وإلْفِه .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عُشْرَيّ ذي القَعْدَة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وعاش نيِّفاً وستين سَنة .

وبلغتنا وفاتُه ونحن مع الأمير سَيف الدِّين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ على حِمْص ، فكتبتُ إلى ولده[3] القاضي أمين الدِّين[4] نظماً ونثراً :

أيُّ خطب أصْمَى الحشا بنِبَاله ... حين رَاعَ الوُجودَ فَقْدُ جمَالِهْ
يا لَدَمْعِ الغَمَام ينهلُّ حُزناً ... ولنَوْح الحِمام من فوق ضَاله[5]
أسْعِداني فإنَّ خَطْبِيْ جليلٌ ... وأعينا مَنْ لم تكونا بحَالِه

---

* الوافي : ١٢٥/٨ ، والبداية والنهاية : ١٥٦/١٤ ، والدرر : ٣٠٠/١ ، والدارس : ١٤٧/١ ، والشذرات ٩٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٨٤/٢ .

(١) زيادة من (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٢) زينب بنت مكي بن علي الحراني ، (ت ٦٨٨ هـ) ، الشذرات : ٤٠٤/٥ .

(٣) في الأصل : « والده » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٤) (أ) : « أمين الدين تعزية » . وفي الوافي : « أعزّيه » .

(٥) (أ) : « بالدموع الغمام » .

منها :

كيف لا يُظْلِمُ الـوجـودُ بمن كا ... ن الثريّـا معـدودةً في نِعَـالـهْ[١]
وإذا مـا النسيمُ أهـدى عَبيراً ... فَتِّشِ الطِّيبَ تَلْقَـهُ من خـلالـهْ[٢]
وإذا مـا احتبى بمَجْلِسِ حفـلٍ ... أطرق القـومُ هيبَـةً مِنْ جَـلالِـهْ
يـا جمـالاً مَضَى فـأَوْرَثَ وجـه الـ ... ـدَّهر قُبْحـاً لمـا ارتضى بـزَوَالِـهْ
ولعمري مـا غـاب ليثٌ تَقَضَّى ... وحَمى غـابَـهُ بَقَـا أشبـالِـهْ
أيّ شبـل أبقيت إذْ غِبْت عنّـا ... صَبْرُهُ للخطـوبِ من أحمـالِـهْ[٣]
وهـو عنـد الملـوك خَيْرُ أمينٍ ... قـد سَمَا في الـوَرَى بِفَقْـدِ مِثَـالِـهْ
وإذا أتحف الأعـادي بـدَرْجٍ ... كان قَطْـعُ الأعمـار في أوصـالِـهْ
أيُّهـا الفـاضـل المهـذَّب لا تجـ ... ـزع لذاك الجليلِ عند انتقالِهْ[٤]
كلّنـا في الْمُصَـابِ رَهْنَ التـأسّي ... بـالنَّبيِّ الكَريم والغُـرِّ آلِـهْ

١٨٥ ـ أحمد بن محمد بن محمّد*

الشَّيخ زين الـدِّين بن الْمُغَيْـزِل الحمـوي الخطيب ، أبـو عبـد الله بن الشَّيـخ تاج الدِّين خطيب الجامع الأَسْفَل .

سمع من شيخ الشُّيوخ شرف الدِّين عبد العزيز .

لم يزل في مَرقى[٥] دَرَج منبره ، وإلقـاء العقود النفيسَـة من جوهره ، إلى أن سكت فما نَبَسْ ، ونزل من مِنْبَره إلى الأرض وارْتَمس .

(١) (أ) ، والوافي : « لمن كان » ، وفي (أ) : « من نعاله » .
(٢) (أ) : « فَقِس الطيب » .
(٣) (أ) : « إذ سِرْت » .
(٤) في الوافي : « الخليل » .
* الوافي : ١٢٤/٨ .
(٥) ليست في (أ) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وتسعين وست مئة .

قال شيخنا علم الدِّين البِرْزَالي : أجاز لنا من حماة ، وكان قد سمع من شيخ الشُّيوخ شرف الدِّين عبد العزيز (جُزْءَ) ابن عَرَفَة .

١٨٦ ـ أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكّي*

القاضي نجم الدين القَمُولي ـ بالقاف المفتوحَة وضم الميم وبعدها واو ساكنة ولام ـ .

من الفقهاء الفضلاء والقضاة النبلاء ، وافرُ العقل ، جيِّدُ النقل ، حَسَنُ التصرُّف ، دائمُ البِشر والتعرُّف ، له دِين وتعبُّد ، وانجماعٌ عن الباطل وتفرّد .

قال الفاضل كمال الدِّين جعفر الأدفوي : قال لي يوماً : لي قريبٌ[١] من أربعين سَنة أحكم مَا وَقَع لي حكم خطأ ، ولا أثْبَتُّ مَكْتوباً تُكُلِّم فيه أو ظهر فيه خلل .

سمع من قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة وغيره ، وقرأ الفقه بقوص وبالقاهرة ، وقرأ الأصول والنحو وشَرَح (الوسيط) في مجلدات كثيرة ، وفيه نُقُولٌ غزيرَة[٢] ، ومباحثُ مفيدة سمّاه (البحر المحيط) ، ثم جرَّد نُقُوله في مجلّدات وسمّاه (جواهر البحر)[٣] ، وشرح (مقدّمة) ابن الحاجب في مجلدتين ، وشرح (الأسماء الحسنى) في مجلّد ، وكمّل (تفسير) الإمام فخر الدِّين[٤] .

وكان ثقةً[٥] صدوقاً . تولّى قضاء قَمُولا عن قاضي قوص شرف الدِّين إبراهيم بن عتيق ، ثمَّ تولّى الوجه القبلي من عمل قوص في ولاية قاضي القضاة عبد الرحمن ابن

---

* الوافي : ٩٢/٨ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، وطبقات السبكي : ٣٠/٩ ، والطالع السعيد : ١٢٥ ، والدرر : ٣٠٤/١ ، والبغية : ٣٨٣/١ ، والشذرات : ٧٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٦٤/٢ .

(١) ليست في (أ) ، وهو في كتاب الأدفوي (الطالع السعيد) .

(٢) في الوافي : « عزيزة » . وكذا في الطالع السعيد ، والمنهل .

(٣) الكشف : ٢٠٠٨/٢ .

(٤) الرازي ، المسمّى (مفاتيح الغيب) ، وقد ذكره صاحب الكشف : ١٧٥٦/٢ .

(٥) ليست في (أ) .

بنت الأعَزّ[١] ، وكان قد قَسَم العمل بينه وبين الوجيه عبد الله السُّمرباوي[٢] ، ثمَّ تولَّى إخميم مرَّتين ، وولي أسيوط والمنية والشرقيّة والغربيّة ، ثم نابَ بالقاهرة ومصر ، وتولّى الحِسْبَة بمصر ، واستمرَّ في النيابة بمصر والجيزة والحسبَة إلى أن توفي .

ودرَّس بالفخريّة بالقاهرة ، وكان الشَّيخ صدر الدِّين بن الوكيل يقول : ما في مصر أفقهُ منه ، يقال : إنَّ أصله من أرْمَنْت .

ولم يزل يفتي ويَحْكُم ويدرِّس ويُصنِّف وهو مبجَّلٌ مُعَظَّم إلى أن غَرَبَ نَجْمُه ومُحِيَ من الحياة رَسْمُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وولي نيابة الحكم بعده[٣] الشَّيخ نجم الدِّين بن عقيل البالِسِيّ ، وولي حُسبة مصر ناصر الدِّين فار السقوف .

١٨٧ ـ أحمد بن محمد بن أبي بكر*

ابن عماد الدِّين أبي الحرم مكّي بن مسلّم بن أبي الخوف المعروف بعكوك[٤] شهاب الدِّين .

كانت له مطالعات ، وعنده منها ابتداءات ومراجعات ، ويحفظ للمتأخرين شيئاً عظيماً ، ويُوْرِدُ لهم من جواهرهم عِقْداً نظيماً ، وكان لا اشتغال له ولا عِلْمَ عنده من غير المطالعةِ وتَصَفُّح الدَّواوين الناصعة ، وهو جيِّد النَّقد في القريض ، عارفٌ بما هو صحيح منه أو مريض . وجمع من شعر المتأخرين مجاميع ، وقَصَرها دوت القصائد على المقاطيع .

(١) (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣١/٥ .

(٢) في الطالع السعيد : « السمربائي » .

(٣) (أ) : « بعده بمصر » .

* الوافي : ١٦٠/٨ ، والدرر : ٢٥٢/١ .

(٤) في الوافي : « عوكل » .

وكان له وَقْفٌ يُحَصِّلُ منه في الصَّيف ما يكون له مؤونة في الشِّتاء ، وكان في[١] غالب السنين يصيِّف في الشّام ويُشتّي في مصر ، إلاّ أنَّه كان متزِّقاً إلى الغاية ، متخرِّقاً في نهاية ، يكابد شدائد الفَقْر ، ويَصبر من القلَّة[٢] على ما لها في حاله من العَقْر ، قد زَوَتْه الحشيشة في حُشّ ، ورَوَتْه من الطيش في طشٍّ .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء الطاعون فغسله في جملة ذلك الماعون ، وذلك في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة بدمشق في مستهل شهر رجب ، وكان له من العمر تقريباً أربعون[٣] سنة .

أنشدني من لفظه لنفسه :

نـــاظرُ الجـــامـــعِ الكبـ ـيرِ ظَلـــومٌ إذا قَـــدَر[٤]
ابْلُـــهُ رَبٌّ بـــالعَمَى وأَرِحْـــهُ مِنَ النَّظَرْ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

قُلْتُ لَـــهُ إذْ بَـــدَا وطَلْعَتُـــه قـد أشْرَقَت فـوق قـامَـةٍ تـامَّـهْ
هَبْ لي منـاماً فقـال كيف وقـد رأيت شمس الضحى على قـامـهْ

قلتُ : هُوَ مأخوذ من قول شمس الدِّين التلمساني :

بـدا وَجْهُـهُ من فـوقِ أسْمَرِ قَـدِّه وقد لاح من سُودِ الذَّوائبِ في جُنْحِ
فقُلْتُ عجيبٌ كيف لا يذهب الدُّجا وقد طَلَعت شمسُ النَّهار على رُمْح[٥]

---

(١) ليست في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « العلّة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) (خ) : « العمر نيّفاً وأربعون » .
(٤) (أ) ، (خ) : « اقتدر » .
(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي : « لم يذهب » .

وأنشدني من لفظه[١] في العايق[٢] الطَّباخ :

قد غلب العايق في قَوْلِه ... لَمّا أتى الطاعونُ بالحادث
فحيَّتي تُقْتَل من يومها ... وأنت في يومين والثالث[٣]

وكتب إليَّ ونحن بالقاهرة :

أيا فاضلاً ساد الورى بفضائل ... تَنَاهت فما أضحى لَهُنَّ بديلُ[٤]
تَقَمَّصتَ ثوبَ العلم والحلم والنَّدى ... فأنت صلاحٌ للورى وخليلُ
ولستَ خليلاً بل خليجاً لوارِدٍ ... غَلِطْتُ فسامحني فنَيْلُك نِيلُ

فكتبتُ أنا الجواب إليه :

أيا ابن أبي الخوف الذي أمِنَتْ به ... طرائقُ نَظْمٍ واستبانَ دليلُ[٥]
لقد فُتَّ غايات الأُولى سبقوا إلى ... نهاياتِ فضلٍ ما إليه سبيلُ
فأنت على هذا الزَّمانِ كُثَيِّرٌ ... ورأيُك في النَّظم البديع جميلُ

١٨٨ ـ أحمد بن محمد*

شهاب الدِّين المعروف بالحاجبي ـ بحاءٍ مهملة ، وبعد الألف جيمٌ وباءٌ موحَّدة ـ .

شابٌّ جنديّ ، ذهنه أمضى من الهنديّ ، يَتَخَيَّل[٦] المعنى الغامض ، ويورد اللَّفظ

---

(١) (أ) ، (خ) : « لفظه لنفسه » .
(٢) في الوافي : « ابن العائق » .
(٣) (أ) ، (خ) ، والوافي : « في يومها » . وفي الوافي : « وذاك في .. » .
(٤) (أ) ، (خ) ، والوافي : « عديل » .
(٥) في الأصل : « سبيل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
* الوافي : ١٦١/٨ ، والدرر ٣١٢/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٨/٢ .
(٦) في (أ) ، (خ) : « يتحيل » بالحاء المهملة .

الْحُلْوَ لا الحامض ، مقاطيعه رائقة ، ومعانيه بالقلوب لائقة . اجتمعت به في سُوق الكتب بالقاهرة في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أقولُ شَبِّه لنا جيْدَ الرَّشا تَرَفاً ... يا مُعْمِلَ الفكر في نَظْمٍ وإنشاءِ
فظلّ يُجْهِدُ أياماً قريحَتَهُ ... وشبّه الماءَ بعد الجهد بالماء

فقلت له : أطلقت الرشا ههنا ، ولو قلت : الرشا الذي سباني ، أو جيد معذّبي . لكان أقعد في التوطئة ، ثم أنشدته فيما بعد لنفسي :

أقول شَبِّه لنا كأساً إذا مزج الـ ... ساقي طلاها اهتدى في ليله السّاري
فظل يُجهد أياماً قريحته ... وشبّه النّار بعد الجهد بالنّار

فقال : إلاّ أنّني[1] أنا أتيت بالمثل السائر ، فأنشدته فيما بعد لنفسي :

أتى الحبيبُ بوجهٍ جلَّ خالقُه ... لما براه بلطف فتنة الرّائي
فلاح شخصُ عذولي وَسْطَ وَجْنَته ... فقلت شَبِّهْهُ لي في فرط لألاء
فراحَ يُجْهِدُ أياماً قريحته ... وشبّه الماء بعد الجهد بالماء

قلت : وأصل هذا المثل أنّ الوجيه ابن الذروي[2] دخل يوماً إلى الحمّام ومعه ابن وزير الشّاعر[3] ، فقال ابن وزير[4] :

لله يَوْمِي بحمّامٍ نعمتُ بها ... والماءُ ما بيننا من حولها جارِ
كأنّه فوق شفّاف الرّخام ضحىً ... ماءٌ يسيل على أثواب قصّارِ[5]

(١) ليست في (أ) ، (خ) .
(٢) علي بن يحيى (ت ٥٧٧ هـ) ، فوات الوفيات : ١١٣/٣ .
(٣) هو النجيب هبة الله ، الخريدة ـ قسم مصر : ١٤٣/٢ .
(٤) فوات الوفيات : ١١٣/٣ .
(٥) في الأصل وباقي النسخ : « فوق شقات » ، وأثبتنا ما في الفوات .

فقال ابن الذَّرَوي[١] :

وشاعرٍ أوقدَ الطبع الذكيَّ له ... فكاد يحرقه مِنْ فرط إذْكاء
أقام يُعملُ أياماً قريحتَه ... وشبه الماء بعد الجهد بالماء

وكان هذا شهاب الدِّين الحاجبي كثيراً ما يتَّبع كلامي ، ويقصد إصابةَ مراميْ ولَمّا سمع قولي قديماً[٢] :

قالتْ لأيْرَي وَهْوَ فيها ضائع ... كالْحَبَل وَسْطَ البير إذ تُلْقِيه
قد عِشْتَ في كسّ كبير قلت ما ... كَذَبَتْ لأنَّ الكاف للتشبيه[٣]

قال هو واختصر وأجاد :

رُبَّ صغيرٍ حين ولَّفْتُه ... أيْقَنْتُ لا يدخل إلاّ اليسيرْ
ألفيته كالبير في وُسْعِهِ ... حتّى عجبنا من صغيرٍ كبير[٤]

وكذا لَمّا سمع قولي :

يا طيب نشر هبّ لي من نحوكم ... فأثارَ كامِنَ لَوْعَتي وتهتُّكي[٥]
أدّى تحيتكم وأشبه لطفكم ... وروى شذاكم إنّ ذا نشر ذكي[٦]

نظمه أيضاً فقال :

لا تَبْعثوا غير الصَّبا بتحيّة ... ما طاب في سمعي حديثُ سواها
حفظتْ أحاديثَ الهوى وتضوَّعتْ ... نَشْراً فيالله ما أذكاها

(١) انظر : الفوات : ١١٣/٣ .
(٢) البيتان في الغيث المسجم : ٢٣٧/٢ .
(٣) في الأصل : « لا كذبت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي ، والغيث .
(٤) في الأصل : « في وسطه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي والمنهل « من أرضكم » .
(٦) (أ) ، (خ) : « أدى محبتكم » ، وفي الوافي والمنهل : « وحكى شذاكم » .

ولَمّا أنشدنيها قلت له : إلاّ أنّك نقَصتها[1] صفةً عمّا وصفْتَها به ، فاعترف .

ولم يزل الحاجبي على حاله إلى أن ذَهَبَتْ عَيْنُه وأثَرُهْ ، وأقام في لحده إلى أن يشقّه الله يوم القيامة ويبعثِرُهْ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وأنشدني الشّيخ ناصر الدّين محمّد بن يعقوب الْمُكَتِّب المصري من لفظه ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدّين الحاجبي ، رحمه الله تعالى :

قيـــل لي إذ لثمت وَرْداً على الخـ ـــد جنيّـاً من دونـه الجلّنـارُ
هـل لـورد الخـدود يـا صـاحِ شـوكٌ مثـل وردِ الريـاض قلت العـذار

وبه قال : أنشدني :

عـــودوا لصبٍّ بكى عليكم يـــا جيرةً وَدَّعـوا وســـاروا
فَـدَمْـعُ عَيْنَيْـه عـادَ بَحْراً وقَلْبُـه مَـنْـزِلُـهُ قَرارُ

وبه قال : أنشدني :

ودَّعتهم ودمـــوعي على الخـــدود غِـــزارُ
فـــاستكثروا دَمْـــعَ عَيْني لَمّـــا استقلّـوا وســـاروا

وبه قال : أنشدني :

إلى الله أشكـو من عليَّ فـإنّني شرحتُ لـه شَـوْقي وفَرْطَ تـألّمي
وأحـوجني للغير بيني وبينـه ويحتـاج مَنْ يَهْـوى عَلِيّـاً لِسُلَّمِ

وبه قال : أنشدني :

قُلْتُ هَـــلْ لي من دواءٍ قـــد غَـــدا جِسْمي عليـلاً
قـــال تَسْلُـــو عن عَليٍّ قُلْتُ أمَّـــا عَنْ عَلِيْ لا

(١) (أ) : « نقضتها » .

١٨٩ ـ أحمد بن محمد بن قلاوون*

السّلطان الملك الناصر ابن الملك النّاصر ابن الملك المنصور .

كان أحسنَ الأخوة شكلاً ، وأرْجَحهم ثباتاً في أوّل أمره وعقلاً ، شديدَ الباس ، مفرطَ القوّة من غير التباس ، ولم[١] يرَ أحدٌ ما اتَّفق له من السَّعد ، ولا سمع أحدٌ بما[٢] قُدِّر له من التَّعاسة فيما بعد ، ذهبت[٣] أموال النّاس وأديانهم وأرواحهم بسببه ، وأجلسوه على كرسي المُلْك ، فما طلع في صُعُد شأنه حتّى انحطّ في صببة ، ولم يزل في خمول وخمود ، وجدود عُفِّرت منه الخدود ، وأنزلته بعد الثريّا إلى[٤] أخدود ، إلى أن فرَّق الحسام بين جسده ورأسه ، ونقله بعد عزّ غابه إلى ذلٍّ كُنَاسِه ، وما برح في محبّة[٥] الكرك ، إلى أن وقع منها في وسط المعترك ، وكان في عالم الإطلاق فأوقع نفسه منها في الشَّرَك ، وحطَّه النّاس في دَرَج الملك فما أراد إلاّ أن يكون في دَرَك ؛ وذلك لأنَّ والده أخرجه في أوّل صباه إلى الكرك ، والنائبُ هناك الأمير سيف الدّين ملكتمر[٦] ـ رحمه الله تعالى ـ السّرجواني فأقام بها قليلاً ، وجهَّز إليه أخويه إبراهيم وأبا بكر المنصور ، فأقاموا بها إلى أن ترعرعوا ، وطلبهم والدهم فأقام إبراهيمُ وأبو بكر بالقاهرة ، وعاد أحمد إلى الكرك ، ثم إنَّه طلبَه إلى القاهرة ، وزوَّجه بابنة الأمير سيف الدّين طاير بغا خال السلطان ، وأقام قليلاً ، وأعاده بأهله إلى الكرك ، فوقع بينه وبين الأمير سيف الدّين ملكتمر السّرجواني ، فأحضرهما السلطان ، وغضب عليه والدُه ، وتركه

---

* الوافي : ٨٦/٨ ، والدرر : ٢٩٤/١ ، والبدائع : ٥٠٣/١/١ ، والنجوم : ٥٠/١٠ ، والمنهل الصافي : ١٥٨/٢ .

(١) (أ) ، (خ) : « لم » .

(٢) (أ) : « ما » .

(٣) في الأصل : « ذهب » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .

(٤) (أ) ، (خ) : « في » .

(٥) (أ) : « محنة » .

(٦) في الأصل : « تذكز » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

مقيماً بالقاهرة مُدَيْدَة[١] . ثم إنَّه جهَّزه إلى الكرك وحده[٢] بلا نائب ، فأقام بها إلى أن توفي والده[٣] ، ولم يسند الأمرَ بعده إليه ، بل أوصى بالْمُلْك للمنصور[٤] أبي بكر ، فقام بشتاك في ناصره ، وقام قوصون في ناصر أبي بكر ، وغلب قوصون على إقامة أبي بكر فأقام المنصور في الْمُلْك مدَّة شهرين ، وخلعه قوصون ، وأقام الأشرف كُجك وسيَّر[٥] قوصون يطلب النّاصرَ أحمد إلى القاهرة ، فلم يوافق ، وكتب في الباطن إلى نواب الشّام ومُقَدَّمي الألوف يستجير بهم ويستعفي من الرَّواح إلى مصر ، وأظهر الذّلة والمسكنة الزائدة ، فرقّوا له في الباطن وحملوا الكتب إلى قوصون خلا الأمير سيف الدِّين طشتمر حمّص أخضر ، فإنَّه رقَّ[٦] في الباطن والظاهر ، فخرج على قوصون وتعصَّب لأحمد ، وكتب إلى نوَّاب الشّام وقام قياماً عظيماً على ما سيأتي في ترجمته ، وأمّا قوصون فإنَّه لَمَّا[٧] وقف على كُتُبه إلى النوَّاب طلب الأمير سيف الدِّين قطلوبغا الفخري وجهَّزه لحصار الكرك ، وجهَّز معه ألفي فارس ، فتوجَّه إلى الكرك وحَصَرَها أياماً ، ثمَّ إنَّه رقَّ لأحمد ، وبلغه أنَّ ألطنبغا نائب الشَّام قد توجَّه بعسكر دمشق إلى حلب خلف طشتمر[٨] ، فترك حصار الكرك وجاء إلى دمشق وتسلَّمها ، ودعا النّاس إلى بَيْعَة أحمد ، وسمّاه النّاصر ، وجرى له ما جرى على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة قطلوبغا الفخري ، ولَمّا أن[٩] عاد ألطنبغا من حلب والتقاه الفخري وانهزم ألطنبغا إلى مصر وخامر عسكره عليه ودخلوا في ركاب الفخري إلى دمشق ونزل بالقصر الأبلق وحَلَّف

(١) ليست في (أ) ، (خ) .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) انظر البداية والنهاية : ١٩٠/١٤ ، أحداث سنة (٧٤١ هـ) .
(٤) (أ) ، (خ) : « إلى الملك المنصور » .
(٥) في الأصل : « وصيّر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٦) (أ) ، (خ) : « رقّ له » .
(٧) (أ) ، (خ) ، والوافي : « قوصون فلَمّا » .
(٨) في الأصل : « طمتر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٩) ليست في (أ) ، (خ) .

النّاس جميعاً لأحمد ثمَّ إنَّ الفخري جهَّز[١] الأمير سيف الدِّين قماري وسليمان بن مهنّا وغيرهما من الأمراء[٢] إلى الكرك ، وقصد منه الحضورَ إلى دمشق ، فلم يحضر وتعلَّل بحضور طشتمر ، وكان قد تسحَّب إلى الرّوم ، وكتب النّاصر أحمد إلى الأمير سيف طقزتمر نائب حماة وإلى الأمير بهاء الدِّين أصلم نائب صفد وإلى مُقدّمي الألوف بدمشق يقول لهم : إنَّ الفخريَّ هو نائبي ، وهو يولِّي النيابات من يراه .

ولَمّا وصَل طشتمر من بلاد الرّوم إلى دمشق ، وكان أمراء مصر قد خرجوا على قوصون واعتقلوه في سجن الإسكندريّة ، بعث الفخريُّ وطشتمر إلى النّاصر أحمد وسألاه الحضور إلى دمشق ليَتَوَجَّها في خدمته بالعساكر إلى الدِّيار[٣] المصريّة ، فدافعهما[٤] إلى بعد مضيّ شهر رمضان[٥] ، وتوجَّه إليه أكابر مُقدَّمي الألوف من مصر مثل الأمير بدر الدِّين جنكلي وأمثاله ، وسألوه التوجُّه معهم إلى مصر ، فلم يوافق وعادوا خائبين ، وترك أهلَ الشام ومصر في حَيْرة بعدما حلف الجميعُ له ، ثم إنَّه بعد ذلك توجَّه وحدَه إلى القاهرة ، ولم يشعر المصريون إلاَّ وقد جاء خبرُه بوصوله ، وصعد إلى القصر الأبلق بقلعة الجبل ، ولَمّا وصل الخبرُ إلى دمشق توجَّه الفخري وطشتمر بعساكر الشّام وقضاته إلى مصر ، وكانت سنةً شديدةَ الأوْحَال كثيرة الثلوج والأمطار ، وجُبيت الأموال من كبارِ النّاس وصغارهم لنفقات العساكرِ ولعمل شعار المُلْك وأبّهة السّلطنة ، فهلك النّاس .

ولَمَّا وصلوا إلى مصر جلس النّاصر أحمد على كرسيّ المُلْك وإلى جانبه أميرُ المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو القاسم أحمد[٦] ـ وقد مضى ذكره ـ وحضر قضاة مصر

(١) سياق العبارة في الوافي أنها جواب لـ (لَمّا) .
(٢) قوله : « من الأمراء » ، ليست في (أ) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « بالديار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وما فيهما أنسب .
(٤) في الأصل : « فدافعها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٥) (أ) ، (خ) : « مضي شهرين » .
(٦) البداية والنهاية : ١٤/٢٠٠ .

والشام الثانية ، واجتمعت عساكر مصر والشام ، وعَهِد الخليفةُ إليه بحضور العالمين ، وحلف المصريون والشّاميون[١] ، ولم تتفق مثلُ هذه البيعة لأحد من ملوك الأتراك ، لاجتماع أهل الإقليمين في يوم واحد بحضور الخليفة ، وكان يوماً مشهوداً عظيماً .

ثمَّ إنَّه وَلَّى طشتمر نيابةَ مصر ، وقطلوبغا الفخري نيابةَ دمشق ، وإيدغمش أمير آخور نيابةَ حلب ، والأحمدي بيبرس نيابةَ صفد ، والحاج آل ملك نيابةَ حَماة ، والأمير شمس الدِّين آقسنقر نيابةَ غزّة ، ولَمّا فعل ذلك بهؤلاء الأكابر خافه النّاس وهابوه وأعظموا أمْرَه ، وبعد أربعين يوماً من ملكه أمسك طشتمر وأخذه معه إلى الكرك ، وبعث إلى إيدغمش بأن يُمْسك الفخريّ ، فأمسكه وجهَّزه إليه مع ابنه ، فلَمّا وصل[٢] به إلى الرمل جاء مِن عند الناصر أحمد مَنْ أخذه منه وتوجَّه به إلى الكرك ، وأخذ الناصرُ أحمد معه من مصر سائرَ الخيول الثمينة الجيِّدة التي في إصطبل السلطنة ، وجميع البقر والغنم التي بالقلعة ، وأخذ الذهب والدراهم وسائرَ الجواهر وما في الخزائن ، وتوجّه بجميع ذلك إلى الكرك ، وجعل الأمير آقسنقر السلاري نائباً بمصر ، وأخذ معه القاضي علاء الدِّين بن فضل الله كاتب السّر والقاضي جمال الدِّين جمال الكفاة ناظر[٣] الجيش والخاص وجعلهما عنده في قلعة الكرك ، واستغرق هو في لهوه ولعبه وما سوَّله[٤] له الشَّيطان ، واحتجب عن النّاس مُطْلَقاً ، وسيّر من يمسك الأحمدي بصفد ، فلَمّا أحسَّ بذلك هربَ من صفد وجاء إلى دمشق ، وجرى ما سيأتي ذكره في ترجمة الأحمدي ، ثم إنَّه أحضر الفخري[٥] وطشتمر يوماً وضرب عنقيهما[٦] صَبْراً ، وأخذ حريمها وسباهُنَّ وسلَّط عليهنَّ نصارى الكرك ، ففعلوا بهنَّ كلَّ قبيح ، فحينئذ نفرت منه

(١) ليست في (أ) .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) في الأصل : « وناظر » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٤) (أ) : « سوّل » .
(٥) في الأصل : « أحضر الأحمدي الفخري » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٦) في الأصل : « عنقها » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

القلوب ، واستوحش النّاس منه ، ولم يعد[١] يحضر من الكرك كتاب ولا توقيع بخطّ موقّع ، إنّما يرد ذلك بخط نصراني يُعرف بالرّضي ، وإذا توجّه أحد إلى الكرك لا يرى وجه السُّلطان ، وإنّما الذي يدبّر الأمورَ واحدٌ من أهل الكرك يعرف بابن البصّارة ، فماج النّاس لأجل ذلك في الشّام ومصر ، وجهّز المصريون إليه الأمير سيف ملكتمر الحجازي ليرى وجه السلطان ، فلمّا بلغه وصوله جعله مقيماً بالصّافية أياماً ، ولم يستحضره ولا اجتمع به ، فرُدَّ على حاله إلى مصر ، فأجمع المصريون رأيَهُم على خلعِهِ وإقامة أخيهِ إسماعيل مكانَه ، فخلعوه ، وحلفوا للصّالح إسماعيل[٢] ، وحضر الأمير سيف الدّين طقتمر[٣] الصّلاحي للبشارة إلى دمشق ، وحلّف عساكر الشّام ، وكان يومُ خلعه يوم الخميس ثاني عشر[٤] شهر الله المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وكان مدّة ملكه بالقاهرة والكرك دون الأربعة أشهر .

ولَمّا استقرَّت الأحوال وثبت ملك الصّالح أمر بتجهيز العساكر من مصر والشّام لحصار الكرك ، فتوجّه النّاس ، وكلّما حضرت فرقة توجّهت فرقة من مصر والشّام ، فيُجرح[٥] من هؤلاء ومن هؤلاء ويقتل منهم جماعة ، وهلك النّاس أجمعون بسببه من التجاريد ، وسُخِّر النّاس لحمل الأتبان والشعير والمؤن للعساكر ، وجرّ المجانيق والأثقال والسّلاح وآلات الحصار من الدّبابات وغيرها ، وطال الأمر ولم يبقَ أمير في مصر والشّام حتّى تجرَّد إليه مرّة ومرّتين .

قال لي الأمير بدر الدّين جنكلي بن البابا رحمه الله تعالى الذي خصني على النّاصر في كلفة قدومه من التقدمة له ومن النفقة على التجاريد والتوجّه إليه ألف[٦] ألف

(١) ليست في (أ) .
(٢) البداية والنهاية : ٢٠٢/١٤ .
(٣) (أ) : « طيمتر » ، و (خ) : « طقزتمر » ، تحريف .
(٤) في الوافي : « ثاني عشرين » .
(٥) في الأصل : « فيخرج » ، تصحيف .
(٦) (أ) ، (خ) : « مبلغ ألف » .

وأربع مئة ألف ، وأُمسك بسببه جماعة من أمراء مصر ، ثم أُمسك نائب مصر السّلاري ، ووُسِّط الأمير سيف الدِّين بكا الخضري ومعه جماعة من المماليك السُّلطانية ، وأمسك أخوه رمضان وأخوه يوسف ، وقضى الله أمره فيهما ، وأخذ أمرُ النّاصر أحمد في التّلاشي ، وهلك مَنْ عنده من الجوع ، وذَبح تلك الخيول الثمينة والأبقار والأغنام وقدَّدها ، وضرب الذهب دنانير وخلط فيها الفضة والنحاس ، وكان يباع الدِّينار بخمسة دراهم ، وهرب النّاس من عنده .

ثمَّ إنَّ الأمير علم الدِّين سنجر الجاولي جدَّ في حِصَاره لأنَّه وقف يوماً من القلعة وسَبَّه ولعنه وشيخه ، فقال له : السّاعةَ أفرجّك كيف يكون الحصار ، ونقل المنجنيق إلى مكانٍ يَعرفه ، ورمى القلعة فوصل الحجُر إليها وأنكى فيها وخرَّب السورَ ، وطلع النّاس إليها وأمسكوه في يوم الإثنين ثاني عشر[١] صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة وجَزّوا رأسه ، وجهَّزوه مع الأمير سيف الدِّين منجك إلى القاهرة .

وقلت أنا فيه :

أعوذ بالله ممّا راح يعكسه الـ ـباري تعالى وما يُجري به الفلكا[٢]
كأحمد النّاصر بن النّاصر انعكست سعوده عنه حتّى راح ما ملكا[٣]
فما تمتع بالملك المعظم في مصر وزال وما أبقى له الكركا

١٩٠ ـ أحمد بن محمّد بن عثمان*

القاضي صَفيّ الدِّين بن قاضي القضاة شمس الدِّين الحريريّ الْحَنَفيّ ، وسيأتي ذِكْرُ والدِه في المحمّدين إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الوافي : « عشرين » .
(٢) (أ) ، (خ) : « الباري ولله ما يجري به » .
(٣) (أ) : « فأحمد » .
* الدرر : ٢٧٩/١ ، والذيل التام : ١٥٣ .

كان هذا القاضي صفيّ الدِّين شكِلاً ضخماً مفرطاً في السِّمَن يخطئ العاقل إذا جاء في الاستفهام عنه بـ (مَنْ) ، له نوادرُ مُضْحِكة مَا فَرِحَ بمثلها جُحا ، ومَتى سُمِعَتْ كان الثاني على الأوّل مُرَجَّحاً ، أعجوبةٌ من الأعاجيب ، وأحدوثة لم يُسمع بمثلها إلاّ وظُنَّ أنّها من الأكاذيب ، يتداول النّاس أخبارَها ، ويتشوَّفون[١] إلى أن يَسْمَعُوا علماءَها بذلك وأحْبَارَها[٢] ، إلاَّ أنَّه كان يَنْطَوي على دِيَانَةٍ ، ويجعل الخوفَ من ربِّه عِيَانَه .

ولم يزل على حاله إلى أن حلَّت به الدُّرَخْمين[٣] ، وصدق في عدمه الْحَدْس والتخمين .

وتوفي رحمه الله تعالى في نهار السَّبت تاسع عشر شهر ربيع الأوَّل سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

كان مدرِّساً بالمدرسة الصَّادريّة بباب البريد بدمشق[٤] ، وبيده ، على غالب ظنيّ ، إمامةُ الظاهريّة داخل دمشق للحنفيّة[٥] .

طلبَهُ السُّلطان إلى مصر وولاَّه التدريس فقال والده : هذا ابني ما يصلح ، فقال السُّلطان : لِهذا الكلام أنا أولِّيه ، وألْبَسَهُ تشريفاً ، وأعاده إلى دمشق .

وله غرائبُ تُحْكَى عنه ؛ منها : أنَّه تأذَّى من بَغْلَةٍ كانت عنده يركبُها ، فقال للغلام : لا تعلِّق عليها شيئاً هذه الثلاثة أيّام ، فجاء إليه آخر النهار وقال : هذه البغلة إذا لم تأكل عليقها[٦] تحمَرُ ، فقال له : علِّق عليها ولا تقل إنَّك قلت[٧] شيئاً .

---

(١) (خ) : « ويتشوَّقون » .

(٢) في الأصل : « وأخبارها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) هي الداهية .

(٤) أنشأها صادر بن عبد الله سنة (٤٩١ هـ) ، وهي أوّل مدرسة أنشئت بدمشق . الدارس : ٤١٣/١ .

(٥) في الأصل : « الحنفية » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، وهي أنسب .

(٦) « عليقها » ليست في (أ) ، ولعلَّه يريد : تصبح حماراً .

(٧) في (أ) : « ولا تقل لها إني قلت » ، وأشار في الحاشية إلى ما وقع مثله في نسخة الأصل ، وفي (خ) : « ولا تقل إنك قلت لي » . وعبارة الدرر : « ولا تقل لها إني أذنت » .

ولامه بعض النّاس في كبرها وأن يستبدل بها ، فقال : لا والله هذه أشمُّ فيها[١] روائح الوالد ، يعني أنَّها من خَيْله .

ومنها أنَّه كان في يومِ طينٍ راكبَ البغلةِ وهو مارّ في الطريق ، فرأى قاضي القضاة نجم الدِّين بن صَصْرَى متوجِّهاً إلى الجامعِ الأُموي ماشياً ، فرجع بين يديه بالبغلة يحجُبه وهو يقول له[٢] : يا مولانا ارجع حسبنا الله ، فيقول : الله الله يا مولانا قاضي القضاة ، ولم يزل حتّى وقع حافر البغلة في طين وفَقَس عليه ، فطلع من ذلك ما جعل ثياب قاضي القضاة شهرة[٣] ، فقال له : ارجع يا مولانا فقد حصل المقصود .

ومنها أنَّ والده أحضر له شيخاً يقرئه النحو ، فلازمه مُدَّة ، فأراد والدُه امتحانَهُ يوماً ، فقال له : « قنديل » اسم أو فعل أو حرف ؟ فقال : فعل ، فقال[٤] : لِمَ قلت إنَّه فعل ؟ قال : لأنَّه يحسن دخول (قد) عليه . فقال له : كيف يكون ذلك ؟ فقال : لأنك تقول (قِد قنديل) يعني بكسر القاف مِنْ (قِد) يُريد فعل أمر من الوقيد .

ومنها أنَّه أراد أن يُشَغِّله في الحساب ، فأحضر إليه من يقرئه ذلك فقال له الشَّيخ : أحد في أحد أحد ، فقال هو[٥] : لا نُسَلِّم ، أحدٌ في أحد اثنين . فقال الشَّيخ : يا سيِّدي المراد أحد مرَّة واحدة ، فقال : نعم ، ظهر ، فقال الشَّيخ : اثنان في أحد اثنان ، فقال : لا نُسَلِّم . اثنان في أحد ثلاثة ، فقال الشَّيخ : يا سيِّدي المراد بذلك أحد مرتين ، فقال : ظهر . فقال الشيخ : أحد في ثلاثة ثلاثة ، فقال : لا نسلم ، أحد في ثلاثة أربعة ، فقال الشَّيخ : يا سيِّدي المراد أحد ثلاث مرّات ، فقال : نعم ظهر ، ولم

(١) في الأصل : « منها » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهي أشبه .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) الشُّهرة : ظهور الشيء في شنعة .
(٤) (خ) : « فقال له » .
(٥) ليست في (أ) .

يزل الشَّيخ إلى أن قال : اثنان في اثنين أربعة ، فقال : هذا مسَلَّمٌ ، فقال له الشَّيخ : اثنان في ثلاثة ستّة ، فقال : لا نُسلِّم ، اثنان في ثلاثة خمسة ، فقال الشيخ : يا سيِّدي المراد اثنان ثلاث مرّات ، فقال : نعم ظهر ، فقال الشَّيخ : اثنان في أربعة ثمانية ، فقال : لا نسلِّم ، اثنان في أربعة ستّة ، فنفر الشَّيخ وقال : إنْ سلَّمت وإلاَّ ، الله[١] لا يُقَدِّر لك تسَلِّم ، ومضى وتركه .

ومنها أنَّه دخل يوماً إلى المدرسة الصّادرية ، فرأى الشَّيخ نجم الدِّين القحفازي[٢] خارجاً من بيت الطَّهارة ، فقال له : يا مولانا آنستم مَحَلَّكم ، فقال الشَّيخ نجم الدِّين : قبحك الله .

ومنها أنَّه شكا لطبيب يوماً سمنه ، وما يجده من البَلْغَم ، فقال له : يا مولانا [٣] تعانَ الرياضة كل يوم بُكْرَةً إمّا [٤] أن تعالج بشيء ثقيل ، فقال : ما أقدر فقال : خذ قوسَ كُبَّاد ومُدَّهُ كلَّ يوم بكرة[٥] عشرين ثلاثين مرَّة ، فقال : هذه[٦] نعم ، ومضى إلى[٧] القوّاسين وطلب قوس كبّاد ، فأُحضر إليه ذلك ، فذاقه بلسانه وردَّه ، وقال : هذا ما هو الغرض ، قيل له : لأيِّ شيء ، قال : ما هو حامض مثل الكبّاد .

وحكاياته كثيرة ، وهذا القَدْرُ منها كافٍ .

---

(١) ليست في (أ) .
(٢) في الأصل : « التحفازي » ، تحريف ، وقد سلفت ترجمته .
(٣) قوله : « له يا مولانا » ، ليس في (أ) .
(٤) كذا ، والأرجح أنه يريد : وإمّا .
(٥) ليست في (أ) .
(٦) (أ) ، (خ) : « هذا » .
(٧) ليست في (أ) .

١٩١ ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان*

الواسطي الأصل الأُشْمُومي[١] المولد والدار ، الشَّيخ الإمام الفقيه جمال الدِّين أبو العبّاس المعروف بالوَجيزيّ لحفظه كتاب (الوجيز) واعتنائه به .

كان من الفقهاء القدماء والأئمة الذين هم[٢] للعلم في اللَّيل والنهار من الندماء . تولَّى[٣] قليوب والجيزيّة ، ثمَّ ضَعُف عن الحركة لبرد الحرارة الغريزيّة ، فلزم بيته حتى فَنِيَ ذبولاً ، ولقي من الله تعالى قبُولاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس شهر رجب الفرد سنة تسع وعشرين وسبع مئة . وكان يَذْكُر أنَّه أسنُّ من قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة بسنةٍ أو سنتين ، ودفن بالقرافة .

١٩٢ ـ أحمد بن محمد بن عباس بن جَعْوان**

الشَّيخ الإمام الزاهد الورع شهاب الدِّين بن كمال الدِّين الأنصاري الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً متقشِّفاً منقطعاً عن النّاس ، سمع الكثير بإفادة أخيه شمس الدِّين[٤] وحدَّث بـ (جُزْء) ابنِ عَرَفة عن ابن عبد الدائم ، وكان يكتب في[٥] الفتوى ، ويُعتمد عليه في نقل المذهب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة تسع وتسعين وست مئة بالمدرسة النّاصريّة ، ودفن برّا الباب الصغير .

---

* الدرر : ٢٤٣/١ ، ووقع في (أ) : « أحمد بن محمد بن سليمان » .

(١) نسبة إلى أُشموم . قال ياقوت : « اسم لبلدتين بمصر » معجم البلدان : ٢٠٠/١ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : تولَّى قضاء .

** الشذرات : ٤٤٤/٥ .

(٤) محمد بن محمد (ت ٦٨٢ هـ) ، النجوم الزاهرة : ٣٦٠/٧ .

(٥) ليست في (أ) .

١٩٣ ـ أحمد بن محمّد بن قطّينة*

الشَّيخ الجليل العَدْل شهاب الدِّين الزَّرْعيّ التّاجر .

كان تاجراً مشهوراً بدمشق ، ذا أموال ومَتاجِر وسعادةٍ وبضائعَ في كلِّ صنف . ذكر أنَّه في سنة قازان بلغت زكاةُ ماله خمسةً وعشرين ألفاً ، والله أعلم بما تجدَّد له بعد ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في بستانه المعروف بالمدفع في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وكان في شهر ربيع الأوَّل سنة أربع عشرة وسبع مئة قد أُمْسِكَ هو وعبد الكريم الحريري لمرافعةٍ وقعت في حقهما وأنَّهما يكاتبان قراسنقر[١] ، وأنَّ لهما تجارةً في السلاح إلى البلاد الشرقيّة ، ثم ظهر كذبُ المرافع ، فقطع لسانه وعُزِّرَ ، ثم ضرب[٢] ضرباً كثيراً ومات وأُفرج عنهما . وفي سابع عشري ذي الحجّة سنة أربعِ عشرة وسبع مئة خُلِعَ على الصاحب عزّ الدِّين بن القلانسي[٣] باستمراره على نظر الخاص ، وعلى الصاحب شمس الدِّين غبريال بتولية الأوقاف المنصوريّة ، وعلى شهاب الدِّين بن قطّينة بوكالة الخواص السُّلطانيّة .

١٩٤ ـ أحمد بن محمد بن محمد بن علي**

ابن محمَّد بن سليم الصّدر الرئيس الفاضل شهاب الدِّين بن قُطب الدِّين بن الصّاحب تاج الدِّين بن فخر الدِّينِ بن الصّاحب بهاء الدِّين بن حَنَّا الشّافعي العَدْل .

---

* البداية والنهاية : ١٠٧/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٩٢ ، والدرر : ٢٩٤/١ .

(١) الأمير شمس الدين الجوكندار المنصوري (ت ٧٢٨ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٢) (أ) : « وضُرِبَ » .

(٣) حمزة بن المؤيَّد بن القلانسي الدمشقي (ت ٧٢٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

** لم نقف على ترجمة له .

كان فاضلاً رئيساً كبيرَ الهِمَّة نفيساً ، مليح المحيّا من بيتٍ يتضوَّع في السِّيادة ريّاً ، حسنَ العبارة جميلَ الشّارة لطيفَ الإشارة . لم يزل إلى أن حَنَّ الموتُ إلى ابن حنّا ، وجعل جَسَده في البلى شنّاً .

وتُوفّي رحمه الله تعالى في عاشر جُمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ودفن عند أهله بالقرافة ، وكان في عُشْر الأربعين .

١٩٥ ـ أحمد بن محمد بن إسماعيل الإربلي*

الشَّيخ شهاب الدِّين المعروف بالتعجيزي ، لأنَّه كان يحفظ (التعجيز) ، وحفظ شيئاً من الحديث وعلومه ، ومعه خطوط الأشياخ بذلك .

كان نوعاً غريباً وشخصاً عجيباً ، وعَقْلُه أعجبُ من كُلِّ عجب ، وشعره كما قيل في المثل : « ترى العَجَبَ في رَجَب »[١] ، ألفاظ لا يقدر الفاضل الذكيُّ على[٢] أن يأتي لها بنظير ، ولا يتكلَّف البارع النحرير على أن يجيء بمثلها إلاَّ إن كان في باشة[٣] وزنجير ، شعرٌ ليس فيه غيرُ الوَزْن ، وألفاظٌ ما تحدَّثَ بها أهلُ سَهْلٍ ولا حَزْن ، فإذا أنصف العاقل وفكَّر فيه جدَّ الفكرةِ عَلِمَ أنَّ هذا في الوجود فَذّ ، وهو ممّا ندر وجوده في العالم وشَذّ ، وهذا لو لم يكن طباعاً منه بلا[٤] تكلُّف وسجيّة يوردها على رسله من غير تخلُّف ، لقدر الفضلاء على محاكاته وتكلَّفوا المشابهةَ له في بعض[٥] حركاته ، هذا مع صورة جَلَّ مَنْ خَلَقها ، ولحيةٍ ما ظلم مَنْ أخذ الموسى وحلقها ، رَأَيْتُه مرّاتٍ عديدة ، ولقيته في مظاهرَ جديدة ، فما كنت أقضي العجب من كلامه ، وأتطفَّل على سلامهِ .

---

* الدرر : ١/٢٥٥ .

(١) أصل المثل : عش رجباً ترى عجباً . انظر الوسيط في الأمثال : ١١٩ .

(٢) ليست في (ا) .

(٣) كذا ، ولم نتبيَّن معناها .

(٤) (أ) : « لا » .

(٥) ليست في (أ) .

ولم يزل على حاله إلى أن مرض مَرَضاً طويلاً وبقي مدَّة يُرى عليلاً ، وهو مع ذلك يتحامل وينعكس ويتخامل ، فأصبح وما أمسى ، وبطل من كلامه ما كان جَهْراً وهَمْساً .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عُشْرَي شعبان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

أنشدني من لفظه الشَّيخ الإمام العالم العلاّمة صلاح الدِّين العلائي قال : أنشدنا التعجيزيّ لنفسه[1] :

يا سُنَّ يا شيعَ إنِّي بينكم وَسَطٌ ... مُذَبذبٌ لا إلى هَوُلا ولا ثَمَةِ
وفي القيامة في الأعراف منقعِدٌ ... وانتظرْ منكُم مَنْ يدخل الْجَنةِ
فإنْ دخلتم فإنِّي داخلٌ مَعَكم ... وإنْ صُفِعْتُم فإنِّي قاعد سَكِتِ

ومعنى هذه الأبيات أنَّه قال : يا أهل السُّنّة ويا شيعة أنا في أمرى بينكم متوسِّط لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وفي القيامة أكون على الأعراف قاعداً ، فمن دخل الجنّة دخلتُ معه ، ومن صُفِع منكم كنت في مكاني قاعداً ساكتاً . فأنت ترى هذه الألفاظ كيف أخذها وبَتَر تراكيبها وغيَّر أبنيتها وجَعَلها من المهملات التي لا معنى تحتها ﴿ ويَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النّحل : ٨/١٦] .

وكان يحبُّ شخصاً فعمل فيه أبياتاً وأوقف عليها الشَّيخ نجم الدِّين القحفازي ، وأوَّل الأبيات :

أيها المعرضُ لا عَنْ سَبَبٍ ... أصْلَحَكَ اللهُ وصالي الأربا

فكتب له الشَّيخ نجم الدِّين ، ونَقَلت ذلك من خطِّه :

يا شهاباً أهدى إليَّ قريضاً ... خالياً مِنْ تَعسُّفِ الألغاز
جاءني مُؤْذِناً برقَّةِ طَبْعٍ ... حين رشّحتُه بباب المجاز
إن تكنْ رُمْتَ عنه منِّي جزاءً ... فأقِلْني فلستُ مِمَّن يجازي

(١) الأبيات في الدرر محرَّفة .

١٩٦ ـ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

شهاب الدِّين ابن الشَّيخ الإمام أبي عمرو بن سيِّد النّاس ، أخو شيخنا الحافظ فتح الدِّين .

توفِّي رحمه الله تعالى بالمنكوتمريَّة بالقاهرة في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن عند والده بالقرافة .

ومولده منتصف شعبان سنة ثمانين وست مئة .

١٩٧ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي الرقي**

الشّافعي الفقيه مُحيي الدِّين ابن الشَّيخ شمس الدِّين .

كان شابّاً فاضلاً[١] ، حَفِظَ عِدّة كتب ، وكتبَ جيِّداً ونظم الشِّعر ، وجلس بين الشُّهود ولم يُكْمِل ثلاثين سنة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى بالعذراويّة[٢] في رابع عشر شهر جُمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٩٨ ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن الزقاق***

المقرئ القاضي بدر الدِّين بن الجوخي العارض بديوان الجيش[٣] ، مسند الشام[٤] .

---

* لم نقف على ترجمة له .

** لم نقف على ترجمة له .

(١) ليست في (أ) .

(٢) بحارة الغرباء داخل باب النصر ، أنشأتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ، الدارس : ٢٨٣/١ .

*** وفيات ابن رافع : ٣٨٣/١ ، ذيل العبر : ٣٦١ ، البداية والنهاية : ٣٠٢/١٤ ، الدرر : ٢٥٠/١ .

(٣) العارض هو الذي يستعرض فرق الجيش .

(٤) ولد سنة (٦٨٣ هـ) ، وتوفي سنة (٧٦٤ هـ) قبل المصنّف بشهر واحد .

١٩٩ ـ أحمد بن محمد بن يوسف*

ابن محمَّد بن عبد الله الإمام شهاب الدِّين بن ناصر الدِّين ابن الإمام المحدِّث مجد الدِّين[١] بن المهتار الدمشقي .

سمع من شمس الدِّين بن أبي عمرو[٢]، وفخر الدِّين بن البخاري ، وابن الزّين ، وابن الواسطي ، ومن جماعة .

وكان يكتب كتابةً حَسَنة ، وجَوّد عليه الخطّ جماعة ، وكان يَشْهد تحت السّاعات ، ويؤمّ بالمجاهديّة المجاورة لباب الفراديس[٣] ، ويحضر دار الحديث مع الجماعة ، وعنده خير وسكون ومداراة واحتمال .

وتوفِّي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء رابع عشر المحرَّم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وبلغ من العمر سبعين سنة .

٢٠٠ ـ أحمد بن مسلم بن أحمد**

ابن بعيشان البصروي ، الشَّيخ الإمام الفقيه العدل شهاب الدِّين أبو العبّاس الحنفي .

كان موصوفاً بالعَدالة والفضل الذي ما انثنى[٤] عن ربوعه ولا بداله ، حجَّ مرّاتٍ وفاز بالخيرات والمبرّات ، وكان يواظِبُ على الشّهادَة[٥] ، وله إلى القضاة بالتَّردُّد عادَةْ ،

---

* الدرر : ٣٠٦/١ .

(١) (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٦/٥ .

(٢) (أ) : « شمس الدين أبي عمرو » ، تحريف .

(٣) تعرف بالمجاهدية البرّانية ، أنشأها مجاهد الدين أبو الفوارس الكردي . الدارس : ٣٤٣/١ .

** لم نقف على ترجمة له ، وخلَتْ (أ) ، منه .

(٤) في الأصل : « ماأثنى » ، ولا وجه لها .

(٥) تطلق على من يشهد بتعلقات الديوان نفياً أو إثباتاً ، أو على من يُثبت الأحكام . لدى القاضي في الكتب والسجلات ، وهي أقرب إلى عمل المحاماة في أيامنا هذه .

ودرَّس بالدماغيّة[1] في وَقْت ، وحَصَل له بها المِقَةُ لا الْمَقْت ، وكان كثيرَ الاشتغال والمطالعة والمبادرة إلى الأجوبة والمسارعة .

ولم يزل على حاله إلى أن حان حَيْنُه ، وآنَ أن يكون تحت الأرض أَيْنُه .

وتوفِّي رحمه الله تعالى سادس عشري ذي الحجّة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده بالكَفْر من أعمال بُصرى سنة أربع وأربعين وست مئة .

وحدَّث عن القاضي شمس الدِّين بن عطا بأحاديثَ من (المسند) و (الغيلانيات) . قرأ عليه شيخنا البرزالي في طريق الحجاز لابنه محمّد بالزرقاء ، وبوادي القُرَى .

٢٠١ ـ أحمد بن محمود*

الإمام الأديب ، الكاتب البليغ ، النّاظم النّاثر كمال الدِّين أبو العبّاس بن أبي الفتح الشَّيباني الدِّمشقي ، المعروف بابن العطّار .

أجاز له ابن رُوْزبة ، وسمع من ابن المقيّر ، وأبي نصر بن الشِّيرازي ، والسَّخاوي ، وخُرِّجَتْ له مشيخة ، وسمعها الشَّيخ شمس الدِّين الذَّهبي ، وحدَّث بـ (صحيح البخاري) بالكرك بالإجازة سنة سبع مئة .

وكان ديِّناً وقوراً ، عارفاً بفنِّ التَّرسُّل خبيراً ، هو والقاضي محيي الدِّين بن فضل الله يكتبان الأسرار ويحفظانها من استراق الشَّياطين الأشرار ، يقرأان البريد ، ويُدَبِّران الأمر في دمشق بالرأي السديد . ولم يزل كذلك إلى أن تفرَّد القاضي

(١) داخل باب الفرج بنتها عائشة زوجة شجاع الدين بن الدماغ العادلي سنة (٦٣٨ هـ) . الدارس : ١٧٧/١ .

* الوافي : ١٦٧/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ٢٥ ، والمنهل الصافي : ٢١٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٧/١٤ ، وعقد الجمان : ٢٩٠/٤ ، وفيات (٧٠٢) .

محي الدِّين بصحابة ديوان الإنشاء ، وهو كبير الديوان يجلس فيه كأنَّه كِسرى في الإيوان ، وخطّه يُزْرِي بالحدائق ، والمطالعةُ تروح إلى باب السلطان بخطّه كالريحان فوق الشقائق ، وكان قد أتقن كتابة المطالعة ، وعرف البداءة في ذاك والمراجعة ، وكتب النسخ من أحسن ما يُرى ، وأبرز سطوره كأنَّما قد رَصَّعه جَوْهَرا .

له[١] ردّ على (المعاني المبتدعة) لابن الأثير[٢] ، وله رسالة سمّاها (رصف الفريد في وصف البريد) ، نظماً ونثراً .

ولم يزل على حاله إلى أن ورد النقصُ على كماله ، ورُدّ بَدْرُه إلى سِرار هلاله .

وتوفِّي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ستّ وعشرين وست مئة .

وكانت وفاته في ذي القعدة ثالث عشري الشهر المذكور من السنة المذكورة .

ومن شعره :

ولما بدا مُرْخَى الذوائب وانثنى ... ضحوكَ الثنايا مسبل الصَّدْغ في الخدِّ[٣]

بدا البدرُ في الظلماء والغُصْنُ في النَّقَا ... وزَهْرُ الرُّبا في الرَّوض والآسُ في الوردِ[٤]

أنشده يوماً القاضي مُحيي الدِّين عبد الله بن عبد الظاهر :

لا تنكرنّ على الأقلام إنْ قَصُرَتْ ... لها مساعٍ إذا أبْصَرْتَها وخُطَا

فعارضُ الطِّرْسِ في خد الطروس بدا ... من أبيضِ الرَّمل شيبٌ منه قَدْ وخطا[٥]

---

(١) (أ) : « كان له » .

(٢) نصر الله بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٣٧ هـ) ، وأشار مترجموه إلى كتاب له سمّوه : (المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء) ، فلعلّه المقصود .

(٣) في الوافي والمنهل : « مرسل » .

(٤) في المنهل : « والنقا » .

(٥) (أ) : « الخط في خد » . وفي الوافي : « فيه قد » .

فقال كمال الدِّين بن العطَّار :

أقلام فضلك ما شابَتْ ولا قَصُرَتْ ... لها مساعٍ إذا أنصفتها وخُطَا
بل عارضُ الطِّرْس لَمّا شابَ عَنْبَرهُ ... بعُشْبِهِ قيل شَيْبٌ فيه قدّ وَخَطَا

وكتب هو إلى القاضي محيي الدِّين بن عبد الظاهر :

سَقَى وحَيَّا اللهُ طيفاً أتى ... فقمت إجلالاً وقَبَّلْتُه
لشدّة الشَّوق الَّذي بَيْنَنَا ... قد زارني حقّاً وَقَدْ زُرْتُهُ[1]

فكتب الجوابَ عَن ذلك :

في النّوم واليقظةِ لي راتبٌ ... عليك في الحالين قَرَّرْتُه
تَفَضَّل المولى إذا زاره ... طيفي خيالي منه أنْ زُرْتُه[2]

٢٠٢ ـ أحمد بن محمود بن عبد السيد*

القاضي نظام الدِّين بن الإمام العلاّمة الشَّيخ جمال الدِّين الْحَصِيْري[3] الحنفي .

كان يدرِّس بالنوريَّة إلى حين وفاته[4] .

قال شيخنا علم الدِّين البِرْزَالي : لا أعرف له رواية . وناب مُدَّةً في الحكم بدمشق ، وكان يكتب في الفتاوَى ، وله ذهنٌ جيِّد وعِبارَةٌ طَلْقَة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في شهر المحرَّم سنة ثمان وتسعين وست مئة .

---

(١) في المنهل : « وما زرته » .

(٢) كذا في الأصل و (أ) ، وأصل الوافي ، ورأى محقق الوافي أن تكون : (طيف) . وفي المنهل : « طيفي خيالٍ » .

* الوافي : ١٦٥/٨ ، والعبر : ٣٨٧/٥ ، والبداية والنهاية : ٤/١٤ ، والشذرات : ٤٤٠/٥ ، والمنهل الصافي : ٢١٠/٢ ، وعقد الجمان : ٤٧٣/٣ ، ووفيات (٦٩٨ هـ) .

(٣) في البداية والنهاية : الحصري ، وفي الشذرات : الحصير .

(٤) الدارس : ٤٧٦/١ .

٢٠٣ ـ أحمد بن محمد بن مري*

الشَّيخ الإمام الفاضل شهاب الدِّين البعلبكي .

كان في مبدأ حاله مُنحرفاً عن الشَّيخ تقي الدِّين بن تيميّة ، وممن يحطّ عليه ، فلم يزل به أصحابه إلى أن اجتمع به فمال إليه ، وأحبَّه ولازمه وترك كلَّ ما هو فيه ، وتلمذ له ولازمه مدَّة ، وتوجَّه إلى الدِّيار المصريّة ، واجتمع بالأمير بدر الدِّين جنكلي بن البابا ، فأذن له في الجلوس والكلام على النّاس بجامع الأمير شرف الدِّين حُسَيْن بن جندر بحكر جوهر النّوبي ، لأنّ الأمير بدر الدّين كان النّاظرَ في أمر الجامع المذكور ، فجلس وتكلّم مدّة ، إلى أن تكلّم في مسألة الاستغاثة والوسيلة برسول الله ﷺ ، فمنعه قاضي القضاة المالكي[١] من الجلوس في سادس عشري شهر ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ثمَّ إنَّه أُحضر بين يديّ السُّلطان ، وأُحضر بعد ذلك عند النائب في خامس شهر ربيع الآخر وحَبَسَه القاضي المالكي ، ثم غَلَّظ عليه ، وقيَّده ، ثم إنَّه ضربه نحو خمسين سَوْطاً في تاسع عشري جمادى الأولى ، وتسلَّمه والي القاهرة وأقام عنده يومين ، وسَفَّرَهُ هو وأهله إلى بلد الخليل عليه السّلام ، ثم إنَّه حَضَر وحده إلى دمشق في شهر رمضان من السنة المذكورة[٣] . وكان قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة قد أثنى عليه هو والأمير بدر الدِّين جنكلي وغيره من الأمراء قدّام السُّلطان[٤] .

٢٠٤ ـ أحمد بن مسعود بن أحمد**

ابن ممدود بن برشق ، شهاب الدِّين أبو العبّاس الضرير السّنهوري ـ بالسِّين المهملة

---

* الدرر : ٣٠٢/١ .

(١) تقي الدين الأخنائي ، كما في الدرر .

(٢) (أ) : « بين يدي » .

(٣) ثم انتزح إلى بلاد الشرق ، وأقام بسنجار وماردين إلى أن مات . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية : ١١٧/١٤ .

(٤) كذا ختم المصنف الترجمة خالية من سنة الوفاة ، وأسلوبه فيها مخالف لما عرف عنه في تراجمه الأخرى ، وكذا لم يذكر سنة وفاته صاحب الدرر ، ولا ابن كثير .

** الوافي : ١٧٩/٨ ، والدرر : ٣١٦/١ ، ونكت الهميان : ١١٥ ، ووقع في الوافي بلفظ : (برسق) .

والنون والهاء والواو والرّاء ، على وزن منصور ـ المعروف بالمادح ، لأنّه كان[١] يكثر من أمداح سيِّدنا رسول الله ﷺ .

اجتمعت به غيرَ مرّة عند الصّاحب أمين الدِّين[٢] في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالدِّيار المصريّة ، وكان قد أضرّت عَيْناه ، وجعلت قَلْبَه الذكي ميناه[٣] ، حُفَظَة لُفَظَة ، يتأثَّر بكلامه كلٌّ من وَعَظَهُ ، له قدرة زائدة على النَّظم ، والنَّفَس الذي يذوب له اللَّحم ، وينخر العظم من الالتزام الذي يأتي به ، ويبدع في أسلوبه ، فينظم قصيدة في كلِّ بيت منها حروف المعجم ، أو في كل بيت في كلِّ كلمة منه ضاد أو حرف ظاء ، أو غير ذلك من الحروف التي مالها في دور الكلام اعتضاد .

ولم يزل على حاله إلى أن سكن جلده[٤] التراب ، وفارق من يعزّ عليه من الأتراب .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

أنشدني من لفظه لنفسه :

إنْ أنكرتْ مُقْلَتَاكَ سفكَ دَمِي ... فوردُ خدَّيك لي به شاهدْ[٥]

يُجَرِّحُه ناظري ويشهد لي ... أليس ظلماً تجريحيَ الشاهدْ

أطاعك الخافقان تِبْهْ بها ... قلبي المعنّى وقُرْطك المائد

قلت : هو من قول ابن سناء الملك :

[ملكتِ الخافقين فتُهْتِ عُجْبا ... وليس هما سوى قلبي وقرطِك][٦]

---

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) عبد الله بن تاج الرئاسة القبطي الوزير ، وستأتي ترجمته .

(٣) تخفيف (ميناءه) .

(٤) (أ) ، (خ) : « خلده » .

(٥) سقطت « لي » من الأصل .

(٦) سقط من الأصل ، وهو ثابت في : (أ) ، (خ) ، والوافي . والبيت في ديوان ابن سناء : ٤٦٣ .

وأنشدني له :

يـــا من لـــه عنـــدنـــا أيـــادٍ تعجـــز عن وصفهـــا الأيـــادي
فيـــك رجـــاءٌ وفيـــك يـــأسٌ كالحرِّ والبرد في الـــزِّنـــاد

٢٠٥ ـ أحمد بن المسلم بن محمد*

ابن المسلّم ، الأجلّ عزّ الدِّين ابن الشَّيخ شمس الدِّين بن علاّن القيسيّ الدِّمشقي .

سمع من أبي نصر بن الشِّيرازي ، وشيخ الشيوخ ابن حَمّوَيه والسَّخاوي ، [وإبراهيم الخشوعي][1] ، ولم يُرَ له سماع من ابن اللَّتي ، ولا من ابن الزّبيدي . وحفظ كتاب (التنبيه)[2] ، وخدم في الجهات السُّلطانية ، وولّي نظر بعلبك مرّات .

ولم يزل على حاله إلى أن هبط ابن علاّن إلى حضيض قبره ، ولحق بمن يعامله بلطفه وجَبْره .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأوّل سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وعشرين وست مئة .

٢٠٦ ـ أحمد بن مظفر بن مزهر*

القاضي فخر الدِّين النّابلسي ، الكاتب المشهور أخو الصّاحب شرف الدِّين بن مُزْهر[3] .

---

* الوافي : ١٨٠/٨ ، والوافي ، والمنهل الصافي : ٢١٦/٢ .
(١) زيادة من (أ) ، والوافي ، والمنهل .
(٢) في فقه الشافعية لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي .
** الوافي : ١٨٢/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٦ ، والدرر : ٣١٨/١ .
(٣) هو يعقوب ، وستأتي ترجمته .

رُتِّبَ أوّل الدولة المظفريّة قُطز مقابل[١] الاستيفاء بدمشق ، ولما ولي الأمير علاء الدِّين طَيْبُرس النيابة في أوّل الدولة الظَّاهرية عزله وجعله ناظر بَعْلبك .

قال ابن الصُّقَاعي[٢] : فحصل له من جهة الأمير ناصر الدِّين بن التبنيني[٣] النائب بها صداع وإخراق[٤] لأمر تعرَّض إليه بسبب الحريم ، وأرسله مُقَرَّماً[٥] إلى النائب بدمشق ، وكان طَيْبُرس يكره بني مزهر من أجل نجم الدِّين أخيه لملازمة[٦] علاء الدِّين البندقدار ، وكان طيبرس راكباً فلَمّا أقبل من الركوب ورآه أمر برَمْيه في البركة وأن يدوسه المماليك بأرجلهم وأن يحمل عشرة آلاف درهم ، ثم إنَّه عاد بعد ذلك إلى مقابلة الاستيفاء ورتَّبة الأفرم صاحب الديوان بدمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن مزهر وقد ذوى ، وأمسى فخره الْمُشْمَخر وقد هوى .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة .

٢٠٧ ـ أحمد بن مظفر بن أبي محمد*

ابن مظفَّر بن بدر بن الحسن ، الشَّيخ الإمام الحافظ الثبت المسند الحجة شهاب الدِّين أبو العبّاس النابلسيّ الأشعري .

كان ثبتاً ، حافظاً متقناً تخاله بالدّر لافظاً ، متحرِّياً لا متجرِّياً ، متحلياً بالقناعة

(١) في الأصل : « معامل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) الكلام الآتي حتى آخره منقول ، من تالي وفيات الأعيان لابن الصقاعي بتصرف .
(٣) في الأصل : « البنسي » ، تصحيف .
(٤) الخرق : الشقّ ، وفي (أ) : « إحزاق » ، والحزق : الضعف والتضييق .
(٥) في الأصل : « مقدماً » ، تحريف ، والتقريم : الحبس .
(٦) في الوافي : « لملازمته » .
* وفيات ابن رافع : ٣٤١/١ ، وذيل العبر : ٣١٥ ، وطبقات السبكي : ٣١/٩ ، والدرر : ٣١٧/١ ، والذيل التام : ١٥٩ ، والشذرات : ١٨٥/٦ ، والدارس : ٤٢٦/١ .

عن الدنيا متخلياً ، لا يزاحم الناس في دنياهم ، ولا يسعى مَسْعاهم ، قد قنع من العيش بالبَرْض ، وتخيَّل[١] أنَّه قد ملك الأرض ، وكان لا يحدث إلاّ من أصوله ، ولا يتكل إلاّ على محصوره في محصوله ، وكان جَلْداً في أشعريّته ، مبالغاً في الانتصار لعقيدته ، قيل : إنَّه لم يحدِّث حنبليّاً ، ويرى أنه[٢] لوفعل ذلك كان بالذَّمِّ مليّاً ، وبه تخرَّجَ شيخنا الحافظ الذهبي ، ومنه أصبح[٣] في عِلْم الرواية وهو غير غبي[٤] ، على أن ابن مظفّر ما سلم من جَرْح الذهبي ولا طعنه ، وساقه في ركب مَنْ جَرَّحه وظَعَنَه[٥] ، ورماه بما الله به عليم ، وتحمَّل من إثمه ما يثقله ﴿ يَومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنُونَ إلاَّ مَنْ أتى اللهَ بِقَلبٍ سَليمٍ ﴾[٦] .

ولم يزل ابن مظفّر إلى أن علقت به أظفار شَعُوب ، وآذنَ شهابُه بعد الطلوع بالغروب .

وتوفي في العشر الأوسط من شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع ، وقيل : سنة خمس وسبعين وست مئة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى ولم يكن عنده في بيته أحد ، ففُقِدَ بعد ثلاثة أيام وأربعة ، فَفُتح عليه الباب ودخلوا إليه[٧] ، فوجدوه ساجداً وهو ميِّت .

أخبرني نور الدِّين أبو بكر أحمد بن علي بن المقصوص الحنفي[٨] ، وكان به

---

(١) (أ) : « وتخيَّل له » . والبرض : القليل .

(٢) قوله : « ويرى أنَّه » ، ليس في : (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « أصبح غنياً » .

(٤) كذا ، وفي (أ) ، (خ) : « غني » .

(٥) في الأصل : « طعنه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) الشعراء : ٨٨/٢٦ .

(٧) قوله : « ففقد .. » حتى ههنا ليس في (أ) .

(٨) لم نقف على ترجمته ، وأشار إليه ابن كثير في أحداث ٧٦٢ هـ ، البداية والنهاية : ٢٨٠/١٤ .

خَصيصاً ، قال : كان دائماً يقول : أشتهي أن أموت وأنا ساجد ، فرزقه الله ذلك ، وصُلّي عليه بالجامع الأموي في العشر الأواخر من شهر ربيع الأوّل .

وهو سبط الزّين[١] خالد الأشعريّ ، وكان قد سَمع من خَلْقٍ كأبي الفَضْل بن عساكر ، وزَيْنَب بنت مكّي ، وعبد الخالق القَاضي ، وسمعتُ عليه أنا وولدي محمّد أبو عبد الله (جُزْء) ابنِ عَرَفة والمئة حديث انتزاع ابن عساكر من ثُلاثيات أحمد بن حنبل بقراءة مولانا قاضي القضاة تاج الدِّين بن نصر عبد الوهاب السّبكي الشّافعي ، وأجازنا[٢] رواية ما يجوز له روايته .

وكان منجمعاً عن النّاس ، مجموعُ[٣] ماله في الشّهر ما يزيد على العشرين درهماً ، رحمه الله تعالى .

٢٠٨ ـ أحمد بن مكي قبجق*

الأمير شهاب الدِّين ابن الأمير سيف الدِّين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان من فرسان الخيل ، ومن أبطالٍ يزدحِمُون على المعارك ازدحام السيل ، لم يُرَ على ظهر الفرس أخفّ من حركاته ولا أسرعَ من انتقالاته ، كأنّما رُكّب من زئبق ، أو وُجد ليباري البرق ، وهو على كل حال يفوته ويَسبق ، وله أعمال عجيبة على ظهر الفرس إذا جَرى وانتقالاتٌ إذا رآها المحبّ تذكّر بها قول القائل :

ماذا على برق الْمُصَلّى لو سرى

وكان أعجوبة زمانه ونادرةَ أوانه إلى أن عمَّ السُّكونُ حركاته ، وجاء الأمر الذي لا نجاء من دركاته .

---

(١) (أ) ، (خ) : « ابن » ، تحريف .

(٢) (أ) : « وأجاز لنا » .

(٣) (أ) ، (خ) : « ومجموع » .

* لم نقف على ترجمة له ، وكذا خَلَتْ (أ) ، (خ) من ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد تاسع عشر ذي الحجّة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

كان شهاب الدِّين هذا على ما ذكر غيرُ واحد أنَّه يُصَفّ له ثلاثة أجمال أحمالها تبن ، وأنَّه يقف من هذا الجانب ويثبُ في الهواء فيتعدّاها إلى ذلك الجانب الآخر ، وأنَّه كان يسوق الفرس فإذا كان في وسط جَرْيه وثب قائماً على السرج ثم يسلُّ سيفه ويضرب به في الهواء يميناً وشمالاً وخلفاً وأماماً ، ثمَّ يمسكه بين أصبعيه ، ويأخذ القوس ويوتره على ما قيل ، ويرمي به عِدّة سهام ، وهذا لم أره بعيني ، ولكنَّه حكاه لي غيرُ واحد ، وهذا أمرٌ خارق باهر ، سيأتي ذكر أخيه الأمير ناصر الدِّين محمَّد بن مكّي قبجق في المحمّديّن .

٢٠٩ ـ أحمد بن منصور بن أسْطُوْراس*

بفتح الهمزة وسكون السين المهملة ، وضمّ الطاء المهملة ، وسكون الواو ، وراء بعدها[١] ألف وسين مهملة ، شهاب الدِّين المعروف بابن الجبّاس[٢] .

اجتمعت به في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل بالدِّيار المصريّة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وكان به صمم ، وأنشدني من لفظه لنفسه[٣] :

إنْ قـــــــلَّ سمعي إنَّ لي ... فَهْماً تَـــــوَفَّرَ مِنْـــــــهُ قِسْمُ
يـــــدني إليَّ مقـــاصـــدي ... ويروقـــــك الرَّمْـــحُ الأصمُّ
ولَرُبَّ ذي سمـــــــــع بعيـ ... ـــــدُ الفَهْم عيٌّ النطـق فَـــدْمُ
زادوا على عيب التصـــــــا ... مُم أنَّهم صُمٌّ وبُكْمُ

---

* الوافي : ١٩٠/٨ ، والدرر : ٣١٩/١ ، والمنهل الصافي : ٢٢٤/٢ .
(١) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) (أ) : « الحبّاش » ، تصحيف .
(٣) الأبيات في الوافي ، والأول والثاني منها في الدرر .

قلت : في البيت الثالث نظر .

وكان مقيماً بدمياط ، وهو خفيف الحركة ، جمُّ النشاط لأنَّه كان خطيبَ الوَرّادة ، يجيء إليها كلَّ جمعة ، ويخطب بها على العادَة ، ثم يعود إلى دمياط .

ولم يزل على حاله إلى أن صار ابن الجبّاس في الجبّان ، وانتقل إلى رحمة الملكِ الدَّيّان .

وتوفِّي رحمه الله تعالى ...[١] .

وسألته عن مولده فقال : في سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وأجاز لي بخطِّه ما يجوز له تسميعه ، وأنشدني من لفظه لنفسه يصف المور[٢] :

كأنَّما الموزُ في عراجِينِه ... وقد بَدَا يانعاً على شَجَرِهْ
فروعُ شَعْرٍ برأس غانيةٍ ... عُقِصْنَ من بعد ضمّ مُنْتَشِره
وفي اعتدال الخريف أحسن ما ... تراه في وَرْدِهِ وفي صَدَره
كأنَّ مَنْ ضَمَّهُ وعَقَّصَهُ ... أرسلَ شُرّابَةً على أثَره
كأنَّ أشجاره وقد نُشِرَتْ ... ظلالُ أوراقه على ثَمره
حاملةٌ طفلَها على يَدِها ... تُظِلُّه بالخِمَارِ من شَعَره
كأنَّما ساقُهُ الصقيلُ وقد ... بدت عليه نقوشُ معتبره
ساقُ عروسٍ أُميطَ مِيْزَرُها ... فبان وشيُ الخضاب في حِبَره
يصاغ من جدولٍ خِلاخلها ... فتنجلي والنشارُ من زَهَره[٣]
حدائقٌ خَفَقت سناجِقُها ... كأنَّها الجيش أمَّ في زُمره

---

(١) كذا بياض في الأصول ، ووقع في مطبوعة الدرر أنَّه توفي في صفر سنة (٦٤٢ هـ) ، وهو سهو ، ولعلَّها (٧٤٢ هـ) كما في المنهل . وفي الوافي أنه أجاز للصفدي سنة (٧٣٣ هـ) .

(٢) الأبيات في الوافي ، والدرر .

(٣) (أ) : « فتنثني » .

زُهِي فَراق العيـــــونَ منظرُه فمـــا تمـــلُّ العيـــونُ مِنْ نظرِه
وكلُّ آيـــاتـــه فبـــاهرةٌ تَبين في وِرْدِه وفي صَـــــدَره
كأنَّما عـــمُره الحـــقير حـكى زمـــانَ وصـلِ الحبيب في قِصَره[1]
كأنَّ عُرجـــونَـــه المشيب أتى يخبر أنْ خـــانـــه انقضـــا عُمُره
كأنَّـــه البـــدرُ في الكمـــال وقـــد أُصيب بـــالْخُسف في سنـــا قَمرِه
كأنَّـــه بعـــد قَطْعـــه وقـــد اصـ ـفرّ لمـــا نـــال من أذى حِجرِه
متيّمٌ قـــد أذابـــه كَمـــدٌ يبيتُ من وَجْـــدِه على خَطَرِه
معلَّـقٌ بـــالرَّجـــاء ظـــاهِرُهُ يخبرُ عمّـــــا أجنَّ من خَبَرِه
يطيبُ ريحـــاً ويُسْتلـــذُّ جَنىً على أذًى زاد فـــوق مُصْطَبِره
كأنَّـــه الْحُرُّ حـــالَ محنتـــه يـــزيـــدُ صبراً على أذى ضَرِره

قلت : قد تكرر معه لفظ (في وِرْده) و (في صدره) في موضعين وهو عيب جائز ، وفي بقيّة الأبيات لا يجوز من حيث العربيّة ، ولكن لهذه الأبيات ديباجة لحلاوة هذه القافية .

وأنشدني من لفظه لنفسه في رمّانة[2] :

كَتَمتْ هَوىً قد لَجَّ في أشجانِها وَحَشَتْ حشاها من لظى نيرانها
فتَشَقَّقتْ مِن حُبِّها عن حَبِّها وجداً وقد أبدى خَفا كِتْمانها
رُمّانةٌ ترمي لها أيدي النّوى من بعدما رُمَّت على أغْصانِها
فَاعْجب وقد بكت الدُّموعَ عَقَائِقاً لا مِنْ محاجرها ولا أجْفانِها

ومن نظمه أيضاً ، والتزم الهاء الأولى .

أفنيتُ ماء الوجه من طول ما أسألُ مَنْ لا ماءَ فِي وَجْهِه[3]

(١) (أ) ، والوافي : « القصير حكى » ، وهي أنسب .
(٢) الأبيات في الوافي .
(٣) (أ) : « أسلت ماء » .

أُنهي إليه شَرْحَ حالِي الذي ... يا ليتني متُّ ولم أُنْهِه
فلم يُنِلني كرماً رَفْدُه ... ولم أكدْ أَسْلَمُ مِنْ جَبْهِه
الموتُ مِنْ دَهْرٍ جهابيذه ... ممتدَّة الأيدي إلى بُلْهِه

ومن نظمه أيضاً وقد اشتهر :

وقائلةٍ ما بالُ دَمْعِك أسوداً ... وقد كان مُحْمَرّاً وأنْتَ نحيلُ
فقلت دمي والدمع أفناهما البكا ... وهذا سوادُ الْمُقْلَتين يَسيل

وأنشدني من لفظه قطعةً خمَّس بها قصيدة شيخنا العلاّمة أبي الثناء في مدح سيِّدنا رسول الله ﷺ ، التي أوَّلها :

هذا اللِّقاء وما شَفَيتُ غليلا ... كيف احتيالي إن عَزَمْتُ رحيلا

وكتب بخطِّه على كتابي (جنان الجناس) :

أتظنُّ قلباً منك يوماً قد خلا ... وهواك ما بين الضلوع تخلَّلا
وكتابك البحر المحيط بفضل ما ... عَقَد الجمان معقداً ومفصّلا[1]
بهر العقولَ جناسُه فجنانه ... تُدني جَناه يانعاً ومذلَّلا
روض تفتَّقَ زَهْرُه وتكهَّلا ... أفُقٌ تألَّق بَدْرُه فتكمَّلا
يهدي المعاني من مغانيها التي ... غَنِيت فأغنت كلَّ فَهْم أمْحَلا
إن قال غرٌّ مثله فيما مضى ... فلقد تأوَّل باطلاً وتقوّلا
فليهنِ العلياء ما تجري به ... أقلامُك الغرُّ الميامنَة العُلاَ
وليهنئ القرطاس ما قلدته ... يا ابن الكرام من المآثر والْحُلا
كتبتْ عليه من الأفاضل سادةٌ ... مَدْحاً يروق مُدبَّجاً ومُسَلْسَلا
ورأيتُ أنّي عن مداهم قاصرٌ ... فقَعَدْتُ ثم أتيتهم مُتَطَفِّلا

(١) لفظ البيت في (أ) : « المحيط مفضّل ، فضل الجمان معقداً ومحللاً » .

أين الثُّريّـــا والثَّرى أين السّهى ممن سهـــا أين التَّـــداني والقـلا
دُم في سعودك يـا خليـلُ فـلا خـلا منـكَ المكانُ ولا سـلا عنـكَ المـلا

٢١٠ ـ أحمد بن مهنا بن عيسى*

الأمير شهاب الدِّين أمير آل فَضْل ، يأتي ذكر أبيه وإخوته في مكانهم .

لم يكن في أولاد الأمير حسام الدِّين مهنّا أَدْيَنَ منه ، ولا أكثر رجوعاً إلى الحقّ فيما استفاض عنه ، وهو شقيق موسى وسليمان ، وكان يرجع في المعاملة إلى أمان وإيمان ، ويستدين على ذمته بلا حجة ولا رهن ولا أَيْمان ، ويفي لمن عاهده ، ويعجب في أحواله من شاهده ، وكان يُباري الغمائم بكرمه ، ويجير الخائف في حَرَمه ، حُمِل إليه يوماً من أنعامه وهو في مشهد عثمان بالجامع الأموي بدمشق مبلغ سبعين ألف درهم ، ففرَّقها جميعها بعصىً في يده ، ولم يلمس منها درهماً في منتقاه ولا منتقده .

حكى لي حُمَيْد نائبه على سَلَمية[١] قال : لما جئنا في أيام الصالح إسماعيل إلى دمشق جاءه رجل ونصحه ، وقال له : إنَّ كتاب السلطان جاء إلى طُقُزْتُمر وفيه أنّه يمسك كلَّ من حَضَر من أولاد مهنّا ، ومتى دخلتَ أمسكك ، قال : فقلت له : يا أحمد لا تعبر دمشق ، وعُدْ[٢] من ههنا إلى بيوتك[٣] ، فقال : ما أروح ، والسلطان حَبْسُه ثلاثُ ليال ، والباقي بعد ذلك حَبْسُ الله ، ولا أعصي اللهَ ، ولا أعصي السُّلطان ، وإنْ أخذ خبزي أكلتُ من أملاكي ، وإن أخذ أملاكي بعت أباعري وخيلي وأكلت منها إلى أن أموت .

---

* الوافي : ١٩٧/٨ ، والدرر : ٣٢١/١ ، والمختصر في أخبار البشر : ١٥٤/٤ ، والمنهل الصافي : ٢٢٥/٢ .

(١) قال ياقوت : « سَلَمْيَة بفتح أوّله وثانيه وسكون الميم .. بليدة من أعمال حماة .. ولا يعرفها أهل الشام إلاّ بسَلَمِيَّة » . معجم البلدان : ٢٤٠/٣ ، وهي إلى الآن من أعمال حماة .

(٢) (أ) : « وارجع » .

(٣) قوله : « إلى بيوتك » ليس في (أ) .

قال لي أيضاً : وهو لا يتداوى من مرض يكون به ، ولا يأكل من أحد شيئاً فيتّهمه ، ولو قيل له : هذا طعام[١] مسموم تناوله منه ، وقال : « بسم الله » وأكله ، ولَمّا ورد في آخر أيام الصالح سنة خمس وأربعين وسبع مئة في أحد شهري جُمادى أمسكه الأمير سيف الدِّين طُقزتمر واعتقله بقلعة دمشق ، فبقي فيها مدَّة ، ثمَّ إنَّه نُقِلَ إلى قلعة صَفَد وأقام بها مُعْتَقلاً إلى أن توفي الملك الصالح إسماعيل ، وتولَّى[٢] أخوه الكامل ، وطلب أحمد بن مهنّا إلى مصر ، وأعطاه الكامل إمرة آل فضل ، ولم يزل فيها إلى أن تولَّى الإمرةَ سيف بن فضل ابنُ عمِّه في أيام المظفَّر حاجي[٣] ، ولَمّا كان في آخر أيام المظفّر أعيدت الإمرة إلى أحمد بن مهنّا ، فتولاّها بعدما طُلب إلى مصر . ولم تزل الإمرة بيده إلى أن نزل به القضاء ، وضاق به الفضاء .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكان ذكر لي أنّ مولده سنة أربع وثمانين وست مئة .

ووفاته بمنزلة كواتل[٤] ، ونقل منها إلى مشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند رحبة مالك بن طوق ، ودفن هناك .

٢١١ ـ أحمد بن موسى بن عيسى بن أبي الفتح*

أبو العبّاس البَطَرْني المالكي الأنصاري ، شيخ القراءات والحديث بتونس .

أخذ القراءات عن أبي محمَّد عبد الله بن عبد الأعلى الشُّبَارتي[٥] صاحب

---

(١) (أ) : « الطعام » .

(٢) في الأصل : « وتوفى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) حاجي بن محمد بن قلاوون السلطان ، وستأتي ترجمته .

(٤) في ياقوت : « الكواثل موضع في أطراف الشام » . معجم البلدان : ٤٨٦/٤ .

* الوافي : ٢٠٤/٨ ، والدرر : ٣٢٢/١ ، وغاية النهاية : ١٤٢/١ .

(٥) (أ) : « الشباري » ، تحريف .

ابن عون الله[١] ، وعن أبي بكر بن مَشلْيون وطائفة . وروى عن صالح بن محمد بن وليد ، ومحمّد بن أحمد بن ماجه[٢] ، وعليّ بن محمّد الكِنَاني[٣] .

وكان صالحاً مباركاً فاضلاً مشاركاً ، له صيت وسُمْعَة ولخشوعه تنفس ودَمْعَه .

ولم يزل على حاله إلى أن أتاه اليقين ودرج إلى المتَّقين[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة ، وتبرك الخلق بجنازته ، وتوهموا أنَّهم في كنفه وحيازته .

٢١٢ ـ أحمد بن موسى بن محمد بن أحمد*

عزّ الدين بن قُرْصَة الفَيّوفي المولد القُوصيّ الدار .

تَوَلَّى نظر قُوص والإسكندريَّة ، وكان من تلاميذ الشيخ ابن عبد السلام ، وكان قليلَ الكلام ، بريئاً من الملام ، لا يتكلّم إلاّ بإعراب ، ولا يأنس إلاّ بمن هو عامر الباطن غَيْر خراب .

أمسكه الأمير علم الدِّين الشُّجاعي واستحضره ، فقال له : المال ، قال : مُبْتَدأ بلا خبر ، فقال له : تعال إلى هنا ، قال : أخاف أن تضربني بهذه العصا التي[٥] في يدك ، فتبسَّم منه .

---

(١) أبو جعفر أحمد بن علي بن يحيى بن عون الله الداني ثم المرسي الحصار (ت ٦٠٩ هـ) ، السير : ١٦/٢٢ .

(٢) (أ) : « حامد » ، تحريف ، وابن ماجه هذا هو : أبو عبد الله المقرئ ، أشار ابن الجزري في غاية النهاية : ٨٠/٢ ، إلى قراءة البطرني عليه ، إلاّ أنه لم يذكر سنة وفاته .

(٣) المرسي ، لم يذكر صاحب غاية النهاية سنة وفاته ، وأشار إلى قراءة البطرني عليه : ٥٦٤/١ .

(٤) (أ) : « محل المتيقن » .

* الوافي : ٢٠٥/٨ ، والدرر : ٣٢٣/١ ، والمنهل الصافي : ٢٣٣/٢ ، والطالع السعيد : ١٤٥ .

(٥) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمنهل .

وله كتاب سمّاه (نتف المحاضرة)[١] ، وله مسائلُ فِقْهيّة ونحويّة ولغويّة وأدبيّة ، ودرَّس بالمدرسة الأفْرَميَّة ظاهر قوص .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح تحت جندل وصفائح ، وأقام فيه إلى أن تبعثر الضرائح .

وتوفي رحمه الله سنة إحدى وسبع مئة .

ومن شعره[٢] :

إذا تَـزَوَّجَ شيـخُ الـدّار غـانيـةً ... مليحةَ القدِّ تـزْهَى سـاعـة النظرِ
فقـد ترافـع في أحـوالِـهِ وأتَتْ ... قـافُ القيـادةِ تستقْصي عن الخبرِ

ومنه :

لا تحقرنَّ من الأعـداء مَنْ قَصُرَتْ ... يـداه عَنْـكَ وإن كان ابنَ يَـوْمَيْنِ
فـإن في قَرْصَـةِ البرغـوث معتبراً ... فيهـا أذى الجسم والتسهيـدُ للعين

ومنه :

الشيب عَيْبٌ ولكن عينـه قُلِعَت ... بـالشين مِنْ شِـدَّة فيـه وتعـذيبِ
والشيب شَيْنٌ ولكنْ نُونُه حـذفت ... بِبـاءِ بُعْـدٍ عن اللَّـذّات والطِّيبِ

ومنه :

يـا من يعـذّب قَلْبَـهُ في صُـورة ... سـوداءَ مظلمـةٍ كفحم النّـار[٣]
أتعبتَ نفسَـكَ في سـوادٍ مُظْلِمٍ ... إنَّ السـواد يُضِرُّ بـالأبصـار
وإذا عـدلتَ عن البيـاضِ وحُسْنِـه ... مـاذا تـؤمِّـل في سـوادِ القـار[٤]

(١) الكشف : ٢/١٩٢٥ .
(٢) هذه الأشعار ساقها المصنف في الوافي ، وبعضها في الدرر ، والطالع السعيد ، والمنهل الصافي .
(٣) في الطالع السعيد : « نفسه في .. » .
(٤) (أ) : « من عذاب النار » .

ومنه :

نحن نَسْعى والسعيُ غَيْرُ مفيـــــدٍ إنْ أرادَ الإلـــهُ مَنْـعَ المغـــانم[١]
وإذا مـــا الإلـــه قَـــدَّر شيئـــاً جـاء سَعْيـــاً إلى الفتى وهـو نـــائم

قلت : شعر جيِّد .

٢١٣ ـ أحمد بن نصر الله بن باتكين*

محيي الدِّين القاهري .

سمع (حرز الأماني)[٢] على سديد الدِّين عيسى بن أبي الحرم[٣] إمام جامع الحاكم .

كان شاعراً قادراً ، ناظماً في فن[٤] الأدب ماهراً ، كتب إلى أدباء عصره ، وراجعه شعراءُ دهره ، وكانت تدور بينهم كؤوس الأدب ، لا كؤوس الْحَبَب .

أنشدني من لفظه العلاّمة أثير الدِّين ، قال : أنشدني لنفسه

أقسمتُ بـــــاللهِ وآيـــــاتِـــــهِ يمينَ برٍّ صـــــــــــادق لا يَمينْ
لَـــوْ زِدْتَ قلبي فـــوق ذا من أذىً مـا كنتَ عِنْـدِي غَيْرَ عَيْني اليَمين[٥]

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه :

يـــا جفنَ مقلتـــه سَكِرْتَ فَعَرْبـــد كيف اشتهيتَ على فُـؤَادي الكمـــد

---

(١) في الأصل : « المغارم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والطالع السعيد .

* الوافي : ٢١٤/٨ ، والدرر : ٣٢٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٤٣/٢ .

(٢) حرز الأماني ووجه التهاني ، وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية .

(٣) عيسى بن أبي الحرم مكي بن حسين العامري المقرئ (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٠٣/٢٣ ، وغاية النهاية : ٦١٤/١ .

(٤) ليست في (أ) .

(٥) المنهل الصافي : ٢٤٤/٢ .

ورَمَيْتَ عن قوسِ الفتورِ فأصبحت غَرَضاً لأسْهُمِكَ القلوبُ فَسَدِّد
لم تغضضِ الْجَفْنَ الكحيلَ تغاضياً إلاّ لتقتلنا بسهم مُغمَد[1]
مَنْ لَمْ يَبِتْ بَعَذابِ حُبِّكَ قَلْبُه مُتَنَعِّماً لا فاز منك بمَوْعِد[2]
للصَّبِّ أسوةُ خالِ خدِّكَ إنَّهُ متنعِّمٌ في جَمْرِهِ الْمُتَوقِّدِ

قلت : هذا يشبهُ قَوْلَ عفيف الدِّين التلمساني[3] :

قَلْبي الْمُنَعَّم في هواكَ بناره إنْ كانَ غَيْري في الهوى متألّم
للصبّ أُسْوَةُ خالِ خَدِّك إنَّهُ في جَمْرِهِ متوقِّداً متنعِّم[4]

وكتب أبو الحسين الجزار إليه مُلغزاً :

وما شيءٌ له نقشٌ ونَفْسٌ ويُؤْكَلُ عَظْمُه ويحكُّ جلدُه
يَوَدُّ به الفتى إدراكَ سُؤْلٍ وقد يلقى به ما لا يودُّه
ويأخُذُ منه أكثره بحقٍّ ولكن عند آخرِهِ يردُّه

فكتب الجواب إليه محيي الدين المذكور :

أمولايَ الأديب دعاء عبد وَدُود لا يحول الدهرَ ودُّه[5]
يَرَى مَحْضَ الثناءِ عَلَيْكَ فَرْضاً ولا يَثْني عِنان الشُّكر بُعْدُه
لَقَدْ أهْدَيْتَ لي لُغْزاً بَديعاً يضلُّ عن اللبيب لديه رُشْدُه
وقد أحكمتَهُ دُرّاً نَضِيداً يُشَنِّف مَسْمَعي بالدُّرِّ عقدُه
فشَطْرُ اللغز أخماسٌ ثلاث لِلُغْزِكَ إنْ تُرِدْ يَوْماً أحدُّه

---

(١) (أ) ، والوافي : « بسيف معمد » .
(٢) (أ) : « راضيا متنعماً » .
(٣) سليمان بن علي بن عبد الله (ت ٦٩٠ هـ) ، والوافي : ٤٠٨/١٥ .
(٤) (أ) ، والوافي : « يتنعّم » .
(٥) (أ) : « لا يخون الدهر » .

وبـــاقيـــهِ مـع التصحيف كَسْبٌ إذا مـــا زِدْتَـــه حَرْفـــاً تَعُـــدّه[١]
همـــا ضـــدّان يَقْتتـلان وَهْنـــاً ويضطجعـــــانِ في فَرْش تمـــدُّه
همـــا جيشـــانِ من زَنْـج وروم يُقـــابـل كل قِرْنٍ مِنْـــهُ ضـــدُّه
تقـــومُ الْحَرْبُ فيـــــه كلَّ حينٍ ولا تَـدْمَى من الـوَقَعـاتِ جُنْـدُه
ويشتـــدُّ القتـــالُ بـــهِ طَـويـلاً ويحكُمُ بـــالأصـاغِرِ فيـهِ عَقْـــدُه
ويقتـــلُ ملكـــــه في كلِّ حينٍ ويبعثـــــه النشـــاط فيستردُّه
ومـــا يُنجي الهمامَ بـــهِ حُسَـــام وقـــد ينجي من الإتـلاف بنـــده
ونَصْرُ الله في الهَيْجَـــا سجـــالٌ فمن شـــاء الإلـــهُ بـــهِ يمـــدُّه
وهـــذا كلّـــه حَسْبَ اجتهـــادي وغـايـــة فكرةِ الإنســان جُهْـدُه

ونقلت من خطِّ الحافظ اليغموري[٢] قال : أنشدني محيي الدِّين أبو العبّاس الكاتب المصري لنفسه :

يـــا نـــاظراً في البيـــوت أعمى عن كلِّ خيرٍ وكلِّ برِّ[٣]
أســـود كالفحمِ فهـــو مـــأوى كلِّ شرار وكلِّ شرِّ
ونفـخَ هـــذا الـوزيرُ فيـــهِ أحْرَقَ كلَّ الـــــورى بجمرِ

ولم يـزل محيي الـدِّين المـذكـور على حـالـه إلى أن فرَّق الموت بينـه وبين ذويـه ، وتصرّف الوارث فيما كان يحتويه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة .

وكان المـذكور قـد تنـاثرت أطرافـه وحـاق [بـه][٤] تبـذيره وإسرافـه ، فـأصبح

(١) هذا البيت وما بعده جعل في (أ) من تتمة أبيات الجزار السالفة ، وهو سهو .
(٢) يوسف بن أحمد بن محمود (ت ٦٧٣ هـ) ، فوات الوفيات : ٣٣٨/٤ .
(٣) (أ) ، والوافي : « ناظرنا » ، ولعلّها أنسب .
وفي الأصل : « عن كل شرّ » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٤) زيادة من (أ) يقتضيها السياق .

لأعدائه رحمة ، وأنار الحزنُ عليه كلَّ قلب قد قسا وصار كالفَحْمَة . وهذا محيي الدين هو الذي نظم ذينك البيتين في ابن بنت الأعز ، يكتب في الكتب اسمه وحده ، وقد ذكرتها في ترجمة قاضي القضاة تاج الدِّين بن بنت الأعز .

٢١٤ ـ أحمد بن نعمة بن حسن البقاعي الديرمقري الدمشقي*

الصالحي الحجّار الخياط الرّحالة المعمَّر ، شهاب الدين أبو العباس المعروف بابن الشِّحْنَة .

خدم حجَّاراً بقلعة دمشق سنة ثلاث وأربعين وست مئة ، وكانَ لمّا حاصرها جند هولاكو ، ولم يظهر أمره للمحدّثين إلى أثناء سنة ست وسبع مئة ، فسألوه ، فقال : كنّا سَمِعنا ، فوجدنا سماعه في أجزاء على أبي المنجا ابن اللّتي[١] .

وسمع منه جماعة (جزء) ابن مَخلد ، و (مسند) عمر النَجّاد[٢] ، ثم ظهر اسمه في كراس أسماء السامعين بالجَبَل[٣] (لصحيح البخاري) على ابن الزبيدي سنة ثلاثين ، فحدّث بالجامع بضعاً وسبعين مرة بالبلد ، وبالصالحية وبالقاهرة وبحماة وبعلبك وكفر بطنا وحمص .

وطلبه الأمير سيف الدين أرغون الناصري نائب مصر ، وسمع منه البخاري . وسمع منه القاضي كريم الدين الكبير ، والأمير سيف الدين رحمه الله تعالى ، والقضاة والأئمة .

---

* الوافي : ٢١٨/٨ ، والبداية والنهاية : ١٥٠/١٤ ، والدرر : ١٤٢/١ ، وذيل العبر : ١٦٤ ، والنجوم : ٢٨١/٩ ، وشذرات الذهب : ٩٣/٦ ، والدارس : ٨٣/١ ، والمنهل الصافي : ٢٤٩/٢ .

(١) في الأصل : « ابن أبي المنجا .. » ، وفي الوافي : « ابن المنجا وابن اللتي » ، وكلاهما لا يستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) .
وابن اللتي هو أبو المنجى . انظر السير : ١٥/٢٣ ، وما بعدها .

(٢) كذا في الأصول والوافي . والذي في الكشف : « مسند عمر بن الخطاب لأبي بكر أحمد بن سليمان النجاد » ١٦٨٤/٢ ، وأحمد هذا توفي (٣٤٨ هـ) . البداية والنهاية : ٢٣٤/١١ .

(٣) في الأصل : « بالحبل » تصحيف .

وروى بـإجـازة ابن رُوزبـة وابن بهروز[١] وابن القطيعي والأنجب الحمـامي وياسمين بنت البيطار[٢] ، وجعفر الهَمْداني ، وخلق كثير .

وكان صحيح التركيب ، دمويّ اللّون أزْهر ، لـه همَّـة ، وفيـه عَقْـل ، يطيـل الإصغاء بلا ضجر ، ويَصْبر كأنَّ قَلْبه مما لازمه حَجَر .

ألحق الأحفادَ بالأجداد ، وسـاوَى بـالسّماع عليـه بين الآبـاء والأولاد ، رحل إليـه النـاس من الأَطراف ، وأخـذهم بـالسماع عليـه الأشراف في الإسراف ، وحَصَّـل الـذّهب والدراهم والخلع ، ورُتِّبَ له مَعْلوم فانْجَبَرَ به وانتفع .

وكان فيـه دينٌ وملازمـة للصلوات الخمس ، ومَحَـافظـةٌ في اليـوم على مـا كان فيـه أمس ، لا يمل من الإسماع وطوله ولا ينعس ، وهو مشغول بإقباله على القارئ وقبولـه ، ويحفـظ مـا يصلّي بـه من القرآن ، وربّما أَخَّر الصلاة في السفر على رأي العوام لاستيلاء الشيطـان ، وصـام وهو ابن مئـة عـام شهر رمضـان وأتبعـه بست من شوال عملاً بسنـة الإيمان .

قال الشيخ شمس الدين : حُدّثْتُ أنَّه في هذا السنّ اغتسل بالماء البارد .

ولم يزل على حـالـه إلى أن جـاءه قـاطع الأعمـار ، والمـوت الـذي سـاوى بين أولي التجارب والأغمـار ، ونزل النـاس بموتـه درجـة في الروايـة ، وحصل للطلبـة عليـه من الأسف النهاية .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين خامس عشري صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة نيف وعشرين وست مئة .

---

(١) محمد بن مسعود بن بهروز (ت ٦٣٥ هـ) . سير الأعلام : ٣٠/٢٣ .

(٢) في الأصـل « البسطـار » تحريف ، وهي يـاسمين بنت سـالم بن علي البيطـار ، (ت ٦٣٤ هـ) ، سير الأعلام : ١٣/٢٣ .

ولعلّه حصل له بركة رواية الحديث ما يقارب المئة ألف درهم[١] . وسمع هو وأخوته الثلاثة في سنة ثلاثين وست مئة . وأجاز لي بخط شيخنا علم الدين البرزالي سنة ثلاثين وسبع مئة ، ولم أسمع منه فَخُرِمْتُه ، وعنَّفْتُ حظي لذلك ولمتُه .

وقلت عند موته :

عِلْمُ الرّاوية حِصْنٌ للحَديثِ وبالْـ إسْنَادِ قَدْ سَدّ أشياخُ الورى فُرَجَهْ[٢]
وكان شادَ لنا الحجّارُ مَنْزِلَةً وحين ماتَ نَزَلْنَا بَعْدَه دَرَجَهْ

٢١٥ ـ أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمّد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر*

الشيخ الجليل الْمُسْنِد شرف الدين أبو الفضل . كان شيخاً مسنداً .

سمع من زَيْن الأمناء ابن عساكر ، والحسين ابن صَصْرى ، وأبي المجد القُزويني ، وعز الدين بن الأثير ، ومُكْرَم بن الصقر[٣] ، وابن صبّاح ، وابن الزّبيدي ، وابن اللّتي ، وفخر الدين بن الشيرجي[٤] ، وأبي نصر بن[٥] الشيرازي . وأجاز له أبو رَوْح

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « والإسناد » ، ولا يستقيم بها الوزن .

* البداية والنهاية : ١٣/١٤ ، والنجوم : ١٩٢/٨ ، والشذرات : ٤٤٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٥٤/٢ ، وعقد الجمان : ٩١/٤ .

(٣) مكرم بن محمد بن حمزة ، (ت ٦٣٥ هـ) ، السير : ٣٤/٢٣ .

(٤) في الأصول : « السيرجي » ، تصحيف ، وهو محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي ، (ت ٦٢٧ هـ) . العبر : ١٠٩/٥ ، والشذرات : ١٢٥/٥ .

(٥) ليست في (أ) . وهو محمد بن هبة الله بن محمد ، (ت ٦٣٥ هـ) . السير : ٣١/٢٣ ، والشذرات : ١٧٤/٥ .

عبد المعزّ الهروي[١] والمؤيّد الطوسي ، وزينب الشّعْرية[٢] ، وقاسم بن الصفّار[٣] ، وعبد الرحيم بن السمعاني[٤] ، وجماعة .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (صحيح مسلم) ، و (الزهد) للبيهقي ، و (مسند) أبي يعلى الموصلي ، و (موطأ) أبي مصعب[٥] ، و (مسند) السراج[٦] أربعة عشر جزءاً ، و (مشيخة) ابن السمعاني سبعة عشر جزءاً أو أكثر من مئة وعشرين جزءاً ، وسمعت عليه أكثر (تفسير البغوي) من قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ لا يحبُّ اللهُ الجهرَ بالسَّوءِ من القول ﴾[٧] إلى آخر التفسير .

وتوفي رحمه الله تعالى في جُمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . قال : وجنازته أول جنازة خرجت على العادة من دمشق .

قلتُ : يعني أنه بعد رحيل التتار عن دمشق في أيام قبجق .

---

(١) في الأصل « أبو زوج عبد العزيز » وفيه تصحيف وسهو ، وهو عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي ، (ت٦١٨هـ) . السير : ١١٤/٢٢ .

(٢) وتدعى حرّة بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني ، (ت٦١٥هـ) . السير : ٨٥/٢٢ ، والوافي : ٦٥/١٥ .

(٣) أبو بكر بن القاسم بن عبد الله بن عمر النيسابوري (ت٦١٨هـ) . السير : ١٠٩/٢٢ .

(٤) في الأصل : « عبد الرحمن » ، وأثبتنا ما في (أ) وهو الصواب ، وقد توفي (٦١٧هـ) . السير : ١٠٧/٢٢ .

(٥) أحمد بن أبي بكر الزهري ، (ت٢٤٢هـ) ، الكشف : ١٩٠٨/٢ ، والسير : ٤٣٦/١١ .

(٦) محمد بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ، (ت٣١٣هـ) . الكشف : ١٦٧٩/٢ .

(٧) الآية : ١٤٨ .

٢١٦ ـ أحمد بن ياسين الرَبَاحي[١] قاضي القضاة المالكي بحلب*

شهاب الدين قاضٍ فاضَ جوده وما غاض ، وغاظ النفوس بشره لمّا استراب وما استراض[٢] .

أقدم على تفسيق العدول . ولم يكن له عن ذلك خروج ولا عُدول ، ثم تجرّأ بعد الإسقاط ، إلى الضرب بالسياط ، وحكم بفسق رفاقه الحكام ، وعدل عن العَدْل إلى التعدّي في الأحكام ، وكفَّر جماعة ، ووفّر على الشرّ نفسه ومَدَّ باعه ، فضاقت به أرجاء حلب ، ولم يلق الناس به زبدةً لما مَخَض مَحْضَ ماحلب ، فعُزل عن القضاء[٣] ، وانتصف الناس منه بالقَدَر والقضاء ، ثم إنه توجّه إلى مصر ، وسعى فأعيد قاضياً مرة ثانية ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكباب على جمع حطام هذه الدنيا الفائتة الفانية ، ولم يرجع عن عادةٍ ألفها ، ومادّة استمد منها وعَرَفها ، فَفَسَّق وكفَّر ، وفرّق شَمْلَ العَدْل ونفّر ، إلى أن استفتى نائبُ السلطنة بحلب عليه ، ووجّه وجه اللوم والذم إليه ، وجهّز الفتاوي بذلك إلى دمشق ، وتوجّهت أسنّة الطعن عليه والمشَقْ ، فحكم بخطابه الواضح ، وتبيّن أنه من أهل الفضائح ، في القبائل والقبائح ، هذا مع ضيق عطن وعَيْن ، وملاءة من الشَّين وبراءة من الدّين ، ولثغة قبيحة إذا بدّل راء الورد بالغَيْن ، وما كان أحقه بقول سلامة الزرّاد السنجاري[٤] :

ضاقَ بحفظ العلوم ذَرْعاً ضيقة كفَيْه بالأيادي

---

(١) في الأصل : « الرياحي » ، تصحيف .

* البداية والنهاية : ٣٠١/١٤ ، والدرر : ٣٢٧/١ ، وذيل العبر : ٣٦٢ ، ووفيات ابن رافع : ٣٨٢/١ ، والذيل التام : ٢٠٠ . وخلت (أ) و (خ) من ترجمته .
وخلت (أ) و (خ) من ترجمته .

(٢) استراب به : رأى منه ما يريبه ، واستراض : استقر .

(٣) سنة (٧٤٨) كما في الدرر .

(٤) ذكر المؤلف في الوافي أنه كان بعد الخمس مئة ، وأورد له الأبيات المذكورة ، ٣٢٧/١٥ .

قـاض ولكن على المعـالي والـدّين والعقـل والسَّـداد
يعـدل في حكمـه ولكن إلى الرُشـا أو عن الرشـاد

فعُـزل مرة ثـانيـة[١] ، وتـوجّـه إلى القـاهرة ، وأقـام يسعى بـالعين إلى أن أصبـح بالسّاهرة ، فأكلت الأرض منه خبثاً ، ورأى بالموت أنّ جَدَّه كان عبثاً .

وتوفي رحمه الله تعالى وعفى عنه في شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة ، توفي هو وولداه في يوم واحد في طاعون مصر .

كان في أول أمره تاجراً بسوق الرمَّاحين في دمشق ، ثم إنـه سعى في قضـاء حلب ، وأظنه أول مَنْ وليها من القضاة المالكية ، فـأسـاء السيرة ، وظهر أنـه خبيث السريرة ، ففسّق العدول وأسقطهم ، وضرب بعضهم بالسياط وحكم بفسقَ رفاقـه الحكام ، وحضرتْ كُتبهم إلى شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وحَضَر كتاب النـائب بحلب إلى الأمير سيف الدين أيتمش نائب الشام[٢] ، فقـال قـاضي القضـاة للنـائب : الرأي أن تجّهز واحداً له دُرْبة يتوجه إلى حلب ويُصْلح بينهم ، وعيّنني قاضي القضاة لـذلـك ، ثم لم يتم ذلك ، وبطّله مَنْ بَطّله ، فكتب النائب إلى حلب بمطالعـة السلطـان ، فكتب ، فورد المرسوم بعزله ، وتولى القـاضي زين الـدين أبو حفص[٣] بهـا إلى أن مـات . ثم إنّ الرباحي سعى في العَوْد إلى حلب فأعيد ، ولم يرجع عن غيّه ، وأقام في قضية الدَنَيْسري وكفّره ، وهمّ بقتله ، وحضرت الفتاوي عليه إلى الأمير سيف الدين بَيْدَمُر الخوارزمي[٤] نائب دمشق من الأمير شهاب الدين القشتمري[٥] نـائب حلب ، فـأحضر القضـاة إلى دار العـدل بـدمشق ، ووقفوا على مـا كتب في حقّـه فوجوده مُبْطلاً ، وكتبوا إليـه بـالإنكار

(١) سنة (٧٦٣) كما في الدرر ، وفي كلامه ما يدل على أنه عزل أربع مرات ، ذكر الصفدي أولها وآخرها .
(٢) ستأتي ترجمته .
(٣) ابن الوردي ، عمر بن المظفر ، وستأتي ترجمته .
(٤) (ت ٧٨٩ هـ) الذيل التام : ٣٤٧ ، والدرر : ٥١٣/١ .
(٥) هو قشتمر المنصوري ، قتل سنة (٧٧٥ هـ) ، الدرر : ٢٤٩/٣ .

عليه ، وتوجه غرماؤه إلى مصر ، وشكوا عليه فعزل ، وتوجه إلى مصر ، فسعى ، ولم ينجح مسعاه إلى أن طُعن هو وولداه[١] وماتوا في يوم واحد ، عفى الله عنه وسامحه .

ولقد كنا يوماً في دار العدل بحلب في أوائل قدوم الأمير بكتمر المومني[٢] ، فقال النائب يوماً كلاماً فيه بعضُ إنكار على القضاة ، فخرج هو دون رفاقه ، وقال بنفرة وزعَارَة : أيش بالقضاة يا أمير ؟ فنفر فيه النائب ، وقال له : ما تتكلم بأدب !؟ ووضع يده على السيف ، وتوعَّده ، فشغلْتُه أنا بقراءة القصص عليه ، فاشتغل بذلك لحظة ، وقال لنقيب النقباء : ناد في الناس ، مَن له على هذا القاضي شكوى ، يحضر . فحضر في الوقت الحاضر ثلاثة عشر نفراً ، وشكوا عليه ، فقال له : يا قاضي ، مَن تكونُ هذه سيرتهِ ما يكون هذا نَفَسه . ثم عقد له ولهم مجلساً ، ووزَّنه لهم مبلغ أربعة عشر ألف درهم .

ولما زاد شرّه في المرة الأولى بحلب ، صنع فيه القاضي زين الدين عمر بن الوردي رسالة ، سمّاها (الخُرقة للخُرِقَة) ، ووصّى ابنَه ، قال : إن رجع القاضي عن فعله ، اكتمها ، وإن استمرّ ، فأظهرها . فلم يرجع عن غيّه ، فأظهرها . وهي نظم ونثر ، أبدع فيها ، وأتى فيها بكل معنى بديع . منها قوله رحمه الله تعالى :

حاكمٌ يَصْدُر منه ... خَلْفَ كلّ الناس حَفْرُ
يتمنّى كُفْرَ شخص ... والرضا بالكفر كُفْرُ

وقولهُ :

امتلأت من ذهب أكياسه ... وقلبه ممتلئٌ من دَغَلْ
ما هو إلا حيّةٌ بَزْقُها ... بالسمّ ، هذا المغربي الزَّغَلْ

وقوله :

قاض عن الناس غيرُ راض ... مباهتٌ غالظٌ مخالط

(١) في الأصل : « ووالداه » ، تحريف .

(٢) هو أمير آخور الأشرف (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٤٨٨/١ .

يكـــذب عن مـــالـــك كثيراً ويُسقِـط النـاسَ وهـو سـاقـط

وقوله :

تَلفَت مكاتيب الأنـــام بفعلـــه وأبان عن عكسٍ وكَثْرةِ مَخْرَقَـهْ
ورمى الأكابر والأصـاغر كاذبـا بالكفر أو بالفسق أو بـالزنـدقـه

وقوله :

لا واخـــــذ الرحمنُ مصرا ولا أزال عنهـا حُسنَ ديبـاجـه
ولّـوا علينـا قـاضيـاً ثـالثـاً مـا كان للنـاس بـه حـاجـه

وقوله :

كثير الجنـــون مسيء الظنـــون عـــدوّ الفنـــون لظىً محرقُ
فيصبـغُ أصبـغ من بَهتـــه وأشهبُ في عينـــه أبلـــق

وقوله :

إن الريـــاحيْ على جَهْلِـــه وجَـــــوْرِه في حلب يحكُم
إنْ لم يكن في حلب مُسْلم فمصر مـــا كان بهـــا مسلم

وقوله :

يحبّ مِنْ كلِ علم السّين والقـــاف والطّـــا
حـــاشى الرســـالـــة منـــه مـــا خُلقُـــهُ بـــالمـوَطَّـــا

وقوله :

بـــالله يـــا أوليـــاء مصر خـــذوه من عنـــدنـــا بستر
متى رأيتم وهـــــل سمعتم بـأنّ قـاضي القضـاة جَمْري

وقوله :

يحبس في الردّة مَن شاء بغير شاهد
لا كان من قاض حكى الفقاع حَدّ بارد

وقوله :

في حلب قاضٍ على مالك قد اجترا مافيه توفيق
ومن تَلَكّا معه قال نعم قد قيل لي إنك زنديق

وقوله :

قاضٍ من السوق أتى معتادُ بيع الأكسيهْ
ذا الموصّى يامايعي كيف يعي للأقضيه

وقوله :

ياساكني مصر ماعهدنا منكم سوى رحمة وأُلفه
فكيف ولّيتم علينا من لا تصح الصلاةُ خلفه

وقوله :

الألثغ الطاغي تولّى القضا عدمت هذا الألثغ الطاغي
إن سبّح الباري حكى سبّه فقال : سبحانك ياباغي

وقوله :

ولّيتم جاهلاً جريئاً ألثغ بالمسلمين ضار
مقلقلا من بني رُبَاح نحن له من بني خُسَار

وقوله :

كم أسقط شاهداً وعدْلا ضابِطْ فالعالم كلّهم عليه ساخط
من كثرة ما يُسقط خافت حلب أن يكتب ظاء حظها بالساقط

٢١٧ ـ أحمد بن يحيى شمس الدين السُّهْرَوَرْدِي*

الكاتب المشهور ببغداد ، حفظ القرآن ، وتفقّه للشافعي ، وقرأ العربية ، ونظر في اللغة والمعقول ، وحفظ (المقامات) الحريرية .

وسمع من رشيد الدين أبي عبد الله المعرّي[١] ، وأبي البركات بن الطبّال[٢] . وأجاز له جماعة .

وكان عالماً مشهوراً في الكتابة وعِلم الموسيقا ، فكتب على الشيخ زكي الدين عبد الله[٣] ، وفاق شيخه في الكتابة . وأخذ علم الموسيقا عن الشيخ صفي الدين عبد المؤمن[٤] ، وأجمع جماعة من أرباب[٥] هذا الفن أنه ما أتى بعده مثله .

وكان الشيخ شمس الدين المذكور حسن الأخلاق ، كريم النفس في حالتي الغنى والإملاق ، كثير الحيا ، غزير الحَبَا . شريف النفس كثير الاتضاع ، ذا مروءة يخاف مدى الدهر ألاَّ تُضَاع ، كثير البشاشة سديد المقال ، شديد الحرص على الأشغال والاشتغال ، صاحب رأي وعزم ، ونأيٍ عن الدناءة وحَزْم ، بليغاً فصيحاً ، مليَّ المحيّا بالقبول مليحاً ، لطيفاً في حركاته وسكناته ، كثير الرحمة لا يزعج الطير[٦] في وَكُناته ، إماماً في الكتابة ، رأساً لهذه العصابة .

كتب المصاحف في القطع الكبير والصغير ، وأتى بها كأنها قطعُ الروض النضير . رأيت منها أنا جملة وافية ، ودلّتني على محاسنها العينُ الصافية ، فشاهدت منها ما يودّ فم

---

* الدرر : ٣٣٥/١ .

(١) (أ) : « المقرئ » ، ولم نقف على ترجمة له .

(٢) إسماعيل بن علي بن الطبال ، (ت٧٠٨) . الدرر : ٣٦٩/١ ، والشذرات : ١٦/٦ .

(٣) (أ) : « بن عبد الله » .

(٤) (ت٧٣٩هـ) ، وليس في ترجمته ما يشير إلى اشتغاله بالموسيقا . الدرر : ٤١٨/٢ .

(٥) (أ) ، (خ) : « أهل » .

(٦) ليست في (أ) .

الثريا لو كان[١] له لاثماً ، وشهد عندي أن كاتبه يكون فوق الكواكب جاثماً ، لا يُطلَق اسم الكاتب إلا عليه إجماعاً ونصّا ، ولا يرضى أن يكون ياقوت في خاتمه فَصّا ، فقد زعم كثير أنه كتب أحسنَ من ياقوت ، وأنه لو كان في زمانه لعَذُرَ[٢] عليه القوت . وقالوا إنه كتب بخطه ثمانية وسبعين مصحفاً وخَمْسَ ربعات[٣] ، كل ربعة وَقْر[٤] بعير . وكتب بخطه أيضاً (إحياء العلوم[٥]) للغزالي ، وكتب كتاب (المصابيح)[٦] ثلاث نسخ ، و (عوارف المعارف) لجد أبيه[٧] ثلاث نسخ ، و (مشارق الأنوار) للصغاني[٨] ثلاث نسخ ، وكتاب (الشفا) لابن سينا في مجلد ، و (المقامات) ثلاث نسخ ، و (مفصل) الزمخشري نسختين ، و (نهج البلاغة) أربع نسخ ، وكتب من الأحاديث والأدعية والدواوين والدروج شيئاً كثيراً .

وكتب عليه جماعة[٩] ، منهم القان أبو سعيد ، والسلطان أتابك والوزير غياث الدين بن[١٠] الرشيد ، ونظام الدين بن يحيى بن الحكيم ، وجماعة من أولاد الأئمة والقضاة والوزراء والفضلاء .

وقُصد من البلاد لحُسْنِ خطّه ، ولعلم الموسيقا . وطبقت مصنفاته الأرض في هذا العلم تطبيقاً . لأنه كان فيها لا يُبارى ، ولا يُباده ولا يجارى . إذا وقّع أغرب ، وإذا

---

(١) (أ) ، (خ) : « يكون » .
(٢) (أ) ، (خ) : « لتعذر » .
(٣) الربعة : صندوق أجزاء المصحف ، مولدة .
(٤) الحمل الثقيل .
(٥) (أ) ، (خ) : « إحياء علوم الدين » .
(٦) مصابيح السنة للبغوي . الكشف : ١٦٩٨/٢ .
(٧) عمر بن محمد بن عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) .الكشف : ١١٧٧/٢ ، والسير : ٣٧٣/٢٢ .
(٨) (أ) : « للصنعاني » ، تحريف ، الكشف : ١٦٨٨/٢ .
(٩) (أ) ، (خ) : « جماعة كثيرة » .
(١٠) (أ) ، (خ) : « محمد بن » .

تنحنح ، قيل إنه من الأوتار أطرب . قد لَطف لجسّه[١] إبْرِيْسَمُهُ[٢] ، وطُبع على هذه الصناعة مِيْسَمُه ، إلا أنه أخيراً أنِف من نسبة هذا الفن إليه ، ونفض منه يَدَيْه .

وكان حظيّ الذِّكر عند الملوك ، تكاد أنباؤه تنخرط مع الدرّ في السلوك . كاتَبه سلطان الهند وصاحب اليمن وجماعة ليمضي إليهم فما وافق ولا رافق ، ولا نافى في الظاهر ولا نافق .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل الكسوف بشمسه ، وجعل الموت قُرْبَه أبعدَ من أمسه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وصُلّي عليه بجامع الخليفة ، ودفن عند جدّه .

ومولده ببغداد سنة أربع وخمسين وست مئة . ومات ومافي لحيته من الشيب إلا شعرات يسيرة .

ومن شعره :

بدا نجم السعادة في الصّعود ... وبَشَّرَ بالميامن والسعود
وحقق فيك آمالَ البرايا ... بما أولاك من كرمٍ وجود
فلاح لنا الفلاحُ وحلّ فينا ... محلَّ الروح من جسم العميد
وأبقينا النفوسَ بظلّ أمن ... يعمّ الخلق في مُدُن وبيد
بعدلٍ شامل في كل أرضٍ ... لسلطان الزمان أبي سعيد

ومنه :

---

(١) (أ) ، (خ) : « لحسّه » .

(٢) في القاموس : الإبريسم ، بفتح السين وضمها : الحرير ، أو معرب : مفرح مسخّن للبدن ، معتدل ، مقوٍّ للبصر إذا اكتحل به .

قد قنعنا بخمولٍ عن غنى وبعزّ اليأس عن ذلّ التمني[١]
فكريم القوم لا أسألـه فلماذا يُعرض الباخل عنّي

قلت : إلا أن هذا شعر نازل ، وهو أقرب إلى التوسّط .

٢١٨ ـ أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلّي بن دعجان*

ينتهي إلى عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . القاضي شهاب الدين أبو[٢] العباس ابن القاضي محيي الدين القرشي العدويّ العمري الدمشقي .

الإمام الفاضل البليغ المفوّه حجة الكتّاب ، إمام أهل الآداب ، الناظم الناثر ، أحد رجالات الزمان كتابة وترسُّلاً ، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسّلاً[٣] ، وإقداماً على الأسود في غابها ، وإرغاماً لأعاديه بمنع[٤] رغابها ، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلّهب ، ويتحدَّرُ سَيْلُه ذاكرةً وحفظاً ويَتصبَّب ، ويتدفق بحره[٥] بالجواهر كلاماً ، ويتألّق إنشاؤه بالبوارق المتسرعة نظاماً ، ويقطر كلامه فصاحة وبلاغة ، وتندى عبارته انسجاماً وصياغة ، وينظر إلى غيب المعنى من سترٍ رقيق ، ويغوص في لجّة البيان فيظفر بكبار الدُّرِّ من البحر العميق ، استوت بديهته وارتجاله ، وتأخر عن فروسيَّته من هذا الفن رجالُه ، يكتب من رأس قلمه بديهاً ما يعجز تروِّي القاضي الفاضل أنْ

---

(١) (أ) : « وبذل اليأس » .

* الوافي : ٢٥٢/٨ ، وفوات الوفيات : ١٥٧/١ ، والبداية والنهاية : ٢٢٩/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٣/١ ، والدرر : ٣٣١/١ ، وبدائع الزهور : ٥٣٣/١/١ ، والشذرات : ١٦٠/٦ ، والذيل التام : ١٠٥ ، والمنهل الصافي : ٢٦١/٢ ، وفيه : « المحلي » ، بالحاء .

(٢) في الأصل : « أبي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) في الأصل « توصلا » ، تحريف . وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) (أ) ، (خ) : « في منع » .

(٥) في الأصل : « مجرّة » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

يدانيه تشبيهاً ، وينظم من المقطوع والقصيدة جَوْهراً ، ما يخجل الروض الذي باكره الحيا مزهراً ، جبل كتابة وأخبار ، وبحر إصابة في المعاني التي[١] لا يشق له فيها غبار .

وأمّا نثره فقلّ من يُجَاريه ، أو يقارب خطو قلمه في تنسيق دراريه . وأما نظمه ففي الثريّا ، وأبياته تطول في المحاسن رَيّاً ، وتَضَوَّعُ رَيّاً .

قرأ العربية على الشيخ كمال الدين ابن قاضي شهبة ، ثم على قاضي القضاة شمس الدين بن مُسلّم[٢] ، والفقه على قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد[٣] ، وعلى الشيخ برهان الدين قليلاً[٤] ، وقرأ (الأحكام الصغرى)[٥] على الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، والعروض على شمس الدين الصايغ[٦] ، وتأدَّبَ على علاء الدين الوداعي[٧] . وقرأ جملة من المعاني والبيان على شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ، وقرأ عليه تصانيفه ، وجملة من الدواوين وكُتب الأدب . وقرأ بعض شيء من العروض على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني . والأصول على الشيخ شمس الدين الأصبهاني . وقرأ بمصر[٨] على الشيخ أثير[٩] ، وسمع منه . وسمع بدمشق والقاهرة والحجاز والإسكندرية وبلاد

---

(١) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٢) هو محمد بن مسلم بن مالك المزي الدمشقي (ت٧٢٦هـ) . (الدرر) .

(٣) في المنهل : « أحمد بن المجد » . وعلق المحقق بقوله : « الملقب شهاب الدين بن المجد اسمه محمد وليس أحمد كما ورد بالمتن ، وهو محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن علي الإربلي الشافعي ، شهاب الدين قاضي قضاة دمشق المتوفى (٧٣٨هـ) ... أما المسمى أحمد بن المجد فلقبه مجد الدين .. » . وانظر الإعلام : ٣١٢ .

(٤) ليست في (خ) . وهو إبراهيم بن عبد الرحمن بن سباع (ت٧٢٩هـ) .

(٥) في الحديث ، لعبد الحق بن عبد الرحمن بن خراط الإشبيلي ، (ت٥٨٢ هـ) . الكشف : ١٩/١ .

(٦) في المنهل : « ابن الصايغ » . وهو محمد بن حسن بن سباع (ابن الصايغ) (ت٧٢٠هـ) .

(٧) علي بن مظفر الكندي ، (ت٧١٦هـ) . ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) ليست في (أ) .

(٩) في الوافي : « أثير الدين » ، وهو أبو حيان .

الشام ، ونظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات ودو بيت وأنشأ كثيراً من التقاليد[١] والمناشير والتواقيع والأصدقة .

كتب الإنشاء بدمشق أيام بني محمود ، ثم ولي والده كتابة السرّ بدمشق ، ثم طُلب إلى مصر هو ووالدُه في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة ، وباشر والده كتابة السرّ بمصر ، ثم خرج مع أبيه إلى دمشق ، ثم عاد إليها معه في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وأقام إلى بعض سنة ست وثلاثين ، وهو في المرة الأولى والثانية يدخل يقرأ البريد على السلطان ، وفي الثانية جلس في دار العدل ووالده القاضي محيي الدين كاتب السر .

وجرى له ما جرى مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولزم بيته . ثم حجّ وحضر ، وغضب عليه السلطان واعتقله بقلعة الجبل ، وأخذ منه مئة ألف درهم ، ولما أُمسك الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ولاّه السلطان كتابة السرّ بدمشق ، فحضر إليها يوم عاشوراء ، فيما أظن ، سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وباشر ذلك إلى آخر أيام أَيْدَغْمشُ نائب الشام ، وتوجّه إلى حماة ليتلقى[٢] الأمير سيف الدين طُقْز تَمُر من حلب ، فجاءه الخبر في حماة أنه قد عزل بأخيه القاضي بدر الدين محمد[٣] ، فجاء إلى دمشق ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وبقي في الترسيم بالفلكية[٤] قريباً من أربعة أشهر ، وطلب إلى مصر فما وصل إلى مصر[٥] حتى شفع فيه أخوه علاء الدين[٦] كاتب السر بمصر وردّه من الطريق ، فقال : لا بد من أن أرى وجه أخي ، فدخل مصر ، وأقام أياماً ، وعاد إلى دمشق بطّالاً ، ولم يزل بها مقيماً في بيته إلى

---

(١) في الأصل : « المقاليد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والمنهل .

(٢) (أ) ، (خ) : « لتلقي » .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) المدرسة الفلكية ، داخل بابي الفراديس والفرج ، أنشأها فلك الدين سليمان . الدارس : ٣٢٧/١ .

(٥) (أ) ، (خ) : « بلبيس » .

(٦) علي ، (ت ٧٦٩ هـ) . وفيات ابن رافع : ٢٤/٢ ، والدرر : ٢١٢/٣ ، والنجوم : ١٠٢/١١ .

أن حدث الطاعون بدمشق فقلق منه ، وتطاير به ، وعزم على الحج ، ثم أبطله ، وتوجّه بأهله إلى القدس ، فتوفيتْ هناك زوجته ابنة عمّه ، فدفنها هناك ، وما به قَلَبَة[١] غير أنه مروع[٢] من الطاعون ، فحصل له يوم وصوله حمّى رَبع[٣] ، ودامت به إلى أن حصل له صَرْع ، فمات منه ، وسكن ذلك الهدير ، ونضب ذلك الغدير ، وكان يوم عرفة سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ودفن بتربتهم بالصالحية وكانت جنازته حافلة .

ومولده بدمشق ثالث شوال سنة سبع مئة[٤] .

وصنّف (فواضل السمر في فضائل آل عُمر) أربع مجلدات[٥] ، وكتاب (مسالك الأبصار) في أكثر من عشرين مجلداً[٦] ، ما أعلم لأحد مثله ، تراجمه مسجوعة جميعها[٧] ، ولي فيه عمل كثير في اختيار شعره ، و (الدعوة المستجابة)[٨] ، و (صبابة المشتاق) ، مجلد في مدائح النبي ﷺ[٩] ، و (سفرة السفر)[١٠] ، و (دمعة الباكي ويقظة الساهر)[١١] ، وقرأتها عليه بمصر ، و (نفخة الروض)[١٢] ، وغير ذلك .

---

(١) القلبة : داء وتعب .

(٢) في الأصل : « مروغ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) أي حمّى دائمة .

(٤) قوله : « ودفن بتربتهم .. » حتى ههنا ، ليس في (خ) .

(٥) الكشف : ١٢٩٣/٢ ، ووقع في الأصل : فضل السمر ، وأثبتنا ما في أصول ترجمته والمصادر الأخرى .

(٦) الكشف : ١٦٦٢/٢ ، وقد طبع منه الجزء الأول . الأعلام : ٢٦٨/١ .

(٧) (أ) ، (خ) : « كلها مسجوعة » .

(٨) الكشف : ٧٥٦/١ .

(٩) الكشف : ١٠٧٠/٢ .

(١٠) في الكشف : « سفرة السافر » : ٩٩٢/٢ ، وفي الوافي : « سفرة السفرة » .

(١١) في الأصل : « البالي » ، تحريف . وانظر الكشف : ٧٦١/١ .

(١٢) الكشف : ١٩٦٨/٢ .

كتب هو إليَّ ملغزاً :

أيها الفاضلُ الذي حاز فضلاً ... ما عليه لمثله من مزيد[١]
قد تدانى عبد الرحيم إليه ... وتنادى إليه عبد الحميد[٢]
أي شيء سمّي به ذات خدر ... تائه بالإما أو بالعبيد
هو وصف لذات سرٍ مصون ... وهي لم تخف في جميع الوجود
مذ مضى حينها بها ليس يأتي ... وهو يأتي مع الربيع الجديد[٣]
وهو مما يبشر الناس طراً ... منه مأتى وكثرة في العديد[٤]
وحليم إرادة لا لذات ... بل لشيء سواه في المقصود
ذاك شيء مَنْ ارتجاه سفيهٌ ... وهو شيء مخّص بالرشيد

فكتبت أنا الجواب إليه وهو في « زبيدة » :

يا فريداً ألفاظه كالفريد ... ومجيداً قد فاق عبد المجيد
وإمام الأنام في كل علم ... وشريكاً في الفضل للتوحيد
علم العالمون فضلك بالعلـ ... ـم وقال الجّهال بالتقليد
من تمنى بأن يرى لك شبهاً ... رام نقضاً بالجهل حكم الوجود[٥]
طال قدري على السماكين لمّا ... جاءني منك عقد درّ نضيد
شابه الدر في النظام ولمّا ... شابه السحر شاب رأسُ الوليد
هو لغز في ذات خِدْر منيع ... نَزَلَتْ في العلى بقصر مشيد
هي أمّ الأمين ذاتُ المعالي ... من بني هاشم ذوي التأييد

(١) (خ) : « كمثله » .
(٢) في (أ) ، (خ) : « لديه عبد » . وعبد الرحيم هو القاضي الفاضل ، وعبد الحميد الكاتب .
(٣) (أ) ، (خ) : « وهي تأتي » .
(٤) (خ) : « يباشر » .
(٥) (خ) : « نقصا » .

أنت كنت الهادي لمعناه حقاً حين لوّحْتَ لي بذكر الرشيد
دمت تُهدي إليّ كل عجيب ماعليه في حسنه من فريد[١]

وكتبت أنا إليه ملغزاً في « نجم » :

ياسيّداً أقلامُه لم تزل تُهدي لآلي النظم والنثر
قل لي ما اسمّ قلبه لم يزل معذَّباً بالبيض والسُّمر[٢]
وكلُّه في الأرض أو في السما وثلثه يَسْبح في البحر

فكتب هو الجواب عن ذلك :

دمتَ خليلي سائر الذكر مثلَ الذي ألغزتَ في القَدْرِ
بعثتها نجميّة قد حلَتْ لكنها مِنْ سُكَّر الشكر
تطلع بالنجم فأمّا الذي في مطمح الزُهر أو الزَّهْر[٣]
عجبتُ منه كيف شقّ الدجا ومأتَى إلاّ مع الفجر
من صنعة البَرِّ ولكنه قد جاءني في راحة البَحْر
أقسمت منه قَسَماً بالغاً بالفجر والليل إذا يسر
لقد أغْرتَ الغيد إذ لم تجدْ شبهه في الجيد والثغر[٤]
بعقد دُرّ ماله قيمةٌ يا حُسْنه للكوكب الدرّي
مُسهّد تذكى له مقلةٌ مقلوبة كالنظر الشَّزْرِ
وهو إذا حقّقت تعريفه عَرَفْتَ منه منزل البدر
بواحد عَدُّوا له سبعةً تقيسُ ذَيْلَ الليل بالشِّبر

---

(١) (أ) : « عجب » .
(٢) (أ) ، (خ) ، والوافي : « لم يزل قلبه » .
(٣) (أ) : « الزهراء والزهر » .
(٤) (أ) ، والوافي : « شبيهه » .

فاعذر أخيَّ اليوم إن قصرت بديهتي واقبل لها عذري
فليس بالألغاز لي قدرة ولا غزا في جيشها فكري[١]

وكتبت أنا إليه مع ضحايا أهديتها :

ياسيداً أرجو دوام ظلاله علينا وأن يمسي بخيرٍ كما يُضحي[٢]
وحقك ما هذي ضحايا بعثتها ولكنني سقت الأعادي للذبح[٣]

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

أتتني ضحاياك التي قد بعثتها لتصبح كالأعداء في بكرة الأضحى
وحقك أعدانا كلابٌ جَميعهم وحاشاك لا تُجزي الكلاب لمن ضحّى

وكتبت إليه أتقاضاه إنجاز ما وعد به من قلع شجرة ليمون مختم وتجهيزها ، والتزمت الياء قبل النون :

ياسيداً فيه لي ولاء عند جميع الورى تَعَيّنْ
لله ليمونه أراها لي مونةً غُصْنُها تزيّنْ
كأعْين الحاسدين بغيا لأجل ذا قلعها تعيّنْ

فكتب الجواب ، والتزم نوناً قبل النون :

يافاضلاً ماله عديل لأنه في الورى تفنَّنْ
وكلّ شيء عاناه فينا على طريق الهدى تفنَّنْ
أمرك حكم في كل عقلٍ ما عاق إلاّ من قد تجنّنْ

---

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « في الألغاز لي عادة » .
(٢) في الوافي : « أياسيداً » .
(٣) في الوافي : « إلى الذبح » .

وكان قد أهدى إليّ ـ رحمه الله تعالى ـ عندما عمرت الدّويرة التي لي بدمشق عشرة أحمال رخاماً ، فكتبتُ إليه أشكره على ذلك ، وطلبت ذلك فلم أجده وقد عرفته[١] الآن عند تعليقي هذه الترجمة وهو :

لَعَمْري لقد أهدى سماحُك والندى ... حُمول رُخام مثل روض تنمنما
فأمسيتُ منها في رخاء وفي غنى ... فيا من رأى قبلي رخاماً مرخّما

وكتب هو الجواب عن ذلك ، ولكنني لم أجده الآن .

وأنشدني لنفسه ونحن على العاصي بحماة :

لقد نَزَلْنَا على العاصي بمنزلة ... زانت محاسنَ شطّيه حدائقُها
تبكي نواعيرها العَبرى بأدمعها ... لكونه بعد لقياها يفارقها[٢]

فأنشدته أنا أيضاً لنفسي :

وناعورة في جانب النهر قد غَدَتْ ... تَعبّر عن شوق الشجي وتُعرب
ترقص عطف الغصن تيهاً لأنها ... تُغَنّي له طول الزمان ويشرب[٣]

وأنشدني هو أيضاً لنفسه :

إنّا تقيم على حماة حجّة ... في حسنها ولها جمال يبهت
ومن النواعير الفصاح خصومنا ... ولها لسان ناطق لا يسكت

فأنشدته أنا أيضاً لنفسي :

ناعورة أنّت وحنّت فقد ... شوّقت الداني والقاصي[٤]

---

(١) في الأصل : « غرمته » ، وهي بعيدة ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « يغارقها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) . والبيتان في المنهل .
(٣) في المنهل : « فيرقص » .
(٤) (أ) ، (خ) : « الداني إلى القاضي » .

قـــد نبهتني للهـــدى والتقى لَمّـــا غـــدت تبكي على العـــاصي

وأنشدته أنا لنفسي ، وقد طال علينا المركز من شمسين[١] إلى حمص :

محبـــوب قلبي مثـــل بـــدر السّما أدنيـــه عمري وهـــو لي يقصي[٢]
بيني وبين الصبر في حبّـــه مـــابين شمسين إلى حمص

[فأنشدني هو أيضاً لنفسه :

لقـــد تمـــاديت مـــدىً يـــا رستن كأنمـــا قربـــك مـــا لا يمكنُ
لمـــا جعلنـــاك ضمير قصـــدنـــا غـــدوت ممّـــا لا تراك الأعينُ][٣]

وكتب إليّ من دمشق وأنا بالقاهرة سنة (٧٤١)[٤] :

رحلتم فـلا والله مـــا بَعْـــدَكم قلبي بقلبي ولا والله عقلي ولا لُبّي
هجرتم زمـــانـــاً ثم شـــطّ مـــزاركم فآهاً على بُعدي وآهاً على قربي[٥]
وبـــدّلتم غيري ووالله مـــا رأت ســـوى حسنكم عيني ولا غيركم قلبي
لئن كان ذنبي أن قلبي بحبّكم فيـــاربّ زدني منـــه ذنبـــاً على ذنبي
ولا تحسبـــــوا أني تغيّرتُ مثلكم فمـــــا قلبكم قلبي ولا خبّكم حبي
رحلتم ومـــا كنتم ســـوى روح مغرم قضى بكم وجداً وما غاب في الترب
نـأيتم فـلا والله مـــا هبّت الصّبـــا فنمتُ مـــع النّـــوام جنبـــاً على جَنْبي
لئن عُـــدْتُم عـــاد السرور جميعُـــه وإلاّ فمـــالي بـــالرســـائـــل والكتب
دَعُـوا عنكم التعليـل بـاليـوم أو غـد فلست بمن يبقى إلى البعـد والقرب

---

(١) شمسين : بليدة قبل حمص من جهة الجنوب .
(٢) في الأصل : « أديته » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (أ) ، (خ) .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٤) (أ) ، (خ) : (٧٤٥) .
(٥) (أ) ، (خ) : « شطت ديارکم » .

ولا تعجبـــــوا إنْ متّ حين فراقكم ... إذا بـــانَ حبّي كيف لا ينقضي نحبي
أأحبـــابنـــا كيف استقلت ركابكم ... وماعلقتهـا العين في شرك الهُـدب
وطرتم سِراعـــاً كالطيـور مشقـــة ... فهـلاّ وقعتم في القلـوب على الحَبّ
ووالله مـــا حَـــدّثت نفسي بمجلس ... سوى ما أفاض الدمع فيـه من الحبّ[1]
ولا كان شرق الـدمع من طبـع مقلتي ... إلى أن تغربتم ففـــــاض من الغَرْب
ونغّصتم طِيْبَ الحيـــاة ببعـــدكم ... وهيهـات أن ترجى حَيَـاةُ فتىً صَبِّ
أأبغي سـواكم في الهـوى أو أريـده ... وهجركم سقمي ووصلكم طبّي[2]
دعـوني وأطـلال الـديـار أَنُحْ بهـا ... وأنـدبهـا إن كان ينفعهـا نـدبي[3]

فكتبت أنا الجواب إليه :

دعـوتم على بعـــد فلبّـــاكم لبّي ... ونـاجـاكم قلبي على البعـد والقرب
ومالي وذكر الدار يـا سـاكني الحشـا ... ودراكم عيني ودراكم قلبي
وأقسم أنَّ الجفن فيكم جفـــا الكرى ... وأحرق قلب الصب من دَمْعِه الصَّبِّ
إذا قلتُ هُبّي يـــا نَسَيمـــةَ دارِهم ... يقول الجوى يـا نـارَ أشواقِه شبّي[4]
أيـا جيرة بـالقلب لا الشـام خيّمـوا ... محـاسنكم تصبي القلـوب فلم تسبي[5]
لأنتم وإن أضرمتم النـــار في الحشـــا ... ألـذّ إلى قلبي من البـــارد العـــذب
رفعتكم جَرّاً إلى نصب نـــــاظري ... فيـــا حَبّـــذا رفـعٌ يجر إلى نَصْب
أحـــاشيكم أن يـــألفَ القلبُ غيركم ... فقلبي لا يرضى بهـــــذا ولا ربّي
وحقكم مـــــــا راقني غَيرُ حسنكم ... وإحســانكم حسبي بمـا راقني حسبي

(١) (أ) ، (خ) : « الحبّ » .
(٢) (أ) ، (خ) : « وأريده » .
(٣) (أ) ، (خ) : « ينفعني » .
(٤) (أ) : « أشواقهم » .
(٥) في الأصل : « القلب لا الشام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

رحلت ولي قلب مقيم على الوفا ... لعهدكم حتى أوسَّد في التُّرْب
أحاول عَودي نحوكم ويصدّني ... خيانة دهر راح حربي لا حزبي[١]
أليس من الأنكاد أن لا مخبّر ... يبلغكم عني سلامي ولا كتبي
ولولا المنى أن يجمع الله شملنا ... قريباً لما فارقت نَوحي ولا نَدْبي
سأجهد في عَوْدي لمطلع حبكم ... ولو أن لي في مصر مملكة الغرب
بُعثتم على بخل الزمان لأنكم ... كرام بنظم فاق منسجم السُّحب[٢]
غدا خارجاً في النظم عن قدرة الورى ... ولكنّه في حُسْنه داخل الضرب
فقلت لدهري زِد[٣] عليّ قساوة ... فقد ظفرت كفاي باللؤلؤ الرطب[٣]

وكتب هو إليّ وقد تواترت الثلوج والأمطار سنة (٧٤٤) : كيف أصبح مولاي[٤] في هذا الشتاء الذي أقبل يُرعب مَقْدَمُه ، ويُرهب تقدّمه ، ويريب اللبيب من برقه المومض تبسّمه[٥] ، وكيف حاله مع رعوده الصّارخة ، ورياحه النافخة ، ووجوه أيامه الكالحة ، وشرر[٦] لياليه التي لا نبيت منها بليلة صالحة ، وسحابه وأمواجه ، وجليده والمشي فوق زجاجه ، وتراكم مطره الأنيث[٧] ، وتطاول ليل فرعه[٨] الأثيث ، ومواقده الممقوته ، وذوائب جمره ، وأهون به لو[٩] أنَّ كلَّ حمراء ياقوته ، وتحدّر نوئه المتصبب ، وتحيّر نجمه المتصيّب ، وكيف هو مع جيشه الذي

(١) كذا في الأصول ، ولعل الصواب : « رام حربي .. » .
(٢) (أ) : « الصبّ » .
(٣) في الأصل : « رد علي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) (أ) ، (خ) : « مولانا » .
(٥) في الأصل : « وميض تبسّمه » ، ولا يستقيم مع ما تقدمها من سجعة . وفي (أ) ، (خ) : « المومض وتبسمه » .
(٦) في الوافي : « وسرر » .
(٧) في الأصول : « الأثيث » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والأثيث : المخصب .
(٨) في الوافي : « فرع ليله » .
(٩) (أ) ، (خ) ، والوافي : « ولو » .

ما أطلّ حتى مدّ مضارب غمامه ، وظلّل الجو بمثل أجنحة الفواخت من أعلامه ، هذا على أنه حَلَّ عُرى الأبنية ، وحلل ما[١] تلف في ذمّة سالف الأشتية [٢] ، فلقد جاء من البرد بما رضَّ العظام وأنخرها ودقّ فخّارات الأجسام وفخّرها ، وجمّد في الفم الريق ، وعقد اللسان إلا أنه لسان المنطيق ، ويَبَّسَ الأصابع حتى كادت أغصانها تُوقد حطباً ، وقيّد الأرجل فلا تمشي إلاّ تتوقع عَطَباً ، وأتى الزمهرير بجنودٍ ما للقويّ بها قَبَل ، وحمّل الأجسام من ثِقَل الثياب مالا يعصم منه مَن ﴿ قالَ سآوِي إلى جَبلٍ ﴾[٣] ومدّ من السيل ما استبكى[٤] العيون إذا جرى ، واجتحف ما أتى عليه وأوّلُ ما بدا الدمع بالكرى ، فكيف أنت يا سيّدي في هذه الأحوال ؟ ، وكيف أنت في مقاساة هذه الأهوال ؟ ، وكيف رأيت[٥] منها ما شيّب بثلجه نواصي الجبال ، وجاء بالبحر فتلقف ثعبانه ما ألقته هراوات البروق من عصيّ ، وخيوط السحب من حبال ؟ . أمّا نحن فبين أمواجٍ من السحب تزدحم ، وفي رأس جبلٍ لا يُعصم فيه [من][٦] الماءُ إلاّ من رُحِم ، وكيف سيدنا مع مجامر كانون وشرار برقها القادح ، وهمٍّ ودقها[٧] الفادح ، وقوسِ قزحها المتلوّن ردّ الله عليه صوائب سهامه ، وبَدَّل منه[٨] بوشائع حلل الربيع ونضارة أيّامه ، وجَعَل حظّ مولانا من لوافحه ما يذكيه ذهنه مِن ضرامه ، ومِن سوافحه ما يولده فكره من توأمِهِ[٩] ، وعوّضنا وإياه بالصيف ، والله يتقبّل ، وأراحنا من هذا الشتاء ومَشْي غَمامه المتبختر بكَمّه المسبل ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

(١) (أ) ، (خ) : « وخلل » . وفي الوافي : « مما تلف » .
(٢) في الوافي : « في دمه الأستية » .
(٣) هود : ٤٣/١١ .
(٤) (أ) ، (خ) : « ما اشتكى » .
(٥) في الوافي : « ترأيت » .
(٦) زيادة ثابتة في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٧) في الوافي : « وقدها » .
(٨) ليست في (أ) .
(٩) في الوافي : « ما يؤكده فكره من نوامه » .

فكتبت أنا الجواب :

يقبّل الأرض ، وينهي وُرُود هذه الرقعة التي هي طرازٌ في حلّة الدهر ، وحديقة ذكّرت بزمن الربيع ، وما تهديه أيامه من الزهر ، فوقف منها على الروض الذي تهدّلت فروعُ غصونه بالأثمار ، ونظر منها إلى الأفق الذي كلٌّ[١] كواكبه شموسٌ وأقمار ، فأنشأت له أطرابه ، وأعلمته أنّ قلم مولانا يفعل بالألباب ما لا يفعله نغمة[٢] الشبآبة ، وأرشفته سُلافاً كؤوسها الحروف وكل نقطة حبابَه ، وشاهد أوصاف هذه الأيام المباركة القدوم المتصلة الظلام ، فلا أوحش الله من طلعة الشمس وحاجب الهلال وعيون النجوم ، فمالنا ولهذه السحائب السَّحابة ، والغمائم السكّابة ، والرعود الصخّابة ، والبروق اللهابة ، والثلوج التي أصبحت بحصبائها حصابة ، والبرد الذي أمست[٣] إبَرُه لغصون الجلود قَطّابة ، والزُّميتا التي لا تروي عن أبي ذرّ إلاّ وتروي الغيث[٤] عن أبي قلابة[٥] ، كلّما أقبلت فحمة[٦] ظلام قدحت فيها البوارق شرار[٧] جمرتها ، وكلّما جاءت سحابة كحلاء الجفون رجعت مرهاء[٨] لما أسبلته من عبرتها ، فما هذا شهر طوبة إنْ هذا إلاّ جبل ثهلان ، وما هذا كانون إنْ هذا إلاّ تنّور الطوفان ، وإلى متى قُطْنُ هذه الثلوج يُطْرَح على جباب[٩] الجبال ، وإلى متى تُفَاضُ دلاص الأمطار[١٠] ، ويرشقها قوس قزح بالنبال ؟! ، وإلى متى تشقق السحاب ومالها من الحلل والحبر ،

(١) (أ) : « كأن » ، وقد خلا منها الوافي .
(٢) ليست في (أ) ، (خ) .
(٣) (أ) ، (خ) : « أصبحت » .
(٤) في الوافي : « العيب » ، ولا وجه لها .
(٥) عبد الله بن زيد الجرمي التابعي ، (ت١٠٤ هـ) ، وفي العبارة تورية .
(٦) في الأصل : « لفحة » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٧) ليست في الوافي .
(٨) في الوافي : « مدها » ، تحريف ، وعين مرهاء : خالية من الكحل .
(٩) في الأصل : « جياب » تصحيف .
(١٠) (أ) ، (خ) ، والوافي : « الأنهار » . والدلاص : الملساء البراقة .

وإلى متى ترسل خيوط المزن من الجوّ وفي أطرافها على الغدران إبَرُ[١] ، وإلى متى تجمد عيون الغمام وتكحّلها البروق بالنار ، وإلى متى نثارُ هذه الفضّة وما يُرى من النجوم دينار ؟ ، وإلى متى نحن نَحْنُو على النار « حُنُوَّ المرضعات على الفطيم »[٢] ، وإلى متى تبكي الميازيب :

بكاء الأوليـــــاء بغير حـــزنٍ إذا استـولـوا على مـــال اليتيم

وإلى متى هذا البرق تتلوّى[٣] بطون حيّاته وتقلب[٤] حماليق العيون المحمرّة من أسود غاباته ؟ ، وإلى متى يزمجر غيث[٥] هذه الرياح العاصفة ، وإلى متى يرسل الزمهرير أعواناً تصبح حلاوة الوجوه بها تالفة ، أترى هذه الأمطار تقلب بالأذيار أم هذه المواليد التي تنتهي فيها الأعمار ، كم جليد[٦] يذوب به[٧] قلب الجليد ، ويرى زجاجةُ الشفّاف أصلب من الحديد ، ووحل لاتمشي فيه هريرة الوحى[٨] ، وبردٍ لا تنتطق به نؤوم الضحى ، « اللهم حوالينا ولا علينا »[٩] ، لقد أضجرنا تراكم الثياب ، ومقاساة ما لهذه الرحمة من العذاب ، وانجماع كلٍّ عن إلفه ، وإغلاق باب القباب ، وتحلّل الضباب زوايا البيوت ، فالأطفال ضباب الضَّباب ، كلّ ضَبّ منهم قد أَلِف باطن نافقائه ، وقدم بين يديه الموت بداية بدائه ، قد حُسد على النار مَنْ أمسى

---

(١) قوله : « وإلى متى ترسل .. » حتى ههنا ، ليست في (أ) .

(٢) عجز بيت ، تمامه : « حللنا دوحه فحنا علينا .. » ، يعزى للمنازي الكاتب ، أحمد بن يوسف السليكي ، ت٤٣٧ هـ ، ويعزى كذلك إلى حمدونة بنت زياد (وفيات الأعيان : ١٤٣/١) .

(٣) في الأصل : « تتلون » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) (أ) : « وتتقلب » ، والوافي : « وتنقلب » .

(٥) في الوافي : « عتب » .

(٦) (أ) ، (خ) ، والوافي : « كم من جليد » .

(٧) في الوافي : « له » .

(٨) الوحى : الإسراع والعجلة .

(٩) من كلامه ﷺ ، في حديث الاستسقاء . انظر : رواياته مخرجاً في جامع الأصول : ١٩٥/٦ ومابعدها .

مذنباً وأمسى عَاصياً وتمنّى أن يرى من فواكه الجناتِ عنّاباً من النار وقراصيا ، فإن كانت هذه الأمطار تكاثر مكارم مولانا فيا طول ما تَسْفح ، وإن كانت العواصف تتشبّه ببأسه فيا طول ما تلفح ، وإن كانت البروق تحاكي ذهنه المتسرّع فيا طول ما تتألق ، وإن كانت قوس قزح تتلّون خجلاً من طروسه فيا طول ما تتألق [١] ، وإن كانت الرعود تحاكي جوانح أعدائه فيا طول ما تشهق وتفهق ، وإن كانت السيول تجري وراء جوده فإنها تجري على طول المدى وما تلحق ، والأَوْلى بهذا النوء الباكي أن لا يحاكي ، والأليق بهذا الفصل المبغض أن لا يتعرّض ، فرحم الله مَنْ عرف قدْره ، وتحقّق أنّ مولانا في الجود نَدْرَه ، أنهي ذلك .

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك ، وكتبت جوابه نظماً ، وكتب هو الجواب عن ذلك نظماً .

وكتب إليّ وأنا بالقاهرة وهو يومئذٍ في دمشق رسالة في الثلج ، وكتبت جوابه ، وكتب هو إليّ رسالة يصف كثرة المطر نظماً ونثراً ، وكتبت جوابه أيضاً كذلك[٢] .

وبيني وبينه مكاتباتٌ كثيرة ، وقد أوردت ذلك في كتابي « ألحان السواجع » .

ولّما توفي رحمه الله تعالى كتبت إلى أخيه القاضي علاء الدين صاحب دواوين الإنشاء أعزيه ، ونسخته : يقبّل الأرض وينهي ما عنده من الألم الذي برَّح ، والسقم الذي جرّ ذيول الدمع على الخدود وجرَّح ، لما قدّره الله تعالى من وفاة القاضي شهاب الدين :

سَقَتْهُ بألطف أندائها وأغزرها سارياتُ الغمام

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قَوْلَ من غابَ شهابه ، وآب التهابه ، وذاب قلبه فصار للدمع قليباً ، وشاب فوده لّما شبّ جمر فؤاده ، ولا غروَ فيومه جعل الولدان شيباً ،

(١) (خ) : تتآنق » .

(٢) (أ) ، (خ) : « عن ذلك » .

فيا أسفي[١] على ذلك الوجه الملّي بالملاحة ، واللسان الذي طالما سحر العقول ببيانه ، فصاحت : يا ملك[٢] الفصاحه ، واليد التي كم روّضت الطروس أقلامها ، وأنشأت أسجاعاً لم تذكر معها بانات الحمى ولا حمامها ، وكأنّ أبا الطيّب ما عنى سواه بقوله[٣] :

تعثرت بك في الأفواه ألسنها والبُرْد في الطُرق والأقلام في الكتب

فرحم الله ذلك الوجه ، وبلّغه ما يرجوه ، وضوّاه بالمغفرة يوم تبيضّ وجوهٌ وتسودّ وجوه . لقد فقد المجد المؤثل منه ركناً تتكثر به الجبال فما تقلّه ولا تستقلّه ، وعدمت الآداب منه بارعاً لو عاصره الجاحظ ما كان له جاحداً ، أو البديع علم أنّ ما فُضّ له فضله ، وغاب من الإنشاء منه كاتب ليس بينه وبين الفاضل لولا أخوه مثله ، أترى ابنَ المعتز عناه بقوله :[٤]

هذا أبو العبّاس في نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وما يقول المملوك في البيت[٥] الكريم ، ألاّ إنْ كان قد غاب بدره وأفل شهابه ، أو غاص قطره وتقشّع سحابه فإنّ نيّره الأعظم باقٍ في أوْجه ، وبحره الزاخر متلاطمٌ في موجه ، وفي بقاء مولانا خَلَفٌ عمّن سلف ، وعِوَضٌ عمّا انهدَم ركنه وانقضّ ، وجبرٌ لمن عدم الجلد والصبر ، والله يمتع المسلمين[٦] بحياته ، ويجمع لديه بين ثوابه وثباته ، لأنّه قد عاش الدرّ المفدّى بالذهب وأضاءت شمس المعالي إن كان قد خَمَد اللهب :

علمَ الله كيف أنت فأعطـ ك المحلّ الجليل من سلطانه
جعل الدين في ضمانك والدنـ ـيا فعش سالماً [لنا] في ضمانه[٧]

---

(١) (خ) : « أسفا » .
(٢) (أ) : « ملاك » .
(٣) ديوانه : ٨٨/١ وفيه : « تعثّرت به » . والبُرْد : جمع بريد .
(٤) ديوان ابن المعتز : ٣٥٨/٢ ، وفيه : « هذا أبو القاسم » .
(٥) في (أ) ، (خ) : « في هذا البيت » .
(٦) (أ) ، (خ) : « الوجود » .
(٧) الزيادة ليست في الأصل ، وهي ثابتة في النسخ الأخرى .

وقد نظم المملوك قصيدةً[٢] في رثاء المشار إليه ، وجعلَ قوافيها تبكيه ، وألفاظها تنوح عليه ، وهي :

الله أكبرُ يـــــابن فَضْـــل الله ... شَغَلَتْ وفـــاتُـــكَ كلَّ قلبٍ لاه
كلٌّ يقـول وقـــد عرتـــه كآبـــة ... واهـــاً لفقـــدك إنّ صبري واه
فقـدتْ بـكَ الأملاكُ بحرَ ترسـلٍ ... متـلاطمَ الأمـواجِ بـــالأمـــواه
يـا وحشـةَ الإنشـاءِ منـكَ لكاتبٍ ... ألفـاظُـه زهرَ النجـومِ تبـاهي
وتـوجّـع الأشعـارِ فيـك لنـاظمٍ ... من لطفـه لشـذى النسيم يضـاهي
كم أمسكتْ يمنـاكَ طِرْسـاً أبيضـاً ... فـأعـدْتـه في الحـال طرزاً بـاهي
كم قـد أَدَرْتَ من القريض قـوافيـاً ... هي شهوة النـاشي وزهـو الـزاهي[٢]
ورسـالـة أنشـأتهـا هي حـانـه النبّـاذِ حـازتْ حضرة الفَكّـاهِ
ووضعتَ في الآداب كلّ مصنّف ... قـالتْ لـه البُلَغـاء زاهٍ زاهِ
كم قـد خطرْت على المجرّة رافـلاً ... يـوم الفخـار بمعطفٍ تيّـاهِ
شخَصَت لعَلْيـاكَ النجـومُ تعجبـاً ... ولـك السُّهى يَرنـو بطرفٍ سـاهِ
مـا كنتَ إلا واحـدَ الـدهر الـذي ... يسمـو على الأنظـار والأشبـاهِ
من بعـدك الكتّـاب قـد كتبـوا فمـا ... يجـدون منجـاةً لهم من جـاهِ
أقـلامهم قـد أملقت ورمى الردى ... أدواتهم ودواتهم بـــــدواهِ
وطروسُهم لبست حـداد مـدادهـا ... أسفـاً عليـك مـؤكـداً بسفـاهِ
أمّـا القلـوب فـإنهـا رهنُ الأسى ... تردُ القيـامـة وهي فيـك كما هِي
أبـداً يخيّـل لي بـأنـك حـاضر ... تُملي الفـوائـد لي وأنتِ تجـاهي
فتعـزَّ فيـهِ واصطبر لِمُصَـابـه ... يـا خير مـولى آمرٍ أونـاهِ
فـدوام ظلـك في البريـة نعمـةٌ ... ولشكرهـا حتمٌ على الأفـواهِ

---

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « قصيدة مختصرة » .
(٢) في الوافي : « هي نشوة » .

لا زالَ جـدّك في المعـالي صـاعـداً رتبـاً سعـادتهـا بغير تنـاهِ[١]

٢١٩ ـ أحمد بن يعقوب بن أحمد بن يعقوب*

الإمام جمال الدين أبو العباس بن شرف الدين بن الصابوني . هو من ذريّة عبد المحسن بن حمّود الأديب[٢] ، وقد ذكرته في تاريخي الكبير .

كان جمال هذا نزيلَ القاهرة ، وبها رأيتهُ . وكان بالحديث قد عني ، وحصّل الأصول المليحة فغني ، ودأب واجتهد ، وبلغ الذروة واقتعد . وأسمعه والده من ابن البخاري[٣] وطبقته ، وطلب هو بنفسه مع لِداته ورفقته[٤] ، ومهر وتميّز ، ومال إلى فئة الأشياخ وتحيّز .

ولم يزل على حاله إلى أن غُسِل ابن الصابوني بماء الحِمام لا الحَمَّام ، ورثاه حتى الساجعات على القضب من الحَمَام .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة[٥] .

أجاز لي بخطّه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة . وكان مولده بدار الحديث النوريّة بدمشق ، ومنها كانت على وجهه أنوار ، وفي روض الطروس من خطّه أنوار .

---

(١) (أ) ، (خ) : « في المبادي » .

* الوافي : ٢٧٦/٨ ، والدرر : ٣٣٦/١ .

(٢) (ت ٦٤٣ هـ) الشذرات : ٢٢٠/٥ .

(٣) في الوافي : « البخاري » ، تصحيف .

(٤) (أ) : « ودفعته » .

(٥) قوله : « ومولده .. » حتى ههنا ، ليس في (أ) .

٢٢٠ ـ أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات*

الشيخ الطبيب شهاب الدين أبو العباس الصفدي .

مولده بالشُغر وبَكاس[١] ، ثم إنه[٢] انتقل إلى صفد ، وبها سمّي . ثم إنه انتقل إلى مصر ، وخدم في جملة أطباء السلطان والبيمارستان المنصوري .

رأيته بالقاهرة غير مرّة ، واجتمعت به ، وأنشدني من لفظه لنفسه أشعاراً[٣] كثيرة . وكان شيخاً طوالا ، أبيض اللحية والحاجب ، لا يُرى له عن الفضل حاجب ، قادراً على النظم المحكم السّرد ، قد أثبت فيه على رغم النُظّام الجوهر الفرد ، وله قدرة على وضع المشجّرات فيما ينظمه ، ويؤسس بنيانه ويُحكمه ، ويُبرز أمداح الناس في أشكال أطيار ، وعمائر وأشجار ، ومآذن وعقد وأخياط ، وصوره مُقَاتلٌ ونَفَّاط ، بحيث إنه له في ذلك اليد الطُولى ، والقدرة على إظهار الأعاجيب التي تترك النواظر إليها حُولا .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل بالطبيب الداءُ الذي أعجزه طِبّه ، وفارقه بالرُّغم خليله وحِبُّه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، فيما أظن .

ومولده سنة إحدى وأربعين وست مئة[٥]

أنشدني من لفظه لنفسه فيما يكتب على سيف :

---

* الوافي : ٢٩٥/٨ ، وفيات ابن رافع : ٢٦١/١ ، والدرر : ٣٤١/١ ، والنجوم : ٣١٧/٩ ، والمنهل الصافي : ٢٧٩/٢ .

(١) (أ) : الشغر بكأس . وفي معجم البلدان : ٣٥٢/٣ ، أنها قلعتان متقابلتان قرب أنطاكية .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « أنظاما » .

(٤) في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل : ولادته (٧٦١ هـ) .

أنـا أبيضٌ كم جئتُ يـومـاً أسـودا فـأعـدْتُـهُ بـالنصر يـومـاً أبيضـا
ذَكَرٌ إذا مـا استُـلَّ يـوم كريهـة جعل الـذكـورَ من الأعـادي حُيّضـا
أختـال مـا بين المنـايـا والمنى وأجولٌ في وسط القضـايـا والقضـا[1]

ومن شعره :

حُجبتُ وقـد وافيت أول قـادم بـأول شهر حـلّ أول عـامـه
وكان خليـل القلب في نـار شـوقـه وكنت المنى في بَرْده وسـلامـه

ومنه :

ومـازلتَ أنت المشتهى متـولعـاً بكثرة ترداد إلى الروضـة الصغرى
إلى أن بلغتَ القصـد في كل مشتهى من المصطفى المختـار في الروضـة

وكتب إليَّ وقد وقف على شيء كتبته وزمّكته[2] :

ومـزمّـكٍ بـالّـلازورد كتـابـةً ذهبـاً فقلت وقـد أتتْ بـوفـاق
أأخـذْتَ أجـزاءَ السماء حَلَلْتَهـا أم قـدْ أذبْتَ الشمسَ في الأوراق
أكتبْتَ بـالـوجنـات حُمْرَتهـا كما مخضرَّهـا بمرائِر العشّـاقِ

وكتب هو إليَّ أيضاً :

معـانيـك والألفـاظُ قـد سَحَر الورى لكلّ مِنَ الألبـاب قـد أُعطيـا حظّـا
فهبْـك سَبَكْتَ التبرَ معنىً وصغتـه فكيفَ أذبْتَ الـدّرَّ صيَّرتـه لفظـا

فكتبتُ أنا إليه :

وحقِّـك لم أكتبْ بتبرٍ كما ترى سُطوراً غدا في وضْعها منيـة النفسِ
ولكنمـا هـذي أشعّـةُ وجهـك الـ ـكريمِ غدتْ تُلقى على صفحةِ الطِّرسِ

(١) المنهل الصافي : ٢٧٩/٢ .
(٢) المزمّك : المذهّب .

٢٢١ ـ أحمد بن يوسف بن يعقوب*

القاضي الكاتب الفاضل الناظم الناثر[١] شمس الدين الطِيْبي ـ بكسر الطاء المهملة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها باء موحدة ـ .

كان فاضلاً أديباً ، عالماً لبيباً ، سامعاً على البديهة مجيباً ، ينظم الدُرَر ، ويطلع في طِرسه الزُّهر ، وإن تنازلنا قلنا الزَّهَر ، قادر على النظم ، تنزل سكين فيه إلى العظم ، ويأتي منه[٢] بما يشرف الأسماع ويشنفها ، ويحكم على المعاني فيتنزل على مُراده ويصرّفها ، يترسّل فلا يعثر له جواد قلم في ميدان إنشائه ، ويستقي المعاني الغويصة من قَليب الفكر على قِصَر رشائه ، رأيت بخطّه (الحاجبيّة) ، وقد علق في آذان حواشيها أقراطاً ، وأتى فيها بفوائد تدلّ على أنه كان من أئمة هذا الفن فيما تعاطى .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أخبرني جمال الدين بن رزق الله[٣] قال : كان عندنا ليلة في مجلس أُنس ، وقد أخذت السُلاف منه مأخذها إلى أن صار في غيبةٍ عن وجوده ، وذكرنا له واقعة المسلمين على شَقْحب ، ونصرتهم على التتار ، وقلنا له : لو نظمت في هذا شيئاً ، فأخذ الدواة[٤] ، ونظم قصيدة تتجاوز التسعين بيتاً فائيّة ، ومدح فيها السلطان . قال : فأعجبتنا[٥] وقمنا آخر الليل ورحنا إلى الحمّام ، فلما أفاق وصحا وأجرَيْنا[٦] له ذكر القصيدة ، فأنكر وقوعها ، وحلف أنّ هذا أمر لم يبدُ منه ، فقلنا له : هذه قصيدة فائية أوّلها :

---

* الوافي : ٢٩٧/٨ ، والدرر : ٣٤١/١ ، والشذرات : ٤٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٨٠/٢ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) (أ) : « فيه » .

(٣) في الأصل : « ابن فضل رزق الله » ، وهو سهو .

(٤) (أ) : « الدواة والقلم » .

(٥) في الأصل : « فأعجبنا » ، وأثبتنا ما في « أ » .

(٦) في الأصل : « وأخبرنا » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

برق الصّوارم للأبصار يختطف[١]

فقال : أروني إيّاها . فأوقفناه عليها ، فأعجبته[٢] ، وزاد إعجابنا بها . قال ابن رزق الله : وقمت وأخذتها وأتيت بها إلى والدك القاضي محيي الدين ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأوقف عليها[٣] أخاه عمّك القاضي شرف الدين بن فضل الله فأعجبته ، وكانت سبباً لأن استخدمه كاتب إنشاء بطرابلس ، انتهى .

قلتُ : وهذه قصيدة بديعة في بابها ، وسوف أوردها إن شاء الله تعالى في ترجمة السلطان الملك الأعظم الناصر محمد بن قلاوون .

ولم يزل الطِيبي في طرابلس على حاله إلى أن صار الطيبي في قبره جيفة ، ولم يجد الحمام من حدّ لسانه خيفة .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس في شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده في عشري الحجة سنة تسع وأربعين وست مئة .

ومن شعره[٤] :

لست أنسى الأحبابَ ما دمتُ حيّا ... إذا نَوَوا للنوى مكاناً قَصيّاً

وتلَوا آيةَ الدموع فخرُّوا ... خِيْفَةَ البينِ سُجَّداً وبُكيّا

فبذكراهمُ تسحّ دموعي ... كلما اشتقت بُكرةً وعشيّا[٥]

وأناجي الإله من فرط حزني ... كمناجاة عَبْدِه زكريّا

---

(١) عجز البيت : « والنقع يحكي سحاباً بالدما تكسف » . وقد أورها العيني في عقد الجمان : ٢٧٩/٤ ، حوادث سنة (٧٠٢هـ) .

(٢) (أ) : « فلما رآها أعجبته » .

(٣) في الأصل « غلبه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) النص في المنهل الصافي .

(٥) (أ) ، والوافي : « يسبح دمعي » .

واختفى نـورُهم فنـاديت ربّي ... في ظـلام الـدجى نـداءً خفيّـا
وَهَنَ العظم بـالبِعـاد فهَبْ لي ... ربِّ بـالقرب من لِـدنـك وليّـا[1]
واستجب في الهـوى دعـائي فـإني ... لم أكن بـالـدعـاء رَبِّ شقيّـا
قـد فرى قلبي الفراقُ وحقـاً ... كان يـومُ الفراق شيئـاً فرّيـا
ليتني متّ قبـل هـذا وأني ... كنتُ نِسياً يـوم النـوى منسيّـا
لم يـك الهجر بـاختيـاري ولكن ... كان أمراً مقـدّراً مقضيّـا[2]
يـا خليليَّ خلّيـاني وعشقي ... أنـا أولى بنـار وَجْـدي صلّيـا
إنّ لي في الفراق دمعـاً مُطيعـاً ... وفـؤاداً صبّـاً وصبراً عَصيّـا
أنـا في هجرهم وَصَلْتُ سُهـادي ... فصِـلاني أو اهْجُراني مليّـا
أنـا في عـاذلي وقلبي وحبّي ... حـائرٌ أيّهم أشـد عِتيّـا[3]
أنـا شيـخ الغرام مَنْ يتّبعني ... أهـدِهِ في الهـوى صراطـاً سـوّيـا
أنـا مَيْتُ الهـوى ويـومَ أراهم ... ذلـك اليـومُ يـومَ أُبعث حيّـا
أنـا لـو لم أعش بمُقْـدَمِ مـولى ... هـو مـولى الـوجـود لم أك شيّـا
الفتى البـاسـطُ الجميـلَ جمـال الـدّين من زار من نـداه النـديّـا[4]
سيّـد مرتضى الخـلائـق أضحى ... راضيـاً عنـدَ ربّـه مرضيّـا
صـادق الـوعـد بـالـوفـاء ضمين ... كالـذي كان وَعْـدُه مـأتيّـا
أوحـدٌ في الصفـات لم يجعـل الله لـه قـطّ في السمـوّ سَميّـا
لا يُرى في الصـدورِ أرحبَ صـدراً ... منـه إذ تَحْضر الصـدور جثيّـا[5]
مـا جـد أوليـاؤه في رشـادٍ ... وعِـداه فسـوف يَلْقَـوْن غَيّـا

---

(١) في المنهل : « في البعاد » .
(٢) في المنهل : « ليس ذا الهجر » .
(٣) في المنهل : « وحبي وقلبي » .
(٤) (أ) : « زاد » وهنا آخر ما أورده ابن تغري بردي في المنهل .
(٥) في الأصل : « تحضر الدور » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

وفتى بـــالسّماح صبّ رشيـــد أوتي العلمَ حين كان صبيّـــا
بلَبَـــان الكمـــال غُـــذّيَ طفـلاً ونشـا يـافعـاً غـلامـاً زكيّـا[1]
لم يـــزل منـــذ كان براً تقيـــاً وافيـــاً كافيـــاً وكان تقيّـــاً[2]
جعـل الله في ادّخـــار المعـــالي لعـلاه لســـانَ صـــدْق عليّـــا
كم عـــــديم الثراء أثنى عليـــه وانثنى واجـداً أثـاثـاً وريّـا
وأولـــو الفضـــل حينَ أمّـــوا قِراهُ أكلـوا رزقَـــه هنيّـــاً مريّـــا

قلتُ : قـد اقتبس شمس الـدين الطِيبي هـذه من سـورة (مريم) ، كما اقتبسَ ابن النبيه قوله[3] :

قمت ليـل الصـــدود إلاّ قليـلا ثم رتّلتُ ذكركم ترتيـــــلا

من سورة (المزمّل) .

وكما اقتبسَ سيف الدين بن قزل المشد[4] قوله :

شِمتُ في الكأس لـؤلـؤاً منثـورا حين أضحى مـزاجهـا كافـورا

من سورة (الإنسان) .

والاقتباس إذا كان من آية أو من آيتين لابأس به . وأمّا سورة بكمالها ففي[5] هذا من إساءة الأدب ما فيه .

ومن شعر الطيبي رحمه الله تعالى :

النهر وافى شـــاهراً سيفَـــه ولَمْعُـــه يحتبسُ الأعينـــا
فمـــاجت البركـــة من خـوفـه وارتعـــدت وادّرعت جَـوشنـــا

---

(١) في الأصل : « يانعا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) في الأصل « تقيا » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) ديوانه :
(٤) ابن قزل ، علي بن عمر ، (ت٦٥٦ هـ) . والشذرات : ٢٨٠/٥
(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) .

ومنه يصف ثوبَهُ :

لـو أنَّ عيني على غيري تُعـاينـه ... بكيتـه أحمراً أو متّ بـالضّحـك
ومن رآنيَ فيـه قـال واعجبـا ... أرى على البَرِّ شيخَ البحر في الشبك

ومنه في العود :

اشربْ على العودِ من صهباءَ جاريةٍ ... في الْمُنْتَشي جريانَ الماء في العود
ترنّم العـودُ مسروراً ومن عجبٍ ... سرورُه وهْوَ في ضربٍ وتقييد
من أينَ للعودِ هذا الصوتُ تُطربنا ... ألحانُهُ بأطَاريفِ الأناشيد
أظنُّ حينَ نشا في الدوح علّمهُ ... سجعُ الحمائمِ ترجيعَ الأغاريد[1]

ومنه لما أُلبسَ الذّمةُ العمائمَ الملّونةَ :

لا تعجبوا للنصارى واليهودِ معا ... والسامريين لَمَّا عُمِّموا الخِرقا
كأنما باتَ بالأصباغ مُنْسَهلاً ... نَشْرُ السماء فأضحى فوقهم ذَرِقا

ومنه :

وأصفرٍ أزرق العينين لحيتُـه ... حمراءُ قد سقطت من كفّ دبّاغ
ألوانه اختلفت لا تعجبوا فعسى ... قد كان في استْ أُمِّه دكانُ صباغ

٢٢٢ ـ أحمد بن يوسف بن عبد الدايم*

الشيخ الإمام العلاّمة شهاب الدين الحلبي المعروف بابن السمين .

سمع بآخرة من يونس الدبّوسي[2] . وقرأ على ابن الصائغ ، وصنع (تفسيراً للقرآن) في عشرين سفراً والإعراب[3] . وله شروح على كتب .

(١) في الأصل : « أظنه » ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

* الدرر : ٣٣٩/١ ، غاية النهاية : ١٥٢/١ ، والذيل التام : ١٤٦ ، والبغية : ٤٠٢/١ .

(٢) كذا في الأصل والدرر ، والمشهور الدباسي (ت ٧٢٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) مطبوع .

وتوفي بالقاهرة في سنة ست وخمسين وسبع مئة كهلاً ، رحمه الله تعالى .

٢٢٣ ـ أحمد شهاب الدين الفاضل المغربي*

رئيس الأطباء بالديار المصرية ، وهو والد الرئيس جمال الدين رئيس الأطباء بالديار المصرية .

أسلم سنة تسعين وست مئة ، وكان اسمه في اليهودية سليمان . قال الشيخ علم الدين البرزالي : ضَبطَ ذلك عز الدين الإربلي ، ونقلته من خطّه .

كان رجلاً فاضلاً ، إلى الجدّ مائداً ، عن اللهو مائلاً ، يَعْرِفُ الطّب وبه رَأْسٌ ، وجنى به من ثمر الجاه ماغَرَسْ . وله يد طُولى في المنطق والهندسة ، وعنده في ذلك فوائد تجلو بُذُورهَا من ظلمة الليل حُندُسه . وأما النجوم فكان في علمها إماماً ، ويده تصرف من أحكامها زماماً .

ولم يزل على حاله إلى أن أعيا داؤه ، وفقده أصحابه وأودّاؤه . وقيل : إنّه خلّف من الذهب العَيْن ماقيمته ست مئة ألف درهم .

ووفاته في أواخر صفر سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٢٢٤ ـ أحمد هو الشيخ أحمد القَبّاري الإسكندراني**

زعم أنه ابن أخت الشيخ الكبير أبي القاسم[1] .

قدم دمشق ، وتمشيخ فيها ، وأظهر الصلاح ، ومشّت له الأيام تمويهاً ، واعتقد الناس ولايته ، واغتنوا رعايته ، وجمع عليه الزَّبُون ، ولفّ الناسَ له المحبون . ثم إنه ظهر بَهْرَجُه ، وانفتح مَدْرَجُه ، فساءت عقباه الخاسره ، وضيّع دنياه قبل الآخرة ،

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٣٠٣/٨ .

(١) أبو القاسم بن منصور الإسكندراني (ت٦٦٢ هـ) . العبر : ٢٧١/٥ .

فَوُسِّطَ في سوق الخيل ، وجُعل دَلوين ، وكان جَسَداً واحداً فأصبح شِلْوَيْن ، وذلك في سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان قد صادقه الشيخ محمد اليعفوري فقير مشهور ، فاتفقا[1] على مكرٍ حَاقَ بهما ، ووقع بيد الأفرم ورقة فيها نصيحة على لسان قطز مملوك قبجق لما كان بالشوبك فيها : أنَّ ابن تيميّة وابن الحريري يكاتبان أميرنا قبجق في نيابة دمشق ، ويعملان عليك ، وأن ابن الزملكاني وابن العطار يطالعان أميرنا بأخبارك ، وأنَّ جماعة من الأمراء معهم ، فتنمّر الأفرم لذلك ، وأسرَّ إلى بعض خواصّه ، وبحث عمّن اختلق ذلك ، فوقع الحدس على الفقيرين ، وأمسك اليعفوري ، فوجدوا في حجرته[2] مسوّدة النصيحة ، فضرُب بالمقارع ، فأقرّ على القباري ، فضرب الآخر ، فاعترف ، فأفتى الشيخ زين الدين الفارقي بجواز قتلهما ، فطيف بهما ، ثم وُسِطّا بسوق الخيل وقطعت يد التاج ابن المناديلي الناسخ ، لأن المسوّدة كانت بخطّه ، وسيأتي ذكره في موضعه من حرف العين ، وهو عبد الرحمن بن موسى .

الألقاب والأنساب

☆ **الأحمدي** : الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ **الأحمر** : ملك الأندلس محمد بن محمد .

☆ **وابن الأحمر** : نصر بن محمّد بن القاضي[3] .

☆ **أخوين** : محمد بن عمر .

٢٢٥ ـ إدريس بن علي بن عبد الله*

الأمير عماد الدين الحَسَني الْحَمْزيّ اليمني .

(١) في الأصل « فأنفقا » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في الوافي : « حجزته » .

(٣) كذا ، وهو سهو ، فنصر بن محمد القاضي هو رجل آخر غير نصر بن محمد بن الأحمر . وستأتي ترجمتها

* الوافي : ٣٢٨/٨ ، والدرر : ٣٤٥/١ ، والبدر الطالع : ٥٢/٤ ، والمنهل الصافي : ٢٨٥/٢ .

كان أحد أمراء اليمن في دولة الملك المؤيد بصنعاء ، وكان فاضلاً ، فارساً مناضلاً ، أتقن علوماً ، وأنشأ منثوراً ومنظوماً . وكان زيديَّ الْمَذْهَب ، ناشر العلم الْمُذْهَب ، هَمَّ أهلُ مذهبه بتلك الناحية أن يقلدوه الزّعامة ، ويرشّحوه للإمامة ، لأنه جمع بين الشجاعة والكرم ، ونفخ من السيادة في ضَرَم ، فامتنع[1] ونزع يده ، فعظّمه لذلك الملك المؤيد وأيّده .

ولم يزل على حاله إلى أن حَمَّ من الحمزي أمْرُه ، وضُمَّ عليه قبره .

وتوفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومن شعره :

عوجا على الرسم من سلمى بذي قار ... واستوقفا العيسَ لي في ساحة الدار
وسائلاها عسى تُنْبيكما خبراً ... يشفي فؤادي فيقضي بعض أوطاري[2]

منها :

يا راكباً بَلِّغَنْ عني بني حَسَن ... وخصّ حمزة قومي عصمةَ الجار[3]
إنَّ المؤيد أسماني وقرّبني ... واختارني وَهْوَ حقاً خيرُ مختار[4]
أعطى وأمطى وأسدى كل عارفة ... يقصّر الشكر عنها أيّ إقصار
وخصّني بولاءٍ فزتُ منه به ... فأصبحَ الزندُ مني أيّما وار[5]

قلتُ : شعر متوسط .

---

(١) (أ) : « فتورّع » .
(٢) في المنهل : « ويقضي » ، والقصيدة قالها يمدح الملك المؤيد .
(٣) (أ) : « عصبة » .
(٤) (أ) : « واختار لي » .
(٥) في الوافي : « واختصني » .

الألقاب والأنساب

☆ **الأدفوي** : شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الوهاب .

☆ **الأدفوي** : كمال الدين جعفر بن تغلب الأدفوي شمس الدين الحسين بن هبة الله ، وعبد القادر بن مُهذّب .

٢٢٦ ـ أذينة*

شحنة بغداد ، أقام بها من جهة المغل مدة ، كان مشكور السيرة مسلماً يتوجّه إلى صلاة الجمعة ماشياً .

توفي بالكوفة في أوائل سنة تسع وسبع مئة[١] .

النسب والألقاب

☆ **الأَذْرعي** : الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا . وضياء الدين علي بن سليم . وقاضي القضاة شمس الدين الأذرعي الحنفي محمد بن إبراهيم .

---

* الدرر : ٣٤٧/١ .

(١) وقع في (أ) بعد هذا ما نصّه :

« وكان قد مهّد بغداد ، واختفى الزناطرة في أيامه ، إلى أن لم يظهر منهم أحد . وذلك أنه طلب كبراءهم حين تولى ، وقال : أحضروا لي الجماعة حتى أضيفهم وأتفق أنا وهم على المصلحة ، فاستصوبوا رأيه ، وأحضروا منهم جماعة ، فمدّ لهم سماطاً عظيماً ، فأكلوا . وبقي كلما خرج منهم إنسان وسَّطَهُ نصفين ، فارتاعوا لذلك ، واختفى الباقون منهم .

ويحكى عنه أن ولده مَدّ يده إلى تفاحٍ على رأس بعض الباعة ، فأخذ منه تفاحة ، ودخل إليه وهي في يده ، فقال له : يا بابا مِنْ أين لك هذه ؟ قال : أخذتها . وحكى له الصورة ، فرسم بتقتيره ، فجُنّت أمه ، وأرسلت إلى كل من في بغداد من الحكام والقضاة والأكابر ، فدخلوا عليه وقالوا : هذا صغير ، والمأخوذ ماله قيمة ، فحلف أنه لا بد أن يعلّق في القتارة . فأفتاه المفتون أن يوضع في زنبيل ، ويعلّق في القتارة ، ففُعل به ذلك .

وحكاياته مشهورة كثيرة عجيبة » .

٢٢٧ ـ أراي*

الأمير سيف نائب الكرك .

هو في الأصل مملوك الأمير سيف الدين أرغون الدَوادار نائب حلب ، ثم إنه تنقّل بالديار المصرية إلى أن حصل له إمرة الطبلخانة ، وهو الذي ورد على الأمير سيف الدين يَلبغا[١] ، وهو بالقصر الأبلق . وقد خرج بدمشق في المرة الثانية على الملك المظفر حاجي ، والأمراء قد التفوا عليه ، فلما جاء قال له : السلطان رسم بطلبك لتتوجه إليه إلى مصر ، والتفتَ إلى الأمراء وقال لهم : يا أمراء ! نائبكم الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب حلب ، فلما سمع الأمراء ذلك تفلّلت[٢] عزائمهم عن يلبغا[١] ، وتحللت عُقَد ضمائرهم عنه ، وعاد إلى مصر .

ثم إنه جُهّز لنيابة الكرك في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها [نائباً][٣] إلى أن طُلب إلى مصر في شهر رجب الفرد سنة ست وخمسين وسبع مئة ، فتوجّه إليها وأقام بها ، ومالبث أن[٤] جاء الخبر إلى دمشق بوفاته في صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى .

وأظنه كان قد باشر أولاً بالديار المصرية آخوريه الصغرى[٥] ، وكان عاقلاً ساكناً ديّناً ، يحب العلماء ، وله رغبة في العلم واقتناء المجلدات . ولما طلب من الكرك إلى

---

* الدرر : ٣٤٧/١ .

(١) في الأصل : « بيغا » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (خ) : « انفلّت » .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (خ) : « إلى أن » .

(٥) (أ) ، (خ) : « الأمير آخورية الصغرى » وفي (ق) « الإمراخورّية » ، وأمير آخور هو المشرف على إصطبل السلطان وخيوله .

مصر باشر أمير آخور كبيراً ، وتوجّه عوضه نائباً بالكرك الأمير سيف الدين قشتمر الحاجب .

٢٢٨ ـ أَرْبَكَوون*

بفتح الهمزة وسكون الراء ، وفتح الباء الموحدّة والكاف وبعدها واوان ونون ، سلطان العراق وأذْرَبيجان والروم ، من ذريّة جنكزخان .

نشأ في غمار الناس ، وكان أبوه قد قتل أولاً . ولما توفّي القان بوسعيد رحمه الله تعالى شاور الوزير غياث الدين محمد مُقَدَّمي التتار[١] ، وقال : هذا الرجل من العظم ، فبايعوه وأجلسوه على التخت .

يقال : إنه كان نصرانيّ الاعتقاد ، لا يثبت إيمانه على محكّ الانتقاد ، ألبس التتارَ السراقوجات الأولى ، وجال في الفتك عرضاً وطولاً ، وأنكر على كبار المغل مهادنة أهل الإسلام ، وملئ قلبه من الظلم والإظلام ، وقتل الخونده بغداد[٢] رحمها الله تعالى ، وجَبَى[٣] الأموال ، وخبط الأحوال ، وقاسى[٤] الناس منه أمرّ الأهوال .

وكان قد قصد دخول الشام ، وانتجع[٥] برق خرابه وشام ، فكفى الله أمره ، وأخمد جمره .

وجرت أمور يطول شرحها ، ويعظم سرحها ، إلى أن قتله النوين علي باشا ،

---

* الوافي : ٣٣٤/٨ ، وذيل العبر : ١٩٣ ، والدرر : ٣٤٨/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٩٠/٢ .

(١) محمد بن فضل الله بن أبي الخير بن غالي الوزير ، (قتل سنة ٧٣٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٢) هي بغداد بنت جوبان ، زوجة القان بوسعيد ، وستأتي ترجمتها .

(٣) في الأصل : « وجنى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) (أ) : « وساس » ، تحريف .

(٥) في الأصل : « وأسجع » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

وحاز من الثناء النافح ماشا ، وأغصَّه السيفُ بريقه ، واختطف بَصَره مِنْ بَرِيقه ، وذلك في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وكانت مدة ملكه شُهيرات .

٢٢٩ ـ أَرَتْنى*

بفتح الهمزة وسكون التاء ثالثة الحروف ، وبعدها نون وألف مقصورة .

الحاكم بالبلاد الروميّة من جهة القان بوسعيد . كاتَبَ السلطان الملك الناصر بعد وفاة بوسعيد ، وطلب منه أن يكون نائبه ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه الخلع السنيّة ، وكتب له تقليداً بنيابة السلطنة بالبلاد الروميّة ، ولم تزل رسله تتردد إلى آخر وقت . ووقع[١] بينه وبين أولاد تمرتاش[٢] ، فجمعوا العساكر وجاؤوا إليه ، ومعهم القان سليمان ، فكسرهم بصحراء أكرنبوك ـ بكافين ، وبينهما راء ونون وباء ثانية الحروف وواو ، قبل الكاف الأولى همزة ـ وأسر جماعة من أمرائهم ، وغنم أموالهم وهزمهم أقبح[٣] هزيمة ، ومنها خمل القان سليمان ، وعظُم بذلك أرتنى في النفوس . وكانت هذه الواقعة في إحدى الجُمَادين سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان خيّراً فيه ديانة ، وله ميل إلى المسلمين في الظاهر والباطن من غير جناية ولا خيانة ، ولا يزال أهل العلم عنده ، وبهم يُوري زَنْده ، وخاتونه تجلس وراءه تسمع كلامهم ، وترى جدالهم ، وتشاهدهم إذا راموا سهامهم ، ولم يجد المسلمون منه إلاّ خيراً ، ولا عَدِم قاصدهم منه كرماً وميراً[٤]

---

* الوافي : ٣٣٧/٨ ، والدرر : ٣٤٨/١ ، والمنهل الصافي : ٢٩٤/٢ .

(١) في الأصل و (أ) و (خ) . « وقع » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي . وفي المنهل : « إلى أن وقع بينه .. » .

(٢) تمرتاش بن جوبان ، ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « قبح » ، وأثبتنا ما في (أ) (خ) (ق) والوافي ، والمنهل .

(٤) (أ) ، (خ) : « ولاميرا » .

ولم يزل على حاله إلى أن يَرَق منه البصر ، وجزم الموتُ حياته واختصر ، فعدم الإسلام منه مؤازراً ، ورَأوا من بَعْده من العدوّ طرفاً متخازراً ، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وقلت أنا فيه :

بملكة الروم حلّ الردى ... لأجل النَّوين الذي قد فَقَدْنا
فَتَبّاً لصرف الليالي التي ... أَرَتْنا أَرَتْنى كما لا أردنا

٢٣٠ ـ أرسلان*

الأمير بهاء الدين الدَّوَادَار .

كان أولاً عند الأمير سيف الدين سلاّر أيام النيابة خصيصاً به ، حظيّاً لديه . ولما جاء السلطان الملك الناصر من الكرك بعساكر الشام ، ونزل بالرَّيْدانية ظاهر القاهرة ، اطلّع بهاء الدين أرسلان على أنّ جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان ، ويفتكوا به يوم العيد أوّل شوّال ، فجاء إليه وعرّفه الصورة ، وقال له : اخرج الساعة ، واطلع القلعة واملكها ، ففتحوا له شرج[1] الدهليز ، وخرج من غير الباب ، وصعد القلعة ونجا من أولئك القوم ، وجلس على تخت الملك ، فرعى له السلطان تلك المناصحة . ولما خرج الأمير عز الدين أيدمر الدوادار[2] من الوظيفة رُتّب بهاء الدين أرسلان فيها .

وكان حسن الشكل ظريفاً ، حُلْوَ الوجه ، لا يزال به الإقبال من القلوب مُطيفاً ، خطّه أبهجُ من الرياض اليانعة ، وآنقُ من النجوم الساطعة ، يكتب سريعاً ، ويَخْرج

---

* الوافي : ٣٤٦/٨ ، والدرر : ٣٤٩/١ ، والمنهل الصافي : ٣٠٠/٢ .

(١) في الأصل « سرح » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والشرج : منفسح الشيء .

(٢) ستأتي ترجمته .

الطِّرس من تحت قلمه روضاً مَريعاً[١] ، بعبارة سادّة ، وإشارة في تنفيذ المهمات حادّة . رأيت له أوراقاً بخطه ، قد كتبها إلى كتّاب السّرّ بما يرسم به السلطان ، ويفتقر إلى كتابتها تدبير المُلك لبلوغ الأوطار في الأوطان ، وهي عبارة مسدّدة ، وافية بالمقاصد المؤكّدة ، لا يفوته فيها فخرٌ مُخِلّ ، ولا يأتي فيها بِقَول مُمِلّ . وكان القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر[٢] قد درّبه ، وخرّجه وهذّبه ، ويقال : إنّ الرسالة التي وسمها بـ (مراتع الغزلان)[٣] أنشأها فيه . وكان قد استولى على السلطان في أيامه وغلب عليه في يقظته ومنامه ، ولم يكن لغيره في أيامه ذِكْر ، ولا يُسمع في تلك المدة ثناء على غيره ولا شكر ، ولم يكن لفخر الدين وكريم الدين عظمة إلاّ بعده ، واجْتهدا فما نالا طَرْدَه ولا بُعده .

وكان قد أنشأ خانقاه في المنشأة المنسوبة للمهراني[٤] . وكان كلّ ليلة ثلاثاء ينزل من القلعة يبيت فيها ، ويحتفل الناس للحضور إليها ، والمقام بنواحيها . وترسّل عن السلطان إلى مهنّا[٥] ، وتعيّن لتلك الرسالة وتعنّى ، ونفع الناس نفعاً عظيماً ، وقلدّهم من مِنَنه عقداً نظيماً .

ولما مات وُجد في تركته ألف ثوب أطلس ، ونفائس متى رآها غيره أفرد حيرة وأبلس ، وتواقيع جملة ، ومناشير حملة ، مُعَلّم عليها ، فأنكر السلطان معرفتها وعلمها ، ونسب إليه اختلاسها وظلمها .

---

(١) في الأصل : « ينيعا » ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله . (ت٧١٧هـ) .

(٣) الكشف : ١٦٥٠/٢ .

(٤) هي فيما بين النيل والخليج ، وعرف موضعها بالكوم الأحمر ، عمّر الظاهر بيبرس بها جامعاً ، ثم أنشأ الأمير سيف الدين بلبان المهراني داراً وسكنها ، وبنى مسجداً ، فعرفت به . (هامش المنهل : ٣٠٢/٢) .

(٥) مهنا بن عيسى بن مهنا ، (ت ٧٣٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

ولم يزل على حاله إلى أن أطفأ الموت شرارته ، وأبطل من التواقيع والمراسيم رسالته وإشارته .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع عشرة وسبع مئة . وتوفي هو والقاضي علاء الدين بن عبد الظاهر والقاضي شرف الدين بن فضل الله[1] بدمشق في شهر واحد . ووفاة أرسلان المذكور[2] في ثالث عشري شهر رمضان من السنة المذكورة .

[3] كتب إليه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ما أنشدنيه إجازة لنفسه :

بك ماسَ عطفُ الدهرِ في حُلل البها ... وسما مكان الفضل منه إلى السُّها
ولديكَ أدركَ كلُّ راجٍ مَارَجا ... كرماً وأحرز كلُّ عافٍ ما اشتهى
بَشَرٌ يُبَشِّر آمليه بسؤلهم ... منه ويبدأ هم إذا قيل انتهى
وكما أوصاف تُعَلّم من رأى ... تلك المهابة كيف تُكْتسَب النهى
يحمى حمى الملك الشريف برأيه الـ ... ـعالي فيغدو للسيوف مرفّها
ويصون أطراف الثغور يراعُه ... فيشَيدها ويسدّ منها ما وهى
متيّقظٌ للبر والإحسان لا ... يحتاج في كَسْب الثناءِ منبّها
ضَلَّ الذي لنواله ولباسه ... بالليث أو بالغيث ظلَّ مشبّها
فالليثُ ما يُردي الجيوشَ زئيرُهُ ... والغيثُ ما يروي الممالك كلّها
يا سيّد الأمراء دعوةَ مخلصٍ ... أضحى بشكركَ والثناء مفوّها
أنتَ المؤمَّلُ للمطالب حين لا ... يُدعى سوى إحسانك الوافي لها
وإذا تعقّدتِ الأمورُ فما سوى ... معروفك المعروفِ يُحْسِنُ حلّها
لازلتَ تَقْني الأجر في البر الذي ... تولي وترجو اللهَ في بذلِ اللّهى

---

(١) هو عبد الوهاب ، ستأتي ترجمته .

(٢) (أ) : « ووفاته » .

(٣) من هنا حتى آخر الترجمة ، خلت منه (ق) .

٢٣١ ـ أرسلان الأمير بهاء الدين*

ابن الأمير علاء الدين مَغْلطاي أمير مجلس[١] ، سيأتي ذكر والده مغلطاي في حرف الميم .

كان بهاء الدين هذا أمير عَشَرة بدمشق ، كان بها إلى أن توجّه إلى إقطاعه بنواحي نابلس .

وتوفي رحمه الله تعالى هناك في ثامن شعبان سنة ست وأربعين وسبع مئة .

٢٣٢ ـ أرغون الأمير سيف الدين الدوادار الناصري**

كافل الممالك الإسلامية .

اشتراه الملك المنصور قلاوون وهو صغير لولده الملك الناصر ، فربي معه ، وأَلِفَ به ، وكان معه في الكرك ، ولم يفارقه ، وولاه السلطان نيابة مصر بعد الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار في جمادى الأولى سنة اثنتي عشر وسبع مئة .

كان بيبرس تولاها بعد الأمير سيف الدين بكْتُمر الحاجب أمير خازن دار .

سمع (البخاري) من الحجار بقراءة الشيخ أثير الدين ، وكتبه بخطّه في مجلد[٢] في الليل على ضوء القنديل .

ولم يزل[٣] في بيت أستاذه كبيراً ، موقراً أثيراً ، هو رأس الحزب ، وكبش ذلك

---

* لم نقف على ترجمة له ، وقد خلا من ترجمته (ق) والوافي .

(١) في الأصل : « ابن أمير مخلس » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

** الوافي : ٣٥٨/٨ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٧٣/٢ ، والدرر : ٣٥٠/١ ، وذيل العبر : ١٦٧ ، والنجوم : ٢٨٨/٩ ، والشذرات : ١٦٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٠٦/٢

(٢) (ق) : « مجلد واحد » .

(٣) (ق) : « ولم يزل معظما » .

الحرب ، والذين يقولون بقوله ، ويبطشون بقوته وحَوْله ، هم أكابر الخاصكية وأعيانهم ، وأمراؤهم المذكورون وشجعانهم مثل : قجليس والجّمالي ومنكلي بغا وطُرجي وطشتمر والفخري[١] .

وكان فقيهاً حنفيّاً ، فاضلاً في مذهبه مُفْتياً ، يعرف دقائق مذهبه ويناظر ، ويذاكر بغرائبه ويحاضر . لما توجه إلى حلب نائباً ، ونزل بجامع تنكز وصلّى العصر خلف الشيخ نجم الدين القحفازي جذبَهُ وأخرجه من المحراب ، وقال : ما هو مذهبك يافقيه ؟ يعني بذلك صلاة الطاق ، وهي مسألة معروفة في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه .

وكانت عنايته بالكتب إليها المنتهى ، وبلغ من جَمْعها ما أراد واشتهى . لّما مات قجليس بمصر ، وهو بحلب ، أرسل ألفي دينار[٢] ليُشترى له بها كتب من تركته ، وجهّز إلى بغداد ، واستنسخ (فتاوى) ابن قاضي خان[٣] ، وعلم الناسُ رَغْبته في ذلك ، فحملوا إليه حملاً من أطراف الممالك .

وكان له معرفة بعلم الميقات ، وعنده من ذلك بناكيم وآلات[٤] . ولم يُرَ في الترك مثله سكوناً ووقاراً ، وهيبة وشعاراً ، ومَلَكَةً لنفسه عن الغضب واقتداراً ، قلَّ أن عاقب ، وطالما خاف إلهه[٥] وراقب ، لم يسفك دماً في حلب مدة إقامته ، ولا ظَلَم أحداً من الرعايا في نيابته ، واجتهد في حلب على سياقة نهر السَّاجور[٦] ، وبذل فيه أموالاً يتحقق بها أنه عند الله مأجور ، وما زال إلى أن أدخله حلب ، وساق به إليها كل خير وجَلَب .

---

(١) ستأتي تراجمهم في مواضعها .

(٢) أ ، ق : « إلى مصر » .

(٣) هو الإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوز جندي الفرغاني ، (ت٥٩٢ هـ) . الكشف : ١٢٢٧/٢ .

(٤) قوله :« وآلات » ، ليس في (أ) .

(٥) في الأصل : « الهمه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

(٦) معجم البلدان : ١٧٠/٣ .

وكان يؤثر أهل العلم ويُدْنيهم ويخصّهم بالذكر ويعنيهم ، له حنوّ زائد على الشيخ أثير الدين ، وعلى الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس ، ولم يمكّن أستاذَه مدة مقامه بمصر من خروجٍ عن الواجب ، وأمراء الدولة والخواصّ كلّهم يهابونه ويخافونه ، وللمُلك به جمال ، ولبدرَ الدولة بنيابته كمال ، وعلى الوجود إضاءة[١] ، وللنيابة قُعْدُد وأناءة ، ولما تولاها أجراها على السداد ، وقرّر قواعدها ووطّد مجدها وساد ، وذلك من أواخر سنة إحدى عشرة فيما أظنّ إلى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وهي تجري بريح طيبّة الهبوب ، سالمة من شرر الشر والألهوب .

وكان قد توجّه إلى الحجاز في سنة ست وعشرين ، وفي قلب القاضي فخر الدين ناظر الجيش منه قَلُوب[٢] ، وهو يودّ أن يرمي أسده في أقلوب[٣] ، فاغتنم غيبته ، وجدد في كل وقت غِيبته ، مع ما كان في نفس السلطان منه ، لأمر ندبه إليه في الباطن لم يُر اعتمادَه ، وخاف فيه حشره إلى الله ومعادَه ، ولما عاد من الحجاز لم يدعه بكتمر الساقي يدخل[٤] إلى السلطان ، ولم يساعد في أمره على ما سوّله الشيطان ، وبقي عنده في بيته ثلاثة أيام بلياليها[٥] ، والفكرة في أمره تَشْتبك عواليها ، إلى أن جهّز السلطان الأمير سيف الدين أُلجاي الدوادار[٦] إلى حلب لإحضار نائبها علاء الدين ألطنبغا ، وأكد عليه في سرعة التوجه والعود لما أراده في ذلك وابتغى ، ثم إنه رسم لأرغون بنيابة حلب ، وأخرجه مع الأمير سيف الدين أيتمش إليها ، وأرسل منه[٧] سحائب الرحمة عليها ، فاجتمع تنكز وألطنبغا وأُلجاي وأرغون في دمشق في المحرم سنة

---

(١) (ق) : « به إضاءة » .

(٢) أي داء .

(٣) كذا ، ولم نتبيّن مراده .

(٤) (أ) : « أن يدخل » .

(٥) في الأصل و (أ) : « بلياها » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) ستأتي ترجمته .

(٧) : (أ) : « معه » .

سبع وعشرين وسبع مئة ، فغرّب ذلك وشرّق هذا ، ونفذ سهم القدر[١] بما أراده الله تعالى من ذلك نفاذاً ، فوصل حلب وأقام بها نائباً إلى سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وطلب الحضور إلى مصر في أواخر هذه السنة ، فأُذن له في ذلك ، ولمّا رآه بكَيا طويلاً ، وأبدى كل منهما تأسفاً وعويلاً ، وأقام عنده أياماً ، ثم أعاده إلى نيابة حلب على حاله ، فعاد عود الغيث إلى الروض الذي صَوَّح ، أو البدر الذي ابتدر نُوره إلى الساري ولوّح .

فلم يزل بها على حاله إلى أن أرغم الموتُ من أرغون أَنْفَه ، وعدم السمع من ذكر حياته شَنْفَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وكان عمره تقديراً بضعاً وأربعين سنة ، ودفن بتربة اشتريت له بحلب ، وكان قد طوّل في مرضه ، وحدس الناس على سهم أصاب مرمى غرضه ، وجهز السلطان إليه صلاح الدين محمد بن البرهان الطبيب[٢] من مصر ، فما وصل إلى دمشق حتى مات ، ونزل به من عَدّوه الشمات .

وهو الذي كمّل سياقة نهر الساجور إلى حلب بعد ما كان قد ساقه الأمير سيف الدين سودي ، ولم يتفق وصوله على ما سيأتي في ترجمته ، ويوم دخوله خرج لتلقيّه هو والأمراء وأهل البلد مشاة ، وشعارهم التكبير والتهليل حمداً لله تعالى ، ولم يمكن أحداً من المغاني والمطربين الخروج[٣] معهم ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج الناس بوصوله ، وأحكم عمله وسياقه في الجبال والسهول واتفق في طريقه واديان وجبلان ، فبنى على كل واحد من الواديين جسراً يعبر الماء عليه ، وأما الجبلان فكان الأول منهما سهلاً نُقب في مدة يسيرة ، والآخر كان صخراً أصمّ ، وطُول الحفر في هذا الجبل ثلاثمئة

(١) (أ) : « العذر » .
(٢) ستأتي ترجمته .
(٣) (أ) ، (ق) : « من الخروج » .

ذراع وستون ذراعاً ، وأغمق[١] موضع[٢] فيه من الجباب طوله ستة عشر ذراعاً ، وبعضه محفور على هيئة الخندق ، وبعضه جباب مُفَقَّرة ، وكان من هذا القدر نحو عشرين ذراعاً لا يمكن حفرُه إلاّ بعد حرقه بالنار مدة أيام ، وانتهى عمل هذا الجبل في ثمانية أشهر ، وكان بعد هذا الجبل سهل ، فظهر بالحفر فيه حجارة سود مدوّرة ، لا يمكن كسرها إلاّ بالمشقة ، ولما رجع الأمير سيف الدين أرغون إلى المدينة حصل له تشويش ومرض ، ومات رحمه الله تعالى . وقيل : إنه قيل له ياخوند ! بالله لا تتعرض إلى هذا النهر فإنه ما تعرض له أحد إلاّ ومات ، فقال : أنا أكون فداء المسلمين فيه ، وجعل مشدُّه شخصاً من مماليكه اسمه أرغون فاتفق ما جرى[٣] .

٢٣٣ ـ أرغون الأمير سيف الدين العلائي*

رأس نوبة الجمداريّة[٤] من أيام أستاذه . أخرجه الأمير سيف الدين قوصون إلى صفد ، فورد إليها جندياً ـ فيما أظنّ ـ وعاد مع الفخري إلى مصر . وهو زوج والدة الصالح[٥] إسماعيل والكامل شعبان . فأقام بمصر إلى أن خُلع الناصر أحمد كما تقدم ، وجلس الصالح إسماعيل على كرسيّ المُلْك ، فكان هو مدبّر تلك الدولة ، وحوله في ذاك الجو مدار الجَوْله . ولما قتل أحمد زاد تمكّنه ، وعظم تعيّنه ، وظهر تبيّنه ، وزهر تزيّنه ، وكثرت إقطاعاته وأمواله . وضماناته وأملاكه وأثقاله ، وأنعامه وأنفاله[٦] ،

---

(١) ق : « وأعمق » .

(٢) في الأصل و « ق » : « موضعا » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) زاد في (أ) : « وفيه يقول الفاضل الرئيس شرف الدين :

لمّا أتى نهر الساجور قلت له ... كم ذا التأخر من حين إلى حين

فقال أخّرني ربي ليجعلني ... من بعض معروف سيف الدين أرغون

والنص في المنهل : ٣٠٧/٢ .

* الوافي : ٣٥٥/٨ ، والدرر : ٣٥٣/١ .

(٤) الجمدار : هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه .

(٥) (أ) : « وهو زوج أم الملك الصالح » .

(٦) في الأصل : « وأنفاطه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

فكان أكبر من النّواب ، وأعظم من المقيم والجوّال والجوّاب ، ودبّر الأمر بسعد قد اطمأن ، وركن حَظُّه واستكن .

وتوفي الملك الصالح إسماعيل ، وولي الملك أخوه الكامل شعبان ، وأرغون في سعادته ريّان شبعان ، إلى أن خرج أمراء مصر على الكامل وخلعوه ، وضُرب أرغون[١] العلائي في وجهه ضربة مهولة بطبر[٢] ، إلاّ أنه ثبت لها وتجلّد ، واحتمل وصَبَر ، وكانت[٣] جراحةً نجلاء واسعة ، رَأَى الأرض منها خافضة رافعة ، قيل : إنّ الذي جَرَحه أرغون شاه . وقيل : غيره ، على ما ذكره النقلة والوشاة .

ثم إنه اعتقل في إسكندرية أول دولة المظفر حاجي ، فأقام في الاعتقال مدة إلى أن قتل الحجازي[٤] وآقسنقر ، فطلب من إسكندرية ، وخرج إليه الأمير سيف الدين منجك ، فقيل : أنزله العلائي بطن الأرض ، واستعاد العدمُ ماله عند وجوده من القرض ، وكانت قتلته في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكانت سعادته قريباً من خمس سنين .

٢٣٤ ـ أرغون شاه الأمير سيف الدين الناصري*

كان رأس نوبة الجماريّة أيامَ أستاذه الناصر ، وكان هو وأرغون العلائي شريكين في هذه الوظيفة ، لكنه هو المقدم ، وكان في أوّل أمره قد جلبه الكمال الخطائي إلى القان بوسعيد من بلاد الصين هو وسبعة من المماليك وثمانئة ثوب وَبَر خطائي من

---

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) أي : بفأس .

(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) الأمير سيف الدين ملكتمر ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٣٥١/٨ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٧٣/٢ ، والدرر : ٣٥٠/١ ، والشذرات : ١٦٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣١٤/٢ .

أملاك بوسعيد الموروثة له[١] عن أبيه وجده من جدهم جنكز خان بتلك البلاد ، فَنَمَّ على الكمال الخطائي لبوسعيد[٢] فصادره ، وأخذ منه مئة ألف دينار ، ثم إنَّ بوسعيد كرهه لذلك ، فأخذه منه [دمشق][٣] خواجا بن جوبان ، فكأنّ ذلك لم يهن عليه ، فنم إلى بوسعيد أيضاً بأمر دمشق خواجا مع الخاتون[٤] طقطاي ، وجرى من أمرهما ما جرى من حزّ رأسيهما وخراب بيت جوبان ، ودكه .

ثم إنَّ بوسعيد ارتجع أرغون شاه ، ثم إنه بعثه إلى الملك الناصر هو والأمير سيف الدين ملكتمر السعيدي[٥] ، فحظي الأمير سيف الدين أرغون شاه عند الناصر ، وأمّره وجعله رأس نوبة ، وزوّجه بابنة الأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ولم يزل بمصر إلى أن خرج مع الفخري لحصار الكرك ، ثم توجه مع العساكر الشامية إلى القاهرة ، وجرى منه في نيابة طشتمر ما أوجب أن ضربه وأراد إخراجه إلى طرابلس ، ثم إنه[٦] شُفِعَ فيه .

ولما تولى الملك الكامل حظي عنده ، وجعله أستادار السلطان . ثم تولى الملك المظفر ، فزادت حظوته عنده ، فما كان بعد ثلاثة أشهر حتى خرج[٧] مع النائب الحاج أرقطاي من عند السلطان ، وأُخرج له تشريف[٨] ، فلبسه ، وطلب الاجتماع بالسلطان ، فمنع .

---

(١) (أ) ، (خ) : « لهم » .

(٢) في الأصل و (أ) و (خ) : « أبو سعيد » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) . وعبارة الوافي : « إلى بوسعيد » .

(٣) زيادة (أ) (خ) (ق) والوافي . وفي المنهل : « فأعطاه لدمشق خجا بن جوبان » .

(٤) في الأصل : « الخواجا » وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٥) في الوافي : « البوسعيدي » .

(٦) ليست في (أ) و (خ) و (ق) .

(٧) (أ) ، (خ) : « فلما كان بعد .. خرج » .

(٨) (أ) ، (خ) : « وأخرج له تشريفا » .

وأُخرج لنيابة صفد ، فوصل إليها على البريد في خمسة أرؤس في أوائل شوال سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فدبّرها جيداً ، وأقام الحرمة والمهابة ، وآمن السبل .

ولم يزل بها إلى أن طُلب إلى مصر في العشر الأواخر من صفر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ورسم له بنيابة حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين بيدمر البدري ، ودخل دمشق في سادس شهر ربيع الأول من السنة دخولاً عظيماً ، جاء على البريد[١] ، وأقام على القُصَير المعيني[٢] إلى أن جاءه طلبه من صفد ، ودخل بِرَخْت[٣] وأبّهة زائدة بسروج معرقة مرصعة ، وكنابيش[٤] زركش ، وغير ذلك من البَرَك[٥] المليح الظريف ، والجميع باسْمِه ورنكه[٦] . وتوجه إلى حلب ، وأقام بها نائباً .

ولما جَرى للأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ما جرى ـ على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته ـ رسم[٧] له بنيابة الشام ، فحضر إليه الأمير سيف الدين أقسنقر أمير جاندار ، فدخل إلى دمشق بكرة الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولما عاد أقسنقر المذكور أعطاه خمسة عشر فرساً ، منها خمسة عربية بسُرجها[٨] ولجمها وكَنابيشها ، وعشرة أكاديش ، وجارية بخمسة آلاف درهم ، وأربعين ألف درهم ومئة قطعة قماش ، والتشريف الذي لبسه للنيابة بالكلوتة والطراز والحياصة ، والسيف الْمُحَلَّى ، وألف إرْدَبّ[٩] من مصر ، وكان قد أعطاه في حلب ألف

(١) قوله : « جاء على البريد » ليس في (أ) .

(٢) في الوافي : « قصر معين الدين » .

(٣) الرخت : فارسية : القماش .

(٤) جمع كنبوش : البرذعة تُجعل تحت السرج .

(٥) البرك ، فارسية ، تعني الثوب المصنوع من وبر الجمال ، ثم أطلق اللفظ على أمتعة المسافر أو مهمات الجيش .

(٦) الرنك هو الشعار الذي يتخذه الأمير عند تأميره علامةً على وظيفته .

(٧) في الأصل و (أ) و (خ) : « ورسم » وأثبتنا ما في (ق) ، وهي أشبه لأنها جواب لمّا .

(٨) (أ) ، (ق) : « بسروجها » .

(٩) الإردب : مكيال ضخم بمصر ، ويضم أربعة وعشرين صاعا .

وخمس مئة دينار ، وغير ذلك ، وشرط له كل شفاعة يشفعها من حلب ، وفي الطريق ، ومدة مقامه بدمشق ، وأقام بها قريباً من ثلاثة أشهر ولم يسأله مِنْ عَزْلٍ وولاية[١] إلاّ أجابه إلى ذلك . وقُدِّم إليه يوماً وهو في سوق الخيل بدمشق نصرانيّ من الزبداني رمى مسلماً بسهم ، فمات ، فأمر بقتله وتفصيله على أعضائه ، فقطعت يداه من كتفه ، ورجلاه من فخديه ، وخرّ رأسه ، وحملت أعضاؤه على أعواد ، وطيف به[٢] ، فارتعب الناس لذلك ، فقلت له أنا :

لله أرغون شاه ... كم للمهابة حَصَّلْ
وكم بسيف سُطَاهُ ... مِنْ ذي ضلال تَنَصَّلْ
ومُجْمَلُ الرّعْب خَلّى ... بعضَ النصارى مفصّل[٣]

واختطف الحرافيشُ يوماً في الغلاء الخبز من الجوع ، فأمسك جماعة من الحرافيش وقطع أيدي ثمانية عشر رجلاً ، وأرجلهم ، وسمّر على الجمال سبعة عشر وهو واقف بسوق الخيل ، وذلك في تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، فقلت أنا في ذلك :

كان الغلا يغلو فأما إذا ... أصبح ناراً قلت ذا يغلي[٤]
وأصبح الحرفوش ذا كَسْرة ... عن طلب الكِسْرة في شغل
من يطلب الخبز ومن يشتهي ... وهو بقطع اليد والرجل

ولم ينل أحدٌ من السعادة ما ناله ، ولا حصّل ما حصّله في المدة القريبة من المماليك والجواري ، والخيل والجوهر والأمتعة والقماش ، ولا تمكّن أحد بعد الأمير سيف الدين تنكز تمكّنه ، يكتب إلى مصر بكلّ ما يريده في حلب وطرابلس وغيرها ، وحماة وصفد

(١) (أ) ، (خ) : « ولا ولاية » .
(٢) قوله : « وطيف به » ، ليس في (أ) .
(٣) نقل الأبيات صاحب المنهل الصافي عن الصفدي .
(٤) يغلو : يزداد ، من الغلو .

وسائر ممالك الشام من نقل وإضافة وإمساك ، ونقل إقطاعات وغيرها ، فلا يُرَدّ في شيء يكتبه ، ولا يخالَفُ في جليل ولا حقير إلى أن زاد الأمر ، وأفرط هو في معارضة القضاة الأربع ، وعاكسهم ، وثقلت وطأته على الناس إلى أن حضر الأمير سيف الدين أُلْجَيْبُغا من طرابلس في ليلةٍ يسفر[١] صباحها عن يوم الخميس ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة خمسين وسبع مئة ، واتفق في الليل هو والأمير فخر الدين أياز السلحدار ، وجاء إليه إلى باب القصر الأبلق ، وهو به مقيم نائم في فراشه ، فدقّا الباب عليه الثلث الأخير من الليلة المذكورة وأزعجاه ، فكانا كلما خرج طواشٍ أمسكاه ، وسمع هو الغلبة ، فخرج وبيده سيف ، فلما رآهما سلّم نفسه ، فأخذاه على الحالة التي خرج عليها ، وتوجّها به إلى دار الأمير فخر الدين أياز ، وقيّداه بقيد ثقيل إلى الغاية ، ونقلاه إلى زاوية الْمُنَيبَع ، ورُسِّم عليه الأمير علاء الدين طيبغا القاسمي ، فأقام هناك يوم الخميس إلى العشاء الآخرة ، ودخل مملوكه الذي يخدمه فوجده مذبوحاً والسكين في يده ، والدم قد سال مِلء مرقده ، فوقف عليه في الليل بالقاضي[٢] جمال الدين الحسباني ، والشهود ، وكُتب بذلك محضرٌ شرعي ، وجُهّز إلى الديار المصرية صُحْبَة الأمير سيف الدين تُلْك[٣] أمير علم ، ودفن بمقابر الصوفية .

وكان شخصاً لطيف الجثة . [مختصر الحَبَّة][٤] أسمر الوجه أحمر اللثة ، أبيض اللّبة ، ظريفاً حسن العِّمة ، شديد العَزَمة عالي الهمّة ، ذهنه يتوقد ، ونفسه تزاحم الفرقد ، يقترح في الملابس أشكالاً غريبة ، ويعمل بيده منها صنائع عجيبة ؛ إلاّ أنه جبّار سفاك ، طالب لثأره درّاك ، يده والسيف يمتشقه ، وغيظه يُؤْديه إلى العطب وخُلُقه . لا يشرب الماء إلاّ من قليب دم ، ولا يتنسّمُ الهواء إلاّ بشمّ سمّ[٥] ، ومع ذلك إذا

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) : « أسفر » .
(٢) في المنهل : « القاضي » .
(٣) في المنهل : « يلبلك » .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) . وفي المنهل : « مختصر اللحية » .
(٥) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إلا بسَمّ » . وكذا في المنهل .

ظهر له الحق رجع في الحال ، وندم على ما فرط منه واستحال ، لكنه تَرُوح في ذلك الغضب أرواح ، وتُجَبّ مذاكير وتقطع أَحْراح[١] .

وكان في دمشق زمن الطاعون فما طُعن على عادة الملوك ، وإنما طعن بالسيف الذي يذر الدم ، وهو مسفوك . وقلت أنا فيه :

تعجبّتُ من أرغون شاهٍ وطيشه الـ ـذي كان فيه لا يفيق ولا يعي
ومازال في سكر النيابة طافحا إلى حين غاضت نفسه في المنيبع[٢]

٢٣٥ ـ أرغون السلحدار الأمير سيف الدين*

توجه أمير الركب الشامي في سنة ست عشرة وسبع مئة ، وداره عند دار الطراز داخل مدينة دمشق .

لم أعرف من حاله شيئاً فأذكره ، ولا اتصل بي ما يتعلق به فأعرفه به أو أنكره ، خلا أنه رحمه الله تعالى توفي في مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٢٣٦ ـ أرغون الأمير سيف الدين**

مُشِدّ الزكاة ، ومشد الدواوين بدمشق ، ونائب بعلبك . مملوك الأمير سيف الدين سمز ، وسيأتي ذكر أستاذه في مكانه .

كانت فيه سياسة ، وعنده حشمة ورياسة ، تقرّب إلى الأمير سيف الدين تنكز بالكفاية والنهضة ، وساعده القدر لَمّا أحكم إبرامه ونَقْضَه ، فولاه بعد شدّ الزكاة شدّ

---

(١) في المنهل : « وتتنكد لخلقه من الناس أشباح » .
(٢) (أ) ، (خ) : « بالمنيبع » . والنص نقله صاحب المنهل .
* لم نقف على ترجمة له .
** لم نقف على ترجمة له .

الدواوين ، وأقام فيه مدّة لينقذ الهاوين ، ويصدّ[١] الغاوين ، ثم إنه بعد مدة ولاّه نيابة بعلبك فسدّها ، وعرف رسمها وحَدّها[٢] . ثم إنه بعد ذلك توجّه إلى طرابلس أميراً ، وأقام بها .

ولم يجد لعيشه في دمشق نظيراً إلى أن نزل في رمسه ، واستوحش أحبابه من أنسه ، وتوفي رحمه الله تعالى في ...[٣] .

كان قد باشر الشدّ على الزكاة مدة ، وخلا شدّ الدواوين في دمشق مدة زمانية ، فولاه الأمير سيف الدين تنكز شد الدواوين في آخر[٤] المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة[٥] هو وعماد الدين بن صصرى ، ثم إنه ولاّه نيابة بعلبك في سادس عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة

وكتبت له مرسوماً بنيابة بعلبك ، ونُسخته[٦] : أما بعد حمد الله الذي نصر هذا الدين بالسيف ، ورفع بولاة الأمور عن ضعيف الرعيّة ثقل الخيف والحَيْف ، وأمّرَ الحق في أهله بحسن نظرهم الذي ينتقي الزين وينتقد الزيف ، وعمر البلاد بعدلهم الذي إذا طلعت شموسه النيرة ، كان الظلم معها سحائب[٧] صيف . وقمع المفسد بمهابتهم التي منعت جفونه أنْ تجد رَجْعة هجعة أو ضيف طيف ، وجمع حكمة الإيمان ببأسهم الذي إذا دَعَاه مُهمّ لم يقل له متى ولا كيف .

---

(١) في الأصل : « ويصعّد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « وسدّها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) كذا بياض في الأصول .

(٤) (أ) ، (ق) : « أواخر » .

(٥) زيد بعدها في (أ) ، (ق) : « وإمرة عشرة في جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، هو وعماد .. » .

(٦) ثمة سقط في (ق) من ههنا ، مقداره ورقة ونصف .

(٧) (أ) : « سحابة » .

وصلاته على سيدنا محمّد خير من أطعنا نَهْيَه وأمره ، وأشرف من كحل سواد أمته طرفُ الزمان وكان أمره ، وأفضل من ساد بشرفه زيد الخلق وعَمْرُه ، وأكرم من كان له من الناس على العدل أفضل قوة ، وعلى الإحسان إليهم تمام قدره ، وعلى آله وصحبه الذين أمضوا فضله وأعزّوا نصره ، وأطاعوا من جعلوا له عليهم الأمر والإمرة ، وجبلوا على محبته فما نهى أحدهم عن شيء فكِره أن لا يكون فيه[1] فكره ، وهجروا الأهل والوطن في طاعته فكم صبروا على هَجِير هَجْره ، صلاةً يُرْسِلُ غَيْثُها في كل قطر من الأرض قَطْرَه ، وينبت روضها الأنف في السماء بين الأنجم الزُّهر زَهْره ، وسلّم ومجدّ وكرّم .

فإنّه لما كانت مدينة بعلبك والبقاعان أنموذج الجنة ، وغايةً إذا جرت جياد الأفكار في ارتياد نزهة ثنت إليها الأعنة ، وبقعة إذا تمنت النفوس نفائس شيء كانت لتلك الأماني مَظِنّة ، فهي أصحُّ البلاد لأولي الذوق والظرف ، وأحسنُ مكانٍ سَرَحَ في مدى ميدانه طَرْف الطَّرف ، قد ركّبت على الصّحة فما خُطبت بخطب ، وعلى قول النحاة فقد مُنِعَت من الصرف . أهلها أطوع رعيّة ، وأكثر خيراً وألمعيّة ، ينقادون لأميرهم ، وينادون لمشيرهم ، ويتأدب صغيرهم بأدب كبيرهم ، وقد خلت هذه المدة من نائبٍ يستقرّ بها أو يستقلّ ، ويستمد من محاسن هذه الدولة الشريفة أو يشتمل ، وكان المجلس السامي الأميري السيفي أرغون الناصري هو السيف الذي حُمدت مضاربه ، وشُكرت على اختلاف أحواله تجاربُه ، وأرضت ، وأين من تُرضى عَزَائمه ؟ ، وجُرّد وجرّب « فلا المجدُ مُخْفيه ، ولا الضَّربُ ثالِبُه » ، وأصبح وما كلّ سيف على عاتق الملك الأغرّ نجاده ، وفي يد جبّار السموات قائمه ، هذا إلى ما اتصف به من كرم الخِلال التي قد فغم الخافقين ريّاها ، والتحق به من عُلُوّ الهمم التي ملء فؤاد الزمان إحداها ، وظهر عنه من عز عزم ببعضه يجر طُولى القنا وقصراها ، واشتهر به من سجايا لو كفر العالمون أكثرها لما عدت نفسه سجاياها ، فلذلك وقع الاختيار عليه ، ورسم بالأمر العالي

(١) (أ) : « له فيه » .

المولوي السلطاني الملكي الناصري لا زالت أوامره بالسيف ماضية ، وبحدّ حجته قاضية ، أن يفوّض إليه نيابة بعلبك المحروسة والبقاعين على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته ، فليتولّ ما فُوّض إليه ولاية تحمد منها العواقب ، ويشخص لها طرف الشهاب الثاقب ، ويتساوى في أمنها ومنّها أهل المراقد والمراقب ، وينهض بهمته في أمور الدولة الْمُهِمّه ، ويشمّر عن ساعد كفايته في الأوقات التي حراسته في جيدها تميمة ، وسياسته لحسنها تَتِمّه ، وليُقِم مَنارَ الشّرع الشريف ، ويعضد حكمه ، ويُعْمل في تنفيذ أمره المطاع فكرَهُ وعَزْمَه ، فإنه الطريقة المثلى ، والحجة التي من نكّب عنها لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، حتى يكون هو الذي أقام الحق ، وكان على الذي أحسن تماماً ، وجلا بشمس العدل الشريف من أفق الظلم ظلاماً ، وأعلى المحقّ على المبطل ، لأنّ له مقالاً ومقاماً ، وليردع[١] المفسد بنكاله ، ويقمع المعتدي بجلاده ، ولا يقال[٢] بجداله ، وليجتنب أخذ البريء بصاحب الذنب ، ويحذر الميل على الضعيف ، الذي لا جنب له ، ويترك صاحب الجَنْب ، وعمارة البلاد ، فهي[٣] المقدم من هذا المهمّ ، والمقصود بكل لفظ تمّ له المعنى أو لم يتم ، فليتوخ العدل فإنه أنفع للبلاد من السحب الماطرة ، وألذّ لأهل القرى من ولوج الكرى في الأعين الساهرة ، فإنه لا غيث مع العَيْث ، ولا حلم مع الظلم ، وليَصلْ باعَ من لا له إلى الحق وُصول ، وليتذكر قوله عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلّ راع مسؤول »[٤] ، فإنه إذا اتصف بهذه المزايا ، والتحف بهذه السجايا تحقق الملك الأمجد لو عاصره أنّ المجد للسيف ، وقال تعجباً من سيرته : من أين اتفقت هذه المحاسن وكيف ، وملاك هذه الوصايا تقوى الله عزّ وجلّ ، فليكن ركنه الشديد ، وذخره العتيد وكنزه الذي يَنْمَى على الإنفاق ولا يبيد ، والله تعالى يوفق مسعاه ، ويحرس سَرْحَه ويرعاه ، والاعتماد على الخطّ الكريم أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأصل : « وليرع » وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) قوله . « ولا يقال » ، ليس في (أ) .

(٣) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) الحديث في جامع الأصول : ٥٠/٤ ، وتخريجه ثمة .

٢٣٧ ـ أرغون الأمير سيف الدين الكاملي*

نائب حلب ، ونائب دمشق ، ذو وجه طُبعَ البدرُ على سِكّتِه ، وقدٌّ لا شك أن قلب المحبّ يذوب من شكّته ، وعيونٍ سبحان من أبدعها ، عروة ليس لها زِرٌّ سوى السّحر ، وثغر يتمنى لو كان مثله ما يرصّع في التاج أو يتحلى به النحر ، يفتن من يراه ، ويعترف بالربوبية لمن بَرَاه ، حفظ لإيمانه أيمانه ، وخاف ربّه فما نكث عهده ولا خانه ، ورعى مِنْ وَرَعِه سلطانه ، وقمع بالمروءة شيطانه ، لأنّ بيبغاروس لما خرج على السلطان وبغى ، وطفّ ماءُ تمرده ، وطغى ، راسله في الباطن بالباطل مراراً ، وقتل[1] في ذروته والغارب نهاراً جهاراً ، ووعده بأنه لا يغيّر عليه في دمشق أمراً من النيابة ، وأن يكون شريكه في المهانة والمهابة ، وطالت الرسائل بينهما ، ولم يرَ فيه مغمزاً يلين ، وتحقق بيبغا أنه من الصابرين عليه والصائلين ، فأعياه انقياداً لمرامه ، وعلم أنّ بازيه لا يحوم حول حِماه ولا يسف[2] على حَمامه ، فنكص عنه خائباً ، وكر نجمه عنه كاسفاً غائباً .

وكان كثير السكون ، راجح الميل إلى العدل والركون ، لا يدخله في أحكامه غيظ ولا حرج ، ولا يبالي أدخل الحقّ على نفسه أو خرج ،يعرف القضية من أول ما ينهى إليه أمرها ، ويستشف الحقّ في فضلها إذا أشبّ الباطل جمرها ، لا يغيب عن ذهنه واقعة جرت ، ولا يسير عن ذهنه قضية انقضت أو سدت :

يُحدّث عما بين عادٍ وبينَه ... وصُدغاه في خدَّي غلامٍ مراهقِ
وما الحسنُ في وجه الفتى شرفاً له ... إذا لم يكنْ في فعلهِ والخلائقِ[3]

---

* الوافي : ٣٥٦/٨ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٨٦/٢ ، والدرر : ٣٥٢/١ ، والشذرات : ١٨٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٣١٩/٢ .

(١) كذا في الأصل و (أ) ، وفي (خ) : « فتك » .

(٢) أي : لا يدنو .

(٣) (أ) : « شرف له » . وفي (أ) و (خ) : « في وجهه » .

ولم يزل أرغون الكاملي في محاق وكال ، وزيادة وزوال إلى أن :

قصـــــدتْ نحـــوهُ المنيـــــةُ حتى وهبتْ حسنَ وجهـــــــــهِ للتراب

أول ما أنشأه الملـك الصـالح إسماعيـل ، وزوّجـه أختـه من أمّـه بنت الأمير سيف الدين أرغون العلائي ، وذلك في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، [وجهزه][1] عقيب زواجه إلى الأمير بدر الدين جنكلي ، وقال : انزل[2] إلى الأمير بدر الدين ، وقبّل يده ، فحضر إليه وكنت جالساً عنده ، فلما دخل إليه أعظمه وبجّله وبش له[3] وهش ، وأجلسه ، وأحضر له قبا بطرز زركش وألبسه إياه ، ولم يكن الأمير بدر الدين ممن يهوى المرد ، ولا يميل إليهم ، فلما خرج من عنده ، قال لي : أرأيت ما أحسن وجه هذا وعيونه[4] ، فقلت له : نعم ، رأيت ، ونِعْمَ ما رأيت .

وكان يُعرف في حياة الصالح إسماعيل بأرغون الصُّغَيَّر ، فلما مات الصالح رحمه الله تعالى ، وتولّى الْمُلْكَ أخوه الملك الكامل شعبان أعطاه إمرة مئة وتقدِمَة ألف ، ونهى أن يدعى أرغون الصغيرّ ، وسُمّي أرغون الكاملي .

ولما مات الأمير سيف الدين قُطْليجا الحموي في نيابة حلب ، رسم الملك الناصر حسن له بنيابة حلب ، فوصل إليها يوم الثلاثاء خامس عشر شهر رجب الفرد سنة خمسين وسبع مئة ، وعمل النيابة بها على أحسن ما يكون من الحُرْمة والمهابة ، وخافه التركمان والعرب ، ومشت الأحوال بها ، ولم يزل بها[5] إلى أن جاءه الأمير سيف الدين كُجُك الدوادار الناصري ، بأن يخرج ويربط الطرقات على أحمد الساقي نائب صفد ،

---

(١) زيادة من (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « اترك » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « إليه » .

(٤) (خ) : « وعينيه » .

(٥) ليست في (خ) والوافي .

فبرز إلى قرنبيا ، فأرجف بإمساكه ، فهرب منه الأمير شرف الدين موسى الحاجب بحلب وغيره ، ثم إنَّ جماعة من الأمراء لحقوا بالحاجب ، وأوقدوا النيران بقلعة حلب ، ودقوا الكوسات[١] ، ونادوا في الناس لينهبوا طُلبه ، وما معه ، فتوجّه إلى المعرّة ، وكتب إلى الأمير سيف الدين طاز يرَق نائب حماه[٢] ، فلم يجد عنده فرجاً ، فرد طلبه ، ونقله إلى حلب ، وتوجّه على البرّيّة[٣] إلى حمص في عشرة مماليك ، وقاسى من التركمان شدّة .

ثم إنه ركب من حمص هو ونائبها الأمير ناصر الدين محمد بن بهادر آص في ثلاثة مماليك ، ودخل دمشق يوم الجمعة سابع عشري الحجة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فجهّز نائب الشام الأمير سيف الدين أيتمش الحاجب إليه ، وابن أخته الأمير سيف الدين قرابغا بقباء أبيض فوقاني بطرز زركش ومركوب مليح ، ودخل إليه ، وأقام عنده بدار السعادة إلى بكرة السبت ثاني يوم ، وجهزه إلى باب السلطان صحبة قرابغا المذكور ، والأمير سيف الدين ألدمر السليماني الحاجب ، وكتب على يدهما مطالعة بالشفاعة فيه ، ولما وصل إلى لُد[٤] تلقاه الأمير سيف الدين طشبغا الدوادار ، ومعه له[٥] أمان شريف[٦] مضمونه[٧] أنه ما كتبنا في حقك لأحد ، ولا لنا نيّة في أذاك ، فإن اشتهيت تستمر في نيابة حلب ، وإن اشتهيت نيابة غيرها ، وإن أردت أن تحضر إلينا كيفما أردت عملنا معك . فعاد معه طشبغا الدوادار إلى مصر ، وأقبل السلطان عليه ، وأنعم عليه ، وأعاده إلى حلب .

---

(١) هي صنوج من نحاس .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) (خ) : البريد ، ولعلها أشبه .

(٤) في المنهل : « لدرملة » .

(٥) ليست في (خ) .

(٦) زاد في (أ) ، (خ) ، والوافي : « ومثال شريف » .

(٧) في الأصل : « مضومه » تحريف .

فوصل إلى دمشق ومعه طشبغا الدوادار ، وأصبح[١] يوم الاثنين جلس في دار العدل إلى جانب قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وظهر نائب حلب إلى قاضي القضاة الحنفي وغيره ، وقام[٢] من الخدمة ، وتوجّه إلى الجامع الأموي ، وصلى فيه[٣] ركعتين ، ودخل إلى خانقاه السميساطي . ولما كان عصر الخدمة خلع نائب دمشق عليه قباء بطرز زركش ، وفرساً حسناً بسرجه ولجامه ، وكنفوشة الذهب .

وتوجّه بكرة الثلاثاء إلى حلب ، وصحبته ابن ازدمر[٤] مقيداً لأنه كان طُلب من حلب لمّا شكاه للسلطان ، فرُدّ معه من الطريق ، ولمّا وصل إلى حلب تلقاه الناس بالشموع إلى قِنّسْرين وأكثر ، ودخلها دخولاً عظيماً ، ووقف في سوق الخيل ، وعَرَّى زكري البريدي ، وأراد توسيطه ، ونادى عليه هذا جزاء من يدخل بين الملوك بما لا يعنيه ، فنزل طشبغا وشفع فيه ، فأطلقه ، وأحضر ابن أزدمر النوري ، وقال : قد رسم لي السلطان أن أسمّرك وأقطع لسانك ، ولكن ما أواخذك ، وأطلعه إلى قلعة حلب ، وأقام على ذلك إلى أن عزل الأمير سيف الدين أيتمش من نيابة دمشق في أوّل دولة الملك الصالح صالح ، فرسم للأمير سيف الدين أرغون بنيابة الشام ، فدخل الشام[٥] بطلبه في نهار الاثنين حادي عشر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وكان قد قدم من مصر لإحضاره الأميرُ سيف الدين ملكتمر المحمدي ، فأقام في نيابة دمشق ، وهو منكد الخاطر ، ولم يصفُ له بها عيش ، وجهز دواداره الأمير سيف الدين طُطَق[٦] يستعفي من النيابة ، وأن يكون في باب السلطان من جملة الأمراء ، فما أجيب إلى ذلك .

---

(١) كذا ، وعبارة الوافي : « فلما كان يوم الأحد .. وصل .. وأصبح » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) محمد بن أزدمر النوري ، أحد أمراء حلب . (الوافي : ٣٥٧/٨) .

(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي : « إلى دمشق » .

(٦) ستأتي ترجمته .

ولم يزل بدمشق مقيماً إلى أن خرج بيبغاروس وأحمد الساقي نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس على السلطان الملك الصالح ، واجتمعوا وجروا العساكر وجاؤوا إلى دمشق ، فلما بلغه حركة المذكورين حلّفَ عسكر دمشق للسلطان[1] الملك الصالح ولنفسه في العشر الأول من شهر رجب ، وهو مقيم في القصر الأبلق ، وكتم أمر نفسه وما يفعله ، وأظهر أنه يتوجه بعسكر دمشق ، ويقيم بهم على خان لاجين ، فوصل إليه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ومعه ملطّفات إلى أمراء دمشق وحلب وطرابلس وحماه بعزل نوابها ، وأنهم إن حضروا إلى دمشق مخفّين يجهّزهم نائب الشام إلى باب السلطان ، وإلاّ فليمسكوا ويقيدوا ، وكان وصول الدوادار في سادس عشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وفي حادي عشري شهر رجب نادى في العسكر بالخروج إلى خان لاجين ، وأنهم في بكرة النهارة يجتمعون في سوق الخيل ، ليتوجهوا أمامه ، وكان هذا رأياً صالحاً حميداً ، ولم يعلم أحد بما في ضميره ، فلما اجتمع الناس خرج لهم الأمير علاء الدين علي بن بيبرس الحاجب ، وقال : بسم الله ، توجّهوا إلى مصر ، فسُقط في أيدي الناس ، وتوجهوا أمامه إلى جهة الكسوة ، وهو ساقة لهم ، ولم يزل بهم سائراً ليلاً ونهاراً إلى أن وصل بهم إلى لُد ، فخيّم بها[2] وأقام .

وقلت أنا وقد خرجت معه بغتة :

خَرَجْنَا على أنّا نلاقيَ عسكرا ... أتى بَيْبُغا فيها على خان لاجين[3]

فلم ندر مِنْ تَعْتيرنا وقطوعنا ... بأنفسنا إلاّ بأرض فلسطين

---

(١) في الأصل : « السلطان » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « بهم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « عساكر » .

وقلت أيضاً أتشوق إلى ولدي[١] :

أيا ولدي وافاني البينُ بَغْتَةً وبدَّدَ شملاً قد تنظّم كالعِقْدِ
فسرتُ وما أعْدَدْتُ عنك تَجَلُّداً لقلبي ولا حَدَّثْتُ نَفْسي بالبعد

وفي رابع عُشْري[٢] شهر رجب نزل بيبغا[٣] بن معه على خان لاجين ، ودخل دمشق مُطَلَّبا ، ونزل على قبة يَلْبُغا بن معه بأحمد الساقي نائب حماة ، وبكلمش نائب طرابلس ، وألطنبغا بَرْناق نائب صفد ، وقَرَاجا بن دُلْغادر ومن معه من التركمان ، وحيّار بن مهنا[٤] . وبعد ثلاثة أيام توجّه أحمد الساقي بألف وخمس مئة فارس ، وأقام على المزيريب ، وجرى في دمشق ما لا جرى في أيام غازان ، ونُهب المرج والغوطة وبلادهما[٥] ، ونُهبت بلاد حوران ، ونهبت البقاع ، وسبيت[٦] الحريم ، وافتُضّت الأبكار ، وقطعت الآذان بحَلَقها ، وأُخذت الأموال .

ولم يزل الأمير سيف الدين مقيماً على لُدّ بعساكر دمشق إلى أن وصل الأمير سيف الدين طاز في خمسة الآف من عسكر[٧] مصر ، وأقام على ظاهر لُدّ ، وكثرت الأراجيف بما يفعله مَنْ مع بيبغا[٨] من التركمان من الأذى في دمشق ، فقلت أنا أذكر أولادي :

أخرجني المقدور من جلّق عن طيب جنّات جَنِيّات[٩]

(١) قوله : « أتشوق إلى ولدي » ليس في (أ) .
(٢) (خ) : « عشرين » .
(٣) (أ) : « بيبغاروس » .
(٤) حيّار بن مهنا بن عيسى ، أمير عرب آل فضل بالشام ، (ت ٧٧٦ هـ) . الدرر : ٨١/٢ ، إنباء الغمر ٨٩/١ ، الذيل التام ٢٧٩ .
(٥) (ق) : « وبلادها » . وعبارة (خ) : والغوطة وبلاد حوران » .
(٦) (ق) : « وسبي » .
(٧) (خ) : « وعسكر » .
(٨) (أ) : « بيبغاروس » .
(٩) (أ) ، (ق) ، (خ) : « عن جلق » .

فـإن أعـد يـومـاً لهـا سـالمـاً فهـو بنيّـات بُنَيَّـاتي

وقلت وقد زاد الإرجاف[١] بأن بيبغا تقدم بمن معه من العساكر إلى الكُتَيْبة :

قـد ضجرنـا من المقـام بِلُـدٍ بَلَـدٍ مـا طبـاعـه مثـل طبعي
كلمـا قيـل لي كَتيبـةُ جَيْش قـد أتت للكُتَيْبـة اصْطَـكّ سمعي
فتراني مغيَّراً من سقـامي ونُحُـولي وفي المـزيريب دمعي[٢]

وقلت ، وقد زاد الذباب علينا بلُدّ من طول مقامِ العساكر في منزلتها :

لقـد أتـانـا ذبـاب لُـدٌّ بكل حَتْفٍ وكل حَيْف
وقيـل : هـذا ذبـابُ صَيْف فقلت : لا بـل ذبـابُ سيف

وفي يوم الجمعة ثاني عشري شعبان وصل السلطان الملك الصالح صالح بالعساكر المصرية إلى منزلة بدعرش[٣] ، وتلقاه الأمير سيف الدين أرغون بالعساكر إلى قرية يُبْنَى[٤] .

وفي يوم السبت توجهت العساكر الشامية إلى دمشق في ركاب أرغون الكاملي ، وخرج الأميران سيف الدين شيخو[٥] ، وسيف الدين طاز على أثرهم ، ودخل النائب إلى دمشق يوم الثلاثاء .

وفي يوم الخميس مستهل شهر رمضان دخل السلطان إلى دمشق ، وكان بيبغا ومن معه لمّا تحققوا خروج السلطان من مصر انقلبوا على عقبهم ناكصين ـ على ما تقدم في

---

(١) (أ) : « زادت الأراجيف » .
(٢) هذا البيت ليس في (أ) .
(٣) (أ) : « بدعشر » . .
(٤) بليدّ قرب الرمله . معجم البلدان ٤٢٨/٥ .
(٥) (خ) : « سنجر » ، تحريف ، وكذا في المواضع التي ورد فيها الاسم مما يأتي .

ترجمة أحمد ، وعلى ما سيأتي[١] في ترجمة بيبغا ـ ثم إنّ شيخو وطاز وأرغون الكاملي توجهوا بالعساكر إلى حلب . وورد بعد ذلك كتاب ابن[٢] دلغادر يقول فيه : إن بيبغا وأحمد وبكلمش جاؤوا عندي[٣] على فرس فرس ، ولم يكن معي مرسوم بإمساكهم ، وباتوا عندي ليلة ، وتوجهوا إلى البلاد الرومية ، ثم إنّ العساكر أقامت على حلب ، واتفق الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز على إقامة الأمير سيف الدين أرغون الكاملي في حلب نائباً لسدّ هذا الثغر في هذا المهم ، وكتبا إلى السلطان بذلك ، فكتبت له تقليده[٤] بذلك من دمشق ، وجُهّز إلى حلب ، وأمّروا جماعة من مماليكه طبلخاناه ، وجماعة عشرة ، وذلك في خامس عُشْرَي شهر رمضان ، وعادت العساكر إلى دمشق ، ودخل شيخو وطاز إلى دمشق يوم الجمعة سلخ شهر رمضان ، وأصبح العيد يوم السبت .

وفي سابع شوال توجّه السلطان بالعساكر المصرية إلى مصر ، ولم يزل الأمير سيف الدين أرغون بحلب نائباً إلى أن حضر أحمد وبكلمش إلى حلب مقيّدين ، وحُزّت رؤوسهما ، وجُهِّزت[٥] إلى باب السلطان ـ على ما تقدّم في ترجمة أحمد ، وسيأتي في ترجمة بكلمش ـ ثم إنّه بعد ذلك حضر بيبغاروس مقيداً إلى حلب ، وحُزّ رأسه ، وجهّز إلى باب السلطان ـ على ما سيأتي في ترجمته ـ ثم إنّ الأمير سيف الدين أرغون الكاملي توجه بعسكر حلب ، ومعه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار خَلْفَ ابن دلغادر ، ووصل إلى الأبُلُسْتَيْن[٦] وحرقها ، وحرق قراها ، ودخل إلى قيصريّة ، وهرب ابن دلغادر ،

---

(١) قوله : « في ترجمة .. ما سيأتي » سقط في الأصل .

(٢) (أ) : « من ابن » .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إلى عندي » .

(٤) (أ) ، (خ) ، (ق) : « تقليداً » .

(٥) خ : « رأساها ، وجهزتا » .

(٦) قال ياقوت: « مدينة مشهورة ببلاد الروم ، وهي الآن بيد المسلمين » . معجم البلدان : ٧٥/١ .

واتصل بمحمد بك[١] بن أرتنا[٢] ، وعاد الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى حلب ، ودخلها يوم الثلاثاء خامس شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وقاسى هو والعساكر شدائد وكابدوا أهوالاً ، ومَشَى هُوَ بنفسه في تلك المضائق ، ثم إنَّ ابن دلغادر وصل إلى حلب ، وجُهِّزَ منها إلى مصر مقيداً ، وجَرَى له ما جَرَى ، على ما يأتي ذِكْرُه في ترجمته .

ولم يزل الأمير سيف الدين أرغون على حاله نائباً بحلب إلى أن خُلع الملك الصالح صالح ، وأعيد الملك الناصر حسن في بكرة الاثنين ثاني عيد الفطر سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وطُلب الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى باب السلطان ، وحضر الأمير سيف الدين طاز عوضه نائباً بحلب[٣] ، وذلك في أواخر شوال . وأقام أرغون الكاملي بالديار المصرية أمير مئة ، مقدم ألف إلى تاسع صفر سنة ست وخمسين وسبع مئة فأمسك بالقلعة ، وجُهز إلى الاسكندرية ، واعتقل هناك . ولم يزل هناك معتقلاً وعنده زَوْجُه إلى أن أُفْرِجَ عنه ، ورُسم له بالحضور إلى القدس الشريف ليكون به مقيماً ، وحصل له ضعف ، وأثقل في المرض ، وعوفي بعد مدة . وبَنَى بالقدس تربة حسنة .

وكان قد عزم على الحج في سنة ثمان وخمسين ، فمرض أيضاً ، وأفطر شهر رمضان ، فبطل الحج ، ولم يزل إلى أن توفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس خامس عشري شوال ، ودفن في تربته ، ولم يكمل عمارتها ، وخسف الموت من أرغون الكاملي بدره الكامل ، وبتّ شمل سعده الشامل[٤] .

---

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) ، والدرر : « باك » .

(٢) صاحب الروم ، أقام بمصر واستعان بالملك الأشرف ، فأعانه على استرداد ملكه في مملكته في بلاد الروم (ت ٧٩٢ هـ) . والدرر : ٣٧٨/٤ .

(٣) (أ) : « إلى حلب » .

(٤) (خ) : « الكامل » . سهو .

وأظن مولده في سنة تسع وعشرين[١] وسبع مئة .

وكنت قد كتبت إليه قصيدة ، وهو بحلب أذكر فيها انتصاره على بيبغا وأحمد وبكلمش ، وهي :

قد توالى النصر الذي قد تغالى ... في مليكٍ أرضَى الإله تعالى[٢]
وحمى الملك والممالك والدين ... وقاد الجيوش والأبطالا
الأمير المهيب أرغون ذو البا ... س الذي عزمُه يدك الجبالا[٣]
سار من جلق إلى لُدّ لما ... أن بغى بيبغا ورام القتالا
لم يَسر خِيفةً وكيف يَخاف ... الليثُ يوماً إذا تراءى الغزالا
خاف سفكَ الدماء في رجب الفر ... د ، وسفْكُ الدماء كان ضلالا
وتأتّى في لدّ يرجو لقاهم ... بثبات لا يعرف الترحالا
فهو فيها ليثٌ بغاب سلاحٍ ... كان بيْضَاً بُتّرا وسُمْرا طوالا
وهُمُ عاجزون لم يتنحَّوا ... عن مكان فيه أقاموا كُسالى
فتخلى الشيطان عن كلّ غاوٍ ... وانثنى خائباً وولّى القذالا
من يخون الإيمان كيف يلقى ... بَدْرُه في دجى النفاق كالا
نكث العهد مائلاً لفجور ... هو عندي لو استحى ما استحالا
أضعفَ الرعبُ قَلْبهَم فتولّوا ... خِوّراً ثم زُلزلوا زلزالا
ثم باتوا ما أصبحوا مثل ظلٍ ... نَسَختْهُ أيدي الضياء فزالا
قطعوا البيد لا يُديرون وجهاً ... ليردّوا الغَضَنْفرالرئبالا
تركوا المال مائلاً لسواهم ... وأضاعوا الحريم والأموالا
أمطرتْهم قسْيةُ وبلَ نَبْل ... مَلأت سائر الوِهاد وَبَالا

(١) قوله : « وعشرين » ليس في (أ) .
(٢) (خ) : « قد تعالى » . تصحيف .
(٣) قوله : « ذو الباس » سقط من (خ) ، وفي أ : ذا الباس .

مـــا استقرّوا في منزل قـــطّ إلاّ ... وبهم قـد نبـا وضـاق مجـالا
شَبعُـــوا غُرْبَـــة وفقراً وذلاً ... وهـوانـــاً وروعـــة وسـؤالا
وأتـوا خـــاضعين ذلاً وعجـــزاً ... يحملـون القيـود والأغـلالا[1]
بـوجـوه قـد سـودتهـا المعـاصي ... نحـو وجـــهٍ من نـوره يتـلالا
ثم حُـــزت رؤوسهم بسيـــوف ... ليس يـدري المضـاءُ منهـا كـلالا
فـــاشتفى المسلمـون منهم وقرّت ... أعينٌ مـا رأت زمـانـاً خيـالا
هكـذا هكـذا جـزا من تعـدى ... وبغى هكـــذا وإلاّ فـــلالا[2]
يـــا مليكاً لـــه الإلـــه مراعٍ ... في جميـع الأمـور حـالاً فحـالا
إنّ ربـاً أعطـاك نصراً عـزيـزاً ... وكسـا وجهـكَ الجميـل جمـالا[3]
هـو يُـوْليـك مـا تحـاول منـه ... في المعـــالي وتبلـغ الآمـــالا
أوحشت منـك جلـق فهي تشكـو ... فيـك شـوقـاً تراه داء عُضـالا
أنت بـاهيت حسنهـا بمحيّـا ... جعـل البـدرَ من حيـاء هـلالا
ثم كاثرت شهبهـا بـالأيـادي ... فمـلا جُـودك الأكفَّ نـوالا
وكَستهـا أخـلاقُـك الغُرّ لطفـاً ... منـه مـادَ القضيب لطفـاً ومـالا
هي ذاقت من حكمك الفصل عـدلاً ... صـار في قـامـة الرمـاح اعتـدالا
فلـك الله حـافـظ حيثمـا كنت لتُفني من العـدا الآجـالا

٢٣٨ ـ أَرُقْطَاي*

الأمير سيف الدين المعروف بالحاج أَرُقْطَاي . من مماليك الأشرف[4] . جعله الملك

(١) (أ) ، (خ) : « صائعين » .
(٢) (خ) : « جزى » .
(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) ، « جلالا » .
* الوافي : ٣٦١/٨ ، والبداية والنهاية : ٢٣٢/١٤ ، والدرر : ٣٥٤/١ ، خطط المقريزي ٤٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٢٨/٢ .
(٤) في المنهل : « الملك الناصر محمد بن قلاوون » .

الناصر جَمْداراً ، وكان هو والأمير سيف الدين آيتمش[١] نائب الكرك بينهما أخوّة . وكانا في لسان الترك القبجاقي فصيحين ، وكانا يُرجع إليهما في الياسة التي هي بين الأتراك .

ولما خرج الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ خرج معه الحاج أرقطاي والأمير حسام الدين البشمقدار[٢] ، فحضر الثلاثة على البريد ، ولما كان بعد قليل بلغ تنكز أن الأمراء بدمشق يتوجهون بعد الخدمة إلى دار الحاج أرقطاي ويأكلون على سماطه ، فما حمل ذلك تنكز ، وكتب إلى السلطان فأخرجه إلى حمص نائباً في يوم الأحد سابع شهر رجب سنة ست عشرة وسبع مئة ، وأُعطي خبز بيبرس العلائي ومماليكه وحاشيته ، فأخذهم عنده ، وأقام بحمص مدة . ثم إنه رسم له بنيابة صفد ، فحضر إليها في سنة ثمان عشرة وسبع مئة في جمادى الأولى بعد إمساك طَغاي[٣] الكبير بها فيما أظن ، فأقام بها ، وعمّر بها دورا وأملاكا ، وتوفيت زوجته ابنةُ الأمير شمس الدين سنقرشاه[٤] المنصوري . وبنى لها[٥] تربة شمالي الجامع الظاهري ، وهي تربة حسناء بالنسبة إلى عمائر صفد ، وصار بها للجامع رونق لم يكن له أولاً .

وأُعطي ولده أمير علي طبلخاناه ، وولده إبراهيم أمير[٦] عشرة بعد ما طلبها السلطان بسفارة الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ وأمّرهما[٧] عنده بدمشق ،

---

(١) في الوافي : « أو تامش » .
(٢) في الوافي : « حسام الدين طُرفطاي البجمقدار » ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) في الأصل : (طغا) ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي . وستأتي ترجمته .
(٤) ستأتي ترجمته .
(٥) في الأصل : (بها) وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي .
(٦) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إمرة » .
(٧) (أ) : « وأقرّهما » .

وأقاما عنده[١] مدة ، ثم إنه جهّزهما إلى صفد ، وكان في الآخر قد حَنا عليه حنواً كثيراً[٢] .

ولما كان في سنة ست وثلاثين وسبع مئة طُلب الأمير سيف الدين أرقطاي إلى مصر ، وجُهّز الأمير سيف الدين أيتمش [أخوه][٣] مكانه نائباً بصفد ، وأقام الحاج أرقطاي بمصر مقدم ألف .

ولما توجه العسكر إلى أياس جُهّز إليها في جملة الأمراء ، وحضر من هناك ، وأقام بالقاهرة يعمل نيابة الغيبة إذا غاب السلطان في الصيد ، فلما قدّر[٤] واقعة تنكز وإمساكه ، حضر مع مَن حضر مِن الأمراء صحبة الأمير سيف الدين بشتاك ، ثم إنه رُسم له بنيابة طرابلس عوض الأمير سيف الدين طَيْنَال[٥] ، فتوجه إليها ، ولم يزل بها مقيما إلى أن توجه ألطنبغا إلى طَشْتُمر نائب حلب ، وكان الحاج أرقطاي بعسكر طرابلس مع ألطنبغا ، وتوجهوا إلى حلب ، وعادوا ، وجرى ماجرى من هروب ألطنبغا إلى مصر ، وكان الحاج أرقطاي معه ، فأُمسكا واعتُقلا بالإسكندرية . ثم[٦] أُفرج عن الحاج أرقطاي في أول دولة الصالح إسماعيل بوساطة الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي ، وجُعل كما كان أولاً بالقاهرة من جملة الأمراء المشايخ المقدّمين ، وأقام على ذلك إلى أن توفي الملك الصالح ، وتولى الملك الكامل شعبان ، فرسم له بنيابة حلب عوض الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، فحضر إليها في جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها تقدير خمسة أشهر ، ثم طُلب إلى مصر ، وجُهّز إلى حلب

---

(١) قوله : « وأقاما عنده » ليس في (أ) .
(٢) (أ) ، (خ) ، والوافي : « كبيراً » .
(٣) زيادة من النسخ الأخرى والوافي .
(٤) في الوافي : « كانت » .
(٥) ستأتي ترجمته .
(٦) (ق) : « ثمّ إنّه » .

الأمير سيف الدين طَقتُمر طاسه[١] نائب حماة . فتوجه الحاج أرقطاي إلى مصر ، وأقام بها قليلاً إلى أن خُلع الكاملي ، وتولى الملك المظفر حاجّي ، فرسَم له بنيابة مصر .

ولم يزل في نيابة مصر إلى أن خُلِع المظفر ، وتولَّى الملك الناصر حسن ، فطلب الإعفاء من مصر ، وأن يعود نائباً ، فرسم له بذلك ، فوصل إلى دمشق في رابع عشر شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن قتل أرغون شاه ، فرُسم للحاج أرقطاي بنيابة دمشق ، ففرح أهل دمشق به ، وتوجهوا إليه إلى حلب وما دونها ، فاستعدَّ لذلك ، وخرج في طُلْبه وحاشيته ، وكان قبل ذلك[٢] قد حصل له حُمَّى ، ثم إنه حصل له إسهال ، فنزل[٣] إلى منزلة عين المباركة ظاهر حلب ، مرَّة يركب الفرس ، وإذا أثْقَل في المرض ركب في المحفَّة ، إلى أن حُمَّ له الأجل ، وتلوَّن له وجه الحياة تارة بالوجل وتارة بالخجل .

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ عصر الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة بعين المباركة . فعاد الناس خائبين ، وعاجوا[٤] بعد الفرح بالترح آيبين .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ ذكيّاً فطِناً ، محجاجاً لَسِناً ، مع عجمة في لسانه ، وعقدة في بيانه . وله التنديب المطبوع ، والتندير الذي فيه الظرف مجموع ، مع ميل شديد إلى الصور الجميلة ، والقامة المديدة مع الوجنة الأسيلة ، لا يكاد يملك نفسه إذا رأى العين النَّفّاثة ، والجفون الخوّانة النَّكاثة ، والمباسم الفلج ، والحواجب البلج . ونفسه زائدة الكرم في المأكول ، وسماطه دائماً ممدود لمن أمْرُه إليه موكول . وأظنه عدَّى السبعين .

---

(١) ويُعرف بطقتمر الأحمد (ت٧٤٧هـ) . الدرر : ٢٢٤/٢ .

(٢) (أ) ، (خ) : « ذلك الوقت » .

(٣) (أ) ، (خ) : « فوصل » .

(٤) (أ) : « وعادوا » .

وأنشدني بحماة من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين محمد بن علي الغزي بحماة[١] تاسع جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة :

قالوا : أَرُقْطَاي مات ، قلت : وهل ... في الموت بعد الحياة من عجب
ما مات مِن فَرْحَةٍ بنقلته ... بل مات من حُزْنه على حلبِ[٢]

اللقب والنسب

الأرمنتي :

الحسين بن الحسين .

وكمال الدين عبد الباري .

وكمال الدين عبد الرحمن بن عمر .

وتقي الدين عبد الملك بن أحمد .

وجمال الدين محمد بن الحسين .

وشرف الدين محمد بن عبد الرحيم .

الأرموي :

محمد بن إبراهيم .

وصدر الدين محمد بن الحسن .

وصفي الدين محمود بن أبي بكر .

٢٣٩ ـ آروم بُغا*

الأمير سيف الدين الناصري .

---

(١) ليست في (أ) ، (خ) . والغزي توفي (٧٦١ هـ) . الدرر : ٨٧/٤ .

(٢) المنهل الصافي : ٣٢٨/٢ .

* الوافي : ٣٦٦/٨ ، والمنهل الصافي : ٣٣٥/٢ ، وفيه : « أرنبغا » .

لَمّا توفي الملك الناصر ، ووُفِّر الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي من وظيفة أميرجاندار[١] ، أُقيم الأمير سيف الدين أروم بغا مكانه أميرجاندار ، ولم يزل كذلك إلى أن ملك الصالح إسماعيل ، فرسم له بنيابة طرابلس ، فحضر إليها عوضاً عن الأحمدي المذكور ، وأقام بطرابلس قليلاً ، تقدير أربعة أشهر ، إلى أن بات في الثرى موسَّداً ، وأصبح على رحمة ربِّه محسَّداً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وجاء بعده الأمير سيف الدين طوغاي الجاشنكير ، الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في حرف الطاء مكانه .

وكان الأمير سيف الدين أروم بغا شَكِلا كاملاً ، إلى الخير مائلاً ، محسناً إلى مَن يعرفه ، مجتهداً على مالٍ ينفقه ويصرفه . محبوبَ الملتقى ، قريبَ المستقى ، بارّاً بأصحابه ، فارّاً من الأذى واقترابه . وأحمدَ الناسُ أمره في وظيفته بمصر لَمّا باشرها ، وخالطها بالْحُسنى وعاشرها ، إلى أن توجَّه لنيابة طرابلس على ما تقدم .

٢٤٠ ـ أُزْبَك بن طقطاي*

القان بن القان ، صاحب بلاد أُزْبَك ، مملكته شماليّنا بشرق ، وهي من بحر قسطنطينية إلى نهر أرْبُس مسافة ثمان مئة فرسخ ، وعرضها من باب الأبواب إلى مدينة بلغار وذلك نحو ست مئة فرسخ ، ولكن أكثر ذلك مراعي[٢] وقرى . ولها في أيديهم ما ينيف على المئة سنة .

---

(١) لقب الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل . ويعني اللفظ الأمير المسك للروح ، أي الحافظ للسلطان ، فلا يأذن بالدخول عليه إلاّ لمن يثق به .

* الوافي : ٣٦٧/٨ ، والدرر : ٣٥٤/١ ، والمنهل الصافي : ٣٤٣/٢ .

(٢) كذا في الأصول ، والوافي .

كان ذا بأس وإقدام ، وعبادة في الليل[١] في المحراب ، وصفٌ أقدام . لَمَّا أسلم أسلم بعض رعيته ، وعاملهم بحُسن ألمعيَّته . لم يلبس سراقوجا ولا شيئاً من شعارهم ، ولا رغب في درههم ولا دينارهم . يلبس حياصة فولاذ من غير ذهب ، ويقول : الذهب حرام على الرجال وقد وجب . وكان يؤثر الفقراء ويحبهم ، ويجانب مَن يُعرض عنهم ويسبهم ، يتردد إلى بعض الصوفية ويقول له : أشتهي لوقُتلت ، فيقول له ذلك الصوفي : لأي شيء ؟ قال : لأنكم تقولون : إن جميع مَن[٢] في ملكي أذاه[٣] متعلق بعنقي .

كان السلطان الملك الناصر قد خطب ابنته ، وقيل[٤] : أخته ، وأجاب إلى ذلك ، وجهزها في البحر إلى إسكندرية ، وتوجه القاضي كريم الدين لملتقاها إلى الإسكندرية ، وعمل لها ضيافة في الميدان تحت القلعة ، وبعد ذلك طلعت إلى القلعة ، وجرى في أمرها ما جرى ، وتوهَّم السلطان أنها ليست من بنات أزبك فهجرها وزوَّجها بالأمير سيف الدين منكلي بُغا السلاح دار[٥] ، فتوفي عنها ، فزوَّجها بالأمير سيف الدين صوصون[٦] أخي قوصون ، فتوفي عنها ، فزوَّجها ابن الأمير سيف الدين أرغون النائب .

ولم يزل القان أزبك على حاله إلى أن خانته أم دَفَر[٧] ، وامتلأ فمه وعينه بالعفر .

وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة . ومدة مُلكه اثنتا عشرة سنة .

---

(١) قوله : « في الليل » ليس في (أ) .
(٢) (خ) : « ما » .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) (أ) : « أو » .
(٥) منكلي بغا بن عبد الله الناصري ، (ت ٧٣١ هـ) .
(٦) توفي سنة (٧٣٤ هـ) .
(٧) هي الدنيا .

٢٤١ ـ أَزْدَمُر*

الأمير عز الدين العلائي .

كان أميراً كبيراً ، أثيلاً في المكانة أثيراً ، عديم المعرفة والفهم ، فارس الخيل ما مثله شهم ، شرس الأخلاق ، صعب المراس على الإطلاق .

لم يزل بدمشق على حاله[١] إلى أن ظفرت به اليد الغالبة ، والداهية التي هي للنِّعم سالبة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة ست وتسعين وست مئة . وصُلي عليه بجامع بني أمية . وحضر جنازته نائب السلطنة والأمراء ، ودُفن داخل دمشق عند مسجد ابن فريدون[٢] من نواحي مئذنة فيروز .

وهو أخ الحاج علاء الدين طَيْبُرس[٣] .

اللقب والنسب

☆ **الأزرق** : مملوك العادل كتبغا ، اسمه بكتوت .

☆ **ابن الأزكشي** : الأمير بدر الدين موسى بن أبي بكر .

٢٤٢ ـ إسحاق بن ألمى التركي المصري الشاعر**

قال الشيخ شمس الدين الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ : طلب قليلاً ، وارتحل إلى

---

* الوافي : ٣٧٠/٨ ، والمنهل الصافي : ٣٤٧/٢ .

(١) قوله : « على حاله » ليس في (أ) .

(٢) في المنهل : « ودفن بتربته إلى جانب داره عند مئذنة فيروز » .

(٣) توفي سنة (٦٨٩ هـ) .

** الوافي : ٤٠٥/٨ ، والدرر : ٣٥٧/١ ، والشذرات : ٩٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٥/٢ ، وفيه : « إسحاق بن أبي بكر بن إلمى بن أطز بن عبد الله ، المحدث نجم الدين أبو محمد السنجاري » .

الغَرّافي وإلى سُنْقُر الزيني[١] والأبرقوهي ، وأخذت عنه : وهو من أقراني ، ودخل العراق وبلاد العجم ، وأضمرته البلاد بعد العشرين وسبع مئة[٢] .

٢٤٣ ـ إسحاق بن إسماعيل*

ابن أبي القاسم بن الحسن بن أبي القاسم المقدادي الكِنْدي ، الفقيه الفاضل نجم الدين أبو الفداء بن القاضي مجد الدين بن الرحبي .

كان رجلاً فاضلاً صالحاً ، ولي قضاء الرحبة[٣] سبعةً وثلاثين سنة ، ووليها والده ، وجده .

قدم إلى دمشق ، ولازم الشيخ تاج الدين الفزاري ، وسمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وغيرهما ، وكان مشكور السيرة ، يحبه أهل بلده ومَن تقدم إلى الرحبة من الأجناد والفقراء . وقدم إلى دمشق قبل موته بسنة وأشهر ، وولي بها نيابة الخطابة ، وخطب في العيدين ، وسُرَّ الناس به لصلاحه وانقطاعه وعفَّته ، وروى بدمشق وبالرحبة .

توفي بدمشق في ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

٢٤٤ ـ إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق**

الشيخ الفقيه الفاضل المسند المكثر كال[٤] الدين أبو الفضل الأزدي الحلبي الحنفي النحاس .

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) وقد ذكره صاحب الشذرات في وفيات (٧٢٩ هـ) مع قوله : « لم تتحقق سنة وفاته » . وولادته سنة (٦٧١ هـ) كما في المنهل .

* الدرر : ٣٥٦/١ .

(٣) من قرى دمشق . معجم البلدان : ٣٣/٣ .

** الوافي : ٤٠٧/٨ ، والدرر : ٣٥٦/١ ، والشذرات : ٢١/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٦/٢ .

(٤) في الأصل (جمال) ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .

سمع الكثير من الموفّق يعيش ، والعزّ بن رَواحة ، والمؤتمن بن قُمَّيْرَة ، وابن خليل ، وأخيه[١] الضياء صقر الكلبي[٢] و[ابن][٣] أخيه شمس الدين الخضر بن[٤] قاضي الباب وأبي الفتح البارودي وهديّة بنت خميس ومحمد بن أبي القاسم القزويني[٥] والكمال بن طلحة والنظام محمد بن محمد البلخي[٦] ، وعدَّة .

وخرَّج له جزءاً عنهم المحدّث أمين الدين الواني ، وعنده عن ابن خليل نحو من ست مئة جزء . وقد أكثر عنه المزني[٧] والبرزالي وقاضي القضاة العلامة تقي الدين السبكي والمحب والواني[٨] وشمس الدين الذهبي .

وكان له حانوت وبطَّله ، وشُغل بمعاشه وعطَّله . وله مدارس كان يحضرها وأوقاف يحصرها ، وفيه تعسّر على الطلبة وشُح ، وعنده بخل يمسك الإفادة على الطلبة[٩] ولا يسح .

وكان قد تنبَّه وشارك ، وقالب الأشياخ وعارك ، نسخ بخطه أجزاء كثيرة تركها بعده ، وأولاها بعد[١٠] الموت بُعده .

ولم يزل على حاله إلى أن انطبق جفناه[١١] على قذى الْحَين ، وصبر على أذى البين .

---

(١) (أ) : « وابن أخيه » .

(٢) ضياء الدين أبو محمد صقر بن يحيى الكلبي الحلبي ، (ت ٦٥٣ هـ) . الشذرات : ٢٦١/٥ .

(٣) زيادة من النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل ، ولكنها جاءت فيه بعد « ابن خليل » .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) (ت ٥٦٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٥/٥ .

(٦) (ت ٦٥٣ هـ) ، السير : ٢٩٤/٢٣ .

(٧) في الوافي : « المرسي » ، وكذا في المنهل .

(٨) في الأصل : « الواني » دون واو ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .

(٩) قوله : « على الطلبة » ليس في : (أ) ، (ق) .

(١٠) ليست في (أ) ، (ق) .

(١١) (أ) ، (ق) : « أطبق جفنيه » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة .

وكان له دكان بسوق النحاسين[١] ، ثم إنه تركها أخيراً .

٢٤٥ ـ إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم*

الشيخ العالم الفاضل المسند المعمَّر عفيف الدين أبو محمد الآمدي ثم الدمشقي الحنفي ، شيخ دار الحديث الظاهرية بدمشق .

سمع من عيسى بن سلامة[٢] ، ومجد الدين بن تيمية[٣] بحرّان ، ومن ابن خليل بحلب ، وأكثر من الضياء صقر[٤] وجماعة بحلب ، وسمع بدمشق والمعرَّة ، وحصَّل أصول وأجزاء ، وحضر المدارس ، وحج غير مرة ، وشهد على القضاة .

وخرَّج له ابن المهندس[٥] عوالي سمعها الشيخ شمس الدين الذهبي والجماعة منه سنة ثمان وتسعين وست مئة . وأخذ عنه القاضي عز الدين بن الزبير ، وابنه ، وعدة .

وكان طيب الأخلاق ينطبع ، ويتطلب البشاشة ويتَّبع . سهل القياد ، واري الزناد ، متَّسماً بالعدالة ، محتشماً عن الإزالة[٦] . تفرَّد بأشياء عالية ، وأحيا أسانيد بالية .

---

(١) (أ) : « النحاس » .

* الوافي : ٤٣٠/٨ ، والبداية والنهاية : ١٢٠/١٤ ، والدرر : ٣٥٨/١ ، والشذرات : ٦٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٦٦/٢ .

(٢) المعروف بالخياط (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٣ .

(٣) أبو البركات عبد السلام بن عبد الله (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٩١/٢٣ .

(٤) هو صقر بن يحيى بن سالم ضياء الدين الكلبي الحلبي الشافعي . (ت ٦٥٣ هـ) . (المنهل) .

(٥) شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم (٧٣٧ هـ) ، الشذرات : ١٠٥/٦ .

(٦) (أ) : « بالإذالة » ، والإذالة : الإهانة .

ولم يزل على حاله إلى أن تعفَّى أثر العفيف ، وضمَّه الموت في ذلك اللفيف .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

٢٤٦ ـ إسحاق القاضي الكبير الرئيس تاج الدين عبد الوهاب ناظر الخاص*

كان من جملة نُظّار الدولة ، ولَمّا أمسك السلطان القاضي كريم الدين الكبير [١] سيّر إليه يقول له : مَن يصلح لنظر الخاص ؟ فنصَّ على القاضي تاج الدين إسحاق ، فأحضره السلطان ، وألبسه تشريفة ، وباشر الخاص من يومئذ إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بسكون زائد ، وانجماع عن أهل الفتن الذين يرمون الناس من المصايب في مصائد . وساس السلطان بعقله الراجح ، وسدَّ الوظيفة بحُسن مقصده الناجح ، ولم يختلَّ عليه نظام ، وقام في تلك المدة بمهمّات عظام . وجاء بعد كريم الدين ورَهْجه ، واتساع طريقه ونَهْجه ، فكان لا يُدرى به ، ولا يعدم العافي قطر سحابه ، وهو على أنموذج واحد وطريق واحدة ، وسُنّة من السكون جارية على أكمل قاعدة .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل به من الموت داؤه[٢] العضال ، والأمر الذي لا يرده طعان ولا نضال .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة .

وكان قد ولي نظر الخاص سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وهو والد القاضي

---

* الدرر : ٣٥٧/١ ، وعبارة (أ) : « إسحاق بن عبد الكريم » . وفي الدرر : « إسحاق بن عبد الكريم القبطي » .

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٠٥/١٤ ، أحداث سنة (٧٢٣ هـ) .

(٢) (أ) : « الداء » .

علم الدين إبراهيم ناظر الدولة . والصاحب شمس الدين موسى ناظر الشام[١] . والقاضي سعد الدين ماجد[٢] .

وتولّى ولده الصاحب شمس الدين موسى نظر الخاص بعده أشهراً[٣] ، ثم نُقل إلى نظر الجيش لَمّا توفي القاضي فخر الدين .

٢٤٧ ـ إسحاق الأمير علم الدين الحاجب*

كان بحلب حاجباً ، فترامى[٤] إلى الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ فولاّه نيابة حمص ، وأحضر تقليده من مصر ، وألبسه تشريفة بدمشق في ثالث جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وتوجّه إليها فلم تطل مدته في هذه النيابة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى[٥] ـ وكان قد تولّى نيابة حمص بعد الأمير علاء الدين طَيْبغا قُوَيْن[٦] باشي ، الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في مكانه .

٢٤٨ ـ أسد**

الحكيم اليهودي المعروف بأُسيدة ، تصغير أسدة .

---

(١) (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٣٧٤/٤ .

(٢) (ت ٧٧٥ هـ) ، الدرر : ٢٧٥/٣ .

(٣) (أ) : « بعد أشهر » .

* لم نقف على ترجمة له .

(٤) انفردت (أ) بزيادة قبل هذا الكلام نصّها : « إسحاق ، الأمير علم الدين الحاجب ، كان بحلب حاجبَ حجّاب . وفي مبدأ أمره كان راجلاً في بَهْسَنى ، وترقى بعقله إلى هذه الوظيفة ، وكان حسن الشكل . وباشر نيابة عَيْنَ تاب بعد الحجبة ، ثمّ لَمّا تولّى الأمير سيف الدين أرغون نيابة حلب أعاده إلى الحجوبيَّة مرَّة ثانية ، ثم بعد ذلك ترامى .. » .

(٥) زاد في (أ) : « سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة » .

(٦) في الأصل : « طنبغا قرين » تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

** الوافي : ٨/٩ .

كان ذكيّاً ، له مشاركات في المعقول ، وخير ما يعرفه الإلهي والطبيعي ، ولم يكن يعرف رياضياً ولا منطقياً ، وحرفته التي يتكسب بها الجرّاح مع مشاركة في الطب والكحل وغير ذلك من الطبيعي . ولم يُر أقدم منه على الجراحة في جبر ما يكسر من العظم ويُهاض . باشر الجراحات العظيمة للأمراء الكبار مثل الأمير بدر الدين بيدرا[١] ناظر الأشرف على عكا ، ومثل الأمير علم الدين سَنْجَر الدّواداري ، وفيه يقول علاء الدين الوَداعي ، وقد عالج سَنْجر الدّواداري ، ونقلته من خطه :

يا قوم إن الدّواداريَّ مُتَّبِع ... في فضله أنبياءَ اللهِ مجتهدُ
كأنه دانيالْ في كرامته ... ذَلَّت له الأُسْدُ حتى طبّه أسدُ

وكان الملك المؤيد صاحب حماة يحبه ويقرِّبه . وبلغني أنه ـ رحمه الله تعالى ـ أوصى له بشيء من كتبه ، وكان يتردد إلى العلامة تقي الدين بن تيمية ، ويجتمع بالشيخ صدر الدين بن الوكيل ، ويبحث معهما .

وكان السلطان الملك الناصر قد طلبه إلى القاهرة ليعالج ما بالأمير عز الدين أيدمر الخطيري من الفالج . ورأيته هناك في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وهو آخر عهدي به ، ولم أرَ مَن يعرف[٢] علم [الفراسة][٣] أحسن منه بعد الشيخ شمس الدين محمد بن أبي طالب الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في المحمدين .

وقال لي : جَبَرت رِجْلاً وداويتها بقدوم ومنشار ومثقب .

ولم يزل على حاله إلى أن هلك ، وذاق مرارة[٤] الموت وعلك .

---

(١) في الأصل (بيدار ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وقد توفي سنة (٦٩٣ هـ) . انظر الوافي : ٣٦٠/١٠ .

(٢) (أ) : « ولم أدر مَنْ يعلم » .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) (أ) : « طعم » .

وكأنه هلك بعد الثلاثين وسبع مئة[١] ، واجتمعت بـه مرات بصفـد ودمشق وحلب والقاهرة .

٢٤٩ ـ أسعد بن حمزة بن أسعد*

الصدر الرئيس مُؤَيَّد الدين ، ابن الصاحب عز الدين بن القلانسي . وسيـأتي ذكر والده في حرف الحاء مكانه .

سمع في صغره من جماعـة من أصحـاب ابن طَبَرْزَد ، منهم الشيخ شمس الـدين بن أبي عمر[٢] ، وابن البخاري ، وغيرهما .

ولم يحدّث .

وكان رئيساً ، وكفُّه على الإحسان حبيساً .

له جماعة من أصحابه وندمائه ، وعدةٌ ممن يفتخر بـارتمـائـه إليـه وانتمائـه ، وقَطَف عيشه غضاً ، وتناول نقده من لذة الشبيبة نضاً[٣] .

ولم يزل إلى أن غُصَّ بكأس حتفه ، وذهب من يـد والـده على رغم أنفـه ، وجرَّعـه حسرة أكوى لقلبه من الجمرة ، وتدلَّى بعد ظهور الأسِرّة إلى بطن الحفرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع شهر صفر سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

وحصلتْ له قبل موته إنابة وإخبات ، نفعه ذلك بعـد الممات . وكان نـاظر ديوان الزكاة بدمشق .

(١) قوله : « وكأنه » حتى ههنا ليس في (أ) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٨ ، والدرر : ٣٥٩/١ .

(٢) (أ) : « شمس الدين أبو عمر » .

(٣) في القاموس : « نض الماء ينِضّ نضّاً ونضيضاً : سال قليلاً قليلاً ... » .

الألقاب والأنساب

الأسعردي :

زين الدين محتسب القاهرة ، أبو بكر بن نصر .
ونبيه الدين حسن بن نصر المحتسب .
والموقّت عبد الله بن يوسف .

٢٥٠ ـ أسماء بنت محمد بن الحسن*

ابن هبة الله بن محفوظ بن الحسن ، الشيخة الصالحة أم محمد بنت الشيخ عماد الدين بن صَصْرَى ، أخت قاضي القضاة نجم الدين .

سمعت من السيد مكي بن علاّن ، وهو عمّ جدّها للأم ، خمسة أجزاء ، وهي الأول والثاني من (بغية المستفيد) لابن عساكر ، و (مجلس في فضل رمضان) من (أماليه)[١] ، وحديث إسحاق بن راهويه[٢] ، ونسخة أبي مسهر . وحدّثت بها مرات ، وتفرّدت بثلاثة منها ، وهي الثاني من (البغية) و (المجلس) وحديث إسحاق بن راهويه .

قال شيخنا البرزالي : ولم يقع لنا من روايتها سوى الأجزاء الخمسة المذكورة . قال : قرأت عليها مجلس شهر رمضان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، وقرأت عليها قبل موتها بأربعة أيام . فبين التاريخين أكثر من خمسين سنة .

وكانت امرأة مباركة متيقظة ، كثيرة البر والصدقة والمعروف ، أُصيبت بأولادها

---

* الوافي : ٥٨/٩ ، وذيل العبر : ١٨٠ ، والدرر : ٣٦٠/١ ، والشذرات : ١٠٥/٦ .

(١) الكشف : ١٦٢/١ .

(٢) قال المصنف في الوافي ، ٣٨٨/٨ : « وله مسند مشهور . وقال : أحفظ سبعين ألف حديث ، وأذاكر بمئة ألف حديث » .

وأولاد أولادها وأقاربها . وحجَّت مرات ، وأنفقت كثيراً من مالها في الطاعات ، ووقفت وقوفاً . ولم يكن بقي من أعيان البلد ورواة الحديث أسنّ منها . وكانت تقرأ القرآن في المصحف . ولها أوراد وسُبح ، تذكر الله عليها .

وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ يوم الاثنين حادي عشر الحجة ، سنة ثلاث وثلاثين[١] وسبع مئة .

ومولدها في آخر سنة ثمان وثلاثين وست مئة .

ودفنت بجبل قاسيون .

الأسمر : محيي الدين يحيى بن سليمان .

إسماعيل

٢٥١ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات الأنصاري*

الشيخ الإمام الفاضل المحدث نجم الدين أبو الفداء الدمشقي ، الصالحي الحنبلي المؤدب المعروف بابن الخباز .

سمع سنة سبع وثلاثين وست مئة وبعدها من عبد الحق بن خلف[٢] والحافظ الضياء ، وعبد الله بن أبي عمر . وسمع من المرسي ، والبكري ، وإبراهيم بن خليل ، وابن أبي الجن[٣] ، وابن عبد الدائم ، وأصحاب الخُشوعي ، وأصحاب الكندي ، وابن ملاعب[٤] ، وابن الزَّبيدي ، وابن اللَّتي ، ثم أصحاب كريمة[٥] ، والسخاوي ،

(١) في الأصل و (ق) : سنة ثلاثين ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والشذرات .

* الوافي : ٦٥/٩ ، وذيل العبر : ٢٤ ، ومرآة الجنان : ٢٣٩/٤ ، والدرر : ٣٦٢/١ ، والشذرات : ٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٨٢/٢ .

(٢) الدمشقي الحنبلي (ت ٦٤١ هـ) ، الشذرات : ٢١١/٥ .

(٣) (أ) : « أبي الحسن » تحريف ، وهو عليّ بن محمد (ت ٦٦٠ هـ) . العبر : ٢٦١/٥ .

(٤) داود بن أحمد بن محمد الأزجي (ت ٦١٦ هـ) . السير : ٩٠/٢٢ .

(٥) بنت عبد الوهاب مسندة الشام ، سلفت ترجمتها .

وسمع من المِزّي[١] ، والبرزالي ، وعلاء الدين الخراط[٢] ، والقاضي شمس الدين بن النقيب ، والمقاتلي ، وابن المظفر ، وابن المحب ، وابن حبيب .

وكان يؤدب بمكتب ابن عبد داخل باب توما . وعلى الجملة فقد كتب عمّن دبَّ ودرج وما ترك أحداً يفوز منه بالفرج ، وخرَّج وحصَّل الأجزاء وتعب ، ومع علمه الكثير ما أنجب ، وساوى من لَعِب ، ولا أتقن شيئاً من العلوم ، ولا شارك أهل الفهوم . ولا له إلمام بنحوٍ ولا لغة ، ولا له مادة إلى جهة علم مُفزعة ، بل له دُربة ، ولم يكن بين أهل هذا الشأن في غربة ، مع الخطأ الكثير فيما خرَّجه وجمعه ، وحدَّث به وأسمعه .

وكان يؤدب في مكتب ، ولم يكتب خطّاً غير خَطَا ، ولا كان له في صورة الكتابة ما يرى وَسَطاً ، وخرَّج لابن عبد الدائم وغيره ، وعمل (سيرة) لشيخنا شمس الدين الذهبي ، وطوَّلها .

ولم يزل على حاله إلى أن درج إلى البلى ، وأدبر إلى مسكن الأرض مقبلاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر صفر سنة ثلاث وسبع مئة[٣] .

٢٥٢ ـ إسماعيل بن إبراهيم*

مجد الدين الشارعي المصري المحدِّث .

كان شاباً فاضلاً ، سمعت بقراءته على الدبابيسي وغيره من أشياخ القاهرة ، وسمع هو أيضاً بقراءتي كثيراً . وكانت له عناية بتحصيل الكتب النظيفة ، وإكبابٌ على ذلك ، فهي له وظيفة . وعنده ذكاء ونباهة ، وله تقدم بين أهل هذا الشان ووجاهة .

---

(١) في المنهل : « المزني » . وهو تحريف .

(٢) علي بن عثمان (ت ٧٣٩ هـ) ، الشذرات : ١٢٢/٦ .

(٣) وكانت ولادته سنة (٦٢٩ هـ) كما في المنهل .

* الوافي : ٨٣/٩ ، والدرر : ٣٦٤/١ .

ولم يزل على حاله إلى أن قُصِف[١] ، ووُضِعَ المدر عليه ورُصِف .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة يوم عيد الفطر عشاء[٢] .

ورَثاه الشيخ تاج الدين بن مكتوم بقصيدة .

وكان سمع بمكة من رضي الدين الطبري[٣] ، وبالقاهرة من الواني والختني ، ورحل مع قاضي القضاة عز الدين بن جماعة . وسمع من ابن الشحنة ، ورحل إلى الإسكندرية ، وسمع من وجهية[٤] ، وقرأ على تقي الدين الصائغ[٥] .

٢٥٣ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان المقدسي*

ابن الحراني ، الإمام الفاضل الطبيب عماد الدين أبو الطاهر المقدسي المصري .

سمع من العز الحراني[٦] ، وابن خطيب المزة[٧] ، وابن الأنماطي[٨] ، وقاضي القضاة تقي الدين بن رَزين[٩] ، وقاضي القضاة مجد الدين بن العديم[١٠] ، والشيخ قطب الدين بن القسطلاني[١١] .

---

(١) في الأصل (نصف) تحريف ،وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) : « عشاء الآخرة » .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطبري المكي الشافعي (ت ٧٢٢ هـ) ، ذيل العبر : ١٢٤ ، والدرر : ٥٤/١ .

(٤) كذا في الأصل و (ق) ، وفي الدرر : « وجيهيّة » ، وهي وجيهيّة بنت علي بن يحيى الإسكندرانية زين الدار (ت ٧٣٢ هـ) ، الدرر : ٤٠٦/٤ . وفي الشذرات : ٩٩/٦ : (وجيهة) .

(٥) (أ) : « ابن الصائغ » .

* الدرر : ٣٦٣/١ .

(٦) عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي (ت ٦٨٦ هـ) ، النجوم : ٣٧٣/٧ ، ووقع في (أ) : « ابن العز » .

(٧) عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى (ت ٦٨٧ هـ) ، الشذرات : ٤٠١/٥ .

(٨) محمد بن إسماعيل بن عبد الله (ت ٦٨٤ هـ) ، العبر : ٣٤٩/٥ ، والنجوم : ٣٦٨/٧ .

(٩) محمد بن الحسين بن رزين (ت ٦٨٠ هـ) ، العبر : ٣٣١/٥ ، والنجوم : ٣٥٣/٧ .

(١٠) عبد الرحمن بن عمر بن أحمد (ت ٦٧٧ هـ) ، الجواهر المضية : ٣٨٦/٢ .

(١١) محمد بن أحمد بن علي (ت ٦٨٦ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٨٦ . ووقع في : (أ) ، (ق) : « قطب الدين القسطلاني » .

ولم يحدث .

وقرأ الطب على العماد النابلسي[١] . وكان طبيباً فاضلاً يعالج علاجاً حسناً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة باب النصر بالقاهرة .

٢٥٤ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة*

عماد الدين أخو قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

كان رجلاً جيداً .

سمع من ابن البرهان بالقاهرة ، وجلس مدة مع الشهود بدمشق .

وتوفي بحماة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

٢٥٥ ـ إسماعيل بن إبراهيم**

القاضي عماد الدين الحلبي المعروف بابن الفرفور .

وأول ما علمت من أمره أنه كان في ديوان الأمير سيف الدين أرغون الدوادار بالشام[٢] ، ولما مات أرغون في حلب انتقل هو إلى مصر ، وخدم أولاده بها ـ فيما أظن ـ ثم إنه في سنة سبع أو أول سنة ست وثلاثين وسبع مئة[٣] ، حضر إلى دمشق ، وخدم في ديوان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ عاملاً ، ولَمّا أُمسك تنكز ، خدم هو في ديوان الأمير علاء الدين الطنبغا نائب الشام ، ثم عند الأمير علاء الدين

(١) عبد الحافظ بن بدران بن شبل (ت ٦٩٨ هـ) ، العبر : ٣٨٨/٥ .

* الدرر : ٣٦٣/١ .

** الدرر : ٣٦٣/١ .

(٢) (أ) : « الدوادار الناصري » .

(٣) في الأصل (وستمئة) ، سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

أيدغمش نائب الشام ، ثم من بعده عند الأمير سيف الدين طقزتمر ، ثم من بعده عند الأمير سيف الدين يلبغا ، وهو عند هؤلاء الأربعة ، ناظر ديوان النيابة .

وحصّل وثَّر وعمَّر واقتنى الأملاك بدمشق وبحلب .

ثم إنه توجه إلى القاهرة ، وعاد مع الأمير سيف الدين ايتمش نائب الشام ، وهو على توقيع الدست ، وعلى أن يكون ناظر ديوان النيابة ، فما اتفق ذلك . ثم إنه باشر الحسبة بدمشق ونظر الخاص المرتجع وغير ذلك .

ثم طُلب إلى مصر هو وفخر الدين بن عصفور ، وغرما جملة ، ثم عاد وتوسع في المباشرات .

ولما مات علاء الدين بن الفويرة ، رُسم له من مصر بتوقيع الدست بدمشق مكانه ، فأقام فيه إلى أن توجَّه إلى حماة ، وعاد منها مريضاً ، وطالت به العلَّة إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في يوم الخميس حادي عشر صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة . ودفن بتربة له أنشأها في مقابر الصوفية .

وكان كاتباً جيداً في الحساب ، حسن العمّة ، فيه خير وصدقة وملازمة للجامع الأموي إذا كان بمدينة دمشق ، وهو أكبر الأخوة .

٢٥٦ - إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل*

ابن بُرتق بن بُزْغش بن هارون بن شجاع ، الشيخ جلال الدين أبو الطاهر القوصي الحنفي .

أخبرني العلامة شيخنا أبو حيان من لفظه ، قال : كان المذكور رفيقنا في المدرسة الكاملية . اشتغل بالفقه على [مذهب][1] أبي حنيفة ، وأقرأ النحو والقراءات بجامع ابن طولون . أنشدنا من لفظه لنفسه :

* الوافي : ٨٦/٩ ، والدرر : ٣٦٤/١ ، وطبقات القراء : ١٦١/١ .

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي .

أقـولُ لـــه ودَمْعي ليس يَرْقـــا ... ولي مِنْ عَبْرتي إحـدى الـوسـائِـلْ
حُرمت الطيفَ منـك بفيض دمعي ... فطرفي فيـــك محرومٌ وســـائِـلْ

وأنشدنا لنفسه :

أقـولُ ومـدمعي قـد حـالَ بيني ... وبينَ أحبَّتي يـــومَ العتـــــابِ
رددْتُم ســـائـلَ الأجفـــانِ نهراً ... تعثَّر وهْـــوَ يجري في الثيـــابِ

وأنشدنا لنفسه :

تخطّر في القبـــاء مـع القبـــائـلْ ... فقـــام بِـدَلِّـــه عنـــدي دلائـل
غـــزالٌ كم غـــزا قلبي بعضْبٍ ... يُجرِّدهُ وليسَ لـــه حَمَـــائـل
وأبْلَى جِـــدَّتي والبـــدرُ يُبْلي ... ومـالَ مـع الهـوى والغصن مـائـل
وحـــال لم أُحـلْ عنـــه ولـوني ... بمـا ألقى مِنَ الـزفراتِ حـائـل[1]
أُمثِّـــل شخصـــه بخفيّ وهم ... وماء الْحُسن في الـوجنـات جـائـل
فيرتـع نـاظري بريـاض حُسْنٍ ... وأسكر بـــالشَّمـول من الشمائـل
وكَمْ سَمع الخيـــالُ لـــه بليـل ... ألَمَّ بـــه فـــأصبـح كالأصـــائـل
وضـــاع تمسكي بـــالنســـك فيـــه ... وضـاع المسـك من تلـك الغـلائـل

قلت : شعر جَيِّدٌ صنع .

وكان متصدراً بـالجـامع الطـولـوني لإقراء القراءات . وكان لـه حـظ من العربيـة وإفادات ، ومشاركة في الأدب الغض ، وما ينفقه فيه بين أهله نض . وجمع كراسـة في قوله ﷺ : « هو الطَّهُور ماؤه الحِلُّ مَيْتته »[2] .

---

(١) في الأصل و (ق) : « وكوني » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، والوافي .

(٢) هو حديث ماء البحر ، النهـايـة : ٥٥/٣ ، واللسـان (طهر) . وفي جـامع الأصول : ٦٢/٧ ، وتخريجـه ثمة .

ولم يزل على حاله إلى أن تبدد شمله من الجامع ، وفقد شخصه الناظر ولم يفقد ذكره السامع .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

٢٥٧ ـ إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبي الكاتب*

هو القاضي الرئيس عماد الدين .

ولي كتابة الدّرج بعد والده تاج الدين بالديار المصرية مدة ، ثم تركها تديناً وتورّعاً وإقبالاً على الآخرة وتسرّعاً ، وهو الذي علّق الشرح من الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد على (العمدة)[١] ، وهو الذي أبرز إلى الوجود عِقْدَه . وشرح قصيدة ابن عبدون الرائية[٢] التي رثى بها بني الأفطس ـ فيما أظن ـ .

وكانت له رياسة ، وعنده سيادة[٣] ونفاسة ، وترك كتابة السِّر تورُّعاً ، ورفضها وخلاّها تبرُّعاً، واشتغل بما هو الأولى ، والتزم بالتقصير ولم[٤] يستطع طَوْلَى . وله ديوان خُطب .

ولم يزل على حاله إلى أن عُدم في الوقعة ، وقتل شاه مات في وسط الرقعة .

وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكتب إليه سراج الدين عمر الوراق ، نقلته من خطه :

---

* الوافي : ٩٠/٩ ، والمنهل : ٣٩١/٢ ، وعقد الجمان : ٩٤/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(١) واسمه : عمدة الأحكام عن سيد الأنام ، لعبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي (ت ٦٠٠ هـ) ، وذكر صاحب الكشف ثمّة أنّ لابن دقيق العيد شرحاً عليه . (١١٦٤/٢) .

(٢) هو عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٠ هـ) ، وقد أورد ابن شاكر قصيدته هذه في الوفيات : ٣٨٨/٢ .

(٣) (أ) : « سياسة » .

(٤) (ق) : « إذ لم » .

مخيلـة إسماعيـل صـادقـة الـوعـد ... وَفَتْ بشروط المجد مُـذ كان في المهـد
وكان لأمـلاك الـزمـــان ذخيرةً ... كما ادُّخر السيف المهنـد في الغمـد
فعـزَّ بـزنـد الأشرف الملـك الـذي ... يُرى سَيْفُـه يوم الوغى واريَ الـزنـد
فهـذا صـلاح الـدين كاتب دَسْتـه الـ ... ـشريف عماد الدين وَقْفاً على سعـد
فـلا زال يـوليـه الخليـل محبّـة ... ولا زال إسماعيـل يُفْـدَى ولا يفـدي

٢٥٨ ـ إسماعيل بن سعيد الكردي المصري*

تظاهر بالزندقة ، وتجاهر[١] بالمعاصي وصلابة الْحَدقَة . وسُمِعَتْ منه كلمات سيئة في حق الأنبياء والبررة الأصفياء ، ورُمي بأمور عظام ، يذوب منها اللحم والجلد وتُفَتَّتُ العظام . لا جرم أنه أطاح السيف راسه ، وجرَّعه من الموت الأحمر كاسه .

وكان المذكور عارفاً بالقراءات ، قرأ على الشطنوفي[٢] ، والصائغ[٣] . واشتغل بالفقه والنحو والتصريف ، وكان يحفظ قطعة من التوراة والإنجيل ، وكان طلق العبارة ، سريع الجواب ، حَسن التلاوة . وكان لا يزال (الحاوي) في الفقه و (العمدة) في الحديث و (الحاجبية) في كُمّه .

ولكن الله ـ تعالى ـ مكر به ، فاجتمع له القضاة الأربعة يوم الإثنين سادس عشري صفر سنة عشرين وسبع مئة ، وضربوا رقبته بين القصرين ، والذي حكم بقتله قاضي القضاء تقي الدين المالكي[٤] ، وكان يوماً مشهوداً .

---

* الدرر : ٣٦٧/١ ، وفي (أ) ، (ق) : « المقرئ المصري » .
(١) في الأصل : « وتظاهر » ، ولعلّه سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٢) علي بن يوسف (ت ٧١٣ هـ) .
(٣) في الأصل : « الصانع » تصحيف ، وهو تقي الدين محمد الصائغ (ت ٧٢٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٤) هو تقي الدين الأخنائي ، وستأتي ترجمته .

٢٥٩ ـ إسماعيل بن عبد القوي*

ابن الحسن بن حيدرة الحميري ، فخر الدين الأسنائي المعروف بالإمام .

اشتغل بالفقه على الشيخ النجيب[١] بن مفلح ، ثم على الشيخ بهاء الدين القفطي .

كان إمام المدرسة العِزّيّة بأسنا ، وناب في الحكم بمنشيّة إخميم وطوخ والمراغة . واتفق له بالمراغة أن بعض أولاد الشيخ أبي القاسم المراغي وقع بينه وبين أولاد[٢] الفقراء ، وكان شديد البأس ، فطلبه الفقير إلى القاضي ، فأعطاه القاضي قلمه ، فقال الفقير ما يحضرُ بهذا ، فتوجه إليه ، فحضر ، فادَّعى عليه الفقير أنه ضربه ستين جمجماً بهذا الجمجم[٣] ، فأخذ القاضي الجمجم ، وقال للفقير : حرر دعواك من ثلاثة بهذا ، ما تعرفُ كم ضُربت ؟ فتبسم الفقير وغريمه ، واصطلحا ، وانفصلا[٤] على خير .

ونزل مرة في مركب بصحبة الشيخ بهاء الدين والشيخ النجيب ، فزمر بها زامر[٥] ، فقال الشيخ بهاء الدين : اسكت ، فقال الإمام : الشيخ إمام في هذا وأنت استقبلت خارجاً ، فرجع وزمر ثانياً ، فقال له الشيخ بهاء الدين : اسكت ، فأعاد عليه الإمام الكلام ، فأخذ الزامر المزمار وقدمه للشيخ ، وقال : ما يُحسن المملوك غير هذا ، فعرف الشيخ أنها من الإمام[٦] .

---

* الوافي : ١٤٥/٩ ، والدرر : ٣٦٨/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩٧/٢ ، والطالع السعيد : ١٦١ .

(١) في المنهل : « نجيب الدين بن مفلح » . وهو عثمان بن مفلح ، أبو عمرو النجيب ، توفي سنة (٦٦٨ هـ) . الطالع السعيد : ٣٥٨ .

(٢) (أ) ، (ق) : « بعض أولاد » .

(٣) ضرب من المكاييل من الخشب كبير الحجم .

(٤) في الطالع السعيد : « وانصرفا » . والخبر فيه .

(٥) (أ) ، (ق) : « زامر بها » .

(٦) انظر الخبر في المنهل : ٣٩٧/٢ ـ ٣٩٨ . والطالع السعيد : ١٦٢ .

وكان قد عمل بنو السَّديد عليه ، فانتقل إلى قوص ، وأقام بها سنين .

وكان ظريفاً له نوادر ، وحكايات عجيبة وأجوبة بوادر ، وكُفّ بصره أخيراً ، وأظلم نهاره عليه ، وقد كان منيراً .

ولم يزل على حاله إلى أن صلى الإمام على الإمام ، ودعاه البلَى إلى مأدبة الحِمام .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حدود عشرين[1] وسبع مئة .

٢٦٠ ـ إسماعيل*

الأمير عماد الدين بن الملك المغيث شهاب الدين أبي الفتح عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب .

كان جندياً بحماة ، وسمع من خطيب مردا ، وحدّث . وأجاز لشيخنا علم الدين البرزالي في سنة ثمان وسبع مئة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عشري شهر ربيع الآخر سنة أربع عشر وسبع مئة .

٢٦١ ـ إسماعيل بن عثمان بن محمّد**

الإمام رشيد الدين أبو الفضل بن المعلم التيمائي الحنفي .

---

(١) في الطالع السعيد : « عشرة وسبع مئة » .

* الدرر : ٣٧١/١ .

** الوافي : ١٥٥/٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ٤٨ ، والبداية والنهاية : ٧٢/١٤ ، وذيل العبر : ٧٧ ، والدرر : ٣٦٩/١ ، والدارس : ٣٦٩/١ ، والشذرات : ٣٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩٨/٢ . وفيه : « إسماعيل بن عثمان بن عبد الكريم بن تمام بن محمد » .

سمع من ابن الزبيدي (ثلاثيات البخاري) ، وقرأ بالروايات على السخاوي ، وسمع منه ، ومن العزّ النَّسّابة[١] وابن الصلاح و [ابن][٢] أبي جعفر[٣] .

وكان بصيراً بالعربية ، إماماً في مذهب الحنفيّة . حدَّث بدمشق والقاهرة .

وفيه زهد وعفة وإباء ، وعنده جُودٌ وحياء ، دينه متين ، وفضله مُبين ، يقتصد في لباسه ، ويتّقيه خصمه في الجدال لِباسه . ساء خلقه قبل موته ، وتوحش من أُنس الناس قبل فوته .

انهزم وترك تدريس البلخيّة[٤] لابنه تقيّ الدين . وكان قد انجفل من التتار ، واستوطن القاهرة . وكان قد عُرض عليه القضاء ، فامتنع ، وانكمش عن الولاية وانجمع ، إلى أن افترش التراب ، ورحل إلى دار العمارة من دار[٥] الخراب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٦٢ ـ إسماعيل بن علي بن أحمد بن إسماعيل*

المسند عماد الدين أبو الفضل الأزجيّ[٦] الحنبلي ، شيخ الحديث بالمستنصرية من بغداد ، المعروف بابن الطبّال .

---

(١) عز الدين محمد بن أحمد الدمشقي بن عساكر (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٦/٢٣ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، يقتضيها السياق . وهي ثابتة في المنهل .

(٣) محمد بن أبي جعفر القرطبي (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٧/٢٣ .

(٤) كانت تعرف قديماً بخربة الكنيسة وبدار أبي الدرداء ، أنشأها الأمير كلز الدقاقي سنة (٥٢٥ هـ) للشيخ برهان الدين البلخي . الدارس : ٣٦٨/١ .

(٥) ليست في (أ) .

* الوافي : ١٦٥/٩ ، وذيل العبر : ٤٥ ، والدرر : ٣٦٩/١ ، والشذرات : ١٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٤١٢/٢ .

(٦) (أ) : « الأزدي » .

سمع حضوراً من أبي منصور بن عُفَيْجَة[١] سنة أربع ، وسمع (جامع) الترمذي من عُمر بن كَرَم[٢] بإجازته من الكرُّوخي[٣] ، وسمع ابن أبي الحسن القطيعي[٤] وابن رُوْزبِه وجماعة .

وأخذ عنه الفَرَضي[٥] ، وابن الفُوَطي[٦] ، وابن سامة[٧] ، وسراج الدين القزويني ، وابن خلف . وأجاز لشمس الدين الذهبي . وسمع البخاري من ابن القطيعي ، ولم يزل[٨] يُسمع ويُفيد ، وينيل فوائده القريب والبعيد ؛ إلى أن أسمعه داعيه بالرحيل ، وأقام ناعيه بالبكاء والعويل .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة في سابع عشر شعبان .

٢٦٣ ـ إسماعيل بن علي*

السلطان الإمام والعالم[٩] الفاضل الفريد المفنّن الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء بن الأفضل بن الملك المظفر بن الملك المنصور صاحب حماة تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي .

---

(١) محمد بن عبد الله (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٢ .

(٢) البغدادي ثم الحمامي (ت ٦٢٩ هـ) ، الشذرات : ١٣٢/٥ .

(٣) عبد الملك بن عبد الله (ت ٥٤٨ هـ) ، السير : ٢٧٣/٢ .

(٤) (أ) ، والوافي : « وسمع من أبي الحسن بن القطيعي » . وكذا في المنهل .

(٥) محمود بن أبي العلاء البخاري ، (ت ٧٠٠ هـ) ، العبر : ٤١٢/٥ .

(٦) كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد ، (ت ٧٢٣ هـ) ، ذيل العبر : ١٢٨ .

(٧) محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطائي ، (ت ٧٠٨ هـ) ، ذيل العبر : ٤٣ .

(٨) ساقطة من الأصل ، ثابتة في النسخ الأخرى .

* الوافي : ١٧٣/٩ ، وفوات الوفيات : ١٨٣/١ ، وبدائع الزهور : ٤٦٦/١/١ ، والشذرات : ٩٨/٦ ، والدرر : ٣٧١/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٢/٩ ، والمنهل الصافي : ٣٩٩/٢ ، وطبقات الشافعية : ٤٠٣/٩ .

(٩) (أ) ، (ق) : « العالم » .

كان أولاً أميراً بدمشق ، وخدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لَمّا كان في الكرك آخر مرة ، وبالغ في ذلك ، فوعده بحماة ، ووفى له بذلك ، وأعطاه حماة لَمّا أمَرَ لأسندمر بنيابة حلب بعد موت نائبها قِبْجَق[١] ، وجعله صاحبها سلطاناً يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد معه كلام[٢] فيها ، ولا يردّ عليه مرسوم من مصر بأمر ولا نهي لأحد من نائب أو وزير اللهم إلاّ إن جُرِّد عسكر من مصر والشام جُرّد منها .

وتوجَّه من دمشق إليها في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، وأركَبَه في القاهرة بشعار المُلْك ، وأُبّهة السلطنة ، ومشى الأمراء والناس في خدمته حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقام له كريم الدين بكلّ ما يحتاج إليه في ذلك المهمّ من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم ، ولقبه بالملك[٣] الصالح ، ثم إنه بعد قليل لقّبه بالملك المؤيد ، وذلك لَمّا حجّ معه في سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وعاد معه إلى القاهرة ، وأذن له أن يُخْطَب له بحماة وأعمالها على ما كان عليه عمّه المنصور ، وكان في كل سنة يتوجَّه إلى مصر ومعه أنواع من الرقيق والجواهر والخيول المسوّمة وسائر الأصناف الغريبة ، هذا إلى ما هو مستمرّ في طول السَّنَة مما يهديه من التحف والطُّرَف[٤] .

وتقدم السلطان إلى نوّابه بالشام بأن يكتبوا إليه : (يقبّل الأرض) ، وكان الأمير سيف الدين تنكر رحمه الله تعالى يكتب إليه : (يقبّل الأرضَ بالمقام الشريف العالي المَوْلَوي السلطاني الملكي المؤيَّدي العمادي) ، وفي العنوان (صاحب حماة) ، ويكتب السلطان إليه (أخوه محمد بن قلاوون أعزَّ الله تعالى أنصار المقام الشريف العالي

(١) قبجق بن عبد الله المنصوري (ت ٧١٠ هـ) .
(٢) عبارة الوافي : « حكم » .
(٣) (أ) ، والوافي : « الملك الصالح » .
(٤) في الأصل : « الطرق » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

السلطاني الملكي المؤيّدي العمادي ، بلا (مولوي) . وكان الملك المؤيّد يقول : ما أظن أني أُكمل من العمر ستين سنة فما في أهل بيتي ، يعني بيت تقي الدين مَن كَمَّلها .

وكان الملك المؤيّد رحمه الله تعالى قد نزل في مكان المكارم ، وعمَّر في الشجاعة بيتاً في القنا والصوارم ، يتصبَّب جوداً سَماحه ، ويتضبَّبُ[١] بالبأس ذُبّله وصِفاحُه ، له حنوّ زائد على أهل الفضائل ، وتطلُّع إلى إنشاء الفوائد وإثارة المسائل ، آوى[٢] إليه أمين الدين الأبهري فبهره جوده ، وغمره نائله وعمَّته وفوده ، وتصدَّر في مجلسه قاعداً ، ووقفت لديه جنوده ، ولوى الحظ المدبر جيده إليه ، ونُشرت بُروده ، ومدحه شعراء عصره ، وحملوا أبكار أفكارهم[٣] إلى قصره ، ففازوا بالمهور الغالية ، وحازوا[٤] الأجور العالية ، ورتب لجماعة منهم في كل سنة شيئاً قرره ، وبذلاً رتَّبه في ديوانه وحرَّره ، منهم شاعره الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ، كان راتبه في السنة عليه مبلغ ست مئة درهم لا بد من وصوله ودخوله في حوزته وحصوله ، غير ما يهديه إليه في أثناء السنة ، وتتضاعف فيه الحسنة ، ورتب لأسد اليهودي الذي تقدم ذكره راتباً كفاه ، وملأ كفَّ رجائه وسدَّ فاه .

وكان قد امتزج من العلوم بفنونها ، وأخذ منها نخبة فوائدها ومحاسن عيونها ، فنظم (الحاوي) في الفقه ، ولو لم يعرفه جيداً ما تصرّف مَعَه في نظمه ، ولا اقتدر على تسيير نجمه . وله تاريخٌ جوَّده ، وبيَّض به وجه الزمان لَمّا سَوّده . وكتاب (الكنّاش) مجلدات[٥] ، وفوائد العلم فيه مخلَّدات ، وكتاب (تقويم البلدان)[٦] ، قال

---

(١) أي : يلتفّ .

(٢) طمست في الأصل .

(٣) في الأصل : « أفكار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) قوله : « وحازوا » ليس في : (أ) .

(٥) وهو في العلوم من النحو وغيره . إيضاح المكنون : ٣٨٢/٤ ، وهو مخطوط كما في الأعلام : ٣١٩/١ .

(٦) مطبوع .

الإحسان بقوله فيه ودان ، جَدْوَله وهذَّبه ، وجَدَّ له فأتقنه لَمّا وضعه ورتَّبه ، وقد أجاد فيه ما شاء ، ونزل تجويده من الأفاضل في صميم الأحشاء . وله كتاب (الموازين) وهو صغير ، وصَوْب إفادته[١] غزير ، وله غير ذلك .

ونظم القريض والموشَّح ، واستخدم المعاني وأهَّلَها ورشَّح . وكان يعرف علوماً جمَّة ، وفضائل يستعير[٢] البدر منها كماله وتمّه ، وأجود ما يعرفه الهيئة ، فإذا اشتبك الجدال عليه جعل فرّه إليها وفيئه .

وكانت عنده كتب نفيسة ملوكية قد حوتها خزانته ، وأمده على اقتنائها انتقاؤه وفطانته ، فملك منها الجواهر اليتيمة ، والزواهر التي هي في أفقه مقيمة ، وعلى كل حال فكان لسوق الفضل عنده نفاق ، وللعلم عنده تحقيق وصدق دون نفاق ، وللزمان به جملة جَمال انساقت باقيا ، وبدرُ بدرٍ لا يزال في مطالع السعود راقياً ، وسلف سُلافة من الجود يطوف بها إحسانه على العفاة ساقياً ، وفضلات فضل طالما أنشدها مؤمّلوه :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنانّ كلَّ الظنّ أن لا تلاقيا[٣]

ولم يزل [في][٤] ملكه ومسير فلكه إلى أن أصبح المؤيد وقد تخذل ، ورُئي في معرك المنايا ، وقد تجدّل .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، سحر يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، ودفن ضحوة النهار عند تربة والده ظاهرَ البلد ، في الكهولة ، ولم يكمل الستين .

ولما مات رحمه الله تعالى فرق كتبه على أصحابه ، ووقف منها ، ورثاه الشعراء .

---

(١) (أ) : « فوائده » .
(٢) سقطت من (أ) .
(٣) للمجنون ، ديوانه : ٢٤٣ .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة[١] :

ما للندى لا يلبِّي صوت داعيه ... أظنُّ أنَّ ابنَ شادٍ قامَ ناعيه
ما للرجاء قد اشتدَّتْ مذاهبه ... ما للزمان قد اسودَّت نواحيه
نعى المؤيدَ ناعيه فيا أسفا ... للغيث كيفَ غدتْ عنّا غواديه

ومن شعره ، وقد غنّى الناس به مدَّة[٢] :

اقرأ على طيب الحيا ... ة سلامَ صبٍّ ذابَ حزنا
واعْلِمْ بذاكَ أحبَّةً ... بَخِلَ الزمانُ بهم وضنّا
لو كانَ يُشْرَى قُربهم ... بالمال والأرواح جُدْنا
متجرّع كاسَ الفرا ... قِ يبيتُ للأشجانِ رَهْنا
صبٌّ قضى وجداً ولم ... يُقْضَى لهُ ما قَدْ تمنّى

ومنه أيضاً :

كم مِنْ دَمٍ حَلَّلتْ وما ... ندمت تفعلُ ما تَشتهي وما عُدمتْ[٣]
لو أمكنَ الشمسَ عندَ رؤيتِها ... لثمَ مواطي أقدامها لثمتْ

ومنه :

سَرى مَسرى الصَّبا فعجبتُ منه ... من الهجرانِ كَيف صَبَا إليّا
وكيفَ ألَمَّ بي منْ غيرِ وعْدٍ ... وفارقني ولم يعطف عليّا[٤]

وأنشدني من لفظه جمال الدين محمّد بن نباتة ، قال : أنشدني معز الدين محمود بن

(١) ديوان ابن نباتة : ٥٧٠ ، والأبيات في المنهل : ٤٠٣/٢ .
(٢) فوات الوفيات : ١٨٥ .
(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « فلا » .
(٤) المنهل : ٤٠٥/٢ .

حمّاد الحموي كاتب السِّر بحماة لمخدومه السلطان الملك المؤيد ، ونحن بين يديه ، وهو مليح غاية :

أحسن بهِ طِرفاً أفوتُ بـه القَضـا ... إن رُمْتَـه في مطلبٍ أوْ مَهْرَب
مثلَ الغزالةِ ما بدتْ في مشرقٍ ... إلاّ بدَتْ أنوارُها في المغرب[1]

قال : وأنشدني له هذا الموشح أيضاً له[2] :

أوقعني العُمْرُ في لعلَّ وهَلْ ... يا ويحَ مَنْ قد مضى بهَلْ ولعَلْ[3]
والشَّيبُ وافى وعنده نزلا ... وفرَّ منهُ الشبابُ وارتَحَلا[4]
ما أوقحَ الشَّيبَ الآتي ... إذ حلَّ لا عن مَرْضاتي[5]
قد أضْعَفَتني السِّتونَ لا زَمني ... وخانَني نقصُ قوةِ الزَّمن[6]
لكنّ هوى القلبِ ليسَ ينتقصُ ... وفيهِ معَ ذا من حِرصِهِ غُصَصُ[7]
يَهوى جميعَ اللَّذاتِ ... كالَه من عاداتِ
يا عاذِلي لا تُطِل ملامكَ لي ... فإنَّ سَمعي ناءٍ عن العَذْل[8]
وليس يُجدي الملام والفَنَدُ ... فيمن صبابات عشقه عَددُ[9]
دعني أنا في صبواتي ... أنتَ البَري من زلاّتي
كم سرّني الدَّهرُ غيرَ مقتصر ... بالكاسِ والغانياتِ والوترِ

(١) طبقات الشافعية : ٤٠٤/٩ ، والمنهل : ٤٠٦/٢ .
(٢) قوله : « له » ليس في (أ) ، (ق) .
(٣) في المنهل : « يا ويح من عمره مضى بلعل » . وهو أشبه بالصواب .
(٤) في الوافي : « واف » .
(٥) في الأصل : « إذ خلا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ، والفوات ، والمنهل .
(٦) في المنهل : « قوة البدن » .
(٧) في المنهل : « من جرحة » .
(٨) في الفوات : « نأى » . وكذا في المنهل . وفي الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٩) في الفوات والمنهل : « جُدد » .

يُمـزج في طيبِ عيشنبـا الرَّغـد طرفي وروحي وسـائر الجسـد[١]
وكم صفت لي خطراتي وطـاوعتني أوقـاتي[٢]
مضى رسـولي إلى معـذّبتي وعـادَ في بهجـة مجـدّدة
وقـالَ: قـالت: تعـالَ في عجـلِ بمنزلي قبـل أن يَجِيْ رَجُلي[٣]
واصعـد وَجُـزْ من طـاقـاتي ولا تَخَف من جـاراتي

قلتُ: وهذه الموشحة جيدة في بابها، متحيّدة عن[٤] طلاّبها، وقد عارض بوزنها موشحة لابن سناء الْمُلك رحمه الله تعالى وأوّلها:

عسى ويـا قلّما تفيـدُ (عسى) أرى لنفسي من الهـوى نَفَسـا
مُـذْ بـانَ عنيَ مَن قـد كُلفتُ بـهِ قلبيَ قـد ذابَ في تقلُّبـه[٥]
وبي أذى شـوقٍ عـاتي ومـدمعي يـومٌ شـات
لا أترك اللّهـو والهَـوى أبـداً وإن أطَلْتُ المـلامَ والفنـدا[٦]
إن شئت فـاعـذل فلستُ أستمعُ أنـا الـذي في الغرامِ أُتّبَـعُ
وتُحتـذَى صبـابـاتي وبـدَعي وعـاداتي
بي مَلَـك في الجمـال لا بشرُ يُظْلَمُ إن قيـل: إنـه قمرُ[٧]
يحسُنُ فيـه الـولـوع والـولَـهُ وعِـزُّ قلبي في أن أذلَّ لَـهُ
خـدِّي حِـذا لمن يـاتي ويرتعي حشـاشـاتي[٨]

(١) (ق)، والفوات والمنهل: « نمرح »، وفي الوافي: « يمرح ».
(٢) في الفوات: « وساعدتني ».
(٣) في الوافي والمنهل: « لمنزلي ».
(٤) نقل صاحب المنهل قول الصفدي وفيه هنا: « منيعة على طلابها ».
(٥) (أ)، (ق)، والوافي، والفوات، والمنهل: « لجّ ».
(٦) (ق)، والوافي، والفوات والمنهل: « الغرام ».
(٧) (أ): « يظلم من قال ».
(٨) في الفوات والمنهل: « إن يأتي ».

لستُ أذمُّ الـزَّمـانَ معتـديـا ... كم قـد قطعتُ الأيـامَ مُلتهيـا [١]
وظَلْتُ في نعمـةٍ وفي نعمِ ... يلتـذُّ سمعي ونـاظري وفمي
ولا قَـذَى في كاسـاتي ... ومرتعي في الجنّـاتِ
وغـادةٍ دينُهـا مخـالفتي ... ولا ترى في الهَـوى محـالَفتي
وتستبيني ولستُ أسمعُهـا ... فقلتُ قـولاً عساهُ يخـدعُهـا [٢]
مـاهـو كـذا يـامـولاتي ... اِجري معي في مـأواتي

وموشحة السلطان رحمه الله نقصت عن موشحة ابن سناء المُلك قافيتين ، وهي الذال في (كذا) ، والعين في (معي) ، وخرجَة ابن سناء الملك أحَرّ[٣] من خرجَة السلطان وأحلى .

ولشيخنا العلامة شهاب الدين محمود فيه أمداح طنّانة ، فمنها ما أنشدنيه[٤] إجازة :

ميعـادُ صَبْري وسلـوي المعـاد ... فـالْحُ امرأ يُسليـه طـولُ البعـاد
ولا تَلُم مَنْ دَمـع أجفـانِـه ... إنْ ظنَّ صرفَ الـدَّهرِ بـالقربِ جاد
فبينَ جَفني والكرى نفرة ... وبينَ قلبي والغرامِ اتِّحـاد
فـلا تَعِـد بـالنَّـومِ جَفني فمـا ... يرجـعُ يـومـاً برقـاكَ الرُّقـاد
وإنْ تُرد علم بـديـع الهـوى ... فـأْتِ لي عنـدي فعنـدي المراد
جـانس رعيَ النَّجم مُستَيقظـاً ... لي في الدُّجـا بينَ السّهـا والسُّهاد[٥]
وطـابَـقَ الشُّـوقُ لهيبي فَما ... دمعي فظـلا بينَ خـافٍ وبـاد
وقسَّم الـوَجـدُ غرامي كما ... شـادَ أعضـائي على مـا أراد

(١) في الوافي ، والفوات والمنهل : « الزمان » .
(٢) (أ) : « وتشتهيني » . وفي : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والفوات : « أمنعها » .
(٣) (أ) : « أحسن » .
(٤) (أ) ، (ق) : « ما أنشدنيه له » .
(٥) (أ) : « مرعى » .

فمقلتي للـــدَّمـــعِ والجسمِ لـــلأسْـ ... قـــامِ والقلبِ لحفـــظِ الـــوِداد
وفرّغ الحبُّ الضَّنى في الحشـــــا ... عن مُقـلٍ فيهـا مَنـايـا العبـاد
فمـــا ظبيٌ أرهَفَهـــا قينُهـــا ... ليـومِ حربٍ من سيـوفٍ حِـداد[1]
يـومـاً بـأمضى من جُفـونٍ بَـدَتْ ... من كَحَـلٍ خـالَطَهـا في حِـداد
وقُلتُ بـــالمـوجبِ في قـولِهم ... بعـد النَّـوى يُعرف صـدقُ الـوِداد
فهـو كما قـــالـوا ولكنَّـــه ... يُعرف ممن ودّه في ازدِيـــاد[2]
يـــا راكبـــاً يفري جـوادَ الفـلا ... على أمُـــون جَسْرَةٍ أو جـــواد[3]
يسري فتبـديـه ظهـورُ الرُّبـا ... طـوراً وتخفيـه بطـوف الـوهـاد
مـدّرعـاً فـوقَ الرُّبـا بـالـدُّجـا ... مثـلَ خطيبٍ في شعـارِ السَّـواد
معتَسِفـــاً ليسَ لـــهُ إن خَبَت ... أشعَّـةُ النَّجمِ سـوى الشَّـوق هـاد
بلى ونشرٌ عـــــاطرٌ مرَّ مِنْ ... حمـــاة في المسرى على خيرِ نـــاد
قَبَّـلْ ثراهـــا إذ تراهـــا وكرّ ... ره فـــأحلى اللَّثم لثمٌ مُعَـــاد
حيثُ النَّدا والفضل بـادي السَّنـا ... والعـدل والمعروف واري الـزِّنـاد
أضحت وقـد شَيَّـدَ أرجـاءَهـا ... المـــولى عمـاد الـدِّين ذات العماد
حمى حمـاهـا بـأسـه والنَّـدى ... فـأهلهـا من عـدلِـه في مِهـاد[4]
وإن يَطُـل عهـدُ الرّبـا والحيـا ... جـدِّد بـالجـودِ عهـودَ العُهـاد[5]
مَنْ حـــاتمٌ يـوم القِرى والنـــدا ... مَنْ عـامرٌ يـومَ الـوغى والجـلاد
مَنْ أحنفٌ في الحلمِ دع ذكرَه ... ولا تقِس قسّـــاً بـــهِ في إيـــاد
عـالي المـدا داني النَّـدى بـاسـلٌ ... أروع بسّـامٌ طـويـلُ النِّجـاد

(١) في الأصل : « أرهقها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل (ورده) ، وأثبتنا ما في : (ق) .
(٣) (أ) : « أديم الفلا » .
(٤) في المنهل : « فأهله » .
(٥) (أ) ، (ق) : « الثرى بالحيا » .

كأنَّما أسيافُه إن سطا ... على العِدا في وقعِها ريحُ عاد
رؤوسهُم توقنُ إن عاينتْ ... سمر قناهُ بصعودِ الصّعاد
من أسرةٍ أعْلَوا منارَ الهدى ... وذلَّلوا أعناقَ أهلِ العِناد
واسترجَعَت أسيافُهم عنوة ... ما استودَعَت أعداؤهُم من بلاد
وشيَّدوا دينَ الهُدى فاعتَلى ... بينَ جهادٍ منهُمُ واجتهاد
وحكَّمتْ أيديهمُ وَفْدهم ... فيما رجَوا من طارفٍ أو تِلاد
قد أنشرَ اللهُ بهِ ذكرهُم ... فقيلَ عاشَ الفضلُ والعدلُ عاد
وزانَ أيامَهُم فضلُه ... وجودُه الهامي فأربى وزاد[1]
يسري على البُعد مديحي له ... فيلتقيهِ الفضل من كل واد
ما بينَ فضلٍ وندى سائغ ... مع كَرَم يُؤمنُه الانتقاد
يا مَلكاً أفْحَمني فضلُه ... فمال بي العجز إلى الاقتصاد
عذراً فلو أستطيعُ سطَّرتُها ... في أبيضِ الطَّرفِ بنقشِ السّواد[2]
تَهنّ عيدُ النَّحرِ واسعَدْ بهِ ... وصلٍّ وانحَرْ بالسَّطا كلَّ عاد
ودم ثمالاً لعفاةٍ كُفُوا ... ببحر نعمانَ ورودَ الثّماد
مهما أتوا بابَك ألْفَوا بهِ ... عين ندى يُرْوى [بها] كلَّ صاد[3]
واجتلِ غيداً من ثناً زفَّها ... في حلتي إنشادها كلَّ شاد
ما مال عطف الغصن أو غرَّدت ... لهُ قيان الورقِ زهواً وماد

٢٦٤ - إسماعيل بن الفرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر*

السلطان أبو الوليد الغالب بالله الأَرْجُوني صاحب الأندلس .

---

(١) (أ) : « في أيامه » .
(٢) (أ) : « الطرس » .
(٣) الزيادة من : (أ) ، (ق) ، يقتضيها البيت .
* الوافي : ١٨٤/٩ ، والدرر : ٣٧٥/١ ، والمنهل الصافي : ٤١٦/٢ ، وفيه : « بن نصير » .

استولى على الأندلس ثلاث عشرة سنة ، فأبعد الملكَ أبا الجيوش خاله[١] ، وقرر له وادي آش[٢] .

وكان أبوه الفرج متولياً لِمالِقَة مدة ، فشبَّ إسماعيل ، وعزم على الخروج ، فلامه أبوه فقبض على أبيه مكَرّماً ، وعاش الأب في سلطنة ولده عزيزاً إلى شهر ربيع الأول سنة عشرين وسبع مئة ، وقد شاخ . وكان الذي نهض بتمليك إسماعيل أبو سعيد[٣] بن أبي العلاء الْمَريني[٤] وابن أخيه أبو يحيى .

وكان الغالب للناس غالباً ، شجاعاً محارباً ، ناهضاً بأعباء ملكه ، رافضاً لمن لا ينخرط في سلكه ، عديم النظير ، عظيم النكير ، مويَّداً على عدوِّ الدين ، مشيِّداً لدين الإسلام بإهلاك الملحدين ، هزم اللهُ جيوشَ الكفر على يده ، وأبادَ ملوك الصليب ، وأحرقهم من توقّدِه ، وكانت وقعة عظيمة ، فتح الله بها ، وأذلَّ الفرنج للمسلمين بسببها .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الغالب بالقَدَر مغلوباً ، وراح ظفره مقلوباً ، وصبغَ شقيقُ دمه سوسنَ الْحُسام ، وصالت على وحدته المنايا الجسام ؛ لأن ابن عمِّه ، وثب عليه وقتله ، وردَّه عن الحياة وفتله ، ثم إنَّ أعوانه وخدمه أخذوا بثأره في يومه ، ونَبَّهوا لذاك الدهرَ من نومه ، وملَّكوا ولده محمداً ، فكان شهماً مُمَجّداً ، وذلك في ذي القعدة سنة عشرين وسبع مئة .

---

(١) واسمه : نصر بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) من كورة إلبيرة بالأندلس . معجم البلدان : ١٩٨/١ .

(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « أبواسعيد » .

(٤) عثمان بن إدريس (ت ٧٣٠ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

٢٦٥ ـ إسماعيل بن عمرو بن المسلم بن الحسن بن نصر*

الشيخ الصدر الكبير العدل الراضي[١] العابد ضياء الدين أبو الفداء ابن الصدر عزّ الدين ابن الشيخ رضي الدين أبو[٢] الفضل الدمشقي المعروف بابن الحموي .

سمع من عثمان بن علي بن خطيب القرافة[٣] كتاب (المصافحة) للبرقاني[٤] ، و (المجالس السلماسيّة)[٥] ، و (أخبار النحويين) لابن أبي هاشم[٦] ، وهو جزء لطيف ، وتفرَّد برواية ذلك عنه . وسمع (جزء ابن عرفة) من شيخ الشيوخ الأنصاري . وسمع على جماعة من المتأخرين .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وخرَّجت له جزءاً عن ثلاثين شيخاً . وكان شيخاً مباركاً كثير التلاوة ، يصوم الاثنين ويفطر هو وجماعة من الفقراء وغيرهم . وحجَّ أربع مرات ، وجاور بمكة سنة ، وأقام بالقدس مدة . وكانت له كتب جيِّدة يطالع فيها . وقال : لم أرَ حماة لا أنا ولا والدي . وكان مستوفي الخزانة .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشر صفر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة . ومتَّعه الله بجميع حواسه إلى أن مات رحمه الله ، وقد جاوز التسعين .

---

* الدرر : ٣٧٤/١ ، والشذرات : ٧٦/٦ .

(١) (أ) ، (ق) : « الرضيّ » .

(٢) (أ) : « أبي » .

(٣) (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٢٤٧/٢٣ .

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٢٥ هـ) . السير : ٤٦٤/١٧ . ووقع اسم الكتاب في الكشف : « المصافّة » ، ثم قال : وهو أربعون حديثاً . الكشف : ٧٠٤/٢ .

(٥) جاء في الكشف ، ٩٩٧/٢ : « السلماسيات : وهي المجالس الخمسة من أمالي الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني » .

(٦) عبد الواحد بن عمر البغدادي (ت ٣٤٩ هـ) ، السير : ٢١/١٦ .

٢٦٦ ـ إسماعيل بن محمّد بن عبد الواحد*

ابن إسماعيل بن علي بن صدقة ، العدل الرئيس نفيس الدين الحرّاني ثم الدمشقي ، ناظر الأيتام .

سمع (الموطأ) من مُكَرَّم[١] . وحدّث . وسمع بنفسه من ابن مَسْلَمة وغيره .

كانت له دار مليحة بدمشق ، فوقفها مدرسة[٢] ، وجعل الوقف على أهل الحديث وحبسه ، وهي بدمشق في الرَّصيف من سوق الكُفْت مشهورة ، وحسنات واقفها في صُحُفه مسطورة ، ولِيَ مشيختَها تاج الدين الْجَعْبَري[٣] ، وقرأ بها الشيخ علم الدين البرزالي ، ونزل بها الشيخ أبو الحسن الْخُتْنيّ وجماعة .

ولم يزل نفيس الدين على حاله إلى أن فاضت نفسه ، وضمَّه رمسُه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

٢٦٧ ـ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل**

الشيخ الصالح مجد الدين الحرّاني الحنبليّ .

قدم دمشق شاباً ، واشتغل وبرع في المذهب . وأخذ عن ابن أبي عمر ، وابن عبد الوهاب[٤] ، والفخر البعلبكي ، وابن المنجّا . وسمع من ابن الصيرفي وغيره .

---

* الوافي : ٢١٢/٩ ، والمنهل الصافي : ٤٢٨/٢ ، والدارس : ٨٤/١ ، وشذرات الذهب : ٤٣٥/٥ .

(١) هو مكرم بن محمد بن حمزة القرشي المعروف بابن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، العبر : ١٤٦/٥ .

(٢) تدعى دار الحديث النفيسيّة . الدارس : ٨٤/١ .

(٣) صالح بن تامر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٢١٣/٩ ، والبداية والنهاية : ١٤٦/١٤ ، والدرر : ٣٧٧/١ ، والشذرات : ٨٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٢/٢ .

(٤) محمد بن عبد الوهاب الحراني (ت ٦٧٥ هـ) ، العبر : ٣٠٦/٥ .

وكان في الفقه رأساً . تخرَّج به جماعة ، وكان العلم بـه في إذاعـة من غير إضـاعـة . وكان يهضم قدره ، ولا يُعرِّف الناسَ أمرَه ، فإنه كان في مدارس تلاميـذه معيـداً ، وقـد جعل الله بينهم وبينه بوناً بعيداً . وعنده إخلاص وورع ، وما ترك هضبـة من الخشوع حتى اعتلاها وفرع .

ولم يزل على حاله إلى أن فرغ الأجل ، وحلَّ به أمر الله عزَّ وجلّ .

وتوفي رحمـه الله تعـالى في تـاسع جمـادى الأولى سنـة تسـع وعشرين وسبـع مئـة ، وعاش ثلاثاً وثمانين سنة ، وشيَّعه خلق كثير ، وجمعٌ غزير[١] .

٢٦٨ ـ إسماعيل بن محمّد بن عبد الله*

القـاضي الكبير الرئيس ، أبـو الفـداء ، ابن القـاضي شرف الـدين ابن الصـاحب فتح الدين بن[٢] القيسراني .

كان موقّع الدست بالقاهرة ، ثم إنَّ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أخرجـه إلى حلب كاتبَ سِرّ في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا . وصل إليها في أوائل شوال سنـة أربع عشرة وسبع مئة ، فباشر الوظيفـة على القـالب الجـائر ، وأجرى اللهُ بسعـده فيهـا الفَلَك الدائر ، وضاق بالنائب عَطَنُه ، وصار فيها كالغريب معه وهي وطنه ، وكثر لـه الحسدة ، وجاءه[٣] كيد أعاديه وحشده ، وأوهموا الأكابر الـذين في مصر منـه ، وبَلَّغوهم ما اختلقوه عنه ، فَساعدوا الحلبيين على عزله ، ونَقْض غَزْله .

وحضر هو وأولاده إلى دمشق ، ورُتِّب فيها موقّع الـدست كبيراً[٤] ، وجُعل ولـداه

(١) في المنهل : « مولده سنة ست وأربعين وست مئة » .

* الوافي : ٢١٧/٩ ، والدرر : ٣٧٨/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٣/٢ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل : « وجاء » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « كثيراً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

في كتّاب الإنشاء ﴿ سِراجاً وقَمراً مُنيراً ﴾[١] ، ومال إليه آخرَ الأمر تنكز وأحبَّه ، وملَّكه خاطره ولُبَّه .

وكان ديِّناً خيّراً صيِّناً ، يتعصَّب لمن يقصده ، ويراقب عونه ويرصده ، يُؤْثر الفقراء ويودّهم ، ويقوم معهم إلى أن يُقْبِلَ حظُّهم وجَدُّهم .

وكان حَسَنَ المحاضرة ، متِعَ المذاكرة ، يستحضر من حكايات الصالحين جُمْلَه ، ويتولى من أمرها حَمْلَه ، لوجلست معه ثلاثة أيام بلياليها لأورد عليك جملة من أماليها .

وكان وهو بالديار المصرية يحضر السماع ، مع ماعنده من العزلة والانجماع ، وعليه فيه أنس وحركة ، ويرى الناس منه في ذلك خيراً وبركة .

وروى عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وغيره . وحدَّث بدمشق .

ولم يزل بدمشق إلى أن نزل الموت بابن القيسراني قسرا ، وجعل العيون بالحزن عليه حَسْرى .

وتُوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وكانت جنازته حَفِلَة ، ودفن بمقابر الصوفية .

اجتمعت به ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق غَيْرَ مرّة ، والتقطتُ من إنشاده غيرَ دُرّة ، وأولاني من خيره وجبره الإحسان والمبرَّة . ولما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ كنت بالديار المصرية ، فكتبت إلى ولده القاضي شهاب الدين يحيى ـ رحمه الله تعالى ـ أُعزِّيه فيه ، يأتي ذكر ذلك فيما بعد .

وكان قد كتب إليَّ وأنا بالقاهرة[٢] :

---

(١) الفرقان : ٦١/٢٥ .

(٢) (أ) : « وأنا بالقاهرة هذه الأبيات » .

إليك صلاح الدين شَوْق امرئ غدا ... وقد صحَّ دونَ الجسمِ فيكَ ودادُهُ
ترحلتَ عن مغنى دمشق فشوقُنا ... إليك طوالَ الدَّهرِ تجري جيادُهُ
إذا كنْتَ في أرضٍ يحلُّ صلاحُها ... وإن كنتَ في مغنىً يزولُ فسادُهُ

فكتبت أنا الجواب إليه :

أتاني مثالٌ منك يُفْدَى سواده ... بعينيَ بل يعلو عليها مِدادُهُ
أمنتُ بهِ دهري وصُلتُ بوصلِهِ ... على الْخَطْب حتّى خافَ منِّي عِتادُهُ
وصرَّفتُ في صرفِ الزَّمانِ أناملي ... إلى أنْ غدا في حُكم أمري قيادُهُ
وأطفأ جمراً في الجوانحِ كلَّما ... تَذكَّركُمْ قلبي يزيدُ اتِّقادُهُ
ولو لم يَرِدْ هذا المثال لما بَقِي ... من الخاطِرِ المشتاقِ إلاّ رمادُهُ
لقد أصبحَ المملوكُ عبداً مكاتَباً ... وتَمَّ لهُ ممّا يرومُ مرادُهُ
فلا غرْوَ أن يُبْنى على الأفق مجدُه ... لأنك مِنْ دُون الأنامِ عِمادُهُ
وإنّ صلاحاً نال عَطْفَك في الورى ... عليه بعيد أن يراه فسادُهُ
أيا من له سَبْقُ المعالي إذا جَرَتْ ... لِنَيْلِ العُلا يوم الفخارِ جِيادُهُ
ومن يتحلَّى الدَّهرُ منهُ بماجدٍ ... تكمَّل فيه حلمُه وسَدادُهُ
ومَن لاقَ في عينِ الكمالِ انتقاؤهُ ... وصحَّ على زَيْفِ الأنامِ انتقادُهُ
ومَن فرّعته دوحَةٌ خالديّةٌ ... فطارِفُه مَجدٌ عَلا وتِلادُهُ
ليَهنِي بني مخزومَ فخرٌ غدا إلى ... عمادُهُم دون الأنام معادُهُ
وفاحَت خُزامى مجدِ مخزومَ في الورى ... فطالت روابيهِ وطابتْ وِهادُهُ
ولِمْ لا وسيفُ اللهِ خالدُ منهُمُ ... على عاتقِ الملكِ الأغرِّ نجادُهُ
فكَم طالَ منهُ للعِدى صَدْرُ أبترٍ ... وما قصَّرت في الدَّارِعِين صِعادُهُ[1]
بَقَيْتَ عِمادَ الدِّين ذُخر امرئٍ صَفت ... لبيتكُم نيّاتُهُ واعتقادُهُ
وأخلصَ فيكم حُبَّهُ وولاءَه ... وصحَّ على طولِ البعادِ ودادُهُ

(١) الصعدة : القناة المستوية .

ونسخة الكتاب الذي كتبته إلى ولده القاضي شهاب الدين يحيى أُعزّيه في والده من القاهرة[١] :

أيُّ خَطْبٍ بِـــــه تلظّى فـــؤادي ... وأســالَ الـدمـوعَ مثـلَ الغـوادي
وأعـــادَ الحمـــامَ ينـــدُبُ شجـواً ... فـــوقَ فَرْعِ الأراكـــةِ الميّـــادِ
وكَســـــا الأنجمَ الـــزّواهر طُرّاً ... في ظـلامِ الـدُّجى ثيـابَ الحِـدادِ
وأبـــاحَ الأسى حمـــلَ كلِّ صَبرٍ ... من رُبـــا كلِّ بلـــدةٍ أو وِهـــادِ
قـــد أصمَّ الأسماعَ نعيُ عمـاد الـــدِّين فـالنّـــاسُ بعـــدَه في جهـــادِ
فيـــهِ نظمي يخـــوضُ في كلِّ بحرٍ ... وفـــــــؤادي يَهيمُ في كلِّ وادِ
آهِ كيفَ القرارُ فـــــــوقَ فِراشٍ ... مَـلأتْـهُ الأحـزانُ خَرْطَ القَتَـادِ[٢]
كيفَ تلتـــذُّ بـــالمنـــامِ جفـونٌ ... قَـد مَحـاهـا البُكا وطـولُ السُّهـادِ
كيفَ لا تلتظي دمشـــق ولـــولا ... هُ لمـــا سُمِّيت بـــذات العمادِ[٣]
أينَ ذاكَ الجـلالُ في الحفـلِ لَمّـــا ... يكتسيـــــــه من أنْفَس الأبرادِ
والـوقـــارُ الـــذي يقرُّ رسـوخـــاً ... حين تهفـو الرِّيـــاحُ بـــالأطـوادِ
كَم حَمى بـــاليراعِ مُلكاً فلم يَحْـــتـــج لبيْض الظّبـــا وسُمْرِ الصِّعـــادِ
ولَكَم زانَ في دمشـــــــق ومصرٍ ... دارَ عَـدْل بـــالرَّأْي في الأشهـــادِ
ولَكَم قَـــدْ أتى بصَـــدْعـــةِ حـقٍّ ... خِيفَ من بـــأْسِهـــا على الأكبـــادِ
هكـــذا مَنْ يكـونُ عنـــد مُلُـو ... كِ العصر يَهْـديهم سبيـلَ الرَّشـــادِ
حملـوهُ فـوقَ الرِّقـــــاب ولكن ... بعـدمـا أثقـل الـورى بـالأيـادي[٤]
من كرامٍ راقَت معـــــاني عُـــلاهم ... وتغنّى بمـــــدحِهم كلُّ شـــــادِ
نسبٌ بـاهرُ السَّنـا خـــالـــديٌّ ... قَـد تساوَتْ غـايـاتُـهُ والمبـادي

(١) أورد صاحب المنهل الأبيات الثلاثة الأولى .
(٢) في المثل : « دونه خرط القتاد » ، يضرب لما هو مستحيل وقوعه .
(٣) البيت ليس في (أ) .
(٤) (أ) ، والوافي : « على الرقاب » .

يـــادُمـوعي بـــاللهِ روِّي ثراهُ إنْ تخُنْ قَبْرَهُ عهـــودُ العِهـــادِ
آه واوحشتـــا لـــذاكَ الْمُحيّـــا وافتقـــاري لنـورِهِ وافتقـــادي
لم يَغِبْ مَن نـــأى وأبقى شهـــاباً لم يـزلْ دائمَ السَّنـــا في اتِّقـــادِ
يَتراءى في الـــدّسْتِ بينَ جمـــالٍ وجـــلالٍ وسُـــؤددٍ وسَـــدادِ
فتـــواقيعُـــهُ تراهـــا طرازاً رُمِيَ الرَّوضُ عنـدَهـا بـالكسـادِ
وبـــأقـلامِـــهِ يُسَرُّ المـــوالي أن بَراهـــا كما يسـوءُ الأعـــادي[1]
قـد تلقيتُ راغمـاً يـا شهـابَ الـــدِّين خَطبـاً يفضُّ صمَّ الصِّلادِ
لستُ في هـــذه المصيبـــة فرداً وهيَ قـد أنكأتْ قلـوبَ العبـادِ
فـــاصطبِرْ واحتَسِبْ على اللهِ أجراً تلقَـــهُ عُـــدّةً ليـومِ المعـــادِ
لم يخفِّف وجـدي بـــهِ غيرُ ظَنِّي أنَّـــهُ في المِعَـــادِ خَيْرُ مُعَـــادِ
مُلئتْ صُحُفُـــه مِن البرِّ والتُّقـــوى فـوَلَّى منهـــا بـــأفضـلِ زادِ
فهـوَ عِنـــدَ الإلـــهِ جـلَّ مقيمٌ في نعيمٍ مـــا إنَّ لـــهُ من نفـــادِ
فـالبكا في الـورَى على مِثـلِ هـذا «غيرُ مُجْـدٍ في مِلَّتي واعتِقـادي»[2]

يقبِّل الأرض ، وينهي ما بلغه من النبأ[3] الذي شقَّ قلبه ، وزاد كَرْبَه ، وأذهل لُبّه ، وأضعف جَلَده ، وقوّى من الحزن حِزْبَه ، وأغارَ على الصبر فلم يدع عند حبَّة القلب حَبَّه ، وشنَّ على الفؤاد حَرْبَه لَمّا أغمد فيه حَرْبَة .

لم يبقَ مِن بَدني جزءٌ علمتُ بهِ إلاّ وقد حلّه جزءٌ من الْحَزَن
كان اللّحاقُ بـــهِ أوْلى وأحسنَ لي من أن أعيشَ سقيمَ الرُّوحِ والبـــدنِ

---

(١) (ق) : « المعادي » . وفي الوافي : « كما يساء المعادي » ، وأشار محققه في الحاشية إلى أنه في الأصل : « يسوء » .

(٢) فيه تضمين لصدر بيت لأبي العلاء المعري :
غيرُ مجـــدٍ في ملّتي واعتقـــادي نـوحُ بـــاكٍ أو ترنُّمُ شـــادي

(٣) (أ) : « هذا النبأ » .

﴿ فَإِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعونَ ﴾ قولُ مَنْ وَهَى عمادُه ، وفَقَدَ من كان على الله تعالى وعليه[١] توكُّله واعتمادُه ، وذهب من كان يفديه من القلب سويداؤه ، ومن الطَّرف سوادُهُ ، وعَدِم من أحزن الوجودَ فَقْدُه حتى نُشر من الليل حدادُه ، وذُرَّ من الصَّباح رمادُه :

مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ غداةَ ثَوى إلاّ اشتهَتْ أنّها قبرُ[٢]

فرحم الله تلك الروحَ الطاهرة وزكّاها ، وشكر لها برَّها المتنوع وتقواها ، ورفع أعمالها إلى درجات الأبرار ورقّاها ، وأجزل لها موادّ الغفران وأنماها ، ونوّلها من الرضوان ما لا ينقطع أمده ولا يتناهى ، وجعل دار المقامة مقامها ، وفي جنة المأوى مأواها ، فإنه كان زكّاها وهذّبها في طول مدته بالعلم والعمل ، وما بقي لمولانا ـ أعظم الله أجره ـ غَيْرُ الأخذ بسنّة الصبر ، والتأسي بكل فرعٍ تثنى على الأرض ، وأصله قد ذوى على القبر[٣] ، وهذا أمر لابدَّ لنا من شرب كاسه وبلوغ أنفاسه ، ونفوذ سهم المنية في قرطاسه ، وهو ـ أحسن الله عَزاءه ـ أعلمُ بما يقال وأخبر وأجلُّ من أن[٤] ينبَّه لمثل هذا وأكبر :

أنت يافوقَ أن تُعزَّى عن الأحْباب فوقَ الذي يعزيكَ عقلا

ومن كان مولانا خَلَفه فما غاب شخصه[٥] عن غابه ، ولا ظعن سؤدده عن جِنان جَنابه ، فَيَا هَنا دَسْتٍ أنت صدْرُه ، وأُفق منصب [أنت][٦] بدره ، ويا انتصافات

---

(١) في الأصل : « وعلى » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٢) من قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي . وديوانه : ٨٤/٤ .

(٣) (أ) : « ثوى في القبر » . وفي (ق) : « ذوي في القبر » .

(٤) في الأصل : « ممن » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « شخص » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٦) زيادة من : (أ) ، (ق) .

ظلامات أقلامك الحاكمة بفضلها[١] ، ويا بشارة دار عدلٍ تواقيعك أربابُ عقدها وحلّها ، فإنا معْشَرَ الأولياء لنضع الجباهَ شكراً على الثَّرى :

وإنّا لنتلو الحمدَ فيكَ مكرّرا وإنّا لنرجو فوقَ ذلكَ مظهرا[٢]

والله يهب مولانا عمراً مديداً ، وعزّاً أكيداً ، ويجعله كجدِّه خالداً يرى كلَّ يوم وليداً ، بمنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٢٦٩ ـ إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم*

ابن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ، الشيخ الجليل العدل الفقيه الأصيل ، الصدر[٣] شرف الدين أبو الفداء الأنصاري الحرستاني الدمشقي .

روى عن السَّخاوي ، والقرطبي ، والعزّ بن عساكر ، وعتيق حضوراً . وسمع من جدِّه ، وعبد الله بن الْخَشُوعي ، وإسماعيل العراقي ، وعثمان خطيب القرافة ، وجماعة .

وكان جيِّداً حسن الخلق يخدم [في][٤] الدواوين ، ويحضر درس الأمينيّة[٥] ، وله ملك .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت رابع المحرم سنة تسع وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب الفرد سنة تسع وثلاثين وست مئة بالجويرة بدمشق .

---

(١) (ق) : بفصلها » .

(٢) عجز البيت من قصيدة للنابغة الجعدي ، وصدره :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

ديوانه : ٥١ و ٦٨ و ٧٣ .

* الدرر : ٣٧٩/١ .

(٣) قوله : « ابن محمد » حتى ههنا ليس في (أ) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « الأميليّة » تحريف .

٢٧٠ ـ إسماعيل بن محمد بن ياقوت*

الصدر الخواجة مجد الدّين السَّلامي .

كان من تجَّار الخاصّ في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، يدخل إلى بلاد التتار[١] ، ويتَّجر ويتبضَّع ، ويعود بالرقيق وغيره من أنواع المتاجر وغرائب البلاد . واجتهد مع النَّوين جُوبان ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أن اتفق الصلح بين السلطان الملك الناصر وبين القان بوسعيد ، فانتظم ذلك بسفارته وحسن سَعْيه ، وازدادت وجاهته عند الملكين ، وكان يسفره الملك الناصر ، ويقرِّر معه أموراً يريدها ، فيتوجَّه ويقضيها على وفق مراده بزياداتٍ فأحبَّه وقرَّبه ، ورتَّب له الرواتب الوافرة في كل يوم من الدراهم واللحم والعَليق والسكر والحلوى والكمّاج والرقاق مما لَعَلّه يبلغ في اليوم مئةً وخمسين درهماً ، وأعطاه قرية « أرّاق » ببعلبك ، وأعطى مماليكه إقطاعات في الحلقة ، وكان يتوجه إلى الأُرد[٢] ويقيم فيه الثلاث سنين والأربعة ، والبريد لا ينقطع عنه ، وتُجهَّز التُّحف والأقمشة وغيرها إليه ليفرقها هو على مَنْ يراه من أعيان الأُردو وخواص بوسعيد[٣] ثقة بمعرفته ودربته .

وكان النُّشو ناظر الخاص لا يفارقه ولا يصبر عنه ، ومن أملاكه ببلاد الشرق السَّلامية والماحوزة والمراوزة والمناصف . ولَمّا توفي الناصر تغيَّر عليه الأمير سيف الدين قوصون وأخذ منه مبلغاً يسيراً .

وكان ذا عقل وافر ، وفكر على الإصابة متضافر ، خبيراً بأخلاق الملوك وما يليق

---

* الوافي : ٢٢٠/٩ ، والدرر : ٣٨١/١ .

(١) في الأصل : « الشام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « الأزد » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .
وعبارة الوافي : « وكان إذا سافر إلى بلاد تبريز يقيم بالأُردو » .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « المقرَّبين » .

بخواطرها ، دربـاً بمـا يتحفـه بهـا من رقيقهـا وجواهرهـا ، نُطْقـه سعيـد ، وخلقـه من الانحراف بعيد ، حسن الشكالة ، بهيّ الطلعة ، تضيء كالذبالة .

ولم يـزل بمصر في آخر الأمر إلى أن افترش الرغـام ، وتشعّث صفـوُ سمائـه بـالمـوت وغام .

وتوفي ـ رحمه الله تعـالى ـ يوم الأربعـاء سـابع جمـادى الآخرة سنـة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

ودفن بتربته بَرّا باب النصر بالقاهرة .

٢٧١ ـ إسماعيل بن محمّد بن قلاوون*

الملك الصالح بن الملك الناصر بن الملك المنصور عماد الدين ، أبو الفداء .

اختلف النـاس من أربـاب العَقْـد والْحَلِّ عنـدمـا تـوجَّـه النـاصر أحمـد أخـوه إلى الكرك ، وأقـام بـه وأعرض عن مصر ـ على مـا تقـدَّم في ترجمتـه ـ وأرادوا إقـامـة مَلِـكٍ غيره ، فاجتمع المشايخ من مقدَّمي الألوف والأمراء الخاصكية وأصهار السلطـان ، فقـال الأمير جنكلي[١] بن البابا : يا أمراء ! أنتم أصهار السلطان ، وأنتم أخبر بأولاده[٢] ، فمن علمتموه صالحاً ساكناً عاقلاً ديِّناً ولّوه[٣] المُلك . فقالوا : هذا سيدي إسماعيل . فـأقـامـه الأمير بدر الدين وأجلسه على التخت ، وبايعه ، وحلف له ، وحلف بعـده الأمراء على مراتبهم والعساكر . وجُهِّز الأمير سيف الدين طُقْتَمُر الصَّلاحي إلى دمشق في البشـارة ، وكان ذلك يوم الخميس ثاني عشري شهر المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ٢١٩/٩ ، والبداية والنهاية : ٢١٦/١٤ ، والدرر : ٣٨٠/١ ، والذيل التام : ٧٦ ، والشذرات : ١٤٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٥/٢ .

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بدر الدين جنكلي » .

(٢) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بأولاده منّا » .

(٣) (خ) : « فولوه » .

وكان شكلاً حسنا ، وله رونق وَسَنا ، حُلْوَ الوجه أبيض بصفرة يسيرة ، تعلوه هيبة الْمُلْك المنيرة ، له في خدِّه شامة ظاهرة ، تزيده حُسناً في طلعته السافرة ، كأنها في ذلك الخد نقطة من ند ، أو يوم وصال جاءت فيه ساعة من صَد .

وكانت أيامه بالسعادة آهلة ، وبصلة الأرزاق كافلة ، ولكنه لما تولّى استولى النساء عليه ، ومال إليهنّ ، وتزوج ابنة الأمير شهاب الدين أحمد بن بكتمر الساقي التي من ابنة تنكز ، ثم تزوج ابنة الأمير سيف الدين طُقزتمر الناصري نائب الشام ، وحضر الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي إلى دمشق خاطباً لها من أبيها ، وكان يميل إلى السُّودان من النساء ويؤثرهن ، والمدبر لدَوْلته[1] الأمير سيف الدين أرغون العلائي المقدم ذكره .

ولما تولّى الْمُلْكَ أقرَّ الأمير شمس الدين آقْسُنقر السَّلاَّري في النيابة بمصر ، ثم أمسكه وولَّى النيابة الأمير سيف الدين الحاج آل مَلك[2] . وكانت أيامه سعيدة .

ولم يزل على حاله إلى أن ذوى غصن شبابه وقُصِف ، ونُضِّد الجندل فوقه ورُصِف .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وقلت أنا مضمّناً :

مضى الصَّالحُ المرجوّ لِلبَّاسِ والنَّدى ... ومن لم يزَلْ يلقى الْمُنَى بالمنائح[3]

فيا مُلْكَ مصرَ كيف حالُك بَعْدَه ... إذا نحنُ أثنينا عليك بصالح

---

(١) في الأصل : « له وليّه » تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) زاد في (أ) ، (خ) ، (ق) : « الآتي ذكره » .

(٣) (خ) : « للناس » ، تصحيف . والبيتان في المنهل .

٢٧٢ ـ إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن سعد الله ، الْحَمْوي*

الشيخ الفقيه المقرئ النحوي جمال الدين أبو الفداء الحنفي ، المعروف بابن الفُقَّاعي .

كان شيخاً فاضلاً ، مناظراً مناضلاً ، مفتياً مفنّناً ، محرِّراً مُقَنّناً ، عارفاً بالقراءات والتجويد ، وحسن الأداء والترتيل والترديد ، مع المعرفة بالفقه والنحو والأدب ، وإليه ينسلون من كل حَدَب .

ولم يزل بحماة إلى أن طرق الموت حِمَاه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

وكان مدرِّساً بمدرسة الطواشي بحماة ، وليها بعده قاضي القضاة ناصر الدين بن العديم[١] ، ومن شعره : ...[٢]

٢٧٣ ـ إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن علي**

الأمير عماد الدين بن الملك الأفضل بن الملك المؤيَّد .

أحد أمراء الطبلخانات بحماة ، تقدَّم ذكر جدِّه الملك المؤيد صاحب حماة . وسيأتي ذكر والده الأفضل في المحمّدين في مكانه .

كان شكلاً حسناً ، وذا صورة تخجل الأقمار منها سناء وَسَنا ، أشقر يتلألأ وجهه

---

* الدرر : ٣٧٧/١ ، وغاية النهاية : ١٦٧/١ ، والبغية : ٤٥٤/١ .

(١) محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٧٥٢ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) بياض في الأصول .

** الدرر : ٣٧٧/١ .

كالبدر ، ويحكي نَبْت عذاره زعفران الشعر ، عليه خفر أولاد الملوك ، وسلوكه في طريق التجمل والحشمة أحسن السلوك .

ولم يزل على إمرته بحماة حتى اعتُبط[١] ، وانحلَّ من نظام حياته ما كان قد رُبِط .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ شاباً ، ولم يكمل الخمس والعشرين ، في العشر الأواخر من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

وكان قد حجَّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

٢٧٤ ـ إسماعيل بن نصر الله*

ابن أحمد بن محمَّد بن الحسن بن عساكر الشيخ فخر الدين أبو محمد بن تاج الأمناء .

روى عن ابن اللَّتي ، ومُكَرَّم ، وعمّ والده عبد الرحيم بن عساكر[٢] ، وإبراهيم الْخُشُوعي ، وإسماعيل بن ظَفَر[٣] ، وسالم بن صَصْرَى ، وشيخ الشيوخ ابن حَمويه ، وعبد العزيز الصالحي ، والمخلّص بن هلال ، والعزّ ابن عساكر النسّابة وهو عمّه ، وعتيق السلماني ، وابن الْمُقَيَّر ، والسخاوي ، وعمر بن البَراذعي[٤] ، والقاضي أبي نصر بن الشيرازي ، ومكي ابن علاّن ، والقاضي شمس الدين بن سَنِيّ الدولة[٥] ، وكريمة القرشيّة .

---

(١) مات عبطة : شاباً صحيحاً .

* الدرر : ٣٨٢/١ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٧ . وذيول العبر : ٥٩ . والشذرات : ٢٥/٦ .

(٢) أبو نصر (ت ٦٣١ هـ) ، العبر : ١٢٦/٥ .

(٣) (ت ٦٣٩ هـ) ، السير : ٨١/٢٣ .

(٤) (ت ٦٤٧ هـ) ، السير : ٢٦٣/٢٣ .

(٥) يحيى بن هبة الله (ت ٦٣٥ هـ) ، السير : ٢٧/٢٣ .

وكانت لـه إجـازة من الحسن بن الأمير السّيـد[١] ، وإسماعيـل بن بـاتكين[٢] ، والسُّهروردي وابن القَطيعي ، وابن رُوْزبَـة ، وزكريـا العُلبي[٣] ، ويـاسمين بنت البيطار[٤] ، وأبي بكر بن كمال الحربي[٥] ، وعلي بن الجوزي[٦] ، وابن بَهْرُوز وجماعة .

قـال شيخنـا البرزالي : قرأت لابني محمـد عليـه (الصحيحين) ، و (سُنن) ابن ماجه ، و (مسند) الدارمي ، و (مسند) عبد بن حميد ، وكتـاب (العوارف) للسهروردي ، وأكثر من سبعين جزءاً .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين عاشر صفر سنـة إحـدى عشرة وسبع مئـة بمنزلـه بباب الناطفيين[٧] ، وحضر جنازته الأعيان والوزير والخطيب .

ومولده في صفر سنة تسع وعشرين وست مئة بدمشق .

٢٧٥ ـ إسماعيل بن هارون*

نفيس الدين العبسي الدِّشْناوي الصوفي المعروف بابن خَيْطِيّة .

كان صوفياً بالجامع الناصري بمصر ، وكانت لـه بـالقراءات معرفـة ، ومشـاركـة في النحو والأدب يعرف بها مقدمه ومصرفه .

لم يزل على حاله إلى أن نُزعت نفسُه ، وكسفت بعدما بزغت شمسه .

---

(١) (ت ٦٣٠ هـ) ، السير : ٣٤٤/٢٢ .

(٢) إسماعيل بن علي (ت ٦٣١ هـ) ، السير : ٣٥٦/٢٢ .

(٣) زكريا بن علي بن حسان (ت ٦٣١ هـ) ، الشذرات : ١٤٤/٥ .

(٤) ياسمين بنت سالم بن علي (ت ٦٣٤ هـ) ، الشذرات : ١٦٩/٥ .

(٥) هبة الله بن عمر (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١٢/٢٣ .

(٦) علي بن عبد الرحمن (ت ٦٣٠ هـ) ، السير : ٣٥٢/٢٢ .

(٧) أحد أبواب الجامع الأموي في الجهة الشمالية .

* الوافي : ٢٣٧/٩ ، والدرر : ٣٨٣/١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في حدود الثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره :

قُـلْ لظبـــاء الكُثُبِ رِفْقـــاً على المكْتَئِبِ
رفقـــــاً بمن بُلِيْ بكم شيخـــاً وكهـلاً وصبي
دمـوعُـهُ جـارِيـةٌ كالـوابـلِ المنسكبِ
على زمـــانٍ مرَّ في لـــذَّةِ عَيْشٍ خَصِبِ
لِـذةُ أيـام الصِّبـا يـاليتَهـا لم تغبِ
قضَّيت فيهـا وطراً ونلت منهـا أربي[1]
بين حِســـان خُرَّد مُنَعَّمـــات عُـرُبِ
وشـــادن مُبْتَسم عن دُرّ ثغرٍ شَنَبِ
ألفـاظُـهُ تَفْعـلُ مـا تفعـلُ بنتُ العِنبِ

قلت : شعرٌ مقبول غير مردود .

٢٧٦ - إسماعيل بن هبة الله بن علي بن الصَّنيعة*

القاضي عز الدين الإسنائي ، أخو نور الدين ، وهو الأكبر .

سمع الحـديث من قطب الـدين بن القَسْطَلاني ، واشتغل ببلـده على الشيـخ بهاء الدين القفطي[2] ، ثم إنه جرى بينه وبين شمس الدين أحمد بن السديد[3] مافارق إسنا بسببه . ودخل القاهرة ، وقرأ الأصول والخلاف والمنطق والْجَدَل على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني[4] ، ولازمه سنين .

(١) في الوافي : « فيها أربي » .

* الوافي : ٢٣٦/٩ ، والطالع السعيد : ١٦٩ . ووقع في الأصل : « ابن عبد الله » وهو سهو .

(٢) هو هبة الله بن عبد الله القفطي .

(٣) أحمد بن علي بن هبة الله بن السديد (ت ٧٠٤ هـ) . الطالع السعيد : ١٠٢ .

(٤) توفي سنة (٦٨٨ هـ) .

وولي الحكم من جهة ابن بنت الأعَز[١] ، ثم ولي من جهة ابن دقيق العيد ، وعمل عليه ، وحَصَل منه كلام ، فجرَّه ذلك إلى أن انتقل إلى حلب ، ناظرَ الأوقاف ، ودرَّس بها ، وظنَّ الشيعة بحلب أن يكون شيعياً لكونه من إسنا ، فصنَّف كتاباً في فضل أبي بكر رضي الله عنه . وأقام بحلب مدة يستدلُّ على فضل أبي بكر[٢] وصحَّة إمامته ، والشيخ نجم الدين بن مَلِيّ إلى جانبه معيد لا يتكلم[٣] . وصنَّف كتاباً ضخماً في شرح (تهذيب النكت) . وكان في ذهنه وقفة ، إلاّ أنه كان كثير الاشتغال .

وكان بحلب إلى أن وصل قازان إلى البلاد ، فعاد إلى القاهرة ، وأظنّه جاء إلى صفد قاضي القضاة أيام نائبها الأمير سيف الدين كراي[٤] ، فما مكَّنه من الإقامة بها .

وكان كريماً جواداً خيِّراً ، كم بلَّغ آمليه مراداً ، محسناً إلى أهل بلاده ، ومن ورد من تلك الناحية ، واستظل من أقلامه بصِعادِه[٥] . اشتهر بالكرم ، وآوى من الفضل إلى حَرَم .

ولم يزل بالقاهرة مقيماً إلى أن نزل به الأمر المكتوب على الرقاب ، وأفضى إلى محلّ الثواب والعقاب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

٢٧٧ ـ إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن جَهْبَل*

القاضي محيي الدين الحلبي ، ثم الدمشقي الشافعي .

---

(١) في الأصل : « الأغرّ » تصحيف .

(٢) قوله : « وأقام ... » حتى ههنا سقط من (أ) .

(٣) عبارة الطالع السعيد : « وأخبرني ... الأسناني أن بعض الحلبيين أخبره أنه أقام بحلب شهراً يستدل على إمامة أبي بكر ، ونجم الدين بن ملي إلى جانبه معيداً » .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) جمع صعدة : متن القناة أو الرمح .

* الوافي : ٢٤٠/٩ ، والدرر : ٣٨٣/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ ، والدارس : ٩٩/١ ، وذيول العبر : ٢١٤ .

ربي هو وأخوه الإمام شهاب الدين أحمد المقدم ذكره يتيمين فقيرين ، فاشتغلا وتفقَّها وتميَّزا .

وسمع محيي الدين من القاضي شمس الدين بن عطا[١] ، وجمال الدين بن الصَّيْرَفي ، وجماعة . وخرَّج له[٢] عنهم علم الدين البرزالي ، وتفقَّه بابن المقدسي[٣] ، وبالشيخ صدر الدين بن الوكيل . ودرَّس وأفتى ، وناب في القضاء بدمشق ، وولي تدريس الأتابكيّة[٤] ، وندب لقضاء طرابلس فباشرها .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : ولم يُحْمَد .

قلت : إلاّ أنه كانت له معرفة بالمكاتيب[٥] والأحكام ، ودُربة بفَصْل القضايا المعضِلَة بين الأنام . نقيُّ بياضِ الشيب ، ممسكٌ لما في يده والْجَيْب ، مليح البِزّة ، مليح الشكل ، عليه وقار ، وله في النفوس عِزَّة ، حصَّل أملاكاً ، ومَلك دنيا حاولها دراكاً .

ولم يزل على حاله إلى أن قرع الموت صَفاتَه ، وخانه أمَلُه وفاتَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربعين وسبع مئة[٦] .

ومولده سنة ست وستين وست مئة .

---

(١) عبد الله بن محمد (ت ٦٧٣ هـ) ، العبر : ٣٠١/٥ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن نوح الدمشقي (ت ٦٨٩ هـ) ، العبر : ٣٦٤/٥ ، وعنه في الدارس : ٢٠٢/١ .

(٤) بصالحية دمشق ، أنشأتها أخت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل سنة (٦٤٠ هـ) . الدارس : ٩٦/١ .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) في الأصل : « وستمئة » سهو .

٢٧٨ - إسماعيل بن يوسف بن نجم*

ابن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سُلَيْم ، الشيخ المقرئ الفقيه الْمُسْنِد المعمّر ، صدر الدين أبو الفداء السّوَيْدي الدمشقي الشافعي .

سمع من ابن اللَّتي كثيراً ، ومن مُكَرَّم ، وأبي نصر [بن][1] الشيرازي ، وإسماعيل بن ظفر[2] ، والسخاوي ، وعدّة . وتفرَّد بأشياء .

تكاثر عليه الطلبة ، وتلا على علم الدين السخاوي بحرف أبي عمرو ، وابن كثير ، وعاصم . ونزل في المدارس ، وكان آخر من قرأ على السخاوي .

حجَّ سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وحدَّث بالحرم الشريف .

وسمع منه ابْنا شمس الدين الذهبي ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، والعلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والوافي ، وابن الفخر ، وخلق كثير .

وكان حسن الأخلاق ، مائلاً إلى الانقياد والاتفاق ، وله عَقار يرتزق منه ، ومُلْكٌ إذا[3] عرض له الملك استغنى به عنه .

ولم يزل على حاله إلى أن اشتهرت وفاة ابنِ مكتوم ، وصحَّ أنه نزل به الأمر المحتوم .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شوال سنة [ست][4] عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٤٦/٩ ، والدرر : ٣٨٤/١ ، والشذرات : ٣٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٩/٢ ، وذيول العبر : ٨٩ .

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل ، وذيول العبر .

(٢) في المنهل : « مظفر » .

(٣) (أ) : « وإذا » .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في أصول ترجمته .

ومولده سنة [ثلاث و][1] عشرين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه (مسند) الدارميّ ، و (المنتخب من مسند عبد بن حُميد) ، و (جزء أبي الجهم) ، و (الثاني من حديث المخلص) ، و (المئة السريجيّة) بسماعه لذلك من ابن اللَّتي ، و (موطأ) مالك رواية يحيى ابن بكير بسماعه له من مكرّم بن أبي الصقر . وكان قد تفرَّد به بدمشق . وروى لنا أيضاً عن السخاوي .

٢٧٩ ـ أسِنْبُغا*

الأمير سيف الدين المحمودي نائب طرابلس .

هو الذي جاء بجلوس الْمَلك الناصر حسن بن الملك الناصر محمّد على تخت الملك بعد أن[2] قُتِلَ المظفر حاجي ، ووصل إلى دمشق في رابع عُشْري شهر رمضان المعظَّم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحلّف[3] الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام والعساكر ، ورسم له الناصر حسن بنيابة طرابلس عوضاً عن الأمير سيف الدين[4] آقْتَمُر فيما أظنُّ ، وذلك في صفر سنة ستين وسبع مئة . ولم يزل بها نائباً إلى أن عزل بالأمير زين الدين أُغْلُبُك[5] الجاشنكير أمير حاجب حلب .

ثم إنَّ الأمير سيف الدين أسنبغا أمسك وجُهّز إلى الإسكندرية معتقلاً ، ولما أفرج عنه بعد خلع الناصر حسن ، ووصل الملك المنصور محمد إلى دمشق في واقعة الأمير

(١) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في أصول ترجمته .

* الدرر : ٣٨٢/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣٦/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٧ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل (وكلَّف) تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) ليست في الأصل ، وهي ثابتة في (ق) . وهو آقتمر الحنبلي الصالحي (ت ٧٧٩ هـ) ، الذيل التام : ٢٩٧ ، والشذرات : ٢٦١/٦ .

(٥) ستأتي ترجمته .

سيف الدين بَيْدُمر الخوارزمي[١] إلى دمشق رَسِمَ للأمير سيف الدين أسنبغا بطبلخاناه في حلب ، فتوجَّه إليها في شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ثلاث[٢] وستين وسبع مئة .

٢٨٠ ـ أَسَنْدَمُر*

الأمير سيف الدين نائب طرابلس .

كان أولاً فيما أظنّ والي البَرّ بدمشق ، ولَمّا جاء العادل كَتْبُغا إلى دمشق في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وست مئة عَزَله من ولاية البرّ بدمشق ، وَوَلَّى مكانه علاء الدين بن الجاكي ، وكان قد وليها في سنة اثنتين وتسعين وست مئة عوضاً عن طُوْغان لَمّا جُهّز إلى قلعة الروم نائباً ، وفي المحرّم سنة ست وتسعين أمسكه ، وقيده واعتقله بقلعة دمشق ، ونقل إلى طرابلس نائباً في أيام الأفرم عوضاً عن الأمير سيف الدين قُطْلوبَك الكبير في سنة إحدى وسبع مئة ، فمهَّد طرابلس ، وأقام الحرمة ، وسفك الدماء بأنواع من الإزهاق[٣] ، لَمّا جاء السلطان من الكرك حضر إليه ، وتوجَّه معه[٤] إلى مصر فولاه نيابة حماة .

ولَمّا توفي الأمير سيف الدين قَبْجَق نائب حلب نقله السلطان إلى نيابة حلب ، فأقام فيها مُدَيْدَة ، وجهَّز السلطان الأمير سيف الدين كراي المنصوري[٥] في عساكر الشام مجرَّداً ، فأقام على حمص مدّة ، ولَمّا كان عصر نهار آخر شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ـ فيما أظنّ ـ ساق كراي بالعسكر جريدة من حمص إلى حلب

(١) (ت ٧٨٣ هـ) ، الدرر : ٥١٣/١ .

(٢) قوله : « اثنتين وستين » حتى ههنا سقط من الأصل ، ثابت في (ق) .

* الوافي : ٢٤٨/٩ ، والدرر : ٣٨٧/١ ، والمنهل الصافي : ٤٤٣/٢ ، وذيول العبر : ٦٤ .

(٣) في الأصل (الإرهاق) ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) .

(٥) ستأتي ترجمته .

في ليلة واحدة ، وما[١] خرج أسندمر من داره لصلاة العيد إلاّ وقد أحاطت العساكر بدار النيابة ، ووعَّروا الباب عليه بالأخشاب وغيرها ، وأمسكه كِراي بكرةً نهار عيد رمضان ، وجهَّزه إلى باب السلطان على البريد مقيداً ، وكان ذلك آخرَ العهد به رحمه الله تعالى .

وقيل : إنه جهزه إلى الكرك هو والجوكندار[٢] وبَتْخَاص[٣] وغيرهم . وجاء الخبر إلى دمشق بوفاة بتخاص وأسندمر في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وكان جباراً يسفك الدماء جهاراً ، ويُجري منها على الأرض أنهاراً . نوَّع الإزهاق ، وعاجَل تلافَ[٤] النفوس بالإرهاق . سلخ وسَلَق ، ووسَّط وشنق ، وكحَّل وقطع الأطراف ، وبالغ في هلاك الأجساد ، وتعدَّى حدّ الإسراف .

وكان منهوماً في الأكل الذريع ، وكأنّ ما يأكله نوع من الضريع . قيل : إنه كان يُعمل له بعد العَشا خروف مطجَّن ، سمين موجّن[٥] ، فيأكله جميعه ، ولا يؤثر به ضَجيعه ، ثم إنه بعد ذلك يَعمل له بيده من الحلاوة السكب صحناً ، ويأكله سخناً .

وكان يحبّ الفضلاء ، ويؤثر النبلاء ، ويسأل عن غوامض ، ويعترض ويناقض ، حضَرتْ منْ عنده مرةً فُتْيا إلى دمشق يسأل فيها : أيُّما أفضل الوليّ أو الشهيد ، والْمَلَك أو النَّبي ؟ فصنَّف له الشيخ صدر الدين بن الوكيل في ذلك مجلَّداً ، وصنَّف له الشيخ برهان الدين الفزاري في ذلك جواباً فيما أظن ، وصنَّف كمال الدين بن الزملكاني في ذلك مجلَّداً[٦] مصنفين . وصنَّف له الشيخ تقي الدين بن تيميّة مجلداً .

(١) (أ) : « فما » .

(٢) الجوكندار : لقب على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) (أ) : « إتلاف » .

(٥) في الأصل : « خروفاً مطجّناً سميناً موجّناً » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي . والْمُوَجَّن : الغليظ . والْمُطَجَّن : المقلوّ في الطاجن .

(٦) قوله : « في ذلك مجلداً » خلت منها : (أ) ، (ق) ، والوافي .

ولَمّا كان بحلب طلب الشيخ صدر الدين بن الوكيل ـ وكان ذلك قبل صلاة الجمعة ـ وسأله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ والنَّجمِ إذا هَوى ﴾[١] فقال : هذا الوقت يضيق عن الكلام على هذه المسألة .

ووهبه (أسد الغاب)[٢] لابن الأثير في نسخة مليحة ، وقال له : لازِمْني . وكان بعد ذلك لا يفارقه إلى أن جرى ما ذكرت من إمساكه ، وما قدّره الله تعالى من هلاكه ، رحمه الله تعالى .

وكان قد عَمَّر بطرابلس حمّاماً جعل الكواكب في سمائه جاماً ، وأحكمه نظاماً حتى طار في البلاد ذكره ، وضاع في الرياض شكره .

وفيه يقول الشيخ شمس الدين أحمد بن يوسف الطيبي :

زُرْ مَنْزِلَ الأفْراح واللَّذات ... دارَ النعيم ومرتَعَ اللَّذات
دار النَّعيمِ وفي الجحيمِ أساسُها ... تجري بها الأنهارُ في الجنّاتِ
فَلَكٌ ومن بيض القباب بُروجه ... ونجومه من زاهر الجامات
مَغْنىً لهُ مَعْنىً يُمازج ماؤه ... للنّار فهو مُؤلِّف الأشتاتِ
كالخلد مرتفع البناء فضاؤه ... رحبٌ يُسافَر فيه باللحظات
يحكي بخور العود طيبُ بخارها ... والمسك والكافور ممتزجات
وتُضِيء في غسق الدُّجا أكنافها ... كإضاءةِ المصباحِ في المشكاة
فُرِشَتْ بأنواع الفصوص ورُصِّعَتْ ... بجواهرٍ من فاخر الآلات[٣]
بِرَك كأفواه الملاح رِضابُها ... عذب شهيّ الرشف في الخلوات
ومنابع قد فُجِّرَتْ بحدائق ... ترخيمها يغني عن الزهرات

---

(١) النَّجم : ١/٥٣ .
(٢) أسد الغابة في تمييز الصحابة ، وهو مطبوع .
(٣) (أ) ، (ق) : « بألوان » .

وجرت أنابيب الحياض بفضةٍ مَحْلولةٍ تَنْصَبُّ في مرآة
تلقى الرَّبيعَ من اعتدالِ هَوائها وميـاهها في سائرِ الأوقات
ويَشمُّ منها من يمرُّ ببابها ريّا نسيمِ الروض في الغَدَوات
حمّامنا يشفي السقامَ وماؤه عينُ الحياة تُزيل كل شكاة
بيت تُزان به البيوت كأنّه بيتُ القصيدِ لسائرِ الأبيات
وبرسمِ مولانا الأميرِ وأمرِه بُنيت على اسم الله والبركات
المالك المخدوم سيف الدين والـ ـدنيا أسندمر الكريم الذات
قد ساد بانيها فشاد بناءها بأوامرٍ سيفيّةِ العَزَمات
في دولة الملك الرحيم محمّدٍ الناصرِ المنصورِ في الغَزوات
تمت لخمسٍ قد غدت من هجرة الـ ـمختار مع سبع كَمُلْنَ مئات[1]

٢٨١ ـ أَسَنْدَمُر*

الأمير سيف الدين العمري ، نائب السلطنة بحماة وطرابلس .

كان شكلاً كاملاً ، مَهيباً هائلاً ، حسنَ الوجه ، يُشْبه البدر ، ويملأ برؤياه العين والصَّدْر .

باشر نيابة حماة مرَّات ، ووجد فيها المسرَّات . وناب في طرابلس مرّة ، وكان في وجه الْمُلْك غُرَّة .

ولم يزل إلى أن دخل في العَدَم بعد الوجود ، وقُبض وهو بعد الإطلاق في القيود .

وكانت وفاته في أوائل سنة إحدى وستين وسبع مئة ، بمحبسه في الإسكندرية .

---

(١) (أ) ، (ق) : « مضت » .

* الوافي : ٢٤٩/٩ ، والدرر : ٣٨٧/١ ، والمنهل الصافي : ٤٤٥/٢ ، وذيول العبر : ٣٣٣ .

كان من مماليك السلطان محمد بن قلاوون . وتزوج ابنة الأمير سيف الدين الحاج بهادُر المعزّي .

ولما توجّه الأمير سيف الدين طقتمر[١] الأحمدي إلى نيابة حلب خلت عنه حماة فجهز إليها أسندمر العمري ، فكان بها نائباً إلى أن بَرَز يلبغا بظاهر دمشق في دولة[٢] الكامل ، فحضر العمري إليه إلى دمشق ، وأقام عنده ، ولما ملك المظفر حاجي نُقل أسندمر من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس بوساطة يلبغا له ، فتوجه إليها ، وأقام بها إلى أن حضر إلى طرابلس الأمير سيف الدين مَنْكلي بغا الفخري ، مع ما سيأتي في ترجمته .

وتوجَّه أسندمر إلى مصر في أواخر المحرم سنة ثلاث[٣] وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن ذبح أرغون شاه بدمشق ، ورسم بنيابة دمشق للأمير سيف الدين الحاج أرقطاي ، ورسم للأمير سيف الدين قُطْليجا نائب حماة بنيابة حلب ، فرسم لأسندمر العمري بالعود إلى حماة نائباً[٤] ، فحضر إليها في العشر الأوسط من جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة .

وتوجَّه بالعساكر الإسلامية إلى سنجار في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وكان هو المقدم عليها ، وأقام بحماة إلى أن عُزل عنها بالأمير سيف الدين طان[٥] يرق في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وعاد أسندمر إلى مصر على عادته مقيماً إلى أن خُلع السلطان الملك الصالح صالح في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وأخرج الأمير سيف الدين طاز إلى حلب ، وعزل طان يرق من حماة ، ورُسم لأسندمر العمري بنيابة حماة ، فعاد إليها

(١) (أ) : « طشتمر » ، تحريف ، وستأتي ترجمته .
(٢) (أ) : « آخر الدولة » .
(٣) (أ) : « ثمان » .
(٤) (أ) : « ثانياً » .
(٥) (أ) : « طاز » . وفي المنهل : « طان يرق » . وانظر تعليق المحقق ثمة .

ثالث مرّة نائباً ، فحضر إليها في العشر الأول من ذي الحجة سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وصحبه الأمير سيف الدين طيبغا الماجاري ليقرّه في النيابة بحماة ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن رسم بعزله ، وتولى النيابة الأمير ركن الدين عمرشاه فوصل العمري إلى دمشق بكرة الأحد سابع عشري جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، فوجد طُلْبَ الأمير ركن الدين عمرشاه خارجاً من دمشق أميراً إلى أن أمسك هو والإسماعيلي وابن صُبح ، وجُهِّز إلى الإسكندرية سنة[1] ستين وسبع مئة ، فأقام بالحبس إلى أن توفي به في التاريخ .

٢٨٢ ـ أسندمر*

الأمير سيف الدين العمري .

كان أمير خمسين فارساً بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشر ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة . ورثه ابنته وبيت المال ، وكان نصيب بيت المال من تركته خمسة وعشرين ألف دينار .

الألقاب والأنساب

☆ **الإسنائي :**

☆ القاضي نور الدين إبراهيم بن هبة الله .

☆ وضياء الدين أحمد بن عبد القوي .

☆ وفخر الدين إسماعيل بن عبد القوي .

☆ وعز الدين إسماعيل بن هبة الله .

---

(١) (أ) : « في أوائل » .

* الوافي : ٢٤٩/٩ ، والدرر : ٣٨٧/١ .

☆ وعبد الرحيم بن علي .
☆ وتقي الدين عبد الملك بن الأعَز .
☆ نور الدين ابن الشهاب الإسنائي علي بن هبة الله .

☆ **الأصفوني :**

☆ علاء الدين علي بن أحمد .

٢٨٣ ـ أصلم*

الأمير بهاء الدين السلاح دار .

كان من جملة المشايخ مقدمي[١] الألوف في أواخر الدولة الناصرية وإلى أواخر[٢] دولة الصالح إسماعيل .

كان قد جُرِّد إلى اليمن ، فلما توجَّه وعاد ونُقِلَ عنه كلامٌ إلى السلطان ، فاعتقله ، وبقي في الحبس مدَّة تقارب الخمس سنين ، ثم أخرجه وأعاده إلى منزلته .

ثم إنه في آخر أيام الناصر جهَّزه إلى صفد نائباً . وتوفي الملك الناصر وهو بها نائب . ثم إنَّ الأمير قوصون جرَّده مع أَلْطُنْبُغا نائب الشام إلى حلب لإمساك طَشْتَمُر ، فلما كان في أثناء الطريق رُدَّ من قارا[٣] ، وانضمَّ إلى الفخري ، وأقام عنده على خان لاجين ، وتوجَّه معه صحبة عسكر الشام إلى مصر ، فرَسَم له الناصر أحمد بالإقامة في مصر على عادته أمير مئة مقدَّم ألف ، وعَمَّر في البرقِيّة عند إصْطَبْله مدرسة مليحة إلى الغاية ، وتربة وربعاً وحوضاً للسبيل .

---

* الوافي : ٢٨٥/٩ ، والدرر : ٣٨٩/١ ، والسلوك : ٧١٩/٣/٢ ، والخطط : ٣٠٩/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٥٥/٢ .

(١) (خ) : « ومقدَّمي » .

(٢) (أ) ، (ق) ، (خ) : « آخر » .

(٣) مدينة في منتصف الطريق بين حمص ودمشق ، إلى الشمال من النبك .

وكان من الأشكال الحسنة ، قد ألقى إلى سلامة الصدر رَسَنه ، ذا شيبة تقية ، وهمَّة فيها من الشبيبة بقية ، بوجه مشرّب الْحُمْرَة ، كأنما أريق عليها كأس خمرة .

ولم يزل على حاله إلى أن لبس أكفانه ، وغمَّض الموت أجفانه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست[1] وأربعين وسبع مئة .

٢٨٤ ـ أصلم*

الأمير بهاء الدين بن دمرتاش .

كان من أمراء دمشق ، يسكن العُقَيبة .

توفي رحمه الله تعالى في رابع ذي القعدة سنة سبع وسبع مئة . وحضر جنازته نائب الشام ، ودفن بالصالحية .

٢٨٥ ـ أصيل الدين**

الصدر الكبير ابن الشيخ الإمام نصير الدين محمد بن محمد الطُّوسيّ .

كان ناظر الأوقاف ، ومنجِّماً عند ملوك التَّتار ، وله جامكية كبيرة . وحُرْمَة[2] وافرة .

توفي رحمه الله تعالى في صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة ببغداد ، ودفن عند والده بمشهد موسى الجواد رضي الله عنه .

---

(١) في المنهل بعد هذا : « وقيل في يوم السبت عاشر شعبان سنة سبع وأربعين .. » .

* الدرر : ٣٨٩/١ ، وعقد الجمان : ٤٤٧/٤ ، وفيه : « أصلم بن مرداش » .

** الدرر : ٣٩٠/١ .

(٢) في الأصل : « وحرفة » ، تصحيف .

٢٨٦ ـ آصوج*

الأمير سيف الدين الواقدي .

أحد أمراء الخمسين بالقاهرة .

توفي رحمه الله تعالى فجاءة في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

الأنساب والألقاب

☆ **ابن بنت الأعز :** القاضي علاء الدين أحمد بن عبد الوهاب .

☆ **الأعسر :** الأمير شمس الدين سُنقر .

٢٨٧ ـ أغُرلو**

الأمير شجاع الدين ملك الأمراء .

عمل نيابة دمشق لأستاذه السلطان الملك العادل كَتْبُغا ، تولاّها عوضاً عن الحموي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وست مئة . ولَمّا خُلع[1] من الْمُلك بقي أغرلو بدمشق أميراً كبيراً .

وكان فارساً بطلاً شجاعاً ، أبلى في الحروب تقدُّماً ودفاعاً ، له في الوقائع صَوْلات ، وحملات وجولات . وكانت الدول تعظِّمه لشجاعته المذكورة وفروسيته المشهورة .

---

* لم نقف على ترجمته .

** الوافي : ٢٩٤/٩ ، والدرر : ٣٩٠/١ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٩٢/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٦٢/٢ ، وفيه : « أغزلو » ، بالزاي ، وذيول العبر : ١٠٧ ، وفيه : « غرلو » .

(١) (أ) : « خُلع أستاذه » .

ولم يزل على حاله إلى أن اختطفته عُقابُ الموت الكاسر ، ونزل[١] النساء يندبنه حواسر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ودفن في تربته المليحة شمالي الجامع المظفري بجبل الصالحية .

٢٨٨ ـ أُغُرْلُو*

الأمير شجاع الدين السيفي .

كان مملوكَ الأمير سيف الدين بهادُر الْمُعِزّي[٢] ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الباء ، ولما حُبس أستاذُه أخَذَهُ الأمير سيف الدين بَكْتُمر الساقي ، وجعله أمير آخور . ولم يزل عنده إلى أن توفي بكتمر رحمه الله تعالى ، فانتقل إلى عند الأمير سيف الدين بَشْتاك على الوظيفة المذكورة . ثم إنه بعد بشتاك تولى ناحية أُشموم ، وسفك بها[٣] ، ثم إنه جُهِّز نائباً إلى قلعة الشَّوْبَك ، ثم نُقِلَ منها ، وعمل ولاية القاهرة مدةً في أيام الصالح إسماعيل ، ثم إنَّه ولاَّه شدَّ الدواوين ، وتظاهر بعفَّةٍ زائدة ، وأمانة عظمى .

ولَمّا توفي الملك الصالح رحمه الله تعالى كان له في ولاية أخيه الكامل شعبان عنايةٌ تامّة ، فقدَّمه ، وحظيَ عنده ، وفتح له باب الأخذ[٤] على الإقطاعات والوظائف ، وعَمل لذلك ديواناً قائم الذات وسُمِّي[٥] ديوان البذل ، ولَمّا تولَّى الصاحب[٦]

(١) (أ) ، (ق) : « وترك » .

* الوافي : ٢٩٤/٩ ، والدرر : ٣٩٠/١ ، والمنهل الصافي : ٤٦٢/٢ ، وفيه : « أغزلو » .

(٢) في الأصل : « المعروف » تحريف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بها الدماء » .

(٤) في الأصل : « الأحد » تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٥) (أ) ، (خ) : « وسمّاه » .

(٦) (أ) : « الصالح » .

تقي الدين بن مَراجل[١] شاجَحَه في الجلوس والعلامة والتقدم ، ودخلا إلى السلطان الملك الكامل ، فترجح الصاحب تقي الدين ، وعُزِل أغرلو .

ولَمّا كان في واقعة الملك المظفر حاجي كان أغرلو ممن قام في أمره ، وضَرب الأمير سيف الدين أرغون العلائي في وجهه وسكَن[٢] أمره بعد ذلك وخمد . ثم إنه حضر في أيام المظفر حاجي صحبة الأمير سيف الدين مَنْكلي بُغا الفخري ليوصله إلى طرابلس نائباً ، وعاد إلى مصر ، وأمرُهُ ساكن إلى أن قام في واقعة الأمراء سيف الدين مَلَكْتُمر الحجازي ، وشمس الدين أقْسُنْقُر ، وسيف الدين قَرابغا ، وسيف الدين بُزلار[٣] ، وسيف الدين صمغار[٤] ، وسيف الدين إتْمش[٥] ، فكان هو الذي تولّى كِبره ، وأمسك جماعة من أولاد الأمراء ، فعظم شانه ، وعلا مكانه ، وتفخَّم أمرُه ، وأسمعَ زَمْرُه ، وخافه أمراء مصر والشام ، ونام في سَكرةِ باطله وغروره وعينُ الدهر ما تنام . وأقام على ذلك مدة أربعين يوماً ، وأمره يزداد في التعاظم والجبروت سَوْماً[٦] ؛ إلى أن أُتي من مأمنه ، وثار[٧] إليه الحين من معدنه .

وقيل : إنَّ الحرافيش أخرجوه من قبره ، وأقاموه في زيّ عظمته وكبره ، وجعلوا يشاورونه كما كان يفعل ، ويترددون بينه وبين السلطان ، وقد أُضرم غَيْظُه على الأمراء وأشعل ، ويمسكون الأمراء كما كان يمسكهم ويقيدهم ، ويميل لهم إلى مصارعهم ويحيّدهم . ونوَّعوا به النكال والْمُثلة ، ونصبوه بعد ذلك على أَثْلَة ، فغضب السلطان

---

(١) علي بن عبد الرحيم ، وستأتي ترجمته .

(٢) طمست في الأصل .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) ابن سنقر (ت ٧٣١ هـ) ، الدرر: ٢٠٨/٢ ، وفيه : صمعان ، تحريف .

(٥) ويقال أيضاً : أيتمش ، ويتمش ، وستأتي ترجمته .

(٦) (أ) ، (خ) : « شوما » .

(٧) في الأصل : « ونار » ، تصحيف .

لذلك ، وأمر الأوشاقية[١] فنالوا من الحرافيش منالاً عظيماً ، وأذاقوهم من القتل والقطع والضرب عذاباً أليماً ، أخذاً بذلك تِرات تِراتِه ، وكان مشؤوماً في حياته ومماته .

وقيل : إنَّ السبب في قتله حضور رأس يَلْبُغا إلى القاهرة ، فإن الخواص من المماليك السلطانية دخلوا إلى السلطان وقالوا : لا بدَّ من قتله ، وجاء الخبر إلى الشام بقتله في مستهلِّ شهر رجب سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحَسب الناسُ من قتله من الأمراء في مدة أربعين يوماً ، فكان ذلك أحداً وثلاثين أميراً ، وكان في أيامه يخرج من القصر ، ويقعد على باب خزانة الخاص ، ويتحدث في الدولة وفي الخزانة والإطلاق والإنعام ، ويجلس والموقعون عنده ، ويكتبون عنه إلى الولاة ، ولكنه مات هذه الميتة[٢] القبيحة ، وفُعلت به هذه الأُحدوثة الفضيحة .

فقلت أنا مستطرداً :

وعاذل قال : عُمْرِي أسعى لعلكِ تَسْلُو
أموت منك بغَبْنِي فقلتُ مَوْتَ أغُرْلُو

٢٨٩ ـ أُغُلبك*

الأمير سيف الدين بن رُمْتاش ـ بضم الراء وسكون الميم ، وبعدها تاء ثالثة الحروف وألف بعدها شين معجمة ـ الرومي .

كان أولاً مقيماً بصفد على إمرة عشرة ، فوقع منه كلام في حقِّ نائب صفد الأمير شمس الدين سنقرشاه المنصوري ، فضربه قدَّامه واعتقله ، ثم أفرج عنه ، ونقل إلى دمشق .

---

(١) هم الخيّالة .

(٢) في الأصل : « المنية » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

* الدرر : ٣٩١/١ .

ولَمّا توجَّه السلطان إلى مصر سنة تسع وسبع مئة بالعساكر الشامية ، كان هو من جملة الأمراء السلاح داريّة .

ولم يزل بدمشق على حاله في الأمرة إلى أن جاء أُغْلبك[١] الأمر الذي لا يغالب ، والغريم الذي لا يطالع ولا يطالَب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان لطيف النفس ، شديد الأنس ، تفعل الجفون المريضة فيه ما لا تفعله السيوف الماضية ، وتسكره الريقة الرايقة بخلاف سُكر بنت العنقود الصافية ، ويلعب بالقُبق[٢] ويجيد ضرب وتره ، ويتبع أرباب الملاهي ، فما منهم[٣] إلاّ مَنْ يعود تابع أثره ، إلاّ أنه كان بطلاً مقداماً ، لا تزلزل له الحروب أقداماً ، صياداً لا يخرج الصيد عن أوامر سهامه ، ولا يفوته من يمينه أو شماله ، أو من خلفه أو من أمامه ، مع الرشاقة الحلوة ، والخفة على ظهر مراكيبه التي هي من العيوب خِلْوَة ، وهو أخو صلاح الدين خليل بن رُمْتاش .

٢٩٠ ـ أُغْلُبُك*

الأمير زين الدين العادلي مملوك العادل كتبغا .

كان من جملة أمراء دمشق المشهورين ، وأعيانهم المذكورين ، وكان ينظر في أوقاف العادل ، ويجالد عنها ويناظر ويجادل ، فنقل إلى طرابلس أميراً ، وفارق دمشق حسيراً ، فمرض هناك ، ووقع من العلة في شراك[٤] واشتراك ، فحضر إلى دمشق ليتداوى ، فما أقام بها ولا آوى .

(١) في الأصل « بغلبك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) من ألعاب الرماية ، وهو لفظ تركي .
(٣) (أ) ، (ق) : « فيهم » .
* لم نقف على ترجمة له .
(٤) (أ) : « شَرَك » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكان قد ولي البَرّ بدمشق في المحرم سنة ثلاث عشرة وسبع مئة عوضاً عن طرنطاي الحموي .

٢٩١ ـ أفريدون بن محمّد بن محمّد بن علي*

التاجر الأصبهاني .

ورد إلى دمشق ، وأعجبه المقام بها ، وشرع في عمارة المدرسة المليحة الظريفة التي برّا باب الجابية بدمشق[١] سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وأنفق على عمارتها خارجاً عن وقفها مبلغاً يقارب المئة ألف درهم أو يزيد ، ولم [يزل][٢] يجتهد في عمارتها إلى أن جاءه الأمر الذي لا يُرَد ، والخطبُ الذي لا يُصدّ ، وما أغنى عنه ماله ، ولا نفعه إلا أعماله .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

الألقاب والأنساب

☆ **الأفرم** : نائب دمشق ، اسمه آقوش .

☆ **الأفضل** : صاحب حماة محمد بن إسماعيل .

---

* الوافي : ٢٩٧/٩ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٧٣/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٧/١٤ ، والدرر : ٣٩١/١ ، والذيل التام : ١٠٥ ، وذيول العبر : ٢٧٧ .

(١) الدارس : ١٧٥/٢ ، وما زالت إلى يومنا هذا .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (خ) .

٢٩٢ ـ آقبُغا*

الأمير سيف الدين الناصري المعروف بآقْبُغا عبد الواحد .

تنقلتْ به الأحوال من الجمدارية إلى أن صار أمير مئة مقدّم ألف ، أستاذدار السلطان ، مشد العمائر ، مقدّم المماليك ، أمير منزل خمس وظائف . وتأمّر ولداه[١] ناصر الدين محمّد وشهاب الدين أحمد ، وكان أخا الخوندة طَغاي ، امرأة أستاذه الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى من حرف الطاء في مكانه .

كان في أيام أستاذه في غاية التمكن والقدرة[٢] والتسلط والبأس والجبروت ، لو ذكر اسمه للماء جَمَد ، أو مرَّ ذكره على الجمر خَمَد ، ليس لأحد عنده مكانة ، ولا يجد له خضوعاً ولا استكانة .

ولما توفي الملك الناصر ، وتولّى ولده الملك المنصور أبو بكر صادره وسلّمه إلى الأمير علاء الدين طَيْبُغا المجدي ، وأخذَ منه كلَّ ما يملكه ، وأمر بردِّ كلِّ ما اغتصبه ، وأخذه باليد العَاديَة على الناس ، ولم يبقَ له تصرُّفٌ في ماله ، إلى أن طلَبَ مئة درهم فأعطاه إياها الأمير علاء الدين طيبغا المجدي .

ولما تولّى الملك الأشرف كُجُك أخرجه الأمير سيف الدين قوصون إلى دمشق ، فأقام بها قليلاً ، وتوجَّه[٣] مع الفخري إلى مصر ، فرسم له الناصر أحمد بنيابة حمص ، فحضر إليها ، وأقام بها إلى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ورسم بإحضاره إلى دمشق ، فأتى إليها ، وأقام بها من جملة أمراء المقدمين ، فلما كان في شوّال من السنة المذكورة حضر مرسوم الملك الصالح إسماعيل بإمساكه فأمسك

* الوافي : ٣٠٤/٩ ، والدرر : ٣٩١/١ ، وبدائع الزهور : ٥٠٤/١/١ ، والمنهل الصافي : ٤٨٠/٢ .

(١) في الأصل : « والداه » تحريف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٢) مطموسة في الأصل .

(٣) (أ) : « إلى أن توجَّه » .

هو والأمراء الذين اتّهموا بالميل مع الناصر أحمد وأودع معتقلاً[١] بقلعة دمشق ، ثم إنه طُلب بعد قليل إلى مصر ، فتوجّه به الأمير بدر الدين بَكْتَاش المنكورسي[٢] ، وكان ذلك آخر العهد به[٣] .

٢٩٣ ـ آقْبُغا*

الأمير سيف الدين الْحَسَني الناصري .

كان رفيعَ المنزلة والمكانة ، مؤثَّل المرتبة من خاطر أستاذه ، ثابت الركانة ؛ إلاّ أنه زاد في دلاله ، وأفرط في اعتدائه ، قوامه بالغ في اعتداله ، فما أفاده سحر أجفانه ، ولا نفعه تبسم ثغره عن أقحوانه ، وهوّن السلطان على قلبه أمْرَه ، وأخرجه إلى دمشق ؛ ولكنْ على إمْرَة ، فأقام بها على غير استقامة ، وأصرَّ على غيّه[٤] ، ولم يقبل نصحاً ، ولم يُصْغِ إلى ملامَه ، ولازم الشراب وعاقره ، ونسي أمر تنكز وعواقبه وعواقره ، فكتب إلى السلطان في معناه ، وجعل القلعة مغناه ، ولبث معتقلاً في قلعة دمشق زماناً ، ولم يجد من حادث الدهر أماناً ، ثم إنه فُكَّ صَفَدُه ، وجُهِّز إلى صَفد ، فأقام بها ، وفداءُ سعدِه[٥] ما وفد ، إلى أن أذوى الحِمام زهرته ، وأسكنه حفرته .

وتوفي بصفد رحمه الله تعالى .

وكان قد اعتقل بقلعة دمشق زماناً ؛ إلى أن قدم السلطان من الحجاز في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأفرج عنه في المحرم ، وجهّز إلى صفد .

---

(١) (أ) ، (خ) : « في الاعتقال » .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في للنهل : « فلما حضر أرسله إلى الإسكندرية فحبس بها إلى قتل سنة أربع وأربعين وسبع مئة » .

* الدرر : ٣٩٢/١ .

(٤) (أ) : « الغيّ » .

(٥) (أ) : « وقد أسعده » .

٢٩٤ ـ أقجبا*

الأمير سيف الدين المنصوري .

كان أحدَ الأمراء بدمشق . ولي شدّ الدواوين بدمشق بعد الأمير جمال الدين آقوش الرستمي ، وعيّن لتَقْدِمَة الركب الشريف في سنة تسع وسبع مئة ، ودار بالْمَحْمَل[١] في أول الثلاثة أشهر على العادة ، ثم إنه بَطّل الركب وتوجهه بسبب ما بلغ الناس من تحرّك السلطان الملك الناصر من الكرك ، وكانت فيه ديانة ، وعِفّة في المباشرات وأمانة ، وحفظ للأموال وصيانة ، تنقّل في النيابات ، وخرج سالماً مما فيها من الغيابات[٢] ، وعمل الشد وما حلّ [ولم يتعرَّض إلى ما حرَّم ولا ما حلَّ][٣] ، وعمل النيابة بغزّة ، وشرَّف نفسه عن أموال الرعايا ونزَّه ، ثم إنه أقام على إمرته ، وما أخمد الله ضوء جمرته .

ولم يزل على حاله إلى أن نزلت به أم دَفْر ، ورحل إلى الآخرة مع ذلك السَّفْر .

ووفاته رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة . ودفن بتربته خارج باب الجابية .

وكان قد باشر نيابة بعلبك ، ومنها نقل إلى الشد بدمشق ، وبقي مدة ، ثم تولى نيابة غزّة مدة عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس الموفقي[٤] ، ثم عزل وأقام على إمرته إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

وكان قد ولي الشد أولاً في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

---

* الدرر : ٣٩٣/١ .

(١) المحمل : الموكب الذي يقل الحجاج .

(٢) غيابة كل شيء ما سترك منه ، ومنه غيابات الجبّ .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) ستأتي ترجمته .

٢٩٥ ـ أقجبا*

الأمير فخر الدين الظاهري .

حجَّ بالركب الشامي في سنة ثلاث وسبع مئة .

وكان من أمراء دمشق الأعيان ، وممن قَدُمَتْ هجرتهم في خدمة السلطان ، ثابت[١] العدالة على الحكام ، ملازم الصلاة في الجامع على مرِّ الليالي والأيام ، شرب كؤوس الصِّبا ؛ فحدّه الدهر ثمانين ، وتشعَّب به سَعْدُ الإمرة في أفانين .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الظاهري في باطن الأرض ، وأقام فيها إلى يوم العرض[٢] ، وحضر جنازته ملك الأمراء وجماعة من الأمراء ، ودفن بسفح قاسيون قبالة زاوية ابن قوام[٣] ، ووفاته تاسع عشري ربيع الآخر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٩٦ ـ أقجبا**

الأمير فخر الدين الحموي .

نقل من حماة إلى القاهرة ، وأُعْطي شدَّ الشراب خاناه بالقاهرة في أيام الملك الصالح إسماعيل ، وعَلَت عنده رُتْبَتُه ، وغَلَت من قلبه محبته ، وسَمَت مكانته وتأثَّلت ، ووقفت السعود في خدمته وتمثَّلت ، ولم يكن في دولة الصالح[٤] له نظير غير الوزير[٥] ، ولا ضاهاه أحدٌ في حسن السياسة والتدبير .

---

* الدرر : ٣٩٣/١ .

(١) (أ) : « نائب » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « باطن العرض » ، وهو سهو .

(٣) تعرف بالزاوية القوامية البالسية غربي جبل قاسيون على حافة نهر زيد ، أنشأها أبو بكر بن قوام البالسي (ت ٦٥٨ هـ) . الدارس : ١٦٢/٢ .

** الوافي : ٣٠٥/٩ ، والدرر : ٣٩٢/١ ، والمنهل الصافي : ٤٩٣/٢ .

(٤) (أ) ، (خ) : « عند الصالح » .

(٥) يعني الوزير محمود بن شروين ، كما في الوافي .

وكان يقضي غالب الليل عند السلطان ، وإذا قَرَّر عنده أمراً[١] لا تسمعه آذان الحيطان ، يساهره ويسامره ، ويأخذ بمجامع[٢] قلبه بودٍّ يخامرُه . ثم إنه أُخرجَ من مصر بعد الصالح ، وعاد إليها كرّاتٍ عَوْدَ الطليح ، بل الطّالح .

ثم إنه وَلِي الحجبة آخراً في أيام الملك الناصر حَسَنْ ، واختص بالأمير شيخو فانقاد له بالرَّسَن .

ولم يزل على حاله إلى أن أدناه الجديدان إلى البلى[٣] ، وولّى سعدُه مدبراً بعد أن كان مُقْبِلاً .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

وكان الأمير فخر الدين متَّصفاً بالمروءة في حقِّ مَنْ يصحبُه ، كثيرَ الوُدّ ، نفع جماعةً بصحبته .

ولما توفي الملك الصالح إسماعيل أخرجه الملك المظفر إلى حماة ، وبقي فيها إلى أن أُمسِك يلبغا وأبوه طابطا ، وجُهِّزا إلى مصر من حماة ، فتوجَّه الأمير فخر الدين بهما ، ولما وصلوا إلى قاقون[٤] أتاهم الأمير سيف الدين منجك ، وجَرَى ما يأتي ذكره في ترجمة يلبُغا ، ثم إنّ فخر الدين توجَّه إلى مصر فرسم له المظفر بالإقامة في القاهرة ، فأقام ، وكان قد خَدَم يلبغا في الطريق ، ولاطفه وصبَّره وسلاّه وثبَّته ، ولم يزل مقيماً بالقاهرة إلى أن تولَّى[٥] الملك الصالح صالح ، فأخرجه إلى حماة ، فأقام بها ، ولما عاد الأمير شيخو وطاز من حلب في واقعة بيبغاروس عاد معهما ، ودخل الديار المصرية ، وأقام

---

(١) (أ) ، (ق) : « أمرّ » .

(٢) (خ) : « مجامع » .

(٣) في الأصل : « أبلاه الجديدين بالبلى » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٤) هو حصن بفلسطين قرب الرملة . معجم البلدان : ٢٩٩/٤ .

(٥) (أ) : « توفي » ، ولا وجه لها .

بها ، واختص بالأمير سيف الدين شيخو ، وولاه الحجبة بالقاهرة ، ولمّا جُرِح[١] شيخو انتصب الأمير فخر الدين لخدمته ، وكان يباشر عمل المصلومَة[٢] له بنفسه ، وقيل : إنه ربما أفطر في شهر رمضان لذلك[٣] .

٢٩٧ ـ أقسنقر*

الأمير شمس الدين السلاّري .

سَيَّرهُ السلطان الملك الناصر محمد إلى صفد نائباً ، فحضر إليها ، ورأى أهلُها منه من العفة والعدلِ ما لا رَأوه من غيره ، ثم نقله إلى نيابة غزة ، فتوجه إليها .

ومات السلطان ، وتولَّى الملك المنصور أبو بكر ، وخُلِعَ ، وتولَّى الأشرف كُجُك ، وجاء الفخري لحصار الكرك ، فقام الأمير شمس الدين بنصرة أحمد في الباطن كثيراً ، وتوجَّه الفخري إلى دمشق لَمّا توجَّه ألْطُنْبُغا إلى حلب ، ليطرد طَشْتمر نائب حلب ، فاجتمع به ، وقوَّى عَزْمَه ، وقال له : توجَّه أنت[٤] إلى دمشق واملكها ، وأنا أحفظ لك غزة . وقام في هذه الواقعة قياماً عظيماً ، وأمسك الدروب ، فما جاء أحد من دمشق ولا من مصر بريديّاً كان أو غير ذلك إلاّ وحمله إلى الكرك ، وحلَّفَ الناسَ للناصر أحمد ، وقام ببيعته باطناً وظاهراً ، ثم جاء إلى الفخري وهو على خان لاجين ، وقوَّى عزمه وعضده . ولم يزل عنده[٥] بدمشق إلى أن جاء ألْطَنبغا من حلب ، والتقوا ، وهرب ألطنبغا ، فاتّبعه[٦] الأمير شمس الدين إلى غزّة ، وأقام بها ، ودخلت العساكر الشامية إلى مصر .

(١) في الأصل و (أ) : « خرج » تصحيف .
(٢) هو إنضاج اللحم ونحوه .
(٣) (أ) : « كذلك » .
* الوافي : ٣١٣/٩ ، والدرر : ٣٩٤/١ ، والمنهل الصافي : ٤٩٩/٢ .
(٤) خلت منها (أ) .
(٥) (أ) ، (ق) ، (خ) : « مقيماً عنده » .
(٦) في الوافي : « فتبعه » .

ولما أمْسَك الناصر أحمد طشتمر النائب وتوجه به[١] إلى الكرك أعْطى نيابة مصر للأمير شمس الدين آقسنقر ، وبقي نائباً وأحمد في الكرك إلى أن تملك الملك الصالح إسماعيل ، فأقره عليها ، فسار فيها سيرة مشكورة ، وأقام فيها مدة أحاديثها إلى الآن مذكورة ، لا يمنع أحداً شيئاً يطلبه كائناً من كان ، ولا يردُّ سائلاً يسأله ، ولو لم يكن ذاك في الإمكان ، وارتزق الناس في أيامه ، وغرق الضعفاء في بحر أنعامه ، وتقدم من كان مؤخراً ، وجرى رخاءُ الرخاء بأمره مسخَّراً ، حتى كان الناس يطلبون منه ما لا لهم به حاجة ، ولا لهم به ضرورة ، وهو يقضي ما قابل جوده أو واجه .

ثم إنَّ السلطان الملك الصالح إسماعيل أمسكه ، وأمسك الأمير سيف الدين بَيْغرا أمير جاندار[١] والأمير سيف الدين أولاجا الحاجب الآتي ذكرهما في موضعيه ، والأمير زين الدين قراجا الحاجب ، لأنهم نُسبوا إلى الممالأة والمداجاة مع الناصر أحمد ، وذلك في سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وكان ذلك آخر العهد بأمره ، والله تعالى يتولَّى الباطن من سرِّه ، وأُخرج فيما بعد عن بيغرا وأولاجا وقراجا في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

٢٩٨ ـ أقسنقر*

الأمير شمس الدين الناصري .

كان في حياة أستاذه أميرَشكار[٢] وزوّجه ابنته ، وجعله أمير مئة مقدَّم ألف . ولما جاء الناصر أحمد من الكرك جعله أمير آخور ، فلم يرضَ فأخرجه إلى غزّة نائباً ، وأقام

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « خازندار » سهو ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، وفي المنهل : « أميرجندار » . وقد تكررت عبارة : « وأمسك الأمير ... » في الأصل .

* الوافي : ٣١١/٩ ، والدرر : ٣٩٤/١ ، وخطط المقريزي : ٣١٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٩٦/٢ . ووقع في الأصل : « أقسنقا » .

(٣) هو المشرف على طيور الصيد .

بها إلى أن أمسك الفخريّ ، وتسلطن الملك الصالح إسماعيل فطلبه من غزّة ، وجعله أمير آخور ، وعظمت مكانتُه عنده ، وجهّزه مقدّم العساكر المصرية والشامية لمحاصرة الكرك ، ثم أُبْطِلَ ذلك ، وخرج عوضه في التقدمة الأمير سيف الدين بَيْغرا .

ثم إنه جُهِّز إلى الكرك فأبلى بلاءً حسناً ، وأنكى في ذلك ، وجُرح جراحة مؤلمة ، وعاد إلى مصر ، وأراد التوجه إلى الحجاز بأهله ، فمنع من ذلك ؛ لأن والدة الملك الأشرف كجك[1] عنده زوجة ، فخيف منه ، وأخرج إلى طرابلس نائباً ، فورد إلى دمشق على البريد ، وعمل النيابة بطرابلس جيداً ، وظهرت عنه مهابة وبطش وقمع للمفسدين ، وعفَّ عن أموال الرعايا ، وأقام نائباً من أوائل شوال سنة أربع وأربعين وسبع مئة إلى بعض شهر ربيع الآخر ، سنة ست وأربعين وسبع مئة ، في أول سلطنة الكامل شعبان ، فطلبه إلى مصر ، وتوجَّه إليها ، وعَظُم أمره وأمر الحجازي إلى الغاية ، فيقال : إنهما أحسّا في الباطن بالغدر من الكامل ، فجهّزا في السرِّ إلى الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، وقالا له : برّز أنت إلى ظاهر دمشق ، فإننا قد عزمنا على أمر . وكان يلبغا إذ ذاك نائب دمشق ، فبَرَّز إلى ظاهر دمشق - على ما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وراحت الأخبار إلى الكامل بخروج يلبغا واتفاق[2] نواب الشام معه ، فلم يرَ الكامل بُدّاً من تجهيز عسكر إليه ، فجرَّد جملة من عسكر مصر ، وقَدَّم عليها أحد الأميرين ، إمّا الحجازي أو آقسنقر ، فخرجا من القاهرة ، وعادا من بعض الطريق ، واجتمع الناس عليهما في قبّة النصر ، وخرج الكامل[3] ، فَجُرِح[4] الأمير سيف الدين أرغون العلائي ، وانهزم السلطان ، ودخل القلعة ، وطلع الأميران المذكوران إلى القلعة ، وأخذا أمير حاج ، وأجلساه على كرسي المُلْك وحَلَفا له وحَلَّفا له العساكر ، ولقَّباه المظفر ، وزادت عظمة الحجازي وآقسنقر في أيام المظفر .

(١) ليست في (خ) .

(٢) (أ) ، (خ) : « وخروج » . وفي الوافي : « وجَمْع » .

(٣) في الأصل : « الكاملي » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٤) في الأصل و (خ) : « مخرج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ، وهي أشبه .

فلما كان في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة جاء إلى السلطان من كان معهما في الباطن ، وقال[١] : إنهم قد أجمعوا على الركوب غداً إلى قبة النصر ، وأن يفعلوا بك ما فعلوه بأخيك ، فأحضرهم العصر إلى القصر ، وأمسكهم ، وهم الأمير شمس الدين آقسنقر ، والأمير سيف الدين مَلَكْتَمُر الحجازي ، والأمير سيف الدين قرابغا الساقي صهر اليحيوي ، والأمير سيف الدين إتمش ، والأمير سيف الدين صمغار ، والأمير سيف الدين بزلار ، فأمّا الحجازي وآقسنقر فإنهما قتلا في الوقت الحاضر بالقصر ، والبقية جُهِّزوا إلى الإسكندرية ، وقيل : إن السلطان ضرب قرابغا على كتفه بالنِّمْجا[٢] ، ثم إنه أمسك الأمير سيف الدين طقبغا العمري ، وأولاد الأمير علاء الدين أيدغمش وابن الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، وذلك كلّه بتدبير الأمير شجاع الدين أُغُرْلو .

وكان الأمير شمس الدين المذكور رحمه الله تعالى شكلاً مليحاً ، ووجهاً مع صباه صبيحاً . طويلاً[٣] فيه هيف ، لو رآه الحمام لسجع عليه وغرد وهتف ، يكرم من يودّه ، ويُسلفه الإحسان ولا يستردّه ، نفسُه نفس الملوك في العطاء ، وجوده لأصحابه بارز الشخص ما عليه غطاء .

وكان يكتب خطاً قوياً ، متمكن الحروف سويّاً[٤] ، وكان إذا كتب لمن يكرمه ويصل حبل وداده ولا يصرمه ، كتب : المملوك أقسنقر سلام عليك .

٢٩٩ ـ أقطاي*

الأمير سيف الدين الجمدار .

---

(١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وقال له » .

(٢) (أ) : « النمشا » ، وكلاهما صواب ، وهو خنجر مقوّس يشبه السيف القصير ، فارسي معرَّب .

(٣) في الأصل : « طويل » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، (ق) ، وهي أحسن .

(٤) (أ) : « سيّا » ، ولا وجه لها .

* الدرر : ٣٩٤/١ .

كان يسكن قبالة المدرسة التقويّة داخل باب الفراديس[١] ، ثم إنه انتقل بعد ذلك إلى العقيبة[٢] ، وكان أمير سبعين فارساً . وكان الأمير سيف الدين تنكز يعظّمه . وهو والد الأمير سيف الدين سَلامش .

وكانت بينه وبين الشيخ[٣] علاء الدين بن غانم صحبة ومودّة .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٣٠٠ ـ أقطاي*

الأمير سيف الدين العمري .

كان من جملة أمراء الطبلخانات بحلب .

توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ورسم بإمرته للأمير شرف الدين موسى بن الأمير ناصر الدين محمد بن شُهري[٤] .

٣٠١ ـ أقْطُوَان**

الأمير علاء الدين[٥] الكمالي الحاجب بصفد .

حضر إليها أول أمره مُشِدّ الدواوين ، ووالي الولاة لما كان الجوكندار نائبها ، ثم

---

(١) أنشأها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه أيوب سنة (٥٧٤ هـ) . الدارس : ١٦٢/١ .

(٢) في الأصل : « العقبة » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) . والعقيبة حي وسط دمشق اليوم .

(٣) في الأصل : « الأمير » ، وهو سهو .

* لم نقف على ترجمة له .

(٤) (ت ٧٨٠ هـ) ، الدرر : ٣٨٠/٤ .

** الوافي : ٣٢٠/٩ ، والدرر : ٣٩٥/١ ، والمنهل الصافي : ٥٠٥/٢ .

(٥) في المنهل : « علم الدين » .

إنه أعطي طبلخاناه ، وأقام على ذلك مدة ، ثم رُسِم له بالحجوبية[١] ، وبقي فيها مدّة طويلة ، ثم إنه نقل إلى نيابة القلعة بصفد ، وأقام بها مدة ، ثم أعيد إلى الحجوبية[٢] .

وكان أميراً ذا بَرْكٍ وعُدّة ، يركب وينزل من مماليكه في عدّة ، زائد التجمل في السلاح وآلات الحرب والكفاح ، وهو رجل طُوال ، لا يُرَدّ عنده من أحد سؤال ، ذو طلعة بهيّة ، وشيبة سنيّة ، عرف الناسَ وأحبُّوه ، ولبّوه إلى ما يريده وأجابوه . وهو والد الأمير سيف الدين قُرْمشي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف القاف مكانه .

ولم يزل بصفد على حاله إلى أن خرّب الموت ربع حياته ، وقرَّر عنده أمر نزله[٣] وبَياته[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكتبت أنا إلى ولده الأمير سيف الدين قرمشي أعزِّيه :

تعزَّ يا مولاي في الذاهبِ ... وارضَ بأمر الطالبِ الغالبِ
واصبرْ تَنَلْ أجرَكَ في فَقْده ... فليسَ مَنْ يصبرُ بالخائبِ
قد ركبَ الأعناقَ لَمّا مَضى ... لربِّه أفديهِ من راكبِ
وباتَ مندوباً لأنَّ العُلا ... أمستْ بقَلْبٍ بَعْدَه واجبِ
وفازَ لَمّا حازَ طيبَ الثَّنا ... والذِّكرِ في الحاضِرِ والغائبِ
بكاهُ حتّى مستهلُّ الحيا ... بدمعِهِ المنحدِرِ السَّاكبِ
لم تُرْمَ دونَ النّاسِ من فَقْدِه ... فيهِ بسهمٍ للرَّدى صائبِ

(١) في المنهل : « وولي نيابة قلعة صفد ، والحجوبية الكبرى بها » .
(٢) (أ) : « الحجبة » .
(٣) (أ) : « نزوله » .
(٤) في الأصل : « ونيّاته » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

بـــــلِ الـــــورَى عَمَّهُم رُزْؤه وكم فـــــؤادٍ بعـــــدَهُ ذائبِ
ومـــا تَرى في النّـــاس غير امرئ وعينُـــهُ تبكي على الحـــاجبِ

٣٠٢ ـ أقطوان*

الأمير علاء الدين الظاهري الساقي .

كان صالحاً يقوم الليل ، ويجاهد في المحراب وعلى ظهور الخيل ، ويلازم صلاة الجماعة ، وما لحقوق الله تعالى عنده إضاعة . وكان يحفظ أشياء في الزهد يوردها ، ويأتي بها من حفظه ويسردها .

ناب السلطنة بقلعة الجبل في أيام السعيد بن الظاهر[١] لَمّا توجَّه إلى الشام ، ثم إنه نقل إلى الشام ، وأقام به إلى أن صُرع الساقي ، وظفر من عمله بالكنز الباقي .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعظم سنة ثمان عشرة وسبع مئة . وكان من أبناء الثمانين أو تجاوزها ، ودفن بالقُبَيْبات[٢] .

٣٠٣ ـ آقوش**

الأمير جمال الدين الشريفيّ .

كان والي الولاة بالصَّفقة[٣] القبليّة بالشام ، تولاّها وهي كثيرة الهرج ، مباحة الدم والفرج ، قد غلب فيها العشير على حكام الدولة ، وكادت قراها تحكي أطلال خَوْلة ، فأطلق فيها سيفه الماضي ، ورفض التغافل والتغاضي ، إلى أن هذَّب تلك الناحية ، وميَّز الفرقة الناجية .

---

* الدرر : ٣٩٤/١ .

(١) هو الملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس (ت ٦٧٧ هـ) . بدائع الزهور : ٣٤٢/١/١ .

(٢) حيّ في دمشق يطلق عليه الآن الميدان الفوقاني ، وكان قديماً من قرى دمشق .

** الوافي : ٣٢٤/٩ ، والبداية والنهاية : ١٧/١٤ ، وعقد الجمان : ١٥٥/٤ .

(٣) عبارة الوافي : « والي البلاد القبليّة بالشام » .

ولم يزل على حاله إلى أن بغتَه حِمامه ، وانقصف رمحه ، وصَدئ حسامه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

٣٠٤ ـ آقوش*

حسام الدين أبو الْحَمْد الافتخاري الشبلي .

سمع بالقاهرة من ابن رَواج ، والساوي ، وجماعة . وسمع بدمياط (الناسخ والمنسوخ) للحازمي[١] من الجلال الدمياطي . وسمع بدمشق من ابن قُمَيْرة ، وابن مسلمة ، وسمع منه الطلبة .

وكان متميزاً في الأجناد ، موصوفاً بالسداد ، يكتب خطّاً فائقاً ، راقياً[٢] في درجة الحسن رائقاً ، له عناية بالخطوط المنسوبة وتحصيلها ، وعنده بذل للجمل في تفصيلها .

وحدَّث قديماً مع أستاذه شبل الدولة كافور[٣] خزندار قلعة دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن وقع الشبلي في شبكة الموت ، وغرق في بحر الفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

٣٠٥ ـ آقوش**

الأمير جمال الدين المطروحي الحاجب بدمشق .

---

* الوافي : ٣٢٥/٩ .

(١) محمد بن موسى (ت ٥٨٤ هـ) ، واسم كتابه : (الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار) مطبوع . الأعلام : ١١٧/٧ .

(٢) في الأصل : « وافيا » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٣) الصوابي الصالحي (ت ٦٨٤ هـ) . الشذرات : ٣٨٨/٥ .

** الوافي : ٣٢٥/٩ ، وعقد الجمان : ١١٣/٤ ، وشذرات الذهب : ٤٤٦/٥ .

أباعه الكسروانيون للفرنج في واقعة غازان ، ثم شراه ابن سعيد الدَّولَةُ منهم ، وأعطي طبلخاناه بعد الوقعة .

وكان شيخاً مليح الشيبة ، ظاهر الهيبة ، حاجباً جليلاً ، لا يراه أحد إلاّ اتَّخذه خليلاً[١] ، ناهضاً بالأعباء عاقلاً ، لا تجده الدولة عن مصلحتها غافلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن المطروحي على نعشه مُطرحاً[٢] ، وطحنته من المنية تلك الرحى .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة . باشر الطبلخاناه قليلاً ، ومات رحمه الله تعالى .

٣٠٦ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين الأفرم ، نائب دمشق .

كان من مماليك الملك المنصور قلاوون القُدُم الجراكسة ، وهو من أكابر البُرْجيّة السلاح دارية . وكان في البرج مُغْرًى بالنشاب والعلاج والصراع واللكام والثقاف[٣] وتأمّر وهو على هذا .

ولَمّا كان في أيام أستاذه تحدَّث مع بعض الخاصكية أن يخرج إلى الشام ، فعرَّضوا به للمنصور ، فقال : آقوش الأفرم يريد الرواح إلى دمشق ، لا بدَّ له من نيابة دمشق إلاّ ما هو في أيامي .

---

(١) قوله : « لا يراه ... خليلا » ، ليس في (أ) .

(٢) في الأصل : « مطروحا » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، وهي أنسب بالسجعة .

* الوافي : ٣٢٦/٩ ، والتحفة : ٢٠٩/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٠ ، والدرر : ٣٩٦/١ ، والمنهل الصافي : ٩/٣ .

(٣) في الأصل : « النفاق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله[١] ، قال : حدثني جلال الدين محمد بن سليمان بن البيّع الموقّع عن الشهاب الرومي أن الأفرم حدَّثه أنه قال : كان يتردد إليّ وأنا بمصر فقير مغربيّ ، كان في القرافة الكبرى ، فقال لي يوماً : يا آقوش إذا صِرْتَ نائبَ الشام أيش تعطيني ؟ فقلت له : يا سيديّ ما أنا قَدْرُ هذا . فقال : لا بدَّ لك من هذا . أيش تعطيني ؟ فقلت : يا سيدي الذي تقول . فقال : تتصدق بألفي درهم عند السيدة نفيسة ، وبألف درهم عند الشافعي . فقلت : يا سيديّ بسم الله . فضحك ، وقال : ما أظنك إلاّ تنساها ، وما تعود تذكرها إلاّ إذا جئت هارباً إلى مصر . قال : فوالله لقد جَعَلْتُ كلام الْمَغْرِبيّ مُمَثَّلاً[٢] بين عينيّ حتى وُلِّيت النيابة ، فأنسانيه الله ، ثم ما ذكرته حتى دخلتُ نوبةَ غازان مصرَ هارباً ، فبينما أنا أسير هارباً[٣] إذ مررت بمكان الفقير ، فذكَرْتُ قَوْلَه ، فأحضرت على الفور الدراهم ، وتصدقت بها .

وكان قد نُقِلَ الأفرم إلى الشام قبل النيابة ، وأقام بها مدة طويلة في مجالس أُنْس ولهو وطرب ، يغشى الناس ويَغْشَوْنَه . ولَمّا كانت أيام العادل كَتْبُغا ، وتقدَّم حسام الدين لاجين ، وصار نائب مصر ، اشتدَّ عضد الأفرم به ، لأنها كانا ابني خالة[٤] ، فلما تسلطن لاجين كان الأفرم بدمشق فطلبه ، وجعله حاجباً ، وبقي بمصر مدة على ذلك ، يبيت[٥] ويصبح بقلعة الجبل . ولما كان يوم الخميس وهو اليوم الذي قُتل فيه لاجين عشيةً ، نزل الأفرمُ تلك الليلة ، وبات في القاهرة في داره ، وهي دار الشريف ابن ثعلب[٦] ، وبات بها هو والأمير شرف الدين حسين بن جندر بك[٧] .

(١) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن يحيى الدين بن فضل الله ، (ت ٧٧٧ هـ) .

(٢) (أ) : « متمثّلاً » .

(٣) (أ) ، (ق) : « أسير في القرافة » .

(٤) في الأصل : « ابنا » .

(٥) في الوافي : « يبيت عنده » .

(٦) هو حصن الدين ثعلب ، ممن ثاروا على الظاهر بيبرس أيام ملكه ، ونادى بالسلطنة لنفسه . البيان والإعراب للمقريزي ص ١٠ .

(٧) في الوافي : « حيدر بك » تصحيف ، وستأتي ترجمته .

أخبرني من لفظه الأمير شرف الدين حسين بن جندربك . قال : بينا نحن تلك الليلة وإذا بالباب يُطرق وقائل يقول : خَلّوا الأمير يكلِّم السلطان ، وآخر في آخر في الحث في طلبه . فهمَّ الأفرم بفتح الباب ، فقلت له : تأنَّ على نفسك ، فخاطري قد حدَّثني بأمر ، وأخشى على السلطان من أمرٍ حدث ، فانتبه لنفسه ، وقال : ما العمل ؟ قلت : تحيَّل على مَنْ يخرج إلى السوق ، ويكشف الخبر . فدلَّينا مملوكاً من السطح ، فما لبث أن عاد إلينا بالخبر ، فخرجنا على حميّة ، وركبنا وطلعنا إلى خيل[1] الأفرم ، وكانت خارج البلد ، [فأخذنا الخيل][2] وانعزلنا إلى القلوبيّة ، واجتمع عليه مماليكه وأصحابه واللاّجينية ، ونشر أعلامه ، ودقَّ طبلخاناته ، وبقي يتنقل حول بركة الحجّاج[3] إلى عكرشة إلى المرج إلى ما دون بُلْبَيْس وهو على غاية الحذر ، إلى أن ترددت الرسل بينه وبين أمراء القلعة ، وتأكدت الأيمان بينهم ، فهمَّ بالطلوع إلى القلعة ، ثم إنه ردَّ من الثغرة[4] ، وفلَّ أكثر من كان معه ، وكاد يؤخذ ، فأتى الله بالأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، والأمراء المجرَّدين بحلب ، فانضمَّ إليه الأفرم ، وكان معه إلى أن قتل كُرْجي وطُغْجي[5] ، وتقرر[6] الأمر على طلب السلطان الملك الناصر من الكرك بإجماع رأي سبعة من الأمراء ، كان الأفرم سادسهم ، فتَصْدُر الكتب بخطوط السبعة والأفرم السادس ، ولما حضر السلطان واستقرت دولته بعثه إلى دمشق كالحافظ لها ، فوصل إليها على البريد في ثاني عشري جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وحكم فيها بغير تقليد مدة . انتهى ، أو كما قال .

ثم إن الأفرم سعى لها سَعْيَها ، فجاء تقليده بنيابة دمشق ، وكان هو والجاشنكير متظاهرين لِما يجمعهما من البرجيّة .

(١) في الأصل : « على جبل » تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « الحاج » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « الثغر » .
(٥) وهما شقيقان . انظر : تحفة ذوي الألباب : ١٨٤/٢ ، وستأتي ترجمة ثانيهما في موضعها .
(٦) في الوافي : « وتقدَّر » .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال حدَّثني والدي ، قال : دخلت يوماً على الأفرم وهو في بقية حديث [يتشكى][1] فيه من افتئات سَلاّر والجاشنكير[2] وما هما فيه ، ثم التفتَ إليّ وقال : يا فلان ! والله هذا بيبرس ، لَمّا كُنّا في البرج كان يخدمني ويحكّ رجليّ في الحمام ، ويصبّ الماء عليّ ، وإذا رآني والله ما يقعد إلاّ إذا قلت له : اقعد . وأمّا سَلاّر فما هو منّا ولا له قدر ، أيش اعمل في دمشق ؟ والله لولا هذا القصر الأبلق والميدان الأخضر ، وهذا النهر المليح ما خلّيتهم يفرحون بملك بمصر .

وكان الأفرم يقول : لما توجَّه الناصر إلى الكرك : والله عملوا نحساً ، كان ابن أستاذنا وهم حوله أصلح .

ولم يزل على هذا حتى تحتَّم الأمر ، وخاف القتل ، وانصرف إلى الجاشنكير .

ولما كانت كَسْرة المسلمين ، وجرى من أهل كسروان ما جرى على العساكر أثَّر ذلك في قلبه ، ولما عاد واستقرت الأمور توجه إليهم بنفسه ، ونازلهم[3] ولم يحصل على طائل ، ووصلت الأراجيف بأحاديث التتار ، فعاد عنهم ، ولما قضى الله تعالى بالنصر في واقعة شقحب جعل كسروان دأبه ، وكتب إلى نائب طرابلس ونائب صفد ، وجمعوا الرجال وأحاطوا بالجبل من كل ناحية ، فأظهره الله عليهم وظفَّره الله بهم ، وكتبَ كُتُبَ البشائر بذلك ، وأحسنُ ما وقع فيها كتاب الشيخ كمال[4] الدين محمود بن الزملكاني لأنه افتتحه بقوله تعالى : ﴿ ويَسْألونَكَ عَنِ الجبالِ فَقُل يَنسِفُها رَبِّي نَسْفاً ﴾[5] .

---

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « سلاّر وبيبرس » .

(٣) (أ) : « وحاصرهم » .

(٤) (أ) : « جمال » ، سهو .

(٥) سورة طه : ١٠٥/٢٠ .

ومُدح الأفرم في هذه الواقعة بعدة مدائح جمعها شمس الدين الطيّبي هي وكثيراً مما كتب في هذه الواقعة ، وسمّاها (واقعة كسروان) ، وزاد تمكن الأفرم في نيابة دمشق إلى أن كان يكتب تواقيع بوظائف كبيرة ، ويبعثها إلى مصر ؛ ليُعلِّمَ السلطان عليها .

وكتبتْ في دمشق عن السلطان بالإشارة[١] العالية الأميريّة الكافلية الجماليّة « كافل الشام أعَزَّها الله تعالى » . وشكا إليه ضوء بن صباح أحد قصّاد الخدمة أن جامكيّته نقصت فقال : مَنْ فعل ذلك ؟ فقال : ابن سعيد الدولة . وكان ابن سعيد الدولة إذ ذاك مشير الدولة وجليس السلطان ، ومكان ثقته ، ولا يُعَلّم الملك المظفر على شيء حتى يكتبَ عليه ابن سعيد الدولة : « يحتاج إلى الخطّ الشريف » ، فكتب الأفرم إلى ابن سعيد الدولة هكذا ابتداء : « وَالك يابن سعيد الدولة ! ما أنتَ إلاّ ابنُ تعيس الدولة ، وصَلْتَ أنك تقطع جوامك القصّاد الذين هم عَيْنُ الإسلام ، ومن هذا وشبهه ، والله إن عُدْتَ تَعَرَّضْتَ إلى أحد من الشام بعثت إلى من يقطع[٢] رأسك ، ويجيء به في مِخْلاة » ، وجهّز به مملوكاً من مماليكه على البريد قصداً ، وأمره أن يعطيه الكِتاب في وسط المحفل ، ويقول له من نسبة ما في الكتاب ، ففعل ذلك ، فدخل إلى السلطان ، وأراه الكتاب فقرأه ، ثم أطرق زماناً ، وقال له : أرضِ الأفرم ، وإلا أنا والله بالبراءة منك ، والله إن عمل معك شيئاً ما نقدر ننفعك !

ولم يزل على حاله إلى أن حضر السلطان الملك الناصر من الكرك ، وقفز الأمراء إليه ، وبقي الأفرم في دمشق وحده ، فهرب هو والأمير علاء الدين بن صبح إلى شقيف بيروت[٣] ، ثم إن السلطان آمنه فحضر إلى دمشق فأكرمه وأقره على نيابة الشام في الركوب[٤] والوقوف والخدمة ، وقراءة القصص ، وسافر معه إلى مصر على حاله ،

(١) في الأصل : « بإشارته » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « بعثت مَنْ يقطع » .
(٣) كذا في الأصول وتحفة ذوي الألباب ، وفي الوافي : « أرنون » ، وهي قلعة مشهورة في جنوب لبنان .
(٤) (أ) ، (ق) ، والوافي : « في الركوب والنزول » .

ولَمّا استقر جلوس السلطان على كرسيّ الملك أعطى الأفرم صرخد على عادة العادل كتبغا ، وأخرج سلاّر إلى الشوبك .

ونقل إلى السلطان أن الأفرم وسلاّر يتراسلان فولّى الأفرم نيابة طرابلس ، وقال له : لا تدخل دمشق ، خشية أن تنشب أظافره فيها ، ويقوم أهلها معه محبة فيه ، فتوجَّه إلى طرابلس على مشاريق مرج دمشق في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، وأقام بطرابلس وهو على وَجَل ، ويخرج كل ليلة بعد العشاء هو ومن يثق إليه[١] من دار السلطنة[٢] إلى مكان ينامون فيه بالنوبة وخيلهم معهم ، وربما هوَّموا[٣] على ظهور الخيل .

ثم إنه أتاه مملوك كان له في مصر ، وقال له : السلطان رسم لك بنيابة حلب ، ورسم لك أن تروح إلى مصر لتلبس تشريفك وتأخذ تقليدك وتعود ، فطار خوفاً ، وكان في مرج[٤] ، فأتاه في الحال مملوك صهره أيدمر الزَّرْدَكاش يعرِّفه أنه مأخوذ ، ويحرِّضه على الخروج ، فخرج في الحال .

أخبرني القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، حكى لي عماد الدين إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين الرومي أن الأفرم ما خرج إلى مرج لاجين ، إلاّ بنيّة الهروب . قال : وكنت عنده قبل خروجه إلى المرج المذكور يوماً ، فبينما نحن قعود نأكل إذ جاء إليه مملوك من مماليك قراسنقر ، فسلَّم عليه ، ثم قعد يأكل معه حتى فرغنا ، وخرجت المماليك ، ولم يبق عنده أحد إلا جمدارية النوبة ، وأنا لا غير ، فتقدم إليه المملوك ، وقال له : أخوك يسلِّم عليك ، وقد بعث لك معي هدية ، فقال : وأين الكتاب ؟ قال : مامعي كتاب ، قال : فالمشافهة ؟ قال : مامعي مشافهة ؛ ولكن هدية لا غير .

---

(١) (أ) : « به » .

(٢) في الأصل : « السلطان » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) التهويم : هزُّ الرأس من النعاس .

(٤) كذا في الأصول والوافي ، ولعلّه (مرج حسين) . انظر : معجم البلدان : ٥/١٠٠ .

فقال : هاتها ، فأخرج خرقة وحلَّها ، وناوله تفاحة ، ثم ناوله بعدها مئزراً أسود ، ثم ناوله[١] بعدها نصفيّة ، هكذا على الترتيب ، ثم خرج ، فقال له : اقعد ، فقال : ما معي دستور أن أقعد بعد إيصال الهدية ، فوجم الأفرم ، وسارَّه في أذنه ، وأعطاه نفقة ، وسفّرَهُ لوقته . فلما خرج قال لي : أتعرف أيش هي[٢] الهدية ؟ فقلت له : لا والله يا خوند ، لا يكثر الله له خيراً ، فقال : اسكت ، وَالك ، بعث يقول : إن كنت تريد تشمّ[٣] هَواء[٤] الدنيا مثل ما تشمّ هذه التفاحة فأته في الليل الذي هو مثل هذا المئزر ، وإلاّ فهذه النصفيّة مثل[٥] كفنك . قال : فعجبت لسرعة فطنة الأفرم لقصده وما رمز عليه .

وخرج الأفرم ولاقاه الزَّردكاش ، وسارا معاً ، وعبر الأفرم على مرج الأسل وبه العسكر المصري مجرداً لمنعه من اللحاق بقراسنقر ، فلما أشرف على المرج رأى العسكر قال : شدّوا لي حَماماً ، وكان حصاناً له يعتمد عليه ، فركبه وعليه كبرٌ أطْلَس أحمر وكوفية ، ورمحه بيده ، ثم قال للثّقل يكاسرون ويعبرون ، فلما عبروا لم يتعرض إليهم أحد ، ثم أمر الطلب أن يدخل مفرقاً ، وقال : لأن هؤلاء إذا دخلوا عليهم وما أنا فيهم ظنوا أنني في الصيد ، وما القصد إلاّ أنا ، فما يعارضونهم لئلاّ أجفل أنا ، وكان الأمر كما قال ، لأنهم عَبَروا عليهم مرتين ، ولم يتعرضوا إليهم ، ولما تَعدَّوهم أقبل هو وحده ، وشقَّ العساكر ، ولم يفطن له أحد ، ولا عُرف أنه الأفرم . ولما خرجوا من المضيق اجتمعوا ، ورفع العصابة فوق رأسه وسار ولم يتبعه أحد ، ولما قرب من قراسنقر ما اجتمعا إلاّ بعد مُراسلات عديدة وأيمان ومواثيق ، لأن الأفرم تخيَّل في نفسه أن

---

(١) في الأصل : « ناولها » سهو .
(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « هي هذه » .
(٣) (أ) ، (ق) : « أنك تشم » ، وفي الوافي : « أن تشمّ » .
(٤) في الأصل : « هذه » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٥) ليست في (أ) ، (ق) ، والوافي .

قراسنقر عمل هذه الفعلة مكيدة عليه[١] ، وكان[٢] حزماً منه . ولما اجتمعا سارا في البرية وقصدا مهنا بن عيسى ، وكان قراسنقر قد ترامى إلى مهنا ، وترامى الأفرم إلى أخيه محمد .

وحكى لي القاضي شهاب الدين ، قال : حكى لي سنجر البيروتي ، وكان أكبر مماليك الأفرم ، قال : لما فارقنا البلاد التفتَ الأفرم إلى بلاد الشام ، وأنشد :

سيذكُرُني قومي إذا جَدَّ جدّهُم وفي اللَّيلةِ الظَّلماءُ يُفتَقَدُ البَدرُ[٣]

وبكى فقال له قراسنقر : روح بلا فُشار ، تبكي عليهم ولا يبكون علينا[٤] . فقال والله ما بي إلاّ فراق موسى ولدي ، فقال له : أيّ بغّاية بصقْتَ في رحمها جاء منه[٥] موسى وعلي وخليل ، وعدّة أسماء . قال : ولم ندخل ميافارقين إلاّ وقد أملق ونفد ما كان يقوم به إلاّ قراسنقر ، وألجأتنا الضرورة إلى أني كنت أحطب ، والأفرم ينفخ النار ، والمماليك تنام[٦] هنا وهنا ، ما فيهم مَن يرحمه ، ولا مَن ينفخ النار عنه ، فيقول لي : والك ياسنجر تُبصِر ؟! فأقول له : أبصرت ، فيتنهد وتتغرغر عيناه بالدموع ، فلما وصلنا إلى بيوت سوتاي أضافنا ضيافة عظيمة ، ونصب لنا خيمة كبيرة كان كسبها من المسلمين أيام غازان وعليها ألقاب السلطان الملك الناصر . فلما قام الأفرم ليتوضأ قال لي : والك ياسنجر ، كيف نعاند القدرة ، ونحن في هذا المكان ، وقد خرجنا من بلاده ، وهو فوق رؤوسنا ، وإذا كان الله قد رفعه ، كيف نقدر نحن نضعه . قال سنجر : ومن حين دخلنا إلى بيوت سوتاي عاد إليه ناموس الإمرة ، ومشت المماليك

---

(١) في الوافي : « للقبض عليه » .

(٢) (أ) ، (ق) : « وكان ذلك » .

(٣) هو لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ١٤٥ . من قصيدته المشهورة : « أراك عصيّ الدمع » .

(٤) في المنهل : « امش بلا فشار تبكي عليهم ولا يبكون عليك » .

(٥) في الوافي : « منها » .

(٦) في الوافي : « نيام » .

معه على العادة ، وأُجْري علينا من الرواتب ما لم نحتج معه إلى شيء آخر ، ولم يزل[١] كذلك حتى وصلنا الأُردو فازداد إكرامنا وتوالى الإنعام علينا .

وركب خَرْبندا يوماً ودار حتى انتهى إلينا ، فوقف ، وخرج له الأفرم وضرب له جوكاً[٢] وقدم له خيلاً بسروجها ولجمها وأشياء أُخر ، فقبلها ، واستدعى بشراب فشرب منه ، وأمسك له أياق[٣] ، فضرب الأفرم له جوكاً وشربه ، فأمر له بخمسين ثوباً[٤] ، فقبضناها من خواجا علي شاه[٥] ، ثم أعطاه هَمَذان ، فتوجهنا[٦] إليها وأقام بها ، وقصدته الفداويّة مرّات ، ولم يظفروا به ، وقفز عليه واحد منهم مرة ، والأفرم قاعد وقدّامه بيطار ينعل له فرساً ، فأمسكه بيده وضمّه إلى إبطه ، ولم يزل كذلك حتى أخذناه وقرره ثم قتله .

قال : وأحضر الأطباء فملؤوا فمي زيتاً وأعطوني محاجم ، وبقيت أمص الجرح ، ثم إنهم عالجوه وبرئ ولم يمت إلا حتف أنفه بهمذان .

وحصل له في سنة أربع عشرة وسبع مئة فالج وهو بهمذان .

قلت : وكان الأفرم ذا قوة ونجدة ، يقاوم في الحروب بعدة ، وما تمتع [أحد][٧] بالقصر الأبلق كما تمتع ، ولا ثبت له للهو كما ثبت له[٨] وما تتعتع ، وكان مغرى بحب الصيد لا يكاد يملُّه ، يطلع الهلال فيه ويبدر ويستهله ، وكانت له خيول تُشد للكرِّ ،

---

(١) في الوافي : « نزل » .

(٢) الجوك : الركوع والجلوس على الركبتين ، وهي عادة المغول في حضرة ملوكهم .

(٣) لم نقف على مدلولها .

(٤) كذا في الأصل ، وفي الوافي ، وتحفة ذوي الألباب : « تومان » ، و « التومان » فرقة من الجيش يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل . وهذا بعيد ، والأظن أنها ضرب من النقد كما يدل عليه السياق .

(٥) ابن أبي بكر التبريزي ، وستأتي ترجمته .

(٦) (أ) : « فتوجّه » .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٨) ليست في (أ) ، (ق) .

وخيول تُشد للقَنَص ، وهو من هذا السرج إلى هذا السرج يعدُّ ذلك من الفرص ، وكانت أيامه ممتزقة في الصيود ، والقنص بالجوارح [١] والكلاب والفهود ، ومع هذا لا يخلُّ بالجلوس للأحكام ، والتصدي لمصالح الإسلام ، وقضاء حوائج الناس ، وإغاثة ذوي اللهفات والعُدْم والياس ، وتحصين الحصون ، ومَلْء [٢] كل ثغر بما يحتاج إليه من الحاصل المصون ، وترتيب رجاله ، وتفقد أحواله ، وإدرار النفقات عليهم ، ووصول الإنعامات إليهم ، وادِّخار السلاح ، وما يحتاج إليه من زرديّات [٣] وقِسيّ وجروخ [٤] ورماح . ولا يزال يتفقد هذا بنفسه ، ويتوكل بأمره في يومه كما كان في أمسه . وقصّاده لا تزال في بلاد العدو ، فرقة داخلين وفرقة خارجين ، وبريد [٥] يخفق إلى باب السلطان بحركات العدوّ إن كانوا متحركين أو ساكنين . إلا أنه كان يسمع كلام كل قائل [٦] ، ويميل إلى مَن لم يكن بطائل ، ويبقى أثر ذلك في قلبه كامناً ، إلا أنه لا يرتب تحريك أذى يكون ساكناً .

وكان واسع السماط ، كثير الانشراح عليه والانبساط ، يتخرق ريحه كَرَماً ، ويضيء جوده للسائرين ضرماً ، لكنه قليل العطاء ، ليس لبخل عنده ، ولا لإمساك يوري زنده ، ولكن لضيق ذات يَدِهِ ، وعُدْمِ حاصل يضطرب جوده في إنفاق مَدَدِه . قال لي مَن اطَّلع على أمره : إنه أكثر ما ملك سبعة آلاف دينار ، وكان خيِّراً عديم الشَّر والأذى ، لا يحب أن يرى في عين أحد قذى ، لا يؤثر الظلم ، ولا يفارق حِمَى الأناة والْحُلْم ، ما سفك دماً إلا بالشرع ، ولا غلّب أصل مأثمة على فرع .

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « ووصل » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وفي الوافي : « وسدّ » .

(٣) في الوافي : « زردخانات » ، وهو المكان المخصص لحفظ السلاح والعتاد الحربي ، وقد يطلق على السلاح نفسه .

(٤) جمع جرخ ، عربي ، يطلق على آلة حربية تستعمل لرمي السهام والنفط والحجارة .

(٥) (أ) : « وبريده » .

(٦) في الأصل : « عاقل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

ونادم في دمشق الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وبدر الدين بن العطار ، والملك الكامل ، وغيرهم من المطابيع الأفاضل والرؤساء الأماثل ، وأحبه أهل دمشق ، ونقشوا رنكه على أطرزتهم وآلاتهم ، واستعملوه في جميع حالاتهم .

ونظم فيه الشعراء ، ومن أحسن ما جاء فيه قول الشيخ نجم الدين هاشم البعلبكي الشافعي :

سيوفٌ سَقاها مِن دِماءِ عُداتِه ... وأقسَمَ عن وِرْدِ الرَّدى لا يَردّها
وأبرَزَها في أبيضٍ مثلَ كَفِّه ... على أخضَرٍ مثلَ المِسَنِّ يحدُّها[1]

وكان رَنْكُه غاية في الظرف ، وهو دائرة بيضاء ، يشقها شطب أخضر ، عليه سيف أحمر ، يمر من البياض الذي فوق إلى البياض الذي تحت على الشطب الأخضر . وقيل : إن النساء الخواطي وغيرهن كُنَّ ينقشنه حتى على معاصمهنّ وفروجهنّ .

ولم يزل على حاله في همذان داخل البلاد إلى أن جاءه الأمر الذي لا يرد قدومه ، والخطب الذي لا يصد عن القطع قدومه .

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ بهمدان بعد العشرين وسبع مئة[2] ، ودفن بها .

وعَمَّر الجامع الذي بالصالحية قبالة الناصرية ، والتربة التي إلى جانبه . وجدَّد جامع التَّوبة الذي بالعقيبة .

ولما كان بصرخد ، كتب إليه الشيخ صدر الدين بن الوكيل قرين فاكهة جهزها وحلوى :

أيا جيرةً بالقصرِ كانَ لهُم مَغْنَى ... رَحَلتُم فعادَ القصرُ لفظاً بلا مَعنى
وأظْلَمَ لَمّا غابَ نورُ جمالِه ... وقد كانَ من شمسِ الضُّحى نورهُ أسْنى

(١) المنهل الصافي : ١٤/٣ .
(٢) في المنهل : « توفي بالفالج في سنة عشرين وسبع مئة ، وقبل سنة ست عشرة وسبع مئة » .

فلا تَحسَبوا أنَّ الدِّيارَ وحُسنَها زمانكُم لا والذي أذهبَ الحسنى[١]
لقد كانتِ الدُّنيا بكُم في غضارةٍ ونعْمَى فأعْمى اللهُ عيناً أصابَتْنا
ولا رَقَّت الآصالُ إلاّ صبابةً ولا حَرَّكَت ريحُ الصَّبا طرباً غُصنا
يَعِزُّ عليهم بُعد داريَ عنهُم وقد كنتُ منها «قابَ قَوسَين أو أدْنى»
وأنّي أُلاقي ما لَقيتُ منَ الذي لقلبيَ قد أصْمى وجسمي قد أضنى[٢]
لقد كنتُم يا جيرةَ الحيِّ رحمةً أياديكُمُ تَمحو الإساءةَ بالْحُسنى

فجاءته الأبيات والهدية صحبة قاصده ، وقد خرج إلى الصيد ، فقال للخزندار : كم معك ؟ قال : ألف درهم[٣] ، فقال : هذا القدر ما يكفي الشيخ صدر الدين ، يا صبيان أقرضوني حوائصكم[٤] ، فأخذ من مماليكه عشرين حياصة وجهّزها قرينَ الدراهم ، وقال لقاصده : سلِّم على الشيخ وقُل له :

على قدرِ الكِسَا مدَّيتُ رجليّ وإنْ طالَ الكِسَا مدَّيت زادَه[٥]

ولم ينتفع بعده أحدٌ بالقصر الأبلق ، لأنّه سكنه مدَّة نيابته ، وهي تقارب الأربع عشرة سنة ، وبعده سكنه قراسنقر أربعة أشهر ، وخرج منه أقبح خروج ، وسكنه كراي مدّة يسيرة وأُمسك منه ، وسكنه نائب الكرك دون السنة وعُزل . وأمّا تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ فما سكنه ولا بات فيه . وأمّا الفخري فنزل فيه ، فجرى له[٦] ما جرى . وأمّا طقزتمر فخرج منه في ليلة عجيبة لَمّا بلغته وفاة صهره الملك الصالح ، وبعد قليل عُزل . وأمّا يلبغا اليحيوي فمنه خرج إلى قبّته في المرّة الثانية ، ومنها هرب ، وجرى له ما جرى ، وأمّا أرغون شاه فمنه أُخرِج وذُبح .

(١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وطيبها » .
(٢) (أ) : « قد أظمأ » ، تحريف .
(٣) في الوافي : « دينار » ، سهو .
(٤) ما يشدّ على الخصر .
(٥) الخبر مختصراً في المنهل : ١١/٣ـ١٢ .
(٦) (أ) ، (ق) : « عليه » .

٣٠٧ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين المنصوري ، المعروف بقتّال السبع .

بقي إلى أن عاد السلطان الملك الناصر من الكرك ، وهو أمير كبير ، وعظيم بالبأس والنجدة شهير ، أملاكه موفورة ، ومماليكه[1] تضاهي شموس الأفق وبدوره ، وله الحمّام التي عند حوض ابن هنّس في الشارع ، وانتقلت إلى ملك الأمير سيف الدين قوصون أخيراً .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه الحمام فما أطاق ردَّه قَتّال السبع ، وبطش به غرب المنيّة وهو نبع .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة ، في تاسع عشري رجب الفرد ، وكان أمير علم .

٣٠٨ ـ آقوش**

جمال الدين البَيْسَري ، أحد الأجناد بطرابلس ، كان له شعر ومُلَح ، ونوادر وفق المقترح ، رأى الأكابر وقاسى أهوال الزمان وهو صابر ، وقارب المئة وهو برمح واحد ، وصحب الدهر فما خانه في المدة إلى أن لحدَهُ اللاّحد .

وتوفي رحمه الله تعالى ... وسبعمئة[2] .

قال رأيت في النوم مَنْ أنشدني :

لما بَدا كقضيبِ البانِ مُنعطِفاً ... وكانَ يُشْتَمُّ ريحُ المسكِ مِنْ فيهِ

---

* الوافي : ٣٢٥/٩ ، والدرر : ٣٩٩/١ ، والمنهل الصافي : ٢٦/٣ .

(١) (أ) ، (ق) : « أملاك ... ومماليك » .

** الوافي : ٣٣٩/٩ ، والدرر : ٣٩٨/١ ، والمنهل الصافي : ٣١/٣ .

(٢) كذا في النسخ ، وفي المنهل : « توفي رحمه الله في سنة تسع وتسعين وست مئة » .

فقلتُ يـا لائمـاتي انظرْنَ واحـدةً «فـذلكُنَّ الـذي لُمْتُنَّني فيـهِ»[١]

قال فحفظتها ، ونظمت :

لامَتْ نسـاءُ زَرُودٍ في هـوى قَمَر كلُّ الملاحـة جـزءٌ من معـانيـه
وقلنَ لَمّـا تَبَـدَّى ليسَ ذا بشراً فقلتُ : هـذا الـذي لُمْتُنَّني فيـهِ[٢]

وقال ما كتبَ على قبقاب :

كنتَ غُصنـاً بينَ الرِّيـاضِ رَطيبـاً مـائسَ العطفِ من غنـاءِ الحمـام[٣]
صرتُ أحكي رؤوسَ أعـداك في الـذُّلِّ أبرُغْمي أُداسُ بـالأقْـدامِ[٤]

وقال :

خَـودٌ من التّرك ذاتُ وَجْـهٍ كالبَـدرِ في هـالـةِ الكمـال
جـاءَتْ بكيسٍ بغيرِ يـاء تَطلُبُ زُبْـداً بغيرِ دالِ[٥]

٣٠٩ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين الرسمتي .

كان خبيراً كافياً ، عارفاً بالسياسات وافياً[٦] ، له بأس ونجدة ، وفي أخلاقه زعـارةٌ

(١) في البيت اقتباس من سورة يوسف ، الآية : (٣٢) .
(٢) في الأصل : « بشرٌ » . والأبيات في المنهل .
(٣) (أ) ، والدرر : « نضيراً » . وفي المنهل : « بين الأنام » .
(٤) في المنهل : « برغم » .
(٥) جاء بعد هذين البيتين في (أ) مانصّه :
وقال :
أفدي صبيّاً غدا في الترب مضجعه وفيـه لـذَّ لجفني الـدمـعُ والسهرُ
تحكي نجـومَ السما أزهـار تربتـه لأن طلعتـه تحتَ الثَّرى قمَرُ
* الدرر : ٣٩٨/١ .
(٦) في الأصل : « واقياً » ، تصحيف .

وحِدَّة ، وولي شدَّ الدواوين بدمشق ، فضاق منه عَطَن الكتّاب ، وبطّل منهم جماعة ، وانفصل غير واحد منهم وتاب ، وحصَّل أموالاً واستفاد أحوالاً . ثم إنه عُزل وولي والي الولاة بالصفقة القبلية ، فمهَّد البلاد ، وأخذ بثأر الطارف والتِّلاد ، وقمع أهل العدوان والفساد ، وأصلح الرعايا فسساد .

وكانت ولايته بعد الشريفي ، فخمل به ذِكْرُه ، وبطل بذلك حمدُه وشكره .

ولم يزل إلى أن قشَّ الفناء آقوش ، وطفئ نور وجهه بعدما كان كالدينار المنقوش .

ووفاته رحمه الله تعالى في يوم الأحد ثامن عشري جمادى الأولى سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بتربة الشيخ رسلان[١] .

٣١٠ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين نائب البيرة[٢] ، نُقل إليها بعد موت الأمير شرف الدين موسى أمير حاجب .

وكان الأمير جمال الدين [أمير][٣] حاجب بحلب ، فلما توفي موسى المذكور في نيابة البيرة جُهِّز الأمير جمال الدين إليها ، وجُعل الأمير ناصر الدين محمد[٤] بن شهري أمير حاجب مكانه ، أظنه توجَّه إلى البيرة في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وسبع مئة ، فأقام بها قليلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ست وخمسين وسبع مئة .

وكان المذكور من مماليك الأمير سيف الدين سُودي نائب حلب .

---

(١) على مقربة من الباب الشرقي لدمشق .

* الدرر : ١/٤٠٠

(٢) من نواحي حلب . وليست التي في الأندلس .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) ، (خ) .

٣١١ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين الرَّحبي ـ بالراء والحاء المهملة والباء الموحدة ـ المنصوري .

تولَّى مدينة دمشق أكثر من إحدى عشرة سنة ، كان مشكور السيرة ، خيِّر السريرة ، سَهْلَ الانقياد ، لا يزال من الخير في ازدياد ، طالت مدته في ولاية دمشق وكلٌّ يحبّه ، وإذا رأى عليه سوءاً[١] يدفعه بجهده ويَجُبُّه ، قلَّ أن هتك ستراً ، أو رأى شدة تطول إلاّ جعلها بسياسته بتراً[٢] .

ولم يزل على حاله إلى أن نُقل الرحبي إلى رحبة[٣] القبور ، ودعا أهله بالويل والثبور .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

وكان قد عزله السلطان الملك الناصر لما توجَّه من دمشق إلى مصر سنة تسع وسبع مئة ؛ لأنه خرج هو والأمير سيف الدين أقجبا المُشِد[٤] ليودِّعا السلطان ، فغابا ليلة ، ولما عاد الرحبي أدركه شرف الدين قيران بن الرستمي[٥] متولياً دمشق مكانه فعاد الرحبي ، ولحق السلطان ، وغاب أياماً ، وعاد إلى مكانه واليَ المدينة [وذلك][٦] دون العشرة أيام ، وفرح به أهل دمشق ، وتلقوه بالشموع .

وأمسكه تنكز في ذي الحجة[٧] سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وصادره ولم يعزله .

---

* الدرر : ٤٠٠/١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٦

(١) في الأصل : « سواء » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « تبرا » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) (ت ٧١٠ هـ) ، الدرر : ٣٩٣/١ .

(٥) ستأتي ترجمته .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٧) (أ) ، (ق) : « ذي القعدة » .

ثم إنه في صفر سنة تسع عشرة ، عاشر الشهر ، رتّبه تنكز في شد الدواوين عوضاً عن فخر الدين أياس الشمسي[١] ، فأقام إلى الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

وتوفي في التاريخ ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة .

وهو من قرية من قرى إربل ، وسبي منها وبيع[٢] ، فأقام بالرحبة مدة ، وانتقل إلى بيت المنصور .

٣١٢ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين الكنْجي ، بالكاف والنون الساكنة وبعدها جيم .

كان من الأمراء أولي الدربة ، والعارفين بما يجلّي الكربة ، قد ألف سياسة الباطنية ، ويعلم مالهم في أمورهم من ظاهر ونيّة ، يعيّن لكل مهمّ رجلاً يعرفه ، ويُنفذه في ذلك الشغل ويصرفه ، وحصّل من الأموال ما يكاثر الأمواه ، وأذهل العقول حتى سدّ الأفواه .

ولم يزل على حاله حتى قفز الفداويّ الذي لم يُخْطِه ، وخرج إليه كما يقال من تحت إبطه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

وكان في هذه النيابة بصياف من الأيام الظاهرية ، وعزل منها مرات ، ويعود إليها ، ولعله بلغ من العمر تسعين سنة .

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) (أ) : « وأبيع » .

* الدرر : ٣٩٩/١ .

٣١٣ ـ آقوش بن عبد الله*

جمال الدين الشّبليّ[١] الشافعي .

سمع من ابن عبد الدايم ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

٣١٤ ـ آقوش**

الأمير جمال الدين الأشرفي نائب الكرك .

ولاّه الملك الناصر بعد مجيئه من الكرك نيابةَ دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين كراي المنصوري في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، فأقام قليلاً دون السنة ، وعزله بالأمير سيف الدين تنكز ، وتوجَّه إلى مصر ، وأمسكه الملك الناصر ، وبقي في الاعتقال إلى أن أفرج عنه في شهر رجب سنة خمس عشرة وسبع مئة .

كان معظماً إلى الغاية ، يجلس رأس الميمنة ، ويقوم له السلطان ميزة له عن غيره . وكان لا يلبس مُفَرَّكاً ، ولا مَصْقولاً ، ويتوجه إلى الحمّام بنفسه وهو حامل الطاسة والمئزر ، ويقلب عليه الماءَ ، ويخرج وحدَه من غير بابا[٢] ولا مملوك . فاتفق أن رآه بعضُ من يعرفه ، فأخذ الحجر ، وحكَّ رجليه وغسَّله بالسِّدر ، ولم يكلِّمه كلمة واحدة ، ولما خرج وتوجَّه إلى داره طلَبَه وقتله ، وقال : أنا مالي مملوك ، وما عندي غلام ، ما لي بابيّة ، حتى تتجرّا أنت عليّ .

---

* الوافي : ٣٤٠/٩ ، والدرر : ٣٩٩/١ ، والمنهل الصافي : ٣٠/٣ .

(١) في الأصل : « الشملي » ، وفي الدرر : « الشبكي » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

** الوافي : ٣٣٦/٩ ، والتحفة : ٢٢٦/٢ ، والدرر : ٣٩٥/١ ، والمنهل الصافي : ٢٧/٣ .

(٢) خادم الحمّام .

وعمَّر جامعاً ظاهر الحسينية ، وكان إذا توجَّه إليه عرف الناس خُلُقَه ، فلا يدخل معه أحد من مماليكه ، ويخرج قَوَمَةٌ[١] الجامع ، ولم يبق معه أحد ، ويدوّر هو الجامعَ وحده ، ويتفقده ، ويبصر إن كان تحت الحُصُر تراب ، أو في القناديل تراب ، فأيّ خلل رآه أحضر القيّم وضربه . فلما كان في بعض الأيام وهو بمفرده في الجامع المذكور ، لم يشعر إلاّ وجُنْدِيّ من أكراد الحُسينية قد بسط سُفْرةً وقصعة لبن ورقاق في وسطها ، وقال : بسم الله . فالتفت إليه وقال : من أعلمك بمكاني أو دَلَّك علي ؟ فقال : والله لا أحد . فطلب مماليكه ، وأكل ذلك وأمر له بمبلغ ست مئة درهم .

فاتفق أن [أتاه][٢] كرديٌّ آخر في الجامع بعد ذلك الوقت بمثل ذلك ، فرماه ، وضربه ست مئة عصاً ، وكان قد اتخذ له صورةَ معبدٍ في الجبل الأحمر يتوجَّه إليه وينفرد فيه وحده يومين وأكثر ، وأقل ، ورُبَّما واعَدَ الغلام أن يأتي إليه بالمركوب في وقت ، ثم إنّه يبدو له فيأخذ ذيله على كتفه ، ويدخل القاهرة إلى بيته ماشياً .

وولاَّه السلطان الملك الناصر نظر البيمارستان المنصوري ، فكان يدخل بعض الأوقات إلى المجانين ، ويُدخلهم الحمّام ، ويكسوهم قماشاً جديداً ، وأحضر لهم يوما جماعة من الجوالقية ، فغنوا لهم بالكف ، ورقص المجانين .

وكان يبرّ المباشرين الذين به بالذهب من عنده ، ويطلع في الليل قبل التسبيح المأذنة ، ويتفقد المؤذنين ، وكان للبيمارستان به صورة عظيمة ، وأملاكه محترمة لا يُرمى على سكانها شيء من جهة الدولة ولا يتعرض لهم أحد بأذيّة .

أخرجه السلطان في أول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في شهر ربيع الآخر وصل إلى دمشق متوجِّهاً[٣] إلى نيابة طرابلس ، فحضر إليها ، وأقام بها مدة ، وبالغ في طلب

(١) في الوافي : « قوّام » .
(٢) زيادة من المنهل .
(٣) قوله : « وصل ... متوجهاً » ليس في (أ) .

الإقالة ، وأن يكون مقيماً بالقدس ، فرُسم له بالحضور إلى دمشق ، وخرج الأمير سيف الدين تنكز ، وتلقاه ، وعمل له سماطاً في دار السعادة ، ودخل ليأكل ، وحضر الأمراء فأمسكه على السماط ، وأُودع في قلعة دمشق معتقلاً ، فأقام بها يسيراً . ثم إنه جهز إلى صفد ، وحبس بها في برج ، فدخل إليه بعض أهلها ، وقال : ياخوند ! ما تلبث[1] إلاّ يسيراً ، وتَخْرُج منه ، لأنك دخلت في برج منقلب ، فلما كان بعد أيام أخرجوه منه إلى غزة ، فقال : لأي شيء ؟ فقالوا : ياخوند ! البرج قد انشق ، ونخاف أن يقع عليك ، فقال : صدق[2] القائل ، كان البرج يَنقلب عليّ .

وكانت له أشياء غريبة ، فيما يوقّع على القصص بقلمه ؛ كتب إليه إنسان وهو بدمشق : المملوك يسأل الحضور بين يدي مولانا ملك الأمراء لينهي ضرورته ، فوقّع على جانبها[3] : الاجتماع مقدَّر .

وكتب إليه بعض من كان بها مليحاً يطلب إقطاعاً ، فكتب له عليها : مَنْ كان يومه بخمسين وليلته بمئة ماله حاجة[4] بالجندية .

وكتب إليه إنسان وهو بالكرك : إن هؤلاء الصبيان قد كثرت أذيتهم للمملوك . فوقّع له : إن لم تصبر على أذى أولادهم ، وإلاّ فاخرج من بلادهم .

ووقّع لآخر ، وكان قد جرت له كائنة في الليل : قد أحصيناك ، وإن عدت إلى مثلها أخصيناك .

وقال للأمير سيف الدين تنكز لَمّا أمسكه : أمّا أنا فقد أُمسكت ، ولكن خذ أنت حذرك منه .

---

(١) (أ) ، (ق) : « تلبث هنا » .

(٢) (أ) ، (ق) : « صدق ذلك » .

(٣) (أ) : « فوقّع عليها » . والخبر في المنهل .

(٤) (أ) : « أيش يعمل » . والخبر في المنهل .

وأقام في قلعة صفد يسيراً ، ثم إنه رُسِمَ بتجهيزه إلى الإسكندرية ، فأقام بها قليلاً .

وكان في رأسه سِلْعة[١] ، فطلب قطعها ، وشاوروا السلطان على قطعها ، فرسم له بذلك ، فقطعوها ، فمات رحمه الله تعالى في الاعتقال بالإسكندرية سنة ست وثلاثين وسبع مئة فيما أظن .

وكان يضرب الألْفَ عصا وأكثر ، مات ، تحت ضَرْبِه جماعة منهم بارداردار من بارداريـة السلطان[٢] رآه وهو يسير برّا باب اللوق ، وقد شتم سقّاء كان عنده وشتم أستاذه ، فأمسكه وأحضره إلى البيت وضربه أكثر من ألف عصا ، وقال : والك أنت والسقاء تخاصمتما ، أنا أيش كنت في الوسط ؟! وكانت هذه الواقعة إحدى الذنوب التي عدَّها السلطان عليه .

ومنها أنه قتل جارية السلطان امرأة بكتمر الحاجب بسبب الميراث ، لأن ابنته كانت زوجة بكتمر أيضاً ، فضربها ست مئة عصا . وأشياء غير ذلك .

إلاّ أنه كان زائد الكرم والسماح ، تُقصر عن مباراته في ذلك هُوج الرياح .

كان السماط الذي يمده في بيته في العيد نظيرَ سماط السلطان ، وربما يكون أصلف وألذ وأطيب[٣] وأظرف . وإذا جُرد في مهمّ من الريدانية لا يعرف جنديه يشتري طعاماً ولا عَليقاً ، ولا يدري كل يوم إلاّ وقد صُرف له ما يكفيه من ذلك إلى أن يعود إلى الريدانية تعليقاً ، وإذا مات لجنديه فرس [حمل][٤] كفله إلى مطبخه ، فيصرف له من ديوانه ست مئة درهم ، وقد صار ذلك عادة لا يشاور عليها ، ولا يشار إليها ،

---

(١) أي غَدّة .

(٢) البردار : من يكون في خدمة مباشري الديوان .
وفي المنهل : « بازدار » وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده .

(٣) (أ) ، (ق) : « أطعم » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

حتى إن بعضهم تكون فرسه بمئتي درهم ، فيذبحه ، ويأخذ ذلك المبلغ ، وكان في نيابة الكرك من سنة تسعين وست مئة إلى سنة تسع وسبع مئة وله بها آثار حسنة .

٣١٥ ـ أكرم*

القاضي كريم الدين الصغير ناظِرُ الدولة بالديار المصرية .

كان في الجيش أولاً ، ولما بقي خاله القاضي كريم الدين الكبير ناظر الخاص تولّى هو نظر الدولة . وكان يحبُّ الكاتب الأمين ، ويزيد معلومه وينقله إلى وظيفة أكبر من التي يباشرها ، وكان يحضر مجلس خاله كريم الدين الكبير فيكون واقفاً يرفع رجلاً ويضع أخرى ، وقد يكون في ذلك المجلس جالساً من لا يمكنه الجلوس في دسته ، وإذا كان في مجلسه هابه الناس وعظّموه .

وحكى لي غير واحد أن أمراء العشرات وغيرهم من الأمراء يزدحمون في المشي قدّامه ، ويقعون زحاماً ، ويقال : إن الملك الناصر لَمّا كان في الكرك قال : أنا أعود إلى مكان يكون فيه أكرم الصغير يضرب الجند بالعصي[١] وأشفع فيهم ما يقبل شفاعتي ؟!

وكان يضرب الناس ضرباً سمّوه المقترح ، وهو أن[٢] تؤخذ يد الإنسان ويضرب من ورائه على أكتافه[٣] ، فإذا قعص[٤] ضربه آخر من قدّامه على صدره .

ولكنَّ عِفَّته عن مال السلطان مفرطة إلى الغاية ، وتشدُّده على من يخون عن[٥] خارج الحد .

---

* الوافي : ٣٤٥/٩ ، والدرر : ٤٠٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٣/٣ ، وفي الأصل : « إكريم » ، سهو .

(١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « بالدبابيس » . وكذا في المنهل .

(٢) في الأصل و (ق) : « وأن » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « على ألواح أكتافه » .

(٤) (أ) : « قصع »

(٥) في المنهل : « وتشدده على من يكون خارجاً عن الحد » .

حكى لي أنه جاء إليه الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، وهو في الوجاهة والعظمة عند السلطان ما هو ، فقام لتلقّيه ، وجلس بين يديه ، وقال : ارسم يا خوند ! قال : هذا الكاتب صاحبي ، فشفّعني فيه ، واستخدِمْهُ في الوظيفة الفلانية ، فقال : السمع والطاعة ، كم في هذه الوظيفة في كل شهر ؟ قال ذلك الكاتب : مئة وخمسون درهماً ، وثلاثة أرادب قمحاً ، فقال لصيرفي عنده : اصرف لهذا في كل شهر مئة وخمسين درهماً ، ويجيء إلى الشونة[1] في كل شهر ، ويأخذ هذه الأرادب . فقال الكاتب : ما أريد إلا هذه الوظيفة ، فقال كريم الدين : حتى تعلم يا خوند أنه لصّ ، وما يريد المعلوم ما يريد[2] إلاّ السرقة ، فاستحيا الأمير ومضى .

ولَمّا أُمسك كريم الدين أُمسك كريم الدين الصغير ، وكاد العوام والناس يقتلونه ، وأثبت القضاة فيه محاضر ، منها ما هو بالكفر ، ومنها ما هو بقتل النفوس ، فرأى السلطان أنه ذاهب لا محالة ، فقال : إذا قتل هذا ممن آخذ أنا مالي ؟ اصبروا إلى أن نأخذ مالنا منه ، وتَسَلَّموه أنتم . ثم إن السلطان سلَّمه إلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي[3] ، وبقي عنده مُدَيدة ، ثم إنه أخرجه إلى صفد ناظراً ، فجاء إليها في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وضبطها ، وحصَّل أموالها ، ثم إنه ورد المرسوم بإمساكه فأُمسك ، وضُربت الحوطة على موجوده ، ثم طلب إلى مصر وذلك في سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ثم إنه جُهز إلى دمشق ناظراً عوضاً عن الصاحب شمس الدين ، فوصل إليها في ثالث عشري شوال من السنة ، فكرهه الأمير سيف الدين تنكز أول حضوره لِمَا كان يبلغه عنه ، ولما باشر عنده ، ورأى عِفَّته وتنفيذه وحُسْنَ مباشرته أحبَّه ومال إليه ميلاً كلّياً . ثم إنه طُلب إلى مصر فخافه أعداؤه ، وعملوا عليه ، وبَطّلوا ما كان تقرَّر في أمره ، ورموه بكل داهية ، فأقام في بيته بطّالاً .

(١) هي مستودع الغلال .

(٢) قوله : « المعلوم ما يريد » ، ليس في (أ) .

(٣) ستأتي ترجمته .

وخرج عليه ليلة وهو خارج من الحمام جماعةٌ بسيوف ليقتلوه ، فداسهم بفرسه ، وضرب بدبّوسه إلى أن خلص منهم بكتفه وهو بمفرده ، ثم عملوا عليه ، فرُسم له بالتوجّه إلى أُسوان ، وجُهز في البحر ، فأُغرق فِرْعَوْنُه في اليم ، وخُسف عُمْرُ بدره في التم ، وكان ذلك في أواخر سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وكان مدبِّراً مصرِّفاً مجمّلاً للمناصب مشرفاً ، كاتباً ضابطاً ، مقسطاً لا قاسطاً ، ذا مهابة وسطوة ، ورفعة عند الملوك وحظوة ، شديد الانتقام ، تصحُّ بمباشرته الأسقام ، وتتوفر السهام والأقسام ، ويريح قلب السلطان بمرض الأقلام والأجسام ، لا يحابي أحداً ولا يحاشيه ، ولا يراعي مَنْ هو من ألزامه أو حواشيه ، يود الكاتب الخائن أن يرى ملك الموت ولا يراه ، ويود أن يموت جوعاً ولا يُعمل إليه سَيْرَهُ ولا سُراه ، إذا هزّ عاملاً قلت : هذا كميّ هزّ عاملاً ، وإذا طلب ناظراً[1] أنكرَتْه علائمه ، أو مستوفياً لم تحمله من الحساب قوائمه .

وفيه قلت من قصيدة :

فأكرِم بديوانٍ بهِ قد تَثَمَّرت ... بأوراقِهِ غَلاّته ودراهمه
وأكرِم بهِ يوماً إذا هزَّ عاملاً ... تخورُ لهُ عندَ الحسابِ قوائمه[2]

وكان طعامه نظيفاً فاخراً شهياً ، ومرأى أوانيه في كل أوان بهياً ، إلاّ أنه لم يكن في بذخ خاله ، ولا تميز حاله ، فإن ذاك في عداد الملوك ، ولبس كل ما يلبس من الوشي المحوك .

وكنت قد كتبت إليه وهو بصفد :

عساكَ ترقُّ ياظبيَ الصَّريمِ ... على صبٍّ منَ البَلوى سقيم
وجدتُ هدى على نارٍ تبدَّت ... بطورِ حشايَ من قلبيَ الكَليم

(١) في الأصل : « عاملاً ناظراً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « وأعظم به » .

فإنْ أشكُ الغرامَ نفرتَ عُجباً ... فكيفَ تميلُ معَ مَرِّ النَّسيم
وخطَّ عذارك المسكيُّ لاماً ... بكهفِ الخدِّ يبدو كالرَّقيم
فذاكَ اخضرَّ لما احمرَّ هذا ... فأبصَرنا نعيماً في جحيم
وأعجبُ كيفَ يبسمُ فيكَ ثغرٌ ... ثَنايَاهُ منَ الدُّرِّ اليتيم[1]
وهَبْ أنَّ القَضيبَ حكاكَ قدّاً ... فهل للغُصنِ مثلكَ جيدُ ريم
ولكن مثلَ ما حَكتِ الغوادي ... كريمَ الدِّينِ في الفَضلِ العميم
فَتى فاقَ الورى قَدْراً وفَضلاً ... وأينَ اللَّيثُ من ظبي الصَّريم
ودبَّر مُلْكَ مِصْرٍ فازدَهاها ... وأسفرَها عنِ الوَجهِ الوسيم
وحاطَ يراعُه شاماً ومِصراً ... فكانَ على صِراطٍ مُستقيم
تُصرِّفُ كَفُّه رِزْقَ البرايا ... بأمرِ الخالقِ الرَّبِّ الرَّحيم
إذا رَسَمَتْ أناملُه سُطوراً ... تحارُ لذلكَ الدُّرِّ النَّظيم
فأينَ ابنُ العَميدِ إذا رآهُ ... يخطُّ بنانهُ وابن العديم
وأينَ كَفاءَةَ الوزراءِ منهُ ... إذا ما قامَ في الأمرِ العظيم
لهُ بأسٌ تخافُ الأُسْدُ منهُ ... ولُطفٌ ليسَ يُعْهَدُ من حليم
أيا مَن سادَ أهلَ الأرضِ طُرّاً ... وأحيا مَيّتَ الجودِ الرَّميم
لَقَدْ وحشْتَ مصرَ وساكنيها ... فما تفترُّ عن ثغرٍ بسيم
ستدخلُها وأنتَ قريرُ عينٍ ... فتَلفيها على العَهْدِ القَديم
وتَطلعُ في دُجاها بدرَ تمٍّ ... فَتَجْلو ظُلْمَةَ اللَّيلِ البَهيم
أتيتُكَ إذْ سَبَرْتُ النّاسَ طُرّاً ... فلَمْ أرَ غيرَ ذي نظرٍ سَقيم
وليسَ لِما أرومُ سِواكَ كَفْوٌ ... لأنَّ الدَّهرَ قَدْ أضحى غريمي
وقُلتُ لمقصَدي أبْشِرْ بنُجْحٍ ... إذا كانَ القُدومُ على كريم
وحَسْبيَ الْمَدح فيكَ عُلوَّ شانٍ ... وفَخْراً بينَ غادٍ أو مُقيم
فلا بَرِحَتْ بكَ الأيامُ تُزهى ... ونحنُ ببرد ظلِّكَ في نعيم

(١) (أ) ، (ق) : « منك » .

☆ **ابن الأكفاني** : شمس الدين الطبيب ، محمد بن إبراهيم .

٣١٦ ـ الأكُز*

بضمِّ الكاف وإشباعها لتُنْشئ واواً ، ثم زاي ، الأمير سيف الدين الناصري .

كان أولاً جَمْداراً[١] ، وأمَّره أستاذه ، وكان يتحقق أمانته ، فجعله مُشدّ الدواوين ، فعملَ الشَّد أعظمُ من الوزارة ، وتنوَّع في عذاب المصادَرين وغيرهم ، وضربهم بالمقارع ، وأحمى لهم الطاسات وألبسهم إياها ، وأحمى الدسوت ، وأجلسهم عليها ، وضرب الأوتاد في آذانهم ، ودقَّ القصب تحت أظافرهم[٢] ، وبالغ وشدَّد .

وجاء لولو غلام فَنْدش الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في حرف اللام ، وأقامه السلطان معه مُشِدّ الجهات ، واتفقا على عقاب الناس ، وجمع الله منهما[٣] بين الْحَجَّاج والطاعون ، واستخرجا الأموال ، وأزهقا النفوس ، وتضاعف البلاء ، وعمَّ الأذى ، وزاد الشقاء في أيامهما ، وسكنت روعة[٤] الأكُز في القلوب ، وكان الكاتب يدخل إليه ميتاً ، ويخرج ميتاً .

ولم يزل كذلك إلى أن لطف الله بالناس ، وقدَّر أنه غضب على لولو المذكور ، فأخذ العصا بيده ، وضربه إلى أن هرب قدّامه ، وهو خلفه إلى أن وصل إلى باب القلعة ، ونزل شاشُه في رقبته ، فراح لولو إلى القاضي شرف الدين النشّو ناظر الخاص ، ودخل عليه وعلى قوصون ، وبذل المال ، واتَّفق أن كان الغلاء في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، فقال السلطان : يا الأكُز لا تدع أحداً يبيع الأردبّ بأكثر من ثلاثين درهماً ، وانزل إلى شُوَن الأمراء وألزمهم بذلك .

---

* الوافي : ٣٤٨/٩ ، والدرر : ٤٠٤/١ ، والمنهل الصافي : ٣٥/٣ .

(١) الجمدار : هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير . (صبح الأعشى) .

(٢) الصحيح في جمع الظفر : أظفار .

(٣) في الأصل : « بينهما » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) في المنهل : « رعبة » .

فأول ما نزل إلى شونة الأمير سيف الدين قوصون ، وأمسك السمسار الذي له ، وضربه بالمقارع ، وأخرق بالأستادار ، فطلع إلى قوصون ، وشكا حاله إليه ، فطلبه ، وأنكر عليه ذلك ، فأساء عليه الرَّد ، فدخل إلى السلطان ، فأخرق السلطان بقوصون ، فأكمنها قوصون[١] للأكُز ، وعمل عليه باتفاق النشّو ، ولم يَزالا عليه إلى أن غضب عليه السلطان ورماه قدّامه ، وضربه بالعِصيّ[٢] ، ورسم عليه أياماً ، ثم إنه أخرجه إلى دمشق في شوال سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

حكى لي القاضي ضياء الدين يوسف بن الخطيب[٣] محتسب القاهرة قبل إمساك الأكُز بأربعة أشهر أو ما يقاربها أنَّ بعض المشايخ حدَّثه أنه رأى النَّبي ﷺ في النوم وهو جالس في صدر الإيوان والسلطانَ واقفاً[٤] أمامه على رأس الدرج وهو ينكر عليه ، ويقول له : ما هؤلاء الظَّلَمة الذين أقمتهم ، فقال : يا رسول الله من هم ؟ ثم توجَّه وغاب قليلاً ، وأتى بالأكُز ، فقال : اذبحه ، فاتكاه وذبحه ، فقال له : خلِّه الآن . فما كان بعد أربعة أشهر حتى جرى له ما جرى .

وكانت أيامه أيام سَخَط ومحنة ما أسعد من أبعد منزله عن مصر وشحط ، قد تنوع في الظلم والجور ، وتطوَّر في القساوة والجبروت طوراً بعد طور ، وبسط العذاب على الكتّاب ، وأخذ الصالح بالطالح والبريء بالمرتاب .

وقطع جماعةٌ أشجار غيطانهم ، وخربوا ما عُمِّر[٥] من حيطانهم هرباً من الخراج الذي قُرِّر في تلك الأيام على الثمار ، وجباه الظَّلَمة من باعة الأزهار ، ولكن الله لطف ، وما جرى الظلم شوطاً حتى قَطَف ، ولا لوى العدل جيده ، وأعرض حتى عطف .

---

(١) في الأصل : « بقوصون » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « بالعصا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٣) يعني ابن خطيب بيت الآبار ، وستأتي ترجمته .
(٤) (أ) : « واقف » ، ولها وجه .
(٥) (أ) : « عمّروا » .

ولما وصل الأكُز إلى دمشق أقام بها دون السنة ، وكَزَ الموت الأكُز ولكز ، ونكره العيش لَمّا ساوره أفعوان الْحَيْن ونكز[١] ، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين[٢] وسبع مئة فيما أظن .

وكانت مدة مباشرته في القاهرة أكثر من سنتين .

٣١٧ ـ أَلْبكّي*

الأمير فارس ، أحد مقدّمي الألوف بالديار المصرية ، أظنه ابن أخي الأمير الكبير سيف الدين آلِملك الآتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

أظنه ورد إلى غزة نائباً بعد الأمير سيف الدين دِلَنْجي[٣] في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة . وتوجَّه بعسكر غزّة إلى صفد لما كانت العساكر الشامية بصفد في[٤] حصار نائبها أحمد الساقي .

ولما أُمسك المذكور عاد هو إلى غزة ، وأقام بها إلى أن عُزل بالأمير سيف الدين أرغون الإسماعيلي[٥] في العشر الأوسط سنة[٦] اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وتوجَّه إلى مصر ، وأقام بها أمير مئة مقدم ألف ، وحضر صحبة الأمير سيف الدين طاز إلى حلب في واقعة بيبغاروس ، وهو الذي حضر معه[٧] ألطنبغا برناق نائب صفد ، والأمير علاء الدين ألطنبغا مشدّ الشرابخاناه ، والأمير سيف الدين شادي أخو أحمد الساقي

---

(١) أي لسعه .

(٢) في الأصل : « وأربعين » ، سهو .

* الوافي : ٣٥٢/٩ ، والدرر : ٤٠٥/١ ، وقد خَلَت من ترجمته (ق) .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) (خ) ، (ق) « على » .

(٥) (أ) : « أرغون شاه الإسماعيلي » .

(٦) (أ) ، (خ) : « من سنة » .

(٧) (أ) ، (خ) : « ومعه » .

والأمير سيف الدين أسنبغا الرسولي ، وسيف الدين أسن بك بن خليل الطرقي ومهدي مشد حلب ؛ لأنهم جُهِّزوا معه من حلب إلى دمشق ، واعتقلوا في القلعة إلى أن وُسِّطوا بسوق الخيل في دمشق .

وعاد الأمير سيف الدين ألبكي صحبة السلطان الملك الصالح إلى الديار المصرية ، وأقام بها على الإمرة والتقدمة إلى أن وصل الخبر بوفاته في مصر إلى دمشق في أواخر شوال سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٣١٨ ـ أَلْبَكي*

بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف وياء اخر الحروف .

الأمير فارس الدين الظاهري ، من كبار الأمراء وشجعانهم .

كان في السجن ، ويطلبه الملك المنصور ، ويتحدث معه ، ويعيده إلى السجن ، ثم أخرجه وولاَّه نيابة صفد ، فأقام نحواً من عشرة أعوام .

وكان كلَّما ركب ونزل حلَّ الجمدار شاشه ، وفتحه وتركه ، فإذا أراد الركوب لفَّ هو شاشه بيده مرة واحدة .

وكان مليحَ الشكل ، ليس في وجهه شعر . وكان الأمير سيف الدين بلبان الساقي من أمراء صفد يهيم فيه عشقاً ، ويموت صبابة ووجداً ، وكان كثير الآداب .

حكى لي عنه شيخنا الإمام الخطيب نجم الدين حسن بن الكمال الصفدي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الحاء رئاسة كثيرة وحشمة زائدة . وكان يحادثه ويسامره إلى نصف الليل . قال : ولم أره بلا خفّ قطّ ، ولم يُبْدِ رجله ولا مدَّها ولا كشفها .

---

* الوافي : ٣٥١/٩ ، والدرر : ٤٠٤/١ ، والمنهل الصافي : ٣٧/٣ ، وعقد الجمان : ٢٩١/٤ .

ولَمّا غضب الأشرف بن قلاوون على حسام الدين لاجين وهو على عكا جهزه إلى صفد ليُعْتَقَل بالقلعة ، فأخذ المقرعة الأمير فارس الدين وضربه على كتفه وقال له : ما تمشي إلاّ خواتيني ، وأخذ خوجةً كانت معه وطرطوراً ضمن بقجة ، وضرب الدهر ضرباته ، وجلس حسام الدين لاجين على كرسي المُلك ، ولَمّا تمّ له الأمر سيَّر إلى الأمير فارس الدين يقول له : احتفظ بالبقجة والجوخة والطرطور[1] ، ففرَّ من حمص وهرب مع الأمير سيف الدين قَبْجَق ـ على ما يأتي في ترجمته هناك ـ ومعهما بَكْتَمُر السلاح دار ، وتوجهوا إلى قازان لما بلغهم إسلامه فتلقاهم بالإكرام ، وبالغ في الإحسان إليهم وزوج الأمير فارس بأخته ، وكان يحكي عنها لما حضر إلى الشام : هي مثل هذه الشمس ، ولما عاد قازان تأخروا عنه ، وأُعطي الأمير فارس الدين نيابة حمص .

وكان وَجْهُه من الشَّعْر خالياً ، وبالمحاسن حاليا ، كأنّه طلعة القمر إذا سفر الظلام ، ولبس حلة الكمال والتمام ، خيِّراً وادِعاً ، ساكناً بالحق رادعاً ، لطيف الحركات يتجنب مواقع الهلكات ، قريباً من الناس [للخير][2] رقيباً نجيباً في أفعاله الغريبة ، ينقاد إليها مع الإخلاص جنيباً ، معروفاً بالشجاعة والثبات ، موصوفاً بالفروسية في الكرِّ والفرِّ والالتفات ، أعظمه القان قازان ، وبهره عقله الذي زان ، وقيامه بآداب المغول ، وسياستهم التي يغتال العقول منها غول ، فقرَّبه لَمّا جرَّبَه ، وردَّ به الخطب حين دَرَّبَه ، وزوَّجه بالخاتون أخته ، وزاد فيما خصَّه به من محاسن رختـه ، وأفرط في دنوِّه حتى كاد يجلسه على تخته .

ولم يزل بحمص على نيابته حتى نزل به ما لا يُسمع معه مُشتكى ، وقَرَّح الجفون على ألبكي بالبُكا .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة اثنتين وسبع مئة .

---

(١) الخبر مختصراً في المنهل .

(٢) زيادة من : (أ) ، (ق) .

٣١٩ ـ ألجاي*

الأمير سيف الدين الأبو بكري .

كان أحد الأمراء بدمشق ، يسكن بدار الأعسر .

فيه خير وصلاح ، وجهاد في رضى الله تعالى ؛ إلا أنه لا يحتاج فيه إلى سلاح . يتردد إلى الجامع ماشياً بفَرْدِ مملوك ، ويلازم الصلاة فيه بكرة وعشيّاً ووقت الدلوك ، هذا مع تواضع يزينه ، ويحسِّنه ولا يشينه .

ولم يزل على هذه الطريقة ، والسبيل التي هي مجاز[١] إلى الحقيقة إلى أن ألجي ألجاي إلى الدخول في مَنْ غبر ، فأصبح وقد طاب [مبتدا][٢] ذكره والخبر .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي قبله ولده بقليل .

وكان شاباً حسناً ، فذاق فقده ، ورأى الموت بعينه بعده .

٣٢٠ ـ ألجاي**

الأمير سيف الدين الدوادار الناصري .

كان دواداراً صغيراً مع أرسلان المقدم ذكره . ولما توفي استقلَّ ألجاي بالدوادارية .

وكان شاباً طويلاً ، ظريف الحركة هزيلاً تعلوه شقرة ، ولونه يضرب إلى حُمرة ، وكان طويل الروح لا يغضب ، وإن غضب فعلى نفسه ، ولا يواجه إلاّ بما

---

* الدرر : ٤٠٥/١ .

(١) (أ) : « مجازه » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الوافي : ٣٥٣/٩ ، والدرر : ٤٠٥/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩/٣ .

أحبَّ ، مع عفَّة وديانة ، وخبرة تامة وصيانة ، وكان عارفاً بأخلاق أستاذه الناصر ، تُعْقَد على دُرْبَته وآدابه الخناصر .

وثق إليه السلطان كثيراً ، وأحلَّه من قلبه مكاناً أثيراً ، ويكتب خطّاً من أين للروض طلاوته ، أو للوشي رقمه وإجادته ، وله فضائل ، وعنده من العلم مسائل . لازمه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي كثيراً ، وكان يُلزمه بالمبيت عنده في القلعة ؛ ليكون له سميراً[١] .

وبقي زماناً لا يؤثر الطبلخاناه مدة تزيد على العشرة أعوام[٢] خوفاً من إخراجه من بيت السلطان . ولما كان قبل موته بسنتين أو ثلاث أعطي طبلخاناه ، واقتنى كتباً نفيسة إلى الغاية ، وعَمَّر له داراً في الشارع ، تأنق في بوّابتها ولم يكمل عمارة[٣] الدار . ولما مرض بالقلعة طلب النزول إلى داره ليُمرَّض[٤] فيها ، فلامه أصحابه وأخصّاؤه ، فقال : أنا أعْرَفُ بِخُلُق أستاذي قد يريد[٥] أن يولي الدوادارية غيري ، فنزل إليها ، وأقام بها مدة يسيرة ، وفرغ عمره ، وتمَّ نهيه في الدولة وأمره .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شهر رجب الفرد سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وكانت جنازته حافلة . ووقع خلاف في وفاته بين الأمير صلاح الدين الدوادار[٦] والقاضي شرف الدين بن الشهاب محمود كاتب السر ، فقلت أنا : تُقْرَأ نصيبة قَبْرِه ، فقال القاضي شرف الدين : هذا نقش في حجر ، فنظمت أنا ذلك وقلت :

أخالِفُ قوماً جادَلوني بباطِلٍ ... مَتى ماتَ أُلجاي الدّوادار أَوْ غَبَرْ
وصَدَّقني فيهِ نصيبةُ قَبرِهِ ... وكانَ الذي قَد قُلْتُه النَّقْشُ في الحجرِ

(١) طمست في الأصل .
(٢) (أ) : « أيام » سهو .
(٣) ليست في (أ) .
(٤) في الوافي : « ليتمرّض » .
(٥) في الوافي : « قد يكون في خاطره » .
(٦) يوسف بن أسعد ، وستأتي ترجمته .

٣٢١ ـ ألتَمُر*

الأمير سيف الدين الأبو بكري . أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان شكله تامّاً وخَيْرُه عامّاً ، فيه سكون كثير ، وركون إلى الدعة مثير .

وكان له ولدان ، كأنهما فرقدان ، ففرَّق الموت منهم الشَّمل ، وفاضت الجفون عليهم[١] بالهَمْل .

وتوفي رحمه الله تعالى في أربع[٢] وأربعين وسبع مئة . ومات هو وولده الأكبر في دون الشهر .

٣٢٢ ـ أَلْدَمِر**

بالهمزة واللام الساكنة والدال المهملة المفتوحة والميم المكسورة وبعدها راء .

الأمير سيف الدين أحد أمراء القاهرة . أظنه كان مُقَدَّماً .

توجَّه إلى الحجاز ، فجرت تلك الفتنة في مكّة ، وقتل هو وولده وغيره . وحصل للسلطان لما بلغه [الخبر][٣] أذى عظيم[٤] ، قام له وقعد ، وبطل السماط ، وجرد من مصر ألفي فارس كل واحد بخوذة وجوشن ومئة فردة نشاب وفأس برَأسَيْن[٥] أحدهما للقطع ، والآخر للهَدِّ ، ومع كل فارس جملان وفرسان وهجين ، ورسم[٦] لمقدم الجيش

---

* الوافي : ٣٥٣/٩ ، والدرر : ٤٠٦/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨/٣ .

(١) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (خ) .

(٢) (أ) ، (خ) : « تعالى سنة » ، وفي (ق) : « في سنة » .

** الدرر : ٤٠٧/١ .

(٣) زيادة من : (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « عظيماً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « ورأس بفأسين » سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٦) (أ) : « ونصب » .

متى وصل إلى الينبع[١] وعدّاه لا يرفع رأسه إلى السماء بل إلى الأرض ، ويسفك الدماء من كل مَنْ يلقاه من العربان ، إلا مَنْ عَلِمَ أنه أمير عرب ، يقيده ويسجنه[٢] معه .

وجرَّد من دمشق ست مئة فارس على هذا الحكم . ومن أعجب ما مرَّ بي أن الناس تَحَدَّثوا وهم في صلاة العيد بالقاهرة بقتلة هذا ألدمر ، ولم يقتل هو ومن معه إلاّ بَعْدَ صلاةِ العصر يوم العيد سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكان أمير جاندار ، وأظنه زوَّج ابنَهُ بابنة قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وسيأتي ذكر ولده أمير علي في مكانه من حرف العين .

٣٢٣ ـ أَلْدَمِر*

الأمير سيف الدين المعروف بألدمر عبد الله أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

وكان قد توجَّه أمير الركب في سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، وتسخَّط بذلك كثيراً . ولما عاد أقام بدمشق .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، وأعطي خبزه للأمير ناصر الدين محمد بن الخطير[٣] .

٣٢٤ ـ أُلْجِيبُغا**

الأمير سيف الدين المظفَّري الخاصكيّ .

تقدَّم في أيام الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد . لم يكن عنده أحد في

---

(١) (أ) : « البقيع » .

(٢) في الأصل : « ويسحبه » ، تصحيف .

* الدرر : ٤٠٧/١ .

(٣) محمد بن مسعود بن أوحد ، وستأتي ترجمته .

** الوافي : ٣٥٥/٩ ، والدرر : ٤٠٦/١ ، وبدائع الزهور : ٥٣٤/١/١ ، والمنهل الصافي : ٤٤/٣ .

رتبته ، ولم يزل أثيلاً عنده أثيراً ، إلى أن جرى للمظفر ما جرى ، على ما سيأتي في ترجمته . وتولى السلطان الملك الناصر حسن ، فاستمر معظّماً .

وكان أحد أمراء المشْوَر[١] الذين تصدرُ عنهم الأوامر والنواهي إلى [أن][٢] وقع الاختلاف بين[٣] هؤلاء الأمراء ، فأُخرج إلى دمشق على إقطاع الأمير حسام الدين لاجين أمير آخور ، وطُلب[٤] أمير آخور إلى مصر ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

يقال : إنهم اختلفوا بعد إخراج أحمد الساقي إلى صفد ، فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : تخرجُ نائباً إلى[٥] طرابلس . فقال : إذا كان لابد من خروجي فأكون في حماة . فقالوا له : نعم . وألبسوه تشريفاً ، وخرج . ولَمّا كان في أثناء الطريق ألحقوه بمن قال له : تَروح إلى دمشق أميراً . فجاء إليها . ولم يزل بها على إمرته إلى أن حضر الأمير سيف الدين قُجا السلاح دار[٦] في أثناء شعبان سنة تسع وأربعين فأخذه وتوجَّه به إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير بدر الدين أمير[٧] مسعود بن الخطير ، فأقام بها نائباً إلى أوائل شهر ربيع الأول سنة خمسين وسبع مئة ، وورد كتابه على أرغون شاه نائب الشام ، ويقول فيه : أشتهي أن أتوجَّه إلى الناعم أتصيَّد به ، وما يمكنني ذلك إلاّ برسومك . فقال له : بسم الله . المكان مكانك .

فحضر إلى الناعم ، وأقام على بحرة حمص أياماً يتظاهر بالصيد ، ثم إنه ركب ذات ليلة[٨] بمن معه من العساكر ، وساق إلى خان لاجين ، ونزل به ، وأقام من الثانية في

(١) هو مجلس السلطنة يحضره أمراء المئين ، ويسمّون أرباب المشورة .
(٢) زيادة من (خ) ، (ق) والوافي .
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .
(٤) في المنهل : « وطلب لاجين إلى القاهرة » .
(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، والوافي .
(٦) ستأتي ترجمته .
(٧) ليست في (خ) . وفي المنهل : « الأمير بدر الدين الخطيري » .
(٨) (خ) ، (ق) : « في ليلة » .

النهار إلى أن اصفرَّت الشمس ، وركب بمن معه وجاء إلى أرغون شاه وهو مقيم في القصر الأبلق ، وجرى له[١] ما جرى على ما تقدَّم في ترجمة أرغون شاه .

ويقال : إنه ما وصل إلى سوق الخيل حتى قضى له الشغل الأمير فخر الدين أياز السلاح دار . ثم إنه لما انفجر الصبح نزل بالميدان الأخضر ، وطلب أمراء الشام ، وأخرج لهم كتاب السلطان ، وقال : هذا مرسوم السلطان بإمساك أرغون شاه ، فما شك أحد في ذلك ، واحتاط على أموال أرغون شاه وجواهره وجميع موجوده ، وذلك في يوم[٢] الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول .

ولما كان في يوم الجمعة بكرةً ظهر الخبر أن أرغون شاه ذَبح روحه .

وكان قد جهز بريداً إلى باب السلطان بإمساكه ، ومعه سيفه ، وأقام والأمراء في خدمته إلى يوم الثلاثاء ، فتحدث الأمراء فيما بينهم ؛ لأنه أراد أن ينفق فيهم ويحلفهم ، فأنكروا ذلك ، ولبسوا السلاح ، ووقفوا بسوق الخيل ، ولبس هو وجماعة من الجراكسة وفخر الدين أياز ومماليكه ، وخرجوا إلى العسكر ، وكانت النصرة لألجيبغا ، وقتل جماعة من أمراء[٣] الشاميين ، ورموا الأمير بدر الدين أمير مسعود والأمير سيف الدين طَيْدمر أمير حاجب عن الفرس إلى الأرض ، وقطعت يد الأمير سيف الدين ألجيبغا العادليّ ، على ما سيأتي ، وأخذ ألجيبغا الأموال والجواهر ، وخرج العصر من دمشق على المِزَّة ، وتوجَّه على البقاع إلى طرابلس ، وأقام بها ، فما كان بعد أيام إلاّ وقد جاءت الملطَّفات إلى أمراء الشام من باب السلطان بإنكار هذه القضية ، وأن هذا أمر لم نرسم به ولا لنا به علم فتجتهدوا في إمساك ألجيبغا وأستاذ داره تَمِر بغا[٤] وتجهيزهما والكِتاب الذي ادَّعى أنه منا ، وكتب بذلك إلى سائر نواب الشام ، فجردت

(١) (ق) ، (خ) : « له معه » .
(٢) (ق) ، (خ) : « نهار » .
(٣) (خ) ، (ق) : « جماعة » . وعبارة الوافي : « من عسكر الشام » .
(٤) ستأتي ترجمته .

العساكر إليه ، وربطوا الطرقات عليه ، وسدّوا عليه المنافس . فبلغه الخبر ، فخرج من طرابلس ، وخرج عسكر طرابلس خلفه إلى أن جاء إلى نهر الكلب عند بيروت ، فوجده موعّراً ، والعساكر عنده ، فوقف من الثانية في النهار إلى العصر ، وكرَّ راجعاً ، فوجد العسكر الطرابلسي خلفه ، فواقفوه . ولم يزل إلى أن كلَّ وملَّ وسلَّم نفسه ، فجاؤوا به إلى عسكر الشام .

وكان أياز قد تركه وانفرد عنه ، وقدم العسكر الشامي بالجيبغا ومعه أياز مقيدين ، واعتقلا بقلعة دمشق ، ثم إنهم جهزوا ألجيبغا مقيداً إلى باب السلطان صحبة الأمير سيف الدين باينجار[1] الحاجب ، فوصل من مصر يوم الأربعاء سيف الدين قُجا السلاح دار ، وعلى يده مرسوم السلطان بأن يُوَسَّط ألجيبغا وأياز في سوق الخيل بحضور العساكر ، ويُعَلَّقا على الخشب حتى يقعا من نتنهما[2] .

فلما كان يوم الخميس ركب العسكر الشامي جميعه والأمير شهاب الدين أحمد الساقي نائب صفد ، وأنزلوا ألجيبغا وأياز ، وعُلِّقت أشلاؤهما على الخشب بالحبال والبَكَر على وادي بردى بسوق الخيل ، وذلك في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مئة ، وتألم بعض الناس على ألْجَيْبُغا وتحقَّقوا أن أياز غَرّه وحسَّن له ذلك الفعل ، والله يعلم حقيقة الحال .

وكان ألْجَيْبغا شاباً غضّاً ، طريّاً في شبيبته بَضّاً ، يميس قدّه قضيباً ، ويميل من الصَّبا غصناً رطيباً ، ممشوق القوام ، مرموق الحسن على الدوام ، لَمّا بقل عذاره ، وطرَّ شاربه ، بدا في سماء الحسن كالبدر إذا حفَّت به كواكبه .

وكان عمره يوم وُسّط تسع عشرة سنة . فيا أسفا له كيف ما تورَّع عما فيه تورُّط ، ويا عجباً له في أول شبابه كيف توسَّط ، قدّ السيف أضلاعه قدّاً ، وألبس كافور جسمه

---

(١) ويقال له : بينجار ، وستأتي ترجمته .

(٢) الخبر مختصراً في المنهل .

برداً من عقيق دمه به تردَّى ، وعُفِّر جسده في الثرى ، وغسَّل بدموع جماعة من الورى ، وظهر له ثبات عند الممات ، وقوة جنان أصمت قلوب عداه بالصَّمات بخلاف أياز فإنه أظهر جزعاً شديداً ، وأعلن بالبكاء صوتاً مديداً .

وقلت أنا في ألجيبغا :

لما بغى ألجيبغا واعتلى ... إلى السهى في ذبح أرغون شاه
قبل انسلاخ الشهر في جلّق ... عُلِّق من عُرقوبه مثل شاه

٣٢٥ ـ ألجيبغا*

الأمير سيف الدين العادلي مملوك العادل كتبغا ، من جملة مقدَّمي الألوف والكبار بدمشق .

كان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ قد أحبَّه في آخر الأمر ، ومال إليه ، واختص به ، فلما أُمسك وحضر بُشتاك إلى دمشق أمسك ألجيبغا العادلي وطيبغا حاجي ، واعتقلهما بقلعة دمشق ، وأقاما في الاعتقال إلى أن مرض السلطان المرضة التي مات فيها فأفرج عنهما ، وأعيدت إليه الإمرة والتقدمة ، وبقي على حاله كبيراً مشيراً .

ولما كانت واقعة أرغون شاه وركوب العسكر لألجيبغا وقع الأمير سيف الدين ألجيبغا العادلي إلى الأرض عن فرسه ، وتعلَّق بالسرج ليركب ، فضربه بعض مماليك ألجيبغا بالطبر[1] أطار يده من نصف زنده .

ولما توجَّه العسكر إلى سنجار كان هو المقدم عليه . ولَمّا توجهت العساكر إلى صفد لمحاصرة أحمد كان هو المقدم عليها . ولَمّا توجَّه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي

---

* الدرر : ٤٠٦/١ ، والمنهل الصافي : ٤٧/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٤٧/١٤ .

(١) هو الفأس .

إلى جهة[١] مصر في واقعة بيبغاروس جعله في دمشق نائب الغيبة[٢] ، وأقام على حاله والملك الصالح في دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن مرض مرضة طوّل فيها ، وزاره الضيف الذي لا يُرد ، والقادم الذي إذا نزل بالملوك لا يُصدّ .

وكانت وفاته في العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وكان كبير الوجه ألحى ، يرى الناظر في محيّاه حُسْناً وملحاً ، طويل القامة ، عظيم الهامة ، له رغبة في اقتناء الخيول الثينة ، والمغالاة في أثمانها التي هي في الكثرة مكينة .

وله أرب في المتاجر ، ودأب في تحصيل المكاسب التي تبلغ فيها القلوب الحناجر .

يقال : إنه لَمّا توفي رحمه الله تعالى خلّف من جملة متاجره سُكراً قيمته ثمان مئة ألف درهم ، إلى غير ذلك من الأصناف .

٣٢٦ ـ أُلطُقُصْبا الناصري*

الأمير علم الدين من قدماء أمراء دمشق . أظنه من مماليك الناصر صاحب الشام .

روى عن سبط السِّلَفيّ .

كان شيخاً عاقلاً ، لا يُرى في القيام إلى الخير متثاقلاً ، ساكناً مهيباً ، عارفاً لبيباً ، أصابه زيار[٣] في ركبته ، وهو في حصار قلاع الأرمن سكّن حركاته ، وأزاره هلكاته ، فحمل إلى حلب ، ففارق فيها الحياة ، وبكاه حتى الغمام بدموع المياه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

(١) ليست في (خ) .

(٢) هو من يحلّ محلّ السلطان أو الأمير في أثناء غيابه .

* الوافي : ٣٦٠/٩ ، والمنهل الصافي : ٥٠/٣ .

(٣) هو اللولب والحبل الذي يجذب به المنجنيق حتى ينحطّ أعلاه ليُرْمى الحجر .

٣٢٧ ـ ألطنبغا*

الأمير علاء الدين الحاجب الناصري .

ولاّه أستاذه الملك الناصر محمد نيابة حلب بعد سَوْدي[١] ، وصل إليها في أوائل شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فعمل بها النيابة على أتمّ ما يكون من الدُّرْبة ، وأحسنِ ما يكون من المعرفة التي يغنَى بها عن الصمصامة والحرْبَة ، وعَمَّر بها جامعاً حَسَناً ، متفرداً بالطلاوة والسَّنا .

ولم يزل بها إلى أن أتى إليه الأمير سيف الدين أُلجاي الدوادار الناصري في المحرَّم سنة سبع وعشرين ، وتوجَّه به إلى مصر ، وورد إلى حلب الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، على ما مَرَّ في ترجمته ، وأقام بمصر في جملة الأمراء الكبار إلى أن مات أرغون ، فأعاده السلطان إلى حلب ثانياً[٢] نائباً ، وفرح به أهل حلب ، وصل إليها في أوائل جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ولم يزل بها إلى أن وقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، فطلبه[٣] السلطان إلى مصر ، فتوجَّه إليها ، وما أقبل السلطان عليه ، وبقي على باب الإصطبل والسلطان يُطْعِم الجوارح بالميدان ، ولم يستحضره حتى فرغ ، وبقي بعد ذلك مقيماً بالقلعة إلى أن حضر تنكز ، وخرج السلطان وتلقاه إلى سرياقوس وبير البيضاء ، على ما يأتي ذكره في ترجمة تنكز ، إن شاء الله تعالى . ولما استقرَّ تنكز بباب السلطان أُخرج الأمير علاء الدين ألطنبغا إلى غزة نائباً .

---

* الوافي : ٣٦١/٩ ، والتحفة : ٢٤٧/٢ ، والدرر : ٤٠٨/١ ، والمنهل الصافي : ٥٣/٣ .

(١) سودي بن عبد الله الناصري ، (ت ٧١٤ هـ) . (المنهل) .

(٢) ليست في (خ) والوافي .

(٣) في الأصل « فطالبه » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .

وبعد شهر ونصف خرج تنكز من مصر إلى الشام عائداً ، فلما قارب غزة تلقاه ألطنبغا ، وضرب له خاماً كبيراً ، وأنزله عنده ، وعمل له طعاماً ، فأكل منه ، وأحضر بناته له فتوجع له[١] ، وأقبل عليه لذلك ، وخلع عليه ، وتوجَّه إلى دمشق .

ولم يزل بغزة نائباً إلى أن أمسك السلطان تنكز ، فرسم لألطنبغا بنيابة الشام ، فحضر إليها يوم الاثنين سادس المحرم سنة إحدى وأربعين وسبع مئة[٢] . ودخلها والأمير سيف الدين بُشتاك والحاج أرقطاي وبَرْسْبُغا[٣] وبقية الأمراء الذين كانوا قد حضروا عقيب إمساك تنكز .

ولم يزل بدمشق نائباً إلى أن أُمسك السلطان المنصور أبو بكر ، وتولَّى الْمُلْكَ الأشرفُ كجك ، وتنفس الأمير سيف الدين طشتمر بسبب خلع المنصور ومحاصرة الناصر أحمد في الكرك ، فخافه قوصون ، وكان هو القائم بتلك الدولة ، فاستوحى الأميرُ ألطنبغا عليه ، وكان في نفس ألطنبغا من طشتمر ، فجرت بينهما مكاتبات ومراجعات ، وحمل ألطنبغا حظ نفسه عليه زائداً ، فتجهَّز إليه بالعساكر ، وخرج بعد صلاة الجمعة من الجامع في مطر عظيم إلى الغاية ، والناس يدعون عليه بعدم السلامة ؛ لأن عوام دمشق كرهوه كراهة[٤] زائدة ، وكانوا يسبونه في وجهه ، ويَدْعُون عليه ، ونشب سنان شَطْفَته[٥] من خلفه في بعض السقائف ، فانكسر ، فتفاءل له الناس بالشؤم . ولم يزل سائراً إلى سلميّة ، فورد عليه الخبر بأن طشتمر هرب من حلب ، فساق وراءه إلى حلب ، ونهب أمواله وحواصله وذخائره ، وفرقها على الأمراء والجند نفقةً ، وعند خ. وجه من دمشق حضر إليها الأمير سيف الدين قُطلوبغا الفخري ، وملكها ،

(١) عبارة الوافي : « فتوجع له تنكز » .

(٢) في المنهل : « ولي نيابة دمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة » .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) (ق) ، (خ) : « كراهية » .

(٥) الشطفة : شارة ملكيّة تُحمل كما يُحمل اللواء على رأس أمير الجيش .

وبرز إلى خان لاجين ، وقعد هناك بمن معه من العسكر المصري ، وتردَّدت الرُّسل بينه وبين ألطنبغا . ومال الفخري على قوصون ، ومال ألطنبغا إليه .

ولم يزل إلى أن حضر ألطنبغا بعسكر الشام وحلب وطرابلس في عُدّة تزيد على خمسة عشر ألف فارس . وتردَّد القضاة الأربع بينهما ، ووقف الصفان ، وطال الأمر ، وكره العسكر الذين معه مُنابذةَ الفخري ، وهلكوا جوعاً ، وألحَّ ألطنبغا ، وأصرَّ على عدم الخروج عن قوصون ، وأقاموا كذلك يومين . ولما كان بكرة النهار الثالث خامر جميعُ العساكر على ألطنبغا ، وتحيزوا إلى الفخري ، وبقي ألطنبغا والحاج أرقطاي والأمير عز الدين المرقبي[١] والأمير علاء الدين طَيْبغا القاسمي[٢] والأمير سيف الدين أسَنْبُغا بن الأبو بكري[٣] ، فعند ذلك أدار ألطنبغا رأس فرسه إلى مصر ، وتوجَّه هو والمذكورون[٤] على حميّة إلى مصر .

ولما قاربوها جهَّز دواداره قراتمر إلى قوصون يخبره بوصولهم ، فجهَّز إليهم تشاريف وخيولاً ، وبات على أنه يصبح فيركب لملتقاهم ، فأمسكه أمراء مصر ، وقيَّدوه ، وجهَّزوه إلى إسكندرية ، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته ، وسيَّروا تلقَّوا ألطنبغا[٥] ومن معه ، وأطلعوهم القلعة وأخذوا سيوفهم ، وحبسوهم . ثم بعد يومين أو أكثر جهزوهم إلى إسكندرية ، ولم يزالوا هناك إلى مجيء[٦] الناصر أحمد من الكرك .

---

(١) واسمه أيدمر ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي ، ولم نقف له على ترجمة .

(٣) هو أسنبغا بن بكتمر البو بكري (ت ٧٧٧ هـ) ، والدرر : ٣٨٦/١ .

(٤) في الأصل : « المذكورين » سهو .

(٥) كذا في الأصول والوافي ، وعبارة التحفة : « وسيَّروا من تلقَّى ألطنبغا » .

(٦) (ق) ، (خ) : « إلى حين مجيء » ، وعبارة الوافي : « إلى أن جاء » .

وجاءت عساكر الشام ، واستقرَّ أمرُ الناصر أحمد ، فجهَّز الأمير شهاب الدين أحمد بن صبح إلى إسكندرية ، فتولَّى خنق قوصون وبَرْسْبُغا وألطنبغا وغيرهم في الحبس في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، أو في شهر شوال .

ويُحكى أنه ما جزع عند الموت بل توضّأ ، وصلَّى ركعتين ، وقعد ولفَّ ذقنه بيده ، ووضعها في فيه ، واستسلم لوضع الوَتر في حلقه ، وصبر لأمر الله تعالى وقضائه في خلقه ، وبشَّ للذي أتاه ، وخَنَق ، وتلقاه بالرضى من غير حَنَق .

وكان رحمه الله تعالى خبيراً بالأحكام ، طويل الروح على المنازعات والخصام ، قد دَرِب الأمور وجرَّبها ، وعمَّر الوقائع وخَرَّبها ، وباشر الحصارات ، ودخل إلى بلاد سيس [١] في الإغارات ، ورتَّب الجيوش وصفَّها ، وقدَّمها وقت الفرصة وعند الخطر كفَّها ، ودخلها مرات يجتلب ما تحويه ويحتلب ، ويجعل عاليَها سافلها ، والناس قالوا : سيس ما تنقلب .

وكان ألطنبغا [٢] رمّاحاً طُبْجيّاً [٣] ، يرمي النشاب ، ويلعب بالرمح ، ويضرب الكرة ، وتنقاد له الفروسية في بُرَة [٤] ، ولم يرمِ أحد في بيت السلطان جَنْبَه إلى الأرض ، ولا جعل طوله إذا صرعه وهو عَرْض [٥] .

وكان لا يدَّخر شيئاً ، ولا يستظل من الجمع فَيئاً [٦] ، ولا يعمر له ملكاً ،

---

(١) هي سيسية ، وأهلها يقولون : سيس ، بين أنطاكية وطرسوس . (معجم البلدان) .
(٢) في الأصول : « أقجبا » ، سهو .
(٣) الطبجي : المدفعي .
(٤) البُرّة : الخلخال وما يُقيَّد به .
(٥) في الأصل : « وعرض » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .
(٦) في الأصل : « فئة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

ولا يُجرى له في المتاجر حيواناً ولا فلكاً ، وانفصلت في أيامه بدور العدل قضايا مرت السنون عليها لظلام أمرها ، وغموض سرِّها ، وخفاء الحقِّ فيها لدقته ، وغلبة الباطل وعموم مشقته ، وموت الخصوم في تمادي الحال وعدم الناصر ، ورؤية المالك ثمار منافعها وباعه عنها قاصر .

وعلى الجملة كان[١] فريداً في أبناء جنسه ، مالكاً بالصبر أمر نفسه ؛ إلاّ أن [سفك][٢] الدماء عنده أمر هيِّن ، وإزهاق الروح لا يعبأ به بأمر بيِّن أو غير بيِّن ، فلذلك ما رزق سعادة في نيابة دمشق ومنها تعكّس ، وتنكد عيشه وتنكّس ، ولو قدر الله تعالى له أن يوافق الفخري ويدخل معه ، وينزله القصر ويجلس هو موضعه لكان الفخري عنده ضيفاً . وما سلَّ أحد في وجهه سيفاً ، ولا وجد له[٣] من أحد جَنفاً[٤] ولا حَيْفا ، ولكن هكذا[٥] قدَّر ، وهذه العقبى جزاء ما صُدّر ، فلا قوة إلاّ بالله .

٣٢٨ ـ ألطُنْبُغا*

الأمير علاء الدين المارِدانيّ الساقي الناصري .

أمَّره السلطان مئةً ، وقدَّمه على ألف ، وزوَّجه إحدى بناته ، وهو الذي عمَّر الجامع الذي برّا باب زُويلة عند المرحّليين ، وأنفق على ذلك أموالاً كثيرة ؛ لأنه مرض

---

(١) في الأصل و(ق) : « وكان » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (خ) .

(٢) زيادة من : (ق) ، (خ) .

(٣) ليست في : (ق) ، (خ) .

(٤) الجنف : المَيْل .

(٥) في الأصل : « هذا » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

* الوافي : ٣٦٤/٩ ، والدرر : ٤٠٩/١ ، وإعلام الورى : ٢٢ ، وخطط المقريزي : ٣٠٨/٢ ، والمنهل الصافي : ٦٧/٣ .

مرضة شديدة ، طوّل فيها ، وأعيا الأطباءَ شفاؤه ، وأنزله السلطان من القلعة إلى الميدان على البحر ، ومُرِّض هناك قريباً من أربعين يوماً .

وكان ابن المرواني متولّي القاهرة[1] يقف في خدمته ، ويُحضر له كل ما في برّا باب اللّوق من المساخر وأرباب الملاهي وأصحاب الْحَلَق ، وهو يُنعم عليهم بالدراهم والخلع والقماش .

ونزل السلطان إليه مرّات ، وكان الخاصكية ينتابونه جماعة بعد جماعة ، ويبيتون عنده ، وتصدَّق في تلك الأيام بمئة ألف درهم ، وشرع في عمارة الجامع المذكور . وهو أحد الخاصكية المقرَّبين .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي السلطان ، وتولَّى الملك المنصور أبو بكر . فيقال : إنه الذي وشى بأمره إلى قوصون ، وقال له : قد عزم على إمساكك ، وجرى ما جرى على ما يذكر في موضعه في ترجمة المنصور أبي بكر .

وكان الأمير علاء الدين ألطنبغا المذكور عند المنصور أعظمَ مما كان عند والده ؛ لأنه جعله مُوْدَع[2] سرِّه .

ولما تولَّى الأشرف ، وماج الناس ، وحضر الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري من[3] الشام ، وجرى ما جرى على ما تقدم في ترجمة ألطنبغا نائب الشام ، وشغَّب المصريين على قوصون ، فيقال : إن ألطنبغا الماردانى كان أصل ذلك كلّه ، ونزل إلى

---

(١) هو علي بن حسن المرواني ، وستأتي ترجمته . والخبر في المنهل الصافي : ٦٨/٣ .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « موضع » .

(٣) في الوافي : « إلى » .

الأمير علاء الدين أيْدُغْمِش أمير آخور ، واتفق معه على القبض على قوصون ، وطلع إلى قوصون ، وجعل يشاغله ، ويكسِّر مجاذيفه عن الحركة إلى بكرة الغد ، وأحضر الأمراء الكبار المشايخ عنده ، وساهره إلى أن نام ، وهو الذي [حطَّ يده][1] في سيف ألطنبغا نائب الشام لما دخل القاهرة قبل الناس كلّهم . ولم يجسر أحد أن يمدَّ يده إليه .

وكان الأمير سيف الدين بهادُر التمُرْتاشيّ ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الباء في الأول ، هو آغا ألطنبغا المذكور[2] وهو الذي خرَّجه وربّاه ، ولما بَدَت منه هذه الحركات والإقدامات قويت نفسه عليه ، فوقف فوق التمرتاشي فما حملها منه ، وبقيت في نفسه . ولما ملك الملك الصالح إسماعيل صار الدست كلّه للتمرتاشي ، فعمل على ألطنبغا المذكور ، ولم يدرِ بنفسه إلاّ وقد أُخرج على خمسة أرؤس من خيل البريد إلى حماة نائباً في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة فتوجَّه إليها ، وبقي بها نائباً مدة شهرين وأكثر إلى أن توفي أيدغمش نائب الشام ، ونقل الأمير سيف الدين طُقُزْتمر من نيابة حلب إلى نيابة الشام ، ورُسم للأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني بنيابة حلب ، فتوجَّه إليها في أول شهر رجب من السنة المذكورة .

وجاء إلى حماة نائباً الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، فأقام ألطنبغا في نيابة حلب مدة يسيرة ، وتمرَّض وقاسى شدة ، وحضر له طبيب من القاهرة .

ولم يزل إلى أن كان القبر لجوهرته صدفاً ، وراح شخصه لسهام المنايا هدفاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل صفر سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان شاباً طويلاً رقيقاً ، يُدير من أجفانه رحيقاً ، بوجه قد حلا ، ومن العيب

---

(١) زيادة من : (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والوافي .

قد خلا ، وللبدر قد جلا ، ألطف من مرِّ النسيم ، وألذّ[١] ذوقاً من التسنيم ، مُعَشَّق الخطرة إذا خطا ، متأنق الفترة إذا سطا ، كريم الكفِّ ، حكيم الشروع واللَّف ، حَدْسُه صائب ، ونفسه بالصبر تردّ ناب[٢] النوائب ، عقله أكبر من سنِّه ، وأمره يأتي إليه على ما يغلب في ظنه .

وكان أستاذه له يتذلل ، وهو يجفو[٣] عليه ويتدلل ، وبجناحه طار طاجار[٤] ، وأصبح وهو دوادار ، ولكن خانه الزمان ، ولم يؤخذ له من الحوادث أمان :

وقلت أنا لما بلغتني وفاته :

خُذْ منَ العيشِ ما أتاكَ بتَقوى ... واغْتَنِمْه مِن قَبلِ صَرفِ الزَّمانِ
وتأمَّلْ بِعَينِ فِكْرِكَ لَمّا ... مارَ[٥] داني الفنا إلى المارداني

٣٢٩ ـ ألطبنغا*

الأمير علاء الدين بُرناق ـ بالباء الموحدة والراء والنون والألف والقاف ـ الجاشنكير نائب صفد .

لما خرج أحمد الساقي وهو بصفد على الملك الناصر حسن وعصي بقلعتها رُسم لهذا الأمير علاء الدين بنيابة صفد ، فوصل إليها وهو نائب عزّة[٦] ـ على ما تقدم في ترجمة

---

(١) في الأصل : « وألف » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .
(٢) (خ) : « نائب » .
(٣) في الأصل : « يحنو » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .
(٤) في الأصل : « طار » ، ولا وجه لها ، وطاجار هذا هو سيف الدين الدوادار ، وستأتي ترجمته .
(٥) مارَ يمورُ : تحرَّك .
* الدرر : ٤٠٩/١ .
(٦) في الأصل و (ق) : « هو ونائب غزّة » ، وأثبتنا ما في (خ) ، ويؤيدها ما في الدرر من أنه كان نائباً لغزة قبل نيابته لصفد .

أحمد ـ واستقل بالنيابة من أوائل المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن ورد عليه المرسوم بأن يحضر إلى دمشق ، ويكون مع نائبها الأمير سيف الدين أرغون الكاملي في واقعة بيبغاروس ، فوصل إلى سعسع بالعسكر الصفدي ، وكان نائب دمشق قد خرج منها ونزل على الكسوة ، وجهز إليه طلبه ، فوعده بالوصول إليه ، لكنه استحوذ عليه جماعة ثنوا عزمه عن ذلك ، وسوَّلوا له التوجُّه إلى بيبغاروس ، فدخل دمشق ، وشقَّها ، وتوجَّه إليه ، واجتمع به على خان لاجين ، وجاء معه ، ونزلوا على قبة يلبغا ، وأقاموا هناك مدة أربعة وعشرين يوماً ، ولما هرب يبُغا هرب ألطنبغا المذكور معه في جملة من هرب ، ووصلوا إلى حلب ، وحاصروا أهلها ، فأسر الحلبيون منهم جماعة وفيهم ألطنبغا بُرناق وعلاء الدين ألطنبغا مُشِدّ الشراب خاناه والأمير سيف الدين حاجي أخو أحمد الساقي والأمير سيف الدين أسنبغا الرسولي نائب جعبر وعز الدين مهدي مشدّ حلب[1] ، وأسن بك بن خليل الطُّرقي وبهادر الجاموس فيما أظن ، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وتسلَّمهم الأمير فارس[2] الدين ألبكي أحد مقدَّمي الألوف المصريين ، وأحضرهم إلى دمشق ، واعتقلوا بقلعتها .

ولما كان ثالث شوال طلع السلطان الملك الصالح من القصر إلى قلعة دمشق وجلس في الطّارمة ، واستقبل سوق الخيل ، وأحضر ألطنبغا بُرناق ، وعُصر ، وقرر على أمور ، ثم إن الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز وسائر أمراء مصر والشام نزلوا ووقفوا على باب خان الملك الظاهر ، واستقبلوا السلطان ، وقُدِّم هؤلاء السبعة[3] المذكورون وفيهم برناق ، ووسَّط الجميع ، وعلَّقوا على نهر بردى في ثالث

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) (خ) : « سيف » ، سهو .

(٣) (ق) ، (خ) : « الأمراء السبعة » .

شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة[١] ، وكان ذلك في يوم الاثنين ، فسبحان الدائم الباقي بلا زوال ، مقدّر الآجال .

وكان الأمير علاء الدين برناق رجلاً عاقلاً ، ساكناً لا [يرى][٢] قدمه إلى الشرّ ناقلاً ، بعيداً من الظلم ، مفيداً للأناة والحلم ، لم يشكُ منه أحد من رعايا صفد .

وكان يتخوَّل[٣] بعضهم بالعطاء والصّفد ، وعمَّر بصفد عمارة ، تطل على بحر طبرية كان يستروح فيها ويصعد بمن يؤثره ، ويحبُّ قُرْبَه إلى أعاليها .

وكانت له ابنة يحبّها حبّاً زاد حَدُّه ، ويوّد أن يفرش لها إذا خطت دون الأرض خدّه ، لا يزال قلبه بها معلّقاً ، وخدّه إذا غاب عنها بالدموع مخلّقاً ، يجلس وهي في صدره ، ويُعيذها من الزمان وغدره ، ويجمع لها الذين يعملون الحلق تحت القلعة ، ويصرف لهم لأجلها الخلعة بعد الخلعة .

ولما خرج من صفد ضمَّها إلى صدره وودَّعها ، وكاد[٤] من الرِّقة عليها أن يخرج كبده ويقطّعها ، وأذرى الدموع دماء وأجراها من الحرقة عندَما فارقها عَنْدَما ، وكان ذلك آخر عهدها به[٥] ، ولم تشاهده والسيف قد جدَّ في تمزيق إهابه .

وقلت أنا فيه :

لا تَقرَبِ الشَّرَّ إذا مـــا بَـــدا ... فَهُـــو لِنـــارِ المـــوتِ حَرّاقُ
فـــالسَّيفُ قَـــد فَرَّقَ ألطنبغـــا ... ولم يفِـــدْ بُرنـــاقَ تِريـــاقُ

---

(١) انظر في هذه الأحداث : البداية والنهاية : ٢٤٦/١٤ ، الذيل التام : ١٢٤ وما بعدها .
(٢) زيادة من (ق) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « يتحول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وقد سقط قوله : « وكان ... والصفد » من (خ) .
(٤) في الأصل : « وكان » تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « بها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

٣٣٠ ـ ألطُنْبُغا*

علاء الدين الجاوَلي .

هو مملوك ابن باخِل[١] . كان عند الأمير علم الدين سَنْجَر الجاوْلي[٢] دواداراً لما كان في غزة أولاً نائباً ، وكان يحبُّه ويدنيه ويقرِّبه ، ويبالغ في الإنعام عليه ، والإحسان إليه .

وكان إقطاعه [عنده][٣] يعمل عشرين ألف درهم خارجاً عمّا يبرّه ، ويعطيه ويأخذه هو من منفوع الدوادارية .

قال لي : امتدحت الأمين[٤] الأمير مرة بقصيدة كانت ستين بيتاً ، فأمر لي لكل بيت بدينار . وقال لي : لو كانت مئة كانت مئة .

أخبرني من أثق بقوله : أنه كان في إصطبله تسعة عشر سَرْجاً زرجونيّاً[٥] .

ولما شُنِّع على الجاولي أن إقطاعات مماليكه ثلاثون ألفاً وعشرون ألفاً راكَ الأخباز[٦] ، وأعطى ألطنبغا المذكور إقطاعاً دون ما كان بيده أولاً ، فتركه ومضى إلى مصر بغير رضى الأمير علم الدين ، فراعى الناس خاطر مخدومه ولم يجسر أحد على أن يستخدمه ، فأقام في مصر مدة زمانية ينفق من حاصله ، ثم حضر إلى صفد ، فأقبل عليه الحاج أرقطاي نائبها إقبالاً كثيراً ، وكتب له مُرَبَّعة[٧] بإقطاع ، وتوجَّه بها إلى

---

* الوافي : ٣٦٦/٩ ، وفوات الوفيات : ٢٠٥/١ ، والدرر : ٤٠٧/١ ، والمنهل الصافي : ٧١/٣ .

(١) هو عماد الدين بن باخل ، كما في حاشية (المنهل) .

(٢) هو سنجر بن عبد الله الجاولي ، أبو سعيد (ت ٧٤٥ هـ) . ذيول العبر : ٢٤٧ .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٤) ليست في (ق) ، (خ) .

(٥) الزرجون : كلمة فارسية تعني لون الذهب .

(٦) راك الشيء : قدّره ، وعرف كم هو .

(٧) المربعات مراسيم مربّعة تكتب في ورق شاميّ من ديوان الخاص لمنح الإقطاعات .

مصر ، فخرج عنه ، فعاد وجاء إلى دمشق وامتدح الأمير سيف الدين تنكز ، ومدح ناصر الدين الدوادار وناصر الدين الخزندار بقصيدة أوّلها :

قد أيَّدَ الرَّحمنُ ملَّةَ أحمد بالنَّاصِرَيْن محمدٍ ومحمّدِ

فتوسَّطا له عند مخدومهما فأعطاه إقطاعاً في حلقة دمشق ، وكان أمره أحد الأسباب التي أوقعت بين تنكز والجاوليّ ، وبقي ألطنبغا بدمشق مقيماً ، وأُمسك الجاوْليّ ، وأقام في الاعتقال مدة ، ولَمّا أُفرِج عنه توجَّه إليه[1] ألطنبغا وخدمه مدة ، ثم إنه أخرجه إلى دمشق في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وجعله من جهته مشداً على الوقف المنصوري .

واجتمعتُ به كثيراً بصفد والقاهرة ودمشق ، وبيني وبينه مكاتبات ومجاراة ومطارحات ومباراة ؛ لأنه كان ينظم الدُّرَّ شعراً ، ويُباهي به النَّثْرة والشِّعْرَى[2] ، قد جوَّد المقاطيع ، وأبرزها كأزهار الربيع ، ولكن قصائده دوَّنها في الطبقة ، وبروقها ليست في سماء الإجادة مؤتلقة .

وكان يتمذهب للشافعي ، وله اجتماع بالشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل وغيره من فضلاء العصر ، ويبحث جيِّداً ، ولم يكن عن طرائق الفضل متحيداً . وعقيدته للأشعري منسوبة وفي عداد أصحابه محسوبة .

ولما توجَّه معي إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية سال ذهنه إليه ، وأقبل بجملته عليه ، ومال إلى قوله ، ودار من حوله . ثم إنه بعد فراقه تراجع عنه إلاّ بقايا ، وادَّكر غدوات قربه والعشايا .

وكان وجهاً في حسنه بديعاً ، ومحيّا يَذَر قلب ناظره صريعاً ، مديد القامة ، يرخي على بدر وجهه من شعره ظَلامة .

(١) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وما يتفق مع عبارة الوافي .
(٢) كوكبان .

وكان بالكيمياء مُغْرَى ، قد أنفق فيها مالاً ودهراً . وخرج من الدنيا رحمه الله تعالى وهو يرى كفّه صفراً .

وكان صحيحاً وُدّه ، إذا مَنَحك[١] إخلاصه لا يرده ، قلَّ مَنْ صَحِبْتُه فأنصفني مثله في الحضور والغيبة ، لا أسمع منه كلمة جفاء ، ولا يَبْلُغني عنه غِيْبة . ولم يزل شملي به مَجْموعاً ، وقَوْلي عنده ، كما أمْرُه عندي مسموعاً . إل أن استقى على غير ظما . وصافحه في قَبْره الحورُ وملائكةُ السَّما .

وتوفي رحمه الله تعالى بعلّة الاستسقاء في شهر ربيع الأول ، ثامنه ، سنةَ أربع وأربعين وسبع مئة .

كَتَبَ إليّ وقد وَرَدْتُ القاهرة[٢] سنة ست وثلاثين وسبع مئة :

إليك صلاحَ الدين أُهْدي تحيَّةً ... كَنشرِ عبيرٍ في الجيُوب إذا فُضَّا
ومِنْ عَجَبي أنَّ الديارَ قَريبةٌ ... وما فُزْتُ مِنْكُمْ بالوِدَاد الّذي أرضى
فمِنْ بعدكم قلبي تألَّف بالأسى ... ومِنْ بَعْدكم لم أدْرِ نوماً ولا غَمْضا
وإنّي عَلَى العهد الذي تعهدونه ... مقيما أرى حفظ الوداد لكُم فَرْضا[٣]
وأقسمَ قلبي لا يقرُّ قرارهُ ... ولا يرعوي حتى يرى بعضُنا بعضا

فكتبتُ أنا الجواب إليه ارتجالاً :

أيا جيرةً قد عُوّدوا الحِلْمَ والإغْضَا ... وَحبُّهُمُ قَدْ مازَجَ الرّوحَ والأَعْضَا
وَحقِّكُمُ ما أهلَ العَبْدُ خِدْمَةً ... لَكُمْ وَجَبَتْ لكنّها بَعْد ذا تُقْضَى
أَأنسى جَميلاً منكمُ قَدْ أَلِفتُهُ ... وَحُسْنَ وِدادٍ يُشْبِهُ الزَّهَر الغَضّا
ولُطفاً يحاكي نَسْمَةَ الروضِ سُحْرةً ... فإنّ لها في العَاشِقِ البَسْطَ والقَبْضَا

(١) في الأصل : « ضحك » تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .
(٢) (خ) : « من القاهرة » .
(٣) (خ) : « مقيم » .

وأيـــام لهـوٍ قَـــدْ تَقَضَّتْ بقُرْبكم نُـداوِي بها مِنْ دَهْرِنا أَنْفُساً مَرْضَى
أَلا خفِّفـــوا مِنْ عتبكم عَنْ مُحبِّكم فـذَاك ضَعيفٌ لا يُطيـق بـه نَهْضَـا
فـلا بُـدَّ أَنْ يـأتي ويَـذْكُرَ عُـذْرَهُ فـإنْ تَقْبَلُوه رحمـةً قَبَّـلَ الأَرْضَـا

وأنْشَدني يوماً لنفسه :

انهـلّ أدمعهـــا دُرّاً وفي فمهـــا دُرٌّ وبَيْنَهما فَرْقٌ وتمثـــــالُ[1]
لأنَّ ذا جـــامِـــدٌ في الثغر مُنْتظَم وذاك مُنتثِرٌ في الخـــدّ سيّـــالُ[2]

فأنشدته أنا لنفسي :

غـــانيـــةٌ في فمهـــا جَـوْهرٌ بمثلـــه تبكي هـــوىً هـــائـــلا
فراحَ ذا في نظمـــــهِ واقفـــاً ولاحَ ذا مـــع نثره ســـائـــلا

وأنشدني لنفسه أيضاً :

وسُـودٍ صَيَّرتْهـــا السُـودُ بيضـــاً فـلا تَطْلُبْ من الأيـــام بيْضـــا
فبعـد السّـود ترجـو البيضَ ظلمـاً وقـد سَلَّتْ عليهـا السـود بيْضَـا

وأنشدته أنا لنفسي :

عجبتُ لـــدهرٍ سَرّني زمنَ الصِّبـــا وكـدَّرَ عَيْشي بـالمشيب انتفـاضُـهُ
فبيَّضَ عُمْري من شبـــابي سـوادُه وسَـوَّدَ دَهْري من مشيبي بيـاضُـهُ

وكتبتُ أنا إليه من صفد وهو بدمشق أتشوّق إليه في سنة ثماني عشرة وسبع مئة من جُملةِ قصيدة :

بـالله يـا بـارقـاً من قـاسيـون بَـدَت أعـلامُـه خـافقـاتٍ في ديَـاجيـه[3]

(١) (خ) : « مدمعها » : وكذا في المنهل .
(٢) في المنهل : « منتشر » .
(٣) في الأصل : « ياقادماً » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) . وفي (خ) : « في نواحيه » .

قِفْ لي بتلك الرّبا إن شئت تُسعفني ... وانْشُد فؤادَ شَجٍ قَدْ عَزَّ فاديه
ونبّه الوَرْقَ والظلماءُ عاكِفةٌ ... ليلاً لتحكي نُواحِي في نَواحيه
وخُذ أحاديثَ ما ترويه من خبرٍ ... وحالُ جسمي ضنىً إن كنت تحكيه[1]
وقُلْ قَضَى نحبَه العاني أسىً وجوىً ... وما قضى ما ترجّى من أمانيه[2]
كأنما مرَّ عَيْشٌ كان غانيةً ... تُجلى بكم ولآليها لياليه[3]
أحبابَنا إن تمادى البُعد واتّصلت ... أيّامه واستقلّت في تراخيه
فلا تضنّوا على المُضْنَى بطيفكم ... ففيه للوَالِه المشتاقِ ما فيه
يكفيه أنْ زارَهُ طيفُ الخيال ولا ... يكفيهِ منكمْ بلى والله يكفيه
فالصَبُّ إن عاقت الأيام مطلَبهُ ... يَرضَى بدُون المنى أو ما يدانيه

٣٣١ ـ ألطنبغا*

الأمير علاء الدين الخازن الشريفي ، أحد الأمراء الأقدمين بالقاهرة .

لمّا كان الأمير سيف الدين أرغون الكاملي على لُدّ في واقعة بيبغاروس ورسم السُلطان الملك الصّالح صَالح للأمير شهاب الدين بن صبح ، نائب غزّة بنيابة صفد رسم[4] للأمير علاء الدين ألطنبغا هذا بنيابة غزة ، فحضر إليها في شعبان سنة ثلاث وخمسين وسَبع مئة ، وأقام بها نائباً إلى أن تُوُفّي يومَ الأربعاء رابعَ شهر رجب الفرد سنة ست وخمسين وسَبع مئة .

وكان ساكناً عاقلاً وادِعاً ، لا شرَّ فيه ، طلب لبناته راتباً في السَنَة على ميناء يافا

---

(١) (ق) : « وحاكِ جسمي » .
(٢) (خ) : « ما تمنّى » .
(٣) (ق) (ظ) : « كأنما كان عيش مرّ » .
* الدرر : ٤٠٩/١ .
(٤) في الأصل : « ورسم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

بخمسة آلاف درهم تميزت[١] في ضمانها ، فأُنْعِم عليهنّ بذلك وما لحق التوقيع يجيء إلى دمشق ويُعَلَّم عليه نائب الشام ويجهّزه إلى أنْ مات رحمه الله تعالى .

٣٣٢ ـ ألطنقش*

الأمير سيف الدين الجَمَالي أستاذ الدار .

كان من مماليك الأفرم ، ولما توجّه أستاذُه إلى بلاد التتار وحضر هو إلى مصر حبسَه السُلطان الملك الناصر ، ثم إنه أخرجه وأمَّره فيا بعد طبلخاناه ، ثم جعله أستاذ دار صغيراً وأضاف إليه فيا بعد أستاذ داريّة ابنه آنوك[٢] ، وأقام كذلك إلى أن توفي آنوك وتوفي السُلطان .

ثم توفي هو رحمه الله تعالى بالقاهرة في سادس عشري شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسَبع مئة .

وكان جيداً مشكوراً ، وهو خال الأمير صلاح الدين إيدُغْدِي الحاجب[٣] بالشام وَأخَويه .

٣٣٣ ـ أَلِلْمِش**

بفتح الهمزة ، وكسر اللام الأولى ، وسكون اللام[٤] الثانية ، وكسر الميم ، وبعدها شين معجمة .

---

(١) (خ) : « وتميزت » .

* الدرر : ٤١٠/١ ، وفيه : « الطنفش » .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) لم نقف على ترجمته .

** الوافي : ٣٧٠/٩ ، والتحفة : ٢٥٦/٢ ، والدرر : ٤١٠/١ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٣ .

(٤) ليست في (خ) .

الأمير سيف الدين الحاجب ، كان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ قد جَهَّزَهُ إلى جَعْبَر نائباً ، ثمّ إنّه كتبَ فيه وجَعله أمير حَاجب ، فكان حاجباً كبيراً[1] في آخر أيام تنكز ، وأمسِكَ وهو أمير حاجب .

كان حسن الشكل ذا مَهَابة ، سديد الرأي كثير[2] الإصابة ، مُدَوَّر الوجه حُلْواً ، مملوءاً من العقل ، ومن الكِبْر خِلْوا ، فيه سُكُون ووقار ، وحشمة يشكو الناس منها الافتقار .

ولم يزل على حاله في وظيفته[3] إلى أن حَصَلَ له استسقاء أظمأه إلى الحياه ، وأماته بحسرة نظر المياه . وقد كان توجّه إلى حُولة بانياس ، فمات رحمه الله تعالى هناك وحُمِلَ إلى دمشق وصُلّي عليه في يوم الأربعاء عُشْري ذي القعدة سَنة ست وأربعين وسبع مئة .

٣٣٤ ـ أَلْماس*

بفتح الهمزة ، وسكون اللام ، وبَعْدَ الميم ألف وسين مهملة . الأمير سيف الدين أمير حاجب الناصري .

كان من أكبر مماليك أستاذِه ، ولّما أُخرج الأمير سيف الدين أرغون الدوادار إلى

---

(١) في الأصل : « فكان حاجبنا » ، وأثبتنا مافي : (ق) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « كبير » ، وأثبتنا مافي : (ق) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « وظيفتيه » ، وأثبتنا مافي : (ق) ، (خ) .

* الوافي : ٣٧٠/٩ ، والدرر : ٤١٠/١ ، وضبط مافي مطبوعة الوافي ـ ظبط قلم ـ بالضمّ . والمنهل الصافي : ٨٩/٣ ، وفيه : « قلت : وأُلْماس ، بضم الهمزة ، ولام ساكنة ، وميم مفتوحة ، وألف بعدها وسين مهملة ، ومعناه بالتركية : ما يموت » .

نيابة حلب ـ على ما تقدم في ترجمته ـ وبقي منصب النيابة فارغاً منه عظمت منزلة ألماس ، وصار هو في منزلة النيابة ، خلا أنه ما يسمّى نائباً ، يركب الأمراء الكبار والصغار ، وينزلون في خدمته ، ويجلس في باب القلّة[١] في منزلة النائب ، والحُجّابُ وقوفٌ بين يديه . ولم يزل مقدّماً معظماً إلى أن توجه السُلطان إلى الحجاز سنةَ اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، فتركه في القَلْعَة هو والأمير جمال الدين آقوُش نائب الكرك ، والأمير سيف الدين أقْبُغا عبد الواحد[٢] والأمير سيف الدين طَشْتُمُر حِمّص اَخْضَر ، هؤلاء الأربعة لا غير ، وبقية الأمراء إما معه[٣] في الحجاز وإمّا أنّهم في إقطاعاتهم ، وأمَرَهم أن لا يدخلوا القاهرة حتى يحضر مِن الحجاز .

ولّما حضر[٤] من الحجاز نقم عليه أمَراً ما صبر عليه ، فأمسَكه إمّا في أوائل سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وإمّا في أواخر سنة ثلاث وثلاثين ، الصّحيح أنه في عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة وأودعه في الاعتقال في بيت أقبغا عبد الواحد ، وبقي ثلاثةَ أيام ، ودخل في العَدم ، وتخضّب السيفُ منه بِدَم .

وأمّا أخوه الأمير سيف الدين قَرَا فإنّه قُتِل بالسيف لوقته صَبْرًا ، فأُخذت أموالُ أَلْماس وجميعُ مَوْجُوده وموجودِ أقاربه ، وأُخرج أقاربه إلى الشام وفُرِّقُوا .

يقال إن السلطان لما مات بَكْتُمر في طريق الحجاز ـ على ما يأتي ذِكْرُه إن شاء الله تعالى ـ احتاط على موجوده ، وكان في جُملة ذلك حَرَمْدان[٥] ، فأخذه السُلطان

---

(١) كذا في الأصول ، وفي الوافي والمنهل : « القلعة » .

(٢) في الوافي : « أقبغا الأوحدي » . وكذلك في المنهل .

(٣) في الأصل : « معهم » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) (ق) : « قدم » .

(٥) في المنهل : « جزدان » .

وأوْدَعَه لبعض الجمداريّة ، ثم لمّا وصَل قلعة الجبل واطمأنّ ذكرهُ السُلطان فأحضره فوجد ممّا فيه جَوابَ الأمير سيف الدين ألماس إلى الأمير سيف الدين بَكْتُمر السَاقي ، وفيه : إنني حافظ القلعة إلى أنْ يَرِدَ عليَّ مِنْكَ ما أعْتَمِدُه ، فكان ذلك سَببَ قَتْله ، والله أعلم .

وكان ألماس أسْمَرَ طُوَالاً من الرجال ، فيه ثباتُ الشيوخ وخِفّة الشباب العِجَال غُتْمِيّاً[1] لا يَفْهم شيئاً بالعربيّ ، ساذَجاً يجلس في بيته فوق لُبّاد على ما اعتاد ورَبِي . وكان أوّلا يباري السَّحاب بكرمه ، ويؤوي الناس إلى حَرَمه ، ولكنّه فَهِمَ عن السُلطان أنّ ذلك ما يعجبه ولا يراه ، فيقول به ويوجبه ، فتظاهر بعد ذلك بالخِسَّه ، وكابَرَ فيه حِسَّه ، إلى أن شاع ذاك وذاع ، وملأ به الْمُدُنَ والبقاع . إلاّ أنه كان يَعْمِر المِلْكَ بخمسة عشر ألف درهم وأكثر ، ويَهَبُه لبعض مماليكه ، وهو الذي عمّر الجامع المليح الذي بظاهِر القاهرة في الشارع عند حَدَرة البقر ، وفيه رخام مليح فائق ، وعمّر إلى جانبه هناك قاعة تأنّق[2] فيها ، وكان الرخام يُحمل إليه من جزائر البحر وبلاد الروم ومن الشام ، ومن كل مكان ، ولمّا أُمْسِك وجدوا له أموالاً عظيمة تُكاثر النجوم في اللّيلة الداجنة البهيمَة .

٣٣٥ ـ أَلْمِلك*

بفتح الهمزة ، وسكون اللام ، وفتح الميم ، وكَسْرِ اللاّم الثانية وبعدها كاف .

الأمير سيف الدين الحاج من كبار الأمراء المشايخ رُؤوس مشايخ المشور[3] في أيام السُلطان الملك الناصر ، تَرَدَّد في الرُسْلِيّة بين الملك المظفر وبين الملك الناصر وهو في

---

(١) الغُتة : العجمة ، ورجل أغتم : لا يُفصح .

(٢) في الأصل : « تألق » ، وأثبتنا ما في (ق) .

* الوافي : ٣٧٢/٩ ، والدرر : ٤١١/١ ، وخطط المقريزي : ٣١٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٨٥/٣ ، وفيه : « آل مَلْك بن عبد الله » .

(٣) في المنهل : « المشورة » .

الكرك ، فأعجبه عَقْلُه وتأتّيه ، وسَيَّر إليهم يقول : لا يعود يجيء إليّ[١] رسولاً غَيْرُ هذا ، فلمّا قدم مصر عظَّمَهُ .

ولم يزل كبيراً مُوَقراً مُبَجَّلاً ، عمّر بالْحُسَينيّة جامعاً مليحاً إلى الغاية ، وله دار عظمى مليحة عند مشهد الْحُسين ـ رضي الله عنه ـ داخلَ القاهرة ، ومسجدٌ حَسَنٌ إلى جانبها .

خرّج له شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطي (مَشْيَخةً) ، وقرئت عليه مرّاتٍ وهو جالس في شبّاك النيابة[٢] بقلعة الجبل .

ولما تولى الملك الناصر أحمد أَخْرَجه إلى نيابة حماة ، فحضر إليها وأقام بها إلى أن تولّى الملك الصّالح إسماعيل ، فأقدمَه إلى مصر وأقام بها على حاله الأولى .

ولما أُمسك آقسُنقر السَلاَّري ـ نائب مصر المقدَّم ذِكْرُهُ ـ ولاّه النيابةَ مكانَه ، فشَدَّدَ في الخمر إلى الغاية ، وحَدّ الناسَ عليها وَجَنَّاهم[٣] ، وهَدَم خزانة البنُود[٤] ، وأراق خُمورها وبناها مَسْجِداً وحَكرها للناس فعمّروها دوراً[٥] ، وأَمْسَك الزمام زَماناً ، وكان يجلسُ للحكم في الشّباك طولَ نهارِه لا يَمَلُّ من ذلك ولا يسأمُ[٦] ، ويَرُوح أصحابُ الوظائف ولا يبقى عنده إلا النقباء البّطالة .

وكان له في قلوب الناس مهابةٌ وحُرْمَةٌ ، إلى أن تولّى السلطان الملك الكامل شعبان فأخرجه أوّلَ سَلطنته إلى دمشق نائباً عِوَضاً عن الأمير سيف الدين طُقْزْتَمر ، فلمّا كان في أول الطريق حَضَرَ إليه مَنْ قالَ له : الشامُ بلا نائب ، فَسُق لتلحقه .

(١) عبارة الوافي : « يجيئني » .
(٢) المعروف أن الكافل للحكم ـ إذا كان ـ ثم النائب ، هو الذي يجلس بدار النيابة . (صبح الأعشى) .
(٣) في المنهل : « وجفاهم » .
(٤) هي خزانة الرايات أو العصائب السلطانية ، وكانت ملاصقة للقصر الكبير .
(٥) قوله : « وحكرها ... دوراً » ليس في (خ) ، والوافي .
(٦) ليس في (خ) .

فخفَّفَ مِنْ جَماعته وَسَاق في جماعةٍ قليلةٍ ، فحضر إليه مَنْ أَخَذه وتوجَّهَ به إلى صفدَ نائباً ، فدخلها في أواخر[١] شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة . ثم إنه أَرْجَف النـاسُ أنـه بَـاطَنَ[٢] الأمير سيف الـدين قُمَـاري[٣] نـائب طرابلس على الهروب أو الخروج[٤] على السلطان ، فحضر مِنْ مصر مَنْ كَشَف الأمرَ ، وسأل هو التوجُّـهَ إلى مصرَ فَرُسِم له بذلك ، فتَوجّه . فلما وَصَل غزةَ أمسكه نـائبهـا الأمير سيف الـدين أَرَاق[٥] ، وجُهّز إلى إسكندريّة في أواخر سنة ست وأربعين وسَبع مئة ، وكان ذلك آخر العهد به .

وكانَ خيّراً فيه دينٌ ، وعبادة نُورهـا على الجبين ، يميل إلى أهل الخير والصّلاح ، ويتخذ من أدعيتهم السلاح ، وكان بَرْكُه مِنْ أحسن ما يكون ، وخَيْلُهُ تكاد[٦] إذا جَرَت[٧] ترمي الرياح بالسُكون ، وكان يقولُ : كلُّ أميرٍ لا يقيمُ رُمْحَهُ ويسكب الذَّهبَ إلى أن يُساوي السّنانَ ما هو أمير .

وقلت أنا فيه :

أَلْمَلِكُ الحاجُّ غدا سعدُهُ ... يملأُ ظَهْرَ الأرض مهما سَلَكْ
فالأمرا مِنْ دونه سوقة ... والملك الظاهرُ لي أَلْمَلِكْ[٨]

---

(١) في الأصل : « أوائل » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .
(٢) (خ) (ق) : « قد باطن » وكذا في المنهل ، وعبارة الوافي : « به أنّه قد باطن » .
(٣) قماري بن عبد الله الناصري (ت ٧٤٧ هـ) .
(٤) في الأصل : « الحروب » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والمنهل .
(٥) أراق بن عبد الله الفتاح ، ترجمته في الوافي : ٣٣٢/٨ ، ولم يذكر سنة وفاته . وفي المنهل : ٢٨٩/٢ وفيه وفاته (٧٤٧ هـ) .
(٦) ليست في (خ) .
(٧) في الأصل : « جرّدت » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .
(٨) في المنهل : « هو آل ملك » .

٣٣٦ ـ أَلْنَاق*

الأمير سيف الدين الناصري ، كان أميراً من جملة أمَراء دمشق يسكن بقرب مسجد الصّفيّ[١] بالعُقَيْبة .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد منتصف صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

٣٣٧ ـ أميرَان**

الأمير الشيخ عزّ الدين ، مِنْ بيت الشيخ عَدِيّ بن مُسَافر[٢] .

ورد إلى بلاد الشام فأَكْرَمت الدولةُ الناصريّة نُزُلَهُ وعظَّمَتْ مَثْوَاه ، وأُعطِي بدمشق إمْرَةً ، فأقام بها مُدّةً ، ثم أقام بصفَد مُدّة ، ثم عاد إلى دمشق وتَرَك الإمرَة وآثر الانقطاعَ ، وأقام بالمِزّة ، وكانت الأكرادُ تأْتيه من كل قُطْر ، وتَفِدُ عليه مِنْ كلّ فَجٍّ بصفايا أموالِها ونفائسِ ما عِنْدَها تَقَرُّباً إليه . ثم إنَّ الأكرادَ المشارقةَ أرادوا الخروجَ على السُلطان ، وباعُوا أموالَهم بالهوان ، واشتَرَوا بها أسلحة وخَيْلاً ، ووعدوا رجالاً مِمن تَبِعَهُم بالنيابات الكبار ، وكان هو قد نزل بأرض اللَّجُون مِنْ مَرْج بني عامر بصفد ، وبَلَغَ السُلطانَ الملك الناصر أنّهم لم يُؤْذُوا أحداً في نفسٍ ولا مالٍ ، فكتب إلى الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ بكشفِ أحوالِهم ، وأَمْسَكَ السُلطان مَنْ كان بالزاوية العَدويّة بالقرَافة منهم ، ودَرَّك على أمير طبر ، واختلفت الأخبار عنهم ، فقيل : إنّهم يُريدون سَلطنةَ مِصْرَ ، وقيل : بل يريدون مُلْكَ اليمن . وقلق السُلطان مِنْ أمرهم وأهمَّه ذلك ، فتقدم الأمير سيف الدين تنكز بإحضار الأمير عز الدين

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) ذكره صاحب الدارس : ٤٠٨/١ .

** الدرر : ٤١٤/١ .

(٢) الهكاري ، من ذريّة مروان بن الحكم ، تنسب إليه الطائفة العدويّة المتصوّفة (ت ٥٥٧) . السير : ٣٤٢/٢٠ .

أَميرَان المذكور ، فأُمْسِكَ وأُحضر إليه ، فقال له : أَيْش هذا الذي يفعلُه هؤلاء الأكراد ؟ فقال : يا خوند هذا شيء تخيّلوه في نفوسهم ، فقال له : لأي شيء ما تَمْنَعُهم من هذا ؟ فقال : يا خوند ، هؤلاء يسجدون لي ولغيري مِنْ أهل بيتنا ، لو قلتُ لهم ما عسى أن أقوله ما يسمعونه ، ولكن يا خوند حُطني في هذه القلعة وقد تَفَلَّل جَمْعهم[١] ، فعَلم تنكز أن الذي يقولُه حَقّ ، فطلع به إلى القلعة ، وطالع السُلطانَ بأمره فانفلّ أمرهم وتفرقوا شَذَر مَذَر ، وتمزّقوا أيدي سَبَأ ، وكان الأكراد يجيؤون بعد ذلك إلى البُرج الذي فيه الأمير عز االدين ويسجدون له[٢] .

ولم يكن لهم بلاغٌ ولا معاش ، إلاّ أنهم يَجلبون المُحمّضات من الأُتْرجّ واللّيمون والكَبّاد ، وغير ذلك من بانياس والأغوار ، وأقصاب السّكر على ظهورهم ، ويَبيعون ذلك بدمشق ، فرخُصَ هذا كلُّه بدمشق في تلك المدة .

وكان طلبه وحبسُه في سَنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

وكان الأمير[٣] عز الدين المذكور [من][٤] أحسن الأشكال وأتمّها ، وأصبحِ الوجوه وأحلاها .

٣٣٨ ـ أمير كاتب*

ابن أمير عُمَر العميد بن العميد أمير غازي ، الشيخ الإمامَ العلاّمة قوام الدين أبو حنيفة الفارابي الأَتْقَاني[٥] ـ بهمزة مفتوحة وتاءٍ ثالثة الحروف ساكنة وقافٍ بعدها ألفٌ ونون ـ الحنفي .

---

(١) كذا ، وهي ضعيفة ، وعبارة الدرر : حطني في القلعة يتفلّلْ جمعهم ، وهي أصحّ .

(٢) مطموسة في الأصل ثابتة في (ق) والدرر .

(٣) في الأصل : « الأفرم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (ق) .

* الدرر : ٤١٤/١ ، ووفيات ابن رافع : ٣٤٥/١ ، والذيل التام : ١٥٨ ، والبدر الطالع : ١٥٨/١ ، وذيل العبر : ٣١٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٥/١٠ ، والشذرات : ١٨٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٠١/٣ .

(٥) سنقل المؤلف كلام أمير كاتب عن فاراب بعد قليل .

كان قيّماً بمذهب أبي حنيفة شديدَ التعصب على الشافعية ، متظاهراً بالغَضّ منهم وبالطعن عَلَيهم ، يَوَدُّ لو حكم فيهم أو حُكّم في تَلافِهم دون تلافيهم ، لا تأخذُه فيهم لَوْمةُ لائم ، ويتمنّى لَوْ ناحَت على مدارسهم الحمائم ، واجتَهدَ في ذاك بالشام وما أفاد ودخل مِصْرَ [وهو مُصِرٌّ][1] على ما عِنْدَه من العناد ، وعمل على قَذْفِهم وقَلْعهم بالقُلَع والمِقْذَاف وطاف عليهم بكؤوسِ خمرٍ خَمَرها بالسُم ودَاف[2] ، فكفاهم اللهُ محذورَه ، وجعل اللهُ واقعتهم معه على مرّ الأيام مأثوره ، وبدّلَ بِغَيْظه فيهم سُرُورَه ، وعكس ما دبرّه فيهم ، ﴿ واللهُ مُتِمٌّ نُورَه ﴾[3] .

وكان شديدَ الإعجاب بنفسه ، يجيء بالتعظيم من حَسّه وبَسّه ، يظن أن إمَامَه رضي الله عنه لو رآه لجعله أمَامَه ، وأنّ أبا يوسف كان يتأسّف إذا سمع كلامه ، وأنّ زفر[4] له زَفرات على لُقيّه وأنّ محمّد بن الحسن ما يُحسن الوصولَ إلى رُقِيِّه ، إلا أنّه شرح الأَخْسِيكَثي[5] وعُمْرُه دون الثلاثين شرحاً جيداً يُثْني عليه فقهاء مذهبه ويُعَظِّمونه ، وكان عارفاً بالعربية واللغة ، قال في آخر شرح الأخسِيكثي إنه فرغ منه بتُسْتَر[6] سنة ست عشرة وسبع مئة ، وقال قبل هذا : فلو كان الأسلافُ في حياةٍ لقال أبو حنيفة : اجتهدتَ ، ولقال أبو يوسف : نارَ البيانِ أوقدت ، ولقال مُحَمَّد : أحسنت ، ولقال زفر : أتقنّت[7] ، ولقال الحسن : أَمْعَنْت ، ولقال أبو حفص : أنعمت فيما نظرت ،

(١) زيادة من (خ) ، (ق) ، والدرر .

(٢) الدوف : الخلط .

(٣) الصف : ٨/٦١ .

(٤) هو زفر بن الهذيل بن قيس العنبري ، أبو هذيل ، من أصحاب الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٤٣/١ .

(٥) محمد بن محمد بن عمر ، حسام الدين فقيه حنفي (ت ٦٤٤ هـ) له : المنتخب في أصول المذهب ، ويعرف بالمنتخب الحسامي ، وقد شرحه غير واحد ، منهم : شرح الأتقاني ، واسمه : التبيين . الكشف : ١٨٤٨/٢ .

(٦) تُسْتَر : مدينة عظيمة بخوزستان . معجم البلدان ٢٩/٢ .

(٧) في الأصل : « تفننت » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والدرر .

ولقال أبو منصور : حققت ، ولقال الطحاوي : صدقت ، ولقال الكرخيّ : بورك فيما نطقت ، ولقال الجصّاص : أحكمت . ولقال القاضي أبو زيد : أصبت . ولقال شمس الأئمة : وجَدت ما[1] طَلَبْت ، ولقال فخر الإسلام : مهرت ، ولقال نجم الدين النَسفيّ : بهرت . ولقال صاحبُ الهداية : يا غوّاصٌ ، البحرَ عَبَرتْ ، ولقال صَاحبُ المحيط : فقت فيما أعلنت وأسررت : إلى غير ذلك من كبرائنا الذين لا يحصى عَدَدُهم . ولقال المتنبيّ : أنتَ من فصحاء عبارتهم :

مسكيّة النفحات إلاّ أنها وحشيّة بسواهم لا تَعبَقُ[2]

تم ما قاله .

ولم يزل القوام إلى أنْ مال عليه الحَيْن بكَلكلِه ، وأصبح الأتقاني وقد تهدّم من الحفر منزله[3] .

وتوفيّ بالقاهرة رحمه الله تعالى يوم السبت حادي عُشْرَيّ شوّال سنة ثمان وخمسين وسَبع مئة .

وكان لَمّا قَدِمَ دمشقَ اجتمع بنائبها الأمير سيف الدين يَلبُغا ـ رحمه الله تعالى ـ وداخَلَهُ واختصَّ به ، وذَكَرَ له مَسْألةَ رفع اليدين في الصلاة ، وادّعى بطلانَ الصلاةِ ، فقام في دفاعه قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ وهَى ما قاله وأفسده ، واستدل على بطلان دعواه ، فرجع الأمير سيف الدين يلبُغا بعد ما كان قد شُرِّبت أعضاؤه ذلك ، ثم إنه طُلِبَ إلى مصر وراح ، فراج عند الأمير سيف الدين صرغتمش وعظَّمَه ، وبنى له مدرستَه[4] بالقاهرة ، وولاّه تدريسها ، وكان قد قام في

(١) في الأصل : « فيما » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

(٢) ديوانه ٣٣٨/٢ .

(٣) (ق) ، (خ) : « من الحياة ركن منزله » .

(٤) (خ) : « مدرسة » . وفي المنهل : « وبنى له مدرسة بالصليبة معروفة بصرغتمش المذكور .

أيام الملك الصّالح صَالح على الشافعيّة ، وسَعى في إبطال المذهب من رأس ، وكاد ذلك يتم ، إلاّ أنَّ الله تعالى أعان بلطفه ، ومَنّ بإخمادِ نارِه .

وأخبرني من أثق به أنه كان يأكلُ في كل يوم أوقيّة فُوم ، وكان يأكل من الزنجبيل شيئاً كثيراً إلى الغاية .

ونقلتُ من خَطّه ماصورتُه : تاريخ قدومنا دمشقَ في الكَرَّةِ الثانية في العاشر من شهر رجب سنة سَبع وأربعين وسَبع مئة ، ثم لبثنا ثَمَّة إلى أن خرجنا منها في ثامن صفر يوم السبت من سنة إحدى وخمسين وسَبع مئة ، وقدمنا مِصْرَ يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، قال العبد الفقير إلى الله تعالى أمير كاتب بن أمير عمر المدعوّ بقوام الفارابي الأَتْقَاني : كان تاريخ ولادتي بَأَتْقَان ليلةَ السبت التاسع عشر من شوال سنة خمس وثمانين وستّ مئة ، وفاراب مدينة عظيمة من مدائن الترك تسمى بلسان العوام : أوتراد ، وأتقان اسمٌ لقصبة من قصَبَاتها ، هذا ما أنشأ[1] في أيام دولة السُلطان مالك رقاب الأمم مولى مُلوك العرب والعجم قاهر الكفرة والمشركين ، ناصر الإسلام والمسلمين ، سلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك الناصر بن الناصر ابن الملك المنصور حسن بن محمد بن قلاوون ، خلّد الله ملكه ونوّر مرقد آبائه السَلاطين في مدح المقَرّ العالي المجاهد المؤيّد المظفرّ ذي اليُمن والبركات ، والخير والمبرّات ، فريد الدهر وحيد العصر سيف الدين سُيرغتمش[2] أدامَهُ الله في عافيةٍ وافية حين تمّ بناء مدرسته المخصوصة بالحنفيّة بالقاهرة المعزيّة في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وسبع مئة ، وكان ابتداء العِمَارة في خامس رمضان سنة ست وخمسين وسَبع مئة ، الضّعيفُ أبو حنيفة قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي الفارابي الأَتقاني يوم أُجْلِسَ فيها مُدَرِّساً بحضورِ القضاة الأربعة وجميع أمراء

---

(١) الأشبه : « ما أنشأه » ، فحذف العائد ، وفاعل (أنشأ) هو قوله فيما بعد : « الضعيف أبو حنيفة » .

(٢) ستأتي ترجمته .

الدّولة مثل المقرّ العالي شيخو ، وحاجب الحجاب طشتمر القاسِمي[١] . وتوقاي الدوادار وغيرهم في الساعة الثالثة من يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، والقمر في السُنبلة ، والزهرة في الأوج ، وكان تثليث المشتري والقمر :

أرأيتم مَنْ دَرَأ النُّوَبَا ... وأتى قُرْباً ونفى رِيَبَا
فبدا عَلَماً وسَمَا كَرَماً ... ونَمَا قدَما ولَقَدْ غَلَبا
بتُقى وهُدَى ونَدى وَجَدا ... فغدا وشَدَا وجَبى وحَبَا
أبدى سَنَناً أحيا سُنناً ... حلّى زمناً عند الأُرَبا[٢]
هذاك سُيرغتْمشْ سَكَبت ... أيّامُ أمارته السُحُبَا
وأزال الجَدْبَ إلى خَصْبٍ ... والضَنْكَ إلى رَغَدٍ قَلَبَا
بإعانةِ جبّارٍ بَرٍّ ... ذي العرش وقد بذل النَشَبا
ملك فَطنٌ ركن لسنٌ ... حَسَن بَسَنٌ ربّى الأدبا
ملكُ الكبرا ملكُ الأمرا ... ملكُ العُلما ملكُ الأُدبا
بحرٌ طامٍ طَوْدٌ سَامٍ ... غَيْثٌ هَامٍ حامي الغُرَبا
بسياستِهِ وحَمَاستِهِ ... وسَماحته جَلَّى الكُرَبَا
وصيانَته وديانته ... وأمانته حاز الرُّتبا
أبهى أصلاً أسنى نَسْلاً ... أحظى خَصْلاً بذّ العربا
نِعْمَ المأوى مِصرٌ لَمَّا ... شَملت قَوْماً قيلاً نُجُبا
فنَمت نَوْراً وسَمَت نُوْراً ... وعَلَت دُوراً وأرت طرَبَا
نسَقت دُوْراً وسقت دُرَراً ... ووَعَت غُرَراً وحَوَت أرَبَا[٣]
وخْطَاء به افتخرت ونَمَت ... وسَمَت وزَرَت وحوت أدبا[٤]

(١) (ت ٧٥٩ هـ) ، الدرر : ٢٢٠/٢ ، وفيه : « الفاس » ، تحريف ، والذيل التام : ١٦٤ .
(٢) في المنهل : « صلى زمناً عند الأدباء » .
(٣) (ق) : « نسقت دُرَراً ، وسقَت دِرراً » ، والدِرّة : اللبن .
(٤) كذا ، والوخط : الشيب . وفي الأصل : « أربا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

خُـذْ دُرّ ثنـا ثم اجْنِ جنى منهـا ومُنىً فتعي طلبَـا
من كان عَنَى نَسبي علنـاً فـاراب لنـا نِعْمتَ نسَبَـا
كنـوُّنِ أبـاً لحنيفـةَ ثُمْـ مَ قـوام الـدين بَـدَا لَقَبَـا
عِش في رجبٍ تَرَ مِنْ عجبٍ من منتجب عجبـاً عَجَبَـا

وأعطاني المقرّ العَالي سُيرغتمش أيَّده اللهُ جـائزةَ هـذه القصيـدة يوم أنشـدتهـا عشرة آلاف درهم ، ومَلأ يوم الدرس بِرْكةَ المدرسةِ بالسُكّر وماءِ الليمون فسقى بـذلـك النـاسَ أجمعين ، وخَلَع عليّ بعد الدرس خلعتين إحداهما فروُ السنجاب ، ظَهـارتـه صُوف أبيض وكفْتُه قندز ، والأخرى فرجيّ من صُوف زيتي ، وخلع على ابني هُمَام الدين أيضاً ، ثم لَمّا خرجتُ من المـدرسـة حملني على بغلـةٍ شهبـاء مشتراهـا ثلاثـة آلاف درهم مع السَرج الْمُفَصَّص واللجام ، كان اليوم يوماً يؤرخ ، فيالها قصّةً في شرحها طُول .

تَمَّ ما نقلتُه من خطـه رحمـه الله تعـالى ، وتوفي في التـاريخ المـذكور ، ومـا أفـاده الطالع الذي تخيَّره لجلوس الدرس شيئاً ، بل كانت المدّةُ ستة عشر شهراً .

الألقاب والأنساب

أمين الملك :

☆ **الصاحب أمين الدين** : عبد الله ابن تاج الرئاسة .

☆ **الصاحب تاج الدين بن أمين الدين ، المقدم ذكرُه** : أحمد بن عبد الله .

☆ **أمين الدين ناظر الجيش كاتب طشتمر** : إبراهيم بن يوسف .

☆ **إمام المقام** : إبراهيم بن محمد بن إمام المشهد المحتسب محمّد بن علي .

الآمِلي :

☆ **عبد الكريم** .

☆ **ابن الأميوطي قاضي الكرك** : محمّد بن أحمد أمير سلاح بكتاش .

الأمشاطي :

☆ **الأديب** : أحمد بن عثمان .

٣٣٩ ـ أنَّاق*

الأمير سيف الدين الناصري ، أحد الأمراء بالديار المصريّة ، تزوج ابنة الأمير سيف الدين أرغون النائب .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشري شهر رمضان سنة [ست][1] وثلاثين وسبع مئة ، وكانت زوجته قد توفيت قَبلَهُ بشهر واحد .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن الأنباري شيخ المُستنصريّة ببغداد** : عبد الله بن أبي السعادات .

☆ **الأُنْدَرَشي أبو العَبّاس** : أحمد بن سَعدٍ النحوي .

٣٤٠ ـ أنَسُ بن كتبغا**

الملك المجاهد ابن السُلطان الملك العادل كتبغا المنصُوري .

كان مليحَ الشَّكْل شجاعاً ، بطلاً في الحروب نَفّاعاً ، عليه مهابة وَوَقار ، وله جلالة الملك مع بعض افتقار . كان السلطان الملك الناصر يحبُّه ويعظّمُه ويُجلّه

---

* الدرر : ٤١٦/١ .

(١) زيادة من (ق) يقتضيها السياق .

** الدرر : ٤١٧/١ .

ويُقَدِّمه ، وإذا حضر إليه قام لَهُ ورَحَّبَ به ، وبالبِشْر قابله وأخذ بيده وأجلَسَه إلى جانبه ، وربّما قدّم له بَعْضَ مراكبه ، إلا أنه كان قد عَمِيَ ، وبرد حَظه بعدما حَمي .

ولم يزل على حاله إلى أن ابتلعَهُ الجَدَث ، وأخذه ما قَدُمَ ومَا حَدَث .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر المحرّم سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وقد تجاوز الخمسين ، وكانت جنازته مشهودة ، ودفن بالقرافة في[١] تربتهم .

٣٤١ ـ أَنَص*

بفتح الهمزة والنون وبعدها صاد مهملة . الأمير سيف الدين النائب بثغر بَهَسْنَى[٢] .

لَمَّا توجه الأمير بدر الدين أمير[٣] مسعود بن الخطير إلى نيابة طرابلس في نوبة الأمير سيف الدين يلبُغا اليَحيَوي رُسم للأمير سيف الدين أَنَص بنيابة غزة[٤] مكانه ، وحضر إليه مَنْ أَخَذه من بَهَسْنى وتوجّه به إلى غزة[٤] ، ثم إنه طُلب عُقيب ذلك إلى مصر في جُمَادى الأولى والآخرة وشهر رجب سنة ثمان وأربعين وسَبع مئة ، فأقام قليلاً وجلس في جُملة أمراء المَشْوَر ، ثم عاد إلى غزّة مَقُدَّم عسكر ، على عادة نوّابها .

ثم إنه رُسم له بالتوجّه إلى قلعة الروم[٥] نائباً في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ، فتوّجه إليها وأقام بها إلى أن سكنت حركته وذهبت من عمره بركتُه .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء ثاني ذي الحجّة سنة خمسين وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) .

* الوافي : ٤٢٤/٩ ، والدرر : ٤١٨/١ ، والمنهل الصان : ١٠٤/٣ .

(٢) من أعمال حلب . معجم البلدان : ٥١٦/١ .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) ما بين غزة وغزّة سقط من (خ) .

(٥) في الوافي : « قلعة المسلمين » ، وكذا في المنهل ، وهي تقع جنوب غرب الفرات ، من جند قنسرين ، سميت بذلك لما فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون . صبح الأعشى : ١٢٠/٤ .

وكان شيخاً طُوَالا ، وَجْهُه بحُمْرَته وبياض شيبه يَتَلالا ، عظيم الحرمة ، كأنّه هِمٌّ وهو شهاب الهِمَّة[١] ، فسبحان من خَرَّبَ جِسْمَهُ وأَذْهَب رَسْمَه .

٣٤٢ ـ آنُوْك *

بألف ممدودة مفتوحة ، ونون مضمومة ، وواو ساكنة ، وكاف : ابن محمّد بن قلاوون هو سيف الدين ابن السلطان الملك الناصر ابن الملك المنصور من الخوندة طُغَاي الآتي ذكرها في مكانه إن شاء الله تعالى .

لم يكن عند أبيه أَعزُّ منه على كَثْرةِ أَوْلاَده ، وهو أحسَنُ الإخوة ، كان أخوه الناصر أحمد والمنصور أبو بكر وإبراهيم أكبر سناً منه ، وهو وَحْدَه أمير مئة مقدَّم ألف ، والباقون أمراء أربعين ، وكان يحمل رَنْكَ جَدِّه المنصور .

وزَوَّجَه السُلطانُ وهو ابنُ عَشْر سنين أو دُونَها بنتَ الأمير سيف الدين بَكْتُمر السَاقي ، وكان له عُرْس عظيمٌ ليلة[٢] الجمعة حادي عشر شعبان سنةَ اثنتين وثلاثين وسبع مئة حَضَرَهُ الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام ، والأمير سيف الدين طَيْنَال[٣] نائب طرابلس فيما أظن ، ونصبَ الأميرُ سيف الدين قوصُون صاريَيْن في الرحَبة قدّام الإيوان ، عليهما أنواعٌ من الصور والبارود والنفط غَرِمَ عليهما ثلاثين ألف درهم ، واجتمع الشمع بالنهار في الإيوان من قبل الظهر ، وعُرِض على السُلطان وهو جالسٌ على باب القصر على المصطبة الواحدة ، وآنوك على المصطبَة الأخرى ، وإذا عَرضَ الأمير الشمع المختصّ به باس الأرضَ وباس يدَ السُلطان ثم يبوس يد آنوك فُعِل ذلك أربعَ خَمْسَ مِرار[٤] ، ثم مَنَعَ السُلطان من بوس يد آنوك ، ولم يزل الشمع يُعْرَض إلى بعد المغرب ، ولم يكمل عَرضهُ ، وكان مهمّاً عظيماً .

(١) الهِمّ والهِمّة : الشيخ الفاني .

* الوافي : ٤٣١/٩ ، والدرر : ٤١٨/١ ، وبدائع الزهور : ٤٧٧/١/١ ، والمنهل الصافي : ١٠٨/٣ .

(٢) (خ) : « يوم » .

(٣) لم يذكره صاحب المنهل فيما نقله عن الصفدي .

(٤) في المنهل : « فعل ذلك ثلاث أو أربع أمراء » .

ورأيتُ أنا أبا العَرُوس وهو الأمير سيف الدين بَكْتُمر السَاقي وقد شَدَّ وسْطَه وفي يده عَصَا ، لا لأنه أبو العروس ، بل لأنّه عرسُ ابن أستاذِه ، ورأيت الجَهاز لَمَّا حُمل من دار أبي العُرُوس التي على بِرْكَة الفيل ممدوداً على رُؤوس الحَمَّالين ، وكان ثماني مئة حَمّال وستة وثلاثين قطاراً[١] ، غير الحُليّ والمصاغ والجواهر ، وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة بَكْتُمر في حرف الباء . ولّما صمدوا الشُوار[٢] المذكور دخل السُلطان ورآه[٣] فما أعجبه ، وقال : أنا رأيت شُوار بنتِ سُلاَّر وهو أكثر من هذا وأحسَنُ ، على أن هذا [يا أمير][٤] ما يقابَل به آنوك ، والتفت إلى الأمير سيف الدين طُقُزْتَمر والأمير سيف الدين أَقْبُغا وقال : جهّزا بنتيكما ، ولا تتخاسَّا مثل الأمير .

قلت : أخبرني المهذّب كاتب بكتمر أنّ الذهب الذي دخل في الزَّرْكَش والمصاغ ثمانون قنطاراً ، يعني بالمصري . وكان القاضي شرف الدين[٥] ناظر الخاص كاتب آنوك ، والأمير سيف الدين أَلطُنْقُش[٦] أُستادار السُلطان أستاذ داره .

وأخبرني من لفظه شرف الدين النشّو ناظر الخاص قال : الذي تحت يدي لسيدي آنوك ، ويد خزنداره ست مئة ألف دينار غير ماله تحت يدي من المتاجر في جميع الأصناف .

وكان إخوته الكبار يركبون وينزلون في خدمته ويخلع عليهم ويعطيهم .

وُصِفَ له ابن قيران الأعمى وهو من أهل القاهرة يلعب الشطرنج عاليَة ، فعجب منه وأحضره ولعب قدامه فأعجبه وأثنى عليه ، فقال له ياخوند : لأي شيء ما تلعب

---

(١) في المنهل : « قطار بغال » .

(٢) الشوار : متاع العروس وزينتها . وفي المنهل : « مدوا الشوار » .

(٣) في الوافي والمنهل : « رآه » .

(٤) ثابتة في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٥) (خ) : « شرف الدين النشو » .

(٦) سلفت ترجمته .

الشطرنج ؟ فقال : الملوك ما يصلح لهم الشطرنج [حسام الدين لاجين ما قُتل إلاّ وهو يلعب الشطرنج][1] .

وكان كثير الميل إلى اقتناء الأبقار والأغنام والإوز والبط ، وما أشبه ذلك . سمعته وهو يقول لمجد الدين رزق الله[2] أخي النشّو : والله يا رزق الله أنا أحبّ البقر أكثر من الخيل .

وكان كثيرَ الحَركة سريعَ التنقّل ماله قرارٌ على الأرض ولا لبْثٌ ، وَجُدّر[3] فتغيّرت محاسِنُه .

وتوفي قبل والده بما يقارب نصف سنةٍ ، ووَجِد عليه وَجْداً كثيراً وذلك في سنة أربعين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى ذا صورة تروي الأقمارُ المحاسن عنها ، ويستمد النهارُ ضياءَهُ منها ، لم ترَ عيني مثلَ حلاوة عينه المجذّبَة ولا مثلَ امتداد حواجبه المقوسة ـ واحتجت لأجل السجع أن أقول : المحدَّبة ـ ولا وقع ناظري على مثله في أولاد الأتراك ، ولا دارت في عصره على مثله الأفلاك ، كأنَّ محاجره أَثَرُ ظُفر في تفاحة ، ونَكْهَتَه شَذَا زهرات نفّاحة ، يَبْسم عن دُرٍّ صَدفُه مَرْجان ، ويسيل سَالفه مسكاً ضمّه من كافور خديه مَرْجَان . إذا خطا قلت : هذا غصنٌ بان ، يميس من أردافه على كثبان ، تعلوه مهابة الملك وبهاؤه ، وتلوحُ عليه عظمته ـ على صغر سنه ـ وسناؤه ، هذا إلى شكل قد أتم الله خَلْقَه ، وزيّنه لَمَّا لطّف[4] خَلقهُ .

كان جسمه من الزَّبد مُجَمَّد ، وكالُ جماله مَنْ رآه صلى على محمّد ، رأيته ليلةً وقد

---

(١) زيادة من (خ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

(٢) ابن فضل الله ، وستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « وجدّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٤) مطموسة في الأصل .

أمر السُلطان للنشّو أنْ يَعْمَل له مولداً للنبي ﷺ ويجمعَ له الفقراء بعد الختم في جامع القلعة فصنع له ذلك [وجاءت مشايخ الصوفية، وعملوا سماعاً على باب دور السلطان ، والنشّو واقف ، وذلك][1] في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسَبع مئة ، ووقف أقبغا عبد الواحد وألطنقش الأُستاذدار في خدمته طُول تلك الليلة ، ودخل هو ورقَص ، وحكاه البدرُ فزاد هو والبَدْرُ نَقَص ، ما خطر إلا وبانت[2] خَجْلَةُ الأغصَان ، ولا تَثَنّى إلاّ وقُلْت : هذا قضيب النقا وأوراقه القُمصَان ، ورقص إخوته جُملةً مَعَه . ونظرهم الناس فقالوا : هذه كواكب السماء مجتمعة ، ولم يَنَم تلك الليلة فرحاً بما رآه ، ولا استقر على الأرض لِمَا فارقه من الحجر عليه ونآه .

وخلَع في تلك الليلة على جماعة المغاني[3] والذين قرؤوا القرآن والسبع المثاني ، ونقّط بجمل من الذَّهَبْ ، وفاق الريح لما جاء وَوَهَبْ ، وكانت ليلة ما عهد الناس مثلها في عصرهم ولا رأوه ذاك الوقت في مصرهم . ولكنه تجدَّر قبل موته بقليل ، وتحدّر ذاك الحَبُّ اللؤلؤي على خدّه الأسيل . فأطلعَ الله النجوم على صفحة البدر ، وضمّ ذاك الجوهر على وجهه وكأنه[4] حليٌ نثر في صدر ، فَغَيَّرَتْ من محاسنه شيئاً ، ونسخت من ظلها فيئاً ، ولكن معالم جماله[5] كما هِيْ ، وتخاطيط وجهه للشموس والأقمار تضاهي . ولّما توفي رحمه الله تعالى وَجد أبوه عليه وَجْداً عظيماً ، وكتم حزنه وأسفه عليه حتى راح كظيماً ، ونثر عليه عِقدَ دموعٍ كان في عينيه نظيماً .

وقلت أنا فيه :

مضيتَ وكنتَ للدنيا جَمالا ... وَجَرّعْتَ الكواكبَ فيك فَقْدَكْ
ومِنْ عَجَب الليالي فيك أن لا ... يموت أبوك يا آنوك بَعْدَكْ

(١) ما بين حاصرتين سقط من الأصل ، وهو ثابت في (خ) ، (ق) .
(٢) (خ) : « إلاّ ورأيت » .
(٣) (ق) ، (خ) : « الأغاني » .
(٤) (خ) ، (ق) : « فكأنّه » .
(٥) في الأصل : « جمالي » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، وفي (خ) : « وجهه » .

وكان ذلك منّي كِهانة في حقه ، ولم يكمل من السنة نصفها حتى لحقَه ، وصَرَفه صَرف الزمان[١] فيما احتاجَ إليه من النفقة .

٣٤٣ ـ أوتامِش*

الأمير سيف الدين الأشرفي .

كان مملوكَ الأشرف خليل ، ولاّه الملك الناصر نيابة الكرك ، وكان يَرْكَن إلى عقله ويسمّيه الحاج ، وأرسلَه غير مرّة إلى القان بوسعيد ، وتوّجه مرّة بطُلبِه وطبلخانته[٢] إلى تلك البلاد ، وكان أولئك القوم يعظّمونه أيضاً ويَرْكَنون إلى عقله لأنه كان يعرف بالمغلي لساناً وكتابةً ، ويدْرِب آدابَ الْمُغْل ويحكم في بيت السُلطان [بين الخاصكية][٣] بالياسة واليسق[٣] الذي قرره جنكزخان [ويعرف سترة جنكزخان][٤] ويطالعها ويراجعها ، ويعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم ، ويستَحضر تواريخهم ووقائعهم ، وكان إذا جاء من تلك البلاد كتابٌ إلى السُلطان بالمغلي يكتب هو الجوابَ عنه[٥] ، وإذا لم يكن حاضراً كتبه الأمير سيف الدين طاير بُغَا خال السُلطان[٦] .

أخبرني مَنْ أثق إليه عن الأمير سيف الدين الحاج أرقطاي ـ وكان يدّعي أنه

---

(١) في الأصل : « الدين » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

* الوافي : ٤٤٠/٩ ، والدرر : ٤٢٣/١ ، والمنهل الصافي : ١١٢/٣ ، وفيه في آخر ترجمته : « وقيل إن اسمه أرتامش » بالراء .

(٢) زيادة ثابتة في : (ق) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) عبارة الوافي : بين الخاصكية باليسق . واليسق أو اليزق : كلمة مغولية تعني السياسية ، وهي قوانين وضعها جنكزخان ، وقررها من ذهنه ، رتّب فيها أحكاماً ، وحدّ فيها حدوداً ، وسمّيت أليا سة الكبرى . وأليا سة : تعني القانون في المغولية .

(٤) زيادة من (ق) .

(٥) (ق) والوافي : « عنه بالمغلي » .

(٦) عبارة الوافي : « نسيب السلطان » ، وكذا في المنهل . وطاير بغا توفي سنة (٧٣٨ هـ) . (حاشية المنهل) .

أخوه ـ قال : كنت ليلة أنا وهو نائمين في الفراش وإذا بـه قـال : أرقطـاي لا تتحرك ، مَعَنا عَقْرَب ، ولم يزل يُهمهم بشفتيه ، وقال : قم ، فقُمْنَا فوجدنـا العقرب قـد مـاتت ، وكان يعرف رُقىً كثيرة منها ما يقولـه على العقرب وهي سـارحـة فتموت ، ومنهـا رُقْيَـة لوجع الرأس . وكان مُغْرًى بلعب النَّرد .

أخرجه السلطان إلى صفد نائباً[1] عن الحـاج أرقطـاي في سنـة ست وثلاثين وسَبع مئة ، فتوَجّه إليها وأحسن إلى أهلها ، ووقع بينـه وبين الأمير سيف الـدين تنكز نـائب الشام .

ولم يزل فيها على حاله إلى أن عُطلت حواسُه ، وبَطلت أنفاسُه .

وتوفّي رحمـه الله تعـالى في أواخر سنـة سبع وثلاثين وسبع مئـة ـ فيما أظن ـ ودفن في تربة الحاج أرقطاي ، جوار الجامع الظاهري بصفد .

وكان مشهوراً بالخير ، والسكون الذي لا يرتاع معه الطير ، صاحباً لصاحبـه في السرّاء والضرّاء ، مالكاً قَلْبَ مَنْ يعرفهُ بخلائقه الزَّهراء ، ولكنه كان يُنَكَّدُ عَيْشُه ويثـارُ طيشُه بوَجَعٍ المفاصل الذي يعتريه ، وتَطُول مدته حتى يقول :

ألاَ مـوتٌ يبـاعُ فـأشتريـه .....[2]

وهـو الـذي تـوجّـه إلى دمرتـاش وأحضره من البـلاد الرُوميّـة ، على مـا سيـأتي في ترجمته .

☆ **الأوحَد بن الـزاهر** : شـادي ، وولـده الأمير صـلاح الـدين يـوسف ، وولـده علي بن يوسف .

---

(١) (ق) ، والوافي : « نائباً عوضاً » .

(٢) صدر بيت ارتجله المهلبي الوزير ، وعجزه : « فهذا العيش مـا لا خير فيـه » انظر الخبر مفصلاً في أخبـار المهلبي في يتيمة الدهر : ٢٢٤/٢ .

٣٤٤ ـ أَوْرَان*

بَفَتْح الهَمْزة ، وسكون الواو ، وبعدها راء وألفٌ ونون ، سيف الدين الحاجب بدمشق .

أنشأه الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، ثم إن الأمير سيف الدين تَنْكز أحبّه وقَرَّبَهُ وأعطاه عَشرة وإمرَةَ طبلخاناه[1] ، وجعله حاجباً بدمشق . ولم يزل عنده مكيناً إلى أن جَرَى لَهُ ما جرى مع قَطْلُوبغا الفخري ـ على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة الفخري ـ فانحرف عنه وأبغضه وأبعده .

ولم يزل على ذلك إلى أن أطفأ الله مصباحه ، ولم يطلع للحياة صباحه .

وتوفي رحمه الله تعالى ـ فيما أظن ـ سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

وكان قد لبس للإمرة في سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وتوجّه إلى ولاية الولاة بالقبليّة .

٣٤٥ ـ أَوْرَان**

الأمير سيف الدين السلاح دار ، أحد[2] مقدّمي الألُوف بدمشقَ .

ولم يزل على حاله إلى أن ضمّت أَوْرَامُ الأرض أَوْرَان ، ولم يعد لمائه في[3] الحياة فَوَرَان .

وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون دمشق ، في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٤٤١/٩ ، والدرر : ٤١٩/١ ، والمنهل الصافي : ١١٤/٣ ، وفيه أُورلن ، ضبط قلم بضم الهمزة .

(١) في المنهل : « وأنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم طبلخاناه بدمشق » .

** الوافي : ٤٤٢/٩ وفيه وفاته (٧٣٣ هـ) ، والدرر ٤١٩/١ ، والمنهل : ١١٣/٣ .

(٢) في الأصل : « إحدى » سهو ، وأثبتنا ما في : (ق) ل والوافي .

(٣) في الأصل : « بعدَ » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، وهي أولى .

٣٤٦ ـ أُوْلاجا*

بضمّ الهمزة ، وسكونِ الواو ، وبعدها لام ألف وجيم وبعدها ألف : الأمير سيف الدين .

كان هو وأخوه الأمير زين الدين قَرَاجا[١] في أيام الملك الصّالح إسماعيل حاجبَيْن بمصر ، والنائبُ شمسُ الدين آقْسُنقر السَلاّري المقدم ذكره ، والأمير سيف الدين بَيْغَرا الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الباء ، فوُشي بهم إلى السُلطان ، ونُسبوا إلى أنهم في الباطن مع الناصر أحمد ، وربّما أنهم يكاتبونه ، فَأُمْسِكوا جميعاً في أول سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وقضى الله أمره في النائب ، وبقي البقيّة ، فشفع فيهم الأمير طُقُزتمر[٢] نائب الشام ، فأُفْرِجَ عنهم في شهر رجب الفرد سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وتُرِك[٣] الأمير سيف الدين ، وجُهِّز أُوْلاجا وأخوه إلى دمشق ، فأقاما بها بطّالين إلى أن توفي الملك الصالح رحمه الله تعالى ، وتولى الْمُلْكَ الكاملُ شعبان ، فأُعطي أولاجا طبلخاناه ، وجُهِّز إلى حمص نائباً ، فأقام بها مدّة ، ثم نُقِلَ إلى نيابة غَزَّة ، وفي تلك الأيام بَرَّز يَلْبُغا اليحيوي نائبُ الشام إلى الجسُورة ، وخرج على الكامل وحضر إليه نائبُ حمص ونائبُ حماه ، ونائبُ طرابلس ونائب صفد ، والأمير سيف الدين أُولاجا طَلَبَهُ فلم يحضر إليه ، وأقام في غزة إلى أن خُلع الكامل ووُلِّي المظفر حاجّي فَرُسِمَ لأُولاجا بالعَوْدِ إلى حمص نائباً ، فأقام بها .

ولّما خرج يلبغا ثانياً[٤] على المظفر سيّر إليه وطَلَبه فدافعه ومَاطله ، ولم يحضُرْ إلى أن انفصلت القضيّة وأُمسك الأمير سيف الدين يلبغا ، ورُسِمَ للأمير سيف الدين

* الوافي : ٤٥٤/٩ ، والدرر : ٤١٩/١ ، والمنهل الصافي : ١١٥/٣ .

(١) في الأصل : « قرا » ، سهو ، وستأتي ترجمته .

(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « سيف الدين طقزتمر » .

(٣) في الأصل : « ونزل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « نائباً » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

أرغون شاه بنيابة الشام ، ورسم لأُولاجا بنيابة صفد ، فتوجّه إليها في أوائل شهر رجب الفرد سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكان قد تعلّق بـه وَخَم عظيم من حمص فزاد ضَعْفُـه بصفد ، وطلب طبيباً من دمشق ، فجُهِّزَ إليه وعالجه وتماثل من الضعف ، ثم إنـه نقض عليه الوَخَم الحمصي ، فتعَلّل ، ولم يزل إلى أن أُولِج أُولاجا في الأرض ، وسكنهـا إلى يوم العَرْض .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وأوصى إلى ثلاثـةٍ : دوا داره ، وأستـاذ داره ، وآخر من مـماليكـه ، وجعل النـاظرَ عليهم الأمير سيف الدين أرغون شاه نائبَ الشام ، وباشر هذه النيابات الثلاث مبـاشرة حَسُنَ فيها الثناءُ عليه ، وأُهديت أنواع الشكر من الأنام إليـه ، عفـافٌ وأمـانـة وخِبْرَة تامة وديانة ، وعَدْلٌ في قضاياه وصِيَانة ، لم يتعرض إلى أموال الرَّعايا ولم يَتَغَرَّض أحـداً فيُصْميه في الرّمايا ، وتـأسف عليـه أهل البلاد وودوا لو دام لهم بقـاؤه ولو كانوا معـه في جدالٍ وجلاد . وقَدِم على ربّه وترك أوِدَّاءه ، وعَدِم شخصُه وأبقى ثناءه .

٣٤٧ ـ أولاق*

الأمير سيف الـدين ، كان من جملـة أمراء دمشق يسكن فـوق المـدرسـة الشـاميـة البرانية ، وكان قد تزوج ابنة الأمير سيف الدين كوكنجار[1] ولم يدخل بها .

وتـوفي رحمـه الله تعـالى في خـامس عشري شهر ربيـع الآخر سنـة اثنتين وثـلاثين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٣٤٨ ـ أَيَاز**

بفتـح الهمـزة ، وبعـدهـا يـاء آخر الحروف ، وبعـد الألف الثـانيـة زاي : الأمير فخر الدين السلاح دار .

---

* الدرر : ٤١٩/١ .

(١) ستأتي ترجمته .

** الوافي : ٤٥٩/٩ ، وتـالي وفيـات الأعيـان : ١٨٩ ، والـذيل التـام : ١١٠ ، والـدرر : ٤٢٠/١ ، والنجوم =

أظنه كان في مِصْرَ قبل خروجه إلى الشام من بعض مُشِدِّي العمائر[١] السُلطانية ، ثم إنه خَرَج في حياة السُلطان إلى طرابلس أميرَ عشرة ، ثم نُقل إلى دمشق على عَشْرة في أواخر أيّام الأمير سيف الدين تَنكز ، فأقام بها إلى أن توجّه صُحْبَةَ العساكر إلى مصر مع الفخري ، فرُسم له هناك بإمرة طبلخاناه ، وحضر عليها إلى دمشق . ثم إنه وَلي شدّ الدواوين بالشام عوضاً عن الأمير سيف الدين ينجي[٢] السلاح دار ، وباشره جيداً بحُرْمَةٍ ومهابة .

ثم إنّه عُزل في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر وصار حاجباً ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي الأمير سيف الدين أَلِلْمِش أمير حاجب المقدّم ذكره في أيام الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، فولي الحجوبيّة الكبرى وأحبّه يلبغا ، وصار حظيّاً عنده لا يفارقه سَفَراً وحضراً[٣] .

ولم يزل على ذلك إلى أن طلبه الملك المظفر حاجّي إلى مصر ، فتوجه إليها ، ونزل عند الأمير سيف الدين أُلجيبغا الخاصكيّ المقدم ذكره ، ورُسم له بنيابة صفد ، فوصل إليها وأقام بها ، وبعد حضوره[٤] إليها بقليل خرج يَلْبُغا على المظفر ، وجرى له ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمته ، وهرب ، فرُسم للأمير فخر الدين بأن يركب خلفه ، فحضر بعسكر صفد إلى دمشق وتوجّه بهم وبعسكر دمشق إلى حمص ، وأقام عليها . ولمّا أُمسك في حماة عاد بالعسكر وتوجَّه إلى صفد ، ورُسم له بنيابة حلب في شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة توجه[٥] إليها وأقام بها .

= الزاهرة : ٢٤٥/١٠ ، والمنهل الصافي : ١١٩/٣ .

(١) مشد العمائر : هو من يشرف على إعمار البيوت . زغل المناصب : ١٧٥ .

(٢) في الأصل ، و (ق) : « بينجي » ، تصحيف ، وستأتي ترجمته .

(٣) (ق) ، (خ) ، والوافي : « ولا حضرا » .

(٤) (خ) : « وصوله » .

(٥) (ق): « فوجه » ، (خ) : « فتوجّه » .

ولّما كانت أول دولة الملك الناصر حسن حضر إليه الأمير ركن الدين عمرشاه[١] يطلبه إلى مصر على البريد مُخِفّاً ، فقابل ذلك بالطاعة ، فلما كان في الليل بلغ عمرشاه أنّه ربما قد عَزَم على العصيان ، فأركَبَ الأمراء والعسكر الحلبي وأحاطوا بدار النيابة ، فلمّا أحسّ بهم خَرَج إليهم وسلّم سيفه بيده إلى عمرشاه وقال : أنا مملوكُ السُلطان وتحت طاعته الشريفة ، فأمسَكُوه وقيّدوه واعتقلوه بقلعة حلب ، وطولع السُلطان بأمره ، وكان ذلك في العشر الأوسط من شوّال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأحضره[٢] الأمير سيف الدين بِلْجك[٣] إلى قلعة دمشق مكبّلاً بالحديد ، فأقام بها معتقلاً في القلعة أياماً يسيرة ، ثم إنه طُلب إلى مصر[٤] ولّما وصلها جُهز إلى الإسكندرية .

وحكى لي من أثق به أنه لّما وصل إلى دمشق أدخله الأمير سيف الدين أرغون شاه إليه في الليل فقال له : والله يا خوند رأيت في الطريق فلاحاً يسوق حماراً أعرجَ معقوراً وهو في أنحس حال فتمنيّتُ لو كنتُ مثلَه [فَرَقّ له][٥] .

ولم يزَل معتقلاً بالإسكندرية إلى أنْ أُفْرِجَ عنه وجُهّز إلى دمشق ليتوجّه إلى طرابلس ويقيم بها بطّالا ، فوصل في خامس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبع مئة . وفي أوائل جمادى الأولى أعطي طَبْلَخاناه سُنقر الجمّالي بها ، ثم إنه نُقل إلى دمشق فأقام بها ، وأخذت المراسلات تدور[٦] بينه وبين الأمير سيف الدين أُلجيبغا نائب طرابلس إلى أن جرى ما جرى منه ومن أُلجيبغا ، على ما تقدم في ترجمة الجيبغا . وهرب من دمشق مع الجيبغا ، ولّما أمسك الجيبغا فارقه أياز وانفرد عنه في ثلاثة أنفار من مماليكه ، فأمسكه ناصر الدين ابن المعين وبعضَ أجناد بعلبك في قرية العاقورة

(١) عمرشاه التركي (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ١٩٨/٣ .
(٢) (خ) : « وأحضر » .
(٣) كان حيّاً سنة (٧٥٢ هـ) ، ولم يذكر الصفدي وفاته . الوافي : ٢٨٥/١٠ .
(٤) انظر : البداية والنهاية : ٢٢٥/١٤ .
(٥) زيادة من (خ) ، (ق) ، والوافي .
(٦) ليست في (خ ٩ .

وقد لبس لبسَ الرهبان ، وأحضره إلى بعلبك فقيّدوه ودخلوا به القلعة ، ولّما بلغ الخبرُ العسكر الشامي أخذوه من بعلبك وجاؤوا به إلى دمشق هو والجيبغا مكبّلين في الحديد وجرى لهما ما جرى ، ووسّطوه في سوق الخيل بدمشق هو وألجيبغا على ما تقدّم في ترجمة ألجيبغا ، وجزع جزعاً عظيماً وهلع وذل وخضع ، وأخذ سكيناً من واحدٍ كان واقفاً إلى جانبه وأراد يذبحُ بها نفسه أو يجرح غيره فأعجلوه وضربوه بالسيف ، ووسّط فخاض السيف في أحشائه واستقى نفسه من قليب قلبه برشائه ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مئة .

وقلت فيه :

لما أنار أيازُ في أُفُق العُلاَ ... خَمَدت سَريعاً لامعات علوّه
بالأمس أصبح نعمة لصديقه ... واليوم أمسى رحمة لعدوّه

وكان رحمه الله تعالى جيداً في حق أصحابه ، مثابراً على تقدمهم فَرِحاً بهم في رحابه يبذل مهجته دونهم قبل مَالِه ، ويجتهد في حق كل منهم حتى يصل إلى بلوغ آماله . وأحبّه أهل حلب كثيراً ووجدوا به فرشَ أيامه وثيرا ، لأنه عاملهم بلطفٍ زائد ولينِ جانب وخضوعِ قرنه بجُودٍ ، لم يُرَدّ أحد[1] منهم وهو خائب ، إلاّ أنه تحامل على أرغون شاه وزاد ، وغدر به وكاد ، وبعض من اطّلع على باطن أمرِه بَسَط عُذره ، والله تعالى يتوّلى ظاهر أمره وسرّه .

٣٤٩ ـ أياس*

الأمير فخر الدين الشمسي مملوك الأمير شمس الدين سُنقر الأعسر الآتي ذِكْرُه إن شاء الله تعالى في مكانه .

كانت له معرفةٌ ودُرْبَه ، وقوّة نفسٍ يعدّ بها أن الناس مِنْ رَجُلٍ والأرضَ من

(١) (خ) : « لم يردَّ أحداً » .
* الدرر : ١/٤٢٠ .

تربه ، وحزم يؤدّيه إلى أنّ الإنسان كيفما كان فهو في دار غربه ، فلهذا عمل شدّ الدواوين وما حَل ، وفعل فيه ما حَرُم وما حَلّ . ثم إنه عُزِلَ وتوجه إلى طرابلس ، وكان فيها مَصْرَعُه ، وترك من دمشق مَرْبَعه ومَرْتَعُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكان نائباً بقلعة الروم ، ثم نقل منها إلى حَماة ، ثم إنّه رُسِمَ له بشدّ الدواوين بدمشق ، فوصل إليها وباشر ذلك عوضاً عن الأمير زين الدين كَتْبغا في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة ، وصلى الجمعة بالخلعَة مع نائب دمشق في المقصورة ، ولم يزل به إلى أن عُزِل الأمير سيف الدين طوغان .

جاء من القاهرة في ثالث عشر صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وفي ذي الحجّة توجه الأمير فخر الدين أياس المذكور من دمشق إلى طرابلس ليكون بها مقيماً في جملة الأمراء ، وعزل من شدّ الدواوين بدمشق .

٣٥٠ ـ أَيان*

بفتح الهمزة ، والياء آخر الحرف ، وبعد الألف نون : الأمير سيف الدين السّاقي الناصريّ .

كان أميراً بمصر يَسْكُن حِكْرَ جَوْهَر النوبي[1] ، اشترى دارَ الأمير شرف الدين حسين بن جُنْدُربك[2] ، ولمّا عاد أمير حسين إلى القاهرة أراد ارتجاعها ، فدخل أيان على الأمير سيف الدين بَكْتُمر الساقي فمنعه منها ، وكان السُلطان قد رسَم بإعادتها ، ثم

---

* الوافي : ٤٦٨/٩ ، والدرر : ٤٢١/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٦/٣ .

(١) حكر جوهر النوبي : نسبة إلى جوهر أحد الأمراء في الأيام الكاملية ، وكان تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربي . (الخطط ١١٨/٢ ، عن حاشية المنهل) .

(٢) توفي سنة (٧٢٨ هـ) . الوافي .

إنَه أُخرج[١] إلى دمشق أميراً ، فمكث بها مُدّة . ثمّ إنّ قوصُون طلبه إلى مصر بعد خلع المنصور ، فتوجه إليها ، ولّما جرى لقوصون ما جرى عاد إلى دمشق حاجباً صغيراً ، وعَظُم إلى أن توجَّه إلى حمص نائباً ، وأقام بها قريباً من تسعة أشهر ، ثم عُزل بالأمير سيف الدين قُطْلُقْتُمر الخليلي[٢] ، وتوجّه أيان السَاقي إلى غزة نائباً ، فتوجه إليها مكرهاً ، وأقام بها مدة شهر أو أكثر ، ومرض مُدّةَ اثني عشر يوماً فكان بها أيّانُ وفاة أيَان ، وأصبح خبراً بعد العَيَان ، وحُمل إلى القدس ودفن به .

وكانت وفاته في ثالث شهر رجب سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكان شديد الوطأة والعَبْسَة ، طويل النفس في الجَلْسَة ، لا يراعي خليلا ، ولا يحترم مَنْ كان جليلا .

٣٥١ ـ أيبك*

الأمير عز الدين التركي الحمويّ نائب السَلطنة بدمشق ، تولاّها بعد الأمير علم الدين الشجاعي في شوال سنة إحدى وتسعين وست مئة ، ثم إنه عُزل عنها في سنة خمس وتسعين وست مئة ، وَوَلّى العادلُ مكانه مملوكَه أغرْلو[٣] ، وأُمسك بالقاهرة في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وست مئة وجُهِّز إلى قلعة صرخد .

ثمّ إنه وُلّي نيابة حمص ، فوصل إليها وأقام بها شهراً واحداً إلى أن حُمّ أمر الحموي ، فقضى نحبه ولحق مِنَ الأموات صَحْبَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة في عشري شهر ربيع الآخر .

---

(١) (خ) : « خرج » .

(٢) ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٤٧٩/٩ ، والتحفة : ١٩١/٢ ، والدرر : ٤٢٢/١ ، والمنهل الصافي : ١٣٢/٣ ، وعقد الجمان : ٣٤٠/٤ ، وفيات سنة (٧٠٣) ، والبداية والنهاية : ٣٠/١٤ .

(٣) في عقد الجمان : « غرلو العادلي » . وفي البداية والنهاية ، ٩٤/١٤ : غرلو بن عبد الله ، توفي سنة (٧١٩ هـ) .

وكان معروفاً بالشهامة ، موصوفاً بالحزم في الظعن والإقامة ، عنده اتضاع ، وسكونٌ يألفه[١] من الرضاع ، ولما توفي في حمص نقل إلى تربته[٢] التي هي شرقي عَقَبة دُمّر[٣] .

٣٥٢ ـ أَيْبَك*

الأمير عز الدين الموصليّ المنصوري نائب طرابلس .

كان مهيباً ذا وقار ، كأنَّ مَشِيبَهُ خليطُ ثلج وَقَار ، مجاهداً في الفرنج والتتار ، مباعداً ما يُكْسِبُ الآثام والأوزار . سيرتُه جميلة ، وثناؤه يحكي نَفَسُه زَهْرَ خميلة . من خير أمراء دهره وأشرفِ أبناء عصره ، ولم يزل إلى أن أُبعد الموصلي عن أحبابه ، وانفرد عن لِدَاتِه وأترابه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس سنة ثمان وتسعين وست مئة .

أَيْبَك**

الأمير عز الدين الطويل المنصوري الخزندار .

كان أميراً دَيِّناً ، مُؤَهّلاً للصّلاح مُعيِّنا ، يواظب على التبكير إلى الجمعة ، ويواصل التكبير بالتهليل مع إرسال الدمعة ، تأمّر على الحج غَيْرَ مَرَّة ، ولم يظلم أحداً بعصمة الله مِثْقَالَ ذرّة ، طعَنَ في سنّه ، وكم طَعَن في قِرْنه ، ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن مضى لربّه حميداً ، وترك ﴿ مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً ﴾[٤] .

---

(١) (ق) : « ألفه ».

(٢) (ق) : « تربته بدمشق » .

(٣) معجم البلدان : ٤٦٣/٢ . وفي عقد الجمان ، والمنهل : « غربي زاوية ابن قوام » .

* الوافي : ٤٧٨/٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٦ ، والمنهل الصافي : ١٣٣/٣ .

** الدرر : ٤٢٣/١ ، وعقد الجمان : ٤٤٧/٤ ، وفيات سنة (٧٠٦ هـ) .

(٤) المدثر : ١٢/٧٤ ـ ١٣ .

ووفاته رحمه الله تعالى يوم الأربعاء حادي عشر شهر ربيع الأول سنة ست وسبع مئة[١] .

٣٥٤ ـ أيبك*

الأشكري الأمير عز الدين ، أحد الحجاب بدمشق .

كان من جملة أمراء الطبلخانات بها .

وتوفّي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٣٥٥ ـ أيبك**

الأمير عز الدين الزويزاني الحاجب .

تجاوز السبعين ، وتوفي بقرية من قُرَى الساحل في مستهل شعبان سنة تسع وتسعين أو سنة سبع مئة .

٣٥٦ ـ أيبك***

الأمير عز الدين الرحَّالي ، بالحاء المهملة المشددة .

كان بنابلس أظنه والياً .

توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة أربع وسبع مئة ، وكان له أولاد ملاح فضلاء .

٣٥٧ ـ أيْبك****

النجيبي .

---

(١) في عقد الجمان : « ودفن بقاسيون » .

* الدرر : ٤٢١/١ .

** لم نقف على ترجمة له .

*** الدرر : ٤٢٣/١ .

**** الدرر : ٤٢٣/١ ، وعقد الجمان : ٢٠٥/٤ ، وفيات سنة (٧٠١) ، والبداية والنهاية : ٢٠/١٤ .

الأمير عز الدين الدوادار .

كان أَحَدَ الأمراء ، وفرداً في الكبراء ، ولي البَرَّ فصدق في أقواله وبَرّ ، فشُكِرَتْ سِيْرتُه وما سَكِرَت بل صَحَتْ ، وصحّت سَريرته ، ولم تطل مدّة الولاية ، ولا امتدت به إلى غاية ، إلى أن خَمَدت جمرته ، وانجلت من خمار الحياة غمرته .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبع مئة .

٣٥٨ ـ أيبك*

الأمير عز الدين الجمالي .

تولّى نيابةَ قلعةِ دمشق عوضاً عن الأمير سيف الدين بلبان البدري في ثامن عشر جُمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ثم ورد المرسوم بأن يكون الأمير سيف الدين بُهادر الشمسي أحدَ الأمراء بدمشق نائباً بقلعة دمشق ، ويكون الأمير عز الدين أيبك نائباً[1] بالقلعة ، وذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة . ثم إنه ورد المرسوم بأن يتوجه إلى نيابة الكرك في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، فتوجه إليها وعُوِّض عنه في نيابة دمشق بالأمير سيف الدين بهادر الشمسي .

٣٥٩ ـ أيبك**

الأمير عز الدين المعروف بكرْجي .

من كبار أمراء دمشق ومُقَدّميهم ، كان شجاعاً فارساً مقدّماً مجاهداً يحفظ أحاديث الجهاد .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

---

* الدرر : ٤٢٣/١ .

(١) (ق) : « واليا » .

** لم نقف على ترجمة له .

٣٦٠ ـ أيْبَك *

الأمير عز الدين المعروف بالبُدَيوي الظاهري ، الجَمْدار المُشد على الأملاك الظاهرية .

كان له فَهْمٌ ومَعرفة .

توفي بدار الحديث الظاهريّة في ثاني عُشْرَيّ المحرم سنة تسع وسبع مئة .

٣٦١ ـ أَيْتَمُش**

الأمير سيف الدين المحمّدي .

كان أحدَ أمراء الطبلخاناه بدمشق ، وكان سكنه بظاهر دمشق بناحية مسجد القصب ، وهو والد خليل الذي يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

كان الأمير سيف الدين تنكز يكرُمه وله عنده منزلة يرعَاها .

وتوفي رحمة الله تعالى في يوم السبت سابع شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

٣٦٢ ـ أَيْتمش***

الأمير سيف الدين الأبو بكري الناصري .

كان أحد الأمراء العشرات بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني ذي الحجة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

---

* الدرر : ٤٢٢/١ .

** الدرر : ٤٢٤/١ .

*** لم نقف على ترجمة له .

٣٦٣ ـ أيْتمش*

بفتح الهمزة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وتاء ثالثة الحروف ، وميم بعدها شين معجمة : الأمير سيف الدين الجَمْدار الناصريّ .

كان من مماليك الملك الناصر ، أَمَّرهُ طبلخاناه هو وستة أمراء في يوم واحد ، وكان هو والأمير ناصر الدين محمّد بن أرغون النائب[١] وبَيْدمر البدري ، وذلك فيما يقارب سنة أربع عشرة[٢] وسبع مئة .

كان كثير السكون والأناة ، بعيداً من الشر والرداة ، وافر الحشمة والأدب ، حازم الرأي لا يقع في أمر يسوؤه فيه من عَتَبْ ، ليس فيه شرٌّ ألبتّه ، إذا رأى دنَسَ عيبٍ قرصَهُ وحتّه ، يجود في موضع الجُود ، ويحفظ ما هو في يده موجود .

وليَ الوزارة في أيام الصّالح إسماعيل ، ثم عُزِلَ منها ، ووليَ الحجوبيّة بالدّيار المصريّة ، وتزوّج ابنَته الأميرُ علاء الدين مُغْلُطاي أمير آخور ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الميم موضعه ـ ولَمَّا قُتل أرغون شاه نائب الشام ـ على ما تقدم في ترجمته ألزَمَه الأمراء أرباب الحلّ والعقد بالديار المصريّة أن يتوجّه إلى دمشق نائباً ، فامتنع ، فما فارقوه حتى وافق ، ودخل إلى دمشق على خَيْلِه في نفرٍ قليل مِنْ جماعته في حادي عشر جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة ، وأقام بها لا يَرُدُّ مَرسُوماً ، ولا يَعزل ولا يُوَلِّي طَلَباً للسلامة ، ولم يزل بها إلى أن خُلع السلطان الملك الناصر حسن ، وتولى الملك الصّالحُ صَالح ، فحضر إليه الأمير سيف الدين بُزْلار ، وحلّفه وحلّف جميع العسكر ، ثم إنه طُلب إلى مصر ، فخرج من دمشق يوم الخميس ثالث عشر[٣] شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وخرج العسكر معه إلى الجَسُورة ، وودّعوه .

---

* الوافي : ٤٨٢/٩ ، والتحفة : ٢٨٣/٢ ، والدرر : ٤٢٤/١ ، وإعلام الورى : ٢٠ ، والمنهل الصافي : ١٣٧/٣ .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ق) ، (خ) ، والوافي : « أربع وعشرين » .

(٣) في الوافي : « عشرين » .

ولما وصل مصر دخل إلى السُلطان وسلّم وقبّلَ الأرض ، وسلم على الأمراء ، وتوجّه إلى الأمير سيف الدين قُبْلاي ـ الآتي ذِكْرُه ـ نائبِ مصر ، فأمسَكَه ، وجُهّز إلى الإسكندريّة ، ولم يزل بها إلى أن ورَدَ المرسُوم على نوّاب الشام ومضمونه أنَّ الأمراءَ ببابنا الشريف ، وقفوا لنا وشفَعوا في الأمير أيتمش ، وسألوا الإفراج عنه لأنَّ ذنبه كان خفيفاً ، فَتُعَرِّفُونا ماعندكم في هذا الأمر . فأجاب الجميع بأن هذا مَصْلَحة ، فأُفرج عنه وجُهِّز إلى صفد ليكون بها مقيماً بطّالاً إن اشتهى يركب وينزل ، وإن اشتهى يحضر الخدمة ، ووصل إليها في أوائل العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، فأقام بها إلى أن طَلَبه بيْبُغَاروس لّما ورد دمشقَ خارجاً على السُلطان ، فاعتذر بأنه ضعيف ، فأخذوه في مَحَفّة وأقام عنده على قبّة يلبغا ، ونفع أهلَ دمشق وشفع فيهم مرات .

ولّما هرب بيبغا توجّه هو إلى السلطان الملك الصّالح وحضر معه إلى دمشق ، وأقام إلى أن توّجه السُلطان إلى مصر في سابع شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بعد أن خَلَعَ عليه ، وولاّه نيابة طرابلس فتوّجه إليها .

ولم يزل بها مقيماً في نيابتها إلى أن جاء إلى دمشق من ينعاه ، وتألّم له من كان يودّه ويرعاه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في سلخ شهر رمضان بطرابلس ، وذلك في سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

وله بدمشق داران : دار الأمير سيف الدين ينجي التي بَرَّا باب السَلاَمة ودار طيبغا[1] حاجي التي في الشرف الأعلى الشمالي . وكانت ابنتاه إحداهما مع الأمير علاء الدين مُغُلْطاي القائم في تلك الدولة بإمساك النائب بيبغاروس والوزير منجك وغيرهما ، والأخرى مع الأمير سيف الدين طشبُغا الدوادار ، وهو نائب الشام ، فكان هو وصهراه عبارة عن تلك الدولة .

(١) في الأصل : « طنبغا » ، تصحيف .

٣٦٤ ـ أَيْدغْدي*

الأمير علاء الدين شُقَيْر .

لّما كان أميراً بدمشق كان عند الأفرم حَظِيّاً ، مُلازَمه بُكْرَة وعشيّاً ، وكان ينادمه ويخلو معه على شرابه ، ويَشْركهُ في لذّاته ونَيْلِ آدابه ، ولّما حضر الملك الناصر محمّد من الكرك استحال على الأفرم ، واختص بالناصر ، وكان يحرق عليه الأُرَّم[1] ، وربّما أنّه الذي أوقد جَمْرَ الغضبِ عليه وأضرم . وصار عند الناصر من الخواصّ المقربين وأمراء الْمَشْوَر المدّربين ، وربّما أفضى إليه بأسرار وتسلط به على إطفاءِ شَرارِ جماعة من الأشرار ، ولكنه بعد قليل مجّه ، وجادله فجدّله لَمَّا حَجَّه ، وقبض عليه وعلى غيره وقصّ جناحَ النجاح مِن طَيْره ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان آيدُغدي شقير وبكتمر الحاجب وشرف الدين أمير حسين بن جندر هؤلاء الثلاثةُ أمراء عند الناصر محمّد ثلاثةَ الأثافي والأصحاب الذين لا يخفى من السُلطان عنهم خافي[2] ، وهم مَوْضع سِرّه ، وجعل الثلاثةَ أمراءَ مئين ومُقَدَّمي ألوف ، وكان أكبرُهم رُتبةً أيدغدي .

حكى لي الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر قال : قال لي السلطان مَرّة : يا أمير شرف الدين قطّ ما أستشيرك[3] في أمر أحد وإمساكه فتقول لي : أمسكه ، بخلاف الأمير علاء الدين أيدغدي . قال : قلت[4] له : يا خوند أيش هو أنا وأيش هو

---

* الدرر : ٤٢٥/١ .

(١) في اللسان : « فلان يحرق عليك الأُرَّم : إذا تغيّظ فحكّ أضراسه بعضها ببعض ، وقيل : الأرّم : أطراف الأصابع » .

(٢) كذا في الأصل بإثبات الياء للوقف .

(٣) في الأصل : قطّ استشيرك ، وأثبتنا ما في (ق) ، والظاهر أنه يريد : ما أستشيرك قطّ .

(٤) (ق) : « فقلت » .

أيدغدي حتى تُشاورنا أنت ، ما تقلق في الليل ؟ فقال : بلى والله ، قلت : ذاك الوقت أطلبُ من الله ، ومهما حَسَّنه اللهُ تعالى في عقلك افعل به واعمل عليه ، قال : ولم يكن إلا[١] بعد أيام قلائل حتى أمسكه ، وما أثنى عليه بخير .

ودارُه بدمشق معروفة تحت مِئذنة فيروز ، وهي دار حَجّاج بن مَسْلَمة[٢] بن عبد الملك بن مروان ، وكثيرٌ من الناس يظنها دارَ الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وإنما هي كانت أولاً للحَجّاج ، ولما ولد حجاج بن عبد الملك سماه والده حجاجاً باسمه وقال :

سَمّيتُه الحَجَّاجَ بالحَجَّاج بالناصح الْمُعَاون الدمَّاجِ

نُصْحَاً لعمري [غير][٣] ذي مداجي

فوهب الحجاج بن يوسف داره هذه التي بدمشق له ، وهذه الدار كانت للأمير علاء الدين أيدغدي شقير ، ثم إنها اتصلت للأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، ثم للأمير سيف الدين بَلْبَان طُرْنَا[٤] ، ثم للأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، ثم للأمير نور الدين بن الأفضل .

٣٦٥ ـ أَيْدُغدي*

الأمير علاء الدين الظَّهري .

كان أميرَ عشرة ، وكان نقيبَ النقباء بدمشق ، وكان شيخاً قد أسَنّ ، وسَلَك كُلَّ

(١) ليست في (ق) .

(٢) كذا في الأصل و (ق) ، والصحيح : حجّاج بن عبد الملك ، كما سيأتي . وهذا الخبر حتى آخره ساقه الصفدي في ترجمة حجّاج بن عبد الملك . في الوافي : ٣١٦/١١ .

(٣) زيادة من (ق) والوافي .

(٤) في الوافي : ٣١٦/١١ : بليان طرفا ، تحريف ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٤٢٥/١ .

طريق عَنّ ، قد مخَض التجارب ، وعرض للتصالُح والتحارُب ثَوّر[١] نعمَة طائلة وسَوّر أملاكاً هائلة . وكان يحفظ (كفاية الْمُتَحفّظ)[٢] ويسردها ، ويعرف حُلَى الأنبياء عليهم السلام ويوردها . ولما أُمسِك تَنْكز أُخرج من نقابة النقباء وجُهّز إلى نيابة قلعة صَرْخد ، فأقام فيها مُدّة ، وحضر إلى دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن لم يجد له الظهيريّ ظهيراً ، وخَمل ذكره بعد أن كان شهيراً .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

٣٦٦ ـ أَيْدُغدي*

الأمير الكبير علاء الدين الخوارزمي ، أمير حاجب بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد ثاني عشر شعبان سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وكان توّجه رسولاً إلى الغرب ، وكان شيخاً طُوَالاً[٣] تامّ الهيئة ، عنده فهمٌ ومعرفة ، وله كتبٌ يطالع فيها ، وَعَلى ذهنه أشياء حسنة من تاريخ وغيره .

٣٦٧ ـ أَيْدُغْمش**

بفتح الهمزة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وضمّ الدال المهملة ، وسكون الغين المعجمة ، وبعد الميم شين معجمة : الأمير علاء الدين أمير آخُور الناصري .

---

(١) في الأصل : « نور » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) . وثوّر : تعني جمعَ عدداً كبيراً من مال ورجال .

(٢) هو كفاية للتحفظ في اللغة لمحمد بن أحمد الحوئي (ت ٦٩٣ هـ) ، الكشف : ١٥٠٠/٢ .

* الدرر : ٤٢٥/١ .

(٣) (ق) : « طويلاً » .

** الوافي : ٤٨٨/٩ ، والتحفة : ٢٥٨/٢ ، والدرر : ٤٢٦/١ ، وخطط المقريزي : ٤٥/٢ ، والمنهل الصافي : ١٦٥/٣ .

كان أولاً من مماليك الأمير سيف الدين بلبان الطبّاخي[١] الآتي ذكره ، ولما جاء الناصريّ[٢] من الكرك ولاّه أميرَ آخور عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، وأقام على ذلك إلى أن توفي الملك الناصر .

وكان مِمَّن قام مع قوصون في أمر المنصور أبي بكر ، ثمّ إنّه وافَقَهُ على خَلْعِهِ ، ولولا اتفاقُه معه[٣] لم يتم لقوصون أمرٌ . ثم إنّه لَمَّا هَرَب مِن الفخري[٤] ـ على ما تقدّم في ترجمة ألطنبُغا ـ وقارب بُلْبيس اتفق الأمراء مع أَيْدُغْمش على قوصون وحِزْبه ، فوافقهم على ذلك ، وقَبض على قوصون وجماعته ، وجهَّزهم إلى الإسكندرية ، وجهزّ من تلقّى ألطنبغا ومَنْ مَعَه وأمسَكهم ، وجهّزهم إلى الإسكندرية أيضاً ، وكان أيدغمش في هذه المرّةِ هو المشارَ إليه ، وجهّز ولده ومعه جماعةٌ من الأمراء المشايخ إلى الناصر أحمد إلى الكرك . ولّما استقرّ أمرُ الناصر أحمد في مصر أُخرج أيدغمش إلى حلب نائباً ، فلمّا وصل إلى عين جالوت لحق به الفخريُّ مستجيراً به ، فأكرم نُزُلَه وأَضافه ونَوَّمَه في خيمة عنده ، واطمأن الفخريُّ وخلع آلة سلاحه ومماليكه ، و [لّما][٥] كان بكرة أمسكه وجهزّه إلى الناصر[٦] . ثمّ إن أيدغمش توجّه إلى حلب ولم يزل بها مقيماً إلى أن تولى الصّالح فرُسِم له بنيابة الشام ، وحضر إليه الأمير سيف الدين ملكتمر السرجوَاني[٧] وأخذه من حلب وأتى به إلى دمشق ، فدخلها بُكْرَةَ الخميس عشرين[٨] صفر سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها نائباً إلى يوم الثلاثاء بُكرة ثالث جمادى الآخرة من السنة

---

(١) توفي سنة (٧٠٠ هـ) كما سيأتي في ترجمته .

(٢) (ق) : « الناصر » ، (خ) : « للملك الناصر » .

(٣) في الأصل : « معهم » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٤) هو قطلوبغا .

(٥) زيادة من : (ق) ، (خ) .

(٦) بعد أن جاءه كتاب السلطان بالقبض عليه ، كما في الوافي .

(٧) (ت ٧٤٧ هـ) ، الدرر : ٣٥٩/٤ .

(٨) في الأصل : « عشري » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

المذكورة ، وعاد بعد ما أطعم طيُورَه ، ونزل وجلس في دار السعادة وقرئت عليه قصصٌ يسيرة ، وأكل الطعام وعلَّم فوطة[١] العلائم ، وعرض طُلْبَه ومُضَا فيه ، وقدَّم جماعةً [وأخرّ جماعة][٢] ، ودخل ديوانه وقرؤوا عليه مخازيم[٣] ، فقال لهم : هؤلاء الذين تزوّجوا من جماعتي ، اقطعُوا مرتّبهم ، وأكل بعد ذلك الطاري[٤] ، وجلس هو والأمير رملة بن جمّاز[٥] يتحادثان ، فسمع حسَّ جماعةٍ من جَواريه[٦] يتخاصَمْنَ ، فأخذ العصا ودخل إليهن وضرب واحدة منهنّ ضربتين وأراد أن يضربها الثالثة فسَقط ميّتاً ، فَجَأَهُ[٧] الموت فَجْأة وما سُمع له نَبْأه . فأمهلوه إلى يوم الأربعاء بكرة ، وغُسِّل ودفن خارج ميدان الحَصَا في تربةٍ عُمِّرت له هناك .

وكان زائد الجود بالغَ الإكرام للوفود ، قلّ من سَلَّم عليه إلاّ وسَاق وفد الخلعة إليه . وكان الملك الناصر محمد قد أمرّ أولاده الثلاثة : أمير علي ، وأمير حاج ، وأمير أحمد لعلوّ مكانته عنده وما يراه منه إذا[٨] أورى زنده ، وكان قد بلغَ الملكَ الصّالح أنه ربّما يباطن الناصر أحمد ، ويلاحظ دولتك بَطَرْف أَرْمَد ، فأمر من يحضرُ للقبض عليه ، فتلقاه الأمير أيان الساقي[٩] في قَطْيَا[١٠] ، وقد توجه للقبض عليه فأعلمه بموته ورَدّه .

ولم أعهد أنا في عمري إلى حين تسطيرها في سنة ست وخمسين وسبع مئة أحداً من نُوّاب الشام توفي بدمشق غير هذا الأمير علاء الدين أيدغمش .

(١) في الوافي والتحفة : « علّم على فوطة » ، ولم يتضح مراده .

(٢) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) كذا في الأصول ، وعبارة الوافي : « فرأوا عليه مخازيم » والمخازيم : سجل القيد اليومي ، ويقوم بعملها الجهبذ . (عن حاشية المنهل) .

(٤) من أسمطة السلطان ، ومنه مأكوله .

(٥) ترجم له صاحب الدرر : ١١١/٢ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٦) في الأصل : « جواره » ، تحريف .

(٧) (ق) : « فجاءة » .

(٨) (خ) : « إلاّ » .

(٩) (ت ٧٤٦ هـ) ، الدرر : ٤٢١/١ .

(١٠) قرية في طريق مصر كما في معجم البلدان : ٣٧٨/٤ .

٣٦٨ ـ أيدكين *

الأمير علاء الدين الأركشي[١] .

كان أوّلاً برُمْح واحد يَسُوق في البريد من جُملة بريديّة مصر ، وكان مُحَذلقاً ، توجه إلى البلاد الشرقية وعاد في مهم ، فراج عند السلطان الملك الناصر محمّد ، وحكى له أنه مرت به أهوالٌ عظيمة في سفرته وتحيّل بحيل كثيرة حتى نجا ، وذكر للسُلطان شيئاً يُسْتَحْيَا من ذكره ، فضحك السُلطان من ذلك وأمّره ووَلاّه القاهرة ، فظلم وجار وأشبهت أيامُه الظلم ، وتاه في الولاية وزاد ، ولم يعبأ بأحد من الخاصكية ، فاتفقوا عليه وشَكَوه إلى السلطان ، فعزله .

وما أظنّه أقام أكثر من سنة ، وعاد إلى دمشق وكان السلطان قد ولاّه بعدما عزل الأمير ناصر الدين محمّد بن الْمُحسني[٢] في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكانت من غرائب السُلطان عزل مثل هذا وولاية هذا ، وكان قد عُزل من ولاية القاهرة في حادي عُشْرَي جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وتولاها بعده سيف الدين بلبان الحُسَامي البَريدي .

٣٦٩ ـ أَيْدَمُر*

الجناحي ، الأمير عز الدين .

كان نائباً بغزّة ، له أموالٌ كثيرة ، وفُرشُ سعادته وَثيرة ، وفِكْرَتُه في تَحْصيل المال للاكتساب مُثيرة ، حصّل من الذهب مالو فَرَّقَهُ على العفاة لَمَا ذهب ، وملك من العَيْن جُمله ، تعجز المطايا عن النهوض به وما تطيق حَمْلَه ، إلاّ أنّه درب السياسة ، واتّصف بالرياسة .

---

* الدرر : ٤٢٨/١ .

(١) (ق) ، وبعض أصول الدرر : « الأزكشي » .

(٢) ترجم له صاحب الدرر : ٤١١/٣ ، وسقطت سنة وفاته ، ويفهم من كلامه أنّه كان حيّاً سنة ٧٥٤ هـ .

* عقد الجمان : ٤٨٥/٣ ، وفيات (٦٩٨ هـ) .

ولم يزل بغزةَ إلى أن قصّ الموت مِنَ الجناحيِّ جَنَاحَه ، وأراه في قَبْره إمّا خيبتهُ وإمّا نجاحه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وخلّف تركة هائلة من جملتها مَا لا ورد به ذكر في وصيّة ، ولا عَلِمَ به أحد ، بل تبرّع بإحضاره فخر الدين العزازي[1] وكانت هذه[2] الجملة ، ذهباً وغيره ، ماقُوّم بستين ألف دينار .

٣٧٠ ـ أَيْدُمُر *

الزرْدَكاش الأمير عز الدين .

قَفَّز[3] مع الأفرم لأنه كان صِهْرَه ولاقَيَا قرا سُنقر ، ودخلا بلاد التتار إلى خَربندا ، كما تقدم في ترجمة الأمير جمال الدين آقوش الأفرم ، وطلب ابنه وابن الأفرم إلى الديار المصريّة فتوجها .

٣٧١ ـ أيدمُر**

الأمير عز الدين الظاهري .

كان نائبَ الشام في الأيّام الظاهريّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول سنة سبع مئة برباطِه بالجبل ، ودُفن هناك بالتربة على نهر ثُورا قبالةَ المدرسة المارداينيّة الحنفيّة .

وكان السُلطان قَدْ وَلاَّه نيابة الكرك ، فأقام هناك إلى أن حضر السُلطان الملك

---

(١) (ق) : « الغرازي » ، ولم نقف على ترجمته . وفي عقد الجمان : « التاجر بقيسارية الشرب » .

(٢) ليست في (ق) .

* لم نقف على ترجمته .

(٣) التقفيز : النقش بالحناءة ، والمراد ههنا الملازمة وشدّة القرب .

** التحفة : ١٧٢/٢ ، والدرر : ٤٣٠/١ ، وعقد الجمان : ١٥٤/٤ ، وفيات سنة (٧٠٠) .

الظاهر إلى الكرك في المحرّم سنة سبعين وست مئة[١] وعاد منها وأخذ الأميرَ عز الدين معه إلى دمشق فولاّه نيابتها عوضاً عن الأمير جمال الدين النجيبي[٢] فأقام بها .

٣٧٢ ـ أيدمُر*

الأمير عز الدين دُقْمَاق نقيبُ العساكر المصريّة .

كان محبوباً إلى الناس ، فيه خيرٌ ورحمة .

توفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رجب سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

٣٧٣ ـ أيدمُر**

الأمير عز الدين المَرْقبي .

كان من خواصّ الأشرف ، وأقام أميراً بدمشق مُدّة ، ثم إنَّه نُقل إلى طرابلس على إقطاع إمرة ، فأقام بها إلى أن توفي هناك في سنة أربع وأربعين وسبع مئة رحمه الله تعالى .

وكان شكلاً مليحاً .

٣٧٤ ـ أيدمُر***

ابن عبد الله عز الدين السَّنَائي .

---

(١) في الأصل : « وسبعمئة » ، سهو .

(٢) أبو بكر بن أيبك ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٤٣٠/١ .

** الدرر : ٤٣٠/١ ، والسلوك : ٥٨٥/٣/٢ .

*** الوافي : ١٥/١٠ ، وفوات الوفيات : ٢١٤/١ ، والدرر : ٤٢٨/١ ، والمنهل الصافي : ١٧٩/٣ ، وفيه « السناني » بنونين . وعقد الجمان : ٤٨١/٤ ، في وفيات سنة (٧٠٧ هـ) . وذكر غير الصفدي أن وفاته سنة (٧٠٧) .

كان جنديّا ، كم اعتقل للغزاة رمحاً وتقلّد هنديا ، وله معرفة بالتعبير[١] ، وكلامه في ذلك ألطفُ من نسمة عبير ، وله[٢] معارفُ أدبيّة ، وصَوَارف إلى النكت العربية ، ولم يزل يصوغ شعره إلى أن أظلم الوجود في عين السَّنائي ، وقَرّبَ إليه من الحتف ما هو نائي .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق في أول جُمادى الأولى سنة سبع مئة[٣] ، على ما ذكره الأُدْفُوي في تاريخه (البدر السافر) .

وكان عتيقَ أَقْطُوَان الحاجبي[٤] والي قَلْيُوب ، ووَرِثَه ابنه إبراهيم بالولاء .

ومن شعره :

تَخِذَ النسيمَ إلى الحبيبِ رَسُولا ... دنفٌ حَكَاه رقّةً ونُحُولا
يُجَري العُيونَ من العيونِ صبابةً ... فَتَسيل في أَثر الغريق سُيُولا
ويقول من حَسد له : يا ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا[٥]

ومنه :

بعلبكُ دارٌ ولكنها ... دارٌ بلا أهل وجيران
كأنها ليلةُ وَصْلٍ مضت ... وأهلها ليلةُ هجران[٦]

وأنشدني من لفظه العلامة أبو حيّان قال : أنشدنا المذكور لنفسه :

---

(١) في الوافي : « بتعبير الرؤيا » .
(٢) (ق) : « ولديه » .
(٣) في عقد الجمان : « ودفن بمقابر الحمزيين بدمشق » .
(٤) للمعروف بالكمالي ، ترجم له الصفدي فيما سلف .
(٥) في الوافي : « من جسد » ، ولا وجه لها . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ يا ليتني اتخذتُ مع الرّسولِ سبيلاً ﴾ الفرقان : ٢٧/٢٥ .
(٦) المنهل الصافي : ١٨٠/٣ .

سَفَرت فخلتُ الصبحَ حين تَبَلَّجا ... في جنح فَوْدٍ كالظَّلام إذا سجا[١]
فتانةٌ فتّاكة من طرفها ... كم حاول القلبُ النجاةَ فما نجا
نَحَلَتْ نَضيرَ الغصن قامَةَ قَدِّها ... وحَبَتْ مهاةَ الجزع طرفاً أدْعَجا
تَفْتَرّ عن بَرَدٍ نقيٍّ بَرْدُه ... بالرَّشف حَرَّ حُشَاشتي قَدْ أثْلَجا
ما إنْ دخلتُ رياض جَنّةِ وجهها ... فرأيت عنها الدهر يوماً مَخْرَجا
وَلَمَا رشفت رحيق فيها ظامياً ... فازددت إلا حُرْقَة وتوهجا[٢]
تعطو برخص طَرَّفته بعَنْدم ... وتُريك ثَغْراً كالأقاح مُفَلّجا
أنّى نظرتَ إلى رياض جمالها ... عاينتَ ثَمَّ مُفَوَّفاً ومُدَبَّجا
زارت وعُمر الليل في غَلَوائه ... فغدا من الشمس البهيّة أبهجا
وسرى نسيم الروض ينكر إثرها ... فتعرَّفَت آثاره وتأرَّجا

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني المذكور لنفسه :

وَرَدَ الوَرْدُ فَأَوْرِدْنَا المدامَا ... وأَرِحْ بالراح أَرْوَاحاً هُيامى
واجْلُها بِكْراً على خُطَّابها ... بنتَ كَرْم قد أَبَت إلاَّ كراما[٣]
ذات ثغرٍ لؤلؤي وَصْفُه ... في رحيقٍ رَشْفُه يَشْفي الأُواما[٤]
بُرقِعَت باللؤلؤ الرطب على ... وَجْنَةٍ كالنار لا تألو ضِراما[٥]
أقبلت تسعى بها شمسُ الضّحى ... تُخجل البدرَ إذا يبدو تَماما[٦]
بجفون بابليّ سِحْرُها ... سُقْمُها أَبْدَى إلى جسمي السَّقاما[٧]

(١) (ق) : « دجا » . وفي عقد الجمان : « شجا » .
(٢) كذا في الأصل و (ق) والفوات : « ولها » ، وفي الوافي وعقد الجمان : « لما » .
(٣) في عقد الجمان : « الكراما » .
(٤) (ق) ، وعقد الجمان : « ثغر جوهري » ، وفي الوافي : « جوهري رصفه » .
(٥) في عقد الجمان : « وجنتها » ولا يستقيم بها الوزن .
(٦) في عقد الجمان : « ضحى » .
(٧) في عقد الجمان : « أهدى إلى » .

ونضيرُ الـــورد في وجنتهـــا نَبْتُـــه أنْبَت في قَلْبي الغرامـــا[١]
ودّت الأغصـــانُ لّـــا خَطَرت لـــو حكت منهـا التثني والقَـوامـا
قـــال لي خـــالٌ على وجنتهـــا حين نـادَيْتُ: أَمَـا تخشى الضِّرامـا
منـــــذ ألقيتُ بنفسي في لَظَى خـــدِّهـــا ألفيتُ بَرْداً وسَـلاَمـــا

قلت : شعر متوسط .

٣٧٥ ـ أَيْدمُر*

الأمير عز الدين الخطيري .

حبَسَه السُّلطان بعد مجيئه من الكرك ، فسعى له مملوكه بدر الدين بيلبك[٢] أستاذ داره مع الأمير سيف الدين طغاي الكبير ـ الآتي ذكره في حرف الطاء مكانه ـ ولما خرج طلب حسَابه من مملوكه المذكور ، فقال له : سَعيتُ لك به إلى أن خُلِّصْت . ثم إنه عظم شأنه عند السلطان ، وكان يجلس رأس الميسرة ، وأعطاه إقطاع مئة وعشرين فارساً[٣] ، وكان لا يمكّنه السُّلطان من المبيت في داره بالقاهرة ، وله دار مليحة في رُحَيْبَة العيد[٤] فينزل إليها بكرة ، ويطلعُ إلى القلعة بعد العصر ، كذا أبداً ، وكانوا يرون ذلك تعظيماً له .

وكان في الأصل مملوكَ شرف الدين أوحد بن الخطير والد الأمير بدر الدين مسعود الآتي ذِكْرُه ـ إن شاء الله تعالى ـ مكانه ، وكان لا يلبس قِباءً مطرّزاً ، ولا يدع أحداً عنده يلبسُ ذلك . وكان يُخرِجُ الزكاة .

---

(١) في الأصل : « ونظير » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي ، والوفيات ، وعقد الجمان .

* الوافي : ١٧/١٠ ، والدرر : ٤٢٩/١ ، وخطط المقريزي : ٣١٢/٢ ، والمنهل الصافي : ١٨٠/٣ . والدرر : ٤٥٨/١ .

(٢) (ت ٧٠٦ هـ) ، الدرر : ٥١٥/١ .

(٣) في المنهل : « وأنعم عليه بإمرة مئة وتقدمة ألف ، وزيادة عشرين » .

(٤) في الوافي : « رحبة العيد » ، وفي المنهل : « رحبة باب العيد » . وانظر حاشيتي المنهل والوافي .

وكنت يوماً عند أستاذداره هذا بدر الدين بيلبك وقد زوّج السُلطان ابنته بالأمير سيف الدين قوصون وقد ضربوا لدور الأمير عز الدين الخطيري دينارين وَزْنُهما أربع مئة دينار وعشرةُ آلاف درهم برسم النقوط خارجاً عن عشرة تفاصيل قماش حرير ملوّنة . وقالوا له : ياخوند هذا السكّر الذي [يعمل][1] في الطعام ما يضر أن نعمله غير مكرر ؟ فقال : لا ، فإنه يبقى في نفسي أنه غير مكرر[2] .

وعمّر الجامع المشهور في رَمْلَة بولاق على البحر وإلى جانبه الربع المشهور ، يُقال إنه غرم عليهما نحواً من أربع مئة ألف درهم ، وأكله البحر في حياته ، ثم إنه رمَّه وأَصْلَحه بجملة من المال .

ولم يزل على حاله إلى أن وقع الخطيري من الموت في خَطَرْ ، وراح كأنه لم يفز[3] بأمنية ولا وطر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فيما أظن[4] .

وخلّف ولدين أميرين : علياً ومحمداً .

وكان ذا شيبة مبيضّة ، كأنها في النقاء تجسّدت من دموع مرفضّة ، أو تَكَوَّنت من أزاهرِ روضةٍ غضَّة ، بوجه يُقْطَفُ الوردُ من وَجَناته ، والجلّنارُ من خمائله وجَنّاته ، كريمَ الكف إذا نوَّل ، كبير النفس إذا أعطى أحداً أَوْ خوَّل ، فيه تجمّلٌ وحِشمة ، وله همة وعزمَة .

---

(١) زيادة من (ق) والوافي ، والمنهل .

(٢) زاد في المنهل : « فلا تطيب » .

(٣) في الأصل : « يقيم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) في المنهل : « في أوائل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبع مئة » .

٣٧٦ ـ أَيْدمُر*

الأمير عز الدين[١] أحد الأمراء بالديار المصريّة .

وَلاَّه الملك الصّالح نيابةَ غَزَّة ، فتوّجه إليها وأقام بها مُدّة ، ثم إنّه استعفى بعد موت الصّالح وعاد إلى القاهرة .

ولّما كانت الكائنة على يلبُغا اليحيوي في الأيام المظفريّة رُسم له أن يتوجّه إلى دمشق للحَوْطة على موجود يلبغا والأمراء الذين كانوا معه من إخوته وغيرهم ، فحضر إليها ومعه الأمير نجم الدين بن الزيبق[٢] في جُمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأقام بدمشق مُدّة تزيد على الثلاثة أشهر إلى أن أباع[٣] موجودَهم ، وتوجَّهَ بالأموال جميعها إلى مصر هو والأمير شمس الدين آقسنقر أمير جاندار الذي أحضر أرغون شاه إلى نيابة دمشق ، ولّما وصلا بالمال إلى المظفر لم يلبثا إلاّ قليلاً ، قريباً من الشهر ، وخرجوا على المظفر ، ولم يكن معه أحد من الأمراء إلا الأمير عز الدين الزرَّاق وآقسنقر وأيدمر الشمسي ، فنقم الخاصكيةُ عليهم ذلك ، وأخرجوهم إلى الشام ، فوصلوا إلى دمشق نهار العيد أول شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة . ورُسم للزرَّاق بالمقام في دمشق ، ثم ورد مرسوم الملك الناصر حَسَن بتوجهه[٤] إلى حلب ، فتوجّه إليها في العشر الأوسط من شوال سنة وَرَدَ[٥] منشوره إليه فيما بعد بإقطاع الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر الحسني .

وكان دَيّناً ، وطيء الجانب ليّناً ، فيه خير وبِرّ ، وحِفْظٌ لما عنده من عهد وسِرّ .

---

* الوافي : ١٨/١٠ ، والدرر : ٤٢٩/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٢/٣ .

(١) في الوافي ، والدرر : « عزّ الدين الزراق » ، وزاد في الدرر : العلائي الجقدار . وفي المنهل : « المعروف بالزراق » .

(٢) هو داود بن الزيبق ، وستأتي ترجمته .

(٣) في الوافي : « باع » .

(٤) في الأصل : « يتوجه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

(٥) (ق) ، (خ) : « شوال وورد » ، وفي الوافي :« شوال ثم ورد » .

ولم يزل على حاله إلى أن فرغ أجل الزَّرَّاق ورِزْقُه ، واتّسع عليه من الموت خَرْقُهُ ، وتوفي رحمه الله تعالى[١] .

وكنت أنا بالقاهرة ـ في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وكتبتُ تقليده بنيابة غزة ارتجالاً من رأس القلم وهو :

الحمد لله الذي زاد أولياءَ دولتنا القاهرةِ عزًّا ، وجعل أصفياء أيامنا الزاهرة كُفاة تعود[٢] الممالك بهم حِرْزاً ، وجرَّدَ مِنْ أنصارنا كلَّ نَصْل رَاعَ حَداً وراق هزّاً ، ووفّق آراءنا الشريفة لأن يكون مَنْ نعتمد عليه يُسْنَدُ إليه العز ويُعْزَى . نحمده على نِعَمِه الّتي عَمَّت ، ومِننه التي طَلَعت أقمارها وتمّت ، وعوارفه التي نَمَت أزهارُها ففاحت شذىً ونمّت ، وأياديه التي قادت[٣] الألطاف إلى حَرَمنا وزَمَّت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مهدّ الإيمانُ قَصْدَها ، وجدَّدَ الإيقان عَهْدَها ، وشيّد الإدمان مَجْدَها ، وأيّد البرهانُ رُشْدَها .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هدَى به الأُمّةَ ، وبدا[٤] به الأمورَ المهمّة ، وجلا بأنوار بِعْثَته من الكفر الدياجيَ الْمُدْلهمّة ، ونفى بإبلاغ رسالاته[٥] ثبوت كلِّ ثبور ، وألَم كلِّ ملمّه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تلألأت أنوارهم ، وتوضحت في آفاق المعالي أقمارهم وتوشّحت بلآلي السيادة أزهارهم ، وتفتحت للسعادة بصائرهم وأبصارهم ، صلاةً ظلالُ رُضوانها مديدة ، وخِلالُ غفرانها عَديدة ، ما افتَرَّ ثَغْرُ صُبْح[٦] في لَعَسِ ظلام ، واهتز في الحرب قَدُّ رمحٍ ، وتورد بالدم خَدّ[٧] حسام ، وسلم ، وبعد :

(١) كذا ، ولم يذكر سنة وفاته ، وخلا منها الوافي أيضاً . وفي الدرر أنه توفي في حدود الستين وسبع مئة .

(٢) في الوافي : « يقود » .

(٣) في الأصل : « فادت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٤) سهّلت الهمزة .

(٥) في الوافي : « رسالته » .

(٦) (خ) : « صباح » .

(٧) في الوافي : « قد » .

فإنّ ممالكنا الشريفة منها ماهو عالي المكانة ، داني المكان مُوَفّر الاستكانة ، مُوَفّى النعمة بالسكّان ، مُوَطَّأ الأكناف ، مُوَطَّد الأركان ، مُوَسَّع الأفنية ، مُوَشّع الأفنان ، وقد جاورَ الأرض الْمُقَدَّسة ، وبَرَز رافلاً من خمائله في حلله المقندسة[١] ، ونوّه الذكرُ مَحَاسنه لما نوّع الاعتدالُ خيره وَجنّسه . كم فيه من كثيب رمل أَوْعَسْ[٢] ، وحديقةٍ إذا بكى الغمام عليها تبسم ثغر زهرها الألعس ، وروضٍ حكى القدّ[٣] الأملدَ قضيبَه الأملس ، قد اكْتَنفه البَرّ والبحر ، وأحاطت به المحاسن إحاطةَ القلائدِ بالنحر[٤] ، وبرز بين مصر والشام برزخا ، وكثرت خيراته فهو لا يزال مَهَبّ[٥] رُخاء الرَّخا ، وإلى غزة ترجع هذه الضمائر ، وعلى سرها تدل هذه الأمائر ، كاد النجم ينزل إلى أرضها ليتنزه ، وقصرّ وصف الواصف عنها ولو أنه كُثَيّر وهي عَزّه ، وكانت غُرَّة في وجه الشام فنقَّطها سوادُ العين بإنسانه فصارت غَزّه ، وكفاها فخراً بما يُرْوَى عنها أن الإمام الشافعي رضي الله عنه منها .

ولما كان المجلس العالي الأميري وألقابه ونُعوته من أعيان هذه الدولة ، وأعوانِ هذه الأيام التي زانها الصَّوْن والصّولة ، قد اتصف بالحلم والباس ، والأناة والإيناس ، والمهابة التي طَوْدُها راسخٌ رَاس ، والشجاعةِ التي مرامها صَعْبُ المِراس ، طالما جُرّد منه حسام[٦] حُمِدَت مضاربه ، وجُهِّز في جيشٍ نَصَرهُ الله على مَنْ يحاربه ، وأَطلع في[٧] أفق مهمٍّ شريف أحدقت به كواكبه اقتضت آراؤنا الشريفة إعلاء رتبته وإدامة بهجته وسرور مهجته وتوفير حركته ، وأَنْ نُفَوِّض إليه تقدمة العسكر المنصور بغزّة المحروسة ،

---

(١) في الوافي : « المقدسة » .

(٢) أي : سهل ليّن .

(٣) في الأصل و (ق) : « وروضة حكى القضيب ، وأثبتنا ما في الوافي وهو أنسب .

(٤) في الوافي : « القلادة » .

(٥) في الأصل : « وهب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٦) في الوافي : « حساماً » .

(٧) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

فلذلك رُسِم بالأمر العالي[١] المولوي السلطاني الملكي الصّالحي العمادي أن يستقر فيما آشرنا إليه من ذلك ، اعتماداً على ما قلناه[٢] من هِمّته ، واستناداً إلى ما جرّبناه من شيمته[٣] ، واجتهاداً في وقوع اختيارنا الشريف لِمَا أحمدَنا في الإخلاص من[٤] ثبوت قدمه ، واعتقاداً في نهوضه بهذا الأمر الذي ألبسناه حُلَلَ نِعَمه ، وارتياداً لاحتفاله بهذا المهم الذي لا يزال طائعاً طائفاً بحَرَمِه ، فليستقر فيما فَوّضناه إليه مجتهداً في رضى الله تعالى ، فإن ذلك أَوْلَى ما نطق به اللسان ، ورضى خواطِرنا الشريفة ، وهو[٥] مغدوق برضى الله الذي أمر بالعدل والإحسان ، معتمداً على طلب الحق الجليّ ، والإقبال على الْمُستغيث به بوجه وَضِيّ ، وخُلُق رضيّ وعزم مَلِيّ ، حتى يُنصف المظلوم من ظالمه ويُرشدَ الضالَّ عن الصواب إلى معالمه ، ويَبْسُطَ العدل في رعايانا ، ويُجريهم على ما أَلِفوه من الأمن والمَنّ من سجايانا ؛ لأن العدل يُعَمِّر البلادَ ، والجَوْرَ يُدمِّر العبادَ ، والحاكمُ العادلُ من المطر الوابل ، والأَسَدُ إذا حَطَم خير من الوالي إذا ظَلَم ، وهو يَعْلَمُ أمرَ هذه الدنيا وما إليه تَؤُول ،ويتحقق أنّه[٦] راعٍ وكل راع مسؤول . والشرع الشريف فليتقدم برفع مَنارِه ، وتعظيم شِعَارِه ، فإنه المحجّةُ السَّوِيّة والحجّة القَويّة ، فما شددنا السيف إلاّ لنُصرةِ الشرع ، ولا نعتقد إلا أنّه الأصلُ وبقيةُ السياسات فَرْع . والعَسْكر المنصُور ، فهم منا بمرأى ومسمع ، وعنايتُنا بهم تامّةٌ تَمْنَحهم الخيرَ وللشرِّ تدفع[٧] ، فليُراع حالَهم ويَرْعَهَا ، ويتَّبعْ أصول[٨] أمورهم وفَرْعَها : إقطاع من مات منهم إلى رحمة الله تعالى لولده أو لقريبه ، وكبيرهم وصغيرهم معامل بتوقيره وتوفير نصيبه

(١) في الوافي : « الشريف العالي » .
(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « علمناه » .
(٣) في الوافي : « من همه ... من شيمه » .
(٤) ليست في (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٥) ليست في (خ) .
(٦) (ق) ، (خ) ، والوافي : « أنّه الآن » .
(٧) في الوافي : « تمنع » .
(٨) في الوافي : « أصل » .

وليُلزِمْهُم بعمل الأيزاك[١] المهمّة ، والركوب في كل موكب ، والنزول في كل خدمة ، حتى يَكونوا على أُهبَّة لورود المهمّات الشريفة والحركات التي هي بهم في كلّ وقت مُطيفة ، والوصايا كثيرة ، وتقوى الله تعالى مِلاك الأمور ، وفِكاك الأعناق من الأوزار وشِباك الأجور ، فلا يبرح مِنْ حَرَمِها المنيع ولا يسرح في سوى روضها المَريع ، فإنّ مَن لازمها سَعِدَ دنيا وأخرى ، وحاز في الدارين مَنْقَبة وفخراً ، والله يزيده ممّا أولاه ، ويُفيده الإعانة على ما وَلاّه . والخطّ الشريف ـ أعلاه الله تعالى ـ أعلاه حجةٌ في ثبوت العمل بما[٢] اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

٣٧٧ ـ إيْرَنْجي*

بكسرة الهمزة[٣] وسكون الياء آخر الحروف ، وراء بعدها نون ساكنة وجيمٌ وياء أخر الحروف : النُّوَيْن التتري خال القان بوسعيد .

لَمّا تبرّم بوسعيد من[٤] نائبة جُوبان[٥] واستيلائه على الأمور واحتجاره عليه ، تنفس إلى مقدمين يكرهون جوبان منهم إيْرنجي هذا وقُرْمُشي[٦] ودقماق[٧] ، فقالوا له : إن أردت[٨] قتلناه . واتفقوا على أن يبيّتوه ، وذلك في جمادى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ووافقهم على ذلك أخو دقماق ومحمّد هريرة[٩] ويوسف بكتا[١٠] ويعقوب

(١) جمع يزك ، وهي طلائع الجند .
(٢) في الأصل : « مما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .
* الوافي : ٢٢/١٠ ، والدرر : ٤٣٠/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٦/٣ .
(٣) في المنهل : « بفتح الألف » .
(٤) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٥) جوبان النوين ، وستأتي ترجمته .
(٦) ابن اقطوان ، وستأتي ترجمته .
(٧) ترجم له صاحب الدرر : ١٠١/٢ ، ولم يذكر سنة وفاته .
(٨) في الوافي : « إن رسمت » . وفي المنهل : « إن شئت » .
(٩) في المنهل : « أخو دقماق الأمير محمد ، ويوسف بكتا ، ويعقوب المسخرة » .
(١٠) في الوافي : « بكثا » .

المسخر[١] ، فهيّأ قُرمشي دَعوةً ، ودعا جوبان إليها فأجاب ، ونَفَّذ له تَقْدِمة سنيّة فقبلها ، فنصَحَه تتريّ ، فتحفّظ في الهروب ، وترك خيامه ، وأقبل قُرمشي في عشرة آلاف ، وسأل عن جوبان ، فقيل : في مخيّمه ، فهجم عليه ، وثار[٢] أجناد جوبان في السلاح ، والتحم القتال ، فقُتِل نحو ثلاث مئة ، ونَهبَ قُرمشي حَواصل جوبان ، وسَاق في طَلَبه ، وهرب هو إلى مَرَنْد[٣] معه ولدُه حسن وابنان ، فأكرمه صاحب مَرَنْد ، وأَمَدَّه بخيل ورجال ، وأتى تبريز ، فتلقاه علي شاه وزيَّن البلدَ له ، وجاء في[٤] خدمته إلى بوسعيد ، وأثنى على جوبان وعلى شفقته وأنّه والد ، ثم دخل جوبان وبيده كَفَنٌ وهو باكٍ وقال : يا خوند قُتِلَتْ رجالي ونُهِبَتْ أموالي ، فإن كنت تريد قتلي فها أنا قد حضرت ، وقد صرت في تصرفك ، فتنصّل القان وتبرّى ممّا جرى ، وقال له : حاربهم فهؤلاء أعداؤنا قال : فيساعدني القان ، فجهز له جيشاً مع طاز بن النوين كتبغا ومع قراسنقر ، وركب القان مع خواصّه مع العسكر . وأما إيرنجي فإنه قصد تبريز في طلب جوبان ، فأُغلق البلد في وجهه ، وخرج الوالي إليهم ، فأهانوه وعلقوه منكوساً حتى وزن أربع مئة [ألف][٥] درهم ، ثم ساروا إلى رَنكان ، فالتقى الجمعان ، فلما رأى إيرنجي القان ورایاته سُقط في يده وقال لأصحابه : السُلطان علينا فما الحيلة ؟[٦] فقال قرمشي : لا بد من الحرب ، فالسُلطان معنا ، وسيّر قُرمشي إلى جُوبان وقال : أنا معك ، والتحم القتال وانكسر إيرنجي ، وتحوّلت[٧] غالب عسكره إلى تحت رايات السلطان ، ثم أُسِرَ إيرنجي وقرمشي ودُقماق ، وعقد لهم مجلس

---

(١) (ق) ، والوافي : « المسخرة » .
(٢) في الأصل : « وأثار » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٣) من مدن أذربيجان ، معجم البلدان : ١٠١/٥ .
(٤) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .
(٥) زيادة من (ق) ، والوافي .
(٦) (ق) ، والوافي : « فما العمل » .
(٧) (ق) ، والوافي : « وتحول » .

بالسُلطانيّة[١] فقالوا : ما تحركنا إلاّ بأمر القان ، فأنكر وكذّبهم وأمر بقتلهم ، فقال إيرنجي : هذا خَطُّكَ معي أنا ، فأنكر وجحد ، فضرب إيرنجي بسيخ في فمه فهلك[٢] ، وطيف برأسه في خراسان والعراق ، وذلك في سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وقُتل قُرمشي ودقماق وأمسك أمراؤهم ، وتمكن جوبان وأباد أضداده ، وكان دقماق مسلماً يُحبّ العرب ويكثر الصدقة ، فحلقوا ذَقْنَه وطِيف به ، ثم رموه بالنُشّاب ، وباد من المُغْل خَلْقٌ كثير في تلك الواقعة .

وكان إيرنجي هذا في حشمته فريداً ، وفي عَظَمته وحيداً ، وفي أصله مجيداً ، وفي إحسانه مُجيداً[٣] ، له مهابة في السياسة ، وقُدْرَة على اتبّاع الياسة ، ولكن البغي على جوبان صَرَعَه ، وضَرَب بابَ هلاكِه وقَرعَه ، ودخل السيخ فَمَه قال له البغي : قد زدتَ فَمَهْ[٤] .

☆ **الأيكي** : الشيخ شمس الدين محمّد بن أبي بكر .

٣٧٨ ـ أيمن بن محمّد البُزولي*

بالباء الموحدة والزاي والواو واللام : الأندلسي الأصل ، التونسي أبو البركات .

أخبرني العلامة أثير الدين قال : هو جندي ، أنشدَنا له بَعْضُ أصحابنا يهجو أبا سلامة ناجي بن الطوّاح التونسي أحد الطلبة الأدباء بتونس ، وكان طويلاً رقيقاً ، فيه انحناء :

ناجٍ من النَّجْو مُشْتَقّ وما العَذِرَهْ يوماً بأَنْجَسَ مِنْ أَرْهَاطه القَذِرَهْ[٥]

(١) عاصمة الدولة الإيلخانية في عهد بوسعيد بعد تبريز .

(٢) في الوافي : « فتلف » .

(٣) في الأصل : « بوجيدا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) أي : فكفّ ، اسم فعل أمر .

* الوافي : ٣٣/١٠ ، والبداية والنهاية : ١٦٨/١٤ ، والدرر : ٤٣١/١ .

(٥) في الأصل : « من العذرة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

جِنْس الخراء طويلٌ رَقّ منحنياً كبائلٍ قائمٍ والأرضُ مُنْحَدرَهْ[١]
غَذَتْهُ ألبانَ فِسق أُمُّهُ وأبي أبوه إلاّ الخنا والفَرْعُ للشجرَهْ

قلتُ : أظن أيمن هذا أبا البركات المعروف بعاشق النبي ، وهو أيمن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، أربعة عشرة محمداً ، أتى إلى المدينة الشريفة ، وأقام بها .

وأخبرني غيرُ واحد أنّه كان أوّلاً كثيرَ الهجو والوقيعة في الناس ، لكنه تاب إلى الله تعالى بعد ذلك وأقلعَ وأناب ، وألزم نفسه أنه[٢] ينظم كلّ يوم قصيدةً يمدح بها سيّدنا رسول الله ﷺ ، وأنه في وقتٍ عَزَم على العود لزيارة أهله بالمغرب ؛ فرأى النبيَّ ﷺ في النوم وقال له : يا أبا البركات كيف ترضى بفراقنا ؟ أوْ ما هذا معناه ، فعاد وبطّل المُضِيَّ إلى أهله ، وسمى نَفْسَه عاشق النبي .

أنشدني من لفظه الشيخ الإمام الفاضل بهاء الدين محمد بن علي المعروف بابن إمام المشهد ، قال : أنشدني أبو البركات أيمن لنفسه :

فَرَرْتُ من الدّنيا إلى ساكنِ الحمى فرارَ محبٍّ عائذٍ بحبيب
لجأتُ إلى هذا الجَنابِ وإنّما لجأت إلى سامي العمادِ رَحيب
وناديتُ مولايَ الذي عنده الشِّفا لداءٍ عَليلٍ في الديار غريب[٣]
أمولاي دائي في الذُّنوب وليس لي سواك طبيبٌ يا أجلَّ طبيب
تناومتُ في إظلام ليلِ شبيبتي فأيقظني إشراق صبحِ مشيبي[٤]
وجئتك لمّا ضاق ذَرْعي بزَلّتي وأشفقت من جُرْمي مَجيء سليب[٥]

(١) في الوافي : « حبس » .
(٢) (ق) : « أن » .
(٣) في حاشية (ق) عن ذهبيّة العصر لابن فضل الله : « نداء عليل » .
(٤) في الأصل : « إطراق صبح » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٥) في الوافي : « بمحي سليب » ، تحريف .

ومـــا أرتجي إلا شفـــاعتـــك التي ... بهـــا يَبْلُـغ الراجي ثـواب مُثيب
فقـال: لـك البشرى ظفرت من المنى ... بـــأسعـــد حـــظ وافرٍ ونصيب[1]
فـــدامت مسرّاتي وزادَت بشـــائري ... وطـــاب حُضـــوري عِنْـــدَه ومَغيبي
أنـــا اليـــومَ جـــارٌ للنبيّ بطيبـــةٍ ... فـلا طِيبَ في الـدنيـا يقـاس بطيبي

ومن شعره أيضاً :

حللتُ بـدارٍ حلّهـــا أشرفُ الخلـقِ ... مُحمَّـدٌ المحمـودُ بـالخَلْـقِ والخُلْـق
وخَلّفتُ خلفي كل شيء يعـــــوقُني ... عن القصد إلاّ مـا لَـدَيّ مِنْ العشـق
ومـــا بيْ نُهـوضٌ غيرَ أنّيَ طـــائر ... بشَوْقي وحسنُ العَوْن من واهب الرزق
مُحمَّـــدُ يـــا أوفى النبيينّ ذِمَّـــةً ... ظمئتُ وقَدْ وافيتُ بـابـكَ أَسْتَسْقي
تَعـــاظَمَ إجرامي وجَلَّت خطيئتي ... وأشفقتُ مِنْ فِعْلي القبيـح ومِنْ نُطْقي
وأنت شفيـعٌ في الـذنـوب مُشَفَّـعٌ ... فخـذ لي أمانـاً في القيـامـة بـالعتق
صـلاةٌ وتسليمٌ عليـــك ورحمـــةٌ ... على الآل والصَّحْب الكرام أولي الصّدق[2]

وجدت ما هو منسوب إليه من تثمين الأبيات المشهورة :

للعـــاشقينَ انكســـارُ ... وذلّـــة وافتقـــارُ
وللمِـــلاح افْتِخـــارُ ... وعِـــزَّةٌ واقتـــدارُ
وأهْـلُ بَـدْري أشـاروا ... وَوَدَّعُـوني وسَـاروا[3]
يـا بـدرُ أهلُـك جـاروا ... وعَلَّمـــوك التجرّي
كتبت والـوجـدُ يُمْلي ... جـدَّ الهوى بعـد هَـزْلي
وحَـــارَ ذِهْني وعَقْلي ... مـــا بين بـــدر وأهـــل
يـا بـدرُ فـاحْكُمْ بعَـدْل ... إذا أَتَـــوْك بعَـــذْلي

(١) في حاشية (ق) عن ذهبية العصر : « من الرضى » ، وكذا الرواية في الوافي .
(٢) في الوافي : « أولي السبق » .
(٣) في الأصل : « أساروا » ، وأثبتنا ما في (ق) .

وحرَّمـوا لـــك وَصْلي وحَلَّلـوا لـــك هَجْري
لـــولا هـــواك المرادُ مـا كنتُ مِمَّن يُصَـادُ
ولا شَجـــاني البِعـــادُ يـا بدر أهلـك جـاروا
غلطتُ جـارُوا وزادوا لكنهم بـــك ســـادُوا
دع يفعلـوا مـــا أرادوا فـــإنهم أهـل بـــدر

وقد سبقه إلى مثل ذلك أبو عبد الله محمد بن جابر[١] ، فقال :

لم يبـقَ فيّ اصطبـــارُ مـذ خلّفوني وسـاروا
وللحبيب أشـــــاروا جـارَ الكرامُ فجـاروا
لله ذاك الأُوارُ بـانوا فمـا الـدارُ دارُ
يـا بـدرُ أهلـك جـاروا وعلمـــــوك التجرّي

☆ ☆ ☆

كانـــوا من الـــودّ أهلي مـاعـاملـوني بعـذلي
أَصْمَـوا فـؤادي بنبـلِ يـــــابين بيّنت نكلي
يـــا روح قلبيَ قـل لي أَهُمْ دعـــــوكَ لقتلي
وحرّمـوا لـــك وصلي وحللـوا لـــك هجري

☆ ☆ ☆

حسبي ومـــاذا عنـــاد هُمُ المنى والمراد[٢]
وإن عن الحق حـادوا أو جـاملوني وجـادوا
يـا من بـه الكلُّ سادوا والكلُّ عنـدي ســداد
فليفعلـوا مـــا أرادوا فـــإنهم أهـلُ بـــدر

(١) ستأتي ترجمته .
(٢) في الأصل : « هو المنى » ، وأثبتنا ما في (ق) .

قلت : الأول أحسن وأكثر مناسبة بالأصل .

قلت : وأقام في المدينة الشريفة ينظم كل يوم قصيدة ، ويؤم الضريح الشريفَ ووصيده ، فيفوز بالصِّلات العتيدة ، والهبات التي رياح هباتها مديدة ، فواصل الله له الرضى من عاشق ، وجعل تربته رَوْضاً لناظر ومِسْكاً لناشق .

ولم يزل على حالِه إلى أن دنا من قبره فتدلّى ، وأعرضَ عن الحياة وَوَلَّى .

وتُوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

٣٧٩ ـ إيوان*

الأمير سيف الدين الناصري ، أخو الأمير سيف الدين بُشتاك .

لَما أُمْسِكَ أخوه وقُتل أُخرج هو إلى حلب فأقام بها أميراً إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شهر صفر في طاعون حلب سنة تسع وأربعين وسَبع[1] مئة .

٣٨٠ ـ أيوب**

ابن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن إبراهيم بن طارق بن سالم ، الإمام بهاء الدين أبو صابر بن النحاس الأسدي الحلبي الحنفي ، مدرس القليجيّة[2] ، وشيخ الحديث بها .

قد سمع من مُكَرَّم ، والموفّق يعيش ، وابن رواحة ، وابن خليل ، وجماعة بحلب ، وقال إنه سمع (الصّحيح) من ابن رُوْزبة ، وسمع ببغداد من الكاشْغَري[3] .

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) في الأصل : « وتسعمئة » ، سهو .

** الوافي : ٣٦/١٠ ، والشذرات : ٤٤٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٢٤/٣ ، وعقد الجمان : ١٠٤/٤ ، وفيات سنة (٦٩٩ هـ) .

(٢) مدرسة القليجية بدمشق ، أوصى بوقفها الأمير علي بن قليج النوري إلى قاضي القضاة ابن سني الدولة ، وعمرت بعد وفاته (٦٥٤ هـ) . (الدارس) .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف الكاشغري (ت ٦٤٥ هـ) ، السير : ١٤٨/٢٣ .

لم يزل بمدرسته في الإفادة ، وأَلِفَ هو هذه العادة ، ورآها كما يرى المحبُّ محبوبته الغادَه ، إلى أن نَحا النحاسَ حَيْنُه وتولع به بَيْنُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

٣٨١ ـ أيوب بن سليمان بن مظفر*

الشيخ المقرئ المعمّر نَجْمُ الدين ، مؤذن النجيبي .

كبير المؤذنين ، كان يخرج بالسَّواد أَمام خطباء الجامع الأُموي بدمشق ، كان صوتُه عالياً ، إلاّ أنه في الطرب غالياً ، ولـه أخلاق مرتـاضَـة وحركاتٌ تُـداوي من الصـاحب أَمْراضَه ، وله عِدّةُ أولادٍ يَجْمع شَمْلَهم ويلتزمُ حَمْلَهم .

ولم يـزل على حـالـه إلا أن تعيّن النجيب على النجيبي ووَجَبْ ، وقضى النـاسُ من أمره العَجَبْ .

وتُوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة ، وعاش تسعاً وثمانين سنة .

☆ **أَيّـوب :** بن أحمـد بن النجم ، المعروف بنجم الحطّيني ، يـأتي ذكره في حرف النون مكانه .

٣٨٢ ـ أيوب بن نعمة**

ابن محمّد بن نعمة بن أحمد بن جعفر ، الشيخ الْمُعمَّر الْمُسْند زين الدين النـابلسي الْمَقْدِسي الكحّال .

اشتغل على طاهر الكَحّال ، وبَرَع في الصنعة وتميّز وتكسب بها .

* الوافي : ٤٧/١٠ ، والبداية والنهاية : ٥٧/١٤ ، والدرر : ٤٣٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٢٦/٣ .

** الوافي : ٥٤/١٠ ، والدرر : ٤٣٤/١ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٢٨/٣ .

سمع من الْمُرسي ، والرشيد العراقي ، وعثمان بن خطيب القرافة ، وعبد الله بن الخُشوعي ، وجماعة ، وروى الكثير .

وسمع منه الكبير والصغير . وتفرّد في مصرَ والشام بما رواه ، وساد بما عنده مما ضمّه من الرواية وحواه ، وانجفل إلى مصر وأقام بها اثنتين وعشرين سنة يعالج الناس بالكحل ويخصّب أنوار العيون بعد المحل ، ثم إنه رجع إلى دمشق وعجز وشاخ ، وطفئ جَمْر شبابه وباخ .

ولم يزل على حاله إلى أن أغمض الكَحّال عَيْنَه فما فُتحت ، وقيّد العُدْمُ حواسَّه فما سَرحت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة . وخُرِّجَت له مشيخة ، وأجاز لي بخطّه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٣٨٣ ـ أيّوب الملك الصالح*

ابن الكامل بن الموحِّد بن الْمُعَظَّم توران شاه بن الصالح بن الكامل بن العادل صاحب حصن كيفا .

وصل إلى دمشق في شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة قاصداً الحج ، وتوجَّه إلى خدمة السلطان الملك الناصر ، وحجّ وعاد مسرعاً خوفاً على بلده ، وجاء الخبر في ذي القعدة أنه حالَ وصوله إلى الحصن تلقّاه أخوه وهيّأ له مَنْ قتله وقَتَل ولده ، واستقل أخوه بمُلْك حصن كيفا .

---

* الوافي : ١٠/٥٥ ، والدرر : ١/٤٣٣ .

٣٨٤ ـ أيّوب السّعُودي*

الشيخ المبارك بزاوية الشيخ أبي السعود بباب القنطرة بالقاهرة .

كان يَـذْكُر أنّـه رأى الشيخ أبـا السّعود[١] ، وأنـه سَلـك ورآه في طريق الصعـود . وضَعُفَ في آخرِ عُمْرِه ، وذاق من العجـز والكبر وبـالَ أمرِه ، فكان يُحْمَـلُ لحضـورِ الجماعه ، ويجد لذلك أَلَماً أودعه صُحُفَه وما أضاعه .

ولم يزل على حاله إلى أن استوفى أجلَه ، وظن أن الموت جاء[٢] على عَجَلة .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول صفر سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بـالقرافـة في زاوية الشيخ أبي السُعود . وقال جماعة : إنهم ما رأوا مِثْلَ جنازتـه ، وكان قـد قـارب المئة .

---

* الدرر : ٤٧٠/١ .

(١) أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان الباذبيني شيخ الفقراء السعودية (ت ٧٤٤ هـ) ، وستأتي ترجمته

(٢) (ق) : « جاءه » .

حرف الباء

٣٨٥ ـ بَاشقَرْد*

بباء موحّدة ، وبعد الألف شين معجمة وقاف مفتوحة وراءٌ ساكنةٌ ودال مهملة : الأمير ناصر الدين بن عبد الله الناصري .

سُجِنَ بالديار المصرية عقيب كسرة حمص ، وبقي في الاعتقال إلى أن أُفرج عنه ، وحضر إلى دمشق فبقي بها نحواً من عشرة أيام .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثالث عشر صفر سنة اثنتين وسبع مئة .

قرأ عليه الشيخ علم الدين البِرْزَالي مجلس (البطاقة) بسماعه من عبد الله بن علاّق ، عن البوصيري .

وكان من أكابر الأمراء وأفاضل النبلاء ، عقله غزير ، وفَضْله مُثْلُ أدبه كبير ، له حُرمَة زائده ، ووجاهة لم تكن عن القبول حائلة ولا حائده ، وله نظم يَرُوق ، وقريض يعلو إلى الأثير إن لم يصل إلى العَيُّوق[1] .

أخبرني شيخنا نجم الدين الصّفدي[2] عمّن أخبره عنه أنه قال : بقيت عشرين سنة لا أتلفظ باللغة التركية حرصاً مني على إتقان العربيّة .

---

* البداية والنهاية : ١١٤/١٤ ، والدرر : ٤٣٥/١ .

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن .

(٢) حسن بن محمد ، وستأتي ترجمته .

اللقبُ والنسبُ

☆ **البابي** : محمد بن عمر .

☆ **البابري** : سيف الدين أبو بكر .

☆ **البابصيري** : عبد العزيز بن أبي القاسم .

☆ **ابن باتكين** : مُحيي الدين أحمد بن نصر الله .

☆ **البانياسي الكاتب** : تقي الدين أبو بكر بن محمّد .

☆ **الباردي** : صدر الدين سليمان بن عبد الحليم .

☆ **الباجريقي** : جمال الدين عبد الرحيم بن عبد المولى ، وولده الشيخ محمّد .

☆ **البارنباري** : تاج الدين محمّد بن محمّد ، وجمال الدين عبد المحسن بن حسن .

☆ **البارشاه الحنفيّ** : ركن الدين عبيد الله .

☆ **ابن البارزي** : فخر الدين عثمان بن محمّد .

☆ **والبارزي** : محمد بن عبد الرحيم ، وقاضي القُضاة شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم ، وقاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم .

☆ **الباجي** : الشيخ علاء الدين الأصولي علي بن محمّد .

☆ **البالي** : علي بن محمّد .

☆ **البالسي** : محمّد بن عقيل ، ومحمّد بن علي .

☆ **الباذراي** : محمّد بن محمد بن حيدرة .

٣٨٦ ـ بُتْخاص*

بضم الباء الموحّدة ، وسكون التاء ثالثة الحروف ، وبعدها خاء معجمة وألف وصاد مهملة : الأمير سيف الدين .

كان بدمشق من جملة أمرائها ، ثم حضر إلى صفد نائباً بعد الأمير سيف الدين كراي المنصور[١] ، وأقام بها ست سنين ، وعزل[٢] وتوّجه إلى مصر ، وهو من جُملة الأمراء البُرجيّة .

ولما كان بصفد أظهر المهابه ، ومزّق من المؤذي إهابَه ، وتَنَوَّع في إتلاف النفوس ، وفَصْلِ الأجساد عن الرؤوس ، ومهّد جبلَ عامِلَه ، وروّى سيفه منهم[٣] وعَامِله ، أمسك سابق شَيْحَيْن[٤] وأذاقه الحَيْن في الحِيْن ، وسمَّر أولاده تحت القلعة على الخشب ، وأرآهم أباهم وقد طار من المنجنيق في الهواء وانقلب ، ووَسَّط جماعةً كثيرة وشَنَق ، وخنق آخرين من غيظه والحَنَق ، وسمَّر جماعة على الجِمال وطاف بهم البلد ، وأنزل بهم أنواعاً من النكال والنكد ، قد تقمّصَ القساوة والتجبُّر ، وزاد في التعاظم والتكبّر .

ولم يزل بمصر مقيماً من جملة الأمراء إلى أن حضر الملك الناصر من الكرك فَعَزم على إمساكه ، وكان في القلعة ساكناً في برجٍ من أبراجها[٥] ، فلما أحسّ بذلك عَصَى في داره ، وأغلق الأبواب ، ورمى الناس بالنشّاب من أعلى داره مِن شبّاك ، وكان ذلك بعد مغيب الشمس ، فرسم السلطان بإحراقِ داره ، وأن يُرمى فيها قوارير النفط .

أخبرني من لفظه الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر قال : جئت إليه

* الوافي : ٧٥/١٠ ، والبداية والنهاية : ٦٤/١٤ ، والدرر : ٤٧٢/١ ، والمنهل الصافي : ٢٣٧/٣ .

(١) في الوافي : « المنصوري » ، وكذا في المنهل .

(٢) (ق) : « وعزل منها » .

(٣) (ق) : « من دمهم » .

(٤) لم نقف على ترجمة له .

(٥) (ق) : « بروجها » .

ووقفتُ تحت الشباك وناديته : يا بُتْخَاص ، أنا فلان ، والك ، أيش هذا الذي تعمل ؟ تعال بلا فُشار ، وانزل كلّم أستاذك ، فإنه يطلبك ليتحدّث معك في أمرٍ يريده ، ترمي بالنشاب ! تعال انزل ، ونفرتُ في مماليكه ، ونفرت في[1] الذين جاؤوا إليه من عند السلطان . قال : فانفعل لِما قلته ، ونزل ، فأخذناه وأتينا به السلطان ، فأمر باعتقاله ، وكان ذلك آخر العهد به ، وذلك سنة عشر أو سنة إحدى عشرة وسبع مئة ـ فيما أظن ـ فباد وما أغنى عنه تجبُّره ، ولا دافع عنه تكبُّره .

وجاءت الأخبار أنه توفي في حَبْس الكرك هو وأسندَمر نائب طرابلس في القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ولم يَبْلغنا عن أحد من غيره مِن الأمراء الذين أمسكهم السُلطان الملك الناصر من بعد الكرك وإلى أن مات أنه مانَعَ عَنْ نفسه أو دافع .

٣٨٧ ـ بُتْخَاص*

الأمير سيف الدين العادلي مملوك السلطان الملك العادل كتبغا ، قتله حسام الدين لاجين ، وقتل خوشداشه[2] الأميرَ بدر الدين بكتوت الأزرق في يوم الاثنين ثامن عُشري الْمُحرّم سنة ست وتسعين وست مئة ، على ما سيأتي في ترجمة بكتوت .

☆ **البجدي** : محمد بن أحمد

☆ **ابن بحيح الحنبلي** : زين الدين عمر بن سعد الله .

☆ **ابن البخاري** : محمد بن علي ، وشمس الدين محمود بن أبي بكر الحنفيّ .

☆ **ابن التخاص** : ناصر الدين محمّد بن عمر .

---

(١) ما بين : « نفرت ونفرت » ، سقط من الأصل ، وهو ثابت في (ق) ، والوافي .

* ذكره صاحب عقد الجمان : ٣٤٨/٣ ، في أحداث سنة » ٦٩٦ هـ) .

(٢) فارسية ، تعني الزميل في الخدمة .

٣٨٨ - بدر*

الأمير بدر الدين أبو المحاسن الطَواشي الحبشي الصّوابي ، وهو منسوب إلى الطواشي صواب العادلي[١] .

كان إقطاعه مئة فارس ، حج بالناس غَيْرَ مرّة ، وأقام أميراً مقدّماً أكثر من عشرين سنة ، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبي جزءاً سمعه من ابن عبد الدائم ، وكان بالشجاعة موصوفا ، وبالفروسيّة معروفا ، قد مارس الحروب ، وعرف الفَرَّ والكَرَّ على الكروب ، يطرق ويتعقل ، ويدور على مَظانّ الصّواب بفكره ويتنقّل ، مع التثبت والرزانة[٢] ، وملازمة الخير والديانة ، ومواصلة البِرّ ، وإسداء المعروف في الجَهْر والسر ، يَعِمّ غلمانه وأصحابه بنواله ، ويغنيهم بجوده عن سؤاله .

ولم يزل على حاله إلى أن انمحق بَدْرُه وانطبق عليه قَبْرُه .

وكانت وفاته فجأة بقرية الخيارة ظاهر دمشق ، ونقل ودفن بتربته التي بناها بلحف الجبل شمالي الناصرية ، وذلك سنة ثمان وتسعين وست مئة في جمادى الأولى ، وقد نيّف على الثمانين .

اللقبُ والنسَبُ

☆ **البَدْري** : نائب صفد وحمص وغيرهما ، الأمير سيف الدين بلبان ، وأولادُه : الأمير سيف الدين محمّد الحاجب ، والأمير علاء الدين [عليّ][٣] .

☆ **البدري** : نائب حلب ، الأمير سيف الدين بيدَمُر .

---

* الوافي : ٩٥/١٠ ، والشذرات : ٤٤١/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٤٣/٣ .

(١) (ت ٦٣٢ هـ) ، الشذرات : ١٤٩/٥ .

(٢) في الأصل : « الدراية » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٣) زيادة من (ق) .

٣٨٩ - بُرَاق*

الشيخ الفقير كبير الطائفة المنسوبين إليه . وَرَدَ إلى دمشق سنة خمس وسبع مئة ، وقيل : سنة ست في جُمادى الأولى في زمن الأَفْرَم ، ومعه جماعة كبيرة من أتباعه بِعُدّة وافرة ، كانوا مئة ، وكان من جملة مريدي شيخٍ كان في بلاد الروم ، ولما ورَد خرج القاضي قطب الدين ناظر الجيش[١] إلى القابون وعَرضهم واستساهم وحَلاّهم وعَدّهم ، وجُهِّزَت بذلك ورَقةَ طيّ المطالعة إلى أبواب السُلطان ، وكان شعاره حَلْق الذقن كلّها ، وتَرْكُ الشارب فقط ، وحَمْل الجوكان[٢] على الكتف ، ولكلّ منهم قَرْنا[٣] لُبّادٍ يُشبهان قَرْني الجاموس ، وهو مُقَلَّد بجبلِ كعاب بقر[٤] قد صبغت بالحنّاء ، وعليهم الأجراس ، وكلٌّ منهم مكسور الثنيّة العليا ، إلاّ أنه كان يلازم العبادة والصلاة ، وكان معه محتسبٌ يؤدّب أصحابه ، كلُّ من ترك منهم[٥] سُنةً من السنن ضربه عشرين عَصَا تحت رجليه ، ومعه طبلخاناه ، وقيل له : يا شيخ لأي شيء ظهرت بهذا الشعار ؟ قال : أردت أن أكون مَسْخَرةً للفقراء .

وأول ما ظهر بتلك البلاد ذُكِر للقان غازان ، فأحضره وسلَّط عليه سَبُعاً ضارياً ، فركب على ظهره ، ولم ينل منه شيئاً ، فأعْظَمَ ذلك غازان ، ونَثَر عليه عشرة آلاف دينار رائج ، فلم يتعرض لشيء منها .

ولما أراد الدخول على الأفرم إلى الميدان أرسلوا عليه نعامة كان قد عَظُم أمْرُها وتفاقم شرُّها ، فلا يكاد أحدٌ يقاومها ، فلّما عرضوه لها قصدته ، فتوجه إليها وركَب

---

* الوافي : ١٠٦/١٠ ، والدرر : ٤٧٣/١ ، والمنهل الصافي : ٣٤٧/٣ .

(١) ابن شيخ السلامية ، موسى بن أحمد ، وستأتي ترجمته

(٢) الجوكان : المحجن أو الصولجان الذي تضرب به الكرة . (صبح الأعشى ٤٥٨/٥) .

(٣) في المنهل : « وفي رأسه قرن لباد » .

(٤) في الدرر : « بفرو » .

(٥) ليست في (ق) ، والوافي .

عليها فطارت به في الميدان تقدير خمسين ذراعاً ، إلى أن قَرُبَ من الأفرم ، فقال له : أطير بها إلى فوق شيء آخر ؟ فقال : لا . ثم إن الأفرم أحسن تلقّيه وأكرمَ نُزُلَه ، وطلب التوجّهَ إلى القدس ، فرتّب له رواتب في الطرقات ، فما قبلها ، وأعطاه الأفرم من خزانته ألفي درهم ، فما قبضها ، وأخذها جماعته ، وزار القدس ، وأظنّه طلب الدخول إلى مصر فما مُكِّن ، وعاد ودخل البلاد وتوجّه صحبة قطليجا نائب غازان إلى جبال كيلان لمّا حاربهم غازان بسبب ما طلبه منهم من فتح الطريق إلى بلاده وقالوا له : لا سبيل إليه لأنه يضرّنا ، فأمسكوه وقالوا : أنت تقول إنك مُسلمٌ وشيخ من الفقراء ، وتحضر مع هؤلاء أعداء الدين ، وسَلَقُوه في دَسْت ، وألقوه بعد ذلك في طَسْت ، وذلك في سنة سبع وسبعُ مئة .

وكانوا أشكالاً غريبه ، ولهم أحوال عجيبه . تَفِرّ العقولُ إذا أقبلوا ، وتتعجب منهم إذا نقَّروا وطبّلوا . تتحرك عليهم تلك الكعاب ، ويهول مرآهُمُ العجوزَ والكَعَاب ، قرونٌ من اللبّاد مَعَقّفه ، وشوارب فوق شفاههم موقَّفَه ، وعلى أكتافهم تلك الجواكين ، وهيأتهم كما يقال : ما تنقطعُ بالسكاكين ، إذا خطروا صوّتت تلك الأجراس وجَعَلُوا ربوع العقول في عداد الأدراس ، قَصَّهمُ الناسُ في الخيال ورقّصُوهم ، وبخسوهم ما قصدوا به ونقصوهم ، واشتغل الناس بهم زماناً بعد ذهابهم ، ونظموا فيهم أشعاراً لم تكن داخلة في حسابهم .

أنشدني من لفظه الشيخ يحي الخبّاز الحموي[1] قال : أنشدني من لفظه لنفسه سراج الدين المحّار[2] :

جَتْنَا عجم من جُوّا الروم صُوَر تحير فيها الأفكار
لهم قرون مثل الثيران إبليس يصيح منهم زنهار

(١) يحي بن محمد بن زكريا العامري (ت ٧٧٣ هـ) ، الدرر : ٤٢٦/٤ .
(٢) عمر بن مسعود ، وستأتي ترجمته .

جـا كلّ واحـد لُـو شـارب طـويـل ودقنـو محلـوقـهْ
كِنُّـو على فمـه غرّه[1] بـلا خيـاطـة ملـزوقـهْ
أقـوام خـوارج غيريّـه مثـل البهـائم مَرْزُوقـهْ
شي مـا نظرنـاه في الـدنيـا ولا سمعنـاه في الأخبـار
مـا أنزل الله بو [من][2] سلطـان ولا رضي عنُّـو المختـار
الشيـخ براقَ الّي اغـواهم واختـار لهم هـذا الحُـلاّس
أكسى المريـد منهم قرنين وأعطـاه قـلاده من أجراس
وأمّـا الكعـاب المصبـوغـة قـال هِي سُبَح هـذي الأجنـاس
وأيـا مكان حَلّـوا فيـه يسبّحـوا تسبيـح الغـار
وإن زَفَروا تَسْمـع أصـوات مقـارع أهـل النّـار في النّـار
أعـزّ من تبصر فيهم قبض الـدكاكين في الأسـواق
خُـذْ من صغرهم عـوّدهم لحس الـزبـادي والأمراق
مـا يعرفـوا آداب النـاس ولا إيش يكون حُسن الأخـلاق
ومحتسبهم قـال لي انسـان كان يربّيـه واحـد خمّـار
تعِبْ عليـه حتى أنّـوجـا مثلـو محـارف[3] قُـودِ بشْـلاَر[4]
جـازوا القرم ورامـوا فيهـا غـارة في سـوق الجـزارينْ
على اللّـوَايـا المعلـوفـه وأكثرهـا مـع ذا السّـلاّخينْ
وراح يجردهم مـاعُـو دائم في سـوق الطبـاخين
و يطلب البنجـك منهم المخبـوز الخـاص والخُشكار
وهـو يـدور بين البلـدان دائم ويعمـل ذا البيكار

(١) في الوافي : « عثرة » .
(٢) زيادة من (ق) والوافي .
(٣) في الوافي : « نحارف » .
(٤) في الوافي : « شلار » .

يـــاشيـــخ براق والله إنـــك ... قـد جيت في الـدنيـا بـدعـهْ
ومـــا رأينـــاك في جـــامـع ... صَلّيت ســوا إن كان جمعـــهْ[1]
وكان مرادك أن تُشهِر ... لــك في بــلاد الشــام سُمْعَــهْ
وجئت إليهم[2] في حـــالـــه ... ظهر عليـــك فيهـــا إنكار
ومـــا رأينـــا من قبلـــك ... فقير بسبعين جـــوكنـــدار
يـــا من لا يتحقّــق شكلــو ... أقِف نقـل لــك كيف وصفُــو
إنســان قرونــو فــوق راســو ... وجــوكانــو من فــوق كتفُــو
وسيف خشب مغمـود مـاعـو ... والطبلخـــانـــه[3] من خلفـو
يُصَنّجُــو بـــالصّينيّـــة ... والطبـل مُكّــه والمـزمــار
شي تضحـك النـاس من فعلـو ... وقـــط مـــا يُرضي الحُضّـــار
يـاشيـخ براق إن كان تعمـل ... شغـــل الفقيري من حَقّـــا
تقـــوّ[4] من زاد التقـــوى ... واركب طريـق أهـل الخرقـا
ولا تغرّك ذي الـــدنيـــا ... والآخرة خير لـــك وأبقى
ونْ كان في عـزمـــك تبقى[5] ... حليـق ومـا تخشى من عـــار
الــواجب إنـــك تتبّـــع[6] ... طريـق حميـد ذاك الْمَحّـار
انت الغريب جيت في فنـــك ... وَنَـا الـوحيـد جيت في فني
نظمت أحسن مـــا يُنْقـل ... عنـــك ومـــا يُرْوَى عني
قطعـة مـا يسمعهـا إنسـان ... إلا ويطلبهـــــا منّي

(١) في (ق) والوافي : « يوم جمعة » .
(٢) في الوافي : « ليهم » .
(٣) في الوافي : « والطبلخاه » .
(٤) في الوافي : « تقوّى » .
(٥) في الوافي : « ما تبرح » .
(٦) (ق) : « تبتع فيها » .

تبقى على مرّ الأزمـــــــان تـــــــدور على روس الأدوار
وكنيتي مـــا احـلا مـــاجت مخفيّـــة بين هـــذي الأسطـــار

قـال شيخنـا علم الـدين البرزالي : كان من قريـة من قرى دوقـات[1] ، وكان أبوه صاحب إمرة وولاية ، وكان عمّه كاتباً مجيداً معروفاً ، وسـافر هو ـ يعني بُرَاق ـ وخـدم الشيخ شريق القرمي[2] وتَتلمذ له ، وهو الذي سمّاه بهذا الاسم فإنـه أكل من قَيْئـه فقـال له : أنت برقي ، وهي بالقبجاقية : « كَلْبٌ » . قال : وممّا يثنى به عليه أنه هو وجماعته يلازمـون الصـلاة ، ومَنْ فـاتتـه صـلاة في وقتهـا ضُرب أربعين سـوطـاً ، ولهم ذكر بين العِشائَيْن ، وكَرَمُهُ زائد .

٣٩٠ ـ بُرَاق*

الأمير سيف الدين أمير آخور الإسطبل السلطاني بدمشق المحروسة .

أصله من مماليك الأَفْرَم ـ فيما أظن ـ وولي هذه الوظيفة بعد شهاب الـدين الصوابي لّما مات في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وأقام فيها إلى أن مرض بعلة الاستسقاء .

وتـوفي رحمـه الله تعـالى في يـوم الجمعـة ثـامن عشري شهر ربيـع الأول سنـة سبـع وخمسين .

وكان جيّداً خيّراً يتغالى في محبّة الشيخ تقي الدين بن تيميّـة وأصحـابـه ، ويحفـظ كثيراً من الأحاديث . وكان كثيرَ الشفقة على خيل البريد إلى الغايـة ، لا يسمح بخروج الفرس من عنده إلاّ بَعْد شدّة شديدة ومدة مديدة . ولّما وَرَد السُلطـان الملـك الصـالح صّالح إلى دمشق في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة رسم لـه بعشرة ، وكان من جملـة أمراء

(١) دوقات : ويقال « توقات » : بلدة في أرض الروم ، كانت ذات قلعة حصينة . (معجم البلدان) .
(٢) لم نقف على ترجمته .
* الدرر : ٤٧٤/١ .

العشرات بدمشق ، وهو الذي وقف المحيّا[1] في جامع الأمير سيف الدين تنكز بدمشق ، ووقف عليه حوانيت بحمص .

☆ البِرْزَالي : الشيخ علم الدين القاسم بن محمّد بن يوسف ، وبهاء الدين محمّد بن يوسف بن محمّد .

٣٩١ ـ بَرَسْبُغا*

الأمير سيف الدين الحاجب الناصري .

ولاّه أستاذُه الملك الناصر الحجوبيّة ، فكان دون الأمير بدر الدين أمير[2] مسعود بن الخطير ، ثم إنّه بعد قليل عظم عند السُلطان ، وكان يجهِّزُه كاشفاً . ثم إنّه لمّا أُمسك النشّو ناظر الخاص وأقاربُه وجماعته سَلّمهم إليه ، فعاقبهم وصادَرَهم ، ولم يكن له غرض في إتلافهم ، ولكن أمسكه يوماً الأمير سيف الدين بُشْتاك وتوعّده على عدم إتلافهم ، فهلكوا عنده في العُقوبة . ثم إنه حضر مع الأمير بُشتاك إلى دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، وسُلّم إليه أهلُ البلد المصادرون وجماعة تنكز ، فعاقبهم واستخرج الأموال منهم ، وكان مقيماً بالنجيبيَّة على الميدان ، وكان يعاقب الناس في النهار وفي الليل ، ولم يكن في نفسه ظالماً ولا شريراً ، لأنني أنا كتبتُ عنه إلى الأمير سيف الدين قوصون عدّة مطالعات وهو يقول فيها : يا خوند أدركْ أهلَ دمشق ، وادْخُل فيهم الجنة ، فإنني بَسَطْتُ عليهم العقاب ، وأخذت جميع ما يملكونه ، ولم يبق معهم شيء ، وهؤلاء ماهم مثل أهل مصر بل هم أناس محتشمون ما يحملون إهانة[3] ، ويكتب إلى السلطان أيضاً ببعض ذلك .

---

(١) كذا ولم يتبيّن مراده .

* الوافي : ١١٤/١٠ ، والدرر : ٤٧٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٨٢/٣ .

(٢) ليست في (ق) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « إهنة » .

ولّما حضر أولاً من مصر حضر معه مقدّم يَضرب بالمقارع ، فلما رآه بعد يومين وهو نَحس[١] في حق المصادرين نفاه ، وقال : متى بِتُّ في دمشق قتلتك .

ولم يَزَل يتلطَّف إلى أن رُسم له بالعَود إلى مصر ، وكان قد أقام بعد بشتاك مُدَيْدَة ، فتوجَّه ، ولم يزل على ذلك والسُلطان يسلّم إليه المصادَرين . وهو الذي ضرب الصاحب أمين الدين إلى أن مات .

ومات السلطان وتولّى ولده الملك المنصور أبو بكر ، فانتحس عنده وعند قوصون ، وأريد إخراجه إلى الشام ، ثم إنّه تدارك أمرَه عند قوصون فرضي عليه . ولما ملك الأشرف كجك بعد المنصور وجاء الفخري إلى دمشق أُخرج بَرَسْبُغا في جماعة من العسكر المصري إلى غزة فَوَصل إليها ، وأقام بغزة مدة إلى أن وصل إليه الأمير علاء الدين ألطنبغا مهزوماً ، فتوجه معه[٢] ، فلمّا قاربوا مصر أُمسك الأمير سيف الدين قوصون وجُهّز إليهم من أمسكهم[٣] ، فهرب بَرسْبُغا إلى جهة الصعيد فجُهز وراءه[٤] من أمسكه ، وأحضره ولّما وصل إلى القاهرة جُهّز إلى الإسكندريّة واعتُقل بها ، وبقي هناك إلى أن حضر الناصر أحمد من الكرك ، وجاء الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، والأمير سيف الدين طشتمر حمّص اَخضر ، فجُهز الأمير شهاب الدين أحمد[٥] بن صبح إلى الإسكندريّة ، فتولى قَتْلَ ألطنبغا وقوصون وبُرُسبغا ، وذلك في شوال سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان بَرسبغا ـ كما تقدم ـ ليّنَ الجانب سليمَ الباطن ، يُرَى وهو للظلم مجانب ، تغلبُه الرقة والرحمة ، وتستولي عليه الشفقة على من تنزل به النقمة ، إلاّ أنه كان يلجأ

---

(١) كذا ، ولعلها « يبخس » .

(٢) (خ) : « معهم » .

(٣) في الوافي : « يمسكهم » .

(٤) (خ) : « فجهزوا له » .

(٥) ليست في (خ) . وفي المنهل : « أحمد بن صبيح » .

إلى التظاهر بالشر ،. والوثوب على أهل الأموال بالكر دُون الفَرّ ، وما أفاده خَيْر الباطن شيئاً مع شر الظاهر ، ولا أعاده الدخول في الظلم إلا إلى نجاسة الهلاك دون ما للنجاة من الطاهر . وقابل شخص المنيّة واعتنق ، وخانه الزمان فأودعَهُ السجن إلى أن اختنق .

٣٩٢ ـ بُرْناق*

الأمير سيف الدين المحمّدي .

كان قد ورد إلى دمشق ، ولّما أُمسك الأمير سيف الدين جَرَكتمر المارداني[1] في دمشق عند قدومه من الحجاز في سنة اثنتين وستين وسبع مئة جَهّز الأمير سيف الدين بُرناق معه إلى مصر ، ولما عاد من ذلك رُسم له بنيابة قلعة دمشق ، فلبس تشريفَهُ بدار السعادة وتوجه إلى القلعة ، وذلك في يوم الاثنين سادس عشري صفر سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في عشية الأربعاء حادي عشر شعبان سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن برق** : والي دمشق شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ، والده أبو بكر بن أحمد .

☆ **ابن البُرْطاسي** : شرف الدين عيسى بن عمر .

☆ **البرلّسي** : برهان الدين إبراهيم بن أحمد ناظر بيت المال .

☆ **ابن البرهان** : الطبيب محمد بن إبراهيم .

---

* الدرر : ٤٧٦/١ ، وبدائع الزهور : ٥٨٦/١/١ .

(١) في الدرر : ٥٣٤/١ ، أنه مات قبيل السبعين .

☆ **البَرَواني** : الأمير علم الدين سنجر ، وابنه بهاء الدين محمد بن القاسم .

☆ **البزاغي** : التاجر الشاعر أحمد بن خليل .

٣٩٣ - بُزْلار*

بضم الباء الموحّدة وبعدها زاي ساكنة ولام وألف وراء : الأمير سيف الدين أمير سلاح الناصري أحد أمراء المئات ومُقَدّمي الألوف بالقاهرة .

كان قد وَرَدَ إلى دمشق في البريد نهارَ الجمعة عاشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ليُحلِّف الأمير سيف الدين أيْتِمش نائب دمشق والعساكر بها للسلطان الملك الصالح صالح ابن السلطان الملك الناصر محمد ، ونزل بالقصر الأبلق ، وحلّف الناس ، واحتفلوا[1] بأمره ، وقدّموا له أشياء مليحة ، كلّ أحدٍ من الأمراء والمتعممين ، وعاد ومعه شيء كثير من الخيل والقِماش وغيرِ ذلك .

ولم يَزَلْ بمصر على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، وورد خبره إلى دمشق في أوائل ذي القعدة سنة ستّ وخمسين وسبع مئة .

وهو الذي ساعد الأمير سيف الدين طاز على إمساك بيبغاروس في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة لَمّا كانوا في طريق الحجاز ، وكان يُحَدّث نَفْسَه بنيابة دمشق ، فسبقه الأجل وأخذه على عَجَل .

٣٩٤ - بَزُوجي**

بالباء الموحدة والزاي المفتوحة والواو الساكنة والجيم والياء : الأمير سيف الدين أحد أمراء العشرات بدمشق .

---

* الدرر : ٤٦٧/١ .

(١) في الأصل : « واحتلفوا » ، تحريف .

** الدرر : ٤٧٧/١ .

كان قد تَقَدّم في أيام قوصون وأعطاه طبلخاناه ، فلمّا زَالت دَوْلَة قُوصون أُخرج إلى دمشق بطّالاً ، ورُتِّب له على سُوق الغنم ، في كلّ يوم عشرون دِرْهَماً ، وأقام إلى أن حَضَر الملك الصالح صالح إلى[1] دمشق فأعطي عشرة ، فأقام عليها إلى أن توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء سادس عشر[2] شعبان سنة ست وخمسين وسبع مئة بدمشق ، وتوفي ابنه بعده بجمعة واحدة .

٣٩٥ ـ بَشْتَاك*

بفتح الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وتاء ثالثة الحروف وبعدها ألف وكاف : الأمير سيف الدين الناصري .

قَرَّبَهُ السلطانُ وأدناه وأعلى مَحلَّه ، وكان يسمّيه بعد موت بكتمر الساقي بالأمير في غيبته ، وكانَ زائد التيه والصّلف ، لا يُكَلّم أستاذ داره وكاتِبَه إلا بترجمان . وكانَ يَعْرِف بالعربيّ ولا يتكلَّمُ به ، وكان إقطاعه سبع عشرة طبلخاناه ، أكبر[3] من إقطاع قوصون ومَا يعلم قوصون بذلك .

ولّما ماتَ الأمير سيف الدّين بكتمر الساقي ورثه في جميع أحواله ، في داره وإصطبله الذي على بركة الفيل ، وفي امرأته أم أمير أحمد ، واشترى جارِيَتَه خُوبي[4] بستة آلافِ دينار ، ودَخَل معها ما قيمته عشرة آلاف دينار ، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى ، وأخذ ابن بكتمر عنده . وكانت الشرقيّة تُحمى له بعد بكتمر الساقي .

وزاد أمرُه وعَظُمَ مَحَلُّه وثقل على السلطان ، وأراد الفتك به فما تمكّن ، وتوجّه

---

(١) ليست في (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

* الوافي : ١٤٢/١٠ ، والدرر : ٤٧٧/١ ، والمنهل الصافي : ٣٦٧/٣ .

(٣) (خ) : « أكثر » .

(٤) ستأتي ترجمتها .

إلى الحجاز ، وأنفق في الأمراء وأهل الركب والفقراء والمجاورين بمكة والمدينة شيئاً كثيراً إلى الغاية ، وأعطى من الألفِ دينار إلى الدينار على مراتب الناسِ وطبقاتهم . ولّما عاد من الحجاز لمَ يَدْرِ به السلطان إلا وقد حضر إليه في نفر قليل من مماليكه ، وقالَ : إنْ أردت إمساكي فها أنا قد جئت إليك برقبتي . فكَابَره السلطان وطيّبَ خاطرَهُ ، ورُمي بأوابد ودواهي من أولاد[١] الزنا ، وكان السبب في تقدّمه أن قال السلطان يوماً لمجد الدين السلامي : يامجد الدين ، أريد أن تُحضر من البلاد مملوكاً يشبه بوسعيد - يعني ملك التتار - . فقال : هذا مملوكُك بشتاك يشبهه ، وكانَ ذلك سبباً لتقدمه[٢] .

وجرّده السلطان لإمساك الأمير سيف الدين تَنْكز ، فحضر إلى دمشق بعد إمساكه هو وعشرة أمراء ، ونزلوا القصر الأبلق ، وفي خدمته الأمير سيف الدين أرقطاي وبَرسْبُغا وطاجار[٣] الدوادار وغيره . وحال نَزولِه حلَّف الأمراء كلَّهم للسلطان ولذرّيته ، واستخرج ودائع تنكز وعرض حواصله ومماليكه وجواريه وخيله وكل ما يتعلق به ، ووسّط طَغَاي وجُنْغَاي مملوكَيّ تنكز في سوق الخيل ، ووسّط أوران أيضاً بحضوره يوم المواكب ، وأقام بدمشق خمسة عشر يوماً أو حولها ، وعاد إلى مصر ، وبقي في نفسه من دمشق وما يجسر يفاتح في ذلك السلطان ، فلّما مرض السلطان وأشرف على الموت ألبس[٤] الأمير سيف الدين قوصون مماليكه ، فدخل بشتاك وعرّف السلطان ذلك ، فقال له : افعل أنت مثله ، ثم إنه جمع بينهما وتصالحا قُدّامه ، ونصّ السلطان على أنَّ المُلك بعدَه لولده المنصور أبي بكر ، فلم يوافق بشتاك ، وقالَ : ما أريد إلاّ سيدي أحمد .

---

(١) (خ) ، (ق) : « أمر » .

(٢) (ق) ، (خ) : « لتقريبه » .

(٣) هو طاجار بن عبد الله الناصري (ت٧٤٢ هـ) . (المنهل) .

(٤) (خ) : « لبّس » .

ولمّا مات السلطان وسُجّي ، قام قوصون إلى الشُبَّاك ، وطلب بشتاك ، وقال : يا أمير تعالَ ، أنا ما يجيءُ مني سلطان ، لأني كنتُ أبيعُ الطسما[1] والبُرغالي والكشاتوين . وأنت اشتريت مني ، وأهل البلاد يعرفون ذلك مني ، وأنتَ ما يجيء منك سُلطان لأنك كنت تبيع البوزا وأنا اشتريت منك ، وأهل البلاد يعرفون ذلك منّا ، ولا يكون سلطاناً من بيع الطسما والبُرغالي ولا مَن عُرِف ببيع البوزا ، وهذا أستاذنا هو الذي أوصى لمن هو أخبرُ به من أولاده ، هذا هو في ذمته وما يسعنا إلاّ امتثال أمره حيّاً وميتاً ، وأنا فما[2] أخالفك إن أردت أحمدَ أو غيره ، ولو أردت تعمل كل يوم سلطاناً ما خالفتك . فقال بشتاك : كل هذا صحيح والأمر أمرك . وأحضر[3] المصحف وحلفا عليه بعضاً لبعض ، وتعانقا وتباوسا ، ثم قاما إلى رِجْلَيّ السلطان فقبلاها ووضعا أبا بكر ابن السلطان على الكرسي ، وبَاسَا له الأرض ، وحلفا له وسَمّياه المنصور .

ثم إنَّ بشتاك طلب من السلطان الملك المنصور نيابَة دمشق ، فرسم له بذلك وكتب تقليده ، وبَرّز إلى ظاهر القاهرة ، وبقي هناك يومين ثلاثة ، ثم إنّه طلع إلى السلطان ليودّعه ، فوثب عليه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، وأمسك سيفه ، وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهّزوه إلى الإسكندرية واعتقلوه بها ، ثم إنه قُتل في الحبس في أول سلطنة الأشرف كُجُك في شهر ربيع الآخر تقريباً[4] سنة اثنتين وأربعين وسبع مئةٍ .

وكان رحمه الله تعالى شاباً أبيض اللون ظريفا[5] ، مديد القامةِ نحيفا ، خفيف

---

(١) في الوافي : « الطمسا » .
(٢) في المنهل : « ما » .
(٣) (ق) ، (خ) ، والوافي والمنهل : « وأحضرا » .
(٤) ليست في (خ) .
(٥) (ق) : « طريفاً » .

اللحية كأنها عِذار ، أوليقة[١] عنبر دارَ بها البركار[٢] ، على حركاته رشاقه ، وفي سكناته لباقه ، حسَنَ العمّة يتعمّم الناسُ على أنموذجها ، وكأنهم يتناولون منها[٣] حلوى فالوذجها ، إلاّ أنه ـ رحمه الله كانَ غيرَ عفيف الفرج ، زائد الهرج والمرج ، لم يَعفّ عن مليحة ولا قبيحة ، ولَم يدعْ أحداً[٤] يفوته ولو كانت بفرد عينٍ صحيحة ، يمسك حتى نساء الفلاّحين ، ومن هي من زوجات الملاّحين ، واشتهر بذلك ورُمي فيه بأوابد ، وأثار الناس عليه من ذلك لبؤاتٍ لوابد .

وكان زائد البذخ ، منهمكاً على ما يقتضيه عنفوان الشبيبة والشرخ ، كثير الصلف والتيه ، لا يُظهر الرحمة ولا الرأفة في تأتيّه .

ولّما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم في دمياط رأيته في كل يوم يذبح لسَماطه خمسين رأس غنم ، وفرساً لا بد منه ، خارجاً عن الإوز والدجاج . وأخبرني سيف الدين طغاي مملوك الأمير شرف الدين حسين بن جندر ، وكان أمير مجلس عنده قال : لنا راتبٌ[٥] في كل يوم من الفحم برسم المشوي مبلغ عشرين درهماً خارجاً عن الطوارئ ، وأطلق له السلطان في كل يوم بقجة قماش من اللفافة إلى الخف إلى القميص واللباس والملوطة والبغلَطاق والقباء ، والقباء الفوقاني بوجه إسكندري على سنجاب طري بطرز زركش رقيق وكلوتة وشاش ، ولم يزل يأخذها إلى أن مات السلطان ، وأطلق له في يوم واحد ثمن قرية « يبنى » بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم ، وهو أول أمير أمسك بعد وفاة الملك الناصر ، وما أغنى المسكين عنه مالُه ، وأوبقته في السجن أعماله . وقلتُ أنا فيه :

---

(١) الليقة : شيء أسود يُجْعَلُ في الكُحل ، والطينة اللّزجة .

(٢) (خ) : « البيكار » .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) (خ) : « واحدة » .

(٥) في الوافي : « قال لنا : رأيت » ، تحريف .

قـالَ الـزمـانُ ومـا سَمِعْنَـا قـولَـه والنـاسُ فيـه رهـائنُ الأشراكِ
من ينصر المنصور من كيدي وقـد صاد الردى بشتـاك لي بشبـاكِ[1]

اللقبُ والنَّسب

☆ **البَطَرني** : المقرئ أحمد بن موسى .

☆ **البَصْروي** : الأمير نجم الدين ، الوزير محمد بن عثمان ، وأخوه فخر الدين المحتسب سليمان بن عثمان .

☆ **ابن البصّال** : محمد بن محمود .

☆ **ابن البُصَيص** : موسى بن علي .

ابن بُصاقة : جمال الدين الحَيسوب عبد الكافي بن عثمان .

☆ **ابن بُصحان** : محمد بن أحمد .

☆ **ابن البعلبكي** : فخر الدين عبد الرحمن بن محمد .

☆ **ابن البُشْطَاري** : عثمان بن محمد ، ومحمد بن عثمان .

٣٩٦ ـ بُغَا*

الدوادار الناصري .

كان مع الأمير سيف الدين أُلجاي دواداراً صغيراً ، ولما مات أُلجاي ظنَّ بُغا أن السُلطان مَا يَعدِل عَنْهُ ، لأنَّ بُغا كان أقدم من أَلجاي وأكبر في بيت السلطان ، فولّى

(١) البيتان في المنهل : ٣٧١/٣ .

* الوافي : ١٧٥/١٠ ، والدرر : ٤٧٩/١ .

السلطان الدُوَادريّة صلاح[١] الدين يوسُف بن أسعد الآتي ذكره إنْ شاءَ الله تعالى في حرف الياء مكانه ، فيَئس بعد ذلك بُغا من هذه الوظيفة . ولما عَزَل السلطانُ صلاحَ الدين المذكور من الدواداريّة وأخرجه إلى صفد ، استقل بُغا بالدواداريّة ، واتفق له[٢] في دواداريته قدّم قصّة إلى السلطان على لسان ابن الدجيجاتي[٣] التاجر ، وكان النشو ناظر الخاص قد رَمَى عليه شيئاً من متجر الخاص ، فلمّا علم النشو بذلك عمل له عند السلطان ، وسَاعده غيره على ذلك ممن يكرهه ، وكان على ذهن السلطان منه أنه فيه لعبٌ ، فعزله السلطان وأخرجه إلى صفد ، فأقام بها مدة يسيرة .

وتوفي بُغَا ، ولم ينل من الدنيا مَابَغَى ، وذلك في سنة سبع مئة فيما أظن .

وكان رحمَهُ الله تعالى يغلبُ عليه الخير والرأفه ، وعنده من الرحمة التي لا يميل معها على ضعيف ولا يستأصل شأفه ، ساكناً قليل الكلام ، لا يسمع في أحد ما يؤلمه من الملام ، إلاّ أنه كان يميل إلى الشباب ، ويروقه الثنايا العِذَاب . وكانت به قرحة تلازمه ، وتُشَدُّ لها من الألم حيازمه ، فربما انقطع لأجلها عن الخدمه ، ووَجَدَ الطاعنُ عليه مكان الصدمه ، ويظهر أن الانقطاع لضعفه المعلوم من القرحه ، ويخلو بأولئك الشباب على الشراب لاقتطاف ثمرات المسرّة والفرحه ، فما أثّر ذلك خيراً عليه ، وذاق ثمرة ما جناه وجلبه إليه ، فَسُلّ من تلك الوظيفة كالشعرة من العجين ، وتمكن منه من كانوا بإخراجه لَهِجين ، ولم يكن له إمرة طبلخاناه ، إنما كان أمير عشرة إلى آخر وقت .

٣٩٧ ـ بَغداد*

بنت النُوين جوبان[٤] زوج بوسعيد .

---

(١) (ق) : « للأمير صلاح » .

(٢) (ق) : « أنّه » .

(٣) في الأصل : « الدجيجاني » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .

* الوافي : ١٧٥/١٠ ، والدرر : ٤٨٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨١/٣ .

(٤) (ق) : « جوبان الخاتون » .

كان بوسعيد[١] يحبها و يميل إليها ميلاً عظيماً ، وكان أبوها يفهم ذلك فلا يدعها تقرب الأردو[٢] ، ولكن تكون غائبة مع زوجها الشيخ حسن[٣] هُنَا وهنا ، فما كان إلا أن قتل بوسعيد أخاها خواجا[٤] ، وهرب أبوها جوبان ، ثم قُتل ، ودَخَل أخوها تمرتاش[٥] إلى مصر وحصل لبوسعيد الذي كان يرومه مِنْ قربها ، فأخذها من زوجها ، وأخذها عنده ، وصارت عنده في مكانة عليا ، وآثرها على مملكة الدنيا ، وكان لا يصبر عنها ، ولا يَرى أن الشمس تدنو منها ، لِما حازته من الحسن البارع ، والجمال الذي لم يقرع السمعَ بمثله قارع ، تثنّى ولاغصن بانةٍ وَريق ، وتَبَسَّمُ ولا قلادة جوهر في سَفَط عقيق ، وترنو بعين ما نُفثَ السحرُ إلا من جفونها المكحّله ، ولا فتكت القواضِبُ إلاّ من فَترتها المفحّلِه ، وجهها يشبه البدر لولا كَلَفه ، ورائيها يحيا بنظرها إلا أنه يؤدّيه إلى ما فيه تلَفَه .

أخبرنا[٦] الخواجا مجد الدين السَلاّمي قال : لم يكن في الأردو لها نظير ، وإذا خطت قلتَ : هذا غُصْنٌ والقلوبُ عليه تطير ، وكان لها في الممالك القانيّة الأحكام النافذه ، والمراسيم التي إذا برزت كانت على الأرواح [آتية ، وبالأنفاس][٧] آخذه ، ولها هي من النساء وزيرة أيضاً تحكم حكم الوزير ، وتتحدث فيما تشاء من الجليل والحقير ، وتركب بغداد في مَوكب حفل من الخواتين ، وتشدّ في وسطها السيف ، ولكل نُوَين إليها رحلة الشتاء والصيف . ونفذت أحكامها وجالت ، ومضت أوامرها

(١) (ق) : « السلطان بوسعيد » . وكذا في المنهل .
(٢) في المنهل : « بلاد الأردو » .
(٣) هو حسن بن أرتنا (ت ٧٤٨ هـ) . (المنهل) .
(٤) في الوافي : « دمشق خواجا ، وفي المنهل : « دمشق خجا » ، وقد ذكر دمشق هذا في ترجمة أبيه جوبان في الوافي : ٢٢١/١١ .
(٥) ستأتي ترجمته .
(٦) (ق) : « أخبرني » .
(٧) زيادة من (ق) .

وصالت ، وهرب منها علي باشا خال بوسعيد ، ولم يقرب الأردو خوفاً منها ، فهو بقرابته لذلك بعيد ، ولم تزل على ما هي فيه من الحكم وخَدُّ الأردو بها موزِّد قانٍ ، والناس تحت أوامرها وكيف لا وهي تحكم على نفس القان ، لا يأخذه فيها لومة لائم ، ولا يَسْمَع فيها عَذْلاً ولو كان من أسجاع الحمائم ، إلى أن مات القان بوسعيد ، وتولى القان أربكوون[١] المقدّم ذكره ، فأغصَّها بريق حُسَامه ، وجعَل فمها بالدّم وَرْدَةً بعد ما كان كالأقحوانِ في ابتسامه ، وذلك في سَنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكانت كثيرة التنقيب على أخبار أخيها تمرتاش .

أخبرني من لفظه الخواجا مجد الدين السَلاّمي ، قال : لما كنت بالأردو وعزمت على الحضور إلى خدمة السلطان ، دخلت عليها أخدمها وأودّعها ، فقالت : يا خواجا ، سلّم على السلطان وقل له أنا بنته وجاريته ، وأشتهي لا[٢] يخباني عن حاجةٍ ، فأنت ترى تصرّفي وأمري في الأردو والممالك ، فلا يكن يطلب حاجة من غيري ، قال : فضربت لها جوكاً [ودعوت لها ، فقالت : يا خواجا ؛ أريدك تطلب أخي من السلطان حتى أراه . قال : فضربت لها جوكا][٣] ، وبهتُّ حَيْرةً لا أدري ما أقوله ، ثم ألهمني الله أن قلت : والله يا خوندَ كار ما أنا قدر هذا الكلام ، هذا ما يتحدث فيه إلاّ قان كبير[٤] مثله ، فقالت : صدقت إلاّ يا[٥] خواجا ما يجيء أحد من عندكم وأسأله عن أخي فيقول إنه رآه ، فقلت : يا خوند كار ، لما خرج[٦] أخوك إلى المسلمين قالَ له السلطان : أي البلاد تريد حتى أعطيك ، فخاف أن يطلب دمشق أو

---

(١) في المنهل : « أربكون » .
(٢) في الوافي : « أن لا » .
(٣) زيادة من (ق) .
(٤) في الأصل : « كثير » ، تصحيف .
(٥) أي : لابدَّ .
(٦) (ق) : « راح » .

حلب أو غيرهما من هذه البلاد التي [هي][١] قريبة إلى هذه البلاد فيتهمه أنه يريد العود ، فطلب منه إسكندريّة ، وهي خلف مصر من[٢] ذلك جانب فالذي يروح من عندكم إلى مصر ما يعبر إلى[٣] إسكندرية ولا يصل إليها ، فلهذا ما يراه[٤] ، فهزّت رأسها ، وقالت : يكون ..

اللقب وَالنّسب

☆ **ابنُ البَقَقي** : فتح الدين أحمد بن محمّد .

☆ **البِقْرَاطُ** : محمّد بن عبد الرحمن .

٣٩٨ ـ بُكَا*

الأمير سيف الدين الناصري المعروف ببُكا الخضري[٥] .

كان من جملة الأمراء بالدّيار المصريّة ، وكان ممّن حضر مع بشتاك إلى دمشق بعد إمساك تنكز وعاد معه ، ولم يزل بالديار المصرية على حَاله إلى أن خاض السيف في أحشائِه وجعله دَلْوين ، إلاّ أن كّلاً منهما غَنِّي عن رشائه ، لأنه نُسبَ إلى الميل مع النّاصر أحمد والخروج مع رمضَان[٦] على الملك الصّالح إسماعيل ، فوُسِّط في سوق الخيل هو وثلاثة من مماليك السلطان ، وعُلّقوا على باب زُوَيله ثلاثة أيام ، وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

---

(١) زيادة من (ق) والوافي .

(٢) في الوافي : « إلى » .

(٣) (ق) ، والوافي : « على » .

(٤) في الوافي : « ما يرونه » .

* الوافي : ١٨٤/١٠ ، والدرر : ٤٨٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٣/٣ .

(٥) في حاشية (خ) : « الحَصْري » .

(٦) هو رمضان بن الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤٣هـ) . الدرر : ١١١/٢ .

٣٩٩ ـ بكّار*

ابن الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر بن الواني ، سيف الدين البَريدي أخو الأمير علاء الدين بن الفَرّا ، وسيأتي ذكر أخيه في حرف العين إن شاء الله تعالى .

توفي في رابع عشر جمادى الأوّلى سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة وعمره [١] نحو الستين .

٤٠٠ ـ بكتاش**

الأمير بدر الدين نقيب النقباء بالديار المصريّة ، أظنه تولاّها بعد الأمير صارم الدين صاروجا .

ولم يزل بدر الدين [٢] رجلاً جيداً محسناً إلى الناس .

توفي رحمه الله تعالى في آخر جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

٤٠١ ـ بكتاش***

الأمير بدر الدين المنكورسي أحد المنصوريّة .

كان من قدماء الأمراء . ولي نيابة بعلبك مرات ، وفي آخر مَرّة [٣] طلب الإقالة منها في سنة أربع وخمسين [٤] ، ورسم لابنه [٥] بالتوجه في مقدمة الرّكب ، فاحتاج أن يكون هو معهُ ، فتوجه أمير الركب وعمل الإمرة على ما يجبُ من الحرمة وعلّو الهمة .

---

* الدرر : ٤٨٠/١ .

(١) خ : « وعمّر » .

** الدرر : ٤٨٢/١ .

(٢) (ق) ، (خ) : « وكان بدر الدين » .

*** الدرر : ٤٨١/١ ، وذيول العبر : ٣١٢ .

(٣) (ق) ، (خ) : « أمره » .

(٤) (ق) ، (خ) : « وسبعمئة » .

(٥) (خ) : « ورسم له » .

ومتعه الله بحواسّه وعقله إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، في أوائل شعبان سنة سبع وخمسين وسبع مئة . عن مئة وسبع سنين ، أخبرني [بذلك][1] ولده الأمير زين الدين عبد الرحمن .

وكان قد باشر [شدّ][2] الأوقاف بدمشق في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وعملها على القالب الجائز بجاه الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، وفي آخر أمْرِه اتّحد بالأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، ولما أمسك كان المنكورسي أيضاً في جُمْلَة من أُمسك بسببه ، وصودر ، وأخذ منه مئتا ألف درهم ، في غالب ظني ، وكان يبالغ في اقتناء المصاحف العالية الغالية الأثمان وغيرها من الكتب ، ونَزَل[3] وهو [في][4] نيابة بعلبك أخيراً عن إقطاع الإمرة لولده .

٤٠٢ ـ بكتاش*

الأمير بدر الدين أمير سلاح الفَخْري .

كان من مماليك الأمير فخر الدين ابن الشيخ ، وعاد من أكابر الأمراء الصّالحية ، يتردّدُ في الغزوات ، ويجوب إليها الفلوات . وكان بالخير مشهورا ، وبالصدقات وهو أمير مأمورا ، وافَر الحُرْمَة في كل دَوْلَه ، فارسَ الجوّ في كل جَوْلَه . لا يعارِضُ مَنْ يُقَدِّمُهُ سَعْدُه ، ولا يقارب من أخرّه حظّه وبُعْدُه . أقامَ أميراً دهراً طويلا ، ورأى من الإقبال حظاً جزيلا .

ولما كان في سنة ست وسبع مئة طلب النزول عن الإمرة ، ولزم داره إلى أن نزل به الأمر المحتوم ، وأصبح وطينُ الأرض عليه مختوم ، وذلك في شهر ربيع الآخر من

---

(١) زيادة من (ق) ، (خ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « وترك » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

(٤) زيادة من (خ) .

* الوافي : ١٨٨/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٥٦ ، والدرر : ٤٨٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٥/٣ .

هذه السنةِ المذكورة . وكان رحمه الله تعالى لمّا قُتِلَ السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين في سنة ثمان وتسعين وست مئة قد جُرِدّ إلى سيس هو وجماعة من أمراء مصر ، ولّما عادوا منها وقَربُوا من مصر أُخبر بما جرى مِنْ طُغْجي وكُرْجي في حَقّ لاجين ، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة لاجين[١] في مكانه من حرف اللام[٢] . ولما عزم على الدخول إلى القاهرة طلبَ الأمراء الذين معه ، ومَشَوا في خدمته ، وركب طُغْجي لتلقيه ، فلمّا رآه قال : كان لنا عادة من السلطان أنّا إذا قدمنا يَتَلقَّانا ، وما أعلمُ ما أوجب تأخيره ، فقال طُغْجي : ما علم الأمير بما جرى ، وأنّ السلطان قُتل ؟ فقال : ومَنْ قتله ، فقال كرد الحاجب : قتله طغجي وكرجي ، فأنكر عليهما ، وقال : كلما قام للمسلمين [سلطان][٣] تقتلونه ؟ تقدّم عني لا تلتصق إليّ[٤] ، وساقَ أمير سلاح ، وتركه ، فتيقنّ طغُجي أنّه مقتول ، فأراد الهروب ، فانقضَّ عليه بعض الأمراء وأمسكه بدبّوقته وضربه بالسيف ، وتكاثروا عليه فقتلوه ومعه ثلاثة أخر ، وركب كرجي في جماعة لنصرته فركب الجيش معه في خدمة أمير سلاح ، وقتلوا كرجي والكَرموني ، ودخل أمير سلاح وقعد والأمراء معه ، ورتّبوا حضور السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ، وإعادته إلى السلطنة ، وهذه المرة الثانية من حضُوره من الكرك .

٤٠٣ ـ بكتَمُر*

الأمير سيف الدين الأبوبَكري المنصوري .

كان من كبار الأمراء مُقَدَّمي الألوف ، وممّن هو للشجاعة حليف ، وللفروسية

---

(١) (ق) : « السلطان لاجين » .

(٢) في الأصل : « الميم » سهو .

(٣) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « بي » .

* الدرر : ٤٨٢/١ .

أُلوف ، له الوجاهة الكامله ، والنَباهة التي لم تكن في ذكرها خامله ، يُعَظّمه وجوه الدولة والسلطان ، وَصَيتُه قد ملأ الأوطان .

لم يزل في معارج سُعوده ، ومراقي عُلُوّه وصعوده ، إلى أن أصابته عين الكمال فهبَط ، وجَرّد الخطب له سَيْفَه واخترَط ، وذاك أن السلطان الملك الناصر محمّد رسمَ بأن يتوجّه إلى صفد هو[1] وأولاده وجماعته وحاشيته ، فقال : أريد أن أعرف ذنبي ماهو ، فتأذى السلطان منه ، وأمسكه وحَبَسه في القلعة ، وذلك في ثالث شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ولم يزل في الاعتقال إلى أن توفي بقلعة الجبل في الاعتقال في نصف شعبان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وأُخرِجَ ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

٤٠٤ ـ بكتَمُر*

الأمير سيف الدين السلاح دار الظاهري المنصوري .

كان من الأمراء المشاهير ، وممّن تتشرف بألقابه التقاليد وتتجمّل المناشير ، أحد مُقَدّمي الألوف ، ومن هو بالإقدام [موصوف][2] ، وبالشجاعة معروف ، خاف من السلطان حسام الدين لاجين ، فنجا برأس طِمِرَّة ولجام[3] ، وسكر غَمّاً ولم يطفْ عليه للموت جَام ، وفرّ هو والأمير سيف الدين قَبْجق والأمير فارس الدين ألبكي ودخلوا إلى عند القان غازان ، وجرى ما يأتي ذكره في ترجمة قبجق ، وكان قد وصل من الديار المصرية إلى دمشق مجرداً في ثلاثة آلاف فارس هو مقدّمها في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وست مئة ، وتوجه بالعسكر وأقام على حمص ، وحضر إليه الأمير سيف الدين

---

(١) (ق) : « نائباً هو » .

* الدرر : ٤٨٢/١ .

(٢) زيادة من (ق) .

(٣) عجز بيت للحارث بن هشام ، تمامه :

تركَ الأحبّة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّة ولجام

لاجين قبجق وبَلغهم ما اعتمده الأمير سيف الدين منكوتمر نائب السلطان حسام الدين لاجين ، فتحققوا أنه ما يبقي عليهم ، فتوجهوا إلى بلاد التتار في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وتألم الناس لذلك ، ووصل الخبر إلى الشام بعد رحيلهم بقتل السلطان ومنكوتمر ، وفي جمادى الأولى وصل الأمير سيف الدين بَلْغَاق[1] وذكر أن قبجق وبكتمر وألبكي وصلوا إلى رأس العين ، واحتاط عليهم جمع من التتار ، وأنه قد يُئس من رجوعهم إلى بلاد الإسلام .

٤٠٥ ـ بكتَمُر*

الأمير سيف الدين الحاجب .

كان أولاً أمير آخور ، ثم قَدِمَ دمشق وتولّى بها شد الدواوين في أيّام الأفرم ، ولم يكن لأحد معه كلام في صَرف ولا في عزل . ثم وُلّي الحجوبيّة ، وتوجّه إلى صفد كاشفاً على الأمير ناهض الدين عمر بن أبي الخير والي الولاة . ومُشد الدواوين بصفد ، ونزل بالميدان ، وكان معه القاضي معين الدين بن حشيش وحَرّر الكشف ودقّقه ، حتى قال فيه القاضي زين الدين عُمَر بن حلاوات[2] [موقّع صفد][3] :

يا قاصداً صَفَداً فَعُد عن بلدةٍ ... مِنْ جَوْرِ بكْتُمر الأمير خرابُ
لا شافعٌ تُغْني شفاعَتُه ولا ... جانٍ لَه مّما جناهُ متابُ
حَشْرٌ ومِيْزان ونَشْرُ صَحائفٍ ... وجرائِدٌ معروضةٌ وحسابُ
وَبها زبانية تحثّ على الوَرى ... وسلاسلٌ ومقامعٌ وعقاب
ما فاتهم من كلّ ما وعدوا به ... في الحشر إلا راحمٌ وهّابُ

---

(١) ستأتي ترجمته .
الوافي : ١٩٠/١٠ ، والدرر : ٤٨٣/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٦/٣ .
(٢) ستأتي ترجمته .
(٣) زيادة من (ق) ، والوافي .

قلتُ : وهذه أبيات لسِبط التعاويذي[١] معروفةٌ في ديوانه وأوّلها :

ياقاصداً بغداد جُزْ عن بلدةٍ للجَور فيها زخرةٌ وعباب

وهي سَبعةَ عشر بيتاً قالها في الوزير ابن البلدي[٢] ، فأتى ابن حَلاوات بالبيت الأوّل وليس للفاء في (فَعُدْ)[٣] محل .

وكان الأمير سيف الدين خبيراً بالأمور ، بصيراً بحوادث الدهور ، طويلَ الروح في الأحكام لا يَملّ من تطويلها ، ولا يهابُ ما يأتي به الخصوم في تهويلها ، لو قعد في الحكم الواحد بين اليهودي والأمير ثلاثة أيّام ، لم يلحقه سَأَمٌ ولا يَصُدّه احتشام ، مع معرفة تامّه ، وخبرة بالسياسة عامّه ، لم يُرَ مثله في حَقّ أصحَابه ، ولا أذكر منه لهم في [حالتي][٤] بُعْدِه واقترابه ، يفكّر في مصالحهم وهم[٥] غُيَّب ، ويَتَفقّدُهم أبداً ، ومن جفاه عتب عليه وغَيَّب ، نفع بجاهه جماعةً كثيره ، وَوفّر عليهم أموالاً أثيره ، إلاّ أنه كان مُبَخَّلا ، ساقط الهمة في ذلك وإن كان مبجّلا ، له متاجر وأملاك ، وسعادة لا تدور على مثلها الأفلاك ، وله أموال كالبحر العَجَّاج ، أو التراب الذي تثير الريح منه العَجَاج ، ومع ذلك فله قُدُور تُكْرَى للحّمص والفول ، وغير ذلك من العُدَدَ والآلات التي يعتري الشمس منها أفول .

ولم يزلْ على حالِه إلى أن مَلأَ التراب عينَه ، واقتضى الأجل منه دَيْنه ، وذلك في سنة سبع وعشرين وسبع مئة[٦] .

(١) هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله (ت٥٨٣هـ) ، والأبيات في وفيات الأعيان : ٤٦٦/٤ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن سعيد ، وزير الخليفة المستنجد بالله ، أشار إليه صاحب الوفيات في ترجمة ابن التعاويذي .

(٣) (ق) ، والوافي : « في قوله : فعد » .

(٤) زيادة من (ق) .

(٥) في الأصل : (وهو) ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) كذا في الأصل ، وفي (ق) : « ثمان وعشرين » ، وهذا يخالف ما في الوافي أنه توفي سنة (٧٣٨) . وانظر ما في حاشيته ثمة . وكذلك وفاته سنة (٧٣٨) في المنهل .

ولّما قدم السلطان من الكرك إلى دمشق ولاّه الحجوبيّة ودخل مصر وهو حاجبٌ ، ثم أخرجه نائباً إلى غزّة ، فأقام بها قليلاً في سنة عشر وسبع مئة ، ثم إنّه طلبه إلى القاهرة وولاّه الوزارة بالديار المصرية عوضاً عن الصّاحب فخر الدين بن الخليلي[١] في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة ، ثم إنه قبض عليه في سنة خمس عشرة وسبع مئة مستَهَل شهر ربيع الأول لّما قبض على أَيْدُغدي[٢] شقير ، وبقي في الاعتقال مدة سنة ونصف ، وأخذَ لَهُ من ماله شيئاً كثيراً ، ثم إنه أفرج عنه وجَهَّزه نائباً إلى صفد في سنة ست عشرة وسبع مئة وأنعم عليه بمئة ألف درهم ، فأقام بها عشرة أشهر ، ثم طلبه إلى مصر وكان من جملة أمراء المَشْوَر ، وإذا تكلّم السلطان في المشور لا يَرُدّ عليه غيره لَما عنده من المعرفة والخبرة .

أخبرني الأمير شرف الدين حُسَين قال : إذا جلسنا للمَشْوَر ما فينا أحد يعترض على السلطان ويرد عليه ويقول : جَيّد ، أوْ ما هو جيدّ إلاّ بكتمر الحاجب . قلتُ له : فأنتم ما تقولون ؟ قال : مهما قاله قلنا : هذا هو الرأي المبارك .

وكان قد تزوّج ابنة الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، وعمّرَ له بمصر داراً ظاهر باب النصر على القاهرة ، وعَمّر هناك مدرسة إلى جانبها ، وفي آخر أمره سُرق له مال كثير من خزانته ادّعى في الظاهر أنه مبلغ مئتي ألف درهم ، وكان في الباطن على ما قيل سبعُ مئة ألف أو أكثر ، فما جسَر يتفوّه[٣] خوفاً من السلطان ، وكان الأمير سيف الدين قَدودَار[٤] والي القاهرة ، فرسم السلطان له بتتبُّع هذه العَمْلَة ، فيقال إن بكتمر الساقي والوزير مغلطاي الجمالي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش عامَلوا في الباطن عليه ، فشرعوا يُحَجفِّون[٥] عن المتهمين ، فإذا قال السلطان للوالي : أيش

(١) عمر بن عبد العزيز ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الوافي : « أيدغوي » ، تحريف . وهو أيدغدي المنكوتمري (ت ٧١٥هـ) . (الدرر) .

(٣) (ق) : « يتفوّه به » .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) الحجف : التغطية ، وأصله الترس .

عَملت في عَمْلَة الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ؟ يقول القاضي فخر الدين : ياخوند لعن الله ساعة هذه العَملة ، كل يوم يموت الناس تحت المقارع ، وإلى متى يُقتل المتهم الذي لا ذنب لهُ ، ثم إنه في آخر الحال وقف الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب في دار العدل وشكا وتَضَوّر[١] ، فأحضر السلطان الوالي وسبّهُ ، وأظهر[٢] غضباً عظيماً ، فقال : ياخوند ، اللصوص الذين أمسكتهم وعاقبتهم أقرّوا أنَّ سيف الدين بَخْشي خزنداره اتّفق معهم على أخذ المال وجماعة من ألزامه الذين في بَابه ، فقال السلطان للجَمالي الوزير : أحضر هؤلاء المذكورين ، وعاقبْهم . فأحضرهم وعاقبهم وعَصَر هذا بخشي ، وكان عزيزاً عنده قد زوجه ابنته وهو واثق بعقله ودينه وأمانته ، فقال بخشي : ياخوند أنا والله المال الذي تحت يدي لأستاذي ما يدري ما هو فما أخلي[٣] غيري يأخذ معي ما أردت أن أسرقه .

ولما بلغ الأمير سيف الدين بكتمر عَصْرُ بخشي وجماعته عَلِمَ أنَّ مالَه قد راح ، فحصلَ له غيظٌ عظيم وغمٌّ وغبن ، فمات فجأة من الظهر إلى العصر .

وكان حريصاً على اقتناء الأملاك وإنشاء العمائر[٤] في كل مدينةٍ بالقاهرة والشام بحيث إنَّه له في كل مدينة ديوان له مباشرون . وقلتُ أنا أشير إلى كثرة أمواله :

وصاحب أشأمَ مَنْ قاشر ... مِنْ شؤمه يَفتَقر الصّاحبُ
يذهب ما قد حازَ من عَيْنه ... لو أنه بكتَمُر الحاجبُ

٤٠٦ - بكتمر*

الأمير سيف الدين الْمَنْصُوري أمير جاندار .

---

(١) في الأصل : « وتضرّر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « وأحضر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٣) عبارة الوافي : « فما احتاج أخلّي » ، وهي أنسب .
(٤) (ق) : « العمائر ومشتراها » .
* الوافي : ١٩٨/١٠ ، والمنهل الصافي : ٣٩٨/٣ . والدرر : ١٨/٢ .

وكان أوّلاً جوكنداراً[١] ، ويدعوه السلطان الملك الناصر يا عَمّي ، وكان من أولاده أكبرهم يُدعى ناصر الدين محمد ، لم يكن في مصر مَنْ يَلْعب الكرةَ مثله ، ويدعوه السلطان : أخي ، وكان لا يفارقه .

وَكان بكتمر في أيّام سَلاّر والجاشنكير أحدَ أرباب الحلّ والعَقْد ، ثم إنّهما عَملا عليه وأخرجاه إلى الصُبيبة[٢] نائباً ، فوصل إليها في شهر ربيع[٣] الآخر سنة سبع وسبع مئة ، فأقامَ بها مُدّةً .

ولّما توفي سُنقر شاه[٤] نائب صفد رُسم له بنيابة صفد في شعبان سنة سبع وسبع مئة ، فحضر إليها ومعه ثماني مئة مملوك[٥] ، فإذا ركبَ فيهم كانوا قريباً من عسكر صفد ، فأقام بها قريباً من سنتين . ولّما خرج السلطان من الكرك لاقاه الأمير سيف الدين بكتمر إلى دمشق ، وتوجّه معه إلى مصر ، وأقرّه في النيابة بمصر . ولم يزل في النيابة إلى أن أمسكه واعتقله ، فأخذه إلى الأموات ونَقَله .

وكان بكتمر الجوكندار خَيِّراً ساكنا ، مائلاً إلى المسالمة راكنا ، لا يَرى سَفْك دَم ، ولا يعتني بالقَصَاص ولا النقم ، وإذا جاؤوه بقاتل ضَرَبه ضرباً مبرّحاً . وقالَ مصرّحاً لا ملوحا : الحيُّ خيرٌ من المَيتْ ، فليقم هذا من السجن في بَيْت ، إلاّ أنه يضر به ما يقارب السبع مئة عَصَا ، إلى أن يلوك من الألم الحصى ، فكثر بذلك العبث والفساد في بلاد صَفَد ، وزاد المتحرَّم وحَشَد .

وحجّ حِجّة وأنفق فيها أموالاً عظيمه ، وأعطى الفقراء والمجاورين بالحَرمين ما جلّى به لياليهم البهيمه ، وحَملَ إلى مكة القمح ، وفَرَّقه فيها بكفّه السمح ، وأنشأ

(١) في الأصل : « جوكندار » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٢) قلعة الصبيبة : كانت ولاية صغيرة ، ثم أضيفت إلى بانياس (صبح الأعشى : ١٠٤/٤ ، ٢٠٠) .
(٣) سقطت من الأصل ، وهي ثابتة في (ق) .
(٤) توفي سنة (٧٠٧ هـ) الدرر .
(٥) عبارة الوافي : « وكان له مئة مملوك » .

بصفد مكاناً يعرف بالمغارة والصهريج ، وعَمّرَ بنفسه وبماليكه من غير ترويج ، ودفن به إحدى زوجاته أمَّ بنيه ، ورتّب له على الديوان ما يكفيه .

ولّما كان بمصر وهو نائب نزلَ السلطان إلى المطعم ، خرج من السرج ومالَ إليه وقالَ : يا عمّ مَا بقيَ في قلبي من أحد من هؤلاء الأمراء أن أمسكه إلاّ فلان وفلان ، وذكرَ له أميرين ، فقالَ له : ما تطلع من المطعم إلاّ وتجدني قد أمسكتهما ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ، فقال السلطان : لا يا عم ألاَ دَعْهُما إلى يوم الخميس أو يوم الجمعة نمسكهما بعد الصلاة ، فقال : السمعُ والطاعة .

ثم إنه جَهَّز له[١] تشريفاً كاملاً ومركوباً هائلاً وإنعاماً من الذهب . فلّما كان يوم الخميس قال له : غداً نمسكهما ، فلّما كان يوم الجمعة ، قالَ له في الصلاة : أين هما ؟ قال : حاضران ، فقال : بعد الصلاة تَقَدّمْ بما قلتُ لك . فلّما انقضت الصلاة ، قال : والله يا عم ما [لي][٢] وجه أراهما وأستحي منهما ، ولكن إذا دخلتُ أنا إلى الدُّور أمسكْهُما أنت وتوجَّه بهما إلى المكان الفلاني ، تجد منكلي[٣] ، وقَجْليس سَلِّمْهُما إليهما ورُوح . فلما أمسَكَهُما وتوجّه بهما إلى ذلك المكان وجد الأمير ين منكلي بغا وقجليس هناك ، فقاما إليه وقالا له : عليك سمع[٤] وطاعة لمولانا السلطان ، وأخذا سَيفه ، فقال [يا][٥] خوش داش ، ما هو هكذا الساعة كما فارقته ، وقال : أمسك هذين وتوجّه بهما إلى فلان وفلان وسلمهما ، فقالا له : والساعة قبل حضورك قال لنا : إذا جاءكما ومعه فلان وفلان فأطلقاهما وأمسكاه . وكان ذلك آخر العهد به ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة فيما أظن .

---

(١) (ق) : « إليه » .

(٢) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٣) (ق) ، والوافي والمنهل : « منكلي بغا » . وفي المنهل : « وقجاس » .

(٤) في الوافي والمنهل : « سمعاً » .

(٥) زيادة من (ق) ، والوافي . وفي المنهل : « يا خجداشية » .

ولما كان في صفد كانت كُتُبُ السلطان ترد من الكرك إلى ابنه الأمير ناصر الدين محمّد يقول له : يا أخي تقول لعمي كذا وكذا وطوّل روحك إلى أن يقدّر الله الخير .

٤٠٧ ـ بكتَمُر*

الأمير سيف الدين الساقي الناصري .

كانَ أوّلاً مِنْ مَمَاليك المظفر بيبرس الجاشنكير ، ولّما استقر السلطان بعد مجيئه من الكرك أخَذه ودخل في مماليكه ، ولهذا كان غريباً في بيت مَالَهُ[1] خوش داش ، جَميعُ الخاصكيّه مع أرغون الدوادار ، ولّما أَمْسَك السلطان الأمير سيف الدين طغاي الكبير ، وكان تنكز في دمشق يترامى إليه ويتعلق عليه ، جَهَّز السلطان يقول له : هذا بكتمر الساقي يكون لك بدلاً من طغاي ، واكتب إليه بما تريد من حوائجك ، وعَظِّم بكتمر وعلا محلُّه وطار ذِكْرُه ، وكان السلطان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً إلا إنْ كان في الدُّور ، وهو إمّا أن يكون في بيت بكتمر أو بكتمر عنده ، وزوَّجَهُ أمَّ أحمد ابنِه وهي جارية السلطان وحظيّته ، ولا يأكل السلطان إلاّ في بيت بكتمر مما تطبخه له أم أحمد في قِدْر فضّة وينام عندهم ويقوم ، وكان الناس ما يعتقدون إلاّ أن أحمد وَلد السلطان مما يطيل حمله وتقبيله ، وقد تقدم ذكر أحمد المذكور في الأحمدين .

ولّما شاع ذكر بكتمر وقُربهَ من السلطان ، وتسامَعَ الناس به قدّموا له غرائب كلِّ شيء ، وأهدَوا إليه كلَّ شيء نفيس ، ومهما حُمل إلى السلطان من نوّاب الشام وغيرهم كان له مِثْله أو قريباً منه ، والذي يجيءُ للسلطان غالبُه يصل إليه ، إلى أن عظمت أمواله وظهرت أعماله .

وكان من أحسن الأشكال وأظرف الأشخاص التي تزول برؤيتها الأنكاد والأنكال ،

* الوافي : ١٩٣/١٠ ، والدرر : ٤٨٦/١ ، وبدائع الزهور : ٤٦٤/١/١ ، والشذرات : ١٠٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩٠/١٣ .

(١) أي ماله فيه .

طَلْق المحيّا بسّاما ، حلو الكلام كأن ألفاظَه الدرُّ نظاما ، كأنما جسمه بُلاّر ، وخدّاهُ ذوبُ عقيق أو جلّنار ، أشقر بَحواجب سود وعيون مثلها ، وجفون قلّما يُرى في الناس مثلها ، مستعذباً[١] لطيفاً بمن يقصده ، رؤوفاً بمن يلتجئ إليه ويرصده ، لا تُردُّ له إشاره ، ولا يعطّل السعدُ عِشارَه ، فهو عبارةٌ عن الدولة وسلطانها ، وهو المتمتع بنيل أوطارها في أوطانها ، وإذا ركب كان بين يديه مئتا عصا نقيبٍ ، وإذا نزل إلى إصطبله فهي زورة حبيب غَفَل عنها الرقيب ، عَمَّرَ لهُ السلطانُ إصطبلاً على بِرْكَةِ الفيل على الجسر الأعظم ، وفيه دار قلَّ أن رأت مثلها العيَون[٢] ، أو اقتضتها من الأماني ديون .

أخبرني نور الدين الفيّومي ، وكان شاهداً على هذه العمَارة وهو صاحبي ، أنَّ نفقة هذه العمَارة في كل يوم مبلغ ألف وخمس مئة درهم مع جاه العمل . لأن العَجَل من عند السلطان ، والحجّارين والفعول من المحابيس ، فقلت له : فكم[٣] مقدار ذلك لو لم يكن جاه ، فقال لي : على القليل في كل يوم ثلاثة آلاف درهم ، وأقاموا يعمّرون فيها مدة[٤] أشهر . وخَرَجْتُ أنا من القاهرة وهم يعملون في الجل[٥] ولم يصلوا إلى الرخام والمنجور وعِرْق اللؤلؤ والسقوف المدهونة باللاّزَوَرْد والذهب .

ولَّما توفي في طريق الحجاز عائداً في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة[٦] ، خلّف من الأموال والقماش والأمتعة والأصناف والزرد خاناه ما يَزيد على الحد ويستحي العاقل من ذكره .

أخبرني المهذب كاتبُه قال : أخذ السلطان من خيله أربعين فرساً ، قال : هذه لي

(١) (ق) : « مستعرباً » .
(٢) في الأصل : « العيون مثلها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وهو أنسب للسجعة .
(٣) (ق) والوافي : « فكم يكون » .
(٤) (ق) والوافي والمنهل : « مدة عشرة أشهر » .
(٥) كذا في الأصل و (ق) ، وفي الوافي : « الجرش » . وفي المنهل « الحوش » .
(٦) وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٣٦هـ) .

ما وهبته إياها ، وأَبْعْنَا الباقي من الخيل ، على ما نهبه الخاصكيّة وأخذوه بثمن بخس بما مبلغه ألف[١] ألف درهم ومئتا ألف درهم وثمانون ألف درهم ، خارجاً عمّا في الجُشَارات[٢] ، وأُنعم السلطانُ بالزرد خاناه وَالسلاح خاناه التي له على قُوْصون بعد ما أخذ منها سَرْجاً وسيفاً .

قال لي المهذب كاتبه : القِيْمَةُ عن ذلك ست مئة ألف دينار ، وأخذ له السلطان ثلاثة صناديق جوهراً مثمناً لا يُعْلَم قيمة ذلك ، وأبيع له من الصيني والكتب والختم والربعات والحمايليه ونُسَخ البخاري المختلفة ومن الأدوية الفولاذ والمطعمة والبصَم[٣] بسفط الذهب وغير ذلك ، ومن الوبر والأطلس وأنواع القماش السكندري والبغدادي وغير ذلك شيءٌ كثير إلى الغاية المفرطة ، ودامَ البيعُ لذلك مُدّة شهور ، وامتنع القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص من حضور بيع موجود بكتمر واستعفى ، قلت له : لأي شيء فَعَلْتَ ذلك ؟ قالَ : ما أقْدِر أصبر على غبن ذلك لأن المئة درهم تباع بدرهم .

ولّما خرج السلطان[٤] خرج بتجمّل زائد وحشمه عظيمة ، كنت في سريا قوس فرأيت ما هالني ، وخرج ساقه للناس كلهم ، وكان ثقله[٥] وحاله نظير ما للسلطان ، ولكن يزيد على ذلك بالزركش وآلات الذهب .

ووجدوا في خزانته في طريق الحجاز بعد موتهِ خمسَ مئة تشريف منها ما هو أطلس بطرز زركش وحوايص ذهب وكلوتات زركش ، وما دون ذلك من خلع أرباب السيوف وأرباب الأقلام ، وَوَجَدوا على ما قيل قُيُوداً وزناجير ، والله أعلم بحقيقة الباطن في ذلك .

---

(١) في الوافي والمنهل : « ألفا » .

(٢) هي المراعي .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (ق) ، والوافي : « يصم » ، ولم يتضح مراده .

(٤) (ق) : « مع السلطان » . وفي المنهل : « ولما توجه السلطان إلى الحجاز توجه معه سنة ٧٣٢ » .

(٥) (ق) : « نقله » . وفي المنهل : « وكان ثقله وبركه نظير .. » .

وتَنَكَّر السلطانُ له في طريق الحجاز واستوحش كلٌّ منهما مِنْ صاحبه ، فاتفق أنهم في العَوْد مرض وَلَدُه أحمد ، ومرض بكتمر والده[١] بعده ، ومات ابنه قبله بثلاثة أيام . وعمل السلطان لأحمد تابوتاً وغشّاهُ بجلدِ جمل وحمَلَه معه . ولَّما مَات بكتمر أمرَ السلطان للأمير سيف الدين بهادُر المعزّي أن يدفنها في الطريق عند نخل ، وحث السير بعد ذلك .

وكان السلطان بعد ذلك[٢] في تلك السَّفْرة كلَّها لا ينام إلا في برج خشب وبكتمر عنده ، وقوصون على الباب ، والأمراء والمشايخ كلُّهم حولّ البرج ينامون بسيوفهم ، فلما مات بكتمر ترك السلطان ذلك ، فعلم الناسُ أنَّ ذلك الاحتراز كان خوفاً من بكتمر ، وقيل : إنه دَخل إليه السلطان وهو مريض في دار الحجاز فقال[٣] : بيني وبينك الله ، فقال : كلٌّ من عملَ شيئاً يلتقيه .

ولَّما مات صرخت أم أحمد وبكت وأعوَلت إلى أن سمعها الناس تتكلم بكلام قبيح في حقّ السلطان من جملته : أنت تقتل مملوكك أنا ابني إيش كان[٤] ؟ فقال لها : بس تفشرين ، هاتي مفاتيح صناديقه فأنا كلّ شيء أعطيته من الجوهر أعرفه واحداً واحداً ، فرمت بالمفاتيح إليه فأخذها . ولما حضر السلطان أظهر الندمَ عليه والحزن والكآبة ، وأعطى أخاه قُماري إمرة مئة وتقدمَة ألف ، وكان يقول : مَا بقي يجينا مثل بكتمر ، ثم إنه أمر بحمل رمّته ورمّةِ ولده من طريق الحجاز ودفنها في تربته بالقرافة .

وكان للزمان به جمال وَعلى الملك به رونق .

جاء أحمد بن مهنّا[٥] بعد قدوم السلطان من الحجاز ودخل يوماً إلى قاعة الإنشاد وقال لنا سِرّاً : بيت السلطان الآن يعوز شيئاً ، وذلك الشيء كان بكتمر الساقي .

---

(١) في الأصل : « ولده » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) قوله : « بعد ذلك » خلَتْ منه (ق) .

(٣) (ق) : « فقال له » .

(٤) عبارة الدرر : « أنت تقتل مملوك فإنني إيش عمل » .

(٥) هو أمير آل فضل (ت٧٤٧هـ) . (المنهل) .

وقيل : إنّ السلطان كان يسير في طريق الحجاز وراء[١] محفّة بكتمر وهو فيها مريض قَدْر رمية نشّاب ، فإذا وقفوا به وقف وإذا مشَوا به مشى ، ويُجهّز إليه بُغَا الدوادار لكشف خبره ، فلما جاء إليه وقال : يا خوند ، مات ، ساق في مماليكه الخواص ، وقال للحاج بهادر المعزّي : يا أمير قف وغسّله وادفنه ، وخلاّه وسار يَحُثُّ السير ، فعند ذلك نزل الأمير سيف الدين قوصون عن هجينه بعد ما عرّج عن الطريق ، يُظهر أنه يُريق الماء واستند إلى الهجين وجعل يبكي والمنديل على عينيه ، فقال له المملوك الذي معه : يا خوند ليش تبكي ، مَا كان بكتمر عدوّك ؟ فقال : والك أنا ما أبكي[٢] إلا على نفسي هكذا يُفعل ببكتمر ؟! ومَنْ فينا مثل بكتمر ؟! ومن بقي بعد بكتمر ؟! ما بقي إلا أنا .

وكان قَصر بكتمر في سريَا قوس بخلاف قصور بقيّة الأمراء لأنّه قبالة قصر السلطان بحيث إنها يتحادثان مِن داخل القصر . وعمَّر له بالقرافة خانقاه وتربةً مليحتين ، وكان في إصطبله على البِرْكَة مئةُ سطلِ نحاس لمئة سائس ، كل سائس على ستة أرؤس غير ماله في الجشارات والقرايا ، ومع هذه العظمة والتقدم والتمكن لم يكن له حماية ولا رعاية ولا لغلمانه ذكر ، ومن المَغْرب يغلق باب إصطبله وما لأحدٍ به حس ، وكان يتلطف بالناس ويقضي حوائجهم ويسوسهم أحسن سياسة ، وما يخالفه السلطان في شيء ، وكان يحجر[٣] على السلطان ويمنعه من مظالم كثيرة ظهرت من السلطان بعد موت بكتمر رحمه الله تعالى .

ولّما تزوّج آنوك ابنُ السلطان ـ على ما تقدّم في ترجمته ـ كنت أنا بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ورأيت الشوار الذي حُمل من داره التي على بركة الفيل إلى القلعة . وكان عدة الحمّالين ثمان مئة حمّال ، المساند الزركش عشرة على أربعين حمّالاً ،

(١) في الأصل : « ورأى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « نبكي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٣) في الوافي : « يحجز » .

المدوّرات[١] ستة عشر حمّالاً ، الكراسي اثني عشر حمّالاً . كراسي لطاف أربعة حمّالين ، فضّيات تسعة وعشرين حمّالاً ، سُلّم الدكك أربعة حمالين ، الدكك والتخوت الأبنوس المفضضة[٢] والموشقة مئة واثنين وستين حمالاً ، النحاس الكُفت ثلاثة وأربعين حمّالاً ، الصيني ثلاثة وثلاثين حَمَّالاً ، الزجاج المذهّب اثني عشر حمّالاً ، النحاس الشامي اثنين وعشرين حمّالاً ، البعلبكي المدهون اثني عشر حمّالاً ، الخونجات والمخافي والزبادي النحاسي تسعة وعشرين حمالاً ، صناديق الحوائج خاناه ستة حمّالين ، وغير ذلك تتمة العدّ[٣] ، والبغال المحمّلة الفرش واللحف والبسط والصناديق التي فيها المُصاغ تسعة وتسعين بغلاً .

وقال لي المهذب الكاتب : الزركش والمُصاغ ثمانون قنطار ذهب بالمصري .

وكان ممّا لبكتمر على السلطان من المرتّب في كل يوم مخفيتان يأخذ عنهما من بيت المال في كل يوم سبع مئة درهم ، كلّ مخفية ثلاثة مئة وخمسون درهماً . وكان السلطان إذا أنعم على أحد بشيء أوولاّه وظيفة حتى يبوس الأرض ويبوس يده ، يقول له : روح إلى الأمير وبوس يده .

وعلى الجملة فكان أمره غريباً ، ولقد كان رحمه الله تعالى أهلاً لتلك النِعم الجمةِ لأنه كان جيّد الطباع حَسنَ الأخلاق ليّن الجانب سهلَ الانقياد ، رحمه الله تعالى .

وكنت قد قلتُ :

بذلتُ مَوجودِيَ إذ زارني ... حبّي وادَّنت على البَاقيْ[٤]
فقال لي دُم هكذا قلتُ هَل ... تحسبني بكتَمُر الساقيْ

---

(١) (ق) : « المزورات » .
(٢) في الوافي : « والمفضضة » .
(٣) (ق) : « العدّة » .
(٤) (ق) : « من الدَّيْن » ، وفي الأصل : « أذنت » ، ولا وجه لها .

٤٠٨ ـ بكتمر*

الأمير سيف الدين الحُسامي .

كان بدمشق حاجباً ، ثم إنه وليَ الشد ، ثم ولي مكانه في الشد الأمير جمال الدين آقوش الرُّسْتمي ، وأُعيد سيف الدين بكتمر إلى الحجوبيّة بدمشق ، وفرح بإقالته من الشد ، وكانَ عَزله من الشد في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة .

ثم إنّه توجّه لولاية الولاية بالقبليّة ورُسِمَ بطَلَبه إل مصر ، فتوجّه في شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ولما وصل إلى القاهرة ولاّه السلطان ثغر الإسكندرية ، فأقام بها إلى أن ورد البريد إلى دمشق وأُخْبَرَ بوفاته في ثالث عشر شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وقال[1] : وفاته في خامس شهر رمضان ، وتولّى عوضَه صلاح الدين دوادار قبجق .

٤٠٩ ـ بكتوت**

بدر الدين بن عبد الله المحمّدي .

أخبَرني من لفظه العلاّمة أثير الدين قال : اشتغل عليَّ بيسير من النحو ، وأنشدني لنفسه :

بجلـــــقٍ لي حبيبٌ بـوصلـــه لا يَجُـودُ
فقلبُـــه قـــاسيـونٌ ودمـع عيني يـزيـدُ

وأنشدني لنفسه أيضاً :

مَنْ لي بظبيٍ غريرٍ بـاللحـظِ يسبي المهالـكْ

* تالي وفيات الأعيان : ١٩٣ ، والبداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٤٨٧/١ .

(١) كذا في الأصل و (ق) ، والأشبه (قيل) ، وممن قالوا بذلك ابن كثير .

** الوافي : ٢٠١/١٠ ، والمنهل الصافي : ٤١٢/٣ ، والدرر : ٤٨٨/١ ، وترجمته فيه أوفى مما عند الصفدي .

إذا تبـــــــدَّى بليـــــل جـلاَ سنـــاهُ الحـوالـــك
من حُـــور رضـــوانَ أنهى لكنـــه نَجْـل مَـــالـــكْ

قلتُ : شعر متوسط فارغ .

٤١٠ ـ بكتوت*

الأمير سيف الدين شكار ، نائب السلطنة بثغر الإسكندرية .

كان قد عُزل من النيابة ، وبقي مدةً إلى أن توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في أواخر شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٤١١ ـ بكتوت**

الأمير بدر الدين الأزرق مملوك السلطان الملك العادل كتبغا .

أمسكه حسام الدين لاجين وقتله ، وقَتل خوشداشه بُتْخَاص .

وكان الخُلْفُ قد وقع على اللجون في مَرْج بني عامر ، ولّما بلغ ذلك الملكَ العادل خرج من الدهليز ولم يفطن به ، وتوجَّه إلى جهة دمشق وساق حسام الدين لاجين للخزانة ، والعساكر بين يديه ، وذلك يوم الاثنين ، ثامن عشري المحرم ، سنة ست وتسعين وست مئة .

٤١٢ ـ بكتوت***

الأمير بدر الدين القَرْمَاني .

كان عنده معرفه ، والتفاتة إلى حُبّ الدنيا مُسْرِفَه ، وتَهوُّر يقدم به على الخَطَر[1] قبل أنْ يعرف مَصْرِفَه .

---

* الدرر : ٤٨٩/١ .

** انظر : عقد الجمان : ٣٤٧/٣ ، ٣٤٨ ، أحداث سنة (٦٩٦هـ) ، والبداية والنهاية : ٣٤٧/١٣ ـ ٣٤٨ ، أحداث سنة (٦٩٦هـ) .

*** الدرر : ٤٨٩/١ .

(١) في الأصل : « الخطو » ، وأثبتنا ما في (ق) .

عالج صناعة الكيمياء حتى في الاعتقال ، وكان الأَولَى به الفكر في الخلاص من تلك الضائقة والانتقال[١] ، وتنفس على تنكز فما نفسّ له خناقا ، وضَرَب عليه في القلعةِ من البرج رِوَاقا .

وكان قد باشر شدَّ الدواوين بدمشق سنة إحدى عشرة وسبع مئة في شهر رمضان عِوَضاً عن الأمير سيف الدين طوغان ، ثم إنّه عُزِل بفخر الدين أَيَاس الشمسي ، وجُهّز إلى الرحبَة ثانياً في أول سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وتوجّه إلى نيابة حمص عوضاً عن الحاج أرقطاي في جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن حَضَر الأمير سيف الدين البَدْري عوضاً عنه في صفر سنة تسع عشرة وسبع مئة .

وحضر إلى دمشق ثم جُرِّد إلى سيْس صحبَةَ العسكر في سنة عشرين وسبع مئة ، وعاد . ولم يزل بدمشق إلى أن وقع له ما وقع مع الأمير سيف الدين تنكز ، فأمَرَ باعتقاله في قلعة دمشق في آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وسبع مئة ، ولم يزل في الاعتقال إلى أن ورد المرسوم بتجهيزه إلى مصر مُقَيَّداً في حادي عشر شوال سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وفي مستهل المحرّم سنة أربع وثلاثين أُفرِجَ عنه وعن الأمير بهاء الدين أصلم وأخيه قُرْمشي[٢] .

٤١٣ ـ بكتوت*

الأمير سيف الدين الغَرْزي العزيزي الناصري .

كان حاجباً بالشام مشكور السِّيرة ، له همة مع كبر سنّه ، مواظباً على المشي إلى الجامع في أوقات الصلوات وحده ويحمل نَعْله بيده[٣] ، وسَمع من النجيب عبد اللطيف الحرّاني هو وأولاده ، وما روى شيئاً ، وكان من أعيان الأمراء .

(١) في الأصل : « الاعتقال » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) في الأصل : « قرمسي » ، تصحيف ، وستأتي ترجمته ن

* الوافي : ٢٠٠/١٠ .

(٣) في الأصل : « وجده » ، وأثبتنا ما في (ق) .

توفي رحمه الله تعالى خامس شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٤١٤ ـ أبو بكر بن إسماعيل*

ابن عبد العزيز ، الشيخ الإمام العَالم الفقيه البارع المفتي مجد الدين السنْكلوني : بالسين المهملة وبالنون الساكنة والكاف وبعدها لام وواو وميم ، و« سنكلونة »[١] قرية من أعمال بُلبَيْس ، والناس يقولون : الزنكلوني .

تفقه على جماعة ، وسمع من الأبرقوهي ، ومحمد بن عبد المنعم[٢] ، وعَليّ بن الصوّاف[٣] ، ويحيى بن أحمد الصوّاف[٤] ، وعِدّة . ولازم الحافظ سعد الدين[٥] وسمع منه في (المسند) ، وصنَّف التصانيف منها : (شرح التنبيه)[٦] في خمس مجلدات ، و (شرح التعجيز)[٧] في ثمانية ، و (شرح المنهاج)[٨] ولم يطوّله ، واختصر (الكفاية) لابن الرفعة[٩] .

وخرّج له الشيخ تقي الدين بن رافع (مشيخة) ، وحدّث بها ، وأخذ عنه

---

* الوافي : ٢٢٦/١٠ ، وفيات ابن رافع : ١٠١/١ ، والدرر : ٤٤١/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ ، وحسن المحاضرة : ٢٤٠/١ ، وذيول العبر : ٢١٢ .

(١) في الوافي : « وسنكلوم » .

(٢) (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤١/٥ .

(٣) علي بن نصر الله بن عمر (ت ٧١٢ هـ) ، والشذرات : ٣١/٦ .

(٤) (ت ٧٠٥ هـ) ، الشذرات : ١٣/٦ .

(٥) لم نهتد إلى ترجمته .

(٦) واسم الشرح تحفة التنبيه . الكشف : ٤٩٠/١ .

(٧) واسمه الشرح الواضح الوجيز . الكشف : ٤١٨/١ .

(٨) الكشف : ١٨٧٣/٢ .

(٩) هو أحمد بن محمد الأنصاري (ت ٧١٠ هـ) ، واسم كتابه : (كفاية النبيه في شرح التنبيه للشيرازي) . إيضاح المكنون : ١٥٨/١ .

شمس الدين السروجي [١] وابن القطب [٢] وأبو الخير الدهلي [٣] . وممن تفقّه عليه أقضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي الشافعي وغيره .

ودَرَّس بجامع الحاكم وبالبَيْبَرْسيّه ، وأعاد بأماكن ، وعُرض عليه قضاء قوص فامتنع .

وكان قد برع في الْمَذْهب وحَمل عِلْمَه الْمُذهَب ، وشارك في العربيّةِ والأصول ، وجادَل لا بل جالدَ بالنُصُول ، مع تصوَّن ووقَار ، وعبادةٍ ورفض للدنيا واحتقار .

ولم يزل على حاله إلى أن هُدم من المجد ركنُه المشيد ، وأصبح بعد ما كان فوق الأرض وهو تحت الصّعيد .

ووفاته في سابع شهر ربيع الأول سنة أربعين [٤] وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وسبعين وست مئة .

٤١٥ ـ أبو بكر بن عبد الله*

ابن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب ، الصاحب ضياء الدين النشائي بالنون والشين المعجمَة وألف ممدودة بعدها ياء النسبة .

وزر أيام الملك المظفر ركن الدين بَيْبَرسْ الجاشنكير ، وكان قد وليها في سنة ست وسبع مئة بعد عزل الصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا [٥] في شهر المحرّم ،

---

(١) محمد بن علي بن أيبل السروجي ، ت٧٤٤ ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) محمد بن موسى (ت٧٦٥ هـ) ، الشذرات : ٢٠٧/٦ .

(٣) سعيد بن عبد الله (ت٧٤٩ هـ) ، والشذرات : ١٦٣/٦ .

(٤) في الأصل : « سنة ستة وأربعين » ، وهو سهو .

* الوافي : ٢٣٧/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٤٧ ، والدرر : ٤٤٤/١ .

(٥) ستأتي ترجمته .

وولي أيضاً تدريس قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه ومشيخة الميعاد بجامع ابن طولون .

ونظر الأحباس في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكان ابن سعيد الدولة[١] معه مشيراً ، وكان[٢] الأمر كلّه لابن سعيد الدولة والاسم لضياء الدين . وولي نظر النظّار بالقاهرة ، ثم تولّى نظر الخزانة قبل موته .

وكان الصاحب ضياء الدين مشكور السيره ، طاهر السريره ، فقيهاً فاضلا ، حبراً مناظراً مناضلا ، يعرف الفرائض جيدا ، وغالبُ أقرانه يكون فيها عنه متحيّدا ، وهو معروف بصحبة الشيخ شرف الدين الدمياطي[٣] ، وله أَخْذٌ في الحديث وتعاطي[٤] .

ولم يزل على نظر الخزانة إلى أن فُكَّ من النَّشائي خَتْمُ عمره ، ومُحي من الوجود رَسْمُ سَطره .

ووفاته رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رمضان سنة ست عشرة وسبع مئة .

وفيه قال :

إن بكى النـاسُ بـالمـدامـع حُمْراً ... فهـو شيءٌ يُقـال من حِنَّـاءِ
فـاختم الـدَّسْت بـالنّشـائي فـإني ... لأرى الختم دائمـاً بـالنَّشَـاءِ

٤١٦ ـ أبو بكر بن محمد بن قلاوون*

السلطان الملك المنصور سيف الدين ابن السلطان الملك الناصر[٥] محمد بن السلطان الملك المنصور .

(١) (ت٧٠٩هـ) ، والبداية والنهاية : ٥٧/١٤ .
(٢) (ق) : « فكان » .
(٣) عبد المؤمن بن خلف ، وستأتي ترجمته . وفي الوافي : « سيف الدين الدمياطي » .
(٤) كذا ، لتتم السجعة .
* الوافي : ١٠ /٢٥٠ ، والدرر : ٤٦٢/١ ، والشذرات : ١٣٦/٦ .
(٥) ليست في (خ) ، والوافي .

وَصَّى أبوه الناصرُ له بالْمُلْك بعده ، وقام في صفّه قوصون ، وقام بشتاك في صفّ أخيه أحمد ، وجرى ماذكرته في ترجمة بشتاك . وجلس على كرسي الملك في يوم الخميس عشري[١] ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، ثاني يوم وفاة[٢] والده ، واشتمل المنصور على طاجار الدوادار ، فيُقال إنَّه حَسّن له القبض على قوصون ، وقال له : ما يتم لك أمرٌ وقوصون هكذا ، فتحدّثوا في إمساكه وعنده جماعة من خواصّ والده ، فنقلوا ذلك لقوصون ، فاتفق قوصون مع أيدغمش أمير آخور وغيره من الأمراء وخَلَعوه ، وأراد الركوب فخذله أيدغمش ، ولو قَدَّر الله بالركوب لنجا . ولم يمضِ لقوصون أمر ؛ لأن الناس إذا ركبوا طلبوا السلطان وانضمّوا عليه .

ثم إن قوصون أجلس الملك الأشرف كجك على كرسي الْمُلْك وحلَّفوا له العساكر ، وكان صغيراً تقدير عمره ستٌّ سنين وما حولها ، وجلس قوصون في النيابة ، وجهّز[٣] المنصور إلى قوص ومعه الأمير سيف الدين بهادر [بن][٤] جركتمر مثل الترسيم عليه ، ومعه أخَوَيه[٥] يوسُف ورمضَان وغَرّقُوا طاجار الدوادار ، وقتلوا بشتاك في السجن ، واعتقلوا جماعة من الأمراء الذين حوله[٦] .

ثم إن قوصون كتب إلى عبد المؤمن[٧] متولي قوص ، فقتله وحمل رأسه إلى قوصون سِرّاً في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، وكتموا ذلك ، فلّما أُمسك قوصون تحقَّقَ الناسُ ذلك ، وجاء من حاقق بهادر ، وطلبوا عبد المؤمن واعترف بذلك ، وسمَّره الملك الناصر أحمد بالقاهرة ، وكان لّما استقر أمرُ المنصور ألبس الأمير سيف الدين طقزتمر تشريف

(١) في (ق) ، (خ) ، والوافي : « عشرين » .
(٢) (ق) ، (خ) : « من وفاة » .
(٣) في الوافي : « وجّهزوا » .
(٤) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٥) أي : وجّهز أخويه ، وفي (ق) و (خ) : « أخوته » ، وهي بعيدة . وعبارة الوافي : « وأخويه » .
(٦) (ق) ، (خ) : « الذين كانوا حوله » .
(٧) هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب ، المعروف بابن المجير التاجر (ت ٧٤٢ هـ) ، الدرر : ٤٢٠/٢ .

النيابة بمصر وهو حموه ، وألبس الأمير نجم الدين محمود بن شروين[١] تشريف الوزارة ، ومشت الأحوال على أحسن ما يكون ، وانتظمت الأمور ، وحُلِّف نُواب الشام وعساكره ، ولم ينتطح فيها عنزان ، ولا جرى خِلاف ولا سُلَّ سيف ، ولا سُفك دم ، « ولو تُرِك القطا ليلاً لناما »[٢] ولكن لمّا أرادوا خَلْعَه رَمَوْه بأوابدَ ودواهي ، وادَّعَوا أنه يركب في الليل في المراكب على ظهر النيل ، وقالوا أشياء اللهُ أعلم بأمرها .

وكان رحمهُ الله تعالى شابّاً حُلْوَ الصورةِ أسمر اللون مليح الكون ، في قوامه هَيف ولين ، وحركةٌ داخلة تنتهي إلى تسكين ، وهو أفحلُ إخوته وأشجعهم ، وأقربهم إلى دواء الملك وأنجعهم ، وكرمه زائد التخرّق في العطاء ، والتوسع في كشف الغطاء ، حُمل إليه مال بشتاك ومال آقبغا عبد الواحد ومال برسبغا ، ممّا يقارب أربعة آلاف ألف درهم ، ففرَّقَهُ جميعه على خواصّ أبيه مثل الحجازي ويلبغا وألطنبغا الماردانى وطاجار الدوادار .

وكان والده رحمه الله قد زوّجَه ابنة الأمير سيف الدين طقزتمر ، ولمّا جاء أخوه الناصر أحمد عمل الناس عزاءه ودار في الليل جواريه بالدرادك[٣] في شوارع القاهرة ، وأبكينَ الناس ورحموه وتأسفوا على شبابه لأنه خُذِلَ وأُخذ بَغْته وقُتل غضّاً طريّاً ، ولو تُرك لكان ملكاً سَؤوساً .

كان في عزمه أن يُحيي رسوم جَدّه الملك المنصور قلاوون ، ويجري الأمور في سياسة الملك على قواعده ويُبطل ما أحدثه أبوه من إقطاعات العربان وإنعاماتهم .

وكانت مُدَّةُ ملكه شهرين وأياماً .

وقلت أنا في عزائه مُضَمِّناً :

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) من أمثال العرب . فصل المقال : ٣٨٤ .

(٣) في الوافي : « الدادرك » ، ولم يتضح معناها .

أقول وقد دارت جواري الدرادك ... لقبر ثوى بين اللّوى فالدّكادك
أتبكين عَجْزاً كونها ما تهلّلت ... نواجذُ أفواه المنايا الضواحك
لقد خُذل المنصور ظلماً ومادجا ... نهارٌ وغاهُ من غبار السنابك
فصبراً على رَيْبِ الزمان وغدرهِ ... «فما الناسُ إلاّ هالك وابن هالك»[1]

٤١٧ ـ أبو بكر بن محمد*

ابن الرضيّ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجَبّار التدسيّ الجَمّاعيلي الصالحي القطّان .

الشيخ الصالح المقرئ ، مسند وقته ، أجاز له عيسى الخياط[2]، وسِبْط السِّلَفي[3] ، وسِبْط الجوزي[4] ، ومجد الدين بن تيميّة ، وخَلْق ، وحضر خطيب مَرْدا ، والعماد عبد الحميد بن عبد الهادي[5] ، ثم سمع منه في سنة سبع ، ومن إبراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الخُشُوعي ، ومن ابن عبد الدايم والرضية بن البُرْهان (صحيح) مسلم ، سوى فَوْت مجهول يسير . وحضر أيضاً محمد بن عبد الهادي[6] ، وتفرَّد بأجزاء وعوَال ، وروى الكثير .

وكان فيه غزير النوال . وكان شيخاً مباركا ، مكباً على التسميع لا تاركا ، حَسَنَ الصّحْبَه ، صادقَ المحبَّه ، حَميد الطريقه ، يُجَمِّلُ بمحاسنة فريقه .

---

(١) ضمن صدر بيت لأبي نواس ، وهو في ديوانه : ٦٢١ ، وروايته فيه :
أرى كل حي هالكا وابن هالك ... وذا نسب في الهالكين عريق

* الوافي : ٢٥٢/١٠ ، والدرر : ٤٥٩/١ ، وذيول العبر : ٢٠٠ .

(٢) هو عيسى بن سلامة الحراني (ت ٦٥٢هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٣ .

(٣) عبد الرحمن بن مكي (ت ٦٥١هـ) ، والسير : ٢٧٨/٢٣ .

(٤) يوسف بن قزاغلي (ت ٦٥٤هـ) ، والسير : ٢٩٦/٢٣ .

(٥) ابن يوسف الجماعيلي (ت ٦٥٨هـ) ، السير : ٣٤٠/٢٣ .

(٦) (ت ٦٥٨هـ) ، السير : ٣٤٠/٢٣ .

حَدَّثَ بأماكن ، وأكثر عنه ابن المُحِبّ[١] ، وأولاده ، وأخوه ، والسّروجي ، والدَهْلي ، وابنا السفاقسي[٢] ، وخَلْق .

ولم يزل على حاله إلى أن انطبقت عليه الغَبْرَا ، وحُجِبَتْ عنه الخضرا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة[٣] .

أجاز لي بخطه في دمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٤١٨ ـ أبو بكر بن يوسف*

ابن أبي بكر بن محمود بن عثمان بن عَبْدَة ، الإمام المدّرس بقيّة المشايخ ، زين الدين المِزّي الدمشقي الشافعي ، يُعرف بالحريري ، لأنّ أمّه تزوّجت بالشمس الحريري[٤] نقيب ابن خلكان ، فربّاه .

تلا بالسبع على الزواوي[٥] وغيره ، وسمع من الصدر البكري[٦] ، وخطيب مَرْدَا ، وجماعة . ودَرس (التنبيه) وغيره ، ودَرَّس بالقليجيّة الصغرى وغيرها ، ووَلي مشيخة القراءات والنحو بالعادليّة مدة ، وسَمَّع ابنَه وابنَ ابنه شرف الدين .

---

(١) عبد الله بن أحمد ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « وابن السفاقسي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي . وابنا السفاقسي هما : إبراهيم بن محمد ، وقد سلفت ترجمته . وأخوه : محمّد ، وستأتي ترجمته .

(٣) والأشبه أنّه ولد قبيل هذا التاريخ ، يؤنس بذلك تواريخ وفيات مشايخه .

* الوافي : ٢٦٩/١٠ ، والدرر : ٤٦٨/١ ، والشذرات : ٧١/٦ ، وغاية النهاية : ١٨٤/١ ، والدارس : ٢٠٧/٢ ، وذيول العبر : ١٤٦ .

(٤) محمد بن عثمان ، وسيأتي ترجمته .

(٥) عبد السلام بن علي (ت ٦٨١هـ) ، غاية النهاية : ٨٣٦/١ .

(٦) الحسن بن محمد (ت ٦٥٦هـ) ، والشذرات : ٢٧٤/٥ .

وسَمع منهُ قاضي القضاة عز الدين بن جماعة وابنُه والطلَبة .

وكان ودُّه صحيحا ، وانحرافه عن أصحابه شَحيحا ، يصحب الناس ، ويجانب الأدناس ، بادي الخير لمن يعرفه ، يَقْدر على الشر فيصرفه .

ولم يزل على حاله إلى أن نعي لمعارفه ، وأنْفَقَهُ الموتُ في مَصارفه .

ووفاته ، رحمه الله تعالى ، في نصف شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وأربعين وست مئة .

٤١٩ ـ أبو بكر بن أحمد*

ابن محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الشيخ الصالح العالم العامل الزاهد العابد ، صفيّ الدين السّلامي .

كان رجلاً صالحاً سعيداً ، سافر إلى البلاد في التجارة ، وكان موصوفاً بالأمانة والديانة ، ثم إنّه ترك ذلك وانقطع بالقدس مُدَّة ، ثم انتقل إلى المدينة النبويّة في سنة عشر وسبع مئة واستوطنها ، ويحج في كلّ سنة ويعود إلى المدينة ، وربَّما أقام بعض السنين في مكّة ، وحدّث بالحجاز (بجزء الأنصاري) بسَماعه من ابن البخاري .

وتوفي في سادس عشري ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

٤٢٠ ـ أبو بكر بن أيبك**

الأمير حسام الدين بن النجيبي .

كان آخر أمْره أمير عشرين فارساً بدمشق ، كان من بقايا الناس وممن تأخر فيه

* الدرر : ٤٣٩/١ .

** الدرر : ٤٤١/١ .

رَمَق الإكرام والإيناس ، يصحب أهل العلم ويودّهم ويكرمهم ولا يصدّهم ، ويأنس بالفقراء[1] والصلحاء ، ويحنو على المساكين والضعفاء ، وكان يعمل المولد النبوي في كل سنة ويدعو لمأدبته لجَفَلَى ، ويحشر إليها الناس من أهل الحضارة والفلا ، ويتنوّعُ في الأطعمة والمشروب والفواكه ، ويحتفل بذلك فما يُرَى له فيه مُشَارِك ولا مشاكِه . وولي عدَّة ولا يات وباشر في عدة جهات ، إلى أن سرى الفساد إلى كونه . وطُرِدَ الحفِاظ عن صونه .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشري ذي القعدة سنة ست وخَمْسين وسبع مئة .

وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى بحبه ويكرمه ، وولاّه شَدَّ الأوقاف بدمشق في يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، عوضاً عن ناصر الدين بن بكتاش .

٤٢١ ـ أبو بكر بن أحمد بن عبد الدايم*

ابن نِعْمَة المقدسي الصالحي ، الشيخ الصالح المُعَمّر اليقظ ، مسند الوقت يعرف بالمحتال .

سمع سنة ثلاثين وست مئة على الفخر الإربلي ، وسمع (الصحيح) كلَّه على ابن الزَّبيدي ، وسمع من الناصح بن الحنبلي ، وسالم بن صَصْرَى ، وجعفر الهمداني ، والشيخ الضياء وجماعة ، وأجاز له ابن رُوزبه وأقرانه من بغداد .

وحجَّ ثلاث مرات ، وأضرَّ قبل موته بأعوام ، وثقل سمعه ، ولكن كان ذا همةٍ وجلادة وفهم .

---

(١) في الأصل : « الفقراء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

* الوافي : ٢٢٢/١٠ ، وذيل العبر : ٩٨ ، والنجوم : ٢٤٢/٩ ، والدرر : ٤٣٨/١ ، والشذرات : ٤٨/٦ .

وحدَّث في زمان والده ، وروى عنه ابن الخبّاز[١] ، وابن نفيس[٢] ، والقدماء ، وعاش كأبيه ثلاثاً وتسعين سنة .

انتهى إليه عُلُوّ الأسناد ، وأصبحت الرواية به وارية الزناد ، وراج كوالده في الإسناد ، كالرمح أنبوباً على أنبوب ، وكل مُحَدّث إليه يقرع الظنبوب[٣] ، وله أذكار وعبادَه ، وفيه رغبة عن الدنيا وزهَاده ، وحدّث بـ (الصحيح) غير مرّه ، وصار ذلك له عادةً مُسْتَمرّه .

ولم يزل على حاله إلى أن أتى الفناء إلى ابن عبد الدائم ، واتصل بمن هو على كل نفس قائم .

ووفاته تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس أو ست وعشرين وست مئة .

٤٢٢ ـ أبو بكر بن عمر*

ابن أبي بكر الشقراوي ، بالشين المعجمة والقاف والراء ، نسبة إلى وادي الشقراء بدمشق .

سمع من ابن عبد الدائم ، وغيره .

وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٤٢٣ ـ أبو بكر بن شرف**

ابن مُحْسِن بن معن بن عمّار ، الشيخ الإمام تقي الدين الصالحي الحنبلي .

---

(١) محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته . وقع في بعض أصول الوافي : « ابن النجار » .

(٢) علي بن مسعود ، وستأتي ترجمته .

(٣) هو عظم مقدم الساق ، يضرب مثلاً لمن يجدّ في الأمر .

* الوافي : ٢٤١/١٠ ، والدرر : ٤٥١/١ .

** الوافي : ٢٣٥/١٠ ، والبداية والنهاية : ١٤١/١٤ ، والدرر : ٤٤٣/١ .

أخبرني الشيخ شمس الدين محمد بن قيّم الجوزيّة رحمه الله تعالى ، قال : هو رفيق الشيخ تقي الدين بن تيميّة في الاشتغال ، وله تصانيف .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شوّال سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وسَمِع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وعبد الوهاب بن الناصح ، وجمال الدين بن الصيرفي ، والنجم عبد الرحمن بن الشيرازي ، والشيخ شمس الدين الحنبلي ، وابن البخاري وغيرهم . وله إجازات من جماعة ، وسمع بالقاهرة وحلب ، وكان فقيراً ، وله أولاد ، وكان فاضلاً ، وله كلامٌ وعبارة فصيحة ، ومعرفة بأنواع من الفضائل ، وكان يجلس بجامع حمص ويتكلم وله قدرة على التفهيم وينفع السامعين .

٤٢٤ ـ أبو بكر بن أحمد بن برق*

السنبسي الدمشقي الأمير سيف الدين .

كان أمير عشرة[١] ، سَمع من أبي اليسر ولم يُحدّث بشيء ، ووقف سُبْعاً بجامع[٢] الأموي ، وكان من أبناء الثمانين .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة تسع وسبع مئة ، وهو والد شهاب الدين بن أحمد بن برق متولي دمشق ، وقد تقدّم ذكره .

---

* الدرر : ٤٣٧/١ .

(١) (ق) : « عشرة بدمشق » .

(٢) (ق) : « بالجامع » .

٤٢٥ ـ أبو بكر بن عمر [١] بن الجزري*

الشيخ الإمام الزاهد الورع تقيّ الدين المعروف بالمقصّاتي[٢] .

كان رجلاً صالحا ، لا يزال ميزانُ حَسَناته راجحا ، عارفاً بالقراءات السبع ، يرمي فيها عن قوس هي من النبع ، واظبَ على إقراءِ القرآن بالعراق والشام أكثر مَن خمسين سنه ، وجاهد على القراءة بها[٣] بقلة وَسِنَه .

وكان عنده وَرَعٌ واجتهاد ، وصَبرٌ على الطلبَة ومتابعة الأوراد ، وكان ينقل من الشواذ كثيرا ، ويروي منها محاسن ، وجوهُهَا في العربيّة ناضرة ولم تجد لها نظيرا .

ولم يزل على حاله إلى أن قُصّ جناح المقصّاتي بجَلَم[٤] الموت ، ودخل مع من دخل في نسخة الوجود بالفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة السبت حادي عشري جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده بالجزيرة ، وتجاوز الثمانين ، ونشأ بالموصل وأقام ببغداد ودمشق ولازمها إلى أن مات .

وكان يعرف القراءات العشرة وغيرها ، وعندها طرف من العربيّة ، وروى القراءة و (التيسير) من الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش البغدادي ، ووليَ إمامة الرباط

---

* الدرر : ٤٥٣/١ ، وغاية النهاية : ١٨٣/١ ، والدارس : ٩٠/١ ، وذيول العبر : ٧٤ ، والبداية والنهاية : ٧٠/١٤ .

(١) « ابن المشيع » ، كما في الدارس والدرر ، وفي البداية : « السبع » ، وفي الغاية : « مشبع » . وفي ذيول العبر : « أبو بكر بن محمد بن المشيع » .

(٢) في البداية والنهاية : « المقصاي » .

(٣) (ق) : « التلاوة فيها » .

(٤) الجلم : ما يقص به .

الناصري[١] والمدرسة الظاهرية ودار الحديث الأشرفية . وناب في الإمامة والخطابة بالجامع الأموي أكثر من عشر سنين ، وبه انتفع جماعة كثيرة[٢] . وتوفي بمنزله في باب البريد رحمه الله تعالى .

٤٢٦ ـ أبو بكر بن عبد العظيم*

القاضي الصدر أمين الدين بن وجيه الدين المعروف بابن الرقاقي ـ براءٍ وقافين بينهما ألف ـ المصري الكاتب .

كانت له مباشرات ، وخلطة بالأكابر ومعاشرات ، وعنده رئاسه ، ولديه في الإحسان نفاسه ، بَاشر عدة وظائف بمصر والشام ، وشكره في ذلك جميع الأنام ، وتولَّى بمصر نظر بيت المال ونظر البيوت ونظر الدواوين ، وباشر نظر الدواوين **بالشام مدّة ، ثم إنه انتقل إلى القاهرة .**

ولم يزل إلى أن خانت أمين الدين حياتُه ، وأتاه بالرَغْم مماتُه .

ووفاتُه رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة بالقاهرة .

وعزل من نظر الدواوين بدمشق في شهر رمضان سنة ثمان وسبع مئة . وكان قد وصل إلى دمشق على وظيفة النظر في مستهل جمادى الأولى سنة خمس وسبع مئة .

٤٢٧ ـ أبو بكر بن محمد**

القاضي الزاهد الوَرع العابد قطب الدين بن المكرَّم .

أحد كُتَّاب الإنشاء بالديار المصرية ، رافقته مُدّةً بديوان الإنشاء بقلعة الجبَل ،

(١) في المدرسة الناصرية . بحلّة الفواخير بسفح قاسيون . الدارس : ٨٥/١ .

(٢) (ق) : « كبيرة » .

* الوافي : ٢٣٧/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٧ ، والدرر : ٤٤٦/١ .

** الوافي : ٢٦٤/١٠ ، والدرر : ٤٦٥/١ .

وكان يَسْرد الصوم ، ويتعبّد في الليلة واليَوم ، ويَكثر المجاورة بمكة والمدينة والقدس ، ويخلو بنفسه في هذه الأماكن الشريفة فيجد البركة والأُنس . وكان ذا شَيْبة بيّضتها الليالي ، ونوّرتها المعالي . وتَنَجَّزَ توقيعاً من السلطان الملك الناصر بأن يقيم حيثُ شاء من المساجد الثلاثة ويكون [معلومه][1] راتباً من بعده لأولاده ولأولاد أولاده أبداً ، ولم أره يكتب شيئاً ؛ لأنَّ صاحبَ الديوان كان يُجِلّه لتجلّيه ، وجاور بمكّة وأقام بها أخيراً ، ثم إنه أتى إلى القدس الشريف وأقام به مُدَّة إلى أن كَرَّم الله لقاء ابن المكّرم ، وخلّصهُ ممن تَجَرَّا أو تجرّم .

ووفاته بالقدس في أواخر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر ، رحمه الله وعفى عنه .

٤٢٨ ـ أبو بكر بن عمر بن السلاّر*

بتشديد اللام بعد السين المهملة ، وبعد الألف راء ، الفاضل ناصر الدين .

رَوَى عن ابن عبد الدائم . وكتب عنه الشيخ علم الدين البِرْزالي وغَيْرُه .

وكان ذا جَلَدٍ على الجدال ، وقُدْرَةٍ على المناظرة والاستدلال ، جيّدَ العِباره ، بديع الكناية والاستعاره ، تفنَّنَ في الفضائل ، وتوسَّع في إيراد الدلائل ، ونَظم شعراً كثيرا ، وعلا به مَحَلاً أثيرا ، وهو من بيت حشمة وإماره ، وللرياسة عليه دليلٌ وأَمَاره ، مع عِزّة في نفسه ، وإعراضٍ عمّا في[2] أبناء جنسه ، وهِمَّةٍ تبلغ الثريّا ، وعَزْمةٍ يتضوّع بها المجدرَيّا .

ولم يزل على حاله إلى أن استجنّه الضريح ، وعَدَل الفناء إليه دون الكناية بالصريح .

---

(١) زيادة من الوافي ، وفي (ق) : « يكون راتبه .. » .

* الوافي : ٢٣٩/١٠ ، والدرر : ٤٥١/١ .

(٢) (ق) : « في يد » .

ووفاته[١] رحمه الله تعالى في شهر الله المحرّم سنة ست عشره وسبع مئة .

أخبرني شيخنا نجم الدين بن الكمال[٢] قال : جرت بيني وبينه مباحث كثيرة في أصول الدين . وأثنى عليه شيئاً[٣] كثيراً .

ومن شعره ما كتبه إلى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم مع زنبيل أهداه وفيه تين :

يا سَيِّدي وأجلَّ الناس منزلةً ... عِنْدي وأرعاهُمُ للعَهْدِ والذِّمَمِ
لا تَسْتَقِلّنّ شيئاً قد أتاك وقد ... علِمْتَ أنَّ الهدايا مبلغُ الهمم
وقد بَعَثْتَ بشيء فيه واحدةٌ ... تكفي الخلائق من عرب ومن عجم
له الورى لازموا إلا القليل تُقىً ... وضيَّعوا كل ذي قربى وذي رحمِ
وغيرُ بدعٍ إذا سرنا مسيرهم ... والناس أشبه بالأزمان في الشيمِ
ولو قَدرْتُ على ما أرتضيه لكم ... سَيَّرت شمس الضحى والبدر في الظلِم
وقد أشرت بزَنْبيلي إلى صفتي ... من كُدْيَتي لذوي الأيسار والعَدَمِ

فكتب الجواب إليه في غير الوزن ، وهو تقصير :

يا خير مَنْ أمسكت أناملُه القرطاسَ للرقِّ فيه بالقَلمِ
وخيرَ مَنْ خصّه الإله وإن ... عمَّ البرايا بالعِلْمِ والعلمِ
ومَنْ له منطقٌ بلاغَتُهُ ... قد بلّغته جَوَامعَ الكَلِمِ
من ذا يطيق الجواب عن أدبٍ ... مُنَثّرٍ جَوْهَراً ومنتظمِ
موجّهاً أتعبت غوامِضُهُ ... مقاصِداً كل مِدْرَهٍ فَهِمِ[٤]

---

(١) في الأصل : « وفارته » .
(٢) هو حسن بن محمد الصفدي ، وستأتي ترجمته .
(٣) (ق) : « ثناء » .
(٤) المِدره : السيد الشريف .

ألغـزَ فيـــه محبّبـــاً وكنى عمّـا تـلاَه الـزيتـون في القسمِ
لفـظٌ لـــه معنيـــان مشترك دلّ على مفعم ومهتضم
حقّـق فكري بـالحـدس مقصـدَه وليس فكري عنـــــدي بمتّهم
للغير مـــا قـــد أتى مغـــايرةً إلى فقيرٍ أشقى من العـــدمِ[1]
فتينُ حـوران مِن مـــآكلـــهِ لا أحـورٌ بـــالجمـــالِ مُتّسمِ
أنـزلـــه الله بـــالأثير إذا مـادار مثـل الكثبـان والأكم
مركـزه والمحيـط منـه بـــه لربّـــه نعمَـــةٌ من النّعمِ
من اصطكاك الأجرام فيـه لهـا بمٌّ وزيرٌ يـــــاطيّبَ النغمِ
وَرُبّما عـــاد ربّـــه وَلَـــهُ مـــدارع كالمـــداد للقلمِ
لكنّ ذا أَصْفَرٌ وذاك غـــــدا كالقـارِ من حُلكـــةٍ وكالفحمِ
مضمّخـــاً من لطيمـــةٍ خلـق الخَـلـوق منهـــا للمعَسر اللطمِ
لا زال تينُ الـوتين ملتقطـــاً لـــه وتين الأشجـار من قسمي
وقـــد اعتصّ الـزنبيـل من ذلـــك التيـــن زبيبـــاً تراهُ كالعَنَمِ
وهـو كثير من يـابس صفرت وَطـــاتـــه من نـوائب حُطمِ
مِن ابن هاني شيخ القريض ومن ميمون قيس وأشجـع السلمي[2]
وهم ملـوك القريض قـادتـه ومُنْشِـؤوه من سـالف القـدمِ
فمـا عسى أن يقـولَـهُ رَجُـلٌ جُمَيز بستـــانِ رَاسِـــه بَلمي

ومنه :

إن عتبنـا فَعُـذرنـا قـد تحقـقْ حين فـارقتم الرفـاق وجلق[3]
كنتم رُوحَهُم فصـاروا جسُومـاً مُـزّقت بـــالغرام كُـلّ ممـزّق
وكـذا الروح إذ تفـارق جسماً بعـد وصـل أوصـالـــه تتفرّق

(١) (ق) : « إلى فِقَر » .
(٢) أبو نواس الحسن بن هانئ ، والأعشى ميمون بن قيس .
(٣) في الأصل : « خير فارقتم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (ق) .

ومنه ، دوبيت :

يـا حُسْنَ ذؤابـةٍ بَـدت للنـاس ... في أسمر رمـحٍ قـدّه الميـاس
مـا وَاصَـل إلا قلت إني مَلـكٌ ... أولـوه لـواءً من بني العبّـاس[1]

ومنه :

وشـادن زارني ليـلاً فقلت لـه : ... في حسن وجهك ما يغني عن القمرِ
فخلِّنـا بـك نخلـو لا سمير لنـا ... ففي حديثك مـا يغني عن السمر

وأنشدني شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه ابن السَلاّر :

لعمرك مـا مصرٌ بمصر وإنّما ... هي الجنّـةُ العُليَـا لمن يتفكَّرُ
وأولادهـا الولـدان من نسل آدم ... وروضتهـا الفردوس والنيل كوثرُ

ومن نظمه القصيدةَ الميميّة التي سمّاها (القصيدة المُشيعَة لعقيدة الشِّيْعَة) ، أوّلها :

سـلام على أهـل الهـدى والتعَلّم ... لطُرقْ الهـدى من آخر ومقـدّمِ

٤٢٩ ـ أبو بكر بن أحمد بن محمد*

ابن النجيب بن سعيد ، الشيخ الأمين المقرىء[2] ، شرف الدين الخلاطي الدمشقي سبط الشيخ أحمد إمام الكَلاّسَة .

سمع من ابن عبد الدائم ، وعمر الكرمَاني ، وابن أبي اليسر ، وعلي بن الأوحد ، ومحمد بن النشبي ، والمجد محمد بن عساكر ، وغيرهم .

---

(١) في الوافي : « خلت أني » .
* الدرر : ٤٤٠/١ .
(٢) في الأصل : « المغزي » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

وكان رجلاً جيداً ، ولي إمامة الكلاسَة ، وتركها ووليَ إمَامة مشهد ابن عروة[١] ، وله إثبات وإجازات .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رافقته في الحج سنة عشر وسبع مئة ، وقرأت عليه ببطن مَرٍّ[٢] ، وبمسجد رسول الله ﷺ .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة . وكان ابتداء مَرضه في العشر الأواخر من شهر رمضان ، صلى ودعا ، وحضر إلى بيته وهو لا يتكلم ، ثم إنه مرض وتغيّر ذهنه ، واستمر على ذلك إلى أن مات ، وحرص أهله على أن يجيبهم أو يتكلم معهم فلم يسمَعُوا منه شيئاً ، وكانَ يظهر عليه أنه يفهم كلامهم ، ويبكي رحمه الله تعالى .

٤٣٠ ـ أبو بكر بن محمد بن إبراهيم*

ابن أبي بكر بن خِلكان : الشيخ القاضي نجم الدين بن القاضي بهاء الدين .

سمع (المقامات) من ابن أبي اليسر ، وكتب عنه من شعره ، وحَدَّث بالإجازة عن سبط السِّلَفي .

كان فقيهاً يعرف الفرائض ، ويُجيد ما في مسائلها من الغوامض ، وتولّى ببعض البلاد الشامية والنواحي التي يغلبُ على أهلها العَاميّة ، إلا أنه كان في عقله اضطراب ، بل في عقيدته الباطلة ، ورُمي بأشياء ما نجا معَها من السيف إلا لما لأجله من المدافعة والمماطلة . وكان يعتقد أنَّه يكون له دوله ، وأن تسل السيوف إذا مشى حَولَه .

---

(١) محمد بن عروة الموصلّي (ت ٦٢٠ هـ) ، والمشهد هو دار للحديث في الجامع الأموي ، ويعرف قديماً بمشهد علي . الدارس : ٦١/١ .

(٢) موضع من نواحي حي مكّة . معجم البلدان : ٤٤٩/١ .

* الدرر : ٤٥٥/١ .

ولم يزل على ذلك إلى أن مات بغصّته ، ولم يحصل له من الملك بعض حصّته .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة . وقد قارب الثمانين ، وكان بالمدرسة الناصريّة بالقاهرة .

أعيان العصر وأعوان النصر

باري

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عمشة — الدكتور محمد موعد — الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الثاني

الرقم الاصطلاحي: ٢-٠١١,١١٥٠
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-496-4
الرقم الموضوعي: ٩١٠
الموضوع: التراجم والسير والأنساب
العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر
التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي
التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة، د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد
قدم له: مازن عبد القادر المبارك
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٧٣٦ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

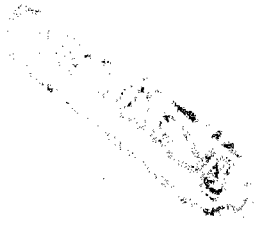

الطبعة الأولى
1418هـ = 1998 م

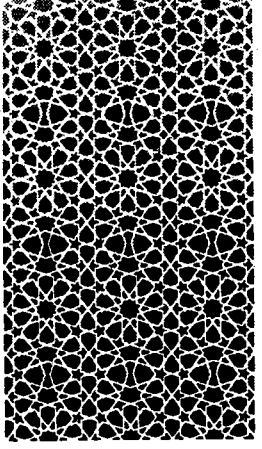

بسم الله الرحمن الرحيم

أعيان العصر وأعوان النصر

باجي

٤٣١ ـ أبو بكر بن محمد بن سلمان*

ابن حمايل : القاضي الفاضل الكاتب بهاء الدين بن القاضي شمس الدين بن غانم أحد الإخوة ، تقدَّم ذِكْرُ أخيه شهاب الدين أحمد في الأحمدين ، وسيأتي ذكر أخيه القاضي علاء الدين بن غانم في مكانه مِنْ حرف العين .

كان كاتباً بليغا ، لا يبيتُ من العَيّ لديغا ، إلاّ أنَّ حَظّه لم يكن قويّا ، ولا هو في طريق المنسوب يُرى سَوّيا . وكان له ميل إلى الصور الجميله ، والجفون الكحيله ، والوجنات الأسيله ، إذا رآها هام فيها صبابَه ، وذهبت نَفْسُه إلا صُبَابَه ، على ما عنده من العِفّه ، وثقل المُسْكَة التي لا توازنها الشهوة بالخِفّه ، وعليه روحٌ في السماع ، وحركات لا يخرج بها عن الضرب والإيقاع . يدور ودَمُوعه سائله[١] ، ونفسه من الوجد زائله ، فيجد الناس[٢] به أنسَا ، ويرون منه ما يسمعونه عن كَآبة الخَنْسَا .

كان كاتب إنشاء بطرابلس في أيام الأمير سيف الدين أَسَنْدَمر ، ثم إنه حضر إلى دمشق وكتب الإنشاء عند الصاحب شمس الدين بدمشق ، ثم لّما جرى للقاضي[٣] زين الدين عمر بن حَلاوات ما جرى على ـ ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة عمر ـ جُهّز القاضي بهاء الدين بن غانم عوضَه إلى صفد موقّعاً ، فأقام بها[٤] بين يدي نائبها الحاج أرقطاي تقدير تسع سنين .

---

* الوافي : ٢٥٣/١٠ ، والدرر : ٤٥٨/١ .

(١) في الأصل : « سابلة » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٢) (ق) : « عليه » .

(٣) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٤) في الأصل : « بها إلى » ، وأثبتنا ما في (ق) .

ولّما توفي زين الدين بن حلاوات موقّع طرابلس نقل إليها القاضي بهاء الدين بن غانم ، فتوجّه إليها وأقام بها إلى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، فقضى بها نحبه ، وفارق مَنْ أَلِفَه وأحبهُ في ليلة الجمعة ثامن عُشْري صفر من السنة ، وكان قد حفظ (التنبيه) ، ومن مسموعاته (مسند) الإمام أحمد عَلَى ابن علاّن .

وكان في صفد قد حَصَل له ميلٌ إلى مغنّ يدعِى طُقْصُبا ، وصار يعملَ به السَماع في كل ليلة ، وقرر ذلك كل ليلة عند واحد من أكابر الناس . وأنشدني من لفظه لنفسه :

لا تُرجّى مودةٌ من مُغَنّ ... فَمَغَنّى الفوادِ مَنْ يرتجيها
أبْداً لا تنالُ منه وِداداً ... ولك الساعةُ التي أنت فيها

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه :

كِدْتُ أُبلَى ببلِيَّهْ ... مِنْ جُفونٍ بابليَّهْ
فتكتْ في القلب لكنْ ... كانت التقوى تَقِيَّه

وأنشدني من لفظه لنفسه :

يا مَنْ غدا مشتغلاً ... عمن به يَشْتَغِلُ
بَيتُكَ قلبي وهو مِنْ ... هجرك لي يشتعلُ

وأنشدني من لفظه لنفسه في بدر الدين بن الخشاب مُشدّ صفد وشرف الدين بن كُسيرات الناظر وكانت له عَذَبة :

يا ماعَرا صفداً مُذْ حَلَّ منصبَها ... وحَلّ بالشدّ عقداً مِن مآثرها
دقّت بدرّة نَحْسٍ لا خلاقَ لَهُ ... أما تراها عَلَت أكتافَ ناظرها

وأنشدني من لفظه لنفسه :

يا سيّداً حَسُنَتْ مناقبُ فَضْلِهِ ... فَعَلَتْ بما فعلْتَ على الآفاقِ

حاشاكَ تكسر قلبَ عَبْدٍ لم يَزلْ تُوليه حُسْنَ صنائعِ الإشفاقِ
هبْ أنه أخْطا وأذنب مَرّةً مولاي أينَ مَكارِمُ الأخلاقِ

كتب هو إليّ من طرابلس وأنا مقيم بدمشق ، وقد تأخَّرتْ مكاتباتي عنه ، ثلاثة أوصال ورق أبيض وفي ذيلها مكتوبٌ ، ولم يك فيها غير ذلك :

سبحانَ مَنْ غيَّر أخلاق مَنْ أحسنَ في حُسْن الوفا مَذْهَبا
كانَ خليلاً فغدا بَعْدَ ذا لَمّا انقضى ما بيننا طقْصبا

أشار بذلك إلى أمر طقصبا المذكور ، وكان له عم أسود زوج أمه يدعى خليلاً ، وكان ينغّص[1] علينا الاجتماع بحضوره ، ولما كتب هذه كان طقصبا المذكور رحمه الله تعالى قد توفي بصفد من مدّة ، فحَسُن لذلك إبراز هذين البيتين في هذه الصورة ، فكتبت أنا الجواب :

يا باعث الْعَتْبِ إلى عَبْدِهِ وما كفاهُ الْعَتْبِ أو ندّبا
ومُذكِري عَهْداً لبسنا له ثوبَ سرور بالبَهَا مُذْهَبا[2]
مرّ فلم يحلُ لنا بعدَهُ عَيْشٌ ولم نلقَ الهوى طَيِّبَا
ما كلُّ ذي ودٍّ خليلٌ ولا كلُّ مليح في الورى طُقْصبا
فحبّذا تلك الليالي التي كم يَسَّر الله بها مَطْلَبا
ما أحدٌ في مثلها طامِعٌ هيهات فاتَتْ في المنى أشْعَبا

ويُنهي بعد دعاءٍ يرفعه في كل بُكرة وأصيل ، وولاءٍ حَصَل منه على النعيم المقيم ، ولا يقول : وقَع في العريض الطويل ، وثناءٍ إذا مرّ في الرياض النافحة صحّ أنَّ نسيَم السَحَر عليل ، وحفاظ ودٍّ يتمنّى كلُّ مَنْ جالسه لو أنَّ له مثل المملوك خليل ، ورُودَ[3]

(١) في الأصل : « يبغّض » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وهي أقرب .
(٢) (ق) والوافي : « به » .
(٣) بالنصب على أنه مفعول (ينهي) ، وفي الوافي : « وورد » .

المثالِ الكريمِ ، فقابل منه اليد البيضاء بل الديمَة الوطفاء[١] ، بل الكاعبَ الحسناء ، وتلّقى منه طُرّةَ صُبْحٍ ليس للدجا عليها أذيال ، وغُرةَ نجحٍ ما كدّرَ صَفَاها خَيْبةُ الآمال ، فلو كان كلُّ واردٍ مثَله لَفُضِّل المَشيب على الشباب ، ونَزَعَ المتصابي عن التستّر بالخضاب[٢] ، ورُفِضَ السواد ولو كان خالاً على الوجنه ، وعُدَّ المسكُ إذا ذُرَّ على الكافور هجْنَه ، وأين سوادُ الدجا إذا سَجَى مِنْ بياض النهار إذا انهار ، وأين وجناتُ الكواعب النقيّة من الأصداغ المُسَوَّدةِ بدخان العِذار ، وأين نورُ الحَقِّ مِنْ ظُلمة الباطل ، وأين العِقْدُ الذي كلُّه دُرٌّ مِن العِقد الذي فيه السَبج[٣] فواصَل ، يالـه من وارد تنزّه عن وَطْء الأقلام المُسوَّدَه ، وعلا قَدْرَه عن السطور التي لا تزال وُجُوهها بالمداد مُرَبَّدَه[٤] حتى جاء يتلألأ ضياءً[٥] ويتقّد ، وأتى يتهادى في النور بالذي تعتقد فيه المجوسيّة ما تَعْتَقد ، ولكنْ توهّم المملوك أن تكون صُحفُ الود أمست مِثْلَه عَفَاءَ ، وظن بأبيات العهودِ السالفة أن تكون كهذه المراسَلةِ من الرُقُوم خلاء :

لو أنها يوم المعَاد صَحيفَتي ... مَا سَرَّ قلبي كونُها بيضاءَ

فلقد سَوّدَتْ حال المملوك ببياضها ، وعُدِم من عَدَم الفوائد البهائية ما كان يغازله من صَحيحات الجفون ومِراضها ، وما أحقَّ تلك الأوصال الوافدة بلا إفاده[٦] ، الجائدة بزيارتها[٧] التي خلت من الجود بالسلام وإن لم تخل زورتها من الإجاده ، أن ينشدها المملوك قول البحتري . أبي عُبَادة[٨] :

---

(١) السحابة الوطفاء : المسترخية لكثرة مائها ، أو الدائمة السح .

(٢) في الوافي : « بالخطاب » .

(٣) السبج : خرز أسود .

(٤) في الأصل و(ق) : « مزبدة » ، ولا وجه لها . والربدة : لون يميل إلى الغبرة .

(٥) في الوافي : « بياضاً » .

(٦) في الوافي : « بلا فائدة » .

(٧) في الأصل : « بريادتها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٨) كذا في (ق) ، والوافي وفي الأصل : « أبو عبادة » . والبيتان في ديوانه : ٢١/١ ـ ٢٢ .

أخْجَلْتني بنـدى يـديـك فسَوّدَتْ ما بيننـا تلـك اليـدُ البيضـاءُ[١]
وقَطَعْتَني بـالـوصـل حتى إنني مُتخـوِّفٌ أن لا يكـون لقـاءُ[٢]

يا عجباً كيف اتّخذ مولانا هذا الصّامتَ رَسُولاً بعد هذه الفتره ، وكيف ركن إليه في إبلاغ ما في ضميره ولم يُحَمِّلْهُ من در الكلام ذَرَّه ، وكيف أهدى عروسَ تحيَّته ولم يقلدها من كلامه بشذره ، ما نطق هذا الوارد إلا بالعتاب مع ما نَدَّرَ[٣] وندّب ، ولا أبدى غَيْرَ ما قرّر من الإهمال وقرّب .

و[٤] :

على كلِّ حـالٍ أمُّ عمرو جميلـةٌ وإنْ لبست خُلْقَانها وجديـدَهـا

وبالجملة فقد مر ذكر المملوك بالخاطر الكريم ، وطاف مِنْ حُنوِّه طـائفٌ على المودّة التي أصبحت كالصّريم ، وإذا كان الشاعر قد قال :

وَيُـدلُّ هجركم على أنّي خطرتُ ببَـالكُمْ

فكيف بمن دخل ذِكْرُه الضمير وخَرَج ، وذُكِرَ على ما فيه مِنْ عِوَج ، وما استخفّ بي مَنْ أمَرني ومَنْ ذكرني مَا حَقّرني ، والله تعالى يُديم حياتـه التي هي الأمـانُ والأمـاني ، ويُمَتِّع بألفاظه الفريدة التي هي أطربُ مِن المثالث والمثاني بمنّـه وكرمـه ، إن شـاء الله تعالى .

فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك :

يـا هـاجراً مَنْ لَمْ يَـزل قَلْبُـهُ إليـه مِنْ دونِ الـورَى قَـدْ صَبَـا

---

(١) في الديوان : « أحشمتني » .
(٢) في الديوان : « بالجود حتى ... ألا .. » .
(٣) في الديوان : « نذر » .
(٤) ليست في (ق) ، والوافي .

أرسلْتَ من بعـد الجفـا أسطراً أرْقَصَ منها السمعَ مَـا أطربـا
شَفَت فـؤاداً شفَّـه وَجْـدُهُ مِنْ بعدمَا قد كاد أن يـذهبـا
قـال لهـا العبـدُ وَقْـد أقبلَتْ أهْلاً وسَهْلاً بـك يـا مَرْحَبـا
أحلّهَـا قلبـاً صحيـحَ الـولا مـا كان في صُحْبَتِـه قُلَّبـا
ولا نَسي عَهْـدَ خليـلِ لـهُ قـديمَ عهـد كان مـع طُقْصَبـا

وقبّل مواقع تلك الأنامل التي يحقّ لها التقبيل ، وقَـابلَ بـالإقبـال تلـك الفضـائلَ المخصوصة بالتفضيل ، وقابلها بـالثنـاء الـذي إذا مرّ بـالمِنْـدَل الرطب جَرَّ عليـه من كمائم اللطف وكمه[١] فضل المنديل ، وتأمّلها بطَرْفٍ ما خَلا من تصوّر محاسن صديق ولا أخَلَّ بما يجب من التلفّت إلى خليل[٢] ، وشاهد منه الروضة الغنّاء ، بل الـدوحـةَ الفيحـاء ، بل الطلْعَة الغَرّاء ، فوجدها قد تَسَرْبَلَت من المحاسن البديعة بـأحسن سربـال ، وتَحَلّت من المعـاني البـديهـة بمـا هو أحلى في عين المحبّ المهجور وقَلْبـه مِنْ طيف الخيـال . لكن مولانا غاب عن مملوكه غيبَةً مَا كانت في الحِسَاب ، وهَجَرهُ وهو من خاطِره بالمحلّ الـذي يظنّه[٣] إذا ناداه بالأشواق أجَاب ، واتّخذ بدعة الإعراض عن القائم بفرض الولاء سُنّه ، واشتغل عمّن له عَينْ رضىً عن نسيَان مـا مضى[٤] من كليلـة ودمنـه ، فخشي المملوك مِن تطاول المدّه ، وخامر قلَبه تقلُّبات الأيام ، فخـاف أن تبقى أسبـابُ المقـاطعـة ممتـدّه ، ووثق بما يَتيقَّنُ مِنْ حسن الموافاة ويعتقـد ، فـاقتضى حكمُ التـذكار لُطْفَ الاقتصـار[٥] ، توصّلاً إلى تفقّـد التـودد ، ومن عـادات السـادات أن تفتقـد بـذكر أيـام خلت[٦] مَسرَّةً وهناء ، وليالٍ أحلى من سَوَاد الشباب ، أولت بوصال الأحباب اليدَ البيضاء .

(١) في الوافي : « كائم كمّه » .
(٢) في الوافي : « مودّة خليل » .
(٣) في الوافي : « يظنّه أنه » .
(٤) ليست في الوافي .
(٥) (ق) ، والوافي : « الاختصار » .
(٦) في الوافي : « تذكر أيام حلت » .

لـو أنّ ليـلات الـوصـال يَعُـدْنَ لي كانت لهـــا روحُ المحبّ فـــداءَ

فيالها مِنْ مليحـة أقبلت بعـد إعراضهـا ، ولطيفـة رَمَقت بـإيمـاء جفن مواصلتهـا وإيماضها ، وبديعة استخرجَ غَوَّاصُ معانيها من بحار معانيهـا[١] كلَّ درّه[٢] ، وصنيعـة[٣] أبدى نظام لآليها مِن غُرَر أياديها أجمل غرّه ، ورفيعةٍ جَدَّدت السرور وشرحت الصدور فَعَلت بمـا فعلت إكليل المجرّه ، ومتطـوّلـة رغّبت المقصّر فيما يختصر وحَبَّبَتْ ، ومتفضّلـةٍ قَضت بحق تفضيلها على ما سبق وأوجبت :

مـودّتهـــا في مهجتي لا يـــزيلهـــا بعـاد ولا يُبلي الـزمـانُ جـديـدَهـا

واللهُ يشكر ما خوّله[٤] من فضل هذه المعَالي والمعـاني ، ويمتع بفضـائلـه التي تغني أغانيها عن المثالث والمثاني .

وبيني وبينه مكاتبات ومراجعات غير هذه ، وقد أوردت شيئاً من ذلك في كتـابي (ألحان السواجع) .

وأخبرني يوماً أنه زار قبر طقصبا المذكور فوجد قبره قد نبت بـه أنواع من الزهر ، وطلب مني نظم شيء في ذلك فأنشدته أنا لنفسي :

بنفسي حَبيب قَبْرهُ رَاحَ روضـــةً خمـائلُهـا مَسْرُوقـةٌ مِنْ مَخـايلـهْ
دَرَى أنّـــه لاصَبْرَ للنـــاس بَعْـــدَهُ فـأهـدى لهم أنفـاسَـه في شمايلـهْ

وأنشدته أيضاً لنفسي :

لا تنكروا زَهَراً مِنْ حَـوْل تربتـــهِ أضحى نسيمُ الصَّبَا من نشرهـا عَطِرا
هـذه محـاسنُ ذاك الـوجـهِ غيَّرهـا بطنُ الثرى فـاستحـالت فـوقـه زَهَرا

---

(١) في الوافي : « معاليها » .
(٢) في الوافي :« ذرّة » .
(٣) في الأصل : « وصيغة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٤) في الوافي : « حواه » .

وأنشدته أيضاً لنفسي :

أفدي حبيباً غدا في الترب مضجعهُ ... وفيه لذّ لجفني الدمعُ والسهرُ
تحكي نجومُ السَمَا أزهار تربتهِ ... لأنّ طلعتَه تحت الثرى قَمَرُ

وأنشدني هو لنفسه في ذلك ..

٤٣٢ ـ أبو بكر بن محمد بن محمود*

ابن سلمان بن فهد ، القاضي الكاتب الرئيس البليغ شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن القاضي شهاب الدين ، كاتب السرّ بالشام ومصر وابن كاتب السر بالشام وابن كاتب السر بالشام ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر والده وجدّه في مكانيهما من حرف الميم .

كتبَ الخطَّ الذي فاق ، وسارت بأنباء محاسنه الرفاق ، وتسرّع ليتعلم لطفَه النسيمُ الخفّاق ، وأبرزه مثلَ النجوم الزهر ، فما تطلّع منه كوكبٌ إلاّ فاق في الآفاق ، أتقن الرِّقاعَ ومزجه بالنسخ فجاء بديعَ المنظر ، رائقَ المرأى قد سمّج ورد الخد الأحمر لما تسيَّج بآسِ العِذار الأخضر ، وجَوّد النسخ والثلث فما داناه فيهما كاتب في زمانه ، وأبرزهما من القوة والصفاء في قالب يودّ لو نقّطه الطرف بإنسَانه ، لو عاصره ابن البوّاب لكان مثل أبيه[1] على بَابه ، أو ابن مُقْلَة لعلم أنه ما يرضى به أن يكون من أضرابه ، أو ابن العديم لعدُم رقةَ حاشيته ، وتطفل مع الوزارة لأن يكون من[2] جملة حاشيته ، هذا إلى نظم يترقرق زلاله ، ونَثْرٍ يفيءُ على نهر الطروس ظلالُه ، قد دَرَبَ كتابة المطالعَة وَمَهَر ، وزاد على إتقان أبيه وجدّه فيهما وظَهَر ، هذا إلى شكلٍ قلّ أن ترى مثلَه العُيُون ، أو تُقْتَضى من غير محاسنه ديون ، وكرمِ نفس يُخجلُ الغمائم ، ولطف شمائل تَفَرَّد بالثناء عليها خطباء الحمائم ، وحفاظ وُدٍّ ، ووثوق عهدٍ وسلامة باطن ، وبراءَة من الخبث الذي تراهُ وهو في كثير من الناس مُبَاطن .

* الوافي : ٢٥٩/١٠ ، والدرر : ٤٦٤/١ ، وذيول العبر : ٢٣٨ .

(١) (خ) : « ابنه » ، تصحيف .

(٢) (خ) : « في » .

وليَ كتابة السرّ بدمشق بعد القاضي محيي الدين بن فضل الله ، لأن القاضي علاء الدين بن الأثير لمّا انقطع بالفالج في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، طلب السلطانُ القاضي محيي الدين وولَده القاضي شهاب الدين والقاضي شرف الدين وولاّه كتابة السر بدمشق ، وأجلسَه قدّامَهُ بدار العَدل بقلعة الجبل ، وقرأ قدّامة القصص ووقَّعَ عليها في الدست ، ورَسَم له أن يحضر دار العدل في دمشق ، وأن يوقِّعَ على القصص بين يدي الأمير سيف الدين تنكز ، فهو أوّلُ كاتبِ سرٍّ جلس في دار العَدل ، ولم يكن كُتّاب السرّ يجلسون قبل ذلك في الخدمَة ، فباشرَ ذلك .

وكان إذا توجه مع نائب الشام إلى مصر يُحْضِرُه السلطانُ قدّامه ويخلع عليه وينعم عليه ، وكان يعجبه شكله كثيراً ويقول لألْجاي[1] الدوادار : يا أُلْجَاي ، هذا شرف الدين كأنه وُلِدَ مُوَقِّعا . ويروق له شكلُه وسَمْتُه ، ويُعجبه لباسه .

فلمّا توجه مع الأمير سيف الدين تنكز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ولاّه السلطان كتابة سرّ مصر ، وجهز القاضي محيي الدين وأولاده إلى دمشق ، وتوجّه القاضي شرف الدين مع السلطان إلى الحجاز ، وَوَقَع بينه وبين الأمير صلاح الدين الدوادار[2] ، وطال النزاع بينهما وكَثُرَت المخاصمات ، ودخل الأمير سيف الدين بكتمر الساقي رحمه الله تعالى بينهما وغيره ، فما أفاد ، فقلق القاضي شرف الدين وطلب العَود إلى دمشق ولم يقرّ له قرار ، فأعاده السلطان إلى دمشق ، وطلب القاضي محيي الدين وأولاده إلى مصر وأقرهم على ما كانوا عليه . وكانت ولايته كتابة السر بمصر تقدير ثمانية أشهر ، ولمّا عاد فرح به تنكز وقام له وعانقه وقال له : مرحباً بمن نحبّه ويحبّنا ، [وأقام][3] تقدير سنة ونصف ، ووقع بينه وبين حمزة التركماني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الحاء مكانه ، فأوحى إلى تنكز ما أوحاه من المكر الخديعة والافتراء ،

(١) في الوافي : « لطاجار » .

(٢) يوسف بن أسعد ، وستأتي ترجمته .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

فكتب تنكز إلى السلطان ، فعزله بالقاضي جمال الدين عبد الله بن كمال الدين بن الأثير[١] ، وبقي في بيته بَطَّالاً مُدَّة ، فكتب السلطان إلى تنكز يقول له : إمّا أن تدعه يوقع قدّامك وإمّا أن تجهّزه إلينا ، وإمّا أن ترتّب له ما يكفيه ، فَرَتّب له ثلاث مئة درهم وثلاث غرائر ، ولّما أُمْسك تنكز رسم السلطان أن يكون موقّعاً في الدست بدمشق وولده شهاب الدين المقدم ذكَره كاتب دُرْج ، فاستمر[٢] على ذلك إلى أن تولّى الملك الصالح إسماعيل ، فولاّه وكالة بيت المال بالشام مضافاً إلى ما بيدَه ، فأقام في الوكالة سنة أو قريباً منها ، ثم إنّه توجّه إلى القدس للوقوف على قرية يشتريها الأمير سيف الدين الملك ليوقفها على جامعِه بالقاهرة ، فتوفي رحمه الله تعالى فجأة ، لأنه دخل إلى بيت الخلا ، فما خرج منه إلا إلى سرير البلى .

ووفاته رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

وكان رحمه الله تعالى عنده تَجمُّل كثير زائد في أكله وملبسه ومركوبه ، وكرم نفس[٣] ، وفيه تصميم وبسط[٤] إذا خلا بمن يثق إليه ، وكان فيه خواص ، منها أنه يحلق رأسه بالموسى بيده ، ويلف شاشة على طاقيّة من غير قُبع فَرْدَ مرّة ويصلحها بيده[٥] ، وهي على رأسه ولا ينظر إليها وهي من أحسن ما يكون ، وكان شديد القوى ذا همةٍ وبطش .

أنشدني[٦] مِنْ لَفظه لنفسه :

---

(١) (ت ٧٧٨ هـ) ، الشذرات : ٢٥٧/٦ .

(٢) (ق) ، (خ) : « فاستمرّا » .

(٣) في الأصل : « نفيس » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « وبسطة » .

(٥) في الأصل : « بيد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٦) في الأصل : « أنشد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

والله قـد حِرْتُ في حَـالي وفي عَمَلي ... وضـــاقَ عَمّـــا أرجّي منكمُ أُملي
أبيت والشوقُ يُـذكي في الفـؤاد لَظى ... نـارٍ تـؤجـج في الأحشـاء ذي شعـلِ
ويصبـــحُ القلب لا يَلْهـــوُ بغيركمُ ... وأنتم عنـــــه في لَهْـــوٍ وفي شغُـــلِ
اللهَ في مهجـــةٍ قـــد حَثّهـــا أَجَـــلٌ ... إن لم يكن صـــدّكم عنّي إلى أجـــلِ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

على خـدّه الـورديِّ خـالٌ مُنَمَّـقٌ ... عَلَيْـــه بـــه للحُسْنِ مَعْنىً ورَوْنَـقُ
وفي ثَغْره الـــدرُّ النظيم مُنَضَّـــدٌ ... يجـولُ بِـــه مـــاءُ الحيـــاة الْمُرَوَّق
ومـا كنت أدري قبل حُبّـهِ مـا الهوى ... إلى أَنْ تَبـدَّى منـه خصرٌ مُمَنْطَـقُ[1]
عليـــه مِنَ الحُسْن البـــديـــعِ دلائـــلٌ ... تُعَلِّمُ سَـــاليـــه الغرامَ فيَعْشَـــقُ

و[2] أنشدني من لفظه لنفسه :

رَأتْ مُقْلَتي من وجهـــه منظَراً أسْنى ... يَفُـوق على البـدر المنير بـه حُسْنَـا
غـــزالٌ مِن الأتراك أصْـــلُ بلّيتي ... معـاطفُـهُ النشوى وألحـاظـهُ الوَسْنَى
رَنَـا نحـونـا عُجْبَـاً ومَـاسَ تَـدَلُّلاً ... فما أرخص الجَرحى وما أكثر الطعنا[3]
لـه مَبْسَم كالـدر والشَّهْـدُ ريقُـه ... وليس بـــه لكنّـــهُ قـــارَبَ المعنى

وأنشدني يوماً من لفظه لنفسه ملغزاً في « ليل » :

أيُّها اسمٍ يغشى الأنـــامَ جميعـــا ... وإذا فكّرت لي ثلثَـــــــاهُ[4]
أن تُـزِل في هجـائـه مَنْـه حرفـاً ... لـــك منـــه مُصَحَّفـــاً طَرَفـــاهُ

---

(١) (ق) ، (خ) : « قبل حُبّيه » ، وهي أشبه .
(٢) بياض في (خ) ينتهي بنهاية هذه القطعة .
(٣) في الوافي : « الطعنى » ، وهي ضعيفة .
(٤) (خ) : « وإذا ما » .

فأنشدته أنا لنفسي ملغزاً في « فيل » :

أيّا اسم تركيبُـــــه من ثـــلاث ... وهـو ذو أربـعٍ تعـــالى الإلـــهُ
حَيَـوانٌ والقلبُ منـــه نَبَـــات ... لم يكنْ عِنْـدَ جُـوعـــه يَرْعـــاه
فكيف تصحيفُـــه ولكن إذا مـــا ... رمت عكســاً يكـون لي ثلثـــاه

وأنشدني يوماً لنفسه :

بَعثْتُ رســولاً للحبيب لعَلّـــه ... يُبَرهْن عَنْ وجـدي لـــه ويترجمُ
فلمّـــا رآه حـــارَ مِنْ فرطِ حُسنـــه ... ومـــاعـــادَ إلاّ وهْـو فيـــه متيَّمُ

فأنشدته أنا لنفسي :

بي غـــزالٌ لَمّـــا أطَعْتُ هَـــوَاهُ ... أخـــذ القلَب والتصبُّرَ غَصْبـــا
مـا أفـاق العـذولُ مِن سكْرةِ العـذ ... لِ عليـــه حتى غـــدا فيـــه صَبَّـــا

وكتب هو إليّ وأنا بـالقـاهرة يطلب مني الحضور إلى دمشق ليجّهزني إلى الرّحبَة موقّعاً :

يـا فـاضـلاً فخر الـورى بخلالـه[1] ... وعـلا على أفـق العُـلا بجـلالـــه
فقلـوُبنـا من شـوقهـا جمراتُهـا ... لم يُطفِهـا بـالدمع فيض سجـالـه
فـاجعـل لنـا من تبرِ فضلـك فضلـةً ... يَغْنَى بهـا المضرور عنـد سـؤالـهِ

فكتبت أنا الجواب إليه :

شَرِّف دمشـق أن ارتضيت بـزَوْرةٍ ... واشْفِ الجـوى مِنْ كُـلِّ قَلْب والـهِ
فلقـد مـلأتَ ديـارَ مِصْرَ فضـائـلاً ... كم فـاض منهـا النيـلُ عِنْـدَ نَوالـه
إن الكريم هـو الجـوادُ على الـذي ... قـد راح يسـألُ مَـالـهُ في مَـالـهِ

(١) في الأصل : « بجلاله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

قم في الدّجَى حتى الصباح ووالهِ ... بدُعا يقوه ببعض حَقّ نَوالهِ
وأمِلْ بما تُمليه أعطافَ الورى ... واحْمد أبا بكرٍ على أفضالهِ
واسْجَعْ فإنّك ما برحتَ مطوّقاً ... إمّا بضافي جاههِ أو مالهِ
مولىً غَفلتَ ونُمْتَ عن ليل المنَى ... فأبى وصيَّرها شواغل بالهِ
واستاقها غُرّاً إليك وأنت لم ... تحتجْ إلى تحريكهِ بسؤالهِ[1]
والبرّ أفضل ما أتى عَفْواً ولم ... تَقبض يَدُ الراجي حبالَ نوالهِ[2]
هذا هو الفضل الذي فضحَ الحيا ... وسَما بجدواه على هُطّالهِ
تلهو بنو الآمَال عَنْ مطلوبها ... عِلْماً بأن لهم كريم خِلالهِ
كرمٌ يفيض على العُفاةِ سَحَابُهُ ... ويسحُّ وابلُهُ على استرسالهِ
لله سعيُك في المعالي إنّه ... جَعَلَ الثريّا في عِدادِ نعالهِ
وغدا يجرّ على المجرّة ساحباً ... يوم الفَخار الفضلَ من أذياله
وسعى فأدرك غايةً مَنْ أمَّها ... قامت ذراريها مَقَامَ ذُبالهِ
ما عاق نائلَهُ عن العافي مَدَى ... وَعْدٍ ولا شانَ العطا بمطالهِ[3]
يا آل محمودٍ ليَهنئ مجدُكم ... شرفٌ أنافَ على الوَرى بجلالهِ
أقسمتُ ما لشبا السيوف إذا مضت ... في يوم مَعْركةٍ جِلادُ جدالهِ
كلاّ ولم ير قطّ بحراً مدّ من ... أمواهه ما بثَّ من أموالهِ
خطٌّ أظنُّ الروض جوّد عندمَا ... شُقَّت كام الزهر تحت مثالهِ
وتلفّظٌ إنْ قُلْت سحرٌ لم يسعـ ... ـني أن يكون حرامُ ذا كَحَلالِهِ
وخلائق كالروّض أهدى نشرَهُ ... مَرّ النسيم على ذوائبِ ضَالهِ
وسياسةٌ طاش العَدُوُّ لها وقد ... سكن الوليُّ وقَرّ من زلزالهِ
فاللهُ يَحْرُس للزمَان بقاءَهُ ... ويمتّع الدنيا بفضل كمالهِ

(١) في الأصل : « وأساقها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٢) (ق) ، (خ) : « مناله » .
(٣) في الأصل : « العامي » ، تصحيف .

وكتب هو إليّ ونحن على الأهرام صُحبة الركاب الشريف ملغزاً في « القِرط » :

مـــا اسم ثـلاثيٍّ تُرَى حُلّتـــه مُفَـوَّفَـــه
اعْمـــد إلى تركيبـــهِ فيـه وصحف أَحْرُفـه
تَجدْ جنىً يبطىءُ في الـ ـعَوْد بـه مَنْ قطفَـه[1]
واعكســه إن تركتــه مِنْ بَعْـدِ أن تُحَرّفـهْ
تَجـد[2] بـه ذا طُرُق بين الـوَرَى مُخْتَلِفَـه
أَبِنْـهُ يـا من فَضْلُـه يُعْجِزُ مَنْ قَدْ وَصَفَـهْ

فكتبت أنا إليه الجواب عن ذلك :

يـا سيّـداً قـد زَانَـهُ ربُّ العُـلاَ وشرَّفـــه
وقـــدّر الصّـواب في أقـلاَمِـــه المحرَّفَـــه
وأوضـح الفضـل لِمنْ يَطْلُبُـــه وعَرّفـــه
أبْـدَعَتْ لغـزاً حسنـاً صفـاتـه مستطرفـة[3]
مُثَلَّثَ الحروف كم رَبَّـعَ ربَّ مَعْرِفَـــهْ
خُضْرَتُـه يـانعـة بهيئـــةٍ مُشَرَّفَـــه
كم زانَ أرضـاً أقفرت ووجنـةً مُـزَخْرَفَـهْ
فـالثلث منـه سُـورة آيـاتهـا مشرّفـة
بَلْ جَبَلٌ أحَاط بالـ أرض وذاك مغرفـــه
وانظر لثلثيـه تجـد كليهما في طَرَفَـــه
بقيتَ مـــا جرّ النسيـ ـم في الرياض مطرَفَه
في ظـلّ سعـدٍ يرتقي من النعيم غُرَفَـــهْ[4]

(١) في الأصل : « أقطعه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « ترى » .
(٣) في الأصل : مستظرفة ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « عرفه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

وكتب هو إليّ أيضاً ملغزاً في « حلفا » :

يا ماجداً نَجْهَد في وصفه ... وفَضْلُه مِنْ بَعْدِ ذا أوفى
مَا اسمٌ إذا مارمتَ إيضاحَهُ ... عَزَّ وعن فكرك لا يَخْفَى
وهو رباعيٌّ وفي لَفْظِهِ ... تراه حقاً ناقصاً حَرْفا
صَحِّفه واحذِفْ رُبْعَه تُلفِهِ ... مَدِينةً كَمْ قَدْ حَوَت لُطفَا
وهذه البلدة تصحيفها ... خلقٌ يفوت الحَدّ والوَصْفَا
وإن تصحّفْ بعضها فَهْي ما ... زالت تُرَى في أُذُنٍ شَنْفَا
وذلك الاسمُ على حاله ... حرّفه يرجع للصّبي جلْفَا[1]
لم ير ذا حرب وكم شبّ من ... نارٍ لغير الرّوع ما تُطفا
وإن تشأ صحّفه وانظر تجد ... خلقا سويا قطُّ ما أغْفَى[2]
أَبْنِه يا مِنْ فِكْرُهُ لم يزل ... يرفع عن بكر النهى سَجْفَا
لازلت تُبدي للورى كلّ ما ... يستوقف الأسماع والطّرفا

فكتبت أنا إليه الجواب [عن ذلك][3] :

يا سيداً ألسُنُ أقلامِهِ ... كم صرفت عن عَبْدِه صَرْفا
ومُحْسِنا ما زال طيب الثنا ... عليه حتى زيّن الصّحفا
ألغزت شيئاً لم يلن مسّه ... فراح إن صحّفته جلفا
ومفردٍ إن ألفٌ عُوِّضت ... أولاه يَرْجع بعد ذا ألفا
ونصفه حَلٌّ وإنْ تحذف الـ ... أوّلَ من أحرفه لَفَّا
وليسَ بالبَدر على أنّه ... بالليل كَمْ قد نزل الطَّرْفا

(١) في الوافي : « حلفا » ، تصحيف .
(٢) (خ) : « ما يخفى » .
(٣) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

أمـــامَنـــا في بَرّ مصر وإنْ صحّفتَ يُصْبِحْ بَعْـدَ ذا خَلَفـا
إن زاحم الشـاعرُ يـذكرْ بـهِ كُشَـاجِـماً في الحـال والرَّفّـا
لا زِلْتَ ترقى في العُلا صـاعـداً مـا نظَمَ الشـاعرُ أوقَفّـا
في ظَـلّ عيش قـد صَفـا وِرْدُهُ وراحَ بـالإقبـال قـد حُفّـا[1]

وكتب هو إليّ ملغزاً في « الهواء » :

أيـا مـاجـداً مَـا وَهَى فَضْلُـه ونَجْمُ مكارمـهِ مـا هَـوَى
أبنْ أيُّنا اسم خَفَى منظراً وخَفّ ويُلفى شـديـدَ القُـوى[2]
ولاَ وَزْنَ فيـه وفي وَزْنِـهِ إذا أنتَ حَقَّقْتَ عَمْـداً سَـوَى

فكتبت أنا الجواب إليه عَن ذلك :

أيـا مَنْ تُقَصّر أمـداحُنَـا وأوصـافنـا فيـه عَمّـا حَـوى
كأنـك ألغـزت لي في الـذي غـدا وَلـه النشر فيما انطـوَى
إذا مرّ في الروضِ خرّت لـهُ غصـون الأراك وبـان اللـوى
يُمَـدُّ ويُقصَرُ في لفظـهِ فللجـوّ هـذا وذا للجَـوَى

وكتبت أنا إليه وهو بدمشق ، وكنت يومئذ بصفد وقد جهّز إليّ نقدة ذهب :

يـا نَسْمَـةً لأحـاديث الحمى نَقَلَتْ أمَلْتِ قُضْبَ اللّوى من بعدما اعْتَدلتْ
خَطَرْتِ مـا بينهـا فـاعتـادهـا طَرَبٌ فرنّحت عِطْفَهـا بـالسكر وانفتلت[3]
فـإن تكن فَهمت معنى ظفرت بـهِ فعـذرُهـا واضـح في كلّ مـا فَعَلَتْ
قـد كان للمسـك أنْفَـاسٌ تَضُـوع شَـذاً فمـذْ أتيتِ بـأخبـار الحمى خملَتْ
بـالله كيفَ أحبّـائي الـذين نـأتْ بيَ المنـازلُ عن أقمـارهم وخَلَتْ

(١) في الأصل : « جفا » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « ويلقى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٣) (خ) : « واعتدلت » .

قد كنتُ أبديتُ أعذاراً لقلبيَ فالـ ... ـبقاء من بعدهم بالله هل قُبلَتْ
وهل عفا الله عنهم حَالَ عهدهم ... فهجتي ما انثنت عنهم ولا انتقلَتْ
آهاً مِنَ البُعْد آهاً إنّ لي كبداً ... تَضَرَّمت بلغى الأشواق واشتعلت
وأدْمُعاً إنْ جرى ذكرُ الوصال جَرتَ ... شؤونها فتخال السُّحْبَ قَدْ هَطَلَتْ
ومهجةً سئلت لو كان يَنْفَعُها ... بأيّ ذنب على التحقيق قد قُتِلَتْ[1]
وعزمةً عاقها حظّ به ابتُليت ... لولاه كانت على المطلوب قد حَصَلَتْ
أشكو الليالي ومالي في الورى حَكَمٌ ... يكفُّ عنّي عواديها التي اتَّصَلَتْ
يادهرُ هَلْ نهضت منك الجبالُ بما ... نَهَضْتُ فيك من البَلْوَى أو احتملتْ
يا دهرُ إنْ عادتِ الأيامُ تجمعُنَا ... غَفَرْتُ ما عَلِمَتْ مني وما جَهلَتْ
وإن ظفرتُ بلثم الترب بين يَدَيْ ... مَنْ أرتجي زالت البأساءُ وارتحلتْ
ذاك الذي إن علت زُهْر الكواكب في ... مَحلِّها تَلْقَها عَنْ تربهِ نزلتْ
ذاك الذي لا أرى إلاّ سجيَّتَه ... على الهدى والتقى والبر قد جُبلتْ
ذاك الذي خُلقَتْ للجُوْدِ راحتُه ... ففاقت الغيثَ إذا يَهْمى وما احتفلت
أقول إذْ عَمَّني بالتِّبْر نائلُهُ ... هذا إلى السُّحْب إن جادت وإن بَخِلت[2]
مَكارِمٌ فَهِمَتْ ما أشتكي فَهَمَت ... وهمّة فعلت مَا لم يطق فَعَلت
كم نلتُ خَمسَ مىءٍ من بعد خمس مىءٍ ... كذا أعدِّدها يوماً وما انفصلت
ماذا ترى في أيادٍ ما أقابلُها ... بالشكر إلا أراها وهي قد فضلت
لولا عُلا شرف الدين التي بهرت ... كانت شموس الندى والفضل قد أفلت
أقلامه الحمر من صون المالك لو ... تكون سطوتها للبيض ما نكلت
تهتزّ في كفّه من فوق مُهرقها ... لأنّها من معاني لفظه ثملت
وكان فيما مضى للسحر ترجمة ... حتى تكلّم أضحت وهي قد بطلت

(١) (ق) : « سالت لو » ولا وجه لها ، وفي الأصل : « قُبلت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٢) (خ) : « جارت » ، تحريف .

عبـــارة هي أنـــدى من نسيم صبـــا ... مرّت على زاهرات الروض وانصقلت[١]
وأسطر إن أقـل مثـل العقـود فمـــا ... أرى العقـود إلى تلـــك العـلا وصلت
واوحشتـــا لمحيّـــاه الـــذي نقصت ... لحسنـــه طلعـــة الأقمـــار إذ كملت[٢]
فلست أحســـد إلا من تكـون لـــه ... عين بمرآه دوني في الـــورى كحلت
هـل الليـــالي ترُيني نـور طلعتـــه ... فربمـــا غلطت وربمـــا عـــدلت
يـــا آل محمـــود لا ثُلّت عروشكم ... ولا ذوت زهرة منكم ولا ذبلت[٣]
ولا تـزل منكم الأعنـاقُ حَـاليـةً ... فـإنهـــا إنْ خَلَت من فضلكم عَطَلَت

فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك :

يـا فـاضـلاً منـه أقمـار العـلا كَمُلَتْ ... وعَنْـه آثـارُ أربـابِ النهى اتّصلَتْ
ومَنْ محـاسنُـهُ للنـاس قَـدْ بَهَرتْ ... ومَنْ مكارمُـــه كلَّ الـــورى شَملت
لله دَرُّ قَـوافٍ قَـــدْ بَعَثْتَ بهـــا ... طـالت وعنهـا نجوم الأفْق قَـدْ نَزَلَت
لقـد أطـاعتـك أنـواعُ البـلاغَـةِ في ... مـــا قـــد أَشرتَ من الترتيب وامتثلت
ومـــا أظنـــك إلاّ قـــد بَعَثْتَ لنـــا ... خميلـةً عنـدهـا زَهْرُ الـدجى خَملت
فـاللهُ يَشكُرُ إحْسَـانـاً حَبَـوْتَ بـه ... فمِنْ أيـاديـكَ أنـواءُ الحيـا خَجلت
مـــا إنْ وَعَت أذنٌ مَعْنَى بـلاغتِهـــا ... إلاّ وأمست بهـا الأعطـافُ قـد ثملت
فـالـزهر قـد أطْلعَتْ والـدرّ قـد نظمت ... والـزهر قـد فتّحت والسحرُ عنـك تَلت
شـوقي إليـك صـلاحَ الـدين مـا عَلِمَتْ ... بشَرْحِـــه ألْسُن الأقـلام بـــل جهلت
وهـل يحسّ جمـادٌ بـــالـــذي فَعَلت ... بي النـــوى وعليـــه أضلعي اشتملت
ومـــا أظنُّ النـوى أَمْسَت تـزيـد على ... هـذا وقـد فعلت فينـا الـذي فعلت
كأنّني بـــك قـــد أقبلْتَ مُنْتَصراً ... يـومـاً على فئـة بـالحق قـد خُـذِلَتْ

(١) (ق) ، (خ) : « زهرات » .
(٢) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « غروسكم » ، تصحيف ، وأثبتنا مافي (ق) ، (خ) .

وقد تراجعَ فيك الدهرُ وانقطعت ... عصابةُ الجَوْر عمّا فيك وانخزلَتْ
فاصبر فما الصبر إلاّ شيمة كَرُمَتْ ... وما التجلّد إلا رتبة نبلت
والله يُبقيكَ في خَيْرٍ وفي دَعَةٍ ... ما حركّ الغصنُ أعطافاً قد انفتلت

وكتبت إليه :

وفَى لها الحسنُ طَوْعاً بالذي اقترحتْ ... فلَوْ رأتها بُدور التمّ لا فتضحت
كأنما البَدْرُ في ليلِ الذوائب قَدْ ... تقلّدت بالنجوم الزهر واتَّشَحت
صَحَّت على سقمٍ أجفانُها وكذا ... أعطافُها وهْيَ سكرى بالشباب صَحَت
تَفري حشاي وتغنيها لواحظها ... ماضرَّتلك الصفاح البيض لوصفحت[1]
مهاة حسنٍ أُداريْها إذا نفرت ... عنّي وأعْطفُها بالعَتْب إنْ جمحت
قد حار في وَصْف أغزالي العذول بها ... وقال كيف حَلَت في غادة ملحت[2]
بذلْتُ في وصلها روحي فقد خسرت ... تجارةُ الحب في روحي وما ربحت
زارت لتمنحني مِنْ وصلها مِنناً ... أهلاً بها وبما منّت وما منحت
أقسمتُ ما سجعت ورقُ الحمائم في ... روضٍ على مثل عِطْفيها ولا صَدَحَتْ
وَكلّما اعتدلت بالمَيْل قامتها ... رأيتها فوقَ حُسْنِ الغصن قد رَجَحت
وما اكتَسَى خدُّها من لؤلؤٍ عرقاً ... لكنّها وردةٌ بالطلّ قد رشحَت
ولي أمانيُّ نفسٍ طالما كذبَتْ ... فيها ولو جنَحت نحو الوفا نَجَحت
وربّ ليلٍ خفيف الغيم أنجمهُ ... أزاهرٌ قد طَغَتْ في لجةٍ طفحت
يتلو الهلال الثريّا في مطالعها ... كأنّه شفة للكاس قد فتحت
وللنسيم رسالاتٌ مُردَّدَة ... وجَمْرة البرق في فحم الدجى قَدَحت[3]
والزهر قد أُوقِدت منه مجامِرُهُ ... فكلما لفحت ريح الصبا نفحت[4]

(١) في الأصل : « تغري » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « أعزالي » « عادة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « وحمرة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٤) في الأصل : « ألفحت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

تحكي نداك الشذا الفياح طيب ثناً ... عَلى عُلا شرف الدين التي مُدحت
سهلُ الخلائق لا والله ما اغتبقت ... بمثلها عصبةٌ سكرى ولا اصطحبت
مُسَدَّدُ الرأي لم تقصر إصابتُه ... عن الهدى إنْ دنت قُصواه أو نزحت
رقى إلى غايةٍ مَا نالها أحدٌ ... ولا سَمت نحوها عينٌ ولا طَمحت
بهمّة لجميع الناس عاليةٍ ... ونيّةٍ لمليك العصر قد نصحت
يدبّر الملك من مصر إلى حلب ... بعزم كاف به الأيام قد فرحت
يستعمل الحزم في كل الأمور فكم ... قد جدّ لمّا رأى بيض الظّبا مزحت
خصّته عاطفة السلطان فهو بها ... يأسو جوانح دهر طالما جُرحت
حتى لقد نسخت أيات سؤدده ... آيات من قد مضى من قبله ومحت
يهذي عداه وليس البدر ينكر مع ... محلّه في كلاب الأرض إن نبحت[1]
أضحت على الجود تبني راحتاه وما ... زالت كذاك وما انفكت وما برحت
كانت معاني الهدى والجود قد خفيت ... عنّا وعن مجده الوضّاح قد شرحت
وكان للجود أخبار فذ رُويت ... أنباؤه نسيت هاتيك واطّرحت[2]
لولا الولوع بأن نلقى له شبها ... لما رنت مقلة للشمس إذ وضحت[3]
دعني من الوزراء الذاهين فما ... رأت لواحظهم هذا ولا لمحت
هذا الذي إن تكن آراؤهم فَسَدت ... فإنها منه بالتأييد قد صَلُحَت
لا زال يرقى ويلقى السَّعْدَ مقتبلاً ... ما انهلّت السحبُ بالأنواء وانسفحت
وما تألق برقٌ ليس يشبهه ... إلاّ دماءُ أعاديه التي ذبحت

فكتب هو الجواب إليَّ :

حمائم الأيك في الأفنان قد صَدَحت ... أم نسمة الزهر في الإصباح قد نفحت[4]

(١) في الأصل : « يهدي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « فقد رؤيت » ، ولا وجه لها ، وكذلك : « أو طرحت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « نلقى لها ... أو وضحت » . وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٤) (خ) : « في أفنائها .. قد صدحت » .

أم روضـــةٌ دبَّجتهـــا كفُّ ذي أدبٍ ... غَضٌّ لغير صلاح الـدين مـا صلحت
يـا فـاضلاً فـاق في الآفـاق كلَّ سنـا ... بنـور طلعتـــه الغرّاء مـــذ لمحت
أَوْحَشْتنـــا شهـــدَ اللهُ العظيمُ فكم ... جـوارحٌ بسيـوف السَّقم قـد جُرحت
فـلا رعى اللهُ أيـامـاً حـوادثُهـا ... على تَفَرُّقنـا قـدماً قـد اصطلحت[1]
أهـلاً بغـادتـك الحسنـاء إنّ لهـا ... محاسناً في بـدور التم قـد قـدحت[2]
أقسمتُ مـا ظفرتْ يـومـاً بمشبهها ... قريحـــةٌ من أخي نظم ولا فَرحت[3]
خريـدةٌ ولّـدتهـا فكرةٌ قـذفت ... بالدر من لُجَّةٍ بـالفضل قـد طفحت
فـلا بَرِحْتَ تُرينـــا كلَّ آونـــةٍ ... قصيـدةً لـو رأتهـا الشمسُ لا فتضحت

وبيني وبينه مراجعات ومكاتبات غير هذه ، وقد ذكرت ذلك في كتابي (ألحان السواجع) .

٤٣٣ ـ [أبو بكر الْمُدَّعي]*

في يوم الجمعة سلخ جُمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ظهر بقرية حطين ـ وهي من عَمل صفد ، بها قبرٌ يُنْسَب لشعيب عليه السلام ـ شخصٌ ادّعى أنه السلطان أبو بكر المنصور بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومعه جَمَاعةٌ تقدير عشرة أنفار فلاحين ، فبلغ ذلك الأمير علاء الدين ألطنبغا برناق نائب صفد ، فجهّز إليه دواداره شهاب الدين أحمد وناصر الدين بن البتخاصي[4] فأحضراه ، فجَمعَ

(١) (ق) ، (خ) : « قهراً قد » . وهي أشبه .
(٢) في الأصل : « بعادتك » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « قرحت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
* زيادة من (خ) ، وفي (ق) : « أبو بكر » .
وكان الأولى بالمصنف أن يلحق ما ساقه ههنا بترجمة أبي بكر المنصور بن محمد بن قلاوون ، كما فعل غيره من أصحاب التراجم . انظر : الدرر : ٤٦٣/١ .
(٤) (ق) ، (خ) : « بن البتخاصي الجاجب » ، واسمه محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته .

له النائب المذكور الناسَ والحاكم ، فادّعى أنه كان في قوص وأن (مؤمن) لم يقتلْه ، وأنه أطلقه فركب البحر ووصل إلى قَطْيا ، وبقي مختفياً في بلاد غزّة إلى الآن ، وأن له دادةً مقيمة في غزّة عندها النجا والقبّة والطير . فقال النائب : وأنا كنت في تلك الأيام جاشنكيراً أولاً[١] ، وكنت أمدّ السماط بكرةً وعشياً وما أعرفك ؟!

فأقام مُصِرّاً على حاله ، وانفسدت له عقول من جماعَة وماشكّوا في ذلك ، فطالع النّائب بأمره[٢] السلطان ، فعاد الجواب[٣] بتجهيزه مُحْتَرِزاً عليه في عشرة نفر إلى غزّة ، فخشبَّه نائبُ صفد وجَهَّزه ، وحَضَر مَنْ تَسَلَّمه إلى مِصْر ، ثم حضر بعد ذلك كتاب السلطان يتضمن أن المذكور ظهر كذبه ووُجِد مقتولاً بالمقارع ، وأنّه سُمِّر وقُطع لسانه ، وكان في هذه الحالة إذا شرب الماء يقول وهو على الخشب : أشرب شَشِني ، وإذا رأى أميراً يقول : هذا مملوكي ومملوك أبي ، ويقول : لي أسوة[٤] بأخي الناصر أحمد وأخي الكامل وأخي المظفر الكلّ قتلتموهم .

وظهر أخيراً[٥] أنه أبو بكر بن الرمّاح ، وأنه كان يعمل وكيلاً في بلاد صفد ، وأن شُحْنَة[٦] بعضِ القرى قَتَله يوماً فألمه الضرب فادّعى ما ادّعى .

قلت : هذا الذي اتفق جرى مثله في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وتسع وثلاثين وسبع مئة ، وتسع وثلاثين[٧] وما بعدها ، وهو ظهورُ الذي ادّعى أنه دمرتاش بن جوبان ، وجاء إلى أولاد دمرتاش ونسائه وأهله ووافقوه على ذلك ، والتفَّ عليه

---

(١) ليست في (ق) ، (خ) .
(٢) (خ) : « به » .
(٣) في الأصل و (ق) : « السلطان » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) في الأصل و (ق) : « إخوة » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٥) في الأصل : « خبرا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٦) لقب يطلق على صاحب الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد .
(٧) قوله : « وسبعمئة .. وثلاثين » ليس في (خ) .

جماعة[١] ، وصارت له شوكة ، وخيفَ على الشام ومصر منه إلى أن كفى الله أمره وقتل .

وكان ظهوره بعد موت دمرتاش بتسع سنين أو ما حولها ، والتبس الحال في أمره حتى على السلطان الملك الناصر حتى إنه نبش قبرهُ وأُخرجت عظامُه من مكانها برّا باب القرافة بقلعة الجبل .

وكان المذكور قد خُنِقَ وقُطع رأسه وجُهز إلى القان بوسعيد ، وكان يدّعي أنه حصل الاتفاق في أمره وهربَ من الاعتقال من سجن القلعة ، ووصل إلى البحر وركب فيه مركباً وتغيّب إلى أن ظهر ، وأنّ الذي قُتل كان غَيْرَه[٢] . وليس لذلك صحة أصلاً ، بل الذي قتل وقطع رأسه بحضور أمناء السلطان ومماليكه الأمناء[٣] الخواص الذين لا يتجاسرون مع مهابة أستاذهم على وقوع شيء من ذلك ، وهذا أمرٌ اتفق وقوعه إلى حين تعليق هذه الأوراق ، وهو شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وسبع مئة [مرّتين][٤] ، الأولى هذه والثانية واقعة أبي بكر بن الرمّاح المذكور آنفاً ، فلا ينكر على[٥] عاقل وقوع مثل هذه الأمور . وقد قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى [في كتابه][٦] (نقط العروس)[٧] : أُخلُوقة لم يُسمع بمثلها ، [أتى رجل][٨] يقال له خلف الخضري بعد اثنين وعشرين سنة من موت المؤيدّ بالله هشام بن الحكم ، ادّعى أنه هشام ، فبويع وخُطب له على المنابر بالأندلس ، وسُفكت الدماء ، وتصادمت الجيوش

(١) عبارة (خ) : « ووافقه جماعة » .
(٢) ستأتي هذا الخبر في ترجمة دمرتاش ، وانظر الوافي : ٤٠٠/١٠ .
(٣) ليست في (خ) ، وفي (ق) : « الأمراء » .
(٤) زيادة من (خ) يقتضيها السياق .
(٥) ليست في (ق) ، (خ) .
(٦) زيادة من (ق) ، (خ) يقتضيها السياق .
(٧) كشف الظنون : ١٩٧٥/٢ .
(٨) زيادة من (خ) يقتضيها السياق .

وأقام نيفاً وعشرين سنةً . وقال أيضاً : فضيحةٌ لم يقع في العالم مثلها : أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها تسمّى كلّ منهم بأمير المؤمنين ، وهم خلف الخضري بإشبيليّة على أنه هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حمّود بالجزيرة ، ومحمد بن إدريس بن حمّود بمَالَقَة ، وإدريس بن علي بن حمّود .

وقال أيضاً في كتاب (المِلَلْ والنِّحَلْ) : أُنذرنا الجَفَلى لحضور دفن المؤيّد هشام بن الحكم المستنصر ، فرأيت أنا وغيري نعشاً وفيه شخص مكفّن ، وقد شاهد غَسَله رجلان شيخان حكَمان من حكام المسلمين من عدول القضاة في بيت ، وخارجَ البيت أبي رحمه الله تعالى وجماعة عُظماء البلد ، ثمّ صلّينا عليه في ألوف من الناس ، ثمّ لم نلبث إلا شهوراً نحو التسعة حتى ظهر حَيّاً وبويع بالخلافة ، ودخلتُ إليه أنا وغيري[1] وجلست بين يديه ، وبقي كذلك ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام ، حتى لقد أدّى ذلك إلى توسوس جماعة لهم عقول في ظاهر الأمر ، إلى أن ادّعوا حياته حتى الآن ، وزاد الأمر حتى أَظْهَروا بعد ثلاث وعشرين سنة من موته على الحقيقة إنساناً قالوا هوَ هذا ، وسفكت بذلك الدماء وهتكت الأستار وأخليت الديار وأثيرت الفتن .

انتهى كلام ابن حَزم رحمه الله تعالى .

وقلت أنا في ذلك :

قد قُتِلَ المنصورُ في قوص واقتُصَّ من القاتل في القاهره
وبعد اثني عشر عاماً مضت من صفد في عصبة فاجره[2]
يطلب ملكاً في يدي غيرهِ وهذه أعجوبة ظاهره

---

(١) قوله : « وغيري » ليس في (خ) .

(٢) في الأصل و (ق) : « وجاء بعد » ، وأثبتنا ما في (خ) . وفي (خ) : « أتى من صفد » .

٤٣٤ ـ أبو بكر ابن القاضي بهاء الدين بن سُكّره*

ناظر النظّار بدمشق . كان رجلاً طُوَالاً[١] إلى الغايه ، دقيقاً لا إلى النهايه ، كاتباً متصرفا ، مائلاً إلى الخير متعرّفا ، متطلعاً في الغَدْوات والروحَات ، إلى تحصيل الحِسَان من الزوجات ، قد جعل ذلك دَابه ، ولو قَدِر ما ترك على ظهرها من دابّه . أول ما علمته من حاله أنه كان مباشراً في القلاع الحلبيّة وبعضِ الثغور ، ثم إنه حضر مع المباشرين في نوبة لولو غلام قندس سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وسلمهم الملك الناصر محمد[٢] إليه ، فتولّى عقابهم وصَبّ على هذا بهاء الدين سَوْط عذاب ، انحلّ به جسده[٣] وأذاب ، ثم أخذهم وتوجّه بهم إلى حلب ، ثم إنني بعد ذلك رأيته في حماة وهو بها ناظر ، وكنا قد توجهنا لتلقي الأمير سيف الدين طقزتمر من حلب لما رُسَم له بنيابة دمشق ، فبالغ في إحسانه ، وتفضل من يده ولسانه . ثم إنه صُرف منها وتوجّه إلى مصر .

ورسم له بنظر النظّار بدمشق ، فحضر إليها[٤] في أوائل شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبع مئة عوضاً عن القاضي مكين الدين بن قروينة ، ولم يستقم له بدمشق حالٌ مع النائب الأمير سيف الدين طقزتمر بواسطة أستاذ داره .

ثم إنه توفي في عاشر شعبان سنة ست وأربعين وسبع مئة ـ رحمه الله تعالى ـ ودفن بمقابر الشيخ أرسلان .

وكان قد اعتكف في شهر رمضان بالجامع الأموي ، فأنشدني من لفظه لنفسه القاضي شهاب الدين بن فضل الله :

---

* وفيات ابن رافع : ٢٢٥/١ ، والدرر : ٤٦٧/١ ، والذيل التام : ٨٢ ، وفيها : « أبو بكر بن موسى » .

(١) (خ) : « طوالاً من الناس » .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) (خ) : « جسمه » .

(٤) ليست في (خ) .

بـــدمشـــقَ عَجَـــائب في الأحـــــاديث مُنْكَرَهْ
العُلَيْم الـــــــذي رَوى واعتكاف ابن سكّره

٤٣٥ ـ أبو بكر بن محمد بن علي*

الشيخ الفاضل تقي الدين البانياسي الكاتب المجوّد .

كان كاتباً جيداً فاضلاً ، له نظم ونثر . انتفع الناس به وكتبوا عليه ، وله أخلاق حسنة ، وكان مقيماً بالمدرسة الجاروخية .

توفي رحمه الله تعالى في ثامن ذي الحجة سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة ستين وست مئة .

٤٣٦ ـ أبو بكر بن بلبان**

الأمير صلاح الدين ابن الأمير سيف الدين البدري .

كان أمير عشرة بدمشق ، وهو أحد الإخوة .

توفي رحمه الله تعالى في ثالث شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

٤٣٧ ـ أبو بكر بن محمد بن عمر***

ابن أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام بن منصور بن معلّى البالسي : الشيخ الإمام العالم الزاهد العابد الورع نجم الدين بن قوام الشافعي .

كان من بيت علم وصلاح ، وخير وزهد وفلاح ، صاحب زاوية[1] وحال ،

---

* الدرر : ٤٦٠/١ .

** الدرر : ٤٤٢/١ .

*** الوافي : ٢٤٦/١٠ ، ووفيات ابن رافع : ٢٢٥/١ ، والدرر : ٤٦٠/١ ، والبداية والنهاية : ٢١٨/١٤ ، والدارس : ٨٩/١ ، والشذرات : ١٤٨/٦ .

(١) هي الزاوية القوامية البالسية . الدارس : ١٦٢/٢ .

وكرامات وكرم ونوال ، يتلقّى الواردين بإحسانه ، ويُوْليهم الجود من يده ولسانه ، يقرئهم ويقريهم ، ويميرهم على مابدته ويمريهم ، يعتقد الناس بركاته ، ويتوسمون الخير في سكناته وحركاته .

اجتمعتُ به غير مرّه ، ورصّع في جيدي من فضله كلّ دُرّه .

ولم يزل على حالهِ إلى أن استسقى وما به ظما ، وخرّ النجم إلى الأرض من السما .

وتوفي رحمه الله تعالى بهذه العلّة في أوائل شهر رجب الفرد سنة ست وأربعين وسبع مئة ، وكانت جنازته حَفِلَة ، وصلّى نائبُ الشام عليه وجماعة من الأمراء .

وحدّث عن ابن القوّاس وغيره[١] .

وكنتُ قد كتبت له توقيعاً في أيام الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى بنظر الشبليّة ، ونسخته : رُسم بالأمر العالي المولولي السلطاني الملكي الناصري ، لا زال نجم الدين به بازغا ، ومنهل جوده لورديه عذباً سائغا ، وثمر كرمه لجُنَاة رِفْدِه حلواً بالغا ، أن يُرَتَّبَ المجلس السامي الشيخي النجمي أبو بكر في كذا ، ثقةً بوَرَعِه الذي اشتهر ، وفَضْله الذي بَهَر ، وأصله الذي طاب فَرْعُه فالتقوى له ثمر ، والعلم زهر ، فما خُطِبَ لمباشرة هذه الوظيفة إلاّ وثوقاً بصفاته الحميده ، وتمسُّكاً بما عُرف من طريقته السديده ، واتكالاً على ما حازه مِنْ صفاتٍ جواهرُها على جيد الأيام نَضيده ، وركوناً إلى بيته الذي له من سلفه أركان مَشيده ، ورغبةً في شمول هذه المدرسة ببركته التي هي بيتُ القصيده . فَليُبَاشر ما فُوض إليه مباشرةً سدادُها في كفالة كفايته مضمون ، ويغتبط بما يفوز به من هذا البر فإن له فيه أجراً غير ممنون[٢] ، مجتهداً في تنمية ريع هذا الوقف المبرور ، مقتصداً في تثمير ما يَجُرُّه إليه من المنافع حتى يدل على[٣] أن فعله تعَلَّق من

(١) قوله : « وحدّث ... غيره » ليس في (خ) .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وإنَّ لك لأجراً غير ممنون ﴾ ، القلم : ٣/٦٨ .

(٣) ليست في (خ) .

بركته بجار ومجرور ، معتمداً في إحياء مَيّته على من هو عدلٌ في حكمه لا يحيف ، مستنداً في استخراج حقوقه إلى الجلد حتى لا يقال إن أبا بكر رجل أسيف ، مساوقاً مباشرته في جليلهِ وحقيره ، وقليله وكثيره ، وغائبه وحاضره ، ومعروفهِ ونادره ، فلا يدع مستحقّيه من صرف مالهم في أُوار ولا أوام[١] ، ولا يمكنّ أحداً منهم يسلك طريقاً معوّجة فإنه ابن قوام ، فلو لم يكن الظنّ به جميلاً ما[٢] عذق به هذا الأمر دون البَريّه ، ولو لم يكن أسداً في الحق ما أسند إليه نظر الشبليّه[٣] ، وليتبّع شروط الواقف حيث سارت مقاصده لأنه ناظر ، وليصرف ما أُمر به على ما أراده فإنّه إن كان غائباً فله إله حاضر ، والوصايا كثيرة ومنه تؤخذ فوائدها ، وعلى جيد الزمن تنضّد منه فرائدها ، وهو بحمد الله تعالى ابن بجدتها[٤] علماً ومعرفه ، وأدرى الناس بما يتحرك فيها من لسان أو شفه ، ولكن التقوى زمام كل أمرْ ، وعمدةُ الدين وعماده من زيد وعمرو ، فلا ينزع منها حلّة ارتداها ، ولا يترك طريقاً سلكها عُمْرَه واقتفاها ، والله تعالى يُعينه في سكونه وحركته ، وينفع الناس بعلمه وبركته . والخطّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

أبو بكر بن محمد بن قاسم*

الشيخ الإمام العلاّمَة ذو الفنون شيخ الإقراء والعربية بالشام ، مجد الدين المرسي ثم التونسي الشافعي .

---

(١) الأوار : حر النار ، والعطش . والأوام : العطش ، أوحرّه .

(٢) (خ) : « لمّا » .

(٣) هي مدرسة للحنفية بدمشق بسفح جبل قاسيون ، بناها شبل الدولة كافور الحسامي سنة (٦٢٣هـ) . الدارس : ٤٠٧/١ .

(٤) في الأصل :« نجدتها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

* الدرر : ٤٦١/١ ، وغاية النهاية : ١٨٣/١ ، والدارس : ٢٤٤/١ ، والشذرات : ٤٧/٦ .

قدم القاهرة مع أبيه ، وأخذ النحو والقراءات عن الشيخ حسن الراشدي[١] ، وحضر حلقة الشيخ بهاء الدين بن النحّاس ، وسمع من الفخر علي[٢] والشهاب بن مزهر[٣] .

كان الشيخ مجد الدين آية في ذكائه ، غاية في إكبابه على العلوم واعتنائه ، تفرد في وقته بمعرفة العربية وغوامضها الأدبيّة ، فلو رآه ابن السرّاج لما راج[٤] ، والزّجّاجي لسوّد مصنفاته بالعفص والزاج ، أو السيرافي لقال لصاحبيه سيرا في المهامِهِ ، أو قفا بنا نسمعْ بعضاً أو كلاً من كلامه ، أو الفارسي لترجّل[٥] قدامَه ، وحمل لواء الفخر له ومعه قُدّامه .

وفيه قلت أنا :

تملّك النحو حتى ما لذي أدب ... في الناس نون و واو بعدها حاء
هذا مليك لهذا العلم فاصغ لَما ... أقولُه لا كسائيٌّ وفَرّاء

وكان مجيداً في غير ذلك من الفنون ، مُعيداً مبدياً لما في سواه من النكت والعُيُون ، تخرّج به الأئمه ، ومَلّكهم ما أرادوا من المقادات والأزمّه ، ونالته محنة من كراي نائب الشام ، وانتجع لها بارقَ الصبّر وشام ، وعلى يده ظهر غش الباجربقي[٦] ، وبهرجة نَقْدِه ، ولولاه لدام مُدَّة وبقي .

ولم يزل على حاله أن أصبح مَظْهَرُه في القبر ضميرا ، وسكن المجدُ في الأرض حفيرا .

---

(١) (ت ٦٨٥ هـ) ، غاية النهاية : ٢١٨/١ ، العبر : ٣٥٢/٥ ، الشذرات : ٣١٠/٥ .
(٢) علي بن أحمد ، المعروف بابن البخاري (ت ٦٩٠ هـ) ، وقد سلفت ترجمته .
(٣) محمد بن عبد الخالق بن مزهر الأنصاري (ت ٦٩٠ هـ) ، الشذرات : ٤١٧/٥ .
(٤) في الأصل : « راح » ، تصحيف .
(٥) في الأصل : « الترحل » .
(٦) محمد بن عبد الرحيم الباجريقي ، تنسب إليه الفرقة الباجريقية (ت ٧٢٤ هـ) ، وستأتي ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت سادس عشري ذي القعدة سنة ثماني عشرة وسبع مئة . ومولده تقريباً سنة ست وخمسين وست مئة بتونس .

أقام بالقاهرة مدةً ودخل دمشق في ولاية قاضي القضاة عز الدين في الولاية الثانية ، وحضر عند زين الدين الزواوي[١] ، ورُتِّب صوفياً بالخانقاه الشهابيّة[٢] ، وجلس للإقراء[٣] ، ثم سكن العقيبة ، وناب في الإمامة بجامعها ثم اشتهر أمره وشاعت فضائله ، وحضر الدروسَ ، وولي مشيخة الإقراء بالتربة الصالحيّة والتربة الأشرفيّه ، وولي تدريس النحو بالناصريّة ودَرّس بالأصبهانيه ، وصار شيخ البلد في الإقراء والعربيّه ، مع المشاركة في الفقه والأصول وغير ذلك .

حدثني غيرُ واحد ممن أثق به أن الناس سألوا الشيخ شمس الدين الأيكي عن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني وعن الشيخ صدر الدين بن الوكيل أيّهما أذكى ؟ فقال : ابن الزملكاني ، ولكن هنا شابّ مغربيّ هو أذكى منهما يعْني به الشيخ مجد الدين . وامتُحن على يد الأمير سيف الدين كراي فضربه بباب القصر ضرباً كثيراً لمّا ألقى المصحف ـ على ما سيأتي في ترجمة كراي ـ ولمّا سبّ الأميرُ الخطيبَ جلال الدين ، قال له الشيخ مجد الدين : اسكت اسكت ، وقوى نَفْسَه ونَفَسه عليه فرماه وقتله ، وكان في وقت قد انفعل للشهاب الباجربقي ودخل عليه أَمْرُه ، ثم إنه أناب وأفاق وجاء إلى القاضي المالكي واعترف وجَدَّد إسلامه ـ على ما سيأتي في ترجمة الباجربقي .

وكانت طريقته مرضيّة ، وعنده دين وصلاح ، وفيه مودة ومحبّة للخلوة والانقطاع ، وتلا عليه شيخنا الذهبي بالسبع ، وانتقى له جزءاً من (مشيخة ابن البخاري) وحدّث به . ومن الناس من يقول فيه : محمد بن قاسم ، وشيخانا البرزالي والذهبي قالا فيه : أبو بكر بن محمد ، والله أعلم .

---

(١) هو عبد السلام بن علي بن عمر (ت ٦٨١ هـ) ، العبر : ٣٣٥/٥ .

(٢) داخل باب الفرج ، واقفها علاء الدين الشهابي ، الدارس : ١٢٦/٢ .

(٣) (ق) : « بالجامع للإقراء » .

٤٣٩ ـ أبو بكر بن إبراهيم بن حيدرة*

ابن علي بن عقيل : الإمام العالم الفاضل جمال الدين القرشي المعروف بابن القمّاح .

اشتغل بالفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وعرض (التنبيه) عليه ، ثم اشتغل على السديد الترمنتي وغيره ، وقرأ الفرائض . وجاور بمكة سنةً ، وولي عدة ولايات من جهة الكتابة بالقاهرة وأعمالها ، وقدم في المحرّم دمشق متوجهاً إلى حلب متولياً وكالةَ بيت المال .

وقرأ عليه الشيخ علم الدين البرزالي (الأربعين الصغرى) للبيهقي بسَماعه من الشيخ شمس الدين أبي الفضل المرسي عن أبي روح ، وهو عم القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن القمّاح نائب الحكم بالقاهرة ، ثم إنه عاد إلى القاهرة ، وتوفي بها إلى رحمة الله تعالى في ذي الحجة سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، ودفن بالقرافة الصغرى .

ومولده في شهر ربيع الآخره سنة سبع وثلاثين وست مئة .

٤٤٠ ـ أبو بكر بن عبد الله**

ابن عبد الله : الشيخ الإمام الفاضل سيف الدين الحريري الشافعي .

توفي رحمه الله تعالى في أواخر شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

وتولّى تدريس الظاهرية الجوّانية الشيخ جمال الدين محمود بن جمله[1] .

---

* الدرر : ٤٣٦/١ .

** الدرر : ٤٤٥/١ ، والشذرات : ١٥١/٦ .

(١) (ت٧٦٤هـ) ، والبداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ .

٤٤١ ـ أبو بكر*

الأمير سيف الدين البابيري ، بالباء الموحدة وبعدها ألف وبعدها ياء أخرى وياء آخر الحروف ساكنة وراء .

كان كرديَّ الأصل ، شيخاً قديم الهجرة تنقل في الولايات والمباشرات بحلب وطرابلس ودمشق ، وكان قد طلبه السلطان الملك النّاصر محمّد إلى مصر ، وَولاه كاشفاً بالشرقيّة ، فلم تَطِب له الديار المصريّة ، فتشفّع بالأمير سيف الدين تنكز ، فطلبه إلى دمشق وولاّه الصفقة القِبْليّة ، وأُمسك تنكز وهو بها .

ثم إنه انتقل إلى حلب ثم إلى دمشق ، وولي شدَّ الدواوين بدمشق مَراتٍ ، وَوَلي نيابة جَعْبَر مرات ، وآخر إمْرَةٍ وليها لما كان الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز . بحلب في واقعة بيَبَغاروس ، فتوجه إليها في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن جاء الخبر في شوّال سنة ست وخمسين وسبع مئة بوفَاته رحمه الله تعالى .

وكان خبيراً دَرِباً مثقّفاً فيه ودٌّ وأُنس ، وعلى ذهنه تواريخ ووقائع وشعر وكان قد عدّى السبعين .

٤٤٢ ـ أبو بكر بن عباس**

القاضي جمال الدين الخابوري ، كانَ قاضي بَعْلَبك .

تُوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعَشرين وسبع مئة .

٤٤٣ ـ أبو بكر بن محمّد بن أحمد بن عنتر السُّلَمي***

أجازه سَبط السِّلفي ، وأجاز لي بخطّه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

---

* الدرر : ٤٧٠/١ .

** البداية والنهاية : ١٠٧/١٤ .

*** الوافي : ٢٦٥/١٠ ، والدرر : ٤٥٦/١ ، والشذرات : ١١٧/٦ .

٤٤٤ ـ أبو بكر بن محمّد بن عبد الغني*

الشّيخ نجم الدين . أجاز لي بالقاهرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم عيد الفطر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

٤٤٥ ـ أبو بكر بن علي بن محمّد الكلوتاتي**

سَمع من ابن النحاس والنجيب ، وأجاز لي بمصر بخطّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

٤٤٦ ـ أبو بكر بن نصر***

القاضي زين الدين الإسَعردي المحتَسب بالديار المصريّة ، ووكيلُ بيتُ المال .

تُوفي رحمه الله في سادس عشر شهر رمضان سنة عشرين وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة ، وصلى عليه قاضي القضاة بدَر الدين بن جَماعة .

وولي مَكانه في الحِسْبة قريبُه القاضي نجم الدين محمّد بن حسين بن علي الإسَعردي[1] كاتب الحكم بالقاهرة ، وفي الوكالة القاضي قُطب الدين محمّد بن عبد الصمد السنباطي[2] .

٤٤٧ ـ أبو بكر بن يوسف بن شاذي****

يأتي تمام ترجمة نسبه في ترجمة والده في حرف الياء إن شاء الله تعالى .

---

* الوافي : ٢٦٥/١٠ ، والدرر : ٤٥٩/١ .

** الوافي : ٢٣٩/١٠ ، والدرر : ٤٥٠/١ .

*** الدرر : ٤٦٨/١ .

(١) لم تقف على ترجمته .

(٢) (ت ٧٢٢ هـ) ، وستأتي ترجمته .

**** الوافي : ٢٦٨/١٠ ، والدرر : ٤٦٩/١ .

الأمير أسد الدّين ابن الأمير صَلاح الدين ابن الملك الأوحد : أحد أمراء الطبلخاناه بصَفد المضافين إلى دِمَشق .

كان شاباً حسناً عاقلاً ساكناً ، فيه حشمةً وَأدبَ . توجّه أمير الركب سنة خمس وخمسين ، وسبع مئة فلطف الله به وَبالركب ، وكنتُ أنا معهم في تلك السنة ، فما رأينا إلا الخير في الذهاب والإياب . لم نَجد في الطَريق ولا في المدينة ، ولا في مكة ، مَنْ شوّشَ على الركب بشيء ممّا يحكيه الحُجّاج من المتُحرمة والنَّهابة .

ولم يزل الأمير أسدُ الدين بدمشق إلى أن ورَد المرسوم بتوّجه كلّ مَن له إقطاع في صفد إلى صَفد والإقامة بها ، فتوجّه إليها مع مَنْ توّجه ، وأقام بها مُدّة فضاق عَطَنُه وشاقه[1] وَطَنُه ، فَضَعُف هناك ووَرَد إلى دمشق فأقام يومين أو ثلاثة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سَابع عشر شهر رمضان المعظم سنة سبع وخمسين وسبعمئة .

وسيأتي ذُكر أخيه أمير علي وذكر والدهما في مكانيهما رحَمهم اللهُ أجمعين .

٤٤٨ ـ أبو بكر بن سُليمان بن أحمد*

أمير المؤمنين المعتضدُ ابن أمير المؤمنين المُستكفي ابن أمير المؤمنين الحاكم العبَاسي ، أبو الفتح .

كان شَكِلاً مليحاً تاماً ، أسمر ذا لحيةٍ سوداء ، صبيح الوَجه ، عليه خفر ومَهابة ، تقدم نسبه كاملاً في ترجمة أخيه أمير المؤمنين الحاكم بالله بن سُليمان في الأَحْمدين .

قَدِمَ إلى دمشق في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة صحبة الملك الصّالح صَالح في

---

(١) في الأصل : « وضاق به » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

* ترجم له في الوافي ، ولم يذكر سنة وفاته ، والدرر : ٤٤٣/١ ، والشذرات : ١٩٧/٦ .

واقعة بيَبغاروس ، ثم إنه قَدِمها ثانياً في واقعة الأمير سيف الدين بَيْدَمر صُحْبة الملك المنصور صلاح الدين محمّد بن حاجي[١] ، وعَاد إلى مصر صحبة السُلطان .

ولم يزل عَلى حاله إلى أن توفي في غالب الظنّ في جمادى الأولى أو الأخرى سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وتولّى الأمر بعده أميرُ المؤمنين أبو عبد الله محمّد بن المتوكل على الله .

اللقب وَالنَّسب

الأبوبكري : الأمير سيف الدين بكتمر .

ابنه الأمير علاء الدين علي .

أخوه الأميرُ شهاب الدين أحمد .

☆ **البكري** : نور الدين علي بن يعقوب .

٤٤٩ ـ بَكْلَمِش*

بفتح الباءِ الموّحدة وسكُون الكاف وفتح اللام وكسر الميم وبعدها شين معجمةٌ : الأمير سيف الدين أمير شكار الناصري .

كان الملك الناصر حَسن قد جعله أمير شكار[٢] ، ولما كان في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة أخرَجْه من مصر إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير ، ووصل بكلمِش إلى دمشق في يوم الجمعة ثالث عشري[٣] شهر رمضان المعظم ،

(١) تولّى السلطنة سنة (٧٦٢هـ) وهو مراهق ، وخلع بعد ثلاث سنين وثلاثة أشهر وستّة أيامن . الذيل التام : ١٨٠ ، ١٩٦ ، والشذرات : ١٩٦/٦ ، ٢٠٠ ، ولم تذكر سنة وفاته .

* الدرر : ٤٩٠/١ ، والذيل التام : ١٣٢ ، والمنهل : ٤١٣/٣ .

(٢) عبارة المنهل : « كان الملك الناصر حسّن أمره ، ثم جعله أمير شكاراً » .

(٣) (خ) : « عشرين » .

وتوجه إلى طرابلس ، ولم ير أهلُ طرابلس منه شيئاً من الخير ، سوى أنه كان يجيد اللعب بالطير .

وكان حسن الشباب ، وضيء الإهاب ، بسط جَوْرَه على أهل طرابلس وظُلْمَه ، وأعاد أيامهم كأنها ليالي ظُلَمه ، وربما تعرض إلى الحريم ، ونزل بروضةٍ فأصبحت كالصّريم ، ورحل منها جماعة لم يصبروا على هذا المضَضْ ، ولا صَبروا على هذا المَرَضْ ، ولم يزل بها وهو يطلب حَريمه من القاهرة فما يُجَاب ، ولا يُرَدُّ جوابه [على يد][1] بريديّ ولا نجاب .

وتوجّه إلى صفَد في واقعة أحمد الساقي وحَصَره[2] في القلعة ـ على ما تقدم في ترجمة أحمدَ ـ وعَاد إلى طرابلس ، ولم يزل بها إلى أن خرج مع بيبُغاروس وأحمدَ ، ووصلوا إلى دمشق في نهار الأربعاء خامس عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وأقاموا بها أربعةً وعشرين يوماً على ما تتقدم في ترجمة أحمد ، وعاث[3] الأميرُ سيف الدين بَكلَمِش في مَرْج دمشق وأفسد ، ولّما هرب بَيْبُغاروس ، وعاد إلى حلب عاد بَكْلَمِش معه ودخلوا الأبلستين[4] إلى عند ابن دُلغادر ، وأقاموا عنده ، ثم إن أحمد وبكلمش حضرا[5] إلى نواحي مرعش وناوشها أهلُ القلاع القتال ، ثم لحق بهما ابن دُلغادر ، ولم يزالا عنده إلى أن أمسكها ابن دُلغادر وجهّزهما إلى حلب ، فاعتقلها نائبها الأمير سيف الدين أرغون الكاملي وطَالع السلُطان الملك الصالح صالحاً بأمرهما ، فَعاد الجواب على يد الأمير سيف الدين طَيْدَمُر أخي الأمير سيف الدين طاز بأنْ يجهّز رأسيهما إلى مِصْرَ فَحُزَّ رأساهما ، وَجُهِّزا مع المذكور في العشر الأوسط من المحرّم سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، فسُبَحان الدائم الباقي .

---

(١) زيادة من : (ق) ، (خ) .

(٢) (خ) : « وحضره » ، تصحيف .

(٣) في الأصل و (خ) : « وغاب » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) الأبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم .

(٥) في الأصل : « وحضر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

٤٥٠ ـ بلاط*

الأمير سيفُ الدين ، كان معروفاً بالدين ، موصوفاً بالعقلِ المتين ، حسَنَ الودِّ لأصحابه ، أفاق الدَّهرُ من سَكرته وصحا به ، كان مقدّماً عند المظفّر ، ذا جانب على التقديم مُوَفَّر ، إلا أنه لِحُسَنِ نيتّه ، وسَلامَةِ طويّته ، سَلّمه الله من الناصر فما آذاه ، ولاحظه السعد وحاذاه .

ولم يزل إلى أن جُعل اسمُه فوقه ، ونزل به من الموت مَا أعْجَزَ صبره وطوقه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابُلس في شعبان سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وكان قد أُخرج من مصر إلى دمشق فأقام بها قليلاً ، ثم نقل إلى طرابلس وبها مات رحمه الله تعالى .

٤٥١ ـ بلاط قَبْجَق**

الأمير سيف الدين أحد أمراء الطبلخانات .

حضر إلى دمشق في أوائل سنة خمسين وسبع مئة ، وأقام بها أميراً إلى أن توفي رحمه الله تعالى في العشر الأوسط[1] من ذي الحجة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٤٥٢ ـ بلاط قي***

بِكسر القاف ، وبعدها ياء وآخر الحروفُ ، وألف مقصورةٌ : الأمير سيف الدين .

توجّه من القاهرة إلى نيابة بهسنى ، وأقام بَها مُدَّة ، ثم حضر إلى دمشق وأقام بها أميراً ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء سَابع عشر ذي القعدة سنَة ثمان وخمسين وسبع مئة ، كان يلعب الشطرنج بعد العشاءِ الآخرة وأصبح ميتاً من غير عِلّة .

---

* الدرر : ٤٩١/١ .

** الدرر : ٤٩١/١ .

(١) ليست في (خ) .

*** الدرر : ٤٩١/١ .

٤٥٣ ـ بلال الطواشي*

الأمير حسام الدين أبو المناقب المغيثي الحبشي الجمدار الصالحي .

كان لالا[١] الملك الصالح [علي بن المنصور قلاوون ، ثم إن العادل كتبغا جعله يتحدث في أمر السلطان][٢] الملك الناصر محمّد ، وهو كبيرُ الخدَّام المقيمين بالحرم النبوي .

حَدَّث بمصر ودمشق ، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين عِدَّة أجزاء يرويها عن ابن رواج .

كان حَالك السَّواد ، تام الشكل ، يهيمُ من المعروف في كلّ واد ، له برٌّ وصَدقات ، وبَذْلٌ في الخير ونفقات ، وله أموالٌ عظيمه ، وغلمانٌ على أوامره ونواهيه مقيمه ، ولَه في الدُول الحُرْمة الوافرة والوجاهة السّافِرة .

حَضَر المَصَافّ[٣] وَرُدّ ، فأدركه أجلهُ في سنة تسع[٤] وتسعين وست مئة فحمل إلى قطيا .

٤٥٤ ـ بلبان**

الأمير سيف الدين المنصوري ، ملك الأمراء الطبّاخي ، نائب حلب .

كان أميراً جليلا ، وللشَجاعة خليلا ، أبلى في نوبة غازان بلاءً حَسَناً وروّع

---

* الوافي : ٢٨٠/١٠ ، الشذرات : ٤٤٦/٥ ، وعقد الجمان : ١٢٦/٤ ، وفيات سنة (٦٩٩ هـ) .

(١) أي كان مربياً .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من : (ق) ، والوافي .

(٣) المصافّ : جمع مصف ، موضع الحرب .

(٤) في الأصل : « ست » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي ، والشذرات .

** الوافي : ٢٨٢/١٠ ، والتالي : ٥٦ ، والشذرات : ٤٥٧/٥ ، والمنهل الصافي : ٤٢٢/٣ ، وعقد الجمان : ١٥٦/٤ ، وفيات سنة (٧٠٠ هـ) .

التتار ، ورقّص الخَطِّية مِنْ غِناءِ سُيوفه ، ومن روس[١] المغل النثار ، لأَنّه كان ذا بأسٍ ونجده ، وشهامةٍ للقاء الأبطال مُستعدّه ، خُيولُه مَسوَّمه ، وسهامه إلى نحور الأعداء مُقَوّمه ، ولولا وجوده ذهبَ عَسكر الإسلام في تلك المرَّة المُرَّه ، وجَرى الأمرُ على خلاف القاعدة المُستَمِرَّه ، لكّنه التقى ذلك البَحر الزخّار بصَدْره ، وخاض في ذلك العسكر الجرار بنحرْه ، فصرع الفرسان ، وَجدَّ لَهُم فَجَدَّلَهُم ، وبسَط لهم بسَاط الحَتف وبدَّلهم ، وكان كثيرَ الحشم ، وافر المماليكِ والخدَم ، تولّى نيابة طَرابلُس ، وحِصْنَ الأكراد وحلب ، وأقدَم الخيّرات بَعدلِه إليّها وجَلَب .

ولم يزل على حَاله إلى أن نَزل به الأمرُ الذي لا يُدفع ، والحتفُ الذي لا يُرفع .

وتُوفي رحمه الله تعالى في سَابع عشر شهر ربيع الأول بالسَاحل سنة سبع مئة[٢] .

وغالبُ مماليكه تَأمَّروا في أيام الملك الناصر محمّد ، وكانوا كبار الدّولة ، منهم الأميرُ علاء الدين أيْدَغْمش أمير آخور المُقدّم ذِكره نائبُ الشام وحلب ، والأمير سيف الدين طَرغاي الجاشنكير نائب حلب وطرابُلس ، والأمير سيفُ الدين منكوتمر الطَباخي ، وغيرهم .

٤٥٥ ـ بَلَبَان*

الأمير سيف الدين الجوكندار .

كانَ نائب القلعة بصفد في نوبة غازان ، فلما كُسِر المُسلمون ، وهَرَبَ الأمراء جَاء الأميرُ ركن الدين بيبرس الجاشنكير أو الأمير[٣] سيف الدين سَلاّر على وَادي التيم[٤] ،

(١) (ق) : « رؤوس » .

(٢) في الوافي : « سنة [ست و] سبعمئة » ، ولم يُذكر مصدر هذه الزيادة .

* الوافي : ٢٨٣/١٠ ، والدرر : ٤٩٣/١ ، والمنهل الصافي : ٤٢٠/٣ ، وعقد الجمان : ٤٤٥/٤ ، وفيات سنة (٧٠٦هـ) .

(٣) في الوافي والمنهل : « والأمير » .

(٤) وادي التيم : أحد وديان بلاد الشام ، عليه بعلبك .

وحضرُوا إلى صَفدَ ، وطلبوا منه مَرْكُوبا ليحملهم عليه ، فلم يُعْطِهم شيئاً ، فلمّا وصَلوا إلى مصر عَزَلوه مِنْ نيابة قَلْعَة صفد ، وجَهّزوه أميراً إلى دمشق .

وكان ابنهُ الأميرُ علاء الدين قُطليَجا شاباً جميلاً حَسَن الوجه ، فَولاّه الأفرم الحجوبيّة بالشام ، ثم إنه في شهر ربيع الآخر سنة سبع مئة ولاّه الأفرم شدَّ الدواوين بدمشق ، وفوَّض الأمر إليه ، واشتغل[١] بالشدّ ، وانفرد الأفرم بقُطليجا المذكور ، لأنه كان طُبْجيّاً ، وأقام على ذلك مُدَّة .

ولما توفي الأمير علم الدين أرجَواش[٢] نائب قلعة دمشق تولى هو نيابة القلعة في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة ، ثم إنه في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبع مئة توجّه لنيّابة حِمص ، وأعيد السنجري[٣] إلى قلعة دمشق ، تولى نيابة حمص فورَد إليها .

ولم يزل بها مقيماً إلى أن فاءت إليه الوفاة ، وفَغَرَ الموت لهُ فَكَّهُ وَفَاه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة ، وكان مُبَخّلا ، ولصاحبه مبجّلا ، أحسنَ في شدّ دمشق إلى من عرفه ، وما جاءه أحدٌ من صفد إلاّ وصرَّفه في أشغال الديوان ، ومَا صرفه ، وله بصفد حَمَّام مليح بعين الزيتون ، كنتُ أعْهده نادراً في تلك البقعة ، وهو كان في تلك الأيام طَرازَ هاتيك الرقْعة .

٤٥٦ ـ بَلَبَان*

الأمير سيف الدين طُرْنا[٤] ، بضم الطّاءِ المُهْمَلة وسُكون الراءِ وبعَدها نون وألف .

---

(١) (ق) : واشتغل هو » .

(٢) ابن عبد الله المنصوري (ت ٧٠١ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٠/١٤ ، والدرر : ٣٤٩/١ .

(٣) سيف الدين بهادر ، وستأتي ترجمته .

* الوافي : ٢٨٣/١٠ ، والدرر : ٤٩٤/١ ، والمنهل الصافي : ٤٢١/٣ ، والبداية والنهاية : ١٦٨/١٤ ، وفيه « طرفا » تحريف .

(٤) في المنهل : « يعني كركي » .

كان أميرَ جاندار بالديار المصريّة ، فجهّزه السلطان إلى صَفَد نائباً بعد الأمير سيّف الدين بَهادُر آص ، فحضر إليها ووقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام ، فَعَزَلَهُ السُلطان ، وَرسَم له بأن يَتوجَّه إلى دمشق أميراً ، فتوجَّه إليها بُطلْبه ، فدخل إليه ليقبِّلَ يَدَه ويُسلّم عليه ، فأمسكه في حادي عشري القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وبَقي في الاعتقالِ عشرَ سنين فما حَولها ، ثم إنّه شُفع فيه فأُخْرِج من الاعتقال وأُعْطِيَ إقطاعَ الأمير شرف الدين حُسين ، وجُعل أميرَ مئةِ مقدّم ألف ، ثم إن تنكز أقبل عليه واختصّ به ،.وكان يشرب معه القُمز[1] .

ولم يزل على حاله إلى أن قالت عقبان المنيّة قد طِرْنَا إلى طُرْنا ، وحُمنَا عليه وحَوّمنا ودَرْنا .

وتُوفي رحمه الله تعالى حادي عشري ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن في تربته جَوارَ داره دار الأمير علاء الدين أيدغدي شُقير تحت مئذنة فيروز .

وكان رحمه الله تعالى ضخماً أبيضَ ، جسيماً كأنَّ وجهَهُ جمّر أوْمَض ، ولما كان يُدور مع الزّفة حولَ الدهليز يوقع بالعَصَا ، ويضربُ ذلك الرمل والحَصَى ، وإذا خَرَج أولئك الرهجيَّة وعَدَلوا عن النغمة الجَهْريَّة الْتَفَتَ إليهم ، ووقَّع بالعصا على الأرض ، ومشى أمَامهم ذات الطوُل والعَرض ، ولذلك كانت عليه في السماع طلاوَة ، ولضَخَامته إذا دار حلاوة .

٤٥٧ ـ بَلَبان*

الأمير سيف الدين السنَاني .

أحد أمراء الدّولة النّاصرية ، له دارٌ في رأس الصَّليبَة تحت قلعة الجبلِ عند جامع

(١) القُمْزة : كتلة من التمر ، فلعلّه يريد : شراباً صنع منه .

* الوافي : ٢٨٤/١٠ ، والدرر : ٤٩٣/١ ، وبدائع الزهور : ٥٨٥/١/١ .

الأمير سيف الدين شيخُو ، وأخرجه الملكُ الصّالح إسماعيل إلى نيابة ثغر ألبيرة[١] في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، فحضر إليها ، ولم يَزل بها إلى أن أَمسكَ الملكُ النّاصرُ حَسن الوزير مَنجك[٢] ، فطلب السنانيَّ إلى القاهرة ، فتوجّه إليها وجعله أستاذ دَار ، وأقام على ذلك إلى أن توجّه إلى مَنْفلوط[٣] لقبض مَغْلِها ، فتوفي هناك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وأخبرني الشيخ بهاءُ الديّن السُبكي أن المذكور توفي سنة اثنتين وستين أواخر سنة إحدى وستين وسبع مئة[٤] بمنفَلُوط ، كَذا جاء الخبر بذلك إلى دمشق ثم ظهر بعد ذلك أنه لم يمت ، وإنما أُخِذت التقدمة والإقطاع منه للأمير عز الدين طَقطاي الدوَادار وأُعطي السناني[٥] طبلخاناه ضعيفة ، وأقام بالديّار المصريّة .

٤٥٨ ـ بَلَبان*

الأمير سيف الدين الغُلْمشي ، بضمّ الغين المُعْجمة وسُكون اللام وبعد الميم شينٌ معجمة .

حَدَّثَ بدمشق عن ابن خليل وعن الْمُرْسِي وغيرهما ، وكان قد سمع في صغره من جماعة مع القاضي عزّ الدين بن الصَائغ لأنه كان مملوكه ، وانتقل عنه ، وانتقل إلى أن صَار أميراً بالقاهرة ، وتولّى الشرقية مَرَّة وكان شهماً كافياً ، فيه سياسة .

تُوفي في جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة .

---

(١) من نواحي حلب .

(٢) هو منجك اليوسفي (ت٧٧٦هـ) ، الدرر : ٣٦٠/٤ .

(٣) في الأصل : « سفلوط » ، تحريف .

(٤) ما بين : « سبعمئة » و « سبعمئة » ، سقط من (خ) .

(٥) (ق) ، (خ) : « السناني المذكور » .

* الدرر : ٤٩١/١ .

٤٥٩ ـ بَلَبان*

الأمير سيف الدين البَدْري أحد مُقَدَّمي الألوف بدمشق .

كان شيخاً عاقلاً مهيبا ، قد وَفّر اللهُ له من سلامة الباطن نصيبا ، خلّف ذهباً جمّا ، أكله وُرّاثُهُ أكلاً لَمّا ، قيل : إن العين من الذهب وحده ثلاثون ألف دينار ، خارجاً عن البركِ والعُدّة والخيل ومَا مع ذلك من عقار ، وخَلّف أولاداً أنجب منهم اثنان ، وكانَ لهما في المباشرات شان زَانهما وَما شَان .

ولم يزل إلى أن حَلّت به المَثُلات ، ونحت الموتُ منه الأَثَلاث .

وتُوفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس يوم عيد الفطر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان قد توجه أمير الركب الشّامي في سنة سبع وسبع مئة ، وقد تولى نيابة قلعة دمشق عوضاً عن بَهادُر السنجري في شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وعزل منها وتوجّه إلى نيابة صفَد عن الأمير سيف الدين بَلَبان طُرْنا في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وتوجّه إلى حمص نائباً عوضاً عن القرمَاني في شهر صفر سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ولما توفي في حمص نُقل إلى دَمشقَ وصُلّي عليه بسُوق الخيلِ ، ودُفن في جَبل قاسيون .

٤٦٠ ـ بلبان**

الأمير سيف الدين التَتَري .

كان رَجُلاً سليما ، مأْمُوناً حليما ، لا يعرف ما النّاسُ فيه ، ويَظنُ أن الناس ليس فيهم سَفِيه ، وله أموالٌ غزيرةٌ وحواصَلُ كثيرةٌ ، وأولاده الذكور والإناث نهاية في الجمالِ وغايةٌ في الْحُسنِ والكمال .

---

* الدرر : ٤٩٢/١ .

** الدرر : ٤٩٣/١ ، وفيه « التستري » .

ولم يزل إلى أن جَاءهُ الأمرُ الذي لا يُخْدَع ، ولا يُرَدّ بحيلة ولا يُردَع .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

وكان توجّه أمير الركب في سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وهو من كبار المنصورية .

٤٦١ ـ بلبان*

الأمير سيف الدين القَشْتُمري .

أحدُ الأمراء بدمشق كان يسكن بدربَ الريْحان بدمشق .

تُوفي رحمه الله تعالى في المُحرم سنة تسع وتسعين وست مئة .

٤٦٢ ـ بلبان الجمقدار**

الأمير سيف الدين المعروف بالكركند[١] .

كان من كبار الأمراءِ . أقام بدمشق مدةً بدار فُلوس[٢] ، ثم نُقل إلى الديّار المصريّة ، ثم أعيد إلى دمشق ، فَأقام بها في دار بحلَّة مَسجد القَصب[٣] ظاهر دِمشق .

وفي سابع شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وسبع مئة توفّي إلى رحمة الله تعالى ودُفن بتربته بجبل قاسيون ، وكان يوماً مَطِيراً .

وأظنه كان أولاً بصفد أمير عشرة في أيام الأمير سيف الدين بتْخاص ، واللهُ أعلم .

---

* لم نقف على ترجمته .

** الدرر : ٤٩٤/١ .

(١) في الدرر : « الكوكندي » .

(٢) بالقرب من البزوريين والجوزية ، اشتراها سيف الدين تنكز ، وعمّرها ، وجعلها لحواصله وأمواله وملكاً للعلماء ، وسمّاها دار الذهب . الدارس : ٩١/١ .

(٣) الدارس : ٢٦٥/٢ .

٤٦٣ ـ بَلَبان*

الأمير سيف الدين المَهَمْندار الدواداري عتيق ، الأمير جمالَ الدين مُوسى بن الأمير علم الدين الدَّواداري[١] . كان أمير عشرة .

وتُوفي رحمه الله تعالى في نصف جمادى الأولى سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربة أستاذِه بسَفح قاسيون .

٤٦٤ ـ بَلَبان**

الأمير سيف الدين الصَرْخدي[٢] الطاهري .

أحدُ أمراء الطبلخاناه بالقاهرة ، كان قد تجاوز الثمانين وكان فيه خيرٌ ، مواظبٌ على الصّلوات .

توفي رحمه الله تعالى في عشري جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة .

٤٦٥ ـ بلبان***

الأمير سيف الدين العَنقاوي ، بعد العَين المهملة نونٌ وقاف وألف بعدها واوٌ ، الزّرَّاق المنصوري .

كان في الحبس وأُفرج عنه ، وكان قد جاوز السَبعين سنة ، وكان من أمراءِ الطبلخاناه .

---

* الدرر : ٤٩٥/١ .

(١) واسمه سنجر ، وستأتي ترجمته ، ولم نقف على ترجمة ابنه موسى .

** الدرر : ٤٩٤/١ .

(٢) في الأصل : « السرخدي » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والدرر .

*** الدرر : ٤٩٤/١ .

تُوفي فجأةً بعدما توضأ وتهيّأ للتوجه لصَلاةِ الجُمعة في سابع عشر شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئلا ودُفن بجبل قاسيون .

٤٦٦ ـ بلبان*

الأمير سيف الدين المُحْسِني .

أظنّه كان أوّلاً من جُملة البريدية بمصر ، ثم إنّ السُلطان جهّزه لإحضار مُباشري قَطْيَا في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ثم إنّه وَلاّه القاهرة بعد علاء الدين أَيْدُكين ، فيما أظُن ، فأقام فيها إلى أن وَلاّها علاء الدين بن المَرْواني ، وجَهّز الأميرُ سيف الدين بلْبَان لنيابة دِمَياط ، فأقام بها قليلاً ، وانفصل في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وتُوفّي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، أظنه توفي معتقلاً .

وكان رجلاً جيداً خيّراً مشكوراً .

٤٦٧ ـ بلبان**

الأمير سيف الدين الإبراهيمي .

كان أحدُ أمراء الطبلخاناه بحماة .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبع مئة ، وكتب بإقطاعه لأسَنْبُغا مملوك الأمير سيف الدين أسندمُر العُمري نائب حماه .

---

* الدرر : ٤٩٤/١ .

** الدرر : ٤٩٢/١ .

٤٦٨ ـ بُلُرْغي*

بباء موحدة ولام ورَاء وغين مُعجمة بعدها ياء آخَر الحروف ، ومنهم من يقدمُ الراء والغين على اللاّم : الأميرُ سيفَ الدين الأشرفي .

كان أميراً وجيها ، لا يجد له في المضاهاة شبيها ، مشهوراً بالتعظيم ، وَالحَفَدة التي هي كحبّات العقد في التنظيم ، وثق إليه المُظَفَّر فجَهَّزه إلى النّاصر ليكون يَزَكَا ، ولم يدر أنه زرع الغدر فأثمر معه وزَكا ، وخامر عليه من الرمل وجمع به من الملك الشمل ، ووَصل إليه إلى غزّه ، فوجدَ بقربه مَا كان يَجدُه كُثَيّرٌ من قرب عَزَّه ، إلا أنه لما دخل إلى مصر أَمسكه ، وأماته في السجن جوعاً وأهلكه .

ووفاته بقلعة الجبل سنة عَشرٍ وسبع مئة ، ودفن بالحُسَينيَّة .

٤٦٩ ـ بلغاق**

الأمير سيف الدين : كان ناظر الحرمين : القدس وبلَد سيدنا الخليل عليه السلام ، وهو بُلغاق ابن الحاج جُغَابن يارتمش الخوارزمي .

روَى الحديث عن ابن عبدَ الدائم بالقُدس ودِمشق ، وولي الحرمين آخر عُمْرِه ، ورأيتُه بصفد مَرتين أيام الجَوكندار الكبير ، وكان شيخاً قد أنقى ، وعَمِل على ما هو في الآخرة خَيْرٌ وأَبْقَى ، مع سيرةٍ مشكوره ، ومعاملةٍ مع الفقراء مَا هي مِنْ مِثْلِه مَنكوره ، معروفاً بالخير والبركه ، موصوفاً بالصّلاح في سُكُونه والحركه ، كثيرَ الاتَّضَاع ، غزير الجودة على ما ألفه من الرضاع .

ولم يزل على نظر الحرمَيْنْ إلى أن أمسى ولم يحفظه من الموت حَرَم وراح إلى الله بعد ما كاد يصلُ إلى الهرم .

---

* الوافي : ٢٨٧/١٠ .

** الدرر : ٤٩٥/١ .

وتُوفي بقرية الغَازيّة من بلَد صَيدا أو بلد بَيرُوت في جمادى الأولى سنة تسع وسبع مئة ، ونُقلَ إلى دِمشق ودُفن بسفح قاسيون .

ومَوْلِده بالقاهرة في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وست مئة ، وكان حَكَم البُنْدُق بالشامِ .

☆ **البلفيائي** : القاضي زين الدين محمّد بن عُمَر .

وشمس الدين محمّد بن يعقوب .

٤٧٠ ـ بُلَك*

الأمير سيف الدين الجمدار الناصري .

حضر مع الأمير سيف الدين بُشتاك إلى دمشق في[١] واقعة تنكز مع جُملة أُمراء الطَبلخَانات الذَّين حضروا في ذلك المهم ، وتوجه معه إلى مِصَر ، وأقام بها إلى أن رُسم للأمير سيف الدين طَقتمر الأحمدي بنيابة حماة ، وكان في صَفد نائباً ، فحينئذ رسم للأمير سيف الدين بُلك هذا بنيابة صفد ، وذلك في أيام الملك[٢] الصّالح إسماعيل ، فحضر إليها ، وأقام بها مُدّة الأيام الصّالحيّة ، ولما توفي الصّالح رحمه الله تعالى وولي الكامل شعبان أخرج الأمير سيف الْمُلك إلى صفد نائباً عوضاً عن بُلَك ، وعَاد بُلك إلى مصر وأقام بها أميراً على مئة في تقدمة ألف ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة .

ولم يزل بها مقيماً إلى أن فرّق الموتُ بين بُلك ومَا مَلك ، ولم يدر ذُوُوه أيّةً سَلك .

تُوفي رحمه الله بعد عيد رمضان في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

---

* الوافي : ٢٨٨/١٠ ، والدرر : ٤٩٥/١ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) ليست في : (ق) ، (خ) .

٤٧١ ـ بُلك*

الأمير سيف الدين أمير علم .

أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، لما عُزل الأمير ناصر الدين محمد بن بهادُرآص[١] من نيابة حمص في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وسبع مئة رُسم للأمير سيف الدين بُلَك بنيابة حمص ، فتوجّه إليها بمرسوم السُلطان[٢] الملك الصّالح صالح ، فأقام بها نائباً إلى أن ورد عليه[٣] الأمر الذي لاَ يُردّ إذا دَعا ، ولا يُصَدّ منه مانع إذا مانعى .

ووفاته في ثالث عشري شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

☆ **البندنيجي** : المسند علي بن محمد بن ممدود .

٤٧٢ ـ بَهَادر الشمسي**

الأمير سيف الدين .

كان من أهل الصلاح والسلاح ، وممّن يُتبع الصلاة بالصّلات والسماح ، ترك الإمرة مَرّه ، ونزلَ عمّا فيها من الدُّرة إلى الدرَّه ، ولبس زيّ الفقراء ورَفض رياش الأمراء ، ثم إنه أعيد ، ورُغِّب بالوعدِ وهُدّد بالوعيد ، ورُسم له بإعادته إلى الإمره ، فعاد إليها ولم تُعلَّم عَوانُه الخُمْرَه[٤] ، وولي نيابة قلعة دمشق في جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وسبع مئة عوضاً عن القَرَماتي .

---

* الدرر : ٤٩٥/١ .

(١) أشار إليه الصفدي في ترجمة والده ، انظر : الوافي : ١٩١/١٠ .

(٢) (خ) : « من السلطان » .

(٣) ليست في (خ) .

** الدرر : ٤٩٨/١ .

(٤) مثلٌ يضرب للمجرب العارف ، انظر : مجمع الأمثال : ١٩/١ .

ولم يزل على حاله بقلعة دمشق إلى أن أنزلَهُ الموتُ منها على حُكمه ، ودخل به في عداد هُمِّه وبُكْمه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، وكانت نيابته مَا يقارب السبعة أشهر ، وكان موته فجأة .

وَولي النيابة بَعْدَه[١] الأمير علم الدين سنجر الدمَيثري[٢] .

٤٧٣ - بهادر الجوكندار*

الأمير سيف الدين .

كان أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق وسَكَنَه جُوًّا باب الصغير ، وكان يركب وينزل ، ويرى أنه عن الدّولة بمعزل ، لكنه أميرُ خمسين فارسا ، وعِلْمُه لا يُرى يوم الحاجةَ ناكسا .

ولم يزل على حَاله إلى أن مَرَّ الأمير ومَا عَاد ، وبدِّل بالتعْسِ[٣] على النعش بعد الإسعاد .

وتوفي رحمه الله تعالى في صفر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وهو زوج بنت الأمير سيف الدين الجُوكندار[٤] .

٤٧٤ - بهادر**

الأمير سيف الدين المَنصوري المعروف بالحاج بهادر .

---

(١) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، وهو الصحيح .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٤٩٨/١ .

(٣) في الأصل : « بالنفس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٤) قد سلفت ترجمته .

** الوافي : ٢٩٥/١٠ ، والدرر : ٥٠٠/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣٦/٣ .

كان من أكابر الأُمراء بالديّار المصريّة مُتعيِّناً فيهم ، فأخرج إلى حلب على إمْرَةٍ ، ثم نُقل إلى دمشق ، ثم أُعطى بها تقدمةَ ألف ، وأقام بها مُدّة ، وداخل الأفرم ، وصار من أخصّائه ، وكان معروفاً بالتجرِّي ، وعَدم التحرُّز والتحرّي ، مُحِبّاً للفتن ، يصْدَحُ فيها على فَنَن ، لا يَحْظى بالسرور إلا إذا أجرى قناة الشرور ، وكان يُؤلّب على الجراكسه ، ويعدُّ المُهَادنة لهم من المماكسه ، لا يكاد يَصْبر عن تعاطي السُّلاف ، ولا يَرى الدّهرُ يَدَهُ فارغة من كاس ، كأنّها تُلافيه مِنَ التَلاف ، قيل : إنه كان يمرُّ بيْنَ القَصْرين ، وهو يتناول الخمر ، ويقدح في أقداحه الجمر ، وربّما فعل ذلك بدمشق إذا دخل من الصّيد ، ولاَ يبالي بما يقوله عَمْروٌ وزيد .

أخبرني القاضي شهابَ الدين بن فضل الله ، قال : أخبرني والدي أنّه كان أشْبَهَ النّاس بالملك الظّاهر بَيْبرس . وَأقام في طرابلس نائباً بعد أَسَنْدَمُر إلى أن هجَم عليه هَادم اللّذات ، وفَرق بينه وبين الأتراب واللّذات[1] .

وتوفي رحمه الله في شهر ربيع الآخر سنة وسبع مئة .

وَلّما ولي الملكَ بَيبرس الجاشنكير وَفرح به الأفرم تَغيَّر الحاجُ بهادرُ عَلى الأفرم بعد مُداخلته مجالسَ أُنْسه ، ومَواطنِ إطرابه ولَذّاته ، وأَخَذ[2] في تغيير الأُمراء عليه ، ويقولُ لمن يخلو به : هَؤلاء الجراكسة متى تمكّنوا منا أَهلكونا وراحت أرَواحنا معهم ، فقوموا بنا نعمل شيئاً قبل أن يَعْملوا بنا ، وتحالف هو وقَطلوبك الكبير على الفَتْكِ بالأفرم إن قَدِرا عليه ، فأحسَّ الأفرم بذلك ، فلم يزل بالحاج بَهادر إلى أن استصلحه على ظَنّه ، وقال : بَعد أن سَلِمْت مِنْ هذه الحيّة[3] مَا بقيتُ أفكِّر في تلك العَقْرب ، يعني بالحيّة الحَاجَّ بهادر ، وبالعَقرب قطلوبك .

---

(١) في الأصل : « اللذات » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٢) في الأصل : « أخذ » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٣) عبارة الوافي : « من لسع هذه الحيّة » .

ولما تحرك الملكُ الناصر من الكرك أرسل الأفرم الحاج بهادر وقطلوبك الكبير يَزَكاً قدامه ، فنزلا على الفوّار[١] ، وأظهرا النُصح للأفرم ، وأبطناله الغدر ، ثم إنهما راسَلا السُلطان الملك الناصر في الباطن وحَلفا له ، ثمّ سارا إلى لقائه ، ودخلا معه إلى دمشق ، وكان الحاجُ بهادُر حَامل الجتْر[٢] على رأس السُلطان يوم وصوله[٣] دِمشق ، ولَما جُلس على كُرسيّ الملك بقلعة الجبلِ وَلّى الحاج بهادر نيابة طرابلس ، فتوجه إليها وأقام بها إلى أن مات رحمُهُ الله تعالى .

٤٧٥ - بهادر آص*

الأميرُ سيف الدين المنصوري .

كان شكِلاً طُوالاً من الرجال ، يباهي الغمام في فيض السّجال ، له صَدَقاتٌ ومَعروفٌ ، وبِشْرُهُ للعُفَاة معروف ، ذا رَخت[٤] كثير ، وتجمّل في الإمرة غَزير ، وعنده خُدّامٌ ومماليك ، ودَسْته تُرى الملوك فيه صعاليك ، جَهّز السلطان الملكُ النّاصر بعد موته ، أَخذ جماعة من مماليكه ، عملهم سلاح داريّة لأشكالهم الهائله ، ومحاسنهم الطائله .

ولم يزل على إمرته في تقدمة الألف إلى أن برق ناظره ، وهيّأ له القبر حافرُه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكان هو القائم بأمر الملك النّاصر لمّا كان بالكرك تجيءُ رُسله إليه في البَاطن ،

---

(١) في المنهل : « على الفور » .

(٢) هي مظلّة من الحرير المزركش بالذهب ، تُحمل على رأس السلطان .

(٣) (ق) : « دخوله » .

* الوافي : ٢٩٧/١٠ ، والبداية والنهاية : ١٥٠/١٤ ، والدرد : ٤٩٧/١ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٨/٣ .

(٤) الرخت : كلمة فارسية معناها : المتاع .

وتنزل عِنده ، وهو الذي يفرِّق الكُتُبَ ويأخذ أجوبتها ، ويُحَلِّف الناس في الباطن إلى أن استتبّ له الأمر ، وكان آخر من يَبُوس الأرض بين يدي السُلطان في الشَام ، وجَهّزه السُلطان إلى صفد نائباً بعد الأمير سيف الدين قطلوُبك الكبير في شهر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، فأقام بها مُدة تُقارب سنة ونصفاً ، ثم أعيد إلى حالِهِ بدمشق ، فوصل إليها ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ولما كان مع الأمير سيف الدين تنكز في واقعة مُلطيّة أشار بشيء فيه خلافه ، فقال بهادُرآص : « كما نحن في الصَّبيْنَة » فلم يحملها منه ، وحقَدَها عليه ، فكتب إلى السلطان فقبض عليه وأقام في الاعتقال مدّة سنة ونصف أو أكثر ، ثم أُفرج عنَه وأُعيد إلى مكانه وإقطاعه .

ولّما توفي رحمه الله تعالى دفن في تربته بَرًّا باب الجابية ، وخَلَّف خمسة أولاد ذكور : الأمير ناصر الدين محمّد ، والأمير علي ، والأمير عُمَر ، والأمير أبُو بكر ، والأمير أحمد . فلحقه الأمير عُمَر ، وكان أحسنهم وجهاً وقامةً ، ثم أمير أحمد ، ثمّ أمير علي .

وكان أمير عشرة ، وكان أوّلاً وكيلَ السُلطان وبيده إقطاعٌ هائل إلى الغاية ، وَقفتُ أنا على ورَقة فيها أسماء أماكن إقطاعه قبل الروّك وهي :

من دمشق : نهر قلوُّط .

من حمص : النهر بكماله ، وأرض المرزّات[1] .

من الجولان : قرية سمكين[2] ، وقرية جلّين بكمالها .

من البقاع : ثلث كفر رند ، ثلث عين ، دير الغزال بكمالها ، ربُع الرمادة ، محمسة بكمالُها ، رُبع الدلْهّمية ، قرقا بكمالها ، تعنايل بكمالها ، حقل حمزة بكمالها ، ربع

(١) في الوافي : « المزارات » .

(٢) في الوافي : « سملين » .

علّين ، مزرعة الساروقيّة بكمالها ، سدس عين حليا[١] ، القناطر بكمالها ، علاق بكمالها ، رُبَع يونين[٢] .

من بيروت : سَبعل بكمالها .

من أذرعات : سُدس كفرتا ، نصف بيت الراس ، ربع كفر الماء ، ربع حديجة ، ربع شطنا ، ربع مهربا[٣] ، ربع كفر عصم ، نصف عونا من بُصرى .

من صَرخد : المحوُسَه[٤] ، رُبع نجيح ، قَيْا بكمالها ، نصف السَعف ، ربع قارا من زُرَع .

من جبل عُوف : الغَريّة[٥] بكمالها ، صوفة بكمالها ، حُنيك بكمالها ، أم الخشب بكمالها ، نصف دَلاّعا .

من البَلْقا : نصف مَاجد ، بَيرين بكمالها ، ثلاث مزارع بكمالها ، ربع بُقعة .

من نابلس : الكَفر بكماله ، صانُور بكمالها ، كفركوسُ بكمالها .

من لُد : خَرنُوبَة بكمالها[٦] ، أخصاص العوجاء بكمالها .

من عكا : عشرة أرماح بكمالها .

من صفد : المنيسة بكمالها ، المناوات بكمالها ، المعشوقة بكمالها ، كفركنّة ، وعوّض عن ذلك جميعه بعد الروك[٧] : نمرين : من غورْ زعُر بكمالها ، الكفرين بكمالها ، مردا . من نابلس ثلثا رُوَيُسون دير بَجالا بكمالها .

(١) في الأصل : « عين حليا بكمالها » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .
(٢) في الوافي : « بونين » ، تصحيف .
(٣) في الوافي : « مهرنا » .
(٤) في الوافي : « المحروسة » .
(٥) في الوافي : « العربة » .
(٦) زاد في (ق) : « خلدا بكمالها » .
(٧) في الأصل : « الزوال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .

٤٧٦ - بهادر بن عبد الله المنصوري*

المعروف بالعَجمي .

كان من جملة أمراءِ دمشق ، وَسَكنُه بالديماس ، وكان في سنة خمس وتسعين وست مئة قد حجّ بالناس ، وحُمِدَت في المسير سيرتُه ، وشُكرت في الطريق طَريقتـه . وكان شاباً حَسَن الطلعه ، جميل الذَهاب والرّجعه ، له دينٌ متين ، ومحبّة لأهل العلم العَاملين .

ولم يزل إلى أن ذوى غَصْنُهُ الرَطْب ، وفرّغ عُمره مَا عِنَده في الوَطب .

وتُوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وست مئة ، ودُفن بجبل قاسيون .

٤٧٧ - بهادُر**

الأمير سيف الدين المُعزِّي .

كان أميراً كبيراً ، قبض عليه السلطان الملك النّاصر ، وبَقي في الاعتقال مُدَّة زَمَانية ، ثم إنّه أخرجه في سنة ثلاثين وسبع مئة ، فيما أظنّ ، وأقبل عليه إقبالاً زائداً ، وجعله أميرَ مئة مقدّم ألف ، وكان يجلس في دار العدل مع الأمراء المشايخ ، وكان يسمّيه : الحاج ، وينعَم عليه كثيراً .

وكان خيّراً ساكناً وادعا ، إلى المُهادنة راكنا ، يَفتنه الناظر الفاتر ، ويَخلبُ لبَّه الجفنُ الساحر ، يبالغ في إكرام مَمَاليكه ويبَرهم[1] ، ويَسرُّهم بما فيه إطابة سرِّهم ، لا يزال يُغدق عليهم إنعامَهُ ويفيء عليهم جُودُه وإكرامُه ، واقتنَى منهم جُملة جميله ، وأخمل بهم زَهَرات الخميله .

---

* ذكره العيني في عقد الجمان : ٣٢٢/٣ .

** الوافي : ٢٩٨/١٠ ، والدرر : ٤٩٦/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣٠/٣ .

(١) (ق) : « وبرّهم » .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح المُعِزّي مُعَزّىً فيه ، وعجزّ الطبيبُ في تلافِهِ عن تلافيه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في أوائل سنة أربعين وسبع مئة ، أو أواخر[1] سنة تسع وثلاثين .

وكان قد أمُسك هو وبكتمر الحاجب ، وأيدْغدي شقير والخازن في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة .

٤٧٨ - بهادُر سمز*

بالسين المهملة والميم المكسورة وبعدها زاي ، الأمير سيف الدين المنصوري .

كان من أمراء دمشق ، معروفاً بالإقدام ، مشهوراً في الحروُب بثبوت الأقدام ، لا يَرُدُّ وَجهه عن قِلّة وَلا كثْره ، ولا يخشى من حُسَامه وَجوادِه نَبْوَةً ولا عَثْره .

كان مع الأفرم وهم يتصيّدون بمرج دمشق على قرية بُضيع[2] ، فدهمَهَم في الليل طائفة من عَرَب غَزيّة ، فقاتلوهم وقتل من العرب نحو نصفهم ، ودَخل هذا الأمير فيهم ولم يرجع عنهم ، وأطال الغزو فيهم والمجاهدة لهم احتقاراً بهم ، فطعنه من العرب فارسٌ برمحٍ في صُدغه فصرعه ، وعرض عليه صِرْفَ المنيّة فكرعه ، وذلك في ثالث ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة ، ودُفن[3] بقبر الستّ ظاهر دمشق ، وسُمِّرَ من العرب واحدٌ وطِيف به إلى أن مات .

---

(١) في الأصل : « أوائل » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .

* الدرر : ٤٩٧/١ ، والمنهل : ٤٣٣/٣ ، وعقد الجمان : ٣٧٥/٤ ، وفيات سنة (٧٠٤هـ)ل والبداية والنهاية : ٣٤/١٤ ، وفيه : « بهادر تمر » تحريف . وفي المنهل : « سمز يعني : سمين » .

(٢) معجم البلدان : ٤٤٣/١ .

(٣) (ق) : « وحُمِلَ ودُفِنَ » .

٤٧٩ - بهادر بن عبد الله*

الأمير سيف الدين السنجري .

كان رجلاً سعيدا ، ولم يكن من الخير بعيدا ، تنقل في النيّابات بالحصون وغيرها ، وبَاشرها فَغَاضَت بشرِّها ، وفاضت بخيرها .

ولم يزل إلى أن دعاه ربّه فأجابه ، وأعظم الناسُ مُصَابه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في العُشر الأوسط من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وهو بحمص نائب .

وَلّما كان في نيابة قلعة دمشق جاءه المرسوم[١] بأن يكون نائب الغيبة بدمشق ، لخلوّها من نائب ، وذلك في المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، فحضر[٢] الموقعون والوزير ، ونَفذ وحكم ، وولّى عِدة ولايات منها نظر البيمارستان لشرف الدين بن صَصرى[٣] عوضاً عن بدر الدين بن الحدّاد[٤] ، ولم تتم الولاية ، وَوَلّى نظر الأسرى لعَماد الدين بن الشيرازي[٥] ، وَولّى نظر البيوتِ لشمس الدين بن الخطيري[٦] ، وَوَلّى صحابة الديوان بالجامع الأُموي لمحيي الدين بن القلانسي[٧] .

وطُلبَ في شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة على البريد إلى مصر فتَوجّه إليها ، ودخل عوضه الأمير سيف الدين بلبان البدري ، وعادَ السنجري بعد فراغ

* التحفة : ٢٢٢/٢ ، والدرر : ٤٩٨/١ .

(١) (ق) : « المهم » .

(٢) (ق) : « فحضره » .

(٣) محمد بن عبد الرحمن ، وستأتي ترجمته .

(٤) محمد بن عثمان ، وستأتي ترجمته .

(٥) محمد بن أحمد ، وستأتي ترجمته .

(٦) عبد القادر بن يوسف ، وستأتي ترجمته .

(٧) محمود بن محمد ، ستأتي ترجمته .

رمضان متوجّهاً لنيابة ثغر البيرة ، وتوجّه إلى غزة نائباً عوضاً عن الأمير علاء الدين طيبُغا قوين باشي[١] بحكم وفاته في شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبع مئة[٢] .

٤٨٠ - بهادر*

الأمير سيف الدين النّاصري الدَمرتاشي[٣] .

كان قد وَرد إلى البلاد صَحبة تمرتاش ، فرآه السلطان فأحبّه ، ولما قُتل تمرتاش أخذه السُلطان وقَرَّبَهُ وبالغ في تقديمه ، فلامه الأمير سيف الدين بكتمر الساقي ، وقال : ياخوُند ، كل واحد من مماليكك يقعدُ في خدمتك ما شاء الله حتى تُقدمه لإمرة عشرة ، ثم تَنْقله لإمرة أربعين ، وبعد مُدة حتى يكون أمير مئة ، فخالفه وأعطاه إمرة مئة ، وقَدَّمه على ألفٍ ، وزوّجه إحدى بناته ، وصار أحد الأربعة الذين يبيتون ليلة بعد ليلة عند السُلطان ، وهم : قُوصون وبُشتاك وطغاي تمر وبهادر النّاصري ، ولم يزل عِنده إلى أن مرض ، وطالت به عِلّته وابتُلي برمدَ أزمن ، وقرحةٍ طوَّلت ، ولازمه إنسانٌ مَغْربي غَريبُ البلاد[٤] ، وعالجه بأشياء لم يُوافقه الأطباء عليها ، فلزم بيته وامتنع من الطُلوع إلى القلعة إلاّ في الأحيان .

وكان شكلاً ظريفا ، محبوباً إلى القلوب طريفا ، ولم تكن عَيناه متَرِّكه ، ولا أفعالها للقلوب محرّكه ، وله قامةٌ مَديده ، ومحاسنٌ هَيفها عديده ، إلاّ أن رمد عينيه أصدأ سيوف جُفونها ، وغير فتكات ظُباها التي أغمدتها في جُفونها ، وكَوَاهُ المغربي على جنبه فأنكاه ، وكان سنُّهُ يضحكُ في السعادة فأبكاه ، ولم يزل على ذلك إلى أن تولّى السلطان الملك الصّالح إسماعيل فاستحوذ على الملك لكونه زوج أختِ السلطان ،

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) هنا ينتهي الجزء الثاني من (ق) ، وبقية أجزائها مفقودة حتى حرف الميم ، إذا تبدأ بـ محمود بن علي .

* الوافي : ٢٩٩/١٠ ، والدرر : ٤٩٨/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣١/٣ .

(٣) في الوافي والمنهل : « التمرتاشي » .

(٤) في الوافي والمنهل : « من البلاد » .

وسكن في الأشرفيّة دار قوصون ، وصار الأمرُ والنَهيُ والحلّ والعَقْدُ لـه ، وأخرج الأمير علاء الدين الطُنبغا الماردانى إلى نيابة حماة .

ولَما نُقل الأمير سيف الدين طقُزتمر من نيابة حلب إلى نيابة دمشق نُقلَ الأمير علاء الدين الطنبغا إلى نيابة حلب ، وأخرج الأميرُ سيف الدين يلبغا اليحيوي إلى نيابة حماة .

ولم يزل على حاله إلى أن أُخذ في لَيلْه ، وعَدِمَ حَوْلَهُ وحَيْلَه ، فبات وما أصبح ، وخَسِر ما كان ظنّه يربح ، وذلك في أوائل شوّال سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى .

٤٨١ - بهادر*

الأمير سيف الدين بن الكركري .

كان مُشِدَّ الدواوين بحمص أيام تنكز ، فأقام بها مُدّة ، ثم إنه نقله إلى شدّ الدواوين بصفد ، وولاية الولاة بها على إمرة طَبلخاناه .

لم يكن عِنده رقّه ، ولا يرعى في الحقّ لصاحبٍ حَقّه ، بطشُه أسْرعُ من رَدّ طَرفه ، وهيجُ عِضْبه أشدّ من خطب الزمان وصرفه ، لا يقوم لغضبه الجبل الراسي ، ولا يُداني الحديدُ الباردُ قلبهُ القاسي ، ومَات في عقوبته جماعه ، ولم يخن سوءَ الذكر ولا سماعه ، إلاّ أنه كان فيه مع ذلك خِدمةٌ ورَياسه ، ومُخادعةٌ لأرباب الجاه وسياسَه . يقالُ إنه قتل وَلَدهُ بالمقارع وألقاه على القوارع لشراب أخذ منه نَشوَته ، وكشف بها السّتر حَشْوته .

ولّما جاء الأمير سيف الدين طشتمر[1] إلى صفد نائباً وقع بينه وبينه ، وصار

* الوافي : ٣٠٠/١٠ ، والدرر : ٤٩٩/١ .

(١) المعروف بـ حمصّ أخضر ، كما في الوافي ، وستأتي ترجمته .

لا يسمع منه ولا يخضع له ويترفَّع عليه ، وإذا شَفع في أحدٍ عنده لا يَقْبَلُ منه ، وإذا علم أن الفلاّح من جهته أو مَنْ جهة مماليكه قتله بالمقارع إلى أن يموت ، فضاق عَطَن طشتمر منه وكظم غَيْظَه ، وصَبَر له إلى أنْ أُمسك الأمير سيف الدين تنكز ، فما ظنّ أن ابن الكركري ولا غيره إلاّ أنّه يشَنُقُه في أول وَهلة ، فلم يظهر له منه بعد تنكُّر تنكز ، وتوجّه طشتمر عُقيب ذلك إلى باب السُلطان ، فأعطاه نيابة حَلب ، فباسَ الأرض ، وطلب ابن الكركري من السُلطان ليكون عِنده في حلب مُشدّا ، فوافقه السُلطان على ذلك ، لأنه كان يتحقَّقُ منه الأمانة والعِفَّة عن مالِ الرعايا ، ولم يزل بحلب إلى أن هرب طَشتُمر منها ، على ما سيأتي في ترجمته ، فما وَفى له ابن الكركري ومال عليه ، ولما عاد طشتمر من البلاد الروميّة اعتقله ، وتوّجه إلى دمشق وتوجّه منها إلى مصر ، وجرى ما جرى من قتلة طشتمر ، ثم إنّ ابن الكركري خُلّص بعد موت طَشْتَمر من الاعتقال وبقي بطّالاً ، فحضر إلى دمشق في أيام الأمير سيف الدين طَقْزتمر ، ورتّب له راتباً على الأموال الديوانيّة . ثم إنه رُتّب في شدّ الدواوين بدمشق وهو بلا إمرة ، فأقام على ذلك قليلاً ، وجُهّز إلى حمص مشداً ، ثم إلى صفد مِراراً كثيرة .

وباشر ولاية مدينة دمشق مُدّة بعد إقطاع[1] ، ثم طلبه الأميرُ شهاب الدين أحمد نائب صفد لشدّ صفد ، فجهّز إليها فأقام قليلاً ، وكان ذلك في سنة تسع وأربعين في الطاعون ، فتوهم الناس أنه يموت بها ، فطَلبه الأمير بدر الدين مسعود من السُلطان أن يكون مُشِدّاً عنده بطرابلُس على عشرة قد انحلّت عنده[2] ، فرُسِمَ له بالتوجّه إليها ، فأقام بها قريباً من شهر ، وجاءه القضاء الذي لا تُحْمى منه الحُصُون ولا يُرَى درّ حيٍّ دُونه وهو مصون .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة في جمادى الآخرة .

---

(١) الذي في الوافي : « ثمَّ حضر إلى دمشق في أيام الأمير سيف الدين أرغون شاه ، فجعله شادّاً على الخاص بداريّا ودومة » .

(٢) أي : إمرة عشرة ، ليس لها أمير .

٤٨٢ - بهادر*

الأمير سيف الدين الأُوشاقي[١] النّاصري المعروفُ بحلاوة .

كان إذا ساق في البريد وجاء إلى مركز قال للسّواق أوْ لأَحدٍ من غلمان البريد : تأكلُ حلاوة ؟ فإذا قال : نعم ضربه بالسّوط الذي معه[٢] ، فَسمّوه بَهادر حَلاوة .

وكان أشقر ، أزرق العين بنظرٍ أَخفُّ على القُلوب منه رُؤية الحين ، الظُّلْمُ مِلءُ إهابه ، والقَسْوةُ لا تخرج عما تحت ثيابه . ساق في البريد زماناً وهو بالكوفيّة البيضاء ، وشوته المهامةُ وما سَوَّتْهُ بالرمْضاء . وكان السُلطان يَندبه في مَهمَّاته ، ويأمْنَهُ على أسراره في مُلمَّاته .

وكان الأميرُ سيف الدين تنكز يدعوه « ابني » تارة بالعِربي ، وتارة بالتركي ، وكُلما جاء في البريد أعطاه فَرْوة[٣] قَرظيّة بغشا كَمْخا[٤] على الدوامِ ، ولما طَال ترداده ، وقضى الأشغال أَلْبَسه السُلطان الكلوتة ، ولّما أراد السُلطان أمساك تنكز جهّز بهادر حَلاوة في البريد إلى طُشتمر بصفد ، وحضر معه إلى دمشق ، ولّما أحاطوا بباب النّصر ، وجَرى ما جرى ، وخرج إليهم تنكز ومَشى ومَشَوا جميعاً ، ولم يَجْسُر أحدٌ على كلامه ، فقال بهادر هذا بالتركي : يا أُمراء عَجلّوا بالمشي ، فقال له تنكز : أنت الآخر يا رُوسي[٥] ، وضربه بالمقرعة على أكتافه . ولّما قبض عَليه وقيّد أخذ سيفه وتّوجه به إلى السُلطان ، فوعده بطبلخاناه .

---

* الوافي : ٣٠٢/١٠ ، والدرر : ٤٩٧/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣٤/٣ .

(١) الأوشاقي هو الذي يتولّى ركوب الخيل للتسيير والرياضة . وفي المنهل : « أوجاقي » .

(٢) في الوافي ، والمنهل : « ضربة بالمقرعة » .

(٣) في الأصل : « مرّة » ، ولا وجه لها ، وعبارة الوافي : « فروقرظ » ، والقرظ : الجلد المدبوغ .

(٤) عبارة الوافي والمنهل : « مغشّىً بكمخا » ، والكمخا : نوع من القماش يلبس في الشتاء .

(٥) في الوافي : « يا روبسي » ، وفي حاشيته من نسخةٍ للأعيان : « يا رومي » .

ولَمّا حضر الأميرُ علاء الدين ألطنبغا إلى دمشق تأمَّر بَهادر حلاوة طبلخانه ، ورَسم له السلطان أن يكون مُقدَّم البريدية بالشام ، فأقام على ذلك مُدّة ، ثم إنّ ألطُنبغا ولاّه برّ دمشق ، فأقَام به مُدة ، وخَدّم الأميرُ سيف الدين قطلوبغا الفخري أتمَّ خِدْمَة لمّا كان على خان لاجين ، ولم يزل على ذلك إلى أن توجّه النّاصر أحمد إلى القاهرة ، فقطع خبْزَه ثم أُعيد إليه .

ولمّا حضر الأميرُ علاء الدين أيدغمش إلى دمشق نائباً خرجَ إقطاع بهادر حلاوة لأحد أولاد أيدغمش ، ثم أُعيد له إقطاعٌ آخر بالإمْرَة ، وأقام على ولاية البرّ إلى أن حَضر الأمير سيف الدين طقزتمر إلى دمشق نائباً ، فوَرد المرسوم مِنْ مِصْر[1] بنقلةِ حَلاوة إلى أُمراء حلب ، فتوَّجه إليها وأقام بها مُدَّة تُقارب الأربعة أشهر أو أكثر ، إلى أن ذاق حلاوة عِلاقِ الموت ، وحَصَل لوجوه العدم والفوت ، وذلك في ثلاث عشر صفر سنة أربعٍ وأربعين وسبع مئة .

قَيل بين الأَسْمَا وبَيْنَ المُسَمّى ... نسبَةٌ تَكتسي بذاك طَلاَوَهْ
قُلتُ هذا ماصَحَّ عندي لأنّا ... كَمْ رأينا مَرَارةً مِنْ حَلاوه

٤٨٣ - بهادر*

الأمير سيف الدين بَهادر الدواداري .

أول مَاعرفت من أمره أنه كان في ولاية صيدا وكان يخدمُ النّاس كلَّهُم ، ويُحسن إليهم ، خصوصاً العسَكر الصّفدي الذي يحضر للبزك بصَيدا في كل شهر ، ولمّا مات تنكز عُزِلَ من صيدا بعد ما أقام بها مُدّة زمانيّة ، وتولّى نابلس وهو على ذلك المِنوال ، ثم

---

(١) في الوافي : « فورد مرسوم السلطان الملك الصالح » .

* الوافي : ٣٠١/١٠ ، والدرر : ٤٩٨/١ .

تولى كَرْكَ نوح بالبقاع[١] ، ثم عُزل وَوُلِّي أستاذ دَارية السّلطنة بدمشق ، وهو بطال بلا إقطاع ، ثم أُنْعِمَ عليه بعشرة أرماحٍ[٢] في أيام أرغون شاه .

ولم يزل عليها في الوظيفة المذكورة إلى أن دار الموت بالدَّوَاداري ، وأصبح زَندُ المنية فيه وهو وَاري ، وذلك في يوم عرفة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكان شيخاً طويلاً تام الخَلْق حَسنَ الشكلِ والخُلُق ، كأنّ الوَردَ في وجهه تَفتّح والياسمين من شيبَه بَعارضيه مُجنّح .

٤٨٤ - بهادر*

الأمير سيف الدين التقويّ الساكن بدرب السُوسي .

كانَ أحد أمراء الطَبلخاناه بدمشق ، وأظنه كان أوّلاً بالقاهرة ، وله دار على بِرْكة الفيل في أول الجبَّانية ، وكان قد جُرِّد من دمشق إلى الرحبة ، فأحسن إلى العسكر الذي كان معه ، وأثنوا عليه ثناءً كثيراً .

توفي رحمه الله تعالى وهو عائد من الرحبة بالقريتين في نصف شعبان سنة ثلاثين وسبع مئة ، وحُملَ إلى دمشق في محفة ، ودُفن بالقُبيْبَات[٣] .

٤٨٥ - بهادر بن أولياء بن قرمان**

الأمير سيف الدين ، أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق ، سكنُه بالقُبَيبات بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى في أوائل صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

---

(١) في الوافي : « كرك نوح والبقاعين » .

(٢) عبارة الوافي : « ثمّ أعطي إمرة عشرة » .

* الدرر : ٤٩٨/١ .

(٣) هو اليوم حيّ الميدان الفوقاني .

** الدرر : ٤٩٥/١ .

وأُعطي إقطاعُه للأمير زين الدين زُبَالة الفارقاني نائب قلعة دمشق ، وأعطيت العشرة التي كانت معه لغرس الدين خليل بن قرمان .

٤٨٦ - بوسعيد*

ملك التتار ، القان بن القان محمّد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هُولاكو المُغْلي ، صاحب العراق والجزيرة وأذربيجان وخُراسان والروم ، والناس يقولون فيه أبو سعيد ، على أنّه كنية[١] ، والصحيح أنه عَلَم[٢] ، هكذا رأيت كُتُبَه التي كانت تَرد[٣] على السُلطان الملك النّاصر محمّد ، يكتبُ على ألقابه الذهبيّة « بُوسعيد » باللاّزورد الفائق ، ويُزَمَّكَ بالذّهب .

لمّا وقعت المُهادنة والصّلح بينه وبين صاحب مصر أراد السُلطان أن يَبْتدئه بالمُكاتبة ، فبقي السُلطان يطلب كاتب السِّر القاضي علاء الدين بن الأثير بالْمُكاتبة ، وهو يقول له : يا خُوند إنْ كَتبنا له « الملوك » قد لا يكتب « الملوك » وإن كَتبنا له والده أو أخوه فهو قَبيحٌ . ثم قال له بعد شهر : يا خوند رأيت أنّا[٤] نكتب موضع الاسم ألقابَ مولانا الشّيخ السُلطان بالطومار ذهباً ، ونكتب على الكل « محمّد » بالذهب أيضاً نسبة طُغْرَة المناشير[٥] ، فقال : هذا جيد ، وجهّز الكتاب على هذا الحكم ، وعاد الجَوابُ كذلك خَلا « بوسعيد » ، فإنّها كانت باللازَوَرْد المليح المعدني ، فقال السُلطان : ونحن نكتبُ كذلك ، فقال القاضي علاء الدين بن الأثير : يا خوند

* الوافي : ٣٢/١٠ ، والبداية والنهاية : ١٧٤/١٤ ، والدرر : ٥٠١/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، والمنهل : ٤٤٢/٣ ، وفيه « وقيل بوصعيد بالصاد المهملة » .

(١) في الوافي : « كنيته » .

(٢) عبارة الوافي : « علمٌ ، بلا ألف » .

(٣) في الوافي : « ترد منه » .

(٤) في الوافي : « أنْ » .

(٥) الطغرة : وصل كان يوضع بين الطّرة والبسملة ، وترد فيه ألقاب السلطان فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطغراوات واحدة ، وألصقها فيما كتب به ، وهي كلمة أعجمية .

لأنّا نكون قد قلّدناهم ، فاستمرّت المكاتبة بينهما كذلك إلى أن تُوفي بوسعيد رحمه الله تعالى .

وكان شاباً مليحا ، لا يُرى في المكارم طَليحا ، مُسْلِماً ، إلى الخير مُسلّما ، مُعلماً بالجود وللسُكون مُعَلّما ، كتب الخَطّ المنسوب ، ودخل في ذلك العدد المحسوب ، ورأيت خَطَّه على (ديوان أبي الطيّب) كأنّه باكورة زهرٍ غبّ القَطرِ الطيِّب ، وأجاد الضرب بالعود ولعبَ به ، فكانت يمينه سَحابةً تُقَهْقِهُ منها الرّعود ، وصنّف مذاهب في النغم ونُقِلَتْ عنه ، ورَوَاها أولو النغم وتداولوها ، وأصْلُها منه ، وأبطلَ كثيراً من المُكوس[1] وأطلق جماعة من الحبوسُ ، وأراق الخُمورَ ، وصَمَّمَ في مَنْ شَربَها على أُمور ، وهَدَم مَا في بغداد من الكنائس ، وتتبّع مَن له في دين الإسلام دَسَائس ، وخلع على مَن أسلم من[2] الذّمه ، وجعل الترغيب في الدخول للإسلام مِنَ الأُمور المُهّمه ، وأسقط ما في ممالكه من مُكوسِ الثمار ، ولم يدع فيها أحداً يتعرَّض لهذا السبب إلى أَخْذِ دَرْهم ولا دِينار ، وَوَرَّث ذَوي الأرحام ، ولم يأخذ منهم لبيت المال نصيبا ، وَأصبح في هذه المسألة لأبي حنيفة رضي الله عنه نسيبا ، إلاّ أنه كانت به عُنّةٌ ، لا يجد له منها سوى بغداد جُنّة[3] ، وهو كان آخر بيتِ هُولاكو وبانقراضه انقرضوا ، ونكثوا حَبل الملك ونَقَضُوا .

ولم يزل في سعة مُلْكه والفرح بما في فُلْكه إلى أن زعزع الموتُ أركانه ، وحرّك كلّ قلب لما رأت العينُ إسكانه .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في الأُردو بأذربيجان في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وقد أناف على الثلاثين سنة .

وكانت دولته عشرين سنة ، ولم تقم بعده لملوك المُغْل قائمة .

---

(١) في الوافي : « أبطل بوساطة وزيره محمد بن الرشيد مكوساً كثيرة » .

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في : الوافي ، وهي أشبه .

(٣) بغداد هي زوجه ، بنت النوين جوبان ، والجنة الستر والغطاء .

وكان جلوسُه على التخت في مستهل جمادى الأولى سنة سبع عشرة وسبع مئة بمدينة السُلطانيَّة[١] ، وكان عُمره يومئذ إحدى عشرة سنة والله أعلم .

وكان قبل موته بسنة قد حجَّ الركبُ العراقي ، وكان الْمُقدم عليه ، بطلاً شجاعاً ، ولم يمكِّن أحداً من العُربان يأخذون من الرَكب شيئاً ، فلما كانت السنة الآتية خرجت العُربان على الركب ونَهبُوه ، وأخذوا منه شيئاً كثيراً ، فلما عادوا شكوا إليه ، فقال : هؤلاء في مملكتنا أو في مملكة النّاصر ؟ فقالوا : لا في مملكة الناصر ولا في مَمْلكتك[٢] إنما هؤلاء في البريّة ، لا يحكم عليهم أحدٌ ، يعيشون بقائم سيفهم مِمَّن يمرُّ عليهم ، فقال : هؤلاء فقراء ، كم مقدارُ ما يأخذون من الركب نحن نكون نحمله إليهم من بيت المال مِنْ عِنْدِنا كُلَّ سنة ، ولا ندعهم يأخذون من الرعايا شيئاً ، فقالُوا له : يأخذون منهم ثلاثين ألف دينار ، ليراها كبيرة[٣] فيَبطلها ، فقال : هذا القدر مَا يكفُّهم ولا يَكْفيهم ، اجعلوها كلّ سنة ستين ألف دينار ، وتكون تُحْمَل صُحْبَة مسفّر[٤] من بيتَ المال من عندنا مع الركب ، فمات من سنته ، رحمه الله تعالى ، وجَرَتْ بَعده أمورٌ يطول شرحها ، ولما بلغت وفاتُه السُلطان الملك الناصر قال : رحَمه الله تعالى ، والله مَا بقي يجينا مثل بوسعيد .

٤٨٧ ـ بولاي النوين التتري*

أحد مُقدَّمي التتار الذين حَضروا مع غازان ، اسمه على الصحيح « مولاي » وإنما الناس يُحَرّفونه تهكماً به وبأمثاله كما يقولون في خَداي بَنْدَا : خَرِبَنْدا[٥] .

(١) في الأصل : « السلطنة » ، ولا وجه لها ، وما أثبتناه موافق لما في الوافي والمنهل .

(٢) قوله : « فقالوا » ، حتى ههنا سقط من الوافي .

(٣) في الوافي : « كثيرة » . وفي المنهل : « كثيراً » .

(٤) في الوافي : « متسفرّ » .

* انظر : بعض أخباره في عقد الجمان : ٤٤/٤ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٨٢ ـ ٢٨٤ ، وتذكرة النبيه : ٢٤٥/١ ، حوادث سنة (٧٠٢هـ) .

(٥) هو خر بندا بن أرغون (ت٧١٦) ، الشذرات : ٤٠/٦ .

لما أراد غازان العَوْدَ من دمشق بعد ما مَلكها إلى بلاده ، ورتَّب الأمير سيف الدين قَبجق نائب دمشق وجعل الأمير سَيف الدين بكتمر السلاح دار نائب حَلب والأمير فارس الدين البكي نائب السواحل كُلّها وزَكريا بن الجلال وزيراً يَستخرجُ الأموال من دمشق ، وحلب وطرابلس ، جعل بُولاي هذا مقيماً بجماعة من عسكر التّتار رَدْءاً لهؤلاء النّواب إلى أن يستخدموا لَهُم جُنداً ، فنبتْ ببولاي الدار ، وضاق عطنه من المقام بأرض الشام ، وتذكر هو وقومُه بلادهم وجنى له من دمشق جِناية لما قدم من الغَوْر في العشر الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **البيابانكي :** أحمد بن محمّد .

☆ **ابن البيّاعة :** شمس الدين محمّد بن عثمان .

وجلال الدين محمّد بن سَليمان .

٤٨٨ - بيبرس*

الملك الْمُظَفّر ركن الدين البرجُيّ الجاشنكير المنصوري ، وكان يعرف بالعُثماني .

كان أبيض أَشْقَر مُستدير اللحية أزهَر ، فيه عَقْلٌ مُوَفّر الأقسام ، ودِينٌ لا يدعُهُ يقعُ في محظورٍ ولا حرام . يتجنّب الفواحش ويُحَاذيها ، ويقول :

إنَّ السلامة من ليلى وجَارتِها ... أن لا تَمُرَّ بوادٍ من بوادِيها

شاع عنه ترك الْمُحَرّمات وذَاع ، وملأ الأقطار والأسماع ، خَلا أنّه لم يُرزَق في مُلْكه سَعْداً ولا أَنْجَزَ اللهُ له من طُول الْمُدّة وَعْدا ، وخانه سُفرآؤه وخَبُثَ عليه أمَراؤه

* الوافي : ٣٤٨/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٥٧ ، والدرر : ٥٠٢/١ ، وبدائع الزهور : ٤٣٤/١/١ ، والمنهل الصافي : ٤٦٧/٣ .

وأسلَمُوه وقفزوا ، وتركوه فَرْداً وتَميَّزوا ، فَولَّى مُدْبراً ولم يُعَقِّب ، وخرج من مصر نحو الصعيد خائفاً وهو مترقِّب ، إلى أن ضاقت عليه الأرض بما رَحُبَت[١] ، واصفرَّت شمسُ سُعُوده وشَحبت ، فعاد وقد استسلم للطاعه ، وبَذل في رضى الله جُهْدَ الاستطاعه ، وكانت أمواله لا تُحصى ، وأوامرُه لا تُعصى ، وله قبل السّلطنة إقطاعٌ كبيرة فيه عِدَّة طَبلخانات .

وكان أستاذ الدار للملك الناصر محمّد بن قلاوون ، وكان سَلاّر النائب ، فحكما في البلاد وتصرَّفا في العباد ، والسّلطان له الاسمُ لاغير ، وكانوا نوّاب الشام خوشداشيته[٢] ، وحِزْبُه مِن الْبُرْجيّة .

ولّما توجّه السّلطان الملك الناصر محمّد إلى الحجاز وردّ من الطريق إلى الكرك وأقام بها وأظهر لهم أنّه ترك الملك ، لَعِبَ الأمير سيف الدين سَلاَّر بالجاشنكير وسَلْطَنَهُ[٣] ، وتسمّى بالمظفّر وفوّض الخليفةُ إليه ذلك ، وأفتاه جماعةٌ من الفقهاء بذلك منهم الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، والشيخ شمس الدين بن عَدْلان ، حتى قيل في ذلك :

ومَنْ يكنِ ابنُ عَدْلانٍ مُدبِّرهُ وابنُ المرّحل قُل لي كيفَ يَنْتَصِرُ

وكُتِبَ عَهدُه عن الخليفة ، وركبَ بخِلْعَةِ الخلافة السوداء والعمامة المدوّرة ، والتقليدُ على رأس الوزير ضياء الدين النشائي[٤] ، ونَاب له سَلاّر ، واسْتَوْسَقَ له الأمر ، وأطاعه أهلُ الشام ومصر ، وحلفوا له في شوال سنة ثمان وسبع مئة ، ولم يزل إلى وسط سنة تسعٍ ، حصَل للأمير سيف الدين نُغَاي[٥] وجماعة من الخواصّ نحو[٦] المئة ،

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ [التوبة : ٢٥/٩] .

(٢) في المنهل : « حجداشية » .

(٣) في المنهل : « وحسن له السلطنة حتى تسلطن » .

(٤) هو أبو بكر ، وقد ترجم له المصنف في حرف الباء .

(٥) في الأصل : « بغاي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي ، ونغاي : هو الأمير سيف الدين الجمدار ، ستأتي ترجمته .

(٦) في الأصل : « ونحو » ، ولاتستقيم العبارة ، وأثبتنا ما في الوافي .

وخَامروا عليه إلى الكرك ، فخرج النّاصر من الكرك وحَضر إلى دمشق وسَار في عسكر الشام إلى غزة فجهّز المُظَفَّرُ يَزَكاً قَدَّم عليهم الأمير سيف الدين بُلُرغي[١] فَخَامر إلى الناصر ، فذَلَّ المُظفّر ، وهَرَبَ في مَمَاليكه نحو الغرب ، ثم إنه رجع بعدَ ما استقر المَلَكُ النّاصر في قلعة الجبل ، فذُكر أنّ قراسُنقر ضرب حَلقةً بالقرب مِنْ غزة لمّا خرج من مصر نائباً في دمشق ، فوقع في الحلقة الجاشنكير المذكور ومعه نحو ثلاث مئة فارس ، فتفرق الجماعة عنه في ثامن ذي القعدة سنة تسعٍ وسبع مئة ، رَجع بنفسه معه على الهُجن إلى مصر والأمير بهادرآص ، فوصلا به إلى الخَطَّارة ، وتَسلَّمه مِنهما الأمير سيف الدين أُسْندمُر ، وردّهما لأن السُلطان كان قد جَهّز يقول للجاشنكير : تروحُ إلى (صهيون) فهي لك ، فتوّجه في البرّيّة ، فوقع به قراسنقر ، وكتب إليه فيّما بلغني مِمّن له اطِّلاع : الذي أعرّفك به أنني قد رجعتُ إليك لأقلّدك بغيك ، فإن حَبَسْتَني عَدَدْتُ ذلك خَلوة ، وإن نَفَيْتِني[٢] عددت ذلك سَياحة ، وإن قتلني كان ذلك شهادة[٣] .

فَعيَّنَ له صهيون فسار إليهما مرحلتين ، ثم إنه ردَّه ، وأحضره قُدَّامَهُ وسَبَّهُ وعنَّفه ، وعَدَّد عليه ذُنُوباً ، ثم إنه خَنَقَهُ قدّامه بوتر إلى أن كاد يفارق[٤] ، ثم أطلقه من الخِناق حتى أفاق وعنَّفه وزاد في سَبّه ثم خنقه .

ومات رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وسبع مئة ، وقيل : سَقاه سُمّا فهلك من وقته .

وعلى كلّ حالٍ فما جَاشتْ نَفْسُ الجاشنكير ولا جَشَأت ولا عَبأت بوارد الموت ولا خَسأت[٥] .

---

(١) في الوافي : « برلغي » ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) في الوافي : « هجّجتني » .

(٣) في الوافي والمنهل : « لي شهادة » .

(٤) في الوافي والمنهل : « يتلف » .

(٥) أي : بَعُدَت ، وفي قوله السابق إشارة إلى قول عمرو بن الإطنابة :

أبت لي همتي وأبى بلائي ... وكسبي الحمد بالثمن الربيح

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

عَمّر الجامع الحاكمي[١] بعد الزلزلة ، ووقف عليه الأوقاف والكُتب النفسية الكبيرة ، وكتب له ابنُ الوحيد[٢] ختمة في سبع أجزاء بقلم الأشعار ذهباً ، أخذ لها ليقةً ألف وست مئة دينار ، وزمَّكها وذهبّها صَندلُ المشهور ، وغرمَ عليها جملةً من الأجْر ، ومَا أظنّ أنه بقي يتهَيّأ لأحدٍ أن ينشئ مثلها ، ولا مَنْ تَسْمُو همته إلى أن يغرَم عليها مثل ذلك .

وكانت سَلطنته عصر يوم السبت ثالث عشري شوال سنة ثمان وسبع مئة بالقاهرة ، وجعل الأمير سيف الدين بلرغي مكان الجاشنكير ومكان بلرغي الأمير سيف الدين بتخاص ، ومكان بتخاص الأمير جمال الدين بن آقوش نائب الكرك .

وعمّر الخانقاه الركنية[٣] التي في رُحَيبة العيد مُجاورة لخانقاه سعيد السعداء[٤] ، ورتّب لها فيما قيل أربع مئة صُوفيّ ، وصَنع داخلها للفقراء بيمارستانا . ولما حضر السلطان الملك الناصر من الكرك لم يستمرّ لها إلاّ بمئة صُوفي لاغير ، وكان في كل قليل يُؤخذُ من حاصلها السُبعون ألفاً والخمسون ألفاً والأقل والأكثر .

وكنتُ قد قلتُ فيه رحمه الله تعالى :

تَثَنَّى عطْفُ مصرٍ من قدوم الـ ... مَليك النّاصر الندب الخَبير[٥]

---

(١) ويقال : جامع الأنوار ، موقعه بين باب النصر وباب الفتوح ، بناه الخليفة الفاطمي العزيز بالله (ت ٣٨٠) ، وأتمّه الحاكم بأمر الله سنة (٤٠٣ هـ) . خطط المقريزي : ٢٧٧/٢ ، والنجوم : ١٤٠/٨

(٢) شرف الدين محمد بن شريف ، ستأتي ترجمته .

(٣) وتعرف أيضاً بالخانقاه البيبرسيّة ، قرب باب النصر . خطط المقريزي : ٢٧٦/٤ ، وحسن المحاضرة : ٢٦٥/٢ .

(٤) كانت داراً تعرف بدار سعيد السعداء قنبر عتيق الخليفة للمستنصر الفاطمي (ت ٥٤٤ هـ) ، ثم جعلها صلاح الدين الأيوبي وقفاً على الصوفية سنة (٥٦٩ هـ) ، وهي أول خانقاه عملت بمصر . خطط المقريزي : ٢٧٣/٤ ، وحسن المحاضرة : ٢٦٠/٢ .

(٥) وقع في حاشية الوافي نقلاً عن بعض الأصول الخطية للأعيان لفظ البيت هكذا :

تثنّى عطف مصرٍ حين وافى ... قدوم الناصر الملك الخبير

وهي رواية المنهل الصافي .

فـــذلّ الجـــاشْنَكيرُ بـــلا لقـــاءٍ وأمسَى وهـــو ذو جـــــاشٍ نكيرِ
إذا لم تَعْضُـــد الأقـــدارُ شخصـــاً فـــأوَّلُ مَـــا يُراعُ من النصير

٤٩٠ - بيبرس*

الشيّخ المُسند الكبير الجليل علاءُ الدين أبو سعيد بن عبد الله التركي العديمي مولى الصّاحب مَجد الدين بن العديم [١] .

ارتحل مع أستاذه ، وسمع ببغداد (جزء البانياسي) من الكاشغَري [٢] ، و (جزء العَيسوي) [٣] من ابن الخازن [٤] و (أسباب النُزول) من ابن أبي السهل [٥] . وتفرد بأشياء ، وسمع من ابن قَميره [٦] .

وحَدّث بدمشق وحلَب . وسمع منه علمُ الدين البرْزَالي ، وابن حَبيب ، وأولاده [٧] ، والواني [٨] ، وابنُ خلف ، وابن خليل المكي ، وغدّه .

وكان مليح الشكل أمّيا ، غير فصيح ، أعجميا ، لم يزل يُسمعُ إلى أن عُدم العُديميّ وفُقِدْ ، وزَيّف الموتُ صَرفه وما انْتُقِد .

ووفاته بحلب سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده في حدود العشرين وست مئة .

---

(١) محمد بن عبد الرحمن ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) البانياسي هو مالك بن أحمد بن علي بن إبراهيم البانياسي البغدادي (ت ٤٨٥) . السير : ٥٢٦/١٨ . والكاشغري إبراهيم بن عثمان بن يوسف (ت ٦٤٥ هـ) .

(٣) علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي (ت ٤١٥ هـ) . السير : ٣٢١/١٧ .

(٤) محمد بن سعيد بن أبي البقاء النيسابوري (ت ٦٤٣ هـ) . السير : ١٢٤/٢٣ .

(٥) في المنهل : « أبي سهل » .

(٦) في المنهل : « ابن أبي قميرة » .

(٧) ابن حبيب : هو عمر بن حسن بن عمر (ت ٧٢٦ هـ) ، وستأتي ترجمته ، ومن أولاده : الحسن ، وهو الأديب المؤرخ المشهور (ت ٧٧٩ هـ) . الدرر : ٢٩/٢ ، والشذرات : ٢٦٢/٦ .

(٨) محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الحنفي (ت ٧٣٥ هـ) .

٤٩١ - بيبرس*

الأمير ركن الدين الشرفيّ المنصوري المعروفُ بالمجنون .

توجّه بالناس إلى الحج في سنة ست وسبع مئة ، ولَّما أُمسك الأمير سيف الدين كراي المنصوري نائب دمشق توجّه بالأمير رُكن الدين والأمير سيف الدين أغرلو العادلي إلى الكرك في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشري شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان سكنه بالزّلاقة داخل الباب الصغير ، وكانت وفاته بحمص .

٤٩٢ - بيبرس**

الأمير ركن الدين التّلاوي ، بكسر التاء ثالثة الحروف وبعدها لام ألف وواو بعدها ياء النسب .

كان أميراً ذا مهابه ، وشدّة بأس[1] تروع أعداءه وتروقُ صحابه ، ولي شَدَّ دمشق بصرامة وحرمةٍ أوقدت ضِرامه ، فخافه المباشرون وغيرهم ، وطار من خوفه طيرهم .

ولم يزل على حاله إلى أن بردت أنفاسُه ، ونُفضت من الحياة أحلاسُه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في تاسع شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبع مئة .

وكان فيه ظلمٌ وعَسْفٌ ، وفَرِحَ الناسُ بموته ، وباشر الشدّ بَعْدَهُ الأمير شرف الدين قيران[2] عقيب وُصَوله من طرابلس .

---

* الدرر : ٥٠٩/١ .

** الدرر : ٥٠٨/١ ، وعقد الجمان : ٣٤٠/٤ ، وفيات (٧٠٣ هـ) ، والنجوم الزاهرة : ٢١٢/٨ .

(١) في الأصل : « وشدّة وبأس » ، ولا وجه للواو ههنا .

(٢) في الأصل : « قيدان » ، تحريف ، وستأتي ترجمته .

٤٩٣ - بيبرس*

الأمير ركن الدين المُوفقي المنصوري ، كان من عتقاء الملك الأشرف .

كان قد ولي النيابة بَغزه ، وجعل لها بإمرته فيها طرباً في عِطفها وهَزّه ، وكان كبير القدر معظّما ، ومعاليه تُرى على جيد الزمان عِقْداً مُنَظَّما ، ثم عُزل من غزة وأقام بدمشق إلى أن بانت حياتُه ، وقطف ثمر عُمْره جُنَاته .

وتُوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة ، وحضر الأمراءُ جنازته وتولّى غَزّة بعده أقجبا المنصوري .

٤٩٤ - بيبرس**

الأمير ركن الدين العلائي .

كان مِنْ جُملة أمراء دمشق ، توجَّه منها يوم السبت سابع عُشري شوّال إلى غزّة نائباً عوضاً عن الأمير سيف الدين أقجبا المنصوري ، وذلك في سنة سبع وسبع مئة ، فأقام بها إلى أن عُزل منها في صفر سنة تسع وسبع مئة بالأمير سيف الدين بَلْبان البدري ، فأقام بدمشق على إمرته مُدَّةً ، ثم وصل إليه تقليدُه بنيابة حمص في سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فتوجه إليها وأقام بها إلى أن قبض السُلطان عليه بحمص في بُكرة الأحد تاسع شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

وورد إلى دمشق فأمسكه الأمير سيف الدين قجليس[1] ، وأمسك الأمير بدر الدين القرماني[2] والأمير سيف الدين طُوغان والأمير رُكن الدين بيبرس المجنون ،

* الدرر : ٥١٠/١ ، وعقد الجمان : ٣٧٥/٤ ، وفيات (٧٠٤ هـ) ، والسلوك : ١٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٨١/٣ .

** الدرر : ٥٠٩/١ .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) هو بدر الدين بكتوت ، وقد سلفت ترجمته .

والأمير علم الدين سنجر البرواني[١] والأمير ركن الدين بيبرس التاجي[٢] والأمير سيف الدين كَشلي ، وتوجّهوا بهم إلى الكرك[٣] ، وكان قد باشر الحجوبيّة في سنة أربع وسبع مئة .

٤٩٥ - بيبرس*

الأمير ركن الدين الجَالق الصالحي المعروف بالعجمي .

كان أميراً كبيراً من الجمدارية في أيام الصَّالح ، وأمَّرهُ الظاهر ، وكان كثير الأموال ، ودُفن بظاهر القُدس .

وكان قد تُوفي رحمه الله تعالى بظّاهر الرملة في نصف جُمادى الأولى سنة سبع وسبع مئة .

٤٩٦ - بيبرس**

الأمير ركن الدين الحاجب .

كان أولاً أمير آخور ، فلَّما حضر السُلطان مِن الكرك عزلَهُ بالأمير أيْدَغْمشُ المذكور في حرف الهمزة ، ثم إنَّه ولاَّه الحُجْبة ، فكان حاجباً إلى أن جُرِّدَ إلى اليمن هو وجماعةٌ من العسكر المصريّ ، فغاب مُدَّة باليمن ، ولّما حضر نقم السُلطان عليه أموراً نُقلت عنه[٤] ، فاعتقله في حادي عشر ذي القعدة[٥] سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) والي القاهرة في الأيام الناصرية ، وتولّى دمشق إلى أن قبض عليه . الدرر : ٥٠٧/١ .

(٣) البداية والنهاية : ٦٥/١٤ .

* الوافي : ٣٤٨/١٠ ، وعقد الجمان : ٤٨٠/٤ ، وفيات (٧٠٧) ، والدرر : ٥٠٨/١ ، والمنهل الصافي : ٤٧٤/٣ . وفيه : « والجالق : صفة للفرس إذا كان قوي النفس كثير اللعب » .

** الوافي : ٣٥١/١٠ ، والتحفة : ٢٤٤/٢ ، والدرر : ٥٠٨/١ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٠/١٠ .

(٤) في الوافي : « إليه » . وفي المنهل : « إليه عنه » .

(٥) في الأصل : « عشري القعدة » ، وأثبتنا ما وقع في حاشية الوافي نقلاً عن بعض الأصول الخطية للأعيان .

وكان قبل تجر يده إلى اليمن قد حضر إلى دمشق نائباً مدة غيبةِ الأمير سيف الدين تنكز بالحجّاز ، ولما حضر الأمير سيف الدين تنكز عاد إلى مصر قبل وُرَوده بيومٍ أو يومين ولم يعلمْ أحدٌ بخروجه ، ثم إن السُلطان أفرج عنه . وكان الإفراج عنه في شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة من الإسكندرية ، وجَهّزه إلى حلب أميراً ، فبقي هناك مُدّة .

ولّما توجّه الأمير سيف الدين تنكز إلى مصر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة طلبه من السُلطان ، فرسم له بالحضور إلى دمشق ، فحضر إليها ونزل بدار أيدغدي شقير ومَلكها ، ولم يزل بدمشق مقيماً إلى أن توجه الفخري[1] هو وطشتمر إلى مصر ، فأقرَّه على نيابة الغيبة بدمشق هو والأمير سيف الدين أَلْمش الحاجب ، وكان الملك النّاصر أحمد يكتبُ إليه وكان قد أسنّ ، وحصَلَ لهُ في وجهه ماشرى[2] ، فما علم بعدها ما باع من الحياة ولا ماشرى .

وتوفي بعدها بجمعة في شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وله دار مليحة بالقاهرة داخل باب الزُهُومَة في رأس حارة زويلة مشهورة ، وهو والدُ الأمير علاء الدين أمير علي الحاجب الآتي ذِكره إن شاء الله تعالى .

٤٩٧ ـ بيبرس*

الأمير ركن الدين الدوادار المنصوري الخطائي[3] .

كان رأس الميسرة ، وكبير الدولة . عَمِل نيابة السلطنة ، ثم إنه سُجِن مُدّةً ، وأُفرج عنه وأعيد إلى منزلته .

(١) هو قطلوبغا ، كما في الوافي .

(٢) يقال : شرى الله فلاناً : أصابه بعلّة الشَّرى لبثُورٍ صغارٍ حُمْرٍ حَكّاكةٍ .

* الوافي : ٣٥٢/١٠ ، والدرر : ٥٠٩/١ ، والشذرات : ٦٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٧٧/٣ .

(٣) في الوافي : « الخطاي » .

وكان فاضلاً في أبناء جنسه ، عاقلاً لا يستشير في أمره غير نفسه[١] ، وافر الهيبة ، واضح الشيبة له منزلته مكنية عند السلطان ، ومحلّة لا يَشْرَكُه فيها غيره في النُزوح والاستيطان ، يقومُ له إذا أقبل ، ويقول له : اجلس فإنك أكبر من هؤلاء وأنبل .

ولم يزل على حاله إلى أن أمسكه الحينُ فما أفلته ، وسلَّ عليه حسامه وأصلته .

ومات وهو في عشر الثمانين بمصر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

وعمل تاريخاً كبيراً[٢] بإعانة كاتبه ابن كبر النصراني وغيره ، خمسةً وعشرين مجلداً .

وتولّى نيابة مصر في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة بعد بكتمر الجوكندار ، ودُفن بمدرسته التي أنشأها تحت قلعة الجبل ، وحضر جنازته نائب السلطان والأمراء ، وأعتق مماليكه وجواريه ، وفرّق خيلهُ .

وكان يجلس رأس الميسرة وكان قد أمسك هو والأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، والأمير سيف الدين سُنقر الكمالي ، وحَبَسوا في برجٍ بالقلعة ومعهم خمسة أمراء غيرهم .

٤٩٨ - بيبرس*

الأمير ركن الدين حاجب صفد ، كان منسوباً إلى سلاَّر .

أخرجه السُلطان الملك النّاصر محمّد إلى صفد بعد سنة سبع وعشرين وسبع مئة ،

---

(١) يشير إلى قول سعيد بن ناشب :

ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرضَ إلاّ قائم السيف صاحبا

(٢) سمّاه : « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » انتهى فيه إلى سنة (٧٢٤هـ) . الكشف : ٩٥٢ ، والمنهل : ٤٧٧/٤ ، وهو مخطوط كما في الأعلام : ٨٠/٢ .

* الوافي : ٣٥٢/١٠ ، والدرر : ٥٠٨/١ ، والمنهل الصافي : ٤٧٨/٣ .

فأقام بها أميراً إلى أن توفي حاجبها الأميرُ علاء الدين أقطوان الكمالي ، فرسم له بالحجبة مكانة .

ولّما رسم السُّلطان الملك الناصر للأمير بهاء الدين أصلم بنيابة صفد رسم لبيبرس أن يكون في دمشق أميراً حتى لا يجتمعا ، لأنّ أصلم كان سَلاريّا .

ثم إنّه بعد موت النّاصر محمّد طلب الْعَوْدَ إلى صفد ، وعاد إليها حاجباً ، وكان عاقلاً خبيرا ، يصلح أن يكون مدبّراً ومشيرا ، عديم الشر وَادِعا ، قائلاً بالحقّ صادعا ، له نعمةٌ وسعاده ، وفيه الحُسنى وزياده .

ولم يزل بصفد إلى أن هيل عليه تُرابه ، وفقده ذوَوُه وأصحابه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في أول شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

٤٩٩ - بيبرس*

الأمير ركن الدين الأحمدي أمير جاندار .

كان من أعيان الدولة في أيام السُلطان الملك الناصر ، وهو أمير جاندار مقدم ألف ، وكان أحد الأبطال ، يَعْجَزُ من مقاومته أبو محمد البطّال[1] عنده قوةُ نفس وعزم ، وسُوءُ ظَنٍّ بالدهر وحَزم ، قد حلبَ الدهرُ أشطرَه[2] ، وقرأ مِنْ ريبه أسطره ، مع ما فيه من محبّة الفقراء ، وإيثار الصلحاء .

وعَنده من مماليكه رجالٌ يُمْلأ بهم في الحروب سِجال ، ويقدَّمون على الأسود في غابها ويُجيْلون بين نفوس الأعادي وبين رُغابها[3] ، قد كثر منهم العدد ، وقواهم بالخيل

* الوافي : ٣٥٣/١٠ ، والدرر : ٥٠٢/١ ، والنجوم الزاهرة : ١٤٣/١٠ ، والمنهل الصافي : ٤٧٩/٣ .

(١) عبد الله بن عمرو بن علقمة البطال ، كان على طلائع مسلمة بن عبد الملك في غزواته ، (ت١٢٢هـ) من الشجعان ، دخل الخيال الشعبي ، وأضحى مثلاً في القوّة . النجوم : ٢٧٢/١ .

(٢) مثلٌ يضرب فيمن جرّب الدهر . مجمع الأمثال : ٩٥/١ .

(٣) جمع رُغْب ، وهو الحرص على الدنيا .

والسّلاح والعدد ، فإذا ركبوا زَلْزلوا الأرض ، وجابوا طولَ البسيطة والعرض ، لو صدم بهم جبلاً صدَّعه أو رد بهم على سيل حافر كَفَّهُ عن شأوه وردعه ، لا جرم أنه بهم نجا ، ووجد له من ضيق النّاصر أحمد مخرجا .

وهو أحد من يشارُ إليه في الحلّ والعقد ، بعد الملك النّاصر محمّد ، وهو الذي قوّى عزم قوصُون على إقامة المنصور أبي بكر ، وخالف بُشتاك ، وقال[1] : هذا الذي ولاّه أستاذكم وهو أبوه ، وما اختار الذي تختاره أنت ، وأبوهما أخبر بهما .

ولما نُسِبَ إلى المنصور ما نُسب من اللّهو واللّعب ، واستعمال الشراب حضر إلى باب القصر وبيده دمرتاش ، وقال : أيش هذا اللّعب ؟ فانفلَّ الجماعة الذين كانوا عند السُلطان أبي بكر .

ولّما توفي النّاصر محمد فرغ عن الوظيفة وولّى مكانه أروم بُغَا ، ثم إن الناصر أحمد لما جلس على كُرسيّ الملك ولاّه نيابة صفد ، فخرج إليّها وأقام بها مُدَيْدة ، ولما انهزم الفخري من رمل مصر ، ووصل إلى جينين[2] قاصداً الأحمدي هذا ، وأشار مماليكه عليه بذلك ، ونزل هو من صفد ، ولو اجتمعا ما نال أحدٌ منهما غرضاً ، ثم إنّ الفخري قال : لا ، هذا أيدغمش على عين جالوت هُنا وهو أقربُ ، فجاء إليه فأمسكه ، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة الفخري ، ثم إن الناصر أحمد حَقد على الأحمدي ذلك وهم بإمساكه ، فأحسن بذلك ، فخرج من صفد هو ومماليكه مُلْبَسين عُدَّة السّلاح ، واتّبعهم عسكر صفد فخرج[3] منهم واحد وقتل ركن الدين عمر البتخاصي الحاجب الصغير .

ثم إن الأحمدي قصد دمشق وليس لها يومئذ نائب ، فخرج الأمراء ليلاً لإمساكه فقال : أنا قد جئتُ إليكم غير مُحارب ، فإن جاء أمر السُلطان بإمساكي أمسكوني وأنا

(١) في الوافي : « وقال له » .
(٢) معجم البلدان : ٢٠٢/٢ .
(٣) في الأصل : « فخرج » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

ضيفٌ عندكم ، فأخرجوا له الإقامة ، تلك الليلة[١] ، وأصبح والأمراءُ معه ، وجاء البريد من الكرك بإمساكه فكتب الأمراء إلى السلطان يسألونه فيه وأنَّ هذا مملوكك ومملوكُ والدك ، وهو ركنٌ من أركان الدولة ، ومَالهُ ذنبٌ ، واليوم يعيش وغداً يموت ، ونسأل صدقات السّلطان العَفو عنه ، وأن يكون أميراً بدمشق . فَرَدَّ الجوّاب بإمساكه ، فردّوا الجواب بالسؤال فيه ، فأبى ذلك وقال : أمسكوه وانهبوه ، وخذوا أمواله لكم وابعثوا إليّ برأسه ، فأبوا ذلك ، وخلعوا طاعته وشقّوا العصا عليه .

وبعد أيام قليلةٍ ورد الأمير سيف الدين طقتمر الصّلاحي من مصر مُخْبِراً بأن المصريين خلعوا أحمد[٢] وولّوا الملك الصّالح إسماعيل .

وبقي الأحمديّ مقيماً بقصر تنكز بالمزّة إلى أن وَرد المرسوم له بنيابة طرابلس ، فتوجّه إليها ، وأقام بها قريباً من شهرين ، ثم طُلب إلى مصر ، فتوجّه إليها وحضر عوضه الأمير سيف الدين أروم بُغا نائباً ، ثم إن الأحمديّ جُهِّز إلى الكرك يحاصر النّاصر أحمد فحصره مُدّة ، وبالغ ، فلم ينلْ منه غَرَضاً ، وتوجّه إلى مصر ، وأقام بها إلى أن أتاه الأمر الذي لا يردُه بوّاب ، ولا يحول دونه حِجَاب .

وتُوفّي رحمه الله تعالى في أوائل سنة ست وأربعين وسبع مئة ، ومات وهو في عُشر الثمانين .

ولّما كان في تلك المُدة مقيماً بدمشق جاء حريم طشتمر من الكرك بعد ما نُهِبْن بالكرك وسُلِبْنَ موجودَهنّ ، فدفع الأحمدي إليهنّ مبلغ خمسة آلاف درهم .

٥٠٠ ـ بيبرس*

الأميرُ الصالح الخيّر رُكن الدين أبو أحمد بن عبد الله التركي القيمري ثم الظاهري السّلاح دار .

(١) عبارة الوافي : « وبات تلك الليلة » .

(٢) في الأصل : « أحمدا » .

* الدرر : ٥٠٩/١ .

روى عن ابن المقيّر ، والمكرم بن عثمان ، وغيرهما . ولما كان بمصر لازم الشّيخ شرف الدين الدّمياطي ، واستنسخ بعض مُصَنفاته وسمع (الغيلانيات) على غازي الحلاوي ، وحَصّل بها نسخة . وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والآثار والأدعية المأثورة .

وحدّث بالقاهرة وبدمشق والحجّاز .

قرأ عليه الشّيخ علم الدين البرزالي بعَرفَة « الأربعين » لابن المقيّر ، ثم إنّه ورد دمشق ، ثم إنّه حُبس وقُطع خَبَرُهُ ، ثم أُفرج عنه وانقطع في بيته ، وأقبل على شانه ، وعمل على ما يُرجِّح كفّة ميزانه ، وأقام على ذلك مدّة سنين لا يجتمع بالدولة ، ولا بأحدٍ من أرباب الصَّولة ، ولا يتردد إلى أحد من نواب السلطنة ، ولا يُدانيه ولا يتوجّه إليه ولا يراه ولا يُرائيه ، إلى أن أتاه الأمر الذي يردُ فلا يُرَدّ ، ويصُدّ فلا يُصَدّ .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة أربع وسبع مئة .

٥٠١ - بيبرس*

الأمير ركن الدين الفارقاني نائب قلعة دمشق .

كان شيخاً طويلا ، قديم الهجرة جليلا ، فيه خيرٌ وديانه ، وبرٌّ وصيانه ، أحسن نيابة القلعه ، وخبر ما وجد فيها من سلعه[1] ، ولم يزل بها على حاله إلى أن أنزله الموت من حصنه ، وما أمكنه الفرار ولو علا على ظهور حُصنه .

ووفاته في العشر الأوسط من جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ولّما كان بالديار المصريّة جَهَّزه السُلطان إلى القاضي كريم الدين الكبير ، فتولى

---

* الدرر : ٥٠٩/١ .

(١) أصل معناها التشقق .

ما أمره به ، وكان يُحكى عنه ما عامله به من المكارم وكيف تلّقى ذلك برضىً وتسليم لأمر الله تعالى .

٥٠٢ ـ بَيبَغا*

الأمير سيف الدين الأشرفي .

كان في وقت نائب الكرك فيما بعد العشرين وسبع مئة فيما أظنُ ، ثم إنّه عُزل منها ، وحضر إلى دمشق وجُهّز إلى قلعة صَرْخَد ، فيّما أظنّ أيضاً ، وكانَ قد أضرّ بأُخرة فَعدِم قَمَرَيْه المنيرين ، وفقد نَقْديه البصيرين[١] .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه باريه فلّباه ، وقال نادبه : واربّاه .

ووفاته رحمه الله تعالى في[٢] ...

٥٠٣ ـ بيبغا**

الأمير سيف الدين مملوك الملك المؤيد صاحب حماه رحمه الله تعالى .

كان من جملة أُمراء الطبلخاناه بحماة .

ولم يزل بها على إمرته ، وصُحْبةِ من ارتضاه وعشرته ، إلى أن فقده وَدوُدُه وعاث في لحمه حشرات الأرض ودُوده .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة ست وأربعين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٣٥٥/١٠ ، والدرر : ٥١٢/١ ، والمنهل الصافي : ٤٨٦/٣ . وقال في المنهل : ٤٨٥/٣ : « وبيبغا صوابه : باي بغا ، ومعناه : نور سعيد ، فإن باي بالتفخيم : سعيد بالتركي ، وبغا : هو الثور الهائل » .

(١) في اللسان : « ما زال فلان ينقدُ بصره إلى الشيء إذ لم يزل ينظر إليه » .

(٢) كذا من دون تاريخ في الأصول . وفي الدرر وفاته بعد (٧٣٠هـ) .

** الوافي : ٣٥٥/١٠ ، والدرر : ٥١٣/١ ، والمنهل الصافي : ٤٨٥/٣ .

٥٠٤ ـ بيبغاروس*

الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالديار المصريّة .

أول مَا ظهر وشاع ذكْرُه في الأيام الصّالحية إسماعيل ، وهو الذي جاء في أول دولة الكامل يَطلبُ طقزتمر نائب الشام إلى مصر ، ثم لما قُتل المظفر حاجي ظهر واشتهر ، وباشر النّيابة بمصر على أحسن ما يكونُ وأجمل ما باشره غيره لأنه أحسنَ إلى النّاس وبسط لهم الإيناسُ ، ولم يظلم أحداً ولم يتخذ على من تهتَّك رصدا ، وكان إذا مات أحدٌ أعطى ولده إقطاعه ، وكلٌّ منْ طَلَبَ مِنْهُ شيئاً قال : سمعاً وطاعه ، فأحبّه الناسُ ودعوا ، وحفِظوا عهده ورعوا ، ومَشوا في ركابه وَسَعوا ، وتباركوا بطلعته ، وتقرّبَ كلُّ أحدٍ إليه بنفاق سِلْعته ، وكان الطاعون في أيامه ، وذلك الوباء داخلاً في أقسامه ، فيقال : إنّه كفّنَ مئة ألف أو يزيدون ، وأعطى الإقطاعات للأولاد ، أراد الأمراءُ ذلك أولا يريدون .

قيل : إنّه جاءت إليه امرأة وقالت : مات زوجي وليس له إلا إقطاعه وترك لي هاتين الابنتين ، فرقّ لها ، فقال لناظر الجيش : اكشف عبرته[1] . فقال : خمسة عشر ألف ، فقال : مَنْ يُعطي في هذا عشرين ألف درهم[2] فقال واحدٌ : أنا أعطي اثني عشر ألف درهم فقال : هاتِها ، فوزنها ، فقال للمرأة : خُذي هذه الدراهم وجَهّزي بنتيك[3] ، وأعطى الإقطاع لذلك الذي سلّم الدراهم .

وكان في النيابة فيه خيرٌ كثيرٌ ، وإحسانٌ إلى الناس غزيرٌ إلاّ أنه كان يعكف على حَسو السُّلافه ، ويرى أنه بتعاطي كُؤوسها قد نال الخلافه ، ماله رغبةٌ في غير اجتلاء

---

* الوافي : ٣٥٦/١٠ ، والدرر : ٥١١/١ ، والنجوم : ٢٧٦/١٠ ، والذيل التام : ١٣١ .

(١) يقال : عبَّر المتاع والدراهم : نظركم وزنها ، وما هي .

(٢) عبارة الوافي : « عشرين ألف درهم ويأخذه » .

(٣) في الأصل : « بنيك » ، وأثبتنا ما في الوافي .

شموسها وتناوُل كُؤوسها ، واجتلاء أنوارها مِن يدي سُقاتها الأقمار وتذهيب أشعتها لما عليهم من الأطمار ، لا يقابل من قابله بها بردّه ، فهي تَغْرُب في فمه وتطلع في خدّه ، ومع ذلك فما يُخلّ بالجلوس في الخدمة أوقات الخدم ، وثبات مالها في الدول المعروفة من قدم القدم .

وكان قد ولّى أخاه الأمير سيف الدين مَنْجَك الوزارة ، فاختلف في أمره فيما بين الخاصكيّة ، فأرضاهم بعزْله أياماً قلائل ، ثم إنّه أخرج أمير أحمد الساقي إلى صفد نائباً ، ثم أخرج بعده الأمير سيف الدين الجيبغا إلى دمشق ، ثم أخرج حُسام الدين لاجين العلائي زوج أم المظفر إلى حماه ، وأقام على حاله إلى أن عزم على الحج ، فقال له أخوه مَنْجَك : لا تحج ، والله يتمّ لنا ما تم للفخري وطشتمر ، فلم يسمع منه ، وتوجّه إلى الحجاز في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، ومعه فاضلٌ ومأمُور ، وحجَّ معه الأمير سيف الدين طاز ، والأمير سيف الدين بُزلار وغيرهم من الأمراء ، فأمسك بعد توجّهه الأمير سيف الدين منجك بأيام قلائل ، وقبض عليه الأمير سيف الدين طاز في اليُنْبُع[1] في سادس عشري القعدة سنة إحدى وخمسن وسبع مئة . فقال لِطاز : أنا ميّت لا محاله ، فبالله دعْني أحُجِ ، فقيَّدَهُ وأخذه معه وحجَّ وطاف وسعى ، وهو مقيّد على إكديش ، ولم يسمع بمثل ذلك ، ولما عاد من الحِجاز تلقّاه الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير ، وأخذه وحضر به إلى الكرك ، وسلّمه إلى نائبها ، وتوجّهُوا بأخيه فاضل إلى القاهرة مقيَّداً ، فدخلها ، أعني النائب بيبغا إلى الكرك في سابع المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة . وقلت أنا فيه رحمةً له :

تَعَجَّب لصرف الدَّهر في أمر بَيْبغا ... ولا عَجَبٌ فالشمس في الأفق تُكسفُ
لقد ساس أمْرَ المُلك خير سياسةٍ ... ولم يكُ في بذل الندى يتوقَّفُ
وأُمْسك في درب الحجاز ولم يكن ... له عن رضى السُلطان في ذاك مَصْرَف[2]

(١) في الدرر : « البقيع » .
(٢) في الوافي : « فلم يكن » .

وسَلَّم للأَقدار طوعاً وما عتا ... ولو شاء خلّى السيف بالدم يرعف[١]
وسار إلى البيت العتيق مقيَّداً ... ورَيح الصبا تعتلّ والورْق تهتف
فيا عجباً ما كان في الدهر مِثله ... يَطُوف ويسعى وهو في القيد يرسُف
وعاجوا به من بَعْدُ للكرك التي ... على ملكها نفس الملوك تأسَّفُ
وأُوْدِعَ في حُصْن بها شامخ الذرى ... تراه بأَقراطِ النجوم يشنّفُ[٢]
سَيُؤويه من آوى المسيح ابن مريم ... وينجو كما نُجِّي من الجبّ يُوسُفُ[٣]

ولم يزل في الكرك مُعتقلاً إلى أن ولي الملك السُلطان الملك الصّالح صالح ، فأفرج عنه وعن الأمير سيف الدين شيخو وبقية الأمراء المعتقلين بالإسكندرية ، ووصل إلى القاهرة ، فوصله وأنعم عليه وخلع عليه ، ورسم له بنيابة حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين أرغون الكاملي .

فوصل إلى دمشق نهار السبت ثالث عشري شعبان سنة اثنين وخمسين وسبع مئة ومعه الأمير عز الدين طقطاي لُيقرَّه في النيابة ويعود ، ولَّما وصل إلى غزة عمل له الأمير سيف الدين بيبغاتتر[٤] النائب بغزّة سماطاً فأكله ، ولّما فرغ منه أمسكه وجهّزه مقيّداً إلى الكرك ، وتوجّه هو إلى حلب وباشر النيابة ، ومن حين دخلها تغيَّرت نيَّته وفسدت على الأمير طاز وعلى الدولة ، ووسوس له الشيطان ، نعوذ بالله منه ، وحسَّن له كلَّ قبيح ، وسوَّل له كلَّ فساد بعد ذلك الخير والصّلاح ، واتفق مع أحمد الساقي نائب حماة ، ومع بكلمش نائب طرابلس على الرُكوب والحضور إلى دمشق ، فإن وافقهم[٥] أرغون الكاملي نائبهاعلى مَا يريدون وإلاّ ضربوا معه مضافاً ، وأخذوا عسكر الشام وتوجَهّوا به إلى مصر ، واتفق معه الأمير زين الدين قراجا بن دُلغادر نائب الإبلستين

(١) في الوافي : « وماعنّا » ، تصحيف .
(٢) في الوافي : « بأقرط » .
(٣) في الوافي : « نجّى » ، ولا وجد لها .
(٤) هو صاحب الترجمة القادمة .
(٥) في الأصل : « رافقهم » . ولا وجه لها .

على ذلك . وتردَّدت الرُسل بينهم ، وجعلوا يقدِّمون رجلاً ويؤخرون أُخرى ، إلى أن بلغ الأمير سيف الدين أرغون الكاملي قوّة عَزمِهم على الحضور إلى دمشق ، فخَلَّف عسكر الشّام للسُّلطان الملك الصّالح ، وتوجّه بالعسكر إلى لُدّ ، وأقام عليها ، ودخل بيبغاروس وأحمد وبكلمش بعساكر حلب وحماة وطرابلس وتركمان بن دُلغادر إلى دمشق نهار الاثنين ثالث عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة مطلّبين ، ولاقاهم الأمير علاء الدين ألطُنبغا برناق نائب صفد ، على ما تقدم في ترجمته ، ونزل بيبغا على قُبة يلبغا ظاهر دمشق ، وأقام عنده أحمد يومين ثلاثة ، ثم إنّه توجَّه بألف فارسٍ وأقام على المزيريب ، وتسيَّب تركمان بن دلغادر وغيرهم من المفسدين على بلاد حوران وبلاد البقاع وبعلبك والمرج والغوطة يَعْبثون ويفسدون وينهبون الأموال والغِلال والدواب ويستحلّون الفُروج ، ويرتكبون المحارم مدَّة أربعة وعشرين يوماً ، إلى أن بلغهم وُصول الأمير سيف الدين طاز إلى لُدّ في خمسة آلاف فارسٍ من العسكر المصري ، وتحققوا أنَّ السلطان الملك الصالح عُقيب ذلك يصل ، فتفلّلت العزائم وهرب دلغادر ، وتوجّه إلى بلاده على وادي التيم ، فقدم بيبُغاروس إلى المزيريب ، واجتمع بأحمد الساقي وبات عنده ليلةً ، ثم إنّهم انهزموا إلى بلاد حلب ، وأرادوا الدخول إلى حلب فمُنِعُوا ، وأمسك أهل حلب منهم جماعةً ، على ما تقدّم في ترجمة الطُنبغا برناق ، وقُتل حينئذ الأمير فاضل أخو بيبُغاروس ، وكان من الفُرسان ، ووصل الأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، والأمير سيف الدين شْيخو والأمير سيف الدين طاز بعساكرهم إلى دمشق في خامس عشري شعبان ، ووصل السُلطان يوم الخميس مستهل شهر رمضان ، وجهّز الأمير أرغون الكاملي والأمير شيخو والأمير طاز وعساكر الشام إلى حلب خَلْفَ بَيْبُغا ، فوصلوا إلى حلب ، وأقاموا بها وبيبغا وجماعته مُفَرَّقون في بلاد مرعش وما حولها ، وأقام بَيْبغا في الأبلستين ، وضرب أحمد وبكلمش مع عساكر الحُصون رأساً ، ووقعت الأمطار والثلوج وعاد الأمير شيخو والأمير طاز وعسكر الشام بعدما تقرر الأمير سيف الدين الكاملي بحلب نائباً على عادته ، فوصلُوا إلى دمشق في تاسع عشري شهر رمضان .

ثم إن السّلطان الملك الصّالح توجّه بالعساكر المصرية بعد ما صلّى الجُمعة في الجامع الأموي ، وخرج منها سائراً إلى مصر في سابع شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، ولما طال الأمرُ على ابن دُلغادر أَمسك أحمد وبكلمش وقيَّدهما وجهّزهما إلى حلب فاعتُقلا بالقلعة ، وكان من أمرهما ما ذكرتُه في ترجمة أحمد الساقي ، ثم إنّ الأمير عز الدين طقطاي قُعد في حلب ينتظر رسل بيبغاروس ، وكان ابن دُلغادر قد جَهّز إمساكه في الأبلستين ، فوصل بيبغا مقيداً إلى حلب ثالث عشر شهر الله المحرم سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وخرج طقطاي الدّوادار وجماعة من العسكر وتلقّوه ، فلمّا رأى الأمير عز الدين طقطاي بكى وقال : والله أنا أعرفُ ذَنبي ، والذي أشار علي بذلك فقد لقّاه الله فِعْله ، والله ما كان ذلك برضاي ، وأنا فقد وقعت في فعلي . وسيِّر إلى الأمير سيف الدين أرغون الكاملي يَطلب منه لحم ثم[1] مشوياً ومأمُونية ، فجهز ذلك إليه وأطلعوه بالقلعة ، ثم إنهم حزّوا راسه ، بعدما قطع الوتر أمراسه ، وتوجه الأمير عز الدين طقطاي الدّوادار برأسه إلى الديار المصريّة . فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن الشيطان الرجيم .

وقلتُ أنا في ذلك :

لا تعجبوا من حلب إنْ غَدَا ... أرغون فيها جَبَلاً راسي
من أجل هذا لم تطر فرحةً ... وبيبغاروس بلا راس

وكتب إليّ المولى القاضي شرفُ الدين حسين بن ريّان كتاباً نظماً ونثراً ، فأما نظْمُه فأذْكُرُه ، وهو :

بنَيْل الأماني هلّ شهر المحرم ... وحلت به البَلوى على كُل مُجْرم
أتوا فيه بالأعداء أسرى أذلّةً ... إلى حلب الشهباءَ يا خير مقْدَم
فبكلمشٍ وافَوْابه وبأحمد ... ومِنْ بيبُغا قد أدركوا كل مَغنم

(١) كذا ، ولم يتضح مراده .

ومن رام ظُلم النـاس يُقْتـل بسيفـه ... ولـو نـال أسبـاب السماء بِسُلَّم[١]
مضَـوا وقضَـوا لا خَفَّفَ اللهُ عنهم ... إلى حيث ألقت رحْلَهـا أمّ قشعم[٢]
ففي رمضـان كان يـومُ انكسـارهم ... وآخره في عُشْرِ شهر المُحرّم
فـأكْرِمْ بـه شَهْراً كريمـاً مبـاركاً ... حرامـاً أتى من بعـد شهر مُحرّم
بَدَأْنا بـه العـام الجـديـد فـأسفرت ... لَيَـاليْـه عَنْ شَهرٍ شريفٍ معَظَّمِ
بـه يـومُ عـاشـوراء يَـوْمٌ مبـارك ... أتت فيـه أخبَـارُ البخـاري ومُسلم
تعيّن شُكْرُ اللهِ فيـه على الـذي ... سَعى بيبُغـا فيـه على كل مُسْلم
أرانـا هـلالاً كالسّـوار وحَـوْلَـهُ ... عُقُـودُ نُجـومٍ كالجُمان الْمُنَظّم
وحيثُ وَجَدْنَا النصر فيه على العِدَى ... تعَيّن أن يبقى كأَعْظم مـوسِم
فَصُنْـه عن الآثـام فيـه ولا تمِـلْ ... إلى اللّهـو في شَهْر المحرَّم تَسْلم
وفي صَفرٍ فـاصرف من الصفر كلَّما ... ملكتَ على صَرْف المـدامـة تغنم
مُـدَام إذا لاح الْحُبَـابُ حَسبْتَهـا ... بكاسـاتهـا شَمْسَـا تُحَفُّ بـأنجمِ
بـدورٌ بهـا سَـاقٍ من الْتُرْك أَهْيَفٌ ... يُريـكَ عقـودَ الـدُرّ عنـد التبسُّم
لـه طَلْعَـةٌ كالبـدر يُشْرِقُ نُورهـا ... على قـامَـةٍ مثـلِ القضيب المنَعَّمِ
ويُبـدي هـلالاً من ضيـاء جَبينـه ... ويُخفيـه في داجٍ من الشَّعْر مُظْلِمِ
تُتَرْجِم عينـاه عن السِّحْر في الهـوى ... فيُعْجِـزُ فكري حـلُّ ذاك الْمُتَرْجَمِ
يَسُـلّ على عُشَّـاقـه سَيْفَ لَحظِـه ... ويَرْشُقهم من نـاظِرَيْـه بـأسْهُمِ
تقـدّمت إذ أقْـدَمْتَ ليلـة وصلـه ... على قُبْلَـةٍ والفضـل للمتقّـدم
فمـا رَدّني عمّـا أردت ونلتُ مـا ... قَصَـدْتُ من التقبيـل في ذلـك الفم
وعـانَقْتُ مِنْـهُ غُصْنَ بـانٍ على نقـاً ... ووسّـدْتُـه في الليـل زَنْـدي وَمِعْصَمي
وزاد سُروري بعـد ذلـك إذْ أتى ... إليَّ جَـوابٌ عن كتـابي الْمُقَـدَّمِ

---

(١) هذا العجز لزهير من معلقته ، وقد ضمنها الناظم أبياته غير مرّة .

(٢) أم قشعم : الحرب .

بَعثْتُ بــه مَنِّي إلى صــاحب لــه ... فضــائــلُ شتَّى أمرُهــا غيرُ مُبهم
فأهـدى جواباً عن كتـابٍ رَفَلْتُ في ... معـانيــه في ثَـوْبٍ مِن الفخر مُعْلَم
بــــهِ أتَحلّى حِلْيَــــةً وحَــلاَوة ... تَحُولُ بـأفـواهِ العـدى طعم عَلْقَم
خَليلي صَديقي صَـاحبي ثقتي أخي ... إمــامي وَشْيخي في الْعُلـوم مُعَلِّمي
تسيــلُ دُمـوعي عَنْـدَمـاً لبُعَـادِه ... ولـو زارني مَـا سـال دمعيَ عن دمي
أودّ مُقــامي في دمشـق لأجْلِــه ... وطَرفُ زمــاني عن بلـوغ المنى عَمِ
فإنْ جاد لي دهَري بقصدي حَمَدتُه ... وإن لم يَجدْ «يُسْتَغْنَ عنهُ ويُذمم»[1]
أينكر قصـديَ قربَ خـلٍّ صَحِبْتُـه ... قـديمـاً إلى عليـائـه الفُضلُ يَنتمي
فَلـو قيـلَ لي أهــلُ التكرم مَنْ هم ... لقلتُ صـلاحُ الـدين أهْـلُ التكرم
إذا جَـال في فكري تـذكُّر أنْسِــه ... بكيتُ على بُعـدي وزَاد تَنَــدُّمي
أعيشُ ومَـالي في دمشـق كفـايتي ... وغيرْي لــه في يـومِــه ألفُ درهمِ
هَو الحـظُّ والرزقُ الـذي شَمِل الورى ... على مقتضَى التقسيم لا بــالتقــدم
أُرَجّي اجتماع الشَّمْلِ بالشام فـاجتهِدْ ... وسَـاعـدِ على نَقْلِي إلى الشـام واسْلَم

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

بَعَثْتَ بشِعْرٍ مثــــــل بُرْد مُسَهَّمٍ ... وهيهـات بـل عِقْـدٍ بـدرّ مُنظَّم
وإلا كأفـق بــالنجـوم مُـوشـعٍ ... وإلاّ كـوجــهٍ بــالجمــال مُلَثَّم
فكم همـزةٍ فيــه كمثـل حمـامــة ... على ألفٍ فيــــه كغُصن مُقَــوَّم
وكم فيــه من عين كعين كحيلــةٍ ... وكم فيــه من ميم كــدائرة الفم
وكم فيـه من جيم كخـالٍ مَـدبّـج ... ونُقْطتُهــا خــالٌ يلـوح لمُغْرَمَ
أُشـاهـدُ منــه زهرَ روضٍ وَمَنظراً ... «أنيقــاً لعَين النّــاظر المتـوسّم»
فنفس كرْبــاً كم تنفس عن لظى ... عِــذابِ وداء في القُلُــوب مخيّم
وأجرى دمُوعي من جفوني ومَنْ يَرِد ... مَـوَاطر من غير السَحــائب يَظلم

(١) ضمّن بعض بيت زهير في معلقته .

وأَذْكَرَني عَهْـدَ الشبـاب ولم أكن ... لأَنْسَى ليـالي عَصْرِه المتصرّم
نظام فتىً عار من الغار يرتدي ... بثوبٍ بفضلِ العلم والحلم مُعلم
مُناي من الأيام رُؤيةُ وَجْهه ... وأحسنُ وَجْهٍ في الورى وجْهُ مُنعم
وما كُلّ هاوٍ للجميل بفاعلٍ ... ولا كُلّ فعّال له بمتمِّم
غدا شرفي منه على كلّ حالة ... ولكنْ إذا كاتَبْتُه كان مُفحمي
إذا ساق نحوي العُرْفَ غَيْرَ مكدّرَ ... أسوقُ إليه الحَمْدَ غَيْرَ مُذمَم
أيا شرف الدين الذي سار ذِكْرُه ... «ومَا هو عنه بالحديث المرجّم»[1]
لقد سُقت أخبار البُغاةِ وَبيبُغا ... سياقَ بليغٍ لم يكن بمُجَمْجم
ومَا كان هذا بَيْبُغا قَدْرَ ما ابْتَغى ... «ولو نال أسباب السماء بُسلَّم»
لقد كان في أمن وعزّ ونعمة ... ولكنّه «عَنْ عَلْم مَا في غَد عَمي»[2]
فأضمر عُدْوَاناً وبَغْياً ولم يكن ... ليخفى «ومهما يُكْتَمِ اللهُ يعلَم»
وبَات ونَارُ الحقد تُضْرِمُ صَدْرَه ... ولم يُطْفِها غيرُ الخميس العَرَمْرِم
وراح يُناجي مِنْ وَساوسِ قَلْبِه ... ضَعِيف المساعي أو قليل التكرّم
وما ظَنّ خيراً بالذي كانَ مُحْسناً ... إليه ومن يَفْعَل كذلك يَنْدَم
إذا ساءَ فِعْلُ المرء ساءت ظُنونه ... وصَدّق ما يعتَادُه مِنْ تَوهم
وعَادَى مُحِبّيه لقَول عُدَاته ... وأصبحَ في ليل من الشكّ مُظلم
وجاء دِمشقاً في عساكر كُلّهم ... «تَفانَوا ودَقّوا بَيْنَهم عِطْر مَنْشَم»[3]
إلا إنّ هذا الأمر عُقْبَى الذي جرى ... وآخره يُفضي لنار جَهنم

وَقدّمَ هو قبل قصيّدته نَثْراً يتعلّق بأمر بيبغا وجماعته ، وأردفْتُ أنا قصيدتي بنثر أيضاً يتعلق بالمذكورين وكلاهما أثبتُّه في الجزء الرابع والثلاثين من (التذكرة) التي لي ، ونظمت أنا عدَّة مقاطيع لَمّا خرجا من دمشق فارَّين من بيبُغا .

(١) شبيهة عند زهير في معلقته .

(٢) هذا من عجز بيت في معلقة زهير . ومثله البيت الذي يليه .

(٣) في الأصل : « ودقوا عطر كل منسم » ، وهي مضطربة ، وأثبتنا المشهور في رواية المعلقة .

فمن ذلك ، وقد خرجنا مع الأمير سيف الدين أُرغون الكاملي على أنه مُتوجه إلى خان لاجين فأخذ العساكر من تحت قلعة دمشق وتوجّه بها إلى لُدّ ، فقلت أنا في ذلك[1] :

خَرَجْنا على أنّا نُلاقي عسكراً ... أتى بيبُغا فيها على خان لاجين
فلم نَدْرِ مِنْ تَعْتِيرنا وقُطُوعِنا ... بأَنْفُسنا إلاّ بأرض فِلَسطِين

وقُلْتُ أيضاً :

أيا وَلدي وافاني البَيْنُ فَجْأَةً[2] ... وبَدَّد شَمْلاً قد تَنظَّم كالعِقْدِ
فسِرْتُ وما أَعْدَدْتُ عَنْك تَجَلُّداً ... لقلبي ولا حَدّثْتُ نَفْسي بالبعد

وقلتُ ، وقد كَثُرتِ الأراجيف :

أخرجني المقدُور من جلّق ... عن طيب جَنّاتٍ جَنِيّات
فإن أَعُدْ يوماً لها سالماً ... فهو بِنِيّات بُنَيَّاتي

وقلتُ ، وقد جاءت الأخبار بأن القوم قد تقدموا الكتيبة :

قد ضجرنا من المُقام بلدّ ... بَلدٍ ماطباعُه ، مَثلُ طَبعي
كُلَّما قيل لي كتيبةُ جيشٍ ... قد أتت للكَتَيْبة اصطكَّ سمعي
فتراني مُغيَّراً مِنْ نُحولي ... وسُقامي ، وفي المُزيْرِيب دَمعي

وقلتُ ، وقد زاد الذُباب بالمنزلة :

لقد أتانا ذُبَابٌ لدّ ... بَكلِّ حَتفٍ وكَلِ حَيف
وقيل هذا ذُباب صَيْفٍ ... فقلتُ لا بل ذُباب سَيف

---

(١) جلّ ما أورده المصنف من مقطوعات سلف له أن أوردها في ترجمة أرغون الكاملي .
(٢) سلف بلفظ : « بغتة » .

وقلتُ أيضاً :

إن الـــذبـــاب بلُـــدّ لشرُّ خَصْم أَلـــــــدّ
بليتُ منـــــه بعكسي ومـــا يُبـــالي بطرد

وقلتُ ، لمّا كثرت الأراجيف بأن بيبغا رحل من دمشق وانهزم :

قد كثر الإرجَافُ عن بَيْبُغا وأنّه قد ســار عن بقْعَتِــه
إذا أتـــانـــا خبرٌ سَرّنـــا ماتَغْرُب الشمسُ على صِحَّتِهِ

٥٠٥ ـ بيبغا*

الأمير سيف الدين تتر المعروف بحارس الطير .

تولّى نيابة غَزَّة بعد وفاة الملك النّاصر محمّد بن قلاوون ، ثم إنه عُزِلَ وأقام بمصر إلى أن أمسك الأمير سيف الدين مَنجك الوزير وأُمسك أخوه بيبُغارَوس في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فولاّه السلطان الملك الناصر حسن نيابة مصر عوضاً عن بيبغاروس ، فأقام على ذلك إلى أن خُلع الملك النّاصر حسن ، وتولّى الملكُ الصّالح صالح .

ولمّا خرج[1] الأمير علاء الدين مغلطاي والأمير سيف الدين منكلي بُغا الفخري على الملك الصّالح وأُخذ مغلطاي هرب[2] منكلي بغا الفخري ، ودخل على الأمير سيف الدين بيبغا الفخري في بيته مستجيراً به فأَجاره ، وأَخذ سَيْفَه وسَلَّمه إليهم ، فَعَزله السُلطان بعد ذلك وولى النيابة الأمير سيف الدين قُبْلاي[3] ، وجهّز الأمير سيف الدين بيبغاتتر إلى نيابة غزة ، فأقام بها شهراً أو أكثر ، إلى أن ورد بيبغاروس إلى

* الوافي : ٣٥٨/١٠ ، والدرر : ٥١١/١ .
(١) في الأصل : « أخرج » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .
(٢) في الأصل : « وهرب » ، ولاوجه لها ، لأنها جواب لمّا ، وأثبتنا مافي الوافي .
(٣) الناصري ، وستأتي ترجمته .

غزّة مُتوجهاً لنيابة حلب ، فمدَّ له سِمَاطـا ، فـأكل منـه وقبض عليـه وقيـدَّه وجهّزه إلى الإسكندريّـة ، وذلـك في شعبـان سنـة اثنين وخمسين وسبع مئـة[١] ، ثم إنـه أُفْرجَ عنـه وحضر إلى القُـدس وأقـام بـه بطّـالاً مُـدَّة ، ثم طُلِبَ إلى مصر وأقـام هنـاك بِطّـالاً ، ثم أُعْطِي طبلخاناه في مصر .

ولّـا توفي الأمير علاء الـدين ألطبنغـا الشريفي نـائب غزَّة رسُم لـه بنيـابـة غَزّة ، فوصل إليها في سابع عشر شعبان سنة ست وخمسين وسبع مئة ، ولم يزل بها نائبـاً إلى أنْ عُزل بالأمير سيف الدين سُودون[٢] في أوائل سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

ولّـا عزل الأمير سيف الـدين تمر المهمنـدار[٣] من نيـابـة غَـزّة في شهر رجب الفرد اثنتين وستين وسبع مئـة رسم السُلطـان المنصور صَـلاحُ الـدين محمّـد بن المظفر حـاجيّ للأمير سيف الدين بيبُغاتتر بنيابة غزّة ، وهذه النيابـة بغزة رابع مرَّة ، وجرى مـا جرى من الأمير بيـدمر نـائب الشـام ، وحضر السُلطـان الملـك المنصور إلى دمشـق في واقعـة بيدمر ، ولمـا عـاد السُلطـان إلى مصر كأنّـه رُمي الأمير سيف الـدين بيبغـاتتر بشيء من موافقـة بيـدمر ، فلمّـا كان السُلطـان على غزّة رسم بتسمير وَلـده ، فسُمّر تسمير سلامـة ، وطيف به ، ثم إنّه رسم للأمير سيف الدين بيبغاتتر بالتوجّـه إلى طرابلس صُحْبـة الأمير علاء الدين علي بن طشتمر البريدي المصري ، وجُهّز وَلـدُه موسى إلى مصْيـاف ، وولـدُه الآخر إلى الـدّر بَسّـاك[٤] صَحبـة نقيبين ، ثم إنّـه طُلِبَ إلى مصر على لسـان مملـوكـه ألطنبغا ، فتوجّه إليـه ، ووصَلَ إلى دمشق في مِحَفَّـةٍ في يوم الاثنين تـاسع عشر شعبـان سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

---

(١) أنهى المؤلف في الوافي ترجمته ههنا .

(٢) لم نقف على ترجمة له .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) هو دير بسّاك ، قال ياقوت : هو حصن ، وليس بدير ، تسكنـه النصارى قرب أنطـاكيـة ، وهو من أعمال حلب . معجم البلدان : ٥٠٠/٢ .

٥٠٦ ـ بَيْدرَا*

بفتح الباءِ المُوحدّة ، وسُكون اليـاءِ آخر الحروف ودال مهملـة وبعـدهـا راء وألف مقصورة : الأمير سيف الدين العادلي .

كان من أمراء الأربعين بدمشق ، وتزوج ابنة أستاذه الملـك العـادل كَتبغـا ، وكان يسكُن بدار طوغان . [توفي][1] رحمـه الله تعـالى في شهر رجب الفرد سنـة أربع عشرة وسبع مئة .

بَيْدمُر**

بعد اليـاء المُوحـدة يـاء آخر الحروُف ودال مهمُلـة ومَيمٌ بعـدهـا راء : الأمير سيف الدين الناصري .

أخرجه الملك الناصر محمّد إلى صفد ، فأقام بهـا ، وكان نـائبهـا الأميرُ سيف الـدين أرُقطاي يعظِّمُه ويلازمه ويسمُرُ عِنـده وهو بلا إمرة ، ثم نُقل إلى دمشق على إمْرة عشرة في أيام تنكز ، ولما حضر الفخري ، وجرى له مـاجرى ، جَهَّز هـذا بيـدمر المـذكور إلى البلاد الرُوميّة لإحضار طشتمر نائب حلب ، ثم إنّ الناصر أحمد أعطاه طبلخاناه .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن جاءه أمرٌ لامردَّ لحُكمه ، ولادفاع لخصمه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وسبع مئة[2] .

وكان ذا محيّـا جميـل ، ورونـق لا يستحيـل ، مليـح العين ، لا يمـلّ النـاظر إليهـا مُطالبتها بما لَهُ عِنْدَها من الدَّين ، وتوفي كهلا ، وكان للخير والسُكون أَهْلا .

---

* الدرر : ٥١٣/١ .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، إن لم يكن ثمة سقط آخر .

** الوافي : ٣٦٢/١٠ ، والمنهل الصافي : ٤٩٨/٣ .

(٢) زاد في الوافي : « ودفن بمقابر الصوفية » .

٥٠٧ - بيدمر*

الأمير سيف الدين البدري .

كان بالقاهرة أميراً ، وله بالقاهرة تُرْبَةٌ حَسَنة عمَّرها ، وأقام بدمشق مدّة إلى أن طلبه الملكُ الكامل شعبان إلى القاهرة وولاّه نيابة طرابلس ، فحضر إليها وأقام بها قليلاً بعد نيابة الأمير شمس الدين آقسُنقر الناصري ، ولمّا خرج الأمير سيف الدين يَلْبُغا اليحيوي بدمشق على الكامل كان الأمير سيف الدين بيدمر مَمَّن حضر إليه من نوّاب الشام ، وأقام بدمشق معه إلى أن خلع الكامل وتولّى المظفّر حاجي ، فطُلب البدريُّ إلى مصر وولاّه المظفر نيابة حلب ، فتوجَّه إليها ، وأقام بها إلى أن طلبه المظفر حاجيّ إلى القاهرة ، وتولّى مكانه الأمير سيف الدين أرغون شاه .

وكان البدري قد تولّى نيابة حلب بعد الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدي ، وأقام البدري بالقاهرة قريباً من شهرين ، ثم إنّه أُخرج هو والأمير نجم الدين محمود بن شروين الوزير والأمير سيف الدين طغاي تمر الدوادار إلى الشام على الهُجن ، فلما وصلوا إلى غزَّة لحقهم الأمير سيف الدين منجك ، وقضى اللهُ فيهم أمره ، وأصبح طرف من ولاَّهم وهو بالبكاء أَمْرَه[1] .

وكان خنقُهم في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان هذا البدري كثير الرحمه ، على فكره للمبرّات زحْمه ، له وِرْدٌ من الليل يقومه مُتَنَفِّلا ، ويجلسُ على موائد التعبّد ، وهو ملك ، مُتطفِّلا ، وكان يكتب الربعات بخطّ يده ، ويبالغ في تذهيبها وتجليدها ، ولا تقبل من صاحب فنده ، ولقد حاول أخذ ختمةً مني وهو بدمشق ، وبذل الرغائب لي فأبيتُ ، وزخرفتُ الأَعذار في عدم الخُروج عنها ورأيت وراءيت .

---

* الوافي : ٣٦٣/١٠ ، والدرر : ٥١٣/١ ، والمنهل الصافي : ٤٩٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٠/١٠ .

(١) المرَه : تقرّح العين من البكاء .

وأخبرني كاتبه القاضي زين الدين بن الفرفور أنّه كان يخرج من كُلّ سنة أوّل كلّ شهر مبلغ خمسة ألاف درهم للصّدقة ، ويعتقد أن ذلك خير ماله من النفقة ، ولم يبدُ مِنْهُ في حلب مُدَّة نيابته غير واقعة الامرأة التي قطع شعرها وأذُنيها وجعلها بذلك تحكي النعامة لمن نظر إليها ، وما أقام بعدها في حلب إلا قليلاً ، ومضى إلى[1] حلب يجرُّ من الشقاء ذُيولاً .

٥٠٨ ـ بَيْسَري*

الأمير الكبير بدر الدين الشمسي الصّالحي .

كان من أعيان الدولة ، وممّن له في الحروب ثبات وحولة ، وبين الأكابر صَوْنٌ وصوله ، وإذا قالوا لم يَسْمع ، وإذا قال سَمُعوا قوله ، وكان ممّن ذُكِرَ للمُلك ، وانخرط في ذلك السِّلك ، وجرت له فُصُول ، وَرَدَّ جملةً من النصوص الواضحة وعارضها بالنُصول ، وقبض المنصور قلاوون عليه وأهدى الإهانة إليه ، وبقي في السجن سنين ، عدد الرهط الذين يفسدون في الأرض[2] ، وخالف في أمره السُنَّة والفرض .

ثم إنّ الأشرف خليل أخرجه من سجنه وأبدله الفرح من حُزنه ، وأعاد إليه رتْبَتَهُ ، وأجلسه إلى رُكبته .

ثم إنّ المنصور لاجين قبض عليه ثانيا . وكان الأجلُ في هذه المرة له مُدانيا ، فتُوُفي في الجبّ ، ولم تفُدِه المُطَهَّمات القُبّ ، وعُمل عزاؤه تحت قُبَّة النسر بالجامع الأموي

(١) الأشبه : « من حلب » .

* الوافي : ٣٦٤/١٠ ، والنهاية : ٥/١٤ ، والمنهل الصافي : ٥٠٠/٣ .
« وبيسري : اسم مركب من لفظة تركية ولفظة أعجمية ، وصوابه : باي سري ، فباي ، باللغة التركية ، بالتضخيم : هو السعيد ... وسري ، بالعجمية : الرأس ، فمعناه : رأس سعيد ، أو سعيد الرأس » . (المنهل) .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ﴾ ، النمل : ٤٨/٢٧ ، وعبارة الوافي : « وبقي في السجن تسع سنين » .

بدمشق ، وحضره القضاة وملك الأمُراء والدولة ، وذلك في سنة ثمان وتسعين وست مئة في أيام الملك النّاصر محمّد .

ودَارُه بين القصرين معروفة ، وانتقلت إلى أحد الأميرين إما قوصون أو بشتاك ، وكان النّاس أوّلاً قد خرج لهم قِماشٌ ثمين وسمّوه شقف[1] البيسرى لِما تأنّق فيه الصناع وزخرفُوه .

الألقاب والأنساب

☆ **البَيْسَرِي** : الجُندِي الشاعر اسمه آقوش .

٥٠٩ ـ بَيْغرا*

بالياء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها غين معجمة وراء وألفٌ : الأمير سيف الدين النّاصري .

كان بعد السُلطان الملك الناصر محمد من أكابر المُقدَّمين ، وحضر إلى دمشق لتحليف العسكر للملك الأشرف كجك ، وحضر أيضاً لتحليف الأمراء للملك الكامل ، واللهُ أعلم ، وكان أخيراً أمير جاندار وحاجبا[2] .

ولم يزل مُعَظَّما ، ولدُرّ السيادة منظَّما ، ينفع من يخدمه ويؤهّله لعلّو المنزلة ويقدّمه ، ولم يزل إلى أن تولّى الملك الصالح صالح ، فأخرجه إلى حلب أميراً ، فوصل إليها في شهر رجب الفرد سنة اثنين وخمسين وسبع مئة .

وبقي فيها على حاله إلى أن حان حَيْنُه ، وحلّ عليه من الأجل دَيْنُه ، في شهر شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « سقف » ، ولا وجه لها .

* الوافي : ٣٦٤/١٠ ، والدرر : ٥١٤/١ ، والذيل التام : ١٣٦ ، والنجوم : ٢٩٤/١٠ .

(٢) في الوافي : « أمير حاجب أو أمير جاندار » .

٥١٠ ـ بينجار*

الأمير سيف الدين الحموي ، أحد الأمراء بدمشق .

كان بدمشق حاجباً صغيراً إلى أن توجّه الأمير سيف الدين طيدمر الإسماعيلي[١] أمير حاجب بدمشق إلى نيابة قلعة الروم ، فوصل المرسوم بعد ذلك بأن يكون الأمير سيف الدين بينجار الحموي عَوضه أمير حاجب بدمشق في المحرم سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فلم يزل على هذه الوظيفة إلى أن توجّه مع الأمير سيف الدين أرغون الكاملي والعسكر الشامي إلى الرّملة في واقعة بيبغاروس .

وتُوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بالمعُسكر على لُدّ .

وكان جيّداً خيّراً ديّناً ، عِنْدَه كتبٌ يُطالع فيها ، ويُحبّ أهل العِلم ويُعظمهم ويحترمهم .

---

* الدرر : ١/٥١٥ .

(١) ترجم له في الدرر : ٢/٢٣٢ ، ولم يذكر سنة وفاته .

حرف التاء

٥١١ ـ التاج أحمد سعيد الدولة*

كان ذا مكانة مكينة ومنزلة عظيمة عند الملك المُظفر الجاشنكير ، ولما وُلّي الملك أمر له بالوزارة فامتنع من ذلك ، فَرَتّب الصّاحبُ ضياء الدين بن النشائي[١] وزيراً ، وجُعل ابن سعيد الدولة مشيراً ، فكانت فُوط العلائم[٢] تحمل إليه ويعتبرها علامةً علامةً ، فالذي يراه ويرتضيه كتب على يمين بيت العلامة عرضاً : تحتاج إلى الخطّ الشريف ، فإذا رأى السُلطانُ ذلك علّم ، وإلاّ فلا ، وكانت كُتب البريد وغيرها كذلك ، إلى أن تعب الأفرم من دمشق ، وتهدّده بقطع رأسه حتى امتنع من ذلك .

وكان مشهوراً بالأمانة والعفّة ، ولم يحصل منه تفريط ، وضبط الدَّواوين والأموال ، وكان إذا كان في ديوانه قضى الأشغال ونفّذ الأمور ، وأمّا إذا اعترضه أحدٌ في الطريق وسأله حاجةً أمر بقتله بالمقارع ، فهابَهُ النّاس .

وكانت له حُرْمَة وافرة ومهابةٌ شديدةٌ ، وكان لا يجتمعُ بغريب ، ولا يخالط أحداً ولا يقبل هديّة ، ولّما طُلب للوزارة التجأ إلى زاوية الشيخ نصر ، فلذلك كانت حُرمته أوفر من حُرمة الوزير وأعظم .

وتُوفي في أوائل شهر رجب الفرد سنة تسع وسبع مئة ، وولي مكانه ابن أخته كريم الدين[٣] .

---

* الدرر : ١/٥١٥ ، والنهاية : ١٤/٥٧ .

(١) أبو بكر بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « العمائم » ، تحريف .

(٣) عبد الكريم بن هبّة الله ، ستأتي ترجمته .

أخبرني حفيده الصّاحب تاج الدين مُوسى بن علم الدين أبي بكر أنّ اسم جَدّه كان أحمد ، فهو تاج الدين أحمد بن سعيد الدولة .

☆ **ابن تاج :** الخُطباء : جلال الدين محمّد بن محمّد .

☆ **التاج بن المناديلي :** عبد الرحمن بن موسى .

☆ **والتاج المغسّل :** اسمُه عبد الرحمن بن أيوب .

☆ **التادفي :** المقرئ ، محمد بن أيوب .

٥١٢ ـ التاج الطويل*

القاضي تاج الدين ناظر الدولة بالديار المصرية .

كان كاتباً كافيا ، قائماً بصناعة الكتابة وافيا ، فيه مُرُوءةٌ ومكارم ، ولُطْفُ عشرة ، ولو كان بين القنا والصوارم . تكرّر منه مباشرة هذه الوظيفة مَرّات ، ونال فيها سعاداتٍ زائدةً ومسرَّات ، وكان رئيس طائفته ، وزعيم هذه العصابة الذين هم تحت طواعيته .

ولم يزل على حاله إلى أن قصرت مدة الطويل وقُطعت ، وأخرجت روحه من جسده ، ونزعت .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة السبت ثاني عشري القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وأنشدني القاضي زين الدين الخضر بن تاج الدين بن الزين خضر كاتب الإنشاء[1] له في دواةٍ أبياتاً ، وأنا في ريبة من نسبتها إليه لأنها في الذّروة وهي :

---

* الدرر : ١/٥١٦ .

(١) ستأتي ترجمته .

دَواتنـــا سَعيـــدة ليس لهـا من مَتْرَبـهْ
عروسُ حُسْنٍ جُليَت منقـوشـــةٌ مُكَتَّبَـــه
قـــد انطَلت حِلْيَتُهـــا على الكرام الكتَبـــة

وفي التاج الطويل يقولُ ابن دانيال :

أصبحت في الكاتبين فَرْداً وأنت كِنْـــــــزٌ لكل راج
لا كشف الله مِنْـــــك راسي ودُمْتَ عِـزّي ودُمْتَ تـــاجي
مـولاي قـد سـاءني افتقـاري وسَرّ حُســادي احتيـــاجي
فـاصْلِحْ بحـقِّ الـوفـاء شـاني فغيْرَ عليـــاك لا أنـــاجي
فـالـزيتُ قـد قـلَّ مِن فتيلي وكاد أن ينطفي سراجي
وبـــات فـــوق التراب أهلي تلتقـط الحب كالـدجـــاج
عســاك بـــالله يـــا هـلالي تكتب رزقي على الخراج

☆ **التبريزي** : القاضي جمال الدين عبد القادر بن محمد . والشيخ تاج الدين علي بن عبد الله .

☆ **ابن تبع** : محمد بن أحمد .

٥١٣ ـ ترمشين*

بالتاء ثالثة الحروف ، وراء بعدها ميم ، وشين معجمة ، وياء آخر الحروف ، ونون : ابن دُوَا الْمُغْلي ، صاحب بلخ وسمرقند وبخارى ومرو .

كان ذا إسلام ، وممن يُعَـــدّ في أولي الأحـلام ، أكرمَ الأمراءَ المسلمين وقرَّبهم ، وسرَّحَهم في صحاري الإحسان ، وسُرَّ بهم لما سَرَّبهم ، وجَفَا الكفرةَ وأبعدهم ، وهدَّدهم وتوعَّدهم ، ولازم الصلوات الخمس في الجماعه ، وأصغى إلى الخير وأحب سَمَاعَه ، وترك

* الوافي : ٣٨٢/١٠ ، والدرر : ٥١٦/١ .

الياسات[١] ، وقال : هي من أرذل السياسات ، وأمَرَ بأحكام الشريعة ، وسدَّدَ ما دونها الذريعة ، وأبطل من مملكته المكوس وجبايتها ، وأمر بالمعدلة وتلا آيتها ، وألزم جنده بالكف عن الأذى ، ودفَعَ عَنْ عيون رعاياه القذى ، وألزم التتار بالزرع ، وقالوا : لا طاقة لنا ، فقال : هذا هو الشرع . واستعمل أخاه على مدينةٍ فقتل رجلاً ظالماً ، فجاء أهله إلى ترمشين وشكوا ، فبذل لهم أموالاً ليَعْفُوا ، فأبوا وقالوا : نريد حُكْمَ الله ، فسلَّمه إليهم فقتلوه ، ودعا الناسُ له .

ثم إنه زاد في التألّه والتديّن فَعَزم على ترك الملك والتبتّل برأس جبل ، وسافر معرضاً عن السلطنة ، فظفر به أميرٌ كان يُبْغِضُه ، فأسَره ، وكاتب بُزَان الذي ملك بعده ، فقتله صبرا ، وهَبَرَه بالسيف هبرا ، وذلك في سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، قدَّس الله سره .

٥١٤ ـ تُلَك*

الأمير سيف الدين الحَسَني[٢] .

وَرَدَ إلى دمشق أميراً في [تاسع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة][٣] وبقي فيها مدة ، ثمّ إنّه لما نقل الأمير سيف الدين باينجار من الحجوبيّة الصغرى ؛ إلى أن يكون بدمشق أمير حاجب عوضاً عن الأمير سيف الدين طَيْدمر الإسماعيلي لَمَّا توجه لنيابة قلعة الروم رُسِمَ للأمير سيف الدين تُلَك أن يكون حاجباً عوضاً عن باينجار ، وذلك في المحرم سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فأقام كذلك مُدَّة ، ثم إنه

---

(١) في الأصل : « الباسات » ، وفي مطبوعة الوافي : « السياسات » ، وكلاهما تحريف ، والياسات : شرائع المغل ، وقد سلف الحديث عنها .

* الوافي : ٤٨٧/١٠ ، والدرر : ٥١٧/١ .

(٢) الأرغوني كما في الوافي .

(٣) زيادة من الوافي .

تحدّث للأمير سيف الدين شيخو رأسَ نوبة في ديوانه[١] ، فاجتهد فيه وثَمّر ، فطلبه إلى مصر ، فتوجه في شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وورد مكانه في الحجوبية الأمير علاء الدين علي بن بيبرس الحاجب من حلب .

وما أقام الأمير سيف الدين تُلَك الحَسَني في القاهرة[٢] ، حتى توفي رحمه الله في غزّة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، لأنه كان قد توجّه صحبةَ ثقل السلطان وطُلْبِه لما حضر الصالح في واقعة بَيْبُغا .

اللقب والنسب

☆ **التعجيزي** : الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد .

٥١٥ ـ تُلَك*

الأمير سيف الدين الشحنة .

كان أحَدَ مقدَّمي الألوف بالشام . حضر إلى دمشق على إقطاع الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير في سنة خمس وسبع مئة ، وكان في دمشق أكبرَ مُقَدَّميها ، يُحْضَر إليه قباء الشتاء من مصر من باب السلطان . وتوجَّه في واقعة سنجار[٣] .

ولم يزل في دمشق مقيماً إلى أن ورد المرسوم من مصر يطلبه صحبةَ منكلي بغا

---

(١) أي : عمل ناظراً لديوانه .

(٢) « فأقام بمصر حاجباً صغيراً إلى أن أُخرِج الأمير سيف قردم إلى الشام ، فجعل الأمير سيف الدين تلك أمير آخور مكانه على إقطاع الإمرة » قاله في الوافي .

* الوافي : ٣٨٧/١٠ ، والدرر : ٥١٧/١ .

(٣) في الوافي : « وتوّجه إلى سنجار » . وفي البدائع ، ٥٣٥/١/١ : « في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة هجم التتار على مدينة سنجار وملكوها ، فأرسل لهم السلطان تجريدة حاصرتها ، فطلب التتار الأمان وخرجوا منها » .

السلحدار ، وحضر الأمير سيف الدين قردم على إقطاعه[١] في سادس عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخميس وسبع مئة .

ولم يزل في مصر مقيماً إلى أن ورد الخبر بوفاته في أوائل صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ **ابن تمام :** الشيخ تقي الدين عبد الله بن أحمد ، وأخوه الشيخ محمد بن أحمد .

تمر

٥١٦ ـ تَمِر الساقي*

الأمير سيف الدين .

ولاّه السلطان الملك الناصر محمّد حِمْص بعد موت بلْبَان الجوكندار في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة[٢] ، ثم ولاه نيابة طرابلس ، بعد ما قفر الأفرم منها[٣] وتوّجه مع قراسنقر ، وذلك لمّا قَدِمَ مع العسكر من مصر في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ولم يزل بها مقيماً على حاله ، إلى أن حضر الأمير سيف الدين قَجْليس الناصري إلى دمشق ؛ وتوّجه منها إلى طرابلس ؛ فعَاد منها ومعه الأمير سيف الدين تمر الساقي نائبها ، وجاء عوضه لنيابة طرابلس الأمير سيف الدين كستاي الناصري[٤] في جُمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة .

---

(١) عبارة الوافي : « سيف الدين قردم أمير آخور على إقطاعه » ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٥١٩/١ .

(٢) في الدرر أنه تولّى نيابة حمص في ذي الحجة سنة ست وتسعين .

(٣) عبارة الدرر : « ثم ولي نيابة طرابلس بعد تسحّب الأفرم إلى بلاد التتار ، وذلك في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة » .

(٤) ستأتي ترجمته .

ولّما وصل به إلى دمشق أمسكه ، وأمسك الأمير سيف الدين بهادر آص وقيّدهما ، وتوجّه بها من دمشق وجهزّ بَهادر آص إلى الكرك ، وتوجه تمر الساقي إلى مصر[1] ، فأقام في الاعتقال بالإسكندرية أكثر من عشرين سنة ، وأُفرِج عنه في شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

وحضر إلى دمشق وأقام بطّالاً ، ثم أعطي طبلخاناه ، وكان السلطان الملك الناصر قد أَفْرَج عنه وعن جماعة من الأمراء الذين كانوا بالإسكندرية ، وهم : تمر الساقي ، وبيبرس الحاجب ، وبلرغي الصغير ، وطغلق وأمير غانم بن أطلس خان ، ولاجين العمري الحاجب ، وبلاط الجوكندار ، وأيدمر اليونسي ، وطشتمر أخو بتخاص المنصوري ، وقطلوبك الأوشاقي ، وبيبرس العلمي وكشلي ، والشيخ علي مملوك سلاّر .

وتوجه الأمير سيف الدين كستاي الناصري عوض تمر الساقي إلى طرابلس نائباً ، ولّما دخل الأمير سيف الدين تنكز من القصر إلى دار السعادة يوم أُمسك وأراد العصيان دخل الأمير سيف الدين تمر الساقي إليه ، وقال له : المصلحة أنّك تروح لأستاذك ، وأنا قعدت في الحبس أكثر من عشرين سنة ، وها أنا واقف قدّامك ، فانفعل له وخرج إليهم ، فأمسكوه ، على ما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وتوفي بمصر ، والله أعلم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

٥١٧ ـ تَمُر الموسوي*

الأمير سيف الدين الناصري .

كان خِفّة إذا تحرّك ، وعليه خَفَر إذا تثنّى على جواده أو تورّك ، وكان إذا رأى وجهاً حسناً هام ، وقطع علائق الأوهام . وكان في نفس السلطان منه لذلك ، إلا أن

(١) انظر أحداث سنة خمس عشرة وسبع مئة في البداية والنهاية : ٧٣/١٤ .

* الدرر : ٥١٩/١ .

الأمير سيف الدين بكتمر الساقي كان يصدّه عن أذاه ، ولا يصوّب فيه رأياً يراه ، فلما مات بكتمر الساقي أخرجه إلى دمشق فأقام فيها إلى أن تحرك طشتمر نائب حلب في واقعة الناصر ، وكاد يمشي في الباطن ويحلّف الأمراء له ، فأُمسك وأودع في قلعة دمشق سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في أيام الطنبغا ، ثم أفرج عنه لما صار الأمر للناصر أحمد[١] .

٥١٨ ـ تَمُر*

الأمير سيف الدين المهمندار[٢] بالشام .

كان من مماليك الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب المقدَّم ذكره . وقيل إنّه كان من مماليك الطبّاخي[٣] نائب حلب .

وكان تمر المذكور مع أستاذه بكتمر الحاجب لما كان بصفد نائباً ، وهو من أوّل حاله لم يزل بخير ، له ثَرْوَة ، ومعه مال له صُورة .

ولمّا كان بدمشق ولاّه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله شدّ الزكاة في يوم الإثنين خامس جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة عن الأمير نجم الدين داود[٤] الزيبق ، فأقام على ذلك مُدَّة ، ثم إنه أضاف إليه المهمندارية ، وجعله بطبلخاناه . ولمّا حضر الأمير سيف الدين بشتاك إلى دمشق في واقعة تنكز عَزله من المهمندارية وجَعَله والياً على مدينة دمشق ، فأقام بها تقدير جمعة ، وعاد إلى المهمندارية .

---

(١) ولم يذكر سنة وفاته في الدرر .

* الدرر : ٥١٩/١ ، والذيل التام : ١٨٥ .

(٢) لقب يطلق على من يقوم بلقاء الرسل الواردين على السلطان ، وينزلهم دار الضيافة ، ويقوم بأمرهم ، وهي كلمة فارسية .

(٣) سيف الدين بلبان ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « بن داود » ، ولا وجه لها ، والصحيح أنّه : نجم الدين داود بن أبي بكر بن محمد بن الزيبق (ت ٧٤٨ هـ) ، وستأتي ترجمته .

وكان ساكناً وادعاً عاقلاً قليل الكلام جداً ، وكنت يوماً عند الصاحب أمين الدين أمين الملك ، فجرى ذكره ، فأثنيت عليه ، وقلت : ما يكون مِثْلُه في سكونه وعَدَم شرّه ، فقال : إلا أنني مع هذا كلّه ما أقدِرُ أعمل إلا ما يريده ، ولم يزل على ذلك ، في أتم حال ، ثابتَ القدم مع تقلّب الملوك والنوّاب ، لا يختل عليه نظام ، إلى أن كانت واقعة الأمير علاء الدين أمير علي نائب دمشق ، في سنة ستين وسبع مئة[١] ، وتوجّهه إلى باب السلطان وتجهيزه من الطريق إلى نيابة صفد ، وكان القائم بذلك الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي أمير حاجب ، فنُقِل الأمير سيف الدين تمر المهمندار ، وجُعِل أمير مئة مقدم ألف ، ولم يؤثِرْ ذلك .

ولم يزل على حاله إلى أن رسم له بنيابة غزة فتوجّه إليها ، وأقام بها نائباً قريباً من نصف سنة ، ثم رسم له بنيابةٍ بإمرة الحجبة فحضر إليها[٢] ، ولبس تشريفه في يوم الاثنين خامس عشري شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وخدم ، وسُلِّمت العصا إليه .

ولم يزل كذلك حتى أخرجه الأمير بيدمر نائب الشام إلى غزة صحبة من خرج من عسكر دمشق في واقعة بيدمر وخروجه ، فتوجه وهرب الأمير مَنْجك ، وجرى ما جرى[٣] وحضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجّي ، فأنكر على المهمندار موافقته لبيدمر على ذلك وطواعيته له ، وأَمْسَك من أمسك من الأمراء ، وقَطَع خبز المهمندار ، وخرجت وظيفته للأمير سيف الدين قماري الحموي .

وكان المهمندار ضعيفاً فاستمر مريضاً ، إلى أن توفي يوم السبت ثامن عشر شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ولعلّه قارب الثمانين رحمه الله تعالى ، وبالجملة ما رأى خيراً منه[٤] مذ فارق المهمندار .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٦٥/١٤ .

(٢) يعني : إلى دمشق ، انظر : البداية والنهاية : ٢٨٠/١٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٨٦/١٤ وما بعدها .

(٤) كذا ، ولعلّ الهاء راجعة إلى السلطان .

٥١٩ ـ تَمُر بُغَا العقيلي*

الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالكرك ، أحد مماليك الملك الناصر محمد .

كان خَيْراً كلّه ، وبَشَراً لا يَعْدِلُ عَنْه الصلاح ولا يملّه . عاش به أهل الكرك ونَجَوا بنيابته من النوائب والدرك .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أخبرني بعض مماليكه قال : هذا أستاذي ، عمره ما نكح ، وعنده الزوجة المليحة والجواري الملاح .

قُلْتُ : لعلّه كان عِنّيناً ، وإلاّ فليس في تَرْك النكاح المشروع معنى يقصد به وجه الله طلب الثواب أو الهرب من العقاب .

ولم يزل على حاله بالكرك إلى أن اجتحفه سيل الحيف حَتْفا ، ودعا به داعي المنون هَتْفَا .

ووفاته رحمه الله في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

٥٢٠ ـ تَمُر بُغا**

الأمير سيف الدين الحَسَني .

كان أحد أمراء الطبلخاناه بطرابلس .

ولم يزل بها إلى أن توفي في شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٥٢١ ـ تِمِرْتاش***

بتاءٍ ثالثة الحروف ، وميم بعدها راء ، وتاء ثالثة الحروف أيضاً وبعدها ألف وشين معجمة : ابن النُوين جوبان .

---

* الوافي : ٤٠٠/١٠ ، والدرر : ٥١٨/١ ، والذيل التام : ١٠٦ .

** الدرر : ٥١٨/١ .

*** الوافي : ٤٠٠/١٠ ، والدرر : ٥١٨/١ ، والمنهل الصافي : ١٣٩/٤ .

كان معدوداً من الفرسان والأبطال الذين ليسوا من نوع الإنسان . إذا التقى الصفّان وسُلَّ السيفان نزل عن ظهر جواده وجلس على بساط ، واستعمل ما يبعث النفس على الانبساط ، وتَنَاول سَقْرَقا[١] صرفا ، وركب للحَمْلَة على عَدُوِّه طِرْفَا[٢] .

وكان قَدْ قَرَّرَ في عَسْكَره أنَّه مَنْ مات في الْمُعْتَرك ، فإقطاعُه لولده مِنْ غير مُشْتَرك ، ومَنْ هَرب فأنا وراءه بالرَّهَب ، وإذا وقع في يَدِي فالسيف ، وما أرى في ذلك سلوكَ جنفٍ ولا حَيْف .

فلهذا ما ثبت له أحَدْ ، ولا وُجد مِنْ دونه مُلْتَحد . وهزم جيوشاً عديده ، وفتح بلاداً مساحتُها مديده .

وكان قد خطر له أنه هو الْمَهْدِيّ الذي يجيء آخر الزمان ويمهّد الأرض ، ولما بلغ أباه ذلك ركب وجاء إليه وردَّه عن العقيدة ، واستصحبه معه إلى الأردو إلى خدمة القان بوسعيد . ولما حضر معه رأى الناس في الأردو ينزلون قريباً[٣] من خام الملك ، فقطع الأطناب بالسيف ، ووقف على باب خان القان ورمى بالطومار ، وقال : أينما وقع ينزل الناس على دائرته . فأعجب ذلك بوسعيد . وعاد إلى بلاد الروم حاكما .

وكان واسع الكرم ، تحسده الغمائم فتتوقد من البوارق بالضرم ، لا يبالي بما أنْفَق ، ولا ينام وجَفنهُ على فائتٍ مُؤرق . وكان كَرَمُهُ وجودُهُ المفرط من أسباب هلاكه وإيقاعه في حبائل الموت وأشراكه ، لأنه لَمَّا وصل إلى القاهرة لحقه من أمواله بالروم مئة ألف راس غنم فيما أظن ، أو ثمانون ألف رأس ، فلما وصلت إلى قطيا أطلق منها لبكتمر الساقي عشرين ألف رأس ، ولقوصون كذا ، ولفلان كذا ولفلان كذا ، ففرّق الجميع ، فلم يَهُن هذا الأمر على الملك الناصر محمد . ودخل يوماً حمّام قتّال السبع التي في

(١) في الأصل : « سقرفاً » ، تصحيف ، والسقرق : نوع من النبيذ الحبشي .

(٢) الطرف : الكريم من الخيل .

(٣) في الأصل : « قرشا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

الشارع تحت القلعة[١] ، ولّما خرج أعطى الحمّامي ألف درهم والحارس ثلاث مئة درهم ، فزاد ذلك في حنق السلطان عليه .

وكان حسناً شكْلَه ، كأنّ قوامَه غصنٌ بان وشعره ظِلُّهْ ، إذا خطا تخطّر ، وظُنَّ بقوامه أنه رُمْحٌ يتأطّر ، تَعْطفه نشوةُ الشباب ويُظَنُّ من تثنّيه أنه ارتشف بنت الحُبَاب ، شكا السلطانُ منه ذلك إلى بعض خواصّه وقال : أرأيت هذا تمرتاش كيف يمشي قدّامي ، هذا إنما هو إعجاب منه بشكله وقدّه ، واستخفافا . فقال : والله يا خوند هكذا يدخل إلى الطهارة ، وهذه عادته أبداً .

وكان السبب في دخوله إلى هذه البلاد أنه لما مات أخوه دمشق خواجا[٢] ، وهرب أبوه جُوبان ، اجتمع هو بالأمير سيف الدين أيتمش ، وطلب الحضور إلى مصر ، وحلف له أيتمش أيماناً معظمة عن السلطان ، فحضر في جمعٍ كبير ، وخرج الأمير سيف الدين تنكز نائب دمشق ، وتَلَقّاه في يوم الأحد خامس عشري صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وتوجّه إلى[٣] السلطان ، وظَنّ أن السلطان يَخْرُج له ، فلم يخرج لتلقّيه وأمَرَ برَدِّ من حضر معه إلا القليل ، وأعطى لكل واحد مبلغَ خمس مئة درهم وخِلْعَة ، فعاد الجميع إلا اليسير ، وأراد السلطان أن يُقْطِعه شيئاً من أخباز الأمراء ، فقال له الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب : يا خوند ، أيش يقال عنك ؟ أنه وفد عليك وافد من الروم ما كان في بلادك ما تعطيه إقطاعا[٤] حتى تأخذ من إقطاع أمرائك ، فرسم له كلّ يوم من دخل قطيا بألف درهم[٥] ، إلى أن ينحّل له إقطاع يناسبه[٦] ، ورسم له

---

(١) عبارة الوافي : « ونزل إلى الحمام التي عند حوض ابن هنّس » . وكذا في المنهل .

(٢) في المنهل : « دمشق خجا » .

(٣) في الأصل : « مع » ، ولا وجه لها .

(٤) في الوافي : « ما تقطعه » .

(٥) عبارة الوافي : « فرسم له تعطيا ، ثم أمر له كلّ يوم بألف درهم » .

(٦) في الأصل : « ويناسبه » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

السلطان على لسان الأمير سيف الدين قجليس أن يُطلِق من الخزانة ومن الإصطبل ما يريده ، وأن يأخذ منهما ما يختاره ، فما فعل شيئاً من ذلك .

وكان الناس في كلّ يومٍ موكبٍ يوقدون الشموع بين القصرين ، ويجلس النساء والرجال على الطرق والأسطحة ينتظرون أن تمرتاش يلبس للإمرة ، ثم إنه عبرت عينه أيضاً على مماليك السلطان الأمراء الخاصكية ، ويقول[١] : هذا كان كذا ، وهذا كان في البلاد كذا ، وهذا أُلْماس[٢] كان جمّالاً ، فما حمل السلطان هذا منه .

وأُلبس يوماً قباء من أقبية الشتاء على يد بعض الحجاب ، فرماه عن كتفه ، وقال : ما ألبسه إلاّ مِن يَد ألماس أمير حاجب[٣] . ولما وصل القاهرة أقاموا الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر من الميمنة ، ونقلوه إلى الميسرة ، وأجلسوه مكانه .

ولم يَزَل على حاله بالقاهرة ، إلى أن قُتل جوبان أبوه في تلك البلاد ، فأمسك السلطان تمرتاش ، واعتقله فوجد لذلك ألماً عظيماً . وقعد أياماً لا يأكل فيها شيئاً ، إنما يشرب ماء ويأكل بطيخاً ، لما يجده في باطنه من النار ، وكان قجليس يدخل إليه ويخرج ويطيّب خاطره ، ويقول له : إنما فعل السلطان هذا لأن رسل القان بوسعيد على وصول ، وما يهون على بوسعيد أن يبلغه عن السلطان أنه أكرمك . وقد حلف كل منهما للآخر ، فقال له يوماً : أنا ضامن عندكم انكسر لكم عليّ مال ، حبستموني حتى أقوم به ؟ ، إن كان شيء فالسيف ، وإلا فما في حبسي فائدة ، والله ما جزائي إلا أن أسمَّر على جمل ، ويطاف في بلادكم ، هذا جزاء[٤] وأقل جزاء من يأمن إلى الملوك ، ويسمع من كلامهم وأيمانهم .

---

(١) عبارة الوافي : « وكان يقول » ، وهي أشبه .

(٢) ألماس بن عبد الله الناصري . توفي (٧٣٤ هـ) . المنهل .

(٣) عبارة الوافي والمنهل : « ألماس الحاجب الكبير » .

(٤) عبارة الوافي : « ويطاف بي في بلادكم ، ويقال هذا جزاء » ، وهي أقرب .

ثم إن الرسل حضروا يطلبون تمرتاش من السلطان ، فقال : ما أسيّره حيّاً ، ولكن خذوا رأسه ، فقالوا : ما معنا أمر أن نأخذه إلاّ حيا ، وأما غير ذلك فلا ، فقال : فقفوا على قتله . وأُخرج المسكين من سجنه ومعه قجليس الحاج وأيتمش وغيرهما .

فخُنق جُوّا باب القرافة بقلعة الجبل ، وكان يستغيث ، ويقول : أين أيتمش ؟ يعني الذي حَلَف لي ، وأيتمش يختبئ بين الناس حتى لا يراه ، وقال : ما معكم سيف ، لأي شيء هذا الخنق ؟

وكان ذلك في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، ثم حُزّ رأسه بحضرة الرسل ، وجهز في البريد قبل توجه الرسل ، وكتب السلطان إلى بوسعيد يقول له : قد جهّزت إليك رأس غريمك ، فجهز لي رأس غريمي ، يعني قراسنقر ، فما وصل الرأس إلى بورسعيد حتى مات قراسنقر حتف أنفه ، فقيل لبوسعيد . ألا تجهزّ رأس قراسنقر إليه ، فقال : لا إنّ الله أماته بأجله ولم أقتله أنا .

ودفنت جثة تمرتاش برّا باب القرافة عند تربة الفارس أقطاي . واستشار السلطانُ تنكزَ في قتلته ، فما أشار بها ، وقال : المصلحة استبقاؤه ، وكانَ استَشارَه أوّلاً في إمْساكه ، فما أشار به .

وخلّف تمرتاش من الأولاد : الشيخ حسن ومصر ملك ، وجمد غان ، وبير حسن ، وتودان ، رشيدون ، وملك أشرف ، والأشتر ، ثم إنه ظهر بعد مُدَّة مَن ادّعى أنه تمرتاش وصدّقه أولاده ونساؤه . وقد ذكرت ذلك في ترجمة (أبو بكر الدعيّ) ، وكنت قد قلت :

احذر من الدنيا وإقبالها ... فربُحُها يُفْضي لخُسْران

رُبَّ غنىً فيها انتهى للعَنَا ... مثل تمرتاش بن جوبان

٥٢٢ ـ تَنْكز*

الأمير الكبير المهيب العادل الفريد سيف الدين أبو سعيد الأشرفي الناصري ، نائب السَّلْطَنة بدمشق .

جُلِبَ إلى مِصْرَ وهو حَدَثٌ فنشأ بها . وكان أبيضَ إلى السُّمْرَه ، كأنَّ وجْهَهُ عليه حُسْنُ القمر وسَعْدُ الزُهرَه ، رشيق القامه ، متوسط الهامه ، مليح الشَّعَر ، لا يُحسن وَصْفَه مَنْ شَعَر ، خفيف اللِّحْية والشارب ، يهتزّ إذا خطا من وسطه إلى السنام والغارب ، قليل الشّيب ، بعيد من الخنا والفاحشة والرَّيْب ، يَملك نَفْسَه عند المحارم ، ويعدّ مغانم الفاحشةِ مِن الْمَغَارِم ، يذوب وَجْداً في هواه ويَفْنى غراما ، ولا يرتكب ـ مع القُدْرةِ ـ حراما . يعظّم الشَّرْعَ الشريف ولا يخرج عن حُكمه ، ويوقّر من يراه مِن الفضلاء لعِلْمِه ، ماله لَذَّةٌ في غير أمْنِ رعاياه ، ومَن انضوى إلى ظِلّه أو انْزَوى إلى زواياه ، وكانت بذلك أيامُه أعيادا ، ولياليه أعراسا ، وأموال الناس موفّرة عليهم لا تفارق منهم أكياسا ، كم أخذ الناسُ مِنْ إمْرَه ، وما نالهم غرامةُ خيطٍ في إبره . وكم باشروا ولايات ، وكم وصلوا إلى عِدّة نيابات ، وكم وصل من إقطاع ، وكم حكّم حاكماً فقضى وهو بأمره يُطَاع ، وما أحد تَنوبه غَرامه ، ولا يُعْرف أُسْد خَبْت من غزلان رامه .

هذا ، مع معرفة ودُرْبَه ، وأحكامٍ قد سدَّدها اللهُ ، فما نفع منه في مواطن غُرْبَه ، يقرأ الموقّعُ عليه القصّة ويسكت ، ويُطرِقُ بعد ذلك في الأرض ينكُت[1] ، فيأخذها ويعطيها لَمَشدّ الأوقاف إن كانت تتعلق بأحكام القضاه ، أو للحاجب إن كانت تتعلق بأمرٍ يأباه ولا يرضاه ، أو للصاحب إن كانت تتعلق بجامكيّة أو مرتب ، أو لناظر

* الوافي : ٤٢٠/١٠ ، والتحفة : ٢٣١/٢ ، وفوات الوفيات : ٢٥١/١ ، والبداية والنهاية : ٢٥١/١٤ ، والدرر : ٥٢٠/١ ، والخطط : ٥٤/٢ ، والمنهل الصافي : ١٥٦/٤ .

(١) في الأصل : « ينكث » ، ولا تناسب السجعة .

الجيش إن كانت تتعلق بحدود أرض ، أو من قد ظلم جنديّه وتغلّب ، أو لوالي المدينة إن كان بعُمْلَة سُرقت ، أو حادثة نزلت بأحد أو طرقت . ومع هذا يقول لكلّ واحدٍ منهم ما يعتمده ، ويكون فيه حُجَّتُه ومُسْتَنَدُه ، وجميع ذلك مسدَّد ، موثّق[١] بالشرع وبالسياسة مُشَدّدٍ .

ولم ير الناس أعفَّ مِنْ يَده ولا مِنْ فَرْجه ، ولا شاهدوا شَمْسَ عَدْلٍ نزلت أحسنَ مِنْ بُرْجه ، وأطارَ اللهُ طائِرَ حرمته ومهابتِه في سائر البلاد ، وأَثارَ سائر معرفته بين أهل الجدالِ والجِلاَد ، ولذلك كانت الأسعار رخيصه ، والضعيف لا تُرْعَد له من القويّ فَريصه ، وسائر الأصناف موجوده ، وأثمانها واقفة عند حدود مَحْدُوده .

ولهذا كتبت أنا من الديار المصرية إلى القاضي شهاب الدين بن القيسراني[٢] :

ألا هَلْ لُيَيْلاتٌ تَقَضَّت على الحِمَى ... تَعُود بوعد للسرور منجّزِ[٣]
ليالٍ إذا رام الْمُبَالِغُ وَصْفَها ... يشُبِّهها حُسْناً بأيّام تَنكز

وكان الأمير سيف تَنْكز ـ رحمه الله تعالى ـ قد جَلَبه الخواجا علاء الدين السيواسي ، وبعضُ الناس يقول : إنه مملوك السلطان حسام الدين لاجين ، والصحيح ما أخبرني به القاضي شهاب الدين بن القيسراني قال : قال لي يوماً : أنا والأمير سيف الدين طَيْنَال من مماليك الأشرف[٤] .

سمع (صحيح) البخاري غَيْرَ مَرّة من ابن الشحنة ، وسمع كتاب (الآثار)

---

(١) في الأصل : « موثقاً » ، ولا وجه لها .
(٢) سنة (٧٤٥ هـ) كما في التحفة .
(٣) في التحفة : « بوصل للسرور » . والبيتان في المنهل .
(٤) وفي المنهل : « جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي ، فاشتراه الأمير لاجين » .

للطحـــاوي[١] ، و (صحيـح) مسلم ، وسمـع من عيسى المطعم[٢] وأبي بكر بن عبد الدائم ، وحدث (بثلاثيات) البخاري ، قرأها عليه المقريزي[٣] بالمدينة النبوية .

أمَّرَه السلطان الملك الناصر محمد إمرة عشرة قبل توجّهه إلى الكرك ، وكان مَعَه في الكرك ، وترسّل عنه منها للأفرم ، فاتّهمه أن معه كتباً إلى أمراء الشام ، ففتشه وعرض عليه العقوبة ، فَحَصَلَ له منه مخافة شديدة . ولما عاد عَرَف السلطانُ ذلك ، فقال له : إنْ عدتُ إلى الْمُلْك فأنت نائبُ دِمَشْق . فلما عاد وجَرَى ما جرى ، وجُعل الأمير سيف الدين أرغون نائبَ مصر قال لتنكز ولسودي[٤] : لازِمَا أرغون وأبصرا أحكامه ، فلازماه سنة .

ثم إنه جَهَّز سودي لنيابة حلب ، وبعد ذلك جهز [تنكز][٥] إلى دمشق على البريد ، ومعه الحاج أرقطاي وحسام الدين البشمقدار ، فوصل إلى دمشق يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وباشر النيابة ، وتمكّن منها ، وسار بالعساكر إلى مَلَطْيَة وافتتحها في شهر الله المحرّم سنة خمس عشرة وسبع مئة . وعظم شأنه وهابه الأمراء بدمشق ، والنواب بممالك الشام ، وأَمِن الرعايا في مواطنهم ، وتحفّزت السبل ، وتردَّدت القُفُول من سائر الأقطار ، ولم يكن أحد من الأمراء ولا من أَرْبَاب الجاه يَظْلِم أحداً ذمّيّا أو غيره خوفاً منه لبطشه وشدة إيقاعه .

ولم يزل في عُلُوّ وارتقاءٍ منزلةٍ يتضاعَفُ إقطاعُه في كلّ وقت ، وتزيد عوائد أنعامه وخيوله وما يصل إليه من باب السلطان من القماش والجوارح والتشاريف .

(١) هو كتاب : معاني الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١ هـ) ، جمع فيه الآثار المأثورة عن النبي ﷺ في الأحكام التي يتوهم أهل الإلحاد أنها متناقضة ينسخ بعضها بعضاً . الكشف : ١٧٢٨/٢ .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) محيي الدين عبد القادر بن محمّد ، وستأتي ترجمته .

(٤) هو الأمير ناصر الدين الناصري رأس النوبة ، وستأتي ترجمته .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

وكان السلطان لا يفعل شيئاً في مصر في مُلْكه غالباً حتى يستشيره ويكتب إليه فيه ، وقلّما كَتَب هو إلى السلطان وسأله في شيء فردّه في جميع ما يقررّه من عزلٍ وولايةٍ في نيابةٍ أو قضاءِ قُضَاة أو غير ذلك من إقطاع الإمرة والحلقة ، ولا يعطي لأحد إمرةً صغيرة كانت أو كبيرة أو نيابةً أو قضاءَ قضاةٍ أو منصباً[1] ، صغيراً كان أو كبيراً فأخذ عليه رُشاً أو طَلبَ عليه مجازاةً أو مكافأة ، هذا لم نسمعه عنه في وقت من الأوقات ، بل يُدْفَعُ إليه المبلغ الكبير أو الْمُلْك أو غير ذلك مما هو بجُملٍ معدودة فيردّها ، ويعطي ذلك المطلوب لمن يسخّره الله له بلا شيء .

ثم إن السلطان أذن له في الحضور إلى القاهرة ، فتوجّه إليها وعاد مكَرَّماً مُحْترماً زائد الإنعام ، وصار بعد ذلك يتوجه في غالب الأوقات في كل سنة ، وفي كل مرة يزيد إكرامُه وإنعامه .

أخبرني القاضي شرف الدين النشّو ناظر الخاص أنّ الذي خَصَّ الأمير سيف الدين تنكز من الإنعام في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة بلغَ ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم . خارجاً عمّا أُنْعِمَ عليه من الخيل والسّروج ، وماله على الشام من العَيْن والغلّة والأغنام . ثم إنني رأيت أوراقاً بيده فيها كلفته ، وهي ثلاث وعشرون قائمة ، من جملة ذلك طبْلاَ بازٍ[2] ذهباً صرفاً ، زنتهما ألف مثقال .

والقباءُ العفير الذي يلبسه آخراً ، قال لي القاضي شرف الدين : إنه يتقوّم على السلطان بألفي دينار مصرية فيه ألف وخمس مئة دينار حريراً[3] ، وأجر خمس مئة دينار . ثم إنه توّجه بعد ذلك فيما أظن أربع مرات ، وكل مرة يُضَاعَف إنعامُه وتمكينُه ، وتَزيد هيبته ، إلى أن كان أمراء مصر الخاصكيّة يخافونه .

(١) في الأصل : « منصب » ، ولا وجه لها .

(٢) الطبل باز : مما كان يستخدم في استدراج الطيور ، أو منادة البوازي ، وآلت إلى آلة يستخدمها المسحرون في رمضان وأتباع رباطات الدراويش .

(٣) في الأصل : « وحرير » ، ولا يستقيم بها العبارة ، كلمة حرير لم ترد في مطبوعة الوافي والتحفة .

أخبرني الأمير سيف الدين قرمشي الحاجب قال : قال لي السلطان : يا قرمشي لي ثلاثين سنة وأنا أحاول من الناس أمراً وما يفهمونه عنّي ، وناموس الملك يمنعني أن أقوله بلساني ، وهو أني لا أقضي لأحد حاجةً إلاّ على لسانه أو بشفاعته ، ودعا له بطول العمر . قال : فبلّغتُ ذلك للأمير ، فقال : بل أموت أنا في حياة مولانا السلطان . قال : فلما أنهيت ذلك السلطان قال : يا قرمشي ، قل له : لا أنت إذا عشت بعدي نفعتني في أولادي وحريمي وأهلي ، وأنت إذا متَّ قبلي إيش أعمل أنا مع أولادك ، أكثر ما يكونون أمراء ، وهاهم الآن أمراء في حياتك ، أو كما قال .

وآخر ما كُتب له عن السلطان في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة : أعز الله أنْصَار المقرّ الكريم العالي الأميري . وفي جملة الألقاب : الأتابكي الزاهدي العابدي . وفي النعوت : معزّ الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين . وهذا لم نعهده يُكتب لنائبٍ عن السلطان ولا لغير نائب ، على اختلاف الوظائف والمناصب .

وزادت أملاكه[١] ، وعمّر جامعه المعروف به بحكر السمّاق بدمشق[٢] ، وأنشأ إلى جانبه تربة وداراً وحمّاماً ، شرع في عمارة ذلك في شهر صفر سنة سبع عشرة وسبع مئة وعمّر تربة لزوجته أم أمير علي[٣] ، ومسجداً ومكتب أيتام بجوار الخَواصين ، وعمر داراً للقرآن عند داره بجوار القليجيّة[٤] ، وأنشأ بصفد بيمارستاناً ، وعمّر بالقدس رِباطاً وحمّامين ، وساق الماء إلى الحرم ، وصار يجري على باب المسجد الأقصى ، وعمر بالقدس قيساريّة[٥] مليحة ، وجدد القنوات بدمشق ، فانصلحت مياهها بعد أن كانت فسدت

(١) عبارة الوافي : « أمواله وأملاكه » .

(٢) موضع بدمشق يدعى اليوم : شارع النصر ، قبل ذلك : شارع جمال باشا ، يمتد من رأس باب القلعة الغربي حتى محطة الحجاز . (ولاة دمشق : ١٦٧) . وما زال المسجد معروفاً باسمه ، وهو من أكبر مساجد دمشق اليوم .

(٣) واسمها تربة ستيتة ، ملاصقة لمدرسة نور الدين الشهيد من الجهة القبلية . (ولاة دمشق : ١٧٢) .

(٤) هي خلف سوق البزورية لصق حمام نور الدين الشهيد من جهة الشرق ، وهي مشهورة الآن بالمدرسة : الكاملية . (ولاة دمشق : ١٧٢) .

(٥) القيساريّة : الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار .

طعومها ، وتغيرت روائحها ، وجدَّد عمائر المدارس والزوايا والرُّبُط والخوانق ، ووسّع الطرقات ، وأصلح الرصفات .

كان يدور بنفسه في الليل مختفياً ويشير بما يراه فما يصبح ذلك المكان إلا وقد هُدِم والصناع تعمل فيه .

وله في سائر الشام أملاك وعمائر وأوقاف . وفي الديار المصرية أيضاً داره المعروفة به ، والحمّام بالكافوري .

وكان الناس في أيامه آمنين على أنفسهم وحريمَهم وأولادهم وأموالهم ووظائفهم ، مَنْ في يده وظيفة لا يجسر أحد يطلبها لا من مصر ولا من الشام .

وكان يتوجه في كل سنة إلى الصعيد بمن يختاره من عسكر الشام إلى نواحي الفرات ، وعدّى الفرات في بعض سفراته وأقام يتصيَّدُ في ذلك البَرّ خمسة أيام . وكان أهلُ تلك البلاد ينجَفِلُون قدّامه إلى بلاد توريز وسلطانيّة ، وكذلك بلاد ماردين وبلاد سيس ، وكان يصل أجرة الدابة خمسة عشر درهما في مسيرة نصف يوم .

ولم يكن له غرض غير الحق والعمل به ونصرة الشرع ، خلا أنه كان به سوداء يتخيل بها الأمر فاسداً[1] ، ويحتد خُلُقه ويتغيّر ويزيد غضبه ، فهلك بذلك أناس ، لا يقدر أحد من مهابته يوضح له الصواب . وكان إذا غضب لا سبيل إلى رضاه ولا أن يحصل منه عفو . وإذا بَطَش بَطَشَ بَطْشَ الجبّارين ، ويكون الذنب عنده صغيراً حقيراً نزراً يسيراً ، فلا يزال يكبّره ويعظّمه ويزيده ويوسعه ، إلى أن يخرج فيه عن الحَدّ . ورأيت من سعادته أشياء منها أنه كان إذا غضِبَ على أحد ، في الغالب لا يزال ذلك المغضوبُ عليه في خُمُولٍ وخمود وتعس ونكَس إلى أن يموت .

قال القاضي شرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود كاتب سرّه قال : والله ما زلت في هَمٍّ وخوفٍ وتوقُّعِ مثلِ هذا إلى أُمسك . وغضب عَلَى أحد ورضي عنه .

(١) عبارة الوافي : (... فاسداً ويبني عليه) .

أخبرني قوام الدين أحمد بن أبي الفوارس البغدادي[١] قال : قلت له يوماً : والله يا خوند ، أنا رأيت أكبر منك وأكثر أموالاً منك ، فلما سمع ذلك تنمّر ، وقال بغيظ : من رأيت أكبر منّي ؟ فقلت : خَربَنْدا وبوسعيد وجوبان ، فلما سمع ذلك سكن غيظه . ثم قلت له : إلا أنّهم لم تكن رعاياهم تحبهم هكذا ، ولا يدعون لهم كما يدعو رَعَاياك لك ، ولا كانت رعاياهم في هذا الأمن وهذا العدل . فقال لي : يا فلان : أيّ لذة للحاكم إذا لم تكن رعاياه آمنين مطمئنين .

ومن إيثاره للعدل أنه كان يوماً يأكل معه بعض خواصّه ، أُنسِيت اسمَه ، فنظر إصْبَعه مربوطة ، فسأله عن السبب فأنكره ، فلم يزل به حتى قال : يا خوند : واحد قوّاس عمل قوساً ثلاث مرات ، فأغاظني فلكمته ، فلما سمع كلامه التفت عن الطعام ، وقال : أقيموه ، ورماه وضربه ، على ما قيل : أربع مئة عصا ، وقطع إقطاعه وبقي غضبان عليه سنين إلى أن شُفع فيه حتى رضي عنه .

وأخبرني ناصر الدين محمد بن كوندك[٢] دُوَادارُه بعد موت تنكز بسنين ، قال : والله ما رأيته في وقت من الأوقات مُدّةَ ما كنتُ في خدمته غافلاً عن نفسه ، ولا أراه إلاّ كأنه واقف بين يدي الله تعالى ، وما كان يخلو ليله من قيام . وقال لي أيضاً : لَمْ يُصَلّ الأمير صلاة قط إلا بوضوء جديد .

وقال لي أيضاً : مِنْ حشمة الأمير أنه ما أَمْسَك ميزاناً بيده قطّ منذ كان في الطباق[٣] إلى آخر وقت . انتهى .

قلت : ولم يكن عنده دهاء ولا له باطن ، ولا عنده خديعة ولا مكر ، ولا يصبر على أذى ، ولا يحتمل ضَيْماً ، ولا فيه مداراة ولا مداهنة لأحد من الأمراء ، ولا يرفع بهم

(١) لم نقف على ترجمته .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) مفردها طبقة ، أي مراتب الحضور في درسٍ أو غيره ، وهي أيضاً ثكنات المماليك في قلعة الجبل بالقاهرة ، وكانت كل طبقة تضمّ المماليك المجلوبين من بلد واحد .

رأساً . وكان الشيخ حسن بن تمرتاش قد أهمّه أمرُه وخافَه ، فيقال : إنه تَمَّم عليه عند السلطان ، وقال له : إنه قد قصد الحضور إلى عندي والمخامرة عليك ، فتنكَّرَ السلطان له ، وكان السلطان في عزم تجهيز الأمير سيف الدين بُشْتاك ويلبغا اليحيوي وعشرين أميراً من الخاصكيّة ومعهم بنتا السلطان إلى دمشق ليزوجوهما بابنيّ الأمير سيف الدين تنكز ، فبعث هو يقول : يا خوند ، أيش الفائدة في حضور هؤلاء الأمراء الكبار إلى دمشق ، والبلادُ الساحلية في هذه السنة مُمْحِلة وتحتاج العسكر إلى كُلفة عظيمة وأنا أحضر بولديّ إلى الأبواب الشريفة ويكون الدخول هناك ، فجهز إليه السلطان طاجارَ الدوادار ، يقول له : السلطان يسلّم عليك ويقول لك إنه ما بقي يطلبك إلى مصر ، ولا يجهزّ إليك أميراً كبيراً حتى لا تتوهم . فقال : أنا أتوجه معك بأولادي . فقال له : لو وَصَلْت إلى بلبيس ردّك ، وأنا أكفيك هذا المهم ، وبعد ثمانية أيام أكون معك[1] بتقليد جديد وإنعام جديد ، فلبَّثَه بهذا الكلام ، ولو كان توجّه إلى السلطان ورأى وجهه لكان خيراً ﴿ ولكنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أمْراً كانَ مَفعولاً ﴾[2] .

وكان أهل دمشق في تلك المدة قد أرجفوا بأنه قد عزم على التوجّه إلى بلاد التتار ، فوقع ذلك الكلام في سمع طاجار الدوادار ، وكان تنكز في هذه المدّة[3] قد عامله معاملة لا تليق به ، فتوجَّه من عنده مغضباً ، وكأنه حرّف بعض الكلام والله أعلم ، فتغير السلطان تغيراً عظيماً ، وجرّد خمسة آلاف فارس أو عشرة ومقدّمهم بُشْتاك ، وحلّف عسكرَ مصر أجمع له ولأولاده ، وجهَّزَ على البريد الأمير سيف الدين طشتمر النائب بصفد يأمُرُه بالتوجّه إلى دمشق والقبض على تنكز ، وكتب إلى الحاجب وإلى قطلوبغا الفخري وإلى الأمراء بدمشق بالقبض عليه ، وقال : إن قدرتم عليه ، وإلا فعوّقوه إلى أن يصل العسكر المصري ، فوصل الأمير سيف الدين طشتمر الظهر إلى المِزَّة ، وجهز

---

(١) في الوافي : « عندك » .

(٢) الأنفال : ٤٢/٨ .

(٣) في الأصل : « المرّة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .

إلى الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، وكان دوادار طشتمر قد وصل قبله بكرة النهار ، واجْتَمع بالأمراء ، واتفقوا ، وتوجّه الأمير سيف الدين أللْمش الحاجب إلى جهة القابون . ووعّر الطريق ، ورمى الأخشاب فيها ، وبرّك الجمال ، وقال للناس : إن غريم السلطان يَعْبُرُ الساعةَ عليكم ، فلا تمكّنوه . وركب الأمراء واجتمعوا على باب النصر .

هذا كله وهو بسلامةِ الباطن في غفلةٍ عمّا يُراد به ، ينتظر قدوم طاجار عليه بالتقليد الجديد ، وكان قد خرج في ذلك النهار إلى قصره الذي بناه في القطائع[1] عند حريمه ، فتوجه إليد قرمشي الحاجب ، وعرّفه بوصول طشتمر ، فبهت لذلك وسُقط في يده ، فقال له : ما العمل فقال : تدخل إلى دار السعادة ، وغُلّقت أبواب المدينة ، وأراد اللُّبْسَ والمحاربة ، ثم إنّه علم أن الناس يُنْهَبون ، ويلعب السيف في دمشق ، فآثر إخماد الفتنة ، وأن لا يُشْهَر سلاح . وأشاروا عليه بالخُروج ، فجهز إلى الأمير سيف الدين طشتمر وقال له : في أي شيء جئت ؟ قال : أنا جئتك من عند[2] أستاذك ، فإن خرجتَ إليّ قلتُ لك ما قال لي ، وإن رحتَ إلى مطلع الشمس تبعتك . ولا أرجع إلا إن مات أَحَدُنا ، والمدينة ما أدخل إليها . فخرج إليهم وقد عاين الهلاك ، فاستسلم وأُخِذ سيفه ، وقُيِّد خلف مسجد القدم ، وجُهِّز السيف إلى السلطان ، وجُهّز تنكز إلى باب السلطان ، ومعه الأمير ركن الدين بيبرس السلاح دار ، وكان ذلك العصر ثالث عشري ذي الحجة سنة أربعين وسبع مئة .

وتأسّف أهل دمشق عليه ويا طولَ أسفهم وامتدادَ حزنهم وتلهفهم ، فسبحان مزيلِ النعم الذي لا يزول ملكه ، ولا يتغيّر عزّه ، ولا تطرأ عليه الحوادث .

---

(١) وهو قصر فخم خارج دمشق بالقطائع شرقي قرية القدم ، ولا تزال أطلاله موجودة ، وتعرف تلك الجهة بالقصر (ولاة دمشق : ١٦٧) .

(٢) في الوافي : « رسولاً من عند » .

ولقد رأيته بعيني في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وكنا في ركابه ، وقد خرج السلطان[١] في أولاده وأمرائه إلى البئر البيضاء[٢] يتلقّاه ، فلما قاربه ترجل له ، وقبّل رأسه ، وضمّه إليه ، وبالغ في إكرامه ، بعد ما كان يجيء إليه أمير بعد أمير يسلّم عليه ويبوسُ يَده وركبته وهو راجل ، والأمير سيف الدين قوصون جاء إليه وتلَقّاه إلى منزله بالصالحية[٣] .

وأمّا الإنعامات التي كانت يفيضها[٤] عليه في تلك السنة من الرمل في كل يوم ، إلى أن خرج في مدة تقارب الخمسين يوماً فشيء خارج على[٥] الحد .

ولقد رأيته وهو في الصيد في تلك السنة بالصعيد ، وقد جاء إليه السلطان وقدّامه الخاصكيّة : الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي ، ويلبغا اليحيوي ، وألطنبغا المارداني ، وآقسنقر ، وآخر أنسيته الآن ، وعلى يد كلّ واحد من هؤلاء الخمسة طير من الجوارح ، وقال له : يا أمير أنا شكارك ، وهؤلاء بازداريّتك وهذه طيورك ، فأراد النزول لبَوْسِ الأرض فمنعه .

ثم إنّني رأيتُه بعيني يومَ أُمسك وقُيِّد ، والحَدّاد يقيمه ويقعده أربع مرات ، والعالم واقفون أمامه ، وكان ذلك عندي عبرةً عظيمة . واحتيط على حواصله ، وأودع مملوكاه طغاي وجنغاي في القلعة[٦] ، وبَعْدَ مدّةٍ يسيرة وصل الأمير سيف الدين بشتاك وطاجار الدوادار والحاج أرقطاي وتتمة عشرة أمراء ، ونزلوا القصر الأبلق ، وحال وصولهم ، حلّفوا الأمراء ، وشرعوا في عَرْضِ حواصله ، وأخرجوا ذخائره وودائعه .

(١) في الوافي والتحفة : « وقد خرج له السلطان » .
(٢) في الوافي والتحفة : « إلى بئر البيضاء » .
(٣) في الوافي : « إلى منزلة الصالحية » .
(٤) في الأصل : « يغضّها » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) في الوافي : « عن » .
(٦) في الأصل : « وأودع مملوكاً جنغاي في القلعة » ، وهي مضطربة . وعبارة الوافي والتحفة : وأودع طغاي وجنغاي مملوكاه في القلعة .

وتوجه بَشْتاك إلى مصر ومعه مِنْ ماله ما يذكر ، وهو ذهب عين ثلاث مئة ألف وستة وثلاثون ألف دينار ، ودراهم ألف ألف وخمس مئة ألف درهم ، وجواهر بلخش أحجار مثمنة ، وقطع غريبة ، ولؤلؤ غريب الحب ، وزركش طرز وكلوتات وحوائص ذهب بجامات[١] مرصّعة ، وأطلس وغيره من القماش ما كان جملته ثمان مئة حمل[٢] .

وأقام بعده الأمير سيف الدين برسبغا ، وتوجّه بعدما استُخلص من الناس ومن بقايا أموال تنكز وحواصله وبيوته أربعون ألف دينار وألف ألف درهم ومئة ألف درهم ، وأخذ مماليكه وجواريه وخيله الثمينة إلى مصر .

وأما هو رحمه الله تعالى فإنه لما وصل إلى القاهرة أمر السلطان جميع الأمراء والمماليك أن يقعدوا له في الطرقات من جُوَّا باب القلعة ، وأن لا يقوم له أحد تقع عينه عليه ، ولم يستحضره بل كان الأمير سيف الدين قوصون يتردد إليه في الرسليّة ، وهو بنفس قويّة ونَفَسٍ عظيم ، لا يخضع ولا يخشع ، وقال له مع قوصون : قال لك السلطان أبصر من تختاره يكون وصيًّك ، فقال : قل له : والله خِدْمَتُك ونُصْحُك ما تركت لي صاحباً أثق به ولا أتحول عليه ، فمالي أحد أوصّي له ، فاستشار الأمراء في أمره ، فقال له الأمير قوصون : يا خوند ، هذا دعه أميراً هنا يركب وينزل في الخدمة . وقال الجاولي : يا خوند ، هذا لا تفرط فيه تَنْدَم ، وما يفوتُك منه أمرٌ ترومه . فأمر بتجهيزه إلى إسكندرية ومعه المقدم إبراهيم بن صابر[٣] ، فأقام بها معتقلاً دون الشهر ، وقضى الله فيه أمره ، وصلّي عليه بالإسكندرية . يقال إنّ ابن صابر توجه إليه إلى الإسكندرية وكان ذلك آخر العهد به ، وأظلم الوجود ، وزال أُنسُه بسببه .

---

(١) في الفوات : « بجامات » .

(٢) عبارة التحفة : « حمل جمل » .

(٣) ترجم له المصنّف .

وكأنـــه برق تـــألّـق بـــالحِمَى ثم انطـــوى فكأنـــه لم يلمـــع[١]

ثم إنه ورد مرسوم السلطان إلى الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب الشام يقول فيه : إن تَنْكِز كُنَّا سَأَلْنَاه عَنْ ماله فأنْكَرَ وقال : الذي هو تحت يد خزندار يتي ، وهو مَضْبُوط عند كُتَّابي ، فلمّا بلغه أنَّا استخرجنا ودائعه ، وحَصَّلْنَا جميع ماله ، حصل له بذلك غيظ شديد وغبن عظيم ، فَحُمَّ لذلك حمّى مُطْبقة ومات منها .

وورد مرسوم السلطان بأن تُقَوَّم أملاكُه ، فعُمل ذلك بالعدول وأرباب الخبرة ، وشهود القيمة وحضّرت بذلك محاضر شرعية . إلى ديوان الإنشاء لتُجَهَّز [إلى][٢] السلطان ، فَنَقَلْتُ مِنْهَا ما صُورتُه :

دار الذهب بمجموعها وإصطبلاتها : ست مئة ألف درهم .

دار الزمرّد : مئتا ألف وسبعون ألف درهم .

دار الزَّرْدَكاش وما معها : مئتا ألف وعشرون ألف درهم .

الدار التي بجوار جامِعِه : مئة ألف درهم .

الحمّام التي بجوار جامعه : مئة ألف درهم .

خان العَرَصة : مئة ألف وخمسون ألف درهم .

إصطبل حكر السمّاق : عشرون ألف درهم .

الطبقة التي بجوار حمام ابن[٣] يَمن : أربعة آلاف وخمس مئة دِرْهَم .

قيسارية المرّحلتّين[٤] : مئتا ألف وخمسون ألف درهم .

(١) هو في الوافي ، والتحفة ، والفوات ، ووقع في هذا الأخير : « ثم انثنى » .
(٢) زيادة من الوافي يقتضيها السياق .
(٣) في الأصل : « لبن » ، وأثبتنا ما في : الوافي ، والفوات ، والمنهل .
(٤) في ولاة دمشق : « المرجليين » .

الفرن والحوش[١] بالقنوات من غير أرض : عشرة آلاف درهم .

حوانيت التعديل : ثمانية آلاف[٢] درهم .

الأهراء من إصطبل بهادر آص : عشرون ألف[٣] درهم .

خان البيض وحوانيته : مئة ألف وعشرة آلاف درهم .

حوانيت باب الفرج : خمسة وأربعون ألف درهم .

حمّام القابون : عشرون ألف درهم .

حمّام القصير العُمَري : ستّة آلاف دِرْهَم .

الدهشة[٤] والحمّام : مئتا ألف وخمسون ألف درهم .

بستان العادل : مئة ألف وثلاثون[٥] أَلْف درهم .

بستان النّجيبي والحمّام والفرن ، مئة ألف ثلاثون ألف درهم .

بُسْتَان الجبلي[٦] بحرستا : أربعون ألف درهم .

بستان الدُّردور بزبدين : خمسون ألف درهم .

الحدائق بحرستا : مئة ألف وخمسة وستون[٧] ألف درهم .

---

(١) في المنهل : « والحوض » .

(٢) في الأصل : « ألف » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والفوات .

(٣) في الفوات : « عشرة آلاف » .

(٤) في الفوات : « الدهيشة » .

(٥) في الفوات : « وثمانون » .

(٦) في الوافي : « الحلي » ، وفي المنهل وولاة دمشق : « الحلبي » .

(٧) في الفوات : « وأربعون » .

بستان القوصي بها : ستون ألف درهم .

الجُنَينة [١] المعروفة بالحمّام بزبدين : سبعة آلاف درهم .

بستان الرزّاز : خمسة وثلاثون [٢] ألف درهم .

الجنينة وبستان غيث بها : ثمانون [٣] ألف درهم .

المزرعة المعروفة بتهامة بها : ستون ألف درهم .

مزرعة الركن البوقي [٤] والعنبري : مئة ألف درهم .

الحصّة بالدفوف القبليّة بكفر بطنا ، ثلثاها : ثلاثون ألف درهم .

بستان السقلاطوني بالمنيحة : خمسة وسبعون ألف درهم .

حقل البيطارية بها : خمسة عشر ألف درهم .

الفاتكيات والرشيدي والكروم من زَمَلْكا : مئة ألف وثمانون ألف درهم .

مزرعة المرفع بالقابون : مئة ألف درهم .

الحِصّة من غراس غيطة [٥] الأعجام : عشرون ألف درهم .

نصف الغيطة المعروفة برُزنيّة [٦] : خمسة آلاف درهم .

---

(١) في الأصل : « الجنيبة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى .

(٢) في المنهل : « وثمانون » .

(٣) في المنهل : « ثمانية آلاف » .

(٤) في الأصل : « النوفي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى .

(٥) في الوافي ، والمنهل وولاة دمشق : « غيضة » .

(٦) في الوافي : « بَزرْنبة » . وفي المنهل : « بزوينة » .

غراس قائم في جوار دار الجالق : ألفا درهم .

النصف من غراس الهامة : ثلاثون ألف درهم .

الحوانيت التي قبالة جامعه : مئة ألف درهم .

الإصطبلات الّتي عند الجامع : ثلاثون ألف درهم .

بيدر زبدين : ثلاثة وأربعون ألف درهم .

أرض خارج باب الفرج : ستة عشر ألف درهم .

القصر وما معه خمس مئة ألف وخمسون ألف درهم .

ربع القصرين[١] ضيعة : مئة ألف وعشرون ألف درهم .

نصف البيطارية : مئة ألف وثمانون ألف درهم .

حصّة من البويضا : مئة ألف وسبعة[٢] وثمانون ألف درهم .

نصف بوّابة[٣] : مئة ألف وثمانون ألف درهم .

العلانية[٤] بعيون الفاسرتا[٥] ثمانون ألف درهم .

حصّة دير ابن عصرون : خمسة وسبعون ألف درهم .

حصة دوير اللبن : ألف وخمس مئة درهم .

---

(١) في في الأصل : « القصر من » ، تحريف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى .

(٢) في الفوات : « وخمسة » .

(٣) في الأصل : « توابة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى .

(٤) في الوافي والمنهل : « العلائية » .

(٥) في الوافي والمنهل : « الفاسريا » ، وفي ولاة دمشق : « فارسيا » .

الدير الأبيض : خمسون ألف درهم .

التنورية : اثنان وعشرون ألف درهم .

العديل[١] : مئة ألف وثلاثون ألف درهم .

حوانيت داخل باب الفرج : أربعون ألف درهم .

الأملاك التي بمدينة حمص

الحمّام بحمص : خمسة وعشرون ألف درهم .

الحوانيت : سبعة آلاف درهم .

الربع : ستون ألف درهم .

الطّاحون الراكبة على العاصي : ثلاثون ألف درهم .

زور[٢] قبجق : خمسة وعشرون ألف درهم .

الخان : مئة ألف درهم .

الحمّام الملاصقة للخان :ستون ألف درهم .

الحوش الملاصق له : ألف وخمس مئة درهم .

المتاخ : ثلاثة آلاف درهم .

الحوش المجاور للخندق : ثلاثة آلاف درهم .

حوانيت العُريضة : ثلاثة آلاف درهم .

الأراضي المحتكرة : سبعة آلاف درهم .

---

(١) في الفوات : « العزيل » .

(٢) في ولاة دمشق : « دور » .

الأملاك التي ببيروت

الخان : مئة وخمسة وثلاثون ألف درهم .

الحوانيت والفرن : مئة وعشرون ألف درهم .

المَصْبَنَةَ بآلاتها : عشرة آلاف درهم .

الحمّام : عشرون ألف درهم .

الْمَسْلَخ : عشرة آلاف درهم .

الطاحون : خمسة آلاف درهم .

قرية زلاّيا : خمسة وأربعون ألف درهم .

القرى التي بالبقاع

مرج الصفا : سبع مئة ألف درهم .

التل الأخضر : مئة ألف وثمانون ألف درهم .

المباركة : خمسة وسبعون ألف درهم .

المسعوديّة : مئة ألف وعشرون ألف درهم .

الضيَاع الثلاثة المعروفة بالجوهري : مئة[1] ألف وسبعون ألف درهم .

العادة : أربع مئة ألف درهم .

أبروطيا : ستون ألف درهم .

---

(١) في المصادر الأخرى : « أربعمئة .. » .

غير ذلك

نصف يَبْرُود[١] والصالحية ، والحوانيت : أربع مئة ألف درهم .

المباركة والناصرية : مئة ألف درهم .

رأس الماء بيم[٢] الروس : سبعة وخمسون ألف وخمس مئة درهم .

حصّة من خربة روق : اثنان وعشرون ألف درهم .

رأس الماء والدِّلي بمزارعها : خمس مئة ألف درهم .

حمّام صَرْخد : خمسون ألف درهم .

طاحون الفوّار[٣] : ثلاثون ألف درهم .

الساليّة : سبعة آلاف وخمس مئة درهم .

طاحون المغار : عشرة آلاف درهم .

قيسارية أذرعات : اثني عشر ألف درهم .

قيسارية عجلون : مئة ألف وعشرون ألف درهم .

الأملاك بقارا

الحمّام : خمسة وعشرون ألف درهم .

الهُري : ست مئة [ألف][٤] درهم .

---

(١) في الأصل : « بيروت » ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى ، وفي المنهل : « بيرود » .

(٢) في الوافي والمنهل : « المآبيم » !

(٣) في ولاة دمشق : « الغور » .

(٤) زيادة من المصادر الأخرى .

الصالحية والطاحون والأراضي : مئة[١] ألف وخمسة وعشرون ألف درهم .

رَاسليتا[٢] ومزارعها : مئة وخمسة وعشرون ألف درهم .

القصيبة[٣] : أربعون ألف درهم .

القريتين المعروفة إحداهما بالمزرعة والأخرى بالبينسية : تسعون ألف درهم .

هذا كلّه خارج عن الأملاك ووجوه البِرّ بصفد وعجلون والقدس ونابلس والرملة وجلجوليّة والديار المصريّة، لأنّه عمّر بيمارستاناً بصفد مليحاً ، وبعض أوقافه بها ، وعمّر بالقدس رباطاً وحمامَيْن وقيسارية[٤] ، وله بجلجولية خان مليح إلى الغاية أظنه سبيلاً ، وله بالرملة ، وله بالقاهرة في الكافوري دار عظيمة وإصطبل وحمّام وحوانيت .

وكان رحمه الله قد اعتمد في حياته شيئاً ما سمعنا به عن غيره ، وهو أنه استخدم كاتباً بمعلومٍ يأخذه في كلّ شهر من عَيْنٍ وغَلّة ، ليس له شغل ولا عمل غير ما يدخل خزانته من الأموال ويستقر له ، فإذا حال الحول على ذلك الواصل ، عمل أوراقاً بما يجب عليه صرفه من الزكاة ، وتُعْرَض الأوراق عليه ، فيأمر بإخراجه وصرفه إلى ذوي الاستحقاق .

وكان إذا جلس في الخدمة يقعد ويرفع يديه ، ويدعو سِرّاً بما يحبُّ ، ويمسح وجهه ، ثم بعد ذلك يفتح الدواة ، ويأخذ القلم ، ويضعه على ظفر إبهامه اليسار ، ويفتح شقته ، ويُقْبِلُ على كاتب السّر ويقرأ القصص عليه ، وإذا أراد فراغ الخدمة طبّق الدواة ، فيقول الحاجب : « بسم الله استريحوا » . وإذا علّم في كل يوم فهو الدستور للناس أجمعين .

---

(١) في الوافي والمنهل : « مئتا ».

(٢) في ولاة دمشق : راسليها » .

(٣) في ولاة دمشق : « القضيبة » .

(٤) في الوافي : « وقياسرة » . وفي المنهل « وقياسر » .

إذا خرج كاتب السّر لا يبقى بدار السعادة أحد من أرباب الخدم ، وكان أخيراً لا يدخل عليه العَلاَمَة إلاّ أَرْبَعين عَلاَمَة بالعديد من غير زيادة ، وكان أخيراً إذا توجَّه إلى الصيد لا يعود يمسك قَلَما ولا يُعَلّم علامة ، بل قبل السفر يكتب جميع ما يحتاج إليه من الأجوبة ، والكتب المطلقة والتسامير وأوراق الطريق والمطالعات إلى باب السلطان ، ويدخل بها في يومين ثلاثة وهي مسطّرات ، يتعلّم على الجميع إلى أن يتكامل ما يريده كاتب السر .

وكان يعظّم أهل العلم ، وإذا كانوا عنده واجتمع بهم لا يُسند ظهره إلى الحائط ، بل ينفتل ويُقْبل بوجهه ، ويوادّهم ويؤنسهم ، أعني غير القضاة ، ويقول : حلّت علينا البركة . فالله يكرمه في جواره ، ويُجيره في يوم الموقف من دار بواره بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وقلت أرثيه ، رحمه الله تعالى[١] :

كذا تَسْري الخطوب إلى الكرام ... وتَسْعَى تحت أذيال الظلام[٢]
وتغتال الحوادثُ كلَّ لَيْثٍ ... هِزَبْرٍ عَنْ فَريسته مُحَامِ
وتُبذَلُ بَعْدَ عِزٍّ وامتناعٍ ... وَجُوهٌ لم تُعَرَّضْ لِلّطام
فكم مَلِكٍ غدا في الأرض دَهْراً ... وآلَ إلى انتقالٍ وانتقام
إذا ما أَبرم المقدور أمْرَاً ... رأيتَ الصَّقْر من صيدا الحَمام[٣]
وهل يُرجَى من الدنيا رَفَاءٌ ... ولم تُطْبَع على رَعْيِ الذمام
إذا ضاقت جوانحنا بهمٍّ ... تُوَسِّعه بأنْوَاع السَّقَام
أقال الله عَثْرَتَنا فإنّا ... رَمَانا الدَّهرُ في شرّ الْمَرامي
وردّ الله عُقْبانا لخيْرٍ ... فقد أمسى الزمانُ بلا زمام

(١) وقد أثبتها في الوافي .
(٢) في الأصل : « وهي تحت » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) في الوافي : « المقدار » .

تنكَّر يـوم تَنْكِـزَ كلُّ عرف ... وسامَ الـذلُّ فينـا كلَّ سـام[1]
ومـال إلى المـدينـة كلّ مـولى ... وحـامَ على الرزيـة كلُّ حـام
وأذهـلَ يـومُـه الألْبـابَ حَتَّى ... كأنَّـا فيهِ صَرْعَى بـالْمُـدام
بكيْتُ دمشـقَ لَمّـا غـابَ عَنْهـا ... وأوحشَ أُفقَهـا بـدرُ التَّمام
فَيَـا تمـزيـقَ شَمْـلِ العَـدْلِ فيْنـا ... وَيَـا تَفْريـقَ ذاكَ الإنتظـام
وَيـا لَمصيبـةٍ بـدمشـقَ حَلَّتْ ... شَـدَائـدُهَـا بـأحـداثِ عِظَـام
فَكَمْ مِنْ مُقْلَـة لِلحـزنِ تَجْري ... مَـدامعُهـا بـأربعـةٍ سِجَـام
رَعَـاهُ اللهُ مِنْ راعٍ أمينٍ ... أنـامَ بعـدلـه عين الأنـام
وكفَّ حـوادث الأيّـام عنهم ... فَلَمْ تَطْرقْ حِمَـاهُمْ بـانتقـام
وكيفَ ينـوبُهُمْ خطبٌ مُلِمٌّ ... ونـابُ الـدَّهرِ فيهم غيرُ نـام
حنـوٌّ زادَ في إفراطِ برٍّ ... يسكّنُ بَرْدُهَ لَهَبَ الضِّرام
وتـدبيرٌ خَـلا عَنْ حَـظِّ نَفْسٍ ... وَنَـابَ الرّعبُ فيـهِ عنِ الحُسـام
وَدَستٌ حكمُـهُ في دارِ عَـدْلٍ ... تَـأيَّـد بـالمـلائكـةِ الكِرام
وكَمْ جَبَّـارِ قَـوْمٍ ذي عُتُـوٍّ ... تهيَّبَ أنْ يَراهُ في الْمَنـام
يُساوي عَندَهُ في العَدْلِ بينَ الـ ... ـكرامِ الغُرِّ والسُّـودِ اللئـام[2]
وهيبتُـهُ سَرَتْ شَرقـاً وغربـاً ... وشـاعَتْ عنـهُ في مصرٍ وشَـام
يُراعُ الْمُغْـلُ في تـوريـز منـهُ ... وَيَطْرقُ أَرْضَهُمْ في كلِّ عـام
وكَمْ قَطَـعَ الفراتَ وصَـاد حتَّى ... تـوغَّـلَ في فَضَـا تلـكَ المرامِي
إذا مَـا قِيـلَ هـذا اللّيثُ وافى ... مَضَـوا هَرَبـاً كأمثـالِ النَّعـام
فَرائِسُـهُ فرائِصُهَـا تَرَاهـا ... دَوَاميَ لاتـزالُ عَلى الـدَّوام
وَلم نرَ قبلَـهُ ليثـاً أَتَتْـهُ ... أَفاعي القَيـدِ تُنـذرُ بـالحِمَـام

---

(١) في الأصل : « تنكز يوم » تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « اللثام » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

وَقَـد رقت لنـا فتئنٌ حُـزْنـاً عليـهِ في القُعـودِ وفي القِيـامِ[١]
أَلا فـاذهبْ سُقْيتَ أَبـا سَعيـدٍ فَقَـد روَّى زمـانُـكَ كلَّ ظَـامِ
فـأنْتَ وديعـةُ الرَّحمنِ منَّـا تحوطُكَ في الرَّحيلِ وفي المقامِ[٢]
وَلِيْتَ فَلَم تخنْ للهِ عَهْـدا ولَمْ تجـذبْـكَ فيـهِ عُرى المـلامِ
وَحَـاشى أَنْ يَراك اللهُ يـومـاً تعـدّيْتَ الحَـلالَ إلى الحَرامِ
ونلْتَ من السَّعـادةِ والمعـالي منـالاً حَـازَ غـايـاتِ المرامِ
وكنْتَ إذا دَجَا لَيْـلُ القَضَـايـا وكانَتْ مِنْ مُهمّـاتٍ جِسَـامِ
تفرجُّهـا بقـولٍ منـكَ فَصْـلٍ لأَنَّ (القولَ ما قالَتْ حَذَامِ)[٣]
وكنْتَ تحبُّ نُورَ الدِّين طبعاً لأنّكمـا سَـواءٌ في التزامِ
رَعَيْتَ كَما رَعَى وحَميْتَ مَـا قَدْ حَمَى نَفْـديـكَ مِنْ رَاعٍ وحَـامِ
بقيْتَ مُمَتَّعـاً بـالخُلْـدِ حتَّى يقـومَ النَّـاسُ من تَحتِ الرِّجـامِ

ولما كان في أوائل شهر رجب الفرد سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، حضر تابوته من الإسكندرية إلى دمشق ، ودفن ـ يرحمه الله تعالى ـ في تربته التي تجاور جامعه بدمشق فقلت[٤] :

إلى دمشـقَ نَقَلـوا تنكـزا فيـالهـا من آيـة ظـاهرة
في جنّـةِ الـدنيـا لـه جثّـة ونَفْسُـه في جنـة الآخرة

وقُلْت أيضاً[٥] :

---

(١) في الوافي : « رقت له » ، وهي أشبه .
(٢) في الوافي : « وفي القيام » .
(٣) ضمن الشعر المشهور :
إذا قـالَتْ حَـذَامِ فصـدّقـوهـا فـإنَّ القـولَ مـا قـالَتْ حَـذَامِ
(٤) هما في الوافي ، والتحفة ، والمنهل .
(٥) هما في الوافي ، والفوات ، والمنهل .

في نقـــل تَنكـــزَ سِرٌّ أراده الله ربُّـــــهْ
أتى بـــــه نحـــو أرضٍ يحبُّهـــــا وتحبّـــــه

وقلت أيضاً كأني أخاطبه[١] :

أعـــاد الله شَخْصَـــك بَعْـــدَ دَهْر إلى بَلَـــــدٍ وَلِيْت فلم تَحْنُهـــــا
أقَمْتَ بهـــا تُـــدَبِّرهـــا زَمَـــانـــا وتـــأمُرُ في رعـــايـــاهـــا وتنهى
فـلا هـذا الـدخـولَ دخلت فيهـا ولا ذاك الخروجَ خَرَجْتَ منهـــا

٥٢٣ ـ تَنْكز بُغَا*

الأمير سيف الدين المارداني ، أمير مجلس الناصري .

كان حَظيّا عند الملك الناصر حَسَن ، والسعدُ في يده يصرفه بزمامٍ وَرَسَنْ . بالغ في تقريبه ، واعتمد على عقله وتجريبه ، فنوّله ما شاء من وجاهه ، وخوّله فيما أراد من فضل ونباهه . إلا أنه في آخر أيامه اعتلّ ، ورماه السقم بدائه وانسلّ[٢] ، فلم يزل يقوم ويبرك ، ويسكن ويَحْرُك ، إلى أن اختطفه كاسر المنيه ، واجتحفه سيل المنيه .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

كان في أيام الملك الناصر حسن الأولى مُشِدّ الشرابخاناه ، ولما أمسك الوزير منجك وجرى ما جرى ، أُعطي إمرةَ مئة ، وتَقْدِمة ألف ، واختصّ بالملك الناصر ، وصارت له المنزلة العليّة عنده ، فخَرَج الأمير علاء الدين مُغْلْطاي ، وطاز على السلطان ورَكِبَا إلى قبّة النصر ، وجهز إليه : أن جهّز إلينا النجا وتنكز بغا ، فجهّزَ إليهما ما طلباه وخلعاه ، وجرى ما جرى .

(١) هي في الوافي ، والتحفة ، والمنهل .

* الوافي : ٤٣٥/١٠ ، والدرر : ٥٢٠/١ ، والنجوم الزاهرة : ٣٣١/١٠ ، والبدائع : ٥٦٢/١/١ ، والذيل التام : ١٦٤ .

(٢) يشير إلى المثل : (رمتني بدائها وانسلّت) ، مجمع الأمثال : ٢٨٦/١ .

ثم لمّا مَلك الملك الصالح صالح ، أفْرج عنه ، وحَضر معه إلى الشام في واقعة بيبغاروس ، ولما عاد إلى مصر رسم له بإمرة مئة فارس وتقدمة ألف ، وعظم شأنه ، وارتفع قَدْرُه في الدولة الناصرية الثانية ، وعُيّن لنيابة الشام مرات ، فما اختار ذلك .

ثم إنه تعلّل وطال مَرَضُه قريباً من سنة إلى أن ورد الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

٥٢٤ ـ توبة*

ابن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة : الصاحب تقيّ الدين أبو البقاء الربعي التكريتي . المعروف بالبيّع[١] .

كان أولاً تاجراً ، حَضَر إلى البلاد وتعرف بالسلطان الملك المنصور وهو أمير قبل الْمُلْك ، فلما آل الأمر إليه ولاّه وزارة الشام مُدَّة ، ثم إنه عَزَله ، ثم تولّى وصودر غَيْرَ مرة ، ثم يسلّمه الله تعالى .

وعمّر لنفسه تربة مليحة[٢] تصلح للملك ، وكان يَظْلم الناس ويَعْسِف ، ويهيل كُثْبَان الأموال وينسِف ، إلا أنه مع ظلمه فيه مروءه ، وعنده من الإسلام بقايا رحمةٍ مَخْبوءه ، وتقريبٌ لأهل الصلاح ، وادّخارٌ من دعاء الفقراء ، فإنّه أَوْقى جنّة وأمضى سلاح .

ولم يكن له باطن ينطوي على غش ، ولا يسكن الخبث معه في عشّ ، وفيه سماح ومِزاح غير مُزَاح ، وكرم يباري به الرياح ، وحُسْنُ خُلق يصفو به كدر الماء ،

* الوافي : ٤٣٨/١٠ ، وتالي الوفيات : ٦٠ ، والفوات : ٢٦١/١ ، والبداية والنهاية : ٥/١٤ ، والنجوم ، ١٨٥/٨ ، والشذرات : ٤٤١/٥ ، والمنهل الصافي : ١٧٩/٤ . والعبر : ٣٨٧/٥ ، وعقد الجمان : ٤٧٥/٣ .

(١) في التالي : « المعروف بالبيّع ، ضمن البيعيّة في الدولة الظاهرية ، ووقف عليه من الضمان جملة ، وعوقب بسببه » .

(٢) تعرف بالتربة التكريتية ، الدارس : ١٨٥/٢ .

ويتلعّب بالقلوب تلعُّبَ الأفعال بالأسماء ، يقتني الخيول المسوّمه ، والمماليكَ الملاح الذين وجوههم أقمار على رماح مقوّمه .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءت نوبة تَوْبه ، وسقاه غمامُ الحِمَام صَوْبَه .

ووفاته رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده يوم عرفة[١] سنة عشرين وست مئة ودفن بتربته .

يقال إنه كان عنده مملوك مليح اسمه أقطوان ، فخرج يوماً آخر النهار يَسير إلى وادي الربوة ، ومملوكه أقطوان خَلْفَه ، فمرّ بمسطول وهو نائم ، فلما أحسّ بركض الخيل فتح عينيه ، وقال : يا الله توبة ! ، فقال : والك يا أبلم[٢] إيش تعمل بتوبة ؟ ، واحد شيخ نحس[٣] ، اطلب منه أقطوان أحبُّ إليك .

وأظنه باشر الوزارة بعد عزل الصّاحب فتح الدين بن القيسراني ، فلبس التقيّ توبة خلعةَ الوزارة في تاسع القعدة سنة ثمان وسبعين[٤] وست مئة ، ثم قُبض عليه في خامس عُشْري الحجة من السنة المذكورة ، وأوقِعَت الحَوْطَةُ عليه ، وتولّى الوزارةَ مجد الدين إسماعيل بن كسيرات .

ثم أفرج عنه في أول أيام حسام الدين لاجين ، لما كان نائبَ دمشق ، ثم قُبض عليه أيضاً في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وست مئة ، ثم أطلق ، ثم قبض عليه مرة أخرى في شهر واحد وأفرج عنه ، وتولى الوزارة ، ثم قُبض عليه في جمادى الأولى سنة ثمانين وست مئة ، وتولّى عوضه تاج الدين بن السّنْهَوُري[٥] . ثم إنه تولّى الوزارة ،

---

(١) في الوافي والفوات : « يوم عرفة بعرفة » .

(٢) في الفوات : « يا قواد » ، وفي القاموس : أبلمتِ الناقة : اشتهت الفحل .

(٣) في الفوات : « نحس مقلّع الأسنان » .

(٤) في التالي : « تسع وسبعين » .

(٥) لم نقف على ترجمته . وجاء في البداية في أحداث (٦٨٠ هـ) ما نصّه : (وفي أواخر ربيع الآخر عزل=

ولم يزل بها إلى أن عزل بالصاحب يحيى بن النحاس[١] في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وست مئة . وتوّجه إلى مصر في شهر رجب ، وأوقعت الحَوْطَة على أمواله وأملاكه ، ثم عاد إلى دمشق فتولّى الوزارة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وست مئة[٢] .

ثم إنه طُلب إلى مصر هو وقاضي القضاة حسام الدين الحنفي وشمس الدين بن غانم سنة سبع وثمانين وست مئة ، وعادوا في جمادى الأولى .

وفي شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وست مئة صادره الشجاعي[٣] بدمشق بعد حضور السلطان من فتح طرابلس فآذاه وأخرق[٤] به . ثم إنّه توجه إلى مصر وعاد وزيراً في المحرّم سنة تسعين وست مئة[٥] .

ولما عاد الأشرف من فتوح عكا إلى دمشق قبض عليه وعلى طوغان الْمُشِدّ ، وجماعةٍ من الكُتّاب . وأُفرج عنه في شهر رجب سنة تسعين وست مئة ، وصُرِفَ عن الوزارة بالصاحب شهاب الدين أحمد الحنفي يوم العيد الأضحى سنة خمس وتسعين وست مئة .

وفي شهر ربيع الأول تولى الوزارة التقي توبة عوضاً عن شهاب الدين الحنفي في سنة ست وتسعين وست مئة[٦] .

= التقي بن توبة التكريتي من الوزارة بدمشق ، وباشرها بعده تاج الدين السنهوري) . انظر : ٢٩٤/١٣ .

(١) كذا في الأصل ، وأكبر الظنّ أنّ المراد ههنا الصاحب محيي الدين بن النحاس (ت ٦٩٥ هـ) . البداية والنهاية : ٢٤٦/١٣ ، والنجوم : ١١٠/٨ ، والشذرات : ٤٣٢/٥ .

(٢) البداية والنهاية : ٣٠٧/١٣ ـ ٣٠٨ .

(٣) علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري ، ستأتي ترجمته .

(٤) البداية والنهاية : ٣١٤/١٣ .

(٥) البداية : ٣٢٠/١٣ .

(٦) البداية : ٣٤٩/١٣ .

ونَقَلْتُ من خطّ الوداعيّ له :

إني حلفت يمينـــــــــــا لم آت فيهـــــا بحَـــوْبـــــه
مـــــذ أقعـــــدتني الليـــــالي لاقُمْتُ إلاّ بِتَـــــوْبَـــــه

ونقلت منه ، وقد وقع من أعلى حصانه :

فـــدينـــاك لاتَخْشَ مِنْ وَقْعَـــة فـــإن وقـــوعَـــك لـــلأرض فَخْرُ
سقـــوط الغمام بفصـــل الربيـــع ففي البرّ برٌّ وفي البحر درّ

ونقلت منه أيضاً :

لا تخف أيهـــــا الصـــــا حِبُ مِنْ وَقْـــع الحِصَـــان
أنْت غَيْث ووقـــــــوع الـ ـغيث مِن خصب الـــزَّمـــان

٥٢٦ ـ تومان تمر*

الأمير سيف الدين الناصري مملوك الملك الناصر حسن .

كانَ عِنْدَ أستاذه عزيزا ، وخلاصةُ حُسْنِه البسيط لا يراه الناس وَجيزا ، لـه مكانة من قلبـه قـد ترفعت ، ومنزلـةٌ من خـاطره تردَّت بـالمحبـة وتلفَّعَت ، عمـل عليـه الأمير سيف الدين صرغتمش وأنْزَله من القلعه ، ومنع طَلْعَتَه لأن يكون لها إلى القصر طَلْعَـه ، فصبر لهذه النازله ، وقال : ما تُقَابَل بالجدّ هذه الهازله . وكان قـد بُغِي عليـه فـانتصر ، وعاد لما كان عليه بل زاد وما اقتصر .

وكان شـابّـاً طوالا ، إذا خطر كان غصنـا ، وإذا التفت كان غزالا ، لـه ديـانَـه ، ولأهل العلم عنده مكانه .

---

* الدرر : ٥٢٨/١ ، وانظر : البداية والنهاية : ٢٨٣/١٤ أحداث (٧٦٢ هـ) .

باشر النيابات ، ودخل في الأحكام فما أظلم عليه منها الغيابات ، بإطراق وسكون ، وميل إلى التعدد وركون :

لقد غدت الممالك خاليات بعدلك يا أخا الشِّيَم الرضايا
وحُسْنُ الذكر في الدنيا غِراس تَنالُ ثمارَها الأيدي السخايا

ولم يزل على حاله إلى أن انأطر ، وذَوَى منه غصنٌ ما كأنه ماس ولا خطر .

وتُوُفي رحمه الله تعالى في طاعون غزة سنة أربع وستين وسبع مئة ، في أوائل شهر رمضان المعظم .

كان هذا الأمير سيف الدين من أكبر خاصكيّة الملك الناصر حسن ، فعمل عليه الأمير سيف الدين صرغتمش ، ولم يقدر على أكثر من أنه أنزله من القلعة ، وبقي في القاهرة إلى أن أُمْسِك صرغتمش ، فعاد إلى ما كان عليه أولاً ، وجهزه الملك الناصر حسن إلى فياض بن مهنا[١] ليأخذه ويتوّجه به إلى مصر ، فوصل إلى حلب ، وركب منها الهجن وأَخَذه ، وراح به إلى السلطان ، ولم يزل عند أستاذه في أعزّ مكانةٍ وأرفع منزلةٍ ، إلى أن خُلِعَ الملك الناصر ، فأُخرج إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير زين الدين أُغْلُبَك الجاشنكير ، وأقام بطرابلس نائباً إلى أن تحرك الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في دمشق ، فجهز إليه ليحضر إلى دمشق ، فامتنع أوّلاً ، ثم وافق ، ثم جاء إليه ونزل بالقصر الأبلق ، وتوجّه معه وعاد معه من غَبَاغب[٢] ، ونزل القصر الأبلق ، ولم يصحّ أنه توجّه منه ليلاً إلى تلقّي السلطان الملك المنصور محمد بن حاجّي .

ولما وصل السلطان إلى دمشق وتقرر الأمر ، جُهِّز الأمير سيف الدين تومان تمر إلى حمص نائباً ، فتوجّه إليها وأقام بها نائباً إلى أن عُزِلَ منها[٣] . وحضر إلى دمشق

(١) (ت ٧٦١ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٧٠/١٤ .
(٢) غباغب : بليدة جنوب دمشق على طريق أذرعات (درعا) .
(٣) البداية والنهاية : ٢٨٧/١٤ .

وأقام بها أميرَ مئة مقدَّمَ ألف في الميمنة ، فأقام أشهراً قليلة ، ورُسِمَ له في أوائل شهر رمضان سنة ثلاث وستين وسبع مئة بنيابة غَزَّة . وكان قد عُزل من حمص بالأمير سيف الدين يلبغا البُجاسي في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكان قد حضر من حِمْصَ إلى دمشق على إقطاعه الذي كان بيده وهو في حمص ، ثم رُسم له بإقطاع الأمير سيف الدين سلامش ، وأجلسوه في الميمنة دون المقدّمين وفوق أمراء الطبلخانات .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن عُزل الأمير سيف الدين كجكن[1] نائب غزة . وجُهّز الأمير سيف الدين تومان تمر إلى غزة نائباً في رابع عشر شهر رمضان سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، فأقام بغزة إلى أن توفي بها في التاريخ المذكور .

وكان في هذه النيابات الثلاث مشكورَ السيرة ، محمودَ الأحكام ، رَحِمَهُ الله تعالى .

٥٢٧ ـ توما*

ابن إبراهيم الطبيب الفاضل علم الدين الشّوبكي .

كان بالطبّ عارفا ، وبالعلاج للأسقام صارفا ، اشتهر بالإنجاب علاجُه ، وصحّ على تدبيره من كل مرض مزاجُه ، وكان يُدَرِّس الطب بجامع ابن طولون[2] ، ويرى أنه بذاك في رتبةٍ ما وصل إليها سولون[3] .

---

(١) في الأصل : « كبجكي » ، تحريف . انظر ، الدرر : ٥٢٨/٠ .

* الدرر : ٥٢٨/١ .

(٢) أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بمصر (ت ٢٧٠ هـ)ل بدأ بعمارة مسجده سنة (٢٦٣ هـ) ، وانتهى منه سنة (٢٦٦ هـ) ، وهو على جبل يشكر في الجهة الجنوبية من القاهرة بقسم السيدة زينب . البدائع : ١٦٣/١/١ ، والنجوم : ١٠٦/٨ .

(٣) طبيب ومشرّع ، وهو أحد حكماء اليونان السبعة (ت ٥٥٨ ق.م) ، انظر : طبقات الأطباء : ٣٠ .

ولم يزل على حاله إلى أن فسد تركيبه ، وجاءه سهم من الموت يصيبه منه نصيبه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر رجب الفرد سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وكان من أطباء السلطان وتجاوز السبعين . واختصر (مسائل) حنين[1] ، وتولى القاضي جمال الدين بن المغربي مكانه في الجامع ، ودفن بالقرافة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن التركماني :** الأمير شمس الدين إبراهيم ابن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى .

الشيخ تاج الدين : أحمد بن عثمان . ووالدهما عثمان بن إبراهيم . وقاضي حماة الحنفي علم الدين سليمان .

☆ **التونسي :** مجد الدين النحوي أبو بكر بن محمد بن قاسم الثوري . عثمان بن محمد .

☆ **التلاوي :** الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ **ابن تيمية :** العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، وشرف الدين أخوه عبد الله بن عبد الحليم . وشرف الدين التاجر : عبد الواحد . ومجد الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز . وعلاء ذلدين علي بن عبد الغني .

☆ **ابن التيتي :** محمد بن إسماعيل .

---

(١) حنين بن إسحاق ، طبيب مؤرخ مترجم (ت ٢٦٠ هـ)، انظر : طبقات الأطباء : ٣٤ ، والكشف : ١٦٦٨/٢ ، والأعلام : ٢٨٧/٢ .

حرف الثاء

٥٢٩ ـ ثامر*

ابن درَّاج البدوي ، من عرب خفاجة .

أنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، قال : أنشدني من لفظه[1] ثامر بن درَّاج لنفسه بقلعة الجبل ، سنة خمس وثلاثين وسبع مئة :

رأتِ البرقَ لامعاً فاستطارتْ ... وبكتْ بالدموع سَمّاً رذاذا
قلتُ ماذا ؟ فقالتِ : البرقُ ، قلنا : ... أَلِبَرْقٍ على الحمى كلّ هذا

ابن الثَّرْدَة

علي بن إبراهيم .

ابن ثروان

شيخ البيانية عيسى بن ثروان .

ثعلب**

ابن الحسن بن ثعلب ، شرف الدين القاهري العطّار .

أنشدني العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال أنشدني المذكور لنفسه :

تَمَتَّعت بالتوفيق والعزّ والبَقَا ... وحُوشيت من كَسْف ألمّ ومن كشف
ولا زِلْتَ في عزّ ولينٍ ورِفْعَة ... مقيماً بصدر الآي من سورة الكهف

---

* الوافي : ٦/١١ ، والدرر : ٥٣٠/١ .
(١) في الوافي : « من لفظه لنفسه » .
** الدرر : ٥٣٠/١ .

حرف الجيم

☆ **ابن جابي الأحباس** : ركن الدين عمر بن محمد .

٥٣٠ ـ جارِيْك*

عبد الله الأمير سيف الدين .

كان أحدَ أمراء الخمسين بدمشق ، يسكن عند الشاميّة بظاهر دمشق .

توفي رحمه الله تعالى في عشري شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة ، ودفن بالقبيبات .

٥٣١ ـ جاريك تَمر**

الأمير سيف الدين المارداني .

كان من مماليك السلطان الملك الناصر محمد . أخَذه الأمير سيف الدين تَنْكز مِنَ السلطان في بعض سفراته إلى القاهرة ، وأقام عنده في دار السعادة . ولما كان في آخر سَفرةٍ ، توجَّها إلى مصر أخذ له طبلخاناه من السلطان فيما أظن .

ولما أُمسِك تنكز توجَّه إلى القاهرة وأقام هناك ، وجماعة تنكز يقولون إنه ممّن عَمِلَ على إمساك تنكز باتّفاقٍ مع طاجار الدوادار ، والله يعلم ما كان من ذلك .

---

* الدرر : ٥٣٣/١ .

** الوافي : ٣٦/١١ ، والدرر : ٥٣٤/١ ، وانظر أحداث (٧٦٢ هـ) من البداية والنهاية : ٢٧٦/١٤ت

ثم إن جاريك تمر خرج صحبة الفخري إلى الكرك ، ووصل معه إلى دمشق . وفي أواخر الأمر كان بمصر حاجباً صغيراً . ثم إنه جُهّز إلى الكرك نائباً ولم يزل بها إلى أن أُمسك الوزير منجك في أيام الناصر حسن في المرة الأولى[١] ، ورسم له بالتوجه إلى ألبيرة[٢] نائباً ، وحضر إلى الكرك الأمير سيف الدين أراي[٣] عوضاً عنه فأقام جاريك تمر بالبيرة نائباً إلى أن خُلع الناصر حسن ، وتولى الْمُلْكَ الصالح صالح ، فرسم له بالعود إلى القاهرة ، وكان من جملة الحجاب .

ولما عاد الناصر حسن إلى الْمُلْك[٤] جَرَّده ، ومعه الأمير سيف الدين علم دار الداوادار إلى الحجاز في سنة ستين وسبع مئة .

وأقام بمكة مجرداً سنتين ، فوطنها ووطّدها ، وساس العرب أحسن سياسة ، إلى أن توجّه الأمير ناصر الدين محمد بن قراسنقر من دمشق إلى الحجاز في سنة إحدى وستين وسبع مئة ، ورسم له بالمقام في مكة ، وأن يعود الأمير جاريك تمر إلى دمشق مقدم الركب الحجازي .

ولما وصل إلى دمشق طلع الأمير سيف الدين بيدمر نائب الشام وتلقّاه وحضر معه ، ودخلا دار السعادة ، ولما صار فيها قيّده وأودعه في المدرسة العذراوية[٥] . ثم إنه جهزه صحبة الأمير سيف الدين برناق إلى باب السلطان ، فرسم الناصر حسن باعتقاله في ثغر الإسكندرية .

---

(١) وذلك سنة (٧٥٢ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٣٧/١٤ .

(٢) ألبيرة : من نواحي حلب .

(٣) ترجم له المصنف في حرف الألف .

(٤) سنة (٧٥٥ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٣٧/١٤ .

(٥) بحارة الغرباء داخل باب النصر ، وهي وقف على الشافعية والحنفية ، أنشأتها الست عذراء بنت أخي صلاح الدين سنة (٥٨٠ هـ) ، الدارس : ٥٨٣/١ .

ولم يـزل بهـا إلى أن خلـع النـاصر حسن ، وأفرج عن الأمراء المعتقلين ، فحضر جـاريـك تمر إلى دمشق على إقطـاع الأمير حسـام الـدين لاجين العلائي ، ووصل إلى دمشق يوم الأحد حـادي عشر شهر رجب سنـة اثنتين وستين وسبع مئـة ، وجُهز الأمير سيف الدين أرغون الأشعري الدوادار ، وخطب ابنته فأجابه وجهزها إليه .

ثم إنه طُلب إلى مصر فتوجه إليها في شعبان سنـة ثلاث وستين وسبع مئـة فيما أظن وأقام بها إلى أن توفي بالقاهرة في سادس عشري ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبع مئـة رحمه الله تعالى .

٥٣٢ ـ جَرْكس*

الأمير سيف الدين .

تولّى نيَابة قلعة الروم[١] ، وأقام بها زمانا ، وأخذ من الدهر في طول المدة أمـانـا ، فحصَّل أموالا ، وكَنَّز جُمْلَةً لا يُبَالِي معها أَعَـادَى الأيـام أم والَى ، وثوّر نعمـة طـائلـه وأملاكاً هائله ، وشـاعَ أَمْرُ سعـادتـه واشتهر ، وبَرَز ذِكره إلى الـديـار المصريـة وظَهَرْ ، وتحدث الناسُ بأمره ، وعلموا بمكنون سِرّه .

ولم يزل على حـالـه في القلعـة المـذكورة ، إلى أن حَـالَتْ حـالـةُ الحـاليـه ، وقـال ﴿ ما أَغْنَى عَنّي ماليه ﴾[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ورسم الملك الصالح إسماعيل أن يتوجـه الأمير سيف الـدين منجـك للحَوْطِـة على موجوده ، فساق على البريد من مصر إلى قلعة الروم لأجل ذلك .

---

* الـدرر : ٥٣٤/١ ، وليس ههنـا موضع ترجمتـه ، إلا أن يكـون (جـاركس) كما في الأسماء للمائلـة لـه في المنهل الصافي مثلاً . وهو الأشبه .

(١) قلعة حصينة غربي الفرات مقابل البيرة . معجم البلدان : ٣٩٠/٤ .

(٢) الحاقة : ٢٨/٦٩ .

٥٣٣ ـ جاغان*

الأمير سيف الدين الحُسَامي المَنْصُوري .

كان مملوكَ السلطان حسام الدين لاجين المنصور .

كان فيه دين ، وعَقْلُه في السياسة مكين ، وفَضْله في التدبير مُبين ، ونَيْله في السياسة متين . أقامه أستاذُه في شدّ الدواوين بدمشق لما كان قبجق بها نائباً ، فوقع بينهما ، واستوحش قبجق من السلطان وقفز ودخل بلاد التتار .

ولم يزل إلى أن دُعي إلى البِلى ، وأصبح غيثُ الدمع عليه مُسْبَلا .

وتوفي في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكان قد وصل إلى دمشق مُشِدّا في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وست مئة من قِبَل أستاذه ، ومعه تقليد الصاحب تقي الدين توبة[١] ، وكان قد ولى الشدّ أولاً عوضاً عن فتح الدين بن صبرة[٢] ، ولما قتل السلطان لاجين أمسك جاغان بدمشق في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وأفرج عنه في جمادى الأولى من السنة .

اللقب والنسب

☆ **ابن جبارة** : شهاب الدين أحمد بن محمد . وتقي الدين عبد الله ابن عبد الولي .

☆ **ابن الجبّاب** : محمد بن عبد الوهاب .

☆ **ابن الجبّاس** : أحمد بن منصور .

---

* الوافي : ٣٩/١١ ، والعبر : ٣٩٦/٥ ، والشذرات : ٤٤٦/٥ ، وعقد الجمان = ١١٧/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(١) سلفت ترجمته .

(٢) الحسين بن عمر ، ستأتي ترجمته .

☆ **الجالق** : الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ **الجاولي** : الأمير علم الدين سنجر .

٥٣٤ ـ جِجِكْتو*

الأمير سيف الدين التركماني . أحد أمراء الطبلخانات بدمشق . بجيين مكسورتين وكاف ساكنة ، وبعدها تاء ثالثة الحروف وواو : كان أولاً مُقيماً بطرابلس ، ولَّما جَرَى لأجيبغا نائبها ما جرى ، ثم جرى لبكلمش نائبها أيضاً ما جرى ، كَرِهَ الإقامة بدمشق ، فأجيب إلى ما سأله .

ولم يطل مقامه بدمشق حتى توفي رحمه الله تعالى يوم السبت سادس شهر رمضان سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وكان له أولاد وأقارب ، وهو كبيرُ قَوْمِه بطرابلس رحمه الله تعالى .

٥٣٥ ـ جركتمر**

الأمير سيف الدين الإسْعَرْدي .

أخرجه الناصر حسن إلى نيابة حَمَاة بعد إمساك الأمير ركن الدين عمر شاه[1] ، فما أقام بها إلا قليلاً ، دون الشهرين ، وعَزَله منها بالأمير علاء الدين بن تقي الدين .

وحضر الأمير جركتمر إلى حلب أميراً من بعض الأمراء بها ، ثم جهَّزه إلى بعض قلاع حلب بطّالاً ، ثم أمسكه واعتقله بالإسكندرية ، فأقام بها معتقلاً إلى أن خُلع الناصر حسن ، وحضر بعد ذلك إلى دمشق أميراً مقدّماً على ألف .

---

* الدرر : ٥٣٤/١ .

** الدرر : ٥٣٥/١ .

(١) (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ١٩٨/٣ .

وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة خامس شهر الله المحرم سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى شكلاً تاماً حسن الوجه .

اللقب والنسب

☆ **ابن الجرايدي** : محمد بن يعقوب .

☆ **الجزري** : محمد بن يوسف .

☆ **الجَعَبري** : الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر . [و] تاج[1] الدين صالح بن ثامر . وتقي الدين محمد بن سليمان .

٥٣٦ ـ جعفر*

ابن ثَعْلب بن علي ، الإمام الأديب الفاضل كمال الدين أبو الفضل الأُدْفُوِّي ، بضم الهمزة وسكون الدال وضم الفاء وبعدها واو مشددة ، الشافعي .

كان فقيها ذكيا ، فاضلاً زَكيا ، يعرف النحو ، وتُشْرِق شمسه فيه في يوم صَحْو ، يغلب على ابن ثعلب الأدب ، ولا يفترّ عَمَّا لَهُ فيه من الطلب ، وحَظُّه من التاريخ مُوَفّر ، وجيشه إذا غزا فيه مظفّر ، ضحوك السِّن دائم البِشْر ، لا يلقاه أحد إلا عاطِرَ النشْر ، حلو المَلَق[2] عند الْمَلْقَى ، يروق من يحادثه خُلُقا وخَلْقا ، لطيف الذات ، متوسّع النفس في اللّذات .

---

(١) في الأصل : « الجعبري تاج .. » ، ولا وجه لها . انظر : الوافي : ٨٥/١١ .

* الوافي : ٩٩/١١ ، والدرر : ٥٣٥/١ ، والنجوم : ٢٣٧/١٠ ، وطبقات الشافعية : ٤٠٧/٩ ، والذيل التام : ٩٤ ، والشذرات : ١٥٣/٦ . وأشار إليه المؤلف بلفظ « تغلب » في موضع (الأدفوني) .

(٢) المَلَق : الود واللطف .

لم يزل على حاله إلى أن جاءه ساقي المنايا ، واستخرج الدمعَ عليه من الخبايا .

وتوفّي رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده في بضع وثمانين وست مئة .

كان عنده خبرة بالموسيقى ، وله نَظْم ونَثر ، ولازم شيخنا العلامة أثيرَ الدين كثيراً . ورأيته مرات بسوق الكتب في القاهرة ، وأنشدني من شعره .

وكان كثيراً ما يقيم ببلده أُدْفُو في بستان له هناك في أيام بِطَالة الدروس ، وصنّف أشياء : (الإمتاع في أحكام السماع)[١] وجوّده ، و (الطالع السعيد في تاريخ الصعيد)[٢] وجوّده ، و (البدر السافر في تحفة المسافر)[٣] ، تأريخ ، وجوّده .

ومن شعره ما نقلته من خطّه :

لِرَوْضَةِ مِصْرَ حُسْنٌ لا يُسامى ... يَطيبُ لِمَنْ أقامَ بها المقامُ
لها وجهانِ مَمْدوحان حُسْناً ... وذو الوجهين مذمومٌ يُلاَم

قُلْت : هو يُشْبه قول نور الدين علي بن عبد الله القصري[٤] في (الروضة) :

ذات وجهين فيها خيّم الْحُسْـ ... ـن فأضحت بها القلوب تهيم
ذا يلي مصر فهو مُصِرٌّ وهذا ... يتولى وسيم فهْوَ وسيم
قد أعادت عَصْرَ التصابي صَبَاها ... وأبادت فيها الغمومَ الغيوم

---

(١) مخطوط ، كما في الأعلام .

(٢) طبع بتحقيق سعد محمد حسن سنة ١٩٦٦ ، في القاهرة . وعنوان (الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد) .

(٣) مخطوط ، كما في الأعلام .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

ومن شعره :

وقد كنتُ في عصر الصّبا ذاصَبابةٍ ... ومـــا راقَ مِنْ لَهْـــوٍ إليّ حبيبُ
زمـــانيَ صَفْـــوٌ كُلُّـــهُ ومَسَرّةٌ ... وليْ من وصـال الغـانيـات نصيبُ
فلمـا رأيتُ الشيبَ لاحَ تكـدَّرتْ ... حيـاتي فَحُلْـوُ العيشِ ليس يطيبُ
إذا ابْيَضّ مُسْـوَدُّ الشبـابِ فـإنّـه ... دَليـلٌ على أنّ الحَصَـــادَ قريبُ
ومُذْ حَلّ هذا الشيبُ سارَتْ مسرّتي ... وصـــارَ عليهـــا للهمـومِ رَقيبُ
فـلا تعجبـوا مِمّـا بَـدَا مِن كآبتي ... سروري وقـــد وافى المشيب عجيب

ومن شعر كمال الدين الأُدْفُوّي ، رحمه الله تعالى[١] :

إنَّ الـدروسَ بِمِصْرِنـا في عصرنـا ... طُبعتْ على لَغَـطٍ وفَرْطِ عيـاطِ
ومبـاحثٍ لا تنتهي لنهـايـةٍ ... جَـدَلاً ونقـلٍ ظـاهرِ الأغـلاطِ
ومـدرّسٍ يُبْـدي مبـاحثَ كُلُّهـا ... نشـأت عن التخليـطِ والأخـلاطِ
ومحـدّثٍ قَـدْ صَـار غـايـةُ عِلْمِـه ... أجـزاءَ يَرْوِيهـا عن الـدّمْيَـاطي[٢]
وفـلانـة تروي حـديثـاً عـاليـاً ... وفـــلانٌ يروي ذاك عن أسماط[٣]
والفرق بين عُـزَيْرِهم وعـزيـزهم ... وافْصِـح عن الخيّـاط والحنّـاط[٤]
والفـاضـلُ النحريرُ فيهم دأبُـهُ ... قـول أرسطـا طـاليس أو بقراط
وعلـومُ دين الله نـــادت جَهْرةً ... هـذا زمـان فيـه طيٌّ بِسَـاطي
ولّى زَمَـاني وانقضت أربـابـه ... وذهـــابهم من جملـــة الأشراط[٥]

---

(١) الأبيات في الدرر ، والذيل التام .
(٢) الشرف الدمياطي ، عبد المؤمن بن خلف ، ستأتي ترجمته .
(٣) هو أسباط بن نصر الهمداني (ت ١٧٠ هـ) ، السير : ٣٥٥/٩ .
(٤) في الدرر : « غريرهم وغزيرهم » .
(٥) في الدرر والذيل التام : « أوقاته وذهابه » .

ومنه :

أذكرتني الـوَرْقَـا حـديثـاً بليلى ... قـد تَقَضَّى فبتُّ أُجْري الـدمـوعـا
ووصلتُ السهـاد شـوقـاً إليهـا ... وغرامـاً، وقـد هَجَرْتُ الهجـوعـا
كيف يَخْلُو قلبي من الحبّ يـومـاً ... وعلى حُبّهـا حَنَيْت الضلـوعـا
كلّما أُولِـعَ العـذولُ بعـذلي ... في هـواهـا يَـزْدَادُ قلبي ولـوعـا

ومنه :

وهيفـاءَ غـار الغصن من لِيْن قَـدّهـا ... بقلبي هـوى منهـا وليس يـزولُ
يروم عَـذُولي ـ صاحِ ـ منّي سلـوَّهـا ... وذلـك أمرٌ مـا إليـه سبيـلُ
وقـدْ عـابها عنـدي فقـالَ طـويلـةٌ ... ألَمْ تَرَهَـا عنـد النسيم تَميـلُ
فَقُلْتُ لـه : هـذي حيـاتي وإنني ... لَيُعْجبني أن الحيـاةَ تطـولُ

٥٣٧ ـ جعفر*

ابن علي بن جعفر بن الرشيد : الشيخ المعمّر شرف الدين الموصلّي .

ذَكر أنـه سمـع من السَّهْرَوَرْدي كتـاب (العـوارف)[١] بـالمـوصـل ، ومن ابن الزّبيدي[٢] بدمشق ، ومن ابن الجمّيزي بمصر ، ومن ابن رواج[٣] بالثغر .

---

* الوافي : ١١٧/١١ ، والمنهل الصافي : ٢٦٨/٤ ، وعقد الجمان : ٤٨١/٣ ، وفيات (٦٩٨ هـ) .

(١) هـو عـوارف المعـارف لأبي حفص عمر بن محمـد بن عبـد الله السهروردي (ت ٦٣٢ هـ) ، الكشف : ١١٧٧/٢ .

(٢) الحسين بن المبارك بن محمد بن الزبيدي (ت ٦٣١ هـ) . العبر : ١٢٤/٥ .

(٣) عبد الوهاب بن ظافر بن علي ، ابن رواج . (ت ٦٤٨ هـ) . العبر : ٢٠٠/٥ .

وروى عنه الدمياطي في (معجمه)[١] ، وقال فيه : المعروف بالحسن البصري[٢] .

توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده بالموصل سنة أربع وست مئة .

كان من الأشياخ الفضلاء ، والرواة النبلاء ، حُفَظةً للأخْبَار ، نُقَلةً للأشعار عَمّر فَروى ، وطال عُمُرُه في الخير وما غَوَى .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح خبراً بعد عَيْن ، ونَعَب بشتّ شَمْلِه غُرَابُ البَيْن .

٥٣٨ ـ جعفر*

ابن محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن حجّون بن محمد بن حمزة : الإمام المفتي ضياء الدين أبو الفضل الصعيدي الشافعي الحُسيني .

دَرَّسَ بمشهد الحُسَين ، وبمدرسة زين التجّار . وسمع وهو شابّ من ابن الجَمّيزي وأبي القاسم السِّبط .

وكان قد بَرَع في المذهب ، وأفتى أربعين سنة من عمره ، فأفْنَى مَدّتها في ذلك وأذْهَب ، وخدم العلم زمانا ، وكان على استخراج معانيه مُعَانا .

ولم يزل الضياء على حاله إلى أن محي ، ودُفِع إلى حفرته ودُحِي .

ووفاته رحمه الله تعالى على سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثمان عشرة وست مئة .

---

(١) عبارة الوافي : « ... في معجمه شعراً » .

(٢) قال في المنهل : « وصاحب الترجمة يلتبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصري التابعي المشهور المتوفى سنة عشر ومئة » .

* الوافي : ١٥٠/١١ .

٥٣٩ ـ جعفر*

ابن محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس المتأبد بن يحيى المعتلي ، ووصل الشيخ أثير الدين نَسَبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وأنشدني من لفظه شيخُنا المذكور ، قال أنشدني المذكور لنفسه[1] :

لا تَلُمْنَا إنْ رَقَصْنَا طرباً ... لنسيمٍ هَبَّ من ذاك الخِبَا
طبّقَ الأرضَ بنشرٍ عاطرٍ ... فيهِ للعشاق سِرٌّ ونَبَا
يا أُهَيْلِ الحيّ مِنْ كاظمةٍ ... قد لَقِينا من هواكم نَصَبَا
قُلْتُم جُزْ لترانا بالحمَى ... وملأْتم حَيَّكم بالرَّقَبَا
لَسْتُ أخشى الموتَ في حبّكمُ ... ليس قَتْلِي في هواكم عَجَبَا
إنما أخشى على عِرْضِكُمُ ... أن يقولَ الناسُ قَوْلاً كَذِبا :
استحَلُّوا دَمَهُ في حبِّهِمْ ... فاجْعَلوا وصلي لقتلي سببا

قلت : شعر عذب متوسط .

توفي المذكور بالقاهرة سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده بها سنة إحدى عشرة وست مئة .

٥٤٠ ـ جَعْفر بن محمد بن عدنان**

القاضي الرئيس أمين الدين بن الرئيس الفاضل محيي الدين بن أبي الجن الحُسَيْني .

---

* الوافي : ١٥١/١١ ، والفوات : ٢٩٦/١ .

(١) الأبيات في المصدرين السالفين .

** الوافي : ١٥٢/١١ ، والدرر : ٥٣٧/١ ، والشذرات : ٣٣/٦ .

كان حَسَن الهيئه ، لطيفَ الذهاب والفَيْأه[١] ، حَسَن الخَلْق ، يقبل عَلَى مَنْ أَمَّه بوَجْهِهِ الطَّلْق ، ليّن الكلمة في خطابه ، سَمْح الكف يَبْذُل ما في وِطَابه[٢] ، عارفا بصناعة الكتابه ، عالماً بالمسألة فيها والإجابه ، تنقّل في الولايات الكبار ، وباشر الوظائف التي ما لجرْحها جُبار ، ولي النقابة والنظر على الأشراف ، والنظر على الدواوين بدمشق ومالها من الأطراف ، وغير ذلك .

ولم يَزَل على حاله إلى أن غُمس شخصه في التراب ، وقَمَس[٣] من ماء الرزيّة في سراب .

وكانَتْ وفاتُه ، رحمه الله تعالى ، في ثالث عشر شهر رجب الفرد سنة أربع عشر وسبع مئة .

ومولده في مستهل شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وست مئة .

وكان قد لبس لنقابة الأشراف في شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة عوضاً عن والده الشيخ محيي الدين[٤] ، وقُدِّمَ على غيره مع صِغَر سِنّه لفضله وفَهْمه وعَقْله . ولبس خلعة نظر الدواوين بدمشق في يوم الأربعاء ، سابع عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

☆ **ابن جَعْوَان** : شهاب الدين أحمد بن العباس .

٥٤١ ـ جقطاي*

الأمير سيف الدين .

---

(١) الفيأة : العودة والرجوع .

(٢) الوطاب : سقاء اللبن وعاء من جلد .

(٣) القمس : الغوص .

(٤) (ت ٧٠٨ هـ) ، الدارس : ٣٧٩/١ .

* الدرر : ٥٣٧/١ .

كان خفيف الحركه ، سريع الخطره ، لا يبالي بشيء فاته أأدركه أم تركه .

ورَدَ إلى دمشق صحبةَ الأمير سيف الدين قُطْلُوبغا الفخري ، لَمّا تُرك على خان لاجين ، وكان قد تزوج بامرأة الجَمالي الوزير ، وهي في الحسن والعظمة ما هي ، ورُمِيَ مِنْ أمْرِها بدواهِي ، وتنقّل به الحال إلى أن صار حاجباً صغيراً بدمشق ، ولم يزل بها إلى أن أُمسك هو والأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد والأمير سيف الدين بلو قبجق[1] ، وذلك في شوّال سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة لأنّهم رموا[2] بالمباطنة للناصر أحمد ، وهذا آخر عهدي به .

الألقاب والأنساب

☆ **جلال الدين** : قاضي القضاة القزويني ، محمد بن عبد الرحمن .

☆ **أبو جلنك** الشاعر : أحمد بن أبي بكر .

٥٤٢ ـ جَمّاز بن شِيْحَة*

الأمير عز الدين أبو سند الحُسَيْني ، صاحب المدينة النبوية ، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام .

---

(١) لم نقف على ترجمة له ، ولكن أشار إليه ابن كثير في البداية والنهاية : ٢٠٧/١٤ ، أحداث سنة (٧٤٣ هـ) بلفظ : سيف الدين بك ، في الواقعة التي ذكرها المصنف ههنا .

(٢) في الأصل : « رميوا » . ولا وجه لها .

** الدرر : ٥٣٨/١ ، وفيه : « جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ... » وأنهى نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكذا في المنهل الصافي : ١٨/٥ . وانظر الشذرات : ١٠/٦ ، وفيه حمّاد ، تحريف . وعقد الجمان : ٣٧٤/٤ ، وفيات (٧٠٤ هـ) . والنجوم الزاهرة : ٢١٧/٨ . « وجَمّاز : بجيم مفتوحة وميم مشددة وألف وزاي . وشيحة : بشين معجمة مكسورة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وحاء مفتوحة وبعدها هاء » . (المنهل) .

كان أميراً في تلك البقعة الشريفه ، وكبيراً في تلك الرقعة المنيفـه ، يحكم ولا يُرَدّ ، ويحاول ما يختار فلا يُصَدّ .

كبر وطَعَن في السنّ ، وصار بعد تلك الغضارة في الصِّبـا وهو شن[١] ، فـأضرّ وهو على الإمرة قد أصرّ ، وأسرّ من أمرها إلى ولده نـاصر الـدين أبي عـامر منصور[٢] مـا أسرّ وما أشر .

ولم يزل جَمّاز المـذكور على حـالـه إلى أن ابتلعتـه حُفْرَة القبر ، وفقـد قَوْمُـه مَعَـه الصبر .

وتوفّي رحمه الله تعالى ، في شهر ربيع الأول سنة أربع وسبع مئة .

وكان شيخـاً كبيراً أضَرّ في آخر عمره ، وقـام عنـه بـالأمر في حيـاتـــه ولـــده الأمير ناصر الدين أبو عامر أبو منصور .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن جماعة :** قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم . عمـاد الـدين إسماعيل بن إبراهيم ، أخوه .

☆ **جمال الكفاة :** جمال الدين إبراهيم ناظر الخاص والجيش .

☆ **الجناحي :** نائب غَزّة ، اسمه أيْدَمر .

☆ **أولاد ابن أبي الجنّ :** جمـاعـة ، منهم : الشريف أمين الـدين جعفر بن محمـد ، وزين الـدين الحسين بن محمد ، ووالـدهمـا محمد بن عـدنـان ، وعـــدنـــان بن جعفر ، وعلاء الدين علي بن الحسين النقيب ، وناصر الدين يونس بن أحمد .

---

(١) الشنّ : القربة الخلق .

(٢) (ت ٧٢٥ هـ) ، الدرر : ٣٦٢/٤ .

٥٤٣ ـ جُنْغاي*

بضم الجيم وسكون النون وبعدها غين معجمة وألفٌ ممدودة[١] وبعدها ياء آخر الحروف : سيف الدين مملوك الأمير سيف الدين تنكز .

كان رقيقاً أهْيَفَ ، حُلْوَ الوَجْه أَوْطَف ، نحيلاً مُصَفَّرا ، ضئيلاً بالسعادة مظفّرا ، لا يزال به قَرْحَه ، تُنَغِّصُ عليه من العيش كُلَّ فَرْحَه ، وتُبَدِّلُ كُلَّ مَسَرَّة بترحه ، لأنه كان ينفث منها الدم والقَيْح ، ويَجد الألم مِمَّا لها من الفيح ، ولأجل ذلك أفسح له أستاذُه في استعمال القليل من الرَّاح ، والمداواة منها بما يُصْلِح مزاجَه لا بما يرتاض به ويَرْتَاح . ولم نره كان عند أستاذه أعزّ منه ولا أقرب ، وما كان يدعه في الخَلْوَة يقف قدّامه .

أخبرني القاضي علم الدين ناظر الجيوش[٢] ، وكان مستوفي ديوان تنكز أولاً ، قال : كان الأمير قد رَسَم لنا بأنه يُطْلِق[٣] من الخزانة العشرة آلاف[٤] فما دونها ، ويُمْضِي أمْرَه فيها ولا يشاور عليه . قال : ولم نعلم أنه مضى يوم من الأيام ولم يُنعم عليه بشيء إلاَّ فيما ندر . انتهى .

وكنّا نَرَاه في الصَّيْد إذا خرج ، يركب أستاذُه ناحية ، ويركب هو ناحية في

---

* الوافي : ١٩٦/١١ ، والدرر : ٥٣٩/١ ، والمنهل الصافي : ٢١/٥ ، وفيه : « جَنْغاي » بفتح الجيم ، ضبط قلم .

(١) في الأصل : « وألف ممدودة وياء ممدودة » ، ولا وجه لها .

(٢) هو محمّد بن أحمد بن مفضل (ت ٧٦٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) عبارة الوافي ، والمنهل : « رسم بأن يطلق » .

(٤) في الوافي ، والمنهل : « آلاف درهم » .

طلب آخر بازداريّة[١] ، وكلاّبزيّه[٢] ، وأناسٍ في خدمته ، ويكون معه في الصيد مئتا عَلِيقة ، ويكون على السِّيباله[٣] خمس ست حوايص ذهباً .

وعلى الجُمْلَة فما نعلم أنَّ أحداً رُزِقَ حظوتَهُ عِنْدَه ، كان يقال : إنه ذو قرابته ، والظاهر أن هذا هو الصحيح ، لأن هذا جُنغاي ما كان في مقام مَنْ يُعْشق ، لأنه لم يكن أمْرَد ولا مليح الوَجْه . والله أعلم . ولم يكن له عنده وظيفة ليتوسط فيها بينه وبين الناس ، بل أظنه كان ساقياً .

وفي آخر الأمر أُرْجِفَ بأنّه هو وطغاي أمير آخور تنكز ، قد حَسَّنَا لأستاذهما التوجُّهَ إلى بلاد التتار ، فطلبهما السلطان منه ، فلم يجهِّزهما ، ولما أُمسك تنكز قُبض عليهما ، وأُوْدِعا في قلعة دمشق ، فلما حضر بُشتاك إلى دمشق أحضرهما قدّامه ، وسلمهما إلى برسبُغا ، فضربهما بالمقارع ضرباً عظيماً إلى الغاية في الليل والنهار ، واستخرج ودائعهما ، وقرَّرَهما على مالِ أُسْتَاذهما ، ثم بعد جُمْعَة ركب بشتاك ، ووقف في الموكب بسوق الخيل وأحضرهما ، ووسّطهما بحضور أمراء مصر والشام ، وذلك في العشر الأول من شهر الله المحرم سنة إحدى وأربعين وسبع مئة[٤] ، ووسّط معهما أوزان تنكز[٥] .

٥٤٤ ـ جنقار*

الأمير سيف الدين .

أمسك هو والأمير بدر الدين بكتوت الشجاعي في شهر رجب الفرد سنة إحدى

---

(١) البازدار هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدّة للصيد على يده مثل الباز والصقر .

(٢) هم الذين يقودون كلاب الصّيد .

(٣) كذا . وفي المنهل : « على السيبة خمس أو ست ... ».

(٤) البداية والنهاية : ١٤/١٨٨ .

(٥) لم تقف على ترجمته ، وهذه العبارة لم ترد في الوافي ، ولا المنهل .

* الدرر : ١/٥٣٩ .

عشرة وسبع مئة ، واعتقلا في قلعة دمشق في أيام نائب الكرك ، ثم إنه ورد المرسوم في شهر رمضان بنقلهما إلى الكرك .

٥٤٥ ـ جَنْكَلي*

بفتح الجيم ، وسكون النون ، وفتح الكاف ، وبعدها لام وياء آخرُ الحروف : ابن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العِجْلي ، الأمير الكبير المعظّم الرئيس بدر الدين كبير الدولة الناصرية محمد ، ورأس الميمنة بعد الأمير جمال الدين[1] نائب الكرك .

كان شكلاً هائلا ، ووَجْهاً يحاكي القمر كاملا ، يتوقَّدُ وَجْهُه وضاءه ، ويتفقد حِلْمُه الذين أساؤوا إناءه ، يَعْرِفُ حَقّ مَنْ قَصَده ، ويُقْبل بوجهِ حُنُوِّه على مَنْ رَصَده ، ويَزْرَع من المعروف ما يسرُّه في غدٍ إذا حَصَدَه ، قد صارت المكارم له جبلَّه ، والمواهب تتحدّر من غمائم أناملِه المستهلَّه ، يَحْفَظُ فَرْجَه ، ويَسُدُّ بالعفّة ما يفتحه له السلطان مِن فُرجه ، لا يُقَرِّبُ مِنْ مماليكه من كان أمْرَدْ ، ولا يجعلُهُ على بَاله أأقبلَ عليه بوجْهِهِ أم رَدْ ، وليس له من الجواري حَظِيَّه ، ولا امرأة يدنو إليها بحَسَنَةٍ أو خطِيَّهْ ، اللهم إلاّ ما كان مِنْ أُمّ أولاده الّتي حَضَرت معه من البلاد ، ولم تر عليها له طارفاً يستجدّه على مالها من التلاد ، يصلّي العشاء الآخرة ، ويَدْخُل إلى فَرْشِها ، ويخرج لصلاة الصبح وكأنها بلقيس في عَرْشِها .

وكان يحبُّ أَهْلَ العلم ويجالسهم ، ويطارحهم المسائل ويُدَارسهم ، ويبسط لهم الودّ الأكيد ويؤانسهم . وكان يعرف رُبع العبادات ويجيده ، ويتكلم على الخلاف فيه

---

* الوافي : ١٩٩/١١ ، والدرر : ٥٣٩/١ ، والذيل التام : ٨٠ ، والمنهل الصافي : ٢٢٢/٥ ، والنجوم : ١٤٣/١٠ ، السلوك : ٨٧١/١ .

(١) آقوش ، كما في الوافي ، والمنهل .

ويفيده[١] . وكان يميل إلى الشيخ تقي الدين بن تيميّة ويَتَرَشّف كلامه ، وينتشي بذكره ، لو كنت أعلم أنه يتناول المدامَهْ ، وينفُرُ عمّن ينحرف عنه ويُوْليه الملامَه ، ويوفّر العطاء لمن قَلّده ، ويُسَنّي الهباتِ لمن قيَّد كلامه وجَلَدَه إذا كَتَبه وجَلَّده . هذا مع الإحسان المطلق مع الناس أجْمَع ، والبر الذي إذا فاض أخجل الغيوث الهُمَّع ، تارةً بجاهه الذي لا تَرُدّ إشارَته الملوك ، وتارة بماله الذي تنخرط جواهرُه في السلوك .

وكان آخرَ وقته كبيرَ الدولة في السلم وإثارةِ غبار السنابك ، وإذا حضر دارَ عَدْل قال[٢] : يا أَتَابك ، سبحان مَنْ أتى بك .

ولم يزل على حاله في سؤدده إلى أن غاب بَدْرُهُ وأَفَلْ ، ونَزَل شخصُهُ إلى حضيض القبر واستفل .

وتوفي[٣] رحمه الله تعالى في سنة ست وأربعين وسبع مئة ، يوم الاثنين العصر سابع عشر ذي الحجة .

وكان ينتسب إلى إبراهيم بن أدهم[٤] رضي الله عنه ، وسيأتي ذكر ولده الأمير ناصر الدين محمد .

خَطَبَه الملك الأشرف خليل وهو في تلك البلاد ، ورغَّبه في الحضور ، فلم يوافق حتى يرى منشورَهُ بالإقطاع ، فكتب له منشوراً بإقطاع جيّد وجهزّه إليه ، فلم يتّفق حضورُه . ثم إنه وَفَد على السلطان الملك الناصر محمد ، وذلك في أوائل سنة أربع وسبع

---

(١) في الوافي : « قال لي ولده الأمير ناصر الدين محمّد رحمه الله تعالى : إنَّ والدي يعرف رُبْعَ العبادات من الفقه من أحسن ما يكون في معرفة خلاف الفقهاء والأئمة » .

(٢) كذا ، والأشبه ما وقع في الدرر : « وكان يقال له يوم للوكب : يا أتابك ... » .

(٣) في القاهرة ، كما في الوافي .

(٤) ابن منصور العجلي البلخي ، فقيه زاهد (ت ١٦١ هـ) ، الفوات : ١٣/١ .

مئة . وكان وصوله إلى دمشق يوم الثلاثاء حادي عشر القعدة سنة ثلاث وسبع مئة ، وكان مقامه بالقرب من آمد[١] ، فأكرمه وعظّمه وأمّره ، ولم يزل عنده معظّماً مُبَجَّلاً .

وكان في آخر وقت ، بعد خروج الأمير سيف الدين أرغون من الديار المصرية ، يجهّز إليه الذهب مع الأمير سيف الدين بكتمر الساقي ومع غيره ، ويقول له : لا تبوس الأرض على هذا ولا تنزّله في ديوانك ، كأنه يريد إخفاء ذلك .

وكان يجلس أولاً في الميمنة ثاني نائب الكرك ، فلّما توجه نائب الكرك لنيابة طرابلس ، جلس الأمير بدر الدين رأس الميمنة . وكان السلطان الملك الناصر محمد قد زوَّجَ ابنَه إبراهيم بابنة الأمير بدر الدين ، وما زال معظماً في كل دولة .

وكُتب له في ألقابه عن السلطان الملك الصالح إسماعيل : « الأتابكي الوالدي البدري »[٢] . وكانت له في الدولة الصالحية وَجَاهة زائدة لم تكن لغيره . لأنه هو الذي أخذ السلطان وأجلسه على الكرسي[٣] ، وحَلَف له ، وحلّف الناس له .

وكان ينفع العلماء والصلحاء والفقراء وأهلَ الخير وغيرَهم . وكنت أتردَّدُ إليه وآخذ منه إحساناً كثيراً رحمه الله تعالى .

وقلت محبةً فيه ، ولم أكتب بها إليه :

مُحَيّا حَبيبي إذا ما بَدا ... يقولُ له البَدْرُ يا مُخْجِلي
بَلَغْت الكمال ولي مُدَّة ... أدور عليه وما تمّ لي
فبالله قُلْ لي ولا تُخْفِني ... سَرَقْتَ المحاسن من جنكلي ؟!

---

(١) « تحت حكم المغل وبيده رأس عين من قبل غازان إلى أن طلب إلى الديار المصرية » ، الدرر .
(٢) عبارة الدرر : « الوالدي الإمامي » .
(٣) سنة (٧٤٣ هـ) ، انظر : البداية والنهاية : ٢٠٢/١٤ .

وقلت أيضاً ، ولم أكتب بها إليه :

لا تَنْسَ لي يـــا قـــاتلي في الهـوى حُشَـــاشَـــةً مِنْ حُرَقي تَنْسَلِي
لا تُرْسَ لي أَلْقَى بـــــه في الهَـــوَى سِهَـــامَ عَيْنَيـــك متى تُرْسَـــلِ
لا تَخْتَ لي يَشْرُف قَـــدْري بـــه إلاّ إذا مـــــــا كنتَ بي تختلي
لا جَنْـــكَ لي تُطْرِبُ أوتـــارُه إلا ثَنـــــاً يُمْلَى على جنكلي[1]

نَقَلْتُ منْ خَطّ علاء الدين بن مظفر الكِنْدي الوادعي قال : تواترت الأخبار بأنه قد جُرِّدَ مِن الأردو مُقَدَّمٌ يُسَمّى قَبَرْتو يكون مقيماً بديار بكر عوض جنكلي بن البابا المهاجر إلى الإسلام ، فلمّا وصل كتبتُ في مطالعةٍ سُلْطَانية :

أتَى مِنْ بـلاد الْمُشْرِكين مُقَـــدَّمٌ تَفَـــاءَلْتُ لَمّـــا أَنْ دَعَـوْهُ قَبَرْتـو
وإنّي لأرجـو أن يجيء عَقيبهـــا بَشِيري بـــــــأنّي للّعِين قَبَرْتُ

الألقاب والأنساب

☆ **ابن جهبل** : شهاب الدين أحمد بن يحيى . مُحيي الدين إسماعيل بن يحيى .

☆ **ابن جوامرد** : علاء الدين علي بن محمود .

٥٤٦ ـ جَوَاد*

ابن سليمـان بن غـالب بن مَعْن بن مغيث بن أبي المكارم بن الحسين بن إبراهيم ، وينتهي نسبه إلى النعمان بن المنذر .

هو عزّ الدين بن أمير الغرب[2] ، رجل يَدُه صَنَـاع وإن كانت[3] في الجُودِ خَرْقَـا ،

(١) الأبيات في المنهل ، والنجوم الزاهرة . وفيهما : « تضرب أوتاره » . والجنك : آلة موسيقية .

* الوافي : ٢١٣/١١ ، والدرر : ٥٤٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣١/٥ ، والأعلام : ١٤٢/٢ .

(٢) في الزركلي : (من أهل سوق الغرب في لبنان) .

(٣) في الأصل : « كان » ، ولا وجه لها .

أكْتَبُ مَنْ في عصره تحت أديم الزرْقَا ، أتْقَنَ الأقلام السبعة وكان فيها واحدا ، واشتغل بشيء من البيان فلو عاصره الجاحظ ما كان له جاحدا . وأما الصياغةُ فكان فيها ممن تصاغ له العُلْيَا ، وتفرد بإتقانِ ما يعمل منها في هذه الدنيا .

وأما النَشَّاب فكان سَهْمُه فيه وافرا ، وسَعْدُه في عمله وإفرادِه متضافرا .

وأمّا القَصّ فهو فيه غريب القصّة ، ولم ينس له فيه حصّة ، بحيث إنه كان في هذا وغيره ممن اقتعد الذُرْوَه ، وتَسلَّم الصهْوَه ، وأكل العَجْوَه ، ورمى للناس البخوه ، وجعل صحيحاتِ العيون إليه حُوْلاً من السَّهْوَه ، لِمَا عنده من الشهوه .

ولم يزل جوادُه يَجْري في حلبة عمره إلى أن كَبَا ، واتّخذ النعشَ بعد الجياد مركبا .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبع مئة[١] .

ومولده في خامس المحرم سنة خمس وسبع مئة .

أما الكتابة فكان فيها غاية ، يكتب من الطومار إلى قلم الغُبَار ، ويكتب المصاحف والهياكل المدوّرة ، ويأتي في كل ذلك بالأوضاع الغريبة من العُقَد والإخباط وغير ذلك . وكان يعمل النشاب بالكرك[٢] من أحسن ما يكون ، ويعمل الكستوان ويتقنه ويزركشه ، ويعمل النجارة الدق والتطعيم والتطريز والخياطة والبيطرة والحدادة ونقش الفولاذ والزركش والخَرْدَفُوشيّة[٣] ومَدَّ قوساً بين يدي الأمير سيف الدين تَنكز رحمه الله تعالى مئةً وثلاثين[٤] رطلاً بالدمشقي ، وكتب مصحفاً

(١) في الدرر أنَّ وفاته في جمادى الآخرة سنة (٧٥٦ هـ) وكذا في المنهل .
(٢) في الوافي والمنهل : « الكزلك » .
(٣) الخردفوش : تاجر الخردة . (دوزي) .
(٤) في المنهل : « مئة وثلاثة وعشرون ... » .

منقوطا مضبوطاً يُقْرَأُ في الليل ، وزن وَرَقه سبعة دراهم وربع ، وجِلْدُه خمسة دراهم ، وكتب آية الكُرْسي على أَرْزّة ، وعمل زرّقُبُع لابن الأمير سيف الدين تنكز اثنتي عشرة قطعة ، وزنه[١] ثلاثة دراهم ، يُفَكُّ ويُرَكَّب بغير مفتاح ، وكتب عليه حَفْراً مُجْرىً بسواد سورةَ الإخلاص والمعوذتين والفاتحة وآية الكرسي وغير ذلك ، يُقْرأ عليه وهو مركّب ، ومن داخله أسماء الله الحُسْنى لا يَبين منها حرف واحد إلى حين يُفَكّ ، وجعل لَمَنْ يفكُّه ويركِّبُه مئة درهم فلم يوجد مَنْ يُحْسِن ذلك .

وكتب لتنكز قصّة قصاً في قصٍّ في قصّ ، وقصّ (لامية المعجم) .

وأما عَمَلُ الخواتيم[٢] ونقشها وتحريرها وإجراء المينا عليها فلم أر أحداً أتقن ذلك مثله ولا قارَبه ، وما رأيت مثل أعماله في جميع ما يعمل ، ولا مثل إتقانه .

وحفظ القرآن وشدَا طرفاً من الفقه والعربية ، ولعب بالرمح ، ورمى النشاب وجوّده ، وأراد تنكز أن يتخذه زَرْدكاشا عنده في وقت ، وقرّبه وأعطاه إقطاعاً . وعلى الجملة فما رأيت مجموعَهُ في أحد غيره .

ولم يزل على حاله إلى أن حصل له وجع المفاصل ، فاستعمل دواء فيه شحم الحنظل فما أجابه ، وبقي بعده أياماً . وتوفي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان مقامه في بلاد بيروت ، وكان قد أهدى إليّ في وقتٍ طُرَفاً من هدايا بيروت ، فكتبت أنا إليه :

يا سَيّداً جاءت هداياه لي ... على المنى مِنّي ووَفْق المراد[٣]
أنتَ جوادٌ سابقٌ بالندى ... مَن ذا الذي ينكر سَبْقَ الجواد

---

(١) في الأصل : « وزن » ، وأثبتنا عبارة الوافي ، والمنهل .
(٢) في الوافي : « الخواتم » .
(٣) في المنهل : « وفوق المراد » .

فكتب هو الجواب إلي عن ذلك :

وافى مثالك مطوّياً على نُزَهٍ ... يحار مَسْمَعُه فيها وناظرُه
فالعينُ ترتعُ فيما خطَّ كاتبُه ... والسمعُ ينعمُ فيما قالَ شاعره[1]
وإن وقفتُ أمامَ الحيّ أنشدُه ... ودّ الخرائدُ لَوْ تقْنى جواهره

٥٤٧ ـ جوبان*

النوين الكبير ، النوين المعظَّم ، نائب الممالك القانية .

كان بَطَلاً شُجاعا ، آمِراً مُطَاعا ، ذا إقدام وثبات ، وله في الحُرُوب إذا حميت وَثَبات ، عظيماً ذا مَهَابه ، كبيراً بين المغول ، تَقْبس النارُ منه شِهابَهُ ، شديدَ الوَطْأَه ، يخاف كلُّ مَنْ في الأردو خَطْأه ، عالي الشأن ، كثير الفَخَار ، بعيدَ الْمَنال ، رفيعَ المنار ، هِمَّتُه عاليه ، وعزمته بالحزم حالية ، صحيح الإسلام ، مليح الانقياد في الدين والاستسلام ، حَظُّه مِن الصلاة مَوْفور الأقسام ، وعقيدته في النصح للإسلام ، تُعْرَفُ مِنْ ثغره البسَّام .

بَذَل الذهب الكثير حتى أوْصَل الماء إلى مكّة ، وجرى بها ، ولم يبقَ للماء ثمنٌ يباع به ، وإنما الثمن لأُجْرَةِ نَقْله ، ووصل الماءُ إلى مكة ، وجرى فيها بالصفا وبباب إبراهيم وبالأبطح في أوائل جمادى الأولى سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وأنشأ مدرسةً مليحة بالمدينة النبويّة في جوار الحرم الشريف وتربةً ليُدْفَن بها ، وكان له ميل كثيرٌ إلى المسلمين . وهو أحدُ الأسباب المتوفرة في تقرير الصّلح بين بوسعيد مخدومه وبين السلطان الملك الناصر محمّد .

---

(١) في المنهل : « فالعين ترمق فيها خط كاتبه » .

* الوافي : ٢٢٠/١١ ، والبداية والنهاية : ١٤٠/١٤ ، والدرر : ٥٤١/١ ، والمنهل الصافي : ٣٣/٥ ، وذيول العبر : ١٥٩ .

أخبرني جماعة من أهل الرحبة[١] أنّه لما نزل خربنْدَا عليها ، ونصب المجانيق رمى[٢] منجنيق قراسنقر حَجراً تَعْتَعَ القلعة ، وشَقَّ منها بُرْجَاً ، ولو رمى غَيْرَه هدمها إلى الأرض .

وكان جوبان يطوف على العساكر ، ويُرتّب المحاصِرين ، فلما رأى ذلك أحضر المنجنيقيَّ ، وقال له : أتريدني أقطع يدك الساعة ، وذمّه وسبّه بانزعاج وحنق ، وقال : والك ، في شهر رمضان نحاصر المسلمين ونرميهم بحجارة المنجنيق ؟ لو أراد القان[٣] أن يقول لهؤلاء المغول الذين معه : ارموا على هذه القلعة مخلاةَ ترابٍ كلّ واحد كان[٤] طمّوها ، وإنما هو يريد أَخْذَها بالأَمَانِ مِنْ غَيْر سَفْكِ دم ، والله متى عُدْتَ رَمَيْتَ حَجَراً آخر سَمَّرتُكَ على سهم المنجنيق .

وحكى لي منهم غيرُ واحد أنّه كان ينزع النصل من النشّاب ويكتب عليه : إياكم أن تذعنوا أو تسلّموا وطوّلوا أرواحكم فهؤلاء ما لهم ما يأكلونه ، وكان يحذّرنا هكذا بعدّة سهام يرميها إلى القلعة ، واجتمع بالوزير ، وقال له : هذا القان ما يُبَالي ولا يقع عليه عتب ، وفي غدٍ وبَعْده إذا تحدث الناس أيش يقولون ! نزل خربنْدَا على الرحبة ، وقاتل أهْلها ، وسفك دماءهم ، وهدمها في شهر رمضان . فيقول الناس : أفما كان له نائبٌ مُسْلِم ولا وزير مسلم ، وقرَّرَ مَعه أنْ يُحدّثا القان خربنْدا في ذلك ، ويحسّنا له الرحيل عن الرحبة . فدخلا إليه ، وقالا : الْمَصلَحةُ أن نطلبَ[٥] كبارَ هؤلاء وقاضيهم ، ويطلبوا منك الأمان ، ونخلعَ عليهم ونرحلَ عنهم بحُرْمَتنا ، فإنّ الطابق قد وقع في خيلنا ، وما للمغل ما تأكل خيولهم ، وإنّما هُم يأخُذُون قُشور الشجر

(١) هي رحبة مالك بن طوق .
(٢) في الوافي : « في » تحريف .
(٣) في الوافي « القائد » تحريف .
(٤) في الوافي : « كانوا » .
(٥) في الوافي « تطلب » .

ينحتونها ويُطعمونها خَيْلَهم ، وهؤلاء مسلمون ، وهذا شهر رمضان ، وأنت مُسلم وتسمع قراءتهم القرآن ، وضجيج الأطفال والنساء في الليل ، فوافقهم على ذلك . فطلبوا القاضي وأربعةً من كبار البحرية ، وحضروا قدّام خربنْدَا ، وخَلَعُوا عليه ، وباتوا فما أصبح للمُغل أثر ، وتركُوا المجانيق وأثقالها رصاصاً ، والطعام والعجين وغيره ، ولم يصبح له أثر .

وهذه الحركة وحدها تكفيه عند الله تعالى ، ويرى الله له أقلّ مِنْ ذلك ، حَقَن دماء المسلمين ودفع[1] الأذى عنهم ، لكنه أبادَ عَدَداً كثيراً من المغل وجرى له ما تقدم في ترجمة أيرنجي ، وأخذ من الوزير الرشيد ألف ألف دينار .

وقد مرَّ ذِكْرُ ابنه تمرتاش وابنته بغداد ، وكان ابنه دمشق خواجا قائدَ عشرة آلاف فارس . وزالت فيما بعد سعادتهم ، وتنمَّر لهم بوسعيد ، وتنكّر ، وقَتل دمشق خواجا ولدَه ، وهرب جَوبان إلى والي هَراة لائذاً به فآواه ، وأطْلَعه إلى القلعة ثم قتله ، ونُقل تابوت جوبان ـ رحمه الله تعالى ـ إلى المدينة الشريفة ليُدفن في تربته ، لأن ابنته الخاتون بغداد جهزّته مع الركب العراقي ، فما قدر الله له ذلك ، وبلغ السلطان الملك الناصر ذلك فجهّز الهُجُن إلى المدينة ، وأمَرهم أن لا يمكّن من الدفن في تربته فدفن في البقيع .

وكانت قتلته ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين لأنه لَمّا قدِم دمشق مع غازان كان من أكبر قوّاده ، وكان له من الأولاد تمرتاش ودمشق خواجا وصُرْغان شيرا وبَغْبَصْطي[2] وسَلجُوك شاه وبغداد .

---

(١) في الوافي : « ورفع » .

(٢) في الوافي : « بغصطي » .

٥٤٨ ـ جوبان*

الأمير سيف الدين المنصوري .

أحد أمراء الشام وكباره ، ومَنْ إذا جرى في ميدان الشجاعة لا يَطْمع مُلاَعب الأسنّة[١] في شق غباره . قوي النفس لا يصبر على ذلّه ، شديد البطش ، لا يعبأ بما يترتبُ على الأهواء المُضّله ، وكانت له عَظَمةٌ في النفوس ، وجَلاَلَةٌ تجعل مَوْضِعَهُ على الرؤوس ، ولم يزل على ذلك إلى أن جرى بَيْنَه وبين تنكز مُقَاوَلَه ، كادَت تصل إلى مُصَاوَله ، فأودعه في القلعة معتقلاً ليلة والثانيه[٢] ، وقال حسَّاده : ﴿ يا ليتها كانتِ القاضية ﴾[٣] ثم إنه حُمل إلى مصر ورُسم له بالإقامة هُنَاك ، وقال له مُحبّه : أبشر ظفرت بالسلامة هَنَاك .

وكانت واقعته مع تنكز في جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وأقام بمصر على إقطاع ، وفي العشرين من شَوَّال سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة عاد من مصر أميراً على ما كان عليه ، وتَوَجَّه أميرَ الركب سنةَ ستّ وعشرين وسبع مئة[٤] ، وأقام بدمشق على إمرته ، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في عُشْرَي صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وكان من مماليك الأشْرَف ، أمّره الأشْرَف ، وخلّف تركة كبيرة من الذهب والفضة والات[٥] والأمتعة ، وكان قد جاوز السبعين ، وأُعطي إقطاعُهُ للأمير شهاب الدين قرطاي نائب طرابلس[٦] .

---

* الدرر : ٥٤٢/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٤/٩ .

(١) هو عامر بن مالك العامري ، فارس قيس وأحد أبطال العرب في الجاهلية (ت ١٠ هـ) .

(٢) البداية والنهاية : ٩٩/١٤ ، أحداث سنة (٧٢١ هـ) .

(٣) الحاقة : ٢٧/٦٩ .

(٤) البداية والنهاية : ١٢٤/١٤ ، أحداث سنة (٧٢٦ هـ) .

(٥) كذا ، ولم يُستبن مراده .

(٦) ستأتي ترجمته .

٥٤٩ ـ جُوْبَان*

الأمير سيف الدين ، أحد الأمراء أصْحَاب الطبلخاناة .

كان حَسَن الصّورة ، مديدَ القَامة ، فهي على الهَيف مَقْصوره ، له طَلْعَة إذا فاخرها البدرُ في تمامه ، كانت له مَنْصُوره ، بمعاطفٍ كالغصون لا تزال بيد النسيم مَهْصُوره ، وشمائل راقت لمتأمِّلها فمحاسِنُها غير محصوره .

تَضَرَّمَ خَـــــــــدَّاه حتى عَجِبْـ ـتُ لعارضيه كيف لا يضطرم

إلاّ أن الأيام عبثت بمحاسنه ، وأثارت له البِلَى من مكامنه ، فحولت حالاته ، وعَادَتْهُ وعادت عَنْ مُوَالاته ، وجَعلَتْ وَجْهَهُ للأنام عِبْرَه ، وأجرت عليه من العيون كُلّ عَبْره ، ولزم منزله لا يدخل ولا يخرج ، ولا يرقى في منازل الحركة ولا يعرج ، كالبدر إذا كُسف ، والغصن إذا قُصِف ، ولم يزل على حاله إلى[1] أن تلاشى واضمَحَل ، وجَوَّز اللحدُ أكْلَ لحمه واسْتَحَلَّ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم السبت رابع عُشْرَي جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

أول ما عَرَفْتُ من أمره أنه حضر مع الأمير سيف الدين يلبغا اليَحْيَوي من حلب إلى دمشق ، وأظنه كان أمير عشرة ، ولم يزل معه مُدّةَ نيابتهِ في دمشق ، إلى أن جرى له ما جرى على ما سيأتي في ترجمة يلبغا ، فاعتُقل في جملة من اعتُقل من جماعته[2] لأنه كان من ألْزَامه ، على ما في ظني ، ثم إنه أفرج عنه ، وحَضَر إلى دمشق وكان بها أمير طبلخاناه ، وتحدّث في جامع يلبغا ، وعَمَّر إلى جانبه عِمَارة ، ونُوزع فيها ، فأَوْقَفها على الجامع .

* الدرر : ٥٤٣/١ .

(١) في الأصل : « على » ، ولا وجه لها .

(٢) انظر : البداية والنهاية : ٢٤٥/١٤ .

ثم إن الملك الناصر حسن قَطَع إقطاعه ، وبقي في دمشق بَطَّالاً إلى أن أحضر الأمير سيف الدين اسَندمُر أخو يلبغا نائب دمشق[١] فصار عنده من خواصّه المقرّبين ، ولازمه ثم إنه جُهّز إلى حَماة أميرَ عشرة في أيام الأمير سيف الدين أسَندمُر ، ثم إنه وقعت في وجهه آكِلة ـ نعوذ بالله منها ـ فحضر إلى دمشق ولازم بيته لا يدخل ولا يخرج منه لأنها شوّهت وجهه ، إلى أن مات في التاريخ المذكور .

☆ **الجوهري** : القاضي علاء الدين محمد بن نصر الله .

٥٥٠ ـ جُوكو الهندي*

الشيخ عبد الله . كان ساكناً بالتقوية بدمشق[٢] .

كان كثير الحجّ ، مُلازِمَ الصلاةِ في الليل إذا دَجّ ، يحافظ على الصف الأول في المقصوره ، ويخاطب الناسَ بكلماتٍ مَحْصُوره ، وكان أولاً فقيراً من القَلَنْدَريَّه ، وتلك الفرقة المفتريّه . صحب محمود سابقان[٣] ، واقتدى به وقتاً مِن الزمان ، ثم تَرَكَ[٤] تلك الطريقه ، وأعرض عن المجازِ وسَلَك الحقيقه . ولم يزل على حاله إلى أن مضى لسبيله ، ودَرَج على أثر أهلهِ وقبيله .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سابع عشر ربيع الآخر ، سنةَ أربعٍ وعشرين وسبع مئة .

وكان أُشتهر بين الناس بجاكير ، والصحيح الأول بجيم بعدها واو ، وكاف وواو ، مَعْنى « جوكو » بالهندي : الزاهد العابد .

---

(١) من الديار المصرية سنة ٧٦٠ ، (البداية والنهاية : ٢٦٦/١٤) .

* الدرر : ٥٤٣/١ .

(٢) هي المدرسة التقوية من أجلّ مدارس دمشق شمالي الجامع الأموي داخل باب الفراديس ، بانيها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب سنة ٥٦٤ . (الدارس : ١٦٢/١) .

(٣) هو محمود الشيرازي الفقيه المقيم بدمشق (ت ٦٩٢) ، ودفن بزاوية القلندريّة (الوافي : ٧١/١٥) .

(٤) في الأصل : « سلك » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما يتّجه به المعنى .

٥٥١ ـ جُولجين*

بضمّ الجيم وبَعْدَها واوٌ ساكنة ، ولام وجيم ثانية وياءٌ آخرُ الحروف ساكنة ونون .

كان من مماليك السلطان الملك الناصر ، أظنّه كان جَمْداراً .

لَمَّا قَدِمَ السلطان من الكركْ إلى دمشق في سنة تسع وسبع مئة داخَلَه إنْسَان إلاّ أنّه شيطان يُعْرَف بالنجيم الحطّيني ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون مكانه ، ولعب بعقله وعمل له صُوْرَةَ مَلْحمة[١] وعتّقها[٢] ، وكان قد تحمّل حتى اطلّع على آثارٍ في جسمه وخِيلان ، وذكره في تلك الملحمة ووصفه ، وساق الْمُلْكَ إليه بعد الناصر محمد ، فدخل هذا في ذهنه وصَدّقه عَقْلُه ، وغرّه من ذاك المسطور نَقْلُه وما خامَرَهُ في مُلكه شَك ، ولا احتاج دينارُ هذا القَوْل عِنْدَه إلى حَكَ ، فصار ذلك في خاطره ، ولم يَزُل خيَاله عَنْ ناظِره ، وأَسَرّ ذلك إلى جماعة من خوشْدَاشيتّه وممن بَطّنهم من حاشيته ، وتوجّهوا إلى مصر وأقاموا زمانا ، ولم يُعطهم الدهر بذلك أمانا ، إلى أن أطلع الله السلطان على هذه الواقعة ، فما كذّب أنْ أحْضَره وجماعةً معه وعَرَض عليهم العذاب فاعترفوا له بذلك ، فوسّطه لوقْتِه ، ونَقَله من مِقَتِهِ إلى مَقْتِه .

وطُلب النجيم من صفد ، وجرى له ما يجيء ذكره إن شاء الله في ترجمته . وكان ذلك في سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ورأيت أنا ابنَ جولجين هذا في القاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة غَيْر مَرّة ، وكان صُورةً جميلة .

الأنساب والألقاب

☆ **الحاجبي** : شهاب الدين أحمد بن محمد .

☆ **ابن حاتم البعلبكي** : الشيخ إبراهيم بن أحمد .

---

* الدرر : ٥٤٣/١ .

(١) المراد بالملحمة هنا سيرة مصنوعة قديماً يشار فيها إلى أحداث تقع فيما يستقبل .

(٢) أي أظهرها على أنها كتبت قديماً .

حرف الحاء

حَاجّي محمد بن قلاوون*

السلطان الملك المظفر سيف الدين ، ابن السلطان الملك الناصر ، ابن السلطان الملك المنصور .

وُلِدَ وأبوه[1] في الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة . وكان ذا منظر وشِكالة ، ووجهٍ كأنّ البدر سأله الحُسْنَ وشكا له . قَدْ غَرّته الشبيبه ، وضَرَّته بإقبالها الدنيا الحبيبة ، فأقبل على مَنْ قابله بمراءاة غُشّه ، وسَلَّم قِيادَه لمَنْ شَركَه في عُشّه ، فأفنى أمراء الدولة ، واستنفدَ حِيَلَهُ في القبض عليهم وحَوْلَهُ ، وزاد في سفك الدماء ، وأثار بالفتن عَجَاج الأرض إلى السماء . لا جَرَم ، إنّ الدهر قَلَب له ظَهْرَ المِجَنّ في المِحَن ، ومَلأَ القلوبَ عَلَيْه بالأَحْقاد والإحَنْ ، ولم تَطُلْ مع ذلك المُدّه ، ولم ينفعْهُ مَنِ ادَّخَرهُ عُدّةً من الغُدَّه[2] ، حتّى ركبوا بالسلاح إلى قبّة النَصْر ، وسَلَبُوا ثمار أغصانه بالهَصْر ، ورَمَوْه بالحَصَر[3] والحَصْر ، ونَقلوا ألِفَ ألْفِهِ بالْمُلْك من المدّ إلى القَصْر ، وأنزلوا كوكبه إلى حضيض الأرض بعد أوج القَصْر (فخرّ على الألاءة لَمْ يُوَسَّدْ)[4] ورَاحَ أقلَّ مِنْ ظَبْيٍ تَحَبّل[5] ، وكان كأنه نَمرٌ تأسَّدْ . وضرجُوا خَدَّ الأرض بدمه ، وصَبَغوا كافورَهُ بعندمه ،

---

* الوافي : ٢٣٧/١١ ، والدرر : ٣/٢ ، والبداية والنهاية : ٢١٩/١٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٤٨/١٠ ، والبدائع : ٥١٣/١/١ ، والشذرات : ١٥٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٥٠/٥ .

(١) في الوافي : « ولد أبوه » ، ولا يصح . وفي المنهل « مولده ... وأبوه في الحجاز ، فسمي حاجي » .

(٢) كذا في الأصل ، والغدة طاعون الإبل ، ولعله يريد : أن من اعتمد عليهم لم يمنعوه من هلاكه .

(٣) الحصر : ضِيق الصدر .

(٤) صدر بيت لبجير بن عنة . عجزه : « كأنّ جبينه سيفٌ صقيل » . اللسان (ألا) .

(٥) المحبّل من الظباء ما وقع في حبال الصيد .

وأَبْقَوْهُ رُجْمـةً لِعَـدُوّه ، وألقوه في مهـد تَعَرّى من هُـدُوّه ، وتركـوه تَسْفي الريـحُ عليـه الرّمل ، وتبكي الغمائمُ عَلَى مَنْ انصـدع لـه من الشمـل ؛ وكان أخـوه الملـك الكامـل قـد حَبَسه وأراد هلاكه ، وقيل : إنه أمر أن يُبنى عليه حائطان[١] .

وكان الأمراء قـد كتبـوا إلى يلبغـا اليحيـوي نـائب دمشـق بـأن يبرز إلى ظـاهر دمشق ، فبرز ـ على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمته ـ فاحتاج الكامل إلى أن يجرّد عَسْكر الشام[٢] ، فخرجوا إلى السّعيدية أو الخَطـارة ، ورجعوا إليـه ، فركب ونزل إليهم ، فنصرهم الله تعـالى عليـه ، وجرحوا أرغون العلائي ، كما تقـدّم ، وخلعوا الكامل وصعـدوا إلى القلعـة وأخرجوا حـاجّي[٣] مِنْ سجنـه وأجلسوه على كرسي المُلْـك وحَلَفوا له ؛ وكان القـائم بـذلـك الأمير سيف الـدين مَلِكْتَمُر الحجـازي ، والأمير شمس الـدين آقسُنقُر ، وأرغون شاه .

وكان جلوسه على الكرسي مستهلّ جُمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبع مئة[٤] ، وخلعوه في ثـاني عشر شهر رمضـان سنـة ثمـان وأربعين وسبـع مئـة ، وكان ملكـه سنـةً وثلاثة أشهر واثني عَشرَ يوماً .

وورد له[٥] الأمير سيف الدين بَيْغَرا إلى دمشق ، وحَلَّف عسكر الشـام ، وانتظمت الأمور ، وصفا لـه الملـك ، ولم يزل كـذلـك إلى أن أُمسـك الحجـازي وآقسنقر وقرابغـا وأيتْمِش وصمغـار وبـزلار وطَقْبُغـا وجمـاعـة من أولاد الأمراء ، فنفرت القلـوب منـه

(١) في الوافي : « حائط » .

(٢) عبـارة الوافي : « إلى أن يجرد إلى الشـام عسكراً » ، وهي أقرب . وفي المنهل : « إلى أن جرد إلى الشـام عسكراً » .

(٣) في الأصل : « الحاجي » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) البداية والنهاية : ٢١٩/١٤ .

(٥) ليست في الوافي .

واستوحشت ، وتوحّش يلبغا نائب الشام ، وجرى له ما جرى ، يأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وكان الذي فعل ذلك كلّه ودبّره وأشار به وفعله شجاع الدين أغرلو مُشدّ الدواوين ، على ما تقدم في ترجمته ، فأمسكه وفتك به بعد أربعين يوماً بواطأةٍ مع الأمير سيف الدين الجيبغا الخاصكي الْمُقَدّم ذِكْرُه ، ومع غيره . وكان قد فرّق مماليك السلطان وأخرجهم إلى الشام وإلى الوجه البحري والقبلي بعدما قُتل بيدمر البدري ، والوزير نجم الدين طُغَاي تمر الدوادار ، قبل الفتك بأغرلو[١] ، وهؤلاء الأمراء الذين قتلهم كانوا بقية الدولة الناصرية وكبارها ولهم المعروف ، فزاد توحشُ الناس منه ، وركب الأمير سيف الدين أرقطاي النائب بمصر وغالب الأمراء والخاصكية إلى قبة النصر . فجاءه[٢] الخبر فركب في من بقي عنده بالقلعة ، وهم معه في الظاهر دون الباطن ، فلّما تراءى الجمعان ساق بنفسه إليهم ، فجاء إليه الأمير سيف الدين بَيْبُغَاروس أمير مجلس وطعنه فقلبه إلى الأرض ، وضَرَبه الأمير سيف الدين طان يرق بالطّبر مِنْ خَلْفه ، فجرح وجهه وأصابعه ، وكتفّوه وأحضروه إلى الأمير سيف الدين أُرْقُطاي ليقتله ، فلمّا رآه نزل وترّجل ورمى عليه قباءَه ، وقال : أعوذ بالله ، هذا سلطان[٣] ، ما أقتُلُه ، فأخذوه ودخلوا به إلى تربة كانت هناك وقضى الله أمره فيه في التاريخ المذكور .

ثم إنّ الأمراء بالقاهرة اجتمعوا وكتبوا إلى نائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه يعرّفونه القضية ويطلبون منه ومن أمراء الشام مَنْ يَصْلُح للسلطنة ، وجهّزوا الكتاب على يد الأمير سيف الدين أَسُنْبغا المحمودي السلاح دار . وكان ذلك ثاني عشر شهر رمضان بكرة الأحد .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٢٣/١٤ .

(٢) في الأصل : « فجاء » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) عبارة الوافي : « هذا سلطان ابن سلطان » .

ولّما كان يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر المذكور ، عَقَدوا أمْرَهم على أنْ يولوّا أخاه ناصر الدين حسن ابن الملك الناصر محمد ، فأجلسوه على كرسيّ المُلْك وحَلَفوا له ، وسمّوه بالملك الناصر ، وجهّزوا إلى الشام ، وحلّفوا له العساكر ؛ فسبحان من لا يحول ولا يزول .

وقلت أنا في ذلك ، وفيه لزوم الفاء المشددة :

خـــــان الرَّدَى للمظفَّرْ وفي الثرى قـــــد تَعفَّرْ[١]
كم قـــــد أبـــــادَ أميراً على المَعَـــــالي تَـــوَفّر
وقـــــاتـــلُ النفسِ ظلْماً ذُنُـــوبُـــه مـــــا تُكَفّر

وقيل : إنّ أحد الأسباب في قتلته أن الأمير سيف الدين الجيبغا الخاصكي ، أتى إليه يوماً ، فوجده فوق سطح يلعب بالحَمام ، فلما أحسَّ به نزلَ فقال : من هذا ؟ قالوا له : ألجَيبُغا ؛ فطلبه فصعد إليه ، وكانت الوِحْشَة قد ثارت[٢] ، فقال له : ما يقول الناس ؟! قال : خير ، فألّح عليه ، فقال له : يا خوند . أنت تدبّر الملك برأي الخُدّام والنساء ، وتلعب بهذا الحمام ، فاغتاظ منه وقال : ما بقيت أُلَعّبها[٣] ، ثم إنه أخذ[٤] منها طائرين ، وذبحها ، ولما رآها مذبوحين ، طار عقله ، وقال : والله لابُدّ ما أحزّ رأسك هكذا ، فتركه ومضى ، فنزل المظفر وقال لخواصّه : يا صِبْيان ، متى دخل إليّ هذا بضّعوه بالسيوف ، فسمع ذلك بعض الجمداريّة ، فخرج إلى الجيبغا ، وقال له : لا تَعُد تَدْخل إليه ، وعرّفه الصورة ، فخرج وعمل على مقتضى ذلك ، وضاع ملكه وروحه منه لأجل الحمام .

---

(١) في الوافي والمنهل : « وفي التراب تعفّر » . وفي المنهل : « حان » .
(٢) في الأصل : « تأثرت » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) في الوافي والمنهل : « ألعب بها » .
(٤) أي « ألجيبغا » .

وقلت أنا في ذلك :

أيُّهـــا العـــاقُـــل اللبيب تفكّرْ في المليـــك المُظَفّر الضِّرغـــام
كَمْ تمـادى في الغي والبغي حتى كان لُعبُ الحَمام جـدّ الحِمَـام[1]

اللقب والنسب

☆ **الحارثي** : شمس الدين عبد الرحمن بن مسعود .

☆ **الحافي** : الشيخ محمود بن طيّ .

الحاكم : أمير المؤمنين أحمد بن الحسن .

☆ **الحاكم بن المستكفي** : أمير المؤمنين أحمد بن سليمان .

☆ **ابن الحبّال** : محمد بن أحمد .

☆ **ابن الحبُوبي** : إبراهيم بن علي .

☆ **ابن حبّاسة** : إبراهيم بن حباسة .

☆ **ابن الحافظ** : محمد بن داود ، وصلاح الدين يوسف بن محمد .

☆ **الحاضري** : محمد بن منصور .

٥٥٣ ـ حبيبة*

بنت عبد الرحمن زين الدين بن الإمام جمال الدين أبي بكر محمّد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد[2] الرحمن بن إسماعيل بن منصور المَقْدسي .

---

(١) في الأصل : « كا » ، خطأ ، وأثبتنا ما في الوافي ، والمنهل .

* الوافي : ٣٠٣/١١ ، والدرر : ٥/٢ .

(٢) في الوافي : « بن إبراهيم بن عبد الرحمن » ، وثمة سقط في نسبه .

الشيخة الصالحة الْمُسْنِدة أم عبد الرحمن ، حَضَرت على الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم اليَلْداني ، وخطيب مَرْدَا ، وسمِعَتْ من إبراهيم بن خليل ، وأجاز لها سِبْط السلَّفي ، ومِن بغداد إبراهيم بن أبي بكر الزَّعبي[١] ، وفضل الله بن عبد الرزاق[٢] وغيرهما .

توفيت رحمَها الله تعالى في خامس شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

وأجازت لي في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وكتب عنها بإذنها عبد الله بن أحمد بن المحبّ المقدسي[٣] .

٥٥٤ ـ حُجَّاب*

بضمّ الحاء الْمُهْمَلة ، وتَشْديد الجيم وبعدَها ألفٌ وباء مُوَحدّة : الشيخةُ الصالحة الزاهِدَة ، شيخة رباطِ البغدادية .

كانَتْ مَشْهورةً بالصلاح والخَيْر ، وعندها لمن يزورُها من النساء المروءةُ والمَيْر ، ملازمة هذا الرباط ، قانعة بما هي فيه دائمة الاغتباط .

لم تزل على حالها إلى أن حُلَّ رباط أجلها في الرباط ، فلم يكن لها حَرَكَه ، وعَدم من ذلك المكانُ بفقدها الأُنْسَ والبَرَكَه .

وتوفيت رحمها الله تعالى في المحرّم سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

---

(١) في الوافي : « الرعبي » ، تصحيف ، وإبراهيم هذا توفي سنة (٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٧٤/٥ .

(٢) الجيلي (ت ٦٧٣ هـ) ، السير : ٣٣٠/٢٣ .

(٣) ستأتي ترجمته .

* الدرر : ٦/٢ .

الألقاب والأنساب

☆ **الحجّار المُسند** : أحمد بن نعمة بن حسن .

٥٥ ـ حِجَازي بن أحمد بن حِجَازي*

صفِيّ الدين الديرقَطَاني .

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأُدْفُوِّي في (تاريخ الصعيد) : كان كريماً كاتباً أديباً ناظماً لطيفاً .

توفي ببلده رحمه الله تعالى سنة إحدى وسبع مئة .

وأورد له :

قل للمطايا قدْ بَلَغْتِ النّقا ... فَهنِّها يا صَاحِ بالْمُلْتَقى
وخلِّها ترعى عَرارَ الحِمى ... إن عرار الحيّ يَجْلُو الشقا[1]
وقد تَمَلَّى باللقا عاشقٌ ... كان لطيفَ الملتقى شَيِّقا
وقد محا الوصلُ حَديثَ الجفا ... حتى كأنّ الهجر لن يُخْلَقا[2]

قال[3] : وكان يعجبه غناء البُصَيْصة[4] ، وكانت تغنّي مِنْ شِعْره ، فَحَضَرتْ يوماً ، فقال :

---

* الوافي : ٣١٩/١١ ، والدرر : ٦/٢ ، والطالع السعيد : ١٨٩ .

(١) في الطالع السعيد : « عرار ... إن عرار الحي ... » . وأشار المحقق إلى رواية الأصل هاهنا .

(٢) في الوافي : الخفا » ، تصحيف .

(٣) في الأصل : « قلت » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في المصادر السابقة .

(٤) في الدرر : « النصيفة » ، وكذا في الطالع السعيد مصححة عن الدرر ، وفي أصله : « البصيصة » كما هنا . أشار إلى ذلك محقق الطالع .

ادخلي تُـــدْخِلي علينـــــا سروراً أنت والله نـــزهـــةُ العشـــــاق
لا تميلي إلى الخروج سريعـــــــاً تُخْرَجي عن مكارم الأخـــــلاق

قلت : البيتان ، فائقان رائقان ، راقيان في درجة ، إلا أنه يخاطب امرأة بقوله من أول ما يطرق سمعها : « ادخلي تدخلي » هذا فيه ما فيه من العيب .

اللقبُ والنسبُ

☆ **ابن الحداد :** بدر الدين محمد بن عثمان .

☆ **الحجازي :** الأمير سيف الدين ملكتمر .

☆ **ابن حِرز الله :** شهاب الدين أحمد بن أبي بكر .

☆ **الحرّاني ـ** جماعة **ـ :** نفيس الدين إسماعيل بن محمد ، ومجد الدين الحنبلي اسماعيل بن محمد .

☆ **وابن الحراني :** ناظر الأوقاف محمد بن يحيى .

☆ **الحربوني :** الطبيب عبد الله بن محمّد .

٥٥٦ ـ حَرْمِي بن قاسم بن يوسف*

العامري الفاقوسي الشافعي . القاضي مَجْد الدين وكيل بيت المال بالديار المِصْرية ، ونائبُ قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، ونائب قاضي القضاة جلال الدين القزويني .

أخبرني العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السُبْكي الشافعي ، قال : قرأ حرْمي على

* الوافي : ٣٤٣/١١ ، والبداية والنهاية : ١٦٩/١٤ ، وذيل العبر : ١٨٣ ، والدرر : ٨/٢ ، والنجوم : ٣٠٥/٩ ، والمنهل الصافي : ٥٨/٥ .

الشيخ علاء الدين الباجي الأصولي (الأُصولَيْن) ، وقرأ على السيف البغدادي[١] (الموجز)[٢] و (الإرشاد)[٣] ، وسمع من قاضي القضاة عبد الرحمن بن بنت الأعز قَصيدة مِنْ نظمه ، وحدّث بها ، وكان يُدَرّس بقبة الشافعي . وحفظ (الحاوي الصغير)[٤] على كبر .

وكان وكيلَ بيتِ الظاهر بَيْبَرْس ، وبيتِ أيبك الخزندار ، وبيتِ بكتمر الخزندار ، وكان الناس يقولون : هو آدم أبو البشر[٥] .

وكان شيخاً طويلاً رقيقاً ، صغير الذقن بالمَكْرُمَات خَليقا . ذو مُروّة غزيره ، وسجايا بالمحاسن شَهيره ، يمشي مع الناس لقضاء أشغالهم ويشفع بوجاهته لهم عند من فيه بلوغُ آمالهم ، حَسنَ التوصّلِ ، لطيفَ التوسّل ، مع سكون زائد وإطراق إلى الخير قائد .

ولم يزل على حاله إلى أن طرق حَرَمَ حَرْمي الموت ، وحُرِمَ الفوزَ بالعيش من الفوت .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في يوم الأربعاء ثاني ذي الحجة .

وكان يُلقي الدروس من حفظه من (التوسيط)[٦] على كِبَر سِنّه .

---

(١) داود ، وستأتي ترجمته .

(٢) من شرح كتاب الوجيز للغزالي ، الكشف : ٢٠٠٢ .

(٣) أغلب الظن أنه كتاب الإرشاد للبغوي (ت ٥١٦ هـ) ، الكشف : ٦١/١ .

(٤) للقزويني (ت ٦٦٥ هـ) ، الكشف : ٦٢٥/١ .

(٥) الذي في الوافي : « قلّ أن يموت أحد من الأمراء الكبار إلاّ وأسند وصيته إليه ، فكان الناس يقولون هو آدم أبو البشر » .

(٦) كذا في الأصل .

الألقاب والأنساب

☆ **الحرستاني :** شرف الدين إسماعيل بن محمد . وبدر الدين عثمان بن عبد الصمد .

☆ **ابن حَريث :** محمد بن محمد بن علي .

☆ **الحريري :** سيف الدين الفاضل أبو بكر .

والحريري : قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عثمان .

☆ **وابن الحريري :** الشيخ حسن بن علي ، وأخوه علي بن علي ، وابن ابنه أحد الأخوين الحِنّ والبِن : علي بن محمد .

☆ **وابن الحريري :** فخر الدين محمد بن ناصر ، وصفي الدين أحمد بن محمد بن عثمان .

٥٥٧ ـ حُسَام بن عِزّ بن ضِرْغَام بن محمود بن دِرع*

مكين الدين القُرَشي المصري .

أخبرني من لفظه العلاّمة أثير الدين ، قال : كان المذكور غَزُولياً ، جَيّدَ الأدب ، أنشدنا لنفسه من قصيدة :

حَـاز الجمـالَ بصـورة قَمَريـةٍ تَجْلُـو عَلَيْـكَ مَشـارقَ الأنـوار[1]
وحَـوَى الكمـالَ بسيرة عُمَريـةٍ تتلـو عليـك منـاقب الأبْرَار

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه[2] :

---

* الوافي : ٣٤٨/١١ .

(١) في الوافي : « حاز الكمال » .

(٢) يهنئ بالقدوم من الحجاز . كذا عبارة الوافي .

مُسَـافِرٌ سـافِرٌ عن بـدر داجيـةٍ تضيء من وجهـه الظَلْماءُ والأُفُـق[١]
قريبُ عَهْدٍ من البيت الحرام غدت تُطْوَى بأيدي المطايـا تَحْتَـه الطرقُ
لمـاء زمـزمَ رشـحٌ مِنْ مَعَـاطفـه وطيبُ طِيْبَـةَ مِنْ أردانـه عَبِـق

قلت : مولده أظنُّ سنة ثلاث وعشرين وست مئة . وهو شِعْرٌ جيّد[٢] .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن الحسام :** الشاعر عمر بن آقوس . وجمال الدين إبراهيم بن أبي الغيث .

٥٥٨ ـ حسب الله*

الشيخ جمال الدين الحنبلي ، مدرّس المنكوتمرية .

كان رجلاً فاضلاً صالحاً .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس عشر شهر ربيع الآخر ، سنة عشر وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة .

٥٥٩ ـ الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان**

قاضي القضاة حسام الدين أبو الفضائل ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي المفاخر الرازي ثم الرومي الحنفي .

كان مجموعَ الفضائل ، عَرِيّاً منَ الرذائل ، كثير المكارم ، عفيفاً عن المحارم ، ظاهرَ الرئاسة حرّياً بالسياسه ، مَلِيّاً بالنفاسَه ، يتقرَّبُ إلى النـاس بـالوُدّ ، ويتجنّب الخُصَماء

(١) في الوافي : « بدر واحبه » ! وفي الأصل : « من وجهها » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو أنسب .
(٢) كذا أنهى الترجمة بلا ذكر لسنة وفاته ، وقد فعل مثل هذا في الوافي .
* لم نقف على ترجمة له .
** الوافي : ٣٩٧/١١ ، والبداية والنهاية : ١٠/٢ ، والدرر : ١٠/٢ ، والدارس : ٣٩٤/١ ، والشذرات : ٤٤٦/٥ ، والمنهل الصافي : ٦٣/٥ . والعبر : ٣٩٧/٥ .

اللّدّ ، فيه مروءة وحِشْمه ، وبينه وبين المَفاخر قَرابة ولُحْمه . وله نظم وعنده أدب ، ورغبة في إذاعة الخير واجتهادٌ وطلب .

وُلِدَ بأقصرا[١] سنة إحدى وثلاثين وست مئة . وولي قضاء مَلَطْيَة أكثر من عشرين سنة ، ثم نزح إلى الشام سنة خمس وسبعين وست مئة خوفاً من التتار ، وأقام بدمشق وولي قضاءها سنة سبع (وتسعين) وست مئة بعد القاضي صدر الدين سليمان[٢] ؛ وامتدت أيّامه إلى أن تسلطن حسام الدين لاجين ، فسار إليه سنة ست وتسعين ، فأقبل عليه وولاّه القضاء بالديار المصرية[٣] ، وولى ابنَه جلال الدين مكانَه بدمشق ؛ وبقي معظّماً وافِرَ الحُرْمَة إلى أن قُتل لاجين وهو عنده ، فلما ضربوا السلطان بالسيف استغاث ، وقالَ : ما يحلّ . فأشاروا إليه بالسيوف ، فاختبأ هناك ، واشتغلوا عنه بالسلطان .

ولما زالت دولة لاجين ، قدم إلى دمشق على مناصبه وقضائِه ، وعُزل ولده ، ولم يزل على حاله إلى أن خرج إلى الغَزاة ، وشهد المصافّ بوادي الخزندار[٤] في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة ، وكان ذلك آخر العهد به . فأصابت الرزيّة الرازي وكان في غُنْيَةٍ عن مَرآة الملاحم والمغازي .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : والأصح أنه لم يُقْتَل بالغَزاة ، وصحّ مروره مع

---

(١) وكذا في الوافي والمنهل . وفي الدارس عن الصفدي في الوافي : « آق سراي » . ثم نقل صاحب الدارس عن ابن كثير أنه ولد بـ (آقس) وفي مطبوعة البداية : (آقس) .

(٢) صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب الأذرعي (ت ٦٧٦ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٨٠/١٣ ، والشذرات : ٣٥٧/٥ .

(٣) البداية والنهاية : ٣٤٩/١٣ .

(٤) عبارة البداية : ١٣/١٤ : « ثمّ لمّا خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار عند وادي سلميّة خرج معهم » .

المنهزمين بناحية جبل الجرديين[١] ، وأنه أُسِر وبيع للفرنج ، وأُدخل إلى قبرس هو وجمال الدين المطروحي[٢] .

وقيل : إنه تعاطى الطبّ والعلاج ، وإنه جلس يُطَبِّبُ بقبرس ، وهو في الأسر ، لكن ذلك لم يثبت ، والله أعلم .

قلت : ولما كنتُ بدمشق سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ؛ جاء الخبر إلى ولده القاضي جلال الدين على ما شاع بدمشق أنّ والده القاضي حسام الدين حيٌّ يُرْزَق بقبرس ، وأنه يريد الحضور إلى الشام ، ويطلب ما يُفَكّ به من الأسر ، ثم إن القضية سكنت ، وهذا بعيد لأنه يكون عمره إلى ذلك الوقت مئة وأربع[٣] سنين ؛ وقُلت بناءً على صِحّة هذه الدعوى :

إنّ حال الرازي بين الرزايا ... حالةٌ لم نجدْ عليها مِثالا
كان قاضي القضاةِ مِصْراً وشاماً ... ثم في قبرسٍ غدا كحّالا

الله أكرم وأرحَم من أن يمشي أحدٌ من أهل العلم الشريف إلى ورا ، أو أن يُرَدَّ في آخر عمره القهقرى .

٥٦٠ ـ الحسن بن أحمد بن زفر الحكيم*

عز الدين الإرْبلي . سمع ابن الخلاّل[٤] والموازيني[٥] وخَلْقاً .

(١) في الأصل : « الجردنين » ، وأثبتنا ما في مصادر ترجمته .
(٢) ستأتي ترجمته .
(٣) في الأصل : « وأربعة » .
* الوافي : ٣٩٩/١١ ، والبداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ١١/٢ ، والدارس : ١١٧/٢ ، والشذرات : ٧٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٥/٥ .
(٤) في الأصل والوافي : ١٧٥/١٢ وبعض أصول الدرر : ٢١/٢ : « الجلال » ، وهو تصحيف ، وقد ضبطه الصفدي بالخاء للعجمة في أثناء ترجمته ، وستأتي بعد قليل .
(٥) أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، وستأتي ترجمته .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : كان مُظلماً في دينه ونحْلَته ، متفلسفاً ، صادقاً في نقله ، حَصَّل إثباتَ سماعاته ، وألف كتباً وتواريخ ، منها (السيرة) في مجلدين ، وسَمعَ مَعَنا كثيراً .

قلت : وخطّه معروف بين الفضلاء ، ومجاميعُه غالبُها تراجم شعراء وتواريخ ووفيات ؛ ويُعرف بالعز الإربلي الطبيب ، وعَبث في مجاميعه برئيس الطبّ أمين الدين سليمان[١] ؛ كما عبث ركن الدين الوهراني[٢] بالمهذّب النقّاش[٣] في صورة المنام الذي صنعه[٤] ، ورماه بأشياء من الخسّة والبخل ، وبأشياء من الزغل ، وعَمَلِ الكيمياء ، وبأشياء من المطالب ؛ وأنه انتقى[٥] منها جملة . إلاّ أن في تعاليقه فوائد أدبيّة وغيرها وتراجم غريبة وغير ذلك يدل على أنه كان فاضلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن بَلِي الإربلي ، وفرغ جراب عمره الممتلي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين وسبع مئة .

٥٦١ ـ الحسن بن أحمد بن المظفّر*

الشيخ الفاضل الكبير الْمُعَمّر شرف الدين أبو علي بن الشيخ كمال الدين بن الخطيري الصوفي ، بخانقاه خاتون ظاهر دمشق[٦] .

كان شيخاً حَسَناً عنده فضلٌ وله نظر ، وكتب المنسوب ، ونسخ بخطه كتباً ،

---

(١) سليمان بن داود ، ستأتي ترجمته .

(٢) محمد بن محرز صاحب كتاب للنامات (ت ٥٧٥ هـ) ، الوافي : ٣٨٦/٤ .

(٣) أبو الحسن علي بن أبي عبد الله (ت ٥٤٤ هـ) ، طبقات الأطباء : ٦٣٥ .

(٤) وذكر الصفدي طرفاً منه في الوافي : ٣٨٧/٤ .

(٥) في الأصل : « التقى » ، ولا وجه لها ، ولعلّ الصواب ما أثبتنا .

* الدرر : ١٣/٢ .

(٦) ظاهر باب كلنصر بنتها خاتون بنت معين الدين أنر زوجة نور الدين الشهيد . الدارس : ١١٣/٢ .

وسَمع (صحيح مُسْلم) من الرضيّ بن البُرْهَان الواسطي[١] بدمشق سنة خمس وخمسين وستّ مئة ، وسمع من ابن عبد الدائم ، وحَدَّث وأخذ الطلبةُ عنه .

وتُوفّي في سابع عشر شعبان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة بمدينة كنبايت[٢] بالهند .

٥٦٢ ـ حَسَن بن أَرْتَنَا*

الأمير بَدْر الدين الشيخ حسن بن النُّوَيْن الحاكم بالروم ، تَقَدَّمَ ذِكْرُ والدِهِ في مكانه .

كان هذا الشيخ حَسن المذكورُ ذا حُسْنٍ باهِرٍ ، وجَمالٍ ظاهر ، يَفتن مَنْ يراه ، ويُسَبِّح مَنْ خَلَقَه وبَرَاه ، لأنه كان حسنُه بديعا ، ومن يشاهدُه يعود صَدِيعا ، بوجهٍ كأنّه القمر إذا بزغ ، وجفنٍ بسحره نفث الشيطانُ ونَزَغ ، وشكلُه تامُّ القامه ، كاملُ الهامه .

مَرِض في سِيوَاس فانكسفت شمسُه وأُوْدِعَ جَوْهَرَ شَخْصه رِمْسُه .

سَمع به الأمير سيف الدين طشتُمر نائب حلب ، وأنّه وصل إلى بَهَسْنى ، لأنه كان قد أرسله أبوه إلى الشيخ حسن الكبير ببغداد ، فكتب إلى نائب بَهَسْنى بطلبه ، فحضر إليه إلى حلب ، فأعجبه شَكْلُه وبُهت لحُسْنه ، فخلع عليه خِلعة سَنِيّة ، وأعادَه إلى والده ؛ وكان والدهُ قد خطب له ابنةَ صاحب ماردين الملك الصالح شمس الدين[٣] ، فأجابَه إلى ذلك وجهَّزها إليه ، وما أظنُّه دَخَل بها ، بل مرض في سيواس ، وكان والدُه

(١) إبراهيم بن عمر (ت ٦٦٤ هـ) ، العبر : ٢٧٦/٥ .

(٢) في الدرر : « كنبات » .

* الوافي : ٣٩٩/١١ ، والدرر : ١٣/٢ ، والذيل التام : ٩٦ ، والمنهل الصافي : ٦٠٨/٥ ، وفيه : « أرتنا » بالثاء .

(٣) هو صالح بن غازي بن قرا أرسلان التركماني (ت ٧٦٥ هـ) ، وقيل : (٧٦٦ هـ) . الدرر : ٢٠٢/٢ ، والذيل التام : ٢٠٨ .

في قَيْصَريّة ، فتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة . وكتب أبوه إلى صاحب ماردين ؛ يقول له : إن لي ابناً آخر يصلحُ لزواجها ، وأعطاها مدينة خَرْتَبِرْت[1] .

٥٦٣ ـ حسن بن أقْبُغا بن إيْلكان*

بعد الهمزة ياء ، آخر الحروف ساكنة ولام وكاف وألف بعدها نون : النُّوين الكبير الشيخ حسن بك الكبير الحاكم ببغداد والعراق ، أُبْعِد في أيام بوسعيد ، وكان الناس في داخل حَرمه ، وهو بالوصيد ، وجَرت له حروب ، وخَطَبَتْهُ من الأيام خُطوب ، وكَرُبَتْ له منه كروب ، ومَرّت به من المِحن أنواع وضروب ، ووجد بعد بوسعيد شدائد ، وتلقّى ضربات النكبات حدائد ؛ وكافح طغاي بن سُوتاي ، وإبراهيم شاه وأولاد تمرتاش وغيرهم ؛ وأقرّ له النُصْرةَ عليهم ، وأطارَ طيرَهُمْ ، وناصحَ المسلمين ومَا دَاجَى ، وصرَّح بالمحَبَّة وما حَاجَى .

ولم تزل كتب ملوك مصر تفد إليه بالمَبَرّات ، وتَرِدُ عليه بالمَسَرّات ، وتُجهَّز له التشاريف ، ويُعَظَّم في العنوانات والتعاريف ، ورسله هو ما تنقطع ولا قصّاده ، وزرّاعُ ودِّهِ المنجب وحصّاده .

ولم يزل على حاله إلى أن ورد الخبر بوفاته في شعبان سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وجلس ولَدُهُ الشيخ سيف الدين أُوَيْس مكانه في الحكم على بَغْداد .

وهذا الشيخ حسن الكبير إنما عُرف بهذا فرقاً بينه وبين الشيخ حَسَن بن تمرتاش ، وسيأتي ذكره .

---

(١) ذكر ياقوت أنها اسم أرمني لحصن زياد في أقصى ديار بكر . معجم البلدان : ٣٥٥/٢ .

* الوافي : ٤٠٥/١١ ، والدرر : ١٤/٢ ، والشذرات : ١٨٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٩/٥ ، وفيه : « الحسن بن حسين بن آقبغا .. » . وفيه وفاته سنة (٦٥٧) .

وكان الشيخ حسن الكبير أولاً زوجَ الخاتون بغداد بنت جوبان ، فلم يزل به بوسعيد القان إلى أن أخذها منه بعدما أتت من الشيخ حسن بابنهِ الأمير إيلكان ، ولم يزل الشيخ حَسن مُبْعَداً إلى أن توفي بوسعيد رحمه الله تعالى ، فملك بغداد ونزل بها ، وأقام فيها ، وجَرت له مع المذكورين حروب كثيرة ونَصَرهُ الله عليهم ، ولم يزل مروَّعاً من أولاد تمرتاش وهو المنصور ، ثم إنه تزوج الخاتون دُلْشاذ بنت دمشق خواجا بن جوبان الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى في مكانه .

وجرى في أيامه ببغداد الغلاء العظيم ، حتى أُبيع الخبز على ما قيل بصنج[1] الدراهم ، ونزح الناس عن بغداد ؛ وعُدم منها حتى الورق ، وكان يُجْلَب منها إلى الشام ومصر وغيرهما ، ولما أظهر العدل وأَمِن الناس تراجع الناس إليها وذلك سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وفي أوائل سنة تسع وأربعين وسبع مئة توجه إلى شُشْتَر ليأخذ من أهلها قطيعةً كان قد قررها عليهم ، فلمّا أخذها وعاد وجَدَ نوّابه في بغداد قد وَجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاث جباب[2] نحاساً مثل جباب الهريسة ، طول كل جُبّ ما يقارب الذراعين والنصف ، وهي مملوءة ذهباً مصرياً وصُوريّاً ويوسفياً ، وفي بعضه سِكةُ الإمام الناصر ، وكان زنة ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي ، يكون ذلك مثاقيل خمس مئة ألف مثقال .

٥٦٤ ـ الحَسَن بن تمرتاش بن جُوبان*

المعروف بالشيخ حَسَن ، تقدم ذِكْرُ والدِه وجده في مكانها .

كان هذا الشيخ حسن داهيةً ولم يكن ذاهبه ، بَعِيْدَ الغَوْص في الفكر والغور ،

---

(١) في الوافي : « بشحّ » ! .

(٢) في الوافي : « أجباب » . وفي المنهل : « ثلاثة أجباب » .

* الوافي : ٤١٢/١١ ، والدرر : ١٥/٢ ، والمنهل الصافي : ٧٢/٥ ، وفيه وفاته سنة (٧٧٤ هـ) وهو وهم .

مخادعاً ، لا جَرَمَ أن أمست أيّامه ذاهبه ، ويشتغل بحيل ما تُحكى عن البَطّال ، ويفكر ذب خدعٍ سَحَابُه منه هَطّالَ ، وكان يَدْخُل إلى الحمّام ويخلو بنفسه فيها اليوم واليومين والثلاث ، وهو يفكّر فيما يرتبه من المكر والاجتهاد والاكتراث ، وقيل إنه مرة شرب دَماً وقاءَهُ ، ليرتّب على ذلك حيلا ، وينال بها ممّن يريد مقصوداً وَأملا ، وزاد بطشه ، وصحّ في الحيل نقشُه ، وأفنى جماعة من كبار المغول ، واغتالهم من فتكه غول ، وشوّش على المسلمين ، قتل أهل تلك البلاد ، وأضجر قومَهُ من الإغارات والجلاد .

ولم يزل على حاله إلى أن قيل : « إنه تهدّد زوجته مرة فخبأت عندها خمسة من المغل فأصبح مخنوقا ، وأظهر أنه وجد مَشْنوقا ، فوُضع في تابوت ودفن بتربته التي أنشأها بتوريز ، وراح كما راح أمس الدابر[1] ، ودخل في زُمْرَة مَنْ دَخَل في الزمن الغابر ، ولم ينتطح في أمره عَنْزَان ولا اختلفت فيها مقاديرُ ولا أوزان ، وكفى الله المسلمين مِنْه شَرّاً كبيرا ، ﴿ وكان الله على كلِّ شيء قديراً ﴾[2] .

وجاء الخبرُ بوفاته في شهر رَجَب سنة أربعٍ وأربعين وسبع مئة .

وكان يقول أوّلاً : ما يَمْنعني مِنْ دُخول الشام ودَوْسِه إلاّ هذا تَنكِز ، وقد حصّلْتُ له إحدى عشرة حيلة إن لم يَرُحْ بهذه وإلاّ راحَ بهذه ! فما كان إلاّ أن جاء رسوله القاضي تاج الدين قاضي شيراز ، وتوجّه إلى السلطان الملك الناصر محمّد ، وكان ممّا قاله : إن تنكز طلب الحضور إلى عندي ، فاستوحش السلطان من تنكز رحمه الله تعالى وتغيّر عليه ، وكان السببُ في ذلك هذا الكلام ، والله أعلم ، ولمّا أُمْسِك تنكز ، قال[3] : والله أنا كنت أعتقد أن قلع هذا تنكز صعبٌ ، وقد راح الآن بأهونِ حيلة ، (وعند الله تجتمع الخصوم) .

---

(١) في الأصل : « الداير » ، تصحيف .

(٢) الأحزاب : ٣٣/٢٧ .

(٣) أي الشيخ حسن .

٥٦٥ ـ الحسن بن رمضان*

الإمام العالم الفاضل القاضي حُسَام الدين القَرْمي الشّافعي ، أبو محمد قاضي القضاة بصفد وطرابلس ، ابن الشيخ الإمام العالم الخطيب معين الدين أبي الحسن .

كان فاضلاً ذكيّا ، واضحَ المحيَّا بَهيّا ، حَسَنَ الوَجْه مَديدَ القامه ، تَرِفَ الجسم عليه وسَامَه ، بسّام الثغر ضحُوكا ، جميلَ المنظر كأنما أُلْبِس وشياً مَحُوكا ، جيّد البحث والنظر ، شديدَ الإصابة إذا فكّر وادّكر . يعرف العربيّة وغوامضَ مَسائلها ، والأصولَ ومآخذ وجوهها وتقرّب وسائلها .

ولم يزل إلى أن حُسِم الحُسَام ، ووقعَ في أشراك المنيّة وحبائلها الجِسَام .

وتوفّي رحمه الله تعالى في طرابلس في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكان قَدْ قَدِم إلى صفد على قضاء القضاة بها في أيام الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار ، وأقامَ بها مُدَّة وهو فقير لا يملك شيئاً ، ثم إنه ثوّرَ نِعْمَة موفورة واقتنى أملاكاً ، ونقل إلى قضاء القضاة بطرابلس في ذي القعدة سنة ست عشرة وسبع مئة ، فأقام بها مدة ، وبنى حمّاماً عجيباً في طرابلس ، وهو بها مشهور ، وغير ذلك من الأملاك .

وكان قد طُلِبَ إلى مصر على البريد في سنةِ إحدى وعشرين وسبع مئة ، فأقبل السلطان عليه وزاده وأعادَه ، ثم إنه عُزِل ووصل إلى دمشق وأقامَ بها وأقبل على شأنه ، وولي تدريس الرباط الناصري[1] بالجبل ، وعكف على الاشتغال وسماعِ الحديث وعلومه ، ولم يزل على خير .

---

* الوافي : ١٨/١٢ ، والدرر : ١٥/٢ ، والدارس : ٨٨/١ .

(١) في دار الحديث الناصرية بسفح قاسيون ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيز محمد . الدارس : ٨٥/١ .

اجتمعتُ بـه غيرَ مَرّة ، وجرت بيني وبينـه مبـاحث في العربيـة وغيرهـا[١] ، وكان ذهنه في غاية الجَوْدَة والصّحة . ولما كان في صفد وقع بينـه وبين شيخنـا نجم الـدين بن الكمال خطيب صفد[٢] منازعةٌ في مسألة إعراب ، وأخـذه بهـا في خطبتـه ، وأصر الشيخ نجم الدين على مخالفته ، وكتب إليه رسالة نظماً ونثراً افتتحها بقول بعض المغاربة :

نحنـــحَ زَيْـــــدٌ وسَعَـــــلْ لَمَّـــــا رأى وَقْـــعَ الأَسْـــلْ

وكان الشيـخ نجم الـدين يقـول في الخطبـة الثـانيـة عنـد الترضي على الخلفـاء الراشـدين : الْمُكَنَّى بـأبي بكر الصـديـق وأبي حفص وأبي عمرو ، ولا ينـوّن بكراً ولا حفصاً ولا عمراً ، وهو وجهٌ في أبي بكر حسنٌ وفيما بعده ضعيف .

٥٦٦ ـ الحسن بن عبد الرحمن*

القاضي الصدر سعد الدين بن الأُقْفَهسي[٣] ، بهمزةٍ وقاف ساكنة ، وفاء مفتوحـة ، و [هاء][٤] بعدها سين مهملة ، والناس يقولون : الأقفاصي .

كان ناظر الخزانة بالديار المصريّـة ؛ ولـه مكانـةٌ عنـد السلطـان والـدولـة ؛ وقـدم دمشق ، وسَمع الحديث بقراءة الشيخ علم الدين البِرْزَالي ، وعاد إلى القاهرة .

وتوفي رحمه الله تعـالى في آواخر ذي الحجـة ، سنـة خمس عشرة وسبع مئـة ، وتولى عوضه الصاحب ضياء الدين النشّائي .

---

(١) عبارة الوافي : « وجرت بيني وبينه مباحث غريبة وغير ذلك » وفيها خلل .

(٢) هو الحسن بن محمّد (ت ٧٢٣ هـ) ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ١٧/٢ .

(٣) نسبة إلى أقفهس ، اسم بلد بمصر بالصعيد من كورة البهنسا ، والعيامّة يلفظونها (الأقفاص) . معجم البلدان : ٢٣٧/١ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

٥٦٧ ـ الحسن بن شَرَفشَاه*

هو الإمام العلاّمة السيّد ركن الدين أبو محمّد العَلَوي الحُسَيْني الأستراباذي ، عالم الموصل ، ومدرس الشافعية ، وهو من كِبَار تلاميذ نَصير الدين الطوسي[١] .

وكان السيد ركن الدين معظماً عند التتار ، مبجلاً في تلك الديار ، وافرَ الجلاله ، وافي البساله ، له على التتار إدْرارات ، وفي معاملاتهم وجهاتهم قرارات ، بحيث إنها تبلغ في الشهر ألفاً وخمس مئة درهم ، هذا مع الوجاهه ، والتلقّي بالرضا لا بالكراهه .

وكان فاضلاً مصنّفا ، كاملاً في علومه للأسماع مشنّفا ، يبحث ويدقّق ، ويغوص على المعاني ويحقق ، يواخذ[٢] الحدود والرسوم ، ويشامخ في الألفاظ وموضوعاتها بين أهل الفهوم ، ويمزج المنقولات بالمعقولات ، ويردّ الْمُطْلقات إلى المعقولات ، فلذلك جاءت تصانيفه فجادت ، وعاجت عن طريق الخمول وحَادت ، واشتهرت بين الفضلاء الأكابر ، وشكرتها ألسن الأقلام في أفواه المحابر .

ولم يزل على حاله إلى أن هدم الموت ركنه ، ورماه بعد الفصاحة باللكْنَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة وسبع مئة ؛ وله سبعون سنة .

وكان يوصف بحلم زائد وتواضع كثير بحيث إنه كان يقوم للستّاء إذا دخل دارَه . وتخرّج به جماعة من الأفاضل ، إلا أنه كان لا يحفظ القرآن على ما قيل ، وصنّف

---

* الوافي : ٥٤/١٢ ، والدرر : ١٦/٢ ، والنجوم : ٢٣١/٩ ، والبغية : ٥٢٨ ، والشذرات : ٣٥/٦ ، واسمه في البغية النجوم : « الحسن بن محمد بن شرفشاه » .

(١) محمد بن محمد بن الحسن (ت ٦٧٢ هـ) ، الوافي : ١٧٩/١ ، والفوات : ١٤٩/٢ .

(٢) كذا ، والمواخذة سعة الخطو وسرعتها .

(شرح مختصر ابن الحاجب)[١] ، و (شرح مقدمتي ابن الحاجب)[٢] ، وشرح (الحاوي) في المذهب شرحين[٣] .

٥٦٨ ـ الحسن بن عبد الرحمن بن عمر بن الحسن ابن علي بن إبراهيم بن محمد بن مرام*

التيمي الأَرْمَنتي الشافعي وأَرْمَنْت ، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الميم وسكون النون وبعدها تاء ثالثة الحروف[٤] .

كان حَسَن الأخلاق ، يجود في السَّعْدِ والإملاق ، خيّر كريم ، لا يرحل عن مغنى الجود ولا يريم ، تَوَلّى قضاء أرمَنْت ، فما أتى قضيةً إلاّ وقيل له : أحسنت .

ولم يزل على حاله إلى أن تجرع كأس فَقْده ، وانحلّ نظامُ عَقْدِه .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة ست وثلاثين وسبع مئة ؛ وحُمل إلى أرمنت ، ودفن بها .

ومولده سنة سبع وثمانين وست مئة بأرمنت .

قال كمال الدين جعفر الأدفوّي : ولّما مررت بأرمنت زرت قبره بظاهرها ، ولم أدخل البلد ، وقُلتُ[٥] :

---

(١) المسمى : « منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل » ، واسم الشرح : حلّ العقد والعقل في شرح مختصر السول والأمل . الكشف : ١٨٥٥/٢ ، وفي الأعلام : ٢١٥/٢ أنه مخطوط .

(٢) الكافية ، وله عليها ثلاثة شروح ، والشافية . الكشف : ١٠٢١ ، ١٣٧٠ .

(٣) الكشف : ٦٢٦/١ .

* الوافي : ٦٣/١٢ ، والطالع السعيد : ١٩٢ ، والدرر : ١٧/٢ ، وفي الأصل : (سرام) تحريف .

(٤) وهي كورة بصعيد مصر ، معجم البلدان : ١٥٩/١ .

(٥) في الطالع السعيد : « ونظمت ارتجالاً » .

أتينـا إلى أرمنتَ فـانهلَّ وابـلٌ ... مِنَ الـدَّمْعِ أجراهُ الكآبـةُ والحَزَنْ
وجـاوَزْتِهـا كَرْهـاً وأيُّ إقـامـة ... بمغنىً رعـاه الله ليس بـه حسَنْ
فتىً كان يلقـاهـا ببشْرٍ وراحـةٍ ... ولم نَخْشَ منـه لا ملالاً ولا مِنَنْ[1]

ومِنْ شعرِ قاضي أرْمَنت المذكور :

بكفَّـكَ الثَّقتـان الخُبْرُ والخَبَرُ ... بأنّكَ البُغْيَتَـان السُولُ والوَطَرُ[2]
وفيـك أُثْبِتَتِ الـدعْـوَى بيِّنَـةٍ ... أقـامَهـا الشـاهـدان العينُ والأثَرُ
يُمْنَاك يُمنٌ فكم ذا قد حوت مُلحا ... يحارُ في وصفها الألْبَاب والفِكْرُ[3]
نـدىً ولينـاً وتقبيـلاً فـواعجبـاً ... أمُـزْنـةٌ أم حريرٌ أمْ هي الحَجَرُ

قلت : شِعْرُ قاضٍ .

٥٦٩ ـ أبو الحسن بن عبد الله*

ابن الشيخ غانم بن علي بن إبراهيم النابلسي : الشيخ الفاضل السيّد القُدْوَة .

كان رَجُلاً صالحاً فاضلا ، عاملاً بما يعلمه مِنْ أمْر دِينه عاقلا ، غافلاً عما عنـد غيره راحلا ، راجلاً في أمر آخرته ، فارساً في تحصيل ما ينفعه في سـاهرتـه ، كثير السكون ، والميل إلى أهل الصلاح والركون ، بادي التقشف ، ظاهر الحال ، زائد التكشف ، حسَن المحاضره لطيف المذاكره ، كثير الاتضـاع غزير الانطبـاع ، لـه شعر لطيف ، وكلام في الطريقـة ظريف ، وفكر لا يحيـد بـه عن الصواب ولا يحيف ، ولـه تطلعٌ وافر إلى علم الفروع ومسائِل الفقه التي تروق ولا تروع .

---

(١) في الطالع : « لا ملال ولا من » .
(٢) وكذا في الوافي . وفي الطالع : تكفّل الثقتان » ، وهي أشبه .
(٣) في الطالع : « تحير » .
* لم نقف على ترجمة له .

ولم يزل على حاله إلى أن انفرد عن ذويه قهرا ، وأودع بالرغم منهم قبرا .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء رابع ذي القعدة سنة سبع وسبع مئة .

ومولدُه بنابلس سنة أربع وأربعين وست مئة .

ودفن بالصالحية في التربة المعروفة بالشيخ عبد الله الأرموي[١] ، وكان قد سمع من ابن عبد الدائم وعمر الكرماني .

٥٧٠ ـ الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام

ابن فتح الغماري المغربي ثم المصري*

الشيخ الإمام العالم المقرئ المجوّد الصالح المعمّر ، بقيَّة الْمُسْنِدين أبو محمد المالكي الملّقن المؤدّب سبط زيادة بن عمران[٢] .

كان تَلاَ بالروايات على أصحاب أبي الجُود ؛ وسمع من أبي القاسم بن عيسى[٣] جُمْلَةً صالحة ، وكان آخرَ من حدث عنه .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : بل ما روى لنا عنه سواه . وكان عنده (التيسير)[٤] و (التذكرة)[٥] و (العنوان في القراءات)[٦] وكتاب (المحدّث

---

(١) تعرف بالزاوية الأرموية ، نسبة إلى عبد الله بن يونس الأرموي (ت ٦٣١ هـ) . الدارس : ١٥٣/٢ .

* الوافي : ٧٣/١٢ ، والدرر : ١٩/٢ ، وغاية النهاية : ٢١٧/١ ، والشذرات : ٣٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٥ .

(٢) ابن زيادة أبو النجا المصري ، الضرير المقرئ النحوي (ت ٦٢٩ هـ) .

(٣) هو الإمام أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى الشريشي (ت ٦٢٩ هـ) ، السير ٣١٥/٢٢ .

(٤) لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، وهو مشهور .

(٥) تذكرة المنتهى في القراءات للشيخ أبي العز محمد بن حسين القلانسي (ت ٥٢١ هـ) الكشف : ٣٩١/١ .

(٦) لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأندلسي (ت ٤٥٥ هـ) ، الكشف : ١١٧٦/٢ .

الفاصل)[١] للرامهرمزي ، وكتاب (الناسخ والمنسوخ) لأبي داود[٢] ، وعدّه أجزاء وسمع (الشاطبيّتين)[٣] من أبي عبد الله القرطبي[٤] تلميذ الشاطبي ، وتفرّد بمروياته .

وروى عنه العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السُّبْكي ، والعلاّمة أبو حيان ، والحافظ فتح الدين بن سيد الناس والوافي وابن الفخر[٥] .

وكان شيخاً متواضعا ، مُزْجياً لأوقاته مدافعا ، طيّبَ الأخلاقِ ، يمرحُ فيما ارتداه من الجَديد والأخلاق .

ولم يزل على حاله إلى أن نقص سبط زياده ، وعَدم الناس من الروايةَ والإفاده .

وتوفي رحمه الله تعالى بمصر سنة اثتني عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

٥٧١ ـ الحسن بن علي*

الشيخ الإمام الفاضل بدر الدين ، أبو علي بن عَضُد الدولة الحسن أخي المتوكّل على الله ملك الأندلس أبي عبد الله محمد ابني يوسف بن هود .

كان الشيخ فاصلاً قَدْ تَفنَّن ، وزاهداً قد تَسَنَّن ، وعاقلاً استغرق فراح غافلاً

---

(١) في الأصل : « الفاضل » تصحيف ، واسمه : المحدّث الفاصل بين الراوي والداعي للقاضي أبي محمد حسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ) ، الكشف : ١٦١٢/٢ ، وهو مطبوع .

(٢) سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، الكشف : ١٩٣١/٢ ، والسير : ٢٠٣/١٣ .

(٣) اللامية والرائية . انظر : غاية النهاية : ٢٢/٢ .

(٤) محمد بن عمر المقرئ (ت ٦٣١ هـ) . العبر : ١٢٥/٥ .

(٥) أغلب الظن أنه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن عاش خمساً وخمسين سنة (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٤٠٣/٥ .

* الوافي : ١٥٦/١٢ ، والفوات : ٣٤٥/١ ، والعبر : ٣٩٧/٥ ، والشذرات : ٤٤٦/٥ ، وعقد الجمان : ١٠٩/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢٣١/١ .

تجنن ، عنده من علوم الأوائل فنون ، وله طلبة وتلاميذ وأصحابٌ وزبون ، فيه انْجاعٌ عن الناس وانقباض ، وانفراد وإعراض عمّا في هذه من الأعراض .

وكان لفكرته غائباً عن وجوده ، ذاهلاً عن بخْله وجُوده ، لا يبالي بما ملكْ ، ولا يدري أيّةً سَلَك ، قد اطَّرح الحشمه ، وذَهَل عمّا يُنَعِّم جِسْمَه ، ونسي ما كان فيه من النعمه ، يلبسُ قُبع لبّاد ينزل على عينيه ، ويغطي به حاجِبَيه ، ويواري جَسَده بما يقيه ، ولا يحذر بَرْداً ولا حرّاً ، ولا يتقيه .

وكان يمشي في الجامع الأموي وسبّابته قد رَفعها[1] ، وينظر في وُجُوه الناس كأنّهم ذُرْوَة ما فرَعها[2] .

ولم يزل على حاله إلى أن بَرَق بَصَرُه ، وألجمه عيُّه وحَصَرُه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة ، وصَلَّى عليه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، ودفن بسفح قاسيون .

ومولده بمَرْسِيَة سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكانت وفاته في شعبان .

أخبرني العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال : رأيته بمكّة وجالسْتُه ، وكان يَظْهَر منه الحضور مع من يكلمه ، ثم تظهر الغيبة منه ، وكان يلبس نوعاً من الثياب ، مما لم يُعْهَد لُبْسُ مثله بهذه البلاد ، وكان يَذكر أنه يَعْرِفُ شيئاً من علوم الأوائل . وكان له شعرٌ أنشدَنَا له أبو الحكَم بن هاني صاحِبُنا ، قال : أنشدنا أبو عليّ الحَسَن بن عضد الدولة لنفسه :

---

(١) كالمتشهّد ، كما في الوافي .

(٢) أي ما بلغ أعلاها .

خضتُ الدُّجُنَّة حتى لاح لي قَبَسٌ وبانَ بَانٌ الحِمَى من ذلك القَبس[١]
فقلتُ للقَوْم: هذا الربعُ رَبْعُهم وقلت للسمع: لا تخلو من الحَرس
وقلت للعين: غُضيّ عن محاسنهم وقلت للنطق: هذا موضع الخَرَس

وقال الشيخ شمس الدين الذهبي: هو الشيخ الزاهد الكبير أبو علي بن هود المرسي أحد الكبار في التصوّف على طريقة الوَحْدة، وكان أبوه نائبَ السلطنة بها عن الخليفة الملّقب بالمتوكل؛ حَصَل له زُهْدٌ مُفْرط وفراغٌ عن الدنيا، وسَكرة عن ذاته وغَفْلَةٌ عَنْ نفسه، فَسَافر وتَرَك الحشمةِ، وصحب ابن سبعين، واشتغل بالطب والحكمة، وزهديات الصُوْفَة[٢]، وخلط هذا [بهذا][٣] وحجَّ ودَخَل اليمن، وقَدِمَ الشام.

وكان غارقاً في الفكر عديم اللذة، مواصل[٤] الأحزان، فيه انقباض عن الناس، حُمل مَرّة إلى والي البلد وهو سَكرَان، أخذوه من حارة اليهود فأحسن الوالي به الظنّ وسَرَّحَهُ، سقاه اليهودُ خُبْثاً منهم ليغُضُّوا منه.

قلت: لأن اليهود نالَهُم منه أذى، وأسلم على يده منهم جماعة، منهم سعيد وبركات. وكان الشيخ يحب الكوارع المغمومة[٥] فدعوه إلى بيت واحد منهم وقدّموا له ذلك فأكل منه، ثم غاب ذهولاً، على عادته، فأحضروا الخمر فلم ينكر حضورها وأداروها، ثم ناولوه منها قَدَحاً فاستعمله تَشَبُّهاً[٦] بهم، فلمّا سكر أخرجوه على تلك الحالة، وبلغ الخبر إلى الوالي، فركب وحضر إليه وأردفه خَلْفَه، وبقي الناس خلفه يتعجّبون من أمْرِه، وهو يقول لهم بعد كل فترة: أي وأيش قد جرى، ابن هود

(١) في عقد الجمان: « فقلت للقلب ».
(٢) في الوافي: « الصوفية ».
(٣) زيادة من الوافي والفوات، يقتضيها السياق.
(٤) في الوافي: « متواصل ».
(٥) الغمّة: الرأس.
(٦) في الفوات: « تشبيهاً ».

شرب[١] العُقَار ، يعقد القاف كاملاً في كلامه ، وفي ذاك يقول علاء الدين علي الوادعي ونقلت ذلك من خطه :

قالوا ابنُ هودٍ قد غدا سكرانَ مِن خمر المعازف
وأعيذهُ لكنّه سكران من خمر المعارف

وكان اليهود يشتغلون عليه في كتاب (الدلالة) ، وهو مصنف في أصول دينهم للرئيس موسى[٢] . قال الشيخ شمس الدين الذهبي ، قال شيخنا عماد الدين الواسطي : أتيته وقلت له : أريد أن تُسْلكني ، فقال : من أي الطرق : الموسوية[٣] أو العيسوية أو المحمدية ؟ وكان إذا طلعت الشمس يستقبلها ويصلِّب على وجهه ، وصحبه الشيخ العفيف عمران الطبيب وسعيد المغربيّ وغير واحد من هؤلاء .

قلت : الذي بلغني عنه ما أخبرني به شيخنا نجم الدين الخطيب الصفدي . قال : كان بعض الأيَّام يقول لتلميذه سعيد : يا سعيد أرني فاعلَ النهار ، فيأخذ بيده ويطلع به إلى سطح ، فيقف باهتاً إلى الشمس نصف نهار .

وكان يُوضعَ في يده الجمر فيقبض عليه ذهولاً عنه فإذا أحرقه رجع إليه حِسُّه ، فألقاه من يده . وكان تُحفر له الحفرَ في طريقه فيقع فيها ذهولاً عنها وغيبة .

ومن شعره :

فؤادي مِنْ محبوب قلبي لا يخلو وسرِّيْ على فكري محاسنه تجلو
ألا يا حبيبَ القلب يا مَنْ بذكره على ظاهري من باطني شاهدٌ عَدْلُ
تجلّيتَ لي منّي عَلَيّ فأصبحَتْ صِفَاتي تنادي: ما لمحبوبنا مِثلُ

---

(١) في الوافي : « يشرب » .

(٢) هو موسى بن ميمون ت (٦٠١ هـ) ، واسم كتابه : دلالة الحائرين . (الأعلام : ٣٢٩/٧) .

(٣) في الوافي والفوات : « من الموسويّة » .

أورّي بـذكْر الجَـزْع عنـه وبـانـهِ ... ولا البانُ مطلوبي ولا قَصْـديَ الرملُ[١]
وأذكر سُعـدى في حـديثيْ مُغـالطـاً ... بليلى ولا ليلى مُرَادي ولا جُمـلُ
سوى معشرٍ حَلُّو النظـام وفرّقـوا الثـ ... ـيـابَ فـلا فَرْضٌ عليهم ولا نَفْلُ[٢]
مجـانين إلاّ أنّ ذُلَّ جنـونهم ... عزيز على أعتـابِهم يسجُـد العَقـل[٣]

ومن شعره أيضاً[٤] :

سـلامٌ عليكم صـدّق الخَبَرَ الخُبْرُ ... فلم يبـقَ قـال القُسُّ أو حَـدَّث الحَبْرُ
خـذوا خَبَري عنّي بقيتُ مشَـاهـدا ... ذرُوا مـا يقـول الغِرّ أو يفهم الغُمر
خـذوا عن غريب الـدار كلَّ غَريبـةٍ ... وحقِّكم مِن دونهـا حُجِرَ الحِجْرُ
عليـكَ سـلامُ الله يـا خيرَ قـادم ... على خير مَقْـدُوم عليـه لـك البِشْرُ
عليك السلامُ اِسْلَم وقُيتَ الرّدى فَدْم ... على غـابر الأيـام لا خـانـك الـدهرُ
أتيتكُم مستقضيـاً دَيْنَ وعـدِكم ... فمِنْ قـولهم عنـد القَضَـا يُعْرف الحُرُّ
اذكّركم عَهْـداً لنـا طـالَ عهـدُهُ ... وقـولكم صَبْراً وقـد فَنِي الصبْرُ
فـلا تَحْسَبـوا أني نَسِيت عهـودكم ... فـإني وحـقِّ الله عَبْـدُكُم الحُرُّ
أأنسى عهوداً بـالحِمى طـاب ذِكْرُهـا ... ومثليْ وَفِيٌّ لا يليـقُ بـه العَـذْرُ[٥]
تُحيّيك عنّا الشمسُ ما أشرقت ضُحـا ... يُحَيّيـك عنـا مـا تبـدّى لـك البـدرُ
تحيّيـك عنـا كلّما ذرّ شـارق ... يحيّيـك عنّـا من غمـائمِـه القطرُ
تحيّيك عنا الريح بالروح قـد بَـدَتْ ... يُحيّيـك عنـا مِنْ مَنـابتـهِ الـزَّهْرُ
ألاَ فـاعجبـوا مِنْ أمْرنـا إنـه امروٌ ... ألا فـاعجبـوا للقُـلِّ مِنْ بعضـه الكُثْرُ

---

(١) في الفوات وعقد الجمان : « وبانة » . وفي عقد الجمان : فلا البان .. الوبل » .
(٢) لم يذكره صاحب عقد الجمان .
(٣) في العقد : « على أبوابهم » .
(٤) في تذكرة كلنبيه أربعة أبيات من هذا النص .
(٥) في تذكرة النبيه : « أنسى » .

ومنه :

عِلْمُ قَـــوْمي بيَ جَهْـــلُ إنّ شـــــأني لأجـــلُّ
أنـــا عبـــد أنـــا ربّ أنـــا عِـــزٌّ أنـــا ذلُّ
أنـــا دنيـــا أنـــا أُخرى أنـــا بعضٌ أنـــا كلُّ
أنـــا معشـوق لـــذاتي لست عني الـــدهرَ أسلـو
فَـــوْقَ عَشْرٍ دون تســـع بين خمسٍ لي محـــلُّ [1]

٥٧٢ ـ حسن بن علي بن محمد*

الأمير عماد الدين بن النشَّابي ، والي دمشق .

كان ناهضاً كافيا ، خَبيراً بأدواء الولايات شافيا ، لـه مَعْرفةٌ بسياسات البَلَد ، وعنده على مكابَدَة أهوالها صَبرٌ وجَلَد .

كان أوّلاً صائغا ، وتجرَّع الذل سائغا ؛ ثم إنه خدم جنديـاً وتولّى في البر ، وصبر على ما في ذلك من الخير والشرّ ، وتقلب بـه الـدهر ، وقَفَز إلى البحر من النهر ، ثم تولّى برّ دمشق مُدّه ، وقام لها بما تحتاج إليه من عِدّة وعُدّه ، ثم تولّى المدينـه ، وجعل موعده يوم الزينه ، ثم أُعطي طبلخاناه ، وصارت مباعدة السعادة منه مداناه .

ولم يزل على حاله إلى أن غصّ بها الحلقوم ، وفَرَغَ أجل الكتاب المرقوم .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوّال سنة تسع وتسعين وست مئة بالبقاع ، وحمل إلى دمشق ، ودفن بتربته بقاسيون [2] وكان من أبناء الخَمْسين .

---

(١) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .

* الوافي : ١٥٩/١٢ ، والعبر : ٣٩٧/٥ ، والشذرات : ٤٤٧/٥ ، والمنهل الصافي : ١٠٢/٥ .

(٢) وهي التربة النشابية غربي الروضة بسفح قاسيون . الدارس : ٢٣١/٢ .

وكان قد تولى مدينة دمشق في أول دولة الناصر محمد في صفر سنة ثلاث وتسعين وست مئة عوضاً عن الأمير عز الدين بن أبي الهيجاء .

٥٧٣ ـ حَسن بن علي الصدر*

الرئيس الأصيل عزيز الدين أو محمد بن العدل شرف الدين ابن القاضي عزيز الدين محمد ابن القاضي العلامة عماد الدين محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أَلُّه القرشي الأصبهاني المعروف جدّ والده بالعماد الكاتب .

أوصى أن يفرّق على الجماعة الذين يحضرون دفنه حَلْوى صابونيّة على برزق ، ففُعِل ذلك ، وأكل منه الأغنياء والفقراء .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع شوال سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

ومولده في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وكان جيّداً مشكورَ السيرة ، عارفاً بصناعة الكتابة مبرزاً فيها ، خدم في عدة جهات منها عمالة الخزانة ، ثم نقل منها إلى استيفاء الخزانة .

وكان يتلو القرآن العظيم دائماً ، وحجّ وجاور سنة ، وسمع من ابن عبد الدائم ، والخطيب عماد الدين بن الحرستَاني والزين خالد النابلسي الحافظ ، وابن أبي اليسر ، ويوسف بن مكتوم وغيرهم . وشيوخه أكثر من خمسين . وله إجازة من الصدر البكْري ، وإبراهيم بن خليل وابن السروري[1] ، وجماعة .

---

* الدرر : ٢٦/٢ .

(١) أبو طالب تمام السروري الدمشقي (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : خرّجت له جزءاً عوال شيوخه[١] ، وجزأين آخرَيْن بالسّماع والإجازة .

٥٧٤ ـ حَسَن بن علي بن عيسى بن الحسن*

الإمام المحدّث شرف الدين اللّخمي المِصْري المعروف بابنِ الصَّيْرَفي ، شيخ الحديث بالفارقانية[٢] .

كان فقيهاً معيدا ، محدّثاً مفيدا ، خيّراً صدوقا ، مكبّاً على الرواية صَبوحاً وغَبُوقا ، حَسن الأخلاق متواضعا ، ساكناً خالياً من الشرّ وادِعا ، مليح الشيبه ، ظاهرَ الهيبه .

سمع من عبد الوهاب بن رواج ، وأبي الحسن بن الجُمَّيزي ، ويوسف السّاوي ، وفخر القضاة ابن الحبّاب ، والمؤتمن بن قميّرة والزكي عبد العظيم ، والرشيد العطّار ، وسمع بالإسكندرية من سبط السِّلَفي وجماعة .

قال الشيخ شمس الدين : سمعت منه .

ولم يزل على حاله إلى أن رُئي ابن الصيرفي وقد تَبَهْرَج ، ودخل في قبره وتدْحرَج .

وتوفي رحمه الله تعالى : سنة تسع وتسعين وست مئة ، وهو من أبناء الثمانين .

---

(١) كذا في الأصل ، وهي مضطربة . وفي الدرر : « وخرّج له البرزالي مشيخة بالسماع في حزأين ، وأخرى تشتمل على عواليه » .

* الوافي : ١٦٠/١٢ ، والعبر : ٣٩٧/٥ ، وحسن المحاضرة : ١٦٢/١ ، والشذرات : ٤٤٧/٥ ، والمنهل الصافي : ١٠٢/٥ .

(٢) أنشأها الأمير آقسنقر الفارقاني السلحدار جوّا باب سعادة بالقاهرة (ت ٦٧٠ هـ) ، النجوم : ٢٦٢/٧ ، والوافي : ٣١٠/٩ .

٥٧٥ ـ حسن بن علي بن أبي بكر بن يونس*

بدر الدين أبو علي الأمين الأنصاري الدمشقي القلانسي بن الخلاّل ، بالخاء المعجمة وتَشْديد اللام .

كان أحد المكثرين ، اعتنى بأمره خالُ أُمّه المحدّث ابن الجوهري[١] .

روى شيئاً كثيراً بدمشق وحلب ومصر ، وكان يخرج أميناً على القرى ، وله فهمٌ وعنده فضل[٢] ما .

سمع من ابن اللَّتي ، وابن المقيّر ، ومكرم ، وأبي نصر بن الشيرازي[٣] ، وجعفر الهمداني ، وكريمة الزبيريّة[٤] ، وسالم بن صَصْرَى ، وخلقٍ كثير .

وحضر ابنَ غسان والإربلي[٥] . وأجاز له ابن روزبة ، والسهروَرْدي وأبو الوفاء بن مَنْده . وله إثبات في ستة أجزاء .

وروى عنه المِزّي وابن تيميّة ، وابن البرزالي[٦] ، وغيرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة[٧] ، ومولده في صفر سنة تسع وعشرين وست مئة .

---

* الوافي : ١٧٥/١٢ ، والدرر : ٢١/٢ ، والشذرات : ٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٨/٥ ، وذيول العبر : ٢٢ .

(١) أبو العباس أحمد بن محمود بن الجوهري (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢٦٤/٢٣ .

(٢) في الوافي : « فضيلة » .

(٣) في الوافي : « أبي نصر الشيرازي » .

(٤) هي كريمة القرشية ، سلفت ترجمتها .

(٥) هو الفخر الإربلي ، محمد بن إبراهيم ، سلفت ترجمته .

(٦) في المنهل : « سمع منه الحافظ البرزالي وخرّج له مشيخة » .

(٧) في الأصل : « وستمئة » ، سهو .

٥٧٦ ـ الحسن بن علي بن أبي الحسن بن منصور*

الشيخ الصالح الزاهد ، بقيَّةُ المشايخ ابن الشيخ علي الحريري .

كان شيخَ الطائفة[١] وزعيمَهم وساقيهم ونديمهم ، مليح الشيبة نقيَّها ، يَعْرف الأحوال ورقيّها ، حَسَن الخُلق ، محبوباً إلى الخَلْق ، له مكانة عند الأكابر ، وحُرْمَةٌ عند أُولي السيوف والمحابر ، وربّما يأتي بكرامات ، ويَظْهر بأحوال للعقل فيها غرامات .

قَدِمَ إلى دمشقَ مرّات ، ورأى فيها أوقاتَ مِسرّات ، وكان مقامه في قريته بُسْر[٢] ، ويكابد فيها العُسر بَعد اليُسر .

ولم يزل على حاله إلى أن أُدرج الحريري في قُطْن أكفانه ، وأصبح والتراب ملءُ أجفانه .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وعشرين وست مئة .

٥٧٧ ـ الحسن بن علي**

الشيخ الإمام الفقيه الصالح الناسك الأُسواني أخو الشيخ الإمام نجم الدين الحسين[٣] .

كان يؤم بالمدينة الشريفه ، ويشاهد أنوارها المنيفه ، حجّ فَرْضَه وجاء إليها ،

---

* الوافي : ١٦٢/١٢ ، وتالي الوفيات : ٦٥ ، والبداية والنهاية : ٣٥٣/١٣ ، والمنهل الصافي : ١٠٤/٥ .

(١) الحريريّة ، كما في الوافي ، والمنهل .

(٢) من أعمال حوران . معجم البلدان ٤٢٠/١ . وتعرف اليوم : (بصر الحرير) .

** الدرر : ٢٩/٢ ، والطالع السعيد : ٢٠٧ ، وفيه وفاته : (ت ٧٢٣ هـ) .

(٣) المعروف بابن سيد الأهل ، ستأتي ترجمته .

وأقبل بجمعه عليها ، فأقام بها ثماني عشرة سنة ملتزماً أن لا يخرجَ من بابها ولا يشتغل بشيءٍ من أسبابها .

وكان يشغل بالحرم الشريف في الفقه[١] ، إلى أن حلّت أسواء[٢] الموت بالأُسواني ، وانتقل إلى السعد الباقي بعد الذل الفاني .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة أربع وعِشْرين وسبع مئة .

٥٧٨ ـ الحسن بن علي بن محمود*

الأمير الكبير بدر الدين أخو الملك المؤيَّد عماد الدين صاحب حماة .

كان له إقطاع كبير بحماه ، ونعمة جليلة قد تغشّت حِمَاه ، وأموالٌ كاثرت النجوم ، وكابرت أنواءَ الغيوم ، مع ماعنده من النظر في العلوم ، والمشاركة في الفضل لذوي[٣] الألباب والفهوم ، وهو كان أكبرَ من أخيه ، وإنما تقدم لأنه خدم الناصر لَمّا كان في الكرك ولم يلو الأمير بدر الدين عليه[٤] ، فقدّمه وجعله صاحب حماة .

وصُلّي عليه غائباً بدمشق ، في ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

٥٧٩ ـ الحسن بن علي بن محمد بن عدنان بن شجاع**

الشيخ الإمام بدر الدين الحرّاني المعروف بابن المحدّث المجوّد الكاتب .

---

(١) عبارة الدرر : « وأم في المحراب الشريف ، وشغلَ الناس بالفقه » .

(٢) جمع سَوْء ، وهو العذاب .

* تاريخ أبي الفداء : ٩٥/٤ ، والدرر : ٢٨/٢ ، والمنهل الصافي : ١٠٧/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٧/٩ .

(٣) في الأصل : « بل لذوي » ، ولا وجه لـ (بل) ههنا .

(٤) لوى عليه : عطف .

** الوافي : ١٧٨/١٢ ، والدرر : ٢٥/٢ ، وفوات الوفيات : ٣٤٨/١ .

كان قد كتب على الشيخ نجم الدين بن البُصَيص[١] ، فيقال : إنه ماظهر من تلاميذه في حُسْنِ الكتابة مثل بدر الدين المذكور ، ومثل الشيخ كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني[٢] .

كان أديباً فاضلاً في فنه عجيباً ، ينظم وينثر ، ويجري في جَلَبة البلاغة ولا يَعْثُر ، كتب عليه من أهل دمشق جماعةٌ كثيرون ، يحرّكون نوافجَ الثناء عليه ويثيرون ، وكان قد أخمل نَفْسَه بالتعليم ، ورضيَ من الدهر بالتسليم ، فعزّ بالقناعه ، وشرَّف نفسه عن التجشم والرقاعه ، ولم يذلّ نفسه على أحد بالترداد ، ولا دخل مع أبناء الدنيا في جملة الأعداد ، على أنّه له ملْكٌ يدخله منه كفايته ، ويصل إليه من التجويد ماهو نهايته ، وكان إذا كتب كبَتْ ، وعثرت الرياح من خلفه وكبَتْ ، وأراكَ بأقلامه الروض ، إذا نَبَت ، والسيوفَ إذا كلّت عن مضارب مداه ونَبَت .

ولم يزل على حاله إلى أن رُمِي ابن المحدّث من الحَيْن بحادِثه ، وحُكّم في تركته أيْدي وارثه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة رابع ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

كان الملك الأوحد[٣] يصحبه ، فتحدث له مع الأفرم أن يَدْخُل ديوان الإنشاء فرُسِمَ له بذلك ، فأَبَى الشيخ بدر الدين ذلك ، فلامَهُ الأوحد على ترك ذلك . فقال : أنا إذا دخلت بين الموقّعين ما يرتّب لي أكثر من خمسة دراهم كلّ يوم ، وما يجلسونني فوق أحد من بني فضل الله ، ولا فوق بني القلانسي ، ولا فوق بني غانم ، فما أكون إلا دون هؤلاء ، ولو تكلّمت قالوا : أبصِر المِصفعة ، واحد كان فقيه كتّاب ، قال يريد يقعد فوق السادة الموّقعين[٤] ، وإذا جاء سفر ما يُخْرِجُون غيري ، فإن تكلّمْتُ قالوا :

(١) موسى بن علي بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) هو شادي بن داود ، وستأتي ترجمته .
(٤) في الوافي : « من الموقعين » .

أبصر المصفعة ، يحتشم[١] عن السفر في خدمة ركاب مولانا أمير الأمراء ، وهذا أنا كلّ يوم يحصل لي من التكتيب الثلاثون درهماً والأكثر والأقل ، وأنا كبيرُ هذه الصّناعة ، وأتحكّم في أولاد الرؤساء والأكابر ونظم في ذلك :

لائمي في صناعتي مستخفّاً ... بي إذا كنت للعلى مُستَحقّاً[٢]
ما غزالٌ يقبِّلُ الكفَّ مِنّي ... بعد برِّي ولم يُضِعْ ليَ حقّا
مثلُ تَيْسٍ أبوس منه يداً قَد ... صَفِرَتْ مِنْ ندى لأَسْأَلَ رِزْقَا[٣]
فيولّي عني ويلْوِي عن ردّ ... سلامي ويزدريني حَقّا[٤]
فاقتصد واقتصر عليها فما عِنْ ... د إله السماء خيرٌ وأبقى

وقال أيضاً :

غَدَوْتُ بتعليم الصغار مؤمَّراً ... وحولي من الغلمان ذو الأَصْل والفَصْل[٥]
يقبِّلُ كَفي منهمُ كلَّ ساعة ... ويعطونني شيئاً أعمّ به أهْلي
وذاك بأنْ أسْعَى إلى باب جاهلٍ ... أقبّلُ كَفّيه أحبُّ إلى مِثْلي
أميرٌ إذا ميّزت لكن بلا حجىً ... وكم قَدْ رأينا مِنْ أمير بلا عقل[٦]

قلت : نَظْمٌ عجيبُ التركيب ، والأوّلُ جَيّد وفيه لحنَةٌ ، لكنها خفيّة .

وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن بادي الطيّبي[٧] ، قال : أنشدنا من لفظه لنفسه بَدْرُ الدين بن المحدّث :

---

(١) في الوافي والفوات : « قال يحتشم » .
(٢) في الوافي : « بيَ إذ » .
(٣) في الأصل : « أبوس يداً منه قد » ، ولا يستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الأصل : « فيلوي » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) في الوافي : « مؤجّراً » .
(٦) في الأصل : « ولا قد » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٧) ستأتي ترجمته في موضعها .

كن عـــاذراً شـــاتمَ المـــؤدب إذْ ... يـــأخـــذ من عِرضـــهِ ويشتُمـــه
لأنـــه نـــاكـــه على صغَرٍ ... ومَنْ ينيـــك الصغير يَظْلِمُـــه
وكلُّ فَلْسٍ حـــواه يـــأخـــذُه ... وكلَّ وقت بـــالضرْب يُـــؤْلِمُـــه
نَيْـكٌ وأخْـذٌ والضرْبُ بعـدهمـا ... والحِقْـدُ إحـدى الثـلاثِ يُضْرمـه

قلت : ما جَزَمَ الشرطَ ، ولا جوابَه في الثاني ، ويمكن توجيهُ إعرابه .

[ومن شعره أيضاً][1] :

بقُـــلْ هـــو الله أحـــد ... أُعِيـــذ خـــدَّاً قَـــدْ وَقَـــدْ
ونـــاظراً وَسْنـــانُـــه ... عَلَيـــه طَرْفي مَـــا رَقَـــدْ
أقـــول لمـــا زارني ... أنْجَـــزَ حُرٌّ مـــا وَعَـــدْ
من كاســـه وخَـــدّه ... تخـــال وَرْداً قـــد وَرَدْ
مِنْ حَمْـــل ثِقـــل رِدْفـــه ... مـــا قـــام إلاّ وَقَعَـــدْ
ولا انْثَنَى مِنْ لينـــه ... إلاّ وقـــد قُلْتُ انْعَقَـــدْ
كالظبي إلاّ أنّـــهُ ... يَفْعَـــلُ أفعـــالَ الأَسَـــدْ
في جِيْـــدِ مَنْ عَنَّفني ... عليـــه حَبْـــلٌ من مَسَـــدْ

ومن شعر :

وقـــد عنّفـــوني في هَـــوَاهُ بقَـــوْلِهم ... ستطلِعُ منه الذَّقْنُ فاقْصِر عَن الحزن[2]
فقُلْتُ لهم : كُفّـوا فـــإنّيَ واقـــعٌ ... وحَقِّكم بـــالوَجْـد فيـه إلى الـذّقْنِ

ومن شعره فيمن يحبّها ، واسمها فرحة[3] :

مـــا فرحتي إلاّ إذا واصَلَتْ ... فَرْحـــةُ بَيْن الكَسّ والكاس

---

(١) زيادة من الوافي .
(٢) في الأصل : « على الحزن » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .
(٣) هي فرحة بنت المخايلة المغنية ، كما في الفوات .

لا أن أراهـــــــا وَهْي في مجلسٍ مـــا بين طبّـــاخي وعَـــدّاس

وشعره كثير ، سُقت منه جانباً جيّداً في ترجمته في تاريخي الكبير ، وخمّس لاميّة العجم .

واجتمعت به غير مرة وأخذت من فوائده ، وكان له مكتبٌ برا باب الجابيه[1] ، ويكتّب أولادَ الرؤساء في المدرسة الأمينية بجوار الجامع الأموي ، وكان كتب إليّ قصيدة في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة لاميّة ملزومة وأجَبْتُه عنها بمثلها ، والتزمت فيها الميم قبل اللام ، وقد ذكرتها في (ألحان السَّواجع) .

٥٨٠ ـ الحسن بن عليّ بن حمد بن حُمَيْد بن إبراهيم بن شَنَار*

بفتح الشين والنون ، وبعد الألف راء. البليغ الناظم الناثر بدر الدين الغَزِّي .

شاعرٌ إذا قلت شاعر ، طاف بكعبة البلاغة وعظَّم تلك المشاعر ، يغوصُ على المعنى ، ويُجزِل الألفاظ ويُحكم الْمَبْنى ، ويُنشدك القطعة ، فتحسب أنه ضَرَبَ المَثْلَث أوجسّ الْمَثْنَى ، متين التركيب بليغ المعاني ، فصيح الألفاظ ، إلاّ أنه يستعمل الغريب فيما يُعاني ، فيثقل على السمع بذاك ورودُه ، وما تروق رياحينه ولا وُرُوْدُه .

وكتب المنسوب مع السُرعَه ، وراعى الأصل في وضع الحرف وفَرْعَه ، إلاّ أنّه كان ذا خُلُق فيه زَعَاره ، وبادرةٍ ليس وراءها حقد فهي في السر مُعَارَه ، فنفرت منه بعض النفوس ، ولو خلا منها وُضِعَ على الرؤوسِ .

ودخل ديوان الإنشاء ، فكان فيه بالشام شامَه ، وصِدْقُ هذه الدعوى أنه كان يحكي

---

(١) من أبواب دمشق المشهورة .

* الوافي : ١٨٤/١٢ ، والدرر : ٢٢/٢ ، والمنهل الصافي : ١١٠/٥ ، وفيه : « ابن أحمد بن حميد ... بن شنان » . والنجوم الزاهرة : ٢٨٨/١٠ .

بلونه مِدادَه وأقلامَهْ ، ولكن كان حُرَّ النفس أبيَّها ، سليم الطويّة غبيّها[١] ، لا يكذب لِسانُه ، ولا يطوي الغَلَّ جَنَانُه .

ولم يزل على حاله إلى أن صادته مخالب المنيّه ، وعَدِم الناس فواكه نَظْمِهِ الجَنيّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس حادي عشر شهر رجب الفرد ، سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

ومولدهُ سنة ستّ وسبع مئة .

ودخل الديوان في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكان قد وضع رسالة أنشأها نظماً ونثراً وسَمّاها بـ (قريض القرين) ، عارض بها ابن شهيد في رسالة (التوابع والزوابع) .

وغالب نظمه أنشدني إياه بصفد ودمشق والقاهرة ، كتب إليّ بالقاهرة :

لَيْلُ التجنُّبِ من أجفاننا شُهُبُهْ ... ومُجْدِبُ الدمع ما كانت دَمَا سحبُه[٢]

ما لننوى أطلعت في غارب قَمَراً ... يُقلُّه البانُ يوم البين لا غَرَبُه

تَنَظّمت عَبَراتي في ترائبه ... عقداً كما انتثرت في وجنتي سُحُبُه

يا مَنْ وفى الدمعُ إذ خان الودادَ له ... غَدْرُ الحبيب وفاءُ الدمع أو سَبَبه

قد كنتُ أحسَب صبري لا يُذَمّ وقد ... مضى وفي ذمّةِ الأشواقِ أحْنَسِبُه

يا نازحاً سكن القلبَ الخفق وَمِنْ ... إحدى العجائب نائي الوصل مقتربُه

ما لاح برق ولا ناحت مطوَّقةٌ ... ولا تناوحَ من باب الحِمى عُذُبه[٣]

إلاَّ تساعد قَلْبي والدموعُ وأحْنَا ... ءُ الضلوع على شوقٍ عَلاَ لَهَبُه[٤]

---

(١) من التغبية ، وهي الستر .

(٢) في الوافي : « ومجدب الربع » ، وهي أشبه .

(٣) في الوافي : « من باب » .

(٤) في الوافي : « ألا تساعِدُ » ، وهي بعيدة .

حكيتَ يـا برقُ قلبي في الخفوق ولم ... يَفُتْـكَ إلا لهيْبُ الوجـد لا شَنَبُـه
من لي بـأبغيـد بَـدْر التمّ حين بـدا ... قـد سـاء إذ رام تشبيهـاً بـه أدبُـه
ممنّـع بـالـذي ضَمَّت غـلائلـه ... مِنَ القنـا أو بما أصمَتْ به هـدبُـه[1]
بين الأسنّـة محجـوبٌ ولـو قَـدَروا ... مـا قوسُ حـاجبـه أَغْنَتْهُم حُجُبُـهْ
سلبني بـالضَّنى لَحْمي لـواحظُـه ... وهَمُّ أُسْـدِ الشرى المسلوبُ لا سَلَبُـه[2]
لـو لم يكن ريقُـه خمراً ومَرْشَفُـه ... كأسـاً لمـا بـات يحكي ثَغْرَه حَبَبُـه
كـذا ابن أيبـك لـولا مـا حـواه لَمَـا ... عن الكتـائب أغْنَتْ في الورى كُتُبُـه[3]
ذادَ الأُولى عن طريـق المجـد ثم نحـا ... آثـارَه فقلتْ أجبـالَهم كُثُبُـه[4]
وآبَ يقطف من أغصـانـه ثمراً ... إذا أتى غَيْرُه بـالشـوك يحتطبـه
أقـلامُـه فرحـاً بـالفضـل أنملُهـا ... كلّ يُخَلِّق ثـوبَ المجـد مُخْتَضِبـه[5]
تكاد ألْسُنُهـا تمتـدّ مِنْ شغفٍ ... إلى أجـلّ معـاني القـول تقتضبـه
يراعُـهُ روّعت لامـات أحرفهـا ... حشـاءَ منحرفٍ لامـاتُـه يَلَبُـه[6]
أضحت مُسَبّبـةَ الأرزاق حين حكت ... سبّـابـةً لعـدوّ وقـد وهى سَبَبُـه
يـا من يُجيـل قِداحَ الميسر اِرْم بهـا ... وارم الفجـاج ليُسرٍ نجحُـهُ طلَبُـه[7]
واقصد جنابَ صلاح الـدين تلق فتىً ... يهـزُّه حين يُتْلَى مَـدْحُـهُ طربُـه
بَنَتْ على عُنُـقِ العَيّـوق هِمّتُـه ... بيتـاً تُمَـدُّ على هـام السها طُنُبُـه[8]

(١) في الوافي : « وبما » .
(٢) فاد من قول أبي تمام :
إنَّ الأُسـودَ أُسـودَ الغـابِ همتُهـا ... يومَ الكريهـةِ في المسلوبِ لا السَّلبِ
(٣) في الوافي : « ابن ابنك في الوغى » .
(٤) في الوافي : « أحبالهم هضبه » .
(٥) في الوافي : « مخلّق » .
(٦) اليلب : هي الدروع من الجلد .
(٧) في الوافي : « لتيه نجحه » .
(٨) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة .

قـــد أتعبت راحتـــاه الكاتبين ولم ... يُدْرِكْهُ حين جرى نحو العُلى طربُه[١]
فاعجَبْ لها راحةً تَسْقي اليراع نـدىً ... إذا لم تكن أورقت في ظلهـا قُضُبُـهْ
تَنَـاسَبَ الـدرّ من ألفـاظهـا وإلى ... بحر النّـدا لا إلى بَحْر الـدُنَـا نَسَبُـهْ
يرضى ويغضبُ في حالَيْ نـدىً وردَىً ... وبين هـذين مَنْهـول الحمى نشبُـه[٢]
رِضـــاه للطّـــالبي جَـــدْواه ثمّ على ... مـا تحتـوي يـده من مـالـه غَضَبُـهْ

فكتبت أنا إليه أشكره[٣] :

أَغُصْنٌ قَـدٌّ أقلّت بـانَـه كُثُبُـه ... أم دُرّ ثَغْرِ حبيبٍ زانَـهُ شَنَبُـهْ
أم روض حَزْنٍ جديدِ النبت قد نَسَمت ... فيـه أقـاحيـه لمـا أن بكَتْ سُحُبُـهْ
أَمْ جانبُ الأفْق قـد دجّت حنـادسُـه ... للعَين لمّـا ازْدَهَت في لمعهـا شُهُبُـه
أَمَ نَبْتُ فِكرٍ جَلاَهـا لي أخـو أدَبٍ ... خطابُـه زانَ جِيْـدَ الـدَّهرِ أو خُطَبُـهْ
قَريضُـــه تعرفُ الأسماعُ جَـــوْهَرَهُ ... فتنتقي حَلْيَهـا منـــه وتنتخبـــه
فلـو هَمَى الشعر قَطْراً قَبْلَـه لغـدا ... يروي الربا منه هامي الغيثِ مُنْسَكِبُهْ
ونثرُه لَمْ يُـدَاخـل مَسْمَعَيْ أحـــدٍ ... إلاّ وَرَنّـح منـــه عِطْفَـــه طَرَبُـــه
وخطّـه مثـلُ صُدْغ زَرَّقتـه يـدُ الـ ... حُسْن البـديع وقـاني الخـدِّ مُلْتَهِبُـهْ
لِوَصْفِه شهدة[٤] بالحُسْن قد شهـدت ... وقـد تبّرأ من يـــاقـــوتـــهِ نَسَبُـــه
ولابن مُقْلَـة عين مـا رأت حَسَنـاً ... هـذا ولـو عـاينتْـه مـا انقضى عَجَبُه
هذا هو البدر لا النجم البصيصُ فقـد ... مُدّت عَلَى ابن هلالٍ في العُلاَ طُنُبُـه

---

(١) في الوافي : « تعبه » .

(٢) في الوافي : « منهوك » .

(٣) وهذه الأبيات ليست في الوافي .

(٤) شهـدة بنت أبي نصر الإبري المعروفة بشهـدة الكاتبـة لجـودة خطّهـا (ت ٥٧٤) ، وفيـات الأعيـان : ٤٧٧/٢ .
وياقوت : هو ياقوت المستعصمي .

جَزاك ربُّك بدرَ الدين خيرَ جزاً ... عن امْرئ لم يَطُلْ نَحو العُلاَ سَبَبه
بالغتَ في مَدْحِه فالله يجعلُهُ ... كما تقول لتعلُو في الورى رُتَبه

وكتبت أنا إليه ملغزاً في « ضبع » :

أيُّها الفاضلُ الذي مَنْ يُجَاريه ... تقوّى في ما ادعى وتقَوَّلْ
والّذي من أراد يبصُر قسّاً ... فعليه دون البريّة عَوَّلْ
هاتِ، قل لي بالله مَا حَيَوانٌ ... ثابتُ الخَلْق قَطُّ لا يَتَحوّلْ
عَيْنُه إن قلعتها يَتَبَدّى ... حَيوانا غَيْرَ الذي كان أوّلْ

فكتب هو إليَّ الجوابَ عن ذلك :

يا إماماً طالَ الوَرَى بمعانٍ ... في المعالي يَغُوث مَنْ قَدْ تطوّلْ
وإذا أعْضَلَ السؤالُ فما زا ... لَ عليه في الْمُعْضِلاتِ الْمُعَوَّلْ
إنّ زَهْراً أهديته غَضَّ عنه ... طَرْفُه واستحال زَهْرَ المحوّلْ
حين ألغزت في مُعَمّىً هَدَاني ... نَحْوَهُ الفكر حين سَوّى وسَوَّلْ
حَيَوانٌ إنْ صَيَّروا رأسَه العَيْن ... رأوه إلى الجَماد تحوّل
فأبقَ واسلم تفيد علماً وجوداً ... فيهما ليس لامرئ متأوَّلْ

وكتبت أنا إليه وقد جاءته بنت :

تهنَّ بها وإن جاءتك أُنْثَى ... لأنَّ الشمس بازغةُ الجَمَال
« وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال »[1]
ولو كان النساء كَمَن أتانا ... لفضلت النساءُ على الرجال

فكتب هو الجواب إليّ :

---

(١) هذا البيت والذي يليه للمتنبي ، وضمنها الصفدي شعره . انظر ديوانه بشرح العكبري : ١٨/٣ . والبيت الأخير روايته : « كمن فقدنا ... » .

أتـاني من هنـائـك يـا رئيسـاً تتيـه بـه المعـاني والمعـالي
ومن آثـار جُـودِك مـا أراني حَيَـاً أَهْـدَتْـهُ لي ريـحُ الشمالِ
وكم أقرأتني وقَريْت فضـلاً يفـوت الحصرَ مِنْ أدَبٍ ومـالِ

وكتبت أنا إليه ، وقد أهديت إليه أبلوُجة سُكّرٍ وكنت قبلها قد أهديت إليه قليل قطر :

أبلـوُجـة بعثتُهـا محبـةً لـك عنـدي
في اللون والكون أضحت تخـالهـا نَهْـدَ هنـد

فكتب الجواب إليّ عن ذلك :

« يُقَبّل الأرض ويُنْهي وُصولَ صدقته الجاريه ، وهديَّتَه التي جاءت بين الحُسْن والإحسان متهاديَه ، وهِنْدِيَّتَهُ التي قام نَهْدُها مَقَام ثغر الغانيه ، وأشرقت الأرض بنور وجهها من كلّ ناحيه ، نهدٌ أبرزه الصّدر ، وشهد ما تجرعت دون اجتناء حلاوته من إبَر النحل مرارةَ الصبر ، وهَرَمٌ أكسبَ رَوْنَقَ الشباب وَجْهَ الدهر ، ووجهٌ طبع على دائرته ليلةَ تمامه البَدْر ، فقابل المملوكُ تلك المنحة بدعائه وشكْره المفرط وثنائه ، ومَدْحه الذي تتدرّجُ شواهدُ ودّه الصادق في أثنائه وتَذكَّرَ بها ما مَضى ، شكر يدَ الكريم الذي استأنف إحسانَه السابَق وما انقضى ، فَذَكر بنضار القطر السائل ولُجَيْن هذا الماء القائم ، قولَ القائل :

وكـذا الكريم إذا أقـام ببلـدةٍ سـال النُضار بهـا وقـامَ المـاء

وكتب هو إليّ :

يـا ماجـداً لَمْ يَـزَلْ نـداه أَوْلَى بتقريـظِ كُـلِّ مَتْنِ
ومن غـدا بـالصفـاء يُكْنَى وَوُدّنـا عنـه ليس نكني
نحنُ افتراقـاً بنـاتُ نعش في ظلمـة الهمّ والتمنّي

فسِرْ إلينـــا نكن ثرّيـــا وادخـل إلينـــا بغير إذْنِ
ولا تَـدَعْنَـا نئنُّ شـوقـاً ولا تَقُـــلْ للرســـول إنّي

فكتبت أنا الجواب عن ذلك :

أبيـاتـــك الغُرُّ قـــد أتتني فَشَرَّفَتْني وشنفّتني
شِعْرُك فيها ظريفُ لَفْـظٍ لَطِيفُ مَعْنًى خفيفُ وَزْنِ
قـــد أثْقَلَتْ كاهلي بُشكْرٍ فكَـــلَّ مَتْني إذْ كلّمَتني
فـإن أفـز بـالمُثُـول فيكم فـإنـه غـايـة التمنّي
وإن تَخَلَّفْتُ عن حِمَـــاكم يـاطول دقّي في الجُرْن حزني

وكتب هو إلي وقد توالت الأمطار والثلوج في العشر الآواخر من رمضان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة : « كيف مولانا ألْحَفَ اللهُ ظِلّه ، وأرْشَفَ طَلَّه ووَبْلَه ، وحَمل على أعناق الأيام كَلَّهْ ، وجَعَل مثلَه السحابَ الجود ولا أعرف مثله ، وضاهى برزقِه هذا الغيثَ الواقع على خلافِ القياس كلِّه ، فإنّ هذا اليوم قد عزز الصِّنَى والصّنبر[1] وعجز الصّبر وعزّى سكان الأجداث بالأحياء فكلُّ بيت قبر :

يـــــــــــومٌ كأن سماءَه حُجبت بأجنحة الفواخت[2]

جاء الطَوفان والبحر المحيط ، وجاب الصخر بوادي الربوة دمُ سَيْلِه العبيط ، وجال في وجه البسيطة حياؤه فما انبسطت الخواطر بجَوْهَرِه البسيط ، أخْفَت النجوم في لَيْله ، واطلّع الحيّ القيوم على زنته الراجحة وكَيْله ، وتراكمت سُحُبه الساترةُ فَضاءَ الأفق بفَضْلِ ذَيْله ، وأجلب على الوهاد والرُبَا برجله الطامّة وخَيْله ، فكأنما وَهَتْ عُرَى ذلك الزمهرير فهَبَطْ ، أو هِيْضَ جناحُ السحاب الجَوْن فسقط ، أو حُلّ سِلْكُ النحوم الزاهر ففُرط جوهرُ ذلك القطرِ لّما انفرط ، فالجدران لِهَيْبَته مُطرِقَةْ ، والعمران قد

(١) الصنى : وسخ النار والرماد ، والصنبر : الريح الباردة .
(٢) الفواخت : جمع فاخته : طائر .

تداعت ولا يُقيل البَنّاءُ جموعَها الْمُتفرّقه ، والطرق قد شرقت بالسيول فلا تنطق آثارها المغرِّبَة ولا المشرّقه ، وقد قصّ جناح الارتكاض ، وحُصّت قوادمُه ، فما تنهض وعَظْمُه مُهْتَاض ، والسيل قد بلغ الزُبَا ، وسَوَّى بين الوِهَاد المُتَطامنة والرُبَا ، وبكَتْ السقوف بعيون الدَّلْف ، وحَمَلها المطر بيده العادِيَة على خُطّه خسْف ، واستدَلّ لها بمنطق الرَعدِ على أنّ قُدّامَهَا الخير ، فقالت : هذا خَلْف ، وشَهْرُ الصوم قد بَلَغَ غايتَهْ ، وعيدُ الفطر قد نصب رايَتَهْ ، وتلا آيَتَهْ ، وطلب مِنَ الموسر والمعسر كفايَتَه ، فأعاذ الله مولانا من الطلب فيه ، ولا ألجأه إلى السعي لابتغاء فضل الله إلاّ بفيه ، بمنّه وكَرَمه » .

فكتبتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك :

« العجبُ مِنْ سُؤال مولانا عَن المملوك كيف حَالُه ، وعنده علْمُ هذا العناء الذي نُصِب على الأين والنَّصَب تمييزُهُ وحالُهْ ، وهي حالُ أبي الطيّب ، وما عَلِمَ ابنُ مَنْصُور[1] بها ، ولو عَلِمَ استعمل التبالُه[2] . أما ترى هذا النوء الذي ذُمَّ نَوالُه وحُمِدَ نَوَاه ، وأذهل الصائم عَنْ صَوْمِه ، فما بيّت أمْرَهُ ولا نَوَاه وشَغَله من حسّه فما يدري أفْطَر على تمرةٍ أم نواه ؟ ، قد هال الجَبالَ أمْره ، فشابت من الفَرْق إلى القَدَم ، وغَمَرت سيولُه الأباطح والربا ، ولكن من الزيادة بِدَمْ ، كيف يهنأ العيش وبروقُ الجَوِّ سُيُوفٌ تُخْتَرَط ، ونَفَسُ هذه الرعود يخرُج بعدما حُبس في حشا السحاب وانْضَغَطْ ، وإلحاح سائل هذا المطر ، فلو كان قطره دُرّاً لما مَدّ الفقير إليه يداً ولا التقط ، وتواليَ هذه الغيوث التي لو عاينها ابنُ هانئ[3] لما قال :

---

(١) هو علي بن منصور الحاجب ، مدحه المتنبي بقصيدة مشهورة ، والحال التي أشار إليها المصنف هي ما جاء في قوله :

حالاً متى عَلِمَ ابن منصورٍ بها ... جاء الزمان إليّ منها تائبا

شرح ديوان المتنبي للعكبري : ١٢٥/١ .

(٢) الظاهر أنه يشير إلى قوله في القصيدة المذكورة :

كَرماً فلو حدّثته عن نفسه ... بعظيم ما صَنَعَتْ يظنّكَ كاذبا

(٣) ابن هانئ الأندلسي (ت ٣٢٠) .

أَلؤلؤٌ دَمْعُ هذا الغيثُ أَمْ نُقَط[١]

كأن الأيام قوافٍ اندمجت في الليل ، أو النجوم أقاحٍ ولكن غطّاها تراكُمُ السحاب بالذيل ، أو كأن الله جعل الزمان سَرْمَداً ، فما يتعاقب فيه شمسٌ ولا قمر ، ولا تصفو لُجَّةُ الأُفقِ بضوءٍ ولا ترميها الدياجي بكَدَرْ ؛ قد تزاحمت الغياهب على المواقيت بالمناكب وَجُهلت المُدَد فيا وحشتا لِحاجب الشمس ومحيّا القمر وعيون الكواكب ، أَكُلٌّ هذا تشريع تشرين ، وشَرَهُ شَرِّه الذي نَتَجرَّعُ مِنْ أَمْرِه الأَمرَّيْن ، وشُهْرَةُ شَهْرِه ، فيا أَيَّامَ كانون إذا جئت ماذا تبيعين وتَشْرين ، أما المساكنُ فأهلها مساكين ، وأفواههم من الحزن مطبقةٌ فما تفتحها السكاكين ، قد انتبذ كلٌّ منهم زاويةً من داره ، وتداخل بعض في بعض لتضمّه بقعةٌ على مقداره ، هرباً من توقيع أكفّ الوَكْف ، وخوفاً من ركوع الجدار وسجود السَّقْفِ ، وما يَعْتقد المملوك أن في كانون هذه الجمرات ، ولا أن ساباط سَبَاط[٢] وأذى آذار يرمي القلوب بهذه الحَسَرات ، وتمام التعثير في الركوب إلى دار السعادة ، والكتابة التي صارت في هذا الزمان زيادةً في نقص السيادة ، واتساع هذه الأهوال ، وضيق ذات اليد مضاف إلى ضيق النفوس ، وبُصَاقُ هذا الثلج في وجه الضاحك منّا والعَبُوس ، وسُكْر هذه الميازيب التي لا تبوك[٣] إلا على الرّؤوس ، وأشغال الديوان التي تُكَاثِر المَطَر ، ولا تُبلغ الغاية من الوطر ، فنحن من الديوان في جامعة لا جامع ، وبَابُ البريد على عدد الساعات وَدُقّةُ هامِعٌ وبَرْقةُ لامع ، لا يَفْتر وروده ، ولا يزال يصِلُّ حديده ، وتَصِلُ وفُودُه ، وكل كتاب يصل معه يتفرَّعُ منه

---

(١) مطلع قصيدة مدح بها الخليفة المعزّ لدين الله الفاطمي ، تمامه :

ما كان أحسنه لو كان يُلْتَقَطُ

انظر : ديوان ابن هانئ ص٣٩٠ ، ومختارات من شعر الأندلس د. شاكر الفحام : ١٣٤ ، وما علّق على هذه القصيدة .

(٢) في الأصل : شباط ، وهو تصحيف . وساباط : اسم شهر بالرومية ، وهو الشهر الذي قبل آذار . وساباط : من أسماء الحمى .

(٣) تبوك : تُنزِلُ ماءها .

إشغال عدد حروفه ، وتُطْلَبُ في الوقت الحاضر ، فلو كانت بالطابع لانهارت جوانب حروفه ، وصاحبُ الديوان في تنفيذٍ أسْرَعُ من هذه البروق ، وأنْفَذُ من السّهم في القضاء الذي ليس فيه ما يصدّ ولا ما يعوق ، فهو إذا دبّر المهمات نجزَّ ، ودَمَّرَ العُدَاة ، وجَنّز ، وهذا العيد أقبل ، وما لنا بتكاليفه قِبلَ ، وكل من يختصّ بشيء منها يلحظك بَطَرْفٍ متخازرٍ كأنّما به قَبَل[١] ، والاستعانة بالله على هذه الشرور التي اتصلت نُقَط خَطّها ، والفِرارُ إليه من هذه الخطوب التي نعجز عن شَيْل سَيْلها وحدّ حَطّها ، والله يرزق مولانا وإيانا حلاوةَ الصّبر ، ويجعل العدوَّ بَيْنَ جانحتي قَبْر ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى » .

وكتبت له توقيعاً لَمّا دخل ديوان الإنشاء ، لوَّحت فيه في غير موضع بَلَقَبٍ كان يلقب به ، ونُسْخَتُه في الجزء السادس والعشرين من (التذكرة) التي لي ، وكتبت له أيضاً توقيعاً بنظر قمامة[٢] .

وبيني وبينه مكاتبات وبُداءات ومراجعات نظماً ونثراً ، وقد أوردتها في كتابي (ألحان السواجع) .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

ثَغْرُ مَنْ قد هَويته يَهْدي ... في ظلام الدجنّة الحالك
بالثريّا شبّهَته ظلماً ... والثريا أقلّ من ذلك

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أنا القليلُ العَقْل في صَرْف الذي ... أمْلكُه في كُلَف المَشَارب[٣]
ما نِلْتُ من تضييع مَوْجُودي سوى ... تصفية الكاساتِ في شواربي

(١) قبل أي : حَوَل .
(٢) هي أعظم كنيسة في القدس ، ويطلق عليها كنيسة القيامة . انظر : معجم البلدان : ٣٩٦/٤ .
(٣) في الوافي : « صرفي » .

وأنشدني من لفظه لنفسه[١] :

أعجبُ مـــا في مجلس اللّهـو جرى ... من أدمـعِ الرّاووق لمّـــا انسكبتْ
لم تـــزل البطّـــــةُ في قَهْقَهـــــةٍ ... مـــا بيننـــا تَضْحَـــكُ حتى انقلبتْ

وأنشدني من لفظه لنفسه[٢] :

يـــا من يلُـوم في التصـــابي خَلِنّي ... فـــأُذْني عن المـــلام قـــد نَبتْ
تصفيـــة الكاســـاتِ في شـواربي ... أضحكت البطّـــــةَ حتى انقلبتْ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وصفراءَ حـالَ الْمُرجِ يصبُغ ضوءُهـا ... أكُفّ النـدامى وهو في الحـال نـاصِلُ
وتهفـو بـألبـابِ الرجـالِ لأنهـا ... «دُوَيْهِيَـةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَـا الأَنَـامِـلُ»[٣]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

شممتُ نسيم زهر اللّـــوز لمّـــا ... خرجنـــا بُكرةً ننفي السُجُـونـا[٤]
فَتَحْتَ الـدوح شـاهَـدْنَـا بُـدُوراً ... وفي أعـلاهُ عـــاينّـــا غُصُـونـا[٥]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وأهيفَ كالغُصْن المُرَنّـــح شـــاقَني ... فطـارَ إليـه القلب مِنْ فَرْط شـوقِـه

---

(١) هما في المنهل الصافي ، والنجوم الزاهرة .
(٢) هما في المنهل الصافي .
(٣) ضمّن عجز بيت للبيد وصدره :
وكلّ أناس سوف تدخل بينهم
انظر : ديوانه : ٢٥٦ .
(٤) في الوافي : اللون ... تنتفي الهموما » !
(٥) في الوافي : « عاينا النجوما » .

رأى البدرَ يحكي وَجْهَهُ وهَوْ سَافِرٌ فحمّله من جَوْره فَوْقَ طوقه[١]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

سَرَتْ من بُعَيْد الدار لي نَسْمَة الصَّبَا فقد أصْبَحت حَسْرى من السير ظالِعَهْ
ومِنْ عَرَق مَبْلُولَة الجَيب بالندى ومن تَعَبٍ أنفاسُها متتابِعَهْ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

غصنٌ رشيق القدّ لان مَعَاطفاً نَشْوَى وبالشَّعر المرّجل أَوْرَقا
وبمثل بدر التّمّ أيْنع فانظروا هذا القوام أَجَلٌّ أم غصن النَّقا[٢]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

يا صاحباً ما زال من إنعامه لثياب راجيه المؤمل رافي[٣]
قد قُطّعتْ فَرْجِيَّتي حتى لقد ظهر القطوعُ بها على أكتافي

وكان يوماً هو والشيخ محمد الغزّي جالِسَيْن في الجامع الأموي ، عند الشيخ جمال الدين محمد بن نباته ، وكلٌّ يذكُرُ مساوئ صاحبه ، ويُنْشِد هجوه فيه . فقال بدر الدين الغزّي : لا قلت أنا ، ولا قلت أنت ، في هذه الساعة ننظم بديهاً يكون هجواً ، وأطرق قليلاً ثم أنشد :

يا ابن أبي طرطور خَلِّ الهجا وخذ كلاماً راق في حُسْنِه
أنا وأنت اثنان كلٌّ غَدَا منا يَرُوم الفضلَ في فَنّه
فواحد يكذِبُ في قَوْلِهِ وآخرُ يكذبُ في ذَقْنِه

(١) في الأصل : « طاقة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو أشبه . والطوق : القدرة .
(٢) في الوافي : « أثر فانظروا » .
(٣) في الوافي : « في إنعامه » .

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحةً عارض بها موشحة ابن سناء الملك المشهورة ، وأجاد[١] :

أذكى الهوى[٢] وهاجَه بَرْدُ اللمى في ثغرِ ريم مايس القدّ
يحميهِ أن أرومه لحظٌ أرى فرطَ الفتور سيفُهُ الهندي

ظبيٌ رمى فؤادي مِنْ لَحظِه بسَهْمِ
وقد حمى رُقادي لمّا أباح سُقمي
فالطرف للسُّهادِ وللسُّقامِ جسمي
واعجب مِنَ انقيادي إليه وهو خصمي

لكنّها[٣] اللّجاجهْ ترمي بها عقل الحليم سورةُ الوجدِ
إياكَ أنْ تلومَهْ فاللومُ في هذي الأمور قلّما يُجدي

أفديه ظبي أُنس ألمى الشفاه أحوى
حُشَاشتي ونفسي مَرْعى له ومثوى
كذّبت فيه حسّي إذ لم تُلِنْه شكوى
وجسمُهُ بلمسي عند العناق يُطوى

يا حُسْنَ الاندماجهْ في خصرِهِ المضنى السقيم وهو في البُرْدِ
والقامة القويمهْ بالخّد كالغصنِ النضير ناضرَ الوردِ

لله منه طرف يُدمي القلوبَ لحظا
ووجنة تشفُّ ولا تُنيل حظّا
يَرقُّ إذ يَرفُّ قلبي لها ليحظى
تريك حين تصفو جسماً يُخال[٤] فظّا

(١) أوردها ابن تغري بردي في المنهل الصافي . وموشحة ابن سناء الملك مطلعها : « الراح في الزجاجة » .
(٢) في المنهل : « الجوى » .
(٣) في الأصل : « واتا » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في المنهل : « يريك .. تخال » .

كالراحِ في الزجاجهْ تُزْهى بها كف النديم عندما تُبْدي
أشعةً عظيمهْ تندى[١] إذا شيَبْتْ وتوري جذوةً تهدي

يالوعةَ الغرامِ زيدي وياجفوني
بأدمعي الهوامي جودي ولا تخوني
فهتفُ الحمام قد هيّجت شجوني
وكلُّ مستهامِ مستأنف الحنينِ

لا تنكر انزعاجهْ للبرقِ في الليلِ البهيمِ مقلة تهدي
إلى الحشا السليمهْ خفقاً أباتته[٢] سميري ليلةَ الصَّددِ

دعْ ذا وقل مديحا في أحمد بن يحيى
من لم يزل مُزيحا أعذار كلّ عليا
منتسباً صريحا آخرة ودنيا
تخال من يُوحَى في الدست حُسن رؤيا

إذا أرى ابتهاجهْ للجودِ والداعي[٣] المضيم ساعة الجهدِ
فالكف منه ديمهْ والوجه شمسٌ ذات نورِ في سما المجدِ

للسّرِ منه حِصْن على الورى مُطلٌّ[٤]
ليست به تُظنُّ عوراءُ تستدلُّ
غاراته تُشَنُّ على العدى فتبْلُو
أخبارهم ويعنو منهم لها الأجلُّ

فمن رأى هياجهْ سوّاه بالليثِ الكليم وهو في السَّردِ
ونفسه الكريمهْ في السلم كالغيث المطير[٥] ساعة الرِّفدِ

(١) في المنهل : « تبدي » .
(٢) في المنهل : « أبانته » .
(٣) في المنهل : « وللداعي » .
(٤) بقية هذا الموشح ليست في المنهل .
(٥) في الوافي : « للطير » .

وغـــــــادةٍ ثَنَتْني أعطـافهـا الرشـاقِ
لكنّهـــــــا أرتني أن الـــدّمـــا تُراق
بـــالصـــدّ والتجني وبعـــدهـــا الفراق
قـــالت فرغت عني والصحبـــةُ اتفـــاق
فقلت بـــانحراجـــهْ يـــاست خليني بشـوم[1] وأنجـزي وعـــدي
قـالت أنـا مقيمـهْ فاعمل وهت [لي][2] قلت زودي فـالـذهب عنـدي

٥٨١ ـ حسن بن عمر بن عيسى بن خليل الكردي*

الشيخ أبو علي مُسْندِ الديار المصرية في آخر عمره .

سمع حضوراً من ابن اللّتي (مُسْنَد الدارمي) و (مُسْنَد عبد بن حُمَيد) و (جزء أبي الجهم) و (المئة السريجيّة)[3] ، وغير ذلك . وسمع من مُكَرَّم بن أبي الصّقر (الموّطأ) ، وسمع من السخاوي ، وقرأ القرآن على السخاوي ، ثم إنه انتقل إلى مصر وسكن الجيزة[4] ، وكان يؤذّن[5] ويبيع الورق على باب الجامع ولم يعرفه أحد ، وكان بيده ثبتٌ فظهر أمره في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وفرح به أُناسٌ ، وأخذوا عنه ، ثم إنه ثقل سمعه فُشقَّ السماع عليه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة ثلاثين وست مئة .

---

(١) في الأصل والوافي : « بشوفي » ، ولا تصحّ .
(٢) زيادة من الوافي .
* الوافي : ١٩٥/١٢ ، والدرر : ٣٠/٢ ، والشذرات : ١٣٧/٦ ، والمنهل الصافي : ١١٤/٥ .
(٣) وهي من جزء ابن شريح عبد الرحمن بن أحمد بن محمد (ت ٣٩٢ هـ) ، الكشف : ٥٨٣/١ ، وفيه : ابن سريج ، تصحيف ، والأعلام : ١٩٤/٣ .
(٤) في الأصل : الجيزيّة ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر والمنهل ، وهي أصح .
(٥) في الأصل : « يؤدب » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر ، والمنهل .

٥٨٢ ـ حسن بن عمر الصاحب بدر الدين*

ناظر الخاص بدمشق المعروف بابن النابلسي .

كان في وقت قد باشر نظر الخاص بالقاهرة في أواخر أيام الملك الناصر حسن دون الشهر ، ولّما طَلَبَ الإقالة الصاحب تاج الدين موسى بن علم الدين أبي شاكر[١] من دمشق أجيب إلى سؤاله ، ورُسم للصاحب بدر الدين بن النابلسي فوصل إلى دمشق في ثاني عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وباشر دمشق . فما أحمد الناسُ مباشرته . وكان يَدّعي أنه فقيه على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وأقام بدمشق إلى أن عُزِلَ بالصاحب[٢] سَعدُ الدين بن التاج إسحاق[٣] في أوائل شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة .

وأقام في بيته بطّالاً بدمشق مدة تزيد على الشهرين ، ثم طلب إلى مِصْرَ فتوجه إليها .

وتوفي هناك في طاعون مصر سنة أربع وستين .

وكان قد رُسِمَ له في وقت بكتابه الإصطبلات بمصر ناظراً . وكان الأمير سيف الدين بكتمر المومني يومئذ أمير آخور كبير ، فقيل له : إن هذا أحمق كبير وما أنت قَدْرُه ، فلما حضر إليه بالخلعة عراه إياها ، ورسم بقتله بالمقارع وسأله عن قضايا ـ نَزَّهتُ هذا الكتاب عن ذكرها لفُحْشِها ـ فامتنع ، ثم إنه أقر له بها ، فألبسه الخلعة واستمر به .

وأنشدني من لا اسمّي فيه :

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٣٧٤/٤ .

(٢) في الأصل : « الصاحب » ، ولا وجه لها .

(٣) واسمه ماجد ، انظر : البداية والنهاية : ٢٨٩/٤ ، ووفاته (٧٧٦ هـ) كما في الدرر : ٢٧٥/٣ .

قل لهذا الصاحب المولى الذي ... سار فينا سيْرةً لم تَحْسُن
أنت فينا كافرُ النّفْسِ فَقُلْ ... أحْسنَ اللهُ خلاصَ المومني

٥٨٣ ـ الحَسَن بن محمد بن هبة الله*

شرف الدين قُطْنُبه ، بضم القاف والطاء المهملة وسكون النون وبعدها باء ثانية الحروف وبعدها هاء : الأصفوني .

كان شاعراً كثير الْمُجُون ، عَذْبَ اليَنبوع بَرِي من الأُجُون[١] ، رَبِي بأصفون ، ولم يكن بين الصّفا والحُجُون ، كثير التنديب ، غزير التذريب ، مقبول الْمُحيَّا ، مَنْ رآه خدَمَه وحَيّا ، ظريف الحركات ، يكون في الدرجات ، وينحَط منها إلى الدركات .

كان معاصره نبيه الدين عبد المنعم الشاعر[٢] ، وهو أيضاً ماجن ظريف ، قادر على التلعّب بالكلام والتصريف ، تَدُورُ بينهما محاوراتٌ ومفارقاتٌ ومُحَاوَرات أشهى من نقائض جرير والفرزدق ، وأسحُّ من الغمام الصيّب وأغدق ، وكانا يُشَبَّهان بالجزّار والوَرَّاق ، وللزمان بوجودهما ضياء وإشراق .

ولم يزل قُطْنبة على حاله إلى أن جاءه ما لا له به قِبَل ، وكسَرَ فخّارتَهُ الذي سوى طِيْنَها وجَبَل .

وتوفي رحمه الله تعالى[٣] ... .

صلى قُطَنْبة هذا صلاة عيد الأضحى ، وإلى جانبه آخر فلّما ذكر الخطيب قصّة الذبيح بكى ذلك الشخص زماناً طويلاً ، فالتفت إليه قُطْنبة ، وقال له : ما هذا البكاء الطويل ؟ أَمَا سمِعتَهُ وهو يقول في العام الماضي إنه سلم وما أصابه بشيء .

* الدرر : ٤٣/٢ .
(١) الآجن : ماتغيّر طعمه ولونه من الماء .
(٢) لم نقف على ترجمة له .
(٣) كذا في الأصل .

واتّفق مَرّة أنْ وقع بينه وبين أهلَ بَلَده ، وحضر الأمير علاء الدين خزندار والي قوص وإخميم فقصد شَكْواهم ، فدخلوا عليه فلم يرجع ، وكان مع الوالي شمس الدين الآمدي الناظر . وكان شيعياً ، فلمّا حضروا عند الأمير قفز قُطْنُبَة وقال : يا آل أبي بكر ، واغتاظ الناظر ، وأنشد قطنبة :

حَديث جَرَى يا مالِكَ الرقّ واشْتَهَرْ ... بأَصفون مأوى كلِّ مَنْ ضَلّ أَوْ كَفَر
لَهُمْ مِنْهُمُ داعٍ كَتَيْسٍ مُعَمَّمٍ ... وحَسْبُك من تيسٍ تولّى على بقرْ
ومن نَحْسِهم لا كثَّر اللهُ منهم ... يُسَبّ أبو بكر ولا يُشْتَهى عُمَرْ
فخذ مالهم لا تختشي مِنْ مآلِهم ... فإن مآل الكافرين إلى سَقَرْ

فقال له الناظر : أنت تُشَارِرُ ، ما أنت منهم ؟ وصَرَفَهم فما حصل له قصده ، فقالوا له : ما قلنا لك نصطلح معك ما فعلت . فقال : أنا ما عرفت أنّ هذا المشؤوم منكم .

وكان قد تزوج بامرأة تحت الحَجْرْ ، وكان لها منزل باعه أمين الحكم وخلّى من اشتراه له ، فقَدِمَ قُطنبه إلى الأمير علاء الدين وأنشده :

سَبَتْ فؤادي الْمُعَنَّى مِنْ تَثَنّيها ... فتانةٌ كلُّ حُسْن مُجْمَعٌ فيها
أُنسيّة مثل شمس الأفق قد بَزَغَت ... وحشيّةٌ في نفورٍ خوفَ واشيها

منها :

قَهَرْتَ بالجانب البحري طائفةً ... فوَلٍّ وجهك يا مولايَ قِبْليها
عندي يتيمةُ تُرْكيٍّ ظفرتُ بها ... لها من الله جُدْرانٌ تواريها
تعاونوا مَعْ أمين الحكم واعْتصبوا ... أخْفَوا وثائق فحوى خطهم فيها
حتى أُبيعتْ عَليها نصفُ حِصّتها ... ما حيلتي وأمينُ الحكم شاريها
ما زِلْتُ أفحصُ عن تلك الوثائق يا ... مولاي حتى أبان الله خافيها
وها هي الآن عندي وهي ثابتةٌ ... فامضِ الولاية فين كان يؤذيها

ومات له صاحبان كانا خَصِيصَيْن به . فقال الشهاب أحمد بن الحسين الأصفوني : ما لقُطنبة تأخر عنهما ، فبلغه ذلك ، فقال :

مَـــا تَـــأَخَّرتُ عنكُما عَنْ مَـلالٍ غير أني أَرُمْ صيـــدَ الشِّهَـــابِ
فـأنـا مِثْـلُ فـارس البَحر لا بُـدَّ بِظَفْرِي أصيـــدُه أو بِنَـــابِي

وكان قد وقع بينه وبين نجم الدين بن يحيى الأرمنتي[1] ، فهجاه بقصيدة منها :

يـــا إلهي أَرِحْتَهـــا مِنْـــهُ في الحـ ـكمِ أَرِحْهـا مِنْ ابنِـهِ في الخطـابـةِ

فقال له الْخُفَراء : يا قُطْنُبَةُ ، البـاسِريّـة[2] جـاؤوا من أرْمنت يريـدون قتلـك ، أرْسَلهم ابن يحيى وما نقدر على ردِّهم ، انْجُ بنفسك ، فخرج منها وكان آخرَ العهد به .

٥٨٤ ـ حسن بن محمد*

الشيخ الإمام الفاضل البليغ الْمُنْشئ الكاتب نجم الدين أبو محمد بن الشيخ كمال الدين القرشي القرطبيّ الصفدي الشافعي الخطيب بصفد .

كان فارسَ منبر ، وإمام من برى قَلَماً ومَنْ بَر ، ناظماً ناثرا ، يجري في ميدان البلاغة فما يُرَى جوادُ قلمه عاثِرا . كتب الإنشا ، وتَصَرَّفَ فيه كَيْفَ شَا ، مع أمانةٍ لا يُرَى من التكلُّف في وَجْهها كَلَف ، وديانة لا يُلْمَح في رَوْنَقِها تَصَنُّعٌ مِنْ صَلَف ، وكَرَمٍ بموجوده الحاضر ووُدّ يَخْجَلُ مِنْ حُسْنِه خَدُّ الوَرْد الناضر ، وصدقِ لهجه ، وقولِ حَقّ ولو أن فيه تلافَ الْمُهْجَه .

وكان شعاره أشْعَريّا ، وعِلْمُه عن التقليد عَرِيّا ، فكم كان عنده من التقليد أدلّةٌ

(١) نصّ صاحب الدرر على أن المعني هو الحسين بن الحسين بن يحيى . الدرر : ٥٣/٢ .
(٢) لم نقف على معناها . وفي اللسان أن البياسرة جيلٌ من السند يؤاجرون أنفسهم من أهل السفن لحرب عدوهم .
* الوافي : ٢٥٦/١٢ ، والدرر : ٤٤/٢ ، والشذرات : ٦١/٦ ، والمنهل الصافي : ١٣٤/٥ .

وبراهينُ إذا أوردها كأنَّها له طبيعةٌ وجبلَّه ، ومسائلُ أصولٍ إذا سَرَدها قُلْتَ هذه سحائبُ مُسْتَهلَّه ، لم أرَ بعده من يقول : « أيها الناس » أفْصَحَ منه ، ولا مَنْ خَطب زان منبره ولم يُشِنْه ، يؤدّي الألفاظَ بتجويد حُرُوفها ، ويذكِّرُ القلوبَ القاسيةَ بما نسيَتْهُ مِنْ خطوبِ الدنيا وصروفها ، كَمْ جعل العَبَرات على الخدودِ وهي هَوامي[١] هوامع ، وكم غادَرَ العيونَ وهي دوامي دوامع ، شَدّت الفصاحة لَحْيَيْه ، وسَدَّت البلاغة نِحْيَيْه[٢] ، تَزْوَرُّ في الموعظةِ حَدَقَتاه ، وتَحْمَرُّ لِفَرْط الحرص على القبول وجنتاه ، كأنه مُنْذِرُ جَيْش ، أو مُنكرُ طَيْش .

وكانت له في البحث سُلْطَه ، وغلظةٌ على خصمه لا تُصَحَّف بغَلْطَه ، وله قُدْرَةٌ على التعليم ، وفراسةٌ في وجه التلميذ إذا أخَذَ قَوْلَه بالتَّسليم ، يَعْلَمُ من الطالب إذا فهم ، ولا يَخْفى عليه إذا بَهِمْ ، فلا يزال يُغَيِّر له الأمثلةَ ، ويُدير الأسئلة إلى أن تَتَكَشَّفُ عنه الغيابه ، ويظهر له أنَّه حصل على العنايه .

ولم يزل يذكّر بوعظه ويُحَبّر بلفظه إلى أن رمي تَفَيْهُقُه بالصُّمَّات[٣] ، ونزلت بذويه سمات الشُّمَّات[٤] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ فجأة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده بالكرك سنة ثمان وخمسين وست مئة .

كان والده الشيخ كمال الدين خطيبَ قلعة صفد ، وكان ينوب عن والده ويكتب الإنشاء ، ويوقع عن النوّاب بصفد ، فلَمّا قدم الأمير سيف الدين بُتْخاص إلى صفد

---

(١) كذا في الأصل . ولعل الصواب : لولا مخافة أنّه .

(٢) النحي : وعاء يوضع فيه السمن .

(٣) أي : السكوت .

(٤) الشمات : الخائبون .

نائباً حضر معه القاضي شهاب الدين أحمد بن غانم ، وكان زين الدين عُمَر بن حلاوات قد قَدَّمه الشيخ نجم الدين وجعله يَكْتُبُ عنده ، فما زال يسعى إلى أن وَقَعَ الاتفاقُ بينهم وبين القاضي شرف الدين النهاوندي[1] وغيره ، وقرَّروا الأمْرَ مع النائب إلى أن قُطِعَ الشيخ نجم الدين من التوقيع ، وبقي بيده خطابةُ الجامع الأموي ، ثم إنهم صَادروه ، حتى تَوَجَّه خِفْيَة إلى دمشق ، وكان الأمير سيف الدين بلبان بدمشق مُشِدَّ الدواوين ، وهو يَعْرِفُهُ من صفد ، فاستخدمه مُوَقِّعاً بدمشق ، وكَتَب قُدَّامَه ، وكان القاضي مُحْيي الدين بن فضل الله يأْمَنُ إليه ويُقَدِّمُه ويستكتبه في السِّرِّ وغيره ، وأضيف إليه خطابةُ جامع جرّاح بدمشق[2] . ولَمّا تولى الأمير سيف الدين كَراي نيابة دمشق كان يعرفه من صفد ويركنُ إلى أمانته وعِفّته ، فقلّده الأمرَ وغدَقه به ، فتعب بذلك تعباً مفرطاً ونصح مخدومه ، فكان لا يُعَلِّم إلاّ مِنْ يَدِه ، فعادى الدماشِقَة ومَقَتوه ، ولما أُمْسِك كَراي اختفى وسلَّمَهُ الله منهم لِمَا سَلَكَهُ من الأمانة والعفة . أخبرني من لفظه قال : ردَدْتُ ليلةً مئتي دينار ، وَرَهنًا تلك الليلة طاسةً على زيت القنديل .

ولَمّا حَضَر الأمير جمال الدين نائب الكرك إلى دمشق أغْرَوْهُ به ، وأرادُوا منه الإيقاعَ به ، فقال : أخَذ لأحد شَيْئاً ؟ فقالوا : لا ، قال : فما أصنع به إذا نَصَح لمخدومه . ثم إنَّه جُهِّز إلى صفد خطيباً ومُوَقِّعاً ، وكان زين الدين بن حلاوات قد انفَرَدَ بالأمر وتمكَّنَ مِنْ نُوَّاب صفد ، ودخل إلى النائب وقرَّر معه ما أراد ، فَلَمْ يمكِّنْهُ من مباشرةِ شيء ، فبقي في صفد إلى أن حضر له توقيع ثان ، وكلما حضر له توقيع عطّله ، إلى أن أشركوا بينهما في التوقيع والخطابة ، فأقاما مُدَّة ، فوقع بينهما ، فطُلِبا إلى دمشق ، وقرَّرَ الأمير سيف الدين تنكز أنْ يُخَيَّرا وينفرد كل واحد بوظيفةٍ ، فاختار

(١) محمد بن عثمان ، وستأتي ترجمته .

(٢) خارج الباب الصغير بمحلّة سوق الغنم ، كان مسجداً للجنائز ، جدّده جراح المنيحي ، ثم جعله الملك الأشرف موسى جامعاً سنة (٦٣١ هـ) . الدارس : ٣٢٣/٢ ، وثمار المقاصد : ١٠٥ .

الشيخ نجم الدين خطابة القَلْعَة والمدينة ، واستقرَّ زَيْن الدين بن حلاوات في التوقيع ، فأقام يخطب ويُشْغِل الناس تبرّعاً ، وتخرّج به جماعة فضلاء ، وقلَّ مَنْ قرأ عَلَيْه ولم يَنْبُه ، ولم أرَ مثله في مبادئ التعليم ، كان يفتِّقُ أُذُنَ المشتغل ، ويوضِّح له طُرُقَ الاشتغال ، ولم أرَ مثله في تنزيل قواعد النحو على قواعد المنطق ، وكان يُحِبُّ إفْسَاد الحدود والمؤاخذة فيها والرَّد عليها والجواب عنها .

وممن قرأ عليه أولاً العلامة القاضي فخر الدين المصري[1] وغَيْرُه .

وكان لي منه ـ رحمه الله تعالى ـ نصيبٌ وافر من المحبة ، وكنت أجِدُ منه حُنُوّاً كثيراً وبرّاً ، ولم أقرأ على أحد قبله ، وكان شديدَ المحبةِ لأصحابه ، شَغُوفاً عليهم صادقَ اللهجة ، مُفْرِطَ الكَرَمِ ، وكانت بينه وبين الشيخ صدر الدين[2] قرابة ، وكان هَشّاً بَشّاً بسّاماً ، وعِمّتُهُ مَليحة ، ولم أرَ أعفَّ يداً ولا فَرْجاً منه ، وكان خطه مليحاً ونظمه سريعاً ، ونظمه أرْشَقُ من نثره ، ولم أره يخطب بغير الخطب النُّباتيّة . وكان جَيِّدَ المشاركة أشعري العقيدة ، شافعيَّ الْمَذْهَب ، يحب الكتب ويبالغ في تحصيلها ويحرص على المنافسة فيها ، ولكنه كان مُقِلاً من الدنيا ماله غير علومه . قال : ما أعرف أنه وجبت عَلَيّ الزكاة في عُمْري . رأيته بعدما مات رحمه الله في المنام بُدّة ، فقمت إليه وقبضت على يده بعدما قمت إليه وصافحته ، وقُلْتُ له : قُلْ لي ما الخبر ؟ فقال لي : لا تعتقد إلا وحدانيته ، فقلت له : هذا شيءٌ قد جُبِلَ عليه اللحم والدم ، فقال : ولا بأس مع الفاتحة سورةٌ أخرى من القرآن ، وقُصَيْصات الناس ، فعلمت بذلك أنه قد نصحني حَيّاً وميتاً ، لأنه كان في حياته رحمه الله تعالى يتوقَّفُ في توقيعه ويتحرَّى ويتحرَّزُ كثيراً فيما يكتبه ، ولا يكتب إلاّ ما هو سائغ ، فكان صاحبُ القصة يتعذر عليه مَطْلَبُه .

ولما تُوفِّيَ رحمه الله تعالى كُنْتُ في حلب فحصل لي بسببه ألمٌ عظيم إلى الغاية ،

(١) محمد بن علي بن عبد الكريم ، وستأتي ترجمته .

(٢) أغلب الظن أن المراد به صدر الدين بن الوكيل ، محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته .

وكتبت إلى ولده كمال الدين محمد[١] وإلى غيره من الأصحاب مراثي كثيرة نظماً ونثراً ، ثم جمعت ذلك وسمّيته (ساجعات الغُصْن الرطيب في مراثي نجم الدين الخطيب) . ومِمّا نظمته فيه قولي :

يا ذاهباً عَظُمَتْ فيه مُصِيْبَاتي ... بأسْهُمٍ رَشَقَتْ قَلْبي مُصيباتِ
قد كُنْتَ نَجْماً بأُفْقِ الفضلِ ثمَّ هَوَى ... فاسْتَوْحَشَتْ مِنْهُ آفاقُ السَّمواتِ
سَبَقتَ مَنْ بَاتَ يرجُو قُرْبَ خالِقِهِ ... وَلَمْ تَزَلْ قَبلَهَا سَبَّاقَ غَايَاتِ
بكى الغَمامُ بدَمْعِ الودْقِ مُذْ عَقَدتْ ... حمائمُ البانِ مِنْ شَجْوِي مَنَاحاتِ[٢]
ولَطَّمَ الرَّعْدُ خدَّ السُّحْبِ وانتشَرَتْ ... ذوائبُ البَرْقِ حُمْراً في الدُّجُنَّاتِ
أصمَّ نعيُكَ سَمْعي مِنْ تَحَقُّقِهِ ... وهانَ ما للّيالي مِنْ مُلِمَّاتِ[٣]
جنحْتُ فيه إلى تكذيبِ قائلِهِ ... تَعَلُّلاً بالأماني المُستحيلاتِ
وكدت أقضي وياليت الحِمام قضى ... حسبي بأن الأماني في المنيَّاتِ
وراحَ دَمْعِي يُجارِي فيك نُطْقَ فَمِي ... فالشانِ في عَبَراتِي والعِباراتِ
إنْ أَبْدَتِ الورقُ في أفنانِها خُطَباً ... فكَمْ لِوَجْدِي وَحُزْنِي مِنْ مَقاماتِ
جَرَحْتَ قلبي فأجريْتُ الدموعَ دماً ... ففيضُ دَمْعِيَ مِنْ تلكَ الجِراحاتِ
لو كنتَ تُفدَى رَدَدْنا عَنْكَ كلَّ أذىً ... بأنفسٍ قَدْ بَذَلْنَاهَا نفيساتِ
فآهِ مِنْ أَكْؤسٍ جُرِّعْتُها غُصَصاً ... وَقَدْ تركْتَ لنا فيها فُضَالاتِ
نُسيتَ إلاّ مساعيكَ التي بَهَرَتْ ... عينَ المعالي بأنوارٍ سَنِيّاتِ
ومَكْرُماتٍ متى تتلَى مدائحُهَا ... تَعَطَّرَ الكونُ مِنْ رَيَّا الرِّواياتِ[٤]
وفضلِ حلمٍ تخف الراسياتُ له ... وعزِ علمٍ علا السبعَ المنيراتِ[٥]

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) في الوافي : « الودق » .
(٣) في الوافي : « عن تحققه » .
(٤) في الوافي : « تتلى محامدها » .
(٥) في الوافي : « عزم علم » .

وكَمْ منـــاقبَ في علمٍ وفي عَمَـــلٍ أضحتْ أسانيدُها فينا صحيحاتِ

[ومنها][1] :

فأينَ لطفُكَ بي إنْ هفوةٌ عرضَتْ كأنّما حسنـــاتي في إســـاءاتي
وأينَ فضلُك إن وافَى أخُو طَلَبٍ فتُخْجِلُ الغيثَ من تلكَ العَطيّاتِ
نبكِي عليك وقد عُوِّضْتَ مِنْ كَفَنٍ أُلبستَه بثيابٍ سُنْدُسيّاتِ
ومَا تَلَبَّثْتَ في مثوى الضريح إلى أن صِرْتَ ما بينَ أنهارٍ وجنّاتِ
تصافحُ الحورُ والولدانُ منك يَداً كمْ أظهرَتْ في النَّدى والفضلِ آياتِ
مَنْ ذا يُعيدُ دروسَ النحو إنْ دَرَسَتْ ربوعُها بالعباراتِ الجليّاتِ
ومَنْ لِعِلْمِ المعاني والبيانِ ومَنْ يُبدِي بعلميهمَا سرَّ البلاغاتِ
ومَنْ يزفُّ عروسَ النظم سافرةً قد حُلِّيتْ بعُقُودٍ جَوْهَريّاتِ
إذا أُديرَت على أسْماعنا خَلَبَتْ أَلْبَابَنَا بكؤوسٍ بَابليّاتِ
ويرقمِ الطِّرْسَ أسطاراً فنحسبُها سَوَالفاً عُطِفَتْ مِنْ فَوْقِ وَجْنَاتِ
ومَنْ إذا بدعةٌ عَنَّتْ يُمَزِّقُها سُطَا بَرَاهينهُ بالمشرفيّاتِ
وإن أتت مشكلات بعدما اتضحت وأقبلت كالديباجي المدلهماتِ
نضى نصول أصول الدين لامعة فيقطعُ الشُّبُهات الفَلْسَفيّاتِ
ومَنْ يفيدُ الورى في علمِه حِكَماً تُجْلَى ويُبْدِي رياضاً في الرياضاتِ
ومَنْ يذيبُ دموعَ العينِ مِنْ أسفٍ إذا ارتقى مِنْبَراً بينَ الجماعاتِ
ويوقظُ الأنفسَ اللائي غَدَت سَفَها مِنْ لَهْوِها والتَّصابي في منامَاتِ
وتَقْتَفيه إلى العرفانِ تاركةً قبيحَ ما ارتكبتْهُ من غوايَاتِ
ليهنِ قَبْرَكَ ما قَدْ حازَ منك فما ضَمَّت حشا كلِّ قبرٍ طاهرَ الذاتِ
وجَادَ تربتَك الغرّاءَ ساريةٌ تُحِلُّ فيها العقودَ اللولويات
وكلَّ يومٍ تَحيَّاتي تباكِرُها فتفضحُ النَّسماتِ العنبريات

(١) ما بينهما من الوافي .

وكتب هو يوماً إليّ وقد فارقْتُه مُتَأذِّياً :

بـــاللهِ لا تغضبْ لمـــا قَـــدْ بَـــدَا فَـــأَنْتَ عِنْـــديَ مِثْـــلُ عَيْني اليمينْ
مـــا أتعَبَ النفسَ ســـوى مَنْ غَـــدَا يجحـــدُ مـــا أوْلَيْتُـــه أوْ يمينْ[1]
وأنتَ عِنْـــدِي جـــوهرٌ قَـــدْ صَفَـــا مِنْ دنسِ الـــــــذَّمِّ نفيسٌ ثمينْ
وَوَالـــــذي يعلمُ مـــــا قلتُـــــه إخبـــــار مَنْ أخلصَ في ذي اليمينْ
مـا حُلتُ عن حسن الـوَفـا في الهـوى وأنتَ في هـــــــذا المكينُ الأمين

نسأل الله أن يَحْرُسَ تلك الروحانية الطاهرة من الكدر إن شاء الله تعالى ، فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

بَرَرْتَ فيما قُلْتَ يـــــا سيّـــــدي ولستَ تحتـــــــاج إلى ذِي اليمين
واللهِ لَمْ أغضبْ وحـــــــاشَى لِمَنْ أرَاهُ عنـــــدي مثـــلَ عيني اليمينْ
ولَمْ يَكُن غَيْضي إلاّ لِمَنْ يمينٌ عن طُرُقِ الـوفـــا أو يمينْ[2]
ويفتري البـــاطـلَ في قـولـــهِ عني وليس النـــاسُ عنـــه عمينْ
ويُظْهِرُ الـوُدَّ الـــذي إنْ بـــدا ظـــاهِرُهُ فـــالغِشُّ فِيْـــهِ كمينْ
فَغَشُّـــه غشّى نفـــوس الـــوَرى ممّن ترى والسمُّ منـــــــه سَمينْ

وكتب إليّ من صفد وأنا بدمشق كتاباً نظماً ونثراً عَدِمْتُه ، وكتبت الجواب في سنة ثمان عشرة وسبع مئة :

تـذكَّرْتُ عَيْشاً مرَّ قِـدْماً وقد حلا وَرَبْعـاً عَمرنَـاه بِلَهْـوٍ وقـد خـلا
فهـاجَتْ لِيَ الـذِّكرَى غراماً أَلِفْتُـهُ وشَنَّتْ على الأحشاء حرباً مُقَسْطلا
وأذْكَتْ دمـوعَ العينِ نـارُ صبـابَتي وجَـــدَّدَ لي وَجْـــداً أخيراً وأوّلا
ولله صَبْري في الرَّزَايَـــا فـــإنَّـــهُ جَميـلٌ ولكنْ خَـانَ فيكُمْ وبَـدَّلا
وقيـلَ أتبكي في دِمَشْـقَ من الأسى وإن حَـلَّ جَيْش الهمّ فيـه ترحّـلا

(١) المين : الكذب .
(٢) في الوافي : « غيظي » .

زماناً تقضّى أو ربوعاً تطاوَلَتْ عهودُك منها وانحَتْ بيَدِ البِلى
ففاضَتْ جُفوني بالدموع لقولِهِمْ وقَلْبٌ لهُ أبكَى حبيباً ومَنزلا
وهل نافِعي أنّ الرياضَ تَدَبَّجَتْ بساحتِها أو صَوْتَ قَمْرِيِّها عَلاَ
وللوُرْقِ من زهر الرياض مجامرٌ إذا حركت عوداً تحرّق مَنْدَلا
وقد راحَ منها الدوحُ لابسَ حُلَّة وَصَاغَ من الأزهارِ تَاجاً مُكَلَّلا
وغنَّى حمامُ الأيْكِ ثمَّ تراقصَتْ غُصُونٌ سَقَتْها الريحُ كاساتِها مِلا
فمالَتْ سُكارَى ثمَّ صَفَّقَ جَدْوَلٌ فألْقَتْ عليها مِنْ معاطِفها الْحُلَى
فَمِنْ جَدْوَلٍ أضْحَى حسَاماً مُجَرَّدا ومِنْ هَيْفِ أغْصانٍ تَحَرَّكُ ذُبّلا
وللبينِ في الأحشاءِ ما لو أقلُّه يثيرُ قليلاً مَلَّ ثُمَّ تَمَلْمَلا
كأنَّ اجتماعَ الشَّمْلِ عقدٌ تَعَلَّقَتْ بأسلاكِهِ كفُّ النَّوى فَتَفَصَّلا
ففارقْتُ مَخْدُوماً حَمَى اللهُ ربعَهُ من الدهرِ يوماً ما أبرَّ وأجْمَلا
سقانِي طفلاً قَهْوَةَ العلم والنهى وزادَ إلى أنْ طالَ قَدْرِيَ واعتلَى
وألْبَسَنِي لَمّا اتَّصفْتُ برقَّة من الفخرِ والعَلياءِ مجداً مُؤَثَّلا
وكَمْ نِعَمٍ لو رُمْتُ تَعدَادَها أَبَتْ وكَانَتْ مِنَ الإحصاءِ للذرِّ أسْهَلا
إذا غبْتُ عن أبوابِه فَهِباتُه إليَّ كأنفاسِ النَّسيمِ تَوَصُّلا
وإنْ قذفَتْنِي غُرْبَةٌ كانَ جُودُه سَحاباً يوافيني فأعْطَى ونَوَّلا
ووافى في كتاب منه من بعد جفوة فأضحى به دمعي على الخدِّ مُرْسَلا
لقد أنشأتْه راحةٌ كفَّ كَفُّهَا من الْخَطْبِ ما أعيى الأنامَ وأعضلا
تمنى مُلِثّ الغيث لو كانَ بطنَها وودَّت بها الأنهار لو كن أنملا[1]
على أن كُتْبِي لا تزالُ كتائباً أُلاَقِي بها في ساحة الوجدِ جَحْفلا
أقبِّلُ فيها الأرضَ أعني مؤدّيا بذلك فرضاً ما أراه تَنَفُّلا
وإنْ كان في الأحشاءِ مَا يمنعُ الفَتى مِنَ الوَجْدِ والتَّبْريح أنْ يَتَرَسَّلا
فلا زالَ محروسَ الجنابِ مظفّرا بأعدائِهِ ما هيَّجَ الشوقُ مُبْتَلى

(١) الإلثاث : دوام المطر .

فكتب الجواب عن ذلك رحمه الله تعالى :

يُقَبِّل الباسطةَ أَلْهَمها الله الوفاء لمن وفى بعهوده ، وأطْلَعَ نَجْمَها المتَّقِد في مطالع سعوده ، وأعاد غُصْنَها إلى مَنْبتٍ سما منه رافلاً في خِلَع بروده ، مثمراً بدوحةِ مَنْشَئه الذي ما يفتح ورده إلا لما سُقِي ماءَ وَرْدِه عند وروده ، وينهي بعد وصف شوقه الذي تطاول عليه لَيْلُهُ فاذْلَهَمَّا ، ولمعَ في دُجَنَّته بارقُ اللواعج فأضرم بَيْن الجوانح نيرانَ الخليل لَمّا ، وأجرى مِنْ جَفْنه القريح طوفانَ نوح فَلأجْلِ ذلك هَجَرَهُ الوَسَنُ ومن بعد الهجران به ما ألَمّا ، وكابد فؤاده همّا ، ووَالَّذي يعلم خائنة الأعين بالسلو ما همّا ، وعاهده على الأخذ بسنّة الصبر الجميل فلم يَفِ بعهد ﴿ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾[1] ، وأراد القلم أن يصف ما وجده بعد البعد من الأسف نَثْراً ، فأبت البلاغة إلا أن يكون نظما ، وهو :

نأيْتُمْ فأمسى الدَّمعُ منِّي مُوَرّدا ... على صحنِ خدٍّ صارَ بالسّقم عَسْجَدَا
إذا ما بدا في وَجْنَتِي منهُ صَيِّبٌ ... رأيْت منَ الياقوتِ نَثْراً مُبَدَّدَا
وإن نَظَمَتْهُ فوقَ نَحْري صبابةٌ ... تَبَيَّنْتُ عقداً بالشذورِ منضّدَا[2]
وما حثَّهُ إلا بريقٌ تتابَعَتْ ... لوامعهُ يُبْدِيْنَ نَصْلاً مُجَرَّدا
وكَمْ أذهبَ التذهيبُ مِنْهُ حُشَاشَةً ... وأودعَ حُزْناً في الفؤادِ مُجَدَّدا
بَدَا من سَفيرٍ مستطيرٍ ضياؤُه ... فآنستُ ناراً في الدجنَّةِ مُذْ بَدا[3]
وأَمْسَى فؤادِي كالكليم ولم يجد ... على النار لما أن تَحَقَّقها هدَى
وكيفَ اهتداءُ الصبِّ والقلبُ وَالِهٌ ... وإدراكُه مُذْ غِبْتَ عنه مُشَرَّدَا
يهيمُ إذا هَبَّتْ نُسَيمةُ جُلَّقٍ ... ويصبوا إذا ناحَ الحمامُ وغَرَّدا
ويذكرُ أياما تقضَّتْ بِسَفْحها ... فيُبدئ نَوْحا في الظلام مُرَدَّدا

(١) طه : ١١٥/٢٠ .
(٢) الشذر : قطع من الذهب ، أو خرز يُفصّل بها النظم ، أو اللؤلؤ الصغار .
(٣) سنير : جبل بين حمص وبعلبك .

ليـالي تحكي الروضَ في حُلَـل الحيـا وغضنُ النقـا يُبْـدي عليـه تـأوُّدَا
تَبَسَّم ثغرُ الـزهرِ لَمّـا بَكَى أسىً ولاحَ كصبحٍ بـالظلامِ قـد ارْتَـدَى
أأحبـابَنَـا غِبْتُم فكَمْ لِيَ وقْفَـةً على صَفَـدٍ والقلبُ مني تَصَفَّـدا
وكَمْ لي بهـاتيـك الطلـولِ مـواقفٌ وقَفْتُ عليها الـدمعَ إذْ رُحْتُ مُنْشِـدَا
تنـاءى خليـلٌ يـا خليليَّ فـاسْعِـدا بدمعٍ يضـاهي الْمُزْن إن كنتُ مُسْعِـدَا
وأبـدى صُـدُوداً والصـدودُ مَلامـةٌ وأنجـز هِجْرانـاً وأخلفَ مَـوْعِـدَا
كـذا شيمـةُ الـدهرِ الخـؤونِ ودأْبُـه يخـونُ وفيّـاً أو يكـدِّرُ مَـوْرِدَا

وأنشدني لنفسه على طريق ابن رشيق في الأبيات المشهورة :

وَلَقَـدْ ذكرتـكِ بينَ مُشْتَجرِ القَنـا والمـوتُ يختطفُ النفـوسَ بِمِخْلَبِ
وأَسِنَّـةُ المرّانِ مثـلُ كـواكبٍ تبـدو أشعتُهَـا بظُلْمَـةِ غَيْهَبِ
ولـوامـعُ البيضِ الرّقـاقِ كأنّهـا برقٌ تـألّـقَ مَـذْهَبـاً في مَـذْهَبِ
والحتفُ قَـدْ لعبتْ كـؤوسُ مُـدامـهِ بعقـولِنَـا والـذِّكْرُ غـايـةُ مطلبي

وأمرني أن أنظم على هذا الأسلوب فقلت :

ولقَـدْ ذكرتكُمُ بحَرْبٍ يَنْثَنِي عن بـأسِهَـا الليثُ الهِـزَبْرُ الأغْلَبُ
والصَّافِنَـاتُ بركضِهَـا قَـدْ أنشـأتْ ليـلاً وكلّ سَنـا سِنـانٍ كَـوكَبُ
والبيضُ تُنْثَرُ كلَّما نُظِمَ القَنـا والنّبْـلُ يُشْكلُ والعجـاجُ يُتَرَّبُ
وحشاشـةُ الأبطـالِ قـد تَلِفَتْ ظمأً ودمُ الفـوارسِ مُسْتَهـلٌّ صيِّبُ
والنفسُ تُنْهَبُ بـالصَّـوَارمِ والقَنَـا وأنـا بـذكركُمُ أَمِيـلُ وأطْرَبُ[1]

وكتب يوماً في الاعتذار من وداع الحبيب :

يـومَ الـوداعِ بـدَتْ شـواهـدُ لـوعتي نـارَ الخليـلِ تُشَبُّ في الطـوفـانِ
وأردْتُ أعتنـقُ الحبيبَ فخفتُ أنْ يَغْشـاهُ يَمٌّ أو لَظى نيرانِ

(١) في الأصل : « بالصوام » ، سهو .

وطلب مني أن أنظم شيئاً في هذه المادة فقلت :

لَمْ أطّرحْ يومَ الوَداعِ عِناقَهُ ... مَلَلاً ودمعُ المقلَتين سكوبُ
إلا مخافةَ أن يَفْتَرَّ عَنْ ... بَرَدٍ وتَبْدو حُرْقَتي فيذوبُ[1]

ومن نظمه وقد أُهْدي إليه قراصيا :

يا سيِّداً أصبحَتْ كفَّاهُ بَحْرَ نَدىً ... تُولي سحائبهُ الأنعامَ والقوتا
كُنّا عَهِدْنا اللآلي مِنْ مواهبِه ... واليومَ ننظرُهَا فينا يَواقيتا

ومنه وقد أُهدي إليه بطّيخ أصفر :

أُهْديت شيئاً يَروقُ منظرُه ... ماءً تبدَّى في جامدِ اللهَبِ
أو شمسَ أُفقٍ قَدْ كُوِّرَتْ فَبَدا ... شُعاعُها مثلَ ذائبِ الذَّهَبِ
لما تبدَّت لَهَا بُروقُ مُدىً ... أبْدَتْ حَشَاها أهلَّةَ الشُّهُبِ
وكم أرَتْنا القِسيَّ مِنْ قُزَحٍ ... مُبَشِّراتٍ بواكفٍ سَرِبِ
أخضرُها قَدْ زَها بأحمرِها ... كَوَرْدِ خَدٍّ بالآسِ مُنْتَقِبِ
وأرْشَقَت من عقيقٍ مبسمها ... خَمْرَةَ ريقٍ أحلى من الضَّرِبِ
فبتُّ مِنْ نشوةٍ بها ثَمِلاً ... أهزُّ عِطفَ السُّرورِ من طَرَبِ
وَمُذْ تَرَشَّفْتُ بَرْد رَيِّقِها ... خِلْتُ فؤادي العزيزَ في حلبِ

ومنه ، وقرأته عليه ، ونقلته من خطِّه :

سَرَى برقُ نَعْمان فأذكرهُ السِّقْطا ... وأبْدَى عقيقُ الدمع في خده سمطا
فَلاحَ كسيفٍ مُذْهَبٍ سُلَّ نَصْلُهُ ... ورُوِّع وسميُّ السَّحائبِ فانحطا
وأدّى رسالاتٍ عن البان والنَّقا ... وأقرأه معنى الغَرامِ وما خَطَّا[2]

---

(١) كذا في الأصل وما يستقيم وزنه .

(٢) في الوافي والمنهل : « فما أخطا » . وفي المنهل : « وأقراه معنىً للغرام » .

وأهـدى إليـه نَسْمـةً سَحَريَّـةً ... أعـادَتْ فؤاداً طـالمـا عَنْـه قَـدْ شطَّـا
تمرُّ على روض الحمى نَفَحـاتُهـا ... فَتُهدِي إلى الأزهار من نَشْرها قِسْطـا
وتنثرُ عقـد الطـلِّ في وَجنـاتهـا ... فَتُظْهِرُ في لألاء أَوْجُهنـا بَسْطـا [1]
وتُطلـع منـهُ في الـدجَـا أيَّ ألجم ... وتَلبس عِطْفَ الغصنِ مِنْ سندسٍ مِرْطا
وتـوقـظ فـوق الـدوح وُرْق حمـائمٍ ... جعلنـا قلـوبَ العـاشقين لهـا لَقْطـا
هُمُ نَسَبُـوا حُـزنـاً إليهـا وَمَـا دَرَوا ... وَمَـا أَرْسلَتْ مِنْ جفنهـا أبـداً نَقْطـا
وكم تَيَّمَتْ صَبّـاً بلحن غَرِيبُـه ... رواه الهوَى عَنْهـا ومـا عَرَفَتْ ضَبْطـا [2]
فيـاليتَ شعري هَـلْ بهـا مـا بمهجتي ... من الوَجْدِ أَمْ لَمْ ترْعَ عَهْداً ولا شَرْطا
هَـلْ هيَ في دوحـات كلِّ خميلـةٍ ... تغرّدُ أوْ ناحَت على فقدهـا السِّبْطـا
ولَـوْ أنَّهـا قَـدْ تَيَّمَتْهـا صَبَـابَـةٌ ... لما طَوَّقَتْ جيداً ولا جاورَتْ شطّـا
ولا عـانقت غُصْنـاً بكفٍّ مُخَضَّبٍ ... ولا اتَّخذتْ مِنْ زَهْرِ أعطافه قُرْطـا
ولا لَبستْ ثـوبـاً يروقُ مـدبجـاً ... ولا نَسيت عَهْدَ الهـديل ولا الأرطى [3]
ولـو ذَكرَتْ أيـامنـا بطُـوَيْلـعٍ ... لأجرَتْ كدمعي مُذْ بَدَتْ لِمّتي شَمْطا
وَقَـدْ نَفَّرَتْ عني غرابيبَ صَبْـوتي ... غرابيبُ دهرٍ جار في الحكم واشتَطّا [4]
وخَـطَّ على فَـوْديّ سَطْراً حُروفُـه ... رَقَمْنَ بقلبي عارضَ الحتف مُذْ خُطّـا
ولكنَّـه قَـدْ أَوْدَعَ الفكرَ حكمـةً ... أفـادَتْـه عِرفـانـا فيـا نِعْمَ مـا أعطى
تجـاربُ أيـامٍ لهـا الغـدرُ شِيَمَـةٌ ... فكم سَتَرَتْ فضلاً وكم أظهَرَتْ غَمْطا
وألبسـهُ ثـوبـاً من العِلْم مُعْلَماً ... بـدا لـذوي جَهْـلٍ فَـأَوْرَثَهُم سُخطـا
إذا مـا رَوَت عنـه البـلاغـةُ منطقـاً ... يُرَى النجمُ في عليـائـه عنـه منْحَطّـا
وإنْ غـاصَ في لـجِّ البيـانِ يراعُـه ... أرى جنَّـةً لا أَثْـلَ فيهـا ولا خَمْطـا

(١) في الأصل : « عند الطل » ، وأثبتنا ما في الوافي والمنهل ، وفي الأخير : « عقد الكل » .
(٢) هذا آخر ما رواه ابن تغري بردي في المنهل .
(٣) في الوافي : « بذي الأرطى » .
(٤) في الوافي : « غرائب صبوتي » .

بهـا حـورُ عِينٍ لـو رآهـا زهيرُهـا ... لصيَّرَ خـدَّيْـهِ لأقـدامِهـا بُسْطـا
إذا مـا تجلّى لـلأفـاضـلِ حُسْنُهـا ... أدارتْ عليهم من لواحظها اسفِنْطا
وتُحْجَبُ عمّن قـد تردّى لجهلـه ... وأصبح جُلبابُ الحيا عنه مُنْعَطّا[1]
ولا غَرْو ألاّ يـدركَ الشمسَ ذو عَمىً ... على قَلْبِهِ مَيْن الجهالـة قَـدْ غطّى
صفـاتٌ عَـزَتْهـا نِسْبـةٌ قُرَشيّـةٌ ... إلى مَنْ سَما مَجْـداً وأكرِمْ بهم رَهْطـا

٥٨٥ ـ الْحَسَن بن محمّد بن جَعْفَر بن عبد الكريم بن أبي سعد*

الصّاحب قَوَام الدين بن الطرّاح .

كان من بيتِ عِلْم ورئاسه ، وحـديث ونفـاسـه ، وكان أخوه فخر الـدين أبو محمـد المظفر بن محمد له تَقَدُّمٌ عند التتار ، وحُرْمَةٌ لا يحجبها استتار . وقَـدِمَ هـذا قَوامُ الـدين القاهره ، وكان حَسَنَ الصُّحْبَة والمحاوره ، ظريف المنادمه ، كريم المجاوره . ولـه معرفـة بنحوٍ ولغة ونجومٍ وحساب ، وأدبٍ لم يكن لغيره فيه احتساب .

أخبرني من لفظة العلامة أثير الدين أبو حيان قـال : قـدم علينـا القـاهرة . وقـال لي : إنّي أوّلُ من تَشَيَّع مِنْ بيتنا[2] ، قـال أثير الـدين : وكان فيـه تشيُّعٌ يَسيرٌ ، ثم إنـه سافر إلى الشام وكَرَّ منها راجعاً إلى العِراق مع غازان ، وكنت سألته أن يُوَجِّـه إلينـا[3] شيئاً من أخباره وعَمَّن أخذَ من أهل العلم ، وشيئاً من شعره فوجَّه لي بذلـك وكتب لي من شعره بخطِّه :

غَـــديرُ دمعيْ في الخـــدِّ يَطَّرِدُ ... ونـــارُ وجْـــدي في القلبِ تَتَّقِـــدُ
ومهجتي في هـــواك أتلفهـــا الشـ ... ـــوق وقلبٌ أوْدَى بـــه الكمَـــدُ[4]

(١) عط الثوب : شقه طولاً أو عرضاً .
* الوافي : ٢٦٤/١٢ ، وفوات الوفيات : ٣٦٥/١ ، وفيه : « ابن أبي سعيد » ، والدرر : ٣٤/٢ .
(٢) في الوافي : « من أهل بيتنا » .
(٣) في الوافي : « إليّ » .
(٤) في الوافي والفوات : « ومهجة في » .

وَعْـــدُكَ لا ينقضِي لـــهُ أَمَـــدٌ ولا لِلَيْـلِ الْمَطـــالِ منـــك غـــدُ

ومنه :

لقـــد جُمِعَتْ في وَجْهـــه لِمُحبِّـــهِ بـدائـعُ لم يُجْمَعْنَ في الشمسِ والبـدرِ
حَبـــابٌ وخَمْرٌ في عقيـقٍ ونرجسٍ وآسٌ وريحـــانٌ وليـــلٌ على فجرِ

وقـال : كتب إليَّ أخي أبو محمد المظفر يعـاتبني على انقطـاعي عنـه ، وهو الـذي ربّاني وكفلني بعد أبي :

لـو كنتَ يـا ابنَ أبي حَفِظْتَ إخـائي مـا طِبْتَ نَفْساً سـاعـةً بجفـائي[1]
وحفظتني حفـظَ الخليـلِ خليلَـه ورعَيْتَ لي عَهْـدي وصـدقَ وفـائي
خَلَّفْتَني قلـقَ المضـاجـعِ سـاهِراً أرْعَى الـدُّجَى وكـواكبَ الْجَـوْزاءِ
مـــا كانَ ظَنِّي أنْ تحـــاولَ هِجْرتي أو أنْ يكـونَ البعـدُ منـك جَـزائي

قال : فكتبت إليه :

إنْ غبْتُ عنـكَ فـإنَّ ودِّي حـاضرٌ رَهْنٌ بمحضِ مـــــودَّتي وولائي[2]
مـا غبتُ عنـكَ بهجرةٍ تَعْتَـدُّهـا ذَنْبـــــا عليَّ ولا لضعف ولائي
لكنَّني لمـــا رأيْتُ يـــدَ النَّـوى ترمي الجميـعَ بِفُرْقَـــةٍ وتنـــائي
أَشْفقْتُ من نظر الحسـود لـوَصْلِنـا فحجبْتُـــه عَنْ أعينِ الرقبـــاءِ

انتهى كلام الشيخ أثير الدين .

قُلْت : وتوفِّي المـذكور رحمـه الله تعـالى في أوائـل المحرم سنـة عشرين وسبـع مئـة ببغداد ، ودفن بمشهد موسى الجواد .

---

(١) في الأصل والفوات : « يا ابن أخي » ، ولا مناسبة لها ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في الوافي والفوات : « محبتي » .

ومولدُهُ في شهر ربيع الأول سنة خمسين وست مئة .

وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون قد جهَّزَ لأخيه فخر الدين توقيعاً وعَلَماً وخاتماً ، وتقرَّر بينهما إذا دخل السلطان أرض الحجاز يُقْدِمُ عليه بجيشه ، فإنه كان نائبَ سلطنةٍ هناك ، ولَمّا وَرَد أخوه قوام الدين في أيام سلاّر[١] والجاشنكير[٢] حضر معه الخاتم والتوقيع والعلم ، فلذلك قُرِّرَ له على المصالح بدمشق ثلاث مئة درهم في كل شهر .

٥٨٦ ـ حسن بن محمد بن علي*

الشريف نور الدين بن الشريف محيي الدين بن فخر الدين بن زهرة ، الحسيني الحلبي ، ابن عم الشريف بدر الدين نقيب الأشراف بحلب[٣] .

كان فيه نَهْضَة ، وله هِمَّة ومعرفة ، ولي نظر البيمارستان وغيره بحلب ، فعزل من ذلك وحُوقِق ، وأُخِذَ منه مال على سبيل المصالحة ، وحصل له إخراقٌ وإهانة ، وكأنّه قد[٤] خيف من غائلته ، فتُرِك إلى أن خرج إلى قرية من قرى سَرْمين ليُقَسِّم مُغْلَها ، ونزل عليه الرجال وقتلوه ، ومعه ثلاثة أنفس ، وقطعت يد آخر من رفاقه من مِرْفَقِه ، ولم يتعَرَّضوا إلى ما معهم من المال ولا القماش ، وذلك في ليلة الثلاثاء خامس شهر الله المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

---

(١) سيف الدين التتري المنصوري ، ستأتي ترجمته .

(٢) هو السلطان الملك الظفر بيبرس ، سلفت ترجمته في حرف الباء .

* الدرر : ٣٨/٢ .

(٣) واسمه الحسين بن علي بن الحسن ، ستأتي ترجمته .

(٤) في الأصل : « من » ، ولعلَّ ما أثبتنا أقرب .

٥٨٧ ـ حَسَن بن مُحَمَّد بن قلاوون*

السُّلْطان الملك الناصر ناصر الدين ابن السلطان الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور .

ملك قَهَر الجبَّارينَ أخيرا ، وصَبَّحهم في مَأْمَنِهم مُغيرا ، وجعلهم في السجون وحْدانا وكانوا أكْثَر نفيرا ، وملأ القلوب سَطْوُه ، ولم يدع أحداً ينقل في غير الطاعة خَطْوَه ، واحتجن الأموال[١] ، وأَرَى الناس الغِيَر[٢] والأهوال ، وبنى المدْرَسة العظمى[٣] ، وأنفق البلغاء فيها حواصلَ أفكارهم نثراً ونظما ، ووقف عليها الوقوف التي تَجْري سيولها ، وتسري في البرِّ خيولها . إلاّ أن الدهر ما أمهله لتتكّمل بدورها وتَتأمَّل العيون ما تتطاول إليه قُصُورُها ، ولو تمت لَخُذِلَتْ مُسْتَنْصِرِيَّةُ بغداد عندها ، واعْتَرَفَت لها بالتعظيم عن نيَّةٍ طاهِرةٍ لا عَنْ دَهَا :

تَعنُو الكواكبُ إجلالاً لعزتها ... وتَسْتَكينُ لها الأفلاكُ مِنْ عظمِ
كأنَّها إرَمٌ ذاتُ العِمَاد وإنْ ... زادَت بالكِهَا فخراً على إرَم

ولم يزل في عزِّ سلطانه وجَبَروته ، ومروره في بيْدِ طَيْشه ومُرُوته[٤] إلى أنْ خُلع من الملك ، وأنزل من درجات النعيم إلى درجات الهُلْك ، حالةٌ ألفها الناس من أمّ ذَفَر ، وغايةٌ لا بُدَّ منها لكُلِّ سفر ، وذلك في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبع[٥] مئة .

---

* الوافي : ٢٦٦/١٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٤/١٤ ، والنجوم : ١٨٧/١٠ ، والدرر : ٣٨/٢ ، والمنهل الصافي : ١٢٥/٥ .

(١) أي : ضمّها واحتواها .

(٢) أي : الهلاك .

(٣) انظر : حسن المحاضرة : ٢٦٩/٢ .

(٤) جمع مَروت ، وهي المفازة بلا نبات .

(٥) انظر : البداية والنهاية : ٢٧٨/١٤ .

وكان قد جلس على تخت الملك أوّلا بعد خلع أخيه الملك المظفر حاجّي في بُكْرة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة [١] ، وحضر إلى دمشق الأمير سيف الدين أسُنْبُغا المحمودي السلاح دار وحلّف له العساكر بدمشق ، فاستقر بيبغاروس في نيابة مصر ، والأمير منجك في الوزارة والاستاذداريّة والأمير سيف الدين شيخو يقرأ القصص عليه بحضور السلطان ، ولم يزل الحال على ذلك إلى أن كان يومُ السبت رابعُ عُشْرَي شوال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فقال السلطان يوماً بحضور القضاة ، وأمراءُ الدولة حضور : أنا ماأنا رشيد ؟ قالوا : الله الله ، فقال : أنا ماأنا أهل للسلطنة ؟ فقالوا : الله الله . فقال : إن كان الأمر هكذا فأمسكوا إليَّ هذا . وأشار إلى الوزير منجك ، وكان النائبُ أخوه قد توجه إلى الحجاز هو والأمير سيف الدين طاز ، ودَبَّرَ هذا الأمرَ له الأمير علاء الدين مُغْلُطاي أمير آخور ، فأمسك الوزير [٢] ، وكتب إلى الأمير طاز فأمسك بيبغاروس في طريق الحجاز على ماتقدم في ترجمة بيبغاروس ، وزاد مُغْلُطَاي في إمساك الأمراء والنوّاب ، على ماتقدّم ، ولم يزل الأمر كذلك إلى أنْ خُلِع الناصر حسن في ثامن عشري شهر جمادى الآخر نهار الاثنين سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة [٣] وأجلسوا أخاه الملك الصالح صلاح الدين صالح ، على ماسيأتي في ترجمته .

ولم يزل الملك الناصر حسن بالقَلْعة داخلَ الدور السلطانية في مكانٍ يلازمه لا يجتمع بأحد إلى أن أحسَّ الأمير سيف الدين شيخو بأن الأمير سيف الدين جَرْدَمر [٤] أخا الأمير طاز قد قصد فتنة يثيرها ، فحينئذ خَلَع الملك الصالح وأعاد الناصر حسن

---

(١) البداية والنهاية : ٢٢٤/١٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٣٦/١٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٣٩/١٤ وما بعدها .

(٤) (ت ٧٩٣ هـ) . الدرر : ٥٣٣/١ .

إلى الملك وأجْلَسه على تخت السلطنة بُكْرَةِ الاثنين ثاني العيد من شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة[١] .

وحضر الأمير عز الدين أيْدَمر الشمسي إلى دمشق وحلَّف له العساكر ، وأُخرج الأمير سيف الدين طاز إلى حلب نائباً ، ونُقل أرغون الكاملي من نيابة حلب إلى مصر ، فأقام قليلاً واعتقله بالإسكندرية ، واستقلَّ بالتدبير الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين صرغتمس ، وكان الأمير سيف الدين طَشْتَمر القاسمي أميرَ حاجب ، ولم يزل الأمر كذلك إلى [أن] جُرِح الأمير شيخو على ما سيأتي في ترجمته ، وأقام قليلاً ومات رحمه الله تعالى .

وأمسك الأمير طاز وأخوته ، وانفرد صرغتمش بالتدبير بعد موت شيخو إلى أن أمْسَكَه الملك الناصر حسن على ما سيأتي في ترجمته وأمسك معه جماعة ، وذلك في عشري شهر رمضان سنة تسع وخمسين وسبع مئة[٢] ، فصفت له الدولة ولم يشاركه أحد في التدبير ، وشرع في عمارة المدرسة العظمى التي ظاهر القاهرة ، ولو كُمِلت لكانت غاية في العِظم وعُلُوِّ البناء واتِّساعه ، ويقال إنه كان قد أرصد لعمارتها في كل يوم عشرين ألف درهم ، وأقامت على ذلك ، والعَمَارة لا تُعَطَّلُ منها يوماً واحداً ثلاث سنين وأكثر ، وخُلِعَ وما نجزت عمارتها ، وعلى الجملة فهي أمرٌ عجيب .

وزاد في احتجان الأموال مصادرة الأمراء والكتّاب وأصحاب الأموال ، وزاد أيضاً في أخْذِ القرى الكبار الأمهات الأعيان من سائر المملكة الإسلامية بالشام جميعه ومصر واصطفائها لنفسه ، ولم يمت أميرٌ إلا وأخذ من إقطاعه خيارَهُ ، ووفّر بعض التقادم التي هي في العساكر لأمراء المئين ، ولم يدع أحداً آمناً على نفسه من النوّاب ومَنْ دونهم فلا يقيم النائب إلاّ دون السنة ، وكذلك الأمراء لا يقيمون إلاّ أقل من سنة حتى

(١) البداية والنهاية : ٢٥١/١٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٦٢/١٤ .

ينقلوا[١] من إقطاعهم ومن مكانهم ، ولم يزل الحال على ذلك إلى أن خلعه الأمير سيف الدين يَلْبُغا الخاصكي في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبع مئة[٢] كما تقدم ، وأجلس السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجي ، وورد إلى دمشق الأمير سيف الدين بزدار[٣] السلاح دار وحَلَّف العساكر الشامية .

وكان بعض الأصحاب قد قَصَد مِنّي نَظْمَ قصيدة أذكر فيها أمر السلطان وقهره وعمارته المدرسة المذكورة ، وأن تكون واضحة بحيث يفهمها ، فقلت :

إنِّي بِنَظْمِ مدائحِ السُّلْطانِ ... فَتَقَ البيانَ مِنَ البديعِ لِساني
النّاصرَ ابن الناصرِ الملكِ الذي ... مَلَكَ القلوبَ بطاعةِ الرحمنِ
مِنْ بَيْتِ أمْلاكٍ أبُوه وجَدُّهُ ... مع إخْوةٍ صالوا على الحدثانِ
وأبو المحاسنِ بَيْنَهُم حَسَنٌ كما ... سُمِّي حليفُ الْحُسْنِ والإحْسَانِ
فتراهُ ما بَيْنَ الملوكِ كأنَّه ... دِينُ النَّبيِّ عَلاَ على الأديانِ
وتَرَاهُ مِثْلَ البَدْرِ والأمراء مِثْـ ... ـل الزَّهْرِ في فُلْكٍ من الإيوانِ
لا بَلْ هو الشمسُ المنيرةُ في الضُّحى ... في رَوْنقٍ وسناً ورِفْعَةِ شانِ
أمستْ ملوك الأرض خاضعة له ... في سائر الأقطار والبلدانِ
مِنْ عَدْلِهِ المشهورِ قد مَلأَ الملا ... وكأنّه كِسْرَى أنوشروانِ
لوعايَنَتْهُ ملوكُ عصرٍ قَدْ مضى ... لتَقَمَّصُوا بالذُّلِّ والإذعانِ
تتلُو الحمائمُ في مناقب فضْلِهِ ... خُطَباً تهزُّ منابرَ الأغصانِ

(١) في الأصل : « ينقلون » .

(٢) البداية والنهاية : ٢٧٨/١٤ .

(٣) كذا في الأصل . وفي البداية والنهاية مانصّه : « وجاء الخبر إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين بزلار شاد التربخاناه ، أحد أمراء الطبلخانات بمصر » .
وبزلار هذا (ت ٧٩١ هـ) . انظر : الدرر : ٤٧٦/١ .

فترَقّصُ الأعطـــافَ مِنْ فَرَحٍ بِـــهِ ... وتُميـلُ من طَرَبٍ غُصونَ البـــانِ
أيـــامُـــه مِنْ يُمْنِهـــا وأمـــانِهـــا ... مَشْكُـورةٌ فينـــا بكلِّ لســـانِ
قهرَ الأعـــادي بـــأسُـــه فـــأذلَّهم ... ورمـــاهم بـــالخـــزْيِ والْخُسْرانِ
من خـانَهُ في ملكـه فقـد اغْتـدى ... مُتَبَرِّيـــاً مِنْ رِبْقـــةِ الإيمـــانِ
والله سلَّطَـــهُ على أعـــدائِـــه ... ورمى الجميـع بـــذلَّـــة وهَـوَانِ
الله أيَّـــــده ومكَّن سَيْفَـــــه ... مِنْ عُنْـقِ كلِّ مُنَـــافـق خـوّانِ
وترى دِمـــا أعْـــدائِـــه بسيـوفـه ... كشقـــائـق نثرت على رَيْحـــانِ
لكنَّـه من رَحْمَـــةٍ حَقَنَ الـــدِّمـــا ... لَمْ يُمْضِ فيهـــا حـــدَّ كلِّ يمـــانِ
شكراً لخـالقـه الـــذي من لطفـه ... قَـــدْ بـــاتَ منصـوراً على الأقرانِ
وبنى بقـــاهرة المعـزّ مـــدارســـاً ... للفقـــــهِ والتحـــــديث والقرآنِ
أرسى قـواعـدَهـا وشيَّـد صرحَهـا ... فعلَتْ على العَيّـوقِ والـــدَّبرانِ[1]
تتحَيَّر الأفهـــام في تكـوينهـــا ... فنبـــاؤُهـــا من أعظمِ البُنْيـــانِ
ليست على وجـه البسيطـة مثلهـا ... من أرض تُـــوريـــز إلى أســـوانِ
لـوعـاينَ المنصـور رَوْنَقهـا غـدا ... مِنْ دَهْشَـــةٍ لَحِقَتْـــهُ كالْحَيْرانِ
هـاتيـكَ مـدرسـةٌ وأمَّـا هـذهِ ... فمـدينـةٌ في غـايـةِ الإتقـانِ
للشـافعيّ ومـالـــكٍ وأبي حنيـ ... ـفـةِ الإمـام وأحمـدَ الشيبـانـي
هـو فـارسُ الخيـلِ الـذي تجري بـه ... كالبرقِ يـوم السَّبْـقِ في الميـدانِ
فتطيرُ أُكْرَتُـــه كرأس عَـــدُوِّهِ ... لمـا طغى مِنْ ضَرْبـةِ الجـوكانِ[2]
وكـذاكَ يـومَ الحرب إنْ هَـزَّت بـهِ ... أيـدي الكمـاةِ عـواليَ الْمُرَّانِ[3]
يَلْقَى الكفـاحَ بـوَجْهِـهِ وبنحْرِه ... ويكـون ليثَ وغىً على الفُرْسـانِ
نصرَ الضعيفَ على القـويِّ بيـاسـهِ ... فـالظُّلْمُ في خِـزْيٍ وفي خُـذْلانِ

(١) العيوق والدبران : كواكب .
(٢) الأكرة : الكرة .
(٣) المران : الرماح الصلبة اللدنة .

والشَّرعُ قـد أعلى الإلـهُ منـارَه فتراهُ وهـوَ مشيَّـدُ الأركانِ
فـلأجـلِ ذا تمتـدُّ مُـدَّةُ مُلْكِـه مَحْروسَـةً في السِّرِّ والإعـلانِ

٥٨٨ ـ الحسن بن مُظَفَّر بن عبد الْمُطَّلِب بن عبد الوهاب بن مَنَاقِب بن أحمد*

الشريف العَدْل شمس الدين أبو محمد الحسيني المنقَذي الدمشقي .

روى عن الفخر الإرْبلي وأبي نصر بن الشيرازي وعبد العزيز بن الدّجاجيَّة ، وإبراهيم الْخُشُوعي ، وناب في الحِسْبَة مُدَيْدَة ، وكان في جُمْلَة الشهود .

وسمع منه الشيخ شمس الدين الذهبي ، وكان قد ابْتُلِيَ ببَلْغَم ، فكان إذا مشى تَعْدُو بغَيْر اختياره ، ثم يسقط ويستريح ويقوم .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

٥٨٩ ـ الحسن بن منصور بن محمد بن المبارك**

جلال الدين بن شوّاق ، بالشين المعجمة والواو المشددة وبعد الألف قاف ، الإسنائي .

كان جواداً كريما ، عاقلاً حليما ، فاضلاً أديبا ، كاملاً لبيبا ، نبيه القَدْر ، واسع الصدر ، يُشْعِر فيأتي بالرياض اليانعه ، ويهزُّ بالطرب سامِعَه ، أبيَّ النَّفْس لا يرى الضَّيم ، ولا تدخل غادَةُ شَمْسِه تَحْتَ سِتْر غَيْم .

لم يزل في نفاسته ومعارج رياسته إلى أن هبط من أوج قَدْره إلى حضيض قبره .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة ست وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٧٢/١٢ .

** الوافي : ٢٧٧/١٢ ، والطالع السعيد : ٢١٠ ، والدرر : ٤٦/٢ ، والمنهل الصافي : ١٣٩/٥ .

ومولده سنة إحدى[١] وثلاثين وست مئة .

كان بنو السَّديد بإسْنا يحسدونه ويعملون عليه ، فعلّموا عليه بَعْضَ العَوَام ، فرماه بالتَّشيُّع . ولما حَضَر بَعْضُ الكاشفين[٢] إلى إسنا حضر إليه شَخْصٌ يسمى عيسى بن إسحاق وأظهر التوبة من الرَّفض ، وأتى بالشهادتين ، وقال : إن شيخنا ومدرِّسنا حضر إليه في هذا جلال الدين بن شوّاق ، فصادَرَه الكاشِفُ ؛ أخَذَ مالَه ، فجاء إلى القاهرة ، وعُرِض عليه أن يكون في ديوان الإنشاء فلم يفعل ، وقال : لا ، تركت أولادي يقال لهم من بعدي : أبوكم خَدَم وعرض عليه أن يكون شاهد ديوان حسام الدين لاجين قبل السلطنة فلم يفعل[٣] .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوّي[٤] : أخبرني الفقيه العدل حاتم بن النفيس الإسنائي أنه تحدث معه في شيء من مذهب الشِّيعة فَحَلَف أنَّه يحبُّ الصحابة ويُعَظِّمهم ويعترف بِفَضْلِهم ، قال : إلاّ أنّي أقدّم عليهم عَلِيّاً .

ومن شعره :

رأيْتُ كَرْماً ذاوياً ذابلاً ... ورَبْعُه مِنْ بعد خصب مَحيلْ
فقلْتُ إذْ عاينْتُه مَيِّتاً ... لا غرو أنْ شُقَّتْ عليه النَّخيلْ[٥]

ومن شعره يمدح سيدنا رسول الله ﷺ :

هوا طيبَةَ أهْوَاهُ مِنْ حيثُ أرّجا ... فَعُوجا بنا نحوَ العَقيقِ وعرِّجا
وسيروا بنا سَيْراً حثيثاً مُلازِماً ... ولا تَنَيا فالعِيسُ لم تَعْرِف الوَجى[٦]

(١) في المنهل والطالع السعيد : « اثنتين وثلاثين » .
(٢) في الطالع السعيد : « الكشاف » . وهم الولاة للولايات الكبيرة .
(٣) انظر الطالع السعيد : ٢١٠ ـ ٢١١ .
(٤) الطالع السعيد : ٢١٥ .
(٥) البيتان في الطالع السعيد : ٢١٤ ، وفيه : « عليك النخيل » .
(٦) الطالع السعيد : ٢١٤ ، والمنهل الصافي : ١٤٠/٥ .

ومن شعره :

كيفَ لا يَحْلُو غرامي وافتضاحِي ... وأنا بينَ غَبُوقٍ واصطِباحِ[١]
مَعْ رَشيقِ القدِّ مَعْسُولِ اللمى ... أسْمَرٍ فاقَ على سُمْرِ الرِّماحِ[٢]
جَوْهَرِيُّ الثَّغْرِ يَنْحو عَجَباً ... رفَّع المرضى لتعليلِ الصِّحاحِ[٣]
نَصَبَ الهجر على تمييزِهِ ... وابتدا بالصَّدِّ جِدّاً في مزاحِ
فلهذا صار أمْري خَبَراً ... شاع في الآفاقِ بالقولِ الصّراحِ
يا أُهيلَ الحيِّ مِنْ نَجْدٍ عسى ... تجبروا قلبَ أسيرٍ مِن جراحِ
لوخفضْتُم حالَ صبٍّ جازم ... مالَهُ نحوَ حِمَاكُم مِنْ براحِ[٤]
ليس يصغي قولَ واشٍ سَمْعُه ... فعلى ماذا سَمِعْتُم قولَ لاحِ
ومَحَوْتُم اسمَهُ مِنْ وصلِكُم ... وهوَ في رَسْمِ هواكُم غيرَ ماحِ
وَصَحا كلُّ مُحِبٍّ ثَمِلٍ ... وهوَ من خمرِ هواكُم غيرُ صاحِ[٥]
ولئن أفرطتُم في هَجْرِهِ ... ورأيتُم بُعْدَهُ عينَ الصلاحِ[٦]
فهو لاَجٍ لأُولي آلِ العَبَا ... مَعْدن الإحسانِ طَرّا والسَّماحِ
قَلَّدوا أمْراً عَظيماً شانَهُ ... فهوَ في أعناقِهِم مثلُ الوِشاحِ
أمناءُ اللهِ في السِّرِّ الذي ... عجزت عَن حَملِهِ أهلُ الصَّلاحِ
هُمْ مصابيحُ الدُّجَى عندَ السُّرى ... وَهُمُ أُسْدُ الشَّرى عندَ الكفاحِ[٧]

قُلْت : شِعرُ ابنِ شوَّاق يشوِّق ، ويُحَلِّي الأجياد ويطوِّق .

---

(١) الغبوق : شراب المساء ، والصبوح : شراب الصباح .
(٢) اللمى : سمرة في الشفة .
(٣) فيه تورية بكتاب الصحاح للجوهري .
(٤) في الطالع السعيد ، والمنهل : « لم خفضتم » .
(٥) لم يرد هذا البيت في الطالع ، وهو في المنهل .
(٦) في الطالع : « فلئن » .
(٧) تتمة النص في الطالع السعيد .

٥٨٧ م ـ حسن بن نصر*

الصدر نبيه الدين الإسْعَدي .

كان محتسب القاهرة ، ولَمّا تَوَلَّى الصاحب ضياء الدين النشائي الوزارة تولى هو نظر الدواوين .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة[١] ، ودفن برّا باب النصر بالقاهرة ، وصَلَّى عليه الشيخ نصر المنبجي[٢] .

٥٨٨ م ـ الحسن بن هارون بن حسن**

الفقيه الصالح نجم الدين الهَـذَبـاني[٣] الشـافعي أحـد أصحـاب الشيخ محيي الـدين النووي .

كان ديِّناً خيِّراً ورعاً .

سمع من ابن عبد الدائم .

ولم يحدث لأنه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ كهْلاً سنة تسع وتسعين وست مئة في تـاسع شعبان .

٥٨٩ م ـ الحسن بن هبة الله بن عبد السَّيِّد***

شمس الدين الأُدْفُوي

---

* الدرر : ٤٧/٢ .

(١) كما أرَّخه البرزالي ، وقيل : سنة عشر . ذكره في الدرر .

(٢) هو نصر بن سلمان بن عمر المنبجي ، وستأتي ترجمته .

** الوافي : ٢٨٣/١٢ ، وطبقات ابن السبكي : ٤٠٨/٩ ، والمنهل الصافي : ١٤٤/٥ .

(٣) في طبقات الشافعية : « الهدباني » بالدال المهملة .

*** الوافي : ٢٩٤/١٢ ، والدرر : ٤٧/٢ ، والطالع السعيد : ٢١٥ .

حفظ (المنهاج) للنووي ، وسمع من ابن أبي الفتح محمد بن أحمد الدشناوي[١] ، أقام بإسنا سِنين[٢] ، ثم أقام بقوص إلى آخر عمره . وكان دخل مصر وحضر الدروس .

وكان خفيف الروحِ ، يكتم سِرَّهُ ولا يَبوح ، لطيفاً في حركاتِه وكلامِه ، متحبِّباً إلى من واجَهَهُ بتحيته وسلامه ، قليل الغِيْبَه ، إذا نَقَلَ عن أحد شيئاً حَمَلَه على أحسن مَحامِلِه ونفى الرِّيبه . وكان يعرف شيئاً من الموسيقى ، ويُنْزل النغم على الوزن تطبيقا ، إلا أنه في آخر عمره انخلع من الخلاعه ، وادَّكَرَ الموقف واطلاعَه ، والتزم بالإشغال ، واشترى بالرخيص الغَال ، وانتصب للعلم ، وجنح بعد حَرْبِ التصابي إلى السلم ، ورمى السلاح ، ودخل في زمرة الصلاّح .

ولم يزل على حالته هذه إلى أن توجَّه إلى أُخراه ، وحَمَده الصبحَ بعد مسراه[٣] .

ووفاته ـ رحمه الله تعالى ـ بعد العشرين وسبع مئة .

ومن شعره :

إن المليحةَ والمليحَ كلاهُما ... حَضَرا ومزمارٌ هناكَ وَعُودُ
والرَّوضُ فتَّحتِ الصَّبا أكمامَه ... فكأنَّه مِسكٌ يفوحُ وعودُ
ومُدَامةٌ تجلو الهمومَ فبادِروا ... واسْتَغْنِموا فرصَ الزَّمانِ وَعُودُوا[٤]

ومن شعره فيمن وقعت على نصفيته[٥] قِنِّينة حِبر :

جاءَ البهاءُ إلى العلومِ مبادراً ... مَعَ ما حوى مِنْ أجرِه وثوابِهِ
ملئت صحائِفُه بياضاً ساطعاً ... غارَ السّواد فَشَنَّ في أثْوابِهِ[٦]

(١) توفي سنة (٧٢٢ هـ) . الطالع السعيد : ٤٨٨ .
(٢) في الوافي : « سنتين » .
(٣) يشير إلى المثل : (عند الصباح يَحْمد القوم السُّرى) . مجمع الأمثال : ٣/٢ .
(٤) الطالع السعيد : ٢١٦ .
(٥) نوع من الثياب .
(٦) في الدرر : « فشق » .

٥٩٠ ـ حسن بن هندو*

الحاكم بمدينة سنجار ، وبالموصل أخيراً .

كان في آخر عمره يكاتب المسلمين ويترامى عليهم ، ويُظْهِرُ المودة والنصح والإخلاص في المحبة ، وكل ذلك زور وبُهتان ، لأنه كان نجمة التركماني المفسد[١] يأوي إليه ، وجرى منه [ ][٢] ، وتوَجَّهت العساكرُ إلى سنجار ، وقاسوا شِدَّة ، وطلب الأمان وقال : أنا غلام مولانا السلطان ونائبه ، وهذا أخي يكون عندكم رهينة ، فرسم للعساكر بالعَوْد ، وحضر أخوه إلى قريب من دمشق ، وهرب ولم يظهر له خبر .

ثم إنه ما رجع عن مكْرِه ولا فساده ولا أذاه إلى أن قتله صاحب ماردين في سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، في أواخرها وأراح الله المسلمين منه .

٥٩١ ـ حسن الكردي **

شيخ صالح زاهد ، راقٍ في معارج المعارف صاعِد ، له حال وكَشْف ، وكوكبُ هُدَى قد تَنَزَّه عن الكَشْف ، يقصده الناس بالزياره ، وتومي الأصابع إليه بالإشارة .

كان مقيماً بالشاغور بظاهر دمشق منجمعاً عن الأنام ، قد ألف الخلوة وتعبَّد والناس نيام ، له حاكورة[٣] يزرع فيها الخضر ، ويرتفق[٤] به ويُطْعِمُ منه مَنْ حَضَر ، أقام على هذه الحال سنين ، واستراح من هموم المال والزوجة والبنين .

---

* الدرر : ٤٨/٢ ، والنجوم : ٢٩٥/١٠ ، وفيه : « هندوا » ، والذيل التام : ١٣٦ ، والسلوك : ٩٠٧/٣/٢ ، في أحداث سنة (٧٥٤) وفيه : « ابن هند » .

(١) في الأصل : « في المفسد » ، ولا وجه لها . وهو نجمة بن عبد الله التركماني ، وستأتي ترجمته .

(٢) كذا ، ولعل العبارة : وجرى منه ما جرى ، أو نحو ذلك .

** الوافي : ٣١٣/١٢ ، والبداية والنهاية : ١٧/١٤ ، والمنهل الصافي : ١٤٦/٥ .

(٣) هي قطعة الأرض التي تفلح وتزرع ، مستعملة في بلاد الشام ، وهي ساميّة .

(٤) في الوافي : « يرتفق به » . والارتفاق : الاستعانة والانتفاع .

ولم يزل على هذه الحال إلى أن أخذ من شَعْرِه واغْتَسَل ، واستقبل القبلة وركع ركعاتٍ وراح إلى ربِّه وانتقل .

وكانت وفاته سنة سبع مئة .

٥٩٢ ـ حسن الجوالِقي*

كان له في الدولة صُورَهْ ، والمحاسن من الأخلاق عليه مَقْصُورَهْ ، نَفَع الناسَ بجاهه ، وعَوْدِه في السفارة واتجاهه ، وكان مقبول القول لا يرُدُّهُ أحد ، ولا يُرَى في قَلْعَة الجبل بالقاهرة من لفضله جَحَد ، وعنده مكارم للوارد والصادر ، والغزال الكانس والليث الخادر ، أقام بمصر مدة على هذا القِدَم ، وما احتدَّ فيها يوماً ولا احْتَدَمْ .

ولم يزل كذلك إلى أن خَطَرَ له الحضورُ إلى دمشق للاسترواح ، وتجديد العهد بالأصحاب وذكرى أوقات الأفراح ، وكان به مرض واسْتَشْفَى ، وأكرمه الناس ساعة الْمَلْقَى ، فأقام أقلَّ من شهر وقضى ، وعُدَّ فيمن درج ومضى .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في نصف جُمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، وتأسف الناس والفقراء لفقده[1] .

٥٩٣ ـ حسين بن أسد بن مبارك بن الأثير**

سمع من الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم الْمُنْذري ، وشمس الدين الواعظ الجزري ، وهو آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عنه بالسماع ، ومن النجيب عبد اللطيف ، وأبي الفضل محمد بن محمد البكري ، وزين الدين عبد المحسن بن عبد العزيز بن علي بن الصيرفي المخزومي ، ومن إسماعيل بن سليمان ، ومن بدر ، ومن جماعة .

---

* الدرر : ٤٩/٢ ، والمنهل الصافي : ١٤٥/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٥٦/٩ ، وفي الأخيرين : « الجواليقي » .

(١) وفي الدرر أنه بنى الزاوية للقلندريّة بظاهر القاهرة .

** الدرر : ٥٠/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ .

وكان صالحاً حسن الشكل مليح المحاضرة ، وكان حَنْبَلياً ، وينتسب إلى صاحب (جامع الأصول)[١] .

وتوفي بداره بحارة الديلم في يوم الخميس سادس جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

٥٩٤ ـ الْحُسَيْن بن أبي بكر بن جندربك*

الأمير شرف الدين أمير حسين الرومي .

كان من فرسان الخيل ، وممن يُسامي بسؤدده نجومَ الليل ، يجيد اللعب بالطير الجارح ، ويَصيد به ما هو في الجو طائر وفي البَرِّ سارح ، هذا إلى ما هو فيه ، مُبَرِّزٌ في[٢] رَمْي النشّاب ، وصيد الوحش الذي يَشْهَدُ له به البازي والكلاّب ، لا يكاد الوحش ينجو من يديه ، ولا يفوته في ظهيرته أَوْ أَبْرَدَيْه .

باشر الحروب مُصافاً وحصارا ، وكانت النصرة له غاية وقُصارى . وكان في لسانه عُجْمَه ، لا تمنعه من اختبار سهم من عربي ولا عجمه[٣] ، لأنه كان يؤثر قُرْبَ الفضلاء ، ويَوَدُّ مُحادَثة النبلاء ، ويسأل عن غوامضَ بالنسبة إليه من القرآن ، ويفحص عن مشكلاتٍ مِنْ مَعاني شعراء الأوائل وأهل الزمان ، وله التنديب الحلو ، والتندير الذي لا يُرَى وهو من التعجب خِلْو .

ونادم الأفْرَم في القَصْر ، وفاز بنضارة ذلك العَصْر ، ووقع بينه وبين الأمير

---

(١) هو المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ) .

* الوافي : ٣٤٧/١٢ ، والدرر : ٥٠/٢ ، والمنهل الصافي : ١٥٢/٥ ، وفيه : « الحسين بن جندر » . والنجوم الزاهرة : ٢٧٦/٩ ، وفيه : « بن أبي بكر بن أسعد بن جندرباك » .

(٢) في الأصل : « من » ، ولا وجه لها .

(٣) عجم الشيء : عضه للخبرة ، وعجم السيف : هزه تجربة .

سيف الدين تنكز ونجا ، وجعل الله له من أمْره مَخْرَجا ، لنيَّته السَّليمه ، وطَويَّته القويمه . وطلبه السلطان فيما بعد ذلك ، وسَلَكَهُ مِنَ التقريب بحضرته أقْرَب المسالك .

ولم يزل على حاله إلى أن أفل نجم حياته ، وتغيرت بالأسْقام حلاوة شِيَاته .

وتوفي بالقاهرة ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بجوار جامعه بحكر جَوْهَر النوبي[١] .

كان وهو أمرد رَأْسَ مَدْرج طُلْب حسام[٢] الدين لاجين لَمّا كان نائب الشام ، وكان يؤثره ويُقَرِّبُه لأنه كان صَيَّاداً شجاعاً . وكان يحبه لأجل أخيه الأمير مُظَفَّر الدين ، وربما تنادم معهما خُلْوة .

ولما ولي الملك حسامُ الدين لاجين طَلَبه إلى مصر وخلع عليه خِلْعة ولم يرضها ، ثم إنّه عاد إلى الشام وطلبه فيما أظن ثانياً ، ورسم له بعشرة[٣] ، وجرى للسلطان ما جرى على ما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، فأقام بمصر إلى أن حَضَر السلطان الملك الناصر مُحَمَّد من الكرك ، فرسم له بالعشرة ، وحضر مع الأفرم إلى دمشق صحبة الطُّلْب . ثم إنه أخذ الطبلخاناه ولاق بقلب الأفْرَم ونادمه ، ولم يزل معه بدمشق إلى أن هرب الأفرم عند قدوم الملك الناصر من الكرك إلى دمشق ، فلحق هو بالسلطان ودَخل معه ومع خواصّه ، وجهَّزه السلطان إلى الكرك ومعه الأمير سيف الدين تنكز ، فأحضر الخزانة ، وتوجَّه مع السلطان إلى القاهرة ، ودخل معه بأنواع الحِيَل والتقرُّب إلى أن ما وصل إلى مصر إلاّ وهو من جُمْلَة المقرَّبين .

أخبرني من لفظه قال : كُنّا ونحن سائرون في الطريق إذا مررنا بصيد آخُذُ الصقر

---

(١) هو تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربي . (خطط المقريزي : ١١٩/٢) .

(٢) في المنهل نقلاً عن الصفدي : « رأس مدرج لحسام الدين .. » .

(٣) في المنهل : « بإمرة عشرة » .

الجارح وأقول ياخوند : إن كنا نملك[١] مصر فهذا الطير يأخذ هذه الرمية ، قال : وأتحيّل وأقارب وأبلغ الجهد وأرميه فلا يخطي ، فأقول : ياخوند هذا بسعادتك ، فنزل مِنْ قَلْبه .

وكان محظوظاً في الصيد بالجوارح والضواري والنشّاب ، لا يكاد يفوته شيء منه . رأيت أنا هذا منه مراراً عديدة لَمّا كُنْتُ أسافر معه ، فإنّني كتبت له الدَّرْج بصفد[٢] وبمصر ، وكان يستصحبني معه في أسفاره شاماً ومصراً ، ثم إن السلطان أعطاه في مصر إمرة مئة وقدّمه على ألف ، وأفرد له زاوية من طيور الجوارح ، فكان أمير شِكار مع الأمير سيف الدين كوجري[٣] .

وحضر مع السلطان إلى دمشق لما توجه إلى الحجاز في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وأقام بدمشق ولم يتوجه إلى الحجاز لأنه وقع وكُسِرَت رجله ، وكان الأمير سيف الدين تنكز يحضر لزيارته ويعودُه كلَّ قليل ،، وهو نائب دمشق .

ولَمّا عاد السلطان عاد معه إلى مصر ولقي الحرمة الوافرة وحظي بالديار المصرية ، وكان ينتمي إلى الأمير سيف الدين طغاي الكبير وينبسط معه فَحَلا بقَلْب الخاصكيّة وسَلِمَ لذلك لَمّا أَمْسَكَ السلطان الأمير علاء الدين أيدغدي شقير والأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، وما أعطاه الناس في تلك الواقعة سَلامَه .

ثم إنه توالت عليه الأمراض فرَسَم له السلطان بالعود إلى الشام ، فحضر إليها وهو مُسْتَمرٌّ عند تَنْكز على تلك المحبّة ، إلى أن وقع بينهما بسبب القَصَب الذي له في قرية عَمْتَنا[٤] ، وتخاصما في سوق الخيل ورجعا إلى دار السعادة وتحاكما ، ثم إنّهم سَعَوا بينهما في المصالحة ، فقام تنكز وقام أمير حسين فوضع يده على عنق تنكز وقبّل رأسه ، فما حمل

(١) في الوافي والمنهل : « ندخل إلى » .

(٢) في الوافي : « كتبت له الدرج ، وترسلت عنه بصفد » .

(٣) انظر المنهل الصافي : ١٥٣/٥ .

(٤) قرية بالأردن بها قبر أبي عبيدة بن الجراح . معجم البلدان : ١٥٣/٤ .

تنكز منه ذلك . قال لي أمير حسين : والله ما تعمدت ذلك ، ولكنه كان خَطَأً كبيراً ، فكتب تنكز وطالع السلطان[١] ، فشدَّ الفخري قطلوبغا من أمير حسين شدّاً كبيراً ، فما أفاد كتاب[٢] تنكز ، ورسم السلطان للأمير شرف الدين أن يكون مقامه بصفد وإقطاعه على حاله ، وجاء كتاب السلطان إليه يقول فيه : إنك أسأت الأدب على نائبنا ، وما كان يليق بك هذا ، وحضر كتاب السلطان إلى نائب صفد بأن الأمير شرف الدين طرخان[٣] لا تُجَرِّدْه إلى يَزَكٍ ولا تُلْزِمْه بخدمة إن شاء ركب وإن شاء نزل ، فأقام بصفد قريباً من سنتين ونصف . ومن هنا[٤] كتبت له الدرج .

ثم إن الأمير سيف الدين ألجاي الدوادار لما حضر إلى دمشق لإحضار الأمير علاء الدين ألطنبغا من حلب ليتوجه إليها أرغون الدوادار نائباً ، كأنه قال للأمير سيف الدين تنكز لما جاء ذكر أمير حسين : والله ما كان السلطان هان عليه أمرُهُ ، فحينئذ جنح تنكز للصلح مع أمير حسين وسيَّر إليه بالغَوْر ليلتَقِيه إلى القُصَيْر المعيني ، فاصطلحا هناك وخَلَع عليه ، ووعده بأنه إذا عاد من[٥] مصر أخذه معه إلى دمشق ففاوض السلطان في ذلك فما وافق على ذلك ، وطُلب الأمير شرف الدين إلى مصر وجاء الفورَ البريدُ وأخذه وتوجه به إلى دمشق ، وجهَّز تنكز إلى مصر ، فتوجه إليها على خيل البريد ، وكنت معه ، فوصل إليها في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وخُلِع عليه وأُنعِم عليه بإقطاع الأمير بهاء الدين أصلم[٦] السلحدار ، فأقام عليه إلى أوائل سنة تسع[٧] وعشرين وسبع مئة .

(١) في الوافي : « وطالع السلطان بأمره » .
(٢) في الوافي : « كلام » .
(٣) الطرخان : هو المتقاعد أو المحال إلى المعاش .
(٤) في الوافي : « ومن هناك » .
(٥) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي الصحيحة .
(٦) هو أصلم بن عبد الله الناصري (ت ٧٤٦ هـ) . المنهل : ٤٥/٢ .
(٧) في الوافي : « ثمان » .

وتوفي رحمه الله تعالى ، وحنا السلطان عليه حنوّاً كثيراً[١] ، وأعطى مماليكه الإقطاعات في الحلقة ورتب لهم الرواتب وأمَّرَ بَعْضَ أقاربه ، ورتب الرواتب لبناته وزوجته[٢] وأقاربه وبعض غلمانه وأباح طيوره بحضوره ، وهذا لم يتفق لغيره .

وهو الذي بنى القنطرة على الخليج وإلى جانبها الجامع الذي له في حِكْر جوهر النوبي ، ولما فرغ أحضر إليه المشدُّ والكاتب حسابَ ذلك ، وقال : هذا حساب هذه العمارة ، فرمى به في الخليج ، وقال : أنا خَرَجْتُ عن هذا لله تعالى ، فإن خنتما فعليكما[٣] ، وإن وفيتما فلكما . يقال : إنه غرِم على ذلك فوق المئتي ألف درهم ، وكان - رحمه الله تعالى - على الدرهم والدينار مِنْ يده شحيحاً ، وأمّا مِنْ خلفه فما كان يقف في شيء ، وكان الفرس والقباء عنده هيِّن الأمر ، يُطْلق ذلك كثيراً .

وكان خفيف الروح دائم البشر ، لطيف العبارة ، كثير التنديب الداخل[٤] ، وكانت في عبارته عُجْمة ، لكنه إذ قال الحكاية أو ندَّب أو ندَّر يظهر لكلامه حلاوة في السمع والقلب . قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس رحمه الله تعالى : نحن إذا حكينا ما يقوله هو ما يكون لذلك حلاوةُ كلامِه مِنْ فيه .

وكان ظريفاً إلى الغاية في شمائله وحركاته ، وكان فيه الخير والصدقة ، ولكنه كان يستحيل في الآخر بعدَ إقباله .

وكان يجلس في مصر رَأْسَ الميمنة من أسفل ، ولَمّا حضر توتاش جلس مكانه ، وكان هو يجلس في الميسرة بعد ذلك إلى أن مات .

---

(١) في الوافي : « كبيراً » .

(٢) في الوافي : « وزوجاته » .

(٣) المنهل : ١٥٤/٥ـ١٥٥ .

(٤) كذا في الأصل ، ولعلها من الدخل ل وهو الفساد . وهذه الجملة لم ينقلها صاحب المنهل فيما نقله من هذا الخبر .

وكان السلطان يحبه ويؤثره كثيراً ويُعْجبُه كلامه ، وكان قد أعطاه طبلخاناه جعلها وقفاً عليه يعطيها هو من جهته لأيّ مَنْ أراد من أقاربه ، فكانت تنتقل بين أقاربه إلى أن مات وماتوا .

وكان قد تولى أمْرَ الركب بدمشق وحجَّ في سنة خمس وسبع مئة ، وحج أيضاً من الديار المصريّة .

٥٩٥ ـ الحسين بن الحسين بن يحيى أبو محمَّد بن أبي علي*

القاضي الأرمنتي ، تقدم ضبط هذه النسبة .

لم أعلم شيئاً من حاله فأترجمه ، أوْ أُعْمِل الظنّ فيه حتى أرجِّحه ، لكن ذكره الشيخ قطب الدين عبد الكريم في (تاريخه) والفاضل محمد بن علي بن يوسف[1] ، والفاضل كمال الدين جعفر الأدفوّي في (تاريخ الصعيد) .

وتوفي بأرمنت ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وأورد له :

غُلِطتُ لعمري يا أُخَيَّ وإنَّني ... لفي سَكْرةٍ ممّا جناه ليَ الغَلَطْ
حططتُ بقدري إذ رَفَقْتُ أخسَّةً ... ومَنْ رَفَع الأسْقاطَ حُقَّ بأن يُحَطْ[2]

وأورد له أيضاً :

أقسمتُ لا عُدْتُ لِشُكْرِ امرئ ... يوماً ولا أخْلَصْتُ في ودِّي
مِنْ قَبْلِ أن تَبْدوَ أفْعالُه ... في حالة القُرْب أو البعدِ[3]

---

* الوافي : ٣٥٩/١٢ ، والدرر : ٥٣/٢ ، والطالع السعيد : ٢٢٢ .

(١) في تاريخ مصر . (الطالع) .

(٢) في الوافي : « الأطراف » . وفي الطالع : « ومن يرفع الأطراف » .

(٣) في الوافي ، والطالع : « وفي البعد » .

وكلٌّ من جرَّعني سُمَّـــــــــــــهُ فهـو الـــذي أطعمتُـــه شَهْـــدِي

٥٩٦ ـ الحسين بن خضر*

ابن محمـــد بن حَجّي بن كَرامـــة بن بُحْتُر بن عليّ بن إبراهيم بن الْحُسَيْن بن إسحاق بن مُحَمَّد : الأمير ناصر الدين التنوخي المعروف بابن أمير الغرب ، مُقامه ومُقام ذويه بجبال الغَرْب من بلاد بيروت ، والحسين بن إسحاق في أجداده ، وهو ممدوح أبي الطيب في القصيدَة القافيّة التي يقول فيها :

شدوا بابْن إسحاق الْحُسَيْن فصافحت ذَفَـــارِيَّهـــا كِيرانُهـــا والنارق[1]

وله فيهم أمداح ومراثٍ . وكرامةُ بن بُحْتُر هو الذي هاجر إلى نور الدين الشهيد فأقْطعه الغَرْبَ وما معه بإمريَّة[2] فسمِّي أميرَ الغَرْب بذلك ، قال الأمير ناصر الدين المذكور : ومنثوره إلى الآن عندنا بخط العماد الكاتب ، وتَحضّر كرامةُ بَعْد البَداوة ، وسَكَنَ حصن سَلْحَمُور من نواحي إقطاعه ، وهو على تلٍّ عال بغير بناء ، وانتشأ أولاده هناك[3] ، ولم يزالوا كذلك إلى أن كان الخَضِر ، فكان قَذَى في عَيْن صاحب بيروت أيَّام الفِرَنج ، وشَجاً في حلقه ، ورام حَصْرَه مراراً ، فتوعَّرَ الوصولُ إليه ، فلما صار الحال إلى أولاده الشباب هادنهم صاحبُ بيروت وسالمهم ، وجَعَلُوا ينزلون إلى الساحل ، وألِفُوا الصيد بالطير وغيره ، فراسلهم ، وطلب الاجتماعَ بهم في الصيد ، فتوجَّه كِبارُهم وتصيَّدوا مَعَه إلى آخر النهار ، فأكرمهم وقدَّم لهم ضواريَ وطيوراً وكَساهم قِماشاً ولِمَنْ مَعَهُم ، وعادوا إلى حِصْنِهم ، ولم يزل يَسْتَدْرِجُهم مَرَّة بعد مَرَّة إلى أن أخرج ابنَه مَعَه

---

* الوافي : ٣٦٢/١٢ ، والدرر : ٥٤/٢ .

(١) ديوان المتنبي : ٣٤٥/٢ . والذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . والكور : الرحْل ، جمعه أكوار وكيران . والنمرق والنمرقة : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرحل .

(٢) في الوافي : « بإمرته » ، وما ههنا أقرب .

(٣) عبارة الوافي : « وانتشأ أولاده هناك حصناً » .

وهو شاب ، فقال : قد عَزَمْتُ على زَواجِه ، وأدْعُو له ملوك السواحل[١] ، وأريدكم تحضرون ذلك النهار ، فتوجه الثلاثةُ الكبار وبقي أخوهم الصغير في الحصن ووالدته وجماعة قليلة ، وتوجَّهوا إليه ، وامتلأ الساحل بالشَّواني والمدينةُ بالفرنج الغُتم وتلقّوهم بالشمع والمغاني ، فلَمَّا صاروا في القلعة ، وجَلَسوا مع الملوك[٢] قَعَدوا إلى العَصْر ، ثم إنهم غدروا بهم وتكاثروا عليهم وأمسكوهم وأمْسَكوا غِلْمانَهم ، وغرَّقوهم وركبوا في الليل ، ومع صاحب بيروت جميعُ العسكر القبرسي واشتغلوا بالحصن ، وانجَفَلَ الفلاّحون قُدّامهم والحريمُ والصبيان إلى الجبال والشَّعْراء[٣] والكهوف وطاوَلُوهم ، وعلم أهل الحصن بأن الجماعة قد أمْسَكوهم وغرَّقوهم ، ففتحوا الباب ، وخَرَجت العجوز ومعها ولدُها الصغير وعُمْرُه سبعُ سنين ، ولم يَبْقَ بَيْنَهم سوى هذا واسْمُه حجّي ، وهو جَدُّ والدِ هذا ناصر الدين .

ولما حضر السلطان صلاح الدين وفَتَح صيدا وبيروت ، تَوَجَّه إليه هذا حجّي وباس رِجْل السلطان صلاح الدين في ركابه ، فلَمَس رأسه بيده وقال : أنا آخذ ثأرك ، طيّبْ قَلْبَك ، أنت مَوْضِعُ أبيك ، وأمَرَ له بكتابة أمْلاك أبيه ، وهي القَرايا التي بأيديهم بستِّين فارساً . ولم يزالوا على ذلك إلى أيام الملك المنصور قلاوون ، فَذُكِرَ أولادُ تَغْلب من مَشْغرا قدام الشجاعي أن بِيَدِ الجبليّة أملاكاً عظيمة بغير استحقاق ، ومن جُمْلتهم أمراء الغرب ، وتوجَّهوا مَعَه إلى مصر ، فرَسَم المنصور بإقطاع أملاك الجبليّة مع بلاد طرابلس لجندها وأمرائها ، فأقطعت لعشرين فارساً من طرابلس ، فلَمّا كان أيامُ الملك الأشرف توجَّهوا إليه وسألوه أن يَخْدموا على أملاكهم بالعدّة ، فرسم لهم بها وأن يزيدوها عشرة أرماح أُخَر .

---

(١) في الوافي : « الساحل » .

(٢) في الأصل : « المملوك » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) الشعراء من الأرض ذات الشجر أو كثيرته ، والروضة يغمر رأسها الشجر . ووهم محقق الوافي فظنّ أنها محرَّفة عن « الشعاب » .

ولما كان أيام الروك[١] في أيام تنكز وكشفها[٢] الأمير علاء الدين بن مَعْيَد ، حَصَل مَنْ تفضول في حقهم ، فرسم السلطان الملك الناصر أن تستمر عليهم بمضاعفة العِدَّة ، فاستقرَّتْ عليهم لستِّين فارساً ، وهي إلى الآن باقيةٌ على هذا الحال .

وأمّا هذا ناصر الدين فإنّه كان جواداً سَمْحاً ، لا يزول كَرَمُه ولا يُمْحَى ، يَخدمُ أعيان الناس ، ويتجاوز الْحَدَّ في ذلك والقياس ، ومن يتوجه إلى تلك النواحي ، فإنه يَجدُ منه ثَغْرَ جُود يُخْجِل الأقاصي .

وكان يكتب جَيِّداً ويأتي من المحاسن ما حُقَّ له أن يُدْعَى سَيِّداً ، ويترسَّل ترسُّلاً فيه فصاحة وبلاغة ، وكلمات كأنها قَدْ صَاغَها صياغة ، وفيه عِدَّةُ فضائل ، وكَرَمُ عِشْرَةٍ ولطف شمائل ، ورئاسة تدلُّ على كَرَم أصْله ، وسيادةٌ يُتَرْجم عنها لسانُ قَلَمه ونَصْله . وهو مطاعٌ في قَوْمه ، لا يصل المشتري ولا زحل إلى سَوْمِه ، إذا قال لأحدهم : اسكت رُمِيَ من وقته بالصَّمَات ، وإذا قال له قُمْ قام ، وإذا قال له مُتْ مات ، يَتسارعون إلى امتثال أوامره ، ويتقارعون على الفوز بالتَّحلِّي مِن كلامه بجواهره .

ولم يَزَلْ على حاله إلى أن غَرُب نجم أمير الغرب ، ولم يدفع عنه أحد بطَعْن ولا ضَرْب .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في نصف شَوَّال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

ولَمّا كَبُرَ وأسَنّ نزل قَبْلَ موته بسنتين عن إمرته لولده الأمير زين الدين صالح ، وكنت قَدْ تَوَجَّهْت إلى بيروت ولم يكن بها ، فَسَيَّر إليَّ قاصداً يطلبني لأتوجه إليه إلى أُعْبَيْه ، لأرى مكانه فيها ، فإن الناس يصفونه بحسن زائد وطيب هَواءٍ وماءٍ ،

(١) هو القيام بعملية قياس الأرض وحصرها في سجلات وتثمينها لتقدير الخراج عليها .

(٢) في الأصل : « كشفها » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي .

فرأيت الحركة تَشقّ عليّ ، فاعتذر ، فحضر هو بنفسه بعد أيام بعدما تفضل وُرُوده وأحْسَن وأجمل وقِسْت جوده على الغمام فكان أنْدى وأغْدَق وأكمل .

وأنشدته لما اجتمعت به :

مازُرْتُ في أُعْبَيْه قصداً للجفا ... رَبْعاً تَشَرَّفَ بالأمير حسين
ورأيتُه في ثَغْرِ بَيْروتَ الَّتي ... بِنَداهُ أصبح مَجْمَعَ البحرين

٥٩٧ ـ الحسين بن سليمان بن فَزَارة*

القاضي الإمام الفاضل شهاب الدين الكَفْري ، بفتح الكاف وسكون الفاء وبعدها راءٌ ، الدمشقي الحنفي .

تلا بالروايات على علم الدين القاسم ، وسمع من ابن[1] طلحة ومن ابن عبد الدايم ، ودَرَّس بالطّرخانية[2] ، وكان شيخ الإقراء بالمقدّمية والزنجيليّة[3] . وقرأ بنفسه على ابن أبي اليُسْر ، وكتب الطباق ، وكان شيخ قراءات ، وبيَده لمن يحاكمه في التفاضل براءات . ودَرَّسَ وأفتى ، وكان في الجود بعلمه أكرمَ من الغيث وأفنى ، وناب في الحكم زماناً ، ونظم فيه من الإجادة جُمَاناً .

وكان خيِّراً عالماً ، ديِّناً لا يُرى لِسَيْف السُّنّة ثالماً ، إلا أنّه أضَرَّ بأخَرة ، فلزم دارَه وجَلَس في بيته كالبدر في داره .

---

* الوافي : ٣٧٧/١٢ ، ونكت الهميان : ١٤٤ ، والدرر : ٥٦/٢ ، وغاية النهاية : ٢٤١/١ ، والشذرات : ٥١/٦ ، والمنهل الصافي : ١٥٧/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٥/٩ ، وذيول العبر : ١٠٦ .

(١) في المنهل : « أبي طلحة » .

(٢) أنشأها الحاج ناصر الدولة طرخان بن محمود الشيباني (ت في حدود ٥٢٠ هـ) ، الدارس : ٤١٥/١ .

(٣) المقدمية : داخل باب الفراديس الجديد ، أنشأها شمس الدين محمد بن المقدم (ت ٥٨٣ هـ) . الدارس : ٤٥٦/١ .
والزنجيلية ، ويقال لها الزنجارية ، خارج باب توما وباب السلامة ، تنسب إلى فخر الدين عثمان بن الزنجيلي (ت ٦٢٦ هـ) . الدارس : ٤٠٤/١ .

ولم يزل على حاله إلى أن حلَّ ضيف الْحَيْن بفتى فَزاره ، وآن اجتماعه به فَزارَه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبع مئة عن اثنتين وثمانين سنة .

وقرأ عليه أقضى القضاة شرف الدين أحمد[1] وغَيْرُه .

٥٩٨ ـ الحسين بن علي بن إسحاق بن سلاّم*

بتشديد اللام : الشيخ الإمام الفاضل المفتي الكامل الدمشقي الشافعي .

كان مفتي دارِ العَدْل في زمن الأفرم . كان فقيهاً عارفا ، ونبيهاً حوى من العلم تالداً وطارفا ، عارفاً بخلاف المذاهب ، شاهداً لمن خَلَقه بأنه زائدُ الكَرَم والمواهب ، قل من ناظره وارْتَدَّ إلا هزيما ، أو فاخره في سيادة إلا كان سليباً وابن سلاّم سليما ، يتخرَّق في الجود ، ويُرْعى حَقَّ الضعيف والوفود .

اجتمع فقهاءُ المذاهب الأربعة في دَرْسٍ من بعض الدروس ، وبحث هو مع الجميع ، فَقَطَعَ أُصولَهُم وفُروعَهم من الغُروس ، رأى الناس منه في ذلك اليوم عجبا ، وجمع محبة القلوب له والتعظيم وحبى .

ولم يزل على حاله إلى أن بَغَتَه حِمَامُه ، وخُفِرَ فيه ذِمامُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع عشرة وسبع مئة في رابع عُشْري شهر رمضان .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

---

(١) وهو ابن صاحب الترجمة ، كما نصّ في الوافي (ت ٧٧٦ هـ) . الدرر : ١٢٥/١ .

* الوافي : ٢٣/١٣ ، والدرر : ٥٩/٢ ، والشذرات : ٤٤/٦ ، وطبقات السبكي : ٤٠٨/٩ ، والبداية والنهاية : ٨٥/١٤ .

وكان قد أعاد بالظاهرية ودرس بالجاروخية ، ودرَّس بالعَذْراوية ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ وعليه دُيونٌ كَثيرة ، وكان قد ألقى الدرس بالعذراوية عوضاً عن صَدْر الدين سُلَيْمان الكُرْدي[1] يومَ الأحد حادي عشر المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٥٩٩ ـ الحسين بن علي بن الحسين بن زهرة*

نقيب الأشراف بحلب ، السيِّد الشريف شمس الدين أبو علي بن الشريف فخر الدين أبي الحسن بن شمس الدين أبي علي .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالزرقاء بَعْدَ عَوْدِه من الحج رابع عشري المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودفن بسَمَا من عمل بصرى .

٦٠٠ ـ الحسين بن علي بن سيِّد الأهل**

ابن أبي الْحَسَن[2] بن قاسم بن عمّار ، الشيخ الإمام الشافعي نجم الدين الأسواني الأصفوني .

كان فقيهاً فاضلاً مشاركا ، مَيْمون النقيبة مُباركا ، صاحبَ فنون ، وعباراتٍ في المعارف الذوقيَّة وشجون . أفتى ودرَّس ، وسرى في طلب العلم وعرَّس ، وانتفع به جماعة من الطلاب ، وغنموا الفوائد وأخذوا الأسْلاب .

---

(١) هو سليمان بن موسى بن سليمان (ت ٧٢٢ هـ) . الدرر : ١٦٥/٢ ، وانظر : البداية والنهاية : ٥٧/١٤ ، والدارس : ٢٢٩/١ .

* الدرر : ٦٠/٢ .

** الوافي : ٢٣/١٣ ، ووفيات ابن رافع : ٦٩/١ ، وفيها : ابن سيد الكل ، والدرر : ٦٠/٢ ، والشذرات : ١٢٠/٦ ، وطبقات السبكي : ٤٠٩/٩ ، والطالع السعيد : ٢٢٤ .

(٢) في الطالع ، والطبقات : « الحسين » .

وكان قد تَجَرَّدَ مع الفقراء ، وتفرَّد بأشياء لم يبلغْها جَماعة مِنَ الفُقهاء ، ثم أناب وعاد إلى طريقة أهل العلم ، وتزيّا بزيِّ أهل الوقار والحلم .

ولم يزل على حاله إلى أن فقد حِسَّهُ وذوْقه ، وأصبح والتراب فوقه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في صفر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

أخبرني العلامة قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي قال : تَجَرَّد المذكور مع الفقراء زماناً طويلاً ، وكان في وقتٍ فقيهاً في المدرسة الشريفية[١] ، فَحَضَر دَرْسَ قاضي القضاة ابن بنت الأعز ، فأنْشَدَ بعضُ الناس قصيدةً مديحاً في رسول الله ﷺ ، فصرخ هو على عادة الناس ، فأنكر القاضي ذلك وقال : أيْش هذا ؟ فقام وقال : هذا شيء ما تذوقُه ، وتَرَك المدرسة والفقاهة بها .

وقال : كان يقرئ في كل شيء في أيّ كتاب كان ، وانتفع به جماعة وقال : كان يفتي ويدرِّس ويُقرئ الطلبة ، وهو وأخوه[٢] الحسن والزبير ، ثلاثة من أهل العلم والتَّعبُّد[٣] .

وقال الفاضل كمال الدين الأدفويّ[٤] : هو المعروف بابن أبي شَيْخَة ، سمع من أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طُرخان ، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي وأبي عبد الله محمد بن عبد القوي ، ومن أبي الحسن علي بن أحمد الغرافيّ[٥] والحافظ شرف الدين الدمياطي . وحدَّث بالقاهرة ، وأخذ الفقه عن أبي الفضل جعفر

(١) بالقاهرة ، أنشأها الشريف فخر الدين إسماعيل الجعفري أحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية سنة (٦١٢ هـ) . النجوم : ٨٢/٨ (ج ٤) . وحاشية الطالع السعيد .

(٢) في الدرر : « وأخواه » . وهي أولى .

(٣) لم يرد هذا الخبر في ترجمته في طبقات السبكي .

(٤) الطالع السعيد : ٢٢٥ ، مع بعض الخلاف .

(٥) في الأصل والوافي : « العراقي » ، تصحيف ، صوابه ما في الطالع السعيد ووفيات ابن رافع ، وستأتي ترجمته في موضعها .

التِّزْمَنْتي[١] وغيره واشتغل عليه الطلبة طائفةً بعد طائفة ، وتولى الإعادة بالشريفية وغيرها . وأقام مدة بمدرسة الملك يلقي فيها الدروس ، وتجرَّد مدَّةً مع الفقراء ، وجرى على طريقهم في القول بالشاهد ، وأقام بجامع عمرو بن العاص يُسْتَغَل[٢] ويَشْتَغل ، وهو قوي النفس ، حَدّ الخلق ، مقدام في الكلام ، وهو من أهل بيت معروفين بالعلم والصلاح .

٦٠١ ـ الحسين بن علي بن مُصَدَّق بن الْحَسَن*

شرف الدين أبو عبد الله الشَّيْباني الواسطي الصوفي بخانقاه سعيد السعداء .

رأيته غَيرَ مَرَّة ، واجتمعتُ به عند الصاحب أمين الدين ، فأنشدني رحمه الله تعالى جملة من شعره .

وكان شكلاً كاملاً طويلاً هائلاً ، ذا ذقن فُرِشَتْ على صَدْره ، وكادت تسيل فتملأ سعة حُجْره ، يُنْشِدُ ويَتَفَيْهَق ، ويَسيل دمْعُه فيترقْرَق ، له أُبَّهة في النفوس وجلالَه ، وعلى كلامه من الذوق أَمَارَة ودلاله .

ولم يزل على حاله إلى أن رأى ابنُ مصدّق الحقَّ اليقين ، ولحق بمن تقدَّمه من المتَّقين .

وتوفي رحمه الله تعالى ...[٣] .

أنشدني من لفظه لنفسه :

---

(١) في الأصل : « الترمنتي » ، تصحيف ، صوابه ما في الوافي ، والطالع . وهي نسبة إلى تزمنت : قرية من عمل البهنسا على غربي النيل من الصعيد . والتزمنتي هو جعفر بن يحيى (ت ٦٨٢ هـ) .

(٢) كذا ، وعبارة الوافي : « وهو يُشْغَلُ في غالب العلوم ويفتي » . وفي الطالع : « يشتغل ويشغل » .

* الوافي : ٢٤/١٣ ، والدرر : ٦٤/٢ .

(٣) كذا بياض ، ولم تُذكر سنة وفاته في المصادر الأخرى .

وَأَحْـوَرَ أحْـوَى فـاتن الطَّرْفِ فـاترٍ مَسِيرُ بُـــدُورِ التِّمِّ مِنْ دُون سَيْرِهِ[١]
إذا جئتُ أشكُـو طرفَـهُ قـالَ خَـدُّه: «ومَنْ لم يَمُتْ بالسَّيْفِ مات بِغَيْرِهِ»[٢]

فأنشدته أنا لنفسي في مليح نائم :

سبـانيَ خـدٌّ مِنْ فتىً كان نـائمـاً فقـــالَ عـــذولٌ شرهُ دُونَ خيرِهِ
أَتَهْوَى ولم تـدرِ العيـون فقلت: دَعْ «ومَنْ لم يَمُتْ بالسيف مـات بغَيْره»

وأنشدته أيضاً لنفسي في مليح يقابل كتاباً :

قـابلْتُ كُتْبـاً مَـعْ حبيبٍ هـاجرٍ فَسَرَّ قلبـــاً كاد أنْ يفنَى وَلَـــهْ
فقلت يـــا وارث قلبي في الهـوى جَمَعْتَ بين الجبر والمقـــابلَـــهْ

فأنشدني هو لنفسه :

قـابلني الْمَحْبُـوبُ يَـوْمـاً وغـدا يَمْنَحُنِي جمـالَـه ونـائلَـهْ
قلت لـه يـا سيِّـدي جَبَرْتَنِي فهـل أرَى مِنْ بعـدِهـا مـواصلَـهْ
فقـال لي هـذا الـذي فَعَلْتَـه على سبيـل الجبرِ والمقـابلَـهْ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

يـا مَنْ هـواه وحبُّـه غطّى على عيني وقَلْبي
عطفـاً عليَّ بنظرةٍ فـإليـك إيجـابي وسَلْبي

٦٠٢ ـ الحسين بن علي بن عبد الكافي*

ابن علي بن يوسف بن تمّام: الإمام الفاضل الفقيه النحويّ العروضي الناظم ، أقضى

(١) في الدرر: « تسير » ، وأشار في الحاشية إلى مثل ما في الأعيان .
(٢) في الوافي : « متى جئت » . وفيه وفي الدرر: « قال قده » .
* الـدرر: ٦١/٢ ، والشـذرات : ١٧٧/٦ ، وطبقـات السبكي : ٤١١/٩ ، وذيـول العبر : ٢٩٦ ، والمنهـل الصافي : ١٦٦/٥ .

القضاة جمال الدين أبو الطيّب ابن العلاّمة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السُّبْكي الشافعي .

كان ذهنه ثاقبا ، وفهمه لإدراك المعاني مُراقبا ، حفظ (التسهيل) لابن مالك ، وسلك مِنْ فهم غوامضه تلك المسالك ، وحفظ (التنبيه) ، وكان يستحضره وليس له فيه شريك ولا شبيه ، وقرأ غَيْرَ هذا .

وكان يعرف العروض جَيِّدا ، ويبيت لأركان قواعده مُشيِّدا ، وينظم الشعر بل الدرر ، ويأتي في معانيه بالزُّهْرِ والزَّهر ، وكانت مكارِمُه طافحه ، وأناملُه غيوثٌ سافحه ، كثير التواضع في الْمُلْتَقى ، غزيرُ المروءة لا يصل النجم معه فيها إلى مُرْتَقى ، عفيفُ اليد في أحكامه ، لم يقبل رِشوة أبداً ، ولم يُسْمَع بذلك في أيّامه ، يتصدى لقضاء أشغال الناس ، ويعامل مَن أساء أو أجرم معاملةَ مُتَغاضٍ متناسٍ ، فأحبَّته القلوب ، ومضى حميداً على هذا الأسلوب . إلى أن نُغِّصَ شبابُه ، وتقطَّعت بمن يَوَدّه أسبابُه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وقلت أرثيه :

رُزْءُ الحسينِ عظيمٌ ... وهوَ العذابُ الأليمُ
ومَا لَنَا فيهِ إلاّ ... صَوْبُ الدموع حميمُ
والصبرُ أَوْلَى ولكن ... صَبْرُ الفؤاد عديمُ
ففي العيونِ دموعٌ ... تَنْهلُّ منها الغيومُ
وفي الحشَى زَفراتٌ ... منها تُشَبُّ الجحيمُ
والليلُ صار حداداً ... تقمَّصَتْهُ النجومُ
وللسحائبِ خدٌّ ... من الرُّعودِ لَطيمُ

والجوُّ ضاقَ خِناقاً فما يهبُّ نسيمُ
وما تنفَّس صبحٌ بل راحَ وهو كظيمُ
حزناً لقاضٍ قضى ما الذ ذمامُ منه ذميمُ
وكانَ قاضيَ عَدْلٍ صراطُه مُسْتَقيمُ
يقضي بحقٍّ وصدقٍ عن الهوى لا يريمُ
ترى الثناءَ عليه قَدْ طابَ منه الشميمُ
يَلْقى الورى منه وجهٌ طَلْقُ المحيّا وسيمُ
وثغرُهُ في ابتسام به يُسرُّ الغريمُ
وخَلْقُه مثلُ روضٍ والنبتُ منه غميمُ
وجهٌ حَيِيٌّ وخُلْقٌ سَهْلٌ وصدرٌ سليمُ
أحبَّه الناس حتّى مَظْلُومهُم والظَّلومُ
فَلَوْ يجورُ وحاشى قضى ارتضته الخصومُ
إن الزمان أراهُ بمثله لعقيمُ
لو كانَ يُفْدى لجادت أرواحُنا والْجُسُومُ
وإنَّما الموت أمرٌ لم ينجُ منه عظيمُ
وذاكَ فينَا وفي مَنْ قَدْ فاتَ داءٌ قديمُ
قاضي القضاةِ تصبَّر فالْخَطْبُ فيه جسيمُ
لكنَّ مثلكَ راسٍ لَمّا تَخِفُّ الْحُلُومُ
قَدْ كانَ دُرَّةَ عقدٍ والسلكُ فيه نظيمُ
فما يضرُّ سناه إن زاكَ منه قسيمُ
ودُرُّه في اتِّساقٍ والكلُّ درٌّ يتيمُ
إذا بقيْ أخواه فسَوْف تُؤْسَ الكلومُ
فلا تَبتْ في عذاب وقد حَواه النَّعيمُ

يصافحُ الحورَ منْهُ في الْخُلْدِ كَفٌّ كريمُ
وأنتَ تعلمُ أنَّ الـــذي دعـــاه رحيمُ
ومـا تُقـاكَ ضعيفٌ ولا نهـــاك سقيمُ
وكُلُّنـا سـوف نمضي ومـا عَلَيْهـا مقيمُ

وكنت أنا قد كتبت إليه :

عندي جمالَ الدين مسألةٌ غدا بيانُهـا فيما لـديـكَ مُحَرَّرا
إذ أنتَ مِنْ بيتٍ جميع بنيه قد فازوا بما حازوا وقد سادوا الورى
إنْ جاودُوا ألفيتَهم صوبَ الحيا أو جادلوا أبْصَرْتَهم أُسْدَ الشَّرى
فاطْلعْ بأُفْقِ الفضلِ شَمْساً أشرقت لا تَرْض أنّكَ فيهِ بدرٌ أسفرا
وأعِدْ جوابي عن سُؤَالي إنَّه لكَ واضحٌ أنْ رُحْت فيه مُفكِّرا
فكَّرْتُ والقرآن فيه عجائبٌ بَهَرَتْ لِمَنْ أمسى له مُتَدبَّرا[1]
في هل أتى لِمْ ذَا أتَانا شاكراً حتى إذا قالَ الكفورُ تَغيَّرا
فالشكرُ فاعلُه أتى في قِلَّةٍ والكفرُ فاعلُه أتى مُتَكَثِّرا
فعلامَ ما جاءا بِلَفْظٍ واحدٍ إن التوازن في البديع تَقَرَّرا
لكنّها حِكَمٌ يراها كل ذي لُبٍّ وما كانت حديثاً يفترى
فأمِنْهُ لا زلْتَ الجواد بفضلهِ لِمَن استعان به لإشكالٍ طرا

فكتب الجواب إليّ عن ذلك :

قَبَّلْتُ أسطرَ فاضلٍ بهر الورى ممّا لديه عجائبٌ لن تُحْصَرا
قد نالَ في علم البلاغة رُتْبَةً عَنْها غَدا عبد الرَّحيم مُقَصِّرا
وأراد منِّي حَلَّ مُشْكِلَةٍ غدا تِبْيَانُها عندي كصُبْحٍ أسْفَرا

(١) هذا البيت وأربعة بعده في طبقات السبكي ، وفيه : « أتى يا شاكراً » .

وجـوابـــه أنَّ الكفـور ولـو أتى ... بقليـــــل كُفْرٍ كان ذاك تَكَثُّرا[١]
بخـلاف من شكر الإلـه فـإنَّـهُ ... بكثير شكر لا يكـــــون مُكَثِّرا[٢]
فـإذاً مُراعـــاة التـوازن ههنـــا ... محظـورةٌ لِمَنْ اهتـــدَى وتفكَّرَا
فـاصفَح فعجزي عن جوابك ظـاهرٌ ... كظهـور مـا بينَ الثُّريّـــا والثَّرى

وكتب هو رحمه الله تعالى إليّ مُلغزا :

يـا أيُّهـــا البحرُ عِلْماً والغمامُ نـدىً ... ومن بـــه أضحت الأيـــام مُفْتَخِرَه
أشكـو إليـك حبيْبـاً قـد كَلِفْتُ بـه ... مـورَّدَ الْخَـدِّ سبحـان الـذي فَطَرَه
خُمْسَاهُ قـد أصبحـا في زيٍّ عـارضـه ... وفيـه بـاسٌ شـديـدٌ قـلَّ مَنْ مَهَره
لا رَيْبَ فيـه وفيـه الرَّيبُ أجْمَعُـه ... وفيـه يُبْسٌ ولينُ البـانـة النَّضِرَه[٣]
وفيـــه كلُّ الـورى لَمّـــا تُصَحِّفـــهُ ... وضَيْعـــةٌ ببـلاد الشـــام مُشْتَهِرِه

فكتبت أنا الجواب إليه وهو في « ريباس » .

٦٠٣ ـ الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد*

الشيخ الإمام الفاضل بهاء الـدين بن تـاج الـدين أبي الخير الموصلّي الحنبلي ، شيخ الحديث بالعساكرية ، وأحدُ العدول بمركز المِسْمَاريَّة .

كان شيخاً طوالا ، وفاضلاً لا يَتَمارى ولا يتمالا ، ذكيَّ الفِطْرَه ، زكيّ العشره ، جيِّد الذهن صافيه ، وافي ظل الأدب ضافيه ، ينظم جَيِّدا ، ولا يَـدَعُ الكلام يخرج من فيـه إلاَّ مفيداً مقيـدا . لـه قُـدرَةٌ على حلِّ الألْغـاز ونَظْمهـا ، وقُوّةٌ على الإصـابـة في مرامي سَهْمها .

(١) هذا البيت وبيتان بعده في الطبقات . وفيه : « مكثرا » .
(٢) في الطبقات : « لا يعد مكثرا » .
(٣) البيت والذي يليه في الطبقات . وفيه : « وفيه بأس » .
* الدرر : ٥٩/٢ .

لم يزل على حاله في الارتزاق بالشهادة إلى أن مات على الشهادَه ، وأحْسَن الله إليه مَعَاجَهُ ومَعَادَه ، فَسَكَنَتْ شَقاشِقُه ، وأصابته من الحِمَام رَواشِقُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق في رمضان سنة تسع وخَمْسين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب سنة تسعين وست مئة .

قدم الشام قبل الثلاثين وسبع مئة ، وأقام بدمشق إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وتوجه إلى الديار المصرية ، وأقام بها دون الشهرين ، وعاد ، وكان بيده خطابةُ قَرْية دومة[1] قريباً من سنة ، ثم انفصل منها ، وكان يكتب جيداً ويحب [المؤاخذة][2] والمناقضة ، وقلَّ من سَلِمَ منه من أهل عصره . وكتب بخطِّه كتابي (فضُّ الختام عن التورية والاستخدام) وقرأه عَليَّ .

وكان يروي (جامع الأصول) عن رجل عن المصنف ، كما قال رحمه الله تعالى .

وبيني وبينه مكاتبات ومُحاورات ومراجعات ذكرت منها جانباً في كتابي (ألحان السواجع بين البادي والْمُراجع) .

وكان يحب نظم الضوابط ، وكتب هو إليَّ مُلْغِزا :

وَما اسمٌ إذا فكرت فيه وجدته ... يحِلُّ بتصحيفٍ محلاً مُسَتَّرا
بديعُ فعالٍ لَيْسَ يدرك صنعها ... إذا فكَّرَ الإنسان فيه تَحَيَّرا
ويزري به معكُوسُه مطلقاً فإنْ ... أتى فيه تصحيف فلا تسأل القِرى
فتصحيفه فيه دقيقٌ وبَعْضُه ... قصيرٌ وبعضٌ قد عَلا وتَجَبَّرا
وإنْ صُحِّفَ التصحيف من عين فعلِه ... فذلك محبوبٌ إلى سائر الوَرَى
فقد جَمعَ الضدَّين نفعاً وضُرَّةً ... وجَمْعاً وتفريقاً وحُلْواً مُمَرَّرا

(١) من قرى غوطة دمشق ، على مسافة خمسة عشر كيلاً إلى الشمال الشرقي منها .
(٢) طمس في الأصل ، والزيادة من الدرر .

وقد جاءَ في التنزيل آيٌ بذِكره ... وذلك أمرٌ ظاهرٌ للَّذي قرا
وجُمْلته في الليلِ يمكن حَصْرها ... وإن سيم عَدًّا في النهارِ تَعذَّرا

فكتبت أنا الجواب عنه ، وهو في « نحل » :

قَريضك فينا قد غدا شامخَ الذُّرَى ... نرى طِرْسَهُ عند البَيَان مُزهَّرا
تغوصُ على المعنى الخفيِّ بقُدْرةٍ ... تُريك دجى الإشكال في الحال نَيِّرا
أحاشِيكَ من عَكْسِ الذي قد أردته ... وَأُلْغَزتَهُ يا فاضلاً بهرَ الورى
وحاشاك من تصحيفه فهو خُلَّةٌ ... غَدا بُغْضَها في الناس شيئاً تقرَّرا
فلا زلت تُهْدِي للأنام بدائعاً ... من النظم ما انهلَّ الغمام على الثرى

وكتب هُوَ إليَّ أيضاً مُلْغِزاً :

وصاحبٌ مُسْتَحْسَنٌ فِعْلُه ... ليس له ثِقْلٌ على صاحِبِ
فتىً ولكنْ سِنُّهُ ربَّما ... زادت على السبعين في الغالب
قُلت وقد قالوا أَبِنْ ما اسمُه ... لِيُعْلِمَ الشاهد للغائب[1]
ظَنَنْتُمُ تَصْحيفَ مَعْكُوسِه ... يخفى وليس الظَّنُّ بالكاذبِ

فكتبْتُ أنا الجواب إليه وهو في « مشط » :

أفدي بهاءَ الدين مِنْ فاضلٍ ... في النَّظْمِ لم يَخْرجْ عنِ الوَاجِبِ
أَلْغَز في شيء غدا حَمْلُه ... على رؤوس الناس في الغالبِ
تراهُ لا تضحكُ أسنانُه ... يا حسنَهُ مِنْ أصفرٍ شاحِبِ
كم غاصَ في ليلِ شبابٍ وكم ... قد لاح في صبح من الشايبِ

وكتب هُوَ إليَّ مُلْغِزاً :

وصاحبِ مُكَرَّمٍ ... يَنْعَتُهُ من وَصَفَهْ

(١) هذا البيت ليس في الدرر .

يجـود بـالنَّفْـع على مَنْ دَهَرَه مـا عَرَفَـهْ
وليس يُكْسَى حُلَّـةً إلاّ بهـا قـد أتْحَفَـهْ
ولا يـزالُ عـاريـاً وبُرْدُهُ قـد أنْجَفَـهْ
وعَكْسُـه مُصَحَّفـاً تقبيـل ثَغْرٍ بِشَفَـهْ

فكتبت أنا الجواب ، وهو في « ميل » :

هـذا بهـاءُ الـدين لا يـزالُ يبـدي طُرَفَـهْ
ألغـزَ في شيءٍ حكى من كلِّ قـدٍّ هَيَفَـهْ
وفيـه من ذاك الـذي حـوشيتَـهُ بعض الصِّفَـهْ
بطُـولِ شبرٍ رأسـه أمْلَسُ رابي الهَـدَفَـهْ
إن غـاص في شـقٍّ فمـا يَبُـلُّ إلا طَرَفَـهْ

وكتب إليَّ كثيراً من الألغـاز والأحـاجي وغير ذلـك ، وأثبتُّ بَعْضَ ذلـك في (أَلْحان السواجع) .

٦٠٤ ـ الْحُسَيْن بن علي بن حَمَد الغزّي*

عز الدين أخو الْحَسَن بن علي الغَزِّي ، تَقَدَّم تَمامُ نَسبِه في ترجمة أخيه[1] .

كان يعمل بيده عِدَّة صنائع ، ويتقن أشياءَ عُرْفه فيها ضائع ، ومَعْروفه ضائع . وكان يَلْعب بالعود ويُتْقن نجارته ، ويأتي فيه بأشياءَ إلاَّ أنَّه لم تربَحْ فيه تجارته ، فإنَّه كان عَثيرا ، ولا يزال إلى معروف الناس فقيرا .

وكان ينظم نظماً مقاربا ، ويكتب خَطًّا ما وصل طبقة أخيه ولا رَبا ، وكتب في الدَّرْج بعد وفاة أخيه وأقام مُدَّة إلاَّ أنَّه لم تُشَد في ذلك أواخيه :

* لم نقف على ترجمة له .
(١) الحسن بن علي المذكور .

إذا لم يكن عَـــوْنٌ من الله للفتَى فـأكثرُ مـا يَجْني عليـه اجتهـادُه

ولم يزل على حاله إلى أن توجَّه إلى مصر ، فطعن بها وتردَّى برداء تُرْبها .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الاثنين ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة .

كان هذا عزّ الدين أصغرَ من أخيه بدر الدين ، كان يعمل بيده عدة صنائع ويعاني التصوير ، ويصنع ذلك ، ولم يكن في ذلك مُجيداً ، كما جَوَّد نجارة العود ، فإنه نَجَز للأمير سيف الدين طقطاي الدوادار عوداً كان عجباً من العجائب ، وكان يَلْعَبُ بالعُود ، ووَقَفَني مَرَّة على مُصَنَّف ، وضعه في الموسيقى .

وكان قد دَخَل بعد وفاة أخيه بدر الدين إلى ديوان الإنشاء بدمشق وأقام به في قِلَّةِ مَحْصول من معلومه وتأخُّره ، إلى أن قطع الناس في أيام الوزير فخر الدين بن قَرَوِيْنه[1] ، وكان في جُمْلَة من قُطع ، ثم إنه يُستكتب في الديوان على كتب القصص بغير معلوم .

وفي أيام القاضي جمال الدين بن الأثير[2] مُنِعَ مِنْ ذلك ، فساءَت حاله وتوجه في صحبة شمس الدين بن أبي السفّاح[3] إلى مصر ، فطعن في يومٍ والثاني . وتوفي رحمه الله تعالى ، وكان يكتب مقارباً وينظم كذلك .

٦٠٥ ـ الْحُسَيْن بن عُمَر*

ابن محمد بن صَبْرة ، مؤنث صبر : الأمير عز الدين .

(١) واسمه ماجد (ت ٧٦٨ هـ) ، الدرر : ٧٤/٣ ، والذيل التام : ٢٢٠ .

(٢) هو جمال الدين عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن أحمد ، تولّى القضاء بدمشق سنة (٧٦٣ هـ) ، انظر : البدائع : ٥٨٩/١/١ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ) ، الدرر : ٣١٠/٢ .

* الدرر : ٦٥/٢ .

كان من الأمراء بدمشق ، وتولّى بها الحجوبية ، وهو من بيت له في السيادة سُمُوّ ، ومن أصلٍ له في الرياسة نمو ، ومن قَبيل لهم في المكارم رواح وغُدُوّ .

وعُمِّر إلى أن بلغ الثمانين ، ووقف جوادُ عمرِه الرَّكض في تلك الميادين ، نقل في آخر عُمْره إلى طرابلس على إقطاع ضعيف ، وخبز ما يشبع من أكله وَحْدَه من غير مضيف .

ولم يزل بها إلى أن فَقَد الصَّبْر ابنُ صَبْره ، ونزل بعد بلوغ الثريّا قَبْرَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان أولاً بدمشق حاجباً مدّة ، وولي الصفقة القبلية عوضاً عن الرستمي[1] في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة[2] إلى أن نقل آخرَ عُمْره إلى طرابلس على إقطاع ضعيف ، فكَثُر الدَّيْنُ عليه وساءت حالُه وقلَّ مالُه ، وكانت نقلته إلى طرابلس في جمادى الأولى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

أنشدني لنفسه إجازة العلامةُ شهاب الدين أبو الثناء محمود ما كتبه إلى الأمير عزّ الدين بن صَبْرَه لما كان بطرابلس :

سَلُوا عَنّي الصَّبَا فَلَها بحالي ... وحَمْلِ رَسائل العشّاقِ خِبْرَه
لتُخْبِرَكم بأنّي حَيْثُ كنتم ... حليف صَبابة بكُمُ وعَبْرَه
وإني في البُعاد وفي التداني ... وحيثُ حَلَلْت عبدٌ لابْن صَبْرَه
أميرٌ هام بالإحْسان وجداً ... به فكأنه من حيِّ عُذْره
تواضَعَ كالنجوم دَنَت سناءً ... لنا وعَلَتْ فأعلى الله قَدْره
من القوم الأولى كرموا حدُوداً ... وآباءً وأعماماً وأُسْرَه
فللدنيا بهم شَرَفٌ وفخرٌ ... وللإسلام تأييدٌ ونُصْرَه

(١) هو جمال الدين آقوش ، سلفت ترجمته .

(٢) انظر : البداية والنهاية : ٤٢/١٤ .

إذا ضنَّ الحيـــا خَلَفَتْ نـــداه ... أكفُّهم فَعَـــــادَ العُسْرُ يُسْرَه[1]
أتيتَ دمشـقَ إذ جـــازتْ إليهـــا ... كتـــائبُ مَنْ أعـــزَّ الله نصْرَه
وكان مُجَرَّداً وفَقَـــــدْتُ حظّي ... برؤْيتـــه وعُـــدْت بـــألف حَسْره
أعِـزَّ الـــدِّين دَعـوى ذي دُعـــاءٍ ... يُـــواليـــــه لكمْ سِرّاً وجَهْرَه
تَـــذَكَّر عَصْرَ أُنسٍ في حِمَـــاكُمْ ... أتى وقَضَى فحَيّى الله عَصْرَهْ
وسَطَّرَهـــا ومـــاءُ الـــدمعِ منكم ... إذا مـــا خـــطَّ سطراً بـــلَّ سَطْرَه
هَجَرْتَ دِمَشْـقَ فـالـوَرْقـاء تبكي ... أسىً وعَلَتْ على الأوراق صُفْرَة
وجئتَ الثغرَ تكلـــــؤُه وتَحْمي ... سَـوَاحِلَـــه سُطـــاً وتصـــدُّ بَحْرَه
فخـــارَ لـــكَ الْمُهَيْمنُ في ربـــاط ... أقَمْتَ بســـاحَتَيْـــه فحـــزت أجْرَه
فـلا زالتْ جيـادُك حيْثُ سـارَتْ ... تســـايرُهـــا السعـــادَةُ والْمَسَرَّه
فحيث حَلَلْتَ كُنْتَ رفيـعَ قَـــدْرٍ ... لراجيـــه على الإحســـان قُـــدْرَه

٦٠٦ ـ الْحُسَيْن بن مُحَمَّد*

ابن الحسين محمـــد بن الحسين بن زين الحسين بن مظفر بن علي بن محمـــد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله العَوْكَلاني[2] ، بالعين المهملة المفتوحة والواو الساكنة ، وبَعْدَها كاف مفتوحة ولام ألف ، ونون وياء النسبة : ابن موسى الكاظم بن الإمام جعْفَر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

(١) في الأصل : « إذا ظنّ » ، ولا وجه لها .

* الوافي : ٥١/١٣ ، وفيات ابن رافع : ٣٧٠/١ ، والنجوم : ١٠/١١ ، والبدائع : ٥٨٥/١/١ ، وللنهل الصافي : ١٦٩/٥ ، وفي نسبه بعض خلاف بين المصادر .

(٢) في المنهل : « العوكلائي » . تصحيف .

القاضي الكاتب الناظم الناثر شهاب الدين أبو عبد الله الْحُسَيْني المعروف بابن قاضي العَسْكَر[١] ، موقّع الدّست الشريف بالقاهرة .

إن نظم قلتَ : البحرُ يلتطمُ ، وإن نَثَر قُلْتَ : السيلُ يَحْتَدّ ويَحْتَدِم كأنه يَتَرَسَّل ، ومُتَرَسِّلٌ يَتوصَّل بالبلاغة ويَتَوَسَّل ، بديهته تَسْبق قَلَمَهُ ، ورويَّته تُلْحِقُ بالدرِّ كلِمَه ، ذو نَفَس[٢] ممتَدّ ، وفكرٍ مُحتدّ ، وإنشاء معناه مُبْيَضٌّ في خلال السطر الْمُسْوَدّ . كم أنشأ من تقليد ، وكَتَب من توقيعٍ نُسِخَ بين دفَّتي التجليد ، وقُضِيَ لذِكْره بالتخليد ، وراسَلَ إخوانه بكتاب ألقَى إليه البيان بالإقليد ، ووَلَّدَ معانيه الغامضة فتضرَّج خدُّ البلاغة من توريد ذلك التوليد ، وكان قد أنشأ شيئاً كثيراً ، وخلَّدَ منه ما لا يُعْرَفُ له نظيراً ، وباشر كتابةَ السرِّ في حَلَب ، ولم تطُلِ المدة حتى انقلب ، فرجع إلى وطنه باختياره ، وفرحت مصر بازدياده .

ولم يزل على حاله على وظيفته إلى أن تلاشى كيانُه ، وأَوْدَى بيانه ، وسكتت الشقائق ، وقُرْطِسَت تلك الأسهم الرواشق .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر شعبان يوم الاثنين سنة اثنتين وستين[٣] وسبع مئة .

وسألته عن مولده فذكر أنه في سنة ثمان وتسعين وست مئة بالقاهرة في سُوَيْقَة الصاحب .

اجتمعْتُ به ورافقته في ديوان الإنشاء بقلعة الْجَبَل ، وبدمشق لَمّا قدم متوجّهاً لكتابة سِرّ حلب ، وأنشدني كثيراً من نظمه إلى الغاية ، وأَسْمَعني من إنشائه ما يزيد على الوصف ، ورأيته يكتب وهو ينشي ما يكتبه ، وينشدني من شعره غير ما يكتبه ،

(١) ويعرف أيضاً بـ (أبي الرُّكَب وبابن أبي الرُّكَب) .

(٢) في الأصل : « أنفس » ، ولا وجه لها .

(٣) في المنهل : « وسبعين » ولا يستقيم ، لأن وفاة الصفدي المترجم له كانت سنة (٧٦٤ هـ) .

وكان مطيقاً على فني النظم والنثر ، له قُدْرَة تامة . كتب بديوان الإنشاء مِنَ التقاليد والتواقيع شيئاً كثيراً إلى الغاية . وأجاز لي ، على ما ذكره من لفظه ، الشيخ شرف الدين الدمياطي وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد والأبرقوهي . قال : وحفظت (التنبيه) وبحثته ، واشتغل على الشيخ علاء الدين القونوي ، ورُسِمَ له بالتوقيع بين يَديّ السلطان الملك الكامل شعبان في سنة ست وأربعين وسبع مئة عوضاً عن القاضي زين الدين محمد بن الخضر[1] لَمّا خرج لكتابة سرّ الشام ، وكان بيده خطابةٌ وتدريس فيما أظن .

وكتبت إليه من رَحْبة مالك بن طوق :

ما لقلبي عنْ حُبِّكم قَطُّ سَلْوَه ... كُلُّ حالٍ منكم لَدَى الصبِّ حُلْوَه
إن بَخلتُمْ حاشاكم بوَفاءٍ ... أوْ ثَنَتْكُمْ بعد التَّعَطُّف قَسْوَهْ
فلكَمْ قد قضى وما نَقَضَ العهـ ... ـد مُحِبٌّ ولي بذلك أُسْوَهْ
يا ابنَ بنتِ النَّبي قُلْ لي وقَوْلي ... يابنَ بنتِ النبي أفضلُ دَعْوَهْ
هل بَدا في الوفاء منِّي نَقْضٌ ... أو جرى في الحفاظ منِّي هَفْوَهْ
فعلامَ الإعراضُ والصَّدُّ عَمَّن ... لم يَجِدْ في سوى معاليك صَبْوَهْ
كيف أنسى ساعات وصل تقضَّت ... وبعطفي منها بَقيَّةُ نَشْوَهْ
ما خَلَتْ خَلْوَة ولم أَلْقَ فيها ... من عذارى حديثكَ العَذْبِ جَلْوَهْ
حَيْثُ لي مِنْ حديثك النظمُ والنثـ ... ـرُ متى ما أرَدْت كاسات قَهْوَهْ[2]
ومَعَانٍ كالْحُور زَفَّ حُلاها ... منطِقٌ تشْخُص الأفاضل نَحْوَهْ
كانَ في مِصْر لي بقُرْبك أنسٌ ... عن أُناسٍ لَهُمْ عَنِ الْخَيْرِ نَبْوَهْ
وأرى رِقَّةَ الحواشي التي عنـ ... ـدك تُغنى عمّن غدا فيه جَفْوَهْ

(١) هو محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الوافي : « حيث لي من فنون نظمك والنثر » .

وإذا مـــا أتيْتُ ألفيتُ صَـــدْراً ... منـك لي في حِمَـاهُ حَـظٌّ وحُظْـوَهْ
واقْتَعـدتُ الفَخَـارَ بَيْنَ البَرَايـا ... وتَسنَّمْتُ في السِّيـــــادَة ذُرْوَهْ
وأرى أن لي إذا زرت أرضـــــاً ... أنت فيها التشريف في كلِّ خُطوَهْ[1]
كَيْف لا والـولاءُ في قَـوْمـك الغُرِّ ... أراهُ في الـــدين أوثـــقَ عُرْوَهْ
مُنْيَتي أن أرى حمـــــاك بعَيْني ... لا أراكَ الحمى ولا دَارَ عُلْـــــوَهْ
آهِ لـوتُنْصِفُ الليـــاليَ إذ مـــا ... حَكَمت بـــالبُعـــاد من غيرِ عُنـوَهْ
أوْ لَـــوَأنَّ الفراقَ يَقْبَـــلُ مني ... في اقترابِ الـدِّيـار من مِصْرَ رِشْوَهْ
يـــا زمـــانـــاً بمصر ولَّى حَميـــداً ... هـل يجيبُ الإلـهُ لي فيـك دَعْـوَهْ

فكتب إليَّ الجواب عنها تسعةً وستين بيتاً :

أنسيمُ الصَّبَـــا على الروض غُـــدْوه ... سَحَبتْ ذيلَهـــــا على كلِّ رَبْـــوَهْ
وسرى لُطْفُهـا إلى الـدَّوْح فـارْتـا ... ح فكم رَنّحت معـــــاطف سَرْوَه
أمْ سَقيـطُ النَّـدى على الـوَرْدِ كالْيـا ... قُـوت إذ يَجْعـلُ الـلآلئَ حَشْـوَهْ
أمْ تثنِّي الغصـون في حُلَـل الـزَّهْـ ... ـرِ سقـاهـا السحـاب كاسـات قَهْـوَهْ
أمْ مسيـلُ الميـــاه بينَ ريـــاضٍ ... بنُضَـــارِ الأصيـل أمْسَتْ تُمَـوَّهْ
أمْ غنـــاء الْحَمَـــام غَرَّد في البـــا ... ن وأضحى بـــه يُرَجِّـعُ شَـــدْوَهْ
أمْ نجـــومُ السماء زُهرٌ أم البَـــــدْ ... ر منيرٌ أم مَشْرِق الشمسِ ضَحْـــوَهْ
أمْ وصـــالُ الحبيب بَعْـدَ صُـــدودٍ ... فـــأتى ذا لـــذا فـــأسرع مَحْـوَهْ
أم حـديثُ العُـذيْبِ يَعْـذُب في كلْ ... لِ لَهَـــاةٍ لمن تـــــذكر لَهْـوَهْ
أم كتـابٌ قـد جـاءني من خليـلٍ ... بـــارع فـــالخليـلُ لم ينـجُ نَحْـوَهْ
رَحْبُ بـــاعٍ لرحبـــة الشـــام وافى ... ذو وفـــــاء وعِفّـــة وفُتُـــوَّهْ[2]

(١) في الأصل : « أنت لها » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في الوافي : « ذا وفاء » .

سامقٌ فوق هَضْبَةِ المجد والعِزْ ... زِ سَبُوق لم يدرك الناس شأوَهْ[1]
ناظمٌ ناثرٌ بليغٌ بديعٌ ... ماهرٌ باهر المقالة أفْوَهْ
حَيثُما حلَّ في الممالك حَلَّى ... وغدا وارداً من الْحَمْدِ صفوَهْ
بعد حَوْلَيْن قد أتاني فأهْلا ... وحباني عَذْب الكلام وحُلْوَهْ
وعَناني من بُعْد دارٍ ولكن ... غصَبْتهُ أيدي الحوادث عُنْوَهْ
وأرادوا حُمُولَ ذِكْرِي فغاروا ... منه لَمّا أعلى بذِكْري ونوَّهْ
حجبوه عني فأظهره اللـ ... ـه لعيني ، أتَحْجِبُ الشَّمْسَ هَبْوَهْ

منها :

ياصلاحَ الدين البديعَ نظاماً ... والذي من انشائه لِيَ نَشْوَهْ
لا تَلُمْنِي على تأخّرِ كُتْبي ... إذ ألَمَّتْ بِحَدِّ ذهني نَبْوَهْ
كنتُ في شِدَّةٍ وقد فرَّج اللـ ... ـه ونجَّى ، فصِرْت منها بنجوهْ

منها :

أنا سِبْط النَّبي وابن عليّ ... شَرَفٌ باذخٌ لأَرْفع ذُرْوَهْ
وإذا ما اعْتراني الدَّهرُ بالعَدْ ... وان أمْسَكْتُ منهما أيَّ عُرْوَهْ

وطَلَبَ مني بُشْتا[2] أسود ، فجهزته إليه وكتبت معه :

ياسَيِّداً ما زال يدْعَى سَيِّدا ... حازَ المكارم والعُلا والسُّؤْدَدا
شرَّفْتَني بأوامرٍ دأبي لها ... مهما أتى مرسومها أن أسجدا
وطَلَبْتَ بُشْتاً أسوداً من جِلَّقٍ ... ولو اقتصرتَ لبستُ حظِّي الأسودا
لبسُ العباءة والعيونُ قريرةٌ ... خيرٌ من الحلل الحرير مع الرَّدى

(١) في الأصل : « سيوف » تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) ضرب من العباءات .

فالْبسهُ فضفاضَ الذيولِ حكى دجا لوْناً فوجهك فَوْقهُ ليلٌ بدا[1]

فكتب الجواب عن ذلك :

حَيَّا دِمَشْقَ وأهْلَها غَيْثُ النَّدى وسقى معاهدها الْحَيَا مُتَعَهِّدا
دارٌ خَليلُ الصدق ساكنُ رَبْعها ما عَنْهُ منِّي بالرِّضا أنْ أبعُدا
الفاضلُ المتفضِّلُ الْحَبْرُ الذي جَمَع المحاسنَ كلَّها مُتَفرِّدا
الناظمُ العقدَ الفريد قريضَهُ والناثر الدرَّ النَّفيس مُنَضَّدا
والكاتب الحسنات في صُحُفٍ لَه بيضٍ لها اسودَّت وجوهٌ للعِدَى
الصاحب المولِي الجميلَ صِحَابَه متفضلاً مُتَطوِّلاً متودِّدا
وَصَلَتْ ـ وُصِلْتَ ـ إليَّ منك عوارفٌ قُرباً وبُعْداً برُّها لن يُفْقَدا
وأتى إليَّ البُشت مُقْترناً بِمَا لك مِنْ يدٍ بَيْضاءَ كَمْ وهبت ندى
صوفٌ به لذوي الصَّفاءِ تَلَفُّعٌ شَعْرٌ شِعَارُ من اغتدى متعبِّدا
قَدْ جاءَ من جهةِ الصلاح محبَّذا هو مِنْ لباس تقي به قد أسْعَدا
قد قُمْتُ في ليلِ الشِّتاء به إلى ربِّ السَّما أدعو لَهُ مُتَهَجِّدا

قلت : وبيني وبينه مكاتباتٌ كثيرة ذكرتها في كتابي (ألحان السواجع) .

٦٠٧ ـ الْحُسَيْن بن مُحَمَّد بن عَدْنان*

تقدَّم تمام نَسَبه في ترجمة أخيه أمينِ الدِّين جَعْفَر بن محمّد ، هو الشريف زين الدِّين الحسيني بن أبي الجِنّ .

كان كاتباً مشهورا ، وفاضلاً في أهل الاعتزال مَذْكورا ، فارسَ جِلاد وجِدَال ، ومَقَام في انتصار مذهبه ومَقَال . خَدَم بكَرَك الشَّوْبَك[2] زمانا ، ونُقل إلى دمشق فَوَفَّى

(١) كذا ، ولا معنى للعبارة ، والأقرب : صبحٌ بدا . أو بدر بدا .

* الوافي : ٥٠/١٣ ، ونكت الهميان : ٢٦٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ٦٦ ، والبداية والنهاية : ٤٩/١٤ .

(٢) قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمّان وأيلة والقلزم ، قرب الكرك . معجم البلدان : ٣٧٠/٣ .

لها بالسِّيادة ضمانا ، وتَنَقَّل في المباشرات ، وتَنَفَّل بعد الفَرْض في المعاشرات ، وولِّي نَظَرَ حَلَب ، وجَلَب إليها من السيادة ما جَلَب ، ثم إنه ولي نقابة الأشراف بدمشق ، ونظر الديوان ، وجلس في دَسته كأنه كسرى في الإيوان ، ولَمّا وصل غازان إلى دمشق[١] ، واستحوذ عليها ووصل بغول المغول إليها دخل في تلك القضيه ، وجبى الأموال من الرَّعيَّه ، ولَمّا نصر اللهُ الإسلامَ ، ورفع ما كان تَنَكَّسَ منه من الأعْلام عوقب الشريف وضُرِب ، وسُجِن وسُحِب ، وصودر هو وأخوه الشريف أمين الدين ، وأخذ منهما جُمْلَه ، ومزَّق الله سَعْدَهما وشَتَّ شَمْلَه . ثم طُلِب زين الدِّين إلى القاهره ، ودامت شدَّته متظاهره ، فطلبه الأفرم مرَّات ليحاقِقَه ، ويُبْصِرَ إن كان الحقُّ معه ليُوافِقَه ، فلما أرسل إليه ولاّه نَظَر ديوانه ، وألقى إليه مِنْ أمره فَضْل عِنانه ، وولاّه أيضاً نظر الجامع[٢] وغَيْره ، ثم إنه عاد إلى مَدْرج طَيْره .

ولم يزل على حاله إلى أن شخصت عينه ، ووافاه حَيْنُه .

وتوفي في سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبع مئة .

وهو ، رحمه الله ، والدُ السيِّد علاء الدين نقيب الأشراف . وكان الأفرم قد ولاّه نظر ديوانه عن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني في جمادى الأولى سنة ثمان وسبع مئة[٣] ، ولما مات كان بيده نَظَرُ ديوان الأفرم ، ووكالةُ الأفرم ، ونظر الجامع ، وبقي في ذلك مُدَّة يسيرة نحو خمسة أشهر ، وتوفي رحمه الله تعالى وعُمره نحو خمسة وخمسين عاماً ، وتولَّى نظر الجامع بعده القاضي شرف الدين بن صَصْرى ، وكان قد وَلِي نقابةَ الأشراف في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبع مئة .

---

(١) سنة (٦٩٩ هـ) .

(٢) عوضاً عن ابن الخطيري ، كما في البداية والنهاية : ٤٧/١٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٤٧/١٤ .

٦٠٨ ـ الْحُسَين بن محمد بن إسماعيل*

الشيخ الجليل الزاهد العابد الكبير نَجْمُ الدِّين أبو عبد الله القُرَشي المعروف بابن عَبّود[١] .

كانت له وجاهة في الدولة عظيمه ، ومكانة دونها النجوم التي تزين الليالي البَهيمه ، إذا قام في أمْرٍ كان به أقْعَدَ من الوزير ، وأنْفَذَ فيه من الأسد إذا يزير ، خبيراً بطُرُق السَّعْي ، قديراً على ما يرويه لما لعهوده من الرَّعْي ، وهو الذي قام في ولاية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد حتى تَوَلَّى القضاء[٢] وألْزَمَه بقبول ذلك الضِّيق بعدما كان فيه من الفَضَا ، لأنه مازال وجيهاً في الدّوَل ، معظّماً عند الملوك الأُوَل .

ولم يزل على حاله إلى أن أفَل نَجمُه فما طلع ، ولحق الناسَ ما لحقهم عليه من الهَلَع .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة الجمعة ثالث عشري شوال سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة وقد جاوز السبعين . وحضر جنازته جَمْعٌ عظيم ، وقام بالمشيخة بعده في الزاوية ابنُ أخيه الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ بدر الدين حسن ، وزاويتهم في القرافة مشهورة .

٦٠٩ ـ الْحُسَيْن بن مُحَمَّد بن عُمَر**

ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال ، الصدر الأصيل معين الدين أبو علي بن الشيخ الصدر الكبير عماد الدين بن هلال الأزدي الدمشقي .

---

* البداية والنهاية : ١٠٤/١٤ ، والدرر : ٦٥/٢ .

(١) في البداية والنهاية : « ابن عنقود » .

(٢) سنة (٦٩٥ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٤٣/١٣ .

** الدرر : ٧٠/٢ .

سمع من ابن أبي اليُسر ، وأبي بكر بن محمد النَّشَّبي ، وسعد الدين بن حَمُّوْيَه ، والْمُسْلم بن علاّن ، وابن شيبان ، والرشيد العامري ، وجماعة .

وحَدَّث . وكان يشهد على الْحُكَّام وهو منقطع عن الناس . فيه مُرُوَّة وإحسان ، وكرمٌ ومعرفةٌ بالأمور .

توفي رحمه الله تعالى ثاني عشر جُمَادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

٦١٠ ـ حسين بن محمد بن قلاوون*

الأمير [جمال][1] الدين ابن السلطان الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور .

كان من أولاد السلطان الملك الناصر ، ولم يتولَّ الملك ، وهو آخر أولاد السلطان موتاً فيما أظن ، وخلَّف أموالاً عظيمة ، وكان الناصر حسن وغَيْرُه من إخوته يخافونه .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وسبع مئة .

وكانت تختلف عليه الأحوال ؛ تارة يكون أميرَ مئة مقدَّم ألف ، وتارة أمير طبلخاناه .

٦١١ ـ أبو الحسين بن محمود**

ابن أبي الحسين بن محمود بن أبي سعيد بن أبي الفضل بن أبي الرضا : الإمام جمال الدين الرَّبَعي البالسي .

---

* البداية والنهاية : ٢٩٩/١٤ ، والدرر : ٧٠/٢ ، والذيل التام : ١٩٦ ، والبدائع : ٥٩٢/١/١ ، والمنهل الصافي : ١٦٨/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢١/١١ .

(١) سقطت من الأصل ، وهي ثابتة في الدرر .

* الدرر : ٧٣/٢ .

كان قد أمَّ بالشُّجَاعي مُدَّة ، وترقَّى إلى [أن] أمَّ بالسلطان الملك الناصر محمد من سنة ثمان أو سنة تسع وتسعين وست مئة إلى حين وفاته . وكان أكبرَ الأئمة .

وكان شيخاً فاضلاً عالما ، بريّاً من الكِبْر سالما ، كثيرَ التلاوة للقرآن ، حَسَن الأخلاق مع الأصحاب والإخوان ، كتب بخطه الكثير ، من ذلك [كشاف][1] الزمخشري ، تفسير القرآن الكريم .

وكان حسنَ الخط ، جيِّد الضبط ، قَسَم أوقاته ما بين التلاوة والذكر والتسبيح والمطالعة وكتابة العلم . وكان يتهجَّد كثيراً .

وقرأ بالسبع على الشيخ برهان الدين المالقي[2] . وقرأ عليه مُخْتَصرَه (لِلْمُقَرَّب)[3] بحثاً ، وحفظ أكثره .

وقَدِمَ القاهرة سنة ستين وست مئة ، وأقام بها إلى أن توفي بها بمنزلِهِ في درب الأتراك ، في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده ببالس سابع عشر شهر رجب سنة ست وأربعين وست مئة .

قال شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطي : سألته عن اسمه فقال اسمي كُنيتي ، وهكذا سَمَّاني والدي .

قلت : وتزوج شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيِّد الناس ابنته فيما أظن .

٦١٢ ـ الحسين بن يوسف بن الْمُطَهَّر*

الشيخ الإمام العَلاّمة ذو الفنون ، جمال الدين بن المطهّر الأسدي الحِلّي المعتزلي .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) وقع في بعض نسخ الدرر : « المالكي » .

(٣) في النحو ، كما في الدرر ، وأغلب الظن أنه مقرَّب ابن عصفور علي بن مؤمن (٦٦٣ هـ) .

* الوافي : ٨٥/١٣ ، والبداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ٧١/٢ ، والمنهل الصافي : ١٧٤/٥ ، وذيول العبر : ١٤٧ .

عالم الشيعه ، والقائم بنصرة تلك الأقاويل الشنيعه ، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته ، ودلَّت على كثرة أدواته ، وكان ريِّضَ الأخلاق حَليما ، قائماً بالعلوم العقلية حكيما ، طار ذكره في الأقطار ، واقتحم الناس إليه المخاوفَ والأخطار ، وتخرَّج به أقوام ، ومَرَّت عليه السنون والأعوام ، وصنَّف في الحكمه ، وخَلَط في الأصول النورَ بالظلمه ، وتقدم في آخر أيام حزابندا تقَدُّماً زاد حَدُّه ، وفاضَ على الفرات مَدُّه .

وكان له إدارات عظيمه وأملاك لها في تلك البلاد قَدْرٌ جليل وقيمة ، ومماليك أتراك ، وحَفَدةٌ يَقَعُ الشَّرُّ معهم في أشْراك .

وكان يصنف وهو راكب ، ويزاحم بعظمته الكواكب . ثم إنه حجَّ وانزوى ، وحمل بعد ذلك الرَّهْج وانطوى .

ولم يزل بالحِلّة على حاله إلى أن قطع الموت دَليله ، ولم يجد حَوْلَه مِنْ حَولِهِ حِيْلَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وقيل : سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وقد ناهز الثمانين .

ومن تصانيفه (شرح مختصر) ابن الحاجب ، وهو مشهور في حياته وإلى الآن ، وله (كتاب) في الإمامة[1] ردَّ عليه العلامة تقي الدين بن تيمية في ثلاث مجلدات كبار ، وكان يسميه : ابن الْمُنَجَّس ، وله كتاب (الأسرار الحفيّة في العلوم العَقْليّة) .

٦١٣ ـ حسين الْمُوَلّه التركماني*

كان يَحْلِقُ ذَقْنَه ، ويتركها فتُرى كأنها ظَرْفُ حُقْنَه[2] ، ويمشي في الطرق حافيا ،

(١) اسمه : منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة . الكشف ١٨٧٠/٢ .

* الدرر : ٧٣/٢ .

(٢) الظاهر أنه يشير إلى المثل : (لألحقن حواقنك بذواقنك) ، مجمع الأمثال : ١٧٧/٢ ، وانظر : القاموس (حقن) .

ولم يكن عن النجاسات متجافيا ، وسخ الثياب دون الإهاب ، يحدِّثُ نَفْسَه ، ويحرك رأسه ، ويكثر الْحَلْفَ بالله تعالى ، وربما نطق بشيء من الغَيْب وتعالى ، وبَعْضُ الناس اعتقد صَلاحَه ، وبعض الناس ودَّ لوأغمد فيه سلاحه .

الألقاب والأنساب

الْحُصَيْري : نظام الدين أحمد بن محمود .

الْحَظيري : شمس الدين عبد القادر بن يوسف بن حشيش علم الدين مسعود بن أبي الفضل ، وولده معين الدين هبة الله .

٦١٤ ـ أبو حفص*

الشيخ زَيْن الدِّين قاضي القضاة المالكي بحلب .

كان رَجُلاً مَعْدُوداً برجال ، وخَصْماً لا تَثْبُتُ له الخصوم في مَجال ، ولا يُقَعْقَعُ له بالشِّنان[1] ، ولا يولِّي الدّبْرَ مِنْ بارِقَةِ سَيْفٍ ولا لَمْع سِنان ، يطلب ولا يني فتورا ، ويَدْأبُ لَيْلَه ونهارَه على التقدُّم ، ولا يراه الدهر ضَجورا . تَقَدَّم مِنْ غير عِلْم بسعْيه ، وخَدَم الناس حتى التزموا بحَقِّه ورَعْيه .

مازال يَسْعَى إلى أن قال حاسِدُه ... له طريقٌ إلى العلياء مُخْتَصَرُ

ولي القضاءَ بحلب ، وتوجَّه إليها في أوائل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها قاضيَ القضاة إلى أن توفِّي رَحِمَه الله تعالى .

وجاء الخبرُ إلى دمشق بموته في أوائل شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) في المثل : « لا يقعقع له بالشنان » يضرب لمن لا يتضع لحوادث الدهر .

وثوَّر في هذه المُدَّة نعمةً طائلة ، وحَصَّل كُتُباً كثيرة . وكان في أوَّل حاله بدمشق أميناً في طواحين الأُشنان ، ثم إنَّه بقي يخدم كُتَّاب الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب دمشق ، فيستخدمونه في الأمانات على بيوع حواصل الأمير ، ثم جَلَس في حانوت الشهود ، وبقي يتوجَّهُ في كلِّ سنة صحبةَ بدر الدين الغزي إلى القدس شاهداً على حاصل « قمامة »[1] . ولما عُزل القاضي شهاب الدين الأرتاحي المالكي من قضاء حلب شرعَ يسعى في المنصب والناس يعجبون منه إلى أن وَرَد المرسوم بتوجّهه إلى حلب .

وقلت أنا فيه :

اِجْهَد ولا تَقْتَصِرْ يوماً على طلب ... فالشَّهمُ مَنْ لم يقف في السعي عند طَلَبْ
هذا أبو حفص مَعْ جَهْل يؤخِّرُه ... سعى إلى أن غدا قاضي قضاةِ حَلَبْ[2]

الألقاب والأنساب

ابن أبي حُلَيْقَة : علم الدين رئيس الأطباء بمصر إبراهيم ابن أبي الوحش .

ابن الحلبي : القاضي بهاء الدين ناظر الجيش بمصر عبد الله بن أحمد ، وولده القاضي فخر الدين ناظر جيش دمشق محمد بن عبد الله .

والحلّي : صفي الدين الشاعر عبد العزيز بن سَرَايا .

والحلّي الرافضي : علي بن حسن .

٦١٥ ـ حمّاد*

ابن الشيخ الصالح الزاهد العابد المقرئ البركة المقرَّب الحلبي .

(١) وهي المعروفة اليوم بكنيسة القيامة .

(٢) منع (حفص) من الصرف ضرورة .

* البداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ٧٤/٢ ، وذيول العبر : ١٤٧ ، وفيه : « حماد التاجر » .

كان هذا الشيخ حَمّاد لله وليّا ، وبكلِّ خيرٍ مليّا ، جاهد دنياه وسلاحُه صلاحُه ، وجاهر أُوْلاه بالإعراض عن زُخْرُفِها فلاح فلاحُ فَلاحِه ، وعمل على النجاة في أُخْراه فرَكِب طريقها ، وصَحِب أَهْلَها ورافَقَ فريقها . أنوار الصلاح عليه تلوح ، وأَرَجُ الولاية من أَرْدانه يفوح .

ظهرت له أحوال وكَرامات وقام لَيْلَه فالتَّهجُّدُ عاش والكَرى مات ، وصام نهاره وأوقاته كَسْبٌ وهي للبطّال غَرامات . جانب ما يُدْعى بِدَعا ، وحارَبَ شهوات نَفْسِه ورَعَى وَرَعا .

زُرْتُه في جامع التَّوبه[1] ، وما كادت تَصحُّ لي نَوْبه ، واجتهدتُ على الثانية ، فما اتفق لي إليه أَوْبه ، ورَأَيْتُ منه رَجُلاً قد أعرضَ عن العَرَضِ الفاني ، وأَمْسَكَ الْجَوْهرَ الباقي ، وترك الدنيَّ الداني ، وحَصَلَتْ لي منه بركات ، ووَصَلَتْ إليَّ بسببه حَرَكات .

وكان الشيخ تقيّ الدين بن تيميَّة يعظِّمه ويعترف بصلاحه ، ويَشْهَدُ باعتزاله عن الناس وانتزاحِه ، ويتحقَّقُ أنَّه ممَّن نأى عن الناس وطار بجناح نجاحه . وحسبُكَ بِمَن ثَبَتَ نَضارُه على ذلك المِحَكّ ، وأصغى لحديثه وما قَطَعه من حَيْثُ رقَّ ولا ركَّ .

ولم يزل على حاله إلى أن آثر اللهُ لقاءَه ، ورأى انتقالَهُ إليه وانتقاءَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين وسبع مئة بدمشق في عُشْرَي شعبان .

وكان الشيخ حماد قد وردَ من حلب ونزل بظاهر دمشق على رَجُلٍ من الأولياء بمرج الدحداح ، ثم إنَّ الشيخ حمّاداً[2] انقطع بجامع التَّوبة يُقْرئ القرآن تبرُّعاً ، لا يأخذُ عليه أُجْرَةً غَيْرَ الأجْر ، وكان لا يزال متوجِّهاً إلى القبلة على طهارةٍ كاملة ، لا يبل

---

(١) بالعقيبة ، أنشأه الملك الأشرف موسى سنة (٦٣٢ هـ) ، الدارس : ٣٢٨/٢ . وما زال إلى يومنا هذا يعرف بهذا الاسم .

(٢) في الأصل : « حماد » .

لأحد شيئاً إلاّ مِنْ قَوْم قد صحبهم ووثِقَ بهم وعرف ماهم عليه ، وهو مستمرُّ الصيام الدائم والاعتكاف الدائم والتلاوة ، هذا وقد جاوز التسعين[1] .

ولم يكن يدَّعي ولا يفتخر ، وكان إذا اضطرَّ إلى ذكر شيء مِنْ حالِه ، قال : كان فقير ، أو حَكَى لي فقير ، ولا يُصَرِّح بذكر نفسه أبداً ، ورأيته وعلى جسمه بَلاس[2] شَعَر تحت القميص ، وهو شيخ قد أفنته الليالي والأيام وأنحلته العبادة والمجاهدة ، وكانت له جنازة عظيمة إلى الغاية .

ابن حماد : محمد بن إسماعيل .

ابن حماد : خطيب حماة : يوسف بن أحمد .

ابن الحمَّامِيَّة : مسعود بن سعيد .

٦١٦ ـ حمزة بن أسْعَد*

ابن مُظَفَّر بن أسعد بن حَمْزة : الصدر الكبير الرئيس الصاحب عز الدين بن مؤيَّد الدين بن مظفَّر ابن الوزير مؤيد الدين أسْعَد القلانسي التميمي الدمشقي .

كان رئيس الشام وعَلَم الأعْيان ، وعينَ الأعلام ، ذا رأي وبصيره ، ويد لم تكن في المكارم قصيره . جرى في السِّيادة على أعْراقه ، وتَرَنَّح في رَوْض الرياسة كالغصن في أوراقه ، له تجارب ، وله غَوْصٌ في الشدائد إذا نزلت به ومَسَارِب ، قد لبس الزمان ، وعَرَف الإخوان ، وقالبَ الدول ، وصوّر بين عَيْنَيه سيرة الملوك الأُوَل ، صاحب حزم ، وربَّ همَّة وعَزْم ، وأخا خبرة ودهاء ، ومعرفة وذكاء ، وافر العَقْل ، يتحرى الصواب إذا ورد عليه النقل . له في مِصْرَ والشام وجَاهَه ، والملوكُ ومَنْ دونَهم يَعْرفون

(١) في البداية : « السبعين » ، تحريف .

(٢) ثوب خشن ، جمعه بُلُس .

* البداية والنهاية : ١٤٧/١٤ ، والدرر : ٧٥/٢ ، وذيل العبر : ١٦٣ ، والدارس : ٧١/١ ، والشذرات : ٨٩/٦ ، والمنهل الصافي : ١٨١/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

قَدْرَهُ وجَاهَه ، لا تُرَدُّ لَهُ شفاعه ، ولا يَجْلِسُ في مكانٍ إلاّ توخَّى رفاعه . أملاكُه يَعْجَزُ عن نظيرها الملوك ، وأمْوالُه وجَواهرُه تضيق بها الصناديق والسلوك . قَدَّم أُناساً كثيرين واستخدمهم ، وبَرْقَعَهُم بالرياسة وقدَّمَهم .

ولَمْ يَزَل على حاله إلى أن لبَّدَ الموتُ عَجَاجَتَه ، وكدّر مُجَاجَته[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى سادس ذي الحجة سنة تسع وثلاثين[٢] وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

سمع من ابن عبد الدايم ، والرضيّ بن البرهان ، وابن أَبي اليُسْر .

وحَجَّ مرَّتين .

وحدَّث بدمشق والحجاز ، وكان قد توجَّه إلى مصر ، واجتمع بالنائب والسلطان وخُلع عليه ، وعاد في شهر رمضان سنة أربع وسبع مئة ، وتوجه أيضاً إلى مصر ، وعاد في شهر رمضان سنة ست وسبع مئة ، ومعه أمين الدين بن القلانسي ، وخلع عليه بطرحة[٣] .

وفي ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة لبس خلعة الوزارة بدمشق[٤] ، وكُتب في تقليده : « الجَنَاب العالي » كما يُكْتَب للنائب تعظيماً له .

وأوقع الحَوطة عليه الأمير سيف الدين كراي نائب الشام ، وعلى جماعة من غِلْمانه

---

(١) المجاجة : الريق ، والمزن .

(٢) في سائر مصادر ترجمته : « تسع وعشرين » .

(٣) هي مما يلبسه قاضي القضاة فوق عمامته . وجاء في البداية والنهاية أحداث سنة (٧٠٦ هـ) : « وجاء كتاب من السلطان بولاية وكالته للرئيس عز الدين ابن حمزة القلانسي عوضاً عن ابن عمّه شرف الدين فكره ذلك » . انظر : ١٤/٤٢ ، ٤٣ .

(٤) عوضاً عن النجم البصرواي . البداية والنهاية : ١٤/٥٩ .

في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، واستمر في الترسيم أكثر من شهرين[١] . وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى من السنة .

أحضره كراي وادعى عليه برَيع الْمُلْك الذي أشهر عليه القاضي نجم الدين الدمشقي ببطلان بيع الْمُلك الذي اشتراه من تركة قلاوون في الرمثا والسبوحة والفضالية ، لكونه بدون قيمة المثل ، ولعزل الوكيل الذي صدر منه البيع قَبْلِ عقد البيع ، ولوجود ما يوفى منه الدين غير العقار ، وفيما بعد ذلك أمسك كراي ، وخرج الصاحب عز الدين من الاعتقال في يوم الخميس ثالث عشري جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة[٢] من دار السعادة إلى الجامع ، وصلّى الظهر ، وتوجه إلى داره ، ووقف له الناس في الطرق ، وأوْقدوا الشموع .

ثم إنّه عاد وجلس بدار الحديث أكثر من عشرين يوماً ، إلى أن وصل نائب السلطنة الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ، ثمّ إنه وصل تقليده بإعفائه من الوزارة ، واستقراره في وكالة السلطان ، وتوجه إلى الديار المصرية ، وغاب شهراً ، وعاد على يده كتب السلطان بأنّه باقٍ على وكالته ، وأنَّ القضاة يحترمونه ويسمعون كلامه ، والإنكار لما ثبت عليه وأن ذلك لم يأذن فيه السلطان ، وذلك بإعانة القاضي كريم الدين الكبير .

وخُلع عليه في سابع عشري الحجّة سنة أربع عشرة وسبع مئة باستمراره على نظر الخاص ، وعلى الصاحب شمس الدين غبريال بنظر الوقف المنصوري ، وخُلع على شهاب الدين أحمد بن قُطْنُبة التاجر بوكالة الخاص الشريف .

---

(١) البداية والنهاية : ٦١/١٤ .

(٢) انظر : البداية والنهاية : ٦١/١٤ ، ٦٢ .

٦١٧ ـ حمزة شمس الدين التركماني*

الوافد من الشَّرق ، كان ظالماً غاشما ، هادماً لمباني الخير هاشما ، لـه جُرْأةٌ وإقْدام ، ومحبّةٌ في تلاف النفوس والإعدام .

تقرَّب إلى الأمير سيف الدين تنكز بحيله الدقيقه ، وأصالته في المخازي العريقـه . لما تمسكن ، وتركَّن لّما سَمنَ بعد الهُزَال وتعكّن[1] ، فخرّبَ بُيوتاً وزاد متزلزل الشرّ ثبوتا . وصار يركب في البريد ويفعل في مصر والشام كلَّ ما يُريد .

وصار يتحمّل المشافهات بين تَنكز والسلطان ، ويوحي إليهما من أَذَى الناس ما لا يوسوسه الشيطان ودخل معهما في عظائم ، وحرك ما كان ساكناً من النائم ، وبَدَّل النسمات العليلة بالسمائم ، وآذى أناساً بكت عليهم الغمائم وناحت الحمائم ، ولو دام أمْرُه شهراً آخر أهْلك الحَرْث والنَسْل[2] ، ونقل المناصب الجليلة من الكفء الكريم إلى اللئيم الفَسْل[3] . ولكن أَخَذه اللهُ من مأمِنه . وأثار إليه الشرَّ والهلاك من مَعْدنه ، فقطعت أربعتُه ولسانُه ، وتنوَّع قبل ذلك عقابه وذُلّه وهوانه .

وكان هلاكه في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

كان في أوّل أمْرِه قد وفد من تركان الشرق ، واتَّصل بخدمة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، ولم يزل يحتال بكل حِيْلَة إلى أنْ بقي يُصْغي إلى كلامه ، ويُقْبلُ عليه بوجهه ، وأظهر عليه معرفة بلاد التتار ، فسيَّرَهُ مَرَّة إليها ، وأمرهُ أن يشتري له من هناك جارية ، فأحضرها فأعجبته ووقعت من قلبه ، وصارت حَظيّته ، وصار بعد ذلك يَسْمَر عنده بالليل ، وينفرد به ، وكان عنده كتاب (شاه نامه) في أخبار

* الوافي : ١٨٨/١٣ ، والدرر : ٧٦/٢ .

(١) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمَنا .

(٢) أفاد من قوله تعالى : ﴿ ويُهلك الحرثَ والنَّسلَ ﴾ [البقرة : ٢٥٠/٢] .

(٣) الفسل : الرذل الذي لا مروءة له .

الفرس ، فصار يحفظ من ذلك في النهار ويُورده عنده في الليل ، وتكرَّرَ منه ذكرُ رُستم في تلك الحكايات ، وكان يسمّيه رستم ، ثم إنَّه أخذ في الحَطّ على ناصر الدين محمد بن كوندك[١] دواداره ، وهو ما هو عنده من التمكن والمحبّة وعلوّ المكانة ، ويذكر جماعته الذين في خدمته ، وقررَّ عندهم أموراً وهم غافلون عنها ، إلى أن تحقَّق بعضُ ما أوحاه إليه ، فعظم ذلك عنده وتمكن حمزة . ولم يزل إلى أن عقر الدوادار ، وعمل على قتل علي بن مقلِّد[٢] حاجب العرب ، وأبْعَدَ الدوادار .

وانتقل منه إلى القاضي شرف الدين أبي بكر بن الشهاب محمود[٣] كاتب السرّ وكان عنده جزءاً لا يتجزأ ، وعلى علاء الدين بن القلانسي[٤] ناظر ديوانه ، وعلى قاضي القضاة جمال الدين بن جَمْله[٥] ، وعقر جماعة من البريدية وغيرهم ، وتقدَّم ، وصار في رتبة ناصر الدين الدوادار ، وصار يروح إلى مصر في البريد ويجيء ، ويتحمَّل المشافهات من السلطان إلى تنكز ومن تنكز إلى السلطان .

وعمل بعد ذلك على جماعةٍ من مماليك تنكز وخواصّه الأقدمين ، وأبعدهم ونَفاهم ، ولم يبق عنده أحدٌ في مرتبته ، وتمرّد وتجبَّر ، وطغى وتكبر ، وظلم وبالغ في العَسْفِ والجور ، وعمر حمَّاماً عند القنوات وشيَّده وزخرفه ، فكَثُرت الشكاوى عليه في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . فتنَّمر له الأمير سيف الدين تنكز وسجنه وعذَّبه ، ورماه بالبُنْدق الرصاص وهو واقف قدامه عُرْيان ، لأنّه هو كان يشير عليه بذلك ، فذكر هذه العقوبة ولم يستعملها إلاّ في حقّه حتى تورَّم ، وعمل النساءُ قماشاً لبسْنَه في ذلك العصر وسمَّينه بندق حمزة ، وما رَقَّ له أحد من سوء ما عامل به الناس .

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) الصحيح أنّ شرف الدين هذا هو أبو بكر بن محمّد بن الشهاب محمود ، وقد سلفت ترجمته .

(٤) هو علي بن محمد بن نصر الله ، ستأتي ترجمته .

(٥) هو محمود بن محمد بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته .

ثم إنه نقله [من][1] حبس القلعة إلى حبس باب الصغير مدّة ، ثم أفرج عنه ، ثمّ بلغه عنه كلمات سُوءٍ في حقّه ، فبعث به إلى مغارة زلاّيا ، فقطع هناك لسانه من أَصْله ، وقُطعت يداه ورجلاه فيما قيل ، وأصبحت جَمْرَةُ حمزة رمادا ، وبلَّغ اللهُ عَدُوَّه فيه مُرادا !

وكانت مدّته دون السنتين[2] أوْ ما حولها ، وله في الظلم والجبروت والفَرْعَنة حكايات ، وجد الجزاء عن بعضها في الدنيا .

٦١٨ ـ حمزة بن شريك*

الأمير شمس الدين التركماني ، المقيم بالقُبَيْبات ، أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق .

حجَّ بالركب في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وهي السنة التي حجَّ فيها الأمير سيف الدين تنكز .

وتوفي شمس الدين حمزة هذا في ثالث شوال سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وجاء الأمير سيف الدين خاص تُرك[3] على إقطاعه .

الألقاب والأنساب

☆ **الحِمْصِي** : الأمير علم الدين سنجر .

☆ **حمّص أخضر** : الأمير سيف الدين طشتمر نائب حلب وصفد ومصر .

☆ **ابن حَمّويه** : إبراهيم بن محمّد .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . وعبارة الوافي : ثم إنه نقل من القلعة إلى حبس باب الصغير .

(٢) في الأصل : « الستين » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الدرر : ٧٦/٢ .

(٣) الناصري ، وستأتي ترجمته أوّل حرف الخاء .

٦١٩ ـ حميد بن عيسى*

الأمير شهاب الدين أخو الأمير سيف الدين بن فضل .

ورد كتاب[١] الأمير رَمْلـه بن جَمّـاز في شهر ربيع الأول سنـة سبع وخمسين وسبع مئة أنّ عَرَب الحجاز قتلوه .

وكان رحمه الله تعالى أعْوَر .

☆ **ابن حميد** : ناظر الجيش ، شمس الدين أبو طالب .

٦٢٠ ـ حُمَيْضَة**

بالحاء المهملة وفتح الميم ، وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها ضاد معجمة : كان أمير مكّةَ ، ولَقَبُه[٢] عزّ الدين . وهو ابن الأمير الشريف أبي نُمَيّ صاحب مكة .

وكان حُمَيضـةُ هـذا قـد خَرج عن طـاعـة السَّلطـان ، وعصى عليـه ، وآثر اتّبـاع الشيطان . فولّى السلطانُ أخاه الأمير سيف الـدين عُطَيْفـه[٣] ، وحَرَم جَفْنَـه أنْ يرى طَيْفَـه . وبقي حُميضـةُ في البريّـة مشرّدا ، وأمْرُه بين الشر والفسـاد مُرَدَّدا ، والطَّلَب يضيّق عليه الخناق ، ويسّد عليه فضاء الآفاق ، وأهلُ مكة خائفون من شرّه ، طائفون بالكعبة هرباً من خبث باطنه وسِرّه .

وكان في السنة الماضية قد هرب من مماليـك السلطـان الملـك النـاصر محمّـد لّما حجّ

* الدرر : ٧٨/٢ ، وفيه : حميد بن فضل بن عيسى . وبدائع الزهور : ٤١٠/١/١ .

(١) في الأصل : « كاتب » ، ولا وجه لها .

** الوافي : ٢٠٣/١٣ ، والدرر : ٧٨/٢ ، وانظر في أخباره : تاريخ أبي الفداء : ٧٣/٤ ، ٨٠ ، ٨٩ ، والبداية والنهايـة : ٧٧/١٤ ، ٧٨ ، والشـذرات : ٥٣/٦ ، والمنهل الصـافي : ١٨٦/٥ ، ونسبـة فيـه : « حميضـة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن » .

(٢) في الأصل : « ولقيه » ، تصحيف .

(٣) (ت ٧٣٨ هـ) . الدرر : ٤٥٥/٢ .

ثلاثة نفر فلحقوا به ، وأقاموا عنده ، ثم تبيّن لهم منه أنّه ربّما يرسلهم إلى السلطان ، فقتلوه في وادي بني شعبة ، وحضروا إلى مكة ، فقيّدوا الذي تولّى قَتْلَه[١] ، وجهّزه عُطيفة إلى السلطان ، فقتله به .

وكانت قتلة حُميضة في جمادى الآخرة سنة عشرين وسبع مئة .

وكانت قد جرت بينه وبين أخيه أبي الغيث[٢] وقعةٌ ، فخرج[٣] أخوه أبو الغيث ، ثم إنه ذُبح بأمْرِ أخيه حُميضة في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان السلطان قد جَرَّد إليه عَسْكراً ، فلّما أحسّ بذلك في ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبع مئة نزح قبل وصولهم بستة أيام ، وأخذا المال النقد والبز ، وهو مئة حمل ، وأحْرَق الباقي في حِصْنه الذي له بالجديد ، وبينه وبين مكة ثلاثة أيام ، وقَطَع ألْفَي نخلة ، والتجأ إلى صاحب الحليف ، وهو حصنٌ بينه وبين مكة ستّةُ أيام ، وصاهره ، فلحقه العسكر ، وواقعوه ، وأخذوا جميع مال حُميضة ، وأحرقوا الحصن وأسروا ابن حُميضة ، وسلّموه إلى عَمِّه رُمَيثة[٤] .

واستقرَّ رميثة أمير مكة ، ولحق حُميضة بالعراق ، واتصل بخربندا ، وأقام في بلاده أشهراً ، وطلب منه جيشاً يغزو بهم مكة ، وساعده جماعة من الرافضة على ذلك ، وجهّزوا له جماعة من خراسان ، فما اهتموا بذلك حتى مات خربندا ، وبطل ذلك .

وكان الدلقندي[٥] الرافضي قد قام بنصرته ، وجمع له الأموال والرجال على أن

---

(١) واسمه : أيدغدي ، كما في تاريخ أبي الفداء : ٨٩/٤ .

(٢) (ت ٧١٥هـ) ، والدرر : ٢١٩/٣ .

(٣) كذا ، والأشبه : فجرح .

(٤) ستأتي ترجمته . وفي المنهل أن حميضة ولي إمرة مكة مرتين شريكاً لأخيه رميثة .

(٥) وكذا في البداية والنهاية ، وفي تاريخ أبي الفداء : الدرفندي . وهو نائب السلطنة على البصرة .

يأخذ له مكة ، ويقيه بها ، ثم إنّ محمد بن عيسى[١] أخو[٢] مهنّا هو وجماعة من العرب وقعوا على حُميضة وعلى الدلقندي ، فأخذوا ما معها من الأموال ، ودُثِرَ حُميضة . وكان محمد بن عيسى له مدّةٌ في بلاد التتار قد خرج عن طاعة السلطان فحضر عقيب ذلك إلى بلاد الإسلام ، فرضي السلطان عنه لذلك .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن حنّا** : الصاحب تاج الدين محمّد بن محمّد . وشهاب الدين أحمد بن محمد .
☆ **ابن حلاوات** : موقّع طرابلس عمر بن أحمد .
☆ **حينئذ** : محيي الدين عبد القادر بن أحمد .
☆ **الحَيْسُوب** : جمال الدين الكاتب عبد الكافي بن عثمان .
☆ **ابن أبي الحوافر** : بهاء الدين علي بن عثمان . وجمال الدين عثمان بن أحمد .
☆ **الحيالي** : محمد بن شرشيق .
☆ **ابن الحيوان** : يوسف بن موسى .
☆ **الحوراني** : المنشد سليمان بن عسكر . والمحدّث يوسف بن محمّد .

---

(١) ستأتي ترجمته .
(٢) كذا ، والواجب النصب على البدلية .

حرف الخاء

٦٢١ ـ خاص تُرْك*

الأمير سيف الدين الناصري .

كان عند الملك الناصر في الدُّفْعة[١] الأولى والخواصِّ الذين حضروا معه من الكرك[٢] ، ولهم عنده اليدُ الطُولى .

وكان شكلاً حسناً ، تام الظرف ، حُلْوَ الوجه ، أبيض الثغر ، أسود الطَّرف ، له قدٌّ يقول الرمح إذا رآه : هذا الأسمر ما أذبله ! وذؤابةٌ حَبُّ القلوب تجمع فيها ، فصارت سنبله . وكانت مع طوله تنزل شبراً عن الحِياصَه ، وإذا خطر بها تهتك المِتيَّمُ حتى يقول الحيا : صَهْ .

وكان ريّض الأخلاق زائد الحلم ، ليّن الجانب في الحرب والسلم .

حضر إلى الشام قبل الثلاثين وسبع مئة ، وأقام به إلى أن غرب بدرُ التمام ، وبكى عليه حتى الغمام .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في يوم الخميس عاشر شهر رجب .

وكان قد زوّجه السلطان بابنة الأمير سيف الدين سلاّر ، ولّما نزل من القلعة سكن

---

* الوافي : ٢٤٥/١٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٤/٩ ، والمنهل الصافي : ١٩٧/٥ ، وفيه : « خاص بك بن عبد الله » .

(١) في الأصل : « الرفعة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي ، وعنه صححها أيضاً محقق المنهل .

(٢) وهم : الطغاي وكسّاي وغيرهما ، كما في الوافي .

في دار سلاّر بين القصرين ، فأقام كذلك مدة ، وجهّزه إلى الشام أميراً . وهو والد الأمير صلاح الدين[١] خليل أحد أمراء مصر والشام .

الألقاب والأنساب

☆ **الخازن :** الأمير علم الدين سنجر . والأمير سيف الدين طقتمر . والأمير علاء الدين مغلطاي .

٦٢٢ ـ خالد بن المصنّف المغنّي**

كان فريد دهره ، ووحيد عصره ، يعرف علم الموسيقى ، ويُجيد الضرب بالدفّ ، حتى كأنَّ النغم والضرب له سيقا ، قد مَلَك هذه الصناعة ؛ فصارت له مَلَكَه ، واقتدر على أصولها وفروعها ، وأتى فيها بما لا ذاقه الفارابي ولا عَلِكَه . لم أر في عمري مثل اقتداره على هذه الصناعه ، ولا مثل سرعة تصنيفه إذا فتح فمه أو مدَّ على الطار ذراعه . قد نُظِمَ له عِقْدُ هذه الصناعة سِلْكا ، وحاز إرث ما في (الأرْتماطيقى) مِلْكا . قد عرف النقرات ، وما لها من أُنس الطِّباع والنفرات ، والأدوار وما لها في الطرب من الإدارات ، وجلس في قاعات الإيقاعات ، وظهر كالبدر في دارات الطارات .

كان يسافر مع الأمير سيف الدين تنكز في الصيود ، وتَضُمُّنا وإيَّاهُ تلك الأغوارُ والنجود ، فننظم له المقطوع الشِّعر ، ونُلْقيه عليه بما يراه من السِّعْر ، فيصنع له في الوقت لحنا ، ألذَّ عند النحويِّ من إعرابٍ لا يَرَى فيه لحنا ، كأنَّ الله سخر له هذا الأمر وخلقه وفق ذوقه ، وجعل من تقدّمه تحت تختٍ هو وَحْدَهُ من فوقه ، فكم له ساذخ[٢] كلّهُ طراز ، وكم له من قول ما لحقيقةِ أحدٍ إليه مجاز . ونقل الناس عنه وإلى الآن أقوالاً

(١) في الوافي والمنهل : « غرس الدين » ، ولكن ترجم له المصنف في الكتاب المذكور : ٣٩٨/١٣ ، وساق لقبه كما في الأعيان ههنا ، ولم يذكر سنة وفاته . وكذا لم تُذكر في الدرر : ٨٩/٢ .

* لم نقف على ترجمته ، ولعلّ سقطاً وقع في تمام نسبه بعد كلمة (بن) ، وفي الأصل ما يشعر بذلك .

(٢) كذا ، وسياق كلامه أنّه (اللحن) .

معروفه ، وسواذخ بالإتقان موصوفه ، كل ساذخ كأنه قول أو شيء ما نَسَخَ المتقدّمون له على نَوْل ، لما فيه من الرَّنَانات المختلفه ، والإيقاعات المؤتلفه . ولقد رأيت بمصر جماعة من أرباب هذا الفن وأُسْتَاذِيه ، ومن يعرف هادي طريقته من هاذيه يعترفون له ويعظمونه ، ويأخذون دُرّ قوله وينْظِمونه ، وقالوا : هذا خالد ، ذِكْرُهُ إلى يوم القيامة خالد ، لأنَّ علم النغم قال له دون الناس : نعم .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن حُمِلَ على عُود المنايا ، ولم يَسْمَع الناس بعده شبّابة ولا ناياً .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وثلاثين وسبع مئة تقريباً .

وقلت أنا في رثائه تضميناً :

قد مضى خالدُ المغنّي وولّى ... وعليه الدموعُ وقفاً جوارِ
كم له نوبة، وما كانَ فينا ... بأميرٍ، تُدَقُّ في الأسحارِ
ولأقواله المطاعة يعنو ... كلُّ مَنْ جاء باقي الأعصارِ
هكذا فلتكن أمارة مَنْ أتقن فناً وغيره ذو افتقار
رحمةُ الجَنْك والدفوف عليه ... وصلاة العيدان والمزمارِ[1]

٦٢٣ ـ خالد بن إسماعيل بن محمّد*

القاضي الرئيس شرف الدين بن القيسراني المخزومي الشافعي ، موقّع الدَّست الشريف بدمشق ، ابن القاضي عماد الدين ـ وقد تقدّم ذكره في حرف الهمزة وتمام نسبه هناك ـ وأخو القاضي شهاب الدين يحيى ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الياء .

---

(١) الجنك : آلة موسيقية .

* وفيات ابن رافع : ٣٤٩/١ ، وذيل العبر : ٣٢٢ ، والنجوم : ٣٢٨/١٠ ، والمنهل الصافي : ١٩٩/٥ .

كانت فيه رئاسة عظيمه ، وسيادة تجلو ظلم الدياجي البهيمه ، ومروءة تحمّله ما لا يطيق ، وعصبيّة يسير في طريقها مُفْرَداً بلا رفيق ، وكرمٌ أنْسَى خالدٌ به ذِكْرَ البرامكة الخالد ، وأحيا بطارفه ميت مجده التالد ، وقال له كل مؤمل : « وبَررتني حَتَّى كأنَّك والد »[١] ، وإقدام حتى على الأسود والأساود ، يَذُوب عند شمسه الجليد ، وشجاعة لا تنكر له فإن ممّن يُنسب إلى خالد بن الوليد .

وكان في ضميره من الترقي آمال ، وله في ذلك نيّات صادقة وأعمال ، وعنده تشوّف إلى وراثة ما لأسلافه من المناصب وله تطلّع إلى ارتجاع ما سلبته الليالي بأيديها الغواصب ، فحال بينه وبين الوصول إليها حلولُ أجله ، ولم يفرح ذووه وأصحابُه ببلوغ سؤله ولا نيل أمله :

تقول له العلياء لو كان نالها ... وجادل فيها من رآه يُجالدُ
وَهَبْتَ سَراة الناس مالو حويته ... لُهُنّئتِ الدُّنْيَا بأنَّك خالدُ

ولم يزل في توقيع الدّست إلى أن وقع في المحذور ، وأغمد القبرُ منه شبا السيف المطرور .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة السبت ثالث جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، ودفن بالقُبيبات في تربة الصاحب شمس الدين غبريال .

ومولده ..[٢] .

وكان والده رحمه الله تعالى لّما قدموا إلى دمشق من حلب قد زوّجه بابنة الصاحب شمس الدين غبريال ، واحتفل به ، ورتّبه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى في جملة كتّاب الإنشاء بدمشق ، وذلك في سنة ثماني[٣] عشرة وسبع مئة أو ما قبلها ، وقرّر

(١) قطعة من بيت .
(٢) كذا بياض .
(٣) في الأصل : « ثمان » .

له معلوماً جيداً . ولّما توجّه الصاحب شمس الدين إلى نظر الدولة بالديار المصرية توجّه معه ، ولّما عاد منها عاد معه إلى دمشق .

وكان مفرطَ الجُود والكرم ، تحمّل للتجمُّل من الديون ما بهظه[1] حمله وآده ثِقَلُه ، لا تُليق[2] كَفُّه دِرْهَماً ولا ديناراً ، غزير المروءة ، شجاع النفس ، كثير الإقدام على الأخطار ، سلّمه الله تعالى مَرّات من العطب لصفاء نيّته ، وحُسْن سريرته .

ولّما ملك الفخري دمشق في نوبة أُلْطُنبغا جَعَله كاتب سرّه ، ونفع الناس وولاّهم الوظائف ، ولم يأخذ من أحد شيئاً . ولّما صار الفخري في دمشق ، وسكن القصر الأبْلَق ولاّه وكالة بيت المال بدمشق ، مع توقيع الدَّست . ولّما توجّهوا إلى مِصْرَ مع الفخري خَرَجتْ عنه للقاضي شرف الدين بن الشهاب محمود ، ثم إنه في أيام طقزتمر جلس في توقيع الدّست بدمشق .

وكان ينفع الناس قُدَّام النواب ، ويُثني على من يذكرُ عندهم ، لِما عنده من المروءة والعصبيّة .

وكان يصحب الأمراء ، وصحب الأمير فخر الدين أياز نائب حلب ، ووقع بينه وبين يَلْبغا ، وطلبه يوم الجمعة يوم هُرُوبه من دمشق ، ولو أظفره الله به وجد منه شرّاً كبيراً ، ولكنَّ الله سلّم .

وصحب الأمير سيف الدين أرغون الكاملي وهو في مصر . ولّما صار في حلب نائباً استمرّ على صحبته إلى أن عمل نيابة الشام ، ثم توجّه لحلب ثانياً ، ومنها إلى مصر ، ولّما حضر إلى القدس كان هو وكيله ، وقصّادُه تنزل عنده ، وتقضي أشغاله .

---

(١) في القاموس : بهضني الأمر وأبهضني ، أي : فدحني ، وبالظاء أكثر .

(٢) أي : ما تُمْسك ، وللمصنّف ههنا يشير إلى قول القائل :

كفاك كفّ ما تُليق درْهما ... جُوْداً وأخرى تُعْطِ بالسيف الدّما

وكان فيه خِدْم للناس كلهِّم مع إيثاره الفقراء والصّالحين ، وقضاءِ أشغالهم وبرّهم ، وفطورهم في شهر رمضان عنده .

وكان قد قرأ القرآن ، وحفظ (المنهاج) للنووي ، وسمع على القاسم بن عساكر . وما رأيت أخطر من أمراضه ، ولا أصحَّ من جسمه مع كثرة أمراضه وعلله . ولما كان شابّاً كان لا يزال أرمد ، ثم لما تكهّل كان يتبيَّع به الدم ، فيَثُور به كل قليل ، ويكاد يقتله ويخرج في وجهه أنواع من الماشرا والأمراض الدموية القتّالة ، وينجّيه الله تعالى منها ، إلى أن حصلت له قُرْحة ، فأتت عليه ، وطوّلت به قريباً من ثلاثة أشهر .

وكان فصيحاً في اللغة التركية كأنّه فيها بُلْبُل .

اللقب والنّسب

☆ **الخالدي** : صاحب الديوان بالممالك القانيّة ، أحمد بن عبد الرزاق .

☆ **ابن الخبّاز** : جماعة ، منهم : المحدّث نجم الدين إسماعيل بن إبراهيم . ومنهم : شمس الدين محمد بن عمر الحلبي الدمشقي .

☆ **الخُتَني** : بدر الدين يوسف بن عمر .

٦٢٤ ـ خديجة بنت زين عبد الرحمن*

ابن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد المقدسية أم محمد ، أم صلاح الدين ، وزوج شرف الدين بن الشيخ شمس الدين الحنبلي[١] .

قال شيخنا علم الدين البِرْزَالي : رَوَتْ لنا عن خطيب مَرْدا ، وسمعت من اليَلْدَاني ، ومحمد بن عبد الهادي ، وإبراهيم بن خليل ، وابن عبد الدايم . وأجاز لها سِبْط السِّلفي ، وجماعة .

---

* ذيل العبر : ١٦ ، والشذرات : ٢/٦ ، وفيها : أنها توفيت سنة (٧٠١هـ) .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت٦٨٢هـ) . العبر : ٣٣٨/٥ .

وتوفيت رحمها الله تعالى في رابع عشري جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولدها تقريباً سنة سبع وأربعين وست مئة .

اللقب والنَّسب

☆ **ابن الخَرّاط :** علي بن عثمان .

☆ **ابن الخشّاب :** صدر الدين أحمد بن عيسى .

☆ **ابن الخشّاب :** مجد الدين عيسى بن عمر . ومشد الدواوين محمّد بن يحيى .

٦٢٥ ـ خَضِر بن بَيْبَرْس*

الملك المسعود بن الملك الظاهر .

كان من أحسن الناس في الشّكاله ، وأحق مَنْ يُجْعَلُ الحزنُ والبُكَا له ، عاقلاً مهذّبا ، ساكناً مدرّبا .

أُبْعِدَ في البحر إلى الأشكري النصراني[1] ، وسَلاَهو وسَلاَمُش أخوه مصر ، كأنما قالت : لا أراك ولا تراني ، وأقام هناك إلى أن توفي أخوه[2] ، وعلم أنه قد قَلّ بل عُدم مُصْرِخُوه ، فحضر بعد ذاك خَضِر ، ورأى رونق مصر النَّضِر . فقيل : إنه سُقي السمّ ، وعدم من النسيم الشّم .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

ولّما مات كان في سنّ الكهولة ، ووصل إلى مصر من بلاد الأشكري في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

---

* الوافي : ٣٣٩/١٣ ، والبداية والنهاية : ٣٢٦/١٣ ، والعبر : ٣٦٧/٥ ، والدرر : ٨٣/٢ ، والنجوم : ٢٢٩/٨ ، والشذرات : ٤١١/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٢١/٥ .

(١) وكان ملك الفرنج على مدينة إسطنبول .

(٢) سنة (٦٩٠هـ) .

وكان قد ملك الكرك بعد أخيه الملك السعيد[١] ، ثم اقتضت آراء الدولة تجهيزه مع أخيه العادل سَلامُش .

وفي هذا خَضِر قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر[٢] لمّا خَتَنه والدُه الملك الظاهر :

هُنِّئْتَ بالعيد وما ... على الهناء أقْتصِر[٣]
بل إنها بشارة ... لها الوجود مُفْتَقِر
بفَرْحَة قد جمعت ... ما بين موسى والخضر
قد هَيّأت لِوِرْدكم ... ماءَ الحياة الْمُنْهمِر[٤]

٦٢٦ ـ الخضر بن عبد الرحمن*

ابن الخضر بن الحسين بن الخضر بن الحسين بن عبد الله بن عبدان : الشيخ الأصيل شمس الدين بقيّة الْمُسْنِدين الدمشقي الكاتب .

تفرّد بأشياء من الْمَرْويّات والأشياخ ، وأسمع إلى أن خَمَد عُمْرُ جَمْرِه وباخ . وسمع منه خَلْقٌ على ضَعْفِه ، ورُزق في ذلك سعداً لو أعفاه لم يُعفِه ؛ لأنه كان ارتزق في خِدَم الجهات من المكوس وغير ذلك . ثم إنه تركه في آخر عمره ، وما مرَّ بتلك المسالك .

ولم يزل على ذلك إلى أن بطل بالموت تسميعُه ، وشت من الشمل جميعُه .

(١) محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس (ت٦٧٨ هـ) .
(٢) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان ، (ت٦٩٢ هـ) . العبر : ٣٧٦/٥ .
(٣) في المنهل : « مقتصر » .
(٤) في الأصل : « لو ردوكم » ، لا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي والمنهل .

* الوافي : ٣٣٩/١٣ ، والعبر : ٤١١/٥ ، والشذرات : ٤٥٧/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٢٤/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٧/٨ .

ووفاته في سنة سبع مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

وروى عن النفيس بن البُنّ (مَغَازي) ابن عائذ[١] ، وعن ابن صَصْرى أبي القاسم ، وأبي المجد القزويني ، وزين الأمناء[٢] ، والمعافَى بن أبي السِّنان ، والْمُسْلِم المازني[٣] ، وابن غسّان ، وحَضَر[٤] ابن أبي لُقْمَة . وأجاز له الموفّق[٥] ، والفتح بن عبد السلام .

٦٢٧ ـ خضر بن محمد*

ابن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي ، القاضي زين الدين بن القاضي تاج الدين بن زين الدين بن جمال الدين بن علم الدين بن نور الدين ، كذا أَمْلَى عليَّ نَسَبَه .

قرأ القرآن ، وصلّى به . وسمع (البخاري) على الحجّار[٦] ، وست الوزراء[٧] ، وعلى غيرهما .

وقرأ النحو على الشيخ شهاب الدين بن المرحَّل[٨] ، وحفظ (الألفيّتين) المالكية

---

(١) في الأصل والوافي : « معارر بن عائذ » ، وهو تحريف ، وابن عائذ هو أبو عبد الله محمد بن عائذ القرشي الدمشقي (ت ٢٢٣ هـ) . له كتاب المغازي . انظر : السير : ١٠٤/١١ ، والكشف : ١٧٤٧/٢ .

(٢) في الأصل : « الأسناء » ، تحريف .

(٣) المسلم بن أحمد بن علي أبو الغنائم المازني النصيبيني ثم الدمشقي (ت ٦٣١هـ) . العبر : ١٢٦/٥ .

(٤) في الأصل : « وخضر » تصحيف . وكذلك في المنهل : « وخضر بن لقمة » .

(٥) عبد اللطيف ، وقد سلفت ترجمته .

* الوافي : ٣٤٠/١٣ ، والدرر : ٨٤/٢ ، والنجوم : ٣٢١/١٠ ، والمنهل الصافي : ٢٢٥/٥ ، وذيول العبر : ٣٠٨ .

(٦) أحمد بن نعمة بن حسن البقاعي شهاب الدين بن الشحنة الحجار . (ت ٧٣٠ هـ) ، ذيول العبر : ١٦٤ .

(٧) ستأتي ترجمتها .

(٨) عبد اللطيف بن عبد العزيز ، ستأتي ترجمته .

والمعطيّة . وبحث في (المقرّب) ، و (صناعة الكُتّاب) لابن النحاس[١] ، وبعض (التنبيه) ؛ تقدير الربع . وحفظ (عروض) ابن الحاجب ، وقصيدة ابن مالك في (الفرق بين الظاء والضاد) . و (التجريد) للبحراني[٢] ، في البديع .

وكان كاتباً سريعا ، وارداً من سرعة التنفيذ روضاً مريعا ، له صَبْرٌ على الكتابة وجَلَد ، وقدرة على كتمان مادخل منه في خَلد ؛ إلاّ أنه قليلُ النظم إلى[٣] الغايه ، إمّا لِعُسْرةٍ عليه ، أو لأنه لم يكن له به عنايه .

رافقته في الديوان مرّتين ، وحمدت منه كل ما يشكوه من الضَرّتين[٤] .

ولم يزل على حاله إلى أن فقد الخضرُ عَيْن الحياه ، وظمِئ إلى العيش فأسقاه حياه .

وتوفي رحمه الله تعالى في آخر شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين[٥] وسبع مئة .

ومولده في سنة عشر وسبع مئة .

كان في جملة كتّاب الإنشاء بقلعة الجبل ، ثم لّما رسم السلطان الملك الناصر محمد لوالده القاضي تاج الدين محمد بكتابه سرّ حلب في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة دخل هو دار العدل ولّما توجّه القاضي جمال الدين بن الشهاب محمود إلى حلب كاتب سرّ في سنة ست وأربعين وسبع مئة جعله القاضي علاء الدين بن فضل الله مكانه في الحضور بين يدي النواب بمصر ، واستمر به في نيابته ، واعتمد عليه ، وأُلقي إليه أمْرُ الديوان فَوَفَى بذلك ووفّى .

---

(١) محمد بن إبراهيم بهاء الدين (ت٦٩٨هـ) ، البغية : ١٣/١ .

(٢) هو كتاب التجريد في المعاني والبيان لسمرة بن علي البحراني . الكشف : ٣٥١/١ .

(٣) في المنهل : « وكان له نظم ونثر » .

(٤) الضرتان الألية من جانبي عظمها . يريد أنه كان يكثر الجلوس في الديوان .

(٥) في المنهل : « توفي قبيل الخمسين وسبع مئة » .

وكان كاتباً سريعاً ، يكتب من رأس القلم التواقيع والمناشير .

وكان ينطق بالجيم كافاً .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

عَبْـدُكَ الســائــلُ الفَقيرُ ابنُ خضر ... يســأل العَفْـوَ والرضــا والسَّـلامَـهْ
فعسى بـــالـــدَّوَاة يكتب أَجْرا ... فـأنِلْـه الرجــا يــاذا الكَرَامــه

وأنشدني من لفظه لنفسه في مقصّ :

يُحرِّكُني مَـــوْلاي في طَـــوْعِ أمره ... ويُسْكِنُني شــانيــه وســط فـؤاده
ويَقْطعُ بي إن رام قَطْعاً وإن يصل ... يشقّ بجدّي الوصلَ عند اعتمادِه[1]

ولمّا طَلبتُ أيامَ الملك الصالح إسماعيل إلى مصر سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وجلست في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل تفضّل الجماعة الموقعون ، وكتب بعضهم إليَّ شعراً من باب الهناء ، وأجبته عنه . ثم إنه بعد مدة كتب زين الدين هذا :

تـــأخرَّتُ في مَـــدْحي لأني مقصِّر ... وفَضْلُ صلاح الـدين لا زال يَسْتُرُ[2]
خليـلٌ لـه الآدابُ حَقّـاً ينـالُهـا ... جليـلٌ بـه الأصحـابُ تسْمُـو وتفخرُ
لقـد آنس الأمصـار لمّـا أتى لهـا ... وأوحش رَبْـعَ الشـام إذ كان يُقْفِرُ
فـلا شهـدت عيناي سـاعـة بُعْـدِه ... ولا سهـدت شـوقـاً إليـه فتسهرُ
ودام عَلِيَّ القَـــدْرِ يَرقَى إلى العـلا ... محـــامـــدُهُ بين الأنـــام تُسَطَّرُ

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

تفضَّلْتَ زينَ الـــدين إذ أنت أكبرُ ... وأشرفُ مِنْ مَـدْح بـه العَبْـدُ تُـذكرُ
فشرّفت مَـدْرِي حين شنّفت مَسْمَعي ... فيـا من رأى شِعْراً على الـدُرِّ يَفْخَرُ

(١) في الوافي والمنهل : « بجدي » ، تصحيف .
(٢) في الوافي : « ما زال » .

فما هو شِعْرٌ يَحْصر الوزنُ لَفْظه ولكنّه شيء من السِّحْر يؤثرُ[١]
يجوز بلا إذْن على الأُذْن خِفّةً كأنّ الزّلال العذب منه يُفجَّرُ
فها أنا منه في نعيمٍ مُخلَّدٍ وعيشي بخضرٍ في ربا مصْر أخضرُ

وكتب إليَّ أيضاً **ملغزاً** : يا سيّد العلماء والبلغاء ، والكتّاب[٢] والأدباء ، ما اسم أول سورتين من القرآن ، وحرفٌ من أوّل سورة أخرى ، وهو ثلاثة أحرف ، وتَلْقاهُ ثمانيه[٣] ، إذا أفردت مجموعه سرّاً وجهراً ، أوّلُ حروفه إليه يُنْسَبُ أحد الجبال ، وآخرها قسماً لا تزال ، إن حذفت أوّله وصحّفت ثانيه فهو ظنّ حقيقتُه الآمال[٤] ، أو صحّفت جُملته كان وصف مُؤْمن يجري على هذا المنوال ، أو حذفت أوْسَطه مع التحريف كان عبداً لا يُعتق ، أو حذفت آخره مع بقاء التحريف كان حيواناً يَسرقُ **ولا يُسْرَق** ، ويأْنس وينفر ، ويقيَّد بالإحسان **وهو مطلق** ، يطوف بالبَيْت ، ويأوي في المنازل إلى الحيّ والميت ، ولا يُباع ولا يُشترى ، وعينه[٥] المجازُ حقيقة تبلغ قيمة بل تماثل جوهرا ، وإن أبقيت هذا الاسم على حالته ، فهو شيء لا يستغني عنه مسجد ولا جامع ، ولا بيَعٌ ولا صوامع ، ولا مُسْلم ولا كافر ، ولا قاطن ولا مسافر ، ولا غني ولا فقير صابر ، ولا قويّ ولا ضعيف ، ولا مشروفٌ ولا شريف ، ولا خائن ولا مأمون ، ولا حيّ ولا من سُقي كأس المنون ، ومع ذلك[٦] فهو جليل حقير ، قليل كثير ، يملكه المالك والمملوك ، والمليّ والصعلوك ، وهو شيء ممتهن ، ويعلو على [رؤوس][٧] الأمراء والوزراء والملوك ،

---

(١) في الوافي : « يحضر » .
(٢) في الوافي : « وقدوة الكتّاب » .
(٣) في الأصل : « ثمانيا » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الأصل : « حقيقة الأموال » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) في الأصل : « وعنه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٦) في الأصل : « ذليل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٧) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الوافي .

قَلْبُه[١] بالتحريف فعلٌ مضى ، واسمٌ إذا نطق به قد يُرتضى ، وهو قد يبدو بـه النور في الدياجي ، وعند الصباح ينقطع منه أَمَلُ الراجي ، لا يستغني عنه بيت ولا بقعة ، ومع ذلك يُباع بفَلْس ودينار ، وفوق ذلك في الرِّفْعَة ، وهو بيّن واضح ، فـأَحْلِلْـه[٢] بميزان عقلك الراجح إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنـا الجـواب عن ذلـك وهـو في « قطن » : وَقَفَ المملـوكُ على هـذا اللغـز العجيب ، والمعّمى الذي مالَهُ في فنّه مماثلٌ ولا ضريب ، وعجبت منـه نبـاتـا « نَطَقَ » مَعْكُوسُه ، وثلثـاه كتـاب تَزْدان سطوره وطروسـه ، أوّلـه يضـاف إليـه أكبر الجبـال ، ومجموعه مادة للحبال أشبه بياضا بالثلج ، ومحبوبُه يروق ويحسن بالحلج ، قـد خفَّ على اللسان وزنه ، وأعجب أرباب الأموال ادّخارُه وخَزْنُـه ، كلّـه نـابت في التراب ، وثلثـاه سـابـح في البحر لا يُستراب ، إن جعلت آخره وسطـا كان فِعْـلَ من انقطـع رجـاؤه ، واتّسعت في اليأس أرجاؤه ، وإن صحّفت حروفه في هذه الحالة أتتك من الحَرّ واقـدَة ، وأصبحت العجاجة وهي في الجوّ عاقِدَة ، وإن صحَّفته أيضاً كان أمّةً من الأمم ، وليسوا من العرب إذا عُدّوا ولا العجم ، يُعَدّ منهم فِرْعَوْن وجنوده ، ولنـا فيهم نسب وصهر يَعُزُّ مُنْكَرُه وجُحوده ، وإن عكسته في هذه الحالة كان آنيةً لا محـالـة ، ولهـذا اللغز أوصـاف أُخر لا تذكر ، ولا تُعرّف بَعْدُ ولا تُنكر ، أضربت عنها خوف الإطالة صفحا ، وعـددت هذا القدر رِبْحا ، لأنّ مولانا حرسه الله تعالى مَـدّ فيـه الأطنـاب ، واستوعب أوصـافـه بالإسهاب والإطناب ، والله يديمُ حياته لأهل الإنشاء ، وينشرُ محامـده بلسـان الإذاعـة والإنشاء ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٦٢٨ ـ خضر بن أقجبا*

جمال الدين بن فخر الدين الصفدي ، والِدُه يُعرف بأقجبا الساقي .

(١) في الأصل : « قليله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الوافي : « وحَلِّلْه » .

* لم نقف على ترجمة له .

انتشأ هذا في صفد جندياً مثل والده ، وزاد بَطارِفه على تالِده ، وسعى حتى ولي بها عدّة ولايات ، وساس الناس بما رآه من الإهمال والغيابات .

ولّما كان أرغون شاه بصفد ثانيا خَدَمَه ، وأثبت في الوقوف بين يديه قدمه ، فرشحه للتقدّم ، وعمارة مَجده بعد التَّهدم . ولّما حضر إلى دمشق أتاه ، ووافقه السّعدُ عنده وواتاه ، فحصّل له عشرة ، فجدّ في أمرها لما عنده من الشّره .

ثم إنَّ الحال زاد به ، فسعى في ولاية مدينة دمشق فتولاّها ، وبقي فيها مدّة وما جلاّها ولا حلاّها ، بل راح وخلاّها .

وتوفي رحمه الله ثاني عيد النحر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى قد عُزل من الولاية قبل موته بعشرة أيام ، لأنه كان قد مرض مرضاً طويلا ، وبقي مدة عليلا .

وكان وهو أمرد صورة في الحُسن بديعه ، ولّما قارب التكهل استحال إلى هيئةٍ شنيعه .

وباشر بدمشق قبل الولاية شدَّ الزكاة .

٦٢٩ ـ خضر بن سليمان*

الأمير ابن أمير المؤمنين المستكفي بالله .

كان وليَّ العهد . فتوفي في ثالث عُشري جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودُفن في التَّربة المُظفّرية جوار السيدة نفيسة خارج القاهرة .

٦٣٠ ـ خطاب بن محمود بن رنقش**

الأمير عزّ الدين العراقي .

---

* الدرر : ٨٤/٢ .

** الدرر : ٨٥/٢ ، وذيول العبر : ١٤٠ ، والبداية والنهاية : ١٢١/١٤ ، وفيه : « وتقش » بالتاء .

كان له مال وثروه ، وشيخاً قد بقي على رأيّ العوام بَرْوَه ، وفيه خيرٌ وإحسان ، وفضلٌ أربى به على ربّ السيف والطيّلسان .

عمّر الخان بين غباغب والكسوه ، وجَبَر به كُلَّ مَن يمرُّ في الطريق من الرجالِ والنِّسوه ، وعمّر حماماً بحِكْرِ السمّاق معروفا ، وجعله بألسنة الشكرِ موصوفا .

وكان فيه معروفٌ وبر ، وخيرٌ في الظاهر وفي السِّر .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل الخَطْبُ بخطّاب ، وبدّل أهله بنكد العيش بعدما طاب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة[1] .

٦٣١ ـ خطاب*

الصاحب الكبير المحترم ، ركن الدين بن الصاحب كمال الدين أحمد بن خطاب الرومي السِّيواسي .

شيخ كبير له حُرمه ، وعليه أثارُ سعادة ونعمه ، وله غلمان وأتباع وحَفَدَه ، وحالُه تقتضي التوسُّعَ في الحِشْمة والحفده[2] .

وقف خانقاه ببلد سِيواس ، ووقف عليها وقوفاً كثيرة من أنواع البرّ التي تعمّ الناس .

قدم إلى دمشق ، وتوجّه إلى الحجاز ، فمات رحمه الله تعالى بالكرك ، وراح إلى الله تعالى ، وترك ما ترك ، وذلك في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمئة ، وصُلّي عليه بالجامع الأموي ، ودفن عند جعفر الطّيار[3] رضي الله عنه .

---

(١) في البداية : « ودفن بتربته بسفح قاسيون » .

* الدرر : ٨٤/٢ ، والبداية والنهاية : ١٢١/١٤ .

(٢) في الأصل : (الجدة) ، تحريف ، والحفدة هنا بمعنى الخدم والأعوان ، والأولى بمعنى أولاد الأولاد .

(٣) هو جعفر بن أبي طالب . وقبره بمؤتة . وكذلك كان قبر صاحب الترجمة ، كما في البداية .

٦٣٢ ـ خطلو شاه*

نائب التتار .

كان كافياً كافرا ، داهية ماكرا ، رفيع المرتبه ، لا يبالي بالمعيبة ولا المَعتبه .

نزل بالقصر الأبلق في واقعة غازان ، وفعل كل ماشان ومازان ، وتوجّه إليه الشيخُ تقيُّ الدين بنُ تيميّة ، وكلّمه في الرعيّة ، فتمر عليه ، وأعرض عنه ، ولم يلتفت إليه .

وكان مقدّم التتار يومَ شَقْحَب[١] ، فعاد بلاأهل ، ولاأهلٍ ولا مَرْحب . وانهزم خاسِئاً ، وأصبح مكلوءاً[٢] معكوماً بعد أن كان كالماً كالئاً .

وجهّزه غازان في جيش كبير من المُغل لمحاربة صاحب جبال كَيْلان[٣] ، فبيّته الملك دوباخ[٤] ، وبثّقوا[٥] عليهم الماء في الليل فغرقوا ، وأظهروا لهم النيران من كل جانب ، وأزعجوهم بالصياح إلى الصباح ، فغرق أكثرهم ، ورماه دوباج بسهم ماأخطأ حبّة قَلْبِه ، ودخل عليه الموت بهَمْزَةِ سَلْبِه[٦] . وفي هذه الواقعة قتل الشيخ براق كما تقدّم في ترجمته .

---

* الوافي : ٣٤٨/١٣ ، والدرر : ٨٥/٢ . ووقع في الأصل : « خلطوشاه » وهو سهو ، وترجم له صاحب الدرر ثانية : ٢٥٤/٣ ، باسم قطلوشاه .

(١) أخبار هذه الوقعة في البداية والنهاية : ٢٣/١٤ وما بعدها .

(٢) كلأه : ضربه بالسوط .

(٣) في الوافي : « جيلان » ، وهي بلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان . معجم البلدان : ٢٠١/٢ .

(٤) في الوافي : « دوياج » ، تحريف ، وستأتي ترجمته .

(٥) في الأصل : « تبقوا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي . وبثّق النهر : كَسَرَ شقّه لينبثق الماء .

(٦) يريد أن الموت أزال عنه الحياة ، والسلب والإزالة من المعاني التي تؤديها الهمزة في السياق ، وهي من مصطلحات الصرفيين .

وكان هلاك خطلوشاه في سنة سبع وسبع مئة ، وفرح غازان بموته ، لأنه كان يخافه .

الألقاب والأنساب

☆ **الخطيري** : الأمير عز الدين أيدمر .

☆ **وابن خطير** : الأمير بدر الدين أمير مسعود . وأخوه الأمير شرف الدين محمود . وناصر الدين محمد بن مسعود .

☆ **خطيب الفيّوم** : معين الدين أحمد بن أبي بكر .

☆ **خطيب مَرْدا** : عبد الرحمن بن محمّد .

☆ **وخطيب القدس** : عماد الدين عمر بن عبد الرحيم .

☆ **الخطيب** بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

☆ **ابن خطيب بعلبك** : محمود بن محمد .

☆ **ابن خطيب بيت الآبار** : نجيب الدين أحمد بن عمر . وعلاء الدين علي بن عمر . وموفق الدين عمر بن أبي بكر . وموفق الدين محمد بن عمر . وشرف الدين محمد بن داود . والقاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر .

٦٣٣ ـ خَلَف*

ابن عبد العزيز بن محمد بن خلف بن خلف بن عبد العزيز بن محمد ، أبو القاسم الكاتب الغافقي القَبْتَوري ، بفتح القاف ، وسكون الباء الموحّدة ، وفتح التاء ثالثة الحروف ، وسكون الواو ، وبعدها راء ، الإشبيلي المولد والمنشأ .

* الوافي : ٣٧١/١٣ ، والدرر : ٨٥/٢ ، والبغية : ٥٥٥/١ ، وعقد الجمان : ٣٧٢/٤ ، وفيات (٧٠٤هـ) .

قرأ على الأستاذ أبي الحسن الدبّاج[١] (كتاب سيبويه) ، وقرأ عليه بالسبع ، وقرأ (الشفاء) بسبته على عبد الله بن القاسم الأنصاري . وله إجازة من الرضي بن البَرْهان ، والنجيب بن الصَّيْقَل .

وكتب لأمير سبتة ، وحدّث بتونس عن الغَرَّافي[٢] ، وحجّ مرتين .

وكان كاتباً مترسلا ، ينثر ويَنْظِم ، ويُكْبِرُ الفُضَلاَء ، ويُعْظِم ، مع الخير والتقوى ، وملكةِ نفسه التي تصبر على المَضَض وتقوى . جاور بمكة زمانا ، وأعطاه الله بالسعادة من ذلك ضمانا .

ولم يزل على حاله إلى أن عُدّ خلف في السلف ، وورد موارد التلف .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمدينة الشريفة في أوائل سنة أربع وسبع مئة[٣] .

أنشدني من لفظه العلاّمة أثير الدين أبو حيان ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أسِيْلي الدَّمْعَ ياعَيْني ولكن ... دَماً ويقلُّ ذلك لي، أسيلي
فكم في الترب من طَرْفٍ كحيل ... لتِرْبٍ لي ومن خدّ أسيلِ

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه :

ماذا جنيتُ على نفسي بما كتبتْ ... كفي فياوَيْحَ نفسي من أذى كفّي
ولو يشاء الذي أجرى عليَّ بذا ... قضاءَهُ الكفَّ عنه كنت ذا كفٍّ[٤]

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه :

واحسرتا لأمور ليس يبلغها ... مالي وهُنَّ مُنَى نفسي وآمالي

(١) علي بن جابر بن علي (ت٦٤٦هـ) . البغية : ١٥٣/٢ .
(٢) تاج الدين علي بن أحمد ، وستأتي ترجمته .
(٣) في عقد الجمان : « ومولده في سنة خمس عشرة وست مئة » .
(٤) في عقد الجمان : « عني كنت » .

أصبحت كالآل لا جدوى لديَّ وما آلوت جُهداً ولكنْ جَدّيَ الآل[١]

وأنشدني من لفظه الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس اليعمري ، قال : أنشدني لنفسه بالمدينة :

رجوتك يا رحمن إنَّك خَيْرُ مَنْ رجاه لغُفْرَان الجرائم مُرْتَجي
فرحمتك العظمى التي ليس بابها وحاشاك في وجه المسيء بمُرْتَج

قلت : شعر جيّد ، لكنه متكلّف .

٦٣٤ ـ خليفة بن علي شاه*

الأمير ناصر الدين ابن وزير البلاد القانية .

كان من جملة أمراء الطبلخاناه بدمشق ، وممن للأقلام في ذكره مدّ وَمَشْق . لمّا قَدِمَ الشام أحبّه تنكز . وحصل له من خاطره مَركز ، فكتب إلى السلطان في أَمْره ، وجعله دون الناس الواردين في حُجْره .

وكان ذا شكالة حسنه ، وطلعةٍ يَجْفُو الطَّرَفُ لأجلها وَسَنَهْ ، جهّزه فيا بعد أرغون شاه إلى صفد محلّ إقطاعه ، وحكم على وصوله إلى دمشق بامتناعه ، فحضر إليها طلبَاً لمداواة مَرَضٍ حصل له في صفد ، فأقام بها قليلاً ، وسهم المنية قد أَصَابَ شاكلته ونفد ، وما حمل ولا رفد .

وتوفِّيَ رحمه الله تعالى في سادس عشر جمادى الأولى سنة تسع[٢] وأربعين وسبع مئة .

---

(١) في عقد الجمان : « ألوت جداً » .

* الوافي : ٣٨٣/١٣ ، والدرر : ٩٤/٢ .

(٢) في الدرر : « سبع » .

وكان الأمير ناصر الدين قد وفد إلى الشام صحبة الأمير نجم الدين محمود[١] بن شروين الوزير ، فرآه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى فأعجبه شكله ، فسأل السلطان[٢] أن يكون عنده بدمشق أميراً ، فرسم له بذلك ، واختص بتنكز ولازمه كثيراً ، ولما أمسك تنكز لحق كل من كانت له به خصوصية شُواظٌ مِنْ ناره ، خلا الأمير ناصر الدين فإنَّ السُّلطان راعى فيه خاطر أخيه ؛ لأنه كان في تلك البلاد مقيماً ، وتزوج بابنة الأمير سيف الدين كجكن ، وكان يلبسها لبس الخواتين في تلك البلاد ، ولما عمَّر الأمير سيف الدين يلبغا جامعه بدمشق تولّى هو شدّ العمارة ، وقصد أن تكون عمارتُه على زيّ عمارة تلك البلاد الشرقية ، فلّما أُمسك يلبغا خافَ ناصر الدين خليفة أن يؤخذ بجريرته فَسَلَّمه الله تعالى .

وكان إقطاعُه بصَفَد ، فلّما جَاء أرغون شاه إلى دمشق جهزه إلى صفد ، ورسم له بالإقامة هناك ، فحصل له ضعف ، وحضر للمداواة بدمشق فتوفي بها ، وعمّر داراً على نَهر بَردى ، تحت دار الجالق[٣] ، ووضعها وضع تلك البلاد ، وما أظنّه كان يخلو من تشيُّع ، واللهُ أعلم .

٦٣٥ ـ خليل بن إسماعيل بن نابت*

بالنون أوّلاً : الفقيه المحدّث فخر الدين الأنصاري القدسي .

رحل إلى مصر[٤] ، ولقي المشايخ وكتب ، وحصّل في الحديث محصولاً جيداً ودأب .

---

(١) في الأصل : « محمّد » سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « فسأل من السلطان » ، ولا وجه لـ (من) ، وما أثبتناه يتفق مع ما في الوافي .

(٣) هي دار المتقاعدين ، وهي حيّ بين ساروجه والبحصة .

* الوافي : ١٣/٣٩٤ .

(٤) ودمشق ، كما في الوافي .

وكان محدّث القدس ومُفيده ، ومبدي فَضْلَهُ ومُعيدَه .

روى عن العز الحرّاني ، وروى عنه ابن الخباز ، وكان يَنْقَضُّ في بحثه على الخصم كما ينقضّ الباز . وكان ذكياً يقظاً نبيهاً ، ويزيد على الحديث بأنه كان فقيهاً .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح فما أمسى ، وسكن بعد بيته رِمساً .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة في شهر ربيع الأول .

درس بالأمجدية وغيرها بالقدس ، وكان مفيد القدس .

٦٣٦ ـ خليل بن محمد بن سليمان*

الشيخ الإمام العدل جمال الدين السَمَلُوطي ـ بالسين المهملة ، وبعدها ميم ولام مشددة وواو وطاء مهملة[1] ـ الشافعي النحوي .

أقرأ النحو بمصر مَدَّة ، وكابد في تعليم الطلبة شِدَّة ، وكان عَدْلاً مقبولاً ، ولم يكن بالرياسة مَتْبُولاً .

ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى من دعاه ، وقام به الصارخُ ونعاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، وقد بلغ السبعين ، ودفن بباب النصر خارج القاهرة .

٦٣٧ ـ خليل ابن الأمير حسام الدين بن البَرْجُمي**

بالباء الموحّدة ، والراء والجيم والميم .

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) نسبة إلى سملّوط ، وهي قرية بناحية الصعيد على غربي النيل . معجم البلدان : ٢٥١/٣ .

** الوافي : ٣٩٨/١٣ ، والدرر : ٩٤/٢ .

كان له دُرْبَةٌ بالأمور والْمُباشرات ، وتغاضٍ عن الشرور والمكاشرات ، فتحدّث في أيام الملك الناصر في ديوان بُشْتاك ، وعظم في تلك المدة فما يُنال بسوء ولا يُشَاك [١] ، ولما انفصل بشتاك ، تحدث في ديوان الكامل ، وخدمه قبل الْمُلْك ، فحصل له به السرورُ الشامل .

ثم لّما ولي الْمُلْكَ ، رسم له بإمرة طبلخاناه ، وولاّه شد الدواوين ، وأركبه رقاب من كانوا له مُناوين . ولما خُلع الكامل أخذ منه ذلك ، وانصرم عنه ما هنالك .

ثم أعطي إمرة عشرة ، فما وصلت إلاّ وقد انفصل أجَلُهُ ، ولم ينفعه تلبُّثُه ولا عَجَلُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق ، بَصَق دَماً يوماً ، ومات في الثاني .

وكان الملك الكامل قد طلبه وهو سلطان فأعطاه طبلخاناه وشَدّ الدواوين ، وأعاد الصاحب علاء الدين بن الحرّاني [٢] إلى نظر الدواوين بدمشق ، وجهزه معه ، فوصلا إليها في أوّل ذي الحجة سنة ست وأربعين وسبع مئة .

ولّما خلع الكامل انفصل من الإمرة ومن الشدّ ، وبقي بطّالاً إلى أن كتب له أرغون شاه بعَشْرةِ الأمير بدر الدين صَدَقة بن الحاج بَيْدَمر [٣] فما وصل منشورُه حتى مات رحمه الله تعالى .

وكان ممن يتوالى محبّة أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيميّه .

---

(١) شاك يشاك : وقع في الشوك .

(٢) هو علي بن محمد ، ستأتي ترجمته .

(٣) ستأتي ترجمته .

٦٣٨ ـ خليل بن كَيْكَلْدي العلائي*

الشيخ الإمام العلاّمة الفريد الكامل ، جامع شتات الفضائل ، المفسّر المحدّث الفقيه النحويّ الأديب المؤرخ الإخباري صلاح الدين الدمشقي الشافعي الأشعري .

كان أعجوبة في علومه الجمّه ، وفضائله التي لم يكن أمرها على الناس غمّه . أتقن التفسير ، وعَلِمَ من الحديث ما يشهد به له الجمّ الغفير . وبرع في الفروع والأصول ، وأحاط بما في المُحَصَّل والمحصول ، واستخرج لباب الإعراب ، واطّلع على أسرار لغة الأعراب ، وعلم تراجم أعيان العالم ، وعرف وقائع من داهَى أو سالم .

وأما نقد الصحيح من الحديث فذاك فنّ تفرّد بخاصّته ، وشهد له أَهْل زمانه في أفراده وعامّته ، وتصانيفُه تؤيد هذه الدعاوِي ، وتعاليقه تحقق له المحاسن ، وتنفي عنه المساوِي .

أقام بالقدس زماناً ، وأنفق فيه من العمر أعواما ، واتخذ فيه من الطلبة أعوانا ، فهبّت له النفخات القُدْسِيّه ، وصُبَّت له اللمحات الأنسيّه .

ولم يزل على حاله بتلك الأرض الْمُقَدَّسه ، والرِّحَل التي هي تحت ظلال البركات معَرَّسَه ، إلى أن فسد من الصلاح تركيبُه ، ورَحَل على الرقاب وعلمُ الحديث جنيبُه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين ثالث شهر الله المحرّم سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده في أحد الربيعين سنة أربع وتسعين وست مئة .

---

* الوافي : ٤١٠/١٣ ، وفيات ابن رافع : ٣٤٩/١ ، والبداية والنهاية : ٢٦٧/١٤ ، والشذرات : ١٩٠/٦ ، والدارس : ٤٥/١ ، والمنهل الصافي : ٢٨٢/٥ .

سمع (صحيح مسلم) سنة ثلاث وسبع مئة على الشيخ شرف الدين الفزاري[١] ، وكَمّل عليه ختم القرآن . وسمع (البخاري) على ابن مُشْرّف[٢] سنة أربع . وقرأ العربية وغيرها على الشيخ نجم الدين القحفازي ، والفقه والفرائض على الشيخ زكي الدين زكري[٣] . وجَدَّ في طلب الحديث سنة عشر وسبع مئة . وقرأ بنفسه على القاضي تقي الدين سليمان الحنبلي ، وعلى أبي بكر بن عبد الدائم ، وعيسى الْمُطَعِّم[٤] ، وإسماعيل بن مكتوم ، وعبد الأحد بن تيميّة ، والقاسم بن عساكر ، وابن عمّه إسماعيل[٥] ، وهذه الطبقة ، ومَنْ بعدها . وشيوخه بالسماع نحو سبع مئة شيخ . ومن مسموعاته : الكتب الستة ، وغالب دواوين الحديث ، وقد علّق ذلك في مجلد سمّاه : (الفوائد المجموعة في الفرائد المسموعه)[٦] .

ومن تصانيفه : (النفحات القُدْسِيّة) ، يشتمل على تفسير آيات وأحاديث[٧] ، مواعيد[٨] ، وكتاب (الأربعين في أعمال المتّقين) ، وكتاب (تحفة الرائض بعلوم آيات الفرائض) ، و (برهان التيسير في عنوان التفسير) ، و (إحكام العنوان لأحكام القرآن) ، و (نزهة السَّفَرة في تفسير خواتم سورة البقرة) ، و (المباحث المختارة في تفسير آية الدِّية والكَفَّارة) ، و (نظم الفرائد لِما تضمّنه حديث ذي اليَدَين من الفوائد) ، و (تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد) ، و (تفصيل الإجمال في

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن سباع (ت ٧٠٥ هـ) .
(٢) محمد بن أبي العزّ ، ستأتي ترجمته .
(٣) ابن يوسف البجلي . ستأتي ترجمته .
(٤) في المنهل : « عيسى بن مطعم » .
(٥) ابن نصر الله ، سلفت ترجمته .
(٦) اسمه في الوافي : « إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة » .
(٧) في الوافي : « وشرح أحاديث » .
(٨) عبارة الوافي : ذكره مواعيد حفظاً بالمسجد الأقصى .

تعارض الأقوال والأفعال) ، و (تحقيق الكلام في نيّة الصيام) ، و (شفاء المسترشدين في اختلاف المُجْتَهدين) ، و (رفع الاشتباه عن أحكام الإكراه) ، و (نهاية الإحكام لدراية الأحكام) ، وكتاب (الأربعين الكبرى) . وله (التعاليق الأربعة : الكبرى والوسطى والصغرى والمصرية) في اثني عشر مجلداً . وكتاب[1] (الأربعين المُغْنية بعيون فنونها عن المعين) في اثني عشر جزءاً . و (الأربعين الآلهية) ثلاثة أجزاء ، و (الوشي المُعَلّم فيمن روى عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ) ستة عشر جزءاً ، و (عوالي مالك بن أنس السُّبَاعيات) ستة أجزاء ، و (سُداسيات أصحاب سفيان بن عُيَيْنة) في سبعة أجزاء ، و (المحاسن المبتكرة) ، عشرة أجزاء ، و (المسلسلات) ثلاثة أجزاء ، و (العقد الثمين في تراجم السبعين) ، و (مبتغى الذخائر في تفسير آية الكبائر) ، و (عنبر السَّحَر في آية السِّحْر) ، و (تقرير غاية المدة في تفسير آية العدّة) ، و (تفسير مجابي الهصر في تفسير آيتي الخوف والقَصْر) ، و (الفوائد المحقّقة في تفسير آيتي المحاربة والسرقة) ، و (روض الأذهان وخوض الأفهام في شرح حديث النعمان في الحلال والحرام) ، و (كتاب إيضاح وجوب الإجمال والإحسان في شرح حديث الخِصال الواجبة للغير على الإنسان) ، و(شرح القول الحَسَن في الوصية لـمُعَاذ[2] عند بعثته لليمن) ، و (روض الإيقان في شرح حديث : الطّهورُ شطر الإيمان) ، (جامع التحصيل لأحكام المراسيل) ، (تحقيق ثبوت الرتبة لمن ثبت له شريفُ الصُحْبة) ، (كشف النّقاب عما روى الشيخان للأصحاب) ، (تفسير حصول السعادة في تقرير شمول الإرادة) ، (تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم) ، (فَصْل القضاء في أحكام الأداء والقضاء) ، (إبانة الخطوة في قاعدة مُدِّ عَجْوَة) ، (رفع الالتباس عن مسائل البناء والغِراس) ، (إتمام الفوائد المَحْصُولة في الأدوات المَوْصُولة) ، (الفضول المفيدة في الواو المزيدة) ، (المعاني العارضة لِمَنْ الخَافِضَة) .

---

(١) الكتب الآتية لم تذكر في الوافي .

(٢) في الأصل : « معاد » تصحيف . وهو معاذ بن جبل الصحابي (ت١٨ هـ) .

وكان أولاً بزيِّ الأجناد ، ثم ترك ذلك ، وأقبل على الطلب والاشتغال . وحفظ (التنبيه) ، و (مختصر) ابن الجاجب ، و (مقدمتيه) في النحو والتصريف ، و (لباب الأربعين في أصول الدين) لسراج الدين الأرْمَوي ، وكتاب (الإلمام في الأحكام) ، وعلّق عليه حواشي .

ورحل صحبة الشيخ كمال الدين الزملكاني[١] إلى القدس سنة سبع عشرة وسبع مئة .

وسمع من زينب بنت شكر[٢] وغيرها . ولازم الشيخ كمال الدين سفراً وحَضَرا ، وعلّق عنه كثيراً ، وحجَّ معه في سنة عشرين وسبع مئة .

وسمع بمكة من الشيخ رضي الدين الطَّبري ، ولازم القراءة على الشيخ برهان الدين الفزاري في الفقه والأصول مُدَّة سنين ، وخرّج له (مشيخة) ، وللشيخ تقي الدين قاضي القضاة السُّبكي ، وغيره من الأشياخ (مشيخات) ، وولي تدريس الحديث بالناصرية سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

ثم إنّه درّس بالأسدية سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وأذن له الشيخ كمال الدين الزملكاني بالإفتاء سنة أربع وعشرين وسبع مئة . ثم درس بحلقة صاحب حمص سنة ثمان وعشرين وسبع مئة . ثم تولّى تدريس المدرسة الصلاحيّة بالقدس سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وأقام به إلى آخر وقت .

وتولّى تدريس مشيخة الحديث بالسيفيّة « تنكز » بالقدس[٣] .

---

(١) كذا في الأصل ، والمنهل ، وفي الوافي : « ابن الزملكاني » .

(٢) في الأصل : « مكي » . وفي الوافي (سكن) تحريف . وما أثبتناه يوافق ما وقع في مصادر ترجمته الأخرى . وهي زينب بنت أحمد بن شكر ، وستأتي ترجمتها في موضعها .

(٣) عبارة الوافي : مشيخة دار الحديث السيفيّة بالقدس .

وحجَّ سنة أربع وأربعين وسبع مئة . وجاور بمكة وعاد في سنة ست وخمسين . وعدت أنا وهو إلى الشام ، ورافقته في الطريق ، واجتمعت به غَيْرَ مرّة في دمشق والقاهرة والقدس . وأخذت من فوائده في كل علم ، وقلَّ أن رأيتُ مِثْلَه في تحقيق ما يقوله في كل فنّ وتدقيقه .

وكان مُمْتِعاً في أي باب فُتح ، يحفظ تراجم أهل العصر ، ومَنْ قبلهم ، وتراجم الناس من المتقدمين ، وهو عارفٌ بكل شيء يقوله أو يتكلم فيه .

وأنشدني لنفسه إجازة ، ونقلته من خطه :

يـــا ربِّ كَمْ مَنْ نِعْمَـــةٍ لـــك لا أُؤدّي شكرهـــا
أوْ لَيْتَني فيهـــا الجميـــل وذدْتَ عني شرّهـــا
وكَفَيْتَني يـــا ربّ في كلِّ الأمـــور أمَرَّهـــا
وَوَقيتني عنـــد الشـــدا ئـــد والحـوادث ضُرَّهـــا
فـــاغفر ذُنـوبيَ كلَّهـــا إنّي لأرهبُ وِزْرهـــا
فهي التي فـــارقْتُهـــا وأجـــدْتَ حلماً سترهـــا
وعصيتُ جَهْـــلاً حين لم أُقْـدِرْ جحيـك قَـدْرَهـــا
والطَفْ بعبـــدك دائمـــاً وقِـهِ الخطـوب ومَكْرَهـا

وكان له ذوق كبير في الأدب ونكتة ، وعمل كثيراً نظماً ونثراً .

وكان فيه كرم زائد ، ووجه طلق في تلقّي الأصحاب ومن يَرِد القدس ، وترك عليه جُملة من الديون بسبب ذلك .

وكتبت إليه وقد ورد إلى دمشق المحروسة في بعض السنين ، أظنها سنة تسع وثلاثين وسبع مئة :

أتيتَ إلى دمشـــق وقـــد تشكّت إليـــك لِطـول بُعْـــدِ وانْتِـزاح
وكانت بَعْـــدَ بُعْـــدِك في فَسَـــاد وجئت لهـــا ففـــازت بـــالصَّلاح

وقد أجاز لي بخطّه كلَّ ما يجوز له تسميعه . وكان يكتب في الإجازات بيتاً مفرداً ، وهو :

أجَـازَهُمُ الْمَسْـؤولُ فيـه بشَرْطِـهِ خَليـلُ بن كَيْكَلْدي العلائي كاتِبُه

وهذا مثل ما أكتبه أنا أيضاً في الإجازات ، وهو :

أجـاز للسـائلين مـا سـألـوا فيـه خليـلُ بنُ أيبـك الصفـدي

وكتبت له أنا عِدّة تواقيع بتدريس المدرسة الصلاحية بالقدس بالشام والقاهرة .

فأول ما كتبتُ له بذلك بدمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ونُسْخَتُه :

رُسِمَ بالأمر العالي ، لا زالت أوامِرُهُ المطاعة تُهدي إلى الأماكن الشريفة صَلاَحا ، وترفعُ قَدْر مَنْ إذا خطا [في طلب العلم الشريف][1] تضع له الملائكة جناحا ، أَنْ يرتَّبَ المجلسُ السامي الصلاحي[2] مُدَرِّسَا بالمدرسة الصلاحية بالقدس الشريف لِما اتَّصف به من العلوم الّتي أتقنها حفظا ، وطرَّز بإيرادها المحافل ، فراقَت في القلوب مَعْنىً ، وفي الأسماع لَفْظا ، فهو الحَبْر الذي يفوق البحر بغزارة موادِّه ، والعالِم الذي أصبح دم الشهداء بإزاءِ[3] مداده ، إن نقل حكماً فما الْمُزَني[4] إلاّ قطرة من هتّانه ، أو

(١) زيادة من الوافي يقتضيها السياق .
(٢) في الوافي : « الفلاني » .
(٣) في الأصل « بآراء » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) إسماعيل بن يحيى صاحب الإمام الشافعي . سلفت الإشارة إليه .

رجح قَوْلاً فما ابن سُرَيج[١] إذا جاراه من خيل ميدانه ، أو ناظر خصماً فما ابن الخطيب[٢] ممن يُعد في أقرانه ، أو استدلّ محتجاً فما يقطع السيف إلاّ بدليله وبَرْهَانه ، فالماوردي[٣] حاوي مناقِبه وذكره ، وأبو إسحاق[٤] صاحبُ (التنبيه) على رفعة محلّه وقدره ، قد أضحت به وجوه الأصحاب سافِرةً عن الحسن البارع والمنظر الجميل ، وأمست طرق المذهب بدروسه واضحة الأمارة ، راجحة الدليل ، ولذلك نُدب لنشر العلم الشريف لذلك القُطْر الجليل ، واستحّق لفضله الأقصى أن تكون حَضْرةُ القدس مقامَ الخليل ، فليورد من فضله الباهر هناك ما يُحيي مَذْهب ابن إدريس[٥] بدرسه ، وينشر مَيْت العلم حتى يكون رُوْحاً في قُدْسه ، وليتعهد الطلبة بالحفظ والبحث ، فإنها للعلم كالجناحين ، وليقف عِنْدَما شرطه الواقف أثابهُ الله الجنة ، فما يَفْسُد أمر وقع بين صلاحين ، وتقوى الله تعالى زينةُ العلم ، فليجعلها طرازَ لُبْسه ، وجمال العلم ، فليدّخرها لغده الذي يُرْبى في الخير على أمسه ، والله تعالى يزيده فضلاً على[٦] فضله ، وينشر به أعلام العلم الذي يخفق على رؤوس أهله ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى[٧] .

وبيني وبينه رحمه الله مجارات ومكابتات وألغاز وغير ذلك ، وقد سقت منها جانباً في كتابي (ألحان السواجع) .

---

(١) أحمد بن عمر . سلفت الإشارة إليه .

(٢) لسان الدين .

(٣) علي بن محمد بن حبيب صاحب التصانيف المشهورة (ت ٤٥٠ هـ) . الشذرات : ٢٨٥/٣ .

(٤) إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦) ، واسم كتابه الآتي : التنبيه في فروع الشافعية . الكشف : ٤٨٩/١ .

(٥) الشافعي .

(٦) في الوافي : « إلى » .

(٧) تنتهي هنا ترجمة ابن كيكلدي في الوافي .

ولّما بلغتْني وفاته رحمه الله تعالى قلت أرثيه :

يا صاحِ دعني من حديْثك إنّ قلبي في البلاء
أوَ ما ترى أهل الحديـث تسافلوا بعد العلائي

وقلت فيه أيضاً :

العِلْمُ بعد صلاح الدين قَدْ فَسَدا ... والفَضْلُ نقصانه قد راح مُطَّردا
مات الذي كانَ في علم الحديث إذا ... ما أظلم الشكُّ فيه راح متَّقِدا
ومن يُحرّر أسماء الرجال ويد ... ري النقدَ والنقل والتعليل والسندا
قد شارك الناسَ في أشياء يفضلهم ... فيها من العلم لا نُحْصي لها عددا
أما إذا كان في نَقْد الصحيح من الـ ... ـحديث فهو لهذا الشأن قد قعدا
والفقه ألقاه تدريساً يحرّره ... حتى تجاوز في غاياته الأمدا
وفي الأُصولين أستاذٌ فما أحدٌ ... أراه يَقْوَى لديه لو حكى أُحُدا
ستّ وستون عاماً مرَّ أكثرها ... في نصرةِ السنة الغراء مجتهدا
إن أظلمت شبهة من إفك مبتدعٍ ... وقامَ في دَفْعها قُلْتُ الصباح بدا
أهل الضلالات أرداهم فلم يجدوا ... من دونه في جميع الناس مُلْتحدا
جاؤوا إليه وكادوا الحقَّ فيه وقد ... كادوا يكونون من شرّ له لُبَدا
فشتت اللهُ من لُطْف عَزائمهم ... وحَلَّ إذْ فيهم كلّ ما عُقدا
مباحثٌ كلّما التفّ الجلاد من الـ ... ـجدال أو ضاق حربٌ فكَّتِ الزردا
سرى إلى غاية ما نالها أحد ... كانت طرائقه نحو العلى قددا
نَحْوٌ وفقهٌ وتفسير إلى أَدَب ... قد راح مجموعه المختار مُنْفَردا
وفي تراجم أهْل العصر حاز يداً ... طولى وكم قد أفاد الناسُ منه يدا
فليس أدري له مِثْلاً أنظّره ... ومن يدانيه في شأوٍ فَقَدْ بَعُدا
علمٌ وحلمٌ ومعروفٌ وطيبُ ثنا ... وحُسْنُ سَمت ونسك زائد وهدى

تمرُّ أوقـاتـه في حفـظ سُـؤدَده ... فما رأيت لـه وقتـاً يضيع سُـدى
يُقري الـورى جفنـات ثم يقرئهم ... مجلـدات لمن وافى ومن وفـدا
وحين جـاور من جَوْر الزمـان وقد ... أنضى إلى مكـة العيرانـةَ الأُجُـدا[1]
وكان خير فتى أدّى فرائضـه ... في عصره وتردّى الصَّبْرَ والجلـدا
وكل يـوم يـزيـد البّر في عمـل ... منـه على أمسـه حتى يُسَرّ غـدا
مضى إلى الله محفـوفـاً برحمتـه ... حتى يُـلاقي غَدا في الحشر مـا وُعِـدا
أكاد من حسن ظني في طريقتـه ... أني أشـاهـدُه في جملـة الشهـدا
يـا بن العـلائيّ إني قـد قضيتـك من ... حـق الرثـاء الـذي أبصرتـه رشـدا
فـاذكر أخـاك إذا حيّتـك نـافحـةٌ ... من روح ربك أو بَلّت لديك صدى
فـأنت ضيف عظيم الجُـود وهـو إذا ... مـا جـاد لم يَنسَ من معروفـه أحـدا
وقم إلى الله يـوم الحشر في دَعَـةٍ ... فـأنت عنـديَ معـدودٌ من السُّعَـدا

٦٣٩ ـ خليل بن أَيْتمش*

الأمير صلاح الدين بن الأمير الكبير أيتمش المحمّدي ، والـده تقـدم ذكره في مكانـه من حرف الهمزة .

وكان هذا صلاح الدين له صورةٌ سبحان من أَبْدَعهـا ، ولو شـاء لـذهب بـالشمس وأطلعها ، بديع الجمـال ، وافر الحسن ، يشهـد لـه البـدر بـالكمـال قـد تـأنى الحسن فيـه وتـألق ، وتَملأ القمر بنظره لمـا رآه فتملّـق ، بقـد من أين للغصن تخطّره ، ونشر من أين لزهر الروض في السحر تعطّره ، ووجـه حلا نَظَرُه ، وتمنى الأفقُ لو أنّـه شمسُـه أو قمره ، وعيون من نَفّاثـات السّحر في عُقـد القلوب ، وجفون كم وقع أسَـدَ منهـا في أُقلوب ، وفم

(١) العيرانة الأجد : الناقة القوية السريعة . وأصل هذا البيت قول النابغة الذبياني :
فعـد عمـا ترى إذ لا ارتجـاع لـه ... وانم القتـود على عيرانـة أجـد

* الدرر : ٨٨/٢ .

تَبَسَّم مَرْجان شَفَته عن لآلئ منظومه ، ووجنات كأنها بأزاهر الحدائق مَرْقُومه ، وشعر يخط في الأرض إذا خطا ، ويحسده الغزال إذا عطا ، زان بجماله المواكب ، وزاحمته الكواكب على حسنه بالمناكب .

فلو قَدِر البدر كان الذي تطلَّع ما بين أطواقه
وما أطمع الظبي إن رام أن يحاكيه يوماً بأحداقه

بينا هو في أمر صعوده ، ومنازل سعوده ، إذ أنزله الحمام من حصنه ، وبكى الحَمَام على غصنه وتجرع أبوه كأس فقده المر ، وود لو كان بَدَله في تلك الحفر ، فتأسف الناس على شبابه ، وبلّوا بَوبل دموعهم ماجف من ترابه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الأربعاء تاسع شهر رمضان ، سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان ممن يحبّه ويهواه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، ولكنه كان يحبّ من غير إتيان محرّم أو معصية غير النظر .

اللقب والنسب

☆ **ابن الخليلي** : الصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز . وولده شرف الدين عبد الرحمن .

٦٤٠ ـ خُوْبي*

بضمّ الخاء المعجمة ، وسكون الواو ، وبعدها باء موحدة وياء آخر الحروف .

كانت جارية الأمير سيف الدين بكتمر الساقي ، اشتراها بعشرة آلاف دينار

* الدرر : ٩٥/٢ .

مصرية ، كانت مُغْنّية[1] عوّاده ، باديـة الحسن والطرب عوّاده ، لم يكن دَخَل مصر لهـا نظير ، ولا غنّى الحَمَام على مثل قدّهـا النّضير ، اشتراهـا وهـام في هواهـا ، وسكّنهـا في داره على بركة الفيل التي ما اقتنى أحد مِثْلَها ولا حواها ، إذا جسَّت أوتارها أخـذت من القلـوب أوتـارهـا ، وجرى من لطف أنـاملهـا المـاءُ في العُـود ، وقيـل : هـذا البـدرُ في السّعود . فإذا غنّت أَغْنَت عن الأطيار ، وإذا عَنّت عَنَت قلوبُ البررةِ الأخيار .

ثم إنها نُقلت بعده إلى مُلْك بُشتـاك ، وزَنَ فيهـا ستـة آلاف دينـار ، ودخل معهـا قماش وحليّ ، وغيرُ ذلك بعشرة آلاف دينار ، ثم إنه وهبها لمملوكه ألطنبغـا فيمن أظن ، وهنا آخر علمي بأمرها .

ولّما اشتراها بكتمر الساقي بلغ أمرها امرأته أمّ أمير أحمد ، فقالت له : أريد أنزل إلى دارك التي على البركة لأتفرّج هناك ، فعلم المقصود ، فنزل إلى خوبي وقـال لهـا : الستّ إذا جاءت إلى هنا اجلسي بين يـديهـا والعودُ في حجرك ، واضربي قُـدّامهـا ، وغنّي لهـا نوبةً مُطْربة ، فلما نزلت ودخلت الدار أوّل ما توجّهت إلى الشباك المُطِلّ على البركـة ، واشتغلت ساعة ، ثم التفتت بعد ذلك إلى جهة جواريها ، فرأت جارية تركية بيضـاء ، وجميـع مـا عليهـا أبيض مصقـول من غير زركش ولا حلي ولا مصـاغ فـأنكرت ذلـك ، وقـالت : مَنْ هي هـذه ؟ فبـاست الأرض وقعـدت ، ووضعت العُـودَ في حجرهـا ، وقالت : دستور ، وغنّت نوبةً كاملة مطربة ، فقالت الستّ : من هي هذه ؟ فقـالوا : هذه جارية الأمير . فقالت : هذه خوشداشتي ، ثم أخذت بيدها ، وأجلستها إلى جانبها وأحضرت لهـا بَـدْلـة كاملـة بطرز زركش وبـاولي وزركش ، وحليّـاً ومصـاغـاً ممـا هو يجمّله ، وقالت لمن يثق إليها : والله لّما قـالوا اشترى الأمير جـاريـة بعشرة آلاف دينـار وسكّنهـا في داره على البركـة ، ظننت أنهـا تكـون مثلي في الحشم والخـدم والجـواري والملبوس . ثم إنها طلعت بعد ذلك إلى القلعة ولم تنكرْ من أمرها شيئاً ، واطمأنت نَفْسُهـا إلى ذلك .

(١) في الأصل : « فعلية » ، ولا وجه لها . وأثبتنا ما في الدرر ، وما يتفق مع سياق النص ههنا .

قلت : ضعيفان يغلبان قوياً ، لأنّ بكتمر الساقي رحمه الله تعالى تداهى فيما قاله لخوبي ، وزادت هي في الدهاء عليه ، فما حصل لهما بذلك إلاّ خَيْر .

ولمّا توفي بكتمر الساقي رحمه الله تعالى في طريق الحجاز قال السلطان : والكم أوّل ما تَصِلون القاهرة احترزوا على عود خوبي ، فإنها أول ما تسمع خبر بكتمر تكسر عودها . وكان الأمر كما قال ، فقيل : إنها أوّل ما بلغها ذلك قبل وصول السلطان كسرت عودها . وغضب السلطان عليها ، وأباعها لبشتاك بستة آلاف دينار ، ولكنها لم تقع من قلب بشتاك بموقع[1] .

اللقب والنسب

☆ **ابن خواجا إمام :** محمد بن عمر .
☆ **ابن أبي الخوف :** أحمد بن محمّد .
☆ **ابن الخيمي :** مجد الدين إبراهيم بن علي .
☆ **ابن الخلاطي الكاتب :** محمد بن نجيب .

(١) في الدرر : أنها توفيت بعد سنة (٧٤٠هـ) .

حرفُ الدَّال

الألقاب والأنساب

☆ **الداراني** : القاضي صدر الدين سليمان بن هلال .

٦٤١ ـ دانيال بن منكلي بن صرفا*

القاضي ضياء الدين أبو الفضل التركماني ، القاضي بالشَّوْبَك .

سمع بالكرك من ابن اللَّتي . وقرأ القراءات على السّخاوي بدمشق ، وسمع من كريمة ، ومن جماعة . وسمع ببغداد من ابن الخازن وعبد الله بن عمر بن النَخَّال ، وهبة الله بن الدّوامي[1] وإبراهيم بن الخيّر . وبحلب من [ابن][2] خليل . وبمصر من يوسف السَّاوي وابن الجَمَّيْزي .

وولي قضاء الشوبك مُدّة . وولي القضاء بأماكن . وخرّج له علاء الدين علي بن بلبان (مشيخةً) قرأها عليه شرف الدين الفزاري . وخرّج له ابن جَعْوان[3] أربعين حديثاً .

وسمع منه المِزّي والبِرْزَالي .

---

* الوافي : ٤٥٥/١٣ ، وغاية النهاية : ٢٧٨/١ ، والشذرات : ٤٣٥/٥ .

(١) هبة الله بن الحسن (ت ٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٣/٥ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ثابتة في الوافي .

(٣) محمد بن محمد بن عباس (ت ٦٨٢ هـ) ، الوافي : ٢٠٣/١ .

وكان شيخاً متميزا ، سكن من الوقار حيّزا ، شكله تام ، وفضله في العلم عـام ، قـد تنقل في الولايات ، وحكم في عدّة جهات .

ولم يزل على حاله إلى أن أمسى الموت في دانيال دانيا ، وطَرْفُ الحمام إليه رانيا .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست وتسعين[١] وست مئة بالشوبك .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

٦٤٢ ـ داود بن إبراهيم بن داود الشافعي*

سمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وابن البخاري وغيرهما[٢] .
وأجاز لي بخطه في سنة ثلاثين وسبع مئة[٣] .

٦٤٣ ـ داود بن أسد**

الأمير بهاء الدين القيمري .

كان من رجـال الـدهر في السعي والتقـدّم ، وأهل الزمـان في التـوصّـل إلى خراب بيوت أعاديه والتهدم ، إلاّ أنه لا يدوم له حال ، ولا تثبت له قدم ، حتى يرميـه الـدهر بالانتقاد والانتقال .

ولم يزل بين هبوط وصعود ، ونحوس وسعـود ، ومبـاشرة أمـلاك وعمـائر ، ونصب دلالات وأمائر ، حتى قمر الدهر من القَيْمري عمره ، وأنفذ الحِمَامُ فيه أَمْرَه .

وورد الخبر إلى دمشق بوفـاتـه في العشر الأوسـط من شهر ربيع الآخر سنـة ثلاث وستين وسبع مئة .

(١) في الأصل : « وأربعين » ، سهو ، وأثبتنا ما في مصادر ترجمته .
* الوافي : ٤٥٧/١٣ ، ووفيات ابن رافع : ٣٠٣/١ ، والدرر : ٩٥/٢ ، وذيول العبر : ٢٨٧ .
(٢) في الوافي : « داود بن .. من شيوخ شمس الدين » ، وفيه اضطراب صوابه : من شيوخه .
(٣) ووفاته في جمادى الآخرة سنة (٧٥٢ هـ) . ومولده سنة (٦٦٥ هـ) .
** الدرر : ٩٦/٢ .

أوّل ما عرفت من حاله أنه تعلّق على الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب الشام لما كان بغزة ، وخدَمه . ولما نقل إلى نيابة الشام حضر معه إلى دمشق ، ولم يزل يسعى إلى أن حصّل إمره عشرة بغزة ، ثم صار يتعلق على واحد بعد واحد ممن يَظْهَرُ في كل دولة بالديار المصرية واحداً بعد واحد ، إلى أن أعطي في وقتٍ إمرة طبلخاناه ، وهو يجتهد في التقرب إلى خواطر الأمراء بالضمانات والزراعات والتجارات ، إلى أن تعلّق أخيراً على الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي ، كل هذا وهو في غَزّة .

ولما حضر السلطان الملك المنصور محمد في واقعة بَيْدَمُر[1] حضر في ركاب الأمير سيف الدين يلبغا[2] فأعطي إمرة طبلخاناه بالشام ، فأقام بدمشق قليلاً ، وتوجّه إلى بلاده بغزّة ، فأقام هناك ، وفي الساحل وفي نابلس فوق الشهرين إلى أن وصل الخبرُ بوفاته رحمه الله تعالى .

وكان قد ولي في وقتٍ نظر القدس الشريف ، وبلد سيدنا الخليل عليه السلام . وكان قد تعلل في نابلس وأمر أن يُحمل إلى القدس ، فحُمل على باب ، وأظنه مات هناك .

وقيل : إنه خلّف ثماني مئة ألف درهم .

٦٤٤ ـ داود بن أبي بكر بن محمد*

الأمير نجم الدين بن الزيبق ، بالزاي والياء آخر الحروف ، والباء الموحّدة وبعدها قاف .

كان من رجال المباشرات وأُولي الدُرْبة في الولايات . إذا تولّى جهة أصلحها

(١) سنة (٧٦٢ هـ) . البداية والنهاية : ٢٨٦/١٤ . وبيدمر هذا هو بيدمر الخوارزمي ، يلقّب بملك الأمراء ، توفي سنة (٧٨٩ هـ) . الذيل التام : ٣٤٧ ، والدرر : ٥١٣/١ .

(٢) ابن عبد الله الخاصكي (ت٧٦٨ هـ) ، الدرر : ٤٣٨/٤ .

* الوافي : ٤٦١١٣ ، والدرر : ٩٧/٢ ، وذيول العبر : ٢٦٥ .

بالسياسه ، وصال على أهلها بالصّرامة والنفاسه ، وله في دَسْتِه العَبْسَه ، والمهابة الزائدة في الجلْسه ، يُطْرِق ولا يُطرِف ، ويعرف أشياء ، ويُري أنه ما يعرف .

اشتهرت حرمته في البلاد ، وعلم أنه صاحب جدال وجلاد ، وإذا ذُكر اسمه للمفسد ودّ أنه لم يُخْلَق ، ورأى أنه يموت ولا يرى ابن الزيبق ، هذا إلى لطفٍ وحُسْن أدبٍ ، إذا خلا بأصحابه ، ومَن يأنس إليه من إخوانه وأترابه . وكان يرعى صاحِبَهُ ولا ينساه ، ويخدم الناس ، ولو دبّ على المِنْسَاه[١] .

تنقّل في ولايات الشام ومصر سنين ، وقمع الله به جماعةً من المفسدين .

ولم يزل على حاله إلى أن غَرُب من عمره نَجْمهُ ، ومُحي في رِمْسِه رَسْمُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رجب الفرد سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ودفن بالصالحيّة عند تربة الشّيّاح[٢] .

أخذ العشرة ، وباشر في أيام سُلاّر خَاصَّ الساحل والجبل ، ثم باشر خاصّ القِبْلِيّة ، وبعد ذلك باشر الخاصّ بدمشق عوضاً عن الأمير سيف الدين بُكْتَمُر ، ثم باشر شدّ الديوان بحمص ، ثم باشر شدّ الأوقاف بدمشق ، ثم تولّى جبل نابلس ، ثم إنه نُقل إلى شدّ الدواوين بدمشق عوضاً عن الأمير بدر الدين بن الخشاب[٣] في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ثم باشر شدّ غزة والساحل والجبل . وشُكِرَ للسلطان الملك الناصر فَطَلَبه إلى مصر وولاّه ولاية مصر وشدّ الجهات والصناعة والأهراء ، وأعطاه طبلخاناه ، ولم يداخل القاضي شرف الدين النشّو ناظر الخاص ، وراج عليه الأمير علاء الدين علي بن

---

(١) المنسأة : العصا .

(٢) في الأصل : « الشياخ » وصوابه ما في الوافي .

(٣) محمد بن يحيى بن الخشاب ، ستأتي ترجمته .

المروانيّ ، وداخل النشو ، فكانا إذا حضرا عنده ينبسط ابن المرواني مع[١] من يكون حاضرا ، ويُندِّب ويَنْشَرح ونجم الدين الزيبق في تصميم وإطراق ، أو يُري أنه ناعس ، إلى أن رأى النشو أنه ما يدخل معه في دائرته ، فاتفق مع الأمير سيف الدين مكلتمُر الحجازي ، وأحضر من شكا منه في يوم دارِ عَدْل ، فعزله السلطان ، وأمر بإخراجه إلى دمشق إكراماً للأمير سيف الدين تنكز في يومه ذاك ، فعاد إلى دمشق ، فولاّه تنكز شدّ الأوقاف والخاص ، إلى أن جرت واقعة النصارى في نوبة الحريق بالجامع الأموي ، فسلّمهم الأمير تنكز إليه ، فتولّى عقابهم وتقريرهم ، واستخرج أموالهم وتسميرهم على الجمال وتوسيطهم وحريقهم[٢] .

وجرت عقيب هذه الواقعة كائنة تنكز وإمساكه[٣] ، فأمسك الأمير نجم الدين في جُملة من أمسك لأجله ، ثم أفرج عنه . وتولّى نابلس في أيام الأمير علاء الدين أيدغمش ، ثم عزل وتولّى برّ دمشق في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر .

ثم طلب إلى مصر في أيام الصالح إسماعيل ، وتولّى شدّ الخاص المرتجع عن العُربان بالشام وصفد وحمص وحماة وطرابلس . وأقام كذلك ولده شجاع الدين أبو بكر نائبه في ولاية البرّ بدمشق إلى أوائل أيام الأمير سيف الدين يلبغا ، فتوجّه على الخاص إلى مصر ، وتولّى بمصر شد الجيزيّة ، وكان بها كاشفاً ومشدّا .

ولما أمسك يلبغا[٤] وأقاربه ومن كان تسحّب معه حضر الأمير نجم الدين هو والصاحب علاء الدين بن الحرّاني والأمير عزّ الدين أيدمر الزرّاق للحوطة على موجود المذكورين وإقطاعاتهم ، وجَعَل الأميرُ شمس الدين آقسنقر أمير جاندار يتحدث

---

(١) عبارة الوافي : « ابن المراواني بين يدي النشو مع » .

(٢) انظر في تفصيل ذلك أحداث سنة (٧٤٠ هـ) من البداية والنهاية : ١٨٦/١٤ .

(٣) في سنة (٧٤٠ هـ) .

(٤) اليحيوي .

معهم . وكان قد عُيّن للأمير نجم الدين إقطاع طبلخاناه لتجهّز إليه إلى الشام ، فاعتلّ قريباً من جمعة ، ومات رحمه الله تعالى .

ومن حُسن سياسته أنه تولّى نابلس في أيام تنكز فقَتَل فيهم ، وأراق دماءهم ، وبعد ذلك نقل عنهم وولي شد دواوين دمشق . وغضب عليه تنكز وأمسكه[١] ، وطلب منه مئة ألف درهم ، فحضر أكابر أهل نابلس ، فقالوا : نحن نزنها عنه ، ويعاد إلينا والياً ، فكان ذلك من أسباب الرضى عنه .

وكنت قد كتبتُ له توقيعاً بشد الخاص بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وكان ذلك عقيب قدومه من مصر إلى الشام ، وهو :

الحمد لله الذي جَعَل نجم الدين في آفاق السعادة طالعا ، وسيّره في منازل السيادة[٢] حتى كان الحكم بشرفه قاطعا ، وقدّر له الخير في حركاته وسكناته مستقيماً وراجعا ، وأبرزه في هذه الدولة القاهرة لشَمْل مسرّاتها جامعا ، نحمده على نعمه التي قَرّبت مَنْ نأى بعد انتزاحه ، وأعادته[٣] إلى وطنه الذي طالما شام التماعَ برقه في الدجى بالتماحه ، وجَبَلَتْهُ على إشارة دون كل قطر تبسم روضه بثغر أقاحين وما قلنا أقاحه ، وخصته بمباشرة خاص تأتّى له وتأتي البركاتُ فيه على اقتراحه .

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةً نزل إثبات التوحيد في أبياتها ، ووجدت النفوس لَذّاتها بإدمانها لِذَاتها ، ومَدّ الإيمانُ أيدي جُناتها إلى ثمار جنّاتها ، وأوصل[٤] الإيقان راحات قاطفيها إلى راحاتها .

ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله[٥] إلى الخاص والعام ، وأورثه من

(١) في ربيع الأوّل سنة (٧٣٥ هـ) ، البداية والنهاية : ١٤/١٧٠ .
(٢) في الوافي : « السعادة » .
(٣) في الأصل : « وأعاده » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الأصل : « وواصل » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) ليست في الوافي .

خزائن جوده فريد الإفضال ومزايا الإنعام ، وحبَّبه إلى قوم هم أنس الإنْس ، وجنّبه قوماً ﴿ إنْ هُم إلاّ كالأنعام ﴾[١] وأيده بالكرامة ، وأمدّه بالكرم ونصره بالملائكة الكرام . صلّى الله عليه وعلى آله وصَحْبه الذين سَدّوا[٢] ما ولاّهم ، وسادوا مَنْ والاهم ، وشادوا مجد هذه الأمة فهم أولادهم فيه وبه أُولاهم ، ووعدوا على ما اتَّبعوا[٣] جنةً دعواهم فيها : سبحانك اللّهم ، صلاةً يتضوّع من نَشْرها[٤] شذاهم ، وتكفي من اتبعهم شرّ أهل البدع وتقيه إذا هَمَّ أذاهُم ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فلّما كانت وظيفة شدّ الخاص الشريف بدُومَة ودارِيّا[٥] من أجل الوظائف ، وأنفس المناصب التي كم أمّها عافٍ وراقها عائف ، وأشرف المباشرات التي من دونها « بيض الصفائح لا سود الصحائف »[٦] ، يحتاج مَنْ باشرها إلى أن يكون ممّن عَلَت هِمَمُه ، وغلت قيمُه ، وشُكرت[٧] شيمه ، حتى تفيض على العام من الخاصِّ نِعَمُه ، وتَدُرَّ بداريا دُرَرُه ، وتدومُ على دُومة دِيَمُه .

وكان المجلس السامي الأميري النجمي داود بن الزيبق الناصري ممن تهادته الممالك الإسلامية شاماً ومصرا ، وحاز نوعيّ الثنا[٨] مداً وقصرا ، وفات البلغاء من الحصر وَصْفُه حَصْرا ، وطَرَفَ عيناً تروم العين ، ووضع عن الغلال أغلالاً وإصْرَا . طلع في كل

(١) الفرقان : ٤٤/٢٥ .
(٢) في الأصل : « شدوا » ، وأثبتنا ما في الوافي وهو أقرب .
(٣) في الأصل : « ابتغوا » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الوافي : « طيّها » .
(٥) على أطراف مدينة دمشق اليوم .
(٦) هو قول أبي تمام في بائيته الشهيرة :
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب
(٧) في الوافي : « وعكرت » ، تحريف .
(٨) في الوافي : « السنا » .

أفق ، ولا غرو ، فهو النجم ، وأقام على من خطف الخَطْفَة من رصد حِفْظِهِ كَوْكَبَ رَجْم ، وصَلَبَ عودُه على من أراد امتحان بأسه بغمز أو اختبار لينه بَعجْم ، وانتقل من جنة دمشق إلى مجاورة النيل وهو نَهْرُ الجنّه ، وعاد إلى وطنه ومصر مُصرّةٌ على محبَّته ، فأشواقها في سُموم هوائها مستجنّه ، وحَسُنت مباشرته في كل قطر مَحْدود ، وباتت مخازيم[١] سؤدده وسَدَادها مسدود ، وأضحى وعمل عمله ليس لناظر فيه مخرج ، ولا دون فضله بابٌ مردود ، وأطربت مناقبُه حتى قال الناس[٢] : هذه مزامير داود .

فلذلك رُسِم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري أن يفوّض إليه كذا[٣] ، فليباشر ذلك مباشرةً تَشْخص لها عيون[٤] الأعيان ، ويتعلّم الكتّاب منها تثمير أقلام[٥] الديوان ، والأبطالُ تدبير عوالي الْمُرّان ، مجتهداً فيما يدبرّه ، معتمداً على حسن النظر فيما ينبّه عليه أو يثمّره ، فما نُدِبَ لذلك إلاّ لحسن الظن بسياسته ، ولا عُيِّن لهذه الوظيفة إلاّ لجميل المعرفة بما جُرّب بين سؤدده ورياسته ، ومثله لا يُنبّه على مصلحة يُبْديها ، أو منفعة يعلنها أو يُعليها ، أو فائدة يَهْديها أو يُهْديها ، أو كلمة اجتهاد لا يملّها من يأخذها عنه أو يستمليها .

وهو بحمد الله تعالى غنيّ عن إطراء من يمدحه من الغاوين ، أو يُزَهِّره له بشدّ هذا الديوان ، فقد باشر قبله شدَّ الدواوين ، فلا يَبْذُلْ للناس غير ما ألفوه من سجاياه الحسان في الإحسان ، ولا يَطْوِ بِشْرَهُ عنهم ، فمن رآه لم يكن معه محتاجاً إلى بستان ، ولا يعامل الرفاق إلاّ بالرفق ، فإنَّ ﴿ كلّ مَنْ عليها فان ﴾[٦] ، والتقوى ملاك الوصايا فليجعلها له نجيّا ، وقوامُ الأمور فلا يتخذها ظِهريا ، وسداد كل عوز فمن

(١) في الوافي : « مخاريم » ، وكلاهما له وجه . والخرم والخزم الثقب .
(٢) عبارة الوافي : « حتى قال الناس فيها » .
(٣) عبارة الوافي : « أن يفوض إليه شدّ الخاص على عادة من تقدّمه » .
(٤) في الوافي : « عين » .
(٥) في الأصل : « أعلام » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٦) الرحمن : ٢٦/٥٥ .

رامها ﴿ تمثّل لها بشراً سويّاً ﴾[١] ، والله تعالى يتولاّه فيما ولاه ، ويزيده من فضله الأوفى على ما أولاه ، والخط الكريم أعلاه الله تعال أعلاه ، حُجّةٌ على ثبوت العمل بما اقتضاه[٢] ، إن شاء الله تعالى .

٦٤٥ ـ داود بن الحسن بن منصور*

علم الدين بن سوّاق[٣] .

قرأ الفقه على بهاء الدين هبة الله القفطي ، وتأدّب على أبيه ، وقد مرّ ذكره في حرف الحاء .

كان شاعراً مطبوعا ، محمولاً على اللطف موضوعا ، خفيف الروح ، لا تندمل له من اللهو قروح .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل الأمرُ الذي هو لقبض النفوس توّاق ، وساق ابن سوّاق إلى القبر سَوّاق .

وتوفي في حياة والده رحمه الله تعالى سنة ست[٤] وسبع مئة . وأورث أباه داءً عظيما ، وقال من حُزنه : ياليت الفتى أضحى عقيما .

وممّا قال أبوه في رثائه :

مصابك يا داود ليس يهونُ فقد أنبعَتْ فيك العيونَ عيونُ[٥]

---

(١) الآية من سورة مريم ١٧/١٩ .

(٢) عبارة الوافي : « حجّة بمقتضاه » .

* الدرر : ٩٧/٢ ، والطالع السعيد : ٢٤١ .

(٣) في الطالع : « شواق » .

(٤) في الطالع : « وذكر لي أخوه أنه توفي سنة خمس وسبع مئة ، في شوال » .

(٥) في الطالع : « لقد » .

ورثاه محمد بن الحكم بقصيدة منها :

قصدتُ رَبْعَ بني سوّاق مبتغيا حَجّاً فخبت لأنّي لم أرَ العلما[١]

ومن شعره علم الدين يمدح طقْصُبا والي قوص :

لاح برق من الخبا إنَّ هذا له نَبَا
وتنشّقتُ نسمة طرقتني مع الصَّبا
هِمْتُ لمّا شممتها وفؤادي لها صَبا
وسرى النشر في الورى عمَّ شرقاً ومَغْربا
هذه دولة الرضا وَبْلُها جاءَ صَيِّبا
جئت بالحق ناطقاً لستَ يابَرْقُ خُلّبا
إنما أنت بارقٌ لاح من وجه طقْصُبا[٢]
سيفُ دِين مجرّدٌ ضيغمٌ ضَمَّهُ قِبَا
عفوه وانتقامه قَرَن الذيب والظِّبا
وغدا طوع أمره أسمرُ الخَطّ والظُبى[٣]

قلتُ : شِعْرٌ عَذْب منسجم .

٦٤٦ ـ داود بن محمد*

ابن أبي القاسم بن أحمد بن محمد : الأمير الرئيس الجليل عماد الدين ابن الأمير بدر الدين الهَكّاري .

---

(١) هو في الطالع السعيد .
(٢) في الطالع : « عن وجه » .
(٣) أي الرماح والسيوف ، والأبيات في الطالع السعيد .
* الوافي : ٤٩٤/١٣ .

سمع من ابن اللَّتي ، وحامد بن أبي العميد القزويني[١] ، والزكي البُرْزَالي[٢] ، وابن رواحة ، وابن خليل ، وابن قُمَيرة بحلب ، والتاج بن أبي جعفر بدمشق ، وعمّار بن منيع بحَرّان ، وعبد الغني بن بنين[٣] بمصر .

كان فاضلاً نبيلا ، عاقلاً جليلا ، تولّى نيابة قلعة جعبر في أيام الناصر ، وكان في تلك الدولة ممن تُعْقَدُ عليه الخناصر .

ولم يزل يركب ويتصيّد ، ويتصدى للحركات ولا يتقيّد ، إلى أن حان مقدوره ، وآن نزوله في القبر وحُدُوره .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

ومولده سنة تسع وست مئة .

وحدّث بدمشق والقدس .

٦٤٧ ـ داود بن مروان بن داود*

الفقيه الإمام القاضي نجم الدين أبو سليمان المَلْطي الحنفي .

كان شيخاً كبيراً من أعيان الحنفيّة ، درّس بعدة مدارس ، وتولّى قضاء العسكر . وكان يقدم إلى دمشق ، ويحكم فيها نيابةً عن قاضي القضاة حسام الدين[٤] أيام إقامته .

وكان فيه مروءة وتعصب .

توفي رحمه الله تعالى ثالث شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وسبع مئة .

---

(١) (ت٦٣٦ هـ) ، الوافي : ٢٨٠/١١ .

(٢) محمد بن يوسف (ت٦٣٦ هـ) ، الشذرات : ١٨٢/٥ .

(٣) عبد الغني بن سليمان (ت٦٦١ هـ) ، الشذرات : ٣٦٠/٥ .

* الدرر : ٩٩/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٠٥/٥ .

(٤) الرازي ، أحمد بن الحسن أنوشروان ، سلفت ترجمته .

٦٤٨ ـ داود بن يوسف بن عمر*

رسول الملك المؤيد هِزَبْر الدّين بن الملك المظفر التركماني صاحب اليمن .

بحث (التنبيه) ، وحفظ (كفاية المتحفّظ) ، و (مقدمة ابن بابشاذ) ، وسمع من المحبّ الطبري وغيره .

كان قد تفنن في العلوم ، وأخذ بكل طَرَفٍ من الفضائل والفهوم .

وسمع الناسُ بميله إلى الأفاضل ، فجاؤوه من كل قُطْر بعيد ، واعتدَّوا للدهر يوم لقائه بعيد ، وانثالوا عليه من كل فجّ ، وأمّوا كعبة جُوده بالحج . وأحسن إلى الواردين ، وأجمل إلى القاصدين ، وهاجر إليه أرباب الصنائع ، وأودع عندهم الأيادي والصّنائع ، وجلب إليه نفائس الأصناف ، وأنصف أربابها في العوض عنها غاية الإنصاف ، جُهِّزَتْ إليه نسخة (بالأغاني الكبير) في مجلدة واحدة بخطّ ياقوت ، فوزن فيها مبلغ خمسة آلاف درهم ، واشتملت خزائنه على مئة ألف مجلدّ .

وكان يحبّ أهل الخير ، ويزور الصالحين ، وكانت أيامه كثيرة الخير .

قيل : إنّ عز الدين الكولي[1] ورد عليه ، ومعه من الحرير والمسك والصيني ما أدى عنه ثلاث مئة ألف درهم . وأنشأ قصراً عديم المثل بديع الحُسْن .

ولما مات رحمه الله تعالى اضطرب أمر اليمن مدّة ، وتمكّن الملك الظاهر بن الملك المنصور ، وقبضوا على المجاهد بن المؤيّد ، ثم مات المنصور ، وكان ديِّنا رحيما .

ثم ثار أمراءٌ مع المجاهد ، فاستولى على قلعة تَعز ، ثم قوي أمره ، وجرى على الرعايا من النهب وافتضاض الأبكار كل سوءٍ ، ودام الحرب بين الظاهر والمجاهد ، وآل

---

* الوافي : ٥٠١/١٣ ، والنجوم : ٢٥٣/٩ ، وفوات الوفيات : ٤٢٩/١ ، والدرر : ٩٩/٢ ، والبدر الطالع : ٢٤٦/١ ، والشذرات : ٥٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٠٧/٥ .

(١) عبد العزيز بن منصور الكولي ، ستأتي ترجمته .

الأمرُ إلى أن استقلّ الظاهر ، وبقيت تَعِز بيد المجاهد ، فحوصر مدّة ، وخربت لذلك تعز خراباً لا يستدرك ، ثم إن المجاهد تمكّن وأباد أضداده .

ولم يزل المؤيد هزبر الدين في أَرْغد عيش مدّة نيف وعشرين سنة ، لأنه ملك بعد أخيه الأشرف سنة ست وتسعين ، وبقي في ملك اليمن إلى أن خُذل بالموت المؤيد ، وأنزله من قصره إلى قبر تشيّد .

ووفاته رحمه الله تعالى في ثاني ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، ودفن عند قبر أخيه بالمدرسة .

وقال تاج الدين عبد الباقي[١] الآتي ذكره إن شاء الله تعالى يمدحه ، وقد ركب فيلاً ، ونقلته من خطه :

الله أَوْلاك يا داود مكْرُمةً ... ورتبةً ما أتاها قَبْلُ سلْطَانُ[٢]
ركبْتَ فيلاً وظل الفيل ذا رَهجٍ ... مستبشراً وهو بالسلطان فَرْحَانُ
لك الإلهُ أذلَّ الوحشَ أَجْمَعه ... هل أنت داود فينا أم سليمانُ[٣]

وقال يمدحه وقد بنى القصر[٤] ، ومن خطّه نقلت :

يا ناظم الشِّعر في نُعْمٍ ونَعْمان ... وذاكِرَ العَهْد من لُبنى ولُبنان
ومُعْمِلَ الفكر في ليلى ولَيْلتها ... بالسفح من عَقَدات الضال والبان[٥]
قصرٌ فبالعُلْو من وادي زبيدَ علا ... عالي المنار عظيم القدر والشان[٦]

(١) عبد الباقي بن عبد المجيد المخزومي (٧٤٣هـ) .
(٢) في المنهل : « ولاك » .
(٣) في الوافي ، والنجوم ، والمنهل : « فيه » .
(٤) الذي بظاهر زبيد ، كما في الوافي . وانظر المنهل .
(٥) في الأصل : « السفح » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٦) في الفوات : « فيا لعلوّ من زبيد علا » .

بـه التغـزّل أحلى مـا يُرَى بهجـاً ... فـدع حـديث لُيَيْـلات بعُسفـان
قصرٌ بنـاه هِـزَبْرُ الـدّين مُفْتَخرا ... وشـاد ذلـك بـانٍ أيَّما بـان
هـذا الخورنَـق بـل هـذا السـديرُ أتى ... في عصر داودَ لا في عصر نعمان
فقف براحتـه تَنْظُرْ لهـا عجبـاً ... كم راحـة هَطَلتْ منـه بـإحسـان
أنْسَى بـإيـوانـه كسرى فـلا خَبَرٌ ... من بعـد ذلـك عن كِسْرَى لإيوان[1]
سـامَى النجـوم عـلاءً فهي راجعـةٌ ... عن السُّمُـوّ لإيـوان ابن حسّـان
تـودّ فيـه الثريـا لـو بـدت سُرُجـاً ... مثـل الثريـا بـه في بعض أركان
يَحُفّـهُ دَوْحُ زَهْرٍ كلّـه عَجَبٌ ... كم فيـه مِنْ فَنن زاهٍ وأفنـان

[الألقاب والأنساب][2]

☆ **ابن الدباهي الحنبلي :** محمد بن أحمد .

☆ **الدبابيسي :** مسند القاهرة يونس بن إبراهيم .

٦٤٩ ـ درباس بن يوسف بن درباس*

الأمير الكبير حسام الدين الحَميدي .

كان بدمشق حاجبا ، وشكرُه واجبا ، لأنه باشر الحجوبية ، وشدَّ الأوقاف ، فـأثنى عليه حتى الحمائم على فروع الأراك فوق الأحقاف[3] .

وكان ذا هيئة وشكاله ، ورئاسة وحشمة وجلاله ، فصيح اللسـان ، مليح البيـان ، شِعْره والدُّرَّ سواء في القيمه ، وكلامه لانسجامه كأنه صوب الدِّيْمَه .

---

(١) في المنهل : « من بعد ذكرى عن كسرى لإيوان » وهو مختل الوزن .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الدرر : ١٠١/٢ ،وذكره في ترجمة أبيه صاحب تالي وفيات الأعيان : ١٧٣ .

(٣) الحقف : المعوج من الرمل ، وأصل الجبل .

لم يزل بدمشق على حاله إلى أن أثارت له المَنُون حربا ، وسدّت على ابن درباس من الحياة دربا .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة .

وكان أولاً بصفد فهام بحبّها ، وأَلِف بها ، ثم إنه نُقل إلى دمشق ، وأعطي إمرة الطبلخاناه والتقدّم والوجاهة ، وهو يتشوّق إلى صفد ، ويتذكر أوقات أنسه ، وإذا رأى أحداً من أهلها مال إليه وصبا ، وشمّ فيه أرج ما قطعه هناك في زمن الصِّبا . ونظم في حنينه إليها أشعاراً ، وغنّى بها الناس .

من ذلك :

يا صاحِبيْ إن شئت توليني مِنَنْ
عَرِّجْ على صَفَدٍ فلي فيها شَجَنْ
وبها أحبائيْ وأهلي والوطنْ
وهم أعزٌّ عليّ من روحي ومَنْ أهواهُمُ في السّرِّ والإعلانِ

كم ليلة قد بتّ في ساحاتها
أجني ثمار اللهو من وَجَناتها
وأجرُّ ذيل صِبايَ في عرصاتها
هل راجعٌ ما فات من لذاتها أترى يعودُ لنا زمانٌ ثانِ

الأنساب والألقاب

☆ **ابن دقيق العيد** : تاج الدين أحمد بن علي . وعز الدين عامر بن محمد بن علي . وطلحة بن محمد بن علي . ومحب الدين علي بن محمّد . وجلال الدين محمد بن عثمان . والشيخ تقي الدين محمد بن علي . وكمال الدين محمد بن محمد بن علي .

☆ **الدقوقي** : المحدّث محمود بن علي .

☆ **الدكالي الصوفي** : اسمه عثمان .

☆ **الدشتي** : شهاب الدين أحمد بن محمّد .

☆ **الدشناوي** : بدر الدين زكري بن يحيى . وتاج الدين محمد بن أحمد .

☆ **ابن درباس** : فخر الدين عثمان بن محمّد .

☆ **ابن الدريهم** : علي بن محمد بن عبد العزيز .

٦٥٠ ـ دلْشاذ*

بالدال المهملة واللام الساكنة وبعدها شين معجمة ، وألف وذال معجمة : بنت دمشق خواجا بن جوبان ، الخاتون زوج النوين ، الشيخ حسن الكبير حاكم بغداد ، تزوّجها بعد عمتها الخاتون بغداد .

كانت ذا[١] حظوة عند بعلها ، وكان لها أطوعَ من نعلها ، لجمالها الذي فتنه ، وحكم على قلبه بشجنَه لمّا شحنه غراما وسَجَنه ، فكانت هي الحاكمة في مملكة العراق ، والآمرة في كل شيء من القطع والوصل والدنّو والفراق ، لا يخالفها أحد ، ولا يخالفها من يكون له من دونها ملتحد ، تكتب إلى نواب الشام بما تريد ، وتجهّز الأولاق[٢] في أشغالها وتعود رسلها على البريد ، ويطلب نوابُ الشام منها ما يُحَاولونه من[٣] المهمات ، ويدفعون لها ما يخشونه من الملمات . ورأيت اسمها في الكتب التي ترد عنها بالْمُغْرة[٤]

---

* الوافي : ٢٤/١٤ ، والدرر : ١٠١/٢ .

(١) كذا في الأصل .

(٢) مصطلح تركي بمعنى الرسول .

(٣) في الوافي : « في » .

(٤) الْمُغْرة : طين أحمر ، والْمُمَغَّر : المصبوغ بها ، وتأتي بمعنى الجلد .

العراقية ، وهو كتابة عظيمة ، والظاهر أنه كُتب عنها بأمرها ، بخلاف خط الكتاب بنفسه ، وهذا إن كان بيدها فهو أمرٌ عظيم ، وإن كان بأمرها فهو أيضاً كِبَرُ هِمّة ، كونه يكون بخط قويّ جيّداً ، وكانت تميل إلى الغرباء[١] وتحسن إليهم .

ولم تزل على حالها إلى أن كَسفت من وجهها الشمس ، وانطبقت عليها سحابة الرّمْس .

وتوفيت رحمها الله تعالى في ثاني القعدة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ونقلت من بغداد إلى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ودفنت هناك .

وقيل : إنّ زوجها سقاها سمّاً ؛ لأنه اتهمها بالميل إلى ابن عمّها[٢] الأشرف بن تمرتاش ، وذلك لأنه صادر جميع نوّابها بعد موتها ومن كان من جهتها .

٦٥١ ـ دِلَنْجِي*

بكسر الدال المهملة وفتح اللام وسكون النون ، وبعدها جيم وياء آخر الحروف : الأمير سيف الدين ابن أخت الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا .

وكان قد أقام بمصر أميراً مدّه ، ولسيف عزمه مِضاءٌ وحِدّه ، وأخرج لنيابة غزّه ، وصار لها به شرف باذخ وعِزّه ، لأنه كَتَبَ له بها عن السلطان : « نائب السلطنة بغزّة » ، ولم يكتب لأحد غيره[٣] بعد الجاولي حتى ولا للأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب ودمشق ، وأضيف له الحديث في نابلس ، وهذه ميزة أخرى ، ولم يكن لأحد من دمشق في غزة ولا في نابلس ولا في الساحل حديث البتة .

---

(١) في الوافي : « الفقراء » .

(٢) في الوافي : « إلى عمّها » ، وهو سهو .

* الوافي : ٢٨/١٤ ، والنجوم : ٢٤٩/١٠ ، والدرر : ١٠٢/٢ ، والذيل التام : ١١٨ . وفي النجوم : « ودلنجي هو المكدي باللغة التركية » .

(٣) قال في الوافي : « وكان غيره من نوّاب غزّة يكتب له : مقدّم العسكر » .

ولم يزل على حاله إلى أن دُلِّي دِلَنْجِي في قبره ، وراح إلى عالم نجواه وسرّه .

ولّما جرى للأمير سيف الدين بلجك الناصري[١] في غزة مع العُربان ما جرى ، ورد بعده الأمير سيف الدين دِلَنْجي ، وكان وصوله إليها في أوائل شهر جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة رابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وقاسى في نيابته شدائد من عرب جَرم وموقع[٢] ، وجرت بينهم حروب وجراح ، وقُتل عدة من أمراء غزة ، وتولّى النيابة بعده الأمير فارس الدين ألْبكي .

٦٥٢ ـ دَمُرْخان بن قَرَمان*

الأمير نجم الدين .

كان في مصر أمير مئة مقدّم ألف ، وحضر إلى دمشق كذلك .

أقام بدمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

[الأنساب والألقاب][٣]

☆ **الدهلي** : نجم الدين سعيد بن عبد الله .

---

(١) ترجم له المصنف في الوافي : ٢٨٥/١٠ ، ولم يذكر سنة وفاته ، وآخر ما فيه أنه كان حياً سنة (٧٥٢ هـ) . ووقع في مطبوعة الوافي ههنا (تلجك) تصحيف .

(٢) وكذا في بعض أصول الوافي ، وفي المطبوع منه : « مواقع » .

* الدرر : ١٠٢/٢ .

(٣) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

٦٥٣ ـ دوباج بن قطلي شاه*

ابن رستم بن عبد الله ، الملك شمس الدين أبو العز بن الملك بن الملك صاحب كيلان .

كان فارساً بَطَلا ، لا يَقْبَل في الإقدام عَدَلا ، ولا يريد إلاّ الممات عن الحياة بَدَلا ، وكان مع ذلك عاقلا ، ولم يكن عن تدبير مملكته غافلا ، له في القلوب مَهابة مُهابه ، وعنده في مقالبة الأيام والليالي إصابه . لمح الدنيا بعين الصدق فعرفها ، وتحقق غدرها وسَرَفها ، فترك الملك ، ونزل عنه لابنه ، ونفض ما في يده منه ، وما في ضِبْنِه[١] .

وقدم إلى الشام ليحجّ فأدركه أجله بُقبَاقِب ، كأنه كان له هناك يراصد أو يراقب .

ووفاته في سادس عشري شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وقُبَاقب منزلة عن الرحبة إلى جهة دمشق[٢] ، فحمله جماعته إلى دمشق ، وأنشئت له تربة مليحة بشرقي سوق الصالحية[٣] ، ورُتب له فيها المقرئون .

وهو الذي رمى قطلي شاه الملك[٤] بسهم فقتله لمّا جهّزه غازان إلى قتالهم في سنة ست وسبع مئة ، وبقي في ملك كيلان خمسة وعشرين عاماً ، ومات وعمره أربع وخمسون سنة ، ووصّى للحج عنه فحجّ عنه جماعة ، وأُنفق على تربته أموال كثيرة .

---

* البداية والنهاية : ٧١/١٤ ، والدرر : ١٠٣/٢ ، والدارس : ١٩١/٢ ، وذيول العبر : ٧٩ . وقد جاء اسم والده بألفاظ مختلفة ، فقيل : قطلوشاه وملك شاه ، وفيشاه . والمنهل الصافي : ٣٣٢/٥ ، وفيه : « ديباج بن عبد الله الأمير سيف الدين صاحب كيلان » .

(١) الضبنة : ما بين الكشح والإبط .

(٢) في الدارس عن الذهبي : « من ناحية تدمر » . والأرجح أنها « غباغب » بليدة جنوب دمشق بنحو خمسين كيلاً .

(٣) تسمّى التربة الدوباجية الجيلانية ، كما في الدارس .

(٤) في الدرر : « خطلوشاه نائب غازان » .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن دمرتاش** : محمد بن محمد .

☆ **ابن الدّويك** : محمد بن عبد الجبار .

☆ **الدمياطي** : شهاب الدين أحمد بن أيبك . والشيخ الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف .

☆ **الدمياطي** : عماد الدين محمد بن علي .

☆ **الدميثري** : الأمير علم الدين سنجر .

الدّواداري : الأمير علم الدين سنجر .

☆ **الدلاصي** : عبد الله بن عبد الحق .

☆ **ابن دلغادر** : زين الدين قراجا .

☆ **الدهان** : محمد بن علي .

☆ **ابن الدميري** : محمد بن علي .

☆ **ابن الدواليبي الحنبلي** : محمد بن عبد المحسن .

حرف الذال

٦٥٤ ـ ذبيان*

هو الأمير ناصر الدين الشَّيْخي والي القاهرة .

كان داهيه ، نَفْسُه بالجدّ لاهيه ، رَجُلاً رِجْلُه في الثرى ، وهامةِ هِمَّته في الثريا تُرى ، نطّر من أسفل البير ، وتسنّم ذروة الفلك الأثير . وتقدّم بالقاهرة في الدولة ، ورأى نفسه في سماء المجد كالبدر ، وخَدَمُه كالنجوم حوله ، لكنه كسف قريبا ، وما نفعه أن كان أريبا .

كان هذا الأمير ناصر الدين قد ورد من الشرق صحبة الشيخ عبد الرحمن الكواشي[١] رسول الملك أحمد[٢] إلى السلطان الملك المنصور قلاوون ، وحُبس الشيخ عبد الرحمن وجماعته في قلعة دمشق ، ولما مات أُفرج عنهم ، وبقي هذا ناصر الدين يخيط الكوافي بدمشق .

ثم إنه توجّه إلى مصر ، وتوصّل إلى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وتحيل إلى أن تولى ولاية القاهرة ، والتزم بمستظهر[٣] ، وعَضَدَه الجاشنكير إلى أن ولي الوزارة . ثم إنه قُبض عليه وصودر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وسبع مئة بالقاهرة ، بعد العقوبة والضرب ، وذلك في أوائل ذي القعدة من السنة .

---

* الوافي : ٣٧/١٤ ، والدرر : ١٠٤/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٣٤/٥ ، وعقد الجمان : ٣٥٩/٤ ، في أحداث سنة (٧٠٤ هـ) .

(١) ترجم له المصنف في الوافي في موضعه من حرف العين .

(٢) ابن هولاكو (ت٥٨٣ هـ) .

(٣) في الوافي : « بالمستظهر » ، ولم يتبيّن مراده .

٦٥٥ ـ ذبيان بن أبي الحسن بن عثمان*

الحاج العفيف البعلبكي التاجر .

وكان يروي عن الشيخ الفقيه محمد اليونيني وابن عبد الدائم ، وغيرهما . وحدّث (بجزء) ابن جَوْصا[١] ، وكان من أهل القرآن .

وتوفي في رابع جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة .

[الأنساب والألقاب][٢]

☆ **ابن أبي الذر** : نجم الدين الصوفي عبد العزيز بن عبد القادر .

☆ **الذهبي** : محمد بن أحمد .

٦٥٦ ـ ذون بُطرو**

بالذال المعجمة والواو الساكنة ، وبعدها نون وباء موحدة وطاء مهملة وراء وواو ، وقيل فيه : ذون بُترو ، بالتاء ثالثة الحروف بدلاً من الطاء : الملك الكبير الطاغية الفرنجي الأندلسي .

كان جباراً عنيدا ، وشيطاناً مَريدا ، مُلئ قلبه من المسلمين حقدا ، وتضرم عليهم بالغضب وَقْدا ، وبالغ في القَسْوَه ، وودّ من كَلَبِهِ لو شرب دمهم في حَسْوه ، تَمرداً منه وكفُورا ، وعتوّاً وعدواناً وفُجورا .

اجتهد وبالغ ليستأصل مابقي من المسلمين بالأندلس ، وحشد من قدِرَ عليه من

---

* الدرر : ١٠٤/٢ .

(١) أبو الحسن أحمد بن عمير (ت ٣٢٠ هـ) ، السير : ١٥/١٥ .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

** الوافي : ٤٧/١٤ ، والمنهل الصافي : ٣٣٦/٥ .

الفرنج الْحُمس ، ولكنّ الله ردّ كَيْدَه في نحره ، وأغرقه لما طغى في بحره ، وما نفعه جيشه الذي لا يُحصى ، ولا أمْرُه الذي كان لا يرد ولا يُعصى ، وقتل هو وجنده ، ومن اعتقد أنه بيده يُشَدّ بَنْدُه ، وسُلِخَ بعد ذلك الصبر والجلد جِلْدُه ، وحُشي قُطْنا ، وعُلّق على باب غرناطة ، وطال في العذاب خُلْدَه .

وكان هلاكه في سنة تسع عشر وسبع مئة .

وكان من خبر هذا الطاغية أن الفرنج حَشدُوا ونفروا من البلاد ، وذهب سلطانهم ذون بطرو إلى طُليطلة ودخل على « الباب » ، وسجَدَ له وتضّرع ، وطَلب منه استئصال ما بقي بالأندلس من المسلمين ، وأكّد عزْمَه ، فقلق المسلمون ، وعزموا على الاستنجاد بالمَريني ، ونَفَّذوا إليه فلم ينجع[1] ، فلجأ أهل غرناطة إلى الله تعالى . وأقبل الفرنج إلى المسلمين في جيش لا يُحصى ، فيه خمسة وعشرون ملكاً ، فقُتِل الجميع عن بكرة أبيهم ، وأقل ما قيل أنه قتل في هذه الملحمة خمسون ألفاً ، وأكثر ما قيل ثمانون ألفاً ، وكان نصراً عزيزاً ويوماً مشهوداً ، والعجب أنه لم يُقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً ، وكان عسكر الإسلام ألف وخمس مئة فارس[1] ، والرجّالة نحواً من أربعة آلاف . وقيل : دون ذلك .

وكانت الغنيمة ذهباً وفضة سبعين قنطاراً ، وأمّا الدوابّ والقماش والعُدَد فشيء لا يُحصى كثرةً ، وبقي المسلمون يحتاجون إلى ما ينفقونه على الأسرى لقُوتهم وقُوت من يحرسهم ويحرس الدواب ، فكان في كل يوم خمسة آلاف درهم ، وبقي المبيع في الدواب والأسرى والغنائم ستة أشهر متوالية ، وملَّ الناس من طول البيع وداخلهم العجز والكسل .

وكانت الواقعة في صبيحة يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة تسع

---

(١) في المنهل : « فلم ينجد » .

(٢) وفي البداية والنهاية : « ألفان وخمس مئة فارس » .

عشرة[١] وسبع مئة وهو رابع عشر حزيران يوم عيد العنصرة للنصارى ، وكان ذلك يوم عيد للإسلام ، ويوم وبال على الكفّار .

وكان نزول الكفار على مكان يقال له منظرة بينوس بالقرب من جبل إلبيرة ، وهو عشرة أميال من غرناطة .

ومن جملة الملوك الذين للكفار : صاحب إشبونة وقَشْتَالة والقرنيرة ، وأرغون وطُلبيرة ، والذي تولّى القتال نائب صاحب غرناطة الشيخ الصالح المجاهد أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء[٢] ، وابنا أخيه الشقيقان أبو يحي وأبو معروف ، أمير جيش مالقة ، ابنا عبد الله بن أبي العلاء وأخوهم لأبيهم أبو عامر خالد ، أمير جيش رُنْدَة[٣] ، وأبو مسعود محمد بن علي ، وأمير جيش الخضراء أبو عطية مناف وغيرهم .

وعلى الجملة فكانت واقعةً عظيمة لطف الله فيها بالمسلمين ، ولم يتفق لها نظير ، ولله الحمد والمنة على ما عوّد هذه الأمّة من النعمة .

---

(١) أرّخ ابن كثير لهذه الواقعة سنة (٧٢٠هـ) .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « دندة » ، تحريف ، وهو حصن بين إشبيلية ومالقة . انظر : معجم البلدان ٧٣/٣ .

حرفُ الرّاءِ

٦٥٧ ـ رافع بن هجرس*

الإمام الْمُقْرئ الْمُحَدّث الفقيه الزاهد أبو مُحَمّد الصُّمَيْدي ـ بضم الصاد المهملة وفتح الميم ، وبعدها ياء آخر الحروف ، ودال مهملة ـ جمال الدين الصوفي نزيل القاهرة .

سمع بدمشق مِنْ أصحاب ابن طَبَرْزد ، وبمصر مِنْ طائفة .

وكان خيّراً زاهدا ، مأموناً عابدا ، عُني بالروايه ، وصار له بها أتمٌّ عنايه ، وكتب وحصّل بعض الأصول ، وعَلّق وأفاد ، ولم يكن له إلى سنّ الرواية وصول .

واشتغل بالقراءات حِيْنا ، وجعل له الطلب والدأب دِيْنا ، إلى أن جُرّ رافعٌ إلى قبره ، وقَطع إلى الآخرة مخاضة عمره .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر الحجة سنة ثماني عشرة وسبع مئة بمصر عن خمسين سنة إلاّ سنة .

٦٥٨ ـ رجب بن قَراجا بن عبد الله**

زين الدين الأرْزَني ، بهمزة وراء ساكنة وبعدها زاي ونون .

أخبرني العلاّمة أبو حيان قال : زين الدين رفيقُنا على الشيخ بهاء الدين[1] رحمه

---

* الوافي : ٧١/١٤ ، وغاية النهاية : ٢٨٢/١ ، والدرر : ١٠٦/٢ ، والشذرات : ٥٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٤٠/٥ .

** الوافي : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ١٠٨/٢ .

(١) ابن النحاس ، كما في الدرر .

الله تعالى . كان له اعتناء بشيء من الأدب واللغة . وكان يكتب خطاً ليس بالجيد ، لكنه في غاية الضبط والصحة ، يشكل الحروف كلّها ما أشكل منها ، ومالم يُشكل .

وأنشدنا لنفسه :

شاهدت في طرسك سِحْرا غدا يخامر الألباب بالأكْؤس
وكان كالروض غدا ناضرا يلذّ للأعين والأنفس

٦٥٩ - رجب بن أشْبرك التركماني*

الشيخ تقي الدين العجمي شيخ الزاوية التي تحت قلعة الجبل بالقاهرة .

كان شيخاً مُسنّا ، قد اتخذ بالأجل من سهام الدهر ، مجَنّا ، له وجاهة عند الدوله ، وفي قلوب الناس له صَوْله ، وعنده فقراءٌ وأتباع ، وله مريدون من الخواص والرّعاع .

لم يزل على حاله إلى أن أصابه سَهْمُ المنية فما أخطاه ولا تعدّاه ، وكأنّ مِيْتَتَهُ أمانةٌ مُؤدَّاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع عشرة وسبع مئة . وعمره إحدى وثمانون سنة .

وكان في الديار المصرية شيخ طائفة العجم .

الأنساب والألقاب

☆ **الرُّجيحي** : شيخ التونسية ، اسمه سيف الدين .
☆ **الرجبي** : والي مدينة دمشق ، اسمه آقوش .

* الدرر : ١٠٧/٢ ، وفيه : « اشتراك » .

٦٦٠ ـ رزق الله بن فضل الله*

الرئيس مجد الدين بن التاج أخو القاضي شرف الدين النشّو .

كان أولاً نَصْرَانياً ، فاستخدمه أخوه في استيفاء الخزانة والخاص ، وكان ينوب أخاه النشّو إذا غاب ، ويدخل إلى السلطان الملك الناصر محمّد ، ويخرج ، فلما كان في سنة ست وثلاثين وسبع مئة في يوم الجمعة استسلمه السلطان قبل الصلاة على يده ، وأبى عليه فلكه بيده ، وعرض عليه السيف ، فأسلم ، وخلع عليه ، وقال له : لا تكن[1] إلاّ شافعيّ المذهب مثلي ، واستخدمه عند الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي ، فظَهَر وساد ، وجلس في صدر الرياسة واتّكا على وساد ، وعَظُمَ شانُه ، وشاع ذِكْرُه ، وعلا مكانه ، وتوسّع في الوجاهة قَدْرُه وإمكانه ، وتَبَيْدَق وسط رقعة القلعة فِرْزانُه ، وكان قد بلغ السُّها راقيا ، وطاف بكؤوس الجود ساقيا ، ووهب فما أبقى على المال باقيا .

وكان أولاً فيه ميل إلى المسلمين ، وحُنُوّ زائد على المؤمنين ، رتب سُبْعاً يُقرأ في الجامع الأزهر ، وقَرَّر نصيباً من الصدقات تَخْفَى وعند الله تَظْهَر ، وكان يجهّز في كل سنة إلى الحَرَمَيْن ستين قميصا ، ولا يجد كفُّهُ عن الجُود مَحيصا .

وكان يحرص على أن يُسْلم من عبيده مِمّن يميل إليه سرّا ، يفعل ذلك خفيةً خيفةً مِن أُمّه حتى لا ينال شَرّا ، فعل ذلك مع جماعة من غلمانه النصارى ، وأرقّائه الذين هم في سكْرَة الجَهْل حيارَى .

ولم يزل في مراقي سعادة ، ومعارج سيادة إلى أن أمسك هو وأخوه ـ على ما سيأتي ذكره في ترجمة أخيه ـ وسلّمه السلطان إلى الأمير سيف الدين قوصون فأصبح مذبوحاً ، ذَبَح نَفْسِه بيده ، ولم يمكّن أحداً يتمكن من عقابه[2] ولا فساد جسده ، وذلك في ثالث شهر صفر سنة أربعين وسبع مئة .

* الوافي : ١١٤/١٤ ، والدرر : ١٠٨/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٤٨/٥ .

(١) في الوافي : « لا تكون » .

(٢) عبارة الوافي : « ولم يتمكن أحدٌ من معاقبته » .

وكان رحمه الله تعالى رَبْعَة ، حُلْوَ الوجه ، مليح العينين ، أقطف الجفون .

وكان نظيف الملبس ، طيّب الرائحة ، يغيّر قماشه في غالب الأيام مرّتين . وكان يفصّل[1] قماشه ويقول للخياط : طوِّله عن تفصيلي ، وكُفَّ الفضل إلى داخل ، فسألته عن ذلك فقال : أنا قصير ، وأهبُ قماشي لمن يكون أطول مني ، فإذا فَتَق ذلك الفضل جاء طوله . وكان كثيراً ما يَهَبُ قماشه ، وقلّما غسل له قماشاً إلاّ إن كان أبيض .

وعمّر داراً مليحة إلى الغاية على الخليج الناصري .

وكتبتُ أنا إليه لما اهْتَدى :

أنت أهْدَى للخير من أنْ تُهَدَّى ... يا عزيزاً بكلّ غال يُفَدَّى
هذه للسعودِ والفضلِ أوْلى ... حُزْتَها مِن مليكِ عصرك نَقْدا
هكذا الهمَّةُ النّفيسةُ في النّا ... سِ إذا حاوَلْتَ من الله رُشْدا
لك سِرٌّ أبدى وأعاد الـ ... ـفَضْلَ لله ما أعادَ وأبْدى
كيفما كُنْتَ لم تَزَلْ في الأيادي ... والمعالي والفَضْلِ والبرِّ فَرْدا
أينما سِرْتَ في طريقِ المعالي ... تتلقّى في كُلِّ أمْرِكَ سَعْدا
سوف ترقى مَراتِبَ السَّعْدِ حتى ... يفتدي الدَّهْرُ طائعاً لك عَبْدا
ولَعَمْري قد قلَّدَ اللهُ هذا الـ ... ـعصرِ مِنْ سَعْيك الموفَّقِ عِقْدا
وإذا سُدْتَ في الشّباب فماذا ... لك مِنْ بَعْدِ أن بَلَغْتَ الأشُدّا
أنت ذو فِطْنَةٍ من النّارِ أذكى ... وَبَنانٍ مِنَ السّحائبِ أندى
ومحلٍّ كالنَّجْمِ لمّا تعلّى ... ومحيّا كالبَدْرِ لمّا تبدّى
إنّ منكم للمُلك لمّا ظَهَرْتُم ... شَرفاً زاده عُلُوك مَجْدا
شَرَفٌ قد علا على الشَّمْسِ قَدْرا ... ما تعدّى لمّا عليها تعدّى
لك منه أخٌ تراه شقيقا ... في رياضِ السّعودِ قد فاق وَرْدا

(١) في الوافي : « يفضل » .

يُخْجِلُ الشَّمْسَ في السَّماءِ جمالاً ... ويفوقُ البحارَ في الجُودِ رِفْدا
قد أنامَ الأنامَ في كَهْفِ أَمْنٍ ... ولقد كان كُحْلُهم قَبْلُ سُهْدا
وأقرَّ القلوبَ وهي التي كا ... نت من الرّوعِ في الدُّجى ليس تُهدا
فلهذا قد سرَّ أهلاً وصَحْبا ... ولهذا أفنى عدوّاً وضِدّا
فإلى جُودِه الرّغائبُ تسري ... وإلى بابِه الرّكائبُ تُحْدى
صانه اللهُ مِنْ صُروفِ الليالي ... وكَساه من فاخِرِ الحَمْدِ بُردا
وأرانا فيك الذي نَتَمنّى ... مِنْ عُلوٍّ يُجاوزُ الشّمسَ حَدّا

٦٦١ ـ رزق الله بن تاج الدين*

كان شَكلاً لطيفا ، ووَجْها حَسَناً ظَريفاً ، أنيقَ البِزّه ، رشيقَ الحَرَكةِ والهِزّه ، إلا أنه كان في باطنه مَؤوفا[١] ، وربما كان داء مَخوفا ، وكان لذلك يعلوه اصفرار ، ويُرى له عن الصِّحّةِ فرار .

دخل ديوان الإنشاء ، وصار من الخاصة الساكنين في الأحشاء . وكانت كتابتُه متوسطه ، وعبارتُه في الفصاحة غير مُؤرَّطَه[٢] ، ونَظْمُه ما به من باس ، ولا في جودته إلباس ، وكان له فضلٌ على رفاقه ، وإحسانٌ يبكون معه على فِراقه .

ولم يزل على حاله إلى [أن][٣] رُزق رِزقُ الله الحِمام ، ومُحق بَدْرُه بعد التمام . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ... وأربعين وسبع مئة[٤] .

---

* الدرر : ١٠٨/٢ ، وفيه : « رزق الله بن عبد الله المصري تاج الدين » .

(١) أي : به آفة .

(٢) في الأصل : مورطة ، ولا وجه لها .
يقال : أديم مأروط ، أي : مدبوغ ، يريد أن عبارته ليست فصيحة .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) كذا في الأصل وفي الدرر : مات بعد سنة ٧٤٠ .

وكان قد كتب إليَّ وأنا بدمشق أبياتا في هذا الوزن والروي ، إلا أنني طلبْتُها عند هذا التعليق ، فلم تَرَ عيني لها أثرا ، ولا وجدت لمبتدئها خبرا .

والجواب الذي كتبته أنا عن الأبيات المعدومة والقطعة التي جعلت يد الضياع بيوتها مهدومة هو هذا :

سُطورُك أم رَاحٌ بَدَتْ في زُجاجها ... وكان سُرورُ القَلْبِ بَعْضَ نِتاجِها
أَتَتْنِيَ مِنْ مِصْرٍ إلى أَرْضِ جِلَّقٍ ... فأَهْدَتْ إلى نفسي عَظيمَ ابْتهاجِها
فيا نَفَسَ الأَسْحارِ في كُلِّ رَوْضَةٍ ... تَيَمَّمْ رُبا مِصْرَ ولَطِّفْ مِزاجِها
وقِفْ لي على ديوان الانْشاءِ وقْفَةً ... وحيِّ الكرامَ الكاتبين مُواجِها
فثَمَّ وجوهٌ كالبُدورِ تكامَلَتْ ... ولاقَ بها في الفَضْلِ رونَقُ تاجِها
أَئِمَّةُ كُتّابٍ إذا ما ترسَّلوا ... فأقلامُهم ترمي العِدى بانْزِعاجِها
وإن نظموا قُلْتَ الذّراري تنسَّقَتْ ... ولاقَ على الأيامِ حُسنُ ازْدِواجِها
هنالك رِزقُ الله بين ظُهورِهم ... فلا نَفْسٌ الاّ تَمَّ إبلاغُ حاجِها
فياليت شعري هل أفوزُ بقُرْبِهم ... ويهدأُ من عيني اضطرابُ اختلاجِها

وكنت أنا كتبت إلى القاضي ناصر الدين بن النّشائي لُغزا في « عيد » :

يا كاتبا بفَضْلِه ... كلُّ أديبٍ يَشْهَدُ
ما اسْمٌ عليك قلْبُه ... وفَضْلُه لا يُجحَدُ
ليس بذي جِسْمٍ يُرى ... وفيه عينٌ ويَدُ

فكتب القاضي ناصر الدين الجواب :

ياعالِماً لِنَحْوِه ... حُسنُ المعاني يُسنَدُ
ومن له فضائلٌ ... بين الورى لا تُجْحَدُ
أهديت لُغْزاً لَفْظُه ... كالدُّرِّ إذْ يُنَضَّدُ
فابْقَ إلى أمثاله ... عليك إلْفاً يَرِدُ

وكتب إليّ أيضاً القاضي كمال الدين محمد بن القاضي جمال الدين إبراهيم بن شيخنا أبي الثناء شهاب الدين محمود[١] :

يـــــــا مَن زكا ولادَةً وطـــابَ منـــه الْمَحْتَـــدُ
ومَن أيـــاديـــه بهـــا كلُّ البرايـــا تَشْهَـــدُ
ومَن غـــدا نـــوالُـــه كالبحر فيـــه مَـــدَدُ
أَلْغَـــزْتَ في شيءٍ غـــدا يـــأتي وفيـــه غَيَـــدُ
وال عَبْـدُ قـد صَحَّفَـه فـاقْنَـعْ بـه يـاسيّـدُ
واقْبَلْـــــــه مِنْ مُقصِّرٍ لِطَـــوْلِكم لا يَجْحَـــدُ
ودُمْ مُعـــافى أبـــداً مـــا صَحِبَ الـزِّنْـدَ يَـدُ

وكتب تاج الدين رِزْقُ الله المذكور أيضاً :

يـــا فـــاضلاً آدابُـــه بهـــا الـورى تسترشِـــدُ
ومَن على علـــومِـــه أهـــلُ النُّهى تعتمـــدُ
أَلْغَـــزْتَ في « عيـــدٍ » إلى عبـــدٍ إليكم يُسْنَـــدُ
ولم يـــؤخّر نَظْمَـــه إلاّ حيـــاءً يُحْمَـــدُ
ولم يُماثِـــل مَن لـــه في سـائرِ الفضـل اليَـــدُ
فَـــدُمْ سعيـــداً تنتقي الـ آدابَ أو تنتقِـــدُ

اللقب والنّسب

☆ **ابن الرُّزَيْز**[٢] **الخطيب** : عبد الأحد بن يوسف .

☆ **الرُّستمي** : والي الولاة ، اسمه آقوش .

(١) (ت ٧٦٩ هـ) ، الدرر : ٢٩٧/٣ .

(٢) في الأصل : « الزبير » . وهو تحريف .

☆ **ابن رزين** : بدر الدين عبد اللطيف بن محمد . وعلاء الدين عبد المحسن بن عبد اللطيف .

☆ **ابن الرسّام** : علي بن محمد .

٦٦٢ ـ رشيد بن كامل*

الإمام العلاّمة القاضي رشيد الدين الحَرَشي ـ بالحاء المهملة والراء والشين المعجمة ـ الرّقي ، وكيلُ بيت المال بحلب .

سمع من ابن مَسْلَمة ، وابنِ علاّن ، والقوصي ، وعدّة .

له تفنّنٌ وأعمال ، وترسّلات من ديوان الإنشاء ينفقُ فيها الأموال . وكان يكتب بدمشق الإنشاء ، ويحضرُ مجالسَ الناصر الحلبي في البُكْرةِ والعشاء .

وولي نظرَ الجَيْشِ بدمشق أيضا ، ودرّس بعصرونية حلب فأفاض الفوائد فيها فيضا . وولي وكالة بيت المال بحلب ، وما قصّر في أَخْذٍ ولا طلب .

وكان ذا صيانةٍ وعقل ، وفَضْلٍ صحّ به عن النّقل ، وله قريضٌ أبرز رياضَه ، وطرّز بالسّواد بياضَه .

ولكن ما حماه الأجَلُ بحماه ، ولا اتّقى الحَتْفِ لّما رماه .

وتوفي بحماة غريباً ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

ومن شعره(١) :

---

* الوافي : ١٢٤/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ٧٣ ، والدرر : ١١٠/٢ ، والشذرات : ١٤٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٢/٥ .

(١) وكذا في الوافي .

الألقاب والأنساب

☆ **الرّشيدي** : الشيخ برهان الدين إبراهيم بن لاجين .

☆ **رشيد الدولة** : الوزير فضل الله بن أبي الخير .

☆ **ابن رشيد** : محمد بن عمر .

☆ **ابن رشيق** : محمد بن الحسين .

☆ **ابن الرّضي المسند** : أبو بكر بن محمد .

☆ **الرّضيّ المنطيقي** : إبراهيم بن سليمان .

☆ **ابن الرِّفْعَة** : أحمد بن عبد المحسن . الشيخ نجم الدين فقيه العصر أحمد بن محمد .

☆ **الرّفا المسند** : علي بن محمد .

☆ **ابن الرّعاد** : محمد بن رضوان .

٦٦٣ ـ رُقيّة بنت محمد بن علي بن وهب القُشيريّة*

هي ابنةُ الشيخ العلاّمة شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد .

سمعت من العِزِّ الحرّاني بقراءة والِدها ، ومن أبي بكر بن الأَنْماطي ، وابن خطيب المِزّة . وحدّثت بالقاهرة ، وسمع منها جماعة .

قال الفاضل كال الدين جعفر الأُدفوّي : سمعنا عليها جُزءاً من (سُنَنِ الكِشي)[1] ، وأجازت لنا .

* الوافي : ١٤٢/١٤ ، والطالع السعيد : ٢٤٦ ، والدرر : ١١٠/٢ .

(١) انظر الكشف : ١٦٧٩/٢ .

وهي امرأة متعبّدةٌ ملازمةٌ للخير ، من بيت العلم والصلاح .

توفيت ـ رحمها الله تعالى ـ يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

الألقاب [والأنساب]

☆ **ابن الرقاقي** : أمين الدين أبو بكر بن عبد العظيم .

☆ **الرّقي** : الشيخ إبراهيم بن أحمد بن محمد .

☆ **ابن رُمتاش** : الأمير زين الدين أُغلْبك .

٦٦٤ ـ رُمَيْثَة*

بضمّ الراء وفتح الميم وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ثاء مثلثة وهاء : الأمير أسدُ الدين أبو عراده بن أبي نُمي ، أمير مكة ، نجم الدين بن الأمير بهاء الدين أبي سعد الحسن بن علي الحُسيني .

كان قد وصل إلى القاهرة ، وجهّز السلطان معه جماعةً من الجُند والعرب نحو ثلاث مئة نفر ، وجماعةً من الحجاج إلى مكّة في ثاني شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان قد قَبض عليه أميرُ الرّكْب المصري رابع عشر الحجة سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وتوجه به إلى مصر ، ولما وصل أكرمه السلطان وأجرى عليه في كل شهر ألف درهم ، فبقي كذلك مُكرّما أربعة أشهر ، وهرب من القاهرة إلى الحجاز ، فلمّا علم السلطان بهروبه في اليوم الثاني كتب إلى شيخ آل الحُريث ، وقال : هذا هرب على

* الدرر : ١١١/٢ ، والشذرات : ١٤٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٦/٥ ، وقد تقدمت أخبار أخيه (حميضة) .

بلادك ، وما أعرفه إلا منك . فركِب الهُجن وسار خلفه مُجِدّا ، فأدركه نائما تحت عقبة أيْلَة ، فجلس عند رأسه وقال له : اجلس يا أسود الوجه . فانتبه رُمَيثةُ وقال : صدقت ، لو لم أكن أسود الوجه ما نمت هذه النومة المشؤومة حتى أدركتني . وقبض عليه ، وأحضره إلى السلطان ، فألقاه في السجن وضيّق عليه . فقيل : إنه حصل له رَمْيُ دم ، ثم أفرج عنه وعن حاجبه علي بن صُبح في المحرم سنة عشرين وسبع مئة .

وفي سنة إحدى وعشرين حَلَف له بنو حسن ، وأظهر بمكة مذهب الزيديَّةَ ، وكتب بذلك عطيفة[1] إلى السلطان ، فتأذى لذلك[2] ...

وفي يوم الثلاثاء حضر الأمير رُميثة إلى مكة ، وقُرئ تقليده ، ولبس خِلعةَ السلطان الملك الناصر بعد وصول أمان السلطان إليه ، وذلك في مستهل جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ **الرُّهَاوي** : أمين الدين عبد الله بن عبد الله . وعز الدين محمد بن عمر .

☆ **ابن رواحة** : نور الدين أحمد بن عبد الرحمن . وزين الدين عبد الرحمن بن رواحة .

☆ **الرّومي** : الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم .

☆ **بنو ريّان** : جماعة : منهم القاضي عماد الدين سعيد بن ريّان . وولده تاج الدين محمد . والقاضي جمال الدين سليمان بن أبي الحسن . وولده كمال الدين إبراهيم .

---

(١) وهو أخوه . انظر المنهل : ٣٥٦/٥ .

(٢) ثمة انقطاع في سياق الخبر ههنا يوضّحه ما في الدرر ، وهو : « وأرسل إليه عسكراً ففرّ ، فلم يزل أمير الحاج يستميله حتى عاد » .

٦٦٥ ـ رَنْكال*

بالراء والنون الساكنة والكاف وبعدها ألف ولام : الأمير سيف الدين بن أَشْبُغا ، أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق .

كان أبوه من كبار بيوت المغول ، وهو إذا رأَيْتَه يَغْتالُ عَقْلك منه غول ، شكلاً تاما ضخما ، وممّن لم تُوجِد له في المعرفة عَزْما[1] ، سليمَ الباطِن والطِّباع ، يرغبُ في العُزلة عن الناس والانجماع .

جُرّد إلى بيروت فكأنما جُرّد منها إلى تابوت[2] ، لأنه ماحمل رَنْكالُ منها رَنْكا ، وجَدّ البِلى في جَسَدِه وأَنْكى .

وتوفي في بيروت ـ رحمه الله تعالى ـ في العُشْر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

---

* الوافي : ١٤٧/١٤ .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فنسي ولم نجد له عزما ﴾ طه : ١١٥/٢٠ .

(٢) عبارة الوافي : « توجّه مجرداً إلى بيروت ليكون قبالة الفرنج الذين جاؤوا على ظهر البحر ليتحرموا في الساحل » .

حرف الزاي

الألقاب والأنساب

☆ **الزَارْزاري** : شرف الدين موسى بن علي .

☆ **الزّرِيْزاني** : تقي الدين عبد الله بن محمد .

☆ **ابن الزُرَيْزيْر** : الكاتب الحاسب علي بن معالي .

☆ **ابن الزرّاد** : محمد بن أحمد .

☆ **ابن الزمر** : الإمام النحوي أحمد بن إبراهيم .

☆ **الزّراق** : الأمير عز الدين أيدمر . والأمير علم الدين سنجر .

☆ **ابن الزّبْطر** : عيسى بن موسى .

☆ **الزّرنْدي** : جلال الدين عبد الله بن أحمد .

☆ **الزّرعي** : جماعة : شهاب الدين أحمد بن عمر . وبدر الدين محمد بن سليمان . والقاضي ناصر الدين الزّرعي ناصر بن منصور .

☆ **أبو زُرعة** : محمد بن يونس .

٦٦٦ ـ زكريا بن أحمد*

ابن محمد بن يحيى بن عبد الواحد [ابن][1] الشيخ عُمَر الملك أبو يحيى صاحبُ

* الوافي : ٢٠٨/١٤ ، والبداية والنهاية : ١٢٩/١٤ ، والدرر : ١١٣/٢ ، والشذرات : ٧٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٦٣/٥ .

(١) زيادة من المنهل .

تونس وطرابلس والمهديّة وقابس وتَوْزَر وسُوسة ، البربري المغربي الهِنْتاني المالكي اللّحْياني .

كان فقيها ، فاضلا نبيها . قد أتقن العربيّة ، واطّلع على غوامض المعاني الأدبيّة ، ونظم الشعر ، وأتى فيه بالسِّحر . وكانت له فضائل ، وعنده من العلم خمائِرُ كأنها خمائل . إلا أنه كان مُبخّلا ، فلذلك لم يستمر مُبَجَّلا .

مَلَك هذه النّواحي ، وحكم على مُدُنها والضَّواحي ، وابتسمت بُملكه الثغورُ البسّامة من الأقاحي . ثم إنه رَفَض مُلكَه ، وقطع من ذلك سِلْكَه . وجاء إلى الإسكندرية وأقام بها واتّخذها وطنا ، ولم يَضِقْ بذلك عَطَنا .

ولم يزل على حاله إلى أن أُغمِضَ طَرْفُه ، ومال عليه من الموت جَرْفُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في المحرّم سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده بتونس سنة نيف وأربعين وست مئة .

كان اللّحياني قد وزر لابن عمه الْمُسْتَنْصِر مُدّة ، ثم إنه ملك سنة ثمانين وست مئة ، ثم خُلع ، ثم إنه حج سنة تسع وسبع مئة ، واجتمع بالشيخ تقي الدين بن تيميّة .

وَرَدَ إلى تونس وقد مات صاحِبُها ، فملّكوه سنة ثماني عشرة[١] وسبع مئة ، فوثب على تونس قرابتُه أبو بكر ، فسار اللّحياني إلى ثغر إسكندرية إحدى وعشرين وسبع مئة ، وقد رفض الْمُلك ، وأقام بها إلى أن مات .

وكان جدُّهم من أكبر أصحاب ابن تُوْمَرت ، وكان اللّحياني قد أَسقط من الخُطْبَةِ ذِكْرَ المَهديِّ المعصوم[٢] ، وكان جَدُّ أبيه قد ملك الغرب[٣] بِضْعاً وعشرين سنة ، ثم ابنه

(١) عبارة الوافي : « فملكوه سنة إحدى عشرة .... ثم سافر إلى طرابلس سنة ثماني عشرة » . هذا هو الصحيح ، ويؤكده ما في البداية ، والشذرات ، والمنهل .

(٢) هو ابن تومرت كما نُصَّ على ذلك .

(٣) في الوافي : المغرب .

المستنصر الْمُلقّب بأمير المؤمنين ، وذلك في الدولة الظاهرية ، ودامت دولته إلى سنة ست وسبعين وست مئة . وكان شهماً ذا جبروت ، وتسلطن بعده ابنه الواثِقُ بالله يحيى ، ثم خُلِع بعد سنتين وأشهر ، وتملك المجاهد إبراهيم ، فبقي أربعة أعوام ، ثم توثّب عليه الدَّعيُّ أحمد بن مرزوق[1] البَجَائيَ الذي زعم أنه ولد الواثق ، وتمّ ذلك له ، لأن المجاهد قتل الفَضْلَ بنَ الواثق سرّا ، فقال : هذا : أنا هو الفضل ، وملك عامين . وقام عليه أبو حَفْص أخو المجاهد ، فهرب الدّعيُّ ، ثم أُسِر وهلك تحت السياط بعد اعترافه أنه دعيّ . فتملّك أبو حفص ثلاثة عشر عاما ، وأحسن السيرة ، ثم مات سنة أربع وتسعين وست مئة ، وقام أبو عصيدة محمد بن الواثق ، فملك[2] خمسة عشر سنة . وكان صالحا مشكورا ، وكان اللحياني قد لُقّب القائم بأمر الله .

ومن شعره ...[3]

٦٦٧ - زكري بن يحيى*

ابن هارون بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن عبد الله ، بدر الدين الدِّشْنَاوي ، بالدال المُهملة والشين المعجمة والنون ومن بعدها ألف وواو : التونسي .

كان فقيها أديبا ، نبيها أريبا ، له نظم كأن قوافِيَه كُؤوس ، أو أزاهرُ روضة زاكية الغُرُوس . حدّث بشيء منه ، ورواه الأكابر عنه .

ولم يزل بالقاهرة إلى أن كَمّل مُدّتَه ، وسكّن الموتُ شِرَّتَه وحِدَّتَه .

---

(١) في الأصل : « مرمان » ، وأثبتنا ما في الوافي ههنا ، وما جاء في ترجمة أحمد هذا ١٧٥/٨ ، ووفاته (٦٨٣ هـ) . وفي المنهل : « مروان » .

(٢) في الوافي : « فتملّك » .

(٣) وكذا في الوافي .

* الوافي : ٢٠٩/١٤ ، والطالع السعيد : ٢٤٨ ، والدرر : ١١٤/٢ ، والمنهل : ٣٦٥/٥ ، وفي الثلاثة الأخيرة : « زكريا » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ... وسبع مئة[١].

وروى عنه من شعر زين الدين عُمر بن الحسن بن حبيب[٢] وغيره .

أنشدني من لفظه الحافظ فتح الدين أبو الفتح اليعمري قال : أنشدني من لفظه ملغزاً في طَيْبَرْس :

وما اسمٌ له بَعْضٌ هو اسْمُ قبيلةٍ ... وتصحيفُ باقيهِ تُلاقي به العِدى
وإن قُلْتَه عَكْساً فتصحيفُ بَعْضِه ... غِياثٌ لِظَمْآنٍ تألَّمَ بالصّدى
وباقيه بالتّصحيفِ طَيْرٌ وعَكْسُه ... لِكُلِّ الورى عِلْمٌ مُعينٌ على الرّدى[٣]

ومن شعره في راقص :

يا مَن غدا الحُسن إذْ غَنّى وماسَ لنا ... مُقسّما بين أبْصارٍ وأَسْماعِ[٤]
قاسوك بالغُصْنِ رَقصا والهَزارِ غِنا ... وما يُقاسُ بميّاسٍ وسجّاعِ[٥]
قد تَسْجَعُ الوَرْقُ لكن غَيْرَ داخِلَةٍ ... ويرقصُ الغُصْن بل في غَيْرِ إيقاعِ[٦]

ومنه :

لا تَسْلُني عن السُّلوّ وسَلْ ما ... صنعت بي لطفاً محاسِنُ سَلْمَى
أوقعت بين مُقلتي ورُقادي ... وسَقامي والجسم حَرْباً وسِلْمَا[٧]

---

(١) وكذا في الوافي . وفي الدرر والمنهل : بعد سنة ٧٠٠ هـ ، وفي الطالع سنة (٧٠٣ هـ) ظنّاً .
(٢) ستأتي ترجمته .
(٣) الأبيات في الطالع السعيد .
(٤) في الأصل والوافي : « مقسم » ، ولا وجه لها ، والصواب النصب ، وعليه الدرر ، والمنهل ، وفي بعض أصول المنهل الخطية : « مقسم » .
(٥) في الوافي والمنهل : « رطباً » .
(٦) في الوافي والمنهل : « البان » .
(٧) هما في الطالع السعيد ، والمنهل .

ومنه في مليح خطائي[١] :

فقـــال لي العـــذول أراك تبكي فقلت له بكيتُ على خطـائي[٢]

وقلت : أراد التورية بـالخطـأ مَهْموزاً مقصوراً ضـد الصواب ، عن الخطـائي وهو المليح التركي الخطائي ، وهو ممدود مهموز ، فما قعدت معه التورية ، وكذلك استعملـه جمال الدين بن نباتة فقال :....[٣]

وهو من المادّة الأُولى في الخطأ وسوء الاستعمال . هذا الكلام على الفصيح الـذي هو المشهور عنـد أهل العلم . وأمّـا اللغـة المرذولـة المرجوحـة الضعيفـة التي هي غير فصحى فذاك بمعزل عن الانتقاد .

وممّا قلت أنا في مليح خطائي :

أحببتُ مِنْ تُرك الخطـا ذا قـامـة فضحتْ غصونُ البـان لّما أن خَطَـا
إيّـاكُمُ وجفـونَـهُ فـأنـا الـذي سَهْمٌ أصاب حشاه من عين الخطـا

وقلت أيضاً :

يـــا قلبُ لا تُقْـــدِم على سحر الجفـــونِ إذا سَطـــا
ومن العجـــائب أنّـــه أضحَى يَصـحُّ مـع الخطـــا

ومن نظم بدر الدين الدشناوي ـ موشح :

---

(١) في الطالع : « قوله في شاب خطائي أبيات ، الثاني منها »ت

(٢) في الوافي والمنهل : « علامَ » .

(٣) كذا بياض في الأصل ، والوافي ، تمح محقق الوافي : « بيت لابن نباته هو :

عـذول يخُـذْلـك عينَ الصـواب ودع في الهـوى لي عين الخطـا»

عن ديوانه ٢٨٧ .

أيـــــــــــا من عليّ تجنّى وقـــد حـــاز لطف الْمُعَنَّى[١]
اجعل من صدودك أمنا[٢]
وارحَمْني وَهَبْ لي وَصْـــــلاَ بـــــه أَتَمَـــلاَّ
وكُنْ للمكارِم أهْـــــــــلاَ هـــــذا أحلى[٣]

٦٦٨ - زكري بن محمود بن زكري*

الشيخ الفقيه الإمام زكيّ الدين البَصْروي الحنفي ، مدرّس الشبليّة[٤] ، وكان قد درّس أوّلاً بالمدرسة الفُرُّخشاهيه[٥] ، ثمّ إنه درّس أياماً يسيرة في آخر عمره بالشبليّة عوضاً عن فصيح الدين المارديني ، وأُخذت منه الفرّخشاهية ، وكان ذلك في بعض جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وتوفي زكيّ الدين المذكور في سادس عشر رجب من السنة المذكورة ، وكانت مدّةُ الولاية أربعين يوماً .

٦٦٩ - زكري بن يوسف**

ابن سليمان بن حامد البَجلي : الشيخ الإمام البارع زكيّ الدين الشافعي .

كان شيخَ تعليم وحَبْرَ تفهيم . قرأ عليه جماعةٌ من الطلاب ، وانتفع به زُمْرَة من

---

(١) كذا في الوافي ، والطالع ، وفي الأصل : « تحنى » .
(٢) في الطالع : « اجعل لي من ... » .
(٣) في الطالع : « هذا أهنا وأحلى » .
* لم نقف على ترجمة له . وأشار إليه صاحب الدارس : ٤١٣/١ .
(٤) أنشأها شبل الدولة كافور الحسامي (سنة ٦٢٣ هـ) ، الدارس : ٤١٣/١ .
(٥) أنشأتها حظ الخير خاتون بنت إبراهيم والدة عز الدين فروخشاه سنة (٥٧٨ هـ) الدارس : ٤٣١/١ .
** الوافي : ٢١١/١٤ ، ووقع بلفظ (زكريا) في البداية والنهاية : ١٠٣/١٤ ، والدرر : ١١٥/٢ ، والدارس : ٢٥٤/١ .

ذوي القرائح والألباب ، وكان له قدرة على الإفاده ، وردَّ الـدَرس والإعـاده ، يجلس في الحائط القبلي ، ويَظُنّ من يراه لحسن سَمْته أنّه الجُنَيْد[١] أو الشّبْلي[٢] .

ولم يزل على حاله إلى أنْ عزّ لحاقه ، وأوحش الطلبةَ فِراقه .

وتوفي رحمـه الله تعـالى في ثـالث عشري جمـادى الأولى سنـة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

وأوّل ما خطب نيابةً عن الشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني بجـامع دمشق في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رجب سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان ملازمـاً للإشغـال والإفـادة والصلاة في الجـامـع الأمـوي ، وكانت حلقتـه في الحائط القبلي من الجامع الأموي .

ودرّس بالطيّبة[٣] والأسديّة[٤] ، وأعاد بالعذراويّة[٥] والعَصرونية[٦] .

وسمع من جمال الدين الصيرفي ، ومن عليّ بن البالسي ، ومن الشيخ شمس الدين ، ومن ابن البخـاري ، ومن محمّـد بن القـوّاس ، وعمر بن عصرون[٧] ، والرشيـد العـامري وغيرهم ، وحدّث .

---

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي ، متصوّف (ت ٢٩٧ هـ) ، وفيـات الأعيـان : ٣٧٣/١ ، والأعلام : ١٤١/٢ .

(٢) دلف بن جحدر ، ناسك متصوّف (ت ٣٣٤) ، وفيات الأعيان : ٢٧٣/٢ ، والأعلام : ٣٤١/٢ .

(٣) بناها العابد علي بن أبي بكر قبلي النورية . الدارس : ٢٥٤/١ .

(٤) أنشأها أسد الدين شيركوه . الدارس : ١١٤/١ .

(٥) أنشأتها الست عذراء بنت نور الدولة شاهنشاه أيوب المتوفاة (٥٩٣ هـ) . الدارس .

(٦) داخل باب الفرج شرقي القلعة ، أنشأهـا عبـد الله بن محمـد بن أبي عصرون (ت ٥٨٥ هـ) ، الـدارس : ٣٠٢/١ .

(٧) عمر بن محمد بن عبد الله بن أبي عصرون (ت ٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٧٩/٥ .

[الألقاب والنسب][1]

☆ **بنو الزكي** : عبد العزيز عماد الدين بن يحيى . والقاضي تقي الدين عبد الكريم بن يحيى بن محمّد .

٦٧٠ ـ زمرّد بنت أَيْرق*

بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وراءٌ بعدها قاف : الخطويّة[2] زوج شيخنا أثير الدين ، والدة نضار الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى في حرف النون .

سَمِعَتْ مِن جماعة وحدَّثت .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأتُ عليها بمكّة جزءاً خَرَّجه لها زوجها أثير الدين ، وكان لها في صحبته نحو من أربعين سنة .

رَوَت عن الأبرقوهي والدمياطي وابن الصوّاف وابن السقطي[3] والعجوي وعبد القادر بن الصعبي وزينب الإسعرديّة .

توفيت رحمها الله تعالى سادس عشر ربيع الآخر سنة [ست][4] وثلاثين وسبع مئة ، ودُفنت عند ابنتها في البرقيّة داخل القاهرة ، ورثاها الشيخ بأبيات ، وجاوزت الخمسين .

---

(١) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الدرر : ١١٦/٢ .

(٢) كذا ، ولم يتضح مراده من هذه النسبة .

(٣) محمد بن عبد العظيم ، ستأتي ترجمته .

(٤) زيادة من الدرر .

الألقاب والأنساب

☆ **الزملكاني** : فتح الدين أحمد بن عبد الواحد . والشيخ كمال الدين قاضي القضاة محمّد بن علي . وعماد الدين محمد بن أحمد .

☆ **الزنكلوني** : الشيخ مجد الدين إسماعيل بن أبي بكر .

☆ **ابن الزيبق** : الأمير نجم الدين داود بن أبي بكر . وولده الأمير ناصر الدين محمد بن داود .

☆ **الزيرباج** : الأمير حسام الدين لاجين .

☆ **زهراء** : بنت عبد الله بن محمد بن عطا : هي ابنة قاضي القضاة شمس الدين الحنفي ، وهي أمّ علاء الدين علي بن ناصر الدين دَاود بن بدر الدين يوسف بن أحمد بن مقلّد الأذرعي الحنفي .

☆ **ابن زهرة** : السيّد نور الدين حسن بن محمد بن علي . وشمس الدين الحسين بن علي .

☆ **ابن زنبور** : الوزير علم الدين عبد الله بن أحمد .

☆ **الزّواوي** : شرف الدين عيسى بن مسعود .

٦٧١ ـ زيد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز*

الشيخ الفقيه زين الدين أبو كبير المغربي الشافعي .

كان عنده مشاركة في فقهٍ وأدب ، وتواريخ ووقائع وأيّام العرب ، حَسَنَ المحاضره

* الدرر : ١١٦/٢ .

حُلْوَ المذاكره ، إلاّ أنّه كان لتأخره عن المناصب يُمْنَى من حسده بالعذاب الواصب[١] ، فينطوي على إحَنٍ وَتِرات ، وينبض القسيّ الواترات .

ووقف مرّات بين يدي النوّاب ، وكاد يُمتهن بأيدي الحجّاب ، وجرت له في ذلك وقائع ، واتفقت له بدائهُ فيها بدائع ، وما أُنجح له فيها عناء ، ولا رشح له إناء :

إذا لم يكن عـــــون من الله للفتى فـأكثرُ مـا يجني عليـه اجتهـادُهُ

وكان لا يزال مصفرّا ، معلولاً مُعْفَرّا .

ولم يزل على حاله إلى أنْ ضُرب زيد ، وأصبح يَرْسُف من العدم في قيد .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرّم سنة اثنتين وستين وسبع مئة . ولعلّه قد قارب الستين أو تعدّاها بقليل .

وكان قد باشر في صفد قضاء بعض النواحي ، وعاد إلى دمشق وبقي فقيهاً بالمدارس ، وكان مقيماً بالمدرسة الأكزيّة[٢] على باب الخوّاصين ، وتوّجه إلى مصر مرّات ، وأحضر تواقيع بولايات ، ولم تُمْضَ ، وكان لا يزال خاملاً . وتوفي رحمه الله تعالى بعلّة الاستسقاء .

كتب هو إليّ مُلْغِزا :

يا مولانا أثقل الله بفواضلك الكواهل ، وأخمل بفضائلك الأوائل من الأفاضل ، إن أمكن أن تلمحَ هذا اللغز اللطيف ، وتعطيه حظا من سيّال فكرك الشريف ، تُقلِّدُ المملوك به مأنة الفضل العميم ، وتحلّي بورود لفظه كما يتحلّى بوجود شخصه بين يدي سيّد كريم ، وهو :

---

(١) أي الدائم الثابت .

(٢) في الأصل : « الا لاكزيّة » ، سهو ، وهذه المدرسة بناها أسد الدين أكز سنة (٥٨٦ هـ) ، الدارس : ١٢٤/١ .

ما اسمّ يعتني الصائمون غالباً بتحصيله ، ويتنافس الأكابر منهم في جملته وتفصيله ، خماسيّ الحروف في الترصيف والترتيب ، مسطّح الشكالة في البساطة ، كُرَيّ عند التركيب ، إن حذفت خُمْساً رأيتَه طائراً وَسيما قُصّ الأثر فاهتُدي به ، وغالب في طَرْق اللؤم تميما[1] ، وإن اختُلس في أوّله كان في الثغور الحصينة لآلئاً في الليل البهيم ، وفي سورة القلم ناراً أحرقت الجنة التي أصبحت كالصريم[2] .

عزمت على إهدائه غير مرّة ... إلى بابك العالي فأمسكت عن قصدي
فقد قيل عادات الأكابر أنّهم ... بإهدائه أوْلَى فما جُزْتُ عن حدّي
فأوضحْهُ لي معنىً وإن شئتَ صورةً ... وإن شئت فارْسُم لي فإني به أبدي

فكتبت إليه الجواب عن ذلك ، وهو في « قطائف » وجهّزت إليه منه صحناً :

أمولايَ بدر الدين مُثْلك من يهدي ... نداه وإن كان الضلال غدا يَهْدي
بعثتَ بلغزٍ قد حلا منك لفظُه ... فأخملَ ذكر القطر فضلاً عن الشَّهْدِ
فسامحْ فقد أوضحتُه لك صورةً ... على أنّه لابدّ من شرح ما عندي

يا مولانا هذا لغزك بديع المعنى ، بعيد المبنى ، يترشّفه السمع سُلافَه ، ويتلقّفه البصر ورداً جنيّا متى أراد اقتطافه ، قد أغربتَ في قَصْده وأحكمت عَقْدَ بنده ، دُلّني على معناه حُسْنُ مبناه ، وقُرْبُ البيانِ من مغناه ، فلك الفَضْلُ في حلّه وسحّ وابله وطلّه . ومن غرائب خواصّه أنّه أخذ من اللبن والحلاوة حظّا ، ومتى صَحَّفت ثلاثة أخماسه عاد فظّا ، قد راقت العيونَ ملاحتُه ، وحُشيت بالقلوب حلاوته ، يختصّ بشهر رمضان ، لأن في قلبه حلاوة كحلاوة الإيمان ، بعضه يُقْلَى وكلّه محبوب ، وآخره تَحْتَ القطر

---

(١) يشير إلى قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت درب المكارم ضلّت

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ فطاف عليها طائف من ربّك وهم نائمون ☆ فأصبحت كالصريم ﴾ القلم : ١٩/٦٨ ، ٢٠ .

وأوّله فوق الجمر المشبوب ، يروقك إذا نثرتَ عقده ، وفصلت زوجه وفَرْدَه ، وأشبهُ شيء بالكواعب إذا اشتملت بالمناشف المخمل ، وأحسن ماترى ثريّاه إذا اجتمع شملها وتكمل ، وأليق ما ينشد إذا جفّ ثراها وانفصمت عراها :

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القَطْرُ[1]

٦٧٢ - زين العرب*

بنت تاج الدين عبد الرحمن بن عمر بن الحسن بن عبد الله السلمي الدمشقي المعروفة ببنت الجوباني .

حجّت وجاورت بمكّة ، وكانت شيخة رباط الحرمين ، وأقامت برباط درب النقّاشة ، وتزوّجت بالكمال بن العماد الأشتر ، وفارقها[2] سنة ثمانٍ وخمسين وست مئة ، ولم تتزوّج بعده . وهي بنت أخي النجيب محاسن العدل .

وسمعت من الشيخ تاج الدين القرطبي[3] (الأربعين السباعيّات) لعبد المنعم الفَراوي ، وحدّثت بها غير مَرّة ، وسمعت من العز عبد العزيز بن عثمان الإربلي .

وأجازها في سنة ستٍّ وثلاثين وست مئة السخاوي ، وأبو طالب بن صابر ، وإبراهيم الخشوعي[4] ، وكريمة[5] ، وجماعة من أصحاب ابن عساكر .

وأُقعدت في آخر عمرها . وكانت تحفظ أشياء حسنة .

---

(١) البيت لذي الرمة ، انظر : ديوانه ٢٠٦ .

* الدرر : ١١٧/٢ .

(٢) في الأصل : « ورافقها » ، ولم تستقم العبارة ، ولعلّ ما أثبتناه أقرب .

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي . توفي سنة (٦٤٣ هـ) . العبر : ١٧٩/٥ .

(٤) توفي سنة (٦٤٠ هـ) . العبر : ١٦٤/٥ .

(٥) كريمة بنت عبد الوهاب القرشية الزبيرية (ت ٦٤١ هـ) . العبر : ١٧٠/٥ .

وتوفيت رحمها الله تعالى في أوائل سنة أربع وسبع مئة .

ومولدها تقريباً سنة ثمان وعشرين وست مئة .

الأنساب والألقاب[١]

☆ **زين الدار وجيهيّة** : بنت المؤدب علي بن يحيى ، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الواو .

٦٧٣ ـ زينب بنت عمر*

ابن كندي بن سعيد بن علي ، أمّ محمد ، ابنة الحاج زكي الدين الدمشقي ، زوجها ناصر الدين بن قرقيسن معتمد قلعة بعلبك .

كانت امرأة صالحة خيّرة ديّنة لها برّ وصدقة ، بَنَتْ رباطاً ، ووقفت أوقافاً ، وعاشت في خَيْر ونعمة ، وحجّت ورَوَتْ الكثير ، وتفرّدت في الوقت .

أجاز لها المؤيد الطوسي وأبو روح الهروي[٢] وزينب الشعريّة وابن الصفار وأبو البقاء العكبري[٣] وعبد العظيم بن عبد اللطيف الشرابي وأحمد بن ظفر بن هبيرة[٤] .

حدّثت[٥] بدمشق وبعلبك .

---

(١) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الوافي : ٦٦/١٥ ، والشذرات : ٤٤٨/٥ ، والعبر : ٣٩٨/٥ .

(٢) عبد المعزّ بن محمد (ت ٦١٨ هـ) السير : ١١٤/٢٢ ، والعبر : ٧٤ .

(٣) عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ) ، الشذرات : ٦٧/٥ .

(٤) (ت ٦٢٠ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٥٥ .

(٥) في الأصل : « حدث » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

وسمع منها أبو الحسين اليونيني[١] وأولاده وأقاربه ، وابن أبي الفتح[٢] ، وابناه ، والمِزي ، وابنه الكبير ، وابن النابلسي والبرزالي وأبو بكر الرحبي[٣] وابن المهندس . وقرأ عليها شيخنا الذهبي من أوّل (الصحيح) إلى أوّل النكاح ، وسمع منها عدّة أجزاء .

وتوفيت رحمها الله تعالى بقلعة بعلبك سنة تسع وتسعين وست مئة .

٦٧٤ ـ زينب بنت أحمد*

ابن عمر بن أبي بكر بن شكر الشيخة الصالحة المعمّرة الرحلة أم محمّد المقدسيّة الصالحيّة .

سمعت من ابن اللَّتي ، وجعفر الهمداني . وتفرّدت في وقتها .

وحدّثت بدمشق ومصر والمدينة والقدس .

كانت تقيم مع ولدها ، وكان مهندساً . وهي والدة الشيخ محمد بن أحمد القصاص .

توفيت رحمها الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة[٤] .

٦٧٥ ـ زينب بنت سليمان**

ابن إبراهيم بن رحمة الإسعردي المسندة المعمّرة الدمشقيّة ، نزيلة القاهرة .

---

(١) علي بن محمد بن أحمد ، ستأتي ترجمته .

(٢) محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي ، ستأتي ترجمته .

(٣) أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر (ت ٧٤٩ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٧٩/١ .

* الوافي : ٦٦/١٥ ، والدرر : ١١٨/٢ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، وذيوة العبر : ١٢٦ .

(٤) في ذيول العبر أنها ماتت عن أربع وتسعين سنة ، وهذا يعني أن مولده نحو سنة (٦٢٨) .

** الوافي : ٦٧/١٥ ، والدرر : ١١٩/٢ ، والشذرات : ١٢/٦ ، وذيول العبر : ٣٣ ، وفيه : « بنت سليمان بن رحمة » .

سمعت (الصحيح) من الزَّبيدي ، ومن شمس الدين أحمد بن عبد الواحد البخاري ، وابن الصبَّاح ، وعليّ بن حجّاج ، وكريمة . وأجاز لها خلقٌ .

وسمع منها شيخنا الذهبي .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة خمس وسبع مئة ، وهي في عشر التسعين .

٦٧٦ ـ زينب بنت أحمد كمال الدين*

ابن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسيّة .

شيخة مشيخة[١] مسندة .

سمعت من محمد بن عبد الهادي[٢] ، وإبراهيم بن خليل ، وابن عبد الدايم ، وخطيب مَرْدا ، وعبد الحميد بن عبد الهادي[٣] ، وعبد الرحمن بن أبي الفهم[٤] اليلداني ، وأجاز لها إبراهيم بن الخيّر وخلق من بغداد .

أجازت لي سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة أربعين وسبع مئة ، في تاسع عشر جمادى الأولى عن أربع وتسعين سنة .

---

* الوافي : ٦٨/١٥ ، والدرر : ١١٧/٢ ، الشذرات : ١٢٦/٦ ، وذيول العبر : ٢١٣ .

(١) ليست في الوافي .

(٢) ابن يوسف بن محمد بن المقدسي الجّماعيلي (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٥/٥ .

(٣) ابن يوسف بن محمد المقدسي الجماعيلي (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٣/٥ .

(٤) في الأصل : « القاسم » ، سهو . واليلداني : نسبة إلى يلدا قرية إلى الجنوب من دمشق وأصبحت اليوم متصلة بها . وتوفي اليلداني سنة (٦٥٥ هـ) . العبر : ٢٢٣/٥ .

٦٧٧ - زينب بنت يحيى*

ابن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشيخة الصالحة الأصيلة المسندة أمّ محمّد .

حضرت في الخامسة[١] على عثمان بن علي المعروف بابن خطيب القرافة ، وعلى عمر بن أبي نصر بن عوّة[٢] ، وعلى إبراهيم بن خليل .

أجازت لي سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وكتب عنها عبد الله بن المحب .

وتوفيت رحمها الله تعالى في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

٦٧٨ - زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم**

الشيخة مسندة الشام ، أمة العزيز ، بنت المحدّث نجم الدين[٣] .

حدّثت عن ابن عبد الدائم ، وخلق .

وتوفيت رحمها الله تعالى عن أكثر من تسعين سنة في المحرّم سنة خمسين وسبع مئة ، أو في أواخر [ذي] الحجّة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٦٨/١٥ ، والدرر : ١٢٢/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ .

(١) في الوافي : « الخامسيّة » .

(٢) في الوافي : « ابن عرّة » ، تحريف ، وهو عمر بن أبي نصر بن أبي الفتح الجزري (ت ٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٨٠/٥ .

** الدرر : ١١٨/٢ ، وذيول العبر : ٢٨١ .

(٣) نجم الدين إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن الخباز ، سلفت ترجمته .

٦٧٩ ـ زينب بنت عبد الرحمن*

ابن محمد بن أحمد بن قدامة ، الشيخة الصالحة أم عبد الله بنت الشيخ شمس الدين أبي الفرج بن أبي عمر .

سمعت من ابن عبد الدايم ، ووالدها .

وأجازت لي . وكتب عنها عبد الله بن المحب .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

* الوافي : ٦٨/١٥ ، والدرر : ١٢٠/٢ .

حرف السين

٦٨٠ ـ سارة بنت عبد الرحمن*

ابن أحمد بن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن مفلح بن هبة الله بن نمير المقدسيّة ، أمّ محمّد الشيخ المسند شمس الدين أبي الفرج .

سمعت من إبراهيم بن خليل ، ورَوَتْ عنه .

قرأ عليها شيخنا علم الدين البرزالي بطريق الحجاز باللّجون من عمل الكرك ، وفي الحجر .

وتوفيت رحمها الله تعالى رابع عشري شوّال سنة ست عشرة وسبع مئة .

٦٨١ ـ سالم**

الأمير سيف الدين السلاح دار .

كان أميراً كبيراً مقدّماً في الديار المصريّة ، صاهر الأمير سيف الدين سلاّر أيّام نيابته ، وأخرجه السلطان الملك الناصر محمد إلى دمشق .

وكان إقطاعه بمصر إقطاعاً كبيراً إلى الغاية ، وكانت له بدمشق حرمة وافرة ، وفيه ديانة وخير .

وتوفي رحمه الله تعالى في الحادي والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن بسفح جبل قاسيون .

---

* الدرر : ١٢٢/٢ .

** الدرر : ١٢٣/٢ ، وفيه : « ساطي » .

٦٨٢ ـ سالم بن محمد بن سالم*

ابن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد الرئيس ، أمين الدين أبو الغنائم ابن الحافظ أبي المواهب بن صَصْرَى التغلبي الدمشقي الشافعي .

حدّث عن مكّي بن علاّن . وسمع مِنْ خطيب مَرْدا ، والرشيد العطّار ، والرضي بن البرهان ، وإبراهيم بن خليل ، وجماعة .

وكان على وجهه شامة كبيرة حمراء .

كان عَدْلا لا يقبل في المروّءة عَذْلا ، ظاهرَ المروءه ، طاهر السريرة المخبوءه .

باشر الوظائف الكبار بأمانة خَشنه ، ولم يرَ الناس منه إلاّ حَسَنه ، صحب الناس وتأدب ، وانفصل عنهم فما ندّر أحدٌ عليه ولا نَدّب .

ولم يزل على حاله إلى أن أدرك العطب سالم ، وسلك سبيل من اندرج من العوالم .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

كان قد ولي نظر الخزانة ، وولي نظر الدواوين بدمشق ، وغير ذلك ، ثم إنه حجّ وجاور ، ثم عاد إلى دمشق ، وتَنظَّف من ذلك جميعه ، وأقبل على شأنه ، ولازم منزله حتى لقي الله تعالى .

٦٨٣ ـ سالم بن أبي الدّر**

الشيخ الإمام مدرّس الشامية الجوّانيّة ، أمين الدين الشافعي .

---

* الوافي : ٩٠/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٣ .

** الوافي : ٨٠/١٥ ، والدرر : ١٢٣/٢ ، والدارس : ٢٣١/١ .

قرأ على الكراسي[١] مُـدَّة ، ونسـخ من مسموعـاتـه عُـدّة ، ورّتب (صحيـح) ابن حِبّان ، وروى عن ابن عبد الدائم للشبان .

وكان ذا دهاء ، ومكر بأمور الادّعاء .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه مولاه ، وراح إلى الله وتولاّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وكان إمام مسجد الفَسْقَار[٢] ، وعنده خبرة بالدعاوي ونقضها .

وسمع منه شيخنا الذهبي (مشيخة) ابن عبد الدائم ، وعاش اثنتين وثمانين سنة .

وهو سالم بن عبد الرحمن بن عبد الله ، الشيخ أمين الدين ، أبو الغنائم بن أبي الدر الدمشقي الشافعي .

كان فقيهـاً فـاضلاً ، اشتغل وحفـظ وحصّل ، ولازم الشيوخ وأثنى عليـه مشـايـخ عصره ، مثل الشيخ محيي الدين النواوي ، وشرف الدين بن المقدسي ، وغيرهما .

وكان قد اشتغل أوّلاً على قاضي القضـاة عز الـدين بن الصـائغ ، وبعـد ذلـك على الشيخ محيي الدين النواوي . وكان إمام مسجد ابن هشام[٣] ، ومعيداً بالمـدارس ، ثم إنـه ولي تدريس المدرسـة الجوانيّـة ، وكان مشهوراً بمعرفـة الحكومـات ، والكتب الحكيّـة ، وكان ذا مروءة وعصبيّة . وكان له ثبت بمسموعاته .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

---

(١) قـارئ الكراسي : من مجلس على كرسيّ في جـامع أو مـدرسـة أو خـانقـاه ، يقرأ على العـامـة شيئـاً من الرقائق والحديث والتفسير . (نقد الطالب لزغل المناصب : ١٦٠) .

(٢) الدارس : ٢٣٤/٢ ، والفسقار : سوق .

(٣) هو مسجد الفسقار نفسه . الدارس : ٢٣٤/٢ .

٦٨٤ ـ سالم بن ناصر الدين*

الفقيه شرف الدين .

كان قاضي قارا[١] وخطيبها ورئيسها ، ونَجِيَّ مكارمها ونجيبها ، شاعراً مفوّهاً ، أديباً لم يكن وجه فضله مُشَوَّهاً ، أقام بقارا مدّة من الزمان ، ومدّ فيها للأضياف كبار الجفان .

ولم يزل على حاله إلى أن درج من عش حياته ، وغاض الوفاء عند الوفادة بوفاته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومن شعره[٢] ....

٦٨٥ ـ سالم بن أبي الهيجاء**

ابن حميد بن صالح بن حمّاد ، الإمام الفقيه القاضي مجد الدين أبو الغنائم الأذرعي الشافعي .

كان فقيهاً فاضلا ، سَؤوساً عاقلا ، كثير التلاوه ، وعنده بعد ذلك من الأدب علاوه ، يحفظ كثيراً من الأشعار ، ويتلقّفها ويأخذها ليلقّنها[٣] بأغلى الأسعار . حسن الهيئه ، كريم الرجعة والفيئه ، خبيراً بالأحكام ، قويّ النفس على من تعلّى من الأنام ، وكانت له حُرْمَه ، ولم تحفظ عنه جُرْمَه .

---

* الوافي : ٩٢/١٥ .

(١) قارا : بلدة إلى الشمال من دمشق نحو مئة كيل ، على طريق حمص .

(٢) وكذا في الوافي .

** الوافي : ٩٣/١٥ ، والدرر : ١٢٥/٢ ، وعقد الجمان : ٤١٨/٤ ، وفيات سنة (٧٠٥) .

(٣) في الأصل : « ليتلقنها » ، ولا وجه لها .

توّجه إلى مصر بعد ما انفصل من قضاء نابلس ، فأدركه أجله هناك ، وقال له عمله المبارك : بُلغّت مناك .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة ثامن عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وسبع مئة . وعاش ثلاثاً وسبعين سنة .

ومولده بقرية جمحا ، قرية بالقرب من أذرعات .

وهو والد شمس الدين محمد محتسب نابلس ، وشهاب الدين أحمد وكيل الحاج أرقطاي .

وروى عن الحافظ ضياء الدين المقدسي .

٦٨٦ ـ سالم الأمين الموصلّي المنجم*

كان شيخاً في النجامة قد تميّز ، ومال إلى معرفة هذا العلم وتحيز ، يَحُل الأزياج ويكتب التقاويم ، ويعرف عروض البلدان ومواقعها من الأقاليم ، وله دُرْبَة في تلك الأوضاع ، وتلك الأمور التي لا يعرفها إلاّ من امتد منه الباع .

لم يزل على حاله إلى أن لم يَبْق عُمْرُه دقيقه ، واستوفى جليل أجله ودقيقه .

وتوفي رحمه الله تعالى [سنة] تسع وتسعين وست مئة .

اللقب والنسب

☆ **السامري** : سيف الدين أحمد بن محمد .

☆ **سبط زيادة** : الحسن بن عبد الكريم .

☆ **ابن السابق** : علي بن عثمان عبد الواحد .

---

* الوافي : ٩٦/١٥ .

☆ **ابن سامة :** محمد بن عبد الرحمن .

☆ **السبكي :** جماعة منهم : قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي . وولده القاضي جمال الدين الحسين . وتقي الدين محمد بن عبد اللطيف . والقاضي زين الدين عبد الكافي بن علي . وصدر الدين بن علي .

☆ **ابن السبّاك :** الشيخ تاج الدين الحنفي ، علي بن سنجر .

٦٨٧ ـ ست الوزراء*

الشيخة الصالحة المعمّرة مسندة الوقت أم عبد الله ابنة القاضي شمس الدين عمر بن العلامة شيخ الحنابلة ، وجيه الدين أسعد بن المنجا بن أبي البركات[1] التنوخيّة الدمشقية الحنبلية .

سمعت (الصحيح) و (مُسَند) الشافعي من أبي عبد الله بن الزبيدي ، وسمعت من والدها جزأين .

كانت مُسندة العصر ، وخريدة الرواية في القَصْر ، رزقت الحظوة الباهره ، وطالت بذاك النجوم الزاهره ، فحدّثت بالصحيح مرات ، وفازت من ذاك بالصلات والمبرّات ، وكانت ثابتة على طول التسميع ، مديدة الروح على الشروط وما يطرأ عليها من التفريع ؛ إلاّ أنها انثالت عليها الجوائز ، ولم تكن كمن عداها من العجائز .

وطلبت إلى مصر ، وسمع منها الأمير سيف الدين أرغون النائب ، والقاضي كريم الدين الكبير .

ولم تزل على حالها إلى أن لم تجد ست الوزراء من الموت وزْرا ، وصال الدهر على أهلها بفقدها وزَرَى .

---

* الوافي : ١١٧/١٥ ، والدرر : ١٢٩/٢ ، والشذرات : ٤٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٨٢/٥ .

(١) (ت ٦٤٠ هـ) ، الوافي : ٤٣٠/٢٢ .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة أربع وعشرين وست مئة .

وحجت مرتين ، وتزوجت بأربعة رجال رابعهم نجم الدين عبد الرحمن بن الشيرازي[١] . وكان لها ثلاث بنات .

قرأ عليها شيخنا الذهبي (مسند) الشافعي ، وهي آخر من حدّث بالكتاب . وسمع منها الوافي ، وابن المحبّ ، والقاضي فخر الدين المصري ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، والشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني[٢] ، وخلق كثير .

٦٨٨ ـ ست الفقهاء*

ابنة إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل[٣] ، الشيخة الصالحة المعمرة المسندة بنت الإمام تقي الدين بن الواسطي الصالحية الحنبلية[٤] .

سمعت حضوراً (جزء ابن عرفة) في سنة خمس[٥] من عبد الحق بن خلف[٦] . وسمعت من إبراهيم بن خليل وغيره . وسماعها قليل ، لكن لها إجازات عالية من جعفر الهَمْدَاني ، وأحمد بن المعز الحرّاني[٧] ، وعبد الرحمن بن بُنَيْمان ، وعبد اللطيف بن القُبَيْطي ، وروت الكثير ، وسمعوا منها (سنن) ابن ماجة وأشياء .

---

(١) أشار إليه صاحب الفوات غير مرّة ، انظر : ١٢٠/١ ، ٢٤٤ .

(٢) محمد بن الحسن بن محمد بن عمّار (ت ٧٧٦ هـ) ، الدرر : ٤٢٣/٣ ، والذيل التام : ٢٧٤ .

* الوافي : ١١٧/١٥ ، والدرر : ١٢٧/٢ ، والشذرات : ٧١/٦ .

(٣) (ت ٦٩٢ هـ) ، الوافي : ٦٦/٦ .

(٤) زاد في الوافي : ولدت تقريباً (٦٣٢ هـ) .

(٥) وثلاثين .

(٦) (ت ٦٤١ هـ) ، الشذرات : ٢١١/٥ .

(٧) هو أحمد بن محمد بن محمود (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٣/٢٣ .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة ست وعشرين وسبع مئة . ولها اثنتان وتسعون سنة .

٦٨٩ ـ ست العرب*

ابنة سيف الدين علي بن الشيخ رضي الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي . الشيخة الصالحة أم محمد .

حضرت على ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة ، وحدثت وسمع منها شيخنا علم الدين البرزالي ، وأجازت لي .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وإجازتي منها كانت في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٦٩٠ ـ ست القضاة**

أم محمد بنت القاضي محيي الدين بن القاضي تاج الدين أحمد الشيرازي .

قاربت التسعين سنة .

روت عن كريمة بنت عبد الوهاب (مشيختها) ثمانية أجزاء ، و (الزهّاد والعُبَّاد) لابن الأزهر البلخي ، ولم يوجد لها سوى ذلك .

وتزوجت بالشيخ مجد الدين الرّوذْرَاوَري[1] ، ثم بالبدر بن الخرقي ، ثم بغيره .

وتوفيت رحمها الله تعالى في ثامن عشري القعدة سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ١١٩/١٥ ، والدرر : ١٢٦/٢ .

** الدرر : ١٢٨/٢ .

(١) عبد المجيد (ت ٦٦٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢٤/٥ .

٦٩١ ـ ست الأمناء*

بنت الشيخ صدر الدين أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنّجا ، وهي أخت والدة الخطيب معين الدين بن المغيزل وإخوته . وكانت تدعى أم عز الدين ، وهو ولدها الأول .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روت الحديث ، وسمعنا عليها من جدها ، وكانت أكبر من عمّها وجيه الدين بسنتين .

توفيت رحمها الله تعالى بالسعيديّة قبل دخول القاهرة في أواخر شهر ربيع الأول سنة سبع مئة في الجفل .

٦٩٢ ـ ست الوزراء**

أمّ محمد ابنة الشيخ العدل الرئيس تاج الدين أبي الفضل يحيى بن محمد الدين أبي المعالي محمد بن شمس الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ المسند أبي يعلى حمزة بن علي بن هبة الله بن الحبوبي التغلبي الشيخة .

حجت وأعتقت ولازمت الخير ، وغلبت السوداء عليها آخر عمرها ، فتغيّر ذهنها نحو سنة .

لها إجازة من الشيخ علم الدين السخاوي والحافظ ضياء الدين المقدسي وعز الدين بن عساكر النسَّابة ، والضياء عتيق السلماني وتاج الدين القرطبي ، وسالم ابن عبد الرزاق خطيب عقربا[1] ، وأخيه الجمال يحيى والعز أحمد بن إدريس المزة[2] ، والصفي عمر بن البراذعيّ ، والرشيد بن مَسْلَمة وغيرهم . وحدّثت قديماً .

---

* لم تقف على ترجمة لها .

** الدرر : ١٢٩/٢ ، والشذرات : ٣٥/٦ .

(١) (ت ٦٤٣ هـ) ، الشذرات : ٢١٨/٥ .

(٢) كذا ، ولم تقف على ترجمته ولا على مراده .

توفيت رحمها الله تعالى يوم الخميس رابع شوال سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة تسع وثلاثين وست مئة .

٦٩٣ ـ ست العلماء*

المعروفة بالبلبل . شيخة رباط درب المهراني بدمشق[١] .

كانت قوّامة بالليل لأدوارها ، ملازمة للصلاة على سجّادها ، مشهورة بحسن الوعظ والتذكير ، والمبادرة إلى المواعيد والتبكير .

ولم تزل على حالها إلى أن خرس البلبل منها ، وقام الناعي بالذكرى عنها .

وتوفيت رحمها الله تعالى ثالث عشري شهر رجب الفرد سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وكانت جنازتها حافلة بالنساء .

٦٩٤ ـ ست الأهل**

بنت علوان بن سعيد بن علوان بن كامل . الشيخة الصالحة المسندة البعلبكية الحنبلية .

روت الكثير عن الشيخ بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي ، وتفردت عنه بقطعة من المسموعات .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليها بدمشق (الزهد) للإمام أحمد في أربع مجلدات وأجزاء كثيرة . وقرأت عليها ببعلبك (عوالي) البهاء عبد الرحمن ، و (محاسبة النفس) لابن أبي الدنيا[٢] .

---

* الدرر : ١٢٧/٢ .

(١) الدارس : ١٥١/٢ .

** الوافي : ١١٦/١٥ ، والدرر : ١٢٥/٢ ، والشذرات : ٨/٦ .

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١ هـ) ، السير : ٣٩٧/١٣ ، والكشف : ١٦٠٨/٢ .

وكانت من أهل الدين والصلاح والقناعة ، لا تبالي بنفسها في مأكل ولا غيره .

وتوفيت رحمها الله تعالى في تاسع عشر المحرّم سنة ثلاث وسبع مئة .

وكان أبوها من الصالحين الكبار .

٦٩٥ ـ سُتَيتة*

الخاتون بنت الأمير سيف الدين كوكائي[١] ، زوج الأمير سيف الدين تنكز رحمهم الله تعالى .

كانت خيّرة صيّنة ديّنة . تردُّ زوجها عن أشياء كثيرة . وهي والدة الخوندة أم السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح ، وأم فاطمة زوج الأمير سيف الدين بلجك ابن أخت الأمير سيف الدين قوصون .

توفيت رحمها الله تعالى في ليلة الاثنين ثالث شهر جب الفرد سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفنت في التربة التي لها[٢] على باب الخوّاصين بجانب المدرسة الطيّبة ، وعُمل إلى جانب التربة رباط للنساء .

وكانت قد حجّت في العام الماضي ، وتصدّقت بشيء كثير .

اللقب والنسب

☆ **ابن سحاب** : أحمد بن سليمان .

☆ **السخاوي** : نور الدين قاضي القضاة المالكي ، علي بن عبد النصير .

---

* البداية والنهاية : ١٥١/١٤ ، والدارس : ٢١١/٢ .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) وقعت في الدارس بلفظ : التربة الكوكبائيّة ، وانظر : ولاة دمشق : ١٧٢ .

٦٩٦ ـ السديد الدّمياطي ، الطبيب اليهودي*

كان من أطباء السلطان الملك الناصر محمد ، لا يدخل الرئيس جمال الدين بن المغربي إلى دور السلطان في الغالب إلاّ وهو معه .

وكان شيخاً قد أسَن ، وأشبه الشَن ، نحيفاً مائل الرقبه ، قليل البشر كما يقال ، كأنَّ وجهه عقبه ، إلاّ أنه فاضل في صناعته ، ماهر في إنفاق ما معه من بضاعته ، على ذهنه شيء كثير من إقليدس ، ومسائل ممّا يحتاج إليه المهندس ، وعلى ذهنه جزء كبير من الطبيعي وغيره ، ويستحضر كثيراً من كلام الأطباء الذين يحتاج إلى أن يكونوا سبب خيره . وكان سعيد العلاج ، يكاد يبري الاستسقاء والانفلاج ، لم يكن في عصره من له سعادة علاجه ، ولا من يدخل إلى المريض بواسطة مزاجه . حضرت علاجه في جراحة القاضي شرف الدين ناظر الخاص ، وكان إذا تكلّم يُسمع له والمجلس بالأفاضل غاصّ ، وسمعت منه فوائد ، وجمعت عنه فرائد .

ولم يزل السديد إلى أن حصل به الخطب الشديد ، ولم ينفعه علاجٌ قديم ولا جديد .

وهلك في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة فيما أظن .

وكان قد قرأ على الشيخ علاء الدين بن النفيس[١] ، وحضر مباحثَهُ[٢] مع قاضي القضاة جمال الدين بن واصل[٣] .

وذكر لي أشياء من فوائد الشيخ علاء الدين المذكور .

---

* الوافي : ١٢٧/١٥ ، والمنهل الصافي : ٣٨٤/٥ .

(١) علي بن أبي الحرم القرشي الدمشقي ، شيخ الطب بالديار المصرية (ت ٦٨٧ هـ) الشذرات : ٤٠١/٥ .

(٢) في الوافي : « مباحثة » .

(٣) محمد بن سالم ، ستأتي ترجمته .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن السديد** : شمس الدين أحمد بن علي . وجمال الدين محمد بن عبد الوهاب . ومجد الدين هبة الله بن علي .

☆ **السروجي** : قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم .

☆ **السروجي** : المحدّث محمد بن عليّ .

٦٩٧ ـ سعد الله بن غنائم*

ابن علي بن ثابت ، أبو سعيد الحموي النحوي المقرئ الضرير .

كان ذا دين متين ، وفضل مُبين ، ضرير النظر ، غزير البحث والنظر . أقرأ الناس وأفاد ، وفاز منهم بشكرٍ ماله من نفاد .

ولم يزل على حاله إلى أن طوّحت به الطوائح ، واجتاحته الجوائح .

وتوفي رحمه الله تعالى ستة عشر وسبع مئة[1] .

[الأنساب والألقاب][2]

☆ **ابن بنت أبي سعد** : فخر الدين عثمان بن علي .

والمسند ابن سعد : يحيى بن محمد .

---

* الوافي : ١٨٩/١٥ ، والدرر : ١٣٣/٢ ، والبغية : ٥٨٠/١ . وفي الأصل : « فائت » ، تحريف لعل صوابه (قانت) ، وقد ردّ بينهما صاحب البغية .

(١) قال السيوطي في البغية : « ومات ببعلبك سنة أربع عشرة وست مئة ، وكذا وقع في تاريخ الصفدي الكبير ، وقال في أعيان العصر ، وتبعه الحافظ ابن حجر في الدرر : سنة عشر وسبع مئة . وبينهما بون عظيم ، وعلى القول الأول لا يصحّ ذكره في أعيان العصر ؛ لأنه ليس من معاصريه ، ولا في الدرر ؛ لأنه ليس من أعيان المئة الثامنة » . أ هـ .

والذي في مطبوعة الوافي أنّه توفي سنة عشر وست مئة .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

٦٩٨ ـ أبو السعود*

ابن أبي العشائر بن شعبان الباذبيني ، ثم المصري . الشيخ الصالح الزاهد ، شيخ الفقراء السعودية .

كان صاحب عباره ، وربّ مجاز وعباره ، وفيه انجماع وزهاده ، وأذكارٌ وعباده ، وله أتباع ، ومريدون يرون أن طريقه تشترى وما تباع ، وسوقه بمصر قائمه ، وقلوب أصحابه فيه هائمه .

ولم يزل على حاله إلى أن فرغ الأجل منه ، وانصرف وجه الحياة عنه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

الأنساب والألقاب

☆ **السعودي** : جماعة منهم : سيف الدين عبد اللطيف .

☆ **السعودي** : الشيخ أيوب .

٦٩٩ ـ سعيد بن ريّان بن يوسف بن ريّان**

الصدر الكبير الرئيس القاضي عماد الدين الطائي ناظر حلب .

كان من أحسن الناس وجهاً وقَدّا ، وشكالة مَنْ ألف بالنظر إليها ما تعدى ، بزّته فاخره ، وسعادته ظاهره ، واسعَ الصدر ، نبيه القدر ، كريم البنان ، صحيح البيان ، فصيح المقاله ، سريع الإقاله ، سماطه ممدود ، واحتياطه غير مردود ، سعيد المباشره ، حميد المعاشره ، جيّد التنفيذ والتصرف ، خبيراً بالتودد والتعرّف ، قوي النفس لا يعبأ بمن ناواه ، ولا يبالي بمن يزعم أنه ساواه .

* الوافي : ١٩٥/١٥ .

** الوافي : ٢١٨/١٥ ، والدرر : ١٣٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ١ـ٢٩١ .

ولم يزل على حاله في تقلب الدهر به إلى أن جاءه الأمر المَقْضِيْ ، وتصبّح من موته بما لا يُرضي .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رجب سنة ثمان وسبع مئة .

باشر نظر الديوان[١] بحلب مرات ، وطُلب إلى مصر وصودر ، وأُخذ منه على ما قيل : أربع مئة ألف درهم[٢] .

وكان شرف الدين بن مزهر[٣] في تلك الأيام بمصر، وكان يحضر في دار الوزارة بقلعة الجبل ، ويشكو عطلته وبطالته وضيق ذات يده ، ويقول : والله ما تعشّيت البارحة إلاّ على سماط عماد الدين بن ريّان ، ياقوم ما هذا إلاّ رجل كريم النفس ، كان البارحة على ساطه من الحلاوة أربعة صحون ، وكان .. وكان .. ، ويعدّد أشياء ، يقصدُ بذلك أذاه في الباطن ، وهو في الظاهر يثني عليه ويتغمم له لأنه كان تلك المدة يحمل في المصادرة ، وحطّ عليه الجاشنكير ، وقال : ما بقيت أستخدمه في ديوان السلطان أبداً . فقال الأمير سيف الدين سلار : أنا أستخدمه في ديواني ، فجعله ناظر ديوانه في دمشق ، فحضر إليها ، ورأى فيها من السعادة والوجاهة والتقدم أمراً زائداً عن الحد ، وصحب الناس فيها ، وعاشر أهلها ورؤساءها من أرباب السيوف والأعلام ، وظهر بمكارم أخجلت صوب الغمام .

ولما كان في رابع شوال وصل شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب فخر الدين بن الخليلي[٤] مباشراً ديوان سلاّر عوضاً عن عماد الدين بن ريّان ، وذلك سنة سبع وسبع مئة . ولم يزل إلى أن حجّ وعاد مع الركب المصري ، ورُسم له بنظر حلب على عادته ، وأُخذ توقيعه بذلك ، وحضر إلى دمشق فمرض بها ، ومات رحمه الله تعالى .

(١) في الوافي : « الدواوين » .

(٢) في الوافي : « أربع مئة ألف » . وفي الدرر : « أربع مئة ألف دينار » .

(٣) يعقوب بن مظفر ، ستأتي ترجمته .

(٤) هو عبد الرحمن بن عمر بن عبد العزيز ، ستأتي ترجمته .

وكان يكتب جيداً إلى الغاية ، ويقول الشعر طباعاً . كتب إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وهو بدمشق مشد الدواوين :

يا من إذا استنخي ليوم كريهةٍ ... هزّت شمائله المروءةُ فانتخَى[1]
أنت الذي يُخشى ويُرجى دائماً ... وإليك يُلجأ في الشدائد والرَّخا
وإذا الحروبُ توقَّدَتْ نيرانُها ... أطفأتَها بعزيمة تجلُو الطَخَا[2]
وإذا تميل إلى الكسير جَبَرْتَهُ ... وعلى العَلِيِّ من الجبال تَفَسّخا
حُزْتَ المكارم والشجاعة والفُتـ ... ـوّة والمروّة والنباهة والسَّخا
وأتت لك الأقدار فهي كما تشا ... بمحلّك العالي غَدَتْ تَجْري رُخا[3]

٧٠٠ ـ سعيد بن عبد الله*

الإمام الفاضل العالم الحافظ نجم الدين أبو الخير الدِّهلي ، بالدال المهملة المكسورة وبعدها هاء ساكنة ولام ، الحنبلي الهلالي[4] الحريري صَنْعَةً .

رحل من بغداد ، وحضر إلى الشام ، وتوجّه إلى مصر ، وثغر الإسكندرية .

أكثر عن بنت الكمال ، وابن الرضي ، وتعب وحصّل الأجزاء .

وكان له عمل جيد وهمّه ، ورحلة للأقاليم وعَزْمَه ، لم يكن آخر وقت مثله في هذا الشان ، ولا مَنْ يدانيه في علّو المكان ؛ لأنه يعرف التراجم والوفَيَات ، وما فيها من اختلاف الروايات ، وهذا أمرٌ قلّ من رأيته يعتني بِهْ ، أو يرعى اختلاف ترتيبه ،

---

(١) في الوافي : « استنخى » .
(٢) الطخاء : الكرب على القلب .
(٣) في الوافي : « دانت لك » .
* الوافي : ٢٣٣/١٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٢/١ ، والدرر : ١٣٤/٢ ،والشذرات : ١٦٣/٥ ، وذيول العبر : ٢٧٧ .
(٤) في الوافي : « الجلالي » .

وكان بعد شيخنا الذهبي قائماً بهذا الشأن في الشام ، وبعده لم يبق في هذا الفن بشاشة تُشْتَام .

وله تواليف كَتَبْتُ عليها أنا وغيري من فضلاء العصر تقريضا[1] ، ومدحناه فيها تصريحاً لا تعريضا .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن تعثّر سعيدٌ في طريق أَجَله ، وراح إلى الله تعالى في عَجلِه ، لأنه بصق دماً يومين ، ومات في الثالث رحمه الله تعالى وذلك في خامس عُشري القعدة سنة تسع وأربعين في طاعون دمشق .

ومولده سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

وكان قد سمع عليّ بعض تواليفي .

قال شيخنا الذهبي : سمع المزي من السروجي عنه . ومن تصانيفه كتاب (تفتت الأكباد في واقعة بغداد) ، وكتبت له عليه تقريضاً . و (الرحلة الثانية إلى مصر) ، وكتبت له عليها ما نسخته : وقفتُ على هذا السلك الذي جمع دُرّ القريض ، والروضِ الذي تنظر النجوم الزُّهْر إلى زَهْره استحياءً بطرْفٍ غضيض ، والسحر الذي ما نفث مثلَه في أحشاء العشاق كلُّ طرف فاتر ولا جفنٌ مريض ، والأدب الذي لو حاوله شاعر لوقع منه في الطويل العريض ، لأنه اختيار الشيخ الإمام الرحال الجوّال نجم الدين سعيد الدّهلي الحريري الحنبلي أدام الله به الانتفاع ، وشنّف بأقواله الأسماع :

إمام إذا ناداه في الفضل حاسد ... تعثّر عِلْما إنّ ذاك سعيد

كذلك لو جاراه في أمدِ العُلا ... لقلنا اقتصر فالنجم منك بعيد

ولم يسمّه بالفوائد سدى ، ولا وسمه بهذه السمة إلاّ وهي واضحة الهُدى ، علماً منه بأنّ الفاضل لن يجهله ، وأن الفوائد جمع لا نظير له ، فالله تعالى يمتع الفضلاء بفوائده

(١) التقريض : المدح والذم ، ضدّ .

المدوّنة ، ومحاسنه التي هي كفواكه الجنّة لا مقطوعة ولا ممنوعة[1] ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

كتب في شهر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

٧٠١ - سعيد بن أحمد بن عيسى*

الشيخ الإمام الفاضل العدل نجم الدين ، القاضي أبي العباس الغماري المالكي .

كان معيداً بالمدرسة الناصرية والمنكوتمريّة . كان فيه مخالطه ، وإبهام للناس بالناس ومغالطه ، مع كَيَس ولُطْفِ ذَوْق ، وتقلباتٍ لا يجيء فيها إلاّ من فوق ، وعنده فقه ، وله نظم ما به من باس ، ومحاضرة مَخْرَقَ بها فستر ذلك الإلباس ، وحصّل من الدنيا جُملة وافرة ، ولم يكن له من يرثها بعده ، ولم يتزوّد منها غير الكفن لما نزل لَحْدَه .

ولم يزل على حاله إلى أن طُمس نَجْمُه ، ورُمِس فوقه رَجْمُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودفن في مقابر باب النصر بالقاهرة .

كانت فيه مُداخلة للناس ومزاحمة ، وكان يصحب أولاد ابن الأثير ، وأوهم بذلك حتى قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى ، فكان لا يجهّز إلى مصر شيئاً حتى يجهّز إلى النجم سعيد نصيبه .

وخلّف جملة صالحة ، ولم يكن له وارث .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ الواقعة : ٣٣/٥٦ .

* الدرر : ١٣٤/٢ .

٧٠٢ ـ سعيد بن محمد بن سعيد*

القاضي الرئيس الأصيل الكاتب ، شمس الدين بن الأثير الموقّع .

كان رجلاً عاقلاً ملازماً لوظيفته ، لا يُـدْخِلُ نَفْسَـهُ فيما لا يعنيـه . ولـه اشتغـال ، وولي كتابة الإنشاء بدمشق .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر القعـدة سنـة إحـدى وسبع مئـة ، ودفن بسفح قاسيون بتربةٍ اشتريت له .

٧٠٣ ـ سعيد بن محمّد بن سعيدبن محمّد بن سعيد**

القـاضي شمس الـدين بن الصـدر شرف الـدين بن الأثير ، سبـط القـاضي محيي الدين بن فضل الله .

توفي رحمه الله تعالى شاباً ابن ثماني عشرة سنة ، وفجعت والدته فيه .

وكان من جملة كتاب الإنشاء . وكتب صداقه ، ولم يدخل بزوجته .

ومات في جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة .

٧٠٤ ـ سَفَرى***

بنت يعقوب بن إسماعيل بن عمر ، عرف بقاضي اليمن ، الشيخة الصالحية المعمّرة أم محمد .

سمعت من جدّها إسماعيل ، وأخيه إسحـاق (جزء) أبي القـاسم الكوفي . أجـازت

---

* الدرر : ١٣٦/٢ .

** الدرر : ١٣٦/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٧ .

*** الوافي : ٢٧٨/١٥ ، والدرر : ١٣٨/٢ .

[لي][1] في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق ، وأذنت في ذلك لعبد الله بن المحبّ .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

الأنساب والألقاب [2]

☆ **السفاقسي** : الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمّد . وأخوه شمس الدين محمد بن محمد .

☆ **ابن السفاح** : كاتب سر حلب زين الدين عمر بن يوسف . وعمّه قاضي قضاة حلب نجم الدين عبد القاهر .

☆ **ابن السقطي** : جمال الدين محمد بن عبد العظيم .

☆ **ابن السكاكري** : بدر الدين علي بن محمد .

☆ **ابن سُكّرة** : ناظر دمشق بهاء الدين أبو بكر .

☆ **ابن السكّري** : علي بن عبد العزيز .

☆ **ابن السكّري** : علي بن قيران .

☆ **السكندري** : قاضي طرابلس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن منصور .

☆ **السكاكيني** : محمد بن أبي بكر .

☆ **ابن السلعوس** : شهاب الدين أحمد بن عثمان . وتقي الدين عمر بن محمد بن عثمان .

---

(١) زيادة من الوافي .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

☆ **ابن سلامة** : بهاء الدين موسى بن عبد الرحمن .

٧٠٥ ـ سليمان بن إبراهيم بن سليمان*

القاضي علم الدين أبو الربيع ، المعروف بابن كاتب قرا سنقر ، في الديار المصرية .

وكان في الشام يعرف بالمستوفي ، وورد من الديار المصرية أولاً مستوفي النظر بدمشق ، ثم عُزل في أيام الصاحب أمين الدين ، وصودر ، وذلك في سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، فيما أظن ، ثم إنه باشر نظر البيوت والخاص .

ثم إنه في أيام قطلوبغا باشر صحابة الديوان ، وكان في مصر أوّلاً في زكاة الكارم[1] ، ثم إنه باشر عند الأمير سيف الدين منكلي بغا الناصري السلاح دار . وكان أولاً مع والده عند قرا سنقر ، وهو خصيص به ، وتوجّه معه إلى البريّة ، وعاد منها .

وكان من ذوي المروءات ، وأولي الرغبة في الفتوات ، يخدم الناس بجاهه وماله ، ويولي الإحسان قبل سؤاله .

وكان النظم عنده أهونَ من التنفّس ، وأسرعَ من القطر عند التبجّس ، فكنت أتعجب من أمره ، ويحصل لي نشوة من كؤوس خمره ، مع أنه نظمٌ عذب أمضى من عَضْب[2] ، قد خلا من التعقيد والتعاظل المكروه ، وانسجم فلا يظهر عليه كلفُ تكلف ، ولا يَعْروه .

وكان فصيحاً في اللغة التركيه ، وما يورده من عباراتها المحكيّه ، وكان للكتب جمَّاعَه ، ونفسه في الاستكثار منها طمّاعه ، حصّل منها شيئاً كثيرا ، واقتنى منها أمراً كبيرا .

---

* الوافي : ٣٤٠/١٥ ، والدرر : ١٤٠/٢ ، والمنهل الصافي : ١٥/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٨/١٠ .

(١) هو العنبر الأصفر ، واستعمل لتجارة البهار من الفلفل والقرنفل ، ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن ، وكان لتجاره فندق خاص بهم في الفسطاط ، وكان لهذه التجارة شأن عظيم .

(٢) العضب : السيف القاطع .

وكان خطّه أبهى من الرياضِ ، وأبهجَ من ترقرق المياه في الحياض . وكتب بخطّه كثيراً من المجلّدات ، وجمعَ مجاميعَ هي بين الأدباء مخلّدات .

وكان في صناعة الحساب بارعا ، وفي عقد الجُمَّل للبرق مسارعا .

وصحب الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وجَمَع شعره ودوّنه ورواه عنه . وروى من شعر ابن سيّد الناس وأكثر منه .

ولم يزل على حاله إلى أن زال من الحياة مُلْكُ سليمانْ ، وراحَ ولْم ينفعهُ ممّا جمع غير التوحيد والإيمان .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد سابع عشري جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده ثامن عشر المحرم سنة سبع وسبعين وست مئة .

كتب هو إليّ وأنا بالقاهرة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة :

يا غائباً غابَ عَنْ عَيْني فَلَمْ تنمِ ... وذاهباً فضلُه قَدْ شاع في الأُمَم
سافرْتَ عنا فطال الليلُ في سُهدٍ ... فنحن بَعْدَك في ظُلْم وفي ظُلَم
آنستَ مصرَ وأوحشت الشآم فيا ... خُلُوَّه من حُلَى الآداب والكَرم
لَيَهْنِ مصرَ صلاحَ الدين كونُك في ... أرجائها كاتباً في أشْرَف الخَدم
جمّلت ديوانَ إنشاءٍ حَلَلْتَ به ... يا خيرَ حَبْر يوشّي الطّرس بالقلم
فما مُحَيَّاك إلا بدرُ داجيةٍ ... وما يمينك إلاّ ركنُ مُسْتَلِمِ
سقياً لأيام أنسٍ كان روّقَها ... بفضل أنسك فينا وافرَ القَسَمِ
نجني فضائلك الغرَّ الحسانَ ولا ... نعبا بروضٍ سقاهُ وابلُ الدِّيَم
أقسمتُ لا فَرْقَ ما بين الجواهر في ... عِقْدٍ وبين الذي تُبدي من الكلم
فالله يُبْقيك ما ناحَتْ مُطَوَّقَةٌ ... فيما نرجّيه من سعد ومن نعم

فكتبت أنا الجواب إليه :

بالغتَ في الجود والإحسان والكرم ... وزدتَ في شرف الأخلاق والشيم
وما رضيتَ بغايات الأولى سبقوا ... إلى المعالي ولا ترضى بعَزْمهم
حتى تحوز على الجوزاء مُرْتَقِياً ... إلى معاني[1] لم تخطر بفكرهم
وتدركَ المجد سبّاقاً وشُغْلُهم ... في عثرةِ القول أوْ في عثرة الكلم
كم اجتهدتُ لعليّ أنْ أفوزَ فلم ... أفز سوى مرةٍ في الدهر بالخدم
وأبْعَدَتْني الليالي بعد ذاك وفي ... قَلْبي حلاوة ذاك اللطف والشيم
فكنتُ كالمتمنّي أن يَرى فلَقا ... من الصباح فلما أن رآه عَمي
فليت دهريَ يسخو لي بثانيةٍ ... حتى أعودَ إليها عَوْدَ مُغْتَنم
وأجتلي أوجه اللذات سافرةً ... عن كل مغنىً حوى صنْفاً مِن النِّعَم
فما خلائقك الحُسْنى التي بهرت ... عقلي سوى زَهَرٍ في الروض مُبْتَسم
أو نسمةٍ خطرتْ بالبان نَفْحَتُها ... ولا أقولُ سَرَتْ بالضّال والسّلم
وما عبارتُك المُثلى سوى دُرَرٍ ... والناسُ تحسبها ضَرْباً من الكَلِمِ
كم التقطْتُ ومولانا يسامرني ... جواهرَ الفَضْل والآدابِ والحكم
وكم معانٍ كأنَّ السحر نضّدها ... لم تُبْقِ عندي عقابيلا مِنَ السقم
نَعَم وأبيات شعرٍ راق موردُها ... لم أنسهنّ وما بالعهدِ مِنْ قِدَم
آها لأيّامنا بالخيف لو بقيت ... عَشْراً وواهاً عليها كَيْفَ لم تدم
يا سيداً بندى يُمْناه صَحّ لنا ... أنّ الغمام بَخيلٌ غيرُ منسجم
وماجداً جَدّ في كسب العلى فغدا ... تَخْشَى الصوارمُ منه صَوْلةَ القلم
شَوْقِي إلى لثم ذاك زاد على ... شوق الرياض إذا جفّت إلى الديم[2]
ووحشتي لمحياك الجميل هل اسـ ... ـتَوْحشْتَ قطُّ لبَدْرِ التم في الظلم

---

(١) كذا ، وهو ضرورة .

(٢) ثمة كلمة أسقطها الناسخ في البيت . ولعلّها : « الطرس » ، أو نحوها ، بعد قوله : « ذاك » .

ووحشتي لفـوات القرب منـــك كما تجسّر الســـاهـــدُ المضنى إلى الحلم
فهـــذه بَعْضُ أشـواقٍ أكابـدهـــا في وصفها قلمي سـاوى لنطـق فمي
أظهرتُ وجـدي ولم أكُتُم لـواعِجَـه ومن يطيـق خفـــا نـــار على علم

وأنشدني غالبَ نظمه من لفظه لنفسه ، فمِمّا أنشدني لنفسه قوله ينحو فيه مـا نحـاه الشيخ تقي الدين السروجي [١] في أبياته المشهورة :

قِصَّـة الشـوقِ سِرْ بهـا يـا رسـولي نحـو مَنْ قُرْبُـــه منـــاي وسُـوْلي
عنـد بـاب الفتـوح حـارةٌ بهـا الـد ين تحت الساباط قف يـا رسولي [٢]
وإذا مـــا حَلَلْتَ تلـــك المغـــاني قفْ بتلـــك الطلـول غَيْرَ مُطيـل
وتـأمّـل هنـــاك تَلْـقَ غرير الطـ ـرف أحْـوَى يَرْنـو بطَرْفٍ كحيـل
من بني الترك فـــاتر الطرف يرمي بنبـــال الجفـــون كل نبيـــل
أَلِفيّ القـــوام قَـــدْ ألف الهجـ ـر دلالاً على المحبّ الـــذليـــل
فـإذا قـال أُوزِي نُجـك دُرْ سَلام بِرْ كيف حال المُضْنى الكئيب العليل [٢]
قبّـلِ الأرضَ ثم قـــدّم إليـــه قصـــةً قُـدّمت بشرح طـويـل [٣]
فـإذا قـال أُوزِي نُجـك دُرْ سَلام بِرْ كيف حال المُضْنى الكئيب العليل [٤]
قُـل قُلن خُشْ دَا كل تـلامـاس دنـ ـــادَن إلاّ سني بـلا تطـويـل [٥]
كال سني كَرْمسكين كشي شفّه الوجـ ـد فـأضحى حِلْفَ الضنى والنحـولُ

وأما أبيات الشيخ تقي الدين عبد الله بن علي السروجي فأنشدني شيخنا الحـافـظ فتح الـدين أبو الفتح اليعمري والقـاضي الرئيس عمـاد الـدين إسماعيـل بن القيسراني ،

(١) عبد الله بن علي بن منجد (ت ٦٩٣ هـ) ، وأبياته الآتية في الفوات : ١٩٩/٢ .
(٢) في الفوات : « يا خليلي » .
(٣) هذا البيت ليس في الوافي .
(٤) في الفوات : « أو زمي بختك » .
(٥) في الفوات : « باذن » .

كلاهما قال : أنشدنا من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي ، وأكثر الأبيات أنشدنيها القاضي عماد الدين :

يا ساعيَ الشوق الذي مُذْ جَرَى ... جَرَتْ دُموعي فَهْيَ أعوانُه
خُذْ لي جَواباً عن كتابي الذي ... إلى الحسينيّة عُنْوانُه
فهي كما قد قيل وادي الحِمَى ... وأهلها في الحسن غِزْلانُه
امْشِ قليلاً وانعطف يُسْرَةً ... يلقاك دَرْبُ طال بنيانه[1]
واقصد بصدر الدرب دار الذي ... بحسنه يحسنُ جيرانه
سلّم وقل يخس مَنْ كي مَنْ ... اشْت حديثاً طال كتمانه
(كنكم كَرَمْ ساوم اشي أط كبي) ... فحبّهُ أنت وأشجانه
واسأل لي الوصل فإن قال (يُق) ... فقل (أُوْت) قد طال هجرانه
وكن صديقي واقض لي حاجة ... فشكر ذا عندي وشكرانه

وأنشدني من لفظه لنفسه :

غرامي فيك قد أضحى غريمي ... وهَجْرُك والتجني مستطابُ
وبلواي ملا لُك لا لذنب ... وقولك ساعةَ التسليم طابو[2]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أيا من قد رمى بسهم ... من الأجفان فهو أشدّ أقجي[3]
أيحسن منك أن أشكو غرامي ... فتعرض نافراً وتقول يقجي

وأنشدني من لفظه لنفسه :

---

(١) كذا ، « يلقاك » والقياس جزمه ؛ لأنه جواب للطلب ، وهو ضرورة .
(٢) البيتان في المنهل ، والنجوم .
(٣) في الوافي : « أسد » .

قلت لـــــــه كم تشتكي وتشتهي خـــــذ واتكي
فقـــال: لاقلت: لـــه لاتشـــتهي وتشـــتكي

وأنشدني من لفظه لنفسه ، وقد توفيت زَوْجَتُه :

إنّي لأعجب لاصطبـاري بعـدمـا قـــد غُيّبتْ بعـــد التنعّم في الثرى
هـذا وكنت أغـارُ حـالَ حيـاتهـا مِنْ مَرّ عـــاطفـــةِ النسيم إذا سَرى

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أقـــول لقلبي حين غيَّبَهـــا الثرى تَسـلَّ فكلٌّ للمنيـــةِ صـــائرُ
وفي كل شيء للفتى أَلْفُ حِيلـــة ولا حيلـةٌ فيمن حـوتـه المقـابر

وأنشدني من لفظه لنفسه :

تقـــول بحـــقٍّ ودّك عـــدٌّ عَنّي ودَعْنِي مـا الكـؤوس ومـا العقـارُ
وهـــاريقي وكاســـات الحُميّـــا وذُقْ هـــذا وذا ولـــك الخيـــار[1]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

لا تَقُـلْ قـــد قَبلْتُ عَقْـــد نكاحٍ وبصـدق الصَّـــدَاق لا تـــك راضي
وإذا مـــا عجـزت قـل بـــالتسرّي لَمْ ، وإلاّ بغير علم القـــــــاضي

وأنشدني من لفظه لنفسه :

قـالت وقـد راودتهـا عن حـالـة يـا جـارتي لا تسـألي عمّـا جرى
إني بليت بعـــــاشـــق في أيره كِبرٌ فـــلا فِلْسٌ ويطلب من ورا[2]

(١) البيتان في المنهل .
(٢) في الوافي : « بلا » .

٧٠٦ ـ سُليمان بن إبراهيم بن إسماعيل الملطي الحنفي*

القاضي الفقيه شمس الدين أبو محمد .

ناب في الحكم مُدّة طويلة بدمشق ، ودرّس بالظاهرية وغيرها ، وناب بالقاهرة في الحكم[1] لمّا توجّه إليها في الجفل .

وكان رجلاً صالحاً مباركاً متواضعاً .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت نصف ذي القعدة سنة ثلاث وسبع مئة .

٧٠٧ ـ سليمان بن إبراهيم بن سليمان**

ابن داود بن عتيق بن عبد الجبار ، القاضي صدر الدين المالكي .

تولّى قضاء الشرقية والغربية من الديار المصرية ، وسافر رسولاً من جهة السلطان إلى بغداد .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشري شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

٧٠٨ ـ سليمان بن أحمد***

ابن الحسن بن أبي بكر بن علي ، تقدم تمامُ النَّسبِ في ترجمة ولده الحاكم أحمد بن سليمان ، هو أمير المؤمنين أبو الربيع المستكفي بالله بن الحاكم بأمر الله الهاشمي العباسي البغدادي الأصل ، المصري المولد .

---

* الدرر : ١٣٩/٢ ، وعقد الجمان : ٣٢٩/٤ ، وفيات (٧٠٣ هـ) وفيه : « سلمان » ، والنجوم الزاهرة .

(١) عن السروجي ، كما في الدرر ، والعقد .

** الدرر : ١٤٠/٢ .

*** الوافي : ٣٤٩/١٥ ،والدرر : ١٤١/٢ ، والمنهل الصافي : ١٨/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٢/٩ .

قرأ واشتغل قليلاً ، وخُطِبَ له عند وفاة والده سنة إحدى وسبع مئة ، وفَوَّض جميع ما إليه من الحَلِّ والعَقْدِ إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وسارا معاً إلى غزو التتار ، وشهدا مَصافّ شَقْحَب في شهر رمضان سنة اثنين وسبع مئة ، وهو مع السلطان راكب ، وجميع كبار أمراء الجيش مشاة ، وعليه فرجيّة سوداء مطرزة وعمامة كبيرة بيضاء بعذبة طويلة ، وقد تقلد سيفاً عربياً محلًّى .

ولما فَوّض الأمر إلى الجاشنكير[١] ، وقلّده السلطنة بعد توجه السلطان الملك الناصر ، ولُقِّبَ المظفر ، عقد له اللواء ، وألْبَسه خِلْعة السلطنة : فرجيّة سوداء وعمامة مُدَوَّرة ، وركب بذلك والوزير حامل التقليد على رأسه ، وهو من إنشاء القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر[٢] وأوله : ﴿ إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾[٣] هذا عهدٌ[٤] لا عهدَ لمليك بمثله .

رأيته أنا بالقاهرة مرّات ، وكان تامّ الشكل حسنا ، يملأ بروقه العين مهابة وسنا ، تعلوه الهيبة والوقار وعليه من أبّهة الخلافة والأمانة أنوار ، يجود لو كان المالُ طوع حكمه ، ويُنصف المظلوم ولكن هو يشكو مثل ظلمه .

ولم يزل بمصر إلى أن تنكّر السلطانُ عليه ، وكاد من الحنق يُحْضره بين يديه ، فأطْلَعَهُ وأهله إلى القلعة ، وأسكنه برجاً مطلاً على الباب ، وحَيَّرَ في أمره ذوي العقول والألباب ، فلم يركب ولم ينزل ، ولم يدخل ولم يخرج وهو في المنزل ، وبقي مُدّة تقارب الخمسة أشهر ، ثم أفرج عنه ، وأنزله إلى داره ، وهو لم يَشْتَفِ منه . ثم إنه تنكّر عليه بعد نصفِ سنة أخرى ، وجرَّعه في هذه المرة كأساً مزاجها مُرّاً ، وجُهِّز وأولاده إلى قوص في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فراح إليها والعيون من الناس عليه عَبْرى ، والنفوس لم

(١) ركن الدين بيبرس ، كما في الوافي .

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر (ت٧١٧ هـ) .

(٣) النمل : ٣٠/٢٧ .

(٤) في الوافي : « عقد » .

تملك على مصابه صبرا ، وأقام بها يكابد هَوَاحَرٌ هَوَاجرها ، ويجري دمعاً لمّا نزل من عينه محا محاجرها ، إلى أن توفي ولده صدقه ، وكان يحل منه مَحَلَّ قلبه لا الحدقه ، فوجد عليه وجداً شديدا ، وأذاب قلبه ولو كان حديدا .

ولم يزل بعد ذلك في حزن يذوي ، ودمع يكوي ، إلى أن فُجع المؤمنون بأميرهم ، وباح الحزن عليه بما في ضميرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل شعبان سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة .

وكان له ولد كبير اسمه خضر كان قد جعله وليّ عهده ، فتوفي في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، وعهد بالأمر إلى ولده الحاكم أحمد ، فلم يَمْضِه السلطان وبويع ابن أخيه أبو إسحاق إبراهيم بيعة خفيّة لم تظهر إلى أن تولى السلطان الملك المنصور أبو بكر ، فأحضر ولده أبا القاسم أحمد ، وبايعه ظاهراً ، وكنّيَ أبا العباس ، على ما تقدم في ترجمته في الأحمدين .

وأخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : إن المرتّب الذي كان له لم يكن يبلغ خمسين ألف درهم في السنة ، فلّما خرج إلى قوص قُوّم غالياً وحُسبَ زائداً ، ليكثر ذلك في عين السلطان ، وجُعل ستة وتسعين ألفاً ، فرُسم بأن يصرف ذلك إليه بكماله من مستخرج الكارم ، فأرادوا نَقْصَه فازداد .

٧٠٩ ـ سليمان بن أبي بكر*

الأمير علم الدين ابن الأمير سيف الدين بن البابيري ، تقدم ذكر والده في حرف الباء .

وكان هذا الأمير علم الدين شاباً حَسَن الوجه ، مُبّرأً من عدم الحياء وقُبْحِ

* لم نقف على ترجمة له .

النَّجْه[١] ، حُلو الصوره ، كأن وجهه للملاحة جامع ، [و][٢] المحاسن عليه مقصوره . تنقّل في الولايات وتوقّل[٣] هضبات النيابات .

ولم يزل على حاله حتى أُدْرِج في كفنه ، واستحال بعد صحة تركيبه إلى عَفِنه .

وتوفي رحمه الله تعالى بحماة ، ورد الخبر إلى دمشق بموته في أول شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة ، وعمره يقارب الثلاثين أو يزيد عليها قليلاً .

وكان والده الأمير سيف الدين البابيري [يحبه][٤] محبة زائدة وإذا قيل له : يا أبا سليمان ، يترنّح ويتريحّ ، وأخذ له إمرة عشرة في حياته ، ثم أخذ إمرة الطبلخاناه بدمشق في سنة سبع وخمسين أو سنة ثمان وخمسين وسبع مئة . وتولى ولاية الولاة القبلية ، ووقع في أيامه ذاك العشير[٥] ، إلى أن حضر الأمير شهاب الدين شنكل[٦] من الديار المصرية .

ثم إن الأمير علم الدين سليمان أُعطي نيابة ألبيرة[٧] في أوائل سنة ستين وسبع مئة ، ثم عُزل عنها ، وحضر مع الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي من حلب إلى دمشق ، فولاّه ولاية الولاة بالقبلية ، وعزل عنها ، ورُسم له بنيابة ألبيرة ، فتوجه إليها ، وأقام بها إلى أن عُزل منها بالأمير سيف الدين قراكز أخي الأمير سيف الدين يلبُغا ، ونقل إلى حماة أمير طبلخاناه ، فأقام بها قليلاً ، وتوفي رحمه الله تعالى .

وكان يحصل له في بعض الأوقات صَرَعٌ ، حصل له في وقت بحلب وقد حضر

(١) النجه : استقبالك الرجل بما يكره ، أو هو أقبح .
(٢) زيادة يقتضيها السياق .
(٣) توقل : صعد .
(٤) زيادة يقتضيها السياق .
(٥) هي واقعة حدثت في حوران ، انظر في تفصيلها البداية والنهاية : ٢٦٥/١٤ .
(٦) أشار إليه ابن كثير في أحداث العشير السالفة بلفظ : شنكل منكل .
(٧) إلبيرة : من أعمال حلب .

ليتوجه إلى نيابة ألبيرة ، فتحامل وأمسك نفسه إلى أن حصل له رُعاف كثير ، وهو بباب دار النيابة بحلب رحمه الله تعالى .

عمل شَدّ الدواوين بدمشق أيضاً .

٧١٠ ـ سليمان بن أبي حرب*

علم الدين الكَفْري الفارقي النحوي الحنفي .

أخبرني من لفظه العلاّمة أثير الدين قال : تصاحبتُ أنا والمذكور بالقاهرة ، وكان من تلاميذ ابن مالك ، أخبرني أنه عرض عليه أرجوزته الكبرى المعروفة بـ (الكافية الشافية)[١] وأنه بحث أكثرها عليه ، وأنه قرأ القراءات السبع[٢] بدمشق ، وأشغل[٣] الناس عليه ، وكان حنفي المذهب . قال : وأنشدني كثيراً يذكر أنه له ، ولّما قَدِمَ الأديب شهاب الدين العزازي[٤] إلى القاهرة ، ذكر لنا أنه كان ينشد لنفسه كثيراً مما كان ينشده العَلَم سليمان لنفسه .

وأنشدني قال : أنشدني الفقير يعيش الفارقي قال : مما كتب به العلم سليمان إلى الكاتب شرف الدين بن الوحيد[٥] رحم الله جميعهم ، وعفا عنهم :

أمَا ومجد أثيل أعجز الفُصحا ... ونائل كلّما استطرته سمحا

لو وازن ابنُ الوحيد الناس كُلّهم ... ببعض ما ناله من سُؤْدِدٍ رجحا

* الوافي : ٣٦٠/١٥ ، والبغية : ٥٩٨/١ ، وذيول العبر : ٢٩٧ . ولم يذكر الصفوي في كتابه سنة وفاته ووقع في البغية نقلاً عن ابن مكتوم أنه توفي سنة تسع وست مئة ، ولا يصح ذلك لأن صاحب الترجمة كما سيأتي صاحب أبا حيان (ت٧٤٥ هـ) م وهو من تلاميذ ابن مالك الذي (ت٦٧٢ هـ) ، وابن الوحيد الذي يأتي ذكره (ت٧١٠ هـ) .

(١) في الأصل : « الشافعيّة » ، تحريف .

(٢) في الوافي : « بالسبع » .

(٣) في الوافي : « واشتغل » .

(٤) في الوافي : العزاري ، وفي البغية : الغزاري ، وكلاهما تصحيف .

(٥) محمد بن شريف ، ستأتي ترجمته .

٧١١ ـ سليمان بن حسن*

ابن أحمد بن عمرون البعلبكي[١] الصدر شرف الدين .

ولد بحماة ، وحدث عن الحافظ شرف الدين اليونيني وغيره ، واختلط في سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

باشر عِدّة ولايات بطرابلس وغزة وبعلبك ودمشق ، وولي الأقطار الكبار في دمشق مثل الربوة وغيرها .

وكان ليّنَ العريكه ، لا يذم صاحبه ولا يخون شريكه ، رافق في طرابلس لأسندمر النائب ، وكان يحكي عنه الغرائب والعجائب ، إلا أنه نزل به الوقت ، وآل أمره بعد المحبة إلى المقت ، وبطل من المباشره ، وتخلّى عن الاختلاط بالناس والمعاشره ، وعبس الدهرُ في وجهه بعد المكاشره ، وانكمش عن الصحبة بعدما كان عنده فيها شَرَه ، وجلس مع الشهود في الساعات ، وخلع وقاره على الخلاعات ، إلى أن أصبح الشرف في الحضيض ، وغمّض الموت طَرْفَه وكان غير غضيض .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، عن نَيّف وثمانين سنة .

وتولّى نظر غزة والساحل ونابلس في وقت ، وحضر من غزة إلى نابلس ليكشف أمرها ، فحصّل له مباشروها خمسة آلاف درهم على عادة الكُتّاب ، فلما طَلَعُوا وتلقّوه ، انفرد بالناظر خلْوَةً وقال : يا مولانا : عندكم فَرد كِناب[٢] من هذا النابلسي وقليل صابون وزيت ؟ فقال له : نعم ، فقال : دبّره لنا وجهّزه إلى غزة ، وكان جميع ماطلبه ما يقارب الثلاث مئة ، وراحت تلك الخمسة آلاف ، وتوفرت على المباشرين ، وكذا

---

* الدرر : ١٤٥/٢ ، وذيول العبر : ٢٩٧ .

(١) في ذيول العبر : « البعلي » .

(٢) الكناب : عثكول عليه بسرٌ أو عنب .

كان يفعل في نظر الزكاة ، يطلع إلى القابون ويتلقى القفول ، فيحصّل له كبار القفول التفاصيل الحرير والتحف والذهب والدراهم ، فيقول لهم : الوقت مضرور إلى مُنيشفات بغدادية ، فيعرف التجار أن ذلك رضاه ، فيوفرون ما حصّلوه لأنفسهم ، ويعطونه ذلك القدر النزر .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بنظر غزة والساحل ونابلس في ثالث عشري صفر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة وهو :

رُسِم بالأمر العالي ، لازالت شموس سعوده تحلّ بالشرف ، وعروس وعوده تُثْمر بالتحف ، لمن ارتدى بظلها والْتَحَف ، أن يرتّب المجلس السامي القضائي الشرفي في كذا وكذا ، ثقة بكفايته التي شهرت ، ونامت عيون من دونه عنها وسهرت ، وملأت القلوب إعجاباً بها وبهرت ، لأنه الرئيس الذي كَبَتِ الجيادُ عن بلوغ مداه ، وكَبَتَ الحُسّادَ بما حازَهُ من الفضل الذي تقمّص بُردَه وارتداه ، والماجد الذي جاذب في السيادة لما امتطاها أَعِنّةً وأُرْسانا ، والماهر الذي يملأ المعاملات حسناً وإحسانا ، والكاتب الذي طالما جادل فجدّل من العمال أبطالاً وفرسانا ، والناظر الذي أصبح لناظر الزمان على الحقيقة إنسانا . فليباشر ما فُوّض إليه مباشرةً ، يُظهر بها عِزّه ، في وجه غُرَّة غَزّه ، ويُغرق بحره الساحل بالعين والغلّه ، حتى يكون كل ذَرّة في لُجّهِ دُرّة ، ويفيض على نواحي بَرّه بُرّه ، وليَضْبطْ ما تحصّل منها بأقلام الفكر في دفاتر الجنان ، ويضع على متحصلاتها خَتْمَ مراعاته حتى لا يصل إليها ولا الجان ، وكيف وعليها خاتم سليمان ؟! على أن هذه النواحي عُشٌّ دَبَّ منه ودَرَج ، وعَرينٌ دخل غابه فغاب وخرج ، وأفق طالما ترقّى في مطالعه وعَرَج ، وبَرٌّ وبحر خلط علْمُه معرفتيهما ومَرَج ، وبلاد تحقق مقاصد أهلها فما يُبْدون ولا يُعيدون ، ومباشرات لّما دبرها قصرت عن أوصاف ابن عمرون فيها بلاغةُ ابنِ زيدون ، والتقوى ملاك الأمور ، فَلْيُنزِلْها رُبوع فِكره ، وليجعلها نجيَّ سرّه وجَهْره ، والله تعالى يوفق مساعيه ، ويُجمّل بحاسنه أيامه ولياليه ، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٧١٢ - سليمان بن أبي الحسن بن ريّان*

القاضي جمال الدين بن ريّان الطائي ، هو ابن عمر القاضي عماد الدين سعيد بن ريان الْمُقدّم ذكره .

كان رجل زمانه ونظير أقرانه .

يحب الخطّ المنسوب ويبالغُ فيه ، ويودّ لو ملك كلَّ شيء ليُذْهِبَه في تلافيه ، ويُلزم أولاده بالتّجويد ، ويُحرّضهم على تحصيله وبياض وجههم بكثرة التسويد ، ويجتهد على نسخ المصاحف الكبار ، وينفق عليها جُمْلَة من اللُّجين والنضار ، ماله في غير ذلك أرب ، ولا يثنيه عن ذلك أحد في العجم ولا في العرب ، وبقيّة وصفه يأتي في مرثيته نظماً ، ومن هناك يَعلم قَدْرُ ما كان فيه حقيقةً لا[1] وهما .

نزل عن وظيفته لولده القاضي بهاء الدين الحسن في آخر عمره ، وانقطع هو في بيته ، وأقبل هو على ما يُعينه في آخرته من أمره ، إلى أن ابتلعه فَمُ لَحْده ، وأصبح عبرةً لمن تركه من بعده .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

ومولده في حادي عشري شهر رمضان سنة ثلاث[2] وستين وست مئة .

وكان والده رجلاً صالحاً من أهل القرآن ، حرص على ولده هذا القاضي جمال الدين سليمان ، وأقرأه[3] القرآن الكريم ، وكان يمنعه من عِشرة أقاربه ، وإذا رآه

---

* الوافي : ٣٦٧/١٥ ، والدرر : ١٤٥/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٢٥/٣ ، والمنهل الصافي : ١٧/٦ .

(١) في الأصل : « ولا » وهي قلقة .

(٢) في المنهل : « مولده سنة ثلاث أو أربع وستين » .

(٣) في الأصل : « واقرأ » وأثبتنا ما في الوافي .

يكتب القبطي المعرّب يضربه ويُنكر ذلك عليه ، فأبى الله تعالى إلا أن يجعل رزقه في صناعة الحساب .

ولم يزل مع ابن عمه القاضي عماد الدين سعيد بن ريّان[١] ، فلما حج عماد الدين وتوجه إلى مصر وأخذ توقيعاً بنظر حلب ، ووصل إلى دمشق توفي رحمه الله تعالى ، فأخذ القاضي جمال الدين توقيعه ، وتوجه به إلى حلب ، وكان قراسُنْقُر بها نائباً ، ولعماد الدين عليه حقوق خِدَم ، فاستقرّ القاضي جمال الدين ناظر جيش[٢] ، ولم يزل بها إلى سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، فرسم له بنظر صفد في المال ، فحضر إليها وأقام بها إلى أوائل سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، فطلب إلى مصر وولاّه السلطان نظر الكرك ووكالة بيت المال ، ثم إنه ولاّه نظر حلب ، ولم يخرج من مصر ولم يتوجه إلى الكرك ، فحضر إلى حلب ناظر المال ، فأقام بحلب مدّة يسيرة ، وتوجّه إلى مصر وتولاّها ثانياً .

ثم إنه عُزل من[٣] نظر بيت المال وحضر إلى نظر المال بصفد ثانياً ، فأقام قريباً من شهر ، ثم طُلب إلى مصر ، وتولّى نظر الجيش بحلب ، ولم يزل إلى أن عزل في واقعة لؤلؤ ، وأقام بطّالاً مدّة يسيرة ، ثم إنه جهز إلى نظر طرابلس[٤] فأقام بها . ثم إنه حضر إلى صفد ثالثاً ناظر المال ، وولده القاضي شرف الدين[٥] ناظر الجيش ، فأقام بها مدة . ثم توجه إلى حلب ناظر الجيش .

ثم إنه استعفى وطلب الوظيفة لولده القاضي بهاء الدين الحسن[٦] ولزم بيته مُدّة .

ثم إن السلطان ولاّه نظر الجيش بدمشق عوضاً عن القاضي فخر الدين بن

---

(١) سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الوافي : « فاستقرّ القاضي .. ناظر الجيش » ، تصحيف .

(٣) في الوافي : « عن » .

(٤) في الوافي : « نظر جيش طرابلس » .

(٥) حسين ، كما في الوافي ، ووفاته سنة (٧٧٠ هـ) كما في الدرر : ٥٥/٢ .

(٦) ت ٧٦٨ هـ ، الدرر : ١٦/٢ .

الحلّي [١] لمّا توفي رحمه الله تعالى ، وأقام به إلى أن عزل في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، فتوجه إلى حلب وأقام بها ملازماً بيته ، لا يخرج منه إلا إلى صلاة الجمعة .

ولمّا كان في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، حضر إلى دمشق وتوجّه منها إلى الحجاز وقضى حِجَّة الإسلام وعاد فيها وقد ضعف [٢] ، فركب محفّةً وتوجّه إلى حلب ، ولم يزل في حلب على حاله إلى أن توفي .

ولقد رأيته يقوم في الليل ويركع قبل الفجر قريباً من عشرين ركعة ، وله في كل أسبوع ختمة يقرؤها هو وأولاده ، ويصوم في غير شهر رمضان . وكان ذهنُه جيداً في العربية والأصول .

وسمع ابن مشرّف [٣] وست الوزراء ، وقرأ العربية على الشيخ شرف الدين أخي الشيخ تاج الدين [٤] ، ويعرب جيداً ، ويعرف الفرائض جيداً ، والحساب وطرفاً صالحاً من الفقه ، وعلى ذهنه نُكتٌ من المعاني [٥] والبيان والعروض ، وينقل كثيراً من القراءات ومرسوم المصحف [٦] .

ولي معه مباحث كثيرة رحمه الله تعالى .

ولمّا توفي كتبت إلى ولده القاضي شرف الدين حسين قصيدة رثيته بها وهي :

أظمأتَ نَفْسَ المعالي يا ابْنَ رَيّانا ... حتّى توقّدتِ الأحشاءُ نيرانا
وانهلَّ دمعُ الغوادي فيك مِنْ حَزَنٍ ... وشقّقَ البَرْقُ في الآفاق أرْدانا

(١) محمد بن عبد الله بن علي (ت٧٣٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٢) في الوافي : « ضعف عن الركوب » .
(٣) محمد بن أبي العزّ بن مشرف ، ستأتي ترجمته .
(٤) شرف الدين : هو أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري ، سلفت ترجمته ، وأخوه تاج الدين عبد الرحمن (ت٦٩٠ هـ) : العبر : ٣٦٧/٥ .
(٥) في الوافي : « من أبيات المعاني » .
(٦) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

ومَزَّق الصبحُ أثوابَ الدّجى ورَمَى ... حَلْي النجوم وأضحى فيك عُرْيانا
وكلُّ ساجعة في الأيك نائحةٌ ... تُملي من الوْجدِ في الأشجار أشجانا
أتت دمشق بك الأخبارُ من حَلَب ... يا بِئْسَ ما خبّر النّاعي وناجانا
وَدِدْتُ مِن حُرْقتي لو كنتُ ذا شَجَن ... لو أنّ للصخر قبل اليوم آذانا
تكاد تبكي المعالي فيك من جزعٍ ... بالدمع لو وَجَدتْ للدمع أجفانا
مَنْ للظلام إذا نام الأنام غدا ... «يُقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا»[1]
ومن لمحرابك الزاكي فليس يَرى ... من بعد فقدك فيه قطُّ إنسانا
كم قد ختمتَ كتاب الله مُتّعظاً ... وفي تدبُّره كم رُحْتَ وَلْهانا
وكم حثثت الخطا نحو الصلاة لأجـ ... ـل الصفّ الأوّل في الأسحار عجلانا
تُواظب الصّوم في يوم الخميس وفي الـ ... إثنين حتى لقد أمْسَيت خمصانا
وكم ممالكَ قَدْ دبّرت حَوْزَتها ... فكنت خيرَ وزير قطُّ ماخانا
وتستقيم بك الأحوالُ ماشيةً ... حتى تفيضَ بك الأموال طوفانا
لله درُّك كم جمّلت مَدْرَسَةً ... وبالكتابة كم شرَّفت ديوانا
فكنت في الجود غيثاً والهدى عَلَماً ... وفي الحجى حجة والعلم نَهْلانا
ثم اعتزلت الورى من غير ما سبب ... إلا لتطلبَ من ذي العرش رضوانا
ومَنْ أراد مِنَ الأُخرى جواهِرَها ... أباع أعرَاض هذي المال مجانا
وكان أربح مالاً عند خالقه ... وراج أرجح يوم الحشر ميزانا
فاذهبْ فأيّ ضريح أنت ساكِنُه ... ترى الترابَ به رَوْحاً ورَيْحانا
ولم يمت مَنْ بَنُوهُ سَادَةٌ نجبٌ ... لما بنى مَجْدَهم شادُوه إتقانا
وجمّلوا المُلك إذ زانوا مناصِبه ... وألْبسوها من العلياء تيجانا
إن كُوتبوا أولقوا أو خوطبوا وُجدوا ... في الخط واللفظ في الهيجاء فرسانا

(١) ضمن عجز بيت لحسان في رثاء عثمان رضي الله عنهما تمامه :
ضَحّوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطّع الليل.....
ديوانه (ط البرقوقي) : ٤١٠ .

بهاؤهم ما يباهي عَزمه أحدٌ ... وفيهمُ شرفٌ باقٍ لهم زانا
وما شهابُهمُ خافٍ بَطْلَعه ... كما كألُهم قَدْ حاز إحْسانا
تَعزَّ يا شرفَ الدين الذي قَبضَتْ ... يُمنى عُلاه من العَيُّوق أرْسَانا[1]
بيانُه ظاهرٌ لَوْ أنَّ رونَقُه ... للبدر لم يخشَ عند السَّيْر نقصان
تالله ما دار كأسٌ من بلاغته ... عليَّ إلا أهزَّ العِطْفَ نشوانا
له عباراتُ نظمٍ كلّما سَحَبت ... ذيولها أعْثَرت في الحال سَحبانا[2]
مثلُ العيون التي في طرفها حَور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا[3]
فالناس في حلب حلّت بهمْ بُهَمٌ ... وأصبح القوم خرساً في خُراسانا
فلا يُرَعْ لكمُ سربٌ بحادثة ... ولا رأى شأنكم خَطْبٌ ولا شانا
ولا يُكدَّرْ لكم شربٌ بنازلة ... ولا حدت لكمُ الأحداثُ أضغانا
تحفُّكم بركاتٌ من تُقاه فَقَدْ ... أخذتمُ منه حِرزاً من سليمانا

يقبل الأرض ويُنهي ما عنده من الألم لهذه النازله ، والقلق لهذه الرزيّة التي جعلت الدّموع هاميةً هامله ، والجَزع لهذه الحادثة التي تركت الجوانح حاميه ، فليت القُوَى لو كانت حامِلة فـ ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾[4] قول مَنْ فَقَد جَمَاله ، وعَدِمَ صَبْرَه واحْتِمَالَه ، وفجعه الدَّهرُ بواحده الذي ما رأت عينُه مِثَالَه ، فرحم الله ذلك الوجه الجميل ، وقدّس تلك السريرة التي كان الصّفاءُ لها أَلْزَمَ زميل ، وما بقي غَيْرُ الأخذ فيما وقع بالسُّنّه ، والصّبر على فَقْدِ مَنْ أثار النّار في الفؤادِ وسَكَنَ الجنّه ، وقد جهز المملوكُ هذه القصيدة التي يسبح نُونُها من الهمّ في يَمّ ، ويشرح في هذا المأتم ما تمّ ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) العيوق : كوكب .
(٢) هو سحبان وائل يضرب المثل بفصاحته .
(٣) ضمن بيت جرير المشهور .
(٤) البقرة : ١٥٦/٢ .

فكتب هو الجواب إليّ عَنْ ذلك :

يقبّلُ الأرض ويُنهي ورود المثال الشريف يتضمّن تعزيةً حَسُن لَفْظُها ، وأثّر في القلوب وَعْظُها ، وتعيّن تسطيرُها في صحائف الأفكار وحفْظُها ، فوقف المملوك على محاسنها وأحاسنها ، وشَمِلَتْه من مكامنها بَمِيامنها ، وتسلّى بما حوت من مفصّل الرثاء ومجموعه ، وأسال من أجفانه دماً بَدَلَ دموعه ، فيالها من رزيّةٍ عَظُمَت فيها المآتم ، ومصابٍ كَشَفت حُجبُه السُّليمانية عن حُزن له خاتم ، وتحقّق المملوك من أثناء أبيات القصيدة النونية بَركات ذي النون ، ونظر إلى نونها وقد غاص في بحر الفضائل فاستخرج دُرّه المكنون ، ولقد كتب المملوكُ جواب مولانا معترفاً فيه بالتقصير ، مغترفاً من منهل فضله الغزير ، وهو :

جَدَّدْتَ في القلب آلاماً وأحزانا ... أسالت الدّمعَ من جَفنَيَّ طوفانا
فاعجَبْ لِجَفْنٍ يفيضُ الماءَ مَدْمَعُه ... ومُهجةٍ تلتظي بالْحُزْنِ نيرانا
عزّيتنا في أبينا فاكْتَسَبْتَ به ... أَجْراً وأوليتنا فضلاً وإحساناً
أكْرِمْ به مِنْ أبٍ شاعَت مناقبُه ... في الناس واشتهرتْ بالجود إعلانا
كم بات في ظُلمات الليل مُنْتصباً ... في خدْمة الله يقضي الليلَ يقظانا
كم ختمةٍ قد تلاها في النهار وكم ... أفنى الحنادسَ تسبيحاً وقُرآنا[1]
ولازم الصّومَ أو قاتَ الهواجر لا ... يرتدّ عن صَوْمه ديناً وإيماناً
وكان يَخْشَنُ في دين الإله تُقىً ... «عند الحفيظة إنْ ذو لَوْثَةٍ لانا»[2]
وكان يُخْشَى ويُرجى في ندىً وردىً ... والصّعْبُ مِنْ رأيه تَلْقاه قد هانا
شِبْنا وأَذْهَلَنا عِظَمُ المُصاب به ... وكُلُّ صبٍّ به «ذُهْلُ بنُ شيبانا»

(١) الحنادس : الظلمات .

(٢) من أبيات قريط بن أنيف ، المشهورة في أول الحماسة وصدر البيت :
إذن لقام بنصري معشرٌ خشن ... عند الحفيظة .....
شرح المرزوقي ص ٢٢ وما بعدها .
وفي تذكرة النبيه : « وكان يخشى في ذات الإله تقى » . ولا يستقيم وزنه هكذا .

سارت جنازَتُه والخلق تتبعها ... والحزنُ عمّهم فينا وغشّانا
حتى ملائكةُ الرّحمن مُذْ عَلموا ... «طاروا إليه زُرافات وَوُحدانا[1]»
نَعَى النُّعاةُ وضجّوا بالنعيّ له ... فأورثوا القلب أشجاناً وأحزانا
جار الزمانُ ولم يقصِدْ بمَصْرَعِه ... إلا ليهدم للمعروف أركانا
إن الخطوب التي ساقت مَنيّتَه ... «قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا»[2]
من ذا يُوفّي عُلاه بالرثاء ولو ... كان الْمُرَقِّي له قسّاً وسَحْبانا[3]
لم أقضِ بالشعر حقاً من عُلاه ولو ... نظمتُ في كلِّ يوم فيه ديوانا
لو قيل: مَنْ فاق أربابَ الصّلاح تُقىً ... كان الجوابُ: سليمان بن ريّانا
إني لأَعْلَمُ أنّ الله يَجْعَلُه ... أَوْفى البريّة عند الله ميزانا
حيّرتنا بمثال فيه تعزيةٌ ... به اتّعظنا وعزّانا وسلاّنا
فيه قريضٌ بديعُ النَّظْمِ مُشْتَمِلٌ ... على معانٍ حسانٍ فُقْنَ حسّانا
إن رُمْتُ تَشْبيهه بالرّوض كان له ... فَضْلٌ على الرّوض لا يحتاج بُرهانا
الرّوض يذبُلُ في وَقْتٍ ونَظْمُك قد ... وقاه فِكْرُك طولَ الدَّهر ماشانا
أو قُلْتُ ألفاظُهُ مِثْلُ الكواكب لم ... أكن مُوَفّيهِ بالأوصاف تبيانا[4]
إذ الكواكبُ في ضوء النهار أرى ... أنوارها تختفي في الجو أحيانا
لكن أقول هَذَا العقد الثّمين وقد ... نَظَمْتُ أَلْفاظَه دُرّاً وعِقيَانا[5]
في أحمر الطرْس قد سطّرْتُ أَحْرُفه ... كالدُّرِّ خالَط ياقوتاً ومُرجانا
حَفظْتُ عَهْدَك في حال الحياة ومن ... بعد الممات فحيّا الله مولانا

(١) من أبيات قريط ، أوله :
قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم

(٢) من قصيدة جرير ، صدره ، وهو مشهور :
إن العيون التي في طرفها حورٌ

(٣) قس بن ساعدة الإيادي ، وسحبان بن وائل .

(٤) في الأصل :« بالوصف » وبها يختل وزن البيت .

(٥) كذا البيت ، ولا يستقيم شطره الأول إلا باختلاس الألف المحذوفة من (هذا) .

كذا تكون صفاتُ الحُرِّ يَحْفَظُ مِنْ عَهْدِ المودَّة أصحاباً وإخوانا[١]
لاذُقْتَ فَقْدَ حَميم بعدها وحَمَتْ وقايَةُ الله مولانا وإيانا[٢]

٧١٣ ـ سليمان بن حسن*

الشيخ حسام الدين بن بدر الدين ، ابن الشيخ الكبير القدوة العارف غانم المقدسي .

كان حسام الدين شيخ الحرم بالقدُس ، له هِمّةٌ وفيه مكارم ، وعنده خِدْمةٌ للناس .

حدّث عن الشيخ تقي الدين الواسطي .

وسمع منه أمينُ الدين بن الواني .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشري شعبان سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب سنة أربع وخمسين وست مئة .

٧١٤ ـ سُليمان بن حمزة**

ابن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة : الشيخ الإمام المفتي شيخ المذهب ، مسند الشام قاضي القضاة تقي الدين أبو الفضل المقدسي الجّماعيلي الدمشقي[٣] الصالحي الحنبلي .

---

(١) في تذكرة النبية عدد من أبيات هذه القصيدة .

(٢) في الأصل : « كذاك » ولا وجه لها .

* الدرر : ١٤٥/٢ .

** الوافي : ٣٧٠/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٩ ، والبداية والنهاية : ٧٥/١٤ ، والدرر : ١٤٦/٢ ، والشذرات : ٣٥/٦ ، والدارس : ٢٧/٢ .

(٣) في الأصل : « المقدسي » ولا وجه لتكرارها ، وأثبتنا ما في (س) .

سمع (الصحيح) حضوراً في الثالثة من ابن الزَّبيدي ، وسمع (صحيح مسلم) وما لا يوصف كَثْرةً من الحافظ ضياء الدين [١] ، وربما عنده عنه ست مئة جزء . وسمع حضوراً من جدّه الجمال أبي حمزة [٢] ، وابن المقيّر ، وأبي عبد الله الإربلي ، وسمع من ابن اللَّتي ، وجعفر الهمْدَاني ، وابن الجَمّيزي ، وكريمة المَيْطُوريّة [٣] وعِدّة .

وأجاز له محمد بن عماد ، وابن باقا [٤] ، والمسلَّم المازني [٥] ، ومحمود بن مَنْدَة ، ومحمد بن عبد الواحد المديني ، ومحمد بن زهير شهرانة [٦] ، وأبو حفص السهروَرْدي ، والمعافى بن أبي السنان ، والمقرئ ابن عيسى [٧] وخلقٌ كثير .

وخرّج له ابن المهندس مئة حديث ، وخرج له شيخنا الذهبي (جزءاً) فيه مصافحات وموافقات ، وخرّج له ابن الفخر (مُعجماً) ضخماً .

وروى الكثير بقراءة شيخنا علم الدين البرزالي ، وتفقه بالشيخ شمس الدين وصَحبَه مُدّة .

ودرّس بالجوزيّة وغيرها . ولي الجوزيّة والقضاء عشرين سنة . ومن تلاميذه ولده قاضي القضاة عز الدين [٨] ، وقاضي القضاة ابن مسلّم ، والإمام محمد بن

---

(١) محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٢٦/٢٣ ، والشذرات : ٢٢٤/٥ .

(٢) (ت ٦٣٣ هـ) الشذرات : ١٥٩/٥ .

(٣) نسبة إلى لليطور ، من قرى دمشق ، معجم البلدان : ٢٤٤/٥ ، ولم نقف على ترجمتها ، وفي س : « للنطوريّة » .

(٤) عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن سالم (ت ٦٣٠ هـ) السير : ٣٥١/٢٢ ، والشذرات : ١٣٥/٥ .

(٥) المسلم بن أحمد بن علي المازني النصيبي (ت ٦٣١ هـ) الشذرات : ١٤٧/٥ .

(٦) محمد بن زهير بن محمد الأصبهاني (ت ٦٣٢ هـ) الشذرات : ١٥٥/٥ .

(٧) وفي الدرر : « عيسى بن عبد العزيز » وهما واحد (ت٦٢٩ هـ) انظر غاية النهاية : ٦٠٩/١ ، والسير : ٣١٥/٢٢ وهذا يرجح أن سليمان قد ولد قبل التاريخ الذي ذكره المصنف .

(٨) محمد ، وستأتي ترجمته ..

العز[١] ، والإمام شرف الدين أحمد ابن القاضي[٢] ، وطائفة .

وسمع منه المزّي ، وابن تيميّة ، وابن المُحب ، والواني ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، وابن رافع ، وابن خليل ، وعدد كثير .

وقرأ طرفاً من العربية ، وتعلّم الفرائض والحساب ، وحفظ (الأحكام) لعبد الغني[٣] ، و (المقنع)[٤] .

وكان حاكماً عادلا ، لا يقبل في الحق عاذلا ، وكان جيد الإيراد للدروس ، خبيراً باجتناء ثمار العلم من الغروس، يحفظ درسه من ثلاث مرات أو أكثر، ويسرده كأنه عقد تَنَضَّدَ إذا كان عند غيره قَدْ تبعثر . وبرع في مذهبه وجوّده ، وأجرى جواد ذهنه فيه على ما عوّده . وكانت له معرفة تامة بتواليف الموفق ، وإذا تكلم فيها رأيت الغصن رقص والطير غنى والنهر صَفَّق . وتخرّج به الأصحاب ، وجرّ السّحابُ خَلْفَه ذيلَه السَحَّاب .

وكان إذا أراد أن يحكم قال : صلّوا على رسول الله ، فإذا صلّوا ، حكم ، وذل الخصمُ له ولو كان مروان بن الحكم .

ولم يزل على حاله إلى أن قطع الله من الحياة أَمَلَهُ ، والتقى التّقيُ عَمَلَهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى حادي عشري العقدة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

---

(١) محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن قدامة المقدسي ، ستأتي ترجمته .

(٢) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي (ت ٧٧١ هـ) انظر : وفيات ابن رافع : ٢ـ٣٥ والشذرات : ٦/٢١٩ .

(٣) هو عبد الغني بن عبد الواحد الجّاعيلي (ت ٦٠٠ هـ) ، واسم كتابه : عمدة الأحكام من كلام خير الأنام (ط) . الشذرات : ٤/٣٤٥ .

(٤) المقنع في فروع الحنبلية : لموفق الدين عبد الله بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) الكشف : ٢/١٨٠٩ .

وكان الجاشنكير قد عزله سنة تسع وسبع مئة بالقاضي شهاب الدين بن الحافظ[١] ، ولما حضر السلطان من الكرك اجتمع به وولاّه .

٧١٥ ـ سليمان بن داود*

ابن سليمان بن محمد بن عبد الحق ، الشيخ الإمام الفاضل الأديب الفقيه الرئيس القاضي صدر الدين أبو الربيع ابن الشيخ ناصر الدين الحنفي .

فقيه تأدّب فبرع ، وبلغ إلى الغاية مِنْ أول ما شرع ، نظم سائر الفنون ، وصَدَحَ في أيكِ الأدب والغصون . وقعدت معه التورية فأطربت ، وزادت محاسن نظمه على الروض ورَبَتْ .

وكان مُطَّرحاً عديم الوِقْفه ، لا يَكْلَف بالكَلفه ، ولا يأنَسُ إلى وَطِن المناصب ، ولا يُفَرق بين الشيعة والنواصب . قد أصبح في عالم الإطلاق ، وتمسّك بما يؤدّي إلى مكارم الأخلاق . جابَ البلاد ، وجال بين العباد ، ولم يدع شاماً إلا شام برقه ، ولا عراقاً إلا ونبش عِرْقَه ، ولا حجازاً إلا كشف حجابه ، ولا يمناً إلا وأمَّ ملوكه وأربابه . وولي مناصب القضاء وغير ذلك ، وانسلخ من الجميع يقول :

«وما الناس إلاّ هالكٌ وابن هالك»[٢]

طالما تمزّر الفقر وتمزق ، وأنِف من ذلك فتزود للرتبة[٣] العالية وتزوّق :

يوماً يمان إذا لاقَيْتُ ذا يمن ... وإن لقيتُ مَعدّياً فعدناني[٤]

(١) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ . سلفت ترجمته .

* الوافي : ٣٨١/١٥ ، وفيه (بن سليمان بن عبد الحق) ، والنجوم : ٣٣٦/١٠ ، والذيل التام : ١٧٣ ، والدرر : ١٤٩/٢ .

(٢) صدر بيت لأبي نواس ، سلف من قبل .

(٣) في الأصل : « للتربية » تحريف ، وفي س : « للرتب » .

(٤) من أبيات لعمران بن حطان ، شعر الخوارج : ١٦١ ـ ١٦٢ ، والكامل : ١٠٨٦ .

ولم يزل يُنجد ويُغير ، ويقطع الآفاق[١] بالمسير ، حتى ابتزّه الدهر ثوب حياته ، والتقطه طائر الموت فيما التقط من حبّاته .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول سنة إحدى وستين وسبع مئة بالمَهْجَم من بلاد اليمن[٢] .

ومولده سنة سبع وتسعين وست مئة .

قرأ القرآن على الشيخ مَبشّر الضرير ، وسمع[٣] على أشياخ عصره مثل الحجّار ، وابن تيمية ، والمزي ، وغيرهم .

وقرأ (المنظومة) على عمّه القاضي برهان الدين بن عبد الحق[٤] وحفظها ، وقرأ (ألفية) ابن مُعطي ، وحفظ (النُّكت الحسان) في النحو ، وعَرَضها على مُصنّفها شيخنا أبي حيّان ، وكتب له عليها ، وأثنى عليه ، وعلّق عليها حواشي من أولها إلى آخرها بخطه من كلام الشيخ ، وبحث الأصلين على الشيخ صفي الدين الهندي بدمشق ، وعلى تاج الدين بن السبّاك[٥] ببغداد ، وقرأ (تلخيص المفتاح) على الخَيْلَخَاني[٦] .

ودخل بغداد سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، واجتمع بفضلائها . وسافر إلى خراسان والري ، وعاد إلى ماردين . ثم ردّ إلى القاهرة ثانياً ، وكان قد دخلها أولاً مع عمه قاضي القضاة برهان الدين ، وكان يقرأ له الدرس[٧] في مدارسه بالقاهرة ، وأذن له في الإفتاء .

---

(١) في (س) : « مسافة الآفاق » .
(٢) من أعمال زبيد ، معجم البلدان : ٢٢٩/٥ .
(٣) عبارة الوافي : « وسمع الحديث » .
(٤) (ت٧٤٤ هـ) كما في البداية : ٢١٢/١٤ .
(٥) علي بن سنجر ، ستأتي ترجمته .
(٦) في الدرر : « الخلخالي » .
(٧) في الوافي : « الدروس » .

ودرّس[١] بالديلمية ، وحضر درسه أول يوم قاضي القضاة جلال الدين القزويني وبقية القضاة .

ودخل اليمن سنة خمس وأربعين وسبع مئة بعدما حج ، واجتمع بصاحبه ، فأقبل عليه وأنِس به ، ورأيت خطّه إليه في عدة أوراق بآداب كثيرة ولطفٍ زائد وخوّله نعماً أثيلة . وباشر عندهم ، ثم إنه تزوج بابنة الوزير ، وحج صحبة الملك المجاهد صاحب اليمن في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فجرت لهم تلك الأحوال[٢] ونهبوهم .

أخبرني صدر الدين من لفظه قال : عُدِم لي في البرّ والبحر ما قيمته خمسة وعشرون ألف دينار .

وحضر إلى دمشق ومعه جملة من الجواهر الثمينة . ثم إنّه توجَّه إلى القاهرة ، وسعى في أيام الأمير سيف الدين شيخو ، فباشر توقيع الدست بالقاهرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة - فيما أظن - وبعد قليل رسم له بنظر الأحباس مع توقيع الدست .

وجرت له حركة بسبب جارية تزوجها من جواري السلطان[٣] تخلخل أمره فيها ثم سكن ، فلما أُمسك الأمير سيف الدين صرغتمش أخرجوه إلى دمشق موقّعاً في سنة ستين أوائلها ، فجاء إليها ولم يباشر شيئاً ، وأقام في دمشق لا يظهر ، إلى أن سافر منها واختفى خبره ، ثم ظهر أنه مقيم بنابلس لا يظهر ، ومعه مملوك له مليح الصورة يدعى طشتمر ، ثم توجّه إلى الحجاز سنة ستين وسبع مئة ، ثم إنه دخل اليمن ومملوكه معه ، فلما وصل إلى المَهْجَم توفي رحمه الله تعالى . قيل : إنه قتل لأنه كان معه قطعة بلخش عظيمة ، كان يّدعي أنها لصاحب اليمن .

---

(١) في (س) : « وانفرد بتدريس » .

(٢) على جبل عرفات ، كما في الوافي .

(٣) في (س) : « ابن السلطان » .

وكان قد تولى القضاء ببغداد وبماردين أيضاً .

وكان رحمه الله تعالى عديم الكُلفة ، مطرحاً للرئاسة ، يمشي في باب اللّوق ، ويمشي تحت قلعة دمشق ، وكان هشاً بشاً ، رضيّ الأخلاق . اجتمعتُ به غير مرة ، وأنشدني كثيراً من شعره ، وكان جيد النظم ، تَقْعُدُ معه التورية والاستخدام وصناعة البديع ، وجوّد فنون الشعر من الموشح والزجل والمواليا والقريض وغير ذلك .

أنشد[١] لنفسه بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة :

أيري كبيرٌ والصَّغيرُ يقـــولُ لي: اِطْعَن حَشايَ بـه وكُنْ صَنـديـدا
نـاديْتُ هـذا لا يجـوزُ، فقـال لي: عنـدي يَجـوزُ، فَنِكْتُـه تقليـدا

وأنشدني لنفسه[٢] سنة اثنين وخمسين وسبع مئة :

عَشقْتُ يحيى، فقـال لي رَجُـلٌ: لم يُبْـق فيـك من الغرام بُقَيّـا[٣]
تَعْشَـقُ يحيى تموتُ، قلتُ لـه: طـوبى لِصَبٍّ يمـوت في يحيى[٤]

وأنشدني لنفسه :

قـال حبيبي: زُرني ولكنْ يكـونُ في آخر النهـار
قلتُ أُداري الـورى وآتي لأيِّ دارٍ فقـال: داري

وأنشدني لنفسه :

طـال حَكّي وعنـدمـا قلت: خُـذْهُ لِـوَقْتـه
ضَرَط العِلْـقُ ضرطَـةً دخـل الأيرُ في استِـهِ

(١) في (س) : « وأنشدني » .
(٢) في (س) : « لنفسه بالشام » .
(٣) في (س) : « لم يُبقِ فيك الغرام من بُقْيا » ، ومثله في الوافي ولكن بلفظ : « فيك الفراق » ، وفي المنهل : « لم يبق في الغرام من بقيا » .
(٤) في المنهل : « مات » .

وأنشدني لنفسه :

سمـــــــوتُ إذ كلمتْني سلمى بغير رســـالـــةْ
وقـــال صحبي: تنبّـــا وكلمتـــه الغـزالْـــه[١]

[وأنشدني لنفسه][٢] :

من يكن أعمى أصما يـدخـل الحـانَ جهـارا
يسمـــع الألحـــان تتلى ويرى النـــاس سكارى

وأنشدني لنفسه :

بدا الشَّعْرُ في الخَدِّ الـذي كان مُشتهى فأخفى عن المعشوق حالي وما تَخْفَى[٣]
لقـد كانت الأَرْدافُ بـالأمسِ رَوْضـةً من الوَرْدِ وهي اليومَ مَوْرِدَةُ الحَلْفا[٤]

وأنشدني لنفسه :

يـا رسـول الحبيب غِثْ مُستهـامـاً مُغرمـاً يَعْشَـقُ المـلاحَ دِيـانَـهْ
حَـدِّثِ الخـائف الكئيبَ من الهجـ ـر فهـو ممن الحـديث أمـانَـهْ[٥]

وأنشدني لنفسه :

وقـائلـةٍ يـومَ الـوداعِ أرى دَمـاً تَفيضُ بـه عيناك، نـاديت لا أدري
أَلَمْ تَعْلَمي أنَّ الفُـؤادَ لِبَيْننـا يـذوبُ وأنَّ العينَ لابُـدّ أن تجري

---

(١) الغزالة : الحيوان المعروف ، والشمس ، والبيتان في المنهل .
(٢) زيادة يقتضيها السياق .
(٣) في المنهل : « عن المعشوق .. وما تخفى » .
(٤) في المنهل : « من الحسن فهي .. » .
(٥) كذا في الأصل ، وهو مختل الوزن . وفي (س) والوافي : « .. ممن يرى الحديث » . ويبقى الوزن مختلاً . ويصح إذا قال : « ..من الهجران فهو يرى الحديث أمانة .

وأنشدني لنفسه :

وإلامَ أَمْنَحُـــكَ الـودادَ سَجيّـــةً ... وأَبـوءُ بـالحِرمـانِ منـك وبـالأذى
ويَلـومَني فيـك العَـذول وليس لي ... سَمْـعٌ يَعِي وإلى متى نبقى كـذا[1]

وأنشدني لنفسه :

يقـول نـديمي عن نُضـوحٍ بكَفِّـه ... لقـد فَضَح الصَّهْبـا وجَـلَّ عن الخُبْثِ
فقلت : هـو المطبـوخُ مِنْ حَسَـدٍ لهـا ... ألم تَرَهُ قـد صـار منـه إلى الثُّلْثِ[2]

وأنشدني لنفسه :

ضَيَّعْتُ أمـــوالي في ســـــائبٍ ... يَظْهَرُ لي بـــالـوُدِّ كالصّـــاحبِ
لمّـــا انتهى مـــــالي انتهى وُدُّه ... واضَيْعَـــةَ الأمـوالِ في السّـــائبِ

وأنشدني لنفسه :

وساحر طَرْفٍ عَقْرَبٌ فَوْق صُدْغِهِ ... تـدبُّ إلى قلبي ولم أملـك النفعـا
وحَيَّـةُ شَعْرٍ خَلْفَهـا نحـو مُهجتي ... يُخيّل لي مِنْ سِحْرِهـا أنّهـا تسعى[3]

وأنشدني لنفسه :

لمّـــا حكى بَرْقُ النَّقـــا ... لِمَعـــانَ ثَغْرِكَ إذْ سرى
نَقَـــلَ الغمامُ إليـــك عن ... دَمْعي الحـــديثَ كما جرى[4]

وأنشدني لنفسه :

(١) في الوافي : « يبقى » .
(٢) في الأصل : « جسد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) في الأصل « أنّه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي البيت إشارة إلى قصة السحرة مع موسى عليه السلام .
(٤) البيتان في المنهل الصافي .

حَـظٌّ عَينيَّ من الـدُّنيـا القـذى وفُـؤادي حَظُّـه منهـا الأذى
ولكم حـاولتُ فيهـا راحـةً مـا أراد اللهُ إلاّ هكـذا

وبيني وبينه مكاتبات ذكرتها في كتابي (ألحان السواجع) ، وعلّقت من شعره كثيراً مما أنشدنيه من لفظه لنفسه من الموشحات والمواليا وغير ذلك وجميعه في (التذكرة) التي لي .

٧١٦ ـ سليمان بن داود بن سليمان*

أمين الدين رئيس الأطباء بدمشق .

كان سعيد العلاج ، عديد السّعد برأيه والابتهاج . أوّل ما ظهر به من المعرفة واشتهر ، وشاع عنه أنه قد جاد وقهر ، لمّا طُلِبَ إلى طرابلس لمعالجة أسندمر نائب طرابلس ، فإنه وجده في الصيف في مثل ساحل طرابلس ، وهم قد أدخلوه في خركاةٍ[1] وألبسوه فروة للمنام ثقيلة ومرضه حاد ، فأمر بإخراجه من الخركاة ، ونزع الفروة وحلق رأسه ، وأخذ في علاجه بما يصلح به مزاجه ، فصح وعوفي ، وأعطاه شيئاً كثيراً ، فاشتهر حينئذٍ أَمْرُ الأمين سليمان .

وأنا اجتمعت به بدمشق والديار المصرية غير مَرّة ، وبحثت معه ، فوجدته رجلاً خبيراً بالعلاج لا على القواعد ، بل أخذ ذلك بسعد يرشده له ، وفطنة تؤدّيه إليه ، ولم أجده يعرف شيئاً من الحكمة . وزرت أنا وهو الآثار النبوية التي برباط الصاحب تاج الدين محمد بن حنّا في المعشوق[2] .

ولَمّا توجّه قاضي القضاة القزويني إلى الديار المصرية وجد عند السلطان تطلُّعاً إلى عافية القاضي علاء الدين بن الأثير لفالجٍ أصابه ، فقال القاضي للسلطان :

* الوافي : ٣٨٠/١٥ ، والبداية : ١٦٠/١٤ ، والدرر : ١٥١/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ ، والدارس : ١٠٤/٢ .
(١) هي الخيمة الكبيرة أو البيت من خشب يحمل في السفر للمبيت .
(٢) ويعرف برباط الآثار ، وحسن المحاضرة : ٢٧٣/٢ .

ياخوند ، أمين الدين سليمان الطيب بدمشق داوى ولدي عبد الله من هذا المرض وبرئ منه . فطلبه السلطان إلى القاهرة ، ولازم ابن الأثير ، فما أنجب فيه[١] علاج ، لأنه كان قد تحكّم فيه المرض ، وعاد إلى دمشق في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وكان يسمر عند الصاحب شمس الدين بن غبريال[٢] ، ويلعب الشطرنج بين يديه كلَّ ليلة ، ويلازمه في النزهة وغيرها ، وكان قد حصّل أموالاً عديدة وكتباً عظيمة .

ولم يزل على حاله إلى أن أعيى العلاج داؤه ، وفَقَدَه صَحْبُه وأودّاؤه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة في يوم السبت سادس عشري شعبان .

وكان قد سمع على شيخه كمال الدين الدُّنَيسري شيئاً من الحديث بقراءة شيخنا علم الدين البرزالي .

ودفن بالقُبيبات قبليّ دمشق .

٧١٧ ـ سليمان بن عبد الحليم بن عبد الحكيم*

الشيخ الإمام العالم الفاضل صدر الدين الباردي ، بالباء الموحّدة وبعد الألف راء ودال مهملة ، المالكي الأشعري .

كان فقيهاً في مذهب مالك ، سديد الطُّرق في علمه والمسالك ، أفتى على مذهب إمامه مالك رضي الله عنه زمانا ، والتقط الناسُ من فتاويه درّاً وجُمانا ، وكان من بقايا

(١) في (س) : « له فيه » .

(٢) شمس الدين غبريال المسلماني . توفي (٧٣٢ هـ) . انظر ذيول العبر : ١٧٠ و ١٨٢ .

* الوافي : ٣٩٧/١٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٣/١ ، والدرر : ١٥٣/٢ ، والدارس : ٩٤/١ ، وذيول العبر : وثمة خلاف في تتمة نسبه .

العلماء وسلف الفضلاء ، أشعريّ العقيدة ، لا يقدر أحد على أن يكيده ، وكان يصحب أكابر الشافعيّة ومن فيه ذكاء أو ألمعيّة .

ولم يزل على حاله إلى أن فترت من الباردي حركاته ، واستولت عليه سكناته .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد خامس جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة[١] في طاعون دمشق .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وكان يدرس بالشرابيشيّة[٢] .

وقلت أنا فيه :

مِنْ بَعْدِ صَدْرِ الدّينِ صَدْرِي ضاقَ بَلْ ... قد ذاقَ فَرْطَ جوىً وحُزْنِ زائدِ
ومن العجائبِ أن قلبي يلتظي ... بالنار من حزني لأجل الباردي

٧١٨ ـ سُليمان بن عبد الرحمن*

ابن علي بن عبد الرحمن الشيخ الإمام العالم نجم الدين أبو المحامد النهرماوي ـ بالنون والهاء والراء والميم والألف والواو ـ الحنبلي قاضي القضاة ببغداد[٣] .

قال[٤] الحافظ نجم الدين الدهلي : سمع ببغداد جميع (الأربعين الطائيّة) على

---

(١) في الأصل : « وست مئة » ، سهو .

(٢) بناها نور الدولة علي الشرابيشي بدرب الشعاراني داخل باب الجابية . الدارس ؛ ٦/٣ .

(٣) زاد في (س) مانصّه : « كان يُبَدِّع مَنْ خرج عن الشيخ أبي الحسن الأشعري قِيد شبر ، ولا يرى له إلاّ السيف قاطعاً على ما اقترف من كِبْر ، يرى من العظائم السكوت عن تأويل ما يجب أن يتأوّل ، ويعدّ من الجرائم الانسلال من طرق الطراز الأول » .

* الوافي : ٣٩٨/١٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤٤/١ ، والدرر : ١٥٣/٢ .

(٤) في (س) والوافي : « قال لي » .

الْمُسْند أبي البركات إسماعيل بن علي بن أحمد بن الطبّال الأزجي بسماعه[١] ممن جمعها الإمام أبي الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي[٢] ، وحدّث بها ببغداد ، وسمعها جماعة ، منهم نجم الدين الدهلي .

وكان المذكور شيخ الحنابلة ببغداد وفقيههم ومدرّسهم ، تفقه على شيخ الإسلام تقي الدين أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي بكر الزَرِيرَاني[٣] ، وكان يُثْنَى عليه بمعرفة الفقه . ودّرس للحنابلة بالْمستنصريّة ، وباشر القضاء مع التعفف والصيانة والتقشف ، ولم يحكم بين الناس قبل موته بمدّه . ثم إن ولده[٤] استقلَّ بالقضاء في حياته فسدَّه ، وولي التديس أيضا ، وأفاض الخير فيضا .

ولم يزل نجم الدين المذكور على حاله إلى أن فغر القبر له فمه ، وحُمل إليه فالتقمه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ببغداد .

ومولده تقريباً سنة سبع وأربعين وست مئة .

٧١٩ ـ سليمان بن عبد القوي*

ابن عبد الكريم بن سعيد الطوفي ، بالطاء المهملة والواو[٥] .

كان فقيهاً حنبليّا ، عارفاً بفروع مذهبه مليّا ، شاعراً أديبا ، فاضلاً لبيبا ، له

---

(١) في الأصل : « بسماعها » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) (ت٥٥٥ هـ) ، السير : ٣٦٠/٢ ، والوافي : ١٤٤/١ .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) في الأصل : « والده » سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* الدرر : ١٥٤/٢ ، والبغية : ٥٩٩/١ ، والشذرات : ٣٩/٦ ، وذيول العبر : ٨٨ .

(٥) وبعدها فاء ، كما في الدرر ، وفي الشذرات : نسبة إلى قرية طوفا من أعمال صرصر قرب بغداد .

مشاركة في الأصول ، وهو منها كثير المحصول ، قيّماً بالنحو والفقه[١] والتاريخ ونحو ذلك ، وله في كل ذلك مقامات ومبارك .

ولم يزل إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة عشر وسبع مئة .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوّي[٢] : كان شيعياً يتظاهر بذلك ، ووُجِدَ بخطه هجّو في الشيخين رضي الله عنهما .

وكان قاضي القضاة الحاري[٣] يكرمه ويُبَجّله ورتبه في مواضع من دروس الحنابلة ، وأحسن إليه . ثم وقع بينهما ، وكلّمه في الدرس كلاماً لا يُناسب الأدب ، فقام عليه ابنه شمس الدين ، وفوّضوا أمره إلى بدر الدين بن الحبّال ، وشهدوا عليه بالرفض ، فضُرب ، وتوجه من القاهرة إلى قوص ، وأقام بها سنين .

وفي أول قدومه نزل عند بعض النصارى وصنف تصنيفاً[٤] أُنكرت عليه ألفاظ فغيّرها . قال : ولم نر منه بعد ولا سمعنا شيئاً يشين .

ولم يزل ملازماً للاشتغال وقراءة الحديث والمطالعة والتصنيف وحضور الدروس معنا إلى أن سافر من قوص إلى الحجاز . وكان كثير المطالعة ، أظنّه طالع أكثر كتب خزائن قوص ، وكانت قوّتُه في الحفظ أكثر منها في الفهم .

وصنّف تصانيف منها : (مختصر الترمذي) ، واختصر (الروضة في أصول الفقه) تصنيف الشيخ الموفّق[٥] ، وشرحها ، و (شرح الأربعين النووية) ، وشرح

---

(١) في (س) : « اللغة » .

(٢) ليس للمترجم هنا ترجمة في المطبوع من كتاب الأدفوي (الطالع السعيد) .

(٣) مسعود بن أحمد بن مسعود ، ستأتي ترجمته .

(٤) اسمه تعاليق على الأناجيل ، الأعلام : ١٢٨/٣ .

(٥) موفق الدين الحنبلي عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠ هـ) الكشف : ٩٢٤/١ .

(التبريزي) في مذهب الشافعي[١] وكتب على (المقامات)[٢] شرحاً رأيته يكتب فيه من حفظه ، وما أظنه أكمله ، وصنف في مسألة « كاد » ، وسماه (إزالة الإنكاد)[٣] ، وتكلم على آيات من الكتاب العزيز .

ومن شعره :

إن سَاعَدَتْكَ سوابقُ الأقدارِ ... فأَنِخْ مطيَّك في حمى الْمُختار
هذا ربيع الشهر مولده الذي ... أضحى به زَنْدُ النبوّةِ وار
هو في الشهور يهشّ في أنواره ... مثلُ الربيع يهشّ بالأنوارِ

ومن قصيدة يهجو فيها بلاد الشام :

قوم إذا حلّ الغريبُ بأرضهم ... أضحى يفكّر في بلاد مقامِ
بثقالة الأخلاق منهم والهوى ... والماء وهي عناصر الأجسامِ
ووعورة الأَرَضين فامشِ وَقعْ وَقُمْ ... كتَعَثّر الْمُسْتَعْجل التّمتامِ
لا غروَ إن قَسَتِ القلوبُ قلوبُهم ... واستُثْقِلوا خُلقاً لدى الأقوامِ
فجوار قاسيّون هم وكأنهم ... من جُرمه خُلقوا بغير خصامِ
قالوا : لها في الْمُسْنَدات مناقبٌ ... كتبت بها شرفاً حليفَ دوامِ
أهل الرواية أثبتوا إسنادها ... من كل حَبْر فاضل وإمام
قلتُ : الأماكن شُرّفت لا أهلُها ... لخصوصة فيها من العَلاّمِ
أرضٌ مشرّفة وقوم جيفَةٌ ... فالكلبُ حل بموطن الأجرامِ

---

(١) وهو شرح على كتاب المحصول في أصول الفقه لفخر الدين الرازي التبريزي (ت٦٠٦ هـ) ، وقد أشار إلى شرحه صاحب الكشف ١٦١٦/٢ .

(٢) يريد مقامات الحريري ، وذكر صاحب الكشف شرحه هذا : ١٧٩٠/٢ .

(٣) كذا في الأصل و (س) ، وفي البغية : « إزالة الإنكار في مسألة كاد » . وفي الكشف : ٧١/١ ، « وإزالة الإنكار في مسألة الأبكار » .

٧٢٠ ـ سليمان بن عثمان*

الصدر الرئيس فخر الدين بن فخر الدين ، ابن الشيخ الإمام صفي الدين أبي القاسم محمد بن عثمان البصروي .

ولي حسبة دمشق وأقام فيها إلى أن عزل منها بابن الحداد[1] في سابع ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فأقام بدمشق مدة يسيرة أياماً قلائل .

وتوفي في [سابع][2] عشري الشهر المذكور ، وحُمل إلى بصرى ودفن بها . وكان قد توجه إلى الديار المصرية فتوفيَ بالبريّة .

وكان شاباً كريماً حسن الأخلاق .

٧٢١ ـ سليمان بن عبد الكافي**

الصدر الرئيس القاضي جمال الدين .

كان فيه عقل وسكون ، وحياء وحشمة . ولاّه الأمير سيف الدين تنكز نظر ديوانه ونظر البيمارستان النوري بعدما عَزل القاضي جمال الدين يوسف شقير وصادره وأخذ ماله في شهر رجب سنة أربع وثلاثين وسبع مئة . واستمر ابن عبد الكافي في نظر ديوان تنكز إلى [أن] أمسك ، ولّما حضر الأمير سيف الدين بُشتاك إلى دمشق أمسك عبد الكافي في جملة مُباشري تنكز ، وأخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم باليد القوية ، ثم إنه فيما بعد وَلي استيفاء معاملة فيما أظن إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

---

* البداية والنهاية : ٧١/١٤ ، والدرر : ١٥٨/٢ .

(١) محمد بن عثمان بن يوسف ، ستأتي ترجمته .

(٢) زيادة من (س) .

** لم نقف على ترجمة له .

٧٢٢ ـ سليمان بن عسكر بن عساكر*

علم الدين أبو الربيع المُنشد الحوراني[١] نقيب المتعممين بدمشق .

كان يحفظ أكثر ديوان الصرصري[٢] في مدائح سيدنا رسول الله ﷺ . وكان يَحْضَرُ الأفراح والولائم ، والختم والمآتم ، وكلَّ جمع يكون ، وكلَّ مكان يعلم أنه له فيه زَبُون ، لا يكاد يفوته موضع ، ولا ينجو من خُفِّهِ مَوْقع ، ومهما جرى في ذلك المجلس ، أنشد هو من المدائح ما يوافق ذلك ويُؤنِس ، ويحضُر دروس الغزاليّه ، ويقوم عقيب الفراغ وينشد قصيدة حاليّه ، ويحجّ كل سنة ، ويكون في الركب مؤذّنا ، ويقوم على كلّ مَنْ [يموت] مُوبِّنا[٣] ، ويُنشد ما يحفظه جيداً من غير لحن ولا تحريف ، ولا خروج عن قواعد التصريف ، إلا أن الناس كانوا يستثقلونه ، ويبخسون حظه ويهملونه .

ولما مات ما قام مقامه أحد ، ولا خَلَفه من اعترف بفضله أو جحد .

ولم يزل على حاله إلى أن نُشد فما وُجد ضائِعُه ، وكَسَدت بعده بضائِعُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وكان قد سمع وروى عن عمر بن القوّاس .

وكتبت له مرسوماً على ظاهر قصّة[٤] ، وقد توجّه مؤذناً بالركب ، ونسخة ذلك : « لأنه المنشد الذي أضحت قصائده غاية[٥] المقصود ، والمطرب الذي يقال فيه :

---

* الوافي : ٤٠٥/١٥ ، ووفيات ابن رافع : ١+٢٩٦ ، والدرر : ١٥٨/٢ ، والذيل التام : ١١٧ ، وذيول العبر : ٢٨٢ .

(١) في وفيات ابن رافع : « الجراصي » ، وفي الذيل التام : « الخراصي » . وفي ذيول العبر : « الخواصي » .

(٢) يحيى بن يوسف (ت٦٥٦ هـ) .

(٣) في الأصل : « كل من مؤينا » وفيه تحريف وسقط ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) في الوافي : « قصته » .

(٥) في الوافي : « وهي غاية » .

هـذا سليمـان ، وقـد أوتي مـزمـاراً من مـزامير داود ، والحـافـظ الـذي يُعْرِبُ إنشـاده ، والفصيـح الـذي يعلـو بـه النّظم إن شـادَه . لـو سمعـه الصرصري لعلم أنـه فيما يـورده متبصّر[١] ، ويحقق أن السامعين له إذا بكوا وخضعوا « عرانيق ماء تحت بازٍ مُصَرْصر » كم حرّك سـاكن[٢] القلوب بلفظـه البـديع ، وأجرت عبـارتـه العَبرات من بحره السريـع ، وجعل المحافل رياضاً لأنه أبو الربيع ، فليؤذّن آذاناً إذا سمعه الركب أقام ، وقالوا : هذا المؤذن الذي للناس كلّهم إمام ، والله يرزقنا شفاعـة مَنْ يجلو علينـا مـدائحـه ، ويفيض علينا في الدنيا والآخرة منائحه ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكان قد حضر بعضُ أفاضل العصر من مصر ورأى ما يفعله علم الدين المذكور من الإنشاد في المجامع ، فأنكر ذلك ، وأنشدني :

أَهْـــلُ دِمَشْـــقَ مِنْهُمُ قـد ضـاع مـالا يُوجَـدُ
فكُلّما تجمّعـــــــوا يقـوم فيهم مُنْشِـــــدُ

قلت : هذا خطأ فاحش في التصريف ، فإنـه يقـال : نشـد الضـالّـة فهو نـاشـد ، وأنشد القصيدة فهو منشد ، وأنت هنا تريد من نشْدَان الضالّة فهو حينئذٍ ناشد .

٧٢٣ ـ سليمان بن عُمر بن سالم*

ابن عَمْرو[٣] بن عثمان الشيـخ الإمـام قـاضي القضـاة جمـال الـدين[٤] الـزرعي[٥]

(١) في الأصل « منتصر » وأثبتنا ما في (س) والوافي ،وهي أشبه .

(٢) في الوافي : « سواكن » .

* الوافي : ٤١٦/١٥ ، والبداية والنهاية : ١٦٧/١٧ ، وتاريخ أبي الفداء : ١١٠/٤ ، والدرر : ١٥٩/٢ ، والشذرات : ١٠٧/٦ ، والدارس : ٣٢١/١ ، والمنهل الصافي : ٤٦/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٤/٩ وفيه « عمر بن عثمان » .

(٣) في البداية ، والمنهل : « عمر » .

(٤) في النجوم : « مجد الدين » .

(٥) في الوافي : الأذرعي ، وفي البداية والنهاية أنه ولد سنة خمس وأربعين وست مئة بأذرعات . وفي ذيول العبر : ١٨١ « الأذرعي المشهور بالزرعي » .

الشافعي ، عُرف بذلك لأنه حَكم بِزُرَع[١] مُدّة .

سمع من ابن عبد الدايم ، والكمال أحمد بن نعمة ، والجمال بن الصيرفي ، وجماعة .

وولي قضاء شَيْزَر مُدّة ، وناب عن القاضي بدر الدين بن جماعة بدمشق ومصر ، ولما قدم السلطان من الكرك[٢] في سنة تسع وسبع مئة عَزل قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وولى القاضي جمال الدين قاضي[٣] القضاة بالديار المصرية عِوَضه ، فحكم فيها سنة ، ثم إن السلطان أعاد ابن جماعة وبقي القاضي جمال الدين على قضاء العسكر ومدارس بيده[٤] . ثم إنه جهزه إلى الشام قاضي القضاة بعد نجم الدين بن صَصْرى[٥] ، ثم إنه صُرِف بعد سنة بقاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وبقي بيد القاضي جمال الدين بدمشق مشيخةُ الشيوخ وتدريس الأتابكيّة ، وباشرهما في شهر رجب الفرد سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وكان البريد قد جاء بعزله في خامس عشري شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .

وبقي في العادلية خمسة عشر يوماً انتقل إلى الصالحية[٦] . ولم يزل على وظائفه إلى أن توجه إلى الديار المصرية في خامس عشري القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وولي الأتابكيّة بعده[٧] الشيخ محي الدين بن جهبل[٨] ، وكان في ولايته بدمشق فيه صرامة وعفّة وقلّة مخالطة للناس ، وعليه سكينة ووقار .

---

(١) زُرع : بلدة جنوب دمشق بنحو (٧٠) كيلاً على طريق درعا ، وتعرف اليوم بـ (إزرع) .

(٢) في الأصل : « السلطان » وهو سهو ، صوابه ما في (س) ، والوافي ، والدرر ، ومراده ههنا : الملك الناصر بن قلاوون .

(٣) في (س) : « قضاء » .

(٤) في الأصل : « سده » تحريف ، صوابه ما في (س) ، وفي الدرر : « عدّة » .

(٥) في المنهل : « واستمر إلى أن توفي قاضي قضاة دمشق ابن صصرى استقر جمال الدين هذا .. عوضه » . وكانت وفاة ابن صصرى سنة (٧٢٣ هـ) .

(٦) انظر : البداية والنهاية : أحداث ٧٢٤ ، ١١١/١٤ .

(٧) في (س) : « بعد » وما في الأصل هو الصحيح .

(٨) إسماعيل بن محمد ، سلفت ترجمته .

وسمع الحديث من النجم محمد بن النشّبي ، وخرّج له شيخنا البرزاليّ جزءاً من اثنين وعشرين شيخاً ، حدّث به بدمشق والقاهرة .

وأصله مغربي . وصُلّي عليه بدمشق صلاة الغائب في يوم الجمعة ثامن عشر صفر .

وكانت وفاته بالقاهرة رحمه الله تعالى يوم الأحد سادس صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

٧٢٤ ـ سليمان بن قايماز بن عبد الله*

الشيخ الصالح أبو الربيع عتيق كافور النوري .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان رجلاً جيداً ، سمعنا عليه بحلب ودمشق ، وروى لنا عن ابن رواحة (جزء) ابن ملابس[١] ، وكان مُقيماً بالمدرسة الأتابكيّة ظاهر حلب .

توفي رحمه الله تعالى رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وعشرين وست مئة بحلب .

٧٢٥ ـ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب**

الرئيس الصاحب فخر الدين أبو الفضل الشيرجي[٢] الأنصاري الدمشقي .

سمع من الشيخ تقي الدين بن الصلاح[٣] ، وشرف الدين المرسي[٤] ، ولم يحدث .

---

* لم نقف على ترجمته .

(١) في (س) : « ملاس » ، تحريف ، وفي الأعلام للزركلي : ١٦١/٨ ، أنه ابن ملامس يحيى بن عيسى المشيرقي (ت ٤٢١ هـ) . وأشار ثمة إلى أنه وقع في كتاب مرآة الجنان « ملابس » ، ولم يرتضه .

** الوافي : ٤٢٥/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٣ ، والعبر : ٣٩٨/٥ ، والشذرات : ٤٤٨/٥ ، والمنهل الصافي : ٥٣/٦ .

(٢) في المنهل : « السيرجي » بالسين المهملة .

(٣) في المنهل : « بن الصلاحي » .

(٤) في المنهل : « المريني » .

وتعانى الكتابه ، وكان من أعيان الرؤساء بل رأساً لتلك العصابه . فيه كرم ، ولنار جوده ضرم ، وعنده سؤدد وحشمه ، وله رونق وطلاوة في النّعمه ، وولي نظر الدواوين ، وجلس في صدور الدواوين[١] .

ولما جاء التتار إلى دمشق في واقعة غازان ، وبدا منهم في حق أهل دمشق مَا شان لا مَازان ، ألزموه بوزارتهم ، وأدخلوه في جزارتهم ، فدخل في ذلك مكرهاً كالذي حاذى ، وتجنّبَ الظلم وما آذى . ولما رحلوا نزل به حَتْفُه ، ورَغِمَ بالدخول في القبر أَنْفُه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة في شهر رجب ، ومشى الأعيان في جنازته إلى باب البريد ، فورد مرسوم أرجواش نائب قلعة دمشق وردّ الناس ومنعهم من المشي مع[٢] الجنازة ، وضربوهم ، ولّما وصلت الجنازة إلى باب القلعة أُذن لولده شرف الدين[٣] في اتباعها .

٧٢٨ ـ سليمان بن محمد بن موسى بن سليمان*

فخر الدين ، ابن القاضي عماد الدين محمد ابن القاضي .

كان فخر الدين هذا يخدم في الجهات الديوانية ، ثم إنه بطّل بعد ذلك وخَدَم في ديوان الإنشاء ، وكتب به مدة ، ثم إنه توجّه مع والده إلى الديار المصرية ، وأقاما هناك ، ثم دخل ديوان الإنشاء وكتب[٤] بالقاهرة ، ثم إنه كتب الدرج مع[٥] الوزير ،

---

(١) في (س) : « الأواوين » .
(٢) في (س) : « في » .
(٣) أشار صاحب التالي إلى أنه توفي (٧١٨ هـ) .
* لم نقف على ترجمة له .
(٤) في (س) : « وكتب به » .
(٥) في (س) : « عن » .

وحضر مع الوزير لمّا حضر السلطان في واقعة الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي ، وعاد معهم ، ثم إنّ نائب الشام كتب فيه يسأل أن يكون ناظر الحسبة بدمشق عوضاً عن أبيه ، فرسم له بذلك ، وخلع عليه ، وكُتب توقيعه بذلك ولم يبقَ إلاّ سفره ، فانقطع ثلاثة أيام .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبع مئة .

وكان شكلاً حسناً عاقلا ، ذاكراً للرئاسة ناقلا ، يكتب خطاً جيدا ويعتني بما يكتبه متأيدا ، إلا أنه ما سمعتُ له إنشاء ، ولا ارتدى منه ظَهَارة ولا غشاء ، وتجرّع والده فقدَه ، وعدم به من الحياة نَقْدَه ، وتألم له أصحابه ، وتربت يدا أترابه لما طمّه ترابُه ، رحمه الله تعالى .

٧٢٩ ـ سليمان بن مهنا*

ابن عيسى الأمير علم الدين أمير العرب ، قد تقدم ذكرُ أخيه أحمد ، وسيأتي ذكر أخيه موسى ووالده مهنّا إن شاء الله تعالى كلٌّ منهما في مكانه ، وهو شقيق أحمد .

كان عَلَمُ الدين هذا سليمان من الشجعان ، والأبطال الفرسان ، زائد الكرم والجُود ، ليس لنسمات مكارمه ركود ، وكان المسلمون والمغل يَخْشَوْنَهُ ويهابونه ، ويدارُونه ويخافونه[1] ، يأكل إقطاع صاحب مصر ويأخذ أنعامه ، وإقطاع ملك التتار وإنعامه ، ولا يزال له بالبلاد الفراتية نوابٌ وَشحاني[2] ، وغلمان يستخرجون له الأموال من القفول وسكان المغاني .

* الوافي : ٤٣١/١٥ ، والدرر : ١٦٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٥٥/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٣/١٠ ، وتذكرة النبيه : ٤٧/٣ .

(١) في (س) : « ويحابونه » .

(٢) جمع شحنة وهم مجموعة من العسكر الشرطة ، يسمى قائدها رئيس الشحنة أي صاحبها .

وكان قد توجّه مع قراسُنقر إلى بلاد التتار ، وأقام هناك سبع عشرة سنة ، وله فيها ظهور واستتار ، وجاء مَعَ خربندا إلى الرحبة وكان مع المغل ، وله مع حربهم على الإسلام عمل وشُغل ، ثم إنه عاد إلى بلاد الإسلام في سنة ثلاثين وسبع مئة أو ما قبلها ، وعاد ودخل في الطاعة وأنعم السلطان عليه بإقطاع ولم يؤاخذه ، ثم إنّه ولي إمرةَ آل فضل بعد أخيه موسى .

ولم يزل على ذلك إلىأن قرّ جنُّ سليمان وسكن فما نَبس ، وصحَّ مَوْتُه وما التبس .

وتوفي رحمه الله تعالى ظهر يوم الاثنين خامس عشري شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين[١] وسبع مئة .

ورسم الصالح إسماعيل لسيف بن فضل[٢] بالإمرة ، واعتقل أخاه أحمد بن مهنا ، على ما مرّ في ترجمته .

ولّما عاد سليمان إلى بلاد المسلمين أقام ببلاد الرحبة وما حولها ، وكان أبوه وعمّه فضل وإخوته يرفدونه بالذهب وغيره ، ويخوّفونه من السلطان ويحذرونه من الوقوع في يده ، وأخذوا يتعيّشون به على السلطان ويمنّونه بإحضاره ، فلما فهم سليمان ذلك ركب بغير علمهم وما طلع خبره إلاّ من مصر ، فقيل له في ذلك ، فقال : هؤلاء يأخذون الإقطاعات والإنعامات من السلطان بسببي ، وخَيْرُ[٣] من فيهم يُسَيِّرُ إليَّ مئتي دينار ، فإذا رُحت أنا إلى السلطان زال هذا كله ، ولّما وصل أقبل عليه السلطان وأمر له بإقطاع يعمل أربع مئة ألف درهم وأنعم عليه بمئتي ألف ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي أخوه[٤] بالقعرة[٥] ، وكان في أيام الفخري وهو مع ألطُنبغا في حلب فقال : أنا

(١) في النجوم ، وتذكرة النبيه وفاته سنة (٧٤٣ هـ) .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في الوافي : « وخيار » .

(٤) في (س) ، والوافي : « أخوه موسى » .

(٥) في الدرر : «بتدمر » .

أتوجه إلى الفخري ، [فجاء إلى الفخري][1] وهو نازل على خان لاجين ، وتحيّز إليه وأعرض عن ألطُنبغا ، وتوجّه من دمشق إلى الناصر أحمد بالكرك ، ورسم له بالإمرة عوض أخيه موسى ، فاستقلّ بإمرة آل فضل إلى أن توفي سليمان بظاهر سَلميّة .

وكان مفرط الكرم ، حكى الأمير حسام الدين لاجين الغُتْمي النائب بالرحبة قال : كنت والي البرّ بالرحبة ، وكان سليمان بن مهنا قد أغار عَلَى قَفْلٍ فأخذه في البريّة ، وجاء إلى الرحبة فجهزْتُ إليه رأس غنم ، وأحضرت له من سنجار حِمْلَ شراب ، فلما أكل وشرب وانتشى قليلاً قال لي : يا حسام خُذْلَك هذه الفردة ، فأخذتها ، فوجدتها ملأى من القماش الإسكندري ، قال : فبعت ما فيها بتسعين ألف درهم .

وكان مقداماً شجاعاً ، ومن إقدامه أنه عارض بريديّاً وهو متوجهٌ من بغداد ومعه جارية للسلطان[2] الملك الناصر فأمسكها وافتضها وما انتطح فيها عنزان .

وكان معاقراً للشراب ليلاً ونهاراً لا يفارقه .

٧٣٠ ـ سليمان بن موسى بن بَهْرام*

تقي الدين السُّمْهودي بن الهمام .

كان فاضلاً عالما ، فقيهاً فاضلاً من الشرّ سالما ، نحوياً شاعرا ، عروضياً ماهرا ، لا يُعْرَفُ له أستاذ ، وله مع ذلك بصر في هذه العلوم ونَفَاذ ، جَيِّد الحفظ حسن الفهم ، ينفذ في الفرائض نفوذ السهم ، ويدري من الأصول مسائل بأدلتها ، وفوائد بجملتها ، وأما تعبده وتقشّفه وصَبْره على الفقر وتَعَسُّفُه ، فأمر عجيب ، وشيء يصبح القلب منه وبه وَجِيْب .

(١) زيادة من (س) ، والوافي .

(٢) في (س) : « للسلطان » .

* الوافي : ٤٣٦/١٥ ، والطالع السعيد : ٢٥٤ ، والدرر : ١٦٤/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠١/٩ .

ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى مَنْ أَمَاته ويُحْييه ، ويسكنه الجنان ويُحَيّيه .

وتوفي رحمه الله تعالى بسمهود في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في سنة ثمان وخمسين وست مئة .

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي رحمه الله : وأنشدني لنفسه :

لـ(ما) في كلام العُرْب تسعةُ أوجه ... تَعَجَّبْ وَصِفْ منكورةً وانْفِ واشْرُط

وصلْها ، وزِدْ ، واسْتُعْمِلَتْ مَصْدريّةً ... وجاءت للاستفهام والكفّ فاضبط

قلتُ : قد جمع بعضُ الأفاضل هذه التسعة في بيت وهو :

تعجّب بما اشرط زد صل انكرهُ واصفاً ... وتستفهم انفِ المصدريّة واكففا

ومن شعر تقي الدين يَمْدحُ سيدنا رسول الله ﷺ :

أضاء النور وانقشع الظلامُ ... بمولد مَنْ لَهُ الشرفُ التَّمَامُ

ربيعٌ في الشهور له فخارٌ ... عظيم لا يُحَدُّ ولا يرامُ

به كانت ولادةُ مَنْ تَسامت ... به الدنيا وطاب بها المقامُ

نبيٌّ كان قبل الخلق طرّاً ... تَقَدَّم سابقاً وهو الختامُ[1]

وله في العروض أرجوزة .

٧٣١ ـ سليمان بن موسى بن أبي العلاء*

الشيخ الصالح صفي الدين أبو العلاء الصّوفي الكاتب .

كان سَامرياً ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه ، ثم إنه أقام عند الصوفية سنين ، وكان يباشر شيئاً من وَقْفهم ، ويعمل الحساب مع العامل لأنه كان فيه ماهراً وعارفاً خبيراً إلى الغاية ،

(١) أوردها الأدفوي في الطالع السعيد .

* لم نقف على ترجمة له .

وله مقدمة في صناعة الحساب والديوان وما يحتاج ، وباشر عدة جهات وحصّل أموالاً ، وكان قد أسلم في الدولة الأشرفية .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشري شوال سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

٧٣٢ ـ سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح*

الشيخ الإمام الفقيه المفتي القدوة الزاهد العابد القاضي الخطيب صدر الدين أبو الفضل القرشيّ الجعفري الحوراني الشافعي صاحب النووي .

قدم دمشق مراهقاً ، وحفظ القرآن بمدرسة أبي عمر على الشيخ نصر بن عبيد ، ورجع إلى البلاد ، ثم قدم بعد [سبع][1] سنين ، وتفقه بالشيخ تاج الدين[2] ، وبالشيخ محيي الدين[3] ، وأتقن الفقه وأعاد بالناصرية وناب في القضاء لابن صَصْرى مدة ، ولاه ابن صصرى نيابته في ثالث ذي القعدة سنة ست وسبع مئة عوضاً عن القاضي جلال الدين القزويني لما ولي خطابة الجامع الأموي ، وولي خطابة العُقيبة واكتفى بها .

وكان أولاً خطيباً بداريّا ، يدخل دمشق على بهيم[4] ضعيف . وحدث عن أبي اليسر والمقداد القيسي[5] ، وناب عن ابن الشريشي[6] في دار الحديث . وكان مفرطاً في اتضاعه ، على سمو قدره في العلم وارتفاعه ، لم يغير ثَوْبَه القطني ولا عمامته الصغيره ، ولا رأى أحدّ في الحكم نظيره ، إذا رأى أن الغريم ضعيف لا يقدر على أجرة رسول

* الوافي : ٤٣٨/١٥ ، وفوات الوفيات : ٨٢/٢ ، والبداية والنهاية : ١٢٠/١٤ ، والدرر : ١٦٥/٢ ، والدارس : ٣٥٦/١ .

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) الفزاري .

(٣) النووي .

(٤) البهيم : نوع من الخيل .

(٥) هو المقداد بن هبة الله بن علي القيسي (ت ٦٨١ هـ) . العبر : ٣٣٦/٥ ، وفي س : المقداد والقيسي ، وهو سهو .

(٦) كمال الدين أحمد بن محمود ، سلفت ترجمته .

القاضي سعى هو بنفسه إليه وسمع جوابه ، فأين يجد الناس هذا العِلْم أو هذا التقاضي ، وربما توجه بنفسه إلى الشاهد وسمع شهادته وآثر بذلك فائدته وإفادته .

وعَيّنه الأمير سيف الدين تنكز للاستسقاء بالناس فاستسقى بهم ، ورُحِمَ به العالم في ساعة الإبلاس .

ولم يزل على حاله إلى أن نزلت على الداراني الدائره ، ولحق بالأمم الخالية السائره .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بقرية بسرَّى[١] من السواد[٢] سنة اثنتين وأربعين وست مئة ، وكانت جنازته حفلة[٣] إلى الغاية .

وكان يذكر نسبه إلى جَعْفَر الطيّار يَعُدّ بينه وبينه ثلاثة عشرة اسماً .

وكان لا يدخل الحمام ولا يتنعم في مأكل ولا ملبس ، وأظنه كان يجيد اللعب بالشطرنج ، والله أعلم .

٧٣٣ ـ سليمان القاضي*

علم الدين التركماني الحنفي قاضي حماة .

أقام بحمص مدة مدرساً ، ثم إنه نقل إلى قضاء حماة بعد وفاة القاضي نجم الدين بن العديم .

---

(١) في الوافي : « بشري » ، وفي الفوات : « بصرى » ، ولعلها المعروفة اليوم (بصر الحرير) ، من أعمال حوران قرب (إزرع) .

(٢) في حاشية الفوات مانصه : يعني بالسواد المنطقة القريبة من البلقاء .

(٣) في (س) : « حافلة » .

* الدرر : ١٦٩/٢ .

وكان يعرف القراءات ، وله مشاركة في العلم .

توفي رحمه الله تعالى في مستهل شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

اللقَبُ والنَسَبُ

☆ **ابن سَلاَمة** : قاضي القضاة المالكي أحمد بن سلامة .

السنباطي : قطب الدين محمد بن عبد الصمد .

٧٣٤ ـ سنجر*

الأمير الكبير العالم المحدّث أبو موسى الأمير علم الدين التركي البرلي[١] بالباء الموحدة والراء واللام ، الدَواداري .

قدم من الترك في حدود الأربعين وست مئة . وكان شكله مليحا ووجهه صبيحا ، خفيف اللحيه ، رَبْعَة من الرجال في البنيه ، صغير العَيْن ، صناع اليدين ، حسن الخَلق ، سَهْل الخُلق ، شجاعاً فارسا ، مجادلاً لأهل العلم مُمَارسَا ، خيّرا ديّنا ، كاملاً صيّنا[٢] ، مليح الكتابه ، سريع الإقبال والإجابه ، يحفظ الكتاب العزيز ، ويؤثر تلاوته على الإبريز ، فيه اصطناع للفضلاء ، وتقديمٌ للنبلاء ، أنشأ جماعة من الأفاضل وقدّم زمرة ممن يناظر أو يناضل .

ولم يزل على حاله إلى أن انجرَّ الموت إلى[٣] سَنْجَر ، وأصبح من تحت التراب والمحجَر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة في شهر رجب بحصن الأكراد ، ودفن هناك .

---

* الوافي : ٤٧٩/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٧ ، والعبر : ٣٩٩/٥ ، والشذرات : ٤٤٩/٥ ، والدارس : ٤٩/١ ، والمنهل الصافي : ٦٨/٦ ، والنجوم : ١٩٣/٨ ، وعقد الجمان : ١١٤/٤ ، وتذكرة النبيه : ٢٢٩/١ .

(١) في المنهل ، وعقد الجمان : « البرنلي » .

(٢) في الأصل : « هيّنا » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في (س) : « على » .

وكان قد التجأ في الكسرة أيام غازان[١] إليها .

ومولده سنة نيف وعشرين وست مئة .

قرأ القرآن على الشيخ جبريل الدلاصي وغيره ، وحفظ (الإشارة) في الفقه لسُلَيْم الرازي[٢] ، وحَصَل له عناية بالحديث وسماعه سنة بضع وخمسين ، وسمع الكثير ، وكتب بخطه وحصّل الأصول .

وخرّج له المزّي جُزْأين[٣] عوالي . وخرّج له البرزالي (معجماً) ضخماً في أربعة عشر جزءاً ، وخرّج له ابن الظاهري قبل ذلك شيئاً .

وحج مرات . وكان يُعْرَفُ عند المكّيين بالسّتوري ، لأنه أول من سار بكسوة للبيت بعد أخذ بغداد من الديار المصرية ، وقبل ذلك كانت تأتيها الستور من الخليفة . وحج مرّة هو واثنان على الهجن من مصر .

وكان أميراً في الأيام الظاهرية ، ثم أعطي أمريّة بحلب ، ثم قدم دمشق ، وتولى شد الدواوين مدة ، ثم كان من أصحاب سُنقر الأشقر ، ثم أمسك ، ثم أعيد إلى رتبته وأكثر ، وأعطي خبزاً وتقدمةً على ألف في أيام الأشرف ، وجُعل مشدّ الدواوين بالقاهرة في ذي القعدة سنة أحدى وتسعين وست مئة ، وتنقلت به الأحوال وعَلَتْ رتبته في دولة الملك المنصور حسام الدين لاجين ، وقدّمه على الجيوش في غزوة سيس .

وكان لطيفاً مع أهل الصلاح والحديث ، يتواضع لهم ويؤانسهم ويحادثهم[٤]

---

(١) يريد « وقعة غازان » . انظر أخبارها في البداية والنهاية : ٦/١٤ .

(٢) سليم بن أيوب أبو الفتح (ت٤٤٧ هـ) ، السير : ٦٤٥/١٧ ، واسم كتابه : الإشارة في الفروع ، الكشف : ٩٨/١ .

(٣) في الأصل : جزء ابن ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في (س) : « ويجادلهم » .

ويصلهم ، وله معروف كثير وأوقاف بالقدس ودمشق ، وكان مجلسه عامراً بالعلماء والشعراء والأعيان .

وسمع الكثير بمصر والشام والحجاز ، وروى عن الزكي عبد العظيم[١] ، والرشيد العطار ، والكمال الضرير[٢] ، وابن عبد السلام ، والشرف المرسي ، وعبد الغني بن بَنيْن[٣] ، وإبراهيم بن بشارة[٤] ، وأحمد بن حامد الأرتاحي[٥] ، وإسماعيل بن عزّون[٦] ، وسعد الله بن أبي الفضل التنوخي ، وعبد الله بن يوسف بن اللمط[٧] ، وعبد الرحمن بن يوسف المنبجي ، ولاحق الأرتاحي[٨] ، وأبي بكر بن مكارم[٩] ، وفاطمة بنت الملثّم بالقاهرة ، وفاطمة بنت الحزّام الحميريّة بمكة ، وابن عبد الدايم ، وطائفة بدمشق . وهبة الله بن زُوَين ، وأحمد بن النحاس[١٠] بالإسكندرية ، وعبد الله بن علي بن معزوز ، وبمنية بني خصيب ، وبأنطاكية ، وحلب ، وبعلبك ، والقدس ، وقوص ، والكرك ، وصفد ، وحماة ، وحمص ، وينبع ، وطيبة ، والفيوم ، وجدّة ، وقلّ من أنجب من الترك مثله وسمع من خلق .

وشهد الوقعة وهو ضعيف ، ثم التجأ بأصحابه إلى حصن الأكراد فتوفي به هناك ، هذا ما أخبرني به شيخنا الذهبي عنه .

---

(١) هو عبد العظيم بن عبد القوي ، زكي الدين المنذري (ت٦٥٦ هـ) . العبر : ٢٣٢/٥ .

(٢) هو علي بن شجاع بن سالم الهاشمي ، شيخ القراء . (ت٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٦/٥ .

(٣) عبد الغني بن سليمان بن بنين المصري الشافعي ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .

(٤) في المنهل : « إبراهيم بن نجيب » .

(٥) هو أحمد بن حامد بن أحمد الأرتاحي الحنبلي . (ت٦٥٩ هـ) . العبر : ٢٥٣/٥ .

(٦) هو إسماعيل بن عبد القوي بن عَزّون الأنصاري المصري . (ت٦٦٧ هـ) . العبر : ٢٨٦/٥ .

(٧) توفي سنة (٦٥٧ هـ) . الشذرات : ٥٨٩/٥ ، والعبر : ٢٣٩/٥ .

(٨) هو لاحق بن عبد المنعم بن قاسم الأنصاري الأرتاحي . (ت٦٥٨ هـ) . العبر : ٢٥١/٥ .

(٩) هو أبو بكر بن علي بن مكارم بن فتيان الأنصاري . (ت٦٦٠ هـ) . العبر : ٢٦٢/٥ .

(١٠) توفي سنة (٦٧١ هـ) . الشذرات : ٢٣٣/٥ .

وأمّا ما أخبرني به شيخنا أبو الفتح من لفظه ، وكان به خصيصاً ينام عنده ويسامره ، قال : كان الأمير علم الدين قد لبس بالفقيري وتجرّد وجاور بمكة ، وكتب الطباق بخطه ، وكانت في وجهه آثار الضروب من الحروب ، وكان إذا خرج إلى غزوة خرج طُلْبه وهو فيه إلى جانبه شخص يقرأ عليه جزءاً من [1] أحاديث الجهاد ، وقال : إنّ السلطان حسام الدين لاجين رتّبه في شدّ عمارة جامع ابن طولون ، وفوّض أمره إليه ، فعمرّه وعمّر وقوفه ، وقرّر فيه دروس الفقه والحديث والطب ، وجَعَل من جملة ذلك وقفاً يختص بالديكة التي تكون في وسط سطح الجامع في مكان مخصوص بها ، وزعم أن الديكة تُعَين الموقّتين وتوقظ المؤذنين في السَحَر ، وضمّن ذلك كتاب الوقف ، فلما قُرئ على السلطان أعجبه ما اعتمده في ذلك ، ولما انتهى إلى ذكر الديكة أنكر ذلك ، وقال : أبطلوا هذا ، لا يضحك الناس علينا .

وكان سبب اختصاصه بفتح الدين أنه سأل الشيخ شرف الدين الدِّمْيَاطي عن وفاة البخاري فما استحضر تاريخها ، ثم إنه سأل أبا الفتح عن ذلك فأجابه ، فحظي عنده وقرّبه ، فقيل له : إن هذا تلميذ الشيخ شرف الدين فقال : وليكن .

قلت : وغالب رؤساء دمشق وكبارها وعلمائها نشؤه .

وجمع الشيخ كمال الدين الزملكاني مدائحه في مجلدتين بخطه أو واحدة .

وكتب إليه علاء الدين الوداعي يعزيه في ولد اسمه عُمَر ، ومن خطه نقلتُ :

قل للأمير وعزه في نجله ... عُمَرَ الذي أجرى الدموع أجاجا
حاشاك يُظلِمُ رَبْعُ صَبْرك بَعْدَ مَنْ ... أمسى لسكان الجنان سراجا

وقال فيه ، ومن خطه نقلتُ :

---

(١) في (س) ، والوافي ، والمنهل : « فيه » .

عَلَم الدين لم يزل في طلاب العلـ ... م والزهد سائحاً رحّالاً
فترى النـاس بين راوٍ وراءٍ ... عنده الأربعين والأبدالا

وقال لما أخذ له[١] في دُوَيْرَة السميساطي بيتاً :[٢]

لِدُوَيرة الشيخ السُميسَاطيّ من ... دون البقاع فضيلة لا تُجَهلُ
هِيَ موطنٌ للأولياء ونزهةٌ ... في الدين والدنيا لمن يتأمّلُ
كَمُلَتْ مَعَاني فضلها مذحلّها الـ ... ـعَلَمُ الفريد القانتُ الْمُتَبَتّلُ
أني لأُنْشِدُ كُلَّما شاهَدْتُها ... ما مِثْلُ مَنْزِلَةِ الدوَيْرة منزلُ

وأنشدني إجازةً الحافظ شيخنا الفريد فتح الدين قال : أنشدني علم الدين الدواداري لنفسه :

سَلُوا عن موقفي يوم الخميس ... وعن كَرّات خيليَ في الخميس
شَرِبْتُ دَمَ العِدى وروِيْتُ منه ... فشُربي منه لا خَمْر الكؤوس
وجاورْتُ الحجازَ وساكنيه ... وكان البيتُ في لَيْلي أنيسي[٣]
وأَتْقَنْتُ الحديثَ بكُلِّ قُطْرٍ ... سَماعاً عالياً ملءَ الطُّروس
أُباحِثُ في (الوسيطِ) لِكلِّ حَبْرٍ ... وأُلقى القَرم في حَرِّ الوَطيس[٤]
فكم لي من جِلادٍ في الأعادي ... وكم لي من جِدالٍ في الطُّروس[٥]

---

(١) ليست في الوافي .
(٢) الأبيات في الدارس : ٥٢/١ و ١٢٦/٢ .
(٣) في عقد الجمان : « الليل » .
(٤) في (س) ، والوافي ، وعقد الجمان : « القوم » . وفي الأخير : « الخبر » تصحيف .
(٥) في عقد الجمان : « في الدروس » .

٧٣٥ ـ سنجر الجمقدار*

الأمير علم الدين سنجر .

كان أحدَ مُقدَّمي الألوف أُمراءِ المئين . وكان من جُملةِ المشايخ أمراءِ الْمَشْوَر الذين يجلسون بحضرة السلطان .

شَيخٌ قد أنقى[١] ، وقاربَ ورودَ ما هو أبقى ، عظيمُ الجثّةِ طُوالا ، أعجميٌّ اللسانِ لا يُجيبُ سؤالا ، سليمُ الصَّدرِ ، كبيرُ الْمَنْزِلَةِ في الدولةِ عالي القَدْرِ .

نقله السلطان من مصر إلى الشام ، وأتى به فجمَّلَ دمشق لَمّا دخلها منشورةَ[٢] الأعلام . وكان هو أتابك العسكر ، وصاحبَ الرَّخْتِ الذي لا يُنْكَر .

وكان له بَرْكٌ هائِل ، وعَزْمٌ في المواكب والحروب جائل .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن انتهى أمَدُه ، ومال من الحياة عَمَدُه .

وتوفي رحمه الله تعالى ...[٣] .

وكان قد أخرجه السلطان ، من مصر في سابع شعبان ، سنة ثلاثين وسبع مئة على خُبْزِ الأمير سيف الدين بهادرآص .

٧٣٦ ـ سنجر الأمير علم الدين الدُّمَيْثري**

بضم الدال المهملة وفتح الميم وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ثاء مثلثة وراء .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس سابع المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

---

* الدرر : ٢/١٧٣ .

(١) أي ضَعُف .

(٢) في (س) : « منشور » .

(٣) في الدرر : « سنة / ٧٤٥ / وقد أسنّ وارتعش » .

** لم نقف على ترجمة له .

٧٣٧ ـ سنجر الأمير علم الدين*

نائب قلعة دمشق المعروف بأرْجُواش ، بهمزة مفتوحة وراء ساكنة وجيم مضمومة أو مفتوحة وواء بعدها ألف وشين معجمة .

له مآنَةٌ على أهل دمشق لا بل على أهل الشام ، ونِعْمَةٌ لا ينكرها إلا مَن انتجعَ بَرْقَ الْمُكابرة أو شام ، فإنه ضبط القلعةَ في أيام غازان ، وأخذ بما صان أمْرَها وزان ، وتَثبَّت في عَدم تسليمها ، ومدَّ أظافيرَ[1] الْمُناوشة لهم ولم يَخْشَ مِنْ تقليمها ، وصَبَرَ على الْمُحاصرة ، ولم يَجْنَح إلى الْمُكاشرة والْمُكاسرة[2] ، وأقامَ قياماً يشكره الله له يومَ القيامه ، وحقنَ دماءَ المسلمين بما عنده من العزيمة القويّة والصَّرامه . وقيل : إنَّ ذلك كان بمعاونة قَبْجَق له في الباطن ، وملاحظته لذلك في الحال الساكن . وأيّاً ما كان فله فيه الفضل الأوفى ، والثناءُ المستوفى .

ولم يزل على حاله إلى أن أسلمه حِصْنُه للمنايا ، وتحكّمت فيه يَدُ الرزايا .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة السبت ثاني عشري الحجة سنة إحدى وسبع مئة ، وحضر جنازتَه نائبُ السلطنة والأمراءُ والأعيان . ودُفن في جبل قاسيون .

كان نائبَ القلعة في[3] أيام أُستاذه الملك المنصور ، ولم يخرج مُدّةَ ولايته من القلعة ، ولا سيَّر . وقيَّده الأشرفُ وألْبَسه عباءةً ليقتله ، ثم عفا عنه وخلع عليه ، وذلك في سنة تسعين وست مئة ، وأعاده إلى النيابة ، وكان ذلك بعد عَوْدِ الأشرف من عكا .

ولما اعتمد ما اعتمده في أمر القلعة أيام غازان عظُم في النفوس ، وكان التَّتارُ قد

---

* الدرر : ١٧٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٠/١٤ .

(١) في (س) : « أظافر » ، وهو غلط .

(٢) في (س) : « ولا المكاسرة » .

(٣) في (س) : « من » .

طلعوا فوق سُطوح دارِ السعادة ، وتسلَّطوا على القلعة ورَمَوْها بالنُّشَّاب ، فرمى عليهم قواريرَ النَّفط ، فاحترقت الأخشاب ، وسقطت بهم السقوفُ في النار ، وفعل ذلك بالعادليّة ودارِ الحديث الأشرفية .

وكان عبد الغني بن عروة[1] الفقير يحكي عنه حكايات تدلُّ على سلامة الباطن ، وقد أوردتُ منها جانباً في ترجمة عبد الغني المذكور في حرف العين مكانه .

٧٣٨ ـ سنجر الأمير علم الدين الجاولي*

بالجيم : كان أميراً كبيراً من أمراء الْمَشْوَر الذين يجلسون في حضرة السلطان ، سمع وروى ، وبزغ نَجْمُه في الفضلِ وما هوى .

وكان خبيراً بالأمور ، مرَّت به تجاربُ الأيام والدهور ، عارفاً بسياسةِ الْمُلك وتَدْبيره ، وفَصْلِ حاله وتحريره . وَلِيَ عِدَّةَ ولايات من نيابات وغيرها ، وكان فيها كافياً عارفاً بِسَبْرها . وهو الذي مدَّن غزَّةَ ومصَّرها ، وفتح عَيْنَها وبَصَّرها ، لأن الجاولي جاء وليّاً في حِماها ، فعظَّم شأنها بولاية وحَمَاها ، وعمَّر بها قصراً للنيابة ، فسيحَ الأرجاء ، شاهِقَ البناء ، عالي[2] الثناء ، وعمَّر بها حماماً اتَّسعَ فضاؤه ، وارتفع سماؤه ، وتأرَّج هواؤه ، وتموَّج ماؤه ، وتفنَّن في الْحُسن بنّاؤه ، وزهرت نجوم جاماته ، وبَهَرت مِن رُخامه زَهَراتُ خاماته . ثم إنه في النيابة الثانية عمَّر بها جامعا ، لأنواع المحاسن جامعا ، وبَرْقُه يُرى في سماء الإتقان لامعا ، تَسْفُل الثريا عن أهلَّةِ مئذنته الْمُترفِّعه ، وتَبْهت عيون النجوم في محاسن محرابه المتنوعه .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يذكرُ أصحابه في مَغيبهم ، ويوفِّرُ من إحسانه قَدْرَ

(١) ابن عبد الصمد ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٤٨٢/١٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٩/١٠ ، ووفيات ابن رافع : ٤٩٨/١ ، والدرر : ١٧٠/٢ ، والشذرات : ١٤٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٧٤/٦ ، وتذكرة النبيه : ٧٥/٣ .

(٢) في (س) : « صادق » .

نصيبهم ، ويُكرمُهم إذا حضروا ، ويتمنَّاهم إذا سافروا ، ويَسْتَجليهم إذا سَفَروا . انتفع به جماعةٌ من الكُتّاب والعلماء ، وزُمْرَةٌ من الكبراء والأمراء .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء وليُّ الموت إلى الجاولي فتلقاه بالكرامه ، وراح إلى الله على طريق السلامه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ودُفن بتربته التي على الكبش[١] ظاهر القاهرة ، وأسند وصيَّتَه إلى الأمير سيف الدين العلائي[٢] . وكانت جنازته حفِلَةً إلى الغاية .

وفي أول أمره كان نائباً في الشوبك ، ثم إنه نُقل منها ، وجُعل أميراً في أيام سلاّر والجاشنكير . وكان يعمل الأُستاذ داريّة للسلطان الملك الناصر محمد ، وكان يدخلُ إليه مع الطعام ويخرجُ على العادة .

وكان يُراعي مصالح السلطان ويتقرَّب إليه ، فلَمّا حضر من الكرك جهَّزه إلى غزة نائباً في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة عوضاً عن سيف الدين قُطْلقْتمر[٣] صهر الجالق بعد إمساكه ، وأضاف إليه الحديث في الساحل والقدس وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ[٤] وأقطعه إقطاعاً هائلاً ، كانت إقطاعات مماليكه تعمل عشرين ألفاً وخمسة وعشرين ألفاً وأكثر . وعمل نيابة غزة على القالب الجائر ، وكان القاضي كريم الدين الكبير يرعاه ، وكذلك القاضي فخر الدين ناظر الجيش . وكانت مكاتباتهم ما تنقطع عنه في كل جمعة ، بل مع كل بريد .

وكان له إدْلال على الكبار ، فوقع بينه وبينه الأمير سيف الدين تنكز ، فتراسل

---

(١) عبارة الوافي : « التي بالكبش على بركة الفيل » .

(٢) في (س) والوافي : « أرغون العلائي » .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) في (س) : « عليه السلام ونابلس » .

عليه هو والقاضي كريم الدين الكبير ، فأمسكه السلطان في ثامن عشري شعبان سنة عشرين وسبع مئة ، فاعتُقل قريباً من ثماني سنين ، ثم أفرج عنه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة أو في سنة تسع وعشرين ، وأمَّره أربعين فارساً مُدَيْدة ، ثم أمَّره مئة ، وقدَّمه على ألف ، وجعله من أمراء الْمَشْوَر .

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي السلطان الملك الناصر محمد ، وكان هو الذي تولَّى غَسْلَه ودَفْنَه .

ولما تولَّى الملك الصالح إسماعيل جهَّزه إلى حماة نائباً ، فأقام بها مدة تقارب ثلاثة أشهر ، ثم رسم له بنيابة غزة ، فحضر إليها وأقام بها مُدَّةً تُقارب مُدَّةَ نيابة حماة ، ثم طُلب إلى مصر على ما كان عليه . وفي هذه النيابة لغزة شرع في عمارة الجامع بغزة وكمَّله لما كان في مصر ، ولَمّا كان في النيابة الأولى عمَّر ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام جامعاً ، سقفه منه حجر نقر ، وعمَّر بغزة حمّاماً هائلاً ومدرسة للشافعية ، وعمَّر خاناً للسَّبيل بغزة ، وعمَّر الخان العظيم الذي في قاقون[1] . وهو الذي مدَّن غزة ، وبنى بها بيمارستاناً ، ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافاً جليلة ، وجعل النظر فيها لنُوَّاب غزة ، وعمَّر بغزة الميدان والقصر ، وبنى الخان بقرية (الكتيبة) ، وبنى القناطر بغابة أرسوف[2] . وهو الذي بنى خان سلاّر الذي في حمراء بيسان ، وله التّربةُ المليحة الأنيقة التي بالكبش ، وجدَّد إلى جانبها عمارة هائلة ، وكلٌّ عمائره طريفةٌ أنيقة مليحة متقنة محكمة .

ولَمّا خرج نائب الكرك من مصر لنيابة طرابلس فوَّض إليه السلطان النظر على البيمارستان المنصوري .

---

(١) في الأصل : « القابون » ، تحريف . وأثبتنا ما في (س) والوافي . وقاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة . معجم البلدان : ٢٩٩/٤ .

(٢) مدينة بين قيسارية ويافا . معجم البلدان : ١٥١/١ .

وآخر مَن توجَّه إلى الكرك لحصار الناصر أحمد الأمير علم الدين الجاولي ، وجلس في الحصار على عادة مَن تقدَّمه ، فلما كان في بعض الأيام طلع الناصر أحمد من القلعة وشيّخه وسبّه وأساء عليه الأدب ، فقال الجاولي : نعم أنا شيخ نحس ، ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ النحس ، ونقل المنجنيق من مكانه إلى مكان يعرفه ، ورمى به ، فلم يُخطئ القلعة ، وهدم منها جانباً ، وطلع العسكر منه إليها ، وأُمسك أحمد قبضاً باليد ، وذُبح صبراً ، وجُهِّزَ رأسُه إلى الصالح .

ولما خرج[1] الأمير علم الدين الجاولي إلى دمشق في أيام سلاّر والجاشنكير لم يقدر سلاّر على ردّه لأجل البرجية[2] ، وكان الجاولي ينتمي إلى سلاّر ويحمل رَنْكَه ، وفي هذه المرة اشترى داره بدمشق التي هي الآن قُبالةَ الجامع التنكزي من جهة الشمال ، ووقع بينه وبين تنكز بسببها ، فإنه أراد مُشتراها منه ، فما سمح له بذلك .

وقد وضع الأمير علم الدين شرحاً[3] على (مسند الإمام الشافعي) - رضي الله عنه -، وكان آخر وقت يُفتي ويَخْرجُ خَطُّه بالإفتاء على مذهب الشافعي .

وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة أو في سنة تسع وعشرين وسبع مئة[4] .

٧٣٩ - سنجر الخازن*

الأمير علم الدين الأشرفي .

---

(١) في (س) والوافي : « أخرج » .

(٢) عبارة الوافي : « ردّ البرجيّة عنه » .

(٣) جمع فيه بين شرحي الرافعي وابن الأثير بلفظها ، كما في الدرر ، وانظر الكشف : ١٦٨٣/٢ .

(٤) زاد في (س) ههنا ما نصّه : « وكان إذا رأى للشافعي نصاً ، وقف عنده ولا يتعدّاه ، وإنْ أوّله من أصحابه كلّ مَن بعده . فهو ظاهري بين الشافعية ، جَلدٌ لم يُر عندي يفري فريّة ، ولذلك ارتكب في التراويح مطيّة شنعا ، واضطرب وكان يأمر بأمر يخلط به رمضان بشعبان والأشهر جمعا » .

* الدرر : ١٧٢/٢ ، وفيه السروري ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٥/٩ .

كان الأمير علم الدين هذا فيه حِشْمه ، وله ثَروةٌ زائدة ونعمه . يصحبُ الأفاضل ، ويحبُّ كُلَّ مُناظر ومُناضل ، تنقَّلَ في الْمُباشرة من الشَّدِّ إلى ولاية القاهره ، وربوعُ الثناءِ عليه في كلِّ عامِره . له ذوقٌ وفَهْم ، وعِنده صِدْقُ حَدْسٍ لا يُخطئ العَرْضَ له سهم .

ولم يزل على حاله إلى أن طُويت صحيفة عُمْره ، وفرغ الأجَلُ من أمره .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة السبت ثامن جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

وكان السلطان قد ولاّه شدَّ الدواوين مع الصاحب أمين الدين ، وكان يُغري بينهما ، ويوقع فيما بينهما ، ويقول لهذا : أنا ما أعرف إلا أنت . ويقول لهذا كذلك ، ولكن كان هذا علم الدين رجلاً عاقلاً ، وفيه سياسة ، وعزله من الشِّدِّ ، وولاّه القاهرة ، فتولاها وأحسَنَ إلى الناس ، ثم عزله في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وولى الأمير سيف الدين قُديدار[1] مكانه ، فوجد الناس في أول ولايته شِدَّةً ، ثم لان جانِبُه .

وأظن أن الخازنَ كان قد أُمسك هو وبكتمر الحاجب وأيدغدي شقير وبهادر المعزّي في سنة خمس عشرة وسبع مئة ، والله أعلم .

٧٤٠ ـ سنجر الألفي*

الأمير علم الدين ، أحدُ الأمراء بدمشق .

كان قد ولي نابلس .

---

(١) ستأتي ترجمته .

* الدرر : ١٧٢/٢ .

وتوفي فجأة بالْحُسينيّـة من وادي بردى في أوائل جمـادى الآخرة سنـة ثلاث عشرة وسبع مئة .

٧٤١ ـ سنجر مجد الدين*

الطبيب ببغداد ، غلامُ ابنِ الصَّباغ .

كان طبيباً فاضلاً ، مَهَر في الطِّبِّ وتقدَّم فيها وفي كتابة الدواوين ونظرها . وَلِيَ نظرَ المدرسةِ النِّظاميّة وغيرها ، وحصَّل أموالاً جمَّة ، وكان لا يمشي إلى المريض إلا بأُجرةٍ وافرة نحو ستة دراهم وأكثر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة .

٧٤٢ ـ سنجر الأمير علم الدين المصري**

أحد أمراء دمشق .

تـوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في يـوم الأربعـاء سـابع عشر جمـادى الآخرة سنـة سبع وتسعين وست مئة .

قيل : إنَّه غَصَّ بشربة من الْمُسكر ـ عفا الله عنه وسامحه ـ .

٧٤٣ ـ سنجر بن عبد الله الناصري***

الأمير علم الدين ، أحد أمراء الشام .

كان أميراً مَهيباً مشهوراً بالعقل والسكون ، شجاعاً مقداماً معروفاً بكثرة الجهاد ، ملازماً لما هو بصَدَدِه ، قليلَ الدُّخولِ فيما لا يعنيه .

---

* الدرر : ١٧٣/٢ .

** لم نقف على ترجمة له .

*** سلك الدرر : ٨٥٠/٣/١ ، وفيات (٦٩٧ هـ) .

أصابه زيار[١] في حصار بلاد سيس في رُكبته ، فكسر العظم ، فَحُمل إلى حلب ، فمات في الطريق ، وحمل ميتاً ، ودُفن بالمقام ظاهرَ حلب .

وذلك في شهر رمضان سنة سبع وتسعين وست مئة .

وكان قد روى الحديث عن سِبْطِ السِّلفي . قال شيخنا علم الدين : سمعنا منه (جزء موافقات) الدهلي .

٧٤٤ ـ سنجر الأمير علم الدين المنصوري*

أحد أمراء دمشق .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في المحرم سنة سبع وسبع مئة ، ودُفن بالصالحية .

وكان من أمراء طرابلس ، فنُقل إلى دمشق ، وسكن بالدِّيماس ، وأقام بها شهرين [وتوفي][٢] رحمه الله تعالى .

٧٤٥ ـ سنجر الأمير علم الدين الحمصي**

تنقَّل في الولايات ، وتوقَّل[٣] في ذُرا النيابات ، وباشر في مصر والشام ، وتجمَّلت به الليالي والأيام . وكان ذا عفَّة وأمانه ، وحُرمة وصَرامة وصيانه ، تُخلَّصُ الحقوق في أيامه ، ويخشى المباشرون من نَقْضه وإبْرامِه .

ولم يزل على حاله إلى أن عُزل من[٤] الحياه ، ونُودي عليه بالصلاه .

(١) هو اللولب أو حبل المنجنيق .

* الدرر : ١٧٣/٢ .

(٢) زيادة من (س) .

** الوافي : ٤٨٤/١٥ ، والدرر : ١٧٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٧٩/٦ .

(٣) أي : صعد .

(٤) في (س) : « عن » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وكان قد نُقل من دمشق إلى طرابلس ، فتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ولم يدخلها .

وكان قد باشر نيابةَ الرَّحبة ، فأحسن إلى أهلها ، وأنفق فيهم مُستحقاتهم كاملة ، وحمل منها إلى دمشق مئة ألف درهم في عام واحد ، وهذا أمرٌ لم نعهده في غير أيامه ، بل دائماً يُحمل من دمشق المال إلى الرحبة .

ثم إنه جُهّز لشد الدواوين بحلب . ثم إنه طُلب إلى مصر ، وجُعل مُشدّاً مع الأمير علاء الدين مغلطاي الجمّالي الوزير ، ثم خرج إلى طرابلس مُشدّاً ، ثم توجَّه إلى حلب ، ثم طلب لشدّ الدواوين بمصر ، فأقام بها مدة ، وسلَّم السلطان إليه الأمير بدر الدين لؤلؤ ، فعاقبه ، ثم أُخرج إلى دمشق ، وأقام بها مدة .

ثم إنه استعفى من شَدّ الدواوين بدمشق ، وخرج إقطاعُه لابن أيدغمش نائب دمشق ، فتوجه منها إلى طرابلس ، فمات قبل الدخول إليها .

٧٤٦ ـ سنجر الأمير علم الدين البرواني*

أحد أمراء الطبلخاناه بالديار المصرية .

وكان شجاعاً شهماً .

توفي فجأة في الحمّام في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في القرافة .

٧٤٧ ـ سنجر الأمير الكبير علم الدين الزَّراق**

كان من جُملة أمراء دمشق ، وكان يسكن بدار « فلوس » التي اشتراها الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ وبناها وسمّاها بدار الذهب .

* الدرر : ١٧٣/٢ .
** الدرر : ١٧٣/٢ .

كان الأمير علم الدين قد توجه إلى الرحبة مجرّداً ، فتوجَّه وعاد ومرض ومات - رحمه الله تعالى - في رابع عشري شعبان سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

٧٤٨ - سنجر الطُّرَقْجي*

الأمير علم الدين ، أحد الأمراء بدمشق .

كان ممّن قدَّمه الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - وأطنب في شكره وغالى ، وكان ينتقل من الشَّدّ إلى غيره ، ويعرض عنه ، ثم يعود به إلى مدارج طيره .

ولم يزل معه إلى أن غضب عليه غضبة مضريّه ، هتك فيها الْحُجبَ الشَّمسية والقمريه[1] ، وأبعده إلى طرابلس فكان فيها حَتْفُه ، ورُغم بالموت بها أَنْفُه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - حادي عشري جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ونقله ولده الأمير علي في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة إلى دمشق ، ودفنه في تربته بالقبيبات .

كان قد نقل من ولاية البلد إلى شد الدواوين في خامس شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وعُوِّض عنه في الولاية بصارم الدين إبراهيم الجوكنداري[2] . ثم جهَّزه الأمير سيف الدين تنكز إلى ولاية الولاة بالصفقة القبلية في خامس عشري شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة . وأُعيد إلى الْحُجوبية الأميرُ علاء الدين أوران[3] ، وخلت دمشق مدة أشهر من شدِّ الدواوين .

---

* الدرر : ١٧٣/٢ .

(١) يشير إلى قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضريّة هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

(٢) انظر البداية والنهاية : ٩٣/١٤ .

(٣) كذا ، وأكبر الظن أنه سيف الدين المعروف بحاجب تنكز ، وقد سلفت ترجمته .

الألقاب والنسب

السنجري : الأمير سيف الدين بهادر .

السنجاري : شهاب الدين الخطيب أحمد بن إبراهيم .

٧٤٩ ـ سنقر بن عبد الله الزيني*

الشيخ الإمام المسند الخيِّر المعمِّر علاء الدين أبو سعيد الأرمني القضائي الحلبي .

اشتراه قاضي حلب زين الدين ابن الأستاذ[١] ، وسمع مع أولاده كثيراً ، وكتبوا له في صِغَر[٢] وأنه لا يفهم بالعربي .

ثم سمع في سنة خَمْس ، وما بعدها سمع من الموفّق عبد اللطيف وعز الدين بن الأثير[٣] ، والقاضي بهاء الدين بن شدّاد[٤] ، وابن رُوزبة . وسمع (الثلاثيات) من ابن الزَّبيدي بدمشق ، وسمع ببغداد من الأنجب الحمّامي ، وعبد اللطيف بن القُبيّطي ، وجماعة ، وسمع بمصر من عبد الرحيم بن الطُّفيل[٥] ، وأكثَرَ عن ابن خليل ، وسمع منه (المعجم الكبير) بكماله .

وخرَّج له الشيخ شمس الدين[٦] (مشيخة) ، وخرَّج له أبو عمرو المقاتلي ، وأكثَرَ عنه ابن حبيب وولداه .

---

* الوافي : ٤٩٦/١٥ ، والدرر : ١٧٥/٢ ، والشذرات : ١٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٦ ، وأعلام النبلاء : ٤٩٨/٤ .

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله ، (ت ٦٢٣ هـ) . السير : ٣٠٣/٢٢ .

(٢) في الوافي : « صفر » ، تصحيف .

(٣) علي بن محمد ، صاحب الكامل في التاريخ ، (ت ٦٣٠ هـ) . السير : ٣٥٣/٢٢ .

(٤) في الوافي : « سداد » تصحيف . وهو أبو العز يوسف بن رافع ، (ت ٦٣٢ هـ) . السير : ٣٨٤/٢١ .

(٥) عبد الرحيم بن يوسف ، (ت ٦٣٧ هـ) . الشذرات : ١٨٤/٥ .

(٦) الذهبي ، كما في المنهل .

وعمَّر وتفرَّد في الدنيا ، وسمع الناسُ منه أشياء ، وروى الكثير ، وسُمع منه ما هو عزيزٌ من غيره ، ومنه غزير . وما حدّث ببعض مروياته ، ولا حمل الكُلَّ من كليّاته ولا جزئيّاته .

ولم يزل على حاله إلى أن استقر سنقر في قَعْرِ لَحْدِه ، ولم يكن في ذلك نسيجَ وَحْدِه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس تاسع شوال سنة ست وسبع مئة .

وحدَّث أكثر من ثلاثين[1] سنة ، وتفرَّد بأشياء .

٧٥٠ ـ سنقر الأمير شمس الدين الجمالي*

مملوك الأمير جمال الدين آقوش الأفرم .

أعرفه وهو في جُمْلَةِ البريديّة ، يسافر معنا في خدمة الأمير سيف الدين تنكز . ولما جاء الفخري ، وجرى له ما جرى ، جُعل أخوه سيف الدين بهادر نائباً في بعلبك ، ثم إنه أخذ طبلخاناة بعد موت الفخري فيما أظن .

ولما توفي بهادر المذكور تعصَّب الجراكسة مع أخيه سنقر هذا ، وخلَّصوا له الإمْرَةَ ونيابة بعلبك ، فتوجَّه إليها . ثم إنه حضر في أيام الكامل مَن استخرج من شمس الدين قراسنقر المذكور ميراث سيف الدين بهادر الجمالي منه ، فقام في القضية الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي والأمير فخر الدين أياز ، وشهد له جماعة من أمراء دمشق بأنه أخوه ، وخمدت القضية بعد أن عزل من النيابة ببعلبك ، ثم إنه عاد إليها وباشرها جيداً إلى أن كتب الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى باب السلطان في ولاية الأمير بدر الدين بكتاش المنكورسي نيابة[2] بعلبك ، ونقل شمس الدين سنقر إلى طرابلس ،

(١) في (س) : « أربعين » .

* الوافي : ١٥/٤٩٥ ، والدرر : ٢/١٧٦ .

(٢) في (س) : « بنيابة » .

فورد المرسوم بذلك ، فتوجَّه الأمير شمس الدين سنقر إلى طرابلس ، فأقام بها ضعيفاً تقدير شهرين أو أكثر . ثم إنه قضى ، ومرَّ شخصه وانقضى .

وتوفي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ في أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

٧٥١ ـ سنقر الأمير شمس الدين المنصوري الأعسر*

كان من كبار الأمراء في مصر والشام ، وممن تتجمَّل به الدول والأيام ، عارفاً بما يتحدث فيه ، خبيراً بالكلام الذي يخرج من فيه . وكانت له في الشام صورةٌ كبيره ، وعزمةٌ شهيره ، ومباشَرةٌ للأموال مُثيره .

ركب الأهوال ونُكب ، وسُلب ماله وبين يديه سُكب ، ثم إنه انتصر ، وشَرِهَ في المباشرات وما اقتصر . ونُدب في المهمّات مرّات ، وتولَّى الشدّ كرّات .

ولم يزل إلى أن ثبت إعسارُ الأعسر من حياته ، وأصبح ثَمَرُ روحه في يَدَي جُناته .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وسبع مئة .

كان مملوك الأمير عز الدين أيدمر الظاهري النائب بالشام ، ودَواداره ، وكانت نفسه تكبر عن الدواداريّه . ولما عُزل مخدومُه ، وأُرسل إلى مصر في الدولة المنصوريه ، عُرضت مماليكه على السلطان ، فاختار منهم جماعة ، منها سنقر هذا ، فاشتراه وولاّه نيابة الأستاذ درايه .

---

(١) في طاعون طرابلس ، كما في الوافي .

* الوافي : ٤٩٧/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٨ ، والبداية والنهاية : ٥٧/١٤ ، والدرر= ١٧٧/٢ ، والشذرات : ٢٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٦/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٨/٨ .

وفي سنة ثلاث وثمانين وست مئة أمَّره بالشام[١] ، ورتَّبه في شدِّ الديوان[٢] والأستاذ دارية . وأقام بالشام ، وله سُمعة زائدة وعظمة إلى أن توفي الملك المنصور ، وتولى الأشرف ، فكان في خاطر الوزير شمس الدين بن السلعوس منه ، فطُلب إلى مصر ، وعوقب وصودر ، فتوصَّل بتزويج ابنة الوزير ، وكتب صداقها بألف وخمس مئة دينار ، فأعاده إلى [الحالة][٣] الأولى .

ولم يزل إلى دولة الملك العادل كتبغا ووزارة الصاحب فخر الدين بن الخليلي[٤] ، فقبض على الأمير شمس الدين المذكور وعلى الأمير سيف الدين أسندمر ، وصودرا[٥] وأخذ من الأعسر قريباً من خمس مئة ألف درهم ، وأهانه الوزير غيرَ مرَّة ، وعزله عن الشدّ بفتح الدين بن صَبْرة[٦] ، وتوجَّه الأعسر صحبتهم إلى مصر .

ولما وثب حسام الدين لاجين على كتبغا في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة ، ورسم للأمير سيف الدين قبجق بنيابة الشام ، ولي الأعسر الوزارة وشدَّ الدواوين في شهر رجب سنة ست وتسعين وست مئة ، ثم إنه قُبض عليه[٧] ، ثم وَلِيَ الوزارة بعد ذلك ، وعامل الناسَ بالجميل ، وتوجه لكشف الحصون في سنة سبع مئة أو في آخرها ، ورُتِّب عِوَضَه في مصر عز الدين أيبك البغدادي[٨] . فاستمرَّ الأعسر أمير مئة وعشرة مقدم ألف . وحج صحبة الأمير سيف الدين سلاّر .

وتوفي بمصر بعد أمراض اعترته .

---

(١) عوضاً عن الدواداري علم الدين سنجر . انظر البداية والنهاية : ٣٠٣/١٣ .

(٢) في (س) ، والوافي ، والمنهل : « الدواوين » .

(٣) زيادة من (س) والوافي يقتضيها السياق ، وكذلك في المنهل .

(٤) عمر بن عبد العزيز بن الحسن الخليلي ، ستأتي ترجمته .

(٥) في الأصل : « وصودر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) الحسين بن عمر ، ستأتي ترجمته ، وفي المنهل : « صورة » .

(٧) في العام المذكور ، يوم السبت في الثالث والعشرين من ذي الحجّة . البداية والنهاية ؛ ٣٥٠/١٣ .

(٨) (ت ٧٠٣ هـ) . الدرر : ٤٢٢/١ .

وغالب مماليكه تأمّروا بعده .

وفيه يقول علاء الدين الوداعي لما سبق الناس والأمراء أجمعين في عمارة الميدان ، ومن خطّه نقلت :

لقد جادَ شَمْسُ الدين بالمال والقِرى ... فليس له في حَلْبَةِ الفَضْلِ لاحِقُ
وأعجزَ في هذا البناءِ بِسَبْقِه ... وكُلُّ جواد في الميادين سابِقُ[1]

وفيه يقول لَمّا أمره السلطان بقطع الأخشاب من وادي « مربّين »[2] للمجانيق ، ومن خطه نقلت :

مُربّين شُكراً لإحسانِها ... فقد أطْرَبَتْنا بعيدانِها[2]
ولولا الولاءُ لما واصَلَتْ ... ولا طاوَعَتْ بَعْدَ عِصيانِها[3]
أتانا بها وهي مَأْسورةٌ ... وآسِرةٌ أسدَ غِيطانِها
ولم نَرَ مِنْ قبلِه غائراً ... أتى بالدِّيار وسُكّانِها
ولا عدِمَتْ عدلَه ملَّةٌ ... يدبِّرُ دَوْلَةَ سُلْطانِها

وفيه يقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل موشحاً ، وهو :

دَمْعي رَوَى مُسَلْسَلا بالسَّنَدِ ... عَنْ بَصري أحزاني
لَمّا جَفا مَن قَد بِلا بالرَّمَدِ ... والسَّهرِ أجفاني

غَزالُ أُنسٍ نافِرُ ... سَطَتْ بِهِ التَّمائِمُ
وغُصنُ بانٍ ناضِرُ ... أزْهارُه الْمَباسِمُ
قلبي عليه طائِرُ ... تبكي له الْحَمائِمُ
إنْ غابَ فهو حاضِرُ ... بالفِكْر لي مُلازِمُ

(١) البيتان في المنهل .
(٢) في الوافي : « مرتبين » .
(٣) في (س) ، والوافي : « ولولا الأمير لما ... » .

كم قد لوى على الوَلا مِنْ موعدٍ لم يَفْكُرِ في عانِ
وقد كفا ما قد بلى بالكَمَدِ والفِكَرِ ذا الجاني

أزرى بغُزلانِ النَّقا وبانِه وحِقْفِه
كم حلَّ مِنْ عَقَدِ تُقىً بطَرْفِه وظَرْفِهِ
لم أَنْسَه لَمّا سقى مِنْ ثَغْرِه لإلْفِهِ
سُلافَ ريقٍ رَوّقا في ثَغْرِهِ لِرَشْفِه

قد احتوى على طُلا وشَهْدٍ ودُرَر مرجاني
قد رصّفا وكَلَّلا بالبَرَد والزَّهَرِ للجاني

أمالَه سُكرُ الصِّبا مَيْلَ الصَّبا لِقَدِّه
وفكَّ أزْرارَ القبا وحَلَّ عَقْدَ بَنْدِه
وَسَّدْتُه زَهْرَ الرُّبا وساعدي لِسَعْدِه
وبتُّ أرعى زَغبا[1] مِنْ فوق وَرْدِ خدِّه

مِثْلَ الهوى هَبَّ على رَوْضٍ نَدي مِنْ طُرَرٍ ريحاني
قد لَطُفا حتى غلا مُوَرَّدٍ مُزَهّر نُعماني

خدٌّ به خَدَّ البُكا في صَحْنِ خدّي غُدُرا
وردَّ لَمّا أن شكا سائِلَ دمعي نَهرا
كم مُغْرَمٍ قد تركا بين البرايا عِبَرا
يا مَن إليه الْمُشتكى الحالُ تُغني النَّظرا

زادَ الهوى فانهملا[2] دَمْعُ الصَّدي كالْمَطَرِ هتّانِ
وما انطفا واشتعلا في كبدي كالشَّرَرِ نيراني

---

(١) في الأصل : « رغبا » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الوافي : « فانهمل » .

يـــا فرحـــةَ الْمَحْـزونِ وفَرْحَـــــةً لِمَنْ يرى[١]
إن صُلْت بـــــالْجُفـــونِ وصِـــدْتَ مِن جفني الكَرى
فليسَ لي يحميني سـوى الـذي فـاق الـورى
شَمْسُ العُـلا والـــدينِ أبي سعيـــــــدٍ سُنقرا
مـولىً هـوى كُـلَّ عُـلا وسُـــؤددٍ مِنْ مَعْشَرٍ فُرســـانِ
وقـد صفـا ثمَّ حـــلا في المـــوردِ لِلْمُعْسِرِ والعَـــانِ

٧٥٢ ـ سنقر شاه الأمير شمس الدين المنصوري*

كان أميراً كبيرا ، قـد حوى مـالاً غزيراً ، وجوهراً نظيماً ومـالاً نثيرا ، واقتنى من السلاح والخيل ما يزيدُ في وصفـه ، ويكِلُّ اللسـانُ ومـا وَصَل إلى نِصْفِـه . إلا أنـه كان مُبخّلا ، وإن كان مُبجّلا ، ومذمَّما ، وإن كان بالْخَزّ مُعمَّما .

وكان به مرضٌ مُزْمِنٌ ، وتَعَلُّلٌ مُدْمِن ، لا يزال به مُصَفّرا ، ونَكَدُ عيشه مُوفّرا .

ولم يزل به إلى أن أنزله في بطن[٢] جَدَثِه ، وأقام عَدَمُه الدليلَ على حَدَثِه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة [سبع][٣] وسبع مئة .

جاء إلى صفد نائباً في سنة أربع تقريباً ، بعد الأمير سيف الدين بتخاص ، وأقـام بها نائباً إلى سنة سبع وسبع مئـة ، ورُسِمَ بعَزْلِـه ، وأن يجيء الأمير سيف الـدين بُكتمر الجوكندار الكبير من الصَّبيبةِ إلى صفد نـائبـاً ، فـما لَحِقَ المرسومُ يجيء إلى صفـد إلى أن توفي سنقرشاه ـ رحمه الله تعالى ـ .

---

(١) في الوافي : « يا قرحة المحزون ... وفرجة » .
* الوافي : ٤٩٩/١٥ ، والدرر : ١٧٥/٢ .
(٢) في الأصل : « قبر » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .
(٣) زيادة خلا منها الأصل و(س) ، وأثبتناها عن الوافي ، والدرر .

وكان يلبس زُميطيّة حمراء ، قيمتُها نِصْفٌ ورُبْعُ درهم ، فقيل لـه في ذلـك ، فلبس قُبْعاً مُزركشاً ، وقال : مَن أنا ؟ فقـالوا : الأمير سنقرشـاه المنصوري ، فخلعـه ، ولَبِسَ تلك الزُّميطيّة ، وقال : من أنا ؟ فقالوا كما قـالوا أوّلاً ، فقـال : أنـا هو ذاك إن لَبِسْتُ هذه أو ذاك .

وكان عنده جماعةٌ من الأويراتيـة[١] ، وكان كثيرَ الصيـد ، اصطـاد مرّة من غـابـة « أرسوف » خمسـة عشر أسـداً وضبّوحين[٢] ، وكان في الْجُمْلَـةِ أسـد أسـود كبير . وكان قليلَ المقام في المدينـة ، بل غـالب أيـامـه يكون في الصيـد . وكان قـد أفنى الأسودَ من الغابات .

ولمـا تـوفي دفن بعين الـزيتـون[٣] في زاويـة الشيـخ قليبـك . وابنتـه زوج الأمير سيف الدين أرقطاي نائب مصر .

٧٥٣ ـ سنقرشاه الأمير شمس الدين الظاهري*

كان أحد أمراء دمشق . وسكن بالعُقيبة عند حمّام الجلال .

تـوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في يـوم الاثنين ثـاني[٤] ذي الحجـة سنـة إحـدى عشرة وسبع مئة ، ودُفن بُكرة الثلاثاء بمقابر الصوفية ، وحضر جنازته قـاضي القضـاة ونـائب السلطنة وغيرهما من أعيان الأمراء والكتّاب .

---

(١) هم المماليك المغول .

(٢) الضباح : صوت الثعلب . ولعله أراد : ثعلبين .

(٣) بلدة في فلسطين .

* الدرر : ١٧٤/٢ .

(٤) في (س) : « في ثاني » .

٧٥٤ ـ سنقر الأمير شمس الدين الكمالي الحاجب*

كان أحدَ الأكابر ، والأمراء الذين تُثْني عليهم[١] ألْسِنَةُ الأقلام في ثغور[٢] أفواه المحابر .

وكان في طبقة سلاّر والجاشنكير والجوكندار أمير جاندار ، والكمال رابعهم ، وقادِمُهم في كل أمْر وتابِعُهم ، حتى اشتهر أمرهم وتأزَّر نصرهم ، ولذلك قال بعض عوام المصريين المطابيع :

لا كتبنّ القِصصَ وَقِفْ فيك لسلاّر ... واقْصدِ الجاشنكير ورُحْ للكمالي
واقول لُو يا مِيرَ في أيام عَدْلِك ... كيف يكون لي معشوقٌ ياخُد بدالي

ولما جُرِّدَ العسكر من مصر صحبة كراي الذين توجَّهوا لإمساك أسندمر من حلب ، كان الأمير الكمالي من جُملتهم صحبة كراي ، ودخلوا إلى دمشق في ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة ، ولما كان في تاسع عشر شهر ربيع الآخر أمسك السلطان أربعة أمراء : نائب الكرك آقوش ، وبيبرس الدوادار ، ونائب السلطنة ، وسنقر الكمالي ، وغيرهم ، وأودعوا برجاً في القلعة مُعتقلين ، وذلك في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة[٣] .

٧٥٥ ـ سنقر الأمير شمس الدين أستاذ الدار**

أخرجه السلطانُ الملك الناصر حسن إلى الشام لِلْحَوْطَةِ على خيلِ الأمير سيف الدين طاز وغير ذلك في أوائل سنة تسع وخمسين وسبع مئة . فتوجَّه إلى حلب ، وحضر بعد ذلك إلى دمشق ، وبذل الْجُهدَ في موجود الأمير طاز ، وكان إذ ذاك أميرَ

---

* الدرر : ١٧٧/٢ .
(١) في الأصل : « عنهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .
(٢) ليست في (س) .
(٣) انظر البداية والنهاية : ٦٥/١٤ .
** الدرر : ١٧٦/٢ .

طبلخاناه ، فانحلّت بالديار المصرية وهو في الشام تقدِمةُ ألف وإمْرَةُ مئة ، فعيَّنها السلطان باسمه ، وعظُمَتْ منزلَتُه عند السلطان ، وعاد إلى مصر بعد مُدَّة على تسعة أشهر ، ونفعَ جماعةً ممَّن خدمَه بدمشق وحلب وغيرهما .

وزادت وَجاهتُه عند السلطان ، وكان يقال : إنه أخو الأمير سيف الدين بكتمر المُومني[1] نائب حلب .

ولما جُهِّز أخوه المذكور إلى حلب أقام بعد ذلك قريباً من نصف سنة ، ثم إن السلطان تغيَّر عليها ، وأمسك أخاه نائب حلب ، وأخرجه إلى دمشق أمير طبلخاناه ، فورد إليها في سنة ستين ، وأقام بها قليلاً ، ثم رُسم بتوجّهِه من دمشق إلى صِهيون[2] بطّالاً بغير إقطاع . فأقام بها مدَّة إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بصهيون ، وورد الخبر بوفاته إلى دمشق في ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبع مئة .

وكان فيه مُروءة وعصبيّة مع مَن يعرفه .

الألقاب والأنساب

☆ **السنهوري المادح** : أحمد بن مسعود .

☆ **السّهروردي** : شهاب الدين عبد المحمود بن عبد الرحمن .

٧٥٦ ـ ابن أبي سوادة*

القاضي بهاء الدين كاتب السِّرّ بحلب ، اسمه علي بن علي بن محمد .

---

(١) (ت ٧٧١ هـ) . الدرر : ٤٨٨/١ ، وفيه : « المؤمني » .

(٢) هو حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص ، لكنه ليس بمشرف على البحر . معجم البلدان : ٤٣٦/٣ .

* الدرر : ٨٦/٣ ، وتذكرة النبيه : ٥٩/٢ ، وإعلام النبلاء : ٥٠٤/٤ . وذكره المصنف في حرف العين وأحال على ترجمته هاهنا .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ضحى نهار السبت ، منتصف شهر رجب الفرد سنة أربع عشرة وسبع مئة[١] .

ومن شِعْرِه ، وقد توفي القاضي عز الدين عبد العزيز بن القيسراني ، مما كتبه إلى أخيه :

وحَقِّك ما تَركْتُ الكُتْبَ عَمْداً ... بتَعْزِيَةٍ على هذا الْمُصابِ
ولكن كُلَّما أَثْبَتُّ سَطْراً ... مَحَتْهُ دُموعُ عيني مِنْ كِتابي

وكتب إليه أيضاً :

ولَمّا قضى واسْتَهدمَ الصَّبْرُ بعده ... وكنّا نرجّيه لإعدامِنا كَنْزا
بَكَينا وأجْرَيْنا الدُّموعَ تأسُّفاً ... ولم يُجْدِنا فيضُ الدُّموعِ ولا أجْزَى
ولا تَسألوا عن حالَتي في رَزِيَّتي ... وما حالُ مُضنىً فارَقَ الجاهَ والعِزّا

☆ **السواملي** : جمال الدين إبراهيم بن محمد .

٧٥٧ ـ سُوْتاي*

بالسين المهملة[٢] ، والواو الساكنة ، والتاء ثالثة الحروف ، وألف ممدودة وياء آخر الحروف : النوين الكبير الحاكم على ديار بكر بمجموعها .

كان رئيساً في نفسه ، فريداً في أبناء جنسه ، ذا عزمٍ وجَلَدٍ وحَزْم ، وإثارةٍ للحروب وهزم . عنده رئاسَه ، وحُسن تَدبيرٍ وسياسه ، تحبُّه رعيَّتُه ، لَمّا صَفَتْ لهم[٣] طويَّتُه . ويَدْعون له على الدوام ، ويختارون أيامَه لودامت أوعادت ولو في المنام .

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٢٤ هـ) .

* الوافي : ٣٩/١٦ ، ونكت الهميان : ١٦١ ، والدرر : ١٧٨/٢ ، والمنهل الصافي : ١٠١/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٣٤/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٦/٩ .

(٢) عبارة الوافي : « بضم السين المهملة » .

(٣) في (س) : « به » .

ولم يزل على حاله إلى أن أتى السوءُ سوتاي فدمَّره ، ولم ينفَعْه ما أتقنَه مِنْ أمره ودبَّرَه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكان قد عمَّر حتى تجاوز المئة ، لأنه حكى عن نفسه أنه كان قد حضر واقِعةَ بغداد ، وهو بالغ ، ورأى أربعة بُطون من وَلَدِه ووَلَدِ وَلَدِه ووَلَدِ وَلَدِ وَلَدِ وَلَدِه وأولادِهم حتى إنهم أنافوا على الأربعين ذكوراً وإناثاً . وأكبرُ ولَده بارنباي ثم طُغاي .

وكان سوتاي أقطجيّا لأبغا ، والأقطجي بمنزلة أمير آخور . ولم يزل مُعظّماً عند ملوك الْمُغْل . وهو جاء إلى ديار بكر ، ونزل بها بتومانة[١] بعد وفاة النوين آبك[٢] تاصميش ، واستمر حاكماً من أوائل دولة أولجايتو سلطان إلى أواخر دولة السلطان بوسعيد ووفاته في بَلَد ، وهي مدينة خراب بالقرب من الموصل[٣] ، لأنه كان يشتو بها في كل سنة ، ثم إنه نقل من بلد [إلى][٤] الموصل ودفن في تربةٍ كان بناها لنفسه من الموصل على دجلة .

وكان مرضه ثلاثة[٥] أشهر ، وكان قد أضرّ قبل موته بسنوات ، ولَمّا مات حكم بعده على ديار بكر علي باشا خال بوسعيد ، وجرت له حروب مع أولاده .

٧٥٨ - سودي*

الأمير سيف[٦] الدين ، رأس نوبة الناصري .

(١) هي الفرقة من الجند التي عددها عشرة آلاف مقاتل ، وهي لفظة مغولية .
(٢) في الوافي : « إيل » .
(٣) معجم البلدان : ٤٨١/١ .
(٤) زيادة من (س) والوافي ، يقتضيها السياق .
(٥) في (س) : « مدّة ثلاثة » .
* الوافي : ٤٢/١٦ ، والبداية والنهاية : ٧٢/١٤ ، والدرر : ١٧٩/٢ ، وإعلام النبلاء : ٢٩٩/٢ .
(٦) في الأصل : « ناصر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

كان من خواص أستاذه المقربين ، وأعيانهم المدرّبين . له معرفة وفهم ، وله نفوذٌ في الأحكام كما يَنْفذُ السَّهم .

اجتهد على سياقةِ نهر الساجور إلى حلب ، وبذلَ فيه لكل صانع ماطلب . وأخذ أمرَه بكلتا يديه ، وأنفق في سياقته غالبَ ماله . ثم إنه من فَرَحِهِ عجَّل وطالع السلطان بوصوله ، فجهَّز الْمُطالعةَ في البريد على يد [رسوله][1] بناء على أنه في غد يدخل البلد ، فتقطَّع في تلك الليلة ، وساح في الْجَلَد . فكانت منه هَفْوَة ، وخطأ ندم على ما مدَّ فيه من الخطوة .

ولم يزل إلى أن لم يبق لسودي سُؤْدَد ، وذاب شَحْمُه في القبر وتقدَّد .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ منتصفَ شهر رجب سنة أربع عشرة وسبع مئة يوم السبت ، ودُفن يوم الأحد بالقرب من تربة قراسنقر .

وكان السلطان قد جهَّزه لنيابة حلب بعدما توجَّه الأمير شمس الدين قراسنقر من البلاد ، وراح إلى بلاد خربندا ، فوصل إلى حلب في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

وقيل : إن طول النهر الذي حَفَرهُ من الساجور إلى أن يصل قويق[2] أربعون ألف ذراع ، وعرضه ذراعان ، وعمقه ذراعان تقريباً ، وإن الذي أنفق عليه ثلاث مئة ألف درهم ، النّصفُ من مال السلطان ، والنصف من مال سودي . ولم يُظلم فيه أحد ، بل حُفِر بالعدل والإنصاف .

الألقاب والأنساب

☆ **السوسي** : فخر الدين أحمد بن علي .

(١) زيادة من (س) .
(٢) هو نهر مدينة حلب . معجم البلدان : ٤٢٧/٤ .

☆ **ابن سويد** : تاج الدين طالوت .

٧٥٩ ـ سَلاّر*

بالسين المهملة وبعدها لام مشدَّدة وبعد الألف راء : الأمير سيف الدين التَّتري المنصوري الصالحي .

كان أوَّلاً مِنْ مماليك الصالح علي بن المنصور ، فلما مات الصالح صار من خواص أبيه[١] المنصور ، ثم إنه اتصل بخدمة الأشرف ، وحظي عنده ، وأمَّره ، وكان صديقَ السلطان حسام الدين لاجين ونائبه منكوتمر .

ندبوه لإحضار السلطان الملك الناصر محمد من الكرك فأحضره . وركن إلى عقله فاستنابه وقدَّمه على الجميع . وخضع له الناس .

وكان عاقلا ، عارفاً بالأمور كاملا . ينطوي على دهاء ، ويُظهر قُرْبَك وهو ذو جفاء ، سعيدَ الحركات في أموره ، موفَّقَ الآراء في غيبته عن الْمَلِك وحضوره . اقترح أشياءَ ظريفة في لُبْس الفارس والفَرَس ، ونُسب[٢] إليه تَقومُ القيامة[٣] وذِكْرُها ما انْدَرَس . ونال من سعادة الدنيا ما لا يوصف كَثْرَه ، ولا ينهض قدم تحمّله عَثْرَه . وحصَّل من الذهب والفضة ما هو قناطير مقنطره ، ومن اللآلي والجواهر ما تعجز عَنْ مُكاثرتِهِ السحائبُ الْمُثعنّجره[٤] .

---

* الوافي : ٥٥/١٦ ، وفوات الوفيات : ٨٦/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٩ ، والدرر : ١٧٩/٢ ، والمنهل الصافي : ٥/٦ .

(١) في الأصل : « ابنه » تصحيف . وما أثبتناه يوافق ما في الأصول الأخرى .

(٢) في (س) : « ونسبت » .

(٣) في (س) : « القيمة » .

(٤) المثعنجرة : اللأى ، تفيض مطراً .

وكان ساكناً وادعاً لا شرَّ فيه ولا باطِنَ سوءٍ لمخالفيه ولا مُحالفيه . وساس الْمُلك تلك الْمُدَّه ، وداهن أعاديه[١] وهم حوله على انفرادِه عدّه . وكان مُحِبّاً لِمَنْ يخدمُه ، مُكبّاً على مَن يصطنعه أو يقدِّمه .

ولما توجَّهَ الناصر إلى الكرك ، تداهى على الجاشنكير ولم يشركه في الوقوع في الشرك ، فسلطَنه بل سَرْطَنه ، وحبَّبه لِلْمُلك بل جنَّنه ، ودرَّبه لذلك بل درَّنه . ومشى قُدَّامه ، إلا أن ذاك عير غَيرُ فَطِن وذاك خِبّ خُبَعْثَنة[٢] . وما كان بأسرع من أن استحالت الدولةُ عليه ، وفرَّت بأجمعها من بين يديه . وكان هو فيمن خامرَ ، وقام مع الحزب الناصري وقامرَ . إلا أنه حاق به مَكْرُه ، وأتعبه خمارُه وسُكره ، ومات في السجن جوعا ، ولم يجد[٣] إلى الدنيا رجوعا . يقال إنه أكل من مَداسه الكِعاب ، وتحقق أن الدنيا مُومِسٌ بالية ، وكان يظن أنها كَعاب .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ مُعتقلاً بالقلعة في الديار المصرية في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة .

وكان يتحدَّث أن إقطاعه بِضْعٌ وثلاثون[٤] طبلخاناه ، واشتهر على ألسنة العوام وغيرهم أنه يدخله في كل يوم مئةُ ألف درهم[٥] . واستمر في النيابة إحدى عشرة سنة .

ولما مَلَك الجاشنكير استمر به في النيابه ، وازداد عَظَمةً وسَعاده ، وأقام على ذلك تسعة أشهر . ولَمّا عاد السلطان من الكرك تلقّاه سلاّر إلى أثناءِ الرَّمْل . ولَمّا جلس على كرسي الملك أعطاه الشَّوْبَك ، فتوجَّه إليها في جماعته ، وتشاغل السلطان عنه ،

---

(١) في (س) : « أعداءه » .

(٢) الخب : المخادع ، والخبعثن : القوي الشديد .

(٣) في (س) : « يجد له » .

(٤) في المنهل : « نحواً من أربعين إمرة طبلخاناه » .

(٥) في المنهل : « قيل إنه كان متحصله . كل سنة ألف ألف دينار » .

ونزح سَلاّر عن الشوبك وطلب البرّيّة[١] ، ثم إنه خُذل ، وسَيّر يَطْلُبُ مِنَ السلطان أماناً على أنه يُقيم بالقدس لعبادة الله تعالى ، فأجابه إلى ذلك ، ودخل إلى القاهرة بعد أن بقي أياماً مُشرّداً في البرّيّة مُرَدَّداً بين العرب ، ينوبه في كلّ يوم لهم ألفُ درهم وأربعون غرارة شعير .

ولما جاء عاتبه السلطان واعتقله ، ومُنع من الزاد إلى أن مات جوعاً ، وأكل كعاب سرموزته ، وقيل : أكل خُفَّه ، وقيل : إنهم[٢] دخلوا إليه وقالوا له : قد عفا السلطان عنك ، فقام من الفرح ومشى خطوات يسيرة وسقط ميتاً .

وكان أسمرَ آدم ، لطيفَ القد ، أسيل الخد ، لحيتُه في حنكه سوداء ، وهو من التَّتار الأويراتية .

مات في أوائل الكهولة ، ولعلَّه ما بلغها ـ رحمه الله تعالى ـ وأذِن السلطان للأمير علم الدين سنجر الجاولي أن يتولى دَفْنَه وجنازته ، فدفَنَه بتُربته عند الكبش .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ ظريفاً في لبْسِه ، اقترح أشياء في اللبس ، وهي إليه منسوبة ، منها المناديل السلاّرية والأقبية السلاّرية ، وفي قماش الخيل وآلات الحرب .

قال شمس الدين الْجَزري : إنه أُخذ له ثلاث مئة ألف ألف دينار ، وشيءٌ كثير من الْحُلي والجواهر والخيل والسلاح والغِلال مما لا يكاد ينحصر[٣] .

قال شيخنا الذهبي ، رحمه الله تعالى : وهذا شيء كالمستحيل ، لأن ذلك يجيء وِقْرَ عشرة آلاف[٤] بغل ، الوقر ثلاثون ألف دينار ، وما علمت أن أحداً من السلاطين

---

(١) خشية على نفسه من السلطان ، كما في المنهل .

(٢) في الأصل : « إنه » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهو موافق لما في المنهل .

(٣) في المنهل ، عن الجزري : « وُجد له بعد موته ثمان مئة ألف ألف دينار ، وذلك غير الجواهر والحلي والخيل والسلاح » .

(٤) في المنهل ، عن الذهبي : « خمسة آلاف » .

الكبار مَلَك هذا ولا رُبْعَه . ثم تدبَّر ـ رحمك الله ـ إذا فرضنا صحّةَ قولهم ، دخله في كل يوم مئة ألف درهم[١] ، أما كان عليه فيها خَرْج ؟ فلو أمكنه أن يكنز في كل يوم ثلاثة آلاف دينار أكان يكون في السنة غير ألف ألف دينار ومئتي ألف دينار ؟ فتصير الجملة في عشرة أعوام عشرةَ ألف[٢] ألف دينار ، وهذا لعله غاية أمواله ، فلاحَ لك فَرْطُ ما حكاه الجزري واستحالتُه .

قال الجزري : نقلت من ورقة بخط علم الدين البرزالي قال : دفع إليَّ المولى جمال الدين بن الفُوَيْرَة ورقةً بتفصيل بعض أموال سلاّر وقت الْحَوْطَةِ على داره في أيام متعددة :

يوم الأحد[٣] :

تسعة عشر رطلاً بالمصري زُمرّداً .

ياقوت : رطلان .

بَلْخَش : رطلان ونصف .

صناديق ستة ضمنها جواهر فصوص ماس وغيره : ثلاث مئة قطعة .

لؤلؤ كبار مدرّر[٤] من زنة درهم إلى مثقال : ألف ومئة وخمسون حبة .

ذهب : مئتا ألف وأربعون ألف دينار .

دراهم : أربع مئة ألف درهم وسبعون ألف درهم .

يوم الاثنين : ذهب : خمسة وخمسون ألف دينار .

(١) عبارة الوافي : « أربعة آلاف دينار .

(٢) في (س) : « آلاف » ، وعبارة الوافي : « اثني عشر ألف » ، وهي أشبه .

(٣) انظر ما جاء في المنهل : ١٠/٦ ، ففيه بعض الاختلاف عما ههنا .

(٤) في الوافي : « مدور » ، ومثله في المنهل .

دراهم : ألف ألف درهم وأحد وعشرون ألفاً .

فصوص بذهب : رطلان ونصف .

مُصاغ عقود وأساور وزنود وحلق وغير ذلك : أربعة قناطير بالمصري .

فضِّيّات أواني وهواوين وصُدوره : ستة قناطير .

يوم الثلاثاء :

ذهب : خمسة وأربعون ألف دينار .

ودراهم : ثمانية آلاف درهم .

براجم فضة وأهلّة وصناديق[١] : ثلاثة قناطير فضة .

ذهب : ألف ألف دينار وثمان مئة ألف درهم .

أقبية ملوّنة بفروِ قاقم[٢] : ثلاث مئة قباء .

أقبية بسنجاب : أربع مئة قباء .

سروج مُزركشة : مئة سرج .

ووجد عند صهره الأمير موسى[٣] ثمانية صناديق ، فأخذت ، كان من جملة ما فيها[٤] عَشْرُ حوائص مجوهرة سلطانية وتركاش ماله قيمة ، ومئة ثوب طَرْد وَحش[٥] .

---

(١) في الوافي : « وصناجق » .

(٢) حيوان كالسنجاب .

(٣) موسى بن علي بن قلاوون . ستأتي ترجمته . وفي المنهل : « أمير موسى » .

(٤) في المنهل : « لم يعلم ما فيها » .

(٥) قماش من الحرير مزين بصور الصيد والطرد .

وقدم صحبته من الشوبك خمسون ألف دينار وأربع مئة وسبعون ألف درهم ، وثلاث مئة خلعة ملوّنة وخركاه أطلس معدني مبطنة بأزرق بابها زركش ، وثلاث مئة فرس ، ومئة وعشرون قطاراً بغال[1] ، ومثلها جمال . كل هذا سوى الغلال والأنعام والجواري والمماليك والأملاك والعدد والقماش . وذكر أنه عُوقب كاتبُه ، فأقرَّ أنه كان يُحمل إليه كل يوم ألف دينار ، وما يعلم بها غيره .

وقيل : إن مملوكاً دلَّهم على كنز له مبني في داره ، ووجدوا فيه أكياساً ، وفتحوا بركة فوجدوها ملأى أكياس ذهب .

قال شيخنا الذهبي : وحدثني شيخنا فخر الدين أن إنساناً حكى له ، قال : دخل العام شونة سَلاّر من أصناف الغلال ست مئة ألف إردب . وقال شيخنا الذهبي : ثم إنه مات البائس ، يتحسَّر على الخبز اليابس .

وقلت أنا فيه :

في أمْرِ سلاّر للألبابِ مَوْعِظَةٌ ... لم يَحْتَجِ العَقْلُ إذ يَحْتَجُّ بُرهانا

حوى كنوزاً إذا قارونُ قارنها ... طافَتْ عليه من الأموالِ طوفانا

وبعدَ ذلكَ لم تَقْدِرْ يداهُ على ... لُبابة وقضى في الحبسِ جوعانا

فألف أفٍّ لدُنيانا وزُخْرُفِها ... فما سَمعناه عن سَلاّر سلاّنا

الألقاب والأنساب

☆ **ابن السَّلار** : ناصر الدين أبو بكر بن عمر .

☆ **السلاّري** : نائب مصر الأمير شمس الدين آقسنقر .

☆ **ابن سلاّم** : الشيخ شرف الدين الْحُسين بن علي .

---

(١) كذا في الأصل .

٧٦٠ ـ سَلامُش*

الأمير سيف الدين الظاهري .

قارب التسعين .

كان من أمراء الديار المصرية . وكان صالحاً ديِّناً .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن برّا باب النصر .

وكان أمير خمسين فارساً .

الألقاب والأنساب

☆ **السلامي الخواجة** : مجد الدين إسماعيل بن محمد .

٧٦١ ـ سيف الدين**

الشيخ الجليل الكبير الرُّجيحي بن سابق بن هلال بن يونس شيخ اليونسية .

كان له حُرمة وافرة في الدولة ، وعند أتباع جده وطائفتهم .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم السبت خامس عشر شهر رجب سنة ست وسبع مئة ، وصُلِّي عليه بالجامع الأموي ، وأُعيد إلى الدار التي [كان][1] يسكنها داخل

---

* الدرر : ١٨٢/٢ .

** الدرر : ١٨٢/٢ ، والبداية : ٤٤/١٤ ، والمنهل الصافي : ١٩١/٦ ، وفي اسمه ثمة إضافة واختلاف . والدارس : ١٦٨/٢ ، وفيه تفصيل يتعلق بالطائفة اليونسية في أثناء كلامه على الزاوية اليونسية ، وهي من زوايا الصوفية ، تُنسب إلى يونس بن يوسف بن ساعد الشيباني .

(١) زيادة من (س) ، والمنهل .

باب توما ، وتعرف بدار أمين الدولة ، فدُفن بها ، وحضره خلق من الأعيان والقضاة والأمراء .

وأُجلس مكانه ولده فضل[١] .

كان الشيخ سيف الدين مليح السيرة ، ضخم الهامة جداً ، هائل المنظر ، محلول الشعر . ناهز السبعين سنة .

٧٦٢ ـ سيف بن سليمان*

ابن كامل بن منصور بن علوان بن ربيعة الموازيني السُّلمي الزرعي ، القاضي شرف الدين .

كان فقيهاً فاضلاً عفيفاً محترزاً ، وله نظم ، وعنده فوائد .

وولي عدة ولايات من أعمال دمشق نحواً من أربعين سنة . وكان فيها مشكوراً .

وولي بعلبك والقدس ، وأقام به إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثالث عشري جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

وروى الحديث عن ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، ويوسف بن مكتوم ، وغيرهم بدمشق والقدس .

٧٦٣ ـ سيف بن فضل بن عيسى**

الأمير سيف الدين من آل فضل الزواهر ، ومن قوم عدادهم في الْجَمَاهر .

---

(١) توفي (٧٢٧ هـ) البداية والنهاية : ١٣٢/١٤ ، والدارس : ١٦٨/١ .

* الدرر : ١٨٣/٢ .

** الدرر : ١٨٣/٢ ، والمنهل الصافي : ١٩٠/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٢٥/٣ .

ولي إمْرَةَ آل فضل بعد ابن عمه[١] أحمد بن مهنا ، فما صفا له عيش ولا تهنّا . وعُزل عن الإمره ، وخمدت منه الجمره ، وما شرب من عزّها كَأْسَ خمره ، إلا أنه كان مُطاعاً في الدوله ، مشاراً إليه في الْجَوْله ، مُقدَّماً في الدُّول القاهره ، مَعْنيّاً بأمورِ الباطنة والظاهره .

وكان قد أسَره عُمَرُ بن موسى ، ثم مَنَّ عليه وأطلقه وجراحُه لا تَنْدَمِل منه ولا تُوسى .

ولم يزل على حاله إلى أن غصَّ من الحسام بريقه ، وشَخَص بَصَرُه من بريقِه .

وقُتل ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة ستين[٢] وسبع مئة ، قتله عمر بن موسى .

كان الأمير سيف الدين له وجاهة في الدولة من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان كلَّ قليل يتوجَّه إلى باب السلطان ، ويعوده بما يختاره من الزيادات والإنعامات . وكان هو وإخوته وآل فضل أبيّةً لا يدخلون في حكم أمير النقرة من أولاد مهنّا ، بل مرجع حَوْطاتهم وإفراجاتهم مختص به .

وكان قد ولي الإمرة بعد الأمير شهاب الدين أحمد بن مهنا في أيام الملك المظفر حاجّي ، فما مشى له حال ، وضايقه أولاد مهنّا ، وقطعوا الطرقات على الناس وعجَّزوه ، فأُعيدت الإمرة إلى أحمد بن مهنا . وكان يُرمى بعدم الصدق إلا أنه له الوجاهة في الدولة . ولقد رأيته وهو عند الأمير سيف الدين منجك نائب الشام بدار العدل ، وقد جاء الأمير سيف الدين حيّار بن مهنا من باب السلطان ، وهو أمير النقرة ، فجلس تحت الأمير سيف .

وقلت أنا فيه لما قُتل ـ رحمه الله تعالى ـ :

---

(١) انظر المنهل الصافي .

(٢) في المنهل : « في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وسبع مئة » .

سيف بن فضل كانَ في الدَّهرِ لا يخافُ من حَيْنٍ ولا حَيْفِ
حتّى إذا ما خانَهُ دَهْرُه أُنفِذَ حُكْمُ السَّيفِ في سيفِ[1]

٧٦٤ ـ سيفاه الأمير سيف الدين*

أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب[2]

☆ **السيف الحريري** : اسمه أبو بكر .

☆ **السيف البغدادي** : اسمه عيسى بن داود .

☆ **السيف الناسخ** : يوسف بن محمد .

☆ **بنو سيد الناس** : شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد . الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن محمد . وسعد الدين محمد بن محمد بن محمد .

وسعد الدين محمد بن محمد بن محمد .

☆ **السيد** : ركن الدين النحوي ، الحسن بن شرفشاه .

---

(١) البيتان في المنهل ، والتذكرة ، وفي التذكرة : « إذا خانه » .

* ذيول العبر : ٣٠٧ .

(٢) من ههنا حتى حرف الشين ، سقط من (س) .

☆ **ابن سيد الأهل** : الحسين بن علي .

☆ **ابن السيوفي** : نجم الدين عيسى .

الألقاب والأنساب

☆ **السُّهْرَوردي** : الشيخ شمس الدين الكاتب أحمد بن يحيى .

حرف الشين

٧٦٥ ـ شاذي*

الملك الأوحد تقي الدين بن الملك الزاهر مُجير الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان بن يعقوب .

كان أحد الأمراء بدمشق .

توجَّه مُجرَّداً إلى جبال الجرد[١] ، فتوفي هناك في ثاني صفر سنة خمس وسبع مئة ، وحُمل إلى دمشق ، ودفن بتربة الدار الأشرفية[٢] بسفح قاسيون .

وكان مُعظَّماً في الدولة أثيلَ المكارم[٣] عند الأفرم . وله اشتغال ، وكان يحفظ القرآن العظيم ، وسمع الحديث من الفقيه محمد اليونيني .

قال شيخنا البرزالي : ورُوي لنا عنه .

ومولده في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وست مئة بدمشق .

وكان له بالأمور دُرْبةٌ وخبرة تامة .

---

* الوافي : ٧٢/١٦ ، والبداية والنهاية : ٣٩/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ٩٢ ، والدرر : ١٨٣/٢ ، والدارس : ١٩٣/٢ . والمنهل : ١٩٣/٦ ، وفيه : « شادي بن داود بن شيركوه » ، وعقد الجمان : ٤١٨/٤ ، وفيات (٧٠٥ هـ) ، وفيها : شادي بن داود بن شيركوه .

(١) في الوافي : « كسروان » . وانظر المنهل .

(٢) في عقد الجمان : « بتربة والده بسفح قاسيون » . ومثله في المنهل .

(٣) في (س) : « المكانة » .

٧٦٦ ـ شاذي بن بدليك*

الأمير سيف الدين أخو الأمير شهاب الدين أحمد الساقي ، [المقدم][١] ذكره .

كان أوّلاً من جملة البريدية بمصر ، ثم إنه أُعطي طبلخاناه بحلب ، وأقام بها . وخرج على الصالح[٢] صالح ، وحضر مع بيبغاروس إلى دمشق ، وهرب معه . وكان في جملة مَن أُمسك على حلب ، وأحضروه إلى دمشق .

وكان في جملة مَن وُسِّط بسوق الخيل بدمشق في شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة[٣] .

الألقاب والأنساب

☆ **الشارعي** : المحدث إسماعيل بن إبراهيم .

☆ **الشارمساحي الشاعر**[٤] : أحمد بن عبد الدائم .

☆ **ابن الشاطبي** : علاء الدين علي بن يحيى .

☆ **الشاطبي** : يوسف بن أحمد .

٧٦٧ ـ شافع بن علي**

ابن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكناني العسقلاني ثم المصري : الشيخ الإمام

* انظر بعض أخباره في السلوك : ٨٧٣/٣/٢ و ٨٧٥ ، أحداث سنة (٧٥٣ هـ) .

(١) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

(٢) في (س) : « السلطان الملك الصالح » .

(٣) انظر أحداث سنة (٧٥٣ هـ) من البداية والنهاية : ٢٤٥/١٤ـ٢٤٦ .

(٤) في الأصل : « الشام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .

** الوافي : ٧٧/١٦ ، ونكت الهميان : ١٦٣ ، وفوات الوفيات : ٩٣/٢ ، والدرر : ١٨٤/٢ ، والمنهل الصافي : ١٩٦/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٨٤/٩ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٨/٢ .

الأديب ناصر الدين سِبْطُ الشيخ عبد الظاهر[١] بن نشوان .

رَوَى عن الشيخ جمال الدين محمد بن مالك ، وغيره .

وروى عنه[٢] الشيخ أثير الدين ، وعلم الدين البِرْزالي ، وجمال الدين إبراهيم الغانمي[٣] وغيره من الطلبة .

كتب المنسوب فأحسنه ، وجوَّد طريقه وأتقنه ، فإذا خطَّ غضَّ الزَّهرُ عينَه ، وطلب من العقود دَيْنَه ، وإذا نظم القريض نظرت النجومُ بطرف[٤] غضيض ، وإذا نثر فضحَ الدُّررَ ، ملأ الدنيا إنشاءً ، وأبرزها كالنجوم زَهَرَتْ عشاء .

وكثَّر من التصانيف وما ارتابت فيها العقول ، وقال فسمع الناس ما يقول .

كتب الإنشاء بمصر زماناً ، ونظم قلائِدَه على جيد الزمان عقيانا . إلا أنه أضرَّ بأخَرة ، فعَدِمَ الناسُ طروسَه الموشّاه ، ورِقاعَه التي هي بالأزاهر مُفشّاه ، ولكن فوائدَ نظمه ونثره تسيرُ مِلْءَ الحقائب ، وصَوْبَ قريحته إذا انجلت « سحائب منه أُعقبت بسحائب » .

ولم يزل على حاله إلى أن شافَهَ شافعاً حَيْنُه ، وحلَّ على وُجوده من العدم دَيْنه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ثلاثين وسبع مئة في سابع عشري شعبان ، ودُفن بالقَرّافة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

---

(١) في المنهل ، والنجوم : سبط محيي الدين بن عبد الظاهر .

(٢) في المنهل : « وروى عن ... » . سهو .

(٣) هو إبراهيم بن يونس ، سلفت ترجمته .

(٤) في (س) : « .. النجوم إليه بطرف ... » .

كان قد أصابه سَهْمٌ في نَوْبَةِ حمص الكبرى سنة ثمانين وست مئة في صُدغه ، فعمي بعد ذلك ، ولازم منه بيته .

وكان[١] جمّاعةً للكتب ؛ أخبرني من لفظه شهاب الدين البوتيجي الكتبي بالقاهرة ، قال : خلَّف ثماني[٢] عشرة خزانة كتباً نفائس أدبية ، وكانت زوجته تعرف ثمنَ كُلِّ كتاب ، وبقيت تبيع منها إلى أن خرجت من القاهرة سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

وأخبرني البوتيجي أيضاً ، قال : كان إذا لمس الكِتابَ وجَسَّه ، قال : هذا الكتاب الفلاني ، وهو لي مَلَكْتُه في الوقت الفلاني ، وإذا أراد أيَّ مُجلَّدٍ كان ، قام إلى خزانته وتناوله منها كأنه الآن وضعه بيده .

اجتمعت به أنا في القاهرة[٣] سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، واستنشدني شيئاً من نظمي ، فأنشدته لنفسي :

إن وِرْدي من الحِمام قريبُ ... فلهذا أَمستْ دموعي مُفاضَهْ
ولَكَمْ جَهْدَ ما يكونُ بعيداً ... ومشيبي رشاشُ تلك المخاضَهْ

فأنشدني من لفظه لنفسه :

قالَ لي مَن رأى صباحَ مشيبي ... عن شمالٍ من لِمَّتي ويمينِ
أيُّ شيء هذا ؟ فقلت مُجيباً ... لَيْلُ شَكٍّ محاهُ صُبْحُ يقينِ[٤]

وأنشدني هو من لفظه لنفسه :

---

(١) في الأصل : « وكان له » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) في الأصل : « ثمانية » . خطأ .
(٣) في (س) : « في داره بالقاهرة » .
(٤) في الأصل : « جبيني » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والمنهل ، والتذكرة ، والنجوم .

تعجَّبْتُ من أمْرِ القَرافـةِ إذْ غَـدَتْ ... على وَحْشَـةِ الموتى بهـا قلبُنـا يَصبو[١]
فـألْفَيْتُهـا مـأوى الأحِبَّـةِ كلّهم ... ومُستوطَنُ الأصحابِ يصبو لـهُ القلبُ

فأنشدته أنا لنفسي :

ألا إنَّ القرافَـةَ إنْ غَـدَوْنـا ... تميـلُ لهـا القلـوبُ ولا عجيبـا
فمـا فينـا مُصـابٌ قَـطُّ إلاّ ... تَضمُّ لـهُ قريبـاً أو حبيبـا

وأنشدني هو أيضاً لنفسه :

وبي قـامـةٌ كالغصنِ حين تمـايلَتْ ... وكالرُّمْحِ في طَعْنٍ يَقِـدُّ وفي قَـدِّ[٢]
جرى من دمي بَحْرٌ بسَهْمٍ فِراقِـه ... فخضَّبَ منـهُ مـا على الْخَصْرِ مِنْ بَنْـدِ

وأنشدته أنا لنفسي :

قـد شـدَّ حبّي بَنْـدا ... في حُمرةٍ مِثْـلِ خَـدِّه
كخـاتَمٍ مِنْ عَقيـقٍ ... قـد زانَ خُنْصَر قَـدِّه

فقال : لواتفق لك خُنصرُ خَصْرِه لكان أحسن ، فقلت :

في حُمْرَةِ البَنْـدِ معنى ... ممن سبـاني بهَجْرِه
كخـاتَمٍ مِنْ عقيـقٍ ... قـد زانَ خُنصَر خَصْرِه

وكتبت له أستدعي إجازته ، ونسخة ذلك :

« المسؤول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام المفيد القدوة جامعِ شمل الأدب ، قِبْلَةَ أهْل السَّعي في تحصيله والدأب :

---

(١) في (س) : « لها قلبنا » .
(٢) في الأصل : « وحين قامة » ، ولا وجه لها ، وفي (س) : « وذي » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والفوات .

أخي المعجزات اللائي أحرزْنَ طرْسَه كأُفْقٍ به للنيِّرات ظهورُ[١]
وما ثَمَّ إلا الشَّمْسُ والبَدْرُ في السَّما وهذا شُموسٌ كُلُّه وبُدورُ

البليغُ الذي أثارَ أوابدَ الكَلِم مِنْ مَظانِّ البلاغه ، وأبرزَ عقائلَ المعاني تتهادى في تيجان ألفاظه ، فجمع بين صناعةِ السّحر والصِّياغه ، وأبدع في طريقته الْمُثلى فجلَّت عن الْمَثَلْ ، وأنبت[٢] في رياض الأدب غُروسَ فَضْلٍ لا تُقاس بدوحات البان ولا الأَثْل ، وأظهر نظامُه عُقوداً حلَّت من الزمان كل ما عَطَلْ ، وقال لسانُ الحال مِمَّن[٣] يتعاطاه : « مُكْرَهٌ أخاك لا بَطَل »[٤] ، وجلا عند نِثارِه كلماتٍ مقصوراتٍ في خيامه ، وذرَّ على كافور قرطاسه [من أنفاسه][٥] مسك خِتامه ، ناصر الدين شافع بن علي ،

لا زالَ في هذا الورى فَضْلُه يسيرُ سَيْرَ القمرِ الطَّالعِ
حتَّى يقولَ النّاسُ إذْ أجْمَعوا ما مالكُ الإنشا سوى شافعِ

إجازةَ كاتبِ هذه الأحرف ما يجوز له روايته[٦] من كُتب الحديث وأصْنافِها[٧] ، ومُصنّفاتِ العلوم على اختلافها ، إلى غير ذلك ، كيفما تأدَّى إليه من مشايخه الذين أخذ عنهم من قراءة أو سماع أو إجازة أو مُناولة أو وصيّة . وإجازةَ ماله ـ فسح الله في مدته ـ من تأليفٍ ووَضْع ، وتصنيفٍ وجَمْع ، ونظم ونثر . والنَّصُّ على ذِكْرِ مُصنّفاته وتَعْيينِها في هذه الإجازة إجازةً عامة على أحد القولين في مثل ذلك . والله يُمتّع بفوائده ، وينظمُ على جِيد الزَّمن عنه بيد غيره من إنشائه .

(١) في (س) : « أبرزن طرسه » ، وفي الوافي : « أبدت طروسه » .
(٢) في الأصل : « وأثبتت » وهي بعيدة ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) في الوافي : « فيما » .
(٤) مثل مشهور . انظر قصته في الوسيط في الأمثال : ١٥٦ .
(٥) زيادة من الوافي .
(٦) في (س) : « روايتها » .
(٧) في الأصل : « أصنافها » من غير واو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

« أما بعد ، فالحمد لله الذي أمتع من الفضلاء بِكُلِّ مُجيز ومُسْتَجيز ، وأشهدَ من معاصري ذوي الدِّراية والرِّواية مَن جمع بين « البسيط » من عُلوِّ الإسناد و « الوجيز » . نحمده على نِعَمِه التي يجب له عليها الإحماد ، ونشكره على تهيئة فضلها الْمُخوِّل شرف الإسعاف والإسعاد ، ونُصلِّي على سيدنا محمد الْمُعَظَّمة[1] رواةُ حديثه ، وحُقَّ لهم التعظيم ، العالية قَدْراً وسَنَدا ، مَنْ شأنُه التبجيلُ والتَّفخيم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وما أحقهم بالصلاة والتسليم .

وبعد ،

فإني وقفْتُ على ما الْتَمَسه الإمامُ الفاضل ، الصَّدرُ الكامل ، المحدِّثُ الصادق ، العليُّ[2] الإسناد ، الراقي درجات علم[3] الحديث النبوي بعُلوِّ روايته السائرة على رؤوس الأشهاد ، وهو غَرْس الدين خليل بن أيبك :

وحسبي به غَرساً تسامى أصالةً ... إلى أن سما نحو السماء علاؤها
حوى من بديع النَّظم والنَّثرِ ما رقى ... إلى درجاتٍ لا يُرامُ انتهاؤها

استجاز ـ أعزَّه الله ـ فأتى ببديع النَّظم والنَّثر في استجازته ، وقال فأبدع في إبْدائه وإعادته ، وتنوّع في مقالها فأسمع ما شنَّفَ الأسماع ، وأبان عما انعقد على إبداعه الإجماع ، وقال فما استقال ، ورتل آيَ مُحكَم كتابه فتميَّز وحُقَّ له التميّز على كل حال .

وقد أجبته إلى ما به رَسَم جُملةً وتفصيلا ، وأصلاً وفرعا ، وأبديت به وجهاً من وجوه الإجابة جميلا ، ما يجوز لي روايته من كُتب الحديث وأصنافها ، ومصنَّفات العلوم حسب إجازة ألافها ، حسبما أُجِزْتُ به من المشايخ الذين أخَذْتُ عنهم ، وسألت

---

(١) في الأصل و(س) : « المعظّم » وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .
(٢) في الوافي : « العالي » .
(٣) في (س) ، والوافي : « الراقي إلى درجات علماء الحديث .. » .

الإجازة منهم ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو وصيّة ، ومالي من تأليف ووضع ، ونظم ونثر وجمع ، كشعري المتضمّنة الديوان المُثبت فيه ، ومناظَرة الفتح بن خاقان المسمى (شِنف الآذان في مُماثلة تراجم قلائد العقيان) ، و (سيرةِ مولانا السلطان الملك الناصر) المتضنة أجزاء متعددة ، و (سيرة والده السلطان الشهيد الملك المنصور) المتضمّنها جزء واحد[١] التي حَسَنَتُها على ألسنة الرعايا متعددة[٢] ، و (سيرة ولده الملك الأشرف) ، و (نظم الجواهر في سيرة مولانا السلطان الملك الناصر) ، أيضاً نظماً ، و (ما يشرح الصدور من أخبار عكا وصور) ، و (الإعراب عما اشتمل عليه البناء الملكي الناصري بسرياقوس من الإغراب) ، و (إفاضة أبهى الحلل على جامع قلعة الجبل) ، و (قلائد الفرائد وفرائد القلائد فيما لشعراء العصريين من الأماجد)[٣] ، و (مناظرة ابن زيدون في رسالته) ، و (قراضات الذهب المصريّة في تقريظات الحماسة البصريّة) ، و (المقامات الناصرية) ، و (مماثلة رسائل[٤] ما حُلَّ من الشعر ، وتضمين الآي الشريفة والأحاديث النبويّة في المثل السائر) ، و (المساعي المرضيّة في الغزوة الحمصيّة) ، و (ما ظهر من الدلائل في الحوادث والزلازل) ، و (المناقب السَّريَّة المُنتزعة من السيرة الظاهريّة) ، و (الدرّ المنظم[٥] في مفاخرة السيف والقلم) ، و (الأحكام العادلة فيما جرى بين المنظوم والمنثور من المفاضلة) ، و (الرأي الصائب في إثبات ما لا بدَّ منه للكاتب) ، و (الإشعار بما للمتنبي من الأشعار) ، و (تجربة[٦] الخاطر المخاطر في مماثلة فصوص الفصول وعقود العقول) مما كتب به القاضي الفاضل في معنى السعيد بن سناء الملك ، و (عُدَّة الكاتب وعُمدة المخاطب) ،

---

(١) في الوافي : « المتضنة جزءاً » .

(٢) في الوافي : « مترددة » .

(٣) في الوافي : « فيما للشعراء العصريين الأماجد » .

(٤) في الوافي : « سائر » .

(٥) في (س) : « المنتظم » .

(٦) في الوافي : « تجربة » .

و (شوارد المصائد فيما لحل الشعر من الفوائد) ، و (مخالفة المرسوم في الوشي المرقوم) ، ومالي غير ذلك من حلّ نظمٍ ونظمِ حَلّ ، ورسائل فيما قلَّ أو جلَّ . وما يتفق لي بعد ذلك من نظم ونثر وتأليف وجمع حسبما التمسه مني بمقتضى إجازته ، وإيدائه وإعادته . وكُتب في يوم الأحد خامس عشر صفر سنة تسع وعشرين وسبع مئة » .

وكتب بخط يده بعد ذلك : « أجزت له جميع ذلك بشرطه » ، وكتب : شافع بن علي بن عباس .

وأنشدنا إجازة له :

أرى الخالَ مِنْ وَجْهِ الحبيبِ بأنْفِه ... ومَوضِعُه الأَوْلى بهِ صَفْحَةُ الخدِّ
وما ذاكَ إلا أنَّه من توقُّدٍ ... تسامى يرومُ البُعْدَ مِنْ شِدَّةِ الوَقْدِ

وأنشدني له إجازة ، وقد احترقت الكتبُ أيام الأشرف :

لا تحسبوا كُتُبَ الخِزانةِ عن سُدى ... هذا الذي قد تمَّ من إحراقها
لَمّا تشتَّت شَمْلُها وتفرَّقت ... أسِفَتْ فتلك النارُ مِنْ زفراتها[1]

وأنشدني إجازة له :

شكا لي صديقٌ حُبَّ سوداءَ أُغريت ... بَصٍّ لسانٍ لا تَمَلُّ له وِرْدا[2]
فقلت له : دَعْها تُلازم مَصَّه ... فماءُ لسانِ الثَّورِ يَنْفَعُ للسَّودا

وأنشدني له إجازة :

قل لِمَنْ أطْرَى أبا دُلَفٍ ... بِمَديحٍ زادَ في غُرَرِه

(١) في (س) والوافي : « فتلك النار نار فراقها » .
(٢) في الأصل : « لي حبيب » وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وهي أشبه .

كم رأينـــــــــا مِنْ أبي دُلَفٍ خُبْرُه يُربي على خَبَرِه
ثمَّ ولّى بـــــالمماتِ ومـــــا ولّت الـــــدُّنيـــــا على أثَرِه

وأنشدني له إجازة في انكفاف بصره :

أضحى وجودي برَغْمي في الوَرى عَدَماً إذْ ليسَ لي فيهمُ وِرْدٌ ولا صَـــدَرُ[1]
عَـــدِمْتُ عينَيْ ومـــا لي فيهم أثَرٌ فهَـــل وجـــودٌ ولا عَيْنٌ ولا أثَرُ؟

وأنشدني له إجازة :

لقد فـازَ بـالأموالِ قَوْمٌ تَحَكَّموا ودانَ لهم مـأمـورُهـا وأميرُهـا
نُقـاسِمُهم أكيـاسَهـا شرَّ قِسْمَـةٍ ففينـا غـواشيهـا وفيهم صُدورُهـا[2]

وأنشدني له إجازة في سجادة خضراء :

عجبـوا إذا رأوا بـديـعَ اخْضِرارٍ ضِمْنَ سجّـادَةٍ بظِـلٍّ مَـديـدِ
ثمَّ قـالـوا: مِنْ أيِّ مـاءٍ تُروّى ؟ قلتُ: مـاء الـوجـوهِ عنـدَ السُّجـودِ

وأنشدني له إجازةً في مِمْسَحة القلم :

ومِمْسَحـةٍ تنـاهى الْحُسنُ فيهـا فـأضْحَتْ في الْمَـلاحـةِ لا تُبـارى
ولا نُكر على القلم الْمُـــــوافي إذا في ضِمْنِهـا خَلَـعَ العِـذارا

وأنشدني له إجازةً في شبّابة :

سلبتنـا شبّـابـةٌ بهـواهـا كُـلَّ مـا يُنْسَبُ اللَّبيبُ إليـه
كيفَ لا والْمُحْسِنُ القـولَ فيهـا آخِـذٌ أمْرَهـا بكِلتـا يـديـه[3]

---

(١) في النجوم : « إذ ليس » ، وكذلك في المنهل .
(٢) في الأصل : « أكياسهم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وهي أقرب .
(٣) في الوافي : « والمعرب » . والبيتان في النجوم ، والمنهل .

وأنشدني له إجازة :

ومن عَجَبٍ أنَّ السُّيوفَ لديهم ... تكلِّم مَنْ تأْتَمُّه وهي صامِتَهْ
وأعْجَبُ مِن ذا أنَّها في أكُفِّهم ... تُحيد عن الكَفِّ الْمُدى وهي ثابتهْ[1]

وكتب إليه السراج الورّاق ، ومن خطه نقلت :

أيا ناصرَ الدين انْتَصِرْ لي فطالما ... ظَفِرْتُ بنَصْرٍ منكَ بالجاهِ والمالِ
وكُن شافِعاً فالله سمّاك شافعا ... وطابَقْتَ أسماءً بأحسنِ أفْعالِ
وقَدْرُك لم نَجْهَلْهُ عِنْدَ مُحمَّدٍ ... لأن ابنَ عبّاسٍ من الصَّحبِ والآلِ

قلت : يريد بِمُحمَّد هنا القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر .

وكتب إليه أيضاً ، ومن خطه نقلت :

سَيِّدي اليومَ أنتَ ضَيْفٌ كَريمٌ ... فاقَ معنىً في جُودِه بمَعانِ
لو رأى الفَتْحُ سُؤدَدَ الفَتْحِ هذا ... ما انتمى بَعْدَه إلى خاقانِ
أو رآهُ فَتْحُ الْمَغاربِ صلَّى ... بعُلاه (قلائدَ العِقْيانِ)
وكأنّي أراكُما في مُجارا ... ةِ المعاني بَحْرَينِ يَلْتَقِيانِ
وتَطارَحْتُما مُذاكَرةً تَفْتَنْ ... نُ مِنْها أزاهِرُ الأفنانِ
فإذا مَرَّ للصنائِعِ ذِكْرٌ ... «فاجْعلاني في بَعْضِ مَن تَذْكُرانِ»[2]

ومن نثر الشيخ ناصر الدين شافع ـ رحمه الله تعالى ـ في شمعة ، قوله :

« شمعة ما استتمَّ نَبْتُها برَوْضَةِ الأُنس حتى نوَّر ، ولا نَمَا بدَوْحَةِ الْمُفاكهة حتى

---

(١) في الأصل : « لابثة » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) ضمّن شطر بيت لأبي العلاء المعري .

أثمر[١] . أوْمَأ بنانُ تَبَلُّجها إلى طُرَقِ الهداية وأشار ، ودَلَّ على نَهْجِ التَّبصُّر وكيف لا وهي علمٌ في رأسه نار[٢] . كأنما هي قلم امتدَّ بما[٣] أُليق من ذَهَب ، أو صَعْدَة[٤] إلا أن سَنَانَها من لَهب ، وحَسْبُها كرماً أن جادت بنفسها ، وأعلنت بإمتاعها على هود حسّها ، سائلُها في الجود بأمثالها مسؤول ، ودَمَهُ بالعفو للصَّفو[٥] من سماحتها مطلول . تحيَّتُها : عِمُوا صباحاً بتألّق فجرها ، وتَمامُ بَدْرِها في أوائل شهرها . قد جمعت من ماء دمعها ونار توقّدها بين نقيضين ، ومِنْ حُسن تأثيرها وعين تبصرها بين الأثر والعين . كم شُوهد منها في مُدلهمّ الليل للشمس وضحاها[٦] ، ومن تمام نورها للنجم إذا تلاها ، وكم طوى باعُ أنْمُلَتِها الْمُضيئةِ رداء الليل إذا يغشاها . قد غيَّرت بياض ساطع نورها على الليل من أثواب الحداد ، وتنزلت منه منزلة النور الباصر ولا شبهة أن النور في السواد . إن تمايل لسان نورها فالإضاءة ذات اليمين وذات الشمال[٧] ، وإن استقام على طريقة الإنارة فلِمَا يلزم إنارتُها من الإكال . نارُها إنما هو من تلاعب الهوى بحشاها ، ونحولها بمكابدة تعذيبها بما من الاصفرار يغشاها . كم عُقدت على سفك دمها مع البراءة من العقوق من محافل ، وكم قُتلت على إطفاء نائرها ، ولا ثائرة مِن قاتل ، فهي السليمة التي كم بات من زبان صرفها بليله السليم[٨] ، وكم أجدى نَفَسُها على نفسها بنفح روح ربها[٩] من عذاب أليم » .

---

(١) في الوافي : « أزهر » .

(٢) فيه إشارة إلى بيت الخنساء في رثاء أخيها صخر :

وإنَّ صخراً لتأتَمُّ الهداةُ به كأنَّه علم في رأسه نار

(٣) في الوافي : « مما » .

(٤) الصعدة : القناة المستوية .

(٥) في الوافي : « لمصفح » .

(٦) استقى سجعاته من سورة الغاشية .

(٧) من سورة الكهف .

(٨) في الوافي : « باتت .. بليلة » ولم يتجه مراده .

(٩) في الوافي : « بنفح روحها » .

وأنشدني لنفسه إجازة :

ولَمّـــا أتـــانـــا ابن تيميـــةٍ وحقَّـق بـــالْخُبْر منـــه الْخَبَرْ
أذَبْنَـــا عقيـــدةَ تَجْسيمـــه بِرِيـــقِ بَرِيْـــقِ سيـــوفِ النَّظَرْ

وأنشدني أيضاً :

قـالـوا : ألا تَنْظر مـا قـد جرى من حنبليٍّ زادَ في لَغْـــوِه
فقلت : هـذا خُشْكِنـان ، أنـا والله مـا أدْخُـل في حَشْـوِه

الألقاب والأنساب

☆ **ابن الشَّحام** : نجم الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن .

☆ **ابن شَراقي** : علم الدين عبيد الله .

٧٦٨ ـ شَرف بن أَسَد المِصْريّ*

شيخٌ ماجُنَّ ، ماجِنٌ كما جُنّ ، ولا غَسَل ما حُمِلَ في رِدْنه من السُّخْفِ ماءُ النيل ولا الأُرْدُنّ ، خليعٌ أربى على الجديد والخليع ، وأنسى الناسَ ذِكْرَ صريع الدلاء[١] بما لَهُ من الصنيع ، ومتهتّك ليس بعارٍ من العار ، ولا بمبالٍ أيّ ثَوْبَيْه لَبِس أنقيٌّ مِنَ التقوى أو إزار من الأوزار ؟ ، ظريفٌ يصحب الكُتّاب ، ويعاشر الشعراء وأهلَ الآداب ، ويشبِّبُ في المجالس على القينات[٢] ، ويسبّب الفِتْيان للفتيات ، لو رآه ابنُ حجّاج[٣] ما حجَّهُ ، أو ابنُ الهبَّاريّة[٤] لكان هباءً في تلك المحجّه . وكان يمدحُ الأكابرَ والأصاغر ،

* الوافي : ١٣٤/١٦ ، وفوات الوفيات : ١٠٠/٢ ، والدرر : ١٨٨/٢ ، والمنهل الصافي : ٢٢٣/٥ .

(١) هو محمد بن عبد الواحد القصار شاعر (٤١٢ هـ) ، الأعلام : ٢٥٤/٦ .

(٢) في الوافي والمنهل : « القيان » .

(٣) حسين بن أحمد شاعر غلب عليه الهزل (ت ٣٩١ هـ) الأعلام : ٢٣١/٢ .

(٤) محمد بن محمد شاعر هجاء (ت ٥٠٩ هـ) . الأعلام : ٢٣/٧ .

ولا يزال ذا كِيْس فارغ وفمٍ فاغر . وله عِدَّةُ مُصَنَّفاتٍ مملوءةٍ بالخُرَافات والتُّرَّهات ، من مشاشاة الخليج[١] وزوائد المصريين التي كالروض البهيج ، وهي موجودةٌ بالديار المصريّة بين عَوَامِّهم وخواصّهم ، وفي رفوف ذخائرهم ومناصِّهم .

ولم يزل على حاله إلى أنْ مَجَّه المُجُون وابتلعتْهُ الحُفْرَه ، ولقيَ مِنَ الله تعالى عَفْوَه وغُفْرَه .

وتوفي رحمه الله تعالى بعد مَرَضٍ مُزْمن في سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين وسبع مئة ، وكان في عشر السبعين .

ورأيتُه غيرَ مَرَّة ، وأنشدني شيئاً كثيراً من أشعاره ومن بلاليقه وأزجاله وموشحاته .

ووضع كتاباً في مادّة كتاب ابن مولاهم في الصنائع ، إلاّ أنّ الذي لابن مولاهم في خمسين صنعة[٢] ، والذي لابن أسدٍ في ألفٍ ومئتي صنعة[٣] ، ومنها مئتا صنعة[٤] تختصُّ بالنساء ، وهذا عملٌ كثير واستقراءٌ عتيد .

وكان عامّيَّ العلم ، فاضِلِيَّ الطباع ، يقع في شعره الجناسُ والتورية والاستخدام وسائرُ أنواع البديع ، وإن لم يكن ذلك في بعض المواضع قاعداً من حيث العلم .

وأنشَدني من لفظه لنفسه قطعةً مِنْ تَغَزُّلٍ شذّت عنّي ، ولم أحفظْ منها إلاّ قولَه :

الظبيُ يَسْلَحُ في أرجاء لِحْيَتِهِ والغُصْنُ يَصْفَعُهُ إنْ ماسَ بالقَدَمِ

وأنشدني مِن لَفْظِهِ لنفسه بالقاهرة في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة بُلَيْقَة ، وهي[١] :

(١) موضع في القاهرة ، والمشاشاة : الطُرَف .

(٢) في (س) : « صناعة » .

(٣) ليست في (س) .

(٤) الأبيات في الوافي والفوات ، والمنهل الصافي .

رَمَضَـــانْ كُلَّـــكْ فُتُـوَّهْ وصَحيـح دَيْنَـــك عَلَيَّـــهْ
وأنـــا في ذا الـوقت مُعْسِر واشتهي الإرفـــاق بيَّـــهْ[1]
حَتّى تُرْوَى الأرض بـالنيل ويبـــاعُ القُرط بَـــدْري
واعطِـك الـدرهم ثـلاثَـهْ وأصـوم شهرين ومـا أدْري
وإنْ طلبتني في ذا الـوقت فـــأنـــا أثبتُ عُسْري
فـامْتَهِـلْ واربـحْ ثـوابي لاتُرَبّحْني خَطِيَّـــــه
وتخلّيني أَسَقِّفْ طُـولْ نهـاري لاعَشِيَّـــه
لـك ثـلاثينْ يـوم عنـدي اصْبر اعطي المثـل مثلينْ[2]
ون عسَّفْتَني ذا الأيـــام ما اعترفْ لَكْ قَطّ بالدّين[3]
وانكرك واحلف وقُـلْ لَـكْ أنتَ مِن اين وَانا من اين[4]
واهرُب اقعُـد في قُمَـامـه أو قـلالي بـولشيّـــه[5]
وآجي في عيـــد شـوّال واستريـح من ذي القضيّـه
ولاّ خُـــذْ مِنّي نُقَيْـــدَه في الْمُعَجَّل نصف رَحْلَـك[6]
صَـوْمي مِنْ بُكْرَه إلى الظهر وأقاسي المـوتْ لاَجْلَـك[7]
واصـومْ لَـكْ شهر طُـوْبَـه ويكـونْ من بعض فَضْلـك
إيش أنـــا في رحمـــة الله مِن أنـــا بين البَرِيَّـــه

(١) في المنهل : « الإرفاق شوية » .
(٢) في (س) : « أعطيك » .
(٣) في المنهل : « بدين » .
(٤) في المنهل : « وأقول لك » .
(٥) القمامة : كنيسة القيامة في بيت المقدس . والقلالي : الصوامع المتصلة بالدير . والبولشيه : نسبة إلى بولش أو بولس . وفي المنهل : « بوبشية » .
(٦) في المنهل : « وإلا » .
(٧) في (س) : « من أجلك » .

أنـــا إلاّ عبـــد مقهـور تحت أحكام المشيّـــــه
من زبـــــونٍ نَحْس مثلي رمضـــان خـــذ مـــا تيسَّرْ
أنت جيت في وقت لـو كان الجنيـــــد في مثلـــو أفْطَرْ
هـــوِّن الأمـــور ومَشِّي بعَلي ولا تُعَسَّر
وخـذ ايش مـا سهَّـل الله مـا الـزبـونـاتْ بـالسـويَّـه
المَلِيْ خـذ مِنّـو عـاجـلْ وامهـل الْمُعْسِر شُـوَيَّـه
ذي حُرُور تـــذوّب القلب ونهـــار أطـول من العـــام
وانـا عنـدي أيَّ من صَـام رمضـان في هـذي الأيـام[١]
ذا يكـون الله في عُـوْنـو ويكفّر عنّـو الآثـــام[٢]
وجميـع كـــلامي هـــذا بطريـق المضحكيّـــة[٣]
والله يعلم مـــــا بقلبي والـذي لي في الطـويّـه[٤]

ووضعَ فيما وضع حكايةً حكاها لي[٥] ، وهي :

اجتاز بعض النحاة ببعض الأساكفةِ فقال له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، واللعنُ يأباك ، ورحمَ اللهُ أمَّكَ وأباك ، وهذه تَحِيَّةُ العرب في الجاهليّة قبل الإسلام ، لكنْ عليك أفضلُ السلام ، والسِّلم والسلام[٦] ، ومثلك من يُعز [ويحترم][٧] ويُكْرَم ويُحْتَشم .

---

(١) في (س) والوافي والمنهل : « ذي الأيام » .
(٢) في (س) والوافي والفوات والمنهل : « ذاك » .
(٣) في (س) والوافي والفوات : « المصخرية » . وفي المنهل : « المسخرية » .
(٤) في المنهل : « ما في قلبي » .
(٥) عبارة الوافي : « حكاها لي بالقاهرة المحروسة ونحن على الخليج بشق النعمان في سابع المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة » . ومثل هذا في المنهل .
(٦) في الوافي والمنهل : « والسلم » .
(٧) زيادة من (س) ، والوافي .

قرأتُ القرآن ، و (التيسير) و (العنوان) و (المقامات الحريريّه) ، و (الدرّة الألفيّة) ، و (كشّاف) الزمخشري ، و (تاريخ الطبري) ، وشرحتُ اللغة مع العربيّة على سيبويه ونفْطَوَيْه ، والحسين بن خالويه ، والقاسم بن كُمَيْل ، والنَّضْر بن شُمَيْل ، وقَدْ دَعَتْني الضرورةُ إليك ، وتمثَّلْتُ بين يَدَيْك ، لَعَلَّك تتحفني من بعض صنعتك ، وحُسْن حِكْمَتك[١] بنَعْلٍ يقيني الحَرّ ، ويدفعُ عني الشَرّ ، وأُعْرِبُ لَكَ عن اسْمِهِ حَقيقا ، لأتّخذَكَ بذلك رفيقا ، ففيه لُغَاتٌ مؤتلفه ، على لِسَان الجمهور مُخْتَلِفه[٢] ؛ ففي الناس مَن كَنَّاه بالمَدَاس ، وفي عامّة الأمم مَنْ لَقَّبَهُ بالقَدَم ، وأهل شهرنوزه سَمَّوه بالسارموزة ، وإنّي أخاطبك بلغات هؤلاء القَوْم ، ولا إثْمَ عليَّ في ذلك ولا لَوْم . والثالثةُ بكَ[٣] أَوْلَى ، وأسألكَ أيَّها المَوْلى أن تتحفني بسارموزة ، أَنْعَمَ مِن الْمَوْزة ، أقوى من الصوّان ، وأطْوَلَ عمراً من الزمان ، خالية البواشي ، مُطْبَقة الحواشي ، لا يتغيّر عَلَيَّ وَشْيُها ، ولا يروعني مَشْيُها ، لا تنقلبُ إن وطئتُ بها جُرُوفا ، ولا تنفلت إن طحت بها مكاناً مخسوفا[٤] ، لا تَلْتَوِقُ مِنْ أجْلي ، ولا يؤلمها ثقلي ، ولا تمترق[٥] من رِجلي ، ولا تتعوَّجُ ولا تتلقْوَج ، ولا تَنْبعج ولا تنفلج ، ولا تقبّ تحت الرِّجْل ، ولا تلصق بخبز الفِجْل . ظاهرها كالزعفران ، وباطنها كشقائق النعمان ، أخفّ من ريش الطَّيْر ، شديدة البأس على السَّيْر ، طويلة الكعَاب ، عالية الأجناب ، لا يلحق بها التراب ، ولا يُغْرِقُها ماءُ السحاب ، تَصُرُّ صريرَ الباب ، وتلمع كالسراب ، وأديمها من غير جراب ، جِلْدُها من خالص جلود المَعَز ، ما لبسها ذليلٌ[٦] إلاّ افتخر بها وعَزّ ، مخروزة كخرز الخردفوش ،

---

(١) في الوافي ، والفوات والمنهل : « من بعض حكمتك وحسن صنعتك » ، وهي أقرب .

(٢) في المنهل : « ففيه لغات مختلفة ... مؤتلفة » .

(٣) في المنهل : « به » .

(٤) في الأصل : « مخوفاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والفوات ، والمنهل .

(٥) في المنهل : « ولا تتزق » . والامتراق : سرعة المروق ، أي الخروج .

(٦) في المنهل : « ما لبسها أحد إلا » .

وهي أخفُّ من المنفوش ، مُسَمَّرة بالحديد مُمَنْطَقه ، ثابتة في الأرض الزِّلِقه[١] ، نعلُها من جلد الأفْيِلَة الحمير لا الفطير[٢] . وتكون بالنزر الحقير .

فلمّا أمسَكَ النحويّ من كلامه وثبَ الإسكافي على أقدامه ، وتمشّى وتبختر ، وأطرقَ ساعَةً وتفكّر ، وتَشدَّدَ وتَشَمَّر [وتحرّج وتنمّر][٣] ودخلَ حانوتَه وخرج ، وقد داخَلَه الحَنَق والحَرَج ، فقال له النحويّ : جئتَ بما طلبتُه ؟ قال : بل[٤] بجواب ما قلتَه ، فقال : قُلْ وأوجز ، وسَجِّع ورَجِّز . فقال :[٥] أُخْبِرُكَ أيُّها النحويُّ أنّ الشرْسا بجُزْوَى شَطَبْطَاب الْمُتَقَرْقل والْمُتَقبعقب لمّا قَرُبَ من قُرَى قَرْق القَرَنْقَنْقُف طرقَ زَرْفَنات شراسيف قَصْر القَشْتَنْبَع مِنْ جانب الشرسَنْكَل ، والديوكُ تَصْهَل كنهيق زقازقيق الصولجانات والحَرَفْرف الفَرْتَاح بيَيْض القَرَقَنْطَق والزَّعَر بَرَجْوَا حَلْبَنْبُوا يا حيز من الطيز بحيح بحمندل بشَمَردَ نوخاط الركْبَنْبُو شاع الخَبَرْبَر بجَفْر الترتاح بن بَسّوشاخ على لؤي بن شَمَنْدَح بلسان القِرْوَاق ، ماز كلوخ أنك أكيت إرْس بَرَام الْمُسْتَنْطَح بالشَّمَرْلَنْد مخلوط ، والزيبق بحبال الشمس مَرْبُوط ، علعل بشَعَلْعَل مات الكَرَكَنْدُوس ، أدعوك في الولية ياتيس تُشّ يا حمار بهية ، أعيذك بالزحواح ، وأبخّرك بحصى لبان المستراح ، وأوقيّك وأرقيّك ، وأرْقيك برقوات مَرَقات قَرْقَران البُطُون ، لتخلص من داء السِّرْسَام والجنون .

ونزل من دُكّانه مُسْتَغيثاً بجيرانه ، وقبضَ لحية النحويّ بكفّيْه ، وخَنَقه بإصْبَعَيْه حَتَّى خَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْه ، وبَرْبَرَ في وجهه وزَمْجَر ، وناء[٦] بجانبه واستكبر ، وشَخَرَ

(١) في المنهل : « المزلقة » .
(٢) في المنهل : « ... الأفيلة ، لا الحمير الفطير » .
(٣) زيادة من (س) والوافي ، والفوات ، والمنهل .
(٤) في المنهل والوافي : « فقال لا بل بجواب ... » .
(٥) في النص الآتي فروق بين الأصول التي أثبتته لا قية لها .
(٦) في المنهل : « ونأى » .

ونَخَرَ ، وتَقَدَّمَ وتأخَّر ، فقال النحوي : الله أكبر ، الله أكبر ، وَيْحَكَ أأنتَ تجنَّنْت !؟ فقال له : بَلْ أنت تخرّفت ، والسلام .

قلت : في غالب ألفاظ كلامه[١] الذي عَزَاهُ إلى النحويّ نَظَرٌ وأغلاطٌ كثيرة ، والمقطعُ الذي خَتَمَ به الحكاية باردٌ ما مَلَّحَ فيه ولا ظَرَّف ، وكان ينبغي أنْ يكون حارّاً هَزَّازاً نادراً حلواً حاليا خاليا ، كما المعهود في مثل هذه الحكايات الموضوعةِ ، كما لو قال له النحوي : ويلك ما هذا العُفَان ، قال : مِنْ ذلك الهَذَيان ، أو ما أشبَهَ ذلك .

اللَّقب والنسب

☆ **ابن الشُّرَيْشي :** الشيخ كمال الدين أحمد بن محمد[٢] .

٧٦٩ ـ شَطّي بن عُبَيّة*

الأمير بدر الدين أمير آل عقبة عرب البلقاء وحسبان والكرك إلى تخوم الحجاز .

كان شكِلاً حسناً تامَّ الخَلْق ، مَحْبُوباً إلى القلوب بوجْهِهِ الطلْق ، يُقرِّبُه السلطانُ ويُدْنيه ، ويضمُّه إلى كنفه ويؤويه . يطلع إليه كلّ عام بقوْدِه ، ويفوز من إنعامه بجُوده ، ويُجلِسُهُ في أعلى ذروة من طَوْده ، ويَحْمَدُه في وفادته عَلَيْه عُقْبَى عَوْده .

وهو زعيمُ قومه ، والمتغالي في سَوْمِه ، إذا شطّ شطّي عن دراهم نزلوا به عن أقدارهم ، فكَمْ عَلَّى لبني عُقْبَةَ مِنْ عَقَبَهْ ، وكم فكّ بجاهه لرقبائهم مِنْ رَقَبَه .

ولم يزل على حاله إلى أنْ شطّ مِنْ شَطّي مَزَاره ، وبعد عن الرؤية وإنْ قَرُبَت داره .

---

(١) في الأصل : « ألفاظه الذي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « محمود » سهو ، وقد سلفت ترجمته .

* الوافي : ١٥١/١٦ ، والدرر : ١٨٩/٢ ، والسلوك : ٧٥٥/٣/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٠٧/٣ .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلةَ عيد الأضحى سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة ، لأنّه كان قد توجَّه إلى [قرب][1] المدينة الشريفة النبويّة ، صلوات الله وسلامُه على ساكنيها ، ونزل على بني لام ، ولّما كان ليلة العيد شكا وقال : كتفي كتفي ، فأحضرَ بعضُ جواريه ناراً وأحْمَتْ حديداً وكَوَتْه يسيرا ، ثمَّ إنها توجَّهت لتعيد الحديدة إلى النار ، ولّما جاءت وجَدَتْهُ قد قضَى نَحْبَهُ رحمه الله .

وأعطى مكانَهُ لولديه[2] أحمد ونصير .

وهو في هؤلاء العربان المذكورين نظير مهنّا بن عيسى في آل فَضْل ، إلاّ أنّ مهنّا وأولاده أكبر عند الملوك ، وأوجه عند سلاطين مصر ، لكن كان الملك الناصر محمّد يخلع على شطّي الأطلس الأحمر والطرز الزركش أيضا .

☆ **الشطنوفي** : نور الدين علي بن يوسف .

٧٧٠ ـ شعبان بن أبي بكر بن عُمَر بن شعبان*

الشيخ الصالح أبو البركات الإربلي الفقير القادري ، صاحب الشيخ الحافظ جمال الدين بن الظاهري[3] ، لازمَهُ مُدَّة ، وطافَ معه يَسْمَعُ على الأشياخ بمصر والإسكندريّة ودمشق ، وكان عنده أجزاءٌ من عواليه ، وخرَّجَ [له][4] ابن الظاهري (مشيخةً) وسمعها منه العلاّمة تاج الدين الفزاري والكبار .

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) ، وفي الوافي : « قريب » .

(٢) في الأصل : « لولده » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي . وكذلك تذكرة النبيه .

* الوافي : ١٥٢/١٦ ، والبداية والنهاية : ٦٤/١٤ ، والدرر : ١٨٩/٢ ، والشذرات : ٢٦/٦ ، وذيول العبر : ٦٢ .

(٣) أحمد بن محمد الظاهري ، سلفت ترجمته .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

سمع من عثمان الشارعي[١] ، وعلي بن شجاع[٢] ، ومحمّد بن أنجب النعّال[٣] ، وعبد الغني بن بنين[٤] ، وكان يعرف شيوخَه ، ويحكي حكايات حسنة .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، عن سبعٍ وثمانين سنة . وكانت جنازته من الجنائز المذكورة التي يقلّ نظيرها ، حضرها القضاة والعلماء والأمراء والصدور والكتّاب والمشايخ وعامّة الناس .

وكان قد خَرَج من إربل صبيّا ، ونشأ بحلب ، ودخل القاهرة وأقام بها مدّة ، وعادَ إلى دمشق ، وأقام إلى أن مات في التاريخ .

٧٧١ ـ شعبان*

الأمير شهاب الدين ابن أخي الأمير سيف الدين أُلْمَاس أمير حاجب الناصري ، أو لزمه . لمّا توفي الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر تزوج هذا شعبان ابنته مُغَل بجاهِ[٥] أُلْمَاس لأنه كان خالَها ، ولمّا غضب السلطان على أُلْماس وقتله أُخرج هذا شعبان إلى غزّة ، فأقام بها مدّة ، ثمّ لمّا مات السلطان رجع إلى مصر لأنّه كان بينه وبين الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي قرابةٌ أيضاً ، وخرجَ معه إلى حماة وحلب وحضَر معه إلى دمشق ، وهو أمير طبلخاناه ، وأقام بها إلى أنْ جَرى ليلبغا ما جرى ، فأُمْسِك هو وأخوه يلبغا وجُهِّزوا إلى مصر ، ثمّ أُفْرِجَ عنه[٦] .

---

(١) هو عثمان بن مكي بن عثمان السعدي . (ت ٦٥٩ هـ) . العبر : ٢٥٤/٥ .

(٢) هو الكمال الضرير . (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٦/٥ .

(٣) (ت ٦٥٩ هـ) ، السير : ٣٤٣/٢٣ . وفي ذيول العبر : ٦٢ ، « ابن النعالي » .

(٤) هو أثير الدين عبد الغني بن سليمان بن بنين . (ت ٦٦١ هـ) .العبر : ٢٦٥/٥ .

* الوافي : ١٥٢/١٦ .

(٥) في الوافي : « نجّاه » ، ولا وجه لها .

(٦) أفرج عنه سنة (٧٤٠ هـ) كما في السلوك : ٤٩١/٢/٢ .

وبقي في مِصْرَ مُدَّة ، ثمّ جُهِّزَ إلى حلب فأقام بها أميراً مُدَّة ، ثمَّ حضرَ إلى دمشق أميراً في أوائل سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وأقامَ بها إلى أنْ مَرِضَ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عَشر شهر ربيع الأوّل سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وترك عليه ديوناً كثيرة ، ولم يُخلّف شيئا .

وكان الأمير سيف الدين طقطاي الدوادار قد زوَّج ابنته من بنْتِ أمير حسين ، ثم إنه طَلّقها بعد مدّة[1] .

كان الأمير شهاب الدين شكلاً ظريفا ، قريباً على القلوب خفيفا ، تقلَّبت به الأحوال ، ومرَّت عليه في الآنكاد أعوامٌ وأحوال ، وكان إذا حكاها أشجى القلوبَ وأنكاها ، وأقذى العيون وأبكاها .

ولم يزل في سعده خاملا ، ولثقل الديون حاملا ، إلى أن راح إلى الله بجملته وذهب بجملته ، رحمه الله تعالى .

٧٧٢ ـ شعبان بن محمّد بن قلاوون*

السلطان المَلِك الكامل سيف الدين ، ابن السلطان الملك الناصر محمّد ، ابن السلطان الملك المنصور .

كان ملكاً مَهيبا ، وسلطاناً لو تُرِكَ أضرمَ الدهرَ لهيبا ، يتوقَّدُ ذكاءً وفِطْنَه ، وينفذ نظرُه في المصالح نفوذَ النار في القَطْنَه ، متطلّعاً إلى الملك وسياسة الرعايا ، ويُعْجِز بذهنه مَنْ ناظَرَ أو عايا ، لم يُخلّ بالجلوس للخدمة طرفي النهار مع لعبه وَلَهْوِه ، ولا رُمي أمرٌ مِنْ مهمّات الملك بذهوله عنه وسَهْوِه .

---

(١) عبارة الوافي : « قد تزوّج بدمشق في أيام يلبغا بابنة شعبان هذا من ابنة أمير حسن ، ثم إنّه طلّقها » .

* الوافي : ١٥٣/١٦ ، والبداية والنهاية : ٢١٦/١٤ ، والدرر : ١٩١/٢ ، والشذرات : ١٥٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٥٠/٦ ، والنجوم : ١١٦/١٠ ، وتذكرة النبيه : ٩٠/٣ .

وكان مستبدّاً برأيه جازما ، آخِذاً بالاحتياط حازما ، وكان متطلّعاً إلى جَمْع المال وإحرازه[١] ، وادّخاره واكتنازه . وأقامَ ديواناً يرأسه للبَذْل ، ولم يقبل في ذلك برهانَ لومٍ ولا حجّة عَذْل .

وحلْيَتُه دون إخوته أنّه أشقرُ أزرقُ العين ، مُحَدَّد الأنف ليس بالشَّيْن .

ولم يزل على حاله إلى أن استراح له التعبان ، وفتح مِن خَلْعه فكّ ثعبان لشعبان ، وذلك يوم الاثنين مستهلّ جمادى الآخرة سنة سبعٍ وأربعين وسبع مئة .

وكانت مُدّةُ ملكه سنةً واحدة وسبعة عشرَ يوماً ، لأنّه لمّا مات أخوه الصالح إسماعيل ، على ما تقدَّمَ في ترجمته قيل : إنّه أوصى له بالملك بعده ، لأنّه كان شقيقَه ، فاختلفت الخاصكيّة عليه[٢] ، ومالت فرقة إلى أخيه حاجّي المقدّم ذِكْرُه ، وفرقةٌ إلى شعبان ، فذكره الأمير سيف الدين أرغون العلائي للأمير سيف الدين أللك النائب بمصر ، فقال له : بشرط ألاّ يلعب بالحمام ، فبلغه ذلك ، فنقم هذا الأمر عليه .

ولمّا جلس على كرسي الملك أخرجه إلى الشام نائبا ، ثمّ إنّه من الطريق جهّزه إلى صفدَ نائبا ، وطلب الأميرَ طقزتمر[٣] نائبَ الشام ليبقى في نيابة مصر .

وكان جلوسه على تخت المُلْك يوم الخميس بعد دَفْنِ أخيه ، وحَلَفوا له يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة . وحضَرَ الأمير سيف الدين بيغرا إلى الشام ، وحلّف له أمراء دمشق ، ثمّ إنّه أخرج الأمير سيف الدين قماري أخا بكتمر إلى طرابلس ، وأخرج الأمير حسام الدين طُرنطاي البشمقدار[٤] إلى الشام .

---

(١) في (س) ، (خ) : « وفي إحرازه » .
(٢) ليست في (خ) .
(٣) في (س) ، (خ) : « سيف الدين طقزتمر » .
(٤) في المنهل : « البجمقدار » .

وهابه الناس وأعظموه وخافوه ، وفتح باب قبول البَذْل في الإقطاعات[١] والوظائف ، وجَعَل لذلك ديواناً قائم الذات . وكان يعيّن البذل في المناشير ، وهو [مبلغ][٢] ثلاث مئة درهم فما فوقها ، فما استحسن الناسُ منه ذلك ، وكانت [نفسه][٣] في هذا الباب ساقطة .

وأنشدني من لفظه لنفسه الأديب جمال الدين محمّد بن نباتة[٤] :

جَبينُ سُلْطَانِنَا الْمُرَجَّى ... مُبَارَكُ الطالعِ البديع
يا بهجةَ الدهر إذْ تبدّى ... هلالُ شعبان في ربيع[٥]

ولم يَزَلْ على حاله إلى أنْ برّز الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي إلى ظاهر دمشق ، على ما سيأتي في ترجمته ، وجرى من[٦] الأمير سيف الدين ملكتمر والأمير شمس الدين آقسنقر ما تقدَّم في ترجمته وترجمة المظفّر حاجّي ، فخُلع من الملك ، ودخلوا[٧] به إلى السجن ، وأخرجوا أخاه المظفّر حاجّي وأجلسوه على تخت[٨] الملك .

أخبرني من لفظه سيف الدين أسنبغا دوادار الأمير سيف الدين أرغون شاه ، وكان أرغون شاه يومئذٍ أستاذ دار السلطنة ، قال : مَدَدْنَا السماط على أنْ يأكله الكامل ، وجهّزْنَا طعام حاجّي إليه ليأكله في سجنه ، لأنّ الكامل أخاه كان قد أمسكه واعتقله ، فخرج حاجي أكَل طعام السلطان ، ودخل الكامل فأكل طعام حاجي في

(١) في الأصل : « والإقطاعات » ، وأثبتنا ما في : (س) ، (خ) .
وفي المنهل : « وصار يخرج الإقطاعات والوظائف بالبدل .. » .
(٢) زيادة من : (س) ، (خ) ، والوافي .
(٣) زيادة من : (س) ، (خ) .
(٤) ديوانه : ٣٢٠ . وكان ذلك لما تسلطن . انظر : المنهل .
(٥) في الوافي : « البدر إذ » .
(٦) في الأصل : « بين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي . وهو موافق لما في المنهل .
(٧) ليست في : (س) ، (خ) .
(٨) في (س) ، (خ) : « كرسي » .

سجنه مكانَه ، وهذا أمرٌ غريب ، وكائن عجيب ، فسبحان مَنْ بيده أزِمَّةُ الأمور يصرّفها كيف يشاء .

وقلت أنا في واقعته :

بيت قلاوون سعاداته ... في عاجلٍ كانت بلاَ آجل
حَكَّ على أملاكه للردى ... دَيْن قد استَوْفَاه بالكامل[1]

٧٧٣ ـ شُعَيْب بن محمّد بن محمّد*

ابن محمّد بن ميمون المرّي المغربي الأصل .

أخبرني العلاّمة شيخنا أثير الدين من لَفْظه ، قال : أنشدنا المذكور من لَفْظِه لنفسه[2] ، ومولده بساحل بر الحجاز بموضع[3] يُسمّى قبر عنتر[4] ، ثاني عشر القعدة سنة ستين وست مئة ، هكذا ذكر ، وأنشدَنا ما[5] ذكر أنّه نظمه :

هَزّوا الغصون معاطفاً وورودا ... وجَلَوا مِنَ الوَرْد الجنِيِّ خُدُودا[6]
وتقلّدوا فترى النجوم مباسماً ... وتبسَّموا فترى الثغور عُقُودا
وغدا الجمال بأسْره في أسْرِهم ... فتقاسموه طارفاً وتليدا
فإذا وُلدن أهلّة وإذا سرحْـ ... ـنَ جاذراً وإذا حَمَلْنَ أسودا[7]

(١) نقلها صاحب المنهل .

* الوافي : ١٦٥/١٦ ، والفوات : ١٠٤/٢ ، والدرر : ١٩٣/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٠٢/٢ .

(٢) كذا هي عبارة الأصل و (س) ، وفي الوافي نقلاً عن أثير الدين : « قال : نشأ المذكور بالقاهرة ، ومولده .... » .

(٣) في الأصل : « موضع » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٤) في الفوات : « عنبر » .

(٥) في الوافي : « ممّا » .

(٦) في الوافي ، والفوات والتذكرة : « معاطفا وقدودا » .

(٧) في الفوات : « فإذا سفرن » .

وإذا لَـوَوا زَرَد العِـذار على النَّقـا ... جعلوا اللِّوَى فوق العقيـق زَرُودا
رحلـوا عن الـوادي فمـا لنسيمـهِ ... أَرَجٌ ولم أَرَ في رُبَـاهُ الغيـدا
وذَوَت غُصُون البـان فيـه فلم تَمِسْ ... طَرَبـاً ولم أسمـعْ بـه تغريـدا
فكأنمـا هم بـانُـهُ وغصـونُـه ... وظُبـا رباه وظلّـه ممـدودا
نصبـوا على مـاء العُـذَيْب خيـامهم ... فـلأجْلهم عَـذُبَ العُـذَيب وُرُودا
وتَحَمَّلت ريـح الصَّبـا من عَرْفِهم ... مسكاً يضـوع بـه النسيم وعـودا

قلت : شعرٌ جيّد ، لـه ديباجـة ورونق ، وكأنّه وقف على أبيات لابن قلاقس الإسكندري رحمه الله ورأى منزعها ، فراعى ذلك المنزع ، وأبيات ابن قلاقس هي :

عَقَدوا الشعورَ مَعَاقِدَ التيجان ... وتقلَّدوا بصوارم الأجفان
وتوشحوا زرداً فقلت أراقمٌ ... خلعت ملابسها على الغزلان
ومَشَوا وقد هزَّ الشبابُ قدودَهم ... هزَّ الكماة عوالي المرّاتِ
جرّوا الذوائل والذوابل وانثنوا ... فثنوا عناني محصنٍ وحصانِ
ولربّما عطفوا الكعوب فواصلوا ... ما بين ليث الغاب والثعبانِ
في حيث أذكى السمهريُّ شرارَهُ ... رفعَ الغبار لها مَثار دُخَان
وعلا خطيب السيف منبرَ راحةٍ ... تتلو عليه مقاتل الفرسان

وأبيات ابن قلاقس أمتن وأجزل ، إلاّ أنّ في أبيات شعيب بيتاً نادراً جيّدا ليس لابن قلاقس مثلُه ، وهو قوله :

وإذا لووا زَرَد العذار على النقا ..... البيت

لما فيه من حُسْن الصناعة ودقّة التخيّل ، وتطبيق مفاصل النصف الثاني على النصفِ الأول .

ومثلُ هذه الأبيات قطعةٌ لأبي محمّد عبد الله بن البيّن ، وهي :

غَصَبـوا الصَّبـاحَ فَقَسَّمـوه خُـدُودا واسترهفـوا قُضُبَ الأَراك قُـدُودا
ورأوا حَصَى اليـاقـوت دون مَحَلِّهم فـاستبْـدَلُـوا منـه النجـومَ عُقُـودَا
واستوْدَعُـوا حَـدَق المهـا أجفـانَهم فَسَبَـوا بهنّ ضَراغمـاً وأُسُـودا
لم يكْفِ أنْ جَلَبُـوا الأسنّـة والقَنـا حتى استعـانـوا أعْيُنـاً ونهـودا
وتظـافروا بظفـائرٍ أبـدوا لنـا ضَـوْءَ النهـار بلَيْلهـا مَعْقـودا
صـاغـوا الثغـور من الأقـاحي بينهـا مـاءُ الحيـاة لـو اغتـدى مـورودا

وكانت وفاةُ شُعَيْب المذكور ، رحمه الله ، بالقاهرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

٧٧٤ ـ شُعَيْب بن يوسف بن محمّد*

القاضي الفاضل شرف الدين أبو مَدْيَن ، السيوطيّ المَحْتد ، الأَسْنَائي المولد .

قرأ الفقـهَ على أبيـه ، وعلى أبي الحسن علي بن محمـد الفُـوِّي[١] . وقرأ النحـو على تقي الـدين بن الهُمَـام السُّمْهُـودي[٢] ، والفرائضَ على عطـا الله بن علي الأسنـائي[٣] ، وبحث (المنهـاج في الأصـول) على ابن غُرّة[٤] . وقرأ بعضَ عَرُوضٍ على الخطيب عبد الرحيم السَّمْهُودي[٥] .

واستنابه والده عنه في الحكم بأسوان ، ثمّ إنه حضر بعد وفاة أبيـه ، رحمـه الله ، إلى القاهرة ، فولاّه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة مكان أبيـه ، واستمرّ إلى سَنَـة تسع[٦]

---

* الوافي : ١٦٦/١٦ ، والطالع السعيد : ٢٦٠ ، والدرر : ١٩٢/٢ ، والمنهل الصافي : ٢٥٣/٦ .
(١) ستأتي ترجمته .
(٢) هو سليمان بن موسى بن بهرام . (ت ٧٣٦ هـ) . الطالع السعيد ! ٢٥٤ .
(٣) ستأتي ترجمته .
(٤) في الوافي : « ابن عرّة » ، وفي الطالع : « ابن عزّة » .
(٥) ستأتي ترجمته .
(٦) في الأصل : « ست » ، وأثبتنا ما في : (س) ، والوافي : والطالع ، والمنهل .

وعشرين وسبع مئة ، ثمّ ولي قضاء إسنا وأدفو ، ودرّس بالمدرستين بأسوان وبالعزيه[١] بإسنا .

وكان مع فضيلته خيّراً في ذاته ، مُنجمعاً عن لذاته ، حَسَن الصفات ، مشغول الأوقاتِ ، قلَّ مَنْ تعرَّضَ له بأذىً فَسَلِمْ ، أو أراده بسوءٍ إلاّ وقابله اللهُ بما عَلِمْ ، يعاملُ اللهَ بسلامة صدره ، فيقي اللهُ عرضَه كسوفَ بدره .

ولم يزل على حاله إلى أن اغتالت شُعَيْباً شَعُوب ، وقَصَفت قناةَ عمره ذاتُ الكعوب .

توفي رحمه الله تعالى في .....[٢] .

ومولده بإسنا سنة تسع وتسعين وست مئة .

قال الفاضل كال الدين جعفر الأُدفوّي : شوَّشَ عليه بعضُ القضاة[٣] فلم يُقِم إلاّ أربعةَ أشهر[٤] ، ثمّ عُزل ، ثمّ أرسَل أبو العبّاس أحمد بن حَرَمي يذكر عنه قضيّة فلم يُقِم إلاّ شهراً واحداً وشُنِّعَ عليه بأشنع منها .

وكان في عمل قوص ثلاثة قضاة ، فصار الاثنان يقصدان أن يضمّا جهته إلى جهتيهما ، فصُرِفا عن العمل ، وأُضيف إليه مِن كلّ جهة من جهات المذكورين جهة إلى جهته . ونظم بعضُهم في ذلك :

إنّ القُضَاةَ ثلاثةٌ بصعيدنا ... قد حَقَّقوا ما جاء في الأخبار
قاضٍ بإسنا قَدْ ثوى جَنّة ... والقاضيان كلاهما في النارِ

---

(١) في الوافي : « العزيّة » !

(٢) وفاته في الدرر : في حدود الثلاثين وسبع مئة . وفي حاشية بعض نسخ الطالع أن وفاته سنة (٧٥٤ هـ) .

(٣) زاد في الطالع : « وقصد انتزاع ولايته منه ، فلم ... » .

(٤) في (س) : « ثلاثة أشهر » . وفي الوافي ، والطالع : « ثلاثة أشهر أو نحوها » .

هـذا بحُسْنِ صفـاتـه وفعـالـه وهـا بـا اكْتَسبـا من الأوزار

وذكَر كمال الدين له من هذا النوع وقائع عدّة[١] .

قلت : وكأنّ هذه الأبيات لكمال الدين جعفر رحمه الله تعالى . وهكذا نَظَمَ بعضُ أهل العصر ، أظنّه جمال الدين يوسف الصوفي رحمه الله تعالى في قاضي القضاة جلال الدين القزويني لّما استناب القاضيَيْن جمال الدين بن جَمْلة ، وفخر الدين المصري ، رحمهم الله أجمعين وعفى عنهم ، فقال :

قاضي القضاة ونائباه ثلاثة .....

الألقاب والأنساب

☆ **الشقراوي :** نجم الدين موسى بن إبراهيم .

☆ **الشُقّاري :** عماد الدين يوسف بن أبي نُصَيْر .

☆ **القاضي شقير :** أحمد بن عبد الله .

☆ **أمين الدين بن شقير :** عبد الله بن عبد الأحد . وتقي الدين عمر بن عبد الله .

☆ **ابن الشمّاع :** محمّد بن عبد الكريم .

☆ **ابن شكر الناسخ :** محمد بن شكر . ونجم الدين يوسف بن أحمد .

٧٧٥ ـ شهاب بن علي بن عبد الله*

الشيخ المبارك أبو علي المُحْسني .

---

(١) الطالع : ٢٦١ .

* الوافي : ١٨٩/١٦ ، والدرر : ١٥٩/٢ ، والشذرات : ١٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٥٥/٦ ، وذيول العبر : ٤٢ .

شيخٌ أمّي مقيمٌ بتربة الفارس أقطاي بظاهر قلعة الجبل[١] .

روى الكثير عن ابن المقيَّر[٢] ، وابن رواج ، وتفرّدَ بأجزاء .

وأخذ عنه شيخنا الذهبي ، وقاضي القضاة العلاّمة تقي الدين السُّبْكي ، والوافي ، وابن الفخر ، وابن سامة[٣] ، وطائفة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمانٍ وسبع مئة .

٧٧٦ ـ شُهْدة بنت عمر*

ابن أحمد بن هبة الله بن محمّد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن جرادة العُقَيْلي الحلبي : السيدة الجليلة أمّ محمّد بنت الصاحب كمال الدين أبي القاسم بن العديم .

سَمِعَتْ بحلب من الكاشْغَري[٤] حضوراً سنة إحدى وعشرين وست مئة ، وأجَازها ثابت بن مشرّف[٥] وغيرُه .

قال شيخنا البرزالي : وروت لنا عن الشيخ الحافظ ضياء الدين عمر بن بدر بن سعيد الموصلّي[٦] حضوراً ، ولم يروِ لنا عنه سواها . وتزهّدت وتركت اللباس الفاخر من حين توفي أخوها القاضي مجد الدين بن العديم .

---

(١) في المنهل : « بظاهر القاهرة » .

(٢) في المنهل : « ابن القيرواني » .

(٣) في الوافي : « شامة » ، تصحيف . وفي المنهل : « وأبو شامة » . وابن سامة هو محمد بن عبد الرحمن ، ستأتي ترجمته .

* الدرر : ١٩٥/٢ ، والشذرات : ٢٠/٦ ، وذيول العبر : ٤٩ ، وأعلام النبلاء : ٤٩٩/٤ .

(٤) إبراهيم بن عثمان (ت ٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٠/٦ .

(٥) البغدادي الأزجي (ت ٦١٩) . السير : ١٥٢/٢٢ .

(٦) (ت ٦٢٢ هـ) ، الشذرات : ١٠١/٥ .

توفّيت رحمها الله تعالى بحلب في سنة تسعٍ وسبع مئة[١] .

☆ **ابن شوّاق** : جلال الدين حَسَن بن منصور .

☆ **ابن شوّاق** : علم الدين داود بن الحسن .

☆ **ابن شوّاق**[٢] : علي بن منصور .

☆ **ابن الشيّاح**[٣] : عبد العزيز بن محمد .

٧٧٧ ـ شيخو*

الأمير سيف الدين الساقي الناصري القازاني ، من مماليك السلطان الملك الناصر .

كان أميراً بالقاهرة[٤] ، ثمّ إنّه خرجَ إلى دمشق في الأيّام المظفريّه بعد إمساك الأمير سيف الدين يلبغا ، وصل[٥] إليها في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان من أحسن الأشكال وجهاً وقامَه ، ولبساً وعمامَه . يتلو القرآن ويكتبه دائمًا ، ويُرَى بعمل ما فيه قائمًا . وخطُّه روضةٌ أينعت أزهارها ، أو سماء تعاقبت فيها شموسها وأقمارها ، لو رآه ابنُ هلالٍ فتنه بَدْرُ وجْهه ، وعَلِمَ أنّه ليس من طرزه ولا شِبْهِهْ ، ولو عاينه ابن مقلة قال : كذا يكون الإنسان ، ومَقَل[٦] ما بيديه في حُسْن

(١) زاد في (س) : « ومولدها يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين » . وهذا التأريخ يوافق ما في الدرر ، لكنه يتناقض مع ما تقدّم من وفيات مَنْ أخذَتْ عنهم . وفي الشذرات أنها : « ولدت يوم عاشوراء سنة تسع عشرة وست مئة » . وكذلك في ذيول العبر .

(٢) في الوافي : « ابن شواق الطبيب » ، وخلت عبارة « ابن شواق » من : (س) .

(٣) كذا في (س) ، وهو الصواب ، وفي الأصل : « الشماح » .

* الوافي : ٣١٠/١٦ ، والدرر : ١٩٦/٢ ، والمنهل الصافي : ٢٦٢/٦ .

(٤) عبارة الوافي : « كان بالقاهرة أسيراً » وهو تحريف . انظر المنهل .

(٥) في الوافي : « فوصل » .

(٦) في الأصل : « ونقل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (س) ، (خ) . والمقل : النظر .

الخطّ من الإحسان . كتب بخطّه المليح رَبْعَة في رُبْع البغدادي الكبير ، بقلم المحقق[١] الذي يتعذّر فيه التحرير ، ووقفها بالجامع الأموي . وعنده مغالاة في الكتب النفيسة من كلّ فن[٢] .

وكان قد فوّض إليه الأمير سيف الدين أَيْتَمَش النظرَ في أمر الجامع الأموي ، فاسترفعَ حساب المباشرين ، وتعب في أمره ، وتولّى أُمْرَهُ بنفسه ، وفي ضمن هذا وردَ المرسومُ بطَلَبه إلى مصر في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، فتوجّه إلى القاهرة وأقام بها قريباً من عشرة أيّام ، ونزل به الأمر الذي وَجَب ، وحلَّ به القضاء المكنّي أبا العَجَب .

وتوفي رحمه الله تعالى في إحدى الجمادَيين من السنة المذكورة ، وكان قد أُشيعَ أنّه طُلبَ للوزارة .

٧٧٨ ـ شيخو*

الأمير الكبير الأتابك سيف الدين الناصري .

هو غير الأوّل ، ومن صرّح سعده وما[٣] تأوّل ، وثبت سؤدده وما تحوّل ، وكاد يكاثر أمواج البحار الزاخرة بما مَلَك وما تخوّل ، وصدق الملك في أمره وما تقوّل ، وكان قارونَ عصره ، وعزيز مِصْره ، وصاحبَ العَقْد والحَلّ ، والنقضِ والإبرام فيما حَرِّم وما حَلّ ، وكانت الأمور به ماشيه ، والخيرات فاشيه ، وعيون حسّاده بأنوار سعوده عاشيه[٤] :

(١) في الوافي والمنهل : « بقلم خفيف المحقق » .

(٢) عبارة الوافي والمنهل : « من كل فن ويشتريها » .

* الوافي : ٢١١/١٦ ، والبداية والنهاية : ٢٥٨/١٤ (وفيه سيخون) ، والدرر : ١٩٦/٢ ، والنجوم : ٣٢٤/١٠ ، والشذرات : ١٨٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٥٧/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٤/٣ .

(٣) في الأصل « وهو » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (س) ، (خ) .

(٤) (خ) : « غاشيه » تصحيف .

تعـود على الـدنيـا عـوائـد فضلـه فـأقبـل منهـا كلُّ مـا كان أدبرا
بحِلْمٍ كأنّ الأرضَ منـــه تـوقّرت وجـودٍ كأن البحرَ منـــه تفجّرا

فقوي بذلك حِزْبُه ، وأضاءت في الآفاق شُهْبُه ، وأنشأ خلقا كثيرا ، وجعل في كلّ مملكة غيرَ واحدٍ أميرا ، وأراهم من إحسانه وخِلَعِه جَنّةً وحريرا ، فكبر نوّابه في البلاد وكَثُروا ، وجَرَوا طَلْقا في ميادين سعودهم وما عثروا .

ولم يزل على حاله إلى أن جَرّعه الدهرُ بغدره الأمرَّين ، ونكّد عيش جماعة كانوا على ملازمته مصرّين ، فجرح جراحة لم تندمل ، وجَعْلت كلّ عين عليه بالدموع تنهمل .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة سادس عشري ذي القعدة سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مئة .

كان قد حظي عند الملك المظفّر ، وزادت وجاهته حتى شفع في الأمراء إخْوَةِ يلبغا وفي الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ، وأخرجهم من سجن الإسكندريّة ، ثمّ إنّه استمرَّ في دولة الملك الناصر حسن أحدَ أمراء الْمَشْوَر ، في[1] اخر الأمر كانت القصص تُقرأ عليه بحضرة السلطان في أيام الخدم ، وصار زمام الدولة بيده ، وساسها أحسنَ سياسة بسكون[2] وعدم شر ، وكان يمنع كلَّ حزبٍ من الوثوب على الآخر ، وعظم شأنه .

ولم يزل على حاله إلى أن رسم السلطان بإمساك الوزير وأخيه الأمير سيف الدين بيبغاروس في طريق الحجاز ، وكان شيخو قد خرَجَ متصيّداً إلى ناحية طَنَان[3] ، فلمّا كان يوم السبت رابع عشري شوّال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة رسم السلطان الملك

(١) (خ) : « وفي » .
(٢) عبارة الوافي : « بصلف وسكون » .
(٣) من أعيان قرى مصر قريبة من القاهرة . معجم البلدان : ٤٢/٤ .

الناصر حسن بإمساك الأمير سيف الدين منجك الوزير ، وحلّف الأمراء لنفسه ، وكُتب تقليدٌ[١] بنيابة طرابلس باسم الأمير سيف الدين شيخو ، وجهّز إليه مع الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير ، فتوجّه إليه[٢] وأخذه مِن برّا ، وحضر به إلى دمشق ، فوصل إليها ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة [سنة إحدى وخمسين][٣] ، وعلى يده مرسوم السلطان بإقامته في دمشق أميراً على إقطاع الأمير سيف الدين تُلَك السّلامي .

وتجهّزَ تُلَك إلى القاهرة ، فما وصل إلاّ وقد جاء على عقبه الأمير سيف الدين أرغون التاجي[٤] وعلى يده مرسوم بإمساكه وتجهيزه إلى باب السلطان ، وتقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق[٥] . ولّما أُمْسِك قرأ : ﴿ والفتنة أشدّ من القتل ﴾[٦] ، وقال : أين الأيمان التي حلفناها ؟ ، وجُهّز سيفُه صحبة الأمير سيف الدين طقتمر الشريفي[٧] ، ثم جُهِّز الأمير شيخو صُحْبةَ الأميرين مقيّدا ومعهما الأمير سيف الدين جوبان وثلاثون جنديّاً يوصلونه إلى غزّة ، ولّما وصلوا إلى قطيا توجهوا به إلى الإسكندريّة ، ولم يزل بها معتقلاً إلى أنْ خُلع الملك الناصر حَسَن ، وتولّى الْمُلْكَ المَلِكُ الصالح صالح ، فرسم بالإفراج عنه وعن بقيّة الأمراء الذين اعْتُقِلُوا مع الوزير [منجك][٨] .

ووصل الأمير سيف الدين شيخو إلى القاهرة في رابع شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ونزل الأشرفية ، واستقرَّ على عادته أوّلاً[٩] ، وخرج مع السلطان

(١) (خ) والوافي : « تقليدا » .
(٢) في الوافي : « به إليه » .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) (خ) : « الباجي » .
(٥) انظر البداية والنهاية : ٣٣٦/١٤ .
(٦) سورة البقرة : ١٩١/٢ .
(٧) ستأتي ترجمته .
(٨) زيادة من الوافي يتضح بها السياق .
(٩) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

الملك الصالح إلى الشام في واقعة بيبغاروس وتوجّه إلى حلب هو والأمير طاز وأرغون الكاملي خلف بيبغاروس ـ على ما تقدّم في ترجمة أرغون الكاملي ـ وعاد مع السلطان إلى القاهرة ، ولمّا أقام بها صمّم على العمل على إمساك بيبغاروس وأحمد الساقي وبكْلَمش بعد ما هربوا إلى الروم ، فأُمسكوا وحزّت رؤوسهم ، على ما تقدَّم في تراجمهم .

وصمَّمَ أيضاً على إمساك ابن دلغادر ، فأُمْسِك ، ولم يزل به إلى أن أحضر إلى القاهرة ووُسِّط وعُلّق على باب زُويلة .

ثمّ إنّه خرج بنفسه في طلب الأحدب[1] الخارج بالصعيد ، وأبعد في طلبه ، وعدّى مدينة قوص ، فهرب أمامه وأمسَكَ من جماعته جماعة كثيرة إلى الغاية ، ووسّطهم من مكان الظفر بهم إلى القاهرة ، وأبلى في أمرهم بلاءً حسناً ، وطهَّر الأرضَ منهم . وكان ذلك في أواخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة وأوائل سنة خمس وخمسين . ولم يزل مظفّراً منصوراً فيما يحاوله .

وقلت أنا فيه[2] :

شيخو أمير الجيوش سار ... لأحدبٍ باسُه لُطيخُ
أهمل أمر العُقاب لمّا ... رَيّش في ضعفه الفُرَيخُ
قولوا له أنت في ضلالٍ ... ما فيه خير وفيه رَيْخُ
مالك قدّامَهُ مَطارٌ ... أنت صبيٌّ وذاك شَيْخُو

ولم يزل على حاله إلى أن قيل له : إنّ الأمير سيف الدين جَرْدَمر[3] أخا الأمير سيف الدين طاز والأمير ركن الدين عمر بن أحمد بن بكتمر الساقي قد أوقعا بينك وبين السلطان ، وقد عزموا على الإيقاع بك ، فتيقّظَ هو لهذا الأمر ، وخَلَع السلطان

(١) محمد بن واصل . انظر أخباره في الذيل التام : ١٣٣ ، أحداث سنة ٧٥٤ هـ .
(٢) (س) ، (خ) : « في ذلك » .
(٣) ت ٧٩٣ هـ . الدرر : ٥٣٥/١ .

الملك الصالح في يوم الاثنين ثاني شوّال سنة خمس وخمسين وسبع مئة[١] ، وأخرَج السلطان الملك الناصر حسن وأجلسه على التخت ، وحلَف له هو والعساكر ، وأخرج الأمير سيف الدين طاز إلى حلب نائبا ومعه إخوته ، واستقرَّ هو بالقاهرة على حاله ، كلُّ الأمور راجعةٌ إلى أمره ، وزادت عَظَمَتُه بعد ذلك ، وزادت أملاكه وإقطاعه ومستأجراته بالشام وبالديار المصرّية ، وصار نوّابه بالشام في كلّ مدينة أمراء كباراً ، وخدموه وبالغوا ، إلى أن قيل : إنّه كان يدخل ديوانَه من إقطاعه وأملاكه ومستأجراته في كلّ يوم مبلغ مئتي ألف درهم وأكثر ، وهذا شيء لم نسمع به في هذه الدولة التركيّة .

وعمّر المدرسة العظيمة ، والخانقاه المليحة ، والتربة الحسنة في الصَّليبة[٢] ، وقرَّر في المدرسة الأربعةَ مذاهب ، ووقف عليها الوقوفَ العظيمة .

ولم يزل على حاله إلى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، فخرج شخصٌ من مماليك السلطان المرتجعة عن الأمير سيف الدين منجك يدعى باي قجا[٣] ، لمّا جلس السلطان في دار العدل وأذن للخاصكيّة بالدخول ، فوثب عليه وضربه بالسيف في وجهه وفي يده[٤] . وكانت واقعةً صعبة ، ومات من الزحمة على ما قيل يوم ذاك جماعة ، وكان يوماً عظيماً . وركب عشرة من مقدّمي الألوف ملبّسين وتوجهوا إلى قبّة النصر ، وأُمسك باي قجا المذكور ، وقُرِّرَ فلم يقرّ على أحد ، وقال : أنا قدّمت إليه قصة لينقلني من الخاصكيّة إلى الإقطاع فما قضى شغلي ، فبقي هذا الأمر في نفسي . ثم إنّه بعد مدّة سُمِّر باي قجا وطيف به في الشوارع .

واستمّر الأمير سيف الدين عليلاً من تلك الجراحة ، ولم يصعد منها إلى القلعة إلى أن خرج السلطان إلى[٥] سرياقوس ، ولم ينزل بها ، ثم إنّه دخل المدينة قبله .

(١) البداية والنهاية : ٢٥١/١٤ .

(٢) بالقاهرة ، كما في الوافي .

(٣) في المنهل اسمه : « قطلوخجا السلحدار » .

(٤) انظر البداية والنهاية : ٢٥٧/١٤ ، والذيل التام : ١٥٦ .

(٥) (خ) : « من » سهو .

وتوفي في ليلة الجمعة في التاريخ المذكور رحمه الله تعالى .

وما أحقه أن يُنْشَد يوم موته :

ألاَ رحمَ الله الأمير فـــــإنّـــــه أصمَّ بـه النـاعي وإن كان أسمعـا
ومـــا كان إلاّ السيف لاقى ضريبـة فقطّعهـــــا ثم انثنى فتقطّعـــــا

الألقاب والنسب[1]

☆ **ابن شيخ السلاميّة** : فخر الدين عبد العزيز بن أحمد . والقاضي قطب الدين ناظر الجيش موسى بن أحمد . وولده صلاح الدين يوسف . وجمال الدين إبراهيم بن علي .

☆ **بنو الشيرازي** : جماعة ، منهم : كمال الدين أحمد بن محمّد . وعماد الدين المحتسب محمد بن أحمد . وشمس الدين محمد بن محمد بن محمد .

☆ **الشيرازي** : قطب الدين محمود بن مسعود . ونجم الدين إبراهيم بن عبد الرحمن .

(١) (س) : « والأنساب » .

حرف الصاد

☆ **الصابوني** : أمين الدين عبد المحسن بن أحمد . وعلاء الدين علي بن يعقوب . ومجد الدين عيسى بن محمد . وجمال الدين[1] أحمد بن يعقوب .

٧٧٩ ـ صَاروجا*

بفتح الصاد المهملة ، وبعدها ألف وراء وواوٌ وجيم وألف : الأمير صارم الدين الْمُظَفَّري ، نِسْبَةً إلى مُظفّر الدين بن جندر .

أخبرني الأمير شرف الدين حسين بن جندر قال : قلت للسلطان يوماً وقد أُجْرِيَ ذِكْرُهُ وهو في الاعتقال : يا خوند ، هذا ما هو مُظَفريٌّ نِسْبةً إلى المظفّر الجاشنكير ، وإنّما هذا هو مملوك أخي مظفّر الدين ، فقال : هكذا ؟! قلت : نعم ، فما كان بعد ذلك إلاّ أيام حتى أفرج عنه .

وكان أوّلاً بالديار المصريّة ، ولّما أعطَى السلطانُ الأميرَ سيف الدين تنكز [إمرة][2] عشرة قَبْلَ توجُّهِهِ إلى الكرك سلّم الإقطاع إليه ، وقال : هذا آغا[3] متاعك ، على رأي الترك ، فأَحْسَنَ صاروجا إلى تنكز وخَدَمه وثّمر له إقطاعه .

ولّما حضر السلطان من الكرك قيل له عنه إنه يميل إلى أمير موسى بن الصالح

---

(١) (س) : « جمال الدين المظفري » .

* الوافي : ٢٢٤/١٦ ، ونكت الهميان : ١٧٠ ، والدرر : ١٩٨/٢ ، والشذرات : ١٣٨ ، والمنهل الصافي : ٣٢٠/٦ .

(٢) زيادة من الوافي يقتضيها السياق . وكذلك في المنهل .

(٣) آغا : كلمة تركية معناها السيد والقائد ، والخادم .

علي ، فأمسكه في واقعة أمير موسى ، ثمّ أفرج عنه بعد مدّة تقارب العشرين[١] سنة ، وجهّزه أميراً إلى صفد ، فأقام بها مدّة تزيد على السنة والنصف . ثم إنّه نقل إلى دمشق على طبلخاناه[٢] ، وكان الأمير سيف الدين يرعى له خدمته الأولى ، وكان إذا خاطبه قال له : يا صارم .

ولم يزل مقيماً بدمشق إلى أنْ أُمْسِكَ الأمير سيف الدين تنكز[٣] ، فأمْسَكَ الأميرُ سيف الدين بشتاك لمّا حضر إلى دمشق الأميرَ صارم الدين صاروجا ، واعتُقِلَ في قلعة دمشق في جُمْلَة مَنْ أمسك في تلك الواقعة ، ثمّ إنّه وَرَدَ المرسوم على الأمير علاء الدين ألطنبغا بأن يكحّله ، فدافع الأمير علاء الدين عنه يُوَيماتٍ يسيرة ، ثمّ إنّه خاف ، فأمر بكحله ، فعمِيَ باصرُه ، وكان ذلك عشيّة نهار ، وفي صبيحة ذلك اليوم ورد المرسوم بالعفو عنه ، ثمّ إنّه رُتِّب له ما يكفيه ، وجُهِّزَ إلى القدس ، فأقام به مدّة .

ثمّ إنّه عاد إلى دمشق وأقام بها إلى أخريات سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى .

وكان رجلاً خيِّرَ الطِّباع ، سليمَ الصَّدْر ، كثيرَ المؤانسة والإمتاع ، قلَّ أن يكون في خزانته شيء ، بل الجميع يفرّقه على مماليكه الخَوَاص ، والذين هم على خدمته وملازمته غواص . وكان كتّابُه ومَنْ يتحدّث[٤] في بابه يشكُون من ذلك ، ويَرَوْن أنّ أيّامهم بهذا مِثْلُ الليالي الحوالك .

وكان الأمير سيف الدين قد وَلاَّه الحكم في البندق ، ثمّ عزله منه وتغيَّر عليه قليلاً ، ثمّ عاد إلى الحُنوّ عليه .

---

(١) في الوافي ونكت الهميان : « العشر سنين » . ومثل هذا في المنهل .

(٢) (س) ، (خ) : « طبلخانته » .

(٣) سنة ٧٤٠ هـ ، كما في الوافي ، والمنهل .

(٤) (س) : « يتحدث له » .

٧٨٠ ـ صاروجا*

الأمير صارم الدين ، نقيب النُّقَباء بالديار المصريّة .

كان فيه دهاء وخَدْع ، وصَدٌّ عن الحقّ وصَدْع ، لا يهاب أميراً ولا وزيرا ، ولا يخاف كبيراً ولا صغيرا ، له إقدامٌ على السلطان ، وعنده تختّلٌ[1] ما يهتدي إليه الشيطان . قدَّمه السلطان وقرَّبه ، وأدناه لمّا عَرَفه وجَرَّ بِهِ كثيراً مِنْ مراده لمّا جرّبه . إلى أن خافه الأمراء ، وهابه الكبراء .

ولم يزل على ذلك إلى أن فارق الحياة ، فَجاءَه الموت فجاءَه ، وقطع من الحياة أصْلَهُ ورجاءه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

كان نقيباً صغيراً ، فلمّا توفي الأمير عز الدين دقماق نقيب النقباء أمَّره السلطان وجَعَلَهُ مكانه ، وقَدَّمه وعَظَّمه ، وصار يدخل إليه على ضوء الشمع ، ويتحدّث معه في كلّ ما يريد ، حتى خافه الأمراء الكبار وخافه النشّو ناظر الخاص ، على ما فيه .

ثم إنّه توجه مع السلطان في السنة المذكورة[2] ، لمّا وصل في تلك السفرة إلى خانق دَنْدرا[3] وعاد ، فلمّا قارب القاهرة وقف صاروجا على بعض المعادي ليعدّي الأطلاب[4] ، فوقف على بعض الجسور ومدّ يده بالعصا ليضرب شخصاً تعدّى مكانه ، فرفع يده بالعصا ، فوقع مِن أعلى الفرس إلى الأرض ميتا .

---

* الوافي : ٢٢٥/١٦ ، والدرر : ١٩٧/٢ ، والمنهل الصافي : ٣١٩/٦ .

(١) (س) : « تحيّل » .

(٢) إلى الصعيد ، كما في الوافي .

(٣) بليدة على غربي النيل من نواحي الصعيد دون قوص . معجم البلدان : ٤٧٧/٢ .

(٤) في الأصل : « إلى الأصلاب » وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي المنهل : « يعدي بالأطلاب على بعض الجسور » .

الألقاب والنسب

☆ **ابن صارو** : شهاب الدين أحمد بن إبراهيم .

☆ **ابن صابر** : المقدّم إبراهيم .

☆ **ابن الصبّاغ الكوفي** : صالح بن عبد الله .

☆ **ابن الصائغ المقرئ** : محمد بن أحمد .

٧٨١ ـ صالح بن أحمد بن عثمان*

صلاح الدين القوّاس[١] ، الشاعر البعلبكي .

كان رجلاً خيّرا ، مضيء القلب نيّرا ، يعبّر الرؤيا ويتكلّم عليها مناسبا ، ويُجيد فَهْمَها حاسبا . وينظم القريض ، ويأتي به مثل زهر الروض الأريض . وكان كثير الاتِّضاع ، غزيرَ مادّة الإمتاع . قد صحب الفقراء زمانا ، وحفظ مِنْ كلامهم لؤلؤاً وجمانا . وسافر البلاد ، وعلم منها ومن أهلها الطارف والتلاد .

ولم يزل على حاله إلى أن انفسد[٢] مزاج صالح ، وتلقّاه العيش بعد بِشْرِه بوجهه الكالح .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة في سادس عشر شهر ربيع الأوّل .

ومولده سنة ثمانٍ وثلاثين وستّ مئة .

---

* الوافي : ٢٤٨/١٦ ، والدرر : ١٩٩/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٢٣/٦ .

(١) زاد في المنهل هنا : « الخلاطي » .

(٢) (س) : « فسد » .

أنشدني شيخنا الذهبي ، قال : أنشد المذكور قصيدته السائرة ذات الأوزان ، وهي :

دائي[١] ثوى • بفؤادٍ شَفَّهُ سَقَمُ ... لِمِحْنَتي • مِنْ دَوَاعي الهَمِّ والكَمَدِ
بأضلُعي • لهبٌ تذكو شرارَتُه ... من الضَنى • في محلّ الروح من جَسَدي
يوم النوى • ظلّ في قلبي له ألمٌ ... وحرقتي • وبلائي فيه بالرَّصَدِ[٢]
توجُّعي • مِنْ جَوَىً شبّت حرارتُه ... مع العنا • قد رثى لي فيه ذو الحَسَدِ
أصلُ الهوى • مُلْبسي وجداً به عَدَمٌ ... لمهجتي • مِنْ رشا بالحُسْن مُنْفَرِدِ
تتبُّعي • وجْهَ مَنْ تزهو نضارتُه ... لمّا جنى • مُورثي وجداً مدى الأمَدِ
هدّ القوى • حَسَنٌ كالبدر مبتسم ... لفِتْنَتي • مُوهنٌ عند النوى جَلَدي[٣]
مُوَدّعي • قمرٌ تسبي إشارتُه ... إذا رنا • ساطع الأنوار في البلد[٤]
مُهْدي الجوى • مولَعٌ بالهجر مُنتقِمٌ ... ما حيلتي • قد كوى قلبي مع الكَبِدِ
لمصرعي • مُعْتَدٍ تحلو مرارتُه ... يا قومنا • آخذٌ نحو الردى بيدي[٥]
قلبي كوى • مالكٌ في النفس محتكمٌ ... لقصّتي • وهو سولي وهو معتمدي[٦]
مروّعي • سار لا شطّت زيارته ... لمّا انثنى • قاتلي عمداً بلا قَوَدِ

قلت : يقال إنّ هذه القصيدة تُقرأ على ثلاث مئة وستين وجها[٧] .

وقد نظم الناس في هذا النوع قديما وحديثا ، وأكثروا ، وأحسنُ هذا النوع مالم تظهر الكُلْفةُ عليه ويكون عذباً منسجما . وأقدم ما يوجد من هذا النوع قول

(١) (س) ، والوافي ، والدرر والمنهل : « داءٌ » .
(٢) (س) ، والوافي : « به ألم » .
(٣) في الأصل : « هدا » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) الوافي .
(٤) في الأصل : « إذ » وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في الوافي : « مهتد تحلو » .
(٦) (س) ، والوافي : « لعفتي » . وفي الأصل : « هو معتمدي » بلا واو ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٧) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

أبي الحسين أحمد بن سعد الكاتب الأصبهاني ، وكان بعد العشرين والثلاث مئة[١] ، وهو :

وبلدةٍ قطعتها بضامر خفيددٍ عيرانة رَكُوبِ[٢]
وليلة سهرتها لزائر ومُسْعِدٍ مُواصلٍ حبيب
وقينةٍ وصلتها بظاهرٍ مُسَوَّدٍ تِرْبِ العلا نجيبِ[٣]
إذا غوت أرشدتُها بخاطرٍ مُسَدّدٍ وهاجسٍ مُصيب
وقهوة باكرتُها لتاجرٍ ذي عَنَدٍ في دِينه وَحَوب[٤]
سَوْرتُها كَسَرْتُها بباطرٍ مُبَرَّدٍ من جمّة القليب[٥]
وحَرْبِ خَصْم هجتها مكاثر ذي عدد في قومه مَهيب[٦]
معرّد إبلٍ سُقْتُها ببباترٍ مُهَنَّدٍ يَغْري الطُلاَرَسُوبِ[٧]
وكم حظوظٍ نلتُها من قادر مُمَجَّدٍ بصَنْعَةِ القريب
كافيت إذ شكرتها في سامرٍ ومَشْهد للملك الرقيب[٨]

والأبياتُ المشهورة ، وبعضُ الناس نسبَها لأبي العلاء المعرّي ، وما أظنّ أنا ذلك ، وهي :

جودي على المستنظر الصَبِّ الجَوِي وتَعَطَّفي بوصاله لا تظلمي

(١) (س) : « العشر والثلاثمئة » ، وما أثبتنا يوافق ما جاء في ترجمة أبي الحسين من الوافي : ٣٨٥/٦ ، والأبيات الآتية مثبتة فيه .
(٢) في الأصل : « حفيدد » تصحيف ، والخفيدد : السريع .
(٣) في الوافي : « بطاهر » .
(٤) في الأصل : « وجوب » تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في الأصل : « جنّة » وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .
(٦) في الوافي : « بكاثر » .
(٧) في الوافي : « مغرداً بل » ولا وجه لها .
(٨) في الأصل : « كانت إذا سكرتها » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

ذا المبتلَى المتفكّر القلب الـــدوي واستكشفي عن حـــالـــه وترحَّمي
وصِلي ولا تستنكري ذنبي البَري وترأفي بـــالـــوالـــه المستَسْلِم
تُبـــدي القِـلا بتغيّري الحب الأبي الْمُتْلِفي بخبـــالـــه المتحكّم[1]

هذه الأبيات على كاملها[2] من الكامل المسدّس على أتمّ أنواعه ، إلاّ أنّه لحق الإضمارُ بعضَ أجزائها ، فإذا حذفت الجزء الآخِر من كلّ بيت ، وجعلتَ القوافي عند قوله : « بوصاله » كانت الأبيات من شاذّ الكامل المخمّس . وأنشد العروضيون في مثله :

لِمَن الصبيّ بجـــــانب الصحراء مُلْقَى غير ذي مَهدِ

فإذا حذفت مِنْ آخر كلّ بيت جُزءين وجَعَلْتَ القافية عند قوله « وتعطفي » كانت الأبيات من مربّع الكامل ، ومثله :

وإذا افتقَرْتَ فـــــــلا تكن متخشّعـــاً وتَجَمَّـل

فإذا اقتصَرْتَ على الشطر الأوّل من كلّ بيت ، وجعلتَ القافية عند قوله « الجوي » كان من الضرب الرابع من الرجز ، وصار البيت بيتين مِن مُصَرَّع الكامل المسدس ، وإن حذفت من الشطر الأول[3] جزءاً ، وجعلت القافية عند قوله : « الصبّ » بقي معك بيتان مصرّعان من أحذّ[4] الكامل المُضمر ، كقول زهير[5] :

لمن الـــديـــار بقنّـــة الحِجْر أقـــوَيْنَ مِن حِـــجٍ ومِنْ دَهْر

فإذا نقّصت من الشطر الأول جزءين ، وجَعَلْتَ القافية عند قوله : « المستنظر »

(١) في الأصل « الحب الألى » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « كاملها » .
(٣) في الأصل : « من السطر الآخر » .
(٤) في الأصل : « أحد » تصحيف ، والأحذّ : ماسقط منه وتد مجموع من عجز (متفاعلن) فينقل إلى فَعِلن .
(٥) ديوانه : ٨٦ .

بقي بيتان من مربَّع/الكامل الْمُعَرّى[١] ، وإن شئت من الضرب الخامس من الرجز ، وإن اقتصرتَ على الأجزاء الأُوَل من الأبيات بقي مجموعها الأربعة الأجزاء بيتاً واحداً من مربّع الكاملُ ، وإن شئت من أقلّ أنواع الرجز المحدث ، مثل قوله :

طيـــــفٌ أَلَمْ بـــذي سَـــــلَمْ

وهذه الأبيات الأربعة تقرأ على عدّة وجوه .

٧٨٢ ـ صالح بن ثامر بن حامد*

الإمام القاضي الفَرَضي تاج الدين أبو الفضل الجعبري الشافعي .

سمع من ابن خليل ، وعبد الحق المنبجي ، والضياء صقر[٢] ، والنظام البلخي ، ومجد الدين بن تيميّة ، وعبد الله بن الخُشُوعي ، والعماد عبد الحميد بن عبد الهاد[٣] .

وخرَّج له أمين الدين بن الواني[٤] مشيخة . وولي قضاء أماكن .

وروى عنه شيخنا علم الدين البرزالي[٥] ، والواني[٦] ، والطلبة .

كان حاكماً عاقلا ، لا يقبل في الحق لائماً ولا عاذلا ، خيّراً عفيفا ، سليم القلب مِن

---

(١) هو ما سلم من الترفيل والإذالة .

* الوافي : ٢٥٢/١٦ ، والدرر : ٢٠٠/٢ ، والدارس : ٣٥٦/١ ، والمنهل الصافي : ٣٢٦/٦ ، وفيه : « تامر » ، وعقد الجمان : ٤٣٧/٤ ، وفيات (٧٠٦ هـ) ، والبداية والنهاية : ٤٣/١٤ ، وفيه : « صالح بن أحمد بن حامد بن علي الجعدي » . وتذكرة النبيه : ٢٧٥/١ .

(٢) هو ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم الكلبي الحلبي . (ت ٦٥٣ هـ) . العبر : ٢١٤/٥ .

(٣) في الأصل والمنهل والوافي : « وعبد الحميد » ولا وجه للواو ههنا وأثبتنا ما في (س) وقد توفي العماد عبد الحميد سنة ٦٥٨ هـ ، انظر السير : ٣٣٩/٢٣ ، والشذرات : ١٩٣/٥ .

(٤) محمد بن إبراهيم بن محمد (ت ٧٣٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٥) علي بن عمر (ت ٧٢٧ هـ) وستأتي ترجمته .

(٦) في المنهل : « أمين الدين الهمداني » .

الشرّ نظيفا . طريقُه طريقُ السلف ، يُرَى وهو بريء من الكبر والتيه والصَّلَف . وكانت يده في الفرائض طُولى ، وذهنه فيه قد بلغ مراماً ونال سُؤْلا . وكان طويلاً مليح الشكل حَسَنَ الأخلاق .

ولم يزل على حاله إلى أن أراد الله فناءه ، وعَمّر به ربع الخير وفِناءه .

وتوفي رحمه الله تعالى في صفر سنة ست وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وعشرين[1] وست مئة .

وولي قضاء بعلبك ، وناب في الحكم بدمشق ، وولي الخطابة ، واستسقى بالناس . وكان جيّد[2] الأحكام . وله قصيدة طويلة في الفرائض .

وتوّلى نيابة الحكم بعده القاضي نجم الدين أحمد بن عبد المحسن الدمشقي .

ولّما طلع ليستسقي بالناس في خامس جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وست مئة قعد الأمير علم الدين الدواداري أمام درج المنبر ، ولّما جاء القاضي تاج الدين الجعبري ليصعد المنبر ، ويخطب قال له الدواداري : ما تستسقي بنا وأنت حاكم ! فما رأى القاضي في مثل ذلك الجمع أن يرجع ويصعد المنبرَ غيره ، فقال : اشهدوا عليّ أنّني قد عَزَلْت نفسي من الحكم ، فقال له الدواداري : اصعد الآن .

٧٨٣ ـ صالح بن عبد العظيم*

ابن يونس بن عبد القوي بن ياسين بن سوّار الْمُسْنِد تقي الدين العَسْقَلاني .

---

(١) في التذكرة : « سنة ثلاثين وست مئة » .

(٢) (س) : « حميد » .

* الدرر : ٢٠٠/٢.

سمع من النجيب عبد اللطيف الحرّاني وغيره ، وأجاز لي سنة ثمان وعشرين بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى[١] ...

٧٨٤ ـ صالح بن عبد الله*

شرف الدين أبو محمد الصَّصْرَي ابن بَوَّاب المدرسة القيمريّة بدمشق .

سمع بدمشق ومصر وحلب ، وكتب وحَصَّل ، وتخرَّج ، وسمع من خَلْق بعد سنة ثلاثين وسبع مئة ، ثم إنّه فتر واشتغل بالإسكندرية على ابن النصَفي ، وتلا بالسبع على أبي حَيَّان[٢] .

وكان في القاهرة في خدمة القاضي جمال الدين إبراهيم ابن العلاّمة شهاب الدين محمود ، يدور بأولاده ويُسمعهم على الأشياخ ، فلما توجه جمال الدين إلى كتابة السرّ في حلب استمر في خدمة القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء ، فأثرى وحسنت حاله ، وجاء إلى دمشق في قالب غيرِ الأوّل ، وأقامَ قليلاً ، وخَدَمَهُ الناس ، وتوجّه إلى القاهرة فأقام بها قليلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شوّال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة[٣] .

٧٨٥ ـ صالح بن عبد الله بن جعفر**

ابن علي بن صالح بن الصبَّاغ ، الشيخ الإمام العالم الزاهد محيي الدين أبو عبد الله الأسدي الكوفي الحنفي .

(١) سنة ٧٣٤ هـ كما في الدرر .

* الوافي : ٢٦٤/١٦ ، ووفيات ابن رافع : ٢٧٨/١ ، والدرر : ٢٠٢/٢ .

(٢) ههنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٣) وفي وفيات ابن رافع أنه توفي (٧٤٩ هـ) .

** الدرر : ٢٠١/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٧٦/٢ .

كان فقيهَ بلده وإمامَها في أنواع العلوم والتصوّف والزهد والأدب . طُلب لتدريس المستنصريّة مراراً وامتنع . أجاز له الصغاني في سنة خمسين وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عُشَري صفر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة بالكوفة .

مات هو يوم الجمعة ، ومات قَبْلَه ليلة الجمعة الإمام السيد الشريف جمال الدين يوسف بن حمّاد الحسيني الْمَشْهدي[1] ، وكان شيخ الشيعة ومفتيها . وله قصائد نبويّة ، وشعره رقيق ، وكان مُعَظّما بالمدينة النبويّة وبالعراق .

٧٨٦ ـ صالح بن عبد الوهاب*

ابن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون الخطيب الفقيه العَدْل تقي الدين أبو البقاء ابن الشيخ الإمام مجد الدين الحنفي .

كان خطيب الجامع بالنيرب بدمشق[2] .

سمع من ابن عبد الدايم .

وكان ذا هيئة مليحه وخطابة فصيحه ، وفيه تودُّدٌ للأنام ، وسماحة يدخل بها في زُمْرَة الكرام . وكان يجلس في حانوت الشهود تحت القلعه ، وينفق من رفاقه بحسن خلقه كلَّ سِلْعَه .

ولم يزل إلى أن حلّ الْخَطْب بالخطيب ، وحَنَى الموتُ غُصْنَه الرّطيب .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشري شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وسبع مئة .

---

(١) في الأصل « المرشدي » سهو ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* تالي وفيات الأعيان : ٩٢ ، والدرر : ٢٠٢/٢ .

(٢) جامع النيرب بالقرب من الربوة ، والنيرب من قرى غوطة دمشق . انظر الدارس : ٣٣٨/٢ .

ومولده يوم الأربعاء عاشر صفر سنة سبع وخمسين وست مئة .

وتوّلى الخطابة مكانه ولده مجد الدين إبراهيم على عادة والده وجدّه ، ونظم أبوه اسمَهُ عند ولادته فقال :

تيّمنتُ فيه غبطة باسم صالحٍ فسمّيتُه مستهدياً برشاده
عسى الله فينا أنْ يمنّ بفضله فيُحييه عبداً صالحاً في عباده

٧٨٧ ـ صالح بن محمد بن قلاوون*

السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر من ابنة الأمير سيف الدين تنكز رحمهم الله أجمعين .

لّما كان في[١] يوم الاثنين ثامن عشري[٢] جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة أخذ الأمير سيف الدين طاز والأمير علاء الدين مُغلطاي أمير آخور ومَنْ معهما من أرباب الحلّ والعقد ، وخَلَعُوا الملك الناصر حسن ، وأجلسوا أخاه الملك الصالح على كرسي المُلك[٣] بحضور أمير المؤمنين المعتضد أبي الفتح أبي بكر[٤] وحضور القضاة[٥] ، وحلّفوا له العساكر ، وجُهز الأمير سيف الدين بزلار إلى دمشق ليحلّف العساكر الشاميّة .

ولّما كان في يوم الجمعة آخر النهار ركب أمير آخور المذكور ومنكلي بغا الفخري إلى

---

* الوافي : ٢٧٠/١٦ ، والدرر : ١٠٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٣٠/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٤/١٠ ، والبداية والنهاية : ٢٣٩/١٣ .

(١) ليست في « س » .

(٢) في المنهل : « السابع والعشرين » .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٢٣٩/١٤وما بعدها .

(٤) ابن سليمان بن أحمد ، سلفت ترجمته .

(٥) الأربعة ، كما في الوافي .

قبّة النصر ، وهو[١] رابع شهر رجب الفرد ، فركب الأمير طاز والسلطان الملك الصالح ، فكانت النصرة للسلطان الملك الصالح عليهما ، وعاد إلى القلعة منصوراً ، ورسَم بالإفراج عن الأمير شيخو وبيبغاروس والوزير[٢] منجك وغيرهم ممّن كان معتقلاً . واستقرت الأحوال[٣] .

ولمّا خرج بيبغاروس وأحمد الساقي وبكلمش بالشام[٤] ، على ما تقدم في ترجمة[٥] المذكورين ، خرج الملك الصالح إلى الشام وجرّد[٦] العساكر إلى دمشق ، وجهّز نائب الشام الأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، والأمير شيخو ، والأمير طاز إلى حلب خَلْفَ بيبغاروس ومن معه ، وأقام في دمشق إلى أن عاد شيخو وطاز ، وصام شهر رمضان في دمشق ، وصلّى الجمعة في الجامع الأموي ثاني شوّال ، وخرج من الجامع وركب وتوجّه بالعساكر إلى الديار المصريّة .

ولم يزل على حاله إلى أن قيل للأمير سيف الدين شيخو إنّ السلطان قد اتفق مع الأمير طاز وأخيه جَرْدَمُر على أنّهم يمسكونك ، فلمّا بلغه ذلك خلع الملك الصالح صالحاً ، وأجلس السلطان الملك الناصر حسن في ثاني شوّال سنة خمس وخمسين وسبع مئة على كرسي الملك[٧] ، فسبحان مَنْ لا يحول ولا يزول .

وحضر الأمير عز الدين أيدمر الشمسي وحلّف عساكر الشام للملك الناصر حسن ، وأخرج الأمير طاز لنيابة حلب .

---

(١) عبارة الوافي : « وذلك في » .
(٢) (خ) : « والأمير » .
(٣) انتهت ههنا ترجمته في الوافي .
(٤) (س) ، « إلى الشام » .
(٥) في (س) ، (خ) : « تراجم » .
(٦) في (س) ، (خ) : « وجرّ » .
(٧) انظر : البداية والنهاية : ٢٥١/١٤ .

ولم يزل الملك الصالح على حاله عند والدته ابنة الأمير سيف الدين تنكز لا يركب ولا ينزل إلى أن ورد الخبر إلى الشام بوفاته رحمه الله تعالى في صفر سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

وكان مولده في سنة سبع[١] وثلاثين وسبع مئة .

٧٨٨ ـ صالح بن مختار*

ابن صالح بن أبي الفوارس تقيّ الدين أبو التقى الشيخ الإمام ، إمام قبّة الشافعي رضي الله عنه الأسنوي[٢] .

سمع الكثير ، وأجاز لي في سنة ثمان وعشرين آذِنا في ذلك لعمر بن علي بن شعيب القرشي .

مولده في شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى ..[٣]

اللقب والنسب[٤]

☆ **الصالح بن المنصور** : علي بن قلاوون .

☆ **والصالح بن الناصر** : إسماعيل بن محمد .

☆ **والصالح أخوه** : صالح بن محمد .

---

(١) في المنهل : « سنة ثمان » .

* الوافي : ٢٧١/١٦ ، وفيات ابن رافع : ٤٨/١ ، والدرر : ٢٠٤/٢ ، وفي الوافي : « أبو البقاء » تصحيف .

(٢) كذا في الأصول والوافي ، وفي وفيات ابن رافع : « الأشنهي » نسبة إلى أُشْنه قرية من قرى أذربيجان ، ويؤيد ذلك ما في الدرر : « الأشنهي العجمي الأصل » .

(٣) في يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولى ، سنة (٧٣٨ هـ) ، كما في وفيات ابن رافع ، والدرر .

(٤) زيادة من (س).

☆ **ابن صغير الطبيب**[١] : ناصر الدين محمد بن محمد .

٧٨٩ ـ صالحة خاتون*

بنت الملك مُجير الدين يعقوب ابن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب .

لم يكن في وقتها أعلى نسباً منها .

توفيت رحمها الله تعالى في عشري شهر رجب الفرد سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولدها سنة خمسين وست مئة تقريبا .

الألقاب والأنساب[٢]

☆ **ابن صَبْرة** : الأمير عزّ الدين الحسين بن عمر .

☆ **ابن الصباغ النحوي الكوفي** : محيي الدين عبد الله بن جعفر .

☆ **ابن صبح** : الأمير علاء الدين علي بن حسن .

☆ **الصائغ** : شمس الدين محمد بن الحسن .

☆ **ابن الصائغ** : محب الدين محمد بن عبد الله .

☆ **ابن الصائغ** : أبو اليسر محمد بن محمّد بن محمّد . وأخوه : محمد بن محمد بن محمد . وأخوه : ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد .

٧٩٠ ـ صدقة بن بَيْدمر**

الأمير بدر الدين ابن الأمير سيف الدين ، تقدّم ذِكْرُ[٣] والده .

---

(١) (س) : « الطبيب المصري » .

* لم نقف على ترجمة لها .

(٢) زيادة من (س) .

** الوافي : ٣٠٥/١٦ ، والمنهل الصافي : ٣٣٧/٦ .

(٣) ليست في (خ) .

كان هذا الأمير صدقة لو قال : أنا شقيق البدر ، كلُّ الناس صدّقه ، شابّاً أجمع الناس على ظُرْفِهِ[١] وحلاوةِ تلوين طَرْفه ، أسمر يهزأ قدّه إذا اهتزّ بالأسمر ، وإذا افترّ ثغره الأبيض رأى مُحِبُّه الموتَ الأحمر ، قد زانه الميل والهَيف ، وودّ الْحَمام لو غَنّى على قدّه أو هتف ، لطيف الأخلاق ، يفوقُ الناس بجماله على الإطلاق ، لم يبقل[٢] خدُّه ، ولا انكفّ من سيف ناظره حَدّه .

لم يزل في ميدان شبابه الغضّ ، وعنفوان صباه الذي ما انفرط ولا انفضّ حتى صار القبر لجوهرة صدقَة صَدَفَه ، ولقيه الموت في وسط شوطه وصدفه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ عَبْطة[٣] في أوائل شهر رجب سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون[٤] دمشق .

وكان أمير عشرة في طرابلس ، وهو مضاف إلى دمشق .

اللقب والنسب

☆ **بنو صَصْرى ، جماعة**[٥] : قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن محمّد . وأمين الدين سالم بن محمد . وشرف الدين محمد بن عبد الرحمن .

☆ **الصفدي ، جماعة** ، منهم : زين الدين عمر بن داود . وولده شهاب الدين أحمد . ونور الدين علي بن إسماعيل . وأمين الدين درويش محمد بن علي . والشيخ نجم الدين الصفدي حسن بن محمد . وولده الخطيب كمال الدين محمّد بن حسن[٦] .

(١) في الأصل : « طرفه » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) بقل : ظهر ، وبقل وجه الغلام : خرج شعره .
(٣) (س) : « غبطة » تصحيف ، يقال مات عبطة : شاباً صحيحاً .
(٤) انظر خبر هذا الوباء في السلوك : ٧٧٢/٣/٢ .
(٥) ليست في (س) .
(٦) ألقاب الصفدي هذه ستتكرر بعد قليل بتغير في عددها وترتيبها ولعله اضطراب من الناسخ ، ولم يقع

٧٩١ ـ صفنجي*

الأمير سيف الدين الركني ، مملوك المظفّر ركن الدين بيبرس الجاشنكير .

كانت له مكانة عند أستاذه ، ونُقل إلى دمشق . وكان ديّناً مشكور السيرة .

توفي رحمه الله تعالى في رابع عشري صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن بتربته بجبل قاسيون بالقرب من زاوية السيوفي .

٧٩٢ ـ صفيّة**

بنت الشيخ الإمام العالم المُحدّث مجد الدين أحمد بن عبد الله بن المسلم بن حمّاد بن ميسرة الأزدي ، أمّ محمّد ، وتدعى ست الشام .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رَوَت لنا عن أصحاب ابن عساكر[1] ، ويحيى الثقفي[2] وغيرهما .

وكانت امرأة صالحة مباركة . قصدت الحجَّ فماتت بمدينة الرسول ﷺ ، وصُلّي عليها بالحرم الشريف ، ودُفنت بالبقيع ثاني عشري ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة .

ومولدها سنة سبع وأربعين وست مئة.

٧٩٣ ـ صفيّة بنت الإمام شرف الدين***

= مثل هذا في (س) ، وفيها مانصّه : « الصفدي : جماعة منهم : نجم الدين الخطيب حسن بن محمد ، وابنه كمال الدين محمد بن الحسن ، ونور الدين علي بن إسماعيل ، وزين الدين عمر بن داود ، وابنه شهاب الدين أحمد ، وأمين الدين درويش محمد بن علي الكاتب ، وسراج الدين شيخ خانقاه سعيد السعداء اسمه عمر » .

* لم نقف على ترجمة له .

** الدرر : ٢٠٧/٢ .

(١) بهاء الدين أبو محمد القاسم بن علي (ت ٦٠٠ هـ) السير : ٤٠٥/٢١ .

(٢) يحيى بن محمود بن سعد الثقفي (ت ٥٨٤ هـ) السير : ١٣٤/٢١ .

*** الدرر : ٢٠٧/٢ ، وذيول العبر : ٢٢٣ .

أحمد بن أحمد المعمّرة ، أمّ أحمد المقدسيّة ، زوج الشيخ بهاء الدين بن العز عمر[١] .

في الحجّة يوم الأربعاء عشري الحجّة سنة أربعين وسبع مئة ، توفيت رحمها الله تعالى .

حدّثت بـ (صحيح مسلم) عن ابن عبد الدايم .

٧٩٤ ـ صلغاي*

الأمير سيف الدين الناصري ، من أمراء الأربعين بدمشق .

كان يسكن[٢] جوار المدرسة القيريّة ، وهو صهر الأمير زين الدين كتبغا الحاجب[٣] .

وكان أميراً ديّناً خيّراً ، يُسَلّم على مَنْ يَلقَاه في الطريق . وكان الأمير سيف الدين تنكز يحبّه ولا يفارقه في صيوده .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشري صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودُفِنَ في مقبرة القُبَيْبَات .

اللقب والنسب

☆ **الصفي الهندي**[٤] : محمد بن عبد الرحيم .

☆ **ابن صف عذاره** : نجم الدين محمّد بن يحيى .

☆ **ابن الصيرفي المحدّث** : شرف الدين حسن بن علي . ومجد الدين محمّد بن محمد .

☆ **الصيّاح** : إبراهيم بن مُنَيّر .

---

(١) عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض عزّ الدين المقدسي ، وستأتي ترجمته .

* لم نقف على ترجمته .

(٢) في الأصل : « يدرس » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « بن الهندي » ، وأثبتنا ما في (س) .

☆ **الصفدي**[١] : الشيخ نجم الدين الخطيب حسن بن محمد . وزين الدين الموقّع عمر بن داود . ونور الدين علي بن إسماعيل .

☆ **والصفدي** : الطبيب .

☆ **وشهاب الدين الطبيب** : أحمد بن يوسف .

☆ **والصفدي** : سراج عمر شيخ سعيد السعداء .

٧٩٥ ـ صرغَتْمُش*

الأمير سيف الدين الناصري رأس نَوْبَة .

كان جميلَ الصوره ، وصفات الحسن فيه محصولة محصوره ، مُحَيّاه كالبدر السافر في الظلام ، أو الشمس إذا[٢] برزت من خلف الغمام . كتب وقرا ، وأضاف أهل العلم وقَرَى ، وعمّر المدرسة المعروفة به بالقاهره[٣] ، وجعل نجوم محاسنها في الإبداع زاهره ، وكان يتلو القرآن على المشايخ ، ويحبّ أن يكون في التجويد ذا قَدَمٍ راسخ ، إلاّ أنّ أخلاقه كان فيها شراسه ، ونَفْسُه فيها على احتمال الأذى نَفَاسَه ، فأقدم على عزل القضاه ، واتَّبَعَ السلطانُ في ذلك رضاه ؛ لأنّه كان قد انفرد بالتدبير ، وثُقلت وطأته على الدولة حتّى خَفَّ عندها ثبير[٤] ، وسالمته الأيام ، وتيقظ سعده والناس عنه نيام ، فكان مع جماله وبَطْشه يَغْلو عند مَنْ يعتبره بأرشه[٥] :

كالبدر حسناً وقد يعاوده ... عُبوس ليثِ العرين في عَبَده[٦]

---

(١) انظر ما سلف عن الألقاب والأنساب قبل قليل .

* الدرر : ٢٠٦/٢ ، والنجوم : ٣٠٨/١٠ ، ٣٢٨ ، وتذكرة النبيه : ٢١٣/٣ .

(٢) (س) ، (خ) : « إذا هي » .

(٣) حسن المحاضرة : ٤٦١/١ ، وهي المعروفة بالصليبة .

(٤) ثبير : جبل .

(٥) الأرش : الدية ، والرشوة .

(٦) في عبده : أي في غضبه .

كأنّما مبرمُ القضـــــاء بـــــه من رسلـــه والْحِمام من رَصَـــده

ولم يزل عاليَ الكعب ، ماليَ القلوب بالرعب في حتى أُخذ ﴿ أخـذةً رابيـه ﴾[١] ، ولم تكن أنيابُ النُوَب عنه نابيه ، فأمسكه النـاصر حسن في العشرين من شهر رمضـان سنة تسع وخمسين وسبع مئة[٢] . وكان ذلك آخر العهد به .

أوّل ما ورد إلى القاهرة في[٣] جَلبة الخواجة المعروف بالصّواف في سنة سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فاشتراه السلطان الملك النـاصر محمد بن قلاوون بثمانين ألف درهم ، وخلع عليه تشريفاً كاملاً بحياصـة ذهب ، وكتب لـه توقيعـاً بمسـامحـة كثيرة في متاجره ، فقارب[٤] الثمن عنه مئة ألف درهم وهذا ما بلغنا ولا سمعنا به في هـذه الـدولـة التركيّة ، وأكثر ما بَلَغنـا عن السلطـان الملـك المنصور قلاوون أنّ الملـك الصـالح أيّوب اشتراه بألف دينار ، ولذلك كان يعرف بقلاوون الألفي ، وكان أقباش[٥] مملوك الإمـام الناصر قـد اشتراه الإمـام النـاصر بخمسـة آلاف [دينـار][٦] أظنهـا كانت رائجـا ، وهو الـدينـار بستّـة دراهم ، أو دينـار الجيش : اثنـا عشر درهمـا [٧] ، ومـع ذلـك فلم تكن لصرغتمش صورة عنـد أستـاذه ولا مكانـة ، ومـات وهـو في الطبـاق[٨] من جملـة آحـاد الجمداريّة .

---

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ فأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابيةً ﴾ الحاقة : ١٠/٦٩ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٦٢/١٤ ، والذيل التام : ١٦١ وما بعدها .

(٣) ليست في (س) .

(٤) في الأصل : « يقارب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) وهي أشبه .

(٥) قتل سنة ٦١٧ هـ ، الوافي : ٣٠٣/٩ .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) دينار الجيش مسمىً لا حقيقة يستعمله أهل ديوان الجيش ، فهو للأجناد دينار ذهبي كامل ، ولقبائل العربان الكنائيـة والعسـاقلـة نصف دينـار ، وللعربـان في الغـالب ثُمن دينـار وهو ثلاثـة عشر درهماً وثلث . القلقشندي : ٤٣٨/٣ .

(٨) جمع طبقة ، وهي ثكنات جيوش المماليك بالقلعة .

وقد كنت يوماً عند القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص وقد أنعم عليه السلطان بعشر طاقات أديم طائفي ، فجاء إلى النشو يَطْلبها ، وما احتفل به ، وتردّد مرّات حتى أخذها ، ثمّ إنّه بقي بعد ذلك خامل الذكر إلى أيام المظفّر حاجيّ ، فخرج مع الأمير فخر الدين أياز السلاح دار لمّا جاء نائباً إلى حلب وهو معه مُسَفّر حتى يقرّه في النيابة وعاد [١] ، ثم إنّه جَعل بعد ذلك يتقدم رتبة بعد رتبة إلى أن ورد مع السلطان الملك الصالح صالح إلى دمشق في واقعة بَيْبغاروس ، وتوجّه الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز إلى حلب خَلْفَ بيبغاروس ، وبقي هو عند السلطان في دمشق يدبّر أمره ، إلى أنْ عاد السلطان إلى مصر ، ولمّا وصلوا إليها عمل على الوزير علم الدين بن زنبور [٢] ، وقام في أمره قياماً عظيماً ، وبالغ في أمره إلى أنْ أمسكه وصادره ، وأُخذت منه أموال عظيمة ، وقوّى نَفْسَه في أمره ، وأعاره الأميران شيخو وطاز سكتةً في أمره لأنّه توجَّح [٣] ، وصمّم عليهما [٤] ، ومنها عَظُمَ ، ولم يزل إلى أن أعيد الملك الناصر حسن إلى الملك وأُخرج الأمير سيف الدين طَاز إلى حلب ، وبقي هو والأمير شيخو .

ولمّا جُرِحَ شيخو تلك الجراحة ومات منها انفرد الأمير صرغتمش بتدبير الملك ، وعظم أمره وزاد مكانة ، وعزل القضاة بمصر والشام ، وغيّر النوّاب الكبار ، وخضع السلطان له وصبر عليه وأرخى به طَوَلَ الإمهال إلى أن أمسكه في التاريخ المذكور ومعه حاجب الحجّاب الأمير سيف الدين طشتمر القاسمي وملكتمر المحمّدي وابن تنكز

---

(١) في الأصل : « ثم وعاد » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) عبد الله بن أحمد ، ستأتي ترجمته .

(٣) أي : ظهر أمره .

(٤) في الأصل : « عليها » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والضمير عائد على الأميرين .

وطرغاي[١] وأولاد آراي ، وجُهّز[٢] إلى ثغر الإسكندريّة ، وقضى الله أمره فيه[٣] دون الجماعة .

وعمّر تلك المدرسة ، وكان يتعصّب لمذهبه كثيراً ، وبالغَ في عمارتها وزخرفها[٤] ، وكان يؤثر الفضلاء ويقرّبهم ، ويسأل عن مسائل في اللغة والفقه ، ويعظّم العجم ويؤثرهم .

وكان قد انفرد بالحديث في أمر الأوقاف ، وأمر البريد في مصر والشام . وضاق الناس منه ، فما كان يركب البريد بمصر أحد إلاّ بعلْمِهِ ، ومنع أحداً من البريديّة أن يحمل معه دراهم وذهباً[٥] أو قماشاً على ظهر خيل البريد ، وأمر بأن يُعتبروا في قطيا ، وزاد في هذا وأمثاله . وبالغ في أمر الأوقاف ، وعمّرت الأوقاف في أيامه .

ووجدتُ بخطّه في حائط المدرسة السلطانيّة بحلب مكتوبا[٦] :

أبداً تستردّ ما تهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا

وكتب : صرغتمش الناصري . فلما رأيت[٧] ذلك عجبت من هذا الاتفاق ، فكأنّه كاشف نفسه بما وقع له ، واستردّت الدنيا ما وهبته ، وأخذ السلطان من أمواله وحواصله شيئاً يعجز الوصف عنه .

---

(١) سيترجم له للمصنف في حرف الطاء ، وفي الأصل : « ابن طرغاي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) (س) ، (خ) : « جهزوا » .
(٣) (س) ، (خ) : « فيه وحده » .
(٤) (س) ، (خ) : « وزخرفتها » .
(٥) (س) ، (خ) : « أوذهبا » .
(٦) الذيل التام ، والدرر .
(٧) (س) ، (خ) : « قرأت » .

وكنت أنا قد كتبت قصيدة أمدحه بها ، لكنّي ما جهَّزْتها إليه ، وهي :

يا هَمُّ لا تدخل إلى خاطري ... فإنّ لي صرغتمش الناصري
قد زيّن اللهُ الليالي به ... لأنّه كالقمر الزاهرِ
وكمَّل الله المعالي به ... فأصبحَتْ في رونق باهرِ
والْمُلْك قد أضحى به في حمىً ... لأنّه كالأسد الخادر
غلَّ يدَ الظلم وعدوانه ... وكفَّ كفَّ الخائن الجائر
مسدّد الآراء في فعله ... لأنّه ذو باطن طاهر [١]
ما أبصر الناس ولم يسمعوا ... بمثله في الزمن الغابر [٢]
سيوفُه إنْ سَلَّها في الوغى ... كبارقٍ تحت الدجى طائرِ
يغمدها في مُهَجات العدا ... فتكتسي قُرْب الدمِ المائرِ
يمينُه للجود معتادة ... قد أخجلت صوب الحيا الماطرِ
فعن عطاءٍ جوده حدّثنا ... واللطف يرويه لنا [عن] جابر [٣]
كواكب السعد له قد غدت ... تخدمه في الفلك الدائر
ومذهب النعمان زاد فضله ... فشاع في البادي وفي الحاضر
وزاده حُسْناً إلى جماله ... فَرَاقَ في الباطن والظاهر
أنشا له مدرسةً حُسْنها ... بين الورى كالمِثل السائر
فسيحة الأرجاء قد زخرفت ... بكلّ لَوْنٍ راقَ للناظرِ
رخامها مختلفٌ لَوْنُه ... كمثل روض يانعٍ زاهر
وذهْنُه مُتَّقِدٌ بالذكا ... لأنّه ذو خاطرٍ حاضرِ
وعِلْمُهُ زادَ على غَيْرِهِ ... كلجَ بحرٍ طافحٍ زاخرِ

---

(١) (خ) : « ظاهر » .
(٢) في الأصل : « ولا سمعوا » ، وأثبتنا ما في (س)، (خ) .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) يقتضيها السياق .

يسبـق برقَ الجـوّ إدراكُـــه ... لا كامرئٍ في جَهْلـــه عـــاثر
يقـول من يسمـع ألفـاظَـــه ... «كم ترك الأوّل لـــــلآخر»[1]
فـوصفـــه أعجـزَ كلَّ الـورى ... من نـاظم القـول ومن نـاثر
إنّ الثنـا في وَصْفِـهِ قَـدْ غَـدا ... غنيمـــةَ الـوارد والصـــادِرِ
تلهـو بـه الركبـان في سيرهم ... لأنّـــه أعجـوبـــة الســـامر
يلقى الـذي يسعى إلى بـابـه ... بنـائـلٍ من جـوده الغـــامر
فـــالله يرعـــاه ولم يَنْسَـــهُ ... عنـد خطـوب الـزمن الغـادر
لأنّـــه فـوّض مـــا في نفســـه ... منـــه إلى المقتـــدر القـــاهر

(١) عجز بيت لأبي تمام في مدح أبي سعيد الثغري .

حرف الضاد

☆ **الضفدع الخياط : محمد بن يوسف**[1] .

٧٩٦ ـ ضياء الدين المعبدي*

الشيخ المشهور بالدّيار المصرية .

كان حَسَن الشكل ، ظريفاً ، فيه عِفَّة وديانه ، وتنديبهُ ظريف ، وتنديره حُلْو ، وكانت له مكارم ووجاهه .

قال يوماً ـ وقد رأى الشيخ محمد القصّار وهو في سماع يرقص ـ فقال له : يا قصّار ، أنجست[2] الخرقة . فقال له القصّار سريعاً : من دَقّك الخارج[3] .

وأضافهم يوماً إنسان ؛ وأحضر لهم توتاً ، فلما أكلوه ، فرغت الضيافة ، فقال الشيخ ضياء الدين : يا جماعة ، تُوته ، توته ، فرغت الحدّوته .

قال لي شيخنا العلامة تقي الدين قاضي القضاة السُبكي : هو الذي كان السبب في ولاية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قضاء الديار المصرية ، وحَلَف عليه بالطلاق من زوجته ابنة ...[4] وأخذَهُ ، وطلع به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ؛ وقال له جئتك بسُفيان بن عُيَيْنَة ، أو الثوري[5] ، كما قال .

---

(١) عبارة (س) : « الضفدع الشاعر ، اسمه محمّد .. » .

* الدرر : ٢١٢/٢ .

(٢) في الأصل و (س) : « أنحست » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في الدرر .

(٣) أي : الخارج عن الإيقاع .

(٤) كذا في الأصل و (س) .

(٥) يريد أن يشبهه بهما ، وهما ثقات رواة الحديث ، انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء .

وتوفي الشيخ ضياء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة بالقاهرة بزاويته بالقرب من جامع السلطان .

☆ **ضياء الدّين بن خطيب بيت الآبار** : محتسب القاهرة ، وناظر البيمارستان المنصوري ، اسمه يوسف بن أبي بكر .

حرف الطّاء

٧٩٧ ـ طَابَطا*

بالطاء المهملة وبعدها ألف وباء موحّدة وطاء ثانية مهملة وألف[١] ، الأمير سيف الدّين ، والد الأمير سيف الدين يَلبغا اليحيوي ، أحد أمراء المئين مقدّمي الألوف بحلب وبدمشق .

كان رجلاً أميا ، غرّاً غتميّا ، لا يعرف ما الناسُ فيه ، ولا يدري الفرق بين الحليم والسفيه ، ذاق فقد مثل ذلك الولد ، وعدم الصبر عليه والجَلَد ، فالعجب كل العجب حياته بعده ، وكونه ما سكن فيه لحدَه .

لم يزل على حاله إلى أن غَصَّ بالموت ، ونصَّ عليه الفوت .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بحلب في صفر سنة خمسين وسبع مئة .

وفد على البلاد لما حظي ولده عند الملك الناصر محمّد ، هو وولداه ، الأمير سيف الدين أسندمر والأمير سيف الدين قراكز .

ولم يزل إلى أن خرج ولده يَلبَغا إلى حماة نائباً ، فخرج هو وأولاده[٢] ، ولّما توجه يلبغا إلى حلب نائباً ، توجّهوا معه ، وصار هو أمير مئة مقدم ألف ، وأولاده أمراء . ولما جاء يلبغا نائباً إلى دمشق ، حضروا معه ، ولما جرى له ما جرى وهرب هربوا

---

* الوافي : ٣٧٧/١٦ ، والدرر : ٢١٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٥٨/٦ .

(١) في (س) و (خ) : « وبعدها ألف » .

(٢) في (س) : « وأولاده أمراء » .

معه ، ولما أمسك بحماة أمسكوا ، وقُيِّد هو وولده يلبغا ، وجُهزا[١] إلى مصر ، فلمّا وصلا إلى قاقون ، تلقاهما الأمير سيف الدين مَنْجك ، وأطلعهما إلى قلعة قاقون ، وأُفرد كلٌّ منهم[٢] عن الآخر ، ثم إنه أُركب الأمير سيف الدين[٣] على البريد ، وجُهز إلى مصر ، وأما ولده يلبغا فخُنِقَ ، وحُزَّ رأسه ، وجُهِّزَ بعده .

ثم إن طابطا جُهّز إلى الإسكندرية ، ولما تولّى الملك الناصر حسن بعده[٤] ؛ أفرج عنه ، وأطلقه ، وكان مدة مقامه في الحبس ثلاثة أشهر تقريباً ، وأفرج عنه في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة . ثم إنه جُهز أميراً إلى حلب ، فأقام بها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المتقدم .

٧٩٨ ـ طاجار*

بالطاء المهملة وبعد الألف جيم وألف بعدها راء ، الأمير سيف الدين الدوادار المارداني الناصري .

كان شكله مليحا ، ووجهه صبيحا ، مسترسل شعر الذقن في سواد ، خفيف الحركة ، لا يلحقه جواد[٥] ، وكان يغلب عليه اللعب واللهو ، والانشراح والزهو ، لا يؤثر على الرقص شيئا ، ولا يتخذ غير ظلّه فيئا ، على أنه مكّنه أستاذُه تمكيناً كثيرا ، وأحلّه من الدولة محلاً[٦] أثيرا ، ركّبه في البريد إلى الشام مرات ، وتلقاه الناس بالخِدْم والمبرّات ، وحصّل مالاً جزيلاً في مدة قريبه ، واقتنى أشياء من كل صنف عجيبه .

(١) في الأصل : « جهز » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) في (س) ، (خ) : « منهما » .
(٣) في (س) ، (خ) : « سيف الدين طابطا » .
(٤) في (س) ، (خ) : « بعد المظفر » .
* الوافي : ٣٧٨/١٦ ، والدرر : ٢١٣/٢ ، والنجوم : ٧٥/١٠ ، والمنهل الصافي : ٣٦٠/٦ .
(٥) في (س) ، (خ) : « الجواد » .
(٦) في (س) ، (خ) : « مكاناً » .

ولم يزل في لهوه ومجونه ، وعدم تثبته وسكونه ، إلى أن راح فين راح ، ونُفضت من أمره الراح ، في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان الأمير علاء الدين ألطنبغا الماردانى الذي تقدم ذكره هو في خوشداشه الذي نبّه عليه ، وأشار بإصبعه إليه ، فقربه السلطان ، وولاّه الدواداريّة بعد إنفصال الأمير سيف الدين بغا الدودار ، على ما تقدم في ترجمة بغا ، بعناية القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص وعناية القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، لأنه كان صغيراً وكَرِها سيف الدين بغا ، وتوهما أنه يكون طوعَ ما يختارانه ، ويحاولانه منه ، فما كان إلا أن تقدم ، وذاق طعم الوظيفة ، فعاملها بضدّ ما توهماه فيه ، وأمّلاه منه ، وأمَّره السلطان طبلخاناه ، وقال له : والك ياطاجار ، ما كان دودار أمير مئة قط ، وأنا أعطيك إمرة مئة ، فاجعل بالك مني ، واقض أشغالك في ضمن أشغالي ولا تقضِ أشغالي في ضمن أشغالك ، وإذا دفع إليك أحدٌ شيئاً من الذهب برطيلاً ، احمله إلى كاتبي النشو .

وجَهَّزه السلطان مع الأمير سيف الدين طشتمر الساقي إلى صفد ، ليقرّه في النيابة ، فأعطاه ، على ما قيل ، مئة ألف درهم ، وجاء من صفد إلى عند الأمير سيف الدين تنكِز ، فأعطاه جُملة ، وكان تنكز في مرج الغسولة ، فلما رأى خام الأمير سيف الدين تنكز ، قال : والله هذا الخام ما هو للسلطان . فبلغ ذلك تنكز ، وكان سبب الوحشة بينهما .

وكان تنكز إذا طلع إلى المرج ، يأخذ حريمه معه ، وهن تسعُ جوارٍ موطوءات ، كلّ واحدة ببيتها وخدمها وجواريها ، ويضرب عليهن شقة كبيرة يحشر خامهنّ فيها ، ثم إنه بعد ذلك حضر إلى الشام خمس ست[1] مرات ، وقد ذكرت في ترجمة تنكز ما اتفق له ، عندما جاء إليه قبل إمساكه ، ومادار بينهما ، ثم إنه جهّزه للسلطان صحبة الأمير سيف الدين بشتاك ، لما حضر للحَوْطَةِ على موجود تنكز ، وعاد إلى مصر ، فلما توفي السلطان الملك الناصر ، تمكن من ولده الملك المنصور أبي بكر ،

(١) ليست في (خ) .

فيقال : إنه هو الذي حسَّن له الفتكَ بقوصون ، ولما شعر قوصون بذلك ، خلع المنصور ، ورتب أخاه الأشرف كُجك ، وأمسك طاجار وجماعة ، وجهَّزهم إلى إسكندرية ، فقتل طاجار مع بشتاك .

وكان كثير اللعب يخرج من قدّام السلطان ، وينزل إلى القاهرة ، ويعمل سماعاً ، ويرقص ، إلى أن يجيء وقت الخدمة ، فيطلع إلى القلعة .

وكان عليه في الرقص خفة وحركة وروح ، وما تقرّب إليه عماد الدين بن الرومي[١] بشيء غير الرقص .

وكان إذا ساق في البريد في مهم السلطان ينام طول ليله ، ويقوم بكرةً ، فيركب خيل البريد الجياد ، ويسوق مشواراً واحداً من المركز إلى المركز ، فإذا وصل المركز ، ونزل ، قال لمماليكه : صفّقوا . فيصفّقون له ، ويرقص إلى أن يشدّوا له الخيل فيركب ، ويفعل ذلك[٢] من باب مصر إلى باب دمشق ، وكذا إذا عاد .

وكان بشتاك يحطّ عليه ، ويكرهه ، ويندّب عليه قدّام السلطان ، ولّما أُمسك حُمِل من بيته إلى القلعة ستة صناديق مملوءة ذهباً ، وكان السلطان قد زوجه ابنة الأمير علاء الدين مغلطاي الجَمَالي الوزير[٣] ، وكانت أولاً زوج الأمير خضر ابن الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب والشام .

وطاجار هو الذي عمّر الخان الذي في جينين الذي ليس على درب مصر مثله بشد نجم الدين بن الزيبق ، وعمَّر الحوض[٤] السبيل الذي في طريق غزة .

---

(١) إبراهيم بن أحمد بن محمد المراغي (ت٧٤٥ هـ) ، وفيات ابن رافع : ١٢١/١ .

(٢) في (خ) : « ذلك مراراً » .

(٣) (ت٧٣٠ هـ) ، واسمه في الوافي : « علي الدين ! » .

(٤) في (خ) : « الخواص » ، تحريف .

٧٩٩ ـ طاز*

بعد الطاء المهملة والألف زاي ، ابن قُطغَاج ، بضم القاف وسكون الطاء المهملة وبعدها غين معجمة وألف وجيم . الأمير سيف الدين أمير مجلس .

أول ما اشتهر ذكره في أيام الصالح إسماعيل .

وهو شكل تام طويل ، نبيه نبيل ، شجاع بَطَلْ ، إذا أعمل فِكْرَهُ خَمل معه الكيدُ من عدوّه وبطلْ ، حُرّ النفس والطباعْ ، مالازم شيمته التي هو عليها من الرضاعْ ، أبيّ الهمّه ، قويّ العَزْمَه ، بريء من التهمه ، حمل عسكر مصر بعُدِده وآلاته ، وخيوله التي تُرْبَطُ في اصطبْلاته .

ولم يزل أميراً إلى أن خُلع الكامل شعبان ، وأقيم المظفر حاجّي[١] ، فكان هو أحد الأمراء الستة أرباب الحلّ والعقد .

ولما خُلِعَ المظفر ، وأقيم السلطان الملك الناصر حسن[٢] زادت وجاهته وحُرْمته .

وهو الذي أمسك الأمير سيف الدين بَيْبغاروس في طريق الحجاز .

وهو الذي أمسك الملك المجاهد سيف الإسلام علي بن المؤيد هزبر الدين داود صاحب اليمن[٣] ، وأحضره إلى مصر .

وهو الذي قام في نوبة الملك الناصر حسن لما خُلع[٤] وأجلس الملك الصالح صالح على كرسيّ الملك .

---

* الوافي : ٣٨٣/١٦ ، والدرر : ٢١٤/٢ ، والنجوم : ١٥/١١ ، والذيل التام : ١٩٤ ، والمنهل الصافي : ٣٦٢/٦ ، وإعلام النبلاء : ٣٥٣/٢ وما بعدها .

(١) سنة (٧٤٧ هـ) ، انظر : البداية والنهاية : ٢١٩/١٤ وما بعدها .

(٢) في رمضان سنة (٧٤٨ هـ) .

(٣) (ت ٧٦٤ هـ) ، والدرر : ٤٩/٣ .

(٤) سنة (٧٥٢ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٣٩/١٤ . وانظر المنهل .

وهو الذي قام على الأمير علاء الدين مغلطاي أمير آخور[١] ، والأمير سيف الدين منكلي بغا الفخري[٢] ، لمّا ركبا إلى قبة النصر ، وخرجا على الملك الصالح بعد أربعة أيام ، وهرب الصالح ، ودخل إلى والدته ، فدخل الأمير طاز إليها ، والتزم به لها ، واخذهُ ، وركّبَهُ ، وتوجّه به ، ورزقهما الله تعالى النصر .

وهو الذي سعى في إخراج الأمراء المعتقلين الذين أمسكوا في نوبة الوزير منجك ، وبدا منه كلُّ خير ، ونصره الله في كل موطن .

وكان في درب الحجاز يلبس عباءة وزربولاً ، ويخفي نفسه ، ويَدْخُل في طلب بيبغاروس ، ويتجسس على أخباره . ولما خرج بيبغا مِن الحبس ووصل إلى حلب نائباً ، وحدثته نفسه بالخروج على الدولة ، وفشا هذا الأمر وزاد ، ووصل بيبغاروس إلى دمشق ، جَهّز[٣] قطلوبك الفارسي إلى الأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، وهو على لُدّ ، يقول له[٤] : ما لي غريم دون المسلمين والسلطان إلا أنت وطاز ، ولما بلّغ ذلك إلى الأمير سيف الدين طاز قال : قَدْ رَضيتُ . وسيَّر إليه يقول[٥] : أنا أمسكْتُكَ في درب الحجاز ، وحَجَجْتُ بك ، وما مكّنت أحداً من أذاك ، وأخرجْتَكَ من الحبس ، وأعطيتك نيابة حلب ، وأنت تعرفني جيداً ، وأنا واصلٌ إليك ، إن أردت بارَزْتُكَ وَحْدِي ، وإن أردت أنا وطُلْبي وأنت وطلبك ، وما حاجة إلى قتال المسلمين وسفك دمائهم . ولما وصل الأمير سيف الدين طاز إلى غزة ، ثم اجتمع بالأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، وتوجها إلى جهة بيبغاروس ، وبلغه الخبر ، هرب ، وتفرق شمل من كان معه من العساكر ، وساقا وراءه إلى حلب ، وهرب هو إلى الأبلستين . وقلت أنا في ذلك :

(١) ستأتي ترجمته .
(٢) البداية والنهاية : ٢٤٠/١٤ .
(٣) في الأصل : « وجهزوا » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) ليست في : (س) ، (خ) .
(٥) في (س) ، (خ) ، والوافي : « يقول له » .

قلت إذا بيبغـــا أراد خروجـــاً وهـو يـدري غريمهُ في الحجـاز
بيبغـــا بيبغـــا طُـويْرٌ ضعيف وعليه من طاز قد طـاربـازي[١]

ثم إن الأمير طـاز عـاد هو والأمير سيف الـدين شيخـو [إلى دمشـق][٢] ، وأخـذ السلطان الملك الصالح ، وتوجها به والعساكر المصريـة إلى القـاهرة ، واستقرّوا بهـا[٣] ، وجرى بعد ذلك لبيبغا وأحمد الساقي وبكلمش ما جرى ، على ما تقدم في ترجمتهم .

ولم يزل الأمير سيف الدين طاز على حاله إلى ثاني شوال سنـة خمس وخمسين وسبع مئة ، فخُلع الملك الصالح ، وأُعيـد الملـك النـاصر حسن إلى الملـك ، ورُسم للأمير سيف الدين طاز بالخروج إلى حلب نائباً ، فخرج إليها ، وأقام بها[٤] إلى أن ورد المرسوم عليه على يد الأمير سيف الدين منكلي بغا الناصري بحضوره إلى البـاب الشريف على البريـد في عشرة سروج ، وذلك في أول سنة تسع وخمسين[٥] ، فأقام بحلب يومين ثلاثة ، ثم إنـه خاشنَ الأمراء ، وأمسكهم ، ورسم عليهم ، ثم[٦] أفرج عنهم بعـد مـا حُوصر من القلعـة ، وركب في جمـاعتـه وطُلْبـه ملبسين ، وحضر إلى القطيفـة ، وعسكر طرابلس وحمـاة وحلب وجماعة من دمشق يسيرون خلفه منزلةً بمنزلـة ، وخرج ملـك الأمراء أمير علي[٧] بمن بقي من عسكر دمشق لابسي السلاح ، وقعد له على خـان لاجين ، فترددت الرسل بينهما ، وآخر الأمر حلف لـه أمير علي نـائب الشـام على تمكينـه من التـوجـه في عشرة سروج إلى باب السلطان ، وتوجّه إلى الكسوة ، وهناك قُيِّد ، وتوجّه[٨] به منكلي بغا ،

---

(١) هنا تنتهي ترجمة (طاز) في الوافي .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) .
(٣) سنة (٧٥٣ هـ) ، والبداية والنهاية : ٢٧٦/١٤ ، وبدائع الزهور : ٥٤٣/١/١ .
(٤) البداية والنهاية : ٢٥١/١٤ .
(٥) البداية والنهاية : ٢٥٨/١٤ ـ ٢٦٠ .
(٦) في (خ) : « ثم إنّه » .
(٧) هو الأمير علاء الدين أمير علي المارداني (ت ٧٧٢ هـ) ، الدرر : ٧٧/٣ .
(٨) في الأصل : « وجهّز به » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وأمسك إخوته ، واعتقلوا في قلعة دمشق وفي قلعة صفد ، وتوجّهوا به إلى الكرك ، وتوجهت أمّه إليه وأمّ ولده موسى ، وولده ، ولم يضيّق عليه بالكرك .

ثم إنّه بعد إمساك صرغتمش في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وسبع مئة رسم السلطان بنقله من الكرك إلى إسكندرية ، فاعتُقل بها[١] ، وكحّله[٢] وهو في حبس الإسكندرية ولم يزل على حاله معتقلاً إلى أن خُلِعَ الملك الناصر حسن ، وجرى له ما جرى فأفرج عنه في أول دولة الملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجّي[٣] بتدبير الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي ، يقال : إنه أنعم عليه بمئة ألف درهم وقماش كثير فاختار أن يكون مقيماً بالقدس ، فوصل إلى القدس فيما أظن في أوائل شهر رجب الفرد سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، ثم إنه جهز إلى دمشق ، وفي مستهل المحرّم سنة ثلاث وستين وسبع مئة حضر له بُرْلغ[٤] مكتوب بالذهب مزمّك بأن يكون طرخانا[٥] على عادة الأمير منجك ، يقيم في أي مكان[٦] اختاره من الشام .

وكان[٧] قد ورد إلى دمشق في أواخر سنة اثنتين وستين ، ونزل بالقصر الأبلق ، وتوجه ملك الأمراء أمير علي لتلقيه ، وكان هو قد عرَّج عن الطريق ، فلم يلقه ، وحضر طاز إلى دار السعادة ، فلم يلق ملك الأمراء ، فعاد إلى القصر ، وتوجه ملك الأمراء إليه . وسلم عليه ، ثم إنه سكن في الدار التي للأمير سيف الدين تنكز المعروفة بدار الذهب ، وأقام بها مدة إلى أن مرض ، وانتقل إلى القصر الأبلق ، وطوّل فيه ،

---

(١) زاد في (خ) : « وبقي مدّة » .

(٢) في المنهل : « فلما قرب من غزة أمسك وأرسل إلى الكرك فحبس بها ، ثم سُمل وعمي .. » .

(٣) سنة (٧٦٢هـ) ، انظر : بدائع الزهور : ٥٨١/١/١ .

(٤) أي : مرسوم ، وفي الأصل و (خ) و (س) : « يرلغ » ، تصحيف .

(٥) هو المتقاعد أو المُحال على المعاش .

(٦) في (خ) : « موضع » .

(٧) في (س) ، (خ) : « وكان هو » .

فتوفي هناك ـ رحمه الله تعالى ـ في بكرة الاثنين عشري ذي الحجة[١] سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، ودُفن في مقابر الصوفية .

٨٠٠ ـ أبو طالب*

ابن حميد القاضي الرئيس الصدر شمس الدين بن حميد .

كان في ديوان الجيش بدمشق ، ولما طُلِبَ القاضي قطب الدين بن شيخ السلامية[٢] إلى مصر ، حضر للقاضي شمس الدين توقيع بأن يكون ناظر الجيش[٣] عوضاً عن قطب الدين ، فباشره في يوم السبت ثاني عشري ربيع الآخر[٤] ، فباشر ذلك مدة ، ثم حضر القاضي معين الدين بن حشيش[٥] من الديار المصرية على الوظيفة المذكورة ، وباشر القاضي شمس الدين بن حميد عوضاً عن القاضي فخر الدين بن المنذر[٦] في جيش دمشق ، وتوجه ابن المنذر إلى نظر جيش طرابلس .

٨٠١ ـ طالوت**

الصدر الرئيس تاج الدين أبو علي بن الصدر نصير الدين عبد الله بن الشيخ وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي .

كان عاقلاً فيه خيرٌ ودين قوي[٧] ، قُرئ في داره (صحيح) البخاري .

(١) في بدائع الزهور : ٩٥٠/١/١ أنه توفي في ذي القعدة .

* وفيات ابن رافع : ١٣٢/١ ، والدرر : ٢١٥/٢ .

(٢) هو موسى بن أحمد بن الحسين ، (ت ٧٣٣ هـ) . السلوك : ٣٦٣/٢/٢ .

(٣) عبارة (س) : « توقيع شريف من الديار المصرية بنظر الجيش » .

(٤) في (س) : « شهر ربيع » . ولم يذكر السنة . ولعلها سنة (٧١٢ هـ) . انظر السلوك : ١١٦/١/٢ ـ ١١٧ . ١١٦/١/٢ ـ ١١٧ .

(٥) هبة الله بن مسعود ، ستأتي ترجمته .

(٦) محمد بن المنذر ، ستأتي ترجمته .

** الدرر : ٢١٥/٢ .

(٧) ليست في : (س) .

وكان سمع من ناصر الدين عمر بن القواس ، وحدث عنه بدمشق وبطريق الحجاز .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة .

٨٠٣ ـ طامغار*

بعد الطاء والألف ميم وغين معجمة وألف وراء : الأمير شهاب الدين بن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، أحد أمراء الخمسين بالقاهرة .

وكان يسكن على بركة الفيل بالحبّانيّة ، حسن الشكل ، صاحب صدقة ومعروف .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشري[1] المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن في تربتهم بالقاهرة .

وكان له أخ اسمه إبراهيم في بلاد التتار ، أعرفه ، وقد جاء مرة رسولاً من[2] القان بوسعيد إلى السلطان الملك الناصر قبل وفاة أخيه المذكور بقليل .

٨٠٤ ـ طان يَرَق**

بطاء مهملة وبعد الألف نون وياء آخر الحروف وراء بعدها قاف : الأمير سيف الدين نائب حماة .

---

* الدرر : ٢١٥/٢ ، والنجوم الزاهرة (و/٢٨٦ ، وفيه : « صمغار » .

(١) في النجوم : « ثالث عشر المحرم » .

(٢) في (س) : « عن » .

** الوافي : ٣٨٨/١٦ ، والدرر : ٢١٥/٢ .

كان حظّه عند الْمُظَفَّر قد توفّر ، وذَنْبُه وخطأه قد تكَفَّر ، لا يرى فعله إلا مليحا ، ولا يجد وجه ودِّه إلاّ صبيحا ، أثيل المكانه ، أثير الاستكانه ، إذا شفع فلا يُرَدّ ، وإذا مَنَع فلا يُصَدّ ، لا يكاد يصبر عن رُؤيَته ، ولا يراه يُحَاول أمراً إلا فَدَاه بمُهْجَتِهِ ، فلذلك أغدق سحائب[1] إنْعَامه ، ورَوَّق له شراب إكرامه .

ولم يزل حالهُ عنده مُسْتَصْحَبا ، إلى أن قال له اللحْد : مَرْحبا .

وجاء الناصر حسن بعده ، فأجراه على ما اعتاد ، وسلم منه رسَن المحبة له واقتاد ، وارتاح إلى تعظيمه وارتاد ، ولم يزل في أوائل الدولة الناصرية معظم الجانب ، مقدّم الوجاهة إلى قَوْدِ المقانب[2] ، إلى أن طلع الأمير علاء الدين مغلطاي من الاصطبل ، وزحف على هلاك تلك الدولة ، وضرب الطبل ، فأمسك الوزير منجك وغيره ، فأطار بالشرِّ في الآفاق طيره ، وكان الأمير سيف الدين طان يُرق فيمن أخرجه ، ووَغَّر خاطر السلطان عليه ، وأحرجه ، فخرج إلى حماة نائبا ، وباشر أمرها ، فأحسن إلى أهلها ذاهباً وآيبا .

أول ما ظهر من أمره أنه كان معظَّماً عند الملك المظفر حاجّي ، وحضر في أيامه إلى حلب في البريد ، وجاء على يده كتاب من المظفّر إلى الأمير سيف الدين يلبغا[3] نائب الشام ، يقول فيه : إننا قد تراهنّا ـ نحن والخاصكية الأمير سيف الدين الجيبغا وغيره ـ أنه إن حضر إليك الأمير سيف الدين طان يَرق أنك[4] تضربه ، وقال المشار إليهم : إنك ما تضربه ، فلا تدعنا نُغْلَب معهم[5] ، وحضر على يده كتب المذكورين أنه إن ضربه يكن خفية ، فما أمكن يلبغا إلا أن ضربه في[6] خفيةٍ ضرباً يسيراً خفيفاً .

(١) في (س) ، (خ) : « سحاب » .
(٢) جمع مقنب ، وهي جماعة الخيل والفرسان .
(٣) في (س) : « يلبغا اليحيوي » .
(٤) في الوافي : « أنْ » .
(٥) في الوافي : « معه » .
(٦) ليست في الوافي .

ولم يزل أميراً ، ثم كبر ، وزاد عظمةً في أيام الناصر وأيام الوزير منجك ، ولما جرى ما جرى من إمساكه ، طُلب الأمير سيف الدين أسندمر العمري من حماة ، وجهز إليها الأمير سيف الدين طان يرق ، فوصل إليها في يوم الاثنين سادس عشر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وأخرج إلى حماة في يومه ، ولم يمهل ، وأقام بحماة إلى أن رُسم للأمير سيف الدين أرغون الكاملي بنيابة دمشق ، فرسم للأمير سيف الدين طان يرق بالحضور إلى دمشق ، والإقامة بها بطّالاً ، فوصل إليها في شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها بطّالاً لازماً بيته .

ولّما تحرك بيبغاروس ، وأراد الحضور إلى دمشق وتوجّه أرغون الكاملي بالعساكر إلى لُدّ أخذ[1] الأمير سيف الدين طان يرق معه ، وكتب إلى السلطان في معناه ، فجاء الأمير عز الدين طَقْطَاي الدوادار إلى لُدّ ومعه تقليد للأمير سيف الدين طان يرق بنيابة حماة ،وتشريفه ، فلبسه هناك ، وأقام إلى أن حضر السلطان ، ودخل إلى دمشق مع الأمير سيف الدين طان يرق وأرغون الكاملي ، وتوجّه معهم إلى حلب . ولّما عادوا من حلب ، قعد هو في حماة مباشراً نيابتها ، وَذلك في أواخر شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة[2] . ولم يزل بها نائباً إلى أن خلع الملك الصالح صالح ، وأُعيد الملك الناصر حسن إلى الملك ، فخرج الأمير سيف الدين طبجق لإحضار الأمير سيف الدين طان يرق من حماة ، والتوجه به إلى مصر ، ولّما وصل إلى دمشق حضر المرسوم إلى الأمير علاء الدين أمير علي نائب الشام ، بأنه يؤخرّ طان يرق بدمشق ، ويدعه مقيماً بها ، فأقام بها حسبما رُسِمَ به ، ثم إنه أُعطي إقطاع الأمير سيف الدين قَردم[3] وتقدمته ، لّما توفي بدمشق في التاريخ الذي يذكر في ترجمته .

---

(١) عبارة الوافي : « توجّه أرغون .... وأخذ » .

(٢) هنا تنتهي ترجمة طان يرق في الوافي .

(٣) ستأتي ترجمته .

وتوجه الأمير سيف الدين طان يرق إلى الحجاز في سنة ست وخمسين وسبع مئة ، وعاد إلى دمشق ، فأقام بها ، ثم ورد المرسوم بإمساكه في سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، واعتقل بقلعة دمشق مُدَّة من الأشهر ، ثم ورد المرسوم بالإفراج عنه ، وبقي بطّالاً بدمشق . ثم ورد المرسوم بتجهيزه في صفد ، فتوجَّه إليها ، وأقام بها ، إلى أن أُمسك في أواخر سنة تسع وخمسين أو أوائل سنة ستين ، وجُهّز إلى الإسكندرية مع جملة من أمسك ، فأقام في الاعتقال إلى أن خلع الملك الناصر حسن بن محمد ، وجرى له ما جرى ، فأفرج عنه ، وأنعم عليه بمبلغ مئة ألف درهم ـ على ما قيل ـ وبخيْل وبقماش ، وأُعطي إمرة مئة وتقدمة ألف فارس[1] بدمشق ـ ووصل إلى دمشق في بكرة الجمعة سادس شعبان سنة اثنتين وستين وسبع مئة . وجَرَى لبيدمر نائب الشام ما جرى من الخروج على يلبغا[2] ، فلازمه ، وتوجّه معه بالعسكر إلى غباغب ، وجاءهم الخبر بهروب منجك وكسرته ، فعادوا إلى دمشق .

ولمّا بات ما أصبح له صباح في دمشق ، وتوجه هو وتومان تمر نائب طرابلس إلى نحو يلبغا ، وحضروا معه إلى دمشق ، ورسم له السلطان بنيابة حماة ، فتوجه إليها ، وهذه النيابة الثالثة وذلك في شوال[3] سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، ولم يزل على حاله[4] في نيابة حماة إلى أن ورد الأمير ناصر الدين محمد العمري من مصر متوجهاً إليه ليأخذه من نيابة حماة ، ويتوجه به إلى طرابلس ، ليقيم بها أميراً وذلك في أول المحرم سنة أربع وستين وسبع مئة .

---

(١) ليست في (خ) .

(٢) انظر البداية والنهاية : ٢٨٠/١٤ وما بعدها .

(٣) في (خ) : « أوائل شوال » .

(٤) قوله . « على حاله » ليست في (س) .

الألقاب وَالنَّسبُ

☆ **الطبّاخي** : نائب حلب الأمير سيف الدين بلبان .

☆ **ابن الطبّال الحنبلي** : عماد الدين إسماعيل بن علي .

☆ **ابن الطُّبيل** : محمد بن أبي بكر .

☆ **الطبري** : صفّي الدين أحمد بن محمد [و][1] نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد .

٨٠٥ ـ طُرُجي*

بضم الطاء المهملة والراء وبعدها جيم وياء آخر الحروف : الأمير سيف الدين السلاح دار الناصري .

كان في زمن الملك الناصر محمد أمير سلاح ، كان في تلك الرّفعة الأرغونية مقدما ، وفي تلك الزمرة معظما ، له الوجاهة في الخاصكية المقربين ، والتقدم في الأمراء المدّربين ، وخوشداشيته كلهم كتف[2] واحده ، ويدٌ أناملها في البطش مُتَعاضده .

ولم يزل في جاهه المتمنّع ، وعزّه الذي هو مُتَرَفِّعٌ مُتَرَفِّع ، إلى أن طرح طُرجي في قبره ، وعزّ على ذي قرابته معالجةُ صَبْره .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ هو وَالأمير سيف الدين منكلي بغا السلاح دار في جمعة واحدة في شهر ربيع الأول أو الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

وفي هذه المدة القريبة ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين أرغون الدوادار نائب

---

(١) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

* الوافي : ٤٢٣/١٦ ، والدرر : ٢١٦/٢ ، والنجوم : ٢٨٧/٩ ، والمنهل الصافي : ٣٧٨/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢١٣/٢ وفيه : « طرشي » .

(٢) في (س) : « كفّ » .

حلب ، وكان خواشداشَها ، فقال السلطان الملك الناصر : لا إله إلا الله ما هذه إلا آجالٌ متقاربة . وتوهم الناس شيئاً في هذا الأمر ، والله أعلم لحقيقته .

٨٠٦ ـ طُرُجيَ *

الأمير سيف الدين أخو الأمير سيف الدين أرغون شاه .

لَمّا توفي الأمير عز الدين أَيْدمر الطوماري والي الولاة بالصفقة القبلية كتب أرغون شاه إلى السلطان[١] ، وسأل أن تكون طبلخاناه المذكور لأخيه ، فأجيب إلى ذلك ، ثم توفي الأمير نور الدين علي بن حسن بن الأفضل[٢] ، فأعطي طبلخانته ، وكان مقيماً في الديار المصرية ، فوصل على الإقطاع المذكور[٣] إلى دمشق في إحدى الجماديَيْن سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، وأقام بدمشق . فلمّا مات الأمير سيف الدين قرابغادوادار أرغون شاه كان حوله يمرّضه ، وأسند وَصِيَّته إليه ، فمات بعده بخمسة[٤] أيام بَصَق دماً ومات[٥] [في شوال][٦] سنة تسع وأربعين وسبع مئة [في طاعون دمشق ، رحمه الله تعالى][٧] .

☆ **ابن طرخان** : شمس الدين محمد بن أبي بكر .

---

* الوافي : ١٦/٤٢٣ ، والدرر : ٢/٢١٦ .

(١) قوله : « إلى السلطان » ، ليس في (خ) .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل « المذكورة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « فمات بعد خمسة أيام » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٥) في الأصل و (س) و (خ) : « ومات بعد يومين » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) زيادة من (س) ، (خ) .

٨٠٧ ـ طُرْغاي*

الأمير سيف الدين الجاشنكير الناصري .

أصله من مماليك الطَّباخي[١] ، وهو خوشداش الأمير علاء الدين أيدُغمش .

كان ساكناً عاقلا ، إلى الموادعة راكنا ، ليس في شيء من الشر وإن هان[٢] ، ولا ممن يُدَفِّف[٣] على جريح وإن ظهر له البرهان .

ولم يزل معظما في بيت السلطان ، وسعادته متواصلة الأسطان ، إلى أن أخرجه السلطان لنيابة حلب ، وأَمْسَك بقرون حماة وحلب ، ودخل حلب في ربيع الأول أو أول ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، ولم يزل فيها[٤] مقيماً على حاله إلى أن أُمسك الأمير سيف الدين تنكز ، وصَار في مصر ، فَعَزَله السلطان من حلب ، وعَزل نوّاب الشام أجمعين ، فتوجّه إلى مصر ، وأقام بها إلى أن توفي الأمير سيف الدين آروم بغا نائب طرابلس ، فأخرجه الملك الصالح إسماعيل إلى طرابلس نائباً في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها نائباً ، إلى أن داناه الحَيْن فاجتاحه ، واستقى[٥] رُوْحَهُ من بِئر جَسَده ، وامتاحه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سادس شهر رمضان سنة أربع وأربعين[٦] وسبع مئة .

---

* الوافي : ٤٢٥/١٦ ، والدرر : ١١٦/٢ ، وإعلام النبلاء : ٣٢٢/٤ وما بعدها ، والنجوم : ١٠٧/١٠ ، والمنهل الصافي : ٣٧٩/٦ ، وتذكرة النبيه : ٥٦/٣ . « وطرغاي : اسم طير باللغة التركية » . (المنهل) .

(١) سيف الدين بلبان ، ترجم له المصنّف في حرف الباء .

(٢) يشير إلى قول قريط بن أنيف :

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشّر في شيء وإن هانا

(٣) دفّف على الجريح : أجهز عليه .

(٤) في (س) : « بها » .

(٥) في (س) : « واستقى » .

(٦) في المنهل : سنة ثلاث وأربعين .

وحضر بعده إلى طرابلس نائباً الأميرُ شمس الدين آقسنقر .

اللّقبُ والنّسبُ

☆ **طُرنا** : نائب صفد ، الأمير سيف الدين بلبَان .

☆ **ابن الطرّاح** : قوام الدين الحسن بن محمد .

☆ **الطرقجي** : الأمير علم الدين سنجر .

٨٠٨ ـ طُرنطاي*

الأمير حسام الدين البشمقدار .

حضر إلى الشام [على][(١)] البريد هو وَالأمير سيف الدين تنكز نائب الشام والأمير سيف الدين أرقطاي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين عشرة وسبع مئة .

كان بدمشق حاجبا ، وحبُّه على القلوب لإحسانه واجبا ، ولم يزل عند تنكز في غاية العظمه ، وأمورُ الدولة به منتظمه ، إلى أن وقع بينهما في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة فزالت تلك الألُفه ، والْتَحفت بالوحشة تلك[(٢)] التُحْفه ، وعزله من الوظيفة ، وأنزله من تلك الرتبة المنيفه ، ولم يكن بدمشق في آخر وقت أحسن منه حالا ، ولا أوسع أملاكاً وأكثر[(٣)] أموالا ، إقطاع في الكثرة مُطاع ، وحواصل لا يصل إليها الاقتطاف[(٤)] بالاقتطاع ، ومماليك كأنهم الكواكب ، وجندٌ إذا ركبوا زانوا المواكب .

---

* الوافي : ٤٣٠/١٦ ، والدرر : ٢١٧/٢ ، وإعلام الورى : ٣١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٨/٦ .

(١) زيادة من (س) و (خ) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهي أشبه .

(٣) في (س) ، (خ) : « ولا أكثر » .

(٤) في الأصل : « إلا فتطلق » ، ولعلها تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولم يزل ينتقل من مصر إلى الشام إلى غزة إلى حمص إلى أن حُسِم حُسامه ، وآن اقتسار جَسَده بالبلى واقتسامُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بكرة الجمعة خامس شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وقد عدّى السبعين .

وحدّث عن عيسى المطعّم وغيره[١] .

وكان بدمشق أميراً بعد ما عُزِلَ من الحجوبيّة ، فلمّا ورد الأمير علاء الدين ألطنبغا إلى دمشق نائباً ، كان عنده مكين المنزلة ، خاصاً به ، ولمّا توجّه بالعسكر إلى حلب وراء طشتمر حمص اخضر ، كان هو المشير المدبّر الحال العاقد ، وتنكّر[٢] له الفخريّ كثيراً ، فلمّا هُزم ألطنبغا ولاّه الفخري نيابة حمص .

ثم إنّ السلطان الملك الصالح في أول مُلْكه أعطاه نيابة غزة ، فتوجه إليها في خامس عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها نائباً سنةً أو[٣] أزيد بقليل ، ثم طلبه إلى الديار المصرية ، فتوجَّه إليها في شعبان سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها حاجباً .

ولمّا أنْ توفّي الأمير علم الدين الجادلي أُعطي إقطاعه وكان إقطاعاً كبيرا ، فأقام بمصر حاجباً كبيراً ، وكان منجمعاً ، لا يُدرى به ، ولا يَدْرأ شيئاً ، إلى أن توفي الصالح[٤] ، فأخرج إلى حمص نائباً على البريد ، عوضاً عن الأمير سيف الدين إياز الساقي ، ووصل إلى دمشق ، وتوجه إلى حمص[٥] على البريد ، فوصل المرسوم بأن يُرَدّ

---

(١) قوله : « وحدّث » حتى ههنا ليس في (خ) .

(٢) في (س) : « وشكر » . وهي أشبه بالسياق .

(٣) في الأصل : « وأزيد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « الصالح إسماعيل » .

(٥) في الأصل : « مصر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

إلى دمشق ، ليقيم بها[١] ، ويتوجه الأمير سيف الدين قُطْلُقْتُمر الخليلي الحاجب بدمشق[٢] ، فرُدَّ الأمير حسام الدين من منزلة القسطل ، أو يُرَيْج العطش[٣] ، فعاد ، وأقام بدمشق أميراً مدة يسيرة .

ثم لَمَّا أُمسك الأمير سيف الدين الملك النائب بصَفَد جُهِّز نائب غزة الأمير سيف الدين أراق إلى صفد نائباً ، ونُقل الأمير سيف الدين أُوْلاَجا من نيابة حمص إلى نيابة غزة [وجهز الأمير حسام الدين البشمقدار إلى نيابة حمص][٤] ، فأقام بها مدة يسيرة . ولما بَرّز الأمير سيف الدين يَلْبُغا اليحوي إلى ظاهر دمشق في أيام الكامل ، كان الأمير حسام الدين أوَّل من جاء إليه ، وهو في مِحَفّة ، ولما وُلِّي السلطان[٥] الملك المظفرّ استمرَّ به في دمشق .

ولم يزل بها أميراً مقدّم ألف ، إلى أن توفي في التاريخ المذكور ـ رحمه الله تعالى ـ ولم يُخَلِّف ولداً غير ولده الأمير علاء الدين علي [أحد][٦] أمراء الطبلخانات .

٨٠٩ ـ طُرنَطاي*

أحد أمراء العشرات بدمشق ، الأمير حسام الدين الجوكنداري .

أول ما علمت من أمره أن الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ولاّه مدينة غزة والبرَّ بها في خامس شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ثم إنه جاء مِن

---

(١) في الوافي : « بها نائباً » .

(٢) عبارة الوافي : « بدمشق نائباً إلى حمص » ، وستأتي ترجمة قطلقتمر في موضعها .

(٣) وكلاهما قرب دمشق . وفي الوافي : « برج العطش » .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٥) في الوافي : « السلطنة » .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

* الدرر : ٢١٧/٢ ، ولم تذكر سنة وفاته .

غزة ، وولاّه جَعْبَر ، فأقام بها إلى أن توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن برق ، فطلبه من جعبر ، وولاّه مدينة دمشق ، وخلع عليه خلعة أمير عشرة .

وكان شكلاً حَسناً ، طويلاً أبيض مُشْرَباً حمرة ، كثير المكارم والخدمة للناس ، والتقرب إليهم .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بولاية غزة ، ونُسْخَته .

« رسُم بالأمر العالي ، لا زال يَدّخر لكل مِهمّ حُسَاما ، ويُطلع في أفق الولاية كلَّ بدر إذا غاب شهابُها أخذ كالَهُ وأربى[1] عليه تماما ، أن يرتّب المجلس السامي الأميري الحسامي في كذا ، سالكاً في هاتين الولايتين ما يجب لهما من الطرق التي تحمد منها العواقب ، ويظهر فيها من لمعات الحسام مَا يشخص له طَرْفُ الشهاب الثاقب ، ويبدي فيها من حسن السياسة ما يتَساوى في أمنه أهلُ المراقد والمراقب ، لما عُلِم من عُلُو هِمَّتِهْ في الأوقاف المهمّه ، وعُهِدَ من نَهْضته في الأمور التي حراستُه في جِيْدِها تميمةٌ وسياستُه لحُسْنِها تَتِمَّه ، فليتولَّ ما فُوِّض إليه ولايةً تكون من الشدّة والرفق قواما ، وتجلو شَمْسُ مَعْدِلته من ألق الظلم ظلاما ، وتُعلي المُحِقّ على الْمُبْطل ، فإنَّ له مَقَالاً ومَقَاما ، وليجتنبْ أخذ البريء بصاحب الذَّنْب ، وليحذرْ الميل على الضعيف الذي لا جَنْبَ له ، ويترك صاحب الجَنْب وعمارة البلاد ، فهو المقدّم من هذا المهم ، والمقصودُ بكل لفظٍ تمّ له المعنى أو لم[2] يتم ، فَلْيتوخَّ العَدْلَ فإنه أنفعُ للبلاد ، من صَوْب العِهاد[3] والسحب المماطرة ، وألذُّ لأهل القرى من ولوج الكرى في الجفون الساهرة ، فإنه لاغيث مع العَيْث[4] ، ولا حلم مع الظلم ، وليتعمد الإنصاف بين الخصوم فما كل نارٍ ضَرَم ، ولا كلّ

(١) في الأصل : « أربي » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أقرب .
(٢) في (س) : « لا » .
(٣) أي : المطر .
(٤) أي : الفساد .

شحم يراه في الورى وَرَمْ[١] ، ولْيَصل باع من لاله إلى الحق وصول ، وليتذكر قولَهُ عليه الصلاة السلام « كلّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسؤول »[٢] ، فليكن تقوى الله عز وجل ركنه السَّديد ، وذُخْره العتيد ، وكنزه الذي يَنْمي على الإنفاق ، وكل كنز على طول المدى يبيد ، والله يحرس سَرْحَهُ ، ويرعاه ، ويوفق لكل خَيْرٍ مَسْعَاه ، والاعتماد في ذلك على الخط الكريم أعلاه ، والله الموفق بمنه وكرمه . إن شاء الله تعالى » .

٨١٠ ـ طَشْبغا*

بفتح الطاء المهملة وسكون الشين المعجمة وباء موحدة وغين معجمة بعدها ألف : الأمير سيف الدين الدوادار[٣] الناصري .

كان شكلاً[٤] حسناً إلى الغايه ، ووجهه في الجمال آيه ، يكتب خطاً كأنَّ سطوره جداول قد ترقرقت ، أو عقودُ جواهر قد[٥] تنظّمت وتنسَّقت .

وباشر الوظيفة في المرة الأولى بصَلَف زانه لما زاد ، وأمانةٍ فاز بها[٦] الجُنَيد لما قاربها أو قد كاد ، إلى أن وقع بينه وبين القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء ، فأُخرج إلى دمشق بطّالا ، وجرى غمامُ دمعه على ما فارق منْ مِصْرَ هطّالا ، وأقام بها .

---

(١) هذا من أمثالهم ، وعليه جرى المتنبي في قوله :

أعيدُها نظراتٍ منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ

انظر : ديوانه : ٣٦٦/٣ .

(٢) انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ٩٥/٢ .

* الوافي : ٤٣٥/١٦ ، والدرر : ٢١٨/٢ ، والذيل التام : ١٢٢ ء والمنهل الصافي : ٣٩١/٦ .

(٣) في (س) : « الدواداري » .

(٤) في (س) : « شكله » .

(٥) ليست في : (س) ، (خ) .

(٦) في الأصل : « قارنها » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ثم أُعطي إمره ، وقُـدّم في دمشـق على زُمْرَه ، وتـزوج ابنـة الأمير سيف الـدين أيتمش نائب دمشق فتعلّى ، وجاء إليه إقبالٌ كان عنـه تولّى ، ثم أُعيـد إلى الـدوادارية بمصر ، فأقام فيها مدة يسيره ، وأعيد إلى دمشق على تلك الوتيره ، فأقام بها قليلاً إلى أن مُحيت آيتُه ، وانتهت من الحياة غايتُه .

وتوفي ـ رحمه الله ـ بدمشق ثاني عيد رمضان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

كان هذا طشبغا أولاً عند آنوك ابن السلطان الملك الناصر[١] جمداراً صغيراً ، وكان صورة بديعة الحسن ، كان آنوك ـ على ما قيل ـ يحمل سر موزة طشبغا هذا على جسده تحت قميصه ، ويقول له : يا طشبغا أنا جمدارك ، ما أنت جمداري . ثم إنَّه كان دواداراً صغيراً في أيام الملـك الصـالح . ولم يزل إلى أن أُخرج الأمير سيف الـدين جُرْجي[٢] من الدوادارية في أول دولة الملـك النـاصر حسن في شهر رمضـان سنـة ثمـانٍ وأربعين وسبع مئة ، فعمل الدوادارية بصلف زائد ، وضبط موقّعي الـدست والقصص التي تـدخل إلى دار العدل والتي تخرج ، والكتب التي تكتب والتواقيع قبل دخولها في العلامة وبعدها ، فإذا تأملها أولاً وآخراً أعطاها من يده لأربابها ، ولم يُسمع عنه في تلك المـدة[٣] أنـه قبل لأحد شيئاً .

ولم يزل على حـالـه إلى أن وقع بينـه وبين القـاضي علاء الـدين كاتب السر بسبب شخص من الموقعين يُعرف بابن البقاعي[٤] ، انتصر له طشبغـا ، وحضر إلى الـديوان في حَفَدَتِه[٥] ، وسلّ عليه السيف ، وأساء أدبه عليه ، وضربه بيـده ، فتشـاكيـا إلى الأمراء

---

(١) في (خ) : « الناصر محمّد » .

(٢) ترجم لـه المصنف في الـوافي : ٦٦/١١ ، وذكر آخر أخبـاره سنـة (٧٤٨هـ) ، لكنـه لم ينصّ على سنـة وفاته .

(٣) في الأصل ، و (خ) : « المرّة » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .

(٤) في بعض أصول الدرر : « الفقاعي » .

(٥) جمع « حافد » ، وهم الأعوان والخدم .

وإلى النائب ، فرسم بإخراج الدوادار إلى دمشق ، فوصلها على البريد في يوم عيد الأضحى سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها مُدَيْدَة بطالاً ، ثم أعطي طبلخاناه بدمشق ، وزوّجه نائب دمشق الأمير سيف الدين أيتمش[١] بابنته بعدما شاور السلطان والأمراء في ذلك ، وأقام بدمشق إلى أن أمسك الوزير منجك ، فطُلب إلى مصر لأن الأمير علاء الدين مغلطاي كان زوج أخت امرأة طشبغا ، فتوجه إليها يوم السبت ثاني عشري القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، ولّما دخل على السلطان أقبل عليه إقبالاً كبيرا ، وولاّه الدوادارية ، وقدّم المصريون له شيئاً كثيرا .

ولما جرى للأمير سيف الدين أرغون الكاملي[٢] ماجرى ، وحضر إلى دمشق من حلب[٣] ، أرسل السلطان طشبغا الدوادار إليه بناءً على أنه في حلب ، فوجده في الرملة متوجهاً إلى باب السلطان ، فعاد به إلى مصر ، وحضر معه إلى نيابة حلب ، فوصلا إلى دمشق في يوم الأحد بعد العصر خامس صفر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، فأعطاه نائب حلب شيئاً كثيراً إلى الغاية وفي يوم الاثنين سابع عشري صفر توجّه من دمشق عائداً إلى مصر .

ثم إنه لّما جرى ماجرى ، وخلع الملك الناصر وتولّى الملك الصالح صالح أقام على الدوادارية مُدَيْدَة ، ثم إنه حضر إلى دمشق في حادي عشري شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها بطّالاً .

ومرض مدة ، ثم توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور .

وكان يكتب كتابة حسنة منسوبة ، وكان فيه ميل إلى الفضلاء ، كان بدمشق يسيّر يستعير منّي التذكرة التي لي جزءاً بعد جزءٍ يُطالعها .

---

(١) في (خ) : « أيتمش نائب دمشق » .

(٢) عبارة الوافي : « الكاملي نائب حلب » .

(٣) في الأصل : « من دمشق إلى حلب » ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

٨١١ ـ طَشْتَمُر*

الأمير سيف الدين حمص أخضر الساقي الناصري .

كان شكلاً[١] ضخما ، ووجهه ممتلئ[٢] لحما ، قد طالت مُدَّته في الإمره ، وجَمَع من أزاهر الذَّهَب والفضة كلّ حَضْرَه ، فزادت أملاكه ، ونمت أجورها ، وعظمت خزائنه ، ومُلِئت بالأموال حجورها ، إلا أنه كان عطاؤه عطاء الملوك ، وإذا جاء وهب الجواهر التي في السلوك . وفيه برٌّ للفقراء وإيثارٌ ، وَجُودٌ لهم على طول المدى مدرار ، وأمسكه السلطان مرّتين ، ولم يتمكن من أذاه كَرّتين[٣] . ثم إنَّه أَخْرَجه إلى صفد نائبا ، فترك فَوْدَه لذلك الهَوْل شائبا ، لأنه كان يَسْتَقِلُّ نيابة دمشق استكباراً وعلوا ، واستهتاراً منه وعتوّا ، فأقام بها إلى أن رسم له بإمساك تنكز ، فحضر إليه ، وأمسكه ، وأخذ ثأره منه وأدركه .

ثم إنّهُ توجّه إلى حلب نائبا ، بل جاء هاماً[٤] مالكاً صاحبا ، فأظهر فيها من العَظَمة ما أظهر ، وأبدى فيها من البذخ ما أرمد عُيونَ أَهْلها وأسهر .

ثم إنّه قام في ناصر أحمد الناصر ، ورام غاية ما كانت تبعد عليه إلاّ أنّ جدَّه قاصر ، فتعكّس وهربَ إلى البلاد الروميّة في فَصْلٍ تفاقم بُرَدُهُ وبَرْدُه ، ولم يقاوم جَليده جلْدُه ، وقاسَ شقّة الطريق ، وقاسى أهوالا ، ورأى أوحالاً صعّبت عليه أحوالا .

ثم إنَّه عاد وَجُعل في مصر نائبا ، ولم يدرِ أنَّ سَهْمَ القدر إذا أُرسل كان صائبا ،

---

* الوافي : ٤٣٧/١٦ ، والدرر : ٢١٩/٢ ، وبدائع الزهور : ٤٩٧/١/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩٢/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٠١/١٠ ، وتذكرة النبيه : ٤٦/٣ .

(١) في (س) ، (خ) : « شكله » .

(٢) في (خ) : « ممتلئاً » .

(٣) في (س) : « مرتين » .

(٤) في (خ) : « جاءها مكرهاً » ، ولعلّها محرفة عن : مكرما .

فأُمسك بعد مُـدَّة قصيره ، وذُهب بـه إلى الكرك والعيونُ لفَقْـده غَيْرُ بصيره ، فقتل هو وَالفخري صبراً بالسيف ، وتحيَّفَهُما الحَيْن والحَيْف .

وكانت قتْلَتُه في أوّل المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وإنّما كان يسمّى حمّص أخضر لأنـه لمّـا كان في الطبـاق كان يـأكلـه كثيراً ، فسمّـاه خوشداشوه[١] بذلك .

وكان في طبقـة أرغون الـدوادار وتلـك الرفعـة[٢] ، وأراد السلطـان مَرّةً إمسـاكـه وَإمسـاك أخيـه قطلـوبغـا الفخري ، وكان يـدعـوه « أخي » ، وأنـا شـاكٌّ في إمسـاك الفخري في[٣] هـذه المرة ، فـوقف الحرافيش تحت القلعـة ، واستغـاثـوا ، وَدخـل خوشداشيّته على السلطان ، فأفرج عنهما ، وَعَلم أنّه لا قبل له بهما .

ثم إنّـه لمـا أمسـك الأمير سيف الـدين أرغـون الـدوادار وجهّـزه إلى حلب نـائبـاً أمسكها ، وكان الأمير سيف الدين تنكز تلك الأيام في القـاهرة ، فشفع فيها ، فـأُفرج عنهما ، وقال له : يا أمير ، هذا المجنون ـ يعني الفخري ـ خذه معـك إلى الشـام ، وهـذا العاقل ـ يعني طشتمر ـ دَعْهُ عندي . فخرج الفخري إلى الشام ، وأقام طشتمر في القـاهرة وهو مستوحش[٤] الباطن .

ولمـا توجّـه السلطـان إلى الحجـاز سنـة اثنتين وثلاثين وسبع مئـة كان طشتمر أحـد الأمراء الأربعة الذين جعلهم مقيمين في القاهرة .

وكان في أول أمره مليحاً حسن الصورة ، وكان القـاضي كريم الـدين يتولى عمـائره

---

(١) في (خ) : « خوشدا شيته » .

(٢) في (س) :« الدفعة » ، تحريف .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) في الأصل : « متوحش » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، وهي أشبه .

بنفسه ، وهو الذي عمّر له الدار التي عند حِدْرة البقر والإصطبل ، ولها تلك البوابة العظمى والربع التي[١] إلى جانبها التي ليس في القاهرة مثلها .

ولّما جهزه إلى صفد في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة ، استعفى وتضرّع ، وطلب الإقالة فدخل قوصون إلى المرقد ، وخرج مرتين ، وفي الثالثة قال له : بُسِ الأرضَ ، ولا تتكلم كلمة واحدة ، فباسَ الأرض ، وتوجّه إلى بيته ، وجَهّز إليه السلطان خيولاً بسروجها وأنعاماً . وفي يوم الخميس أجلسه بين يديه بعد الخدمة ، وقال له : ما أُجَهّزك إلى الشام إلاّ لتقضِي لي فيه شغلاً . وأكبّ على رأسه ، يقبله ، وودّعه .

قلت : وكان ذلك الشغل المشؤوم إمساك تنكز . وجهّز معه طاجار الدوادار ، وقال[٢] : بعدما تُوْصِلُهُ إلى صفد ؛ توجّه إلى دمشق ، وقل للأمير نائب الشام : هذا خوشداشك الكبير ، وقد صار جارك ، فراعِه ، ولا تعامِله معاملة مَنْ تقدم .

ومرض في صفد مرضة عظيمة ، أشرف فيها على التلف ، وعمّر له قبراً في مغارة يعقوب بصفد ، وفرغ منه ، ثم إنه عُوفِيَ بعد ذلك .

ثم إنّ السلطان جهز إليه للقبض على تنكز مع بَهادُر حلاوة الأوشاقي ، فتوَهّم ، وظنّ أنّ ذلك مكيدة لإمساكه نفسه[٣] ، وقام من صفد المؤذن قبل انفجار الصبح[٤] ، وساق منها في جماعته حتى وصل إلى المِزّة قبل[٥] الظهر ، وهذا سَوْق عظيم لا يفعله غيره ، لأن دمشق عن صفد مسافة يومين وأكثر ، ثم إنّ الطريق محجر ووعر ، لا يتمكن الفارس أن يسوق فيه . ولما أمسكه ـ على ما تقدم في ترجمة تنكز ـ وجهّزه إلى باب السلطان مقيّداً دخل إلى دمشق ، ونزل في النجيبيّة وحدّثته نفسه بنيابة الشام ، فورد

(١) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في (س) : « وقال له » .

(٣) في (خ) : لإمساكه هو » .

(٤) كذا في الأصول . وعبارة الوافي : « فقام من صفد الصبح لّما أذّن وساق .. » .

(٥) في (س) ، (خ) : « قبيل » .

إليه المرسوم بالتوجه إلى باب السلطان ، فسار إليه من صفد على البريد ، ولّما وصل إليه[١] شكره وأمر له بنيابة حلب ، فورد إليها ، وأقام بها نائباً ، إلى أن خلع الملك المنصور أبو بكر ، وولي الملك الأشرف كجك ، وطَلب الناصر أحمد إلى القاهرة ، فامتنع ، وجُهّز الفخري لمحاصرة الكرك ، فلمّا بلغ ذلك طشتمر قام وقعد ، وقلق لذلك قلقاً زائداً واضطرب اضطراباً عظيماً ، وقال : هذا أمرٌ ما أوافق أنا عليه أبداً ، لأننا حَلَفنا لأستاذنا وَلأولاده من بعده غير مرَّة ، ولما أمْسَكنا تنكز ، حَلَفنا له ولهم ، والسلطان[٢] قد مات ، وهذا سيدي أحمد في الكرك ووالده أعطاه إياها ، فكيف يليق بنا ـ معاشر مماليكه ـ أن نخلع ابنه الواحد من ملكه الذي نصّ عليه ، وقرره ، ونهجّج أولاده وحريمه إلى قوص ، ونحاصر ولده الأكبر[٣] في الكرك ، أيش يقول العدوّ عنّا ؟! وسيّر كتبه بهذه المادة ، وما جرى مجراها إلى قوصون وإلى الأمراء الكبار وإلى ألطنبغا نائب دمشق ، وتواتر منه ذلك ، وتحامل عليه ألطنبغا ، واتفق مع قوصون أنّه يتوجه إلى محاربته بعسكر دمشق وإمساكه أو طرده[٤] ، فجرى ما ذكرته في ترجمة ألطنبغا . ولّما بَرّز طشتمر من حلب ، وعَلِمَ أنّ ما في يده من أمراء حلب شيئاً خرج من حلب ، وترك خزانته وحواصله[٥] بها ، وحمل ما يقدر عليه من الذهب الفضة وَالحوائص وما أشبه ذلك ، ولحقه بعض عساكر حلب ، وما أقدموا عليه وجعل كلّما مرّ على قلعة من حصون حلب ناوشه عسكرها القتال ، وهو يخلص من الجميع ، ودخل إلى الروم في أمطار عظيمة وثلوج زائدة ، وبقي هناك إلى أن ملك الفخري دمشق ، وانهزم ألطبنغا ومن معه إلى مصر ، على ما تقدم . وكتب الفخري إلى الناصر أحمد يطلب حضوره إلى دمشق ، فشرع يدافعه من وقت إلى وقت ، حتى فهم عنه أنّه ما يحضر إلاّ

(١) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « فقد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) في الوافي : « الكبير » .
(٤) في الأصل : « وطرده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٥) في الأصل : « وخواصه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

بعد حضور طشتمر ، فجهّز الفخري البريد إلى أرتنا[١] حاكم الروم ، واجتهد في حضور طشتمر كل الاجتهاد . فلمّا كان في شهر رمضان ، وصل طشتمر إلى دمشق ، وكان قد خرج من حلب في أوائل جمادى الآخرة سنة اثنتين [وأربعين][٢] وسبع مئة ، وقاسى في الطرقات مشاقّ ومصاعب ، ونجا من الموت مرات . ثمّ إن الفخري وطشتمر توجهوا[٣] بالعساكر الشامية ، ولما وصلوا إلى غزة بلغهم أنّ النّاصر أحمد توجّه من الكرك إلى القاهرة ، فدخلوا إلى مصر بعده ، وأقبل عليهما وقرّرا له الملك تقريراً ما فرح به غَيْرُه ، لاجتماع العساكر بمصر والشام والقضاة بمصر والشام والخليفة ، وكان يوماً عظيماً ، قلّ أن وقع في مصر مثله ، ثمّ إنه قرّر طشتمر في نيابة مصر ، وبعث الفخري إلى دمشق نائباً . فأقام وَطشتمر في النيابة تقدير أربعين يوماً ، وعمل النيابة بعظمة زائدة إلى الغاية القصوى ، وتحجّر على السلطان زائداً ، ومنع الناس من الدخول إليه فصبر السلطان عليه ، إلى أن خرج الفخري إلى الشام ، وتوسّط الرمل ، وطلب طشتمر ، فدخل إليه فأمسكه في القصر عنده ، وجهّز ألطنبغا المارداني في الحال وغيره لإمساك الفخريّ ، وخرج السلطان من القاهرة ، وتوجّه إلى الكرك ، وأخذ طشتمر معه معتقلاً ، وجهّز إلى ألطنبغا ليجهز الفخري إليه إلى الكرك ، فوصل إليه ، وجعل الاثنين في الاعتقال بقلعة الكرك ، فأقاما مدة يسيرة ، فقيل : إنّ السّلطان بات برّا الكرك ليلة ، وأنّهما كسرا باب محبسهما ، وخرجا منه ، وجاء[٤] الخبر ، فأمر بإحضارهما إليه ، وضرب عنقهما[٥] بالسيف صبراً ، رحمها الله تعالى .

وقلت أنا فيه ؛ لمّا قُتِلَ ـ رحمه الله تعالى ـ :

طَوى الردَى طَشْتمراً بعدمَا ... بالغَ في دفع الأذى وَاحتَرَسْ

(١) في الوافي : « أردناي » .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، والوافي .
(٣) في (س) ، (خ) : « توجها » .
(٤) في (س) ، (خ) : « فجاءه » .
(٥) في (س) ، (خ) : « عنقيها » .

عَهْدي بـه كان شـديـد القِـوَى أشجـــع من يركبُ ظهر الفَرَسْ
ألم تقـــولـــوا حمّصـــاً أخضرا تعجبّـوا بـــالله كيف انـــدرسْ[1]

وقد بسطتُ ترجمته في تاريخي الكبير أكثر من هذا ، وهو الذي عمّر الحمّامين المليحين اللّذين في الزريبة بالقاهرة ، وعمّر الرّبع العظيم الّذي في الحريريين داخل القاهرة ، وعمّر حمّاماً حسناً بصفد ، وقال بهاء الدّين الرّهاوي لما اجتمع بالفخري في دمشق :

قـــد أقبـــل الفخري في مـــوكبٍ أعـــــــــاذه الله من العَيْن
والحمّص الأخضر في فَرْحَـــــــة لأجلهـــــا صـــــار بقُلبَيْنْ

٨١٢ ـ طَشتَمِر*

طَلَلَيْه ، الأمير سيف الدين ، بالطاء المهملة وبعدها لامان متحركان بالفتح وبعدهما ياء آخر الحروف ساكنة وَهاء ، إنّما عرف بهذا لأنّه كان إذا تكلّم بشيء قال في آخره : طَلَليه ، كأنّه يغنّي بها .

كان من المماليك النّاصرية ، وعُظِّمَ أخيراً في أيام المظفّر حاجّي ، وجُعِلَ أمير سلاح ، وهو من أمراء المَشْوَر ، والذين يكتبون إليهم نوّاب الشّام قرين مطالعات السّلطان[2] .

ولم يزل في هذه الرتبة إلى أن صار رَبع الحياة من طَلَلَيه طَلَلا ، وحُمِلَ إلى قبره وقد نشرت الرحمة عليه ظُلَلا .

لأنّه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في طاعون مصر في شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

(١) في المنهل ، والنجوم : « فاعجب له يا صاح كيف اندرس » . والأبيات أيضاً في التذكرة .

* الوافي : ٤٤٢/١٦ ، والدرر : ٢٢٠/٢ ، والنجوم : ٢٣٧/١٠ .

(٢) عبارة الوافي : « وكان ممّن يكتب إليه نواب الشام قرين مطالعات السلطان » ، وهي أظهر .

٨١٣ ـ طُطَق**

الأمير سيف الدّين الأحمدي ، نسبةً إلى الأمير رُكن الدّين بيبرس الأحمدي ؛ أمير جاندار ، وقد تقدّم ذكره في مكانه .

كان عارفاً خبيرا ، دربـاً بـالأمور لا كمن لا يعرف قبيلاً ولا دَبيرا ، يكتب فيكبت حُسَّادَه ، ويقرأ فيرقا[1] ويعلو أضداده ، استراح به أرغون الكاملي مدة نيابتـه لّما كان لـه دوداراً ، ورأى من العـز والعظمـة مـالم يره كِسْرَى ولا دارا ، وعمـل النيـابـة بـالرحبـة جَيّدا ، وكان من العربان منصوراً مؤيّدا ، فابتسم به ذلك الثَّغْر بعد قُطوبه ، وَمعانـاة كروبه ، ومداناة حروبـه . إلى أن جـاءه الأمر الـذي لا تَمْنَع منـه الحصون ، وأذاع من حَيْنه السّر الْمَصُون .

وتوفي ـ رحمد الله تعالى ـ في رابع عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

كان المذكور من مماليك الأحمدي[2] ، أمير جاندار ، ولّمـا تـأمّر الأمير سيف الـدين أرغون الكاملي ، أخذ جماعة من مماليك الأحمدي ، فكان هـذا طُطق المـذكور دوادارَه ، وكان عاقلاً خبيراً مهذّباً مـدربـاً ، فـاستراح بـه الكامل في نيـابـة حلب وَدمشق ، وكان بدمشق أمير عشرة ، ولّما عادوا إلى حلب ثانيـاً من دمشق أُعطي إمرة طبلخـانـاه ، ولّمـا طلب الكاملي إلى مصر ، توجّه[3] معه ، وأمسك الكاملي على مـا تقـدم في ترجمتـه ، بقي بطّالاً مدة ، ثم إنّه أعطي طبلخاناه ، وجُهّز إلى دمشق ، فحضر إليهـا ، وعرض جُنْـدَه بـدار السّعـادة في رابع عشر ربيع الأوّل سنـة اثنتين وستين وسبع مئـة ، وأقـام بـدمشق

---

* الدرر : ٢٢٠/٢ .

(١) مخففة من يرقأ ، يقال : رقأ يرقأ : أفسد وأصلح .

(٢) في (خ) : « الأمير سيف الدين الأحمدي » .

(٣) في الأصل : « وتوجه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

قليلا ، ثمّ طلب إلى دمشق قليلا[١] ، ثمّ طلب إلى مصر ، وعاد صحبة السلطان الملك المنصور صلاح الدّين محمد بن حاجّي ، لمّا وصل دمشق[٢] في واقعة الأمير سيف الدين بيدمر ، ولمّا كان بعد عيد رمضان ألبس الأمير طُطَق تشريفاً ، وأعطي تقدمة ألف ، وجُهز إلى الرّحبة في أوائل شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة . وكان بها نائباً ، فسدّ ثَغْرَها ، وشدّ أمْرَها ، ومنعها من أذى العربان إلى أن توفي ، رحمه الله تعالى .

وكان يودّني ، ويُثْني عليّ ثناء كثيراً ، ولم أجتمع به ، وكتبت إليه ، وهو بحلب لمّا أظفرهم الله تعالى بأحمد السّاقي وَبكلمش وبَيْبغاروس وَقراجا بن دُلغار قصيدةً وَهيَ :

يا حُسْنَهُ لَمّا رَمَقْ ... لم يُبقِ في جِسْمي رَمَق
أحوى اللّواحظ ناعس ... أنفى جفونيَ بالأرق
حُلْوُ المقبلِ باردٌ ... ملأ الجوانح بالحُرَق
حَسَد الصباحُ جبينَهُ ... لضيائه حتّى انفلَق
فالوردُ مثل خدوده ... وعليه كالطّلِّ العَرَقْ
والثغرُ ليلٌ صبحُه ... فَرْقٌ وفي الخَدّ الشَّفَقْ
شكري ليالي وصله ... شكر العفاة ندى طُطَقْ[٣]
فهو الدوادارُ الّذي اص ... ـطبح الفضائلَ واغْتَبَقْ
أفعاله من حكمةٍ ... تجري على نسق اليسق
وسكوته لسكونه ... وإذا تكلّم قال حَقْ
كم مسلمٍ بيراعه ... بين الأنام قد ارتزق
وإذا برى أقلامه ... أبدى الأزاهر في الورق
تَغْنَى الملوكُ برأيه ... إنْ حَان أمرٌ أو طرق

(١) كذا .
(٢) في (س) ، (خ) : « إلى دمشق » .
(٣) هذا البيت خلا منه الأصل ، وهو ثابت في (س) ، (خ) .

أثنى العَـــدوّ عليـــه حَتْـ ـى قـال حـاسـده صَـدَقْ
تشكـو دمشـقُ فِراقـــه فَنَسيُهـــا بـــادي القلـق
يعتّـل عنـــدِ هبـوبـــه ولـه الغـدير صفـا ورَقْ
وكأنّ نَشْرَ ريَـــاضَهـــا منـــه استعـــار أو استرق
طـوبى لمن بجَنـــابِـــه قـد لاذَ يـومـاً واعْتَلَـقْ
مِنْ يُمن طلعتـــه وهى الـ أعـدا وصـاروا في وَهَـقْ[1]
أرَأيت أحمـــد إذ غـــدا في نـــار بكلمش احترق
وأتى كـــذلـــك بَيْبُغـــا فتـلاهمـــا عَطْفُ النسـق
حـــــزّت رُؤوسهم وذ لـك من عجـائب مـا اتفـقْ
مَرَقـوا من الـــدين الحنيـ ـف لـذاك راحـوا في المرَقْ
وتمـــــــام كلَّ مسرّةٍ إمســـاكُ من منهم أبـقْ
هـــذا قراجـــا الغـــادر الـ ـبـــاغي على كل الفرق
وافى لمصرع حينـــــــه وبجبـل طغـواه اختنـق
كم هـــز رمـــح رزيّـــة وسهـــام بغي قـــد رشـق
مـــات الملـوك بُغصّـــةٍ منـــــــه وعَمَّهُمُ الشرَق
قـــد كان فرعـون الـوغى لكن تـــداركـــه الغرق
بسعـــــادة سيفيـــــة أعطـــاكهـــا رب الفلـق
لم تسر قـــط لغـــارة إلا ونصرك قـــد سبـق
وكأن ذكرك في المـــــلا مســـك تـــأرج وانفتـق
فـــاسلم ودم في نعمـــة مـــا هب ريـح أو خفـق

(١) الوهق : الحبل يرمى فتؤخذ به الدابة والإنسان .

٨١٤ ـ طَغَاي*

الأمير سيف الدين[١] الكبير .

لم يكن في مماليك أستاذه من حَازَ جَمَالَهُ ، ولا بلغ القمرُ كَمَالَهُ ، ولا ملك الرمح قدّه ، ولا رأى السيف مضاء جَفْنه ولا حدَّه ، وكان شاباً أبيض طويلا ، لا تجد العيون لجماله نداً ولا مثيلا ، قد فات الوصف ، وفاق ثغرُه عَقْدَ الجوهر في الرَّصْف .

وأمّا مكانته فما ملكها في وقته أحد ولا حازَها ، ولا داناها فضلاً عن أن يكون جازها . كان السلطان يكون مع خواصه يَمْزَح ، ويجول في ميدان خلوته ويمرح ، حتى يُقال : جاء طغاي ، وكلّ منهم ينزوي ، ويميل إلى مكانه المعروف به وينضوي ، وكان يضع يده في حياصَة أكبر الخواص[٢] ، والذي لا يجد السلطان عنه مناص ، ويخرج به إلى برّا ، ويرميه إلى الأرض ، ويضربه مئتي دبوس ، وهلمّ جرّا . هذا والسلطان يرى ويسمع ، وماله إلى خلاص ذلك نظر يطمح ، ولا أمل يطمَع ، وحسبك أن تنكز ما كان يطير إلاّ بجناحه ، ولا يتوصّل إلى نَيْل مقاصده إلاّ بنجاحه .

ولم يزل على حاله إلى أن زالت سعادته ، وفرغت من الإقبال عليه مائدته ، فاستحال عليه وما استحيا ، وأعرض عنه ولم يسمع فيه لوماً ولا لحيا ، وأخرجه إلى صفد ، وأحوَجه بعد العطاء الجزيل والصفد ، وبعد قليل أخذه منْ صَفَدَ في صفدٍ ، وعمد إليه سيفاً ، فأغمده في جفن حبسه ، وفقد الناس مثله في أبناء جنسه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في الإسكندرية .

---

* الوافي : ٤٤٤/٦ ، والدرر : ٢٢١/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٠٨/٦ ، وتذكرة النبيه : ٥٦/٢ . وفيه أن اعتقاله في صفد كان سنة (٧١٣ هـ) .

(١) في (س) ، والوافي : « سيف الدين الناصري » .

(٢) في الوافي : « حياصة الأمير » .

وكان سبب تغيّره عليه أمورٌ منها أنّه لمّا مرض السلطان احتاج إلى أن يَحْلق رأسه ، فحلقه ، وحلق مماليكُ السلطان رؤوسهم ، ولم يحلق طغاي ذؤابته ، وكانت سوداءَ طويلة ، مليحة إلى الغاية ، ثمّ إنّه طلب كُلاً منهم على انفراد ، وقال له فيما بينه وَبينه . يكون نظرُك على أولادي وحَريمي ومماليكي ؛ فأنت الذي يتم لك الأمر بعدي . فكلّ منهم تنصّل ، وبكى ، وقال : هذا أمرٌ لا يكون أبداً ، ولا أوفق عليه ، واللهُ يجعلنا فداءَ مولانا السلطان ، ولم يرَ من أحدٍ من هؤلاء المقربين إقبالاً على ما قاله ، فلمّا قال مثل ذلك لطَغَاي ؛ رأى منه إقبالاً ، وشمّ من أنفاسه[1] الميل إلى طلب الملك ، فكتم ذلك في باطنه ، وأخرجه إلى صفد نائباً في ثالث عشري صفر سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، فحضر إليها يوم الخميس ثاني شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وأقام بها تقدير شهرين ، وحضر الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي على البريد ، وقال له : قد رُسِمَ لك بنيابة الكرك ، فبات على ذلك ، وجهّز إليه له[2] ، وكان مع مغلطاي كتب السلطان إلى أمراء صفد بإمساكه ، فلمّا كان يوم الخميس ، ركب عسكر صفد ، ووقفوا في الميدان ، فلمّا علم ذلك قال : يا خوشداش ، عليك سمع وطاعة لمولانا السلطان . قال : نعم . وحلّ سيفه بيده ، فأحضر له القيد ، وقيّد ، وتوجّه به إلى مصر ، وقد[3] رأيته وقد خرج من دار النيابة بصفد ، ليركب البغل الذي أحضر له ، وكلّما همّ بالركوب تعلّق فيه مماليكه ، ومنعوه من الركوب ، وبكى هو ، وبكوا ، وفعلوا ذلك مرات ، وهو من طول قامته ظاهر عنهم ببعض صدره ، وكان وجهه مبدعاً في الحسن ، بارعاً في الجمال .

وتوجّه به إلى إسكندرية ، وذلك في ثامن جمادى الأولى من السنة المذكورة ،

---

(١) في (س) : « نفسه » .

(٢) في (س) : « وجّهز أشغاله » .

(٣) في (س) : « ولقد » .

وكان آخر العهد به ، وقبره ظاهر في إسكندرية في تربة يزوره الناس كما يزورون قبور الصالحين . وهو الذي عمَّر الخان الذي للسبيل بالقصير المعيني[١] ـ رحمه الله تعالى ـ .

ولّما وصل إلى صفد كان الأمير سيف الدين تنكز يجهّز إليه كل يوم والثاني حِملي[٢] فاكهة وَحلوى وكذلك الصاحب شمس الدين غبريال ، ما أخلا بذلك مدة مقامه بصفد ، وحضر إليه يوماً بريدي وعلى يده كتاب من الأمير سيف الدين تنكز على العادة ، فيما كان يكتب به إلى نواب الشام في مهمات الدولة ، فلما رأى الكتاب رمى البريديَّ إلى الأرض ، وضربه مئتي عصاً ، وقال : والك ! أنا إلى الآن ما بَرَدَ خدي[٣] من ركبة السلطان وفخذه ، وصار تنكز يأمر عليَّ ، وينهي .

وقال يوماً للأمير علم الدين سنجر الساقي مشد الديوان بصفد : والله ، أنا مالي عند السلطان ذنبٌ أخافه ، ولا أخشاه ، ولكن أخشى ممن يستشيره في أمري ، فإنّا كنّا إذا استشارنا في أمر أحدٍ قد غضب عليه نقول :

ياخُوند ، اقتله . فأنا أخشى من مثل هؤلاء محاضر السوء .

وقلت ـ وقد داخلتني رقة عظيمة ـ وقد رأيْتُه ومماليكُه يودعونه :

تشفَّى مماليكُ المليك بحادثٍ ... ألمّ بمن عنه الثّناء يطيب

وقالوا : طغى فينا طغاي وما طغى ... ومن أين للوجه المليح ذنوب[٤]

٨١٥ ـ طَغَايَ*

ابن سُوتاي ، هو الحاج طغاي بن النَّوين سوتاي .

(١) في بعض أصول الوافي : « القصر العيني » . وكذلك في المنهل .

(٢) في (س) : « حمل » ، وعبارة الوافي والمنهل : « ستة بغال » .

(٣) في المنهل : « فخدي من فخذ السلطان » .

(٤) البيتان في تذكرة النبيه .

* الوافي : ٤٤٦/١٦ ، والدرر : ٢٢٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٠٧/٦ .

لمّا توفي سوتاي والده ، وثب على الحكم على التومان الذي بديار بكر علي باشاخال بوسعيد ، فحاربه الحاج طَغاي غير مرّة ، وانكسر الحاج طغاي غير مرةً ، ويعود إلى حَرْب علي باشا ، وما يعود[1] عنه إلى أن قال علي باشا : ما رأيت أقوى من وجه هذا ، ولكن هذا حمارُ حَرْب .

ولم يزل بعد قتل علي باشا في محاربة قومٍ بعد قوم من التتار ، وهو ملاحظ المسلمين متحيز[2] إليهم ، إلى أن قتله إبراهيم شاه بن بارنباي أخيه[3] على ما تقدم في ترجمة إبراهيم شاه ، وجاء الخبر بقتله من نواب الثغور والأطراف في يوم عاشوراء سنة أربع وأربعين[4] وسبع مئة . وحزّ إبراهيم شاه رأسه بيده .

كان المذكور حمارَ حرب ، وحَمّال طَعْن وضرب ، لا يرجع عن القتال ولا ينثني ، ولا يطأطئ رأسه لرزيّة ولا ينحني ، إلى أن غَدَرَ به ابن أخيه ، وشدّه في أواخيه ، ولم تنفعه قرابه ، وما جرّد سيفه إلاّ أن يكون عنق عمّه قِرابَه ، فأصبح بين قومه مخذّلا ، وأمسى على التراب مجدّلا ، على أنّه كان رِدْءاً للمسلمين ، وَبَدْءاً وعوداً في الذّبِّ عن المؤمنين ، فالله يرحمه قتيلا ، ولا يحرمه من أجره نَقيراً ولا فتيلا .

٨١٦ ـ طَغَاي*

مملوك الأمير سيف الدين تنكز وأمير آخوره .

كان في آخر وقت قد تمكّن من أستاذه تمكّناً زائدا ، وأصبح لولا الخوفُ من السلطان جعله للجيوش قائدا ، وكان لا يخالفه في أمر ، ولا يرجع إلى غير رأيه بخلاف

---

(١) في (س) ، (خ) : « وما يرجع » .

(٢) في (خ) : « متحيّز » .

(٣) في الدرر أن الذي قتله « إبراهيم شاه أخو علي » ، وهو سهو .

(٤) في الدرر : (سنة ٧٤٣ هـ) .

* الوافي : ٤٤٦/١٦ ، والدرر : ٢٢٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٠٧/٦ .

زيد ولا عمرو[١] ، فكان هو وسيف الدين جُنغاي المقدّم ذكْرُه ـ قد استحوذا[٢] على عقله ، ومن سواهما عنده أخبر بنُقْلِه[٣] ، على أن طَغاي وجُنغاي لم يَر الناس منهما إلا ما أحبّوه ، ولم يحرّكا على أحد ساكناً ، وإن كان الناس قد أوقدوا جمر الفتن ، وشبّوه .

وما زال عند مخدومه في مكانةٍ تَسْفُل زحل عن ترْبها ، وتَصْغُر الشمس عن أن تكون في رتبة[٤] تِرْبها ، إلى أن أُمسك ، وقيل له : بعيدٌ بين يَوْمك وأَمْسك ، ففصل السيف جسده نصفين ، وكان أَلِفاً واحداً فأصبح أَلِفين .

وكان ذلك في المحرم سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

يقال عن هذا طُغاي : إنّه خَلَّص من أستاذه من الإقطاعات في الحلقة الأويراتيَّة والوافديَّة[٥] ألف إقطاع ، والسلطان نقم عليه ما نسب إلى أستاذه ، وكان أولاً إذا راح في البريد إلى مصر أكرمه ، وعظَّمه ، وخلع عليه الخلع السنيّة ، وأنعم عليه الإنعامات الوافرة ، ولكن سبحان مَنْ لا يتغير ، ولا يحول ولا يزول .

وكان قد حصَّل أموالاً عظيمة ، فأخذت ونهبت ، ووسَّطه الأمير سيف الدين بشتاك في سوق الخيل يوم الموكب ، ووسّط خوشداشة جُنغاي[٦] على ما تقدم .

٨١٧ ـ طغَاي*

الخوندة الكبرى زَوْجُ السلطان الملك الناصر وأم ابنه آنوك المقدَّم ذِكْرُه ، وكانت

---

(١) في (س) ، (خ) : « زيد وعمرو » .

(٢) في الأصل و (س) : « استحوذ » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في الأصل و (خ) : « نقله » ، وجعل ما أثبتناه هو مراده .

(٤) في (س) : « تربة » .

(٥) لفظ يطلق غالباً على الترك والتتر الذين وفدوا إلى بلاد دولة المماليك بمصر والشام .

(٦) في (خ) : « طغاي » ، سهو .

* الوافي : ١٦/٤٤٧ ، والدرر : ٢/٢٢١ ، والنجوم : ١٠/٢٣٨ ، والذيل التام : ١٠٧ .

جاريته أولاً ، ثمَّ إنَّه أعتقها ، وتزوجَّها ، وقيل : إنَّها أخت الأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد الْمُقَدَّم ذكره .

كانت بديعة الحسن ، باهرة الجمال الذي لا يطيق وصفَه القالةُ اللَّسنِ .

رأت من السعادة ، ما لا يراه[١] غيرها من زَوْجات ملوك مصر الذاهبات ، وتنعّمت في مَلاَذَّ ما وصلت إليها يَدُ الناهبات ، لم يَدُمْ على محبّة أحدٍ غيرها ، ولا نأى قَسُّه عن دَيْرها ، ولا عَقِل مجنونُه عن ليلاها ، ولا وقفت به جِمَالُ غرامه إلاّ في عَقَبة إيلاها[٢] ، لأنّ نياق أشواقه ؛ كانت كثيرة الشرود ، سريعة الانتقال والانفتال عن مراعي زَرُود[٣] ، وكانت فيما بعده معظمةً في كل دوله ، مكرَّمة في كل زمان أحال الله حوله .

ولم تزل كذلك إلى أن كسفت شمسها وهانت في الثرى بعدما عزَّ على كَفّ الثريّا لَمْسُها .

وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ في شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

كانت هي الخوندة الكبرى بعد [بنت][٤] نوكاي[٥] ، وهي أكبر الزوجات ، مقدّمة حتّى على ابنة الأمير سيف الدين تنكز .

حجّ بها القاضي كريم الدين الكبير ، واحتفل بها[٦] ، وحمَل لها البقلَ في محائر طين على ظهور الجمال ، وأخذ لها البقر الحلاّبات ، تكونُ معها في الطريق ؛ ليؤخذ

(١) في (س) : « رآه » .
(٢) عقبة إيلة ، آخر الحجاز وأول الشام ، انظر : معجم البلدان ٢٩٢/١ .
(٣) موضع بطريق الحاج من الكوفة . انظر : معجم البلدان ١٣٩/٣ .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) .
(٥) نوكاي المنصوري ، ستأتي ترجمته .
(٦) في (س) ، (خ) : « بأمره » .

لبنُها ويجبّن ، ويُصنع لها في الغداء والعشاء الجبن المقلو[١] السخن ، وناهيك بَمنْ وصل إلى هذين النوعين البقل والجبن ، وهما أحسن[٢] ما يذكر ، فما عساه يكون بعد ذلك . ثمَّ إنَّه حجّ بها الأمير سيف الدين بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، إلاّ أنّ هذه الحجّة دون تلك .

أخبرني من لفظه القاضي علم الدين بن قطب الدين ناظر الجيوش ، وكان أوّلاً مستوفي ديون تنكز ، قال : إذا جهز الأمير - يعني تنكز - إلى مصر تقادم[٣] ما يكتب على أحد شيئاً ، إلاّ على السلطان وعلى قوصون وعلى الخوندة طغاي . وبالجملة فقد رأت ما يراه[٤] غيرها ، وعظمت بعد زوجها في أيام ملوك مصر أولاد زوجها كثيراً إلى الغاية ، إلى أن توفيت - رحمها الله تعالى - .

٨١٨ - طَغاي تَمُر*

الأمير سيف الدين الناصري الساقي .

لم يكن بعد طَغاي الكبير أحسن منه ، ولا مَنْ يروي القَمَران الجَمال البارع إلاّ عنه . وكان طَغاي تمر هذا أظرف وأمشق[٥] ، وما تدري إذا نظر إليك أسلَبَكَ فؤادك أم شَق ، وطغاي كان أبيض[٦] مشرباً حُمره ، وهذا مع حمرته تعلوه سُمره ، مع لطف

---

(١) في الوافي : « مقلّي » . وفي اللسان عن الجوهري : « قليت السويق واللحم فهو مقلّي ، وقلوت فهو مقلو ، لغة » .

(٢) في (س) : « أخس » .

(٣) هو كتاب يتحدث عن أمور المماليك .

(٤) في (س) ، (خ) ، والوافي : « ما لا رآه » .

* الوافي : ٤٤٨/١٦ ، والدرر : ٢٢٣/٢ ، والنجوم : ٣٠٣/٩ ، والمنهل الصافي : ٤١٣/٦ .

(٥) في الأصل : « وأرشق » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أنسب للسجعة ، كما سيأتي .

(٦) في الأصل : « أبيضاً » .

الحركة إذا تَثَنّى ، وخفّةِ الهَيَف ، فلولا[١] جوارح طرفه غرّد الحمام على غصن قده وتغنّى[٢] .

زوّجه السلطان ابنتَه ، وكان في وقته مُنْيتَه ومِحْنَته ، فهو أحد الأربعة الذين يبيتون عند السلطان ، وتخرب بهم الدور وتعمر بهم[٣] الأوطان . وكان ساكناً عاقلاً مهيبا ، وادعاً للشر لبيبا ، وما كان يلازم السلطان مثل غيره ، ولا يتطرّح عليه ، ولا يرى الناسُ أنّه ممن يُشار إليه .

ولم يزل راقياً في مطالع سعوده ، ومعارج صعوده ، إلى أن خُسِف قَمَرُه ، وذَوَى من غُصنه ثَمَرهُ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، أو أواخر سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ولّما زوّجه السلطان ابنته ، لم يعمل له زفّة[٤] ، لكنّه رسم للقاضي تاج الدين إسحاق ناظر الخاص أن يعمل ورقه بمكارمة الأمراء لقوصون في عُرسه[٥] ، فعمل بها ورقة وأحضرها إلى السلطان ، فقال : كم الجملة . قال : خمسون ألف دينار . فقال : أعطِ نظيرها لطَغاي تمر ، فإنّا إن عملنا له زَفّة قال الأمراء : هؤلاء يصادروننا بحسن عبَارة .

وكان أحد الأربعة الخواص المقربين هو وَبكتمر الساقي وقوصون وبهادُر التمرتاشي .

---

(١) في الأصل : « لولا » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « تثنى » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) ليست في (س) .

(٤) في الوافي : « رفّة عرس » .

(٥) عبارة الوافي : « رسم له السلطان بأن يُصرف عليه من الخزانة نظير مكارمة الأمراء لقصون لّما دخل على ابنة السلطان » . وكذلك في المنهل .

ولّما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ وَجَدَ السلطان عليه وَجْداً عظيماً ، وكتب إلى تنكز يعرّفه بموته في جُمْلَة كتاب ، فذهل هو وَكاتب السّرّ عن الجواب عن هذا الفصل ، فجاء الجواب من السلطان إلى تنكز بالإنكار عليه ، وقال : أكتبُ إليك أعرّفك بَمْوت صهري ، وما تجهّز الجوابَ إليّ عن ذلك ، ولا تعزّيني فيه .

٨١٩ ـ طغَاي تَمُر*

الأمير سيف الدين النجمي الدوادار .

كان دوادار الصالح إسماعيل والكامل شعبان والمظفّر حَاجّي . كان من أحسن الأشكال وأتمّها ، وأبدع الوجوه وأجمَلها في بسطها وضمّها ، مديد القامه ، يكاد إذا خطا تسجّع عليه الحَمامَه ، تقدّم في الدُّول ؛ وصارت له وجاهة وَعَظَمه ، ونضّد السّعد دُرّه على جيدِهِ ونظمه ، وخدمه الناس وقدّموا ، وعكموا[1] الحمول إلى بابه وقدّموا .

ولم يزل على حاله إلى أن عبث به أغرلُو فين عَبَث ، ولم يقدر على دفع حادث حدث منه ، ولا على[2] إزالة خبث ولا خَبَث ، فأخرجه إلى الشام ، وألحقه بمن أخذه في غزّة على غرّه ، وأجراه على عادة سفكه المستمره ، وفَصَل رأسه عن جسده ، وشفى منه غلّة[3] غيظه وحَسَده ، وذلك في جمادى[4] الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وطغاي تمر هذا أوّل دوادار أخذ إمرة مئة ، وتقدمة ألف ، وذلك في أوّل دولة

---

* الوافي : ١٦/٤٤٩ ، والدرر : ٢/٢٢٣ ، والنجوم : ١٠/١٨٤ ، وفيه : « طغيتمر » والمنهل الصافي : ٦/٤١١ .

(١) عكم المتاع : شدّه بثوب .

(٢) ليست في (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « علّه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) في (س) ، (خ) : « أوائل جمادى » .

المظفر ، وعمّر في الأيّام الصالحيّة الخانقاه التي أنشأها برّا بـاب المحروق ظـاهر القـاهرة ، وهي مليحة إلى الغاية ، وعمّر الدار التي ...[١] .

ولّما كانت واقعة الحجازي وآقسنقر وأولئك الأمراء - على ما تقدم في ترجمة آقسنقر - رمى هو سيفه بنفسه ، وبقي بلا سيف بعض يوم في أيام المظفّر ، ثم إنّ السلطان أعطاه سيفه واستمر به في الدوادارية على عادته ، ثمّ لّما كان بعد شهر أُخرج هو وَالأمير نجم الدين محمود بن شَروَين[٢] الوزير والأمير سيف الدين بَيْدَمُر البَدْري على الهُجن إلى الشام ، ثمّ إنّه لحقهم الأمير سيف الدين منجك ، وقضى الله أمره فيهم هناك - رحمهم الله أجمعين - وذلك بتدبير أغرلو المقدّم ذكره .

٨٢٠ - طغجي*

بالطاء المهملة والغين المعجمة والجيم : الأمير سيف الدين الأشرفي مملوك الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

كان خليل مولاه خليل ، وحبيب مَخْدومه الجليل ، أَمَّرهُ وَقدّمه ، وخرّب به ربع غيره وَهدّمه وحوّله إلى الإمرة[٣] وَخوّله ، ومَدّ يدَهُ في الخزانة فمدّ باعه وطوّله ، وأعطاه النفائس ، وكان به يفاخر القمرين ويقايس ، ولكنه زالت سعادته العظمى بعد مخدومه الأشرف ، وبالغ في التوقّي والحذر وأسرف[٤] ، إلى أن اعْتَوَرَتْهُ الصوارم

(١) كذا في الأصول والوافي . وفي حاشية الأخير عن خطط المقريزي : ٦٢/٢ ، وصف لهذا الدار ، نصّه : « هذه الدار فيما بين حارة زويلة وإصطبل الجميزة ، وهي اليوم خطط السبع قاعات » . وفي المنهل : « وعمر الدار العظيمة » .

(٢) محمود بن علي بن شروين ، وزير بغداد ثم القاهرة . توفي (٧٤٨ هـ) .

* الوافي : ٤٥٢/١٦ ، والعبر : ٣٨٧/٥ ، والشذرات : ٤٤٠/٥ ، والمنهل الصافي : ٤١٤/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٣/٨ .

(٣) في الأصل : « الأمر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) في الأصل : « وأشرف » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) .

والذوابل ، وهبّرته وأُلقي على المزابل ، وذلك في سنة ثمان وتسعين وست مئة في شهر ربيع الآخر .

كان قد استمرّ على إمرته بعد قتلة الأشرف في الدولة العادلية كَتْبغا ، وفي الدولة المنصورية لاجين ، فقام وقعد لحينه ، وكان لمّا قتل كرجي الملك المنصور حسام الدين لاجين توجّه طغجي إلى دار نائبه منكوتمر ، ودقّ عليه الباب ، فأخرجوه ، فعلم أنهم قد قتلوا أستاذه ، فاستجار بطغجي فأجاره ، وحلف له ، ثمّ إنهم توجّهوا به إلى الجبّ ، فاغتنم كرجي غفلة طغجي ، وأطلع منكوتمر من الجبّ وذبحه . واتفقوا على إحضار الملك الناصر محمد من الكرك للمُلْك ، وأن يكون طغجي نائباً له ، وحَلَفوا له على ذلك فبقي في النيابة أربعة أيام ، فلما قدم الأمير بدر الدين بكتاش من تجريدة حلب ومن معه من الأمراء طلع طغجي وكرجي وَغيرهما لملتقى الأمراء برّا القاهرة ، فلمّا التقوا تَباله عليهم أمير سلاح[1] وقال لطغجي : كان عادة السلطان يطلع إلينا ويتلقانا . فقال : وأين هو السّلطان ؟ قد قتلناه . فعرّج بفرسه عنه ، وقال : إليك عني ، أكلما قام للمسلمين سلطان ، وثبتم عليه ، وَقتلتموه ! فاعتوره أعوان السلطان الذي قتل بالسيوف ، وقتلوه ظاهر القاهرة ، ورُمِيَ على مزبلةٍ هناك ، وحجّةُ الخلائق للفرجة والعبرة ، ثم إنّه دُفِنَ بتربته ، وقد نيف على الثلاثين .

ومن حلاوة شكله وظرفه ومحاسنه أطلع الناسُ تفاصيل قماش وسمّوها « طغجي » . ويقال : إنه كان[2] بخدمة الأشرف في البلاد الحلبيةّ ، فمرّ السلطان بقرية جيلان ، فقال له : ما اسم هذه القرية يا طغجي ؟ فقال له : جيلان . فقال له السلطان : اقعد . فنزل عن مركوبه ، وقعد على الأرض ، فقال له السلطان : قم ، واركب . فقال : السلطان رسم بالقعود وما أقوم . فقال : قم ، وخذها لك ، فباس الأرض ورجْلَه ، وركب معه .

(١) هو الأمير بدر الدين بكتاش ، كما في الوافي .

(٢) في الأصل : « إنهم كانوا » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في الوافي .

٨٢١ ـ طَقْتَمُر*

الأمير سيف الدين الصلاحي الناصري .

كان فيه عَسْفٌ وجَوْر ، وَلَهُ تَسَلْسُل على أموال[١] الناس ودَوْر ، لا يرحم من بكى ، ولا يسمع من شكى ، تردّد تكراره إلى الشام ، وتحدّد استكباره ، واستكثاره في كل عام ، إلى أن أراح الله من عتوّه ، وأزاح ما يكابده الناسُ مِن غُلُوّه في الظلم وعُلوّه .

ومالت النوائب إليه وهو في حمص نائب ، وأصابته المنيةُ بسَهْم المصائب ، وذلك في سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

كان أميراً في أواخر الأيام الناصريّة محمد ، وحَضَر في خدمَة[٢] بَشْتاك لمّا قدم للحوطة على موجود تنكز ، ثمّ توجّه معه إلى القاهرة ولمّا خلع المصريون الناصر أحمد ، وأقاموا الصالح ، ورد هو في البريد للبشارة ، وحَلَّفَ العساكر . وعاد وتقدّم في الأيام الصالحية ، وحضر إلى الشام لتحصيل الهُجن والنياق والشعير برسم الحجاز[٣] من دمشق وحلب وحماة ، فثقلت وطأته على الناس ، وبطل ذلك بموت الصالح ـ رحمه الله تعالى ـ ، فعاد إلى القاهرة ، وتقدّم عند الكامل شعبان ، وحضر إلى دمشق ، واستخرج منها ثماني مئة ألف درهم لأجل حجّ الكامل ، وضيّق على الناس ، ومنع أن يصرف لأحد شيئاً من الأموال ، وقَبَضَها وتَوَجَّه بها إلى القاهرة ، واختصّ بالكامل كثيراً ، فلما خُلع الكامل وملك المظفّر حاجّي أخرجه إلى حِمْصَ نائباً ، فتوجّه إليها ، وأقام بها قريباً من أربعين يوماً ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى[٤] .

---

* الوافي : ٤٦٣/١٦ ، والدرر : ٢٢٤/٢ ، والنجوم : ١٧٨/١٠ ، والمنهل الصافي : ٤١٨/٦ .

(١) في (س) ، (خ) : « تسلسلّ على أخذ الأموال » .

(٢) في الأصل : « خدمته » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) كذا في الأصل و (س) ، وفي الوافي : « الحج » ولعلّها أشبه .

(٤) في التاريخ المذكور .

٨٢٢ ـ طَقْتَمُر*

الأمير سيف الدين الأحمدي ، يعرف في بيت السلطان بـ « طاسَه » . لمّا أُمسك الأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد جُعل هذا مكانَه في الأستاذ دارية أيام المنصور أبي بكر .

كان رجلاً عاقلا ، ناقماً على من نبذ[1] عهده ناقلا ، وليَ نيابات عديدة ، واستجلى من كل ناحية وجهَ خريده ، وما فارق بلداً إلاّ وأهلها بالخير يذكرونه ، ويَدْعُونَ له ويشكرونه ، فما كان إلا طاسةً بالخير تُقْلَب ، وتُفرِغ الحسنة على الناس وَتُغْلَب .

ولم يَزَلْ إلى أن نقَر الموتُ طاسَة فَطنّ ، وحقّق العَدم منه ما ظَن .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد أُخرج أولاً إلى نيابة صفد ، فأقام بها مدة ، وجُهز بعدها إلى حماة نائباً بعد الأمير علم الدين الجاولي ، وأقام بها إلى أن حضر الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي إلى دمشق نائباً ، فتوجّه هو إلى حلب نائباً عوضه ، فأقام بها نائباً إلى أن برَّز اليحيوي إلى ظاهر دمشق في أيام الكامل ، وجاء إليه جميعُ نواب الشام ، إلا[2] طقتمر طاسه ، فإنّه لم يحضر إليه ، ونقم ذلك عليه ، ولمّا انتصر يلبغا ، وولّى المظفّر حاجّي كتب يَلْبَغا فيه ، فعُزل من نيابة حلب ، وتوجّه الأمير سيف الدين بَيْدُمر البدري عوضه إلى حلب ، وطلب الأحمدي المذكور إلى القاهرة ، فأقام بها أميراً بقية السنة ، وجاء الخبر بوفاته ـ رحمه الله تعالى ـ .

---

* الوافي : ٤٦٤/١٦ ، والدرر : ٢٢٣/٢ ، والذيل التام : ٨٧ ، والمنهل الصافي : ٤١٧/٦ ، وإعلام النبلاء : ٣٣٨/٢ .

(١) في (س) : « بذل » .

(٢) في الأصل : « إلاّ أنّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

٨٢٣ ـ طَقْتَمُر*

الأمير سيف الدين الشريفي السلاح دار .

كان المذكور بدمشق أميرا ، ومَحَلُّه بها يراه الناس أثيرا ، أقام بها مدة وهو في عافيةٍ وصحةٍ كافيتها شافية إلى أن ضعُف بَصَرُه ، ودخل تحت الشعاع قَمَرُه ، وكان يمشي وبين يديه مملوك له[1] يعرّفه بالناس لأجل السلام ومشاغلتهم بما عنده من الكلام ، إلى أن انكفّ ناظراه ، ومُحِيَ قمراه ، فانقطع بعد ذلك في بيته تقدير أربع سنين ، وجاءه ما نَسِيَ به عماه ، وودّ أهلُه لو دام لهم أُنسُه في حماه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر شوال سنة خمسين وسبع مئة . وكان يسكن جُوّا باب الصغير عند بيت الصاحب شمس الدين[2] ، وخلّف وَلَدْين ، يخالهما الناظر في سماء الحسن فَرْقَدَيْن .

٨٢٤ ـ طَقْتَمُر**

الأمير سيف الدين النائب ببِهسنا[3] .

كان من مماليك الأمير سيف الدين جركس نائب قلعة الروم ، أفردت له نيابة الرُّها[4] ، وأقام فيها مدة ، إلى أن وَرَدَ الأميران سيف الدين شيخو وسيف الدين طاز

---

* الوافي : ١٦/٤٦٥ ، ونكت الهميان : ١٧٥ ، والدرر : ٢/٢٢٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٠/٢٤٨ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) غبريال ، وستأتي ترجمته في موضعها .

** الدرر : ٢/٢٢٥ .

(٣) في الأصل : « بهنسا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهي قلعة حصينة بقرب مرعش وسميساط . معجم البلدان : ١/٥١٦ .
أمّا بهنسا فهي من مدن الصعيد ، وليست مرادة ههنا .

(٤) مدينة بين الموصل والشام . معجم البلدان : ٣/١٠٦ .

في واقعة بَيْبغاروس إلى حلب ، فرسم له بنيابة بهسنا ، فأقام بها نائباً إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ببهسنا ، وجاء البريد بموته إلى دمشق في شهر المحرّم سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وكان شجاعاً شهماً مقداماً ، وفيه تودّد وخدمة للناس .

٨٢٥ ـ طُقْصُبَا*

الأمير سيف الدين المؤيّدي ، مملوك الملك المؤيّد صاحب حماة[١] .

وكان المذكور من بعض أمراء حماة ، وصهر أستاذه الملك الأفضل ، لأنّ المؤيَّد زوّجَهُ ابنته في حياته ، لأنّه اشتراه صغيراً ، ورّباه ، وأحسن تربيته ، فأنتشأ نشأة سعيده[٢] ، وسلك طريقة[٣] حميده ، وكان تام العقل ، صادق النقل ، جيّد السياسه ، كامل النفاسه ، له وجه يستحي البدر من رؤيته ، وتظهر على الغصن كَسْرَة من خَطْرَته ، بعيون لو رَقْرَقها لنوءِ الثريّا لا ستَهَلّ ، أو رنا بها إلى الأَسَد لاستذلّ ، مَديدَ القامه ، ظريف الهامه ، من رآه أحبّه بديها ، وعلم أنّه لا يجد له شبيها .

ولم يزل على حاله ، إلى أن هَصَرت يد الموت ثمر غُصْنِه ، وأنزلته من منيع حصْنه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وكان محبوباً إلى أستاذه ، يعظّمه كثيراً ، ويُرْسِلُه في مهمّاته إلى السلطان ، ويجهز تقادُمَه معه وأقواده ، فيُقبل السلطان عليه ، وَيُنعم عليه ، ويُؤْثره ، ويختاره ،

---

* الوافي : ١٦/٤٦٨ ، ووقعت ترجمته في (س) ، (خ) بعد (طقزتمر) ، وهو الصحيح .

(١) إسماعيل بن علي .

(٢) في (خ) : « حسنة سعيدة » .

(٣) في (س) ، (خ) : « طريقاً » .

بخلاف باقي خوشدا شيّته ، ولما مات المؤيّد استمرّ على إمرته في خدمة الأفضل ابن أستاذه ، وكان خوشداشُه الأمير سيف الدين أرغون الأفضلي بطّالاً بدمشق ، فأنعم عليه بإقطاع خوشداشه طُقْصُبَا ، فتوجّه من دمشق إلى حماة .

٨٢٦ ـ طُقُزْتَمُر*

بضم الطاء المهملة والقاف وسكون الزاي وفتح التاء ثالثة الحروف وضم الميم وبعدها راء : الأمير الكبير المقدَّم سيف الدين الناصري .

كان أمير مئة مقدَّم ألف ، قديم الهجرة في دولة الناصر ، معظماً فيها يُشارُ إليه بالأصابع ، وتُعقَدُ عليه الخناصر ، كثيرَ الأدب والحياء ، عديم المحاباة والرياء ، لم يكن يتحيّز في أيام أستاذه إلى فئة قطّ ، ولم يمتد له لسانٌ فضولٍ فيحتاج لقَطّ ، لا جرمَ أنّه تقدّم [من تقدّم][1] وتأخر[2] ، وسَبَقَ من سَبَقَ وعَثَرَ ، وهو في ميدانه إمام البرق المتألّق في السحاب المسخّر ، وحصّل الأملاك العتيده ، وأصّل الأموال العديده ، ولم يكن أحد يضاهيه ، ولا يظاهره ولا يُضَافيه[3] . صاهر مَلكين[4] ، وظاهر بعُلُوّ مجده فَلَكَيْن ، ونصّ السلطان على أنه يكون بعده بمصر نائبا ، ثقة منه أنّ الزمان يجيء إليه من الذنوب تائبا ، وناب بمصر وحماة وحلب ودمشق ، وأعمل أقلامه في العلائم بالمدّ والمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن لفّته الأرض في ملاءتها وصَحَنَتْه المنية في صلاءتها[5] .

---

* الوافي : ٤٦٥/١٦ ، والتحفة : ٢٦١/٢ ، والبداية والنهاية : ٢١٦/١٤ ، والدرر : ٢٢٥/٢ ، والنجوم : ١٤٢/١٠ ، وإعلام الورى : ١٨ ، والمنهل الصافي : ٤٢٠/٦ .

(١) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

(٢) زاد في (خ) : « مَنْ تأخّر » ، ولا وجه لها .

(٣) في (خ) : « يصافيه » ، تصحيف .

(٤) في الأصل : « الملكين » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وسيأتي تفصيله .

(٥) الصحن : الضرب والدق ، والصلاءة : المدّق .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكان الأمير سيف الدين طقزتمر أولاً مملوكَ المؤيّد صاحب حماة ، وقدّمه للسلطان ، وأقبل عليه ، وقدّمه ، وأمَّرَهُ ، وما كان يعدّ نفسه في بيت السلطان إلاّ غريباً ، لأنّه لم يكن له خوشداش يَعْتَضد به . ولم يزل كبيراً معظماً من طبقة أرغون ومَنْ بعدهُ إلى آخر وقت ، تقلّبت[1] عليه ثلاث أربع طبقات وراحت ، وهو على حاله ، لم يتغيّر عليه السلطان قط .

وهو الذي يُنْسَب إليه حِكر طقزتمر ظاهرة القاهرة ، وفيه الحمّام المليح[2] ، وله الربع الذي برّا باب زَويلة ، وكان أولاً يعرف بدار التفاح ، وله غير ذلك .

وزوّج السلطان ابنته بابْنِه الملك المنصور أبي بكر ، وتزوّج ابنته الأخرى الملك الصالح إسماعيل ، وجاء في خطبتها إلى دمشق الأمير سيف الدين ملكْتُمُر الحجازي ، وأوصى السلطان بأن يكون بعده نائباً ، فلمّا أحضر له المنصور التشريف بالنيابة اقتنع ، فقال له : كنت امتنعتَ لمّا وصى السلطان بذلك ؟ ولم [يزل][3] بمصر نائباً ذَينْك الشهرين مدّة سلطنة أبي بكر إلى أن جرى ما جرى وَخُلِعَ .

ولمّا تولّى الأشراف كجك طلب طقزتمر نيابة حماة ، فأمروا له بها ، وكان بها إذ ذاك الملك الأفضل محمد بن المؤيّد ، فأُخرج الأفضل من حماة إلى دمشق ، وحضر طقزتمر إلى حماة نائباً ، فهو أوّل مَنْ خرج إليها نائباً بعد صاحبها الأفضل . ولقد سَمعتُ الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب دمشق يقول في دار عَدْله ، وقد جاء الخبر بذلك : كلُّ شيء تزرعه تحصده ، إلاّ ابن آدم إذا زَرَعْتَهُ حَصَدك ، هذا طقزتمر مملوك بيت أصحاب حماةِ قدّموه لأستاذنا ، وزَرَعوه بذلك فحصدهم ، وأخرجهم منها .

---

(١) في الأصل : « تقلب » ، وفي (خ) : « وتقلبت » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) عبارة الوافي : « والحمام الذي عند قبو الكرماني » . وانظر المنهل .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

ولم يزل بحماة مقيماً إلى أن تحرّك طَشْتَمُر في حلب ، وسأله أن ينضمّ إليه ، فتوجّه إليه إلى بعضِ الطريق ، ولّما خرج ألطنبغا من دمشق وعلم بذلك أرسل إليه ، فعاد من أثناء الطريق إلى حماة ولّما بلغ طشتمر ذلك ضَعُفَتْ نَفْسُه ، وهرب إلى بلاد الروم ـ كما تقدّم ـ ولم يزل طقزتمر بحماة إلى أن بلغه وصول الفخري[1] إلى دمشق ، ونزولُه على خان لاجين ، فأرسل إليه ، فحضر إلى عنده ، وقويَ جأش الفخري بذلك ، ولم يزالا على خان لاجين إلى أن حضر ألطنبغا ، وهرب ، ودخل الفخري وَطقزتمر إلى دمشق ، وتوجّه هو وَالأمير بهاء الدين أصلم وغيرهما من الأمراء الكبار إلى الناصر أحمد بالكرك ، ليحضر إلى دمشق ، فامتنع من الحضور ، ثمّ إنّه توجّه مع العساكر الشامية إلى مصر ، وأقام بمصر إلى أن جرى للناصر أحمد ما جرى . وتسلطن الصالح إسماعيل ، ورسم للأمير سيف الدين طقزتمر بنيابة حلب ، ونقل الأمير علاء الدين أَيْدُغْمُش منها إلى نيابة دمشق ، وتوجّه كلّ منهما لمحلّ نيابته ، والتقيا على القطيفة .

ولّما توفي الأمير علاء الدين أيدغمش ، رسم لطقزتمر بنيابة دمشق ، ونقل الأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني من نيابة حماة إلى حلب ، وحضر الأمير سيف الدين طقزتمر إلى دمشق ، ودخلها[2] في نصف شهر رجب سنة ثلاث[3] وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها نائباً إلى أن توفي الملك الصالح إسماعيل وتولّى الملك الكامل شعبان ، وحضر الأمير سيف الدين بَيْغرا ، وحَلّفَ عسكر الشام له ، وجاء معه[4] تشريف باستقراره في النيابة على حاله بدمشق . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام وَرَدَ الأمير بيبغاروس[5] ، ليحضر إلى مصر ، ويكون بها نائباً عوضاً عن الأمير سيف الدين ألْمَلِك ، فلم تطب

(١) من الكرك ، كما في الوافي .

(٢) في (س) ، (خ) : « ودخلها نائباً » .

(٣) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في (س) ، (خ) : « معه له » .

(٥) في (س) ، (خ) : « سيف الدين بيبغاروس » ، وفي الوافي : « بيبغا القاسمي » ، وكذا في الموضع الآتي .

نفسه للخروج من دمشق ، ومرض ، وحصل له فالج وعَدَمُ نطق ، وكَتَبَ مطالعةً ، واستعفى فيها من التوجّه إلى مصر ، وأن يكون مقيماً بدمشق ، وكتب إلى الأمراء ، ودخل عليهم ، وتشفّع إليهم بالنبي - ﷺ - وبالخليل - عليه السلام - ، ثمّ إنّ جماعته خَوَّفُوه عُقبى ذلك[١] ، فوجد من نفسه خفّة ، وجهّز الأمير فخر الدين أياز الحاجب على البريد يسأل الحضورَ إن كان ولابدّ في محفّة لعجزه عن ركوب الفرس ، ففرح السلطان بذلك ، وخلع على فخر الدين أياز ، وحضر بعده ثانياً[٢] الأمير سيف الدين بيبغاروس لطلبه ، فخرج في محفّة ، وهو متثاقل مرضاً يوم السبت خامس جمادى الأولى[٣] ، ووجد نشاطاً في الطريق .

ولّما وصل إلى بُلْبَيْس سيّر ولده أمير حاج [و][٤] أستاذ داره قشتمر[٥] يسألان له الإعفاء من النيابة ، فأجيب إلى ذلك ، ودخل إلى بيته ، ولم يطلع إلى القلعة ، وأقام في القاهرة ثلاثة أيام وقيل خمساً ، وتوفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المذكور .

٨٢٧ - طُقْطَاي*

الأمير عز الدين الناصري الجمدار .

كان بدمشق أميراً من جملة أمرائها . وكبيراً في عداد كبرائها ، فيه خيرٌ وسكون ، ومَيْلٌ إلى أهل الفضل وركون ، وجُهّز إلى نيابة الكرك والقيام بما فيها من الدَرَك ، فأقام بها مدّة ، ثمّ عاد ، ونَسيَ من دمشق ما هو أقدم من عهد عاد ، فجبر الله بعَوْدِهِ قلبه ، وشدّ أَزْرَهُ وَصُلْبَه .

(١) في (خ) : « من ذلك » .
(٢) في (خ) : « بعدها نائباً » .
(٣) في (س) : « الآخرة » .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) ، والوافي .
(٥) في (س) ، (خ) : « سيف الدين قستمر » .
* الدرر : ٢٢٦/٢ .

ولم يزل على حاله إلى أن جمدت عين الجمدار ، ولم يعد له في مدى الحياة مدار .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشر شعبان [١] سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٨٢٨ ـ طُقْطَاي*

السلطان صاحب القبجاق ، هو طقطاي بن منكوتمر بن سابرخان [٢] بن الطاغية الأكبر جنكزخان المغلي ، ومنهم من يقول فيه : « توقتقاي » [٣] بتائين ثالثي الحروف بدل الطائين وزيادة قاف بعد التاء الثانية .

وكان مع كفره فيه عَدْل ، وله جُود على أهل الخير وَبَذْل ، وميلٌ إلى [من] [٤] تديّن مِن [أهل] [٥] الملل ، ومن تظاهر بصلاح من أرباب النِّحَل ، إلاّ أنّه كان [٦] يرجح الإسلام ، ويحبّ الأئمة الأعلام ، وكان له ميل عظيم إلى السَّحَره ، وله التفاتٌ إليهم ، يُعطّر من الجو سَحَره ، وكان يعظم الأطباء ، ويقدّم منهم الألبّاء . ومماكه واسعه ، وحدوده شاسعه ، وجَيْشُه يُرْبي على الرّمل ، ويفوق من النبات عد الحَمْل [٧] . جَهّز مَرّةً إلى بعض الجهات من [٨] كلّ عشرةٍ واحداً ، فَبَلغ ذلك مئتي ألف فارس ، ممّن يعاني الحروب ويمارس . وكان له ولد كان محيّاه البدرَ في التمام ، أو الشمس إذا انجاب عنها الغمام ، فأسْلَم ، وكان يحبّ سماع القرآن ، ولا يزال هو وَمن يتلوه في قِرَان ،

(١) وكذا قال في الدرر ، وفي (س) : « شوال » .

* الوافي : ٤٦٩/١٦ ، والدرر : ٢٢٦/٢ ، والشذرات : ٤٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٥/٦ .

(٢) في الوافي : « سابز » ، وفي الدرر : « سابن » ، وفي بعض أصوله : « سابر » ، وفي الشذرات : « منكوتمر بن باطو بن الطاغية » . وفي المنهل : « منكوتمر بن طغاي بن باطو » .

(٣) في الوافي : « توقيقاء » .

(٤) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

(٥) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

(٦) ليست في (س) .

(٧) الشجر الملتف .

(٨) في (س) : « في » .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ ، قبل أبيه فذاق كؤوس العَلْقَم لفراقه ، ولم تُطفئ دموعُه غُلَّة احتراقه .

ولم يزل طُقْطاي على حاله إلى أن أهلك الله نُمروذه[١] ، وكفَّ كفُّ الموت مُدْيَتَه المشحوذه .

وكان هلاكه في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة . وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة ، لأنّه جلس على التخت وعمره سبع سنين .

ولّما مات طُقْطَاي تولّى أخوه أُزَبك ـ وقد تقدّم ذكره[٢] ـ ، وقيل إنّه جرّد من عسكره ، من كلّ عشرة واحداً ، فبلغ ذلك مئتي ألف وخمسين ألف فارس وكان ابنه ذلك المليح قد نوى أنه [إن][٣] ملك لا يترك في مملكته غير الإسلام ، فمات ، وترك ابنه صغيراً ، ولّما مات طقطاي ؛ أوصى لابن ابنه المذكور ، فلم يتم[٤] له الأمر ، وولي بعده ابن أخيه أُزبك المذكور ، وجلس على التخت في أواخر رمضان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة . وهذه المملكة هي المعروفة ببلاد بركة ابن عمّ هولاكو[٥] ، قال الفاضل علاء الدين النعمان[٦] : إنّ طول هذه المملكة ثمانية أشهر ، وعَرضها ستة أشهر . والله أعلم .

٨٢٩ ـ طُقْطَاي*

الأمير عز الدين الدّوادار .

(١) بالمعجمة والمهملة ، والمعجمة أشهر . انظر : التاج (نمرذ) .

(٢) تقدم على أنه ابنه لا أخوه ، وكذا في الدرر .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) في (س) : « يقم » .

(٥) هو بركة بن قولي بن جنكزخان (ت ٦٦٥ هـ) . الشذرات : ٣١٧/٥ .

(٦) هو النعمان بن دولات شاه ، ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٤٧٠/١٦ ، والدرر : ٢٢٦/٢ ، والنجوم : ٣٣٤/١٠ ، والذيل التام : ١٦٩ ، والمنهل الصافي : ٤٢٣/٦ .

كان من مماليك السلطان الملك الناصر ، ولكنّه أعطاه للأمير سيف الدين يلبُغا اليحيوي في جملة ما أعطاه ، وقال له : هذا يكون دوادارك ، فحضر معه إلى حماة ، وتوجّه معه إلى حلب ، وحضر معه إلى دمشق ، ولم يفارقه إلى أن جرى ليلبغا ما جرى .

هو لطيف النفس ، ثقيل الرأس ، سهل القياد ، صوفي الاعتقاد ، حَسَن الأخلاق ، مَنْفَعلٌ للخير على الإطلاق ، يرعى أصحابه ، ويذكر أحبابه ، ليس فيه شر[1] ألبته ، ولو رأى منه جزءاً حَسَم أمره وبَتّه ، كأنما ربي في الخوانق ، ونشأ فيها ، فهو شيخ العقل على أنّه غُرانق[2] ، كثير الرياضة والتأنّي ، بريء من التكلف والتعنّي .

ولم يزل على حاله إلى أن قُطّ عُمره ، وحُط إلى الحضيض بَدْرُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر المحرّم سنة ستين وسبع مئة .

كان يلبغا يقول : هذا قرابتي وَخوشداشي ، وكان قد سلّم قيادَهُ إليه ، فهو النائب ، وحديث الناس معه في سائر الأمور ، ولم يكن يقرر شيئاً فيخالفه . أعطاه الملك الكامل شعبان . وهو بدمشق ـ إمرة عشرة ، فكتبت إليه[3] :

ياسيّداً ربُّ العُلى لِكُلِّ خير يسّرَهْ
ومَنْ حباه طلْعَةً بالبِشْر أمْسَت مُقْمِرهْ
ومَنْ له محاسنٌ تُرضي الكرام البَررهْ
تَهَنَّ أمْرَ إمرةٍ أنباؤها مُشتهرهْ
بها الوجوه قد غَدَت ضاحكةً مُسْتبشِرهْ

(١) في الأصل : « شرّا » .
(٢) الغرانق : الشّاب .
(٣) زاد في الوافي : « ونحن على منزلة الكسوة متوجهون إلى الصيد بنواحي الأزرق » . وكذلك في المنهل عن الصفدي .

تنـــالُهـــا كاملـــةً مضروبـــــةً في عشرهْ

وكان هذا القول مني تكهّناً في حقّه ، لأنّه صار فيما بعد أمير مئة مقدّم ألف .

ولّما خُلع الكامل وجلس المظفّر على كرسيّ المُلْك توجّه إليه من دمشق على البريد ، فرَعَى له حقّ خِدْمَتِه ، وأعطاه طبلخاناه ، ولم يزل حظيّاً عند أستاذه إلى أن توجّه مَعَهُ في وقت خروجه على المظفّر ، وصارا في حماة ، فأمسكه الأمير سيف الدين قطليجا الحموي نائب حماة ، وجُهّز صحبة إخْوَة يلبغا[1] إلى مصر ، فجُهّز إلى الإسكندريّة . ثمّ إنّ الأمير سيف الدين شيخو وَالأمير سيف الدين صرغتمش شفعا فيه ، فأُفرج عنه ، وذلك في سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة ، فأقام في مصر ، وأُعطي إمرة عشرة ، وتزوّج بالقاهرة بزوجة الأمير سيف الدين طغاي تَمُر الدوادار وهي أخت الأمير سيف الدين طاز ، ثمّ أُعطي طبلخاناه ، وصار خَصِيصاً بالأمير سيف الدين شيخو .

ولّما توجّه الأمير سيف الدين طاز إلى الحجاز كان هو معه ، وأمسكا بَيْبُغاروس ، وتوجّها به إلى مكة ، ولّما عاد الرّكب ، سَبَق هو وجاء إلى السلطان الملك الناصر حسن بخبره وبخَبَرِ إمساك المجاهد صاحب اليمن ، فخلع عليه ، ووَصَلَهُ . ثمّ إنّه حضر مع الأمير سيف الدين بَيْغاروس ليقرّه في نيابة حلب ، فأقرّه ، وعاد ، وقد شمّ من أنفاسه الخروج على السلطان الملك الصالح ، وذلك في شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ولما عاد من حلب في هذه المرة ؛ ولاّه السلطان الملك الصالح الدواداريّة عوضاً عن طشبغا[2] ، فكتبت أنا إليه :

هـذا الـدّوادارُ الّـذي أقـلامُـهُ تَذَرُ المهارقِ مثْلَ روضٍ نـافِحِ[3]

(١) في الوافي : « وجُهّز معهم إلى مصر مع أخيه يلبغا » .

(٢) في (س) ، (خ) : « الأمير سيف الدين طشبغا » .

(٣) في الوافي : « فائح » .

تجري بأرزاق الورى فِمَدَادُها ... وَبْلٌ، تحدّرَ مِنْ غَمامٍ سافِحِ
أستغفر الله العظيم، غَلِطْتُ، بل ... نَهْرٌ جَرَى من لُجِّ بحرٍ طافِحِ
وإذا تكون كريهة فَمِينُهُ ... تَسْطُو بحدٍّ أسنّةٍ وصفائحِ
يا فَخْر دَهْرٍ قدحواه ، فإنّه ... عِزّ لمولانا المليك الصّالحِ[1]

ولّما أراد بيبغا الخروج ، وحلّف الأميرُ سيف الدين العَسكر للسلطان الملك الصالح حضر الأمير عز الدين إلى دمشق في شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وأقام قليلاً ، وتوجّه صُحبة أرغون الكاملي إلى لُدّ ، وفارق أرغون ، وتوّجه إلى مصر ، ثمّ إنّه عاد في شعبان ومعه تقاليدُ للأمير بدر الدين بن خطير بنيابة طرابلس ، والأمير سيف الدين طان يَرَق بنيابة حماة ، وبنيابة صفد للأمير شهاب الدين أحمد بن صبح[2] ، ثمّ إنّه توجّه عائداً إلى مصر ، وتوجّه مع السلطان الملك الصالح إلى دمشق ، ثمّ توجّه مع الأمراء شيخو وَطاز وأرغون إلى حلب خلف بَيْبُغا ، ولّما عادوا عاد معهم ، وتوجّه صحبة السلطان إلى مصر .

ثمّ إنّه حضر في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة متوجّها إلى حلب ، ليجهز العسكر خلف بيبغاروس وأحمد وبكلمش ، فاتّفق مِنْ سَعْده أنّه لّما وصل إلى حلب جاء أحمد وبكمش ممسوكين في ثاني عُشْري الحجة ، فحزّ رأسيهما[3] ، وجُهّزا إلى مصر ، وأقام هو بحلب إلى أن وصل بَيْبغاروس في ثالث عشري[4] المحرم سنة أربع وخمسين[5] ، فحزّ رأسه ، وجهّز صُحبته إلى مصر .

---

(١) الأبيات في النجوم الزاهرة ، أيضاً .
(٢) في الوافي : « صبيح » ، وكذا هو « صبح » في البداية والنهاية ٢٥٨/١٤ .
(٣) في (خ) : « رأساها » .
(٤) في (س) ، (خ) : « عشر » .
(٥) انظر : البداية والنهاية ٢٤٧/١٤ .

ثمّ إنّه عاد إلى حلب ، وتوجّه بالعساكر صحبة أرغون الكاملي إلى البلاد الروميّة ، ووصلوا إلى قَيصريّة ، ولم يزالوا إلى أن أُمسك ابن دلغادر ، وصار عند ناصر الدين محمد [باك][1] بن أرتنا ، فعادت العساكر بعدما قاسوا شدائد ومشاقّ ومتاعب يعجز الواصف عنها ، وعاد الأمير عز الدين بالخبر ، فدخل إلى دمشق في خامس شهر رجب الفرد سنة أربع وخمسين وسبع مئة[2] ، ولَمّا وصل إلى الأبواب السلطانية أُعطي إمرة مئة وتقدمة ألف كانت بيد الأمير سيف الدين بلبَان السناني ، وقيل : إنّه زادوه[3] على ذلك بَلَدين آخرين من قرى مصر .

ولم يزل في عظمة ورفعة ، إلى أن جُرِحَ[4] الأمير سيف الدين شيخو في يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مئة ، وكان هو في جملة من ركب إلى قبة النصر في السلاح ، وتظاهر بالتعصّب الزائد ، وتحيّز إلى تلك الفئة ، فلمّا توفي الأمير سيف الدين شيخو في سادس عُشْري ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبع مئة أمسك هو والأمير صلاح الدين خليل بن قوصون ، والأمير سيف الدين قطْلوبغا الذهبي ، والأمير سيف الدين قجا أمير شكار ، وجُهّزوا إلى الإسكندرية ، ليُعتقلوا بها ، ورسم للأمير سيف الدين علم دار أن يكون عوضه في الدوادارية .

من العجيب ما حكاه لي ناصر الدين محمد العلائي البريدي المصري ؛ قال : كنا وقوفاً بين يدي الأمير عز الدين طُقْطاي الدوادار قبل إمساكه بسبعة ثمانية أيّام ، وقد سَيَّر إليه علم دار رسالةً يَشفَع عنده في بعض البريديّة أن يجهّزه في شغلٍ عيّنه ، فتأذّى الأمير سيف الدين طُقطاي ، وقال : الأمير علم دار يجهّزه مِن[5] عنده ، فما كان بعد

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٤٨/١٤ ، وهنا تنتهي الترجمة في الوافي .

(٣) في (س) : « إنهم زادوه » ، وفي (خ) : « إنه أزيد » .

(٤) في الأصل و (خ) : « خرج » ، تصحيف .

(٥) في (خ) : « هو من » .

ذلك إلاّ قدر يسير ، وَوُلي وظيفته ، وجهّز ذلك البريدي في الشغل الذي كان عيّنه ، وأقام الأمير عز الدين والجماعة في ثغر الإسكندرية مدة يسيرة ، ثمّ إنّه أُفرج عنهم ، وحضر الأمير عز الدين إلى دمشق ، ومعه علاء الدين ألطنبغا[١] الأبو بكري مقدّم البريدية متوَجّهاً به إلى طرابلس ليكون بها مقيماً في جملة بحريّة القلعة بطرابلس ، وأن يُعيّن له إقطاع [يعمل][٢] خمسة ستّة آلاف درهم ، وكان وصوله إلى دمشق في يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأوّل سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، وتردّد إليه أهل دمشق من أرباب السيوف والأقلام وغيرهم ، ونزل في دار الأمير سيف الدين جوبان بالعُقيبة ، وتوجّه إلى طرابلس ، وأقام بها مدة تزيد على الشهرين ، ثمّ رُسِمَ له بالحضور إلى دمشق ، فحضر إليها ، وأقام بها كذلك [ثمّ رُسِمَ بعوده إلى طرابلس ، فتوجّه إليها وأقام بها كذلك][٣] ؛ إلى أن وَرَدَ الخبر بوفاته بطرابلس المحروسة في أواخر شهر الله المحرّم سنة ستين وسبع مئة ـ رحمه الله تعالى ـ فسبحان من لا يحول ولا يزول .

٨٣٠ ـ طلحة*

الشيخ الإمام المقرئ النحويّ الأصولي علم الدين الشافعي . كان في أصله مملوكاً ، يُدعى سنجر ، فغيّر اسمه بطلحة .

قرأ بالسبع على الشيخ موفّق الدين بن أبي العلاء[٤] ببعلبك ، وتوجّه بعدما تميّز وتصدّر ، وقرأ الناس عليه علومه بعد العشرين وسبع مئة إلى الشيخ برهان الدين الجعبَري ، وأخذ عنه وأجازه .

---

(١) في (س) ، (خ) : « طيبغا » .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

* الوافي : ٤٩٠/١٦ ، والدرر : ٢٢٧/٢ ، وغاية النهاية : ٣٤١/١ ، وفيها : « طلحة بن عبد الله » . والبغية : ٢٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٣٢/٦ ، وإعلام النبلاء : ٥١١/٤ .

(٤) محمد بن محمد بن علي بن المبارك النصيبي (ت ٦٩٥ هـ) ، غاية النهاية : ٢٤٤/٢ .

كان يعرف الحاجبيّة معرفة من أتقن العربية ، وأصبح كما تمنّى الشاعر عالماً بما في ضمير الحاجبيّة ، ويعرف (مختصر) ابن الحاجب ويشرحُهُ ، ويحلّ لفظه ويسرّحه ، وكان يُقرئ القراءات السبع ، وَيَتَفَيْهَقُ في التلفّظ بها كما يزأر السبع ، ونغمه في [التلاوة][1] طيّب لذيذ ، وصوته يكاد يحيا به الوقيذ[2] ، وكان يقرأ بالجوق في الختم فيطرب الناس بلحنه ، وإذا قرأ في الجامع تحقّق الناس أن حلاوة السُكّر في صحنه .

ولم يزل على حاله إلى أن عدم أهل حلب فوائده وَفقدوها ، وقال الناس :

رَحِمَ الله أعظماً دَفَنُوها[3] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس[4] وعشرين وسبع مئة بحلب وقد نيّف على الستين .

قرأت عليه بحلب مدة مقامي قطعة جيّدة من كتاب البيوع في (التعجيز)[5] لأنه كان أخذه عن الجعبري . وكنت أسمع دروسه في الجاجبيّة وفي (مختصر) ابن الحاجب ، وكان يراعي الإعراب في كلامه حتى في وقت بحثه وجداله ، وكان شيخاً طوالاً ، أزرق العين بلحية سوداء .

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) الوقيذ : مَنْ أشرف على الموت .

(٣) صدر بيت لعبيد الله بن قيس الرقيات ، تمامه :

بسجستان طلحة الطلحات

انظر : اللسان (طلح) .

(٤) في المنهل : « سنة ست وعشرين » .

(٥) التعجيز في مختصر الوجيز ، في الفقه الشافعي ، لعبد الرحيم بن محمد بن منعة ، ابن يونس المتوفى سنة (٦٧١ هـ) .

٨٣١ ـ طلحة بن الخضر*

ابن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن حسن بن علي ، الصدر شمس الدين القرشي الدمشقي .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن ابن علاّن ، وسمع من الصدر البكري وجماعة . وَكان من أعيان الشهود ومن أرباب البيوت والثروة بدمشق .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رجب[١] سنة تسع وتسعين وستّ مئة[٢] .

٨٣٢ ـ طلحة بن محمّد**

ابن علي بن وهب ، الشيخ ولّي[٣] الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

توفي بالقاهرة سنة[٤] ستّ وتسعين وستّ مئة[٥] ، وكان موته وموت ابن الصاحب فخر الدين في يومٍ واحدٍ .

٨٣٣ ـ طوغان***

الأمير سيف الدين طوغان .

ولي الشدّ بدمشق مرّات ، وتولّى نيابة البيرة ، فأمسكه أهلُ قلعتها وَقيّدوه ، لّما

---

* الوافي : ١٦/٤٨٦ ، والمنهل : ٦/٤٢١ .

(١) في (س) : « رجب الفرد » .

(٢) ومولده بعد الأربعين وست مئة . (المنهل) .

** الوافي : ١٦/٤٨٥ ، والطالع السعيد : ٢٧٢ ، والمنهل الصافي : ٦/٤٣١ .

(٣) في الأصل : « تقي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والمنهل .

(٤) في (س) : « في صفر سنة » .

(٥) ومولده سنة ثمان وستين وست مئة . (الطالع السعيد) .

*** الدرر : ٢/٢٢٨ ، والسلوك : ٢/١/٩٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ .

أمسك أسندمر وجهّزوه ، فأمضى ذلك وهو في ذي الحجة سنة عشر وسبع مئة ، ولكن أنكر السلطانُ عليهم فيما بعد ، وَتوجّهوا به إلى مصر ، ثمّ إنّه أُفرجَ عنه ، وأُعيد إلى دمشق ، فشدّ أهل الدواوين في صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة . ثمّ أمسك في شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وجُهّزَ إلى مصر هو وَجماعة من الأمراء منهم بيبرس المجنون ، وَسنجر البرواني ، وَبيبرس التاجي ، وكشلي[1] ، ثمّ أُفرج عنه بعد مدة طويلة ، وجُهّز نائب قلعة صفد ، فجاء إليها ، وَعمّرها ، وَرمّها ، ولمّ شعثها ، وهو مع ذلك بطّال ، وَفيما بعد مدة أظنّه أُعطي إمرة عشرة . وكان ينفق في الصُنّاع والفعول من ماله ، إلاّ أنّه كان ظالماً عَسوفا ، عديم الرحمة عبوسا ، لا يكاد يبتسم أبداً .

وكان آيةً في الكرم ، وغاية في الجود ، يخجل الغيث إذا احتَدَّ بَرْقُه واضطرم ، لا يَغْسِلُ قباءه أبدا ، ولا يرى له في اقتنائه مستندا ، بل يَلْبسُه ، فإذا اتّسخ وهبه ، وَنزعه عن جسده لغيره وسلَبِه . وكان في أخلاقه حدةٌ وشراسه ، وشِدَّةٌ تقطع من الحلم أمْراسه .

ولم يزل على حاله في قلعة صفد إلى أن طُويَ خبر طوغان ، بعد ما كان سائراً من مصر إلى موغان[2] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع وعشرين فيما أظنّ .

وكان يُحكى عنه عجائب ، منها أنّه كان يوماً في قلعة البيرة جالساً وَعنده المباشرون يعملون الحساب ، فنعسَ هو لحظة وغفا وانتبه ، فقال للناظر : اكتب على طُوغان جناية مبلغ مئتي درهم لكونه يكون في شغل مولانا السلطان وينعس . فما أمكن الناظر والمباشرين[3] إلا امتثال أمره ، وقال لخزنداره : هات مئتي درهم ،

---

(١) انظر السلوك : ١٨٣/١/٢ .

(٢) في (س) : « مغوغان » ، وهي بلد بأذربيجان . معجم البلدان : ٢٢٥/٥ .

(٣) في الأصل و (س) : « المباشرون » .

فأحضرها ، ووضعها في صندوق الحاصل ، فلما كان بعد أيام نَعِسَ الناظر ، فجنّاه خمس مئة درهم .

وكان يوماً في صفد جالساً على البرج والهواء يتخفق في أعلى القلعة ، فلعب الهواء بذيله ، فوضعه تحت فخذه ، فلعب الهواء [به][1] ثانياً ، فشال فخذه ووضعه تحته ، فلعب به ثالثاً فنزعه عنه وَألقاه على الأرض ، وضربه بالعِصيِّ إلى أن قطعّه .

وكان الأمير سيف الدين أرقطاي كثير البسط والانشراح ، فجاءه بعض أمراء العربان فانبسط عليه ، وقال : أطلعوه القلعة ، فجاؤوا به وهو واقف في عمارة القلعة ، فلما رآه ، قال : هات قيداً ، وَقيّده به ، وأداره في العمل تحت[2] الحجارة وَالكلس ، فقالوا : يا خوند إنّما ملك الأمراء يلعب معه . فقال : والك ، أنا عندي لعبٌ !؟ وتعب الناس في خلاصه منه ، إلى أن اجتمع به في الخدمة ، وشفع فيه حتّى أطلقه .

وكان يقف في عمارة القلعة من طلوع الشمس إلى مغيبها ، وإذا كان الليلُ نام على قفاه ، ورفع رجليه مع الحائط ، وقد عصبها بالفصاديات[3] ، وقّطها ، ويُعطي الصانع الدراهم من عنده ، وهو يضربه بالعصا التي في يده ، وقلّما ضرب أحداً إلا أجرى دمه ، لأنّه ما كان يكون في يده عصاً إلاّ ما تصلح أن تكون نصاب دبّوس ، رحمه الله .

وفيه يقول علاء الدين الوداعي ـ وقد كان عنده في البيرة كاتب درج ـ ، ومن خطّه نقلت :

يـــا جيرةً قُرْبُهم مُرَادي ... وحـظ قلبي ولحـظ عيني
طوغان ، طوفان راحتيه ... قـد حـال بينكم وبيني
فـلا سبيـل إلى لقـاءٍ ... من بين لجين في لجين

(١) زيادة من (س) .
(٢) في (س) : « يحمل » .
(٣) لعلّها خرق تلفّ بها السّاق على الفَصد .

اللّقبُ والنّسَبُ

☆ **الطوسي** : شارح (الحاوي) عبد العزيز بن محمد .

☆ **الطوفي** : نجم الدين الحنبلي سليمان بن عبد القوي . ونجم الدين الرافضي عبد القوي بن عبد الكريم .

☆ **طُوَير الليل** : تاج الدين محمّد بن علي .

٨٣٤ ـ طيبرس بن عبد الله*

الشيخ الإمام العالم الفقيه النحوي علاء الدين الحنفي[١] المعروف بالجندي .

ذُكِرَ أنّه قَدِم من بلاده إلى البيرة ، فاشتراه بعض الأمراء بها ، وعلّمه الخطّ والقرآن العظيم . وتقدم عنده وأعطاه إقطاعاً وأعتقه .

فلمّا توفي أُستاذه قَدِمَ إلى دمشق وقد جاوز العشرين سنة ، وتفقه بها على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، واشتغل بالنحو واللغة والعروض والأدب والفرائض والأصلين حتى فاق أقرانه ، وسَمَتْ هِمّتُه ، فَصَنّف في[٢] النحو وغيره ، ونظم كتاب (الطُّرفة) في النحو[٣] ، وجمع فيه بين (ألفيّة ابن مالك) و (مقدمة ابن الحاجب) ، وزاد عليهما ، وهي تسع مئة بيت ، وقرأها عليه جماعة ، منهم الشيخ صَلاح الدين البَطايني ، وشرحها . وكان الشيخ شمس الدين بن عبد الهادي[٤] يُثني عليهما . وكان مُغرى بالنظم من صغره ، وكان حَسَن المذاكرة ، لطيف المعاشرة ، مَخْبَرُه أحسنُ مِنْ منظره ، كثير التلاوة ، يُصَلّي بالليل كثيراً .

* الدرر : ٢٢٨/٢ ، والبغية : ٢١/٢ ، والشذرات : ١٦١/٦ .

(١) في الأصل : « النحوي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) كشف الظنون : ١١١١/٢ .

(٤) محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، ستأتي ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة بالصّالحيّة في طاعون دمشق .

وكان مولده سنة ثمانين وست مئة تقريباً .

وأنشدني من لفظه المولى الشيخ مُحْيي الدين أبو زكريا يحي بن يوسف بن يعقوب الرحبي الشافعي[١] ، قال : أنشدني [من لفظه][٢] لنفسه الشيخ علاء الدين المذكور قال : وهو أول شيء نظمته بالبيرة قال :

وكُلّما القَلْبُ ناجاني بِهَجْرك لي ... وهل تعود فأقوالي : عَسَى وَبَلَىْ
قد كان قُرْبُك عَكْسَ اللَّفظِ مُدّتُه ... كما مقامي بعكس اللّغطِ هُريَ بلا

وبه قال : أنشدني المذكور لنفسه[٣] :

بكَفْرِ بَطْنا لقد طِبْنا عَلَى نُزَهٍ ... مِنْ مشمشٍ كنجوم غَشّت الشّجَرَا
أحلى من الْوَصْل لكنْ في لَطافته ... أَرَقُّ من نسمةٍ هبّت لنا سَحَرَا
كدت تذوّبه الألحاظُ مِنْ عَجَبٍ ... لما رأت قد بَدَتْ في لُطْفه الصُّوَرَا[٤]

وبه قال : أنشدني من لفظه لنفسه في كيّال مَليح له رفيقٌ اسمه الشمس يُلقّب (الثور) لقُبحه ويُلقّب أيضا (بالدّقن) لطول لحيته :

نفسي الفِداء لكيّالٍ بَرى جسَدي ... بأَرْبَعٍ زيّنتها أَربعٌ أُخَرُ
في رِدْفِهِ عِظمٌ في خَصْرِه هضَم ... في ريقه شَهْدٌ في طَرْفِه حَوَرُ
كأن وَجْنَتَه في النّقع إذْ غَرِقَتْ ... ياقوتةٌ فوق تِبْرٍ تحتها دُرَرُ[٥]

(١) (ت ٧٩٤ هـ) ، الدرر : ٤٣٠/٤ .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) .
(٣) البيتان في الدرر .
(٤) في الأصل : « يذوبها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهي أصح .
(٥) في (س) ، (خ) : « تحت تبر فوقه درر » .

مِنْ أَجْلِـه الشّمسُ مِنْ أنـواره كُسِفَتْ فَمَنْ رأى الشَّمْسَ غَشّى نُـورَهـا القَمَرُ
رَفيقُـه الـدَّقْنُ ثَـوْرٌ إنَّ ذا عَجَبٌ خِشْفٌ تُرافِقُـــــه الثيرانُ والبَقَرُ

وبه قال : أنشدني من لفظه لنفسه[1] :

قـد بتُّ في قَصْرِ حَجّـاجٍ فـذكّرني بضَنْـكِ عِيشَـةِ مَنْ في النّـار يَشْتَعِـلُ
بَـقٌّ يطيرُ وبَـقٌّ في الحصير سَعَى كأنّـه ظُلَـلٌ مِنْ فـوقهـا ظُلَـلُ[2]

وبه قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

قـاربْتُ ستين عـاماً والشبـابُ ظَـلاَ مُـه على شَعَري مـا شيب بـالنُّـور
وكان شـاهِـدَ زُورٍ للشبـاب فـلا تستعجبوا مِنْ سَوادِ الشّـاهِدِ الزُّورِ

وبه قال : أنشدني من لفظه لنفسه في عطّار :

احتجت إلى قَطْرِ نبـاتٍ وسَنَـا فـابتعتها من ذي اعتـدال وسَنَـا
مِنْ وجهـه ومَنْطقـه كم سَلبت أجفـان متيّميّ هـواه وسَنَـا

٨٣٥ ـ طيّب*

الأمير سيف الدين .

كان من جملة الأمراء بصفد ، ثم إنه نُقل إلى دمشق وأقام بها قريباً من سَنَة ، ثم إنه توجّه صُحبةَ العساكر إلى صفد لحصار أحمد الساقي ، ولما سَلّم نفسَه أحمد توجّه به الأمير طيّب[3] إلى باب السلطان صُحبَة[4] من توجّه مَعَهُ من الأمراء فرسم له السلطان في

(١) البيتان في البغية .
(٢) في البغية : « من فوقه » .
* الوافي : ١٦/٥١١ ، والدرر : ٢/٢٣٢ .
(٣) في الأصل : « الطيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٤) في الأصل : « وصحبة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وعبارة الوافي : « مع جملة مَنْ توجّه » .

الديار المصرية بالإقامة فأقام بها ، وذلك من أوائل سَنَة اثنتين وخمسين وسبع مئة ولّما خرج الأمير علاء الدين مغلطَاي والأمير سيف الدين مَنْكلي بُغا الفخري على السلطان الملك الصّالح أول دولته كان معهما ، فرُسم باعتقاله ، وذلك في شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة[١] ، ثم إنه أُفرج عنه وورد إلى صفد وأقام بها بطّالاً .

ثم إنه توجّه صُحبة الأمير علاء الدين ألطنبغا برفاق نائب صفد إلى دمشق لّما راح إلى بَيْبُغاروس ، وهرب معهم لما هربوا ، ودخلوا البلاد الروميّة ، ثم إن الأرض أضمرته ، ولم أسمع له خبرا إلى أن ورد مرسوم السّلطان بتجهيزه من ثغر إسكندريّة إلى تلك البلاد ، أعني الشرقية من ولاية إلى ولاية وكان ذلك في شهر رمضان أو ما بعده[٢] ، سنة ست وخمسين وسبع مئة[٣] .

[اللقب والنسب][٤]

☆ **ابن أبي الطيب** : نجم الدين وكيل بيت المال عمر بن أبي القاسم . وولده نجم الدين محمد بن عمر .

☆ **الطيبي** : محمد بن بادي . وشمس الدين الطيبي موقّع طرابلس : أحمد بن يوسف .

٨٣٦ ـ طيبرس*

الأمير علاء الدين الساقي أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

---

(١) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٢) في (س) ، (خ) : « بعد » ، وهي ضعيفة .

(٣) ومات في حدود الستين ، كما في الدرر .

(٤) زيادة يقتضيها منهج الصفدي .

* الدرر : ٢٢٩/٢ .

توفي رحمه الله تعالى في العُشر الأول من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

٨٣٧ ـ طيبغا*

الأمير سيف الدين السلاح دار الناصري المعروف بقوين باشي ، بقاف وواو وياء آخر الحروف وبعدها نون وباء موحدة وألف وشين معجمَة وياء آخر الحروف .

كان شكله تاماً طويلا ، وخدُّه أسيلا ، ذقنُه في حنكه سوداء ، وعِمّتُه مليحةٌ ووَجْنتُه مَرَداء ، خيّراً لا شَرّ فيه ، يحبه تنكز ويعظمه ويعرف له حقَّه ويُوَفّيه ، وولاّه نيابةَ حمص فأقام فيها على حالٍ شَديده ، وسيرةٍ في العدل سديده ، ثم إنه نقله إلى نيابة غزه ، وأراد له بذلك التقدم والعِزّه ، فأقام فيها مدة يسيرة مريضا ، ورأى من السُّقْمِ مَدىً طويلا عريضًا ، إلى أن فارق وجودَه ، وأطال البِلى تحت الأرض هجوده .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عُشري ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان له ولد كأنه القمر إذا بدرَ في أفقه ، أو الغزال في ليّ عُنقه ، فمات في حياته ، وجرّعه كأس وفاته ، وصبر هو والنّاس على فقده ، وودوا لو شركوه في سُكنى لَحْده .

٨٣٨ ـ طيبغا**

الأمير علاء الدين طيبُغا حاجي .

أعرفه بالقاهرة ، وهو رأس نوبة الجماريّة ، ثم إنه خرج إلى دمشق ، واختص بالأمير سيف الدين تنكز ، وكان يُقرّبه ويُدنيه ، ولّما أُمسك تنكز ، وحضر بعده بُشتاك ، أمسك الأمير علاء الدين طَيْبُغا حاجي والأمير سيف الدين أَلْجَيبُغا

* الدرر : ٢٣١/٢ .

** الدرر : ٢٣٢/٢ .

العادلي ، وأُودعا قلعة دمشق في الاعتقال ، ولم يَزالا[١] إلى أن مرض السلطان مرض موته ، وعوفي قليلاً فأفرج عنهما وعن غيرهما من الذين كانوا في الاعتقال بمصر والشام ، وجهّزه الأمير سيف الدين قطلوبُغا الفخري في أول دولة الناصر أحمد إلى حلب ليكون بها[٢] نائبا فتوجه إليها ، وأقام بها نائبا بعد حمّص أخضر إلى أن وصلها الأمير علاء الدين أيدغمش نائباً .

وكان قد جُهّز في سنة اثنتين وأربعين إلى حلب أميرا ، فتوجّه إليها ، وبعد ذلك عمل النيابة بها ، ولّما عُزل منها أقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة تقريباً ، وحَضَر تابوتُه إلى دمشق ودفن بها .

وكان عاقلا ساكنا[٣] وافِر الْحِشمة كثيرَ الحيّاء .

٨٣٩ ـ طيبغا*

الأمير علاء الدين الإبراهيمي .

كان أميراً بصَفد من جملة الطبلخانات ، ورُسم له بنيابة قلعة صفد عوضا عن الأمير شهاب الدين بن لافي ، وباشر ذلك مدّة قليلة دون الشَّهْرِ ، وعُزِل بالأمير صلاح الدين بن الخشاب .

وتوفي الإبراهيمي بعد عزله بقليل في شهر شوال سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٨٤٠ ـ طينال**

بفتح الطاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها نون وألف ولام .

(١) في الأصل : « ولم ير إلاّ » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) في (خ) : « ساكناً وادعاً » .
* الدرر : ٢٢٩/٢ .
** الوافي : ٥١٦/١٦ ، والدرر : ٢٣٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٣/١٠ ، وتذكرة النبيه : ٤٢/٣ .

الأمير سيف الدين الأشرفي الحاجب بمصر الناصري نائب السلطنة بطرابلس وغزة وصفد .

كان أميراً كبيرا ، دَرِباً بالأمور خبيرا ، ما أقام ببلد إلا وأحبّه أهلُها وانتفع العرفان بها وانتفى جهلها .

أول ما ورد إلى طرابلس نائباً[١] بعد الأمير شهاب الدين قرطاي قوّى نفسه ، وصوّب رأيه وتخمينه وحَدْسَه ، وأخذ في معاكسة الأمير سيف الدين تنكز ومعاندته ، ومنافسته في الأمور ومنابذته ، فكتب به[٢] إلى السلطان وعزله ، وأراه الذُّل في المنزل الذي نزله .

ورُسِمَ له بنيابة غزة ، فتوجّه[٣] إليها وقد جعل إصبعه فيها تحت رزّه ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأقام بها قليلا ، ثم طاوع أن يكون في الجنّة لا في النار ذليلا ، فأُعيد إلى طرابلس ثانيا[٤] ، ورجع إليها شاكراً حامداً ثانيا ، ووطّن نفسه على الطاعة لمن قَهَره ، والخضوع لمن كان سائلَه فنهره ، فمشت حاله ، وارتفع خبره وانتصب حاله . ثم إنه عُزِل من طرابلس ، ثم أُعيد إليها ثالثا ، ثم عُزل وجُهّز إلى صفد نائبا ، فأقام بها إلى أن تحتّم الأجل ، وتختّم بالوَجَل .

وتوفي بصفد رحمه الله تعالى في نهار الجمعة خامس شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وكان في النيابة الثانية بطرابلس فلما أُمسك تنكز عُزل منها لمّا عزل نواب الشام وحضر إلى دمشق وأقام بها أميراً ، ولمّا كان الفخري بدمشق جهّزه إلى طرابلس نايبا ،

---

(١) ليست في (خ) .

(٢) في (خ) : « فيه » .

(٣) في (خ) : « فدخل إليها » .

(٤) في (خ) : « نائباً » ، تصحيف .

فتوجّه إليها ثالث مرة نائبا ، ولم يزل بها إلى أن رَسَم لـه الصـالح بـالتوجّـه إلى صفـد ، فتوجّه من طرابلس إليها وأقـام بهـا إلى أن توفي في التـاريخ المـذكور ، ودفن في مغـارة يعقوب عليه السلام بصفد في قبر كان طشتمر حمّص أخضر قد أعدّه لنفسه .

ولمـا أتى في المرة الثـانيـة إلى طرابلس في شهر ربيـع الآخر في سنـة خمس وثـلاثين وسبع مئة كان يجهّز مطالعته إلى السلطان مفتوحة على يد البريدي الـذي [هو][1] من جهته ، ليقف عليها تنكز ويقرأها ويختمها [ويجهزها][2] .

وكان السلطـان قـد جهزه بمصر هو والأمير ركن الـدين بيبرس الحـاجب إلى اليمن نجدةً لصاحبها ، ومعهما ألف فارس في شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

وكتب إليه مَرّة كتاباً من طرابلس يهنّئ فيه الأمير سيف الدين تنكز بقدومـه من صَيْد الطير ، ويذكر فيه أنه هو كان أيضا غائباً في الصيّد ، فكتبتُ أنا الجواب إليه عنه ونسخته :

أعزّ الله أنصار المقرّ الكريم[3] العالي المولوي الأميري السيفي ، وجمع شمل المسرّات إليه[4] جميعا ، وجعل حَرمَه على الخطوب محرما وزَمَنَه كلَّه رَبيعا ، وأظفره من الصيـد بما يُلْقَى لديه في الدوّ[5] صريعا ، ويخرّ له من الجوّ صريعا ، المملوك يقبل اليد الكريمة التي أصبح الجود لها مطيعا ، ويخدم بالدعاء الذي يُظَنّ لصـدْقِـهِ في رَفْعـه أنَّ الله يكون له سميعا[6] ، ويصف الولاء الذي إذا دعا الإخلاص لبّـاه سريعـا ، ويبث الثنـاء الـذي ملأ الأسماعَ جمرةُ جوهرا ، والصحف بـديهـاً بـديعـا ، ويُنهي وُرودَ المشرفـة العـاليـة ،

(١) في الأصل : « البريد الذي من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، والوافي .
(٣) ليست في (س) .
(٤) في (س) ، (خ) : « لديه » .
(٥) الدو : الأرض الواسعة .
(٦) في الأصل : « جميعاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

فوقف منها على أسطار البلاغة التي أخرج العيّ منها خائفا يترقب ، واستجلى منها كواعب البيان التي إذا لمحها هلالُ الأُفق غطّى نوره بكمّه الأزرق وتنقب ، ورعى منها العبارة التي إذا أثنى البليغ عليها فقد قابل دُرَّها المنظّم بالجزع[١] الذي لم يُثقّب ، فقابل ذلك بالشكر لله تعالى على عَوْدِ مولانا إلى وطنه ، وقرار قلبه وقُرّة عينه بما ناله من اجتماعه بمسكنه وسكنه ، بعد أن عُرِضت صيودُه على مواقد النيران ، وضَربت أطيارُها قِباب أشلائها على طريق الوحش تتقارع منها على قِرى الضيفان ، ونُثر على سندس الربيع من ريشها الأزرق ياقوت ومن دمها الأحمر مرجان ، وغَدَت وجنة الأرض وفِيها[٢] من الدماء مضرَّج ومن الريش خيلان ، فالله يكمل لمولانا المسرّة التامه ، ويُبهج خاطره الكريم بأفراحه[٣] العامة للخاصة والعامّه ، ويجعل عِداه في قَبْضَة قَنَصه ، ويُجرّع كلاً منهم كؤوس غُصَصه ، حتى يكونوا كصيوده بين يديه طَرْحَى معفّرين في الثرى كأشلائها معقّرين جَرْحَى ، وولدا مولانا الجَنَابان العاليان : المظفري موسى والناصري محمد مخصوصان بتحيةٍ تجاري لُطْفَها ، وثناءٍ يباري في الطيف وصفها[٤] ، إن شاء الله تعالى .

٨٤١ ـ طي الحوراني*

كان قيّماً بدار الحديث الظاهرية .

أُمسك وضُرب بدار الوالي ، فاعترف بقتل الشيخ زكي الدين السمرقندي الحنفي ، فشنقوه على باب الظاهرية بكرة الثلاثاء عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبع مئة .

☆ **الطيوري الحاسب** : علي بن عثمان .

---

(١) الجزع : الخرز فيه سواد وبياض .

(٢) في (س) ، (خ) : « وفيها » .

(٣) في (خ) : « بإفراطه » ، تحريف .

(٤) زاد في (س) : « بمنّه وكرمه » .

* لم نقف على ترجمته .

حرف الظّاء

٨٤٢ ـ ظافر بن أبي غانم*

ابن سيف بن طيّ بن محمد بن سالم فتح الدين أبو الفتح [الأرفادي الحلبي الطائي][1] .

أخبرني العلاّمة أبو حَيّان قال : كان المذكور بالقاهرة ، وله نظم منه قوله :

ولقد ظَنَنْتُ بأنني ما نلتقي ... حتى رأيتكَ في المنام مُضاجعي
فوقَعْتُ في نومي لوَجْهك ساجداً ... ونثرْتُ مِنْ فَرحي عليك مدامعي[2]

٨٤٣ ـ ظافر بن محمد**

ابن صالح بن ثابت زين الدين الأنصاري الجوجري المحتد[3] ، العدويّ ، نسبَة إلى فقراء الشيخ عَديّ ، يعرف بالطّنَاني ، بفتح الطاء المهملة وبعدها نون مخففة وبعدها ألف ونون ثانية ، وهي بلدة بالديار المصرية[4] بها وُلد .

أخبرني العلاّمة أثير الدين قال : كان المذكور رجلاً فقيراً ، كثير الانبساط ، يُظهر

---

* الوافي : ٥٢٨/١٦ ، ولم يذكر سنة وفاته ، ثم ترجم ٥٣٢/١٦ لرجل له الاسم نفسه لكن لقّبه « شهاب الدين » ، وفاته (٦٩٤) ، وعلّق بقوله : « والظاهر أنه الذي تقدّم آنفاً ، وما هو ببعيد ، وما اختلف عليّ إلاّ باللقب ؛ لأنّ ذاك فتح الدين ، وهذا شهاب الدين ، والله أعلم » .

(١) زيادة من (س) ، والوافي .

(٢) في (س) ، والوافي : « فرح » .

** الوافي : ٥٢٩/١٦ ، والدرر : ٢٣٣/٢ .

(٣) نسبة إلى جَوْجرَ ، بليدة بمصر من جهة دمياط . معجم البلدان : ١٧٨/٣ .

(٤) قريبة من الفسطاط . معجم البلدان : ٤٢/٤ .

الخرق [1] . ويذكر [عنه] [2] بعض مَنْ خالطه صلاحاً وديانه ، وتُنسب له كرامه . ورأيته بدمياط ، وله نظم كثير ، من ذلك قوله :

تَميسُ فتَخْجَلُ الأَغْصانُ منها ... وتزري في التلفت بالغزال
وتُحْسَبُ بالإزار بأنْ تَغَطَّتْ ... وقد أبْدَت به شكل الجمال
سَلُوها لِمْ تُغطِّي الْبَدْرَ عَمْداً ... وتَسْمَحُ للنّواظر بالهلال
ولِمْ تُصْلي الحشا بالعَتْب ناراً ... وفي ألفاظها بَرْدُ الزُّلال [3]
ولِمْ فَضَحَتْ بِمعْصَمِها اعتصامي ... وأطبقتِ العقيقَ على اللآلي
ويُبدي حالُها أمْراً عجيباً ... ظُهوراً في خَفاءٍ مِثْلَ حالي
فإنْ حاكت بوفْرِ الرِّدْفِ وَجْدي ... فقد حاكى بها الْخَصْرُ انتحالي
حلالٌ في الغرام بها عذابي ... كما عَذْبُ اللَّما منها حلا لي

اللقَبُ والنسَبُ

☆ **الظاهري** : شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن . والحافظ جمال الدين أحمد بن مُحمّد .

☆ **وفخر الدين بن الظاهري** : عثمان بن محمد .

٨٤٤ ـ ظهير بغا*

الأمير سيف الدين أحد مُقدّمي الألوف بالديار المصرية .

---

(١) في الوافي : « الحرف » ، وفي بعض أصوله : « الخرف » .
(٢) زيادة من (س) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « بالعبث » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
* الدرر : ٢/٢٣٤ .

كان قريباً للسلطان الملك الناصر محمد .

حضر إلى الديار المصرية في سنة ست وعشرين وسبع مئة بعد خروج الأمير سيف الدين أرغون النايب إلى حلب ، وأظنّه أخذ تقدمتَهُ ، وعظَّمه السلطان لَمَّا وصل وأعطاه إمْرَةَ مئة .

وكان الأمير سيف الدين يكتب بالْمُغلي ، وكان إذا حضر كتابٌ من بوسعيد بالْمُغلي ، ولم يكن الأمير سيف الدين أيتمش حاضراً يقرأه الأمير سيف الدين ظهير بغا ، ويكتب جوابَه بالذّهب أو بالمداد ، ولم أرَ أحداً أكثر من أقاربه بتلك البلاد ، كانوا يَفدُون عليه في كل وقت طول السنة من مئتي نفس فما دونها إلى العشرة مُدّة مُقامه في الديار المصرية ، فمنهم مَن يُقيم بالديار المصرية ، ومنهم من يختار العَوْدَ ويعود وقد بَرَّه ووصله وحمَله وحمّله .

ولم يزل على حاله بالديار المصرية إلى أن توفي في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة[1] .

٨٤٥ ـ ظهير بن أمير حاج بن عمر*

الشيخ ظهير الدين الأرْزَنجاني[2] ، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الزاي وبعدها نون وجيم وبعدها ألف ونون وياء النسبة .

ورد إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى من مصر ، لأنه كان يصحبه وهو في مصر إلى أن حضر إلى دمشق ، وكان عنده عزيزاً مكرّماً ، ولكنّه لا يدخل في أمر ولايةٍ ولا عَزْل ، وما أعرف أنه كان بيده شيء من الولايات غير نظر مسجد النارنج[3] لا غير .

---

(١) في بعض أصول الدرر . (٧٣٣ هـ) .

* الدرر : ٢٣٤/٢ .

(٢) من بلاد أرمينية ، معجم البلدان : ١٥٠/١ .

(٣) قرب باب الصغير ، الدارس : ١٩٩/١ .

ولم يزل عنده معظّما إلى أن قال عنه[١] حمزة التركماني للأمير سيف الدين تنكز : إن القاضي جمال الدين ابن جَمْلة رشا ناصر الدين الدوادار بألف دينار حتى سعى له في قضاء الشام ، فتنكر له تنكز ، فأنكر ذلك ، فسلّمه تنكز إلى قاضي القضاة ابن جملة[٢] ، فبالغ في تعزيره وأركبه حماراً ، وطاف به في الأسواق ، وهو يُضْرَبُ بالدرَّة إلى أن رقّ له الناس وأُحضر إلى تنكز في تلك الحال ، فرحمه ، وجرى على القاضي بسببه ما يأتي شرحه في ترجمته ، وعُزل[٣] من منصبه وحُكم بفسْقه وباعتقاله .

ولم يزل الشيخ ظهير الدين على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة بدمشق .

---

(١) أي : نقل عن لسان ظهير الدين .

(٢) يوسف بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته .

(٣) في (س) : « عن » .

حرف العين

الألقاب والأنساب

☆ **العابر الحنبلي** : شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن .

☆ **والعابر الحنبلي** : زين الدين علي بن أحمد الآمدي .

٨٤٦ ـ عامر بن محمد*

ابن علي بن وهب : هو عز الدين ابن الشيخ الإمام العلاّمة أوحد المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد القُشيري المصري .

سمع من العزّ الحرّاني ، وابن الأنماطي ، وغيرهما .

جلس بحانوت العدول لمّا تعدّل ، وأورق غصن فضله وتهدّل ، وأقام على هذه القَدَم مده ، ورفض هذا الضابط الضاغط لما قاساه فيه من الشده ، ثم إنه[1] خالط أهل المعاصي ، وتوقّل معهم هضباتِ تلك الصّياصي ، فأثّرت فيه تلك الْخُلطه ، وأصبح في بيته الصحيح غَلْطَه ، وأخرجته عن طريق أهله تلك العِشره ، وأمسى كما يقوله الناس : إزليط العثره ، حتى إن أباه جفاه ، ولفَظَه مِنْ حِسابه ونفاه ، ولمّا تولّى[2] والده قدّس الله روحه ، القضاء أقامَه وأنزله من حانوت العدول لعلمه أنه على غير الاستقامة ، فيا ضَيعَة اسمه ، ويا خَيْبَةَ حَدْسِ أبيه ووهمه لأنه سماه باسم أبي عبيدة [عامر بن عبد الله][3] بن الجراح ، أمين هذه الأمة كما جاء في الأحاديث الصحاح .

---

* ٥٩٤/١٦ ، والطالع السعيد : ٢٧٥ ، والدرر : ٢٣٦/٢ .

(١) الكلام الآتي ملخص من كلام الأدفوي .

(٢) في الأصل : « توفي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

قد يبعد الشيء من شيء يُشابهه إنّ السماء نظيرُ الماء في الزرق[١]

وكان الشيخ تقي الدين قدس الله روحه قد سمّى أولاده بأسماء الصحابة العشرة رضي الله عنهم .

ولم يزل عز الدين المذكور على حاله إلى أن هدم الموت ما عمّر من عامر ، وأضرّ به الداء الْمُخامر .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى عشرة وسبع مئة في القاهرة .

☆ **العاقولي** : جمال الدين عبد الله بن محمّد .

٨٤٧ ـ عائشة بنت محمد*

ابن المسلّم بن سَلاّم بن البهاء الحراني الشيخة الصالحة أم محمّد .

سمعت من إسماعيل بن أحمد العراقي[٢] ، ومحمد بن أبي بكر المعروف بابن النور البلخي ، ومحمّد بن عبد الهادي المقدسي ، وإبراهيم بن خليل ، وعبد الرحمن ابن أبي الفهم اليلداني .

أجازت لي بدمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة وكتب عنها بإذنها عبد الله بن المحب .

وتوفيّت رحمها الله تعالى في شوال سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « كما يبعد » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٦٠٨/١٦ ، وأعاد ترجمتها ٦٠٩ باختلاف يسير ، وظاهر كلامه أنها اثنتان ، وقد جمع ترجمتها ههنا ، وكأنه جزم أنها واحد .
وانظر : الدرر : ٢٣٨/٢ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، وذيول العبر : ١٩٢ .

(٢) في (ق) : « الغرافي » ، تصحيف .

وهي أخت المحدث محاسن ، ومولدها سنة سبع[١] وأربعين وست مئة .

وكان قد سَمَّعها أخوها في الخامسة ، وسمعت من فرج القرطبي ، والبلخي ، وابن عبد الدائم والعماد [و][٢] عبد الحميد ، وتفردت ، وروت جملة صالحة ، وكانت خيرة قانعة فقيرة ، تعمل في الحياكة .

سمع منها أبو هريرة ابن شيخنا الذهبي[٣] ، وأولاد المحب والطلبة ، وروت (فضائل الأوقات) للبيهقي[٤] عن ابن خليل ، وخرّج لها ابن سعد .

٨٤٨ ـ عائشة أم محمد*

ابنة العدل زين الدين إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن غَدير الطائي الدمشقي المعروف بابن القوّاس .

حجّت غير مرّة ، وجاورت بمكة سنين ، وهي زوجة علاء الدين بن صدر الدين بن المنجّا[٥] .

أجازها ابن مَسْلَمة ، ومكّي بن علاّن ، والبهاء زهير القُوصي ، وابن زيلاق ، وابن دفترخوان ، والسليماني ، والنور [و][٦] علي بن سعيد ، والتلَّعْفَري ، وهؤلاء السبعة أعيان الشعراء .

توفيت رحمها الله تعالى سادس ذي القعدة سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة خمس وأربعين وست مئة تقريباً .

---

(١) في (س) : « تسع » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الأصول الأخرى .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٩٩ هـ) . الشذرات : ٦٣٠/٦ .

(٤) عبد الجبار بن محمد البيهقي (ت ٥٣٦ هـ) . كشف الظنون : ١٢٧٤/٢ . وانظر : السير : ٧١/٢٠ .

* الدرر : ٢٣٥/٢ .

(٥) علي بن منجا بن عثمان بن أسعد ، ستأتي ترجمته .

(٦) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الدرر ، والمراد : النور الإسعردي .

٨٤٩ ـ عبادة بن عبد الغني*

الإمام المفتي زين الدين أبو سعد الحرّاني المؤذن الشُروطي الحنبلي .

كان قد طلب الحديث في وقت ، ودار على الشيوخ قليلاً ، ونسخ جُملة من الأجزاء سنة بضع وتسعين وست مئة ، ثم إنه تقدّم في الفقه وناظَر ، وتميّز في الفروع وفاكر بها وحاضَر ، فرأى أنه ارتفع عن هذه الدرجه ، وأعدم بذاك الناس[1] من حُسنِ ضَرَجه[2] ، وكان عنده (صحيح) مسلم ، عن القاسم الإربلي .

ولم يزل على حاله إلى أن حكَّمَ الموت فَسادَهُ في عُباده ، وأباده الله تعالى فيمن أباده .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

اللقَبُ والنَسَبُ

☆ **ابن عبادة الوكيل :** شهاب الدين أحمد بن علي .

٨٥٠ ـ عبد الله بن أحمد بن تمام بن حسان**

الشيخ الإمام الفاضل الزاهد الورع تقي الدين بن تمام التلّي الصّالحي الحنبلي .

سمع من يحيى بن قُمَيّرة ، وخطيب مردا ، والكفرطابي ، وإبراهيم بن خليل ،

---

* الدرر : ٢٣٨/٢ ، والشذرات : ١١٧/٦ ، وذيول العبر : ٢٠٧ .

(١) ليست في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « وضرجه » ، ولا وجه للواو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ٥٣/١٧ ، والبداية والنهاية : ٩٠/١٤ ، والدرر : ٢٤١/٢ ،والفوات : ١٦١/٢ .

وجماعة ، والمرسي ، واليلداني[١] ، وقرأ النحو على ابن مالك ، وعلى ولده[٢] بدر الدين .

كان رجلاً صالحا ، دائم البِشْر لا يُرى كالحا ، ديناً خيرا ، صيناً يُرى وجهه في الظلمات نيّرا ، نَزِهاً محبوباً إلى القلوب ، صَلِفاً طول عمره في الزهد على أسلوب ، فقيراً لا يملك شيئا ، ولا يجد له في الأرض فيئا ، حسن العشرة والمنادمه ، مليح الذاكرة برئيا في المصادقة من الْمُصادمه ، ظريف البزّة مع الزهد والقناعه ، نظيف الملبس في الجمعة والجماعه ، وله النظم الذي هو أسرى من النسيم وأسنى من العقد النظيم ، يكاد يرشفه السمع راحا ، ويداوي من قلوب أهل الكآبة جراحا ، قد انسجم لفظه فهو صَوْبُ غمامه ، ولذَّ تركيبُه فهو صوت حمامه ، تمكّنت القوى في قوافيه ، وطاب تلاف النفوس في تلافيه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُسفَ بَدْرُ ابن تمام في تمامه ، وغرّد الحمامُ بل ناح على كأس حِمامه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثماني عشرة وسبع مئة ليلة السبت ثلاث شهر ربيع الآخر .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

وسيأتي ذكر أخيه الشيخ محمد إن شاء الله تعالى في المحمّدين .

أخبرني القاضي شرف الدين أبو بكر بن القاضي شمس الدين بن شيخنا أبي الثناء محمود ، قال : كان جَدّي ، يعني القاضي شهاب الدين محموداً ، قد أذن لغلامه الذي

(١) في الوافي : « البلداني » ، تصحيف .

(٢) في الوافي : « والده » ، سهو .

نَفَقَتُه معه أنه مهما طلب منه الشيخ تقي الدين من الدراهم يعطِه بغير إذنه ، قال : فما كان يأخذ منه إلا ما هو مَضْرور إليه انتهى .

قلت : وكان قد صحبه أكثر من خمسين سنة ، وكان قد حجَّ وجاور واجتمع بالتقيّ الحوراني[١] وبقطب الدين ابن سبعين[٢] ، وسافر وطوّف البلاد ، وأقام بالديار المصرية مدة ، وصحب الفقراء والفضلاء ، وتفرّد عن ابن قُميَّرة بالجزء الرابع من (حديث الصّفا) ، وخرّج له فخر الدين بن البعلبكي (مشيخة) ، قال : شيخنا البرزالي : قرأتها[٣] عليه ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، لم يكن [له][٤] أثاث ولا طاسة [ولا][٥] فراش ولا سراج ولا زبديّة ، وبيته خال من جميع ذلك ، أنشدني شيخنا العلامة شهاب الدين محمود إجازةً لنفسه ما كتبه من الديار المصرية إلى الشيخ تقي الدين ابن تمام :

هل عند مَنْ عندهم بُرْئِي وأسْقَامي ... عِلْمٌ بأنّ نَواهم أصْلُ آلامي
وأنّ جفنيْ وقلبي بَعْدَ بُعْدِهم ... ذا دائمٌ [وَجْدُهم] فيهم وذا دامي[٦]
بانوا فبان رُقادي يوم بينهم ... فلست أطْمَعُ مِنْ طيفٍ بإلمام[٧]
كتمْتُ شأن الهوى يوم النّوى فنمى ... بسِرِّه مِنْ دموعي أيُّ نَمّام
كانت لياليَّ بيضاً في دُنوّهم ... فلا تَسَلْ بعدهم ما حالُ أيامي
ضَنِيتُ وُجْداً بهم والنّاسُ تَحْسِبُ بي ... سُقماً فأُنْبِهَمَ حالي عند لُوّامي

---

(١) أحمد بن عبد الواحد بن مري بن عبد الواحد ، تقي الدين المقدسي (ت ٦٦٧ هـ) الإعلام للذهبي : ٢٧٨ ، وذيل مرآة الزمان : ٤١٢/٢ .

(٢) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الصوفي (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٩١/٥ .

(٣) في الأصل : « قرأت » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي يقتضيها الوزن .

(٧) في الأصل : « يوم عيدهم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

وليس أصْلُ ضَنَى جسمي النحيلِ سوى ... فَرْطِ اشتياقي إلى لقيا ابنِ تمّامِ
مولى متى أخْلُ مِنْ بُرْء برؤيته ... خَلَوْتُ فرداً بأشجاني وأسقامي
نأى ورُؤيته عندي أحبُّ إلى ... قَلْبي من الماء عند الحائم الظامي
وصدّ عني فلن يَسْأل لجَفْوَته ... عن هائمٍ دَمْعُه مِنْ بعده هامِ
ياليت شعري ألم يَبْلُغْه أنَّ له ... أخاً بمصر حليفَ الضَّعْفِ من عامِ[1]
ما كان ظنّي هذا في مودّته ... ولا الحديث كذا عن ساكني الشام

فكتب الجواب ابن تمّام عن ذلك :

ياساكِني مصر فيكم ساكِنُ الشام ... يكابدُ الشّوقَ مِنْ عامٍ إلى عامِ
الله في رَمَقٍ أودى السّقامُ به ... كم ذا يعلَّل فيكم نِضْوُ أسقامِ
ما ظنّكم ببعيد الدار مُنفَرِدٍ ... حليفِ هَمٍّ وأحزانٍ وآلامِ
يانازحين متى تدنوا النّوى بكمُ ... حالت لِبُعْدِكمُ حالي وأيّامي
كم أسأل الطّرف عن طيفٍ يعاوده ... وما لِجَفْنيَ مِنْ عهدٍ بأحلامِ
استودعُ اللهَ قلباً في رحالكم ... عهدته منذ أزمانٍ وأعوامِ
وما قضى بكمُ في حبكم أرَباً ... ولو قضى فَهْو من وَجْدٍ بكم ظامِ
مَنْ ذا يَلوم أخا وجدٍ بحبّكم ... فأبعد الله عُذّالي ولوّامي
في ذِمّةِ الله قَوْمٌ ما ذكرتهمُ ... إلا ونمَّ بوجدي مَدمعي الدّامي
قوم أذابَ فؤادي فَرْطُ حبّهم ... وقد ألمّ بقلبي أيَّ إلمامِ
وما اتخذتُ سواهمْ عنهمُ بَدَلاً ... ولا نقضتُ لعهدي عقد إبرامِ[2]
ولا عرفت سوى حبي لهم أبدا ... حباً يعبّر عنه جفنيَ الهامي
ياأوحداً أعربَتْ عنه فضائلُه ... وسار في الكون سَيْرَ الكوكب السّامي

---

(١) في الأصل : « لم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، وفيها : « مذ عام » .
(٢) في الوافي : « ولا اتخذت سواهم منهم » .

في نَعْتِ فضْلِكَ حار الفِكْرُ مِنْ دَهَشٍ ... وكُلُّ ظامٍ سُقِي مِنْ بَحْرِك الطَّامي[١]

لا يرتقي نحوك السّاري على فلكٍ ... فكيف مَنْ رَامَ أن يَسْعى بأقدامِ

منك استفاد بنو الآداب ما نظموا ... وعنك ما حفظوا من رَقْمِ أقلامِ

أنت الشّهاب الذي سامى السِّماك عُلاً ... وفيضُ فَضْلِك فينا فَيْضُ إلهامِ[٢]

لمّا رأيت كتاباً أنت كاتبُه ... وأضرمَ الشّوقَ عندي أيَّ إضرامِ

أنشدتُ قلبيَ هذا مُنتهى أرَبي ... أعادَ عَهْدَ حياتي بَعْدَ أعوامِ[٣]

يا ناظريّ خُذا مِنْ خَدّه قُبَلاً ... مَهْوَ الحريرُ بتقبيلٍ وإكرامِ

ثم اسرحا في رياضٍ مِنْ حدائقه ... وقد زُهِي زَهْرُها الزّاهي بأكامِ[٤]

مَنْ ذا يُوفّيه في رَدّ الجوابِ له ... عُذراً إليك ولو كنتُ ابنَ بسّامِ

فكم جنحتُ ولي طرْفٌ يُخَالسه ... وأنثني خجلاً من بعد إحجامِ[٥]

يا ساكناً بفؤادي وهو مَنْزِلُه ... مَحَلُّ شَخْصِك في سرّي وأوهامي

حقاً أراك بلا شكّ مُشاهدةً ... ما حَالَ دونك إنْجادي وإتهامي

ولذَّ عَتْبُك لي يا مُنتهى أربي ... وفي العتاب حياةٌ بين أقوامِ

حوشيتَ مِنْ عَرَضٍ يُشْكى ومِنْ ألمٍ ... لكنّ عبدَك أضحى حِلفَ آلامِ

ولو شكا سُمِجَت منه شكايته ... إنّ الثمانين تستبطي يدَ الرّامي

وحيدُ دارٍ فريدٌ في الأنام له ... جيران عهدٍ قديم بين آكامِ

طالت بهم شُقّةُ الأسفار وَيْحَهمُ ... أخفوا وما نطقوا من تحت أرجامِ[٦]

أبلى محاسِنَهم مَرُّ الجديدِ بهم ... وأبعد العهدَ عنهم بُعْدُ أيامِ

---

(١) في الأصل : « نعت وصفك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في الأصل و (ق) و (س) : « الذي ساوى » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أصح .

(٣) في الوافي : « إعدام » ، ولعلها أشبه .

(٤) في الوافي : « زها » .

(٥) في الأصول : « يجالسه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) في الوافي : « اغفوا » ، ولعلّها أعلى .

فـلا عـداهم من الرّحمن رَحْمَتُـه ... فهي الرّجاء الذي قدّمتُ قدّامي
وكم رجـوتُ إلهي وهـو أرحم لي ... وقلَّ عند رجائي قُبْحُ آثامي
فطال عُمْرُك يا مولاي في دَعَةٍ ... ودام سَعْدُك في عِزٍّ وإنعامِ
ولا خَلَتْ مِصر يوماً مِنْ سناك بها ... ولا نأى نُورُك الضّاحي عَن الشّامِ

وأنشدني العلاّمة أبو حيان قال : أنشدنا لنفسه ابن تمام :

وقالوا : تقولَ الشّعرَ قُلْتُ أُجيدُه ... وأنْظِمُه كالدُّرِّ راقت عُقودُه
وأبتكرُ المعنى البديعَ بصنعةٍ ... يُحَلَّى بها عِطْفُ الكلام وجيدُه
ويحلو إذا كرّرتُ بَيْتَ قصيدةٍ ... وفي كُلِّ بَيْتٍ منهُ يَزْهى قصيدُه
ولكنّني ما شِمْتُ بارقَ ديمَةٍ ... ولا عارضٍ فيه ندى أستفيدُه[1]
فحسبي إلهٌ لا عَدِمْتُ نوالَه ... وكُلُّ نوالٍ يبتديه يُعيدُه

وأنشدني أيضا قال : أنشدني لنفسه :

وقالوا صَبَا بعد المشيب تَعلُّلاً ... وفي الشّيب ما يَنهى عن اللهو والصِّبا
نَعَمْ قد صَبا لمّا رأى الظّبيَ آنساً ... يميلُ كغُصْنِ البانِ يَعْطِفُه الصَّبا
أدار التفاتاً عاطِلَ الجيدِ حالياً ... وفي لحظه مَعْنىً به الصَبُّ قد صَبا
ومزّقَ أثوابَ الدُّجا وهو طالعٌ ... وأطلعَ بدراً بالْجَمَال تحجّبا
جرى حُبُّه في كُلِّ قَلْبٍ كأنّمَا ... تصوّر مِنْ أرواحنا وتركّبا

وأنشدني ، قال : أنشدنا لنفسه :

أُكاتِبُكم وأعلمُ أنَّ قلبي ... يَذُوبُ إذا ذكرتكم حَرَيقا
وأجفاني تسحُّ الدَّمْعَ سَيْلاً ... به أمسيتُ في دَمْعي غَريقا
أُشاهِدُ مِنْ محاسِنكم مُحيّاً ... يكادُ الْبَدْرُ يُشْبِهه شقيقا

(١) كذا ، والأرجح « عارضاً » بالعطف على (بارق) .

وأصحبَ مِنْ جَمالِكُم خَيـــالاً فـأنّى سِرْتُ يرُشدني الطريقا[1]
ومَنْ سَلـــكَ السّبيـــل إلى حِماكم بكم بلـغَ الْمُنى وقضى الحقـوقـا

ومن شعره :

طرقتكَ مِنْ أعلى زَرودَ ودونها عَنْقا زَرودَ ومِنْ تهـامـة نَفْنَفُ
تتعسَّفُ المرمى البعيدَ لِقصدِها يـا حبَّـذا المرمى ومـا تَتَعَسَّفُ

ومنه :

مَعَانٍ كُنْتُ أَشْهَدُهـا عَيـانـاً وإنْ لم تَشْهَـدِ الْمَعْنى العيونُ[2]
وألفـــاظ متى فكّرتَ فيهـــا ففيهـا من محـاسِنِهـا فُنـونُ

ومنه :

تبـــدّى فهـو أحْسنُ مَنْ رأينـــا وألطفُ مَنْ تَهيمُ بـــه العقـــولُ
وأسْفرَ وهـو في فَلَـــكِ المعـــاني وعنـــه الطَّرفُ نـــاظِرُه كَليـلُ
لـــه قَـــدٌّ يميـــلُ إذا تثنّى كـــذاك الغُصنُ مِنْ هَيَفٍ يميـلُ
وخَـــدٌّ وَرْدُه الْجَـــوريُّ غَضٌّ وطَرْفٌ لَحْظُـــه سَيْفٌ صَقيـلُ
وخَـالٌ قـد طفـا في مـاءِ حُسْنٍ فَراقَ بِحُسنِـــه الخـــدُّ الأَسيـلُ
تخـــالُ الخَـــدَّ مِنْ مـــاءٍ وجَمْرٍ وفيـــه الخـــالُ نَشْـوانٌ يَجُـولُ
وكم لام العَـــذولُ عليـــه جَهْـلاً وآخِرُ مـــا جرى عَشِـق العَـــذولُ

قلت : وهو مأخوذ من قول أبي الطّيب[3] :

مـالنـا كُلّنـا جَـوٍ يـا رسـولُ أنـــا أَهْـوَى وقَلْبُـــك الْمُتْبـولُ

(١) في الأصل : « وأصبحت من » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « كدت » .
(٣) ديوانه : ١٤٨/٣ .

كلّما عـــادَ مَنْ بَعَثْتُ إليهـــا هـام فيهـا وخـان فيما يقـولُ[١]
وإذا خـــامر الهـــوى قلبَ صَبٍّ فَعَليـــه لِكُـــلِّ عَيْنٍ دَليـــلُ
أفسـدتْ بيننـا الأمـانـاتِ عينـا هـــا وخـــانت قلـوبَهنَّ العقـولُ

وقال ابن سَنَاء الملك :

راح رسـولاً وجـاءني عـاشـقْ وعـاقـه عن رسـالتي عـائـقْ
وعـاد لا بـالجـواب بـل بجـوىً أخرسـه والهـوى بـه نـاطِـقْ

وذكرتُ أنا بقول ابن تمام رحمه الله ما قلته أنا ومِنْ مَادتـه أخـذت ، وعلى منوالـه نسجت :

ألـحَّ عـذولي في هـواه وزادَ في مَلامي ، فقلت : احتَلْ على غَيْرِ مَسْمَعي
فلم يَـدْرِ مِنْ فَرْطِ الـولـوعِ بـذكره مُصيبَتَـه حتى تعشّقَـه معي

وقلت أنا أيضاً على[٢] هذه المادة :

بي غـزالٌ لّمـا أطعتُ هـواه أخـذَ القَلْبَ والتَّصبّرَ غَصْبـا
مـا أفـاق العـذولُ مِنْ سَكْرَةِ العَـذْ لِ عليـه حتى غـدا فيـه صبّـا

٨٥١ ـ عبد الله بن أحمد بن عبد الله*

ابن أحمـد بن محمـد ، الشيخ الإمـام الصّالح المحدّث أبو محمّـد بن الشيـخ الْمُحـدّث محبّ الدين السَعدي المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي .

سَمّعـه والِـده ، وحفّظـه القرآن ، وطلب بنفسـه في سنـة سبع وتسعين ، ولحقَ ابنَ

---

(١) في الديوان : « غارَ مني » .
(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « في » .
* الوافي : ٦٠/١٧ ، والفوات : ١٥٨/٢ ، والدرر : ٢٤٤/٢ ، والشذرات : ١١٤/٦ ، وذيول العبر : ١٩٦ .

القوّاس ، وابن عساكر الشرف ، والغَسُّولي ، والناس بعدهم ، وكان[١] عنده عوالٍ عن ابن البخاري وبنت مكي وعِدّة ، وانتقى له شيخنا الذهبي جزءاً ، وانتقى هو لبعض مشايخه ونسخَ عدةَ أجزاء .

وخَلّف عدة أولاد ، وكان من أهل الخير والصّيانه ، وأولي الصّلاح والديانه ، حَسَنَ الشكل واللحية السوداء ، والوجه كأنّه بدرٌ في الليلة الظلماء ، طيّب الصوت لذيذ النَّغْمه ، إذا تلا كأنّما[٢] صبّ على الآذان صَوب نِعْمَه ، يقرأ سريعاً مع فصَاحه ، ويخيط بإيراده ما في القلوب من جراحه .

نُفع الناس بمواعيده العامه ، وأفاض عليهم فيها ملابس التقوى التامه ، وكان له محّبون وزَبَونٌ يُدْفَعُ بهم الحرب الزَّبون ، وكان يقرأ في الحائط الشمالي ومجلسه حافل غاص ، وسمعتُه غير مرة .

ولم يزل على حاله إلى أن طالت منه الرّقده ، وأذاق الله الناس فَقْدَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وثمانين وست مئة .

٨٥٢ ـ عبد الله بن أحمد بن علي*

ابن أحمد الشيخ الإمام الفقيه النحوي جلال الدين بن الشيخ فخر الدين بن الفصيح العراقي الكوفي الحنفي ، قد تقدم ذكر والده في الأحمدَين .

---

(١) في (ق) ، (س) : « وكانت » .

(٢) في الأصل : « كلاماً » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٦١/١٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٠٥/١ ، والدرر : ٢٤٥/٢ ، والبغية : ٣٢/٢ .

وكان هذا جلال الدين همّتهُ مباركه ، وعنده في العلوم مشاركه ، وقدم إلى دمشق ، وسمع بها وسمّع أولاده . إلاّ أنه عجّل عليه حَتْفُه ، ورغم بالتراب أنْفُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان قد سمع ببغداد من جماعة ، وسمع بدمشق من شيخنا الذهبي ، ومن الْجَزَري[1] .

٨٥٣ ـ عبد الله بن أحمد بن يوسف*

ابن الحسن الفقيهُ الفاضل جلال الدين أبو اليمن الزّرَنْدي ، بالزاي والراء المفتوحة وبعدها نون ساكنة ، الشافعي .

سمع بالْحَرَمَيْن ، وبحماة ، وحَلَب ، والساحلِ ، وغير ذلك ، وقرأ كثيراً ، وله عدة محافيظ ، وكتب (الْمُشْتَبِه) ، وسمع أبا العباس الجزري[2] ، والمِزّي ، والذهبي ، وغيرهم من الموجودين .

وكان شاباً فيه يَقْظَه ، وطَلَبٌ في كل لَحْظَه ، لا يَفْتَرُ ولا يَني ، ولا يَعْدِلُ عن الدّأب ولا ينثني .

ولم يزل على حاله إلى أن قُصف ، ومُحق بَدْرُه بعدما خُسف .

---

(١) محمد بن يوسف ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٦١/١٧ ، والدرر : ٢٤٧/٢ .

(٢) أحمد بن علي بن حسن بن داود الجزري (ت ٧٤٣ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٠٦/١٤ ، وفيات ابن رافع : ١٧٤/١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في العُشر الأخير من شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة . بالطاعون .

ومولده سنة عشرين وسبع مئة .

٨٥٤ ـ عبد الله بن أحمد بن محمد بن سليمان*

القاضي تاج الدين بن القاضي الشيخ شهاب الدين بن غانم . تقدّم ذكر والده رحمه الله تعالى .

كان شاباً غَضا ، طريَّ البَشْرةِ بضّا ، كتب في ديوان الإنشاء بدمشق فأخجل الحدآئق ، وتعثرت وراء أشرعته[1] البوارق ، يكاد قلمه يفوت الطّرفَ تَسرُّعا ، ويظن مَنْ يراه أنه لم يُعمل أقلامه تبرّعا ، وكان الناس يتعَجبون من كتابته البديعه ، وَحَرَكةِ يده السَريعَه .

ولم يزل على حاله إلى أن عثرت قوائمُ جَواده ، وأصاب سهمُ المنية حَبَّةَ فُؤادِه .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

ووجدت بخطه أبياتاً كتبها للقاضي علاء الدين بن الأثير :

ومِثْلُك إنْ أبدى الجميلَ أعادَهُ ... وإنْ جادَ بالْمَعْرُوفِ عادَ كَمَّلا
وما زلتَ تُغني بالنّدى كُلَّ مُقْتِرٍ ... مُقِلٍّ فتُوْلي العالمينَ تَطوُّلا
وما جاءك المِسْكينُ قطُّ مُؤمِّلاً ... جَميلَك إلاّ نالَ ما كان أمَّلاَ
لك اشتهرت يا ابن الأثير مآثِرٌ ... بآثارها الْحُسنى مَلأت بها الملا

---

* الدرر : ٢٤٦/٢ .

(١) في (س) : « سرعته » .

وجُودُكَ قد عَمَّ الوجودَ وأهْلَه ... فما مَنْزِلٌ مِنْ فَيْضِ فَضْلِك قَدْ خَلا
وأنت فلم تَبْرَحْ تُغيثُ ولم تَزِلْ ... تُعينُ ذَوي الحاجاتِ منك تَفَضُّلا
فلا زلت محروسَ الْمَقَرِّ مُبَلَّغاً ... أمانيك مشكورَ الندى دائِمَ العُلا[1]

ورثاه والدُه بشعر كَثير ، ومنه ما كتَبَه تحت خَطِّه بعد وفاته :

آهاً لكاتبها ومَا ... فَعَلَتْ بأنْمُلِها الظرافِ
نُوَبُ المنون العارضا ... تُ لِكُلِّ حَيٍّ بالتَّلافِ
أفْرَطْتَ في تفريطهنّ ... بما أفَتْنَ من التلاقِ
تَجْتاحُ أرواحَ الورى ... بظواهرٍ منها خوافِ
لتُعيدَهم كَرَمادِ ... بالريح تَنْسِفُها السّوافِ
أجّجن نيرانَ الجحيم ... أسىً بقلبي والشّغافِ
وأطَلْنَ سُقْماً مالَه ... إلاّ عِلاجُ الموت شافِ

٨٥٥ ـ عبد الله بن أحمد*

الوزير علم الدين بن القاضي تاج الدين بن زَنْبور .

كانَ كاتبا سعيدَ البدايه ، متصرفاً له في التّدبير عنايه ، جُمع له من الوظائف الجليلة مالم يُجمع لغيره ، ودانت له الأيامُ حتى ذلّ الأُسُودُ لِعَيْره ، وجُمع له من الأموال ما تُقَصِّر عنه أمواجُ الأمواه ، وتكلّ عن وصفه أفواج الْكَلِم مِنَ الأفواه ، واقتنى من الأملاك ما يحار له الأملاك ، وحاز من الإنعام ما يقف السابح في ذكره إنْ عَام ، وأما المراكيب والمراكب والملابس التي تفخر بها الكواكب ، فشيءٌ زاد على الْمَعْهُود مقدارُه ، وضاقت في البَرّ والبحر أقطاره .

(١) في الأصل : « وما زلت » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٦٢/١٧ ، والدرر : ٢٤٠/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٩/١٠ ، وتذكرة النبيه : ١٧٩/٣ .

وعـانـد أولاً وكاد يُـدركـه العَطَب ، ونهض من وَهْـدَة الْخَطْب إلى ذُروة المِنْبَر من العِزّ وخَطَب ، ثم إنـه استقـلَّ مَنْ يُعـانـده ، واستـذل مَن يُراوِده ، فـوقـع هـو في هـوّة لا يصل من ينتاشه[١] إلى قرارها ، وتاه في مَوْمـاة هلاكٍ لا ينجّيـه الحـذر من فرارهـا ، فأُخذ مِنْ مأمنهِ ، وثار إليه الشرُّ من مَكْمَنه ، فأصبح عَلَمُهُ مُنكّسـا ، وقلمـه مُركّسـا ، ونزلت به من الزمان بليّه ، وأمست حِلْيةُ[٢] المنصب من ابن زنبور خَلِيَّـه ، يطلب مَنْ ينصره فلا يجده ، ويروم من يعضده فلا يَعُدُّهُ ولا يَعِدُه ، وتنوّع لـه العـذاب ، وتفرع من الهوان ما أذلَّـهُ وأذاب ، إلى أن تقطعت القلوبُ لـه رحمـه ، وجـاءه الفرج فلم يخلص إليه من الرّحمه ، عادة من الزمان أجرى الناس عليها ، وأجراهم بُعْدُ غاياتهم إليها .

ثم إنه جُهّز إلى قوص ، مع حظّه المنقوص ، ففارق أربعـة رَقَّ لـه فيهـا الحسَـدة : مناصبه ووطنه وماله[٣] وولده ، فبات وزيراً سعيدا ، وأصبح فقيراً في البلاد طريـدا ، فلا رغبة لعاقل في العُلْيَا ، ومرحباً بإقبال هذه الدنيا ، فقد :

تفـانى الرجـالُ على حبّهـا وما يحصلـون على طـائـل

ولم يزل بقوص ، والـذلّ[٤] يَغُور بـه ويغوص ، إلى أن انـدفـع إلى القبر وانـدفن ، وخرج من دنياه وما مَعَه غير الكفن .

وتوفي بقـوص رحمـه الله تعـالى في ثـاني عشر شهر ربيـع الأول سنـة خمس وخمسين وسبع مئة .

أول ما علمته من أمره أن القاضي شرف الدين النشّو ناظر الخاص استخـدمـه كاتب الإصطبـلات بعـد أولاد الجيعـان في أواخر أيـام الملـك النّـاصِر محمـد ، وبقي القـاضي

(١) أي : يتناوله .

(٢) في (ق) ، (س) : « خليّة » ، والخلية : ما يُعْسَل فيه النحل .

(٣) في (ق) ، (س) : « وأمواله » .

(٤) في (س) : « والذي به » .

علم الدين على هذه الوظيفة إلى أن خرج القاضي علم الدين بن القطب[١] من مصر إلى دمشق ، فَخَلت عنه وظيفة استيفاء الصحبة ، وخرج إلى حلب وكشف القلاع ، وحصّل أموالاً . وبقي على ذلك إلى أن أُمسك جمال الكفاة في واقعته الأخيرة ، ومات تحت العقوبة ، فنُقل القاضي موفق الدين إلى نظر الخاص ، فبقي قليلاً ، وطلب الإعفاء فأعْفَوْه ، وتولّى علم الدين بن زنبور الخاص[٢] ، وأضيف إليه الجيش بعد القاضي أمين الدين ، ولم يزل على ذلك إلى أن أُمْسِك الأمير سيف الدين منجك الوزير ، فأضيفت الوزارة إلى ابن زنبور[٣] ، وهذا أمر ما اتفق لغيره أبداً ، ولا سمعنا به وإنما كان الجيش والخاص مع جمال الكفاة ، وهذه الوظائف الثلاث ، هي عبارة عن الدولة إلاّ كتابة السر ، فعلم الدين بن زنبور ، أول من جُمع له هذه الوظائف .

وبقي على ذلك إلى أن خرج السلطان الملك الصّالح صالح إلى الشام في واقعة بيبغاروس ، فحضر معه إلى دمشق وأظهر في دمشق عظمة زائدة ، وروّع الكتّاب ومباشري الأوقاف ولكنه لم يضرب أحداً ، ولا كشف رأسه ، وتوجّه مع السلطان عائداً إلى مصر ، في أوائل ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة . ولّما وصل عَمِل السلطان سمَاطا عظيماً ، وخلع فيه على الأمراء كبارهم وصغارهم ، وكان تشريفُ الأمير صُرْغَتمش[٤] ناقصاً عن غيره ، وكان في قلبه من الوزير ، فدخل إلى الأمير سيف الدين طاز وأراه تشريفَه ، وقال : هكذا يكون تشريفي ، واتفق معه على إمساك ابن زنبور . وخرج من عنده وطلبه وأهانه وضربه ورسَّم عليه وجدَّ في ضربه ، ومصادرته ، فأخذ منه من الذهب والفضة والقماش والأصناف والكُراع[٥] والأملاك ما يزيد على الحد ، ويتوهّم الناقل لذلك أنه ما يصدَّق في ذلك ، ويستحي العاقل من

(١) محمد بن أحمد بن مفضّل ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في (س) : « نظر الخاص » .

(٣) سنة ٧٥١ هـ . البداية والنهاية : ٢٣٦/١٤ .

(٤) في (ق) ، (س) : « سيف الدين صرغتش » .

(٥) ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤن . انظر تذكرة النبيه : ١٧٩/٣ ـ ١٨٠ .

ذكره . وبقي في العقوبة زماناً ، وكان الأمير سيف الدين شيخو يعتني به في الباطن ، فشفع فيه وخلّصه وجّهزه إلى قوص فأقام بها إلى أن مات في التاريخ المذكور ، وقيل : إنّه سُمّ ، وقيل : نَهْشَه ثعبان ، والله أعلم .

وتولى الوزارة بعده القاضي موفق الدين وتولى الخاصَّ القاضي بدر الدين كاتب يلبغا ، وتوّلى القاضي تاج الدين أحمد بن أمين الملك[١] نظر الجيش .

وبَلَغنا أنه لمّا أُعيد الملك الناصر حسن إلى الملك أُعيدت المصادرة على من بقي من ذوي قرابةِ ابن زنبور ، وأنه أُخِذ له ، ومنهم جُملة من المال[٢] ، وأمّا ما أُخذ منه في المصادرة في حياته فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصي من ورقة بخطه ، على ما أملاه القاضي شمس الدين محمد البَهنسي :

أواني ذهب وفضة ستون قنطاراً . جوهر ستون رطلاً . لولو أردّبان . ذهب مصكوك مئتا ألف وأربعة آلاف دينار ، ضمن صندوق ، ستة آلاف حِياصَة ، ضمن صناديق زركش : ستة آلاف كلوته ، وذخائر عدّة ، قماش بَدنه : ألفان وست مئة فرجيّة . بُسط : ستة آلاف . صنجة دراهم : خمسون ألف درهم . شاشات : ثلاث مئة شاش . دواب عاملة : ستة آلاف . حلاّبة : ستة آلاف . معاصر سكر : خمس وعشرون مَعْصَرة . وخيل وبغال : ألف ، دراهم ثلاثة أرداب . إقطاعات سبع[٣] ، كل إقطاع : خمسة وعشرون ألف درهم . عبيد : مئة . خدم : ستون . جواري : سبع مئة . أملاك القيمة عنها . ثلاث مئة ألف دينار . مراكب : سبع مئة . رخام القيمة عنه : مئتا ألف درهم . نحاس : قيمته أربعة آلاف دينار . سروج وبدلات خمس مئة . مَخَازن ومتاجر : أربع مئة ألف دينار . نطوع : سبعة آلاف . دواب : خمس مئة . بساتين : مئتان . سواقي : ألف وأربع مئة .

---

(١) أحمد بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

(٢) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

(٣) في (ق) : « سبع مئة » .

٨٥٦ ـ عبد الله بن أحمد بن محمد*

ابن محمد بن نَصْر الله الشيخ فخر الدين بن الشيخ الإمام تاج الدين ابن المغيزل الحموي شيخ الشيوخ بحماة .

كان رجلاً مباركاً ، وليَ المشيخة بعد والده وأقام فيها أكثر من أربعين سنةً . ووليها بعده قاضي القضاة شرف الدين البارزي[١] .

سمع بقراءة شيخنا البرزالي بحماة على والده سنة خمس وثمانين وست مئة . وكان منقطعاً يصوم دائماً ويتعبّد ، ولم يكن قد تأخّر في بني الْمُغيزل مثله .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشري شهر رمضان ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

٨٥٧ ـ عبد الله بن أحمد بن عبد الحميد**

ابن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رَوى لنا عن إبراهيم بن خليل وغيره ، وكان فقيهاً كتب الكثير وسمع وكتب الطباق : وصار نقيباً للقاضي الحنبلي قبل موته بشهر .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

وله حضور على خطيب مردا ، وهو في ثاني سنة من عمره ، وسمع من جده وعم والده الفقيه محمد بن عبد الهادي وابن عبد الدائم وغيرهم .

---

* الدرر : ٢٤٦/٢ ، وثمة سقط في (ق) من ههنا يقدّر بخمس أوراق ، ينتهي عند ترجمة عبد الله بن جعفر الأسدي .

(١) هبة الله بن عبد الرحيم ، ستأتي ترجمته .

** لم نقف على ترجمة له .

٨٥٨ ـ عبد الله بن أحمد بن علي*

ابن المظفر ـ وسيأتي تمام نسبه في ترجمة ولده القاضي فخر الدين محمد ـ القاضي الصدر الكبير الرئيس بهاء الدين ابن الحلي ناظر الجيوش بالديار المصرية .

كان من أعيان المصريين وصدورهم ونجوم مباشريهم وبدورهم ، قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن النجيب عبد اللطيف الحرّاني .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة عاشر شوال سنة تسع وسبع مئة . ودُفن بالقرافة . وتولى الوظيفة بعده القاضي فخر الدين كاتب المماليك[١] .

٨٥٩ ـ عبد الله بن أبي بكر بن عَرّام**

بفتح العين المهملة وتشديد الراء وبعدها ألف وميم : الأسواني المحتِد ، الإسكندراني الدار والوفاة .

سمع الحديث ، وصحب الشيخ أبا العبّاس المرسي ، وأُمه بنت الشيخ الشاذلي[٢] .

كان يُقرئ النحو بإسكندريه ، ويألف به كل ذي نفس سنيّه ، وأفعال سريّه ، فأفات[٣] الجهل وأفاد العلم ، وساد النّاس لما ساسهم بالحلم ، وكان يُذكر عنه كرامات ، ويشاهد له في الصّلاح مقامات .

ولم يزل على حاله إلى أن عرّى الموت ابن عرّام حياتَه ، وقَدّر له بالسوء بياته .

---

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٥ . والدرر : ٢٤٥/٢ .

(١) هو محمد بن فضل الله ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي ، ٨٨/١٧ ، والطالع السعيد ، ٢٧٥ ، والدرر : ٢٥١/٢ ، والبغية : ٣٥/٢ .

(٢) أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي ، شيخ الطائفة الشاذلية (ت ٦٥٦ هـ) ، العبر : ٢٣٢/٥ .

(٣) في الأصل : « أمات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) . وأفاته : أذهبه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده بدمنهور سنة أربع وخمسين وست مئة .

٨٦٠ ـ عبد الله بن تاج الرئاسة*

الصّاحب الرئيس الوزير الكبير أمين الملك وزير الديار المصرية والشاميّة .

لما استسلم الجاشنكير الأمير ركن الدين بيبرس النصارى اختبأ الصّاحب أمين الدين هو والصاحب شمس الدين غبريال تقديرَ شهر ، ولما طال الأمر عليهما ظهرا وأسلما . وهو ابن أخت السديد الأعز[١] المذكور المشهور في الدولة الظاهرية المنصورية ، وكان خالُه مستوفياً ، وبه تخرّج ، وعليه تدرّب ، ولما مات رُتّب هو مكانه ونال في الاستيفاء ، السَّعادة الزائدة والدنيا العريضة ، وزر بعد ذلك ثلاث مرات ، وهو يتأسف على وظيفة الاستيفاء .

وكان رئيساً كبيرا ، كاتباً منفذاً وزيرا ، قد دَرِب الأُمورَ وباشرها ، ورأى المناصب الجليلة وعاش بها وعاشرها ، ولم أرَ مَنْ يكتبُ أسرعَ منه ولا أقوى ، ولا أعرفَ بالمصطلح في الدولة ولا أحوز[٢] لمعرفة عوائدها ولا أحوى ، يكون مرتفقاً على مُدَوَّره ، والورقة في يده اليسرى مهوّره[٣] ، فيأخذ القلم ويكتب ما يريده ويلقيه أسرع من البرق ، وأعجلَ من الشمس التي يكون ضوؤها في الغرب وهي في الشرق ، وكان إذا وضع القلم في أول السطر وكتبه لا يرفعه إلى آخره قدرةً على الكتابة ، كأنما يُمدّ بسببٍ .

---

* الوافي : ٨٨/١٧ ، والدرر : ٢٥١/٢ ، وتذكرة النبيه : ٣٢٣/٢ .

(١) في الأصل و (س) : « الماعز » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « أحرز » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) لم يتضح مراده ، والتهور : السقوط والانهيار .

وكان مع جلالة منصبه[١] كثيرَ الأدب ، زائدَ التواضع إذا أمر أو نهى أو طلب ، وكتب بخطّه المليح ربعة مليحه ، واعتنى بأمرها فجاءت جيّدة صحيحه ، وكان يتغالى في أمداح النبي ﷺ ، ويكتبها بخطّه ممَّن أنشدها أو تكلّم .

ولم يزل بدمشق على نظر الدواوين إلى أن طُلب إلى مصر ليُعاد إلى الوزاره ، فتوجّه إليها ، ولم يصل إلاّ وأمره قد نَقصه[٢] من حُسن العباره ، فأقام في بيته بطّالا إلى أن قُبض عليه ، وأُخذ روحه قبل مالديه .

وتوفي رحمه الله تحت المصادرة والعقاب ، وطُلب الأموال منه بلا حساب ، وذلك في سنة أربعين وسبع مئة .

وكان قد ولي الوزارة عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب بالديار المصرية في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ثم عُزل منها وتولّى الوزارة بعده الأمير بدر الدين بن التركماني في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وصُودر وأُفرجَ عنه ، ثم إنه ولي الوزارة ثانياً ، فعمِل عليه القاضي كريم الدين الكبير وفخر الدين وأخرجاه إلى طرابلس ناظراً بمعلوم الوزارة في مصر ، فوصل إليها في شهر ربيع الأول سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن حجَّ فيما أظنّ واستعفى من المباشرة ، وسَألَ الإقامة في القدس يعبد الله تعالى هناك[٣] . فأُجيب إلى ذلك ، فتوّجّه إليها في المحرّم سنة عشرين وسبع مئة ، وله راتب يكفيه ، في كل مرة يُعْزَل شاماً ومصراً .

ولم يزل بالقدس مقيماً ، إلى أن أُمسك القاضي كريم الدين الكبير في شهر ربيع

---

(١) في (س) : « مناصبه » .

(٢) في (س) : « نقضه » .

(٣) في الأصل : « هنا » ، وأثبتنا مافي (س) .

الآخر سنة اثنتين[١] وعشرين وسبع مئة ، فطُلب إلى مصر على البريد ، ولما وصل في خامس عشري ربيع الآخر ولاّه السلطان الوزارة مرة ثالثة .

أخبرني الصاحب أمين الدين رحمه الله تعالى قال : لو علمت أنه بقي في الدنيا وظيفة يقال لها نظر خاص ما خرجت من القدس ، قلت : لِمَ ذاك يا مولانا الصّاحب ؟ قال : لأن ناظر الخاص يدخل إلى السلطان بكرةَ النهار فيتحدث معه بكل[٢] ما يريد أن يُطلقه ويُنعم به على خوّاصه وجواريه ومن يختاره ، ويدخل بعده ناظر الجيش فيتحدث معه في إقطاعات الأمراء والجند بالديار المصرية والشامية من الزيادات والنقصان والإفراجات ، ويدخل كاتبُ السر فيقرأ البريد عليه وفيه من الولايات والعزل جميع ما بالشام ، وأدخُل أنا بعد ذلك ، فيقول : اخرج احمل لناظر الخاص كذا وكذا فأنا فلاح لذلك المولى ، وليس لي مع السلطان حديث إلاّ في فندق[٣] الجبن ، دار التفاح ، صناعة التبر ، جهات القاهرة ومصر ، فعلمت [صحة][٤] ما قاله .

وأقام في الوزارة إلى أن كَثُر الطلب عليه ، فَدَخل إلى السلطان وقال : يا خوند ما يصلح للوزارة إلاّ واحد من مماليك مولانا السلطان يكون أميرَ مئة مُقدّم ألف ، واتفقا على الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ، فقال له السلطان . اخرج نفّذ أشغالك إلى آخر النهار وانزل إلى بيتك واسترح ، وأعْلِم الناس أنّ الوزير فلان . فخرج ونفّذ الأشغال ، وكتب على التواقيع ، وأطلق ورتّب إلى آخر النهار ، ونزل آخر النهار إلى بيته بالمشاعل والفوانيس على عادة الوزير ، والنظّارُ والمستوفُون والمنشدون قدّامه ، ولَمّا نزل على باب بيته قال : يا جماعة مَسّاكم الله بالخير ، ووزيركم غداً علاء الدين

---

(١) في الوافي : « ثلاث » .

(٢) في (س) : « في كل » .

(٣) الفندق : لغة البندق ، ولعلّه أراد : الفنداق ، وهي : أوراق يكتب فيها مساحات الأرض المزروعة وما تنتجه .

(٤) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

مغلطاي[١] الجمالي ، وكان ذلك عزلاً لم يُعْزَله وزير غيره في الدّولة التركية ، وذلك يوم الخميس ثامن شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ثم لازم بيته يأكل مرتبه إلى أن عمل الاستيمار[٢] في أيام الجمالي ، ووفّر فيه جماعة ، فطَلَب هو من السلطان أن يتصدق عليه بوظيفة ، فقال السلطان تكون ناظر الدولة كبيراً مع الوزير ، فباشر النظر في شوال سنة ثمان وعشرين وسبع مئة هو والقاضي مجد الدين بن لُفيتة أربعين يوماً فكان حِملُه على الجميع ثقيلاً . فاجتمع الكتّاب بأجمعهم عليه ، وقاموا كتفاً واحدة[٣] ، فما كان إلاّ أن كان يوماً وهو قاعد في باب الوزير لخدمة العَصْر ، وإذا خادم صغير خرج من القصر وجاء إلى باب الوزير وأغلق دواته وقال : يا مولانا بسم الله الزم بيتك ، فلزم بيته .

ولما أُمْسك الصاحب شمس الدين غبريال وجاء السلطان من الحجاز وطلب غبريال إلى مصر رسم السلطان للصاحب أمين الدين بمكانه ناظر النظار بدمشق ، وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأقام بها بعمل الوزارة إلى أن أَمْسَكَ السلطان النشو ناظرَ الخاص في سنة أربعين وسبع مئة ، طلب الصاحب أمين الدين إلى مصر ليولّيه الوزارة ، فعمل الكتّابُ عليه وسَعَوا في أمره إلى أن انثنى عزمه عنه ، فأقام في بيته قليلاً ، ثم أُمسك هو ووالده القاضي تاج الدين ناظر الدولة والقاضي كريم الدين مستوفي الصحبة ، وصودروا ، وبُسط عليهم العذاب إلى أن توفي هو رحمه الله تعالى تحت العقاب في سنة أربعين وسبع مئة .

وكان الصاحب أمين الدين كثير التواضع والأدب مع جميع الناس كبارهم وصغارهم ، وكان قد أسنّ وكبر ، ولا يدخل عليه أحد إلاّ يقوم له ، ويُحكى عَقيب

---

(١) ليست في (س) .

(٢) هو مبنى يجتمع فيه أرباب الرواتب والرزق .

(٣) في الأصل : « وقالوا كتفا واحد » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

ذلك أن خاله[١] كان إذا جاء إلى قوم يقول بالله لا تقوموا فإن هذا دَينٌ يَشقّ علي وفاؤه .

ولمّا حضر إلى دمشق أحبه الأمير سيف الدين تنكز أخيراً محبة كبيرة ، وكان يثني على آدابه وحشمته .

ولمّا عمل نظر الدولة مع الجمالي كنت بالديار المصرية فطلبني وقال : أشتهي أن تكتب عني المكاتبات والأجوبة ، ورتّب لي عليه شيئاً ، وكنت أبيت معه وأصبح وأنا في جامكيّته وجرايته وقماشه ، فيعاملني بآداب كثيرة وحشمة زائدة ، رحمه الله تعالى . إذا جاءته قصّة أو كتاب قَلَّب ذاك وكتب في ظهره : مولانا يتصدّق ويكتب بكيت وكيت .

ولمّا رُسم له بنظر النظار بدمشق كنت إذ ذاك في ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، وكتبت له توقيعاً شريفاً [بذلك][٢] ونُسْخَتُه :

الحمد لله الذي جعل وليّ أيامنا الزاهرة أميناً وأحلّه ضمائر من ضمائرنا الظاهرة مكانا أينما توجّه وجدَهُ مكينا ، وخصّه بالإخلاص لدولتنا القاهرة فهو يقيناً يقينا ، وعَضَّدَ بتدبيره ممالكنا الشريفة فكان على نيل الأمل الذي لا يَمين بيمينا ، وفجّر خلاله نهراً أصبح على نيل السعود مَعيناً مُعينا ، وزيّن به آفاق المعالي فما دجا أمرٌ إلاّ وكان فكره صُبحاً مبينا ، وجمّل به الرتب الفاخرة ، فكم قلّد جيدها عقداً نفيسا ، ورصّع[٣] في تاجها درّاً ثمينا ، وأعانه على ما يتولاه فهو الأسد الأسَدّ الذي اتخذ الأقلام عرينا .

نحمده على نعمه التي خصّتنا بوليٍّ تتجمل به الدول ، وتَغْنَى الممالك بتدبيره عن الأنْصَار والحَوَل ، وتحسد أيامنا الشريفة عليه أيام من مضى من الملوك الأُول ، وتحلّ السعود حيث حلّ إذ لم يكن لها عنه حِول .

---

(١) في الأصل و (س) : « حاله » ، وأثبتنا ما في الوافي ، ولعلّها أشبه .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) ليست في الوافي .

ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نَستطر بها صَوْبَ الصواب ، ونرفل منها في ثوب الثواب ، ونَدَّخِرُ منها حَاصِلاً ليوم الحساب ، ونعتدّ بِرَّها واصلاً ليوم الفصل والمآب .

ونشهد أن سيدنا محمّداً عبده الصّادق الأمين ، ورسوله الذي لم يكن على الغيب بضنين ، وحبيبه الذي فضل الملائكة المقرّبين ، ونجيُّه الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حُجّة على الْمُلْحدين ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صحبوا ووزروا ، وأيّدوا حزبَه ونَصَروا ، وبذلوا في نصحه ماقَدَروا ، وعدلوا فيما نَهَوا وأمروا ، صلاةً لهم تكون لهم هدىً ونوراً إذا حُشروا ، ويضوع بها عَرْفُهم في الغُرَف ويطيب نَشْرُهم إذا نُشِروا ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن أشرف الكواكب أبعدُها دارَا ، وأجلها سرّاً وأقلها سِرارا ، وأدناها مَبَارا[1] وأعلاها مَنَارا ، وأطيب الجنات جناباً ماطاب أرجاً وثمارا ، وفجّر خلاله كلّ نهر « تروع حصَاهُ حاليةَ العذارى »[2] ، ورنّحت معاطف غضونه سُلافة[3] النسيم فتراها سُكارَى ، وتمدّ ظلال الغصون ، فتُخال أنها على وجنات الأزهار تدُبّ عِذارا . وكانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صَفاها تهبّ نَسمات هذه السِّمات ، لم يتصف غيرها بهذه الصّفة ، ولا اتفق أولو الألباب إلاّ على محاسنها المختلفة ، فهي البقعة التي يَطْرَبُ لأوصاف جمالها الجماد ، والبلد الذي ذهب المفسرون[4] إلى أنها إرَمُ ذات العماد ،

(١) كذا في الأصول والوافي ، ولم نهتدِ إلى معناها ، ولعلّها : مداراً .

(٢) تمامه :

فتلمس جانب العقد النظيم

وينسب إلى حمدة ، أو حمدونة بنت زياد المؤدب . نفح الطيب : ١١٤٢/٢ ، وإلى المغازي ، وفيات الأعيان : ١٤٤/١ .

(٣) في الوافي : « سلاف » .

(٤) في (س) ، والوافي : « بعض المفسرين » .

وهي في الدّنيا أنموذج الجنّة التي وُعِد بها المتقون ، ومثال النعيم للذين عند ربهم يُرْزَقون ، وهي زهرة مُلكنا ، ودُرّة سلكنا ، وقد خلت هذه المدة ممن يُراعي مصالح أحوالها ، ويرعى نجوم[١] أموالها ، ويدبّر أمر مملكتها أجمل تدبير ، ويحمي حوزتها ويحاشيها من التدمير ، فيسم منها غُفْلا ، ويُحلّي عطلا ، ويملأ خزائنها خيراً يُجْلَى ، إذا ملأنا ساحتها خيلاً ورَجْلا . تعيّن أن ننتدب لها مَن خبرناه بُعداً وقربا ، وهززناه مُثقّفاً لدناً وسللناه عَضْبا ، وخبأناه[٢] في خزائن فكرنا فكان أشرف ما يُدَّخَر وأعزّ ما يُخْبَا ، كم نهى في الأيام وأمر ، وكم شدّ أزراً لما وَزَرَ ، وكم غنيت به أيامنا عن الشمس ، ولياليا عن القمر ، وكم رفعنا راية مجد فتلقّاها عَرابة فضله بيمين الظفر[٣] ، وكم علا ذُرى رتب تعزّ على الكواكب الثّابتة ، فضلاً عمّن يتنقل في المباشرات من البشر ، وكم كانت الأموال جُمادى فأعادها ربيعاً غرّد به طائر الإقبال في الجهات وصَفَر .

وكان المجلس العالي القضائي الوزيري الصّاحبي الأميني[٤] هو معنى هذه الإشاره ، وشمس هذه الهالة وبدر هذه الدّاره ، نَزَل من العلياء في الصّميم ، وفخر بأقلامه التي هي سُمُرُ الرماح كما فَخَرت بقوسها تميم ، وتحفظت الأموال في دفاتره التي يوشّيها فأوت إلى الكهف والرقيم ، وقالٍ لسان قلمه ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾[٥] ، و :

عقم الزمان بأن يجيء بمثله ... إنّ الزمانَ بمثله لعقيم

---

(١) في الوافي : « بحزم » .

(٢) في الأصل : « وخبأنا » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٣) يشير إلى قول الشماخ في عرابة الأوسي :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تلقاها عرابة باليمين

انظر : ديوانه : ٣٢٣ .

(٤) زاد في الوافي : « أدام الله نعمته » .

(٥) يوسف : ٥٥/١٢ .

وتَشَبَّه به أقوام فبانوا وبادوا ، وقام منهم عُبَّاد العِبَاد[١] ، فلمّا قام عبد الله يدعوه كادوا .

أردنا أن ينال الشامُ فَضْلَه ، كما نالته مصر فما يساهم فيه سواهما ولا يقول لسان الملك لغيره :

حَلَلْتَ بهذا حَلّة بعد حَلّة بهذا فطاب الواديان كلاهما[٢]

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري أعلاهُ الله وشرّفه ، أن يُفوَّض إليه تدبير الممالك الشريفة بالشام المحروس ونظر الخواص الشريفة والأوقاف المبرورة على عادة من تقدّمه في ذلك وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت[٣] ، وهو في الشهر مبلغ أربعة آلاف وست مئة وثلاثة وسبعين[٤] . تفصيله عن : نظر المملكة الشريفة بالشام المحروس : أربعة آلاف ومئة وثلاثة وثلاثين ، مبلغ ألفان وسبع مئة وثلاثة وثلاثين[٥] : ثمن لحم وتوابل ، ألف وثلاث مئة وخمسون ، خارجاً عمّا باسم كتابة النظر ، وهو في الشهر قمح [غرارة ونصف][٦] ، دراهم : مئة وخمسون . عن نظر الخاص الشريف ، غُلاّت عن الوظيفتين : تسع وعشرون غرارة ، مبلغ وثمن لحم وتوابل : ثلاثة أرطال بالدمشقي : خمس مئة وأربعون درهماً ، تفصيله : قمح تسع غرائر ، شعير عشرون غرارة ، أصناف المشاهرة : بالوزن الدمشقي ، سُكّر بَيَاض اثنان وعشرون رطلاً ونصف ، حطب : تسعة قناطير . وفي اليوم بالدمشقي ، خبز : خمسة عشر رطلاً ، شمع : أوقيّة ونصف ، ماء وَرْد : أوقية ونصف ، صابون :

---

(١) في الأصل : « العناد » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٢) لجميل ، ديوانه : ١٩٧ .

(٣) قوله : « إلى آخر وقت » ، ليس في الوافي .

(٤) في الوافي : « وسبعين درهماً » .

(٥) في الوافي : « وثمانين » .

(٦) زيادة من الوافي ، والنص ههنا فيه اختلاف عمّا في الوافي .

أوقية ونصف ، زيت طيّب : نصف رطل ، والكسوة والتوسعة والأضحية والأتبان على العادة لمن تقدّمه في ذلك .

فليتلّق هذه الولاية بالعزم الذي نعهده ، والحزم الذي شاهدناه ونشهده ، والتدبير الذي يعترف له الصّواب ولا يجحده ، حتى تثمر الأموال في ورق[١] الْحُسَّاب ، وتزيد نّواً وسمّواً فتفوق الأمواج في البحار وتفوت المطر في السّحاب . مع رفق يكون في شدّته ، ولين يزيد[٢] مضاء حِدَّته ، وعدلٍ يصون مُهْلة مدّته ، فالعدل يعمّر ، والجور يدّمر ولا يثّر ، بحيث إن الحقوق تصل إلى أربابها ، والمعالم تطلع بُدُورها[٣] كاملة في كل هلال على أصحابها ، والرسوم لا تُزاد على الطاقة في بابها ، والرعايا يجنون ثمن العدل متشابها[٤] ، وإذا أنعمنا على بعض أوليائنا بجُملٍ فلا تكدّر بأن تؤخّر ، وإذا استدعيناه إلى أبوابنا بهمّ فليكن الإسراع إليه يُخجل البرق المتألّق في السحاب المسخّر فما أردناك إلاّ أنّك[٥] سهم خرج من كنانة ، وشهم لا يَثني إلى الباطل عيانه ولا عِنانَه ، فاشكر هذه النعم[٦] على منائحها ، وشنّف الأسماع بمدائحها ، متحققاً أن في النقل بلوغَ العزّ والأمل ، وأنه :

لو كان في شرف المأوى بلوغ مُنى ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل[٧]

فاستصحب الفرح والجذَل بدل الفكر والجدل ، وسرّ على بركة آرائنا الشريفة

---

(١) في الوافي : « أوراق » .
(٢) في الوافي : « يزين » .
(٣) في الوافي : « بدور بدَرها » .
(٤) في الوافي : « في أيامه يتشابها » .
(٥) في الوافي : « إلاّ لأنك « .
(٦) في الوافي : « النعمة » .
(٧) للطغرائي من لاميته المشهورة .

وقل : وفي بلاد من أختها بَدل ، واختر ما اختارته لك سعَادتنا [١] المؤبّدة المؤيدة فَطَرْفها بالذكاء مكتحِل :

إن السعَادة فيمَا أنت فاعله وفّقت مرتحِلاً أو غير مرتحل

فما آثرنا بتوجهك [٢] إلى الشام إلاّ ليأتيك المجد من هَنّا وهَنّا ، ولأنَّكَ إذا كنت معنا في المعنى فما غبت في الصورة عنّا ، وابسط أملك ﴿ إنك اليوم لدينا مكينٌ أمين ﴾[٣] ، ونزّه نفسك فقد أويت ﴿ إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين ﴾[٤] ، والوصايا كثيرة « وأنت ابن بَجدتها عِلماً ومعرفة » ، وفارس نجدتها الذي[٥] لا يقدم على أمر حتّى يعرف مَصرفه ، فما نحتاج أن[٦] نرشدك منها إلى عَلَم ، ولا أن نشير إليك فيها بأنملة قلم ، وتقوى الله تعالى هي العروة الوثقى ، والكعبة التي من يطوف بها ﴿ فلا يضلّ ولا يشقى ﴾[٧] ، فعُضَّ بالناجذ عليها وضمَ يَدَيك على معطفيها ، والله يتولّى ولايتك ، ويعين دُربتك في الأمور وعنايتك ، والخط الشريف أعلاه الله تعالى وشرفه أعلاه ، حجة بثبوته والعمل[٨] بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى[٩] .

وأنشدني لنفسه إجازة مَا كتبه شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود عندما ولي الوزارة الأخيرة سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة :

تبلّجتِ الدّنيا وأشرقَ نُوْرُها وعاودها بَعْدَ النُّفورِ سرورُها

(١) في الأصل : « سعادة » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في الوافي : « بتوجيهك » .
(٣) يوسف : ٥٤/١٢ .
(٤) المؤمنون : ٥٠/٢٣ .
(٥) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٦) في الوافي : « إلى أن » .
(٧) طه : ١٢٣/٢٠ .
(٨) في الوافي : « ثبوته العمل » .
(٩) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

وماست بأعطاف الممالك نَفْحَةٌ ... مِنَ العِزِّ عَمَّ الْخَلقَ طيباً مرورُها
ورُدّت على دَست الوزارة بَهْجَةٌ ... إذا لم تكنها الْشَمْسُ فهي نظيرُها
فأربَتْ على ماضي الدُّهور لكونها ... أُعيدت إلى المولى الوزير أُمورُها
وصاحبَها حكماً فكُلٌّ مُحَكّمٍ ... يُباشِرُها مِنْ عنده يَسْتَعيرُها
وما رُسمت مِنْ بعده باسمِ غيره ... فساوى الورودَ الآن منها صُدورُها[1]
وهل يطرق الآمال أرجاء رُبّته ... على مَفْرقِ الشِّعرى العبورِ عبورُها
أمين الدُّنا والدين والملك والعُلى ... ومُعْلي سنا آرائها ومُشيرها
فأشرقت الأقطارُ بعد قطوبها ... برآه وافترّت سروراً ثغورُها
ولِمْ لا تُرى تلك الثغورُ بواسماً ... وآراؤه حول الممالك سُورها
ولم يُدرَ إن أثرى ثرى الْمُلك بالنّدى ... أيمناه أحيتْ تُرْبَها أمْ بحورُها
وقد كانت الآمال ماتت فردّها ... به نَشْرُ بُشْرى كان فيها نُشورها
ولو نُذِرَت من قبلها رُتبةٌ علت ... لَحُقَّ عليها أن توفّى نذورها
يلوح بأجياد التقاليد وَصْفُه ... فتشرق بالدرّ الثمين سطورها
وتبدو معاني نفسه في مدادها ... كما تتبدّى في الليالي بدورها
إذا ما سطت أقلامه وضراغم ... لها الطَّرْسُ غابٌ والصَّريرُ زئيرها
وإن أجرت الأرزاق فهي غمائم ... يسير إلى الآفاق منها مطيرها
وإن دبّحت طرساً فأبهج روضه ... يناظر زهر النيّرات نضيرها
وإن سَجَعت في مهرقٍ فحمائم ... لها الكتب دَوْحٌ والقلوب طيورها
أتانا به لُطف الإله بخلقه ... وكلٌّ امرئ هادي العيون قريرها[2]
إذا أجدبت أرضٌ وغاضَ معينها ... فمن راحتيه رَوْضها وغديرها
فأخصب واديها وأمرع ربعها ... وأُصلح غاويها وأثرى فقيرها

(١) في (س) : « وما سمت » .
(٢) في (س) : « الجفون » .

بحجتــه معنى الجـلالــة ســافرٌ وأضفى ستـورَ الكاملين سُفـورهـا
ويُـدنيـه منّـا فَضْلُـه في عُلُـوّه كشمس الضحى تعلو ويَقرب نورها
وقــد لَحَــظَ الأعمــالَ أوّلَ نظرةٍ تساوى لديه نـأْيُها وحضورها
ووافت حمول المـال من كلّ وجهـة ثقـالا هـواديهـا بطيّـا مسيرهـا
ولم يـك عَنْ عَسْفٍ ولكن أثـارهـا وقـد خفيتْ من كل قطرٍ خبيرهـا
فـأضحت بُيـوت المـال مـلأى برأيـه تغصّ ولا يخشى انتقـاصـاً غريرهـا
وقد أخْصَبت منه الخزائن فـاغتـدت كروضـةِ حُسْن والـدلالُ زهـورهـا
ولـو لم تكن قـد أصبحت وهي جنّـة بـه مـا عـلا الأبرارَ منهـا حريرهـا
أيـا مـالـك النّعمى الـذي لنـوالـه منـاهـل لم يكـدر لـديّ نميرهـا
لقـد كنت أخشى أن أمـوت ومـا أتى بمـا كنت أرجـو من عُـلاك بشيرهـا
وقـد كنت بـالعُقْبَى من الله واثقـا وإن أبطـأت أيـامهـا وشهـورهـا
وإنــك مــا استنصرت إلاّ بربــك العــليّ ولم ينسَ العبــادَ نَصيرُهــا
ومن يكن الرحمن حـافـظَ نفسـه فكَيـدُ أعـادي نَفْسِـه لا يضيرهـا
فـدونكهـا يُصفي لـك العـزُّ وِرْدَهـا ويُضفي جبيرَ السّعد منـك جبورهـا
فقـد يئست منهـا وقـد آل أمرُهـا إليـك نفـوس زال عنهـا غرُورهـا
فـأكرِمْ بُمْلْـكٍ أنت منــه أمينــه ودولـةِ مُلْـك أنت فيهـا وزيرهـا
وعشْ وابْـقَ مـا غنّى الحمامُ بـدوحـه وبارى هديلَ الوُرْقِ منهـا هـديرهـا

يُقبّل الأرض التي يَوَدّ لو فاز بلثم أعتابها ، أو كحّل ناظره الذي قذي بالبُعد عنها بلثم ترابها ، ويتمنى لو قام لديها بفَرْض التهنئة مُنشِدا ، أو مثّل بها بين الأولياء مُنبهاً لهم على تكرار السّجود لله تعالى ومرشدا[١] . ويُنهي ورودَ البُشرى التي كانت الآمال تترقب ورودَها ، والتهاني التي كانت الأماني تتنّجز من الدهر وعودَها ، والنِّعم التي كانت

(١) في الأصل : « منشدا » ، وأثبتنا ما في (س) .

الأولياء تخشى أن تجود بأنفسها قبل أن ترى وجودها ، فالحمد لله على هذه المِنن التي أجابَتْ مَنْ سأل ، وتركت المملوك وأمثاله من الأولياء يصحبون الدنيا بلا أمل ، وأعادت على النواظر نضارة نَوْرِها وإضاءة نُورها ، وردّت إلى القلوب ما بَعُدَ من آمالها أو نفر من سرورها ، وفَسَحت للأولياء في أرجاء الرجاء مجالا ، وأجرت سوابق الإحسان في مضمار المعنى[١] فغدت لها المحامد غررا ، والأثنية المشرقة أحجالا ، ثم الحمد لله على هذه المنّة التي لا يقدر الشكر قَدْرَها ، ولا يدرك سرار الانتهاء بدرها ، ولا تزال الأقدار تعاضد نهيها وأمرها ، والسعادة تُرفّه[٢] بيُمن خياطتها المالك بيضُ جيوشها المرهفة وسُمرها ، والمملوك فقد اجتنى ثمر دعائه الصّالح ، وأخذ من هذه التهنئة حظّ المقيم الملازم بالأبواب العالية مع أنه النائي النازح ، والله يجعل هذه المنّة[٣] فاتحة ما يستقبل من أمثالها ، ويمتّع الأولياء كافة بما أنجزت لها الأيام من وعود آمالها بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٨٦١ ـ عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح*

محيي الدين الأسدي الكوفي النحوي الحنفي ، ابن الصّباغ .

أجاز له رضي الدين الصّاغاني ، والموفق الكواشي ، وبالعامّة من ابن الخيّر ، وألقى (الكشاف) مرات دروسا ، وجلا من آدابه ، على الطلبة عروسا ، وسقى من فضائله المتنوعة غرُوسا ، وكانت له جلالَة وأبوّة وأصالة ، عُرض عليه تدريس المستنصرية فأبى ، وصار له بهذا الإعراض[٤] حديثٌ ونبا ، وكانت فضائله موصوفه ، وهو في ذلك الزمان فاضل الكوفه .

---

(١) في (س) : « المنى » .

(٢) في (س) : « توفر » .

(٣) في (س) : « النعمة » .

* الوافي : ١٠٩/١٧ ، والدرر : ٢٥٢/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٧٦/٢ ، وفيه : « صالح بن عبد الله بن جعفر ... » .

(٤) في (ق) ، (س) : « الإعراض من الأغراض » .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الموت بابن الصّباغ صبّا ، وصبَّت الأحزان عليه سحائب الدموع صبّا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة .

كان فيه عبادة وزهادة ، وكتب عنه عفيف الدين الْمَطَري[١] ، وأجاز للشيخ تقي الدين بن رافع ، ونظم الفرائض .

٨٦٢ ـ عبد الله بن جعفر*

عفيف الدين التهامي أحد كُتّاب الإنشاء للملك المؤيد صاحب اليمن ، كان ديّنا حَسنَ السّيرِه ، طاهر[٢] السريره .

نقلت من خط الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليمني[٣] ، قال : كان عفيفُ الدين يُملي على أربعةٍ قريضاً من فيه ، على غرض طالبه ومستفتيه[٤] ، من غير لعثمه ، ولا فأفأة ولا تمتمه ، في أوزان مختلفه ، وقوافٍ غير مؤتلفه[٥] ، وبلغ السبعين ، وهو مشتمل برداء الدين .

وقال : توفي سنة أربع عشرة وسبع مئة ببلده من أعمال الجَنّة .

قال يمدح المؤيّد وقد سار إلى عدن من تعز ، وعيّد بها :

---

(١) عبد الله بن محمد بن أحمد المطري (ت ٧٦٥ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٣٩٤/١ .

* الوافي : ١٠٩/١٧ ، والدرر : ٢٥٣/٢ .

(٢) في (س) : « ظاهر » .

(٣) عبد الباقي بن عبد الحميد بن عبد الله ، ستأتي ترجمته .

(٤) في (ق) ، (س) ، والوافي : « مستدعيه » .

(٥) في (ق) ، (س) ، والوافي : « متآلفة » .

أَعَلِمْتَ مَنْ قاد الجبال خُيُولا وأفاض من لَمع السيوف سُيولا
وأماج بحراً من دلاصٍ سابحٍ جَرَّت أسود الغاب منه ذيولا[١]
ومن القسيّ أهلةً ما تنقضى منها الخضاب عن النصول نُصولا
وتزاحمت سُمُرُ القنا فتعانقت قُرْباً كما يلقى الخليل خليلا[٢]
فالغيث لا يَلْقى الطريقَ إلى الثرى والريح فيها لا تطيق دُخولا
سُحُبٌ سَرَت فيها السيوف بوارقاً وتَجاوبت فيها الرعود صَهيلا
طلعتْ أسنَّتها نجوماً في السما فتبادَرَت عنها النجوم أُفُولا
تركتْ ديارَ الملحدين طَلَولا مما تُبيح بهَا دماً مطلولا
والأرض ترجف تحتها من أفكلٍ والجوّ يَحسَب شِلوه مأكولا[٣]
حَطَمَتْ جحافلُها الجحافلَ حطْمةً تدع الحِمام مع القتيل قتيلا
طلبوا الفرار فقد أشطان القنا فأعادَ مَعْقلَهم بها مَعْقُولا
عرفوا الذي جهَلوا فكلُّ غضنفرٍ في النّاسِ عادَ نعامةَ إجْفيلا[٤]
ملك إذا هاجت هوائج بأسهِ جعل العزيزَ من الملوك ذليلا
بحر إلى بحر يسير بمثلهِ والملحُ أحقر أن يكون مثيلا

وقال : وقد أمر المؤيدُ أن تُطْرح دراهم في بركة صافية ، وأن ينزلَ الخدّام والحاضرون للغوص عليها :

أرى بركة قد طما ماؤها وفي قعرها وَرِقٌ مُنتَثَرْ[٥]
فيا ملك الأرض هذي السّما وهذي النجوم وأنت القَمَرْ

(١) في الأصل : « سابع » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
والدلاص : الدرع الملساء اللينة .
(٢) في الأصل : « الخليلا » ، ولا زجه لها ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٣) الأفكل : الرعدة ، وفي الوافي : « في أفكل » .
(٤) الإجفيل : الجبان .
(٥) في الأصل : « أي » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

وقال : وقد أمر المؤيدُ أن يَقْطَع الندامى عناقيد عنب ، فقطع عفيفُ الدين عنقوداً وحَملَه إلى السلطان وهو يقول :

جاء ابن جعفر حاملاً بيمينه عنقود كرم وهو من نَعْماكا[١]
يقضي الزمان بأنّ نَصْرَك عاجلٌ يأتي إليك برأس من عاداكا[٢]

وقال : وقد حضر خروف[٣] المغنّي من الشام سنة ثلاثين وسبع مئة ، وغنّى بين يدي السلطان :

إن أيامكم لأَمْنٌ ويُمنٌ وأمانٌ في كل بدوٍ وحَضْرِ
هيبةٌ منك صالحت بين سرحا نٍ وسَنْحلٍ وبين صقر وكُدْري
ومن المعجزات أنَّ خَرُوفاً يَرْفعُ الصوت وهو عند الهِزَبْر

قلت : كذا نقلته من خط الشيخ تاج الدين اليمني قوله : (أمن ويمن وأمان) ، والأمن والأمان واحد .

٨٦٣ ـ عبد الله بن أبي جمرة*

خطيب غرناطة المالكي .

روى عن أبي الربيع بن سالم[٤] وأقام مدة بسِبته لا يخرج عنها جمعته ولا سَبْتَه .

ثم إنه ولي خطابة غرناظه ، وغدق به صاحبها ذاك وناطَه ، وكان ذلك في آخر عمره ونهاية أمْرِه .

---

(١) في الوافي : « هو » ، من دون الواو .
(٢) في الأصل : « بنصر » ، سهو ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٣) في (ق) ، (س) ، والوافي : « الخروف » .
* الوافي : ١١٣/١٧ ، والشذرات : ٢٣/٦ ، وفي الأصل و (س) : « حمزة » تصحيف . وكذلك في ذيول العبر : ٦٤ .
(٤) هو سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلنسي (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١٣٤/٢٣ ، والوافي : ٤٣٢/١٥ .

خطب يوم جمعة وسقط ميتاً من أعلى المنبر ، وكان ذلك آية لمن عقّ ومن بَر ، وذلك بعد سنة عشر [١] وسبع مئة .

٨٦٤ ـ عبد الله بن حسن*

ابن عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور ، الشيخ الفقيه الإمام المحدّث اللغوي المفتي قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد [٢] بن العلامة شرف الدين بن الحافظ جمال الدين بن الحافظ تقي الدين الدمشقي الصالحي الحنبلي .

سمع حضورا سنة ثمان وأربعين ، وحدّث عن مكيّ بن [٣] علاّن ، والعِرَاقي ، والكفرطابي ، ومحمد بن سعد [٤] ، سمع منه (صحيفة هَمّام) والعماد بن عبد الهادي ، واليلداني ، وخطيب مردا ، وعلي بن يوسف الصوري [٥] ، وإبراهيم بن خليل ، وأبي المظفر سِبْط الجوزي [٦] ، وطائفة . وحدث بـ (صحيح) مسلم عن ابن عبد الهادي ، وطلب قليلا بنفسه ، وقرأ على ابن عبد الدائم والشيخ شمس الدين ، روى الكثير وتفرّد ، وكان يَمَلّ ولا يحتمل تطويل المحدثين ، تفقه وبرع في مذهبه ، وأفتى ودرّس في حال تقلّبه .

وكان خيّراً وقورا ، ساكناً صبورا ، حسنَ السّمْت ، لا يُرَى في حاله عوج ولا

---

(١) في ذيول العبر : في حدود سنة إحدى عشرة .

* الوافي : ١٣٤/١٧ ، والدرر : ٢٥٥/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ ، والبداية والنهاية : ١٥٩/١٤ ، وذيول العبر : ١٧٢ . ووقع في الأصل : « ابن عبد الحافظ بن سرور » ، سهو .

(٢) في الأصل : « أبو عبد الله » ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في أصوله الأخرى ، ومصادر ترجمته .

(٣) في الأصل : « مكي وابن » ، سهو . وفي ذيول العبر : « ابن علاق » . وانظر العبر : ٣٣٢/٥ . ترجمة ابن علان المتوفى (٦٨٠ هـ) .

(٤) الأنصاري المقدسي (ت ٦٥٠ هـ) ، السير : ٢٤٩/٢٣ .

(٥) (ت ٦٥٤ هـ) ، العبر : ٢١٨/٥ .

(٦) في الوافي : « سبط بن الجوزي » .

أمت [١] ، ليّن العريكه ، مَنْ جالَسَهُ صار في أمره وما هو فيه شريكه ، تقلد الحكم بعد عز الدين المقدسي [٢] فما غَيَّر زيَّه ، ولا حوّل نَدِيّه ، ولا ركب بغلة ، ولا حضر المواكب ولا مشى في حفلة ، بل كان يركب حماره ، وجعل ذلك دليلاً وأماره .

وكان طويل القامَة رقيقا ، دقيق الصوت رفيقا . مليح الذهن حسن المحاوره ، متِع المُحاضره ، ولم يكن محذلقاً في أموره ، ولم يكن عنده [٣] فطنة في غيبته ولا في حضوره .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه الأجل فبغَتَهُ ، ولم يُخطِه الذي وصفه ونعته ، حَكَمَ بالبلد إلى العصر ، وطلع إلى الجبل ففاجأه الموت وهو يتوضأ للمغرب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكانت ولايته سنة وشهرين .

ومولده سنة ست وأربعين وست مئة .

وأجاز لي رحمه الله تعالى في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكتب عنه بإذنه عبد الله بن أحمد بن المحبّ .

وكان وصول تقليده بالقضاء إلى دمشق يوم الثلاثاء سابع عشري شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

٨٦٥ ـ عبد الله بن الحسين*

ابن أبي التائب بن أبي العيش ، الشيخ المُسْنِد المعمّر الشاهد ، بدر الدين أبو محمد الأنْصَاري [٤] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لاترى فيها عوجاً ولا أمتا ﴾ طه : ١٠٧/٢٠ ، والأمت : العوج ، والضعف والوهن .

(٢) محمد بن سليمان ، ستأتي ترجمته .

(٣) في (ق) ، (س) : « ولا عنده » .

* الوافي : ١٤٧/١٧ ، والدرر : ٢٥٦/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ ، وذيول العبر : ١٨٥ .

(٤) زاد في الوافي : « الدمشقي أحد الضعفاء » .

سمع مع أخيه إسماعيل[١] كثيراً من مكي بن علاّن ، والرشيد العراقي ، وابن النور البلخي ، وعثمان بن خطيب القرّافة ، وإبراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الْخُشُوعي ، وعِدّة . وروى الكثير على ضعفه ، وتفرّد بالرواية ، ولو طَلَب الإعفاء من الطلبَة لم تَعْفه ، وعمّر دهرا ، وخاض من العمر المديد نهرا ، وكان لا يَصْدُق في مولده في آخر عمره ، ويزعم أنه تجاوز المئة ، فما أصبره على جَمْرِه ، ثم إنه شرع في الطلب على الروايه ، وبان للناس منه الغوايه .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل بابن أبي العيش الموت ، وحَضَره مع كثرة التسميع الفَوْت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين وست مئة .

وألحق مَرّة بخطّه الوحش اسْمَه مع أخيه فيما لم يسمعه فما رَوَى من ذلك كلمة[٢] واحدة ، وأجاز لي بدمشق بخطه سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٨٦٦ ـ عبد الله بن خطلُبا*

ابن عبد الله جمال الدين الغسّاني أحد مُقَدّمي الحلقة بالقاهرة .

أخبرني العلامة أثير الدين من لفظه قال : مَوْلده رابع عشر شعبان سنة سبع[٣] وعشرين وست مئة ، وأنشدني : قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

أستغفر الله من أشيـــاء تَخْطُر لي ... من ارتكابِ دَنِيَّـــاتٍ منَ العمـــلِ

---

(١) (ت ٧٢١ هـ) ، الدرر : ٣٦٦/١ .

(٢) في الأصل : « فيما روى ... كلّه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

* الوافي : ١٥٩/١٧ .

(٣) في (س) : « تسع » تصحيف .

ومِنْ مُـلاَحَظَتي طَـوْراً مُسَـارَقـةً ... وتـــارةً جَهْرَة للفـــاتِرِ الْمُقَـل
مِنْ كلّ أحْـوَى حـوى رِقّي ورَقَّ لـه ... قَلْبي وقـد راق لي في وصفـه غزَلي[1]
من أحسن الناس وصفا قد شُغِفْتُ به ... وهوالذي حُسنُهُ العصيـانِ حسّن لي[2]
فـالشمس تَفْخِر إن قيست ببَهْجَتـه ... والبـدر منْـهُ وغُصْن البـانَ في خجلِ
فجلّ جـامعُ مـا في النـاس مِن حَسَن ... ومَنْ على كلّ قلب الجمـــــال ولي

٨٦٧ ـ عبد الله بن ريحان*

ابن عبد الله ، الشيخ جمال الدين التقوى القليوبي .

سمع من ابن المقيّر ، والسَّـاوي ، وابن الصـابوني ، وابن رواج ، وابن الجّميزي ، وسِبْـط السِّلَفي ، وغيرهم . وقرأ بنفسـه على بعضهم ، وكان يسكن بـالمـدرسـة الكامليّـة بالقاهرة ، وينادي بقيسارِيَّة التجار ، وكان عسراً في التحديث .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه (جزء الصُّولي) عن ابن رواج بجـامع الحاكم .

وتوفي في نصف صفر سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وست مئة بالقاهرة .

٨٦٨ ـ عبد الله بن سعيد الدولة**

الوزير موفق الدين .

---

(١) في الأصل : « في وصله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .
(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « معنىً قد » .
* الدرر : ٢٦٠/٢ ، وذيول العبر : ٥٢ ، والسلوك : ٩٦/١/٢ .
** الدرر : ٢٦١/٢ ، والبدائع : ٥٥٥/١/١ ، وذيول العبر : ٢٩٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٩/١٠ .

أوّل ما علمتُه من أمره أنه كان رحمه الله ناظر البيوت في آخر[١] أيام الملك الناصر محمد ، ثم إنه بعد ذلك تولّى نظر الدولة ، وأُمسك مع القاضي جمال الدين جمال الكفاة ، ونجّاه الله من تلك الفتنة وكانت واقعة عجيبة ، وصُودر فيها جماعة ، ومات آخرون وهلك جماعة من العقوبة .

ثم إنه تولّى نظر الخاص بعد جمال الكفاة ، ولما تولّى نظر الخاص كتب اسمه : عبد الله ، وقبل ذلك إنما كان اسمُه : هبة الله ، وكذا كان يكتبه ، فلمّا ولي الخاص كتب : عبد الله ، واستمرّ على ذلك إلى آخر وقت ، ثم إنه طَلَب الإعفاء من نظر الخاص ، وأعيد إلى نظر الدولة ، وتولّى علم الدين بن زنبور نظر الخاص ، ولم يزل موفق الدين على نظر الدولة إلى أن أُمسك ابن زنبور الوزير ، فتولّى موفق الدين الوزارة[٢] ، وأُقيم معه الأمير ناصر الدين محمد بن المحسني مشيراً ، وكان يجلس معه إلى آخر وقت .

وكان القاضي موفّق الدين خيرا ، باطنه لا يزال بمحبة الفقراء نيّرا ، يميل إلى الصّلحاء ويَبَرُّهم ، ويُحسن إليهم بما يستْروِحُ إليه سرُّهم ، ولا يرُدُّ فقيرا ، ولو كان ما يعطيه نقيرا ، ولا يزال على مصالحهم يثابر ، وليس كمن يأخذ من نهاوش ويضعه في نهابر[٣] .

وكانت أخلاقه سَهْلَه ، وغضبه مِثْلُ (ثم) تقتضي التراخي والْمُهْلَه ، دائم البِشْر ، فائح النشر ، وكان يحب الفضلاء ويُدْنيهم ، ويودّ قُرْبَهم ويُعينُهم ويُغْنيهم ، وخطّه

---

(١) في (ق) : « أواخر » .

(٢) سنة (٧٥٣ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٤٦/١٤ .

(٣) في الأصول : « مهابش .... مهابر » ، وأغلب الظن أنه تحريف ، وفي الحديث : « من كسب مالاً مِنْ نهاوش أنفقه في نهابر » ، وجاء في التفسير : نهاوش : من غير حلّه ، كما تنهش الحية من هنا وهناك ، ونهابر : حرام ، يقول : من اكتسب مالاً من غير حلّه أنفقه في غير طريق الحق . اللسان : (نهبر) ، وغريب الحديث لابن الأثير : ١٩٦/٤ .

حَسَنٌ جيـدُ نقش ، حلـو الأوضـاع رقِش . وكان من غريب الاتفـاق ، أنـه تـزوج بـ (اتفاق) ، وهي جارية سوداء أظنها كانت من حظايا الصّالح إسماعيل ، اتّصل بهـا بعـده لأن صَبْرَه فيهـا عِيل ، ودَخَلَتْ إليـه بخـدم كثير ، وفرش وثير وجـدٍّ منـه عثير ، وكان يتكلف في النفقـة عليهـا كل يـوم جُملـه ، وينهض من ذلـك بمـا لا يطيـق غيرهُ حَمْلَه ، ولعله لمح منها ما هالَهُ فحصل له الهَلَع ، وأراد الله أن يختار له من السعود سعـد بَلَـع ، وليس ذلـك بـدْعـاً فلـولا الأغراضُ الفاسـدة مـا نَفَقت السِّلَـع ، ومـا الـوزير موفق الدين فرداً[١] في هذه المسأله ، ولا هُوَ بأوّل من نصر حُجَّـة مُبْطَلـه ، فقـد صنف ابن الجوزي كتاباً سمّاه (تنوير الغبش في فضائل الحَبَش) وقصيدة ابن الرومي القافيّة التي يصف بها[٢] السوداء تقارب المئتي بيت ، وأحسنها[٣] :

أكْسَبَهـــا الحبَّ أنهـــا صُبغت ... صبغـــةَ حَبّ القلـوب والحـــدِق

وقال الشريف الرّضي من أبياتٍ[٤] :

ومـا كان سهم الطَّرف لـولا سـوادُه ... ليبلـغ حبّـــات القلـوب إذا رمى

إذا كنتَ تهـوى الظبيَ ألمى فـلا تَلُم ... جُنـوني على الظبي الـذي كُلّـه لَمَى

ولم يزل الوزير موفق الـدين في الوزاره ، إلى أن جـاءه الأجل وزَارَه ، وأبعـد من (اتفاق) مزارَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثـاني عشري ربيع الآخر سنـة خمس وخمسين وسبع مئـة ، وتأسّف الناس عليه وعدمه الفقراء ، فإنـه كان لهم ثِمالاً ، وبِـدُعَـائهم لـه سَلِمَ من آفـاتٍ أصابت غيره .

---

(١) في الأصل : « بدعا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في (ق) : « فيها » .

(٣) انظر : ديوان ابن الرومي :

(٤) انظر : ديوان الشريف الرضي :

٨٦٩ ـ عبد الله بن أبي السعادات*

ابن منصور بن أبي السعادات بن محمد ، الإمام الفاضل أبو بكر نجم الدين بن الأنباري البغدادي البابَصْري شيخ المستنصرية ، المقرئ ، خطيب جامع المنصور .

سمع ابن بَهروز الطبيب ، والأنجب الحَمّامي ، وأحمد المارستاني[١] ، وليَ مشيخة المستنصرية ، بعد العِماد ابن الطبّال ، وتفرّد بأجزاء وحمل عنه أهل بغداد .

وتوفي سنة عشر وسبع مئة في ثاني عشر شهر رمضان وله اثنتان وثمانون سنة .

ومن مسموعاته (الإبانة الصغيرة) لابن بَطّه[٢] عَلَى أحمد المارستاني بسماعه من ابن اللحاس[٣] ، و (موطّأ) القعنبي[٤] على ابن العُلَيق[٥] عن شُهْدَه[٦] ، و (مسند عبد ابن حُميد) بفَوْتٍ يسير من أوله ، والجزء الثالث من (ذم الكلام) للأنصاري[٧] على ابن بَهروز .

٨٧٠ ـ عبد الله بن سعد**

ابن مسعود بن عسكر الماسوحي الفقيه المحدّث الشافعي .

---

* الوافي : ١٨٩/١٧ ، والدرر : ٢٦٠/٢ ، والشذرات : ٢٣/٦ ، وذيول العبر : ٥٥ .

(١) أحمد بن يعقوب بن عبد الله (ت ٦٣٩ هـ) السير : ٧٧/٢٣ .

(٢) عبيد الله بن محمد العكبري ، أبو عبد الله (ت ٣٨٧ هـ) ، واسم كتابه : الشرح والإبانة على أصول السنّة والديانة . السير : ٥٢٩/١٦ ، وهدية العارفين : ٦٤٧ ، والأعلام : ١٩٧/٢ .

(٣) في الأصل : النحاس ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو : محمد بن محمد بن محمد الحريمي العطار (ت ٥٦٢ هـ) . السير : ٤٦٥/٢٠ .

(٤) عبد الله بن مسلمة بن قعنب (ت ٢٢١ هـ) ، السير : ٢٥٧/١٠ .

(٥) أعز بن فضائل بن أبي نصر ، (ت ٦٤٩ هـ) السير : ٢٣٨/٢٣ .

(٦) المعروفة بالكاتبة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج (ت ٥٧٤ هـ) ، السير : ٥٤٢/٢٠ .

(٧) عبد الله بن محمد ، أبو إسماعيل (ت ٤٨١ هـ) ، الكشف : ٨٢٨/١ .

** الوافي : ١٩٥/١٧ ، والدرر : ٢٦١/٢ ، وفي (ق) ، والوافي : « ابن سعود ابن عسكر » .
وفي الدرر : « ماسوح ، بمهملتين : قرية من قرى حسبان » .

كان عارفاً بالفروع ، جيّد المشاركة يروق ويروع ، كثير النقل ، صحيح العقل .

تفقّه بالشيخ برهان الدين[١] ، وسمع على الْحَجّار ، والمِزّي ، والشيخ برهان الدين وغيرهم ، وكتب الأجزاء والطباق .

ومولده سنة اثنتي عشرة وسبع مئة تقريباً[٢] .

٨٧١ ـ عبد الله بن شرف*

ابن نَجْدَة المرزوقي ، علم الدين .

أخبرني الإمام العلامة أثير الدين قال : كان المرزوقي يحضر معنا عند قاضي القضاة تقي الدين ابن رَزين ، وكان معيداً بالمشهد الْحُسَيْني . ألّف شرحاً (للتنبيه) وأنفذه إلى الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، فكتب عليه نثراً يصفه ، وأعاده فأنفذ المرزوقي أبياتاً يشكره على ذلك وهي :

يا مالك الرق والقيادِ ... ومَنْ له الفضلُ والأيادي
ومن تحلّى التقى لباساً ... وأرشد الناس للسَّدادِ
ومن عَلاَ ذُرْوَةَ المعالي ... وخلّف الناس في وِهَادِ
ومن غدا في العلوم بَحْراً ... آذيّه الدهرَ في ازديادِ[٣]
وصار مَدْحُ الأنام وقفاً ... على عُلاه إلى التنادي
شرّفت ما قد نظرت فيه ... شرّفك الله في الْمَعَادِ
وهو كتاب عُنيتُ فيه ... ولم أَنَلْ مُنتهى مُرَادي
جَمَعتُ فيه غُرّ الْمَعَاني ... من كتب جمّةٍ عِدادِ

(١) ابن الفركاح ، كما في الدرر .
(٢) ووفاته سنة (٧٧١ هـ) ، كما في الدرر ، أي بعد وفاة المؤلف .
* الوافي : ٢٠٨/١٧ .
(٣) الأذيّ : الموج .

وعـانَـدَ الـدهرُ فيـه حظي والـدهرُ مـا زال ذا عِنـادِ
فمهّـدِ العـذرَ فيـه عنّي إن كنتُ قصّرتُ في اجتهادي
لا زِلْتَ للعُرْف ذا اصطنـاع تَرْأَب مـا كان ذا فسـادِ

فأجابَهُ الشيخ بهاء الدين عن ذلك :

يا فـارساً في العلوم أَضْحَى يـزيـدُ نَظْماً على زيـادِ [١]
وراويـا للحـديث أمسى يفـوق فيـه على الْمُرَادي [٢]
ومُنْسيـاً سيبـويـه نَحْـواً بلفظـه الفـائـق الْمُفَـادِ
مَنْ دُوْنَـهُ الأصمعيّ فيما رَواه قِـدْمـاً عن البـوادي
فـ (مُسْنَد) الفَضْلِ عنه يُرْوَى ونظمـهُ جَـلّ عن سِنـادِ [٣]
شَيَّـدْتَ للشـافعيّ ذِكْراً بمنطـقٍ دُونَـه الإيـادي [٤]
فـاسلم لتُهْـدَى بـك البرايـا فـأنْتَ للفضـل خَيْرُ هـادِ
إليـك في مُعْضـلٍ مَفَرّ وهـل معـادٌ سـوى العِمادِ [٥]
ومَنْ يُجـاريـك في قريضٍ يعـارض البحر بـالثِّمادِ [٦]

قلت : رزق المرزوقي السعادة [٧] في شعره لما انتحس شعر ابن النحّاس .

---

(١) هو النابغة الذبياني .

(٢) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار ، صاحب الإمام الشافعي وراوي كتبه ، وأوّل مَنْ أملى الحديث بجامع ابن طولون . السير : ٥٨٧/١٢ ، والأعلام : ١٤/٣ .

(٣) الفضل بن الحباب مسند البصرة ، له جزء في الحديث (ت ٣٠٥) ، السير : ٧/١٤ ، والأعلام : ١٤٨/٥ .

(٤) في الوافي : الإيادي » ، ولا يستقيم ، والإيادي هو : قس بن ساعدة الإيادي ، خطيب الجاهلية وحكيمها .

(٥) في الأصل : « المعاد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٦) من الثمد ، وهو الماء القليل .

(٧) في (س) : رزق المرزوق سعادة .

٨٧٢ ـ عبد الله بن الصنيعة المصري*

الصّاحب شمس الدين غِبْريال[١] ، بكسر الغين المعجمة وسكون الباء الموحدة وبعدها راء وياء آخر الحروف وبعد الألف لام ، المصري .

كان أولاً كاتبَ الخزانة في أيام المنصور حسام الدين لاجين ، وكان يصحب الأمير شمس الدين قراسنقر ، ثم إنه انتقل إلى الشام وولي نظر الجامع الأموي والأَسْرَى والأوقاف في المحرم سنة عشر وسبع مئة عوضاً عن شرف الدين بن صَصْرَى . ولّما حضر الأمير سيف الدين كراي لنيابة دمشق عزله عن نظر الجامع والأوقاف ، وولّى عوضه [القاضي][٢] شرفَ الدين محمد بن جلال الدين النهاوندي[٣] قاضي صفد ، ولما أُمسك كراي وحضر الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك عَزَل شرف الدين النهاوندي وولّى القاضي تقي الدين عمر بن السلعوس .

ثم إن الصاحب شمس الدين تولّى نظر الدواوين بدمشق في نصف الْمُحَرَّم سنة ثلاث عشرة وسبع مئة . عوضاً عن الشريف أمين الدين[٤] وبدر الدين بن أبي الفوارس[٥] لّما حضر السلطان إلى دمشق ، وتولى شدّ الدواوين معه الأمير فخر الدين أياس[٦] مملوك الأعسر عوضاً عن القرماني ، وباشر نظر الدواوين على القالب الجائر ، وأمسى كلّ أحد وهو في أمره حائر ، دخل في ناصر الدين الدوادار ، وتسلسل سعده وما دار ، وخدِم تنكز وبالغ في الخدمه ، وثبت له على طول المدة ،

---

* الوافي : ٢١٥/١٧ ، والدرر : ٢٦٢/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢١٩/٢ ، وذيول العبر : ١٨٢ .

(١) في الأصل : « بن غبريال » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) هو محمد بن عثمان ، ستأتي ترجمته .

(٤) هو أمين الملك ، عبد الله بن تاج الرئاسة . انظر ، البداية والنهاية : ٦٩/١٤ ، وقد سلفت ترجمته .

(٥) هو محمد بن مجاهد بن أبي الفوارس ، ستأتي ترجمته .

(٦) في (ق) ، (س) : أياس الشمسي .

قدمُ القدْمَه ، وخَدَمَتْهُ الأيام والليالي ، وجرت [١] أنهار دمشق له ذهباً ، وأصبح حصاها لآلي ، ووجه الناس بمباشرته السعيدة أماناً من الحوادث ، وبقيت المناصب في أيدي مُباشريها أوقافاً عليهم ، تنتقل من وارث إلى وارث ، وسدّ بابَ المرافعات والمصادرات ، واغتنم أفعال الخير مع النّاس بالمعاجلة والمبادرات ، فكأنما كانت أيامه مواسم ، وهبّات هِباته نواسم ، وثُغور الأيام فَرَحاً به في رحابه بواسم ، والأرزاق بأقلامه قد أثقلت الغوارب وأعيت المناسم ، وسعادات تدبيره لأدواء اللأواء حواسم ، وربوع الْجَوْر والعدوان في مدة مباشرته طوامس ويقال : طواسِم ، وكأن أبا الطيب أراده بقوله [٢] :

لقد حَسُنَت بك الأيام حتى كأنك في فم الدنيا ابتسام [٣]

ورأى دمشق وتمتع بمحاسنها ،وتنعمَّ في ظلالها الوارفة من مساكنها ، واقتنى بها الأملاك النفيسه ، وحصّل بها الأموالَ التي تكون البحارُ الزاخرة عليها مقِيسه .

ولم يزل في سعادة بعد سعاده ، وزيادةٍ بعد زياده ، إلى أن نُقِضَ حبله ، ونُفض وَيْلَه ، فتغيّر له تنكز وتنكّر ، وأكْمَنَ له وتفكر ، فاتفق مع السلطان على عزله ، وأن يُرِيَه جدَّه بعد هَزْله ، فقبض عليه في حادي عشر [٤] شوال سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وبقي في الاعتقال إلى أن حضر السلطان من الحجاز فطلبه إلى مصر ، فالتزم له بتكملة ألف ألف درهم .

ونزل إلى بيته وأقام بالقاهرة إلى أن أذنت شمسه بالغروب [٥] ، وجرت الدموع عليه من الغُروب .

---

(١) في (س) : « وأجزت » .

(٢) ديوانه : ٨٠/٤ .

(٣) في الديوان : « الأوقات حتى .... فم الدهر » ، وفي (ق) ، (س) : « فم الزمن » .

(٤) في (ق) ، (س) : « عشرين » .

(٥) في الأصل : « للغروب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة السبت ثامن عشر شوال سنة أربع وثلاثين[١] وسبع مئة .

وكان الصّاحب شمس الدين سعيدَ الحركات خفيفاً ظريفاً ، حُلْوَ النادرة مليح التنديب ، كان في متعمّمي دمشق شخص يُعْرَفُ بالقاق يُنَدّبُ الناسُ عليه ، ويمزحون معه بذلك ويُظْهِر هو التأذّي بعض الأوقات ، فاتفق أنه سَرَق مرّة جُمْلَة من الخشب من شيء كان يُباشره ، وذُكر أمره للصاحب شمس الدين ، فبقيت ، فلما كان في بعض الأيام جاءه فقال له : يا مشؤوم ، الناس يقولون عنك « قاق » ، طلعت أنت نقّار الخشب .

وكان فيه ستر وحلم ، لم يقع لأحد من أكابر دمشق واقعة إلا وسدّ خرقها وتدارك رَمَقها وتلافى عطبها على أحسن الوجوهِ ولم يكشف لأحد رأساً ولا ضرب أحداً بالمقارع ، ولا صادر أحداً ولا عزل أحداً . وكان كلّما انتشأ أحد من الأمراء خواصّ السلطان خدمه وباشر أمورَه بالشام وثَمَّر له وأهدى ، وكان أولئك يعضدونه ويقيمونه ، وإذا جاء أحد من مماليكهم أو من جهتهم أنزله عنده وأزاح أعذاره وخَدَمه ، وكان مرجعُ دواوينهم إليه وأموالهم تحت يده يتّجر لهم [فيها][٢] ويتكسّب مثل بكتمر السّاقي وقوصون وبَشْتاك وغيرهم ، كل من له علاقة بالشام ولا يخرج الحديث عنه ، وكان هو والقاضي كريم الدين الكبير متعاضدين جداً ، ودامت أيامهما مدة .

وطلبه السّلطان مرات إلى مصر ، فراح على البريد وعاد بزيادة إكرام وإنعام وزيادةِ معلوم ، ولّما كان في سنة أربع وعشرين وسبع مئة طلبه السلطان إلى مصر وخلع عليه وباشر نظرَ الدولة مع الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي الوزير وذلك في شهر رمضان ، فأقام بالديار المصرية على كُرْهٍ منه لأنه ألفَ دمشق واعتدالَ مزاجها ،

(١) انظر تذكرة النبيه ، ففيه ما يوحي أن وفاته قبل هذا الوقت .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

فسعى سعياً جيداً وعاد إلى دمشق على عادته وقاعدته في نظر الدواوين ، ووصل إلى دمشق في يوم الاثنين ثامن عُشري صفر سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وفرح الناس به واستبشروا ، وعاد القاضي كريم الدين الصغير ناظرُ دمشق إلى مصر .

ولم يزل بدمشق على أكمل ما يكون من السعادة إلى أن قَبض عليه تنكز بأمر السلطان في التاريخ المذكور ، وجُعل في المدرسة النجيبية ورَسَّم عليه الأمير علاء الدين المرتيني ، فكان يكون [قدّامه و][1] إذا دخل إلى الطهارة وعاد منها يقوم الأمير يمسك له فرجيّته ويُلبسها له . ووزن في الشام أربع مئة ألف [درهم][2] ثم إن المرسوم ورد بطلبه إلى مصر فتوجه إليها ولّما وصل نزل في الطبقة التي على دار الوزارة بقلعة الجبل وجاء إليه القاضي شرف الدين النشّو ، وقعد بين يديه ، ولم يعرف مَنْ هو لبُعد عهده بمصر ، فقال : السلطان يُسَلّم عليك ، فلَحظْته أنا وغمزته ، فعلم أنه كبير ، فقام وقف له وأجلسه إلى جانبه فأسْرَرْت أنا إليه أن هذا هو النشّو ناظر الخاص ، فقام وقف وعامله بما يجب وحَلَف له أنه ما يعرفه ، فقبل اعتذاره ، ولّما راح من عنده جاء إليه الأمير صلاح الدين الدوادار برسالة عن السلطان ، وكان الأمير علاء الدين بن هلال الدولة مشد الدواوين يروح إليه في الرسائل عن السلطان هذا وهو قاعد على مقاعد سنجاب ومقاعد سرسينا ، ولم أرَ أنا ولا غيري مصادراً مثله إلى أن قال له النشّو : يا مولانا وزنت في الشام أربع مئة ألف فكّمل لنا ألف ألف ، فقال : السمعَ وألف طاعة ، وكتبَ خطّه بست مئة ألف درهم[3] ، ونزل إلى بيته ، ولم يزل يحمل إلى أن بقي عليه مئتا ألف ، فاستطلقها له الأمير سيف الدين قوصون من السلطان ، ولو أن بكتمر السّاقي يعيش له ما جرى عليه بعض ذلك ، وكان أعاده لأنه شفع فيه عن طريق الحجاز وسيّر الإفراج عنه إلى الشام ، ومات بكتمر بعد ذلك ثم إن أعداءه غَيَّروا

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٣) عبارة الوافي : « وأُخذ خطّه بألف ألف درهم » .

السلطان عليه ، وقيل له : إن في دمشق ودائع فكتب السلطان إلى تنكز ، فتتبع ودائعه وظهر له شيء كثير ، فحُمِل ذلك إلى السلطان .

ولما مات رحمه الله تعالى وقع بين أولاده اختلاف في الميراث ، فطلع ابنه صلاح الدين يوسف ولم يكن له ولد ذكر غيره [ودخل إلى السلطان][1] ونمّ على أخواته ، فأُخذ منهم شيء كثير من الجوهر ، فيرى الناس أن الذي أُخذ[2] من ماله أولاً وآخراً ما يقارب الألفي ألف درهم ، وما أظنه نكب ظاهراً غير هذه المرّة ، وسمعته ليلةً يقول : من حين باشرت الكتابة ما أعلم أنني اشتريت لي مركوباً ولا قماشاً ألبسه أنا ولا أهلي ، وفي هذه المصادرة لم يَشْكُ أحدٌ عليه ولا رُفع فيه قصة لا في الشام ولا في مصر ، ولما أُفرجَ عنه خرج الناس له بالشمع وفرحوا به فرحاً عظيماً .

وعُمل بعد موته في دمشق محضر[3] بأنه خان في مال السلطان واشترى به أملاكاً ، وشهد فيه كمال الدين[4] مدرس الناصرية ، وابن أخيه القاضي عماد الدين[5] ، وعلاء الدين [بن] القلانسي ، وعز الدين بن المنجّا ، وغيرهم من الأكابر ، وامتنع عز الدين بن القلانسي ناظر الخزانة من ذلك ، ونفذ المحضر إلى مصر ، وأراد السلطان بيع أملاكه فوقف له قوصون واستطلقها منه لأولاده .

وكان يسمع (البخاري) في ليالي رمضان ، وليلة ختمه يحتفل بذلك ، ويعمل في كل سنة مولد النبي ﷺ ، ويَحْضُره الأكابر والأمراء والقضاة[6] والعلماء ووجوه الكُتّاب ، ويُظهر تَجَمُّلاً زائداً ويخلع على الذي يقرأ المولد ، ويعمل بعد ذلك سماعاً للأمراء المحتشمين .

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، ومثله في الوافي .

(٢) في (ق) ، (س) : « أخذ له » . وما في الأصل يشبه ما في الوافي .

(٣) انظر في تفصيل ذلك : البداية والنهاية ١٦٦/١٤ .

(٤) ابن الشيرازي ، كما في البداية والنهاية ، واسمه أحمد بن محمد ، سلفت ترجمته .

(٥) محمد بن أحمد ، ستأتي ترجمته .

(٦) في (س) : « والقضاة والفقهاء » .

وعمّر جامعاً حسناً ، شرع فيه في شعبان سنة ثماني عشرة وسبع مئة على باب شرقي عند دير القعاطلة ، ووقف عليه وقوفاً ، وعمّر بالرّحبة بيمارستاناً ، وعمر بكرك نوح عليه السلام [بالبقاع][1] طهارة وأجرى إليها الماء في قناة هناك .

وكتبت أنا إليه من الرحبة :

يا سيّد الوزراء ذِكْرُك قد علا ... وكأنّه حيث اغتدى كيوان[2]
لك جامعٌ بدمشق أضحى جامعاً ... للفضل فيه الْحُسْن والإحسان
وأمرتَ أن يبنى برحبةِ مالك ... مِن جودك المبرور مارستانُ
أنشأت ذاك وذا فجئت بآيةٍ ... صحّت بها الأديانُ والأبدانُ[3]

وكتبت إليه يوماً وأنا بدمشق ....[4]

وكتبت إليه عن الأمير سيف الدين تنكز من الديار المصرية يُعلمه بوصوله وتقبيله الأرض بين يدي السلطان وبحضور الإقبال الشريف عليه وإفاضة[5] الإنعامات الشريفة عليه في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ونسخة الكتاب :

« أسبَغ الله ظلّ المقر الكريم العالي المولوي الصاحبي الشمسي ، وسرّ قلبه بأخبار أحبابه ، وسرّى همّه الّذي توهمه بسببهم لما تقمّص من الدجا أسْوَد جلبابه ، وسيّر أنباءهم التي هي أطربُ وأطرى من زهر الروض تحت وقع رَبَابِه . المملوك يخدم بدعائه الذي يتمسّك من القبول بأقوى أسبابه . وبثنائه الذي يجد النَدمانُ منه نشوة لا يجدها في كأسه المرصّع بدُرّ حَبَابه ، ويقبّل اليد الكريمة التي تُخجل البحر إذا طمى في عبابه ، ويُنهي

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٢) في تذكرة النبيه : « فكأنه » . وكيوان : اسم لكوكب زحل .
(٣) في الأصل : « أنشأت ذا وذاك » ، ولا يستقيم ، وهنا تنتهي الترجمة في الوافي .
(٤) كذا في الأصل .
(٥) في الأصل : « وإضافات » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

إلى العِلْم[١] الكريم أنه سَطّرها من الأبواب الشريفه ، خلد الله سلطانها ، ونصر أعوانها ، بعدما وصل إليها في يوم كذا وقبّل الأرض بالمواقف الشريفه ، وَوَدَّ لو استعار فم الثريّا لِلَثْم تلك المواطئ التي هي على الكواكب مُنيفه ، وفاز برؤية وجه مولانا السلطان الذي أخجل البدرَ في سعُوده ، وترّقى على أوجهٍ وهو في معارج صعوده ، وودّ لو أن أعضاءه جميعَها عيون ، وكلّ جارحة فيها تُطالب أشواقها بمالَها في ذِمّة النوى مِنْ ديون[٢] ، وشملت المملوكَ الصّدقاتُ الشريفة بتشريفٍ أثقل كاهله ، وجعل ربوعَ آماله بالمسرات آهِلَه ، وتوالى الإنعام الشريف في كل يوم على الأنعام ، وأغرقته المواهب العميمَة بأياديها إلى أنْ عَام ، وتزايد الْجَبْرُ الشريف في كل ساعة يكون فيها بالمواقف الشريفة ماثلا ، وفتح على المملوك بصالح أدعيةٍ ماترك منها سَهْماً في كنانة ضميره إلا إذا كان له ناثلا[٣] ، هذا إلى ما يُتْحَفُ به في كل يوم من جُمَل التفاصيل التي[٤] يحار العقل في نقوشها ، وتتأصّل في المحاسن مباني عروشها ، ومن الخيل التي تُرَى الشّهُب عند شهبها مُسْتَقَلَّه ، ويودّ الأفق لو كانت تجعل مسيرها في مَجرَّته لأنها تملأ الطرق بالأهلّه ، ولم يَصف المملوك أنواع هذه الصدقات الشريفة التي عمّت ، وكملت بدور بدرها وتمّت ، إلا إشعاراً لمولانا ، بسط الله ظِلَّه ، بأنّ نصيبه منها يحضر صحبةَ المملوك ، ويناله منها ما يخجل القمر في التام والشمسَ في الدّلوك ، وقد جهّزها لمملوك على يد فلان ليطمئنّ خاطره الكريم ، ويتحقق ما المملوك عليه من الأخبار التي تسرّه وتحلّ من قلبه في الصميم ، وبعد قليل يأخذ المملوك دستورا بالعَوْد ، ويعلم أنها ساعة يَشِبُّ لها الفؤاد ناراً ويشيب الْفَوْد ، وإذا استخرج المراسيم الشريفة شرّفها الله تعالى وعظّمها بالرجوع ، ورُسم بذلك ، وهو أمر يمنع الجفون من الهجوع ، عَجّلَ المملوك

---

(١) في (س) : « علمه » .

(٢) في (ق) ، (س) : « الديون » .

(٣) نثل الكتابة : استخرج نبلها فنثرها .

(٤) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

إعلامَ مولانا بذلك على العاده ، والله تعالى يجمع المملوك ومولانا دُنيا وأُخرى في دار السعاده بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٨٧٣ ـ عبد الله بن أبي الطاهر*

ابن محمد الشيخ الصالح أبو عبد الرحيم المقدسي الْمَرْدَاوي .

أول سماعه بَرْدَا من خطيبها سنة ست وثلاثين ، وسمع من الحافظ الضياء[1] ، واليلداني ، وتلقَّن بمدرسة أبي عمرَ ، ثم رجع وحدّث في أيام ابن عبد الدائم .

روى عنه ابن الخباز[2] .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وسمع منه الأصحاب ، وكان معمّراً من أبناء التسعين ، وهو آخر أصحاب الضَياء بالسماع .

وتوفي رحمه الله تعالى بَرْدَا سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

٨٧٤ ـ عبد الله بن عبد الأحد**

ابن عبد الله بن سلامة بن خليفة ، الشيخ الصدّر الكبير أمين الدين بن شُقَيْر الحرّاني .

كان محموداً مشكوراً ، كل أحد يثني عليه ويعظمّه ، وهو على قدم الصدق والعدالة محترمٌ مُعَظَّم من أرباب الأموال ، وله حقوق على الناس ووجَاهة عند الدولة .

حَدّث عن يوسف بن خليل ، وعيسى بن الخيّاط .

---

* الوافي : ٢٢٤/١٧ ، والدرر : ٢٦٤/٢ ، وذيول العبر : ١١٨ .

(١) محمد بن عبد الله السعدي المقدسي الجماعيلي (ت ٦٤٣ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

(٢) محمد بن عمر بن محمد ، ستأتي ترجمته .

** الوافي : ٢٣٦/١٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٤ ، والدرر : ٢٦٥/٢ ، ووقع في الأصل : « عبد الأوحد » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ومصادر ترجمته .

توفي رحمه الله بغزة[١] ثالث عشري شهر رمضان سنة [ثمان وسبع مئة .

ومولده بحرّان في نصف شعبان سنة][٢] ثلاث وثلاثين وست مئة .

كان قد توجَّهَ من دمشق في جماعة من أولاده وأقاربه يقصد القاهرة فأدركه الأجل بغزّة .

٨٧٥ ـ عبد الله بن عبد الحق*

ابن عبد الأحد المخزومي المصري الدلاصي .

تلا لِنافِع على أبي محمد بن لُبّ سنة خمس وثلاثين وست مئة ، ثم تلا بعده كُتب عليّ بن فارس ، وسمع القصيدة[٣] من قارئ مصحف الذهب[٤] .

وأقرأ دهراً بمكة ، وتلا عليه بالروايات عبد الله بن خليل ، والمجير مقرئ الثغر ، وأحمد بن الرضي[٥] الطبري ، والوادي آشي[٦] ، وخلق .

وكان من أصحاب الحال والسقم والانتحال ، له في ظلمات الليل[٧] أوراد ، وركعات تكون في صحف حسناته كالأطواد ، وفيه زيادةٌ تألّه ، وفيه خَشْية من الله

---

(١) في الأصل : « بغرة » ، بالراء .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

* الوافي : ٢٣٨/١٧ ، والبداية والنهاية : ١٠٠/١٤ ، والدرر : ٢٦٥/٢ ، وغاية النهاية : ٤٢٧/١ .

(٣) هي الشاطبية .

(٤) عبد الله بن محمد بن عبد الوارث ، ويعرف بابن الأزرق (ت ٦٦٤ هـ) ، غاية النهاية : ٤٥٣/١ ، والشذرات : ٣١٦/٥ .

(٥) الرضي هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، سلفت ترجمته ، ولم تقف على ترجمة ابنه .

(٦) محمد بن جابر (ت ٧٤٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٧) في (ق) ، (س) : « الدجى » .

العظيم تَحُلُّه ، وقد أحيا الليل سنوات ، وقطع ظلامه في ذكرٍ وصلوات ، وتفقه لمالك ثم للشافعي ، فشرب من جُلّاب[١] الحلات[٢] ، ونصب راية الرافعي[٣] .

ولم يزل على حاله إلى أن ما حَمَت الدِّلاصي من الموت سابغةٌ دلاص ، ولكم يكن له من قدومه عليه مناص .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست[٤] مئة .

٨٧٦ ـ عبد الله بن عبد الحليم*

ابن عبد السّلام بن عبد الله بن الخضر بن تيميّة الحرّاني ، الشيخ الإمام الفقيه المفتي القدوة العابد شرف الدين أبو محمد الدمشقي أخو الشيخ العلاّمة تقي الدين .

سمع حضوراً من ابن أبي اليسر ، وسمع من الْجَمّال البغدادي[٥] ، وابن أبي الخير ، وابن الصيرفي ، وابن أبي عمر وابن علاّن ، وابن الدّرجي[٦] وخلق كثير ، وطلب الحديث في وقته ، وسمع (المسند) و (المعجم الكبير) والدواوين ، وسمع منه الطلبة .

قال شيخنا الذهبي : وما علمته صنّف شيئاً .

كان لسناً فصيحا ، جزل العبارة مديد الباع فسيحا ، غزير مادة العلم كثير

---

(١) الجلاب : ماء الورد ، فارسي معرّب .

(٢) كذا ، ولم يستبن مراده ، وفي (ق) : « الجلاّب » .

(٣) في الأصل : « الشافعي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « وسبع » ، سهو .

* الوافي : ٢٤٠/١٧ ، والدرر : ٢٦٦/٢ ، والشذرات : ٧٦/٦ ، وذيول العبر : ١٥٣ .

(٥) عبد الرحمن بن سليمان (ت ٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٣/٥ .

(٦) إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى القرشي (ت ٦٨١ هـ) ، العبر : ٣٣٥/٥ ، والشذرات : ٣٧٣/٥ .

الإعضاء والحياء والعلم ، بصيراً بالقواعد ، حاوياً لكثير من غرائب المسائل الأباعد ، كثير الإنصاف إذا بحث ، إذا سكت خَصْمُه حضّه على الكلام وَحَث[١] ، زائد التعفف قادراً على التقشف مع الدين المتين ، والإخلاص المبين ، واسع قميص الزهد ، مغتبطاً بما عنده من الجهد ، منقبضاً عن النّاس ، منجمعاً عن مخالطة الأدناس ، يتنقل في المساجد المهجوره ، ويقيم فيها كثيراً لا لضروره ، يختفي فيها أياما ، ويهجر بها[٢] ماعساه أن يهجر دواما ، مع ما أحكمه من الفقه والعربيّه ، والنكت الأدبيه ، وبرع فيه من معرفة السيرة وكثير من التاريخ وأسماء الرجال ، وما يتَسّعُ في ذلك من المجال ، ورأيت كثيراً من الفضلاء يقول : هو أقرب من أخيه إلى طريق العلماء ، وأقعَد بمباحث الفضلاء ، وكان أخوه العلامة تقي الدين يحترمه ويتأدب معه ، ويحذر أن يخدعه .

ولم يزل على حاله المرضيّة إلى أن نزل به ما لا بد من نزوله ، وظفر من الله تعالى ببرامِهِ وسُوْله .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، قبل أخيه العلاّمة تقي الدين بسنة ، وكانت جنازته حافلة مشهودة ، حمله الناس على الرؤوس .

٨٧٧ ـ عبد الله بن عبد الكافي*

نور الدين بن ضياء بن الخطيب الكبير جمال الدين عبد[٣] الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الربعي الدمشقي الشروطي الأديب .

كان حسن الكتابه ، جيد المعرفة بالإصابه ، وكان فيه لعب وانطباع وعثرة وانخلاع .

---

(١) في الأصل : « وجب » ، تصحيف . وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « ويهجرها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٢٩٤/١٧ .

(٣) في (س) : « ابن عبد » .

ولم يزل على حاله إلى أن راح ليكون رميا ، ويجد من فضل محبيه برّاً عميما .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وستين وست مئة .

٨٧٨ ـ عبد الله بن عبد الكافي*

ابن عبد الرحمن بن محمد الحميري الصّنهاجي المصري المالكي ، زكي الدين أبو محمد المعروف بالمأمون .

سمع من الدواداري[١] ، وقيل : إنه سمع من النجيب .

وكان حسن الشكل والهيئة ، لطيف الذات ، تولى نظر الكرك والشوبك ، وأقام هناك مدة وكان يعرف عروضاً وفقهاً ويشغل[٢] الناس وله نظم .

توفي رحمه الله تعالى في سابع عشري جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة[٣] ، ودفن في مقابر باب النّصر ظاهر القاهرة .

٨٧٩ ـ عبد الله بن عبد الله**

أمين الدين الرُّهَاوي الدمشقي تربية ابن الكُريديّ .

سمع وقتاً من ابن القواس ، وابن عساكر ، وطلب بنفسه وقتاً بعد السبع مئة ، ونسخ الأجزاء وارتزق بالكتابة في زُرَع[٤] وغيرها .

---

* الدرر : ٢٧٠/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٥٢/١ .

(١) هو علم الدين سنجر التركي الصالحي ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « يشغل » من غير الواو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) في التذكرة : « عاش نحو تسعين سنة » .

** الوافي : ٢٩٩/١٧ ، والدرر : ٢٦٥/٢ .

(٤) وهي البلدة المعروفة اليوم بـ (إزرع) جنوب دمشق نحو سبعين كيلاً ، من أعمال درعا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة بين العيدين .

ومولده سنة أربع وثمانين وست مئة .

٨٨٠ ـ عبد الله بن عبد الولي*

ابن جُبارة بن عبد المولى الإمام تقي الدين الحنبلي ابن الفقيه المقدسي الصالحي .

كان إماماً مفتياً مُدَرِّسا ، مُدْلِجا في الفضائل مُعَرّسا ، صالحاً ديناً خيّراً صيناً عارفاً بالفرائض والجبر والمقابلة ، فارساً في بحثه ، كم جَدَّلَ مَن جادله ، تبحّر في الفرائض ، وغرّق فيها ألف رائض ، وكان قد طعن في سنه ، وقارب المئة على ما في ظنّه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُسِر ابن جُبَاره ، وسكنت منه تلك العباره .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر .

وكان من أهل الفتوى والتدريس .

٨٨١ ـ عبد الله بن عبد الوهاب**

ابن حمزة بن محمد بن الحسين بن حمزة ، الشيخ العدل ناصر الدين أبو محمد بن العدل كمال الدين النهراني الحموي .

وكان يجلس بين الشهود بحماة ، وله مسجد وقراءة ، حضر جزء لطيفاً وهو في أول سنة من عمره على والدة جدّته صفية بنت عبد الوهاب القرشية[1] ، وحدّث بالجزء مرات بحماة ودمشق .

---

* الوافي : ٣٠٢/١٧ ، والشذرات : ٤٤٩/٥ .

** الدرر : ٢٧٣/٢ .

(١) توفيت سنة (٦٤٦ هـ) . العبر : ١٨٨/٥ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمعت منه بهمَا ، وهو من حديث أبي بكر بن زياد النيسابوري[١] ، وكان قد قَدِمَ دمشق سنة سبع وسبع مئة ، وسمع منه جماعة من الطلبة ، وكان جَدُّهُ قاضياً بحماة ، وهو من بيت مشهور .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشر صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

٨٨٢ ـ عبد الله بن عبد الوهاب*

ابن فضل الله صلاح الدين ابن القاضي شرف الدين العُمري .

كان شاباً عاقلاً له فهم ومعرفة ، وهو جنديّ ، وهو والد الأمير ناصر الدين محمد بن فضل الله .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع عشر شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ودفن بتربةٍ له جوار المدرسة العزّية التي عند الورَّاقة ظاهر دمشق .

٨٨٣ ـ عبد الله بن علي**

ابن محمد بن سلمان القاضي الرئيس الكاتب الْمُنشئ جمال الدين بن الشيخ علاء الدين بن غانم .

كان شاباً ظريفا ، مليح الوجه نظيفا ، عليه رونق الشباب ولطف السُّلافة إذا شف عليها الْحُبَاب ، شكله أنيق ، وصدغه في خدِّه سُحَالة[٢] لازورد في زُنجفر[٣]

---

(١) عبد الله بن محمد بن زياد (ت ٣٢٤ هـ) ، السير : ٦٥/١٥ .

* الدرر : ٢٧٣/٢ .

** الوافي : ٣٥١/١٧ ، وفوات الوفيات : ٢٠٦/٢ ، والدرر : ٢٧٨/٢ ، وتذكرة النبيه : ٥٤/٣ .

(٢) السحالة : ما سقط من الذهب والفضّة إذا بُرِدَ .

(٣) أي ، صبغ .

سحيق ، يكتب خطّا من أين للوَشْي رُقُومُه ، أو للأفق الصاحي نجومه ، كأنه طرّة رَيْحان ، أو روضٌ فيه الطّل حيران ، خُصُوصاً إذا كتب الدرج وعلق ، وتأنى في تنميقه وتأنّق ، يأتيك بالعَجَب ، ويُريك كما يقال سلاسلَ الذهب ، مع سرعة لا يلحقه فيها البرق إذا خفق ، ولا النور إذا سطع وولّد الشَّفَقْ ، يكتب الإنشاء من رأس قلمه ، ويؤلف الدّرّ الثمين من كَلِمِه ، وله غَوْصٌ في نظم ونثر ، وتلعُّبٌ بالعقول إذا نفث قلمه بسحره .

إلا أنه قُصف غُصْنُه ، ووقفت في أوائل حَلَبة العمر حُصنُه ، فأذواه الموت ريحانه ، وأراق منه بنت حَانه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر شوال سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وكان قد مرض في عمره مرضا حادّاً مرات ، ونجاه الله منها وسلّمه إلى أن حُمّ أجله فمات عَبطْه ، وكان به لديوان الإنشاء أيّ غبطه .

كتب هو إليَّ في بعض علّته [هذه][1] ولم أَعُدْهُ ، من أبيات :

مولاي كيف كَسَرْتَني فَهَجَرْتَنِي ... عِلْماً بأني كيف كنتم راض
أو قلت إني لأعود مُمَرَّضاً ... ظَنّاً بأني لا محالة ماضِ

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

أرسلتَها مثلَ السهام مواضي ... نَفَذَتْ من الأغراض في أغراض
فأتت وعَتْبُكَ قد تَخَلَّل لَفْظها ... مثل الأفاعِي بين زهر رياضِ
دَعْني من الْجَبَروت أو من أهله ... لا تجعلَنَّ سوادَهم كبياضي
حاشاك أن تَمْضي وسعدك قد غدا ... مستقبلا فينا وأمْرُك ماض

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

وقلت أنا أرثيه رحمه الله تعالى :

تبكي الطُروسُ عليـــك والأقـلامُ ... وتنـوح فيـك على الغُصـون حِمامُ
يـا مَنْ حـواه اللّحـد غضّـاً يـانعـاً ... وكـذا كسُـوف البَـدْر وهـو تَمامُ[1]
يـا وحشـةَ الـديوان منـكَ إذا غَـدَتْ ... فيـه مُهمّـات البريـد تُرامُ
مَنْ ذا يـوفّيهـا مقـاصـدَهـا عَلَى ... مـا يَقْتَضيـه النَّقْضُ والإبرام
هيهـات كُنْتَ بـه جَمَـالاً بـاهراً ... فَعليـه بَعْـدَك وَحْشَـةٌ وظـلامُ
أسفي على الإنشـاء وُهْـوَ بجلّـقٍ ... نثّـاره قَـدْ مـات والنظّـامُ
كم من كتـابٍ سـار عنـك كأنّـه ... بُرْدُ أجـاد طِرازَهُ الرقّـام
إن كان في شرّ فقـد رد الرّدى ... وبـه ترفُّـهَ ذابِـل وحُسَـام
لم لا يردّ البـأسَ مـا أَلفـاتُـه ... مثـلُ القنـا والـلامُ منـه لام
أو كان في خير فكلٌّ كـلامِـه ... دُرّ يُـؤَلِّفُ بينهنّ نِظـام
وكأنمـا تلـك السطـور إذا بَـدَتْ ... كأس ترشّف راحَهـا الأقـلام[2]
يَهْتَـزّ عِطْف أُولي النُّهَى لبيـانـه ... فكأنّ هـاتيـك الحروف مـدام
كم فيـه وجـهٍ سـافر مثـل الضحى ... وعليـه من ليـل السطـور لثـام
ولكم كتبتَ مُطَـالعـاتٍ خَـدُّهـا ... قـانٍ وثغر فُصُـولهـا بسّـام
وكأنمـا ألفـاتهـا قُضُب اللّـوى ... وكأنمـا همـزاتهنّ حمـامُ
مـا كنتَ إلا فـارسَ الكُتّـاب في ... يـوم تُفرِّجُ ضيقَـه الأقـلامُ
صلّى وراءك كلُّ مَن عـاصَرْتَـه ... علماً بـأنـك في البيـان إمـام
وكأنّ قبرك للعيـون إذا بـدا ... قصرٌ عليـه تحيـة وسـلام[3]
يـا محنـةً نـزلت بعترةِ غـانم ... هـانـوا وهم في العـالمين كرامُ

---

(١) في تذكرة النبيه : « غضناً يانعاً » .
(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « الأفهام » .
(٣) في تذكرة النبيه : « فكأن » .

لمـــــا تغيَّبَ في التّراب جَمالهم ... وقَعَـدُوا لهولٍ عـايَنُـوه وقـامـوا
يـا قبرَه لا تنتظر سُقيـا الحيـا ... حُـزْني ودمعي بـارقٌ وغمـام
لي فيـك خِـلّ كم قطعتُ بقُربـه ... أيـامَ أُنسٍ والخطـوبُ نيَـامُ
لَـذّت فلُـذْتُ بظلّهـا فكأنهـا ... لِقيـادِ لـذّات الـزمـان زِمـام[1]
أسفي على صحب مضى عمري بهم ... وَصَفَتْ بقربهم ليَ الأيّـام
ثم انقضت تلـك السنـونُ وأهلهـا ... فكأنهـا وكأنهم أحـلامُ[2]
بـالرغم منّي أن أُفـارق صـاحبـاً ... لي بَعْـدَه ضُرٌّ ثـوى وضِرَام
يـا من تقـدّمني وسـارَ لغـايـةٍ ... لا بـدّ لي مِنْهَـا وذاك لِـزَامُ
قـد كنت أحسبـه يُرَثّيني فقـد ... عكست قضيّتَـه معي الأحكام
أنـا مـا أراك على الصراط لأنّـه ... بيني وبينـك في المعـاد زحـام
إذ قـد سبقت خفيفَ ظهرٍ لا كمن ... قَـدْ قَيّـدت خطـواتِـه الآثـام[3]
فـإذا الْمُخفّ وقـد تقـدّم سـابقـاً ... وشفيعُـه لإلهـه الإسـلام
فـاذْهبْ فـأنْتَ وديعـةُ الرحمن لي ... يلقـاك منـه البرُّ والإكرامُ
ويجـود قَبْرَك منـه غيثُ سماحـةٍ ... بـالعفـو صَيّبُ وَدْقِهـا سَجّـام
ولقـد قضيتـك حـقَّ ودّك بـالرثـا ... والْحُرُّ مَن يُرعى لَـدَيْـه ذِمـامُ
خلّفتني رهنَ التنـدّم والأسَى ... تعتـادني الأحـزانُ والآلام
لكنّ لي بـأخيـكِ نجم الـدين في ... الـديـوان أُنسـاً مـا عـداه مرام[4]
مهما تـوجّس أو تـوحش خـاطري ... فيـه تـزول وتنقضي الأوْهـام

وكَتَب إليَّ من دمشق وأنا بالقاهرة :

ذكَّرتُ قلبيَ حين شـطّ مـزارُهم ... بهم فنـاب عن الجـوى تـذكارُهمْ

(١) في الأصل : « فكأنما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .
(٢) البيت لأبي تمام ، ضمنه الصفدي قصيدته .
(٣) في (س) : « الأيام » .
(٤) في الأصل : « ملام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

وبكى فـــؤادي وهـــو منزلُ حُبّهم ... وأحـقُّ مَن يبكي الأحبـــة دارُهم
وتخلّـق الجفنُ الْهَمـولُ كأنمـــا ... لَمَحَتْـــه عنـــدَ غروبهم أنـوارُهم
وذكرتُ عيني عنـــد عينِ فراقهم ... لمـــا أثـــارتْ لـوعتي آثـــارُهم
نُـــذري الـــدمـوع عليهم وكأنهـــا ... زهرُ الرّبـــا وكأنهـــا أمطـــارهم
ويئنّ منـة حـالي العـواذل رحمَـةً ... لّمـــا بكيت ومـــا الأنين شعـــارُهم
ويـــحُ المحبيّن الـــــذين بـــودّهم ... قرُبَ المـزارُ ولـو نـأت أعمـارهم
فقـــدوا خليلهم الحبيبَ فـــأُذكيت ... بالشوق في حَطَب الأضالع نارهم
مَـولىً تقلّص ظـلُّ أُنسٍ منـــه عن ... أصحـابـه فـاستـوْحَشت أفكارهم
كم راقهم يـومـاً برؤيـةِ وجهـه ... مـــا لا يروقهم بـــه دينـــارهم[1]
ولكم بـــدت أسماعهم في حِلْيـــة ... من لفظهِ وكـذا غَـدت أبصارُهم
كانـوا بصحبتـه اللـذيـذةِ رُتّعـاً ... بمسرّةٍ مُلئت بهـــا أعشـــارُهم
يتنـــافســون على دنـوّ مـزارِه ... فكأنمـــا بلقـــاهُ كان فخـــارهم
لا غيّبَ الرحمن رؤيـــةَ وجهـــهِ ... عَنْ عـاشقيـه فـإنهـا أوطـارهم
وجـلا ظـلامُ بـلادهم من بَعـــده ... فلقـــد تســـاوى ليلهم ونهـــارهم
يـــا سيّـــداً لي لم تـزل ثقتي بـــه ... إن خـــادعتني في الـوَلاَ أشرارهم[2]
أصْرَمت حبـــل مـــودتي ولصحبتي ... عَرَف الطريقـة في الـودادِ كبـارهم
أم تلـك عـــادات القِلى أجريتهـــا ... فكـــذا الأحبّـــةُ هَجْرهم ونِفـــارهم

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

أفـــدي الـــذين إذا تنـــاءت دارهم ... أدنـــــاهم من صبّهم تـــــذكارُهُمْ
في جلّـــق الفيحـــــاء منزلهم وفي ... مصـع بقلب الصبّ تُضْرَمُ نـــارهم
قـوم بـذكرهم النـــدامى أعرضـوا ... عن كأسهم وكَفَتْهم أخبـــــارهم

(١) في الوافي : « كم راقها » .
(٢) في (ق) ، والوافي : « أسرارهم » .

وإذا الثنـــاء على محـــاسنهم أتى ... طربـوا لـــه وتعطّلت أوتـــارهم
وإذا هم نظروا لِحُسن وجـــوههم ... لم تبـــق أنجمهم ولا أقمـــارهم
فَهُمُ البـــدورُ إذا ادْلَهمّ ظـلامهم ... وهم الشمـوس إذا استبـان نهـارهم
دَنت النجـوم تـواضعـــاً لمحلّهم ... وترفّعَت من فـوقهـــا أقـــدارهم
وبكفّهمْ وبـوجههمْ كم قـــد هَمَتْ ... ألْـوَاؤهم وتـوقّـــدت أنـوارهم
أهـــدَى جَمالهم إليَّ تحيّـــة ... منهـا تُـدار على الأنـام عُقَـارهم
أُفـقٌ وروضٌ في البـلاغـة فهي إمّـ ... ـا زهرهم في الليـل أو أزهـارهم
لـك يـا جمالَ الـدين سبقٌ في الوفـا ... لـو رامَـهُ الأصحـابُ طـال عثـارهم
وتـودُّدٌ مـــا زال يصفـو ورْدُه ... حتى تقرّ لِصَفْـوه أكـــدارُهم
يـــا ابن الكرام الكاتبين فَشـــأنُهم ... صِـدْقُ المـودّة والـوفـاء شعـارهم
قـوم إذا جَـاؤوا إلى شـــأو الْعُلى ... سبقـوا إليـه ولم يشـقّ غبـارهم
صـانـوا وزانـوا بـاليراع ملـوكَهم ... أسـوارهم من كُتبهم وســوارهم
مـا مثلهم في جـودهم فلـذاك قـد ... عـزّت نظـائِرُهم وهـان نُضـارهم
مـا في الـزمـان حُليٌ على أعطـافـه ... إلاّ مـــآثرهم بـــه وفخـــارهم
تتعلم النّسَماتُ من أخـــــلاقهم ... ويَنُـوب عن زهر الرُّبـا أشعـارهم
ولفضلهم مـــا ابن الفرات يُعَـدّ فيـ ... ـه قطرةً لّمـا تُمـدّ بحـارهم[1]
وحِمَـاهم يحمي النّـزيـلَ برَبْعـه ... من جَـوْرِ مـا يُخشى ويُرعى جارهم
بـالرغم مني أَنْ بَعُـدتُ ولم أجـد ... ظِـلاً تفيّـؤه عليّ ديـــارُهم
لـو كان يُمكنني ومـــا أحلى الْمُنى ... مـا غـابَ عنّي شخصهم ومـزارهم
ويـحَ النـوى شَمْـلَ الأحبـة فرقت ... فمتى يفـكّ من البعـاد إسـارهم[2]

وكتب رحمه الله تعالى ، وقد دخلت الديوان بدمشق :

(١) آل الفرات من وزراء الدولة العباسية المشهورين .
(٢) في الأصل : « فما يفك » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

يقول جماعة الديوان فيه ... فسادٌ لا يُزال ولا يُزاحُ
فقلت فسادُهُ سيزول عمّا ... قليل إذ بدا فيه الصّلاحُ[١]

فكتبت أنا الجواب إليه :

هَويت جماعة الديوان دَهْراً ... فلمّا ضمّنا بدمشْقَ مغنى
نظرت إليهم نَظَر انتقادٍ ... فكنت جَمالَهم لفظاً ومعنى

وكتب إليَّ من دمشق ، وأنا بصفد ضعيف :

كتابك قد أتى عيني وفيها ... فساد نوىً لشوقي وارتياحي[٢]
فجدّدْه فليس يزول إلاّ ... إذا عاد الصّلاحُ إلى الصّلاح

فكتبت أنا الجواب إليه :

كتابك جاءني فنفى همومي ... وآذن سُقْم جسمي بالزوال
وأذكرَ ناظري زمناً حميداً ... تمتّع بالجمال من الجمال

وكتب هو يوماً إليّ :

قد أصبح المملوك يا سيّدي ... يختار أن يفترع الرُّبْوَه
وقد أتى صحبتكم خاطباً ... فأسعفوا واغتموا الخلوه

فكتبت أنا الجواب إليه [ارتجالاً][٣] :

ما لي على الربوة من قدرهْ ... لأنني أعجز عن خَطْوَهْ
وليس مركوبي هنا حاضراً ... فُمَّر نحو الخلوة الْحُلْوَه

---

(١) في الأصل : « فساد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .
(٢) في (س) : « وفيه » .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

وكتب هو إليّ وأنا بالقاهرة[١] :

سار دمعي مني إليك رسولا ... حين أخليت ربعَك المأهولا
وفؤادي استقرّ إذ أنت فيه ... يتراآك بكرةً وأصيلا
ونسيم الصَّبا تحمّل من وصـ ... ـف اشتياقي فيه حديثاً طويلا
ترك القلبَ في الأضالع يَظْمَا ... فيُسَقّيه الاشتياق غليلا
فاستمع ما يملّي النسيمُ بعلمٍ ... عن غرامي إذ كان مثلي عليلا
وقميصُ الكرى مَزِقٌ فإن زا ... ر خَيالٌ وصَلْتَه توصيلا
حبّذا قُرْبُك الذي كان أنْدَى ... في فؤادي من النّسيم بليلا
وليالٍ كم غازلَ الطرفُ من أُنـ ... ـسك في جنحهنّ وجهاً جميلا
ومدام كأنّها لونُ دمعي ... عندما أزمع الحبيب رحيلا[٢]
كأسها في الدّجا تَبدّى شهاباً ... وكَسَا المزجُ رأسَها إكليلا
فتهدّيت للسرور برؤيـ ... ـه وإن كان للهدى تضليلا
كم ركبنا لها سوابقَ لهوٍ ... كان جَرْسُ الغناء فيها صهيلا[٣]
قرّب الله عَهْدَنا مِن ليالٍ ... لم أكن لاقترابهنّ ملولا[٤]
أتَلظّى جوىً وفرطَ حنين ... إن تذكرتُ ظلهنّ الظليلا
وإذا ما احترقْتُ شوقاً فقولي : ... ليت لم أتخذ فلاناً خليلا[٥]
يا صلاح الدين الذي فسد العيـ ... ـش لنا مُذْ نأى وساء مقيلا
قد أتتني أبياتك الغرّ تحكي ... نَسماتِ الصَّبا تجرّ ذيولا
أو نباتِ الربا يصافحه القطـ ... ـر فيغدوا رطب الحيا مصقولا

(١) هذه القصيدة خلا منها الوافي .
(٢) هذا البيت والثلاثة بعده في التذكرة .
(٣) في (س) : « نهر » بدل « لهو » .
(٤) في (ق) ، (س) : « عهدها » .
(٥) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا ﴾ . الفرقان : ٢٨/٢٥ .

فتـــذكرت منـــك جـودا عميـــا ... ومحيـــا طلقـــاً وفضـلاً فضيـلا
ورأيت السطـور تحكي ليـــالي الـ ... ـقرب حسنـــاً ورقّـــةً لا طلـولا
حبـــذا عهـــدهن والعيش فيـــه ... إذ أنـا مـــالـــك إليـــه وصـولا[1]
كنت أجني ثمـــار أنســـك فيهـ ... ـنّ فبـدلتْ بـالنـوى تبـديـلا[2]

وكتبت أنا إليه من دمشق ، وهو بغزّة في الصَّيْد جواباً عن كتاب فيه عَتْب :

حيْثُ الخيـامُ برَمْـل غـزّه ... لي ســادةٌ عنـــدي أعِـزّه
وأنـــــــا كثيِّرُ حُبِّهم ... وهُمُ كما أَخْتَـــارُ عَـــزّه
سِيما جمـــالِهمُ الـــذي ... في فضلـــه طَرْفي تَنَـــزّه
مـــولىً بعطفِ يراعِـــه ... طربٌ يرنّحـــه وهِـــزّه
أضحى يـــوشّي طِرسَـــه ... ويحوك بالأسجاعِ طرْزه[3]
يملي عليـــه بـــدائعـــاً ... يكسو المهارقَ خَيْرَ بـزّه[4]
لـــو فـــاخرَ الروضَ البسيـ ... ـم بكُتْبـه لأبـان عَجْـزَه
ألِفٌ حكت غُصنَ النقـــا ... صدحت عليه حمامُ هَمْزَه
من ميم مَيْلي عنـــــه لا ... أدخلت قلبي تحت رزّه
وظفْرتُ منـــه بمعقِـــلٍ ... لا تطرق الأحـداثُ حِرْزَه
وبـــه تبيّن لي الهـــدى ... وحللتُ من معنـاه رَمْـزَه
وبـــه مـلأتُ يـدي غنىً ... من فضلـــه وفتحتُ كَنْـزَه
فـــالله يحرس مَجْـــدَه ... ويـــديم لـلآداب عِـــزَّه

يقبّل الأرض ، ويصف شوقَه الذي شقّ الجوانح ، وجرح الجوارح ، وملأ الفؤاد

(١) في (ق) ، (س) : « الوصولا » .
(٢) في الأصل : « ثمار الشك » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٣) في (س) : « بالأشجاع » ، تصحيف .
(٤) في (س) : « بديعاً » ، تحريف .

فوادح ، ويذكر حنينه الذي شغله عن ذاته ، وأذهله حتى عن تمنّي اللقاء ولَذّاته ، ونغّصَ صفو عيشه بالبُعد ، وهذه أحسنُ حالاته . ويُنهي ورود المثال العالي فتلقّى منه أكرمَ وارد ، وحوى من ألفاظه الغُرَّ مصائد الشوارِد ، وشافهه منها ألسنٌ عتب لها في القلب وقْعُ السيوف ، وإن كانت فصاحتها[١] مثل المبارد ، وأضرمت في الحشا نيراناً لها الزفراتُ دُخَان ، والضلوع المحنيّة مواقد ، فقابَلها بأعذاره الملفّقة ، فقالت حرارة تلك السطور : دعنا من عذرك البارد ، ونظر من تلك الحروف المنظّمة إلى نُوناتٍ كأنها براثن الأُسود ، وإلى ميمات كأنها عيون الأَساوِد :

وكأن ذاك الطرسَ أصبحَ سَلَّة الـ ـحاوي وهاتيك السطورُ أفاعيا

ثم إن المملوك كابَر نفسه ، وقال : ربّما تصحّف عليه ما تصفّح ، وترجّى أن يكون هذا القدر هو الذي ترجّح ، وجانس بين آساته وعِطْفه ، فذاك ترنّم ، وهذا ترنّح :

ويَدُلّ هَجْرُكم على أنّي خَطَرْتُ ببالكُمْ

وعلل نفسه بقول الآخر :

..... ويبقى الودُّ ما بقي العِتاب

وقال : هذا هو العتب الْمَحْمودِ العواقب ، وهذا التأديب الذي يعقب الرضى ولا يعاقب . وقد عاد المملوك إلى صَوْب الصّواب ، وتضرّع من تلك السطور على عَتَبات[٢] العتاب ، وظن أنما فُتن ، فاستغفر ربّه ، وخرّ راكعاً وأناب :

وهذا الذنب أوّل كلّ ذنب وآخره إلى يوم الحساب

فليغفر مولانا هذه الهَفْوَه ، وليقلّه عثرة هذه الخطوه ، التي لم يلق فيها[٣] حظوه ،

---

(١) في (س) : « في فصاحتها » .
(٢) في الأصل : « عتاب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٣) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

والله يمتّع العيون والنفوس بجماله وجلاله ، ويزيّن الوجود بمحاسنه التي يخجل منها البدر في كماله بمنّه وكرمه ، إن شاء الله .

وحكى لي رحمهُ الله تعالى ، قال : رأيت البارحة في المنام ، كأنَّ في بيتي نهراً عظيماً صافياً ، وأنت من ذلك الجانب ، وأنا من هذا الجانب ، وكأني أنشدك :

يـا خليلي أبـا الصَّفـا لا تكُـدِّرْ مَنْهـلاً من نَمِير ودّك أروى
فجميـع الـذي جرى كان بَسطـاً ولعمري بسـطُ المجـالس يُطـوى

فقلتَ لي : لا بل انظم في زَهر اللَّوز شيئاً ، فأنشدتك :

أيـا قـادم الـزهر أهـلاً وسهـلاً ملأت البرايـا هـدايـا أَرَجْ
فـوقتـك فَضٌّ ختـام السرو ر وعهـدك فرجـة بـاب الفَرَجْ

فكتبت أنا إليه عندما قصّ عليّ هذه الرؤيا :

حـاشى لله أن أكـدّر عَهْـداً لم يـزل من وفـائـك المحضِ صفـوا
وإذا مـا حـديثُ فضلـك عِنـدي ضـاع مني في نَشْرِه كيف يُطـوى

وكنت وعدته بعاريّة رسالة لابن رشيق سمّاها (ساجور الكلب)[1] ، فتـأخَّرْتُ ، فكتب هو إليّ :

يـا جـواداً عِنـانـه في يـد الجُـو د تبـاخَلْتَ لي بسـاجـور كلب
لا تُضـع رُتْبَـةَ التفضّـل والإيْـثـار فـالأمْرُ دُون بـذل العَتْب[2]
وإذا لم يكن من العتب بُـدّ فمرادي إن شئت غير الكُتْب

فجهّزتها إليه ، وكتبت الجواب :

---

(١) الكشف : ٩٧٣/٢ .

(٢) في الأصل : « الفضل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

أيها الأَرْوَعُ الذي فاق مَجْدا ... لا تؤنِّب من لا أتاك بذنب
أنت تدري أن الوفاء الْمُوَفَّى ... لي طباعٌ في الودّ من غير كَسْب
أنا أَخْبَا لو كان طوق عروس ... عنك حتى أصون ساجور كلب

وبيني وبينه مكاتبات كثيرة نظم ونثر ، وقد أوردتها في كتابي (ألحان السواجع) .

٨٨٤ ـ عبد الله بن علي بن عمر*

ابن شبل بن رافع بن محمود ، الشيخ الصالح المحدّث نجم الدين أبو بكر الصنهاجي الحِمْيَري الشافعي الصوفي .

اعتنى به والده ، وأسمعه (صحيح) البخاري من الشيوخ الثلاثة : ابن عزّون ، وابن القاضي رزين[١] ، وابن رشيق[٢] ، و (سنن) أبي داود من النجيب عبد اللطيف ، و (مسند) الإمام أحمد من النجيب أيضاً ، ورحل به إلى دمشق ومعها فخر الدين بن النويري[٣] ، فسمع بها (صحيح) مسلم من ابن عبد الدائم ، ومن أصحاب الخُشُوعي وابن طبرزْد ، وسمع بالإسكندرية أيضاً من أصحاب ابن مُوقّا[٤] .

وكان مكثراً صبوراً على التسميع ، ذاكراً لمسموعاته ، وحدّث بالكثير[٥] ، ومن جملة ما حدّث به الكتب الستة .

---

* الدرر : ٢٧٦/٢ .

(١) في (ق) ، (س) : « زين الدين » ، ولم تتبيّن مرداه .

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن رشيق ، ذكره ابن رافع غير مرّة في وفياته . انظره : ٤٧/١ ، ٢٢٢ ، ولم نقف على ترجمة له .

(٣) في الأصل : « النوري » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو عثمان بن يوسف ، ستأتي ترجمته .

(٤) عبد الرحمن بن مكي بن حمزة (ت ٥٩٩ هـ) ، السير : ٣٩٢/٢١ .

(٥) في الأصل : « كثير » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشري شعبان سنة أربع وعشرين وسبع مئة بقرافة مصر الصغرى ، ودفن بها .

ومولده في سادس عشر شهر رجب سنة ثمان وخمسين وست مئة .

٨٨٥ ـ عبد الله بن علي بن سليمان*

الشيخ الإمام العالم كمال الدين أبو محمد الغرناطي المالكي .

كان رجلاً صالحاً عارفاً بالنحو والقراءات ، وله مشاركة في الفقه ، وأقرأ الناس بحلب نحو عشر سنين ، وعاد إلى الغرب ، وجدّد عهده بأهله ، وبعض شيوخه . ثم إنّه رجع ، وأقام بالقدس شيخ الإقراء ، ومدرساً وإماماً[١] للمالكية .

قال شيخنا البرزالي : سمع بقراءتي (سنن) أبي داود على ابن البخاري ، وغير ذلك ، وحدّث بالقدس .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٨٨٦ ـ عبد الله بن علي**

ابن محمد بن عمر بن أبي عمر المسند الأصيل شهاب الدين أبو القاسم الأزدي الدمشقي .

حدّث عن ابن أبي اليسر وغيره حضوراً ، وسمع من[٢] ابن علاّن وطائفة .

وتوفي بدمشق رحمه الله تعالى في سنة أربع وأربعين وسبع مئة عن ثلاث وسبعين سنة .

---

* الدرر : ٢٧٤/٢ ، وغاية النهاية : ٤٣٦/١ .

(١) في الأصل : « إماماً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الدرر : ٢٧٩/٢ ، وذيول العبر : ٢٤٠ .

(٢) ليست في (ق) ، (س) .

٨٨٧ ـ عبد الله بن أبي عمر*

ابن أبي الرضا الفارسي الفاروثي الشيخ الإمام العالم العلامة سيف النّظر نصير الدين أبو بكر الشافعي ، مدرّس المستنصرية ببغداد .

كان من كبار المذهب ، ورافعي لوائه الْمُذَهَّب ، لو ناظر السيف الآمدي قطعه ، أو الرازي ألقاه في هوّةٍ رزيّة ودَفَعه .

قدم دمشق ، وتكلّم ، وجرّح[1] جماعة في بحثه وكلّم ، وبانت فضائله ، وحكت الرياض الأريضه شمائله ، وعاد إلى مَدْرج عُشّه ، وأقام بها إلى أن حُمل على نَعْشِه .

وتوفي ببغداد رحمه الله تعالى سنة ست وسبع مئة .

٨٨٨ ـ عبد الله بن محمد**

ابن الصفيّ بن أبي المعالي أحمد المقدسي المعروف بابن الواعظ .

أخبرني العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال : لقيته بدمياط سنة ثمان وثمانين وست مئة ، وأنشدني لنفسه :

سَرَتْ نَسْمةٌ مِسكيةُ العرف معطار ... لها أَرَج في طيّ مَسْراه أسرارُ
فلمنا بها حتى الغصونُ كأنّما ... شَذَاها سُلاف الراح والنشر خمّار
أَلاَ هاتِ عن نجد أحاديث غُرْبَةٍ ... فيا طيبَ ما خُبْرٌ أفَدْتَ وأخبار
أُهَيْلَ ودادي هل على أيمن الحمى ... أراكم وتُقْضَى بالتواصلِ أوطار

---

* الوافي : ٣٧٨/١٧ ، والدرر : ٢٨١/٢ ، والشذرات : ١٣/٦ ، وذيول العبر : ٣٦ . وفي الوافي والدرر : « الفاروقي » ، وفاروث : قرية من أعمال شيراز ، كما نقل صاحب الشذرات عن البرزالي . وانظر : معجم البلدان ٢٢٩/٤ .

(١) في الأصل : « جرع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ٥٥٥/١٧ ، والدرر : ٢٩٠/٢ .

وهـل تسعف الأيـام تسمـح بـالمنى بقُرْب مـزارٍ أو يـوافـق مِقْـدَار
خليليّ إن القلب والنفس والهـوى لعينيـه أعـوانٌ عليّ وأنصـار

قلت : شعر يقارب الجودة ، ولو كان لي فيه حكم لقلت :

..... فيـا حبـذا خبرٌ أفـدت وأخبـار

وكان يستريح من اللّحن ، ومن قلق هـذا التركيب ؛ لأن (مـا) ههنـا زائـدة ، وتقديره : فيا طيب خبر وأخبـار أفـدت ، والمعنى عليـه ، وإن كانت نكرة موصوفـة[١] وتقديره : فيا طيب ما أفدته خبراً وأخباراً ، فيتعيّن النصب حينئذٍ على التميز .

٨٨٩ ـ عبد الله بن محمد بن هارون*

ابن عبد العزيز بن إسماعيل الطائي الأندلسي القرطبي المالكي ، نزيل تونس .

قرأ القراءات على جدّه لأمّه محمّد بن قادم المعافري ، ولازم[٢] خال أمّه إمـام جـامع قرطبة العلامة أبا محمد عصام بن أبي جعفر أحمد بن محمـد بن خَلْصـة ، واستفـاد عليـه ، وأخـذ عن قرابتـه الحـافـظ أبي زكريـا بن أبي عبـد الله بن يحيى الحميري ، وقرأ عليـه (الفصيح)[٣] و (الأشعـار الستـة)[٤] ، وسمع منـه (الروض الأنف)[٥] ، وسمع قـاضي الجماعة أبا القاسم بن بقي[٦] ، وأخذ عنه (الموطّأ) سماعـاً ، وقرأ عليـه (كامل) المبرد ، وسمع (صحيح مسلم) من عبد الله بن أحمد بن عطية ، وسمع من أبي بكر محمد بن سيـد

---

(١) في الأصول والوافي : « موصولة » ، ولا تصحّ .

* الوافي : ٥٨٦/١٧ ، والدرر : ٣٠٣/٢ ، والبغية : ٢٠/٢ ، والشذرات : ٧/٦ ، وذيول العبر : ٢٣ .

(٢) في الأصل : « وخالف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٣) لثعلب ، في اللغة .

(٤) للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) .

(٥) للسهيلي (ت ٥٨١ هـ) .

(٦) أحمد بن يزيد (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٧٤/٢٢ ، والشذرات : ١١٦/٥ .

الناس الخطيب[١] (صحيح البخاري) ، ولازمه وسمع (الشمائل)[٢] من الحافظ محمد بن سعيد الطرار ، وسمع (التيسير) من النحوي أحمد بن علي الفَحّام المالقي[٣] ، وأخذ (كتاب) سيبويه تفهماً عن أبي علي الشلوبين[٤] وأبي الحسن الدبّاج[٥] ، وقرأ (مقامات) الحريري تفهماً على العلامة عامر بن هشام الأزدي ، وانتهى إليه علوّ الإسناد .

وروى عنه شيخنا أبو حيان وأبو عبد الله الوادي آشي ، وأبو مروان التونسي خازن المصحف وآخرون .

قال شيخنا الذهبي : وكتب إلينا بمروياته عام سبع مئة ، كان قد جمع بين الرواية والدرايه ، وتحقق عند الناس ماله بالعلم من العنايه ، وأخذ عنه الكبار ، وأعاد جدّة ماقد خمل من هذا الفن وبار ، إلاّ أنه كان يتشيّع ظاهرا ، ويطعن في معاوية وابنه ناظماً وناثرا .

ثم إنه في آخر وقته اختلط وانخطم ، وسكن منه ذلك البحر الذي تموّج والتطم ، وبان هَرَمه ، وخمد ضَرَمه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وست مئة .

أخبرني العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، قال : رأيت بخط ناصر الدين بن سلمة الغرناطي : شيخنا ابن هارون فيه تشيّع وانحراف عن معاوية ، وابنه يطعن فيهما نظماً ونثراً ، اختلط بعد انفصالي عنه ، وبان اختلاطه .

(١) هو محمد بن أحمد الإشبيلي (ت ٦٥٩ هـ)ل العبر : ٢٥٥/٥ .
(٢) الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذي ، الكشف : ١٠٥٨/٢ .
(٣) (ت ٦٤٥ هـ) ، البغية : ٣٤٦/١ .
(٤) عمر بن محمد بن عمر (ت ٦٤٥ هـ) ، البغية : ٢٢٤/٢ .
(٥) علي بن جابر بن الدباج (ت ٦٤٦ هـ) . السير : ٢٠٩/٢٣ .

٨٩٠ ـ عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق العِراقي*

الإمام البارع عماد الدين الحَرْبَوي الطبيب الأديب الحَيْسُوب المتفلسف[١] ، أحد الأعيان ببغداد .

نبغ[٢] في فنون من العلوم العقلية والنقليه ، وقرأ عليه جماعة في أنواع من المعارف الجدّية والهَزْليه ، وجالس الملوك ، وحصّل أموالاً تضيق بدُرَرِها السلوك ، ودَرَّس مذهب الشافعي بدار الذهب ، وأغار على ما في كتب المذهب من الجواهر ونَهَب ، ومنح الطلبة ماعنده من ذلك وَوهَب ، وولي رئاسة الطب ، ومشيخة الرباط ، وعمل أشياء بالاحتيال والاحتياط .

ولم يزل على حاله إلى أن زال سلطانه ، وفارقته مع الحياة أوطانه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

وهو الذي علّم شرف الدين هارون بن الوزير وأولادَ عمّه علاء الدين صاحب الديوان فنَّ الحساب ، وكثرت أمواله ، وكان قد أخَذ فَنّ المعقول عن النصير الطوسي وأنشأ داراً وقفها[٣] على إمام ومؤدب وعشرة أيتام ، وله تصانيف وإنشاءات .

وأخذ عنه العز الإربلي[٤] ، وله من التصانيف : (القواعد البهائية) في الحساب ، و (مقدمة في الطب) ، وغير ذلك .

---

* الوافي : ٥٩٠/١٧ ، والدرر : ٢٩٤/٢ .

(١) طمست في الأصل ، وهي ثابتة في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « برع » .

(٣) في (ق) ، (س) : « أوقفها » .

(٤) الطبيب كما في الوافي .

قال في (تفسير) رشيد الدولة[١] : هو إنسان ربَّاني ، بل ربٌّ إنساني ، تكاد تجلّ عبارته بَعْدَ الله . فشهدوا عليه بعد موت الرشيد ، فدخل على قاضي القضاة قطب الدين ، فحقن دمه ، ومات ، ودفن في داره ببغداد .

٨٩١ ـ عبد الله بن محمد بن علي*

ابن حمّاد بن ثابت الواسطي الإمام المفتي بالعراق ، جمال الدين بن العاقُولي البغدادي ، مدرّس المستنصرية .

كان يقول : إنه سمع من محيي الدين بن الجوزي[٢] ، وسمع [من][٣] الكمال الكبير ، وروى عن ابن الساعاتي[٤] شيئاً في تأليفه .

وكان إماماً عالما ، سالباً غُرّة[٥] الكمال سالما ، له مهابة وعنده شهامه ، وإذا رمى أمراً أَنْفَذَ فيه سهامه ، حَميد الطريقه ، مفتي العراق على الحقيقه ، أفتى نحواً من سبعين[٦] سنه ، وأعاد عَيْنه في العلم رمداء ، وغَيْرُه بالجهل عَيْنهُ وسنه .

ولم يزل على حاله إلى أن زاد في هجر موضعه ، وسار راكباً على شَرْجَعه[٧] .

---

(١) يعرف بتفسير الرشيدي ، لرشيد الدين فضل الله بن أبي الخير بن علي الهمذاني المتوفي (٧١٨ هـ) ، وزير السلطان بوسعيد . الكشف : ٤٤٧/١ .

* الوافي : ٥٩١/١٧ ، والبداية والنهاية : ١٤٢/١٤ ، والدرر : ٢٩٩/٢ ، والشذرات : ٨٧/٦ ، وتذكرة النبيه : ١٨٨/٢ .

(٢) في الأصل : « الجزري » ، تحريف ، وابن الجوزي هذا هو : يوسف بن عبد الرحمن (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٧٢/٢٣ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٤) أحمد بن علي (ت ٦٩٤ هـ) ، سلفت الإشارة إليه . ووقع في (ق) ، (س) : « الساعي » ، تحريف .

(٥) في الأصل : « غير » ، وفي (س) : « غيره » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) في التذكرة : « أفتى ودرس أكثر من خمسين سنة » .

(٧) أي : نعشه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وثلاثين وست مئة ، وعُدّل سنة سبع وخمسين وست مئة .

ورزق الحظَّ في فتاويه ، ودفن بداره التي وقفها على ملقّن وعشرة أيتام ، وكانت جنازة عظيمة إلى الغاية ، ما رؤي مثلها .

وخلّف ولداً ذكياً ، اشتغل بالحكمة والنظر ، ودَرَّس وعظم أيضاً بعد والده .

٨٩٢ ـ عبد الله بن محمد بن أبي بكر*

الإمام العلاّمة تقي الدين الزَّرِيراني ، بزاي مفتوح ، وراء بعدها ، ياء آخر الحروف ، وراء ثانية ، وألف بعدها نون[١] ، العِرَاقي الحَنْبلي مُدَرس المستنصَرية .

برع في مذهبه ، وسار منه في موكبه ، واشتغل واشتعل ، وحفي في طَلَب العلم وانتعل ، وصنف وناظر ، وذاكر بالعلوم وحاضر ، وناب في الحكم فحُمدت سيرته ، وطَهُرت[٢] في القضاء سريرته ، وقرأ الناسُ عليه ، وحملوا المسائل والفتاوى إليه .

ولم يزل على حاله إلى أن التقى الموت بالتقي ، وفني جسده ، وذِكْرُه بقي وهو نقي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين[٣] وست مئة .

وكان قد قدم دمشق في حدود سنة تسعين ، وتفقّه بها على الْمَجْد[٤] وغيره ، وعاد إلى بغداد ، وهو والد شرف الدين عبد الرحيم[٥] .

---

* الوافي : ٥٩٢/١٧ ، والدرر : ٢٨٩/٢ ، والشذرات : ٨٩/٦ .

(١) نسبة إلى زَرِيران ، قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ . معجم البلدان : ١٤٠/٣ .

(٢) في الأصل و (س) : « ظهرت » .

(٣) في (س) : « وخمسين » .

(٤) هو المجد الحراني ، كما في الدرر ، واسمه إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) توفي (٧٤١ هـ) ، كما في الدرر : ٢٥٧/٢ ، ولم يترجم له المصنّف .

٨٩٣ ـ عبد الله بن محمد بن أبي بكر*

الفقيه شرف الدين أبو محمد بن الشيخ العلاّمة شمس الدين بن قيّم الجوزية الحنبلي ، يأتي ذكره والده في مكانه .

كان شرفُ الدين هذا آيةً في الذكاء والحِفْظ . قرأ القرآن صغيراً وَعُمْرُه تسع سنين ، وختمه ، وصلّى به سنة إحدى وثلاثين بالجَوْزِيّة ، كان يتلقّن في أكثر الأيام نصف جزء ، وحفظ (الأعراف) في تلقينين ، وحفظ (الجرجانية)[١] و (الكافية الشافية) لابن مالك ، وحفظ (المحرّر) للشيخ مجد الدين بن تيميّة ، وقرأ (مختصر الروضة) للشيخ مجد الدين الطوخي في أصول الفقه[٢] ، وحفظ (المحرّر في الحديث) لشمس الدين بن عبد الهادي[٣] ، وسمع الحديث ، وأكثر منه في الشام ومصر على أصحاب ابن عبد الدائم وأصحاب ابن النجيب الحراني وطبقتهم ، وسمع على الحَجّار أكثر (صحيح) البخاري ، وسمع الكتب الستة والمسانيد المشهورة ، وشيئاً كثيراً من الأجزاء .

وأفتى ودرّس ، وأعاد ، وحجّ مع والده مرتين ، وأقام بينهما سنةً بمكة ، ثم إنه حجّ بعد ذلك سبع حجات متواليات ، وتزوج اثنتين .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شعبان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ومولده في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

---

* الدرر : ٢٩٠/٢ ، والشذرات : ١٨٠/٦ .

(١) للإمام عبد القاهر الجرجاني ، واسمها الجمل . الكشف : ٥٨١/١ .

(٢) الروضة ، هي : روضة الطالبين ، وعمدة المتقين ، للإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ) وقول الصفدي إن المختصر هو لمجد الدين لم نجد ما يؤيده ، والمشهور أنّه نجم الدين سليمان بن عبد القوي (ت ٧١٠ هـ) . انظر : الكشف : ٩٢٩/١ . وقد سلفت ترجمة سليمان هذا .

(٣) المحرر هو تلخيص لكتاب « الإلمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد » ، لخصّه . وشمس الدين هذا هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي (ت ٧٤٤ هـ) ، ويعرف بابن قدامة الحنبلي . الكشف : ١٥٨/١ .

٨٩٤ ـ عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن ناصر*

قاضي القضاة زين الدين المعروف بابن قاضي الخليل الشافعي .

كان قاضي قضاة الشافعية بحلب ، وكان حسن الشكاله ، قادراً على نَصْب الحباله ، وقوراً ، له مهابة فاخر البزّة ، قد أوقد التعاظمُ فيها[١] شهابَه ، عنده مشاركه ، وله منابذة ومتاركه ، عقله المعيشي[٢] جيّد ، وذكره بالقَبُول متأيّد ، محاضرته حُلْوَه ، ومذاكرته من الإملال خِلوه[٣] ، وله نظم قد صفا ، ورفّ[٤] عليه ظلُّ القبول وضفى .

ولم يزل على حاله بحلب إلى أن كَمَّلَ شَوْطَه وانقلب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

ولي بدمشق قضاء بعلبك في أول المحرّم سنة سبع وتسعين وست مئة ، وقضاء حمص ، ثم إنه نُقل إلى قضاء حلب ، فأقام به نيفاً وعشرين سنة ، وناب في الحكم بدمشق ، وحجّ مرات ، وتزوج بابنة الأمير علم الدين الزرّاق[٥] ، وجرت له أمور مضحكة بسببها ، لأن سَمْعَه لحقه صمم ، وكان الشيخ كمال الدين بن الزملكاني كثير الحطّ عليه ، حكى لي عنه حكايات عجيبة ، نسأل الله العفو والسلامة منها . وتوجه الشيخ كمال الدين بعدَهُ لقضاء حلب .

---

* الوافي : ٥٩٣/١٧ ، والدرر : ٢٩٥/٢ ، والشذرات : ٦٤/٦ ، وذيول العبر : ١٣٥ .

(١) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) كذا ، ولم نستبن مراده .

(٣) في الأصل : « حلوة » تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في (س) : « رقّ » ، تصحيف .

(٥) في الأصل : « الشيخ علم الدين » ، سهو ، والزراق هو : سنجر ، سلفت ترجمته .

ومن شعره :

أحبُّـك حبّـاً يمنـع العينَ نَـوْمَهـا و يمنعني عنـد الظّما بـاردَ العـذب
ومـا أنّـا راضٍ عن غرامي وإنني لأعتبُ في هـذا الغرام على قلبي

قلت : هو مأخوذ من قول الأوّل ..[1]

ومن شعره في سَنَةِ حجِّه :

ولمـا أتى سيـلٌ عظيم عَرَمْرَمٌ بوادي القُرَى يعلو على السهل والوَعْر
عَلَـوْنـا ظهـور اليَعْمُـلات تحصُّنَـا وكانت لنا في البَرّ سُفْنـاً وفي البحر[2]

ومن شعره قصيدةٌ يمدح بها سيدنا رسول الله ﷺ :

قد بدت طيبـةٌ ولاحَتْ رباهـا فـابتـدر قُرْبَـه بلثم ثَراهـا
واحمـد الله ذا المـواهبِ والفضـل على النعمـة التي أَوْلاَهـا
وافرشِ الخـدَّ والـدموعَ على الأر ض وهـذا شـأن الـذي يَغْشـاهـا
ثم لاحت لنـا القبـابُ العـوالي فاستنارت رحـالُنـا مِنْ سَنَـاهـا
وأتينـا مـدينـة العلم والـوحـي ومن تنفِ خبثهـا وأذاهـا
فرأينـا جـلالـةً وبهـاءً مـا رأينـاه في مكانٍ سـواهـا
وأتينـا سَعْيـاً إلى الحَرَم الأشرف والحُجْرة التي نهـواهـا
حبـذّا سـاعـةٌ أتينـاه فيهـا وصبـاحٌ وليلـةٌ سرنـاهـا
ثم قلنـا عليـك يـا أشرف الخَلْـق صـلاة ورحمـة لا تضـاهى
وعلى صاحبَيْك صهريـك جـاريـ ـك سـلامٌ يعطر الأفـواهـا
يـا رسـول الإلـه يـا أشرف الخلـق ويـا أعظم النبيينَ جـاهـا
يـا مغيث الأنـام في مـوقف الحشر إذا أوثـق النفـوس رَدَاهـا

(١) كذا ، بياض في الأصول .
(٢) اليعمليات : جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة .

حيث كلّ يقـــــول: نفسيَ نفسي ليس يرجـو نجـاة شيءٌ سـواهـا
فتنـــادي أنـــا لهـــا زادك اللّـــــه ارتقـــاءً ورفعـــةً تَرْضَـــاهـــا
فهنـــاك الرسـول يَسْجـــد للـــــه لـــدى العرش مُخْبتـــاً أوّاهـــا
ملهماً أشرف المحـــامـــد للـــــه ومـــا كان قبـل ذاك دَرَاهـــا
فينـــادى اِرفـع واِشفـع تُشفّـع ثم سَـلْ كلّ حـاجـة تُعْطَـاهـا
ثم يـؤتى بـــأمّـــة نظر اللـــــه إليهـــا بـــأحمـــدٍ فهـــداهـــا
ثم يمضي بهم سريعـــاً إلى الجنـــةِ يـــافـوزهـــا ويـــا بشراهـــا[1]

قلت : نظم ، مقبول ، إلاّ أنّ فيه لحناً خفياً ، ولحناً ظاهراً ، فالظاهر في قوله : ومن تنفْ ، فجزم بـ (من) ، توهّمها شرطية ، وليس كـذلـك ، والخفيّ قوله : وسل كل حـاجـة تعطـاهـا ، جواب الأمر في : سل تُعْطها ، ولكنـه يجوز ، وهو أهـون من الأول .

٨٩٥ ـ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون*

الشيـخ تقي الـدين الهُرْغي ، بضم الهـاء وسكـون الراء ، وبعـدهـا غين معجمـة ، الزكَنْـدَري ، بـالزاء والكاف والنـون والـدال المهملـة ، والراء المراكشي ، قـاضي الركب المغربي .

اجتمعت به بجسر اللبّادين بدمشق في حـادي عشر صفر ، سنـة سبع وأربعين وسبع مئة ، وسألته عن مولده فقال : في تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبع مئة .

وأنشدني من لفظه لنفسه ملغزاً في البربر :

ومـا أمّـة سُكْنَـاهُم نصفُ وصفهم وعيشُ أعـــاليهم إذا ضُمَّ أوَّلُـــه

---

(١) في (ق) ، (س) : « سراعاً » .

* الوافي : ٥٩٤/١٧ ، والدرر : ٢٩٦/٢ .

ومَقْلُوبُهُ بالضم مشروبُ جُلِّهم وبالفتح مَنْ كُلٌّ عليه مُعَوَّلُه

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :

اسم الذي قد سبى قلبي تجنيّه وعزٌّ ملك جميعُ الحسن يطغيه
ما كل آخره عُشْرٌ لأوّله وعشر ثالثه شطرٌ لثانيه[1]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :

قسماً بوردِ الوجنتين ونضرته وبقدرك السامي الرفيع وعزّته
لو لاح وجهك في الكرى لكُثيّر ما اعتاده بَرْحُ الخيال بعزته
أو لو رأى الضّليلُ بعض جمالكم ماضلَّ عن سُبُل الهدى بعُنيزته[2]

٨٩٦ ـ عبد الله بن محمد*

أبو محمد المرجاني القُرَشي التونسي الشيخ الإمام العالم المفتي .

كان مشهوراً في الآفاق ذِكْرُه ، مشهوداً في البواطن عِلْمُه وخُبْرُه ، وكان إماماً مفتياً في مذهب مالك ، عالماً بما فيه من المآخذ والمسالك ، حُلوَ العبارة مُذَكِّرا ، خبيراً بعلوم القرآن مُفَسّرا ، ما كان أحد يقدر على إعادة ما يَسْرُده ، ولا حِفْظِ ما يقوله ويُورده[3] ، لأنه كان ربما يتكلم على الآية الواحدة ثلاثة أشهر ، وتخيّل الناس أنّ هذه المادّة من بحر زاخر ، فإنها تُستكثر على الأنهر ، وله يد طُولى في الحديث ومعرفه ، وقَدَمٌ راسخ في العبادة والتّصوّف[4] البديع الصفه ، ولم يصنّف شيئا ، ولا ترك لشخصه فيئا ، وترك مجلدات كثيرة إلى الغايه ، وعلى الجملة فكان آيه .

(١) في الأصل : « آخر » و« سطر » . وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .
(٢) الملك الضليل : لقب امرئ القيس الشاعر الجاهلي المشهور .
* الوافي : ٥٩٥/١٧ ، والعبر : ٤٠٨/٥ ، وعقد الجمان : ١٠٧/٤ ، وفيات سنة (٦٩٩ هـ) .
(٣) في (ق) : « وما يورده » .
(٤) كذا في الأصل والوافي ، وفي (ق) ، (س) : « التصرف » .

توفي بتونس رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة . وعاش اثنتين وستين سنة ، وصلّى عليه المستنصر أبو عبد الله محمد بن الواثق صاحب تونس[١] .

قدم الإسكندرية والقاهرة ، وذكّر بهما ، وتعجّب الناس منه رحمه الله تعالى .

٨٩٧ ـ عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل*

بهاء الدين العسقلاني ثم المكي المقرئ الشافعي المحدّث .

عُني بالحديث ، وارتحل له[٢] ، وأخذ عن بيبرس العديمي[٣] بحلب ، وعن ست الوزراء[٤] ، والدَّشتي بدمشق ، وعن التَّوزي ، ورضي الدين[٥] بمكة ، وعن طائفة بمصر ، وقرأ المنطق ، وقرأ بالروايات وأتقن المذهب .

وكان حسنَ القراءه ، بديع المراجعة والبداءه ، جيّد المعرفة بعلومه ، يضاهي الأفق في عداد نجومه ، مليح المذاكرة إذا انشرح ، بديع المحاضرة كأنه نسيم في السَّحَر سَرح ، متين الديانه ، مُبينَ الصِّيانه ، شديد الورع ، عديمَ التّسرّع ، يؤثر الانقطاع والخمول ويودّ أن لا يكون له بالخَلْق شمول . حصّل المدارس والمعاليم ، ثم ترك ذلك جميعه وانقطع ، وآثر الحق الذي لاح له وسطع ، ورابط بظاهر[٦] الإسكندرية في زاوية هناك ، وخلص من الاشتراط والاشتراك .

---

(١) محمد بن يحيى (ت ٧٠٩ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٥٩٦/١٧ ، والدرر : ٢٩١/٢ ، والسلوك : ١٥٨/١/٣ .

(٢) في (س) : « عنه » ، تحريف .

(٣) توفي سنة (٧١٣ هـ) .

(٤) ست الوزراء بنت عمر بن أسعد التنوخية . (ت٧١٦ هـ) . ذيول العبر : ٨٨ .

(٥) رضي الدين بن المحبّ ، سلفت الإشارة إليه .

(٦) في الأصل : « بظهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (س) : « في ظاهر » .

وما زال على حاله إلى أن راح خفيف الحَاد[١] ، وترك الفاني وأخذ ما ليس له من نفاد ، وتوفي رحمه الله تعالى ...[٢] .

ومولده سنة أربع وتسعين وست مئة بمكة .

٨٩٨ ـ عبد الله بن محمد بن عسكر*

ابن مظفر بن نجم بن شاذي بن هلال ، شرف الدين أبو محمد القيراطي الشافعي .

سمع من الدمياطي ، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وسمع بالإسكندرية من الأشياخ الموجودين في سنة سبع مئة ، وقرأ الأصول على الباجي ، والخطيب الجزري ، والعربية على شيخنا أبي حيّان .

كان فقيهاً أديبا ، عارفاً لبيبا ، محفوظُه كثير ، ومَدَدُه في التفسير غزير ، ولي القضاء بنواحي عديده ، ووجد فيها أموراً مُفيتة ومفيده ، ثم استعفى ، وطُلب لقضاء حلب ، فاستخفى .

وحكى عنه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي أشياء دارت بينهما حسنة ، دلّت على أنه كان مطبوعاً .

ولم يزل على حاله إلى أن خلت منه القاهرة ، وأوحش بفضله النجومَ الزاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في بُلْبَيْس سنة اثنتين وسبعين وست مئة .

---

(١) كذا ، ولعلها (الجاذّ) ، أي : الظهر ، وفي الحديث : (أغبط الناس المؤمن الخفيف الجاذّ) ، أي : خفيف الظهر .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٧٧ هـ) . وكذلك في السلوك .

* الدرر : ٢٩٨/٢ ، وتذكرة النبيه : ٣١٨/٢ ، وفيه وفاته (٧٤٠ هـ) . وقيراط : قرية من عمل بُلْبَيس .

ولي القضاء بالمنوفيّة وبدمياط وبسيوط ، ودرّس بالسنجارية المجاورة لقبّة الشافعي ، وبالمشهد النفيسي[١] ، [وأعاد بالقطبيّة][٢] وبقبّة الشافعي ، وترك القضاء ، وطُلب لقضاء حلب[٣] ، فبكى بين يدي السلطان واستعفى ، وسئل عن قضاء الغربية فلم يجب .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوّي[٤] ، قال لي : ما بقيت أدخل في القضاء ، فإني ما وجدت فيه خيراً ، ومن شعره :

يا دَارَهُم باللوى حُيّيت من دار ... ولا تعدّاك صَوبُ العارض الساري
تُرى تعود ليالينا بقُربهم ... قبل الممات وتقضى فيك أوطاري
ودّعت طيب حياتي يوم فرقتهم ... فالطرف في لجّة والقلب في النار
لله عيش مضت أيامه هَدَراً ... لم يبق فيها سوى أوهام تذكار[٥]

٨٩٩ ـ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد*

الشيخ الإمام الفقيه المحدّث الفاضل شرف الدين أبو عبد الله الواني الدمشقي حفيد الشيخ برهان الدين المؤذّن المُقدَّم ذكره .

سَمَّعه والدُه الشيخ أمين الدين [من][٦] أبي بكر بن عبد الدائم ، والمطعّم[٧] حضوراً ، ومن ابن سعد والبهاء بن عساكر ، وبالقدس من بنت شكر[٨] ، وبمصر

(١) في التذكرة : « بمشهد السيدة نفيسة » . وهي نفيسة بنت الحسن بن زيد المتوفاة (٢٠٨ هـ) .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) يقتضيها السياق .
(٣) في الأصل : « بعلبك » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر .
(٤) ليس للمترجم ترجمة في كتاب الأدفوي (الطالع السعيد) .
(٥) في (س) : « أيام تذكار » .
* الوافي : ٥٩٧/١٧ ، والدرر : ٢٩٨/٢ ، وذيول العبر : ٢٧٧ .
(٦) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٧) عيسى بن عبد الرحمن (ت٧١٩ هـ) ، ستأتي ترجمته .
(٨) زينب بنت أحمد بن عمر (ت٧٢٢ هـ) ، سلفت ترجمتها .

وقوص والحرمين وحماة وحلب ، وطلب هو بنفسه ، وقرأ ، وكان قارئاً مطيقا ، فصيح اللفظ منطيقا ، حادَّ الذهن ، سريع الإدراك ، بديع الاشتراك ، لو عاش لكان عجبا ، وأبقى له في الغابرين نبا ، ولكنه مات عَبْطَه ، وأضاع الموت جمعه وتحصيله وضَبْطَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد قرأ على شيخنا الذهبي [وغيره][1] ، وكان فيه ورع ، وعمل أربعين بلدية وغير ذلك .

وكَتَبْتُ ورقة شهادةٍ له باستحقاقه لما يتولاّه من وظائف العلم ، وَنُسْخَتُها ...[2] .

٩٠٠ ـ عبد الله بن محمد بن محمد بن علي*

الإمام القدوة شيخ الحرم ، نجم الدين الأصبهاني المجاور ، صحب أبا العباس المرسي تلميذ الشاذلي .

كان شيخاً مهيبا ، وقوراً عجيبا ، منقبضاً عن الأنام منجمعاً عن الناس في ذاته بالحطيم ، زاهداً في الحُطام .

تفقّه في مذهب الشافعي فأتقنه ، وبرع في علم الأصول وأثار مَعْدِنَه ، ودخل في طريق الحُب ، ونزل منه في جُب ، وصَحبهُ الشيخ عماد الدين الحَزَّامي[3] .

ولم يزل على حاله إلى أن عدم الحرمُ أُنْسَه ، وأتاه العدم الذي يَعُمّ نوعه وجِنْسَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) كذا بياض في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٥٩٩/١٧ ، والدرر : ٣٠٢/٢ ، والشذرات : ٥٥/٦ ، وذيول العبر : ١١٨ .

(٣) عبد الرحمن بن موسى بن خلف الحزامي (ت٧٢٧ هـ) ، البداية والنهاية : ١٣١/١٤ .

ومولده في ثلاث وأربعين وست مئة .

جاور بضعاً وعشرين[١] ، حج من مصر ، ولم يزر النبي ﷺ ، فعيب ذلك عليه مع جلالة قَدْره ، وكان لجماعةٍ كثيرة فيه اعتقاد عظيم .

٩٠١ ـ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن*

الصدر الفاضل جمال الدين بن قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وسوف يأتي ذكر جماعة من إخوته ، وذِكرُ والده وعمِّه كلٌّ منهم في مكانه .

كان قبل ما يتعلَّج[٢] ، ويدخل في السِّمَن ويتولّج ، ذا صورة في الحسن بديعه ، وطلعة تترك قلوب من رآها صديعه ، تتيم فيه جماعة وهاموا ، وغرقوا في دموعهم وعاموا ، ولما طلب السلطان والده ليولّيه قضاء الشام كتب فيه تنكز أنَّ هذا وَلَدَه يتعب الناس بسببه ، فقال السلطان : أنا أترك ولده عندي بالقاهرة ، فجهز والده ، وأقام عبد الله المذكور بالديار المصرية ، فخدمه الناس ، وتقرّبوا إليه بمجالس اللهو والإيناس ، وصحب الناس وعرفهم ، ورافقهم وألفهم .

ولما حضر والده قاضي قضاة الديار المصرية زاد وجاهه ، وارتفع عظَمةً ونباهه ، وحصّل أموالاً جمّه ، وأملاكاً لا تُذَمّ لها ذمه ، واقتنى من الخيل ما كاثر بعدَّته وعُدَّته نجوم الليل ، وكانت له خبرة في معرفة جيادها ، ودربة تامّة في اقتنائها واقتيادها ، وذهنه في غاية الحُسْن ، وذكاؤه تعرِفه القالَة اللُّسْن .

وحفظ (التنبيه) في الفقه وغيره من كتب العلم ، ودَرِب الأحكام الشرعية كما يراه أولو الحلم .

---

(١) في (س) : « عشرين سنة » .

* الدرر : ٢٩٣/٢ .

(٢) كذا ، والأشبه : « أن يتعلج » ، يقال : تعلجت الإبل : إذا أكلت العلجان ، وهو ضرب من الشجر يتخذ علفاً .

ولّما توجّه والده مع السلطان إلى الحجاز ناب عنه في إلقاء الدروس ، وعَجَّبَ الناس منه ، وحركوا له الرؤوس ، ثم إنه خرج مع والده إلى الشام ، وترك وراءه ملكاً كم لمح بارقه[١] ، وكم شام .

ولما كان الفخري على خان لاجين بدمشق قرره في ديوان الإنشاء كاتبا ، وأجرى له معلوماً على ذلك وراتبا .

ولم يزل على ذلك إلى أن برك جمله فما قام ، وثوى بعد تنعّمه في ذلّ التراب وأقام .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ومولده ..[٢] .

وكان قد حصل له فالج ووالده بدمشق خطيب ، فتعب عليه وعالجه أمين الدين سليمان إلاّ بقايا منه .

وكان شكلاً ضخماً ، كبير البطن ، ثقيل الحركة ، يتعذّرُ عليه المشي إلاّ بكُلْفة .

وحضر إلى دمشق بخيول عظيمة ، وجوارٍ كثيرة مُبْدِعات الحسن ، وكان يحتاج لجماعته ومن حوله في كل يوم خمسة أرطال لحم بالدمشقي ، وكان يبالغ في اقتناء الخيل[٣] المسوّمة ، ويسابق عليها أولاد الأمراء والأمراء ومماليك السلطان ، وأخرجه السلطان لذلك من مصر ، وأقام بدمشق مدة ، ثم سأل والدُه فيه السلطان ، وضَمِنَه ، فأذن له في العود ، ثم أخرجه ، ثم أعاده مرتين ، وأنا شاك في الثالثة ، وعمّر بمصر على النيل بالقرب من جزيرة الفيل عمارةً عظمى أنفق عليها ما يزيد على ألف ألف درهم ،

---

(١) في الأصل : « باقة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) كذا بياض في الأصل .

(٣) في (ق) ، (س) : « الخيو، » .

ولّما خرجوا من مصر اشتراها الأمير سيف بشتاك بأربعين ألف درهم ، وأباع [له][1] النّشو منها شبابيكها النحاس بأربعين ألف درهم ، وكانت له دارٌ أخرى داخل القاهرة عند دكّة المحتسب أباعها بدون العشرين ألف درهم ، أقلّ ما أنفق عليها ستون ألف درهم .

وأمّا الجواري فذكر لي من لفظه بالقاهرة : هن ما يبرحن عشرة ، أربع منهن أمهات أولاد ، وست[2] أبيعهن [وأشتري][3] بدلهنّ دائماً .

وأما عدد خيله ومراكيبه وما يحتاج ذلك من السروج المرصّعة واللجم والفكوك باليشم واليصم والأقواس والبرذنبات والكنافيش عمل الدار والمُقَصَّبه والعُبي ، وغير ذلك فشيء كثير جداً ، لكل فرس بذلتان وثلاث ، وقال لي في وقت : عندي تسع عشره حجراً غير البغال والأكاديش والفحول الثمينة .

وأما الكتب المجلدة من الأدبيات والدواوين وغيرها من كل فنّ فكان عنده وحده خارجاً عن أبيه وإخوته فوق الثلاثة[4] آلاف مجلدة ، ولكن كل نسخة ما يقع مثلها في عمر مديد .

وأمّا الصيني من القطع النفيسة الجليلة الغريبة فشيء عظيم ، إلى غير ذلك من سائر الأصناف النفيسة البديعة الثمينة[5] .

وبالجملة فما كان إلاّ في عداد الملوك ، وكان يحفظ (ديوان ابن الفارض) بكماله ، ومن شعر الأرّجاني وابن النبيه والحاجري والبهاء زهير وابن عربي والسِّراج الورّاق

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) في الأصول : « أربعة منهنّ .. وستة » م ولا تستقيم .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « الثلاث » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « الغريبة الثمينة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وأبي الحسين الجزار وابن دانيال وابن النقيب ، وفحول المتأخرين ما يقارب عشرين ألف بيت .

ولما مات كان قد ذهبت نعمته ، ولم يبق منها إلاّ بقايا ، وزالت بأجمعها ، ولم يطرح الله فيها بركة ، ووصل بعده أولاده إلى أن كانوا يستعطون من أصحاب أبيهم ، ومن أكابر الناس ، فسبحان العظيم .

٩٠٢ ـ عبد الله بن محمد بن عبد العظيم بن السقطي*

الشيخ الإمام العالم فخر الدين أبو محمد الشافعي .

كان فقيهاً ، وصنف مَنْسِكاً كبيراً ، وناب في الحكم على باب النصر بالقاهرة ، وأقام بمكة شاهداً على العمارة في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وكان شاهداً بالخزانة في قلعة الجبل ، وسمع من ابن خطيب المِزّة ، وحدث ، وقيل : إنه شرح (التنبيه) .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

وهو ابن أخي القاضي جمال الدين [ابن][(١)] السقطي[(٢)] .

٩٠٣ ـ عبد الله بن محمد بن عبد الله فخر الدين أبو محمد المراكشي**

كان فقيهاً مباركاً مشكوراً ، اشتغل كثيراً بالعلم ، ونسخ بخطّه ، وكان إمام المدرسة الرواحية[(٣)] ، وفقيهاً بالمدارس . وقرأ بالروايات على الزواوي ، وروى الحديث

* البداية والنهاية : ١٦٤/١٤ ، والدرر : ٢٩٥/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) محمد بن عبد العظيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الدرر : ٢٩٧/٢ .

(٣) المدرسة الرواحية بدمشق أنشأها التاجر المعروف بابن رواحة المتوفى (٦٢٢ هـ) . وهي قرب الجامع الأموي داخل باب الفراديس .

عن الرشيد بن مسلمة ، وسمع من جماعة منهم شمس الدين محمد بن سعد المقدسي[١] ، وعبد الله بن الخُشُوعي ، وابن طلحة ، وإسماعيل العراقي ، والعماد بن عبد الهادي ، واليلداني ، والكفر طابي ، والسديد بن علاّن ، والباذرائي ، وعثمان بن خطيب القرّافة ، والنجم بن النور البلخي ، وابن عبد الدائم .

وتوفي رحمه الله في مستهل شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وقد قارب الثمانين رحمه الله تعالى ، دخل حمّام السلاّري فوقع ومات هناك ، وغُسّل بالرواحيّة .

٩٠٤ ـ عبد الله بن محمد بن فضل الله*

القاضي شمس الدين بن القاضي فخر الدين ناظر الجيوش .

نشأ في حياة والده ، وتأهّل للمناصب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وفقده والدُه ، وكتب الأمير سيف الدين تنكز إلى والده وعزّاه فيه .

٩٠٥ ـ عبد الله بن محمد بن أحمد**

ابن خالد بن محمد بن نصر بن صغير ، الصاحب الأثير الوزير فتح الدين القرشي المخزومي الخالدي الحلبي بن القيسراني .

سمع أبا القاسم بن رواحة ، وابن الجُميَّزي[٢] ، ويوسف الساوي[٣] ، وابن خليل[٤] ، وأحمد بن الحَبّاب ، وجماعة .

---

(١) (ت ٦٥٠ هـ) ، الوافي : ٩١/٣ ، والسير : ٢٤٩/٢٣ .

* السلوك : ١٤٢/١/٢ .

** الوافي : ٥٨٨/١٧ ، والبداية والنهاية : ٣١/٢٤ ، والدرر : ٢٨٤/٢ ، والشذرات : ٩/٦ ، وإعلام النبلاء : ٤٩٥/٤ ، وتذكرة النبيه : ٢٦١/١ .

(٢) هو بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي (ت ٦٤٩ هـ) . العبر : ٢٠٣/٥ .

(٣) يوسف بن محمود الساوي . (ت ٦٤٧ هـ) . العبر : ١٩٥/٥ .

(٤) هو يوسف بن خليل أبو الحجاج الدمشقي ، نزيل حلب (ت ٦٤٨ هـ) . العبر : ٢٠١/٥ .

كان من أعيان الوزراء ، وأفاضل الكبراء ، شارك في الفضائل والآداب ، ودخل في عداد المحدثين والشعراء[١] والكتاب ، روى وروى الناس عنه ، وأخذوا الفوائد منه .

كان ممن يَزهَى الزمان بوجوده ، ويَفْخَر بعلوّه في علومه ، ورقيّه في جوِّ جوده .

وكتب الإنشاء في الديار المصرية ، وأطلع بدورَ المعاني في ليالي سطوره الحِبْريّة ، وكان كما قال ابن الساعاتي :

أشمّ عفيف العين واليـــــد والمنى ... وغيب الحشـــا والسر والجهر والحُلْم
لـــه قلمٌ يُرجى ويخشى شَراتـــه ... فكم شـدَّ من أزرٍ وكم سـدَّ من ثلم[٢]
وفاق يَدَ الغَيْث الصنـاع جلالـةً ... بمـا بثّ من وشي بـديـع ومن رقم

ولم يزل بين صناعة البلاغة والتدبير ، وتصريف الدول والتحبير ، إلى أن فتح القبر له فاه ، وقال كل من يعرفه : وَالهفاه !

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة خامس عشري شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده سنة ثلاث وعشرين وست مئة .

كان له اشتغال بالحديث وتحصيله ، وصنَّف في أسماء الصحابة المذكورين في (الصحيحين) ، وترجم لهم ، وروى شيئاً من أحاديثهم بأسانيده في مجلّدين ، وهما وقفُ المدرسة الناصرية بدمشق .

وكان يذاكر[٣] بأشياء حسنة مفيدة اللفظ والمعنى ، وكتب الناسُ عنه قديماً ، وممن

---

(١) ليست في (س) .

(٢) شدائد : حدّه .

(٣) في الأصل : « يذكر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

روى عنه في (معجمه) الشيخ شرف الدين الدمياطي من نظمه ، وأخذ عنه أشياخنا : فتح الدين بن سيّد الناس ، وعلم الدين البرزالي ، والذهبي .

أنشدني من لفظه ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه الصاحب فتح الدين بن القيسراني :

بوجْهِ معذبي آياتُ حُسْنِ فقلْ ما شئت فيه ولا تحاشي
ونسخة حُسْنِهِ قرئت فصحّت وها خطّ الكمال على الحواشي[١]

وكان قد ولي الوزارة في دولة الملك السعيد بن الظاهر[٢] في ذي الحجة سنة سبع وسبعين وست مئة بدمشق ، وقبض عيه في تاسع عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وست مئة ، ووليها أيضاً في دولة الكامل كَتْبغا فما أظن ، وعمُّه عزّ الدين أبو حامد محمد كان وزيراً بدمشق للملك الناصر ، وجدُّه موفق الدين خالد وزير دمشق أيضاً للعادل نور الدين الشهيد ، وكان عنده مكيناً ، وقد ذكرت ترجمة موفق الدين[٣] مستوفاة في (التاريخ الكبير) .

وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر[٤] رحمه الله تعالى قد نظم مرثية في الملك الظاهر ، ومدح الملك السعيد ، وضمّن[٥] البيتين المشهورين ، وهما :

خَلَفَ السعيدُ به الشهيد فأدمعٌ منهلةٌ في أوجه تتهلّلُ
مَلِكان ذلك راحلٌ وثناؤه باقٍ وذا باق ثناهُ يرحَلُ

فكتب الصاحب فتح الدين إلى ابن عبد الظاهر لمّا وقف على المرثية :

---

(١) في الأصل : « وما خط » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، وتذكرة النبيه .
(٢) في الأصل : « ظاهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (س) : « ابن الملك الظاهر » .
(٣) في (ق) ، (س) : « وزر بدمشق » .
(٤) في (ق) ، (س) : « محيي الدين عبد الله بن عبد .. » توفي (٦٩٢ هـ) .
(٥) في (ق) ، (س) : « وضمّن ذلك » .

يـاذا الـذي أخـذ الكتـاب بقـوّةٍ فـأتى بـه وهـو الأخير الأوّلُ[١]
قـد حـاز فيـه بـدائع الحسن التي مـا مثلُهـا فهـو الرئيس الأمثـلُ
لا فـاضـلٌ سـاواه فيـه ولا مشى في مثـل منطقـه البليـغ الأفضـلُ[٢]
مستشهـدٌ فيـه بـأحسن شـاهـد إذْ قـال بيتـاً مثلـه لا يُنْقَـل
خلف السعيـدُ بـه الشهيـد فـأدمعٌ منهلّـةٌ في أدمـع تتهلّـلُ
وكـذاك أنت خَلَفْتَ فيـه الفـاضـلَ النـدب الجليـل وأنت منـه أفضـلُ
أرهبت فيـه فقـد أتيت بمُعْجـزٍ في كل سطر منـه يبـدو جَحْفـلُ

قلت : ادّعى بعضهم أنّ هـذا البيت لابن قَلاقس الإسكنـدري ، يهنّئ الأميرين محمّداً وأبا السعود وَلَدي الداعي عمران بن سبأ[٣] صاحب عدن .

قلت : الصحيح أنّ ابن قلاقس ضمّنه ، فإني وقفت على مجموع لابن خلّكان قاضي القضاة رحمه الله تعالى بخطّه وقد أثبَتَهُ لابن خفاجة الأندلسي ، ومما وقفت عليه في هذه المادة وهي « التعزية والتهنئة في بيت » قولُ ابن شرف القيرواني :

بكَيْنـا عليـه ضـاحكين كأننـا نهـار عليـه شمسـه وهـو ممطرُ[٤]
غراءً ممن زار القبـور وغبطـة بـأبلـجَ لبّـاه سريرٌ ومنبرُ

وقد سبق الناسَ كلَّهم إلى هـذا أبو دلامـة زَنْـد بن الجون[٥] يعزي بالمنصور ويهنّئ بالمهدي في كل بيت فقال :

عينـان واحـدةٌ تُرى مسرورةً بأمـامهـا جَـذَلاً وأخرى تـذرف

(١) في أعلام النبلاء : « أوتي الكتاب » .
(٢) في أعلام النبلاء : « البديع » .
(٣) هـو عمران بن محمد بن سبأ ، ويُعرف بالزريعي ، من دعاة الفـاطميين (ت ٥٦٠ هـ) ، الأعلام : ٧١/٥ .
(٤) في الأصل : « كأنما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو أشبه .
(٥) (ت ١٦١ هـ) ، ووقع في الأصل و (س) : « زيد » ، تصحيف .

تبكي وتضحك مرة فيسوءها ... ما أنكرت ويسرّها ما تعرف
ويسوءها موتُ الخليفة محرماً ... ويسرّها أنْ قام هذا الأرأف
هَلَك الخليفة يال أمّة أحمدٍ ... وأتاكم من بعده مَنْ يخلفُ
أهدى لهذا اللهُ فضلَ خلافةٍ ... ولذاك جناتِ النعيم تزخرفُ

وكتبت أنا إلى القاضي ناصر الدين صاحب ديوان الإنشاء بدمشق أهنّئه بولد[1] ذكر جاءه ، وأعزّيه في ولد ذكر مات ، كلّ بيت عزاء وهناء :

عزاؤك فيمن غدا راحلا ... هناءٌ بهذا الذي قد حضَرْ
فأوحشنا ذاك لمّا مضى ... وآنسنا اليومَ هذا وسَرْ
وهذا به عَيْشُنا قد صفا ... وجرّعنا ذاك كأسَ الكَدَر
إذا الشمسُ في جوّها أشرقت ... فما ضرّنا حين غابَ القمر

٩٠٦ ـ عبد الله بن محمد بن بهادُر آص*

جمال الدين بن الأمير سيف الدين .

كان شاباً حسناً ومليحاً ، يُخجل البدر سناء وَسَنا ، ذا وجه ناسب الأقمار ، وجرى حديثُه في الأسمار ، يخطّه بقدّ من أين للرمح هِزّته ، أو للغصن بِزّته ، يكاد ينعطف بالنسيم إذا سرى ، وينقصف من لطف حركاته إذا انبرى :

رأى قِصَر الأغصان ثم رأى القنا ... طوالاً فأضحى بين ذاك قواما

وكان رحمه الله تعالى يعمل بيده أشياء مليحة من آلات الجندية ، قلّ من يعملها من حُذّاق الصُنّاع ، وعمل أشياء من أعمال الخَرْدَ فوشيّه[2] متقنة ، ودخل بها إلى السلطان الملك الناصر حسن ، وقدّمها فاستحسنها منه .

(١) في الأصل : « بولده » ، ولا تصح ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
* لم نقف على ترجمة له .
(٢) هي الأشياء الدقيقة اللطيفة .

وكان سعيد الحركات ، له حظّ وافر في المتجر ، توجّه مع والده الأمير ناصر الدين إلى الديار المصرية ، وله إقطاع بالشام ، فأقام بمصر عند والده ، ومرض ثلاثة أيام ، وكُسِفَ بدره .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري الحجة سنة إحدى وستين وسبع مئة ، وترك شيئاً له صورة .

٩٠٧ ـ عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيرو*

الشيخ الإمام المحدّث المفتي شيخ الإسلام زين الدين الفارقي ، خطيبُ دمشق ومفتيها ، أبو محمد الشافعي .

سمع من كريمة القرشيّة ، وابن الصّلاح ، والسَّخَاوي ، وابن خليل ، وطبقتهم ، ثم إنه تحوّل إلى مصر ، وقرأ على الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره .

وروى الكثير ، وأبان عن فضل غزير ، وفاز بذكر شهير .

وكانت فيه زعارةٌ وحدّه ، وهيبة عظيمة وشدّه ، وكانت فيه قوّة للحقّ ، وجلادة على[1] مخاصمة الخلق ، وتسرّع في الافتاء وقع معه في هوّة الإثم إلى الحَلْق ، أراق دماءً كثيره ، وقطع أطرافاً أمورُها في ذلك الزمان شهيره .

وكان فصيحاً في لفظه ، بديعاً في خطه ، متحرياً في ديانته ، متجرياً إلى أمد صيانته .

ولم يزل على حاله إلى أن فارقت الفارقيَّ حياتُه ، وورد عليه بما أبكى الناسَ عليه مماتُه .

* الوافي : ٦٠٢/١٧ ، والبداية والنهاية : ٣٠/١٤ ، والدرر : ٣٠٤/٢ ، والشذرات : ٨/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٥٨/١ ، وعقد الجمان ، ٣٢٦/٤ ، وذيول العبر : ٢٥ .
وفي نسبه بعض الاختلاف ، كما اختلفت المصادر في « فيرو » .

(١) في الأصل و (ق) : « علم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عُشري صفر سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكان شيخ دار الحديث الأشرفية[١] ، قدم من مصر بالمشيخة بعد الشيخ محيي الدين النووي رحمها الله تعالى ، ودرس بالشامية البرانية ، والناصرية ، وتصدى للإشغال . وكان قد باشر الإمامة والخطابة بالجامع الأموي في العشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة ، وحضر الأفرم لسماع خطبته ، وصلّى بالمقصورة ، وفي هذا اليوم قرئ تقليد قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَى بالمقصورة[٢] ، قرأه الشيخ شرف الدين الفزاري .

وتولّى مشيخة الحديث بالأشرفية سبعاً وعشرين سنة ، وهو الذي اهتم بعمارتها بعدما احترقت أيام التتار ، وعُمّرت أحسن ممّا كانت أولاً ، وكان مقصوداً بالفتوى .

٩٠٨ ـ عبد الله بن موسى بن أحمد*

الشيخ الصالح الجزري .

كان شيخاً مباركاً ، كثير الخير والعبادة ، وله[٣] مطالعة وفَهْم ومعرفة ، وعليه هيبة ووقار ، وأقام بجامع دمشق سنين بمشهد أبي بكر مجاوراً متعبداً منقطعاً . وسمع الحديث من ابن البخاري ، وحدّث عنه ، وكان يلازم الحضور عند الشيخ تقي الدين بن تيمية ، ويسأله ويضبط عنه أشياء من العلم . وحج غير مرّة ، وجاور بمكة وتعبّد .

---

(١) في الأصل : « بالأشرفية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢١/١٤ ، وما بعدها .

* البداية والنهاية : ١١٩/١٤ ، والدرر : ٣٠٧/٢ ، والدارس : ٣٠٦/٢ .

(٣) في (ق) ، (س) : « له » . من دون واو .

وتوفي في يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير عند أولاد شيخه الشيخ عمر الجزري شيخ أرض نبات[١] .

٩٠٩ ـ عبد الله بن موسى بن عمر*

ابن يومن الزواوي ، الشيخ المقرئ المحدّث الصالح الزاهد العفيف .

قدم الحجاز قبل التسعين وست مئة ، وأقام بمكة أكثر من المدينة ، وجاور[٢] إلى أن توفي بها رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وصحب الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بالقاهرة ، وسمع عليه وعلى التقي عبيد ، ومن مؤنسة بنت الملك العادل[٣] (السباعيات) التي خرّجها لها ابن الظاهري[٤] ، وحدّث بها عنها . وسمع منه جماعة ، وكان يحفظ (الموطأ) ، وكان كثير الأمراض .

٩١٠ ـ عبد الله بن يوسف بن أبي بكر**

الشيخ جمال الدين الإسعردي الإصطرلابي .

رأيته بدمشق في الحائط الشمالي بالجامع الأموي ، وجالسته غير مرّة ، فوجدت إنساناً منحرف المزاج ، محتاجاً إلى العلاج ، قد ساءت أخلاقه من ضِيق رزقه ، وأدّته

---

(١) في الأصل : « ساب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الدرر : ٣٠٧/٢ ، وفيه : « يونس » .

(٢) قوله : « وجاور » ، ليس ن (ق) ، (س) .

(٣) توفيت (٦٩٣ هـ) ، والبداية والنهاية : ٣٣٧/١٣ ، وفيه : « مؤنس » .

(٤) في (ق) : « الطاهري » تصحيف ، وابن الظاهري هو : أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبي (ت٦٩٦ هـ) ، سلفت ترجمته في موضعها .

** الدرر : ٣٠٨/٢ .

إلى نَوْكِه وحُمْقِه ، إلاّ أنه إذا ثاب عقله ، وأناب فضله وجد الطالب منه في قواعد هـذا العلم غرائب ، وجعل للبّـه عِنْـدَه رغـائب ، ولو جـاءه (بطليموس) كتّبـه الجمل الكبير والصغير ، وضيّع زمانه في ما يعرفه الإنسان في الكتّاب ، حتى يستطيل أو[1] يستطير ، وما أظنّه انتفع به أحد ، ولا كان عنده لطالب مُلتحد .

ولم يزل في جنونه ، ودوران مَنْجنونه إلى أن سقط من قيساريّـة مُحَسي[2] فـدخل تحت الشعاع ، ولم يكن له عن الطريقة المحترقة من دفاع .

وكانت وفاته عشية السبت عاشر شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان يَعرف الإسطرلاب معرفةً جيّدة ، وله أوضاع جيّـدة ، إلا أنـه كان منحرفـاً يسبّ الناس ويغتابهم ، ولا يذكر أحـداً بخيرٍ لفقره ، وضيق رزقـه ، وضعف بَصَرُهُ قَبل مَوْتِه .

(١) في (ق) ، (س) : « و » .
(٢) كذا في الأصول .

أعيان العصر وأعوان النصر

باري

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عمشة　　الدكتور محمد موعد　　الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الثالث

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي: ٣-٠١١, ١١٥٠
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-497-2
الرقم الموضوعي: ٩١٠
الموضوع: التراجم والسير والأنساب
العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر
التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي
التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة،
د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد
قدم له: مازن عبد القادر المبارك
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٧٣٠ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

الطبعة الأولى
1418هـ = 1998 م

٩١١ ـ عبد اللهبن يوسف بن أحمد بن هشام*

الشيخ الإمام العالم العلاّمة حُجّة العرب ، أفضلُ المتأخرين ، جمال الدين أبو محمد الأنصاري الحنبلي المصري .

شيخ النحو ، ومن قام في أمره بالإثبات والمحو ، أظهر فيه الإبداع وصنّف ، وقرّط الأسماع وشنّف ، ونظر ودقّق ، وتعمّد لأن تعمّق وحقّق ، ورجح الأضعف ، لذهنه المتوقد وأوهى الأقوى من الأقوال ، وسهّل المتعقّد ، وكدّ وكدح ، وصدّ عن الباطل ، وأطرب لّما صَدَح ، وناقض شيخنا أثير الدين وحجَّه ، وعَدَل بمذاهبه[١] عن المحجّة ، وكاد يميت ذكر أبي حيّان ، ويُردي كل من جاء من جيَّان ، فلو عاصره سيبويه لحاكم الكسائي إليه ، وفصل أمر المسألة الزنبورية بين يديه ، وفَصَّل فُصول كتابه وخلعها عليه ، أو الفارسي لأجْلَب عليه بخيله ورَجْله ، أو ابن جني لما كتم (سرّ الصناعة) من أجله ، أو ابن مالك لكان له مملوكاً ، وجعل به طريق (التسهيل) للناس مسلوكاً :

وأطلعه الفهم بعد النُّهَى على مشكلاتِ كلام العَرَبْ

ولم يزل بالقاهرة يصنّف ويُفيد ، ويجود للطلبة بفوائده ويُجيد ، إلى أن نزلت[٢] به أمّ اللهيم الأُرَبى[٣] ، وفجعت به النحاة والأُدَبا .

---

* وفيات ابن رافع : ٣٦٤/١ل والدرر : ٣٠٨/٢ ، والذيل التام : ١٧٥ ، والبغية : ٦٨/٢ ، وحسن المحاضرة : ٥٣٦/١ ، والبدر الطالع : ٤٠٠/١ ، والشذرات : ١٩١/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٣٦/٣ .

(١) في الأصل : « بمواهبه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « زلت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) أم اللهيم : المنية ، والأربى : الداهية .

وتوفي رحمه الله تعالى عشية الخميس خامس ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً بعد العشرة وسبع مئة .

وكان في أول عمره قد تفقّه للشافعي ، ثم انتقل أخيراً إلى مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه ، وحضر مدارس الحنابلة ، وحفظ (مختصر أبي القاسم الخِرقي) في دون الأربعة أشهر ، مع ملازمة المطالعة والاشتغال ، وروى (الشاطبية) عن قاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرها .

وصنف وأفاد وتخرّج به جماعة من أهل الديار المصرية ، ومن أهل مكة لمّا جاور بها ، وأقرأ (كتاب) سيبويه مرّات ، وصنّف كتباً في العربية منها : (تعليقه على مشكل ألفية ابن مالك)[١] ، ومنها : مقدّمة في النحو سمّاها (الإعراب عن قواعد الإعراب)[٢] ، و (مُغْني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، وهو كتاب مُفيد قد جَوَّده وبيّضه فسوّده[٣] ، واشتهر في حياته في الشام ومصر ، واشتغل به أهل العصر .

٩١٢ ـ عبد الله بن أبي الوليد محمد*

ابن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد محمد التجيبي بن الحاج القرطبي المالكي .

إمام محراب المالكية بجامع دمشق ، حدّث عن ابن الثانين[٤] ، وكان مشهوراً بالصلاح .

(١) ويعرف باسم : (التوضيح) ، أو : (أوضح المسالك) .

(٢) مطبوعة .

(٣) أي : جعله سيّداً ، وفي الأصل : وسوّده .

* البداية والنهاية : ٢٠٣/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ١٦٧/١ ، والدرر : ٢٨٦/٢ ، وذيول العبر : ٢٣٤ .

(٤) كذا ، ولم نقف على مراده .

توفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة بظاهر دمشق .

وسيأتي ذكر والده في المحمّدين .

٩١٣ ـ عبد الله الفاتولة*

بالفاء والألف والتاء ثالثة الحروف والواو واللام والهاء ، الحلبي الدمشقي .

شيخ قد أسنّ ، وبلي من الكبر فأشبه الشّنّ ، فقير حرفوش ، مكشوف الرأس منفوش[١] ، عليه دلق رقيق ، بالي الخرقة دقيق ، قد تمكّن منه الوسخ ، وثبت فيه ورسخ ، قد جمّعه من عدة رقاع ، والتقطه من متباعد البقاع ، يعبث به الأطفال فيزط ، وينهض لمناوشتهم وينط ، له مجمرة يستدفئ بنارها ، ويرتضي بعابها وعارها .

وكان عاقلا ، إلاّ أنه عن الصلاة لا يزال غافلا ، والناس مع ذلك يذكرون له كرامات ، ويشهدون أنه يشاهِد في الملكوت مقامات .

ولم يزل على حاله إلى أن انحلّ فَتْلُ الحبل من الفاتوله ، وأكلته أمّ دَفْر[٢] القاتوله .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

وكان يجلس عند عقبة الكتّان بدمشق .

---

* الوافي : ٦٩٧/١٧ ، وعقد الجمان : ١٤٩/٤ ، وفيه « الفانولة » بالنون .

(١) في الأصل : « مكفوش » ، ولم تذكرها المعاجم ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) من أسماء الدواهي ، وفي الأصل : « ذفر » ، تصحيف .

أخبرني شيخنا الذهبي ، قال : كان الفاتولة جيّد[١] العقل ، لا يقرب الصلاة ، ولا يسأل الناس شيئاً ، فقلت أنا في ذلك :

يا معشر المسلمين هذا إبراهيم في غاية الضلال
ومن عجيب الزمان يبدو فاتولةُ العصر في انحلال

٩١٤ ـ عبد الله الحاجب*

الأمير جمال الدين الدمرتاشي .

كان رأس الميسرة في الحُجْبة بدمشق ، ركابياً[٢] بخدمة[٣] دمرتاش بن جوبان المُقدّم ذكره ، وحُبِسَ بعده في قلعة دمشق مدّة مديدة ، ثم أُطلق ، وتولّى شدَّ المسابك[٤] بدمشق ، ثم تولّى شدَّ المواريث الحَشْريّة بدمشق في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، فيما أظنّ ، ثم إنه تولّى مدينة دمشق في أيام الأمير يَلْبُغا ، وخَدَم الناسَ وأحسنَ إليهم ، ثم تولّى ولاية البَرّ ، وجُمع له بين [ولاية][٥] المدينة والبرّ زماناً ، ولم يهتك مَسْتُوراً ، ثم إنه تولّى القبلية وهو على حاله في خدمة الناس [ثم إنه ولي إمرة الحجوبية في الميسرة إلى آخر وقت وهو على حاله في خدمة الناس][٦] ومسايستهم إلى سنة تسع وخمسين

(١) في (ق) ، (س) : « ثابت » .
* الدرر : ٣١١/٢ ، ويقال : التمرتاشي .
(٢) في (ق) ، (س) : « كان ركابياً » ، والركابي : من يستخدم لخدمة عدّة الخيل من سروج ولجم ونحوها .
(٣) في (س) : « لخدمة » .
(٤) وظيفة صغيرة يتولّى صاحبها الإشراف على المسابك من الحديد والنحاس والزجاج وغير ذلك .
(٥) زيادة من (ق) ، (س) .
(٦) زيادة من (ق) ، (س) .

وسبع مئة ، فعُزل عن الحُجْبَة ، وأُخرج إلى طرابلس بطّالاً ، فأقام بها قليلاً ، ورُسم له[١] بعَوْدِه إلى دمشق ، فأقام بها بطالاً إلى أن توفي في ثاني القعدة يوم الجمعة سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

وكان قد حجّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وكان يزعم أنه في ولاية المدينة دخل إليه [في الليل][٢] شيخ من الجن واعترف عنده أنّه شرب الخمر وسأله أن يحدّه ، وأنه فَعَل به ذلك ، وطَلَبه فلم يجده ، سمعت ذلك من لفظه غير مرّة .

٩١٥ ـ عبد الأحد بن أبي القاسم*

ابن عبد الغني بن خطيب حرّان الشيخ العدل بقيّة الأخيار ، شرف الدين أبو البركات بن تميّة التاجر .

سمع من ابن اللَّتي في الخامسة ، ومن ابن رواحة ومُرَجّى[٣] بن شُقَيْرة ، وعُلوان بن جُمَيْع .

وكان له حانوت في البزّ[٤] ، ثم انقطع ، وحدّث زماناً .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة في رابع شعبان .

ومولده بحرّان سنة ثلاثين وست مئة .

---

(١) ليست في (ق) ، (س) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

* الوافي : ٥/١٨ ، والدرر : ٣١٤/٢ ، والشذرات : ٣٠/٦ ، وذيول العبر : ٧٠ .

(٣) هو المرجّى بن حسن بن علي (ت٦٥٦ هـ) ، والسير : ٣٢٩/٢٣ ، وفيه : « ابن شقيرا » . وكذلك في ذيول العبر .

(٤) في الوافي : « في البرّ » .

٩١٦ ـ عبد الأحد بن سعد الله*

ابن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القاهر بن عبد الأحد بن عمر ، الفقيه شمس الدين أبو محمد الحرّاني الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً ، كثير التنفّل ، يستحضر الكثير من المذهب ، وسمع الكثير ببغداد وبدمشق ، وحدّث ، ومن شيوخه : ابن البخاري ، وابن شيبان[١] ، ورُقَيّة بنت مكّي ، وابن الواسطي[٢] ، والعماد بن العماد[٣] ، والنفيس بن الكمال ، والشمس بن الزين بدمشق . ومن شيوخه ببغداد : الكمال الفويرة ، والرشيد بن أبي القاسم ، ويوسف بن كرم ، وابن الطبّال ، وعبد الرحيم بن الزجاج[٤] ، وابن الدبّاب[٥] ، وابن المريخ ، وعبد المنعم بن عرندا . وسمع أيضاً بحماة وحلب والإسكندرية .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وخرّجت له جزءاً عن البغداديّين[٦] وجزءاً عن الشاميين ، وحدّث بهما فيهما عن أكثر من مئة شيخ .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بحرّان سنة ثمان وستين وست مئة ، وكان يعرف بابن نجيح .

---

* الدرر : ٣١٤/٢ .

(١) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥١/٥ .

(٢) إبراهيم بن علي بن أحمد الصالحي ، ابن الواسطي ، توفي (٦٩٢ هـ) . العبر : ٣٧٥ .

(٣) هو العماد أحمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٨٨ هـ) ، العبر : ٣٥٧/٥ ، ووقع في الأصل : « الكمال بن العماد » ، وهو سهو .

(٤) عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس ، ابن الزجاج . (ت ٦٨٥ هـ) . العبر : ٣٥٣/٥ .

(٥) محمد بن محمد بن علي البَابَصْري (ت ٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٣/٥ .

(٦) في الأصل : « البغدادي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

٩١٧ ـ عبد الأحد بن يوسف بن الرُزَيز*

تصغير رُزّ .

خطيب جامع القاضي كريم الدين الكبير الذي بالقبيبات[١] ظاهر دمشق ، خطب فيه أول يوم فرغ من عمارته في شعبان سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وحضره جماعة من القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، وقصد الناس الصلاة خلفه لبركته وحسن خطابته .

٩١٨ ـ عبد الباري بن أبي علي الحسين**

ابن عبد الرحمن كمال الدين بن الأسْعَد الأَرْمَنْتي ، بهمزة مفتوحة ، وراء ساكنة ، وميم مفتوحة ، ونون ساكنة ، وتاء ثالثة الحروف ، القرشي البكري .

سمع من [ابن] النعمان[٢] وغيره .

كان متورّعاً زاهدا ، يقطع الليل هاجدا ، عنده وسواس في النجاسات ، وتخيّلٌ زائد في توهّم القاذورات ، بحيث إنه زاد أمرُه ، وتغيّر مزاجُه ، وكاد يخيب فيه طِبّه[٣] وعلاجه ، وغلبت عليه السوداء ، وما يتبعها من فساد التخيّل والأدواء ، فطلع المنبر بقوص بعد صلاة الجمعه ، وادعى الخلافة له في كل بقعه ، ثم إنه صلح حاله بعد ذلك قليلا ، وبقي في عقابيل ذلك نزيلا .

---

* الدرر : ٣١٥/٢ .

(١) القبيبات : كانت قرية ظاهر دمشق من جهة الجنوب أصبحت الآن حي الميدان فوقاني بدمشق .

** الوافي : ١٢/١٨ ، والطالع السعيد : ٢٨٣ ، والدرر : ٣١٥/٢ .

(٢) محمد بن موسى ، كان عارفاً بمذهب مالك (ت٦٨٣ هـ) . العبر : ٣٤٦/٥ ، ومابين حاصرتين زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٣) في الأصل : « وكان يجيب فيه ظنّه » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وكان فقيهاً مالكيا ، ثم تحوّل شافعيا ، وحفظ كتاب ابن الحاجب في الفروع ، و (التعجيز)[١] أكمله حفظاً بعد الشروع .

ولم يزل على حاله إلى أن لسعه ثعبان فمات من سُمّه ، وعدم روح الحياة ولذّة شمّه ، وذلك بقوص سنة ست أو سبع وسبع مئة .

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوّي : ذكر لي جماعة من قوص أن قاضي القضاة أبا الفتح القُشَيْري قال له : اكتب على باب بلدك أنه ما خرج منها أفقه منك[٢] .

وكان عنده قمح قد انتقاه وغَسلَه بالماء فيزرعه في أرض يختارها بنفسه يتولّى زرعه وحصاده وطحنه ، وعنده طين طاهر يعمل منه آنية ليأكل فيها ويشرب .

٩١٩ ـ عبد الباقي بن عبد الحميد*

ابن عبد الله بن أبي المعالي مَتّى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف ، الشيخ تاج الدين اليمني المخزومي .

كان أسمَر اللون ، ظريف الكون ، شيخاً طُوالاً ، حَسَن العمّه ، بعيد الهمّه ، يدّعي في الإنشاء أشياء لو صحت كانت معجزه ، أوْ لَوْ أتى ببعضها كانت من الغرائب الْمُوْجَزَه ، لا يحقّق شيئاً من العلوم ، ولا ممّا يتصف به ذوو الألباب والحلوم ، نعم كانت له قدرة على النظم والنثر ، وهو فيهما كثير التردّي في الرَدِيّ والعَثر .

وكان يُقرئ في المقامات والعروض ، ويحسّنُ ما يدعيه بالتقادير والفروض ، ونظمه أقرب إلى الجَوْدَه ، ونثره يقال فيه كما قيل : قد عرفناك يا سَوْدَه ، ويكتب

---

(١) التعجيز في مختصر الوجيز ، لابن يونس عبد الرحيم بن محمد الموصلي المتوفى سنة (٦٧١ هـ) .

(٢) الطالع السعيد : ٢٨٣ .

* الوافي : ٢٣/١٨ ، والفوات : ٢٤٦/٢ ، والدرر : ٣١٥/٢ ، والشذرات : ١٣٨/٦ ، وذيول العبر : ٢٣٣ ، وفيه : « عبدالباقي بن عبد المجيد » . وكذلك في النجوم الزاهرة : ١٠٤/١٠ .

خطاً نقِشا ، ويجيد منه سطراً رَقِشا ، وعلى كل حال فكان من أشياخ الأدب ، وجراثمه التي تُقْصَدُ بالطلب .

وكان كثير الحطّ على القاضي الفاضل ، وهذا دليلي[١] على أنه لم يكن ممّن يناظر أو يناضل ، وكَفَتْه هذه الحطّه ، وحبسه بها سيئة أكفأته في هذه الورطه .

وكان يرجّح كلام ابن الأثير ، وهذا كلام من هو بين أهل الكلام[٢] عثير ، وبينهما عند أرباب هذا الفن من الفَرْق ، ما بين القدم والفَرْق ، وبينهما من البعد والبَوْن ما بين الفساد والكَوْن ، أو الأبيض اليقَق والأسود الجَوْن ، علم ذلك مَنْ عَلِمَه ، أو جهله مَنْ جَهِلَه .

ولم يزل على حاله إلى أن فني عبد الباقي ، ورقَد في البرزخ إلى يوم التلاقي .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ثلاث وأربعين ، أو أوائل سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده بمكة ثاني عشر شهر رجب سنة ثمانين وست مئة .

وكان قد ورد في أيام الأفْرَم إلى دمشق ، وعمل رسالة سمّاها : (قلائد الجُوْر في المفاخرة بين المنظوم والمنْثُور) ، وحكّم فيها القاضي محيي الدين بن فضل الله ، فتوسّط له عند الأفرم ، فرتّب له على الجامع الأموي بدمشق في الشهر مئة درهم ، وقرأ عليه الطلبةُ في المقامات والعروض . ثم إنه توجّه إلى اليمن ، وكتب الدَّرْجَ بالمين ، وربما وَزَر ، ثم إنه لمّا توفي المؤيد صاحب اليمن صادره ولَده المجاهد ، وأخذ منه ما حصّله ، فورد إلى مصر سنة ثلاثين ، وقدم إلى دمشق ، ورأيته بها في سنة إحدى وثلاثين ، ثم عاد إلى مصر ، وبها اجتمعت به سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وفُوّض إليه تدريس المشهد النفيسي ، وشهادة البيمارستان المنصوري .

---

(١) في (س) : « دليل » .

(٢) في (ق) ، (س) : « البيان » .

ثم إنه ورد إلى دمشق ، ورُتّب مصدّراً[١] بالحرم في القدس ، فأقام به مدة وتردد إلى دمشق وحلب وطرابلس ، وعُمل له راتب بطرابلس ، ثم[٢] توجّه إلى القاهرة وأباع وظائفه ، وبها توفي رحمه الله تعالى .

وكانت له قدرة على النظم والنثر ، إلاّ أنه لم يكن له فيهما غَوْصٌ على المعاني .

وكان ظَنيناً[٣] بنفسه ، يدّعي أنه يملي على أربع كتاب ، أو قال : خمسة في مقاصد مختلفة نظماً ونثراً ، ويظن مع ذلك أن كلامه خير من كلام القاضي الفاضل ، وعارض الرسائل المختارة للفاضل ، مثل (الرسالة الذهبية) ، و (فتح القدس) ، وغيرهما ، فكان كمن عارض الزواهر بالذُبَالة[٤] ، والجواهر بالزبالة وكان كلامُه متوسطاً ، وعمل تاريخاً للين[٥] ، وتاريخاً للنحاة[٦] ، وليسا بشيء ، وذيَّلَ على تاريخ ابن خلكان بذيل قصير جداً[٧] رأيته لم يبلغ به ثلاثين رجلاً[٨] .

وكان يعظّم نفسه ، ويطريها[٩] ، بل يطغيها ، ولكنْ لكلامه وقعٌ في النفوس ، وديباجة إذا أطنب في وصف نفسه ، وتعيّش بذلك زماناً ، وقمر عقولاً أغماراً .

وأنشدني من كلامه المنظوم والمنثور كثيراً ، وكتب على[١٠] أشياء وقف عليها من تصانيفي تقريظاً بالنظم والنثر ، فمن ذلك ما كتبه على كتابي (جنان الجناس) :

---

(١) أي : مدّرساً .

(٢) في (س) : « ثم إنّه » .

(٣) في (ق) ، (س) ، والفوات : « ضنين » .

(٤) في الوافي : « بالزبالة » .

(٥) اسمُهُ : بهجة الزمن في تاريخ الين ، مطبوع .

(٦) اسمُهُ : إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ، خ .

(٧) اسمُهُ : لقطة العجلان في مختصر وفيات الأعيان .

(٨) في الأعلام للزركلي : ٢٧٢/٣ : « زاد فيه تراجم اثنين وثلاثين شخصاً من أهل الين وغيرهم » . خ .

(٩) في الأصل : « ويطربها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(١٠) في الوافي : « عليّ » .

جِنانُ جناسٍ فاق جِنْسَ جنان ... يُعين الْمُعَاني فيه جلُّ معان
لقد نوّع الأجناسَ فيه مؤلّف ... طرائق وشي أو سموط جُمان
غدا ناهجاً فيه مناهَج لم يكن ... قدامةُ قِدْمَاً جاءها ببيَان[1]
مقاصد ما نَجْلُ الأثير مثيرها ... بدائعُ فضل من بديع زمان
مُحَرَّرَةُ الألفاظِ لكنَّ حُسْنَها ... رقيق يُنَسِّينا جليل حِسان[2]
إذا ابنُ فتى نَجْلِ الحديد أرادها ... تقول له أَقْصر فلست بدان[3]
وما أنت ممن يَسْبَك التبرَ ناقداً ... ومالك في سَبك النُضارِ يدان
لقد أطربتْ أبياتُه كلَّ سَامعٍ ... فرائدُ ما جاءت لهن ثَوَان
تفوح بأرواح الصَّبا نفحاتُها ... حظيرة بانٍ عند حضرة بان
لقد صيّر الحسَّادَ تَذْرف دمعها ... مدامعُ شأن في محاجر شان
أقول لنظمي حين حاول شأوَها ... رفيقُك قَيْسيٌّ وأنْتَ يمانِ
بقيتَ صلاح الدين للفضل صالحاً ... لحُسْن بيانٍ من يراعِ بنان

فكتبت أنا إليه ارتجالاً :

لآلي غوالٍ من حُليٍّ غوانِ ... وترجيع (بَمٍّ) عند خفق مثانِ
أم الشيخ تاج الدين نظّم شعره ... فما زَهْرُ روض من حُلاَهُ بدانِ
إمامٌ زمامُ الفضل أضحى بكفّه ... يُصَرِّفه يومَيْ ندى وبيانِ
وزيرٌ بتدبير الممالك عارفٌ ... غدا الناسُ في أيامه بأمان
إذا هُوَ جارى الغيثَ يوم سماحِهِ ... فذاك أوانٌ ليس فيه بِوَانِ
يشيد مباني المجد في حَوْمَة العلى ... بهزّ يراع أو بِسَلِّ يمانِ
فأقسمُ ما أُثْنَى على ما وضعتُه ... بشعرٍ ولكنْ بالجَنانِ حباني

(١) قدامة بن جعفر صاحب كتابي نقد الشعر ونقد النثر .
(٢) في الوافي : « حليل » .
(٣) ابن أبي الحديد ، شارح نهج البلاغة .

جنـاسٌ بـديـعٌ لـو تقـدّم عصره ... أبـانَ لنـا في ذاك عَجْـزَ أبـانِ[١]
فشكري مـا وفّى حقـوقَ صنيعـهِ ... وكيف بشـامٍ شـامَ برقَ يمـانِ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

تجنّبْ أنْ تُـذَمّ بـك الليـالي ... وحـاول أن يُـذَمّ لـك الـزمـان
ولا تحفِـل إذا كَمُلْتَ ذاتـاً ... أَصَبْتَ العـزّ أمْ حَصُـل الهـوانُ

قلت : أخذ الأول من قول الأول ، وهو أحسن :

جَهْـلُ الفتى عـارٌ عليـه لـذاتِـه ... وخمـولُـهُ عـارٌ على الأيّـام

وأنشدني من لفظه لنفسه :

بَخِلت لـواحـظُ مَنْ رأينـا مقْبـلاً ... بِرُمُـوزهـا ورمـوزهنَّ سـلاَمُ
فعـذرتُ نَرْجس مقلتيـه لأنـه ... يخشَى العـذار لأنـه نَمّـام

قلت : أخذه من قول الأول ، وهو أحسن ، وأكمل :

لافتضـاحي في عـوارضـه ... سببٌ والنـاس لـوّام[٢]
كيف يَخْفَى مـا أكابـدُهُ ... والـذي أهـواه نَمّـام

وأنشدني من لفظه لنفسه في حمار وحش :

حمـار وحشٍ نقشـه مُعْجب ... فـلا يُضَـاهَى حُسْنُـه في المِـلاَح
فُـذْ غـدا في حسنـه أوْحـداً ... تشـاركا فيـه المَسَـا والصبـاح[٣]

---

(١) أبان بن عبد العميد اللاحقي ، شاعر عباسي ، نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً .

(٢) في الوافي : « نوّام » .

(٣) في (ق) ، (س) ، والوافي ، والفوات : « في الدجى » .

قلت : فيه إضمار قبل الذكر ، ولا يجوز في الأفصح ، ولغة « أكلوني البراغيث » مرذولة وأحسن من هذا قول القائل في فهد :

تنافس الليل فيه والنهار معاً فقمّصاهُ بجِلْبَاب من المَقَل[1]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

لا أعرف النوم في ليلى جفا ووفا كأنّ جفنَي مَطْبُوعٌ من السُّهد
فليلةُ الوصل تَمضْي كلُّها سَمَراً وليلةُ الهجر لا أغْفَى من الكمد

وأنشدني من لفظه لنفسه وقد زاد جمالَ الدين بن نباته الشاعر بدمشق ، فرأى في بيته نملاً كثيراً :

مالي أرى منزل المولى الأديب به نملٌ تَجَمّع في أرجائه زُمَرَا
فقال لا تعجباً مِنْ نمل منزلنا فالنمل من شأنها أن تتبع الشُّعَرا[2]

٩٢٠ ـ عبد الحافظ بن عبد المنعم*

ابن غازي بن عمر بن علي المقدسي ، الشيخ المحدّث أبو محمد .

سمع الكثير على الحافظ ضياء الدين ومَنْ بَعْدَه من الشيوخ ، ونسخ الكثير لنفسه وللناس ، ثم إنه بعد ذلك كتب الشروط ، وارتزق بذلك في أيام الشيخ شمس الدين ومَنْ بَعْده من قضاة الحنابلة ، وكان يكتب خطاً حَسَناً . ومن شيوخه : المرسي ، ومكي ابن علاّن ، وابن مَسْلَمة ، وخطيب مردا ، والصدر البكري ، واليلداني ، وإسماعيل العراقي ، وإبراهيم بن خليل ، والعماد بن النحاس . وسمع بحلب والقدس ، وكان يضبط أسماء السامعين ، ويكتب الطباق .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « تنافس فيه الليل » ، ولا يستقيم ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٢) في الوافي : « منزله » . وفي البيت تورية باسم سورة النمل والشعراء ، وهما متتابعتان .

* الدرر : ٣١٨/٢ ، ووقع في الأصل : « عبد الحفيظ » ، سهو .

٩٢١ ـ عبد الحافظ بن بَدْران*

ابن شِبْل بن طَرْخَان الزاهد القُدْوَة ، المسند الرحلة عماد الدين أبو محمد النابلسي المقدسي ، شيخ نابلس .

قدم دمشق في صباه ، وسمع الكثير من الشيخ موفق الدين ، وموسى بن عبد القادر ، وابن راجح[١] ، وأحمد بن طاوس ، وزين الأمناء ، والبهاء عبد الرحمن ، وابن الزّبيدي ، وجماعة .

وأجاز له أبو القاسم بن الحَرَسْتَاني ، وأبو البركات بن مُلاَعب .

تفرّد بأشياء أسْمَعَها ، واختص بمحاسن أجرى مياهها وأنْبَعها ، قَصِد من البلاد للسماع والتبرك ، وطلب[٢] لتسكين القلق والتحرك .

كان كثير الأوراد والتلاوه ، والاجتهاد في الانجماع على ذلك عِلاَوه ، ملازماً بيته إلى جانب مَسجْده ، مقبلاً على شأنه في تعبُّدِه ، بَنَى بنابلس مدرسةً ، وجدد طهارتها ، وتحيّل كثيراً إلى أن أتقن عِمارَتها ، إلاّ أن الكيمياء استحوذت على عقله ، ورَمَتْ فؤادَه [منها][٣] بنبله ، فعالج لواعجها ، ونافَح أكوارها ، ولا أقول : نوافجها ، ولم يصحّ له [فيها][٤] كغيره تدبير ، ولا عِلَم فيها قبيلاً من دَبير ، ثم إنه ترك هذا الهوس ، وقال له التوفيق : قد قَصَرْت لما طوّلت فيها[٥] النفس .

ولم يزل على حاله إلى أن ضاع عبد الحافظ ، وألقاه في حفرته اللاّفظ .

---

* الوافي : ٥٧/١٨ ، والعبر : ٣٨٨/٥ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ .

(١) أحمد بن محمد بن خلف (ت٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٥/٢٣ .

(٢) في (ق) ، (س) : « طلباً » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « في فيها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وقد شارف التسعين .

وأوّلُ سماعه سنة خمس عشرة وست مئة ، رحل إليه ابن العطار وعلم الدين البرزالي ، وسمع منه شمس الدين بن مُسْلم ، وابن نعمة ، وجماعة ، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبي عشرة أجزاء .

٩٢٢ ـ عبد الحق بن محمد*

الشيخ الإمام المحدّث مجد الدين أبو محمد .

سمع الكثير كأخيه من أصحاب ابن كليب ، والبُوصيري ، وحدّث ، وهو أخو تاج الدين عبد الغفار السَّعْدِي[1] .

أجاز لي بخطه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وقد نيّف على الثمانين .

٩٢٣ ـ عبد الحق بن أبي علي**

ابن عمرو بن محمد بن عمرون الصدر أمين الدين المعروف بالفارغ الحموي .

كان فاضلاً عاقلاً كثير الأدب ، جيّد النظم والنثر ، حسن الترسل والإنشاء متفرداً بحل المترجم .

توفي بالقاهرة في رابع عُشري المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

وبعضهم قال فيه : عبد الخالق ، وسيأتي في مكانه .

---

* الوافي : ٦٧/١٨ ، والدرر : ٣١٩/٢ .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

** تالي وفيات الأعيان : ١٢٥ ، والدرر : ٣١٨/٢ ، وانظره بعد قليل باسم عبد الخالق .. وسيذكر للمؤلف أن وفاته سنة (٧١٢ هـ) ومولده سنة (٦٣٨ هـ) . وبينهما خلاف واضح .

٩٢٤ ـ عبد الحميد بن منصور*

ابن علي بن عبد الجبار الأنصاري .

سمع من علي بن عبد الواحد ، وإسماعيل بن أبي اليسر ، وغيرهما .

وأجاز لي بخطه في السنة التي توفي بها رحمه الله تعالى ، وهي سنة تسع وعشرين وسبع مئة في ذي القعدة .

ومولده في سنة ست وخمسين وست مئة .

٩٢٥ ـ عبد الحميد بن عبد الرحيم**

ابن أحمد بن حسّان ، الشيخ المعمر الكبير تاج الدين أبو عبد الله الحريري الدمشقي .

أصله من وادي التيّم ، ذُكر أنه يعرف الملك الأشرف والملك الكامل .

أُقْعِدَ في[1] أواخر عمره سنين ، وكان مقبولاً عند القضاة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : ظهر سماعه (لجزء ابن عرفة) على ابن عبد الدائم ، وحدّث به غيرَ مرّة . قال : قرأته عليه قبل موته بقليل .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

٩٢٦ ـ عبد الخالق بن عبد السلام***

ابن سعيد بن عُلْوان القاضي الإمام تاج الدين أبو محمد المعرّي ، الأصل ، البعلبكي ، الشافعي ، الأديب .

---

* الوافي : ٨٦/١٨ .

** لم نقف على ترجمة له .

(١) في (ق) ، (س) : « من » .

*** الوافي : ٩٢/١٨ ، والشذرات : ٤٣٥/٥ .

حدّث عن الشيخ الموفّق ، والبهاء عبد الرحمن ، والمجد القزويني ، والكاشغري ، والعزّ بن رواحة ، والتقي أبي أحمد علي بن واصل البصري ، وأحمد بن هشام اللّبلي[١] ، والزكي أبي عبد الله البرزالي ، وجماعة .

وأجاز له الكندي ، وروى الكثير ، وتفرّد في وقته بالرحلة [إليه والمسير][٢] ، وحدّث بدمشق (بسنن ابن ماجة) ، وكان الطلبة إليه في جدّ حاجة . وكان صاحبَ أوراد وقيامٍ في الدياجي وبكاء من خشية الله وخطاب وتناجي .

ودرّس بالأمينية بدمشق ، وولي قضاء بعلبك ، وحُمِدَت أحكامُه ، وشكرت سيرتُهُ وأيّامه .

ولم يزل على حاله إلى أن راح عبد الخالق إلى مَنْ خَلَقه ، وأوضح له من صبح[٣] الهدى فَلَقَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثلاث وست مئة . فأناف على التسعين .

وسمع شيخنا الذهبي منه (سنن ابن ماجة) وأكثر عنه ، وهو من أكبر شيوخه ، وحدّث عنه أبو الحسين اليونيني والمِزّي .

ومن شعره ...[٤] .

---

(١) في الأصل والوافي : « الليلي » ، تصحيف ، وهو أحمد بن تميم بن هشام ، نسبة إلى لبلة ، بلدة في الأندلس ، (ت٦٢٥هـ) ، الشذرات : ١١٦/٥ .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) في الأصل : « سبل » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) كذا في الأصول والوافي .

٩٢٧ ـ عبد الخالق بن أبي علي*

ابن عمر بن محمد بن عمر الصدر الفاضل الكبير عفيف الدين أبو الفضائل بن الصدر علاء الدين بن زين الدين بن الفارغ الحموي الشافعي .

قال شيخنا البرزالي : رَوَى لنا عن شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز (جزء ابن عرفة) ، قرأه عليه في سنة خمس وخمسين وست مئة ، وعن ابن عبد الدائم والنجيب عبد[1] اللطيف ، وسمع من الباذرائي وجماعة .

وكان موصوفاً بالمروءة والمكارم ، وقضاء الحقوق ، وهو ابن أخت قاضي القضاة تقي الدين بن رزين .

وكان تقدَّم له اشتغال ، وحفظ (التنبيه) ، وقرأ الحديث ، ثم إنه خدم بعض الأمراء بالقاهرة ، وولي نظر الصدقات بدمشق مدة ، وسكن درب العجم .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع المحرّم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سلخ رجب سنة ثمان وثلاثين وست مئة .

وقد تقدّم ذكر أخيه عبد الحميد في مكانه .

وبعضهم سمّاه عبد الحق ، وقد تقدّم في مكانه .

٩٢٨ ـ عبد الرحمن بن إبراهيم**

ابن عبد الله بن أبي عمر الْمَقْدِسي ، الشيخ الإمام الفاضل الزاهد عز الدين

---

* التالي : ١٢٦ ، والدرر : ٣٢٠/٣ ، وسلف الحديث عنه قبل قليل باسم عبد الحق بن أبي علي بن عمرو بن محمد بن عمرون . وذكر وفاته هناك سنة (٧١١ هـ) . ومولده (٦٥١ هـ) .

(١) في (س) : « ابن عبد » سهو .

** الوافي : ٩٩/١٨ ، وترجمته فيه مبتسرة ، والدرر : ٣٢١/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ .

أبو الفرج بن الشيخ الإمام عز الدين بن الخطيب شرف الدين بن الشيخ الإمام القدوة أبي عمر محمد بن قُدَامة . سمع من ابن عبد الدائم ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وسمع من والده ، ومن عمّ والده الشيخ شمس الدين ، وعُمَر الكرماني ، وعبد الولي ابن جُبارة ، وأحمد بن جميل[١] ، وأبي بكر الهروي وجماعة .

وكان رجلاً صالحاً كثير الخير مواظباً على أفعال البرّ فقيهاً فاضلا ، درباً مناضلا ، يعرف الفرائض ، ويغوص في بحرها على الغوامض ، ويدُه فيها طُولى ، ويورد فيها مذاهب عجيبة ونقولا .

واشتغل عليه خلق كثير ، وانتفع به جمّ غفير ، وخرّج له شمس الدين بن سعد[٢] (مشيخة) قرأها عليه شيخنا علم الدين البرزالي .

ولم يزل على خير إلى أن لقي الله ربّه ، ووجد عنده ما أحبّه .

وتوفي رحمه تعالى في ثامن شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده تاسع جمادى الأولى سنة ست وخمسين وست مئة .

وحجّ مرّة مع الشيخ شمس الدين ، وكمل عليه كتاب (المقنع)[٣] بالمدينة ، وحجّ بعد ذلك مرّات .

٩٢٩ ـ عبد الرحمن بن أحمد*

ابن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي ، الشيخ الفقيه الإمام الزاهد ناصر الدين بن المغيزل الحموي .

---

(١) في الأصل : « حنبل » ! ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، ولم نهتدِ إلى ترجمته .

(٢) يحيى بن محمد بن سعد المقدسي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في فروع الحنبلية لعبد الله بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) ، الكشف : ١٨٠٩/٢ . وهو مطبوع .

* الدرر : ٣٢٥/٢ .

كان مدرّس العصرونية ، وكان فقيهاً صالحاً ، متواضعاً ديّناً متعبداً .

توفي رحمه الله تعالى في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة سبع وسبع مئة بحماة .

٩٣٠ ـ عبد الرحمن بن أيوب*

تاج الدين مغسّل الموتى .

أقام يغسل الموتى نحواً من ثمانين سنة . وكان رحمه الله تعالى تعافه النفوس ، وتنفر منه لملازمة التغسيل والنزول في الرموس ، لأنه اتّصف بالقساوه ، وعدم المبالاة بأمر بينه وبين الحياة اتّضادٌ وعداوه .

رسم في وقتٍ الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى بقتله بالمقارع فشفعوا فيه ، فنقل حانوته من طريقه ، وكان يمرّ عليه إذا توجّه إلى دار الذهب ، وكانت دكانهم في الكُفَّتين ، فنقلُوا منها . وسئل قبل موته : كم غسلت من الأموات ؟ فقال : ستين ألف ميّت ، وكان ذلك قبل موته بمدة .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الغاسل غَسيلا ، وصبّحته نائبات المنايا وكان لها رَسيلا .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وكان من أبناء الثمانين .

٩٣١ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر بن أحمد**

ابن عمر بن أبي بكر [بن][1] عبد الله بن الشيخ الفقيه الفاضل تقي الدين أبو محمد المقدسي الحنبلي .

---

* لم نقف على ترجمة له .

** الدرر : ٣٢٦/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

كان فاضلاً في الفقه والحساب والفرائض والمساحة . وكان يوصف بالشجاعة والأمانة والهمّة .

روى عن ابن عبد الدائم (جزء ابن القرات)[١] . قال شيخنا البرزالي : قرأته عليه بمسجد رسول الله ﷺ .

وتوفي في يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٩٣٢ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر*

ابن [محمد بن] محمود القاضي كمال الدين البسطامي الحلبي الحنفي .

ناب في الحكم بالقاهرة ، وكان إماماً بالقبة المنصورية ، ومدرّساً بالمدرسة الفارقانية .

كان قد عجز عن الحركة ولزم بيته . وكان قد سمع من النجيب عبد اللطيف[٢] من الموافقات الْمُخَرَّجة له ، وحدّث عنه بأكثر (سنن أبي داود) . وكان يحفظ كتاب (الهداية) في الفقه .

ونزل عن الفارقانية ، والتربة الأشرفية لولده الفقيه سراج الدين عمر[٣] .

٩٣٣ ـ عبد الرحمن بن الحسن**

الفقيه الإمام القدوة الربّاني البركة نجم الدين اللخمي المصري القِبَابي ، بالقاف والباء الموحدة وبعدها ألف وباء ثانية الحروف . والقباب قرية بناحية دمياط .

---

(١) أحمد بن الفرات البرازي ، أبو مسعود (ت ٢٥٨ هـ) ، السير : ٤٨١/١٢ ، والكشف : ٥٨٥ .

* الدرر : ٣٢٦/٢ ، وما بين حاصرتين من (ق) ، (س) ، والدرر .

(٢) توفي سنة (٧٢٨ هـ) ، كما في الدرر .

(٣) كذا في الدرر : ١٦٩/٣ أنّه زين الدين (ت ٧٧١ هـ) .

** الوافي : ١٣٣/١٨ ، والدرر : ٣٢٧/٢ ، والشذرات : ١٠٧/٦ .

تفقّه للإمام أحمد ، وبرئ به طرف الزهد وكان أرْمَد ، نزح من مصر بأهله ، ونزل في حمص برحْله ، فانزوى بها ، وخيّم بين قبابها ، وفتح حانوت فاخوريّ[١] لأجل البلاغ ، وتحصيل ما للعيال فيه مساغ ، وكان ينبّه[٢] المشتري على عيوب الآنية ، ويجتهد في إعلامه خوفاً من أن يُسقى من عينٍ آنية[٣] . ثم إنه تحوّل إلى حماة ، فعرف به صاحبُها ، فآواه وحماه ، وأقبل عليه وكان يزوره ، ويعدّ أن ذلك حبورُه ، فاشتهر أمره ، وقصد بالزيارة مقرّه .

ولم يزل على حاله إلى أن لقي بابَ قبره القبابيُّ مفتوحا ، وقال روحه الطيب لملكيه : رُوحا .

وتوفي رحمه الله تعالى بحماة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وحمل على الرؤوس ، وقبره الآن بحماة يزار .

حدّث بشيء يسير عن عيسى المطعّم ، كان قد سمع منه (مسند) الدارمي ، وترك المدارس بمصر ، وتوجّه إلى حمص . وكانت له جنازة عظيمة إلى الغاية .

٩٣٤ ـ عبد الرحمن بن رواحة*

ابن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن رواحة ، الشيخ الجليل المسند زين الدين بن أبي صالح الأنصاري الحموي الشافعي نزيل مدينة سَيُوط .

---

(١) في الوافي : « ثم فتح له فاخورياً » .

(٢) في الوافي : « بنته » ، تصحيف .

(٣) في الأصل : « غير آنية » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو يشير إلى قوله تعالى في حديث عن أهل النار : ﴿ تُسقى من عين آنية ﴾ الغاشية : ٥/٨٨ .

* الوافي : ١٤٥/١٨ ، والدرر : ٣٢٨/٢ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، وذيول العبر : ١٢٦ ، والسلوك : ٢٣٩/١/٢ .

سمع من جدّه لأمّه أبي القاسم بن رواحة عدة أجزاء منها : (القناعة) لابن مسروق[١] ، وسمع من صفيّة بنت الحَبَقْبَق جزءاً من (معرفة الصحابة) لابن منده وهو الثامن ، وللبغوي ، وله إجازة من ابن رُوْزْبَة والشيخ شهاب الدين السهروردي ، وطائفة .

وتفرد في زمانه ، وتأخّر عن أقرانه ، واختفى ذكره مدّه ، ثم إنه تنبّه له من الطلبة عدّه ، وحدّث في آخره عمره وخاتمة أمره .

ولم يزل على حاله إلى أن خرج روح ابن رواحه ، ولقي من الله جودَه وسماحه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان كاتباً في سَيُوط .

٩٣٥ ـ عبد الرحمن بن عبد الرحيم*

ابن عبد الرحمن بن إسماعيل بن رافع العثماني القوصي الكيزاني سديد الدين .

سمع من مجد الدين القُشَيْري ، ومن ابنه الشيخ تقي الدين[٢] ، ومن عبد العظيم[٣] ، ومن ابن بَرْطَلة ، ومن ابن عبد السلام ، وغيرهم وحدّث بقوص .

سمع منه شرف الدين النصيبي وغيره . وحدّث بالقاهرة ، وقرأ الفقه على الشيخ مجد الدين .

---

(١) أبو العباس ، أحمد بن محمد بن مسروق البغدادي (ت ٢٩٨ هـ) ، السير : ١٣/٤٩٤ ، ووقع في (س) : « مرزوق » ، تحريف .

* الوافي : ١٨/١٥٨ ، والطالع السعيد : ٢٨٧ ، والدرر : ٢/٣٣٠ .

(٢) ابن دقيق العيد القشيري محمد بن علي بن وهب ، انظر : الطالع السعيد ٥٦٧ .

(٣) هو الزكي المنذري (ت ٦٥٦ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

وكان خفيف الروح مطبوعا ، سليمَ الصدر متبوعا ، إذا انشرح أضحك الثكلى ، وتحقق السامعُ أنه لا يرى له شكلا ، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ينبسط معه ، ويهش له إذا سمعه ، وينشده ، ويبرّه ويرفده .

ولم يزل على حاله إلى أن وقع السديد في الكرب الشديد ، وراح إلى المبْدي المعيد[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده بقوص سنة أربع وعشرين وست مئة .

وكان ابن دقيق العيد إذا رآه وخلا به أنشده :

بين السَّديد والسَّداد سَدٌّ كسدّ ذي القرنين أو أشدُّ[٢]

٩٣٦ ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف*

ابن محمد بن عبد الله بن وَرِّيد[٣] المكبّر البَزَّاز ، المعروف بالفُوَيْرَة ، الحنبلي المقرئ المحدّث .

كانت له إجازة من ابن طَبَرْزد ، وابن سُكينة ، وأحمد بن الحسن العاقولي[٤] ، والحسين بن شنيف[٥] ، وعبد الملك بن مبارك قاضي الحريم ، ومحمد بن هبة الله بن كامل الوكيل[٦] ، وابن الأخضر[٧] ، وأبي البقاء العكبري ، وسليمان بن الموصلّي[٨] ،

(١) في (س) : « والمعيد » .

(٢) الطالع السعيد : ٢٨٧ .

* الوافي : ١٥٩/١٨ ، وغاية النهاية : ٣٧٢/١ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ .

(٣) في الأصول : « وريدة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وقد ضبطه المؤلف هناك .

(٤) (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢/٥ .

(٥) هو الحسين بن سعيد بن شنيف (ت ٦١٠ هـ) ، الشذرات : ٤٢/٥ .

(٦) (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٣٠/٥ .

(٧) عبد العزيز بن محمود بن المبارك (ت ٦١١ هـ) ، السير : ٣١/٢٢ .

(٨) هو سليمان بن محمد بن علي (ت ٦١٢ هـ) ، والشذرات : ٤٩/٥ .

وعبد الله بن المبارك بن أحمد بن سكينة وغيرهم . وسمع من ابن صَرْما ومحمود بن مندة وعمر بن كرم[١] ، ويعيش بن مالك بن ريحان[٢] ، وأبي القاسم بن علي بن يوسف بن أبي الكرم الحمّامي ، ومحمد بن الحسن بن أسلم الفرغّاني ، ومحمد بن أحمد بن صالح الجيلي ، وزيد بن يحيى بن هبة ، وأبي الحسن محمد [بن محمد] بن حرب النَرْسي[٣] .

وقرأ القراءات على الفخر الموصلي صاحب يحيى بن سعدون القرطبي[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى ببغداد في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وست مئة .

وكان شيخ المستنصرية في عصره لعلو إسناده ، قارب المئة سنة .

قال شيخنا البرزالي : أجاز لي ولولدي محمد غير مرّة ، وهو آخر من روى بالإجازة عن ابن طبرزد ، وابن سكينة .

٩٣٧ ـ عبد الرحمن بن عبد المحسن*

ابن حسن بن ضرغام بن صَمْصَام ، العدل الفقيه المعمر ، كمال الدين الكناني[٥] المصري المنشاوي الحنبلي .

سمع من سبط السِّلَفي ، والصدر البكري ، وطائفة .

وسمع منه شيخنا الذهبي .

---

(١) الحمّامي (ت ٦٢٩ هـ) .. السير : ٣٢٥/٢٢ ، والشذرات : ١٣٢/٥ .

(٢) (ت ٦٢٢ هـ) ، الشذرات ١٠٦/٥ .

(٣) في الأصل : « المرسي » ، تحريف ، (ت ٦٢٦ هـ) ، السير : ٩١/٢٢ .

(٤) (ت ٥٦٧ هـ) ، السير : ٥٤٦/٢٠ .

* الوافي : ١٧٥/١٨ ، والدرر : ٣٣٤/٢ ، وذيول العبر : ١١٣ ، والسلوك : ٢١٣/١/٢ .

(٥) في الأصل : « ابن الكناني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والدرر .

كان يخطب بالمنشأة[١] التي لقناطر الأهرام ، وصار عدلاً بالقاهرة دهراً ، واختبل[٢] قبل موته بنحو من أربعة أشهر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده بالمنشأة سنة سبع وعشرين وست مئة .

٩٣٨ ـ عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر*

ابن شهاب ، الإمام المفتي الشيخ تقي الدين أبو الفرج الواسطي الشافعي ، محدّث واسط .

قَدِم دمشق ، وحجّ[٣] مرّات ، وسمع هو وشيخنا الذهبي ، وأخذ عن المخزومي[٤] ، وبنت جوهر[٥] ، والموجودين .

وكان ذا مروءه ، ومحاسن مخبوءه ، متواضعاً لمن يلقاه[٦] ، إذا رأى شراً بصاحبه توقّاه ، كيّساً خيّرا ، ذا باطن بالإخلاص نيّرا .

قال شيخنا شمس الدين : حصّل كثيراً من مرويّاته ، وحدّثنا عنه ابن ثردة الواعظ ، وصحب الشيخ عز الدين الفاروثي .

---

(١) كذا في الأصل و (ق) و (س) . وفي الوافي : « لِلْنَشيّة » ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان : ٢١٠/٥ .

(٢) في الأصل : « واختل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والدرر .

* الوافي : ١٧٦/١٨ ، ووفيات ابن رافع : ١٩٢/١ .

(٣) في الأصل : « وحدّث » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٤) كذا في الأصل والوافي . وفي (ق) ، (س) : « المَخْرمي » ، ولعلّها أصح ، والمَخْرمي ، هو : إبراهيم بن أبي الحسن بن صدقة ، سلفت ترجمته .

(٥) فاطمة بنت إبراهيم (ت ٧١١ هـ) ، وستأتي ترجمتها في موضعها .

(٦) في (س) : « تلقّاه » .

وتوفي رحمه الله تعالى [ببغداد][١] سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وسبعين وست مئة .

٩٣٩ ـ عبد الرحمن بن عبد المولى بن إبراهيم*

الشيخ المسند أبو محمد اليلداني الصحراوي .

سمع الكثير من جدّه تقي الدين ، والرشيد[٢] العراقي ، وابن خطيب القرافة ، وشيخ الشيوخ الأنصاري ، وأجاز له العَلَم السَّخَاوي ، والحافظ ضياء الدين ، وآخرون .

وتفرّد بأشياء ، وسمع منه الأمير سيف الدين [تنكز][٣] نائب الشام رحمه الله تعالى كتاب (الآثار) للطَّحاوَي[٤] ، ووَصَله ورتّب له مرتباً . وكان فقيراً ، ثم عمي .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة ، وهو سبط اليلداني .

٩٤٠ ـ عبد الرحمن بن عبد العزيز**

ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد ابن هلال ، فخر الدين أبو محمد الأزدي الدمشقي .

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

* الوافي : ١٧٨/١٨ ، والدرر : ٣٣٤/٢ ، والشذرات : ٦٧/٦ .

(٢) في الوافي : « تقي الدين الرشيد » ، ولا يصحّ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٤) أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١) . انظر :الأعلام ٢٠٦/١ ، والكشف : ١٧٢٨/٢ ، واسم كتابه : (مشكل الآثار) ، وهو مطبوع .

** الدرر : ٣٣٢/٢ .

كان عدلاً ابن عدل ابن عدل ، كان منقطعاً عن الناس ملازماً لبيته وعياله ، ليس له تعلّق بغير ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في بستانه بالنيرب ظاهر دمشق ، في صفر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد روى شيئاً من الحديث عن ابن أبي اليسر ، وسمع من جماعة . وحجّ وحدّث بطريق الحجاز .

ومولده في المحرّم سنة ثلاث وستين وست مئة بدمشق .

٩٤١ ـ عبد الرحمن بن عبد الوهاب*

ابن علي بن أحمد بن عقيل ، الإمام الخطيب ضياء الدين بن الخطيب السُّلَمي البعلبكي .

سمع من أبي المجد القزويني كتاب (شرح السنة)[١] ، وكان خاتمة أصحابه ، وسمع من ابن اللَّتي ، وابن الصّلاح .

وكان خيّراً متواضعاً ، يخضّب بالحمرة ، وبقي في الخطابة بضعاً وخمسين سنة ، وسمع منه شيخنا الذهبي .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث صفر سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده سنة أربع عشرة وست مئة .

---

* الوافي : ٦٨٣/١٨ ، والدرر : ٣٣٥/٢ ، والشذرات : ٩/٦ ، وذيول العبر : ٢٤ ، والبداية والنهاية : ٣٠/١٤ .

(١) للبغوي ، حسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) . والكتاب مطبوع بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط .

٩٤٢ ـ عبد الرحمن بن علي*

ابن إسماعيل بن يحيى بن البارزي ، الصدر الكبير زين الدين بن علاء الدين المعروف بابن الولي الحموي .

كان متعيّناً في بلده ، وله مكانة عند الملك المؤيد ، وعند ولده الأفضل ، وكان وكيل بيت[١] المال بحماة ، وبنى بها جامعاً ، وصلى فيه .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين[٢] وسبع مئة .

٩٤٣ ـ عبد الرحمن بن عمر**

الصدر الرئيس شرف الدين بن الصاحب فخر الدين بن الخليلي .

كان قد ورد إلى دمشق متولّياً نظر ديوان سَلاَّر عوضاً عن القاضي عماد الدين بن ريّان .

وكان شاباً عاقلاً ، عنده سكون ومعرفة ، وفيه رياسة وحشمة .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع صفر سنة تسع وسبع مئة .

وكان قد حضر بعده على نظر الدواوين المذكورة[٣] عز الدين محمد بن كمال الدين عبد القادر بن منهال ، وسيأتي ذكره .

---

* تاريخ أبي الفداء : ١٠٩/٤ ، والدرر : ٣٣٧/٢ ، وفيه : « ابن يحيى بن إسماعيل » .

(١) في الأصل : « لبيت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، ٠ س) .

(٢) في الأصل : « وستين » ، سهو ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، ومصادر ترجمته .

** الدرر : ٣٤٠/٢ .

(٣) في (ق) ، (س) : « الديوان للذكور » .

٩٤٤ ـ عبد الرحمن بن عمر بن علي*

الهاشمي الجعفري الشنشتري[١] ، الطبيب نور الدين ، الحكيم الطبيب .

كان فاضلاً في علوم ، وكتب المنسوب الذي أخجل الدُرَّ المنظوم ، وبرع في الإنشاء والأدب وأيام الناس من العجم والعرب ، واتصل بعلاء الدين صاحب الديوان ، فأجله مع أصحابه في الإيوان ، وحصّل بالطب أموالا ، وتقدم في الدولة فما يدري أعادَى الناس أم والى ، ثم إنه أقبل على التصوف ، ودخل في التصوّن[٢] ورحل عن التشوف والتسوف ، وخاض تلك الغمرات ، وترنم بذكر البان وليالي السَّمُرات ، وعمّر خانقاه ، جعل نفسه شيخها المشار إليه ، وكبيرها الذي يفد الناس عليه ، وعظم شأنه عند خربندا ، وبقي دخله في العام سبعين ألفاً .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل النورُ من الأرض في ظلماتها ، وذكر الناس به أيام الفضل وطيبَ أوقاتها .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة [وقد أسنّ][٣] .

وكان قد قدم بغداد ، ونزل بالنظَّامية ، وتفقه ومهر في الطب ، وتخرّج[٤] بابن الصباغ ، وابن القسّيس ، ونّوه عز الدين الجعفري متولّي البصرة بذكره ، وهو والد الشيخ نظام الدين يحيى[٥] الذي كان شيخ الربوة بدمشق ، وعاد إلى بغداد .

---

* الوافي : ٢٠٦/١٨ ، والدرر : ٣٣٩/٢ .

(١) في الدرر : « الجعبري التستري » .

(٢) كذا في الأصول .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، وعبارة الوافي : « وقد شاخ » .

(٤) في الأصل : « تجرّح » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

٩٤٥ ـ عبد الرحمن بن عمر بن صومع الدير قانوني*

الشيخ الصالح أبو محمد سبط الشيخ زين الدين بن عبد الدائم .

سمع من ابن اللّتي ، والهمذاني ، والحافظ ضياء الدين المقدسي ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمعت عليه (مسند) أبي بكر رضي الله عنه من أول (مسند ابن حميد) وغير ذلك .

ضرب التتار رقبته بالصالحية ، ولم يتفق دفنه في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . وكان صائماً عدة أيام .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

٩٤٦ ـ عبد الرحمن بن عمر بن الحسن**

ابن علي كال الدين التيمي الأرمنتي ، يعرف بالْمُشارف .

كان جواداً كريما ، رئيساً حليما ، كثير الْمُرَوّه ، غزير الفتوّه ، شاعراً أديبا ، ماهراً في [فن][1] الكتابة أريبا ، تقلّب في الخدم الديوانيه ، وتسلّب ما في الجهات السلطانيه .

ولم يزل على حاله إلى أن فارق الدنيا ، ونزح عن السفلى إلى العليا .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره :

حَبَستْ جفني على الأرق نغماتُ الـوُرْق في الـورق

---

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٢٠٦/١٨ ، والدرر : ٣٣٨/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

وانعطـــــاف الغصن صيّرني واختـــلاف النـــور في نســـق
هـــائمـــاً لم أدر مـــا فعلت يـــد هـــذا البين بـــالأفـق

ومنه :

ألحظـــك فيـــه سِحْرٌ أم حُسَـــام وخـــدك فيـــه ورد أم ضِرامُ[1]
وثغرُك فيـــه درٌّ أم أقـــاحٍ دمـــا في فيـــك شهـــد أم مُـــدامُ
خطرت فكاد من فرط التثني يُغَرّد فـوق عِطْفَيـــك الحمـــامُ
أيـــا من خص بـــالتعـــذيب قَلْبي أمـــا في الـوصـل بعـــدك لي مَرامُ

قلت : شعر مقبول لـه ديبـاجـة إلاّ أن في الأول فصلاً[2] بين المعطوف والمعطـوف عليـه بقولـه : صيّرني ، وصيّرني متعلّق بـ (هـائم) ، ومثـل هـذا لا يجـوز ، وقـولـه في الثاني : « خطرت » . أحسنُ منه قول أبي طاهر حيدر البغدادي :

خَطَرتْ وكاد الـوَرق يسجع فـوقهـا إنّ الحمـــام لَمُغْرَم بـــالبـــان

٩٤٧ ـ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عمر*

الشيخ الفقيه المسند الأصيل مجد الدين ابن الشيخ المحدّث مجـد الـدين بن الصفّـار الإسفرايني .

سمـع على كريمـة ، وابن الصـلاح ، والقرطبي ، وإسماعيـل بن ظفر ، وعَتيـق السلماني ، وشيخ الشيوخ ابن حمُّويَـة ، وعمر بن البراذعي ، والصريفيني[3] ، وجماعـة ، وحدّث بدمشق والقاهرة .

---

(١) في الأصل و (ق) ، (س) : « ألفظك » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في الأصل : « فصل » ، وهو خطأ .
* الدرر : ٣٤٥/٢ .
(٣) إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت٦٤١ هـ) . السير : ٨٩/٢٣ ، والوافي : ١٤١/٦ .

وكان رجلاً جيداً ، قرأ كتاب (التعجيز) في الفقه وجود حفظه ، وقرأ غيره .

وكان ملازماً للاشتغال ، طاهر اللسان ، حسن الأخلاق قنوعاً . وكان فقيهاً في المدارس ، وتولّى مشيخة الخانقاه الشهابية[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

٩٤٨ ـ عبد الرحمن بن محمد*

الإمام القدوة العابد المتبع المذكِّر تاج الدين ابن الإمام أفضل الدين أبي حامد التبريزي الشافعي الواعظ ، أحد من قام بالإنكار على رشيد الدولة وزير التتار ، وطعن في نِحْلته وفلسفته ، فما أقدم الرشيد عليه ، وأعرض عنه لرفعة قدره في نفوس الناس من أهل بلد تبريز .

كان قوّالاً بالحق ، قواماً بالصدق ، سلفي الاعتقاد ، ذا سكينة وإخلاص واجتهاد ، وَعَظَ ذكّر ، وعظّ[٢] بناجذ الصدق وفكر ، وكانت له في النفوس مهابة ، وعنده خشوع وإنابة . وقدم دمشق بنية الحج بأبيه وبنيه وجماعته وذويه ، وسار وحجّ وعاد مع الركب العراقي ، وأعمل اليعملات طمعاً في التلاقي ، فأدركه أجلُه في بغداد ، فانقطع بذلك السَّير والإغذاذ .

وكانت وفاته سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وله ثمان وخمسون سنة .

٩٤٩ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عسكر**

البغدادي المالكي ، الشيخ شهاب الدين مدرس المستنصرية ببغداد ، شيخ المالكية .

---

(١) داخل باب الفرج ، غربي العادلية الكبرى ، بناها علاء الدين الشهابي (ت ٦٥٠ هـ) الدارس : ١٢٦/٢ .

* الوافي : ٢٥٩/١٨ ، والدرر : ٣٤١/٢ ، والشذرات : ٤٩/٦ .

(٢) عظّته الحرب كعضّته .

** الوافي : ٢٦٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٤/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذيول العبر : ١٧٥ .

روى عن ذي الفقار محمد بن شرف العلوي (مُسْنَد الشافعي) بسماعه من ابن الخازن ، وسمع من علي بن محمد الأسد آبادي ، وعز الدين الفاروثي ، والعماد بن الطبّال ، وسمع في الحجاز مِنْ زين الدين ابن المنير قصيدة .

وأخذ عنه الشرف بن الكازروني ، وأبو الخير الدِّهلي[١] ، وولده الفقيه شرف الدين أحمد الذي درَّس بعده ، تخرَّج به الأصحاب . وتُلُقِّيَ لعظمته بالتّرحاب . وبَعُدَ صيته وسمعته . وأُوْقِدَتْ في المحافل شمعته .

وكان صاحب أخلاق ، ومواهب في الحال وإطلاق . وعنده تصوُّرٌ وتصديقٌ وتصوُّف ، وتَطَلُّعٌ إلى الواردات وتَشَوُّف . يَشْهَدُ السَّماع ،ويَكْشِفُ القناع . ويتواجد لطفا ، ويتعاهد ذلك ظُرفا ، ولا يرعى ناموسا [ولا يراعي ملبوسا][٢]. دخل اليمن ، وفاز هناك بغَلاء الثمن . وله مصنفات في المذهب وفي الدعوات ، وله : (عمدة السالك والناسك) وله غير ذلك .

ولم يزل على حاله إلى أن هُزم جيش[٣] ابن عسكر ، وأصبح فريداً في قبره كأنْ لم يُذكر .

وتُوُفّي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعٍ وأربعين وستّ مئة .

٩٥٠ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن*

ابن يوسف البَعْلَبَكّي ، ثم الدمشقي الحنبلي ، الفقيه ، الْمُحَدِّثُ ، المفيد . فخر الدين أبو محمد .

---

(١) سعيد بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) في (ق) ، (س) : « عيش » .

* الوافي : ٢٦٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٢/٢ ، والشذرات : ١٠١/٦ .

سمع من الفخر[١] في الخامسة ، ومن ابن الواسطي ، وابن القوّاس ، ثم طَلَبَ بنفسه سنة خمسٍ وسبع مئةٍ ، رَحَلَ وكَتَبَ ، وتَعِبَ وذَأَبَ . وكان عينَ الطَّلَبَةِ ، ومُعِيْنَ السَّامعينَ على بلوغ المَأْرَبَةِ . وكان يقرأ على الكراسي ، ويجلس في تلك المراسي . وفيه للعَوامّ نفع ، وبه في صَدْرِ الشيطان ضربٌ ودَفْع . وتميَّزَ ودَرَّس الفقه على مذهبه ، وتَعِبَ على تحصيل منصبه .

ولم يزل على حاله إلى أن حَلَّتْ به الداهيه ، وأصبحت عينه شاخصةً ساهِيه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثمانين وست مئة .

٩٥١ ـ عبد الرحمن بن محمد بن علي*

أبو زيد الأنصاري الأسدي القيرواني ، الْمُعَمِّرُ ، صاحب (تاريخ القيروان)[٢] .

أخذ عن عبد الرحمن بن طلحة ، وعبد السلام بن عبد الغالب الصوفي ، وطائفة ، وأجاز له ابن رواج ، وابن الجَمّيزي ، وسبط السِّلَفي ، وجماعة . وخرَّج له أربعين تساعيات بالإجازة .

سمع منه محمد بن جابر الوادي آشي .

وكان مؤرِّخَ بلده ومحدِّثها ، ومانحَ فوائدِها ومورِّثَها . عمل هذا التاريخ المختص ببلده ، وما رُئي مثل صبره على ذلك ولا جَلَده .

ولم يزل على حاله إلى أن أدركه مكتوبُه ، وفرغ من عمره محسوبه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وتسعين وست مئة .

ومولدُه سنة خمسٍ وست مئة .

---

(١) ابن البخاري (ت ٦٩٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

* الوافي : ٢٦١/١٨ .

(٢) اسمه : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (مطبوع) ، انظر : الأعلام ١٢٩/٣ ، والكشف : ٣٠١/١ .

٩٥٢ ـ عبد الرحمن بن محمد بن علي*

الفقيه النبيه ، تاج الدين ابن الإمام العلامة فخر الدين المصري الشافعي ، وسوف يأتي ذكره والده في مكانه من حرف الميم .

حفظ (المنهاج) للنووي ، و (منهاج) البيضاوي في الأصول ، وناب عن والده في تدريس العادليّة[١] الصغيرة وفي الرَّوَاحية . ونَزَلَ أبوه له عن تدريس الدَّوْلَعيّة[٢] . وحجَّ مع والده سنةَ ثمانٍ وأربعين وسبع مئةٍ ، وجاور والدُه ، وقَدِمَ هو صُحْبَةَ الركب إلى دمشق .

وكانت فيه هشاشه ، وله بَنْ يَلْتَقيه بشاشه . فيه تَعَصُّبٌ مع الناس ، ومُرُوَّةٌ توجب له الإيناس . وعنده كرمٌ وجُود ، واعترافٌ بالجميل من غير جحود . وفي كل قليل يعمل للفقهاء ولأصحابه[٣] دَعْوَه ، ويُرْزَقُ بالثناء عليه فيها حَظْوه .

ولم يزل على حاله إلى أن ذوى يَنْعُه ، وغاض من الحياة نَبْعُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئَةٍ [في طاعون دمشق][٤] .

ومولدُه في عشرين شهر ربيعٍ الآخر سنةَ ستٍّ وعشرين وسبع مئةٍ .

كان في الحَمَّام ، فبصق دماً ، فخرجَ من الحَمَّام ، وقد أيقن بالهلاك ، ودارَ على أصحابه ووَدَّعَهُم ، ويقولُ لكلِّ واحدٍ منهم : لا أوحش الله منكم ، قد بَصَقْتُ ، وأنا ميّت . وتأسَّفَ الناسُ على فَقْدِهِ .

---

* الوافي : ٢٦١/١٨ ، والدرر : ٣٤٤/٢ .

(١) في الأصل : « الدولعيّة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) مدرسة للشافعية بدمشق بجيرون قبلي المدرسة البادرائية ، أنشأها جمال الدين محمد الدولعي (ت ٦٣٥ هـ) . الدارس : ١٨٢/١ .

(٣) في الأصل : « لأصحاب » ، وفي (ق)، (س) : « وأصحابه » .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

ومما قلتُ أنا في ذلك الوقت :

يا رحمتا لِدمشقَ مِنْ طاعُونِها فالكلُّ مُغْتَبِقٌ بِه أو مُصْطَبِحْ
كَمْ هَالِكٍ نَفَثَ الدّمَا مِنْ حَلْقِهِ أَوَ مَا تراهُ بغيرِ سِكِّيْنٍ ذُبِحْ

٩٥٣ ـ عبد الرحمن بن محمد بن علي*

ابن عبد الواحد الصَّدْر الفقيه ، القاضي تقي الدين ابن الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام كمال الدين بن الزملكاني الشافعي .

كان في حَلِّ الْمُتَرْجَم آيه ، وفي حل الألغاز غايه . وما عدا ذلك فهو منه عَرِي ، ومّما كان يعرفه والده بَري . وخَطُّهُ لا يَرْضَى به تَعِيْسٌ أن يكون حَظَّه ، وذهنُه في غير ما ذكرتُه لا يُفهم به لَفْظه . على أنه كان ينظم ولكن خَرَزا ، ويدع الطرس بذلك من خطه صعيداً جُرُزا[1] . ولكنْ كان سليمَ الطِّباع ، جيد الصحبة لطيفَ الاجتماع . ينفعل لأصحابه ، ويوافق كلاً منهم على آرائه . وجُودُه متدفّق ، وبَذْلُه لِمَا في يَدِه غَيْرُ مترفّه ولا مُتَرَفق .

ولم يَزَلْ على حاله إلى أن فارق الأوطان ، ونَزح من[2] الأعطان .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بدمشق .

وطُلِبْت أنا من الديار المصرية في أيام الأمير سيف الدين تَنْكِز بوساطة القاضي شهاب الدين بن القيسراني في المرّة الثانية ، ولّما جِئْتُ رَتَّبْتُ مكانَهُ في ديوان الإنشاء . وكان هو رحمه الله قد توجه صحبة والده إلى الديار المصرية ، ولما تُوفّي والدُه في بُلْبيس ، دخل هو القاهرة ودَفَنَ والده عند قبر الشافعي رضي الله عنه .

---

* وفيات ابن رافع : ٧٠/١ ، والدرر : ٣٤٤/٢ ، والدارس : ٣٤٨/١ .

(١) أرضٌ جُرُز : لا تنبت ، وفي التنزيل : ﴿ وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جُرُزاً ﴾ . الكهف : ٨/١٧ .

(٢) في (ق) ، (س) : « عن » .

وكان والدُه قد عمل سيرة مليحة للسلطان الملك الناصر محمد ، فدخل وقدَّمها ، وساعده الناس إكراماً لأبيه ، وعَضّده الأمير سيف الدين أُلْجَاي الدوادار ، فرُسِم له بتدريس المسرورية[1] وبأن يكون في جملة كتّاب الإنشاء بدمشق ، فدخل إليها وأهْلُ دمشق إمّا أقاربُه ، أو تلاميذُ والده ، وإمّا أصحابُه ، فرعَوْهُ لذلك .

وكان قاصراً في كل ما يعرفه والده ، إلاّ في حلّ المترجم ، كان يحلّه بلا فاصلة في أسرع ما يكون ، وكذلك الألغاز حتى إنني كنت أتعجب له في ذلك من جمود ذهنه في غير هذين ، وتوقد ذهنه فيهما . فسبحان الله العظيم والده شيخ الإسلام وكل ما يعرفه كان فيه آية ، وهذا ولده هكذا ، مع ما تعب عليه والدُه واجتهد .

٩٥٤ ـ عبد الرحمن بن أبي مُحَمّد*

ابن محمد بن سلطان القرامزي ، الشيخ الصالح ، بقيَّة السَّلف ، أبو محمد الحنبلي .

كان شيخاً مَشْهُورا ، يلازم الجامع أعواماً وشهورا ، كثير الصلوات ، غزير الخلوات ، له مريدون وأصحاب وخُدَّام وأحباب . اشتغل بالعلم أوّلا ، وانقطع للعبادة والتلاوة ، جَعَل ذلك مُعَوَّلا ، وللناس فيه عقيده ، ومَحَبَّةٌ عَتيده .

ولم يزل على حاله إلى أن لحق بالباري تعالى ، وتواتَرَ البُكا عليه وتوالى .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهلّ الْمُحَرَّم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة ببستانه بأرض الْمُصَيْصَة ظاهر دمشق .

وصُلّي عليه بجامع جَرّاح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير في تربةٍ له جوار القلندَرِيَّة .

---

(١) المدرسة المسرورية أنشأها الطواشي مسرور في العهد الفاطمي . (انظر الدارس) .

* الدرر : ٣٤٦/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ .

سمع من ابن أبي اليُسْر ، والنجم بن النَشّبي ، والشيخ حسن الصِقِلّي[١] ، والجمال البغدادي الحنبلي[٢] ، والمجد بن عساكر[٣] ، وابن هامل[٤] ، والكنجي[٥] ، وجماعة . وسمع بالقدس من الخطيب قطب الدين ، وبالخليل من[٦] الشيخ عبد الدائم بن الزين بن عبد الدائم .

وحَدَّثَ بدمشق والقاهرة ، [وكان][٧] تلا بالروايات على الشيخ حسن الصِّقِلِّي .

٩٥٥ ـ عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل*

ابن محمد بن أحمد بن أبي الفتح ، الخطيب عفيف الدين أبو محمد ابن الشيخ الخطيب الْمَرداويّ الْمَقدسيّ خطيب مردا .

وَرَدَ دمشق مع والده ، وقرأ الحديث بنفسه سنة ثلاث وخمسين ، وسمع الكثير على والده وابن عبد الدايم . وخَطَب مدة طويلة بالقرية المذكورة ، وحَدَّث قديماً .

سمع منه ابن الخبَّاز سنة خمسٍ وستين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه بدمشق وبمردا .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً بَمْردا سنة ثلاثين وست مئة .

---

(١) حسن بن أبي عبد الله بن صدقة الأزدي (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٩١/٥ .

(٢) عبد الرحمن بن سليمان بن سعيد (ت ٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٣/٥ .

(٣) محمد بن إسماعيل بن عثمان (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٩٢/٥ .

(٤) محمد بن عبد المنعم بن عمّار (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٦/٥ .

(٥) محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) في الأصل : « والخليل ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٧) زيادة من (ق) ، (س) .

* الدرر : ٣٤١/٢ .

٩٥٦ ـ عبد الرحمن بن محمود*

مجد الدين بن قرْطَاس القوصي الأديب .

سمع الحديث بالقاهرة على أشياخ عَصْره ، وقرأ النحو على العلاّمة أثير الدين ، وتأدّب على الطوفي الحنبلي والشيخ صدر الدين بن الوكيل والأمير مجير الدين عمر بن اللَّمطي[١] . وتولّى الخطابة بجامع الصَّارم بقوص .

وكان يتصوَّف ، ويجمع الدواوين وينتقي منها ويتصَرَّف . وعَلَّق تعاليق ، وعمل منها مبتدآت وتغاليق . ووقف كتبه على المدرسة السَّابِقِيَّة بقوص ، وعلَّمَ الناسَ بذلك أنه صحيحٌ غير منقوص .

ولم يزل على حاله إلى أن خَرَقَ سهمُ المنيَّة قرطاسَه ، وأخمد الموتُ أنفاسَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ورثى مجير الدين بن اللَّمطي بقصيدةٍ أولها :

كأسُ الحِمام على الأنـــام يَـــدُورُ يُسْقَى بها ذو الصّحـو والمخمـورُ[٢]

منها :

يُزهى به النعشُ الَّذي هو فَوْقَهُ وكـذاك يُـزهَى بـالأمير سريرُ

٩٥٧ ـ عبد الرحمن بن مخلوف**

ابن عبد الرحمن بن مخلوق بن جماعة بن رجاء الرَّبعي الإسكندري المالكي ، الشيخ الإمام العالم العَدْل الخيّر المعمّر الْمُسْنِد محيي الدين أبو القاسم .

---

* الوافي : ٢٦٤/١٨ ، والطالع السعيد : ٢٩٦ ، والدرر : ٣٤٦/٢ .

(١) هو عمر بن عيسى ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في الطالع : « يدور » .

** الوافي : ٢٦٥/١٨ ، والدرر : ٣٤٧/٢ ، وذيول العبر : ١٢٥ ، والسلوك : ٢٣٩/١/٢ .

سمع من جعفر الهمذاني ، وعليّ بن زيد التسارسي[١] ، سمع عليه الثالث من (الثقفيّات) وسمع (الدعاء) للمحاملي على جُعيفر ، وسمع من ابن رواج .

وسمع منه الواني ، وشيخنا أبو الفتح بن سيّد الناس ، وابن ربيع المصغوني ، وسمع منه شيخنا الذهبي خَمْسَ مجالس [تعرف][٢] بالسَّلماسيّة .

وكان له بَصَرٌ بالشروط ، وأمْرُه في العدالة مضبوط ، وله فيها تقدّمٌ وشُهْرَه ، وخبرة فيها قد جَمَّل به دَهْرَه . وتفرد بأجزاء عاليه [سلفيّة][٣] رواها ، ومَلَك زمام أمرها وحواها ، وشفى بروايتها[٤] من النفوس جواها[٥] .

ولم يزل على حاله إلى أن فُرّغ من حياته وعاؤها ، وأجيب في منيته دعاؤها .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولدُه سنة تسع وعشرين وست مئة .

٩٥٨ ـ عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد*

العلاّمة شيخ الحنابلة ، شمس الدين ابن قاضي القضاة ، سعد الدين الحارثي المصري الحنبلي .

سمع من العز الحرّاني ، وغازي[٦] ، وبدمشق من الفخر علي وجماعة . وأخذ النحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، والأصول عن ابن دقيق العيد . وحَجَّ غير مرة .

---

(١) (ت ٦٤٢ هـ) ، السير ٩٢/٢٣ ، وفي (ق) ، (س) : « السارسي » ، تحريف .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « براويها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « دواها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٢٧٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٧/٢ ، والشذرات : ١٠١/٦ ، وذيول العبر : ١٧٦ .

(٦) غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي (ت ٦٩٠ هـ) ، الشذرات : ٤١٧/٥ .

وكان يُدَرِّس بمدارس كبار ، وإذا جرى في حلبَة المناظرة لا يعلق الريح له بغُبَار .مع الوقار الجميل ، والسمت الذي لبس له فيه عديل . وصدق اللهجَةْ ، وعفاف المهجَةْ ، والديانة التي رَأَسَ بها وتَصَدَّر ، والصيانة التي تَصَبَّبَ بها نوُّهُ وتَحَدَّر . ولم يزل على حاله إلى أن نُبِش من الحارثي قَبْرُه ، وعُدم من صاحبه عليه صَبْرُه .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة سادس عشري[1] ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

٩٥٩ ـ عبد الرحمن بن موسى*

هو المَلِك أبو تاشِفين ، ابن الملك أبي حَمُّو ، بالحاء المهملة والميم المشددة والواو ، ابن الملك أبي عمرو عثمان ابن السلطان يَغمَراسِن بن عبد الواد الزّناتي المغربي البربري صاحب تِلِمْسَان .

كان شجاعاً حازما ، موقناً بالشَّرِّ جازما ، جبروته زاد عن الحد حتى كَذَّبَهُ العقل وأباه ، وناهيك بمن تجرأ وما اتجرّى وقتل أباه .

وكان قد نظر في فنون العلم مُدّه ، وأنفق فيها من عمره عِدّه ، وتَفَقَّهَ على ابنَيِّ الإمام[2] ، وفَدَتْ سيرته ونسيَ وِرْدَ الحِمام .

ويُحكى عنه في دولته قبائح ، أما الراوي لها فكاتم وأما التاريخ لها فبائح .

قَصَدَهُ سلطان المغرب أبو الحسن المَرِيني[3] وحاصره مدّة طويلة وأنشأ في المنزلة

(١) في الأصل : « عشر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والشذرات .

* الوافي : ٢٩٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٨/٢ل والشذرات : ١١٥/٨ ، وذيول العبر : ١٩٩ .

(٢) في الوافي : « أبيه الإمام » .

(٣) علي بن عثمان بن يعقوب ، ستأتي ترجمته في موضعها .

مدينة كبيرة ، وطال الأمر إلى شهر رمضان ، فبرز أبو تاشفين في أبطاله لكبسه ومكيدةٍ يعملها فانعكست عليه ، وركب جيش أبي الحسن وحملوا حتى دخلوا من باب تلمسان وقتلوه على ظهر جواده في سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مئة . وكان الحصار نحو سنتين وأكثر . وطِيْفَ برأسه في المغرب ، ثم[1] دُفن مع جسده عند آبائه بتلمسان .

وكان جدُّ السلطان أبي الحسن قد نازل تلمسان أيضاً سنوات ومات وهو يحاصرها سنة بضعٍ وسبع مئة .

٩٦٠ ـ عبد الرحمن بن موسى بن عمر*

تاج الدين الناسخ ، عُرِفَ بابن المناديلي ، ووالدُه بدر الدين بن أبي الفضل .

كان ينادي يوم الجمعة على الكتب ، ويأخذ رزقه فيها من بين الخَطّيّة السلب ، ونسخ كثيراً من الدواوين الصغيرة الرائقه ، والأشعار التي بالغزل والنَّسيب[2] لائقه . وقُطِعَتْ في غير جناية يمينه ، وبقي رحمة لا يجد من يعينه . وكتب بعد قليل بشماله ، وقاتل على ذلك لأن الخط كان رأس ماله . وكان يَعْتَذر في آخر الكتاب أنه بيده اليسرى ، ليعذره من كان بذكره مُغْرَى . وكان خطّه أبهجَ من خميله ، وأرهج من الطلعة الجميله .

ولم يزل على حاله إلى أن غُصَّ بالشَّجَى ، ولم يجد من يد الموت مَخْرَجا .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة . ووصل إلى السبعين .

وكان قد وصل[3] إليه القبّاري واليعفوري ، وكتب لهما كتاباً ، وكان ذلك مرافعة

(١) في (س) : « حتى » .

* الدرر : ٣٤٩/٢ .

(٢) في الأصل : « والنسب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) في (ق) ، (س) : « جاء » .

في حق الأفرم ، فأُمسكوا ، وأفتى الشيخ زين الدين الفارِقّي بقطع يده ، وتوسيط الآخرين ، فقُطِعَتْ يده . وقد تقدم ذكر هذه الواقعة في ترجمة الشيخ أحمد القبّاري في آخر الأحمدين فتكشف من هناك . ولما قُطعت يده قال للأفرم : ياخوند قُطعت يدي لأجل درهمين ، هذان دفعا إليَّ درهمين وقالا : أُكتبْ هذا الكتاب ، فَرَقَّ له الأفرم ، وأعطاه جُملةَ دراهم ، وأظنه رَتَّبَ له شيئاً ، وكان التاج[١] المذكور مغرىً بكتابة (ديوان) ابن الفارض والحاجري وغيره من هذه الدواوين الصغار ، ويكتبُ كثيراً بكتاب (الدرة المضيّة في اللغة التركية) ، وهذه الكتب موجودة بين ظهراني الناس ، وخطُّه معروفٌ . وكان يقول : عمري ماوقع في أذني ألذ[٢] من قول الأفرم : وهذا اقطعوا يده ، لأنه رسم قبل ذلك بتوسيط القبّاري واليعفوري المذكورَيْن .

و[كان][٣] قد أَسَنَّ ، ووقعت أسنانه ، وكان يمشي وفي جنبه جرن خشب ، ويدق ، حتى يدق الخيارة والقيثاءة[٤] والتفاحة والسفرجلة والكمثري وغير ذلك . ووُجِد بعد موته سماعُه (مشيخة) العفيف محمد بن زكريا بن رحمه .

٩٦١ ـ عبد الرحمن بن نصر*

ابن عُبَيد المفتي الإمام زين الدين الفدمي السوادي الصالحي الحنفي .

سمع المرسي ، وسِبْط بن الجوزي ، وخطيب مردا ، وإبراهيم البطائحي ، والرشيد العراقي ، واليلداني ، وعدة .

كان له في الفقه بصر حديد[٥] ، وفي الشروط نظرٌ ما لخصه عنه محيد . شهد تحت

(١) في الأصل : « التاريخ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) .
(٤) في الأصل : « الخيار والقثاء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
* الوافي : ٢٩٣/١٨ ، والدرر : ٣٤٩/٢ .
(٥) أفاد من قوله تعالى : ﴿ فكشفنا عنكَ غطاءَكَ فبصرُكَ اليومَ حديد ﴾ الحديد : ٢٥/٥٧ .

الساعات ، وأنفق عمره في الطاعات ، إلى أن عجز وانقطع ، ولمع برق ضعفه وسطع . وكان يعبّر الرؤيا ، ويأتي في كلامه بما هو الغاية العليا .

ولم يزل إلى أن جَفَّ عوده ، وزمجرت بالنزاع رعوده .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وله ستٌّ وثمانون سنة .

وانقطع بمدرسة الأسديَّة لمّا عجز عن التوجّه إلى مكان الشهود .

٩٦٢ ـ عبد الرحمن بن يوسف*

ابن محمد الشريف الخطيب الإمام العالم ، الزاهد الفاضل جمال الدين أبو البقاء الحراني ، خطيب المسجد الأقصى .

كان صاحب فضائل وفنون ، وَلِيَ الخطابة بالأقصى بعد[1] قاضي القضاة ، بدر الدين بن جماعة .

توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبع مئة .

٩٦٣ ـ عبد الرحيم بن إبراهيم**

ابن إسماعيل بن أبي اليُسر التنوخي ، تاج الدين أبو الفضل .

سمع من جَدّه أبي محمد كثيراً ، وأجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بدمشق[2]

---

* الدرر : ٣٥١/٢ .

(١) كذا في الأصول ، وفي الدرر : « بعده » ، وقد يكون ما فيه أرجح ، لأنَّ بدر الدين (ت٧٣٣ هـ) .

** الوافي : ٣٢٠/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٢٥٩ ، والدرر : ٣٥١/٢ .

(٢) ووفاته (٧٤٩ هـ) ، كما ذكر ابن رافع .

٩٦٤ ـ عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله*

قاضي القضاة نجم الدين الجهني البارزي الشافعي الحنفي ، حفيد قاضي القضاة شيخ الإسلام شرف الدين ، الحاكم بحماة ، وسيأتي ذكر جده هبة الله في حرف الهاء في مكانه .

تولى القضاء نجمُ الدّين هذا بحماة لمّا ترك قاضي القضاة جدُّه المنصب وقد أضرّ . وقد كان إبراهيم والدُه توفي في حياة والده شرف الدين . ولم يكن في عصر نجم الدين هذا أحدٌ من قضاة القضاة أقدم منه في هذا المنصب شاماً ومصراً مُدّة تزيد على الثلاثين سنة . وكان ساكناً خيراً قائماً بوظيفته على ما يجب . ورأيته بحماة غير مرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

٩٦٥ ـ عبد الرحيم بن أبي بكر**

مجد الدين الجزري الفقيه النحوي الصوفي .

كان قائماً بمعرفة النحو ، هائماً في[1] محبّةٍ أَدَّتْهُ سكرَتُها إلى عدم الصَّحو .

وكانت له حلقة اشتغال ، يجلس إليه فيها من هو في محبته متغال . وفيه مع ذلك عشرة وانطباع زائد ، وكَيَسٌ لا يحتاج معه في المحبة إلى رائد . ولكنه ابْتُلِيَ بِحُبِّ شابٍّ شيَّبَ فَوْدَه ، وحَسَّنَ إلى الهلاك قَوْدَه ، فكان إذا رآه تُرْعَدُ فرائضه عشقاً وصَبابه ، ويود لو نال من عظيم وصاله صُبَابه . فقويت عليه سوداؤه ، وتحكم منها فيه داؤه . فأغلق الخانقاه الشهابيّة عليه ، وطلع إلى سطحها وألقى بنفسه إلى الطريق فمات ، وأنزل

* وفيات ابن رافع : ٣٨٠/١ ، والدرر : ٣٥٢/٢ ، واختلطت ترجمته مع ترجمة جدّه في بعض المصادر ، انظر : الوافي ٣١٧/١٨ ، ومافي حاشيته ثمّة .

** الوافي : ٣٢٤/١٨ ، والبغية : ٩١/٢ .

(١) في الأصل : « سبع وثمانون » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

بنفسه من أعاديه الشّمات . وكان يومَ جمعة ، وقت الصلاة ، ثاني عشر شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وست مئة .

٩٦٦ ـ عبد الرحيم بن عبد الرحمن*

ابن نصر الموصلّي ، الشيخ الإمام نجم الدين بن الشحّام الشافعي .

أكثر الأسفار ، ومطالعة الأسفار . واشتغل ببغداد وتميَّز ، وانزوى إلى سراي[١] وتحيَّز . وأقام بها مدّه ، وأنفق فيها من العمر جدّه .

وقَدِمَ دمشق سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ووَلِيَ مشيخة القصر[٢] . ودرَّسَ بالجاروخيَّة والظاهريَّة البَرانيَّة .

ولم يزل إلى أن ذاب بالأسقام شَحْمُه ، وسُبِكَ في القبر لحمُه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة . وله ثمانٍ وسبعون[٣] سنة .

وكان فقيهاً طبيباً . وكان قد وَلِيَ تدريس الظاهريّة البرانيّة ، ثم أضيف إليه تدريس الجاروخيّة ومَشْيخة[٤] خانقاه القَصْر .

٩٦٧ ـ عبد الرحيم بن عبد العليم*

الدَّنْدَري ، بدالٍ مهملةٍ أولى ودال ثانية بينهما نون وبعد الدال الثانية راء ، المعروف بالفصيح .

---

* الوافي : ٣٢٧/١٨ ، وفيه : « ابن نصير » ، والدرر : ٣٥٦/٢ .

(١) في الوافي : « مدينة سراي » .

(٢) هي خانقاه القصر ، وتعرف أيضاً بالخانقاه النجيبية ، أو النجمية ، نسبة إلى النجيبي ، جمال الدين آقوش النجمي الصالحي . الدارس : ١٣١/٢ ، ١٣٤ .

(٣) في الأصل : « سبع وثمانون » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوان .

(٤) في الأصل : « ومدرسة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

** الوافي : ٣٢٩/١٨ ، والطالع السعيد : ٣٠٣ ، والدرر : ٣٥٦/٢ .

مدح الأكابر ، واستجدى بشعره ، وسامحهم فيه بترخيص سعره .

وكان خفيف الروح ، قانعاً بما تَيَسَّرَ من الفتوح .

ولم يزل على حاله إلى أن خَرَسَ الفصيحُ ، وبكاه صاحبه بجفنه القريح .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي : توفي سنة أربع وسبع مئة ظنّاً . وأورد له في (تاريخ الصعيد) قصيدةً مدح بها الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد ، منها :

أيـــا سيّـــداً فـــاق كلَّ البَشَرْ ... ومَنْ عِلْمُـــه في الـوُجُـود انتشَرْ[1]

ويـــا بَحْرَ عِلْم غَـــدَا فَيْضُـــه ... لِـــوَارِدِه مِنْ نَفيس الـــدُّرَرْ[2]

أيـــادي نَـــدَى عَمَّنَـــا جُـودُهـــا ... كما عَمَّ في الأرض جـــــودُ المطَرْ

وفي روض أيـــامـــك المـونقـــاتْ ... أُنَـــزِّهُ طَرْفَ الْمُنَى بـــــالنظر

٩٦٨ ـ عبد الرحيم بن عبد المنعم*

ابن عمر بن عثمان ، الإمام المفتي الزاهد ، جمال الدين ، أبو محمد الباجُرْبقي ، بباء موحدّة وبعد الألف جيم وراء وباء أخرى وقاف[3] ، الموصلّي الشافعي .

شيخٌ فقيهٌ مُحَقّق ، نبيهٌ مُـدَقّق ، نَقّـالٌ ، عـارف بـالوجود والطرق والأقوال . لـه حلقة اشتغالٍ تحت قبة النِّسْر إلى جانب البرّادَه ، كلّ[4] فاضل قد جعل إليها ترداده .

اشتغل بالموصل وأفاد ، وبدأ بالفضل في دمشق وأعاد .

---

(١) في الطالع : « اشتهر » .

(٢) في الطالع : « لوراده » .

* الوافي : ٣٣٠/١٨ ، والعبر : ٤٠٠/٥ ، وفيه : « جمال الدين عبد الله بن عمر بن عثمان الشيباني » .

(٣) نسبة إلى باجُرْبق ، من قرى بين النهرين ، بين البقعاء ونصيبين . معجم البلدان : ٣١٣/١ .

(٤) في الأصل : « كان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وكان طويلاً ، عليه مَهَابَه ، ساكناً كثير الرجوع والإنابه ، كثير الصلاة والذكر ، والخشوع والفِكر .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ عمره حَدَّه ، وجعل اللاحدُ على الأرض خَدَّه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وتسعين وست[١] مئة في شوال .

وكان قد خطب بالجامع الأموي نيابه ، ودرَّس بالغزاليَّة نيابه . ووَلي تدريس الفتحيّة[٢] ، وحدَّث بـ (جامع الأصول) لابن الأثير عن واحد عن المصنف . وله نظم ونثر ووعظ . وقد نظم كتاب (التعجيز) فعمله برموز . وهو والد الشيخ محمد الآتي ذكره في مكانه ، إن شاء الله تعالى ، صاحب تلك العجائب .

ومن شعره :...[٣] .

٩٦٩ ـ عبد الرحيم بن علي*

ابن هبة الله الأسنائي الصُّوفي .

كان من أصحاب الحسن[٤] بن الشيخ عبد الرحيم القنائي .

وكان نحوياً شاعرا ، لغوياً ماهرا . جَمَعَ في النحو كتاباً سَمَّاها (المفيد)[٥] ، وقال ﴿ هذا ما لديّ عتيد ﴾[٦] .

---

(١) في الأصل : « سبع » ، سهو .

(٢) أنشأها الملك الغالب فتح الدين صاحب بارين ، حوالي سنة (٦٢٦ هـ) . الدارس ٣٢٥/١ .

(٣) كذا في الأصول والوافي .

* الوافي : ٣٨٦/١٨ ، والطالع السعيد : ٣٠٩ ، والدرر : ٣٥٩/٢ ، والبغية : ٩٣/٢ ، وقيل فيه : عبد الرحيم بن فخر بن هبة .

(٤) الحسن بن عبد الرحيم القنائي ، وتوفي سنة (٦٥٥ هـ) . الطالع السعيد : ٢٠٣ .

(٥) وهو على ما ذكر صاحب الكشف : ١٧٧٨/٢ ، منظومة .

(٦) سورة ق : ١٣/٥٠ .

ولم يزل إلى أن نَحّاه البلى ، وجَرّ ذَيْلَهُ إليه مُسْبَلا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره :

أهـاجَـكَ بَرْقٌ بـالمـدينـة يَلْمَـعُ ... وبيضٌ يَعَـاليـلٍ سَـوارٍ وطُلَّـعُ [١]

تراهُنَّ يهمين الحيـــا فكأنّـــه ... على وجنـات الأرض دُرٌّ مُرَصَّعُ [٢]

كأنَّ عُراهـا عنـدمـا مَسَّهـا الحَيـا ... سحيقـة مسـكٍ نَشْرُهُ يَتَضَـوَّعُ [٣]

على جَنَبَـات الغُـدْرِ زَهْرٌ تفتَّقَت ... لها في شعاع الشمس لونٌ مُنَـوَّعُ [٤]

٩٧٠ ـ عبد الرحيم بن علي بن الحسن*

ابن الفُرات عز الدين الحنفي .

اجتهد في مذهبه واشتغل ، ودخل في مضائقه ووَغَل ، وبرع في الفقه وأفتى ، وسلك طريقاً ﴿ لا تَرَى فيها عِوَجاً ولا أمْتا ﴾ [٥] وانتهت إليه رياسة الإفتاء والإشغال ، ودرَّسَ وأعاد وأتى بكل نفيسٍ غال .

وكان قد سمع من قاضي القضاة بدر الدين بن جَمَاعَه ، وأبي عبد الله بن القمَّاح ، وعبد الله الصنهاجي . وتفقه على محيي الدين الدمشقي ، وقاضي القضاة شمس الدين الحريري ، والشيخ علاء الدين القونوي .

---

(١) اليعاليل : جمع يعلول ، السحاب الأبيض .

(٢) في الأصل و (ق) ، (س) والوافي : « يحمين » بدل « يهمين » ، وأثبتنا ما في الطالع ، وهو أشبه . وفي (ق) ، (س) والوافي : « المصرّع » .

(٣) في الطالع : « كأن ثراها » .

(٤) في الطالع : « جنبات النهر » .

* الدرر : ٣٥٨/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٦/٩ .

(٥) طه : ١٠٧/٢٠ .

ودرَّس بالحساميَّة بالقاهرة وبتربة الحريري بالقرافة ، وأعاد بالمدرسة المنصورية وغيرها ، وناب في الحكم بمصر .

وبَطَّل ذاك إلى أن أصبح ابن الفرات رفاتا ، وأمسى شخصه تحت الأرض كِفَاتا[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في المدرسة الصالحية بين القصرين سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبع مئة .

٩٧١ ـ عبد الرحيم بن محمد*

ابن يوسف السَّمْهودي ، الخطيب بسمهود[٢] .

كان فقيهاً شافعياً ، أديباً نحويّاً .

رحل إلى دمشق ، واجتمع بمحيي الدين النوويّ وحفظ (منهاجَه) ، وجعل إلى هذا الكتاب معاده ومعاجه . وكان لضيق رزقه . وما هو عليه من حِذْقه يتحيَّل [على][٣] ما يَتَقَوَّتُ به بأنواعٍ من الحيَل ، ويقول إذا جاءه طوفان الحرمان : ﴿ سآوي إلى جَبَل ﴾[٤] وكان يُقْرِئ النحو والعروض والأدب بسَمْهُود ، ويأتي على ذلك بما هو من الشواهد مشهورٌ ومَشْهُود .

---

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ ألم نجعلِ الأرضَ كفاتاً ﴾ المرسلات : ٢٥/٧٧ .

* الوافي : ٣٩٢/١٨ ، والطالع السعيد : ٣١٣ ، والدرر : ٣٦٢/٢ ، والبغية : ٩٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ١١١/٢ .

(٢) قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل بالصعيد . معجم البلدان : ٢٥٥/٣ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) هود : ٤٣/١١ .

ولم يزل على حاله إلى أن رقا الخطيب منبرَ نَعْشِه ، وفسد ولم يعط جناية أرشِه[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى بسمهود سنة عشرين وسبع مئة .

وكان قد قرأ الفقه على الزكيّ عبد الله السيرناوي[٢] . وأقام بالقاهرة مدّة .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي : حكى لي رحمه الله أن كان بالقاهرة تحصل له ضائقه ، وتُلجئه الحاجة والفاقه ، فيأخذ ورقاً ويكتب فيه قَلَفْطير يات[٣] ويُعَتّقه ويبيعه بشيء له صورة . قال : [وحكي][٤] لي ذلك أيضاً شيخنا أثير الدين وكان صاحبه . وكان ظريفاً لطيفاً[٥] جارياً على مذهب أهل الأدب في حُبّ الشراب [والشباب][٦] والطرب ، وكان ضيّق الخُلُق ، قليل الرزق ، اجتمعتُ به كثيراً .

وله خُطَبٌ ورسائل ، ومن شعره :

يا مالكي ذلّي لحسنك شافعي ... فاشفع هُديتَ الحُسْنَ بالإحسان
منْ قَبْل أن يأتي ابنُ حنبل آخذاً ... من وجنتيك شقائق النعمانِ[٧]

ومنه :

وافى نظامُك فيه كلَّ بديعةٍ ... أخذتْ مِنْ الحُسْن البديع نصيبَا

---

(١) الأرش : الدية .

(٢) في الوافي : « البهلوي » ، وفي الدرر : « السمرباوي » ، وفي البغية : « السمرباني » ، وفي الطالع : « السمربائي » .

(٣) هي الطلسمات .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٥) في الطالع : « لطيفاً ظريفاً » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٧) الطالع السعيد ، وتذكرة النبيه .

فلقد مَلَكْتَ من البلاغة سِرَّها ... وحَوَيْتَ من فن البديع غريبَا[١]
ونَصَبْتَ مِنْ بيض الطروس منابراً ... أضحى يَراعُكَ فوقهنَّ خطيبَا
تُبْدِي ضروبَ محاسنٍ لسنا نرى ... بين الوَرَى يوماً لهنَّ ضريبَا

ومنه :

وروضٍ حَلَلْنَا مِن حِمَاهُ خَمائلاً ... ينبِّهُ منه النَّشْرُ غير نبيهِ[٢]
تَغَنَّتْ لنا الأطيارُ من كل جانبٍ ... بُمْرٍ تَجَل نختاره وبديهِ
وأضحى لسان الزهر فوق غصُونها ... يخبِّر بالسرّ الذي هو فيهِ

ومنه :

كأنّما البحر إذْ مَرَّ النسيم به ... والموج يصعد فيه وهو مُنْحَدرُ
بيضاءُ في أزرقٍ تمشي على عجل ... وطيّ أعكانها يبدو ويستترُ[٣]

ومنه :

قال لي مَنْ هَويْتُ شبِّهِ قوامي ... وقد اهتزَّ بالجمال دلالا
قلت : غصنٌ على كثيبٍ مهيلٍ ... صَافَحتْهُ النَّسيم فَمَالا[٤]

ومنه قصيدةٌ يمدح بها المظفر صاحب اليمن :

هم القَصْدُ إنْ حَلّوا بنَعمانَ أوْ سارُوا ... وإن عَدَلُوا في مُهْجَة الصَّبِّ أو جَاروا[٥]
تَعَشَّقْتُهُم لا الوصلَ أرْجُو ولا الجفا ... أخاف وأهلُ الْحُبِّ في الحبِّ أطوارُ[٦]

(١) في الطالع : « فن البيان » .
(٢) في (ق) والوافي : « منها » .
(٣) الطالع السعيد .
(٤) الطالع السعيد ، وتذكرة النبيه .
(٥) نَعمان : وادي عرفة ، دونها إلى منى ، وهو كثير الأراك . (معجم البلدان) .
(٦) في (س) : « أوطار » .

وآثرتهم بـــــالرُّوْحِ وَهْيَ حبيبـــــةٌ إليَّ، وفي أهـــل المحبَّـــة إيثـــارُ
وهَـلْ سَحَرٌ وَلَّى بنَعْمَـــان عـــائـــد فكلُّ ليـــاليـنـــا بنَعْمَـــان أسْحَـــارُ [1]

٩٧٢ ـ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم*

ابن علي تقي الدين البَمْبَاني ـ بالباء الموحّدة ، وبعدها ميم ، وباء أخرى ، وألفٌ بعدها ، ونون ـ وبَمْبَان قريةٌ بأُسوان[2] .

قرأ النحو والأدب على الشمس الرومي[3] .

وكان فاضلاً أديبا ، نحوياً أريبا ، خفيفاً ظريفا ، مَتِعَاً لطيفا ، ينظم البلاليق ، ويجيد الاختيارات والتعاليق .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ غايَتَهُ ، ونكّس الموتُ رايته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس أوْ ست وسبع مئة .

ومن نظمه[4] يمدح طَقْصَبَا والي قوص :

لِعُـلا جَنَـابـــك كلّ أمرٍ يُـــدْفَـعُ وإليْـكَ حَقّـاً كلّ خَطْبٍ يُرْفَـعُ[5]

ومنها :

مـا كان يفعلُـه الشجـاعِي ســالفـاً في مصر في أســوان جَهْراً يُصْنَـعُ[6]

---

(١) في الطالع : « وكل » .
* الوافي : ٣٩٤/١٨ ، والطالع السعيد : ٣١١ ، والدرر : ٣٦٢/٢ ، والبغية : ٩٤/٢ .
(٢) لم يذكرها ياقوت .
(٣) لم نهتدِ إلى ترجمته .
(٤) في (ق) ، (س) ، والوافي : « ومن شعره » .
(٥) في الطالع : « ... يرفع ... يرجع » .
(٦) في الطالع : « جهرا يصنع » .

وضاعت له سكّينٌ فوجدها مع ابن المَصُوص الأسنائي ، فقال فيه[١] :

إنـــك قُـــذَ ارَى في اللصـــوص يـــــــا بن الْمَصُـــــــوص[٢]
خُنَيْجري كان في الطَّبَقْ[٣]
ومنتصرٌ في القول صَدَقْ
وانْتَ خَـــذْتُـــه بـــالسَّبَـــقْ لِعْبَ الفُصُـــــــــــــوص[٤]

٩٧٣ ـ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحمن*

ابن عمر بن أحمد القَزْويني الأصل ، الدمشقيّ الدار ، تاج الدين ، خطيب الجامع الأموي ، ابن قاضي القضاة جلال الدين ـ تقدم ذكر أخيه جمال الدين عبد الله ، وسيأتي ذكر أخيه الخطيب[٥] بدر الدين محمد وذِكرُ والده وذكر عمه[٦] وجماعة من بيتهم إن شاء الله تعالى .

كان أَعْلَم[٧] ، وهو بمخارج الحروف من إخوته أعلم . فكنتُ أَعْجَبُ من ألفاظه الفصيحه ، وخطابته المليحه . وكان يخطب بلحن ، ويورد خطبته بلا لَحْن . ويقرأ طيِّباً في محرابه ، ويأتي من نِعْمَة النغمَة بما هو أحرى به . وكان يتعاجم في كلامه تشبهاً بأبيه ، دون إخوته وذويه . وكان العوامّ يحبونه ، ويؤثرونه على مَنْ سواه ويختارونه . وعُزل من الخطابه ، ثم أعيد إليها رحْمَةً له وإطابه .

---

(١) في الوافي : « فقال فيه بلّيقة » . وفي الطالع : « فنظم بليقة » . والبلاليق : نوع من النظم الشعبي .
(٢) في الطالع : « قد أرى » .
(٣) في الطالع : « خنجري » .
(٤) في الوافي : « حزنه » . وفي الأصل : « اللصوص » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي ، والطالع .
* الوافي : ٣٩٥/١٨ ، والبداية والنهاية : ٢٢٩/١٤ ، والدرر : ٣٦١/٢ .
(٥) ليست في (س) .
(٦) إمام الدين عمر بن عبد الرحمن ، كما في الوافي .
(٧) الأعلم : المشقوق الشفة العليا .

ولم يزل على حاله إلى أن صُلِّيَ عليه ، وامتدت يد البِلَى إليه . وتوفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء ، ثامن ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق ، بصق دماً على العادة . وخرج جنازته ومعها خمس جنائز من بيته فيما أظن أو أكثر ، لأنه مات منهم في جمعة جماعة .

لما مات أخوه الخطيب بدر الدين محمد ، وَلّي الأميرُ علاء الدين ألطنبغا الخطابة للعلامة تقي الدين السُّبكي رحمه الله تعالى ، وباشر الخطابة إلى أن مَلَكَ الفخري دمشق ، فولي الخطابة لتاج الدين هذا .

وكتبتُ له توقيعاً من رأس القلم ارتجالاً ، جاء أوله :

« الحمد لله الذي رفع تاج الدين على رأس المنابر ، وأنطق بأوصافه أَلْسنة الأقلام في أفواه المحابر .. » .

ولّما طُلب قاضي القضاة إلى مصر في أيام الصالح إسماعيل تولى الخطابة من هناك ، وكان يطلع على المنبر ويجلس قبل الخطبة ويبكي ويقول : هذا السّبكي قد أخذ الخطابة وقطع رزقنا ، فكان يَرِقُّ العوام له ، ويبكون معه .

ولّما جاء قاضي القضاة إلى دمشق نزل له عنها ، فاستمرّ تاج الدين يخطب بالجامع الأموي من سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة إلى أن توفي في سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكان خطيبَ جامع بَشْتَاك الذي على بركة الفيل ، وهو أول من خطب به ، وكان معه بدمشق تدريس المدرسة الشاميّة الجوانية وتصدير بالجامع الأموي .

وقرأ كثيراً من العربية على الشيخ الإمام بهاء الدين بن عقيل[1] وكثيراً من الأصول على العلامة الشيخ شمس الدين الأصبهاني .

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن ، صاحب شرح الألفية (ت ٧٦٩ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٠/٢ ، والبغية : ٤٧/٢ .

ولم يكن لـه يـدٌ في شيء من العلوم ، وتـأسف النـاس[١] لمـوتـه ، وكانت جنـازتـه حافلةً[٢] ، ولم يبلغ الأربعين .

٩٧٤ ـ عبد الرحيم بن علي*

ابن حُسَيْن بن منَّاع الْمُعَمّرِ الصالح زين الدين التكريتي الدمشقي التاجر .

حَدّث بالصحيح غَيْرَ مرّة عن ابن عبد الدائم .

وكان مهيباً نبيلاً ، منوّر الشيبة ، كريم الأخلاق أُقعد في أواخر عمره .

وتوفي رحمه الله تعالى بالصالحيّة في سنة خمسٍ وأربعين وسبع مئة .

ومِوْلِدُه في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وست مئة .

٩٧٥ ـ عبد الرحيم بن يحيى**

ابن عبد الرحيم بن المفرّج بن الْمَسْلَمَة ، الأُموي ، الشيخ الفقير أبو محمد بن المحدّث الدمشقي الكَوّافي .

حضر السخـاوي ، وعتيقـاً السلمـاني ، وعمر بن البراذعي ، وسمعَ كثيراً من عم أبيـه الرشيد بن مَسْلَمة ، والسديد بن عَلاّن ، وعِدّة .

وحدَّث وكتب في الإجازات في أيام ابن أبي اليسر ، وحفـظ القرآن . وكان يعمل الكوافي ، ويقرأ على التُّرَب .

وخرَّجَ له شيخُنا علم الدين البرزالي (مشيخةً) سمعها منه شيخنا الذهبي والجماعة .

---

(١) في (ق) ، (س) ، والوافي : « العوام » .

(٢) في الوافي : « حَفِلة » .

* كـذا سمّـاه المؤلف ، والمشهور أنّ اسمـه عبـد الرحمن ، انظر : وفيـات ابن رافـع : ٢١٤/١ ، والـدرر : ٣٣٥/٢ ، وذيول العبر : ٢٤٥ .

** الوافي : ٣٩٨/١٨ ، والدرر : ٣٦٣/٢ ، والشذرات : ٥١/٦ ، وذيول العبر : ١٠٦ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

٩٧٦ ـ عبد الرّزاق بن أحمد*

ابن محمد بن أحمد بن الصابوني ، الشيخ الإمام المحدِّث المؤرِّخ الإخباري النسَّابة الفيلسوف الأديب ، كمال الدين الشيباني بن الفُوَطِي البغدادي[١] ، صاحب التصانيف .

أفرد له شيخنا الذهبي ترجمةً تخصُّه في جزء ، ذكر أنه من ولد معن بن زائدة الأمير .

اشتغل في علوم الأوائل ، وحظي منها بكل طائل . وعبث بالنظم وبالنثر وتأدَّب ، وأتقن ذاك وتهذَّب . ثم إنه صَنَّف التواريخ المفيدة ، وكانت له يدٌ في ترصيع التراجم مجيده ، وذهنُه في جميع ذلك سَيَّال ، وإلى كل فنٍّ مَيَّال . وأمَّا خَطّه فلم أرَ أقوى منه ولا أبرع ، ولا أسرى ولا أسرع ، خطٌّ فائِق ، رائعٌ رائق ، بديعٌ إلى الغاية في تعليقه ، لو أنه ريحٌ[٢] لسابق الرياح في يومه إلى تخليقه[٣] ، وكان يكتب في كل يوم أربع كراريس ، ويأتي بها أنقش وأنفس من ذَنَب الطواويس . أخبرني من رآه قال : ينام ويضع ظهره على الأرض ويكتب ويداه إلى جهة السقف . ولم أرَ له بعد هذا خطأً إلا وهو عجب ، وقد أجاز لشيخنا الذهبي مروياته .

ولم يزل على [على حاله][٤] إلى أن فَرَط أمرُ الفوطي ، ودِيْسَ خده تحت[٥] الأرض ووُطِي .

* الوافي : ٤١٢/١٨ ، والدرر : ٣٦٤/٢ ، والشذرات : ٦٠/٧ .

(١) ليست في (س) .

(٢) في (ق) ، (س) : « نيل » .

(٣) التخليق : التطيب .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) في (ق) ، (س) : « في » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث المحرم سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

كان قد أُسِرَ في كائنة بغداد ، ثم إنه صار إلى النصير الطوسي سنة ستين ، واشتغل عليه بعلوم الأوائل ، وباشر كتب خزانة الرصد بمراغة أزيد من عشرة أعوام ، وهي على ما قيل أربع مئة ألف مصنف ، والأصح أن تكون أربع مئة ألف مجلد . ولَهَجَ بالتاريخ ، واطّلَعَ على كتب نفيسة . ثم إنه تحوَّل إلى بغداد وصار خازن كتب المستنصرية ، فأكبَّ على التصنيف ، وسوَّدَ تاريخاً كبيراً جداً ، وآخر دونه ، سمّاه : (مجمع الآداب في معجم الأسماء على الألقاب) ، في خمسين مجلداً ، المجلد عشرون كراساً . وألَّف كتاب : (دُرَر الأصداف في غُرَر الأوصاف) مرتب على وضع الوجود من[١] المبدأ إلى الْمَعَاد ، يكون عشرين مجلداً ، وكتاب : (تلقيح[٢] الأفهام في المختلف والمؤتلف) مُجَدْوَلاً ، و (التاريخ على الحوادث إلى خراب بغداد) . و (الدرر الناصعه في شعر المئة السابعه) . قال : ومشايخي الذين أروي عنهم ينيفون على الخمس مئة شيخ ، منهم : الصَّاحب محيي الدين بن الجوزي[٣] ، والأمير مبارك بن المستعصم بالله[٤] حدثنا عن أبيه بمراغة ، وخَلَّفَ وَلَدين . وله شعر كثير بالعربي وبالعجمي .

٩٧٧ ـ عبد الرّزاق بن أحمد بن عبد الله*

ابن الزبير ، الخطيب ، تقيُّ الدين ، ابن الشيخ العَلاَّمة شمس الدين أحمد الخابوري ، خطيب حلب وابن خطيبها .

---

(١) في الأصل : « في » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « تنقح » ، تحريف .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن (ت٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٧٢/٢٣ .

(٤) أشار إليه الذهبي في ترجمة المستعصم ، آخر خلفاء بني العباس ، السير : ١٧٥/٢٣ .

* الدرر : ٣٦٤/٢ .

توفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وسبع مئة ، في أوائلها .

ووَلِيَ الخطابة بعد قاضي القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعي المعروف بالدمشقي[١] .

٩٧٨ ـ عبد الرزاق بن علي*

ابن سليم بن ربيعة ، الفقيه ، المحصل جمال الدين بن القاضي ضياء الدين الشافعي .

كان اشتغل وتعب ، وحفظ (الوجيز) وحفظ كتابين في الطب ، وأقام مدةً بالباذرائية .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر شهر رمضان سنة ستٍ وثلاثين وسبع مئة .

٩٧٩ ـ عبد السلام بن محمد**

ابن مزروع بن أحمد ، الإمام المحدِّث القُدْوَة ، عفيف الدين أبو[٢] محمد البصري الحنبلي .

حدث عن المؤتمن ابن قُمَّيْرَة ، وفضل الله الجيلي ، وجاور بالمدينة[٣] أكثر عمره ، خمسين سنة ، وحَجَّ أربعين حجّة منها[٤] متوالية . وكان من خيار الشيوخ .

سَمِعَ منه شيخنا علم الدين البرزالي ، وله نظمٌ .

---

(١) (ت٧٠٥ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٣٦٦/٢ .

** الوافي : ٤٣٥/١٨ ، والشذرات : ٦٣٥/٥ .

(٢) في الأصل « ابن » ، سهو ، وأثبتنا ما في الأصل ومصادر ترجمته .

(٣) في (س) : « في قلّة » .

(٤) ليست في الوافي .

وتوفّي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

وكانت وفاته بالمدينة الشريفة .

وقرأ عليه علم الدين البرزالي (مشيخة) ابن شاذان الكبرى بدمشق [ثم][1] قرأها عليه بالحجاز في رابِغ وخُلَيْص[2] ، وقرأ عليه بالمدينة ثلاثة أجزاء ، وهي : الخامس من حديث الحمَّامي ، والثاني والثالث من حديث أبي الأحوص[3] .

اللَّقَبُ وَ النَّسَبُ

☆ **ابن عبد السلام** : خطيب العقيبة ناصر الدين أحمد بن يحيى .

☆ **ومحيي الدين** عبد اللطيف بن عبد العزيز .

٩٨٠ ـ عبد السَّيِّد بن إسحاق بن يحيى*

الحكيم الفاضل بهاء الدين ابن المهذّب ، الطبيب الكحّال .

كان من قبل دَيَّان اليهود ، ثم إنه أَسْلَمَ وحَسُنَ إسلامه ، وتعلم القرآن وجالس العلماء . وكان طبيباً فاضلاً .

توفي رحمه الله تعالى في سادس جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) رابغ : واد يقطعه الحاج بين الذواء والجحفة ، وخُليص : حصن بين مكة والمدينة . (معجم البلدان) .

(٣) محمد بن الهيثم ، من ثقات حفّاظ الحديث (ت ٢٧٩ هـ) . الأعلام : ١٣٢/٧ .

* الدرر : ٣٦٦/٢ .

٩٨١ ـ عبد الصَّمَد بن عبد اللطيف*

ابن محمد بن محمد بن نصر الله ، الصَّدر ، الرئيس ، الأصيل ، بهاء الدين أبو القاسم بن الشيخ الخطيب بدر الدين بن المُغَيْزِل الحموي .

كان رجلاً جيّداً ، له ثروة وتجاره ، وقد سمع على جماعه ، وحدَّثَ ببلَدِه وبطريق الحجاز ووَلِي الوزارة بحماة ، ثم تركها .

ولما مات أخوه الخطيب معين الدين ولي الخطابة بحماة مكانه ، فبقي سنة ومات في ثاني عشر ذي الحجة سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة .

اللقب والنسب(١)

☆ **ابن عبد الظاهر** : كمال الدين علي بن أحمد .

☆ **والقاضي علاء الدين** علي بن محمد .

٩٨٢ ـ عبد العزيز بن أحمد**

ابن عثمان ، الإمام البارع ، الرئيس عماد الدين ، أبو العز الهَكَّاري المصري الشافعي قاضي المحلّة ، ويُعْرَفُ بابن خطيب(٢) الأُشْمُونين .

كان من الرؤساء النبلاء ، والفقهاء والعلماء ، له معرفة وفهم ، وحُكْمٌ ينْفَذ نفوذ السهم ، مع رياسة وسؤدُد ، وتُؤدَةٌ وقعدد . له اعتناء بالحديث واهتمام ، وله تصانيف مليحة الترتيب والنظام . وكان يتواضع مع رفعته ، ويتدانى على سَعَةِ رُقْعَتِه .

---

* الدرر : ٣٦٧ .

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

** الوافي : ٤٦٧/١٨ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، والدرر : ٣٦٨/٢ ، والشذرات : ٧٧/٦ .

(٢) في الأصل : « قاضي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

حجّ مرات ، وفاز بما شاء من مَبَرّات . وذُكر لقضاء دمشق بعد ابن صَصْرَى ، ولم يرضَ بها لسكنه قَصْرَا .

ولم يزل على حاله إلى أن وليَ قاضي المحلة ـ محلة الأموات ، وأصبح وقد خَلَت بأهله الْمَثُلَات[1] .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة سبعٍ وعشرين وسبع مئة .

وكان قد سمع من عبد الصمد بن عساكر[2] ، وغيره .

وله تصانيف وأدبٌ وشعرٌ ، ومن تصانيفه الكلام على حديث الأعرابي الذي واقع أهله في شهر رمضان ، استنبط منه ألف حكمة .

٩٨٣ ـ عبد العزيز بن أحمد بن شيخ السَّلاميّة*

القاضي الرئيس فخر الدين .

باشر الحسبَة بدمشق في يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى تسع عشرة وسبع مئة عوضاً عن القاضي بدر الدين بن الحدّاد[3] ، ووَلِيَ ابن الحداد نظر الجامع الأموي ، ولَبِسَا تشريفيهما[4] .

٩٨٤ ـ عبد العزيز بن إدريس**

ابن محمد بن أبي الفرج المفرّج بن إدريس ، الشيخ عز الدين أبو محمد ، وأبو بكر

(١) أفاد من قوله تعالى : ﴿ وقد خلَتْ من قبلهم الْمَثُلَات ﴾ الرعد : ٦ ، والْمَثُلات : العقوبات .

(٢) في الأصل : « ابن عبد الرحمن » ، سهو ، وهو عبد الصمد بن عبد الوهاب (ت٦٨٦ هـ) ، الشذرات : ٣٩٥/٥ .

* الدرر : ٣٦٩/٢ .

(٣) محمد بن عثمان بن يوسف (ت٧٢٤ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) في الأصل : « تشريفهما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، ولم تذكر سنة وفاته .

** الدرر : ٣٦٩/٢ .

أيضاً ابن الشيخ الإمام المحدّث تقي الدين بن مُزَيز التنوخي الحموي ، أخو الشيخ تاج الدين أحمد ، وقد تقدم ذكره في الأحمدين .

روى (جزء ابن عرفة) عن شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز ، وسمع بالقاهرة من إسماعيل بن عزّون عدّة أجزاء تَفَرَّد ببعضها في الشام .

وتوفي رحمه الله تعالى سلخ المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة بحماة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

ولّما توفي صلى عليه أخوه الشيخ تاج الدين ، ودُفِنَ بمقبرة الباب القبلي ظاهر حماة .

٩٨٥ ـ عبد العزيز بن عبد الحق*

ابن شعبان بن علي بن الشيّاح عز الدين أبو محمد الأنصاري الدمشقي .

روى عن ابن عبد الدائم ، وسمع من عبد الله الخَشُوعي .

توفي بقرية يبرود[١] ، وحُمِلَ على الأعناق إلى تربة والده ، وتوفي رحمه الله تعالى سابع عشر[٢] شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

٩٨٦ ـ عبد العزيز بن سرايا**

ابن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العزّ بن سرايا بن باقي بن

---

* الدرر : ٣٧٢/٢ .

(١) يبرود : من قرى ريف دمشق ، تبعد عنها نحو سبعين كيلاً .

(٢) في (ق) ، (س) : « عشرين » .

** الوافي : ٤٨١/١٨ ، وفوات الوفيات : ٣٣٥/٢ ، والدرر : ٣٦٩/٢ . والسلوك : ٧٩٤/٣/٢ (في وفيات سنة ٦٤٩) ، وكذلك في النجوم الزاهرة : ٢٣٨/١٠ . وله ديوان مطبوع ، وكتب عنه عدد من الأبحاث .

عبد الله بن العُرَيّض ، الإمام العلاّمة ، البليغ ، الْمُفَوَّه ، الفاضل ، الناظم ، الناثر ، شاعر عصرنا على الإطلاق ، صفيّ الدين الطائي السِّنبسي الحلّي .

شاعر أصبح به راجحٌ الحِلّي[١] ناقصا ، وكان سابقاً فأصبح على عِقبِه ناكصا[٢] . أجاد القصائد الْمُطوَّلة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، فما قَدْرُ زَهْر الأرض في الربيع ؟ تطربك ألفاظه المصقولة ومعانيه المعلولة ، ومقاصده التي كأنها سهامٌ راشقة أو سيوف[٣] مسلوله . يغوص على المعاني ويستخرج جواهرَها ، ويصعَد بمخيّلته الصحيحة إلى السماء ويلْتَقط زواهرها . كلامه السحر إلاّ أنه حَلاَل ، ولفظه على القلب الظمآن ألذّ من الماء الزُّلال . تَلَعَّبَ بالمعاني كما يَتَلَعَّبُ النسيم بالأغصان الْلّدان ، ووَلَّدَ بعضها من بعض كما يتولّد الضرَج[٤] من الخجل في خدود الولدان ، مع بديعٍ ما سَمِعَ بمثله البديع ، وترصيع ما أَلَمَّ به الصَّريع[٥] .

وشعره مع حلاوة الديباجه ، وطلاوة التركيب التي ما فرحت بها طلاء الدن ولا سلافة الزجاجه ، لا يخلو من نكتٍ أدبية ترقّص المناكب ، وفوائد[٦] عليّة من كل فن يُنَقّص الكواكب . عالماً بكل ما يقول ، عارفاً بغرائب النقول .

أجاد فنون النظم غير القريض ، وأتى في الجميع بما هو شِفَاءُ القَلْب المريض ، لأنه نظم القريض فبلغ فيه الغايه ، وحَمَل قدامه جماعةٌ من فحول الأقدمين الرايه .

---

(١) هو راجح بن إسماعيل الأسدي الحلّي ، شاعر من أهل الحلّة (ت٦٢٧ هـ) ، الشذرات : ١٢٣/٥ . والأعلام : ١٠/٣ .

(٢) أفاد من قوله تعالى : ﴿ فلّما تراءتِ الفئتانِ نكصَ على عقبيهِ ﴾ الأنفال : ٢٨/٨ .

(٣) في الوافي : « وسيوف » .

(٤) في الأصل : « الفرح » ، تحريف .

(٥) البديع ، هو : بديع الزمان الهمذاني ، والصريع هو صريع الغواني مسلم بن الوليد .

(٦) في (ق) ، (س) : « وقواعد » .

وكذلك هو في الموشّحات والأزجال والمكَفِّرات[١] والبلاليق والقُرْقِيَّات[٢] ، والدُّوبيت والمواليا ، والكان وكان والقُومَا ، ليس له في كل ذلك نظيرٌ يُجَاريه ، ولا يعارضه ولا يباريه .

وأما الشعرُ فجوَّد فنونه ، وصادَ من بَرِّهِ ضَبَّهُ ومن بحره نُوْنَه ، لأنه أبدع في مديحه وهَجْوِه ، ورثائه وأغزاله ، وأوصافه وتشبيهاته ، وطرد‌ياته وحماسته ، وحِكمه وأمثاله ، لم ينحطَّ في شيءٍ منها عن الذُرْوَه ، ولم يخرج في مشاعرها عن الصَّفا والْمَرْوَه .

وأما نثره فهو طبقة وسطى ، وترسُّله يحتاج في ترويجه إلى أن يُعَلّق في أذنه قرْطًا . وعلى الجملة فإنه :

تمَلَّلَ الشعر حتى ما لِذي أدبٍ ... في النَّاسِ شينٌ ولا عَيْنٌ ولا راء

وكان يسافر ويَتَّجِر ، ويعفّ في بعض الأحيان عن الاجتداء ويزدجر . وكان منقطعاً إلى الملوك الأُرتقية أصحاب ماردين ، وشهَر مدائحهم[٣] في الصَّادرين والواردين . وكانت فيه شجاعةٌ وإقدام ، وقوة جنان وثبوت أقدام .

ورد[٤] إلى مصر وامتدح السلطان الملك الناصر ، وبَزَّ بمَدِيحه كُلَّ مُتَقَدِّم ومعاصر . وعاد إلى البلاد الشرقيَّة ، إلاّ أنه كان شيعيًّا ، وليس هذا الأمر في الحِلَّة بدَعيًّا .

وكان يتردّد إلى حلب وحماة ودمشق ، ويعود إلى ماردين ، ويُعَرِّج على بغداد .

ولم يزل على حاله إلى أن كَدَّرَ الموتُ على الصَّفِيِّ عَيْشَه ، وأنساه خُرْقَه وطيشه .

وتوفي رحمه الله تعالى تخميناً سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

---

(١) منظومات يكفر بها الشاعر عما يظن أنه فرط منه من غزل أو فحش .

(٢) الأزجال العابثة بما تتضمنه من هجاء ومجون . وانظر : العاطل الحالي والمرخص الغالي للحلي ص ٢ ، وأدب الصناع د . محمود سالم محمد ٣٢٩ .

(٣) وعرفت مدائحه لهم بالأرتقيات .

(٤) في (ق) ، (س) : « وورد » .

ومولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وست مئة .

وقلتُ أنا فيه :

إنَّ فنَّ الشِّعرِ نـــــادَى في جميـــع الأُدَبـــــاءِ
أحسَنَ الله تعـــــــالى في الصَّفِي الحِلِّي عَـــزَائي

وأنشدني من لفظه الشيخ جمال الدين محمد بن نباته[١] :

يـا سـائلي عَنْ رُتْبَـةِ الحِلّيِّ في نَظْمِ القَريض وراضياً بي أحكُمُ[٢]
للشعر حِلِّيَّـان ذلـك راجـحٌ ذَهَبَ الـزمـانُ بـه وهـذا قَيِّمُ

وكان قد دخل إلى مصر في سنة ست وعشرين وسبع مئة تقريباً ، وأظنُّه ورَدَها مرّتين ، ومدح القاضي علاء الدين بن الأثير بعدة مدائح ، وأقبل عليه كثيراً ، ودخل به إلى السلطان الملك الناصر ، وقدَّم مديحَه ، واجتمع بالشيخ فتح الدين ، وبأثير الدين ، وبمشايخ ذلك العصر ، ولَمَّا دخلتُ بعده ، وجدتهم يُثنون عليه .

وأما الصدر المعظّم شمس الدين عبد اللطيف الآتي ذكْرُه إن شاء الله تعالى ، فكان يظنّ بل يعتقد أنه ما نظم الشعر أحدٌ مثلُه لا في المتقدّمين ولا في المتأخرين مطلقاً .

واجتمعتُ أنا به في الباب وبُزاعة من بلاد حلب[٣] في مستهل ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، كُنّا في الصَّيْد مع الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، وأجاز لي بخطه جميع ماله[٤] من نظم ونثر وتأليف مما سمعتُه منه ، ومالم أسمعه ، وما لعله يتّفق له بعد ذلك التاريخ على أحد الرائين ، وما يجوز له أن يرويه سماعاً وإجازة ومُنَاوَلةً ووِجادَة بشَرْطه .

(١) انظر : ديوان ابن نباته ص : ٤٧٨ ،
(٢) في (س) : « يا سائلاً » . وفي النجوم الزاهرة : « راضياً » بلا واو .
(٣) انظر : معجم البلدان .
(٤) في الأصل : « جميع مالم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأنشدني من لفظه لنفسه في التاريخ والمكان :[١]

للتُّرْكِ مَـــــــاليَ تَرْكُ ... مَـــــادِيْنُ حُبِّيَ شِرْكُ
حـــــواجبٌ وعيـــــونٌ ... لهـــــا بقلبيَ فَتْـــــكُ
كالقــوس يُصْمِيْ وهـــذي ... تُشكي الْمُحِبَّ ويشكُـــــو

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه :

وإذا العُـــــدَاةُ أَرَتْـــــكَ فَرْ ... طَ مَـذَلَّـــةٍ فـــإليْـــكَ عَنْهَـــا
وإذا الـــــذِّئـــــابُ اسْتَنْعَجَتْ ... لـــكَ مَرَّةً فحـــــذارِ منهـــــا

وأنشدني من لفظه لنفسه :[٢]

لا غَرْوَ أَنْ يَصْلَى الفـؤادُ بـــذكركم ... نـــارا تـؤجِّجُهَـــا يَـدُ التَّـذْكَـار[٣]
قَلْبي إذا غِبْتُم ، يُصَـــــوِّرُ شخصكم ... فيـــــه ، وكلُّ مُصَـوِّرٍ في النَّـــــارِ

وأنشدني من لفظه لنفسه :[٤]

يُقَبِّـلُ الأرضَ عَبْـــدٌ تحتَ ظِلِّكُمُ ... عليكُمُ ، بَعْـدَ فضـل الله ، يَعْتَمِـدُ
مَـا دَارُ مَيَّـةَ مِنْ أَسْنَى مَطَـالِبِـــه ... يـومـاً وأنتم لـه العليـاءُ والسَّنَـدُ[٥]

وأنشدني من لفظه لنفسه :[٦]

---

(١) ديوانه : ٤٣٠ .
(٢) ديوانه : ٣١٧ .
(٣) في الأصل : « نارٌ » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٤) ديوانه : ٣١٣ .
(٥) في الديوان : « من أقصى » . وفي (ق) ، (س) : « فالسند » . وفي البيت إشارة إلى قول النابغة الذبياني :

يـا دار ميـة بـالعليـا فـالسنـد ... أقوت وطال عليها سالف الأمد

(٦) ديوانه : ٢٦٧ .

وأَغَرَّ تِبْرِيِّ الإِهَـــــابِ مُـــوَرَّد سَبْـــطِ الأَديْمِ مُحَجَّـل بِبَيَـــاض[١]
أَخْشَى عليـه بـأن يُصـابَ بـأسهمي مِمَّـــا يســـابقُني إلى الأغراض[٢]

وأنشدني من لفظه لنفسه[٣] :

وأَدْهمٍ يَقَـــقِ التحجيـــل ذي مَرَحٍ يميسُ من عُجْبِـه كالشارب الثَّمِلِ[٤]
مضمَّرٌ مشرفُ الأذنين تحسبـــــه موكّلاً بـاستراق السمع من زُحَـلِ[٥]
رَكِبْتُ منـه مَطَـالَيْـلٍ تسير بـــه كـواكبٌ تُلحـقُ المحمـولَ بـالحَمَـل
إذا رميتُ سهـامي فـوق صَهْـوتِـه مرّت بهاديـه وانحطت عن الكفلِ[٦]

قلت : ولم يَطُل[٧] اجتماعنا بـه ، لأنّـه[٨] كان قـد قصـد الأمير سيف الـدين تنكز نائب الشام رحمه الله ، لأنه كان قد سُرِقَتْ له عُمْلة بماردين ، وبلغـه أن اللص من أهل صيدنايا ، وسأل كُتّابه إلى متولي البريد بدمشق بأمساك غريمه .

وقوله : « كالقوس ... » الأبيات ، إشارةٌ إلى قول ابن الرومي[٩] :

تُشكي المحبَّ وتشكـو وهي ظـــالمـــة كالقوس تُصمي الرَمـايـا وهي مرنـان[١٠]

---

(١) ديوانه : « مردّد » .
(٢) في الوافي : « بأسهم » .
(٣) ديوانه : ٢٦٦ .
(٤) يقق : شديد البياض ناصعة .
(٥) في الديوان : « مطهّم مشرف » .
(٦) في الأصل : « مرت تهاديد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى . وفي ديوانه : « عن الكفل » .
(٧) عبارة الوافي : « ولم يطل مجلس .. » .
(٨) في الأصل : « إلاّ أنه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .
(٩) ديوانه ص : ٣٤٢٢ .
(١٠) في الوافي : « مريان » ، تحريف .

وقوله : « وإذا الذئاب استنعجت ... » البيت ، يريد بذلك قول القائل :

وإذا الذئاب استنْعَجَتْ لَكَ مَرَّةً فحذار منها أنْ تَعُودَ ذئابا
والذئب أخبثُ ما يكون إذا اكتسى من جِلْدْ أولاد النعاج ثيابا

و (ديوانه) يدخل في مجلدين كبار أو ثلاثة صغار ، وكله منتخبٌ .

وله قصيدة ميمية في مديح النبي ﷺ عارض بها (البردة) ، أتى فيها بما يزيد على المئة والأربعين نوعاً من البديع ، وشَرَحَها وسمَّاها : (نتائج الألمعيّة في شرح الكافية البديعيّة)[١] . وجوّد في هذه القصيدة ما شاء .

وله مدائح ببني أُرْتُق على حروف المعجم ، مُجَلَّد . وله كتاب : (العاطل الحالي والمرخَّص الغالي) . وقال لي إنه وضع شيئاً في الجناس ، ولم أره إلى الآن . وقيل : إنه عمل (مقامات) يسيره .

والذي أقوله : إن الرجل كان أديباً كبيراً عالماً فاضلاً قادراً على النظم والإنشاء ، مهما أراد فعَل .

وأنشدني له إجازة :[٢]

سوابقُنا والنَّقْعُ والسُّمْرُ والظُّبى وأحسابُنا والحِلْمُ والبأسُ والبرُّ
هُبوبُ الصَّبا والليلُ والبَرْقُ والقضا وشمسُ الضحى والطَّوْد والنار والبحرُ

وأنشدني إجازة ، وفيه استخدامان[٣] :

لئن لم أُبَرْقِع بالحيا وَجْنةَ عفَّتي فلا أَشْبَهَتْهُ راحتي في التكرُّمِ
ولا كنتُ مِمَّن يكْسِرُ الجفنَ في الوغى إذا [أنا] لم أغضضه عن رأي مَحْرَمِ[٤]

(١) طبعت في مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الدكتور نسيب نشاوي ، رحمه الله .
(٢) ديوانه : ٤٥ .
(٣) ديوانه : ٤٦ .
(٤) الزيادة سقطت من الأصل فقط .

قلتُ : استخدام « الحيا » في مفهومَيْه ، وهو : الحيا ، نقيض الوقاحة ، والحيا : المطر . واستخدم « الجَفْنَ » في مفهوميه ، أحدهما : جفن السيف وهو قِرابه ، والجفن : غِطاء العين ، وهو من غريب النظم .

وأنشدني له إجازة في مثله[١] :

لا يَسْمَعُ العُودَ منّا غيرُ حاضنه ... من لَبَّةِ الشُّوس يوم الرَّوْع بالعَلَق[٢]
ولا يعاطي كُمَيْتاً غيرُ مُصدِره ... يومَ الصِّدَام بليل العَطْف بالعَرقِ

وأنشدني له إجازة في سبع تشبيهات[٣] :

وظَبْيٍ بقَفْرٍ فَوْقَ طِرْفٍ مُفَوَّقٍ ... بقَوْسٍ رَمَى في النَّقْع وَحْشاً بأسهُمِ
كشمسٍ بأُفْقٍ فَوْقَ برْقٍ بكَفّه ... هلالٌ رمى في الليل جِنّاً بأنجُمِ

ونُقلتُ من خطّه وهو مما يُقْرأ مقلوباً : « كدْ ضدّك . كُنْ كَمَا أَمْكَنَكْ . كَرَّمْ عِلْمَكَ يَكْمُلْ عُمْرَكَ » .

ونقلتُ من خطه رسالة طويلةً نظماً ونثراً ، كلّ كلمة منها تصحيف ما بعدها ، تكّون أربع مئة كلمة ، وهي :

« قَبّل قَبْل يَداكَ ثَراك عَبْدٌ عِنْد رَخاكَ رَجاكَ ، أَبِيٌّ أَبَى سُؤال سِواكَ . آمِلٌ أَمَّكَ رَجاء رَخاءٍ . فأَلْغَى فَأَلقَى جِدّة خدِه بأَعْتَابكَ باغياً بك شرفا سَرفا . لاَذَبكَ لأدبك مُقْدِماً مقدِّماً أَمَل آمِل يُزْجِيْه تَرَجِّيْه يُبَشِّرُهُ بِيُسْرِه وُجُوْدكَ وُجُوْدكَ . فاشتاق فاستاف . عَرفَ عُرفٍ [منك مثل عبير عنبر ، وقَدِم وقُدِّم ، صَدَقه صِدْقه متجملاً متحملاً][٤] بصاعِه بضاعة تِبْر نَثْر .

---

(١) ديوانه : ٤٦ .
(٢) في الديوان : « خاضبه » .
(٣) ديوانه ٤٧٣ .
(٤) ما بين حاصرتين زيادة من الوافي .

سَنَـــــدٌ سَيِّـــــدٌ حَلِيْمٌ حكِيْمٌ ... فَـاضِـلٌ فَـاصِـلٌ مُجِيـدٌ مَجِيْـدُ
حَـــازِمٌ جَـــازِمٌ بصِيْرٌ نَصِيْرٌ ... زَانَـهُ رَأيُـهُ الشَّـدِيْـدُ السَّـدِيـدُ
أَمَّـــهُ أُمَّـــةٌ رَجَـــاءَ رَخَـــاءٍ ... أُدْرِكَتْ إِذْ زَكَتْ نُقَـــوْدٌ تَقُـــوْدُ[1]
مَكْرُمَـــاتٌ مكرمـــات بَنَتْ بَيْـ ... ـتَ عَـــلاَءٍ عَـــلاَ بِجُـــوْدٍ يَجُـــوْدُ

وهي طويلةٌ ، ربما تزيد على الأربع مئة[2] . وقد أوردْتُها بمجموعها في كتاب : (حَرْمِ الْمَرَح في تهذيب لُمَحِ الملَح) .

وأنشدني له إجازة[3] مضمّناً .

تـزوَّجَ جـاري وهـو شيـخٌ صبيَّـةً ... فلم يستطـع غشيـانها حين جاءَهـا
ولـو أنني بـادَرْتُهـا لتركتهـا ... (يرى قائم من دونها ما وراءها)[4]

وأنشدني له إجازةً[5] :

ليهنِـكَ أنَّ لي وَلَـداً وعبـداً ... سـواء في المقـال وفي المقـامِ
فهـذا سـابـق من غير سين ... وهـذا عـاقـل من غير لامِ

وأنشدني لنفسه إجازةً[6] :

وذاتِ حِرٍ جـادَتْ بـه فصـددْتُهـا ... وقلتُ لها : مقصوديَ العَجْز لا الفَرْجُ

---

(١) في الوافي : « نقود » .
(٢) عبارة الوافي : « أربع مئة كلمة أو أكثر » .
(٣) في الأصل : « أيضاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٤) هذا عجز بيت من أبيات لقيس بن الخطيم ، ديوانه ص : ٦ وما بعدها ، وتمامه :
ملكتُ بها كفي فأنهرت فتقها
(٥) الديوان : ٦٣٦ .
(٦) ليست في ديوانه .

فـدارت ودارت سُوءَ خُلْقي بـالرضـا ... وفي قَلْبِهـا مـمـا تكابِـدُهُ وَهَـجُ[١]
إذا [ما] دفَعْتُ الأير فيها تَجَشَّأت ... وذاك ضراطٌ لم يتمّ لـــه نُضْـجُ[٢]

وأنشدني له إجازةً :[٣]

خَلِّيـــــاني أَجُرُّ فَضْـــلَ بُرُودي ... راتعـــاً في ريـــاض عَيْنِ البُرُوْدِ
كم بهـــا من بـــديـع زهرٍ أنيـقِ ... كَفُصُـوْصٍ مَنْظُـومـــةٍ وعُقُـوْد
زنبـــقٌ بين قُضْبِ آسٍ وبـــانِ ... وأقـــــاحٍ ونَرْجسٍ ووُرُوْدِ[٤]
كجبينٍ وعـــارضٍ وَقَـــوامٍ ... وثُغُـــورٍ وأَعْيُنٍ وخُـــدُوْدِ

وأنشدني له إجازةً :

ولي غـــلامٌ كالنَّجم طلعَتُـــه ... أخـدُمُـهُ وهـو بَعْضُ خُـدَّامي
تراه خلفيَ طـول النهـار فـإنْ ... دجـا لنـا الليـل صـار قُـدَّامي
جَعَلْتُـــه في الحُضُـورِ مـع سَفري ... كفروة الحرث بن هَمَّـــــامِ

قلت : يريد قول الحريري : « فعمدت لفروةٍ هي[٥] في النهار رياشي وفي الليل فراشي » .

[٦]وأنشدني لنفسه إجازةً :

---

(١) في الوافي : « وداوت سوء » . وفي (ق) ، (س) ، والوافي ، بيت بعد هذا ، وهو :
وظلت تغـاشي من فعـالي شـدة ... ولم يعل من فرط الحياء لها رهـج

(٢) « ما » سقط من الأصل .

(٣) ديوانه : ٥٥٦ .

(٤) في الأصل : « وزرود » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٥) في الأصل : « وهي » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٦) في (ق) ، (س) والوافي زيادة هنا ، وهي :
وأنشدني لنفسه إجازة :
ولم أنس إذ زار الحبيب بروضـــة ... وقـد غفلت عنـا وشـاة ولـوّام =

لمـــا رأت عُلْيـــاك أني كالـــذي أبـدو فينُقصني السّقـامُ الـزائـد [١]
وافيتني ووفيت لي بمكارم فنـداك لي صلـة وأنت العـائـد

قلتُ : أخذ هذا من واقعة شرف الدين بن عُنَيْن مع الملك المعظم لما كتب إليه وهو ضعيف :

انظر إليّ بعين مـــولًى لم يـــزل يُـوْلي النّـدى وتـلافَ قبـل تـلافي
أنـا كالـذي أحتـاج مـا أحتـاجـه فـاغنم ثنـائيَ بـالجميـل الـوافي

فحضر المعظّم إليه وقال له : أنت « الـذي » وأنـا « العـائـد » وهـذه « الصلـة » ، وأعطـاه صرّة فيهـا ثـلاث مئـة دينـار . ولكن صفيّ الـدين زاد هنـا النقص ، لأن « الذي » عند النحاة اسم ناقصٌ يحتاج إلى صلة وعائد .

وأنشدني له إجازةً[٢] :

وعَـوْد بـه عـادَ السّرور لأنّـه حوى اللهوَ قِـدْماً وهـو رَيَّـانُ نـاعمُ
يغرِّب في تغريـده فكأنـه يُعيـد لنـا مـا لَقَّنَتْـهُ الحمـائمُ

وأنشدني له إجازة يطلب مشمشاً[٣] :

يـا جـواداً أكفَّـه في مجـال الحر ب حَتْفٌ وفي النـوال غَمَـامَـهْ
جُـدْ بتضعيف عكس مشطـور تصحيف مُثَنّى ترخيم مِثْـل عـلامَـهْ

= وقد فرش الورد الخدود ونشرت بقدمه للسوسن الغض أعلام
أقول وطرف النرجس الغض شاخص إلينا وللنمام حولي إلمام
أيا رب حتى في الحدائق أعين علينا وحتى في الرياحين نمام
والأبيات في ديوانه : ٥٥٩ .

(١) في الوافي : « عيناك » . والأبيات ليست في ديوانه .
(٢) الديوان : ٢٦٩ .
(٣) ليسا في ديوانه .

قلتُ : مِثْلُ علامة : « سِمَة » ، فإذا رَخّمتها كانت : « سِمْ » ، فإذا ثنّيتها كانت : « سمسم » ، فإذا صحّفْتها كانت : « شمشم » ، فإذا أخذتَ شطرها كان : « شم » ، فإذا عكستها كانت : « مش » ، فإذا ضعّفتها كانت : « مشمش » .

ومثل هذا قول القائل يطلب حبراً :

تَصَـــدَّقْ عليَّ بمعكـــوس ضـــدّ مُصَحَّف قـــولِيْ خَبَتْ نـــارُه

فتصحيف : « خبت ناره » : « خسارة » ، وضدها : « ربح » ، ومعكوسها : « حبر » . ولكنّ الشيخ صفي الدين زادَهُ عملاً كثيراً .

وأنشدني إجازة لنفسه يستهدي راحاً[١] :

جـادَ لنـا الـدهرُ بعـد مـا بَخُـلاَ ومجلسُ الأُنْسِ قـد صَفَـا وحَـلاَ
ونحن في مجلس يُـزَيِّنُـهُ رَشْفُ طِلِيٍّ بيننـا ولثم طُلَى
فـاهْـدِ لنـا لا بَرِحْتَ ذا نِعَمٍ مَـاضِـدُّ تصحيفِ عَكْسُـه عَـدَلاَ

قلتُ : ضد « عَدَل » : « جَارَ » ، وتصحيفه : « حار » ، وعكسه : « راح » . والله أعلم .

وأنشدني له إجازةً يطلب فلفلاً[٢] :

أعوزتنا إحدى العقاقير في الدُّرْ يَاقِ فأتحفْ بها تكن خير تُحْفَهْ
ضعف تصحيف ضد مشطور مثلٍ لمثنّى معكوس ترخيم دَفَّهْ[٣]

قلتُ : ترخيم « دفه » : « دف » ، ومعكوسه : « فَد » ، ومثناه : « فدفد » ، ومثله : « مَهْمَهْ » ، ومشطوره : « مَهْ » ، وضده : « قل » وتصحيفه : « فل » ، وتضعيفه : « فلفل » .

(١) ليست في ديوانه .
(٢) ليسا في ديوانه .
(٣) في الأصل : « مضعّف » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .

وأنشدني لنفسه إجازةً :[١]

بـأبي قـذارٍ منـك وابن زَرارة أدنيت حَتْفَ المستهام العاني
فلو أن كاسم أبي معاذ قلبَه ما كان في البلوى أبا حسّانِ

قلتُ : المعنى : بسالف منك وحاجب أدنيت حتفي ، فلو أن قلبه جبل ما كان في البلوى ثابتاً ، لأن سالفاً أبوه قذار ، وحاجباً أبوه زرارة[٢] ، ومعاذاً أبوه جبل ، وحسّان أبوه ثابت .

وأنشدني لنفسه أيضاً :[٣]

ما كان ودّك إذ عتَبْتُك في الجفا كابن الطُّفَيْل ولا أبي حسّان[٤]
وجهي أبو المقداد منك من الحَيَا والقَلْبُ منك حكى أبا سفيان

قلتُ : المعنى : ما كان ودّك عامراً ولا ثابتاً ، وجهي منك أسود وقلبك صخر . لأن الطفيل ابنُه عامر ، وحسان أبوه ثابت ، والمقداد أبوه الأسود ، وأبا سفيان كنيته صخر .

وأنشدني لنفسه أيضاً ـ رحمه الله تعالى ـ مَواليا[٥] :

تقول بسّك منّي يا شقيق البَدرِ لقول ضدك عنّي بالخَنَا والغَدْرِ
وكان ظنك أني يا جليل القَدرِ يكون ذلك فنّي عند ضيق الصَّدْرِ

قلتُ : وهذان البيتان يُقرأ شطر كل قفل منها فيصير بيتي قريضٍ قائمة الوزن بذاتها ، وهما :

---

(١) ليسا في ديوانه .
(٢) من سادات العرب في الجاهلية ، كان رئيس تميم في عدّة مواطن ، (ت نحو ٣ هـ) الأعلام : ١٥٣/٢ .
(٣) ليسا في ديوانه .
(٤) في الأصل : « في الهوى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٥) ليس في ديوانه .

تقــول بَسّـــــك مني لقــول ضـــــدّك عنّي
وكان ظنّـــــــك أني يكــون ذلـــــك فنّي

وإذا قرأتَ هـذين البيتين بـالهجـاء حَرْفـاً فَحَرْفَـا ، خرج منهما بيتـا مواليـا قـائمـا الوزن ، وذلك :

تاءُ قـافٍ واوُ لامٍ بـاءُ سينٍ كافُ ميمٍ نونُ يـا
لامُ قافٍ واوُ لامٍ ضادُ دالٍ كافُ عَيْنٍ نون يا
واوُ كافٍ ألفُ نونٍ ظـاء نونٍ كاف ألفٍ نون يـا
ياءُ كافٍ واوُ نونٍ ذالُ لامٍ كافُ فـاءٍ نون يـا

وهذا عمل صعبٌ إلى الغاية ، ولا يتأتى إلاّ لذي القدرة والتسلّـط على النظم . وقـد أردت أن أعمل مثل ذلك ، فأعان الله تعالى ، وفتح عليَّ ، فقلتُ :

علمتُ أنــك حُبّي يــا رشيـق القَـدْ وقلت : ودّك طبّي يـا شريـق الخَـدْ
فراع صَـدُّك لبّي يــا سعيــد الجَـدْ عسى يردّك ربي يـا مــديــد الصَّـدْ

فشطر كل نصف أول يُقرأ فيكون قريضاً وهو :

علمتُ أنـــــك حبّي وقلتُ : ودّك طبّي
فراع صـــــدك لبّي عسى يردّك ربي

وإذا قرأت هذين البيتين بالهجاء حرفاً فحرفا ، كانا بيتي مواليا وهما :

عين لامٍ ميمُ تاءٍ ألف نونٍ كافُ حـاءٍ بـاءُ يـا
واوُ قافٍ لامُ تاءٍ واوُ دالٍ كافُ طـاء بـاء يـا
فاء راء ألفُ عَيْنٍ صادُ دالٍ كافُ لام بـاء يـا
عينُ سينٍ ألف ياءٍ راءُ دالٍ كاف راء بـاءُ يـا

وأنْشَدني له إجازةً[١] :

وَعَـــدَتْ في الخميس وصْـلاً ولكن شـاهَـدَتْ حَوْلَنـا العـدا كالخميس
أَخلَفَتْ في الخميس وعـدي وجـاءَتْ بعـدمَـا قبل بعـد [يـوم] الخميس[٢]

قلتُ : المعنى : أنها أوعدته الزيارة في يوم الخميس فرأت العـدا كالجيش ، فـأخلَفَتْ الوعـد في ذلـك النهـار ، وجـاءت في يوم الجمعـة ، وذلـك لأن البَعـد والقَبل متكافئـان فسقطا ، وفضل معه بعد والخميس بعده الجمعة . وهذا أخذه من قول القائل :

مـا يقـول الفقيـه أيَّـدَهُ الله ولا زال عنـده الإحسـانُ
في فتىً علَّـقَ الطـلاق بشهر بعـدمَـا قبـل بعـده رمضـانُ

وقـد أوردتُ هـذين البيتين في (شرح الـلاميّـة)[٣] وتكلمتُ عليـه وعلى تقـديم القَبْلاَت والبَعْدَات ، وهناك يظهر هذا أوضح من هنا .

وأنشدني لنفسه ما يُقرأ مقلوباً[٤] :

أَنِّثْ ثَنَـاءً نـاضراً لـك إنّـه هَنَـا كلِّ أرض إن أَنثَّ ثنـاءَ
أمّرْ كَـلاَمـا أَلَّفَتْـهُ مَظَنَّـه لـه نظم هتفٍ لأُمَّ الكُرَمَـاءَ
أهُبّ لـوَصْفِ لامـا هبَّ آمـلٌ ملمـاً بهـا مـلء الفصـول بَهـاءَ[٥]
أرُوح أُطيـلُ الـدأبَ أبْرم همّـةً مُرَبَّى بـإدلالٍ يُطَـاح وراءَ[٦]
أَرِقُّ فـلا حُـزْنٌ يمّ بمُهْمَـلٍ مُهمّ بمنّ يُنْـزِحُ الفقراءَ

(١) ليسا في ديوانه .
(٢) الزيادة من (ق) ، (س) .
(٣) انظر : الغيث المسجم في شرح لامية العجم : ١٧٥/١ .
(٤) ليس في ديوانه .
(٥) في (ق) ، (س) : « هباء » . ولايستقيم العكس بها .
(٦) في الأصل : « يطوح » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

أخَرٌّ لأني نـــائبٌ لقضيَّـــةٍ تهيض قلبي أن ينـــال رخـــاءَ
أفُـــوْه أراعي قُـــوْتـــه بتكلّفٍ لكتْبـــة تـــوقيـع أراه وفـــاءَ[1]

وأنشدني له إجازةً مما يُقرأ مقلوباً[2] :

يَلـــــذُّ ذُلِّيْ بنضـــــوٍ لَـــــوْضَنَّ بي لَـــــذَّ ذُلِّيْ
يَلُمُّ شَمْلِيْ لِحُسْنٍ إنْ سَـــــحَّ لِيْ لَمَّ شَمْلِيْ

وأنشدني لنفسه إجازةً في الجناس[3] :

كم قَـدْ أفَضْنـا من دمـوع ودِمـاً على رسـوم للـديَـار والـدِّمَنْ
وكم قَضَيْنَـــــا للبكاء مَنْسِكاً لَّمـا تـذكَّرْنـا بهنّ من سَكَنْ[4]
معـاهـد تُحْـدِث للصّبر فَنَـاً إن هـاجت الـوُرْق بهـا على فَنَنْ[5]
تـذْكارُهـا أَحْـدَثَ في القلب شَجـاً وفي الحشا قَرْحَاً وفي القلب شَجَنْ[6]
لله أيـــامٌ لنـــا على مِنًى فكَمْ لهـا عنـدي أيـادٍ ومنَنْ
شربْتُ فيهـا لـذّة العيش حَسَـاً ومـا رأيتُ بعـدهـا مَرأىً حَسَنْ
كم كان فيهـا من فتـاةٍ وفتىً كلّ لقَلْبِ الْمُسْتَهـام قـد فنَنْ
فما ارتكبنـا بـالوصـال مـأثَماً بـل بعتُهم رُوحي بغير مـا ثَمَنْ
وعـاذلٍ أضمر مَكْراً ودَهـا فنَمَّـقَ العيش بِنُصْـح ودَهَنْ[7]
لاحٍ غَـدَا يعرف للقلب لحـاً إنْ أَعْرَبَ القـولَ بعـذلي أو لَحَنْ

(١) في الأصل : « أذاه وفاء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وبها يستقيم العكس .
(٢) ليسا في ديوانه .
(٣) ديوانه : ١٠٤ .
(٤) في الأصل : « تذكرت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والديوان .
(٥) في الديوان : « معاهداً » . « إن ناحت » .
(٦) في الديوان : « أحدث في الحلق » .
(٧) في الديوان : « فنمق الغشّ » .

يـزيـدني بـالـزّجر وجـداً وأسىً ... وكان مـاءُ الـوُدِّ منـه قـد أَسَنْ
سئمتُ منـه اللـومَ إذ طـال مَـدى ... ولم أُجِبْـهُ بـل بَـدَوْت إذا مَـدَنْ
بجسرةٍ تشـد في السير قِرًى ... إذا لم تَـذلَّـل بـزمَـامٍ وقَرَنْ (١)
لا تتشكى نصبـاً ولا وجىً ... إذا دجـا الليـل على الركب وَجَنْ
حَنَّتْ وأعطتْ في السُّرى خيرَ عطـاً ... إن حنَّ يـوماً غَيْرُهَـا إلى عَطَنْ (٢)
وأصبحَتْ من بعـد أَيْنٍ وعَنـاً ... للملـك النـاصر ضَيْفَـا وعَنَنْ (٣)
مَلْـكٌ غـدا لسـائر النـاس أبـاً ... إن سـار في كَسْب الثنـاء أو أَبَنْ
النـاصر الْمِلك الـذي فـاض جـداً ... فخلتـه ذا يـزَنَ وذا جَـدَنْ
ملـكٌ عَـلا قَـدْراً وجَـدًّا وسَنـاً ... فجـاء في طُرُق العـلا على سَنَنْ
لا جَـوْرَ في بـلاده ولا عـدى ... إنْ عُـدَّ في العَـدْل زبيـدٌ وعَـدَنْ
كم بـدَرٍ أعطى الـوفـود وَلُهى ... وكان يُرضيهم كَفَـافٌ ولُهَنْ (٤)
حنَيتُ من إنعـامـه خير جنى ... وكنتُ من قبـلُ كَمَيْتٍ في جَنَنْ
فمـا شكـوتُ في حِمَـاه لغبـاً ... ولـو أطـاقَ الـدهرُ غَبْنِي لغَبَنْ (٥)
دعـوتـه بـالمـدح عن صـدقٍ ولاً ... فلم يجب يـومـاً بلم ولا ولَنْ
أنظمُ في كلّ صبـاحٍ ومَسـاً ... كأنـه لصـارمِ الفكر مِسَنْ (٦)
يـا مـالكاً فـاق الملـوك ورَعـاً ... إن شـان أهـلَ الْمُلْـك طيشٌ ورَعَنْ
أكسبني بـالمجـد مجـداً وعُـلاً ... فصغتُ فيـك المـدحَ سِرّاً وعَلَنْ (٧)

(١) في الأصل : « بجسرة » ، تصحيف . والجسرة : الناقة القوية العظيمة .
(٢) في الديوان : « حثت » .
(٣) في الديوان : « وعيا » .
(٤) في الديوان : « كفافاً » . واللّهن : جمع لهنة ، ما يهديه المسافر عند قدومه من سفره . والبدرة : كيس فيه دراهم .
(٥) في الديوان : « شكيت » .
(٦) في الديوان : « الصارم الدهر » ، والمِسنُّ : معروف .
(٧) في (ق) ، (س) والديوان : « أكسبتني » .

إن أُوْلِـكَ المـدحَ الجـزيـل فحرى ... وإن كبـا فكرُ سـواي وحَرَنْ[١]
لا زلتَ في مُلْكِـك خِلْـواً من عنـاً ... وليس لِلْهَمِّ لَـدَيْـكَ من عَنَنْ
ونِلْتَ فيـه مـا تروم من مُنًى ... وعشتَ في أمْنٍ وعِـزٍّ ومُنَنْ[٢]

وأنشدني إجازةً لنفسه[٣] :

سَلْ سَلْسَلَ الريقِ إن لم تَرْوِحَرّ ظَمَا ... بَـلْ بَلْبَـلَ القَلْبَ لَمّـا زادَهُ أَلَمَـا
قَـد قَـدَّ قَـدُّ حبيبي حَبْـلَ مُصْطَبري ... إنْ آنَ أَنْ أجتني جُرْمـاً فـلا جَرَمَـا
مُـذْ مَـلَّ مَلْمَـلَ قلبي في تعَنُّتِـه ... لو كَفَّ كفكفَ دَمْعا صار فيه دمَا
بـل رُبَّ رَبْرَبِ سِرْب ثغره شنب ... لَـوْ لـؤلـؤٌ رام تشبيهـاً بـه ظُلِمَـا
لو قـابـل الشمس لألأ لاؤهـا كُسفت ... فـإنْ يَقُل للـدُّجـازِحْ زَحْزَح الظُلَما
كم هَـدّ هُـدْهُـدُ واشينـا بنـاءَ وَفـاً ... غـداة عنعَنَ عن أعـدائنـا الكلمـا
مـذ نمّ نَمْنَم أقـوالاً شقيت بهـا ... إذ زلَّ زلـزل طـود الصبر فـانهـدمـا
[لِمْ لَمْلَم الوجدُ عنـدي بعـد مصرفـه ... عني وجَمْجَم جمّ الغيث فالتـأمـا][٤]
مـدلـجٌ لَجْلَـج نطقي عن إجـابتـه ... لـو رقّ رقرق دمعـاً ظـل منسجما[٥]
إن كان دعدعَ دَع كاس العتاب وقُل ... مَنْ مَهْمَـهُ العشق لا يطويـه من سئما
إن قيل ضَعْضَعَ ضَعْ خدّيك معتـذراً ... أو قيـل قَلْقَـلَ قُـلْ أرضى بما حكمـا
أو قيل طحطح طحْ بـالحب ملتجئـا ... أو قيـل دَمْـدَمَ دُمْ بـالـود ملتزمـا
سَبْ سَبْسَبَ الحب واشكر مِنْ احبتنـا ... لكلّ مَنْ مَنَّ مِنْ أهـل الـوفـا كرمـا
هُمْ هَمَّهُمْ حفظُهم للخـل حـق وفـا ... من حيث حصحص حصَّ الهمّ منتقما
إن قيل أحٌّ أُحَـاحُ الغـدْر فـارْضَ بهم ... أوْلا فنفسـك لُمْ لِمَ لُمْ تَفِضْ نـدمـا

(١) في الديوان : « الجميل » .
(٢) في الديوان : « عزّ وبأس ومنن » .
(٣) ليست في الديوان ، والوافي .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) .
(٥) في الأصل : « في إجابته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وأنشدني لنفسه إجازةً :[١]

اِنْهَضْ فهَـذا النَّجمُ في الغَرْبَ سَقَـطْ ... والشَّيْبُ في فَوْد الظلام قدْ وَخَطْ
والصبحُ قَدْ مدَّ إلى نهر الدجى ... يداً بها دُرُّ النجوم يُلْتَقَطْ[٢]
وألهبَ الإصباحُ أذيالَ الدُّجى ... بشمعةٍ من الشّعاع لم تُقَطْ
وضجّتِ الأطيار في أوْرَاقها ... لما رأت سَيْفَ الصباح مُخْتَرَطْ[٣]
وقام مِنْ فَوْقِ الجدار هاتف ... متوّجَ القامةِ ذُو فَرْع قَطَطْ[٤]
يخبّر الراقد أنَّ نومَه ... عند انتباه جَدّه من الغلَطْ
والبدرُ قد صار هلالاً ناحلاً ... في آخر الشهر وبالصّبح اختلطْ
كأنه قوسُ لُجَيْنٍ مُوترٌ ... والليل زَنجيّ عليه قد ضَبَطْ
وفي يَدَيْه للثريّا نَدَب ... يزيد فَرْداً واحداً عن النَّمَطْ
فأيُّ عذْر للرماة والدّجى ... قد عُدَّ في سِلْك الرّماة وانخرَطْ[٥]
أمَا ترى الغيم الجديد مُقْبلاً ... قدْ مَدَّ في الأفق رِدَاه وانبسَطْ
كأن أيدي الريح في تلفيقه ... قد لبّدت قطنا على ثوب شمط[٦]
يلمع ضوءُ البَرْق في حافاته ... كأنّ في الجوّ صفاحاً تُخْتَرَطْ
وأظهر الخريفُ مِن أزْهَاره ... أضعافَ ما يُخفي الربيع إذ شحَط[٧]
ولان عِطْفُ الريح في هُبوبها ... والظلّ منْ بعد الهجير قَدْ سَقَطْ[٨]

---

(١) ديوانه : ٢٥١ .
(٢) في الديوان : « نحر الدجى » ، وهي أشبه .
(٣) في الديوان : « وضجت الأوراق » .
(٤) في الأصل : « هاتفاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والديوان . والقطط : القصير .
(٥) في الأصل : « سلك الزمان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والديوان .
(٦) في الديوان : « الزنج » . بدل « الريح » .
(٧) في الديوان : « أخفى » .
(٨) في الديوان : « والطلّ » .

والشمس في الميزان موزونٌ بها ... قَسْطَ النَهار بعدما كان قَسَطْ[١]
وأرْسلت جبالُ دَرْبَنْدَ لها ... رُسْلا صَبَا القلبُ إليها وانبسط
من الكراكي الخُزَّرِيَّاتِ التي ... تُقْدِم والبعض ببعضٍ مُرْتَبِطْ
كأنها إذْ تابعت صُفوفها ... ركائبٌ عنها الرّحالُ لم تُحَطْ
إذا قفاها سَمْعُ ذي صبابةٍ ... مِثْلي تَقَاضاه الغرام ونشَطْ
فقمْ بنا نَرْفُل في ثوب الصّبا ... إنَّ الرضا بتركه عينُ السَّخَطْ[٢]
والتقطِ اللّذة حيثُ أمكنَتْ ... فإنّما اللذاتُ في الدّهر لُقَطْ
إن الشباب زائرٌ مودّعٌ ... لا يُستطاع ردّه إذا فَرَطْ
أما ترى الكُركيّ في الجوّ وقد ... نَعَّمَ في أفْق السَّماء ولَغَطْ
أنساه حُبُّ دجلةٍ وطيبُها ... مواطناً قد زَقَّ فيها وقَمَطْ[٣]
فجاء يُهدي نفسه وما دَرى ... أنّ الردى قرينُه حَيْثُ سَقَطْ
فابرز قِسيا من كَمَنْدا ناتِها ... إن الجياد للحروب تُرْتَبَطْ
من كل سَبْطٍ من هدايا واسطٍ ... جعْدِ التلاع منه في الكعب نُقَطْ[٤]
أصلَحَه صَالحُ باجتهَادِهِ ... وكلَّ ذي لُبّ له فيه غَبَطْ
وما أضاع الحزمَ عند حزمها ... بل جاوز القيظ و للفصل ضبَطْ[٥]
حتى إذا حَرَّ حُزيرانَ خَبَا ... وتَمَّ تَمُوزُ وآبٌ وشَحَطْ
وجاءَ أيلولُ بحَرٍّ فاترٍ ... في نضْجِ تعديل الثِّمارِ مَا فَرَطْ
أبرَزَ ما أحرَزَ من آلاته ... وحَلَّ من ذاك المتاع مَا رَبَطْ
ومَدَّ للصَنعة كفَّ أوْحَدٍ ... مُنَزَّهٍ عن الفَسَاد والغَلَطْ[٦]

(١) في الأصل : « قسط الزمان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والديوان .
(٢) في (ق) : « في ذيل » .
(٣) في الديوان : « ولقط » .
(٤) في الديوان : « جعد البلاغ » .
(٥) في الديوان : « عند عزمها » .
(٦) في الديوان : « كفّاً أوحداً منزّهاً » .

وظـلّ يستقري بـلاغ عُـوْدهـا ... فنَبَّرَ الأطرافَ واختـارَ الـوَسَـطْ
وجـوَّد التـدقيـق في لحَـامهـا ... فـأسْقَـطَ الكِرشـاتِ منـهُ والسَّقـط
ولم يـزل ينقلهـا مَرَاتبـاً ... تَلْـزَمُ في صنعتـه وتُشْتَرَطْ[١]
فعنـدمـا أفْضَت إلى تطهيرهـا ... صَحّـح داراتِ البيـوت والنُّقَـطْ
حتى إذا قَمَّصهـا بـدْهُنهـا ... جاءت من الصحّـة في أحلى نَمَـطْ
كأنهـا النـونـاتُ في تعريقهـا ... يَعْـوُجّ منها بُنْـدُق مثـلُ النقَـطْ[٢]
مثـل السُّيُـور في يـد الرامي فلـو ... شـاء طـواهـا وحَـواهـا في سَفَـطْ
لـو يقـذف اليم بهـا مـالكُهـا ... مـا انتقضَ العُـودُ ولا الـزورُ انكَشَـطْ
كأنمـا بُنْـدُقهـا نيـازكٌ ... أو من يد الرامي إلى الطير خِطَـطْ[٣]
من كل مُحيّ الضلـوع مُـدْمَـجٍ ... مَـا وَهِمَ البـاري بهـا ولا فَرَطْ[٤]
كأنمـا لامٌ عليهـا ألفٌ ... وقـال قـوم إنهـا الـلام فَقَـطْ[٥]
فَـاجْـلُ قَـذى عُيُـوْننَـا ببَرْزَةٍ ... تنفي عن القلب الهُمُـوم والقَنَـطْ
فمـا رَأتْ من بعـد هَـوْرِ بـابـلٍ ... ومـائـه التيـار عيشـاً يُغْتَبَـطْ
ونحنُ من مُرُوجـه في نشـوةٍ ... عنـد التحرّي في الـوقـوف للخُطَـطْ
مِن كلّ مقبـول المقـال صـادق ... قـد قبض القـوس وللنفس بَسَـطْ
يَقـدُمنـا فيهـا قـديم حَـاذقٌ ... لا كَسَـل يشَيْنُـه ولا قَنَـطْ
يحكم فينـا حكْمَ داودَ فـلا ... تنظر منـا خـارجـاً لمـا شَرَطْ[٦]
لا يَسبـك الأسبـاق من جفّتـه ... ولم يكن مثـل القرلَّى في النَّمَـطْ[٧]

(١) في الديوان : « يُبْلغِها مراتبا » .
(٢) في الديوان : « يعرج » .
(٣) في الديوان : « بندقها تنازلاً » .
(٤) في (ق) ، (س) والديوان : « محي البيوت » . وفي الديوان : « ما أخطأ الباري » .
(٥) في (ق) والديوان : « كأنه » .
(٦) في (ق) ، (س) ، والديوان : « عمّا شرط » .
(٧) في (س) : « لا يشتكي » ، وفي الديوان : « لا يشتك » .

إذا رأى الشَّرَّ تعلَّى وإذا ... لاحَ لـه الخير تـدلّى وانخبـطْ [١]
مـا نغَمُ المِـزْهَر والـدفّ إذا ... فصَّـل أدوار الضُّرُوب وضَبَـطْ
أطيَبُ من تَـدَفْـدُف التمّ إذا ... دَقّ على الفيض الجنـاح وخَبَـطْ [٢]
والطير شتى في نـواحيـه فَـذَا ... قـد اكتسَى الريشَ وهـذا قـد شَمَـطْ
وذاك يرعى في شـواطيـه وذا ... على الروابي قـد تحصَّى ولَقَـطْ
فِمن جليـل واجب تعـدادُهُ ... ومن مَراعٍ عَـدُّهـا لا يُشْتَرَطْ
تعرج منـا نحـوه بنـادقٌ ... لم ينـج منهـا من تَعَلَّى واخْتَبَـطْ
فِمن كسيرٍ في العُبَـاب عـائمٍ ... ومن ذبيـح بـالـدِّمـاء يُعْتَبَـطْ [٣]

وأنشدني له إجازةً ، ومن خطه نقلتُ : [٤]

كَيْفَ الضّلالُ وصبحُ وَجْهك مُشْرقٌ ... وشَـذَاكَ في الأكـوانِ مِسْـكٌ يَعْبَـقُ
يَـا مَنْ إذا سَفَرَتْ محـاسِنُ وجهـه ... ظَلَّتْ بَهـا حَـدَقُ الخلائـق تُحْـدِقُ [٥]
أَوْضَحْتَ عُـذْري في هَـوَاكَ بـواضحٍ ... مـاءُ الحيَـا بـأَديمِـهِ يتَرَقْرَقُ
فإذا العَـذُولُ رأى جَمَـالـك قـال لي ... عجبـاً لقلبـك كيف لا يتمـزَّقُ
يـا آسراً قَلْبَ الْمُحِبِّ فَـدَ مْعُـهُ ... والنـومُ مِنْـهُ مُطْلَـقٌ ومُطَلَّـقُ
أغْنَيتني بـالفكر فيـك عن الكرَى ... يـا آسري فـأنـا الغنيُّ الْمُمْلِـقُ
وصحبتُ قَـوْمَـاً لستُ من نظرائهم ... فكأنني في الطرس سطرٌ مُلْحَـقُ
قـولا لمن حَمَـل السـلاح وخَصْرُهُ ... مِنْ قَـدِّ ذابلـه أرقُّ وأَرْشَـقُ [٦]

---

(١) في (ق) : « وسقط » .
(٢) في الديوان : « على القبض » .
(٣) في الديوان : « يغتبط » .
(٤) ديوانه : ١٢٠ .
(٥) في الأصل : « الحدائق » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .
(٦) في (ق) ، (س) : « أرقّ وأشق » ، وفي الديوان والوافي : « أدقّ وأرشق » .

لا تُوْهِ جسمكَ بالسلاح وحَمْله إني عليك من الغلالة أشْفَقُ[١]
ظبيٌ من الأتراك فَوْقَ خُدوده نارٌ يخرُّ لها الكليم ويُصْعَقُ
تَلْقَاهُ وهُوَ مُزَرَّدٌ ومُدَرَّعٌ وتراه وهو مُقَرَّط ومُقَرْطَقُ
لم تترك الأتراك بَعْدَ جمالها حُسْناً لمخلوق سواها يُخْلَقُ
إنْ نُوزلوا كانوا أُسُودَ عَرِيْكَةٍ أو غُوزلوا كانوا بُدُوْراً تُشْرِقُ
قومٌ إذا ركبُوا الجياد رأيتهم أُسداً بألحاظ الجآذر تَرْمُقُ[٢]
قد خُلِّقت بدَم القُلُوب خُدُودهم ودروعُهُم بدم الكُمَاةِ تُخلَّقُ
جذَبوا القِسيّ إلى قسيّ حَوَاجبٍ مِنْ تحتها نَبْلُ اللواحظ تُرْشَقُ
نشروا الشعور فكُلُّ قَدٍّ مِنْهُمُ لَدْنٌ عليه من الذؤابة صنجَقُ[٣]
لي منهم رَشَأ إذا قابلتُه كادت لواحظُهُ بسحرٍ تَنْطِقُ[٤]
إن شاء يلقاني بخُلقٍ واسعٍ عند السلام نهاه طرف ضيِّقُ[٥]
لم أنس ليلة زارني ورقيبُه يُبدي الرضا وهو الْمَغيظ الْمُحْنَقُ
حتى إذا عبث الكرى بجفونه كان الوسادةُ ساعدي والمِرْفَقُ
عانقْتُه وضَمْمتُه فكأنه منْ ساعديَّ مُمَنْطَقٌ ومُطَوَّقُ
حتى بدا فلق الصَّبَاحِ فراعِه إنَّ الصَّبَاحَ هو العدوُّ الأزرقُ

وأنشدني له إجازةً يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون[٦] :

أَسْبَلْنَ من فوق النحور ذوائبا فتركن حبَّات القلوب ذَوَائبَا[٧]

---

(١) في الديوان : « وثقلة » .
(٢) في الأصل : « أسد » ، وفي الديوان والوافي : « ظننتهم أسداً » .
(٣) في الديوان : « الذوائب » .
(٤) في الديوان : « إذا غازلته » .
(٥) في الوافي : « طرق » .
(٦) ديوانه : ٩٥ ، والقصيدة معارضة لقصيدة المتنبي المشهورة ، وستأتي الإشارة إلى مطلعها .
(٧) في الديوان : « النهود » .

وجَلَوْنَ مِنْ صبح الوجوه أشعّةً ... غادَرْوْنَ فَوْدَ الليل منها شائبا
بيضٌ دعاهنَّ الغيُّ كواعباً ... ولو استبان الرشدَ قال كواكبا
وربائبٌ فإذا رأيتَ نِفَارها ... من بَسْط أنسك خلتهنَّ رباربا
سَفَّهْنَ رأي المانويّة عندما ... أَسْبَلْنَ من ظُلَم الشعور غياهبا
وسَفَرْنَ لي فرأين شخصاً حاضراً ... شُدهَتْ بصيرتُه وقلباً غائبا
أشرقنَ في حلل كأنَّ أديمها ... شَفَقٌ تَدَرَّعُهُ الشُّموسُ جَلابِبَا[1]
وغَرَبْنَ في كِلَل فقلتُ لصاحبي ... (بأبي الشموس الجانحات غواربا)[2]
ومُعَرْبِد الألحاظ يثني عِطْفَه ... فيُخالُ من مَرَحِ الشبيبة شارِبَا[3]
حلو التَّعَتُّب والدلال يَرُوْعُهُ ... عتبي، ولستُ أراه إلاّ عَاتِبَا
عاتبتُه فتضَرَّجْتُ وَجَناتُه ... وازوَرَّ ألحاظاً وقَطَّبَ حَاجِبا
فأراني الخدَّ الكليم وطَرْفُه ... ذو النون إذ ذهب الغداة مُغَاضِبَا[4]
ذو منظر تغدو القلوب بُحُسْنِه ... نهباً وإن مَنَحَ العيونَ مواهبا
لا غَرْوَ أنْ وَهَبَ اللواحظ حَظْوه ... من نوره ودعاهُ قلبي ناهبا
كمواهب السلطان قد كَسَت الورى ... نِعَماً وتدعوه القساورُ سالبا[5]
الناصرُ الملك الذي خضعت له ... صِيدُ الملوك مشارقاً ومغاربا
ملكٌ يرى تَعَبَ المكارم راحةً ... ويعُدّ راحات الفراغ متاعبا[6]
لم تَخْلُ أرضٌ من ثناه وإن خَلَت ... مِنْ ذكره ملئت قناً وقواضبا[7]

(١) في الديوان : « كأن وميضها » . وفي الوافي :« جلائبا » .
(٢) ضمن مطلع قصيدة المتنبي . وتمام البيت :
اللابسات من الحرير جلابيا
(٣) في الأصول : « اللحظات » .
(٤) في الديوان : « فأذابني الحد » . وفي الأصل : « ذا » وأثبتنا ما في النسخ الأخرى وفي البيت إشارة إلى قصة النبي يونس عليه السلام .
(٥) في الديوان والوافي : « فواهب » .
(٦) في الديوان : « القراع » .
(٧) زيادة من النسخ الأخرى .

بمكارم تَـــذَرُ السَّبَـــاسبَ أبْحَراً ... وعـزائمٍ تـذر البحـار سَبَـاسِبَـا
تُرجَى مـواهبُـه ويُخْشَى بَطْشُـه ... مثل الزَّمـان مسـالماً ومحـاربـاً
فـإذا سطـا مـلأ القلـوب مهـابـةً ... وإذا سخـا مـلأ العيـون مـواهبـا
كالغيث يسفح مِن عطـائـه نـائـلاً ... سبطا ويرسل من سطاه حاصبا [١]
كالليث يحمي غـــابَـــهُ بـزئيره ... طَـوْراً ويُنْشِب في القَنِيصِ مخَـالِبـا
كالسيف يبـــدي للنـواظر منظراً ... طلقاً ويمضي في الهياج مُضاربا [٢]
كالسيـل يُحْمَـدُ منـه عَـذْبـاً واصلاً ... ويَعُـدُّهُ قـومٌ عَـذابـاً واصِبـا [٣]
كالبحر يُهْـدي للنفـوس نفـائسـاً ... منـه ويُبـدي للعيـون عجـائبـا
فـإذا نظرت نَـدَى يـديـه ورأيَـهُ ... لم تُلْفِ إلا صيَّبـاً أو صـائبـا [٤]
أبقى قـلاوون الفخـارَ لـوُلْـده ... إرثـاً ففـازوا بـالثنـاء مكاسبـا
قـومٌ إذا سئمـوا الصَّـوافن صيَّروا ... للمجـد أخطـار الأمـور مراكبـا
عشقـوا الحروب تيمنـاً بلقـا العِـدا ... فكأنهم حسبـوا العـداة حبـائبـا
وكأنمـا ظنـوا السيـوف سـوالفـاً ... واللَّـدْنَ قَـدّاً والقِسِيَّ حـواجبـا
يـا أيُّهـا الملـك العـزيـز ومن لـه ... شرفٌ يَجُرُّ على النجـوم ذوائبـا
أصلحتَ بين المسلمين بهمَّـــةٍ ... تَـذَر الأجـانب بـالـوفـود أقـاربـا [٥]
ووهبتهم زَمَنَ الأمـــان فمن رأى ... ملكاً يكـون لـه الـزمـان مَـوَاهبـا
فرأوا خطـاباً كان خَطْباً فـادحـاً ... لهم وكُتْبـاً كنَّ قَبْـلُ كَتَـائبـا
وحَرَست مُلْكَـكَ من رجيمٍ مـاردٍ ... بعـزائم إنْ صُلْتَ كنَّ قـواضبَـا
حتى إذا خَطِف المنـافـق خطفـةً ... أتبعتـه منهـا شهـابـاً ثـاقبـا [٦]

(١) في الديوان : « وابلا » .
(٢) في الأصل : « كالليث » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .
(٣) في الأصل : « عذباً وارداً » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .
(٤) في الديوان : « إلا صائبا » .
(٥) في الديوان : « أنفذ في الزمان » .
(٦) في الديوان : « خطف المكافح » .

لا ينفع التجريبُ خصمك بعدَما ... أفنيت مَنْ أفنى الزمان تجاربا[١]
صَرَّمْتَ شَمْلَ المارقين بصارم ... تُبْدِيه مَسْلُوباً فيرجع سالبا
صافي الفِرِنْد حكى صباحاً جامداً ... أبدى النجيعَ به شُعاعاً ذائباً
وكتيبةٍ تدعُ الصهيل رواعداً ... والبيضَ برقاً والعجاج سحائبا
حتى إذا ريح الجلاد حَدَتْ لها ... مَطَرَتْ وكان الوبل نبلاً صائبا[٢]
بذوابلٍ ملْدٍ يُخَلْنَ أَرَاقِماً ... وشوائل جُرْدٍ يُخَلْنَ عقاربا[٣]
تطأ الصدور من الصدور كأنّما ... تعتاض عن وطء التراب ترائبا
فأقمتَ تُقْسِم للوحوش وظائفا ... فيها وتصنعُ للنسور مآدبا
وجعلت هاماتِ الكماة منابراً ... وأقْمتَ حدَّ السَّيف فيها خاطبا
يا راكب الخطر الجَلِيل وقولُه ... فخراً بمجدك لا عدمت الراكبا
صيَّرت أسحار السماح بواكراً ... وجعلت أيام الكفاح غياهبا[٤]
وبذلت للمُدَّاح صَفْوَ خلائق ... لو أنها للبحر طاب مَشَاربا
فَرَأوك في جنب النضار مفرِّطاً ... وعلى صلاتك والصلاة مواظبا
إن يحرس الناسُ النضار بحاجبٍ ... كان السماح لعين مالكِ حاجبا
لم يملؤوا فيك البيوت رغائبا ... إلاّ وَقَد ملؤوا البيوت غرائبا
أوْليتَني قبل المديح عنايةً ... وملأت عَيْني هيبةً ومواهبا
ورفعتَ قَدْري في الأنام وقد رأوا ... مثلي لمثلك خاطباً ومخاطبَا
في مجلس ساوى الخلائق في الندى ... وترتَّبَتْ فيه المُلُوك مراتبا
وافيتُه في الفُلْك أسعى جالساً ... فخراً على من قال أمشي راكبا[٥]

(١) في الأصل : « لا يمنع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٢) في الوافي : « الويل » .
(٣) في الديوان : « بذوائب » . والملد : اللين .
(٤) زيادة من الوافي والديوان .
(٥) في الديوان : « من جاء يمشي راكباً » .

فـــأقمتُ أُنْفِـــذ في الأنـــام أوامراً ... مني وأُنشب في الخطـوب مخـالبـا[١]
وسقتني الـــدَّنيـــا غـــداة وَرَدْتُـــه ... ريّـا ومـا مَطَرَتْ عليَّ مصـائبـا
فطفقتُ أمـلأ من ثنـــاك وشكره ... حقبا وأملأ من نـداك حقـائبـا[٢]
أُثنِيْ فتثنيني صفـــاتُـــك مُظْهِرا ... عِيّاً وكم أَعْيَتْ صفـاتُـك خـاطبَـا
لـــو أن أعْضَـــانـــا جميعـــاً أَلْسُنٌ ... تثني عليـك لمـا قضينـا الـواجبـا

وأنشدني إجازةً ، ومن خطه نقلتُ ، يمدح سيدنا رسول الله ﷺ :[٣]

كَفَى البَدْرَ حُسناً أن يقـال نظيرُهـا ... فَيَـزْهَى ولكنّـا بـذاك نَضِيرُهـا
وحَسبُ غُصونِ البَـان أنَّ قَـوَامهـا ... يُقـاسُ بـه مَيَّـادُهـا ونضيرُهـا
أسيرةُ حِجْـلٍ مُطلَقـاتٌ لحـاظُهـا ... قضى حُسْنُهـا أنْ لا يُفَـكَّ أسيرُهـا
تهيمُ بهـا العُشَّـاقُ خَلْفَ حِجَـابهـا ... فكيف إذا مـا آن منهـا سُفـورهـا[٤]
وليس عجيبـــاً أن غُرِرْتُ بنظْرَةٍ ... إليهـا فمِنْ شَـأن البُـدُور غُرورهـا
فكم نظرةٍ قـــادتْ إلى القَلْبِ حَسْرةً ... يُقَطِّـعُ أَنْفَـاسَ الحيـاة زَفيرُهـا
فواعجبـاً كم نَسْلُب الأسْـدَ في الـوغى ... ويسلبنـا مِنْ أعْيُن الحُـور حُـورهـا
فُتُـور الظُّبى عنـد القِراع يشينهـا ... ومـا يُرْهِفَ الأجفـانَ إلاّ فُتـورهـا[٥]
وجُـذْوةُ حُسْن في الخـدود لهيبُهـا ... يَشُبّ ولكن في القلـوب سعيُرهـا
إذا آنستهـا مُقْلَتي خَرَّ صـاعقـاً ... فؤادي وقال القلب لا دُكَّ طورهـا[٦]
وسربِ ظبـاءٍ مشرقـاتٍ شمـوسُـه ... على حلّةٍ عنـد النجـوم بُـدُورهـا[٧]

(١) في الديوان : « أنفذ في الزمان» .
(٢) في الديوان : « ثناك ونشره » .
(٣) ديوانه : ٧٣ .
(٤) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٥) في الديوان :« يشيبنا » .
(٦) في الديوان : « جناني وقال » . وفي البيت إشارة إلى قصة موسى عليه السلام .
(٧) في (ق) ، (س) : « حلّه » ، وفي الوافي : « حلية » ، وفي الديوان : « جنّة » .

تُمانع عما في الكناس أسودُها ... وتحرُس ما تحوي القصورُ صقورُها
تغار مِنَ الطيف الْمُلِمّ حُمَاتُها ... ويَغْضَبُ مِنْ مَرّ النسيم غَيُورها
إذا ما رأى في النّوم طَيْفاً يرودها ... توهَّمه في اليوم ضَيْفاً يزورها[١]
نظرْنا فأعْدَتْنَا السّقام جفونها ... ولُذْنَا فأوْلَتْنَا النحولَ خُصُورها[٢]
وزرْنَا وأُسْدُ الحيّ تُذكي لحاظها ... ويُسْمَعُ في غاب الرماح زئيرُها
فيَا سَاعَدَ اللهُ الْمُحِبَّ فإنَّهُ ... يَرَى غمراتِ الْمَوْت ثم يزورها[٣]
ولَمَّا أَلَمَتْ للزيارة خِلْسَةً ... وسَجْفُ الدياجي مُسْبَلاتٌ ستورها
سَعَت بيننا الواشُون حتى حُجُولُها ... ونَمَّت بنا الأعداء حتى عبيرُها[٤]
وهَمَّتْ بنا لولا حبائل شعرها ... خطا الصبح لكن قيَّدته ظفورُها[٥]
ليَاليَ يُعْديني زماني على العِدَا ... وإن مُلئتْ حِقْداً عليَّ صدورُها
ويسعدني شرخ الشبيبة والغنى ... إذا شانها أفتارها وقتيرُها
ومذْ قَلَبَ الدَّهر المجنّ أصابني ... صَبُوراً على حالٍ قليلٍ صبورُها[٦]
فلو تحمل الأيَّامُ ما أنا حاملٌ ... لما كاد يمحو صبغةَ الليل نورُها
سأصبرُ إمّا أنْ تَدور صُروفها ... عليّ وإمّا تستقيمُ أمورُها
فإن تكن الخنساءَ إني صخرها ... وإن تكن الزبَّاءَ إني قصيرُها
وقد أرتدي ثوب الظلام بجسرة ... عليها من الشَّوش الحُماة جَسُورُها[٧]
كأني بأحشاء السباسب خاطرٌ ... فما وُجِدَتْ إلا وشخصي ضميرُها

(١) في الوافي والديوان : « طيفاً يزورها » .
(٢) في الوافي والديوان : « السقام عيونها » .
(٣) في الديوان : « لأنه » .
(٤) في الوافي : « سعى » و « ثمت » .
(٥) في الديوان : « لولا غدائر » .
(٦) في الأصل : « وقد مكب » ، تصحيف .
(٧) الجسرة : الناقة الضخمة القوية .

وصاديةِ الأحشاء غَصَّى بآلها ... يعز على الشِّعْرى العَبُور عُبورُها
ينوح بها الخرّيت نَدْباً لنفسه ... إذا اختلفت حصباؤها وصخورُها
إذا وطئتها الشمس سال لُعابها ... وإن سلكتها الريح طال هريرها[١]
وإن قامت الحِرْباء ترْصُد شمسها ... أصيلاً أذاب اللحظَ منها هجيرُها[٢]
تجنّبُ عنها للحذار جنوبُها ... وتُدْبِرُ عنها في الهُبوب دَبُورُها
خبرْتُ مرامي أرضها فقتلتها ... وما يَقْتُلُ الأرضين إلاّ خبيرها
بخطوة مِرْقالٍ أمُونٍ عثارُها ... كثير على وَفْقِ الصواب عُثُورها
ألَذّ منَ الأَنْغام رَجْعُ بَغَامها ... وأطربُ من سَجْع الهديل هديرها[٣]
نُساهِم شَطْرَ العيش عِيساً سَوَاهِماً ... لطول السُّرى لم يَبق إلاّ شطورها[٤]
حروفاً كنونات الصَّحائف أصْبحَت ... تُخَطُّ على طِرس الفيافي سُطورها
إذا نُظمت نظم القلائد في البُرَى ... تَقَلَّدَها خَصْر الرّبا ونحورها[٥]
طَواها طوَاها فاغتدت وبُطونها ... تجول عليها كالوشاح ظفورها
يُعبّر عنْ فَرْط الحنين أنينُها ... ويُعْرِبُ عَمَّا في الضمير ضُمورها[٦]
نسير بها نحو الحجاز وقصدها ... ملاعب شِعْبي بابل وقصورها
فلما ترامت عن زَرُود ورَمْلِها ... ولاحت لها أعلام نجد وقُورها
وصدَّتْ يميناً عن شُمَيط وحاذرت ... رُبا قَطَن والشِّهْبُ قد شف نُورها[٧]
وعاج بها عن رملِ عاجٍ دليلها ... فقامَتْ لعِرفانِ الْمُراد صُدورها

(١) في الوافي والديوان : « هديرها » .
(٢) في الديوان :
وإن قامت الحربا توسّد شعرها ... أصيلاً أذاب الظرف منها هجيرها
(٣) في الديوان : « أطيب » .
(٤) في الوافي والديوان : « لفرط السرى » .
(٥) في الديوان : « خضر » .
(٦) في الأصل : « حنينها » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٧) في الوافي والديوان : « وجاوزت » .

غـدت تتقـاضـانـا المسير لأنّهـا ... إلى نحـو خير المرسَلين مَسيرُهـا
ترضّ الحَصَى شوْقاً لمن سَبَّح الحَصَى ... لـديـه وحيَّـا بـالسَّلام بعيرُهـا[1]
إلى خير مبعـوث إلى خير أُمَّـة ... إلى خَيْرِ مَعْبُـود دَعَـاهـا بشيرُهـا
ومَنْ بَشَّرَ اللهُ الأنـامَ بـأنَّـهُ ... مبشّرهـا عن إذنـه ونـذيرهـا
ومن أُخْمِدَتْ مع وضعه نـار فـارس ... وزُلْـزلَ منهـا عَرْشُهـا وسَريرُهَـا
ومن نَطَقَتْ تـوراة مـوسى بفضلـه ... وجـاء بـه إنجيلُهـا وزَبُـورُهـا
محمّـدُ خَيْرُ الْمُرْسَلِيْنَ بـأسرهِمْ ... وأوّلهـا في المجـد وهـو أخيرُهَـا[2]
فيـا آيـة الله التي مُـذ تَبَلَّجَتْ ... على خَلْقِـه أخفى الظَّلال ظهـورُهـا
عَليـكَ سَـلامُ الله يـا خَيْرَ مُرْسَـلٍ ... إلى أُمَّـةٍ لـولاه دام غُرُوْرُهـا
عليـك سلامُ الله يـا خيرَ شـافـعٍ ... إذا النَّـارُ ضمَّ الكافرين حَصيْرُهـا
عليـك سَـلامُ الله يـا مَنْ تَعَبَّـدَت ... لَـهُ الجِنُّ وانقـادَتْ إليـه أُمُـوْرُهـا
تَشَرَّفَتِ الأقـدامُ لَّـا تتـابعَتْ ... إليـك خُطـاهـا واستمرَّ مريرهـا[3]
وفـاخَرت الأفـواه نُـوْرَ عيـوننـا ... بتربـك لَّـا قبَّلَتـه ثُغُـورُهـا
فضـائـل رامَتْهـا الرؤوسُ فقصَّرَتْ ... ألم تر للتقصير جُـزَّت شعـورهـا[4]
ولـو وفتِ الـوُفَّـادُ قَـدْرَكَ حَقَّـه ... لكانَ على الأحداق منهـا مسيرُهـا
لأنـك سرُّ الله والآيـةُ التي ... تجلَّت فجلّى ظُلْمَـةَ الشِّرْك نـورُهـا
مـدينـة عِلْم وابنُ عمّـك بـابهـا ... فمِن غير ذاك البـاب لم يُؤْتَ سوْرَهَـا
شموسٌ لكم في الغَرْب مُـدَّتْ شموسُهـا ... بُدورٌ لكم في الشرق حُفَّتْ بـدورُهـا[5]

---

(١) الرض : الدق والجرش .
(٢) في الأصول الأخرى : « في الفضل » .
(٣) في الأصل : « تشرفت الأقلام » ، تحريف .
(٤) في البيت حسن التعليل لتقصير الشعر عند التحلل من الإحرام في الحج .
(٥) في الأصل : « في الغرب حفت » ، سهو ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى . وفي الديوان : « شقت بدورها » .

جبالٌ إذا ما الهَضْبُ دُكّت جبالُهَا ... بحور إذا ما الأرض غارت بحورُها[١]
فيـــــا آل خير الآل والعترةُ التي ... محبتهـا نُعْمَى قليـل شكـورُهَـا[٢]
إذا جُوْلِسْتُ للبـذل ذلَّ نضـارُهـا ... وإن سُوجلت في الفضل عزّ نظيرُهـا
وصحْبُـكَ خيرُ الصَّحب والْغُرَرُ التي ... بهم أَمِنَتْ مِنْ كلّ أرض ثغـورُهَـا[٣]
كُمَـاةٌ حُمَـاةٌ في القِراع وفي القِرَى ... إذا شـطّ قـاريها وطـاشَ وقورُهـا[٤]
أيَـا صـادقَ الـوَعْـدِ الأمين وعـدتَني ... ببُشْرَى فـلاأخشى وأنتَ بشيرُهَـــا
بعثتُ الأمـاني عـاطـلات لتبتغي ... نداك فجاءت حـاليـات نُحُورُهـا [٥]
وأرسلْتُ آمـالاً خِماصـاً بُطُـونهـا ... إليـك فعـادت مثقلاتٌ ظهـورُهَـا
إليـك رسـولَ الله أشكـو جرائمـاً ... يـوازي الجبـالَ الراسيـاتِ صغيرُهـا
كبـائر لـو تُبْلَى الجبـال بحملهـا ... لـدُكَّت ونـادى بـالثُّبـور ثبيرُهـا
وغـــالِبُ ظنِّي بـل يقينيَ أنَّهـــا ... سَتُمْحَى وإنْ جَلَّتْ وأنتَ سفيرُهـــا
لأنّي رأيت العُرْبَ تَخْفَر بـالعصـا ... وتحمي إذا مـاأمّهـا مستجيرهـا [٦]
فكيف بَمَنْ في كفّـــه أورق العصـــا ... يُضـام بنو الآمـال وهـو خفيرهـا [٧]
وبين يَـدَيْ نجْـوَاي قـدَّمت مـدْحـةً ... قضى خاطري أنْ لا يضيع خطيرُهَـا[٨]
يُرَوِّي غَليـل السـامعين قطـارُهَـا ... ويجلو عيـون النـاظرين قطـورُهَـا
وأحسنُ شيءٍ أنني قـد جَلَـوْتُهـــا ... عليـك وأملاكُ السَّماء حضـورُهـا
تـرومُ بهـا نَفْسِي الجـزاء فكن لهـا ... مُجيزاً بـــأنْ تُمْسِي وأنت مجيرُهـــا

(١) في الوافي : « عادت » ، تحريف .
(٢) في الوافي والديوان : « فآلك خير » .
(٣) في الديوان : « بها » .
(٤) في الوافي : « قاربها » .
(٥) في الوافي : « باطلات » .
(٦) أسقط الناسخ عجز هذا البيت وصدر البيت الذي يليه ، ولفّق بينهما .
(٧) في الديوان : « تضام بي » .
(٨) في الوافي : « يخيب خطيرها » ، وفي الديوان : « نجيب » .

فـلابن زهير قـــد أجـــزْت ببردةٍ عليـك فـأثرى من ذويـه فقيرُهَـا[١]
أجِرْني أجـزْني واجـزني أجْر مِـدْحتي بَبُرْدٍ إذا مـا النـارُ شَبَّ سَعِيْرُهـا[٢]
وقـابِلْ ثنـاهـا بـالقبـول فـإنَّهـا عَرائسٌ فكرٍ والقَبُـولُ مُهُـوْرُهَـا
فـإنْ زانهـا تطـويلهـا واطّرادُهـا فقـد شـانهـا تَقْصيرهـا وقصـورُهـا
إذا مـا القَـوَافي لم تُحِـطْ بصِفـاتكُمُ فسيَّـان منهـا جَمُّهَـا ويسيْرُهَـا
بمـدحـك تمت حِجَّتي وهي حُجَّتي على عُصْبَـةٍ يَطغى عليَّ فجـورُهَـا[٣]
أقُصُّ بشِعْريْ إثْرَ فضلـك واصفـاً عُلاك إذا مـا النـاسُ قَصَّتْ شُعُوْرَهَـا
وأَسْهَرُ في نظمِ القـوافي ولم أَقُـلْ (خليليَّ هـل من رَقْـدَة أستعيرُهـا)

٩٨٧ ـ عبد العزيز بن عبد الجليل*

الشيخ الإمام الفقيه عز الدين النمراوي الشافعي .

كان من فقهاء القاهرة المشهورين . أفتى ودَرَّسَ وصحب الأمير سيف الدين سَلاّر مُدَّةً ، وترقى بسببه .

توفي رحمه الله تعالى في تاسع ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة .

٩٨٨ ـ عبد العزيز بن عبد الغني**

ابن [أبي][٤] الأفراح سرور بن أبي الرجـاء ، سـلامـة بن [أبي][٥] بن اليُمن

(١) في البيت إشارة إلى البردة التي ألبسها النبي ﷺ كعب بن زهير عندما أعلن إسلامه .
(٢) في الأصل : « الناس شب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٣) في الأصل و (ق) و (س) : « وهو » ، وأثبتنا ما في الوافي والديوان .
* الدرر : ٣٧١/٢ ، والشذرات : ٢٦/٦ ، والسلوك ، ٩٤/١/٢ .
** الوافي : ٥٢٦/١٨ ، والدرر : ٣٧٣/٢ ، وعقد الجمان : ٧٣١/٤ ، وفيات (٧٠٣ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢٥٨/١ .
(٤) زيادة من الأصول ومصادر ترجمته .
(٥) زيادة من الأصول ومصادر ترجمته .

بركات بن أبي الحمد داود ، ويتصل بالحسن الْمُثَنَّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . الينبعي المحتد ، الإسكندراني المولد .

أخبرني العلامة أبو حيان قال : أنشدنا لنفسه بجامع عمرو بن العاص ، ثاني عشر شهر رجب ، ثمانين وست مئة :

وَجَدْتُ بقائي عندَ فَقْدِ وُجُودِيْ ... فلم يَبْقَ حَدٌّ جامعٌ لِحُدُوْدِيْ
وأَلْفَيْتُ سِرِّيْ عن ضميري ملوّحاً ... برمز إشاراتي وفَكِّ قيودِيْ
فأصبحت مني دانياً بمعارفٍ ... وقد كنت عني نائباً لِجُمُوْدِيْ
ومن عين ذاك الأمر حُكْمٌ مبينٌ ... لتحقيق ميراثي وحِفْظ عهودِيْ
فمن مبتدا فرقي قنوتي ووجهتي ... إلى منتهى جمعي يكون سجودِيْ[1]
وعاكفُ ذاتي مطلق غير مطرِق ... وبادي صفاتي قد وفا بعقودي[2]
وإن أَمَرَتْني نَشْأتي غير نسبتي ... فصالح آبائي نذير ثَمودِيْ
سألقي عَصَاي في رحاب تجرّدي ... لتأتي من نحو القَبُول وفودي
وأُخْلِدُ بلعَامي إلى أَرض طَبَعْه ... لترفعني الآيات حال صعودي[4]
إذا وردت من ماءِ مَدين نشوتي ... لِطَيْفَةِ أسراري بطيب ورودِيْ
فأنزلُ مني منزلاً بعدَ منزلٍ ... وتنزلُ شَمْسي في بروجِ سعودِيْ
فلا منهجٌ إلاّ ولي فيه مَسْلَكٌ ... ولا مَوْطنٌ إلا وفيه شعودي[4]

قال العلامة أبو حيان : قال شيخنا الرضي الشاطبيّ : هذا يُعرف بالشيخ عبد العزيز المنوفي ، وهو من أتباع ابن العربي ، صاحب عنقاء مغرب .

---

(١) في الأصل : « مبدا فوقي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٢) في الأصل : « وهو مطرق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٣) في الوافي : « إلى أرض طيّعة » ،
(٤) في (س) والوافي : « إلا ومنه » .

قال الشيخ أثير الدين : وهو شيخُ عبد الغفار بن نوح القوصي[١] .

قلت : توفي هذا الشيخ ، أبو فارس المنوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده سنة سبعٍ وست مئة .

٩٨٩ ـ عبد العزيز بن عبد القادر*

ابن أبي الكرم بن أبي الذَّر الربعي البغدادي ، الشيخ نجم الدين ، أحد أشياخي الذين سمعتُ عليهم بالقاهرة .

أجاز لي بخطه سنة [ثمان و][٢] عشرين وسبع مئة ، وسمعتُ عليه (المقامات الجزرية) التي لابن الصَّيْقَل[٣] ، كان يرويها عن المصنف ، قرأها عليه الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن العسجدي[٤] بالمدرسة القراسُنقريّة بالقاهرة في السنة المذكورة ونحن نسمع . وله رسالة في الرد على الشيخ تقي الدين بن تيميَّة في إنكاره صحة الكيمياء ، وله مصنفاتٌ منها [كتاب][٥] (نتائج الشيب من مدح وعيب) وهو كبير ، ملكتُه بخطه .

وكان شيخاً قد أنْقى واستمسك من الزهد بالعُرْوة الوثقى ، صوفيّاً قد تجرد ، وانفرد عن الوظائف ومَنْ فيها تمرَّد ، طويلاً مهيبا ، دانياً من القلوب قريبا .

---

(١) عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد بن نوح ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٥٢٧/١٨ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤٦/١ ، والدرر : ٣٧٥/٢ .

(٢) زيادا من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) وتعرف بالمقامات الزينيّة ، أنشأها شمس الدين أبو الندي ، معد بن أبي الفتح نصر الله بن رجب المعروف بابن الصيقل الجزري (ت٧٠١ هـ) ، وهي خمسون مقامة كالحريري . الكشف : ١٨٧٥/٢ .

(٤) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم العسجدي (ت٧٥٨ هـ) ، والدرر : ٢٦٩/١ ، والشذرات : ١٨٤/٦ ، والذيل التام : ١٥٨ .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

لم يزل على حاله إلى أن ذُرّ على ابن أبي الذَرّ ترابُه ، وفارقه لِدَاتُه وأترابهُ .

وتوفّي رحمه الله تعالى ..[١] .

[ومولده][٢] ببغداد سنة اثنتين وستين وست مئة .

٩٩٠ ـ عبد العزيز بن أبي القاسم*

ابن عثمان ، الشيخ عزّ الدين أبو محمد البابَصْري البغدادي الحنبلي الصوفي الأديب ، من أعيان الشميساطية .

سمع (مشيخة) الباقرْحِي[٣] على ابن الأجَلّ ، وسمع بدمشق من أصحاب ابن طَبَرْزَد .

وكان بالفقه بصيرا ، وعلى الأدب لمن عاناه نصيرا ، وله حظّ من معرفة أيام الناس ، وتراجم الأطهار والأدناس ، وعلى ذهنه من الشِّعر جمله ، وعلى ظهر قلبه من روايته حَمْلَه .

ولم يزل على حاله إلى أن شخص بصر البَابَصْري وبرق ، وغصّ بها الحلقوم وشَرَق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وخمس مئة[٤] .

وسمع منه ابن البِرْزالي ، وابن الصَّيْرفي ، وضعفُ بصره أخيراً . وله شعرٌ منه قوله : ...

---

(١) كذا بياض في الأصول والوافي . ووفاته كما في المصادر الأخرى (٧٤٨ هـ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

* الوافي : ٥٣٨/١٨ ، وعقد الجمان : ٣٧٧/٣ ، وفيات (٦٩٦ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢٠٨/١ .

(٣) هو الحسن بن محمد بن إسحاق (ت٥١٦ هـ) ، السير : ٣٨٤/١٩ .

(٤) وكذا وقع في الوافي ، وخطّأه المحقق بلا سند ، وجعل ولادته سنة (٦٣٤ هـ) . بينما ذكر صاحبا التذكرة ، وعقد الجمان أن ولادته سنة (٦٢٤ هـ) .

٩٩١ ـ عبد العزيز بن محمد*

ابن عبد الله بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير ، الصدر عزّ الدين بن القيسراني ، كاتب الإنشاء بالقاهرة .

سمع من الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد ، ومن الشريف موسى[١] وغيرهما .

ودَرَّسَ بالفخرية وغيرها[٢] على مذهب الشافعي .

وكان من بيت رياسه ، وجماعة وصدارة ونفاسه ، بزّتُه جميله ، ومنظره آنقُ من خميله ، وكفّه يسحُّ بالنوال ولا يشحّ عن السؤال ، ولُطْفُه كالنسيم ، وظُرفه كطلعة الصبح البسيم .

ولم يزل على حاله إلى أن ذَوَى رطيبا ، وركب أعواد النعش ولم يكُ خطيبا .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة تسعٍ وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ولم يكمل الأربعين .

وكتب عنه شيخنا البرزالي وجماعة من المصريين . وله نظم ونثر ، ومن نظمه ماقاله في قاضي القضاة بدر الدين بن[٣] جماعة وقد خطب بمصر :

تضوَّعَ نشرُ المِسْكِ من لفظِكَ العَذْبِ ... وأظهرْتَ من نَهْجِ البلاغة مَا يُصْبِيْ[٤]
وشَنَّفَتَ أسماع الأَنَـــامِ بِخُطْبَـــةٍ ... نَفَخَتْ بها الأرواحَ في ميِّتِ القَلْبِ[٥]

---

* الدرر : ٣٨٢/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨١/٢ .

(١) موسى بن علي بن أبي طالب ، ستأتي ترجمته .

(٢) ليست في (ق) ، (س) . والمدرسة الفخرية بالقاهرة ، أنشأها الأمير فخر الدين عثمان بن قزل (ت٦٢٩ هـ) .

(٣) في (ق) ، (س) : « محمد بن » .

(٤) في الأصل : « لفظ البلاغة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « وشنّف » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وقـد عَجِبَ الراؤون مِنْ عَـود مِنْبَرٍ تُـلاَمِسُـهُ إذا لم يكن مُنْبِتَ العُشْبِ
ولكنّـــهُ مِنْ حينِ لامَسَتْ عُـودَهُ تعرَّفَ حتى صـار من مَنْـدَلٍ رَطْبِ

ومنه :

مَنْ طَلَبَ الأرزاقَ مِنَ عنـــد مَنْ يُطعمُـــــهُ اللهُ ويَسْقِيْـــــهِ
يَكـونُ قـد ضَـلَّ سبيـلَ الهُـدى وحَـــادَ عنْ نَيْـلِ أمَـــانِيْـــهِ
لأنَّ مَنْ يَعْجَـــزُ عن نفسِـــهِ يعجَـــزُ عن إرزاق راجِيْـــهِ [1]

٩٩٢ ـ عبد العزيز بن محمّد بن عبد الحق*

ابن شعبـان بن علي ، عز الـدين أبـو محمـد الشَّيَّـاح ـ بـالشين المعجمـة والياء آخر الحروف وألف بعدها حاء مُهْمَلة ـ الأنصاري الدمشقي .

روى عن ابن عبد الدائم ، وسمع من عبد الله الخشوعي .

كان رجلاً حسنا ، لوذعياً فطنا . تعانى الخدْم والتجاره ، وكتب في الديوان طلباً للمعيشة وحُسْن الشاره . وتولّى على عمارة الجامع السيفي بظاهر دمشق ، ولّما فرغ وليَ إشرافه ، واجتنى قطوفه وحاذر غَيْبَته عنه وانصرافه . ثم إنه تَوَجَّهَ للقدس وعـاد فبـاشر مُشَارفة يبرود ، وأقام بها إلى أن نشرت له من الموت مطويات البُرُود .

وتوفي رحمه الله تعـالى في سـابع عشر[2] شهر ربيع الآخر سنـة أربع وعشرين وسبع مئة ، وحمل على الأعناق إلى تربة والده بسفح قاسيون .

---

(١) الأبيات في تذكرة النبيه .

* اسمه في الدرر : « عبد العزيز بن عبد الحقّ بن شعبان » ، الدرر : ٣٧٢/٢ .

(٢) في (س) : « عشرين » .

٩٩٣ ـ عبد العزيز بن محمد بن أحمد*

ابن هبة الله بن جرادة ، قاضي القضاة ، عز الدين أبو البركات بن الصَّدر محيي الدين الحنفي ، ابن العديم قاضي القضاة بحماة .

كان شيخاً فاضلاً في عدة فنون . وَلِيَ قضاء حماة مُدّةً تقارب الأربعين سنةً . وكان مدرّساً بعدة مدارس ، وروى الحديث عن يوسف بن خليل الحافظ ، وسمع من أخويه[١] : يونس وإبراهيم ، ومن الضياء صَقَر ، وهديّة بنت المغربي ، وغيرهم .

وكان له اعتناء بـ (الكشّاف) و (مفتاح السكّاكي) وغير ذلك .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودفن بتربتهم بعقبة تقيرين .

ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

٩٩٤ ـ عبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي**

ضياء الدين ، مدرس النجيبيَّة[٢] ومعيد الباذرائية والناصِريَّة .

كان بصيراً بالفقه وأصوله ، خبيراً بمنتخبه ومحصوله . أفاد وأفتى ، وتميَّز بمحاسن شتى ، وصيف[٣] في العلم وطَلَبه وشَتَّى ، وصنّف التصانيف البديعة حتّى ، ووضع شرحاً (للحاوي) وأعان به الطلبة على الفتاوي . وشرح (المختصر) لابن الحاجب ، وأتى فيه بكل مهمٍّ واجب .

---

* الدرر : ٣٨٢/٢ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وتذكرة النبيه : ٤١/٢ ، وإعلام النبلاء : ٤٩٩/٤ .

(١) أي : أخوي يوسف .

** الدارس : ٣٥٩/١ ، والشذرات : ١٤/٦ ، وعقد الجمان : ٤٣٧/٤ ، وفيات (٧٠٦ هـ) ، والبداية والنهاية : ٤٣/١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٥/٨ .

(٢) المدرسة النجيبية بدمشق لصق للمدرسة النورية ، أنشأها النجيبي جمال الدين آقوش (الدارس) .

(٣) في الأصل : « وصنّف » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

ولم يـزل على حـالـه إلى أن خرج من الحَّمام ، فـدخـل في الحِمَـام ، ورثـاه حتى سَاجِعَاتُ الحمام .

وتوفي رحمه الله تعالى في سـابع عشر[١] جمـادى الأولى سنـة ستّ وسبع مئـة ، خرجَ من الحمّام ومات ، رحمه الله تعالى .

٩٩٥ ـ عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق*

ابن خلف بن عبد الحق ، الفقيه الإمام العَدْل عزّ الدّين الدّمشقي الشّافعي .

كان فاضلاً ، عنده فِقْه وحديث ، وله معرفة بـالشّروط وكان من أعيـان الشّهود ، ودرّس بالمدرسة الأسديّة ظاهر دمشق .

قال شيخنا علم الدّين البرزالي : روى لنا عن ابن الزّبيدي ، وابن صَبَّاح ، والفخر الإربلي ، وجعفر الْهَمْـداني ، وغيرهم . ولـه إجـازة من ابن القطّيعي ، وابن رُوزبـة ، وجماعة من بغداد .

وتـوّفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في الحـادي والعشرين من جمـادى الآخرة سنـة تسع وتسعين وستّ مئة .

ومولده في تاسع عشر شعبان سنة خمس وعشرين وستّ مئة .

٩٩٦ ـ عبد العزيز بن منصور**

الصّدر عزّ الدّين الكُولمي التّاجر .

---

(١) في النجوم والبداية : « تاسع عشرين » .

* النجوم الزاهرة : ١٩٣/٨ .

** الوافي : ٥٦٣/١٨ ، وذيل العبر : ٧٥ ، والدرر : ٣٧٣/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٩/٩ ، وفيه وفـاتـه سنـة (٧١٥ هـ) ، والسلوك : ١٣٢/١/٢ .

كان لـه أموال كالأمواه ، أو الكلمـات الّتي تخرج أفواجهـا من الأفواه ، لا يضبطهـا حساب ، ولا يُحصّل نظيرَها اكتساب ، فاتت العدّ ، وتعدّت الحدّ[١] .

٩٩٧ ـ عبد العزيز بن يحيى بن محمد*

القاضي الرّئيس عماد الدين أبو محمد ابن قاضي القضاة محيي الدين بن الزّكي القرشي الدّمشقي الشّافعي مدرّس العزيّة والتّقويّة .

وكان أحد من ولي نظر الجامع الأموي غَيْرَ مرّه ، ونوّل أهله ومن له به علاقـة كُلَّ مَسَرّه ، وكان شكله مليحا ، ونُطقه في المقـاصـد السّعيـدة فصيحـا ، فيـه حِشْمـه ، ولـه همَّه ، وعنده صداره ، وللرّياسة عليه إحاطة وإداره . وكان قد عُيّن للقضاء ، وقـابلـه النّاس بالارتضاء .

ولم يزل على حاله إلى أن حانت وفاته ، ولانت للموت صفاته .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

[ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة][٢] .

وقرأ عليه شيخنا البرزالي (مشيخـة) أبي مُسْهِر[٣] بروايتـه حضوراً عن إبراهيم بن خليل .

٩٩٨ ـ عبد العزيز**

المغنّي المعروف بالفصيح .

---

(١) قال في الوافي : « توفي سنة ثلاث عشرة وسبع مئة » .

* الـوافي : ٥٦٥/١٨ ، والشـذرات : ٤٠٥/٥ ، والـدارس : ١٦٧/١ ، وعقـد الجمـان : ٣١/٤ ، وفيـات (٦٩٩ هـ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) عبد الأعلى بن مسهر (ت ٢١٨ هـ) ، السير : ٢٢٨/١٠ ، وقد سلفت الإشارة إليه .

** الدرر : ٣٨٤/٢ .

كان مشهوراً بالإجادة في صناعته ، وأظنّه دخل اليمن ـ رحمه الله .

وتوفّي بالقاهرة في جُمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

وفيه يقول علاء الدين الوادعي ـ ومن خطّه نقلت ـ :

قُـل للّـذي عَشِـقَ الفصيـحَ وعنـدَهُ ... أنّ العيـونَ إليـه لم تتيقّـظِ
يـا مَنْ تحفّـظ في هـواه عَن الـورى ... ليس (الفَصيحُ) (كفايَةَ الْمُتحفّـظِ)[1]

ونقلتُ منه له :

عُـذَّلي في هـوى الفصيـح دعـوني ... واسمعـوا العُـذْرَ واضحـاً مَشْرُوحـا
خِفْتُ لحنـاً في شَرْحِ مُجمـلِ حُبّي ... فلهـذا قـد حَفِظْتُ الفصيحـا[2]

ونقلت منه له :

لَحْنُ هـذا الفَصيـحِ أَحْسَنُ من إعْـ ... ـرابِ ذاك الفَصيحِ في كُـلِّ حـالِ
بين هـذين في الفصـاحـة بَـوْنٌ ... ذاك مِنْ ثَعْلَبٍ وذا مِنْ غَـزالِ

ونقلت منه له :

ولَيْلَـةٍ مـا لهـا نظيرٌ ... في الطّيبِ لـو سـاعفت بِطـولِ[3]
كم نَـوْبـةٍ للفصيـح فيهـا ... أَطْرَبَ من نَـوْبَـةِ الخليـل

٩٩٩ ـ عبد العظيم بن عبد المؤمن*

الشّيخ زكيّ الدّين بن الشّيخ شرف الدّين الدّمياطي .

(١) في (ق) ، (س) : « من الورى » . والشاعر هنا يورّي بكتابي الفصيح لثعلب ، وهو مشهور ، وكفاية المتحفظ في اللغة لعبد الله بن محمد بن أحمد الخوئي (ت ٦٩٣ هـ) . الكشف : ١٥٠٠/٢ .

(٢) يورّي بالمجمل ، وهو معجم في ألفاظ اللغة لابن فارس .

(٣) في الأصل : « ساعدت » ، تحريف م وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ١٧/١٩ .

[مات كهلاً سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وكان شيخ الظاهريّة بالقاهرة][1] .

١٠٠١ ـ عبد الغالب بن محمد*

ابن عبد القاهر بن محمّد بن ثابت بن عبد الغالب الماكُسِيني .

سمع من إسماعيل بن أبي اليُسْر ، وأبي بكر محمّد بن علي النُّشّبي ، وإبراهيم بن إسماعيل بن الدَّرجي[2] ، وغيرهم .

أجاز لي بخطّه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة[3] .

١٠٠٢ ـ عبد الغفّار بن محمد**

ابن عبد الكافي بن عوض السّعدي المصري القاضي المفتي الْمُتْقِن المجيد تاج الدين الشّافعي .

روى عن إسماعيل بن عزّون ، والنّجيب ، وابن علاّق ، وعدّة ، وجمع وصنّف وقَطَع ورصّف ، ونسخ الكثير وجَوّد ، وأفاد الطّلبة وعوّد ، وعمل (المعجم) و (التّساعيات) ، وخرّج الْمُسَلْسَلات ، وكان موصوفاً بالفقه والإتقان والدّين والإيقان .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح عبد الغفّار عند الحفّار ، وتحدّث بأخباره السُّفّار .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في مستهلّ شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

---

(١) زيادة من الوافي .

* الوافي : ٢١/١٩ ، وفيات ابن رافع : ٢٦٩/١ ، والدرر : ٣٨٥/٢ .

(٢) (ت ٦٨١ هـ) ، العبر : ٣٣٥/٥ .

(٣) وتوفي سنة (٧٤٩ هـ) .

** الوافي : ٢٦/١٩ ، والبداية والنهاية : ٤٣/١٤ ، والدرر : ٣٨٦/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، والدارس : ٦٧/٢ ، وذيول العبر : ١٧١ .

ومولده سنة خمسين وستّ مئة .

وكان شيخَ الحديث بالمدرسة الصّاحبيّة بمصر[١] ، وأخذ عنه تقي الدين بن رافع ، وشهاب الدّين أحمد بن أيبك الدّمياطي ، والواني ، وابنه ، والسّروجي[٢] . وأجاز لي بخطّه سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة .

ذُكر في شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة أنّه كتب بخطّه ما يزيد [على][٣] خمس مئة مجلّد ما بين فقه وحديث وغير ذلك .

وقرأ العربيّة على أمين الدّين المحلّي[٤] ، وسمع منه ، ومن ابن عزّون ، وابن علاّق ، والنّجيب عبد اللطيف ، وأخيه ، والمعين بن القاضي الدّمشقي[٥] ، ومحمّد بن مهلهل الْجُنبي[٦] وعبد الهادي القيسي[٧] والشّيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي ، وأبي حامد بن الصّابوني ، وابن خَطيب المزّة ، وغازي الحلاوي[٨] ، ومحمّد بن إبراهيم الكلي الطّبيب ، وابن الخيمي الشّاعر ، والحافظ اليغموري ، والفضل بن رواحة ، وسمع بالإسكندرية من عثمان بن عوف[٩] آخر أصحاب ابن موقا وابن الدّهّان وابن الفرات وجماعة من أصحاب ابن البنّا وابن عماد ، وخرّج لنفسه (معجماً) في

---

(١) هي مدرسة الصاحب بهاء الدين بن حنا ، الوزير المصري المشهور ، تقع في زقاق القناديل قرب جامع عمرو بن العاص ، النجوم : ١٧/٥ ، ح ٢ ، و٢٤١/٧ ، ح ٣ .

(٢) في الأصل : « وابن السروجي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) محمد بن علي بن موسى (ت ٦٧٣ هـ) ، الوافي : ١٨٧/٤ .

(٥) هو المعين القرشي إبراهيم بن عمر (ت ٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٣/٥ .

(٦) في الأصل : « الحثني » ، تصحيف وهو محمد بن مهلهل بن بدران الأنصاري (ت ٦٧٤ هـ) ، العبر : ٣٠٢/٥ .

(٧) عبد الهادي بن عبد الكريم بن علي (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٥/٥ .

(٨) غازي الحلاوي أبو محمد بن الفضل بن عبد الوهاب الدمشقي ، توفي سنة (٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٦٩/٥ .

(٩) عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن (ت ٦٧٤ هـ) ، العبر : ٣٠٣/٥ .

ثلاث مجلّدات ، وأجازه من دمشق ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وجماعة من أصحاب الخشّوعي وغيرهم .

وحدّث بالكثير ، واعتنى بهذا الشّأن ، وكان ذاكراً لشيوخه وسماعه ، حسنَ الخطّ ، جيّد الضّبط ، عارفاً بهذا الشّأن وناب في الحكم بمصر عن القاضي تقي الدين الحنبلي .

١٠٠٣ ـ عبد الغفّار بن أحمد*

ابن عبد المجيد بن عبد الحميد ، الذِرْوَيّ[١] المحتد ، الأَقْصُري المولد ، القوصي الدّار ، المعروف بابن نوح .

صحب [الشيخ][٢] أبا العبّاس أحمد الْمُلَثّم ، والشيخ عبد العزيز المنوفي ، وقد تقدّم ذكره آنفاً ، وتجرّد زمانا ، وتفرّد بالمشيخة عيانا .

وكانت له قدرة على الكلام ، وفصاحة يشهد بها الأئمة الأعلام ، وله في السّماع حال ، وعنده قَالَ مَنْ جعل له القال ، وبه نزل من رقّقَ شعره في المحبّة والغزل ، وكان ينكر من المنكرات كثيرا ، ويأمرُ بالمعروف فيوقد به سراجاً منيرا ، وله قوة جَنان ، وتصرف عَنان في البيان .

ولم يزل على حاله بالقاهرة ، بعدما جاء إليها من قوص إلى أن قامت النّوائح على ابن نوح ، وفارق جسدَه ما كان قد تعلّق به من الرّوح .

---

* الوافي : ٢٧/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٢٣ ، والدرر : ٣٨٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٠/٨ ، والسلوك : ٥٠/١/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٨٩/١ .

(١) في الوافي : « الدوري » وفي الطالع : « الدروي » . وفي التذكرة كما هاهنا ، والذِرْوي : لعلّه نسبة إلى ذِروة ، بلدة في اليمن . انظر : معجم البلدان ٥/٣ .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) . والشيخ أحمد بن محمد أبو العباس الملثم له أمور مشهورة ، توفي سنة (٦٧٢ هـ) . انظر الطالع السعيد : ١٣١ .

وتوفّي بمصر سنة ثمانٍ وسبع مئة [ومولده ...][١] .

وكان قد تعبّد سنين ، وسمع من الدّمياطي بالقاهرة ، وحدّث عنه بقوص ، وسمع بمكّة من المحبّ الطّبري ، وصنّف كتاباً سمّاه (الوحيد)[٢] ، وله بظاهر قوص ، رباطٌ حَسَن ، وله بقوص أحوال معروفة ، ومقالاتٌ مَوْصوفة ، ويَنْسِب أصحابه إليه كرامات .

كان النّصارى قد أحضروا مرسوماً بفتح الكنائس ، فقام شخص في السَّحر بجامع قوص ، وقرأ ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم ﴾[٣] ، وقال : يا أصحابنا الصّلاةُ في هدم الكنائس ، فلم يأتِ الظّهر إلاّ وقد هُدِمَتْ ثلاث عشرة[٤] كنيسة ، ونُسب ذلك إلى أنّه من جهة الشّيخ [ابن][٥] نوح ، ثمّ إنّ عزّ الدّين الرّشيدي أستاذ دار سَلاَّر حضر إلى قوص ، فتوّجه إليه نصرانيّ يُدعى النّشو ، كان يخدم عندهم[٦] ، وتكلّم في القضيّة ، واجتمع العوامّ ، ورَجَمُوا إلى أن وصل الرّجم إلى حَرّاقة الرّشيدي ، فاتّهمَ الشّيخ بذلك ، ثمّ إنّه بعد أيّام حضر أمير[٧] إلى قوص وأَمْسَك جماعةً من الفقراء ، وضربهم ، وأَخذَ الشّيخ معه إلى القاهرة ، ورُسِمَ له أن يقيم بمصر ، ولا يخرج منها ، فحصل بعد مدّة لطيفة للرّشيدي مَرَض ، وتَهوّسٌ وتلاشَتْ حاله ، واستمّر في أنحسِ حال إلى أن توفّي ، وتوفّي الشّيخ بعده بمدّة في تاريخ وفاته[٨] .

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، وكذا هي بياض في الدرر .

(٢) في (ق) ، (س) والوافي والطالع : « الوحيد في التوحيد » ، وسمّاه صاحب الكشف : ٢٠٠٥/٢ : الوحيد في سلوك أهل التوحيد ذكر أنه صنّفه في ربيع الأول سنة (٧٠٨ هـ) بثغر الإسكندرية . وكذا وقعت تسميته في الدرر .

(٣) محمد : ٧/٤٧ .

(٤) في الأصل و (س) : « ثلاثة عشر » .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) . وفي الطالع : « الشيخ عبد الغفار » .

(٦) في الوافي : « عنده » .

(٧) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٨) انظر الخبر في الطالع السعيد .

ومن شعره[١] :

أنـــــا أُفْتي أَنَّ تَرْكَ الْحُبِّ ذَنْبٌ آثِمٌ في مـــــــذهبي مَنْ لا يحبُّ
ذُقْ على أَمْري مَرارات الهـــــوى فهو عَـذْبٌ وعَـذابُ الحبِّ عَـذْبُ
كلُّ قَلْبٍ ليس فيـــه ســـاكِنٌ صَبْـوَةً عُـذْرِيَّـةٌ مـــا ذاك قلبُ

١٠٠٤ ـ عبد الغفّار*

وقيل : عبد القاهر ، الشّيخ العالم الفقيه نجم الدين المعروف بابن أبي السّفّاح الحلبي ، قاضي القضاة الشافعي بحلب .

توفّي بحلب ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة خمسين وسبع مئة .

وقيل : اسمه عبد القاهر ، وهو الصحيح[٢] .

١٠٠٥ ـ عبد الغني [بن يحيى]**

ابن محمّد بن عبد الله الحرّاني القاضي شرف الدين أبو محمد الحنبلي .

وَلِي نظر الخزانة بالدّيار المصرية مدّة طويلة ، ثمّ أضيف إليه قضاءُ الحنابلة .

كان رئيساً جوادا ، نفيساً لا يدخل الغِلُّ له فؤادا ، فيه لمن يقصده تعصّب ، وقيام

---

(١) في الطالع السعيد : « سمعت من شعره ما كتب به لجعفر المزموم ليلحّن ، فلحّنه وغناه له » . والأبيات في تذكرة النبيه أيضا .

* الدرر : ٣٩٣/٢ ، وأعلام النبلاء : ١٧/٥ ، وتذكرة النبيه : ١٤١/٣ .

(٢) وقع اسمه في الدرر هكذا : « عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف » . وكذلك في أعلام النبلاء ، والتذكرة .

** الوافي : ٣٥/١٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٤ ، والدرر : ٣٨٩/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٧/١ ، والسلوك : ٨٤/١/٢ .

وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ومصادر ترجمته السالفة .

على من يعانده وتوثّب ، اشتهرت رئاسته ، وظهرت للنّاس نفاسته ، وشُكِرت في القضاء أيّامُه ، وحُمِدت فيه[١] أحكامُه .

ودرّس بالصّالحية إلى أن فارق دنياه ، وترك عُلياه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة تسع وسبع مئة .

ومولده بحرّان في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستّ مئة . وروى (جزء ابنِ عَرَفَة) عن شيخ الشّيوخ شرف الدين الأنصاري ، وسمع منه الطلبة ، وتولى قضاء الحنابلة بمصر يوم السّبت سادس عشر شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين وستّ مئة عوضاً عن القاضي بدر الدّين [بن][٢] عوض .

١٠٠٦ ـ عبد الغني بن محمد بن عبد الواحد*

القاضي الفقيه تقي الدّين بن الشيخ شمس الدين المقدسي .

كان مدرّساً بالمنصوريّة بالقاهرة ، وعنده فضيلة ، وهو متعيّن في مذهبه .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ خامس جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالقرافة عند والده .

١٠٠٧ ـ عبد الغني بن منصور**

ابن منصور بن إبراهيم ، جمال الدين أبو عُبَادة الحرّاني المؤذّن .

---

(١) في (س) : « فيها » .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ، والمعروف أنّ لقبه عز الدين ، وهو : عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي (ت ٦٩٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٣٨٨/٢ ، وفيه : « عبد الغني بن محمد بن إبراهيم » .

** الدرر : ٣٨٨/٢ .

روى عن عيسى بن الخيّاط الحرّاني[١] ، وسمع من مجد الدّين بن تيميّة ، وغيرهما .

وكان من أعيان المؤذّنين ، طيّب الصّوت ، فقيهاً فاضلاً مناظراً مشاركاً في العلوم ، وله نظم .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بقرن الحارة[٢] ، وحمل إلى دمشق ، وكانت جنازته حافلة في ثالث ربيع الآخر سنة خمس وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين بحرّان .

وحدّث بَعَرفةَ ومِنى .

١٠٠٨ ـ عبد الغني بن عروة*

ابن عبد الصّمد بن عثمان ، جمال الدين أبو محمد بن الشّيخ الصّالح الرّأس عيني .

سمع بحلب سنة أربع وأربعين وستّ مئة على الشّيخ عزّ الدّين عبد الرّزّاق الرّأس عيني المعروف بالمحدّث[٣] .

وكان جمال الدّين هذا حسن الخلق خفيف الرّوح ، يتردّد إلى الأعيان وغيرهم مِنَ الأفرم ومَنْ دُونَهُ من جميع الطّوائف ، ويحاضرهم ويلاطفهم ويستجديهم ، وكان يَخْرجُ من بيته من بكرة ، ويَدُور على النّاس دَوْرَة ، وما تجيء الثّانية أو الثّالثة حتّى يحصل له العشرون درهماً فما دونها .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم السّبت رابع عشر جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وقد تجاوز الثّمانين ، ودفن بمقابر الشيخ أرسلان .

---

(١) عيسى بن سلامة بن سالم الحراني (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٣ .

(٢) كذا . والحارة من قرى حوران ، نحو ستين كيلا إلى الجنوب من دمشق .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٤ ، والدرر : ٣٨٨/٢ .

(٣) هو عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر ، (ت ٦٦١ هـ) ، العبر : ٢٦٤/٥ .

وكان كثيراً ما يحكي ويتعيّش بوقائعه مع الأمير علم الدّين أرجواش نائب قلعة دمشق ، لأنّه كان به خصيصاً ، لا يكاد يصبر عنه . حضر إلى صفد في وقت ، وكان الأمير علم الدّين سنجر السّاقي مشدّ الدّيوان[١] بصفد ووالي الولاة ، وهو متزوج بابنة أرجواش فتركها في مخدع بحيث تَسْمَع ، وأحضر الشّيخ عبد الغني واستحكاه ، فأخذ يحكي عن أرجواش ، وممّا حكاه أنّه لمّا توفّي الملك المنصور ، قال : يا عبد الغني ، أحضر لي مُقرئين يقرؤون ختمة للسّلطان ، قال : فأحضرت له جماعة ، وجلس أمامهم وإلى جانبه دبّوس ، وأخذ أولئك يقرؤون على العادة ، فقال : دعهم يقرؤون عالياً ، ليسمع السّلطانُ في قبره ، فقلت لهم : ارفعوا أصواتكم بالقراءة ، فَقَفَّزوا[٢] وما فرغوا منها إلى ربع اللّيل ، فقلت : يا خوند فرغوا ، فقال : دعهم ليقرؤوا ختمة أخرى[فقال][٣] ، فقلت لهم : ابدؤوا في أخرى فشرعوا في الثّانية ، وما فرغوا منها إلى نصف اللّيل ، فقلت : يا خوند فرغوا بسعادتك ، فقال : لا ، السّموات ثلاثة ، والأرض ثلاثة ، والبحار ثلاثة ، والمعادن ثلاثة ، كل شيء في الدّنيا ثلاثة ثلاثة ، يقرؤون الأخرى تتمّة ثلاثة ، فقلت لهم : يا مساكين اقرؤوا [أخرى][٤] ، واحمدوا الله واشكروه كونه ما عرف أنّ السّموات سبع والأرض سبع ، فما فرغوا حتّى أشرفوا على الهلاك ، لأنّهم من المغرب إلى بكرة في عياط ، فقلت : يا خوند فرغوا ، فقال : رسّم عليهم إلى بكرة ، فإذا تعالى النّهار ، اكتب عليهم حجّة تحت السّاعات بالله وبالقيامة الشّريفة أن ثواب هذه الختمة لأستاذنا السلطان الملك المنصور ، وهات الحجّة إليَّ واعطهم مئة درهم . فما ملكت ابنة أرجواش نفسها ، بل فتحت الباب ، وخرجت إلى الشّيخ عبد الغني ونَتَفَتْ ذَقْنَه ، وخرّبت عمامته ، فخرج منها ، وهي تُشَيخه وتسبّه ، وأمّا زوجها ؛ فقاسى منها شدّة .

---

(١) في (س) : « الدواوين » .

(٢) كذا ، والظاهر أنهم صاروا يتركون قسماً ويقرؤون آخر للإسراع في إنهاء الختمة .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) زيادة من (ق) ، وفي (س) : « ثلاثة » .

وقال : جئت يوماً إلى باب القصر الأبلق ، فوجدت الملك الكامل ، والصّاحب عزّ الدين بن القلانسي جالِسَيْن فَدَرْوَزْتُهما[١] ، فلم يعطياني شيئاً ، فلطّفْتُ القول ، وزدتُ فما رَشَحالي بشيء ، فقلت : والله لأُغَرِّمَنّكما جُمْلةً كثيرة على هذه العَشْرة دراهم ، وتركتهما ، ومضيت ، وشدَدْت طبق فاكهة ، وحَمّلتُه حَمّالاً ، وغطّيته بفُوطة مليحة ، وجئت إلى باب الصّاحب ، ودققت الباب ، فخرجتِ الجارية ، فَدَفَعْتُ إليها الطّبق ، وقلت لها : قولي لمولانا الصّاحب ، الله يجعلها ساعة مباركة ، وتركتها حتّى مشت خطوتين ، وقلت لها : ياستّي تعالي ، هذا بيته الجديد وإلاّ العتيق[٢] ؟ ، فقالت : ولي[٣] ! إيش يكون بيته الجديد ؟ فقلت : ياستّي هاتي الطّبق ، أنا أحسبه الّذي دخل فيه عروساً ، وأخذتُ الطّبق ومضيت ، فدخلتْ إلى ستّها ، وحكت لها الواقعة ، فما شكّت أنّ الصّاحب تزوّج بغيرها ، فقعدت في حزن شديد ، ولّما حضر الصّاحب ؛ لم تقم إليه ، ولم تأخذ شاشَهُ ، ولا فرجيّتَه على العادة ، فقال : خير مالكم ؟! قالت : روح إلى عروسك الجديدة ، فضحك ، فصمّمت ، وصار كلما ضحك ؛ تُصمّم ، فحلف لها بالطّلاق ، أنّ هذا ماجرى منه شيء ، فزادت في التّصميم ، فاغتاظ[منها][٤] ، وحلف بطلاقها ، وبانت منه [وبقيت][٥] مُدّةً إلى أن ترضّاها وسألها عن الموجب لذلك ، فحكت له الصّورة ، فعلم من أين أُتي ؟ ، وحكى لها الصّورة ، فصدّقته ، فجدّد لها صداقاً ، وزاده ، وبذل لها شيئاً بجُملة ، وغَرِم في هذه الواقعة قريباً من خمسة آلاف درهم .

وأمّا الملك الكامل ؛ فإنّه كان يوماً عند الأفرم يحكي له ، ويتلطّف ، فحضر الملك الكامل ، فشكر الأفرمُ منه ، فقال عبد الغني : والله ياخوند ، ما في دمشق من يحبّ

(١) لم يستبن معناه .
(٢) يريد : أم العتيق .
(٣) عامية ، تقال غالباً إذا حلّت مصيبة .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) .
(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

مولانا ملك الأمراء مثله ، و [لقد][1] بلغ المملوك أنّه من أيّام اشترى خمس مئة غرارة شعير ، ليحملها إلى اصطبل مولانا ملك الأمراء ، فالتفت إليه الأفرم ، وقال : يا ملك ليش تفعل هذا ؟ ، أنا أعْرَفُ بحالك ، والله ما تعود تفعل مثل هذا وأمثاله وأعود أقبل منك ، فقال : يا خوند الكلّ من صدقاتك ، وخرج فما أمكنهُ إلاّ حَمْلُ خمس مئة غرارة شعير إلى اصطبل الأفرم ، وكان الصّاحب عزّ الدّين بعد ذلك والملك الكامل إذا رأيا عبد الغني بادرا[2] بالمكارمة ، وقالا له : اِكْفنا شرّك ، وله من هذا الضّرب ألوان ، وأنواع يضيق عنها هذا المكان ، وهذا القدْرُ كافي .

١٠٠٩ ـ عبد القادر بن عبد العزيز*

ابن السّلطان الملك المعظّم عيسى بن أبي بكر محمّد العادل بن أيّوب هو الملك أسد الدّين أبو محمّد .

سمع من خطيب مَرْدَا (السّيرة النّبويّة) وحدّث بها في مصر ، وروَى عنه عدّة أجزاء ، وله إجازة من محمّد بن عبد الهادي[3] وَالصّدر البكري .

وله همّة وجلاده ، وقدوم على دمشق ووفاده ، مليح الشّكل لمن يراه ، صبيح الوجه ، يشهد بالقدرة لمن يراه ، حسن الأخلاق من الرّياضه ، كثير البِشْر لمن قصد اعتراضه ، شديد البنية والتّركيب ، عتيد القوى في الترغيب والتّرهيب ، قيل : إنّه ما تزوّج ولا تسرّى ، ولا تبرّم من ذلك ولا تبرّى .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أسدّ الدين مفترسا ، ورسب شخصه في القبر ورَسَا .

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) في (ق) ، (س) : « بادراه » .

* الوافي : ٣٧/١٩ ، والدرر : ٣٩٠/٢ ، والشذرات : ١١٥/٦ ، وذيول العبر : ١٩٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٩/١٤ .

(٣) توفي سنة (٦٥٨ هـ) . العبر : ٢٤٩/٥ .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بالكرك سنة اثنتين وأربعين وستّ مئة ، وكانت وفاته بالرّملة ، ونقل إلى القدس .

وأجاز لي بالقاهرة بخطّه سنة ثمانٍ وعشرين[١] وسبع مئة ، واجتمعت به غير مرّة .

١٠١٠ ـ عبد القادر بن محمد*

ابن أبي الكرم عبد الرحمن بن علوي بن الْمُعَلَّى بن علوي بن جعفر القاضي تاج الدّين بن القاضي عزّ الدّين العقيلي البخاري الحنفي .

سمع (الصّحيح) من ابن الزّبيدي ، وسمع من الإمامين جمال الدّين الْحُصَيْري[٢] ، وتقيّ الدين بن الصّلاح[٣] ، وولي قضاء الحنفيّة بحلب ، ونظر الأوقاف والمدرسة العصرونيّة . وعاد إلى دمشق ، وحدّث بها (بالمئة البخاريّة) ، وعاد[٤] إلى حلب .

ولم يزل بها إلى أن حلّت به في حلب الدّاهيه ، وأصبح ذا قوة[٥] واهيه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

ومولده بدمشق سنة ثلاث وعشرين وستّ مئة .

١٠١١ ـ عبد القادر بن محمد بن تميم**

الفَقيه الْمُحدِّث مُحيي الدّين الْمَقْريزي ، بالميم المفتوحة والقاف السّاكنة والرّاء المكسورة وبعدها زاي ، البعلبكي الحنبلي .

(١) في (س) : « وأربعين » ، سهو .

* الوافي : ٤٢/١٩ .

(٢) محمود بن أحمد بن عبد السيد (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٥٣/٢٣ .

(٣) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٤٠/٢٣ .

(٤) في (ق) ، (س) : « ورجع » .

(٥) في الأصل : « قويّة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ٤٢/١٩ ، والدرر : ٣٩١/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذيول العبر : ١٧٢ ، والسلوك : ٣٦٥/٢/٢ ، وفيه : « عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم » .

سمع ببلده من زينب بنت كِنْدي ، وبدمشق من ابن عساكر ، وابن القَوّاس[١] ، وبمصر من البهاء بن القيّم[٢] وسِبط زيادة ، وبحلب والْحَرَمَيْن . ونسخ وحصّل ، وجمع وأصّل ، ومَيَّز[٣] وفصّل ، وتفقّه ودأب ، وجدّ واجتهد في الطّلب ، وصار شيخ دار الحديث للبهاء بن عساكر ، وكان بها يُحاضر ويُذاكر .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل في الجدث ، وأنسى أصحابَه ماقَدُم بما[٤] حدث .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، عن خمس وخمسين سنة [أو نحوها][٥] .

١٠١٢ ـ عبد القادر بن أبي القاسم*

ابن علي الأسنائي ، القاضي ناصر الدين الشّافعي .

كان كاتب الحكم العزيز الشّافعي بالقاهرة .

كان فاضلاً ديناً ، عاقلاً صيّناً ، عفيفاً ورعاً ، خبيراً حفظ عهد القضاء ورعاه ، عمّر المدرسة الشّهابيّة بميدان القمح ظاهر القاهرة ، وعمّر وقوفاً من ماله ، ثمّ إنّه استعاد ذلك من ريع الوقف قليلاً قليلاً . وكان معيد الشّافعيّة بالمدرسة المنصوريّة[٦] ، وشاهِدَ الحواصل بها وبالبيمارستان ، ومعيد المدرسة القطبيّة[٧] ، ونائب[٨] في الحكم خارج باب

(١) عمر بن عبد المنعم ، ابن القواس الطائي الدمشقي . توفي (٦٩٨ هـ). العبر : ٣٨٨/٥ .

(٢) علي بن عيسى بن سليمان (ت ٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « وميّز » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « وما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي . وفي السلوك وفاته سنة (٧٣٣ هـ) .

* الدرر : ٣٩١/٢ .

(٦) مدرسة للشافعية بالقاهرة داخل باب المارستان المنصوري ، بناها الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٤ هـ) ، النجوم : ٣٢٥/٧ .

(٧) مدرسة للشافعية بالقاهرة ، أنشأتها خاتون القطبية (ت ٦٩٣ هـ) ، النجوم : ٥٢/١٠ ، ح ١ .

(٨) في الأصل : « ونائب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

الفتوح عن قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة ، وناب عن الشّيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد في بعض الأعمال ، وكان يَحجّ كلّ سنة ويترك سنة ، وجاور بمكّة مدّة ، وكان يعيد بالسّيفيّة .

وسمع من شهاب[١] بن علي المحسني وغيره .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس عشر شهر رجب الفرد سنة ثلاثين وسبع مئة وقد جاوز السّبعين ، وخلّف مالاً وثروة ، وتصدّق في مرضه بنحوٍ من خمسة عشر ألف درهم ، ودفن بالقرافة الصّغرى .

١٠١٣ ـ عبد القادر بن بركات*

ابن أبي الفضل : الشّيخ محيي الدين الصّوفي المعروف بابن قَريشة أحد الأخوة ، تقدّم ذكر أخيه الشّيخ إبراهيم ، وسيأتي ذكر أخيه الشّيخ تقيّ الدين في حرف الميم .

أسنَّ هذا محيي الدّين وكبر وعجز عن المشي ، وكان يركب حماراً ، وكانت له خصوصيَّة بقاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَى ، وكان من ذلك الطّراز الأوّل ، فبقي في آخر عمره غريباً . إلى أن توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

١٠١٤ ـ عبد القادر بن يوسف**

ابن مظفّر ، الصّدر الجليل العدل المأمون أبو محمّد شمس الدين بن الخطيري[٢] الدّمشقي الكاتب .

---

(١) في الأصل : « سها » ، تحريف ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

* وفيات ابن رافع : ٢٧٧/١ ، والدرر : ٣٧٩/٢ ، وفيه : « ابن أبي البركات » .

** الوافي : ٤٣/١٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٨ ، وفيه : « محمد بن عبد القادر » ، والدرر : ٣٩٣/٢ ، والشذرات ، ٣٨/٦ ، وذيول العبر : ٨٧ ، والسلوك : ١٦٧/١/٢ .

(٢) كذا في الأصول والتالي والإعلام للذهبي ٣٠١ ، والبداية والنهاية : ٧٦/١٤ ، وفي مصادر ترجمته الأخرى : « الحظيري » .

سمع من عبد الوهّاب بن رواج ، وأجاز له أبو القاسم بن الصّفراوي[١] ؛ وعلي بن مختار[٢] ؛ وجماعة .

وسمع منه جماعة : الواني ، والبرزالي ، وابن شيخنا الذّهبي ، ووَلِي نظر الجامع الأموي ونظر الخزانة .

وكان من الكُتّاب العقلاء ، والرّؤساء النّبلاء ، تنقّل في المباشرات ، وقابل بالمكاسرات المكاشرات . وساس دَهْره إلى أن زار قبره .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشري جمادى الأولى سنة ستّ عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمسٍ وثلاثين وستّ مئة[٣] .

١٠١٥ ـ عبد القادر بن أحمد*

الفقيه الجدليّ المناظر محيي الدين حينئذٍ ، كان يكثر في بحوثه من [قول][٤] « حينئذٍ » .

كان أصله من بغداذ ، ومَنْ سَمِعَهُ تحقّق أنّه أستاذ ، مليح السّمت عديم الصَّمت ، له فضائل ، وعنده شُبَه ودَلاَئل .

لم يزل إلى أن سقط عن سلّم فما تنفّس وكان من الحياة في طريق مستقيم حتّى تنكّس .

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع مئة في سنّ الكهولة .

---

(١) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن الصفراوي (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .

(٢) (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٦/٢٣ ، قال الذهبي ثَمّة : « وبالإجازة شمس الدين بن الخطيري » .

(٣) كذا في المصادر ، والظاهر أنّ ولادته قبل ذلك بدليل وفيات شيوخه .

* الوافي : ٤٣/١٩ .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

١٠١٦ ـ عبد القادر بن مهذب*

ابن جَعْفر الأُدْفُوِّي .

قال الفاضل كمال الدّين جعفر الأدفوّي : هو ابن عمّي ، كان ذكياً جواداً متواضعاً ، وصل[١] إلى قوص للاشتغال بالفقه ، وحفظ أكثر (التّنبيه)[٢] ولم ينتج فيه ، وكان إسماعيلي المذهب ، مشتغلاً بكتاب (الدّعائم)[٣] تصنيف النّعمان بن أحمد[٤] ، متفقّهاً ، وكان فيلسوفاً ، يُقْرِئ[٥] الفلسفة ، ويحفظ من كتاب (زجر النّفس) ، وكتاب (أثولوجيا) ، وكتاب (التّفّاحة)[٦] المنسوب لأرسطو كثيراً .

قال : وذكر لي بَعْضُ أَصْحَابنا ، ممّن لا أتّهمه بكذب ، أنّه تعسّر عليه قفل باب ، فذكر أسماءً[٧] وفَتَحه ، وأنّهم قصدوا حضور امرأة ، فهمهم بشفتيه لحظة فحضرت فسألوها عن ذلك ، فقالت : إنّها حصل عندها قلق عظيم ، فلم تقدر على الإقامة . وكان مؤمناً بالنّبي ﷺ ، مُنْزِلاً له مَنْزِلَتَه ، ويعتقد وجوب أركان الإسلام ، غير أنّه يرى أنّها تسقط عمّن حصل له معرفة بربّه بالأدلّة الّتي يعتقدها ، ومع ذلك ، فكان مواظباً على العبادة في الخلوة والجلوة ، والصّيام ، إلاّ أنّه يصوم بما يقتضيه الحساب ، ويرى أنّ القيام بالتكاليف الشّرعيّة يَقتضي زيادة الخير ، وإن حصلت المعرفة ، وكان يفكّر طويلاً ، ويقوم ويرقص ويقول :

* الوافي : ٤٤/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٣٠ ، والدرر : ٣٩٢/٢ .

(١) في الطالع : « رحل » .

(٢) في فروع الشافعية لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) . (ط) .

(٣) هو دعائم الإسلام في معرفة الحلال والحرام والقضايا والأحكام (ط) ، لأبي حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت ٣٦٣ هـ) قاضي القضاة وداعي الدعاة في الدولة الفاطمية . انظر ما كتبه محقق الوافي .

(٤) كذا . وفي الطالع : « محمد » وهو الصحيح .

(٥) في الطالع :« يقرأ » . وهو أشبه بالصواب .

(٦) هذه الكتب نشرها عبد الرحمن بدوي في كتاب (أفلوطين عند العرب) و (الأفلاطونية المحدثة عند العرب) وانظر ما كتبه محقق الوافي . ومحقق الطالع .

(٧) في الوافي والطالع : « اسماً » .

يـا قُطوع مَنْ أَفْنَى عُمْرُو في المحلـول فـاتُوا العـاجل والآجل ذا البُهلول[١]

قـال : فمرض فلم أصل إليـه ، ومـات فلم أُصَلِّ عليـه ، وسـار إلى سـاحـة القبور ، وصار إلى من ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ﴾[٢] .

وأظنّ وفاته في سنة خمس أو ستّ وعشرين وسبع مئة ، قال لي : جَمَـاعـة[٣] سنـة خمسٍ لا غير .

١٠١٧ ـ عبد القاهر بن محمد*

ابن عبـد الـواحـد بن مـوسى[٤] القـاضي الأديب الخطيب الشـافعي جمـال الـدّين أبو بكر البخاري ثمّ التّبريزي .

كان ذا شكالـة وعِمَّـه ، وحركات وهمّـه ، أبيضَ اللّحيـة نقيّهـا ، أحْمَر الـوجنـة وَرْدِيّها ، عليه قبول ، وللنّفس إليه تشوّق وبه ذهول ، مُغْرَى بـالأدب ، موفّر الهمّـة في تحصيله والطّلَب ، يَشْعُر مثلَ الصّبا إذا هبّت ، والقطر إذا نبّت ، وينثر الـدّرّ مِن فِيـه نثراً ، ويكتب الرّقعة كأنّ صُغْرَى وكبرى[٥] ، لم تُخرج تبريز مِثْلَ كَلِمِهِ الإبريز .

تولّى القضاء بسلميّة وعجلون ، وقضاء القضاة بصفد ، وختم ذلك بقضاء دميـاط ، وأقام بها إلى أن جاءه الأمر الّذي لا يدفع بالأعلاط[٦] .

---

(١) في الطالع : « .. عمره .... فاته ... ذا المهبول » .

(٢) غافر ١٩/٤٠ .

(٣) في الأصل : « بجاة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي ، والطالع .

* الوافي : ٥٤/١٩ ، وفوات الوفيات : ٣٦٧/٢ ، والدرر : ٣٩٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ٣٢٠/٢ .

(٤) في التذكرة : « محمد » .

(٥) قطعة من بيت لأبي نواس ، تمامه :

كأنّ صُغرى وكبرى من فـواقعهـا حصبـاء درّ على أرض من الـذّهب

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ١٧٤/٦ .

(٦) كذا ، والأعلاط : النجوم ، ولعلّه يريـد : أنـه لا يقـدر على ردّ الموت ولو دفعـه بـالصعود إلى النجوم ، =

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في جُمادى الآخرة سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده بحرّان سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مئة .

واشتغل ونشأ بدمشق ، وتفقّه للشّافعي ، وجاءنا قاضي القضاة إلى صفد في أيّام قاضي القضاة جمال الدّين الزُّرعي لمّا كان بدمشق ، ولم يزل تلك المدّة ، إلى أن عُزل وتوّلى القضاء جلال[١] الدّين القزويني ، فعزله من صفد ، ثمّ إنّني رأيته بالقاهرة مرّات ، وَوَلِيَ قضاء دمياط مرّات ، وآخر عهدي به في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

قال شيخنا الذّهبي : قال فيما ذاكرني به ، يعني القاضي جمال الدّين التّبريزي ، قال : ماتت أمّي بنت عشرين سنة ، وكان أبي تاجراً ذا مال ، فقدم [بي][٢] إلى دمشق ، وأنا ابن ستّ سنين فمات ، وكفلني عمّي عبد الخالق ، ورجع إلى حرّان ، وباع أملاكنا بثمانين ألفاً ورَدَّ بي ، ثمّ قال لي يوماً : امضِ بنا ، فَمَضَى بنا نحو ميدان الحصا ، وعرّج بي فوثب عليّ وخَنَقني ، فغشيت ، فرماني في حُفْرَةٍ ، وطمّ عليّ المدَرَ والحجارة ، فأبقى كذلك إلى أربعة أيّام ، فمرّ رجل صالح كان برباط الإسكاف عرفته بعد ثلاثين سنة ، فبكّر يتلو ، ومرّ بجسر ابن شوّاش[٣] ثم إلى القطائع ، فَجَلس يبول ، وكنت أحرّك[٤] رجلي فرأى الْمَدَر يتحرّك ، فظنّه حيّة ، فقَلَب حجراً ، فبدت رجلي في خفّ بُلْغَاريّ ، فاستخرجني ، فقمتُ أعدو إلى الماء فشربت من شدة عطشي ، ووجدتُ في خاصرتي فَزْراً من الحجارة ، وفي رأسي فَتْحاً ـ قال الشيخ شمس الدّين : ثمّ أراني القاضي أثر ذلك في كَشْحه ، ووضع أصابعي على جورَة في رأسه تَسَعُ باقلاّة ـ ودخلتُ البلد إلى

= وهو كقول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلّم

(١) في الأصل : « إلى أن عزل قاضي القضاة جلال » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وكذا في الوافي .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « سواس » .

(٤) في الوافي : « أحك » .

إنسان أعرفه ، فمضى بي إلى ابن عمّ لنا ، وهو الصّدر الخجندي ، وكان مختفياً بالصّالحيّة ، وله غلامان ينسجان[١] ويطعمانه ، اختفى لأمورٍ بدت منه أيّام هولاكو ، وكتب معي ورقة إلى نسائه بالبلد ، وكانت بنته ستّ البهاء الّتي تزوّج بها الشّيخ زين الدّين بن المنجّا ، وماتت معه ، هي أختي من الرّضاعة ، فأقمْتُ عندهنّ مدّة لا أخرج ، حتّى بَلَغْتُ ، وحفظت القرآن بمسجد الزّلاّقة ، فمررت[٢] يوماً بالدّيماس ، فإذا بعمّي ، فقال : ها جمال الدّين[٣] ، امشِ بنا إلى البيت ، فما كَلّمته ، وتغيّرت[٤] ومعي رفيقان ، فقالا لي : مابك ، فسَكَتُّ وأسرعت ، ثمّ رأيته مرّة أخرى بالجامع ، فأخذ أموالي ، وذهب إلي اليمن ، وتقدّم عند ملكها ، ووزر ، ومات عن أولاد .

وجوّدتُ الخَتْمَة على الزّواوي[٥] ، وتفقّهتُ على النّجم الموغاني[٦] ، وتردّدتُ إلى الشّيخ تاج الدّين[٧] ، وتفقّهتُ بابن جماعة ، وقرأتُ عليه (مقدمة) ابن الحاجب [وعلى الفزاري][٨] ، ثمّ وُلّيت القضاء من جهة ابن الصّائغ وغيره ، وَنُبْتُ يوماً بجامع دمشق عن ابن جماعة ، فقيل له : إنْ دَاوَمَ هذا راحت الخطابة منك ، يعني لحُسْن أدائه وهيئته .

وجالسْتُه مرّات ، وكان يروي عن الشّيخ مجد الدّين بن الظّهير[٩] قصيدته التي أولها : كلّ حيّ إلى الممات مآبُه[١٠]

(١) في الوافي : « ينسخان » .
(٢) في الأصل : « فمررنا » ، وأثبتنا .
(٣) ليست في (س) والوافي .
(٤) في الأصل : « فما تكلمت ومعي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٥) عبد السلام بن علي بن سيّد الناس (ت ٦٨١ هـ) ، غاية النهاية : ٣٨٦/١ .
(٦) لم نقف على ترجمته .
(٧) السبكي .
(٨) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٩) محمد بن أحمد بن عمر الإربلي الحنفي (ت ٦٧٧ هـ) ، الوافي : ١٢٣/٢ .
(١٠) في الأصل : « ذهابه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، وتمام البيت :
ومدى عمره سريعٌ ذهابه

انتهى ما ذكر الذّهبي .

قلتُ : ولمّا كان بصفد ، قرأت عليه ديوان خُطَبِه سمّاه (تُحْفَة الألبّاء) وأجازني جميع ما يجوزُ لَهُ أَنْ يَرْوِيَه ، وفي هذه الخطب مواضع خارجة عن الصّواب من اللّحن الخفيّ ، فكتبتُ عليها طبقة ، وهي :

قَرَأْتُ هذه الخطبَ المسرودة على حروف المعجم من أوّلها إلى آخرها على مُصَنّفها وكاتبها العبد الفقير إلى الله تعالى [القاضي][(١)] جمال الدّين عبد القاهر بن محمّد التبريزي الحاكم بصفد المحروسة ، لا زالت الطّروس تُوَشّى وتوشّعُ بكلامه وأقلامه ، وتُرَصّفُ وتُرَصّع بحكمه وأحكامه ، ومحاسنُ أيّامه ولياليه تُنْشَا وتُنْشَد ، ودُرَرُ نظمه ونثره تُنْظَم وتُنْضَد ، قراءةَ من غاص اللّجّة من[(٢)] بحر حِبْرها ، وعَلِمَ فيمة الْمُنْتَقَى والْمُنْتَقَد من دراريها ودرّها ، واستشفّ معانيها المجلوّة في حِبْرِ حَبْرها ، وصدّق معجز آياتها ، وما شكّ في خَبَر خُبْرِها ، واستجلى وجوه عُربها وتوجيه إعرابها ، وتحقّق أن القرائح مالها من طاقة على مثلها في بابها ، وتنزّه في حدائقها الّتي ضُربتْ عليها أوراق [الأوراق][(٣)] ، واجتلى أبكارها الغرّ ، فكانت حقيقةً فتنةَ العشّاق ، فَسَرَّحتُ سوامَ الطّرف فيما أرضاه من روضاتها ، ورشفْتُ قَطْر البلاغة ممّا زُهِيَ من زهراتها :

وتَشَنَّفتْ أُذني بلُؤلُؤِ لَفْظِها ... وتنزّهَتْ عيناي في جنّاتها

وتأمَّلَتْ أفهامُنا فتمايلت ... بترشّف الصّهباء من كاساتها[(٤)]

وكأنَّ هَمْزَ سطُورها بطروسها ... وُرْقٌ على الأغصانِ مِنْ أَلِفاتها

وكأنّها وجناتُ غِيدٍ نَقْطُها ... خالٌ على الأصْداغ من جِياتها

لله ما أطرى وأطربَ ما أتى ... في هذهِ الأوراق من سَجعاتها

لا غرو أن عَقَدَتْ لسانَ أُولي النُّهى ... عن مِثلها بالسّحر من كَلِماتها

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في (س) : « في » .

(٣) زيادة من الوافي .

(٤) في الأصل : « أفهامها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

فكتب هو إليَّ :

شرَّفْتَ غَرْسَ الدّين حين قرأت ما ... أَمليْتُ مِنْ خُطَبٍ أَجَدْتُ شِياتها
بفصاحةٍ لو أنَّ قُسّاً حاضرٌ ... لرآك تَسْبِقُهُ إلى غاياتها
يا فخرَ دهرٍ أنتَ من بلغائه ... وعُلا ليالٍ أنتَ من ساداتها
خُطَبي الّتي أنشأتُها ما أنت من ... خطّابها فتجافَ عَنْ عِلاّتها
عَظَّمْتَها وبرّرتها وجَبَرْتَها ... وغَفَرْتَ ما قد كان من زلاّتها
فَلأَنْتَ أكرمُ فاضلٍ لمّا بَدَتْ ... لعَيانِهِ غَطّى على عَوْراتها
فاسْلَمْ ودُمْ ما رنّحت ريح الصَّبَا ... أعطافَ غصن الرّوض في هبّاتها

وأنشدني لنفسه في شبّابة ، وقد وجدتُها فيما بعد في (ديوان جوبان القوّاس) بخطّه :

ونـاطِقَةٍ بأفواهِ ثمانٍ ... تميل بعقل ذي اللُّبِّ العفيف[1]
لكلّ فمٍ لسانٌ مُسْتَعارٌ ... يخالفُ بين تقطيع الحروفِ
تخاطبُنا بلفظٍ لا يَعيه ... سِوى مَنْ كانَ ذا طبع لطيف
فَضيحةُ عاشقٍ ونديمُ راعٍ ... وعِزّةُ موكبٍ ومُدامُ صوفي

فأنشدته أنا لنفسي ملغزاً في الكمنجا :

ما اسمٌ إذا خِفْتُ همّاً ... رأيْتُ لي فيه مَنْجا
يَشْدُو بلحنٍ عجيبٍ ... حُروفُه ما تُهجَّى
كم قد شجاك بصوتٍ ... من الحمائم أشجَى
إن لم يَجِئْ لك طوعاً ... في الحلّ فهو كمن جا

فأعجبه ذلك وزَهْزَهَ وطرب .

(١) في الأصل : « اللطيف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، قال : حضرت صحبة الملك الظّاهر بيبرس حصار قلعة صفد ، فصنَعت هذه الأبيات :

إذا القلعةُ الشّمّاء باتت حَصِينةً ... وبات على أقطارها القومُ رُصِّدا[١]
ترى منجنيقاً يُذْهِبُ العَقْلَ جَسُّه ... يُغادِرُهُمْ بين الأسرّة هُمّدا[٢]
إذا ما أراها السَّهمُ منه ركوعَهُ ... تخرُّ له أعلى الشَّراريفِ سُجَّدا

وأنشدني لنفسه من لفظه كثيراً [من شعره][٣] فمن ذلك قصيدة طويلة أوّلها :

أنتَ الْمُمَنّعُ والْمُحَجّبْ ... إلاّ على من ليس يُحْجَبْ
ومع البعاد فأنت مِنْ ... حبلِ الوريد إليّ أقرَبْ
سرٌّ بسيطٌ ظاهرٌ ... يختال في شبحٍ مُرَكّبْ[٤]

---

(١) في الأصل : « سجّداً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٢) في الوافي : « حسّه » .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٤) جاء في (ق) بعد هذا البيت ما نصّه : « ومن نظمه ، وذكره ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات :

جاءت تهزّ اختيالا ... قدّ القضيب المنعَّمْ
تجرّ إثر خطاها ... أذيال مِرْط مسَّهم
قد أنجد الردف والخصـ ... ـر غار لطفاً وأتهمْ
يا ويح خصر شقيّ ... من جور رِدْفٍ منعّم
وبات بدري بصدري ... حتى إذا الصبح أنجم
ودعته وهو يبكي ... ويمزج الدمع بالدم
في موقف لو ترانا ... لكنت ترثي وترحم

وهذه الأبيات أوردها المؤلف في الوافي ، وقدّم لها بقوله : أنشدني الشيخ أثير الدين أبو حيان ، قال : أنشدني المذكور لنفسه » اهـ .

١٠١٨ ـ عبد القوي بن عبد الكريم*

القرافي الحنبلي الطّوفي ، نجم الدّين الرّافضي .

له مصنف في أصول الفقه ونظم كثير ، وعُزِّرَ بالقاهرة على الرّفض لأنّه قال :

كم بين من شُـــكّ في خـلافتـــه وبَيْنَ مَنْ قِيـــل إنّـــــه الله

وهو الّذي يقول في نفسه :

حنبليٌّ رافضيٌّ ظـــــــاهريٌّ أشعريٌّ هـــذه إحـــدَى الكُبَر

توفّي ببلد الخليل عليه السّلام سنة ستّ عشرة وسبع مئة .

ويقال إنّه تاب أخيراً من الهجاء والرّفض .

١٠١٩ ـ عبد القَوي بن محمد**

ابن جعفر الأسناي ، نجم الدين المعروف بابن مغنّي[١] وبابن أبي جعفر .

قرأ على الشّيخ النّجيب بن مفلح[٢] ، والشّيخ بهاء الدّين بن[٣] هبة الله القفطي ، وناب في الحكم ، ودرّس بالمدرسة العزيّة[٤] بقوص .

وكان طيّب الْخُلق ، ضحوك السّنّ لو نظر [إلى][٥] الأفق ، كثير الرّياضه ،

* الوافي : ٦٢/١٩ ، والدرر : ٣٩٦/٢ ، والشذرات : ٣٩/٦ ، والبغية : ٥٩٩/١ . ووقع في الأصل : « عبد العزيز بن عبد الكريم » سهو .

** الوافي : ٧٠/١٩ ، والطالع : ٣٣٣ .

(١) رسم في الوافي : « مغني » ، وفي الطالع : « معين » ، وما أثبتناه أقرب ، لما سيأتي من شدّة ولعه بالطرب .

(٢) عثمان بن مفلح أبو عمرو النجيب ، توفي سنة (٦٦٨ هـ) . الطالع : ٣٥٨ .

(٣) في الطالع : « بهاء الدين هبة الله القفطي » .

(٤) في الطالع : « الأفرمية » .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

لا يدخل من الغيظ في مخافة ولا مخاضه ، خفيف الرّوح إذا جالس ، ظريف الإشارة إذا خالس ، وكان محبّاً للسّماع ، لا يؤثر عليه شيئاً في الانتفاع ، يكاد إذا سمع شبّابة يطير طربا ، ولا يبلغ من اللّذة أربا ، وكان التزم أنّه لا يبحث مع قاض ، ولا يجيبه عن تقريرات ولا إنْقَاض .

ولم يزل على حاله إلى أن عُقِر سَمْعُه وطُفي من نور الحياة شَمْعه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بأسنا سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مئة .

قال الفاضل كمال الدّين الأُدْفُوّي : بلغني أنّه وصّى أن تخرج جنازته بالدّفوف والشّبّابة ، وتمنع النائحات والباكيات عليه .

١٠٢٠ ـ عبد الكافي بن عثمان*

الشيخ جمال الدّين المعروف بابن بُصاقة الحيسوب [كان][1] كاتباً متصرّفاً ، يعرف صناعة الكتابة الدّيوانيّة ، وهو من قدماء الكتّاب ، وعمّر وضعف .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصّوفيّة ، وصُلّي عليه في جامع الأمير سيف الدّين تنكز .

وكان حسن الأخلاق .

١٠٢١ ـ عبد الكافي بن علي**

ابن تمّام بن يوسف ، الشيخ الإمام القاضي زين الدّين ، أبو محمّد السّبكي الشّافعي ، والد[2] قاضي القضاة شيخ الإمام تقي الدّين السّبكي .

---

* الدرر : ٣٩٦/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

** البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، والدرر : ٣٩٦/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٦٤/٢ .

(٢) في البداية والنهاية : « ووالده » ، تحريف .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في حدود سنة تسع وخمسين وستّ مئة .

هو من أهل سُبْك العبيد من الدّيار المصريّة . تفقّه بالقاهرة على السّديد ، والظّهير ، وقرأ أصول الفقه على الشّيخ شهاب الدّين القرافي ، وناب في القضاء ببعض أعمال القاهرة عن قاضي القضاة تقي الدّين بن دقيق العيد ، وتولّى أخيراً قضاء المحلّة الغربيّة ، وأقام بها إلى حين وفاته .

وسمع من ابن خطيب المزّة وغيره ، وحدّث .

وسمع منه ولده قاضي القضاة تقي الدّين .

وخرّج له أقضى القضاة تقي الدّين أبو الفتح محمّد بن عبد اللّطيف السُّبكي[١] (مشيخة) .

وحدّث بالقاهرة والمحلّة ومكّة والمدينة ، وسمع منه حفيده قاضي القضاة تاج الدّين أبو نصر عبد الوهّاب[٢] (جزء الغطريف)[٣] [وقطعة][٤] من (سنن أبي داود) وشيئاً من نظمه ، وتوفّي بالمحلّة ، ونقلتُ من خطّه [له][٥] :

قطعنا الأخوّة عن معشرٍ ... بهم مَرَضٌ من كتاب الشّفا[٦]

فماتوا على دين رَسطالسِ ... ومُتنا على مِلّة المصطفى

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) ابن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٤٢٥/٢ .

(٣) محمد بن أحمد بن الغطريف العبدي (ت ٣٧٧ هـ) ، السير : ٣٥٤/١٦ ، وفي الكشف ، ٥٨٨/١ : « جزء الغطريف .... من حديث القاضي أبي بكر الطبري » .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والبيتان في التذكرة .

(٦) في (س) : « من معشر » .

اللّقب والنّسب

☆ **جمال الدّين بن عبد الكافي** : اسمه سليمان .

١٠٢٢ ـ عبد الكريم بن حسن*

الشيخ المسلّك العارف كريم الدّين الآمُلي ، بميم بعد الألف الممدودة ، ينتمي إلى سعد الدّين بن حَمُّوية شيخ خانقاه سعيد السّعداء بالقاهرة .

كان إلى الأعيان محبَّبا ، ولم يكن حَظّه منهم مخيَّبا ، له في النّفوس صورة كبيره ، وله أبّهة في الصّدور ، كأنّما أُلبس منها حَبيره[١] ، وعنده شيء يغطّي جراحات باطنه بجبيره ، وفيه [أمور][٢] لا يَدْرِيها ولا يدّريها إلاّ العقول الخبيره ، وهو من كبار القوم الّذين خاضوا تلك الغمرات ، وعظّموا تلك المشاعر ورموا بها تلك[٣] الجمرات ، وقالوا في خلواتهم :

إذا لم يكنِ فيكُنَّ ظـــلٌّ ولا جنى فـــأبعـــدكنّ اللهُ من شجرات

وكانت له رياضات عديده ، ومفاوضات للصّوفيّة مديده .

وكان الشّيخ تقيّ الدّين بن تيميّة كثيرَ الحطّ عليه ، غَزير النّطّ ـ على رأي العوام ـ إليه .

حكى لي الشّيخ شمس الدّين محمّد بن إبراهيم بن ساعد الأكفاني[٤] ، قال : دخل

---

* الوافي : ٧٧/١٩ ، والدرر : ٣٩٧/٢ ، وفيه : « عبد الكريم بن الحسين » .

(١) المشهور : « جبير » ، وهو ضرب من البرد الموشّى ، والثوب الجديد .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) ليست في (س) .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

الشيخ كريم الدّين مرّة[١] إلى الشيخ تقيّ الدّين بن دقيق العيد ، وتكلّم زماناً طويلاً والشّيخُ ساكت ، فلمّا خرج من عنده ؛ قال للحاضرين : هل فيكم من فهم عنه تراكيب كلامه ، لأنّي أنا ما فهمت غَيْرَ مفرداته .

وقال شيخنا الذّهبي : أثبت الصّوفيّة فُسْقَه من ستة[٢] عشر وجهاً ، وأُخرج من الخانقاه ، ثمّ أعيد ، وتولّى مكانه بعد موته قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة .

ولم يزل على حاله إلى أن خاب من الآملي أَمَلُه ، ووافاه بالوفاة أَجَلَهُ .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة عشر وسبع مئة ، وتولّى عوضه الشّيخ علاء الدّين القونوي .

١٠٢٣ ـ عبد الكريم بن يحيى*

ابن محمّد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز ، الشيخ الإمام القاضي تقيّ الدّين أبو محمّد بن قاضي القضاة محيي الدّين أبي الفضل بن قاضي القضاة محيي الدّين أبي المعالي[٣] بن قاضي القضاة زكي[٤] الدّين أبي الحسن بن قاضي القضاة منتخب الدّين أبي المعالي القرشيّ الأمويّ العثماني المصري ، ثمّ الدّمشقيّ الشّافعي .

ولد بمصر ليلة عرفة سنة أربع وستّين وسبع مئة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

---

(١) ليست في (س) .

(٢) في (س) : « سبعة » .

* الدرر : ٤٠٤/٢ ، والشذرات : ١٥١/٦ ، والدارس : ١٢٤/٢ ، وذيول العبر : ٢٥٦ .

(٣) زاد في الأصل : « ابن أبي المعالي » ، وهو تكرار . وفي الدارس نقلاً عن الذهبي : محيي الدين أبو المعالي محمد بن القاضي .

(٤) في (س) : « ركن » ، تحريف .

وقدم من مصر إلى دمشق ، وتفقّه بها ، وسمع من ابن البخاري وغيره ، وولي مشيخة الشّيوخ ، ودرّس بأماكن[١] ، وكان من رجال الدّهر عزماً وحزماً وسكوتاً ودهاءً وغوراً ومكارم وإفضال .

١٠٢٤ ـ عبد الكريم بن عبد الرحمن*

ابن عبد الواحد ، نجم الدّين بن صَدقة الكاتب ، ابن عمّ النّفيس واقف النّفيسيّة[٢] .

قال شيخنا الذّهبي : خدم في جهات الظّلْم ، وكان سمع من الرّشيد بن مسلمة[٣] وابن عبد الدائم وطبقته ، وحفظ (التنبيه) .

قلتُ : وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بصافيتا[٤] سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

١٠٢٥ ـ عبد الكريم بن عبد النور**

ابن منير ، الشّيخ الإمام الحافظ مفيد الدّيار المصريّة ، قطب الدّين أبو علي الحلبي ، ثمّ المصريّ الشّافعي المعروف بابن أخت الشّيخ نصر[٥] .

حفظ القرآن ، وتلا بالسّبع على أبي الطّاهر إسماعيل الْمَلَيْجي[٦] صاحب

(١) منها المدرسة المجاهدية ، كما في الدارس والدرر .

* الوافي : ٧٨/١٩ .

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحراني (ت ٦٩٦ هـ) الدارس : ٨٤/١ .

(٣) في (س) : « الرشيد مسلمة » ، سهو ، وهو أبو العباس أحمد بن المفرج بن علي بن عبد العزيز بن مسلمة الدمشقي (ت ٦٥٠ هـ) ، السير : ٢٨١/٢٣ .

(٤) من أعمال طرطوس على الساحل السوري .

** الوافي : ٨٠/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، وغاية النهاية : ٤٠٢/١ ، والدرر : ٣٩٨/٢ ، والنجوم : ٣٠٦/٩ ، والشذرات : ١١٠/٦ .

(٥) هو نصر بن سليمان بن عمر المنبجي (ت ٧١٩ هـ) . النجوم : ٢٤٤/٩ .

(٦) إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي (ت ٦٨١ هـ) ، غاية النهاية : ١٦٩/١ .

أبي الجود ، وتلاه بالسّبع على خـالـه الزّاهـد الشّيخ نصر[١] المنبجي ، وانتفع بصحبتـه ، وسمع من العزّ الحرّاني ، وغازي ، وابن خطيب المزّة ، والقاضي شمس الدين بن العماد ، وطبقتهم بدمشق والْحَرَمَيْن من طائفة .

وكتب العالي والنّازل ، وسمع من السّامي والسّافل ، وخرّج وجمع ، ونفع وانتفع ، وشرح من البخـاري شَطْرَه[٢] ، وأثبت في طِرْسِـه سطره ، وعمـل بمصر تـاريخاً في عـدّة مجلّدات[٣] بيّض أوائله ، وما ضمّ مسائله ، وله غير ذلك[٤] ، مع بصرٍ بالرّجـال ، ومجـالٍ بالفقه بعض مجال ، وحجّ غير مرّه ، وأحرز من الأجر كلّ دُرّه ، وروى الكثير ، وهو في جنب ما سمعه قليل ، وجالد وحَدُّ عُمْرِه فليل .

ولم يزل على حـالـه إلى أن دارت رَحـا الموت على قُطْبـهِ ، ونزلت بـأهلـه مصيبـةٌ خَطْبه .

وتوفّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في يـوم الأحـد سلـخ شهر رجب سنـة خمس وثـلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وستّين وستّ مئة .

علّق في (تاريخه) عن شيخنا الذّهبي ، وما عنده عنه إلاّ الإجازة ، وكان يحبّـه في الله .

وكان فيه تواضع زائد ، وحسن سيرة ، ولعلّ أشياخـه تبلغ الألف ، وخرّج لنفسـه (أربعين تساعيّات) .

---

(١) في الأصل « أبي نصر » ، سهو ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) لم يتمّه ، وقال صاحب الكشف : ٥٤٦/١ : « وهو إلى نصفه في عشر مجلدات » .

(٣) ذكره صـاحب الكشف : ٣٠١/١ بـاسم (تـاريـخ قطب الـدين) ، ورتّب على الأسماء ، وزاد ولـده تقي الدين في المحمدين كثير .

(٤) في الأصل : « مع » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأخذ عنه المحدّثون تقيّ الدين بن رافع ، وابن أيبك الدّمياطي ، وعمر بن العجمي ، وعلاء الدين مُغْلطاي ، والسّروجي[١] ، وعدد كثير .

وأنا في شكّ هل سمعت منه أو لا ؟ ولكنّه أجاز لي ، وأجزت له ولأولاده ، واجتمعتُ به عند الشيخ فتح الدين بن سيّد النّاس غير مرّة .

١٠٢٦ ـ عبد الكريم بن علي الشَّهْرَزوري*

زين الدّين .

كان مقيماً بقوص ، وحظّه من الدّنيا منقوص ، وكان يتطَوّرُ أَطْوَارا ، ويتدَوّر مع القدر أدوارا ، تارة يلبس زيّ الفقراء ، وتارة يكون في شعار الرّؤساء . بينا هو في الرُّبَط والزّوايا إذا هو يخدم في الجهات الّتي فيها المكوس والطّوايا .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه الله وأخذه ، واجتذبه من الحياة وفَلَذه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد سنة خمس وسبع مئة بقوص[٢] .

عمل بعضُ الرّؤساء من جيرانه عرساً ، وفرّق أطعمة كثيرة ، وغفل عنه فلم يرسل إليه شيئاً ، فكتب إليه :

يا جيرةً جُرتُم على جاركم ... وعادةُ الجيران ألا تجور
ما كان في أمراقكم كلّها ... رَطْلُ خَرا يشربها الشّهرزور

وقال يهجو شهاب الدّين بن القاضي النّجيب القوصي :

وكِرْشَةٍ مملوءَةٍ ... مِنَ الخرا مُطَنَّبه[٣]

---

(١) علي بن محمد بن أيبك ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ١٠٣/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٣٤ ، والدرر : ٤٠٠/٢ .

(٢) في الدرر أنه توفي في حدود سنة (٧١٠ هـ) . وفي الطالع : وفاته « بعد السبع مئة » .

(٣) أي : مسترخية .

شَبّهتُهـــا مرميّـــةً بِـــدَمِهـــا مختضِبَـــه
قيلطـــةَ القـــاضي الشَّهـــا ب بن النّجيب بن هبَـــه[١]

وكان ينظم الأزجال والبلاليق ، وطلب من بعض التّجّار جوزة هنديّة ، فلم يبعث بها قال :

طلبت منـــك جـــوزةً منعتَ منّي قربَهـــا[٢]
وكم طلبتُ زَوْجَـــةً منـــكَ فلم تبخـل بهـــا

قلتُ : الباء الأولى في قوله « قربها » مفتوحة ، والثّانية مكسورة ، وهي عيبٌ في القافية[٣] ، وكان ضامن الزّكاة بقوص .

١٠٢٧ ـ عبد الكريم بن علي بن عمر*

الأنصاري الشّيخ الإمام الفاضل علم الدّين ، ابن بنت العراقي .

كان من علماء مصر في عدَادهم ، وفضائلُه الّتي قَضَت بسدادهم ، وكانت له مشاركة في عِدّة فنون ، ومَضَت عليه في الإقراء سنون ، وله صبر على التّعليم والإشغال وقدرةٌ على الإكباب عَلَى نفع الطّلبة وإيغال ، حتّى إنّ معظم مَنْ في الدّيار المصريّة قرأ عليه ، وأخذ عنه العلوم ، ومثَل بين يديه .

وكان حَسَنَ المفاكهه ، مليحَ الْمَلْقَى بالْمَلَق والْمُوَاجهه ، لا يسأم المذاكره ، ولا يَمَلُّ طول المحاضَره ، كثير الحكايات والنّوادر ، والإصابات في البَوادر ، نَفْسُه مُنْبَسطه ، وسيوف فوائده مختَرطَه ، إلاّ أنّه أضرّ آخرَ عُمره ، وعدم من الطّروس والأقلام رؤيةَ بيْضِه وسُمْرِه .

(١) في الطالع : « قيليطة » .
(٢) في الطالع : « منعتني من » .
(٣) وعلى رواية الطالع لا عيب في القافية .
* الوافي : ٩٥/١٩ ، ونكت الهميان : ١٩٥ ، والدرر : ٣٩٩/٢ ، وذيول العبر : ٢٩ ، والسلوك : ١٣/١/٢ ، وعقد الجمان : ٣٧٠/٤ .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغت التّراقي[١] ، وذهب ابنٌ بنت العراقي .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع صفر سنة [أربع][٢] وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة ثلاث وعشرين وستّ مئة .

أخبرني شيخنا العلاّمة أبو حيّان قال : أصْلُه من [وادي][٣] آش من الأندلس ، وجدّه أبو أمّه ليس من العراق ، وإنّما رحل إلى العراق ، ثمّ عاد إلى مصر وهي بلده ، فَسُمّي العراقي .

وكانت له مشاركة في الفقه وأصوله والأدب والتّفسير ، وله اختصاص (بتفسير الزّمخشري) ، وصنّف مختصراً في أصول الفقه ، وردّاً[٤] على القاضي ابن المنيّر المالكي في ردّه على الزّمخشري[٥] . وكانت له معرفة بالحساب والكتابة ، وحظّ من النّظم والنّثر ، ودرّس بالشّريفيّة وبالمشهد الفقه ، وأملى كتاباً على تفسير القرآن مختصراً احتوى على فوائد[٦] ، وأنشدنا[٧] قال : نظمت في النّوم في قاضي القضاة ابن رزين وكان معزولاً :

يا سالكاً سُبُلَ السّعادَةِ مَنْهجاً ... يا موضِحَ الْخَطْبِ البَهيمِ إذا دَجا
يا ابنَ الّذين رَسَتْ قواعِدُ مَجْدِهم ... وسَرَى ثناهُم عاطِراً فتأرَّجا
لا تيأَسن مِنْ عَوْدِ ما فارَقْتَهُ ... بعدَ السِّرار تَرَى الهلال تبلّجا
وابْشِرْ وَسَرِّحْ ناظراً فَلَقَدْ تَرَى ... عمّا قليلٍ في العدى مُتَفَرِّجاً
وترى وليّك ضاحكاً مستبشراً ... قد نال من تدميرهم ما يُرتجى

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ كلاّ إذا بلغت التراقي ﴾ القيامة : ٢٦/٧٥ .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٤) في (س) : « وردّ » .
(٥) واسم كتابه (الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال) ، طبع على حاشية الكشاف .
(٦) في الأصل : « فرائد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٧) في الأصل : « وأنشدني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وكتب الشيخ علم الدّين المذكور بخطّه كتاب (الحاوي الكبير) للماوَرْدي[١] مرّتين . وكان يؤمّ[٢] بمسجد الدّرفيل .

قال شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقيّ الدّين السّبكي ـ رحمه الله ـ : سمعتُ عمّي ـ يعني أبا البقاء يحيى بن علي[٣] ـ يقول : كنّا حاضرين في الدّرس عند قاضي القضاة صدر الدّين ابن بنت الأعَز ، وهو يلقي في حديث « أنّ أرواح الشّهداء في حواصل طير خضر »[٤] فحضر الشّيخ علم الدّين العراقي ، فما استقرّ جالساً حتّى قال على وجه السّؤال : لا يخلو إمّا أن تحصل الحياة بتلك الأرواح أم لا ؟ والأوّل عين ما تقوله التّناسخيّة ، والثّاني مجرّد حبس للأرواح وسجن . انتهى .

قلتُ : لا نُسلّم أنّها إذا كانت كذلك تكون في سجن وحبس ، لأنّه أقلّ أقسامها أن تكون في حواصل الطّير ، كما كانت في أجْسادها في هذه الدّار ، وما قال أحدٌ إنّ هذا عذابٌ لها ولا سجنٌ ، ولا يُورد أنّ[٥] الدّنيا سجن المؤمن ، لأنّ هذا أمرٌ نسبيٌّ ، وقد يجعل الله لها في الحواصل من السّرور والابتهاج ما يحصل لبعض النّفوس في هذه الدّار من السّرور الزّائد والبهجة التّامّة .

١٠٢٨ ـ عبد الكريم بن أبي الفرج*

ابن الحكم الشّيخ الزّاهد القدوة الصّدر شرف الدّين بن الشّيخ السّيّد القدوة الزّاهد نجم الدّين الحموي الشّافعي .

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، وكتابه في عشر مجلدات كما في الكشف : ٦٢٨/١ .

(٢) في الأصل : « يوماً » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٣) ابن تمام بن يوسف ، ستأتي ترجمته .

(٤) أخرج ابن منده والطبراني وأبو الشيخ عن ضمرة بن جندب مُرسلاً قال : سئل النبي عليه السّلام عن أرواح المؤمنين ، فقال : في حواصل طيرٍ خضر تسرح في الجنة حيث شاءت . قالوا : يا رسول الله ! وأرواح الكفّار ؟ قال : محبوسة في سجّين .
انظر : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للسيوطي : ٣٠٧ .

(٥) ليست في (س) .

* الدرر : ٤٠١/٢ .

باشر حسبة حماة مدّة ، وكان يعرف بالمحتسب في حياة والده وبعدها ، وتركها[١] ، وكان له زاوية حسنة يقصدها الفقراء والزّوّار ويجدون عنده الرّاحة والفضل والمكارم والأوقات الطّيّبة والمكارم والسّماعات[٢] والسّماطات .

ودرّس بالمدرسة الحيرية بحماة ، ولم يزل بها إلى أن توفّي - رحمه الله تعالى - في ثامن شوّال سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودفن بتربته بعقبة نقيرين ، وصُلِّيَ عليه غائباً وعلى الوزير فخر الدّين بن الخليلي بالجامع الأموي بدمشق في وقتٍ واحد .

١٠٢٩ - عبد الكريم بن محمد*

ابن محمّد بن نصر الله الحموي الشّيخ الفاضل الصّدر الكبير أبو السّماح ، ابن الْمُغَيْزل ، وكيل بيت المال بحماة .

حدّث بمصر[٣] والشّام ، وكان قد سمع من الكاشَغْري[٤] ، وابن الخازن[٥] ، وابن قُمَيْرة[٦] ، وسمع بحماة من العِزّ بن رواحة .

وكان شيخاً حسن الخَلْق ، يلقى النّاس بوجه طَلْق ، يجتهد على قضاء الحوائج ، ويسلك في التّلطّف لهم أقربَ المسالك وأنجح الْمَنَاهج ، حسن التّوصّل إلى مقاصده ، لطيفَ التّوصّل في مصادره وموارِده ، لا يَخْبَأ[٧] عَمّن يقصده نَفْسه ولا ماله ، ولا يزال يسعى إلى أن يبلّغه آماله .

---

(١) في (ق) ، (س) : « وبعده ثم تركها » .

(٢) في الأصل : « المكارم السماعات » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الشذرات : ٤٣٨/٥ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٨/١ ، وعقد الجمان : ٣٨٠/٣ ، وأورده في وفيات سنة (٦٩٦ هـ) .

(٣) في (ق) ، (س) : « بديار مصر » .

(٤) هو أحمد بن أسعد بن المظفر . (ت ٦٦٧ هـ) .

(٥) عبد العزيز بن دلف بن أبي طالب (ت ٦٣٧ هـ) . (الشذرات) .

(٦) هو يحيى بن نصر بن أبي القاسم (ت ٦٥٠ هـ) . (الشذرات) .

(٧) في (س) : « يخبّئ » .

ولم يزل على حاله إلى أن نَحَلَتْ[١] حركاته ، وغاضت عمّن يقصده بركاته .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشر المحرّم سنة سبع وتسعين وستّ مئة .

ومولده سنة ستّ عشرة وستّ مئة .

١٠٣٠ ـ عبد الكريم بن هبة الله*

ابن السّديد المصري القاضي الجليل الكبير النّبيل المدبّر المشير الأثير[٢] الأثيل ، كريم الدّين أبو الفضائل ، وكيل السُّلطان الملك النّاصر محمّد بن قلاوون وناظر خاصّته ومدبّر دولته .

أحيا الكرم والجود في الوجود ، وسهر في طيب الثّناء عليه والمدابيرُ هجود ، صدّق أخبار البرامكة بل أخملهم ، وزاد في اقتراح المكارم فحمّلهم الخجل بل جمّلهم ، ابتدع في الإحسان طرقاً خَفِيَتْ على الأوائل ، وابْتَدَهَ جُوْداً لا يُحْسِنُ الثّناءَ عليه سحبانُ وائل ، فكان كما قال أبو الطّيب[٣] :

تمشي الكرامُ على آثـــــار غيرهم وأنتَ تخلـق مـا تـأتي وتبتـدع

عمّر ربوع النّدى ، وغمر النّاس بالْجَدى ، وعمّ بجوده وما خَص ، وبَلّ جناح الشّكر وما حَصّ ، فَدَرَجَتْ حوله طيور الثّناء وما طارت ، وعَرَجت في مراقي حمده ودارت ، أجمع أهل عصره من غير مصره على سَمَاحِه ، ولم يخالف واحدٌ على مبالغة الجود في بطن راحه ، إلاّ أنّه كَرَمٌ ، كَرْمَةُ عَرْش على الفقراء والأمراء ، وتعدّى الغاية فتأدّى إلى الملوك والوزراء حتّى أخجل بِنَيْلِه النّيل ، وفرّت مياه الفرات ، وقالت :

---

(١) في (ق) ، (س) : « تخلّت » .

* الوافي : ٩٧/١٩ ، وفوات الوفيات : ٣٧٧/٢ ، والبداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٤٠١/٢ ، وبدائع الزهور : ٤٥٣/١ ، والشذرات : ٦٣/٦ ، وتذكرة النبيه : ٩٠/٢ ، ١٣٣ ، والسلوك : ٢٥٩/١/٢ .

(٢) في الأصل : « الأبيل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) ديوان المتنبي : ٢٣١/٢ .

هـذا من المستحيل ، وعلى الجملة فكان خُبْرُه أكبر[١] من خبَره ، وهـو أبـو دُلَفِ زمـانـه الّذي ولّت الدّنيا على أثره[٢] ، وقـد تمكّن من سلطـانـه تمكُّنَ الصّبـابـة من بني عُـذْرَه ، والشّجاعة من آل أبي صُفْرَة ، وحلّ منه محلّ الإنسان من العين ، وأطاعه طاعـة المفلس لربّ الدّيْن ، فهو له في القبول مثل المحب للواشين ، والغِرّ للغاشّين لا يكاد يخالفـه ، ولا يرى هواه في شيء إلاّ يميل إليه ويحالفه ، وكان به لذلك الْمُلْك نضارة ، ولذلـك العصر غضارة :

جَمالُ ذي الأرضِ كانوا في الحياةِ وَهُمْ بَعْـدَ المماتِ جَمَـالُ الْكُتْبِ والسِّيَر

ولم يزل نجمه في سعود ، وعزمه في صعود ، إلى أن غَدَرَ به زمانُـه ، وخـانـه محبّوه وإخوانه ، وتبرّأ منه من كان يجمعهم خوانُـه [فقبض عليـه][٣] ونظر بعـد الرّضـا بعين السّخط إليه[٤] وجهّزه إلى الشّوبَـك ، ثمّ إلى القـدس ، ثمّ إلى أسوان ، ومن هنـاك انتقل إلى رضوان ، وادُّعي أنّه شنق[٥] روحه ، واختار أن سكن[٦] ضريحـه ، وذلـك في ثـالث عشر شوّال سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وكان قد أسلم كهلاً أيّام الجـاشنكير ، وكان كاتبَـه ، وكان لا يُصْرَف على السّلطـان شيء إلاّ بقلمه ، ويقال : إنّه طلب يوماً إوَزّة ، ولَمْ يكن كريمُ الدّين حـاضراً ، فتعـذّر

(١) في الأصل : « أكرم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) يشير إلى أبيات على بن جبلة في مدح أبي دُلف العجلي ، ومنها البيتان المشهوران :

إنمـــا الـــدنيـــا أبـــو دُلف بين مبـــــــــداه ومحتضره
فـــــإذا ولّى أبـــــو دُلف ولّت الـــــدنيـــــا على أثره

انظر : الأغاني : ٢٥٤/٨ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) يشير إلى قول الشاعر :

وعين الرّضـا عن كلّ عيبٍ كليلـة ولكنّ عينَ السُّوء تبـدي المسـاويـا

(٥) في الأصل : « شقّ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٦) في (س) : « يسكن » .

صَرْفُها إليه ، ولمّا هرب المظفّر ـ رحمه الله تعالى ـ[١] ووصل السّلطان إلى مصر ، لم يكن له دَأْبٌ في غير تطلّب كريم الدّين والتوقّع عليه والسّؤال عنه في كل وقت .

أخبرني الحافظ فتح الدّين محمّد بن سيّد النّاس ، قال : جاء كريم الدّين إلى الأمير علم الدّين الجاوَليّ ، وقال له : قد جئت إليك ، فقال : ما في يدي لك فَرَج ، ولكن اليوم للسّلطان خاصكيّ ، يقال له : الأمير سيف الدّين طغاي الكبير وهو لا يخالفه فأريدُ[٢] أجتمعُ لك به ، وأعرّفك ما يكون ، ثمّ إنّه اجتمع به فقال له : أَحْضِرْهُ ، ودخل طغاي إلى السّلطان ، وهو يضحك ، فقال له : إن حضر كريم الدّين أيْش تُعْطِيني ؟ ، ففرح ، وقال له : أعندك هو ؟ أَحْضِرْهُ ، فخرج ، وقال للجاولي : أحضره ، فأحْضَرَه ، وقال طغاي لكريم الدّين : مهما قال لك السّلطان ؛ قل له : نعم ، ولا تخالفه ، ودَعْنِي أنا أدبّر أمرك ، فدخل به عليه ، فلمّا رآه استشاط غضباً ، وقال له : اخرج السّاعة ، احمل ألف ألف دينار ، فقال : نعم ، وخرج ، فقال : لا كثير ، احمل خمس مئة ألف دينار ، فقال : السّمع والطّاعة . فقال : لا ، كثير ، احمل ثلاث مئة ألف دينار ، فقال : السّمع والطّاعة ، فقال : لا ، كثير ، احمل السّاعة مئة ألف دينار ، فقال : السّمع والطّاعة ، فخرج ، فقال له الأمير : سيف الدّين طغاي : لا تُسَقّع ذقنك وتُحضر الجميع الآن ، ولكن هات[٣] الآن منها عشرة آلاف دينار ، ودخل بها إلى السّلطان ، فسكن غيظه ، وبقي كلّ يومين وثلاثة يحمل خمسة آلاف دينار ، ومرّة ثلاثة آلاف دينار ، ومرّة ألفين . ولم يزل هو والقاضي فخر الدّين ناظر الجيش ؛ يُصْلحان أمره عند السّلطان إلى أن رضي عنه وسامحه بما بقي عنده[٤] ، واستخدمه ناظر الخاصّ فهو أوّل من باشر هذه الوظيفة ، ولم تكن تعرف أوّلاً[٥] ، ثمّ

(١) في الوافي والفوات : « وأخذ الخزائن معه » .
(٢) في الأصل : « فإني » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي والفوات .
(٣) في الوافي : « هات لي » .
(٤) في (س) : « عنه » ، تحريف .
(٥) ليست في (س) .

تقدّم عنده ، وأَحَبَّهُ مَحَبَّةً زائدة عن الحدّ ، وكان يَخْلع عليه أَطْلَس أبيض والفوقاني بطرز ، والتّحتاني بطرز ، والقبع زركش على ما استفاض .

وكانت الخزائن عنده جميعها في بيته ، وإذا أراد السلطان شيئاً نَزَل مملوكٌ إليه في بيته ، واستدعى منه ما يريده ، فيجهّزه إليه من بيته ، وكان يخلع على أمراء الطّبلخانات الكبار من عنده ، وقيل : إنّ السّلطان نزل يوماً من الصّيد ، فقال له : يا قاضي ! اعرض أنت صيود[١] الأمراء ، فإنّ لي ضرورة ، ودخل الدّهليز ، ووقف القاضي كريم الدّين على باب الدّهليز ، فكان الأمراء يُحضرون صيودهم على طبقاتهم بين يديه ، وهو يخلع عليهم على طبقاتهم واحداً بعد واحدٍ .

وحجّ هو والخوندة الكبرى طغاي[٢] ، واحتفل بأمرها ، وقد مضى ذكر حجّها في ترجمتها ، وكان يخدم كل واحد من الأمراء الكبار والمشايخ والخاصكيّة الكبار ، وأرباب الوظائف والجماريّة الصّغار ، وكلّ أحد حتّى الأوشاقيّة في الإصطبل وأرباب الوظائف ، وكان في أوّل أمره ما يخرج القاضي فخر الدّين لصلاة[٣] الصّبح إلاّ ويجد كريم الدّين راكباً وهو ينتظره ، ويطلع في خدمته إلى القلعة ، ودام الأمر هكذا ستّة أشهر أَوْ ما حولها ، ثمّ إنّ فخر الدّين كان يركب ويحضر إلى بابه ، وينتظره ليطلع معه إلى القلعة ، وكان في كلّ يوم ثلاثاء ، يحضر إلى دار فخر الدّين ، و يتغدّى عنده ، ويحضر مَحْفِيَّتَيْن لا يعود إليه شيء مِن ماعونها[٤] الصّيني أبداً ، وكان يركب في عدّة مماليك أتراك ـ يقال سبعين[٥] مملوكاً أو أقلّ ـ بكنابيش [عمل][٦] الدّار وطُرُز

(١) في الأصل : « لصيود » ، وأثبتنا ما في (ق) ،، (س) ، والوافي والفوات .
(٢) امرأة السلطان ، كما في الوافي .
(٣) في الأصل :« صلاة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٤) في الأصل : « ماعونها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٥) كذا في الأصل و (ق) ، (س) ، وفي الوافي : « سبعون » .
(٦) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

ذَهَب ، والأمراء تركب في خدمته . وبالجملة ما رأى أحدً من المتعمّمين ما رآه القاضي كريم الدّين .

ولّما ورد في صفر سنة ثماني عشرة وسبع مئة أمر ببناء جامع في آخر القبيبات[١] بدمشق ، فعمّره الصّاحب شمس الدّين غبريال ، وأخذ في العمل فيه بعد سفره .

قيل : إنّه طلبه السّلطان يوماً إلى الدّور فدخل ، وعادت [الخزندارة][٢] تروح وتجيء مرّات فيما تطلبه الخوندة طغاي ، فقال له السّلطان : ياقاضي ! أيش حاجَه لهذا التّطويل بنتك[٣] ، ما تختبئ منك ، ادخل إليها ، وأبصر الّذي تريده أفعلُه ، فقام ، ودخل إليها وسيّرَ[٤] قال لها : أبوك هنا ، أبصري له ما يأكل ، فأخرجت له طعاماً ، وقام السّلطان إلى كرمة في الدّور ، وقطع منها عنباً ، وأحضره في يده ، وهو ينفخه من الغبار ، وغسله بماءٍ بيده ، وقال : ياقاضي ، كُلْ من عنب دُورنا ، وهذا أمرٌ ما فرح به متعمّم .

وكان إذا أراد أن يعمل سوءاً ، ويراه قد أقبل يقول : جاء القاضي وما يدعنا نعمل شيئاً ممّا نريده ، فيحدّثه في إبطال ما كان قد همّ به من الشّرّ ، وفي مدّة حياة القاضي كريم الدّين لم يقع من السّلطان إلاّ خَيْر .

وأمّا مكارمه فحكى لي غير واحد بالقاهرة ـ جماعة لا يمكن تواطؤهم على نقل باطل ـ : أنه حضرت إليه امرأة رفعت له قصّة تطلب فيها إزاراً ، فوقّع في ظاهرها إلى الصّيرفي بِصَرْف[٥] مبلغ ثماني مئة درهم ، فلمّا رأى الصّيرفي ذلك ؛ أنكره ، وأوقفها ، وتوجّه إليه ، وقال : ياسيّدي ، هذه سألَت إزاراً والإزار ما ثمنه هذا المبلغ ، فقال له :

(١) تذكرة النبيه : ٩٠/٢ .
(٢) في الوافي : « وبقيت الخزندارة » . والزيادة منه ومن (ق) ، (س) .
(٣) في الأصل : « بينك » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٤) في الوافي والفوات : « وسيّر السلطان » .
(٥) في الأصل : « يصرف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

صدقت ، وأخذ القصّة ، وقال : الأولى متاع الله تعالى ، وزادها مبلغ ثمانين ، وقال : هذه متاعي وقال : أنا ما أردتُ إلاّ ثمانين ، ولكنّ الله أرادها[١] ثماني مئة ، فوَزَنَ الصّيرفي للمرأة ثماني مئة درهم وثمانين درهماً .

وقيل : إنّه كان له صيرفي يستدعي منه ما يريد صرفه لمن يسأله شيئاً ، وإنّ الصّيرفي أحضر إليه مرّة وصولات ليست بخطّه فأنكرها ، فقال الصّيرفي : هذا في كل وقت يُحضر إليّ مثل هذه الوصولات ، فقال : إذا جاء أمسكه وأحضره ، فلمّا جاء على العادة أمسكه وأحضره إلى بابه فقيل : إن الصّيرفي وَقَع بالمزوّر ، فقال : سيبوه ، مالي وجه أراه ، ثمّ قال : أحضروه ، فلمّا مثل بين يديه قال : ما حملك على هذا ؟ قال : الحاجة ، فقال له : كلّما احتجت إلى شيء اكتب به خطّك على عادتك لهذا الصّيرفي ، ولكن ارفق ، فإنّ علينا كلفاً كثيرة[٢] ، وقال للصّيرفي : كُلّما جاءك شيء من خطّ هذا فاصرفه ، ولا تشاور عليه .

وحُكي لي[٣] أنّه قبل إمساكه ضيّع [بعضُ][٤] بابيّةِ[٥] مماليك بكتمر السّاقي حياصَة ذهب ، فقال صاحبها للأمير ، فقال الأمير : إن لم يُحْضِر الحياصَة ، وإلاّ روحوا به للوالي ليقطع يده ، فنزلوا بذلك البابا[٦] ، فوجد القاضي كرم الدّين آخر النهار طالعاً إلى القلعة ، فوقف وشكا حاله ، فقال : أخّروا أمره إلى غدٍ ، فلمّا نزل إلى داره ؛ قال لبعض عبيده : خذ معك غداً حياصَة ذهب ، لنعطيها لذلك البابا المسكين ، فلمّا أصبح وطلع إلى القلعة أُمسك ، واشتغل النّاس بأمره ، ونسي أمر البابا ، ولّما فرغ

---

(١) في (ق) ، (س) والوافي : « أراد » .

(٢) في (ق) : « كبيرة » .

(٣) ليست في (ق) ، (س) ، وهي ثابتة في الوافي .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٥) البابيّة : جماعة العمال في الطشت خاناه الذين يقومون بغسل الملابس وصقلها .

(٦) في الوافي : « البابي » ، وكذا في المواضع التي تكررت فيها .

النّاس طُلب البابا ، وجهّز إلى الوالي ، فقال له رفاقه[١] : ما كان القاضي كريم الدّين وعدك ، رُوحْ إليه ، فقال : ياقوم ، إنسان قد أمسك وصودر ، أروح إليه ! فراح إليه ، وكان قد أُمر بالمقام في القرافة ، فلمّا دخل إليه ؛ شكا حاله ، فقال : يابنيّ ، جئت إليّ وأنا في هذه الحالة ، ثمّ إنّه رفع المقعد ، وقال له : خذ هذه الدّراهم ، استعن بها ، كانت قريب الألفين ، فلمّا أخذها وخرج ؛ قال لذلك العبد : ما كنت قد أعطيتك حياصَة ذهب لهذ البابا ؟ فقال : نعم ، وهي[٢] معي ، فقال : هاتِها ، فأخذها ، وطلب البابا ، ودفعها إليه ، وقال : هذه الحياصَة أعطهم إيّاها والدّراهم أَنْفِقْها ، فطلع بالحياصَة ، وأعطاها للمملوك ، فدخل بها المملوك للأمير سيف الدّين بكتمر السّاقي ، فطلب البابا ، وقال له : قل لي أمْرُ هذه الحياصَة كيف هو ؟ فحكى له ما جرى له مع كريم الدّين ، فقيل لي : إن بكتمر السّاقي لطم وجهه ، وقال : يامسلمين ! [مثلُ][٣] هذا يمسك أو يؤذى ؟! وما إمساك كريم الدّين برضى بكتمر .

وحكى لي القاضي شهاب الدّين أحمد بن فضل الله أنّه بلغه أنّ القاضي علاء الدّين بن عبد الظّاهر والقاضي نجم الدّين بن الأثير قعدا يوماً على باب القَلّة[٤] وأُجري ذكر كريم الدّين ومكارمه ، فقال علاء الدّين بن عبد الظّاهر : ما مكارمه إلاّ لمن يخافه ، فهو يُصَانع بذلك عن نفسه ، فما كان بعد يومين أو ثلاث إلاّ حتّى احتاج نجم الدّين بن الأثير إلى رصاص يستعمله في قدور حمّام ، فكتب ورقة إلى كريم الدّين يسأل فيها بيع جُمْلَة من الرّصاص بديوان الخاصّ ، فحمل إليه جملة كبيرة ، فضل له منها عمّا احتاج إليه ثلاثون قنطاراً ، ولم يأخذ عن[٥] ذلك ثمناً ، وأمّا علاء الدّين بن عبد الظّاهر ؛ فإنّه تركه يوماً في بستانه ، وانحدر إليه في البحر ، فلم يدر به إلاّ وقد

(١) ليست في (س) ، وفي الوافي : « رفقاه » .
(٢) في (ق) ، (س) والوافي : « وهذه » .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي والفوات .
(٤) في الأصل : « القلعة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٥) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

أرست حرّاقته على زربيّة[١] علاء الدّين ، فنزل إليه ، وتلقّاه ، ودهش لقدومه ، فحلف أنّه ما يأكل ما يحضره إليه من خارج البستان ، ومهما كان طعام ذلك [النهار][٢] يحضره ، فأحضر له ما اتّفق حضوره ، وقال له : يا مولانا [أنا][٣] ما أعلمتك بمجيئي ، ولكن أنا مثل اليوم ضيفك ، ولكن لا ألتقي[٤] هذه العَمارة على هذه الصّورة ، وشرع رتّبها على ما أراد ، وخرج من عنده ، فلم يشعر علاء الدّين ذلك اليوم إلاّ بالمراكب قد أرست على زربيّته بأنواع الأخشاب والطّوب وأفلاق النّخل والجبس والمهندسين والصّنّاع والفعول ، وكلّ ما يحتاج إليه ، وأخذوا في هدم ذلك المكان ، وشرعوا في بنائه ، على ما قال لهم ، فلم يأتِ على ذلك خمسة أيّام أو ستّة إلاّ وقد تكامل ورُخّم وزُخرف بالذّهب واللّازورد ، وفرغ منه ، فلمّا كان قبل الميعاد بيوم جاء إليه مركب مَوْسُوق[٥] بأنواع الغنم والإوزّ والدّجاج الفائق وغيره ، والسّكّر والأرز ، وجميع ما يطبخ حتّى المخافي والماعون الصّيني والجبن ومن يقليه ، وعُمِلَ الطّعام الفائق المختلف ومُدّ السّماط العظيم ، ونزل القاضي كريم الدّين ومعه من يختاره وجاء إليه ، وجد[٦] الدّار قد عمّرت على ما أراد ، والطّعام قد مُدَّ سماطه ، فأكل هو و [من][٧] معه ، وأحضر أنواع الفواكه والحلوى والمشروب ، ولمّا فرغ من ذلك أحضر بُقْجَة كبيرة ، أخرج إليه منها ما يصلح للنّساء من القماش الإسكندري وغيره ، وما يصلح لملبوس علاء الدّين ، وقال : هذه خمسة آلاف درهم يَكْسُو بها مولانا عبيده وجواريه على

---

(١) الزربيّة : كوخ جدرانه من جرائد النخل ، يتخذه المرء مأوى يرتاح فيه .
ووقع في الوافي : « زريبة » .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « أكتفي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) أي : محمّل ، وفي (ق)، (س) والوافي والفوات : « موسق » .

(٦) في (ق) ، (س) : « ووجد » .

(٧) زيادة من (ق) ، (س) .

ما يحبّه ويراه[١] ، وهذا توقيع تَصَدَّق به مولانا السّلطان على مولانا [فيه][٢] زيادة معلومٍ دراهمَ وغلّة وكسوة ولحم وجِراية ، ونزل يركب ، ونزل معه علاء الدّين ، فلما ركب وفارقه ، قال : يا مولانا علاء الدّين ! والله هذه الأشياء أنا أفعلها طباعاً[٣] ، وأنا لا أرجوك ولا أخافك .

وقيل : إنّه مرّة شرب دواء ، فجُمع له كلّ ما دخل القاهرة ومصر من الورد ، وحُمِل إلى داره وَبُسط ذلك الورد إلى كراسي الطّهارة[٤] ، وداس النّاس ما داسوه ، وأُخذ ما فَضُلَ أباعه[٥] الغلمان للبيمارستان بمبلغ ثلاثة آلاف درهم .

وكان السّلطان قد فوّض إليه نظر البيمارستان المنصوري ، فنمت أجور أوقافه ، وعمرت [وعمّر][٦] البيمارستان ، وكان كلّما دخل فيه تصدّق بعشرة آلاف درهم ، ومات [مرّة][٧] من الزّحمة ثلاثة أنفس .

وبالجملة ، فما سمعت عنه بالدّيار المصريّة إلاّ كلّ مكرمة غير الأخرى يُبتدع فعلها ولم نسمعها عن غيره . وهو الّذي صدّق أخبار البرامكة ، ومن رئاسته الكاملة أنّه كان إذا قال : نعم ؛ كانت نعم ، وإذا قال : لا ؛ فهي لا ، وهذه الخلّة تمام الرّئاسة .

وكان في كلّ أوّل ثلاثة الشّهور رجب وما بعده من كلّ سنة يُخرج كلّ من كان في الحبوس من الولاية ، ومن حَبْس الشّرع ، وما يدع في الحبوس أحداً ، إن كان عليه دين أوفاه ، أو على قضيّة معضلة أحضر الغريم ، وتوصّل إلى رضاه بكلّ طريق ، وعمّر

(١) في (ق) ، (س) والوافي والفوات : « على ما يراه » .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي ، والفوات .
(٣) في الوافي : « طبعاً » .
(٤) في الوافي : « كراسي بيت الماء » .
(٥) في الأصل : « أباحه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وفي الوافي : « وأباعه » .
(٦) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٧) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

بالزّربيّة جامعاً ومَيْضأه ، وعمّر في طُرق الرّمل البيّارات ، وأصلح الطّرق ، وعمّر في دمشق جامع القبيبات وجامع القابون ، ووقف عليها الوقوف الجيدة .

وكان عاقلاً وقوراً داهية ، جزل الرأي بعيد الغور ، يحبّ العلماء والفضلاء ، ويبرّهم[١] ويحسن إليهم أخبرني الشّيخ شهاب الدّين العسجدي ، قال : كنت ليلةَ عيد مع الشّيخ صدر الدّين ونحن متوجّهان إلى القرافة ، فعرض لنا فقير ، وقال للشّيخ : يا سيّدي ، شيء لله ، فقال لي : كم معك ؟ قلت : مبلغ مئتي درهم ، فقال : ادفعها إلى هذا ، فقلت : يا سيّدي غداً العيد ! فقال : لا عليك ، توجّه إلى القاضي كريم الدّين ، وقُلْ له : الشّيخ يسلّم عليك ، ويهنّئك بالعيد ، فتوجّهت إليه ، وقلت لهُ ذلك ، فقال : كأنّ الشّيخ مفلّس في هذا العيد ، يا طُطاج ـ مملوكه ـ ادفع إلى رسول الشّيخ ألفي درهم ، قال : فأخذتها ، وجئت بها إليه ، فقال الشّيخ : صدق رسول الله ﷺ : الحسنة بعشرة .

قدم من [ثغر][٢] من الإسكندريّة مرّة في نوبة الحريق الّذي وقع بالقاهرة[٣] ، فغوّت بهِ الغوغاء ، ورجموه ، فغضب السّلطان ، وقطع أيدي أربعة ، ثمّ إنّه مرض في ذلك العام قبل الواقعة ، ولمّا عوفيَ زُيّنت القاهرة ، وتزاحم الخلق ، واختنق واحد .

ولمّا انحرف عنه السّلطان أمر للأمير سيف الدّين أرغون النّائب بالقبض عليه ، فلمّا أراد بكرة النّهار الدّخول إلى السّلطان على العادة طلبه إلى بيته وأمسكه ، وأُوْقِعَت الحوطة على دوره وموجوده ، وأمسك ولده علم الدّين عبد الله ، وكان يوماً عظيماً ، وذلك يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين [وسبع مئة][٤] ، وبقي في بيته أيّاماً ، ثمّ إنّه رُسِمَ له بالنّزول إلى تربته بالقرافة ، فتوجّه إليها ، وأقام بها .

(١) في (ق) ، (س) : « ويقربهم » .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٣) زاد في الوافي : « ونسب إلى النصارى » .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

وفي جمادى الآخرة رُسم بتسفيره إلى الشّوبك ، فأقام به إلى أن رُسم له بالحضور إلى القدس ، فوصل إليه تاسع عشر شوّال من السّنة المذكورة ، فأقام به يُحسن إلى الفقراء والمجاورين والزّوّار ، إلى أن رُسم له بالعِودة[١] إلى مصر ، فتوجّه من القدس في حادي عشر شهر ربيع الأوّل سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ولمّا وصل إليها أخذ ما كان من ذخائره وحواصله وموجوده ، ورُسم له بالتّوجّه إلى أسوان ، فأقام بها إلى أن توجّه إليه الأمير ركن الدّين بيبرس الفارقاني ، وأصبح على ما قيل مشنوقاً بعمامته ، وقيل : إنّه لمّا أحسّ بقتله توضّأ ، وصلّى ركعتين ، وقال : هاتوا ، عشنا سعداء ، ومتنا شهداء . وكان النّاس يقولون : ما عمل أحدٌ مع أحدٍ ما عمله السّلطان مع كريم الدّين أعطاه الدّنيا والآخرة .

وكان قد طَلَبَ الحجّار وستّ الوزراء ، وسمع عليهما[٢] (صحيح) البخاري بقراءة شيخنا ابن سيّد النّاس ووصلها ، ووصل الشيخ بجملة ، وكتب له بها نسخ وذُهّبَتْ وجُلّدت .

وكتب إليه شرف الدّين القدسي :

إذا ما بار فَضْلُك عِنْدَ قَوْمٍ ... قَصَدْتَهُم ولم تَظْفَرْ بطائِلْ
فخلّهمُ خَلاكَ الذَّمُّ واقْصِدْ ... كريمَ الدّين فهو أبو الفضائلْ

وأنشدني[٣] إجازة شيخنا أبو الثّناء شهاب الدّين محمود ، ما كتب به إلى القاضي كريم الدّين يتقاضاه سكراً له في الدّيوان :

أيّها السّيّدُ الّذي لو تَجارى ... جُودُه والْحيَا لقَصّر وَبْلُه
والكريمُ الّذي تفرّدَ في الْجُو ... دِ فلم يُلفَ في المكارم مِثْلُه[٤]

(١) في (ق) ، (س) : « بالعَوْد » .
(٢) في الأصل : « عليها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٣) الكلام من ههنا حتى آخره زاده المصنف على الوافي .
(٤) في (ق) ، (س) : « بالجود » .

والّـــذي كُـلُّ مـــا تفرّقَ بين النّـ ـــاسِ مِنْ فَرْعِ نـائـلٍ فهـو أَصْلُـه
والّـــذي كلُّ مـــا يُقـــال مِنَ الأو صـافِ والْمَـدْحِ والثّنـا فهـو أَهْلُـه
عمّ معروفـــــهُ وتمّت أيـــــاديـ ـه ، وزادت علياه وامتدَّ فضله[1]
وسما نَيْلُـــــه على النّيـــلِ إذ في كلّ يـوم إنْ تـأتِـه فـاض فَضْلُـه
وهمى جُـودُه فلـو لم يُسَـلْ سـأ ل ومَنْ لم يَقْصِـدْه وافـاه بَـذْلُـه
ليَ رَسْمٌ على نَـــداك مِنَ السّكّـ ـر هـــذا أوانُـــه ومَحلُّـــه
وخصـوصـاً والعَبْـدُ مِنْ إثرِ ضعفٍ آده ثقْلُـــه وأعيـــاه حَمْلُـــه
ليَ منّي تصحيفُـــه في نِظَـــامٍ يتقـاضـــاه عَقْـدُه أو حَلُّـــه
مِثْـل مـولاي مَنْ يرى الشّكر أولى فهـو آل النّـدى ويُصبيـه فِعْلُـه
فابْقَ واسْلَمْ يُعزى إليك النّدى والـ ـجـود والفَضْـلُ والتّطـوُّل كلُّـه
مـا تغنّت ورقـاءُ في الـوَرَق النّضـ ـر وحلّى معـاطِفَ الدّوحِ ظِلُّـه[2]

وممّا رثى به الشّيخ شهاب الدّين أحمد بن غانم للقاضي كريم الدّين - رحمه الله تعالى - :

كريمَ الـــدّينِ عِشْتَ بكُـــلِّ خَيْرٍ ومتَّ مـمـــــاتَ كُـــلِّ فتىً كريمِ
شهيـــداً قـــد دَرَجْتَ بغيرِ ذَنْبٍ ولا إثمٍ يُـــــؤَثِّم لـــــلأثيمِ
بلغت جميـع مـــا تختـــارُ حتّى بلـوغِـــك رحمـــةَ الله الرّحيمِ
إلى جنّـات [عـدن] صِرْتَ يـا مَنْ لـــه تشتـــاقُ جنّـــاتُ النّعيمِ[3]
وجُـدتَ بمـا حَوَت كفّـاك فينـا لأرملـــــة وشيـــــخ أو يتيمِ
ولـــــــلأُمراء والفُقراء حتّى لأَثْرى كُـل مُحتـــاجٍ عـــديمِ[4]

(١) في (ق) ، (س) : « عليائه وامتد ظله » .
(٢) في الأصل : « ورق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) .
(٤) في الأصل : « لاترى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

ففي دُنيـاك فُـزْتَ بكُـلِّ حَـظٍّ ... وفي أُخراك بـالأَجْرِ العظيم
وقـد خلّفت مـا يبقى إلى أن ... تقـومَ قيـامـةُ العَظْمِ الرميم[1]
من الـذّكرِ الجميـلِ لكُـلِّ صُنْـعٍ ... حـديثٍ منـك أو برٍّ قـديمِ
منـاقبُ خصّهـا الرّحمنُ منـه ... بمـا قـد عَمَّ مِنْ فَضْـلٍ عَميم
وبـالْمَـدْحِ الْمُضَمّنِ كُـلَّ حَمْـدٍ ... وشُكْرٍ ظَـاعنٍ لثنـاً مُقيمِ
ومـا أبقيتَ في قلبي جَـواه الـ ... ـمُجـدِّدَ للهمُـومِ وللغُمـومِ
لقـد جرّعْتَ حين جَرَعْتَ كأس الـ ... ـحِمَـامِ فتـاك كاسـاتِ الحميم
ففي الجنّـات أنت بغير شـكٍّ ... ومن خَلَّفْتَ في نـار الجحيم
ويُحسب من تَصَبُّره سليمـاً ... وكيف وليلُـه ليـلُ السّليم[2]
يقضّي ليلـه بتعلّـلاَت ... ويخلـو في دُجَـاه بـالهمـوم
فـلا تَبْعَـد فـإنّ المـوت آتٍ ... على المخـدوم منّـا والخـديم

١٠٣١ ـ عبد اللّطيف بن بلبان*

ابن عبد الله السّعودي ، الشّيخ الصّالح الفاضل سيف الدّين أبو محمّد .

كان خليفة الشّيخ عُمَر السّعودي مدّة ، ثمّ ولي المشيخة ولدُ الشّيخ عمر .

سمع من ابن عزّون ، والْمُعين ابن القاضي الدّمشقي[3] ، وخَرَّجَ لـه شهـابُ الـدّين الدّمياطي (جزءاً) . وكان فيه خيرٌ وديانة ، وله شِعْرٌ وكلام على طريقة القوم .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عشر ربيع الآخر سنة ستّ وثلاثين وسبع مئـة ، ودفن بالقرافة ، وكتب في الإجازات .

---

(١) في الأصل : « العظم العظيم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) السليم : الملدوغ .

* الـوافي : ١٢٠/١٩ ، والـدرر : ٤٠٦/٢ ، ويعرف أيضاً باسم بلبـان بن عبـد الله السعـودي ، الـدرر : ٤٩٢/١ ، وسيكرر المصنف الترجمة باسم : عبد اللطيف الشيخ سيف الدين .

(٣) هو المعين أحمد بن علي بن يوسف (ت ٦٧٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

١٠٣٢ ـ عبد اللّطيف بن خليفة*

الصّدر الْمُعَظّم الفاضل شمس الدّين العَجَمي أخو النّجيب كَحّال غازان وغيره .

كان النّجيب المذكور له صورة كبيرة ، ومحل زائد عند ملوك الْمُغُل ، وكان أخوه [هذا][١] شمس الدّين عبد اللّطيف قد تسمّى في تلك البلاد بالملك الصّالح ، ووَرَدَ إلى الدّيار المصريّة ، فأُكْرِمَ كثيراً إلى الغاية .

وكان أديباً فاضلا ، لبيباً عاقلا ، على ذهنه غوامض من العربيّه ، وعنده نكت ظريفة أدبيّه ، يترسّل بغير سجع ، وينبت[٢] في طروسه أزاهر بغير رَجْع ، لكن بعبارةِ فاضل ، بحّاث[٣] مناضل ، يشتشهد على مقصوده بالآيات الكريمه ، والأحاديث القويمة والحكمة القديمه ، والأشعار[٤] الرّائقه ، والفِقَر الفائقه ، وخطّه قَوِيّ إلى الغاية من [عادة][٥] تعليق العجم ، وشِبْه الزّهر الّذي أينع لَمّا نجم ، وله مداخلات مع السّلطان وغيره مِنْ أَرْباب الدّوله ، وممّن له في الدّهر جوله ، يتحدّث بالتّركي والعجمي فصيحا ، ويَذَرُ من[٦] يجادله في الوقت طريحا .

وكان له إقدام على الأكابر ، وجُرأة على أرباب السّيوف والمحابر ، ويحضر عند السّلطان في بعض الأحيان ، وينفع من يُريد ، ويُضرّ بكلّ لسان .

ولم يزل على حاله إلى أن مرِضَ بفالج ، فكَابد منه ألماً يعالج من بَرْحِهِ ما يعالج ، ثمّ إنّه بطلت حركاتُ جوارحه ، وقُيّدت مُطْلَقات سوارحِه .

---

* الوافي : ١٢١/١٩ ، والدرر : ٤٠٦/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « ويثبت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) في الأصل : « نجاب » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « والأشغال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

(٦) في الأصل : « وعير بمن » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الاثنين سلخ المحرّم سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وَجَدُوه غريقاً في البركة ، ودفن في مقابر باب النّصر .

وكان له من الرّواتب في تلك الأيّام ما يقارب الألفي درهم ، واجتهد بدهائه ، إلى أن جعل ذلك في جملة رواتب المماليك السّلطانيّة حَتّى[١] إنّ المستوفين لا يتعرّضون له إذا عملوا اِسْتيماراً ، وكان الأمير سيف الدّين أرغون النّائب إذا رآه في القلعة يقول : ما أحسدُ إلاّ هذا الشّيخ الّذي له في كلّ شهر ألفا درهم ، وهو دائر بطّال بلا شُغْل .

وكان يحضر عند السّلطان في سِرْيَاقوس ، ويتكلّم بين يديه بالنّفع والضّرّ لمن يريد ، لأنّه كان خبيراً بأخلاق الملوك ، ومخاطباتهم وسياساتهم . قال لي من لفظه : أنا أتعيّش بين النّاس ، وأتجوّه[٢] عندهم بكلّ جلْسَة أجلسها بسرياقوس عند السّلطان عدّة شهور .

وكانت له خصوصيّة بالقاضي فخر الدّين ناظر الجيش[٣] ، وبالقاضي علاء الدّين بن الأثير كاتب السّرّ ، ونَفَع جماعة ، وهو كان أحدَ من ساعد الخطيب جلال الدّين القزويني على تَوَلِّيهِ قضاء القضاة بالشّام وعلى الحضور إلى قضاء الدّيار المصريّة .

ودخل يوماً إلى القاضي مجد[٤] الدّين بن لُفَيْتَة ، وهو ناظر الدّولة ، يطالبه برتّبه وألحّ عليه ، وزاد في الإبرام ، فقال له : يا مولانا كلّ شهر ألفا درهم ، ما تُمْهِلْ علينا بشهر واحد ؟، فقال : يا مولانا هذه الأُلْفَان الّتي لي ما تكفي هذا عبدَك الّذي يحمل دواتك أن يَشْربَ بها نبيذاً ، فلم يُجِبْهُ بكلمة ، وصَرَف له ما أراد .

---

(١) في الأصل : « على »، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) مِنَ الجاه .

(٣) في (ق) : « الجيوش » .

(٤) في الأصل : « نجم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

وكان إذا حضر عند فخر الدّين ناظر الجيوش أخذ الورقة من يده ، ونتشها بعنف ، ورمى بها ، وقال[١] : خَلِّنا من هذه ، وتحدّثْ بنا في شأننا .

وكان شيخاً تامّ القامة ، أعشى البصر قليلاً ، ذا عمّة [صغيرة][٢] كأنّها تَخْفِيفة ، وكان لا يخاطَبُ إلاّ بمولانا ، وكات يدّعي أنّه قرأ المنطق على الأثير الأبهري[٣] .

وكانت له دار مليحة على بركة الفيل ، وله أموال وجواهر نفيسة ، رأيته يوماً وقد دخل إلى الأمير شرف الدّين حسين بن جندر بك ، وقد انقطع الأمير من وجع مفاصل كان يعتريه في رجليه ، وكان قد غاب عنه مدّة ، فلمّا رآه مقبلاً ؛ قال له : يا مولانا ! أين كنت في هذه الغيبة ؟ واويلاه من يدك ، فقال له شمس الدّين عاجلاً : واويلاه من رجلك .

وكان أصله بتلك البلاد يهودياً ثمّ أسلم ، ولّما انفلج جاء إليَّ الشّيخ شمس الدّين محمّد [ابن][٤] الأكفاني ، وقال لي[٥] : يا مولانا الآن . كما[٦] أسلم شمس الدّين العجمي ، فقلت له : كيف ذلك ، وهو قديم الإسلام ؟! فقال : لأنّ المسلمين سلموا من يده ولسانه ، يعني بالفالج الّذي حصل له .

أخبرني من لفظه العلاّمة شيخ الإسلام ، قاضي القضاة تقيّ الدّين السّبكي ـ رحمه الله تعالى ـ قال : اجتمع يوماً شمس الدّين ، والأمير ناصر الدّين بن البابا ، وشجاع الدّين التّرجمان ، ونجم الدّين بن قاسم بن مرداد ، فقال ناصر الدّين : أَخْبَرني

(١) في (ق) ، (س) : « وقال له » .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) هو أثير الدين المفضّل بن عمر ، كما ذكر الصفدي في الألقاب من الوافي : ١٨٩/٦ ، وتوفي هذا المذكور سنة (٦٦٣ هـ) ، انظر : الأعلام ٢٧٩/٧ .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « له » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٦) كذا وقع في الأصول ، وفي الوافي : « لما » ، وفي بعض أصوله : « كما » ، وسياق الكلام على إسقاطها .

هذا ، وأشار إلى أحد الاثنين ، فقال شمس الدّين : من هو هذا ؟ ﴿ إنّ البَقَر تَشَابهَ علينا ﴾[١] فقال شجاع الدّين : [مولانا][٢] ، من قال هذا الكلام . فقال شمس الدّين : الّذين قال الله في حقّهم : ﴿ يا بني إسرائيل اذكر نِعمتي الّتي أنعمتُ عليكم وأنّي فَضَّلْتكُم على العالمين ﴾[٣] ، فقال شجاع الدّين : مولانا ، حاشاك تقول مثل هذا !، وإنّما قال الله في حقّهم : ﴿ وضربت عليهم الذّلّة والمسكنة ﴾ الآية[٤] ، أو كما قال .

ولّما دخلت القاهرة[٥] اجتمعت به في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فرأيت منه رجلاً داهية ، خبيراً بما يتكلّم به ، يغلب عليه العقليّات ، ويستحضر من كلام الحكماء جملة وافرة ، وينقل كثيراً ممّا يذاكر به من فنون الأدب ووقائع النّاس ، خصوصاً وقائع ملوك المغل ، وله ذوق جيد في الشّعر ، وتَفَضَّل في حقّي كثيراً ـ رحمه الله ـ ونوّه بذكري عند الأكابر وأثنى عليّ ثناء كثيراً انتفعت به ، شكوت إليه يوماً من بعض الكتّاب ، فقال لي : مولانا القواهر العلويّة دائمة الفيض ممنوعة الحجب تقتصّ من الظّالم للمظلوم ، ومن الحاكم للمحكوم[٦] .

وكتبتُ أنا إليه في أوّل شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة :

يا مَنْ بحَبْلِ وَلائِه أتمسَّكُ ... وبذِكْرِه بين الورى أتمسّكُ
أَوْلَيتَني نِعماً غَدَتْ تترى فما ... تُدرى وغايةُ شُكرها لا تُدْرَكُ
وأَفَدْتني فَضْلاً بكُلِّ نفيسةٍ ... تُشرى فجودُك في الورى لا يُشرَكُ
أنتَ المبوّأُ ذِرْوةَ الْمَجْدِ الّتي ... عزّت فما لِسوَاك فيها مَسْلَكُ

(١) البقرة : ٧٠/٢ .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٣) البقرة : ٤٧/٢ .
(٤) البقرة : ٦١/٢ .
(٥) في (ق) ، (س) : « إلى القاهرة » .
(٦) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

حُزْتَ السّيادَة في الأنامِ وأنت في ... أَهْلِ العلوم على الجميع مُملَّكُ
كلٌّ ينامُ عَنِ الْمَحامِد والعُلا ... وإذا دُعي لفضيلةٍ يَسْتَدْرِكُ
إلاّ عَزائمُك العليّةُ كم لها ... في كَسْبِ ذلك باعثٌ ومُحرِّكُ
وتجود مُبتدِئاً ومالَكَ مَقْصَدٌ ... إلاّ طِباعُ فتىً غدا يَتَبَرْمَكُ
شِيَمٌ من النّفس الأبيّةِ أَشْرَقَتْ ... أبداً تُقادُ إلى الجميل وتُمْلَكُ
وغدت مرنّحةً بما تُوْلي الورى ... صُنْعاً جميلاً شأوه لا يُدرك
هذَّبْتَها بمعارفٍ قُدسيّةٍ ... فتَبيْتُ تُصْقَلُ بالعلومِ وتُسْبَكُ
حتّى لَقَد خَلَصَتْ ونَوَّر ذاتَها ... عِرفانُ مَنْ بجَنابه تَتَمسّكُ
إنْ لم يكن هذا فكيف بَرَرْتني ... وجعلْتَ ثَغْرَ الدهرِ نحوي يَضْحَكُ[1]
يا شمسَ فَضْلٍ ظلُّه المبسوطُ لي ... أنا من سَناه في الورى أتبرّكُ
سطّرْتُ ما أوليتني ذهباً على ... وَجْهِ الزّمان وذا المديحُ يُزمَّك
فتهنَّ شهراً قد أتاك مبشّراً ... يا خير مَنْ بصيامه يُتَنَسّكُ
واسْلَمْ ودُمْ في كلّ خَيرٍ وافرٍ ... من حيث يأتي لا يُمَلُّ ويُتْرَكُ[2]
ما بات ضوءُ الشّمس يَصْقُلُ جدولاً ... ويروحُ مِنْ نَفَسِ الصَّبا يتفرَّكُ

١٠٣٣ ـ عبد اللّطيف بن محمد بن سند*

سراج الدّين التّاجر الكارمي الإسكندراني .

كان من أعيان الكارم ، وذوي الجود والمكارم ، رئيساً وجيها ، فاضلاً نبيها ، وقف وقوفاً جيّده ، وبنى مدرسة بالثغر للمحاسن متصيّده ، وسمع وروى ، وأطنب في ذلك وما غَوى ، وله (ديوان) كلّه أمداح نبويّه ، ومحامد على خير البريّه .

(١) في الأصل : « الزهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٢) في (ق) ، (س) : « كل سعد » .
* في الوافي : ١٢٣/١٩ ، واسمه فيه : « عبد اللطيف بن الرشيد الربعي التكريتي الكارمي » . والدرر : ٤١٠/٢ ، وتذكرة التنبيه : ٦٠/٢ .

ولم يزل على حاله إلى أن طَفِئ سِرَاجُه ، وكَمُلَ نَقْدُ عُمْرِه وخَراجُه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد سمع من النّجيب ، وابن فارس[١] ، وغيرهما ، وحدّث وسمع منه الأعيان .

ومن شعره :

لي بالأُجَيْرِعِ دونَ وادي الْمُنْحنَى ... قَلْبٌ تُقَلِّبُه الصّبابةُ والضنا[٢]
غارُوا عليه بالغُوير ويَمَّموا ... نَجداً سُحَيْراً واستقلوا أيْمَنا
مَلَكُوه منّي بالمكارم والعُلا ... وحَمَوْه عنّي بالصّوارم والقَنَا
أتبعتُهُمْ يومَ استقلّتْ عِيْسُهم ... بُحُشاشةٍ أَلْفَتْ معاناةَ العَنَا
ونثرْتُ من جَفْنِي عقيقَ مَدَامِعي ... حين التّفرُّقِ فاستحالت أعْيُنَا[٣]
وسَرَتْ بيَ الهُوجُ البوازلُ تَرْتمي ... ليلاً ولذّ لَها الفَناءَ على الفَنا[٤]
حتّى إذا أهدت لنا ريحُ الصَّبا ... عَرْف الْخُزامى زال عنها ما عنى
فأنخت نِضْوي ثمّ قلتُ لها : قفي ... مهلاً رويدك فالْمُعَرَّسُ ههنا

وأنشدني من لفظه العلاّمة أبو حيّان قال : ومن شعر سراج الدّين المذكور :

ما للنياقِ عن العَراقِ تميلُ ... تهوى الحجازَ ومَا إليه سَبيلُ[٥]
ذكرَتْ لياليَها الموافي بالحِمى ... والوَجْدُ منها سائِقٌ ودَليلُ[٦]

---

(١) هو إبراهيم بن أحمد (ت ٦٧٦ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .
(٢) في الأصل : « والعنا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر ، والتذكرة .
(٣) في الدرر : « مدامع » .
(٤) الأولى : ضرب من النبات تأكله الإبل ، والثانية : جبل بنجد .
(٥) في الوافي : « عن الفراق » ، تصحيف .
(٦) في الوافي : « سابق » .

واستَنْشَقت عَرْفَ الخزامِ وشاقها ... ظِلٌّ بأكنافِ الغُوَيْر ظليلُ
عَجَباً لها تَهوى النّسيمَ تَعلُّلاً ... بنسيمِ رامةَ والنّسيمُ عليلُ
تَرِدُ النُّقَيْبَ وما تبلُّ به صدىً ... وتَوَدّ لو أنّ العُذَيْب بديلُ
لله ليلتُها وقَدْ لاحَتْ لها ... أعلامُ يثربَ واستبانَ نخيلُ
وبَدا لها شِعْبُ الثّنيّةِ فانْثَنَتْ ... تَهْتزّ مِنْ طَرَبٍ به وتَميلُ
يَحْدُو لها حادي السُّرى مترنّماً ... ما بَعْد طيّبةَ للرّكاب مَقيلُ
يا سائقَ الوجناءِ عرّجْ بالغضا ... فهُنَاك عُرْبٌ بالأراك نزولُ[1]
دارٌ لعَزّةَ ما أعزَّ جوارَها ... وظِلالُها للوافدين نزُولُ
للنّوقِ مَرْعَاها البهيجُ وللعِدَى ... نَقِمٌ تهيجُ وللجيادِ صَهيلُ
فإذا حَلَلْتَ فللظباء مراتعٌ ... وإذا رحلت فللحمَام هديلُ

١٠٣٤ ـ عبد اللّطيف بن أحمد*

ابن محمود بن الإمام الفاضل التّاجر ، سراج الدّين بن الكُوَيْك ، بكاف أولى مضمومة ، وبعدها واو مفتوحة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وبعدها كاف أخرى .

كان فاضلاً جَيّدَ العربيّه ، والمقاصدِ الدّقيقة الأدبيّه ، حسنَ الشّكالة والمحيّا ، لو حاول القَمَرُ حُسْنَه ما تمّ له وما[2] تهيَّا ، حسن النظم البارع ، جيّد الذّهن فيما يفهمه وإليه يُسَارع .

سمع بقراءتي على شيخنا أثير الدّين كثيرا ، وكان يُحِلّني من قلبه محلاً أثيرا .

---

(١) في الوافي : « بالغضا » ، تصحيف . وفي الأصل : « لا تزال نزول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

* الوافي : ١٢٤/١٩ ، والدرر : ٤٠٥/٢ .

(٢) في (ق) ، (س) : « ولا » .

توجّه إلى التَّكْرور[١] بتجارة فلم يَكُر ، وحلَّ به من الموت هناك الأمر النُّكُر .

وتوفّي هناك ـ رحمه الله ـ سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

اجتمعت به غير مرّة ونحن نَحْضُر حلقة شيخنا أثير الدّين ، وسمع بقراءتي جملة[٢] ، وكان شافعيَّ المذهب ، قدم دمشق سنة عشر وسبع مئة ، وسمع بنت البطائحي[٣] وإسحاق الأسدي وابن مكتوم .

وقفتُ على ثلاثة أبيات بخطّه كتبها على مصنّف لشيخنا العلاّمة شيخ الإسلام تقيّ الدّين السّبكي سمّاه (كلّ وما [عليه][٤] تدلّ) وهي :

لله دَرُّ مسائلٍ هَذَّبْتَها ... ونفيت خُلْفاً عَدّ خَلْفاً نَقْلُه
وحَلَلْتَ إذ قيّدت بالشّرطين ما ... أعيا على العلماء قبلك حَلُّه
فَعَلا على الشّرطين قَدْرُك صاعداً ... أَوْجَ العلومِ وفوق ذاك محلّه

١٠٣٥ ـ عبد اللّطيف بن عبد العزيز*

ابن عبد السّلام ، الفقيه محيي الدّين بن الشّيخ عزّ الدّين السُّلَمي الدّمشقي الشّافعي .

روى عن ابن اللَّتي ، وطلب الحديث بنفسه بالقاهرة وقرأ على الشّيوخ ، فكان أفضَلَ الإخوه ، وهو من بينهم صاحب القريحة والهمّة والنّخوه ، قرأ الفقه وتميّز ،

---

(١) قال ياقوت : « بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه النّاس بالزنوج » . معجم البلدان : ٣٨/٢ .

(٢) عبارة الوافي : « وسمع بقراءتي جملو من شعر الشيخ أثير الدين » .

(٣) فاطمة بنت علي بن عساكر (ت ٦٨٣ هـ) ، الشذرات : ٣٨٣/٥.

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

* الوافي : ١١٩/١٩ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٠/١ .

وانزوى إلى زاوية العلماء وتحيّز ، وكان يعرف تصانيف والده جيّدا ، ولم يكن عن معرفة غيرها متحيِّدا .

ولم يزل على حاله إلى أن لقي عبد السّلام من ربّه سَلاَما ، ولم يسمع مُحادِثُه منه كلاما .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ستّ وتسعين وستّ مئة ، وقيل : سنة خمسٍ[١] .

١٠٣٦ ـ عبد اللّطيف بن عبد العزيز*

الشّيخ مجد الدّين بن تيميّة الحرّاني الحنبلي .

روى عن جدّه ، وعن عيسى بن سلامة ، وابن عبد الدّائم[٢] . وخطب بحرّان سنوات ، وكان عدلاً خيراً .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

١٠٣٧ ـ عبد اللّطيف بن محمد**

ابن الحسين العلاّمة أبو البركات بدر الدّين بن[٣] شيخ الشافعيّة القاضي تقيّ الدّين بن رزين الْحَمْوي المصري الشّافعي .

كان إماماً تفنّن ، وعرف المذهب وتعيّن ، ودرَّسَ وأفتى ، وحَسُنَ وصفاً ونعتا ، أعاد لأبيه ، وولي قضاء العسكر ، فلم يكن له فيه شبيه ، ودرّس بالظّاهريّة ، وخطب بالجامع الأزهر .

---

(١) وولادته كما في الوافي : سنة ثمان وعشرين وست مئة .

* الوافي : ١١٨/١٩ .

(٢) في الأصل : « وابن عبد السلام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

** الوافي : ١١٧/١٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٤ ، والدرر : ٤٠٩/٢ ، والشذرات : ٢٦/٦ .

(٣) ليست في الوافي .

ولم يزل على حاله إلى أن خَفّ ابن رزين على نعشه ، وبَلَّه وَبْلُ الرّدى بطَشِّه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشري جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة .

ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين وستّ مئة .

وحَدَّثَ عن عثمان خطيب القرافة ، وعبد الله ابن الْخُشُوعي ، وغيره ، وكان قد حفظ (الْمُحَرّر) في الفقه[١] .

وكان فقيهاً كبيراً قد تولّى الإعادة لوالده ، وهو ابن عشرين سنة ، وأفتى ، وناب في الحكم بالقاهرة وقَلْيوب ، وولي قضاء العسكر في حياةِ والده ، واستمّر على ذلك إلى أن مات ، أكثر من ثلاثين سنة .

ودرس بالمدرسة الظّاهريّة ، والسّيفيّة والأشرفيّة ، وخطب بالجامع الأزهر ، وكان يذكر الدّروس من الفقه والحديث والتّفسير والأصول ، وكان له اعتناء بالحديث والرّواية .

وولي قضاء العسكر عوضه جمال الدّين الأذرعي مضافاً إلى قضاء القضاة بمصر .

١٠٣٨ ـ عبد اللّطيف بن عبد العزيز*

الشّيخ الإمام النّحوي المقرئ شهاب الدّين بن المرحل الحرّاني .

كان في النّحو علاّمه ، له فيه أمارات[٢] بيّنة وعلامه ، لو عاصره الأستاذ ابن عصفور لكان غلامَه ، متثبتاً[٣] فيما يقوله ، سالمةً من الشّكّ نقولُه ، يكتب خطّاً

(١) هو المحرر في فروع الشافعية لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) ، الكشف : ١٦١٢/٢ .

* الوافي : ١١٩/١٩ ، والدرر : ٤٠٦/٢ ، والشذرات : ١٤٠/٦ ، والسلوك : ٦٥٩/٣/٢ ، وتذكرة النبيه : ٤٩/٣ .

(٢) في (س) : « أمارة » .

(٣) في الأصل : « مثبتاً » ، وأثبتنا ما في (س) .

حسناً قويا ، ويأتي به في المنسوب سويّا . وكان يتردّد من مصر إلى حلب ، ويتّجر بالكتب فيها إذا جلب .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل رحلةً لم يعد منها إلى هذه الدّار ، ورثاه حتّى الْحَمَام الهدّار .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة .

سمعتُ (صحيح) البخاري بقراءته في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بالظاهريّة بين القصرين على شيخنا أبي الفتح .

وكان فيه جمود يسير ، وما اعتقد ذاك الجمود عن بَلادة ، ولكنّه كان ذا تثبّت[١] في النّقل .

أخبرني الشّيخ شمس الدّين محمّد بن الخبّاز ، قال : سألته بحلب ، فقلت : يا سيّدي ، « كشاجم » بكسر الكاف أو فتحها أو ضمّها ؟ فأخذ يفكّر زماناً ، ويقول : كُشاجم بضمّ الكاف مثل « عُلابط »[٢] ، هذا وزن صحيح ، ثمّ التفت إليّ ، وقال : يا سيّدنا ، لا تنقل عنّي في هذا شيئاً ما يحلّ لك .

قلتُ أنا : المعروف بين أهل الأدب أنّه كشاجم بفتح[٣] الكاف لأنّه كما قيل في سبب تسميته بذلك أنّه كان كاتباً شاعراً أميراً جليساً منجّما ، فأخذوا له من كلّ وصفٍ حرفاً وركّبوا له هذا الاسم .

وكان الشّيخ شهاب الدّين[٤] ـ رحمه الله تعالى ـ يعرف (ألفيّة ابن مالك) ، أقرأها جماعة بالقاهرة وحلب ، وممّن قرأها عليه بالقاهرة أخي إبراهيم .

(١) في (س) : « شديد التثبت » .
(٢) في الأصل و (س) : « علائط » ، تصحيف .
(٣) في الأصل : « بضم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) في الأصل : « شهاب الدّين أحمد » ، سهو ، وأحمد أخوه ، انظر : ما قاله في الدرر .

وقد اجتمعت به ـ رحمه الله تعالى ـ غير مرّة ، وأخذت من فوائده ، وكان يلازم سوق الكتب كثيراً لأنّه كان يتّجر فيها ، وينقلها إلى حلب .

١٠٣٩ ـ عبد اللّطيف بن نصر*

ابن سعيد بن سعد بن محمّد بن ناصر بن الشّيخ أبي سعيد[١] الْمَيْهَني الشيخي[٢] ، نجم الدّين شيخ الشّيوخ بالبلاد الحلبيّة بن الشّيخ بهاء الدّين أبو محمّد .

سمع من جدّه لأمّه حامد بن أميري ، وعبد الحميد بن بليان[٣] ، ويحيى بن الدّامغاني[٤] ، وابن رُوْزْبَه ، وغيرهم .

أقام بحلب وحدّث بها .

وغصّ بلقمة ، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة سبع وتسعين وستّ مئة .

ومولده [بحمص][٥] سنة تسع وستّ مئة ، وكتب لشيخنا الذّهبي بإجازة مرويّاته .

١٠٤٠ ـ عبد اللّطيف**

الشّيخ سيف الدّين شيخ زاوية السّعوديّة بالقاهرة ، كان يعرف قبل ذلك ببلبان الكُرْجي[٦] .

---

* الوافي : ١١٨/١٩ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٥/١ .

(١) في (ق) ، (س) : « سعد » .

(٢) في الأصل : « المنهني الشيخ » تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س)والوافي ، والتذكرة ، والميهني : نسبة إلى ميهنة من قرى فارس . (معجم البلدان) .

(٣) في الأصل : « تيان » ، تحريف ، وسلفت الإشارة إليه .

(٤) هو يحيى بن جعفر بن عبد الله ، الدامغاني (ت ٦٣٠ هـ) . إعلام النبلاء : ٣٥٤/٤ .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

** سلف أن ترجم له المصنف باسم : عبد اللطيف بن بلبان .

(٦) في الأصل : « الكرخي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

سمع من المعين أحمد بن علي بن يوسف الدّمشقي[١] ، وأبي إسحاق إبراهيم ابن عمر بن مضر[٢] ، غيرهما . وخُرّجت له (مشيخة) لطيفة ، وكتب خطّاً حسناً متوّسطاً .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وكتب بخطّه :

أَجَزْتُ لهم روايةَ كُلِّ مالي ... روايته سماعاً أوْ إجازَهْ
ومالي من مقولِ مؤلّفاتٍ ... حوت نظماً ونثراً لي مُجَازَهْ
أجزتهم وأرجو الله ربّي ... ينيلهم الكرامة والعَزَازَهْ

١٠٤١ ـ عبد المحسن بن حسن*

ابن سليمان البارنباري جمال الدّين .

أخبرني من لفظه العلاّمة أثير الدّين قال : رأيته مراراً بالقاهرة ودمياط ، وبمصر ، وله نظم ، منه ما أنشدني لنفسه بدمياط وهو :

متّى يا أُهيلَ الحيّ أحظى بقربكمْ ... ويبلغُ قلبي مِنْ لقائكم القصدا
وترجع أيّامٌ تقضّتْ على الحِمى ... وتُنجِزُ ليلى من تواصلها الوَعْدَا

قال : وله أيضاً :

مَنْهَجُ فخر الدّين في حُكْمِه ... وشَرْعِه أقْومُ مِنْهاجِ
قَدْ وَسِعَ النّاسَ بأخلاقه ... فماله في الخلقِ مِنْ هاجِ

---

(١) (ت ٦٧٠ هـ) ، الوافي : ٢٤٠/٧ .
(٢) (ت ٦٦٤ هـ) ، العبر : ٢٧٦/٥ .
* الوافي : ١٤١/١٩ ، والدرر : ٤١١/٢ .

١٠٤٢ ـ عبد المحسن بن أحمد*

ابن محمّد بن علي ، الشّيخ المسند أمين الدّين أبو الفضائل بن شهاب الدّين بن الحافظ جمال الدّين أبي حامد[١] بن الصّابوني .

أجاز لي بخطّه المرتعش الْمِعْوَجّ بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة السّبت سادس جمادى الأولى سنة ستّ وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في سابع عشر ذي الحجّة سنة سبع وخمسين وستّ مئة .

وسمع من أصحاب البوصيري ، وكان مكثراً . وحدّث وهو من رواة (جزء ابن عرفة) . وسمع ابن عزون ، وابن القاضي الدّمشقي ، وابن علاّق[٢] ، والنّجيب الحرّاني بالقاهرة ، وبدمشق من ابن أبي اليسر ، وابن عبد ، وشيوخ جمّة .

وكان شاهداً بمصر ثمّ ضعف بصره .

١٠٤٣ ـ عبد المحسن بن عبد اللطيف**

ابن محمّد بن الحسين بن رزين ، القاضي الإمام علاء الدّين بن القاضي بدر الدّين ابن قاضي القضاة تقيّ الدّين بن رزين .

سمع من العزّ الحرّاني ، وغازي .

سمعتُ خطابته ودَرْسَه بالظّاهرية غير مرّة ، وكان فصيحاً بليغاً ، ودَرْسُه بسكون ، لا يتكلم فيه أحدٌ غيرُه .

---

* الوافي : ١٤٧/١٩ ، والدرر : ٤١١/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٧٥/٢ .

(١) في الأصل : « المحامد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « علاّن » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ١٤٧/١٩ ، والدرر : ٤١٢/٢ .

أجاز لي بخطّه في رابع المحرّم سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الاثنين عاشر شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

وسمع من ابن خطيب المزّة (سننَ أبي داوود) بقراءة أبي حيّان .

وكان خطيباً بالجامع الأزهر .

١٠٤٤ ـ عبد المحمود بن عبد الرحمن*

ابن محمد بن [عمر بن محمد بن] عبد الله الشّيخ الإمام القدوة والصّدر الكبير شهاب الدّين أبو القاسم بن أبي المكارم بن الشّيخ عماد الدّين أبي جعفر بن الشّيخ الإمام القدوة شهاب الدّين أبي حفص السُّهروردي البغدادي .

كان شيخاً قَدْرُه كَبير ، له وقار يَخِفّ عنده ثَبير ، صَدْرُ العراقِ وقَلْبَه ، وعينه الّتي يُطْبق الدّهر عليها هُدْبَه ، أمواله جزيله ، وحشمته نبيله ، وكلمته كالسّهام النّافذه ، وعَظَمته في النّفوس تُرى وهي إلى الثّريّا آخذه . وكان يجلس للوعظ أحيانا ، ويموت سامعوه وَجداً ، وهم يقولون : أحيانا .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح عبد المحمود على الأعناق محمولا ، وقَطع مِن كلّ مَنْ كان يؤمّه مأمولا .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر شهر رجب سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد لبس الخرقة من جدّه أبي جعفر محمد ، وروى عنه (سداسيّات) القاسم بن عساكر . ولشيخنا علم الدّين البرزالي منه إجازة .

---

* الوافي : ١٤٨/١٩ ، وترجمته مبتسرة ، والدرر : ٤١٣/٢ ، والشذرات : ٣٤/٦ ، وما بين حاصرتين زيادة من الأصول الأخرى ، وانظر أيضاً : ذيول العبر : ٧٨ .

١٠٤٥ ـ عبد المحمود بن عبد السلام*

ابن حاتم بن أبي محمد بن علي البعلبكي الدمشقي الشافعي الشيخ الإمام العالم مجد الدين أبو المحامد .

اشتغل وحفظ (التنبيه) وعَرَضه على المشايخ ، وقرأ على الشيخ محيي الدين النووي ، ولازم الشيخ برهان الدين الإسكندري وقرأ عليه القرآن و (التنبيه) . وسمع الحديث من القاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي[١] وحدث عنه .

وقال : كتبت الأسماء في مجالس الحديث ، وقرأت بنفسي على الكَرْجي[٢] والقاضي ابن الخُويِّي[٣] ، وأجلسني مع الشهود القاضي بهاء الدين بن الزكي[٤] .

وكان يدّعي أنه من ذريّة أبي فراس بن حمدان .

توفي رحمه الله تعالى في يوم الاثنين عرفة تاسع ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وقال : كنت رضيعاً عندما دخل هولاكو البلاد .

١٠٤٦ ـ عبد الملك بن أحمد**

ابن عبد الملك الأنصاري ، تقي الدين الأرمنتي الشافعي .

---

* الدرر : ٤١٣/٢ .

(١) عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعي (ت٦٧٣ هـ) ، العبر : ٣٠١/٥ .

(٢) عمر بن يحيى بن عمر (ت٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٩/٥ ، ووقع في الدرر : « الكرخي » .

(٣) محمد بن أحمد بن الخليل (ت ٦٩٣ هـ) ، العبر : ٣٧٩/٥ .

(٤) يوسف بن يحيى (ت٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٦/٥ .

** الوافي : ١٥٢/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٣٩ ، والدرر : ٤١٤/٢ .

سمع الحديث على شيخه مجد الدين القشيري ، وابنِهِ الشيخ تقي الدين[١] ، وعلى عبد المحسن ابن إبراهيم الْمُكْتِب[٢] وغيرهم .

وحدّث ، وكان فقيهاً مفتيا ، معيداً في فضله مبديا وكان يُحسن إلى الفقهاء ، ويجود على الأدباء[٣] ويساعدهم على المناصب ، ويكف عنهم بفضله كل شر واصل واصب .

ولم يزل على حاله إلى أن أنشبت فيه المنية أظفارها ، وحكمت فيه شفارها .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة . ومولده بأرمنت سنة اثنتين وثلاثين وست مئة[٤] .

وكان قد أجازه الشيخ مجد الدين بالإفتاء ، وله أرجوزة في الحُلى ، ورجزٌ[٥] (تاريخ مكة) للأزرقي[٦] . وكان يكتب خطاً رديئاً لا يحسن أحد يستخرجه إلا الشاذ .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوّي : كان بعض قضاة قوص إذا جاءت إليه ورقة بخطه ، يقول لصاحبها : أحضره ليقرأها .

ومن شعره :

قالَتْ لي النَّفسُ وقد شاهدَتْ حالي لا تَصْلُح أو تَسْتَقيم[٧]

---

(١) مجد الدين هو علي بن وهب بن دقيق العيد (ت٦٦٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢٤/٥ ، والطالع السعيد : ٤٢٤ ، وابنه تقي الدين محمد بن علي ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) الطالع السعيد : ٣٣٥ . والمكْتب : هو معلم الصبيان الخط والكتابة والأدب .

(٣) في الأصل : « إلى الأدباء » ، وفي (ز) ، (س) : « على الألباء » .

(٤) ومولده بأرمنت سنة (٦٣٢ هـ) . كما في الطالع .

(٥) في الوافي : « وموجز » ، تحريف .

(٦) محمد بن عبد الكريم الأزرقي (ت٢٢٣ هـ) ، الكشف : ٣٠٦١ .

(٧) في الطالع : « لا يصلح » .

بـــأي وَجْـــهٍ نلْتَقي ربَّنـــا ... والحـــاكمُ العَـــدْلُ هنـــاك الغَريم
فقلت : حَسبي حُسْنُ ظنّي بـــه ... يُنيلني منـــــــه النعيمَ المقيم
قـالت وقـد جـاهرتَ حتى لقـد ... حُـقّ لـه يُصْليـك نـارَ الجحيم
قُلْتُ معـــــاذ الله أن يبتلي ... بنـــاره وهـــو بحـــالي عليم
ولم أَفُـــه قـــطّ بكفرٍ وقـــدْ ... كان بتكفير ذنـــــــوبي زعيم

وقال في لزوم سُوق الوِراقة :

أيا سـائلاً حـالي بسُوْقٍ لـزِمْتُـهُ ... يُسَمُّونه سوقَ الوراقة ما يُجدي
خُـذ الوصفَ منّي ثم لا تَلْو بَعْـدَه ... على أحدٍ من سائر الخَلْقِ من بعدي[1]
يُكسبُ سـوءَ الظن بـالخلـق كلّهم ... وخسّة طبع في التقاضي مع الحقد[2]
ويَنْقُصُ مقـدارُ الفتى بين قـومـه ... ويُدْعى على رغم من القرب والبُعْد
وإن خـالف الحكام في بعض أمرهم ... يَرَى منْهُم والله كُـلّ الـذي يُردى
ولا سيّما في الـدهر إذ رسمـوا لنـا ... بـأربعـة في كلّ أمر بـلا بُـدّ[3]
ويكفيـه تعبيرُ النقيب وكَـوْنُـه ... يُشَنْطط بين الرسل في حاجة الجندي[4]
وإن قـال إني قـانـع بتفرُّدي ... فهـذا معـاش ليس يَحْصُـل للفرد
فبـالله إلا مـا قبلت نصيحتي ... وعانَيْت ما يُغنيك عنه وما يجدي
وإن كنت مقهوراً عليـه لحـاجـة ... فصابِرْ عَلَيْـه (لا تعيد ولا تبـدي)

---

(١) في الوافي والطالع : « بعدها » .
(٢) في الأصل و (ز) ، (س) : « يكتب » ، وأثبتنا ما في الوافي والطالع .
(٣) في الطالع : « أن رسموا » .
(٤) معّر وجهه : غيّره غيظا .

١٠٤٧ ـ عبد الملك بن الأعز*

ابن عمران الثقفي ، تقي الدين الأسنائي .

كان بالتشيّع مُتّهما ، وعلى التوالي مُلْتمًا . وكان في عداد الأدباء ، ومن جملة الشعراء . وكان قد قرأ النحو والأدب على الشمس الرومي . ورد عليهم أسنا . وله (ديوان) شعر .

ولم يزل على حاله إلى أن جفّ من حياته الورق ، ورَقّ خيطُ عُمره ودَق .

وتوفي رحمه الله تعالى بأسنا سنة سبع وسبع مئة .

ومن شعره :

لا تَلم منْ تُحبّ عنـد سُراه ... فغرامُ الحبيب قـد أسراه
جَـذَبتْـه يـدُ الغرام لَمِنْ يهـ ... ـواه فـاعْـذرْه في الـذي قـد عراه
راح يطوي نشر الليالي من الشَّوْ ... ق إليـه وَوَجْـدُه قـد بَرَاه

ومنه :

جُفوني مـا تنـامُ إلاّ لعَلّي ... أن أراك
فـزرْني قـد براني الشـو ... ق يـا غُصْنَ الأراكْ
وطرفي مـا رأى مثلـك ... وقلبي قـد حـواك
فهو لـك لم يزل مسكْن ... فسبحـان الـذي أسكنْ وحسنـك كم بـه أفتَنْ
ومـا قصـدي سـواك ... حبيبي آه مـا أحلى هـواني في هـواك
فخَـلِّ الصـدَّ والهجرانْ ... ولا تسمـع مـلامْ

* الوافي : ١٥٥/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٤١ ، وفوات الوفيات : ٣٩٦/٢ ، والدرر : ٤١٥/٢ ، ووقع في الأصل : « الأعز » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والمصادر الأخرى . ووقع في الوافي والطالع : « التقي » موضع « الثقفي » .

وصِلْني يـــــاقضيب البـــــانْ ففي قلبي ضِرام
وجُـــدْ للهـــائم الـولهـــانْ يـــــابَـــــدْرَ التمام
وزُرْ يـا طَلْعَـةَ البْـدرِ ودَعْ يـــاقـــاتلي هجري وارْفُـقْ قَـدْ فني عمري
وعِـدْ أيـام وفـاك واسمح[1] أن أقبِّـل يـــا مليـح بـالله فـاك
إذا مـــا زاد بي[2] وجـــدي ولا ألقى معين
وصـــار معي على خـــدي كالمـــــاء المعِين[3]
أفكّر ألتقيـــك عنـــدي يطيب قلبي الحـــزين
لأنّك[4] نزهـةُ النـاظر وشخصُك في الفُؤاد حـاضر وحبي فيـك بـلا آخر
وقـولي قـد كفـاك فجُـدْ واعْـدِل وعُـدْ واصِلْ وَصْـل مَنْ رضـاك[5]
جبينـك يُشبـه الإصبـاح بنـورو قـدْ هـدى[6]
وريقُـك مِنْ رحيـق الراح بـه يُروى الصّـدى
وخـدُّك يُبْهِرُ التفـاح مُكَلّـل بـالنّـدى[7]
سبـاني لـونُـه القـاني فخّـلاني كئيب عـاني تجُـافي النّـومُ أجفـاني
فهـل عيني تراك فـذاك اليـوم فيـه خـدّي أعُفِّر في ثراك
عـذولي لا تطـل واقصر ودَعْ صَبّـاً كئيبْ[8]
تـأمّـل مَنْ هـويت وابصرْ إلى وَجْـه الحبيبْ

(١) في (س) : « واسمح لي » .
(٢) في الأصل : « زاد في » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .
(٣) في الطالع : « كما الماء » .
(٤) في الأصل : « لأنه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي والطالع .
(٥) في الوافي والطالع :
فجـد واعـدلْ وصِـلْ وواصـل رضـاي من رضـاك
(٦) في الطالع : « المصباح » .
(٧) في الطالع : « وخدك يشبه » .
(٨) في الأصل : « لا تطيل » . وأثبتنا ما في الطالع .

وكُنْ يـــــاصـــــاح مُستبصرْ ترى شيئـــــــــــــاً عجيبْ
ترى من حُسْنه مُبدع كبـــــدر التّم إذ يطلـــع تحير[١] لم تَدْر ما تصنع
ولا تعرف هـــــداك وتبقى مفتكر حيران إلاّ إنْ هَـــــدَاك

١٠٤٨ ـ عبد الملك بن عبد الرحمن*

ابن عبد الأحد بن عبد العزيز بن أبي نصر حمّاد بن صدقة الحّراني العطار ، الشيخ جمال الدين العطار ، عرف بابن العُنيقة .

قال شيخنا البرزالي : سمعت عليه الفوائد الملتقطة المخرَّجَة من مسموعات أبي الفتح عبد الله بن أحمد بن أبي الفتح الخِرقي الأصبهاني[٢] انتقاء محمد بن مكي الحنبلي[٣] بسماعه من الشيخ العدل أبي الفضل معالي[٤] ، بسماعه من الخِرَقي المذكور بأصبهان في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وست مئة ، بقراءة الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، قال : ثم قرأت عليه عدة أجزاء .

توفي رحمه الله تعالى في ربيع الأول سنة سبع مئة في المحارة بعد الرحيل من الصالحية إلى العباسة بدرب مصر في الجفل .

١٠٤٩ ـ عبد المؤمن بن خلف**

ابن أبي الحسن بن شرف ، الشيخ الإمام العالم العلاّمة ، الحافظ البارع النسّابة ،

(١) في الطالع : « تحار » .
* الشذرات : ٤٥٧/٥ .
(٢) (ت ٥٧٩ هـ) ، السير : ٩٠/٢١ .
(٣) (ت ٦١٠ هـ) ، الشذرات : ٤٢/٥ .
(٤) هو الفضل بن سهل الإسفراييني . وفي السير ، ٩١/٢١ : «لأبو الفضل بن سلامة العطار » ، ذكره في تعداد من أخذ عن الخرقي . وفي الدرر : « أبو المعالي العطار » .
** الوافي : ٢٣٩/١٩ ، وفوات الوفيات : ٤٠٩/٢ ، والبداية والنهاية : ٤٠/١٤ ، والدرر : ٤١٧/٢ ، وغاية النهاية : ٤٧٢/١ ، والشذرات : ١٢/٦ .

الْمُجوِّد الحجّة ، علَمُ المحدثين ، عُمدةُ النُقّاد ، شرف الدين أبو محمد وأبو أحمد الدمياطي الشافعي .

قرأ القرآن وطلب الحديث بعدما[١] تميّز في الفقه ، وقد صار له ثلاث وعشرون سنة ، فسمع بالإسكندرية في سنة ست وثلاثين[٢] من أصحاب السلَفي ، ثم قدم القاهرة وعُني بهذا الشأن روايةً ودراية ، ولازم الحافظ زكي الدين[٣] حتى صار مُعيده[٤] .

وحج سنة ثلاث وأربعين وست مئة ، وسمع بالحَرَمَين ، وارتحل إلى الشام سنة خمس وأربعين وست مئة .

وارتحل إلى الجزيرة والعراق مرّتين ، وكتب العالي والنازل ، وبالغ ، وصنف إذ ذاك وحدّث ، وأملى في حياة كبار مشايخه .

وسمع من ابن المقيّر ، وعَليّ بن مختار العامري ، ويوسف ابن عبد المعطي بن المخيّلي[٥] ، والعَلَم بن الصابوني[٦] ، وإبراهيم بن الخيّر البغدادي ، وابن العلَّيق ، وأحمد ويحيى ابنى[٧] قُمَيْرَة ، وموهوب بن الجواليقي ، وعبد العزيز بن الزبيدي[٨] ، وهبة الله محمد بن مفرّج[٩] ابن الواعظ ، وعلي بن زيد التَسارسي[١٠] ، وظافر بن شحم

---

(١) في الأصل : « وبعدها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٢) في الأصل : « وثمانين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) محمد بن يوسف البرزالي (ت٦٣٦ هـ) ، والشذرات ١٨٢/٥ .

(٤) في الأصل : « مفيدة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

(٥) (ت٦٤٢ هـ) ، السير : ١١٦/٢٣ .

(٦) أبو الحسن علي بن محمود (ت٦٨٤ هـ) ، العبر : ١٦٦/٥ .

(٧) في الأصل : « ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٨) عبد العزيز بن يحيى بن المبارك (ت٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥١/٢٣ .

(٩) في الأصل : « مطرح » ، تحريف .

(١٠) (ت٦٤١ هـ) ، السير : ٩٢/٢٣ ، والعبر : ١٦٩/٥ ، وفي الوافي : « البسارسي » .

المطرز[١] ، وشعيب بن الزعفراني المجاور ، وصفية بنت عبد الوهاب[٢] ، وحمزة بن أوس الغزّالي[٣] ، ومحمد بن محمد بن محارب القيسي ، ومحمد بن الجبّاب ، وابن عمه أبي الفضل بن الجبّاب ، وابن رواج ، وابن رواحة عبد الله ، وأبي الحسن محمد بن ياقوت[٤] ، وابن الجُميَّزْي ، وحسين ابن يوسُف الشاطبي ، وعبد العزيز بن النقّار الكاتب ، ومظفّر بن عبد الملك الغُوِّي ، وأبي علي منصور بن سند بن الدمّاغ[٥] ، ويوسف بن محمود السَّاوي ، وعبد الرحمن بن مكي السّبط ، ومحمد بن الحسن السفاقسي[٦] ، خاتمة من سمع حضوراً من السِّلفي .

وسمع بدمشق من عمر بن البراذعي ، والرشيد بن مسلمة ، ومكّي بن علاّن ، وطبقتهم .

وبدمياط من خطيبها الجلال عبد الله .

وبحرّان من عيسى بن سلامة الخياط .

وبماردين من عبد الخالق بن أنجب النشتبري[٧] .

وبحلب من ابن خليل فأكثر ، لَعَلَّه سمع منه مئتي ألف حديث .

---

(١) ظافر بن طاهر بن ظافر بن شحم الأزدي (ت٦٤٢ هـ) ، السير : ١١٦/٢٣ ، ووقع في الأصول : « سجم » ، تصحيف ، صوابه ما في السير .

(٢) في الوافي : « ضيفة » !، وسلفت الإشارة إليها .

(٣) حمزة بن عمر بن عتيق بن أوس (ت٦٤١ هـ) ، السير : ١٢١/٢٣ ، وفيه : « الغزّال » .

(٤) محمد بن يحيى بن ياقوت الإسكندراني (ت٦٤٦ هـ) ، العبر : ١٩١/٥ ، والشذرات : ٢٣٧/٥ .

(٥) في الوافي ، والعبر ، ١٩١/٥ : « سندان » ، وفي النجوم ، ٣٦١/٦ : « سند ابن الدباغ » (ت٦٤٦ هـ) .

(٦) (ت٦٥٤ هـ) ، العبر : ٢١٩/٥ ، والسير : ٢٩٥/٢٣ .

(٧) في الأصل : « التشتري » ، تصحيف ، وفي الوافي : « الشنتبري » ، تصحيف أيضاً ، والنشتبري نسبة إلى نشتبرى ، قرية في نواحي بغداد ، في طريق خراسان . (ت٦٤٩ هـ) ، العبر : ٢٠١/٥ ، والسير : ٢٣٩/٢٣ .

وبالموصل من أبي الخير إياس الشهرزوري [١] صاحب خطيب الموصل [٢] .

وبمصر من عبد الكريم بن عبد الرحمن الترابي ، حدّثه عن خطيب الموصل ، وعنده [٣] عدة من أصحاب السلفي ، وشُهدة ، وابن عساكر ، وخلق من أصحاب ابن شاتيل [٤] ، والقزاز ، وابن بَرّي النحوي [٥] ، وإسماعيل بن عوف [٦] ، ويحيي الثقفي ، وابن كليب ، وأصحاب ابن طبرزد ، وحنبل ، والبوصيري ، والخشوعي . ونزل إلى أصحاب الكندي [٧] ، وابن ملاعب [٨] ، والافتخار الهاشمي [٩] .

وكتب عنه طائفةٌ من رفقائه ومن هو أصغر منه ، وعَدَدُ معجمه ألف ومئتان وخمسون نفساً .

وأجاز له أبو المُنجّابن اللّتي ، وأبو نصر بن الشيرازي . ويروي بالإجازة العامة عن المؤيّد الطوسي وجماعة .

وحدث عنه الصاحب كمال الدين بن العديم ، والإمام أبو الحسين اليونيني ، والقاضي علم الدين الأخنائي ، والشيخ علاء الدين القونوي ، والشيخ أثير الدين أبو حيان ، والشيخ فتح الدين محمد بن سيّد الناس ، والحافظ المزي ، والعلاّمة قاضي

---

(١) في الوافي : « السهرزورس » .
(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد (ت٥٧٨) ، السير : ٧٨/٢١ .
(٣) في الوافي : « وعنه » .
(٤) عبد الله بن عبد الله بن محمد (ت٥٨١ هـ) ، السير : ١١٧/٢١ .
(٥) عبد الله بن بري بن عبد الجبار (ت٥٨٢ هـ) ، السير : ١٣٦/٢١ .
(٦) إسماعيل بن مكي بن إسماعيل (ت٥٨١ هـ) ، السير : ١٢٢/٢١ .
(٧) أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد (ت٦١٣ هـ) ، السير : ٣٤/٢٢ .
(٨) داود بن أحمد بن محمد الأرجي (ت٦١٦ هـ) ، السير : ٩٠/٢٢ .
(٩) عبد المطلب بن الفضل العباسي (ت٦١٦ هـ) ، السير : ٩٩/٢٢ .

القضاة تقي الدين السُبكي ، وفخر الدين النويري[١] ، وخلق كثير من الرحّالين ، وطال عمره ، وتفرد بأشياء .

قال المزي : ما رأيت أحفظ منه . وسمع (جزء ابن عرفة) من بضع وثمانين نفساً بالشام ومصر والعراق والجزيرة و (جزء ابن الأنصاري)[٢] من أكثر من مئة شيخ .

وكان قد أربى على من تقدمه في علم النسب ، لأنه طفا على مَن سواه ، وغيره رسا ورسب . وكان قد برع في علوم ، وآسى بعرفانه[٣] ما أعيا من الكلوم ، وتفنن في فضائل ، وتفرد بأدلّة ومسائل ، وصنف التصانيف المحرره ، والتواليف المحبّره ، ونَحْوُه فيه غوامض ، ولغته فيها الروافع والخوافض ، إلى فصاحته المنتهى ، وقراءته هي رصد السمع والمشتهى ، سريع القراءة لا يعرف التثبت ولا الإناءة ، كأنه السيل إذا تحدر ، والبحر إذا اندفع بعدما تصدر . مليح الهيئه ، قريب العودة والفيئه ، حسن الأخلاق ، غنياً بعلمه لا يلتفت في الإملاء إلى الإملاق ، جيّد العباره ، ظريف الإشاره ، صحيح الكتب كثيرها ، غزير المادة لمن يثيرها ، باسم الثغر في ملقاه ، طالب الزيادة والعُلُوّ في مرقاه ، حلو المذاكره ، زائد الإمتاع والتفنن في المحاضره ، حسن العقيده ، كافّاً عن الدخول في الكلام ، لا يفتح وصيده ، ينظم القريض ، ويأتي به كالإغريض .

وكان موسعاً عليه في رزقه ، ولم يك كما جرت العادة مثل من خمل مع حذقه ، له عند الناس حرمة وجلاله ، وأبّهة في النفوس تزين خلاله .

ولم يزل يسمع الحديث إلى أن مات فُجَاءه ، وكأنما كان ينتظر قدوم الموت فجاءَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في نصف صفر سنة خمس وسبع مئة .

وقال شيخنا علم الدين البرزالي : في خامس عشر ذي القعدة من السنة المذكورة .

(١) في الأصل : « القونوي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) محمد بن عبد الله (ت٧١٥ هـ) ، الأعلام : ٢٢١/٦ ، والكشف : ٥٨٦/١ .

(٣) في (س) : « بوفاته » ، تحريف .

ومولده بتُونة ، قرية من أعمالِ تنّيس[١] في آخر عام سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وكان منشؤه بدمياط ، وسكن دمشق مدة ، وأفاد أهلها ، ثم تحول إلى الديار المصرية ونشر بها أعلام علومه ، وتولى مشيخة الظاهرية بين القصرين .

وتصانيفه كلها جيدة منقّحة مهذّبة ، تشهد له بالفهم وسعة العلم ، منها : كتاب (الصلاة الوسطى) مجلد لطيف[٢] . كتاب (الخيل)[٣] مُجَلّد وقد جوّده (قبائل الخزرج) مجلّد ، (العقد المثمن فيمن اسمه عبد المؤمن) مجلد ، (الأربعون المتبانية الإسناد في حديث أهل بغداد) مجلد ، (مشيخة البغادادة) مجلد ، (السيرة النبوية)[٤] مجلد ، (مشيخة) . وله غير ذلك .

قال الذهبي : سمعته يقول : سمعت ابن رواج يقول : قرأ عليّ السرّاج بن شُحانة[٥] (نتف الإبط) فحركه بالكسر ، فقلت : لا تحركه يفُح صُنانه .

وأخبرني شيخنا ابن سيّد الناس ، قال : دخل الشيخ على جماعة يقرؤون الحديث فسمعهم يقولون : عبد الله بن سلاّم[٦] بتشديد اللام ، فقال : سلام عليكم سلام .

وحمل عن الصاغاني[٧] عشرين مجلداً من تصانيفه في اللغة والحديث .

ومن شعره ...

---

(١) وتونة كما في معجم البلدان : جزيرة قرب تنّيس ودمياط من الديار المصرية .

(٢) مطبوع ، كما في الأعلام : ١٦٩/٤ .

(٣) فضل الخيل ، (ط) .

(٤) اسمه : المختصر في سيرة سيّد البشر ، كما في الأعلام .

(٥) في الأصل : « سحابة » ، تصحيف ، واسمه : عبد الرحمن بن عمر بن بركات (ت٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٤/٢٣ ، الشذرات : ٢٢٠/٥ .

(٦) (ت٤٣ هـ) ، السير : ٤١٣/٢ .

(٧) الحسن بن محمد (ت٦٥٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه . وفي الوافي : « الصنعاني » ، ولعلّها مصحفة عن « الصَّغاني » .

١٠٥٠ ـ عبد المؤمن بن عبد الحق*

ابن عبد الله بن علي ، الإمام العالم صفيّ الدين البغدادي الحنبلي ، من علماء العراق .

كانت له بالحديث عنايه ، وله تواليف بلغ فيها النهايه ، وعنده فنون ، مضى من عمره في جمعها سنون ، وكان فيه خير وفتوّه ، وديانة ومُرُوّه .

ولم يزل إلى أن تكدر عيش الصّفي ، وظهر أَجَلُهُ الذي كان في غضون الأيام وهو خَفِيّ .

وتوفي رحمه الله تعالى في صفر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وخرّج لنفسه ، وسمع من شيخنا الذهبي ، ومن الفرضي[١] .

١٠٥١ ـ عبد المؤمن بن عبد الرحمن**

الشيخ الإمام الكاتب المجوّد عز الدين بن العجمي .

كانت له فضائل ، وعنده فوائد ومسائل ، وهو شيخ كتابه ، ورب ذكاء ومهابه .

كان قد رحل إلى القاهره ، وأهْلُها في ذلك العصر يفاخرون بالمكارم النجوم الزاهره ، فانقطع في بيتٍ بحارة أرجوان ، وأرخى على بابه ستارة أرجوان ، وتردد الناس إليه ، وأقبلو بخواطرهم عليه ، فنفقت سوقه ، [ومشت وما وقفت سوقه][٢] ،

---

* الوافي : ٢٤٥/١٩ ، والدرر : ٤١٨/٢ ، والشذرات : ١٢١/٦ ، وذيول العبر : ٢٠٤ .

(١) في الأصل : « سمع مع ... ومع » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والفرضي هو العلاء محمود بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٢٤٥/١٩ ، والدرر : ٤١٩/٢ ، وإعلام النبلاء : ٥٢٨/٤ ، والسلوك : ٥٥٣/٣/٢ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ز) ، (س) ، وسوق الثانية جمع ساق .

وراج وأذكى السّراج ، وجبى ما وجب له من الإتاوة والخراج . وكان يجلس في كل سوق حيث تباع المجلّدات والدفاتر التي فيها دواوين العلوم مخلّدات ، فيشتري منها القَشّات[١] وما يمتري ، ويقع له فيها مخاريم من (صحاح) الجوهري ، فيكملها بخطه ويناسب ، ويأخذ فيها مع ما يترجمه عليها ماشاء من المكاسب . وكان يشد الكتب أحمالاً أجمالا ، ويسير بها[٢] إلى حلب أجمالاً أحمالا ، وحصّل من ذلك جُمَلا ، وأوقر من فوائدها جملا .

ولم يزل على حاله إلى أن أخذه الموت في قَشّه ، وجعل التراب فَرْشَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان هو وأخوه الشيخ شمس الدين خطيب حلب الآتي ذكره ، إن شاء الله تعالى [في مكانه][٣] شيْخَي كتابة .

اجتمعت بالشيخ شمس الدين[٤] هذا بالقاهرة غير مرة في بيته وفي سوق الكتب ، وكان من رجال الدنيا في بابه وإذا ذكر الرجال ما يكونون قطرة في حِسَاب سحابه .

وكتب له شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود ، رحمه الله تعالى ، إجازة ، وهي :

أمّا بَعْدَ حَمْدِ الله جاعلِ علم البيان عَلَماً على الإعجاز ، وسُلَّماً إلى ارتقاء ذُرْوَة الفصاحة المستقرّة على رُكني الحقيقة والمجاز ، ووسيلةً إلى الإحاطة بأسرار البلاغة المستكنّةِ في طرفي الإطناب والإيجاز ، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمّد الذي أُوتي

(١) يريد الكتب المستعملة أو البالية . والقش : الرّمام واللقاطة .
(٢) في (س) ، (خ) : « ويسيّرها » .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، (ز) .
(٤) في (س) ، (خ) والوافي : « عزّ الدين » .

جوامع الكَلِم ، ولوامع الحكم ، التي يتضاءل لديها كل منثورٍ ، [من كلام][١] البشر ومنتظم ، وعلى آله وصحبه الذين من زلّ[٢] عن سُننهم ذلَّ وهوى ، ومن تمسّك بسُننهم[٣] فاز وسَلِم .

فإنّي لمّا خَلْتُ في غِمار طَلبة الأَدَب رغبةً في اقتباسه ، وطمعاً في تحصيل بعضه بإدامة التماسه ، وحصّلت كثيراً من كتبه روايةً ودرايه ، وعرفت ما أجتنب من نقائص المعاني والألفاظ التي لا تُؤمَنُ نكايتُها في الأذهان السليمة بالسرايه[٤] ، لم أَزَلْ أستضيءُ بنور أئمته ، وأهتدي بمنار مَنْ بلغ الغاية فيه من عُلماء أُمّته ، وأَقْنَعُ مِنْ لَحاقِ مَنْ بَرّز في مضماره برؤية غُباره ، وأرضى من مآثر مَنْ صَرَفَه على إيثاره بمُشاهدة آثاره ، فنمّت عليَّ نفحاتُ آدابهم ، ورَفَلْت[٥] في فواضل ما تشبّثتُ به من أهدابهم ، وكاتبوني فأجبْتُ بعدم الرَّغبة في العِتْقِ في رِقّهم ، وجارُوني فوافقتهم في المضمار الأدبي ، مع الاعتراف بتقدّمهم وسبقهم ، فقبلوا من كلامي مالولا حُسْنُ إغضائهم لم يُقبَل ، وأسبلوا عليَّ ما اضطرتني إليه[٦] المباشرةُ سَتْر تجاوزهم ولولا جميل[٧] اعتنائهم لم يُسبَل .

ولما فُزْتُ بالاجتماع بالجناب العالي الشَّيْخي العزّي ، نفع الله به طارَحْتُه في فنون الأدب غير مرّة ، فرأيت مِن مواده [بحرا][٨] لا يَرى العبْرَ[٩] عائمه ، وشاهدت من بدائهه برقاً لا يَفْقِدُ الرّيَّ شائمُهُ ، وفاوضت منه إماماً تقطرُ الفصاحةُ من أعطاف قلمه ،

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) .
(٢) في (س) : « حاد » .
(٣) في (س) : « سنتهم » .
(٤) في (خ) : « في السراية » .
(٥) في (خ) : « وقِلْتُ » .
(٦) ليست في (خ) .
(٧) في (س) : « جميع » .
(٨) زيادة من (خ) ، (س) .
(٩) الشطّ .

وتخطر البلاغةُ في أفواف[١] كلمه ، وتنزل المعاني المتمنّعَةُ من معاقل القرائح على حِكَمِهْ ، وتقف جيادُ البدائه[٢] حسَرى دون التوسّط في حلبة عِلْمِه ، إن وشّى الطّرسَ فرياض ، وإن أجرى النِقْسَ[٣] فحياض ، أو نظم فقلائد ، أو نثر ففرائد ، لا يتجاسر المعنى المطروق أن يُلِمَّ بفكره[٤] ، ولا يُقدمُ التخيَّلُ المسبوق على المرور بذكره ، ولا يجوز زَيْفُ الكلام على ذهنه المنتقد ، ولا يثبت عناءُ النظام لدى خاطره المتّقد[٥] ، فسمعت منه مقامات في العرْفان قد وشّى الأدب حِبَرُها ، وحقّق الطلب خَبَرها ، وزان الصّدقُ لهجتها ، وزاد الحقُّ بَهْجتَها ، وحلّتها البلاغة برقُومها ، وكلّلتها الفصاحةُ بشُهبها ونجومها ، تُشْرِقُ القلوبُ بأضوائها ، وترتوي النفوسُ بأنوائها ، وتستضيء البصائر بأقمارها ، وتغتذي السرائر بما تجتني في رياض اليقين من يانع ثمارها ، ووقفتُ له على طرائق في التوحيد ، أوضحها عِلْمُه لسالكها ، وهدى فكْرُه الطائف بكعبتها إلى لطائف مشاعرها ومناسكها ، فَمَن أراد الصّفا في سلوكه سعى من مَرْوَةِ الإخلاص إليها ، ومن تعرّض لنفحات الفتح الذي[٦] اقتصر في طُرُقِ تعبُّدِه عليها ، مع بروزها في ألفاظ أرقّ مساغاً من الماء القراح ، وأدقّ مسلكاً في الجسوم من الأرواح ، وأجلى لليل الشك البهيم من صباحةِ محيّا الصباح ، إلى غير ذلك من أحاديث تكَلَّمَ على بلاغتها وبلاغها ، وأبان ما جهلته الأفهام الظامئة من أسباب مساغها ، ممّا لم يَبْغ بذلك إلا إرشادَ الطالب ، وتنبيه الْمُفْتَقر إليها على ما أودع في أثنائها من الكنوز ، وادّخر في أرجائها من المطالب .

ولمّا وقفت على تلك البدائع ، وفهمت ما تضّمنته من النكت الروائع ، وعلم مني

(١) في الأصل : « أفواه » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .
(٢) في الأصل و (س) : « البداية » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) النقس : المداد .
(٤) في الأصل : « بذكره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .
(٥) في الأصل : « المنقد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .
(٦) كذا ، ولعلّها (الندي) .

أني ممّن يعرف الدر وإن لم يملكه ، وينتقد التِّبْرَ وإن لم يَسْبكه ، ولذلك أتعوّض فيما أعانيه من الكتابة عن الدر بالخرز ، وأكتفي عن أبكار المعاني الجليلة من الْعُونِ الْمُسِنةِ بما هو سَدادٌ مِنَ عَوَز ، سامَني مع[١] ارتفاع شأنه في هذه الصناعه ، وإثرائه دوني من نفائس هذه البضاعه ، أن أجيزَه رواية نظمي الذي قدّمْتُ العُذْرَ في انتهاج[٢] طريقه ، ونَثْري الذي أوضحت السّببَ في مُصاحبة فريقه ، ومكاتباتي التي أنشأتها بسبب الوقائع التي دعت إليها ، وتواقيعي التي ارتجلْتُ غالبها لحَفْز الدَّواعي الباعثة عليها ، ولِمالي في قواعد ذلك من تأليف وتصنيف ، وانتخاب غنيٍّ بشُهرته عن التصريف[٣] ، فسألته الإعفاء من هذه الدّرجة التي قَدْرُه أرفَعُ منها ، ورغبت إليه في قبول [القول][٤] بالموجب في إجازتي من فوائده التي هي أحقُّ بأن يُروى غريبها ويُحدّث عنها ، فلم يُعْفِ من تلك الإشارة التي قَصْدُه بها الإحسان ، ومراده أن ينظم سَبْحَ نظمي في سلك ما يؤخذ عنه من درر بدائعه الحسان .

فامتثلْتُ أَمْرَه ـ أعزّه الله تعالى ونفع به ـ وأجزته رواية ما يجوز لي روايتُه من مسموعاتي ومقروءاتي واختياراتي ومناولاتي ، ومالي من نظم مختلف الأوضاع ، مستحقّ ، لولا ما يضوع فيه من المدائح النبوية ، أن يُضاع ولا يذاع ، وإنشاءٍ نوّعَتْه كَثْرَةُ المباشره ، وكثّرَتْهُ المحافظة على الوظيفة والْمُثابره ، ونفّحتْهُ فوائد المطارحة والمذاكره ، إلى ما يندرج في سِلْك ذلك من تأليف حمل عليه التنقيبُ عن أسرار هاتين الصناعتين واختيارٍ واختصارٍ وانتقاءٍ وانتقاد ، وانتخابٍ تكلمت على مافيه [من][٥] معنى مُسْتَمْلح وأدب مُستفاد ، ورغبت إليه في أن يُصْلح من ذلك ما أغفله القلم ، وزلّ

---

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .

(٢) في الأصل : « ابتهاج » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) في (خ)ل (س) : « التعريف » .

(٤) زيادة من (خ) ، (س) .

(٥) زيادة من (ز) ، (س) .

فيه الفكر الذي عَثْرتُه أبلغ من عثْرة القَدَم ، إذ هو المليُّ بالإحسان في ذلك ، الجدير بتوطئة ما تعذر سلوكه على السالك .

ومولدي بحلب في شعبان سنة أربع وأربعين وست مئة ، وهي إذ ذاك للعلوم معالم ، ولوفود الفوائد مواسم ، وسمعت بها الكثير ولكن أين أصوله ؟ وفُقدَ لي في الوقعة[١] ثبت كبير ، ولكن كيف حصوله ؟ فإن وُجد من ذلك شيء في الأصول فهو أصل في هذه الإجازه ، وإن تعذر وجوده فكم سُلبَت بضاعةُ فَضْلٍ في أثناء مفازه .

وكتب : محمود بن سلمان [في المحرم][٢] ، سنة ست عشرة وسبع مئة .

١٠٥٢ ـ عبد المؤمن ..*

كان مِقْداماً جريئا ، شجاعاً من الخير بريئا ، لا يهاب سيول السيوف إذا تحدّرت ، ولا يخاف من ورد الحتوف إذا تكدّرت ، بلا عقل بلا دين يردّانه عن الرّدى ، بلا لُبّ بلا ثبات يصدّانه[٣] عما يُوجب الصدى . قد ركب هوى نفْسه ، وذُهِلَ عن وجود حِسّه . لا يخشى عاقبه ، ولا له من الله تعالى مراقبه ، يُقْدِمُ على الليث في غابه ، ويردُّ على المطلوب ولو أن فيه تمزيق إهابه .

ولم يزل في سُكْرِ جُنونه وسوءِ ما يتوهّم في ظنونه ، إلى أن رَكِبَ الجمل مصلوبا ، وانعكس حسابه عليه فأصبح مقلوبا .

كان هذا المذكور قد ورد القاهرة في أيام القاضي شرف الدين النشوِ ناظر الخاص ، وأخذ يتعلّق على خدمة الأميرين سيف الدين قوصون وسيف الدين بشتاك

---

(١) في (س) : « الوقعة بها » .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

* كذا وهو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي كما في السلوك : ٦٠٤/٣/٢ . وانظر فيه أخباره .

(٣) في الأصل : « يصداه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

بواسطة طاجار الدوادار ، ولم يكن في ذهن الناس منه شيء إلى[١] أن دخل مع الأمير قوصون وبشتاك على السلطان في معنى النشو ، على ما سيأتي في ترجمة النشو ، وخاف السلطان شرَّهُ ، فأراد إبعاده[٢] ، وولاّه قوص ، وتوفي السلطان الملك الناصر وهو في قوص . ولما خَلَع الأمير قوصون الملك المنصور أبا بكر بعث به إلى قوص ، وكأنه سيّر إليه في السرّ بقتله ، فقتله ، وأخذ ما معه من الجواهر ، ولما جاء السلطان أحمد من الكرك وطشتمر والفخري طلبوه من قوص ، وسمّروه على جمل ، وطافوا به شوارع القاهرة ، وشمتَ به الناس وسبّوه ولعنوه ، واعترف وهو على الجمل مسمّر أنه هو الذي جرح القاضي شرف الدين النشو ، فقال : يا أهل مصر ، أنا ما أبالي بتسميري وقد قتلت ملك الكتّاب وملك الترك في بلادكم ، فأنا الذي جرحت النشو ، وأنا الذي عمل عليه حتى أُمسك وقتل ، وأنا قتلت المنصور أبا بكر سلطانكم وابن سلطانكم ، أو كما قال .

وكان تسميره في أواخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان المذكور رافضيّا ، والله أعلم بحاله وبما صار إليه في مآله .

١٠٥٣ ـ عبد الواحد بن منصور*

ابن محمد بن المنير ، العلامة عزّ القضاة فخر الدين الجُذَامي الإسكندري صاحب التفسير[٣] .

سمع من السراج ابن فارس[٤] ، وتفقه بعمّه ناصر الدين[٥] ، وله نظم ونثر ، وعمل أرجوزة في السّبع .

---

(١) في الأصل : « إلاّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « بعاده » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

* الوافي : ٢٧٧/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٦٣/١٤ ، والدرر : ٤٢٢/٢ ، والبدائع : ٤٧٣/١/١ .

(٣) في ست مجلدات ، كما في البداية والنهاية ، وعشر مجلدات كما في الكشف : ٤٤٠/١ .

(٤) عبد الله بن أحمد بن إسماعيل التيمي الإسكندراني (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٣/٥ ، والشذرات : ٣٩١/٥ .

(٥) أحمد بن محمد بن منصور (ت ٦٨٣ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة في يوم السبت رابع جمادى الأولى .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

١٠٥٤ ـ عبد الواحد بن عبد الحميد*

ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد ابن المسلم بن الحسن بن هلال بن الحسن بن عبد الله بن محمد ، الشيخ الفقيه الفاضل الأصيل ، مخلص الدين أبو المكارم ، ابن الشيخ عز الدين بن فخر الدين .

سمع من جده فخر الدين في سنة ست وخمسين وست مئة ، وسمع من ابن أبي اليُسر ، والنجم ابن النَشّبي . وأجاز له إبراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الخُشُوعي ، وعبد الحميد بن عبد الهادي وجماعة . حفظ (التنبيه) . وكان يكرّر عليه إلى آخر وقت ، واشتغل على الشيخ تاج الدين[1] .

وكان له شعر وخدم في الجهات الدينية .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

وكان عنده تعفف وانقطاع .

١٠٥٥ ـ عبد الواحد [بن علي]**

ابن أحمد بن محمد بن عبد الواحد ، شمس الدين القرشي الحنبلي .

أخبرني من لفظه شيخنا أبو حيان ، قال : كان المذكور موصوفاً بالصلاح ،

---

* الدرر : ٤٢١/٢ .

(١) الفزاري ، كما في الدرر .

** الوافي : ٦٧/١٩ ، والدرر : ٤٢٢/٢ ، وما بين حاصرتين زيادة من الأصول الأخرى ، ومصادر ترجمته .

ويذكر عنه أنه اجتمع[١] بالخضر عليه السلام لمّا سافر عن جبل لبنان واشتاق إليه ، وأنشد[٢] لنفسه :

لعلّك يا نسيمَ صَبَا زَرودِ تعودُ، فقد ذوى للبَيْنِ عُودي[٣]
ويا نفحات أنفاس الخُزامى على المشتاق من لُبنان عُودي

قال : وأسمع الحديث وسمعنا عليه بالحكْرِ ، وكان فيه[٤] مقيماً .

١٠٥٦ ـ عبد الواحد القيرواني*

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : كان عندنا بالقاهرة ، وله نظم حسن ، ورحل إلى الحجاز ، واستوطن بمكة[٥] ، وصحب ملكها أبانُميّ الحسيني . وله فيه أشعار حسنة ، أجاد فيها غاية[٦] ، ونظم بها نظماً كثيراً ، وتعرض في نظمه لأصحاب رسول الله ﷺ ، فقُتِل بها أشنع قتل .

ومن شعره بالقاهرة مما أنشدنا [بعض أصحابنا][٧] :

عَليلٌ أسىً لا يُهتدى لمكانه عَزيزُ أسًى لا يُرتجى من سقامه
خذوا إنْ قضى في الحب عَمْداً بثأره أخا البدر يبدو في غمام لثامه
ورِفْقاً به لا نالَه ما يشينُه وإنْ كان أسْقى الصَّبَّ كأسَ حَمامه

---

(١) في الوافي : « يجتمع » .
(٢) في الوافي : « لمّا سافر ... أنشد » .
(٣) في الدرر : « ذوي بالسير » .
(٤) في (ز) ، (س) : « وفيه كان » .
* الوافي : ٢٨٣/١٩ ، والدرر : ٤٢٢/٢ .
(٥) في (ز) ، (س) والوافي ؛ « مكّة » .
(٦) في الوافي : « غاية الإجادة » .
(٧) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .

غـزالٌ تُضاهيـه الغَـزَالـةُ في الضُّحى وتُشْبِهـه في البعـد عن مُسْتهـامِـه[١]
يمـوت جنيُّ الـوَرْدِ غَمًّـاً بخَـدِّه أَلَمْ تنظروه مُـدْرَجـاً في كِمـامِـه

١٠٥٧ ـ عبد الوهاب بن عمر*

الإمـام الزاهـد النحـوي ظهير الـدين بن عمر بن عبـد المنعم بن هبـة الله ابن أمين الدولة الحلبي الحنفي الصوفي .

سمع من حُبيّة[٢] الحَرّانية ، وأجاز له شعيب الحَرّاني ، وابن الجميّزي .

وحدّث ، وأخذ عنه محمد بن محمد بن طغريل[٣] وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمش وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة .

١٠٥٨ ـ عبد الوهاب بن عمر**

أخو الشيخ صدر الدين بن الوكيل .

كان أسود الجلدة ، لأن أمّه كانت حبشيّة . تفقّه وحضر المدارس ، ثم إنه انسلخ من ذلك ، وتمفقر وتجرّد تجرُّدَ العالم .

وتوفي رحمه الله تعالى شاباً ، سنة تسع وتسعين وست مئة .

---

(١) الغزالة : الشمس .

* الوافي : ٣١٧/١٩ ، وتـذكرة النبيـه : ١٥٧/٢ ، وإعلام النبـلاء : ٥١١/٤ . ، والـدرر : ٤٢٥/٢ ، وفيـه : « عبد الوهاب بن عثمان بن عبد المنعم بن هبة الله » . وانظر : البغية ١٢٤/٢ .

(٢) في البغية : « حبيبة » ، وكذلك في إعلام النبلاء .

(٣) الصيرفي ، وستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٣١٧/١٩ .

١٠٥٩ ـ عبد الوهاب بن فضل الله*

القاضي الكبير الخبير ، الكاتب المُدَبّر شرف الدين أبو مُحمَّد ، كاتب السرّ ، وصاحب ديوان الإنشاء بمصر والشام .

كان كاتباً مترسّلا ، حَسَنَ المقاصد متوصّلا ، ما كتب بين يدي الأتراك مثلُه ، ولا عرف مقاصدهم وأتاهم كما في نفوسهم مثلُ بنانه الذي فاض وَبْلُه ، يتحيّل في عبارته ، ويتجنّب مستثقل الألفاظ ، ويتحيّد عن الألفاظ الغريبة التي تُهْجَر من الأعراب ، فلا يخرج الكتاب من يده إلاّ عذباً فصيح الألفاظ ، ظاهر المعاني ، لا يحتاج إلى التنبيه والإيقاظ . يكتب خطّاً لو كان للحدائق يوماً ما احتاجت للأزاهر ، أو للغواني ما تحلّت بالجواهر ، متّعه الله بحواسّه الخمس ، وكان يسمع البعيد ويسمع الهمس . وكان مخاديمُه يحترمونه ويعظّمونه ، ويتوخَّوْن كبار الدرّ لأجل الثناء عليه وينظمونه . وكان كاملاً في فنّه ، حاملاً أعباء ديوانه ، إذا انفرد لا[1] تُثَنِّه .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه بَرِيدُ حَيْنِهِ ، وحَلّ عليه من الأجل وفاءُ دَيْنِهِ .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وست مئة .

وكان في أوّل أمرِهِ يلبس القماش الفاخر ، ويأكل الأطعمة المنوّعة الشهيّة ، ويعمل السماعات الطيبة ، ويعاشر الفضلاء مثل الشيخ بدر الدين بن مالك وغيره . ثم إنه انسلخ من ذلك كلّه لما داخل الدولة وقَتّر على نفسه واختصر في ملبوسه ، وانجمع عن الناس انجماعاً كُلّياً .

---

* الوافي : ٣١٧/١٩ ، وفوات الوفيات : ٤٢١/٢ ، والدرر : ٤٢٨/٢ ، والشذرات : ٤٦/٦ ، والنجوم : ٢٤٠/٩ ، وتذكرة النبيه : ٨٣/٢ .

(١) في (س) : « بلا » .

وكان قد سمع في الكهولة من ابن عبد الدائم ، وأجاز له ابن مسلمة وغيره .

وتنقل إلى أن صار صاحب ديوان الإنشاء بمصر مدّة طويلة ، وما كتب قُدّام أحد إلاّ وَعَظّمة واحْتَرامه ، مثل حسام الدين لاجين ، والملك الأشرف ، والملك[١] الناصر محمد بن قلاوون . والأمير سيف الدين تنكز كان يذكره كل قليل ، ويجعل أفعاله قواعد يُمشّي الناس عليها .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن القيسراني . قال : كنت يوماً أقرأ البريد على الأمير سيف الدين تنكز ، فتحرك على دائر المكان طائر ، فالتفت إليه يسيراً ورجع إليّ ، وقال : كنت يوماً بالمرج ، وشرف الدين بن فضل الله يقرأ عليّ بريداً جاء من السلطان ، والصّبيان قد رموا جلَمَة[٢] على عصفور ، فاشتغلت بالنظر إليها ، فبطّل القراءة[٣] وقال : ياخوند ، إذا قرأت عليك كتاب السلطان اجعل بالك كلّه مني ، ويكون كلُّك عندي ، ولا تشتغل بغيري أبداً ، وافهمه لفظةً لفظة ، أو كما قال .

وما رأى أحد ما رآه هو من تعظيم الناس له ، رآه الملك الأشرف مرّة ، وقد قام ومشى ، وتلقّى أميرا ، فلما حضر عنده قال : رأيتك وقد قمت من مكانك وخطوت خطوات ! فقال : ياخوند ، كان الأمير سيف الدين بَيْدَرا النائب قد جاء وسلّم عليّ . فقال : لا تعد تقوم[٤] لأحد أبداً . أنت تكون عندي قاعداً وذاك واقف .

ولّما توفي القاضي فتح الدين محمد بن عبد الظاهر[٥] بمصر ، وقام بعده عماد الدين بن الأثير مدة يسيرة طلب السلطان الملك الأشرف القاضي شرف الدين من دمشق ، ورتّبه بعد عماد الدين بن الأثير في صحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية ،

(١) في الأصل : « والملك الكامل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) كذا في الأصول والوافي ، ولم نقف على مراده ، ولعلّها بالحاء ، وهي دويبة من القردان .

(٣) عبارة الوافي : « فبطل القراءة وأمسكني » .

(٤) في الوافي : « تقم » .

(٥) محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر (ت ٦٩١ هـ) ، الوافي : ٣٦٦/٣ .

فأقام بها إلى أن جاء السلطان الملك الناصر من الكرك في سنة تسع وسبع مئة ، وكان قد وعد بالوظيفة للقاضي علاء الدين بن الأثير ، فأُخرج القاضي شرف الدين إلى صحابة ديوان الإنشاء بدمشق عوضاً عن أخيه محيي الدين ، فوصل إلى دمشق يوم السبت تاسع عشر شهر الله المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ولم يزل بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور ، وهو يُنْفذ[١] بريداً إلى بعض النواحي .

ومتعه الله بجوارحه ، لم يتغيّر سمعه ولا بصره ، ولا تغيرت[٢] كتابته ، وخلّف نِعمة طائلة من الأموال .

ولما مات بدمشق حضر شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود مكانه في صحابه ديوان الإنشاء بدمشق ، ورثاه بقصيدة طنّانة ، وهي :

لِتَبْكِ الْمَعَالي والنُّهى الشّرف الأَعْلَى ... وتَبْكِ الوَرَى الإحسانَ والحلم والفَضْلا[٣]
وتنتحب الدنيا لِمَنْ لم تجدِ له ... وإن جَهِدَتْ في حُسْن أوصافه مثْلا
ومَنْ أتعب النّاس اتّباعُ طريقه ... فكَفّوا وأعيتهم طريقته المثلى
لَقَدْ أثكل الأيّام حتى تجهمّت ... وإن كانت الأيامُ لا تعرف الثّكْلا
وفارق منه الدّستُ صَدْراً مُعَظّماً ... رحيباً يَرُدُّ الحَزْنَ تَدْبيرُه سَهْلا
فكم حاط بالرأي المالك فاكتفت ... به أن تَعُدّ الخيل للصَّوْنِ والرَّجْلا
وكم جَرّدت أيدي العدى نَصْل كيدهم ... فردّ إلى أعناقهم ذلك النّصلا
وكم جلّ خطب لا يُحَلُّ انْعِقادُه ... فأعْمَل فيه صائب الرأي فانحَلاّ
وكم جاء أمرٌ لا يُطاقُ هجومُه ... فلّما تولّى أَمْرَ تدبيره ولّى
وكم كفّ محذوراً وكم فكّ عانياً ... وكم ردّ مكْرُوهاً وكم قد جَلاَ جُلّى

---

(١) في الأصل : « ينفد » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « تغير » ، وأثبتنا ما في ز) ، (س) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « والحكم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

ومنها :

وقَـــدْ كان لـلاّجين ظـلاً فقلّصت ... يَـدُ المـوتِ عَـدْواً عنهم ذلـك الظِّـلاّ
وعفٌ عن الأغراض مُغْضٍ عن القـذى ... صبورٌ عليـه في الورى يحمل الكلاّ[١]
سـأَنْـدِبُـه دَهْري وأرثيـه جـاهـداً ... وأُكْثِرُ فيـــه من بُكاي وإنْ قـلاّ[٢]
ولمْ لا وقـد صـاحَبْتُـه جُـلّ مـدّتي ... أراه أبـــاً بَرّاً ويعتـــدّني نجـلا[٣]
ولم يَرَنـا في طُـول مُـدّتنـا امرؤٌ ... فيحسبنـــا إلا الأقـــاربَ والأهْـلا
وكم أرشـدَتْني في الكتـابـة كُتْبُـهُ ... ولو زَلّ عن إرشـادهـا خـاطري ضلاّ
وكم مُشكـــلاتٍ لم تَبِنْ لُمحـــــدّقٍ ... إليهـا جلاهـا فـانْجَلَتْ عنـدمـا أملى
فَمَنْ هـذه حـالي وحِـالتـهُ معي ... أيحسُن أنْ أبكي على فَقْـــــده أمْ لا
وعهـدي بـــه لا أَبْعَـدَ اللهُ عَهْـدَه ... وأقـلامـه أنّى جَرَتْ نشرتْ عـدلا[٤]
وتجري بمـا تجري الملـوك من النـدى ... بهـا فتزيل الجَـدْبَ والْمَحْـلَ والأزلا
لقـد كان لي أُنسٌ بـه وهـو نـازح ... كأنّ التنـائي لم يُفَرّقْ لنـــا شملا
وقـد زال ذاك الأُنس واعْتَضْتُ بعـده ... دُموعـاً إذا أنشـأتُهـا أَنْسَتِ ألوَبْـلا[٥]
فـلا مـدمعَي الهـامي يجفُّ ولا الأسى ... يخفُّ جـــواه إنْ أقُـــلْ لهما مهـــلا
ولا حُرْقي تخبـو وإن يُطْفَ وَقْـدُهـا ... بمـاء دموعي صـار فيهـا غَضـاً جَـزْلا
إلى الله أشكـــو فَقْـد صَحْب رُزئْتُهم ... وفَقْـدُ ابن فضل الله قـد عَـدل الكُلاّ
ولم يتْرُك المـوتُ الـــذي حُمَّ منهم ... حَمـاً ولا خَلّى الرّدى منهم حِـــلاّ
وعمّهم داعي الحِمام فـــأسرعـــوا ... جميعـــاً وألغى قـولنـــا منهمُ إلاّ[٦]

(١) في (ز) ، (س) : « على القذى » .
(٢) في الوافي : « بكائي » .
(٣) في الوافي : « كلّ مدتي » .
(٤) في الأصل : « إنّ جرت » تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٥) في الوافي : « أنشأت الوبلا ! » .
(٦) في الوافي : « وألفى » .

وكم يُرْجئ السّاري الونى عن رفاقه بإبطائه عمّن تقدمه كلا[١]
أيطمعُ من قد جاز مُعْتَركَ الرّدى إذا ركْبُهم يوماً بدارهمُ حلا[٢]
ولا سيما مَنْ عاهدَ الدَّاءُ جِسْمه يُعاودُه بدْءاً إذا ظنّه ولى
عزاؤك محيي الدين في الذاهب الذي قضى إذا قضى فرض المناقب والنفلا[٣]
فمثلك مَنْ يَلقى الدّروس بكاهل يُقلُّ الذي تَعْيا الجبالُ به حَمْلا[٤]
وفي الصّبر أَجْرٌ أنت تعرفُ قدْره وآثارَهُ الحسنى فلا تَدَعِ الفَضْلا
وسلِّم لأمر الله وارْضَ بحُكْمه تَحُزْ منه فضلاً ما برحْتَ له أهْلا
ولا زال صَوْبُ الْمُزْنِ والعَفْوِ دائماً يؤمّانه حتى إذا وصلا انْهَلاّ

ورثاه الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن غانم ، أنشدنيها لنفسه إجازة :

ما كُنْتُ منْ حُزني عليك بلاَهِ لّما فَقَدْتُك يا ابنَ فَضْلِ اللهِ[٥]
أصبحْتَ ذا جَلَد لفَقْدك واهنٍ حُزناً عليك وذا اصطباري واهِ
كم صُنْتَ سرَّ الْمُلْكِ منك بهمَّةٍ وكفايةٍ ما صانها إلاّ هي
ولكم مُهمٍّ مُشْكِلٍ أمضَيْتَه إذ أنت منه آمِرٌ أو ناهِ
مَنْ للمصالحِ والْمُهمّات التي ما كُنْتَ عنها ساعةً بالسّاهي
كم حاجةٍ حَصَلت تجاهك وانْقَضَتْ وكريهةٍ فرَّجْتها لله[٦]
مَنْ ذا يقومُ مقامَ فَضْلِك في العُلا مِنْ سائر الأنظار والأشباه
مازِلْتَ عُمْرَك مُحْسِناً حتى انتهى ولكلّ عُمرٍ في الزمان تَناهِ
كم قائلٍ مازلتَ أنت مَلاذَه قد كُنتَ عِزّي في الأنام وجاهي

(١) في الوافي : « يرتجي » .
(٢) في الوافي : عجز هذا البيت هو عجز البيت الآتي ، والعكس في البيت الآتي .
(٣) في الأصل : « عزاك » ، وفي الوافي : « عزاءك » .
(٤) في (ز) ، (س) والوافي : « يلقى الخطوب » .
(٥) في (ز) والوافي : « عن حزني » .
(٦) في (ز) ، (س) والوافي : « بجاهل وانقضت » ، تحريف .

ولكم سعيدٍ مات بَعْدَك خاملاً ... بل كان يفخرُ دائماً ويُباهي
ما فَرْدُ داهيةٍ برُزْئِك قد دَهَتْ ... بل قد دهت لما فُقِدْتَ دَوَاه
قَسَماً لقد خَمِلَ الزّمانُ وكنت لَمّـ ... ـا كنتَ فيه هو الزّمانُ الزّاهي [١]
لله دَرُّ مَعارفٍ قد حُزْتَها ... مَنْ ذا يُجاري فَضْلَها ويُباهي [٢]
أنْطَقْتَ أفواه الزّمانِ بمدحك الـ ... ـعالي لفضل دام منك وفاهي [٣]
أسفي على مافات منك وأنت لم ... تَبْرَحْ بقُربي مُنْعِماً وتجاهي
أبكيك ما بقي البُكاء بكاء مَحْـ ... ـزونٍ على طُول المدى أوّاه
فسَقَتْ ضريحَك رحمةٌ فيّاضَةٌ ... ترويه بالأنواء والأمواه

ولّما طُلب في الأيام الأشرفية إلى مصر ، كتب إليه علاء الدين الوداعي ، ومن خطه نقلت :

وافقتُ ربّي في ثلاث بأنْ ... تبقى وترقى وتنالَ العُلَى [٤]
وقد رأتْ عيناي أُمنيتي ... والحمد لله تعالى عَلَى
والآن في مصر فلابُدّ [من] ... أن تخلُف الفاضل والأفضلا [٥]

وكتب إليه ، ونقلت من خطه :

لئن كان أصلي من ذُؤابة كنْدَةٍ ... أُولي الحِكَم الغرّاء والْمَنطِق الفَصْل [٦]
فما زلتُ طولَ الدّهرِ أَشْكُرُ فَضْلَكُم ... إلى أن دعوني في القبائل بالفضل

ومن إنشاء القاضي شرف الدين بن فضل الله كتابَ بُشْرى بالنيل ، وهو :

(١) في الوافي : « وكان لما » .
(٢) في الأصل : « ذا يجازي » ، تصحيف .
(٣) في الوافي : « الرّفاق » .
(٤) في الوافي : « من ثلاث » .
(٥) زيادة من (ز) ، (س) والوافي .
(٦) في الأصل : « بالفراء والمنطق الواصل » . وأثبتنا ما في باقي الأصول .

لا زالت البشائر تَسْتَمْتِعُ بمُجاورته ، وتغتبطُ بمجاورته ، وتوُّد لو استقرّ بذُراه قرارُها ، وطال معه سِرارُها ، وهذه البشرى[١] تبشّره بنعمةٍ عَظُمَتْ مواهبها ، وعَذُبَتْ مشارِبُها ، وانْتَشرتْ في البسيطة مذاهبُها ، ورَدّت الآمالَ الظماء ، وضاهت الأرضُ بها السماء ، وأغنت عن منّةِ الغَمام ، وعمّت مِصْرَ بالهناء حتى فاض إلى الشام ، وهي وفاءُ النيل الذي وَفّى ، وفي وفائه حياةُ البلاد والعباد ، وشُكْرُ النّعْمَةِ به مُتعيّنٌ على الحاضر والباد .

ومنه أيضاً :

ورد كتابُه فتمتّع منه بعرائس أبكار الأفكار ، وتملّى منه بنفائس [من][٢] أنفاس الأزهار ، وشاهدَ كُلَّ سَطْرٍ منه أَحْسَنَ مِنَ سَطْرى ، وكان ناظره صائماً عن النظر لبُعْدِه فأوجب عليه عيد[٣] قدومه فِطْرا ، وردّد فِكْرُه في بدائعه الرائقة الرائعه ، ورأى التشريف بإرساله من جملة صنائعه[٤] المتتابعه ، ووقف عليه وسُرّ بدنوّه وإيابه . وشكر الأيام التي خوّلته من اقترابه مالم تُطمعه الأيام في تمثيله ولم يَدُرْ في حِسابه ، والله تعالى يقرن اليُمنَ بهذه الحركه ، ويجعلها مشمولة[٥] على السعادة مخصوصة بالبركه .

ومنه نسخة كتاب كتبه عن نائب السلطنة بالشام لمّا قدم « المبارك » الذي ادّعى أنه ابن المستنصر :

﴿ سلامٌ عليكم طِبْتُم فادخلُوها خالِدين ﴾[٦] .

---

(١) في الوافي : « الجملة » .
(٢) زيادة من الوافي .
(٣) في الوافي : « عند » .
(٤) في (س) : « رسائله » .
(٥) في (ز) ، (س) ، والوافي : « مشتملة » .
(٦) الزمر : ٣٩/٧٣ .

لِيَهْنَكَ النِّعْمَةُ الْمُخضَرُّ جانِبُها مِنْ بعدما اصفرّ في أرجائها الْعُشْبُ

ضاعف الله جلال الجناب الكريم الشريف العالي المولوي السيّدي النبوي ، وجعل قدومه كاسمه المبارك على الإسلام .

واسْم شققت له من اسمك فاكتسِ شَرَفَ العُلوِّ بـه وفَضْلَ العُنْصرِ

وأورد ركابَه الأرض الشامية ورُوْدَ الغَمام ، وبيّن أنوار الخلافةِ على جبين مجده فلا تُضام النواظِرُ في رؤيتها ولا الأفهام ، وأضاء بوُجوده بَيْتَ الإمامةِ حتى يعود إلى عوائده الْحُسنى في سالف الأيام ، وسخّر له العزائم والشكائم ، وجعل من شيمته السيوف والأقلام . ورد الكتابُ الكريم تبدو البركات من صفحاته ، وتَسْري نسمات السَّعْد من أنفاس كَلِمه الطيّب ونفحاته ، وكان كالسّحاب إذا سحَّ وابلُه ، وكالذِّكْرِ المحفوظِ إذا عمّت ميامنُة للإسلام وفواضِلُه .

وكالبدر وافته لوقتِ[1] سعودِهْ وتمَّ سناهَ واستقلّتَ منازِلُه

فتلقّاه حين أُلقي إليه من سماء الشرف بالإعظام ، وحلّ الواردون [به][2] من مواطن القبول محلّ ملائكة الوحي الكرام ، وتلا على ماقبله : يا بُشراي هذا سيد ولم يقل : هذا غلام . فأي قلب لم يُسرّ بمقْدمه ، وأي طَرْفٍ لم يستطلع أنوار مَطْلَعِه على الدنيا ومَنْجمَه .

ومن شعره [يمدح الملك المنصور قلاوون الألفي][3] :

تَهبُ الألوفَ ولا تهابُ لهم ألفاً إذا لاقيت في الصّفِّ
أَلف وألفٌ في ندًى ووغًى فلأَجْلِ ذا سَمُّوك بالألفي[4]

(١) في الوافي : « لوقته » .
(٢) زيادة من الوافي .
(٣) زيادة من (س) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « وألف وألف » ، ولا يستقيم .

ومنه لما خُتن الملك الناصر محمد :

لم يُروِّعْ لـه الخِتَـانُ جَنـانـاً ... قَـدْ أصابَ الحديدُ منه حَـديـدا
مثلمـا تَنْقُصُ المصـابيـحُ بـالقَـطْ ... ـطِ فتزدادُ في الضيـــاء وُقـــودا

ومنه :

كَتَبْتُ والشّـوقُ يُـدنيني إلى أَمَـلٍ ... منَ اللّقـــاءِ ويُقصيني من الـــدار
والشّـــوْق يُضْرم [فيا] بين ذاك وذا ... بَيْنَ الجـوانـح أجـزاءٌ من النـار[1]

ومنه :

في ذِمّـــــةِ الله ذاك الرّكْبُ إنّهم ... سـاروا وفيهم حيـاةُ الْمُغرمِ الـدَّنِف
فـإن أَعِشْ بعـدهم فَرْداً فيـاعجبـاً ... وإن أَمُتْ هكذا وَجْداً فيـا أسفي[2]

ومنه يهنئ القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ببنت :

أمـولاي فَتْـحَ الـدّين هُنّئ خِـدْركُم ... بِقُرَّة عَيْنٍ للصِّيـــانَـــةِ والْمَجـــدِ
ومُتّعْتُم منهـــا بـــأيَمَنِ غرّةٍ ... مُبارَكَـةٍ في الصالحات من الوُلْـدِ[3]
وصِين بني سَعْـدٍ حِمَـــاكَمُ وعِشتُمُ ... مَيـامينَ فُرْسـانَ اليراعَـةِ والْحَمْـدِ[4]
وعُـوِّذْتُمُ مِنْ عَيْنِ حـاسـدِ فَضْلِكم ... ومَجْـدِكم في المجْـدِ يوماً وفي الْمَهْدِ[5]
فـأولادُكم إمّـا بـدورُ فضيلـةٍ ... وإمـا شمـوسٌ هُنّ أَخْبَيَـةُ السّعْـدِ
فبـورِكَ فيهـا طَلْعَـةً فلرُبّمـا ... أفـاد بني سعـد فخـاراً بنـو نَهْـدِ

---

(١) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .
(٢) في الوافي : « عجبي » .
(٣) في الوافي : « فيها » .
(٤) في الوافي : « وحين بني » ، تحريف .
(٥) في (س) ، (ز) ، والوافي : « في الدست » .

١٠٦٠ ـ عبد الوهاب بن فضل الله*

القاضي الكبير الأثير المهيب شرف الدين النشّو ناظر الخاص .

كان كالغُصن قدُّه . أو السيف حدُّه ، أو البدر محيّاه البَهيّ ، أو الدُّرّ كلامُه الشهّي . طويل القامة مُمتدّها ، ظَريفَ الخَطْرةِ يحسبها الناظرُ خَطْرة كاعبٍ ويعتدُّها . باشر نظرَ الخاصّ فعَمّ به إقبالَ الدوله ، وانتشرت له السُّمْعَةُ والصَّوْلَه ، وسَدَّ مهمّاتٍ لو جرى النيل ذهباً لأفناه الإنفاق[١] ، ولو نُثِرت النّجومُ دراهمَ لما ساعدها الإرْفادُ ولا الإرفاق ، وبُزّت أموالُ جماعة وأرواحُهم ، وركدَتْ بعدما هبّت بالسّعادة أرواحُهم ، وتمكّن من السلطان فوصل وقطع ، ولمع بارقُ سعوده وسطع ، وخلا له العَصْرُ ، وجلا [السعد][٢] له القصر ، وانْفَرد بالتدبير ، وما خلا ذلك التثيرُ من التدمير ، وغرَّه مَيْلُ السلطان إليه وتقريبُه ، وفاته منه ما يجري به تجريبُه ، فعاند الناسَ جميعا ، ولم يكن لأحدٍ من الخاصكيّة سميعا ، وأراد يتعشّى بأُناس فتغدُّوا به قبل ، وفوّقوا إليه من المصائب صائبات النَّبْل ، فافترسته ليوثُ خوادِر ، وساعدت عليه المقادر ، وعجز السلطان عن خلاصه ، وغنموا الغفلة في افتراسه وافتراصه .

وجاءه شؤبوبُ الشيوب[٣] ، واسْتَخرَج منه ومن أهله خبايا البيوت [قبل الجيوب][٤] ، فقضى تحت العقاب نَحْبَه ، ولقي بما قدّم ربّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر سنة أربعين وسبع مئة .

وفي ذلك قال القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب دواوين[٥] الإنشاء :

---

* الوافي : ٣٢٤/١٩ ، التالي : ١٨١ ، والدرر : ٤٢٩/٢ ، وذيول العبر : ٢١٤ .

(١) في (س) : « النفاق » ، تحريف .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

(٣) كذا ، ولعلّها (السيوب) ، وهي مجاري المياه .

(٤) زيادة من (ز) ، (س) .

(٥) في (س) : « ديوان » .

في يـوم الاثنين ثـاني الشّهرِ مِنْ صَفَرِ نـادى البشيرُ إلى أن أسْمَعَ الفَلَكا[١]
يـا أهـل مَصْرَ نجـا مُـوسى، ونَيلُكم وفّى وفرعـون وهـو النَشّـو قـد هلكا

وكان النشّو أولاً هو [ووالده][٢] وإخوته يخدمون عنـد الأمير سيف الـدين بكتمر الحاجب ، فلما انفصلوا من عنده أقاموا بطّالين مُـدّة في بيتهم ، ثم إن النشّو خـدم عنـد الأمير علاء الـدين أيـدغمش أمير آخور ، فـأقـام في خـدمتـه تقـدير ستـة أشهر ، ثم إن السلطـان طلب كُتّـاب الأمراء ، فحضروا ، فرآه وهو واقف وراء الجميـع ، وهـو شـاب طويل نصراني ، حلو الوجه ، فـاستـدعـاه وقـال لـه : إيش اسمـك ؟، فقـال : النشو . قال : أنا أجعلك نشْوي . ثم إنه رتّبه مستوفياً في الجيزيّة[٣] ، وأقبلت سعادتـه فـأرضـاه فيما يندبه إليه ، وملأ عينه بالنهضة والكفاءة ، فنقله إلى استيفاء الدولـة ، فبـاشر ذلـك مدة ، وخدم الناس ، وأحسن معاملتهم فأحبوه .

ثم إنّ السلطان استسلمه على يد بكتمر السـاقي وسمّـاه عبـد الوهـاب[٤] ، وسلّم إليـه ديوان ابنه آنوك ، فلاحظته السعادة ، ونام عنـه طرف الزمـان . ولمـا توفي[٥] القـاضي فخر الدين ناظر الجيش نقل السلطان القـاضي شمس الـدين موسى[٦] من نظر الخـاص إلى نظر الجيش ، وولّى النشو ناظر الخاص مع كتابة ابنه ، وحج مع السلطان في تلـك السنة ، وهي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

---

(١) في الوافي : « اثنين » .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

(٣) في الأصل : « الخيريّة » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

(٤) وكان اسمه نشئ الدولة ، كما في الوافي .

(٥) في الأصل : « تولى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

(٦) هو موسى بن إسحاق ، ويدعى عبد الوهاب بن عبد الكريم المصري القبطي ، شمس الدين ، وهو الذي عناه ابن فضل الله بقوله :

يا أهل مصر نجا موسى ...

(ت ٧٧١ هـ) ، الدرر ٣٧٤/٤ .

ولّما كان مستوفياً وهو نصراني كانت أخلاقه حسنة ، وفيه بِشْرٌ وطلاقة وَجْهٍ وتسرّعٌ إلى قضاء حوائج الناس ، ولما تولى الخاصّ وكثر الطلبُ عليه من السلطان ، وزاد السلطان في الإنعامات والعمائر وبالغ في أثمان المماليك وزوّج بناته وتوجه إلى الحج واحتاج إلى الكِلَفِ العظيمة الْمُفْرطة الخارجة عن الحد ساءت أخلاق النشّو ، ولَبسَ للناس جلد النمر ، وأنكر من يعرفه ، وفُتحت أبواب المصادرات للكُتّاب ولمنْ معه مال ، وكان الناس يقعون معه ويقومون إلى أن جُرح ، فازداد الشّرُ أضعافه ، وهلك أناسٌ كثيرون ، وسلبَ جماعةً نعمهم وذهبت أرواح ، وزاد الأمر إلى[1] أن دخل الأمير سيف الدين بشتاك والأمير سيف الدين قوصون وجماعة من الخاصكية ومعهم عبد المؤمن الذي تقدم ذكره إلى السلطان ، فلما حضروا أجلسهم ، وأخرج عبدُ المؤمن سكيناً عظيمة من غِلافها ، فارتاع السلطان ، فقال عبد المؤمن : أنا الساعة أخرج إلى النشو وأضربه بهذه السكينة ، وأنت تشنقني وأريح الناس من هذا الظالم ، فقال السلطان : يا أمراء متى قُتل هذا بغتةً راح مالي ، ولكن اصبروا حتى نُبرم أمراً ، فلما كان ليلة الاثنين ثاني صفر الشهر المذكور اجتمع السلطان به ، وقال له : غداً أريد فلاناً[2] ، فاطلع أنت من سحر لتروح وتحتاط[3] عليه ، وأحضر جماعتك ليتوجه كل واحد إلى جهة أُعّينها له . فلما كان من بكرة النهار طلع القلعة ودخل إليه واجتمع به وقرّر الأمر معه ، وقال له : اخرج حتى أخرج أنا وأعمل على إمساكه مع الأمراء ، فخرج وقعد على باب الخزانة ، وقال السلطان لبشتاك : اخرج إلي النشّو وأمْسِكه ، فخرج إليه وأمسكه وأمسك أخاه مجد الدين رزق الله المذكور في حرف الراء ، وصهره ولي الدولة ، وأخاه الأكرم ، وجماعتهم ، وعبيدهم ، ولم يفت في ذلك الوقت إلا المخلّص أخوه الكبير ، فإنه كان في بعض الدِّيَرة ، فجهز إليه مَنْ أمسكه وأحْضَره ، وسلّم بشتاك النشو إلى الأمير

(١) في الأصل : « حتى » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٢) عبارة الوافي : « غداً نريد نمسك فلاناً » .
(٣) في الوافي : « لتروح تحتاط » .

سيف الدين برسبغا الحاجب ، وعوقب هو وأخوه المخلّص ووالدتها وعبيدهم . وماتت والدتها وأخوه المخلص تحت العقوبة في المعاصير والمقارع . ثم إن السلطان رقّ على النشو ورفع عنه العقوبة ، ورتّب له الجرايحية[١] والفراريج والشراب فاستشعروا رضا السلطان عنه ، فأُعيدت عليه العقوبة ومات تحتها رحمه الله تعالى .

وقيل : إنّ الذي تحصل من النشو ومن إخوته ومن أمه ومن عبيدهم وأخيه وصهره مبلغ ثلاث مئة ألف [دينار][٢] مصريّة .

وأراني النشو قبل خروجي من الديار المصرية في سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، قال : هذه أوراق فيها ثمن المماليك الذين اشتراهم السلطان من أول مباشرتي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة إلى الآن ، وجُملة ذلك أربعة آلاف ألف دينار [وسبع مئة ألف دينار][٣] . وأما جراحته ، فإنه كان من عادته متى أُذّن الصبح ركب من بيته في الزربيّة[٤] وتوجه إلى القلعة [فيجلس على باب القلعة][٥] إلى أن يُفْتح ويدخل ، فلما كان في ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع أو ثمان وثلاثين وسبع مئة ركب على عادته ، فلما كان خلف الميدان عند أوّله إلى جهة البحر ، لحقه فارس يطرد الفرس وبيده سيف مشهور ، فقال له عبده من ورائه : يا سيدي جاءك ، فالتفت فرأى السيف مسلولاً ، قال لي : فرفستُ البغلةَ لأحيدَ عنه ، فأخذتني إليه ، فضربه على عضده اليسار وعلى[٦] جنبه إلى مربط لباسه ، ثم تقدمه وضربه ضربة أخرى إلى خلف[٧] ، فوقع شاشه إلى الأرض ، ولما ضربه هذه الثانية رفعت البغلةُ رأسها ، فجاء السيف في حجاج عينها

(١) الذين يداون الجراح .
(٢) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .
(٣) زيادة من (س) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « الزريبة » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .
(٥) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .
(٦) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٧) في الأصل : « أن خلف » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

[وبعض أذنها][1] ، فلما وقع شاشه توهّمه رأسه وساق وتركه ، فرجع النشو إلى البيت ، فقطب الجرايحي يده بست إبر وقطب جنبه باثنتي عشرة إبرة ، ولو لم أر ذلك بعيني ما صدّقت ، فإن الناس أجمعوا على أنه ادعى ذلك ليؤذي الناس عند السلطان .

وحكى لي القاضي شرف الدين النشو من لفظه غير مرّة لما تولى نظر الخاص قال : كنت أطلع مع والدي إلى القلعة بالحساب ، فيتقدمني هو بحماره القويّ وأنقطع أنا على الحمار الضعيف ، والحسابُ عليه ، فلا أزال أضربه بالعصا إلى أن تتكسّر ثم أضربه بفردة السرموزة إلى أن تتقطع ، وأطلع القلعة في أنْحَس حال .

وحكى لي أيضاً غير مرة قال : لما بطّلنا من عند الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب أقمنا نبيع من أطرافنا ونُنْفِق عَلَيْنَا ، إلى أن لم يبق لنا شيء ، فاحتجنا يوماً ولم نجد ما نبيعه ، فجمعنا السراميز العتق وسيّرنا أبعناها بما أنفقناه علينا ، فقال لي والدي : هذا آخر الخمول ، وما بقي بعد هذا قطوع ، وقد قرب الفرج .

قال : وكان لي قميص إذا خرجْتُ أنا لبسته ، وإذا خرج أخي المخلّص لبسه ، فلما كان ثاني يوم نزل عبدنا[2] إلى البحر ، فاصطاد لنا سمكة مليحة سمينة ، فقلوناها بما فيها من الدهن ، ولم يكن عندنا ما نشتري به سيرجاً ، فلما كان ثاني يوم لذاك اليوم جاءني من طلبني لأخدم عند أيدغمش أمير آخور ، فتوجهت وقدر الله باتصال القسمة وخلع علي ، فتوجهت بالتشريف إلى الشرابشيين[3] وأبعته واشتريت قماشاً من الشرب كثيراً وفصّلناه قمصانا لِما وجدناه من حرقة عدم القمصان .

---

(١) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي . والحَجَاج : عظم الحاجب .

(٢) في الوافي : « عبد مفلح » .

(٣) الشرب : نسيج لطيف رقيق ، والشرابشي : بائعه .

١٠٦١ ـ عبد الوهاب بن محمد*

ابن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي ، الشيخ الإمام العالم النحوي الفقيه كمال الدين ابن قاضي شهبة الشافعي .

سمع من ابن أبي الخير (سُباعيات) الصيدلاني ورواها عنه . سمع الكتب الكبار و (مسند) الإمام أحمد ، وله ثبت بخط الوجيه السَّبتي .

ومن شيوخه الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وابن علاّن ، وابن البخاري ، والمجد بن الخليلي ، وإسماعيل بن العسقلاني[1] ، والبرهان بن الدرجي ، والشرف بن القواس .

كان فقيهاً فاضلا ، عارفاً بالمذهب ناقلا ، له حلقة بالجامع الأموي خلف محراب الحنابلة ، قرأ عليه جماعة من الطلبة أولاد الأكابر ، ومن أرباب السيوف وذوي المحابر . وكان حريصاً على التعليم ، مجتهداً على التفهيم ، يعيد الدرس للطالب مرات ، ويطالبه بإعادته كرات ، ويسمع على المشتغلين الماضي الذي تقدم ، ويقيم بالمذاكرة من ربوع العلم ما تهدّم ، لو أمكنه صَوَّرَ الدرس للطالب في الخارج ، ورقّاه في فهمه على المعارج ، وانتفع عليه بذلك جماعه ، وأرخى على وجهه قناع القناعه ، وكان يعتكف في الجامع الأموي شهر رمضان بكماله ، ويستجلي من الخير بدورَ جماله .

ولم يزل على حاله إلى أن لم يكن في عُدْم ابن قاضي شهبة شُبهه ، ودُسّ في التراب ذاك الوَجْهُ والجبهه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٣٣٤/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٢٦/١٤ ، والدرر : ٤٣١/٢ ، والبغية : ١٢٤/٢ .

(١) إسماعيل بن أبي عبد الله العسقلاني (ت ٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٧٥/٥ .

ومولده في ثاني عشر شوال سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وكان من أعيان أصحاب الشيخ تاج الدين في الفقه والأصول ، ومن أعيان أصحاب أخيه شرف الدين في العربية . لازمها وسلك طريقها في الإشغال .

١٠٦٢ ـ عبد الوهاب بن أحمد*

ابن يحيى بن فضل الله ، القاضي الرئيس شرف الدين ابن القاضي شهاب الدين ابن القاضي محيي الدين ، موقع الدست بدمشق .

كان شكلاً ظريفا ، أبيَّ النفس شريفا ، فيه شجاعة[١] وإقدام ، وفروسية ثابتة الأقدام ، يلعب الكرة بالصوالج ، ويصيد بالطير والحوامي ما هو في وكره[٢] والج ، ويسوق في البريد فيكاد يسبق الرياح ، ويثبت على ظهور [الخيل][٣] من الليل إلى الليل إلى الصباح . وكتب الرقاع جيدا ، ووقّع على القصص متأيّدا

وكان فيه مروءة وكرم ، وحدّةٌ في أخلاقه تتوقّد بالضّرم .

ولم يزل على حاله إلى أن ذوى غصنه الناعم ، وأصبح وأعضاؤه للبلى مطاعم .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشري شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، ودفن في تربتهم بجبل قاسيون .

استخدمه السلطان بمصر بعد دخولهم إليها ، في سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وكتب في ديوان الإنشاء مع والده رحمه الله تعالى ، ومع عمه القاضي علاء الدين . وسمع بقراءتي على الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس وغيره[٤] .

---

* الدرر : ٤٢٤/٢ ، والنجوم : ٢٩٥/١٠ ، والذيل التام : ١٣٧ .

(١) في الأصل : « شجاع » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٢) في الأصل : « ذكره » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) زيادة من (ز) ، (س) .

(٤) ليست في (س) .

ولما رُسِمَ لوالده بكتابة سرّ دمشق حضر معه ، وكان يدخل بالعلامة إلى الأمير علاء الدين ألطنبغا ويخرج ، ويقرأ البريد عليه ، وكان يُؤثره ويحبّه ، وكان يكتب عن والده أوراق البريد وأسماء الموقّعين على القصص . ولما توفي والده رحمه الله تعالى تحدث له مع[١] القاضي ناصر الدين كاتب السر وأدخله إلى الدّست موقعاً في أوائل سنة خمسين وسبع مئة أواخر أيام أرغون شاه .

اللقب والنسب

☆ **ابن عبود** : جمال الدين الحسين بن محمد .

١٠٦٣ ـ عبيد الله بن محمد*

الإمام العابد شيخ الحنفية ركن الدين أبو محمد البارساه ، بالباء الموحدة وبعدها ألف وراء وسين مهملة وبعدها ألف وهاء ، السمرقندي ، نزيل دمشق ، ومدرّس الظاهرية ، ومدرس النورية .

كان من كبار الْمَذْهب ، تقمّص منه درعه الْمُذَهب ، وأصبح وحواصل علومه بيد التعليم تُنْهب ، مكبّاً على التعليم والمطالعه والتفهيم والمراجعه ، له وِرْدٌ في اليوم والليلة مئة ركعه ، يحرم جَفْنَه في الليل لذاذة الهَجْعه[٢] ، وله حلقة في الجامع للإفاده ، وللطلبة إلى حرمها في كل يوم وفاده .

ولم يزل البارساه إلى أن بار وجوده ، وطُفي في الماء وقوده ، فأصبح في بركة الظاهرية ملقًى غريقا ، أصيلاً في الأموات عريقا ، قتل لشيء كان معه من الحطام ، وقيد إلى المنيّة بخطام .

---

(١) ليست في (س) .

* الوافي : ٤١٢/١٩ ، والدرر : ٤٣٣/٢ ، والدارس : ٤١٩/١ .

(٢) في الأصل : « المحفّة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

وذلك في ليلة الاثنين ثاني عشر صفر سنة إحدى وسبع مئة .

وكان قد أُعطي تدريس النورية قبل وفاته بستة أيام ، وألقى فيها ستة[١] دروس لا غير ، وأمسك طيّ الحوراني[٢] قيّم دار الحديث بالظاهرية ، وضرب ، فأقرّ بقتله ، فشنق على باب المدرسة .

١٠٦٤ ـ عبيد الله بن علم الدين*

ابن شراقي ، بفتح الشين المعجمة وبعدها راء وألف وقاف وياء آخر الحروف ، الكاتب .

أخبرني من لفظه العلاّمة أثير الدين ، قال : رأيته بالقاهرة ، وكتب إليَّ بأبيات .

ومن شعره ما كتب به إلى الخطيب مجد الدين[٣] بمدينة الفيوم من أبيات :

خلائقُك الحُسنى أبَرُّ وأَلْطَفُ ... وأنت بأنواع المكارم أعرف[٤]
وتلك السَّجايا الغُرُّ فهي كروْضَة ... مفوّفةِ الأزهار تجُنى وتُقْطفُ
طُبِعْتَ على فِعْلِ الجميلِ خلائقا ... فأنت بما تأتيه لا تتكلّفُ[٥]

فأجابه مجد الدين :

يميناً لأنت البَحْرُ للدُّرِّ تَقْذِفُ ... وذا عَجَبٌ إذ أنْتَ بالعذب تَوْصَفُ
وما الدُّرُّ في البحر الفُراتِ وإنما ... خصائصُ فضْلٍ حُزْتَها بك تُعْرَفُ
فلا جِيدَ إلا وهو منها مُطوَّقٌ ... ولا سَمْعَ إلا وهو منها مُشنَّفُ

---

(١) في (ز) ، (س) : « أربعة » .
(٢) سلفت ترجمته في موضعها من حرف الطاء .
* الوافي : ٤٢٢/١٩ ، وفيه : « عبيد الله بن شراق » .
(٣) أحمد بن أبي بكر بن ظافر ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٤) في الأصل : « المكارم ألطف » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٥) قوله : « خلائقا » ليست في الوافي .

منها :

لقد نالنا من طيب نَشْرك نَشْوَةٌ فقلنا : أهذا الشِّعْرُ أم هو قَرْقَفُ[١]
فذاك هو السِّحْرُ الحلالُ حقيقةً كمَرِّ نسيمِ الرَّوضِ بل هو ألْطف

وكتب علم الدين بن شراقي إلى زين الدين الأرمنتي[٢] :

بحَقِّ ما حُزْتَ مِنْ خِصال عطَّرَتِ الأكوانَ بالأريجِ
شنِّفْ بنظمٍ كنظم دُرٍّ ورونق اليانع البهيجِ[٣]
فُذْ قطَعْتَ القريضَ عنّي أمري في مقلقِ مريجِ

فأجاب زين الدين المذكور :

سألتَ أمراً وبي احتياجُ لنظمك الباهر البهيجِ
تطلب مني وأنت أوْلى ما البحر يحتاجُ للخليجِ
نَظْمُك في حُسْنِهِ أراه كالزّهر في يانعِ المُروجِ
بلاغةٌ فيه لم ينَلْها . حبيبُ أوسٍ ولا السُّروجي

ومن شعر علم الدين شراقي :

ولقد هَمَمْتُ بأن أفوزَ بنظرةٍ من مالكٍ تهوى المعالي وَصْفَه
لم يستطع نظري يراه شاكيا فبعثْتُها عنّي تُقَبِّلُ كفَّه

اللقب والنسب

☆ **ابن عبيد الله الموقّع** : شهاب الدين أحمد بن عبيد الله .

☆ **صلاح الدين** يوسف بن محمد .

---

(١) في الوافي : « طيب شعرك » .
(٢) الحسين بن الحسين ، سلفت ترجمته .
(٣) في الأصل : « شرف بنظم » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

١٠٦٥ ـ عتيق بن عبد الرحمن*

ابن أبي الفتح ، المحدث المُتقن الزاهد تقي الدين أبو بكر القرشي العمري المصري الصوفي المالكي ، شيخ خانقاه ابن الخليلي .

سمع بمصر والشام والحجاز ، وحدّث عن النجيب عبد اللطيف ، وعبد الله بن علاّق ، وكتب عنه الطلبة .

وجاور بمكة مدّة ، وكان فيه تعبّد ، وعنده فَقْرٌ وتَزَهُّد ، وتحرّ وتجرُّد ، وله فضيله ، يخرج بها من السِّمة الردَّية الرذيله .

مرض مُدّة بالفالج وعالج من آلامه ما كان يعالج .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

١٠٦٦ ـ عتيق بن محمد**

ابن سليمان المخزومي ، تاج الدين الدماميني ، بالدال المهملة والميم والألف والميم الثانية والياء آخر الحروف وبعدها نون .

قرأ الفقه بقوص ، وحفظ (التنبيه) ، واستوطن الإسكندرية ، وانتهت إليه رئاستها .

وكان ذكياً كثير العطاء ، وله مشاركة في التاريخ والأدب ، وبنى مدرسة بالمرجانيين بالثغر ووقف عليها أوقافاً كثيرة .

وحضر إلى مصر فتوفي بها في أواخر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٤٦٠/١٩ ، والدرر : ٤٣٤/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩٢/١ ، والشذرات : ٥٧/٦ .

** الوافي : ٤٦٠/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٥٩ ، والدرر : ٤٣٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٢٩/٢ .

١٠٦٧ ـ عثمان بن إبراهيم*

ابن أبي علي الحمصي المقرئ الصالح أبو عمرو الصالحي النسّاج ، إمام مسجد القرشيين .

سمع حضوراً نصف البخاري الأخير من ابن الزبيدي ، وسمع من ابن اللَّتي ، لكنه كان يُحَرِّفُ كتابة الأسماء ، يكتب الحمصي المصري[١] ، فذهب سماعه . وكان قد سمع كثيراً من الحافظ الضياء .

وسمع منه الواني ، والمقاتلي ، والعلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والمحب ، وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة ، وعاش ثلاثاً وثمانين سنة .

وكان خيِّراً يتوّدد إلى الناس ويتواضع ويَحسُنُ بِشْره .

١٠٦٨ ـ عثمان بن إبراهيم**

ابن مصطفى ، الشيخ الإمام العالم فخر الدين المارديني المصري ، مفتي الحنفية المعروف بابن التركماني .

كان فاضلاً في مذهبه ، عارفاً بدقائقه وتقلّبه ، شرح (الجامع الكبير)[٢] وألقاه دروسا ، وجلاه للنواظر والبصائر عروسا .

---

* الوافي : ٤٦٤/١٩ ، والدرر : ٤٣٥/٢ ، والشذرات : ٢٣/٦ .

(١) في الوافي : « لكن يصحّف في كتابة الأسماء الحمصي بالمصري » .

** الوافي : ٤٦٥/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٥٦/١٤ ، والدرر : ٤٣٥/٢ ، وحسن المحاضرة : ٤٦٩/١ ، وتذكرة النبيه : ٢١٣/٢ .

(٢) في الفروع للإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي (ت ١٨٧ هـ) ، وذكر صاحب الكشف الشرح المذكور ، وقال : هو كبير في عدّة مجلدات . الكشف : ٥٦٩/١ .

كان جميل المحاضره ، جليل المذاكره ، أخلاقه لطيفه ، وتنـاديبُـه ظريفـه ، طَلْقَ المحيّا ، فصيح العبـاره ، حسنَ العمّـه ، كامل الشـاره . وكان لـه ولـدان ، كأنهما في سماء الفضل فَرْقَدان .

ولم يزل على حاله إلى أن حُمّ يومه العصيب ، فأخذ من الموت بنصيب .

وتـوفي رحمـه الله تعـالى ليلـة السبت حـادي عشر شهر رجب الفرد سنـة إحـدى وثلاثين وسبع مئة .

ومـولـده في عـاشر جمـادى الأولى سنـة ستين وست مئـة ، يـوم تـوفي الشيـخ عز الدين بن عبد السلام المنصوري .

وسمع من الأبْرَقُوهي ، والدّميـاطي ، وغيرهمـا . وشرح (الجـامع الكبير) في مئـة كراس ، وألقاه في المدرسة المنصورية . وله نظم . وتفقـه بـه ولـداه الشيخ علاء الـدين والشيخ تاج الدين[1] .

١٠٦٩ ـ عثمان بن أحمد*

ابن محمد ، المحدّث ، فخر الدين أبو عَمْرو الحلبي ، ثم المصري ، ابن الظاهري .

حضر النجيب ، وابن علاّق ، وسمع من عـامر القلعي[2] والعـزّ الحراني ، ونسـخ بعض الأجزاء وكتب الطباق .

قال شيخنا الذهبي ، رحمه الله تعالى : وله إلمامٌ ببعض هذا الشأن وكثرة مطالعه .

---

(١) علاء الـدين هو علي ، ستـأتي ترجمتـه في موضعهـا ، وتـاج الـدين هو : أحمـد ، وقـد سلفت ترجمتـه في موضعها ، وسها المصنف في الوافي فسمّاه : محمّداً ، وقال : تقدّم ذكره في المحمدين .

* الوافي : ٤٦٦/١٩ ، والدرر : ٤٣٦/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩٣/١ ، والشذرات : ٩٤/٦ ، وتذكرة النبيـه : ٢٠٥/٢ .

(٢) (ت ٦٧٦ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٨٢ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رجب سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

وكان له قبول ، وعنده مروءة ، وقرأ القرآن بروايات ، وحفظ (ألفية ابن مالك) ، وتعب عليه والده وأسمعه الكثير . قال شيخنا علم الدين البرزالي : شيوخه ست مئة شيخ ، وذلك في سنة خمس وثمانين وست مئة ، وازداد بعد هذا التاريخ خلقاً كثيراً .

وسمع منه الطلبة والرحّالون .

١٠٧٠ ـ عثمان بن أحمد بن عمر*

ابن أحمد بن هِرْمَاس بن نجا بن مُشرف بن محمد بن ورقة ، القاضي الفقيه الإمام العالم فخر الدين أبو عمرو قاضي نابلس[١] .

ولي القضاء بعدة أماكن بالشام . وكان حسنَ السيرة في القضاء عفيفاً ، يقال إنه أباع مُلكاً بثلاثين ألفاً ، وأنفقه عليه مدة الولاية . وكان كثير الاستحضار لمسائل المحاكمات .

قال البرزالي : كَتَبْنا عنه من شعره بنابلس .

وتوفي رحمه الله تعالى تاسع عشر جمادى الأولى سنة [ثمان وسبع مئة ، ومولده سنة][٢] ثلاثين وست مئة بزُرَع .

---

* الدرر : ٤٣٦/٢ ، وفيه : « ابن عمرو » .

(١) في الدرر : « طرابلس » .

(٢) زيادة من (س) . وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٦٨ هـ) ، سهو .

١٠٧١ ـ عثمان بن أحمد بن عثمان*

ابن هبة الله بن أحمد بن عَقيل القيسي الشافعي ، المعروف بابن أبي الحوافر ، الطبيب بالقاهرة .

له إجازة من ابن اللَّتي ، وابن المقيّر ، وإبراهيم الخُشُوعي ، وغيرهم . وكان يُنْعَت بجمال الدين .

توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة غرة صفر سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة تسع[1] وعشرين وست مئة .

١٠٧٢ ـ عثمان بن إدريس**

ابن عبد الله بن السلطان عبد الحق بن مجبو ، البطل الضرغام ، فارس الإسلام ، مُقَدّم الجيوش أبو سعيد بن أبي العلاء المَريني .

قائد جيش غرناطة ، وهو الذي أبلى يوم الكائنة العظمى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ونصر اللهُ فيها الإسلام ، وأباد جيوش الفرنج .

وكان ذا دينٍ متين ، وعقلٍ صحيح مُبين ، فيه شرفٌ وعنده سياده ، وله كبرياء في الرئاسة ، وافرةُ الزياده ، أبلى في الحروب ، وأملى دروساً في الجراح والضروب ، يلقى الهجير بنَحْره ويُقدم على الهول وهو قد جاء وطمّ ببحره ، لا يبالي بالكتائب إن قلّت أو كثرت ، ولا يهمه أمر جياده ، إن كلّت أو عثرت ، أين من بأسه عنترة أو عامر بن الطفيل ؟! وأين من كرِّه على الفوارس زَيْدُ الخيل ؟ كاد يَردُ الموت من الظما ، أو يخال سُمرة الرماح لمى ، أو يتخيل أن السيوف جداول فهو يخوضها ، أو يتوهم أن المنايا ذاتُ دلالٍ فهو يروضها .

* الدرر : ٤٣٦/٢ ، وعقد الجمان : ٢٠٢/٤ .

(١) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي ، وعقد الجمان .

** الوافي : ٤٦٦/١٩ ، والدرر : ٤٣٧/٢ ، ونفح الطيب : ١٠١/٥ .

ولم يزل على حاله إلى أن صالت عليه المنايا ، وجاءته بما في زواياها من الجنايا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

قيل : إنه شهد مئتي غزوة وأربعاً وثلاثين غزوة . أهلك الله ضده الوزير المحروق الذي أبعده من الحضرة في سنة تسع وعشرين وسبع مئة لأن ولده إبراهيم بن عثمان كان قد شارك يحيى بن عمر بن راجو[١] في قتلة السلطان أبي الوليد ، ثم عاد ابن أبي العلاء[٢] إلى منصبه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة . نزل يوم الملحمة العظمى إلى الأرض ، وسجد وتضرّع إلى الله ثم ركب فرسه وقال لجيشه : احملوا ، وكانوا دون الألفين ، فحملوا على القلب وفيه « ذون بطرو » المقدّم ذكره ، وهو في بضعة عشر ملكاً من الفرنج فقُتلوا كلّهم ، ثم لم يفلت منهم أحد ، ودام القتال إلى الليل ، فأقلُّ ما قتل من الفرنج ستون ألفاً وقيل : ثمانون ألفاً ، ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً ، وغنم المسلمون غنية عظيمة إلى الغاية .

وتوفي رحمه الله تعالى وهو مرابط ، وكان من أبناء الثمانين .

١٠٧٣ ـ عثمان بن إسماعيل*

ابن عثمان ، الأمير صارم الدين .

كان أولاً حاجباً بصفد ، ثم نُقل إلى دمشق أميراً ثم أعيد إلى دمشق ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن توجّه صحبة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى إلى ملطيّة .

ولمّا عاد العسكر من ملطيّة توفي رحمه الله تعالى في الطريق في سابع عشري شهر ربيع الأول بالمعرّة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

---

(١) ترجم له صاحب الدرر : ٤٢٣/٤ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٢) في (س) : « العلا » .

* الدرر : ٤٣٧/٢ .

وكان رجلاً جيداً ساكناً وقوراً . عُيّن لشدّ الدواوين بدمشق ، وكان يسكن بدرب الفراش[١] ، وخلف أولاداً وذريّة ، وكان جدّه من مماليك الدوادار الرومي ، كذا قاله شيخنا البرزالي . وعاش ثمانياً وخمسين سنة .

وهو أخو الأمير ناصر الدين مشدّ الأوقاف بدمشق ، وناظر الْحَرَمَيْن بالقدس والخليل عليه السلام . وكان يعرف في دمشق بحاجب صفد ، أعني الأمير صارم الدين .

١٠٧٤ ـ عثمان بن أيوب*

ابن مجاهد الفرْجوطي ، بالفاء والراء الساكنة والجيم والواو الساكنة والطاء المهملة .

كان مُلازم التلاوه ، ويستعمل الصّبر على ذلك عِلاوه ، قد التحف بالتُّحف من القناعه ، وجعل الشكر رداءه وقِناعه ، يرضى بالقليل من العيش الشَطِف ، ويتجلّد لما مضى ولا يأتَنِف ، عديمَ الطّلب من الناس ، سليمَ القلب في معاشرة الأخيار والأدناس .

ولم يزل على حاله إلى أن افترش تُرابَ لحدِه ، وألصق بالثرى ديباجةَ خدِّه .

وتوفي في مستهل شوال سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وتوفي ببلده فَرْجوط .

ومن شعره :

ألا في سبيل الْحُبِّ ما الوَجْدُ صانعُ ... بقَلْبٍ له من وَشْكَةِ البَيْنِ صارِعُ[٢]

يُكابِدُ من أجلِ البِعادِ هلوَعَه ... وإنّ قِلى الأحباب للصَّبِّ هالِعُ

---

(١) في الأصل : « الفراس » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، وانظر : الدارس ٢٤١/٢ .

* الوافي : ٤٦٩/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٤٧ ، والدرر : ٤٣٧/٢ .

(٢) في الوافي والطالع : « صادع » .

ويُقْلِقُــه داعي الهــوى ويُقيمُــه فيُقْعِدُه الإعجازُ والعَجْزُ مـانِع[١]
ويصبو فتنصَبُّ الـدموعُ صبـابـةً ولا غَرْوَ إن صُبّت لـذاك المـدامـعُ
إذا فـاح مِنْ أكنـاف طُيْبـةَ طِيْبُهـا تحرِّكُـه شـوقـاً إليهـا المطـامـعُ
وإن ذُكِرَتْ نَجْـدٌ وجَرْعـاءُ رامـةٍ ولله كم منْ لـوعـةٍ هـو جـارعُ[٢]
هل الـدّهرُ يومـاً بعـد تفريق شَمْلِنـا بـذاك الحِمى النّجـديّ للشَّمْل جـامِعُ
وهل مـا مضى من عيشنـا في ربوعكم وطيبُ زمـانٍ بـالتّواصـل راجـعُ[٣]
عِـدُوا بـالتّـلاقي عِطْفـةً وتكرُّمـاً عليّ فـإني بـالمـواعيـد قـانِـعُ
وإن تسمحوا بـالوَصْلِ يـومـاً لعَبْـدكم فهـذا أوانُ الـوَصْـلِ آنَ فسـارعـوا
أهيـلَ الحمى هـل منكم ليَ رَاحم وهل فيكم يـومـاً لِشكـواي سـامـعُ[٤]
فهـذا لسـانُ الحـال يرفـعُ قصّتي لـديكم عسى منكم لبلـوايَ رافِـعُ

١٠٧٥ ـ عثمان بن أيوب*

ابن أبي الفتح ، فخر الدين أبو عَمْرو الأنصاري العسقلاني .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين ، قال : مولد المذكور ببيت زينون ، بالنون لا بالتاء ، من عسقلان وغزة ، في خامس عشر شعبان سنة تسع وثلاثين وست مئة .

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه :

أتـاني كتـابٌ خِلْتُ في طَيِّ نَشْرِه بريـقَ ضيـاء يُخجِـلُ القَمَرَيْن
إلى عَلَمٍ أسعى بـه مِنْ سَمِيِّـه فنلْتُ مُنىً بـالسّعي في العَلَمين

(١) في الأصل : « ويقلعه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٢) في الطالع : « فلله » .
(٣) في الطالع : « بربوعكم » .
(٤) في الأصل : « لي رحمة » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي والطالع .
* الوافي : ١٩/٤٧٠ .

فأجابه نور الدين بن سعيد[١] :

ببَيْتٍ وبَيْتٍ قـــد سبقْتَ مُجلّيـــاً فـــلا زِلْتَ بـــــالبيتين ذا سبقين
وأنجحْت بـالأمر الـذي قـد قصَـدْتَـه بِسَعْيـكَ يـاذا الفضْـلِ بـالعَلَمَيْن

قال : وأنشدنا المذكور لنفسه :

من ريقهـا وِرْدي ومِنْ وجنـاتهـا وَرْدي وخَمْري لَحْظُهـا والسـاقي
يـا هْنـدُ عنـدكَ مُنيتي ومنيّتي بوعيـدِ هَجْرٍ أو بـوَعْـدِ تـلاقي[٢]

١٠٧٦ ـ عثمان بن أبي بكر*

ابن محمد قـاضي القضـاة جلال الـدين أبو عمرو[٣] الحـاكم بصفـد . كان قـاضيهـا من الأيام الظاهرية ، وكان نُوابها يحبّونه ويعزّونـه ويكرمونـه ، وهو والـد قـاضي القضـاة شرف الدين محمد قاضي صفد وطرابلس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في المحمّدين .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت رابع عُشري المحرم سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وكان يعرف بالنّهاوندي بنون مفتوحة وهاء بعدهـا ألف وواو ونون سـاكنـة ودال مهملة .

١٠٧٧ ـ عثمان بن بلبان**

المحـدّث فخر الـدين الرومي المقـاتلي الـدمشقي الكُفتي . سكن مصر سنـوات ،

---

(١) في الوافي : « ... ابن سعيد المغربي » ، وهو : علي بن سعيد ، صاحب كتاب : المغرب في حُلى المغرب .
(٢) علّق في الوافي على هذين البيتين بقوله : « قلت شعر جيد » .
* عقد الجمان : ٤٧٦/٣ في وفيات (٦٩٨ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢١٦/١ .
(٣) في (ز) ، (س) : « أبو عمر » .
** الوافي : ٤٧٢/١٩ ، والدرر : ٤٣٩/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩٠/١ .

وداخل الرؤساء إلى أن صار مُعيداً في المنصورية للحديث . وكان حُلْوَ المذاكرة[١] ، يحفظ بعض القرآن .

سمع من ابن القوّاس ، ويوسف الغَسّولي[٢] ، وابن عساكر وبحلب من سنقر الزيني مملوك ابن الأستاذ ، وبمصر من الدمياطي وطبقته ، وعني بالرواية ، ونسخ الأجزاءَ وحصّل .

قال شيخنا الذهبي : كتبت عنه وكتب عني ، وكان في وَرَعِه نقص ، وغَيْرُه أَدْيَنُ منه ، وليس له محفوظ ، ولا حفظ القرآن يعني ختمه .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ثالث عشري شوال سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

١٠٧٨ ـ عثمان بن عبد الصمد*

ابن عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ، الشيخ بدر الدين أبو عمرو بن الشيخ جمال الدين الخطيب قاضي القضاة بن قاضي القضاة جمال الدين الحرستاني الدمشقي .

سمع حضوراً من جده سنة ست وخمسين وست مئة ، ومن عبد الله بن الخُشُوعي ، وشرف الدين الحسين الإربلي ، وابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، والمجد بن النشبي ، وغيرهم . واشتغل على الشيخ شمس الدين أبي عبد الله المقدسي[٣] مدرس الشامية[٤] ، ورُتّب بالمدارس ، وكان يجلس مع الشهود .

(١) في (س) : « المحاضرة » .

(٢) في الأصل : « الغسول » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي ، وهو يوسف بن أحمد بن أبي بكر الصالحي الغسولي . (ت ٧٠٠ هـ) . العبر : ٤١٢/٥ .

* الدرر : ٤٤٠/٢ .

(٣) هو محمّد بن أحمد بن نعمة (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤٠/٥ .

(٤) البرانية ، انظر : الدارس ٢٠٩/١ وما بعدها .

ومرض أواخر عمره بالفالج ، وعجز وانقطع إلى أن مات .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٠٧٩ ـ عثمان بن علي*

الإمام العالم المفتي القاضي فخر الدين الأنصاري الشافعي المصري ابن بنت أبي سعد .

كان فقيها كبيرا ، وحاكماً خبيرا ، فاضلاً في الأصول ، غزير المادة[١] والمَحْصُول ، ويدري العربيه ، وعنده جزء كبير من الأنواع الأدبيه ، وكتب الخط البَهج ، وأتى به أبهى من الروض الأرِج . وكان يشارك في علم الموسيقى ، ويُطَبّق الألحان على الكلام تطبيقا .

ولم يزل على حاله إلى أن تداول[٢] أصحابه نَعْيَه ، وتذاكروا اجتهاده وسعيه .

وتوفي رحمه الله تعالى رابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشره وسبع مئة[٣] .

ومولده بداريّا من أرض دمشق .

وحدث عن الكمال الضرير ، والرضيّ بن البرهان ، وتقلب في الخدم الديوانية ، ووقّع عن قاضي القضاة ابن رَزين ، وأفتى سنين وولي القضاء بقوص ، وتوفي رحمه الله تعالى وله تسعون عاماً .

ومن شعره يصف بركة :

وجلا بياضُ النّهرِ في مُخضَرِّها ... وكأنه إذْ لاحَ للأبصار

سَبْكُ اللُّجينَ على بَساطِ زُمرُّدِ ... والشّمْسُ فيه تلوحُ كالدّينارِ

---

* الدرر : ٤٤٦/٢ ، والشذرات : ١٢٢/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٧/٩ .

(١) في (س) : « المادة منه » .

(٢) في الأصل : « تدارك » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) في الدرر أنه توفي سنة (٧١٧ هـ) .

١٠٨٠ ـ عثمان بن علي بن إسماعيل*

ابن الشيخ الإمام العلاّمة صاحب الفنون ، قاضي القضاة ، فخر الدين أبو عمرو بن زين الدين الطائي الحلبي الشافعي ابن خطيب جِبرين[١] ، فقيه حلب ومُقرئها وحاكمها .

كان فاضلاً إذا قلت فاضل ، وعالماً يقرُّ له كُلُّ مناظر ومناضل ، قادراً على حَلّ كلام الناس في سائر الفنون ، مبادراً إلى شرح ما يُقْرَأ عليه ويأتي من ذلك بالنكت والعيون ، لم أر له[٢] في هذا الشأن نظيراً يقاربه ، ولا من يجاريه فيسالمه أو يحاربه ، وكان في كل فن ماهرا ، وعلى كلّ علم ظاهرا ، كأنّ ابن الخطيب ابنُ خطيب الرّي[٣] وكلاهما فخر ، وكأنّ هذا ذاك إلاّ أن الأول فينا يقطف من زهر وذاك يقطع من صخر ، يحل كلام كلّ مُصنف بغير كلفه ، ويتسرّع إلى فهمه ، كأن له دُربة قديمة وأُلْفه .

لقد كنت أعجب من شأنه وحُقّ لي العجب ، وأتفكر في بيانه الذي اطّلع على [كل][٤] غائب وما احتجب ، وما كان إلا أعجوبة الزمان ، ونادرة الوجود في نوع الإنسان . لكنه تولّى قضاء قضاة حلب فما حُمد في ذلك العقبى ، وضُرب بينه وبين الراحة بسدّ فما اسطاع له نَقْبا[٥] ، وطُلب إلى مصر وأنكر السلطان ولايته وزَجَره ، فنزل من القلعة ، وكان ذلك مِنْ مَنْ أمره نهايته :

---

* وفيات ابن رافع : ٦٧/١ ، والبداية والنهاية :١٨٤/١٤ ، والدرر : ٤٤٣/٢ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والنجوم : ٣٢٠/٩ ، وغاية النهاية : ٥٠٧/١ ، وإعلام النبلاء : ٥٢٥/٤ ، وتذكرة النبيه : ٣٠٣/٢ .

(١) جبرين : من قرى حلب .

(٢) ليست في (س) .

(٣) هو الفخر الرازي (ت٦٠٦ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٤) زيادة من (ز) ، (س) .

(٥) فيه إفادة من قوله تعالى في الحديث عن السّد الذي بناه ذو القرنين : ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نَقْباً ﴾ ، الكهف : ٩٧/١٨ .

فـــالنـــا اليـــوم ولا للنهى من بعـــــده إلا البّكا والنحيب

وتُوفّي رحمه الله في القاهرة بالمنصوريّة سنة ثمان[١] وثلاثين وسبع مئة .

ومَوْلِدُه سنة اثنتين وستين بالقاهرة ، كذا رأيته بخط بعض الفضلاء .

وكان رحمه الله قد تلا بالسبع على شمس الدين الخابوري[٢] ، والبدر التاذفي[٣] ، وابن بهرام ، والكمال الغرناطي . وتفقه بقاضي حلب شمس الدين بن بهرام ، وقاضي حماة شرف الدين ، وأخذ عن ابن ملي علم الكلام .

وتصدر وأقرأ[٤] ، وتخرج به الناس ، واشتهر اسمه ، وكان عاقلاً ذكياً غزير المادة ، كثير الاطلاع . قرأت أنا عليه بحلب سنة[٥] .. في (الأربعين)[٦] للإمام فخر الدين الرازي ، وفي (الشمسية)[٧] مشروحة لابن المطهر[٨] في المنطق . وحضرتْ دروسه الجماعة الذين يقرؤون عليه ، فكنت أرى منه العجب ، لم يَحضر إليه أحدٌ بأيّ كتاب كان في أيّ علم كان في أي باب كان من ذلك الكتاب إلا وأقرأه فيه ، وحل كلام ذلك المصنّف ، ولم أر مثله في هذا الباب ولا رأى[٩] غيري إلا ما حكاه لنا الأشياخ عن الشيخ كمال الدين بن يونس ، [فإنّه][١٠] كان عجباً في هذا الباب .

---

(١) وقيل إنه توفي سنة (٧٣٩ هـ) ، نصّ على ذلك ابن كثير وابن رافع وابن العماد الحنبلي .

(٢) أحمد بن عبد الله بن الزبير (ت ٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٥/٥ .

(٣) محمد بن أيوب بن عبد القاهر (٦٩٥ هـ) ، غاية النهاية : ١٠٢/٢ ،

(٤) في الأصل : « قرأ » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٥) كذا في الأصول .

(٦) الأربعين في أصول الدين ، الكشف : ٦١/١ .

(٧) متنٌ مختصرٌ في المنطق لعلي بن عمر القزويني الكاتب (ت٦٧٥ هـ) ، الكشف : ١٠٦٣/٢ ، وهو مطبوع .

(٨) الحسين بن يوسف ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٩) في (س) : « رآه » .

(١٠) زيادة من (ز) ، (س) ، وهو موسى بن يونس بن محمد بن منعة (ت٦٣٩ هـ) ، السير : ٨٥/٢٣ .

وكان يقرئ في (الشاطبية) وكُتُبِ القراءات ، وفي (الحاوي) ، وكُتُب الفروع ، وفي (المختصر) لابن الحاجب ، و (المحصّل) للإمام فخر الدين ، وفي الفرائض ، والجبر ، والمقابلة ، وفي الحساب ، وعلم : الصواب [١] ، وكتاب التحت والميل [٢] ، وفي (الحاجبية) ، وفي (تصريف) ابن الحاجب ، وفي تمرين التصريف ، وفي كتب الحكمة مثل (الملخص) لفخر الدين ، وفي كتب الطب ، وفي كتب الهجاء ، وفي أشياء غير ذلك .

وكان يومئذ يَنُوب عن القاضي زين الدين الشافعي ، وعن القاضي ناصر الدين بن العديم الحنفي ، ومع ذلك كله يحكم بين الناس ، وإذا فرغ من الحكم سبّح ، وكذلك في التعليم إذا قرأ الطالب اشتغل بالسبحة .

وصنف (شرح الشامل الصغير) [٣] و (شرح التعجيز) و (شرح مختصر) ابن الحاجب و (شرح البديع) لابن الساعاتي [٤] . وله في الفرائض نظم ، وشرحه في مجلد . ومصنف في المناسك ، وفي اللغة ، و (شرح الحاوي) في الفقه فيما أظن .

وتلا عليه بالسبع محتسب حلب نجم الدين بن السفاح الحلبي [٥] ، والشيخ علي السرميني ، وجمال الدين يوسف بن حسن التركماني ، وأحمد بن يعقوب [٦] ، ولم يكمل .

وتولى قضاء قضاة حلب الشافعية في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

---

(١) في (س) : « الصواب من الخطأ بيّن » .

(٢) كذا ، ولم يستبن مراده .

(٣) الشامل لأبي نصير عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ الشافعي (ت٤٧٧ هـ) ، قال ابن خلكان : هو من أجود كتب الشافعية وأصحها نقلاً . الكشف : ١٠٢٥/٢ .

(٤) اسم الكتاب : بديع النظلم ، ومؤلفه : أحمد بن علي البغدادي ، ويعرف بابن الساعاتي (ت٦٩٤ هـ) ، الكشف : ٢٣٥/١ .

(٥) عمر بن يوسف ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) الصابوني ، سلفت ترجمته في موضعها .

ثم إن السلطان طلبه وطلب ولده إلى مصر ، فلما مثلا بين يديه روّعهما الحضور قدامه ، لكلام أغلظه لهما ، فنزلا مرعوبين ، ومرض بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة ، ومات ولده قبله ، وتوفي هو رحمه الله بعده بيوم أو يومين ، مدة المرض دون الجمعة .

وكان قد ولي حلب عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب .

وكنت قلت فيه :

غدا ابنُ خطيب الرّي للناس آيةً ... فضائلُهُ منها البدور تمامُ
وفي حلبٍ قاضي القضاة نظيرُه ... ففَخْرُهما يسمو وليس يُسام
كما اشتركا في ابن الخطيب إضافة ... ولكنّ ذا قاض وذاك إمام

ومن شعره في مقلمة :

تأمّل تَر حالي بديعاً وقصّتي ... وأنْعم ـ رعاك الله ـ فِكْرَك في أمري
حويتُ الذي رِزْقُ الخلائق كلِّهم ... وأحكامُهم طولَ الزمان به تجري
ولو رُمْتُ مما في يد الناس حُبُّه ... عجزْتُ ولم أَبْلُغْ مرامي مدى عمري

ومنه في مروحة :

وخادم ما مثلها خادمُ ... بكُلِّ معنى حُسْنٍ تُوصَفُ
يَرُوقُ مَنْ يُبصرُها حُسْنُها ... أخلاقُها محبوبةٌ تُؤلّفُ[1]
لِباسُها الوَشْيُ وفي حجرها ... عوْدٌ لها وهي به أعْرَفُ
يُحَرِّكُ الأرواح ترويحها ... ويَشْتفي المكروبُ إذ تَطرف[2]

ومنه :[3]

(١) في الأصل : « يرزق من » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .
(٢) في (س) : « حين تحريكها » .
(٣) الأبيات الثلاثة الأولى في تذكرة النبيه .

وقائل ما الذي ترجوه حين ترى ببابك الموتَ قد أرسى ولم تَرِمِ
وما الذي أنت يا مسكينُ قائلُه إذا حَلَلْتَ بضيقِ اللَّحْدِ والظُّلَمِ
فقلت: توحيدُ ربِّ العرْشِ مُدّخَري وحُسْنُ ظني بربي بارئ النَّسمِ
والقول فاسْمَعْ رعاك الله قَوْلَ فتى على سوى الحق يا مولاي لم يقمِ
أمسيتُ جارَك يا مَنْ لا يُضامُ له جارٌ وضيفك يا ذا الجودِ والكَرمِ

ومنه في أسماء الولائم:

بوليمة سِمْ كُلَّ دعوةِ مَأْكَل بتَقيُّدٍ لكنْ لُعْرف أَطْلِقِ
ولذي الختان فتلك إعذار وما للطفل فهي عقيقة بتحقق[1]
وسلامة الحبلى مِن الطلق اجعلا خُرْساً لها ولأجل غائبٍ انطق
بنقيعة ووكيرة لعمارة ووضيمة لمصيبة بتصدّق
وسم اليتامى مالها سبب بأ دُبةٍ وخُدْ يا صاح قولَ محقق[2]

قلت: لا بأس بتصحيح ألفاظ هذه الولائم خوفاً من التصحيف: فطعام الختان «إعذار» وهو بالعين المهملة والدال المعجمة والراء، لأن العرب تقول عذرت الغلام إذا ختنته. وطعام المولود في اليوم السابع «عقيقة»، بعين مهملة وقافين وهو مشهور.

وطعام سلامة الحبلى من الطلق «خُرْس»، بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها سين مهملة، تقول العرب فيه: خُرسَه.

وطعام الغائب إذا قدم من سفره «نقيعة» بنون مفتوحة وقاف مكسورة[3] وياء آخر الحروف ساكنة وعين مهملة مفتوحة.

---

(١) طمس في الأصل، وأثبتناها عن (ز)، (س)، وأعلام النبلاء، وفي الأخير «ولدى» بالدال المهملة.
(٢) كذا في الأصل. وفي أعلام النبلاء: «وسم اللتيا مالها ..».
(٣) طمست في الأصل، وأثبتناها عن (ز)، (س).

وطعام الدار إذا فرغت عمارتها « وَكيرة » بفتح الواو بعدها كاف وياء آخر الحروف وراء بعدها هاء .

وطعام المصيبة[١] « وضيمة » بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة وبعدها ميم [وهاء][٢] .

والطعام بلا سبب « مأُدُبَة » بفتح الميم وسكون الهمزة وضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء على وزن « مَأُرُبة » ، فإن كانت المأدبة عامة فهي « الجَفَلى » بفتح الجيم والفاء واللام وبعدها ألف مقصورة ، وإن كانت المأدبة خاصة لقوم بأعيانهم « النَقَرَى » بفتح النون والقاف والراء وبعدها ألف مقصورة .

ومن شعر الشيخ فخر الدين في أسماء خيل الحلبة :

أسامي خيول الحَلْبَة اعلم أنها ... لمن عدّها عَشْرٌ فخُذ قَوْلَ واصف
مُجَلٍّ مُصَلٍّ قُلْ مُسَلٍّ لثالث ... ورابعها التالي وخمِّس بعاطف
وسَدّس بمرتاح حظيٍّ مؤمّل ... لطيم سُكَيْتٍ فارهٍ غير خائف
وخُذْهَا على الترتيب والفَسْكل الذي ... يجيء أخيراً فاستمع قول عارف

قلت : لا بأس بتقييد أسماء خيل الحلبة ليؤمن فيها التصحيف :

الأول : « المجلّي » ، بضم الميم وفتح الجيم وتشديد اللام .
والثاني : الْمُصَلّي مثل اسم الفاعل من الصلاة .
والثالث : الْمُسَلّي ، بضمّ الميم وفتح السين وتشديد اللام .
والرابع : « التالي » ، اسم فاعل من تلا يتلو .
والخامس : « العاطف » بالعين المهملة والألف والطاء المهملة والفاء .

---

(١) في (ز) ، (س) : « المأتم » .
(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

والسادس : « المُرْتَاح » ، بضم الميم وسكون الراء وبعدها تاء ثالثة الحروف وألف وحاء مهملة .

والسابع : « الحَظيّ » بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وتشديد الياء آخر الحروف .

والثامن : « المؤمّل » بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد الميم وبعدها لام .

والتاسع : « اللطيم » بفتح اللام وكسر الطاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ميم .

والعاشر : « السُكَيتْ » تصغير ساكت ، بضم السين المهملة وفتح الكاف مخفَّفة وبعضهم يشددها ، وسكون الياء آخر الحروف وبعدها تاء ثالثة الحروف ، وبعض العرب تسميه « الفِسْكِل » بكسر الفاء وسكون السين المهملة وكسر الكاف وبعدها لام .

وقد طول الشيخ فخر الدين رحمه الله تعالى في عد هذه العشرة ، وقد نظمها بعض الأفاضل في بيتين وهما :

أتانا المُجلّي والمُصلّي بعده ... مُسَلّ وتالٍ بعده عاطفٌ يجري

ومُرتاحُها ثم الحظِي ومُؤمّل ... وجاء اللّطيم والسّكيت له يبري

١٠٨١ ـ عثمان بن عمرو*

ابن أبي بكر بن محمد ، الملك العزيز فخر الدين بن الملك المغيث فتح الدين بن الملك العادل سيف الدين بن الملك الكامل ناصر الدين بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن محمد بن أيوب .

أجاز لي بخطّهِ في القاهرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

سمع من مؤنسة بنت العادل[1] وجماعة .

* الوافي : ٤٨٩/١٩ ، والدرر : ٤٤٧/٢ .

(١) مؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب (ت٦٩٣ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٣٧/١٣ ، وفيه : « مؤنس » .

وحدّث وجمع مجاميع بخطه الحسن . وكان ناظر البيمارستان القديم بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء رابع عشر المحرّم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بقلعة الكرك سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

١٠٨٢ ـ عثمان بن محمد*

ابن منيع بن عثمان بن شادي ، شمس الدين بن البُشْطَاري ، بضم الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف راء .

سمع من ابن رَواج ، والْمُرسي ، وسمع منه شيخنا الذهبي .

وكان طيب النغمة يعرف الموسيقى موصوفاً بذلك .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة . وعمل المؤذنون عزاءَهُ بدمشق . وكانت وفاته بقوص .

ومولده بعد الأربعين وست مئة .

١٠٨٣ ـ عثمان بن محمد بن عثمان**

ابن أبي بكر ، الشيخ المقرئ الفقيه الزاهد مفيد الديار المصرية ، فخر الدين أبو عمرو المغربي التَوْزَري[1] ، بفتح التاء ثالثة الحروف وسكون الواو وفتح الزاي وبعدها راء ، المصري المالكي المجاور .

سمع من ابن الجّميزي ، وسبط السِّلَفي . ثم طلب بنفسه سنة نيّفٍ وخمسين وست مئة .

---

* الوافي : ٥٠٧/١٩ .

** الوافي : ٥٠٧/١٩ ، والدرر : ٤٤٩/٢ ، وغاية النهاية : ٥١٠/١ ، والشذرات : ٣٢/٦ ، وتذكرة النبيه : ٥٧/٢ .

(١) نسبة إلى تَوْزر : مدينة في أقصى إفريقية . (معجم البلدان) .

وتلا بالسبع على أبي إسحاق بن وثيق[١] ، والكمال بن شجاع . وقرأ (صحيح مسلم) على ابن البرهان . وأكثر عن المنذري ، والرشيد بن عزّون ، وأصحاب البوصيري فمنْ بعدهم . قرأ (مسند أحمد) و (المعجم الأكبر) للطبراني والدواوين الكبار ، وذكر أنه قرأ (صحيح البخاري) نحواً من ثلاثين مرة . وسمع بقراءته خلق كثير ، وشيوخه نحو الألف .

ثم إنّه أقبل على شانه ، وعرف عواقب زمانه ، فجاور بالبيت الحرام ، وغني هناك بالحطيم عن الحُطام ، وتعبّد في مثل ذاك المقام ، وتهجّد فيه والناس ينام ، وحدث بالكثير ، وكان صاحب أصول وله فهم خطير ، ولديه محاضره ، وعنده مذاكرة ومسامره ، وخِبْرَتُه بالقراءات متوسّطه ، ولكنها غير مُغلَّطه .

ولم يزل على حاله إلى أن وصل بعد تسميعه إلى الفوت ، وحُسمت فوائده بمدْيَةِ الموت .

وتوفي رحمه الله تعالى حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة .

وكانت له إجازة من ابن المقيّر . وقرأ عليه شيخنا الذهبي بِمنَىً أجزاء ، وأخذ عنه الإمام عبد الله بن خليل[٢] والناس .

١٠٨٤ ـ عثمان بن محمد*

ابن عبد الرحيم ، الإمام البارع قاضي القضاة فخر الدين أبو عمرو حفيد قاضي القضاة فخر الدين الحموي بن البارزي الشافعي .

---

(١) إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن (ت٦٥٤ هـ) ، السير : ٣٠٣/٢٣ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل المكي ، سلفت ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٥٠٨/١٩ ، والدرر : ٤٤٨/٢ ، والشذرات : ٩٤/٦ ، وذيول العبر : ١٦٥ ، وتذكرة النبيه : ١٧٢/٢ ، ١٩٩ .

لحق جده وأخذ عنه وعن عمّه قاضي[١] القضاة شرف الدين .

وكان ذا دين وصرامه ، وسيرة مشكورة عند الخاصة والعامّه ، وكان يحفظ (الحاوي) ويفهمه ، ويُنْزل مسائله[٢] على الرافعي ويَعْلَمه . وله إلمام كثير بنحو ابن مالك ، وخوض كثير في تلك المسالك .

ولي قضاء حمص وما ساس نوّابها ، فما دخل معهم مدينة الحرمة ولا رأى بوّابها . لا جرم أن القرماني[٣] ضربه ، ولولا الإنابة قَرَّمَه[٤] ، وألهب جمر غضبه عليه وضرّمه . ثم إنه عاد إلى حَمَاه ، وأوى منها إلى حِمَاه ، ووليَ بها الخطابه ، وجمع بينها وبين النيابه . ثم إنه تولى قضاء القضاة بحلب ، وأماط عنها العدوان وسَلَب .

ولم يزل بها إلى أن مرض مدة وأفاق غير ناصح ، ثم بعد مدّة مات فجأة فما صحّ إلا أنه مَاصِح[٥] .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وحج غير مرة ، وحدّث (بمسند) الشافعي عن ابن النصيبي ، وتفقّه به جماعة .

وكان قد مرض مدة وأفاق ، وتوضأ بعد ذلك في يومٍ وجلس في مجلس حكمِهِ ينتظر صلاة العصر فمات فجأة .

وكان بحمص والأمير سيف الدين أرقطاي بها نائب ، فجرى بينهما يوماً كلام ،

---

(١) في الأصل : « وأخذ عنه عمّه وعن قاضي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) في (س) : « سائله » ، تحريف .

(٣) بدر الدين بكتوت ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) القرم : القشر ، والتقطع .

(٥) مصح : ذهب وانقطع .

فأساء الأدب على النائب ، فصبر له واحتمله ، ولما جاء القَرْماني إلى حمص نائباً جرى بينهما كلام ، فأساء الأدب[١] ، فبطش به وضربه ، وقال الناس : إنما ضربه الحاج أرقطاي .

وكان توجُّهُه إلى حلب قاضياً في أوائل الحجّةِ سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٠٨٥ ـ عثمان بن محمد بن علي*

فخر الدين أبو عمرو البزّاز مفتي الثغر[٢] .

١٠٨٦ ـ عثمان بن محمد بن عبد الملك**

ابن عيسى بن درباس ، فخر الدين الماراني القاهري .

سمع من أبيه ، وحَدَّث . وكان مقبول القول عند القُضاة ، وإذا فتح فمه بالشعر قلتَ : هذا سيف قد انتضاه[٣] . وهو من بيت حشمة وقضاء ، وقبولٍ عند الناس وارتضاء .

لم يزل على حاله إلى أن سكن منه النَّفَسَ ، وأصبح فيما بين ﴿ عمّ يتساءلون ﴾ و ﴿ عبس ﴾[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم عاشوراء سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

---

(١) ما بين « الأدب » و « الأدب » ، سقط من (س) منقلة عين .

* الوافي : ٥٠٨/١٩ ، والدرر : ٤٥٠/٢ ، وترجمته فيه أوفي مما ههنا .

(٢) (ت ٧١٤ هـ) .

** الدرر : ٤٤٩/٢ .

(٣) في (ز) ، (س) : « نضاه » .

(٤) ما بين السورتين سورة النازعات .

ومن شعره :

كيف الْمُقــامُ بــدارٍ لا أراكَ بهــا وأيُّ مَعْنَىً لمغنى لم تكن فيــــه[١]

يفديك بالرّوحِ صبٌّ لو حَصَلْتَ لـه وفــاتَــهُ كُــلُّ شيءٍ كان يكفيــه

١٠٨٧ ـ عثمان بن محمد بن لؤلؤ*

الأمير فخر الدين بن الأمير شمس الدين لؤلؤ .

كان أحد الأمراء الطبلخانات بدمشق ، جهّزه الأمير سيف الدين تنكز إلى صفد مشدَّ الدواوين ووالياً الولاة عوضاً عن الأمير علاء الدين بن المرواني ، فأقام بها سنتين فأكثر[٢] ، وطلب الإقالة ، فتوجَّهَ إلى دمشق وأقام بها أميراً إلى أن توجه ابن المرواني إلى مصر ، فولاّه تنكز مكانه في ولاية البَرّ في أول شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأقام بها مُدّة إلى أن مرض[٣] وطلب الإقالة فأقيل .

وتوفي رحمه الله تعالى بعد ذلك بعشرة أيام في رابع شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع[٤] مئة .

وكان أميراً من خمس عشرة سنة . وكان خيِّراً ديِّناً عاقلاً وقوراً ، فيه حشمة وعقل وأدب ، وكان يقيم الثلاثة الأيام والأربعة ما يشرب فيها ماء ، ويعمل بيده عدّة صنائع ويُزركش ويطرز ويعمل الكشاتوين .

١٠٨٨ ـ عثمان بن يعقوب**

ابن عبد الحق ، السلطان أبو سعيد المغربي المريني ، صاحب مراكش وفاس وغير ذلك .

---

(١) في الأصل : « لمعنًى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

* الدرر : ٤٥٠/٢ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، وذيول العبر : ١٩٢ .

(٢) في (ز) ، (س) : « أو أكثر » .

(٣) قوله : « إلى أن مرض » ، ليس في (س) .

(٤) وكانت وفاته عن أربع وستين سنة ، كما في ذيول العبر .

** الوافي : ٥١٦/١٩ ، والدرر : ٤٥٢/٢ ، والشذرات : ٩٦/٦ ، وتذكرة النبيه : ٣٥/٢ ، ٢٢٦ .

كان ذا حِلْم ، وركون إلى السِّلْم ، فأهمل أمور الجهاد ، فامتلأت عليه بالوبال الرُّبا والوهاد ، وامتدت أفنان الفتن ، وجرى وَبْلُ الوبال وهَتَن . وعلا في أيامه أمر الغلاء ، وكادت سنوه تجري على الولاء . إلاّ أنه كان له نظر في العلوم ، واتصاف يدْخل [به] في ذوي الفهوم .

ولم يزل في إنكاد إلى أن كاد يفارقه الملك ، ويقع في ورطات ، يرمي بنفسه إلى الهُلْك ، إلى أن جاء الأمر الذي لا يُدْفع ، ولا يردّه صاحب[١] ولا يُمْنَع .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وله بضع وستون سنة .

وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة ، وملك أخوه [يوسف][٢] قبله خمساً وعشرين سنة ، لكن بينهما المِلكَان عامر وسليمان ، وخالف على عثمان ابنه عمرو ، وملك سِجِلْمَاسَة[٣] ، وجرت في ذلك أمور يطول شرحها .

وملك بعد عثمان ولَده الفقيه العالم السلطان العادل أبو الحسن علي ، الآتي ذِكْرُهُ إن شاء الله تعالى في مكانه .

١٠٨٩ ـ عثمان بن يوسف*

ابن أبي بكر ، القاضي المحدّث الفقيه الورع الصالح فخر الدين أبو محمد النويري[٤] المالكي .

صحب والده القدوة الزاهد علم الدين ، وتفقه به وبجماعة ، وأفتى ودرّس ، وكان كثير الحج والمجاورة والتألّه والصدق والإخلاص .

---

(١) في (س) : « حاجب » ، ولها وجه .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) ، ويوسف هذا (ت٧٠٦ هـ) ، الدرر : ٤٨٠/٤ .

(٣) في الأصل : « سلجاسة » ، تحريف ، وهي مدينة في جنوب المغرب (معجم البلدان) .

* الوافي : ٥٢٠/١٩ ، ووفيات ابن رافع : ٣٣٤/١ ، والدرر : ٤٥٣/٢ ، والذيل التام : ١٤٧ .

(٤) نسبة إلى النويرة ، من أعمال بهنسة . (معجم البلدان) .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة[١] .

١٠٩٠ ـ عثمان أبو عمرو*

الصعيدي ، الحلبوني : بفتح الحاء المهملة ، وسكون اللام ، وضم [الباء][٢] الموحدة ، وبعدها واو ساكنة ، ونون ، الشيخ الصالح العابد .

كان فيه صدق وتأله ، وتُؤْثَرُ عنه أحوال وتَوَجُّهٌ وتأثير . أقام مدة ببعلبك ، ومدة ببرزة[٣] .

وكان قانعاً متعففاً ، ترك أكل الخبز مُدَّة سنين عديدة ، وقال إنه يتضرر بأكله .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر المحرم سنة ثمان وسبع مئة ، وطلع الأفرم والقضاة والناس إلى جنازته .

١٠٩١ ـ عثمان بن أبي النوق**

فخر الدين المغربي .

كان له قدرة على الارتجال ، والبديهةِ التي يعجز عنها رَجَاءُ الرِّجال ، يكاد أنه لا يتكلم في جميع محاوراته إلا بالشعر الموزون ، والنظم الذي يَفْرَحُ به المخزون ، ولّما وُصف لي بذل هَوَّنْتُ أَمْرَهُ ، وقُلتُ : يكون ممّن يُوْرِدُ تَمْرَةً وجَمْرَه[٤] ، فما كان إلا أن

---

(١) ووفاته سنة (٧٥٦ هـ) ، وثمة اختلاف في سنة ولادته ، ففي بعض المصادر (٦٦٣ هـ) .

* الوافي : ٥٢٠/١٩ ، والبداية والنهاية : ٤٨/١٤ ، والدرر : ٤٤٢/٢ ، والملوك : ٥٠/١/٢ ، والشذرات : ١٧/٦ ، وذيول العبر : ٤٢ . وهو عثمان بن عبد الله .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

(٣) برزة : من أحياء دمشق اليوم .

** الوافي : ٥٢١/١٩ ، والدرر : ٤٥١/٢ .

(٤) الجمرة : الحصا .

رأيته بالجامع الأموي في ليلة نصف شعبان وهو واقف يُنَضْنِض[١] بلسانه مثل الثعبان والناس في ذلك الأمر المريج ، وكأن صحْنَ الجامع بذلك الوقيد أزاهر الروض البهيج ، فقلت له : يا مولانا أنشدنا شيئاً من شعرك ، واقذف لنا قليلاً من لآلئ بحرك ، فأنشدني من وقته في الحالة الراهنة أبياتاً جمله[٢] ، أتى بها سَرْداً من أول وهله ، كأنما كان قد بَيَّتها لذلك ، أو سهر فيها لَيْلَةَ الحالك ، ومعناها تشبيه ذلك الوقيد والاشتعال ، ووصفُ ما للناس به من الاحتفال والاشتغال ، وتشبيهُ القومة[٣] وحركاتهم ، وترقّيهم في درجاتهم ، وانحطاطهم في دركاتهم ، بحيث لو وصف في ذلك لما صدّقت ، ولا ارتمى بي الظن إلى ذلك ولا حلّقت ، فما كدت أقْضِي عجبي منه ، ووددت أنني لم أنفصل عنه . ثم إنني اجتمعت به بعد ذلك في جامع حلب ، وكان الأمر على ذلك الأنموذج الذي مضى وذهب .

وأخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : رآني مرة وبين يدي كتابٌ له فاتحةُ ذهب ، فأنشدني كأنه يتحدث :

أَرَاك تنظرُ في شيءٍ من الكُتبِ ... وفي أوائلـــه شيءٌ من الـــذَّهَبِ
لـو شِئْتَ تَصْرِفُ نقداً مِنْ فواتحـه ... صَرَفْتَ منـــه دنـــانيراً بـلا رِيَبِ

قال : فوهبته الكتاب ، وأنشدته :

خُـذْهُ إليـك بما يَحْوي مِنَ الـذّهَبِ ... ففي ندي السُّحبِ لا يُخشى من اللَّهَبِ
واضْمُمْ يـديْـكَ عليـه لا تُمـزِّقُـهُ ... فـإنّـه ذَهَبٌ مِنْ مَعْـدنِ الأَدَبِ

---

(١) أيّ : يحرّك .

(٢) عبارة الوافي : « فأنشدني في الحالة الراهنة من غير فكر ولا رويّة ثلاثة أبيات في الجامع ، والقناديل التي علقت به لأجل النصف وذِكْرِ القومة » .

(٣) القومة في الأصل حَرَسة القبور ، وكانت تفرق عليهم الحلوى في المولد النبوي الشريف ، والظاهر أنّ المصنّف أراد ههنا القائمين بالذكر في الاحتفالات الدينية .

قال : وكتب إليّ يتقاضاني عليقاً لفرسه ، وشيئاً يُنفقه :

دمـــوع كُميتي على خَـــدِّه ... مِنَ الجُـــوعِ يطلبُ مني العَلَفْ
وليس معي ذهَبٌ حـــاضِرٌ ... ولا فِضّـــةٌ وعليّ الكُلَفْ
ولي منـــك وَعْـــدٌ فعجّـلْ بـــه ... فَمَن أنجـزَ الـوعـدَ حـــاز الشّرَفْ
ودُمْ وتَهنّ بشَهْرِ الصيـــا ... م بـــوَجْـــهٍ يهـــلُّ وكفٌّ تَكِفْ

فبعثت إليه الشعير والنفقة ، وكتبْتُ إليه الجواب :

مسَحْتُ بكُمّيّ دُمـــوعَ الكُميت ... وقلت لـــه قـــد أتـــاك العَلَفْ
ووافى إليـــك جـــديـــدُ الشّعير ... لعـلّ يُـــداوي سقـــام العَجَفْ
وفي كُمّ ســـائقـــه صُرّة ... تسرُّ لتخفيفِ ثِقـــل الكُلَفْ
فـــإيـــاك تَحْسِبهـــا للـوفـــا ... فـــإني بعثتُ بهـــا لِلْسّلَفْ

وكان يقصُّ ما ينظمه في الورق قصّاً مليحاً محكماً جيداً بالنقط والضبط ، ولكن أوضاعه على عادة المغاربة في كتابتهم .

ونقلت من قصّة قوله :

إلى الحُرِّ الحَسيب إلي عليٍّ ... عـلاء الـــدين ذي الحَسَب العَلِيّ
إلى مَنْ جـــوُدُه عمّ البرايـــا ... وفـــاق مكارمـــاً لكريم طيّ
إلى مَنْ قَـــدْرُه فـــاق البرايـــا ... وزاد عُـــلاً على الأُفـــق السَّميّ[1]

وكان اجتماعي به في الجامع الأموي سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، أو في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، واجتماعي به في حلب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، وتركته وهو يعمل مجلساً يفسر فيه القرآن ، وكان ذلك آخر عهدي به .

---

(١) في الوافي : « فاق الثريا » .

١٠٩٢ ـ عثمان*

المعروف بالدُّكالي ، بضم الدال المهملة ، وكافٍ بعدها ألف ، ولام ، الصوفي ، من فقراء الشُّمَيْسَاطيّة .

كان يتردد إلى الناس ، ويجتمع بطائفة من العوامّ والأدناس ، فاستخفّ منهم جماعه ، وألقى إليهم من الكلام ما ذِكْرُهُ للزّمان أضاعَه ، وسلك بهم شيئاً من الطرائق الباجربقيّه ، فإنه كان عنده منها بقيّةٌ غيرُ نقيّة ولا تقيّه ، وقال لهم : أنا أدلكم على الطريق إلى الله عز وجل ، وخالف القواعد الشرعية فضلّ أو أضلّ ، وتبعه شَرْذَمة قليله ، وطائفة أذْهانهم عن قبول الصواب كليله .

ولم يزل على حاله ، واستمراره على غيِّه وضلاله ، إلى أن فصَل السيفُ رأسه من بدنه ، وأراح الناسَ من فِتَنِهْ ، وذلك في حادي عُشْري القعدة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولّما شاع أمره أمْسِك واعتُقِل ، وأُحضر في دار العدل ثلاث مرات في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وأدَّوا عليه شهادات عجيبة ، ولم يعترف بشيء ، ولما كان يوم الثلاثاء أُحْضِر في زنجير وبلاس شعر ، وحضر الشيخ جمال الدين المِزّي والشيخ شمس الدين الذهبي وجماعة ، وشهدوا عليه بالاستفاضة عنه أنه قال ما ادُّعِيَ عليه به ، فحكم قاضي القضاة شرف الدين المالكي بإراقة دمه ، فضربت رقبته في سوق الخيل[1] ، ولم يكن ذلك رأي النائب ألطنبغا ولا رأي قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، ولكن أمر الله تعالى نفذ فيه .

حكى لي قاضي القضاة تقي الدين ، رحمه الله تعالى قال : قال لي الأمير

---

* الوافي : ٥٢١/١٩ ، والدرر : ٤٤١/٢ ، وفيه : « عثمان بن عبد الله » .

(١) انظر في تفصيل ذلك : البداية والنهاية : ١٨٩/١٤ .

علاء الدين ألطنبغا : لما كانت ليلة الثلاثاء فكرّت[1] في أنهم يُحضرون عثمان الصوفي وأبتلش بأمره ، وقصدت دفع أَمْرِه عني ، فقلت : غداً ما أعمل دار عدل ، وأركب بكرة وأروح ، فلما أصبحت أرسل الله عليَّ النوم ، فنمت إلى أن طلع النهار وتعالى ، فدخلوا إلي وقالوا : إن القضاة والحجّاب والجماعة حضروا وهم في انتظارك ، فالتزمت بعمل دار العدل ذلك النهار ، أو كما قال .

وحكى لي هو عن نفسه ، رحمه الله تعالى قال : أردت وأنا خارج من دار السعادة أن أقول لنقيب المتعمّمين أن يتوجَّه إليهم ويقول لهم ألاّ يعجّلوا في أمره ، فأنساني الله ذلك إلى أن فرط فيه الأمر ، أو كما قال .

ولم أر أنا أثبت جناناً منه ولا أَمْلَكَ لأمر نفسه ، لأنني كنت حاضرَ أمرِه في الثلاثة أيام .

١٠٩٣ ـ عثمان*

ابن الإمام العالم القاضي فخر الدين المعروف بابن علم .

كان شيخاً فقيهاً محدّثاً ، له اشتغال بالقاهرة وتحصيل ، وولي قضاء الخليل مدة ، ثم تركه لولده وسكن الرّملة ، وكان له بها ميعاد وحلقة إشغال ، وله معلوم على ذلك .

توفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين سلخ المحرم سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وهو والد القاضي برهان الدين قاضي الخليل .

وكانت وفاة فخر الدين بالخليل ودفن بمقبرة البلد .

١٠٩٤ ـ عثمان**

الشيخ المنيني الصالح المعروف بالقرُيري ، بضم القاف وفتح الرآء الأولى ، وبعدها ياء [آخر] الحروف ساكنة وراء ثانية مكسورة .

(١) في الوافي : « أُفكرت » .

* الدرر : ٤٤٢/٢ .

** لم نقف على ترجمته .

كان رجلاً مباركاً صالحاً . لمّا اشتد الأمرُ بأهل بَعْلَبَكّ زمن غازان ، وكانت بعلبك مفتوحة الأبواب ، فلما نازلها « بولاي »[١] غلّقت أبوابها ، قال القاضي محيي الدين بن فضل الله : فتوجهنا لزيارته ، فوجدنا قطب الدين اليونيني خارجاً من عنده ، فقال لنا : دخلت على الشيخ فلم يكلمني ووجدته مفكراً ، فلم أجلس ، والرأي أن ترجعوا ، فإن هذا رجل له بادرة فقلنا : لا بد أن ندخل فدخلنا ، قال : فالتفت إلى وقال : يا محيي الدين ، لأي شيء غلّقتم أبواب المدينة ؟ فقلت له : يا سيّدي ، خوفاً من بولاي ، فإنه قد جاء ونزل عليها[٢] ، وربما أنه يريد أن يحاصرها ، قال : فغضب الشيخ غضباً شديداً ، واحمرّت عيناه ، وجثا على ركبتيه ، وطلعت الزبدة من فيه ، حتى ظننناه سَبُعاً يريد أن يفترسنا ، وبقي على هذه الحالة هُنَيَّة ، ثم قال : وعزة العزيز ، طَرَشهم رَجُلٌ طَرْشةً بدّد شملهم . وفتح يديه يُمْنَة ويسرَة ثم سُرِّي عنه . وقال : قل لهم يا محيي الدين أن يفتحوا الأبواب : قال : فقمنا وفَعَلنا ماقال ، فباكرنا الخبر في اليوم الثالث برحيل غازان عن دمشق في الساعة التي قال فيها الشيخ عثمان ما قال .

وتوفي الشيخ القرُيري في سنة ثمان وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن العجمي** : [الخطيب] شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن . وأخوه الشيخ عز الدين عبد المؤمن . وشمس الدين أحمد بن محمد .

☆ **شمس الدين العجمي** : عبد اللطيف بن خليفة .

---

(١) هو بولاي النوين التتري ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

☆ **وكمال الدين بن العجمي** : عمر بن محمد .

☆ **وابن العجمي الحنفي المدرس بالإقبالية** : محمد بن عثمان . وشهاب الدين بن محمد بن عبد الرحمن . وبهاء الدين يوسف بن أحمد . وتاج الدين يوسف بن إسماعيل .

١٠٩٥ ـ عدنان بن جعفر*

ابن محمد بن عدنان الشريف ، شرف الدين بن الشريف أمين الدين بن محيي الدين الحسيني بن أبي الجنّ نقيب الأشراف بدمشق .

تقدم ذكر والده وعمه ، وسيأتي ذكر جدّه في الْمُحَمّدين إن شاء الله تعالى .

لبس تشريفَهُ عوضاً عن والده بطَرْحة في تاسع شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة وهو شاب ، فقُدِّمَ على غيره لعَقْلِه وفهمه وأهلّيته لذلك .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في عشية الأربعاء تاسع عشري المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقابرهم عند مسجد الذبان ظاهر دمشق[1] وعمره اثنتان وأربعون سنة .

الأنساب والألقاب

☆ **ابن عَدْلان** : محمد بن أحمد .

☆ **ابن العُدَيْسَة** : محمد بن علي .

☆ **ابن العديم** : عبد العزيز بن محمد . وناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز .

☆ **ابن عَرّام** : بهاء الدين أحمد بن أبي بكر .

---

* الدرر : ٤٥٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٤٠/٢ .

(١) خارج باب الجابية ، الدارس : ١٨١/٢ .

☆ **ابن بنت العراقي** : عبد الكريم بن علي .

☆ **العَزّازي التاجر الشاعر** : أحمد بن عبد الملك . وبدر الدين محمد بن عثمان . وولده فخر الدين عثمان بن أبي الوفاء .

☆ **ابن العِزّ الحنفي** : محمد بن محمد ، وجمال الدين يوسف بن محمد .

☆ **ابن العز عمر** : بهاء الدين علي بن عمر .

☆ **ابن العَسّال** : أمين الدين فرج الله بن أسعد . وصلاح الدين يوسف بن أسعد .

☆ **بنو عساكر** : جماعة منهم : شرف الدين أحمد بن هبة الله . وفخر الدين إسماعيل بن نصر الله . وبهاء الدين القاسم بن مظفر . وبدر الدين محمد بن الحسين .

☆ **ابن عسكر المالكي** : عبد الرحمن بن محمد .

☆ **العسقلاني** : بهاء الدين عبد الله بن محمد .

☆ **العشاب المُحَدّث** : أحمد بن محمد .

☆ **ابن عُصَيَّة قاضي بغداد** : أحمد بن حامد .

☆ **ابن أخت ابن عصفور** : محمد بن أحمد .

☆ **أبو عصيدة صاحب تونس** : محمد بن يحيى .

١٠٩٦ ـ عَضُد*

بالعين المهملة المفتوحة ، والضاد المعجمة المضمومة ، والدال المهملة ، الشريف الخواجكي ، المعروف بابن قاضي يزدكان ، أحد خواجكية القان بوسعيد .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أخبرني الخواجا مجد الدين

* الدرر : ٤٥٤/٢ .

إسماعيل السلامي ، أن المذكور كان فيه تسلّط على الوزير ومَنْ حول السلطان ، ففكروا في إبعاده ، وحسّنوا لـ بوسعيد أن يجّهزه رسولاً إلى الهند إلى السلطان محمد بن طُغْلَق[1] ، قال : فجهزه ، فلما وصل إليه أقبل عليه ، وكان يقرّبه ويُدينه ويؤثر كلامه ويُسامره ، وأعطاه شيئاً كثيراً إلى الغاية ، ولما كان في بعض الأيام ، قال له : ادخل إلى الخزائن ، فدخلوا به إليها وعرضوها عليه . وقالوا : أمرنا السلطان أنك مهما أردت وأعجبك منها تأخذه ، فأخذ من جميع الخزائن مصحفاً ، فحكوا ذلك للسلطان ، فأحضره وأنكر عليه ذلك ، فقال : السلطان قد أغناني بإحسانه عن جميع ما رأيت ، ولم يكن لي غنًى عن كلام الله تعالى ، فأعجبه ذلك منه ، وأمر له بألف ألف دينار فحملت إليه . ولما عاد وقارب البلاد بلغ الوزير الخبر ، فحسّنوا لبوسعيد أن يجعل أحمد[2] أميرَ أَلَكه ـ بفتح الهمزة واللام والكاف وبعدها هاء ـ ومعناه أن يكون له الحكم حيث حلّ من المملكة ، وأن يفعل ما أراد ، فتوجه المذكور إلى أطراف مملكة بوسعيد وتلقى الشريف عضد ، وأخذ منه مبلغ مائتي ألف دينار ، وضرب منها أواني ، وقدّم بعضها لبوسعيد أو كما قال .

١٠٩٧ ـ عطاء الله بن علي*

ابن زيد بن جعفر ، الفقيه نور الدين بن الثقة الحُمَيري الأسنائي .

كان فقيها فرضيّا ، عدلاً مرضيّا ، من كبار الصالحين ، والأولياء الناجحين ، انقطع ستين سنة في مكان ، لا يخرج منه إلا للصلاة إذا سمع الأذان ، ولا يملك شيئاً من الدنيا ، ولا يرغب إلاّ فيما في المنزلة العليا .

ولم يزل على حاله إلى أن خانت الليالي لابن الثقه ، وحانت من المنايا صعود العقبة الزّلِقه .

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) كذا ، وثمة بياض بمقدار كلمة أو كلمتين في النسخ .

* الطالع السعيد : ٣٦١ ، والدرر : ٤٥٥/٢ .

فتوفي رحمه الله تعالى بأسنافي سنة ثماني عشرة وسبع مئة . ووقع يوم موته مطر عظيم .

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأُدفُوّي : أُخبرت أنه قال : أنا أموت في هذا النهار ، فإن والدتي أخبرتني أنني ولدت في يوم مطر عظيم .

وقال : أخبرني جماعة أنه لمّا قدم نجم الدين بن ملّي[١] إلى أسنا اجتمع به وتكلم معه في الفرائض والجبر والمقابلة ، فقال : ما ظننت أحداً في كَيْمان[٢] الصعيد بهذه المثابة .

وكان رحمه الله تعالى سليم الصدر جداً ، قال : قال لي صاحبنا علاء الدين الأصفوني[٣] : قلت له مرة : ياسيدنا ، أبو بكر المؤذن طلّق زوجته ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قلت له : لكن صارت بكراً كما كانت ، فضحك وقال : فتبول من أين ؟

وجمع دراهم ليحج بها ، وأقام سنين يجمعها فسُرقت ، فقصد الوالي أن يمسك إنساناً بسببه فلم يوافق .

قال : وحكي لي عنه أنه كان يقول : الجنّ في الليل يمسكون إصبعي ، ويقولون : هذا إصبع عطاء الله !

وأخذ علمه من الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي ، وأقام بالمدرسة الأفرميّة التي بأَسْنَا ستين سنة تقريباً [منقطعاً][٤] لا يخرج إلا للصلاة في مسجد له أو لضرورة ، وليس عنده إلا عمامة وفوقانية طاقيّة[٥] وفروة وشملة .

---

(١) في الدرر : « مكي » ، وهو كذلك في ترجمته في الطالع السعيد : ١٢٥ ، هو أحمد بن محمد بن مكي القمولي .

(٢) في الدرر : « كتاب » .

(٣) في الطالع السعيد : « الأسفوني » .

(٤) زيادة من (ز) .

(٥) في الدرر : « طاق » . وفي الطالع : « طاقي » .

الألقاب

☆ **ابن العطار :** جماعة منهم : شرف الدين إبراهيم بن أحمد . كمال الدين كاتب الإنشاء أحمد بن محمود . والشيخ علاء الدين بن العطار علي بن إبراهيم بن داود . وبدر الدين محمد بن أحمد .

☆ **ابن عطاء السكندري :** تاج الدين أحمد بن محمد .

☆ **ابن عطايا :** سعد الدين الوزير محمد بن محمد .

☆ **الشريف عطوف :** محمد بن علي .

☆ **ابن عطيّة :** عطية بن إسماعيل .

١٠٩٨ ـ عطية بن إسماعيل

ابن عبد الوهاب بن محمد بن عطيّة بن المسلم بن رجا اللخمي الإسكندراني المالكي ، العدل الكبير جمال الدين أبو الماضي بن مكين الدين .

سمع (كرامات الأولياء) من مظفر بن الفوّي ، وتفرد بذلك . وكان والده من أصحاب الصّفراوي[١] وجدّه ، وروى عن الحافظ ابن المفضل[٢] ، وجدُّهم عطية أخو أحمد يروي عن أبي بكر الطرطوشي[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وقد زاد على الثمانين أشهراً .

---

* الدرر : ٤٥٦/٢ ، والسلوك : ١٤١/١/٢ ، وذيول العبر : ٨١ .

(١) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .

(٢) علي بن المفضل بن علي اللخمي (ت ٦١١ هـ) ، السير : ٦٦/٢٢ ، والشذرات : ٤٧/٥ .

(٣) في الأصول : « الطرطوسي » ، تحريف . وهو محمد بن الوليد بن خلف (ت ٥٢٠ هـ) ، السير : ٤٩٠/١٩ ، وطرطوش : بلدة في الأندلس .

الألقاب

☆ **ابن العفيف** : الكاتب محمد بن محمد .

☆ **أولاد ابن عُقبة** : جماعة منهم : القاضي صدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عقبة . وصدر الدين يعقوب بن إبراهيم .

☆ **العَقيمي** : جمال الدين عمر بن إبراهيم .

١٠٩٩ ـ علي بن إبراهيم*

ابن الخطيب يحيى بن عبد الرزاق بن يحيى ، العدل المسند مؤيد الدين أبو الحسن الزُّبيدي بضم الزاي ، الْمَقْدسي ، ثم الدمشقي ، ابن خطيب عقربا .

سمع من جَدّه ، ومن الناصح ابن الحنبلي ، وابن غسّان ، والإربلي ، وابن اللَّتي ، والقاضي ابن الشيرازي ، وسالم بن صصرى ، ومحمد بن نصر القرشي ، وحجّ فسمع بالمدينة من النجم بن سلاّم[1] .

كان ديّناً متواضعاً ، ولي مخزن الأيتام ، وناب في نظر الجامع وغير ذلك ، وشهد على القضاة .

توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وعشرين وست مئة .

١١٠٠ ـ علي بن إبراهيم بن داود**

الشيخ الإمام المفتي المحدّث الصالح ، بقية السلف ، علاء الدين أبو الحسن بن

---

* العبر : ٤٠١/٥ ، والشذرات : ٤٥٠/٥ .

(١) هو الحسن بن سالم بن علي (ت٦٤٢هـ) ، الوافي : ٢٦/١٢ .

** البداية والنهاية : ١١٧/١٤ ، والدرر : ٥/٣ ، والشذرات : ٦٣/٦ ، والدارس : ٥٢/١ ، وتذكرة النبيه : ١٤٧/٢ ، وذيول العبر : ١٣٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦١/٩ .

الموفّق العطار بن الطبيب الشافعي ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس القوصية والعلميّة[١] .

حفظ القرآن ، وسمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعبد العزيز بن عبد[٢] ، والجمال ابن الصيرفي[٣] وابن أبي الخير ، والمجد محمد بن إسماعيل ابن عساكر ، والعماد محمد بن صصرى ، وابن مالك شيخ العربية ، والشمس ابن هامل ، وأبي بكر محمد بن النشّبي ، وخطيب بيت الآبار ، ومحمد بن عمر ، والقطب ابن أبي عصرون ، وأحمد بن هبة الله الكهفي[٤] ، والكمال بن فارس المقرئ ، والشيخ حسن الصّقلّي ، والفقيه زهير الزرعي ، والقاضي أبي محمد بن عطاء الأذرعي ، ومدلّلة بنت الشيرجي ، وإلياس بن عُلْوان[٥] المقرئ وغيره .

وسمع بمكة من يوسف بن إسحاق الطبري ، وأبي اليُمْن بن عساكر . وبالمدينة من أحمد بن محمد النصيبي . وبالقدس من قطب الدين الزُّهري[٦] . وبنابلس من العماد عبد[٧] الحافظ . وبالقاهرة من الأبرقوهي ، وابن دقيق العيد .

وعمل له شيخنا الذهبي (معجماً) بلغ أشياخه فيه مئتين وسبع وعشرين شيخاً .

وسمعه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني بقراءته سنة سبع وتسعين ، وابن الفخر ، وابن المجد ، والمجد الصيرفي ، والبرزالي ، والمقاتلي .

---

(١) شرقي جبل الصالحية ، بناها الأمير علم الدين سنجر . الدارس : ٤٢٩/١ .

(٢) عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر ، ويعرف بالكمال بن عبد (ت٦٧٢ هـ) ، العبر : ٢٩٩/٥ .

(٣) يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح (ت٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣٢١/٥ . ووقع في الأصل : « عبد العزيز بن عبد الجمال وابن الصيرفي » ، وهو خلط ، صوابه ما في (أ) ، (ز) .

(٤) أحمد بن هبة الله بن أحمد السُّلمي الكهفي (ت٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٥/٥ ، والشذرات : ٣٣٤/٥ .

(٥) إلياس بن علوان بن ممدود الإربلي (ت٦٧٣ هـ) ، غاية النهاية : ١٧١/١ ، ووقع في الأصل و (س) : « علوي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وغاية النهاية .

(٦) عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم (ت٦٨٧ هـ) ، النجوم الزاهرة : ٣٧٨/٧ .

(٧) في الأصل :« ابن عبد » ، سهو .

وكان فقيهاً أفتى ودرّس ، وركب الجادة في العلم وألج وعرّس ، وجمع وصنف ، ونسخ الأجزاء وألّف ، ودار مع الطلبة ووطّف[١] . وكان فيه زُهد ، وورع بلغ الجُهْد ، وتعبّدٌ وأمر بالمعروف على زعارة أخلاقه ، ومرارةٍ في مذاقه . وكان قد صحب الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى ، واشتعل ذهنه عليه اشتعالا ، وتفقه عليه ، وحفظ (التنبيه) بين يديه . وكان له محبّون وأتباع ، وسوق نافقة[٢] فيها تُطلب وتباع .

وأصيب رحمه الله تعالى بالفالج سنة إحدى وسبع مئة ، وكان يُحمل في محِفّه ، ويكون فيها جالساً مُرفَّه ، ويُدارُ به كذلك إلى الجامع والمدارس ، ويمارس حاملُه ما يُمارس .

ولم يزل على حاله إلى أن التقى عمله ، وأعطاه الله من جُوده [٣] أمله .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل ذي الحجة سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده يوم الفطر سنة أربع وخمسين وست مئة .

رأيته غير مَرّة ولم أسمع منه ، لكن حصّلت بركة رؤيته لا روايته .

وعقد يوماً مجلس بمشهد عثمان في أيام الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى فطلب العلماء والفقهاء ، وغصّ المجلس بالأعيان ، فما كان إلا أن جاء الشيخ علاء الدين بن العطار وقد حمله اثنان في محفته على عادته ، فلما رآه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني وقد دخلا به ، قال : أيش هذا ؟ من قال لكم تأتون بهذا ، وردّه تنكز إلى برّا ، وجلس خارج الشباك ، إلا أن ابن الزملكاني لحق كلامه بأن قال : قلنا[٤] لكم تحضرون العلماء ، ما قلنا لكم تحضرون الصلحاء .

---

(١) أصل الوطف : انهمار المطر ، والإكثار من الشيء .

(٢) في (أ) : « وسوق نافقة بضائعه غير ضائعة .. » .

(٣) في الأصل : « جود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٤) في (ز) : « نحن قلنا » .

قلت : عَلى كل حال كَسَر خاطره .

وكان يكتب بيده اليسرى . وكان قد حج غير مرة ، وكان في شهر ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة تكلم الشيخ شمس الدين بن النقيب وجماعة في بعض الفتاوى الصادرة عن الشيخ علاء الدين بن العطار ، وأن فيها تخبيطا ومخالفة لمذهب الشافعي ، وأنه ينبغي للفقهاء والقضاة النظر في ذلك ، وتوجهوا إلى الحكام ، فحضر جماعة إلى ابن العطار وقالوا : إنهم قد هيؤوا شهادات يشهدون بها عليك ، فبادر هو إلى القاضي الحنفي ، وصورت عليه دعوى ، فحكم بإسلامه وحقن دمه وبقاء جهاته عليه ، ونفذ حكم ذلك ، فلامه أصحابه على عجلته ، فأحال الأمر على مَنْ نقل ذلك[1] فأنكروا ، ووصلت القضية إلى الأفرم فأنكر ذلك ، وغَضِبَ لحصول الفتن بين الفقهاء ، وأحضر[2] ابن النقيب وجماعة ، ورسّم عليهم بالقصر أربع ليال ، وأحضروا بدار العدل وسوعدوا ، فأطلقوا بعد ذلك .

١١٠١ - علي بن إبراهيم التُّجاني البجلي*

أخبرني العلامة أثير الدين قال : المذكور أستاذ بتونس يُقرأ عليه النحو والأدب ، قدم علينا حاجّاً ، وأنشدنا بالقاهرة لنفسه :

إن الـــذي يروي ولكنـــه ... يجهـل مـــا يروي ومـــا يكتبُ
كصخْرةٍ تنبـــعُ أمـــواهُهـــا ... تسقي الأراضي وهي لا تشرب

قال : وأنشدنا وكان الممدوح قد وهبه مالاً عوناً على الحج :

يـا سيـداً قـامت لـدهري بـه ... على الـــذي تُعتبـــه الحُجَّـــه
جـودك للنـــاس ربيـــعٌ ولي ... منـــه ربيعـــان وذو الحِجَّـــه

(١) في (أ) : « ذلك إليه » .
(٢) في الأصل : « وأحضروا » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
* لم نقف على ترجمة له .

١١٠٢ ـ علي بن إبراهيم بن عبد المحسن*

ابن قُرناص علاء الدين الخُزَاعي الحَمْوي الشافعي ، ابن قرناص .

أخذ عن جماعة ، ونسخ ، وقرأ على الشيوخ ولم يكثر . سمع بمصر من ابن خطيب المزة ، وبدمشق من شرف الدين بن عساكر .

وكان فصيح القراءة ، قليل الدربة بالرجال ، وله نظم .

توفي رحمه الله تعالى ثالث عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بدمشق .

ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

ومن شعره ...[١]

١١٠٣ ـ علي بن إبراهيم بن علي**

ابن معتوق بن عبد المجيد بن وفا ، علاء الدين أبو الحسن الواسطي الأصل البغدادي المنشأ ، الواعظ المعروف بابن الثردة ، بالثاء المثلثة والراء والدال .

قدم إلى دمشق مراتٍ ووعظ بها ، وأخذ من فضتها وذهبها ، ولكنه في المرة الأخيرة تغيرت حاله ، وتغبّت سماء عقله وغَزَالُه[٢] ، فالتحق بعقلاء المجانين ، وسلك من الهذر في أفانين ، وكان يثوب إليه عقله في بعض الأوقات ، وتكون منادمته ألذّ من الأقوات ، فينشد الأشعار الرائقة له ولغيره[٣] ، ويبذرُ الحَبّ لسُقوط طَيْره ، ثم يعاود الاختلال والاختلاط ، ويَنْخَلُ[٤] ، إذْ يَنْخَلّ مِنَ الرباط . رأيتُه في هذه الحالة وهو

---

* الدرر : ٧/٣ ، وتذكرة النبيه : ٥١/٢ .

(١) كذا بياض في الأصل . وأورد صاحب التذكرة بعض شعره .

** فوات الوفيات : ٤٦٣/٢ ، والدرر : ٨/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٩/١ .

(٢) أي : وشمسه .

(٣) وقد أورد له صاحب الفوات طرفاً صالحاً من نظمه شعراً وموالياً وموشحات .

(٤) أي : يدّعي .

يجاري القاضي شهاب الدين بن فضل الله بيتاً فبيتا ، ويسبق إلى نظم البيت حتى إخاله كُميتا .

وابتدأ بعمل كارة[١] صغيرة يحملها تحت إبطه ، ويجتهد عليها بكل جهده وضبطه . وهو يزيدها في كل يوم مما يراه مُطَّرحا في الطُّرُق ، إما خيطاً أو حبلاً ويديره عليها كالنُّطق ، وتلك في كل يوم تنمو وتزيد ، وهو يقاسي من حملها العذابَ الشديد ، حتى إنه يكون في الطهارة وهو يكابد حملها ، وما ينكر خَمْلَها[٢] . ولّما كان آخر وقت ضعف عن حملها فألقاها[٣] ، وعجز عن ضمّها ومعالجة شقاها .

وأصبح ابن الثُّردة طعامَ الدود ، وشخصه المنتصب وهو تحت الأرض ممدود .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالبيمارستان النوري في أول شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مئة .

وسألته عن مولده ، فقال : في ثاني عُشري شعبان سنة سبع وتسعين وست مئة .

وكان في هذا الاختلاط يدّعي أنه كانت له ببغداد كتبٌ تقدير الألفي مجلد[٤] ، وأن جماعةً من التجار الذين قدموا إلى دمشق اغتصبوها وأخذوها منه ، ولم يلق مَن يساعده على ذلك .

وكان ذلك من مخيّلة السوداء ، فساءت حاله وأضّرت به ، وأخذه الولع الزائد في هذه الكارة ، ويطلبها الناس منه فيقول : لو دُفع لي فيها ألف دينار ما أبعتها[٥] . وكان قد أتى إلى بعض الحكّام وادّعى عنده ، وهو في هذه الحالة ، على التّجار الذين

---

(١) الكارة : ما يصرّ بها .

(٢) أي : ما يسببه حملها من آلام في المفاصل .

(٣) في (ز) : « فألفاها » ، تصحيف .

(٤) في (أ) ، والفوات : « ألفي مجلّدة » .

(٥) في الفوات : « لو دفع لي فيها ملك مصر ما أبعتها » .

أخذوا كتبه ، فقال له القاضي : يا شيخ علاء الدّين ، قولك دعوى ، ألك بيّنةٌ تَشْهَد بذلك ؟ فقال له : كيف يكون لي بيّنة ، وقد صفعوك منها بمئتي مجلد ، يعني دفعوها بِرُطيلاً ، فضحك القاضي والحاضرون منه .

وعلّق عنّي أشياء من نظمي ، وعلّقت عنه . وقال لي يوما : أَنْشِدْني هذين البيتين اللّذين لك في الجناس ، وأنا قد حفظتهما ، ولكن أشتهي أسمعهما منك لأرويهما بالسماع . فأنشدتُهُ لنفسي :

أتاني كتابٌ فيه أن محبّتي ... تلاشت ـ كما قيل ـ أيَّ تلاشي
فيا قُبحَ ما قد ضمّ جانبُ طِرْسِه ... فضائحَ واشٍ في فضاء حواشي

وكان إذا دَفع[1] إليه أحد شيئاً من دراهم أو غيرها يقول : مَن أنت ؟ أظُنُّ عندك شيء[2] من كتبي ، فأنت تُبَرْطلني على ذلك . ولا يقبل لأحد شيئاً .

وكنت أراه فأتألّم لحاله ، وأتوجع لما أصابه . وكنت أخضع له وأتذلل وأعطيه شيئاً قليلا من الدراهم ، فيقول : يا مولانا ، والله لا أريد شيئا من مالك . فأُقسم عليه وأقول : لا بُدّ من ذلك ، فأنا مُحبّك وراويةُ شِعْرِك . فيأخذ من عَرض ذلك درهماً واحدا ، ولا يزيد على ذلك . فَعَلهُ مرّات .

وكتب ، وهو في هذه الحالة ، قصّة للأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي نظماً ، نقلت ذلك من خطّه ، وهي :

يا نائبَ السُّلطانِ لا تَكُ غافِلاً ... عن قَتْلِ قومٍ للظواهرِ زوّقوا
قَوْمٌ لهم وَقْعٌ وذِكْرٌ في الورى ... ويُرى عليهم في المهابةِ رَوْنَقُ[3]

---

(١) في الأصل : « رفع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والفوات .
(٢) في الأصل : « شيئاً » وهو غلط .
(٣) في (أ) : « للهابة » .

وإذا رأوا شيئـــاً عليـــه تحيّلـوا ... في أخـــذه وتـــأولّـوا وتملّقـوا
مـــاهم تِجـــارٌ بـــل لصـوصٌ كُلُّهم ... فـــأُمُرْ بهم أن يُقتلـوا أو يُشنقـوا
الْمَيْنُ دأبُهُمُ إذا مـــا حَـــدَّثـوا ... مـــافيهم مَنْ في كـلامٍ يَصْـدُق[1]
مَرَقُـوا من الـدين الحنيف بـأسرهم ... كالسّهم ظـل من الرميّـــة يَمْرُق
كم أستغيث وكم أضـــــجّ وأشتكي ... منهم إليـــك وكَمْ لقلبي أحرقـوا
ســـدّوا عليّ الطّرْقَ بغيـــاً منهم ... أنّى اتجهتُ ولـلأعـادي أَذْلَقـوا[2]
وأتَـوا بمـــالي من لآمـــةِ طَبْعهم ... نحـو الشـآم وبينهم قـد مـزّقـوا
وأراك لاتُجـدي إليـك شكايـة ... إلاّ كأنـك حـائـطٌ لا ينطـق
مـاذا جـوابـك حين تُسـأل في غـدٍ ... عَنهم ورأسُك من حيـائـك مُطْرِق
مـــاأنت راعٍ والأنـــام رعيّـــة ... وإذا ركبت ، لـك الملوك تُطَرق ؟
كُن مُنصفَ المظلـوم من غُرمـائـه ... فـالبغيُ مَصْرَعَـةٌ وفِعـلٌ مُـوْبـق
واكشف ظُلامَـةَ مَن شكا مِنْ خصمه ... فـالحـقُّ حـقٌّ واضـحٌ هُـوَ مُشْرِقُ
لا تَعْفُ عن قـوم سَعَـوا لفســادهم ... في الأرض بغيـا منهم وتجـوّقـوا[3]
وانصب لهم شَرَك الرّدى إنْ أَنْجَـدُوا ... أو أتهمـوا أو أشـأمـوا أو أعرقـوا
لا تنبرق منهم وإنْ هُمْ أسرجـــوا ... أو ألجمـوا أو أرعـــدوا أو أبرقـوا[4]
ومتى ظفرت بمُفْسِـــدٍ لا تُبْقِـــه ... فبقـــاؤه للنـــاسِ ضُرٌّ مُقْلِـقُ
واكْفُفْ أكُفَّ الظـالمين عن الـورى ... ليكُفَّ عنـــك اللهُ شرّاً يطرق[5]
لا زلت سيفـا لـلأعـادي قـاطعـا ... ورؤوسهم مهما حَييت تُحَلِّـــق
وبقيت في مَجْـــدٍ رفيـعٍ لا يَهي ... وبُنُـودُ نصرك عـاليـات تخفِـق

(١) المين : الكذب .
(٢) الذلق : الإطلاق .
(٣) تجوقوا أي : اجتمعوا .
(٤) أي : لا تخف من وعيدهم ، وبرق الرجل تهدّد وتوعّد .
(٥) في الأصل : « الردى » بدل « الورى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

١١٠٤ ـ علي بن إبراهيم بن عبد الكريم*

تاج الدين الكاتب المصري .

كان رجلاً عاقلاً ، كثيرَ السكون ، فيه لُطْفٌ وتودّد إلى الناس . يُعْرَف بكاتب قطلوبك ، لأنه كان كاتب الأمير سيف الدين قطلوبك الكبير .

ولم يزل في الخِدَم الديوانية . وهو والد الشيخ الإمام العالم القاضي فخر الدين المصري الشافعي ، الآتي ذكره في المحمّدين ـ إن شاء الله تعالى ـ .

توفي في العشرين من شعبان سنة خمس وثلاثين وسبع مئة بالعادليّة[1] عند ولده المذكور ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ظاهر دمشق .

١١٠٥ ـ علي بن إبراهيم بن خالد**

الأمير علاء الدين بن جمال الدين .

كان قد باشر ولاية دمشق هو وأبوه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بقرية من قرى حوران في سابع عشري شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة .

قال شيخنا علم الدين : رأيت سماعه على القاضي شمس الدين بن عطا الحنفي في (سُنن أبي داود) . ويُعرف بابن النحاس .

---

* البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، والدرر : ٧/٣ ، والدارس : ٢٨٢/١ ، عن البداية .

(١) في الأصل : « بالعالية » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، ومصادر ترجمته .

** الدرر : ٥/٣ .

١١٠٦ ـ علي بن أحمد بن عبد الدائم*

ابن نعمة بن أحمد ، الشيخ أبو الحسن المقدسي الصالحي ، قيّم جامع الجبل[١] .

سمع من البهاء عبد الرحمن ، وابن صبّاح ، وابن الزبيدي ، وابن غسان ، ومُكرّم[٢] ، والإربلي[٣] ، وأبي موسى الحافظ[٤] ، وجماعة بدمشق ، ولزم جعفر الهمداني .

كان رجلاً عابدا ، فقيراً لأهوال هذه الدنيا مكابدا . ابتلي فَصَبَرْ ، وثبت على البلاء لّما اجتاز به وعَبَرْ ، وانقطع لّما حصل له الزَّمانه ، وشكر الله وما ذمّ زَمَانه .

وكان لا يبرح يتلو [في][٥] المصحف بين يديه ، ويتلو كل يوم خِتمة يقدمها بين يديه . ودخل عليه التتار لّما فتحوا الباب ، وحَمَّوْا له سيخاً ووضعوه في فرجه فمات في العذاب .

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة عن ثمانين سنة .

١١٠٧ ـ علي بن أحمد بن عبد المحسن**

ابن أحمد ، الإمام الفقيه ، العالم ، الْمُحَدّث ، المسند ، بقية المشايخ ، تاج الدين

---

* العبر : ٤٠١/٥ ، والشذرات ٤٥١/٥ .

(١) هو الجامع المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري بسفح قاسيون ، الدارس : ٣٣٥/٢ .

(٢) مكرم بن محمد بن حمزة المعروف بابن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) هو فخر الدين محمد بن إبراهيم بن مسلم الإربلي (ت ٦٣٣ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه . ووقع في (أ) : « مكرّم الإربلي » ، سهو .

(٤) جمال الدين عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجّماعيلي (ت ٦٢٩ هـ) . السير : ٣١٧/٢٢ .

(٥) زيادة من (أ) .

** الدرر : ١٧/٣ ، وحسن المحاضرة : ٣٨٧/١ ، والنجوم : ٢١٤/٨ ، والشذرات : ١٠/٦ .

أبو الحسن العَلَوي [الحسيني][١] الغرّافي ، بالغين المعجمة والراء المشددة وبعد الألف فاء ، الإسكندري الشافعي ، المعدّل .

سمع في الخامسة من ابن عماد[٢] وطائفة ، وببغداد من أبي الحسن القطيعي ، وابن بُهروز ، وابن القبّيطي ، وجماعة .

وسمع منه شيخنا الذهبي جماعة أجزاء ، وانتقى عليه عوالي ، وخرّج لنفسه ولغيره ، وحمل عنه المغاربة والرحالون ، وحدثوا عنه في حياته .

وكان قد سمع من ظافر بن شحم[٣] ، وابن حاتم[٤] ، وعلي بن جُبارة .

كان له بالحديث أُنس وعنايه ، ومعرفة بقوانين الروايه . وكان فقيهاً نبيها ، وفاضلاً في بلده وجيها . وكتابتُه حسنةٌ سريعه ، وإذا ألقى الطِّرْسَ من يده تراه روضة مِريعه .

ولم يزل على حاله إلى أن لبّى مَن دعاه ، وجاء إلى البلاد مَن نعاه[٥] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع ذي الحجة سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان شيخَ دار الحديث التي أنشأها نبيه الدين [بن][٦] الأبزاري بثغر الإسكندرية[٧] .

---

(١) زيادة من (أ) ومصادر ترجمته .

(٢) محمد بن عماد بن محمد الجزري الحرّاني (ت ٦٣٢ هـ) ، السير : ٣٧٩/٢٢ .

(٣) في الأصل : « سحم » ، صوابه ما في (أ) ، وقد سلفت الإشارة إليه في ترجمة عبد المؤمن بن خلف ، ووقع في الشذرات والدرر : « نجم » ، تحريف .

(٤) هو مرتضى بن حاتم بن المسلّم بن أبي العرب الحوفي (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١١/٢٣ .

(٥) في الأصل : « بغاه » ، تصحيف ، صوابه ما في (أ) .

(٦) زيادة من (أ) .

(٧) وتعرف بدار الحديث النبيهية ، سلفت الإشارة إليها .

١١٠٨ ـ علي بن أحمد بن جعفر*

ابن علي بن محمد بن عبد الظاهر بن عبد الولي بن الحسين بن عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن محمد بن أبي هاشم بن داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، الشيخ كمال الدين الهاشمي الْجَعْفَري القوصي ، نزيل إخميم ، المعروف بابن عبد الظاهر .

سمع من الشيخ أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة[١] ، ومن شيخه مجد الدين بن دقيق العيد ، وأجازه بالتدريس على مذهب الشافعي .

وصحب الشيخ علي الكردي ، وقدم عليهم قوص ، فاجتمع عليه الشيخ تقي الدين بن دقيق العبد والشيخ جلال الدين الدشناوي[٢] والشيخ كمال الدين هذا ، وعبد الخالق بن الفقيه نصر[٣] ، ولازموا الذكر بمسجد جلال[٤] بقوص .

وكان الشيخ كمال الدين هذا قد أصبح شيخَ دَهْره ، وأوحد عصره . قد جمع بين العلم والعمل ، وبلغ من الصلاح كُلَّ أمل . وظهر له من الكرامات ما أخجل الشمس إذا حلّت دارة الْحَمَل . وانتشر ذِكْرُه ، وصدق خُبْره خَبَره[٥] . وحكى الناس عنه أموراً في الصلاح لم تُحْكَ عَمَّن سِواه من أهل ناحيته ، ولا رواها الرواة عمن هو في دائرته . وكان يحضر السماع ، ويخلع فيه على الأغاني ما عليه من المتاع ، وله فيه أحوال عجيبه ، وإشارات مصيبه .

---

* الطالع السعيد : ٣٩٢ ، وفيه : « علي بن محمد » ، والدرر : ١١/٣ .

(١) اللخمي بن الجميزي (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥٣/٢٣ .

(٢) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوي (ت ٦٧٧ هـ) ، الطالع السعيد : ٨٠ .

(٣) عبد الخالق بن إبراهيم بن نصر القوصي ، الطالع السعيد : ٢٨٥ .

(٤) في (أ) : « الخلال » .

(٥) في الأصل : « خبره وخبره » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن عبد الظاهر في باطن الأرض ، وأقام تحتها إلى يوم العَرْض .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رجب الفرد سنة إحدى وسبع مئة [ودُفِن برباط إخميم ، وقبره هناك يُزَار . ومولده سنة ثمان وثلاثين وست مئة][1] بقوصَ .

وامتدحه الشيخ تاج الدين الدشناوي بأبيات منها :

مُحِبُّك هذا العارف العازف الذي ... تبدّى بوجهٍ بالضّياء مُكَلّلِ[2]
حليف التُّقى والشُّكْرِ والذِّكْرِ دائما ... فلله هذا الشاكِرُ الذاكِرُ الولي
عزائمهُ العُليا تُضاهي مَقامَهُ ... ومِقْدارُه والسرّ أنّ اسْمَهُ عَلِي[3]
ألا إن لله الكمالَ جميعَه ... وما لِسواه منه حبّةُ خَرْدَلِ

ومن شعر الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر :

ياعين بحقّ مَن تُحبّي نامي ... نامي فهواه في فؤادي نام
والله ماقلت ارقدي عن مَلَلٍ ... إلا لعسى تَرَيْه في الأحلام[4]

قلت : فيها لحنتان خفيفتان خفيّتان ، ولو قال : « ياعين بمن سهرت فيه نامي » « إلا لعسى أراه في الأحلام » ، لَخَلص من ورطة اللحن .

وقال الفاضل كمال الدين الأُدفوّي : حكى لي القاضي نجم الدين القَمُولي أن الشيخ كمال الدين رأى مرحاضاً قد أُخرج مافيه ، ووضع بجانب المسجد ، فقال في نفسه : لابد أن أحمل هذا ، فنازعته نفسه في[5] ذلك ، لأنه من بيت رياسة وأصالة وسيادة

(١) زيادة من (أ) . وقريب منه في الطالع السعيد .
(٢) في الطالع : « العارف الغارق » .
(٣) في الطالع : « والسر اسمه » .
(٤) في الدرر : « أراه » . والبيتان كذلك في الطالع .
(٥) في (أ) : « من » .

وعدالة ، فقال : لا بدّ من ذلك ، ثم استدرجها إلى أن حمله في النهار ، ومرّ به في حوانيت الشهود حتى تعجبوا منه ونسبوه إلى خبل في عقله . ثم إنه سافر إلى القاهرة[١] ، واجتمع بإبراهيم الجعبري[٢] ولازمه وانتفع به . ثم إنه استوطن إخميم ، وظهرت بها كراماته وانتشرت بركاته .

وقال [حكى][٣] لي صاحبنا الفقيه علاء الدين العدل علي بن أحمد الأصفوني[٤] ـ رحمه الله تعالى ـ وكان ثقة في نقله ، قال : كنت بأُدفو أخذت في العبادة ، ولازمت الذكر مدة حتى خطر لي أني تأهلت . قال : وكان أخي جلال الدين غائباً عنّا مدة وانقطع خبره ، فحضر شخص وأخبرني أنه قدم من ألواح ونزل سيوط ، فسافرت إلى سيوط ، فلم أجده ، وصحبت شاباً نصرانياً ورافقته في الطريق إلى سوهاي[٥] ، وصار يُنْشدني طول الطريق شعراً ، وكان جميلاً ففارقته من سوهاي ، ووجدت ألماً كبيراً لمفارقته ، فدخلت إخميم وعندي وجدٌ بذلك النصراني ، فحضرت ميعاد الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر ، فتكلم في الميعاد ، على عادته ، ونظر إليّ وقال : لا إله إلا الله ، ثمَّ أُناسٌ يعتقدون أنهم من الخواص ، وهم من عوام العوام ، قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ﴾[٦] ، والنّحاة يقولون : « مِن » للتبعيض ، ومعنى التبعيض ألاّ ترفع شيئاً من بصرك إلى شيء من المعاصي .

ثم قال : حكى لي فقير قال : كنت في خدمة شيخ ، فمررنا بدار ، وإذا بامرأة جميلة ورأسها خارجة من الطاق تتطلّع إلى الشارع ، فوقف الشيخ زماناً يتطلع إليها ويتعجب من ذلك . ثم بعد ساعة والشيخ صاحَ صيحة عظيمة ، وإذا بالمرأة نزلت

(١) في الطالع : « من قوص إلى القاهرة » . وفي باقي الخبر اختلاف يسير عما هنا .
(٢) سلفت ترجمته .
(٣) زيادة من (أ) ، والطالع .
(٤) ستأتي ترجمته بعد قليل . ووقع في الأصل : « ابن العدل » ، سهو .
(٥) من قرى إخميم . (معجم البلدان) ومشهورة اليوم أنها بالجيم (سوهاج) .
(٦) النور : ٣٠/٢٤ .

وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله[١] ، فالتفت الشيخ إلى الفقير وقال : نظرت إلى هذا الجمال ، فقال : أتقذني من هذا الكفر ، فتوجهت إليه ، فالشيخ ما نظر إلى حُسن الصورة ، وإنما نظر إلى صورة الحسن ، فمن أراد ينظر إلى النصراني فلينظر كذا .

قال الشيخ علاء الدين : فصرختُ ووقعتُ .

قال : وحكى لي صاحبنا محمد بن العجمي ، وهو من أصحاب أبي عبد الله الأسواني[٢] قال : عُمِل سماع في دار ابن أمين الحكم ، وحضر الشيخ ورؤوساء البلد وخلق كثير ، وكنت من جملة الحاضرين ، فحضر القوّال ، وهو مظفّر بالشبابات والدفوف ، وقالوا شيئاً[٣] ، ثم قال :

من بعد [ما][٤] صدّ حبيبي ومارْ جا اليوم وزار
أبصرت ما كان أَبْرَكُو من نهار
جاني حبيبي وبلّغني[٥] المنى وزال عن قلبي الشّقا والعنا
ودار كاس الأُنس ما بيننا
يا ما أحسن الكاسات علينا تدار في وسط دارْ[٦]
أنا ومحبوبي نهاراً جهارْ

فقام الشيخ وقال : إي والله ، أنا ومحبوبي « نهاراً جهار » . إي والله . وطاب وخلع جميع ما عليه ، وخلع الجماعة ما عليهم ، ولم يبق كل أحد إلا بلباسه ، ثم أرسلوا

(١) زاد في (أ) : « وكانت المرأة نصرانية » .
(٢) هو محمد بن يحيى بن أبي بكر . الطالع السعيد : ٦٤٠ .
(٣) عبارة الطالع : « وهو مظفر ، وكان يغني بالشبابات والدفوف ، وقال أشياء .. » .
(٤) زيادة من (أ) ، والطالع السعيد .
(٥) في (أ) والطالع : « وبلغت » .
(٦) في الطالع : « الدار » .

وأحضروا ثياباً ، فقال : يا مظفر ، قال : لبيك ، قال : ثيابي وثياب الجماعة ، الجميع لك . فَشَدّوا كارات . فقلت : يا مظفر لولا رأس هذا المنسر معك ما قشطت ثياب الجماعة ، فبَلَغَت الشيخ فضحك .

١١٠٩ ـ علي بن أحمد بن الحسين*

علاء الدين الأُصْفُوني .

اشتغل بالفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي ، وتأدّب على الغضنفر[١] الأصفوني والجلال بن شوّاق[٢] الأسنائي وغيرهما .

كان أديبا ذكيا ، سريَّ النفس زكيّا . له مكارم لم تنلها الغمائم ، ومحاسن تسجع بأوصافها الحمائم[٣] . وكان له شعر ألذّ من نغمات الأوتار ، وأطرب من تغريد القُمْريّ في الأسحار على الأشجار . وله يَدٌ طولى في صناعة الحساب ، ومباشرة في الخِدَم السلطانية[٤] جعلها من باب الارتزاق والاكتساب . وجلس بين الشهود بقوص وبالقاهره ، وتقمّص تلك[٥] الحلّة الفاخره .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه أمرٌ ما أطاقَ دَفْعَه ، وأعمل الموتُ فيه خَفْضَهُ ورَفْعَه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

---

* الطالع السعيد : ٣٦٥ ، والدرر : ١٣/٣ .

(١) في (أ) : « الغضنفري » ، وهو عبد القادر بن عبد الملك بن الغضنفر الأصفوني ، الطالع السعيد : ٣٢٨ .

(٢) هو الحسن بن منصور بن محمد . (ت ٧٠٦ هـ) . انظر الطالع السعيد : ٢١٠ .

(٣) في (أ) : « لم ينلها الغمام ... بأوصافها الحمام » .

(٤) في (أ) : « الديوانية » .

(٥) في (أ) ، (ز) : « بتلك » .

أثنى عليه الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي ، ووصفه بمكارم أخلاق .

قال : لمّا طلع داود الذي ادّعى أنه [ابن][1] سليمان من نسل العاضد إلى الصعيد في سنة سبع وتسعين وست مئة ، وتحرّكت الشيعة ، بلغ علاءَ الدين هذا أنه قال لبعض أهل أصفون ، إنه يتحمّل عنه الصلاة . فنظم علاء الدين .

ارجع ستلقى بعدها أهوالا ... لا عشت تبلغ عندنا الآمالا[2]
يا مَن تجمّع فيه كل نَقِيصَةٍ ... فلأضربنّ بَسيْرك الأمثالا
وزعمت أنك للتكالف حامل ... وكذا الحمار يُحَمَّلُ الأَثْقَالا[3]

ولّما ولى السَّفَطي[4] قوص سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكان بصره ضعيفاً جداً حتى قيل إنه لا يبصر به شيئاً . وكان القاضي فخر الدين ناظر الجيش قد قام في ولايته . قال علاء الدين :

قالو: تولّى الصعيدَ أعمى ... فقلت: لا بل بألف عين

وبلغه شعر الشيخ عبد القادر الجيليّ[5] ، وهو :

ما في المناهل مَنْهَلٌ يُستعذبُ ... إلا ولي منه الألذُّ الأَطْيَبُ
أنا بُلبلُ الأَفْراحِ أَمْلأُ دَوْحَها ... طَرَباً وفي العَلْياءِ بازٌ أَشْهَبُ

فقال علاء الدين :

ما في المواردِ مَوردٌ يُستَنْكَدُ ... إلاّ ولي فيه الأمرُّ الأَنْكَدُ
أنا قنبرُ الأحزان أملأُ طَلْحَها ... حُزناً وفي السُّفْلى غرابٌ أسودُ

(١) زيادة من (أ) ، (ز) ، والطالع .
(٢) في الطالع : « آمالا » .
(٣) في الطالع : « للتكلف » .
(٤) هو إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق . (ت ٧٣٩ هـ) . الطالع السعيد : ١٦٧ .
(٥) في الطالع : « الجيلاني » .

١١١٠ ـ علي بن أحمد بن يوسف بن الخضر*

الشيخ الإمام العالم زين الدين أبو الحسن الآمدي الحنبلي العابر .

كان شيخاً مهيبا ، يقظاً لبيبا ، فَهِماً أريبا ، صالحاً صدوقا ، ثقة إذا كان نطوقا ، عابراً للرؤيا ، عارفاً بأحوال الدنيا ، أضرّ في آخر عمره ، وكان إلى ذلك نهايةً أمره .

وكانت تبدو منه عجائب مع عماه ، وصوائب من كل سَهْم رماه ، إلى أن فُتن به القان غازان ، وأنعم عليه بما زاد[1] وبما زان . وكانت له منامات غريبة الكَوْن ، تدلّ على أنه له من الله نِعْمَ العون .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ الآمدي إلى مداه ، وتجاوز عُمُرَهُ ببلوغ رداه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

وكانت له حكايات عجيبة تُحكى عنه ، منها أنه أهْدَى إليه بعضُ أصحابه نصفيّة حسنة ، فسُرقت ، فرأى في نومه شيخه الإمام مجد الدين عبد الصمد بن أحمد بن [أبي][2] الجيش المقرئ شيخ القرّاء ببغداد ، وهو يقول له : النّصفيّة أخذها فلان وأودعها عند فلان ، اذهب وخذها منه . فلما استيقظ قال في نفسه : الشيخ مجد الدين كان صدوقاً في حياته ، وكذلك هو بعد وفاته . فذهب إلى الرجل الذي ذكره ، فدقّ عليه الباب ، فخرج إليه ، فقال[3] : أعطني النّصفية التي أودعها فلان عندك ، فقال : نعم ، فدخل وأخرجها له ، فأخذها وذهب ، ولم يقل له شيئاً . وجاء السارق بعد ذلك

---

* نكت الهميان : ٢٠٦ ، والدرر : ٢١/٣ .

(١) في الأصل : « راد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) . وفيها : « ومازان » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ز) ، وابن أبي الجيش هذا (ت ٦٧٦ هـ) . غاية النهاية : ٣٨٧/١ ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) في (أ) : « فقال له » .

إلى الْمُوَدع يطلب النصفية ، فقال له : جاء الشيخ زين الدين الآمدي ، وطلبها على لسانك ، فأعطيته إياها . فبُهت السارق وبقي حائراً ، ولم يعنّفه الشيخ ولا واخذه .

ومنها أنه قال : رأيت في المنام كأن شخصاً أطعمني دجاجة مطبوخة ، فأكلت منها ثم استيقظت وبقيتها[1] في يدي . وهذا شيء عجيب .

وهذه الوقائع مشهورة عنه في تلك البلاد .

ولّما دخل القان غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن جنكزخان بغداد في سنة ... ...[2] وتسعين وست مئة ، ذُكر له الشيخ زين الدين المذكور ، فقال : إذا جئتُ غدا المدرسة المستنصرية أجتمع به ، فلما أتاها احتفل الناس له واجتمع بالمدرسة أعيانُ بغداد وأكابرها من القضاة والعلماء والعظماء ، وفيهم الشيخ زين الدين لتلقي غازان ، فأمر غازان أكابر أمرائه أن يدخلوا المدرسة قبله واحداً بعد واحد ، ويسلم كلٌ منهم على زين الدين ، ويوهمه الذين معه أنه هو السلطان امتحاناً له ، فجعل الناس كلما قدم أمير يزهزهون له ويعظمونه ، ويأتون إلى زين الدين ليسلم عليه ، والشيخ زين الدين يرد عليه السلام من غير تحرّك له ولا احتفال ، حتى جاء السلطان في دون من تقدمه من الأمراء في الحفل ، وسلم على الشيخ وصافحه ، فحين وضع يده في يده نهض له قائماً ، وقبّل يده ، وأعظم مُلتقاه والاحتفال به ، وبالغ في الدعاء له باللسان الْمُغْلِيّ ثم بالتركي ثم بالفارسي ثم بالرومي ثم بالعربي ، ورفع به صوته إعلاماً للناس . فعجب غازان من فطنته وذكائه وحِدّةِ ذهنه مع ضرره . ثم إن السلطان خلع عليه في الحال ووهبه مالاً ورسم له بمرتب في كل شهر ثلاث مئة درهم ، وحظي عنده وعند أمرائه ووزرائه وخواتينه .

---

(١) في الأصل : « ولقيتها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وعبارة الدرر : « وفي يدي منها » .

(٢) كذا بياض في الأول . وفي الدرر أنّه دخلها قبل السبع مئة .

وكان يتجّر في الكتب ، وعنده كتب كثيرة جداً ، وإذا طلب منه إنسان كتاباً نهض إلى كتبه ، وأخرجه من بينها . وإن كان الكتاب عدّة مجلدات ، وطلب منه الأول مثلا أو الثاني أو الثالث أو غيره[1] أخرجه بعينه . وكان يمسّ الكتاب أولاً ، ثم يقول : يشتمل هذا المجلد على كذا كذا كراسة ، فيكون الأمر كما قال . واذا مرّ بيده على الصفحة قال : عدد أسطرها كذا كذا سطراً ، فيها بالقلم الغليظ هذا وهذا ، المواضع[2] كُتبت به ، وفيها بالأحمر هذا وهذا ، المواضع كُتبت به . وإن اتفق أنها كُتبت بخطين أو ثلاثة ، قال : اختلف الخط من هنا إلى هنا ، من غير إخلال بشيء منها مما يُمتحن به .

وكان لا يفارق الإشغال والاشتغال في غالب أوقاته ، وللناس عليه إقبال عظيم لدينه وورعه .

ومن تصانيفه : (جواهر التبصير في علم التعبير) ، وله تعاليق كثيرة في الفقه والخلاف وغير ذلك . وانتفع به جماعة .

١١١١ ـ علي بن أحمد بن سعيد*

ابن محمد ابن الأثير ، القاضي الكبير الصدر علاء الدين أبو الحسن بن القاضي تاج الدين الحلبي الأصل ثم المصري ، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية أيام السلطان الملك الناصر محمد .

وكان السلطان لمّا توجّه في المرّة الأخيرة إلى الكَرك توجّه القاضي علاء الدين معه فأقام عنده مُدَّة ، ووعَدَهُ بالمنصب ، وأعاده إلى القاهرة . ولمّا قَدِمَ السلطان من الكرك أباع القاضي علاء الدين إكديشا كان عنده بمئة وعشرين درهما ، واشترى بذلك

(١) مطموسة في الأصل ، وأثبتناها عن (أ) ، (ز) .

(٢) في (أ) : « لمواضع » .

* البداية والنهاية : ١٤٩/١٤ ، والدرر : ١٤/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٠/٢ ، والسلوك : ٣٢٧/٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٣/٩ .

حلوى ، وتوجّه للقاء السلطان ، فلما استقرَّ له الأمر ، قال السلطان للأمير الدوادار : اكتب إلى محيي الدين بن فضل الله ، وقل له يكتب إلى أخيه القاضي شرف الدين ليطلب مني دستوراً في التوجّه إلى الشام ، وأنا أستحيي أن أبدأه بالخروج من مصر . فكتب محيي الدين إلى أخيه بذلك فلم يلتفت إليه ، وقال : أنا ما أعيش بعقل يحيي . ولَمّا علم السلطان بذلك رسم للقاضي شرف الدين بن فضل الله في أوائل المحرّم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بأن يكون صاحب ديوان الإنشاء بدمشق عوضاً عن أخيه القاضي محيي الدين ، وتولّى القاضي علاء الدين بن الأثير مكانه في كتابة السر بالديار المصرية في سابع عشر ذي الحجة يوم الثلاثاء سنة إحدى عشرة وسبع مئة[١] .

وكان القاضي شرف الدين له على السلطان خِدَم كثيرة ، وإنّما لَمّا خرج إلى الكرك جُهّز معه القاضي علاء الدين بن الأثير ، وكان في تلك الأيام صغيراً بين الجماعة ، فنقم السلطان ذلك ، ونسبه إلى شرف الدين ، ووعد القاضي علاء الدين بالمنصب .

ولَمّا ولاّه عظّمه وقرّبه وكرّمه[٢] وأنعم عليه ونوّه بقدره ، فبلغ منه في المكانة العالية ما لم يبلغه أحد . وكان يأمره السلطان بأشياء إلى نوّاب الشام ، ويقول له : اكتب إليهم بكذا وكذا عنك ، فيكتب إليهم بما أَمَره ، حتى إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فزادت عظمته في القلوب ووجاهته ، وكان يركب بستة عشر مملوكاً من الأتراك ، فيهم ما هو بعشرة آلاف درهم وأكثر . وكان أخيراً يقف هؤلاء المماليك في خدمته بالديوان ساطين ولا يتكلم إلاّ بالتركي ، ومماليكه يقرّبون كلامه للناس .

وكان فيه ذكاء وعنده نباهه ، وحُسن كتابة ، فيها للنواظر نزاهه ، وتدبير يعينه على التقدم والوجاهه ، وإحسان إلى مَن يعرفه ، وجُود على مَن يحضر إليه من الشام ويصرفه . أنشأ جماعة وقدّمهم في الدّوله ، وجعل لهم بنظره إليهم أبّهة في النفوس وصوله . واقتنى

(١) انظر البداية والنهاية : ٦٣/١٤ .

(٢) في (أ) ، (ز) : « وأكرمه » .

المماليك والأملاك ، وخضع [له][١] الأمراء والنّواب والأملاك ، وحصّل نِعماً أثيرة ، وأصّل في الديوان كلمات[٢] كثيرة ، ودانت له الأقدار ، وصفت له أيامه من الأكدار .

وعلا علاء الدين بن الأثير ، إلى أن صار من دونه[٣] الفلك الأثير ، ورقد في سعوده[٤] على الفرش الوثير ، ورأى كلَّ مَنْ دونه قليلاً[٥] وهو كثير ، وتقدم به أولاد أخيه ، وكتبوا معه في الدست ، فشُدّت بهم قواعد الملك وثُبّتت أواخيه .

وأصبح ذِكْرُهُ في كل أرض يُدار به الغناء على العُقارِ

ولم تزل كواكبه في سعود ، ومراتبه في صعود ، إلى أن قلب الدهر له مجنّه ، وأظهر له ما كان أكنّه ، وتيقّظ له وكأنما كان في أكِنّه ، ورُمي بفالج عدم معه الانتفاع بحواسه ، وبطلت حركةُ يَدِه وطالما كان القلم فيها كأنما شُدّ بأمراسه على أم راسه ، وعزّ أمرُه وما نزل به على السلطان ، وطلب علاجَه من النازحين والقُطّان ، فما نجع فيه دواء مَن يُعالج ، ولا ظهر طريق مستقيم لطبٍّ مابه مِنَ الفالج ، فنزل من ديوانه إلى البيت ، ورآه الناس وهو حيّ كأنه الْمَيْت ، و :

ما زال يدفع كلَّ أمرٍ فادحٍ حتى أتى الأمرُ الذي لا يُدْفَعُ

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الأربعاء منتصف شهر الله المحرّم سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن يوم الخميس بمقبرتهم بالقرافة ، ومات وهو في حدود الخمسين .

أصابه مبادي فالج ، فكابر هو نفسه ، وصار[٦] يدخل ويخرج إلى السلطان ويفهم السلطان عنه ذلك ، وما يقول له شيئاً ، فلما كان في بعض الأيام أراد أن يقوم من بين

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .
(٢) في (أ) ، (ز) : « كَلِماً » .
(٣) في الأصل : « دولة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٤) في الأصل : « سعود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٥) في الأصل و (ز) : « قليل » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٦) في (أ) : « وبقي » .

يدي السلطان ويحمل الدواة بيمينه ، فسقطت من يده فتألّم له السلطان ، وقال للأمير سيف الدين أُلجاي الدوادار : اكتب إلى نائب الشام ليجهّز لنا القاضي محيي الدين بن فضل الله ، وسيّر السلطان يقول له : يا علاء الدين ، انزل واضرب لك خاماً في جزيرة الروضة ، وعالج هذا الحادث ، وأنا أجهّز لك الأطباء ، فلم يفعل ، وبقي في الديوان مريضاً إلى أن جاء الخبر بوصول القاضي محيي الدين بن فضل الله إلى قطيا ، فقال لأُلجاي : مُر ابن الأثير بالنزول إلى بيته . فجهّز يقول له : قد جاء صاحب الديوان ووصل ، وغداً يكون هنا ، فباسم الله انزل استريح في بيتك .

سبحان الله العظيم ، هم أولاً به عُزلوا ، وهو ثانياً بهم عُزل .

فذي الدارُ أخْدَعُ مِنْ مومسٍ وأمكر من كِفّة الحابل[1]

وكان نزول ابن الأثير إلى بيته في أوائل المحرّم سنة تسع وعشرين وسبع مئة[2] ، وأقام في بيته ، وتزايد به المرض ، وجهّز السلطان أَحْضَر أمين الدين سليمان[3] رئيس الأطباء بدمشق ، وقال له لمّا وصل : انزل إلى القاضي علاء الدين بن الأثير ، وعالجه ، ووعده ، فنزل إليه وعالجه فما أفاد وآل أمره إلى أنه لم يبق فيه شيء يتحرك غير جفونه فكان إذا أراد شيئاً علا صارخاً بصوته ، فيحضرون إليه ، ويدّقون على الأرض دقات متوالية ، وهو يعد الحروف من أول المعجم ، فإذا وصلوا إلى أول حرف من مقصوده أطرق وأغمض جفنه ، فيحفظون ذلك الحرف ، ثم يفعلون ذلك ، فإذا وصلوا إلى الحرف الثاني من مقصوده أغمض جفنه . ولا يزالون كذلك حتى يفهموا عنه قصده . وكان الزمان يطول عليهم وعليه حتى يفهموا عنه لفظة أو لفظتين . نسأل الله ـ تعالى ـ العفو والعافية من آفات هذه الدار .

---

(١) هي حبالة الصائد أو شبكته .

(٢) البداية والنهاية : ١٤٣/١٤ .

(٣) هو سليمان بن داود بن سليمان ، سلفت ترجمته في موضعها .

وكان يكتب خطاً قوياً منسوباً ، وله قدرة على إصلاح اللفظة وإبرازها من صورة إلى صورة ، وما [كان][1] يخرج كتاب عن الديوان حتى يتأمّله ، ولا بد له أن يزيد فيه بقلمه شيئاً . وله إنشاء ، وهو الذي أنشأ توقيع الشيخ مجد الدين الأقصرائي[2] بمشيخة شيوخ الخانقاه بسرياقوس[3] لما فرغت عمارتها .

وعلى الجملة ، فإنه عمل كتابة السرّ جيّدا ، ونفّذ المهمات على أحسن ما تكون .

ومدحه شعراء عصره . وممّا كُتب إليه به ما أنْشَدَنَاه لنفسه إجازةً شَيْخُنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود ـ رحمه الله تعالى ـ :

أما ومكانةٍ لك في ضميري ... وذكرك لا يزال معي سميري
لقد سافرتُ بالأشواق أسعى ... إليك وإنْ قَعَدْتُ عن المسير
ولو أدركتُ من زمني مُرادي ... لما ناب الكتابُ عن الحضور
ولم أوثر ولا لابني اختياراً ... بحظّي من نوالِ ابن الأثير
وكيف وليس إلا بالتشامي ... بنانَ يديه يكْمُل لي سروري
كريمٌ طاهرُ الأعراق تعلو ... أصالتُه على الفَلَك الأثير
له خُلُقٌ يدمّثه حياءٌ ... كروضٍ دَمَّثته يَدُ الغَدير
وجُوْدٌ كلما أخفاه صوناً ... حكى شمس الظهيرة في الظهور[4]
إذا وشّى بليل النّقس صبحَ الـ ... ـطروس أراك نُوْرَا فوق نور[5]
وأبدى للمُوالي والمُعَادي ... أمانيَ أو منايا في السطور

وله فيه أمداح كثيرة .

(١) زيادة من (أ) ، (س) .
(٢) موسى بن أحمد بن محمود (ت ٧٤٥ هـ) . وفيات ابن رافع : ١٠٥/١ .
(٣) وتعرف بالخانقاه السرياقوسية ، أنشأها السلطان الناصر محمد للصوفية .
(٤) في الأصل : « صون » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وهي أشبه .
(٥) في الأصل : « النقش » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

وأنشدني من لفظه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة قصيدة ، مدحه بها[١] ، أولها :

أصـــاب بجفنـــه عقـــلَ الأسير ... فيـا ويـلَ الصحيـح من الكسير[٢]
غـزالٌ كالغـزالـة في سنـاهـا ... تُحجّبـه المـلامـةُ بـالسّفـور[٣]

منها :

يَلَـــذّ تَغَـزُّلُ الأشعـــارِ فيـــه ... لـــذاذةَ مَـــدْحِهـــا في ابن الأثير
أغرُّ إذا احتبى وحَبـا العطـايـا ... رأيتَ السيـل يُـدفـع من ثبير[٤]
أخـو يَـوْمَيْن يـوم نـدى ضحـوكٍ ... ويـــوم ردىً عبـــوسِ قَمْطَرير[٥]
كأن حـــديثـــه في كل نـــادٍ ... حـــديثُ النـــار عن نَفَس العبير
لـــه قَلَمٌ سَرَى للنفـعِ ســـارٍ ... يبيت على المهالـــك كالخفير[٦]
تلثّمَ بـــالمـــداد لثـــام ليـلٍ ... فـــأسفرت عن سنا صُبْحٍ منير[٧]
عليٌّ الاسمِ والأوصـــافِ يُـــزْهَى ... بـه الـدهر العليُّ عَلَى الـدهـور[٨]
من القـوم الـــذين لهم صعـودٌ ... إلى العليـــاء أسرعُ من حـــدور
سما شِعري وزاد على عـــلاهم ... فلقّبنـــاه بـــالفَلَـــك الأثير[٩]

(١) ديوان ابن نباتة : ٢١٢ .
(٢) صدر البيت في الديوان :
لقد عبثت لواحظه بعقلي
(٣) في الديوان : بالستور .
(٤) في الأصل : « اجتبى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) وفي الديوان : اجتنى . وثبير : جبل .
(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً ﴾ الإنسان : ١٠/٧٦ .
(٦) في الديوان :
له قلمٌ سريّ النفع
(٧) في (أ) ، (ز) : « بالرسالة » .
(٨) البيت ليس في ديوانه .
(٩) في الديوان :
وعاد على علاهم

أأنـــدى العـــالمين يـــداً وأجـــدى على العـــــافين في الـــزمن العسير[١]
إليـك سعى رجـاي وطـاف قصـدي فـــدُمْ يـــا كعبـــةً للمُسْتَجير[٢]

ولّما دخلت أنا إلى القاهرة في سنة سبع وعشرين وسبع مئة وجدت بعض الناس قد لهج بالمقامة[٣] للقاضي علاء الـدين بن عبـد الظـاهر التي وَسَمهـا بـ (مراتع الغزلان) ، وكُلّفت أنا في ذلك بإنشاء رسالة في تلك المادة ، فأنشأت رسـالتي التي وَسَمتهـا بـ (عبرة اللّبيب[٤] بعبرة الكئيب) ، وكتبت في أولهـا أبيـاتـاً تتعلق بمـديحـه ، وقـد شَـذَّت الآن عني ، وحملتها إليه ، فوقف عليها . ولّما جئته بذلك قال لي : الله يزيـدك من فضلـه . وطوّق عليّ ، فقلت له : والله يزيدك سعادة .

١١١٢ ـ علي بن أحمد بن عبد الواحد*

قاضي القضاة أبو الحسن عماد الدين بن محيي الدين أبي[٥] العبـاس بن بهـاء الـدين أبي محمد الطرسوسي الدمشقي[٦] الحنفي .

كان قاضياً سَؤُوسا ، عالماً في مذهبه رئيسا . كم ألقى دروسـاً ، وأَطْلَع من ألفـاظـه غُرُوسا ، حسنَ الشكل مديدَ القامة ظريف العِمامه ، كأن وجهه الشمس تحت الغمامه .

---

(١) في الديوان :
أأندى العالمين ندىً

(٢) صدره في الديوان :
أتيتك محرماً من كلّ صنع

(٣) في (أ) ، (ز) : « بالرسالة » .

(٤) في الأصل : « الكئيب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، والرسالة مخطوطة .

* وفيات ابن رافع : ٢٥١/١ ، والدرر : ١٨/٣ ، والنجوم : ١٨١/١٠ ، والدارس : ٤٧٨/١ .

(٥) في الأصل : « ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والدارس .

(٦) ليست في (خ) .

لم ينكّد عليه في منصبه ، ولا رأى فيه ما ارتاع بسببه . ماشياً فيه على السّداد ، سالكاً فيه سبل الرشاد . يُعظّمه نواب السّلطنة بالشام ، ويثنون على مالَهُ من القضايا والأحكام .

وكان لا يملّ من قراءة[١] القرآن ، ولا يَفْتُر لسانه عن[٢] سرد آياته في كل زمان ومكان إلى أن سأل في النزول عن منصب القضاء لَولَدِه[٣] ، وإيثاره به لِمَا دار[٤] في خَلَده . فأجابه السلطان إلى ما قصده وعجّل له الأمر الذي رصَدَه . فلازم بيته آناء الليل وأطراف النهار[٥] ، ويعمل على خلاصه في غد إذا وقف على شفا جُرْف هار[٦] .

إلى أن حان مَصْرَعُه ، وآن من وُرْد المنية مَكْرَعُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الاثنين ثامن عشري الحجة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ودفن بالمِزّة .

وكان الأمير تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ قد ولاّه تدريس المدرسة القايمازية بعد وفاة الشيخ رضي الدين المنطيقي[٧] في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، فكتبت أنا توقيعه بذلك . ونسخته :

الحمد لله الذي جعل عماد الدين عَلِيّا ، وأيّد شَرْعَهُ المطهّر بمن رقى بعلمه سُمُوّا

(١) في (أ) : « تلاوة » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « من » .

(٣) إبراهيم ، كما في الدارس (ت ٧٥٨ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها ، وانظر : البداية والنهاية : ٢٢١/١٤ .

(٤) في الأصل : « ثار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومن آناء اللّيلِ فسبّح وأطراف النّهار ﴾ طه : ١٣٠/٢٠ .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ مَنْ أسس بنيانه على شفا جرفٍ هَارٍ فانهار به في نار جهنم ﴾ التوبة : ١٠٩/٩ .

(٧) إبراهيم بن سليمان بن الآب كرمي (ت ٧٣٢ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

وأصبح للوصيّ سَمِيّا ، ورفع قَدْرَ مَن إذا كان في حفلٍ هَمَى نَدَى وحَمَى نَديّا ، وهدى الناسَ بأعلام علمه التي إذا خَفَقت كم هزمت كميّا وقادت إلى الحق أبيّا .

نحمده على نِعمه التي جعلت العلماء للأنبياء ورَثَة[١] ، وأقامت بِهِم الحجةَ على من نكب عن[٢] الحق أو نقض الميثاق ونَكَثه . ونَفَت بهم شُبَه الباطل عن الدين القيّم كما ينفي الكير خَبَثَه . وجعلت كل حَبْرٍ منهم إذا نطق في المحافل جاء بالسحر الحلال من فيه ونَفَثَه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندّخرها في المعاد خَيْرَ عُدّه ، ونأمن بها يوم الفَزَع الأكبر إذا ضاق على الناس خناقُ الشدّه ، ونجدها في الصحائف نوراً يضيء لنا إذا كانت وجوهُ الذين كذبوا على الله مسوّده[٣] . وتجعل أيدينا على قطاف ثمار الرحمة وجنى غصونها ممتَدّه .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسولَه خَيْرُ مَنْ هدى الخلق ببرهانه ، وأشرف مَن قضى بين الناس بالحق وفرقانه ، وأعزّ مَن دفع في صدور البلغاء بنان بيانِه ، وأكرمُ مَن أطلق في ملكوت الله ـ عز وجل ـ عنان عيانه .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين رَوَوا لأوليائهم السُّنه ، وروّوا من أعدائهم الأَسِنّه ، وأضحت طريقهم لطالب هديّة الهدى مطيّة الْمَظِنّه ، وأمْسَوا حرباً لحزب الشيطان الذين جعل الله في آذانهم وَقْراً وعلى قلوبهم أكنّه[٤] ، صلاة تطلق جيادُ الألسنة في ميدانها الأعنّه ، وتبلّغهم أمانيهم التي بايعهم عليها بأن لهم الجنّة .

---

(١) يشير إلى قوله ﷺ : (.... وإنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظّ وافر) . رواه أبو داود والترمذي . انظر : رياض الصالحين : ٢٤٧ .

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « وجوهم مسودّة » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ﴾ الأنعام : ٢٥/٦ . ووردت في مواضع أخرى من القرآن الكريم .

وبعد ، فلمّا كان العلم الشريف هو للدين حافظ نظامه ، وضابط أحكامه في حلاله وحرامه ، بنشره يطيب نَشْرُ الإيمان وأَرَجه ، ويتّسع من[١] صدر الجاهل بأحكام ربّه ـ تعالى ـ ضِيْقُه وحَرَجه . والعلماء هم الذين يَرْعَوْن سوامه ويراعون ، ويُقْدمون على منع مَن يتعدّى حدود الله ـ تعالى ـ فما يهابون ولا يُهانون ولا يُراعون . وكفى بالعلماء فخراً أنهم للأمة أئمّةُ الاقتداء ، وأن مدادهم جعله الله بإزاء دم الشهداء .

وقد خلت في هذه الأيام المدرسة القايمازيّة ، أثاب الله واقفها ، ممن ينشر فيها أعلام العلم ، ويُبدي في مباحثه مع خصومه معنى الحرب في صورة السلم ، ويُنبت[٢] في رياض دروسها شقائق النعمان ، ويُثبت في حياض غروسها دقائق النعمان .

تعيّن أن يقع الاختيار على مَن يُحْيي بدروسه ما دَرَس من مذهب الإمام[٣] أبي حنيفة النعمان ، رضي الله عنه ، ويجدّد بفضائله التي أتقن فنونها ما ورثّ من أقواله التي لا توجد إلا فيه ، ولا تؤخذ إلا منه .

وكان المجلس[٤] العالي القضائي العمادي أبو الحسن علي الطرسوسي ، أدام الله أيامه ، وأعزّ بالطاعة أحكامه ، هو الذي تفرّد بهذه المزايا ، وجمع هذه الخلال الحميدة والسجايا ، تضع الملائكة له إذا خطا في العلم الأجنحه ، ويتخذ الناس إذا اضطروا لدفع الأذى عنهم من صلاحه الأسلحه ، قد أراد الله به خيرا لمّا وفّقه وفقّهه في الدين ، وأقامه حجةً قاطعة ولكنْ في أعناق الملحدين ، تنقاد المشكلات لذهنه الوقّاد في أسلس قياد ، وتَشيد أفكاره الدقيقة للنعمان إمامة ما لا شادته من المجد للنعمان أشعارُ زياد[٥] ،

---

(١) في الأصل : « في » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « ويبيت » . تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) ، (خ) : « الإمام الأعظم » .

(٤) في (خ) : « الجناب » .

(٥) يشير إلى اعتذاريات النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر .

وتبيت النجوم الزّهْر ناظرة إلى محاسن مباحثه من[١] طرفها الخفي ، وتَنْكَفّ الألسنة الحداد من خصومه إذا جادلهم وتنكفي ، ويأتي بالأدلّة التي هي جبال لا تنسفها مغالط النّسفي[٢] .

فلذلك رُسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ـ أعلاه الله تعالى ـ أن يفوَّض إليه تدريس المدرسة المذكورة . فليُظْهر عرائس فضله المجلوَّه ، ويُبرز نفائس نَقله الْمَخْبُوَّه ، وليطرّز دروسه بدقائقه التي بهرت ، ويَزِد المباحث رونقاً بعبارته التي سحرت الألباب وما شعرت ، إذ هو الحاكم الذي سيف قلمه إذا أمضاه كان في الدماء محكّما ، والحَبر الذي لا يُقاس به البحر وإن كان القياس في مذهبه مقدّما ، والعالم الذي إذا نهض بالإملاء فهو به مليّ ، والفاضل الذي إن كان العلم مدينة فبابُها عليّ[٣] .

وليتعهد المشتغلين بالمدرسة بمطالبة محفوظهم ، والحثّ والحض على الأخذ بزيادة العلم ، فإن ذلك أسعدُ حظوظهم ، والحفظ والجدل جناحا العلم ويداه ، وبهما يتسلط الطالب على مقاربة المدى وإن كان العلم لا نهاية لمداه . فمن استحق رُقيّاً على غيره فليرقّه ، وليوفّه حقّه ؛ فإنه إذا نظر الحاكم في أمره وصل إلى حقه .

والتقوى هي ملاك الأمور وقوامها[٤] ، وصلاح الأحوال ونظامها ، على أنه ـ أدام الله أيامه ـ هو الذي يشرّع الوصايا لأربابها ، ويعلّم المتأدّب كيف يأتي البيوت من

---

(١) في (أ) : « في » .

(٢) المغالط ، ويقال المغالطة « قياس مركّب من مقدمات شبيهة بالحقّ ، ويسمّى سفسطة ، أو شبيهة بالمقدمات المشهورة ، ويسمّى مشاغبة »، كليات أبي البقاء : ٢٦٣/٤ .
وأغلب الظن أن النسفي المراد هو محمد بن محمد بن محمد برهان الدين النسفي ، من علماء الأصول والجدل (ت ٦٨٦ هـ) من مصنفاته : القوادح الجدلية ، والمقدمة النسفية ، ومنشأ النظر في علم الخلاف .... انظر : الوافي : ١٨٥/١ ، وهدية العارفين : ١٣٥/٦ ، والأعلام : ٣١/٧ .

(٣) يشير إلى الحديث : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب » . رواه العقيلي في الضعفاء ، وابن عدي في الكامل ، والطبراني في الكبير . انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٠٨/١ .

(٤) في الأصل : « وقوائمها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

أبوابها . وإنما أخذ القلم على العادة نصيبه ، وأتى بنكتٍ ومَنْ علَّم العَوان الخمرة[١] كانت منه عجيبه .

والله يوفّق أحكامه السديده ، ويمتّع الأيام بمحاسنه ، فإنها في الناس باب القصد وبيت القصيده . والخط الكريم أعلاه حجّة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكان قد وصل تقليده من الديار المصرية بقضاء قُضاة الحنفيّة بالشام عوضاً عن قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصروي[٢] في نصف شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وخُلع عليه ، وقُرئ تقليده يوم الجمعة بجامع دمشق[٣] ، وولي الحكم مع تدريس المدرسة النورية ، واستناب في الحكم عنه القاضي عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبي العز الحنفي[٤] .

وكان قاضي القضاة عماد الدين صاحب هذه الترجمة ينوب أوّلاً في الحكم عن قاضي القضاة صدر الدين ، فلما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عُيّن هو للمنصب لجَوْدة أحكامه وحُسْن سيرته . وكان قد باشر النيابة بعد موت القاضي شمس الدين بن العز الحنفي[٥] في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

---

(١) يشير إلى المثل المشهور : (إنَّ العوان لاتُعَلِّمُ الخمرة) ، أي : إن المرأة المجرّبة لاتُعَلَّم كيف تفعل .

(٢) علي بن أبي القاسم بن محمد (ت ٧٢٧ هـ) ، وستأتي ترجمته . وانظر تذكرة النبيه : ١٧٥/٢ .

(٣) انظر : البداية والنهاية : ٢٩/١٤ .

(٤) (ت ٧٨٣ هـ) ، الدرر : ٣٧٩/١ .

(٥) محمد بن محمد بن صالح بن أبي العز الحنفي (ت ٧٢٢ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

١١١٣ ـ علي بن أحمد بن زُفَر*

ابن أحمد بن مُظَفر الإربلي ، الدُّنْبَاوندي[١] الأصل ، الشيخ الفاضل عز الدين أبو الحسن الصوفي .

كان فقيراً قانعا ، خبيراً نافعا ، محفوظُه كثير ، وملفوظه غزير ، حسَن المجالسه ، كثير المؤانسه . رأى بلاداً عديده ، وأنفق فيها مدّة مديده ، ونظر في علوم كثيره . وحصّل منها فوائد إذا ذكرها تُخجل اللآلىء النثيره .

وكان ضبطه جيّدا ، ونقله مقيّدا ، وزُكِّيَ في الطب فلم يعالج تورّعا ، وفعل ذلك تبرّعا .

ولم يزل على حاله إلى أن أربدّ وجه الإربلي ، ومُحي أثره تحت الثرى وبلي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة بإربل .

وكان قد سافر البلاد وأقام بتبريز وماردين وغيرها من المدن .

وكان قد رُتّب بمدرسة الطب ، وزكّي ، وأُذن له في العلاج . ولم ينتصب لذلك .

كان صوفيا بدُوَيْرَةِ حَمَد[٢] ، وساكناً بها ، وكان قد اختار مقام دمشق إلى أن مات .

---

* الدرر : ١٣/٣ . وقد اختلطت ترجمته مع ترجمة الحسن بن أحمد بن زفر الإربلي ، عز الدين . انظر : البداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ١١/٢ ، والشذرات : ٧٢/٦ ، وقد سلفت ترجمة الحسن هذا في موضعها ، ولعلهما واحد .

(١) نسبة إلى دُنباوَنْد ، من نواحي الري ، (معجم البلدان) .

(٢) دار بباب البريد بدمشق أوقفها حمد بن عبد الله المقرئ (ت ٤٠١ هـ) للمتصوّفة . انظر : الدارس : ١١٥/٢ .

١١١٤ ـ علي بن أحمد بن محمد*

ابن أبي بكر بن عمر بن الشيخ علي الحداد ، المؤذن بالجامع الأموي بدمشق .

كان له شعر ومدائح نبوية ، وكان يُنشد في المحافل والمجالس . وتعلّم صناعة الحدادة بالعُقَيْبَة ، وأذّن بالمرشدية[١] ، والصاحبية[٢] ، وجامع النيرب[٣] ، وبيروت . وحج غير مرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده بحلب سنة خمس وخمسين تقريباً .

١١١٥ ـ علي بن أحمد بن عبد الرحمن**

ابن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، الإمام الخطيب فخر الدين أبو الحسن بن قاضي القضاة نجم الدين أبي العباس ابن الشيخ قاضي القضاة شمس الدين أبي محمد الخطيب بالجامع المظفّري[٤] بسفح قاسيون .

---

* أعلام النبلاء : ٥١٦/٤ ، وفي نسبه اختلاف عما ههنا .

(١) بالصالحية على نهر يزيد ، أنشأتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى سنة (٦٥٤ هـ) الدارس : ٤٤٣/١ .

(٢) بسفح قاسيون من الشرق ، أنشأتها ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب سنة (٥٤٣ هـ) ، الدارس : ٦٢/٢ .

(٣) سلفت الإشارة إليه . والنيرب من قرى غوطة دمشق .

** الدرر : ١٦/٣ .

(٤) ويعرف بجامع الجبل ، سلفت الإشارة . والمظفري نسبة إلى الملك المظفر كوكبوري صاحب إربل ، وهو الذي أتم بناءه فنسب إليه . انظر : الدارس : ٣٣٥/٢ .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الأحد حادي عشري شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة . وقد قارب الخمسين .

سمع من الشيخ فخر الدين بن البخاري وغيره .

وحدّث ، وفوّض أمر الخطابة إلى خاله الشيخ عز الدين محمد بن الشيخ [عزّ الدين إبراهيم بن الشيخ][1] شرف الدين [ابن الشيخ][2] أبي عمر ، وإلى ابن أخته[3] نجم الدين أحمد بن قاضي القضاة عزّ الدين محمد بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة[4] ، بينهما على الاشتراك .

١١١٦ ـ علي بن أحمد بن محمد*

الأمير السيّد الشريف علاء الدين العبّاسي . أحد أمراء العشرات بدمشق .

أول ما عرفت من أمره أنه كان والياً بالقدس ، ثم إن الأمير سيف الدين[5] أخذه وجعله أستاذ داره الكبير في بابه . ولمّا أُمسك هو في جملة مباشري ديوانه ، ووزن شيئاً في تلك المرّة ، ثم إنه تولّى شدّ الأوقاف في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وتداول هو والأمير حسام الدين بن النجيبي[6] هذه[7] الوظيفة مرات ، ثم إنه قوي عليه بانتمائه إلى الفخري ، ثم أُعطي إمرة عشرة مع الوظيفة .

---

(١) زيادة من (أ) يقتضيها سياق نسبه ، وستأتي ترجمة محمد هذا في موضعها .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) في الأصل : « أخيه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) (ت ٧٥٥ هـ) ، الدرر : ٢٦٧/١ .

* وفيات ابن رافع : ٣٠٥/١ ، والدرر : ٢٠/٣ ، والذيل التام : ١٢٢ .

(٥) في (أ) ، (ز) : « سيف الدين تنكز » .

(٦) أبو بكر بن أيبك ، سلفت ترجمته .

(٧) في الأصل : « في هذه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في مستهل ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكان شكلاً طويلا ، تام الخلق نبيلا ، له عَبْسَه وطول جلسه ، وصمت وإطراق وإعراض عمّن يخاطبه وإخراق . إلا أنه ليس فيه شرّ ، ولا عنده كرّ إلى الفتن ولا فرّ .

ولّما كان الفخري بدمشق ، ويئس من مجيء السلطان أحمد الناصر من الكرك ، وبلغه[١] أنه توجّه إلى مصر ، خطر له الخروج على المصريين ، وقال : هذا عندنا رجل شريف[٢] عباسي ، نُقيمه نحن خليفة ، ونبايعه ، وما نحتاج إلى أحد من المصريين . وكان الفخري قد عنى هذا علاء الدين مشدّ الأوقاف .

١١١٧ ـ عليّ بن أحمد بن أسد*

القاضي علاء الدين بن الأُطروش ، [ابن][٣] أخي شمس الدين بن الأطروش ، كان يُعرف بالسكاكيني .

وسمع القاضي علاءُ الدين [هذا][٤] الدارَ قُطْني[٥] على الحافظ شرف الدين الدمياطي . وكان شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : هو رفيقي في السماع على الدمياطي .

---

(١) في الأصل : « وجعله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٢) في (أ) ، (ز) : « عندنا واحد شريف » .

* وفيات ابن رافع : ٣٤٣/١ ، والدرر : ٣/٣ ، والنجوم : ٣٢٧/١٠ ، والذيل التام : ١٥٩ ، وذيل العبر : ٣١٥ . وقد اختلف في اسم أبيه ، وما وقع ههنا موافق لما في ذيل العبر . وفي وفيات ابن رافع والدرر والذيل : « ابن إبراهيم » ، وفي النجوم : « ابن محمد » . وانظر السلوك : ٧/١/٢ ـ ٨ ، ٣٨ .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) عبارة الدرر : « ومن الدمياطي ، وسمع عليه سنن الدار قطني » ، وهو علي بن عمر بن أحمد (ت ٣٨٥ هـ) ، السير : ٤٤٩/١٦ .

وحدّث بدمشق ، وربما حدّث بالديار المصرية .

ورد إلى دمشق في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر متولّياً نظر الحسبة ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين ، في أواخرها ، وباشرها مباشرة جيدة بصلف ومهابة . ولم يزل بها ، وهو يخدم الأمراء المصريين وغيرهم إلى أن سعى في طلبه مع الأمير سيف الدين أرغون العلاي والحجازي وغيرهما ، فطُلب إلى مصر في أواخر سنة خمس وأربعين ، فتوجه إلى القاهرة ، وباشر الحسبة [بها][1] ثم إنه عُزل منها ، وتولّى حسبة دمشق مرة ثانية ، فورد إليها بعد وفاة الشيخ عز الدين بن المنجا المحتسب في سنة ست وأربعين وسبع مئة فيما أظن ، وتوّلى مع الحسبة نظر الأسرى بدمشق أيضاً ، فباشر ذلك مدة لطيفة ، وانفصل من الأسرى ، وبقي على وظيفة الحسبة بدمشق ، وهو مستمر على خدمة الأمراء المصريين ، يسعى في العَوْد إلى القاهرة . فطُلب إليها ثانياً من دمشق[2] في سنة ...[3] .

وأقام بها ، وتوّلى الحسبة بالقاهرة ونظر المارستان المنصوري مرات ، وعُزل منهما ثم أعيد إليهما ، وولي قضاء العساكر بالقاهرة أيضاً ، ولّما تولى علم الدين بن زنبور الوزارة عزله من وظائفه ، ثم إنه أعيد إليها ، ثم عزل أخيراً من البيمارستان .

وبقي على الحسبة وقضاء العساكر إلى أن ورد الخبر إلى دمشق بوفاته ـ رحمة الله تعالى ـ وصُلّي عليه بالجامع الأموي صلاة الغائب يوم الجمعة عشري جمادى الآخرة [سنة ثمان وخمسين وسبع مئة . وكانت وفاته بالقاهرة يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة][4] .

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) في (أ) ، (خ) : « من دمشق إلى القاهرة » .

(٣) كذا في الأصول .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .

وكان ـ رحمه الله ـ فيه خدمة للناس ، ورعاية لأصحابه ، ومكارم لمن يصحبه .

أول ما عرفت من أمره أنه تعلّق على صحبة الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، وتمارض في وقت ، وسعى مع أصحابه في أن يَعُوده الجاولي ، فجاء إليه وعاده ، فطار هذا الخبر في القاهرة ، فتشبّه الناس بالجاولي ، وعاده الكبار من أرباب السيوف والطيالس .

ولم يزل بعد وفاة السلطان الملك الناصر يسعى مع أمراء الدولة إلى أن ولي حسبة دمشق ، كما تقدم . وكان من رجالات العالم في السعي ، وحفظ المودّة والرَّعْي ، لا يملّ من المشاكلة للأكابر ، والتردد إليهم إن كانوا أرباب سيوف أو محابر ، والتودّد إلى مَن حولهم ، والتعهد إلى مَن يسمع قولهم ، ولا يزال يداخلهم بكلّ صنف يميلون إليه ، وينازلهم في كل مَرْبع ينزلون عليه ، حتى يخلب[1] قلوبهم بخَدَمِه ، ويثبّت لديهم رسوخ قدمه ، فحينئذ يقترح بعد التطفّل ، ويترفع بعد التّسفل .

له عزمةٌ ما استبطأ الدهر نَجْحَها ... ولا استعتبَ الأيّامَ وَرْيُ زنادها
إذا شوهدت بالرأي بان اختيارها ... وإن بان ذو الرأي اكتفت بانفرادها[2]

وكانت الدنيا تهون عليه في البذل ، ويستوي عنده في المكارمة ذو الوجاهة والنّذل ، لا يرى إلا قضاء مآربه ، وإضاءة الوجود بذكره في مشارقه ومغاربه .

ولّما جاء إلى حسبة دمشق عبث بشمس الدين الشاعر [الخيّاط][3] المنبوز بالضفدع ، وضربه واعتقله ، وهمّ بحلق ذقنه ، فقام في أمره القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وخلّصه ، فتسلّط على عِرْضه ، وهجاه بقصائد ومقطعات كثيرة ، من ذلك قوله وقد ركب بغلة بزنّار :

---

(١) في الأصل و (أ) : « يجلب » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) في (خ) : « اختيارها » ، تصحيف .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) . وهو محمد بن يوسف .

رقى ابن الأطروش إلى رتبـــــــة بـــاع لهـــا الجنـــة بـــالنـــار
تنصّرت بَغْلَتُـــــــه تَحْتَـــــــهُ فَقَـــدْ غَـــدَتْ تمشي بـزنّـــار

١١١٨ ـ علي بن أرقطاي*

الأمير علاء الدين بن الأمير الكبير سيف الدين الحاج أرقطاي نائب صفد وطرابلس وحمص وحلب والقاهرة ، تقدّم ذكر والده في مكانه .

كان ذا وجه سبحان مَن أبدعه ، ومُحيّا كأن الله تعالى خلق الجمال له وأودعه . حلو الصوره ، كأن المحاسن عليها مقصوره ، أو صفات الجمال البارعة فيها محصوره ، أو الفتنة تقابلها العيون من صورة منصوره ، إذا رأى الناظر عينيه يخال أن الكحل في جفونها قد نُفض ، والسحر من الزمن القديم إلا من حركاتها قد رُفض ، بقوام من أين للغصون الميّادة حركاته ، أو للقنا الذابل تحت الأسنة[1] فتكاته ، وذؤابة أورق بها من قدّه الغصن الرطيب ، وحكت مجنون ليلى إذا خطا ، فهي تخطّ على كثيب :

حلـو الشمائـل والمعـــاطف أهيف جُمعت مـلاحـــة كلِّ حسن فيـــه
يختـال معتـدلا فـإن عبث الصَّبـا بقـوامـــه متعرّضـــا يَثْنيـــه

كان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ يميل إليه ميلاً شديدا ، ويجد منه غراماً جعل قلبه في هواه عميدا ، إلا أنه على عادته ، في هواه ، وقاعدة جواه ، لم ينل منه إلا لذّة نظره[2] ، واستجلاء قمر وجهه في ديباجي شَعره . طلبه وطلب أخاه إبراهيم ، وكان الآخر بارع الجمال ، ولكن علي هو البدر في ليالي الكمال . وكتب إلى

* الدرر : ٢٣/٣ ، ووقع في الأصل و (ز) : « أقطاي » .
(١) في الأصل : « الأسدّه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٢) في الأصل : « النظر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهو أنسب للسّجعة . وفي قوله إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

إني امرؤ مـولـع بـالحسن أتبعـه لا حـــظّ لي منـــه إلا لـــذة النظر

السلطان في معناها ، وأمّرهما عنده بدمشق ، لبسا تشاريفها ، وأنزلها عنده بدار السعادة ، وأقاما قريباً من شهر . وجعل عليّاً بطبلخاناه وإبراهيم بعشرة ، وأعادهما إلى أبيها .

وتوجّه أمير علي مع والده إلى الديار المصرية ، وأقام فيها مدّة إلى أن هَصَرت يد الموت غصنه الرطب ، وأعظمت على أبيه الْخَطْب ، وتوفي رحمه الله تعالى[١] .

١١١٩ ـ علي بن إسحاق*

الشيخ المسند علاء الدين أبو الحسن بن الملك المجاهد صاحب الجزيرة بن السلطان بدر الدين لؤلؤ الأتابكي صاحب الموصل[٢] .

سمع من الحرّاني (جزء ابن عرفة) و (المصافحات) المخرّجة له و (الثمانيات)[٣] وغير ذلك ، وسمع من ابن علاّق (الجمعة) للنسائي .

وكان من أعيان الجند بالقاهرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

ومولده ثامن عشري المحرم سنة سبع وخمسين وست مئة بجزيرة ابن عمر[٤] .

---

(١) بعد الخمسين وسبع مئة ، كما في الدرر .

* الدرر : ٢٣/٣ .

(٢) (ت ٦٥٧ هـ) ، البداية والنهاية : ٢١٤/١٣ ، والشذرات : ٢٨٩/٥ .

(٣) وتعرف بـ ثمانيات النجيب ، وهو عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر الحراني (ت ٦٧٢ هـ) . الكشف : ٥٢٣/١ .

(٤) بلدة فوق الموصل ، تنسب إلى الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي . (معجم البلدان) .

١١٢٠ ـ علي بن إسماعيل بن إبراهيم*

ابن كسيرات ، القاضي تاج الدين بن الصاحب مجد الدين المخزومي[١] .

كان يخدم بطرابلس في وظائف الديوان من سنين .

وكان كاتباً ظريفاً شاباً ، ليّن[٢] الشمائل ، ظاهر الرئاسة ، له اشتغال ونظم . سمع مع الشيخ علم الدين البرزالي كثيراً .

[وتوفي][٣] رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده في مستهل الحجة سنة تسع وستين وست مئة .

١١٢١ ـ علي بن إسماعيل بن أبي العلاء**

ابن راشد بن محسن ، الشيخ الفاضل علاء الدين أبو الحسن الدمشقي القوّاس الوتّار .

سمع من ابن أبي اليُسْر والزين عليّ بن الأوحد ، والبدر عمر بن محمد الكرماني . وحدّث .

وكان رجلاً جيّداً فاضلاً أديباً ، له نَظْمٌ ، وعنده طَرَف من العربية واللغة ، وذهنه جيد . وكان حسنَ المجالسة والمحاضرة ، ملازماً لسُوق القوّاسين ، يقصده الناس في دكانه ، ويصحح جماعةٌ عليه ما يقرؤونه عليه في المواعيد[٤] وعلى الكراسي .

* الدرر : ٢٤/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته . ووقع في الأصل : « علي بن إبراهيم بن إسماعيل » ، سهو . وعقد الجمان : ٣٧٩/٣ ، وذكره في وفيات (٦٩٦ هـ) .

(١) (ت ٦٨٢ هـ) ، الوافي : ٧٤/٩ .

(٢) في (أ) : « لبق » ، تحريف .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

** الدرر : ٢٩/٣ .

(٤) عبارة الدرر : « وكان الذين يقرؤون المواعيد يصححون عليه » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

١١٢٢ ـ علي بن إسماعيل بن يوسف*

الإمام العالم العامل العلاّمة القدوة العارف المُسْلِك ، ذو الفنون قاضي القضاة بدمشق الشافعي شيخ الشيوخ بالديار المصرية ، القونوي[١] التبريزي .

سمع الحديث عن إبراهيم بن عنبر[٢] المعروف بالمارداني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الله اليونيني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الواحد الزملكاني ، وأبي الفضل أحمد بن هبة الله[٣] بن عساكر ، وإسماعيل بن عثمان بن الْمُعَلّم[٤] ، وأبي الخير سلامة بن سالم الجعبري ، وعبد الله بن محمد الرصافي[٥] ، وأبي حفص عمر بن القواس .

وسمع بمصر من الأبرقوهي ، وابن الصّواف ، وابن القيّم ، ومن الحافظ شرف الدين الدمياطي ، وقاضي القضاة تقي الدين أبي الفتح بن دقيق العيد ، ولازمه زمناً طويلاً ، يحضر عنده بالليل ، وكتب له بخطه مع تحرّيه وضبطه على (مختصر ابن الحاجب) على النسخة التي هي مُلكه ، باحَثْتُ صاحب هذا الكتاب ، ونَعَتّه[٦] وقال : فوجدته يُطْلَقُ اسم « الفاضل » عليه استحقاقاً . وحسبك هذا الثناء من الشيخ تقي الدين ـ رضي الله عنه ـ وعلى مَن كان يطلق هذه اللفظة ، أعني « الفاضل » .

---

* البداية والنهاية : ١٤٦/١٤ ، والدرر : ٢٤/٣ ، والشذرات : ٩١/٦ ، والدارس : ١٢٠/١ ، وتذكرة النبيه : ١٧١/٢ ، ١٩٢ .

(١) نسبة إلى قونية ، مدينة في بلاد الروم ، وهي تركيا اليوم .

(٢) في (أ) : « عنتر » ، تصحيف ، (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٣٩٦/٥ ، والشذرات : ٤٤٥/٥ ، وفيها : « المادريني » ، خلافاً لما ههنا .

(٣) في الأصل : « عبد الله » ، تحريف ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٤) سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣٠/٥ .

(٦) عبارة الدرر : « صاحب هذا الكتاب فلاناً » .

وكان الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ جبل علوم ، وطَوْدَ حلوم ، وبحر فضائل ومَسِيلَ مسائل ، فاضل الدهر وعالمه العلاّمه ، ومَن إذا ذَكَر الناسُ غَيْرَه لم يقل الإنصاف له إلاّ « مَهْ » ، عرف التفسير وكَشَفَ سِرَّ (كشافه) ، وعلم ما يخاطب به منه وما يُشافِه ، وخاض بحر الفقه فلو رآه الروياني[١] لأغرقه في بَحْرِه ، وحوى محاسن (الحاوي) ، فلو عاصره الماوردي[٢] لعجز عن ثنائه الطيّب وشُكْرِه ، ومخض زبد الكلام ، فلو تأمّله السيف الآمدي[٣] لوقف فيه عند حدّه ، أو الإمام فخر الدين لتحقّق أن (محصّله)[٤] من عنده ، وحقّق أصول الفقه فلو تقدّم زمانَه كان ابن الحاجب بين يديه تقيبا ، أو البيضاوي[٥] لتَسوّد وجوه طروسه ولم يكن في (منهاجه) مصيبا .

وذاق لبّ العربية فالفارسيّ يفتخر[٦] به ويقول أنا أبو علي[٧] ، وابن مالك يقول : مَنْ شافعي في هذا الفن إلى هذاالوَلِي . وخاض في لُجّة المعاني والبيان ، فعبد

---

(١) عبد الواحد بن إسماعيل الروياني الشافعي (ت ٥٠٢ هـ) ، واسم كتابه : « بحر المذهب » في الفروع . الكشف : ٢٢٦/١ .

(٢) علي بن محمد الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، واسم كتابه : « الحاوي الكبير » في الفروع . الكشف : ٦٢٨/١ .

(٣) علي بن محمد بن سالم التغلبي من علماء الكلام ، صاحب « منتهى السول » و « أبكار الأفكار » في علم الكلام ولباب الألباب (ت ٦٣١ هـ) ، السير : ٣٦٤/٢٢ ، والأعلام : ٣٣٢/٤ .

(٤) يشير إلى المحصّل للأمام الرازي ، واسمه : « محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين » ، الكشف : ١٦١٤/٢ .

(٥) عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) ، له تفسير البيضاوي ، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول ، الآتي ذكره ، الكشف : ٢/ ١٨٧٨ .

(٦) في (أ) : « يفخر » .

(٧) تورية بين اسم المترجم له ، وكنية الفارسي ، وهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي سلفت الإشارة إليه .

القاهر عنده عبد مقهور ، وصاحب (المفتاح)[١] لا نسبة له إلى مَن عنده خزائن المنظوم والمنثور .

وبرع في المنطق فهو من الخونجي[٢] أفضل ، ومن الكاتبي[٣] أنبه ، ومن الأبهري[٤] أبهر وأنبل .

وجَدّ للجدل حتى وافقه العميدي[٥] على الخلاف ، ونسف حبال النّسفي وما تلافاه أحد من التلاف .

وهذّب نفسه بالمعارف في التصوف ، وذاب في خلواته من التشوّق إلى حضرة القُدْس والتشوّف ، فلو رآه الشبلي[٦] لقال هذا الأسد ، أو معروف[٧] لأنكر نفسه وقال : هذا الذي بلغ من الأَشُدِّ الأَشَد .

هذا إلى صورة قد حسّنها الذي فطرها ، وشيبةٍ بيّضها الله ونَوَّرها ، وأخلاق ليس للنسيم لطفها ، ولا للرياض نُضْرتها وظرفها .

أقام في القاهرة فملأها علما ، وجاء إلى دمشق فسرّها[٨] حُكْماً وحِلْما .

ولم يزل [فيها][٩] على حاله إلى أن غاض بحره العجّاج ، وطُفئ سراجه الوهّاج .

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ، في علوم البلاغة العربية .

(٢) محمد بن ناماور بن عبد الملك (ت ٦٤٦ هـ) ، الشذرات : ٢٣٦/٥ .

(٣) علي بن عمر بن علي القزويني (ت ٦٧٥ هـ) ، هدية العارفين : ٧١٣/١ .

(٤) المفضل بن عمر بن المفضّل (ت ٣٦٣ هـ) ، هدية العارفين : ٤٦٩/٢ .

(٥) محمد بن محمد بن محمد ، ركن الدين العميد ، (ت ٦١٥هـ) الوافي : ٢٨٠/١ .

(٦) دُلَف بن جحدر الشبلي (ت ٣٣٤ هـ) ، السير : ٣٦٧/١٥ .

(٧) معروف بن فيروز الكرخي (ت ٢٠٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٣١/٥ .

(٨) في (أ) : « فسدّها » ، ولعلّها أشبه .

(٩) زيادة من (أ) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق رابع عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

ودفن بسفح قاسيون بتربة اشتريت له .

ومات بورم الدماغ ، بقي مريضاً أحد عشر يوماً . وكانت جنازته حافلة ، وتأسّف الناس عليه .

خرجوا به ولكلٍّ باك حَوْله ... صَعَقات موسى يوم دُكّ الطّورُ
حتى أَتَوا جَدَثاً كأن ضريحَه ... في كلّ قَلْبِ مُوَحِّدٍ محفورُ
تبكي عَليه وما استقرّ قراره ... في اللحد حتى صافحته الْحُور

وكان الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ قد قدم دمشق في أول سنة ثلاث وتسعين وست مئة ، فرتّب صوفيا ، ثم إنه درّس بالإقبالية [1] ، ثم إنه توجّه إلى الديار المصرية ، وأقام بها ، وولي مشيخة سعيد السعداء ، وأقام ثلاثين سنة على قدم واحد ، إذا طلع الفجر خرج من مسكنه للصلاة بسكون ووقار ، وإذا فرغ منها أخذ في إشغال الطلبة في غير ما فن إلى أن يؤذّن الظهر ، فيصلّي ، ويأكل شيئاً في بيته ، ثم إنه من الظهر إلى العصر يدور ، إما أن يزور أصحابَه الأعزّة ، أو يتوجه في شفاعةٍ لأحدٍ قصده ، أو يسلّم على غائب أو يُهنّئ أو يعزّي أو يعود مريضاً ، إلى أن يتوجّه إلى وظيفة الخانقاه للذكر والعبادة . هكذا أبداً لا يمرّ له وقت في غير ذلك .

وكان قد ولي [2] تدريس الشريفية بالقاهرة ، وبها سكنه . وكان السلطان يعظّمه ويُثني عليه ، وكذلك الأمير سيف الدين أرغون النائب .

(١) داخل باب الفرج وباب الفراديس بينهما ، شمال الجامع الأموي ، أنشأها جمال الدولة إقبال . الدارس : ١١٨/١ .

(٢) في (أ) : « تولّى » .

أخبرني القاضي ناصر الدين بن الصاحب شرف الدين كاتب السر بدمشق ، قال : سمعت الأمير سيف الدين أرغون النائب يقول بحلب : ما رأيت رجلاً مثل الشيخ علاء الدين القونوي ولا ملأ عيني غيرُه .

وكان يعرف بالتركي وبالعجمي .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني ببُلبيس ، وقد طلبه السلطان ليولّيه قضاء دمشق ، فحينئذ عَيَّنَ السلطان الشيخَ علاء الدين لقضاء الشام ، فما خرج منها إلاّ كارهاً . كان يقول لأصحابه الأعزّة عليه : أخملني السلطان كونه لم يولّني قضاء الديار المصرية ، وليته كان عيّنني لذلك في الظاهر ، وكنت أنا سألته الإعفاء من ذلك .

ولّما خرج إلى الشام حمل كُتبه معه على البريد [١] ، وأظنها كانت وَقْر خمسة عشر فرساً أو أكثر . وباشر منصب الحكم بدمشق أحسن مباشرة بصلف زائد وعفّة مفرطة [٢] ، ولن يكن له تهمة في الأحكام ، بل رغبته وتطلعه إلى الإشغال والإفادة . وطلب الإقالة أولا من السلطان ، فما أجابه ، ثم إنه لّما جاء إلى الشام واستقر في دمشق ، كتب إلى شيخنا العلاّمة تقي الدين السبكي ليُناقله إلى وظائفه بالقاهرة ، ويأخذ هو قضاء الشام ، فما وافقه ذاك .

وكان منصفاً في بحوثه ، ريّضاً معظّماً للآثار ، ولم يُغيّر عِمّته للتصوف . ولّما جاء إلى دمشق ، بلغني أنه أحضر القاضي فخر الدين المصري والقاضي جمال الدين ابن جَمْلة ، وحلّ من وسطه كيساً فيه ألف دينار ، وقال : هذه جاءت معي من الديار المصرية .

---

(١) في (أ) : « على خيل البريد » .

(٢) في (أ) : « زائدة مفرطة » .

وخرّج له ابن طُغريل والشيخ عماد الدين بن كثير[١] (مشيخة) ، فوصلها بجُمْلة . وشرح (الحاوي)[٢] في أربع مجلدات وجودّه ، واختصر (منهاج) الحليمي[٣] وسمّاه (الابتهاج) . وله (التصرف) ، شرح (التعرف في التصوف)[٤] .

وكان قد أحكم العربية ، وله يد طولى في الأدب ، ويكتب خطاً قويّاً إلى الغاية مليحاً تعليقاً .

وكان له حظ وافر من صلاة وصيام وخير وحياء ، وكان مع مخالفته للشيخ تقي الدين بن تيمية وتخطئته له في أشياء كثيرة ، يثني عليه ويعظّمه ويذّب عنه ، إلا أنه لمّا توجّه من مصر قال له السلطان : إذا وصلت إلى دمشق ، قل لنائب الشام يفرج عن ابن تيمية . فقال : يا خوند ، على ماذا حبستموه ؟ قال : لأجل ماأفتى به في تلك المسألة . فقال : إنما حُبس للرجوع عنها ، فإن كان قد تاب ورجع أفرجنا عنه . وكان ذلك سبب تأخيره في السجن إلى أن مات .

وكان له ميل إلى محيي الدين بن عربي ، إلا أن له ردوداً على أهل الاتحاد . وكان يتحدث على حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « كنت سَمْعَه الذي يسمع به »[٥] ، وشرحه شرحاً حسناً ، وبيّنه[٦] بياناً شافياً .

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير ، صاحب البداية والنهاية (ت ٧٧٤ هـ) .

(٢) للقزويني ، الكشف : ٦٢٥/١ .

(٣) حسين بن الحسن الحليمي الجرجاني (ت ٤٠٣ هـ) ، واسم كتابه : « منهاج الدين » ، الكشف : ١٨٧١/٢ .

(٤) للكلاباذي ، محمد بن إبراهيم البخاري (ت ٣٨٠ هـ) ، الكشف : ٤١٩/١ .

(٥) يشير إلى قوله ﷺ : (إنّ الله تعالى قال : مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري . انظر : رياض الصالحين : ٨٨ .

(٦) في (أ) : « ويشرحه ... ويبيّنه » .

ورأيته يكتب بخطه على ما يقتنيه من الكتب التي تخالف السُّنة من اعتزال وغيره[١] :

عرفت الشرّ لا للشر ر لكنْ لتوقّيهِ
ومَنْ لا يعرف الشر رَ من الخير يقع فيه

وكان يترسل جيداً من غير سجع ، ويستشهد بالأبيات المناسبة والأحاديث والآيات اللائقة بذلك المقام .

وكنت أنا بصفد أكتب إليه وهو بمصر عن الأمير شرف الدين حسين بن جندر ـ رحمه الله تعالى ـ فتأتي أجوبته بخطه ، وهي في غاية الحسن ، وفيها السلام عليّ والثناء الكبير والتودّد من غير معرفة . ولمّا دخلت القاهرة واجتمعت به مرّات ، عاملني بكل جميل وطلب مني كتابي (جنان الجناس) . ووقف عليه ، وبقي عنده مدة[٢] ، ثم أعاده إليّ ، وبلغني الثناء الزائد منه عليّ . ثم لمّا قدمت من مصر إلى دمشق متوجّهاً إلى الرحبة ، وهو بالشام قاض ، طلب ذاك المُصنَّف مني ، فحملته إليه ، وبقي عنده مُديدة ، ثم أعاده ، وأخذ في الفضل[٣] والشكر على عادة إحسانه ، جزاه الله عني الخير ، ورحمه ورضي عنه .

وكتب هو ـ رحمه الله ـ إلى ناصر الدين شافع ، وقد طلب منه شيئاً من شعره :

غَمرتْني المكارمُ الغرّ منكمْ وتوالت عليّ منها فنونُ[٤]
شرط إحسانكم تحقّق عندي ليت شعري الجزاء كيف يكون

يقبّل الباسطة الشريفه ، لا زالت للمكرمات مستديمه ، وفي سُبُل الخيرات مستقيمه .

(١) البيتان في الدرر .
(٢) في (أ) : « مديدة » .
(٣) في (أ) : « التفضّل » .
(٤) البيتان في الدرر .

ويُنهي أن بضاعة المملوك في كل الفنون مُزْجَاه ، ولا سيما في فن الأدب ، فإنه فيه في أدنى الدرجات . وقد وردت عليه إشارةُ مولانا ـ حرسه الله تعالى ـ في طلبه شيئاً من الشعر الذي ليس المملوك منه في عير ولا نفير ، ولا حظي منه بنقير ولا قِطْمير[٧] ، سوى ما شذّ من الهذيان ، الذي لا يصلح لغير الكتمان ، ولا يُحفظ إلا للنسيان . والمسؤول من فضل مولانا وكرمه المبذول أن يُتمّ إحسانه إليه بالستر عليه ، فإنه وجميع مالديه من سقط المتاع ، ولا يُعار لسقاطته لا[٢] لنفاسته ولا يباع[٣] ، والله يؤيّد مولانا ويُسعده ويحرسه بالملائكة ويعضده .

وكتبت إليه وقد وقف على كتابه الذي سمّاه (مخالفة المرسوم في حلّ المنثور والمنظوم) :

مخالفة المرسوم وافقتِ الْمُنى ... وحازت من الإحسان خَصْل المناضل
أثارت على نجل الأثير إثارة ... من العلم مفتونا بها كلّ فاضل

وشاعت بالشام صورة فُتيا على لسان بعض اليهود ، وهي :

أيا عُلَماءَ الدّين ذمّيٌّ دينكم ... تحيّر دُلّوه بأوضح حُجّة
إذا ما قضى ربّي بكُفْري بزَعْمِكم ... ولم يَرْضَهُ مني فما وجهُ حيلتي
دَعاني وسدّ الباب عنّي فهل إلى الـ ... ـدخول سبيل ؟ بيّنوا لي قصتي
قضى بضلالي ثمّ قال ارضَ بالقضا ... فها أنا راضٍ بالذي فيه شقوتي
فإن كنتُ بالمقضيّ يا قومُ راضيا ... فربّيَ لا يرضَى لشؤم بليّتي
وهل لي رضى ما ليس يرضاه سيّدي ... وقد حِرْتُ دلّوني على كشف حيرتي

---

(١) القطمير : القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة .
(٢) في الأصل : « إلاّ » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) يشير إلى قول عبدة بن ربيعة في صفة فرسة .
أبيت اللعن إن سكاب علق ... نفيس لا يعار ولا يباع
انظر : شرح الحماسة للتبريزي : ١١٢/١ .

إذا شـــاء ربّي الكُفْرَمني مشيئـــةً ... فهـا أنـا راض بـاتّبـاع المشيئـة
وهـلْ لي اختيـارٌ أن أخـالِفَ حُكْمَـه ... فبـالله فـاشفـوا بـالبراهين غُلّتي

فكتب الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله ـ الجواب :

حَمِـدْتُ إلهي قَبْـلَ كلِّ مقـالـةٍ ... وصلّيتُ تعظيمـاً لربّ البريّـة
وحـاولتُ إبـلاغَ النصيحـةِ مُنْصِفـاً ... لَمَنْ طلب الإيضـاحَ في كلّ شُبهـة
فـأوّل مـا يُلْقَى إلى كل طـالب ... لتحقيـق حـقّ واتّبـاع حقيقـة
نـزوع الفتى مِنْ كُـلِّ عَقْـدٍ وشُبهـة ... تصدّ عن الإمعـان في نظم حجـة[1]
وإلقـاء سمـع واجتنـاب تعنّت ... فـلا خير في الْمُسْتَحْمِـقِ الْمُتَعنّت
إذا صـحّ عنـك الجـدّ في كشف غمّـة ... بُليت بها فـاسمع هُـديت لرشـدتي[2]
صـدقْتَ، قضى الرب العظيم بكلّ مـا ... يكـون ومـا قـد كان فـوق المشيئـة[3]
وهـذا إذا حقّقتـه متـأمّـلا ... فليس يُسدّ الباب من بعـد دعـوة[4]
لأنَّ مِنَ الْمَعْلُـوم أن قضَـاءه ... بـأمْرٍ على تعليقِـه بشريطـةِ
يجـوز ولا يـأبـاه عقـل كما ترى ... حـدوثُ أمـورٍ بَعْـدَ أخرى تـأدّت
كما الريّ بعـد الشرب والشبـع الـذي ... يكـون عَقيب الأكلِ في كُـلِّ مرّة
فليس ببـدعٍ أن يكـون مُعلّقـا ... قضـاءُ إلـهِ الْخَلْـق رَبُّ الخليقـة
بكُفْرِك مهما كنت بـالبغي رافضـا ... تعـاطِيَ أسبـابِ الهـدى مَعَ مُكْنَـة
فمن جُملـة الأسبـاب ممّـا رفضتَـه ... مـع الأمر والإمكان لفـظُ الشهـادة
فـأنت كَمَنْ لا يـأكلُ الـدهرَ قـائـلا ... أموتُ بجـوع إذ قضى لي بجُـوعـة[5]

---

(١) في الأصل : « تروع » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في (أ) : « منك » ، وهي أشبه .
(٣) في (أ) : « الرب الحكيم » .
(٤) في الأصل : « من غير » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٥) في (أ) : « بجرعة » ، تحريف .

فلـــــو أنتمُ أقبلتمُ بضَراعـــــــة ... إلى الله والـدين القـويم الطريقـة
ووفَّيتم حسنَ التـــأمّـل حقَّـــهُ ... وأحسنتمُ الإمعـــانَ في كُـلِّ نظرة
لكان الـذي قـد شـاءه الله مِنْ هُـدى ... وليس خروج من قضـاء بحـالـة[1]
ألا نفحـات الربّ في الـدهر جمّـةٌ ... ولكن تَعَرّضْ كَيْ تفـوزَ بنفحـة
ولا تتكّـــلْ واعمَـــلْ فكلٌّ ميسّرٌ ... لِمـا هـو مخلـوق لـه دُون ريبـة
ولـو كنت أدري أن فهمـك قـابـل ... لفَهْمِ كـلام ذي غمـوض ودقّـة[2]
لأشبعتُ فيـه القـول بسطـاً محقّقـاً ... على نَمَطَيْ عِلْمَي كـلامٍ وحكمـة
ولكنّما المقصـود إقنـاعُ مثلِكم ... فهـاكَ قصيراً من فصـولٍ طـويلـة
ولـولا ورودُ النّهي عن هـذه التي ... سألت لصـار الفُلْـك في وسـط لُجّـة
فهـا أنـا أطـوي بَسْـطَ مـا قـد نشرتُـه ... وأستغفر الله العظيم لـزلّتي

ونظم الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله ـ أبياتا في الشِّجَاج[3] ، أنشدنيها عنه الإمام قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المسلاّتي المالكي[4] ، قال : أنشدنا لنفسه ، وسمعتها منه غير مرة[5] :

إذا رُمت إحصاء الشِّجَاج فهاكَهـا ... مُفَسّرةً أسماؤهـا مُتَـواليـهْ
فحـارِصَـة إن شقّت الجلـد ثم مـا ... أسـال دَمـاً وهي الْمُسَمّـاة داميَـه
وبـاضعـةٌ مـا تقطـع اللحم والتي ... لها الغَوْص فيـه للـذي مرّ تـاليـه
وتلـك لهـا وَصْفُ التـلاحم ثـابت ... وما بعدها السِّمْحاق فافهمه واعيـه[6]

(١) في (أ) : « عن قضاء » .
(٢) في الأصل : « وهمك » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) انظر : فقه اللغة للثعالبي : ١٥٣ ، فصل في ترتيب الشجاج ، باختلاف عمّا سيأتي .
(٤) (ت ٧٧١ هـ) الدرر : ١١/٤ .
(٥) أورد معظمها صاحب الدرر .
(٦) وتسمّى : المتلاحمة .

وقل ذاك ما أفضى إلى الجلدة التي ... تكون وراء اللحم للعظم غاشيه
ومن بعدها ما ينقل العظم واسمها ... مُنَقِّلة ثم التي هي آتيه[١]
ومُوْضِحة ما أوضح العظم باديا ... وهاشمة بالكسر للعظم باغيه
ومأمومة أمّت من الرأس أُمَّهُ ... وقد بقيت أخرى بها العشر وافيه
فدامية تُسْمَى لخرق جُلَيْدة ... هي الأمّ كِيسٌ للدماغ وحاويه[٢]
وهذا هو المشهور في عدّها وإن ... تُرِدْ ضبط حُكم الكُلّ فاسمع مقاليه
ففي الخمسة الأولى الحكومة ثم ما ... بإيضاح عمد فالقصاص وجانيه
وخُصّت بهذا المُوْضحاتُ لضبطها ... فلا عشرُ في استيفائها متكافيه[٣]
وإنْ حَصَلَتْ من غير عمد أو انتهت ... إلى المال عفواً فاقْدِر الأرش ثانيه
على ذمّة النفس التي أوضحت بها ... فتلك لنصف العُشْرَ منها مساويه
وذاك لأرش الهشم والنقل مفردا ... وزد بانضمامٍ للحساب مُراعيه
ففي اثنين منها العشرُ ثم لثالث ... يزيد عليه نصفه بك حاسيه[٤]
ومأمومة فيها من النصف ثلثها ... ودامغة مِثلٌ لها ومكافيه
وقيل بأن الدّمغ ليس جراحة ... لتدقيقه كالحرز وهي ملافيه
وقد نجز المقصود والعيّ واضح ... وعجمتيَ العجماء في النظم باديه

١١٢٣ - علي بن إسماعيل بن إبراهيم*

ابن قريش ، الْمُسْنِد نور الدين أبو الحسن بن المحدّث تاج الدين المخزومي المصري .

---

(١) في (أ) : « مثقلة » ، تصحيف .
(٢) في الأصل : « للأماغ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في الأصل : « منا كافيه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) في (أ) : « حاشية » .
* الدرر : ٢٣/٣ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذيول العبر : ١٧٣ .

سمع الحافِظَيْن الْمُنْذِري والعطّار ، وشيخ الشيوخ الحموي ، ومحمد بن أنجب ، والكمال الضرير ، وابن البرهان ، وابن عبد السلام . وسمع حضوراً من عبد المحسن بن مرتفع[١] . وتفرّد بأشياء ، وكان صالحاً خيّراً ، من الشهود .

أخذ [عنه «[٢] شهاب الدين الدمياطي ، والشيخ تقي الدين بن رافع ، وشمس الدين السروجي ء وجماعة .

وسمعت أنا عليه الجزء الأول والثاني من عوالي (المعجم الكبير) لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، بقراءة شيخنا الحافظ أبي الفتح ، في منزله بين القصرين في عدّة مجالس ، آخرها في سابع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة . وأجاز لنا جميعَ ما يرويه ، ورواها لنا بسماعه من الشيخ زين الدين أبي الطاهر إسماعيل بن عبد القوي بن عزون[٣] .

قال : أخبرتنا الشيخة فاطمة بنت الإمام أبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري ، قراءة عليها ، وأنا أسمع ، قالت : أخبرتنا الشيخة فاطمة بنت أحمد بن عبد الله بن عقيل الجوزدانية[٤] ، قراءة عليها ، وأنا حاضرة ، في الثالثة ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن رِيدة الضبيّ[٥] ، أخبرنا الطبراني .

وتوفي الشيخ نور الدين بن قريش المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

---

(١) لم نقف على ترجمته . وفي الشذرات ما يشير إلى أنه سمع عليه في الرابعة .

(٢) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٣) (ت ٦٦٧ هـ) ، العبر : ٢٨٦/٥ ، والشذرات : ٣٢٤/٥ ، ووقع في (أ) : « عبد القوي بن أبي العزين عزّون » .

(٤) كذا ، وفي السير ، ٥٠٤/١٩ : « فاطمة بنت عبد الله بن أحمد (ت ٥٢٤ هـ) » .

(٥) أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم (ت ٤٤٠ هـ) ، السير : ٥٩٥/١٧ ، ووقع في الأصول : « ريدة » ، تصحيف .

١١٢٤ ـ علي بن إسماعيل*

الشيخ الإمام نور الدين الصفدي .

ربي في حجر الشيخ زين الدين أبي بكر المقرئ إمام مسجد الشيرَزِيّ[١] بصفد ومقرئها .

كان له قدرة على الحفظ ، وشُهْرة بكثرة اللفظ ، ذكياً إلى الغايه ، زكيّاً في نفسه ليس لطلبه نهايه ، يحرص على أن يسلك طريق الشيخ تقي الدين بن تيميه ، ويأخذ نفسه بالدخول في كل بليّه ، ويشتهي أن يحيط بالأشياء عِلْماً ، وألا يدع عِلْما ولا غيره حتى يملكه فَهْما ، فلذلك ضيّع الزمان ، وإن كان قد خرج عن الجهل بأمان ، لكنه ذو عربية جيّده ، ورويّة لم تكن عن الصّواب متحيّده . وبرع في الحديث درايه ، وشاكل فيه ببعض روايه . وشارك في الفقه فأخذ منه بنصيب ، وكابد من الفقر كل يوم عصيب .

ثم إنه دخل اليمن ، وتولّى هناك تدريسا ، ولم يكشف الله لي بعد ذلك من أمره تلبيسا .

وأظنه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد الست والثلاثين وسبع مئة .

كان هذا نور الدين أعجوبة لمن يفكّر في أمره ، كان شديد الحرص على أن يعرف[٢] كلَّ شيء ، وإذا سئل عن شيء ، يريد أن يجيب عنه بالقوة ، وإذا لم يوافق الصواب يتحيّل على نُصرةِ ما يقوله بكل الطرق[٣] .

---

* الدرر : ٢٩/٣ .

(١) نسبة إلى شِيْرز ، من قرى سَرخس . (معجم البلدان) .

(٢) في (أ) : « يعلم » .

(٣) في (أ) : « بكل طريق » .

وأعرف له يوماً وَضَعْتُ قدامه قطع الشطرنج التي وَصْفُها مشهور[١] ، وهو أنها تُصفّ صفاً مخصوصاً من القطع البيض والسود ، وإذا تكامل ذلك يُدَّعَى أن مركباً كان فيه مسلمون ونصارى جالسين على هيئة مخصوصة ، وكان الرائس مسلماً ، فهاج البحر عليهم وهم في وسط اللّجة ، فاحتاجوا إلى أن يرموا بعضهم في البحر[٢] ليخف المركب فأرادوا يعملون القرعة ، وكان الرائس ذكياً ، فنظر إليهم وقال : ما نحتاج إلى قرعة ، بل نعد مِنْ هنا ، وكل مَن جاء تاسعا ألقيناه إلى البحر ، فارتَضَوا جميعاً بذلك ، وأخذ الرائس يعدّ ، وكلما جاء تاسع من النصارى رمى به إلى البحر إلى أن رمى بالنصارى جميعهم ، ولم يرم بأحد من المسلمين .

فلمّا صَنَعْتُ ذلك قدّامه ، أعجبه ذلك وزهّره ونحنح وبقي مفكّراً في ذلك ، واشتغل بالُه به عامَّةَ نهارِه . ثم إني فارقته وعدت إليه ، فوجدته يكرّر عليها ويقول : أربعة مسلمون وخمسة نصارى ، ومسلمان ونصراني وثلاثة مسلمون ونصراني ومسلم ، وهو يدرس ذلك ، ويكرّر عليه ، ويقع التخبيط عليه في سرد ذلك على الصحة ، فرحمته وقلت : يا مولانا هذا أمر يتعبك ولا ينضبط لك ، وقد تطلبه في وقت الحاجة ، فيشذّ الصواب فيه عنك . فقال لي : فكيف انضبط لك هذا ؟ قلت له : هذا ضابطه في بيت واحد من الشعر . فطار عقله ، وقال : هذا أعجب . ولم يصدّق . قلت : نعم ، بيت واحد ، حروفه المهملة مسلمون ، والمعجمة نصارى . فلما أنشدته ذلك ، وصفّ القطع على حكمه وعدَّهُ وصحَّ معه ، خرج من حبال عقله ، فقلت : وأزيدك أخرى ، إن أردت صففت لك ثمانية وسبعة وستة وخمسة وأربعة وثلاثة . فقال : هذا بقاعدة أيضاً ؟ قلت : نعم . فقال : أريد تعلمني[٣] ذلك ، فقلت : ما هو وقته . وقمت وتركته . وحفظ مني بيت التسعة ، وهو :

---

(١) في (أ) : « صفتها مشهورة » .

(٢) في (أ) : « إلى البحر » .

(٣) في (أ) : « تعرفني » .

ولّـــا فُتنت بلحـــظٍ لـــه عُـذِلْتُ فمـا خِفْتُ من شـامت[1]

وفرح به فرحاً عظيماً ، ثم إنه طالبني في آخر وقت بمعرفة القاعدة في ذلك ، فما قلت له . وفرّق الدهر بيننا بعد ذلك .

[ونور الدين هذا في عُذر ممّا ذهب ، لأنني وجدت الفاضل الأديب الكامل صفيَّ الدين الحِلّي قد جاء إلى شيء مثلِ هذا ، فأراد ضَبْطَ صفّه ، وصنع له أبياتاً لِتَعْلقَ بالذهن ، فقال خمسة أبيات ، أولها :

جيشٌ من الزّنج والإفرنج يَقْدمه مـا كان بينهما زَوْجٌ من الْخَـدَمِ

والضبط في هذا ببيت واحد أخصر وأحسن وأسرع في العمل . ثم إنني بعد فراقي لنور الدين هذا بثلاثين سنة ، أردت ضابطاً لعَدّ ستة وإلقاء السابع ، وأخذت نفسي به ، وتصورته ، وعملت لذلك بيتاً ، وهو :

فـديتـك إن صـدقي من فخـار أبـان بنـاء سرٍّ في دعـائي

ثم إنني فكّرت في رصّ مهارك النّرد ، وهي ثلاثون مهركة ، وأردت أن توضع كذا دائرة ، وتُعدّ : ستة ويُلقى السابع ، ففتح الله بذلك ، ووضعت له هذا البيت ، وهو :

قـد رَدّ شـاني بكُـلّ شَيْن عَـدِمْتُ ذا في صَـلاح جَبْري

ثم أردت أيضا أعدّ قطع الشطرنج : أربعة ويُحذف الخامس ، ففتح الله به ، ونظمت لذلك بيتا ، وهو :

عبتم فلم أنـدفـع ومَن ذا يـدفـع بـالسَّبِّ عنـه ضُرّا ؟

ثم إني أردت ذلك في قطع النّرد ، ففتح الله به ، ونظمت له بيتاً ، وهو :

(١) ووقع في هامش (أ) بيت آخر لضبط هذا الترتيب هو :

الله يقضي بكل يُسْرٍ ويرزق الضيف حيث كانـا

لا تَبْـــكِ إنْ هَبَّ رِيـحُ نَجْـــدٍ إنّـــك يـــا بِئْسَ مـــا بُليتـــا][1]

وكان قـد نزل إلى دمشق ، وقرأ على الشيخ نجم الـدين القحفـازي نحواً وعروضـاً ، ولّما رآه الجماعة بهذه المخيّلة عبثوا به ، ونظم فيـه جمـال الـدين يوسف الصوفي[2] ـ رحمـه الله تعالى ـ .

وســـائـــل يســـأل مستفهما من أين ذا المـــولى عَلَيّ[3] وَرَدْ
قلت لـــه : من صفـــدٍ ، قـــال لي : ولا رأى أولى بـــه مِنْ صَفَـــد

وشاع البيتان في دمشق واشتهرا ، فحصل لـه خيـال ، وترك دمشق ، وتوجّـه إلى صفد ، وفتح له حانوتَ تجارةٍ في البطـاين ، ثم إنـه طُلب في بكرة نهـار فلم يوجـد لـه خبر ، وغاب سنين ولم يظهر له أثر ، فعمل أهله عزاءه . ولّمـا كان بعـد مـدة ظهر خبره من مصر ، ثم إنه عاد إلى صفد ، فرأيته قد زاد الحال بـه ، وقـد تعلّق بلعب الشطرنج ، فكان يستغرق نهاره وليله ، ولا يأكل ولا يشرب إلا إذا لم يجد مَن يلعب معه ، وزاد في ذلك ، فقلت له : يا مولانا ، هذا الشطرنج هو مثل الكتابة ، متى وصل الإنسـان فيهما إلى غاية لا يمكنه أن يتعدّاها ، وأنا قد نصحتك فما بقيت تقـدر تزداد على هـذه الغـايـة التي وصلت إليهـا شيئـاً . فقـال : كيف أعمل ؟ أريـد أكون فيهـا عـاليـة مثل غيري . قلت : هذا الذي فتح الله به عليك ، فلم يرجع عن غيّه ، ثم إنه لازم ذلك زمـانـا وعـاد إلى ما قلت له . ثم إنه نزل إلى دمشق ورأيته بهـا ، ثم إنّـا طلبنـاه فلم نقع لـه على خبر . وبعـد حين تقـديره عشرة أعوام طلع خبره في[4] اليمن ، وأنـه هنـاك شيخ حـديث[5] ، وهذا آخر عهدي بخبره في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (أ) ، وبيّن أنها من تتمة الترجمة بأسلوب المصنّف نفسه .
(٢) يوسف بن سليمان بن أبي الحسن بن إبراهيم النابلسي ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) في الدرر : « علينا » .
(٤) في (أ) : « من » .
(٥) في (أ) : « شيخ حديث في مدرسة » .

١١٢٥ ـ علي بن إسماعيل بن جعفر*

القاضي علاء الدين بن الآمدي .

كتب المنسوب الفائق ، وحقق ما فيه من الطرائق ، وأتقن أقلامه[١] السبعة ، مع ثبوت التأنّق وعدم التأنّي والسرعه . تسابق البروقَ أقلامُه ، وتفوق سطورُه الدرَّ إذا زانه نَظَّامه . كأنما همزاته الحمائم على ألفاته التي هي الأغصان ، وكأنما عطفات الجيمات وَجَنات ، ونَقْطها خيلان . كم كتب ختمة وكأنها للعيون روضةٌ ورد ، وكم حرّر ربعة فلم تحتج إلى ذهب ولا لازَوَرْد ، تسودت بعده أوراق التجويد ، وتحطمت أقلام الكتّاب بعدما كانت أماليد :

وأكبّت الكتّـــاب تَبْكِي بعـــده بمـــدامـع بلّت بهـــا أوراقَهـــا

باشر جهات الديوان والأوقاف والدَّرْج ، وكان معدوداً في كُتّاب الحساب ، متفرداً بالضبط في الدَّخْل والخَرْج .

ولم يزل على حاله إلى أن قطع الآمديّ مدى الحياة ، وجعله الطاعون ملقى على قفاه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد عصر الخميس ليلة عيد رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة في طاعون دمشق ، وقد ناهز الخمس وسبعين[٢] .

وكان إماماً في صناعة الحساب ، ليس في كتّاب المسلمين له نظير في عصره . كنت أقول له : كم جملةً ما أقول لك ، وهو خمس مئة عشرون ألف وخمس مئة وثمانين[٣] وخمسة وعشرين وسبعة وثلاثون ومئة وسبعين . وأقول له من هذه التفاصيل جملة ، وهو يلتقط ذلك على أصابعه ، فإذا فرغت من الكلام ، قال على الفور : كذا وكذا .

---

* لم نقف على ترجمة له ، وقد خلَتْ (أ) من ترجمته أيضاً .

(١) في (ز) : « الأقلام » .

(٢) في (ز) : « وسبعين سنة » .

(٣) كذا في الأصل مع ما بعدها .

وكان قد باشر في ديوان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ مستوفياً فيما أظن ، وأقام به مدة ، ثم إنه في أيام حمزة التركماني صادره مع علاء الدين بن القلانسي وغيره ، وأخذ منه مبلغ ستين ألف درهم . ثم استخدمه في ديوان خاصٍّ داريا ودومة ، وخدم كاتباً عند الأمير سيف الدين قُرْمُشي[١] في أيام القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، دخل به ديوان الإنشاء في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وباشر في أيام طقزدمر في ديوان الأسرى .

وكان يشتري الْمُلْكَ بالدَّين ، ويجعل الأُجرة في وفاء الدّيَن ، فحصّل من ذلك أملاكاً كثيرة من بساتين وقاعات ورباع .

وكتب ما يقارب المئة والاثنتي عشرة ختمة وربعة ، وأشعار (تاريخي الكبير) و (التذكرة) التي لي جميعها ، وانتخب من ذلك مجاميع عديدة .

وكان قد أودعه الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله ـ عشرة آلاف دينار ، ونسيها ، فلمّا صادره ، قال له : لك عندي وداعة . فقال : لا ، إن كان صحيحاً ، فهاته ، فأحضر الذهب بجملته ، وكان الناس يلومونه على ذلك ، وهو معذور لأنه لو ذكرها فيما بعد راحت روحه معه .

١١٢٦ ـ علي بن أسمح*

العلامة الزاهد أبو الحسن البعقوبي[٢] الشافعي النحوي المعروف بالشيخ علي مَثَلا[٣] ، بفتح الميم والثاء المثلثة وبعدها لام ألف .

---

(١) ابن قطوان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٢٩/٣ ، وبغية الوعاة : ١٤٨/٢ ، وذيول العبر : ٥٦ .

(٢) نسبة إلى (بعقوبا) ، قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، من أعمال طريق خراسان . (معجم البلدان) .

(٣) في الدرر : « منلا » ، وفي البغية : « ست » ، تحريف .

أخذه التتار من بَعْقُوبَا فأقام ببلغار عند التتار . وحفظ (المصابيح) للبغوي و (المفصّل) و (المقامات) وغير ذلك .

وكان شديد الديانه عتيد الصيانه ، يلفّ رأسه بمئزر صغير ، ويَغْنى بقناعته عن الأمير والوزير . وكان ممّن يعبث بالشيخ[١] تقي الدين بن تيمية ويؤذيه بلسانه ، ويستعمل في الحطّ ما عَلِمَه من معانيه وبيانه .

ولم يزل كذلك إلى أن توجّه للحج في سنة عشر وسبع مئة ، فأدركه باللجون حِمامه وحان من الحياة انصرافه وانصرامه .

وكان قد سكن الروم ، وولي مشيخة الحديث هناك ، وهو شاب ، وركب المغلة[٢] ، ثم إنه بعد ذلك تزهّد ، وفارق الروم ، وحضر إلى دمشق سنة بضع وثمانين وست مئة .

١١٢٧ ـ علي بن أَغُرلُو*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين أغرلو العادلي[٣] .

كان والده مملوك الملك العادل كتبغا ، وكان والده ملك الأمراء بدمشق في أيام أستاذه ، وقد تقدم ذكره في مكانه من حرف الهمزة .

وكان هذا الأمير علاء الدين من جملة أمراء الطبلخاناة بدمشق .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة . في طاعون دمشق .

---

(١) في الأصل : « الشيخ » ، وأثبتنا ما في (ز) ، وعبارة الدرر : « شديد الحطّ على ابن تيميّة » .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ز) وذيول العبر : « البغلة » ، وفي (أ) : « الناقلة » ، ولم نتبيّن مراده .

* الدرر : ٣٠/٣ .

(٣) في الأصل : « العادل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) ، والدرر .

١١٢٨ ـ علي بن ألدمر*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين أمير جاندار ، قد تقدم ذكر والده ـ رحمه الله تعالى ـ في مكانه .

ورد هذا الأمير علاء الدين [أمير][1] علي إلى دمشق أميراً من مصر على طبلخاناة في تاسع ذي القعدة سنة ستين وسبع مئة ، وجلس تحت الأمير ناصر الدين بن أللك .

وأقام على حاله بدمشق إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأواخر من شهر رجب الفرد سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

١١٢٩ ـ علي بن أيبك**

الأمير علاء الدين بن الأمير عز الدين أيبك الطويل ، وهو أخو الأمير صلاح الدين محمد بن أيبك الطويل ، وسوف يأتي ذكره في مكانه من المحمدين .

وكان الأمير علاء الدين أوّلاً بدمشق في جملة أمراء الطبلخانات ، ثم إنه نقل إلى طرابلس على إمرة طبلخاناة ، وأقام بها إلى أن عُزل الأمير شهاب الدين أحمد بن القشتمري أمير حاجب من طرابلس ، ونقل إلى إمرة الحُجْبَة بدمشق عوضاً عن الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في سنة ستين أو في سنة إحدى وستين وسبع مئة ، فأُعطي الأمير علاء الدين بن أيبك الطويل مكانه .

وكان بطرابلس أمير حاجب إلى أن نقل منها إلى دمشق أميراً ، فحضر إلى دمشق ، وبقي بها أميراً ، وكان وصوله إلى دمشق في العشر الأول من شعبان سنة ثلاث وستين وسبع مئة . إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة .

---

* الدرر : ٣٠/٣ ، وفيه : « أيدمر » .

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

** لم تقف على ترجمة له .

١١٣٠ - علي بن أيوب بن منصور*

الشيخ الإمام علاء الدين المقدسي الشافعي ، معيد المدرسة الباذرائية[١] بدمشق .

كان أولاً يعرف بـ « عُليّان »[٢] ويكتب ذلك بخطه في أوّل أمْرِه[٣] .

سمع من الفخر بن البخاري ومن عبد الرحمن بن الزين .

وحدّث بدمشق والقاهرة . وكان قد عُني بالحديث ، وطلب وقرأ بنفسه ، وحرّر الألفاظ وضبطها .

وكان يكتب خطّاً فائقا ، ويُبْرِزُ الصحفَ من يده تحكي روضاً بالأزاهر رائقا [صحيحة الألفاظ مضبوطه ، سليمة من اللحن مشكولة منقوطه][٤] . ولمّا أبيعت كتبه في حياته ، تغالى الناس في أثمانها ، وبالغوا في قيمتها رغبة في صحتها وحسنها وإتقانها .

وكان قد درّس بالأسديّة وبحلقة صاحب حمص[٥] . ثم إنه توجّه إلى القدس وسكنه فاختلط ، وتلفظ بالصواب تارة ، وتاراتٍ بالغلط ، وأخذ في ادّعاء المستحيلات ، والقدرة على فعل ما هو خارج عن[٦] الممكنات . وكابد مع ذلك فقراً شديدا ، وعيشاً من الهناء بعيدا .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل قَبْرَه ، وما يملك خيطاً في إبْرَة .

---

* الدرر : ٣٠/٣ ، والشذرات : ١٥٣/٦ ، وذيول العبر : ٢٦٥ .

(١) انظر : الدارس ١٥٤/١ .

(٢) بالتصغير ، نصّ على ذلك في الدرر .

(٣) في الأصل : « مرّة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) وتعرف بدار الحديث الحمصية . الدارس : ٤٥/١ .

(٦) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بالقدس[١] .

وكان بدء اختلاطه في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان يذكر الجنّ كثيراً في كلامه ، ويقول : قد وعدوني بأن يسوقوا إليّ نهراً من النيل ، ونهراً من زيت نابلس إلى داري هذه ، ويَعُدّ لذلك أماكن يكونُ فيها الماء وأماكن يكون فيها الزيت ، وأشياء من هذه المستحيلات . وكابد فقراً مُرّاً مع هذه الحالة . نسأل الله تعالى العافية من كل بلاء .

١١٣١ ـ علي شاه بن أبي بكر*

التوريزي[٢] ، الوزير الكبير .

خدم [القان][٣] بوسعيد مُلكَ التتار ، وتمكّن منه عظيما ، وجعل عِقْدَ وزارته نظيما . وهو الذي قام على الرشيد الوزير ، وأهلكه ، وساق إليه حتفه حتى أدركه .

وكان داهية ذا هبه ، غير مفكر في أمر دنياه الذاهبه . وكان محبّاً لأهل السُّنه ، قوي اليقين في ذاك والمنّه . صافى السلطان الملك الناصر ، وهاداه ، وكان إلباً على مَن خالفه وعاداه . ولم تزل رُسله ترد ، وسيل هداه إلى دمشق ومصر يجري ويطّرد ، وكلمته مقبوله وإشارته على العين محموله .

وكان في أول أمره سمسارا ، فما زال يرقى إلى أن صار النجم له جارا .

ولم يزل على حاله إلى أن حُمل على شَرْجَعِه ، وعزّ على ذويه أوان مَرْجِعِه .

(١) ومولده سنة (٦٦٦ هـ) تقريباً ، كما في الدرر .

* البداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٣٤/٣ وتذكرة النبيه : ١٤٨/٢ ، والشذرات : ٦٣/٦ ، وذيول العبر : ١٣٥ . ووقع في الأصل : « علي بن شاه » ، سهو .

(٢) كذا في الأصل و (أ) ، (خ) ، (ز) ، ووقع في مصادر ترجمته الأخرى : « التبريزي » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بأرّجان في أواخر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وهو والد الأمير ناصر الدين خليفة ، أحد أمراء دمشق ، المقدم ذكره في مكانه .

وكان قد أهدى إلى السلطان الملك الناصر ربعة[1] مليحة في قطع نصف البغدادي في ورق جيد ، وهي مكتوبة ، جميع أجزائها الثلاثين ، بليَقَة ذهب ، بقلم محقق كبير ، مزمّكة ، في غاية الحسن . رأيتها في الخانقاه بسرياقوس . وأهدى أخرى مثلها إلى الأمير سيف الدين تنكز ، أظنه جعلها في جامِعه .

١١٣٢ ـ علي بن أبي بكر بن محمد*

ابن محمود بن سلمان بن فهد ، القاضي علاء الدين بن القاضي شرف الدين ، وقد تقدم في حرف الباء ، ابن القاضي شمس الدين ، وسيأتي ذكره في حرف الميم ، ابن العلامة شهاب الدين محمود ، وسيأتي ذكره .

كان قد شَدَا طَرَفاً من الأدب ، وعُني بالإنشاء وكَتَب . ونظم ونَثَر ، وجرى إلى الغاية فما شارفها حتى عَبَر .

وكان يتودّد إلى الناس ، ويخدمهم بما يقدر عليه من غير إلباس .

ولم يزل على حاله إلى أن كبا جواده في وسط الميدان ، وخلا منه صدر الدّست وقَلْبُ الديوان .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى في نهار الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

---

(١) في الدرر : « رتعة » ، تصحيف .

* الدرر : ٣٣/٣ ، وذيول العبر : ٣٧٠ .

ومولده ـ فيما أظن ـ سنة ثلاثين وسبع مئة .

كان قد دخل إلى الديوان ، وكتب الإنشاء . ولما توفي أخوه القاضي شهاب الدين أحمد وكان يوقع في الدست[١] ، دخل هو بدل أخيه ، ووقّع في الدست بدمشق المحروسة . وحج إلى بيت [الله][٢] الحرام في سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ كثير الأسقام ، ضعيف التركيب[٣] .

وكان في وقت قد أهدى إليّ صحن حلوى مُشَبّك ، وتحته قطائف ، فكتبت إليه :

يا سيّدي إنّ الذي أهديْتَه ... عِطْفٌ الموائد مِنْ حُلاَه مائِدُ
وافى فأذكرني عهود مَكارمٍ ... والخير منك كما يقال عَوائد
صَحْن لأنواع الحلاوة جامع ... ذا راكع فيه وهذا ساجد
نُصبت بساحته شِباك مُشّبكٍ ... وقَطا القطائفِ تحتهن رواكدُ
وبأُفْقه أقراص ليمون بَدَت ... فكواكب قد رُصّعت وفراقد
والسُّكَر الْمَذْرور فيه مَجَرَّةٌ ... أو لا فمِنْ فَوقْ النّحور قلائد
إن كنتُ قد فرّغتُه أكلاً فقد ... مَلأْتُهُ منّي في عُلاكَ محامد
لا زلت تُهدي للموالي مِثْلَهُ ... في كلّ صومٍ فيه عيد عائد

١١٣٣ ـ علي بن أبي بكر*

علاء الدين بن البرقعيدي الكحّال .

ما رأيت مثله في العمل بالحديد ، قطع عندي لإحدى بناتي شرانيقَ من عينها في

(١) في (أ) : « موقع الدست » .
(٢) زيادة من (أ) ، (ز) .
(٣) هنا تنتهي ترجمته في (أ) .
* لم نقف على ترجمته .

دُفْعَة واحدة ، من أسرع ما يكون . فتقَ الجفن الأعلى ، واستخرج منه شيئاً شبيهاً بالشحم الأصفر ، ولم يعمل ما يعتمده غيرُه من تعليق الصنانير في الأجفان ، وحكّ الشرانيق بالسُّكر النبات ، لأن ذلك أمر مطوّل [مؤلم][1] .

وكانت عنده مشاركة في الطب وغيره ، وكان كحّالاً بالبيمارستان النوري بدمشق .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، وادّعاه أنه نَظَمه في مشدّ الدواوين بدمشق :

مُشِدُّنا في الشام قد شَقِيَتْ ... مِمّا تُقاسي من جَوْرِه الأُمَمُ
يذبح الناسَ[2] ما يرِقُّ لهم ... كأنما الناس عنده غَنَمُ

[وتوفي رحمه الله في حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبع مئة][3] .

١١٣٤ ـ علي بن بكتمر*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين الأبو بكري . أحد الأمراء أخيراً بمصر .

كان هو وإخوته[4] قد أخرجهم الملك الناصر محمد بعد موت أبيهم في حبس الإسكندرية إلى دمشق ، فأقاموا بها . وقد تقدَّمَ ذِكْرُ أخيه الأمير شهاب الدين أحمد .

وطلب السلطان الملك الناصر حسن الأمير علاء الدين هذا ، وأخاه الأمير سيف الدين أسنبغا[5] إلى مصر ، وأقبل عليهما .

(١) زيادة من (أ) .
(٢) في (أ) : « الخلق » .
(٣) زيادة من (أ) .
* الدرر : ٣٢/٣ .
(٤) في الأصل : « وأخوه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٥) (ت ٧٧٧ هـ) ، الدرر : ٣٨٦/١ .

ولم يزل الأمير علاء الدين بمصر أميراً إلى أن جرى للملك الناصر حسن ما جرى ، وتصافَّ هو والأمير سيف الدين يلبغا ، وتناوشوا القتال ، فحصلت للأمير علاء الدين جراحة في وجهه ، فمات منها بعد يُوَيْمَات ، على ما قيل ، ووصل الخبرُ بموته إلى دمشق في أواخر جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

ولّما كان بالشام توجّه إلى الرّحبة نائباً مرتين ، وأنا شاكٌّ في الثالثة . وكان من أبناء الستين أو ما يزيد عليها .

وكان شكِلاً تامّاً ذا رُواء ، وهمّة في الأمور واعتلاء . يكتب ويقرا ، ويودّ لو أنشأ نظماً ونثرا ، لأنه بمصر كان يجتمع بالأفاضل ، ويُرامي الأقران بالجدال ويناضل . وله ميل كثير إلى الألغاز ، ولم يكن كغيره يهواها ، وهو في العُمْي ضائع العكّاز .

ولّما كنت بالقاهرة في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، طلب منّي لغزاً ، فكتبت إليه :

أيا سيّداً حاز العُلا وَهْوَ يافع ... فراوي الندى عنه كثير ونافع[1]
ومن حاز فضل السيف في مَعْرك الردى ... فبارقُه في ظلمة النقع ساطع
ومَن إن سألنا : مَن أولو الفضل والنّهى ... أشارت إليه عند ذاك الأصابع[2]
ومَن نفّق الآداب بعد كسادها ... وجلّى دجاها من محيّاه لامع
ومن هو ذُخْرٌ للعُفاة وملجأ ... إذا صدّهم حظٌّ من الدهر صادع
أُحاجيك ما اسم ، أعوز الناس قطرهم ... فلما دعا انجابت عيون هوامع
كتابته في الطِّرس لا شك أربع ... وعدّته خمس وفي العكس سابع
وإن زال منه ثالث فقبيلة ... لها في قراع الدارعين وقائع

---

(١) يورّي باسم القارئين : ابن كثير المكي ، ونافع المدني .

(٢) يشير إلى قول جرير :

إذا قيل أيّ الناس خيرٌ خليفة ... أشارت إلى عبد العزيز الأصابع

وعُـدَّة مـا يبقى لعكسٍ ثـلاثـة ... ولكنّـه سَبْـعٌ، ففيمَ التنـازع[١]
وإن تمَّ معكـوسـا وصحّفت لفظـه ... تجده مُنَى مَن قـد غـدا وهو جـائـع
وإن كان لم يظهر لفضلـك حَلُّـهُ ... وحاشـاك يـا مَن ذِهْنُـه الحـدُّ قـاطع
فصحّفْـهُ بَعْـدَ القَلْبِ مِنْ غَيْر نَقْصِـهِ ... فـذلـك في التصحيف والقلب شـائع
أبِنْ لي مُعمّـاي الـذي قَـدْ سَتَرْتَـهُ ... فغَيْرُك فيـه مِثْـلُ أشعب طـامـع
ودُم وارْقَ في أوجِ الْمَفَـاخِرِ والعُـلاَ ... مدى الدهر مـا غنّت بـأيْـك سواجع

فحلّه في « عباس » . ولم يكتب الجواب نظماً .

وطلب الزيادة مني ، فكتبت إليه [أيضاً ملغزاً][٢] في أبيات ، منها :

تقـــدّمَ لُغْـزٌ قَبْـلَ ذا وحَلَلْتَـــهُ ... فمِن يقتنِ العَليـا بفضلـك يَقْتَـدِ[٣]
فمـــااسمٌ رُبَـــاعيّ الحروف وإنّما ... تركّب من حرفين مَنْ رَامَهـا هُـدي
رسـولٌ إلى قـومٍ كريمٌ كتـابُـه ... بـه خـاطب القرآن كلَّ مُـوَحِّـد
ويُقتـلُ عِنْـدَ الشـافعيّ ومـالـك ... وعنـد الفتى النعمان والحَبْرِ أحمـدِ
لـه في أعـالي كُـلّ غصن تـلاوةٌ ... بلَحْنٍ كأنّ الـدّوح مَعْبَـدُ مَعْبَـدِ
تكاد قـوافي ذا القريض تـذيعـه ... فقـد زُيّنت منـه بحرف مُرَدَّد[٤]
ودُمْ راقيـا في أفْـقِ كلِّ سَعَـادَةٍ ... بنى لـك منهـا الـدهرُ أَشْرَفَ مقْعَـد

[فحلّه في « هُدْهد » ، وهو صحيح][٥] .

---

(١) في (أ) ، (ز) : « بعكس » .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) في الأصل : « يقين » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٤) في (أ) : « ذي » .
(٥) زيادة من (أ) ، (ز) .

١١٣٥ - علي بن بَلْبَان

الأمير المفتي الْمُحدّث النحوي ، أبو الحسن علاء الدين الفارسي المصري الجندي الحنفي .

سمع من الحافظ شرف الدين الدمياطي (جزء ابن ديزيل)[١] ، وسمع من محمد بن علي [بن] ساعد[٢] ، وبدمشق من البهاء بن عساكر وغيره .

وكان جيّد الفهم ، لا يُردّ له عن إصابة الصواب سَهْم ، حَسَنَ الْمُذَاكره ، كثير الفوائد في المحاضره . وله تقدّم في الدولة المظفريه ، ووجاهة في الدولة الناصريه . وله شعر مُمَوّه بالبديع ، يوهم أنه مفيد ، وهو طعام من ضريع . إلا أنه مقبول غير مردود . وفيه دلالة على أنه برز من[٣] خاطر مكدود . وكان مليح الشكاله ، وافر الجلاله .

ولم يزل على حاله إلى أن بلّغ الأجلَ كتابَه ، وهِيل عليه تُرابَه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في تاسع شوال سنة تسع وثلاثين وسبع مئة في منزله بشاطئ النيل .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

وكان قد تفقّه بقاضي القضاة أبي العباس أحمد السروجي[٤] ، وبفخر الدين عثمان بن التركماني وبمحيي الدين الدمشقي وغيرهم .

---

* وفيات ابن رافع : ٨٧/١ ، والدرر : ٣٢/٣ ، والبغية : ١٥٢/٢ ، والنجوم : ٣٢١/٩ ، وتذكرة النبيه : ٣١٠/٢ .

(١) في (أ) : « جزءاً لابن ديزيل » ، وجاء في الكشف ، ٥٨٣/١ : « جزء ابن ديزل : وهو إبراهيم بن حسين الكسائي ، فيه حديث الإفك » .

(٢) هو محمد بن علي بن ساعد بن إسماعيل بن سليم بن ساعد المحروسي الخالدي (ت ٧١٤ هـ) ، الدرر : ٦٤/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (أ) ، والدرر .

(٣) في (أ) : « عن » .

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي . (ت ٧١٠ هـ) . التذكرة : ٣١/٢ .

وقرأ المنطق والأصول على الشيخ علاء الدين القونوي ، والنحو على العلامة شيخنا أبي حيان ، وصحب الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وكان قد تقدّم في أيام المظفر .

وله تصانيف ، منها : (شرح كتاب « الجامع ») تصنيف صدر الدين الخلاّطي[١] . ورتّب (صحيح ابن حِبّان)[٢] على أبواب الفقه ، وكذلك (معجم الطبراني الكبير)[٣] بإعانة الشيخ قطب الدين عبد الكريم[٤] .

وانتشا ولده جمال الدين ، فتفقّه لأبي حنيفة ، ثم تحوّل شافعياً ، فتألم والده لذلك .

وكان علاء الدين الفارسي يصلح للقضاء لسكونه وعلمه وتصوّنه .

ومن شعره :

سرت نسمةٌ طابت بطيبة للذكر ... فأرَّجتِ الأرجاءَ مِنْ عَرْفِها العطر
وجاءت بها البشرى فسرّت بما سَرَت ... وأحْيَت بما حيّت إلى مَطلع الفجر
فيا حُسنها بخديّةً زمزميّة ... أضاء لها من ثغرها زاهرُ الدُّرّ
تبسم منها كلُّ قَلْبٍ وقالَبٍ ... فتيقٍ نَسيق الشيح والرند والزهر
تجلّت فجلّت بالشفا كلّ غلّة ... وحلّت فحلّت بالصفا عُقْدَة الهجر[٥]
أباحت حِباء من حبائل شعرها ... تصيد به صِيْدَ الصناديد عَنْ قسر[٦]

(١) هو محمد بن عباد بن ملك (ت ٦٥٢ هـ) ، واسم كتابه : (تلخيص الجامع الكبير في الفروع) ، واسم الشرح الذي وضعه ابن بلبان : (تحفة الحريص) ، قال صاحب الكشف ، ٤٧٢/١ : « شرح طويل أبدع فيه وأجاد » ، وفي الأعلام للزركلي : ٢٦٨/٤ ، أنه مخطوط .

(٢) في كتاب سمّاه : (الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبّان) ، الأعلام : ٢٦٨/٤ ، وذكره صاحب الكشف : ١٠٧٥/٢ ،ولم يُسمّه .

(٣) أشار إليه صاحب الكشف : ١٧٣٧/٢ ، وكلمة « الكبير » زيادة من (أ) ، (ز) لابدَّ منها .

(٤) ابن عبد النور الحلبي ، سلفت ترجمته .

(٥) في الأصل : « فحلّت بالشفا » ، تصحيف .

(٦) في (أ) : « أتاحت » .

وغـــادرت الأسرى وأُسري بسرّهـــا تُسِرُّ بمـــــا لاقت وذاقت من الأسر
فأصبحتُ مشتاقـا إلى سـاكن الحِمى ولم أستطع من بَعْدُ شيئـا سوى الصبر

وهي طويلة . وهذا القدر منها كاف[١] ، إذ هو شعرٌ فاضل . أتى فيه بصناعةِ بديع يوهم أن ذلك شعرٌ يُسْمَع فيطرب ، وليس كذا « ما كل باسمة لبنى » .

١١٣٦ ـ علي بن بلبان*

الأمير علاء الدين بن الأمير الكبير سيف الدين البدري[٢] . تقدم ذكر والده في مكانه من حرف الباء الموحّدة .

وكان الأمير علاء الدين أحد أمراء الطبلخاناة بدمشق . كان حسن السياسه ، كثير الرياسه ، وافر الأمانه ، زائد الصيانه ، عفيفاً عن[٣] أموال الرعيّة[٤] ، سالك الطريق المرضية المرعيه . قلّ مَن رأينا سلك[٥] مسلكه القويم ، أو تولّى أمر ناحية فسقى عدلُه أهلها كاساً ، مزاجها من تسنيم[٦] . ما باشر جهة إلا وسدّ خَللها[٧] ، وأزاح عِللها ، وشفى غُللها وفصم جُلَلَها[٨] ، ونشر حُلَلَها . لا جرم أنه وجد له ذلك مدّخرا ، وجَعَل ذِكْرَه[٩] الطيّبَ في الناس سَمَرا .

---

(١) في (أ) : « أنموذج كاف » .
* الدرر : ٣٢/٣ .
(٢) ليست في (خ) .
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) .
(٤) في (خ) : « الناس والرعيّة » .
(٥) في (أ) : « مَنْ سلك » .
(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ المطففين : ٢٧/٨٣ ، والتسنيم : عين في الجنة .
(٧) الخلل : الفرجة بين الشيئين ، والجمع : خِلال .
(٨) الجُلل : الأمور العظام .
(٩) في الأصل : « ووجد ذكر » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) .

وراح إلى الله معفواً عنه مغفوراً له خَطأه ، ودخل في قوم ضُرب مثلهم بزرع أخرج شَطْأه[١] .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في مستهل جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

ولاّه الأمير علاء الدين ألطنبغا ولاية نابلس لمّا كان بدمشق ، فأجمل فيها السيرة . ثم إنه تولّى ولاية الولاة بالصّفقة القبلية ، فأجمل سياستها ، وعفّ عن أموال الرعايا إلى الغاية ، ثم ولي نيابة الرحبة فحمدت سيرته بها ، ثم عزل منها وأقام في دمشق على إمرته ، ثم أعيد إلى نيابة الرحبة ، ثم إنه عزل منها[٢] ، ثم تولّى القبلية ، فزداد في حُسن المباشرة والعفة عن أموال الرعايا حتى إنه كان لا يعلّق التّبن على خيله ، ولا يشرب الماء إلاّ بثمن من دراهمه ، ثم إنه استقال فأعفي من ذلك . ثم ورد مرسوم السلطان بإعادته إلى نيابة[٣] الرحبة ، وكان قد حصل له مرض استرخاء ، فعاقه عن ذلك ، وطولع بأمره ، فورد مرسوم السلطان بأن يعفى من ذلك ، ويتوجه إليها الأمير ناصر الدين محمد بن الزيبق[٤] . وبقي الأمير علاء الدين بعد ذلك قريباً من شهرين أو ثلاثة ، وتوفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المقدّم .

١١٣٧ - علي بن بهادر آص*

الأمير علاء الدين أمير علي بن الأمير سيف الدين بهادر آص .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شَطْأه ﴾ الفتح : ٢٩/٤٨ .

(٢) ما بين « منها » و « منها » سطر سقط من (خ) بنقله عين .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) هو محمد بن داود ، ستأتي ترجمته .

* انظر السلوك : ٦٢٠/٣/٢ .

كان أمير عشرة ، ولم يكن في دمشق مَن يلعب الكرة أحسن منه ، يقال إنه هو بهذا اللعب كان السبب في خلاص والده ، لأن تنكز كان يعظّمه ، ولكنه ضيّع ماله وتضعضع حاله .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في العُشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة أربع [وأربعين][1] وسبع مئة .

١١٣٨ ـ علي بن بَيْبَرس*

الأمير الفاضل الذكي النحرير ، علاء الدين بن الأمير الكبير ركن الدين . تقدم ذكر والده في حرف الباء مكانه .

كان هذا علاء الدين له ألمعيه ، وعنده لَوْذَعيّه ، يتوقّد ذكاء وفطنه ، ويتقلّب ما بين حالتي مِنْحة ومِحْنَه . عاشر الناس وصحب الفضلاء ، واجتمع بالأكابر الرؤساء والنبلاء . وطالع كتب الأدب ، وعلّق لنفسه واختار ودأب ، وحفظ من المنظوم والمنثور جملة وافيه ، وعِلقَ بذهنه من أخبار مَنْ تقدّم قطعةٌ[2] كافيه .

نشأ بمصر وأقام بدمشق وحلب ، وترسّل إلى سيس ، فلذلك كان إذا تحدّث[3] خلب . وجلب إلى النفوس[4] مِنْ مَحاسنه ما جَلَب . ولّما عمل الحجوبية ما كان يدع أحداً يسبقه إلى كلام ، وإذا قال شيئاً كان بريئاً من المؤاخذة والملام . فكأنما عناه أبو الطيب بقوله[5] :

---

(١) زيادة من (أ) ، (ز) ، (خ) .

* الدرر : ٣٢/٣ ، وأعلام النبلاء : ٢١/٥ .

(٢) في (أ) : « وعلّق .... قِطَعاً » .

(٣) في (أ) : « حدّث » .

(٤) في (أ) : « النفس » .

(٥) ديوانه : ١٢٨/١ .

في رُتبـةٍ حُجِبَ االورى عن نَيْلِهـا وعَـلاَ فسمّـوه عليَّ الحـــاجبـــا

ولي الحجوبية بحلب ثم نقل منهـا إلى دمشق ، وكان [و][1] هو حـاجبٌ عَيْنَهـا ، وأصلح منها ما فسد ، وسدّ مَيْنَها ، ثم عاد إلى حلب على الوظيفه ، وزاد علوّاً في مراتبها المُنيفه .

ولم يزل بها على حاله إلى أن أطبق الموت أجفانَه ، وأودعه تحت الأرض أكفانَه .

وتـوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ سنـة ست وخمسين وسبـع مئـة . وقـد عـدّى الخمسين بقليل .

وهو أكملُ الإخوة وأسعـدُهم وأفضلُهم ، سعى بنفسـه إلى أن أخـذ الإمرة من مصر ، وكان قد كتب على يده الأمير سيف الدين يلبغا كُتباً ومطالعةً إلى السلطـان ، فـاتّفق تغيُّرُ الدولة ، فأقام هناك ، وأُعطي إمرةً بدمشق ، فجاء وأرغون شاه بـدمشق نـائب ، فما مكّنه ، وتلقّاه بوجه عابس ، وجهّزه إلى حلب ، فأقام بها[2] أميراً إلى أن حضر الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إليها نائباً ، فخدمه ، فولاّه بها شدّ الـدواوين . ولم يزل إلى أن اتّفقت للكاملي تلـك الكائنـة مع الحلبيين ، وهرب من عنـدهم ، وجـاء إلى دمشـق ، وتوجّه منها إلى مصر ، وأعيد إليها نـائبـاً ، فـأحسن إلى علاء الـدين [بن][3] بيبرس ، لأنه ما غفل عن خدمة بيته وأهله ، ولا خانه ، فرعى لـه ذلـك . ولّـما قـدم الكاملي إلى دمشق ، وطُلب الأمير سيف الدين تُلَك[4] الحاجب إلى مصر ، خلت الوظيفة ، فطلبها للأمير علاء الدين ، فجاء إلى دمشق حاجباً ، ولم يكن عنـده غيره ، لأنـه عـارف خبير دَرِب ، عاشر الناس ورآهم في مصر والشام ، فما كان يتكلم في الدست غَيْرُه .

---

(١) زيادة من (ز) ، يقتضيها السياق .

(٢) في (أ) : « فيها » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٤) الأرغوني ، سلفت ترجمته .

ثم إنه توجّه إلى لُدّ ، وجاء معه إلى دمشق ، وتوجه معه إلى حلب ، فكان معه ، فلما رُسم له بالإقامة هناك ، أقام عنده حاجبا ، ولّما طُلب الكاملي[١] إلى مصر لم يُمكنه إلاّ الإقامة في حلب ، وحضر الأمير سيف الدين طاز إلى حلب نائبا ، فراج عليه ونفق عنده بعدما كان قد أعرض عنه . ولم يزل إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ .

وكان يستحضر شعراً كثيراً للأقدمين والمتأخرين وأهل العصر ، وعلى ذهنه تواريخ ووقائع من قديم[٢] الإسلام وحديثه . وكان حُلْوَ العبارة ، فصيح اللسان ، يستحضر الواقعة في وقتها ، ويتمثّل بالشعر النادر في كتبه .

وكان غريباً في أبناء جنسه . كتبت إليه بعدما توجّه من دمشق لّما أقام بحلب ارتجالاً من رأس القلم في شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة :

لقد أَوْحَشْتَ أهلَ الشامِ حتى سَلَبْتَ رُبُوعَها ثوبَ البهاء[٣]

يقبّل الأرض ويشكو[٤] حظّه من الأيام ، وما يَجده لهذه الحادثة من الآلام ، وما يُجرّعه[٥] من الغصص لفراق مولانا الذي آنس مقامه حلب ، وأوحش فراقه الشام .

وإذا تأمّلت البقاعَ وَجَدْتَها تشقى كما تَشْقَى الرجالُ وتَسْعَدُ[٦]

نعم يا مولانا ، لقد شَقِيَتْ دمشقُ ببعدك عنها ، وسَعِدَتْ حلب بقربك منها . وما يقول المملوك إلا كأن[٧] الله تعالى كان قد كمّل محاسنها بحلولك ، وأطلع الأمن فيها

(١) في الأصل : « الفخري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٢) في الأصل : « قدم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٣) في (أ) : أرض الشام » .
(٤) في (أ) : « ويشكر » .
(٥) في (أ) : « يتجرّعه » .
(٦) في (أ) : « وإن نظرت » .
(٧) في (أ) : « أنّ » .

بنزولك ، وكاثر أنهارها بما تجريه المكارم فيها من سيولك ، وفاخر أهلّة أفقها بما تؤثّره في طُرُقِها حوافرُ خُيولك ، وفاضَلَ أزاهرها النافحة بآثار جرِّ ذيولك :

فتجمّلت وتكمّلت فأصابها عَيْنُ الكمالِ
ورمى الإله صفاتها الـ ـحُسنى بحادثة الليالي
فعيُوننا مِنْ ذَا بَوَا كٍ في مَنَازلها البوالي
وكأنما عَرَصاتُها سِلْكُ وأدْمعُنا لآلي

ومولانا عزّ نَصْرُه ، فيجد أمثالنا كثيراً ، وأما نحن فوالله ما نجد مِثْلَه ، ولا مَن إذا أصابنا ظمأ أفاض علينا بالجُود وَبْلَه وبَلَّه . وقد حرّم المملوك على نفسه المرور على باب دار مولانا الكريمة ، لا أخلاها الله تعالى من[1] المَحيا الكريم ، والوجه الذي يخجل البدر إذا أنار في الليل البهيم .

يا مولانا ، الله يُمتّعنا بحياتك ، ما ينسى المملوك تلك الليلة التي مرّت ، ومماليكك بين يديك ، وكأنّ الأنس والسعدَ والفضل في قبة ضُرِبَتْ عليك ، والمسرّة والإقبال والهناء خدّام وقفوا لديك . ودموع المملوك ما يملك ردّ عنانِها ، ولا يخبا عقود دُرِّها وجمانِها ، ولا ينقطع لها خيطُ مُزْن ، ولا يُعْلم الباعث لها ما هو ، أمِن سرور أو حزن . نعم ، للنفس شعور بما يقع فيما بعد ، وإدراكٌ بما سوف يتجدد مِن النَّحس أو السعد .

ولّما عاد المملوك تلك الليلة[2] من عند مولانا ـ أعزّ الله أنصاره ـ ودخل مسكنه واستجنّ دارَه ، نظم المملوك :

تعجّبَ خِلّيَ مِنْ عَبْرَتي وقد هطلت كالحيا السّاكِبِ
فقلت : دموعي تُحاكي نَدَى عَلِي بن بَيْبَرسٍ الحاجب

(١) في (أ) : « من ذلك » .
(٢) في الأصل : « البلاد » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) .

وبالله يقسم المملوك أنّ دمشق بعد مولانا ما تُسكن ، والعمل على الخروج منها مُتعيّن إنْ أمكن . فلقد كان لها بمولانا ملكِ الأمراء جمالٌ وأيّ جمال ، ورونق لا يملكه إلاّ البدور إذا كانت في ليالي الكمال ، وعزّ دائم لو أنّ ركابه الكريم فيها يحل ويرحل ، وظل ظليل لو أنّ مغناها[١] ما أقفر منه ولا أمحل .

ما العيشُ فيها طيِّبٌ لبُعَاده عنها ولا روض الحمى بنضير

وعلى الجملة ، فدمشق لها مُدَّةُ سنين في خمول ، الله يجعل هذا آخره ، ويرينا وَجْهَ مولانا على ما يسرُّ من أوقات أنسه الفاخرة :

وكُنّا كما نهوى فيا دهرّ قُلْ لنا أفي الوسع يوما أو نكون كما كُنّا[٢]

وألطاف الله تعالى خفيّة بعباده ، وقد يُرجع [الله][٣] الغريب إلى بلاده ، بمنّه وكرمه . أنهى ذلك إن شاء الله تعالى .

١١٣٩ ـ عليّ بن تنكز*

الأمير علاء الدين أمير علي بن الأمير الكبير المهيب سيف الدين نائب الشام .

كان يحبّه والدُه محبّة عظيمة ، وأظنه [من] زَوْجِهِ[٤] بنت الأمير سيف الدين كوكاي[٥] .

أمّره السلطان الملك الناصر ، ولبس التشريف والشربوش[٦] ، ومشى الأمراء

(١) في الأصل : « معناها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في (أ) : « أو نعود » .
(٣) زيادة من (أ) .
* الدرر : ٣٥/٣ .
(٤) في الأصل : « وأظنّه زوجّة » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٥) ستأتي ترجمته .
(٦) الشربوش : قلنسوة طويلة أعجمية ، كانت شارة للأمراء لا يلبسها غيرهم .

والحُجّاب ووجوه الدولة من أرباب السيوف في خدمته من مدرسة نور الدين الشهيد إلى دار السعادة في يوم الخميس ثاني شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكان لا يزال عليلاً كثير الأوجاع والأسقام ، فتنكّد عيش والده بذلك ..

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ في عشيّة الاثنين عند المغرب ، العشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في أول الليل بتربة والده التي بجوار جامعهِ ، ظاهر دمشق .

ووجَدَ عليه وَجْداً عظيماً والده ، وجهّز إليه السلطانُ أميراً كبيراً يعزّيه ، وجهّز إليه[١] تشريفاً عظيماً ، فلبسه .

وكان قد جاء منه كتاب إلى الأمير سيف الدين بكتمر الساقي ، يوصي فيه بأخته ، زوج أمير أحمد بن بكتمر الساقي ، وكان اسمه فيه بخط يده ، لأنه كان صغيراً جداً أول ما كتب . فكتبت أنا الجواب عنه وأنا بالديار المصرية في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ونُسخته :

« أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي الأميري العلائي ، وزاد العيونَ بآثاره كلَّ بَهْجَه ، وسرّ بأبكار معانيه[٢] كلَّ نفس وأقرّ بها كل مهجه ، وشدّ ببأسه عضد والده حتى يطفئ به حرّ الوغى ورَهْجَه[٣] .

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تُطْوَى على[٤] سلام ، هو أصدق القول وأطْرَبُه لَهْجَه ، وينشر عن ثناء جعل طَرِيقَهُ إلى الأسماع على الرياض ونَهْجَه ،

---

(١) في (أ) : « معه إليه » .

(٢) في الأصل و (ز) : « معاليه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) في (أ) « ووهجه » .

(٤) في (أ) : « كل » .

وتوضح[١] لعلمه الكريم وورود[٢] مكاتبته التي هي حقيقة المحاسن ومجازُها ، وبُرودَ الفضل التي أضحت ، وخط اسمه الكريم طرازُها ، فوقف منها على الرياض رَقمها الغمام بأبرّ قطره ، ودبّج ثراها بملوّنات زهره ، لا بل نظر منها إلى الأفق يلمع في ليل مداده صباحُ طِرْسِه ، ووجد ألفاظه الدر ، لا بل تعلو على الدر ، أن تكون من نوعه وجنسه ، وسُرّ من الجناب العالي بدُرّه ، أهذا أبوه وهو في الحقيقة بحرٌ وَسْماً واسْمَا ، وتَعْجَب له من ماجد فاق البدورَ هلالاً وعلا الشموس نجما[٣] ، ورأى خط يده يطير جناحه بنجاح النجابه ، وعلم أنه لا بد وأن يغدو فارس الكتائب والكتابه .

فيا عزّ هذه الدولة الناصريّة ببأسه الماضي الشَّبَا ، ويا بُشْرَى المعالي منه بأمارة نجيب قالت له الإمارة مرحبا ، والله يجمّل ببدره هالات المواكب ، ويعلي قَدْرَه على أقدار السّعود مِن الكواكب ، فإن الظنّ في الصدقات السلطانية مارق له غير أولي درجة ، ولا تخطّى الأملُ الصادقُ منعطفه ومُنْعَرجه .

وأما الإشارات الكريمة إلى كريمته ، فهي أين كانت كريمة ، وحيث سارت وصارت سعودها مقيمة ، وما الجناب العالي وأهله إلا بمنزلة الولد بل أعزّ قدرا ، وإذا جاء أحدهم بحسنة واحدة نال بها[٤] عشرا ، فهي درّة أحرزها مُودعها وشمسٌ أشرق بالسعد واليُمن مَغْرِبها ومطلعها .

فلتقرّ عينه من جهتها المصونة ، ولتطِبْ نفسه بما تناله من العناية والمعونة ، إن شاء الله تعالى .

١١٤٠ ـ علي بن جابر بن عليّ بن موسى*

نور الدين الهاشمس اليمني .

---

(١) في (أ) : « وتوضحه » .

(٢) في الأصل : « وضوح » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٣) في الأصل : « فاق على البدر هلالاً وعلى السماء نجماً » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٤) في (أ) : « بدلها » .

* الدرر : ٣٥/٣ ، والشذرات : ٦٨/٦ ، وذيول العبر : ١٤٠ ، وتذكرة النبيه : ١٥١/٢ .

شيخ[١] الحديث بالمنصورية بالقاهرة . سمع بالين من الزكيّ البيلقاني[٢] ، وبمصر من العزّ الحراني وخلق ، وبدمشق من الفخر ، وجماعة .

كان فاضلاً محدّثاً أديبا ، رئيساً في نفسه أريبا ، أخلاقه سَهْله ، وحركاته تقتضي التراخي والْمُهْلَه ، متواضعاً في نفسه ، مقتصراً في حاله ولْبسه ، وكان للكتب جمّاعه[٣] ، ونفسه إلى التزّيد منها طمّاعه . وكان صوته جَهُورّيا ، وليس من الفصاحة عَرِيّا ، وقراءته مليحه ، وكلماته صحيحه .

ولم يزل على حاله إلى أن هَشَم الموتُ عظام الهاشمي ، وأتاه منه مالم يَسْلَم منه النوع الآدمي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثالث عشري جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بمكة سنة سبع وأربعين وست مئة وقيل : سنة ثمان وأربعين ، في يوم عاشوراء ، كما ذُكر .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي : وأصحابنا ينسبونه إلى شيء من التساهل فيما يقوله ويدّعيه .

وكان الشيخ أبو عمرو بن سيّد الناس يذكر عنه أنه ذكر شيئاً وكتب بخطه ، ثم ادّعى غيره وأصلحه[٤] .

وكانت فيه مكرمة ، وكان يوصف بحسن الجوار والمخالطة ، وتَوَرَّع في أنه هاشمي .

(١) في الأصل : « سمع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) . والتذكرة .

(٢) هو زكي بن الحسن البيلقاني ، نسبة إلى البيلقان ، مدينة بالدربند (ت٦٧٦ هـ) الشذرات : ٣٥٢/٥ .

(٣) وفي الدرر أنه خلّف ستة آلاف مجلّدة . وكذلك في التذكرة .

(٤) وكذا نقل صاحب الدرر عن أبي عمرو أنه نسبة إلى التزيد . ولاله ترجمة في الطالع السعيد للأدفوي .

وقال شيخنا الذهبي : وكان مع علمه ليس متحريّاً في النقل . قال أبو محمد النويري[١] . أخذ عنه الطلبة .

وأخبرني من لفظه شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ قال : استعرت من نور الدين المذكور مجلّداً ، فوجدت فيه في مكان الأبيات الضّادية التي للشافعي ـ رضي الله عنه ـ وفيها تخريجة إلى الحاشية تتصل ببيتين ، الأول حفظته ، وهو :

قِفْ ثُمّ نادِ بأنني لمحمد ... ووصيّهِ وابْنَيْهِ لست بباغض[٢]

ثم تأمّلت الخط ، فإذا هو خط نور الدين ، انتهى .

قلت : وقد اشتهر هذا البيت ، وأثبته الفضلاء والحفّاظ والناس من شعر الشافعي ، وهو[٣] :

يا راكباً قِفْ بالْمُحصَّب مِنْ مِنًى ... واهتِفْ بقاعدِ خيفها والناهض
سَحرا إذا فاضَ الحجيج إلى منًى ... فيضاً كَمُلْتَطمِ الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبُّ آل محمد ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقلان أني رافضي

ولكن مَن له معرفة ودُربة بقدر الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يتحقق أن الشافعي ما يقول : « باغض » ، اسم فاعل من أبغض[٤] .

---

(١) نقله صاحب الدرر ، ووقع في الأصل و (أ) : « أبو عمرو النويري » ، وهو سهو ، فالنويري هذا ، وسمّاه في الدرر الفخر النويري ، هو أبو محمد عثمان بن يوسف فخر الدين النويري ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) البيت وما يليه في الدرر .

(٣) ديوان الإمام الشافعي : ص٥٥ .

(٤) هذا التعليق نقله صاحب الدرر عن تقي الدين السبكي .

وذكر الثقات عن الربيع[١] أنه قال : حججنا مع الشافعي ، فما ارتقى نجدا ، ولا هبط واديا ، إلاّ وهو يبكي وينشد هذه الأبيات الثلاثة . فإذا زيد[٢] رابع أو خامس ، أخرج ذلك أهل النقد .

وعن الربيع قال : سمعت الشافعيّ يقول :

شَهِدْتُ بأنّ الله لا ربَّ غيره ... وأشهد أن البَعْثَ حَقٌّ وأَخْلَصُ
وأنّ عُرى الإيمان قَوْلٌ مُبيّن ... وفعلٌ زكيٌّ قد يزيد وينقصُ
وأنّ أبا بكر خليفةُ أحمد ... وكان أبو حفص على الحقّ يحرص[٣]
وأشهد ربي أن عثمانَ فاضل ... وأن عليّاً فضله مُتَخَصِّص[٤]
أئمة دين يُقتدى بفعالهم ... لحى الله مَن إيّاهم يتنقّص

وروى أبو سعد بن السمعاني[٥] في (ذيله)[٦] ، وبسنده إلى جعفر بن أحمد بن الحسن السراج[٧] أنه أنشد ردّاً على مَن زعم أن في الشافعي تشيّعاً :

لا دَرَّ دَرُّ معاشرٍ لم يحفظوا ... غيب الأئمة عاجزٍ أو ناهض[٨]
زعموا بأن الشافعيّ محمداً ... جادت ثراه بمصر مُزنة عارض[٩]
مترفّض إذ قال في بيت له ... « فليشهد الثقلان أني رافضي»

---

(١) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار ، صاحب الإمام الشافعي (ت٢٧٠ هـ) ، السير : ٥٨٧/١٢ .
(٢) في (أ) : « زيد فيها » .
(٣) في الديوان : « خليفة ربه .. على الخير .. » .
(٤) في (أ) : « يتخصص » .
(٥) في الأصل و (أ) : « أبو سعيد » ، تحريف ، وهو عبد الكريم محمد بن المنصور (ت٥٦٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٠٩/٣ .
(٦) على تاريخ بغداد ، كما في الكشف : ٢٨٨/١ .
(٧) (ت٥٠٠ هـ) ، السير : ٢٢٨/١٩ .
(٨) في الأصل : « عيب » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٩) في (أ) : « بمصر ثراه » .

مـــا قـــالـــه إلاّ بشِرْطٍ واضـح ... لأُولي النّهى والـدين ليس بغـامض
«إن كان رفضـــاً حب آل محمـــد ... فليشهـــد الثقـــلان أني رافضي»
وبـــه يقـول المسلمـون فهـل ترى ... عينٌ لآل محمـــد من بـــاغض
يـا مَن رمـاه ببـدعـة في دينـه ... لا زال جسمـك حلف حُمّى نـافض

رجع القول إلى ذكر نور الدين الهاشمي : الله أعلم بسريرته .

ومن شعره في أصحاب الطيالس :

قـــوم لهم سيرة ســـارت ببغيهمُ ... قـد ارْتَـدَوا برداء الكِبْر والحُمق[1]
خفّت رؤوسهم إذ خفّ عقلهم ... لـولا طيـالسهم طـارت من العنـق

ومنه في أصحاب العَذَبات :

قـــوم إلى الثيران أقرب نسبـــةً ... وحقيقـة قـد ألبسـوا أثـوابـا
سترت عمـــائمهم شعـــوب قرونهم ... أو مـا ترى عـذبـاتهم أذنـابـا[2]

ومنه :

يفخر زيـــدٌ بحُسن عِمّتـــه ... يخطر بـالكم إذا رأى عَـذَبـه
كمثـلِ ثَـوْر يَـدُورُ ملتهيـا ... يمرح عجبـاً إذا رأى ذَنبـه

ومنه :

هـو المجد لا زور الأماني الكـواذبِ ... وليس العُـلاَ إلا ابتـذال الرغـائب
ومـا فـاح نَشْرُ الروض إلاّ لأنـه ... بـذولٌ لمـا أولاه قطرُ السحـائب
ومـا طـاب ذكر الحَمْـد إلا لأنفسٍ ... لها في اقتنـاء الحَمْـد أسنى المكاسب
حنانيـك من عَصْرٍ خلت منـه سـادةٌ ... غيـاث لُمُسْتَجْـدٍ وغـوث لراغب

(١) في الأصل : « الكفر والحمق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في الدرر : « شعور » .

ومنه[١] :

نـال من صَـدّهـا الفـؤادُ سلـوًا رُبّ خير أتى بغير اعتماد
شيمـة في الحِسَـان بغض المحب ـبين فـلا تَرْجُـونّ صَفْـوَ الـوداد

قلت : شعر جيد ، ومقاصد حسنة ، ولكنه هو ولد بمكة ، ورَبي باليمن ، وأهل تلك البلاد المعهود عنهم[٢] اللطف ورقّة الحاشية ، ولا سيما وقد أقام بالديار المصرية ، فكيف يقول :

نـال من صـدّهـا الفـؤادُ سلـوًا رُبّ خير أتى بغير اعتماد

هذا فيه جفاء وغِلظة طباع . وأين هذا من قول الأوّل :

علّمتني بهَجْرِهـا الصبرَ عنهـا فهي مشكـورة على التقبيـح

قال علّمتني ، فنسب ذلك إليها ، وقال : الصبر ، وما قال : السّلْوَ . والنصف الثاني في غاية الحسن .

وكان الشيخ نور الدين المذكور يدّعي أنه يحفظ (الوجيز) .

١١٤١ ـ علي بن الحسن بن أحمد*

الإمام الزاهد العابد ، عَلَم الأولياء ، أبو الحسن الواسطي الشافعي .

صحب الشيخ عز الدين الفاروثي ، وسمع من أمين الدين بن عساكر وغيره . وقرأ

---

(١) البيتان في الدرر .

(٢) في (أ) : « منهم » .

* الدرر : ٣٧/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، وذيول العبر : ١٧٩ .

القرآن[١] والفقه ، وأكثر من مطالعة العلم ، ولاذ بظل الصبر والحلم ، ولازم الحجّ[٢] ستين عاماً ، وجاور في بعض ذلك مقاما .

وكان منجمعاً عن الناس ، منعزلاً عن الأدناس ، لا يَقبْل من كل أحد ، ولا له غير الصبر ملتحد . له كشف وحال ، وفضل وقال[٣] . كثير التلاوة والقيام ، والذكر والصيام ، منقطع القرين ، متواصل الآهة والأنين .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ببدر مُحْرِما ، وراح إلى الله مُكرما ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

١١٤٢ ـ علي بن الحسن*

الإمام الخطيب ابن الجابي ، بالجيم والألف والباء الموحدة ، خطيب جامع جرّاح .

كان طيّب النغم ، حَسَن الصوت إذا نَغَم ، جيِّدَ الأداء ، فصيح التلاوة يُشوّق إلى الاقتداء به والاهتداء . يوردُ خُطَبا طوالا ، يطيل فيها جواباً وسؤالا . وله عمل كثير[٤] في الكيمياء ، ويزعم أنها صحّت معه . والظاهر أنه ظفر [منها][٥] ببعض صبغ أطمعه .

ولم يزل في نَصَبه وكدّه إلى أن حصّل [في][٦] لحدِه .

---

(١) عبارة الدرر : « وقرأ القراءات » .

(٢) في الأصل و (ز) : « الصبر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، وعبارة الدرر : « حجّ ستين حجّة » ، وفي الشذرات : « حجّ واعتمر أزيد من ألف مرّة » .

(٣) أي : قول .

* الدرر : ٣٩/٣ ، وفيه : « بن الحسن بن عبد الله » . وعقد الجمان : ٢٠٢/٤ .

(٤) في الأصل : « كبير » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ز) .

(٥) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٦) زيادة من (ز) تستقيم بها العبارة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى وسبع مئة[١] .

وخطب بعده الشيخ شرف الدين الفزاري إلى أن نُقل إلى خطابة الجامع الأموي .

وكان هذا الخطيب ابن الجابي قد جمع نحو أربع مئة دينار ، وجاءت التتار ، فكابر وقعد في بيته في الجامع ، فدخلوا عليه ، فكلّمهم بالتركي ، فأخذوا ثيابه وفرشه[٢] ونحو ثلاثين قطرميزاً من زبيب[٣] ومخلل وعسل . ثم جاءته فرقة أخرى ، وقالوا له : أين المال ، فتمسكن لهم ، فرأوا هناك لازَوَرْدا ، فأرادوا أن يُوَجّروه[٤] به ، فصاح وخرج[٥] لهم عن ثلاث مئة دينار ، فأخذوا الذهب ، وعذّبوه ، ثم إنه هرب وتسلّق من الباب الصغير ، فظفر به أناس آخرون ، وطالبوه مصادرةً ، وقاسى أهوالاً ووبالاً وفقراً[٦] إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ في تاريخه .

ولمّا أُبيعت كتبه ، جاء الشيخ تقي الدين[٧] ـ رحمه الله تعالى ـ واشترى منها كتباً بألف درهم ، جميعها في الكيمياء ، ورمى بها في وقته في بركة ، وغسلها ، وقال : هذه كانت تُضِلّ الناس وتُضيع أموالهم .

١١٤٣ ـ علي بن الحسن بن علي بن أبي نصر*

علاء[٨] الدين بن عمرون .

---

(١) في سابع عشر ربيع الآخر ، كما في الدرر .

(٢) في (أ) : « وفرسه » .

(٣) في (أ) : « زيت » ، ولعلّها أقرب .

(٤) وجَرَ الدواء إذا بلعه .

(٥) في (أ) ، (ز) : « وحفر » .

(٦) في الأصل : « وفقر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٧) ابن تيميّة ، كما في الدرر .

* الدرر : ٣٩/٣ ، وعقد الجمان : ٤٤٢/٤ .

(٨) في الأصل : « ابن علاء » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

نشأ علاء الدين هذا ، وقد عدم ما كان لوالده من الدنيا الواسعة ، فاشتغل بالحساب[١] ، وولي الزكاة ثم الوكالة وغيرها .

وكان من عقلاء الناس .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ست وسبع مئة في خامس عشر شهر رجب .

وروى (سُداسيات الرازي) عن أحمد بن النحاس ، سمعها عليه[٢] بالإسكندرية عن ابن موقا .

وكان والده من أرباب الأموال الجزيلة . وأقام بالإسكندرية وتوفي بها .

١١٤٤ ـ علي بن حسن**

الأمير نور الدين بن الأمير بدر الدين حسن بن الأفضل .

كان الأمير نور الدين هذا ابن أخي الملك المؤيد صاحب حماة . جاء إلى دمشق بعد الفخري أمير طبلخاناة ، وأقام بدمشق ، واشترى دار أيدغدي شقير التي عند مئذنة فيروز من الأمير علاء الدين علي بن بيبرس الحاجب ، وهي دار عظيمة وبها بحرة متسعة ، لم يكن بداخل دمشق أكبر منها ، وعمّر بها الأمير نور الدين قبّة مليحة إلى الغاية .

وكانت له أملاك وسعادة بحماة وإقطاع جيد ، وعنده جواري جُنكيّات[٣] ودُفيّات ، فانقصف ، وأورث أهله الأسى والأسف .

---

(١) في (أ) ، (ز) : « بكتابة الحساب » .

(٢) في (أ) : عليهم » .

* الدرر : ٣٨/٣ .

(٣) هن الجواري اللائي يعزفن على الجنك ، وهو من الآلات الوترية ، والجُنكي : هو الراقص في المنتديات والأفراح .

وكان موته في عاشر صفر سنة تسع وأربعين وسبع مئة . وعمره تقدير أربع وعشرين سنة .

وكان يعرج قليلاً إلا [أنّ][1] وجهه حسن .

١١٤٥ ـ علي بن حسن*

الأمير علاء الدين بن المرواني .

كان في دمشق من خِيار الناس ، وأعقلهم ممّن يود أنْ[2] يعد أو يدخل في كَيْس الأكياس . ظريفاً مُندَّبا ، مُخرّجاً مهذَّبا ، يخدم الناس ويتقرب بإحسانه ، ويُحسن بيده وبلسانه ، إلى أن تولّى الصعيد بمصر ، فاكتسب هناك الإثم ، وأصرّ على الإصرِ وسفك الدماء نهاراً جِهارا ، وأجرى منه بجُرْأته أنهارا .

ثم إنه نُقل إلى ولاية القاهرة ، فأظهر فيها من الجبروت ما تجفّ[3] منه البحار الزاخرة ، ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى الآخرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ...[4]

أوّل ما علمت من أمره أنه جاء إلى صفد شادّ الديوان ووالي الولاة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الساقي ، جهّزه الأمير سيف الدين تنكز في سنة ثماني عشرة أو تسع عشرة . ولم يزل بصفد إلى أن طلب إلى دمشق ، وتولّى ولاية البَرّ بها في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة عوضاً عن سنجر الطرقجي ، فأحبه تنكز والصاحب شمس الدين ، وقرّباه وأدنياه وبالغا في إكرامه .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .

* الدرر : ٤٠/٣ .

(٢) في الأصل : « أو » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٣) في الأصل و (أ) : « تخف » ، وأثبتنا ما في (ز) وهي أقرب .

(٤) كذا في الأصول . وفي الدرر أنه مات قبل الأربعين .

ولم يزل مُعظماً يحبه أهل دمشق ، ويُحسن هو إليهم إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وولاّه الصعيد ، فدخل يوماً إلى ديوان الإنشاء بقلعة الجبل لإلفه بأهل دمشق ، وقعد عندنا يسيراً يتحدث ويذكر دمشق ، فجاء إليه إنسان من عند بعض الخاصكية يقول : هذا يكون في خدمتك ، يُصلّي بك ويؤذّن ويقرأ . يُشير إلى فقيه[1] معه . فقال : سلّم على الأمير ، وقل له : أنا ماأروح إلى الصعيد مُسْلماً ، فضلاً عن أني أُصَلّي . فأخذنا منه ذلك على عادة بسطه وتنديبه . فما كان إلا أن راح إلى الصعيد ، وحطّ يده والسيف . فوسّط وسّمر وشنق ، وسفك الدماء ، إلى أن نُقل إلى ولاية القاهرة في سادس عشري جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكان الحال في هذه الولاية أشق . أول ولاية بالقاهرة[2] قطع على ماقيل خمسين يدا غير الأرجل ، وزاد في ذلك ، ودخل مع القاضي شرف الدين النشو وأحبه [وأخذا][3] أرواح جماعة من الكُتّاب .

وولّى السلطان ابنه الأمير ناصر الدين محمداً مصر ، وأضاف الحسبة في الخبز إلى الأمير علاء الدين في أيام الغلاء ، لكنه ساس ذلك سياسة جيدة . وأظنه تولى القاهرة بعد سيف الدين بلبان الحسامي ، بعدما نُقل إلى نيابة دمياط .

١١٤٦ ـ علي بن الحسن بن علي*

الشيخ نور الدين أبو الحسن الأرموي الشافعي ، شيخ خانقاه القاضي كريم الدين .

سمع من الفخر بن البخاري وغيره .

(١) في (أ) : « فقير » .
(٢) في (ز) : « القاهرة » ، وهي أشبه .
(٣) زيادة من (أ) ، (ز) ، يقتضيها السّياق .
* الدرر : ٣٩/٣ .

وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده بأقصر سنة اثنتين أو ثلاث وخمسين وست مئة .

علي بن حسن بن أبي الفضل*

ابن جعفر بن محمد بن كثير الحلّي .

قدم دمشق وأقام بها سنوات ، ثم إنه في يومٍ شَقّ الصفوف في الجامع الأموي ، والناس في صلاة جنازة ، وجعل يقول : لعن الله مَن ظلم آل محمد . ومِن هذا وشِبْهه ، فنبّه الشيخ عماد الدين بن كثير عليه[1] ، وقال : أمسكوه ، فإن هذا يسبّ الصحابة ، فأمسكوه وأحضروه إلى العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى فاستفهم منه عمّا يقول ، فظهر له أنه يسب أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فأمر باعتقاله .

ثم إن الناس قاموا في أمره ، ورفعوه إلى قاضي القضاة جمال الدين المسلاّتي المالكي ، فضربه ثلاثة أيام بالسياط ، ويأمره بالتوبة ، وهو مصرٌّ ، ثم إن الناس حملوه إلى دار العدل بين يدي النائب ، فأمره بالتوبة هو والقضاة ، وهو مصرّ ، ثم إن نائب القاضي المالكي حكم بضرب عنقه ، فتوجه الناس [به] إلى [سوق][2] الخيل ، وتوجه بعض الناس يشاور عليه ، فجاء بعض الجند ، وضرب عنقه ، وأخذ رأسه ، ولعب الجند به الكرة في سوق الخيل ، ثم إن العوام أحرقوا جسده بالنار ، وطيف برأسه بعد ذلك في أسواق دمشق . وكان ذلك في يوم الخميس عشري جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

---

* البداية والنهاية : ٢٥٠/١٤ ، وفيه : « ابن حسين » ، والدرر : ٤٠/٣ ، وذيول العبر : ٢٩٥ ، وسمّاه : « حسين بن عبد الله » .

(١) انظر في تفصيل ذلك ماورد عن ابن كثير في البداية والنهاية عند ترجمته .

(٢) الزيادة من (أ) ، (ز) .

١١٤٨ ـ علي بن حسن بن صبح*

الأمير علاء الدين ، أحد الأمراء بدمشق .

صحب الأفرم وداخله ، ولما قفز [الأمراء وتركوا][1] الأفرم وحده ، ولم يبق عنده أحد من الأمراء إلاّ مَنْ هُوَ مَنْ خَواصّه ، ولا مَن هو بعيد عنه ، أخذه علاء الدين بن صبح ، وتوجّه به إلى الشقيف .

ولما دخل السلطان إلى دمشق كتب لهما أماناً ، فحضر إليه ، ثم إنه أمسكه فيما بعد ، وأقام في سجن الإسكندرية إلى أن أفْرَج السلطان عنه ، ووصل إلى دمشق يوم عيد الأضحى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ولم يزل بدمشق مقيماً على إمرته إلى أن توجه إلى البقاع ، ومرض به .

وتوفي هناك في يوم الأربعاء سابع عشري شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وعمره سبع وأربعون سنة .

١١٤٩ ـ علي بن الحسن بن محمد بن الحسين**

القاضي الرئيس الشريف ، شرف الدين الحسيني الأرموي ثم المصري ، نقيب العلويين ووكيل بيت المال بالقاهرة ، وقاضي العساكر .

حدّث عن ست الوزراء ، ودرّس بمشهد الحسين بالقاهرة ، وكان من كتّاب الإنشاء . وهو ابن عم السيد الشريف شهاب الدين الحُسين المقدّم ذكره .

وكان السيّد علاء الدين ظريف الشكل والمنظر ، دائم البشر بوجهٍ يخجل القمر إذا

---

* الدرر : ٣٨/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .

** وفيات ابن رافع : ٣٣٥/١ ، والدرر : ٣٩/٣ ، والذيل التام : ١٥٣ ، وذيول العبر : ٣١٢ ، وفيه : « بن علي بن الحسين » . والنجوم الزاهرة : ٣٢٢/١٠ ، وفيه : « علي بن الحسين بن محمد » .

تمّ وأبدر . ولـه إنشـاء جيـد ، ونثر مـا عرّج عن الحُسن ولا حـاد عنـه ، فـإنـه بـالبلاغـة متأيّد ، وبينه وبين الشيخ جمال الدين بن نباتةُ مكاتبات راقت صدُروها وسطورهـا ، ولاق بالقلوب منظومُها ومنثورها .

وكان قد حَصَلَتْ له وجاهة في أيام الملك الصالح إسماعيل من جهـة أم السلطـان ، وساد فيها ، وعبث به ابن عمه الشريف شهاب الدين بما كُتب على الحيطان .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح في أكفانه مُدْرجا ، وانقطع أملُ مَنْ أمّ له ورجا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة سبع وخمسين وسبع مئة بالقاهرة .

١١٥٠ ـ علي بن الحسين بن قاسم بن منصور بن علي*

الشيخ الإمـام العـالم الفـاضل العـلاّمـة المتبحّر الْمُفْتَنّ الأصـولي الفقيـه النحـوي ، الكامل زين الدين أبو الحسن ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ زين الدين بن العُوينة الموصلّي الشافعي .

كان حسن الشكاله ، ظـاهر الجلالـه ، نيرَّ المحيّـا ، يُشبهـه البـدرُ لو تمّ لـه ذلـك أو تَهَيّا ، أحمر الوجنه ، رؤيـة البـدر[1] معهـا هُجْنـه ، نقيّ الشيب ، بريئـاً من العيب ، طاهر الذيل عاطرَ الحبيب ، فكِه المحاضرة مأمون الغَيب ، خالياً من الشبهـة والرَّيب ، حالياً بمواهبِ الفوائد التي ما يذكر معها للغمائم سَيْب .

فقيـه إذا قلت فقيـه ، يبهر علمـه وبحثـه[2] كلَّ مَن يلتقف فضلـه[3] أو يلتقيـه ،

---

* الوافي : ٥٢/٢١ ، ووفيـات ابن رافع : ٣٢٦/١ ، والـدرر : ٤٣/٣ ، والنجوم : ٩٧/١٠ ، والـذيل التـام : ١٤ ، والبغية : ١٦١/٢ ، والشذرات : ١٧٨/٦ .

(١) في (خ) : « الورد » .

(٢) في (خ) : « علمه وفضله وبحثه » .

(٣) في (أ) : « لفظه » ، وهي أقرب .

أصولي مدّ أطناب الإطناب في شرح (المختصر) ، وقام بأعباء هذا العلم وجالد لمّا جادل وانتصر .

مفسّر غير مقصّر ، بليغٌ إذا تفوه ألهى[١] بعذوبة نطقه عن العُذَيب ووادي مُحَسِّر[٢] .

نحوي حلّ ما في (التسهيل) من التعقيد ، وأوضح غوامِضَهُ فأغمض ناظر الناظر فيه بعد ما كان يعالج التسهيد .

ورياضيٌّ أخذ جُمَل محاسنه بلا حساب ، وقرَّب بعيد هذا الفنِّ وسهّل الاكتساب .

وناظم أدار قوافيه كؤوساً[٣] على الألباب وأنسى المتيمين بأغزاله ذكرى المنازل والأحباب[٤] .

نَبَه[٥] به جماعة من الأعيان ، وتخرج به طائفة من أولي الفهم والأذهان .

ولم يزل يُفيد ، ويُبدي البدائع في البدائة[٦] ويعيد إلى أن أتى سيل المنية على ابن شيخ العونية ، واستوفى أجلَه مِنْهُ دَيْنَه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالمَوْصل ، وصلّي عليه في مارَدين غائباً في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

وسألته عن مولده ، فقال : بالموصل ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وثمانين وست مئة .

---

(١) في الأصل : « ألغى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) موضع ما بين منى وعرفة ، وقيل : بين منى والمزدلفة ، (معجم البلدان) .

(٣) في الأصل : « إذا دقوا كوسا » ، وفيها تحريف وسقط .

(٤) في الأصل : « والأحساب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في (أ) ، (خ) : « تنبه » .

(٦) في (خ) : « ويبدي البدائه في البدائع » .

اجتمعت به في دمشق بالمدرسة القليجية جوار دار الذهب في شهر شوال سنة خمسين وسبع مئة ، وقد ورد للحج إلى دمشق صحبة بنت صاحب ماردين ، فرأيت منه حَبْراً[١] كامل الفوائد ، وبحراً لا تبخل أمواجه بإلقاء الفرائد . وكتبت إليه بعد ذلك سؤالاً نظمته قديماً[٢] ، وهو :

ألا إنما القرآنُ أكبرُ مُعْجِزٍ ... لأفضل مَن يُهْدَى به الثَّقَلانِ
ومن جملة الإعجاز كونُ اختصاره ... بإيجاز ألفاظ وبَسْطِ معانِ
ولكنني في (الكهف) أبصرت آية ... بها الفكر في طول الزمان عناني
وما ذاك إلا «استطعما أهلها» فقد ... نرى «استطعماهم» مِثْلَهُ ببيان
فما الحكمة الغرّاء في وضع ظاهر ... مكانَ ضمير إن ذاك لشان

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

سألتَ لماذا «استطعما أهلها» أتى[٣] ... عن «استطعماهم» إن ذاك لشان
وفيه اختصارٌ ليس ثَمَّ ولم تقف ... على سبب الرّجْحان منذُ زمان
فهاك جواباً رافعاً لنقابه ... يصير به المعنى كرأي عِيان
إذا ما استوى الحالان في الحكم رُجّح الضمير، وأما حين يختلفان
فإن كان في التصريح إظهار حكمة ... لرفعة شان أو حقارة جان[٤]
كمثل أمير المؤمنين يقول: ذا ... وما نحن فيه، صرّحوا بأمان[٥]
وهذا على الإيجاز واللفظ جاء في ... جوابي منثوراً بحُسْنِ بيان

---

(١) في (خ) : « خيراً » ، تصحيف .

(٢) عبارة الوافي : « وكتبت إليه لمّا قدم إلى دمشق متوجّهاً إلى الحجاز سنة خمسين وسبع مئة سؤالاً كنت كتبته إلى الشيخ نجم الدين داود بن علي القحفازي » .

(٣) في الأصل : « إني » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « بأن كان ... كرفعة » .

(٥) في الوافي : « صوّحوا » .

فـلا تمتحن بـالنظم مِنْ بعـدُ عـالمـا ... فليس لكلٍّ بـــالقريض يـــدان
وقـد قيـل إن الشعر يُـزري بهم فـلا ... تكاد ترى من ســابـق برهـــان
ولا تَنْسَني عنـد الـدعـــاء فـإنني ... ســأُبـدي مـزايـاكم بكل مكان
وأستغفر الله العظيم لمـــا طغى ... بـه قلمي أو طـال فيـه لسـاني

والجواب المبسوط بالنثر ، فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الفضلاء عن الحكمة في فـ ﴿ استطعما أهلها ﴾[1] دون « فاستطعماهم » مع أنه أَخْصَر ؟

والجواب : قلت ، والله الموفق : إنه لمّا كانت الألفاظ تابعة للمعاني ، لم يتحتم الإضمار ، بل قد يكون التصريح أولى ، بل ربّما يكاد يصل إلى حدّ الوجوب ، كما سنبين إن شاء الله تعالى ، ويدل على الأوليّة قول أرباب علم البيان ما هذا ملخّصه : لمّا كان للتصريح عَمَل ليس للكناية ، كان لإعادة اللفظ من الحسن والبهجة والفخامة ما ليس لرجوع الضمير ، انتهى كلامهم .

فقد يُعدل إلى التصريح إما للتعظيم وإما للتحقير وإما للتشنيع والنداء بقبح الفعل ، وإما لغيرهم ، فمن التعظيم قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ☆ الله الصمد ﴾[2] دون « هو » . وقوله تعالى : ﴿ وبالحقّ أَنْزَلْنَاهُ وبالحقّ نَزَل ﴾[3] ولم يقل « وبه » . وقوله : ﴿ الحجُّ أشهرٌ مَعْلُوماتٌ ، فَمَنْ فَرض فيهن الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسُوق وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾[4] فقد كُرِّرَ لفظُ الحجّ مرتين دون أن يقال : « فمن فرضه فيهن ،

(١) الذي في التنزيل : ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ [الكهف : ٧٧/١٨] .
(٢) الإخلاص : ١/١١٢ ـ ٢ .
(٣) الإسراء : ١٠٥/١٧ .
(٤) البقرة : ١٩٧/٢ .

ولا جدال فيه » ، إعلاماً بعظمة قَدْرِ الحجّ ، وعبادته[١] ، من حيث إنها فريضة العمر ، وفيها شبه عظيم بحال الموت والبعث ، فناسب حالُ تعظيمه في القلوب [التصريح][٢] باسمه ثلاث مرّات .

ومنه قول الخليفة « أمير المؤمنين : يَرْسُم بكذا » دون « أنا » ، إما لتعظيم ذلك الأمر أو لتقوية داعية المأمور أو نحوهما .

وقول الشاعر :[٣]

نَفْسُ عصامٍ سوّدت عِصاما

وقول أبي تمام :

قَدْ طَلَبْنَا فلم نجد لك في السّؤ ددد والمجد والمكارم مِثْلاَ

[فإنّ إيقاع الطلب على المثل أوقعُ من إيقاعه على ضميره لو قال : طلبنا لك مِثْلاً فلم نجده][٤] .

وقول بعض أهل العصر :

إذا بَرَقت يوماً أسِرّةُ وَجْهِه على الناس قال الناس جَلَّ المنّورُ

وأما ما يكاد يصل إلى حد الوجوب ، فمثل قوله تعالى : ﴿ يا أيّها النبيُّ إنّا أحْلَلْنَا

---

(١) اضطربت عبارة المطبوع من الوافي ههنا .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٣) وبعده :

وعلّمتْهُ الكَرّ والإقداما

وعصام هو : عصام بن شهبر حاجب النعمان بن المنذر .

انظر : مجمع الأمثال : ٣٣١/٢ ، واللسان (عصم) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

لك أزواجك ﴾ إلى قوله : ﴿ وامرأةً مؤمنةً إنْ وَهَبَتْ نفسها للنبي ، إن أراد النبي أن يَسْتنكحها ﴾[١] عدل[٢] عن الإضمار إلى التصريح ، وكرر اسمه ـ ﷺ ـ تنبيهاً على أن تخصيصه ـ ﷺ ـ بهذا الحكم ـ أعني النكاحَ بالهبة ـ عن سائر الناس ، لمكان النبوة ، وكرر اسمه ـ ﷺ ـ تنبيها على عظمة شأنه وجلالة قدره ، إشارة إلى علّةِ التخصيص وهي النبوّة .

ومن التحقير : ﴿ فَبدَّلَ الَّذِين ظَلَمُوا مِنهُمْ قَولاً غَيْرَ الَّذِي قِيل لَهُمْ ﴾[٣] ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا ﴾[٤] ، دون : « عليهم » ، ﴿ وقالوا قلوبنا غُلْفٌ ، بَلْ لَعَنهم الله بكفرهم ﴾[٥] أُضمر هنا ، ثم لمّا أراد[٦] المبالغة في ذمّهم صّرح في الآية الثانية والثالثة بكفره فقيل ﴿ لَعْنَةُ الله على الكافرين ﴾[٧] ﴿وللكافرين عذاب مَهين ﴾[٨] .

وأمثاله كثير ، فإذا تقرر هذا الأصل ، فنقول : لمّا كان أهل هذه القرية موصوفين بالشحّ الغالب واللؤم اللازب بدليل قوله ـ ﷺ ـ « كانوا أهل قرية لئاماً »[٩] وقد صدر منهم بحق هذين العبدين الكريمين على الله ما صدر من المنع بعد السؤال ، كانوا حقيقين بالنداء[١٠] عليهم بسوء الصنع ، فناسب ذلك التصريح باسمهم ، لما في لفظ

---

(١) الأحزاب : ٥٠/٣٣ .
(٢) في الوافي : « إن عدل » ، ولا وجه لـ (إن) ههنا .
(٣) الأعراف : ١٦٢/٧ .
(٤) البقرة : ١٥٩/٢ .
(٥) البقرة : ٨٨/٢ .
(٦) في الوافي : « أريد » .
(٧) البقرة : ٨٩/٢ .
(٨) البقرة : ٩٠/٢ .
(٩) مسند أحمد : ١٢١/٥ .
(١٠) قوله : « بالنداء » ، ليس في الوافي .

الأهل من الدلالة على الكثرة[١] مع حرمان هذين الفقيرين من خيرهم[٢] مع استطعامهما إياهم ، ولما دلّ عليه حالهم مِن كَدَر قلوبهم وعمى بصائرهم ، حيث لم يتفرّسوا فيهما ما تفرّسه صاحب السفينة في قوله : أرى وجوه الأنبياء .

هذا ما يتعلّق بالمعنى ، وأما ما يتعلق باللفظ ، فلما في جمع الضميرين في كلمة واحدة من استثقال ، فلهذا كان قليلاً في القرآن المجيد . وأما قوله تعالى : ﴿ فَسَيكفيكَهم الله ﴾[٣] وقوله : ﴿ أَنُلْزِمُكُموها ﴾[٤] فإنه ليس من هذا القبيل ، لأنه عدول عن الانفصال إلى الاتصال الذي هو أخصر ، وعند فكّ الضمير لا يؤدي إلى التصريح باسم ظاهر ، بل يقال : « فسيكفيك إيّاهم الله » ، و « أنلزمكم إياها » ، فكان الاتصال أولى ، لأنه أخصر ، ومؤداهما واحد ، بخلاف مسألتنا .

ثم هنا سؤالات[٥] ، فالأول : ما الفرق بين الاستطعام والضيافة ؟ فإن قلت : إنهما بمعنى ، قلت : فلِمَ خصصها بالاستطعام ، والأهل بالضيافة ؟

والثاني : فلِمَ قيل ﴿ فأبوا أن ﴾ ، دون « فلم » ، مع أنه أخصر ؟

والثالث : لِمَ قيل ﴿ أتيا أهل قرية ﴾ ، دون « أتيا قرية » ، والْعُرْفُ بخلافة ؟ نقول : « أتيت الكوفة »[٦] دون « أهل الكوفة » ، كما قال تعالى : ﴿ ادخلوا مصر ﴾[٧] .

والجواب عن الأول : أن الاستطعام وظيفة السائل ، والضيافة وظيفة المسؤول

(١) في الوافي : « الكره » ، تحريف .
(٢) في الوافي : « خير لهم » .
(٣) البقرة : ١٣٧/٢ .
(٤) هود : ٢٨/١١ .
(٥) في الأصل : « سؤالان » ، تصحيف .
(٦) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « أتيت إلى الكوفة » .
(٧) يوسف : ٩٩/١٢ .

لأن العُرف يقضي بذلك ، فيدعو المقيمُ إلى منزله القادمَ ، يسأله ويحمله إلى منزله . وعن الثاني : أن في الإباء من قوة المنع ما ليس في « فلم » ، لأنها تقلب المضارع إلى الماضي وتنفيه[١] ، فلا يدلُّ على أنهم لم يضيّفوهم في الاستقبال ، بخلاف الإباء المقرون « بأنْ » ، فإنه يدل على النفي مطلقاً ، وآيته : ﴿ ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ﴾[٢] أي حالا واستقبالا .

وعن الثالث : أنه مبنيّ على أن مسمّى القرية ماذا ؟ أهو الجدران وأهلها معاً حال كونهم فيها ؟ أم هي فقط ، أم هم فقط ؟ والظاهر عندي أنه لم يطلق عليها[٣] مع قطع النظر إلى وجود أهلها وعدمهم بدليل قوله تعالى : ﴿ أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ﴾[٤] سمّاها قرية ، ولا أهل ولا جدارَ قائماً ، ولعدم تناول لفظ[٥] القرية إياهم في البيع إذا كانت القرية وأهلها مُلكاً للبائع ، وهم فيها[٦] حالة البيع ، ولو كان الأهل داخلين في مسمّاها لدخلوا في البيع ، ولثبوت المغايرة[٧] بين المضاف والمضاف إليه ، وإنما ذكر الأهل لأنهم[٨] المقصود من سابق[٩] الكلام ، دون الجدران ، لأنه بمعرض حكاية ما وقع منهم من اللؤم .

فإن قلت : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بَطِرت معيشتها ﴾[١٠] ﴿ وكم من قرية أهلكناها ، فجاءها بأسنا بياتاً أوهم قائلون ﴾ ﴿ وضرب الله مثلاً

(١) في الوافي : « وسفيه » !
(٢) التوبة : ٣٢/٩ .
(٣) في الأصل : « عليها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) البقرة : ٢٥٩/٢ .
(٥) في الأصل : « اللفظ » ، غلط ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٦) في الأصل : « ههنا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٧) في الوافي : « ولبدت المعايرة » ! .
(٨) في الوافي : « لأنه هو » .
(٩) في الوافي : « سياق » .
(١٠) القصص : ٥٨/٢٨ .

قرية كانت آمنة ﴾[١] إلى آخره ﴿ واسأل القرية ﴾ فإن المراد في هذه الآيات [وأمثالها][٢] الأهل والجدران ؟

قلت : هو من باب المجاز بالقرينة ، لأن الإهلاك[٣] إنّما يُنْسَب إليهم دونها ، بدليل ﴿ أوهم قائلون ﴾ فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف وبطرت معيشتها ، ولاستحالة السؤال من غير الأهل . على أنّا نقول : لو تُصوّر وقوعُ الهلاك على نفس القرية بالخسف والحريق والغريق[٤] ونحوه ، لم تتعيّن الحقيقة ، لما ذكرناه .

وهذه عجالة الوقت ، ونحن على جناح السفر .

هذا صورة ما كتب به إلى الشيخ [زين الدين رحمه الله تعالى ، وقد كنت كتبتُ هذا السؤال للشيخ][٥] الإمام العلامة نجم الدين علي بن داود القحفازي وأجاب عنه بجواب يأتي إن شاء الله في ترجمته .

وأجاب عنه العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ يجيء في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وقرأ الشيخ زين الدين القرآن ببغداد على الشيخ عبد الله الواسطي الضرير لعاصم[٦] من طريق أبي بكر[٧] . وشَرَحَ (الشاطبية) على الشيخ شمس الدين بن الورّاق الموصلي[٨] ، وحفظ (الحاوي الصغير) ، و (شرحه) على أقضى القضاة عز

(١) النحل : ١١٢/١٦ .
(٢) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « الأهل » ، تحريف . وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) في (خ) : « الغرق » .
(٥) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٦) ابن بهدلة أبي النجود الكوفي (ت١٢٧ هـ) ، غاية النهاية : ٣٤٦/١ .
(٧) شعبة بن عياش بن سالم ، راوي عاصم (ت١٩٣ هـ) ، غاية النهاية : ٣٢٥/١ .
(٨) محمد بن علي بن أبي القاسم (ت٧٢٧ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

الدين أبي السعادات عبد العزيز بن عَدِي البلدي[١] ، و (شرحه) أيضاً على السيد ركن الدين[٢] . وقرأ (مختصرات ابن الحاجب) ، وشرحه على السيد ركن الدين أيضاً .

وقرأ أصول الدين والمعقولات على السيد ركن الدين أيضاً ، وقرأ (ألفيّة ابن مُعْط) على الشيخ شمس الدين المعيد المعروف بابن عائشة[٣] .

وقرأ (اللمع) أيضاً لابن جنّي ببغداد على مهذّب الدين النحوي ، وعلى شمس الدين الحَجَري ـ بفتح الحاء والجيم ـ[٤] التبريزي مدّرس العربية في المستنصرية .

وقرأ الحساب على القاضي[٥] عز الدين المذكور آنفاً ، وقرأ عليه الطبّ أيضاً .

وأجاز له جماعة ، منهم الشيخ تاج الدين بن بُلدجي الحنفي ، وسمع عليه بعض (جامع الأصول) لابن الأثير ، وكان يرويه عن ابن الحامض عن المصنّف ، وسمع أكثر (شرح[٦] السّنة) على الشيخ تاج الدين [عبد الله][٧] بن المعافى ، وأجاز له الشيخ شمس الدين بن الوراق الحنبلي .

وقدم إلى دمشق سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وسمع على الشيخ جمال[٨] الدين المِزّي (صحيح البخاري) والترمذي و (مسند الشافعي) ، وأجزاء كثيرة . وعلى

---

(١) لم نقف على ترجمته .

(٢) الحسن بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) لم نقف على ترجمته .

(٤) في الدرر : « بفتح الحاء وسكون الجيم » ، وسمّاه : « محمد بن فضل الله » .

(٥) في الأصل : « الشيخ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٦) في الأصل : « الشيوخ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي . وشرح السنة للبغوي ، وهو مطبوع بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط .

(٧) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٨) في (أ) : « شمس » .

الشيخ شمس الدين السّلاوي (صحيح مُسْلم) ، وعلى الشيخ زين الدين بن تيمية[١] [سنن][٢] النسائي ، وعلى الشيخ شمس الدين الذهبي (سنن ابن ماجة) ، وسمع على الشيخ شمس الدين بن النقيب قاضي حلب بعض (سنن الدارقطني) ، وأجازه الباقي . وسمع على الشيخ علم الدين البرزالي كتاب (علوم الحديث) لابن الصّلاح[٣] .

وأجازه الشيخ شمس الدين محمد بن شكاره المؤدب الموصلّي (المقامات الحريرية) .

وروى مصنّفات الشيخ موفق الدين الكُواشي عن الشيخ شمس الدين بن عائشة عن السيد ركن الدين عن المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ

وله من المصنفات (تفسير بنج الحمد) ، وهو خمس سور من القرآن الكريم ، أول كل سورة : « الحمد » . و (شرح مختصر ابن الحاجب) في مجلد ، و (شرح البديع) لابن الساعاتي الحنفي[٤] ، و (شرح مختصر المعالَمِيْن)[٥] للسيد ركن الدين ، وكتاب (تنفيح الأفهام في جملة الكلام) اختصار (مقاصد السول في علم الأصول) للسيد ركن الدين ، ونظم (الحاوي الصغير) في دون الخمسة آلاف بيت ، ونظم (شرح المنظومة الأسعردية في الحساب) و (شرح التسهيل) لابن مالك ، ولم يكمل ، وشرح قصيدة في الفرائض للشيخ عبد الله الجزري . وله كتاب (عَرْف العبير في عُرْف التعبير) .

هذه الترجمة أملاها عليّ من لفظه ، وسألته عن معنى هذه التسمية ، أعني شيخ العوينة ، فقال : الشيخ زين الدين الأعلى كان من أهل الثروة والسعادة بالموصل ،

---

(١) في الوافي : « زين الدين عمر بن تميّة التنوخي » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣ هـ) . انظر : الكشف ١١٦٢/٢ ، والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور نور الدين العتر .

(٤) الكشف : ٢٣٥/١ .

(٥) هما : (المعالم في أصول الدين) ، و (المعالم في أصول الفقه) للإمام الرازي فخر الدين .

فآثر الانقطاع والعزلة ، فآوى إلى الجبّانة بباب الميدان ظاهر الموصل ، ولا ماء لها[١] هناك إلا من الآبار المحفورة ، طول البير خمسون ذراعاً وستون ذراعاً وأكثر وأقل فكان الشيخ زين الدين يتوجّه في كل يوم إلى الشط ، ويملأ إبريقين ، ويحملهما ، ويجيء بهما لأجل شربه ووضوئه . فمكث على ذلك مدة ، وهو يقاسي مشقّةً لبُعد المسافة ، فلما كان في ليلة ، رأى النبي - ﷺ - أو الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول له : احفر لي[٢] عندك حفيرةً ، يظهر لك الماء ، فلما انتبه استبعد ذلك ، لأن الآبار هناك بعيدة الغور ، ولبث مدة ، فرأى تلك الرؤيا ، فاستبعد ذلك ، وقال : لو حفرت بعكاز[٣] طلع لك الماء . فقصّ ذلك على بعض أصحابه ، وحفر في ذلك المكان تقدير ثلاثة أذرع أو أكثر ، فأجرى الله تعالى هناك عيناً ، وهي مشهورة هناك ، فمِنْ ثمّ قيل له شيخ العوينة ، وكان من الصلحاء [الكبار][٤] . انتهى .

ولّما بلغتني وفاة الشيخ زين[٥] الدين المذكور ، قلت أنا في رثائه :

الشيخ لّما توفى وقدّر الله حَيْنِهْ
سالت دموعي عيونا على ابن شيخ العُوَيْنَه

وأنشدني الشيخ زين الدين - رحمه الله - من لفظه لنفسه . ما كتب به إلى الشيخ شمس الدين الخَيالي[٦] :

سلام مثل أنفاس العبير على مَنْ حبُّه زادُ المسير
ونَهْجُ سبيله حِرْزُ الأماني ومصباح الهداية للبصيرِ

(١) في (خ) : « له » ، وهذه الكلمة ليست في الوافي .
(٢) ليست في الوافي .
(٣) في الوافي : « بعكازك » .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٥) في الأصل : « زكي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٦) محمد بن شرشيق بن محمد ، ستأتي ترجمته . وواضح في النص التورية بأسماء عدد من الكتب المشهورة .

عـوارفـــه لأهـل الكَشْفَ قُـوت ... وإحيـــــاء لعلَمهم الغـــزيرِ
إشـارتُـه النجّـاةُ لمن وعـاهـا ... ومَنْطِقُـــه شفـــاءٌ للصـــدور
تحيـــة مَنْ ذَريعتُـــه إليـــه ... خـلاصـــة نيّـــةٍ وصفـــا ضمير
وفي جُمـلِ الفصـول لـــه مثيرٌ ... إلى المقصـورِ في تلـــك القُصـور
ولـــو واتـــاه تيسيرٌ وفـــوزٌ ... بتكميـل المقـــاصـــد والسرور
وقـــابـل سرّه وجـــهُ التهـــاني ... ولاح طـوالـع السعـــد المنير[1]
سعى ورمى جمـار البعـد عنـــه ... وطـــاف بكعبـــة الحرم الخطير
ولم يقنـــع بتحفـــةِ بنت فكر ... ولا اعتـاض السطـور عن الحضـور[2]

وأنشدني من لفظه لنفسه يمدح سيدنا رسول الله - ﷺ - بـالحرم الشريف في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة :

دَعـاهـا تـواصـل سيرهـا بسُرَاهـا ... ولا تَرْدَعـاهـا فـالغرامُ دَعـاهـا
ولا تخشيـا منهـا كَـلالاً من السُّرى ... وحقكِّما إن الكـلالَ عَـــداهـــا
فـإنْ مـلّ حـاديهـا وحـارَ دليلُهـا ... هَـداهـا إلى تلـك القِباب سَنـاهـا
عسى ينقضي في مَسْجـد الخيف خَوْفها ... وتلقى مُنـاهـا في نـزولِ منـاهـا
وتَجرْع من مـــاء الأُجَيْرع شَرْبَـــةً ... وتنقـعُ مِن حَرّ الـذميـل صـداهـا
متى مـــا تخللتِ النخيـــلَ بيثرب ... بها[3] عَـدِمَت تثريبهـا وعَنـاهـا
ولم يبـق من أكـوارهـا في ظهـورها ... ظهـورٌ إذا مـا بطنُ مَرّ حـواهـا[4]
إليـك رسـول الله سعيُ عصـابـة ... تعدّ خطاهـا فيـك مَحْوَ خَطـاهـا[5]

---

(١) في الوافي : « وقائل » .
(٢) في الأصل و (خ) : « بيت » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٣) ليست في الوافي .
(٤) بطن قر : من نواحي مكّة . (معجم البلدان) .
(٥) في الأصل : « تجد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

أتت وقِراها مُوْقَرٌ بذنوبها فأحسِنْ كعادات الكرام قِراها
وليس لها عند الإله وسيلةٌ سواك إذا ما النار شَبَّ لظاها[١]

وأنشدني من لفظه ما كتبه لصاحب ماردين ، يودّعه ، وقد توجّه للحج سنة خمسين وسبع مئة :

ودّعتكم وتركت قلبي عندكم ورحلت بالمخلوق مِنْ صَلْصَال
فالقلب في الفِرْدَوس يشهد حُسْنكم والجسم في نار التفرّق صال[٢]

ومن شعره أيضاً يمدح صاحب ماردين :

إلهي إنَّ الصالحَ المصلح الذي بدا عزّه في آل أرتقَ يُزهر[٣]
وألبستَهُ مِنْ نور وجهك حلّةً تكاد لأبصار الخلائق تَبْهَر
إذا بَرقت يوما أسرّةُ وَجْهه على الناس قال الناس جَلّ المنوّر
وقالوا كما قالت صواحبُ يوسفٍ: أَذَا مَلَكٌ أم آدميٌّ مُصَوَّر
يؤمِّل أن يدعوك ظناً بأنني لديك وجيهٌ مستجاب موقّر[٤]
إلهي فلا تخلف بي الظنَّ عنده وإن لم أكن أهلاً فحلمُك يَسْتُر
وهذي يدي مرفوعةٌ بتضرّع فيسّر عليه كلَّ ما يتعسّر
وآمِنْهُ من خوف فقد أَمِنَ الورى بهيبته مما يُخاف ويُحذَرُ
وأحسنْ له العقبى وبلّغه بيتك الـ ـحرامَ على وجه يُحبّ ويؤثر[٥]
وحُطْ مُلْكَهُ حتى يؤوب مسلّما وقد حُطّت الأوزار وهو مطهّر
فما في اعتقادي في السلاطين مثلُه وأنت بما يُخْفِي ويُعْلَنُ أخبر

(١) في الأصل : « شبت » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٢) في (خ) : « من نار » .
(٣) في (أ) ، (خ) : « غرّة تزهر » ، وفي الوافي : « عزّة تزهر » .
(٤) في (أ) ، (خ) : « نؤمل ... ندعوك » ، وفي الوافي : « أدعوك » .
(٥) في الوافي : « تحب وتؤثر » .

فإن لم يكن فاجعلْهُ حيثُ ظننته فأنت على قلب الحقائق أقدر

١١٥١ ـ علي [بن] الحسين بن علي بن بشارة*

الفاضل علاء الدين أبو الحسن الشِّبْلي ، بالشين المعجمة والباء الموحدة واللام ، الدمشقي الحنفي .

سمع كثيراً من اليونيني ، وسمع بنفسه ، وكتب ، وأعاد ، وتأهّل للإفتاء .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة تسعين وست مئة في غالب الظن .

وولي إعادة المدرسة الشبليّة . قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمع معنا كثيراً ، ورافقته[1] في الحج ـ رحمه الله تعالى ـ .

١١٥٢ ـ علي بن الحسين بن محمد بن عدنان**

السيد الشريف علاء الدين بن الشريف زين الدين بن الشريف محيي الدين بن أبي الجن الحسيني .

كان أوّلاً خليعا ، ظريفاً خريعا ، فيه دماثة أخلاق ، وسَعةُ صَدْرٍ في حالتي يُسْرٍ وإملاق . قل أن يُرى إلاّ وهو يضحك ، ولسلامة صدره يَعْتقد وُدَّك ونُصْحَك . وكان الناس يتطفَّلون على عِشْرَته ، ويعتقدون وُدَّه لعدم شِرّته ، ولم يكن في باطنه حقد ، وخَيْرُه دون شرّه نقْد . إلا أنّه لسلامة باطنه يتظاهر بمذهب الاعتزال ، وإذا أنكرنا عليه حاله في الوقت زال . ومع ذلك فكان عامّياً خالياً من العلم ، قد مُلئ باطنه وظاهره من الحلم .

* الوافي : ٦٢/٢١ ، والدرر : ٤١/٣ ، والدارس : ٤١٢/١ .

(١) في الأصل : « ورفقته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

** الدرر : ٤٦٣ ، وذيول العبر : ٢٥٧ .

ولم يزل على حاله إلى أن طُفِئَت شعلته[١] ، وراح إلى الله تعالى ومعه نِحْلَته .

وتوفي رحمه الله تعالى في سلخ شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد ابتلي بحمّى الربع وطالت به مدّة سنتين ، ثم إنه راح إلى الربوة ، وأكل سمكاً [ولبناً][٢] ، وربما أنّه نزل في النهر ، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ .

وكان أوّلاً بيده شهادة المواريث الحُشرية ، وله فيها أخبار[٣] .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بنقابة الأشراف بدمشق في شهر رجب الفرد سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وهو :

الحمد لله الذي زان أشراف هذه الأمة بعَليَّها ، وجَعَلهُ من الذُرّية المنسوبة إلى نَبيّها ، ورفع شأنها إلى رُتَب تحفّ الملائكة بناديّها والملوك بِنَدِيِّها ، وقَمع مَن شانَها برفع لوائها في آفاق الفخار إلى غاية لا يترجّل عُلْوِي عن علوّ يها ، نحمده على نِعَمِه التي لا تزال تجود وليَّها بجود وليِّها ، ومِنَنِه التي طاب عَرْفُ ريّاها[٤] ، وطار عُرف رِيِّها ، وأياديه التي بَلَّغت النفوسَ آمالها بماليها[٥] خيراً ومَليّها ، وعوارفه التي نأت عن لحاق الشكر فيا نجد عبارة ، وفيها حقّ وفيّها .

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةً يلمع الإيمان من محيّا ألمعيِّها ، وتميس أعطافُ قائلها تحت اللواء المعقود في حُلاَها وحُلِيِّها ، وتَردِ نفس معتقديها الحوض المورود ، فتبلّ غلّتها بشهيّ كَوْثريِّها .

---

(١) في (خ) : « شِرّته » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « إشارة » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٤) في الأصل : « رباها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) مخففة من « مالئها » .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده[١] الذي ابتعثه من سادة لم يَلْوِ المجد عن لُؤيِّها ، ولا أقصى الله المحامد عن قُصَيِّها ، ورسوله الذي انتخبه من أنجابٍ كم انجاب الظلام بسنا السنان من سمهريها وحَفيّه الذي انتقاه من أمجادٍ لم تستقم طرق النجابة حتى شقّها سُنبك أعوجيِّها . صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الذين هم خير جماعةٍ ، رَكِبَتْ إلى الشرف مطامطيِّها ، وأعزّ فئة لم تُخْطِ غرضَ الصوّاب سهامُ قِسيِّها ، وأفضل زمرة تُفَرّق الأبطال إذا انحسر فوْق[٢] كَميّها ، وأشرف سادة عاد غنيّها على فقيرها ، وعاذ[٣] فقيرها بغنيّها .

صلاة ترفل الأقلام من الطروس في سُندسيِّها ، وتبسم شفاه الطروس اللُّعْس عن جوهريّ كَلِمها ولؤلؤيّها ، وشرّف ومجدّ وكرّم .

وبعد ، فإن أَوْلى النسب بأن ترعى له الأقلامُ حُدودا ، وترفعه إلى غاية تُعْقَدُ له على السّماك ألوية [تخفق عذباتُها][٤] وبُنُودا ، وتُوْدِعُ في غابٍ متى دخله دعيّ داخله[٥] الخوف مما ملئ أساود[٦] وأسودا ، وينتهي إلى مَحَلٍّ إذا سَرَحتِ العيونُ في أفيائه « لم تَلْقَ إلاّ نِعْمةً وحَسُودا » :

نَسَبٌ كأن عليه مِنْ شَمْس الضُّحَى نُوْرا ومن فَلَق الصَّباح عَمُودا

فهو بيت النبوّة الذي أذهب الله عنه الرِّجْسَ وطهَّره ، وأعلاه على كل ذي شرف باذخ ، وأظهره[٧] ، وفَرْعُه من شجرة أصْلُها ثابت من أبي القاسم ، كما حَرّره[٨] النقل

(١) في الأصل و (خ) : « عبده ورسوله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وهو الصحيح بدليل ما سيأتي .
(٢) في الأصل : « فوق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٣) في الأصل و (أ) و (خ) : « عاد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « دخله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٦) في الأصل : « أساور » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٧) في الأصل : « أو ظهره » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٨) في (أ) : « حرّرها » .

والنقد ، وحَبَّره ، وفرعها في السماء[١] ، تتشعّب غصونه من البتول وحَيْدَره ، ولم تزل نقابة الطالبيّين تُسَاهِمُهم الخلافةُ العباسيةُ في المناصب ، وتزاحمهم[٢] في كواكب المواكب بالمناكب ، وتُشركهم في كل عقد وحلّ ، وتجاذبهم سقيا رياضهم بكل وابل وطلّ ، وقد قال الشريف الرضي للطائِع ، وما استحيا : مهلاً أمير المؤمنين فإننا لم نَتَفَرَّق في درجة العَلْيا[٣] .

ولّما خلت الآن هذه الوظيفة السَّنِيّة ، والرتبة العَليّة العلويّة ، من النقيب عماد الدين موسى بن جعفر ، قدّس الله روحه تطاول كلّ عُرابةٍ لِتَلَقي رايةِ مَجْدِها بيمينه[٤] ، ونظر بعين صَلَفه ، وخطر بعِطْفِ شَرَفه ، وشمم عِرنينه ، واحتاجت[٥] العصبة الطاهرة ، والأنْجُم[٦] التي كلٌّ منها نَيِّر فكلّها بحمد الله تعالى زاهِرة إلى مَنْ يَسُدُّ مَسدّه ، ويبلغ أشدَّهُ الذي لا يبلغ الوصفُ حَدَّه أجمعوا رأيهم على مَنْ عَقَدوا عليه الخناصر ، وحكموا بأنه الأحقُّ لِما حواه من كرم الأصول ، وطِيب العناصر ، واتفقت كلمتُهم عليه بمجلس الحكم العزيز الشافعي زاده الله علّواً ، وأفاد أحكامه رفعة وسمواً ، وقال لسان حاله لّما ولي :

لا سَيْفَ إلاّ ذو الفقـــــار ولا فتى إلاّ عليّ

ولّما كان الجناب العالي الأميري العلائي أدام الله عِزي شَرَفه ، ونُفع ببركةِ سَلَفه هو الذي أسرّ القلمُ ضميره ، وحكم الفكرُ فيه بصفاء السريرة ، وأشارت الصفات إليه ،

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ إبراهيم : ٢٤/١٤ .

(٢) في الأصل : « وتزاحم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٣) أصله :

مهلاً أمير المؤمنين فإننا في دوحة العليـاء لا نتفرق

(٤) يشير إلى بيت الشماخ المشهور ، وقد سلف أن ضمّن معناه غير مرّة .

(٥) في (خ) : « احتاجت » .

(٦) في الأصل : « والنجم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وكادت سماته الصادقة تدلّ الرائد عليه . فلذلك رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ، ولا زال الشرف بأوامره المطاعة يزيد علاء ، ويفوق على مدى الأيام سَناً وسَناء أن يغوّص إليه نقابة الطالبيّين بدمشق المحروسة على عادة من تقدّمه بحكم رضى السادة الأشراف به ، لما حازَه من مفاخرة التي تَبْتَلِجُ بها الوجوه الوضاء ، ومآثره التي يترنم بها الركبان على ذات الأضاء[١] ، ومناقبه التي انساقت إليه من الحسين إلى زين العابدين إلى محمد الباقر إلى جعفر الصادق إلى موسى الكاظم إلى عليّ الرضى ، إلى محمد الجواد ، وهلمّ جرّا ، حتى انتهى صباح ذلك إليه فأسْفَر[٢] بَسَاعيه وأضَا ، ولأنه من بيت أحياه مُحْيِيه ، وزاده زَينا ، وجعل رئاسته ، أعزه الله تعالى ، في ذمّة الزمان إلى هذا الوقت دَيْنَا ، وسماه عليّاً تفاؤلاً بعُلّوه ، ولذلك جعل أوّل اسْمِه عينا ، فلْيَفْخَر بهذا النسب الذي أضحى « على هامة الجوزاء مُرْخَى الذوائب » والبيتِ الذي عَلَت شرفات شَرَفِه ، فكأنما « تحاول ثأراً عِنْدَ بَعْض الكواكب » ، والمكارم التي شرح الجُود بها التباس المذاهب ، وليجمع السادة الأشراف عليه بأحسانه ، ويُوْدع كبيرهم وصغيرهم من الحنوّ والرأفة سُرادق أجفانه ، وينشر [عليهم][٣] ملاءة عارفته وعرفانه ، ويعاملهم بالبرّ والتقوى حتّى[٤] يروا طرف الزمان الذي عمّه عَمَمٌ ، كيف مَنَّ اللهُ عليه بإنسانه ، وليحفظ عليهم أنسابهم المتصله ، ويضبط ما تفرّع من أغصانه[٥] المتهدّله ، حتى لا تشذّ شَذْرةٌ من مكانها ، ولا تتركّب حبة مع غَيْرِ جمانها ، ولينزّههم عن مناكحة غيرهم من الأجانب ، ومخالطة من لا يعادلهم في الدَّرج والمراتب ، فقبيح بالجواهر أن ينخرط الجِزْع[٦] في أسلاكها ، وغير لائق بالدراري أن لا تدور في غير أفلاكها ، ولْيَصُنْهُم عن التبذّل في اكتساب المعاش ، والتظاهر بغير ما ألفوه من زينة اللباس والرياش ،

(١) اسم واد ، كما ذكر ياقوت .
(٢) في الأصل : « فاستقر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٤) في الأصل : « كما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٥) في (أ) ، (خ) ، (ز) : « غصونه » .
(٦) هو الخرز اليماني ، فيه سواد وبياض .

ولْيَمنعهم من التحاكم إلاّ إليه ، والوقوف في التنازع إلاّ بين يَدَيه ، ولا يدعهم يتبذّلون فإنهم سادةُ مَنْ فاه أو تكلّم ، وأشرفُ من تكرّم أو تحلّم[١] ، وبقيةُ قوم إذا غضبوا غَضْبةً مُضَريّة[٢] قطر السيف دماء وتثلّم ، وإذا أعاروا ذُرَى المنابر سيّداً صلى عليهم وسلّم[٣] ، وليأمرْهُم بالاتّضاع لمن دونهم في المحافل والمجامع ، والانقياد في الخير ، فإن الناس يدخلون مَعَهم في النسب الواسع ، ولْيستوق المباشرين في تحصيل مالهم وصَرْفِه ، وإنفاقه في طبقاتهم حين جَنَاه وقطفِه ، وليحذرهم كلّ الحذر من الخوض فيما شَجَر بين الصحابة ، ومن القول إنه كان الخطأ مع هذا ، ومع ذاك الإصابة ، فإنّه لم يخرج أحد منهم عن الكتابِ والسُّنّة ، والقاتل والمقتول بين علي ومعاوية من أهل الجنة ، وكل منهم اجتهد فيما ترك وأخذ ، وأنعم النظر فيما تناول ونَبَذ ، والمجتهد يخطئ تارة ويُصيب ، وله من الأجر على كل حال نصيب ، ولكنْ كانَ الحقُّ مع علي يدور كيف دار ، ويسير مع مقاصده كيفما سار .

وأما المقالات المبتدعة ، والضلالات التي خاب مَنْ شَامَ بَرْقها وانتجعه[٤] ، فليزجرهم عن الخوض في باطلها الذي لا يُعلم ، ويكن عليهم في مثل ذلك قاسياً ، ومن كان حازماً فَلْيَقْسُ أحياناً على من يرْحَم ، فقد دوّن أهلُ الباطل مقالات ابتدعوها ، وزخارفَ (لا يُكبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلاّ حصائدُ ألسنتهم)[٥] من تلك العقائد التي زرعوها .

---

(١) في الأصل و (ز) : « تحكم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهي أنسب للسجعة .

(٢) يشير إلى قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تقطرَ الدّما

(٣) يشير إلى قوله :

إذا ما أعرنا سيّداً من قبيلة ذرا منبر صلّى علينا وسلّما

(٤) في الأصل : « أو انتجعه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) عن معاذ رضي الله عنه (قال .. قلت : يا رسول الله ! وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّم به ؟ فقال : ثكلتك أمّك ! وهل يكبّ الناس بالنّار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم) .
رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . انظر : رياض الصالحين ٢٦٩ .

أمّا أمر الخلافة فإنه ثابت الأساس ، واضح القياس ، مأمون الالتباس ، لقوله ﷺ فيما نهى وأمر : « اقتَدُوا بالَّلذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر »[١] ، وقد ماتا قبل عليّ ، فَلَوْ تَوَلَّى الخلافة قبلهما لما صحّ إخبارُ هذا الخبر ، ولا كان له من المعجزات أثر ، وقد بايع عليّ أبا بكر فيما بعد مجتهدا ، ولو كانت خلافته غَيْرَ صحيحة لما سوّغ نكاح الحنفية حتى أولدها محمّدا ، والحجج في هذا الباب كثيره ، والأدلة فيها قاطعة عند أولي البصيره . وأنت أيها السيد أعلى الله قَدْرَك أدرى بهذه الأمور ، لأنك جُهينةُ أخبارِها ، وحقيبةُ أسرارها التي توجد عند أخيارها دون أشرارها[٢] ، فبصّرهم المحّجة ، ولقّنهم الحجة ، وأقلُّ الأقسام الإمساك عمّا لا عاصروه ، ولا عالجوا جرحه المؤلم ، ولا شاهدوا فتنه التي كانت كقطع الليل المظلم[٣] .

وأما العقائد فحذّرهم من الخوض في أخطار لُجتّها ، والركوب على ظهر محَجَّتها ، كالقول بأنه الكِسَف الساقط[٤] ، أو أنه يأتي ﴿ في ظلل من الغمام ﴾[٥] والرعد الضاغط ، ولهذا يسلّمون على ما يزمجر من السّحاب ، ويخالون أنّ البرق سوطُه المتألق بالالتهاب ، أو أنه اشتبه بغيره اشتباه الغراب ، واعترفوا بهذا الباطل ودانوا ، وغلّطوا جبريل في الوحي ، فمالوا عن الهدى ومانُوا أو أنّه الضوء[٦] من الضوء ، يعنون أنه لا فرق إلاّ أن أحدهما أسبق ، فافترى القائل بهذا وحاد عن الحق[٧] ولم يلحق ، أو أن العصمة للأئمة والمعَصية جائزة على الأنبياء ، فإن القائل بهذا من أكبر الضُّلال والأشقياء ، أو أن الإمام الظاهر حجتُه مَستورة ، والمَستور حجته ظاهره ، فإن ذلك

(١) انظر : الجامع الصغير ٥١/١ .
(٢) في الأصل : « أخبارها .. أسرارها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٣) يشير إلى حديث النبي عليه السلام في الفتن ، وهو حديث مشهور .
(٤) في التنزيل : ﴿ وإن يروا كِسَفاً من السماء ساقطاً ﴾ الطور : ٥٢/٤٤ .
(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ البقرة ٢١٠/٢ .
(٦) في (أ) ، (خ) : « كالضوء » .
(٧) في الأصل : « بهذا عن الحقّ » ، وما أثبتناه يوافق ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

جهل وضعفٌ في الأذهان الفاتره ، أو أنّ الدّين معرفة الإمام ، فإن هذا وأمثاله تحكم منهم والسلام ، إلى غير ذلك من المقالات التي خبطوا خبط العشواء فيها ، واستعملوا في القول بها من كان غُمراً أو سفيها ، فما الدينُ القيّم إلاّ ما كان النبي ﷺ عليه ، وأشار الخلفاء الراشدون إليه ، ولزم السلف الصالح مِنْهاجَهُ ، وقوّى الكتابُ والسنةُ والإجماعُ احتجاجَه ، فاجهد على أن يركبوا الصراط المستقيم من ذلك ، واحرص على أن يسلكوا إلى [الحق][1] أوضح المسالك ، وتقوى الله تعالى ملاك الوصايا ، وأنت إن شاء الله تعالى لا تزال خَيْرَ خدْنها ، وساكنَ عَدْنها ، وساحب رِدْنها ، وصاحب مُدْنِها ، فاجعلها نصْبَ عَيْنك ، وهذا فراقٌ بين الوصايا وبينك ، والله تعالى يعين ولا يتك ، ويوضح لأهل الحَقّ بالسنّة عنايتك ، والخطُّ الكريمُ أعلاه حجة في العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١١٥٣ ـ علي بن داود*

ابن يحيى بن كامل بن يحيى بن جُبَارة بن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن موسى بن جبارة بن محمد بن زكري[2] بن كُليب بن جميل بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير بن العوام ، الشيخ الإمام العلامة الفريد الكامل الفقيه الأصولي النحوي الأديب نجم الدين أبو الحسن ابن القاضي عماد الدين القُرَشي الأسدي الزبيري القَحْفَازي ، بالقاف والحاء المهملة ، وفاء بعدها ألف وراء .

قرأ القرآن الكريم على الشيخ علاء الدين بن المطّرز ، وكان قد أخذ القراءات

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

* الوافي : ٨٣/٢١ ، والبداية والنهاية : ٢١٤/١٤ ، وتاريخ أبي الفداء : ١٤٢/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢١٣/١ ، وفوات الوفيات : ٢٣/٣ ، والدرر : ٤٧/٣ ، والبغية : ١٦٦/٢ ، والشذرات : ١٤٣/٦ . والدارس : ٣٩٩/١ و ٣٢٨/٢ ، وتذكرة النبيه : ٧٤/٣ .

(٢) في الوافي والدرر : « زكرياء » .

السبع عن عماد الدين بن أبي زَهْران الموصلي[١] ، قرأ عليه رواية أبي عمرو من طريقي الدُّوري والسّوسي إفراداً وجمعاً .

وأخذ الفقه عن قاضي القضاة صدر الدين علي[٢] مع الفرائض قبل أن يباشر الحكم ، وأصولَ الفقه على قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة لعنايته (بمختصر ابن الحاجب) ، وعن الشيخ جلال الدين الخَبّازي[٣] الحنفي .

وقرأ في أصول الدين عقيدة الطَّحَاوي حفظاً ، واعتنى بحلها وبمطالعة كتب الأصول لأصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، وغيرهم ، وعلم العربية من الشيخ شرف الدين الفزاري ، ثم عن الشيخ مجد الدين التونسي . وعلم البلاغة عن الشيخ بدر الدين بن النحوية[٤] الحموي حين جاء إلى دمشق سنة تسع وتسعين وست مئة مع الجُفّال ، ونزل بالبادرائية ، قرأ عليه كتابه (ضوء المصباح) ، وشَرحه (إسفار الصباح) .

والمنطق والجدل عن الشيخ سراج الدين الرومي مدرّس الفُرُخْشَاهية والسفينيّة[٥] بالجامع الأموي .

وعلم المواقيت عن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة في (مقدمته) التي صنفها

---

(١) في الأصل : « عماد الدين ونمر بن الموصلي » ، وفي (أ) : « عماد الدين بن الموصلي » ، وفي (خ) : « عماد الدين ومن ابن الموصلي » ، وفي الوافي : « عماد الدين بن وهران الموصلي » ، وكلّه تحريف واضطراب ، والصواب ما أثبتناه .

وهو علي بن يعقوب بن أبي زهران الموصلي المقرئ (ت ٦٨٢ هـ) .

وغاية النهاية : ٥٨٤/١ ، والشذرات : ٣٧٩/٥ .

(٢) هو علي بن الصيفي ، أبو قاسم البصروي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) هو عمر بن محمد بن عمرو الخجندي (ت ٦٩١ هـ) ، الشذرات : ٤١٩/٥ .

(٤) محمد بن يعقوب ، ستأتي ترجمته . وفي الوافي : « ابن النحوي » .

(٥) في الأصل : « السيفية » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي . وفي الدارس ، ٤٠٦/١ : أنها مدرسة للأصناف ، بجامع دمشق ، لم يعرف لها واقف .

[ثمّ عن الشيخ بدر الدين بن دانيال بمدينة الكرك حين جَفَل الأعيان إليها سنة سبع مئة في مقدمته التي صنّفها][١] في علم الإسطرلاب وهي مطوّلة مفيدة .

وعلم العروض فَمنَ الكتب الموضوعة في ذلك .

وحلَّ المترجم ، وَجَد[٢] في الكتب الموضوعة وقد تُكلم [فيه][٣] كلاماً غير شاف ، فأخذه بالقوة حَتّى[٤] كُتب له فيه :

إنّ زَرْزُوراً وَوَزَّه زَوَّدا داودَ زَادا

فحلّه .

وسمع الحديث من الشيخ برهان الدين بن الدرجي[٥] فيما حول سنة ثمانين وست مئة . سمع عليه أجزاء كثيرة ، وسمع (موطأ) مالك من قاضي القضاة جمال الدين المالكي ، ومن الشيخ نجم الدين الشقراوي[٦] الحنبلي ، وسمع (مختصر الرعاية)[٧] للمحاسبي على قاضي القضاة شرف الدين البارزي لمّا قدم إلى دمشق حاجّاً ، ومن غيرهم .

وكان الشيخ نجم الدين مجموعاً للفضائل ، ممنوعاً من الرذائل ، مطبوعاً على التنديب والتندير الذي يَدُلُّ على لُطْفِ الشَّمائل ، كثير الحكايات المختصرة في دروسه ، والنوادر المضحكات في غصون فوائده وغروسه ، لا يُخلّ بذلك ، ولا يوجد في وقت إلاّ وَهُو عليه متهالك ، يُضْحِكُ الثّكالى ، وينشط[٨] الكسالى ، مع الأصولِ التي أحكم

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) ، والوافي .

(٢) في (خ) : « وجده » .

(٣) زيادة من الوافي .

(٤) في الأصل : « حيث » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) والوافي .

(٥) إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٣٧٣/٥ .

(٦) موسى بن إبراهيم بن يحيى ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٧) (الرعاية في التصوف) للشيخ حارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) ، الكشف : ٩٠٨/١ .

(٨) في الأصل : « ويبسط » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

قواعدها ، وكثر[١] بروقها ورواعدها ، والفقه الذي تهدّلت فروعه ، وتملأت منه أفاويقه وضروعه ، والنحو الذي برّز على أقرانِه في إقرائهِ ، وظهر مذهَبه الصحيح من إفرائه[٢] ، قرأ عليه فيه من الأعيان جماعه ، واشتهر ذلك [عنه][٣] في عصره ، فما ينكر أحدٌ سماعه ، لو عاصره صاحب (المُفصّل) كان عليه مفضّلا ، أو صاحبُ (التكملة) كان ناقصاً ، وهذا مُكَملا[٤] .

وكتب المنسوب القويّ ، وحرّر أُصْلَه السَّوي ، وكان خطّه آنق من حواشي الأصداغ ، وأظرف مِنَ الحُلل التي رُقمت في أوان الصحة والفراغ . وله النظم الذي هو وسط ، لا هو الذي ارتفع ، ولا هو الذي سقط .

كان من محاسن دمشق التي يفخر بها الزمان ، وغرائبها التي قَلّدت جيد الدهر قلائد الجمان ، وقلّ أن اتّفق مجموعُه في عصره لغيره من أهل مذهبه ، أو قارب[٥] مداه من يُجاري إلى غاية مَطْلبه . وخطب بالجامع التنكزي فبَلّ بالدموع الأردان ، وعلا المنبر فما ذُكِرَ معه سَجْع [الحمائم على][٦] البان .

ولم يزل على حاله إلى أن أصاب الموت قحف القحفازي ، واختطف روحَهُ من المنية بازي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ونَقَلْتُ مَوْلده من خطه ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وست مئة .

---

(١) في (خ) : « وأكثر » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « أقرانه » ، تصحيف وتحريف وفرى الشيء وأفراه : شقه ، أراد من تكلمه فيه وتفتيق معانيه ، وبذلك لُقّب الفراء المعروف .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « مفضلاً » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « قارن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) .

حكى لي نور الدين عليّ بن إسماعيل الصفدي ، وقد تقدم ذكره ، قال : أنشد الشيخ نجم الدين يوماً لغزاً للجماعة وهم بين يديه في الحلقة يشتغلون عليه :[١]

يـــا أيهـــا الحَبْرُ الـــذي عِلْمُ العَرُوض بـــه امتزَجْ
أبنْ لنـــــــا دائرةً فيهـــا بَسيـــط وهَـزَج

فقال واحد منهم : هذه الساقية ، فقال له الشيخ : دِوِّرْتَ فيها زَماناً حتى ظهرتْ لك ، يريدُ أنَّه ثَوْرٌ يدورُ في الساقية .

وجئت أنا إليه في سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وسألته في أن أقرأ عليه (المقامات الحريرية) ، فقال : أنا والله قليلُ الأدب .

وسمعته يوماً يقول لمنصور الكُتُبي رحمه الله : يا منصور[٢] ! هذا أوانُ الحُجَّاج ، اشترِ لك منهم مئتي جراب ، وارمها خلف ظهرك إلى وقت مَوْسِمها تكسب فيها جملة ، فقال له : والله الذي يشتغل عليك في العلم يحفظ منك حَرافاً[٣] قدره عشر مرات .

وقيل لي : إنه لمّا عَمَّر الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى الجامع الذي له بظاهر دمشق كان قد عيّنوا له شخصاً من الحنفية يُلقب « الكشك » ليكون خطيباً ، فلما كان يوماً[٤] وهو يمشي في الجامع المذكور ، أُجري[٥] له ذِكر الشيخ نجم الدين ومجموع فضله[٦] وأنه في الحنفية مثل الشيخ كمال الدين الزملكاني في الشافعية ، فأحضره ، واجتمع به ، وتحدّثا ، ثم قال له وهم في الجامع يمشون : أيش تقول في هذا الجامع ؟. فقال : مليح ، وصحَنٌ مليح ، لكن ما يليق أن يكون فيه كشك ، فأعجب

(١) البيتان في الفوات .
(٢) في (أ) ، (خ) والوافي والفوات : « يا شيخ منصور » .
(٣) لفظة استخدمها أهل العصر للدلالة على ما هو خلاف المستقيم من الأمور .
(٤) في الوافي : « يوم » .
(٥) في الأصل : « وأجري » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٦) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « فضائله » .

ذلك الأمير سيف الدين تنكز ، وأمَر له بخطابة الجامع ، وسمعت خطبته فيه أول يوم خطب به ، وذلك في يوم الجمعة عاشر شعبان سنة ثماني عشرة وسبع مئة[١] ، ثم إنه رُسم له بعد مدّة بتدريس الركنية ، فوليها سابع عشري المحرّم سنة تسع عشرة وسبع مئة ، فباشرها مدّة[٢] ، ثم نزل عنها ، وقال : لها شرطٌ لا أقوم به ، ومعلومها في الشهر جملة كثيرة[٣] ، تركه تورعاً .

وكان إذا قال هذه التناديب يقولها سريعة رَشِقة[٤] من غير فكر ولا رويّة ، ويقولها وهو يضحك وينبسط .

وكان يعرف الإسطرلاب ، ويَحُل التقويم ، ويشتغل في (مختصر) ابن الحاجب و (الحاجبية) و (الألفية) لابن مالك ، و (المقرب) لابن عصفور ، وفي (ضوء المصباح) وغيره في المعاني والبيان .

وكان قد تولّى تدريس الركنية بجبل قاسيون عوضاً عن الشيخ محيي الدين أحمد بن عقبة الحنفي لمّا مات في المحرّم سنة تسع عشرة[٥] وسبع مئة . وتولّى الظاهرية عوضاً عن شمس الدين بن العزّ[٦] في أول صفر سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكنت قد كتبت إليه لما وَضَعْت (تاريخي الكبير) أطلب منه ما أستعين به على ترجمته على العادة في مثل ذلك ، ومنه :

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١٤/٨٨ .

(٢) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « مُدَيْدة » .

(٣) في (أ) : « كبيرة » .

(٤) في (أ) : « صَنِعة » ، وفي (خ) : « رشيقة » .

(٥) هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عقبة ، وذكر صاحب الدرر أنه توفي سنة (٧١٨ هـ) الدرر : ١/٨١ . وفي (أ) ، (خ) : سبع عشرة .

(٦) محمد بن محمد بن صالح ، ستأتي ترجمته في موضعها . وانظر : الدراس ١/٤٢١ .

يـا مُفيـدَ الـورَى معـاني المعـالي وإمـــام الأنـــام في كلّ عِلْمِ
إن لي معجماً كأفْـــق فسيـــح اشتهى أن يُـــزان منـــك بنجم

فتأخّر جوابه عني ، فكتبت إليه أيضاً :

ظفرتُ بـوَعْـدٍ مِنْـكَ بلّغني المنى وجـودُك نجم الـدين ليس يحـولُ
وقـد طـال ليلي لانتظـار ورودِه ولَيْلُ الذي يرعى النجومَ طويل [١]

وكتبت معه السؤال الذي تقدّم ذِكْرُه[٢] في ترجمة الشيخ زين الدين بن شيخ العوينة آنفاً وأوّله :

ألا إنمـــا القرآن أكبرُ معجـــزٍ لأفضـلٍ من يُهدى بـه الثَّقلان

فكتب هو إليّ بخطّه[٣] :

يـــا ســـائلي عن نسبي ومَـــوْلـــدي وأدَبي
ومـــا قرأتُ في العلـــو م مِنْ شريف الكتب
ومن أخـــذت ذاك عنـــه من شيـــوخ مَـــذْهبي
وغيرهم مِمّن حـــوى سِرَّ كـــلامِ العَرَب
ومـــا الـــذي سَمِعْتُـــه عن النبيّ العربي[٤]
صلّى عليـه الله مـا احلـو لـــك جنـــح غَيْهب
وذكرِ شيء صُغْتُـــه من شعري المنتخب[٥]

(١) المعنى تداوله غير واحد من الشعراء . قال النابغة :
تطـــاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الـذي يرعى النجـوم بـآيب
(٢) في الأصل : « في ذكره » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) عبارة الوافي : « مجيباً عن الأول والثاني » .
(٤) زيادة من الوافي .
(٥) في الوافي : « وذكرت شيئاً » .

وما الذي صنّفْتُه مِنْ كُتُب وخطب
لولا وجوبُ حُرْمة القصد ورَعْي الرتب
ما قلت ذاك خشية من حاسد مؤنّب
يقول إنّي قلته مفتخراً بحسبي
لكنما البخلُ بما سئلت لا يحسن بي
والمقتضَى منّي له لا يأتلي في الطلب
وهو خليل في الرخا وعُدّة في الكُرب
وهَمُّهُ في جمع شمـ ـل الفضل لا في النشب[1]
وما صلاح الدين إلا في اقتناء القُرَب
هو الذي أوجب لي يا صاح كشفَ الحُجُب
عن محتدي ومولدي وفضلَي الْمُحتجب
فقلت غير آمن من عائب مُنَدِّب
مختصراً مقتصداً معتذراً من رَهَبي[2]
ما ستراه واضحاً مرتسماً عِن كَثَب
ما زلت للفضل حمًى ولبنيه كالأب[3]
تجمع شمل ذكرهم مخلّداً في الكتبِ

وذكر نثراً ما ذكرته في صدر ترجمته هذه ، ثم إنه قال : وأمّا الرواية فإني لم أسمح لأحد بأن يروي عني مَسْمُوعاتي لصعوبة ما شرطَهُ أصحابنا في الضبط بالحفظ من حين سمع إلى حين روى ، وأن الكتب التي سمعتها لم تكن محفوظة عندي ، فضلاً عن حفظ ما سمعته . وأما ما صنفته من الكتب فإني رغبت عن ذلك لمؤاخذتي للمصنفين ،

(١) في الأصول : « النسب » ، ولا وجه لها ، وما أثبتناه يتفق مع بعض أصول الوافي .
(٢) في الوافي : « مقتصراً » .
(٣) في (أ) ، (خ) والوافي : « لازلت » .

فكرهت أن أجعل نفسي غَرضاً لمن يأخذ عليّ ، غير أني جمعت منسكاً للحج أفردت فيه أنواع الجنايات ، ومع كل نوع ما يجب من الجزاء على من وقع فيه ؛ ليكون أسهل في الكشف ومعرفته ، وكان ذلك بسؤال امرأة صالحة لا أعلم في زماننا أعْبَدَ منها ، وانتفع بحُسْنِ القصد فيه وبركتها خلق كثير . وأمّا ما سمحت به] القريحة الجامدة][1] والفكرة الخامِده ، فمن ذلك ما كَتَبتْ[2] به إلى عماد الدين بن مزهر ، وقد كان يجتمع معنا في ليالي الشتاء عند بعض الأصحاب ، فلما مات عمّه تزوج جاريته ، وانقطع عنا ، فقلت :

إن يكن خَصَّك الزمان بخَوْدٍ ذات قدٍّ لَدْنٍ وخدٍّ أسيل
فلقد فزتَ بالسعادة والرحب وفارقْتَنا بوجه جميل

قلت : هو مأخوذ من قول ابن الخيمي[3] :

لو رأى وجه حبيبي عاذلي لتفارقنا على وجهٍ جميل[4]

وقال : وقلت متذكراً لزيارةِ الكعبة وزيارة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام :

يا ربّة الستر هل لي نحو مغناك مَنْ عَوْدَةٍ أجتلي فيها مُحَيّاك[5]
أم هل سبيلٌ إلى لقياك ثانية لمغرم ما مُناهُ غير لقياك[6]

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « كتب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٣) محمد بن عبد المنعم بن محمد اليمني (ت٦٨٥ هـ) ، فوات الوفيات : ٤١٣/٣ .

(٤) من أبيات أوردها صاحب الفوات في ترجمة ابن الخيمي : ٤٢١/٣ . ووقع في الأصل و (أ) و (خ) : « لتفاصلنا » ، والظن أنها تحريف ، وأثبتنا ما في الفوات ، وهي مأخذ صاحب الترجمة .

(٥) كأنه يعارض الشريف الرضي في قصيدته المشهورة :

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

(٦) في الأصل : « رؤياك » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

لـه نـوازعُ شـوقٍ بـات يُضْرِمُهـا بين الجـوانـحِ والأحشـاء ذكراك
لم ينسَ طيب ليـاليـك التي سلفتْ وكيف ينسـاك صبٌّ بـاتَ يهواك
يـا ربّـة الخـال كم قـد طِـل فيـك دم فمـا أجَـلَّ بعُرض البيـد قتـلاك[١]
أَسَرْتِ بـالحسن ألبـاب الأنـام فمـا أعـــزَّ في ذلّ ذاك الأسْر أسراك[٢]
ماذا عساها تُرى تنـأى الـديـار بنـا لو كنتِ في مسقط الشِّعْرى لَجيْنـاكِ
ولـو تحجبتِ بـالسُّمْر الـذوابـل عن زُوّار رَبْعـك يـا سَمْرَا لـزرنـاك
ذلت لعـزّك أعنـاقُ الملـوك فمـا أعلاك يـا منتهى سُـؤْلي وأغْـلاَك
تهتكتْ فيـك أستـارُ الهـوى وَلَهـاً لّمـا بَـدَا مِنْ خـلال السّتر معْنـاك
يـا هل ترى يسمحُ الـدهر المشتُّ بما أرجـوه مِنْ قُرْب مَغْنـاك لُمْضْنَـاك
وأجتلي مِن محيّـاك الجميـل ضحًى مابات يحكيه لي مِنْ حُسْنِك الحاكي
من بعد حطِّ رحـالي في حمَى أرجِ الأرجـاء بـالمصطفى الهـادي الرضى الزاكي[٣]
خير الخـلائـق طُرًّاً عنـد خـالقـه وخـاتم الرُسْـل مـا حي كلِّ إشراك
سبّـاق غـايـاتِ أقصى الفضـل والشرف الأ عـلى وراقي العُلى مِنْ غير إدراك
مُهـدي المعـارف مُبـدي كلّ غـامضـة مُسْـدِي العـوارف مُردي كلّ فتّـاك
محمّـدٍ ذي المقـال الصّـادق الحسنِ المصـــدوق في القـول مُقصي كلّ أفـاك
يـا نَفسُ إن بلّغتْـك العيسُ حُجْرَتـه وصـافحت يمنُ ذاك الربـع يُمْنَـاك
ونلت مـأمـؤلـك الأقصى بلثم ثرى أعتـابـه وبلغتِ القصـد مَن ذاك
وقمتِ بين يـديـه للسـلام على أقدامِ ذُلّك تُـذْري الـدمع عينـاك
وقـد مـددتِ يـد الإمـلاق طـالبـةً سؤالـه لـك عفـواً عنْـد مـولاك
فقـد بلغتِ المنى والسـولَ فـاجتهـدي هناك واستنجدي لي طرفـك البـاكي

(١) في الأصل : « طال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي . وفي (خ) : « فما أحلّ » ، ولعلّها أشبه .
(٢) في الأصول : « أرباب » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) اضطرب البيت في مطبوعة الوافي .

عســاك أن ترزقي عطفــاً عليــك فــإن رُزِقْت ذاك فيــا والله بُشْرَاك[١]
ولُيهنك السعدُ إذْ حطّت رحالك في ربع به لم تزل تُحْدى مطايــاك
فثمّ أنــدى الــورى كَفّــاً وأعظمُهُم جــاهــاً وأرْحَبُهم صَــدْراً لملقــاك
وخيرهم لنزيــلٍ في حمــــاه وأو فــاهم ذِمــامــاً وأمــلاهُمْ بجَــدْوَاك
واحَرَّ قلبــاهُ من شــوقي لرؤيتــه فقــد تقــادَم عَهْــدُ الشيِّق الشــاكي
بــالله يــا نَفْسُ كــوني لي مســاعِــدَةً حاشاك أن تَخْذُليني اليوم حــاشــاك
وجَدِّدي العزْمَ في ذا العام واجتهدي عَسَى بــذلــك تخبو نــار أحشــاك
فــإن حُرِمتِ لقــاهُ تلــك معــذرةٌ وإن ظفرتِ به يــا حسن مسعــاك[٢]
صلى عليــه إلــهُ العرش مــا قطعت كــواكبُ الأفــق ليــلاً بُرْجَ أفــلاك

قــال : وقلت عنــد قــدوم الحــج في بعض السنين أبيــاتــاً أُنشــدت بــدار الحــديث الأشرفية :

يــا نيــاق الحجيــج لا ذُقْتِ سُهــداً بعــــدهــــا لا ولا تجشمتِ وَخْــــدا
لا فــديــنــا ســواك بــالروح منّــا أنتِ أَوْلى مَنْ بات بــالروح يُفْــدَى[٣]
يــا بنــات الــذميــل كيف تركتنّ شعــاب الغضــا وسلْعــاً ونجــدا
مرحبــاً مرحبــــاً وأهــلاً وسهــلاً بــوجــوهٍ زارت معــالم سُعــدى[٤]

قال : ولم يحضرني باقيها .

ولما ظفر قازان في سنة تسع وتسعين ، ثم جاء في سنــة اثنتين وسبع مئــة ، فكسر ، وقيل لي : إن قازان عندهم اسم للقِدْر ، قلت :

---

(١) في الأصل : « أن تذرفي : ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٢) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « يا نُجْحَ مسعاك » .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٤) في الوافي : « رأت » .

لّمـا غـدا قـازان فخّـاراً بمـا قـد نـال بـالأمس وأغْرَاهُ البَطَرْ
جـاء يُرَجّي مثلهـا ثـانيـة فـانْقَلَب الـدّسْتُ عليـه فـانكسر

قلت أنا : هـذان البيتـان في غـايـة الحسن في بـادئ[١] الرأي ، ولكن إذا حكّمها النظر ونقدهما تَبَهْرَجا وتَزّيفا وذلك لأن القدْرَ في اللغة التركية « قزن » ، هكذا بلا ألف ، وأولها قاف ، وقازان إنما هو : غازان ، بالغين المعجمة ، وإنما قال ذلك المتهكم[٢] به ، كما قالوا في بولاي : « بوليه ، وفي خُدَاي بَنْدَا : خَرَبَنْدَا ، وفي قوله : « فانقلب الدست عليه ، فانكسر » فيه أيضاً ، نظر ، لأن المعنى الذي ورّى به لا يصح له وبأدْنى تأمل [يظهر][٣] هذا للبّيب ، ولولا أن هذا شعر مثل [هذا][٤] شيخ الأدب وفقيه ما واخذته ، فإنه قد مرّ ويمر في هذا التاريخ أشياء من هذا النوع فما أعرّج على المؤاخذة .

قال الشيخ نجم الدين : ولّما ذهب بدر الدين بن بَصْخان[٥] مع الجُفّال إلى مصر وأقام هناك كتبت إليه :

يا غائباً قد كنت أحْسِب قَلْبَه بسوى دمشق وأهلِها لا يَعْلَقُ
إن كان صَدّك نيلُ مصر عنهم لا غَرْوَ فهو لنا العدوُّ الأزرق

قلت : وقد ذكرت في (ألحان السواجع) ما جاء في هذه المادة .

قال الشيخ : ومن الخطب فاتحة خطبة رأس السنة :

« الحمد لله الذي لا تُدْرِكُ كُنْهَ عَظَمته ثَواقِبُ الأفْهَام ، ولا تحيط بمعارف عوارفه

(١) في الأصل : « نادي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « للتهكم » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « نصحان » ، تصحيف ، وهو : محمد بن أحمد بن بَصْخان . قال الصفدي : « بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة ، وبعد الخاء المعجمة ألف ونون » . وستأتي ترجمته في موضعها .

خطراتُ الأوهام ، ولا تبلغ [مَدَى][١] شكرِ نعمه مَحَامدُ الأَنام ، الذي طرّز بعَسْجد الشمس حواشيَ الأيّام ، ورصّع بجواهر النجوم حُلَّةَ الظَّلام ، وفصَّلَ بلُجَيْن الأهِلّة عقود الشهور والأعوام .

أحمده على نعمه الجلائلِ العظام ، ومِنَنِه الشوامل[٢] الجسام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وَحْدَه لا شريك له ، شهادةً لا يُنْقص لها تمام ، ولا يُخْفَر لها ذِمَام ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، أرْسَله وسُوقُ الباطل قَدْ قام ، ومُحِب الباطل[٣] قد هام ، وطَرِفُ الرشد قد نام ، وأُفُقُ الحق قَدْ غام ، فجرّدَ سيف العزم وشام ، وعنف على الغيّ ولام ، واقتاد الخليقة إلى السعادة بكل زِمام ، صلى الله عليه وعلى آله الخِيَرة الكِرام ، صلاة لا انفصال لمتتابعها ولا انفصام » .

قال : وأمّا الجواب عن إعادة لفظ الأهل في قوله تعالى : ﴿ حتّى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ﴾[٤] ، ولم يقل : (استطعماهم) ، والمحلّ مَحَلّ إضمار ، وفيه[٥] الإيجاز ، فقد علم أن البلاغة لا تختص بالإيجاز ، وإنما هو نوعٌ من أنواعها ، وأنَّ مَدار حُسْن الكلام وارتفاع شأنه في القبول بإيراده مطابقاً لمقتضى الحال ، فإنّ [كان مقتضى الحال][٦] خليقاً ببَسْط الكلام تعلقت البلاغة ببسطه ، وإن كان حقيقاً بالإيجاز كانت البلاغة في إيراده كذلك ، ثم [قد][٧] يَعْرض للبليغ أمور يحسن معها إيرادُ الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فيتنزّل[٨] غير السائل منزلة من يسأل إذا كان قد لوّح له بما

(١) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٢) في الأصل : « السوامل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٣) في الوافي : « ومحبّ الضلال » .
(٤) الكهف : ٧٧/١٨ ، وانظر ما قيل في ترجمة ابن شيخ العوينة .
(٥) كررها الناسخ في الأصل .
(٦) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٧) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٨) في الوافي : « فينزل » .

يقتضي السؤال ، ويتنزل[١] غيرُ المنكرِ منزلة المنكر إذا ظهرت عليه مَخَايل الإنكار ، ويوقع المضمر في موضع الظاهر ، والظاهر في موضع المضمر إلى غير ذلك من الأمور المذكورة في علم البلاغة . والذي حسّن إيقاع الظاهر موقع المضمر في الآية الكريمة أن الظاهر أدلُّ على المعنى الذي وضع له اللفظ من المضمر ؛ لأنه يدل عليه بنفسه ، والمضمر يدل عليه بواسطة ما يفسّره ، وقَصْدُ المتكلم هنا الإخبار عن الذين طُلب منهم الإطعام أنهم أهل القرية ؛ لأن مَنْ غَشِيَهُ الضيف في منزله [ولم يعتذر][٢] بعذر عن إكرامه ؛ بل قابله بالمنع مع ظهور حاجته التي أوجبت له أن يسأل منه ذلك ؛ لأن المسألة آخر أسباب الكسب يُعْلَم بذلك أن الحامل له على الامتناع من إضافته[٣] لؤم الطباع واتّباع مَذْمُوم البخل والشح المطاع ، كما قال الشاعر :

حريص على الدنيا مُضيعٌ لدينَهُ وليس لما في بيته بمضيع

حتى روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كانوا أهل قرية لئاماً »[٤] ، ومن كانت هذه سجيته كان حريّاً بالإعراض عنه ، وعدم مقابلته بالإحسان إليه ، فلما رأى موسى صلوات الله عليه إصلاح[٥] الخضر عليه السلام لجدار مشرفٍ على السقوط في القرية التي هؤلاء أهْلُها من غير طلبِ أجرٍ ذلك منهم مع الحاجة إلى ذلك عجب من ذلك وأنكره حتى كأنه نسيَ ما قدَّمه مِنْ وعده إياه بالصبر وبعدم المصاحبة إنْ سأله عن شيء بعد ذلك ، مع حرصه على صُحبته والتعلم منه فكان في إعادة لفظ (الأهل) في الآية الكريمة إقامةٌ لعذر موسى في الاعتراض[٦] في هذه الحالة ؛ لأنها حالة لا يصبر[٧] عن

(١) في الوافي : « وينزل » .
(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « الضيافة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٤) مسند الإمام أحمد : ١٢١/٥ .
(٥) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٦) في (أ) ، (خ) : « الإعراض » .
(٧) في الأصل : « لأنها حالة لأنّه لا يصبر » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

الاعتراض فيها لأن حالهم يقتضي بذل الأجر في إصلاح أمر دينـاوي لحرصهم وشحّهم ، فتَرْكُ طلب الأجرة على إصلاح ذلك مع الضرورة والحاجة وقع إحساناً إلى أهلها الذين قابلوهما بالمنع عن الضيافة ، فكانت البلاغة متعلقة بلفظ (الأهل) التي هي الحاملة على الاعتراض ظاهراً ، فأطلعه الخضر عليه السلام بأن الجدار إنما كان لِيَتِيمَيْنِ من أهلها ، واليتيم محلّ المرحمة[١] ، وليس محلاً لأن يُطلب منه أجرة ، إمّا لعجزه ، أو لفقره وهو الظاهر ، أو لأنه لا يجوز تصرّفه في ماله ، ولهذا قال : ﴿ رحمةً من ربّك ﴾[٢] ، ولم يكن لأهلها الذين أبوا أن يضيفوهما ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى ما نقلته من خَطّ الشيخ رحمه الله تعالى .

قلت : جواب الشيخ رحمه الله تعالى في غاية الحسن ، وهو كلام عارف بهذا الفن ، جار على القواعد ، والذي قاله الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى في الجواب عن ذلك ملخّصه : أنه إنما أعاد الأهل بلفظ الظاهر ، لأمرين . أحدهما : أنّ (استطعتم) صفة لـ (قرية) ، فلو قال : استطعماهما لكان مجازاً ، إذ القرية لا تُستطعم ، فلا بد من ذكر الضمير ، ولا يمكن ذِكْرُه وهومضاف إليه ؛ إلاّ بذكر المضاف ، ولا يمكن ذكر المضاف مضمراً ، فتعيّن ذكره مظهراً ، ولا يَرِدُ عليه أنّ « استطعما » جواب لـ (إذا) ، لا صفة لقرية ، لأنا نقول : [لقوله][٣] في القصة[٤] الأخرى : ﴿ حتى إذا لقيا غلاماً فقتله ﴾[٥] ، فقال : ههنا جوابُ (إذا) متعيّن ، ولا يستقيم أن يكون « فقتله » جوابه [إذ][٦] الماضي الواقع في جواب ، « إذا » لا يكون

---

(١) في الوافي : « الرحمة » .
(٢) الكهف : ٨٢/١٨ .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) في (خ) : « القضية » ، تصحيف .
(٥) الكهف : ٧٤/١٨ .
(٦) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

بالفاء ، فتعيّن فيه . قال : والظاهر أن الجواب في القصة الأخرى هكذا لأنها في مساق واحد .

الثاني : أن « الأهل » لو أضمر لكان مدلوله مدلول الأول ، ومعلوم أنه جميع الأهل ، ألا ترى أنك إذا قلت : أتيت أهل قريةِ [١] كذا ، إنما تعني : وصلت إليهم ، فلا خصوصية لبعضهم ، والاستطعام في العادة إنما يكون لمن يلي النازل بهم وهم بعضهم ، فوجب أن تقول [٢] : استطعما أهلها لئلا يفهم أنهم استطعموا جميع الأهل ، وليس كذلك .

وقد أجابني عن هذا السؤال شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى بجواب طويل ، نظم ونثر ، وقد كتبته بخطي ، وقرأته عليه ، وهو مثبتٌ في (التذكرة) التي لي . وقد تقدّم جواب الشيخ زين الدين علي بن الحسين بن شيخ العوينة في ترجمته أيضاً .

ومن شعر الشيخ نجم الدين رحمه الله تعالى ، قوله في مليحة اسمها : (قلوب) :

عاتبني في حبّكم عاذِلٌ ... يزعمُ نُصْحِي وهو فيه كَذُوب
وقال : ما في قلبك اذكرْهُ لي ... فقلت في قَلْبي [٣] الْمُعَنَّى قلوب

ومنه في مليح نحوي :

أضمرتُ في القلب هوى شادن ... مشتغلٍ في النحو لا يُنْصِف [٤]
وصفتُ ما أضمرتُ يوماً له ... فقال لي : المضمر لا يوصف

---

(١) في الأصل : « القرية » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٢) في الوافي : « يقال » .
(٣) في الأصل : « قلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٤) في الأصول : « لا يوصف » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والفوات .

وأنشدني من لفظه لنفسه ما كتبه من أبيات إلى الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليمني .

بأبي بِكْرٌ خُصِصْتُ بها ... مِن أخي الأَفْضَال والْمِنَنِ
أقبلت تختال في حُلَلٍ ... وَشْيُهـا مِنْ صَنْعَةِ اليمن
فرعها يُملي خلاخلَها ... ما يقول القُرْط في الأذن

قلت : هو مأخوذ من قول الصاحب جمال الدين عيسى بن مطروح :

إذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها ... فيا طيب ما تملي عليه الظفائر

[ولكن قول الشيخ نجم الدين أخصر بكثير ، فهو أحق به][1] .

١١٥٤ ـ علي بن رزق الله بن منصور*

الشيخ نور الدين المقدسي .

سمع من ابن عبد الدائم ، وأبي حامد محمد بن الصابوني .

أجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

١١٥٥ ـ علي بن سالم بن عبد الناصر**

القاضي الرئيس الفاضل المنشئ علاء الدين أبو الحسن الكناني الغزي الشافعي ، أحد الإخوة .

كان حَسَن الشكل والسّمت ، بهيَّ الْمَنْظَرِ ؛ إلاّ أنه لا يملك الصّمْت ، لا يكاد يسكت إذا تكلم ، ولا يَخْشَى على حُسَام لَفْظِهِ أنْ يَتَثلم . تامَّ القامه ، مليحَ الوَجْه

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

* الوافي : ١٠٥/٢١ ، والدرر : ٥٠/٣ .

** الوافي : ١٢٧/٢١ ، والدرر : ٥١/٣ .

والعِمامه . وخطّه جيّد ما به باس ، وفضله ظاهر ما به إلباس ، له قُدْرَةٌ عَلَى مُدَاخلة الأكابر ، والخوض معهم في اللجج والمعابر ، يتحدث بالتركي ، ويَرْمي في[١] الإماج[٢] والألكي ؛ إلاّ أن الموت هَصَر غُصْنَهُ اليانع ، وأجْرَى عليه المدامع .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وأربعين وسبع مئة فيما أظن .

باشر التوقيع بغزة بعد ابن منصور لمّا توجّه إلى طرابلس فيما أظن ، وتغيّر عليه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى وعزله ، وأحضره إلى دمشق ، واعتقله . ولمّا كان في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا رسم له بالمدرسة الجرّاحيّة والمواعيد بالصخرة في القدس الشريف .

وكتب إليَّ أيامَ غضب تنكز عليه شعراً كثيراً ، من ذلك :

غدا حالي بحَمْد الله حالي ... وبالي قَدْ تخلّص مِنْ وَبالي
وراحَ الخَيْرُ مُنْحَلَّ العَزالي ... عليّ وقبل ذا كان العَزَا لي[٣]
وحزتُ العزّ مذ يمتُ حَبْراً ... كبحر لا يُكدّرُ بالقلال[٤]
فحيّاني وأحياني وأبدى ... مكارم لم يُشِنْها بالقِلا لي[٥]
وأرشفني على ظمأ زُلالاً ... فكان ألذَّ مِنْ بنْتِ الدَّوالي
وشنّفَ مَسْمَعِي ببديعِ لفْظ ... فقلتُ أتيتَ بالسّحْرِ الحلال
فزدني من قريضك يا خَليليْ ... فإنَّ بليغَ لَفْظِك قَدْ حَلاَ لي
أبثُّ لديك خَطْباً قَدْ دَهَاني ... نوائبَ أذهبَتْ جاهي ومَالي
وقد فنيَ اصطباري واحتمالي ... وقَدْ خانَ الْمُناصح والْمُوالي

(١) في الأصل : « من » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) هو الهدف الذي يرمى فيه السهم ، وجمعه إماجات .
(٣) في الوافي : « وقيل ذا » ، تصحيف . والعزالي ، جمع عزلاء وهو مصب الماء من الراوية .
(٤) في الوافي : « حيراً » ، تصحيف .
(٥) في الوافي : « يشبها » .

فعجّل يا أخا العَلْياء جَبْري ... وعاملْني مُعَاملةَ الْمَوَالي
فقد ذُقْتُ المنايا لا المنى يا ... إماماً قد تَفَرَّدَ بالمعَالي[١]
فقد قدّتْنيَ الأحزانُ قَدّاً ... بوخزِ البيض والسُمْر العَوالي
وأنّبني ونيّبني زماني ... وصيّرني على جَمْر المقالي
وأنت أبا الصفاء تُقيم عُذْري ... وتُغضي من عيوبٍ في مقالي

أيا مَنْ عِلْمُه عَمَّ البَرايا ... وحشّى حِلْمَه في كل حال
فبلّغني ولا تُرْجِي رجائي ... فسيف الغمّ يا ابن العم خالي
رجوتُكَ مِنْ قديم ثُمَّ لَمّا ... عَلَوتَ مكانةً زاد الرَّجا لي
فلاحظني بعين الجبر واعطف ... حماك اللهُ من غَلَب الرجال

قلت : خاتمه « العوالي » و « المعالي » و « مالي » ، ما أتى لها بأخت ، وكان يمكنه ذلك ، وتكررت معه : [لفظة][٢] : « لي » ، بلام الجر ، وياء المتكلم ، وهو إيطاء ، وبعضهم تسمّح فيه[٣] .

وكتب على كتابي (جنان[٤] الجناس) :

نزّهتُ في رَوْض الجنان الناضر ... طَرْفاً يفدّيه بنُور الناظر
خَطرت به والْحُسْن فيه شاهدٌ ... أبكارُ أفْكارٍ بَدَت للخاطر
أكرم بجنّاتِ الجناس وزُهْرها ... مَعْ زَهْرها الزاهي البهيّ الباهر[٥]
نمّت بها لما نَمَت ريح الصَّبا ... فغدت تَضَوّعُ بالعبير العاطر
يحيا الصريع بها إذا ما جَعْفرٌ ... منها أتت غدرانه بغدائر

(١) في الأصل : « المنايا والمنى » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .
(٤) في الأصل : « جناس » ، تحريف .
(٥) في الأصل : « الجنان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

ويصير في رَوْضِ المحاسن خالداً ... يأتي يفضل ربيعها للزائر
فاعْجَب لِرَوْض زخرفتْهُ يراعُه ... في نقشِ قِرْطاس بنقس محابر
أضحى به دُرّ البلاغة زاهياً ... فالناس فيه ناظم مع ناثر
قد فاق مُنْشِئُه به مَنْ قبله ... فاعجب لسبّاقٍ أتى في الآخر
ما قَدْرُ سَحبانٍ وقَدْر قُدامةٍ ... إن خاض في بَحْر الخليل الزاخر
فلقد أتيتَ أبا الصفا بفضائلٍ ... كَمُلَتْ به من كل وافٍ وافر
قلّدت أجيادَ الزمان قلائداً ... نظّمتها مِنْ كلّ زَاهٍ زاهر
وسكنت مَعْنى العزّ يا ابن الغر إذْ ... أبرزت معنىً ذا بهاءٍ باهر[1]
فَلَكَ الفضاحةُ والسماحة والكيا ... سة والرياسة من أقلّ مفاخر
قصّرتُ في مَدْحِيك فاعْذُر إنني ... فَنّي فروعُ الفقه لست بشاعر
أصبحتُ مِنْ جَوْر الزمان نعامتي ... فتخاءُ تجفل مِنْ صَفير الصافر[2]
ونظمت هذا والهمومُ ضجيعتي ... بل كان قَلْبي في جناحيْ طائر[3]
فاغضض عن العيّ الذي في منطقي ... واحرص بجهدك أن تقيم معاذري
واسْلَم ودُمْ لعرائسٍ أبْرَزْتها ... وجَلَيْتَها مِنْ بكرِ فكرٍ ظاهر

فكتبت أنا الجواب أشكره على ذلك :

أَسماءُ نَظْمٍ قدْ زَهَت بزواهر ... وحديقةٌ قد أحْدَقَتْ بزواهر[4]

---

(١) في (أ) : « يا ابن العزّ » .

(٢) الفتخاء : اللينة الجناح . والبيت مأخوذ من قول عمران بن حطان يخاطب الحجاج لما حاصرته غزالة مع زوجها شبيب :

أسد علي وفي الحروب نعامة ... ربداء تنفر من صفير الصافر

(٣) في الأصل : « بل كان في قلبي جناحي » ، ولا تستقيم . والبيت أيضا من تتمة قول عمران بن حطان :

هلا برزت إلى غزالة بالضحى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

(٤) في (أ) : « بأزاهر » .

أمْ غـادةٌ أهـديتَهـا في جِيْبهـا ... مِنْ شِعْرِكَ الفتّـانِ عقْـدُ جَـواهر
بَكَرت [إليّ] فبـاكرتني نشـوةٌ ... مـا كان يَخْطُر مِثْلُهـا في خَـاطِري[1]
في بـاطني منهـا بـواقي سَكْرةٍ ... يبـدو عليّ بهـا الهنـا في ظـاهري
مهـلاً عـلاءُ الـدين قـد حمّلتني ... مِننـاً تفـوقُ على الغمام المـاطر
وجَبَرْتَ تصنيفي الكسير فقد غـدا ... يروي الإجـازة في الورى عن جابر
مـا هـذه أُولى يـدٍ أَوْليتني ... لـك يـا ابن سالم ابْن عبـد النـاصر[2]
زهرٌ ودرٌ ذاك مِنْ رَوْضٍ زَهَـا ... نبتـاً وهـذا من خضّمٍ زاخر
إن كان شعرٌ كنتَ أفْقَـه عـالم ... أو كان فقـهٌ كنت أبْـدَعَ شـاعرِ

وكتب إليّ كثيراً وهذا القدر كاف .

وحمل إليّ (تخميس البردة) ؛ قصيدة البوصيري ، فكتبت أنا له عليها : « وقَفْتُ على هـذا التخميس الـذي طُرِّز طِرْسُـه ، وسُقِيَ الفَضْـلَ غَرْسُـه ، وجـلا للعين عِرْسُـه ، ونوّع في البـديع جِنْسَـه ، ونوّلَ أهلَ الأدب أُنْسَـه ، وسـاق إلى طيبـة بـأحمال المدائـح عَنْسَه[3] ، فرأيت أسرار البلاغة فيه فـاشيـه ، وأبكار الفصـاحـة كيف غـدت في خـدور السطور ناشيه ، و (البردةَ) كيف اكتست بهذه الزيادة رقة الحاشيه :

للهِ من جـــاء بـــه أوّلاً ... فـــإنـــه أتعبَ مَنْ بَعْـــدَه
عَسَّـل ثغر الـزهرِ في روضـــه ... لَمّـا روى الإبـداعَ عن شَهْـده
وكلُّ سطرٍ غصنٌ قـد غـدا ... يحمـل من قـافيـةٍ وَرْدَه
أقْسِم مـا خمّسهـا نـاظماً ... لكنّـه قـد طرّز البُرْدَة

فيا لَهُ مِنْ سَهْمٍ خَرَج مِن كنانـه ، وشَهْم لا يُثني الإحجامُ عِنَـانـه ، وذي فهم ثقّف

---

(١) الزيادة من (أ) .
(٢) كذا أثبت ألف الوصل في (ابن) ضرورة .
(٣) في الأصل : « عيسه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

العلمُ رمحَ قلمه ، وأرهف سنانَه ، لقد أصبحت غزّة به ذات عزّه ، وأمسى كثير الفضائل وفوائده تخجل منها عَزَّه ، يقول جاره البحر : ما لي عجائِبُه ، ولا لي لآليه ، ويعجز بَلَدِيُّه أبو إسحاق[١] أن يكون قِوىً [فيه][٢] لقوافيه ، ويرى الخيّاط أن البردة كانت قبل هذا التفصيل سدى ، ويعترف الرّفّاء[٣] أن إبرة قلمه قد لبست من المداد الصّدا ، فالله يديم لبني الآداب هذه الفوائد ، ويميرهم من هذه المآدب التي غصون أقلامهم في امتداحهم[٤] فوائد ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

علي بن سعيد بن سالم*

علاء الدين الصُّبَيْبي ، بضم الصاد المهملة ، وبعدها باء موحدة مفتوحة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وباء ثانية نسبة إلى قلعة الصُّبيبة وهي قلعة بين صفد ودمشق ، [ومدينة][٥] هذه القلعة بليدة[٦] بانياس ، الخياط ، الشاعر المعروف بالشُّوش بشينين معجمتين بينهما واو ساكنة والأولى مضمومة .

كان من أعاجيب الأناسي ، وممن غدت لحيته وكأنها حُلقت بالمواسي ، ووقفت سُفنه في أبحر[٧] القريض ، ولم تجرِ لأنها قيّدت بالمراسي ، وأضحكت[٨] الثُكالى حركاته ، حتى قال الزمان : لقد بان ياسي من التعجب بعد البانياسي ، ما عساي أن أقول فيَنْ

---

(١) إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي (ت ٥٢٤ هـ) ، الوافي : ٥١/٦ .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) التورية ظاهرة باسمي الشاعرين : الخياط ، والسري الرفاء .

(٤) في (أ) : « امتداحها » .

* الدرر : ٥١/٣ ، وفي (أ) : « علاء الدين أبو سعيد الصبيبي » .

(٥) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٦) ليست في (أ) .

(٧) في الأصل : « بحر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٨) في الأصل : « وأضحك » ، وأثبتنا ما في (أ) .

يَزْعُم أنّ أبا الطيب عنده باقِل[١] ، وأن أبا تمام لم ينهض من الحضيض شعره المتثاقل ، يدّعي مِثلَ هذا بتصميم ، ويتبادَى وما فيه شَعْرَةٌ من تميم .

ولم يزل في طيشه ، وتقتير عيشه إلى أن دبّ سوس البِلى في الشوش ، وفتح فاهاً له قَبْرُه المرفوش[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى فجأة في شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في حدود سنة ست وسبعين وست مئة .

اجتمعت به غير مرة بالجامع الأموي وبجسر اللبّادين ، وكان ينشدني كثيراً[٣] من شعره فأسمع العجائب والغرائب ، وأشكرُ اللهَ على نعمةِ العقلِ ، إلاّ أنه كان يندر له البيت في القصيدة ونصف البيت .

وقال لي غيرَ مرة وأنا وهو نمشي في صحن الجامع بعد ما يُدير وجهه إلى القبلة : وحقّ هذا المعبد وما يُتْلى فيه ، لو اجتمعتِ الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل شعري ما أتوا بمثله[٤] ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[٥] .

وقال لي غيرَ مرة : أنا والله الذي لا إله إلاّ هو ، ما لي غرض مع المتنبي ، شعري خير من شعره ، وكذا يقول في أبي تمّام وغيره .

ولقد قال لي مرّة وأنا بجسر اللبّادين : يا مولانا ! ما هذا الحاتمي[٦] إلا كان إماماً

---

(١) هو ممن يضرب بهم المثل في العيّ ، يقال : « أعيا من باقل » .

(٢) في (أ) : « المرشوش »ت

(٣) في (أ) : « شيئاً » .

(٤) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في (آ) ، (ز) .

(٥) اقتبس من قوله تعالى في سورة الإسراء ٨٨/١٧ : ﴿ لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ .

(٦) محمد بن الحسن بن المظفر ، له رسالة سمّاها : « تقريع الهلباجة في معرفة الشعر والشعراء » (ت ٣٨٨) ، الوافي : ٣٤٣/٢ .

عظيماً ، هَذَا يسمِّي شعراء عُمْرنا ما سمعنا بهم[١] ، مثل « الحَطَبة » ، كذا قال بالباء الموحدة ، ومثل « الطُّرْمَاخ » كذا قال ، بضم الطاء وسكون الراء ، وبعد الألف خاء معجمة .

وأنشدني في وقت قصيدة له ثانية جاء منها :

والليل أسود كالزنجيّ حالكُهُ والبَرْقُ سَيْفٌ له فيه جراحاتُ

فقلت له : ياشيخ علاء الدين : عابوا عليك هذا ، وقالوا : كأنك تقول : الليل أسود أسود أسود ، فنفر فيّ وقال : ما أراك أنت الآخر إلاّ قليل العقل مثلهم .

وقال لي مرة : يا مولانا هجاني واحد أبلم[٢] ، قلت : ما قال ؟ قال : [قال][٣] :

في الخوّاصين خيّاط قالوا إنّ اسمو الشوش
من جهلو صار لَو فوق راسُو شربوش

ثم مَرّ بيده على رأسه في الهوى ، وراح وجاء مرات ، وقال : يا مولانا ! أين الشربوش الذي على رأسي .

وقلت أنا فيه وقد تبرّمتُ به :

كأني إذا أنْشَا وأنشد شعرَه «لدى سَمُرَاتِ الحيّ ناقفُ حنظل»[٤]
فيرمي ولا يدري فؤادي ومسمعي «بجلمود صخر حطّه السّيلُ مَنْ عَلِ»

ونقلت من خطّ شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : أنشدنا لنفسه موشحاً :

---

(١) في الدرر نقلاً عن الصفدي : « يأتي بأسماء شعراء عمرنا ما سمعنا بهم » .
(٢) الأبلم : غليظ الشفتين .
(٣) زيادة من (أ) .
(٤) ضمن الشطر الثاني من معلقة امرئ القيس ، وكذلك البيت الثاني .

هل لكم من شعور بأفاعي الشعور حين يلدَغْنَ قَلْبي من كثيب الخصور
لا تزيدوا[1] ملامي مالي دائي دوا
قد وهى بي غرامي وهوى بي الهوى
وبرى من عظامي جلْدَها والقوى
وتداني حِمامي آه أنّى[2] للنوى
من ذوات الخدور هل لنا من مجير راشقات بهدب من نشاط الفتور
مِن سهام الجفونِ كم بقلبي كلوم
نَزْحها[3] من عيوني عند ميّ مقيم
أوردتني منوني وهو منهم نعيم
لَذّ فيهم شُجوني أقْصروا لا تلوموا
إن نار السعير جنّتي مَعْ سُروري لا تزيدوا فعتبي كمنادي القبور

١١٥٧ ـ علي بن سليم بن ربيعة*

القاضي الفقيه الأديب أقضى القضاة ضياء الدين الأذرعي الشافعي .

تنقل في قضاء النواحي نحواً من ستين سنة من جهة ابن الصّايغ وغيره ، أكبرها طرابلس وأعمالها ، وناب بدمشق أياماً سنة تسع وعشرين ، وله نظم كثير ، من ذلك : نظم (التنبيه) في ستة عشر ألف بيت .

وكان منطبعاً بسّاماً عاقلاً .

---

(١) في الأصل : « لا تروا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٢) في الأصل : « أنّ النوى » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في (أ) : « برحها » .
* الوافي : ١٤٠/٢١ ، والدرر : ٥٣/٣ ، والشذرات : ٩٦/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢١٢/٢ .

توفي رحمه الله تعالى بالرملة ثالث عشري شهر ربيع الأول[١] سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وله أربع وثمانون سنة .

١١٥٨ ـ علي بن سليمان بن أحمد*

أبو الحسن الهادي بالله ابن أمير المؤمنين المستكفي ابن أمير المؤمنين الحاكم .

كان أبوه المستكفي بالله قد عهد إليه بالخلافة بَعْدَه ، فتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشرين شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وعاش أقل من عشرين سنة ، ودفن في تربة جدّه بجوار السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وفجع به والده ، ووَجَدَ عليه وجداً عظيماً .

١١٥٩ ـ علي بن سنجر**

الإمام العالم تاج الدين بن قطب الدين أبي اليُمْن البغدادي [ابن][٢] السّباك ، بالسين المهملة وبالباء الموحدة المشددة ، وبعدها ألف وكاف ، الحَنفي .

عالم بغداذ ، وواحدها الذي يُطلق عليه أنه أستاذ ، انتهت إليه رئاسة المذهب بالمستنصريه ، وتفرّد [هناك][٣] بالعلوم الأدبيّه .

وكان قيّما بعرفانه ، ذكياً قد مضى فضلُه برفعةِ شانه . وخطّه رياض مُوْنِقَه ، وآفاقٌ بالشموس مُشْرقه ، ما يرضى أن يكون ياقوت فصّاً في خاتمه ، ولا يرى أن جُودَ هذه الصناعة يُنْسَبُ إليه ، لا إلى حاتمه .

---

(١) في (أ) : « جمادى الأولى » ، سهو .

* الدرر : ٥٣/٣ .

** الوافي : ١٤٨/٢١ ، والدرر : ٥٤/٣ .

(٢) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٣) زيادة من (أ) .

ونظم شعراً تجاوز به الشِّعرى ، وظنّ من سمعه أن قوافيه وُضعت في أذنه دُرّا .

ولم يزل على حاله إلى أن سَبكَ ابنُ السبّاك في بَوْتقة القبر ، وعدم الطلبة على المصيبة به ذخائر الصبر .

وتوفي رحمه الله ...[١] .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة ، أو في ستين ، في شعبان ، الشّكّ منه .

وكان قد سمع وهو كهل (صحيح البخاري) عن [ابن][٢] أبي القاسم[٣] ، و (أحكام) ابن تيميّة[٤] منه ، و (إحياء علوم الدين) من كمال الدين محمد بن المبارك المُخَرّمي[٥] ، و (مسند الدارمي) من ست الملوك ، وله إجازة من أبي الفضل بن الدَبّاب[٦] ، ومحمد بن المريح[٧] .

وأخذ السبع عن أمين الدين مبارك بن عبد الله الموصلي ، والمنتجب التكريتي[٨] .

وتفقّه على ظهير الدين محمد بن عُمَر البخاري ، وعلى مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب بن الساعاتي صاحب (مجمع البحرين)[٩] .

---

(١) كذا في (أ) ، والوافي ، وفي الدرر أن توفي (٧٥٠) .

(٢) زيادة من (أ) والوافي .

(٣) عبد الله بن أبي القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠ هـ) ، الشذرات : ٣١٤/٥ .

(٤) مجد الدين ، كما في الدرر .

(٥) في الدرر : « المخزومي » .

(٦) في الدرر : « الزيات » ، تصحيف ، وهو محمد بن محمد بن علي (ت ٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٣/٥ .

(٧) في الوافي : « المزيح » ، وفي (أ) : « المرنخ » .

(٨) هو الحسين بن حسن ، المنتجب ، أبو عبد الله التكريتي (ت ٦٨٨ هـ) ، غاية النهاية : ٢٤٠/١ .

(٩) اسمه بتمامه : مجمع البحرين وملتقى النهرين في فروع الحنفية . الكشف : ١٦٠٠/٢ ، ووقع في الأصول : « تغلب » ، تصحيف .

وقرأ الفرائض على أبي العلاء محمود الكلاباذي [١] ، والأدب على حسين بن إياز [٢] ، وحفظ (اللمع) ، ثم (المفصّل) و (البداية) و (أصول) ابن الحاجب ، وله أرجوزة في الفقه ، وشرح أكثر (الجامع الكبير) .

ومن شعره :

هل أرى للفراق آخر عهدٍ ... إنّ عُمْرَ الفراق عُمْرٌ طويلُ
طال حتى كأننا ما اجتمعنا ... فكأنَّ التقاءنا مستحيل

وأنشدني الإمام تقي الدين بن رافع ، قال : أنشدنا الْمَطَريّ ، قال : أنشدنا ابن السّباك لنفسه :

الأمرُ أعظمُ ممّا يَزْعُم البَشَرُ ... لا عقلَ يدركه كَلاّ ولا نَظَرُ
فانظر بعينك أو فاغمض جفونك واحـ ... ـذر أن تقولَ عَسَى أن ينفعَ الحذر
فكلُّ قول الورى في جنب ما هو في ... نفسِ الحقيقة إنْ هم فكّروا هَذَر [٣]
فاستغفر الله قولاً قد نطقت به ... فيما مضى وهو في الألواح مستطر

وأنشدني الحافظ نجم الدين أبو الخير سعيد الذّهليْ ، قال : أنشدنا ابن السّباك لنفسه :

يا نهارَ الهجير نجم الدين قد طُلْتَ بالصّو ... مِ كما طال ليلُ هَجْرِ الحبيب
ذاك قَدْ طالَ بانتظارِ طلوعٍ ... مثلَ ما طُلْتَ بانتظار مغيب [٤]

---

(١) محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء البخاري الكلاباذي (ت ٧٠٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٢) في (أ) : « أبار » .
(٣) في الوافي : « هذروا » .
(٤) في (أ) : « ماطال » .

ومن شعره :

يُخفي السلام عليّ خَوْفَ وُشَاتـه ويبيت لي حتى الصباحِ نديما
فلسانُه حين التقينا صامِتٌ ولِحاظه تُقْريني التسليما[1]

قلت : هذه « تقريني » مستثقلة إلى الغاية لو أنها في النيل كدّرته ، أو في وجه الصباح جدّرته ، ولو قال : ولحاظه تهدي لي التسليما ؛ لكان أحسنَ وأعذب في السمع .

ومن شعره :

لمّا غدا والشهدُ مِنْ ريقه ودونه يُسْتشهد الْمُسْتَهام
ازدحم النمل على خَدّهِ والمنهلُ العَذْب كثير الزّحام

وكان قد قرأ عليه جماعة منهم : القاضي حسام الدين الغوري قاضي قضاة مصره ، ولّما ولي الغوري القضاء ببغداد دخل على شيخه ابن السباك بالخلعة ، وقال : الحمد لله الذي جعل من غلمانك قاضي القضاة .

ورأيت أنا بخطه نسخة (بالكشاف) في مجلدين صغيرين وهي كتابة عظيمة صحيحة مليحة إلى الغاية .

١١٦٠ ـ علي بن طرنطاي*

الأمير علاء بن الأمير الكبير حسام الدين طرنطاي المنصوري .

كان أصغر الأخوة ، وهو أمير عشرة بالديار المصرية ، مليح الشكل ، حسن الهيئة[2] .

توفي رحمه الله تعالى في حادي عشر شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وعمل عزاؤه أياماً .

---

(١) في (أ) : « تسليما » .

* الدرر : ٥٦/٣ .

(٢) في الأصل : « الهيبة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

١١٦١ ـ علي بن طُغْريل*

الأمير علاء الدين أمير حاجب دمشق .

حضر من مصر إلى دمشق حاجباً في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة في أواخر أيام يَلْبُغا ، فما أقام إلا يَسيراً حَتّى جَرى ليلبغا ما جرى ، على ما سيأتي في ترجمته ، وكانت الملطّفات قد جاءت مِن السلطان المظفر حاجّي إليه وإلى الأمراء بدمشق بإمساك يلبغا ، فلما هرب يلبغا ساق الأمير علاء الدين خلفه وجماعةٌ من الأمراء ، ورَدَّ من رَدّ منهم ، وبقي هو وراءه إلى أن اضطره إلى حماة .

حكى لي الأمير سيف الدين تمر المهمندار أنه رأى هذا الأمير علاء الدين وقد جاءه اثنان من جماعة يلبغا ، وطعناه برمحيهما ، وأنه عطّل ذلك بقفا سيفه ، ولم يؤذِ أحداً منهما ، وكان يحكي لي ذلك ، ويتعجب من فروسيته .

ولم يزل بدمشق على إمرته ووظيفته إلى أن وصل الأمير سيف الدين أرغون شاه ، فأقام يدخل عليه في كل خدمة ، ويطلب منه الإقالة من الشام والرجوع إلى مصر إلى أن كتب له إلى باب السلطان ، وجاء الجواب بالإجابة إلى ذلك ، فعاد إلى مصر في شعبان سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة ، وحضر الأمير سيف الدين منجك عوضه حاجباً .

وأقام الأمير علاء الدين بالقاهرة بطالاً إلى أن توفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

١١٦٢ ـ علي بن طَيْدَمُر كُكُزْ**

بضم الكافين ، وبعدهما زاي ، الأمير علاء الدين أحد أمراء العشرات بدمشق ، والده من مماليك السلطان الملك الناصر محمد .

---

* الوافي : ١٥٧/٢١ ، والدرر : ٥٦/٣ ، والسلوك : ٥٨٤/٣/٢ ، ٦٩٣ ، ٧٠٥ ، ٧٠٩ ، ٧٢٨ ، ٧٣٨ ، ٧٩٥ .

** الوافي : ١٥٨/٢١ ، والدرر : ٥٧/٣ .

وكان هذا ظريف القدّ ، أسيل الخدّ ، وجَفْنهُ يُجَرّد[١] سَيْفاً ماضي الحدّ ، وخدّه كأنما وَرَدَ الوِرْدَ وما رَد ، ظريف العمّة ، لبق الشمائل ، يودّ الغصن لو ضمّه ، والبدر لو وهبه كماله وتَمَّه . يتجمّل به الموكب إذا كان في دارته ، والأفق إذا تخيّل أنه في شارته . ومع حسنه البارع فكان لطيفا ، إذا خطا رأيت الْجَمال[٢] به مطيفا ، سهل الانقياد ، كثير الوداد ، ليس فيه شمم ، ولا عنده عن طلب الميل صمم .

ولم يزل إلى أن أذبل الموت وَرْدَ خدّه ، وكفّ عن جفنه غَرْب حَدّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شهر رجب سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ولم يبقل[٣] وجهه .

١١٦٣ ـ علي بن طنبغا قوين باشي*

علاء الدين ابن الأمير علاء الدين نائب حمص ونائب غزة . تقدّم ذكر والده في مكانه من حرف الطاء .

كان هذا عليّ ذا صورة جميله ، وطلعة كم جعلت القلوب من حسنها دمنة ، والعيون كليله ، أرشقَ من الغصن إذا عَطَفَتْهُ النسمات ، وأعدل من الرمح إلا أنَّ هذا ألطفُ حركات ، كم فتن قلبا ، وجعل من الصبّ دمعه صبّا .

بينا هو بدرٌ في ليالي كماله إذا به قد انخسف[٤] ، وبينا هو غصنٌ يميسُ في اعتداله إذا هو[٥] قد انقصف ، وأنشد الناسُ قبره :

---

(١) في الأصل : « وسيفه مجرّد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في الأصل : « الحال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) بقل وجهه : نبت فيه الشعر .
* الدرر : ٥٦/٣ .
(٤) في (أ) : « إذا هو انخسف » .
(٥) في (أ) : « به » .

مَـا أنت يـا قَبْرُ لا رَوْضٌ ولا فَلَـكُ من أين جُمّـعَ فيـك الغُصْنُ والقَمَرُ

وتـوفي رحمـه الله تعـالى بُكْرَةَ الثـلاثـاء رابـع عشر شهر ربيـع الأول سنـة ثـلاث وعشرين وسبع مئـة ، ومـات عن اثنتين وعشرين سنـة ، وصلى عليـه بسـوق الخيـل ، وحضره الأمير سيف الدين والأمراء .

وكانت جنازتـه حـافلـة ، وكان قـد حجَّ مرّتين ، وأثنى النـاس عليـه ، وتـألموا لـه ولوالده .

١١٦٤ ـ علي بن عُثْمَان*

ابنِ يعقـوب بن عبـد الحـق السلطـان أبـو الحسن بن أبي سعيـد بن أبي يـوسف الْمَريني ، صاحب مرّاكش وفَاس وغَيْرِهما ، المريني ، تقدّم ذِكر والده في مكانه .

مَلَك أبو الحسن هذا ، رحمه الله تعالى ، بَعْدَ مَوْتِ والده سنة إحـدى وثلاثين وسبع مئة . وكان سلطاناً فاضلا ، مناظراً للفقهاء ولأرباب السلاح مناضلا .

قام بالجهاد مُدَّة مُلْكِه ، ونَظَم كثيراً مِنَ البلاد في سِلْكِـه ، امتشق الصوارم واعتقل الأَسَل ، واشتار العَسَل من غزواته وما اختـار الكَسَل ، وبـاشر القتـال بنفسـه ، وأقـام وَجْهَه للنبل[1] مُقَـام ترْسِـه ، ووجـد ضَرْبَ الْمَواضي أحلى مِنَ الضَّرَب ، وجـادَ بروحـه للخطـوب[2] حتّى « كأنّما لـه في قَتْلِـه أرب » . يكُرُّ على الأبطـال ، والسيفُ مُصْلَتٌ بكفِّه ، ويُقْدِم على الصفوف باجتهادٍ ، كأنّه يخاف أن يُطْعَن مِنْ خَلْفِـه ، فـا حَمَل على جيش إلاّ أبـادَه ، وأبـان للملائكـة كَرّه ، وفَرّه وطِرادَه ، وأجـالَ في حَوْمـات[3] الوغى

---

* الدرر : ٨٥/٣ ، وبدائع الزهور : ٥٨٦/١/١ ، وتذكرة النبيه : ١٤٩/٣ ، والذيل التـام : ١٢٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥١/١٠ ، والسلوك : ٨٥٨/٢ .

(١) في الأصل و (خ) : « للنيل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في (أ) ، (خ) : « للحتوف » ، وهي أشبه .

(٣) في الأصل : « حموات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

جيَادَه ، وارتجل المنايا للأعادي وبادَه[١١] ، وعلَّى صَرْحَ الإسلام وشادَه ، وأصْلَح فسادَ الدّهر وأهْلِه فسَاده ، هذا مَعَ فضائلَ بَحْرُها زَخّار ، وعلومٍ نيّرها سيّار .

ولم يزل في جهاد[٢] مع الفِرنج ، وحُروبٍ نصره الله فيها ، وقد ظنَّ أنّه لم يَنْجُ ، إلى أن أدْبَرَ سَعْدُه ، وأخْلَفَهُ الزمانَ وَعْده ، وطالما صَدَق وَعْدُه ، وخانه حتّى ابنُه ، وسَاعَدَه عليه حتى أدْبَرَتْ شجاعته وأقبل جُبنه ، وهذه قاعدةُ الأيام التي قلَّ ما انخَرَمَت ، وطالما أصبحت جَمَراتها رمَاداً بعد ما اضطرمَت .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وخمسين وسبع مئة[٣] .

وكان هذا السلطانُ أبو الحسن قد صادَقَ سلطاننا الأعظم الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وهَاداه وراسله ، وجهّزَ إليه التحف والطُرَف ، وجَهّز إليه مرّةً في سنةِ ثمان وثلاثين وسبع مئة خمسين فرساً بسُروجها وعُدَدِها الْمَغْربيّة صحبة الجهة التي حضرت للحجاز ، وتُدْعى « الْحرَّة » ، وحضر معها شيء كثير[٤] من التحف النفائس .

قيل : إنّها أحْضَرَت معها صورةَ كَرْمَةٍ تُحمل على رؤوس النّساء ، عناقيدُها الجواهرُ النَّفيسة ، وأحضرت مِنَ الثياب البيضِ الرِّفاع جُمْلةً وافرة . وكانت هذه السروج على كلِّ ركابٍ منها طلاءُ ذَهب ، ستّةُ سبعةُ دنانير ، وأمر السلطان لها بجميع[٥] ما دعت حاجتُها إليه من آلاتِ الحجّ وزادِه وماعونِ مائِه لها ولمن[٦] حضر معها ، وكان

---

(١) من المبادهة .

(٢) في الأصل : « اجتهاد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) وفاته في المصادر الأخرى سنة (٧٥٢) ، ويؤيد هذا التاريخ أن ابن تغري بردي قال : « وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة » . وقد استلم الحكم من أبيه سنة (٧٣١ هـ) .

(٤) في (خ) : « وأحضرَ معها شيئاً كثيراً ».

(٥) في (أ) ، (خ) : « بجمع » .

(٦) في الأصل : « وما عونه ولمن » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

مَعَها فيما أظنّ خمس مئة نفر ، ولّما عادت أرسل السلطان معها مِنْ تُحَفِ مِصْرَ وقماشِ إسكندريّة ، وقماش العراق شيئاً كثيراً .

وكان قد جَهّز إلى مكة ، شرّفها الله تعالى ، ختمةً بخطّ يده ، وقْرَ[١] بَعير مذهّبَة مليحة في بابها ، وإلى القُدْس الشريف خِتْمة أخرى نظيرها صحبة ابن فَرْقَاجة ، وجهّز معه مَبْلغاً اشترى به مُلْكاً وَوَقَفه على من يقوم بقراءة القرآن هنا وهنا .

وكانت المكاتبات ما تنقطعُ بينهما كل[٢] قليل . وورَدَ منه[٣] كتابٌ على السلطان الملك الصّالح إسماعيل في أواخر شعبان سنة خمس وأربعين وسبع مئة على يد كاتبه ابن أبي مِدْيَن يُعَزّي السلطان فيه بأبيه ، ويهنئه بالجلوس على تَخْتِ الْمُلْك ، ويذكر واقعةً جَرَتْ له ، ويطلب الدعاء ، ويستنجد به على الأَعْدَاء ، ونسخته بعد الحمدلة[٤] والصلاة : « مِنْ عبد الله عَليّ أمير المسلمين الْمُجَاهدين في سبيلِ ربّ العالمين ، المنصورِ بفضل الله ، المتوكل عليه ، المعتمد به جميع[٥] أموره ما لديه ، سلطانِ البرّين ، حامي العَدْوَتين ، مؤثرِ المرابطة والْمُثَاغرة ، مؤازر حَرْب الإسلام ، مظاهرِ دين الْمَلِك العَلاّم ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهدين[٦] في سبيل ربّ العالمين ، فخر السلاطين ، حامي حَوْزةِ الدين ، ملكِ البَرّين ، إمامِ العَدْوَتين ، ممهّد البلاد ، مبدِّدِ شَمْلِ الأَعَاد ، مجنّدِ الجنود ، المنصورِ الرايات [والبنود][٧] ، محطّ الرِّحال ، مُبَلّغ الآمال ، أبي سعيد ابن مولانا أميرِ المسلمين المجاهد في سبيل ربّ العالمين ، حسنةِ الأيام ، حسامِ الإسلام ، أبي الأملاك ، شَجى أهلِ العِناد والإشراك ، مانعِ البلاد ، رافعِ علمِ الجهاد ، مُدَوّخ

(١) الوقر : الحمل .
(٢) في (أ) ، (خ) : « في كلّ » .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) في (أ) ، (خ) : « البسملة » .
(٥) في (أ) : « في جميع » .
(٦) في (خ) : « المجاهد » .
(٧) زيادة من (أ) ، (خ) .

أقطارِ الكفار ، مُصْرِخ مَنْ ناداه للاستنصار[١] ، القائمِ لله بإعلاء دين الحقّ ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أخلصَ اللهُ لوجهه جهادَه ، ويَسّرَ في قهْرِ عُداةِ الدين مُرادَه .

إلى محلّ ولدنا الذي طلع في أفق العُلا بَدْراً تَمّا ، وصَدَع بأنوار[٢] الفخار فجلّى ظلاماً وظُلَمَا ، وجَمّع شَمْلَ المملكةِ الناصريّة ، فأعلى منها عَلَما ، وأحيا بها[٣] رَسْما ، حائط الحرمين ، القائمِ بحفظ القِبْلَتين ، باسطِ الأَمَان ، قابضِ كفّ العُدْوَان ، الجزيلِ النوال ، الكفيلِ تأمينُه بحياطةِ النفوسِ والآمال ، قُطبِ الْمَجْدِ وسماكُه ، حَسْبِ الحمد وملاكه : السلطان الجليل ، الرفيعِ الأصيل ، الحافل العادل ، الفاضل الكامل ، الشهيرِ الخطير ، الأضخم الأفخم ، المعان المورّث[٤] المؤيّد المظفّر ، الملكِ الصالح ، أبو الوليد إسماعيل ابن محل أخينا الشهير علاؤه ، المستطير في الآفاق ثناؤه ، زين الأيّام والليال ، كال عَيْنِ إنسان الْمَجْد ، وإنسانُ عَيْنِ الكمال ، وارث الدُّوَل ، النافث بصحيح رأيه[٥] في عقود أهْلِ المِلَلِ والنحل ، حامي القبلتين بعَدْله وحُسَامه ، النامي في حِفْظ الحَرَمين أجرُ اضطلاعه بذلك وقيامه ، هازم أحزاب الْمُعَاندين وجيوشها ، هادم الكنائس والبِيَع ﴿ فهي خاويةٌ على عُرُوشها ﴾[٦] ، السلطان الأجلّ الهُمَام ، الأحْفَل ، الأفخم ، الأضْخَم ، الفاضل العادل ، الشهير الكبير ، الرفيع الخطير ، المجاهد المرابط ، الْمُقْسِط عَدْلَه في الجائر والقاسط ، المؤيّد المظفر المنعَّم الْمُقَدَّس الْمُطَهّر ، زين السلاطين ، ناصر الدنيا والدين ، أبي المعالي محمد ابن الملك الأرضى الهمام[٧]

---

(١) في (أ) ، (خ) : « للانتصار » . وأصرخه : أنجده ونصره .

(٢) في (خ) : « بأنواع » ، تحريف .

(٣) في (خ) : « لها » .

(٤) في الأصل : « المؤدب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في (خ) : « بصحيح عُقَد رأيه » .

(٦) الحج : ٢٢/٤٥ .

(٧) في (خ) : « الهمامي » .

الأقصى ، والد السلاطين الأخيار ، عاقد لواء النصر في قهر الأرْمَن والفرنج والططار[١] ، مُحْيي رسوم الجهاد ، مُعلي كلمة الإسلام في البلاد ، جمال الأيام ، ثمال الأعلام ، فاتح الأقاليم[٢] ، صالح ملوك عصره المتقادِم ، الإمام المؤيّد المنصور المُسَدّد ، قسيم أمير المؤمنين فيما تَقَلَّد ، الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين قلاوون مكّن الله له تمكين أوليائه ، ونمّى دَوْلَته التي أطلعها السعدُ شمساً في سمائه ، وأحسن إبزاغه للشّكر أنْ جعله وارث آبائه .

سلامٌ كريم يفاوح زَهْرَ الرُّبا مسراه ، وينافح نسيم الصِبّا مَجْراه ، يَصْحَبُه رضوانٌ يَدُوم مادامت تقلّ الفَلَك حركاتُه ، ويتولاه رَوْح وَرَيْحَان[٣] تحيّيه به رحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مالك الملك ، جَاعِل[٤] العاقبة للتقوى صدعاً باليقين ودفعاً للشك ، وخاذل[٥] من أسرّ في النفاق النجوى ، فأصرَّ على الدَّخَن[٦] والإفك . والصلاة والسلام على نبينا محمد ورسوله الذي محا بأنوار الهدى ظُلَم الشّرك ، ونبيّه الذي ختم به الأنبياء ، وهو واسطة ذلك السّلْك ، ودَحَا به حجَّة الحق ، فمادَت بالكفرة محمولة الأفلاك ، وماجت بهم حاملة الفلك ، والرضا من آله وصحبه الذين ملكوا سبل[٧] هُدَاه ، فَسَلك في قلوبهم أجمل السَّلْك ، وملكوا أعنّة هواهم ، فلزموا مِنْ محجَّة الصواب أَسْحَج[٨] الْهَلْك ، وصابَرُوا في جهاد الأَعْدَاء ، فزاد خُلوصهم مع الابتلاء ، والذَّهَبُ

(١) في الأصل : « الشطار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في (خ) : « الأقالم » .
(٣) اقتباس من قوله تعالى في سورة الواقعة ٨٩/٥٦ : ﴿ فروح وريحان وجنّة نعيم ﴾ .
(٤) في الأصل : « فاعل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٥) في (خ) : « وجادل » .
(٦) الدخن : الحقد وسوء الخلق .
(٧) في (أ) ، (خ) : « سلكوا سبيل » .
(٨) الإسحاج : حسن العفو . ومنه : « ملكت فأسجح » .

يزيد خلوصاً على السَّبْك ، والدعاء لأولياء الإسلام ، وحماتِه الأعلام بنصر لمضائه في العدا[١] أعظم الفتك ، ويَسّرَ بقضائه دَرْك آمال الظهور ، وأحْفِل بذلك الدَّرْك ، فكتبنا إليكم ـ كتب الله لكم رسوخ القدم ، وسبوغَ النعم ـ من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنْع الله سبحانه تُعْرَف مذاهب الألطاف ، وتكيّف مواهب تلهَج الألسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ، وتصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقَّى بالتسليم ما يتكوّنُ بَيْنَ الكاف والنون ، ومكانكم العتيد سلطانه ، وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه ، وعلاؤكم الفسيح في مجال الجلال مَيْدانُه ، وإلى هذا زاد الله سلطانكم تمكيناً ، وأفاد مَقامكم تحصيناً وتحسيناً ، وسلك بكم من سنن[٢] من خَلَفتموه سبيلاً مُبيناً ، فلا خفاء بما كانت عَقَدَتْهُ أَيْدي التقوى ومهّدته الرسائل التي على الصّفاء تُطْوَى بيننا وبين والدكم ـ نعّم الله روحه وقدّسه ، وبقربه مع الأبرار في عِلِّيين آنسه ـ من مؤاخاة أحكمت منها العقودَ تاليةُ الكتب والفاتحة ، وحفظ عليها محكَمَ الإخلاص معوّذتاها المحبّة والنية الصالحية ، فانعقدت على التقوى والرّضوان ، واعتضدت بتعارف الأرواح عند تنازُح الأبدان حتّى استحكمت وُصْلَةُ الولاء ، والتحمت كلحمة[٣] النسب لحمة الإخاء ، فما كان إلاّ وشيكاً من الزمان ، ولا عجبَ في قِصَرِ زَمَنِ الوُصْلَة أن يشكوه الخلاّن وردَ واردٌ أورد رَنق[٤] المشارب ، وحَقّق قَوْلَ : « ومَنْ يسأل الرُّكبانَ عَنْ كلّ غائب » ، أنبأ باستئثار الله بنفسه الزكيّة وإكنان دُرَّته السنيّة ، وانقلابه إلى ما أعدّ له من المنازل الرضوانية بجليل ما وَقَر لفَقْدِه في الصدور ، وعظيمِ ما تأثرت له النفوس لوقوع[٥] ذلك المقدور حناناً للإسلام بتلك الأقطار وإشفاقاً من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام من حرّ الفتن عارض الأضرار ، ومساهمة في مصاب الملك الكريم ،

---

(١) في (أ) ، (خ) : « الأعداء » .

(٢) في (خ) : « سبيل » .

(٣) في الأصل : « كلمة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) الرنق : الكدر في الماء .

(٥) في الأصل : « لولوع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

والولي الحميم ، عميَت الأخبار ، وطُويت طيّ السجلّ الآثار ، فلم نرَ مُخْبراً صدقاً ولا مُعْلماً بمن استقرَّ له ذلك الْمُلك حقاً ، وفي أثناء ذلك أحفزنا الحركة عن[١] حضرتنا لاستصراخ أهل الأندلس وسلطانها وتواتر الأخبار بأنَّ النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ، ونحن أثناء ذلكم الشأن نستخبر الواردَ من تلكم البلدان عمّا أجلى عنه لَيْلُ الفتن بتلكم الأوطان .

فبعد لأْيٍ وقعنا منها على الخبير ، وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير ، وتعرفنا أنَّ الْمُلْك استقرَّ منكم في نصابه ، وتداركه الله منكم بفاتح الخير من أبوابه ، فأطفأ بكم نارَ الفتنة وأخمدها ، وأبرأ مِن أدواء النفاق ما أعَلَّ البلادَ وأفسدها . فقام على سبيل الحجّ سابلا ، وتعبَّد طريقُه لمن جاء قاصداً أو قافلا ، ولَمّا اجتمَعَتْ بهذا الخبر القرائن ، وتواتر بنقله الحاضر له والمعاين ، أثار حفظ الاعتقاد البواعثُ ، والودّ الصحيح تجرّه حقاً الموارث ، فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الأطوار ، الجامعة بين الخبر والاستخبار الْمَلبسة من العزاء والهناء ثوبي الشّعار والدّثار ، ومثل ذلكم الملكِ رضوانُ الله عليه مَنْ يجلّ المصاب لفقدانه ، وتُحَلُّ عُرَا الاصطبار لموته ولات حينِ أوانه ، ولكن الصبر الجميل أجمل ما[٢] ارتداه ذو عَقْل حصين ، والأجر أولى ما اقتناه ذو دِينٍ مَتين ، ومثلكم من لا يخف وَقَارُه ، ولا يشفّ عَن ظهور الْجَزَع للحادث[٣] اصطباره ومن خَلَّفكم فما مات ذكره ، ومن قمتم بأمره فما زال بل زاد فَخْرُه ، وقد طالت والحمد لله العيشةُ الراضيّة بالحقب ، وطاب بين مبتداه ومُحْتَضِره[٤] هنيئاً بما مِنَ الأَجْر اكتسب ،

---

(١) في (خ) : « من » .

(٢) في (أ) : « بما » .

(٣) في الأصل : « ولا يخف من ظهور الجزع الحادث » ، وفي (خ) : « ولا يشفّ عن ظهور الجزع الحادث » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أقرب .

(٤) لعلّه يشير إلى قول الشاعر :

بين باديه ومحتضره

وفي (خ) : « وخبره » .

وصار حميداً إلى خَيْر الْمُنْقَلب ، ووَفَد من كرم الله على أفضل ما منح موقناً وَوَهب ، فقد ارتضاكم الله بَعْده[١] لحياطة أرضه المقدّسه ، وحماية زوّار بيته مقيمة[٢] أو مُعَرّسه ، ونَحْنُ بَعْدَ بَسْط هذه التعزية نهنئكم بما خوّلكم الله أجملَ التهنئة ، وفي ذات الله الإيراد والإصدار ، وفي مرضاته سبحانه الإضمار والإظهار ، فاستقبلوا دولةً ألقى العزّ عليها رِوَاقَه ، وعقد الظهورُ عليها نِطاقَه ، وأعطاها أَمانُ الزمان عهده[٣] وميثاقه ، ونحن على ما عاهدنا عليه الملكَ الناصر رضوان الله عليه من عهود موثّقه ، وموالاة محقّقة وثناء كائِمُه عن الزهر غِبَّ القطر مفتّقه ، ولم يغب [عنكم][٤] ما كان مِنْ بَعْثنا الْمُصْحَفين المكرمين[٥] اللّذين خطّتهما منّا اليمين ، وأَوَت[٦] بهما الرغبة من الحرميين الشريفين إلى ﴿ قرار مكين ﴾[٧] ، وأنه كان لوالدكم الملك الناصر ؛ تولاه الله برضوانه وأورده موارد إحسانه ؛ في ذلكم من الفعل الجميل ، والصنع الجليل ، ما ناسب مكانه الرفيع ، وشاكله فَضلُه من البر[٨] الذي لا يضيع حتّى طبّق فِعلُه الآفاق ذكرا ، وطوّق أعناق الورّاد والقصّاد برّا ، وكان من أجل ما به تحفّى وأتْحَف ، وأعظم ما يعرفه إلى رضا الملك العلاّم في ذلك تَعَرُّف ، إذنه للمتوجّهين إذ ذاك في شراء رباع[٩] توقف على الْمُصْحَفين ، ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين ، فجَرَت أحوال القرّاء فيها بذلك الخراج المستفاد وبما يصلهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه

---

(١) في الأصل : « لهذه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في (أ) ، (خ) : « مقيلة » .
(٣) في (خ) : « عقده » .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٥) في (أ) : « الأكرمين » ، وفي (خ) : « الكريمين » .
(٦) في (أ) ، (خ) : « وأرت » .
(٧) المؤمنون : ١٣/٢٣ ، والمرسلات : ٢١/٧٧ .
(٨) في الأصل : « الرأي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٩) في الأصل : « أرباع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

البلاد ، على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله ، واحترامٍ في تلك الأوقاف فوائدُها به مُوَفّرة [١] مُتحصّله .

وقد أمرنا مؤدّي هذه لِكَمَالِكم ، ومُوفِدها على جلالكم كاتَبنا الأسنى الفقيه الأجل الأحظى الأكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الأجل الحاج الأتقى الأرضى الأفضل الأحظى الأكمل المرحوم أبي عبد الله بن أبي مَدْين حفظ الله عليه رُتْبَتَه [٢] ، ويَسَّر في قصد البيت الحرام بُغْيَته ، بأنْ يتفقّدَ أحوالَ تلك الأوقاف ، ويتعرَّفَ تصرّفَ الناظر عليها ، وما فعله من سَداد وإسراف . ويتخير لها من [٣] يرتضى لذلك ، ويُحْمَد تصرفه فيما هنالك ، وخاطبْنَا سلطانكم في هذا الشأن جَزْيا على الودّ الثابت الأركان ، وإعلاماً بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الأفعال الحِسَان ، وكالُكم يقتضي تخليد ذلكم البرّ الجميل ، وتجديد [عمل] [٤] ذلكم الملك الجليل ، وتشييد ما اشتمل عليه من الشكر الأصيل والأجْرِ الجزيل ، والتقدّم بالإذن السلطاني في إعانة هذا الوافد بهذا الكتاب ، على ما يتوخاه في ذلك الشأن مِنْ طُرُق الصّواب ، وثناؤنا [٥] عليكم الثناء الذي يُفَاوِح زَهْرَ الرُّبَا ، ويطارح نَغَم حَمام الأيك مُطرِبا .

وبحسب المصافاة ومقتضى الْمُوَالاة نشرح لكم المتزيّدات بهذه الجهات ، وننبئكم بموجب إبطاء إنفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب ، وذلك أنّه لمّا وصَلَنا من الأندلس الصريخ ، ونادى الجهاد منّا عَزْماً لمثل ندائه نُصيخ ، أنبأنا أنّ الكفار قد جَمَعوا أحزابهم من كل صوب ، وحتّم عليهم بَابَاهُمُ اللعين التناصرَ مِن كلّ أوْب ، وأن تقصدَ طوائفُهم البلادَ الأندلسيّة بإيجافها [٦] ، وتُنقص بالمنازليّة [٧] أرضَها من أطرافها ، لتمحو كلمةَ

(١) في (أ) ، (خ) : « متوفّرة » .
(٢) في الأصل : « مدّته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) في (أ) ، (خ) : « وأن يتخيّر » . وفي الأصل : « ما يرضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « وثناؤه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٦) أي : بالاستيلاء عليها .
(٧) في (أ) ، (خ) : « بالمنازلة » .

الإسلام منها ، وتقلّص ظلّ الإيمان عنها ، فقدَّمْنَا من يشتغل بالأساطيل من القُوّاد ، وسِرْنا على أثرهم إلى سبتة منتهى المغرب الأقصى وبابِ الجهاد .

فما وصلناها إلا وقد أخذَ أخذَهُ العدوّ الكفور ، وسدّ اختطاف الطواغيت على التعاون مجاز العبور ، وأتوا من أجفالهم[١] بما لا يحصى عدداً وأرْصَدوها بمجمع البحر حيث المجاز إلى دفع العِدا ، وتقلصوا عن الانبساط في البلاد ، واجتمعوا إلى الجزيرة الخضراء ، أعاذها الله ، بكلّ مَنْ جمعوه من الأعادِ ، لكنّا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها في ذلكم العمل الجميل ، حاولنا إمداد تلكم البلاد بحسب الجهد ، وأصرخناهم بمن أمكننا من الجند ، وجهّزنا أجفاناً مختلسين فرصة الإجازة وتَتَّرد على خَطر مَنْ جهّز الجهاد جهازه ، وأمرْنا لصاحب الأندلس مِنْ المال بما[٢] يجهزّ به حركته لُداناة حِزْب الضلاّل ، وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهره ، وأرضخنا لهم في النوال ما نرجو به ثواب الآخره ، وجَعَلَتْ أجفانُنا تَتَردّد من يمشي السواحل ، ويلج أبواب الخوف العاجل ، لإحراز الأمن الآجل ، مشحونة بالعُدد الموفوره ، والأبطال المشهوره ، والخيل المسوَّمه ، والأقوات الْمُقَوِّمه ، فَمن ناجٍ حاربَ دُونه الأجل ، وشهيدٍ مضى لما عند الله عز وجل ، وما زالت الأجفان تتّردد على ذلك الخطر ، حتى تَلِفَ منها سبع وستون قطعةً غَزَويّة أجرها عند الله يدّخر[٣] ، ثم لم نقنع بهذا العمل والإمداد ، فبعثنا أحد أولادِنا أسعدهم مُسَاهمة[٤] لأهلْ تلك البلاد ، فلقي من هول البحر وارتجاجه ، وإلحاح العدوّ ولجاجه ، ما به الأمثالُ تُضْرب وبمثله يُتَحَدث ويُسْتَغرب ، وَلَمَّا خلص لتلك العَدْوَة بمن أبْقَتْهُ الشدائد نَزَل بإزاء الكافر الجاحد ، حتّى كان منه بفرسخين أو أدنى ، وقد ضَرب بطعنٍ يصابح العدوّ ويماسيه بحرب بها يُمنَى ، وقد كان

---

(١) ضرب من السفن ، وفي (أ) ، (خ) : « أجفالهم » .

(٢) في الأصل : « بالماليّة بل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) ، (خ) : « مُدَّخر » .

(٤) في الأصل : « مشابه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

مِن مَـدَدِنـا بـالجزيرة جيش شريت شرَارتـه ، وقويت في الحرب إدارتـه ، يبلون البلاء الأصـدق ، ولا يبـالون بـالعـدوّ وهم منـه كالشـامـة البيضـاء في البعير الأورق ، إلا أنَّ المطاولـة بحصرهـا[١] في البحر مـدة ثلاثـة أعوام ونصف ، ومنـازلتهـا في البرّ نحو عـامين معقوداً عليهـا الصفّ بـالصَّف ، أدى إلى فنـاء الأقوات بـالبلـد حتى لم يبقَ لأهلـه قُوت نصف شهر مـع انقطـاع الْمَـدَد ، وبـه من الخلـق مـا يُربي على عشرة آلاف دون الحَرَم والولد .

فكتبَ إلينا سلطانُ الأندلس يرغب في الإذن لـه في عَقْـد الصُّلح ، ووقَع الاتفـاق على أنَّه لاستخلاص المسلمين من وجوه النُّجح .

فأذنّا فيـه الإذن العـام ، إذ في إصراخِـه وإصراخ مَنْ في قُطْره من المسلمين توخينـا ذلك المرام ، هنالك دعا النصارى إلى السّلم فاستجـابوا لـداعيـه ، وقـد كانوا عَلِموا فنـاء القوت[٢] ، وما استرابوا الصلح إلى عشر سنين ، وخرج من بها [من][٣] فرسان ورجال وأهـل وبنين ، ولم يُرْزؤوا مـالاً ولا عُـدّه ، ولا لقـوا في خروجهم غير النزوع عن أوّل أرضٍ مسَّ الجَلدة ترابها شدّه ، ووصلوا إلينا فأجزلنا لهم العطـاء ، وأسلينـاهم عمَّـا جرى بالحِبـاء ، فمن خيل تزيـد على الألف عتـاقهـا ، وخلع تُربي على عشرة آلاف أطواقهـا ، وأمـوالٍ عمّت الغنيَّ والفقير ، ورعـايـةٍ شملت الجميـع بـالعيشِ النضير ، وكفى بـالله ضُرَّ الطواغيت عمّا عَداها ، وما انقلبوا بغير مَدرةٍ عفا رسمها وصمَّ صداها[٤] .

وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر أن قدّم لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر ، وهو المطلّ على هذه المدَرَه ، والفرصـة منـه فيهـا إن شـاء الله مُيَسره[٥] ،

---

(١) ليست في (خ) .

(٢) في الأصل : « الموت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) إشارة إلى قول امرئ القيس :

صَمَّ صـداهـا وعفـا رسمهـا ... واستعجمت عن منطـق السـائـل

(٥) في (أ) ، (خ) : « متيسّرة » .

حين يفترق[١] عقد الكفار ، ويُفرد بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الدار[٢] فلولا إجلابهم من كلّ جانب ، وكونُهم سدّوا مسلك العبور بما لجميعهم من الأجفان والمراكب ، لما بالينا بأضعافهم ، ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم . ولكن للموانع أحكام ، ولا رادّ لما جرت به الأقلام ، وقد أَمَرْنا لذلك الثغر بمزيد المَدَد ، وتخيّرنا له ولسائر تلك البلاد [من][٣] العَدد والعُدد ، وعُدْنا لحضرتنا « فاس » لتستريح الجيوش من وَعْثاء السفر ، وتُربط الجياد وتنتخب العُدد لوقت الظهور المنتظر ، وتكون على أُهْبَة الجهاد وعلى مَرْقَب الفرصة عند تمكّنها في الأعاد ، وعند عَوْدنا من تلك المحاولة نسيّر الركب الحجاز موجهاً إلى هنالكم رواحله ، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب إصدار الودّ[٤] الخالص والحُبّ اللباب ، وعندنا لكم ما عند أَحْنَى الآباء ، واعتقادُنا فيكم في ذات الله لا يَخْشى جَديدُه من البَلاء ، وما لكم مِن[٥] غَرَضٍ بهذه الأنحاء ، فَمُوفّىً قَصْدُه على أكمل الأهواء موالىً تَتْميه على أجمل الآراء ، والبلاد باتحاد الودّ مُتَّحده ، والقلوب والأيدي على ما فيه من مَرْضاة الله تعالى معتضده ، جعل الله ذلكم خالصاً لربّ العباد ، مذخوراً ليوم التناد ، مسطوراً في الأعمال الصالحة يومَ المعاد بمنّه وفضله ، وهو سبحانه يصل إليكم سعداً تتفاخر به سعود الكواكب ، وتتضفّر على الانقياد له صدور المواكب ، وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب ، والسلام الأتمّ يَخُصّكم كثيراً أثيراً ، ورحمة الله وبركاته .

وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشَهْر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبع مئة ، صورة خط أبي الحسن المريني صاحب فارس .

وكتب في التاريخ المؤرخ .

---

(١) في (خ) : « تفرّق ».

(٢) في (أ) ، (خ) : « الأقطار » .

(٣) زيادة من « أ » .

(٤) في الأصل : « اللّب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وكنت أنا إذ ذاك في القاهرة فرُسِم لي بكتابة الجواب فكتبته بخطي من إنشائي ، في سادس شهر رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وسبع مئة بعد البسملة في قطع النصف بقلم الثلث :

عبد الله ووليّه

صورة العلامة الشريفة

وَلَده إسماعيل بن محمد .

السلطان الملك الصّالح السيّد العالم العادل المؤيّد المجاهِد الْمُثَاغر المظفر المنصور ، عماد الدنيا والدّين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالَمين ، مُنْصف المظلومين من الظالمين ، وارث الْمُلْك ، مَلك العرب والعجم والترك ، فاتح الأقطار ، واهب الممالك والأمصار ، إسكندر الزمان ، مَلِّك أصحاب المنابر والأَسِرَّة والتخوت والتيجان ، ظلُّ الله في أرضه ، القائم بسُنّته وفَرْضِه ، مالِكُ البحرين ، خادمُ الحَرَمَيْن الشريفين ، سيّدُ الملوك والسلاطين ، جامعُ كلمة الموحّدين ، وليّ أمير المؤمنين ، أبو الفداء إسماعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ، أبي الفتح محمّد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ، خلَّدَ الله سلطانه ، وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه .

يخصّ المقامَ العالي الملك الأجلّ الكبير المجاهد المؤيّد المرابط المثاغر المعظم المظفر المعمّر الأصعد الأوحد الأمجد الأنجد السَّنِيّ السَّريّ ، المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أمدّه الله بالظّفر ، وقرن عزمه بالتأييد في الآصال والبُكَر ، بسلام وشَّتِ البروقُ وشائعه ، وادّخرت الكواكب ودائعه ، واستوعب[1] الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه ، وثناءٍ اتّخذ المِسْك الأذفر طلائِعَه ، ونبّه للتغريد في الروض سواجعه ، وجَلاَ في كأسه من الشفق الأحمر مداماً ومن النجوم فواقِعَه .

(١) في (أ) : « واستودع » .

بعد حمد الله على نِعَمٍ أدّت لنا الأمانة في عَوْد سلطنة والدنا الموروثه ، وأجلستنا على سرير مملكة زرابيّها بين النجوم مبثوثه[١] ، وأحسنت بنا الخَلَف عن سلفٍ عهودُه في الأعناق غَيْرُ منكورة ولا منكوثه .

وصلاته على سَيّدنا محمَّد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم[٢] في الكفرة غايةَ أمله وسُولَه ، صلاةً تنحطّ بالرضوان سُيولها ، وتُجَر بالغفران ذُيولُها ، ما تراسلَ أصحاب ، وتواصل أحباب وسلامه .

ونوضح لعلمكم[٣] الكريم ورودَ كتابكم الكريم ، وخطابكم الفائق على الدُرّ النظيم ، تفاخر الخمائلَ سطورُه ، ويصبغ خدود[٤] الورد بالخجل منثورُه ، وتحكي الرياضَ اليانعة فالألفات غُصونه ، والهَمْزات عليها طيوره ، ويخلع على الآفاق حُلَلَ الأيام والليالي ، فالطِرس صباحه والنِّقس دِيْجُورُه ، لفظه يُطرب ، ومعناه يُعْرِب فَيُغْرِب ، وبلاغتُه تدلّ على أنّه آية لأنّ شمس بيَانِها طَلَعت مِنَ الْمَغْرب .

فاتخذنا سُطوره رَيْحَانا ، ورَجَّعْنَا ألفاظه ألحانا ، ورَجَعنا إلى الجدّ فشبّهنا ألفاتِه بظلال الرّمَاح ، ووَرَقَهُ بصقال الصِّفاح ، وحروفه المعرَّقَة بأفواه الجراح ، وسُطورَه المنتظمة بالفرسَان المزدحِمَة في يوم الكفاح ، وانتهينا إلى مَا أَوْدَعتموهُ من اللفظ المسجُوع ، والمعنى الذي يُطْرِبُ طائرُه المسموع ، والبلاغةِ التي فَضَحَ المتطبّعَ [فيها][٥] بيانُها المطبُوع .

فأمَّا العزاء بأخيكم الوالد ، قدّس الله روحه وسقى عَهْدَه ، وأحسنَ لسَلفه خَلَفنا بَعْده ، فلنا برسول الله ﷺ أُسْوةٌ حَسَنة[٦] .

---

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة [الغاشية ١٦/٨٨] : ﴿ وزرابي مبثوثة ﴾ .

(٢) في (خ) : « بلغ بهم بجهادهم » .

(٣) في الأصل : « لعلمه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) في (أ) ، (خ) : « خدّ » .

(٥) ما بينهما زيادة من (خ) .

(٦) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة ﴾ ، [الأحزاب : ٢١/٣٣] .

ولولا الوثوق بأنّه في عدّة الشّهداء ما رأى القلب قرارَهُ ولا رأى الطرفُ وَسَنَه . عاشَ سعيداً يملك الأرض ، ومات شهيداً يفوز بالجنة يَوْمَ العرض ، قد خلّدَ الله ذِكرَه يَسيرُ مسيرَ الشمس في الآفاق ، ويُوقف على نضارة حدائقه نظراتِ الأحداق ، وورثنا منه حُسْنَ الإخاء لكم والوفاء بعهودِ مَوَدّة تشبه في اللّطف شمائلكم .

وأمّا الهناء بوراثة مُلكه ، والانخراطِ مع الملوك في سلكه ، فقد شكرْنا لكم مَنْحنا هذه المِنْحه ، وقابلْناها بثناءٍ يعطّر النسيمَ في كلّ نَفْحَه ، وَوَقَفْنَا عليها حمداً جعل الودُّ علينا إيرادَه ، وعلى أنفاس سَرحةِ الروضِ شَرْحَه ، وتحقّقنا به حسن ودّكم الجميل وكريم إخائكم الذي لا يميد طَوْدُ رُسوخه ولا يميل .

وأمّا ما ذكرتموه من أمر الْمُصْحَفين الشريفين [اللذين][1] وفقتموهما على الحَرَمين الشريفين ، وأنّكم جَهّزتم كاتبكم الفقيه الأجل الأسنى الأسمَى أبا المجد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مَدْيَن ، أعزّه الله تعالى ، لتفقّدِ أحوالهما والنظرِ في أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حِرْزِ السلامة وأكرمنا نُزُلَهم ، وسهّلنا بالترحيب سُبُلَهم ، وجمَعْنا على بَذْل الإحسان إليهم شَمْلَهم ، وحضر المذكورُ بَيْن أيدينا وقَرَّبناه وسَمِعْنَا كلامه وخاطبناه ، وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ، ورسمنا لنوّابنا في نواحي أَوْقَافهما بَما ذكرتم ، وهذا الوقفُ المبرورُ جارٍ على أحسنِ عادةٍ أَلِفها وأثبتِ قاعدةٍ عَرَفها ، مَرْعيٌّ الجوانب ، محميٌّ المنازل والمضارب آمنٌ من إزالة رسمه ، أو إدالة حكمه ، بَدْرُه أبداً في مطالع تِمّه[2] ، وزَهْرُه دائماً يَرْقُص في كَمّه ، لا يَزداد إلاّ تخليدَا ، ولا إطلاق ثبوته إلاّ تقييداً ولا عُنقُ اجتهاده إلاّ تقليدا ، جَرْياً على عادة أوقافِ مَمالكنا وقاعدةِ تصرفنا[3] في مسَالكنا ، ولَهُ زيادةالرِّعَايَه ، وإفادةُ الحِمَايَه ، وَوِفادَةُ العِنايه .

وأمَّا ما وصفتموه من أَمْر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلُها ، ومُني به مِن الكُفّار

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « يمّه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) في (أ) ، (خ) : « تصرّفاتنا » .

حَزْنُها وسَهلُها ، فإنَّه شقّ علينا سَماعُه الّذي أنكى أهلَ الإيمان وعَدَّدَ به ذُنوبَ الزمَـان كلُّ قلب بـأنَـامل الخَفقـان ، وطـالمـا فزتم بـالظّفَر ، ورُزِقتم النّصرَ على عَـدوّكم ، فجرَّ ذَيْـلَ الهمزية وَفَرّ ، ولكنَّ الحرُوبَ سِجَال ، وكلّ زمَـان لِـدَائـه دَوْلَـة ولرجـائـهِ رجَـال ، وَلو أمكنت المسَاعدة لطارت بنا إليكم عُقبانُ الجيَاد المسوّمَه ، وسَـالَتْ على عـدوّكم أبـاطُحهم بقسّينا المعوجّة وسهامنا الْمُقَوَّمَـه ، وكحلّنـا عيُونَ النجوم بمَراودِ الرّمـاح ، وجعلنـا لَيل العَجاج ممزّقا ببروقِ الصّفَاح ، واتّخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كُرَات ، وفرّجنا مضـائِقَ الْحَرْب بتوالي الكَرّات ، وعَطَفنا عليهم الأعنّه ، وخُضْنَا جـداول السُّيُوف ودُسْنَـا شوك الأسنّه ، وفَلَقنا الصخرات[1] بالصّرخات ، وأسَلْنَـا العَربـات[2] بـالرَّعبَـات ، ولكنْ أين الغايةُ مِن هذا الْمَدى المتطاول ، وأين الثُّريـا من يـد المتنـاول ، ومـالنـا غير إمـدادكم بجيوش الدُّعَاء الذي نرفعه نحنُ له ورعايانـا ، والتوجـه الصّـادق الـذي تعرفـه ملائكـة القبول في سَجَايانا .

وأمَّا ما فقدتموه من الأَجْفَان التي طرقها طيفُ التَّلاف[3] ، وأمّ حَرَم فنـائهـا الفنـاء وطـاف بـه بعـد الإلطـاف ، فقـد روّع هـذا الخبر قَلْبَ الإسلام ، ونوّع لـه الحـزن على اختلاف الإصبَاح والإظلام ، وهذه الـدار مَـا يَخْلُو صَفْوهـا مِنْ كَـدَر القـدر ، وطـالمـا أنامت بالأمن أوّل الليل ، وخـاطَبت بـالخَطْب في السّحر ، ولكنْ في بقـائكم من خطب العَطب ومع سَـلامـة نفسكم الكريـمة فـالأمرَ هيّن ، لأنَّ الـدرَّ يُفـدى بـالـذهب ، وأمّـا مَـا رأيتموه من الصّلح فرأيُ عَقْـدِهِ مُبَـارك ، وعقـده[4] مـافيـه فـارط عـزم ، وإنْ كان فيُتَدارك .

والأمر يجيء كما يجبّ لا كما يحبّ ، والحروبُ يزور نصرها تارة ويَغِبّ ، ومع اليوم غَدَا ، وقد يَرُدّ اللهُ الردى ، ويُعيد الظَّفَر بالعِدَا .

(١) في (خ) : « الصخر » .
(٢) في (أ) ، (خ) : « العبرات » ، ولها وجه .
(٣) في الأصل : « التلاق » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) في (أ) ، (خ) : « ورأيه » .

وأمّا عَوْدكم إلى فاس المحروسَة طَلباً لإراحة مَاعندكم من الجنود ، وتجهيزاً لِمَنْ يَصِلُ من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود ، فهذا أمرٌ ضَروريّ التدبير ، سروري التثمير ، لأنَّ النُفوس تملّ وِتِير الجهَادِ فكيف ملازمَة صهوات الجياد ، وتسأم من مجالسة الشّرب فكيف بمُمَارسة الحرب ، وتعرض عن دوام اللذه ، فكيف بمباشرة المنايا الْمُغَذَّه ، وهذا جبل طارق الذي فَتَح الله به عليكم ، وساق هُدَى هَديّته إليكم ، لعَلّه يكون سبباً إلى ارتجاع ما شَرَد ، وحَسْمَاً لهذا الطاغية الذي مَرَد ، ورَدّاً لهذا النازل الذي قدِمَ ورَدّ الصبرَ لمّا وَرَد ، فعَادةُ الألطاف الإلهيّة بكم مَعْروفه ، وعَزَماتكم إلى جهات الجهاد مصروفه ، وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنَّه طارِقُ خَيْرٍ من الرّحمن يَطرق . وجَيلٌ يَعْصم مِنْ سَهْم يمرّ مِن قسيّ الكفار ويَمْرُق .

وأمَّا مامنحتوه من الخيل العِتاق والملابس التي تُطْلع بُدُورَ الوجوه من مشارق الأطواق ، والأموال التي زَكت عِنْدَ الله تعالى ونمت على الإنفاق ، فعلى الله عز وجل خلَفُها ، ولكم في منازل الدنيا والأخرى شَرَفُها وشَرفُهَا ، وإليكم تساق هدايا أثْنيتها وتحفكم تُحَفُها ، وإذا وصل وَفْدُكم الحَاجّ ، وأنار له[1] بوجهِ إقبالنا عليهم ليلُهم الدّاج ، كانوا مقيمين تحت ظِلّ إكرامنا ، وشُمُولِ إسعافنا لهم وإنعامنا ، يتخوّلون تُحَفَا أنتم سَبَبُها ، ويتناولون طُرَفاً في كؤوس الاعتناء بهم تَنضَّدَ حَبَبُها ، وإذا كان أوانُ الرّحيل إلى الحّج فسَحنَا لهم الطريق ، وسَهلّنا لهم الرفيق ، وبَلّغناهم بحَوْل الله مُناهم مِن مِنى ، وسُؤلَهم ممّن إذا زاروا حجرته الشريفة [حازوا][2] الراحة من العَنا ، وفازوا بالغنى ، وإذا عادوا عاملناهم بكلّ جميل يُنسيهم مَشقَّة ذلك الدَّرب ، ويخيَّل إليهم أن لا مسافة لمسَافر بين الشرق والغَرْب ، وغَمَرناهم بالإحسان في العَوْد إليكم ، وأَمَرْنَاهم بما يُنهونه شفاهاً لديكم ، وعنايةُ الله تعالى تحوطُ ذاتكم ، وتوفّرُ لأخْذِ الثأر حُمَاتكم ، وتخصّكم بتأييدٍ تَنْزلون رَوْضَةُ الأنضر ، وتَجْنون به ثمر النَصرِ اليانع من ورَق الجديد الأخضر ،

(١) في (أ) : « لهم » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

وتُتحفكم بسَعْدٍ لا يَبْلَى قَشيبه ، وعزّ لا يَمحُو شبابَهُ مشيبهُ ، وتحيّته المباركة تغاديكم وتُراوحكم ، وتُناوحكم أنفاسُها المعنبَرة ، وتنافحكم ، بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١١٦٥ ـ علي بن عبد الله بن رَيّان*

ابن حنظلة السِينَاني ، بالسين المهملة [وياء آخر الحروف][1] ونون بعدها ألف ونون ، نور الدين الحضرموتي .

أخبرني العلامة أثير الدين قال : وُلِدَ المذكور بدُمرِيْط ، بدال مهملة وميم ساكنة وراء مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وطاء مهملة ، قرية من الشرقيّة بالديار المصريّة .

تولّى القضاء بجهَات من الشرقيّة ، وله معرفة بالنَسب ومشاركةٌ في الفقه . وحفظ جملة من الحديث ، وَله أدبٌ ونظم على طريق العرب . و « سِينانُ » الصّحيح أنّها من حِمْيَر وأنشدني لنفسه :

لقيَ الفؤَادُ مُذْ نَأوا تَلَهُّبَا ... وصَارَمَتْهُ الغِيْدُ رَبَّاتُ الحِبَا
نارُ أسىً تُضْرَمُ في أحشائه ... تُشَبُّ مِنْ وَقْد الغرام مَا خبَا
يا راكبَ الوجناء مِنْ خُزَاعة ... يُرْقلُها طَوْراً وطَوْراً خبَبَا
كأنّها إذا انبرَتْ بَارقَةٌ ... تَقْطَعُ أجْوَاز الفَلاَ والْحَدبَا
حيّ ـ أبَيْتَ اللَّعْنَ ـ دارَ[2] زينب ... إن جُزْت بالرَبع وحيّ زَيْنَبا[2]
مَا أنصفت زينبُ لَمّا أنْ نأت ... وغادرتني دَنِفاً مُعَذّبَا
أسَامرُ النجْم إذا جَنّ الدُّجَا ... شوقاً إلى غِيْدِ كأمثال الظبَا

---

* الوافي : ٢١٨/٢١ ، والدرر : ٧٤/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٢) في (أ) ، والوافي : « ربع » .

بِيْضٌ حِسَـــان خُرَّد كـــوَاعِبٌ إذا رَنَـوا عُجْبـاً رأيتَ العجَبَـا
يُسْفِرْنَ عَنْ مِثْـل الشمـوس أوْجهـاً ويختلبنَ[1] القـانت الْمُهَـذّبـا[1]

توفي رحمه الله تعالى ...[2]

ومولده سنة أربع وأربعين وستّ مئة[3] .

١١٦٦ ـ عليّ بن عبد الله بن عمر*

نور الدين القَصْري .

أخبرني العلامة أثير الدين قال : وقّع المذكور لبعض القضاة . وله نظمٌ ونثرٌ جَيّدان[4] ، أنشدني له يصف فرساً :

لّمـا جرى شَـوْطـا بَعيـد الْمَـدَى أَلَّف بين الغَرْب وَالشَّرْق
فـــاتَ ارتـــدادَ الطرف ثم انثنى يهـزأُ بـــالرّيـح وَبـــالبرْق

قلتُ : أنا : اختصره مِن قَوْل ابنِ حَجّاج من أبيات :

قـالت لـه البَرْق وقـالت لـه الـ ـريـح جميعـاً وهمـا مَـاهُما
أأنت تجري مَعَنـــا قـــال لا إن شئتُ أضحكتكمـــا منكمـــا
هـذا ارتـداد الطّرف قَـدْ فُتّـه إلى المـــدى سَبقـــا فمن أنتما

قلت : وأنشدني لنفسه في روضةِ مصر :

ذاتُ وَجْهَيْن فيهما قُسِّم الْحُسْـ ـنُ فـأضْحَتْ بهـا القلـوبُ تَهيمُ

(١) في الأصل : « ويجتلين » ، وفي الوافي : « يختلين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) كذا في الأصول ، ولم يذكر صاحب الدرر سنة وفاته .
(٣) في الدرر : (سنة ٦٦٤) .
* لم نقف على ترجمة له .
(٤) في الأصل : « نظمٌ ونثران » سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

ذا يلي مَصْرَ فهـــوَ مِصْرٌ وهـــــذا يَتَـــــولّى وسيم فهـــــوَ وسيمُ
قـد أعـادَتْ عَصْرَ التّصـابي صِبـاهـا وأبـــادت فيهـــا الغُمُـومَ الغُيُـومُ

قال الشيخ أثير الدين وزدت أنا بيتاً وهو :

فَبِلُـجٍّ البِحَـــــار يَسْبَـحُ نُـونٌ وبفـــجّ القِفـــــار يَسنـــح رِيمُ

ومن نثره : « جفنٌ علّمـه الغرامُ كيف يَكِف ، ودمْعٌ أبى حين وقف بـالربع أن يَقِف » انتهى .

وقال كمال الدين الأُدْفوي : وكان فيه مروءة ومَكْرمة .

أخبرني بكتوت مَوْلى قاضي القضاة مُعزّ الدين الحنفي : أنَّ ابن الكَيْلج تحدّث لـه مع مولاه في العدالة ورسم بكتابة أسجال[1] . قـال بكتوت : فـاستـأذنتـه في أن يكتبـه ابن القصري ، وأعطـاني ابن الكيلج أربعـة دنـانير للكاتب ، فركبت وتـوجّهتُ إليـه ، ووضعت الـدنـانير بين يـديـه ، فقـام وفتـح صنـدوقـه ، فـأخرج منـه ورقـاً وكتَبَ الأسجال ، وأخرج من عنده دينارين وأضافهما إلى الأربعـة ، وقـال : هؤلاء ضيـافتـك لدخولك إلى منزلي .

وتوفي نور الدين بالقاهرة سنة ست أو سبع وتسعين وستّ مئة .

١١٦٧ ـ علي بن عبد الله بن عمر*

ابن أبي القـاسم البغـدادي الحنبلي ، أخـو الإمـام رشيـد الـدين ، وهـو الشيـخ زين الدين أبو الحَسن .

أجـاز لـه ابن العُلَّيـق[2] وجمـاعـة . وسمع من فضل الله الجيليّ ثـلاثـة أجـزاء

(١) الأسجال : هي الكتابة أو التسجيل .

* الوافي : ٢٢١/٢١ ، والدرر : ٧٥/٣ .

(٢) أبو نصر الأعز بن فضائل البغدادي (ت ٦٤٩ هـ) ، الشذرات : ٢٤٤/٥ .

أبي الأحوص[١] . ومن عليّ بن محمد بن خطّاب بن الخيمي (جزء) التراجم للنجاد[٢] ، ومن ابن تيميّة أحكامه ، ومن محيي الدين بن الجوزي[٣] كثيراً من تواليف أبيه .

وتفرَّدَ في وقته ، وكتب في الإجازات ، لكنّه كان عاميّاً ، يتهاون في الدين ، وكان أخوه يزجر عن السماع منه .

قال السِّراج القزويني : تركته لما فيه ممّا لا يليق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١١٦٨ ـ علي بن عبد الله بن أبي الحسَن*

ابن أبي بكر الإمَام ، العلاّمَة ، الْمُفَتّن ، المفتي ، المتكلّم ، تاج الدين ، الأردبيليّ المولد ، التبريزيّ الدار ، الشافعي ، الصوفي . قال : سمعت من (جامع [الأصول][٤] على القطب الشيرازي[٥] ، وبعض (الوسيط) على شمس الدين بن المؤذّن . وأخذت النحّو والفقه عن ركن الدين الحديثي[٦] . وعلم البيان عن النظام الطوسي ، والحكمة والمنطق عن السيّد برهان الدين عُبَيْد الله ، و (شَرْحَ الحاجبيّة) عن السيّد ركن الدين[٧] المؤلف ، وأجازَني شمسُ الدين العُبَيْدي[٨] ، وعِلْمَ الخلاف عن علاء الدين النعمان الخوارزمي ، وإقليدس وأوطاوَقس وبادوسيوس ، والحساب والهيئة

(١) محمد بن الهيثم بن حماد الثقفي (ت ٢٧٩ هـ) ، الأعلام : ١٣٢/٧ .

(٢) أحمد بن سلمان بن الحسن (ت ٣٤٨ هـ) ، السير : ٥٠٢/١٥ .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن (ت ٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٨٦/٥ .

* الوافي : ٢١٨/٢١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٢٧/١ ، والدرر : ٧٢/٣ ، والشذرات : ١٤٨/٦ ، والبغية : ١٧١/٢ ، وحسن المحاضرة : ٥٤٥/١ ، وتذكرة النبيه : ٨٩/٣ .

(٤) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٥) محمود بن مسعود بن مُصْلح (ت ٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) هو الحسن بن محمد العلوي ، توفي بالموصل سنة (٧١٥ هـ) ، الكشف : ٣٧٦/٢ .

(٧) الأستراباذي ، حسن بن محمد ، وقد سلفت ترجمته .

(٨) عبد الكافي العبيدي (ت ٧٠٧ هـ) ، ذيل العبر : ٣٩ .

عن فيلسوف الوقت كمال الدين حسن الشيرازي الأصبهاني ، و (الوجيز)[١] في الفقه عن شيخ الزمان ، حمزة الأردبيلي[٢] ، وعلم الجبر والمقابلة والمسَاحة والفرائض عن الصلاح موسى ، و (شرح السنّة) و (المصابيح) عن فخر الدين جار الله الجَنْدَراني والبَستي تاج الدين الملقّب بالشيخ الزاهد عن الشيخ شمس الدين التبريزي عن الركن السجاسي[٣] عن القطب الأبهري عن أبي النجيب السهروردي[٤] عن أحمد الغزالي عن أبي [بكر] النيسَابوري عن محمّد النّساج عن الشِّبلي [عن الجنيد][٥] .

وأدركت كمال الدين أحمد بن عَرَبشاه بأردبيل ، دَعَا لي ، ولقَّنني الذكرَ عن أوحد الدين الكرماني ، وأدركت شيخاً كبيراً أجاز لي ، أدرك الفخر الرازي . وأدركت ناصر الدين البيضاوي ، وما أخذت عنه شيئاً ، وجالست ابن المطهَّر الحليّ ، وما أخذت عنه لتشيّعه .

واشتغلت وأنا ابن عشرين إلى تسع وعشرين سَنَة ، وأفْتَيْتُ ولي ثلاثون سنة ، ووُلّيت الخانقاه والتدريس وأنا ابن ثلاث وثلاثين ، وخَرَجت إلى بغداد بَعد ست عشرة[٦] وسبع مئة ، وأتيت المشهدَ والحلّة والسلطانيّة ومَراغة ، وحججتُ ، ثم دخلتُ مصر سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : هو عالم كبير شهير ، كثير التلامذة ، حَسن الصيانة ، من مشايخ الصّوفية ، كاتبن ي غير مَرّة ، وحصّل نسخةً بالميزان[٧] ، وذكرني في تواليفه .

---

(١) في الوافي : « والوجيه » ، تحريف .

(٢) في (أ) : « سراج الدين حمزة ... » ، وفي الوافي : « تاج الدين حمزة » .

(٣) في الوافي : السحاسي » .

(٤) عبد القاهر بن عبد الله بن محمد (ت ٥٦٣ هـ) ، السير : ٤٧٥/٢٠ .

(٥) الزيادة من الوافي .

(٦) في الوافي : « بعد سنة عشر » ، تحريف .

(٧) ميزان الاعتدال ، للذهبي .

وقال الشيخ تقيّ الدين بن رافع : قَدِمَ فسمع[١] عليّ بن عمر الواني ، ويونس الدبابيسي ويوسف الخُتَني ، وابن جماعة . وكتب الطباقَ ، وحصّل جملة من الكتب الحديثيّة ، وَشغَل في فنون ودرّس بالطرنطائية[٢] ، وناظر ، وكثرت طلبته . وصنَّف في التفسير والحديث والأصول ، وأقرأ (الحاوي) كلَّه في نصف شهر ، رواه عن شرف الدين علي بن عثمان العتقي[٣] عن مصنِّفه ، انتهى .

قلت : كان الشيخ تاج الدين من أفراد زمانه ، وأنجاب عصره وأنجاد أوانه ، بحراً يتموّج علوما ، وحَبْراً يتأرّج طيباً بالفوائد مستديما .

أخذ عنه جماعة وانتفعوا وترَقَّوا من حضيض الجهل وارتفعوا ، وأقرأ الناس المنقولَ والمعقولَ ، وتفرَّد بفنونه ، فلو شاء لم يَدع قائلاً يقول ، وحضرتُ دروسه للطلبه ، وسمعتُ عبارته إلاّ أنها في عجمتها تُوْرِدُ من الدُرّ مُخشلبه[٤] ، واعترف المشايخ بفضله ، وأصاب الأغراض والشواكل[٥] بنبال نَبْله .

ولم يزل بمصر على حاله إلى أن سكنت تلك العبارات ، وبطلت تلك الإشارات .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعَظّم سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وتوجّهت إليه يوماً ، وهو بالمدرسة الطرنطائية ، ومعي كتاب (كشف الحقائق) لأثير الدين الأبهري[٦] ، وطلبت الاشتغال فيه عليه فقال : ماعندي عليه

---

(١) في وفيات ابن رافع : « فسمع من » .

(٢) هي مدرسة حسام الدين طرنطاي ، كما في الدرر .

(٣) في الوافي : « العنقي » ، وفي الدرر : « العفيفي » .

(٤) كذا ، ولم نقف على مراده .

(٥) هي الطرق المتشعبة عن الطريق الأعظم .

(٦) (ت ٦٦٣ هـ) ، الكشف : ١٤٨٩/٢ .

شرح ، وكلامه عَقِد ، ففارقته ، وسمعت[١] غير واحد من المصريين أنّه أقرأ (الحاوي) من أوله إلى آخره في شهر واحد تسع مرات .

وكان يشغل في هذه العلوم التي ذكرها كلها ، وعلى الجملة ، فكان في عصره عديم النظير .

وقلت أنا فيه لمّا مات رحمه الله تعالى :

يقول تاجُ الدين لمّا قضى ... من ذا رأى مثلي بتَبْرِيزِ
وأهل مصر بَاتَ إجماعهم ... يَقْضي على الكلِّ بتبْرِيزِ

١١٦٩ ـ علي بن عبد الله بن عَبْد القويّ*

ابن الحسن بن أبي المجد بن ناجي بن سليمان المدلجي ، الشافعي ، المعروف بالعصلوجي .

كان فقيهاً مدرّساً بمصر ، روى كتاب (الشهاب) للقضاعي[٢] عن الحافظ رشيد الدين العطار القرشيّ[٣] ، وسمع منه أمين الدين الواني وغيرُه . وناب في الحكم عن ابن دقيق العيد بمصر .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شهر الله المحرم سَنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده في صفر سنة ست وأربعين وست مئة .

---

(١) في (أ) : « وسمعت من » .

* الدرر : ٧٥/٣ .

(٢) في الأصل : « الشهادة للقضاعي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، واسم الكتاب : (شهاب الأخبار) ، ألّفه القاضي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤ هـ) ، الوافي : ١١٦/٣ ، والكشف : ١٠٦٧/٢ .

(٣) محمد بن يحيى بن علي القرشي (ت ٦٨٦ هـ) ، الشذرات : ٣٩٩/٥ .

وكان يُنْعَتُ بالقاضي جلال الدين بن[١] أبي الحسن .

١١٧٠ ـ علي بن عبد الله بن مالك*

الشيخ الصّالح الإمام الفاضل نور الدين أبو الحسن الدُمْدَيْطي ، بضم الدال المهملة الأولى وبعدها ميم ساكنة ودال ثانية مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة وطاء مهملة[٢] ، الشافعي .

كان يَعْرِف قطعة صالحة مِنْ أنساب العرب ، ويذاكر بذلك ، وله شعر .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ، ودفن بمقابر الصوفيّة خارج باب النّصر في آخر صفر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١١٧١ ـ علي بن عبد الحميد بن محمد بن وفاء**

الفقيه الفاضل ، علاء الدين بن التراكيشي ، الحَنبليّ .

كان من أعيان الحنابلة ، فاضلاً نبيهاً نبيلاً ، يبحث ويناظر ويجادل .

توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في سابع عشري شوال سنة تسع وسبع مئة ، ودُفن خارج باب النّصر ، وكان قد سمع (جزء ابن عرفة) على ابن أبي الخير[٣] .

١١٧٢ ـ عليّ بن عبد الرحمن بن عبد المنعم***

ابن نِعْمَة بن سُلطان بن سُرور المقدسي ، فخر الدين ، مفتي نابلس .

---

(١) ليست في (أ) .

* الدرر : ٧٥/٣ .

(٢) وفي الدرر : « الدمياطي » .

** الدرر : ٥٨/٣ .

(٣) أحمد بن أبي الخير سلافة بن إبراهيم الدمشقي (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣١٩/٥ .

*** الوافي : ٢٣١/٢١ ، والدرر : ٥٩/٣ ، والشذرات : ٥/٦ .

كان مِن العلماء الأتقياء ، أفتى نحواً من أربعين سَنَة ، وارتحل ، وسمع من ابن الجُمَّيْزِي ، وسبط السِّلَفي ، وابن رواج ، ومحيي الدين بن الجوزي .

وكتب شيخنا الذهبي عنه ، وهو والد عماد الدين مفتي نابلس .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل المحرم سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة بنابلس .

واجتمع خلق كثير في جنازته ، وحضر أهل القرى من البرّ ، وكان شيخاً صالحاً ، كثير التواضع ، محبباً إلى الناس .

١١٧٣ ـ علي بن عبد الرحمن*

القاضي نور الدين بن الْمُغَيْزِل ، الحموي ، الكاتب .

كان بحماة له وجاهه ، وعنده أُبَوَّةٌ ونَزَاهه ، وحَظِيَ عند المنصور بحماه ، ولاذ القاصدون لها بحِمَاه ، وكتب الدّرْج[1] للمنصور ، وأصبح وممدودُ جاهِهِ عليه مَقْصور[2] . وبَعْدَه توجه إلى طرابلس صحبَة أَسَنْدَمر النائب ، فلم تطل مُدَّته ، وحلّت به النوائب ففارق مَغْنَى العيش ، ولم يُغْنِ عَنْهُ ثباتٌ ولا طيش .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبع مئة . وهو من نسل بنات شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري .

حضر إلى دمشق أول سنة إحدى وسبع مئة ، وتوجه مع نائبها الأمير سيف الدين

---

* الوافي : ٢٣٢/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٣ ، والدرر : ٥٨/٣ .

(١) كتّاب الدرج : هم الطبقة الثانية من موظفي ديوان الإنشاء . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٢٨٠) .

(٢) في الأصل : « منصور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

اسْنْدمر كاتب دَرْج ، وتقدّم عنده ، وحظي لديه ، وأقام من بعض صَفَر إلى جمادى الآخرة ، وتوفي . وكان قَدْ رَتَّبه عِوض ابن رواحة[١] ، فأعيدَ لموته ابنُ رواحة إلى مكانه .

١١٧٤ ـ عليّ بن عبد الرحمن بن أبي بكر الواني*

الأمير علاء الدين ، مُقَدَّم البريديَّة بدمشق المعروف بابن الفرّا .

كان حَظِيّاً عند الأمير سيف الدين تنكز ، يسوق في المهمّات ، ويُجَهِّزه إلى باب السلطان في الْمُعْضَلات ، إلا أنّه كان يَنْبَسط معه بالفعل المؤذي والقولِ الفاحش ، وتارة يُدنيه كالمحبوب ، وتارة يبعده كالوارش[٢] .

أعطاه السلطان الملك الناصر طبلخاناه وحَضَر بها ، فأنكر ذلك عليه ، وحَبَسَهُ مرّة بسببها .

ولم يزل يقع [معه][٣] ويقوم ، ويسفّ تارةً ويَحُوم إلى أن أُمْسِك فخلص ، وزاد من فَرَحه ما كان نَقَصَ ، وأقام بعده مُدّة إلى أن عُقِر سمعه ، وطفيء مِنَ الحياة شَمْعُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة . في طاعون دمشق ، وولده شهاب الدين أحمد ، ولّما مات كان أميرَ عشرة لا غير .

١١٧٥ ـ عليّ بن عبد الرحيم**

كال الدينَ بن الأثير الأرمنتي .

---

(١) نور الدين أحمد بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته .

* الدرر : ٦٠/٣٠ .

(٢) الوارش : من يتطفّل على طعام غيره .

(٣) زيادة من (أ) .

** الوافي : ٢٣٣/٢١ ، والطالع السعيد : ٣٨٩ ، والدرر : ٦١/٣ .

كان فقيهاً شافعيّا ، قاضياً بليغاً لا تَجدُ فيه عيّا ، من بيت أصالة في الصّعيد ، ورئاسةٍ ذِكْرُها باقٍ لا يَبين ولا يبيد ، وكان أبوه حاكماً بأعمال قوص ، واسم سُؤدده فيها صحيحٌ غير منقوص .

وكان هذا كمال الدين قد تولى قضاء الشرقيّة وأحاديثُ سيرته فيها نَقِيّة ، وتولى قضاء أشموم الرّمان ، وذكره فيها باق على مرّ الزمان .

ولم يزل إلى أن طوّحت به الطوائح ، وقامت عليه النوائح وتوفّي رحمه الله تعالى سنة ست وسبع مئة بمصر .

قال الفاضل كمال الدين الأُدفوي : أخبرني القاضي أبو الطاهر إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق السّفطي قاضي قوص قال : كان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قد عَزَل نفسه ، ثم أُعيد إلى القضاء فولاّني بُلْبَيْس ، وقال لا تُعْلِم أحَداً ، وتوجّهْ إليها عَجِلا ، فتوجهت ثاني يوم الولاية إليها ولم يشعر أحد ، فلمّا جلست للقضاء بَلَغَ الكمال الأرمنتي ، وكان قاضياً بها[1] ، فأرسل إلى أصحاب الشيخ يسألهم ، فسألوا الشيخَ هل عَزَله ، فقال : ماعزلته ، فكتبوا إليه فأخذ في الحديث في الحكم ، فلمّا بلغ الشيخ ، قال : أنا ماعزلته وإنما انعزل بعَزْلي ولَمْ أُوَلِّه .

١١٧٦ ـ عُليّ بن عبد الرحيم بن مَرَاجل*

الصَّدر علاء الدين الْحَمْوي الأصل الكاتب .

كان والدُه شهاب الدين عبد الرحيم يَتَصرَّف في جهات الديوان بحلب ودمشق . وكان علاء الدين له إلمامٌ بالأدب ، وله فيه تحصيلٌ وطَلَب .

---

(١) زاد في الطالع : « فلم يصدّق » .

* الوافي : ٢٣٤/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٠٨ ، والدرر : ٦٠/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٦٢/١ ، وعقد الجمان ٣٢٩/٤ .

وكان يَنْظُم ويُقْدم على ذلك ولا يَعْظُم ، إلا أنّه كان للشرّ يتسرّع ، ويقلّد الجهل في أموره ولا يتشرّع .

ولم يزل يُغير وينجد في البلاد ، ويتقلّب بين ظهراني العباد ، إلى أن غَلَت مراجل المنيّة لابن مَراجلْ ،وعجّل أجله الآجل .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة ثلاث وسبع مئة .

وكان قد باشر عدّة جهاتٍ من مشارفةٍ ونظر ، وباشرَ أخيراً استيفاء النظر بدمشق ، وتوجه إلى مصر بعد السبع مئة ، وتأخّر مقامه بها شهوراً[١] فقال :

أقول في مِصْرَ إذ طال المقام بها ... وساءَ من سُوء مَلقى أهلِها خُلقي[٢]
يا أهلَ مصر أجيبوا في السؤال عَسَى ... يُسَكِّنُ الله ما ألقى من القَلَقِ[٣]
هلْ فيكمُ من يُرَجَّى للنوال وَمَنْ ... يَلْقَى لوفدٍ بوجهٍ ضاحك طلق
أم عندكمْ لغريبٍ في ديارِكُمُ ... بقيّةٌ مِنْ ندىً أو عَارضٍ غَدِقِ[٤]
فقيل ذلك ممّا ليس نَعْرِفُه ... وإنّما سُفْنَنَا تجري على المَلَقِ[٥]

فبلغ ذلك الصاحب تاج الدين بن حنّا ، فأرسل طَلَبها منه ، فزاد فيها علاء الدين بن مَراجل :

لكنْ رأيت بها مولىً خلائقُه ... أعَاذها الله بالإخلاص والفَلَق
السَيّدُ الصّاحبُ المولى الوزير ومَنْ ... فَاق الورَى كُلَّهُم بالْخَلق والْخُلُق
تاج الْمَعالي وتاج الدين قد جُمِعَتْ ... فيه المكارمُ تأتي منه في نَسَق

(١) في عقد الجمان : « وقال وهو بمصر لما دخل إليها في سنة إحدى وسبع مئة » .
(٢) في العقد : « سوء خلقي .. » . تحريف .
(٣) في العقد : « أجيبوني السؤال .... ما ألقاه من قلقي » .
(٤) في العقد : « من يَدٍ » .
(٥) في العقد : « فقيل لي ذاك مما .... وإنما سقتنا فيها على » . وفي الوافي والتالي : « سقينا يجري » .

سِتْرٌ[١] على أهـل مصر لم يـزل أبـداً مُغَطِّيـاً منهم للـوَيـل والْحُمـق[١]
فَـالنيـل مِنْ جُـود كفيـه يفيض بهـا كالسَّيـل لكنـه يُنْجِي من الغرقِ[٢]

فلمَّا وقف عليها أرسَل له شيئاً له صُوره .

١١٧٧ ـ علي بن عبد العزيز*

الخطيب الكبير عماد الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين بن السُكّري .

كان فيه وجاهة وصَداره ، وحِشمَة ترشّحه[٣] للوزاره . جُهِّز إلى التتر رسولاً وبَلَغَ برسَالته مآربَ وسُولا ، وأحسن السفارة فيما توجّه فيه ، ورغب أُولئك القوم في تلافِ مَنْ عانَدَه وتَلاَفيه ، وعاد إلى القاهره ، وصارت له بذلك ترجمة نادره .

ولم يزل على حاله إلى أن قالَ له داعي الموَتِ حيَّهَلْ ، ونَهَل من حوض المنـايـا مَعَ مَنْ نَهَل .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر صفر في السادس والعشرين منـه سَحَرِ يوم الْجُمعَـة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده خامس عشري الْمُحَرَّم سنة خمس وثلاثين[٤] وستّ مئة .

وكان يُدَرِّس بمشهد الحسين بالقاهرة ، وبمـدرسـةِ منـازل العزّ بمصر . وكان خطيبـاً بالجَامع الحاكمي ، وَولي إمَامَةَ مشهد السيدة نَفيسَـة والنظرَ على أوقـافـه . وكان مشهوراً بين رؤساء الديار المصريّة ، وعنده عقلٌ وافر وديانة .

(١) في (أ) والوافي والتالي : « ستراً » ، وفي الأخيرتين : « للوم » .
(٢) في الأصل : « فيض » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي . وفي التالي : « من فيض كفيه يجود بها » .
* الوافي : ٢٤٨/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٦ ، والدرر : ٦٢/٣ ، والشذرات : ٣٢/٦ .
(٣) في الأصل : « توشحه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) في (أ) : « ثمان وثمانين » ، وفي الدرر : « ثمان وثلاثين » .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن جَدّه لأمه الشيخ بهاء الدين [بن][1] الجَميزي ، وحَدّث بالقاهرة وبدمشق ، وأظنّه كان مفتي دار العدل .

١١٧٨ ـ علي بن عبد الغَنِي*

الفقيه الْمُعَمّر العَدْل علاء الدين بن تيميّة ابن خطيب حران ومفتيهَا ، الشيخ مجد الدين .

كان هذا علاء الدين شروطياً بمصر .

روى عن الموفّق عبد اللّطيف وابن رُوزْبه ، وكان شاهداً عاقلاً عاقداً[2] مرضيّاً .

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وسبع مئة .

ومَوْلده بحران سنة تسع عشرة وستّ مئة . حَمَل عنه المصريون .

١١٧٩ ـ عليّ بن عبد الكافي**

ابن علي بن تمّام بن يوسف بن موسى بن تمّام بن حامد بن يَحْيى بن عُمَر بن عثمان بن علي بن مِسوَار بن سوّار بن سُلَيْم : الإمام العالم العَامل الزاهد العابد الورع الخاشع البارع ، العلاّمَة شيخ الإسلام ، حَبْر الأمّة ، مفتي الفِرق ، الْمُقْرئ ، المحدّث ، الرَّحِلَة ، الْمُفَسِّر ، الفقيه ، الأُصُولي ، البليغ ، الأَديب ، المنطِقيّ ، الْجَدَليّ ، النظّار ،

---

(١) زيادة من (أ) .

* الوافي : ٢٥١/٢١ ، والدرر : ٦٣/٣ .

(٢) في الوافي : « عاقلاً عدلاً » .

** الوافي : ٢٥٣/٢١ ، والبداية والنهاية : ٢٥٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٣١/١ ، وغاية النهاية : ٥٥١/١ ، والدرر : ٦٣/٣ ، والنجوم : ٣١٨/١٠ ، والبغية : ١٧٦/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٢١/١ ، والدارس : ١٠٠/١ ، والشذرات : ١٨٠/٦ .

جامع الفنون ، علاّمة الزمان ، قاضي القضاة أوحد المجتهدين تقيّ الدين أبو الحسن الأنصاري الخزرجي السُّبكي[١] الشافعي الأشعري .

يا سَعْدَ هذا الشافعيّ الّذي بلّغَهُ الله تعالى رضَاه
يَكْفيه يومَ الْحَشْر أنْ عُدّ في أصحابه السُبْكيّ قاضي القضاة

أمّا التفسيرُ فيا إمْسَاك ابن عطيّة[٢] ، ووقوع الرازي[٣] معه في رزيّة .

وأمّا القراءات فيا بُعْدَ الداني ، وبُخْلَ السَّخَاوي بإتقان السبع المثاني .

وأمّا الحديث فيا هَزيمة ابن عساكر ، وعَيّ الْخَطيب[٤] لَمّا أن يذاكر .

وأمّا الأصُول فيا كلال حَدّ السيف[٥] ، وعظمة فخر الدين كيف تحيَّفها الْحَيْف .

وأمّا الفقهُ فيا وقوع الْجُويني في أول مَهْلك من (نهاية الْمَطْلَب) ، وجَرّ الرافعي[٦] إلى الكَسْر بعد انتصَاب عَلَمه الْمُذْهَب في الْمَذْهَب .

وأمّا المنطق فيا إدبار دَبيران[٧] وقَذَى عَيْنه ، وانبهار[٨] الأَبْهَريّ وغطاء كشفهِ ، بَيْنه .

---

(١) نسبة إلى موطنه « سُبْك العبيد » كما في الدرر .

(٢) واسم كتابه في التفسير : « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » . طبع معظمه .

(٣) يريد الفخر الرازي ، واسم تفسيره « مفاتح الغيب » .

(٤) يعني الخطيب البغدادي .

(٥) هو السيف الآمدي .

(٦) عبد الكريم بن محمد أبو القاسم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) : أعلام الزركلي : ٥٥/٤ .

(٧) هو علي بن عمر بن علي الكاتبي القزويني ، يقال له : دبيران . (ت ٦٧٥ هـ) . أعلام الزركلي : ٣١٥/٤ .

(٨) في (أ) : « وابتهار » .

وأمّا الخلاف فيا نَسْفَ جبَالَ النَسَفي ، وعَمَى العَميدي ، فإنّ إرشاده[١] خَفي .

وأمّا النّحو فالفارسي تَرَجّل له يطلبُ إعظامَه ، والزَّجّاجيّ تكسّر جَمْعُه ومَا فاز بالسّلامه .

وأمّا اللغةُ فالجوهريّ ما (لصحاحه) قيمه ، والأزهريّ أظلمت لَياليه البَهيَه .

وأمّا الأدبُ فصَاحبُ (الذّخيرة) استعَطى ، وواضعُ (اليتيمَة) تركها ، وذهبَ إلى أهله يَتَمطّى[٢] .

وأمّا الحِفظُ فما سَدّ السِّلَفي خلّة ثغرِه ، وكُسِرَ قَلْبُ الجوزيّ لّما أكلَ الحُزنُ لبَّهُ وخَرج من قِشْرِه .

هذا إلى إتقان فنون يطولُ سَرْدُها ، ويشهد الامتحان أنّه في المجموع فَرْدُهَا ، واطّلاعٍ على مَعَارَفَ أُخَر ، وفوائدَ[٣] متى تكلم فيها قُلْتَ بَحَرٌ زَخَر[٤] ، وإذا مشى الناس في رقراق عِلْمٍ كان هو خائضَ اللجّه . وإذا خَبَط الأنامُ عَشواءَ سار هو في بياض الْمِحَجّه[٥] .

وأمّا الأخلاق فقلّ أنْ رأيتُها في غيره[٦] مجموعه ، أو وُجِد في أكياس الناس دينار على سكّتهَا المطبوعه ؛ فم بسّام ، ووجهٌ بين الجمال والجَلال قسّام ، وخُلُقٌ كأنّه نَفَسُ

---

(١) يعني الإرشاد في علم الخلاف والجدل لمصنّفه ركن الدين أبي حامد محمد بن محمد العميدي (ت ٥١٥ هـ) ، الكشف : ٦٩/١ .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ثمّ ذهب إلى أهله يتمطّى ﴾ ، القيامة : ٣٣/٧٥ .

(٣) في (خ) : « وفرائد » .

(٤) في الأصل : « زاخر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٥) في الوافي : « المحبّة » ، تحريف .

(٦) في الأصل : « غير » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وعبارة (أ): « في أصله مجموعة » .

السَّحَرِ على الزَّهر نسّام[١] ، وكفٌّ تَخْجَل الغُيُوث من سَاجمهَا ، وتَشْهَد البرامكة أنَّ نَفْسَ حاتم في نَقْش خاتمها ، وحِلمٌ لا يستقيم معه الأَحْنَف[٢] ، ولا يُرَى المأمون معه إلاّ خائناً عند من روى أو صنّف ، ولا يوجَد له فيه نظير ولا في غرائب أبي مِحْنف[٣] ، ولا يحمل حلمَه جَبلٌ ، فإنَّه جاء بالكَيْل الْمُكْنَف[٤] .

لم أرَه انتقم لنفسه مع القُدْرَه ، ولا شَمَت بعدّو هُزِمَ بعد النُّصْرَه ، بل يعفو ويصفح عمّن أجْرَم ، ويتألّم لمن أوقد الدهر نارَ حربه وأَضْرَم ، ورعايةً ودٍّ لصاحبه الذي قَدُم عَهْدُه ، وتذكّرٌ لمحاسنه التي كاد يَمحُوها بُعْدُه ، وطهارةُ لسانٍ لم يُسْمَع منه في غيبة بنت شَفَه ، ولا تسفّ طيور الملائكة منه على سَفَه . وزهدٌ في الدنيا وأقلامه تتصرف في الأقوال ، وتفضّها على مرّ الأيام والْجُمَع والأشهر والأحوال ، واطِّرَاحٌ للمَلبَس والمأكل ، وعزوفٌ عن كلّ لذه ، وإعراضٌ عن أغراضِ هذه الدنيا التي خلق الله النفوس إليها مُغذّه .

وهذا ما رآه عياني ، وختم عليه جناني ، وأما ما وصف لي من قيام الدجى ، والوقوف في موقف[٥] الخوف والرجا ، فأمرٌ أجزمُ بصِدْقِه ، وأشْهَدُ بحقّه ، فإنَّ هذا الظاهر لا يكون له باطن غيرُ هذا ، ولا يُرَى غَيْرُه حتّى المعاد مَعاذا :

عمل الزمانُ حِسَابَ كلِّ فَضِيلة ... بجماعةٍ كانت لتلك مُحَرّكَه[٦]
فرآهم مُتَفَرِّقينَ على الْمَدَى ... في كل فنّ واحداً قد أدركَهْ
فأتى به مِن بعدِهم فأتى بَما ... جاؤوا به جَمْعاً فكان الفذلكْه

(١) في الأصل و (خ) : « بسّام » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) الأحنف بن قيس ، مشهور بحلمه .
(٣) لوط بن يحيى الكوفي ، راوية عالم بالسير والأخبار . الأعلام : ٢٤٥/٥ ، ووقع في الأصل : « مخيف » ، تصحيف .
(٤) أي : الممتلئ .
(٥) في (أ) ، (خ) : « مقام » .
(٦) في الأصل : « حمل الزمان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

وتصانيفه تَشْهدُ لي بما ادَّعيت ، وتؤيّد ماأوتيتُ به ورَوَيْت ، فدونك وإياها ، وترشفْ[١] كؤوس حُمَيّاها ، وتناولْ نجومها إن وَصَلْت إلى ثُرَيّاها .

ولّما توفي قاضي القضاة جلال الدين القزويني بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة طلبه[٢] السلطان الأعظم الملك الناصر محمّد ، وطلبَ الشيخ شمس الدين بن عَدْلاَن بحضور قاضي القضاة عز[٣] الدين بن جماعة ، وقال له : ياشيخ تقي الدين قد ولّيتك قضاء الشام[٤] ، وألْبسه تَشْريفاً عظيماً ، وخرج صحبة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى . وكنت أنا في خدمته طول الطريق فالتقطتُ الفوائد ، وجمعتُ الفَرَائد التي ظَلَّ في طلبها أَلْفُ رائد ، وسهَّلْتُ بسُؤاله ما كان عندي من الغوامض الشدائد ، ووددت أن النوى لم تُلْقِ لها عَصَا[٥] ، وأن اليَعْمَلات في كُلّ هاجرة تنفي يداها الْحَصَا[٦] .

يودّ أنَّ ظلام الليل دَامَ لَهُ وزِيدَ فيه سَوادُ القلب وَالبصَر[٧]

ودخل دمشق ، فَقُلْ[٨] في رَوْض حَيَّاهُ الغَمَام ، ومادَت غُصُونُهُ بالطرب لما غنّى عليها الحَمَام . أحيا الله به معالم علومها ، وأطْلَعَ في آفاقها للهُدَى نِيّرات نُجومها ، وباشر

(١) في الوافي : « ورسف » .
(٢) في الأصل : « طلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) في (أ) : « نجم » ، سهو .
(٤) عبارة الوافي : قضاء القضاة بالشام » .
(٥) إشارة إلى البيت المشهور :
فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر
والبيت ينسب إلى معقر بن حمار البارقي ، وغيره . انظر اللسان (عصا) .
(٦) أخذ كلامه من قول الفرزدق :
تنفي يداها الحصا في كلّ هاجرة نفي الدنانير تنقادُ الصياريف
ديوانه : ٥٧٠ .
(٧) في (خ) : « سواد السمع » .
(٨) كذا في الأصول ، ولعلّها : « فحلّ » .

قضاءها[١] بصَلفٍ زاد ، وسُلوك مَا حَالَ عن جادّة الحقّ ، ولا حَاد ، منزَّهَ النفس عن الحُطام منقاداً إلى الزهد الصّادق بخطام ، مُقْبلاً على شأنه في العلم والعمل ، منصرفاً إلى تحصيل السَّعَادة الأبديّة فماله في غيرها أمل ، ناهيك به[٢] من قاضٍ حُكْمُهُ في هذا الإقليم متصرّف الأوامر ، وحديثه في العِفّة عن الأموال عُلاَلَةُ المسَامر[٣] ، ليس في بابه مَنْ يقول لخَصْم هات ، ولا من يُجَمْجم الحقّ أو يموّه بالترّهات .

ومات الأمير سيف الدين تنكز وهو يعظّمه ، ويختار أكبر الجواهر[٤] للثناء عليه وينظّمه :

وعاجوا فأثنَوا بالذي أنتَ أهلُه ولَوْ سَكتوا أَثْنَت عليك الحقائبُ[٥]

ولم يَزَل على حاله إلى أن حصل له مِنَ الْمَرض ما حَصَل ، وتماثَل من سُقمه[٦] ونَصَل ، ونزل عن منصبه لَولده قاضي القضاة تاج الدين عَبْد الوهاب ، فتلقت الدولة ذلك منه بالترحَاب ، وقالوا سمعاً لما قاله وكرامة ، وأهلاً بهذا النهر الّذي غادَرَته تلك الغمامة .

ولما استقرّ الأمر لولده وثَبَت ، ورأى غُصْنَه الذي تفرع عن أصْله ونبتَ توجّه إلى الديار المصريّة شوقاً لأرض أوّل ما مسّ جلدَه ترابها ، وأوّل مَا ضمّه جنّاتها[٧] واتسع له جَنَابُها ، فقال النيلُ : مرحباً بغمام الشام ، وقالت نجومها : أهلاً بهذا القمر التام ، فأقام بها رَيْثَما بلّ صَداه ، ورَدّ برؤية ربوعها رَدَاه ، ونقله الله إلى حضرةِ قُدْسِه ،

---

(١) في (خ) : « القضاء بها » .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) في (أ) ، (خ) والوافي : « السامر » .
(٤) في الوافي : « الجواهر » .
(٥) هو لنصيب بن رباح في مدح سليمان بن عبد الملك . الأغاني : ٣٣٧/١ .
(٦) في الأصل : « وتمايل من سكره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٧) في الأصل : « جنابها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

ومواطنِ رحمته وأنسه . فلبَّى المنادي ، وخلا من نَداه النـادي ، وقـام النـاعي فـأسمَع ، وأوجد القلوبَ حُزنُها فأوجع .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنـة ست وخمسين وسبع مئة .

ومولده أول يوم من صفر سنة ثلاث وثمانين وست مئة .

وتفقّـه في صِغَره على والـده رحمـه الله تعـالى ، ثم على جمـاعـةٍ آخرُهُم فقيـه العصر نجم الدين بن الرِّفْعَة ، ورأيته رحمه الله يُثني عليه ثناء كثيراً ، ويعظّمه تعظيماً زائداً .

وقرأ الفرائض على الشيخ عبد الله الغماري المالكي .

وقرأ الأصلين وسـائر المعقولات على الشيخ الإمـام النظّـار علاء الـدين البـاجي ، وكان يعظّمه ويَصفُه بالدين .

وقرأ المنطقَ والخلاف على الشيخ سَيف الدين البغدادي .

وقرأ النحو على الشيخ أثير الدين أبي حيّان .

وقرأ التفسير على الشيخ علم الدين العراقي .

وقرأ القراءات على الشيخ تقي الدين بن[1] الصائغ .

وتخرّج في الحديث على الحافظ شرف الدين الدمياطي .

وصَحِبَ في التصوّف الشيخ تاج الدين[2] .

---

(١) ليست في الوافي .

(٢) في الدرر : « ابن عطاء الله » ، وهو أحمد بن محمد بن عبـد الكريم عطـاء الله الإسكنـدري تـاج الـدين في (ت ٧٠٩ هـ) ، وقد سلفت ترجمته .

ورحل في طلب الحديث إلى الإسكندريّة والشام ، ومن مشاهير أشياخه[١] في الرواية ابن الصوّاف ، وابن جماعة ، والدمياطي ، وابن القيّم ، وابن عبد المنعم ، وزينب ، هؤلاء بالإسكندريّة وبمصر . والذين بالشام : ابن الموازيني ، وابن مشرِّف ، والمُطَعّم ، وغيرهم .

والذين بالحجاز : رضيّ الدين[٢] إمام المَقام[٣] ، وغيره .

وخرّج له شهاب الدين الدمياطي[٤] (معجماً) لشيُوخه .

جلس بالكلاّسة جوار الجامع الأمويّ بدمشق ، وحدّث به قراءةً عليه الإمام أقضى القضاة تقي الدين أبو الفتح السبكي ، وسمعه عليه خلائق منهم الحافظ الكبير جَمال الدين المزّي ، والحافظ أبو عبد الله الذهبيّ ، وروى عنه شيخنا الذهبيّ في (معجمه) .

وتولّى بدمشق مع القضاء خطابةَ الجامع الأموي وباشرها مدّة ، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، فقال شيخنا الحافظ شمس الدين الذهبي : مَا صَعد هذا المنبرَ بعد ابن[عبد][٥] السلام أعظم منه ونظم في ذلك :

لِيهنِ المنبرَ الأمـــويَّ لَمّـــا ... عـــلاه الحـــاكمُ البَرُّ التقيّ
شيـــوخ العصر أحفظهم جميعـــاً ... وأخطَبُهم وأقْضـــــاهم عَليّ

وتولّى بعد وفاة شيخنا المزي رحمه الله تعالى مشيخة دار الحديث الأشرفيّة . فالذي نقول : إنَّه[٦] مادخلها أعلم منه ، ولا أحفظ في الرجال من المِزّي ، ولا أورع من

(١) في الأصل : أصحابه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ)والوافي .
(٢) الطبري ، كما في الدرر ، وهو إبراهيم بن محمد (ت ٧٢٢ هـ) ، سلفت ترجمته .
(٣) في الأصل : « القاهرة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) أحمد بن أيبك (ت ٧٤٩) ، سلفت ترجمته .
(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٦) في (خ) : « إنها » .

النووي وابن الصلاح ، ولا يُورَد زين الدين الفارقي فإنَّه أفقهُ منه رحم الله كُلاً .

وتولّى تدريس الشاميّة البرَّانية بعد موت مدرسّها قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب رحمه الله في أوائل سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكتبتُ له [بذلك][1] توقيعاً هو مذكورٌ في الْجُزْء الخامس والعشرين مِنَ (التذكرة) التي لي .

ثمّ إنَّه وليَ تدريس الْمَسْرُوريّة بعد الشيخ تاج الدين المراكشي[2] ، وكتبت له توقيعاً بذلك هو في الجزء الثاني من (التذكرة) التي لي .

وكان قد طُلِبَ في نهار الجمعة بعد الصلاة سادس عُشْرَيّ جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة إلى الديار المصرية ، جاء البريد بِطَلَبه ليُجْعَلَ قاضي القضاة بالديار المصرّية ، فتوجّه . ثم إنَّ القضية فَتَرت ، وأقام بها قليلاً وعاد إلى دمشق على منصبه .

ومن مسمُوعَاتِهِ الْحديثيّة :

الكُتُب الستّة ، و (السيرة النبوية) ، و (سنن الدار قطني) ، و (معجم الطبراني) ، و (حَلْيَة الأولياء) ، و (مُسْند الطيالسي) ، و (مسند الحارث بن أبي أسامة) ، و (مسند الدارمي) ، و (مسند عَبْد) ، و (مسند العَدْني)[3] ، و (مُسْنَد الشافعي) رضي الله عنه ، و (سنن الشافعي) ، و (اختلاف الحديث) للشافعي ، و (رسالة الشافعي) ، و (معجم ابن الْمُقْرئ)[4] ، و (مختصر مُسْلم) ، و (مسند أبي

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) في (أ) : « ابن المراكشي » ، وهو محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي (ت ٧٥٢ هـ) وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « العدلي » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (أ) ، (خ) ، والوافي ، وهو أبو عبد الله محمد بن يحيى العدني (ت ٢٤٣ هـ) ، ويعرف مسنده أيضاً باسم مسند ابن أبي عمرو . الكشف : ١٦٧٨/٢ .

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن علي (ت ٣٨١ هـ) ، السير : ٣٩٨/١٦ ، والكشف : ١٧٣٤/٢ .

يَعْلَى) ، و (الشفاء) للقاضي عِياض ، و (رسالة القشيري) ، و (معجم الإسماعيلي)[١] ، و (السيرة) للدمياطي ، و (موطّأ) يحيى بن يحيى[٢] ، و (موطّأ) القَعْنَبي .

و (موطأ) ابن بكير ، و (الناسخ والمنسوخ) للحازمي[٣] ، و (أسباب النزول) للواحدي ، وأكثر (مسند أحمد) ، ومن الأجزاء شيء كثير .

ولقد كان عمره بالديار المصريّة وجيهاً في الدولة الناصريّة يعرفه السُلطان الأعظم الملك الناصر[٤] ويولّيه المناصب الكبار ، مثل تدريس المنصوريّة وجامع الحاكم والكهاريّة[٥] . والأمير سيف الدين أرغون النائب يعظّمُه ، والقاضي كريم الدين الكبير يقرّبُه ويقضي أشغاله ، والأمير سيف الدين قجليس . وأمَّا الأمير سيف الدين ألجاي[٦] الدوادار فكان لا يفارقه ويبيت عنده في القلعة غالب الليالي ، ونائب الكرك والأمير بدر الدين جنكلي بن البابا والجاولي والخطيري وغيرهم جميعهم يُعظّمُونه ويحترمونه ويشفع عندهم ويقضي الأشغال للناس .

وجاء إلى الشام قاضي القضاة من سنة تسع وثلاثين إلى بعض[٧] سنة ست وخمسين[٨] هذه المدة كلها ، وجاء في أيامه الطاعون فلو شاء هو وولَدُه أقضى القضاة جمال الدين حسين أَخَذا في إثبات الوصايا ودعاوَى القرابات وما يرث الناس بأسبابه

---

(١) هو معجم الشيوخ لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ) ، الكشف : ١٧٣٥/٢ .

(٢) الليثي (ت ٢٣٤ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٤٣/٦ ، والكشف : ١٩٠٨/٢ .

(٣) محمد بن موسى الحازمي الهمذاني (ت ٥٨٤ هـ) ، الكشف : ١٩٢٠/٢ .

(٤) في (أ) : « الناصر محمد » .

(٥) مدرسة بالقاهرة كانت بالدرب المعروف بهذا الاسم ، وموقع هذا الدرب بجوار حارة الجودرية والقمامين . (عن حاشية السلوك : ١٧٠/٢) .

(٦) في الوافي : « الجابي » ، تصحيف .

(٧) ليست في (أ) .

(٨) في (أ) : « خمس وسبع مئة » .

ثلاث مئة ألف دينار وأضعافها ، وكان ينفرد هو رحمه الله تعالى بولايات الوظائف بنصف ذلك ، ولم يقدر أحد يقول إنّه وزن ديناراً ولا درهماً ولا أقل ولا أكثر . وأمّا لبسه الذي يكون عليه في غير دُور العدل والمحافل فما أظنه كان يساوي ثلاثين درهماً .

وإن كان في لُبْس الفَتى شَرَفٌ لـــه فمـــا السيف إلاّ غِمْـــدُهُ والْحَمائِـــلُ

وبعد هذا جميعه يموت فيوجد عليه دين مبلغ اثنين وثلاثين ألف درهم ، ولو لم يكن له داران بمصر اشترى الواحدة ، وورث الأخرى مع مجلداته التي قناها في عمره ، أُبيع الجميع فكمّل ثلثي الدين ، والتزم ولداه مدَّ الله في عمرهما بوفاء البقية ، « هكذا هكذا وإلاّ فَلاَلا »[1] .

يُنسب إلى الشافعي أنَّه قال : مَنْ ولي القضاء ولم يفتقر فهو لِصّ ، قدّس الله روحه ، ونوَّر ضريحه ، والذي استقر في ذِهني منه أنَّه كان إذا أخذ أيَّ مسألةٍ كانت من أي باب كان ، من أي علم كان عمل عليها مجلّداً أو مصنفاً لطيفاً ، أعني في علوم الإسلام من الفروع والأُصُلين والحديث والتفسير والنحو والمعاني والبيان . وأمَّا العَقْليات فما كان في آخر وقته[2] فيها مثله .

وأمَّا فَنُّ الأدب فما احتاج مع أسماء كتبه وتصانيفه إلى بَيان ، هي تشهد له بأدبه وذوقه . وأمَّا الهجاء وفن الكتابة فكَان مَا يُلْحق فيه . وأمَّا صناعة الحساب فرأيت أئمتها يعترفون له فيها ، ولم أرَهُ في مُدَّةِ ولايته القضاءَ يَسْتكثر[3] على أحد شيئاً والعلّة في ذلك إعراضه عن الدنيا وإلقاؤها وراء ظهره ، حتى لم تكن له ببال حتى إنني قلتُ فيه :

---

(١) هذا عجز بيت للمتنبي ، وهو مطلع قصيدة له يمدح سيف الدولة ، وصدره : « ذي المعالي فليعلون من تعالى » . (ديوانه بشرح العكبري : ١٣٤/٣) .

(٢) في (خ) : « وقت » .

(٣) في (خ) : « يستكبر » .

لم يلتفتْ يَـوْمـاً إلى زَهْرةِ الـدِ نيـا وإن كانت لـه زَاهِره
رئـاسـة العلم التي حـازَهَـا تَكْفيـه في الـدنيَـا وفي الآخرة

ولم نَرَ أحداً من النوّاب الذين هم كانوا ملوكَ الشام ولا مِنْ غيرهم تعرّض لـه فـأفلح بعدها ، إمّا يموتُ فجـأةً أو يُغْتـال أو يُعَطّل ويستمر في عُطلتـه إلى أن يموت ، جرَّبْنَـا هـذا غير مرّة مع غير واحـد ، وهـذا شـاع وذاع . ولقـد جئت إليـه يـومـاً ، وقلتُ لـه يا سيدي هذه قضية حَديثا[١] ، بالله دع أمرها فإنَّـك قـد أبلغت[٢] فيهـا عُـذْرا ، وهـذا ملك الأمراء وغيره في ناحية وهم بمعزل ، وأخشى يحصل بسببها شرّ ، فمـا كان جوابي إلا أن أنشَدَ :

ولَيْتَ الَّـذي بَيْني وبَيْنَـك عـامرٌ وبيني وبينَ العـالَمينَ خَرَابُ[٣]

فَعَلِمْتُ أنَّه لا تأخذه في الحق[٤] لومةُ لائم .

ومن حين نافسَه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي مـا قرّ لـه قرار ولا هنـاه عيش بدمشق ، وجرى له ما جرى ، وعُزِل منها ، وتولى حلب ، وقـاسَى بهـا شـدائـد . ثم إنَّـه عُزِل ونقل إلى مصر ، ثم إنَّه أُمْسِكَ واعتقل بالإسكندريّة ، ثم حَضَر إلى القدس .

ولم يَزل يدخل في مَرَض ويخرج منه إلى أن توفي رحمـه الله تعـالى ، ولّمـا طلب إلى مِصْرَ خوفوه من أمره ، فقال : يروح إليها وما يفلح ، ويموت والله ولده قـاضي القضـاة تاج الدين[٥] حيث قال في ترجمته لّما ذكره في (طبقات الفقهاء) :

---

(١) من قرى غوطة دمشق . قال ياقوت : يقال لها حديثة جرش ، (معجم البلدان) . وعبارة الـدرر نقلاً عن الصفدي : ياسيدي دع أمْرَ هذه القرية فإنك ...

(٢) في (أ) : « بلّغت » .

(٣) هو من مشهور شعر أبي فراس الحمْداني .

(٤) في (في) : « الله » .

(٥) عبد الوهاب (ت ٧٧١ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٤٠/٢ .

وما عليَّ إذا ما قُلْتُ مُعْتَقِدي ... دعِ الحسودَ يظنّ السّوءَ عُدْوَانا
هذا الذي تعرف الأملاكُ سِيرتَه ... إذا ادْلَهَمّ دُجَى لم يَبْقَ سهرانا
هذا الذي يُسْرِع الرحمَنُ دَعوَتَه ... إذا تقاربَ وقت الفَجْر أو حَانا[1]
هَذا الذي يسمع الرحمن صَائحَه ... إذا بكى وأفاضَ الدَّمْعَ ألوانا
هذا الذي لم يزل من حين نشأته ... «يُقَطع» الّليلَ تسبيحاً وَقرآنا»
هذا الذي تعرف الصحراء جَبْهَتَه ... من السجودِ طوال الليل عرفانا
هذا الذي لم يغادر سيلُ مدمعه ... أركانَ شيبته البيضاء أحيَانا
والله والله والله العظيم ومَنْ ... أقامَهُ حجةً في العصر بُرهَانا
وحافظاً لنظامِ الشَّرْعِ ينصرُه ... نصراً يلقّيه مِنْ ذِي العرش غفرانا
كلُّ الذي قلتُ بعضٌ من مناقبه ... مَا زِدْتُ إلا لعلّي زَدْتُ نُقْصَانا

وصنف بالديار المصريّة ودمشق ما يزيد على المئة والخمسين مصنفاً فمن ذلك : (الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم) ، عمل منه مُجَلّدين كَبيرين ونصفاً ، و (تكملةُ المجموع في شرح المهذب) ولم يَكْمُل ، و (الابتهاج في شَرْح المنهاج) في الفِقْه ، بلغ فيه إلى آخر وقت و (التحقيق في مسألة التعليق) ردّاً على الشيخ تقي الدين بن تيميّة في مسألة الطلاق ، وكان فضلاء الوقت[2] قد عملوا ردوداً ووقف عليها ، فما أثنى على شيء منها غير هذا ، وقال ما ردّ عليّ فقيهٍ[3] غَيْر السُبكي ، وكتاب (شفاء الأسقام [4] في زيارة خير الأنام) ردّاً عليه في إنكاره[5] سَفَر الزيارة ، وقرأته عليه بالقاهرة في سنة سبع وثلاثين وسبع مئة من أوله إلى آخره وكتبت عليه طبقة جاء ممّا فيها نظماً :

---

(١) في (خ) ، « يَسْمع » .
(٢) في (أ) ، (خ) : « العصر » .
(٣) في (خ) : « فتية » .
(٤) في (أ) ، (خ) والوافي : « السقام » .
(٥) في الأصل : « إنكار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

لقـــول ابن تيميّـــــة زُخْرُفٌ أتى في زيـــارة خَيْر الأنَـــام
فَجـاءَتْ نُفوسُ الـورى تشتكي إلى خير حَبْر وأزكى إمـــــام
فصَنّف هَـــــــذا وداوَاهُمُ فكانَ يقينـــاً شفـــاءَ السّقـــام

وَ (الرّفْدَة في معنى وَحْدَه) وكتبتها بخطّي ، وقرأتها عليه وكتبت عليها :

خـلِّ عنـــك الرّقـــدة وانتبـــــه للرّفْـــــدَه
تجنِ منهـــــا علمـــــاً فـــاق طَعْمَ الشهـــدَه

و (التعظيم والمنّة في ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ به ولِتَنْصُرَنّه ﴾[1]) وكتبتها بخطي ، وقرأتها عليه وكتبتُ عليها :

غـالب مَـا صنّفـه النـاسُ في مسبَّبَـات المـال والجـاه[2]
فللرّبـــا ذلـــك قـــد كان والْـ ـتعظيم وَالمنّـــــــــــة لله

و (الحلم والأناة في إعراب ﴿ غير ناظرين إناه ﴾[3]) ، وكتبتها بخطي ، وقرأتها عليه ، وكتبتُ عليها :

يـــا طـــالبَ النحـو في زمَـــانٍ أطْـــوَل ظـــلاً من القنـــاة
ومَـــا تحلّى منهَـــا بعِقْـــدٍ عليـــك بـــالحلم والأنـــاة

و (الإغريض في الحقيقة والمجاز والكنـايـة والتعريض) كتبتها بخطي ، وقرأتها عليه ، وكتبت عليها :

قـل لمن رَاح بـاحثـاً عن كـلام في كنـايـاتـــه وفي التعريض :
لا تُغَـالِـط، مـا يشبـه الـدُّر شيءٌ إن تـــأمَّلْتَـــه سـوى الإغريض

(١) آل عمران : ٨١/٣ .
(٢) في (خ) : « الأنام له » .
(٣) الأحزاب : ٥٣/٣٣ .

و (ورد العَلَل في فهم العِلَل) ، وكتبتها بخطي ، وقرأتها عليه ، وكتبت عليها :

أيَـا من شفى مَـابنـا من عِلـل ... وردّ ردانـا بـورْدِ العَلَـلْ
جَـزاك إلهـكَ مِن مُحْسِنٍ ... هـدانـا الصّـوابَ وروّى الغُلَـلْ

و (نيل العُلاَ في العطف بلا) ، وكتبتها بخطّي وقرأتها عليه ، وكتبت عليها :

يـا مَن غـدا في العلم ذا همّـةٍ ... عظيمَـةٍ في الفضـل تمـلا الملا
لم ترقَ في النحـو إلى رُتبـةٍ ... سَـاميـة إلا بنيـل العُـلاَ

ومن تصانيفه أيضاً (رافع[1] الشقاق في مسألة الطلاق) ، و (الرياض الأنيقة في قِسْمَة الحديقة) ، و (منْية الْمُبَاحِث[2] في حكم دَيْن الوارث) ، و (لمعة الإشراق في أمثلة الاشتقاق) و (إبراز الحِكَم مِن حديث : رُفِعَ القلم) ، و (إحياء النفوس في حكمةِ وضع الدروس) و (كشف القناع في إفادة « لو » الامتناع) ، و (ضوء المصَابيح في صلاة التراويح) ، و (مسألة « كل » ومَا علَيها تدل) ، وكتب عليها الفاضل سراج الدين عبد اللطيف بن الكويك ثلاثة أبيات أوردتها في ترجمته[3] ، و (الرسالة العلاّنية)[4] و (التحبير الْمُذْهَب في تحرير المَذْهَب) ، و (القول الْمُوعَب في القول[5] بالْمُوجَب) و (مناسك أُولى ومناسك أُخْرى) ، و (بيع المرهون في غَيْبَة المديون) ، و (بَيان الرَّبْط في اعتراض الشرط على الشرط) ، و (نَوْر الربيع من كتاب الربيع)[6] ، و (الرّقْم الإبريزي في شرح التبريزي) ، (وعقود الْجُمَان في عقود

---

(١) في الوافي : « رفع » .
(٢) في الوافي : « منبّه الباحث » .
(٣) صريح كلامه في الوافي أنّ هذه الأبيات تعليق على رسالة المصنف « مسألة ضع وتعجّل » .
(٤) في الوافي : « العلائية » .
(٥) في الوافي : « في القضاء » .
(٦) في الأصل : « البديع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

الرّهْن والضمَان) ، و (طليعة الفتح والنّصر في صلاة الخوف والقصر) ، و (السيف المسلول على من سَبّ الرسول) ، و (السَّهم الصّائب في بيع دَين الغائب) ، و (فصل[١] المقال في هدايا العُمّال) ، و (الدّلالة على عموم الرسالة) ، و (التّهدّي إلى معنى التعدّي) ، و (النقول البديعة في أحكام الوديعة) ، و (كشف الغُمّة في ميراث [أهل][٢] الذمّة) ، و (الطوالع المشرقة في الوقوف على طَبَقَةٍ بعد طبقة) ، و (حُسْنِ الصّنيعة في حكم الوديعَة) ، و (أجوبة أهل طرابلس) ، و (تلخيص التلخيص) وتاليه ، و (الإبهاج[٣] في شرح المنهاج) في الأصول ، بدأ فيه قدر[٤] كرّاسين ، وكمّله ولده قاضي القضاة تاج الدين .

و (رفع الحاجب في شرح ابن الحاجب) في الأصول ، و (القراءة خَلْفَ الإمام) ، و (الرد على الشيخ زين الدين الكتّاني[٥] ، و (كشف اللبس في المسائل الخمس) و (منتخب طبقات الفقهاء) ، و (قطف النوار[٦] في دراية الدَّوْر) ، و (الغيث الْمُغْدِق في ميراث الْمُعْتِق) ، و (تسريح الناظر في انعزال الناظر) و (الملتقط في النّظر الْمُشْتَرَط)[٧] ، و (تنزّل السكينة على قناديل المدينة) ، و (دفع من تَغَلْبك في مسألة مدرسة بَعَلْبَك) ، (وشي الْحُلْى في تأكيد النفي بلا) ، (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) ، (ضرورة التقدير في تقويم الخمر والخنزير) (تقييد التراجيح) ، (الكلام على حديث : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث)[٨] ، (الكلام مع ابن الدارس في المنطق) ، (جواب سؤال عليّ بن عبد السلام) (رسالة

---

(١) في (أ) ، (خ) : « فَضْل » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٣) في (أ) ، (خ) : « الابتهاج » .

(٤) في (أ) ، (خ) : « بدأ فيه قطعة قدر ... » .

(٥) في الوافي : « ابن الكناني » .

(٦) في الأصل : « الدرن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٧) في الوافي : « المشترك » ، وبه تنتهي قائمة مصنفاته في الوافي .

(٨) الحديث برواياته في جامع الأصول : ١٨٠/١١ .

أهل مكة) ، (أجوبة أهل صفد) ، (فتوى : كلّ مولود يُولَدُ على الفطرة)[١] ، (مسألة فناء الأرواح) ، (مسألة في التقليد) ، (النوادر الهمذانيّة) ، (الفرق في مطلق الماء والماء المطلق) ، (المسائل الحلبيّة) (أمثلة المشتق) ، (القول الصحيح في تعيين الذبيح) ، (القول المحمود في تنزيه داود) ، (الجواب الحاضر في وقف عبد القادر) ، (حديث نحر الإبل) ، (قطفُ النَّوْر من مسائل الدَّوْر) ، (مسألة ما أعظم الله) ، (مسائل في تحرير الكتابة) ، (مسألة هل يقال العشر الأواخر) ، (مختصر كتاب (الصلاة) لمحمّد بن نصر الْمَروزي) ، (الإقناع في قوله تعالى ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطَاع ﴾)[٢] ، (جواب سؤال من القدس) ، (منتخب تعليقة الأستاذ في الأصول) ، (عُقودُ الْجُمَان في عقود الرهن والضمان) ، (مختصر عقود الْجُمان) (وقف بني عساكر) ، (النصر الناهد في لا كلّمت كلّ واحد) ، (الكلام في الجمع في الحضر لعذر المطر) ، (الصنيعة في ضمان الوديعَة) ، [النقول البديعة في ضمان الوديعة][٣] ، (بيان الْمُحتمل في تعدية عَمَل) ، (القول الجدّ في تبعيّة الجد) ، (تفسير ﴿ يا أيها الرسُل كُلوا من الطّيبات ﴾[٤]) ، (المواهب الصَمديّة في المواريث الصفديّة) ، (كشف الدسائس في هدم الكنائس) ، (حفظ الصيام عن فوت التمام) ، (جواب سؤال ورد من بغداد) ، (كتاب الخيل) ، (جواب الأمير سيف الدين بيبُغاروس ورد من حلب) ، (كم حكمة أرَتْنا أسئلة أرْتَنَا) ، (جواب أهل مكة) ، (جواب المكاتبة من حارة المغاربة) ، (معنى قول الإمام الْمُطَّلبي[٥] : إذا صحّ الحديث فهو مَذهبي) ، (سبب الانكشاف عن إقراء الكشّاف) ، (وقف على وقف أولاد

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث : ٢٣١/٣ ، وهو في جامع الأصول : ٥٢٢/٨ .

(٢) غافر : ١٨/٤٠ .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) المؤمنون : ٥١/٢٣ .

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١) ، السير : ٣٣/٧ .

الحافظ) ، (النظر المُعيني في محاكمة أولاد اليونيني) ، (موقف الرُمَاة من وقف حماة) ، (مَركز الرُمَاة) ، (القول في التقَوي في الوقف التّقَوي) ، (القول المختطف في دلالة : إذا اعتكف) ، (كشف اللّبْس عن المسائل الخمس) ، (غيرة الإيمان لأبي بكر وعمر وعثمان) ، (زكاة مال اليتيم) ، (الكلام على لباس الفُتّوة) ، وهو (فتوى الفتوّة) ، (بيع المرهون في غيبة المديون) ، (الألفاظ التي وضعت بإزاء المعاني الذهنيّةَ أو الخارجية) ، (أجوبة مسائل سأله عنها ولده قاضي القضاة تاج الدين في أصول الفقه) ، (العَارِضة في البيّنة المتعَارِضَة) ، (مسألة تعارض البيِّنَتَيْن) ، (كتاب برّ الوالدين) ، (أجوبة أسئلة حديثية وردت من الديار المصريّة) ، (نصيحة القضاة) (الكلام على قوله تعالى ﴿ لا جناحَ عليكم إنْ طلّقتم النساء مالم تمسّوهنّ ﴾[1] .

ولمّا وقف على ردّ الشيخ تقيّ الدين بن تيميّة على ابن المطهّر في الرفض[2] قال ، وأنشدنيها من لفظه ، وهي :

إنَّ الروَافضَ قَوْمٌ لا خَلاَق لهم ... مِنْ أجْهَل الناس في عِلْم وأكذَبِهِ[3]

والنّاسُ في غُنْيَة عن ردِّ إفكِهِمُ ... لِهُجْنَةِ الرَّفْض واستقباح مَذْهَبِهِ[4]

وابن المطهّر لم تَطْهُر خلائقُه ... داعٍ إلى الرفض غالٍ في تعصبه

لَقَدْ تقوّل في الصَّحْبِ الكرام ولم ... يَسْتحْيِ ممَّا افتراهُ غيرَ مُنْجبَهِ

ولابنِ تيميّةٍ رَدٌّ عليه وَفَى ... بمقصد الردِّ واستيفاء أضْرُبِهِ

لكنَّه خَلَطَ الحقَّ المبينَ بمَا ... يشُوبه كَدَراً في صَفْوِ مشربه

(١) زاد في (أ) ، (خ) : « (الافتقار في أهل العار) ، (المحاورة والنشاط على المجاورة والرباط) ، (منع الاستطراق في الباب المستحق الإغلاق) ، (تنصيص الشهود على تشخيص الحدود) ، (المعدلة في قتل من لا وارث له) ، (غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعثمان وعلي) » .

(٢) عبارة الوافي : « في تصنيفه في الرفض » .

(٣) في الوافي : « أجهل الخَلْق » .

(٤) في الوافي : « كذبهم » .

يخالط الحشوَ أنّى كان فهوَ لَهُ ... حثيثُ سَيرٍ بشرْقٍ أو بمغربه[١]
يَرَى حوادثَ لا مَبْدا لأوّلها ... في الله سبحانه عَمّا يُظَنُّ بهِ[٢]
لو كان حيّاً يَرَى قولي ويفهمُه ... رَدَدْتُ ما قال أَقْفُو إثر سَبْسَبهِ
كما رَدَدْتُ عليه في الطلاق وفي ... تَرْك الزيارة ردّاً غير مشتبهِ
وبَعْدَه لا أرى للردّ فائدةً ... هذا وجوهَرُه ممّا أظُنُّ بهِ
والردّ يَحْسُن في حَالين واحدةٍ ... لِقطعِ خَصْم قويّ في تغلُّبه
وحَالةٍ لانتفاعِ الناسِ حَيْثُ به ... هدىً وربحٌ لديْهم في تطلُّبه[٣]
وليسَ للناسِ في علمِ الكلام هُدىً ... بل بدعةٌ وضلالٌ في تَكَسُّبه[٤]
ولي يدٌ فيه لولاَ ضَعفُ سامِعه ... جَعَلْتُ نَظْم بَسيطي في مُهَذَّبه

وقال : مَا أنشَدنيه من لفظه لما رَدّ على ابن تيميّة في الطلاق ، وقد أكثر من الاحتجاج بيمين ليلى :

في كلّ وادٍ بليلى والهٌ شَغِفٌ ... ما إن يزالُ به من مَسِّها وصَبُ[٥]
ففي بني عَامر مِنْ حبّها دَنَفٌ ... ولابن تيميّةٍ من عهدها شغَبُ

وكتب لابنه الأكبر محمّد رحمه الله تعالى في سنة عشر وسبع مئة ، وأنشدنيه من لفظه رحمه الله تعالى[٦] :

أَبنيّ لا تُهْمِل نصيحَتيَ الّتي ... أُوصيك واسمع مِنْ مَقَالِيَ تَرْشُدِ
احفظ كتابَ الله والسُنَنَ التي ... صحّت وَفِقهَ الشافعيّ محمّدِ

(١) في الوافي : « يحاول الحشو » .
(٢) في الوافي : « لامبدا لها ولها » ، تحريف .
(٣) في الوافي : « تكسبه » .
(٤) في الوافي : « تطلّبه » .
(٥) في الوافي : « نصب » . والوصب : الوجع والألم ، أو التعب والفتور .
(٦) منها أبيات في الدرر .

وتعلّم النحـوَ الـذي يُـدنيْ الفتى ... من كلّ فَهْمٍ في القران مُسَـدّدِ
واعلم أصـولَ الفقْـهِ علمـاً مُحْكَماً ... يَهْديـك للبَحث الصّحيح الأيّـدِ
واسْلُكْ سَبيلَ الشافعيّ ومَـالِـكِ ... وأبي حنيفـة في العُلـوم وأحمَـدِ
وَطريقةَ الشيخ الْجُنَيْـد وصحبـه ... والسَـالكين طريقهم بهم اقتـدي
واتْبَعْ طريـق الْمُصْطَفى في كلّ مـا ... يـأتي بـه من كلّ أمرٍ تَسْعَـدِ[1]
واقصد بعلمك وَجهَ ربك خالصاً ... تظفرْ بسُبْـل الصّـالحين وتهتـدي
وَاخشَ المهينَ وأْتِ مَـا يـدعو إليـ ... ـهِ وانتـهِ عمـا نهى وتـزهَّـدِ
وَارفـعْ إلى الرحمن كُـلَّ ملمَّـة ... بضراعَـةٍ وتمسْكُن وتعبُّـدِ
وَاقطع عَنِ الأسباب قَلْبَك واصطبر ... واشكر لمن أولاك خَيْراً واحمَـدِ
وَعليكَ بـالـوَرَع الصَّحيح ولا تَحُمْ ... حَوْلَ الحِمى واقْنت لربّك واسجدِ
وخـذ العلـوم بهمّـة وتفطُّنٍ ... وقريحـة سَمْحـاءَ ذاتِ تـوقّـد
واستنبـط المكنـونَ مِنْ أسرارهـا ... وابْحَثْ عن المعنى الأَسَـدّ الأَرْشَـدِ
وَعليـك أربـابَ العُلُـوم وَلا تكن ... في ضبـط مَـا يُلقـونَـهُ بمُفَنّـدِ
فإذا أتتك مَقـالـة قـد خـالفت ... نَصّ الكتـاب أو الحـديثِ الْمُسْنَـدِ
فـاقفْ الكتـابَ ولا تَمِـلْ عِنْـهُ وَقف ... متـأدّبـاً مَـعْ كُـلِّ حَبْرٍ أوْحَـدِ
فلحُـوم أهـل العلم سُمَّت للجُنَـا ... ة علَيهم فـاحفَـظ لسَـانـكَ وَابعُـدِ
هَـذِي وصيّتيَ التي أُوصيكَهَـا ... أكْرِم بهَـا من وَالـدٍ متـوَدّدِ[2]

وكتَبَ لولده قاضي القضاةَ تاج الدين وقد رُتّب مُوَقّعاً بالدّست الشريف بالشام في سنة خمس وَسَبعُ مئة :

أقـولُ لنَجْلِيَ البرِّ الْمُفَـدَّى ... مقـالاً وُثِّقَتْ مِنْـه عُرَاهُ
وَليتَ كتـابـةً في دَسْت مُلْـكٍ ... رَسَتْ أركَـانُـهُ وسَمَت ذُرَاهُ

(١) في (أ) : « صراط المصطفى » .
(٢) (أ) : « إليك » .

فــلاَ تكتبْ بكفّـــــك غير شيءٍ يَسُرّكَ في القيـــامَـــةِ أَنْ تَراهُ[١]
ولا تـــأخـــذ من الْمَعْلُـــومِ إلاّ حَـلالاً طيّبـــاً عَطِراً شـــذاه[٢]
وَنُصْحُـكَ صَاحبَ الـدست اتخـذه شِعـارَك فـالسَعـادة مَـا تَراهُ[٣]
ثـلاثٌ يـــا بنيّ بهـــا أُوَصّيْ فَمن يَـأخـذ بهَـا يُحْمَـد سُرَاهُ
وتقـوى الله رأسُ المـال فـالـزم فمـــا للعبـــد إلاّ من بَراهُ

قلتُ : التزم رحمَهُ الله فيها الراء والثالث تضمين ، وهو بيت مشهور جاء في موضعه متمكناً ، و « تراه » في هـذا البَيت من الرؤيَـة ، وفي الخـامس من الرأي فلا يُظَنّ أنّـه إيطاء .

وأجابه رحمه الله تعالى وَلدُه قاضي القضاة تاج الدين عن ذلك بقوله :

أتت والقلبُ في الغفَـلاَتِ سَـــاهٍ تُنَبّـــهُ كلَّ سَـــاهٍ من كَرَاهُ[٤]
وصيّـــة والـــدٍ برٍّ شفُـــوقٍ يقـــوم مـــع ابنـــهِ فيما عَرَاهُ
رؤوف بـابنـه لـو بيْـعَ مجـدٌ بمقـــدور لبـــادَرَ واشتراهُ
ألا يـــا أيّهـــا الرَّجُـلُ الْمُفَـدّى ومن فـوق السمَـــاء يُرَى ثراهُ[٥]
أَنَلْتَ فَنِلْتَ في الـدنيـــا مَنَـــالاً يَسُركَ في القيـــامَـــة أَنْ تراهُ

وقال رحمه الله تعالى في معنى قول امرئ القيس : « « ومَـا ذرفت عَينـاك »[٦] ... البَيْت ، وأنشدني ذلكَ من لفظه :

---

(١) (أ) ، (خ) : « بخطّك » .
(٢) في (أ) ، (خ) : « ثراه » .
(٣) (خ) : « شعاراً » .
(٤) في الأصل : « أأنت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « ألا أيّها » ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٦) من معلقته .

قَلْبيْ مَلَكْتَ فَـــا بـــهِ مَرْمىً لـــواشٍ أَوْ رَقِيْب
قـــد حُـزْتَ من أعشَـــارِهِ سَهْمَ الْمُعَلّى والرقيب
يُحْيِيـــه قربُـــك إن مَنَنْـــتَ بـــه وَلـو مِقْـــدَارَ قِيْب[1]
يَـــا مُتْلفي ببعَـــادِه عَنّي أمَـــا خِفْتَ الرقيب

قلتُ : ليس لهذه القوافي خامسٌ فيما أظنّ ، وقَدْ تلطف في القافية الثالثة حتى تركبّت معه من كلمتين وامتزجت ، « وقيب » لغةٌ في « قاب » ، وفي هذه الأبيات معنى من المعاني الأدبية ، وهو ممّا يمتَحنُ به الأدباء في قول امرئ القيس :« وما ذرفت عَيناك » ، البيت ، لأنَّ الأصمعي قال فيه ما هُوَ باد لكل أحد ، وهو أنَّ عَيْنَيْها سهمَان ضَرَبْتَ بهما في قلبه المقتّل الذي هو أعشار ، أي مكسَّر ، من[2] قولك : « بُرْمَة أعشار »[3] إذا كانت كذلك .

وأمَّا ابن كَيْسَان فقال ما هو أدقّ من هذا المعنى ، فقال : ضَرَبْت بسهميك اللذين هُمَا من سهام الميسر لتلكي أعشار القلب ، وهي جَميع مَا يخصّ الْمَيْسر من القدَاح ، فالمعلَّى له سَبعةُ أَسْهُم ، والرقيبُ له ثلاثة أسهم ، فيستغرق السهمان جميعَ الأعشار ، وهذا وإنْ كان دقيقاً وفيه غَوْصٌ ففيه تَعَسُّف ، وتأويلٌ فيه بُعد ، وأمَّا هذا الذي نظمَهُ شيخ الإسلام رحمَه الله تعالى فهو صريح في هذا المعنى[4] .

وكنت قد طلبَتُ منه مَا أستعين به على ترجمته لما وَضعتُهَا في تاريخي الكبير (الوافي بالوفيات)فكتب لي مَسْمُوعاته وأشياخَه ومُصَنّفاته ، ولم يكتب شيئاً من نظمه ، فكتبت إليه :

---

(١) القيب : المقدار ، وما بين وتر القوس ومقبضه . (التاج) .
(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) البُرْمَة : القِدْر .
(٤) زاد في (خ) : « مع ما فيه ممن الجناس البديع » .

مُولاي يَـاقـاضي القضَـاة الّـذي أبـوابُـــه مِنْ دَهْرِنـــا حِرْزُ
أفَـــدْتَني ترجمـــةً لم تـــزل بحُسن أقمـــارِ الـــدّجَى تهـزو
لبسْتُ منهـــا حُلـــةً وَشْيُهَـــا أعْـــوَزَهُ من نَظْمـــك الطِّرْزُ

فكتب الجوابَ رحمه الله تعالى :

لله مـــولىً فَضْلُـــه بَـــاهرٌ مِنْ كلّ علم عنـــــدَهُ كَنْـــزُ
يـا واحـدَ الـدهر ومَنْ قَـدْ عَـلا مِنْـــه على هَـــام العُـلاَ الغَرْزُ
تســـألُني النظمَ ومَنْ لي بـــه وعنـــــدي التقصير والعجـــزُ

قبَّلَ الـداعي طِرْسَـا قـد سَمَـا نَـوْراً ونِقْسـا ، جَمَـعَ أفـانين العُلـوم في شبـه الـوشي المرقوم ، ما بين خـطٍّ إذا رَمَقَتـهُ العُيُون قـالت : هـذا خـطُّ ابنِ مُقْلـة ، ونظم لا يُطيق حبيب أن ينكر فَضْلَـه ، ونثرٍ يَرَى عبـدُ الرحيم[١] علَيـه طـوْلَـه ، صَـدَرَ عمّن تـوقّـل[٢] ذرْوَة البلاغة وسَنَامَهـا ، وامتطى غـاربَهـا ومَلـك زِمَـامَهـا ، وكَمَّلهَـا مِنْ كلِّ علمٍ بـأكمل نصيب ، ضـاربـاً فيـه بـالسّهم [المصيب][٣] ، مشمّراً فيـه عن سَـاق الجـدّ والاجتهـاد ، متوقّداً ذكاءً مع ارتياضٍ وارْتياد ، إلى مَنْ هُوَ عن ذلك كلّه بمَعْزلْ ، ومَنْ قعد بـه قصورُه إلى[٤] حضيض منزل يَطْلُب منـه شيئـاً مِمّـا نَظم ، ولعمري لقـد استسمن ذا وَرَم ، ومن أين لي النظم والرسـائل إلاّ بنَغْبـه[٥] من المسـائل ، على تبلُّـدِ خـاطرٍ وكـلال قَريحـه ، وتقسّمِ فكرٍ بين أمور سقيمـة وصحيحـه ، فـأنّى لمثلي شِعرٌ ولا شعـور ، أو يكـون لـه[٦] منظوم ومنثور ، غير أنّي مضت لي أوقاتٌ استخفّني فيهَا إمَّا محبَّةُ التشبّه بأهل الأدب ، وإمَّا ذهولٌ عمَّا يَحْذَرُه العقلاء من العَطَب ، وإمَّا حالة تَعرِضُ للنَّفْس فَتَنْضَح بما فيها ،

(١) في (أ) : « القاضي الفاضل » .
(٢) توقل : صعّد فيه .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) في الأصل : « عن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٥) النغب : التجرع .
(٦) في (أ) والوافي : (لي) وفي (خ) : « في » .

وأقول دعهَا تَبْلُغ من أمانيها ، فنظَمتُ مَا يُسْتَحيا مِنْ ذكره ، ويستحقّ أن يُبَالغ في سَتْره ، ولكنك أنت الحَبيبُ الذي لا يُستَر عنه مَعيب ، أذْكُرُ لك منه حَسْبَما أشرت[١] نُبَذا ، وأقطع لكَ منه فِلَذا . وذَكَر أبياتاً أوردتها في ترجمته في (تاريخي الكبير) ، ونقلت من خطِهِ له وأنشدنيه من لفظه :

إنَّ الولاية ليسَ فيهَا راحةٌ ... إلاّ ثلاثٌ يَبْتغيَهَا العَاقلُ
حُكمٌ بحقٍّ أو إزالةُ باطِلٍ ... أو نَفْعُ محتاجٍ سواهَا بَاطِلُ

ونقلت منه أيضاً له[٢] :

مثال عَمٍّ وخالٍ ... بقَوْل صِدق وَجيهِ
بَنى بأخْت أخيه ... لأمِّه لاَ أبيهِ
وَذاكَ لا باسَ فيه ... في قَوْل كُلِّ فقيهِ
فنجلُهُ هُوَ داعٍ ... بذاكَ لا شك فيه[٣]

وكتب إليَّ وقد وقع ثلج بدمشق في أول شهرِ رمضان سنة أربع وخمسين وسبع مئة :

نظرْتُ إلى أشجار جلّق فَوْقَها ... ثُلُوجٌ أراهَا كالبُروق تَلُوحُ
فشبّهتها قضبانَ فضةٍ اكتَسَت ... وقابَلَها منّا الغَداة صَبُوحُ
ومن تحتها الأوراق خضرٌ كأنَّها ... زمرّدة تغدو بنا وتروحُ
ومن بينها النارِنْجُ كالذَّهَبِ الّذي ... هَواهُ بهِ كلّ النفوس تبوحُ[٤]

---

(١) في الوافي : « أمرت » .
(٢) عبارة الدرر : « وله أيضاً في الإلغاز » .
(٣) في الوافي : « فيحلّه » ، وفي الدرر : « فيحلّه وهو .... » .
(٤) (خ) : « تنوح » .

فقلت : لقد أخطأتَ تشبيهي الذي ... يعزّ علي المعتزّ وهو فصيحُ
تُشبِّهُ يبساً ذَاوياً برطيبه ... ومَيْتاً بمن فيه الحيَاة وروحُ
فَوَلّ صَلاحَ الدين هذا فإنَّه ... إذا قال تشبيهاً أقول صحيحُ

وبَعْده :

أقولُ للسَّرْو قد كَسَاهُ ... ثلجٌ رُوَاءً عليهِ نُورُ
زمرّدٌ أنت في لجينٍ ... فقالَ مَهْ إنَّ ذا قصُور
تشبيهُ ذَاوٍ بلا حَيَاة ... بمن لَهُ منظرٌ نضيرُ[1]

وبَعْدَه أيضاً :

أقولُ للسَّرو قد كَسَاهُ ... ثلجٌ بَدا نَوْرُه وأَنْهَجْ
زمرّدٌ أنتَ في لُجَيْنٍ ... فقالَ أبْهى سنا وأَنْهَج
فهل ذكيّ يُطيق وَصْفي ... أُريه طُرق الهُدَى وأَنْهَجَ[2]
تقولُ لي ذائب المعَاني ... فلا تَراني لذاك أنهج[3]
وَأنتَ يَا واصفي بشعرٍ ... بغير رِدْفٍ سَواهُ أَنْهَجُ[4]

فكتبتُ أنا الجواب إليه رحمه الله تعالى « يُقبّل الأرض » ويقول :

أتتني سُطورٌ كالدياجي مِدَادُهَا ... وفيها المعَاني كالنجوم تلوحُ
يغني بها الشادي إذا مَا حَسَا الطّلا ... ويخلُو بها عاني الهوى فيبوحُ
فكلّ معانيها غريبٌ مُصَنَّف ... كما لفظها بين الأنام فصيحُ
مُلوكيّة التشبيه فيما تخيّلت ... كذلك تشبيه الملوك مَليحُ

(١) في الأصل : « تسبيه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أسرع » .
(٣) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أبهر » .
(٤) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أفعل التفضيل » .

فقابلت منها نسخةً تَقَوَيّه على كُلِّ سَطْرٍ قد حَوَته صحيحُ
فأعملتُ فكري فانثنى متقاعساً وَعَهْدِي به عند القريض لحوحُ
وعَادَ فقيراً في زوايا أضالعي ومَا عنده في نظم ذاك فُتوحُ[1]

ثم إنَّ أَعْقِلةً[2] بَارَحَتْهُ ، وصبر إلى اليوم حتى رأى نشاطه لما كان عليه وجانَحَتْهُ ، وغالَطَه في نظم شيء في هذه المادّة ، وقال : مَا ضرّك أن تُسَيّر جوادك في هذه الجادّة ، فلا بدّ له من العَرْض بين يدي مولانا قاضي القضاة أدام الله تعالى أيامَه ، وإغْضَاؤه مضمون الدَّرْك فما كل السَّوانح غزلان رامَة ، فانفعَل لذلك بعدما استحيَا وخجِل ، وقال وَهو ما بين الْجَذِل والوَجِل :

الثلج يَسْقُط فوق أَوْراقٍ حَوَتْ نارنجَ بُستانٍ سَبَى بروائه
فكأنّما تلك الثلاث سَرَقْن من قاضي القضاة الْحُسْنَ يوم لقائه
فابيضّ ذا كثنائه واخضرَّ ذا من جُوْدِه وأنارَ ذا كَذَكائه

فشكرتُ لَهُ هذا التخيّل وَعَلمتُ أنّه لطيفُ التحيّل ، وقلتُ : مَا بك مَا يَعوق ، فالْحَقْ ببضاعتك السُوق ، فإذا به قد نظم واستعمَل القلم ، وقال :

نارنجنا في الغصون يحكي والثلجُ في بعضهنّ رَقْمُ
خدّا تبدّى بِهِ عِذارٌ عاجَلَهُ بالمشيب هَمُّ

فقلتُ له : لابُدّ من الزيادة ، فإن الخير عَادَة ، فقال : أزيدك شيئاً من الاستعَارَة فإنَّها لِقَمر التشبيه دَارَه . وقال :

قد سَقط الثلج فوق دَوْحٍ نارنْجها يُفْرِحُ الْحَزِيْنَا

---

(١) (أ) ، (خ) : « زوايا ضائري » .
(٢) (خ) : « أغفلة » .

كـوَرْدِ خـــدّ وآسِ صُـــدغ لاح بـــه الشيبُ يـــاسمينـــا[١]

فقلت له : حَسَنٌ ، ولكن التشبيهَ الملوكيّ فاتَ وهو مِنْ أعظم الآفات فقال :

كأنَّ سَقِيـطَ الثلـج في الـوَرق التي تضمّنت النـارنـجَ عنـد التضرُّج
لآلِي مشيبٍ في زمرّدِ عـــارضٍ تبـدّى على يَـاقـوتِ خَـدّ مُضَرَّج

فقلتُ هذا كاف ، فانظم في السَرْو بلا خلاف ، فقال بعدما نَضِج ولم يبق فيه عرقٌ يَختلِج :

عـاينت سَرْوةَ دوحـة قـد أشبهت والثلـجُ يَسْقُـط فَـوْقَهـا مُتَـوالي
حسنـــاءَ زُفّت في مُـلاءة مُخْمَـلٍ خضراءَ كللهـــا سُمـــوط لآلي

فكتب هو رحمه الله تعالى الْجَوابَ إليَّ عن ذلك :

تراقصت الأشجـار عِنْـدَ سَماعهَـا قريضَك وَاختـالتَ كنشوانَ يَطْرَبُ
وقـالَت : ألم أخبرك أنـكَ قـاصرٌ؟ فقلت لَهَـا : بـابٌ صحيـحٌ مجرّبُ

ورَكّبْتُ أنا مَغْلِطةً مِنْ مَغَالِط[٢] المنطق ، ونظمته وكتبت به[٣] إليه وهو :

أيـا قـاضيْ القضَـاةِ بَقيت ذُخْراً لِتَشْفِي مَـا يُعَـالجُـه الضميرُ[٤]
فـأنت إمـامُنـا في كُـلِّ فَنٍّ ومثلـك لا تجيءُ بـه الـدهـورُ
كأنَّـك للغَـوامضِ قُطْبُ فَهْم عليـك غَـدَتْ دقـائقهـا تـدورُ
بَلَغْتَ بـالاجتهـاد إلى مـدىً لا يخُـونُـك في مَعَـارفـه فتـورُ
وَبَـابُـك عـاصمٌ مِنْ كُـلِّ جَـوْرٍ وعلمُـك نـافـعٌ وَلنـا كثيرُ
وقلْنـا أنتَ شَمسُ عـلاً وعلمٍ فكيف بَنُـوكِ كلهُمْ بُـدورُ

(١) (أ) : « باح » .
(٢) في الوافي : « مغالطات » .
(٣) في الوافي : « ونظمتها وكتبتُ بها » .
(٤) في الأصل : « لتصفي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

إليـــكَ المشتكَى مِنْ سُـوْءِ فهمٍ يُعْسّر إذ يَسيرُ لَـــهُ اليسيرُ[١]
بُليتُ بفكْرَةٍ قـــد أتعبتني تحـــور إليَّ كَسْلَى إذ تخـــورُ[٢]
مقـدّمتـان سُلّمَتَـا يقينـاً ولكنْ أنتجـا مـا لا يصيرُ
تقـولُ البـدر في فلـك صغيرٍ وذلـكِ في كبير يَستـديرُ
فيلـزم أنَّ بـدرَ التمّ ثـاوٍ بجـانحـةِ الكبير وذاكَ زورُ
فـأوضح مَـا تقـاعَسَ عَنْـه فهمي فـأنت بحلّـه طَبٌّ خَبيرُ
وفَهْمُـكَ في الـورى كضيـاء شمس وعلْمـكَ في الأنـام هـدى ونـورُ

فكتب الجواب في ليلته وفرّع عليه ثلاثة أجوبة ، وهو :

سُـؤَالـكَ أيّهـا الْحَبْرُ الكبيرُ سَمَتْ في حُسْنِ هـالتـه البُـدورُ[٣]
وهِمَّتُـك العليّـة قـد تَعَـالت فـدون طـلابهـا الفَلَـكُ الأثيرُ
ونظمُـكَ فَـوْقَ كل النّظم عَـالٍ على هَـذا الـزَمَـانِ لَـهُ وفـورُ[٤]
فَلَـوْ سَمَحت بـك الأيـام قِـدْمـاً لقـدّمـك الجحـاجحَـةُ الصّـدورُ
سَـألتَ وأنتَ أذكى النـاس قَلْبـاً وعنـــدك كلُّ ذِي عُسْرٍ يسيرُ
وقلتَ المشتكى من ســـوءِ فَهمٍ وحـــاشى إنَّ فَهْمَـــك مستطيرُ
وَفِكرتـك الصّحيحـة لن تُجـارَى ولم أرَهَـــا تَحُـور ولا تخـورُ
وَلا كسَـلٌ بهَـــا كـــلا وأنّى ودُونَ نشـــاط أوّلهـــا السَعيرُ
فهَـاكَ جوابَ مَـا قـد سلَتَ عنـه وأنت بمـــا تضمّنـــه خبيرُ
مقـدّمتـان شرطَهُمَـا اتحـاد بـأوسَـط إن يَفُتْ فـات السُرُور
وهـذا منـه فـالانتـاج عُقْمٌ وأعْقَبَـهُ عن التّصـديـق زُورُ

(١) في الوافي : « من فهم سوء » .
(٢) في الوافي : « تخور » .
(٣) (خ) : « أيها الطبّ » .
(٤) في الأصل : « ونور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

وذلـــك أنَّ قـــولـــكَ في صَغير ... هـــو المحمُـــولُ ليسَ هـــو الصغيرُ
وَفي الكُبرى هـو الْمَـوضـوعُ فـاعلم ... فمِنْ ذيّـــــاك للشَّرْط الثبـــورُ
وإنْ رُمْتَ التـوصّـل بـاجتـلابٍ ... مقـــدَمَـــةً بهـــا يقـع العثـورُ
على تحقيـــــق مظروفٍ وظَرفٍ ... فمشترَكٌ عن المعنى قصيرُ
فمعنَى البـــدرِ في فلـــك صغيرٍ ... يُخـــالِفُ مـــا تضمّنـــه الكَبيرُ[1]
فلم يَحْصُـل لشرطهمَـــا وجـــودٌ ... لـــذلـــك أنْتَجـــا مـــا لا يصيرُ
وفي التحقيـــق لا إنتـــــاجَ لَكِنْ ... لأجلِكَ قلتَ قولَـك لي عـذيرُ[2]
وأمّـــــا إنْ أردت عُمـــوم معنىً ... وذلـــك فيهمَـــا معنىً شهيرُ[3]
فَيَنتُـجُ آمنـــاً من كلِّ شـــكٍّ ... وليسَ عليـــــــه إيراد يَصيرُ
فـذاكَ جـواب مـا قـد سِلْتَ يَـا من ... غـــدا في العلم ليسَ لَـــه نظيرُ
ومَـا عنـه تَقَـاعسَ منـك فَهْم ... وكيفَ وَمِنْـــكَ تنحَـلُّ الصُّخُـورُ
فـأنت البَـدْرُ حُسْنَـاً وانتقـالا ... بـــأفْـلاكٍ مضَـاعفـــةٍ تَسيرُ
لحـاملِـهِ السَريـعِ وتـالييـه ... دليـلٌ أنَّ خـــالقـــه قَـــديرُ
يَرَى ذو الهيئـــة النِّحريرُ فيهَـــا ... عجـــائِبَ ليسَ يحـويهَـــا الضميرُ
فسُبْحَـــان الـــذي أنشـــأه برّ ... رحيمٌ قـــــاهرٌ ربٌّ غفـــورُ
وصلّى الله ربٌّ على نبيٍّ ... هـو الهـادي بـه قـد تم نـور

وكتبتُ أنا إليه سُؤالاً مِنْ عِلْم الْمَنَاظر :

قـاضي قضـاةِ الشـام يَـا مَنْ لـه ... فـوائـدٌ كالـدِّيَم الهَـاطلَـة[4]
ومن لـه معرفـة قَـدْ غَـدَتْ ... لكلّ عِلْمٍ في الـورى شـامِلَـه

(١) في الوافي : « الكسير » .
(٢) في الوافي : « قولك يا عزيز » .
(٣) (أ) ، (خ) والوافي : « وعموم كون » .
(٤) قوله : « له » زيادة من (أ) ، (خ) .

ومَن إذا حـــلّ بنَـــا مُشكِـــلٌ يَلقـاه بـالأجـوبَـة الفـاصِلَـه
وهـو إمَـــامُ النـــاسِ في فنهم وفي فنـونٍ عنـده حَـاصِلـه
من كـــذّبَ الحِسَّ فمـا عنـده بيّنـــةٌ تعضُـــده عَـــادِلَـــه
لكنَّ هـــــذا الْقَطْرُ في جـــوّهِ غـدا خطـوطـاً للثرى نَـازِلَـه[1]
كـــذلـــك النقطـــة فـوق الرَّحى تُبْصِرُهَـــا دائرةً جَـــائِلَـــه
فبيّن العلّـــة في صِـــدْقِنـــا أوْلا فـــدعـواكم إذاً بَـــاطِلَـــه
وابْـقَ مَـدى الأيـــام في نِعمَـــة بـدورُهـا مشرقـةٌ كَـامِلَـة

فَكَتبَ هو رحمه الله الجَوابُ إليَّ مختصراً :

عِلّتهـــا السُرعـــة مَـعْ وَهْمنـــا ومن خَيـــالٍ لم يَـزل خـــاتِلَـةَ[2]
يقضي بهَـــا الـوَهُم ويـــأبى الحجَى وهـوَ الـــذي أحكامُـه عَـــادِلَـة
والحِسُّ مقصـــورٌ على رُؤْيـــة مُبْصِرَة للصّـورة الحَـــاصِلَـــة[3]

وكتب أيضاً رحمه الله تعالى جواباً مطوّلاً في ثلاثة وأربعين بيتاً وقد أثبتها بكمالَها في كتابي (ألحان السَوَاجع بين البادي والمرَاجع) ، وقالَ لي يوماً : نظمتُ بيتاً مفرداً من ثماني عَشرة سَنَة ، وزدت الآن عليه بيتاً في هذه السَنَة ، وكانت سَنة سَبع وأربعين وسبع مِئة ، وهما :

لَعَمرُك إن لي نَفْســـاً تَســـامَى إلى مَـــالم يَنَـــلْ دارا بنُ دَارَا[4]
فمِنْ هـــذا أرى الـــدنيَـــا هبـــاءً ولا أرضى ســـــوى الفِرْدَوْس دَارا

فأعجبَاني ، وقلت في مادّتها[5] ، إلا أنَّ بَيْتَيه رحمَه الله تعالى أحسن وأصنع من

(١) (خ) : « هذا اللفظ » .
(٢) (أ) : « خائله » .
(٣) (خ) : « على صورة » .
(٤) في الأصل : « تعسّ » .
(٥) عبارة الوافي : « في مادّتها دون مدتها » .

قولي :

لَعَمْرُك إنّ للبَـــاقِي التفـــاتي ومَـالي نَحْـوَ مـا يَغْنِي طريقَـه[١]
أرى الـدنيـا ومَـا فيهـا مجـازاً ومَـا عنـدي سـوى الأُخْرى حقيقـه

وحصَل له في وقت مَا شرَى ، فكتب إليه جَمال الدين محمّد بن نباتة المصري[٢] :

يَفْـديـك يـا قـاضي القُضَـاة عَلّيهم من كل داءٍ تَشْتكي كلُّ الـــورَى[٣]
شهد الشرى لـك حين زارك بـالتقى والصبّر والصّـدَقـات لمـا خبّرا[٤]
لا تعـدم المِـدَحُ الروائـح سيّـداً هـذي خـلائقهـا بتخبير الشرّى[٥]

فلما حضرت عنده أراني إياهَا ، فلما وقفت عليها علمت ما أراده من خطأ التوريَة مع الناظم فمضيت من عنده وعدت إليه وقد كتبت أنا إليه بعد ذلك :

لّمـا اشتكى قـاضي القضـاة فَـدَيْتـه من كل سـوءٍ يشتكي منـه الـورَى
عـــاينتـــه لأذى الشَّرَى متصبِّراً فعلمتُ حقـاً أنَّـه أسَـدُ الشرّى
ورَبِحْتُ تَـوْريتي التي قَعَـدَتْ ومَـا خَسِرَتْ وَلَمْ أنطـــق بتخيير الشرّى

فأعجبه ذلـك وجَبَر على عـادتـه معي ، وفسـادُ التوريـة مع النـاظم الأول هو أنَّ « الشرّى » ، بفتح الشين ، مقصور ؛ وهو المرض المعروف عند الأطبّاء بالْمَاشرَى ، وهو الخراج الصغار التي تتولد من مادة دمويّة لذّاعة ، و « الشِرى » ، بكسر الشين ، مصدر شريت شرىً ، ففسَدت توريته .

ووصل الخبر مع البريد من مصر بوفاته قدس الله روحه في يوم الجمعة سَابع جمادى

(١) في الأصل : « التفاني » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٢) انظر : ديوانه : ٢٣٧ .
(٣) في ديوانه : « كل شيء » .
(٤) عجزه في ديوانه : « والبرّ مختبر العلى ومخبرا » .
(٥) في ديوانه : « المدح السوائر » « هذي خلائقه بتخيير » .

الآخرة سنة ست وخمسين ، فكتبت مرثيّة إلى ابنه[١] قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، وأُنشدت في صبيحة العَزاء بالعادليّة ، وهي :

أيُّ طَوْدٍ من الشريعَة مَالاَ ... زَعْزَعَتْ ركنَه الْمَنُونُ فزالاَ
أيُّ ظِلٍّ قد قلصتهُ المنايَا ... حين أعيا على الملوك انتقالا
أيُّ بَحْر قد فاض بالعلم حتّى ... كان منه بحرُ البسيطة آلا[٢]
أيّ حَبْر مضَى وقد كان بَحْراً ... فاضَ للوَاردين عَذْباً زُلالا
أيُّ شمسٍ قد كُورّت في ضريح ... ثم أبْقَت بدراً يُضي وهلالا
مَات قاضي القضاة مِنْ كان يَرْقَى ... رُتَبَ الاجتهاد حالاً فحالا
مات مَنْ فَضْلُ عِلْمِه طبَّق الأرْ ... ض مسيراً ومَا تشكَّى كلالاَ
كان كالشمس في العُلوم إذا مَا ... أشرقت أصبحَ الأنام ذُبَالا
كان كلّ الأنام من قبل ذا العصـ ... ـر عليه في كل علم عِيَالا
كان فردَ الوجود في الدهر يُزْهَى ... بمَعَالي أهل العلوم جَمالا
فمضَوا قبله وكان ختاماً ... بعدهم فاعتدى الزمان وصَالا
كمَلت ذاتُه بأوصَافِ فضلٍ ... عَلّم البَدرَ في الديَاجي الكمالا
وأنام الأنام في مَهْد عَدْلٍ ... شَمَلَ الخَلْقَ يُمنةً وشمالا
لِمَنْ بعده نُشِيدُ رِحَاباً ... ولمن بعده نشدُّ رحالا
وهوَ إن رُمْتَ مثله في عُلاه ... لم تجدْ في السؤال عنه سوى لا
أحسَنَ الله للأنام عَزَاهم ... فهمُ بالْمُصَاب فيه ثُكالى
وَمُصَابُ السُبكيّ قد سَبَك القَلْـ ... ـبَ وأوْدَى منّا الجلودَ انتحالا
خزرجيُّ الأصول لو فاخر النجـ ... ـمَ عَلاَ مَجْدُه عليه وطالا
خُلُقٌ كالنسيم مَرّ على الرَّو ... ضِ سُحَيراً وعُرْفُه قد توالى
وَيَدٌ جُوْدُها يفوق الغوادي ... تلك ماء هَمَتْ وذا صبٌّ مَالا

(١) (أ) : « ولده » .
(٢) (أ) ، (خ) : « كم فاض » .

أيُّهـا الـذاهبُ الـذي حينَ وَلّى ... صـارَ منـه عـزُّ الـدمـوع مـذالا
لـو أفـاد الفـداءُ شخصاً لجُـدْنـا ... بنفـوس على الفـدا تتغـالى[1]
أنَفْسٌ طـالَما تنَّفسَ عنهـا ... منـك كَرْبٌ يكظّهـا واستَحـالا[2]
أنْتَ بلّغتهـا المنى في أمَـانٍ ... فـاستفـادت غنىً وعـزّت منـالا
من لنـا إن دجَت شكـوكٌ شَكـونـا ... مِنْ أذاهـا في الـذِّهن دَاءً عُضَـالا[3]
كنتَ تجلـو ظـلامهـا ببَيَـان ... حـل من عقلنـا الأسيرِ عِقـالا
من يعيـد الفتـوى إلى كل قُطْرٍ ... منـه جـاءت جـوابهـا يتـلالا
قـد صَبَبْتَ الصَّوابَ فيهَـا وأهـدَيْـ ... ـت هُداهَـا وقـد مَحَـوْت الْمُحَـالا
فيقـول الـوَرى إذا مَـا رأوهَـا ... «هكـذا هكـذا وإلا فـلا»
فليقـل مَنْ يشـأ مـا شـاء إنَّ المـو ... ت أردى الغضنفر الرئبـالا
«وإذا مَـا خـلا الجبَـانُ بـأرضٍ ... طلبَ الطعن وحـده والنزالا»[4]
قـد تقضى قـاضي القضـاة تقيّ الْـ ... ـدين سبحـان من يـزيـل الجبـالا
فـالـدراري من بعـده كاسفـاتٌ ... وإذا مَـا بـدت تراهـا خَجـالَى
كان طَـوْداً في علمـه مشمخرّاً ... مَـدّ في النـاس من بنيـهِ ظـلالا
فبهـاءٌ بهَـا ونعمتْ وتَـاجٌ ... فـوق فَرْق العليـاء راق اعتـدالا
هـو قـاضي القُضَـاة صَـان حِمَـاه ... من عـوادي الـزمَـان ربّي تَعَـالَى
وهـداه للحكم في كل يـوم ... فيـه يرعى الأيتـام والأطفـالا
وحَبـاه الصّبر الجميـل وَوفّـا ... هُ ثـواباً يهمي سَحـابـا ثِقـالاً[5]
ليبيـد العـدى جـلاداً ويغـدو ... فيفيـد النـدى ويُبـدي الجـدالا

(١) في الأصل : « أفدنا بنفوس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) الكظّة : الشدة ، وفي (أ) ، (خ) : « يلظّها » ، وهما بمعنى .
(٣) في الأصل : « في الدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) ضمن بيتاً للمتنبي من قصيدته في مدح سيف الدولة . (ديوانه بشرح العكبري : ١٤٣/٣) .
(٥) (خ) : « وهداه الصبر » .

وكتبت بعد ذلك إلى وَلده الشيخ الإمام بهاء الدين أحمد بمصر أعزيه :

وهكـذا جَيْشـه الْمَعهُـود نُصْرَتُـه ... على أعـاديـه بعـد اليَـوم ينهـزم
أهكـذا جَبـلُ الإسـلام ينهـدِمُ ... وهكـذا سَيْفَـه المسلـول ينثلم
وَهكـذا مَجـدُه الراسي قـواعـده ... تنحـطّ منـه أعَـاليـه وتنحطِمُ
وَهَكـذا البَـدرُ في أعلى منـازلـه ... وسَعْـدُه قـد مَحَت أنـوارَه الظُّلَمُ
وَهَكـذا البحر يَمْشي وهـو ذو يَبَس ... من بعـد مَـا كانَ بـالأمَـواج يلتطم
وهكـذا الـدين قـد أزرى بـه خَنَس ... من بعـد مـا كان في عرنينـه شمم
وهكـذا كل مَيْت حَـلّ في جَـدَث ... بكى لـه الفـاقـدان العِلْم والكرَم
وقـد نعى العَـدْل منـه سيرةً كرمت ... يحفّهـا الـزاهران الحِلْم والنعم
والـوَرْق تُمْلي لنـا في وصفـه خُطَبـاً ... يُقلهـا المنبران البـان والسَلم
ولـو أراد الأعـادي كَتْمَهـا اعترفت ... بفضلهَـا الشـاهـدان العُرب والعجم
قـل للعِـدى إن جهلتم قَـدْرَ رُتبتـه ... «فـالبيت يَعْرِفـه والحِـلّ والحرَم»[1]
والليـل والـذكر والمحراب شـاهِـدُه ... والشرع والحكم والتصنيف والقلمُ
ومن يقـل إنَّـه يـدري مكانتـه ... فمـا خَفِي عنهم أضعـافُ مَـا علمُـوا
فكم كماةٍ من النظّـارِ قـد مَهَرُوا ... في البَحث جاؤوا بما ظنّوا وما زعموا
فكرّ فيهم بـلا فِكْر وجـدَّ لَهُمْ ... جـدالَـه ثم لمّـا سَلّمـوا سَلمُـوا[2]
وقصّروا عن مبـادي غـايـة حَصَلت ... لـه وأين عُقَـابُ الجَـوّ والرخمُ
ولّـوا فراراً وقَـدْ ألْقَـوا سـلاحهم ... وَهُمْ أناسٌ على التحقيق قـد وَهِمُوا[3]
عليـه هَـزْمُهم في كلِ معركـةٍ ... ومَـا عليـه بهمْ عـارٌ إذا انهَـزَمـوا
شكَـوا فتـوراً رَأَوْه في بصـائرهم ... ولـو ألَمّـوا بـه من قَبْـلُ مَـا ألَمـوا

---

(١) ضمّن بيت الفرزدق المشهور في مدح زين العابدين بن علي .
(٢) (أ) : « جدالهم ثم » .
(٣) في الأصل : « ولو ألقوا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

مَـا النـاسُ إلاّ سـواء في بيـوتهم ... مـا الشـأن في أمرهم إلا إذا التحمـوا
كلٌّ يرى أنّـه راح منفرداً ... لَيثٌ وأقـلامُـه من حـولـه أُجُم
فـإنْ تَضمّهم وقت الجـدال وغىً ... فعنـدهـا تظهَرُ الأقـدارُ والقِيَمُ
تـزايَـدَ الحلم مِنْ زاكي سجيّتِـهِ ... فلم يكن مِنْ عِـدَاه قـطّ ينتقم
مـوفـق الْحُكم والفتـوى على رَشَـد ... مـا ندّ منـه على مَـا قـد مضى نـدمُ[1]
كم بـاتَ ينصر مظلـومـاً رآه وقـد ... أودى وجـانبـه بـالضّعف يُهتضم
كان ابن تميّـةٍ بـالفضـل معترفـا ... وهـو الألـدُّ الـذي في بحثـه خِصم
يثني علَيـه وقـد أَبْـدَى بفكرتـه ... أوهـامَـه فيرَاهـا وهـو يبتسمُ[2]
ومـا أقرّ لخلُـوق سـواه وفي ... زمـانـه كل حَبْر علمُـه عَلم
قاضي القضاة تقي الـدين حين قضَى ... غـدا أولُـو العلم لم يهنـاهُمُ حُلمُ[3]
وكيف يهنـأ عيش بَعْـدَه وبـه ... قـد كان شمْـل الهـدى بـالحـق يلتئم
فـاليـوم أقفر رَبـع المكرمَـات وقَـدْ ... شـطّ المـزارُ وأقـوت دُونهـا الخيم
مَات الـذي كان إن تسـأُلـهُ غـامضَـةً ... خَـلاّك من حِلّهـا في العِلْم تحتكم
يَـا سـائراً فـوق أعنـاقِ الرجـال وَكم ... سَعَت لـه في المعـالي والهُـدى قَـدَم
خَـدَمْتَ عِلْمَـك وقتـاً والأنـامُ إلى ... يَـوم القيـامـة فيما قُلْتَـهُ خَـدَمُ
تركتَ فينـا تصَـانيفـاً تُخَـاطبُنـا ... فـأنت حيٌّ ولَـمّـا تُنْشَرُ الرِّمَمُ
مَـا مثـل سيرتـك المثلى إذا ذُكرت ... بـالحمـد تبـدو وبـالتقريـظ تُختم
أقمت في مصرَ والأخبـارُ نـافحـةً ... طيباً تَسِير بهـا الوَخّـادة الرُّسُم[4]
مـا كنتَ إلا إمَـامَ النـاس قـاطبَـةً ... في النَّقْل والعقل تقضي كلما اختصموا

---

(١) (خ) : « في الفتوى » .
(٢) (خ) : « مبتسم » .
(٣) (أ) ، (خ) : « أولو الحلم » .
(٤) الوخد : ضرب من سير الإبل . والوخادة : الإبل . وناقة رسوم : تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

وكلّ مشكلــة في الــدين معضلــةٍ ... يضيـق فيهـا على سُلاّكِهـا اللَّقَمُ[١]
تَحِـلُّ شُبهتهـا من حيثمـا عَرضت ... بـالحـق إذ لَسْتَ في الترجيـح تُتّهَمُ
مَطهّرُ الـذات من ريب تضيء لنـا ... مِنـك العَـوارفُ والأخـلاق والشّيمُ
يكاد من رقّـةٍ فيـه يَهّبُّ صبـاً ... هـذا وقـد برّحت أحَـداثـه الحُطمُ
مِنْ أجـل ذاك غَـدَتْ أيـامُـه غُرراً ... بيضـاً ولم يقض فيهـا أن يُرَاقَ دَمُ
كفٌّ على عَـدَد الأنفَـاس في هبـة الـ ... أموال مـا سَـامَهَا من بَـذْلِهَـا سَأَمُ[٢]
أقـول لمـا نـأى عن جلّـق ونـأت ... عنها غـوادي الحيَا وانجابت الـديَمُ
« يـا من يَعـزّ علينـا أن نفـارقهم ... وُجْـداننـا كلَّ شيء بعـدكم عَـدم »[٣]
لكنّ صبرنـا على التفريـق وهـو أذىً ... « ومـا لجُرْح إذا أرضـاكم أَلَمُ »
مَهما نَسيتُ فمـا أُنْسيتُ برّكَ بي ... عنـد الظما ونـداك البَـارد الشبمُ
وفرط جَبْرك إذ تُثْنِيني عليّ بمـا ... لا أستحـق وذاك الْحَفْـل مـزدحِمُ
حتى أغـالـط نفسي في حقيقـة مـا ... أُدْريـه منهـا وفي عِلْمي بهـا أَهِمُ
فِعَـالُ مَنْ طَبـعَ البـاري سجيّتَـه ... على مكارمَ منها النـاس قـد حُرِمُـوا
وكاد دَهْري ليـاليـه تسـالمني ... وكاد يُصْرَفُ عني الشيب والهرمُ[٤]
والله لافتَرت مِنّي الشّفـاه عن الـدُّ ... عَـا ولا افترّ لي من بعـد ذاك فَمُ[٥]
فاصبر أبا حامـد فـالنـاسُ قـد فُجعُوا ... فيمن مضى لم تُخَصَّصْ أنت دونهمُ
تشـارَكُ النـاسُ في هـذا العـزاء كما ... نعْمى أيـاديـه فيهـا النـاس تَقْتَسِمُ
وَانظر وقِسْ يـا إمـام النـاس كلّهم ... فإن سَلمت فكلُّ النـاسِ قـد سَلموا[٦]

---

(١) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) (أ) ، (خ) : « هبة الأنفال » .
(٣) هو للمتنبي ، ديوانه : ٣٧٠/٣ ، وكذا الشطر الثاني من البيت الآتي .
(٤) (خ) : « وكان دهري » .
(٥) في الأصل : « عنّي الشفاه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٦) (أ) ، (خ) : « فإنّ الناس » .

هـذي المصيبَـةُ بـالإسـلام قـد نـزلت فانظر عُرَا الـدين منهـا كيف تنفصِم
مَا مثل من قـد مضى يبكى عليـه ولا تُجرى على وجنتيـك الأدمعُ السُجُم
فـإنَّـه في جنـان الخلـد في دَعَـةٍ لكفّـهِ الحـورُ والـولـدانُ تستلِمُ
فقـدّس الله ذاك الروحَ منـــه ولا أراه يـوم الّلقـا والحشرِ مَـا يَصِمُ

يُقَبّل الأرضَ ويُنْهِي ما عنده من الألم[1] الذي أنكى ، والحادثِ الذي مـا يَحيـك[2] في خَلَد ذي جلد ولا يُحكَى ، والمصَاب الـذي عقـد المنـاحَات لـه بـالمنـاجـاة ، فوقف واستوقف له ، وبكى واستبكى :

ولـو يُغْني البُكَـا أوْ رَدَّ مَيْتَـا بكيتُ فلم يُسَـاجِلْني الغَمامُ

فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قَوْلَ من فقد إمامه ، وفُجِع بمن كان يَهـديـه إلى رشـده ويريه طُرُق السَّلامة ، وأعْدَمَتْه الأيامُ حَبْراً لم يلتفت معه إلى الدراري إذا سمع كلامه ، وغيّضتْ منه بحراً كان يَقْذِف به من دُرّه فَـذَّه وتُوامَـه ، وأخـذت منـه فريـدَ عصره فما يدري ما يبكيه منه ، أعلمه أم بركته أم لطفه أم جوده الذي فضحَ الغمامَة ، وابتزّت منه شيخ الإسلام الذي مَا يُخلِفُهُ الوجود إلى يوم القيامة .

عَمَّت فـواضلـه فعمَّ مُصَـابـهِ فـالنـاس فيـه كلّهُم مَـأجُـورُ

ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، كلمة تقولُها الملوكُ لهـذه المصيبـة العُظْمَى والرزيّة التي ما يجد الناسُ لها رُحْمى ، ذهب والله من كان جمالَ الوجود ، وإمام الأئمـة وكعبة الجود ، ومن كان بقاؤه بين ظهراني الناس رحمـه ، ومن بينـه في العلوم وبين عُلُوّ النجـوم زحمـه ، ومن كان إذا كتب اهتزت من الطرب لـه الأقـلام ، وخضعتْ لأوامره

---

(١) (أ) : « من هذا الألم » .

(٢) (أ) ، (خ) : « يجيل » ، وحاك يحيك : رسخ وأثّر .

السيوف ، وسَكنتْ خافقاتُ الأعلام ، وتملّت بعلومه وتصانيفه الشريعة[١] ، فلما مات قال الناس أحسن الله عزاء الإسلام :

غدا طاهرَ الأثواب لم تبق روضَةٌ غداة ثوى إلاّ اشتهت أنّها قَبْرُ[٢]
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صَرفُ الدهر نائله الغمرُ

ويُقْسِمُ المملوكُ أنَّ مَوْلاَنا وأخاه أدام الله أيامهما ما انفردا بهذه الرزيّه ، ولا ابتُليا دون الناس بهذه البليَّه ، يا مولانا هذا ركن الإسلام قد انْهَدَم ، وهذا بحرُ الإيمان قد ارتدم فَمُصَابُه قَدْ عَمَّ ومَا خَصَّ ، وتحيّفَ جناح الصبّر وما حَصّ ، فالله يعين على ما أبلى ويمسك رمَقَ القلوب فإنَّها عَريت من جُبّة[٣] الصبّر وما تطيق من الأحزان نبلا ، وما بقي غير الأخذ بالسنّة في الصبّر ، والتمسك بآثار السلف الصّالح ممّن أودع أحبابه القبر :

أنت يا فَوْقَ أنْ تُعَزَّى عن الأحْبَاب فَوْقَ الّذي يعزّيك عَقْلا
وبألفاظك اهْتَدَى فإذا عزّ اكَ قال الذي له قُلْتَ قَبْلاَ[٤]

ويُقْسم الْمَمْلوك ثانياً [أن][٥] فيكما خلفاً باقيا ، وكِلاكما ، كَلاكما الله ، نَيّرٌ أصبح في درجاتٍ مِنْ درَجِ السعد[٦] راقيا ، وما السلوة إلاّ بهذا ، وإلاّ كانت قلوبُ الأولياء [قد][٧] أمست جذاذا ، فالله تعالى يمتع مصر والشام منكما بطالع النيّرين ، ويديم

(١) في الأصل : « الشريفة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « ثوت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
والبيتان من مشهور شعر أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي ، ومطلع القصيدة :
كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
(٣) (أ) ، (خ) : « جنّة » .
(٤) البيتان للمتنبي ، ديوانه : ١٢٣/٣ .
(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٦) ليست في (أ) ، (خ) .
(٧) في (أ) ، (خ) : « قد أصبحت » .

للإسلام منكما مَنْ يُحْيي له سيرةَ الْعُمَرين ، وقد جاء من مولانا قاضي القضاة تاج الدين ما نوّر الظلم ، وبَور أَرْباب السيف والقلم .

وقال الناس لِيُمن أيامه : « ومن يشابهْ أباه فما ظَلَم »[1] ، فمولانا يمدّه بالخاطر ولا يَنْسَهُ من دعائه ، فإنَّه في الأرض مثل الغمام المطر ، أُنْهي ذلك ، والله الموفق بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

١١٨٠ ـ عليّ بن عبد الكريم*

ابن طَرْخَان بن تقيّ ، الشيخ الإمام العالم علاء الدين أبو الحسن بن مُهَذّب الدين الحموي الصّفدي ، وكيل بيت المال بصفد ، المعروف بعلاء الدين الكحّال .

كان شيخاً مليحَ الشَّيْبَه ، ظاهرَ الهَيْبَه ، طاهرَ الحضرة والغيبه ، أحمر المحيّا ، قد طال رِيا وطاب رَيّا ، له مطالعةٌ واشتغال ، وعنده على الطلبة حنّو واشتمال ، جمع[2] مجاميع حديثيّه ، وألّف مؤلفات أدبيّه .

ولم يزل على حاله إلى أن كحل التراب أجفان الكحّال ، وغيَّر بَطْنُ[3] الأرض وجْهَهُ النيّر فاستحال .

وتوفي رحمه الله تعالى في حدود العشرين وسبع مئة ، وكان قد تعدّى السبعين .

رأيته بصفد مرّات عديدة ، وكان يَرْكَبُ فرسَه ويقف على الخُضري واللحّام والخبّاز وغيرهم ، ويشتري ذلك بنفسه ويخرج الفلوس من منديله وهو بِعمَّةٍ كبيرة

(١) هو مثل في مجمع الأمثال : ٣٠٠/٢ ، والمستقصى : ٣٥٢/٢ ، قال الزمخشري : هو من قول كعب بن زهير .

أقول شبيهات بما قال عالما بهن ومن أشبه أباه فما ظلم

* الوافي : ٢٦٦/٢١ ، والدرر : ٧١/٣ ، ووقع في (أ) ، (ط) : « بقيّ » .

(٢) في الأصل : « سمع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٣) في الأصل : « وجه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

وعَذَبة طويلة ، إلاَّ [أنّه][1] كان خيِّراً لا شرّ فيه ، ولا أعرف في صفد وكيل بيت مال[2] غيره إلى أن مات .

وصنف كثيراً ، من ذلك كتاب (القانون في أمراض العيون) ، وكتاب (الأحكام النبوية في الصّناعة الطبيّة) وكتاب (مطالع النجوم في شرف العلماء والعلوم) .

١١٨١ ـ علي بن عبد الكريم بن أبي العدائر*

العنبري ظهير الدين .

كان من الكُتّاب الكِبَار المعروفين ، وله نظم ، وهو خالُ الشيخ كمال الدين بن الزملكاني .

توفي في المحرّم سنة اثنتين وسبع مئة ببعلبك .

١١٨٢ ـ علي بن عبد الملك**

الأمير علاء الدين بن الملك القاهر بن الملك المعظّم عيسى بن الملك العادل .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت تاسع عشر شهر رجب الفرد سنة ست وسبع مئة . وكان يوماً مطيراً ، ودفن بتربة والده ، وعمل عزاؤه بكرة الأحد بتربة أم الصّالح .

١١٨٣ ـ علي بن عبد المؤمن بن عبد العزيز***

المسند نور الدين الشافعي .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « المال » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

* الدرر : ٧٢/٣ ، وفيه : « ابن أبي العلاء » ، ولعلّه تحريف . وفي (أ) : « العذائر » .

** الدرر : ٧٨/٣ .

*** الدرر : ٧٨/٣ .

سمع مِنْ جَدِّه لأبيه ، ومن جده لأمّه إسماعيل بن أبي اليسر ، وأجاز لي بالقاهرة بخطّه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١١٨٤ ـ علي بن عبد النصير*

ابن قاضي القضاة نور الدين أبو الحسن المالكي .

كان قيّماً بمذهب مالك ، عالماً بما فيه من الغوامض الدقيقة والْمَسَالك[١] ، حجّ مرات وحَجّ مَنْ ناظَرَه فَقَطعه كرَّات ، وكان متقشفا ، ظاهر التخلّي عن الدنيا كأنّه[٢] منها على شفا ، يتردَّدُ على أصْحَابه ويَتَعهَّد أماكن لِدَاته وأترابه ، توجَّهَ إلى مصر آخِرَ مَرَّه ، وتعرَّف بالأمير سيف الدين شيخو فأقسم أنَّه ما رأى مِثْلَه في عُمره ، وراج عنده لَمَّا راح ، ونَزّل محادثته مَنْزِلة كأس الراح ، فولاّه قضاء القضاة بالديار المصرية ولبسَ التشريف لذلك ، وفَرِحَ به أصحابُه وقالوا : هذا مَالِكٌ مَذهبِ مالِك .

فأقام على ذلك قليلا ، ثم اتَّخَذَ إلى ربّه سبيلا .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة ست وخمسين وسبع مئة ومَوْلِدُه .....[٣]

وكان قد وَرَد إلى دمشق صحبةَ قاضي القُضَاة فخر الدين [أحمد] بن سلامة المالكي[٤] ، وناب له في دمشق ، ثم إنَّه أقام بَعْدَه في دمشق ، وكان بيَده تَصْدِيرٌ في الجامع الأُموي ، ولَمّا تَوَجَّه إلى مصر آخراً لازم الأمير سيف الدين شيخو فولاّه القضاءَ في يوم الاثنين ثاني صفر سنة ست وخمسين وسبع[٥] مئة ، وتوفي في التاريخ المذكور ،

* وفيات ابن رافع : ٣٣١/١ ، والدرر : ٧٩/٣ ، والذيل التام : ١٤٧ ، وتذكرة النبيه : ١٩٢/٣ .

(١) (أ) ، (خ) : « الدقيقة المسالك » .

(٢) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) كذا بياض في الأصول .

(٤) سلفت ترجمته ، وما بين حاصرتين زيادة من (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « دست » ، سهو .

فأقام في الحكم اثنين وسبعين يوماً ، مرض منها مدة خمسين يوماً[١] أو أقل ، وما كان أقرب المأتم من العُرس .

١١٨٥ ـ علي بن عبد الواحد بن الخضر*

الرئيس علاء الدين بن السابق ـ بالسين المهملة وبعد الألف باء موحّدة وقاف ـ الحلبيّ ، نزيل دمشق .

كان شيخاً جليلاً متميزاً ، من رؤساء الدولة الناصريّة يوسف . خدم في الجهات وولي نظر البيمارستان ، ومات [وهو][٢] ناظرُ العُشر .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وستّ مئة . وسيأتي بعده ذكر علاء الدين بن السَايق ، بالياء آخر الحروف ولكن ذاك علي بن عثمان بن السَايق .

١١٨٦ ـ علي بن عبد الوهاب**

ابن علي بن خلف بن بدر علاء الدين ابن القاضي تاج الدين بن بنت الأعز الشافعي .

كان مقيماً بمصر فنزح عنها هارباً من الشُجَاعي إلى أن وصل حلب وبلادها ، وأقام في حماة مُدَّة ثم حضر إلى دمشق وسعى أخوه القاضي تقي الدين في ترتيبه ناظراً بديوان الأمير حسام الدين طُرُنْطاي بدمشق رفيقاً لبدر الدين المسعودي[٣] .

---

(١) ليست في (أ) .

* الوافي : ٢٩١/٢١ .

(٢) زيادة من (أ) .

** الوافي : ٢٩٢/٢١ وفيه : « ابن بكر » ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢١ ، والدرر : ٨٠/٣ ، ولم يُتم ترجمته .

(٣) عبارة الوافي والتالي : « رفيق بدر الدين .... » ، وهي أشبه . والمسعودي هذا هو الأمير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي (ت ٦٩٥) . البداية والنهاية : ٣٤٥/١٣ .

وحكى المسعودي قال : لَمّا باشر علاء الدين عندنا في الديوان لم يكن له من الملبوس إلاّ ما هو عليه ، وقد أَخْلَق ولم يكن معه شيء ، فأرسلتُ إليه جملة دراهم وقماشاً غير مفصّل من مالي ، وبحث فلم يجدني تعرضت إلى درهم واحد من مالِ مخدومي ، قال وذكرني بكل سوءٍ .

ولّما تولّى الشجاعي نيابة دمشق حضر عنده ، وتوّصل إليه بما يلائمُهُ ، وولاّه نظر ديوانه ، وبعد ذلك توجه إلى مصر ، وتولى الحسبَة بها .

توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

قال ابن الصُّقاعي : وكان فيه قلق وثَلْبٌ للناس ومن شعره :

حَماةُ غزالةُ البلدان أضحت ... لها من نَهْرِ عاصيَها عُيُونُ
وقلعَتُها لَها جيدٌ بديعٌ ... ومن سُود التلُول لها قرونُ[1]

قلتُ : أخذه من قول .....

١١٨٧ ـ علي بن عتيق*

ابن عبد الرحمن بن عليّ الشيخ الإمام العالم العلاّمة المفنّن المحقق المدقق أبو الحسن المغربيّ القَابسي[2] المعروف بابن الصيّاد .

ورد إلى الشام وقَدِم علينا إلى صفدٍ في سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وقرأت عليه (المقامات الحريريّة) كاملة ، وقطعةً من (ديوان أبي تمّام) و (ديوان أبي الطيّب) ، وبعض كتاب (أسرار العربيّة) لابن الأنباري ، وبعض (درة الغوّاص) للحريري ، وكتاب (العمدة في الأحكام) ، وبعض (الحماسة لأبي تمام) ،

(١) في الوافي والتالي : « جبل بديع » .

* الدرر : ٨٠/٣ .

(٢) كذا في الأصل و (ط) ، وفي (أ) ، والدرر : « الفاسي » .

وبعض (المقامات اللزوميّة) التي للسرقسطي ، وذكرت إسناده لكل نسخة منها في النسخة المقروءة عليه . ثم إنني اجتمعت به في القاهرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ومن هناك عاد إلى بلاده وكان آخر العهد به . إلاّ أنّه كان أحد الأشياخ الذين أخذتُ عنهم ، واقتطفت دُرّ[١] الفوائد منهم ، كان عالماً بالعربيّه ، والمواد الأدبيّه ، وكان له يَدٌ في الأصول فقهاً ودِينا ، وحاصِلُهُ في مذهب الإمام مالك متوفر ، كأنّه ليث وَلَج منه عرينا ، وأمّا التفسير فكان فيه علاّمه ، ونهجه فيه واضح الاستقامه ، وأمّا أسماء الرّجال والسيرة النبويّة فكان في ذلك قد بلغ الغايه ، وأطلّ فيه على النهايه ، وكان مع ذلك فقيرا ، وورد إلى هذه الديار[٢] فلم يكن فيها أثيرا . وعاد إلى بلاده بخُفيّ حُنَيْن ، مُثقّل الجوانح بالأحزان ، فارغ اليدين ، وكان وجهه يتوقد حمره ، ويُظَنّ به أن قد شربَ كأس خمره . قال لي ما افتَصَدْت[٣] عمري .

وكان ينظم نظماً عجيباً ، أنشدني من لفظه لنفسه بالقاهرة :

ما جاءَك الوغد إلاّ كنت تكرمه ... ولا أتيتكَ إلاّ كنت منحرفا[٤]
كذلك الكلبُ لا يَعْبَا بجوهرةٍ ... ومن سجيّته أن يألف الجيفا[٥]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

إنني من أرض فاسٍ ... كنتُ فيهَا كالقَمَرْ
فخَرَجنا فكُسِفنَا ... هكذا جَرْي القَدَرْ

---

(١) (أ) : « درر » .
(٢) (أ) : « البلاد » .
(٣) في الأصل : « ما اقتصدت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .
(٤) في الدرر : « رُحْتَ تكرمه » .
(٥) في الدرر : « لم يَعْبَأ » .

١١٨٨ ـ علي بن عثمان*

ابن يوسف بن عبد الوهاب الرئيس علاء الدين بن العدل ، شرف الدين الدمشقي التغلبي الكاتب ، ابن السَايق ، بالسين المهملة وبعد الألف ياء آخر الحروف وقاف ، وقد تقدّم ذكر ابن السّابق ، بالباء الموحدة ، وكلاهما عليّ ، ووفاتها قريبة .

كان علاء الدين[1] شيخاً له جلاله ، وله مُروءة وأصاله ، يكتب خطّاً بديعا ، ويوشّي به الطرس فَيُخال رَوْضاً مَرِيعا ، نسخ كثيراً بخطّه ، ووَشّع بقلمه حاشية مِرْطِه ، وله أدبٌ ونظم متوسّط الرتبه ، وإذا جَلاه عروساً قُوبل بالخِطبَه .

ولم يزل على حاله إلى أن حَصَل له صَمَم ، ولمن يخاطبُه أَلَم ، وكان يُكْتَبُ له في الهواء المراد فيفهم ، وما يحوج الذي يخاطبه إلى أن يتكلّم ، أَوْ أن يكتبَ له في الأرض ما يراد ، فيعرف ذلك بالاقتصار والاقتصاد .

ثم إنَّ الموت ساق ابن السَايق ، وقطع من دنياه العلائق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وستّ مئة .

وروى عن الرشيد بن مَسْلمة وكان قد تخلّى عن الناس وانقطع .

١١٨٩ ـ علي بن عثمان بن عبد الواحد**

علاء الدين المعروف بالطُّيُوري ،الحاسب .

كان رجلاً جيداً يَشْهد في القيمة ، ويُعَلّم الناس الحِسَاب ، وكان له مكتب وحلقة بالجامع الأموي .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث شوّال سَنة ست وعشرين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٩٩/٢١ .

(١) (أ) ، (ط) : « علاء الدين هذا » .

** الدرر : ٨٣/٣ .

١١٩٠ ـ علي بن عثمان*

الشيخ العَدْل المقرئ الفاضل نور الدين أبو الحسن بن الشيخ المقرئ فخر الدين أبي عمرو بن الشيخ الصّالح نفيس الدين بن عبد الرحمن بن الشيخ الصالح زُهْري بن فارس[١] بن قضاعة بن مدلج ، ينتهي إلى مَذْحَج بن [عبد][٢] مناف القرشيّ ، المصري الفَرْسِيسي ـ بالفاء مفتوحة وراء سَاكنة وسينين مهملتين بينهما ياء آخر الحروف ـ الشافعي .

سمع من زينب بنت سُلَيمان الإسْعَرْدي من (الخَلَعِيَّات)[٣] ، وكان متصدراً بالجامع الحاكميّ بالقاهرة ، وفيه خَيْرٌ وصلاحٌ وانجماع عن الناس . وقرأ القراءات على نور الدين الشطنوفي . ولم يحدّث .

توفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين ثامن ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١١٩١ ـ علي بن عثمان بن محاسن**

الفقيه العالم المقرئ المحدّث علاء الدين أبو الحسن الدمشقي الشاغوري الشافعي ابن الخرّاط ، معيد الباذرائية ، ونائب الخطابة .

سمع من ابن عَلاّن ، والقاسم الإربلي ، والفخر علي . وأكثَر ، وقرأ بنفسه ، وسمع المُسْنَد كلّه والكتب المطوّلة ، وتلا بالسبع على برهان الدين الإسكندري ، وشارك في الفضائل ، وظهرت عليه للخير والصلاح دلائل . وكتبَ بخطه كثيراً واختصَرَ ، وجمع

---

* الدرر : ٨٠/٣ ، وفيه : « علي بن عثمان بن عبد الرحمن بن فارس المقدسي » .

(١) في الأصل : « فاس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ط) .

(٣) من أجزاء الحديث ، تخريج القاضي علي بن حسن بن حسين الخلعي الموصلي (ت ٤٩٢) ، جمعها أحمد بن حسين الشيرازي ، وسمّاها الخلعيات ، الكشف : ٧٢٢/١ .

** الوافي : ٣٠٦/٢١ ، والدرر : ٨٣/٣ ، والشذرات : ١٢٢/٦ .

في ذلك وحشر[١] ، اختصر (تفسير ابن جرير) بخطّه ، ويشنّف أذن قرطاسه بِقُرطِه ، وكان فيه انجماع ، وبعدٌ عن الشرّ وامتناع ، مع ملازمة الجماعه ، والإمَامة بالناس على أجمل طاعه .

ولم يَزَلْ على حَاله إلى أن ركب نَعْشَهُ ومَحا الدهرُ من الكون نَقْشَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

قال شيخنا الذهبيّ : سَمعنا منه وَسَمِعَ مني .

١١٩٢ - عليّ بن عثمان بن إبراهيم*

ابن مصطفى ، الشيخ الإمام الفاضل المفنّن علاء الدين قاضي القضاة بالديار المصرية ، الحنفي ، [ابن][٢] التركماني ، تقدّم ذِكر والده الشيخ فخر الدين ، وذِكْرُ أخيه الشيخ تاج الدين أحمد .

اشتغل هذا الشيخ علاء الدين وأفْنَى في ذلك عُمْره ، واجتمع بمن أخذ عنه زُمْرَةً بعد زُمْره ، وكَتَبَ ودأَب وصَنَّف في غير ما فنّ وأتى فيه بالعَجَب . وجمع المجاميع المفيده ، ونَزَل من العلوم بالقصور المشيده . وكان هو وأخوه في سماء الديار المصرية قمرين[٣] ، وفي جنّة رياضها نهرين ، ولكن أَفَل أخوه تاج الدين قَبله ، واقتضى عطفُ الدهر لهذا بالتراخي والْمُهْلَه ، فتولّى قضاء القُضاة بالدّيار المصريّة ، ونال من ذلك سُوله ورضاه .

---

(١) في الأصل و(ط) : « وحسر » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٣٠٧/٢١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٧/١ ، والدرر : ٨٤/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٦٩/١ ، وتذكرة النبيه : ١٣٤/٣ .

(٢) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « كالقمرين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

ولم يزل على حاله إلى أن غَدَت[١] به أم حَبَوكَرَى[٢] ، ونقلته من منصبه العالي إلى تحت الثرى .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده في شهور سنة ثلاث[٣] وثمانين وست مئة .

وكانت ولايته القضاء بالديار المصريّة في شوّال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولبس تشريفَهُ من قلعة الجبل ، ونزل فلم يشعر به قاضي القضاة زين الدين البسطامي إلاّ ودخل[٤] عليه في تلك الصورة فبُهت .

ومن تصانيف قاضي القضاة علاء الدين ابن التركماني (بَهجة الأريب [لما[٥] في] الكتاب العزيز من الغريب) ، و (المنتخب في علوم الحديث) ، و (كتاب المؤتلف والمختلف) ، و (كتاب في الضعفاء) ، و (المتروكين) ، وكتاب (الرد على الحافظ البيهقي) ، ولم يَكْمل ، (مختصر « الْمُحصَّل في عَلْم الكلام ») (مقدمةٌ في أصول الفقه) (الكِفاية في[٦] مختصر الهداية) (مختصر رسالة القُشَيْري) . وشرع في كتب كثيرة وفي مقدماتٍ في العلوم[٧] ولم تَكْمل .

ولّما توفي رحمه الله تعالى تولّى ولدُه قاضي القضاة جمال الدين عَبْدَ الله[٨] مكانه .

---

(١) (أ) : « غَدَرت » .

(٢) أم حبوكرى : الداهية .

(٣) (أ) ؛ « ثمان » ، سهو .

(٤) (أ) : « ابن البسطامي » . وفي (أ) ، (ط) : « إلا وقد دخل » .

(٥) زيادة من (أ) .

(٦) ليست في الوافي .

(٧) عبارة الوافي : « في العلوم العقلية والعربية » .

(٨) (ت ٧٦٩) ، الدرر : ٢٧٦/٢ .

وله من قصيدةٍ كتبها إلى الأمير سيف الدين أُلْجاي[١] الدَوادَار :

إذا شَغَل البريّةُ فيك فَاهَا ... فكلٌّ عَنْكَ بالخَيْرَات فَاهَا
فَانك في الشبيبة والمَبادي ... بَلَغْتَ مِن الفَضائل مُنْتَهاها
وحُزْتَ جميعَ أنواع المعالي ... وفُزْت بها وجزت إلى مداها
وصُمْتَ عن الحرامِ على اقتدارٍ ... وصُنْتَ النّفْسَ عنه في صباها[٢]
وملْت بها إلى عملٍ وعلم ... فأضحى ذا الورى حقّاً وراها
فلا بَرح الوجود لها مُطيعاً ... ولا زال العِدَا أبداً فِداها

١١٩٣ - عليّ بن عثمان بن أحمد*

ابن هبة الله بن أحمد بن عقيل الحكيم ، الفاضل بهاء الدين أبو الحسن القَيْسي المصري ، المعروف بابن أبي الحوافر .

سمع من النجيب عبد اللطيف ، والشريف العماد ، وإبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب المنقدي[٣] ، والشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي ، ومحمد بن إبراهيم بن رَسْلاَن الكُلّي[٤] ، وغيرهم . وسمع من قطب الدين القسطلاني ، وابن الأَنْمَاطي ، وحدّث .

كان طبيباً فاضلاً حَسَن المعالجة ، وبَيْتُه معروف ومشهور . وكان يكتب خَطاً حسناً .

توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في تاسع عُشري شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

(١) في الوافي « الجابي » ، وفي الدرر : « الجاولي » ، تحريف .
(٢) (أ) ، والوافي : « مع اقتدار » .
* الدرر : ٨١/٣ .
(٣) لم نقف على ترجمة له .
(٤) (ت ٦٧٥) ، والوافي : ٣/٢ ، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٧٥٥ .

١١٩٤ ـ علي بن علي*

ابن أبي الحسن الشيخ عليّ بن الشيخ علي الحريري .

كان شيخاً مشهوراً عند الناس مَكرَّماً مُعظَّماً ، له حرمةٌ عِند الدَّولة ووَجاهة .

توفي رحمه الله تعالى في عُشْري جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة بقرية بُسْر[١] من عمل زُرَع ، وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق غائباً .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

وتوفي والده سنة[٢] خمس وأربعين وهو طفل صغير .

١١٩٥ ـ علي بن علي**

القاضي بهاء الدين بن أبي سوادة ، كاتب سِرّ حلب ، تقدَّم ذِكْرُهُ في حرف السين[٣] .

١١٩٦ ـ علي بن عمر بن أبي بكر***

الشيخ الصالح الْمُعَمّر الْمُسند نور الدين أبو الحسن الوافي بن الصّلاح المصري الصوفي .

سمع من ابن رواج (أَرْبَعين الثقفي) ، ومن السِّبط (أربعين السِّلفي)و (جزء

---

* الوافي : ٣٤٦/٢١ ، والدرر : ٨٧/٣ .

(١) وهي التي تعرف اليوم (بصر الحرير) على مقربة من قرية (إزرع) جنوب دمشق بنحو سبعين كيلاً .

(٢) (أ) : « في سنة » .

** الدرر : ٨٦/٣ .

(٣) يعني في الكنى والألقاب من حرف السين .

*** الوافي : ٣٦٦/٢١ ، ونكت الهميان : ٢١٥ ، والدرر : ٩٠/٣ ، والشذرات : ٧٨/٦ .

ابن عُيينه) والسابع من (أمالي المحاملي) ، والعاشر من (الثقفيّات) . وسمع (صحيح مسلم) من المُرْسي والبكري ، وحَدَّث به خَمْسَ مرّات ، وسمع من يوسف الساوي .

كان شيخاً من أهل الصّلاح وأرباب الخير والفلاح ، سَهْلَ القياد لمن يقصد[1] سماعه ، مطيعاً لمن حاول منه انتفاعه ، أكثر المصريون عنه وأخذوا كثيراً من الرواية منه . تفرَّدَ في عَصْره وتجرَّدَ سَيْفُه الماضي في مِصْره ، فألْحَقَ الصِّغار بأكابدهم ، وجَمَعهم بالرواية عنه يغابدهم . وكان قد أضرَّ بأخرة ، وعولج فأبصر ، وطَوَّل به عُمْدُه فما قصرّ .

ولم يزل على حاله إلى أن رأى الواني مِنْ سَكَرات للموت ألوانا ، وترك مُجاج الحياة مجّانا .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثامن عشر المحرم سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وثلاثين وست مئة . وهو آخر مَنْ رَوى حديث السِّلفي بالسماع المتصل .

١١٩٧ - علي بن عمر بن أحمد بن عمر*

ابن أبي بكر بن عبد الله بن سَعْد ، الصَّدْر العَدل الكبير الشّروطي بهاء الدين بن العِزّ المقدسي[2] الأنصاري .

سمع من ابن عبد الدايم ، وعمر بن محمد الكرماني ، وغيرهما .

كانت له دُرْبَةٌ كبيرة بالشروط ومعرفةٌ تامّة بما هو بادٍ إليها مَنُوط ، يكتب خَطّا آنق مِن الحدائق ، وأنقى[3] من محاسن الغيد العواتق . وعاش عُمراً عامِرَ الرّبوعِ ، وأقام

---

(١) (أ) : « يطلب » .

* الدرر : ٨٨/٣ ، وتذكرة النبيه : ١١٤/٣ .

(٢) زاد في (أ) : « الحنبلي » .

(٣) (أ) : « وأبقى » .

يُمَدّ له حَبْلُ الدَّهرِ وهو يَبوع[١] ، ومَتَّعه الله بحواسّه لم يتغير فيها بَصَرُه ولا سَمْعُهُ ولا نقص حرصه[٢] ولا جَمْعه .

ولم يزل على حاله إلى أن انتبه له الدهر من سَنَتِه ، وأمسكه في سَنَته .

وتوفّي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء رابع عشر المحرم سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومَوْلِدُه في سنة ستين وست مئة .

وكان يستحضر أسماء الناس وتواريخهم عجباً في ذلك . وعاش هذه المُدّة إلى آخر وقتٍ وهو يَقْرأ الخطوط الدقيقة . وكان قد شَهِدَ على قاضي القُضَاة شمس الدين أحمد بن خَلكّان ومَنْ بعده من القضاة إلى آخر وقت .

قال لي شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى : إذا أَشكَلَتْ عليّ قراءة كتابٍ امَّحى خَطُّه أدْفَعه إليه فيقرأه بلا كُلفة . وله (مشيخة) حدّث بها ، واجتمعتُ به غير مَرّة وكان يحضر إلى عندي وأُملي عليه ما يكُتبه من الأَصدقة ، وأجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وفي سنة ثلاثين أيضاً بخطه .

١١٩٨ ـ علي بن عُمَر بن عبد الله*

ابن عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل المقدسيّ الأصل ، الآباري ، الشيخ الصالح علاء الدين أبو الحسن بن الخطيب نجيب الدين بن الخطيب محبّ[٣] الدين بن الخطيب الزاهد بقية السَّلَف أبي حفص .

---

(١) وهو يبسط يده معه .

(٢) (أ) : « عرسه » .

* الدرر : ٨٩/٣ .

(٣) (أ) : « عزّ » .

سمع من جَدّه لأبيه الخطيب عماد الدين داود وأخويه[١] الضياء يوسف[٢] والموفّق محمد ، وهم أعمام والده ، ومن النّجيب نصر الله بن الصفّار[٣] المحدّث .

حدّث وسمع منه الطلبة .

مرض آخر عمره مُدّة ، وضَعُف وتَغَيَّرت أَحْوَالُه ، وانْقَطع بالكُلِّيَّة . وكان يؤذّن ببيت الآبار .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة خامس شعبان سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وأربعين وست[٤] مئة .

١١٩٩ ـ علي بن عيسى*

ابن سليمان بن رمضان بن أبي الكرم ، الشيخ الرئيس الكاتب الفاضل المعمّر بهاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الفقيه ضياء الدين ناظر الأوقاف ، وصهر الوزير بهاء الدين بن حنا ، التغلبي [المصري][٥] الشافعي ، ابن القيّم .

سمع من الفخر الفارسي[٦] ، وعبد العزيز بن باقا [وسبط][٧] السلفي ، وتفرد مدة عن الفارسي .

---

(١) (أ) : « وإخوته » .

(٢) يوسف بن عمر بن يوسف (ت ٦٦٥) ، الشذرات : ٣٢١/٥ .

(٣) نصر الله بن مظفر بن عقيل الشيباني (ت ٦٥٦) ، الدارس : ٦٠/١ ، والشذرات : ٢٨٥/٥ .

(٤) في الأصل : « سبع » ، سهو .

* الوافي : ٣٧١/٢١ ، والدرر : ٩١/٣ .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .

(٦) محمد بن إبراهيم بن أحمد الشيرازي (ت ٦٢٢ هـ) ، السير : ١٧٩/٢٢ .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .

وكان فيه قوّه ، وهمّـة مرجوّه ، يركب الخيل ويتصرف في مصـالحـه ، ويسعى في مناجحه . وعنده دين واف ، وخيرٌ كاف ، ولُطْفٌ مع من يلقاه ، وتواضع وهو في أعلى مرقاه .

ولم يزل على حاله إلى أن آن انصرامُ حَبله ، وحان انصراف حُبْله .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس عشري القعدة سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وسمع منـه الـدميـاطي ، والحـارثي ، وشيخنـا ابن سيّـد النـاس ، وابن حبيب ، وشيخنا العلامة قاضي القضاة السبكي ، والواني ، والنور الهاشمي ، وابن سامـة[1] ، وابن المهنـدس[2] ، والشيخ رافع ، وولـده الشيخ[3] تقي الـدين حضورا ، وابن الفخر ، وابن خلف .

وقرأ عليه شيخنا الذهبي الأول من (عوالي) ابن عُيينه للرئيس الثقفي .

وكان يركب الخيل ، ويقوم لكل من يدخل عليه ، ويمشي في أموره . وكان ناظر الأحباس . وولي أمر التركة الظاهرية . وصاهر الصاحب بهاء الدين بن حنا .

١٢٠٠ ـ علي بن عيسى بن المظفر*

ابن إلياس ابن الشيرجي الدمشقي .

حدّث عن ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليُسر ، وطائفة .

---

(١) في الأصل : « ابن مامة » ، تحريف ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطـائي (ت٧٠٨) ، وستـأتي ترجمته .

(٢) في الأصل و (ط) : « والنور المهندس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في الأصل و (ط) : « والشيخ » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

* الدرر : ٩٤/٣ .

وأجاز له الكمال الضرير ، والرشيد بن العطار ، وآخرون .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة أربعين وسبع مئة . عن ثمان وثمانين سنة .

وكان يدعى بهاء الدين .

١٢٠١ ـ علي بن عيسى بن داود*

ابن شيركوه الأمير علاء الدين بن [الملك المعظّم][1] بن الملك الزاهر ، مجير الدين ابن أسد الدين .

كان أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، أقام بها مدة ، ثم إنه تولّى نيابة حمص بعد الأمير ناصر الدين محمد بن ألاقوش[2] . جاء إليها في ...[3] سنة ست وخمسين وسبع مئة . فأقام بها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عشر شهر رمضان سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وكانت وفاته بحمص في عصر هذا النهار . وفي بكرة هذا النهار توفي ابن عمّه الأمير أسد الدين أبو بكر بن الأوحد بدمشق . وكان ذلك عجيباً .

وكان بيد الأمير علاء الدين نظر كثيرٍ من أوقاف البيت الأيّوبي ، وبيده أيضاً نظر المدرسة التقوية والغَوْر التقوي بدمشق نيابة عن زوجته ، لأنه انتقل ذلك إليها بشرط الواقف .

---

* الدرر : ٩١/٣ .

(١) زيادة من تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدارس : ٤٤٥/١ في ترجمة والده عيسى ، خلت منها أصول الأعيان ، وقد ترك في موضعها بياض .

(٢) (ت ٧٦٢) ، وستأتي ترجمته .

(٣) بياض في الأصول بمقدار كلمتين .

١٢٠٢ ـ علي بن أبي القاسم*

ابن محمد بن عثمان بن محمد الشيخ الإمام العلاّمة قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن بن الشيخ[١] صفي الدين البصروي الحنفي قاضي دمشق .

سمع من ابن عبد الدائم ، والصفي إسماعيل بن الدَّرجي ، والقاضي ابن عطاء ، وغيرهم .

وحجّ غير مرة ، وحدّث .

اشْتغل[٢] على والده ، ولازم القاضي شمس الدين بن عطاء ، وتزوج بابنته[٣] ، وأُذن له في الفتوى في سنة أربع وستين وست مئة .

وكان ذا مال وثَرْوَة ، وأموال[٤] لا ينفصم الدهر لها[٥] عروه .

تقدّم في آخر عمره على جميع أبناء مذهبه ، وحاز الرئاسة عليهم بعلمه ومنصبه . وولي الحكم أكثر من عشرين سنة مُسَدَّدَ الأحكام ، ينظف العِرض من الآثام ، عنيناً في ولايته ، كفيفاً عن رؤية ما يشينه في ولايته ، معظّماً بين أهل دمشق إلى الغايه ، موفورَ الجانب لا يصل أحد إلى ثلمه ولا ثلبه بسعايه .

ولم يزل على حاله إلى أن طحنته رحى المنون الدائره ، وأصبح بسياقه في أول طلائع الآخره .

---

* الوافي : ٣٨٩/٢١ ، والدرر : ٩٦/٣ ، والشذرات : ٧٨/٦ .

(١) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « الشيخ الإمام » .

(٢) في الأصل : « أشغل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) في الوافي : « بأمة شيخه » .

(٤) (أ) ، (ق) : « وأملاك » .

(٥) (أ) ، (ق) : « لها الدهر » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الأربعاء بعد العصر ثالث شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة . ودفن بسفح قاسيون بالقرب من المدرسة المعظميّة[١] .

ومولده في [ثالث][٢] شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وست مئة بقلعة بصرى[٣] ، أيام الخوارزميّة .

ولم يزل يترقّى في المدارس الكبار إلى أن ولي قضاء القضاة بدمشق ، وجمع بين تدريس المدرسة النوريّة والمقدّمية[٤] والخاتونية البرّانية[٥] .

وهو سبط القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحوراني نائب الحكم ، كان بدمشق .

وكان القاضي صَدْر[٦] الدين حُفَظة للحكايات والأشعار ، حَسَن المحاضرة .

١٢٠٣ ـ علي بن قراسنقر*

الأمير علاء الدين بن الأمير شمس الدين .

لم يزل مقيماً بالديار المصرية في جملة أمرائها إلى أن تحقَّقَ السلطان الملك الناصر موت والده في البلاد الشرقية ، فأخرجه السلطان إلى دمشق أمير طبلخاناه أيضاً في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فيما أظن ، أو في سنة تسع وعشرين في أوائلها .

---

(١) بالصالحية ، بناها الملك المعظم عيسى بن داود سنة (٦٢١) ، الدارس : ٤٤٥/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الوافي : « بقلعة صرخد » .

(٤) بسفح قاسيون بحارة الركنية ، بناها فخر الدين بن الأمير شمس الدين بن المقدّم ، الدارس : ٤٦٠/١ .

(٥) بنتها خاتون بنت الأمير جاولي زوجة تاج الملوك بوري (٥٥٧) تقع على الشرف القبلي عند صنعاء الشام ، الدارس : ٣٨٤/١ .

(٦) في الأصل و (ط) : « شرف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ٩٥/٣ ، والسلوك : ٣٠٥/١/٢ ، ٧١٠ ، ٧٥٤ .

ووصل الأمير علاء الدين من القاهرة إلى دمشق في أول شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وكان الأمير سيف الدين تنكز يحبه أخيراً ويعظّمه . ولّما توجّه الأمير سيف الدين تمر الساقي إلى مصر مع الفخري ، أو لّما أنه مات بمصر ، أخذ الأمير علاء الدين تقدمته [على][1] الألف .

وكان مقدم ألف إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في عشية الأحد ثامن عشري جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان هشّاً بشّاً بالناس ، فيه ودٌّ وصُحْبة ورعاية للناس ، يحضر العقود والمحافل للمتعممين وغيرهم ، ويجمّل الناس . وكان الأمير سيف الدين يلبغا يحبّه ويعظّمه .

وهو والد الأمير ناصر الدين محمد . ولّما توصّل[2] الأمير علاء الدين إلى دمشق أعيدت أملاكهم إليهم ، وكانت أولاً تحت الحَوْطة . وأُعطي بدمشق خبز الأبو بكري ، وأفرج عن الأمير علم الدين الجاولي ، وأعطي إقطاع الأمير علاء الدين المذكور بزيادة تليق به .

١٢٠٤ ـ علي بن قيّران*

علاء الدين أبو الحسن الكركي السِّكْزي ، بالسين المهملة والكاف والزاي ، الدمشقي الجندي ثم الصوفي ، نزيل القاهرة .

سمع الكثير سنة سبع عشرة ، في الكهولة ، وأخذ عن جماعة من أصحاب ابن الزّبيدي . وحدّث ، ونسخ قليلاً .

---

(١) زيادة من (أ) .

(٢) (أ) : « دخل » .

* الوافي : ٣٩٤/٢١ ، والدرر : ٩٦/٣ .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : سمع معي[١] .

قلت : وُلد سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

كان يكتب أسماء السامعين في المواعيد[٢] ، وكان مُخِلاً ـ رحمه الله تعالى ـ ، رأيته غير مرة ، وكتب اسمي[٣] في سماعاتي .

١٢٠٥ ـ علي بن محمد بن إبراهيم*

الشيخ الإمام الزاهد بدر الدين السمرقندي الحنفي ، شيخ خانقاه خاتون والخانقاه الشّبلية .

كان شيخاً مليح الهيئة ، عليه سكينة [ووقار] . وكان فاضلاً وله كلامٌ حَسَن ، وخطه جيّد ، ونسخ بخطّه كثيراً ، وكان كثير الاشتغال والمطالعة[٤] ، وهمّته عالية في أمور دينه ودنياه .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

---

(١) (أ) : « مني » .
(٢) في الوافي : « في الميعاد » .
(٣) (أ) : « أسمعي » .
* الدرر : ٩٨/٣ .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

١٢٠٦ ـ علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله*

الشيخ الإمام الْمُحدِّث الحافظ الفقيه الْمُفْتي ، شيخ جماعته ، شرف الدين ، أبو الحسين ، ابن الإمام البارع الشيخ الفقيه اليونيني البعلبكي الحنبلي .

سمع حضوراً من البهاء عبد الرحمن ، وسمع من ابن صَبَّاح ، وابن اللّتي ، والإربلي ، وجعفر الهمداني ، ومكّرم ، وموسى بن محمد صاحب دمشق[١] . وفي الرحلة من ابن رواج ، وابن الجّميزي ، والحافظ المنذري عبد العظيم ، وعدة .

وعُني بالحديث وضَبْطه ، وبالفقه واللغة[٢] ، وحصّل الكتب النفيسة . وكان في وقته عديم النظير في بابه . ليس له مُشارك في عشرته لأصحابه . حسن المَلقى بلا مَلَق ، جاريا في سجيته على المكارم[٣] كم انطلى لّما انطلق . دِينُه متين ، وهَدْيُه مُبين . كثير الهيبه ، يحفظ أصحابه في الحضور والغَيْبه .

يحفظ كثيراً من الأحاديث بلفظها ، ويفهم معانيها ، ويَعْرِفُ كثيراً من اللغة ، كان أصمعيّ بواديها . وكان فصيح العبارة لطيف الإشارة . له قبول كثير من الناس ، وعليه أُنس زائد ولباسٌ عار من الإلباس . ومن جملة مالَهُ من السعاده ، أنه أحرز في شهر رمضان الشهاده[٤] ، لأن موسى الفقير المصري الناشف ضربه بسكين فقضى عليه . وتوجّه وقد توجه علمه وعمله [المبرور][٥] بين يديه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الجمعة من شهر رمضان سنة إحدى وسبع مئة .

---

* الوافي : ٤٢١/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ٦٦ ، والبداية والنهاية : ٢٠/١٤ ، والدرر : ٩٨/٣ ، والشذرات : ٣/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٤٢/١ .

(١) هو الملك الأشرف موسى بن العادل (ت٦٣٥) ، السير : ١٢٢/٢٢ .

(٢) (أ) ، (ق) : « وباللغة » .

(٣) (أ) ، (ق) : « على سجينه في المكارم » .

(٤) (أ) ، (ق) : « السعادة » .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .

ومولده ببعلبك في حادي عشر شهر رجب سنة إحدى [وعشرين][1] وست مئة .

قال شيخنا الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ : انتفعت به ، يعني بصحبته ، وأكثرت عنه .

وقال شيخنا البرزالي : دخلت بعلبك أربع مرات ، قرأت عليه فيها (مُسند) الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ، و (الثقفيات) العشرة ، و (مشيخة) تخريج الشيخ شمس الدين بن أبي الفتح ، وهي ثلاثة عشر جزءاً ، و (سنن الشافعي) ، رواية الطحاوي ، وعن المزني ، ونحواً من عشرين جزءاً .

وكان يَقْدُم دمشق ، وفي كل مرّة نَسْمَع عليه ونستفيد منه . كان قد قدم دمشق في شعبان ، فحصل الأنس به والسماع عليه . وتوجه إلى بلده في آخر الشهر ، فوصل أول شهر رمضان وأقام أياماً ، ولّما كان يوم الجمعة خامس شهر رمضان الرابعة دخل إلى خزانة الكتب التي في مسجد الحنابلة ، فدخل هذا الفقير موسى المصري ، فضربه بعصا على رأسه ضربات ، ثم أخرج سكيناً[2] صغيرة فجرحه في رأسه ، فاتقى بيديه . فأُمسك وحمل إلى والي[3] البلد ، وضُرب ، فأظهر الاختلال في عقله وتجانن ، وحمل الشيخ إلى داره ، وأتم صومه يومه . ثم إنه حصل[4] له حمّى ، واشتد مرضه إلى يوم الخميس ، دخل إلى رحمة الله تعالى في الساعة الثامنة ، ودفن بباب سطحا ، وتأسّف الناس عليه .

١٢٠٧ ـ علي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن مفرج*

الفقيه شمس الدين الأنصاري الإسكندري الشافعي .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ومصادر ترجمته .
(٢) (أ) : « سكينة » .
(٣) (أ) ، (ق) : « متولّي » .
(٤) (أ) ، (ق) : « حصلت » .
* الدرر : ٩٩/٣ .

كان جيّد القريحه ، ذكيّ الفطرة الصحيحه . له مشاركاتٌ في أصول دين[١] وفروع ، ودخول في النحو وشروع . واختصر (الروضة)[٢] ، وملأ من معرفتها حَوْضَه ، وكابد من الفقر أنواعا ، أفضت به إلى أن تجرد وصار عريانا ، ولبس من القطوع والشدائد ألوانا ، إلى أن أحسن إليه قاضي سيوط أبو الحجاج يوسف[٣] ، وأطلقه من فقر كان [في][٤] قيده يرسف . وأقرأ ولده أبا مدين شُعَيْبا[٥] ، وكشف عن ذهنه رَيْنَا[٦] وريبا . ثم إنه صحب فخر الدين ناظر الجيش ، ففاز بلذّة العيش ، وولاّه قضاء بلده فوّه[٧] ، وأبرز سعده إلى الفعل بعد القوّة .

ولم يزل إلى أن توجّه إلى مكة ، فجاءه الأمرُ الذي قد حُتِم ، وطُبع عليه الوجود وخُتم .

فتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ هناك ، وقال له سعد البقعة : فُزت بما[٨] هَنَاك .

وكان قد سمع من الدمياطي ، ومن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، ولازمه ، وأملى عليه (شرح الإلمام)[٩] . وقرأ الفقه والأصول والنحو على علم الدين العراقي .

وتوجه إلى قوص ، وتولّى إعادة مدرسة ابن السديد ، ثم أعرض عنه ، وحصل له فقر شديد مدقع مدة ، ثم تعرّف بفخر الدين ناظر الجيش ، فأعطاه شهادة الكارم

---

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) روضة الطالبين وعمدة المتقين ، في الفروع ، للنووي .

(٣) يوسف بن محمد بن علي المغاور . الطالع السعيد : ٧٢٦ .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٥) شعيب بن يوسف ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٦) الرين : الدنس ، والصدأ .

(٧) فوّه ، بالضم والتشديد : بليدة على شاطئ النيل قرب رشيد . (معجم البلدان) .

(٨) (أ) : « بها » .

(٩) الإلمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد . الكشف : ١٥٨/١ .

بعَيْذَاب[١] وحصّل مالا . وشفع فيه عند قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، فولاّه قضاء فوّه ، وأجازه بالفتوى ، ثم نقله إلى قضاء سيوط ، ثم عزله ، فتوجّه إلى مكة ، فتوفي هناك سنة أربعين وسبع مئة . وقد جاوز الستين .

وكتب بخطه كثيراً من الفقه واللغة والتصوف ، ووقف كتبه على طلبة العلم .

ومن شعره[٢] ـ رحمه الله تعالى ـ :

يا سائلي عن شامةٍ في أنف مَن ... فَضَحَ الغُصُونَ بميسه في عِطفه
إن الذي بَرَأ الحواجب صاغها ... نونين في وجهِ الحبيب بلطفه
فتنازع النونان نقطة حُسْنِهِ ... فأقرّها ملك الجمال بأنفه

قلت : وقد نظم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المادة عدة مقاطيع ، ومن أحسنها قوله :

ما خالُه بأنفه ... كطابع الحسن فقط
بل إنه من كَحَل ... من مقلتيه قد نقط

وأنشدني من لفظه شيخنا الإمام العلاّمة أثير الدين أبو حيّان لنفسه في هذا المعنى :

عجبت لخال حلّ في وَسْط أنفه ... وعهدي به وسط الخدود غدا وشيا
ولكنّما خدّاه فيه تغايرا ... هوًى ، فابتغى من وجهه أوسط الأشيا
وحسن الفتى في الأنف والأنف عاطل ... فكيف إذا ما الخال صار له حليا

---

(١) بليدة على ضفة بحر القزم (الأحمر) ، هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد . (معجم البلدان) .

(٢) (أ) ، (ق) : « ومن شعر شمس الدين قاضي فوّه » .

١٢٠٨ ـ علي بن محمد بن جعفر*

ابن محمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن حَجّون ، الشريف فتح الدين بن الشيخ تقي الدين بن الشيخ ضياء الدين .

سمع من أبي بكر بن الأنماطي وخاله قاضي القضاة ابن دقيق العيد ، وغيرهما .

وجَمّع وألّف وكتب وصنّف واختصر (الروضة) ، وخاض لُجّتها ألف خوضة .

وكانت له يد طولى في حلّ الألغاز ، ونَظْمٌ كثيرٌ يشهد له أنه في حربها وحزبها أقوى مجاهد وأجلّ غاز ، وشعره يُطرب الثكالى ، ويدع النجوم السائرات السافرات من حسنه خجالى . هذا إلى سكون وعفّه ، واتضاع لا يعادله معه أحد في كِفّه .

ولم يزل على حاله إلى أن انضمّ القبر على الفتح ، وجرى عليه عقيق الدموع من السفح .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة ثمان وسبع مئة .

ومن شعره :

كم من خليلين دام الـــــودُّ بينهما ... دهراً وما داما على الإنصاف واتّفقا
رماهما الدهر إما بالمنيّة أو ... بالبعد أو بانصرام الود فافترقا

ومنه :

ما بال ليلي أمسى لا نفاد له ... وكان قبلَ النوى في غاية القِصَر
ولم يخصّ النوى دون اللقا سَهَرٌ ... حتى أُعلّل طول الليل بالسهر
وإنّما عيشي الصافي بقربكم ... تبدلّ الآن منه الصفوُ بالكدر[1]

* الوافي : ٤٢٤/٢١ ، والطالع السعيد : ٣٩٩ ، والدرر : ١٠١/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

ومنه لغز في « كمّون » :

يـــا أيهـــا العطّـــار أعربّ لنـــا عن اسم شيء قـلّ في ســومـــكْ
تُبصره بـــــالعين في يقظـــــة كما يُرى بـــالقلب في نـومـــك

قلت : هكذا تكون صنعة الألغاز ، لقد تخيّل جيداً وتحيّل على إيراده[١] في هذه الصورة .

١٢٠٩ ـ علي بن محمد بن محمود*

ابن أبي العز بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ، ظهير الدين الكازَرُوني البغدادي الشافعي .

سمع الحديث من الأمير أبي محمد الحسن بن علي بن المرتضى[٢] وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد[٣] ، وأبي عبد الله محمد بن سعيد الواسطي[٤] .

كان فاضلاً حاسباً فرضياً متأدّباً مؤرّخاً شاعرا ، مصنفاً ماهرا ، كثير التلاوة والعبادة والإنابة ، غزير الوقار والمهابة .

ولم يزل على حاله إلى أن أَضْرَه الضريح ، وغاب شَخْصُه مع الموت الصّريح .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وست مئة[٥] .

---

(١) (أ) ، (ق) : « إبرازه » .

* الوافي : ١٤٠/٢٢ ، والدرر : ١١٩/٣ .

(٢) (ت ٦٣٠) ، الشذرات : ١٣٥/٥ .

(٣) في الوافي : « محمّد بن عبد الرحمن اليوسفي » .

(٤) الدبيثي (ت ٦٣٧) ، السير : ٦٨/٢٣ .

(٥) زاد في الأصل : « وصنف تصانيف » ، ولا موقع لها ههنا ، وقد خلَتْ منها (أ) ، (ق) .

وَمْولِده سنة إحدى عشرة وست مئة . هكذا رأيت كمال الدين الأدفوّي ذكر هذه الوفاة وهذا المولد ، ووافقه على ذلك شيخنا الذهبي . والظاهر أن هذا هو الصحيح ، لأن من يولد سنة إحدى عشرة وست مئة ، يمكن وفاته سنة[١] سبع وتسعين وست مئة .

ورأيت شيخنا البرزالي قد ذكر وفاته في تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، والله أعلم .

وذُكر أنه أضرّ ، وأنه رُتّب صوفياً في خانقاه الطاحون[٢] بدمشق .

وقال شيخنا الذهبي : كتب لي بمروّياته في سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومن مصنفاته[٣] : كتاب (النّبراس المضيء) في الفقه ، وكتاب (المنظومة الأسدية في اللغة) ، مجلّدة ، وكتاب (كنز الحُسّاب في الحساب) ، مجلدة ، وكتاب (روضة الأريب في التاريخ) ، سبعة وعشرون مجلداً . وصنّف في السيرة وفي التصوف ، وله كتاب (الملاحة في الفلاحة)[٤] .

وله نظم ، منه قوله :

زارني في الظلام أهيف كالبد ... ر بوَجْه منه يلوح النُّور
قلت : أهلاً لو كنت زِرْتَ نَهَارا ... قال : مهلاً في الليل تَبْدُو البدور

قلت : هو عكس قول أبي العلاء المعرّي :[٥]

هي قالت لمّا رأت شيب رأسي ... وأرادت تنكّرا وازْورارا

(١) (أ) ، (ق) : « في سنة » .
(٢) منسوبة إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، الدارس : ١٢٧/٣ .
(٣) (أ) ، (ق) : « وصنّف تصانيف منها » .
(٤) هذه العبارة « وله كتاب .. » ، وقعت في (أ) ، (ق) ، بعد قوله : « في الحساب مجلدة » .
(٥) شروح سقط الزند : ٦٥٢/٢ .

أنـا بَـدْرٌ وَقـدْ بـدا الصبـح في رأ ... ســك والصبـح يَطْرُد الأقمـارا
لست بـــدرا وإنمـــا أنت شمس ... لا تُرى في الـدجـا وتبـدو نهـارا

ومن شعر ظهير الدين الكازروني :

مُقَرْطَـق بـــالجمـــال ذو هيف ... يُضْرَبُ فيـــه بعشقيَ المَثَـــلُ[1]
يرمي بسهم من غنـج نـــاظره ... يـــا بـــأبي من نبـــالهـــا الْمُقَـلُ
أَسْهَرَ طرفي فتـــورُ نـــاظرهِ ... والعشـــق داءٌ دواؤه القُبَـــل
ظُلْمُ ثنـــايـــاه بـــاردٌ شَبِمٌ ... كأنـــه في مـــذاقـــه عَسَـل
بَـــدْرُ جمـــالٍ بقلب عـــاشقـــه ... عَنْ لَـوْم عُـــذّالـــه بـــه شُغـل
تـــاه علينـــا بحُسنِ صُـورتَـــهِ ... وغُنـج طرف يـزينـــه الكَحَـلُ

قلت : شعر مقبول ، وقوله : « والعشق داء دواؤه القُبل » ، مـالـه علاقـة بنصفـه الأول .

قال شيخنا الذهبي : كتب إليّ بمروّياته عام سبع وتسعين .

١٢١٠ ـ علي بن محمد بن خطّاب*

الشيخ الإمام العالم العلاّمة الفقيه الأصولي النّظار علاء الدين الباجي الشافعي .

سمع بدمشق من أبي العباس التلمساني (جزء ابن جَوْصا) .

كان في أهل مصر شامه[2] ، ولكل من أمّ في علم إمـامـه ، قلّ من جـاء بعـده مثلـه ورأى[3] أمامه . طلق العباره ، إذا أَرْسل سَهْمَ بَحْثٍ لا يخطئ الإشـاره . نـاظر العلامـة

(١) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
* الوافي : ٤٥٣/٢١ ، والتالي : ١٢٧ ، والفوات : ٧٣/٣ ، والدرر : ١٠١/٣ .
(٢) زاد في (أ) ، (ق) : « وفي العلوم علاّمه » .
(٣) (أ) ، (ق) : « أو رأى » .

تقي الدين بن تيميه ، وفاز دونه بالأولويه . وكان يباحث كل مَن قلّ وجل . ويسقي الوبل الغدق لا الطل . ولم يُسمع منه بحث نازل ، ولا خلت من فوائده ربوع الديار المصرية ولا المنازل .

وكان آية من الآيات ، وغاية نأت عن لحاق شأوها من الغايات :

لا تجسر الفُصحاء تذْكر عنده بحثاً ولَوْ كان الهِزَبْر الباسل

ولم يزل يقرئ الطلبة ويفيد ، ويبدي الغرائب لهم ويعيد ، إلى أن ناجى الباجي حِمامُه وبكاه حتى على الأراك حمامُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الأربعاء سادس ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

صنف وأفتى ، وناب في الحكم بالشارع خارج القاهرة ، واشتغل الناس عليه طائفة بعد طائفة . واختصر (المُحَرَّر) في الفِقْه[١] ، و (المحصول في الأصول)[٢] ، مختصرين : كبيراً وصغيراً ، واختصر (كشف الحقائق في المنطق)[٣] ، وصنّف في الفرائض والحساب ، وردّ على ما بيد اليهود من التوراة ، ورد على ذلك اليهودي الذي سأل الفتيا نظماً ، وقد تقدمت في ترجمة الشيخ علاء الدين القونوي ، وعمل ردّه نظماً .

وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول[٤] : العلاء يُطْلَقُ عليه عالِم . وحضر درسه في المدرسة الصالحية ، فوقع بحث في كلام الغزالي في (الوسيط) ، فقال

(١) للقزويني عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٣) ، وأشار صاحب الكشف : ١٦١٢/٢ إلى هذا المختصر .

(٢) يعني أصول الفقه للفخر الرازي ، وأشار صاحب الكشف : ١٦١٥/٢ إلى مختصر الباجي .

(٣) كذا في الأصل ، والصحيح أن كشف المنطق للمصنف نفسه . انظر : كشف الظنون : ١٤٨٩/٢ . وعبارة الدرر : « وله اختصار المحرر في الفقه ، وكشف الحقائق في المنطق » .

(٤) (أ) ، (ق) : « يقول عنه » .

الباجي : الغزالي عَدَل في العبارة المقتضية كذا ، حتى لا يردَ عليه كذا . وهذه العبارة التي قالها يَرِدُ عليها خمسة عشر سؤالاً ، وسرَدَها . فقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد : كم سنّك ؟ فقال : كذا ، فقال : وهذا[١] كله حصّلته في هذا السن .

وقال الفاضل كمال الدين الأدفوي : قال[٢] شيخنا العالم الثقة نجم الدين الأصفوني : حضرت درس الشيخ تقي الدين ، فقال : يا فقهاء جاء شخص يهودي ، ويطلب[٣] المناظرة . فسكت الناس . وقال الباجي : أحضروه ، فنحن بحمد الله مليّون بدفع هذه الشبه . وقال لي ـ رحمه الله تعالى ـ لمّا أحضروا ابن تيميّة ، طُلبت في جملة مَن طُلب ، فجئت لقيته يتكلم ، فلمّا حضرت قال : هذا شيخ البلاد ، فقلت : لا تُطْرِني ما هنا إلا الحق ، وحاققته على أربعة عشر موضعاً ، وغيَّر ما كان كتب به خطّه .

وكان أخيراً قد نسب إليه كلام ، واختفى بسببه مدة ، وكان له ابنان فاضلان تكلما عنه ، ثم إنه تقشّف ، وصار بفرجيّة مفتوحة لطيفة[٤] ، وعمامة بكراثة لطيفة جداً لا تكاد تظهر .

وتولى تدريس السيفية ، وكان معيداً بالمنصورية والصالحية .

ورأيت أنا شيخنا الإمام العلاّمة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي يعظّمه كثيراً إلى الغاية ، ويثني على فضائله المنوّعة . وكان قد ولي وكالة بيت المال بالكرك في الأيام الظاهرية[٥] .

---

(١) (أ) ، (ق) والدرر : « وهنا العِلم » .

(٢) (أ) ، (ق) : « قال لي » .

(٣) (أ) ، (ق) : « وطلب » . وفي الدرر : « يطلب » .

(٤) (أ) ، (ق) : « قصيرة » .

(٥) قوله : « وكان قد ولي » حتى ههنا وقع في (أ) ، (ق) بعد قوله : « معيداً بالصالحية والمنصورية » .

وقال شيخنا البرزالي : أجاز لنا جميع ماله روايته .

وأنشدني قاضي القضاة تقي الدين السبكي من لفظه أبياتاً رثاه بها ، ومنها :

فلا تعذليه أن يبوح بسرّه ... على عالِم أودى بلحد مقدّس [١]
تعطّل منه كل درس ومجمع ... وأقفر منه كل ناد ومجلس
ومات به إذا مات كل فضيلة ... وبحث وتحقيق وتصفيد مُبلس
وإعلاء دين الله إن يبدُ زائغ ... فيخزيه أو يهدى بعلم مؤسس

وكان شيخنا العلاّمة أثير الدين أبو حيّان يثني عليه كثيراً . أخبرني قال : قرأت عليه يسيراً من مُخْتصره[٢] في أصول الفقه ، وسمعت عليه دروساً ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

رثى لي عُذّلي إذْ عايَنوني ... وسُحْبُ مدامعي مثل العيون [٣]
ورامُوا كَحْل عَيْني، قلت: كفّوا ... فأصل بليّتي كَحْلُ العيون

قلت : كأن الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ نظر في هذا المعنى إلى قول السِّراج المحّار :[٤]

شكوت الذي ألقاه من ألم الهوى ... وقلبي عن وصف الأطباء في شُغْل
وقالوا اشربِ الْمَغلي تجد فيه راحة ... فقلت: وذا أصل الذي بي من الْمُغْل

وأنشدني الشيخ أثير الدين قال : أنشدنا الباجي لنفسه[٥] :

---

(١) (أ) ، (ق) : « بوجده » .
(٢) في الأصل : « مختصري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) (أ) ، (ق) : « ملء العيون » .
(٤) عمر بن مسعود الحلبي الكناني (ت٧١١) ، وستأتي ترجمته .
(٥) عبارة الوافي والدرر : « لنفسه دو بيت » .

بـــالبلبـــل والهَـــزار والشحرور يُسْبَى طَرَبـا قلبُ الشَّجي الْمَهْجَور[١]
فـانهض عَجـلاً وانهب من اللـذة مـا جـادت كرمـاً بـه يـد المقـدور

وأنشدني شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الـدين السبكي إجـازة ، قـال : أنشـدنـا لنفسه :

حيـــاة وعلم قُـــدْرة وإرادةٌ وسَمْـعٌ وإبصـارٌ كـلامٌ مـع البَقـا
صفـاتٌ لـذات الله ، جـلّ ، قـديمـةٌ كـذا الأشعري الحبر ذو العلم والتقى[٢]

١٢١١ - علي بن محمد بن عبد الله*

ابن عبد الظاهر بن نشوان ، الصدر الكبير الرئيس النبيل الكاتب علاء الـدين بن القاضي فتح الدين بن القاضي محيي الدين .

سمع بقراءة الشيخ شمس الدين الذهبي من ابن الخلاّل[٣] .

وكان القاضي علاء الدين كثير المكارم ، بيتُـه مجمع الفضلاء والأدبـاء ، ومحلّـه محـطّ الخاملين والنّبهاء والنبلاء ، لا يزال يراعي مصالح الناس ، ويساعدهم على بلوغ مـآربهم البعيدة من القياس[٤] . يُؤثِر الواردين والصادرين بملابيسه ومراكيبـه ، وينتـاشهم من ورطاتهم ، ولو كانوا بين ماضِغيّ الدهر ومخاليبه .

وكان في أيام سلاّر هو المشار إليه ، والمعوّل فيما يُرْسَم به عن الـدولـة عليـه . وكان

---

(١) في الفوات : « المغرور » .
(٢) (أ) ، (ق) : « ذي » .
* الوافي : ٥٢/٢٢ ، والدرر : ١٠٩/٣ ، وحسن المحاضرة : ٥٧١/١ ، والشذرات : ٤٦/٦ .
(٣) في الوافي : « شمس الـدين بن الخلال » ، وفيـه سقـط . وابن الخلال هـذا هـو بـدر الـدين ، الحسن بن علي بن أبي بكر ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٤) كذا في الأصل و (ط) ، وفي (أ) ، (ق) : « البعيدة القياس » .

هو الذي خرّج بهاء الدين أرسلان[١] وهذّبه ، وفقّهه وكتّبه ، لأنه كان يهواه ، ويُغْضي طَرْفَه ، ويَطْوي على جوانحه جواه .

ولّما عاد السلطان من الكرك ، وتولّى أرسلان الدوادارية ما شك هو ولا غيره أن كتابة السر تتعدّاه ، ولا أن الملك يضطلع بغيره ويتحدّاه ، فما قدّر الله له ذلك ، ولم يجئ حساب الدهر هنالك . ولكنّه كان يوقّع في الدست بين يدي السلطان إلى آخر وقت ، والسلطان يضمر له البغض والمقت ، ويقول إذا رآه من بعيد : سبحان الرازق ، هذا يأكل رزقه على رغم أنفي وأنف الخلائق[٢] .

وكان القاضي علاء الدين حسنَ الشكل ظريف العمامة نظيف الملبوس ظاهر الوسامة طيّب الرائحه ، يعمّ مجلسا يكون فيه بهباته الفائحه . يكتب خطاً فائقاً من أين للعُقُود[٣] اتساقُه ، وللروض اليانع زهراته التي تضمّنها أوراقه . قلّ أن اجتمعتْ مفرداته في غيره ، أو بلغ مترفعٌ في الجو مَطار طَيْره ، وإليه كانت الرياسة في زمانه ، وإياه عنى مدّاح عصره وأوانه .

ولم يزل في توقيع الدست إلى أن اجْتَثّ منه الدهر جُرثومة الرئاسه ، وأخلى مِصْرَه من السيادة والنفاسه[٤] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس رابع شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

---

(١) (أ) ، (ق) : « أرسلان الدوادار » .

(٢) (أ) ، (ق) : « يأكل رزقه رغمي ورغم الخلائق » ، وعبارة الوافي : « سبحان الله ، والله ما أشتهي أراه ، وهو يأكل رزقه » .

(٣) في الأصل « للعنقود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) وكذا في (ط) . وعبارة (أ) ، (ق) : « اجتث الموت منه جرثومة السيادة ، وأخلى من رئاسته مصر وبلاده » .

ومولده سنة ست وسبعين[١] وست مئة .

وكتب الإنشاء في الدولة المنصورية ، وعمره إحدى عشرة سنة ، سنة ست وثمانين وست مئة .

وكان الملك الناصر[٢] يكرهه لكونه قد[٣] اختصّ بالأمير سيف الدين سلاّر .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال : قال لي السلطان الملك الناصر : ما كرهته لأجل شيء ، وإنما خان مخدومه [يعني][٤] سلاّر ، لأنه استكتبه شيئاً واستكتمه إياه ، فجاء إليّ وعرّفني به . وأخبرني أيضاً أن السلطان لمّا جاء من الكرك قال للأمير عز الدين الدوادار[٥] : الساعة يجيء إليك طعامٌ من عند علاء الدين بن عبد الظاهر ، فاقبله منه ، فلم يكن قليل [حتى][٦] جاءه ذلك فقبله . وعرّف به السلطان ، فقال له السلطان : الساعة يبعث إليك خِرفانا وأرزّا[٧] وسكّرا ، ويقول : ياخوند ، أنا ماعندي من يطبخ ما يصلح لك ، دع مماليك يشوون لك هذا ، فما كان إلا عن قليل حتى جاء ذلك [فأخذه][٨] وعرّف السلطان به ، فقال : الساعة يجهز إليك ذهبا ويقول : هذا أريده يكون وديعة في خزانة الأمير ، فإنه أحرز عنده من بيتي ، فما كان إلا أن جرى ذلك ، وقال : ياخوند ، قد بعت[٩] لي ملكا ، وأخاف أن

(١) في الأصل و (ط) : « وأربعين » ، وهو سهو ، بدليل ما يأتي ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ومصادر ترجمته الأخرى .

(٢) في الأصل : « المنصور » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٣) في (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي : « لكونه كان قد .. » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الوافي : « أيدمر الدوادار » .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٧) (أ) ، والوافي : « وإدزّاً » .

(٨) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٩) (أ) ، (ق) ، والوافي : « أبعت » .

يسرق ثمنه ، وقد أرصدته للحجاز ، وأريد أن يكون في خزائنك ، فأخذ الورقة ، وعرضها على السلطان ، فقال له السلطان : اكتب[١] في قفاها : ياعلاء الدين ، نحن ما نغيّر شرف الدين بن فضل الله ، وإن غيّرناه فما نولّي إلا علاء الدين بن الأثير ، فوفّر ذهبك عليك ، وخلّه عندك .

وكان القاضي علاء الدين كثير الرياسة والإحسان إلى مَن ينتمي إليه .

وللعلاّمة شيخنا شهاب الدين محمود فيه أمداح كثيرة . ولّما مات رثاه بقصيدة طنّانة كتب بها إلى ناصر الدين شافع ـ رحمهم الله أجمعين ـ أنشدنيها إجازة ، وهي :

الله أكبرُ أيُّ ظـــــــــل زالا ... عن آمليـــه وأيّ طـوْد مـــالا
أنعي إلى النـــاس المكارم والنـــدى ... والجـود والإحســـان والإفْضـــالا
ومُهَـذَّبـا مَـلأ القلـوبَ مهـابَـةَ ... والسَّمـع وصَفـــاً والأكُفَّ نـوالا
حاز الرئـاسـة فـاغتـدى فيهـا بـهِ[٢] ... أهْـلُ المفـــاخر تَضْرب الأمثـــال
وحـوى من الآدب مـا أضحى بـــه ... أهـلُ البيـــان على عُـلاهُ عيـــالا
طَلْق الْمُحَيّا لَـوْ يقـابـل وجهُـه الـ ... أنـواء ظـل جهـامُهـا هطّـــالا
مُتمكّنٌ من عَقْلـــــه فكأنّـــــه ... قـد شـدَّ فيـه عن[٣] الهنـات عُقـالا
رَحْبُ النـدى تُنسي بشاشـة وجهـه ... مـــا زاده أوطـــانـــه والآلا
طَرَقَتْـه أيـدي الحـادثـات فزعـزعت ... منـــه مـــآلاً للعُفَـــاة ومَـــالا
وسَطَتْ على الشرف الرفيـع فقلّصت ... عَنْ ذلـــك الحرم المنيـع ظـــلالا
فُجعَتْ يتـامى من ذؤابـة هـــاشم ... أمسى أبـــاً لهمُ وإن يـــكُ خـــالا
فَقَـــدت أيـــامـــاهم بفَقْـــد عليّهم ... وكـذا اليتـامى عِصْمـــةً وثمـــالا[٤]

(١) (أ) ، (ق) :(اكتب إليه » ، وفي الوافي : « له » .
(٢) في الوافي : « فيهابُهُ » !
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .
(٤) في الأصل و (أ) و (ق) : « أيامهم » ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .

ونضت مكلاءة كل مكرمة ضَفَتْ عنها فعاد لباسُها الأسمالا
وأعادت المجد المؤثل بعده كانا غدير حياً فعادا آلا[١]
مَن للسماحة والفصاحة بعده قَوْلا يقال وكان قبلُ فعالا
مَن للوجاهة والنباهة بعده إن قال في نادي الندى أو قالا[٢]
من للفتوة والمروّة أزْمَعا لمّا ترحّل بَعْدَه التّرحالا
مَن للكتابة حين أضحى جيدُها الـ حالي بدُرِّ بيانه معطالا[٣]
قد كان فارسها الذي بيراعهِ كم راع قبلُ أسنّةً ونصالا
وجوادها إن رام سبقا حازه فيها وقَرْطسَ إن أراد نضالا
وخُطيبها ما أمّ منبر كفّه قلمٌ فغادر للأنام مقالا
من للبلاغة رامها مِنْ بعده كل فكانت كالنجوم مَنالا
يا نجلَ فتحِ الدين أغْلق رزئكم بابَ الرجاء وأوْثَقَ الأقفالا
لَهْفي على تلك البشاشة كم بها بسطت لوافدِ رفده[٤] آمالا
لهفي على تلك المكارم كم سَقَت ظامي الرجاء البارد السَّلْسَالا
لَهْفي على تلك المروءة كم قضت سُؤْلا لمن لم يَبْدُ منه[٥] سؤالا
لَهْفي على آلائه كم أثقلت ظهْرًا وكم قد خففت أثقالا
لَهْفي على تلك المآثر لم تُطع في فعلها اللوّامَ والعذّالا
أبكي عليه وقَلّ مني أنّني أبكي عليه وأكثرُ الإعوالا
أدْعُو دموعي والعزا فيُجيبني ذا هاملا ويصدُّ ذا إهْمالا

---

(١) (أ) : « وأفادت ... المؤمل » .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « إن جال » .
(٣) وقع عجز البيت في (أ) ، (ق) ، (ط) هكذا : في الحال بَدْرُ بيانها معطالاً » ، ولاوجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الوافي : « ربعه » .
(٥) في الوافي : « فيه » .

وإذا اعتبرتُ الحـزن كان حقيقـة ... وإذا اعتبرتُ الصَّبرَ كان مُحَـالا
وإذا غفلتُ أقـام لي إحسـانُـه ... في كل وقتٍ مِنْ سنـاهُ مِثـالا
وإذا هَجَعْتُ فـإنمـا زارَ الكرى ... ليروعَ قلبي أن أراه خيـالا
قـد كان يُكرم جـانبي ويُجلني ... وإذا ذكرتُ أطـابـه وأطـالا
ويُجلّني كأبيـه في تَبْجيلـه ... حتى أقول قـد استوينـا حَـالا[1]
فعـلام لا أبكي وأستسقي لـه ... سُحُبَ القَبُـول من الكريم تعـالى
ولقـد صَحبت أبـاه قبـلُ وَجَـدَّه ... وهمـا همـا مَجْـداً سَمَـا وكَمالا
فوجدتـه قـد حـازَ مَجْـدَهُما معـا ... فَرْداً ونـال مِن العُـلاَ مـا نـالا
ومضى حميـدا طـاهرا مـا دَنّست ... أيـدي الهـوى لبروده أذيـالا
عَجـل الحِمام على صبـاه فـلا ترى ... إلا دمـوعـا تستفيضُ عِجـالا
يـا نـاصر الـدين ادّرع صَبْرا فَقَـدْ ... فـارقتَ ثُمّ صبرت ذاك الخـالا
ورُزيت قبـل فراق خـالـك بـابنـه ... فحملت أعبـاء الخطـوب ثِقـالا
وختـامُ هـاتيـك الحـوادثِ فقـدُ ذا ... فـأعـاد حُـزْنـا كان مرَّ وزالا
فـاسْلَمْ لتبلـغَ بـابْنـه العليـا التي ... فسحت لهم فيهـا النجـومُ مَجـالا
فـالأجْرُ جمٌّ والعـزاءُ طريُقـه ... فـاصْبر فلست ترى لهـا أمثـالا
هي هـذه الـدُنيـا كشمس إن عَلَتْ ... وافت عُـزُوبـا بعـده وزوالا
كم خيّبت أمـلاً وأتبعتِ الرّجـا ... يـأساً وغـادرت المصون مُـذالا[2]
يَسري بنـا الآمـال فيهـا غِرَّةً ... فيُـزيرُنـا ذاك السُّرى الآجـالا
تَبّـا لهـا من غفلـة فـإلى متى ... نرجـو البقـاءَ ونُرجئ الآمـالا[3]
أو مـا ترى فعـل المنـون بغيرنـا ... نـادتهم فتتـابعـوا ارسـالا[4]

(١) في (أ) ، (ق) ، والوافي : « ويجلني » بالحاء .
(٢) (أ) والوافي : « بأسا » .
(٣) في الوافي : « فنرجئ الأعمالا » .
(٤) (أ) : « ناداهم » .

سيما لمن قـد جـاز معتـك الردى وغدا لقُطْب رحى المنون ثقـالا[١]
عجبـاً لبـالٍ في غـدٍ تحت الثرى أنّى يُرى في اليـوم ينعم بـالا
كم تخطئ الأسقـام من أضحى لهـا هَـدَفـا وقـد بعثت إليـه نبـالا
سيّـان مَنْ نـزل القبـور اليـوم والسّفر الـذين غَـدَوا غَـدَاً نُـزّالا
مَع أنّهم قطعـوا الطريـق وخلّفـوا للخـالف الأوجـاع والأوجـالا
فـأعـاننـا الربّ الرحيم على مـدى بَلَغُـوا وحسّن للجميـع مـآلا[٢]
وسقتـه مِنْ عَفْـو الإلـه سحـائب يتلـو سُرى غـدواتهـا الآصـالا

ومن إنشاء القاضي علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ رسالةٌ في المفاخرة بين الرمح والسيف ، وهي :

« بعثت إليك رسالتي وفي ذهني[٣] أنك الكميُّ الذي لا يجاريك نَدّ ، والشجاعُ الذي أظهر حُسْنَ الائتلاف لَوْ شكّ الضد[٤] ، والبطل المنيع الجار ، والأسدُ الذي لك[٥] الأسل وجار ، والباسلُ الذي كم لخَمر الغمود بتجريدك عن وجوه البيض انحسار . ولك معرفة في الحرب ولاماتها[٦] ، والشجاعة وآلاتها ، وإليك في أمْرها التفصيل ، ولديك علم ما لجملتها من تفصيل . وها هي احتوت على المفاضلة بين الرّمح والسيف ، ولم تَدْر بعد ذلك كيف [فإنّ السيف][٧] قد شرع يتقوّى بحدّه ، ولا يقف في معرفة نفسه عِند حدّه ، والرمح يتكسّر[٨] بأنابيبه ويستطيل بلسان سنانه ، ولم يثن في وصف نفسه

(١) (أ) : « ثِقالا » .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « وأحسن » .
(٣) في الوافي : « علمي » .
(٤) عبارة الوافي : « حُسن لوثتك للضد » .
(٥) لكّ ، أي : ضرب ، أو فصل اللحم عن العظام .
(٦) أي : دروعها .
(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .
(٨) في الوافي : « يتكثّر » .

فضل عنانه . وقد أطرقْتُهُما حماك لتحكم بينهما بالحق السويّ وتُنصف بين الضعيف والقوي :

أما السيف فإنه يقول : أنا الذي لصفحتي الغُرَر[١] ، ولحدّي الغرار ، وتحت ظلالي في سبيل الله الجنةُ ، وفي إطلالي[٢] على الأعداء النار ، ولي البروق التي هي للأبصار والبصائر خاطفه[٣] ، وطالما لَمَعت فسحّت سحبُ النصر واكفه ، ولي الجفونُ التي مالها غير نصر الله من بصر ، وكم أغفت فمرّ بها طيفٌ من الظَفَرْ ، وكم بكَتْ عليَّ الأجفانُ لّما تعوّضتُ عنها الأعناق غُمودا ، وكم جلبت الأمانيُّ بيضا والمنايا سودا ، وكم ألحقت رأساً بقدَم ، وكم رَعيت في خصيبٍ نَبْتُه اللِّمم ، وكم جاء النصر الأبيض لّما أسلْتُ النجيع الأحمر ، وكم اجْتُنِيَ ثَمَرُ التأييد من ورق حديدي الأخضر ، وكم من آية ظفرٍ تلوتها لما صليت [واتّقد لهيب فكري فأصْلَيْت][٤] فوصفي هو لذاتي المشهور ، وفضلي هو للأثور[٥] ، فهل يتطاول الرمح إلى مفاخرتي وأنا الجوهر وهو العَرَض[٦] ، وهُوَ الذي يُعْتاضُ عَنْهُ بالسهام وما عنّي عِوَض ، وإن كان ذاك ذا أسِنَّه ، فأنا أُتَقَلَّد كالمِنّه . كَمْ حَملته يدٌ فكانت حمّالة الحطب ، وكم فارس كسبه بحملاته فما أغنى عنه ما كسب ، حدُّه لَيْس مِنْ جنْسه ، ونفعه ليس من شأن نفسه ، وأين سمر الرماح من بيض الصِّفاح ، وأين ذو الثعالب[٧] من الذي تُحْمَى به أسود الضرائب[٨] . وهل أنت إلاّ طويلٌ بلا بركه ، وعامِلٌ كم عزلتك النبال بزائد حركه ؟!

---

(١) في الأصل : « الغرّ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في الوافي : « إظلالي » .

(٣) عبارة الوافي : « التي هي للبصائر لا الأبصار خاطفة » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٥) في الأصل : « المشهور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٦) في الأصل : « وهو الجوهر وأنا العرض » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٧) الثعالب : جمع ثعلب ، وهو أسفل السنان الذي تدخل فيه القناة .

(٨) ت الأصل : « المضارب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

فنطق الرمحُ بلسان سنانه مفتخرا ، وأقبل في علمه مُعْتَجرا[١] ، وقال : أنا الذي طُلْتُ حتى اتخذت أسنّتي الشهب ، وعَلَوْت حتى كادت السماء تَعْقد عليّ لواءً من السحب . كم ميّل نسيم النصر غُصْني وميّد ، وكم وهّى بي ركن للملحدين ، وللموحّدين تشيّد . وكم شمس ظفر طلعت وكانت أسنّتي شعاعها . وكم دماء أَطَرْتُ شعاعها . طالما أثمر غصني الرؤوس[٢] في رياض الجهاد ، وغَدَت أسنّتي فكأنّما صيغت من سرور فما يخطرن إلا في فُؤاد ، وكم شُبّهت أعطاف الحسان بمالي مِنْ ميل ، وضرب بطول ظل قناتي المثل ، وزاحَمْتُ في المناكب[٣] للرياح بالمناكب ، وحسبي الشرف الأسنى أنّ أعلى الممالك ماعليّ يُبْنَى ، مالَمَع سناني في الظلماء إلا خالَهُ المارد من رُجوم السماء ، فهل للسيف فخر يُطال فخري ، أو قَدْرٌ يُسامي قَدْري ، ولو وَقف السيفُ عند حدّه لعلم أنه القصير وإن كان ذا الحُلى ، وأنا الطويل ذُو العلا ، وطالما صَدَع هاما ، فعاد كَهاما[٤] ، وقصّر عن العدى ، وألم بصفحته كَلَفُ الصَّدا ، وفلّ حدّه ، وأذابه الرعب فلولا غمده ..[٥] فهل يُطعن فيّ بعيب ، وأنا الذي أطعن حقيقةً بلاريب ، ومن ههنا آن أن أمسك عنك لسان سناني ، ونرجع إلى من يحكم برفعة شانك وشاني ، ونسعى إلى بابه ، ونبث محاورتنا برحابه .

وقد أوردهما المملوك حِماك ، فاحكم بينهما بما بَصَّرك الله وأراك .

ومن شعر علاء الدين ، وقد رُتبت معاليهم على شَطَّنُوف :[٦]

---

(١) اعتجر : لوى ثوبه على رأسه من غير إدارة تحت الحنك .

(٢) في الأصل : « الوريق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في الوافي : « المواكب » .

(٤) أي : كليلا .

(٥) يشير إلى قول أبي العلاء في مدح سعيد بن شريف بن علي العدوي :

يُذيب الرعبُ منه كلَّ عضب فلولا الغمدُ يُمسكهُ لَسَالا

(٦) بلد بمصر من نواحي كورة الغربيّة عند افتراق النيل فرقتين .

يـــا أميراً لـــه من الجُـود بحرٌ فَهْـوَ يَجْري لنـــا بغير وقـوف[١]
قـــد غرقنـــا في بَحرِ هَمٍّ وغَمٍّ فطلعنـــا بـــذاك من شَطّنـوف

ولّما دخلت أنا في سنة سبع وعشرين وسبع مئة وجدت جماعة قد لهجوا بالمقامة التي أنشأها القاضي علاء الدين وسمّاها (مراتع الغزلان) ، فكلفني بعض أصحابي الأعزّة أن أنشئ رسالة في مادتها ، فأنشأت رسالتي (عبرة اللبيب بعبرة الكئيب)[٢] .

١٢١٢ ـ علي بن محمّد بن سَلْمان بن حمائل*

الشيخ الإمام الصدر الرئيس الكاتب الشاعر ، صَدْر الشام ، القاضي علاء الدين بن غانم .

كان حسنةً من حسنات الزمان ، وبقيةً مما ترك أولو الفضل والإحسان ، ذا مروءة فاتت الواصف ، وجودٍ أخجل هتّانَه الغمام الواكف . تأذّى من الدولة مرّات ، وما رجع عمّا له من العصبية والخير من كرّات ، يُسدي الجميل إلى مَن يعرف وإلى مَن لا يعرف ، ويتكّل على الله تعالى فيما يتصرف بقلمه ويَصْرف . وكان وجيهاً في الدولة يَعْرِفُ الناسُ قَدْرَه ، ويعلمون أن المروءة لا تنزل إلاّ في قلْبه ، ولا تسكن إلا صَدْرَه .

وكان حسام الدين لاجين وقبجق والأفرم ومن بعده إلى تنكز يَرْعَوْنَ قدْرَهُ ويراعونه ، ويعلمون أنّه ما يبخل أن يُعير ما عونه ، لا يبخل بجاهِهِ ومالِهِ على أحدٍ من[٣] أبناء جنسه ، ولو أن ما في كفّه غَيْر نفسه .

ولم يزل على حاله إلى أن حَجّ وعادَ إلى تبوك ، فغنم ابن غانم أجلَه ، وراح إلى الله تعالى ، ولم يقصّر به كرمه ولا اعتراه خَجَلُه .

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « فهو جار » .
(٢) في الوافي : « عبرة الكئيب بعثرة الكئيب » ، تحريف .
* الوافي : ٣٣/٢٢ ، والفوات : ٧٨/٣ ، والبداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدرر : ١٠٣/٣ .
(٣) في الأصل : « لا يبخل على أحدٍ بجاهه من .. » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في المحرم سنة سبع وثلاثين وسبع مئة . وله ست وثمانون سنة .

وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : ما أعرف أحداً في الشام إلا ولعلاء الدين بن غانم في عنقه مانة[1] قلّدها بصنيعه أو ماله أو جاهه .

وكان الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ـ رحمه الله تعالى ـ يكرهه ويؤذيه ويحط عليه ويقول : كيف أعمل بهذا ابن غانم ، أيّ مَنْ أردت أن أذكره عنده بسوء يقول : ما في الدنيا مثل ابن غانم ، أو كما قال .

وكان وقورا مليح الهيئة منوّر الشيبة ، ملازم الجماعة ، مطّرح الكلفة .

حدّث عن ابن عبد الدائم ، والزين خالد ، وابن النشّبي ، وجماعة .

وأجاز لي بخطّه في سنة ثلاثين وسبع مئة[2] ، ولما دخلت ديوان الإنشاء اجتمعت به غير مرّة ، وأنشدني كثيراً من شعره ، ووجدت منه خيراً وبراً ـ رحمه الله تعالى ـ .

وهو كان آخر مَن بقي من رؤساء دمشق ، لأن بيته كان مقصداً لكل غريب وغياثاً لكل ملهوف .

كتب إليه الشيخ جمال الدين بن نباتة في بعض ما كتبه من أمداحه[3] :

عَلَوْت اسماً ومقْداراً ومعنى ... فيالله مِن فضلٍ جليّ
كأنكم الثلاثةُ ضَربُ خَيْطٍ ... عليٌّ في عليٌّ في عليّ

قلت : أخذ الثاني برّمته من قول علاء الدين الوداعي ـ رحمه الله تعالى ـ، نقلت ذلك من خطه ، وقد اجتمع بأصحابه ، وكلّهم يدعى عليّاً :

(١) في الوافي : « منّة » .
(٢) بدمشق كما في الوافي .
(٣) ديوانه : ٥٨ .

لقد سمح الزمان لنا بيوم غدا فيه السميُّ مع السميّ
تجمّعْنا فكنّا ضَرْبَ خَيْط عليّ في عليٍّ في عليّ

وكان ينظم وينثر ، وله أعمال جيدة في شبيبته . وبين الشيخ علاء الدين وبين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وبين الشهاب محمود وغيره من أهل عصره محاورات ومكاتبات على عادة الأدباء ، مليحة .

وكان قد طُلِبَ هو وأخوه شهاب الدين أحمد بن غانم إلى مصر على البريد في شهر رجب سنة سبع عشرة وسبع مئة ، فرُسم للشيخ علاء الدين بكتابه السر بحلب ، فاستعفى من ذلك . وعُرض عليه الإقامة بمصر ، فاختار العَوْدَ إلى بلده ، ورسم لهما بزيادتين وخلعتين ، وأعيدا إلى دمشق .

ومن نَثْرِه ـ رحمه الله ـ يصف قلعة :

« ذات أودية ومحاجر لا تراها العيونُ لبُعد مرماها إلا شَزْرا ، ولا ينظر ساكنُها العددَ الكثير إلا نَزْرا ، ولا يظُنّ ناظرها إلاّ أنها طالعة بين النجوم بمالها من الأبراج ، ولها من الفرات خندقٌ يحفُّها كالبحر إلاّ أن ﴿ هذا عذب فرات وهذا ملح أُجاج ﴾[1] ، ولها وادٍ لا يَقي لَفْحةَ الرمضاء ولا حَرَّ الهواجر ، وقد توعّرتْ مسالكُه ، فلا يُداس فيه إلا على المحاجر ، وتفاوَتَ ما بين مرآه العليّ وقراره العميق ، ويقتحم راكبُه الهول في هبوطه ﴿ فكأنما خرّ من السماء فتخْطَفُه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾[2] .

ومنه في صدر كتاب :

« وجَعَله لحقيقة العَلْيَاء نَفسا وعَيْنَا ، ولا أَعْدَم منه الملكَ ناظراً ولا عَيْنَا . ولا زال

(١) الفرقان : ٥٣/٢٥ .
(٢) الحج : ٣١/٢٢ .

على الأعداء يُرسل من مهابته[١] رقيبين ، أُذُنا وعَيْنا [وأغْنى بمكارمه من أنْ نشيم من السماء خالاً وعينا ، أو نَرِد من الأرض منهلاً وعينا][٢] ، وأطْلع طلعة لوائه في الخافقين حتى تخال الشمس[٣] عينا ، وسيّر ركائب ذكره في الآفاق لا تشتكي أينا ولا عَيْنَا [وأقام ميزان القسط بين الرعايا لا تجد فيه غبناً ولا عينا][٤] ، واستعبد بخدمته كلَّ أصْيدَ من الملوك ، لكل جحفل قلباً ولكل مَحْفَل عينا ، وأهلك كل عدوّ له وحاسد تارة فجأةٍ وتارة عَيْنَا[٥] ، ومتّعه بما خصّه من استجلاء عرائس الحور العين بمجاهدته إذا شغل سواه عيناء من أسماء وعينا ، وسطر آثار مآثرِه[٦] محكمةً على صفحات الأيام إذا لم يُبقِ لمن سلف من الملوك أثراً ولا عينا » .

وأنشدني من لفظه ما كتبه إلى شيخنا العلاّمة أبي الثناء محمود :

لقد غبْتَ عنّا والذي غاب محسود ... وأنت على ما اخترت من ذاك محمودُ
حَلَلْنا محلا بَعْد بُعدك مُمْحِلا ... به كلُّ شيء ما خلا الشرَ مفقود
به البابُ مَفْتوحٌ إلى كل شقوة ... ولكنْ به باب السعادة مَسْدود

قال : فكتب[٧] الجواب :

أأحبابنا بنتم وشط مَزاركم ... برغمي وحالت دون وَصْلكم البيدُ
وودعتم[٨] رَوْض الحِمى بفراقكم ... فشابت نواصي بانِه وهو مَوْلود

(١) (أ) : « هيبته » .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) في الوافي : « للشمس » .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٥) زاد في الوافي ما نصّه : « وأنطق لسانه كرمه للأولياء بنون وعين وميم إذ كتب سواه ميماً ونوناً وعيناً » .
(٦) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٧) (أ) ، (ق) : « فكتب إليّ » .
(٨) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « وردّ عتم » ، وهي أشبه .

ومن لم تَهجْـه الـوَرْقُ وَجْـداً عليكم تـوهّم أن النـوح في الـدّوح تغريـد

وكتب إليه شيخنا نجم الدين الصفدي :

شنِّف الأسماع بـالـدرّ الـذي قـد حكى الأنجم في ظلمـائهـا[1]
وبـدا كالشمس إلا أنـه زاد في الحُسْن على لألائهـا[2]

فكتب الجواب إليه :

ليس للمملوك إلاّ مِدحـةٌ في معـاليـك وفي آلائهـا
وبحارُ الفضل تَجْري منك لي فمقـالي قطرةٌ من مـائهـا

ومن شعره :

سَلَبَ المهجـةَ منّي بـالجفُـون الفـاترات
لـو يَـزورُ البيتَ لم يرْ مِ الحشـا بـالجَمَرات

وأخبرني من لفظـه ، قـال : عَتَبني شهـاب الـدين محمود ، وهـو صـاحب ديـوان الإنشاء ، وقال : بلغني أن جماعة من ديوان الإنشـاء يـذمونني ، وأنت حـاضر ، مـا تردّ عني[3] ، فكتبت إليه :

ومَن قـال إنّ القـوم ذَمـوك كاذبٌ ومـا منـك إلاّ الفضل يوجـد والجـود
ومـا أحـدٌ إلا لفضلـك حـامـد وهـل عيب بين النـاس أو ذَمّ محمود

قال :فكتب إليّ بأبيات منها :

عَلِمْتُ بـأني لم أُذمّ بمجلس وفيـه كريم القوم مثلـك مـوجـود[4]

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « بالنظم الذي » .
(٢) في الأصل : « الشمس على » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) في الوافي : « ما تردّ غيبتي » .
(٤) في الأصل : « والجود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

ولست أزكّي النفس إذ ليس نافعي إذا ذُمّ مني الفعل والاسم محمود
وما يكره الإنسان من أكل لحمه وقد آن أن يبلى ويأكله الدود[١]

قال : ولم يكن بعد ذاك إلا أيام حتى توفي ـ رحمه الله تعالى ـ وأكله الدود .

وكان القاضي علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ قد طلب مني كتابي (جنان الجناس) وكتب عليه :

لقد ضمّ أجناسَ الجناس فأطربا وأعجز من باراه فيها وأعجبا[٢]
صلاحٌ لدين الله أبدى بدائعا تروق بألفاظ أرقّ من الصبا
يراه بليغٌ جاء بالمدح سائلاً مُجيبا مجيزا قوله لا مُخيّبا
بإنشاده هذا وإنشائه لقد به فات مَن قد فاق فضلا ومنصبا
فقسٌّ إياد عند ذي الفضل باقل ولفظ امرئ القيس البديع هنا هَبَا[٣]

فكتبت أنا[٤] أشكره على ذلك :

ألا هكذا مَن قال شعراً فأطربا ووشّى برود اً باليراع فأعجبا
جبرت انكساري إذا أجزت مصنّفي بأبيات شعر قد حكت رقّة الصّبا
فما كلُّ مَنْ وافى بحُسْنى يُجيدها ولا كل مَن أولى الندى يُجزل الحبا
فأقْسِم لو جاراك في الفضل فارس الـ كتابة أعني الفاضل ابن علي كبا
ومن للعماد الأصفهاني أن يُرى ببابك دَهْرَاً واقفاً متأدّبا
لأنت الذي أنسى بألفاظ نظمهِ وروْنَقها عَصْرَ الشبيبة والصِّبا
طريقتك المثلى التي اجتهد الورى على مثلها واستحسنوا منك مذهبا

(١) في الأصل : « من ذمّ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٢) في الأصل : « وأعجب من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) (أ) ، (ق) والوافي : « ذا الفضل » . وباقل : يضرب المثل بعيّه .
(٤) (أ) ، (ق) : « أنا إليه » .

ولم يُر أحلى من يراعـــــك أحمرا ... على دهمةٍ جاري من الطرس أشهبا
بَقِيتِ لنـا ذُخراً[1] مـآثرَ فَضْلِـهِ ... يَضُوع لهـا في كل يـومٍ لنـانبـا[1]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وكم سَرْحَة لي في الرّبا زمن الصِّبا ... أشـاهـد مرأى حسنهـا متملّيـا
ويُسكرني عَرْفَ الصّبـا مِن نَسيمهـا ... فأقضي هوى من طِيبه حَتْفَ أنفيا[2]
وأسـأل فيهـا مَبْسم الروضَ قُبلـة ... فيُبْرز من أكمامـه لي أيـديـا
فللـه روض زرتـه متنزّهـا ... فـأبدى لعيني حسن مرأىً بلا ريـا
غـدا الغصنُ فيـه راقِصاً ونسيمُـه ... يكرّ على مَن زاره متعـدِّيـا
ترجّلتِ الأشجـار والمـاء خرَّ إذْ ... نسيمُ الصّبـا أضْحَى بـه متشيـا
يغنّي لـديـه الـورق والغصن راقص ... فيَعْرَق وَجْـهُ الأرض مِن كَثْرة الحيا

فأنشدته أنا لنفسي في هذا المعنى :

حَسدت نسيم الروض في [كل] حالةٍ ... ولا سيما يـوم قطعنـاه بـالحمى[3]
فكم ضمّ عِطْفـاً للغصـون مُرَنَّحـا ... وعـانـق قـدّاً للقضيب مقـوّمـا
وقبّـل خـدّ الـورد وهـو مضرّج ... وثغر الأقـاحي في الربـا إذ تبسّما
وكم بـات يستجلي عـذار بنفسـج ... سقتـه الغـوادي صـوبهـا فتنمنما
ولّمـا أمـال القضب نقّش ظلهـا ... وكبّت كفـا للغـدير ومعصما
وفتّـح أجفـانـاً من الـزهر أغمضت ... ونبّـه قمري الحمي فترنمـا[4]
ولم أنس وجـه الروض يُسفر ضـاحكا ... بـأزهـاره كالـدّر لمّـا تنظّما
فمـذ فتّحت فيـه البروق جفـونهـا ... تبرقـع منهـا بـالحيـا وتلثّما

(١) في الأصل : « دهراً مآثر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « عرف الشذى » .
(٣) الزيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

١٢١٣ ـ علي بن محمد بن علي*

ابن وهب بن مطيع ، الإمام الفاضل محبّ الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

سمع من أبيه ، وحضر عند عبد الوهاب بن عساكر ، وسمع من الزاهد عمر الحريري القوصي .

وحدّث بالقاهرة ، وسمع منه أمين الدين محمد بن الواني الدمشقي وغيره .

كان فاضلاً فقيهاً في مذهب الشافعي ، يعترف له بذلك كتاب (الروضة) والرافعي . قوي النفس عزيزاً ، قلّ أن يُرى للذلّ مجيزاً . اتصل بابنة الخليفة الحاكم ، فأصبح لذلك وهو حاكم . وناب عن والده في الدروس ، وسُمِعَت فيها فوائده ، وكانت زاكية الغروس .

ولم يزل على حاله إلى أن لحق أباه ، وأجاب داعية ومأأباه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده بقوص سنة سبع وخمسين وست مئة .

علّق على (التعجيز) شرحاً جيداً ، ولم يكمله ، وناب في الحكم في أيام والده .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : ذكر لي بعضُ أقاربه أن الخليفة هو الذي ولاّه النيابة عن والده ، فإنه كان تزوج بنت الخليفة أبي العباس أحمد .

ودرّس بالفاضلية والمدرسة الصالحية نيابة عن والده ، ودرّس بالكهارية والسيفية . وكان عزيز النفس مترفعاً .

---

* الوافي : ١٠٣/٢٢ ، والتالي : ١٠٥ ، والطالع : ٤٠٣ ، والدرر : ١١٣/٣ ، والشذرات : ٣٧/٦ .

قال كمال الدين : حكى لي القاضي سراج الدين يونس بن عبد المجيد[١] الأرمنتي قال : كنت حاكماً بإخميم من جهة والده تقي الدين ، فصحب محب الدين شخصاً من أهلها ، فطلب منه كتاباً إليّ في حاجة لذلك الشخص ، فرسم بكتابته إليّ ، فلما كَتب ، قال له ذلك الشخص : إن أراد سيدنا أنّ شغلي ينقضي ، يكتب له « المملوك » ، فلم يوافق ، فحلف عليه بالطلاق ، فكتب : « المملوك لله » .

وكان يقال : إنه كان يأخذ[٢] الهدية في حال نيابته ، ويأخذ معلوماً على السعي في الحاجات عند والده .

١٢١٤ ـ علي بن محمد بن علي*

هذا علي هو أحد الأخوين التوأمين الملقّبين بالجِنّ والبِنّ ، وهما حفيدا الشيخ علي الحريري الكبير المشهور .

وكان هذا وأخوه قد دخلا في أذيّة الناس أيام قازان ، وغرق هذا عليّ في جامع بعلبك بالسيل الذي جاء في سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٢١٥ ـ علي بن محمد بن علي**

الشيخ الصالح الزاهد العابد بقية السلف ، أبو الحسن البغدادي ، الملقّن بالجامع في الصالحية .

كان صالحاً خَيِّراً ، مُجْمَعاً[٣] على صلاحه وحُسن طريقته .

---

(١) في الأصل « عبد الحميد » ، سهو . وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « يقبل » .

* الدرر : ١١٤/٣ .

** العبر : ٣٨٨/٥ ، والنجوم : ١٨٩/٨ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ .

(٣) في الأصل : « منجمعا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

روى الحديث عن ابن الزبيدي ، وابن اللّتي ، والناصح بن الحنبلي[١] ، وابن صبّاح ، والقاضي ابن الشيرازي ، ومحمد بن غَسّان ، والجمال أبي حَمْزة[٢] ، وعلم الدين بن الصابوني ، وكريمة القرشية ، وغيرهم . وخُرِّجت له (مشيخةٌ) وحدّث بها .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع شوّال سنة ثمان وتسعين وست مئة .
ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة[٣] .

وخَرَج جماعة من البلد لحضور جنازته والتبرّك بها .

١٢١٦ ـ علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم*

علاء الدين أبو الحسن بن العدل بدر الدين العَدَوي الصالحي المعروف بابن السكاكري الشروطي .

أجاز له عبد العزيز بن الزّبيدي[٤] ، وابن العُلَّيق ، وعبد الخالق النّشتبري[٥] ، وابن خليل . وسمع من ابن عبد الدائم ، ومحيي الدين بن الزكي وجماعة .

حدّث وتفرّد ببعض شيوخه ، وكانت له معرفة بإتقان المكاتيب ، وعلم بغوامضها ، وشهد على الحكّام .

وكان قويّ النفس ، ثم إنه كَبُر وعجز ، اعتراه نسيان وغفلة ، وافتقر ، وكان يلازم الجماعة .

ومولده سنة ست وأربعين وست مئة .

---

(١) في الأصل : « الحلبي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « ابن حمزة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو أحمد بن عمر بن أبي عمر المقدسي (ت ٦٣٣ هـ) ، العبر : ١٣٣/٥ .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
* الوافي : ١٠٥/٢٢ ، والدرر : ١١٣/٣ ، والشذرات : ٧٢/٦ .
(٤) عبد العزيز بن يحيى بن المبارك ، (ت ٦٤٩ هـ) السير : ٢٥١/٢٣ .
(٥) في الأصل و (أ) : « التستري » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

١٢١٧ ـ علي بن محمد بن عمر*

ابن عبد الرحمن بن هلال الصدر الكبير العالم نجم الدين أبو عبد الله الأزدي الدمشقي .

من أعيان رؤساء الدماشقة الأقدمين في الرئاسة ، وقد ذكرهم ركن الدين الوهراني[١] في أول منامة ، فقال :

« على أنّه وجد من جوانح الخادم من نار الشوق أجيجا ، لو أنّ النار التي كلّست الكلاّسة واشتملت على الحائط الشمالي ، وعرّست في مئذنة العروس ، وأذّنت بهلاك المؤذنين وأهلّت لغير الله بدار ابن هلال تكون مثلها لَمّا اقتصرت على المقصورة ، ولا برّدتها البرّادة حتى تصحن الصحن ، وتنسر النسر .

وكان قد أجاز له بهاء الدين بن الجميّزي ، وسمع من ابن البرهان وابن أبي اليسر والكرماني وطائفة . وطلب بنفسه وحصّل أصولاً ودار على المشايخ . وقرأ عليه شيخنا الذهبي بكفر بطنا (موافقات الموطأ)[٢] .

وكان يذاكر بأشياء حسنه ، وقالُهُ سادتُه لَسِنَه ، وفيه مكارم ، وعنده بالجود مساجلة للغمائم ، تُعمل في بيته الحلوى التي تفرّد بإتقانها ، وتعاهدت الناس من هديتها بإدْمَانها[٣] ، وبيتهم في الدماشقة مشهورون بعمل القرن يا روق ، وإذا أهدي منه شيء يعتقدون أنه ترياق الفاروق .

وإلى هذا نجم الدين ـ رحمه الله تعالى ـ كتب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ، وقد طال نجاز وعده بذلك :[٤]

---

* الوافي : ٢٢/١٠٨ ، والبداية والنهاية : ١٤/١٤٥ .

(١) محمد بن محرز (ت ٥٧٥) ، والوافي : ٤/٣٨٦ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « بإتقانها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) ديوان ابن نباته : ٥٣٨ .

أصمّ حديثُ القرن يا روق مسمعي بتأخيره يا حابسين الندى عني
فلا تجعلوني في العفاة نعامةً غدت تبتغي قَرْناً فعادت بلا أُذن

ولم يزل نجم الدين المذكور على حاله إلى أن انكدر نجمه ، وأصبح وقد ضمّه تحت الأرض رجمه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

وكان على ذهنه شيء من التواريخ ، وكان يدّعي أنه حفظ الْمُسْتَظْهري[1] على ما قيل . وحدّث بدمشق والقاهرة والقدس . وحج وسمع بمكة من أمين الدين بن عساكر في سنة خمس وثمانين وست مئة . وجُمعت شيوخه فبلغوا مئة وخمسين شيخاً[2] . وله إجازة في سنة خمس وخمسين وست مئة ، فيها ابن خطيب القرافة ، وجماعة من أصحاب الثقفي والخشوعي وغيرهم .

وكتب في الإجازات ، وجمّع فيها جماعة من أقاربه ، وباشر نظر الأيتام غير مرة . وكان فيه نهضة وكفاية . وأمر أن يكتب على قبره : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾[3] .. الآية . ودفن بتربته قبالة تربة ابن قوام ، رحمه الله تعالى .

---

(١) هو كتاب حلية العلماء في مذاهب الفقهاء لمحمد بن أحمد بن القفّال الشاشي (ت٥٠٧ هـ) ، وهو كتاب كبير ، صنّف للخليفة المستظهر بالله العباسي ، ولذا لقب هذا الكتاب بالمستظهري .
الكشف : ٦٩٠/١ .

(٢) (أ) : « رجلا » .

(٣) الزمر : ٥٣/٣٩ .

١٢١٨ ـ علي بن محمد بن غالب بن مرّي*

العَدْل الفقيه المحدّث ، كاتب الحكم ، علاء الدين أبو الحسن ابن الإمام نصير الدين ابن القاضي كمال الدين الأنصاري الشافعي الدمشقي .

روى (الشاطبية) بسماعه بقوله من الكمال[١] الضرير . وسمع بدمشق من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعِدّة . وطلب الحديث ، وقرأ النحو على ابن مالك ، وقرأ كُتباً وأجزاء . وكان يعرف نَحْواً وحِساباً وشروطاً ، وحصّل من الشروط مالا كثيراً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٢١٩ ـ علي بن محمّد بن فَرْحُون**

الأديب الفاضل نُور الدين أبو الحسن اليعمري المَدَني المالكي .

قدم علينا دمشق ، ورأيته بها مرّات في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان إنساناً شكْلُه حَسَن[٢] ، وعنده رُواءٌ وفيه لَسَن ، حسنَ المحاضرة ، لطيف المذاكرة ، يُحبُّ الأدب ، ويكثر منه الطلب .

وأقام بدمشق يجمع وينتقي ، ويصعد في طلب العاريّة ويرتقي ، إلى أن آن رحيل الراكب ، وجرى على فراقه الدمع الساكب[٣] ، فقفل معهم إلى وطنه ، وحنّ إلى عطَنِه .

---

* الوافي : ١١١/٢٢ ، والدرر : ١١٥/٣ ، والشذرات : ٦٨/٦ .
(١) في الوافي : « ابن الكمال » .
** الوافي : ١١٣/٢٢ ، والدرر : ١١٥/٣ .
(٢) في الأصل : « حسن الشكل » . وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو أنسب للسجعة .
(٣) (أ) ، (ق) : « آن رحيل الركب ... السكب » .

ولم يزل على حاله بالمدينة إلى أن أصبح في البقيع مَزُوراً ، وأُودع فيه ثم تولّوا عنه نُفُورا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ست وأربعين وسبع مئة .

كتب إليّ يطلب مني[1] (شرح لاميّة العجم) :

قَدْ طال هذا الوعدُ يا سيّدي ... فانظرْ لمقصودي وكُن مُسْعِدي
أنت صلاحُ الدين حقّاً فكن ... صلاحَ دنياي التي تعتدي
وجُدْ بغيثِ الأَدَب المنْتَقى ... واسْقِ ـ رعاك اللهُ ـ قَلْباً صدِي
بدأت بالإحسان فاختم به ... يا خاتم الخَيْر ويا مُبْتَدي

فكتبت أعتذر عن تجهيزه ، لأنه في العارّية :

أقْسَمتُ لو كان الذي تبتغي ... عنديَ لم أمْنَعْهُ مِنْ سيّدي
يا مَن له نظم علا ذروة ... وهادُها تَعْلو على الفَرْقَد
لقد تطوّلْتَ ولم تقتصر ... ومن بدا في فَضْلِهِ يَزْدد[2]
وأين مَن نال نهاياتِه ... مِمَّن ـ كما قلت له ـ مُبْتدي

وكان قد ركّب أعجازاً وصدوراً على قصيدة الطغرّائي (لامية العجم) ، فجهّزها إليّ لأقف عليها ، وأوّلها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وشِرعَة الحزم ذادتني عن المذَلَ
وحُلَّةُ العلم أَغْنَتْني ملابسُها ... وحلية الفضل زانتني لدَى العَطل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرَعٌ ... وسؤددي ذاعَ في حلّي ومرتحلي
وهمتي في الغنى والفقر واحدة ... والشمس رأد الضحى كالشمس في الطَّفَل

(١) في (أ) ، (ق) ، والوافي : « تمام شرح » .
(٢) في الأصل : « من فضله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

فيم الإقـامـة بـالـزّوراء لا سكني دَانٍ ولا أنـا في عَيْشٍ بهـا خضـل
وليس لي أرب فيهـا ولا خَـوَل بهـا ولا نـاقتي فيهـا ولا جَمَلي[١]

وهي كلّها على هذا النمط ، يأتي إلى كل بيت فيجعل لكل صدر عجزاً ، ولكل عجز صدراً ، وقد أثبتّها بكمالها في الجزء العشرين من (التذكرة) التي لي ، فأعدتها بعد ما كتبتْ[٢] عليها تقريظاً وهو حسبما قصده مني والتمسه : « وقفت على هذا النمط الغريب والأسلوب الذي ما سلك شِعْبَه[٣] أديب ، والألفاظ التي تُجيد الجيد ، وما تريب أنها حَلْيُ التريب ، والعبارةِ التي هي أشهى من عصر شبابٍ ما شيب بمشيب ، والنظم الذي شاب منه رأس الوليد ، ونَقَصَ أبو تمام فليس بحَبيب ، والمعاني التي هي أوقعُ في النفوس من وَصْلِ حبيب ، نزّهته اللذةُ عن الرقيب القريب ، والسطور التي هي جداولُ الروض والهمزةُ فيها على ألِفها حمامةٌ على قضيب .

وفي تَعَبٍ من يحسد الشَّمسَ ضَوْءَها ويزعم أن يأتي لها بضريب[٤]

لقد أمتع ناظمها أمتع الله بفوائده ومحاسنه[٥] ، وحلّى جيد الزمن يدُرّه الذي يثيره[٦] مِنْ مَعَادِنه ، فجعل لآفاقها مشارق ومغارب ، ولبيوتها في شعاب القلوب مراكز ومضارب ، كيف أفادها أعجازاً وصُدورا[٧] ، وكيف تنوَّع في الحُسْن حتّى أفاد الحضور أردافاً ، وركّب على الأَرْدَافِ حضورا ، وكيف اقتدر على البلاغة فأطْلَع في أفلاكها شُموساً وبُدورا ، فلو عاينها الطُغَرّائي ، رحمه الله تعالى ، جَعَلها لمنشور

(١) (أ) ، (ق) : « ولا خولي » . وقوله : « ناقتي فيها ولا جلي » هو للحارث بن عباد البكري قاله لما وقعت حرب البسوس .
(٢) (أ) ، (ق) : « كتبت له » .
(٣) في الأصل : « سعبه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) للمتنبي ، ديوانه : ٥٦/١ ، وفيه : « .. نورها ويجهد أن يأتي ... » .
(٥) (أ) ، (ق) والوافي : « أمتع الله بمحاسنه » .
(٦) في الأصل : « ويبرزه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٧) في الأصل : « صدارا » ، سهو .

(ديوانه) طغره ، وعلم أن رَوْض نظمه إن كان فيه زهرة فهذا أفقٌ أطْلَعَ في كل منزلة منه شمساً وبَدْراً وزُهْرَه ، فالله يُعزّ حِمى الأدب منه بفارس الجوله ، ويديم لأيامه بفوائده خير دَوْله ، ويلمّ شَعَثَ بنيه الذين لا صَوْن لهم ولا صَوْله ، ويمتعهم بمحاسنه التي لا يذكر معها أبيات عزّة ، ولا أطلال خوله ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وطلب مني عاريّةً (المقامات الجَزرية)[١] ليقف عليها ، فجهزتها إليه ، فأعادها بعد ما كتب عليها بخطه « يقول الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحُون اليعمري [المدني][٢] عفا الله عنه : لمّا نظرت (مقامات الجزرية)[٣] رأيت ألفاظها حُوشيّه ، وحلل أسجاعها[٤] غَيْرَ مطرزة ولا مَوْشِيّه ، لم يَسْق روضها ماءُ البلاغة المُستعذَبْ ، فما أنبتت أرضُها زهر اللفظ المُهَذّب ، ومع هذا فطالما كلّف نَفْسَه فيها وعَذّب ، وعندي أن من لم يستحسن[٥] كذبها لم يكذّب :

ظنَّ الفصاحةَ في الغَريب فآثَرَهْ ... فلكم لَهُ مِن فِقْرة هي فاقِرَهْ
قَرَحَتْ قريحتُه وفات قبولها ... ياكرةً مِنْ بَعْدِ ذلك خاسِره

وقد أثبتُّ عندي منها المقامةَ الأولى ، ورأيت أنّ تَرْك ما سواها أولى :

إذِ الأسلوبُ في المجموع واحد ... وليس على كتابتها مُساعِد

١٢٢٠ - علي بن محمّد بن قلاوون*

الملك علاء الدين بن السلطان الملك الناصر بن الملك المنصور .

(١) هي المقامات الزينيّة لمعدّ بن نصر بن نصر الله بن رحب ، المعروف بابن الصقيل الجزري (ت٧٠١) ، الكشف : ١٧٨٥/٢ .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) كذا في الأصل : وفي (أ) ، (ق) ، والوافي : « الجزري » .
(٤) في الأصل : « ألفاظها » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٥) في الأصل : « أنّ من استحسن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
* الدرر : ١١٥/٣ .

أخبرني الأمير شرف الدين حسين بن جندر بك ، قال : جهزّني السلطان الملك الناصر لإحضاره من الكرك ، ولم يكن [له][1] في ذلك الوقت ولد ذكر غيره . قال : وجاءه الخبر بوفاته ونحن معه في الصيد ، وكنت أنا والأمير علاء الدين أيدغدي شقير والأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، فانكمش وأطرق ولم ينشرح ولم يكلّم أحداً . قال : فقلت له : يا خوند الله يطوّل عمرك ، تريد تفرح بموته ، فقال : لأي شيء ؟ قلت : إذا كنت وحدك دام ملكك ، وطالت دولتك[2] ، ففهم مقصودي ، وساق وانشرح ، وأخذ الجارح مني وحمله ، أو كما قال .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة عشر وسبع مئة .

١٢٢١ ـ علي بن محمد بن [بن محمد] نصر الله*

ابن المظفر بن أسعد بن حمزة الصدر الكبير الرئيس القاضي علاء الدين أبو الحسن بن القلانسي التيمي الدمشقي [الشافعي][3] ، تقدّم ذكر أخيه القاضي جمال الدين أحمد بن محمد .

سمع الحديث من ابن البخاري وزينب بنت مكي وعبد الواسع الأبهري[4] . وحدّث واشتغل وحصّل وتفرغ في المباشرات وتأصّل ، وبلغ المعالي وتوسّل بعقله إلى أن توصّل . وكتب في ديوان الإنشاء ، وأُذن له بالإفتاء ، ودرّس بالمدارس الكبار ، وصار به في الدولة الاعتناء والاعتبار .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) : « مدّتك » .

* الوافي : ١٣٨/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، والدرر : ١١٨/٣ ، وما بين حاصرتين زيادة من أصوله ومصادر ترجمته .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٤) في الأصل : « عبد الواحد الأبهري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع (ت ٦٩٠) ، العبر : ٣٦٨/٥ .

وكان مليح الكون ، صحيح اللون ، ذا نَفْسٍ متضّعه ، وهمّةٍ لأفاويق السكون والاقتصاد مرتضعه ، علا إلى الثريا ، ثم هبط إلى الثرى ، وحصلت له مصادرة مُشّيت معها سعادته القهقرى .

وكان قد أسره التتار ، وخلص منهم عند الفراغ بالفرار .

ولم يزل على حاله إلى أن زاره[١] أبو يحيى[٢] فجأه ، وعدم حواسّه فلم يسمع له نَبْأه .

وتوفي رحمه الله فُجَاءَة بدمشق في بكرة السبت خامس عشري صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

باشر كتابة الإنشاء مدةً زمانية ، وكان قد أخذه التتار في نوبة قازان هو والقاضي بدر الدين محمد بن فضل الله وابن شقير وابن الأثير رهينة إلى بلاد أذربيجان ، وبقي عندهم معتقلاً مدة ، ثم إنه تنكر محتالاً ، وهرب . فنودي عليه ، فاختفى بتبريز شهرين ، وسمّى نفسه يوسف ، وتوصّل[٣] إلى البلاد في زيّ فقير ، ووصل إلى حلب ، فأكرمه نائبها ، وبعثه على خيل البريد إلى دمشق ، وسرّبه[٤] أهله ، وكان قدومه إلى دمشق في جمادى الأولى سنة إحدى وسبع مئة .

وتولّى نظر ديوان الأمير سيف الدين تنكز ، ونظر البيمارستان النوري مع توقيع الدست بدمشق في يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، فلما

---

(١) في (أ) ، (ق) : « زاده في الليل » .

(٢) أبو يحيى : الموت ، بضد اسمه ، وقيل هو كنية ملك الموت (المرصع) .

(٣) (ق) : « وتوقّل » .

(٤) في الأصل : « ومرّ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

توفي أخوه القاضي جمال الدين أخذ وظائفه مضافة إلى ما بيده ، وهي : نظر الظاهرية ودَرْسها ، وتدريس العصرونية ، ووكالة بيت المال ، وقضاء العسكر ، وتدريس الأمينية ، فأعطى لابن أخيه القاضي أمين الدين نظر الظاهرية وتدريس العصرونية ، وانفرد هو بالباقي .

وقلت له يوماً : يا مولانا أنت اليوم توقّع عن الله تعالى وعن السلطان وعن ملك الأمراء وعن نور الدين الشهيد ، وعن الملك الظاهر ، فضحك وأعجبه ذلك .

وكان هشاً بشاً لم يتغيّر عما يعرفه أصحابه ، ولا زاده هذا العلو إلا ضعة . وكان أخيراً يراعي الإعراب في كلامه المسترسل ، ثم إنّ تنكز تنكَّرَ عليه ، وصادَره وصادَرَ رفاقه ، وأخذ منه جملة ، ولم يكن خانه ، وإنما دخل في شيء لم يكن يَدْريه ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وأفرج عنه ، ولم يبق بيده بعد هذه الوظائف كلّها إلا تدريس الأمينية والظاهرية .

١٢٢٢ ـ علي بن محمد بن محمد*

الشيخ المسند المقرئ المجوّد الزاهد العابد أبو الحسن البغدادي الرّفا ، سبط الشيخ عبد الرحيم بن الزجّاج[١] ، فسمّعه كثيراً .

سمع (جامع المسانيد) من ابن أبي الدنيّة[٢] و (جزء الأنصاري) من عبد الله بن ورد صاحب ابن الأخضر[٣] ، ومن « البخاري » على أبي الحسن الوجوهي ، وبعض

---

* الدرر : ١١٩/٣ .

(١) عبد الرحيم بن محمّد بن أحمد (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٣/٥ .

(٢) في الأصل : « المدينة » ، تحريف ، وهو : شهاب الدين محمّد بن يعقوب بن أبي الفرج البغدادي (ت ٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .

(٣) عبد العزيز بن محمّد (ت ٦١١ هـ) ، السير : ٣١/٢٢ .

(مسند) الإمام أحمد من الشيخ عبد الصمد بن أحمد[١] ومن جدّه . وأجاز له من واسط الشريف الداعي صاحب ابن الباقلاني ، وحدّث بجامع المسانيد ثلاث مرّات ، وأوّل ما سمع منه في سنة ثلاث وسبع مئة .

فرّ من رؤية المنكرات ببغداد إلى قرية برقطا ، واشترى أرضاً كان يستغل[٢] منها كفايته ، فلقن هناك خلقاً كثيراً كتاب الله عزّ وجل ، وقد أكثر عنه نجم الدين سعيد الدهلي وأهل بغداد .

وتوفي رحمه الله تعالى ببرقطا في وسط سنة أربعين وسبع مئة ، وحمل إلى مقبرة الإمام أحمد بن حنبل فدفن بها .

وكان يعرف القراءات السبع .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة ، أو في سنة ثلاث وستين .

كان[٣] مقرئاً مجيدا ، وعالماً مفيدا ، عارفاً بالقراءات ، قريباً من المحاسن بعيداً من الإساءات . سمع الحديث ، وروى عن القديم والحديث ، وحظي أهل بغداد ببركته ، وتألموا بعده لسكون حركته .

ولم يزل على حاله من الخير الصريح إلى أن ضمّه الضريح ، وأصبح بعد التعب وهو مستريح .

١٢٢٣ ـ علي بن محمد بن مَمْدُود*

ابن جامع بن عيسى الشيخ الصالح المسند المعمّر شمس الدين أبو الحسن بن الإمام

(١) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش (ت ٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .
(٢) في الأصل : « يشتغل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والدرر .
(٣) الكلام الآتي حتى آخر الترجمة ليس في (أ) ، (ق) .
* الوافي : ١٤١/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٧٤/١٤ ، والدرر : ١١٩/٣ ، والشذرات : ١١٣/٦ .

المحدّث العدل ، محبّ الدين البندنيجي[١] البغدادي الصوفي .

كان بخانقاه الشميساطي بدمشق ، كان والده من المحدثين العدول ، سمّعه[٢] (صحيح) مسلم على أحمد البادسني عن المؤيد الطوسي ، وأسمعه (جامع) الترمذي على العفيف بن الهنيّ ، وحدّث بالكتابين غير مرّة ، وله إجازة من النشتبري ، ومحمد بن علي بن السباك ، وإبراهيم الزعبي ، ومحمد بن الحصري ، وعبد الله بن عمر بن أبي السعادات البندنيجي ، وعلي بن عبد اللطيف بن الخيمي ، وهؤلاء الستة من أصحاب ابن شاتيل ، وأجاز له إلياس الحجبي من أصحاب خطيب الموصل . وأجاز له جماعة من بغداد والموصل . وكان يذكر أنه سمع كثيراً . وكان له إجازات وأثبات عدمت في واقعة بغداد ، وذكر أن عمره في الواقعة اثنتا عشرة سنة ، وكان ببغداد بواب الحُجر ، والحجر هي دار الوكالة . وقدم الشام ، وأقام بالقدس ودمشق نحو سبع عشرة سنة .

وكان طويلاً له مهابة ، وعلى ذهنه من أخبار بغداد والواقعة شيء كثير ، وكان سماعه (لجامع) الترمذي سنة تسع وأربعين وست مئة ، وسماعه (لصحيح) مسلم سنة خمسين وست مئة ، كلاهما بدار الخلافة ببغداد .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الأحد سابع المحرّم سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية بدمشق[٣] ، وله ثلاث وتسعون سنة .

وكان قد سمع (مسند) ابن راهوية من العز[٤] أحمد بن يوسف الأكاف بإجازته من ابن الخيّر بن الطالقاني ، وقيل : سمع من ابن الخيّر . سمعت عليه (صحيح) مسلم بكماله بدار الحديث الأشرفية بقراءة المحدّث ناصر الدين [محمد][٥] بن طغريل بحضور

---

(١) (أ) ، (ق) : « ابن النبدنيجي » .
(٢) (أ) ، (ق) : « أسمعه » .
(٣) (أ) ، (ق) : « ظاهر دمشق » .
(٤) في الأصل : « المعزّ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٥) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

جماعة من الأشياخ ، منهم : شيخنا المزي وغيره . أجاز لي بخطه[١] ، وكان سماع (صحيح) مسلم في مدة آخرها سادس عشر شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . وكان يجلس للإسماع والقارورة مشدودة على وسطه للبول ، لأنه كان قد ضعفت قوته الماسكة رحمه الله تعالى .

١٢٢٤ ـ علي بن محمد بن نبهان*

الشيخ ابن الشيخ المشهور ، شيخ البلاد الحلبية ، وسوف يأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في المحمّدين .

لمّا توفي والده رحمه الله تعالى جلس هو مكانه ، وقدم إلى دمشق ، وحجّ ، وزرته واجتمعت به صادراً وارداً في سنة ثمان وأربعين أو في سنة سبع وأربعين ، وعاد إلى بيت جبرين قريتهم .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب[٢] .

١٢٢٥ ـ علي بن محمّد بن هارون**

ابن محمد بن هارون بن علي بن أحمد الثعلبي[٣] الدمشقي ، نزيل القاهرة ، الشيخ المحدّث الصالح المعمر المسند نور الدين أبو الحسن .

كان قارئ العامة .

---

(١) سنة (٧٢٩) كما في الوافي .

* الوافي : ١٤٨/٢٢ ، والدرر : ١٢١/٣ ، وإعلام النبلاء : ٥٤٣/٤ .

(٢) (أ) : « طاعون دمشق بحلب » .

** الوافي : ١٥٢/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدرر : ١٢١/٣ ، والشذرات : ٣٠/٦ .

(٣) (أ) والشذرات : « التغلبي » ، تصحيف .

سمع حضوراً في الرابعة وفي الخامسة من ابن صبّاح ، وابن الزبيدي ، والناصح بن الحنبلي . وسمع من الفخر الإربلي والمسلم المازني ومكرم بن أبي الصقر ، وعدّة . وروى الكثير ، وتفرد في وقته ، وأكثر الطلبة عنه والرحالة .

وكان خيّراً ناسكاً متواضعاً حَسَن القراءة محبباً إلى العامة .

خرّج له شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى (مشيخة) . وسَمِع منه شيخنا أبو الفتح ، وشيخنا البرزالي ، وشيخنا الذهبي . وهو آخر من حدّث وسمع من ابن صبّاح .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وعشرين وست مئة .

١٢٢٦ ـ علي بن محمد بن علي بن عبد القادر*

الإمام الشيخ نور الدين ابن الإمام كمال الدين أبي عبد الله الهمداني .

كتب لي في إجازته ولأخي إبراهيم ولأختي يواش[1] ، ومن ذكر اسمه في الإجازة ، بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة :

من بعد حمد الله ذي الإحسان ... ثم الصلاة على الرَّضِي المنّان
لهم أجزت جميع ما لي أن أروّ ... يه على من نصَّ أهلُ الشان
وأنا عليّ بن محمد بن علي ابن الشيخ عبد القادر الهمداني
وإلى تميم نجلِ مُرٍّ نسبتي ... لأبي وأمّي قال ذا الجدّان
وولدت عام اثني ثمانين التي ... بعد المئين الست في رمضان

---

* الوافي : ١٧٨/٢٢ ، والدرر : ١١٢/٣ .

(١) في الوافي : « بواش » .

قلت : قوله : المنّان في وصف النبي ﷺ لا يجوز ، فإن النبي ﷺ لم يطلب الجزاء على بلاغ الرسالة ، ولم يمنّ على أحد بذلك ، كيف وقد قال [له][1] الله تعالى ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾[2] ﴿ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم ﴾[3] .

ثم كَتَب بعض الفضلاء بخطه في النسخة التي بخط المصنف [المنقول][4] منها هذه النسخة ما صورته :

« المنان هو ذو المنّ ، سواء امتنَّ بها أم لا ، والنبي ﷺ له المنن الجسيمة والأيادي التي لا تُحصى ، فإطلاق لفظ « المنان » عليه عندنا لا يمتنع ، فإنها صفة مدح ، ولذلك كانت من جملة الأسماء الحسنى ، وهي قائمة به ﷺ ، فأيُّ مانع من إطلاقها عليه ، وأمّا قوله تعالى : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ فهو في غير ما نحن فيه » .[5]

١٢٢٧ ـ علي بن محمد*

الشيخ الإمام علاء الدين أبو الحسن الشافعي المعروف بابن الرَّسام ، وكيل بيت المال والمدرس بصفد .

كان حسن الودّ ، جميل التحية والردّ ، ليس فيه شرّ ، ولا عنده أذى ، إذا كرّ وإذا فرّ ، يرعى عهود أصحابه ، ويؤويهم إلى رحابه ، ذا مروءة زائده ، وفتوة لمباني المجد شائده .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) المدثر : ٦/٧٤ .

(٣) الحجرات : ١٧/٤٩ .

(٤) زيادة من (ط) .

(٥) قوله : « ثم كتب بعض العقلاء .. ماصورته » ليس في (أ) ، (ق) ، وما بعده ثابت فيها . وقد وقع هذا الكلام الآتي في (ق) بخطّ مغاير ، وجاء في خاتمته مانصّه : « هذا الفصل بخطّ علاّمة عصرنا تاج الدين السبكي » ، وهذا يؤكد أن هذه النسخة هي بخط المؤلف كما جاء على غلافها .

* الدرر : ٣/١٠٥ ، وفيه : « ابن محمّد بن صالح » .

وكان قد حفظ (التعجيز) ، وطالع عليه (شرح الوجيز) ، يكتب بيده اليسرى خطاً كأنه العقود المنظومه ، أو حلل الوشي المرقومه ، يُعجب كلّ من يراه ، ويجعل كل أحد إليه سيره وسراه .

لم يزل على حاله إلى أن جعل الموت ربع ابن الرسّام[١] رَسْمَا ، وعدم الوجود منه جسماً لا اسماً .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون صفد .

وقلت لمّا بلغتني وفاته بعد وفاة جماعة من الأصحاب في صفد :

لما افترسْتَ صحابي ... يا عام تسع وأربعينا
ما كنت والله تسعاً ... بل كنت سبعاً يقيناً

كان والده جندياً ، واشتغل في مبادي أمره على شيخنا نجم الدين بن الكمال خطيب صفد ، ثم إنه نزل إلى دمشق ، واختص بالشيخ صدر الدين بن الوكيل بدمشق وبمصر ، وقرأ عليه وعلى غيره ، وسمع الحديث بدمشق وبمصر ، وصحب الأمير بكتمر[٢] الحاجب ، وتوكل له . ولما حضر إلى صفد نائباً جاء إليه فأعطاه بها التدريس بالجامع الظاهري ، ثم فيا بعد أخذ وكالة بيت المال .

وكان عنده مشاركة في العربية والأصولين ، وكان يلثغ في الجيم يجعلها كافاً ، يشمّها شيناً معجمة ، وكان لو أكل فستقة واحدة عرق لها من فَرْقه إلى قدمه .

وكنت قد قرأت عليه في صفد كتاب (التعجيز) وهو الذي نقلني إليه بعد ما حفظت ربع (التنبيه) ، ولم يقطع عني مكاتباته في مصر ولا في الشام . رحمه الله تعالى .

(١) في الأصل : « ابن البرسام » ، تحريف .
(٢) (أ) ، (ق) : « سيف الدين بكتمر » .

١٢٢٨ ـ علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح*

ابن إبراهيم بن أبي بكر بن القاسم بن سعيد بن محمد بن هشام بن عمرو[١] ، الصدر[٢] الرئيس الفاضل العالم النحرير المدقق المفنن الفريد الخواجة تاج الدين أبو الحسن بن الصاحب موفق الدين بن عز الدين بن موفق الدين أبي الفتح الثعلبي[٣] الشافعي المعروف بابن الدُرَيهم الموصلّي ، مصغر درهم ، والدَّريْهم[٤] لَقَبٌ لِسَعيد أخي محمد بن هشام ، قال في وقت : « دريهماً » ، فلزمه ذلك ، وهو ابن أخت الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلي المعروف بابن أبي الخير المقدّم ذِكرُه في حرف الخاء .

كان أعجوبة من أعاجيب الزمان في ذكائه ، وغريبةً من غرائب الدهر تشرق سماء الفضل بذكائه ، دقيق الغوص على المعاني شديد التنقيب[٥] على ما يتصف به من العلوم ويعاني ، خاض بحار الْمَنْقول ، وقطع مفاوز المعقول ، خصوصاً فنّ الرياضي وما يتشعب فيه ، والكلام على أسرار الحروف وما يلائم طبعه أو ينافيه . له قدرة على تأليف المناسبات واستحضار الأشباه والنظائر في المطارحات والمقايسات ، تام الشكاله ، وافر الجلاله :

أدب لم تصبه ظلمةُ جَهْل ... وهو كالشمس عند وقت الطلوع
ويدٌ لا يزال يصرعها الجُو ... د ورأي في الخَطْب غير صريعِ

وله تصانيف كثيرة في غير ما فنّ ، وتواليف قنصت ما شرد فيه وماعن ، وكانت

---

* الوافي : ٦٧/٢٢ ، والدرر : ١٠٦/٣ .

(١) في الوافي : « عُمَر » .

(٢) (خ) : « الصدر الكبير » .

(٣) في الوافي : « ابن الصاحب موفق الدين بن نجم الدين بن أبي الفتح التغلبي » ، كذا وقع في (أ) : « التغلبي » .

(٤) في الأصل : « والدرهم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٥) في الأصل : « الغوص » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

له نعمة طائلة فذهبت ، وسعادة خدمته أياماً ، فانجلت وما أنجبت ، وسعى فأخفق ، ولم بارق حَدّه[١] وما حقق .

وتوجّه إلى مصر غَيْرَ مرّة فما أجْدَى ، وكدّ حظّه فأعطى قليلاً وأكدى ، واستشار حتفه بسعيه الذي نَبَشه .

وآخِرُ ما أَوْلاَه أنْ توجه رسولاً إلى الحبشة ، فقطع الحَيْنُ عليه الطريق قبل وصوله ، ولم يقبض ابن الدريهم فيه فلساً من وصوله .

وجاء الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في صفر سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

ومولده ليلة الخميس منتصف شعبان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بالموصل .

سألته عَنْ مولده فأخبرني بما أثبتّه ، وقال لي :

قرأت القرآن بالروايات على الشمس أبي بكر بن العَلَم سنجر الموصلي ، وتفقهت على الشيخ زين الدين ابن شيخ العوينة[٢] الشافعي .

وحفظت (الهادي)[٣] وبحثت (الحاوي الصغير) على الأشياخ ، منهم القاضي شرف الدين عبد الله بن يونس من شرح والده كمال الدين الصغير .

وحفظت في العربية (المُلْحَة)[٤] و (ألفيّة ابن معط) و (ألفية ابن مالك) ، وبحثْتُ في (التسهيل) .

وقرأت[٥] شيئاً كثيراً من الرياضيّ على الشيخ زين الدين ابن الشيخ العوينة[٦] .

---

(١) (خ) : « جدّه » .

(٢) (أ) : « زين الدين بن العوينة » ، وفي الوافي : « زين الدين علي بن العوينة » .

(٣) لعلّه الهادي في الفروع لمسعود بن محمد النيسابوري (ت ٥٧٨ هـ) ، الكشف ٢٠٢٦/٢ .

(٤) هي ملحة الإعراب للحريري .

(٥) في الأصل : « وقرأت عليه » ، ولا وجه لها .

(٦) (أ) والوافي : « ابن العوينة » .

وسمعت بالديار المصرية على الشيخ علاء الدين بن التركماني ، وشمس الدين بن الأصفهاني ، ونور الدين الهمذاني[١] (صحيح البخاري) ، وسمعت بها (صحيح مسلم) و (سنن أبي داود) وبعض (الترمذي) .

وأجازني الشيخ أثير الدين أبو حيان ، وقرأت عليه بعض تصانيفه ، وأجازني جماعة أشياخ انتهى .

وتوفي والده وهو صغير ، خلّف نعمة طائلة ، فاستولى عليها بيت شيخ البلد بالموصل كال الدين ، ومعين الدين بن الريحاني ولم يُطْلعوه منها إلاّ على القليل ، وانتشا يتيماً وهو بنفسه وهمته يجتهد ويشتغل في العلم ، ولم يكن له من يحرّضه على ذلك . ثم إنه لما اشتد تسلّم مقداراً يسيراً من ماله من بيت شيخ البلد ، وسافر به إلى الشام ومصر ، وحصّل من ذلك ثروة عظيمة ، ثم ذهبت .

قلت : أول قدومه إلى مصر في متجر في زي الخواجية[٢] سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ثم إنّه عاد إلى البلاد ، وتردد بعد ذلك إلى الشام[٣] ومصر غير مرّة ، ولم أر أحداً أحدّ ذهناً منه في الكلام على الحروف وخواصّها ، وما يتعلق بالأوْفاق[٤] ، وأوضاعها . ورأيت منه عَجباً ، وهو أنّه يقال له ضميرٌ عن شيء يكتبه السائل بخطّه ، فيكتُبُه هو حُرُوفاً مقطّعة ، ثُمّ يكسّر تلك الحروف على الطريقة المعروفة عندهم ، فيخرج الجواب عن ذلك الضمير شعراً ليس فيه حرف واحد خارجاً عن حروف الضمير ، وكونه يخرج ذلك نظماً قدرةٌ على تأليف الكلام ، وله مشاركة في غير ما علم من فقه وحديث وأصول دين وأصول فقه وقراءات ومقالات ومعرفة فروع

---

(١) في الوافي : « ابن الهمذاني » .

(٢) (أ) ، (خ) : الخواجكيّة » .

(٣) في الأصل : « التتار » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) في الأصل : « بالحروف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

من غير مذهب وتفسير ، وغير ذلك ، يتكلّم فيه[١] جدّاً كلامَ مَنْ ذهنه حادٌ[٢] وقّاد ، وأما الحساب والأوفاق وخواص الحروف وحل المترجم والألغاز والأحاجي فأمر بارعٌ ، وكذلك النجوم وحل التقويم .

واجتمعت به غير مرّة ، وكتبت إليه :

نصحتك عن علم فكن لي مسلّما ... إذا كنت مشغوفاً بحلّ المترجم
تتلمذْ لتاج الدين تظفر بكلّ ما ... أَرَدْتَ وردْ بَحْرَ الفضائل واغنم
فلابنِ دُنينير تصانيفُ مالها ... نظيرٌ ولكن فاقها ابنُ الدريهم

وكانت له خصوصية بالملك الكامل شعبان وبغيره من أمراء الدولة الخاصكية وغيرهم من المتعممين[٣] أرباب الدولة ، إلى أن أغري به الملك المظفر حاجّي فأخرجه إلى الشام قبل قتله بقليل ، فوصل إلى دمشق بعد شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وذكر لي أن له في ديوان الخاص أثمان مبيعات وغيره ما يزيد على المئتي ألف درهم . وتوجّه مرّات إلى مصر ليخلص له في ذلك شيء ، فتعذر عليه الحال ، ولمّا وصل إلى دمشق سنة ثمان وأربعين وسبع مئة أقام بها قليلاً ، فورد كتاب الأمير سيف الدين بهادر دوادار الأمير سيف الدين بيبغاروس نائب مصر إلى الأمير سيف الدين قرابغا دوادار الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام بإخراجه من دمشق ، فكبَس بيته ، وأُخذت كتبه ، وأخرج من دمشق في إحدى الجمادِيَيْن سنة تسع وأربعين وسبع مئة ،

(١) (أ) والوافي : « جيداً » .
(٢) (أ) : « حَدٌّ » .
(٣) في الوافي : « المنعمين » .

فتوجه إلى حلب . وتوفي بعده دَوَادار بيبغاروس ، فعاد إلى دمشق في سنة خمسين عازماً[١] على الحج ، فلم يُقدَّر له ، ثم عاد إلى حلب[٢] .

ثم إنه حضر إلى دمشق ، وأقام بها قليلاً ، ثم توجّه إلى مصر بطلب من هناك ، ثم عاد إلى دمشق . ثم إنه رُتب مصدّراً بالجامع الأموي ، ثم بعد قليل رتب في صحابة ديوان الجامع الأموي ، فباشره وعرفه جيداً ، فانحصر المباشرون منه ، وناكدوه ، فبطل المباشرة ، ورتب في استيفاء ديوان الأَسْرَى ، ثم إنه توجَّه في أواخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة [أو أوائل][٣] سنة ستين إلى الديار المصرية . فأقام هناك سَنَتين أو أكثر ، ثم إن السلطان الملك الناصر بعثه رسولاً إلى ملك الحبشة ، فتوجّه غير منشرح ، وجاء الخبر إلى الشام بوفاته رحمه الله تعالى في قوص ذاهباً .

ونظْمُه فيه تكلّف وتعسّف . وكتب إليّ بعدة أحاجٍ ، وأجبته عنها ، وكتبت أنا إليه بمثل ذلك ، وأجابني عنها[٤] . وقد أودعت ذلك[٥] في كتابي المسمّى (نجم الدياجي في نظم الأحاجي) .

وكان ابن الدريهم ديناره في العلم[٦] كامل ، وغمام فضائله في فضاء الطروس هامٍ هامل ، فلو عاصره البُوني[٧] لقال : هذا الذي يَبَرّني[٨] ويَحْبُوني ، أو ابن الدنينير[٩]

---

(١) في الأصل : « عاماً » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) هنا تنتهي ترجمته في الوافي ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « فيها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) (خ) : « ذلك جميعه » ، وفي (أ) : « أودعت الجميع » .

(٦) (أ) ، (خ) : « في العلوم » .

(٧) أحمد بن علي بن يوسف ، صاحب المصنفات في علم الحروف ، له : شمس المعارف الكبرى في علم الحروف والخواص (ت٦٢٢) ، الأعلام : ١٧٤/١ .

(٨) في الأصل و(خ) : « يسرّني » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٩) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، له الفصول المترجمة عن علم حلّ الترجمة (ت ٦٢٧) الأعلام : ٦٢/١ .

لقال : ما أنا كابن الدريهم عند لمح الطرف ، وهو في عمله[١] يفوق ويفوت وإن تفاوت فيما بيننا الصرف .

وعلى الجملة فكانَ في هذه العلوم آيَة وقَدَرُه[٢] قد تجاوز فيها كل حد ، وانتهى إلى كل غاية ، وعاكسته في مراده الأقدار ، ولم يُرفع له في المناصب مقدار ، خلّة ألفها الأفاضل من الدهر ، وطريقة عُوملوا بها في السرّ والجهر .

ومن تصانيفه ما نقلته من خطّه : (النسمات الفاتحة في آيات الفاتحة) ، (إشراق النفس في الحمدلات الخمس) ، (الدراية في ﴿ مانَنْسَخْ من آية ﴾[٣]) ، (السبيل الأوطا في الصلاة الوسطى) ، (لطائف الأحكام على ﴿ هو الذي يصوّركم في الأرحام ﴾[٤]) (مدة البحور على ﴿ إنَّ عدّة الشهور ﴾[٥]) ، (إضاءة يُوح[٦] على ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾[٧]) ، (مثاني الكتاب المبين على أن قلب القرآن ﴿ يسٓ ﴾) ، (الآثار الرائعة في أسرار الواقعة) ، (منام النصوح في الكلام على سورة نوح) ، (أسرار البدر في ليلة القدر) ، (الافتحاص على سورة الإخلاص) ، العبارات في اختيار القراءات) ، (مناسبة الحساب في أسماء الأنبياء المذكورين في الكتاب) ، (نظائر الآيات والكلمات المكررات) ، (النخب في التصاديق والخطب) ، (كنز الدرر في حروف أوائل السور) ، (سبر الصّرف في سرّ الحرف) ، (الزين في معاني العَيْن) ، (المناسبات العددية في الأسماء المحمّدية) ، (غاية المغنم في الاسم الأعظم) ،

---

(١) (أ) : « في تصرفه في العلوم » .
(٢) في الأصل : « وقدرها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) البقرة : ١٠٦/٢ .
(٤) آل عمران : ٦/٣ .
(٥) التوبة : ٣٦/٩ .
(٦) من أسماء الشمس .
(٧) الإسراء : ٨٥/١٧ .

(البرهان على[١] عدم النسخ للملّتين من القرآن) ، (مداحض الإكراه في تناقض التوراه) ، (تعريف التبديل في تحريف الإنجيل) ، (نظم نفائس عقود الدرر الزاهرة في هدم كنائس اليهود بمصر والقاهرة) ، (الإنصاف بالدليل في أوصاف ماء النيل) ، (مكافأة الأقدار للأخيار والأشرار) ، (بوادر الحلوم في نوادر العلوم) ، (اليقين لمن به ندين في الدليل على خلافة الخلفاء الراشدين) ، (زجر السفهاء بآداب الفقهاء) ، (اختيار الراغب في اختيار المذاهب) ، (أسرار العبادات بتفصيل الإعادات) ، (شرح نظم الحاوي) ولم يكمل ، (فائدة الأبحاث بأحوال الوالدة في الميراث) ، (منسك الحج) ، (الرد على تقي الدين الإخنائي المالكي في مسائل متفرقة) ، (الْمُعْلِم بمعاضدات[٢] مُسْلِم) ، (الخيرة في حسن مسائل[٣] الفال وكراهية الطِّيرة) ، (نفع الجدوى في الجمع بين أحاديث العدوى) ، (وشائع النوار في شرح لوامع الأنوار) ، ولم يكمل ، (تعريف الإفراد للمقتدي لتتمة الذهبي والصفدي) ، (خلاصة الخُلاَصة) ، نحو خمس مئة بيت ، (تسهيل التسهيل) ، (العروض المجملة من المسموعة والمهملة) ، (الزناد القادح في اختيار الصّادح) ، (ذات القوافي) ، (القصيدة الألفية) ، (المبهم في حل المترجم) ، (مختصر المبهم في حلّ المترجم) ، (مفتاح الكنوز في حل الرموز) ، (غاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز) ، (مُشاجرة من انتصر في المفاخرة بين السمع والبصر) ، (رسالة التراضي بين الأمين والقاضي) ، (سيادة الخِيْم) ، و (البِصارة في أدب الأكل والزيارة) ، (نظم السلوك في آداب الملوك) ، (إيقاظ المصيب في الشطرنج والمناصيب) ، (تنويل الراثي في تأويل المرآثي[٤]) ، (تنآئي المناظر في المنائي[٥] والمناظر) ، (سلم الحراسة في علم الفراسة) ، (الإنافة على

---

(١) (أ) : « في الردّ على .. » .

(٢) في الأصل : « بمقاصد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ط) .

(٣) ليست في (أ) ، (خ) ، (ط) .

(٤) (أ) : « الرائي » .

(٥) (خ) : « تنائي الناظر في المرائي » .

الضيافة) ، (تصاريف الدهر في تعاريف الزجر) ، (افتقاد الخرائد المواهر في انتقاد فرائد الجواهر) ، (تقرير الأبحاث في خواص المولدات الثلاث) ، (اختباء الاختبار) ، (الإساه بأدواء النسا والباه) ، (اقتناع[1] الحذّاق في أنواع الأوفاق) ، (بسط الفوائد في [شرح [2] حساب القواعد) ، (شرح الإسعردية في الحساب) ، (المناسخات المصرية) ، (الأجوبة القاهرية) ، (المناسخات الحلبية) ، (الأجوبة الحلبية) ، (المسألة الحموية) ، (الأجوبة الحموية) ، (الأجوبة الموصلية) ، (الترسلات الشاميّة) ، (الأجوبة الشامية) ، لم تكمل ، (رسالة النصح العلوي على لسان الجامع الأموي) ، (إخلاص الخواص) . تمت .

وأنشدني رحمه الله تعالى من لفظه لنفسه :

صُدَّ عني فلم تلم يا عذولي ... لستُ أسلو هواه حتى المات
لا تقل قد أسا ففي الوجه منه ... حسنات يذهبن بالسيئات[3]

١٢٢٩ ـ علي بن محمد*

الصاحب علاء الدين بن الحراني .

جاء إلى دمشق عوضاً عن الصاحب أمين الدين ، فما أقبل عليه الأمير سيف الدين تنكز ، ولا توهم فيه أنه لمثل درّة الشام يُحرز ، ولا أن معرفته لإظهار سرائرها تُبْرز ، فتركه واقفاً وما أجلسه ، واستوحش منه فما أنَّسه . وكأنَّ نَفْسَه رحمه الله تعالى استشعرت بشؤمه ، وأنّ هذا يستخرج مخبوء ماله ومكتومه ، فما كان بعد قليل حتى أمسكه السلطان ، وحكّم أيدي العَيْث والفساد فيما عمّره من الأوطان ، وعُرضت على الصاحب

(١) (أ) : « إقناع » .
(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ط) .
(٣) في الأصل : « فهلا تقل » .
* الوافي : ١٧٩/٢٢ ، والدرر : ١٢٤/٣ .

علاء الدين حواصُله وأمواله ، وآلاتُ بيوته وغلالُه ، فلم يدع خَبيئاً إلاّ أظهره ، ولا مكتوماً إلاّ استخرج مُضْمَره ، حتى قال مماليكه : أين كان لنا هذا مخبوءا ، وما نرى هذا الصاحب إلاّ عدوّا .

ثم إنه استمر بدمشق إلى أن جاء الفخري وملكها ، وسلك تلك الطريق التي سلكها ، فتلقى الصاحب علاء الدين ذلك المهم [الأعظم بصدره ونهض بعبئه الذي يعجز غيره عَنْ دفع شرّه ، وأراد ذلك المهمّ أموالاً يفوت الحصرَ عَدُّها ونفقات يُخْجلَ البحار نَقْدُها ، ثمّ إنّه استعفى من نظر الشام فأجيب ، وخلص من الأمر العجيب ، ثم إنّه تولّى أيام الكامل شعبان فعاد إلى دمشق ثانيا ، واتفق خروج يلبغا على السلطان وأصبح عن طاعته نائيا ، فكلّفه إلى نظير ذلك المهم][1] . وعاوده ذلك الخطب الملم :

وإذا خشيت من الأمور مُقَدَّراً وفررت منه فَنَحْوَهُ تتوجّه

ولما[2] انقضى ذلك الخطب الذي عرا والحادث الذي دهم الورى ، استعفى فأعفي ، وحظّه لا يمكّن طرفه أن يُغفي . ثم لمّا أن قُتل يلبغا حضر الحوطة على موجوده ، وضبط ما في أغوار حاصله ونجوده ، فقضى هذا المهم وأكمله ، وفصّل طلب الإعفاء من أمر دمشق وأجمله . وقال : ما أدري حظي من دمشق ما هو ؟ ، والناس بمثل حسنها لم يضاهوا :

أظمتنَي الدنيا فلمّا جبتها مُسْتمطراً مطرت عليَّ مصائبا[3]

ولكنه في هذه المرات الثلاث ، والكرات الخباث ، يباشر بصلف زائد ، وعفاف غصنه بنسيم النزاهة مائد ، لم يخن في قليل ولا كثير ، ولا تَعَرّض إلى فتيل ولا نقير . واشتهر بالأمانة عند الملوك ، وصار خَبَره في ذلك كالشمس عند الدُّلُوك .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « وما » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « مستسقياً » .

وما زال [بالقدس][١] منقطعاً إلى أن نزل به ضَيْف[٢] المنيه ، وطفئت قناديله المضيَّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة بالقدس .

وأول ما عرفت من أمره أنه كان يكتب الدرج عن الأمير فخر الدين[٣] أقجبا الفارسي مشد الدواوين بصفد ، وكان يُعرف إذ ذاك بعلاء الدين بن المقابل ، لأن أباه كان مقابل الاستيفاء بصفد ، ثم إنه خدم كاتباً للأمير عز الدين أيدمر الشجاعي نائب قلعة صفد . وكان فيه إذ ذاك كيسٌ ولطف وذوق وانهماك على عشرة المطابيع والفضلاء ، وبيته[٤] مَجْمَعُ الأصحاب والعُشَراء ، وفيه مكارم وخدمة للناس ، [ثمّ إنّ الشجاعي توجّه إلى البيرة نائباً فلم يتوجّه معه][٥] .

ثم إنّ الشجاعي جاء إلى القدس ناظر الحرمين ، وكان الصاحب علاء الدين عنده ، ثم إنه ترك ذلك جميعه ، وتجرد ولبس زيّ الفقراء ، ودخل اليمن بالكجكول والثوب العَسَلي ، وغاب هناك مدة ، وجرت له أمور شاقة ، حكاها لي من[٦] الأمراض والوحدة والفقر .

ثم إنه حضر إلى دمشق ، وتوجّه إلى مصر في أواخر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه خدم كاتباً عند الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب [ولّما مات خَدَم عند الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي الوزير][٧] . ولما مات خدم عند الأمير سيف الدين طغاي

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « سيف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « سيف الدين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٤) في الأصل : « بيته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٥) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٦) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٧) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

تمر ، صهر السلطان الملك الناصر ، واشتهر في مصر بالكفاية والأمانة . ولما مات جهّزه السلطان إلى الكرك ناظراً فتقلّق من ذلك ، وحضر إلى مصر ، فخدم عند الأمير سيف الدين قوصون مدة يسيرة . ثم إنّ السلطان جهّزه إلى دمشق وزيراً عوضاً عن الصاحب أمين الدين ، فباشرها مباشرة حسنة بعفة وصلف زائد ، وجاء الفخري ، وجرى ما جرى ، فقام له بكل ما أراد ، ومنعه من أشياء كان يريد يفعلها من مصادرة الناس ، فقال له : مهما أردت عندي . وتوجه معه إلى مصر ، وطلب الإقالة ، فرُتب له مرتب[١] ، وأقام مدة على ذلك .

ثم إنّ الكامل شعبان طلبه وجهزه إلى دمشق وزيراً ثانياً[٢] ، فلما وصل[٣] إليها اتفق خروج يلبغا على الكامل ، وحضر إليه النواب من أطراف الشام ، وأراد لهم نفقات وكلفاً كثيرة فقام لهم بذلك المهم وسدّه ، ولم يمكن يلبغا من التعرض إلى [أموال][٤] الناس ، وتوجّه لمصر ، وعمل تقديراً للشام ، وحضر وهو على يده ، فلم يمش له حال ، فطلب الإقالة وتوجّه إلى القدس ، وانقطع به .

ثم حضر للحوطة على موجود يلبغا[٥] ، فضبطه ، وحرره ، وعاد إلى القدس منقطعاً إلى الله تعالى .

وكان به فتَق فعظم وتزايد ، وكان في عانته ، فلم يزل ينمو إلى أن كان يعلقه في فوطة إلى عنقه ، وتفاقم أمره في ذلك الفتق إلى أن قتله ، رحمه الله تعالى .

وفي هذه المرات التي يحضرها إلى دمشق لم يوسع له دائرة ، ولا اتخذ مماليك ولا جواري ولا خدام[٦] ولا فعل ما يجب لمثل هذه الوظيفة من البذخ والخدم والحشم ،

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « راتب » .
(٢) في الأصل : « نائباً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « فلما حضر » .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « عبد الله » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٦) كذا في الأصول .

بل له غلام يحمل الدواة وغلام للخيل ، وغلام يطبخ له ويغسل لاغير ، وإذا خلا سمع الحديث ، أو طالع [في][1] مجلدات عنده .

ولما أن توفي السلطان الملك الناصر جلس ولده المنصور أبو بكر ، وحلف عسكر دمشق ، وقد كانت العادة[2] أنه في مثل هذا الواقع يخلع على الموقعين وعلى كتّاب الجيش كما فعل في كل مرة قبل هذه ، فتحدّث الجماعة معه في[3] ذلك ، فوعد بذلك ، واجتمعتُ أنابه في ذلك ، فقال : أنا ما ألبس تشريفاً حتى يلبس الجماعة تشاريفهم . فكتبت أنا إليه بعد ذلك :

مماليك مولانا الوزير جماعة ... لهم بتشاريف المليك غرام
ولاغرو أن هاموا بها في حدائق ... لأنهمُ بالمدح فيك حمام

١٢٣٠ ـ علي بن محمد بن يوسف الموصلّي*

الشيخ المعروف بالبالي ، بالباء الموحدّة .

كان رجلاً مباركاً ينوب في الإمامة بمشهد عثمان بالجامع الأموي .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) ، وكتب في الإجازات ، وحفظ (التنبيه) واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت سادس عشر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في مقابر باب الفراديس .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في (أ) ، (ق) : « العادة جارية » .
(٣) زيادة في (أ) ، (ق) : « في مثل » .
* الدرر : ١٢٣/٣ .

١٢٣١ ـ علي بن محمد بن عبد القادر*

العدل الرضي ، علاء الدين ابن قاضي القضاة عزّ الدين[١] بن الصائغ ، أخو القاضي بدر الدين بن أبي اليسر بن الصائغ[٢] .

توفي علاء الدين بسكنِه بالمدرسة العمادية[٣] ، جوار قلعة دمشق سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

كان يشهد على الحكام ، والقضاة يعتمدون عليه في شهاداته ، وأكثرُ أهلِ البلد يكتبون عنده .

١٢٣٢ ـ علي بن محمد**

المعروف بابن الكلاَّس ، وبابن الريّس ، وكان هو يكتب على المجلدات : عليّ الدواداري ، الفاضل الأديب الماهر علاء الدين .

كان يتوقد ذكاؤه ، وتشرق في سماء الأدب ذُكاؤه . جمع مجاميع أدبيّه ، وعلّق نكتاً حديثيّه ، واقتنى من الكتب جمله ، وأثقل بها حمْلَه .

وسمع من المشايخ وعلّق ، ووفّى نُبْلَ أدبه وغلّق . وكان خطّه يتحدّر كالسيل ، ويتألق كالبرق في الليل ، يدلّ على قوة يده وتسرعها ، وملاءتها من القدرة وتضلّعها .

وكان جندياً في حَلقة جلّق ، وحِرْفَتُه من أرباب السيوف التي هو بها متعلّق .

---

* الدرر : ١٠٩/٣ .

(١) في الأصل : « عماد الدين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) وتوفي عز الدين سنة (٦٨٣) ، واسمه محمد بن عبد القادر . البداية والنهاية : ٢٠٤/١٣ .

(٢) واسمه أيضاً محمد (ت ٧٣٩) ، الشذرات : ١٢٣/٦ .

(٣) داخل بابي الفرج والفراديس ، بناها عماد الدين إسماعيل بن نور الدين زنكي . الدارس : ٣٠٨/١ .

** فوات الوفيات : ٩٣/٣ ، والدرر : ١٢٣/٣ .

ولم يزل على حاله إلى أن انطفأ ابن الكلاّس ، ولم يضئ له جَلاّسٌ[١] بين الجُلاّس .

وتوفي رحمه الله تعالى بقرية حطّين من بلاد صفد ، قبل الثلاثين وسبع مئة ، أو ما بعدها .

ورأيته بدمشق غير مرّة . وكان قد وقع بينه وبين صاحبنا زين الدين الصفدي ، وعبث به ، وصنع فيه مقامةً . ومن شعره :

خَليليّ مـــا أَحْلَى الهَـــوَى وأمرَّهُ ... وأعرفني بـــالحُلْـــوِ منـــه وبـــالمرِّ[٢]
بمـا بيننـــا مِنْ حُرْمـــةٍ هـــل رأيتما ... أرقَّ من الشكـــوى وأقسى من الهجر

ومنه :

سقطت نفوس بني الكرام فـأصبحـوا ... يتطلّبـــون مكاسبَ الأنـــــذالِ
ولقلّما طلب الـزمـــان إســـاءتي ... إلا صبرت وإن أَضرّ بحـــــالي
نفسي تطـــالبني وتـــأبى همتي ... أَنْ استفيـــد غنىً بـــذلّ سُـؤالِ[٤]

قلت : وقد أولع الشعراء بهذا المعنى ، ومما قلت أنا فيه مضمّناً قول المعري :

قضت لي أن لا اشتكي الـــدهر همتي ... ولـو سـاورتني أُسـده والأسـاود[٥]
وأن لا أنـــال الرزق في دار ذلـــة ... ولـو أنني في هـالـة البـدر قـاعـد

ومن شعر ابن الكلاس :

تقـدّمت فضـلاً مَنْ تـأخر مـدةً ... بوادي الحيـا طـلّ وَعُقْبَـاه وابـل

---

(١) لم نتبيّن مراده .
(٢) في الأصل : « بيني وبينه » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) والدرر .
(٣) (أ) ، والفوات : « وأعلمني » .
(٤) (أ) : « تراودني » .
(٥) في الأصل : « للدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) .

وقد جاء وترُ في الصلاة مؤخراً ... به خُتمت تلك الشفوع الأوائل[١]

ومنه :

فكرت في الأمر الذي أنا قاصدٌ ... تَحْصيلَهُ فوجدتُه لا يَنْجَح
وعَلِمْتُ من نصف الطريق بأنَّ مَنْ ... أرجوه يَقْضي حاجتي لا يُفلح

ومنه يُلغز في « القلم » :

ما اسم له في السماء فعلٌ ... والأرضُ فيها له مكان
ينطق بين الأنام حَقّاً ... بصَمْته إذْ لَهُ لِسان
فاعْجَبْ له ناطقاً صموتاً ... له على الصمت ترجمان

ومنه يلغز في « الرغيف » :

ومُسْتدير الوجه كالترس ... يجلس للناس على كُرْسي
يَدْخل فيه البدرِ حمّامه ... وبعدها يخرج كالشمس
يواصل السلطان في دَسْته ... واللصَّ في هاوية الحبس[٢]
لو غاب عن عنترةٍ ليلةً ... وَهَتْ قوى عنترة العَبْسي

ومنه :

مَنْ مبلغٌ غبريل أنَّ رَحيلهُ ... جَلَب السرور وأذهب الأحزانا[٣]
والناسُ من فرط الشماتةِ خَلْفَهُ ... كَسَرُوا القدورَ وأوقدوا النيرانا

ومنه :

وأهيفَ تحكي البدرَ طلعةُ وجهه ... وإن لم يكن في حُسْن طلعته البدر[٤]

(١) في الفوات : « وترا » .
(٢) في الفوات : « يوصّل » .
(٣) في الفوات : « غربيل » .
(٤) في الفوات : « حسن صورته » .

خَلَوْت بـه ليـلاً يـدير مـدامـة وجنحُ الـدجـا دون الرقيب لنـا ستر
فلمـا سَرَت كأس الحميّـا بعطفـه ومـالَتْ بـه تيهـاً ورنّحـه السكر
هَمَمْتُ برشف الثغر منـه فصـدّني عـذارٌ لـه في منـع تقبيلـه عُـذر
حَمَى ثغره المعسـولَ نمـل عـذاره ومِنْ عَجب نمـل يصـان بـه ثغر

وكان المُجير الخيّاط قد كتب إلى علاء الدين بن الكلاس أبياتاً كتب بها إلى غيره أوّلاً وأوّلها :

عـلاء الـدين إن تنسَ الـودادا وتمنحنـا القطيعـةَ والبعـادا

فأجابه علاء الدين عنها بأبيات أولها :

مجير الـدين فتّ النـاس نَظْما ونثراً واختيـاراً وانتقـادا

ثم إنّ علاء الدين عَلِم أن المجير كان قد كتب بها إلى غيره ، فكتب المجير إليه ، ومن خطّه نقلت الأصل والجواب :

يـا عـلاء الـدين يـا من طـاب بـالآداب ذِكْرُه[1]
ولـه عَرْفُ ثنـاءٍ عطّر الأقطـارَ نشرُه
نَظْمُـه فـاق الـدَّراري ونظـامُ الـدّرّ نشره
أيهـا الصـدرُ الـذي حـا ز علـومَ النـاس صَـدْرُه
والأديبُ الشهم قنّـا صُ المعـاني الغرِّ فكْرُه
والجـواد الجـائـد الحـا وي بحـارَ الجـود شَبْرُه[2]
عنـدنـا منـك حيـاءٌ جَلّ عنـد النـاس قَـدْرُه
إذْ بعثنـا نحـوك الشعـر الـذي فُصّـل شَـذْرُه

(١) (أ) : « طار » .
(٢) في الأصل : « الجواد » ، وأثبتنا ما في (أ) . وفي (أ) أيضاً « سبره » .

وبـــــه غَيْرك من قبـــلـــــك قـــــد قَلّـــــد نَحْرُه
فـــاغتفر هفـوةَ هـــافٍ جـــاء بـــالأعـــذار شِعْرُه
وليَفُـــزْ منـــــك بعَفْـــوٍ ولْيَقُم عنـــدك عُـــذْرُه

فكتب علاء الدين الجواب عن ذلك :

يـــا مجير الـــدين يـــا مَنْ أعجـــــز الألسن شكرُه
ولـــــــه بحرُ نـــــوالٍ غَمَر العـــــــافين غَمْرهُ
والـــذي يحلـو بـــأفـواَ ه ذوي الألبـــاب ذِكْرُه[1]
والـــــذي بـــــذّ فحـــول الشـــعر في المضمار شِعْرُه
والـــــذي فـــوق السّماكين وفـــوق النسر قَـــــدْرُه[2]
كلُّ مِفضـــال أيـــاديـــــه بهـــا قَلّـــد نَحْرُه
أيّهـــــا الحبر مجير الـــــديـــن والمحمـــودُ خُبْرُه
جـــاءني مِنْـــك قريضٌ يُسكر الألبـــــاب خَمْرُه
جـــامـــعٌ درَّ المعـــاني عُـوْنـــه فيـــه وبِكْرُه
حـــلّ في القلب كما حـــــلّ بروض الحـــزن قَطْرُه
بـل كما ضـاء لسـاري اللـيـل في الظَّلْمـاء بَـدْرُه[3]
نحـو من يطلب من جُـو دك أن يَبسـط عُـــذْرُه
عبـد إخـلاص تسـاوَى سرُّه فيـــــك وجَهْرُه
وإلى رؤيـــا محيّـــا ك فنيْ واللهِ عُمْرُه[4]

---

(١) في الأصل : « فِكره » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) النسر : كوكب .
(٣) زاد بعد هذا البيت في (أ) :
سـافراً جـا يبسـط العـذ ر من أفقـــــــك فجره
(٤) (أ) : « صَبْر » .

١٢٣٣ ـ علي بن [محمد بن] أحمد*

ابن سعيد بن سالم بن عمر بن يعقوب ، القاضي علاء الدين أبو الحسن[١] المعروف بابن الفامي ، المحتسب بدمشق

اشتغل بمذهب الشافعي ودرّس ، وأدلج في طلب العلم وعَرَّس ، وسهر ودأب ، ومهر لمّا طلب ، واشتغل بالشام ومصر ، وتوجّه إلى الإسكندرية ، ولم يؤخذ [له][٢] على السعي إصر . وتولى تدريس المدرسة الأمينيه ، وصفا ظاهره في ذلك والنيّه . ثم باشر الحِسْبَه ، ووفّر الله تعالى منها كسْبَه ، وأقام فيها مدة وعُزل ، وكان قد طلع بَدْرُه فيها كاملاً ، ثم أفلَ لا بل خسف[٣] وخزل ، وثّر فيها أموالا ، ولم يُبَلْ بالدهر أعاداه أم والى . وعمّر أملاكاً لها صوره ، وذخائر غير محصوره . ثم إنه وليها ثانيا ، وردّ الدهر عنان سعده ثانيا ، إلاّ أنه أخنى عليه بعد مدّة يسيره ، وجعل عَيْنَ تطلُّعِهِ إليها حَسيرةٍ . ولكنه جبر وقته مع الله بالتوبة منها ، وترحّل عن امتطاء صَهْوَتِها[٤] ، ونزل عنها ، وخفّ منها حاذُه[٥] ، وأقلع غيم وابله وقلّ رذاذه . وكان قد أنهكه المرض ، وزال عن أعاديه إليه الغَرَض .

ثم إن ابن الفامي ألفى ميّ للنيه ، وسُدّدت إليه سهام الحَيْن من تلك الحَنِيه .

وتوفى رحمه الله تعالى في بكرة السبت سادس عشري صفر سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

---

* البداية والنهاية : ٢٩١/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٧٣/١ ، والدرر : ١٠٣/٣ ، والدارس : ١٥٠/١ ، وما بين حاصرتين زيادة من (أ) والوفيات والدارس ، وما وقع في الأصل يشبهه ما في (خ) .

(١) (أ) ، (خ) : « أبو الحسن الأنصاري » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « كسف » .

(٤) في الأصل : « شهوتها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) الحاذ : الظهر والمتن .

ومولده في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

كان قد حفظ (التنبيه) في الفقه ، و (العمدة في الأحكام) و (مقدمة ابن الحاجب) ، [و (مختصر) ابن الحاجب][1] ، وسمع من زينب بنت الكمال ، وأبي عمرو عثمان بن سالم بن خلف[2] ، ومحمد ابن إسماعيل بن الخباز[3] ، والحافظ أبي الحجاج المزي ، وزينب بنت الخباز ، ومن بهاء الدين بن إمام المشهد[4] ، وعليه اشتغل بالعلم وبه تخرّج .

وكان أولاً قد تزوج بابنة القاضي زين الدين بن النجيح الحنبلي نائب قاضي القضاة علاء الدين بن المنجا ، وكان يكتب الحكم عنه بالمدرسة الجوزيّة ، وكان تولّى الأمينية مدرّساً بها في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة لما كان السلطان الملك الصالح صالح بدمشق في واقعة بيبغاروس بعد وفاة ابن عمّه بهاء الدين بن إمام المشهد ، ثم إنه تولّى حسبة دمشق في أوائل سنة أربع وخمسين وسبع مئة في أيام الأمير علاء الدين [أمير][5] علي المارديني ، ثم تزوج زوجة ابن عمّه أيضاً وهي الحموية ، فورثه في مدرسته وفي الحسبة وفي الزوجة .

وعزل من الحسبة سنة تسع وخمسين بالقاضي عماد الدين الشيرجي ، ثم تولاّها في شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، ثم إنه [لمّا][6] أثقل حاله في المرض نزل عنها من ذاته ، وخلف عدّة من الأولاد الذكور وغيرهم ، واشتملت تركته على ثلاثة مئة ألف درهم ما بين عين وأملاك ومجلدات وغير ذلك .

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) (ت ٧٤٥) ، والدرر : ٤٣٩/٢ .

(٣) (ت ٧٥٦) ، الدرر : ٣٨٤/٣ .

(٤) محمد بن علي بن سعيد (ت ٧٥٢) ، الدارس : ١٤٨/١ .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٦) زيادة من (خ) ، وفي (أ) : « ولما أثقل » .

كان لي تنوّر قَدْ تَعَطّل في أيام حسبته الأولى ، فكتبت أنا إليه في ثامن شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وسبع مئة :

يا سيداً هو بالإحسان محتسب ... أجراً يوازنه في الحشر ثهلان[1]
أشكو إليك من التنور عطلته ... وأنت في العلم والإفضال طوفان

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

يا سيداً هو في الإفضال مبتدأ ... وفي البلاغة والآداب سَحبان
عجبت من عطلة التنور لاعجب ... لو جاء أمْرُك لي وافاه طوفان

١٢٣٤ ـ علي بن محمود بن إسماعيل بن معيد*

الأمير علاء الدين البعلبكي .

كان شكلاً طوالا ، جسيماً لم يُرَ له مثالا ، بديناً إلى الغايه ، بديلاً من الفيل في العظم والنهايه ؛ إلاّ أنه كان من رجالات الناس رياسه ، ودربة وخبرة ومعرفة وسياسة ، خبيراً بالأمور ومعالجة الجمهور ، دون دهاء وخداع ، ومَلَقُهُ مَلقٌ واتضاع ، خدم الناس وتقدّم ، وتقرّب إليهم فأحمد عقبى ذلك وما تندّم ، فانتقل من الجندية إلى إمرة العشره ، ثم إلى الطبلخانات والولايات المشتهره ، وولي نظر[2] الأوقاف بدمشق مدّه ، ثم تولّى القبليّة ويده إلى أعلى من ذلك ممتده .

وكان تنكز يحبّه لمعرفته ، ويقرّبه ويولّيه لدرايته ودربته .

ولم يزل في صعود ، ومراقي سعود ، إلى أن مرض بالقبلية ، وقدم إلى دمشق فطالت علته ، ولم تستدّ بالعلاج خلّته ، ونُشرت له من الكفن حُلّته .

(١) في الأصل و (أ) : « نهلان » ، وأثبتنا ما في (خ) . وثهلان : جبل .

* الدرر : ١٢٥/٣ ، وفيه : « سعد » موضع « معبد » ، تحريف .

(٢) (أ) : « شدّ » .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشري ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة [ودُفِنَ بالمِزّة .

وكان قد لبس للإمرة بدمشق في ثامن عشر جمادى الأولى سنة خمس وسبع مئة][1] هو وعز الدين خطاب وسيف الدين بكتمر ومملوك الأمير سيف الدين بكتاش .

ووَلِي البرّ بدمشق عوضاً عن الأمير شرف الدين بن البرطاسي[2] في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة . ثم إنه ولي شدّ الأوقاف في سابع عشري شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة مضافاً إلى ولاية البر ، ثم إنه عزل منهما[3] وتولى القبلية بحوران يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر والي الولاة ، وتولى أخوه الأمير بدر الدين بن معبد شدَّ الأوقاف ، وتولّى ولاية البر علم الدين الطرقجي[4] .

وكان أبوه شرف الدين تاجراً ببعلبك من عُدولها ، فنشأ ولده هذا وتعلّق بالدول وخدمها إلى أن تولى شدّ الأوقاف بدمشق ، وتولّى البر مدة ، ثم جّهز إلى القبلية ، فقلق فيها ، ومرض ، وحضر إلى دمشق إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان قد سمع من الْمُسْلِم بن علاّن ببعلبك في سنة سبع وسبعين وست مئة قطعة من (مسند الإمام أحمد) .

قال شيخنا البرزالي : وسمع بقراءتي ببعلبك سنة إحدى وثمانين وست مئة .

وسيأتي ذكر أخيه الأمير بدر الدين محمد بن معبد في مكانه إن شاء الله تعالى .

وكان من سمنه إذا نام يحرسه اثنان ، فإذا غط أنبهاه . فيقال إنهم غفلوا عنه [فنام

(١) زيادة من (أ) .

(٢) عيسى بن عمر ، ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٤) سنجر ، سلفت ترجمته . ووقع في الأصل و (ط) : « الطرنجي » .

فَغَطّ] فمات[١] ، والله أعلم . كذا جرى للأمير سيف الدين كشلي الآتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

١٢٣٤ ـ علي بن محمود بن حُمَيد*

العلاّمة البارع علاء الدين أبو الحسن القونوي الحنفي الصوفي ، المدرّس بالقليجية .

سمع من الحجّار ، والجزري ، وعدّة . ودار على المشايخ قليلاً وحُبّب إليه الآثار ، وخُرِّجَت له (مشيخة) ، ولازم الكلاّسة يُقْرئ العلوم فيها ، وينفع من كان طالباً نبيها ، مع ديانة لا تجهل ، وصيانة لا يسمع أحد بذكرها إلاّ ويُذْهَل ، وتواضع على علّو قدره ، وسمّو بَدْره ، ودنوّ غيثه في[٢] العلم وقَطْره ، أقام على ذلك برهه ، ولأهل العلم بفوائده في كل وقت نزهه .

ولما توفي شيخ الشيوخ القاضي بدر الدين المالكي تولّى هو مكانه ، وقال له المنصب باستحقاقه : كن ، فكانه .

وأقام فيه قليلاً إلى أن حشرج صدره ، وأفلَ من سماء الحياة بَدْرُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر[٣] رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وكان يعرّب لديوان الإنشاء الكتب التي ترد عليه بالعجمية من البلاد الشرقية . وكان يقرئ الطلبة في البَزْدَوي[٤] وابن الساعاتي وفي (منهاج) البيضاوي ، وفي

(١) في الأصل : « غفلوا عنه ، فمات فغط » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

* الوافي : ١٨٨/٢٢ ، والدرر : ١٢٦/٣ .

(٢) (خ) : « من » .

(٣) (أ) ، والوافي : « في أوائل شهر » .

(٤) له كتاب الأصول . انظر كشف الظنون .

(مختصر) ابن الحاجب ، وفي (الحاجبية) ، وربما أقرأ في (الحاوي الصغير) للشافعية .

ولما توفي قاضي القضاة شرف الدين المالكي تولّى هو مشيخة الشيوخ مكانه ، وكان القاضي[1] شرف الدين يأخذ من كل خانقاه في الشام في كل شهر عشرة دراهم ، وفي كل يوم نَصيبين . ولّما تولّى القونوي ذلك أبطله ولم يتناوله .

وكان فيه سكون زائد إلى الغاية رحمه الله تعالى . وممن قرأ عليه أخي إبراهيم رحمه الله تعالى في (المنهاج) للبيضاوي .

١٢٣٥ ـ علي بن محمود بن إبراهيم*

الشيخ الصدر الرئيس علاء الدين بن جوامَرْد الفرّاء .

كان رجلاً جيداً مشكور السيرة ، يقصده الناس ، ويقضي حوائجهم ، قارب التسعين[2] ، وكان تاجر الخزانة ، وله على ذلك معلوم .

توفي رحمه الله تعالى في سادس عشري المحرّم سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بجبل قاسيون .

١٢٣٦ ـ علي بن مخلوف**

ابن ناهض بن مسلم النويري ، قاضي القضاة زين الدين أبو الحسن المالكي .

حكم بالديار المصرية نيّفاً وثلاثين سنة .

---

(١) في الأصل : « وكان الشافعي القاضي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

* الدرر : ١٢٥/٣ .

(٢) في الأصل : « السبعين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

** الوافي : ١٨٩/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٩٠/١٤ ، والدرر : ١٢٧/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٥٨/١ ، والشذرات : ٤٩/٦ ، وتذكرة النبيه : ٩٢/٢ .

سمع المرسي ، وروى عنه . وسمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وغيرهما .

كان كثير الْمُرُوّه ، غزير الفتوه ، وافر الاحتمال ، كثير الإحسان إلى أهل العلم والاشتغال ، يكرم العدول ، ولا يُرى له عن تعظيمهم عدول ، قد درب الأحكام فصار ابن بجدتها [وخَبِر فَصْلَ القضايا ، فما تخفى عليه وهْدَتُها مِنْ نجدتها][1] ، وكان به لمصر فخار ، وللمنصب به اشتهار .

ولم يزل على حاله إلى أن اعترف أجَلُه بما جَحد ، وأصبح ابن مخلوف ، ولم يخلفه أحد .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري شهر جمادى[2] الآخرة سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

ومولده بالنُوَيْرة من أعمال البهنسة أربع وثلاثين وست مئة . وأظن الشيخ صدر الدين بن الوكيل [فيه][3] يقول :

إلى مالك يعزونه ونويرةٍ فلاعجب إن كان يُدعى متمما[4]

ولولا أن هذا البيت من الْمُرْقص لم أذكره هنا .

وتولّى القاضي زين الدين بن مخلوف رحمه الله تعالى قضاء الديار المصرية في أواخر سنة خمس وثمانين[5] وست مئة عقيب وفاة ابن شاش[6] . ولمّا توفي هو رحمه الله تعالى تولى المنصب بعده قاضي القضاة تقي الدين [ابن][7] الأخنائي .

(١) زيادة من (أ) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « ربيع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) والبداية .
(٣) زيادة من (أ) ، (ط) .
(٤) (أ) : « ولا عجباً » .
(٥) في الأصل : « وثلاثين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .
(٦) في البداية والنهاية ٣٠٨/١٣ : « تقي الدين برساس » ، تحريف .
(٧) زيادة من (أ) ، (ط) .

وكان السلطان الملك الناصر في سنة إحدى عشرة وسبع مئة قد عزل ابن مخلوف وأمر القاضي الشافعي أن يتخذ قاضياً مالكياً نائباً له من جهته ففعل ذلك ثم أعيد القاضي زين الدين بن مخلوف إلى مكانه .

١٢٣٧ ـ علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله*

الفَقيه المحدّث الصالح الزاهد نور الدين أبو الحسن الموصلّي الحنبلي [الحلبي][1] نزيل دمشق .

سمع من أبي القاسم بن رواحة وغيره بحلب ، ومن إبراهيم بن خليل .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : وحدثني أنه سمع من يوسف بن خليل ، ولم يظفر بذلك ، وسمع بمصر من الكمال بن[2] الضرير ، والرشيد ، ومن[3] أصحاب البوصيري ، وعني بالحديث ودرب قراءته ، وكانت مُفَسَّرةً نافعة ، وحصّل الأصول ثم ارتحل إلى دمشق ، فأكثر عن ابن عبد الدائم والكرماني وابن أبي اليسر والموجودين .

وكان يجوع ويشتري الأجزاء ويقنع بكسرة فيسوء خُلُقه مع التقوى والصلاح ، وقرأ كتباً مراراً .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر صفر سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وست مئة .

ومات رحمه الله تعالى بالبيمارستان الصغير .

---

* الوافي : ١٩٤/٢٢ ، والدرر : ١٢٩/٣ ، والشذرات : ١٠/٦ .

(١) زيادة من (أ) ، (ط) والوافي .

(٢) ليست في (أ) ، والوافي .

(٣) في الأصل « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

١٢٣٨ ـ علي بن المظفر*

ابن إبراهيم بن زيد ، الأديب البارع الكاتب الفاضل ، المقرئ ، المحدّث ، المنشئ ، الناظم ، علاء الدين الكندي الإسكندراني ثم الدمشقي المعروف بالوداعي ، كاتب ابن وداعة .

وتلا بالسبع على علم الدين القاسم[١] ، وشمس الدين بن أبي الفتح[٢] . وطلب الحديث ، ونسخ الأجزاء . وسمع من عبد الله الخشوعي ، وعبد العزيز الكفرطابي[٣] ، والصدر البكري ، وعثمان ابن خطيب القرافة ، وإبراهيم بن خليل ، والنقيب بن أبي الجن[٤] ، وابن عبد الدائم ، ومَنْ بَعْدهم . ونظر في العربية .

وكان ناظماً غوّاصاً على المعاني ، شاعراً قادراً على إحكام ما للأبيات من المباني . جوّد المقاطيع دون القصائد ، وأتى في كلٍ بدُرّ[٥] العقود وجواهر القلائد ، يغوص على المعاني[٦] ويغور ، ويفوح أَرَجُ نظمه ويفور .

وكتب المنسوب [الذي][٧] أزرَتْ لآليه بياقوت ، وأذكر الناس بما يُروى من

---

* الوافي : ١٩٩/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٦٢ ، وفوات الوفيات : ٩٨/٣ ، والبداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدرر : ١٣٠/٣ ، والشذرات : ٣٩/٦ ، وتذكرة النبيه : ٧٧/٢ .

(١) في الأصل و (ط) : « ابن القاسم » ، وأثبتنا ما في (أ) والدرر ، وهو : علم الدين القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسي اللورقي (ت ٦٦١ هـ) ، العبر : ٢٦٦/٥ .

(٢) محمد بن أبي الفتح البعلي (ت ٧٠٩ هـ) .

(٣) في الأصل : « عبد اللطيف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي والدرر ، وهو عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بيان الكفرطابي (ت ٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٤/٢٣ .

(٤) علي بن محمد بن إبراهيم الحسيني نقيب الأشراف (ت ٦٦٠ هـ) ، العبر : ٢٦١/٥ .

(٥) (أ) : « بدرر » .

(٦) (أ) : « المعنى » .

(٧) زيادة من (أ) .

السحر عن هاروت وماروت ، ما كأنّ طروسه[١] إلاّ حدائق ، ولا كأنّ حروفه إلا رياض بين العُذَيْب وبارق ، ولا كأنّ مداده إلا شعرات] في][٢] صدغي غلام مُرَاهق .

جمع المجاميع الأدبيه ، وانتقى الأحاديث النبويه ، وله (التذكرة الكندية)[٣] التي بخانقاه الشميساطي تشهد بفضله ، وتعترف بنباهته ونبله ، و (ديوانه) يدخل في مجلدين كبيرين ، وقفت عليهما فأطربـاني ، وقلت للدّفّ والشبابة بعدهما[٤] لا تقربـاني ، وملكتهما فملكا قلبي ، ووضعتهما بين كتبي ، وقد سكنا خَلْبي وقد انتقيت منهما ما راق نَظْمُه ، وكَمُل بَدْرَهُ تَمُّه ، ومن ذلك قطعة وافرة في الجزء الثالث والثلاثين من (التذكرة) التي لي .

إلا أنه كان يتشيع ، ويتوعّر بذلك في ألفاظه وما يتورع .

وكتب الدرج موقعاً بالحصون مدة طويله ، ثم دخل آخر عمره ديوان الإنشاء بدمشق ، على رأي العوامّ ، بألف حيله ، وكان هجّاماً على الأعراض ، هجّاء للجواهر والأعراض ، وكان الناس ينفرون منه لذلك ، ويرون فضائله المضيئة كأنها الليل الحالك ، ومع تفنُّن فضائله وتوسّع رسائله لما دخل الديوان لا راح ولاجا ، ولم يره الجماعة في باب الكتابة والأَجَا ، كما جرى لبعض الناس ، وقال الجماعة للمتعجب : « ما في وقوفك ساعةً من باس » ، حتى قلت أنا :

لقد طال عهد الناس بابن فلانة ... وما جاء في الديوان إلاّ إلى ورا[٥]
فقلت كذا كان الوداعيّ قبلهُ ... ولا شك فيه أنه كان أشعرا[٦]

---

(١) (أ) : « طرسه » .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) ذكرها صاحب الكشف : ٣٨٩/١ .
(٤) في الأصل : « بعدهم » ، وفي (أ) : « وبعدها » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٥) (أ) : « بابن نباتة » .
(٦) (أ) : « كذا باس » ، وفي الوافي : « قاس » .

ولم يزل على حاله إلى أن تحقق الوداعّي من الحياة وَدَاعه ، واسترجع الأجل ماله عنده من وداعه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأربعاء سابع عشر رجب سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة تقريباً .

وتوفي ببستانه عند قبّة الْمُسَجّف .

قال شيخنا الذهبي : كان يخل بالصلوات فيما بلغني .

وكان شاهداً بديوان الجامع الأموي ، وولي مشيخة الحديث بالنفيسية ، وتولى نظر الصُّبَيْبَة وبانياس فيما أظن ، وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ما كتبه على (ديوان) الوداعي رحمها الله تعالى :

بعثتُ بديوان الوداعي مسرعاً . إليك وفي أثنائه المدح والذمُّ
حكى شجرَ الدفْلَى رُواءً ومخبراً فظاهره شمّ وباطنه سُمّ

ولما شاع عنه كثرة الهجو تطلّب القاضي نجم الدين بن صصرى (ديوانه) ، و (تذكرته) من خانقاه الشميساطي ، وكشط من ذلك أهاجي الناس ، ولم يقدر على استيعاب ذلك ، فإنني وجدت له بعد ذلك بخطه كثيراً .

وكان شيخاً مسناً ، وله ذؤابة بيضاء إلى أن مات ، ونقلت من خطه له :

يا عائباً مني بقاء ذؤابتي تالله قد أفرطت في تعييبها[1]
قد واصلتني في زمان شبيبتي فعلام أقطعها أوَانَ مشيبها

قلت : نقل هذا من الحكاية التي تحكى عن بعض الوعاظ أنه طلع المنبر ووعظ والسلطان قد حضر ميعاده على كراهية له وهو يتكلم والمقص إلى جانبه والطواقي ، والناس يصعدون إليه ويتوبون على يده ، فيقص شعورهم ويلبسهم الطواقي ، فما كان

(١) (أ) ، والوافي : « مهلاً فقد » .

[إلاّ][1] أن طلع إليه بعض خواصّ السلطان مِمّن يحبّه ويهواه ، وله ذؤابه سوداء مليحة طويلة ، فتغيّر السلطان ، وقال لمن يعزّ عليه : والله إن قطع شعر هذا المملوك لأقطعن يده ، فلما صعد إلى الواعظ علم[2] أنه قد وقع في خطر ، فأخذ شعره في يده ، وأخذ يفكر في خلاصه من تلك الورطة ، وشغل المجلس بأشعار وحكايات ، ثم قال : يا جماعة ! أتدرون ما يقول لسان حال هذه الذؤابة ، فقالوا له : ما يقول ؟ قال : يقول[3] : أنا كنت معه في زمن المعصية بالله لا تفرق بيني وبينه في زمن الطاعة ، انزل روح يا سيدي ، فأعجب السلطان ذلك والناس ، ووقع كلامه منهم بموقع جدٍّ .

وإنما سمّي علاءُ الدين الوداعيَّ[4] ، لأنه كان يكتب للصاحب علاء الدين[5] بن وَدَاعة ، ولذلك قال ، ونقلته من خطّه :

ولقد خدمت الصاحب ابن وداعة دهراً طويلاً
فلقيت منه ما التقى أَنسٌ وقد خدم الرسولا

وأنشدني شيخنا شمس الدين الذهبي ، قال : أنشدنا المذكور من لفظه لنفسه ، ونقلته أنا من خطّه :

من زار بابك لم تبرح جوارحُه تروي محاسنَ ما أُوليت مِنْ مِنَنِ
فالعين عَنْ قرة والكفُّ عن صلة والقلب عن جابرٍ والأذن عن حَسَن

ونقلت منه ما كتبه لبعض أصحابه بمصر :

---

(١) زيادة من (أ) .
(٢) (أ) : « فعلم » .
(٣) (أ) : « يقول لي » .
(٤) في (أ) : « بالوداعي » .
(٥) قوله : « علاء الدين » ، ليس في (أ) ، والمشهور أن لقب ابن وداعة هو عز الدين ، انظر : الفوات ٧١/١ .

روِّ بمصر وبسكّانها[1] شوقي وجدد عهدي البالي
وصف لي القرط وشنّف به سمعي وما العاطل كالحالي
وارْوِ لنا يا سعدُ عن نيلها حديثَ صفوان بن عسّال
فهو مرادي لا يزيد ولا ثَوْرا وإن رقّا وراقا لي[2]

ونقلت منه :

وزائر مبتسم يقول لمّا جا : أنا
فقال أيري منشداً أهلاً بتينٍ جاءنا

قلت : يشير إلى قول الشاعر :

أهلاً بتين جاءنا مفتّح على طبق
كسفرة من أَدَمٍ مجموعة بلا حلق

ونقلت منه له :

لله ما أرْشَقَه من كاتب ليس له سوى دموعي مُهرَق
يميس رقصاً في قباء أسود فقلت : هذا أَلِفٌ محقّقُ

ونقلت منه له :

وذي دلال أحورٍ أجحر أصبح في عقد الهوى شَرْطي
طاف على القوم بكاساته وقال : ساقي ، قلت : في وسطي

ونقلت منه له :

ولم أردِ الوادي ولا عدت صادراً مع الركب إلا قلت : يا حادي النوق

---

(١) (أ) : « روّى بمصر وسكانها » .
(٢) يزيد وثورا : من أفرع نهر بردى السبعة .

فـديتـك عرّج بي وعرّس هنيهـةً لعلي أبـلّ الشـوق مِنْ آبـل السـوق

ونقلت منه له :

سقيـا لكَرْم مـدامـةٍ أنْشَت لهـا النشـوات ليـلا
خلعت علينـا سكرة بـدويـة كمّـا وذيـلا[1]

ونقلت منه له :

ويـوم لنـا بـالنيربين رقيقـةٌ حواشيهِ خالٍ من رَقيب يَشينـه
وقفنا فسلّمنا على الـدوح غُـدْوةً فردّت علينـا بـالرؤوس غصونـه

ونقلت منه له :

ذَكِرْت شـوقاً وعنـديْ مـا يصـدّقـه قلبٌ تقلّبـه الـذكرى وتقلقـه
هـذا على قرب دارينـا ولا عجبٌ فـالطرف للطرف جـار ليس يرمقـه

قلت : أخذه من قول الأول ، والأول أحسن[2] :

لئن تفرّقنـا ولم نجتمـع وعـاقت الأقـدار عن وقتهـا
فهـذه العينـان مَـعْ قربهـا لا تنظر الأخرى إلى أختهـا

ونقلت من خطّه له :

الغرب خير وعنـد سـاكنـه أمـانـة أوجبت تقـدُّمَـهُ
فـالشرق من نَيِّريْـه عنـدهم يُـوْدِع دينـاره ودِرْهمـه

وقال أيضاً :

حَـوى كلٌّ من الأفقين فضـلاً يُقرّبـهِ الغبي مـع النبيـه

(١) في الأصل : « عليها » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) (أ) والوافي : « وهو أحسن » .

فهـذا مطلـع الأنـوار منـه وهـذا منبـع الأنـوار فيـه

قلت : أخـذ الوداعي معنـاه الأول وبعض الثـاني من قول [القـاضي][1] الفـاضل رحمه الله تعالى : « وتلـك الجهـة وإن كانت غربيّـة فـإنهـا مستودعُ الأنوار وكنز دينـار الشمس ومصبّ أنهار النهار » .

ونقلت من خطّه له :

رمتني سـود عينيـه فـأصمتني ولم تبطي
ومـا في ذاك من بـدع سهـام الليـل مـا تخطي

ونقلت منه له وظرَّف[2] :

لنا صاحبٌ قد هَـذَّب الطبع شِعره فأصبح عـاصيـه على فيـه طَيِّعـا
إذا خمّس الناس القصيـد لحسنـه فحـقّ لشعرٍ قـالـه أن يُسبَّعـا

ونقلت منه له :

قـل للـذي بـالرفض أتْهـمني أضـلَّ اللهُ قَصْـدَه
أنـا رافضيّ ألْعَنُ الـشيخين والـدةَ وجـدّه

ونقلت منه له :

ولا تسـألـوني عن ليـال سهرتهـا أراعي نجـوم الأفـق فيهـا إلى الفجر
حـديثي عـال في السماء لأنني أخذت الأحاديث الطوال عن الزُّهْري

ونقلت منه له :

امرؤ القيس بن حجر جـدّنـا كان من أعجب أمـلاك الـزمـانِ

---

(١) زيادة من (أ) والوافي .
(٢) قوله : « وظرَّف » ليس في (أ) .

ضـــل لمـــا ظـــل يبغي ملكهم وهـدى النـــاس إلى طُرْق المعـــاني

ونقلت منه له :

كم رُمْتُ أن أدع الصبـابـة والصّبـا فثنى الغرام العـــامريّ زمـــامي[1]
بـــذوائب ذابت عليهـــا مهجتي ومنـــاطـقٍ نطقت بفرط سقـــامي

ونقلت منه له :

تـــأمّـل إلى الـزهر في دوحـــه ومَنْ زاره من مـــلاح الفتـــون
تظن الـــوجـــوهَ الّتي تحتـــه تســاقطن من فـوقـه من عيـون

ونقلت منه ما قاله في رأس العين ببعلبك :

لله درّ العين ليلـــة زرتهـــا فـوجـدتهـا راقت ورقّت مَشْرَعـا
«واستقبلت قمر السماء بـوجههـــا فـــأرتني القمرين في وقت معـــا»

ونقلت منه له :

يـــا عـــاذلي في وحـــدتي بعـــدهم وأن رَبْعي مـــا بـــه من جليس
وكيف يشكـو وحـــدة مَنْ لَـــهُ دمـــــــــعٌ حميم وأنينٌ أنيس

ونقلت منه له :

قسماً بمرآك الجميـل فـــإنّـــه عَربيٌّ حُسْنٍ من بني زهران
لاحُلْت عنـك ولـو رأيتـك من بني لحيـــان لا بـل مني بني شيبـــان

ونقلت منه له :

قلت وقـد مـاس في الكِسـا رشـاً يُخجـل بـــدر التمام حين بـــدا

---

(١) في الأصل : « حسامي » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

إن الكســـائي لم يُمـل[١] أبـــداً أحْسَن من قـــــده إذ أبـــــدا

ونقلت منه له :

أدام الله أيـــــام العـــــذار وبـارك في ليـاليـه القصـار
وأغنى الله روضـــة كل خـــد إذا استحيت من الـــديم الغـزار[٢]
ولازالت مبـــــاسم كل ثغر لشـــائم برقهـــا ذات افترار
ولابرحت على العشـــاق تصفـو ثيـابَ العـار في خلـع العـذار

قلت : قد حذا حذو شمس الدين بن العفيف التلمساني حيث قال وهو ألطف :

أعـــز الله أنصـــار العيـــون وخلَّـد مُلْـك هـاتيـك الجفـون
وضـاعف بـالفتـور لهـا اقتـداراً وإن تـــكُ أضعفت عقلي وديني
وأسبـغ ظـلَّ ذاك الشعر يـومـاً على قـــدٍّ بـــه هَيَفُ الغصـون
وصـان حجـاب هـاتيـك الثنـايـا وإن ثنت الفـؤاد إلى الشجـون
وخلّـد دولـة الأعطـاف فينـا وإن جـــارت على قلبي الطعين

وقول شمس الدين محمّد أيضاً :

أدام الله أيـــام الجمـــال وخلّد ملـك هـاتيـك الليـالي[٣]
وأسبـغ ظـل أغصـان التـداني وزاد قـدودهـا حُسْنَ اعتـدال
ولا زالت ثمـار الأنس فيهـا تـزيـد لطـافـة في كل حـال
ولا برحت لنـا فيهـا عيـون تغـازل مقلتي خشف الغـزال

ونقلت من خطّه له :

(١) الكسائي هو علي بن حمزة من القرّاء السبعة ، والشاعر ههنا يورّي بالإمالة ، وهي الجنوح بالألف والفتحة إلى الياء أو الكسرة .

(٢) في الأصل : « القصار » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) (أ) : « وخلد عمر » .

تعجبَّـــوا من أدمعي إذ غـــــدت بيضـــــاً وكانت من دم قـــــان
لا تعجبـــــوا طرفي ربُّ الهـــــوى وكل يـــــوم هـــــو في شـــــان

ونقلت منه له :

قلت للعـــــاذل المفنـــــد فيهـــــا حين وافت وسلّمت مختـــــالـــــه
قم بنـــــا نـــــدعي النبـــوة في العشـــق فقـــــد سلمت علينـــــا الغـــزالَـــــهْ

ونقلت منه [له][1] أيضاً في شاهد :

قضيت نحبي في هـــوى شـــاهـــــد أصبـــح عَـــدْل القـــدّ بين القـــدود
وليس لي من أمره مخلصٌ وهكـــــذا القـــــاضي أسير الشهـــود

قلت : كان ينبغي أن يأتي بالتوطئة[2] بذكر القاضي ليكون المثل كاملاً .

ونقلت منه له :

متى أرى النفس التي من بعـــــــدهم قـــــــد نحلت
تفتـــــح أبـــــواب الهنـــــــا إن هِيْ إليهمْ قفلت

١٢٣٩ ـ علي بن معالي*

الصدر الفاضل علاء الدين الأنصاري الحراني ثم الدمشقي المعروف بـابن الزُرَيْزير الكاتب الحيسوب . كان مشكوراً ، وانتفع به جماعة .

مـات عن نحو أربعين سنـة فجـأة بـدمشق في ثـالث عشري صفر سنـة خمس وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

---

(١) زيادة من (أ) .
(٢) (خ) : « في التوطئة » .
* الدرر : ١٣٣/٣ .

١٢٤٠ ـ علي بن مقاتل*

علاء الدين التاجر الحموي ، صاحب الأزجال المشهورة .

تفرّد بنظم الأزجال في آخر عمره ، وتحكّم في فنّها نَبْهيه وأمره ، وأتى بغرائب الصنعة واللزومات[١] التي تضيق فيها على العوالي[٢] الرقعة ، بحيث إنه أكثر من أنواعها ، واستعمل أعوانها في مدّ أبواعها ، وله شعر أيضاً إلا إنه في ذاك أمهر ، وأزجاله أشهى إلى القلوب وأشهر .

اجتمعت به في حماة وفي دمشق غير مرّه ، وجلا عليّ من بنات فكره كلّ خريدة كأنها للشمس ضرّه ، و (ديوانه) يدخل في مجلدين ، ويراهما أرباب هذا الفن في جنات الصدور مخلدين .

ولم يزل على حاله إلى أن قتل ابن مقاتل ، ولم يقدر في معرك المنية على أن يُخاتل[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل سنة إحدى وستين وسبع مئة بحماة المحروسة .

ومولده[٤] بها في سنة أربع وستين وست مئة .

أنشدني كثيراً من أزجاله وأشعاره ، ونقلت من خطّه :

ومليح عمّه الحسْنُ بخال مثلِ حظي
وقع البحث عليه بينه وبينَ لفظي
قال هذا خال خدي قلت بل ابن أُختِ لحظي

---

* الوافي : ٢١٨/٢٢ ، والدرر ١٣٣/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٣٩/٣ .

(١) في الأصل : « اللزوميات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « العوافي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « يخايل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) ، (ق) .

[ونقلت منه له][1] :

إنّ الخراسانيّ لمّا حوى ... حلاوة الإيمان مِنْ خَوْفِهِ
فضّله الله على غيره ... أما ترى قلبين في جوفه[2]

ونقلت منه له :

إن كانون في الكوانين أمسى ... وبه حفلة من النيران[3]
كصديق له ثلاث وجوه ... كلّ وجه منها بألف لسان

ونقلت منه له :

يا مُرقصاً يا مطرباً غنّى لنا ... أنْعِم لإخوان الصَّفا بتلاقي
فلقد رَمَيتَ (مقاتل الفرسان) بيْن يديك عند (مصارع العُشَّاق)[4]

ونقلت منه له :

خدود وأصداغ وقدّ ومُقْلةٌ ... وثغر وأرياق ولحن ومُعْرب
ورودٌ وسَوْسَانٌ وبانٌ ونرجس ... وكاس وجريال وجنك ومطرب

ونقلت منه [له] الأول تصحيف الثاني :

شفائي وجنّاتي حَبيبٌ بسرْبِه ... لعوبٌ بَمْرج تفرج الباس شيمته
سقاني وحيّاني حَيَيتُ بشَرْبةٍ ... لغوتُ بمزحٍ تُفرح الناس سِيمته

ونقلت منه له :

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الوافي : « على ندّه » .
(٣) في الوافي : « ربّ كانون » . وفي الأصل : « وبه حلفة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٤) في البيت تورية باسم كتابين مشهورين .

أسهرتني مليحـــــــــة أسهرتني طـول ليلي ظـلامـه الطرف يُعشي[1]
والسهى خيفـــــــة الغراق من السّقم مسجّى على بُنَيَّـــــــاتِ نَعْشي[2]
والثريّـــا كأنهـــا راحـــــة تلْطِم خـــــدّ المرّيـــخ والجـــوّ مُغْشي

ونقلت منه له :

فُضّـوا كتـابي واعْـذُرُوا فـأنـاملي منهـــا اليراعُ إذا ذُكِرْتُم يَسْقُـــط
والقلبُ يخفـق لاضطرابِ مفـاصلي والخـطّ يُشْكِـلُ والمـدامـع تنقـط

قلت : أحسن منه وأجزل وأمتن قول ابن السّاعاتي :

بتنـــا وعمر الليـل في غلـوائـــه ولـــه بنـور البـــدر فرع أشمـــطُ
والطـل في سلـك الغصون كلـؤلـؤ نظمٌ يصـــافحـــه النسيم فيسقـــطُ
والطير يقْرأ والغـــديرُ صحيفـــةٌ والريـــح تكتب والغمام ينقـــط

ونقلت منه له :

لا تنكروا حُمْرَة خطّي وقَـــــدْ فـــارقَتُ من أحْبـــابِ قلْبي جمـوعْ
فـــإنّني لمـــا كتبت الـــذي أرسلتـــه رمّلتـــه بـــالـــدمـوع

ونقلت منه دوبيت في كل كلمتين قلب نفسها :

الخلّ خلا مِن نم عـانـق بقنـاع قانع بعنـاق ألف لا عـاد وداع
مادام معانق نـاعم عـاش شـاع ألمى يُلا مـا أم عـاطى وأطـاع

ونقلت منه له مواليّا :

على وفـاكي وفـاكي كم ذهب من عين وفي شفـاكي شفـاكي للـذي بُـوعين

(١) في الوافي : « ليل » . وفي (أ) : « يغشي » .
(٢) في الأصل : « خيفة الغرام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

ما أحلى وماكي وماكي نبع أعذب عين وقد حماكي حماكي أن تراكي عين[١]

ونقلت منه له مواليّا :

قال الذي [مَنْ] يراه الطرف مايسني أنا الذي إن نظرت البدر مايسني[٢]
والغصن يا خجلتو إن قام مايسني وعاشقي إن هجوتو شهر مايسني[٣]

ونقلت منه له أيضاً :

كلمت من لو بقلبي ألف تكليه بسيف لحظو الذي مافيه تَثْليه
وقلت بعد الوفا تبخل بتسليه أرخصَتْ دمعي وماتغلى بتعليه

وكان قد أنشدني[٤] لنفسه بحماه زجلاً وهو :

قلبي يحب تياه ليس يعشق إلاّ إيّاه
فاز مَنْ وَقف وحيّاه يُرْصد على محيّاه
بدر السما ويطبع من راد وصالو يعطب
صغير بحيّر في أمرو غزال قمر بشحرو
ليث الهوى ونمرو فاعجب لصغر عمرو
ريم ابن عشر واربع أردى الأسود وارْعَب
نذكر نهار تبعتو وروحي كنت بعتو[٥]
خيّب ما كان طمعتو وقال كلام ما سمعتو[٦]

---

(١) في الوافي : « أعيذب » .
(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) (أ) ، (ق) : « من خجلتو » .
(٤) في (أ) ، (ق) زيادة : « في وقت » .
(٥) (أ) ، (ق) : « أذكر » .
(٦) (أ) ، (ق) : « وقال ذا ما سمعتو » .

ارجـــع ولي لا تتبـــع ... نخشى عليـــك لا تتعب
كم قـــدامـــو وخلفـــو ... مشيت مطيـــع لخلفـــو[1]
وقصـــدي لثم كفّـــو ... قـــال دَعْ منـــاك وكُفّـــو
فلثم كلّ إصبـــع ... من الثريـــا أصْعَب
مـــازلت لُـــو نُـــدَاري ... حتّى حَصَـــل في داري
نـــاديت ودمْعِي جـــاري ... أيش لـو تكـون يـا جـاري
تـــدعني من فيـــك أشبـع ... قـال أيش يكـون لـك أشعب
من في الجمـــال فريـــدو ... للصّب من وريـــدو
يـــذبح وهـــو يريـــدو ... وكم ذا شيـــخ مريـــدو
خـــلاّه ودمعـــو يبلـــغ ... وهـــو بعقلـــو يلعب
من حـــاز في حسنـو خـــدّو ... لَحْظُـــو لقتلي حـــدّو
ووَرْد خـــدّو نـــدّو ... مـا في الريـــاض شي نِـــدّو
روض بـــالحيـــا مبرقـع ... عليـــه سيـــاج معقرب
كم خصم في المقـــاتـــل ... صـــابـــو ابن مقـــاتـــل
وكم ذا في المحـــافـــل ... قد أنشـــا غصن حـــافـل[2]
من كل بيت في مربـــع ... ملحـــون بـــألف معرب

[فأعجبني هذا الذي فيه من قلب البعض في أغصانه وبعد حين خطر لي نظم شيء في هذا فـ][3] قلت أنا وجعلت جميع قوافيه مقلوب البعض :

قلبي لِـــوَصْلـــو ترقّب ... وبـــالخضـــوع لـــو تقرب
وربـــع صبري تعرقب ... حين رأى عـــذار وتعقرب
ترجم جمـــالـــو وعبّر ... وزان لشكـــو وعرّب

(١) (أ) : « مطيع خلفو » .
(٢) (أ) : « قد أثنى » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

في حسن حبي غرايب ... للعشق فيها رغايب
سَرتْ إليها النجايب ... من الصبا والجنايب
رآه عاذلي فيه كبرّ ... وقام لعذري وركّب
جيدو على الظبي راجح ... واللحظ من طرفو جارح
تراه إلى الصد جانح ... وعاشقو ليس هو ناجح
من صغر سنو تكبّر ... وعاشقو قدتكرّب
حكم الهوى منو قاسط ... وحظي من وصلو ساقط
مانا من الرحمة قانط ... والدمع من فوق خدي ناقط
لمّن طغى أو تجبّر ... يندم وهذا تجرّب[1]
غدا بوَصْلُو مُبَخّل ... خلاّني كيف ريت مخبّل
وأسرع في قتلي ما أمهل ... وعم سقمي وما أهمل
والدمع في الخد بحّر ... والصدر للهمّ رحّب
تراه يزيد في جمالو ... مالو نظير في مجالو
رأى ابن يعقوب لجالو ... كَوْنُو فريد في جلالو
في طلعة الشمس غبّر ... وفي السيادات غرّب
وفا وعودو تعوّد ... وما يفي إنْ تَوَعَّد
كم راحه من كفّو أوجد ... لنّو من الغيث أجْوَد
أبطل حَسُودو وأبطر ... ومدحو للسمع أطرب
لفنّ الإنشا ضراعه ... لو من زمان الرّضاعه
وفي كلامه صناعه ... فيها بديع ونصاعه
ترسّلو الحلو بوّر ... غيرو وعن مثلو ورّب
كم من طويل فصل لخّص ... ومن عقد لفظ خلّص

(١) في الأصل : « فمن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

والخير كم فيـــــــه ترخص والحـق قـــال مـــا تخرص
والْمُلـــك بُـو قـــد تـــدبر والـــدهر بـوقـد تَـدَرّب[١]
راح للحجـــــاز وترفـــق بـــالنـــاس ومـــالـو تفرق[٢]
وحُـــــوض سيلـــــو مروّق وأمسى وجفنـــــو مُـــــورّق
يتلـــو وصـــــار أشعث أغبر وعُـــــزمُـــــو أكبر وارغب
شيـخ الشيـوخ لـو مخـايـل تقـول ريـاض أو خمـايـل
لـو جـــاد في قفر مـــا حـلْ كان تبصر السيـل حـــامـل
من أبصر وراح مبشِّر بـــــوجـــــه أبيض مشرّب

ولما نظمت هـذا الزجل كان في دمشق في أوائـل سنـة ست وخمسين وسبـع مئـة ، وسمع بي ، فجاء إليّ وطلب الوقوف عليه ، فأوقفته ، فبهت له ، وأنشدني لـه أشيـاء من هذا النوع ، ولكنه لم يلتزم ذلك في جميع القوافي .

ولما وقف عليه الإمـام مجير الـدين محمـد بن [الحسن بن][٣] الشهرزوري كتب هو إليّ :

دمعي بـــــــأسراري خبّر ورَبـــــع سلـــــواني خرّب
في من لهجرو تبشر ولـــلأعـــــادي تشرب[٤]
خبرّ بـــــــأسرار دمعي ولم يجبني ومـــــــا ادعي
في حب أصلي وفرعي أعليّـــه ومـــا يهـوى رفعي
عن مقلتي شخصـــو بَـــذَر ونطقـــــــو في مقتي ذرّب

(١) (أ) ، (ق) : « والدهر منّو » .
(٢) (أ) : « راح الحجاز » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) (ق) : « يهجري » ، (أ) : « هجري » .

يـــا من هـــو لي مني ســـالب صـــدغيـــك عقربهـــا لاسب
يـــا ولـــدي خـــالقـــك راقب فيّـــا وســـادِدْ وقـــارب
سيف هجرك القلب هبّر وعسكر الصّبر هرّب
يـــا أحلى الخـلائـق وأملـح شخصـــك ترى يـــوم ألمـــح
ولي تجـــــود وتسمـــــح وأرضـــك أجفـــاني تمسـح[1]
هجرك بترني وتبرّ وخـــدي بـــالـــذل ترّب
يـــا أحصف النـــاس وأفصـح عن زلّتي بـــــالله اصفـــح
واغنم ثـــوابي واربـــح فعن هـــــواك ليس أبرح
مـــا دام خـــدّك معبقر وشعر صـــدغـــك معقرب
ازّي رأى حبيّ أمرد مـــا ارجـع يرى طرفـو أرمـد
الآسِ ترى أو زمرّذ عـــذار هـــذا المـــزّرد
طَرَّز خُـــــدودو وحبّر وحيّر النـــــاس وحرّب
أي من تصبّـــح بخـــالـــو يـــزول عنـــو خبـــالـــو
لـــو رآه مشبّـــه لخـــالـــو سيـــدي خليـل في خـلالـو
لمـــا غـــدا قـــدرو أكبر قلـــوب حُسّـــادو أكْرَب
أبـــو الصفـــا خير منشي إليـــــه على راسي نمشي
ترسّلـــو الحلـــو حـــوشي من حشـــو ولفـــظ وحشي
فيـــه كيف أقبـــل وأدبر من سـائر النـاس هـو أدرب
لـــو عـــاين ابن المقفـــع بيـــانـــو أضحى مفقـــع[2]
وفي الكـــلام مـــا تشبـــع وكان بروحُـــو تبشّـــع
لفظـــــو في الآذان أغبر وأقعـــد فصـــاحـــة وأغرب

(١) في الأصل : « وأجفاني » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « أصبح » .

شعرو على الشعرى بـــاسـق وفحلـو في النظم ســـابـق
مـــا يلحقـو قـــط لاحـق قـــد اعتلى فـوق حـــالـق
ميـــة ألف نظـــام يقبر ومـــا يطيـق منـو يقرب
ولـــو رأى ابن هـــلالـــو خطّـو المعجـز لهـــالـــو
للبحتري أو لخـــالـــو لـوجـا مكانـو خـلالـو[1]
لِنّـــو لـــلأوزان أسبر وفي قـــوافيهـــا أسرب[2]
بقى إلى ظلـــــو يهرب ودام يُرجّـــــا ويُرهب
ومن يجـــاريـــه يتعب ومـــا ينـــالـــو ويعتب
ومن يعـــاديـــه يُغبر ومن يـــواليـــه يُرغب
عبـــدو المجيرحين تشرف ومن كـــلامـــو ترشف
زبّب ومـــا بعـــد نصّف وجـــاز حـــدّو وصنّف[3]
دمعي بـــأسراري خبر وربـــع سلـــواني خرّب

وأنشدني علاء الدين بن مقاتل لنفسه :

يـــا من قطـــع أوصـــالي ولي نـــار فراقـــو صـــالي[4]
يـوسف بـــالجمـــال أوصى لـــك وأبـــوه بـــالحـــزن أوصي لي[5]
مـــا أصبرني عليـــك من عـــاشـق ومـــا أقســـاك عليـــه معشـوق
حـــاجبـــك بقـوســـو راشـق وقلبي بنبلـــــو مرشـــــوق

(١) (أ) : « أوجا » .
(٢) في الأصل : « للآذان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « رتب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو إشارة إلى قولهم « تزبب حصرماً » . انظر أساس البلاغة (زبب) .
(٤) زاد في (أ) ، (ق) : « قد » قبل « قطع » .
(٥) (أ) ، (ق) : « وأبوه بالبكى » .

فسبحـــان تبـــارك مـــاشـق ... ألف ذا القـــوام الممشـــوق
قـــد أخلصت فيـــك أعمـــالي ... وعلّقت بـــــك أمـــــالي
وذل الجمـــال راس مـــالـــك ... والصبر الجميـــل راس مـــالي
يـــا من خلّى دمعي جـــاري ... وأوقف حـــالي الله جـــارك
ارعى لي الـوداد يـــا جـــاري ... بـــالـــذي من السـوء جـــارك
وقلبي بـــوصلـــك داري ... ولـــو فرد يـــوم في دارك
تستفيـــد شيء من أشغـــالي ... يـــا غريـــز عليّـــه غـــالي
قـال إيـاك يكـون أشغـالـك ... بجـــال تـــاجر البرغـــالي
إن كان المعـــاشـق جنـــدك ... فـــأنـــا العـــاشقين من جنـــدي
ولي حـــاجـــة سهلـــة عنـــدك ... رقـــاد ليلـــه تنتين عنـــدي
وفـــوق عنقي تجعـــل زنـــدك ... ومن تحت عنقـــك زنـــدي
وأنشـــدك شيء من أغـــزالي ... في جـــدي وفي أهـــزالي
قـال من حـاك رقيـق أغـزالـك ... قلتـــو جفنـــك الغـــزالي[1]
قـــال فمن ذا حـــلاّ لفظـــك ... قلت من مـــا أحلى لفظـــو
فيـــا ترى إيش حـــال حظـــك ... قلت يـــا سعيـــد في حظّـــو[2]
فيـــه شـوي سـواد من لحظـــك ... يـــا من حـــدّ صـــارم لحظـو
فـــولاد ومجـــوهر حـــالي ... ولفظـــو مكرر حـــالي
مـادام سعـد حـالـك حـالـك ... عن وصلي فحـــالي حـــالي
ارحم يـــا من الله حبّـــو ... مجنـــون في سـلاسـل حبّـــك
مسكين قـــد تفطّر لبّـــو ... ومـــا ذاق خميرة لبـــك
ودمعـو عليـــك قـــد صبّـــو ... لهـــذا يسمّى صبّـــك
ولـو كنت بـــالنـــار سـالي ... قلبـو مـاهـو عنـك سـالي

(١) (أ) ، (ق) : « قلت جفنك » .
(٢) في الأصل : « لحظو » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

فقل ليمن فيه سالك ... مالو خَرْجه من سلسالي
عندي لك فعال مخصومه ... وعندك فعالي خصّه[1]
وروحي معك مغصوصة ... وتجرعت فيك كم غُصّه
وأخباري عليك مقصوصه ... ولا بد لي من قصّه
ترفع للجناب العالي ... وأشكو للقوي المتعالي
عسى بصلاح أفعالك ... يمتزج فساد أفعالي
زرني يا مليح بحياتي ... قال لا والله فوق وحياتك
قلت أنا أعشقك من ذاتي ... قال واش كنت أنا من ذاتك
قلت ما تطيب أوقاتي ... بغير ساعة من أوقاتك
فاجعل الوصال متوالي ... وكن في علي موالي
قال ما أقدر أجي لك والك ... قلت أيوه تجي بالوالي

١٢٤١ ـ علي بن مُقَلَّد*

علاء الدين حاجب[2] العرب في أيام الأمير سيف الدين [تنكز][3] ، كان راجلاً طويلا ، أسمر اللون كحيلا ، يتحنّك بعمامته ، ويتقلّد بسيفه طول قامته ، ويلبس الثياب الطويلة المفرّجه ، ويسلك الطريقة التي هي عن العربان فحرّجه ، يتبادى في كلامه ، ويتبادَهُ في معاجلة[4] تحيته وسلامه .

قَرّبه تنكز وأدناه ، ومكنه فعناه وأغناه[5] ، وصارت له في الدولة وجاهة زائده ،

(١) (أ) ، (ق) : « لك أفعالك » .
* الوافي : ٢٢٦/٢٢ ، ونكت الهميان : ٢١٩ ، االدرر : ١٣٤/٣ .
(٢) في الأصل : « صاحب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل و(أ) : « معالجة » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٥) (أ) ، (ق) : « وعناه فأغناه » .

ومكانة ؛ إلاّ أنها كانت إلى الهلاك قائده ، وزاد في طغواه ، وأرخى له الدهر أعنّة هواه دون تقواه ، فطار في غير مطاره ، ونال نهايات أمانيه ، وأوطاره ، إلى أن تنكّر تنكز له ، فلبس له جلد النمر ، وصبّحه بصوب من سوط عذاب منهمر[١] ، فقتله بين يديه بالمقارع إلى أن تهرّا ، وتفصّل جلدُه وتفرّى ، ثم كحله فأعماه ، وقطع لسانه فأصماه .

فما كان بأسرع من ولوج الحمام حماه ، ونفاذ السهم الذي قصده الحتف به ورماه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل[٢] شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

حكى لي علاء الدين بن مقلّد من لفظه ، قال : توجهت إلى الرحبة في شغل ، فعدت وقد حصل لي ثمانية عشر ألف درهم ، أو قال : خمسة عشر ألف درهم ، من العُرْبان ، ولم أذكر أنا هذا القدر إلاّ أن هذا في أيام الأمير سيف الدين تنكز ، كان فرطاً عظيماً لا يصل إليه أحد في أيامه . وكان [ابن][٣] مقلد رحمه الله تعالى قد زاد في التعاظم والتيه والكبرياء ، فلو جاءه علي بن مقلّد صاحب شيزر[٤] لقال : هذا شيّ زريّ لا شيزري ، ولكنه أقام على هذا القدم مدة طويلة ، وكان الأمير سيف الدين [تنكز][٥] رحمه الله تعالى يسأل عنه من دواداره ناصر الدين ، ويقول له : هذا ابن مقلّد ما يعجبني حاله ، وربّما أنه يشرب النبيذ . فيقول ناصر الدين الدوادار : ما أظن ذلك ولا] يقدر][٦] يفعله وحاجّةُ فيه مرّات ، فلما كانت واقعة حمزة التركماني [المقدم][٧] ذكْرهُ ودخوله في أمر ناصر الدين الدوادار ، وما أوحاه في حقّه[٨] وحقّ

(١) في الأصل : « وصبّحه بسوط من عذاب .. » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « أوّل » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) (ت ٤٧٥) ، الوافي : ٢٢٣/٢٢ .
(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٧) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٨) في الأصل : « حتفه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

جماعته ، خرج لوالي المدينة وقال له : أريد منك أن تكبس ابن مقلّد ، فكبسه تلك الليلة ، وعنده جماعة نسوة وحُرَفاؤهنّ[١] ، ولما أصبح دخل حمزة إلى تنكز وعرفه الصورة ، فأحضر الدوادار وأنكر عليه ووبخه وعنّفه ، وكان ذلك سبب الإيقاع به ، وأحضر ابن مقلّد وقتله بالمقارع قتلاً عظيماً إلى الغاية ، وكحله ، واعتقله في قلعة دمشق ، فبلغه عنه كلام لا يليق ، فقطع لسانه من أصله ، وأُحضر إليه على ورقة ، فمات فيما أظن من ليلته بعد ما سلب نعمة عظيمه ، ورتبه مكينه ، وجاهاً طويلاً [عريضاً] ، نسأل الله خاتمة خير في عافية[٢] .

١٢٤٢ ـ علي بن منجا*

ابن عثمان بن أسعد بن المنجّا التنوخي ، الشيخ الإمام الفقيه البارع ، قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ زين الدين أبي البركات ابن القاضي عز الدين أبي عمرو بن وجيه الدين أبي المعالي الحنبلي ، قاضي دمشق .

ذكرتُ جماعةً من أهل بيته في هذا التاريخ ، وحدّث عن ابن البخاري ، وابن شيبان[٤] ، وطائفة .

هو من بيت سعادة وحشمه ، وسيادة ونعمه ، وفتوى وفتوّه ، ومكارم للناس مرجوّه ، وأيادٍ متلونة الأنواع متلوّه .

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سيّدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

---

(١) في الأصل : « جماعة حرفا ونسوة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي ،

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « عاقبة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* البداية والنهاية : ٢٣٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٩١/١ ، والدرر : ١٣٤/٣ ، والذيل التام : ١١٣ ، والشذرات : ١٦٧/٦ ، والدارس : ٣٢/٢ .

(٤) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت٦٨٥) ، العبر : ٣٥١/٥ .

وكان هذا القاضي علاء الدين كثير الرئاسه ، غزيز السياسه ، لا يكاد أحد يسبقه إلى عزاء ولا هناء ، ولا ينزل من مضارب الرئاسة إلاّ في خباء مروءة وحياء ، يَوَدُّ من يعرفه ومن لا يعرفه ، ويُسْعِف[١] الخصم في الحق ولا يعسفه :

منجّـــــذٌ من بني المنجّـــــا نـــال من الفضـل مـــا ترجّى[٢]
أسرع في نيـــــل كلِّ مجـــــدّ وهمّ في قصـــــده ولجّـــــا
فصـــــار بحراً في العلم يصفـــو ولم يَرَ الـوصف منـــه لُجّـــا

ولم يزل على حاله المرضيّه ، وأوامره المقضيّه ، إلى أن وقع ابن المنجا في شرك المنية وما نجا ، وكاد النهار يكون لفقده دجا .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس سابع[٣] شعبان سنة خمسين وسبع مئة .

وتولى القضاء بعده قاضي القضاة جمال الدين المرادوي الحنبلي .

نقلت مولده من خطّه ليلة نصف شعبان سنة سبع وسبعين وست مئة .

وكان قد لبس تشريفه بقضاء قضاة الحنابلة بدمشق يوم الأربعاء[٤] حادي عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى كثير الرئاسة والحشمة ، قلّ أن يسبقه أحد إلى هناء أو عزاء ، ويشارك أهل العَزاء والهناء في شأنهم . ولّما توفي فتاي مراد حضر إليّ إلى البيت وعزاني فيه ، وتوجه إلى الجامع ، وصلّى عليه في الجامع الأموي ، وتوجّه إلى مقابر الصوفية ، ووقف على قبره حتى دفن . ولما انصرف الناس وقف لهم ، وشيّعهم ، وتشكر لهم حتى أخجلني من كثرة إحسانه وتوجعه وتفجعه ، ولذلك قلت أنا فيه :

---

(١) في الأصل : « ويستعف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) المنجذّ : المُجرَّب .
(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) ، (ق) : « تاسع » ، وفي البداية والوفيات والدرر : « ثامن » .
(٤) في الأصل : « الأحد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والبداية والنهاية : ١٥٧/١٤ .

لِمْ لا أسحّ دموعي في رزيّة من قد كان يُزْهَى على بدر السما تيها
وقد رماني القضا فيه بنائبة قاضي القضاة أراه نائبي فيها

١٢٤٣ ـ علي بن منصور بن محمد بن المبارك*

شمس الدين بن الإسنائي المعروف بابن شوّاق الطبيب ، بالشين المعجمة والواو المشدّدة ، وبعدها ألف وقاف .

اشتغل بالطبّ[١] ، وناب في الحكم بأصفون وغيرها ، وأخذ الطب عن ابن بيان ، ومهر فيه واشتهر[٢] بالمعرفة ، وكان يتبارك بطبّ « الْمُكَرَّم » دون شمس الدين هذا ، فقيل له في ذلك ، فقال : المكرم يُطْلَبُ في ابتداء الأمراض ، وفي الأمور السهلة ، وأنا ما أطلب إلا إذا أيس من المريض ، وإذا كان المرض مخوفاً .

وكان حسن الخلق .

توفي رحمه الله تعالى بعد التسعين وست مئة .

١٢٤٤ ـ علي بن نصر الله**

ابن عمر بن عبد الواحد القرشي المصري الشافعي ، الشيخ الإمام الفاضل الخطيب المعمر المسند نور الدين أبو الحسن .

كان خطيب قرية بظاهر القاهرة ، روى أكثر (صحيح) النسائي عن عبد العزيز بن باقا ، وسمع أيضاً من جعفر الهمذاني ، والعَلَم بن الصابوني ، وأجاز له أبو الوفا بن مندة ، وأبو سعيد المديني ، وعدّة .

---

* الوافي : ٤٢/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤١٨ .

(١) (أ) : « بالفقه » .

(٢) (أ) : « واشتغل بالمعرفة » ، وعبارة الوافي : « واشتهر فيه بالمعرفة والحذق » .

** الوافي : ٢٧٣/٢٢ ، والدرر : ١٣٦/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ .

وتفرّد ، ورحل الناس إليه ، وكان خاتمة من سمع شيئاً من ابن باقا .

وسمع منه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ والواني ، وابن خلف ، وابن المهندس[١] ، وابن حرمي ، وعدّة . وظهر للناس بعد رحلة شيخنا الذهبي من مصر ، وأثنى الناس عليه .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشري شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة عن نيّف وتسعين سنة .

١٢٤٥ ـ علي بن هبة الله*

ابن أحمد بن إبراهيم بن حمزة نور الدين بن الشهاب الإسنائي .

كان فقيهاً مفتياً ، سمع الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحافظ عبد المؤمن ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة . وحفظ (مختصر مسلم) للحافظ المنذري ، وأخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله بن سيّد الكل القفطي[٢] ، والشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي[٣] .

وبرع في الفقه وأفتى وسلك في العلم طريقاً ﴿ لاتَرَى فِيهَا عِوَجَاً وَلاَأَمْتاً ﴾[٤] وكتب (الروضة) في مكة بخطّه ، واجتهد في ذلك فحصل له المراد على شرطه ، وكان يستحضر أكثرها وغالبها ، ويُرَغِّب بمعرفته فيها طالبها .

وهو أول من أدخل (الروضة) إلى قوص ، وجعل قدرها بذلك صحيحاً غير

---

(١) في الأصل : « وابن الخلف وابن مهندس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٢٨٥/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٢٠ ، والدرر : ١٣٦/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٢١/١ .

(٢) (ت ٦٩٧) ، والشذرات : ٤٣٩/٥ .

(٣) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٦٧٧) ، الوافي : ٥٥/٧ .

(٤) طه : ١٠٧/٢٠ .

منقوص ، ودارت عليه الفتوى ، وكان فيها مسددًا ، ودُرُّ علومه مجموعاً في ذهنه لا مبددا .

وكان أمّاراً[١] بالمعروف ونّهاء عن المنكر ، كم وعظ غافلاً عن نفسه وكم ذكّر .

وكان مهيباً مع اتضاعه ، سامياً في قدره ، يُرى النجم في أفقه أنه دون ارتفاعه ، يتهجّد في دياجيه ، ويخاطب من يعلم سرّه ونجواه فيناديه ويناجيه .

ولم يزل على حاله إلى أن تسجّى ، وانقطع ما أمّل وترجّى .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة سبع وسبع مئة .

ودرس بالعزيّة بقوص والمدرسة المجديّة ورباط ابن الفقيه نصر . ودرس بدار الحديث بقوص ، وتزوج بأخت الصاحب نجم الدين الأصفوني[٢] .

ولما توفي الصاحب طُلِب أصحابُه فهرب الشيخ وتغيّب سبعين[٣] يوماً ، فحفظ فيها (المنتخب في الأصول) .

وكان بعض النصارى قد أسلم وله ولد نصراني وأولاد ولد أطفال ، فقام في إلحاقهم بجدّهم ، وأفتى بذلك متبعاً ما حكاه الرافعي عن بعضهم ، وقال إنه الأقرب ، وجرى في ذلك صراع كثير ، وألحق بعضهم بجده ، فقيل إنّ النصارى تحيّلوا وسَقَوْهُ سمّاً ، فحصل له ضعف وإسهال ، فمات رحمه الله تعالى .

---

(١) في الأصل : « أمارة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في (أ) ، (ق) والوافي : « نجم الدين حمزة بن الأصفوني » .

(٣) في الأصل : « أربعين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

١٢٤٦ ـ علي بن يحيى*

ابن علي بن محمد بن أبي بكر ، الشيخ الفقيه المقرئ العالم الْمُسند علاء الدين ، أبو الحسن التُجيبي الشاطبي الدمشقي الشافعي الشاهد .

سمع من الرشيد بن مسلمة ، والمجد الإسفرايني ، والرشيد العراقي ، والنور البلخي ، واليلداني ، والجمال الصوري[١] ، وعدّة ، وأجاز له ابن الجمّيزي وغيره ، وخرّج له الشيخ صلاح الدين العلائي ، وطال عمره ، وتفرّد ، وروى الكثير ، وكان له مسجد وحلقة ومدارس ، وعجز آخراً وانقطع ، وكان يُسمع في القباقبيّين .

وتوفي رحمه الله سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة .

١٢٤٧ ـ علي بن يحيى بن عثمان**

ابن أحمد بن أبي المنى محمّد بن نحلة ، الشيخ علاء الدين بن نحلة .

كان مدرّس الدولعيّة بدمشق والمدرسة الركنية . وباشر نظر ديوان بيت المال إلى أن مات رحمه الله تعالى في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وكان صدراً عاقلاً رئيساً ، حفظ (المحرر) في الفقه للشافعية ، ولازم الشيخ زين [الدين][٢] الفارقي مدّة ، وكان مواظباً على لزوم الجماعة والتردد إلى الفقراء

* الوافي : ٣٢٠/٢٢ ، والدرر : ١٣٧/٣ ، والشذرات : ٥٥/٦ .

(١) علي بن يوسف (ت٦٥٤) ، العبر : ٢١٨/٥ .

** الوافي : ٣٢١/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٠٧/١٤ ، وفيه : « علي بن محمد » ، والدرر : ١٣٧/٣ ، وعنه في الدارس : ١٨٤/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

والصالحين ، وله ورد من التلاوة . وروى (جزء ابن الفرات) عن ابن عبد الدائم ، وسمع من غيره . وعمر داراً مليحة إلى جانب الركنية ، ومات بعد فراغها بمدة يسيرة .

١٢٤٩ ـ علي بن يحيى بن إسماعيل بن القيسراني*

القاضي علاء الدين ابن القاضي شهاب الدين ابن القاضي الصدر[١] الكبير عماد الدين .

نشأ في حياة والده ، ودخل ديوان الإنشاء في دمشق في أواخر أيام سيف[٢] الدين تنكز ، وقُطع بعده ، ثم إنه استخدمه الفخري .

وكان شاباً عاقلا ، ساكناً متثاقلا ، كثير الصمت ، بهيّ السمت ، كتب جيداً في قلم الرقاع ، وروّض به الطروس ، فكانت كالزهر النابت في أخصب البقاع ، واشتغل وحصّل ، واجتهد في طلب الأدب وأصّل .

وكان والده يجتهد[٤] عليه ، ويودّ لو ساق الفضائل بأزمّتها إليه . وكان في ذهنه وقفة تقصّر به عن اللحاق ، وتجعل بَدْرَ فضله مخصوصاً بالمحاق ؛ إلاّ أنه حفظ (الحاجبية) و (المعلقات) بعد القرآن العظيم ، وأحرز غير ذلك في عقده النظيم .

ولم يزل على حاله إلى أن أذوى الموت زهرتَهُ الغضّه ، وجعل الدموع من الحزن عليه مرفضّه .

وتوفي رحمه الله تعالى ....[٣] من شعبان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

---

* في (أ) ، (ق) : « ابن القاضي الرئيس الصدر الكبير ابن القاضي الصدر » . وشهاب الدين هذا ستأتي ترجمته في حرف الياء .

(١) في (أ) ، (ق) : « الأمير سيف الدين » .

(٢) (ق) : « يَجْهد » .

(٣) كذا بياض في الأصول .

كان قد مرض مرضة طوّل فيها ، وأقام قريباً من سنة ، ثم إنه حصل له استسقاء ، ولوالده رحمها الله تعالى ، ومات والده قبله بشهر ، وأفاق هو ، ثم إنه نقض الاستسقاء عليه ومات .

وكان بعد إمساك تنكز ، قد منع من مباشرة كتابة الإنشاء بدمشق ، ولّما جلس الفخري في القصر الأبلق استخدمه ، فكتبتُ له توقيعاً ارتجالاً ، ونسخته :

« رسم بالأمر العالي لازال وليّه عليّا ، وحفيّه بكل خَيْرٍ مليّا ، وصفيه تقرّ به السيادة من الدول نجيّا ، أن يعاد المجلس السامي القضائي العلائي إلى كتابة الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة ، لأنه من قوم كلٌّ منهم كريم . وكاتب ورئيس ، إذا ابتدع في المعالي طريقة لم يكن له فيها تابع ولا عاتب ، ومدبر لم يَرْتب الزمان أن ذكر مجدهم المؤثل فيه راتب ، نشأت أصولهم في رياض بلاغة ووزاره ، وسارت محامدهم في الآفاق فأخجلت الكواكب السيّاره ، وجرت بسعودهم التي ورثوها من جدودهم الأفلاك المُدَارة . وسكن الزمان بجبال حلومهم الراسخة بعد الطيش ، واستغنى الملوك بكتبهم عن تجهيز الكتائب إلى كل جيش ، وطابت أنفاس السَّحَر بريّاهم ؛ لأن بني مخزوم ريحانة قريش ، وضربت أعراقهم حتى اتصلت بخالد بن الوليد ، ونظر الناس منهم كلَّ كُفْوٍ غِناهُ كالذهب عتيد ، وباسه كالحديد شديد ، وتجمَّل الدهر منهم بمدبرّ كان موفقاً في خدمة نور الدين الشهيد ، طالما جالسوا الملوك على أسرِّتهم ، وجاوَدُوا الغيوث فعمّوا الأنام بمبرّتهم ، ونادموا النجوم فعاطوهم[1] كؤوس مسرّتهم ، كم أغاث قلمُهم ملهوفاً ، وكان بمعرّته جارما ، وكم حَلَبَ في حَلَبَ [وغيرها][2] رزقاً ، وفي غيرها ، وما كان حارما .

فليباشر ذلك [مُقْتَديا] بما لأبيه أدام الله تعالى نعمته في هذه الوظيفة من الآثار الحميده ، والمناقب التي أخذت أياديها على المحامد عهوداً أكيده ، والآثار التي لا يطاولُ

(١) (ق) : « فعاطوها » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

الزمانُ قصورَها المشيده ، والفضائل التي هي في الديوان بيت القصيده ، حتى تَجَمَّلت به الدنيا ، وأقسم الفضلاء أنّ القاضي الفاضل لم يقضِ نحبا ، وأنه يحيا ، مهتدياً بسمت عمّه خلّد الله سعوده ، فإنه لهذه الدنيا[١] شرف ، ولهذه الأيام من أقلامه غابٌ لا يدخلها ليثٌ خطب إلاّ انهزم وانصرف ، ولهذه الأيام[٢] من تواقيعه جنات فيها حور الأرزاق ، تأوي إلى غرف ، وليدبجّ بأقلامه المهارق التي تمطرها البلاغه ، وتُعَلِّم الناس بمعانيها كيف يكون السحر وبألفاظها صناعة الصياغه . والوصايا عنهم يؤخذ بيانها ، ومنهم يشير إلى الهدى بنانها فما[٣] ينبّه عليها ، ولا يدل على الطريق الآخذة إليها ، وتقوى الله هي العمده ، والذخر العتيد عند الشده ، فلا ينس فيها نصيبه ، ولا يقدم غيرها في المهمات كتيبه ، والخط الكريم أعلاه حجة في العمل بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى » .

وكتبت إليه رحمه الله تعالى وقد عرض عليَّ من حفظه (المعلقات السبع) و (ملحة الإعراب) للحريري :

« أما بعد حمد الله تعالى حقّ حمده ، وصلاته على سيدنا محمّد نبيّه وعبده وسلامه ، فقد عرض عليّ الجناب الكريم العلائي ابن المقرّ الشريف الشهابي بن القيسراني :

مولى إذا أعمل أقلامه ... لم يبق في الْجُودْ لغيث حِصَص[٤]
فالبرق من حرقته يلتظي ... والرعدُ في السحب كثير الغصص
لذا أولو الحاجات في بابه ... تطرب إن وقّع فوق القصص

---

(١) (أ) ، (ق) : « الدولة » .
(٢) (أ) ، (ق) : « البريّة » .
(٣) (أ) : « فلا » .
(٤) في الأصل : « قصص » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

جميع (المعلقات السبع) من أوّلها إلى آخرها ، و (ملحة الإعراب) للشيخ أبي [محمد][1] القاسم بن الحريري رحمه الله تعالى في مجلس واحد عرضاً عن ظهر قلب ، وهذّا يتعدّى إلى اللبّ بهمزة السَّلب ، كالسيل إذا تحدّر على الحقيقة من علي ، والجود إذا أتى من كريم ملي ، والحقّ إذا توضح من جليل جَلي :

فما رآه ناظري عارضاً ... لكنه صاحبُ ديوان
وما تفاءلْتُ له كاتباً ... بل حاكماً في صدر إيوان

وقد شهدت له فراستي أنه ينّزل من العلم الشريف في أعلى ربع ، ويعرف اللغة ، فلا يغيب شيء من غابها عنه ، لأنه قد حفظ السبع ، ويترقى في سماء الفضائل بدراً لا يغيب عنها ، ولا يَغْرُب ، ويُخْرِس[2] الفصحاء [ببيانه][3] حتى لا يعرب كلامه يعْربُ ، والله يسعده سعادة يزين الدياجي بِسُرُجها ، وتصعده رتباً ، رقي أهل بيته [في][4] دُرجها ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٢٥٠ ـ علي بن يحيى*

ابن محمد بن عبد الرحمن السلمي ، الحنفي ، الرئيس ، القاضي ، علاء الدين أبو الحسن بن جمال الدين بن الفويرة .

كتب هذا علاء الدين الخطّ المنسوب الباهر ، وجوّد النسخ الذي يفضح الروض

---

(١) زيادة من (ق) ، وفي (أ) : « أبي القاسم بن محمّد » ، ولا وجه لها ، والحريري هو : أبو محمد القاسم بن علي بن محمّد (ت٥١٦) .

(٢) في الأصل : « ويحرس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٣٩/٣ ، والذيل التام : ١٣٥ .

إذا كان بإزاء الأزاهر ، وأتى بخطّه في قوائم[١] الحساب ، كأنه عقود الجواهر ، ونبغ بعد والده ورأس ، واحترز من مطاعن السيادة[٢] . واحترس .

وكان بيده شهادة الخزانة ونظر الأسرى ، ووجد من ألم هذا النظر ما رجعت به عَيْنُه حسْرى ، وخرج عنه مرات ، وعاد إليه ، ولكن بعد ما أتى على ماله ديه ، ثم خرج عنه آخرا ، وعدم منه على ما قيل بحراً زاخرا .

ثم إنّه رُسم له بتوقيع الدست في الشام ، فباشره دون نصف العام ، وجاءه حَيْنهُ ، وملئت بالتراب عَيْنُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء ثالث عشري شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

كان في نظر الأسرى فسُلِّط[٣] عليه القاضي علاء الدين بن الأطروش محتسب دمشق ، فأخذها منه في أيام الأمير سيف الدين يلبغا ، فاحتاج إلى كلفة حتى بطلت القضية . ثم إنه أخذها مرة أخرى فيما أظن أو غيره ، فاحتاج إلى كلفة ، ثم أخرجت عنه ، فاحتاج إلى كلفة ، ثم إنها خرجت عنه للأمير ناصر الدين بن الْمُحْسِني[٤] ، وبقي منها بطالاً إلى أن حضر القاضي علاء الدين بن فضل الله إلى دمشق صحبة السلطان الملك الصالح ، فسأله أن يكون في الدست موقّعاً ، فوعده بذلك إذا وصلوا إلى مصر . ولما وصلوا جاءه التوقيع ، وباشر ، وجرى عليه ما لم يجرِ على غيره لكونه دخل في هذه الوظيفة ، وليس من أهلها ، ونظم الشاميون والمصريون في ذلك ، فمن ذلك قول القاضي شمس الدين محمّد بن قاضي شهبة ، وأنشد فيه من لفظه :

---

(١) في الأصل : « قوام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « السيرة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) (أ) : « تسلّط » .

(٤) محمد بن بدليك ، ترجم له صاحب الدرر : ٤١١/٣ ، وقطع أخباره سنة (٧٥٤) ، ولم يذكر سنة وفاته .

توقيعُ مملكة الدست الشريف غدا ... يقول مِنْ حنق الأنفاس مغبون[١]
صبرتُ للقطّ [لمّا] لم يكن نجساً ... صبر المؤمّل من حين إلى حين[٢]
وبالفويرة قد أصبحت ذا نجسٍ ... بالله يا أولياء الأمر كُبّوني

وأنشدني لنفسه أيضاً :

توقيع دست المسلمين يقول لم ... أُذنب ولم أُجرم ففيم قصاصي
في الشام تُقْرَضُ بالفويرة حُلّتي ... والقطّ في مصرٍ فكيف خلاصي

وأنشدني من لفظه لنفسه نجم الدين أحمد بن غانم :

أدست الملك أنت عظيم قدر ... وأنت كبدر أفق وسط دارَه[٣]
فما لك بالقذارة يا مفدّى ... أهنت وحُطّ فيك اليوم فاره[٤]

وأنشدني آخر :

توقيع ديواننا يُنادي ... يا ربّ ما للأنام غَيْره
اضرّبي القطّ والزغاري ... وقد تنجسْتُ بالفويره

وكان الأمير علاء الدين ألطنبغا وهو نائب دمشق قد رسم له بصحابة ديوان الجامع الأموي في سابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكتبتُ له توقيعاً بذلك ونسخته :

« رُسِمَ بالأمر العالي لازال عليّاً وليُّه ، نجيّا صَفيُّه ، مليّاً إحسانه إلى من يَرى به المنصب وفيه وفيّه ، أن يرتّب المجلس السامي القضائي العلائي في كذا ، لأن الكاتب

---

(١) كذا ، وعليه ففيه إقواء .
(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (أ) ، (ق) : « عزيز قدر » .
(٤) في الأصل : « وحط اليوم فيك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

الذي راحت براحته الطروس مدبجّه ، والسطور شفاها[١] ، وحروفها لاختلاف وضعها ثغور مفلّجه ، والمداد مسكاً لأنّ المعاني به [نافجة][٢] نافحه ، ولا يقال نفجّة ، والحاسب الذي لو شاء لَقَطَّ النيل [على][٣] أصابعه ، وحرّر حركات البرق بعقود أنامله التي هي أسرع من لوامعه ، وضبط حاصل الجامع حتى أصبح مأسوراً في جوامعه ، والأصيل الذي تتردّد الرئاسة خلال خلاله ، وتتعدد السيادة من معاطفه إذا خطر في حلّة كماله ، وتشهد له المحاسن فإن الناس طالما شاهدوا إحسان جماله .

فليباشر ذلك مباشرة تليق برئاسته ، وتضمن له الفضل الذي يديم الله [له][٤] ملابس نفاسته ، حتى يقول الناس : إنَّ الليث قد فاز بمدح شبله ، والغيث حاز المنح بوبله ، ويقسم المجد بهذا البلد ووالد وما ولد[٥] إنّ الفضل به اتّحد ، واشتمل عليه وبه انفرد ، وهذا الجامع ـ عمره[٦] الله تعالى بذكره ـ يتحقق أنه ذو حسن ورونق يطرب من يلقاه ومن ذا الذي لم[٧] يطرب لمعبد أمواله جمّه ، وأحواله مهمّه ، ولياليه بوقودها متوضحة إذا كانت أيام غيره مدلهمّه ، عليه جملة من الرواتب ، وعدّة من الجوامك تدرها سحائب النفقات من يد كل كاتب ، يَسْتَرْفِدُهُ حتى بيت المال ، وناهيك بذلك وتستجديه بقيّة المساجد ، فينيرُ لياليها الحوالك .

فليعمل جهده في حراسة ماله ، وصيانة ما يساق لزينته وجماله ، وليجتهد فيما هو لازمه من وظيفة جمّلت الأوان ، ويعتمد على السداد ، فما له رفيق إلاّ وله بيت وهو

---

(١) في الأصل : « سقاها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في كلامه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهذ البلد ﴾ إلى قوله : ﴿ ووالد وما ولد ﴾ [البلد : ١/٩٠ ، ٣] .

(٦) في الأصل : « عمر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٧) (أ) ، (ق) : « لا » .

صاحب الديوان . والوصايا كثيرة ، وتقوى الله عزّ وجل أفضل ما شرحه لسان قلم ، وخَفَق له في العمل الصالح عذبات علم ، فليجعلها له حَرَما ، ويستدرّ بها من الله عزَّ وجل نِعَما .

والحظ الكريم أعلاه ، حجة العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٢٥١ ـ علي بن يعقوب بن أحمد*

ابن يعقوب علاء الدين ابن الشيخ شرف الدين بن الصابوني .

كان شاباً ابن ثلاثين سنة ، وسمع الكثير بدمشق ، والقاهرة .

وتوفي بكرة الجمعة تاسع عُشْري[1] جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بمقابر باب النصر بالقاهرة .

١٢٥٢ ـ علي بن يعقوب بن جبريل**

الشيخ الإمام العالم نور الدين أبو الحسن البكري المصري الشافعي .

كان يذكر له نسباً يتصل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، منه إليه عشرون اسماً .

قرأ بنفسه (مسند) الشافعي على وزيرة بنت المنجا .

وكان يطّرح الكلف ، ويمشي على طريق مَن سَلَف ، ينهى عن المنكر ، ويأمر بالمعروف ، ويبالغ في ذلك وهو به موصوف . ووثب مرة على العلاّمة ابن تيميّه ، وأنكر عليه أموراً والله أعلم بالنيه ، وأنكر على الدولة أمراً لم يجد مَنْ يساعده ، وتولّى

* الدرر : ١٣٩/٣ .

(١) في الأصل : « عشر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (أ) : « عشرين » .

** الوافي : ٣٣١/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١١٤/١٤ ، والدرر : ١٣٩/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٣/١ ، والشذرات : ٦٤/٦ .

ذلك أجانبه وأباعده ، فرسم السلطان بقطع لسانه ، وكاد الأمر ينفصل في شانه ، ولولا صدر الدين بن الوكيل صدر[١] هذا الأمر إلى الخارج ، وألقي النور من النار في مارج ، فتلطّف له مع السلطان ، فرسم بنفيه من القاهره ، وعُدَّت هذه المنقبة لابن الوكيل في الأمثال السائره .

ولم يزل البكري على حاله إلى أن بكَرت عليه مغيرة المنايا ، وأصابت حبّة قلبه منها بنات[٢] الحنايا .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وكان له تواليف ، ولما استعيرت البسط والقناديل من جامع عمرو بن العاص بمصر لبعض كنائس النصارى في يوم من أعيادهم ، ونسب هذا الأمر إلى القاضي كريم الدين الكبير ، وفعل ما فعل ، طلع البكري إلى السلطان وكلمه في ذلك ، وأغلظ له القول ، وكاد[٣] ذلك يجوز على السلطان لو لم يحلّ بعض القضاة الحاضرين عليه ، وقال : ما قصّر الشيخ ، كالمستهزئ به ، فحينئذٍ أغلظ السلطان في القول للبكري ، فخارت قواه ، وضعف ووهن ، فازداد تأنيب بعض الحاضرين عليه ، فأمر السلطان بقطع لسانه ، فجاء الخبر إلى الشيخ صدر الدين ، وهو في زاوية السعودي ، فركب حماراً وصعد إلى القلعة ، فرأى البكري وقد أُخذ ليُمضى فيه ما أُمر به ، فلم يملك دموعه أن تساقطت ، وفاضت على خدّه ، وبلّت لحيته ، فاستهل الشرطة عليه ، ثم إنه صعد الإيوان والسلطان جالس فيه ، فتقدم إليه بغير إذن وهو باك ، فقال له السلطان :

---

(١) (أ) ، (ق) : « برز » .

(٢) في الأصل : « قلبه سهامات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

خير يا صدر الدين ! فزاد بكاؤه ونحيبه ، فلم يزل السلطان يرفق به ، ويقول : خير يا صدر الدين ! إلى أن قدر على الكلام ، فقال له : هذا البكري من العلماء الصلحاء ، يُرفق به ، وما أنكر إلاّ في موضع الإنكار ، ولكنه لم يحسن التلطّف[١] . فقال السلطان : إي والله ، أنا أعرف هذا إلا حطبة[٢] ، ثم انفتح [الكلام][٣] ، ولم يزل صدر الدين يلاطف السلطان ويرققه حتى قال له : خذه ورُوح ، إلا أنه يخرج من القاهرة .

وكان البكري بعد ذلك يقيم بدهروط وبغيرها ، وجرى هذا كلّه والقضاة حضور وأمراء الدولة ملء الإيوان ، وما فيهم من ساعد الشيخ صدر الدين غير أمير واحد .

وكان نور الدين هذا فيه كرم مع الفاقة ، وكانت له جنازة حافلة إلى الغاية .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : وصّى له ابن الرفعة أن يكمل (شرحه) على (الوسيط) ، وصنّف كتاباً في البيان ، وكتب على الفاتحة مجلّدة .

١٢٥٣ ـ علي بن يوسف بن حُرَيز*

بالحاء المهملة والراء والياء آخر الحروف الساكنة والزاي .

الشيخ نور الدين أبو الحسن الشَّطَّنوفي ، شيخ القرّاء . قرأ القراءات على تقي الدين الجرائدي[٤] ، وعلى ابن القَلاَّل[٥] ، وقرأ النحو على صالح[٦] إمام جامع الحاكم .

(١) في الأصل : « اللطف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في الوافي : « إلاّ هذا خطبه » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

* الوافي : ٣٥٤/٢٢ ، والدرر : ١٤١/٣ ، وغاية النهاية : ٥٨٥/١ ، وحسن المحاضرة : ٥٠٦/١ ، وبغية الوعاة : ٢١٣/٢ .

(٤) يعقوب بن بدران بن منصور (ت٦٨٨) ، العبر : ٣٦٠/٥ ، وغاية النهاية : ٣٨٩/٢ .

(٥) علي بن عبد الله بن أبي بكر ، ترجم له في غاية النهاية : ٥٥٢/١ ، ولم يذكر سنة وفاته ، وكان حيّاً سنة (٦٦٨) ، ووقع في الأصول : « العلال » ، وأثبتنا ما في غاية النهاية .

(٦) هو صالح بن إبراهيم بن أحمد الإسعردي ، كما في الدرر ، وغاية النهاية ، وانظر : بغية الوعاة : ٨٠/٢ ، ووفاته (٦٦٥) .

وسمع من النجيب الحراني ، وتولّى التفسير بجامع ابن طولون ، وتصدّر للإقراء بجامع الحاكم ، وكان القضاة يكرمونه ، والعلماء يعظّمونه ، ويعتقد الناس صلاحه ، ويرون أنه ممن جعل الدعاء سلاحه ، وقرأ عليه جماعة وخلائق ، وصفت منه له][1] البواطن والخلائق .

ولم يزل على حاله إلى أن شطّ المزار[2] من الشطّنوفي ، وبطل ما كان يسنده منه إلى البصري والكوفي .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

وصنف كرامات الشيخ عبد القادر الجيلي[3] ، وذكر فيها عجائب وغرائب ، وطعن الناس عليه في أسانيدها وفيما حكاه .

١٢٥٤ ـ علي بن يوسف بن الحسن*

الإمام المحدّث الأديب نور الدين أبو الحسن الزَّرَنْدي ، بفتح الزاي والراء وسكون النون ، وبعدها دال مهملة ، ثم المدني الحنفي .

تفقّه وشارك في الفضائل ، وكان عليه للعلم مخايل ودلائل ، وله فهمٌ ورزانه ، ولكلامه رونق ورَصَانه ، ونظم ونثر ، وقرأ بنفسه الحديث والأثر .

ولم يزل على حاله إلى أن [دَثر ، ودخل في خبر كان وغَبَرْ][4] وتوفي رحمه الله تعالى ...[5]

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « مزار الحياة » .

(٣) في كتاب سمّاه « البهجة » ، كما في الدرر .

* الوافي : ٣٥٦/٢٢ ، ووفيات ابن رافع : ٥٠/٢ ، والدرر : ١٤٢/٣ ، والنجوم : ١١٦/١١ ، والذيل التام : ٢٤٨ .

(٤) زيادة من (ق) ، كتبت بخطّ مغاير ، وترك مكانها بياض في النسخ الأخرى .

(٥) كذا بياض في الأصول ، وقد توفي صاحب الترجمة في سابع ذي الحجة سنة ٧٧٢ هـ ، كما في وفيات ابن رافع ، ومصادر ترجمته الأخرى .

ومولده بطيبة قبل السبع مئة .

قال شيخنا الذهبي : رحل إلى العراق مع أخيه ، وسمع ببغداد ، ودخل إلى خوارزم ودمشق ، ومصر ، وعُنِيَ بالحديث والرواية[١] ، وسمع مني وأعجبتني فضائله ، وله نظم ونثر .

١٢٥٥ ـ علي بن يوسف*

الشيخ علاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الإمام المحدّث الكاتب مجد الدين أبي الفضل[٢] بن المهتار محمد بن عبد الله المصري الأصل ، ثم الدمشقي الشافعي .

سمع كثيراً بإفادة والده على [ابن][٣] أبي اليسر والضياء يوسف بن خطيب بيت الآبار ، والبدر عمر بن محمد الكرماني ، والمجد بن عساكر ، والقاضيين شمس الدين [بن][٤] أبي عمر الحنبلي ، وشمس الدين بن عطا الحنفي وجماعة غيرهم .

ومن مسموعاته على ابن أبي اليسر (صحيح البخاري) و (سنن النسائي) و (الحِبّانيات)[٥] وأكثر من عشرين جزءاً .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وجمعت من شيوخه ستين شيخاً ، سمع منهم ، وكان إماماً بمسجد الرأس ، ويشهد تحت الساعات[٦] وله حلقة يُقرئ فيها القرآن بالجامع .

---

(١) (أ) ، (ق) : « وعني بالرواية » .

* الدرر : ١٤٣/٣ .

(٢) في الأصل : « أبي الفضائل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « الحسابيات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والحِبّانيات نسبة إلى محمد بن حبّان (ت ٣٥٤) ، صاحب المسند الصحيح وغيره .

(٦) في الأصل : « الساعاتي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ثم إنه ضعف بصره ، وانقطع ، وحدّث هو وأبوه وأخوه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر المحرّم سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وست مئة .

١٢٥٦ ـ علي بن يوسف أمير علي بن أمير*

صلاح الدين بن الملك الأوحد شادي بن الزاهر ، ابن صاحب حمص .

كان هذا أمير علي صورة أبدعها الخلاّق ، وأفرغ عليها من الجمال ما لاق ، كأن الشمس قد طلعت من قدّه على رمح ، والبدرَ قد طلع من أطواقه وبدا من جبينه الصبح ، كأنما صبّ النديم على وجناته رحيقه ، أو الورد لما ورد روضها شقّ من الغيظ شقيقه ، أو المحبّ لمّا لمحها أودعها حريقه ، بقوام كأنه غصن بانه ، أو قضيب ريحانه ، وثغر تحكيه الأقحوانه ، وشفاه هي على در مبسمة أصداف مرجانه :

يفتر عن لـــؤلـــؤ رطْبٍ وعن بَرَد وعن أقاحٍ وعن طلع وعن حَبَب[1]

وعيون تنفث السِّحرَ في عُقد الحشا ، وتفعل في القلوب ما يريده الغرام وما[2] يشا ، جفونها سيوف في جفون ، وأهدابها سهام يرميها حاجب قوسه كَنُون ، وبشرة رقت فما مثلها في البَشَر ، وشفّت كأنها الجوهر إذا صفا ، وانتشر ، يرى الناظر وجهه غريقاً في مائه ، ويقابله الهلال فينطلع في لألائه[3] :

فـــانقش لمـــا شئت على خـــاتم وحـــــاذِه تَقْرأهُ من خـــــدّه

---

* الدرر : ١٤١/٣ .

(١) في الأصل : « وعن أحاج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « آلائه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

هذا إلى حياء كأنه مُريب ، وإطراق لا يملأ معه عينه[١] من أحد ، كأنه رقيب قريب ، وصيانة كأنَّ الجَنيْد من جندها ، وتقوى كأنَّ السَّرِيّ سَرَى إلى عندها .

وعلى الجملة فقلَّ أن رأت العيون نظيره ، أو دخل معه كفؤ في حظيره .

توجّه إلى الحجاز ، واحتفل بأثقاله ، وبالغ في حمول جماله ، فلم يزل إلى أن قارب المدينة النبوية ، فتغيّر مزاجه ، وتَصَعَّبَ عليه[٢] علاجه ، واصطفاه ربّه ، وضمّ ذاك الجمال البارع تُرْبُه :

ما أنت يا قبر لا روضٌ ولا فلك ... من أيْنَ جمّع فيك الغُصْنُ والقمَر

وتأسَّف الناس على شبابه كيف اختطف ، وعلى زهر حسنه كيف اقتطف ، ودفنته أمّه في البقيع ، وأودعته كنف الشفيع .

وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبع مئة فرحم الله شبابه ، وكرَّم مآله ومآبه .

وكان أحد الأمراء العشرات بدمشق ، ولم يكن في زمانه [في][٣] موكب دمشق أحسن منه ، ومات رحمه الله تعالى ، ولم يبقل وجهه ، وكان تقدير عمره ثمان عشرة سنة فما دونها .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن العماد المقدسي** : أحمد بن عبد الحميد .

☆ **وعماد الدين بن عماد الدين** : [أحمد][٤] بن محمد .

---

(١) في الأصل : « لا يملأه عينه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) ليست في (أ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ط) .

☆ **ابن العماد الكاتب** : عز الدين حسن بن علي .

١٢٥٧ ـ عمر بن إبراهيم*

ابن حسين بن سلامة بن الحسيني ، الإمام الأديب الْمُسْنِد المعّمر جمال الدين أبو حَفْص الأنصاري العَقِيلي الرَّسْعَني .

ذكر أنّ الكندي أجاز له ، وأن الاستدعاء كان بخط الموفق ، وإنما ذهب [منه][1] أيام هولاكو .

سمع عليه شيخنا الذهبي والجماعة .

وسمع من المجد القزويني وابن روزبة وأبي القاسم بن رواحة ، وقدم دمشق في شبيبته ، وسمع من ابن الزبيدي ، وعبد السلام بن أبي عصرون[2] ، ومحمود بن قرقين[3] ، والضياء الحافظ .

وقرأ العربية ، ونظم جيّداً ، وكان يُذْكَرُ في الأيام الناصرية الصلاحية يوسف ، ويُعدّ في الشعراء ، وكتب عنه الصاحب كمال الدين بن العديم ، وتنقل في الخِدم ، وكان يوصف بالديانة والعفّة[4] والأمانة . وانتهت إليه رئاسة الشعر ، وغَلاَ به مِن القريض السعر ، وحصلت له رئاسه ، واشتهر في خِدَمِه بالنفاسه .

ولم يزل على حاله إلى أن درج إلى باريه ، وراح وكل مَنْ بعده[5] مباريه .

---

* الوافي : ٤١٣/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٢ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) هو عبد السلام بن المطّهر بن أبي سعد (ت ٦٣٢ هـ) ، الشذرات : ١٤٩/٥ .

(٣) محمود بن علي بن محمود (ت ٦٣٢ هـ) ، العبر : ١٣٢/٥ ، ووقع في الأصل : « فرقين » ، وفي (أ) : « فوقين » ، تصحيف .

(٤) (أ) ، (ق) : « ويعرف بالعفّة » .

(٥) في الأصل : « وراح كل بعده » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده برأس العين سنة ست وست مئة .

وروى عنه الدمياطي في (معجمه) وابن الصيرفي والمقاتلي وطائفة .

وعقيمة : قرية من سنجار .

وكان قد اتفق حضور شخص من مصر يعرف بشهاب الدين بلا خِصَى ، وولي نظر العمائر والسكّر ، وكان مُطَيْلساً ، وكان يحمل دواته شاب مليح ، وكان يسكن جوار الملك الزاهر ، فأفسد الزاهر الشاب المذكور ، ووعده بخبز ، فترك شهاب الدين بلا خِصَى ، وخدم الزاهر ، فلقي عنده كل سوء ولم يشبع الخبز ، فقال جمال الدين العقيمي فيه :

يا شادناً ضلّ السبيل لرُشْدِه ... وعصى العذول سفاهة فيمن عَصَى
قد كنت عِنْدَ بلا خصى في نِعمةٍ ... فتركتها سفهاً وجئت إلى خصى[1]

ومن شعره :

عيونُ المها منّي إليك رسُولُ ... نسيم سرى بالواديَيْنْ عليلُ
إذا ما انبرى يروي عن الروض نَشْرَه ... تقبّل بُرْدَيْه صباً وقبول
وإن هبّ معتلاً لِبَثّ صبابتي ... تفهّمْ حديث الوجد فهو يطول
وإن بان بانُ السفح عن أيمن الحمى ... فما مال إلاّ أنه ليقُول
حديثاً رواه البانُ عن نَسْمة الصبا ... ومن حُزْني أن النسيم رسول[2]

قلت : عكس هذا الشاعر المعنى ، لأن الصبا تروي[3] عن البان ، وعن غيره مما تمر عليه .

(١) (ق) : « فتركته » .
(٢) في الأصل : « بسمة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في (أ) ، (ق) : « الصبا هي تروي » .

١٢٥٨ ـ عمر بن إبراهيم بن عمران*

نجم الدين البهنسي .

اشتغل بمصر ، وحضر مع أخيه من أمّه عماد الدين الْمُهَلَّبي إلى قوص ، وتولى الحكم بهُوّ وبإسنا وأُدْفُو ، وكان فقيهاً له أدب وخط[١] حَسَنٌ ، ودرَّس بالمدرسة العَزيزية[٢] بإسنا ، وأقام بها حاكماً ، وبأدفو أكثر من سبع سنين .

قال الفاضل كمال الدين[٣] الأدفوي : على طريقة مرضيّة ، ووقعت بأسنا تركة عبد الملك بن الجبّان الكارمي ، فُطلب بسببها إلى القاهرة ، فحصل له خوف شديد[٤] ، ومرض بالبُلَيْنا[٥] ، فرجع إلى قوص ، وتوفي بها سنة عشر وسبع مئة عن ثمانية وأربعين سنة .

١٢٥٩ ـ عمر بن أحمد بن الخضر بن ظافر**

سراج الدين الأنصاري الخزرجي المصري الشافعي .

سمع من الرشيد العطّار ، وتفقه أولاً على ابن [عبد][٦] السلام ، ثم على النصير بن الطباع[٧] ، وأجاز له المرسي والمنذري .

---

* الوافي : ٤١٥/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٣٨ ، والدرر : ١٤٧/٣ .

(١) في الأصل : « له » في (أ) ، (ق) والوافي : « وله أدب » ، وفي (أ) ، (ق) : « وخطّه ».

(٢) في الأصل : « المعزيّة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في (أ) ، (ق) والوافي : « كمال الدين جعفر » .

(٤) قوله : « فحصل له خوف شديد » ليس في الطالع السعيد .

(٥) مدينة على شاطئ النيل من غربيّه بصعيد مصر (معجم البلدان) .

** الوافي : ٤١٨/٢٢ ، والدرر : ١٤٩/٣ ، والشذرات : ٧٢/٦ ، وذيول العبر : ١٤٥ .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٧) في الدرر والشذرات وذيول العبر : « الطّباخ » .

وسمع منه شيخنا البرزالي وابن المطري[١] ، وخطب بالمدينة أربعين عاماً[٢] ، وولي القضاء بعد ذلك ومرض ، فسار إلى القاهرة ، ليتداوى ، فأدركه الموت بالسويس في العشر الأواخر من المحرّم سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست أو سبع وثلاثين وست مئة .

١٢٦٠ - عمر بن أحمد بن أحمد بن مهدي*

عز الدين المدلجي النسائي الشافعي .

سمع من شرف[٣] الدين الدمياطي وغيره .

برع في الفقه ودقق ، ونظر في الأدلة وحقّق ، وقاس ورجّح وفرَّع وفرّق ، مع معرفة بالأصول وتوفير مَوَادّ ومحصول ، وله على (الوسيط)[٤] إشكالات جَوّدها ، وبيض بها وجه المذهب لمّا سوّدها .

وكان زاهداً قانعاً برزْقه عابداً ، يحضر السماعات ويطيب ، ويحصل له حالٌ يأخذ [مَن الوجد][٥] بنصيب .

ولم يزل على حاله إلى أن حجّ ، فادلهمّ له لَيْلُ الحياة ودَجّ .

وتوفي بمكة رحمه الله تعالى في ثاني ذي الحجة سنة عشر وسبع مئة .

وإشكالاته على (الوسيط) في مجلدين[٦] . وكان يدرّس بالفاضلية والكهّارية ، ويعيد بالمدرسة الظاهرية .

---

(١) عبد الله بن محمد بن أحمد (ت ٧٦٥) ، وفيات ابن رافع : ٣٩٤/١ .

(٢) في الأصل : « يوماً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والدرر .

* الدرر : ١٤٩/٣ ، والشذرات : ٤٤/٦ .

(٣) في الأصل : « شمس » ، سهو .

(٤) في الأصل : « التحصيل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، و « الوسيط » للغزالي .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٦) انظر : الكشف ٢٠٠٨/٢ .

١٢٦١ ـ عمر بن أحمد بن عبد الدائم*

ابن نعمة المقدسي ، الشيخ الصالح أبو حفص .

عذّبه التتار بالصالحية عذاباً شديداً ، ثم حُمل إلى داخل البلد ، فأقام أياماً يسيرة ، ومات في درب القلي[١] رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة . [وحَضَر على الحافظ أبي موسى بن عبد الغني في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وست مئة][٢] .

وسمع من ابن الزبيدي والهمداني والإربلي ، وابن صبّاح ، والناصح بن الحنبلي ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وآخر ما قرأت عليه الثالث والرابع والخامس من (الخُلَعِيَّات) لسماعه من ابن صبّاح .

١٢٦٢ ـ عمر بن أحمد**

زين الدين بن الصدر شهاب الدين بن قُطّينة الزرعي التاجر .

توفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثامن عشر صفر سنة خمس وسبع مئة .

١٢٦٣ ـ عمر بن أحمد***

القاضي زين الدين ، رئيس ديوان الإنشاء بطرابلس ، الصفدي ، المعروف بابن حلاوات .

---

* لم نقف على ترجمة له ، وخلَتْ من ترجمته (أ) ، (ق) .

(١) أشار إليه صاحب الدارس : ٢٥٣/٢ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الدرر : ١٥٣/٣ .

*** الوافي : ٤٢٦/٢٢ ، والدرر : ١٥١/٣ .

كتب الإنشاء أولاً بصفد ، وفاز من الدهر بالحظّ والصَّفد ، ثم نُقل إلى طرابلس ، فنال فيها الحظ والوجاهة[١] والسياده ، وباهَىَ[٢] فيها الكواكب بمعاليه وباته .

وكان من رجال الزمان إقداما ، وممّن يُتْعِب أعاديه إرغاما ، لا يهاب الأُسود إذا فغرت فاها ، ولا الأيام إذا أدبرت وأولته جفاها ، خبيراً بمداخلة النواب ، ومشاكلة الأنواع والأضراب ، ما كتب قدام نائب إلا وخلبه ، ونهب عقله وسلبه ، وأصبح طوع مرامه ، وقوْساً في يده يرمي بها إلى غرضه بسهامه ، ولا يرجع في[٣] المملكة لغيره في[٤] كلمة ، ولا لصاحب وظيفة حركةٌ في النفاد مُصْطلحة ، ولا تجد في بلده أحداً يذكره إلا وهو يقول :

ذاك خليلي وذُو يُـــــــــوَاصِلُني يرمي ورائي بـــأسهم وامسَلمـــه[٥]

أطاعته المقادير وساعدته ، وتأخرت عنه الخطوب وباعدته ، ولو أخّره الأجل تقدّم ، ولم يغادر للرؤساء غيره من متردَّم ، فإنّ القاضي علاء الدين بن الأثير كان يطوي حشاه على محبّته ، ويرى أنه يستحق التقدم لرتبته ، ولكن تقدّم بين يديه فَرُطا ، وسطع له بارقُ السعد ثم سطا .

وكان فيه خدمة للناس في قضاء أشغالهم ، ومبادرة إلى تلقّي حوائجهم ، وتمشية أحوالهم ، لا يتوقف في أمر يُقْصَد فيه ، ولا يبالي إن كان تلافه فيه أم تلافيه . وكان يدّعي معرفة علوم شتّى ، وربما تجاوز في بعض الأوقات وأفتى . وينظم وينثر ، ويجري في حلبة الشعراء ، وما يُرى أنه يعثر ، ولكنه كان بالنجامة مغرى ، ويرى أنه هو بمفرده منها أكبر من أبي مَعْشر قدْراً ، وهي أجود ما يعرفه ، وخيار دينار يخرجه

(١) (أ) ، (ق) : « فنال فيها الوجاهة » .
(٢) في الأصل : « وبادى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في (أ) ، (ق) : « في تلك المملكة » .
(٤) ليست في (أ) ، (ق) .
(٥) قائله بجير بن غنمة الطائي ، انظر : شرح شواهد المغني للبغدادي : ٢٨٩/١ .

من كيس معرفته ويصرفه ، والحُظوظ ما تُعَلَّل ، والدنيا ما تحتاج إلى تاج بالفضائل مُكَلَّل .

ولم يزل في إسعاف وإسعاد وإلطاف وإصعاد ، إلى أن وصل إلى[١] غاية ما قُدّر له من عمره وأُعْرِبَ بعد رفْعِهِ ونَصْبه بجرّه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس بكرة[٢] السبت رابع شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

كان هو أولاً بصفد ، وله أَخَوان تاجران ، أحدهما برهان الدين إبراهيم ، وهو أوجه تاجر كان في صفد ، والآخر يُدعى يونس تاجر سَفّار ، وتعلّق هذا زين الدين بهذه الصناعة ، وتردد إلى شيخنا نجم[٣] الدين بن الكمال الصفدي ، وقرأ عليه بعض شيء في العربية وتدرّب به ، وكان ذِهْنُه جيّداً ، وصار يكتب الدَّرج عنده ، فلما ورد الأمير بتخاص إلى صفد نائباً كان معه الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم ، فانضم زين الدين إليه في الباطن ، واستبد شهاب الدين بالوظيفة ، وانفرد الشيخ نجم الدين بالخطابة ، ثم اتفقوا عليه وأخرجوه مِنْ صَفَد ، فتوجّه إلى دمشق ، وما كان إلاّ قليلاً حتى اتفق القاضي شرف الدين محمد بن النهاوندي[٤] الحاكم بصفد هو وزين الدين عَلَى شهاب الدين بن غانم ، وأوقعا بينه وبين النائب ، وكتب النائب إلى مصر ، وأحضر لزين الدين توقيعاً بكتابة سرّ صفد ، وانفرد بالوظيفة .

وكان فيه مروءة وعصبية ، وسعة صدر في قضاء أشغال الناس والمبادرة إلى نجاز مرادهم ومساعدتهم على ما يجادلونه ، وأنشأ جماعة في صفد من أجنادها ، وغيرهم ، وكان

---

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « في بكرة » .

(٣) في الأصل : « تاج » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) محمّد بن عثمان بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

ذا خبرة ، وسياسة ومداخلة في النواب واتحاد بهم حتى لم يكن[١] لأحد معه حديث . وكان هو المتصرف في المملكة ، وتقدّم ، ورزق الوجاهة ، وحَظِي ونال الدنيا ، وجمع بين خطابة القلعة والتوقيع بصفد .

وانتهى[٢] إلى القاضي علاء الدين بن الأثير فمال إليه ، ولما جاءه خبره من طرابلس بكى عليه ، ولو أنَّ زين الدين كان حيّاً لمّا انفلج ابن الأثير ما كان كاتب السر في باب السلطان غيره . ولمّا قال له السلطان من يصلح لهذا المنصب ؟ قال : أمّا في مصر فما أعرف أحداً ، وأمّا في الشام فما كنت أعرف أحداً غير ابن حلاوات وقد مات .

وكان ابن حلاوات قد داخل نواب صفد كثيراً ، ويقع بين النواب وبين تنكز ، وعزل جماعة منهم ، ثمّ لمّا جاء إليها الأمير سيف الدين أرقطاي نائباً وقع بينهما ، واتصلت القضية بالسلطان وهي واقعة طويلة ، فردّ فيها الأمر إلى تنكز ، فطلب ابن حلاوات إلى دمشق وقد امتلأ غيظاً عليه ، ولما دخل عليه رماه بسكين كان في يديه لو أصابته جرحته أو قضت عليه ، ورسَّم عليه وصادره ، فوزن ثمانية آلاف درهم . فسعى له الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب والقاضي علاء الدين بن الأثير مع السلطان ، واتفق أن مات موقع طرابلس في تلك الأيام فما كان بعد ثمانية أيام تقريباً حتى جاء البريد بالإفراج عنه ، وإعادة ما أخذ منه ، وهذا أمر ما اتفق لغيره في تلك الأيام ، وتجهيزه إلى طرابلس [موقّعاً ، وكان المرسوم مؤكّداً ، فما أمكن تذكر إلاّ اعتماد ما رسم به في حقّه ، وتوجّه إلى طرابلس][٣] رئيس ديوان الإنشاء ، ودخلها في مستهل

---

(١) في الأصل : « حتى لا يكن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « وانتهى » .

(٣) ما بين حاصرتين وقع في الأصل بعد قوله الآتي : « في التاريخ المذكور » ، وأثبتنا ما يتفق مع (أ) ، (ق) والوافي .

ثم إنَّ ناسخ الأصل اختصره وأورده بلفظ « وكان المرسوم الذي ورد بسببه مؤكداً فما أمكن تذكر إلا اعتماد ما رسم به في حقّه » .

جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وأقام بها في وجاهة ورياسة وحُرمة وافرة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان يعرف النجامة وعلم الرمل جيداً ، ويدعي أنه من جماعة الشيخ محيي الدين بن عربي ، وينتمي إلى مقالته ، ويرى رأيه في الوحدة ، ولم يتفق لي به اجتماع خاص ، بل رأيته غير مرة ، وسمعت خطبه كثيراً .

وأخبرني من رآه أنه كان يتعذر عليه كتابة اسمه عمر ، فيكتب صورة نمر ، ثم بعد ذلك يركب عليها حرف العين ، لتتكمّل[1] له صورةعمر .

ولما ورد في تلك المدة إلى دمشق دخل الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم إلى الأمير سيف الدين تنكز ، وشكى منه شكوى بالغة ، وقال : ياخوند ! هذا فعل بي ، هذا اعتمد معي ، هذا حبس أولادي في قلعة صفد ، وقيدهم ، وزاد في ذلك ، ثم إنه بعد ذلك اجتمع بقاضي القضاة نجم الدين بن صصرى ، فقال له : ياشيخ شهاب الدين ! أنت من بيت فقراء وصالحين ، وهذا الذي فعلته بهذا المسكين ابن حلاوات بين يدي هذا الملك الجبار ، ما كان يناسب طريقك ، فقال له : يامولانا قاضي القضاة لا تكن حليماً عند غضب غيرك ، هذا حطّ رجلي في المعصار وعصرني ، ولو كان [ذلك][2] على حوافر بغلتك ضرطت ناراً .

وكان قد كتب إليه شيخنا نجم الدين كتاباً يحرّضه عليه فيه ويغريه به ، ومنه :

ألا طعان ألا فُرْسانَ عادية إلا تجشّوكم بين التنانير[3]

فكتب الجواب إليه عن ذلك ، ومنه أبيات وهي :...[4]

---

(١) في الوافي : « لتكتمل » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) البيت لحسان بن ثابت ، ديوانه : ٢١٣ .

(٤) كذا في الأصل ، بياض .

ودخل زين الدين بن حلاوات في تلك النازلة وهو[١] بدمشق إلى الصاحب شمس الدين ، وقال : يا مولانا الصاحب أنا ما بقيت أعمل صنعة التوقيع ، اعملوا إليّ معلوماً ودعوني في هذا الجامع [الأموي][٢] أشغل الناس في ستة عشر علماً ، وكان شهاب الدين بن غانم حاضراً . فقام وقال : يا مولانا الصاحب هذا غلط منه ، وإنما يعرف ثمانية عشر علماً لأنها اثنا عشر برداه وست أواذات في علم النغم ، وهذا إلا والده مُشببّ وهو مُطَنْكل ، وأنشده أبياتاً منها :

وإذا رأى المزمار هزت عطفه ... نَسبٌ إلى الأجداد والآباء

ومن شعر زين الدين بن حلاوات :

ولابسة البلّور ثوباً وجسْمُها ... عقيق وقد حُفّت سُموط لآلي[٣]

إذا جُليت عاينتُ شمساً منيرة ... وبدراً حُلاه من نجوم ليالِ

قلت : هذا القول فاسد ؛ لأن البلور جسمها وهو الزجاج ، ولباسها العقيق ، وهو الخمرة ، وأحسن من قول زين الدين رحمه الله تعالى قول الأول :

وكأنها وكأنّ حامل كأسها ... إذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقّط وجهها ... بدر السما بكواكب الجوزاء

ووجدت منسوباً إلى زين الدين رحمه الله تعالى :

خصّت يداك بستّةٍ محمودة ... ممدوحة بالبأس والإحسان

قلم ولثم واصطناع مكارم ... ومثقف ومهند وسنان[٤]

---

(١) في الأصل : « وهي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الوافي : « بسمط » .

(٤) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وعنان » .

وأُنْشِد له [يوماً] بيتا القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر لما فتح الأشرف قلعة الروم ، وهما :

ألا أيها الحصن المنيع جنابُه ... تطهّرت من بعد النجاسة والشرك[1]
وأمسيت تُجْلَى بالخليلين دائماً ... خليل إلهِ العرش والبطل التركي

فقال زين الدين رحمه الله تعالى :

قلعة المسلمين حُزْتِ كمالاً ... وجمالاً ورفعة وبهاء
بالخليلين صرت تجليَ مساءً ... كعروس زادت سنا وسناء[2]

قلت : ما كفاه أنه ما قال شيئاً يسمع حتى لحن وحذف النون من (تُجْلَين) .

١٢٦٤ ـ عمر بن آقوش*

الشاعر زين الدين أبو حفص الشِّبلي الدمشقي الذهبي الشافعي المعروف بابن الحسام الافتخاري .

رأيته في صفد ، واجتمعت به في دمشق غير مرّة ، وأنشدني كثيراً من شعره ، وسمع الحديث على الحجّار وغيره . وكان فيه تودّد وتقرّب ، وحُسْنُ صحبة وطهارة لسان .

وكان بعضهم يلقبه براطيش ، وبعضهم يسمّيه شراشط[3] .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في ثاني شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وسألته عن مولده ، فقال لي : في سنة أربع وثمانين وست مئة .

---

(١) في الوافي : « بالشرك » .
(٢) في الوافي : « لعروس » .
* الوافي : ٤٣٧/٢٢ ، وفوات الوفيات : ١٣١/٣ ، والدرر : ١٥٦/٣ .
(٣) قوله : « وبعضهم يسميّه شرائط » ، ليس في (أ) ، (ق) .

أنشدني من لفظه لنفسه يودّعني عند توجهي إلى الرحبة سنة تسع وعشرين وسبع مئة :

ولما اعتنقنا للوداع عشيةً ... وفي القلب نيران لفَرْط غليله
بكيت وهل يُغْني البكا عند هائم ... وقد غاب عن عينيه وجْهُ خليله

وكتبت أنا إليه من الرحبة :

كتبتُ والدمع قد غَطَّى على بصري ... وبتّ فيك نجيَّ الهمّ والفكر[1]
وأشتهي من جوى قلبي وحرقته ... لو أشتري ساعة بالعمر من عُمَر

وأنشدني له :

قد أثقلتني الخطايا ... فكيف أخلص منها
يا ربّ فاغفر ذنوبي ... واصفح بحلمك عنها[2]

وأنشدني له :

يا مَنْ عليه اتكالي ... ومَنْ إليه مآبي
جُدْ لي بعفوك عنّي ... إذا أخذتُ كتابي

وأنشدني له :

يا سائلي كيف حالي في مراقبتي ... وما العقيدةُ في سِرّي وإعلاني
أخاف ذنبي وأرجو العفو عن زللي ... فانظر فبين الرجا والخوف تلقاني

أنشدني له :

يا سيّد الوزراء دعوةَ قائل ... من بعد إفلاس وبيع أثاث

(١) في الأصل « فيه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « بفضلك » .

أبطتْ حـــوالتكم عليّ كأنهـــــا تـأتي إذا مـا صرت في الأجـداث
فـإذا أتت مِنْ بعـد مـوتي فـاحسنوا بـوصـولهـــا لـلأهـــل في ميراثي

وأنشدني ما كتبه للصاحب شرف الدين يعقوب[١] يشتكي من أيوب :

بُليت بـالصبر من أيـوبَ حين غـدا ينكّـد العيش في أكلي ومشروبي[٢]
وزاد يعقـوب في حـزني لغيبتـــه فصبرُ أيوب لي مع حـزن يعقـوب[٣]

وأنشدني له :

إذا مـــا جئتكم لِغَنـــاء فقري تقـــول ابْشِر إذا قـــدم الأمير
وقـد طـال المطـال وخفتُ يـأتي أميركم وقـــد مـــات الفقير

وأنشدني من لفظه [له][٤] في الحمّى :

زارتني الحمّى فقلت لهـا ابعـدي فغـدت تخـادعني بلثم شفـاهي
قـالت أروح فقلت هـذا بُغْيتي قـالت أعـود فقلت لا بـالله

وأنشدني من لفظه له :

أمرّ على المنـــازل وهي تشكـو من الأحبـاب مـا أشكـو إليهـا
كـلانـــا يشتكي لهُمُ فراقـــاً فمـــا عطفـوا عليّ ولا عليهـــا

وأنشدني من لفظه له :

لي حبيب مـــا زال يُتعب قلبي فرأيت السلـــوَّ عَيْنَ الصَّـــواب
تبت لله عنـــه تـوبـــة صـدق واستراحت عـواذلي من عتـــابي

(١) ناظر طرابلس ، كما في الوافي ، وهو يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي ، ستأتي ترجمته .
(٢) في الوافي : « بالضرّ » .
(٣) في الوافي : «فضرّ» .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

إذا أضمر المحبـــوب هجري وجَفْـــوَتي وعـــاد ولم يجـز المحبـــة بـــالبغض
أقـــول لـــــه أحسنت فيما فعلتـــــه «حَنانَيْكَ بَعضُ الشرّ أهوَنُ من بعض»[١]

١٢٦٥ ـ عمر بن أبي الحرم*

ابن عبد الرحمن بن يونس ، الشيخ الإمام العلامة شيخ الشافعية زين الدين أبو حفص الدمشقي المعروف بابن الكتّاني[٢] ..

حدّث عن ابن عبد الدائم بالإجازة .

وسمع إسماعيل بن [أبي] اليُسر ، وإسماعيل بن المظفر ، و[٣] عمر بن حامد القوصي[٤] ، وإسرائيل بن أحمد[٥] ، ومظفر بن أبي الدُلّ الصالحي ، والقاضي حسين بن علي القرشي وغيرهم .

تفقه وناظر ، وبرع في الأصول والفروع ، وذاكر وحاضر ، وتحوّل من دمشق إلى مصر بعلم جمّ ، وورد القاهرة ، فأخجل اليمَّ الذي ثم ، وحل بأفقها فاستحيا من كماله البدر الذي تم .

---

(١) ضمّن عجز بيت لطرفة ، وصدره :

أبا منذرٍ أفنيت فاستبق بعضنا

وهو جار مجرى الأمثال ، مجمع الأمثال : ٩٤/١ .

* الوافي : ٤٤٨/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، والدرر : ١٦١/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٥/١ ، والشذرات : ١١٧/٦ ، وذيول العبر : ٢٠٣ ، وفيه : « ابن أبي الحزم » بالزاي .

(٢) في الأصل : « الكناني » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « ابن عمر » سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) (ت٦٦٩) ، والوافي : ٤٤٦/٢٢ .

(٥) لم نقف على ترجمته ، ولم يذكره المؤلف في الوافي ولا غيره عند تعداد شيوخه .

وكان جيّد الذهن كثير النقل لمذهبه ، بارعاً في التفقّه ، لا يثبت له أحد إن ناظره أو تمسك بسببه ، مائلاً إلى الدليل والحجه ، قائلاً بالبحث لا يرى التقليد من عظيم[١] المحجه ، يوهيّ بعض المسائل لضعف دليلها ، وخفاء صحتها ، وظهور عليلها ، يلقي دروساً مفيده ، ويأتي بأشياء فوائدها عتيده ، لا يحتمل أن أحداً يعارضه أو يراسله أو يقارضه[٢] ، فينفر فيه ويزبره ، ويكسره بالقول ولا يجبره .

وكان في خلقه زعارة وشراسه ، وحدّة لا ينكس[٣] الكبرُ لها راسه ، لا يخضع لأمير ولا لقاض ، ولا ينفعل لإبرام ولا لانتقاض ، وله في ذلك حكايات مشهوره ، ووقائع بين أهل مصر مأثوره ، إلاّ أنّه فرّط في علم الحديث من حيث الروايه ، وأهمل أمره ، ولم يكن له فيه عنايه ، فكان صغار الطلبة يحضرون دروسه ، ويعيبون عليه كثرة تصحيفه ، وما يقع له من الخلل في أسماء الرجال ، ولا يجسرون على تعنيفه ، وكان به وسواس في تكبيره الإحرام ، وتطويل حتى يفوته بالركوع الإمام .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل في العدم ، وكثر عليه التأسف والندم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس[٤] عشر شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وكان قد اشتغل بالفقه والأصولين على ابن أبي الثنا محمود بن عُبَيْد الله[٥] المراغي ، والعلامة الشيخ تاج الدين الفزاري ، وغيرهما .

---

(١) (أ) ، (ق) : « قويم » .

(٢) في الأصل : « يفاوضه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « لا يكنس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (ق) : « سابع » .

(٥) (ت ٦٨١) ، ووقع في الأصول : « عبد الله » . انظر : العبر ٣٣٦/٥ ، الشذرات ٣٧٤/٥ .

ودخل إلى مصر ، فولاه قاضي القضاة ابن بنت الأعز قضاء الحكر[١] مدة ، ثم استنابَهُ العلامة ابن دقيق العيد في مصر ، وولاه دمياط الشرقية[٢] ، ثم استنابَهُ في القاهرة ، ثم إنّ قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ولاّه الغربية ، ثم إنه وقعت له [بالمحلّة][٣] واقعة ، فعزل نفسه ، وأقام بالقاهرة ، وترك الاجتماع بقاضي القضاة ابن جماعة ، وصار يتكلم فيه ويأسى[٤] إليه ، وصارت الإساءة له عادة ، فاستعملها مطلقاً ، وتعدى إلى الأموات ، ونفر الناس منه .

وتصدّر بالجامع الأموي الحاكمي مدّة ، وأعاد بالقراسنقرية ، ثم ولي تدريس المنكوتمرية .

ولما مات أبو الحسن بن جابر ولاّه الأمير جمال الدين آقوش نائبُ الكرك دَرْسَ الحديث بالقبة المنصورية ، وذلك في شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، فتكلم الناس في ذلك . وكان الطلبة الصغار يضحكون منه ، ويجيؤون إلى العلامة شيخنا أبي الفتح ، ويقولون : صحّف اليوم في[٥] كذا . وَهِمَ في كذا ، وقال في ذلك الفاضل كمال الدين الأدفوي :

بالجاه تبلغ ما تريد فإن تُرد ... رُتب المعالي فليكن لك جاهُ
أو ما ترى الزين الدمشقي قَدْ ولي ... دَرْسَ الحديث وليس يدري ما هُوْ

وولي مشيخة خانقاه طيبرس التي على البحر ، وشكا منه بعض أولاد الواقف إلى الحاجب ، فعزل منها ، وكان هو قد فهم من الناس هذا الحال ، فيقول[٦] : ولّونا ما يضحك فيه الصبيان علينا ، ومنعونا ما نضحك فيه على الأشياخ .

(١) في الأصل : « الحكم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في (أ) ، (ق) : « والشرقية » بواو .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) كذا في الأصول ، ولعله : « يسيء » .
(٥) ليست في (أ) ، (ق) .
(٦) (أ) ، (ق) : « فكان يقول » .

وكان شيخنا فتح الدين إذا ذكروا أمر وسوسته يقول : هذا تصنّع[١] . ولّما ولي خطابة جامع الصالح بّرا باب زويلة ترك الوسوسة ضرورة .

وكان في القضاء محمود السيرة ، ظاهر العفة ، طاهر الكفّ ، وكان كثير الاشتغال ، دائم المطالعة ، وأُولع[٢] في آخر عمره بمناقشة[٣] الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى ، وكتب على (الروضة) حواشي ، ولما وقف عليها[٤] شيخنا العلامة قاضي القضاء تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى أجاب عما وقف عليه من ذلك قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في (الروضة) : وإذا وَقَعَتْ في الماء القليل نجاسة وشُكَّ هل هو قُلّتان أَوْ لا ، الذي جَزَم به صاحب (الحاوي) وآخرون أنه نجس ، لتحقّق[٥] النجاسة ، ولإمام الحرمين فيه احتمالان والمختار ، بل الصواب الجزم بطهارته ، لأنّ الأصل طهارتُه وشككنا في نجاسة مُنَجِّسِهِ ، ولا يَلْزَمُ مِنَ النجاسة التنجيس » .

قال الشيخ زين الدين الكتّاني رحمه الله تعالى : وإذا وقع في الماء القليل نجاسة وشكّ هل هو قلّتان أَوْ لا لفظُ متناقض ، وحكْمُهُ بالطهارة باطل إذْ فرض الماء قليلاً ، والقليل دون القلّتين ، وإلاّ فإنْ كان قلتين فهو كثير ، وإن كان الماء دون القلّتين وحصل فيه نجاسة غير مَعْفوٍّ عنها فهو نجس ، لاخلاف فيه ، فعُلم من هذا أن قوله : « الصواب الجزم بطهارته » باطل ، وكان صوابه أن يقول : ما شُكَّ في كثرته ووقعت النجاسة فيه ، ولو فَرَضَه لذلك ، وهو مراده بحكمه بأنَّ الصواب الجزم بطهارته غير صواب ، بل الصواب : الحكم بالنجاسة ، لأن النجاسة محققة ، وبلوغ الماء قلتين الأصل عدمه ، ولا يجوز للآخِذ بالاستصحاب مع نفس ما يعارضه ، وهو نفس وقوع

---

(١) في الوافي : « هذا تصنع منه » .

(٢) في الأصل : « وولع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (ق) : « بمنافسة » .

(٤) ليست في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « لتحقيق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

النجاسة ، إذ لا خلاف في أن شرط[١] الاستصحاب عند القائلين به أن لا يقطع بوجود المنافي له .

وقوله : « لا يلزم من النجاسة التنجيس » ، إنما هو في نجاسةٍ معفوّ عنها لاقت ماء كثيراً ، ولم يتغيّر ، وليس الكلام في ذلك إذ كثرة هذا الماء مشكوك فيها ، بل ملاقاة النجاسة سبب للتنجيس ، وقضية السبب إعماله إلاّ لمانع والأصل عدم المانع ، وهو الكثرة ، فصار في جانب التنجيس أصلان : عدم بلوغ الماء قلّتين ، وإعمال السبب الثاني الذي هو النجاسة ، ومن جانب الطهارة أصل مستصحب مع يقينٍ ما يعارضه ، واستصحاب مثل هذا ممنوع ، فصار الظاهر الحكم بالنجاسة [وملاقاة النجاسة][٢] محسوسة ، فتصير هذه الصورة كالغدير مع الظبية التي بالَتْ فيه ، ووجد الماء متغيراً ، واحتمل التغيّر بول الظبية ، وطول المكث ، وقد نصّ الشافعي على نجاسته ، وقطع به جمهور الأصحاب ، ومع هذا البحث الراجح الواضح كيف يقول : « الصواب الجزم بالطهارة » ، فلا الصواب الجزم بالطهارة ، ولا الظاهر ، فضلاً عن الجزم ، وقد قال الغزالي في (الوسيط) : « الأصل بقاء النجاسة إلى أن يتبيّن الكثرة الدافعة ، أو يقال : الأصل طهارة الماء إلى أن يُسْتَيقن الصُنان[٣] .

والاحتمال الأوّل أظهر ، فلو أصاب النووي لم يعتقد الجزم بالطهارة ؛ بل لو تردد معذوراً مع أن الصواب الجزم بالنجاسة ؛ لكنه وقف به[٤] نظره أو وَقَّفه ، وإنما بسطت وأسهبت لئلا يغلو فيه غِرٌّ .

قال شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، رحمه الله

---

(١) في الأصل : « الشرط » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصول كلمة تشبه هذه التي أثبتناها ، وكتب فوقها في الأصل و (ط) : « كذا » ، والصنان لغة تغيّر الماء .

(٤) في الأصل و (ط) : « فوته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، ولعلّها الصحيحة .

تعالى : أمّا المناقشة في لفظ قليل فصحيحةٌ ، وكان الأولى حذفها ، لكنه تجوّز فيها ، واستصحب اسم القليل مع الشك ، أو لأنه يعد في العرف قليلاً وإن لم يكن في الشرع كذلك ، والإمعان في الحكم بنجاسته إذا كان قليلاً لا معنى له ، إذ لا نزاع فيه ، وليس بمراد ، وأمّا كون الصواب الحكم بنجاسته ما شُكّ في كثرته فيُرَدّ عليه أنه حكم بالنجاسة مع الشك إذ الأصلان متعارضان ، وهما طهارة الماء وقلّته المقتضية للتنجيس ، وهنا إذا تعارض أمران متضادان وجب التوقف ، فكيف والقِلّة ليست مضادة للطهارة ؛ بل مقتضية لضدّها في هذه الصورة ، وهذا معنى يصلح لترجّح الطهارة ، لأنّ المعارض لها أضعف منها ، لكونه مُقتضياً للضّد لانفس الضد ، وإنما كان أضعف لكون المقتضي قد يتخلف المقتضَى .

وقوله : إن أصل الطهارة تيقّنا ما يعارضه مع يقين ما يعارضه[1] ممنوع إذ الفرض الشك ، ومع الشك كيف [يدّعي][2] اليقين .

وقوله : « في جانب الطهارة أصل مستصحب مع يقين ما يعارضه » ، إن أراد ما يرفعه ممنوع ، وإن أراد ما يعارضه ويقاومه فيحصل الشك ويمتنع الحكم بالنجاسة ، على خلاف غرضه ، فإنه متى تقاومت المعارضة لا يجوز الحكم بالنجاسة ، ويبقى الحال على ما كان عليه من الطهارة .

وقوله : « في جانب التنجيس أصلان ، عدم بلوغ الماء قلّتين ، وإعمال السبب الذي هو النجاسة » . اعلم أنّ عدم بلوغ قلّتين وحده ليس بأصل معارض للطهارة [بل][3] بما ضمّ إليه من السبب ، والسبب وحده لا يسمّى أصلاً ، وإنما يسمّى ظاهراً ، فإمّا أن يجعله مع عدم بلوغ الماء قلتين سبباً واحداً في التنجيس ، وحينئذٍ يعارضه أصل الطهارة ، وإمّا أن يجعله سبباً ، والقلة شرط أو الكثرة مانعة وحينئذٍ يقال : إن الشرط

(١) قوله : « مع يقين ما يعارضه » ليس في (أ) ، (ق) ، والأشبه إسقاطها .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

أو انتقاء المانع إنما يُكتفى فيه بالأصل إذا لم يعارضه أصل آخر [وهنا عارضه أصلٌ آخر][1] ، والسبب وحده بدون شرطه أو انتفاء مانعه لا يعمل ، وإمّا أن يجعل وقوع النجاسة محل الحكم ويقاوم ، عليها أمران : أحدهما يقتضي التنجيس ، والآخر ضدّه ، فيقف الحكم . وعلى كل تقدير فيجب أن لا يحكم بالنجاسة ، فخرج من هذا أن دعواه « في جانب التنجيس أصلان » ليس بصحيح ، ولو قال : أصل وظاهر لكان أصح في العبارة ، ويتوجّه عليه المنع بأنّ ذلك إنما يكون في أصل مستقلٍ بظاهر مستقل ، وليس هنا كذلك ؛ لأنّ القلّة ليست بأصل ، بل بما ضمّ إليها ، على ما تبيّن[2] .

وأمّا مسألة الظبية فإنما حكمنا بالنجاسة لأن بول الظبية محقق ، واستناد التغيير إليه ظاهر مستقل ، لأن الأصل المعارض له معارض بالأصل النافي لطول المكث ، ولا لما يقاوم الأصل إن علمنا بالسبب الظاهر المجرد الذي لا معارض [له][3] ، فأين هذه المسألة من تلك ، وقد جزم الصيمري بالتنجيس متمسكاً بأن الأصل القلة ، وسبق الغزالي دعوى ظهور التنجيس [لتمسك بالقلة للتنجيس][4] إمامُ الحرمين ، فاقتصار الكتّاني على كلام الغزالي دليل على أنه لم يقف على غيره .

قال كمال الدين جعفر الأدفوي : كان عنده منازعة في النقل ، قلت له يوماً : قال الرافعي إن أكثر الأصحاب على جواز النظر إلى الأجنبية في الوجه والكفّين إذا أمن الفتنة ، فأنكر ذلك ، ثم اجتمعت به ثاني يوم بالمدرسة القراسنقرية ، فقال : الرافعي قال كما قلت ، ولكن من أين للرافعي هذا ، وشرع يُغالب[5] ويتغلّب . قال : وقلت له يوماً : قال النووي : الأصح العفو عن الكثير من دم البراغيث ، ونحوها مطلقاً فنازع ، وحضر (منهاج) النووي فرآه ، فشرع يُؤوِّل .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « بما تبيّن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « يغلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكان بعض الطلبة يقرأ عليه يوماً في أن المعير إذا رجع والذرع قائم ، ولم يكن يُحصد قصيلاً فإنه يبقى إلى الحصاد ، فقال هو : واختلف ههنا : هل عليه الأجرة ، وما قالوا بمثل ذلك فيما إذا باع مالك الأرض الأرض وفيها زرع فإنه يبقى ولا أجرة ، وطلب الفرق . فقلت : الفرق أن البائع لما زرع تصرّف في ملكه ، والمشتري دخل على الإبقاء ، والتصرف كان في الملك ، فلا يناسب أجره ، والمستعير تصرّف في ملْكِ غيره ، والمالك بصدد الرجوع في كل وقت ، لكن التصرف كان بالإذن ، فلا يناسب قلع الزرع وضياعه ، ولا إشغال أرض المالك مجاناً ، فجمعنا بين المصلحتين ، فأبقيناه حتى لا يفسد ، وألزمناه الأجرة حتى لا يُشغل أرضه مجاناً ، فنازع نزاعاً طويلاً ، لا بالرد النظري ، إلاّ بالإساءة . قال : فتركت الاجتماع به . ومع ذلك فكان محققاً مدققاً كثير النقل ، يستحضر النظائر والأشباه ، لم يكن في الفقه في زمنه مثله ، انتهى .

قلت : ما صنّف شيئاً ولا انتفع به أحد من الطلبة ، وكان قلّ أن يفتي أحداً ، ويقول لمن يأتيه بالفتوى : أنا ما أكتب لك عليها ، روح إلى القضاة وإلى الذين لهم في الشهر من المعلوم كذا وكذا ، وربّما تحيّل عليه بعض الناس فيما يرومه منه بأن يستصحب معه شاباً حسن الصورة فإنه كان يميل إلى ذلك [لكن][1] مع دين وعفاف وتصوّن كثير .

ولّما دخلت إلى الديار المصرية قلت للأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي رحمه الله تعالى : أريد أن أرى الشيخ زين الدين ، وأجتمع به ، فقال لي : ما تنتفع به ولا تنال منه مقصودك ، ولكن اصبر ، أنا [أروح معك][2] إليه ، فتوجهنا إليه إلى داخل باب السعادة إلى دار الفارقاني ، فصعد بي في سلّم حجر أعلاه طبقة ، فطرق الباب ، فقال مَنْ ؟ قال : محمد بن حنكلي فقال : ومليحك معك ؟ قال : نعم ، فقام ، وفتح الباب ، وبشَّ بنا وأجلسنا ، وانشرح ، وأحضر شراب ليمون ، وفيه قلب فستق ،

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

وشراب حماض ، وفيه قلب بندق ، وأطعمنا من ذلك ، وأحضر طعاماً شهياً طيباً ، وانشرح لنا مدّة إقامتنا عنده لِما كان معنا بعض مماليك الأمير ، وهو وضيء الوجه ، وفارقنا رحمه الله تعالى .

وكان الشيخ كمال الدين بن الزملكاني رحمه الله تعالى يثني عليه .

وقلت أنا فيه :

يا من يروم الفقه بُرْدُ أصوله ... رُقمت حواشيه بكلِّ بيانِ
عرّج بزين الدين تلْق درُوسَه ... حُللاً محرّرة من الكتاني

١٢٦٦ ـ عمر بن حسن بن عمر بن حبيب*

العالم المحدّث الفاضل زين الدين أبو حفص الدمشقي ، محتسب حلب .

سمع من ابن البخاري ، وابن شيبان ، وعلي بن بلبان ، وطائفة . وعني بالحديث ، ورحل وسمع من ابن حَمْدان[١]، والأبرقوهي ، وسيّدة بنت درباس ، وخلق ، ونسخ وحصّل الأجزاء ، وخرّج له شيخنا الذهبي (معجماً) عن أزيد من خمس مئة شيخ بالسماع .

وكان كثير الأسفار ، فدخل في آخر عمره إلى الروم ، ثم إلى مراغة ، فتوفي هناك رحمه الله تعالى في ...[٢] سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة تقريباً .

---

* الوافي : ٤٥٥/٢٢ ، والدرر : ١٥٨/٣ .

(١) أحمد بن حمدان بن شبيب (ت٦٩٥) ، الشذرات : ٤٢٨/٥ .

(٢) كذا بياض في الأصول .

١٢٦٧ ـ عمر بن داود بن هارون بن يوسف*

القاضي زين الدين أبو حفص الصفدي ، كاتب الإنشاء بالشام ومصر أصله من نَيْن قرية من مرج[١] بني عامر من صفد ، بنونين ، بينهما ياء آخر الحروف على وزن بَيْن ودَيْن .

كان كاتباً ذكيّا ، فاضلاً سرّيا ، يقع على المقاصد ، ويرقب المجرّات ويراصد ، إذا أخذ كتاباً تأمّل فُضُولَهُ ، وتصوَّر محصوله ، وأجاب عنه بأجوبةٍ بليغة سادّه[٢] ، دالة على غزارة المادّه ، وكان قلمه بليغاً إذا كتب مسترسلاً من غير سجع ، واتكل على ما عنده في ذلك من الطبع ، لأنه يأتي بما يكتبه ، بليغَ المعاني ، مستوفي المقاصد ، تامَّ المراد ، غير مُخلّ ببيان ولا فاسد .

أمّا نظْمُه فكان قليلاً مرذولا ، بطيئاً مهزولا ، ونثره كان أجود منه ؛ إلاّ أنه كان وعر[٣] الجاده ، نابٍ عن الطبع غير سارٍ في الماده . وخطه أيضاً قوي منسوب ، لكن ما عليه حلاوه ، ولا له ما لخطّ غيره من اللطف والطلاوه ؛ إلاّ أنه كان صبوراً على الكتابة ، لا يسأم تواترها ، ولا يمل تكاثرها ، يقوم بتنفيذ ما في الديوان ، ويسدّ مهمّاته على أحسن ما يكون وأسده ، ولو بلغت إلى كيوان .

تنقّل من صفد إلى دمشق إلى غزة إلى الرحبة ، ثم إلى دمشق ، ثم إلى مصر إلى دمشق إلى مصر [كرّتين][٤] هبّة بعد هبّة ، مع عطلة تخللت ذاك ، وكاد الأمر يكون حتماً بغير[٥] انفكاك ، ولكنه لطفت به المقادير ، وأعادت اسمه إلى الدساتير .

---

* الوافي : ٤٦٥/٢٢ ، والدرر : ١٦٥/٣ .

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « بمرج » .

(٢) في الأصل : « شاذّه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في (أ) ، (ق) : « إلا أنه مستوعر » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ولم يزل على حاله إلى أن بتر الله عُمْرَ[١] عُمَرَ ، وانقبض ابنساطه في الحياة وانْقَبر .

وتوفي رحمه الله وسامحه بالقاهرة في ثامن عشري صفر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، بعد مرض طويل قاسى منه شدّة .

ومولده في سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

قدم من قريته إلى صفد ، وقد عَذَّر في عام ستَّة عشر[٢] وسبع مئة فيما أظن أو قبل ذلك بقليل ، ولازم شيخنا نجم الدين الصفدي ، وأقام في[٣] بيْتِه يَبْيتُ ويُصبح ، واشتغل عليه وكتبه وهذّبه[٤] ودرّبه ، فكان شيخنا في تلك المدة كاتب سرّ صفد ، فاستكتبه عنده ، وتخرّج . وكان ذكياً فذاق هذه الصناعة ، ومهر فيها . ولّما بطل الشيخ نجم الدين من التوقيع كتب زين الدين الدرج للأمير علم الدين سنجر الساقي مشدّ الدواوين[٥] بصفد ووالي الولاة ، ولما هرب الأمير علم الدين سنجر الساقي من صفد فارّاً من نائبها الأمير سيف الدين أرقطاي توجّه زين الدين[٦] معه ، فأقام بدمشق مدّة يتردّد إلى شيخنا شهاب الدين أبي الثناء محمود وإلى القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وعُرف بين أهل دمشق ، وعامل أهلها معاملةً جيدة إلى أن أجمعوا على الشكر منه والتوجع له في بطالته ، فأقام بها مدة ، وحضر شمس الدين ابن منصور إلى دمشق ، وطلب من يساعدُه على كتابة الدرج في غزة ، فوصفه القاضي شهاب الدين وأثنى عليه ، وتوجّه إلى غزة صحبة ابن منصور ، وكان الأمير علم الدين الجاولي إذ ذاك نائب غزة ، فرأى خط زين الدين وعبارته فأعجبه ذلك . وكان

---

(١) في الأصل : « من عمر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصول : « ست عشرة » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) (أ) ، (ق) : « عنده في » .
(٤) في (أ) ، (ق) : « وهذبه وثقفه » .
(٥) (أ) ، (ق) : « الديوان » .
(٦) (أ) ، (ق) : « زين الدين المذكور » .

زين الدين شديد المداخلة للناس ، لطيف المؤانسة جَرِيّا في الإدلال [والكلام][(١)] والمشاركة مع صاحب المجلس والانخراط في سلكه ، فخاف ابن منصور من تقدّمه ، فعَمَلَ عليه وأعاده إلى دِمشق . ثم إنّ الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، جهّزه إلى الرحبة مُوَقّعاً بإشارة القاضي شمس الدين محمد بن شيخنا شهاب الدين محمود رحمه تعالى بعد ما أقام بدمشق بطالاً[(٢)] تسع سنين فأقام بها قريباً من سنتين .

ولّما توجّه القاضي محيي الدين وولده القاضي شهاب الدين إلى مصر قال الأمير سيف الدين تنكز لهما : ما بقي في الديوان أحد ، فذكراه له ، وقالا : ياخوند ، كاتبُ الرّحبة زين الدين الصفدي يصلح أن يكون في باب مولانا ملك الأمراء . وكان [قد][(٣)] خلا مكان القاضي جمال الدين بن رزق الله من ديوان الإنشاء بدمشق لتوجُّهه إلى توقيع غزة ، فرسم بإحضار زين الدين إلى دمشق ، فجاء إليها ، وأقام بها دون السنة ، ثم إنّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله طلبه إلى الديار المصرية ، فأقام يكتب بين يديه قريباً من ثماني سنين إلى أن رسم السلطان الملك الناصر محمد للقاضي شهاب الدين بن فضل الله بأن يلزم بيته ، فعُمِل عليه هو الآخر ، وأخرجه السلطان من الديوان ، وأقام في القاهرة مُدّةً مُلاَزِمَ بيته ، ثم إنّ طاجار الدوادار أخرجه من القاهرة إلى صفد بطالاً ، فأقام فيها إلى أن حضر القاضي شهاب الدين بن فضل الله إلى دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، فتحدث له القاضي شهاب الدين [وأحضره مِنْ صفد إلى دمشق ، فبقي فيها بطّالاً إلى أن توفي السلطان الملك الناصر محمد فتحدث له القاضي شهاب الدين][(٤)] بن فضل الله مع الأمير علاء الدين ألطنبغا

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في (أ) ، (ق) : « مدة تسع » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، ووقع مضمونها في الوافي .

نائب الشام ، فأمر له بالدخول إلى ديوان الإنشاء ، فأقام به إلى أن رسم السلطان الملك الصالح بإبطال مَنْ أُحْدِثَ بَعْدَ أبيه السلطان الملك الناصر ، فبطل ، ولازم بيته مدة ، ثم إنه دخل مع من دخل فيما بعد .

ولم يزل يكتب في ديوان الإنشاء بدمشق إلى أن حضر القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله ، فسلّم إليه الأمر ، ورأى من السعادة ما لا رآه في عمره مدة ثلاث سنين . ثم إنّ القاضي علاء الدين بن فضل الله طَلَبهُ إلى الديار المصرية ، فتوجّه هو ووالده القاضي شهاب الدين أحمد في البريد يوم عيد الأضحى سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها موقعاً في الدست ، وولدهُ في جُملة كُتّاب الإنشاء ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكنت قد كتبت إليه إلى دمشق من صفد :

إن عيني مذ غاب شَخْصُك عَنْهَا ... يأمُرُ السُّهدُ في كراها ويَنْهَى
بدموع كأنهنّ الغَوَادي ... لا تَسَلْ ما جَرَى على الخدّ منها

وكتبتُ إليه مع غلام حسن الوجه وهو بغزة :

يا نازحاً صَوَّرْتُه في خاطري ... فرُميتُ للتصوير بالنّيران
إن لم يبلّغك النسيمُ تحيَّتي ... فَلَقَدْ أتاك بها قضيبُ البان

وكتب هُو إليّ مِنْ دمشق وأنا بصفد سنة ست عشرة وسبع مئة :

أشتاق مِنْ دُون الأنام خليلا ... فلذاك أصبو بُكرةً وأصيلا
مولىً رَحَلْتُ وسِرْتُ عَنْ معروفه ... فعدمت من إحسانه تنويلا
لَوْ كانَ في عصرٍ مضى لم يعتمد ... إلاّ على ألفاظه الترسيلا
هو فارسٌ في فنّه كم جدّل الأقران في ميدانهم تجديلا
ليس اليراع بكفّه في طرسه ... إلاّ حساماً هزّه مصقولا[1]

(١) في الأصل : « لبس اليراع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

فـإذا ترسّـل خلتـه من لطفـه ... أضحى يـدير على الأنـام شمـولا
نبتِ الكتـابـةُ عن سـواه فلم تجـد ... إلاّ بضـافي الظـلّ عنـه بـديـلا[1]
فلذاك وَجْـهُ الـدهر راح بفضْلـه ... لمن اجتـلاهُ أوْ رآه جميـلا
أرجـو اجتماع الشَّمـل منـه لأنـه ... قـدْ لا يكـون بـه الـزمـان نجيـلا[2]
والله مـالاحت بروقٌ في الـدجـا ... إلاّ تُجـدِّدُ لي بُكى وعـويـلا
ولربمـا سمـح الـزمـانُ بعـوْدَتي ... فـأبـلُّ من شـوقي إليـه غليـلا
لا زال جـودك بـالمرام كفيـلا ... ولطيف صنعـك بـالأنـام جميـلا[3]
أُنس قريضـك مـذ تطلّـع نيّراً ... بسما البـديـع كثيّراً وجميـلا
قـطَّ اليراعُ لسـانـه عن وصفـه ... مـذ مـدَّ بـاعـاً في البـديـع طـويـلا

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

يـا سيّـداً أضحى عظيمُ فخـارِه ... أبـداً على هـام العُـلا إكليـلا
وكَسَـا برود النظم من ترصيعـه ... غررَ البيـان وزادهـا تحجيـلا
لاحت تبـاشير الصبـاح بطرسـه ... من أسطر أفنيتُهـا تقبيـلا
راقت محـاسنُـه ورقّ شمائـلا ... فغـدا يمـجّ من البيـان شمـولا
أمـا التشـوّق والحنين فـلا تسَـلْ ... فـالخطب منـه لا يـزالُ جليـلا
مـذ غبت عني فـالدموعُ على الـولا ... لـو كنّ سيـلاً مـا وجَـدْنَ مسيـلا
وتلهُّب الـزفرات في طيّ الحشـا ... خلّى محـلّ الصبر عنـك محيـلا
فـاسعف بقربـك إنـه جـلُّ المنى ... لتكيـد ضـداً أو تسرّ خليـلا[4]
فـالجسم في صفـد أقـام وقلْبُـه ... بـلْ قـد تشحَّـطَ في دمشـق قتيـلا

(١) في الوافي : « منه بديدلا » .
(٢) (أ) ، (ق) : « فإنه » .
(٣) في الأصل : « جودك بالأنام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « فاسعد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكتبت أنا إليه من صفد :

يا بارقاً سال في عَطف الدُّجَى ذَهَبا ... أذكرتني زَمَناً في جلّق ذَهَبا
لئن حكيت فؤادي في تلهُّبه ... فلست تحكيه لا وَجْداً ولا حرَبا
ويا نسيماً سَرَى والليلُ معتكر ... وهبّ وَهْناً إلى أن هزني طربا
أراك تنفح عطراً في صباك فهَلْ ... تركتَ ذَيْلاً على جيرون مُنْسحبا
أمْ قَدْ تحمّلت مِن صحبي تحيتهم ... فكان ذلك في طِيب الصَّبا سببا
قَوْمٌ عهدتُ الوفاء المحضَ شيمتهم ... وإن شككت سلِ العلياء والأدبا
صرفتُ إلاّ عناني عن محبتهم ... وبتّ نضواً حيلفَ الشوق مكتئبا[1]
لا الدار تدنو ولا السلوان ينجدني ... وعزّ ذلك مطلوبا إذا طُلبا
أحبابنا إنْ ونَتْ عني رسائلكم ... فلست أسأل إلاّ الفضل والحسَبا
وحياتكم ما لنفسي عنكُمُ بدلٌ ... كّلا ولا اتّخذتْ في غيركم أربا[2]
أعيذ ودّكم من أن يغيّره ... نأي ولو جُرّدت من دون ذاك ظبا
لَعَلَّ دهراً قضى بالبعد يجمعنا ... وقلّما جاد دَهْرٌ بالذي سلبا[3]
أرضى بحكم زماني وهو يظلمني ... فيكم وأجني ببعدي عنكم التعبا[4]
ولن يُظفّرني إلاّ بودكم ... يا حيرتي فيكم إن ردّ ما وهبا
نسيتموني ولم أعتَد سِوَى كَرَمٍ ... منكم يبوّؤني من فضلكم رُتبا
حاشاكم أن تروا هجْري بلا سبب ... أو تجعلوا البَيْنَ فيما بيننا حُجبا
عاقبتموني ولا ذَنْبٌ أتيتُ به ... فقُلْ عن الصخر إذ يَقْسُوا ولا عجبا
عودوا إلى جَبْر كَسْري لافجعت بكم ... فقد لقيت ببعدي عنكم نصبا[5]

(١) في الأصل : « من محبتهم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « كيلا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) في الأصل : « قضى بالوجد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٤) في الأصل : « فبكم وأرضى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٥) (أ) : « لا فقدت » .

فكتب هو الجواب [إليّ][1] عن ذلك :

يا خَيْرَ مَنْ خطَّ في الأوراق أو كَتَبا ... وخيرَ من حاول العلياء والأدَبا
ومن علا فَغَلَتْ فيه مَوَدّتنا ... وفاق فضلاً وفات العُجْمَ والعَرَبا
أتت قصيدتُك الغراءُ باسمةً ... عَنْ نقط أحرفها لمّا حكى الحببا
فرنّحت أنفساً بالبُعد قد تَلفتْ ... وحرّكت كلّ عطف قد قسا طربا
فهل بَعْثتَ بعتْب جاء عن قلق ... أو لطفُ نظمك قَدْ أهدى نسيم صبا
حاشى المودة أنْ يعتادها مَلَكٌ ... أو أن يكون النوى في مثله سببا
وإنما الدهر بالإزراء حاربني ... وجار في الحكم لمّا بت مغتربا
وما ترقّ على ذليّ عواطفه ... ولا تمدّ إلى العلياء لي طنبا
وكلّما قلت قد لينّت شِرَّتَه ... يزيد ناري على تأجيجها حطبا
فاعْذُرْ فإنك أولى الناس كلهم ... ببسط عذريَ إن لم أبعث الكتبا
فأنت تَعْلَمُ أني قَدْ جعلتك مِنْ ... دُون البَريّة في الدنيا أخاً وأبا
فلا تؤاخذ إذا ماهفوةٌ عَرضتْ ... ممن يكون إلى عليك منتسبا

وكتبت أنا إليه من الرحبة أهنّئه بمولود ذكر :

هناءٌ به وَجْهُ الزّمان تهلّلا ... وبُشْرَى بها الإقبالُ وافى وأقبلا
فهنُئتَ مولوداً أتى فتشوّفت ... إليه عيون الفضل والمجد والعلى[2]
وأكرمْ بنجم لاح فينا ومن يقل ... بنجلٍ فَحَرْفُ الميم باللام بُدّلا
إذا ضوّأ الآفاق نورُ هلاله ... فكيف إذا ماصار بدْراً مكمّلا
سيرضيك في أفعاله ومَقاله ... إذا طال في أوج العُلا أو تطوّلا

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « أتى إذ تشوّفت » ، وهي أشبه .

وتُرعِف أقلام السيادة كفُّه ويُرعف أعداء ويرعد ذبّلا[١]
ويستخدم البيض الرقاق يراعُه إلى أن يرد الصعب سهلاً مذللا
ويسعى إلى أبوابه السعدُ صاغراً ويأتي إليه وهو طفل تطفلا

يقبّل الأرض ويُنْهي أنه جلس بهذه البشرى على سُرُر السرور ، والْتَحَفَ منها بحبَر الحُبور ، وملأ كفّه بالدّرر من هذه الأفراح ، وملأ طَرْفَهُ بالبدور ، ونطّقَتْه هذه المسرّات[٢] بالمحامد فارتجل وارتجز ، وأمكنته الفُرصة من التهاني ، فانتهب وانتهز ، وقَرَن الهناء بالدعاء فابتهج وابتهل[٣] ، وتخيّر ساعات الإجابة فانتقد وانتقل ، وكيف لا يبتهج المملوك بمخدوم تجدّد ، ويتمسك بفضلٍ تَعَدَّد ، ويسرّ بدوح[٤] تفرَّع ، وإن كان أصله بالمزايا تفرّد ، وهل هذا إلاّ بيت تمد في العلياء أطنابهُ ، وتُرْفَعُ في السيادة أعلامُه وقِبَابه ، وتتسع لبني الآمال ساحاته ورحابه :

وهذا هديّة ربِّ العُلا فثِقْ بهدايا هداياته

وما أقول إلاّ أنّ مولانا ليثٌ وقد أشبل ، وبحر زَخَر لُجُّهُ حتى مُدَّ بجَدْوَل ، ومن حرمان المملوك أنه ما شافَهَ السمع الكريم بالتهاني ، ولا فاز برصد هذا الهلال كيف يترقّى إلى الإبدار على الدقائق والثواني ، ولا عاين لسلوك المحبّين إليه طريقه ، ولا حضر لهذه الجوهرة النفيسة يوم عقيقه ، وما ضر الأيام لو كنت[٥] لجوهره عرضاً أدنى ، أو لو ساعفَتْ بالقرب فأكون حاضراً بالصورة إذ قد حَضَرْتُ بالمعنى ، والله تعالى يمتّع عينه الكريمة بهذه القُرّة ، ويهبه أمثالها حتى يرى في كل ذرّة من الزمان دُرّه ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) جعل الناسخ هذا العجز عجزاً للبيت الذي يليه ، وعكس ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو الصحيح .
(٢) في الأصل : « المسيرات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « فابتهل وابتهج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو أنسب للسجعة .
(٤) في الأصل : « بدرج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « كانت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

فكتب هو الجواب عن ذلك :

أتاني كتاب منك كالبدر يُجتلى ... فأصبحتُ أجلوه على سائر الملا
حكى الروض أمسى بالأزاهر ناضراً ... أو العقد أضحى بالجُمان مفصلا
يُدير على سمع الأنام سُلافةً ... من القول فاتت منك مسكرة الطّلا
لو أنّ أبا تمام أبصر حُسنه ... لما قال في عصر تقدّم أو خلا[1]
تخال به بُرْداً عليك مُحبّرا ... وتحسبه عقداً عليك مفصّلا[2]
تهنّ به عبداً لعبدك قد أتى ... فناهيك من مولى به قد تطوّلا[3]
لقد زاد عبدٌ في عبيدك إذ أتى ... فتمّم عَدّاً حين جاء تكمّلا[4]
وإني لأرجو أن يفوء بخدمة ... يفوق بها فوق السماكين منزلا
تربيّهِ مملوكاً وتُنْشيه خادماً ... ويكفيه هذا للمعالي توسّلا

وكتب هو إليّ من صفد وأنا مقيم بالديار المصرية بعد ما خرج إليها في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وقد ظنّ أن لي في خروجه مدخلاً ، وعِلْمُ الله تعالى كافٍ :

إنْ كانَ ظنُّك أنني لك ظالمٌ ... فارحم لأنْ تُسمى لأنك راحم
حسْبُ المسيء من القصاص بأنّه ... جُرْحٌ بجُرْحٍ والسعيدُ مُسَالم
كم قد حرصتُ على التنصّل عندما ... وقع العتابُ فما أقال الحاكم
الله يعلم أنني عاذِرٌ ... والله عني بالبراءة عالم[5]
هاقَدْ جَرَى لي ما جرى لك قبلها ... ووقعتُ في صفدٍ وأنفي راغم
إنْ صحَّ لي فيها عليك جنايةٌ ... فجزاؤها هذا العقاب اللازمُ

---

(١) (أ) ، (ق) : « عاين حسنه » .
(٢) في الأصل : « عقدا إليك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « بذاك تطوّلا » .
(٤) البيت من (أ) ، (ق) .
(٥) في الوافي : « والله مني » .

فـاقنـع بـه واذكر قـديم مـودّتي ... فـالعهـد فيما بيننـا متقـادم
أَوَ لم يكن ذَنْبٌ وحـالِيَ مـا ترى ... فامْـدُد إليّ يـداً وجـاهُـك قـائم
فلقـد تـأتّى مـا تريـد فـوالني ... منـك الجميـل فـإنّـه لـك دائم
جـار الـزمـانُ على وليّـك واعتـدى ... وإليـك للـزمن الألـدّ يخـاصم
من كان ليس بنـادمٍ مستـدرك ... فـأنـا عليـك إلى ممـاتي نـادم
كانت هنـاة وانقضت ومن الـذي ... منـا وليس لـه تُعَـدَّ جرائم
إنّ الـذي قَسَم الحظـوظ كما يشـا ... للرزق مـا بين البرايـا قـاسم
قـلّ وكثرٌ ليس تبقى حـالـة ... والـدهرُ بين النـاس بـانٍ هـادم
يـا مَنْ لـه أخلصتُ كُنْ لي مخلصاً ... فعلى مُجـازينـا كـلانـا قـادم
أعلنتُ بـالشكـوى لضرٍّ مسَّني ... لكنَّ وُدّي في الحقيقـة سـالم
ولـك السيـادة خلـة ومكارم الـ ... أخـلاق منهـا في يـديـك خـواتم[1]
فـاقبـل أخـوّتي الجـديـدة إنني ... فيهـا لجـدكِ أوْ لـودّك خـادم
وإلى الرضى عُـدْ بي وللحسنى أعِـدْ ... حتى تقـوم على الصّفـاء عـلائم
والبس ريـاستـك السنيـة حلّـة ... أبـداً لهـا مِنْ نسـج سعـدك راقم
واجعـل لهـا شكراً إقـالـة عثرة ... من صاحب قـد صـدّ عنـه العـالمُ
أنت الخليـل بـل الخليُّ مِنَ الهـوى ... وأخـوّتي قـد جَرَّهـا لـك آدم
فـأعِنْ أخـاك بحسنِ سَعْيـك مرّةً ... إنّ المغـارم في الإخـاء مغـانم

قلت : الأجوبة التي تقدمت أصلحتُ أنا فيها أماكن حتى رقّت ولطفت ، وأمّا هذه الأبيات المميّـة فهي شعره على صرافتـه لم[2] أغيّر منهـا شيئـاً ، وهي بخـط يَـدِه في (التاريخ الكبير) في ترجمته .

---

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « حلية ومكارم » ، وهي أشبه .
(٢) في الأصل : « لو » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

يـــا مَنْ تعرّضني وقلبي ســـالم ... من إثمـــه واللهِ إنّـــك آثم
أتظنّ أني فهتُ فيـــك بلفظـــةٍ ... لا والـذي هـو بـالسرائر عـالم
مـا الأمر فيـك كما زعمت وإنمـا ... أنت امرؤ فيما أهمَّـــك واهم
أنسيتَ أن الله في أحكامـــه ... عَـدْل وأنـك في الحقيقـة ظـالم
فـاقتصّ لي منـك الغـداة بمثـل مـا ... عـامَلْتَني واللهُ عـدلٌ حـاكم
كم قـد قطعتُ الليـل منـك مسهّـداً ... والقلبُ ملتهب وطرفي سـاجم
أستصرخ الأنصـار فيـك وكلُّهم ... في غفلـة عمّـا دهـاني نـائم
وإذا طلبْتُ الروح من نفس الصّبـا ... جـاءتني النسمات وهي سمائم[1]
فـأقمتُ في صفـد ودمعي مطلـقٌ ... حـزنـاً ومـالي في البريّـة راحم
حتى إذا علم الإلـــهُ ضرورتي ... نجّى وطرفُـك بـالغـوايـة حـالم
فـأنِبْ وتب لله وارضَ بحكمـه ... واصبرْ فحكمُ الله أمرٌ لازم
لعسـاك تـؤجر أو ترى لـك مخْلصـاً ... من ضيـق حـالٍ ضُرّه متفـاقم
والله مـالي في خروجـك مَـدْخَـلٌ ... كـلا ولا طبعي لـذاك مـلائم[2]
فعليـك بـالصبر الجميـل فـإنّـه ... لجراح نـابِ النـائبـات مراهم
مـادام لي بخـلافِ قَصْـدك شـدّة ... وكـذاك مـا تخشـاهُ مـاهـو دائم
أعـزِزْ عليّ بـأن يسـوءَكَ حـادثٌ ... أو أنَّ أنفَـكَ في الرَّزيّـةِ راغم
مـا احتجتُ للتّـذكارِ منـكَ لأنّني ... لـكَ في الرَّخـاء وفي الشَّقـاء أُقـاسِم
فـلأبـذُلَنَّ عليـكَ مجهـودي إلى ... أن تنقضي البَلـوى وبـالُـكَ نـاعِم
فتـوَخَّ في الأسْحـارِ أوقـاتَ الـدُّعَـا ... إنَّ الـدُّعـاءَ لِـدَفـعِ ذاكَ دعـائم
فكأنّني بـكَ قـد خلصْتَ خلوصَ بـد ... رِ التَّمِّ حيثُ سحـابُـه مُتراكِم

(١) (أ) ، (ق) : « مرّت بي النسمات » .
(٢) (أ) ، (ق) : « يلائم » .

وصفَوتَ كالإبريـزِ يخرُجُ من لَظىً ... والصُّبحُ قـد أخفـاهُ ليـلٌ عـاتِم
وأراكَ مسروراً ووجهُـــكَ مُسفِرٌ ... بِشْراً وثغرُكَ بـــالأمـــاني بـــاسِم
وكأنمـــا قـــد كانَ من عبثِ الرَّدى ... بـكَ لم يكُن ولـكَ الـزَّمـانُ مُسـالِم

وكان هو قـد كتب بـدمشق قبل دخول الـديوان كتـاباً ببشـارة النيـل على وجـه امتحان الخاطر ، وجهَّز إليَّ نسخته ، وهو :

« أعزَّ اللهُ أنصارَ المقرّ ولا أخلاه من أثر رحمةٍ يشاركـه فيهـا الخـلائـق ، وينبّـه ذوي الفضائل[١] على التفكُّر في لطيف صنعِ الخـالق ، ويُـدخلُ في شمول عمومهـا وعموم شمولهـا الصـامتَ والنـاطق ، ويـدل على إقبـال الرخـاء دلالـةَ البرق المستطير على النَّوء الصادق :

حتّى يكـونَ مُبـــاركاً في نفسِـــهِ ... وعلى الـوَرى في ســائرِ الأقطـــارِ
مُتَقَسِّم المعروفِ أحلى مَـوْقعـــاً ... عنـدَ النُّفـوسِ منَ الخيـال السّـاري
يَحكيـهِ مُشْبِـهُ كفّـهِ النِّيـلُ الـذي ... أغنى الثَّرى عن منَّـــةِ الأمطـــارِ
أربى عليهـا لَـوْنُـــه لَمّـــا جَرى ... مـا شـانَـهُ الإرعـادُ بـالأكـدارِ

وهي نعمـة تُحـدِّث عن عجـائب بحرهـا على الحقيقـة ولا حرج ، ويتسـاوى في الانتفـاع بهـا كلُّ نـام فضـلاً عمّـا دَبَّ ودَرَج . لقـد أبرزَتْ كنـانـةَ أرضِ الله في أثـوابهـا القُشب ، وسرى ذِكْرُها إلى الشام المرتقب ، موسم الوسميّ طليعة[٢] السحب تضمَّن ذلـك المثال الشريف الوارد بخبر وفائـه القـائل مَنْ سَمِعـه : هـذا عـذوبـة ألفـاظ أُلبستهـا من حلاوة مائه[٣] . وإن المقياس أتى بتمام قياسه الثابت على عادة عَدّانه ، ونادى وقـد سقى الأرض[٤] غَيْرَ مُفْسِدها بالأمان من طوفانه . وإن أراقِم غُدْرانـه انسـابت في ذلـك الإقليم

(١) (أ) ، (ق) : « البصائر » .
(٢) في الأصل : « طلعة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : «هذه عذوبةٌ اكتسبتها الألفاظ من حلاوة مائه » .
(٤) (أ) ، (ق) : « البلاد » .

فابتلعت غدرانَ أراقمه ، ومحا سَيْلُه المتدفق معالِمَهُ المجهولة ، فاستعمل الأقلام في إثبات معالمه . وإنه أحاط بالقرى كالمحاصِر فَضَرَب بينها وبين ضائقة الْمَحْلِ بسُور ، وأخذ الطُّرُقَ على السّالكين فلا مراكب في البَرِّ ولا عاصم إلاّ الجسور[١] . ولم تنتقض قاعدة غَنائه سوى في أنه لم يُترك[٢] فارة تطوف بجدار ، إلا وهي طافية على الماء كأنها شجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار . على أن لله الْحَفِيّ في هذا لطفاً [خفيّاً][٣] وما هو بالخفي ، فنَقْصُها جاء ﴿ تَماماً عَلى الَّذي أحْسَنَ ﴾[٤] ، ونَجاةُ بدنها الهالك للنبات آية المأمن . وكأني بهذا الْمُخبر عنه ، وقد بلغ الزُّبا[٥] من الرُّبا ، فطار النَّسر مبلولَ الجناح ، ودنا حين أطلق فركَضَه مَنْ مشى بالأرجل[٦] ، لا أنْ رَفَعه مَنْ قامَ بالرّاح .

ومولانا يأخذ من هذه الأنباء[٧] بأحسنها وكلُّها حَسَنه ، ومن هذه البشائر المنتظر قدومها بأبينها يُمْناً وكلُّها بيِّنة مُتَيَمَّنه ، وقد علم حقّ [نِعَم][٨] الله الشكر فيوفِّيها منه حقها . ويتوقع رزق بلاده من السماء [كما][٩] وعد ، فقد أخرج لتلك من خزائن غَيْبه رزقها ، ويوفِّر الرَّعايا من الجباية ليتوفروا على الدعاء ، ويعرفوا نزاهة هذه الدولة القاهرة عن القوة على الضعفاء .

فإن للرسوم الشريف نصَّ على هذه الخاتمة الجليَّه ، وطهَّر هذه الموارد من قذى

---

(١) في الأصل : « في الجسور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « ينزل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) سورة الأنعام : ١٥٤/٦ .
(٥) في الأصل : « الترب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والمثل المشهور : « بلغ السَّيل الزُّبا » .
(٦) (أ) ، (ق) : « بالرجل » .
(٧) في الأصل : « الأشياء » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٨) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٩) زيادة من (أ) ، (ق) .

الأذى لتُنَقّى القلوب من السَّخط كما كانت في نفسها نقيّه ، ومَنْ وعى [١] فواضل هذا الكرم الطاهر فليقل : يا مقيلات الجدود العواثر .

والله ـ تعالى ـ يجعل مولانا من المتوكلين عليه ليزيده [٢] إيماناً ، ويرزقه كما رزق تلك الدِّيار التي غدت من الظَّمأ خِماصاً ، وراحت من الرِّيّ [٣] بِطاناً ، بَنِّه وكرَمِه ، إن شاء الله تعالى » .

ولَمّا كنت أنا بالدِّيار المصرية سنة تسع وعشرين وسبع مئة ألزمني القاضي شهاب الدين بن [٤] فضل الله ـ رحمه الله تعالى ـ أن أنشئ كتاباً في المعنى ، فكتبتُ ، وبالله التوفيق :

« ضاعف الله تعالى نعمة الجناب وسَرَّ نَفْسَه بأَنْفَسِ بُشْرَى ، وأسمعه من الهناء كلَّ آية هي أكبرُ من الأخرى ، وأقدَم عليه من المسارِّ ما يتحرَّزُ ناقله ويتحرَّى ، وساق إليه كلَّ طليعة إذا تنفَّس صبحها تفرَّق ليلُ الهمِّ وتفرَّى ، وأورد لديه من أنباء الخصب ما يتبرَّم به مَحَلُّ الْمَحْلِ ويتبرّا .

هذه المكاتبة إلى المجلس [٥] العالي تخصُّه بسلام يرقُّ كالماء انسجاما ، ويروقُ كالزَّهر ابتساما ، وتتحفه بثناء جعل المسك له خِتاما ، وضرب له على الرياض النافحة خياما ، وتقصُّ [٦] عليه من نبأ النيل الذي خصَّ الله الدِّيار المصرية بوفادة وفائه ، وأغنى قطرها عن القَطْر فلم تحتج إلى مَدِّ كافِه وفائِه ، ونَزَّهَه عن مِنّة الغمام الذي إن

---

(١) (أ) ، (ق) : « دعا » .
(٢) في الأصل : « ليزيد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « بالزَّيّ » .
(٤) (أ) ، (ق) : « أحمد بن ... » .
(٥) (أ) ، (ق) : « الجناب » .
(٦) (ق) : « تنضّ » .

جاد فلا بدَّ له من شهقةِ رعْدِهِ ودمعة بكائه ، فهي البلاد التي لا يذمّ للأمطار[١] في جوِّها مطـار ، ولا يُـزَمّ للقطـار في بقعتهـا قطـار ، ولا تُرْمِـد الأنـواء فيهـا عيـون النـوّار ، ولا تشيب بالثلوج فيها مفارقُ الطُّرق ورؤوس الجبـال ، ولا تبيتُ البروقُ سـاهرة لمنع العيون من تعهُّد الخيال ، ولا تُفقد فيها حُلَى النجوم لانـدراج الليلـة تحت السحب بين اليوم وأمس ، ولا يتمسَّـك المسـاكين في شتـائهـا[٢] كما قيـل بحبـال الشمس . وأين أرض يخمد عجاجها بالبحر العَجَّـاج ، وتزدحم في سـاحـاتهـا أفواج الأمْوَاج من أرض لا تنـال السُّقيا إلا بحرب لأن القطر سهام والضباب عجاج قد انعقد ، ولا يعمُّ الغيث بقـاعهـا ، لأن السُّحب لا تراهـا إلا بسراج من البرق إذا اتَّقـد ، فلـو خـاصم النيـل ميـاه الأرض لقال : « عندي قبالة كل عين إصبع » ، ولو فـاخرهـا لقـال : أنتِ بـالجبـال أثقل وأنـا بالْمَلَق أطبع .

والنيل له الآيات الكُبَرْ ، وفيـه العجـائب والعِبَر ، منهـا وجود الوفـاء عنـد عـدم الصفـاء ، وبلوغُ الهرم إذا احتـدَّ واضطرم ، وأمْنُ كل فريق إذا قُطـع الطريـق ، وفَرَحُ قطّـان الأوطـان إذا كُسِر والمـاء ـ كما يقـال ـ سلطـان ، وهـو أكرم منتمى ، وأشرف منتـدى ، وأعـذب مُجْتَنى ، وأعظم مجتـدى . إلى غير ذلـك من خصـائصـه وبراءتـه مع الزيادة من نقائصه ، وهو أنه في ذا العالم المبـارك جـذب البلاد من الجـدب ، وخلَّصهـا بـذراعـه ، وعصمهـا بخنـادقـه التي لا تُراع من تِراعـه ، وحصَّنهـا بسواري الصواري تحت قلوعه وما هي إلاّ عُمد قِلاعه .

وراعى الأدب بين أيدينا الشريفة في مطالعتنا[٣] الشريفـة في كل يوم بخبر قـاعـه في رقـاعـه ، حتى إذا أكمل الستـة عشر ذراعـا ، وأقبلت سوابق الخيرات سراعـا ، وفتـح

---

(١) في الأصل : « الأمطار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) : « ثنائها » .

(٣) (أ) ، (ق) : « بمطالعتنا » .

أبواب الرحمة بتغليقه ، وجدَّ في طلب تخليقه ، وتضرَّع بمدِّ ذراعيه إلينا ، وسلَّم عند الوفا بأصابعه علينا ، ونشر علم ستره ، وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره .

فرسمنا بأن يخلَّق ، ويعلَّم تاريخ هنائه ويعلَّق ، فكُسِر الخليج وقد كاد يعلوه فَرَح[١] موجه ، ويهيل كثيبَ سُدّه هولُ هيجه ، ودخل يدوس زرابيّ الدّور المبثوثه ، ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها خبايا موروثه ، ومرق كالسهم من قسيّ قناطره المنكوسه ، وعلا زبد حركته ولولاه ظهرت في باطنه من بدور أُناسه أشعتها المعكوسه ، وبشَّر « بِرْكةَ الفيل » بَبَركة الفال ، وجعل « المجنونة » من تياره المتحدر في السلاسل والأغلال ، وملأ أكفّ الرجاء بأموال الأمواه ، وازدحمت في عبارة شكره أفواج[٢] الأفواه ، وأعلم الأقلام بعجزها عمّا يدخل من خراج البلاد ، وهنّأت طلائعه بالطوالع التي نزلت بركاتها من الله - عز وجل - على العباد . وهذه عوائد الألطاف الإلهيّة بنا التي [لم نزل][٣] نجلس على موائدها ، ونأخذ منها ما نَهَبه لرعايانا من فوائدها . ويخصُّ بالشكر قوادمها فهي تدبُّ حولنا وتدرج ، وتخصُّ قوادمها[٤] بالثناء والمدح [والحمد][٥] فهي تدخل إلينا وتخرج .

فليأخذ الجناب العالي حَظَّه من البُشرى التي جادت بالمنّ والمنح وانهلّت أياديها الغدقة بالسَّح والسَّفح ، وليتلقاها[٦] بشكر يضيء به في الدُّجا أديم الأفق ، ويتخذها عقداً يحيط به من العنق [إلى][٧] النطق ، وليتقدَّم الجناب العالي بأن لا يحرّك الميزان

---

(١) في الأصل : « فوج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (ق) : « أفراح » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « قوامها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٦) كذا في الأصول ، والمعنى على الطلب .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، وعبارتها ههنا : « يحيط منه بالعنق إلى ... » .

في هذه البشرى بالجباية لسانه ، وليعط كل عامل في بلادنا المحروسة بذلك أمانه ، وليعمل بمقتضى هذا المرسوم الشريف حتى لا يُرَى في إسقاط الجباية خيانه .

والله ـ تعالى ـ يديم الجناب العالي لقصِّ الأنباء الحسنة عليه ، ويمتّعه بجلاء عرائس التهاني والأفراح لديه ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى » .

وكتبت أنا إلى زين الدين المذكور ، وقد أعارني نسخة (الفلك الدائر) :

فُديت مولىً خالني مُقتّراً ... فعمَّني بالنّائل الغامرِ
لم يرضَ بالأرضِ على قَدْرِهِ ... فَجادَ لي بالفلكِ الدّائرِ
فراحَ وصفي في عُلا مَجدِهِ ... مُشْتَهراً كالمثلِ السّائرِ

وأنشدني من لفظه لنفسه في ضوء البدر بين الغصون :

نظرتُ للشُّهبِ وقد أحدَقَتْ ... بالبَدرِ منها في الدَّياجي عُيون[1]
والرَّوضُ يَستَجلي سَنا نورِهِ ... فَتَحْسُدُ الأرضَ عليها الغُصونُ
وكلَّما صانَتهُ أوْراقُه ... نازَعَها الرِّيح فلاحَ المصونُ
فقلتُ حتّى البدْرُ لم تُخلِهِ ... رِيَبُ اللَّيالي في السّما من عيون[2]

فقلت له : والله[3] حسن ، ولكن أطلت فيه النفس في أربعة أبيات ، ولو كان ذلك في بيتين لكان أحسن . وأنشدته لنفسي في ما بعد ذلك :

كأنّما الأغصانُ لَمّا انْثَنَت ... أمامَ بدرِ التَّمِّ في غَيهَبِهِ
بِنْتُ مَليكِ خلفَ شُبّاكِها ... تَفرَّجت منهُ على موكبِهِ

---

(١) (أ) ، (ق) : « بالشهب » .
(٢) في الأصل : « تحله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) ليست في (أ) ، (ق)

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في ترجمة جمال الدين يوسف النابلسي الصوفي شيء من هذا المعنى[١] .

وأنشدته يوماً[٢] الأبيات التي أوردتها في ترجمة شيخنا نجم الدين حسن بن محمد خطيب صفد ، وأولها :

ولقد ذكرتكم بحربٍ يَنْثَني عَن بأسِها الهَزَبر الأغلب

فأنشدني هو لنفسه في هذا المعنى :

ولقد ذكرْتُك عندما بلغَ الزُّبا عَرَقُ الجيادِ وفاضَ ماءُ النِّيلِ
والبحرُ برّ بالوحول وقد طَمى بالبر بحرُ فرسَخٍ في ميلِ
والنّاسُ قد خاضوا فأُغرق بعضُهم ونَجا القليلُ بضجّةٍ وعويلُ
وقُلوبُهم من رَوعِها في غَمرةٍ ويَطيبُ ذكرَك بينَهُم تَعويلي

ولَمّا رُسِمَ بعوده إلى ديوان الإنشاء بدمشق في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب دمشق ، كتبت أنا إليه توقيعاً ، ونسخته :

« رُسِم بالأمر العالي لا زال يزيد الأولياء زَيْنا ، ويزينُ الأكفاء بمن إذا حلَّ صدراً كان عَيْنا ، ويرتجعُ لكلِّ مُسْتحِقٍّ ما كان له في ذمَّةِ الزَّمانِ دَيْنا ، أن يستقرَّ المجلس العالي الزيني في كذا ، لأنه الكاتب الذي دبَّج المهارق ، ورقَّم طروسها فكان لها نظرات الحدق ونضارة الحدائق ، وخطَّ سطورها التي إذا رمَّلها غدت من الْحُسن كالريحان تحت الشقائق ، وصَرَع بها أطيار المعاني لأن دالات السطور قسيّ ، والنقط بنادق ، وزان آفاقها بنجوم أسجاعه فلم يصل أحد إلى درجات فصاحتها[٣] لما فيها من

(١) في (أ) ، (ق) .
(٢) في (أ) ، (ق) : « يوماً لنفسي » .
(٣) في الأصل : « درجاتها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

الدقائق ، وأصدرها في الرَّوْح والرَّوْع « يُرجَّى الحيا منها وتُخشى الصواعق »[١] ، وأودعها نفائس إنشائه فأثنى عليها أئمة البلاغة ، « ولو سكتوا أثنت حقائب الحقائق » . طالما كتب بالأبواب الشريفة تقليدا ، وجهّز في المهمّات كتباً ملأت البحر حرباً والبرَّ بريدا ، ووشّى أمثلة صدرت عنها فطارت في الآفاق ، ولكن أوثقتها[٢] الأفهام تقييدا ، وعادَ الآن إلى الشام فنفّس عنه خنّاق الوحشة بقربه ، وتلقّاه[٣] بالرَّحب علماً بأنه يُغني عن الكتائب بكتبه ، وأحلّه في رتبة يشرِّفها[٤] الوليّ بسَلْمِه ويسوء العدوّ بحرْبِه ، شوقاً إلى أُنس ألفهُ من لطفه ، وعَرَفه مِن عُرْفه في نفح عَرْفه ، فطاب به الواديان كلاهما ، وتنافسا في أخذ حظيهما من قربه ، فما تساهلا تساهماً ، فهو من القوم الذين تُسقى[٥] البلاد بهم وتسعد ، وإذا قُرِّبوا من مكان تخطّاهم السّوء للأبعد ، وإذا قاموا بمهم كانوا فيه أقعد ، وإذا باشروا المعالي كانوا أسعد الناس وأصعد ، وإذا كتبوا كبتوا العدا ، لأنَّ كلامهم لَمَع فأبرقَ وطرسهم قَعْقَعَ فأرعد .

فليباشر ذلك على ما عُهد من أدواته الكامله ، وكلماته التي تركت محاسنَ البرايا بائرة وأزاهر الخمائل خامله . والوصايا [التي تُمْلاَ][٦] كثيرة ، وكم شرّع [لها][٧] قرطاسه وشرعها بأقلامه ، ونضّد عقودها بإحكام أحكامه ، وملأ[٨] بجيوشها صدور مهامه . فما يُلْقَى إلى بحره منها دُرّه ، ولا يذكر لطود فضله منها ذَرّه ، ولا يُطلع

---

(١) عجز بيت للمتنبي ، صدره :

فتى كالسحاب الجون يُخشى ويُرتجى

(٢) (أ) : « فأوثقها » .

(٣) في الوافي : « وتلقته » ، وكذا أنّثت الضمائر في الأفعال التي تلت .

(٤) في الوافي : « يسرّ فيها » .

(٥) في الوافي : « تشقى » .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٨) في الأصل : « ولا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

القلم[١] في أفق فضلٍ كله شموس من ذلك بَدْره ، ولا يُدَلُّ مثله على صواب ، فقبيح بالعوان أن تعلّم الخِمره[٢] ، ولكن لا بدَّ للقلم من لفتةِ جيد ، وفلتةِ نفث تكون كالخال في الوجنة[٣] ذات التوريد .

وهي الذكرى بتقوى الله تعالى التي مَن عدِمَها فقد باء بخسران متين[٤] ، ومَن لزمها فقد جاء بسلطان مبين .

والله يتولّى رفعة مجده وسعة رِفده . والخط الكريم أعلاه حجة بالعمل بمقتضاه . والله الموفِّق بمنِّه وكرمه . إن شاء الله تعالى .

وقد أوردت كثيراً من كلامه في ترجمته في التاريخ الكبير الذي أسميته (الوافي بالوفيات) .

١٢٦٨ ـ عمر بن سعد الله*

الإمام زين الدين الحرّاني الحنبلي ، المعروف بابن بُخَيْخ ، بباء موحَّدة[٥] وخاء معجمة مفتوحة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وخاء ثانية .

سمع الكثير ، وحضر على الفخر[٦] ، وكان بالفقه بصيرا ، وبالنحو خبيرا ، تخرَّج بالعلاّمة الشيخ تقي الدين بن تيميّة وبغيره ممّن ساد بعلمه في البَرِيّة . وناب في الحكم

---

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) مثلٌ سلفت الإشارة إليه .

(٣) في الأصول : « الوجه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الأصل : « المبين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

* الوافي : ٤٨٠/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٧/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٧/١ ، والدُّرر : ١٦٦/٣ ، والشذرات : ١٦٢/٦ ، والدارس : ٧٥/٢ ، ووقع في بعض هذه المصادر : « نجيح » موضع « بخيخ » .

(٥) مضمومة ، كما في الوافي .

(٦) عبارة الدارس : « حضر على أبي الحسن بن البخاري » .

لابن المنجّا ، وخلّص الحقوق ونجّى ، وكان يقول برأي الشيخ تقي الدين في المسائل التي انفرد بها ووقع له ما وقع بسببها ، ويحكم بها وتُسَطَّر ، ويذيب بها قلوب المخالفين فتُفَطَّر[١] .

وكان شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ يتألّم ويتأذّى منه وما يتحلّم ، ولا ينفّذ ما يحكم به ولا ما يراه ، ولا يصل به أسبابه ولا عُراه[٢] ، ونازعه في ذلك مرّات ولم يرجع ، وأصرَّ عليها إلى أن ركب على الشِّرْجَع .

ولم يزل على حاله إلى أن بخبخ الموت لابن بخيخ ، وأتاه ما يأتي على الطُّفَيْل والشُّيَيْخ[٣] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أول شهر رجب سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وثمانين وست مئة .

وتألّم الناس له[٤] .

وكان قد ولي مشيخة الضيائية ، وألقى فيها دروساً محرَّرة ، وكان قد ناب في الحكم لقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا الحنبلي بعد القاضي برهان الدين الزرعي ـ رحمهم الله تعالى ـ .

وقال يوماً قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ لقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا : إن كنت تقول[٥] إنَّ هذه الأحكام التي يحكم بها نائبك مَذْهبٌ

---

(١) (أ) ، (ق) : « وتُفَطَّر » .

(٢) في الأصل : « ولا ما يراه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « الشيخ » ، وفي (أ) : « الشويخ » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) في (أ) ، (ق) والوافي : « وتألم له أصحابه » .

(٥) في (أ) ، (ق) ، والوافي : « تقول لي » .

الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ فأنا أنفذها ، قال : لا إلاّ إذا حكم بها [هذا][1] حَكَمْتُ بصحتها ، وطال التنازع في ذلك ، ولم يرجع هذا ، ولا نفَّذ [هذا][2] له هذا حكماً .

وأظنه مات معزولاً ، والله أعلم .

وكان قد دخل في زمرة مَن توجَّه إلى غزة[3] بسبب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وحُبِس وأُفرِجَ عنه ، وجاء إلى دمشق ، هذا ، على ما في ظني أو والده أو واحد من بيتهم .

أخبرني من لفظه الشيخ الإمام عز الدين حمزة بن [شيخ][4] السلاميّة قال : رأيته ليلة مات قبل دفنه ، فقلت له : ما متَّ ؟ قال : بلى ، قلت : فما رأيتُ الله تعالى ؟ قال : بلى ، يغمى[5] على الميت في النزع ، ذلك الوقت يرى الميت الله تعالى . قلت : فما قال لك ؟ قال : قال لي : أهلاً بعبدي وحبيبي ، أو كما قال .

١٢٦٩ ـ عمر بن طَيْدَمُر كُكُز*

الأمير ركن الدين .

كان أحد الأمراء العشرات بدمشق ، وكان هو وأخوه علي المقدَّم ذِكْرُه في الْحُسْنِ فَرْقَدَي سماء ونَيِّرَي أُفق تبرّأ من الظلماء ، كم زانا المواكب ، وسيِّرا في سوق الخيل فأشبها الكواكب ، إلى أن اجتحف سيل المنيّة أخاه ، وبورك في عُمْرِ عُمَر هذا وما توخّاه ، فأقام بعد أخيه يطلع في أفق الملاحه ، ويسفر عن صباح الصباحه .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٣) كذا في الأصل و(ط) ، وفي (أ) ، (ق) : « القاهرة » ، ولعلّها أشبه .
(٤) زيادة من (أ) والوافي .
(٥) في الوافي : « لَمّا يُغْمَى » .
* الدُّرر : ١٦٨/٣ ، ووقع في الأصل و(ط) : « دكر » موضع « ككز » ، تحريف .

فودَّع الحياة واختطفها وتناول زهرة العيش واقتطفها ، إلى أن انكدر نجمه الزاهر ونُقل إلى باطن القبر حُسْنُه الظاهر[١] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

١٢٧٠ ـ عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض*

قاضي القضاة عز الدين أبو حفص المقدسي الحنبلي .

سمع من جعفر الهَمداني ، والضياء محمد ، وحضر ابن اللَّتي . وانتقل إلى القاهرة ، وسمع من ابن رواج ، وسبط السِّلَفي ، وتفقَّه بها على شمس الدين بن العماد .

وبرع وأفتى ودرَّس ، وكان متأنِّياً[٢] في الأحكام . وكان أبيض الرأس واللحية ، سميناً ، تام الشكل ، كامل العقل .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في شهر صفر سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

وقرأ عليه شيخنا علم الدين البرزالي (جزء الغضائري)[٣] .

١٢٧١ ـ عمر بن عبد الله بن عبد الأحد**

تقي الدين أبو حفص الحرّاني الحنبلي المعروف بابن شُقَيْر ، تصغير أشقر .

---

(١) في الأصل : « الزاهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥٠٣/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٣٥٠/١٣ ، والشذرات : ٤٣٦/٥ .

(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « متثبتاً » .

(٣) الغضائري : هو علي بن عبد الحميد بن عبد الله . ت (٣١٣ هـ) . سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٤ .

** الدرر الكامنة ١٧٢/٣ .

سمع الكثير بنفسه ، ودار على المشايخ ، وسمع من القاسم الإربلي ، والفخر علي ، وابن شيبان ، وزينب ، وخَلْق . ونسخ بعض الأجزاء ، وروى (الصحيحين) .

قال شيخنا الذهبي : وسمعت منه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ...[1] ـ سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

قلت : كان شيخاً فاضلاً ديِّناً صيِّناً مشهوراً .

١٢٧٢ ـ عمر بن عبد الرحمن بن أحمد**

قاضي القضاة إمام الدين أبو المعالي القزويني الشافعي ، قاضي القضاة بدمشق ، ابن القاضي سعد الدين ، ابن القاضي إمام الدين . وهو أخو قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وسيأتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في المحمّدين .

كان المذكور تام الشكل سمينا ، جميل الوجه وسيماً مُبينا . أخلاقه لطيفه ، وحركاته ظريفه . يتواضع لمن يلقاه ، ويتنازل وهو في أعلى مرقاه ، عقله جيِّد إلى الغايه ، ونُبله متصل بالنهايه . بارع الفضيله ، فارع الهضبة التي سمت عن كل رذيله .

ساس الناس سياسةً مَلَكَ بها قلوبَهم ، وستَرَ عيوبهم ، وتغمّد بحلمه خطأهم وذنوبَهم . أحسن مداراتهم ، وأمّنهم في أماكنهم وداراتِهم ، ولَمّا بلغه خبر التّتار في نوبة غازان ، انجفل مع الناس إلى القاهره ، ورأى الناس منه عياناً ما كانت تأتيهم به أنباؤه السائره . فما أقام بها غير أسبوع واحد ، حتى لَحَده اللاحد .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس عشري شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة . وولد بتبريز سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

---

(١) فراغ في الأصول ، وفي الدرر « في جمادى الآخرة » .

* العبر ٤٠٢/٥ ـ الإعدام ٢٩٢ ـ النجوم الزاهرة ١٨٥/٨ ـ شذرات الذهب ٤٥٤/٥ .

واشتغل في العجم والروم ، وقدم دمشق في الدولة الأشرفية ، هو وأخوه جلال الدين ، فأُكرم مَوْرِدُه لرئاسته وفضله وعلمه وعقله . ودرَّس بعدّة مدارس ، وولي القضاء بدمشق في أول دولة لاجين سنة ست وتسعين وست مئة ، وصُرف قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، فأحسن إلى الناس وداراهم ، وكان خروجه من دمشق في الجفل في مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين ، وتوفي بالقاهرة [رحمه الله تعالى ، وخرج بجنازته خلقٌ كثيرون من الأعيان . وكان ينتسب إلى أبي دُلَف العجلي ، وفيه يقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، رحمهما الله تعالى :

انتسب القاضي إلى قاسم ... فصدَّقوا كلوتة الرِّجْل
العجل من ثور يرى دائماً ... وما رأينا الثور من عجل

وكان القاضي إمام الدين ـ رحمه الله تعالى ـ فاضلاً في الأصول والخلاف والمنطق ، وشرح (مختصر) ابن الحاجب][1] .

١٢٧٣ ـ عمر بن عبد الرحيم بن يحيى*

ابن إبراهيم بن علي بن جعفر بن عبد[2] الله بن الحسن القرشي الزُّهري النابلسي ، القاضي عماد الدين أبو حفص قاضي القدس وخطيبه .

كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل بدمشق مدة ، وأقام بها ، ثم انتقل إلى نابلس ، وأُذن له هناك بالإفتاء ، ورُتِّب له هناك[3] على ذلك معلوم مدّة سنين ، ثم إنه تولى خطابة القدس [وأقام هناك مُدَّة ، وفي أواخر عمره ولي قضاء نابلس مع استمرار الخطابة بالقدس عليه وعلى ولده ، ثم إنَّه نُقِلَ إلى قضاء القدس][4] ، وبقي على ذلك أشهراً .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥٠٦/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٦٧/١٤ ، والدُّرر : ١٦٩/٣ ، والشذرات : ١٠٨/٦ .

(٢) (أ) ، (ق) : « عبيد » .

(٣) ليست في (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

ثم مات - رحمه الله تعالى - في ليلة الثلاثاء عاشر المحرّم سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وسمع من عمِّه - رحمه الله تعالى - الخطيب قطب الدين عبد المنعم خطيب القدس[١] ، وروى عنه .

وكان سريعَ الحفظ ، سريع الكتابة ، ولم أرَ أنا في الأئمة من يقرأ في المحراب أردأ من قراءته . ولَمّا زار الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني - رحمه الله تعالى - القدس صلَّى خلفه ، ولَمّا فرغ قال له : اقعد اقرأ الفاتحة ، فقرأها [عليه][٢] وصححها ، ولَمّا صلَّى به الصلاة الأخرى قرأها أردأ من الأولى[٣] ، فقال الشيخ : ما في يدي حيلة .

وكان القاضي فخر الدين ناظر الجيوش كثير الاعتناء به ، فلذلك جُمع له بين الخطابة والقضاء ، وكان قد زوَّج ابنَه الخطيب شمس الدين بابنة قاضي القضاة شرف الدين النهاوندي قاضي صفد .

وتوفي الخطيب عماد الدين - رحمه الله تعالى - وله من العمر أربع وستون سنة . وله (شرح) جمعه لـ (صحيح مسلم) .

١٢٧٤ - عمر بن عبد العزيز بن الحسن*

الصاحب فخر الدين بن الخليلي الداري .

كان من الفضلاء الوزراء النبلاء ، أحسنَ إلى الناس في وزارته ، وكلّ خير نجده إلى اليوم مكتوب على توقيعه بإشارته . قرَّر في مباشراته للفقراء جُملةَ رواتب ، ولم

(١) (ت ٦٨٧) ، الإعلام : ٢٨٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٧٧/٧ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « أرذل من الأول » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥١٤/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٦ ، والدُّرر : ١٧٠/٣ ، والشَّذرات : ٢٨/٦ .

يخش في ذلك العواقب[١] ولا العواتب ، وفاز إلى يوم القيامة بذكرها ، وحاز محاسن حمدها وشكرها . عُزل منها مرات ، وقد حصّل[٢] له فيها مبرات ، وعاد إليها عَوْدَ البدر إلى منازل سعوده ، والهلال إلى مراقي صعوده . وشكر الناس أيامَه ، وأطلق بالجود أقلامَه .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء الأجل وزار الوزير ، وصار من رحمة ربِّه إلى خير مصير .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ معزولاً يوم عيد الفطر سنة إحدى عشرة وسبع مئة عن اثنتين وسبعين سنة .

وكان يُكْتَب عنه في التواقيع : « بالإشارة العالية المولوية الصاحبيّة الوزيريّة [الفخريّة][٣] ، سيِّد العلماء والوزراء » . وهذا لم يكتب لغيره .

وروى الحديث عن المرسي .

وسمع منه ابنُ المهندس وابن البعلبكي وجماعة .

وكان والده مجد الدين من الصلحاء . أقام بمصر مدة ، وحضر إلى دمشق ، وكان يلوذ ببني صصرى . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمانين[٤] وست مئة .

ثم إن ولده الصاحب فخر الدين لاذ ببني حَنّا ، وصارت له بذلك صورة في الدول ، وتولّى نظر الصحبة ، ووزر للملك الصالح علاء الدين علي بن المنصور ، ثم إنه ولي الوزارة أيام كتبغا في يوم الثلاثاء خامس عشري جمادى الأولى سنة أربعة وتسعين وست مئة .

---

(١) (أ) ، (ق) : « العواذل » .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من الوافي .

(٤) في الأصل : « ثماني » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

وحضر معه إلى الشام سنة ست وتسعين وست مئة ، وصرف بعد ذلك بالأعسر في أوائل دولة لاجين في شعبان سنة ست وتسعين وست مئة . ثم أعيد للوزارة في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وست مئة ، ثمّ صُرِفَ عنها في الدولة الناصرية ، ثم أُعيد إلى الوزارة في ثاني عشري شوال سنة تسع وسبع مئة ، ثم صُرف .

وأول ما لبس للوزارة استحيا من الصاحب تاج الدين بن حنا ، لأنه وليها عوضاً عنه ، فنزل من القلعة إلى دار الصّاحب[١] بتشريفه ، وقبَّل يده ، وقال : أنا غلامكم ومملوككم ، وخضع له خضوعاً كبيراً ، وجلس بين يديه ، فأراد الصاحب جبره في ذلك الوقت ، فأخذ توقيعاً من بعض غلمانه يحتاج إلى خط الوزير ، فقدمه له ، وقال : مولانا يكتب على هذا ، فقبَّله ووضعه على رأسه ، وعلَّم عليه . وكان هذا من الصاحب[٢] تاج الدين إجازة بالوزارة لابن الخليلي .

وكان السلطان الملك الناصر إذا قُدِّم له توقيع[٣] برزقةٍ أو براتب ، وهو بإشارة الصاحب فخر الدين ، يقول : هذا بإشارة ابن الخليلي ، والله كل هذا ما أدري[٤] به .

وكتب إليه سراج الدين الوراق ، ومن خطه نقلت :

عَسَى خبرٌ مِنَ الإنجازِ شافٍ ... لِمُبْتَدأ منَ الوعدِ الجميلِ
فعِلْمُ النَّحوِ دانَ لسيبويهِ ... وكانَ الأصلُ فيهِ منَ الخليلِ

وكتب إليه شمس الدين الحكيم[٥] بن دانيال :

فصلُ الرَّبيعِ بوَجههِ قَد أقبَلا ... مُتَبسّما . ببدائعِ الأزهارِ

---

(١) في (أ) ، (ق) : « الصاحب تاج الدين » .
(٢) (أ) ، (ق) : « فكأنّ هذا كان من الصاحب » .
(٣) (أ) : « توقيعاً » .
(٤) (أ) ، (ق) : « ما كنت أدري » .
(٥) (أ) ، (ق) : « الحكيم شمس الدين » .

وغَـدا بـهِ نبتُ الخمـائـلِ مُخضـلا ... يحكي السّما . بـالنُّـورِ والنُّـوارِ
فكأنـه حَلَّى الرُّبـا أو كلَّـلا ... إذ أنجما . بجـواهرٍ ونُضـار
والطيرُ بَيْن ريـاضِـه قـد رتّـلا ... مُترنِّما . يُلْهي عن المـزمـارِ
شكراً لِمُبـدِعِـه تعـالى ذي العُـلا ... مـا أعْظَما . من واحـدٍ قهّـارِ
وتَخـالُ هـاتيـكَ السّحـائبُ هُطّـلا ... لَمّـا هَمَى . سحّـاحُهـا بقطـارِ
جـودُ المليـكُ الصالـحُ الهامي عَـلا ... مَن أعـدَمـا . بنـوالِـه الـزّخّـارِ
ملـكٌ إذا مـا حَـلَّ قُطْراً أمْحَـلا ... مُتكرِّمـا . كالقَطْرِ لـلأقْطـارِ[1]
ووزيرُه الفَخرُ الـذي قـد خُـوِّلا ... بـالْمُنْتَمى . فَخْراً على النُّظّـارِ
والـدّارُ تَمَّمَهـا لعـزّ مَعقـلا ... أسْنى حِمى . فَغـدا تَميمُ الـدّارِ
فَلْيُهنِـه عيـدٌ أتـاهُ مُقْبِـلا ... جَـذلاً بِما . أولاهُ في الأمصـارِ
لا زالَ مـا تَـأْتي أخيراً أوّلا ... مُتنعِّما . مـا لاحَ ضـوءُ نَهـارِ

وكان قد توجَّـه يوماً شرف الـدين البوصيري إلى زيـارة قبر الشـافعي ـ رضي الله عنه ـ فوجد الصاحب فخر الدين هناك ، فقال :

زُرْتُ الإمـامَ الشّـافعيَّ ولم أكُن ... لـزيـارَتي أبـداً لَـهُ بـالتّـارِكِ
فـوَجَـدتُ مـولانـا الـوزيرَ يـزورُه ... فظَفرتُ عنـدَ الشّـافعيّ بمـالـكِ

١٢٧٥ ـ عمر بن عبد العزيز بن الحسين بن عتيق*

الفقيه المعمِّر ، قطب الدين الربعي المالكي المعدّل .

روى عن ابن المقيّر ، ومحيي الدين بن الجوزي .

---

(١) في الأصل و (ق) : « للأوطار » ، وفي (أ) : « للأوتار » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* الدرر : ١٧١/٣ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ...[١] سنة ثماني عشرة وسبع مئة . وله سبع وتسعون سنة .

١٢٧٦ ـ عمر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن*

ابن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن هلال .

سمع من إسماعيل بن أبي اليسر ، والمؤمّل بن محمد البالسي[٢] ، ومحمد بن عبد المنعم بن القوّاس ، وغيرهم .

وأجاز لي بخطه في سنة ثلاثين وسبع مئة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

١٢٧٧ ـ عمر بن عبد المنعم بن عمر**

ابن عبد الله بن غَدير ، الشيخ المعمّر المسند ، مسند الشام ، ناصر الدين أبو حفص بن القوّاس الطائي الدمشقي .

سمع حضوراً من ابن الْحَرَسْتاني ، ومن ابن أبي لقمة ، ومن ابن[٣] أبي نصر الشيرازي ، وكريمة . وأجاز له أبو اليُمن الكندي ، وابن الْحَرستاني ، وابن مندويه[٤] ، وابن ملاعب ، وابن البنّاء ، والْجَلاجلي[٥] ، وخلق كثير .

---

(١) ثمّة فراغ بمقدار كلمتين في الأصول .

* الدرر : ١٧١/٣ .

(٢) في الأصل : « النابلسي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

** الوافي : ٥٢٠/٢٢ ، والعبر : ٣٨٨/٥ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) عبد الجليل بن مندويه الأصبهاني (ت ٦١٠ هـ) ، السير : ٢١/٢٢ .

(٥) محمد بن علي بن المبارك البغدادي (ت ٦١٢ هـ) ، الشذرات .

وحجَّ ، وكان ديِّناً خيِّراً مُحِبّاً لِلْحَديث وأهله ، مليح الإصغاء ، كثير التودُّد .

روى الكثير في آخر عمره . وقرأ عليه شيخنا الذهبي (المبهج في القراءات)[1] وكتاب (السبعة) لابن مجاهد و (الكفاية في القراءات الست)[2] عن الكندي . وخرَّج له (مشيخة) صغيرة ، وخرَّج له أبو عمرو الْمُقاتلي (مشيخةً) بالسماع وبالإجازة ، وأكثرا عنه .

وسمع شيخنا المزي منه ، وولدُه ، وسمع منه شيخنا البرزالي ، وابن سامة ، والشيخ علي الموصلّي ، والنابلسي سبط الزين خالد ، وأبو بكر الرحبي ، وأبو الفرج عبد الرحمن الحارثي ، والشمس السَّرّاج سبط ابن الحلوانيّة ، ومحمد بن البدر بن القوّاس .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدرب محرز بدمشق يوم السبت ثاني القعدة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وست مئة .

ودفن بسفح قاسيون .

١٢٧٨ ـ عمر بن عبد النصير بن محمد*

ابن هاشم بن عزّ العرب القرشي السَّهمي القوصي الإسكندري الأصل ، المعروف بالزاهد الحريري .

---

(١) اسمه بتمامه : المبهج في القراءات الثمان لسبط الخياط أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي (ت ٥٤١) ، الكشف : ١٥٨٢/٢ .

(٢) لسبط الخياط أيضاً ، الكشف : ١٤٩٩/٢ .

* الوافي : ٥٢١/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٤٣ ، والدرر : ١٧٤/٣ ، وحسن المحاضرة : ٣٨٨/١ ، والشذرات : ٢٨/٦ .

كان من أصحاب الشيخ مجد الدين القشيري [وطَلبته][1] . باشر مشارفة المدرسة النَّجيبيّة ، وكان مؤذِّناً[2] بالمدرسة السابقيَّة .

وسمع من ابن الْمُقيّر ، والشيخ بهاء الدين بن الجميزي[3] ، وغيرهما .

وحدَّث بقوص ومصر والقاهرة والإسكندرية ، وسمع منه زين الدين عمر بن الحسن بن حبيب[4] ، والفقيه تاج الدين عبد الغفّار بن عبد الكافي السعدي[5] ، وشيخنا الحافظ فتح الدِّين[6] ، وشهاب الدِّين أحمد الهكّاري ، وشيخنا البرزالي ، ومحب الدين بن دقيق العيد ، وغيرهم . وكتب عنه شيخنا العلاّمة أبو حيان وغيره .

وكان شاعراً ظريفاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالإسكندرية في منتصف المحرّم سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده بقوص سنة خمس عشرة وست مئة .

وخمَّس القصائد الفازازية .

أنشدني إجازة الحافظ فتح الدين بن سيد الناس ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

عُدْ لِلْحِمى وَدَعْ الرَّسائِلْ ... وعَنِ الأحِبَّةِ قِفْ وسائِلْ
واجْعَلْ خُضوعَكَ والتَّذَلْ ... لَلَ في طِلابِهِم وسَائِلْ

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي ، والطالع .

(٢) في الوافي : « مؤدباً » . وفي الطالع : « وكان مؤدباً بها » أي بالنجيبية . والمدرسة النجيبية بناها بقوص النجيب بن هبة الله المتوفى سنة (٦٢٢ هـ) .

(٣) في الوافي والطالع : « ابن بنت الجميزي » ، وهذا هو المشهور .

(٤) سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) سلفت ترجمته في موضعها .

(٦) هو فتح الدين محمد بن سيد الناس . (الطالع) .

والـــــدَّمْـــــعَ مِنْ فَرْطِ البُكا ... ءِ عليهمُ جـــــارٍ وسَـــــائِـــلْ
واسْـــــــــألْ مَراحِمَهُم فَهُنْ ... نَ لِكُـــلِّ مَحْرومٍ وسَـــــائِـلْ [١]

ومن شعره :

مـا لأجْفـاني جَفتْ طِيبَ كَراهـــا ... واسْتَقَلَّتْ بِسُهـــادٍ قَـــدْ بَراهـــا
وأتـــــاحَ البَيْنُ لي مِن بَيْنِهـــــا ... عَبَراتٍ عَبَّرَتْ عَمّـــا وَراهـــا [٢]

ومنه :

لَسْتُ مِمَّن يَـزورُ مَن يَـزْدَريـــهِ ... فَيُـلاقي مَـــذلَّـــةً واحْتِقـــارا
وهُـوَ عِنـــدي أراهُ بينَ البَرايـــا ... كَهَبـاءٍ في عـاصِفِ الرِّيـحِ طـارا

١٢٧٩ ـ عمر بن عبد الله بن أبي عمر*

المقدسي .

أجاز لي بخطّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

وكان قـــد حضر على ابن عبـــد الـــدائم ، وسمـع من الشيـخ شمس الـــدين عبد الرحمن [٣] بن أبي عمر ، وفاطمة بنت الملك المحسن أحمد بن أيوب [٤] .

وتوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ سنـة ثلاث وثـلاثين وسبـع مئـة ، ودفن بتربـة الشيـخ موفق الدين بن قدامة .

---

(١) الأبيات في الطالع السعيد .
(٢) في الطالع : « وأباح السر لي ... » .
* الدرر : ١٧٤/٣ ، وفيه : « ابن عبيد الله » .
(٣) في الأصل : « عبد الرحيم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) توفيت سنة (٦٧٨) ، العبر : ٣٢١/٥ .

١٢٨٠ ـ عمر بن عبد الوهاب بن ذؤيب*

القاضي الفقيه العالم نجم الدين بن شرف الدين الأسدي الشُّهْبي .

كان قاضياً بشُهْبَة والسويدا نحواً من أربعين سنة . [وحجّ][1] . وكان حسن الهيئة .

سمع مع أخيه من الشيخ شمس الدين [بن][2] أبي عُمر ، وعرض (التنبيه) على الشيخ تاج الدين الفزاري .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

عمر بن علي**

الإمام أبو علي قاضي الجماعة بتونس ، الهوّاري التونسي المالكي .

كان في مذهب مالك ـ رضي الله عنه ـ رأسا ، لا يرى أحدّ من الأفاضل به بأسا ، عديم النظير في فنّه ، ماله مشابهً في استحضاره وحِدّة ذِهْنه . له تصانيفُ وتلامذة كبار ، ومريدون يودّون من محبته أن لا يطير عليه غبار .

وممّن أخذ عنه الإمام برهان الدين السفاقسي ، كان في تعظيمه مبالِغا ، وفي دَمِ مَن ذمّه أو ادّعى باطلاً والِغا .

ولم يزل على حاله إلى أن انهار جُرف الهواري ، وعدمه الْمُجاري والْمُباري .

---

* الدرر : ١٧٤/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الدرر : ١٧٩/٣ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم عرفة سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، بعد أن نزل من عند السلطان .

وكان ذا عبادة وتقشُّف ، وكان قد تفقَّه بأبي محمَّد[١] الزّواوي ، وعاش بضعاً وثمانين سنة .

١٢٨٢ ـ عمر بن علي بن سالم بن صدقة*

تاج الدين أبو حفص اللّخمي الإسكندري المالكي ، المعروف بابن الفاكهاني .

كان شيخاً فقيهاً مالكيّاً [نحويّاً][٢] ، له ديانةٌ وتصوّن ومصنّفات . قدم دمشق في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، بعد زيارته القدس ، وتَوَجَّهَ منها إلى الحجاز ، وحجَّ ثلاث مرات .

وسمع (الترمذي) و (الشِّفا) على ابن طرّخان ، وقرأ القرآن على المكين الأسمر ، وحضر دروس ابن المنيّر ، وأقام بمصر سنين ، ثم عاد إلى بلده .

وتوفي في العشر الأول من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

وشرح (العمدة في الأحكام) ، وله (مقدّمةٌ) في النحو[٣] ، وله نظم ونثر .

١٢٨٣ ـ عمر بن عوض**

ابن عبد الرحمن بن عبد الوهاب ، قطب الدين الشارعي ، المعروف بابن قُلَيْلة ، تصغير قُلّة .

---

(١) في الأصل والدرر : « أحمد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عبد السلام بن علي بن عمر المالكي (ت ٦٨١) .

* الدرر : ١٧٨/٣ ، والبغية : ٢٢١/٢ ، والشذرات : ٩٦/٦ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) سمّاه أصحاب ترجمته : « الإشارة في النحو » ، وانظر الكشف : ٩٨/١ .

** فوات الوفيات : ١٣٧/٣ ، والدرر : ١٨١/٣ .

أخبرني الشيخ العلاّمة أثير الدين أبو حيان من لفظه ، قال : حدَّث المذكور عن حاتم بن العفيف وغيره[١] .

ومن شعره[٢] :

ألا يا ساريـاً في بَطنِ قَفْرٍ ... لِيَقْطَعَ في الفَلا وَعْراً وسَهْلا
بَلَغْتَ نَقا الْمَشيبِ وبِنْتَ عَنهُ ... وما بعدَ النَّقا إلاّ الْمُصلَّى

ومنه :

عَزَمْتُ على تَزْويجِ بِكْرِ مُدامَةٍ ... بِماءِ قُراحٍ واللَّيالي تُساعِدُ
فأمْهَرْتُها دُرَّ الحبابِ وإنَّهُ ... إذا جُلِيَتْ ليلاً عليها قلائِدُ
وجاءَتْ رياحينُ البساتينِ عرَّفت ... فطابَت بِذاكَ النَّفسُ واللّوزُ عاقِد
وكانَ حُضورُ النَّبقِ فألاً مُهَنِّئاً ... لَنا بالبَقا في العقدِ والوردُ شاهِد

١٢٨٤ ـ عمر بن عيسى بن نصر*

ابن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن حسن بن حسين[٣] التيمي ، مجير الدين بن اللّمْطي ، بلام وميم ساكنة وطاء مهملة .

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ قال : رأيته بقوص ، وكتبت عنه شيئاً من شِعْره ، ثم إنه قدم علينا القاهرة ، وسكنها أيام كان أبو الفتح بن المطيع[٤] قاضياً ، واشتغل عنده في أوقاف[٥] .

(١) لم تذكر سنة وفاته في مصادر ترجمته .
(٢) الأبيات في الفوات بألفاظ مختلفة ، وذكر ثمّة أنها تنسب أيضاً إلى ابن خلكان ، وكذا هي في الدرر .
* فوات الوفيات : ١٣٨/٣ ، والطالع السعيد : ٤٤٨ .
(٣) كررها الناسخ سهواً .
(٤) هو تقي الدين بن دقيق العيد .
(٥) في الفوات : « أوقات » .

وكان قد نظر في العربية على أبي الطيب السَّبتي[١] ، قدمَ عليهم قوص ، وكان من تلاميذ شيخنا أبي الحسين بن أبي الربيع .

وأنشدني لنفسه بمدرسة الأفرم سنة ثمانين وست مئة[٢] :

أبَى الدَّمعُ إلاّ أن يفيضَ وأن يَجْريَ ... على ما مضى مِن مُدَّة النّأي مِن عُمْري
ومالِيَ إنْ كَفْكَفتُ ماءَ مَحاجري ... وقَد بَعُدَت دارُ الأحبَّةِ مِن عُذْرِ
أما إنَّهُ لَوْلا اشْتِياقٌ لِذِكْرِهم ... ولا شَوقَ إلاّ ما يُهَيِّجُ بالذِّكْرِ
لَمَا شاقَني نَظمُ القريضِ ولا صَبا ... فُؤادي على البَلْوَى إلى عَمَلِ الشِّعْرِ
وكانَ لِمِثلي عن أفانينِ مَنْطِقي ... هُنالِكَ ما يُلْهي عنِ النَّظمِ والنَّثْرِ

قال : وأنشدني أيضاً :

جَفْنٌ قريحٌ بالبُكاءِ مُوَكَّلُ ... فَعَلَتْ بِهِ العَبراتُ ما لا يُفْعَلُ
وجَوانِحٌ مِنِّي على شَحْطِ النَّوى ... أضْحَت تُمَزَّقُ في الهَوى وتُوَصَّلُ
عَجَباً لِحُكْمِ الْحُبِّ فِيَّ فَلَيْتَهُ ... يَوماً يَجُورُ بِهِ ويوماً يَعْدِلُ
إنِّي وإن أمسى يُحمِّلُني الهَوى ... مِنْ ثِقْلِهِ في الْحُبِّ ما لا يُحْمَلُ
فَلَقَد حَلَتْ مِنهُ مراراتُ الْجَوى ... عِنْدي وخَفَّ لَدَيَّ ما يَسْتَثْقِلُ[٣]
لا يَطْمَعُ اللُّوّامُ في تَركي الهَوى ... إنْ كَثَّروا في لَوْمِهم أو قَلَّلُوا
لَهْفي على زَمَني بِمُنْعَرجِ اللِّوى ... والشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ووجْدي مُقبِلُ[٤]
ما كانَ أهنا العيشَ منهُ فَلَيْتَهُ ... لَودامَ منهُ رَيثَما أتأمَّلُ

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن محمد ، ت (٦٩٥ هـ) . (الطالع السعيد : ٤٧٧) .

(٢) الأبيات بتمامها في الطالع السعيد .

(٣) اضطراب الناسخ في هذا البيت والأبيات الآتية ، فحذف بعض الأشطر ، وجعل صدور بعضها لأعجاز غيرها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .

(٤) في الفوات : « وجدّي » .

ومنه :

وزهَّـــدَني في الخِـــلِّ أنَّ وِدادَهُ لِرَهْبَـــةِ جـــاهٍ أو لِرَغبَـــةِ مـــالِ
فـأصبحتُ لا أرْتـاحُ مِنـهُ لِرؤيَـةٍ ولا أرتَجي نَفْعـاً لَـديـهِ بِحـالِ

قلت[1] :ولَمّا توفي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ـ رحمه الله تعالى ـ ترك ما ولاّه من نظر رباع الأيتام ، وتوجَّه إلى قوص ، وأقام بها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وعشرين وسبع مئة . وله من العمر ثلاث وثمانون سنة .

ويحكى عنه أنه كان صحيح الودّ ، حافظاً للعهد ، حسن الصحبة .

١٢٨٥ ـ عمر بن عيسى بن مسعود*

الفقيه العالم المالكي ، سراج الدين أبو عُمَر بن القاضي العلاّمة شرف الدين الزواوي .

ارتحل وأخذ عن زينب الكمالية وعدّة ، وقرأ (سُنن أبي داود) وغير ذلك .

وكان شابّاً فاضلاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة عن إحدى وعشرين سنة .

١٢٨٦ ـ عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم**

ابن أبي الطَّيِّب العِجْلي ، نجم الدين الشافعي ، وكيل بيت المال بدمشق .

---

(١) (أ) ، (ق) : « قلت أنا » ، والكلام الآتي ساقه صاحب الفوات بتمامه بلا عزو . وهو بمعناه في الطالع السعيد .

* لم نقف على ترجمة له . ووقع في الأصل ، و (أ) ، و (ق) : « عمر بن موسى » ، وهو سهو ؛ لأنَّ اسم أبيه شرف الدين الزواوي ، كما سيأتي هو : عيسى بن مسعود ، وستأتي ترجمته في موضعها .

** تالي وفيات الأعيان : ١٢٣ ، والدرر : ١٨٢/٣ .

كان نجم الدين ذا مروءة وافره ، وأخلاق على المكارم متضافره . اختصَّ بمنادمة الأمير عز الدين أيبك الحموي ، نائب قلعة[١] دمشق ، ومجالسته ، وتألَّف ذاك بمحادثته ومؤانسته .

وكان يجري بينه وبين شمس الدين بن غانم أنواع من المهاتره ، وعجائب من المشاحنة والمشاجره . وتبدو منها[٢] أفانين الهزل والمجون ، والتناديب التي هي أشهى من معاطاة ابنة الزرجون .

وجمع بين الوكالة ونظر الخزانة والبيمارستان ، ومضت أوقاته بخير في أيام الأفرم ، فما انتقل من الروضة إلا إلى البستان .

ولم يزل على حاله إلى أن تخبَّث الوقت على ابن أبي الطيِّب ، وأصابه من وابل الوبال صيِّب .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامش عشر جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة .

قال لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله : بيت أبي الطَّيِّب بيت قديم بدمشق ، من بيوت التشيُّع ، وكان منهم جلال الدولة بن أبي الطَّيّب نائباً عن الدولة الفاطمية . ويقال إن أبا الطيب كان رجلاً فارسيّاً ، قدم دمشق في خلافة يزيد بن معاوية ، ولَمّا طِيف برأس الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ وتغيَّر ريحه ، اشترى له طِيباً بمئة دينار ، وطيَّبه به . ثم كان من ولده مَن يكتب إلى الشيعة بخراسان بأخبار بني أميّة ، ويُكنّي عن نفسه بابن أبي الطَّيب ، إشارة إلى تطييب أبيه رأسَ الحسين ، فلما ظهرت الشيعة الخراسانية ، أظهروا كنايتهم هذه ، فعرفوا بها . ولهم وقف قديم بدمشق ، لا يُسمن ولا يغني من جوع .

---

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « وتبدو منها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ولَمّا وقعت الكائنة للقاضي محيي الدين بن الزكي[١] ، كان نجم الدين هذا من أصدقائه فتعلَّق بالمنصور صاحب حماة ، وتسيَّج بخدمته . وكان ناظِرَ ديوانه بدمشق في أيام الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري . وصارت له وجاهة ، [ثمّ][٢] إنه اختص بالحموي وبعده بالأفرم .

ولَمّا مات خلَّف مالاً ، أنفقته زوجته على عوالم النساء وزواكرة[٣] الفقراء ، وسيأتي ذكر ولده القاضي نجم الدين بن أبي الطيب في المحمّدين .

١٢٨٧ ـ عمر بن كثير بن ضوء بن كثير*

الشيخ الخطيب بالقريّة من عمل بُصْرَى .

قال شيخنا البرزالي : كان فاضلاً لغوياً شاعراً ، كتبنا عنه هناك من شعره بحضرة الشيخ تاج الدين[٤] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبع مئة .

١٢٨٨ ـ عمر بن محمد بن عمر**

ابن خواجا إمام ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق ، الشيخ الجليل الفاضل شرف الدين الفارسي الأصل ، الدمشقي ، الشاهد ، أظنه المعروف باليباغرت ، بياء آخر الحروف وألف وغين معجمة وراء ساكنة وتاء ثالثة الحروف .

---

(١) في الأصل : « التركي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والدرر .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) كذا ، ولم نتبيَّن مراده .

* الدرر : ١٨٥/٣ ، والشذرات : ٩/٦ .

(٤) الفزاري ، كما في الدرر .

** البداية والنهاية : ٢١/١٤ ، والدرر : ١٨٩/٣ ، والدارس : ٢٧٠/١ .

سمع في شبيبته فخر الدين بن الشَّيْرَجي ، وسراج الدين بن الزبيدي ، وابن اللَّتي .

وكان يكتب المصاحف والعمر ويُذَهِّبُها[١] ، ورأيت أنا بخطه ختمات .

سمع شيخنا الذهبي منه (مشيخته) .

ومُتِّع شرف الدين بحواسه إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة ، ومُتِّع بحواسه وكتابته .

وتوفي والده ضياء الدين سنة خمس وستين وست مئة .

١٢٨٩ ـ عمر بن محمد بن يحيى بن عثمان*

القرشي العُتْبي الإسكندراني ، ركن الدين أبو حفص ، الشيخ الفقيه المسند المعروف بابن جابي الأحباس .

سمع من سبط السّلفي (جزء الدعاء) للمحاملي ، و (جزء ابن عُيَيْنة) ، وكتاب (التَّوكُّل) لابن أبي الدنيا ، و (مشيخة) السبط ، وتفرَّد في وقْتِه ، وكان من الشهود .

وكتب عنه أشياخنا : العلاَّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والحافظان فتح الدين والذهبي ، والْحَلَبي ، وعدّة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالثغر ...[٢] سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة .

---

(١) في الأصل : « ويدهنها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٩١/٣ ، والشذرات : ٦٤/٦ ، وذيول العبر : ١٣٣ .

(٢) ثمة بياض في الأصول ، وفي الدرر وذيول العبر أنه توفي في صفر .

١٢٩٠ ـ عمر بن محمد بن سليمان*

الدماميني ، نجم الدين .

سمع وحدَّث بالإسكندرية ، وسمع منه أبو الفتح محمد الدّشناوي[١] ، ويوسف بن أحمد بن محمد السكندري[٢] .

عُرف بابن غنّوم ، وكان من تجّار الكارم ، وكان رئيساً وله مكارم .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالإسكندرية سنة سبع وسبع مئة .

نزل عنده بعض الأفاضل فأكرمه ، فكتب على بابه لَمّا ارتحل :

نَـزَلْتُ بِـدارِ نَجْمٍ فـاقَ بَـدْرا أدامَ اللهُ رِفعَتَـهُ وجـاهَـهْ
فـأعْـذَبَ مَـوردِي وأطـابَ نُـزْلي وأهْـدَت لي ريـاسَتُـه وَجَـاهَـهْ

١٢٩١ ـ عمر بن محمد بن عثمان**

ابن أبي الرجا بن أبي الزهر ، القاضي الصدر تقي الدين بن الصاحب شمس الدين بن السعلوس .

كان صاحب الديوان بدمشق ، فطلبه السلطان إلى مصر ، وولاّه نظر الدولة ، شريكاً للقاضي علم الدين إبراهيم بن تاج الدين إسحاق . وكان يعظّمه ويكرمه .

وكان قد سمع في صغره من الفاروثي ، وحج سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وكان قد باشر شغله بقلعة الجبل يوم الخميس قبل موته بيوم ، ودخل إلى السلطان

* الدرر : ١٨٦/٣ ، وبدائع الزهور : ٤٤٥/١/١ .
(١) (أ) ، (ق) : « ابن الدشناوي » ، وهو محمد بن أحمد ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .
** الدرر : ١٨٨/٣ ، والبداية والنهاية : ١٥٦/١٤ .

وخرج ، فاضطرب وتغيَّرت حاله ، وعجز عن الركوب إلى بيته إلا في مِحفّة ، وانقطع يوماً[١] ، ولم يسمع منه إلاّ : أنا ميّت لا غير .

وتوفي يوم السبت بكرة حادي عشري القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ، وولي مكانه القاضي شهاب الدين بن الأفقهسي .

وكان قد باشر بدمشق عدة ولايات . وكان تنكز يمزح معه ويُقَرِّبُه .

١٢٩٢ ـ عمر بن محمد بن عمر بن محمد*

القاضي كمال الدين بن الخطيب شرف الدين بن الشيخ الخطيب كمال الدين المعري[٢] الأصل ، العجلوني ، قاضي غزة .

اشتغل بدمشق على الشيخ برهان الدين[٣] ، وولي القضاء في عدّة أماكن ، وكان قبل موته بقليل عيّن لقضاء الكرك ، فأدركه أجله .

سمع كمال الدين من[٤] الأبرقوهي ، وحدّث عنه بدمشق ، وسمع بدمشق من ابن القوّاس .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عشر المحرم بغزة[٥] سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

---

(١) في (أ) ، (ق) : « يوماً واحداً » .

* الدرر : ١٩٠/٣ .

(٢) كذا في الأصل و (ط) والدرر . وفي (أ) ، (ق) : « المغربي » .

(٣) ابن الفركاح ، كما في الدرر .

(٤) في الأصل : « سمع من كمال الدين بن » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وأبو المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي ، توفي سنة (٧٠١ هـ) . (ذيول العبر : ١٨) .

(٥) في الدرر : « بمعرّة » .

١٢٩٣ ـ عمر بن محمد بن عمر*

ابن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة العقيلي الحلبي الحنفي ، قاضي القضاة ، نجم الدين أبو القاسم الحاكم بحماة ، ابن الصاحب جمال الدين[١] أبي غانم ابن الصاحب الكبير كمال الدين أبي القاسم .

سمع من الأبرقوهي[٢] ، وحدَّث عنه[٣] ، وحجَّ سنة سبع عشرة وسبع مئة .

كان حسن الشكاله ، كأن وجهه تحت عمّته بدرٌ في هاله ، دائم البِشر ، عَطِر النَّشْر ، كريمَ الْمَلقى لمن يحضر إليه ، ليِّن الجانب للخصم إذا وقف بين يديه ، لم يشتم أحداً مُدَّة ولايته ، ولا خاطب أحداً بما لا يليق لكرم[٤] أصالته ، مجموع الفضائل ، مطبوع الكرم والشمائل ، يعرف من العقليات جُمله ، وعنده من الأدب علماً وعملاً ما هو على الشرعيّات فضله ، قد فضَّ له فَضْلُه ختامَ كل فَنّ ، وبَلَّ له وَبْلُه رياض ما شرد من النكت وعَنّ ، وخطُّه عقود العقول وفصوص الفصول ، يحكي البُرَد إذا حُبك ، والذهبَ إذا سُبك . ونظمه أرق من شكوى المحب إلى الحبيب ، وألذّ عند المتيّم من غَفْلة[٥] الرقيب القريب .

وكان الملك المؤيَّد يعظِّمه ويثني على فضائله ويتعجب لذهنه إذا تصرَّف في مسائله .

---

* تاريخ أبي الفداء : ١١٠/٤ ، والدرر : ١٨٩/٣ .

(١) في تاريخ أبي الفداء : « كمال الدين » .

(٢) في (أ) ، (ق) : « بالقاهرة » زيادة هنا .

(٣) ليست في (أ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (ق) : « من كرم » .

(٥) في الأصل : « عقله » .

اجتمعت بـه فخلبتني عبـارتـه ، وسلبتني حركتـه وإشـارتـه . ورأيت منـه سيـادة تعرب عن كمال ذاته ، ورئاسة تَفْضي[١] بغريب صفاته :

ويفترّ مِنْـــهُ عَنْ خِصـــالٍ كأنّهـــا ثَنـــايـا حَبيبٍ لا يُمَـلُّ لهـا رَشْفُ

وفارقته والتلفُّت إليه يُثني دائماً عنقي ، والشوقُ تُضرمه لواعج قَلقي .

ولم يزل بحماة والناس به مغتبطون ، وعلى إحسانـه وبرِّه مرتبطون ، إلى أن بغتـه أجله في أشدّه ، وحلَّ أنسه من الوجود بعد شَدّه .

وتـوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ ليلـة الجمعـة الخـامس والعشرين من صفر سنـة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بعد صلاة الجمعة بمقبرة أقاربه قبلي البلد .

ومولده يوم الثلاثاء سابع عشري شهر رمضان سنة تسع وثمانين وست مئة .

وتولّى الحكم بحماة من سنة إحـدى وعشرين[٢] وسبع مئـة إلى أن مـات ـ رحمـه الله تعالى ـ .

وكان ليِّن الجانب ، كثير المروءة ، ماقصده أحـد في شيء وخيَّبـه . ولم يحفـظ أهل حماة عنه أنه سبَّ أحداً بحماة مدَّة ولايته . وهو قاضي القضـاة الحنفيـة ، ومـدرِّس بهـا ، وكان صاحب حماة يثني عليه وعلى فضائلـه ، وحَصَل لأهل حمـاة على فراقـه ألم شـديـد وحزن عظيم ، وجنازته[٣] حافلة إلى الغاية .

وعند مروري بحماة عائداً مِنْ حلب[٤] سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، دخلت إليـه في تحمّل شهادة عليه ، فرأيت منه رئاسة وحشمة وسيادة ولطفاً زائداً .

---

(١) في (أ) ، (ق) : « تقضي » بالقاف .

(٢) (أ) : « وثلاثين » .

(٣) (أ) ، (ق) : « وكانت جنازته » .

(٤) في الأصل : « وعند مروري من حماة عائداً إلى حلب » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

كأنَّ وجـــهَ النَّهرِ إذْ حَفَّت بـــهِ ... أشجـــارُه فَصـــافَحَتْـــهُ الأغْصُنُ
مِرآةُ غيـــدٍ قـــد وَقَفْنَ حَـوْلَهـــا ... يَنْظُرْنَ فيهـــــــا أيّهُنّ أحسَنُ

ومن نظمه :

مـا للّيـالي بسَهْمِ البُعْـدِ قَـد رَشَقَتْ ... وصـارِمَ البَيْنِ للأحبـابِ قـد مَشَقَتْ
وخالَفَت في الـذي يَهوى ومـا وَنِيت ... كأنّهـا لِخِـلافِ القَصـدِ قـد عَشِقَتْ
وأضْرَمَتْ نـارَ حَرْبٍ مِن عَـداوَتِهـا ... ضُرّاً فـأعْـلامُهـا بـالهَمِّ قَـد خَفَقَتْ
وفَرَّقَت جَمْـــعَ شَمْـــلٍ كانَ مُلْتَئِماً ... وجَمَّعَت حـادِثـــاتٍ كانتِ افْتَرَقَتْ
هِيَ اللَّيـــالي فـلا تَسْتَكْثِرَنَّ لَهـــا ... هـذا العِنـادَ إذا أنصـارُهـا اتَّفَقَتْ

منها :

أشْكـو إليـكَ غَرامـاً فيـكَ أقْلَقني ... فَدَتْكَ نَفْسي على طولِ المدى ووَقَتْ
وفَرط شَـوقٍ ووَجْـدٍ نـارُه اتَّقَـدَتْ ... بينَ الأضالِعِ والأحْشاءِ فـاحْتَرَقَتْ[1]
ولـوعـة منـك لـولا النّفس واثِقَـة ... بـــأن تعـودَ لكانَت للنّـوى زَهَقَتْ
مِن بعدِ مـا غِبتَ يـا مَن كان يُؤنِسُني ... مـا أبصَرَتْ حُسْنـاً عَيني ولا رَمَقَتْ
سِـواكَ مـــا مَرّ في بـــالي ولا شَفَتي ... بغيرِ ذِكْرِكَ يـــا أقصى الْمُنى نَطَقَتْ

١٢٩٤ ـ عُمَر بن مُحَمَّد بن ماو*

شهاب الدين الحميدي .

أنشدني شيخنا العلاّمة أثير الدين ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أفْـــديـــه عطـــــاراً شَهِيَّ اللّمى ... أحـورَ فَتّـــانـــاً كَحُـورِ الجنـــانِ

(١) (أ) ، (ق) : « ناره وقدت » .

* الدرر : ١٩٠/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .

بي غَمْرَةٌ منـــهُ فيـــا لَيْتَـــهُ لـو جـادَ لي يـومـاً بمـاءِ اللِّسـانِ

قلت : ذكرت[١] هنا ما قلته في عطار :

كَلِفْتُ بعطّـارٍ حَكى البَدرَ في السَّنا وظَبيَ الفَـلا في جيـدِهِ ونِفـارِهِ
دَوا ألَمي الـوردُ المربّى بخـدِّه يُـذَرّ عليـهِ آنسـون عِـذارِهِ

وقلت أيضاً فيه :

فَـدَيْتُ عَطّـاراً غَـدا حُسْنُـهُ يقولُ : سُبْحانَ بـديعَ الصِّفـاتِ
نَهْـدِيَ في صَـدْري أبْلـوجَـة والرِّيـقُ قَطْر وعِـذاري نبـاتُ

وأنشدني الشيخ أثير الدين قال : أنشدني المذكور لنفسه أيضاً :

فَـدَيْت نَشّـاراً غَـدا نَشْرُه أذْكى من المِسْـكِ إذا فـاحـا
قَـد راحَ من سَكْرَةِ خَمْرِ الصِّبـا كأنَّما قَـد شَربَ الرّاحـا
بسَيفِ جَفْنَيْـهِ ومِنْشـارِهِ كَم شَـقَّ أرواحـاً وألـواحـا

قلت : ذكرت أنا ما قلته في نجّار :

قـد عَشِقتُ النّجـار لَمّـا بـدا لي بمُحَيّـا قَـد فـاقَ في الْحُسْنِ بَـدْرا
أصْلُـهُ طَيِّبٌ ونَكهـةٌ فيـهِ فَلِهـذا [قـد] فـاقَ نَجرا ونَشْرا[٢]

وقلت أيضاً في مليح نجار :

أحبَبْتُ نَجّـاراً بَـديعُ جَمالِـهِ منـهُ الشُّموسُ تَغـارُ والأقْمارُ
فَخْري بِـهِ بينَ البَريّـةِ أنّهُم قـالـوا غَـدا وحبيبُـه النَّجّـار

(١) (أ) ، (ق) : « أنا هنا » .
(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) .

١٢٩٥ ـ عمر بن محمد بن عبد الحاكم*

ابن عبد الرّزاق ، الشيخ الإمام العلاّمة قاضي القضاة زين الدين أبو حفص البُلفيائي ، بالباء الموحّدة وبعدها لام وفاء وياء آخر الحروف وألف ممدودة ، وبُلفيا بلدة من أعمال البهنساوية .

تفقّه بالقاهرة على الشيخ علم الدين العراقي ، وسمع يسيراً من الحديث على الأبرقوهي ، وعلى ابن سليمان بن القيّم[١] ، والإمام علاء الدين الباجي . وخرَّج له قاضي القضاة تاج الدين السبكي أحاديث حدَّث بها أيامَ تفقّه عليه .

كان في الفقه إماما ، وعَلَماً لا يسام رفعةً ولا يُسامى ، قد تضلَّع من الفروع ، وكاد يتقدَّم على غيره من الشروع . قلَّ نظيره ، وعلا على الأطلس أثيره . اعترف له بذلك فقهاء مصره ، وفضلاء عصره ، لو أنصفه ابن الرفعة لانْتَصَب له قائما ، أو ابن عبد السلام لكان له مُسالِما ، إلا أنه لم يكن عَقْلُه المعيشي طائلا ، ولا سَيْلُ علمه في سياسة الناس سائلا . لا جَرَم أنه عُزِل واخْتُرم[٢] من منصبه واختزل .

وما زال يتقلَّب[٣] في حالَيْه مع الأيام ، ويتصرَّف بنفْسَيْه مع النقض والإبرام ، إلى أن دَرَج بعدما مَشَتْ حاله ، وراح إلى الله وقُدّامه عِلْمُه وأعْمَاله .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بصفد في أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة إحدى وثمانين وست مئة .

---

* الدرر : ١٨٦/٣ .

(١) في الأصل : « العم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « وقُطِعَ » .

(٣) ليست في (أ) .

كان شيخنا الإمام العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي يُثْني عليه ويعظِّمه في الفقه ، ويقول : ما رأيت أفقهَ نَفْساً منه . وكان المصريّون يقولون : لو حلف الحالف أنه يَسْتَفْتي أعلمَ مَن في القاهرة ، واستفتاه ، لم يحنث .

وكان قد تولّى قضاء القضاة بحلب ، فحضر إليها في أيام الأمير سيف الدين طرغاي ، فلم تَطُل مُدّته ، ولم تحسن سياستُه الناس[١] ، فتعصَّب عليه جماعة مع كاتب سرّها القاضي شهاب الدين بن القطب ، فعُزِل منها بعد شهرين ثلاثة ، إلاّ أنه باشرها بصلف وأمانة وعفّة حتى قال فيه القاضي زين الدين[٢] بن الوردي ـ رحمه الله تعالى ـ :

كانَ واللهِ عَفيفـــاً نَـــزِهـــاً ولَـــهُ عِرْضٌ عَريض مـــا اتُّهم
وهـــو لا يَـــدري مُـــداراةَ الـوَرى ومُـــــداراةُ الـــوَرى أمْرٌ مُهِم

فحضر إلى دمشق في أواخر أيام الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ففاوضه قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى [فيه][٣] ـ وعرَّفه مِقْداره ، فقال له : لا تقطع به ، فولاّه تدريس المدرسة النوريّة بحمص ، فأقام بها مدّة إلى أن ورد الأمير سيف الدين آقبغا عبد الواحد ، فتعصَّب عليه عنْده[٤] حاكمها القاضي شهاب الدين البارزي ، فتركها وتوجَّه إلى القاهرة ، فولاّه قاضي القضاة عزّ الدين بن جماعة قضاء المنوفيّة ، فأقام بها مدة ، وأتى إلى القاهرة ، فولاّه قاضي القضاة[٥] نيابة الحكم في باب الفتوح ، ثم إن السلطان ولاّه قضاء القضاة بحلب[٦] في أوائل سنة تسع وأربعين وسبع مئة . ثم أبطل ذلك وولاّه قضاء صفد في أواخر صفر فيما أظن ، فأقام بها تقدير خمسين يوماً ، وتوفي في طاعون صفد ـ رحمه الله تعالى ـ .

(١) (أ) ، (ق) : « ولم يُحسن سياسة الناس » .
(٢) في (أ) ، (ق) : « زين الدين عمر .. » ،
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « عند » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) قوله : « قاضي القضاة » ليس في (أ) ، (ق) .
(٦) (أ) ، (ق) : « قضاء قضاة حلب » .

وكان قاضي القضاة عز الدين قد ولاّه قبل قضاء حلب الأول قضاء البهنساوية ، وذلك في أوائل ولاية ابن جماعة .

١٢٩٦ ـ عمر بن محمد بن عثمان بن عبد الله*

الإمام البارع المفتنّ كمال الدين أبو حفص بن شهاب الدين بن العَجَمي [الحلبي][١] الشافعي .

سمع بحلب ومصر ودمشق ، وقَرَأ على شيخنا الذهبي أجزاء .

كان فاضلاً قد تفنَّن ، وعالماً قد تميَّز وتَعَيَّن . شارك في العلوم ، ورقى إلى أن اسْتَفلَت عنه النجوم . بذهنه الوقّاد ، وخاطرِه المنقاد[٢] :

تُعْرَفُ في عينهِ حقائقهُ كأنَّهُ بالذَّكاءِ مُكْتَحِلُ

إلا أنه كان فيه رَهَج[٣] وطَيْش ، وعدم قرارٍ على حالةٍ من العيش . يسعى ليلَه ونهاره ، ويخلب بحسن[٤] توصله الحجاره .

وما زال إلى أن اعترضت المنايا أمانيه[٥] ، وخانت آمالَه أيامُه ولياليه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجّة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

---

* الدرر : ١٨٧/٣ ، ووقع في الأصل : « عثمان بن عبد الرحمن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وفي الدرر : « .. عثمان بن عبيد الله بن عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن » . وذيول العبر : ٢٤٢ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (ق) : « النقاد » .

(٣) الرّهج : الشغب .

(٤) في الأصل : « الحسن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) (أ) ، (ق) : « على أمانيه » .

تخرَّج بالشيخ فخر[١] الدين بن خطيب جبرين . وكنت أنا وهو نقرأ عليه بحلب سنة[٢] أربع وعشرين وسبع مئة في المعقول والمنقول . وتخرَّج أيضاً بالشيخ كمال الدين بن الزملكاني لَمّا كان بحلب .

وتصدَّر بحلب للإفادة وتميَّز سنة نيِّف وسبع مئة .

أخبرني القاضي ناصر الدين صاحب ديوان الإنشاء بالشام قال : كان القاضي زين الدين عمر بن الوردي يقول له : والله عمرك ما تفلح ، وإن أفلحت تموت . فكان الأمر كما قال ، لأنه مات والده وورثه وتبلبل حاله ومات[٣] .

١٢٩٧ ـ عمر بن محمد بن سلمان*

ابن حمائل ، جمال الدين بن غانم ، أحد الإخوة .

قال شيخنا البرزالي : سمع معنا (مسند) الإمام أحمد [على][٤] بن علاّن وغير ذلك . وكان رجلاً جيداً قليل الاختلاط بالناس متقنعاً .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ حادي عشر جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة .

تقدم ذكر إخوته أحمد وعلي وأبي بكر .

١٢٩٨ ـ عمر بن محمد بن عثمان**

الشيخ الإمام المجوِّد المحرِّر المتقن شيخ الكتابة في عصره ، جمال الدين الدمشقي .

(١) في الأصل : « فتح » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عثمان بن علي بن عثمان ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) (أ) ، (ق) : « في سنة » .

(٣) عبارة (أ) ، (ق) : « لأنه لَمّا مات ... وتبلبل حاله مات » .

* الدرر : ١٨٦/٣ .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الدرر : ١٨٨/٣ .

شيخ التجويد ، وفريد الكتابة لا ابنُ البصيص ولا [ابن][1] الوحيد . كتب الناسُ عليه بمصر والشام ، وتخرَّج به جماعة من أولاد الأعيان والأعلام . ورزق في مصر الحظوة ، ولم يتقدم لأحد معه خطوة . وعاد إلى دمشق وأقام بها إلى أن مات ، وكتب عليه الجماعة وقد عمَّر دهراً صالحاً ولم يفرح بِخَزْيه الشُّمَّات .

وحصَّل من التجويد آلافاً من الذهب المصري ، ولو شاء كانت دنانيره على حروفها تجري . وكتب مجلدات بخطه الفائق ، ووقَف الأحداق على ما فيها من الحدائق .

ولم يزل يكتب إلى أن قَطَّ عُمُرَه ، ومحاه من صحيفة الوجود[2] دهره .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق في العشر الأول من صفر سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

رأيته يكتب بالديار المصرية في المدرسة الظاهرية بين القصرين . وكان يكتّب أحمد بن بكتمر الساقي كل شهر بمئتي درهم ، وكل مسوّدة يأخذ عليها جملة .

وقال في وقت : أخذت من الكتابة خمسة آلاف دينار مصرية .

وقلت : أنا فيه لَمّا سمعت هذا الكلام عنه :

احرِصْ على الْخَطِّ فَلا بُدَّ مِن ... حَظٍّ يَفُوقُ الْمُكْثِرِ المثري
هذا الدِّمَشقيُّ بأقْلامِهِ ... أصابَ كَنْزَ الذَّهَبِ المصري

١٢٩٩ ـ عُمَر بن محمود*

شرف الدين بن الطفّال .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « الدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٩٢/٣ ، والطالع السعيد : ٤٥٦ .

سمع من الشيخ جلال الدين أحمد الدِّشناوي ، ومن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، ودخل في خدمته إلى دمشق . وسمع معه من أشياخها .

وله نظمٌ قريضٍ وبلاليق[١] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومن بلاليقه المطبوعة :

في ذي الْمَدْرَسَا ... جَاعَةُ نِسَا
إذا أمْسَى الْمَسَا ... تَرَى فَرْقَعَه
نِسَا ذا الزَّمَانِ ... عَجَبٌ يَافُلان
يَكُونُوا ثَمان ... يَصيروا أرْبَعَه[٢]

١٣٠٠ ـ عمر بن مَسْعود بن عمر*

الأديب سراج الدين بن سعد الدين المحّار ، المعروف بالكتّاني الحلبي .

استوطن حماة وأقام بها منتمياً إلى بيت ملوكها : الملك المنصور [وولده الملك المظفّر][٣] وولده الملك الأفضل نور الدين علي ، فأحسنوا إليه ، وأسْنَوا له الجوائز .

كان شعره في حَمَاة قد غَلا سِعْرُه ، وخلب قلوبَ ملوكها سِحْرُه . وكان سراجه فيها مُنيرا ، وكتّانيّه[٤] فيها حريرا ، وراح أدبه فيها كالرّاح وراج ، وأذكى فيها لهب السِّراج . وله موشَّحات شعرية موشعات ، وقِطعه فيها كأنها من بقايا النيل

(١) البلاليق : نوع من النظم العامي .
(٢) الطالع السعيد .
* فوات الوفيات : ١٤٦/٣ ، والدرر : ١٩٣/٣ .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل و (ط) : « وكتانيته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

مقطعات . لهج النـاس بهـا في زمـانـه ، ومـالوا إلى ترجيح أوزانـه . وغنّى المغنون بهـا فأطربوا الأسماع ، وجوّدوا فيها الضروب والإيقاع .

ولم يزل على حاله إلى أن انطفأ السِّراج ، وبطل ماعلى حياته من الخراج .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بحماة في سنة إحدى عشرة أو سنة اثنتي عشرة وسبع مئـة ظنّاً .

أخبرني يحيى[١] العامري الخباز الأديب[٢] ، وكانت لـه بـه خصوصيـة ، قـال : كان كثيراً ما ينشد :

رُبَّ لَحْـدٍ قَـدْ صـارَ لَحْـداً مِراراً ضـاحِـكٌ مِن تَـزاحُمِ الأضْـدادِ[٣]

قال : ولَمّا أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ حَفَرْنا له قبراً ، ظهر فيـه [من][٤] عظـام الأموات فوق اثني عشر جمجمة . قال : فتعجبت من ذلك .

وقد روى لي شعرَه وموشَّحاته إجازةً عنه القاضي الصاحب جمال الدين سليمـان بن أبي الحسن بن ريّان ، المقدم ذكره .

و (ديـوانُ) شِعْرِه لطيف ، يكـون في دون الثـلاثـة عشر كرّاسـاً ، خـارجـاً عن موشّحاته . وهو شعر متوسط ، ومنه :

رأيتُـــــه في الْمَنـــــامِ مُعْتَنِقي يـا لَيْتَ مـا في الْمَنـامِ لَـوْ كَـانـا
ثُمَّ انْثَنى مُعْرِضـــــاً فَـــواعَجَبي يَهْجُرني نـــائِماً ويَقْظـــانـــا

---

(١) (أ) ، (ق) ، (ط) : « الشيخ يحيى » .
(٢) ليست في (أ) ، (ق) .
(٣) من مشهور شعر أبي العلاء ، من قصيدته :
غيرَ مُجْـــدٍ في مِلَّتي واعْتِقـــادي نَـوْحُ بـــاكٍ ولا تَرَنُّمُ شـــادي
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

ومنه في مليح أحدب :

وأحْـدَبَ أنْكَروا عليـه وَقَـدْ ... سُمِّيَ حُسَـاماً وغير مَنكـور
مـا لَقَّبوهُ الْحُسَـامَ عن سَفَـهٍ ... لـو لَم يَرَوْا قَـدَّهُ القـلاجُـوري[1]

ومنه :

بَعَثْتَ نَحْـوي المِشْـطَ يـا مـالِكي ... فَكِـدْتَ أنْ تَسْلبَني روحي
وكيفَ لا تَسلبُ روحي وقَـد ... بَعَثْتَ مَنْشُـوراً بِتَسْريحي[2]

ومنه :

أرى لابن سعـدٍ لحيـةً قَـد تَكامَلَتْ ... على وَجْهِـهِ واسْتَقْبَلَتْ غَيْرَ مقبـل
ودارَتْ على أنْفٍ عَظيمٍ كأنَّـهُ ... « كبير أُنـاسٍ في بِجـادٍ مُـزمّـلِ »[3]

ومنه :

يـا حَبَّـذا وادي حمـاةَ وطيبُـهُ ... وطَـلاوةُ العـاصي بـهِ والْجَـوْسَـقُ
فـاتت منـازِه جلَّقَ فـلأجـلِ ذا الـ ... شَّقراءِ تَكْبـو خَلْفَـه والأبْلَـقُ[4]

ومنه :

أنظُرْ إلى النَّهْرِ في تَطَرُّدِهِ ... وصَفْـوِهِ قَـدْ وَشَى على السَّمَـكِ
تَـوهَّمَ الرِّيـحُ صَيـدَهـا فَغَـدا ... يَنسـجُ مَتْنَ الغَـديرِ كالشَّبَـكِ

---

(١) فارسية ، تعني : السيف اللامع .

(٢) في الفوات : « التسريحي » .

(٣) ضمّن عجز بيت لامرئ القيس من معلقته ، صدره :
كأنَّ أباناً في عرانين وبله

(٤) في الأصل : « منارة جلق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وعبارة الفوات : « فاقت منارة » . وفيه : « فلحسنها الشقراء » . وفي (أ) ، (ق) ، والفوات : « خلفه » .

ومنه :

لَنـــــا مُغنٍّ حَسَنٌ وَجْهُـــــهُ يُطْرِبُ منـــــهُ لحنُـــــهُ الْمُعْرِبُ
يُرقصُ مَن يسمعُـــــهُ طِيبـــــةً وهكـــــذا الْمُرْقصُ والْمُطْرِبُ[1]

ومنه :

قـالوا: هَوَى بـابنِ الأمير جوادُهُ فقُلوبنـــا كادَتْ عليـــهِ تَفَطَّرُ
فـأجَبْتهُم لا تَعْجَبـوا لِـوقـوعِـه إنَّ السَّحـــــابَ إذا سَرَى يَتَقَطَّرُ

ومنه في إبريق فخار :

يـا حَبَّـذا شَكْلُ إبريـقٍ تَميـلُ لَـهُ مِنّـا القُلوبُ وتَصْبـو نَحْوَهُ الْحُدَقُ
يَروقُ لي حينَ أجْلـــوهُ ويُعْجبني منـــهُ طَـلاوة ذاكَ الجسمِ والعُنُـقِ
كَم قَـد شَرِبْتُ بـهِ مـاءَ الحيـاةِ ولَنْ يَنـــالَني منـــهُ لا غَصٌّ ولا شَرَقُ
حَتّى غَـــدا خَجِـلاً مِمّـــا أقبّلـــهُ وظَـلَّ يرشَـحُ من أعطـافِـهِ العَرَقُ

ومنه في قنديل :

يـا حُسْنَ بَهجَـةِ قِنـديـلٍ خَلَـوْتُ بـهِ واللَّيـلُ قـد أُسْبِلَت منـهُ ستـائِرُهُ
أضـاءَ كالكَـوكَبِ الـدُّرِّي مُتَّقِـداً فَراقَ بـاطِنُـــهُ نـوراً وظـــاهِرُهُ
تَـزيـدُهُ ظُلْمَـةُ اللَّيـلِ البَهيمِ سَنـاً كأنَّما اللَّيـلُ طَرْفٌ وهـو نـاظِرُهُ[2]

ومنه في معالج مقيّره :

بروحي أفْـدي في الأنـامِ مُعـالِجـاً مَعَـاطِفُـــهُ أزْهى مِنَ الغُصْنِ الغَضِّ
يُكلّفُ عِطْفَيْـهِ العِـلاجَ فَيَبْسُـطُ الـ ـقُلوبَ إلى حُبَّيـهِ في ساعـةِ القَبْضِ
إذا مـــا امْتَطى لُطْفـــاً مقيّرةً لَـــهُ وأقْعَـدَهـا واحْمَرَّ سـالِفُـــهُ الفِضيّ

(١) في الأصل : « المرقص المطرب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) ، والفوات : « باصرة » .

رأيتُ مُحيّـــاهُ ومـــا في يَمينِـــهِ كَشَمْسٍ تَجَلَّتْ دونَها كُرَةُ الأرضِ[١]

ومنه في امرأة حدباء وخلفها جارية عرجاء :

فَـديتُ مَن في ظَهْرِهـا حَـدْبَـةٌ وهِيَ بِـأُخْرى مِثْلَهـا نـاهِـدَه[٢]
يَحْسَبُهـا الإنسـانُ مـعَ أنَّهـا قـائِمَـةٌ في مَشْيِهـا قـاعِـدَه
وخَلْفَهـا جـارِيَـةٌ رِجْلُهـا عَن أُخْتِهـا فـاضِلَـةٌ زائِـدَه
تـوقّف في خِـدمَتِهـا وقفَـةَ الـ ـوزِّ وتَطْـوي رِجْلَهـا الـواحِـدَه

ومنه في زامرة سوداء ، وأجاد :

ولَرُبَّ زامِرَة يَهيـجُ بـزَمْرِهـا ريـحُ البُطـونِ فَلَيْتَهـا لم تَـزْمُرِ
شَبَّهتُ أنْمُلَهـا عى صِرِّ نـايِهـا وقَبيـحِ مَبْسَمِهـا الشَّنيـعِ الأبْخَرِ
بِخَنـافِسَ قَصَدَت كَنيفاً واغْتَـدَتْ تَسْعى إليـهِ على خِيـارِ الشَّنْبرِ

ومنه في تشبيه لوح رخام [شحم ولحم][٣] :

ويـومٍ قـالَ لي مَلِـكُ البَرايـا وبينَ يَـدَيْـهِ لَـوحٌ مِن رُخـامِ:
أَهَـلْ لَـكَ أن تُشَبِّهَـهُ بشيءٍ يَروقُ بني التَّرَسُّـلِ والنِّظـامِ
فَقُلتُ رقيـقُ ثَلـجٍ في مُـدامِ فقـالَ ومثـلُ بَرْقٍ في غَمامِ
وذاكَ أتَمُّ في التَّشْبيـهِ مَعْنَى فقلتُ صَـدَقْتَ يـا بَـدْرَ التَّمامِ

وكتب إليه شهاب الدين أحمد العزازي من القاهرة :

مَن ضَـلَّ عن طُرقِ المكارمِ والعُـلا فَلْيَهتَـدي أنّى سَرى بسراجِهـا[٤]

(١) في الأصل : « تحلّت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .
(٢) (أ) ، (ق) : « ظهرها قبّة » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) كذا في الأصول : « فليهتدي » . بإثبات الياء ضرورة .

عُمرَ الـذي بلـغَ البـلاغـةَ وارتقى ... دَرجـاتِهـا وسَرى على منهـاجِهـا
أمّـا الفضـائـلُ فهـو بيتُ قصيـدِهـا ... وطرازُ حُلَّتهـا ودُرَّةُ تـاجِهـا

فكتب المحّار الجواب :

سـارَتْ فعطَّرَتِ البـلادَ بنَشْرِهـا ... أخبـارُ مُرْسِلهـا وسُبْـلُ فِجـاجِهـا
عَـذراءُ قلَّـدَهـا الشَّهـابُ جـواهراً ... مِن فِكْرِهِ غَنِيَت بـهِ عَن تـاجِهـا
راقَتْ معـانيهـا برقَّـةِ لَفظِهـا ... كالرّاحِ أشْرَقَ نـورُهـا بـزجـاجِهـا

وقال في جفانة أبنوس :

وذات لَحْنٍ شَجِيٍّ ... تُبْـدي بِا في الصُّـدورِ
كأنَّهـا جُنْـحُ لَيْـلٍ ... مِن تحتِ صُبْـحٍ مُنيرِ
تَشْـدو بشِعرٍ فَصيـحٍ ... على لسـانِ الحريرِ

ومن موشحاته :

جِسْمي ذَوَى بـالكَمَـدِ والسَّهرِ ... والـوَصَبِ من جـانِ
ذي شَنَبٍ كالبَرَدِ ... كالـدُّرَرِ كالْحَبَبِ جُمانِ
بي غُصْنُ بـانٍ نَضِرُ ... يَسبيـكَ منـهُ الهَيَفُ
يَرْتَـعُ فيـهِ النَّظَرُ ... فَـزَهْرُه يُقْتَطَفُ
الْخَـدُّ منـهُ خَفِرُ ... والجِسْمُ منـهُ تَرِفُ
قَـد جـاءَنـا يَعْتَـذِرُ ... عِـذارُهُ الْمُنْعَطِفُ[1]
ثُمَّ الْتَـوى كالـزُّردِ مُعْبَقَري ... مُعَقْرَبي رَيْحـاني
في مُـذْهَبٍ مُـوَرَّدِ مُـدَنَّرِ مُكَتَّبِ ... سَوْسـانِ
ظَبيٌ لـهُ مُرْتَشفُ ... كالسَّلْسبيـلِ البـارِدِ

(١) في الفوات : « منعطف » .

بَـــدْرُ عُـــلاهُ سَـــدَفُ مِن ليـــــــلِ شَعْرٍ وارِدِ
مُقَرطَـــــــقٌ مُشَنَّفُ يَختَـــالُ في القَـــلائـــدِ
غُصْنٌ نَقـــــا يَنعطِفُ مِن لينِ قَـــدٍّ مـــائِـــدِ
بَيْنَ اللّـــوى وثَهْمَـــد كَجُـــؤْذَرٍ في رَبْرَبٍ غَـــزْلانِ
مِن كَثَبِ ذي جَيَـــدِ ذي حَـــوَرٍ ذي هَـــدَبٍ وَسْنـــانِ
أمَـــا وحَلْيِ جِيْـــدِه ورنَّـــةِ الْخَـــلاخِـــلِ
والضَّمِّ من بُرودِه قَـــدّ قَضيب مـــائـــلِ[1]
والـــوردِ من خُـــدودِهِ إذْ نَمَّ في الغَـــلائـــلِ
لا كنتُ مِنْ صُـــدودِه مُتَّصِـــلاً بِعـــاذِلِ[2]
نـــارَ الْجَـوى لا تَخْمَـــدي واسْتَعِري[3] وكَـــذِّبي سَلـــواني
وانْسَكِبي واطَّرِدي وانْهَمِري كالسُّحُبِ أجْفـــاني
مَـــولايَ جَفْني ســـاهِرُ مـــؤرّقٌ كما تَرَى
فـــلا خَيـــالٌ زائِرٌ يَطرُقُني ولا كَرَى
إنِّي عَلَيْـــكَ صـــابِرُ فمـــا جَـــزَا مَنْ صَبَرا
إنْ سَـــحَّ دَمْعي الهـــامِرُ فـــلا تَلُمْـــهُ إنْ جَرى
جـالَ الهَـوى في خَلَـــدي ومُضْمَري أضَرَّ بي كِتْماني
مـــؤنِّبي فـــاتَّئِـــد لا تَفْتَرِ وجَنِّبِ عن عـــانِ[4]
إنْ زادَ في الهَجْرِ وصَـــدْ رُحْتُ بِصَبري مُرْتَـــدي
عنـــهُ وإنْ طـــالَ الأمَـــدْ إلى ذُرَى مُحَمَّـــدِ
وكَيْفَ يَخْشى مَن قَصَـــدْ مَلِكاً عَظيمَ الْمَحْتَـــدِ

(١) (أ) ، (ق) : « قضيب قد » .
(٢) في الفوات : « مستعاً » .
(٣) في الأصل : « وأسعري » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .
(٤) (أ) ، (ق) : « جان » .

فـــالملـــكُ المنصـــورُ قَـــدْ سَمَـــا سَماءَ الفَرْقَـــدِ[١]
ثُمَّ اسْتَـــوى بـــأجرَدٍ مُضَمَّرٍ ومِقْضَبٍ يَماني
ذي شُطَبٍ مُهَنَّـــد وسَمْهَرِيّ مُضْطَرِب مُرّانِ
مَلـــكٌ عَلَتْ هِمّـــاتُـــه مِن فَـــوْقِ هـــامِ الْمُشْتَري
وبَخَّلَت راحـــاتُـــه سَـــحَّ السَّحـــابِ الْمُمْطِرِ[٢]
وعُـــوِّذتْ رايـــاتُـــهُ بِمُحْكَماتِ السُّـــوَرِ
بَـــدْرٌ بَـــدَتْ هـــالاتُـــهُ مِثـــلَ الصَّبـــاحِ الْمُسْفِرِ
تَحتَ لِـــوَى مُنْعقـــدٍ بـــالظَّفَرِ في مـــوكِبِ فرســـانِ
كالشُّهُبِ في الأسْعُـــدِ والأقمرِ في عَـــذبٍ[٣] تيجـــانِ
يـــا مَلِكاً دُونَ الـــوَرَى تَخْبُطُـــهُ الْمَمالِـــكُ
ومـــالِكاً إذا سَرَى تَحجُبُـــه الْمَـــلائِـــكُ
بَعْضُ عَطـــاكَ هَـــل تُرَى جَـــادَتْ بـــهِ البَرامِـــكُ
فـــاسْتَجْلِهـــا مِنْ عُمرا ثَغْرُ ثَنـــاهـــا ضـــاحِـــكُ
لا تُحْتَـــوى كالشَّهْـــدِ كالسُّكرِ كالضَّرْبِ معـــانيَ
كالسُّحُبِ كالعَسْجَـــدِ كالْجَـــوْهَرِ مِن حَلَبي كِتّـــاني

قلت : وقد عارضه الشيخ صدر الدين بن الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ في كثير من موشحاته ، ومما عارضَهُ هذا[٤] الموشح ، وقد سُقْتُه في ترجمة الأمير شمس الدين سنقر الأعسر مشدّ الدواوين . إلا أنه غيَّر بعض قوافيه .

ومن موشحات السّراج ، وألطفها[٥] وأحسنها قوله :

(١) (أ) ، (ق) : « السؤدد » .
(٢) في الأصل : « ونخّلت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « عدب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « في هنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) (أ) ، (ق) : « وموشحات السراج كثيرة ومن ألطفها ... » .

مـا نـاحَت الوَرْقُ في الغُصونِ[١] إلاّ هــاجَت على تَغْريدِهـا لـوعـةُ الْحَـزينِ
هَلْ مـا مَضى لي معَ الحبـايب آيب بعـدَ الصُّـدودِ
أمْ هَـل لأيـامِنـا الـذّواهبِ واهِب بــأنْ تعـود
مـعَ كلِّ مَصقـولَـةِ التَّرائبِ كاعِبٌ هَيفــاءَ رُودِ
تَفتَرُّ عن جَـــــوْهَرٍ ثَمينٍ جـلاّ أن يُجْتَلى يُحْمى بقُضْبٍ مِن الْجُفـونِ
أحبَبتـــهُ نـــاعمِ الشّمائـلِ مـائـل في بُرْدِه[٢]
في أنفُسِ العـاشقينَ عـامـل عـامـل مِن قـــدِّه
يَرنـو بطَرفٍ إلى الْمُقـاتِـلِ قـاتـل في غِمْـــدِه
أسْطَى مِنَ الأســـدِ في العَرينِ فعـلاً وأقتَـــلا لعـــاشقيـــهِ منَ الْمَنـونِ
عَلَّقتـــه كامـلَ المعـــاني عـاني قلبي بـــهِ
مُبَلْبَـل الحـال[٣] مُـذْ جَفـاني فـاني في حُبِّـــهِ
كَم بتُّ من حيثُ لا يَراني راني لقُربـــهِ
وبـاتَ من صـدْغِـه يُريني نمـلا يسعى إلى رِضـابـهِ العـاطرِ المصـونِ
قـاسوهُ بـالبـدرِ وهـو أحْلى شَكْـلاً مِنَ القَمرِ
فَراشَ هُـدبَ الْجُفـونِ نُبـلا أبْلى بهـــا البشرِ
وقـالَ لي وهـو قـد تَجلّى جـلَّ بـاري الصُّورِ
يَنْتَصِفُ البَـــدرُ من جَبيني أصـلا فقلتُ لا قـال ولا السِّحْرُ من عيـوني
بِتْنـا ومـا نـالَ مـا تَمنّى منّـا طيبُ الـوَسَنْ
نفضّ من فرحـةٍ لـدنّـا دِنّـا تَنْفي الحـزَنْ

---

(١) في الأصل : « الأغصان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « بروده » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « البال » .

وكلّما مـــــــالَ[١] أو تَثنّى غَنّى صـوتـاً حسَنْ
لا تَستَمِـع[٢] في هـوى المجـونِ عَـذْلاً واسْـــــعَ إلى راحِ تقي سَـوْرَةَ الشُّجـونِ

قلت : قد رأيتَ أيها الواقف على هذا ـ وفّقك الله ـ مـا فـاتَـه من الالتزام في بعض الحشوات ، وما بعض الحشوات خال منه ، وما أعتقدُ أنه أتى به وفاته ، ولا يخفى ذلـك على من يعرف علم البديع وشروط الجناس المزدوج .

وكلّفني بعض الأصحـاب الأعزّة أن أنظم شيئـاً في هـذه المـادة ، فنظمت مع علمي ما ينبغي للعاقل أن يعارض ما رزق السعد ، وبالله التوفيق ، وهو :

مـا تنقضي لـوعـةُ الحـزينِ أصـــلا ولـــو ســـلا إلا لضرب من الْجُنونِ[٣]
قُمْتُ ولم تَحْظَ بـالـوصـالِ صـالي نـــار الْجَـوى
مُعـذّبُ البـالِ في خَبـــالِ بـــالي منَ الهَـــــوى
ولا تـوافـق على انتقـــالِ قـــالي يـومَ النّـــوى
وكُن على مَـــــــذْهَبي وديني ذُلاّ إذْ تُبْتَلى واصْبِرْ على ذلّـةٍ وهـونِ
مُعـــذّبي نـــازحُ المـزارِ زاري على القَمَرْ
خَلّى فُـؤادي من الإســارِ ســاري على خَطَرْ
يقـولُ والقلبُ في استِعـارِ عـارِي من مُصْطَبَرْ
مَن أرسـلَ السِّحرَ من جُفـوني نَبـــلا تَقْضي على حَشا الْمُحبينَ بـالْمَنونِ
في ريقِـــهِ لَـــذّةُ السّـلافِ لا في كأسِ المـــدامِ
رأيتُ لي منـهُ في ارتشـافِ شـــافي منَ السّقـــامِ
أقـــولُ والصّمتُ في اعْتِكافِ كافي عنـــدَ المـلامِ
يـــــأتي تَسلّيـــــه عن يقين قـل لا تغري البـــلا عليّ فالوجـدُ في الكَمينِ

(١) (أ) ، (ق) : « ماس » .
(٢) (أ) ، (ق) : « لا تسمع » .
(٣) في الأصل : « الجفون » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

جَبينُه الصُّبح في انْبِلاجِ[1] لاج لشعرِهِ
وقلبٌ مُضناهُ في ابتِهاجِ هاج لهَجْرِه
يرقُبُ منهُ يومَ انفراج راج لصَبرِهِ
ظَبيٌ بهِ اللَّيثُ في العَرينِ ولّى لواجتلى عيونهُ باتَ في غبون
وغادةٌ في الهوى عداني داني وصالُها
لوانّ دَهري لها انتقاني قاني جمالُها
ما كانَ في الوَجدِ قد شَجاني جاني دلالُها
ولا جَرَت بالدّما عيوني وبَلا قد أخجَلا سواكبُ العارضِ الهتونِ
مُقلتَها صيَّرت رَشادي شادي بذِكْرِها
وسِحْرُها صارَ في العِبادِ بادي بنصرِها
وصارَ في الغَوْرِ والوِهادِ هادي لأسْرِها
فانْظُر تَجِدْها دونَ العُيونِ كَحْلا لا يُصْطَلى[2] لها بنارِ السحرِ المبينِ
تَبدو بوجْهٍ مِثلِ الْمَرايا رايي فيهِ الهلال
ألا ابنَ يَحيى خيرَ البرايا رايا إذا استحالَ
طبع الليالي وللرعايا عايي صَرْف الليال
يردُ خطبَ الرَّدى الحرون سَهْلا قد انْجَلى وانْبَلَجتْ سُدفة الدّجونِ
يا سعدَ ملكٍ قد استجَلاّ[3] جلاّ عنهُ العَنا
لأنّهُ عندَما تولّى ولّى عنهُ[4] الْخَنا
فَمي[5] بذِكْراهُ مُذ تَحلّى حلّى فيهِ الثَّنا

(١) في الأصل : « ابتلاج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « لا يصلى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (ق) : « به استجلا » ، (أ) : « أسجلا » .
(٤) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « ومنه » .
(٥) في الأصل : « لا يصلى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

وجـــاءَ بـــالجـوهَرِ الثَّمينِ جَـزْلا حتّى اغتَلى[١] على عُقودِ المدحِ الرَّصينِ
فَطِرْسُـه جـامِعُ الفرائـدِ رائـد إلى الصَّـوابِ
ولفظِـهِ زينَـة القَصـائـدِ[٢] صـائـد فَصْلَ الخِطابِ
وكلّـهُ نُخبـة العَقـائـدِ قـائـد إلى العُجـابِ
وذِكْرُهُ صـــارَ في القرونِ يُتْلى حتّى عَـــلا منابرَ الأيـكِ والغُصونِ
أقـولُ للغيثِ في سَحـابـهِ حـابـهِ في وَبْلِـــه
فَجُـودُهُ للـوَرى وشَى بـهِ شـابـه في طلِّـــه[٣]
ولم يَقُمْ قـطُّ في منـابـهِ نـابـه من شَكلِـــه
أفـــاضَ من فَضلِـــهِ المعينِ سَجْـلا مَـلا الْمَـلا وسـارَ في بَحْرِهِ سَفيني
نَظْمي على رُتْبَـةِ الأفـاضِـلِ فـاضِل دِيبـاجـه
كأنَّـهُ[٤] فيـكَ بـالأصـائـلِ صـائِل نـواجُـه
فانْظُر لِمَن صارَ في المحـافِلِ آفِـل سِراجُـه
ومَنْ على ذروَةِ الفُنـــونِ حَـلاّ واسْتَفَـــلا سِواهُ في حَمْـأةٍ وطينِ
مـوشَّحي رائـقُ الطَّرائـقِ رائـق في فنِّـــه
مـا مِثْلَـهُ قَطّ في الْخَلائـقِ لائـق في وزنِـــه
إنْ عُـدَّ يَـوماً من النَّـوافِقِ[٥] وافـق لـوَزنِـــه
فـــأنتَ فَرْدٌ بِـــلا قرينِ أمْلَى سرحَ[٦] العُـلا حتّى انْجَلَت ظُلَمَةُ الظُّنونِ

ومن موشَّحات السّراج المحّار ـ رحمه الله تعالى ـ:

---

(١) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « اعتلى » .
(٢) في الأصل : « للقاصد » ، وفي (ط) : « المقاصد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « في طلبه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٤) (أ) ، (ق) : « لأنه » .
(٥) (أ) : « التوافق » .
(٦) في الأصل : « سَرْج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

أرِقْتُ لِبَرقٍ لاحَ مِنْ أرضِ حاجري ... فأجْرَى دُموعي من شؤونِ مَحاجِري
وهيَّجَ لِيَ التَّذكارُ ... فأضْرَمت الأفكار
في قلبِ الكَئيبِ ... أو كادَتْ تَذيب
نيرانُ الوجيبِ ... حَشاشةَ الأشواق[1]
كَتَمْتُ الهَوى جَهدي ... وهَل أنا كاتِم
وقَد جَدَّ بي وَجْدي ... وشَوْقي لازِم
ونَمَّت بِيَ عِندي ... دُموعٌ سَواجِم
فما حيلتي والدَّمعُ يُبدي سرائري ... ويُظهِرُ ما جَنَّت عليهِ ضَمائري
ولَم يَبْقَ لي أنْصار ... سِوى جَلَدي إن صار
لقلبي جَلَد ، وإلا فقد ... براهُ الكمد وضاقت به الآفاق
أعَرْتُ حمامَ البانِ ... بعضَ تَوجُّعي
فناحَتْ على أفنان ... وَجْدي ولم تَعي
ولو سَقَتِ الأغْصَان ... فائضَ[2] أدْمُعي
لأوْرَقَ منها كلّ ذاوٍ وناضِرِ ... بما رُوِيَت من ماء جَفْني وناظِري
ولو كانَتِ الأطْيار ... إذا نحتُ في الأسحار
قُبيلَ الصَّباح مِثْلي في النّواح ... ما راشَتْ جَناح ولا لَبِسَت أطواق
فُؤادي الذي أصْماهُ ... سَهْمٌ مِنَ النّوى
فَكابَدَ ما يَلْقاهُ ... مِنْ أَلَمِ الْجَوى
وبي رَشَا لَولاهُ ... لم أدْرِ ما الهَوى

---

(١) قوله : « نيران الوجيب » حتى ههنا وقع في الأصل بعد قوله الآتي : « وضاقت به الآفاق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) (أ) ، (ق) : « ولو تشرب ... سائل » .

ولا حلَّ في قلبي سِواهُ[١] وناظِري ... فيا نفسُ جُدِّي في هَواهُ وخاطِري
ولا تَرْهَبي الأخْطارَ ... عَسى تُدْرِكي الأوطارَ[٢]
فَكَم مِن هَوى في نارِ الْجَوى ... وحُكْمُ الهَوى تذلُّ لهُ الأعناق
دَعاني إلى حُبّيهِ ... خَدٌّ مُوَرَّدُ
عليهِ لِمَن يَجْنيهِ ... صَدْغٌ مُزَرَّدُ
ومِن جَفْنِهِ يَحميهِ ... سَيفٌ مُجَرَّدُ
فَوَيلاهُ مِن تِلكَ الْجُفونِ الفَواتِر ... تَصولُ على عُشّاقِهِ ببواتِر
نَضَتْها يدُ الأقدار ... لِمَن يَجْتَني الأزهار
فيا مَن نَظَرَ سيوفَ الْحَوَر ... بأيدي القَدرِ تُسلُّ من الأحداقِ
أسَلْتُ مِنَ البَلْوى ... سُيولَ مَدامِعي
تَنُمُّ بِما تُطْوَى . ... عَليهِ أضالِعي
ولِيَ كَبِدٌ تُكْوى ... بنارِ مَطامِعي[٣]
فَكُن ناصِري إن قَلَّ يا دَمعُ ناصِري[٤] ... عَسى عاذِلي في الحبِّ يُصبحُ عاذِري
ومَن يَعْشَقِ الأقمار ... ولم يَكْتُمِ الأسرارَ
يُقاسي الولوعَ وفيض الدُّموع ... ونار الضُّلوعِ كذا صِفَةُ العُشّاق

فكُلِّفت أنا[٥] معارضته ، فقلت ، وبالله التوفيق :

تَغيَّبتَ يا بَدري فَطالَتْ دياجِري ... ولم أرْجُ أنصارِيَ وأنتَ مُهاجِري
وما تَنْفَعُ الأنصارُ ... إذا زاغَتِ الأبْصارُ

---

(١) (أ) ، (ق) : « هواه » .
(٢) (أ) ، (ق) : « الأقطار » .
(٣) في الأصل : « مطالعي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٤) (أ) ، (ق) : « فكن ناصري يا دمع إنْ قلَّ ناصري » .
(٥) (أ) ، (ق) : « إلى » .

وبـــاتَ الغَمامُ ، يَبكي الْمُسْتهـــام ... وانجَرَّ الحمـامُ إلى النَّـوحِ بـالأطْـواقِ
خـــلائقَـــــكَ الْحُسْنى ... فَتَنْتَ بهـــا الـــوَرى
ومُقْلَتِـــــكَ الـــوَسْنى ... سَبَتْ مِنِيَ الكَرى
ومَبْسَمُـــــكَ الأسْنى ... تَنَضَّـــدَ جَـــوْهَراً
وجَفْنُكَ يَحْمي الرِّيقَ مِنكَ بباتِرٍ ... فيـا بـارداً قـد راحَ يُحْمى بفـاترِ
ولـــو كانتِ الأزهـــارُ ... وقـــد راقَتِ[1] الأسحـــارُ
تَروي عَن شَـذاكَ وتَحكي سَنـاك ... لكانَت هُناكَ ، حدائقها الأحداق
حبيبي قـــــد أضحى ... هـــــواكَ مَنيَّتي
ولِي كَبِـــــدٌ قَرْحى ... لِعظَمِ بَلِيَّتي
وجـــاءَ الـــذي يَلْحَى ... تَمامَ مُصيبَتي
فإن قُلتَ إنِّي في الهوى غير جائِرٍ[2] ... فَما ضَرَّ لو أصبَحْتَ بالوَصلِ جابري
وإلا فَكَم مِن جـــار ... على ذي غرامٍ جـــار
ولا[3] يختَصِرُ ولا يقتَصِرُ حتى ينتصِر ... على الصَّبِّ بـالأشْـواقِ
يُقَرِّر في هَجري ... دليـــلَ دَلالـــهِ
ويَمنـــعُ مـــعَ فَقْري ... جَميـــلَ جَمالِـــهِ
ويُنْكِرُ مـــعَ ضُرِّي ... وصـــولَ وصـــالِـــهِ
ويُقْدِمُ في سَفْكِ الدِّما غير قاصِرٍ ... بِقَسْـوَةِ فَتّاكِ اللَّواحِظِ قاسِرِ
وقَـــد أصبَحَ الخطّـــار ... إذا مـــاسَ في أخطـــار
يَشكـــو مـــا دُهي إلى مُلْـــدِهِ ... ومِن قَدِّه يَشكو الغُصْنِ في الأوراقِ[4]

---

(١) (أ) ، (ق) ، (ط) : « رقَّت » .
(٢) في الأصل : « حائر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (أ) ، (ق) : « وما » .
(٤) (أ) ، (ق) : « بالأوراق » .

لـــــــــهُ مَبْسَمٌ أَلْمَى حَـــلا وَهُـــوَ بـــــارِد
بِـــــــــهِ اتَّسَقَت نَظْماً لآلي فَرائـــــــــد
إلى رَشْفِـــــــــهِ نَظْماً ومـــــــــا ثَمَّ وارِد
وقَـد دارَ في خَـدٍّ مِنَ الوَرْدِ نـاضِر لـهُ عـارِضٌ قَـد راقَ في كلِّ نـاظِرِ
لـــهُ خبرٌ قـــد طـــارَ وقَـــد مَـلا الأقطـــار
فَما يُنكَرُ لِما يشكرُ ولا يـذكر إلاّ فـاقَ في الآفـاقِ
تَجَنّى ومـــــــا أبقى وسرٌ مُعـــانـــدي
ورقَّ لِما ألْقى مِنَ السَّقَمِ عـــائـــدي
وجَفنـــاهُ قـــد شَقّـــا حبـــالـــة صـــائـــد
وهل يكتفي[1] صَبٌ نوافث سامِر بقلب سليب فـاقِـد الصَّبر حـاسِر
ومَن ذا الـــذي قـــد ثـــارَ وحـــاوَلَ أخـــذَ الثّـــارِ
من سَهْمٍ مَرَقْ بِطَرْفٍ رَمَـــــق وسحر الحـدَق لِـوا نَصْرِه خَفّـاق

١٣٠١ - عُمَر بن مظفّر*

ابن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، الشيخ الإمام الفقيه النّحوي الأديب الشاعر النّاثر زين الدِّين أبو حفص بن الوردي المعري الشافعي .

أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه . تفنَّن في علومه ، وأجاد في منثوره ومنظومه . شِعْرُه أسْحَرُ مِن عيون الغِيْدِ ، وأبهى من الوَجَنات ذاتِ التَّوريد . قام بفنِّ التَّورية فجاءت معه قاعده ، وخَطَّها في الطّروس وهي فَوْقَ النُّجوم صاعده ، يَطْرَبُ

(١) في الأصل : « يلتقي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* فوات الوفيات : ١٥٧/٣ ، والدُّرر : ١٩٥/٣ ، وبدائع الزهور : ٥٢٤/١/١ ، والبغية : ٢٢٦/٢ ، والشّذرات : ١٦١/٦ .

اللبيبُ لسماعها ولا طرَبَ الصُّوفيِّ للشّبّابه ، ويَعْجَبُ الأديبُ لانطباعها ولا عَجَب الغواني بمن التحفَ شبابَه ، ويَرْغَبُ الأريب لارتجاعها ولا رغبةَ الروض الذي صوَّح في صوب السحابَه . ويدأب النجيب في اقتطاعها ولا دأب المحب في التَّمسُّك بأذيال محبوبهِ السَّحّابَه :

لَفْظٌ كأنَّ معاني السُّكْرِ تَسْكُنُه ... فَمَنْ تَحَفَّظَ بَيْتاً مِنهُ لم يُفِق
كأنَّه الرَّوضُ يُبدي مَنْظَراً عَجَبا ... وإنْ غَدا وهُوَ مَبْذولٌ على الطُّرُقِ[١]

وفِقْهُه للطالب[٢] روضه ، ولأصحاب الفتاوى قد شرَّع حَوْضَه . نَظَم (الحاوي) وزادَه مسائل ، وجَعَله بعد وحشة الأذهان منه خَمائل ، وعربيَّته تلافيها ما أنَّس غريبها بتلافيها[٣] وقرَّبها إلى التَّعقل بعد تجانفها وتجافيها ، وسهَّل عويصها فلو سَمِعَتْه الأعْرابيّة ما قالت : « يا أبتِ أدْرك فاهاً غلبني فوها لا طاقة لي بفيها » ، إلاّ أنَّه مع هذه القُدْرَة وهذا التَّمكُّن من فنِّ الأدب ، وكونه إذا تصدَّى للنَّظم تَنْسِلُ إليه المعاني من كل حَدْب ، لا يسلم من الإغارة[٤] على مَنْ سواه ، واغتصاب ما سبقته إليه غيره وما حواه ، ولا يعفُّ عما هو لمن تقدَّمه أو عاصره أو استسلم له أو حاصره . وبهذه الْخُلَّة نقص ، ولولاها صفَّق له الزمان ورقَصْ .

ولم يَزَلْ في حَلَب يتولَّى القضاء في تلك النّواحي ، وتبكي الغمائم لفراقه وتبتسم لقدومه ثغور الأقاحي ، إلى أن ترك الولايات ورَفَضها ، وعاد على[٥] أحكامها ونقضها ، وأرصد نفسه للإفاده ، وتلفَّع برداء الزِّهاده ، واختصَّ بسيادة العلم وهي

---

(١) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « للطلبة » .
(٣) في الأصل : « ما أنس من تلافها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) (آ) : « الإعادة » .
(٥) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

السياده . وتخرَّج به جماعة وتنبَّهوا ، وحاكوا طريقه وتشبَّهوا ، إلى أن افترس الورديَّ وَرْدُ المنيه ، وأصبح في حُفْرَة القبر من وراء الثَّنيّه .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في سابع عُشْرَي ذي الحجّة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

وتوفي أخوه القاضي جمال الدين [يوسف][1] قبله بقليل .

وكان الشيخ زين الدين - رحمه الله تعالى - قد رأى عجائب الطاعون في حلب ، فعمل فيه رسالة أنشأها وأبدعها وسمّاها : (النَّبا في الوبا) ، ولكنه خُتِمَ به الوَبا ، وفُجِع الناس فيه .

وقلت أنا فيه لَمّا بلغتني وفاته :

لَئن ذَوَى الوَرديُّ في هذِه الـ ... دنيا لَقَد أيْنَعَ في الْخُلْدِ
وإنَّما أوْحَشَ رَبْعُ النّهى ... والفَضْلِ في نَقْصٍ وفي رَدِّ
والعِلْمُ رَوْضٌ مالَهُ رَوْنَقٌ ... لأنَّهُ خالٍ مِنَ الوَرْدِي

وكنت قد كتبت[2] إليه من دمشق في جمادى الآخرة سنة أربعين وسبع مئة :

سَلامٌ على الْحَضْرَةِ العالِيَه ... سَلامَ امْرِئٍ نَفْسُه عانِيَه
لأنَّ لَها رُتْبَةً في العُلا ... ذَوائِبُها في السَّما سامِيَه
ويُؤنِسُ مَن غَدا يَجْتَني ... قُطوفَ مَسَرّاتِها دانِيَهْ
أيا عُمَرَ الوقتِ أنتَ الَّذي ... كراماتُه في الوَرَى سارِيَه
ويا بَحْرَ عِلْمٍ طَمَى لُجُّهُ ... فَكَم جاءَنا عَنْهُ مِنْ راوِيَه
ويا فاضِلاً أصْبَحْتَ رَوْضَةَ الـ ... عُلومِ بتَحْقيقِهِ زاهِيَهْ

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) (أ) ، (ق) : « كتبت أنا » .

لـكَ الخـطّ كَم فيـهِ مِنْ نقطَـةٍ ... لهـا الْحَـظّ بـالقَلبِ في زاويَـهْ
تَقَـدَّمْتَ في النَّظْمِ مَن قَـدْ مَضى ... لأنَّـكَ في الـذُّرْوَةِ العـاليَـهْ
ورخَّصْتَ أسعـارَ أشْعـارِهِم ... كأنَّ مِـدادَك مِنْ غـاليَـهْ[1]
وكَم مِن قَصيـدٍ إذا حُكْتَهـا ... تَكـونُ القلـوبُ لهـا قـافِيَـهْ
ونَظّمت في مَـذْهَب الشّـافعيِّ ... كِتـاباً غَـدا حـاوِياً حـاوِيَـهْ
وزِدْتُ مسـائِلَـهُ جُمْلَـة ... بتَحْقيـقِ مَـذْهَبِـهِ وافِيَـهْ
فَمالَـكَ مِن مُشْبِـهٍ في الـوَرَى ... ويـا حُسن (مـا) ههنـا نـافِيَـهْ
لَئِن كنتُ أرسَلْتُ هـذا القَريضَ ... فَلِلبَحْرِ قَـد سُقْتُـهُ سـاقِيَـهْ
وإلاّ فـأهْـدَيتُ نَحْـوَ الرِّيـا ... ضِ وقَـد أيْنَعَتْ زَهْرَةً ذاوِيَـهْ[2]
وسِتْرُكَ إنْ لم أكُنْ حـاضِراً ... يُغَطِّي مَسـاوِئَـهُ البـادِيَـهْ
فـلا زِلْتُ في نِعْمَـةٍ وَفْرُهـا ... تُسـاقُ لَـهُ جُمْلَـة بـاقِيَـهْ

يقبّل الأرض ويسأل الله أن يمنَّ عليه بجَمْعِ شَمْله ، ويقرِّبَ[3] اللقاء ، فإنَّ التَّمنِّي قد أطال المدَّة في وضع حَمْله ، وأن يُريَه ذلك الشخص الذي يروق البدورَ السيّاره ، ويروع الأسود الزَّأارة ، وأن يرزقه اجتلاء ذلك الروض الذي نجني بسمعه أزهاره التي تسلب النّظارّة بالنَّضاره ، وأن يورده على ظمئه البَرِح تلك الفضائل التي أبْحُرُها زخَّاره ، وأمواجها هدّاره ، وأن يُنزله المحل الذي يخرج منه[4] ومعه بكارة المعاني التي تبرز منها بكارةٍ بَعْد كارَه ، وأن يمتّع طَرْفَه بذلك البدر الذي[5] يأخذ الناسُ من فوائده الكواكب السَّيّاره ، وأن يُطْلِعَ عليه شمسَ فوائده التي تشرق من الطلبة في الهالة والدَّاره :

---

(١) (أ) ، (ق) : « وأرخصت » .
(٢) (أ) : « فأهدي » .
(٣) (أ) ، (ق) : « وأن يقرّب » .
(٤) ليست في (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

لَعَـلَّ اللهَ يَجْعَلُـــه اجْتِماعـــاً يُعينُ على الإقـــامـــةِ في ذُراكا

ويُنْهي أنَّه لَمَّا كان في الدِّيار المصريّة حضر من حلب المحروسة المولى شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السّروجي[١] ، وأنشد المملوك تضمين أعجاز (ملحة الإعراب) لمولانا ـ أدام الله فوائده ـ فأخذ من المملوك بجامع قلبه ، ودخل على لبِّه بهَمْزَة سَلْبه ، وعَلِمَ به القدرةَ على التصرف في الكلام ، وتحقَّقَ أن نظم غَيره إذا سُمِع قُوبِلَ بالملال والْمَلام . وقال في ذلك الوقت عندما حصل له في كلام مولانا المِقَة[٢] وفي كلام غيره الْمَقْت :

يـا سـائِـلاً عَمَّن غَـدا فَضْلُـهُ مُشْتَهراً في القُرْبِ والبُعْـــد
النّـــاسُ زَهْرٌ في الثَّرى نـــابت ومـــا تَرى أذْكَى من الـوَرِدِي[٣]

وكان المملوك قد علَّقها ، وأدخلها أبواب حاصله وأغلقها ، فاغتالتها أيدي الضَّياع ، وعدم أنس حسنها المحقِّق من بين الرِّقاع .

ثمَّ إني سألته أن يجيزني رواية ما يجوز له تسميعه ، فكتب الجواب ، ومِنْ خَطِّه نقلت :

كَتَبَ إليَّ فلان ـ أمَّد[٤] الله تعالى ـ في جاهه ، وجمَّل النوع الإنساني بحياة أشباهه ، يستجيز مني روايةَ مصنّفاتي ومَرْوِياتي ومؤلَّفاتي ، ففديته سائلا ، وأجبته قائلا :

أما بعد حمد الله جابرِ الكسير ، والصلاةِ على نبيِّه محمد البشير النَّذير ، وعلى آله الذين أُعريت أفعالهم فَسَكَن حُبُّ أسمائهم في مستكنِّ الضمير .

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) في الأصل : « ثقة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . والمقة : المودة .
(٣) في الأصل : « في الورى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٤) (أ) : « قدّ » .

فإنّي أُلقي إليَّ كتاب كريم ، يشتمل بعد بسم الله الرَّحمن الرَّحيم[١] ، على نظم فائق بهيّ ، ونثرٍ رائق شهيّ ، غَرَس لي أصولَه بفضله خليلٌ جليل ، فامْتَدَّ عليَّ مِنْ فُروعِه ظلٌّ ظليل ، فرأيته فانتصبت له قائماً على الحال ، وتميَّزت به على غيري ، فطبت نَفساً بعد الاعتلال ، وابتهلْتُ بالدُّعاء لِمُهديه مخلصاً ، ولكن أسأت الأدب إذ وازنت جوهر[٢] نظمِه بالحصى حيث قلت :

سلامٌ على نفسكَ الزّاكيَه ... وشُكراً لِهمَّتِكَ العاليَهْ
أزَهْراً أمِ الزُّهْرُ أهْدَيْتَها ... لِعَبدٍ مدامعُه جاريَهْ
كِتابٌ يَفوحُ شَذى نَشْرِهِ ... فَلي منهُ رائحَةٌ جائيَهْ
وسَعْدُ مُعادِيهِ عَنْ مَركزِ الـ ... ـسعادَةِ يَلْجا إلى زاويَهْ
إذا حَمل الْجَدْيُ في نَطْحِهِ ... فَفاسٌ إلى رَأْسِهِ دانيَهْ
وقائِلَني حينَ قَبَّلْتُهُ ... مِن الطِّيْبِ ما أرْخَصَ الغاليَهْ
وفكَّهني في جَنى غَرْسِهِ ... ولا سيّما بيت (ما) النّافيَهْ
تَردّد عيني بهِ لا سُدى ... ولكنَّها تَطْلُبُ العافيَهْ
فَمُهْديهِ أفْديهِ مِنْ سَيِّدٍ ... أياديْهِ رائقَةٌ راقيَهْ
لَعَلَّ الخليلَ بدانيْ بهِ ... ليَجْعَلَها كلْمَةً باقيَهْ
فيا جابِراً دُمْ مُعاذاً[٣] فكَم ... بَعَثْتَ لِمَحْلِيَ مِنْ ساريَهْ
لأقلامِكَ الرَّفْعُ تُبْنى بها ... على الفَتْحِ أفعالُها الماضيَهْ
ولو لم يَكُن قَد سَبا نورُها ... لَمَا حَمَلَ الخادِمِ الغاشيَهْ
فإنْ أهلكَ النّاسَ جَهْلٌ بهِم ... فأنتَ مِنَ الفِرقَةِ النّاجيَهْ
فَكَمْ بابِ نَصْرٍ تَبَوّأْتَهُ ... فأذهاننا مِنْهُ كالجابيَهْ

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة النّمل ٢٩/٢٧ ، ٣٠ : ﴿ قالَتْ يا أيُّها الْمَلأُ إنّي أُلْقِيَ إلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ ☆ إنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

(٢) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « جواهر » .

(٣) في الأصل : « معادا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

رَضِيَ بِـكَ عَن دَهْرِهِ سـاخِـطٌ فـلا زِلْتَ في عيشَـةٍ راضِيَـهْ
وإنِّي لَفي خَجَـلٍ مِنـكَ إذْ أَجَبْتُـكَ في الـوَزْنِ والقـافِيَـهْ
فَعَفْـواً وصَفْحـاً ولا تَنْتَقِـدْ ويـا بَحْرُ مـالَـكَ والسّـاقِيَـهْ
لِيَهْنِـكَ أنَّـكَ عَيْنُ الـزّمـا نِ فلَيْتَ على عَينِـهِ الـواقِيَـهْ

ولَمّا انتهيت إلى استجـازتـه[1] التي انْتَظَمَتْ في سلـوك الحسن بحسن السلـوك ، واسْتُعْظِمَتْ ، فلولا حُسْنُ الظَّنِّ لأوهمت تهكم المالك بالمملوك ، أحجمتُ عن إجازة من شَمَّر في العقـل والنقـل لتحقيـق القـديم والحـديث ، وتبحّر في إغراب الإعراب حتى كأنَّ النحاة إياه عنوا بمسألـة « سَيْرُك السَّيْرَ الحثيث » ، وقلت : مـاذا أصف ، وبـأيّ عبـارة أنْتَصِف . في إجازة مَن إذا كتب طرّز بالليل رداء نهاره ، وإذا نثر فـالأنجم الزُّهر بعضُ نثاره ، وإذا نَظَم لم يقنع من الدُّرِّ إلاّ بكباره ، ولم يرضَ من المعـاني إلاّ بـدقيق من بين حَجَريـه الثَّمينين[2] بل أحجـاره ، إن أعْرَب فـ « وَيْـه » على سيبويـه ، وإن نحـا فهو الخليل غير مكـذوب عليـه ، يـأتي بمـا يفترُّ عنـه[3] المبرِّد ، ويشقُّ لـه الكسـائي كسـاه ويُجَرِّد ، ويقول الزَّجـاجي : أيهـا الشـاب لقـد أخجلَت[4] جـواهرك صرحي الْمُمَرَّد ، وينادي ابن أبي الحديـد : سطـا عليَّ[5] لسـانـك المِبْرَد ، ويستخـدم ملـكَ النحـاة[6] في جنده ، ويرفرف ابن عصفور عليه بجناحيـه[7] ويحلف أنـه الخليفـة من بعـده ، بتعمُّق يرهف حروف الحروف ، وينصف حتى لا يَعْدُو ثعلب ولا أكبرُ منـه على ابن خروف ،

(١) في الأصل و (ط) : « إجازته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « الثمين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (أ) : « عن » .
(٤) (أ) ، (ق) : « أخملت » .
(٥) (أ) ، (ق) : « عليك » .
(٦) هو أبو نزار ، الحسن بن صافي (٥٦٨) ، البغية : ٥٠٤/١ .
(٧) في الأصل : « بجناحه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

ويَصْدُق حتى لا يقال ضرب زيدٌ عَمراً ، ويَعْدِلُ حتى لا يشتم خالدٌ بكراً ، مع بساتين فنون أُخَر تهتز بنسمات السَّحر عَذَباتُ أفنانها ، ويقول حاسدها : آه ، فتُشْبه ألفه في العِظم قُدودَ نخلها ، وهاؤه ثَمَرَ رُمّانها .

ثمَّ فكَّرت أن[١] كتابه الشريف آمنني النُّوَب ، وخصَّني بالنّوبة الخليليّة[٢] من بين النُّوب ، وكفاني مواثبةَ العكس والطَّرد ، وأولاني مناسبةَ الغَرس للوَرْد ، فترددت هل أفعل أو لا ، ثم ظهر لي أن امتثال المرسوم أولى ، وجسَّرني على ذلك مرسوم شيخ الأدب ورحلته ، ورُكنِه الأعظم وقبلتِه ، شيخنا الفذ جمال الدين بن نباته ، فسح الله في مدَّته وأبقى حياته ، الذي إن نثر جعل اللجين إبريزاً بحسن[٣] السَّبك ، وإن نظم قال نظمه : لقرينتيه الحسن والقبول : قفا نضحك مِن « قِفا نبكِ » . لا جرم أنّا من بحره الحلو نغترف ، وبالتقاط جواهره التي زان بها مفارق [طرق][٤] البلاغة نعترف ، فأطعت إذَن أمره طالباً صفحه وستره ، وقلت : لقد بدأتني أعزك الله بما كنت أنا به أحرى ، وكلَّفتني شططاً فتلوت : ﴿ سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ صابراً ولا أعْصِي لَكَ أمْراً ﴾[٥] ، وها قد أجزت لك متطفلاً عليك ، وأذنت لك متوسِّلاً إليك ، أن تروي عني ما يجوز لي روايته وإسماعه ، ليتصل بك فيما اتصل بك ما أُمِن انقطاعه ، من منقول ومقول ، وفروع وأصول ، ونثر ونظم وأدب وعلم وشرح وتأليف وبسط[٦] وتصنيف بشرطه المضبوط ، وضبطه المشروط .

أما مصنَّفاتي الشاهدة عليَّ بقصور الباع ، ومؤلَّفاتي المشيرة إليَّ بقلّة الاطِّلاع ، فمنها في الفقه : (البَهْجَة الورديَّة) في نظم (الحاوي) ، و (فوائد فقهيّة) منظومة .

---

(١) (أ) ، (ق) : « في أنَّ » .

(٢) في الأصل : « الجليلة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) في الأصل : « حسن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) سورة الكهف : ٦٩/١٨ .

(٦) (أ) ، (ق) : « وبسيط » .

ومنها في النَّحو : (شرح ألفيّة ابن مالك) ، و (ضوء الدرّة على ألفيّة ابن مُعْط) ، و (قصيدة اللباب في علم الإعراب) ، و (شرحها) ، و (اختصار ملحة الإعراب) نظماً ، و (تذكرة[١] الغريب) نظماً وشرحها .

ومنها في الفرائض : (الرسائل[٢] المهذَّبة في المسائل الملقَّبة) .

ومنها في الشعر والأدبيات : (أبكار الأفكار) .

ومنها في غير ذلك : ([تتمّة][٣] المختصر في أخبار البشر) ، اختصار تاريخ حماة[٤] ، و (الذَّيل) عليه[٥] ، والتَّتمات في أثنائه .

و (أرجوزة في تعبير المنامات)[٦] ، خمس مئة بيت .

و (أرجوزة في خواصّ الأحجار والجواهر) ، و (منطق الطير) ، نظماً ونثراً ، فيه نوعُ أدبٍ تصوفي ، وما لا يحضرني الآن ذِكْرُه ، وكان الأولى[٧] سترُه .

أجزت لك ـ أيَّدك الله ـ رواية الجميع عنّي بأفضالك ، ورواية ما أدوِّنه وأجمعه من ذلك حسبما اقترحَهُ خاطرك العزيز واستوجبْتَ به مَدْحي ، فأنا المادِحُ وأنا المُجيز .

---

(١) في الفوات : « ومذكّرة » .

(٢) في الأصل و (أ) و (ق) : « الوسائل » ، وأثبتنا ما في (ط) والدرر ، والكشف : ٩٠٢/١ ، وفي الفوات : « المسائل المذهبة » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) في (أ) ، (ق) : « صاحب حماة » .

(٥) عبارة (أ) ، (ق) : « مع التذييل عليه » .

(٦) في (أ) ، (ق) ، (ط) ، زيادة : « نظماً » .

(٧) في (أ) ، (ق) ، زيادة : « بي » .

قالهُ وكتبهُ عمر بن مظفر في العشر الأوّل من شعبان[١] سنة أربعين وسبع مئة .

وكتب بخطّه تضمين أنصاف أبيات (ملحة الإعراب) ، وهي في غاية الْحُسْن ، وهي ستة وستون بيتاً ، وقد أثبتّها بكمالها في ترجمته في (تاريخي الكبير) .

وكتب بخطِّه [تضمين][٢] :

يا ساهر البرق أيقظ راقدَ السَمُر[٣]

لأبي العلاء المعرّي في مديح سيدنا رسول الله ﷺ[٤] ، وهي في إجازته في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) التي لي .

وكتب أيضاً بخطِّه مفاخَرةً له نثراً بين السيف والقلم وجَوّدها ، وكتبَ بخطِّه أيضاً مقاطيع كثيرة وهي[٥] في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) لي[٦] ، وأثبت له شيئاً كثيراً من نظمهِ في (التذكرة) التي لي ، وهو مفرّق في أجزائها .

ومن مصنفاته (الكلامُ على مئة غلام)كتبته جميعه بخطِّي ، وهو في الجزء الثاني والثلاثين من (التذكرة) ، و (الكواكب السّارِيَة في مئة جارية) ، كتبته جميعه بخطِّي أيضاً ، وهو في الجزء الثالث والثلاثين من (التذكرة) ، وله أحاجي[٧] نحويّة على حروف المعجم وهي قال :

---

(١) (أ) ، (ق) : « شعبان المبارك » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) صدر بيت لأبي العلاء ، عجزه : لعل بالجزع أعوانا على السهر . سقط الزند ١١٣/١ .

(٤) ظاهر كلامه يوهم أن قصيدة المعري في مدح الرسول عليه السلام ، وليس كذلك ؛ إلاّ أنّ ابن الوردي شطرها وحرف معناها إلى المدح النبوي .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) ليست في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٧) كذا في الأصول .

أ
- يـــــا مَن حـــــاجى ● في الأسماء
- اطرَح حرفـــــــاً ● بعـــــد التـــــاء القِثّا

ـ وقال :

ب
- يـــا مَن أحـــاجيـــه تُغْني ● عَنْ فِطْنَـــــــةِ المتنبي
- إن كانَ عنـــــــدكَ فهمٌ ● مثِّـــلْ لنـــا طُـــول جُبّ مَدابير

ـ وقال :

ت
- يـــا فـــاضـلاً قـــد صَلُحت ● للعـــــالمين نيتُـــــهْ
- اطْرَحْ رِتـــاجـــاً مـــا تُرى ● يـــا سيّـــدي أحجيّتُـــه القباب

ـ وقال :

ث
- يـــا من يفـوق البرايـــا ● في بحثـــــه حين يَبْحَثْ
- مثّـــــل ولا تَتَـــــوَقّف ● قـــــولي تـــــلا مُتلبَّث قراقِفْ

ـ وقال :

ج
- قـــولـــوا لربِّ الحجى ● والـــواضـــحِ المنهـــجِ
- مثّـــل لنـــا مُسْرعـــاً ● في القـــــول رزقي نجي قسميَّات

ـ وقال :

ح
- أنتَ يـــا كامـــلَ الحجى ● والكـــلامِ المصحّـــحِ

● قـــولي: الطَّرْفُ مُلكـــــه ● هـــاتِ ليْ مِثْلَـــهُ اشْرَحِ الإنالة

ـ وقال :

خ ● يـا فـاضـلاً في الأحـاجي ● مـا إن لـــه من مـؤاخي
● نُـــوْرٌ لآيـــــة حَرْث ● مَثَـــــــــلْ بغير تراخِ سنانير

ـ وقال :

د ● يـــا إمَـــامَـــاً تـــوقّى ● وليَّ كلِّ مِعَـــــــــاد
● مـــــا نظيرٌ لقـــــولي ● بـــــاع أرضَ سَـــوَاد شراريف

ـ وقال :

ذ ● يـــــا من حـــــاجى ● وُقِّيتَ أذَى
● مثّـــــل قـــــولي ● تَعِبٌ جُبـــــــــذَا عناقيد

ـ وقال :

ر ● يـا من أحـاجيـــه أُعْيَتْ ● ذِهْنَ الصـــدور الكبـــار
● مـــا مِثْـلُ قَـوْلي لشَخْص ● حَـاجَيْتُـه «رِطـلُ قـار» مناقير

ـ وقال :

ز ● يـــا سَيِّـــداً أَلْفـــاظـــهُ ● لكلِّ معنىً حـــــائـــزه

● مثّـــل لنـــــا ولا تقف ● ألف وألفٌ جـــــائـــزه
الفاصلة

ـ وقال :

س ● يـا من لـه بين الـوَرَى رُتْبَـةٌ ● مَعْرُوفـــة تُـومِنُ تلبيسَـــه
● مَثّـل لنـا أمْرَ امْرِئٍ حـاضرٍ ● بـــأنّـــه يُشْغِـلُ نقريســـه
الهدايَة

ـ وقال :

ش ● يـــــا تـــــاجراً في العِلمِ لا ● في الملهيـــات ولا القِمَـــاش
● مَثِّـل لنـــا بُخْـلاً بَمـــا ● إن شئت أو أقصى عطـــاش
دراهيم

ـ وقال :

ص ● يـــا فـــاضـلاً يُرجى لـــه ● من ربِّـــهِ حُسْنُ الْخَـلاص
● مثِّـل لَنَـــا في سُرْعـــة ● تعب المسن من القِـــلاص
عنانيب

ـ وقال :

ض ● يـــــا من أَبَـــــان الـ ● ـمعنى وفَضَّـــــــــــه
● مَثّـلْ لنـــا سريعـــاً ● أَهْمـــــلَ فِضَّـــــــه
أبارقه

ـ وقال :

ط ● يـــــا من لثَغْر العُـــلاَ ● والعلم أضحى يَحُـــــوط

● إنْ كُنْتَ ذا فطنـــــــــة ● مـــا مِثْـــل أحبب قَنُـــوط
مقياس

ـ وقال :

ظ ● يـا إمـامـاً في الأَحَـاجي ● زانـــــه فهمٌ وحِفْـــــظُ
● مثّـــل الآن سريعـــــاً ● آلـــةُ التعريف لَفْـــظُ
الكلمة

ـ وقال :

ع ● يـــا سيـــداً فيـــه بِشْرٌ[1] ● للبـــائس المتـــوجـــع
● إن كنت تـدري الأحـاجي ● فـا مثـال ارجـع ارجـع
هدهد

ـ وقال :

غ ● يـــــا سيّـــــداً ذكاؤه ● قـــد أَعْجَـزَ الْمُبَـالغـــا
● مثّـــل لنـــــا ولا تقف ● اطلب شرابـاً ســائغـــا
سَلْمى

ـ وقال :

ف ● يـــــا سَيِّـــــداً ذكاؤه ● والفهم أعيـــــا من يصف
● كن نـــاهبـــاً وَواهبـــاً ● مثّـــل لنـــــا ولا تقف
سَلْهب

ـ وقال :

---

(١) (أ) ، (ق) : « برّ » .

ق
- يـامَنْ لـه فَضْلٌ يَمُتُّ بـهِ ● وبـــهِ يُرَجّى الجَمْعُ للفرَق
- مثـل لنـا إنْ كُنْتَ ذا فطن ● مَـا مِثْل أهْمِلْ مَـا على العَنَـقِ الغراس

ـ وقال :

ك
- يـــا فـــاضـــلاً في الله ● أضحى أخـــذهُ وتركـــه
- مثّـل لنـــا بسرعـــة ● مرتفعـــات[1] ملكُـــه الزُبَالَه

ـ وقال :

ل
- يـــا سيّـــداً ألفـــاظُـــهُ ● تجـــلّ عَنْ مُمَـــاثِـــل
- مثّـل لنـــا بسُرْعَـــةٍ ● عَشْرُ مئـــات فـــاضـــل الفراسخ

ـ وقال :

م
- يـــامَنْ لـــه في المعـــالي ● والفضـــل أيّ كرامـــه
- مثّـل لنـــا ولا تتـــوقف ● نظير عَلَّمْ عـــلاّمَـــهْ سمسمه

ـ وقال :

ن
- يـــاشهماً ذكيـــاً ● بـــالآداب مـــلآن
- مثّـــل لي سريعـــاً ● أحْبِب غَيْرَ غَضْبـــان مقراض

(١) (أ) ، (ق) : « مَثَّل لنا الأماكن والمرتفعات » .

ـ وقال :

هـ
● يـــا شـــارِحِ المعميّـــا ● ت وجهـــه ووجههـــا
● ذو لحيـــــــة كبيرة ● ملـك لـه [مـا][1] شِبْهُهَـا
الحاله

ـ وقال :

و
● يـــا مَنْ حَـوى مِنْ فَهْمـه ● وعِلْمِـهِ مـا قَـدْ حَـوَى
● مثّـل لنـا إذ كنت مـا ● ذكرتـــه ظهر هـــوى
مَطاريح

ـ وقال :

لا
● يـــا سَيّـــداً بفَضْلِـــهِ ● أصْبَـــح حبراً كامـــلاً
● مثّـل لمـا في الـوقت مَـا ● رادف أطعِم عَـــامِـــلاَ
منوال

ـ وقال :

ي
● يـــا سيـــداً في الأحـــاجي ● لـــه كمال رَوِيَّـــه
● مَثّـل[2] فـداك المعـادي ● والضـــدّ رَبٌّ عطيّـــه
ذاهبه

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « مثل لنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

ولما وقفت له على كتابه (الكلام على مئة غلام) عند القاضي الرئيس بهاء[١] الدين حسن بن ريّان ، وَجَدت غالبهُ مِنْ نَظْمي في (الحسن الصريح في مئة مَليح) وكان ذلك عقيب قدومي من القاهرة فقلت له : يا مولانا اكتب إليه ، وقل له : قد وقع صاحب العَمْلة بها وعَرَفها . فكتب إليه وعَرّفهُ المقصود ، فغيّر فيها أشياء [فلهذا تُرَى نسختين ثمّ وقفت له على أشياء][٢] في غير ما نوع قد اغتصبها واختلسها[٣] ، فكتبت إليه رحمه الله تعالى :

ـ أغَرْتَ على أبكار فكري ولم أَغَرْ ... عليها فلا تجزع فما أنا واجِدُ
ولو غَيْرُ مولاي استباح حجابَها ... أتتْه من العتب الأليم قصائدُ
قواطع لا تحميه دَرْعُ اعتذارِها ... وألْسُنُها عنه الخصام مَبَاردُ
ولكنّه لا فَرْقَ بيني وبينه ... يَبينُ لأنّا في الحقيقة واحدُ

فكتب هو الجواب إليّ وأجاد :

وأسْرَقُ ما أرَدْتُ مِنَ الْمَعاني ... فإنْ فُقْتُ القَديمَ حَمَدْتُ سَيْري
وإن ساوَيْتُه نَظْماً فحَسْبي ... مساواةُ القديم فذا لخيري
وإن كانَ القديمُ أتمَّ مَعْنىً ... فهذا مَبْلغي ومطارُ طيري
فإنّ الدرهم المضروبَ باسمي ... أحبُّ إليَّ مِن دِينارِ غَيْري

كان ـ رحمه الله تعالى وسامحهُ ـ لمّا سمع[٤] قولي :

اترك هَوَى الأتراك إن شئت أنْ ... لا تُبتلَى فيهم بهَمٍّ وضَيْرِ

---

(١) في الأصل : « شهاب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٣) قال صاحب الدرر : « وذكر الصفدي في أعيان العصر أنه اختلس معاني شعره ، وأنشد في ذلك شيئاً كثيراً ، ولم يأت بدليل على أن ابن الوردي هو المختلس ؛ بل المتبادر إلى الذهن عكس ذلك » .
(٤) (أ) ، (ق) : « لما وقع على » .

ولا ترجّي الجـــــودَ مِنْ وصلهم مـــا ضـــاقت الأعين منهم لخيرِ

قال هو ـ رحمه الله ـ مختصراً :

سَـــل الله رَبّـــك مِنْ فضلـــهِ إذا عرضت حـــاجـــةٌ مُقْلِقَـــهْ
ولا تقصـــد التَّرْكَ في حـــاجـــةٍ فـــأعينهم أَعْيُنٌ ضيِّقـــه

ولّما سمع قولي :

ركبتُ في البحر يوماً مع أخي أدبٍ فقـــال دَعْني مِنْ قـــالٍ ومن قيـــل
شرحتَ يا بَحْرُ صدري اليوم قلت لهُ لا تنكر، الشرحُ يـــا نحـــويّ للنيلي[1]

فقال هو ـ رحمه الله تعالى ـ وزاد :

ديـارُ مصر هي الـدنيـا وسـاكنهـا هم الأنـــام فقـــابلْهُم بتقبيـــل
يـــا مَنْ يُبـــاهي ببغـــداد ودِجْلَتهـــا مصرٌ مُقَـــدَّمـــة والشرح للنيلي

ولما سمع قولي :

كـــؤوس المـــدام تُحِبُّ الصَّفَـــا فكن لتصـــاويرهـــا مُبْطـــلا
ودَعْهَـــا ســـواذجَ مِنْ نَقْشِهـــا فـــأحْسَنُ مـــا ذُهِّبَتْ بـــالطِّلا

قال هو ـ رحمه الله تعالى ـ ونقّص :

أَحْسَن مـــا كانت كـــؤوسُ الطـــلا ســـاذجـــةً يبـــدو بهـــا الخـــافي
فـــالنقش نقصٌ ومن الرأي أن ترتشف الصـــافي من الصـــافي

وقال رحمه الله تعالى [أيضاً مختصراً] :

دع الكأس مِنْ نَقْشهـــا فصـــافٍ بصـــافٍ أحبْ

---

(١) إبراهيم بن الحسين بن عبد الله ، من شراح الكافية . مفتاح السعادة : ١٨٦/١ .

إذا ذُهبت بـــــالطـــــلا فقـــد طُليتَ بـــالـــذَّهَبْ

ولمّا سمع قولي :

انهض إلى الربـــوة مُستَمتعـــاً تجـــد من اللّـــذات مـــا يكفي
فـــالطير قـــد غنّى على عـــودهِ في الروضِ بين الجنـــك والـــدفّ

ـ قال رحمه الله تعالى :

دمشـق قـل مـا شئتَ في حُسْنهـا واحـــكِ عن الربـوةِ مـــا تحكي
فـــالطير قَـــدْ غنّى على عَـودِهِ وزفّهـــا بـــالـــدفّ والجنـــكِ

قلت : كذا وَجَدْتُه قال ، وفيه فساد ، وهو أنه أضاف الدفّ إلى الربوة والمشهور بين الناس إضافة الجنك إلى الربوة ، فما يُقال إلاّ جنك الربوةِ ، وما يُقالُ : دفّ الربوة . وإن كان هناك دفوف كثيرة فإنّ المشهور مَا قلتـه ، وقد أخذ المعنى بكمـاله ، ونصف البيت الأول من الثاني بلفظه ، وهذه مُصالَتَة[1] ، عفا الله عنه .

ولما سمع قولي :

تـــزوّج الشيـــخ بتركيّـــة تضمّ فيَ الغُرْبَـــة أطرافَـــهْ[2]
كأنّهـــا مِنْ حُسْنِهـــا شَمْعـــةٌ وهي على العُشّـــاقِ طـــوّافَـــه

وقولي في مُخيّلة :

نقّط خـدّي الـدمع عشقـاً وقـد قـــامت إلى الرقص خيَـــاليَّـــهْ
فمـــا رأت عيني لهـــا مُشْبِهـــاً مِصريّـــة في ضَـوْء شـــاميّـــه

جمع هو المقصدين في مقطوع واحد فقال :

---

(١) أي : سرقة .

(٢) في الأصل : « الغربة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

جـاءتـك في طيف خيـال حكت ... خيـال طيف هَـزَّ أعطـافَـهْ
مصريّـة في ضـوء شـاميّـة ... يـا حَيْنَ ذي الشعـة طـوّافَـهْ[1]

ولّما سمع قولي :

ومَليـح طرازُ كُمَيّـه أضحى ... مثـلَ خـطِّ العِـذار في حُسْن رَقْم
قـال قلت الظبـاءُ مثلي ومَـا عَـا ... زت ظبـاء الفلا سوى طرز كميّ[2]

وقولي أيضاً ـ وفيه تضمين :

ضَمَمْتُ مُعَـذّبي لّمـا أتـاني ... ورَقْمُ عـذارهُ قـد راقَ عيني[3]
فيـا طرزَيْـه هـل يُـدني زمـاني ... «ليـالي وصلِنـا بـالرقمتين»

جمعها وقال :

طرز قبـاء مِحْنَتي ... كخـدّهِ ورقمـهِ
مـا أعـوزت منـه الظبـا ... إلاّ طراز كمّـه

ولما سمعَ قولي :

عجبـاً لـزهر اللـوز حينَ يُلُوحُ والـ ... أوْرَاق إذ تُجلى على نُظّـارهِ
عكسَ القضيـة في الـورى فمشيبُـهُ ... يبيضُّ من قَبْـل اخضرار عـذارهِ

قال[4] رحمه الله تعالى :

أشجـار لـوزٍ تنـادي ... أمري على الْخُلَفِ جـاري
بعـد اشتعـالي مشيبـاً ... يخضرّ منّي عـذاري

---

(١) (أ) ، (ق) : « في نور » .
(٢) في الأصل و (ط) : « عاز » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) ؛ « ورقم طرازه » ، وهي أشبه .
(٤) (أ) ، (ق) : « قال هو » .

قلت : قوله[١] أخصر ، لكنه أبتر ، وقولي أنا أكمل وأجمل ، وقولي « عكس القضية » أكثر في الاستعمال من قوله « أمري على الخَلْق جارٍ » .

ولّما سمع قولي :

أسائِلُ عن أرضٍ ألفتُ ربوعها ... وفيها حبيبٌ نلتُ منهُ مرادي
فقالوا متى تُظلمِ جلاها بوجههِ ... فقلت أنا أدْرَى بشَمْسِ بِلادي

قال هو مختصراً :

ما الشمس عندي على ما ... زعمتم يا أعادي
دعوه عنكم فإني ... أدْرَى بشمس بلادي

ولما سمع قولي في مليح أمير[٢] :

هذا المليحُ المفدّى ... قَلْبُ المعنَّى أسيرُهْ
يقول من بات ضيفي ... عشقاً فإني أميرُهْ

قال هو رحمه الله تعالى :

أقولُ لبدرٍ سائر بين أنجم ... أأنت أمير المصر قالَ أميرُهْ
فقلت إذا مات الكرامُ بأسرهم ... أأنت تمير الوفد قال أميرهْ

ولّما سمع قولي في [مليح][٣] فقير :

فقير غَنِيْتُ به في الهوى ... إذا ما بدا عن محيّا البدور
وَأصبح وجدي كثيراً به ... على أنه قد غدا بالفقيري

---

(١) (أ) ، (ق) : « قوله هو » .
(٢) (أ) ، (ق) ، (ط) : « الأمير » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

قال هو مختصراً :

بي فقير كغنيّ بسنـــا[1] وجـــهٍ منير
لا تلمني في افتضـــاحي فغَرامي بـــالفقيري

ولّما سمع قولي في مليح ناسخ :

بُليت بنـاسخ كالبـدر حسنـاً لـه خصر طَفـا والردف راسخ
برى جسمي ضنـا إذ قَـطّ قلبي وأصبح للجفا بـالوَصل نـاسخ[2]

قال هو مختصراً :

نـاسـخ راسـخ الروَا دفِ والخَصْر قـد طَفَـا
قـد بَرى الجِسمِ عنـدمـا نسـخَ الـوصـل بـالجفـا

قلت : أخذ المعنى واللفظ بعينها واختصره لكنه مَحَقَه ، فإنه مَا ذكر القط وهذا ظاهر .

ولّما سمع قولي :

لئن سمـحَ الـدهر البخيـل بقربكم وسكّنَ منّـا أنفسـاً وخـواطرا
جعلنا ابتـذال النفس شكرانَ وصلِكم وقلنـا لـدمع العين تعمـل مـا جرى

نقله فقال في مليح فقير :

وبي فقير أدْمُعي تعمـل فيـه مـا جَرى
إن قُلْتُ قَـدْ سَلَبْتَني يقـول شُغْـلُ الفُقَرا

---

(١) (أ) ، (ق) : « لسنا » .
(٢) (أ) ، (ق) : « بالجفا » .

ولّما سمع قولي :

يقـولُ لَمّـــا قُلْتُ هـــذا اللّمى ... أسكرتني لَمّـــا ترشفتُ فَـــاك
ســـواك مـــا ذاق لمى مبسمي ... أستغفر الله ذكرْتُ السِّـــواك

نقله هو فقال :

قـــالت ونـــاوَلْتُهـــا سِـوَاكا ... ســـادَ بفيهـــا على الأراك
ســـواي مـــا ذاق طعم ريقي ... قُلْتُ بلى ذاقَـــه ســـواكي

ولّما سمع قولي :

مَرّ على حبّي نسيمُ الصّبـــا ... فقـــال لي في بعض أقـوالِـــه
مـــالي في زهر الربـــا عَبْرة ... مـــذ تمسّكت بـــأذيـــالـــهِ

نقله هو فقال :

ضَمَمْتهـــا عنـــد اللقـــا ضَمَّـــةً ... منعشـــة للكَلِفِ الهـــالِـــكِ
قـــالت تمسكت وإلا فمـــا ... هـذا الشـذا قلت بـأذيـالـكِ

ولما سمع قولي في قيّم حمّام :

بـلاّنُ حمـامنـا [لـه][1] نَظَر ... يحـــار في حسن وصفـــه الفِكَر
عينـاه مـوسى ونَبْت عـارضـه ... لـــه مسن وقلبـــه حَجَر

قال هو ـ رحمه الله تعالى ـ مواليًا :

حمّـامكم فيـــه قيّم منظر ويسبي ... غسلني بـالـدمع ثم أنشـد كـذا صبّي
جعـل مسنّـو وموسـو والحجر نَصْبي ... قـال ذا عِـذاري وذا طَرفي وذا قلبي

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

ولّما سمع قولي :

المقلـــة السـوداء أجفـــانُهـــا ترشـق في وسـط فـؤادي النبـال
وتقطـــع الطرق على سلـــوتي حتّى حَسِبْنـا في السـويداء رجـال

قال هو ولكنه حوّل معناه :

من قـــال بـــالمرد فـــإني امرؤٌ إلى النســـاء ميلي ذوات الْجِمال
مـا في سـويـدا القلب إلا النسـا ما حيلتي ما في السويدا رجال[1]

ولّما سمع قولي مضمّناً :

مليـح يخـــاف على حسنـــهِ فينتف منـــه عِـــذَاراً سَرَحْ
فقلت لـه خـلٌ هـذا الخيـال ومُـدَّ الشّبـاك وصِـدْ مَنْ سَنَـحْ

قال ونقل المعنى إلى صيّاد :

لـو جنـة صيّـادكم نسخـة حريريّـة مُلحَـة الْمُلَـحْ
تقـول لنبت العـذار اجتهـد ومُـدّ الشبـاك وصِـدْ من سنـح

ولّما سمع قولي :

بِتْنَـا ومـا نُقْلُنـا سـوى قُبَـلٍ وريـقٌ فيهـا السـلاف مشروبي
نمنـا ومَـا نمّت الـوُشـاة بنـا لـولا فضـولُ الحِليّ والطّيبِ

قال هو :

زارَتْ على يَـاسِي لِطَيْفِ خَيـالِهـا يـا دَهْرُ مـا بَقِيَتْ عليـك ذُنـوبُ
فركبت أخطـار الهـوى في وصلهـا والطيب واشٍ والحليّ رقيب

(١) (أ) ، (ق) : « ما في سويدائي إلاّ النّسا » .

ولّما وقفت أنا على قولهِ :

أَخَـــذْتَ عني بـــديـلا وذا دليـل بـــأنـــك
تمرُّ بي لستَ تَلْـــــوِي عليّ حتى كأنّـــــك
فلستَ تحسن هجري ولستُ أهجرُ حُسْنَـــك
ولَيْس[1] يُـوْزَنُ وجـــدي وليس يـوجـد وَزنـــك

قلت : الذي يسلك هذه الطريق السهلة العذبة المنسجمة التي ليس فيها غريب لغة ولا غريب إعْراب ، ولا تقديم ولا تأخير ، ولا حذف ولا تقدير ، ما يأتي بهذا الإعراب الذي نحتاج أن نقدّر له نيابة المصدر المحذوف ، وهو يتشبّه بطريق البهاء زهير ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك ليس في شعره تكلّف ، بل قولٌ مطبوع غير متطبّع ، ولا عنده تكلّف في إعراب ولا حوشي لغة . وقد قلت أنا في ذلك :

لقـــد أضعفني حـــزني وضاعفَ خالقي حُسْنَـك
فهـا أنـا لم أَزِنْ وجـدي لأني لم أَجِـدْ وزنـــك

وصاحب الذوق السليم يحكم بيني وبينه في هذا رحمه الله تعالى .

وأنشدني لنفسهِ إجازة ، وجوّدهُ مضمّناً :

مليـحٌ خَصْرُه والردفُ منـــهُ[2] كبُنيـــانِ القصـــور على الثلـوج
خُـذُوا من خَـدّه القـاني نصيبـاً «فقـد عَـزَمَ الغريبُ على الخروج »

[وأنشدني له أيضاً :

جنَّبْتني وأخي تكاليفَ الشقـــا[3] وشَفَيْتَنـا في الـدهر مِن خَطَرَينْ

(١) في الأصل : و « ليست » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) في الفوات : « مليح زفه والساق منه » .
(٣) في الفوات : « القضا » .

يـــا حيّ عـــالمِ دهرنـــا أحييتنـــا فلـــك التحكم في دم الأخـوين][1]

وأنشدني له أيضاً :

قُلْتُ وقـــد عـــانَقْتُـــه عنـدي من الصبح فَلَـق[2]
قـــال وهـــل يحســـدنـــا قلتُ نعم قـــــال انفلَـــقْ

وأنشدني له وجَوّدَهُ :

جَبَرْتِ يـا عـــائـــدتي بـــالصّلَـــه فتّمي الإحســـان تنفي الـولَـــهْ
وهـــــذهِ قـــــد حُسِبَتْ زَوْرَةً لم أنت يـــالعُبـــةً مستعجلَـــهْ[3]

وأنشدني له أيضاً :

بـــالله يـــا معشر أصحـــابي اغتنمـــــــوا فضلي[4] وآدابي
فـالشيب قـد حَلَّ برأسي وقـد أقسم مـــــا يرحـــل إلاّ بي

وأنشدني له أيضاً :

لا تقصـــــد القـــاضي إذا أدبَرَتْ دنيـاك واطلب[5] مِنْ جَـوادٍ كريم
كيف ترجّى الجـود[6] مِنْ عنـد من يُفتي بـــأن الفلس مـــالٌ عظيم

وأنشدني له أيضاً :

رامت وصـالي فقلت لي شُغْـلٌ عن كل خَـوْد تُريـد تلقـاني
قـالت كأن الخـدودَ كاسِـدَةٌ قلت كثيراً لقلـــةِ القـــاني

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « قلق » .
(٣) في الفوات : « مالك بالفيأة مستعجلة » .
(٤) في الفوات : « علمي » .
(٥) (أ) ، (ق) والفوات : « واقصد » .
(٦) (أ) ، (ق) والفوات : « الرزق » .

وأنشدني له أيضاً :

وكنت إذا رأيتُ ولـــو عجـــوزاً يبـــادر بـــالقيـــام على الحَراره
فـــأضحى لا يقـــوم لبـــدرٍ تَمٍّ كأن النّحسَ قـــد عُطيَ الـــوزاره[1]

وأنشدني له أيضاً :

قلت لنحـــويّ إذا عُرِضـــا لـــه بـــأوقـــات الرضـــا أعرَضـــا
يـــا حيث لو أصبح بـــاب الرضى كيف لمـــا كنت كأمسِ مضى

قلت : يريد يا[2] مضموماً عنّي لو أصبح باب الرضى مفتوحاً لما كنتُ مَكسوراً .

وأنشدني له أيضاً :

لمّـــا رأى الـــزهر الشقيـــق انثنى منهـــزمـــاً لم يستطـــع لمحَـــهُ
وقـــال : من جـــاء ؟ فقلنـــا لـــهُ : «جاء شقيق عـــارضـــاً رُمْحَـــهُ»[3]

وأنشدني له أيضاً :

دهرنـــا أمسى ضنينـــا بـــاللّقـــا حتّى ضِنينـــا
يـــا ليـــالي الـوَصـل عـودي واجْمعينـــا أَجْمعينـــا

وأنشدني له أيضاً :

إنّي عـــدمت صَـــديقـــاً قـــد كان يَعْرِفُ قـــدري
دعني لقلبي ودمعي عليـــــــه أحرق وأذْرِي

(١) في الفوات : « فأصبح » . وفيه وفي (أ) ، (ق) : « ولي الوزارة » .
(٢) (أ) ، (ق) : « ما » .
(٣) في عجزه صدر بيت حجل بن نضلة أحد بني عمرو بن عبد قيس ، وهو :
جـــاء شقيـــق عـــارضـــاً رمحـــه إن بني عـــــك فيهم رمـــــاح
معاهد التنصيص : ٧٢/١ .

وأنشدني إجَازة لَه :

رأيت في الفقه سؤالاً حَسنا ... فرعاً على أصلين قد تفرّعَا
قابض شيء برضا مالكه ... ويَضْمَن القيمةَ والمِثْلَ معَا

قلت : يتصوّر في صور منها الْمُحْرِم يستعير صيداً من غيره فيتلف في يدهِ فتلزمهُ القيمة لمالكه والمثل جزاءً لله تعالى .

أنشدني إجازة ، ونقلته من خطّه يمدح الشيخ الإمام العلاّمة قاضي القضاة كال الدين محمد بن الزملكاني رحمها الله تعالى :

هُنِّيتَ عاماً مُقْبِلاً مُقْبِلا ... عليك بالسعد وعيشٍ حَلا
مولاي يا مَنْ قلبه راحم ... وهو أحق الناس أن يَعْدِلا
محبتي مُوْجبة للثوى ... وحاجتي تَقْضي بأن أرحلا[1]
حسبت في أيامكم رفعَةً ... وما خشيت الدهر أن أنزلا
وقلتُ من يرضى خمولي إذن ... فكنت أنتَ المحسنَ الْمُجْمِلا
فليتكم أبقيتموني كما ... قد كنتُ من قبلكم الأوّلا
أتقنتُ باب البيع والصرف في الـ ... ـشهْبَا وما دافع باب الوَلا
ثم متى أغفلتني بعد ذا ... شرعت في التفليس مستبدلا
ما أنسَ لا أنسَ رسولاً أتى ... بنقلتي لا أعدم المُرسلا
قلت رسولي رُمْت جرِّي إلى ... منبج ماذا أنت «مِن» أو «إلى»
قال أنا «من» قلت لا إنَّ «مِنْ» ... للابتدا أنت كذا ؟قالَ: لا
أنا «إلى» قلتُ «إلى» نعمةٌ ... واحدةُ الآلاء عند الملا
أين هي النعمة في قاطع ... بقربهِ ما حُقَّ أن يوصلا
فقال ما سميتني هات قل ... واحذر عن التعليل أن تذهلا

---

(١) (أ) ، (ق) : « وحالتي » .

قلت لـــه جئت بنفي عن الـ ـجنس فحـقٌ أن نسميـك «لا»
قلتُ انصرف قـال انصرافي على مـذهب أهـل النحـو لن يَجْمُـلا
فـالعَدْلُ والتعريفُ عنـدي ولي منزلـــةٌ في النحـو لن تُجْهَـلا
قـــال أضفنـــاك إلى مَنْبـج فَحُـــقّ أن تُصْرف مسترســـلا
قلت بـلادي ربعهـــا عـــامرٌ ومنبـج ربعَهـــا قـــد خـلا
قـال اسمك المعدول عن عـامر قضى عن العـــامر أن تُعْـــدَلا

وأنشدني [له][1] إجازة ومن خطّهِ ، نقلتُ موشحة فائقة :

مـذهبي ● حبٌّ رشاً ذي جَسَد مُـذْهَب ●قَدْحُبِي ● حُسْناً به يستعذبُ القَدْحُ بي
● عـــاذلا ● مـــا أنتَ فيما قلتـــه ● عـــادِلا
● ســائـلا ● يُخْبِرْكَ دمعٌ قد همى ● ســائـلا
● آهِ لا ● تعـذلْ فما قلبي لـذا ● آهـــلا

منصبي ● والعقـــل أذهبتها مِن صَبي ● مَارُبي ● إلا وقـد رُبِيَ بـه مَـارَبي
● مـانسي ● زمـان طيب الـوصـل في مَـانسي
● والمسي ● رُقيّبي بـــــــــالكفّ لم ألمِس
● جـانِسي ● حـزني فـــألْفِي كلّما جَـــا نِسي

وَارْق بي ● يا طرفُ سهداً والنجوم ارقبِ ●واشنَ بي ● من لم يهم في ثغرٍ أشنب
● رقّ مـــا ● في خـــدّهِ الـوردي[2] قـد رقَـــا
● عنـدمـا ● رأيت دمعي للجفـــا عَنْـــدَمَـــا
● ضرّ مـــا ● في مهجتي من هجره ضَرَّمَـــــــا

مِنْ أبي ● يأبَى الرضـا نلتُ الجفـا مِنْ أبي ●فارعَ بي ● رضـاه يـا قلبي وتـــه وارعَبِ
● مَنْ صَـلا ● لي فَخَّـــهُ بـل من نضـالي منْصُـلا

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) ليست في (أ) .

● بَلْبَـــلا ● فـؤاد مضنـــاه هـوىً بـل بـلا
● أوْ وَلا ● مـــــــــــــلازمٌ آخرهُ الأوّلا

فَـانْـهَ بي ● غيري ولـــذات الغرام انهب ● والهُ بي ● عن[1] عذلٍ بل يا حشاي الْهَبِ

وفي هـذه الموشحـة كَرَّرَ في القـافيـة لفظـة (بي) في مواضع ، وهو إيطـاءٌ ، لكن يغتفر للحلا[2] .

١٣٠٢ ـ عُمر بن ناصر بن نصّار العُرَضي*

جمـال الـدين ، الكاتب الشـاعر ، توفيَ في شهر رمضـان سنـة تسـع وتسعين وست مئة .

ومن شعرهِ : .....[3]

١٣٠٣ ـ عُمر بن يوسف**

الصدر الرئيس الماجدُ القاضي زين الدين أبو حفص بن أبي السَّفَّاح الحلبي .

كان ركنَ رئاسه ، وطَوْدَ سيَادَةٍ وسياسَه ، تردّى بالمكارم والإحسان ، وكان حَرَيّاً وحَقيقاً بلفظ الإنسان ، يخدم الناس بمالهِ وجاههِ ، ويقف مع صاحبه في معرضِ الـدهر وتجاهه ، معَ دُرْبَةٍ بمداخلة الناس ، والتنوع لكل الأجنـاس ، والسعي الـذي إذا أضجره الحرمان قال العزم : « ما في وقوفك ساعةً من باس » ، لم يعتب لياليه ، ولا أنشد يومـاً أمانيه :

---

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) قوله : « وفي هذه » حتى ههنا ليس في (أ) ، (ق) .
* لم نقف على ترجمة له .
(٣) كذا بياض في الأصول .
** الدرر : ١٩٧/٣ ، والذيل التام : ١٣٧ .

فيا دارَها بالخَيْف[١] إنَّ مزارها قريب ولكنْ دُونَ ذلك أهوالُ

بل يصبرُ ويَدْأبُ ، ويشعَبُ صدع السعي ويرأب .

ولم يزل يعاند من يطيق[٢] عناده ، ويغالب الحوادث إلى أن أصلح له الدهر فَسَادَهُ فسَادَهُ ، وبلغ ما أمّ لهُ وأمّلَه ، ورأس في الزمان وجَمّلَهُ ، وعاذ به البدر مِنَ النقص فكمّلَهُ ، وتخرّق في العطايا والهبات ، وعلم أنّ الدهر هبّات ، وتعيّن في إظهار الرئاسة وتجمّل ، وتحَلّمَ على من عاداه أو عانده وتحمّل ، إلاّ أنّ الأعادي كادُوه ، وعَلّوا صَرْحَ الكيد له وشادُوه ، فخانه من إليه ينتمي ، و « خَرّ صَريعاً لليدين وللفمِ »[٣] :

وإذا كانت النفوس كباراً تَعِبَتْ في مرادها الأجسامُ[٤]

ولم يزل يقوم ويبرك ، ويجمد ويَحْرُك ، إلى أن بَطَلت حركة نبضهِ ، وتعيّن لكلٍّ وارث مقدارُ فَرْضِهْ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر شعبان سنة أربع وخمسين وسبع مئة بحلب .

كان من جملة كتّاب الإنشاء بحلب ، فسعى واجتهد إلى أن تولّى وكالة بيت المال ونظرَ الخاص ، ولّما مات جركس نائب قلعةِ المسلمين وحضر الأمير سيف الدين منجك مِنَ الدّيار المصريّة إلى حلب لضبط مَوْجودِهِ ، خدَمَهُ القاضي زين الدين هناك وصَحِبَهُ ، وتوَّجَه معه إلى قلعة المسلمين ، وتأكَدَّت الصحبةُ بينهما .

ولّما عاد الأمير سيف الدين منجك إلى مصر وتَرَقّى ، وصار وزيراً بالديار

---

(١) (أ) ، (ق) : « بالحزن » .

(٢) (أ) ، (ق) : « أطاق » .

(٣) لجابر بن حني التغلبي ، وصدره :

تناوله بالرمح ثم اتّنى له

المفضليات : ٢٠٩ .

(٤) للمتنبي ، ديوانه ٣٤٥/٣ .

المصرية ، طَلَب ابن السفاح وأخاه وولاّه كِتابةَ السرّ بحلب عوضاً عن القاضي جمال الدين بن الشهاب[١] محمود ، وأقام في حلب تِلْكَ الْمُدّة على القالب الجائر ، وحَسَدَهُ أصحابُه وغيرهم ، وأحْسَنَ إلى الناس كلِّهم ، ولكنّ الحسود لا يُرضيه إلاّ زوالُ النعمة . وكان الأمير أرقطاي[٢] نائب حلب ، فمشّى الأحوالَ وصَبَر ولم يَسْمَعْ فيه كلامَ واش . ولّما مات وحضر سيف[٣] الدين أرغون الكاملِيّ زاد أعداؤه في السعي عليه وتمكّنوا منه فَرَمَوا بينه وبين النائب ، وتأكدت الوحشةُ ، وتظاهر بالانحراف عليه ، وكتب فيه إلى مصر حتى عُزِلَ[٤] بالسيّد الشريف شهاب الدين الحسين الحسيني[٥] ، وصودر ، وأخذ منه مئة ألف درهم ، ولم يَجْرِ على كاتبِ سرٍّ ما جرى عليه ، ثم إنّه أُفْرِجَ عنه وطُلِبَ إلى مِصْرَ ، فما وصل إليها حتى أُمْسِك الأمير سيف الدين منجك وقام عليه الأمير سيف الدين طشبغا الداوادار ، فأُعيد هو وأخوه القاضي شمس الدين تحت الترسيم إلى حلب ، وأُخِذَ منهما شيء آخر بعد المئة ألف .

ثم أُفرج عنه وتوجّه إلى مصر ، وعاد مع السلطان الملك الصالح صَالح إلى دمشق في واقعة بيبغاروس ، وجاء على وظائفه الأُوَل [بحلب][٦] ، فتوجَّهَ إليها وأقام بها إلى أن تُوفّي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان رحمه الله تعالى جواداً كريماً ذا مروءة زائدة وتَعَصُّبٍ لمن ينتمي إليه وخدمةٍ للناس ومداراة ، وقلّ أن رأيتُ مِثْلَه ، وكان يَعْتريه مرضُ الماشرى كلّ أربعين يوماً أو أقل أو أكثر ، ويقاسي منه شدةً ثم يبرأ منه .

---

(١) (أ) ، (ق) : « شهاب الدين » .

(٢) (أ) ، (ق) : « سيف الدين أرقطاي » .

(٣) (أ) ، (ق) : « الأمير سيف » .

(٤) (أ) ، (ق) : « بمصر ، ولم يزل إلى أن عزل » .

(٥) هو الحسين بن محمد بن عدنان الحسيني ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .

وجاء في بعض سفراته إلى دمشق فتوجهتُ إلى زيارته فوجدته يأكل سَلْفَنْداناً فعزم عليَّ ، فلم آكل منْهُ لأنّني كنت صائماً ، ثمّ إني صنعت له في اليوم الثاني طبقاً من حلوى السَلْفندان ، وجهّزته وكتبت إليه معه :

ما حَرِمَ المملوك لمّا غدا ... عندك أكلَ السَّلْفَنْدان
إلاّ لأن يأتي به هكذا ... فصار هذا سلفاً داني

وكانت إلى جانبي دُوَيْرَةٌ في دمشق لشخصٍ نصراني قسّيس في حلب ، وكنت مضروراً لإضافة تلك الدويرة إلى داري ، فكتبت إليه ليتحدث مع ذلك النصراني ويشتريها لي منه ويُرَغِّبه في الثمن ، وكتبتُ من جملة ذلك :

أقول للحائر اللَّهْفَانِ حينَ غَدَا ... ولم ينل من أماني نَفْسِه وَطَرا
إنْ أهملَ الدهرُ ما تَبْغيه مِن أملٍ ... ونامَ عَنْ نَيْلِه نَبِّه له عُمَرَا[1]

فعادَ جوابُه بأنّ الشغل ينقضي ولكن النصراني ضنين بهذا المكان وأبطأ على انقضاء الشغل في ذلك ، فكتبت إليه أيضاً :

مولايَ زين الدين حالي غدت ... أنت بها دون الوَرَى داري
فدارِكِ القسيس أو[2] دارِهِ ... فإنني قد ضقت في داري

١٣٠٤ ـ عُمَر بن ....*

الشيخ الفاضل سراج الدين الصوفي الصفدي .

توجّه من صفد قديماً إلى القاهرة ، أظن أنه[3] قبل عشر وسبع مئة ، وبلغني أنه

(١) يشير إلى قول بشار :
إذا أيقظتك حروب العدا ... فنبّه لها عُمَراً ثمّ نَمْ

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٩٨/٣ .

(٣) ليست في (أ) .

حفظ (الوجيز) ، ثم إنه صار صوفيّاً بخانقاه سعيد السعداء . ورأيتُه بالقاهرة غير مرّة ، وهو من جملة الصوفية بسرياقوس .

ثم إنه ولي مشيخة الشيوخ بسعيد السعداء فأقام على ذلك إلى أن توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان شكلاً حسناً وقوّتُه الحافظة متوفرة .

اللقب والنسب[1]

☆ **ابن عمرون** : علاء الدين علي بن الحسن .

☆ **العنبري** : ظهير الدين علي بن عبد الكريم .

١٣٠٥ ـ عِوَض بن نصر بن عبد الرحمن بن شيركوه*

الفقيه المِصْريّ الحنفي الصوفي شرف الدين أبو خلف .

سمع معي على أشياخي الحفاظ أثير الدين ، وفتح الدين ، والْمُسْنِد يونس الدبابيسي ، وغيرهم .

كان جميل الودّ حسنَ الصحبة .

كان الشيخ أثير الدين يقول : استدرك على بعض المصنفين سبعة عشر موضعاً من الغلط في أسماء القرّاء ، وكان يَنْقُل القراءات ، وينقل فروع مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وله إلمامٌ بالحديث ، لأنه سمع منه كثيراً ، وسمع بقراءتي كثيراً ، إلاّ أنه لحِقَتْه يوماً غفلة ، فسأل بعض الجماعة عن قول الزمخشري في أول (المفصّل) لأي شيءٍ قال : « اللهَ أحْمَد » وما قال : الله يوسف ولا الله عيسى أو موسى أو غير ذلك من

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الدرر : ١٩٩/٣ .

الأسماء ، فحفظوها عنه[١] ، ووضع واحدٌ منهم سؤالاتٍ عليه[٢] من أوّل (المفصّل) إلى آخرهِ على لسانهِ مثل : لأيّ شيءٍ قال « باب الترخيم » وما قال « باب التبليط » ، ولأي شيء قال « الموصول » وما قال « الشّبابة » ، ولأي شيء قال « العلَم » وما قال « السنجق » ، وقال « زَيْدُ قفّة » وما قال « السرقانيّة »[٣] ، ثم إنه شرع في تعليل ذلك جميعه مثل قوله : « الموصول » ، لأنّه اسميٌّ وحَرْفي ، فهو ينقسم إلى قسمين ، والموصول قطعتان موصولتان وليست « الشبابة » كذلك ، ومن هذه النسبة .

وقال له الطلبة الذين يعبثون به أنتَ مَا في القرآن الكريم لفظ يوازن اسمك ، فانحرف من ذلك ، وتأذّى وجاء إليّ شاكياً ، فقلت له : بلى في القرآن ما يوازن اسمك فقال : ما هو ؟ ، قلت : « عِنَبْ » فسرّ بذلك ، وتوجّه إليهم .

وَحكى لي الحافظ فتح الدين قال : جاء إليّ عوض مرّات ، قال أريد أقرأ أنا بنفسي جزءاً ، فاستحييت يوماً منه ، فأخذ جزءاً وقعد على الكرسي وحضر الناس وجَلَست[٤] أنا في المحراب أمامه وأخذ هو في القراءة فأوّل حديث قرأه : « كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يشُوصُ فاه بالسّواك »[٥] ، فصحّفه وقال : يُشَوّص بالشين المعجمة المفتوحة والواو المشددة والضاد المعجمة ، ورقع في الضاد بلسانه ، قال : فأخذت الجزء من يده منه ، وقلت له : اترك ، وقُمنا . ومع ذلك فقد جمع جزءا في

---

(١) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « على المفصّل » .

(٣) هي القفّة أو السطل » .

(٤) في الأصل : « وصلّيت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) روايته في صحيح البخاري ٨٣/١ (باب السواك) : « كان إذا قام من الليل يَشُوص فاه بالسّواك » ، وكذا روي في ٢٦٦/١ ، (باب السواك يوم الجمعة) ، وكذا روي في الجامع الصغير : ١٠٩/٢ .
وفي صحيح البخاري ٣٤٥/١ (باب طول القيام في صلاة الليل) روي : « كان إذا قام للتهجد من الليل ... » . والشوص : الدلك ومضغ السواك ، والاستنان به .

(الحنّاء : هل هُوَ طِيْبٌ أَوْ لا) وتَتَبَّع المعاجمَ ، وجمع جزءاً وسمّاه (شفاء المرض في من يُسمّى بعَوَض) .

حضر إلى دمشق في سنة أربع وبعض خمس وأربعين وسبع مئة لزيارة شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ فوصَلهُ وبَرَّهُ ، ثم إنه عاد إلى القاهرة .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شوّال سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، وقيل : توفي في ذي الحجة .

وكان تمتاماً رحمه الله تعالى .

☆ **ابن العُوَيْنَة** : الشيخ زين الدين عليّ بن الحسين .

١٣٠٦ ـ عيسى بن أحمد بن مسعود بن خلف*

الشيخ ضياء الدين أبو الهدى المحدّث الصوفي .

خُرِّجَ له وحَدَّث . ومن شيوخه ابن الصفراوي[١] ، تفرد عنه بالقاهرة ، وابن الطفيل[٢] و [ابن] المخيلي[٣] ، وابن دينار[٤] ، وابن الْجُمَّيزي ، وسبط السِّلَفي ، وابن المقيّر ، وحمزة بن عمر الغزال[٥] ، وأحمد بن يوسف[٦] ، ويوسف الساوي[٧] ، وعلم الدين [بن][٨] الصابوني .

---

* لم نقف على ترجمة له . وفي (أ) ، (ق) : « .. بن أحمد بن محمد بن مسعود .. » .

(١) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل (ت ٦٣٦) ، السير : ٤١/٢٣ .

(٢) عبد الرحيم يوسف بن محمود بن الطفيل (ت ٦٣٧) ، السير : ٤٣/٢٣ .

(٣) يوسف بن عبد المعطي بن منصور (ت ٦٤٢) ، السير : ١١٦/٢٣ .

(٤) الحسن بن إبراهيم بن هبة الله (ت ٦٣٩) ، الشذرات : ٢٠٤/٥ .

(٥) حمزة بن عمر بن عتيق بن أوس الغزال (ت ٦٤١) ، الشذرات : ٢١١/٥ .

(٦) قوله : « وأحمد بن يوسف » ، ليس في (أ) ، (ق) .

(٧) يوسف بن محمود بن الحسين (ت ٦٤٧) ، السير : ١٣٣/٢٣ .

(٨) زيادة من (أ) ، (ق) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

قال شيخنا علم الدين البَرزالي : روى لنا عن هؤلاء العشرة وعن غيرهم . قال : وقرأت عليه (الأربعين أبدال التُّساعيات) تخريج تقي الدين عُبَيْد له ، ومجلِسَيّ ابن البختري [١] وأحاديث مسلسلة .

وتوفي في تاسع عشر شهر رجب سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده بسبتة سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وكان موته فجأة رحمه الله تعالى .

١٣٠٧ - عيسى بن إسماعيل بن عيسى*

ابن محمد بن حمّاد بن صالح ، الشيخ الفقيه الفاضل عماد الدين أبو محمد الجهني الهيتي [٢] الصالحي .

كان من أصحاب الشيخ تاج الدين [٣] ، مواظباً على قراءة القرآن ، ويُكَرّر على كتاب (التعجيز) في الفقه ، وحفظ أولاً كتاب (التنبيه) ، ثم سافر إلى الموصل وإلى الروم ، وخالط الفقراء وسمع من ابن أبي اليسر في (صحيح البخاري) ، وسمع كتاب (الترمذي) على ابن علاّن ، وسمع (ثلاثيات المسند) على ابن شيبان ، وله إجازة من نقيب الأشراف بهاء الدين ، والعماد عبد الحميد بن عبد الهادي ، ومكيّ بن عبد الرزاق القدسي [٤] ، وابن عبد الدائم ، والنجيب عبد اللطيف .

---

(١) في الأصول : « البحتري » ، تصحيف ، وهو : محمد بن عمرو بن البختري الرزاز (ت ٣٣٩) ، السير : ٣٨٥/١٥ .

* الدرر : ٢٠٢/٣ .

(٢) في الدرر : « الهيثي » .

(٣) في الدرر : « تاج الدين بن الفركاح » .

(٤) (أ) : « المقدسي » .

وتوفي في تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٣٠٨ - عيسى بن ثروان بن محمد*

ابن ثروان بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الباقي بن أبي الحسن التدمري ، الشيخ الزاهد العابد العارف حفيد الشيخ الكبير ثروان .

كان شيخ البيانية وشيخَ بلدهِ ، وله الصِّيت والسمعة والقبول والكلمة المسموعة .

توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده في نصف شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكان جدّ والده من أصحاب الشيخ أبي البيان[١] . ودفن الشيخ عيسى عند قبرِ والده برّا الباب الصغير .

١٣٠٩ - عيسى بن داود**

الشيخ الإمام العلاّمة سيف الدين أبو الروح البغدادي الحنفي المنطقي .

أخذ الجدل عن البدر الطويل[٢] ، والفخر بن البديع ، وشارك وبرع في المنطق .

تخرّج به جماعة من الأعيان كشيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى وغيره .

---

* الدرر : ٢٠٢/٣ .

(١) هو نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الحوراني ، شيخ البيانية (ت ٥٥١ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٠ .

** الدرر : ٢٠٣/٣ .

(٢) هو بدر الدين المراغي ، من شراح كتاب الإرشاد الآتي ذكره . انظر : الكشف : ٦٩/١ .

وشرح (الموجز) للخونجي[١] إملاءً من حفظه ، و (الإرشاد)[٢] كذلك ، وسكن القاهرة ، وأقام بمدرسة الظاهر بين القصرين .

قال : كان لي وقت بناء المدرسة المستنصرية سبع سنين أو ثماني سنين ، ووَلدت بخوارزم .

وقال قاضي القضاة تقي الدين رحمه الله تعالى : قال لي سنة[٣] خمس وسبع مئة : لي تسعون سنة . وهذا تناقضٌ منه .

وتوفي رحمه الله سنة خمس وسبع مئة .

وكان كثير التواضع مقتصداً سمحاً لطيف الشكل حسن المجالسة . وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني حكايات عجيبة مضحكة ، تدل على أنه كان ظريفاً مطّرحاً ، سليم الباطن رحمه الله تعالى .

١٣١٠ـ عيسى بن داود*

الملك المعظم شَرَف الدين أبو البركات بن الملك الزاهر مجير الدين أبي سليمان بن الملك المجاهد أسد الدين أبي الحارث شيركوه بن الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير الملك أسد الدين شيركوه بن شادي .

---

(١) هو الموجز في المنطق لمحمّد بن ناماور الخونجي المصري (ت ٦٤٦ هـ) ، الكشف : ١٩٠١/٢ ، وأشار ثمّة إلى شرح عيسى بن داود .

(٢) هو الإرشاد في علم الخلاف والجدل ، ألّفه محمّد بن محمّد العميدي السمرقندي (ت ٥١٥) ، الكشف : ٦٩/١ .

(٣) في (أ) ، (ق) : « في سنة .. » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدرر : ٢٠٣/٣ .

كان قد توجّه من دمشق إلى القاهرة يطلب[١] الزيادة على إقطاعه ، ومعه هديّة جليلة ، فأقبل عليه[٢] السلطان وقضى شغله ، فأدركه أجلُه هناك .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

سمع من ابن عبد الدائم وغيره ، وروى .

ومولده في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٣١١ - عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن حمد*

الشيخ المُسْنِد المعمّر الرحلة شرف[٣] الدين أبو محمد المقدسي الصالحي الحنبلي الصحراوي المطعّم[٥] ثم السمسار في الأملاك .

سمع من ابن الزبيدي ، و الفخر الإربلي حضوراً ، ومن ابن اللّتي ، وجعفر الهمذاني ، وكريمة القرشيّة ، والضياء الحافظ ، وجماعة .

وروى الكثير وتفرّد ، وخُرّجت له (العوالي) و (المشيخة) .

وحدّث عنه ابن الخبّاز في حياة ابن عبد الدائم . وله إجازة من ابن صبّاح ومكرّم وابن روزبة والقَطيعي ، وعدّة .

وسار إلى بغداد وطعّم[٥] في بستان المعتصم وكان أميّا[٦] .

---

(١) (أ) ، (ق) : « لطلب » .

(٢) في (أ) ، (ق) : « عليها » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدرر : ٢٠٤/٣ ، والشذرات : ٥٢/٦ .

(٣) في الأصل : « شمس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والشذرات .

(٤) في الأصل : « المعظم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « وطعن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٦) في الأصل : « أسن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

قال شيخنا الذهبي : بعيد [من] الفهم[١] ، وربما أخلّ بالصلاة على عادة العوام[٢] ، وأقعد بأخرة[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وعشرين وست مئة .

١٣١٢ - عيسى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم*

المقرئ الشيخ مجد الدين أبو محمد البعلبكي .

كان من بيت معروف بالعدالة والديانة . سمع من أبي سليمان عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني ببعلبك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه مجلس (البطاقة)[٤] بسماعه من أبي سليمان المذكور ، وكان قرأه الشيخ علم الدين ببعلبك في سنة سبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني[٥] عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٣١٣ - عيسى بن علي ....**

الشيخ الإمام المحدّث الفاضل شرف الدين أبو الفضل الأندلسي الدمشقي المؤذن ، قارئ الحديث للناس .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل :« قاعدة الأعوام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في (أ) ، (ق) : « آخر عمره » .

* الدرر : ٢٠٤/٣ .

(٤) سلفت الإشارة إلى حديث البطاقة ، ومحليه .

(٥) (أ) : « ثامن » .

** كنا فراغ في الأصول ، وترجمته في الدرر : ٢٠٦/٣ ، وفيه : « عيسى بن علي بن عيسى بن إبراهيم بن عيسى البسطي » .

عمل صنعة الحرير[١] مدة ، ثم إنه صحب الشيخ إبراهيم الرقّي وتخرج به . وكان يقرأ الحديث على العامّة بفصاحةٍ ونغم طيّب ، واشتهر بذلك .

وأجاد علم الوقت . كان من مؤذّني الجامع الأموي ، وأظنه جاء إلى صفد قبل العشرين ، وقرأ علينا جزءاً من مروياته ، ولم أتحقق الآن ما هو ، وقد كتبت اسمي واسم غيري فيه .

قال شيخنا الذهبي : سمعنا بقراءته (صحيحَ) البخاري على شيخنا المِزّي أيّا قراءة ، وقد سمع من [ابن][٢] ، الواسطي وأنْشَدنا مِنْ شِعْرِهِ ، وكان لا تُملّ مُجَالَسَته ، قال : وهو على هَنَاته صويحبي ، والله تعالى يسامحه .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وستين وست مئة .

١٣١٤ ـ عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن*

مجد الدين أبو الروح المعروف بابن الخشّاب ، الفقيه الشافعي ، وكيل بيت المال بالدّيار المصريّة .

قرأ القراءات[٣] على ابن الدّهان والكمال الضرير ، وسمع من أصحاب البوصيري ، والحافظ المنذري وأبي الحسين القرشي وعبد الله بن علاق[٤] وغيرهم .

---

(١) في الدرر : « وكان يصبغ الحرير » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الدرر : ٢٠٦/٣ .

(٣) في الأصل والدرر : « القرآن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) في الأصل و (ق) و (ط) : « علاّن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والدرر ، وهو عبد الله بن الواحد بن محمّد (ت ٦٧٢) ، العبر : ٢٩٩/٥ .

وسمع منه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين[١] رحمه الله تعالى . وحدّث بالقاهرة وسمع منه الجماعة ، وتفقه بابن عبد السلام ، وصحب الأمير بدر الدين بيلبك الخزندار الظاهري ، وانتفع به .

وتولّى الوكالة ونظر الأحباس [والحسبة][٢] ودرّس بزاوية الشافعي بالجامع العتيق بمصر وبالمدرسة الناصريّة وبالقرا سنقرية ، وأفتى .

وكان فيه مروءة وله همّة ، وكان الشجاعي ينبسط معه كثيراً .

قال شيخنا العلامة أثير الدين : دخلت مَرّةً معه أنا والشجاعي إلى البيمارستان المنصوري وإذا بمجنون يتطلع إلى ابن الخشاب وينشد :

محتسبٌ قُصَيّرٌ يُؤسِّسُ ويَسْكَرْ
تارة من محّمض[٣] وتارةً من مُعَنْبَرْ

فقال له الشجاعي : أنا قلت لهذا المجنون[٤] يقول لك هذا .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وولي الوكالة بعده ولده صدر الدين أحمد .

١٣١٥ - عيسى بن عمر بن عيسى*

الأمير شرف الدين بن البُرطاسي الكردي ، مشد الدواوين بطرابلس .

كان مشكوراً في مباشرته ، مذكوراً بالخير في معاشرته ، فيه كياسَةٌ ، وعنده

(١) (أ) : « تقي الدين السبكي » .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (أ) : « محمص » .
(٤) (أ) ، (ق) : « أنا قلت للمجنون » .
* الدرر : ٢٠٨/٣ .

حشمة وريَاسه ، وله سيادة وسياسه ، ما خلا من خير قدّمَه ، وشرٍ هَدّمه . وعَمّر بطرابلس مدرسة للشافعيّة مليحه ، وجعل ساحتها للطلبة فسيحه .

ولم يزل على حاله إلى أن أَدْبَر وولّى ، وترك أعراض هذه الدار وخَلّى .

توفي رحمه الله تعالى بطرابلس خامس شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين ، وتولى مكانه الأمير بدر الدين بكتوت القَرْماني[١] .

وكان ابن البُرْطَاسي قد باشر ولاية البَرّ بدمشق في شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الطرقجي[٢] ، ولم يزل في ولاية البرّ إلى أن عزل بابن معيد[٣] في سادس ذي الحجة سنة أربع عشرة ، ثم أعيد بعد العيد إلى طرابلس فأقام بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور .

١٣١٦ ـ عيسى بن فضل بن عيسى ....*

الأمير شرف الدين .

توفي رحمه الله تعالى في إحدى الجمادَيْن سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

١٣١٧ ـ عيسى بن المحب**

شرف الدين النابلسي المعروف بالناسخ في القاهرة .

---

(١) سلفت ترجمته في موضعها ، ووقع في الأصل : « الفرياني » ، تحريف .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) (أ) ، (ق) : « بالأمير علاء الدين بن معيد » ، وهو علي بن محمود ، سلفت ترجمته في موضعها .

* كذا بياض في الأصول . وتمام نسبه كما في الدرر ، ٢٠٨/٣ : « ابن مهنّا » . وفي ذيول العبر : ٢٤١ ، « ... ابن أخي الملك مهنا » .

** الدرر : ٢٠٨/٣ .

كتب الخط المنسوب ، وأتى به وهو في عِداد الرياض مَحْسُوب ، وجوّد النسخ وأتقنه ، ونمّقه وحَسَّنه ، فعُرف بالناسخ لذلك ، واشتهر به اشتهار النجم[١] في الليل الحالك .

وكان ينظم الشعر ، ويتعاطى فيه مغالاة[٢] السعر .

لبث في السجن بضع سنين ، وكان اللطف بأذاه ضنين ، ثم إنه خرج من غيابة جُبِّه ، ولكنه حَصَد بذر[٣] حبّه ، فشعشعت له النار رَحيقا ، ومات فيها حريقا .

وتوفّي رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وثلاثين أو ثلاث وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة .

وكان قد جوّدَ واجْتَهَدْ إلى أن حاكى خطَّ القاضي علاء الدين بن الأثير وكان يوقع على هوامش القصص بما يريد ويتوجه صاحب القصة بها إلى بعض الموقعين ، فيكتب[٤] بما سَأَلَهُ وهُوَ لا يشكّ أن ذلك خط ابن الأثير ، ويأخذ صاحب القصّة الكتاب ويتوجَّهُ به إلى الدوادار فيرى خطّاً معروفاً فيدخل به في فوطة العَلامَة ويعلّم له السلطان ويخرج الكتاب ، والكلّ صحيح ، وما يرى أحدٌ خطّ السلطان إلا ويكتب عليه علامته والاعتماد ، ومشت بذلك أحوال ، وحارَ الناس في ذلك ولا يعلم أحدٌ ممن أتى عليه أصل الفساد مِن أين ، إلى أن أُمْسِكَ شرف الدين هذا فأخذه القاضي علاء الدين ودخل به إلى السلطان الملك الناصر محمد وحكى له الصورة ، فقال له : أنا هذا ما زوّرَ عليّ ، فإنما زوّرَ عليك فأمْرُهُ إليك ، فأودعه في سجن القلعة ، فلبث قريباً من سبع[٥] سنين . ولمّا جرى للقاضي علاء الدين ما جرى من الفالج حُدِّثَ في أمره فأفرج عنه ،

(١) (أ) ، (ق) : « النجم النيّر » .
(٢) في الأصل : « معاطاة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) في الأصل و (ط) : « بدر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل و (ط) : « كتب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) (أ) : « بضع » .

وكان القاضي[١] بعد اطّلاعه على أمره لا يمكّن أحداً من الموقّعين يكتب على قصّة حتى يكتب هو اسم مَنْ يوقّع عليها ، ومن ذلك التاريخ صار ذلك رسماً لكاتب السر يكتب على القصص اسم الموقّع .

وبلغني عن هذا[٢] شرف الدين أنه كان في السجن يُزَوِّر أشياء في الوصولات[٣] وغيرها ومَكَث بعد خلاصه من السجن مُدَّةً قريباً من أربع سنين . ثم إنه نام ليلةً ونسي[٤] روحه والطوّافة في يده تقِد ، فاحترق اللحاف الذي عليه وتعذّر خلاصه فأصبح في بيته ميتا محترقاً .

وكان قد كتب إلي من السجن وأنا بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة :

يعزّ على عيسى وجودُ خليله ... بمصر وعيسى بات في قبضة السجن
فيا نارَ أشواقي تلظّت بها الحشا ... ولم يطفها من مقلتي واكف الْمُزْنِ[٥]
ويا حسرتا لو فزت يوماً برؤية الـ ... محيّا الذي أزْرَى على البدر في الدجنِ
أمولاي إني قَدْ سَمِعْتُ فضائلاً ... ظهَرْتَ بها في مصر في غاية الحسنِ
فسارت بها الركبان في ساحة الفلا ... وغنّى بها الملاّح إذ صار في السّفُنِ
لقد فُقْتَ فرسانَ البلاغةِ كلَّهم ... وما أحداً عن ذاك في مصر أستثني
عسى نفثة من دُرّ شعرٍ نظمْتَه ... أحلّي بها جيدي إذا شنّفت أذني

فكتبت أنا إليه :

خليلٌ أتى مِصْراً وعيسى مُحَجّبٌ ... مِنَ الدهر في سجن فلا كان مِنْ كنّ
لئن كان في سجن فكل مُهَنّد ... إذا ادّخروه للردى بات في جفن

(١) (أ) ، (ق) : « القاضي علاء الدين » .
(٢) في الأصل : « عن القاضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل و (ط) : « الموصولات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) (أ) ، (ق) : « وقد نسي » .
(٥) (أ) ، (ق) : « أشواق » .

فيـــا زهرَ روض حجبّتـــه كمامُـــهُ عسى تَتَفَرّى عنـــه في ذُرْوَة الغصنِ
حنـانيـك إني فيـك من شـدّة الأسى نَقِمتُ الرضى حتّى على ضـاحـكِ المزنِ
فصبراً على مـــا قـــد مُنيتَ كأنمـــا الزمان على الأحرار مثلـك ذو ضِغْنِ[1]
فقد يخرج الإصباح من ظلمة الدجى وقد تُطلق الصهبـاء من حَرَج الـدنّ
كأني بـذاك الـوجـه يُبـدي نضـارة وقد بَرْقَعَتْـه بـالحيـا راحـةُ الْحُسْنِ[2]
وقـالت لـه الأيـام وهي جـديرة بكل قبيـــح أن تخـــون وأن تجني
أعيسى لقد شاركت في الحسن يوسفاً فشارِكْه أيضاً في الدخول إلى السجنِ

وأنشدته يوماً لنفسي بعدما خرج من السجن :

يـــا قلبُ إن رقّ خـــدّ الـ ـحبيب أو لانَ عِطْفُـــــه
فشَعْرُه كَم تجـــــــافَى وكَم تَثَـــاقَـــل رِدْفُـــهُ

فأنشدني هو لنفسه :

شكـوت الـذي ألقى سهـاداً وعَبْرَةً فَـوَكَّـل جَفْني أنّـه قـطُّ لا يَغْفُـو
فلانَتْ ليَ الأعطـافُ والخصرُ رقّ لي ولكن تجـافى الشَّعْر واثّـاقـل الرّدفُ

قلتُ : في البيت الأول نظر ، وهـو أنـه لا يقـال إلاّ أغفى يغفي ، ولم يُسْمَـع في فصيح الكلام « يغفو » ، وفي البيت الثاني نظر .

ثم إنني بعد ذلك قُلْتُ في هذه المادة :

في القلب من هـاجري لـوعَـةٌ بغير تـلافيـه مـا تَنْـدَمِـلْ
فيـا شَعْره بعضَ هـذا الجفـا ويـا رِدْفَـه أنت مـا تَنْحمل[3]

---

(١) (أ) ، (ق) : « فإنما » .
(٢) (أ) ، (ق) : « يندى » ، وهي أشبه .
(٣) في الأصل و (أ) : « تحتمل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

والأصل في ذلك كله قول شمس الدين محمد بن التلمساني :

يـــا خَصْرَه كم جفـــاً تُبـــدي وأنت نحيـــلُ
يـــا رِدْفَـــه نـحّ عَنْـــهُ مـــا أنت إلا ثقيـــل

وقوله أيضاً :

يـــا رِدْفَـــه جُرْتَ على خَصْرِهِ كم تعتـــدي مـــا أنت إلا ثقيـل[1]

وقوله أيضاً :

كأن الشَّعْر يطلبني بـــدَيْن فكم يجفـــو عليَّ ويستطيـــل

وكنت قد قلت أنا قديماً :

يـــا ظـــالمـــاً حـــلَّ في ضميري وألـــزَمَ القلبَ أنْ تَحـــوَّل
تعلَّم الشَّعْرُ منـــك لمّـــا رأى غرامي جفـــا وطـــوَّلْ[2]

وقلت أيضاً :

وبي رشـأ معـاطفـه رشـاقٌ وكم رشَقت لـواحظـه[3] نبـالا
لـــه شَعَرٌ حكاه في التجني على ضعفي تجـافى واستطـالا

١٣١٨ ـ عيسى بن محمد بن أحمد بن إبراهيم*

الصدفي المعروف بابن الصابوني ، مجد الدين الإشبيلي .

---

(١) (أ) ، (ق) : « رفقاً به ما أنت » .
(٢) في الأصل و (ط) : « حقّا وطول » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل و (ط) : « معاطفه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
* لم نقف على ترجمة له .

قال شيخنا أثير الدين : لقيته بثغر دمياط وكان يَتّجر في البَزّ ، ثم انتقل إلى الإسكندرية . أنشدنا لنفسه في شاب اسمه بدر بن نجم :

رأيت نجوماً في السماءِ كثيرةً ... تَقاصَرَ عن إدراكهنّ أُولو الفَهْمِ
فلو جُمِعَتْ لم تأت بدراً مكّملاً ... فيا من رأى بدراً تولّدَ من نجمِ

قلتُ :....[1]

١٣١٩ - عيسى بن محمد بن محمد*

ابن قَرّاجا بن سليمان بن ياروق السهروردىّ الواعظ ، شرف الدين أبو الرضا .

أخبرني الشيخ أثير الدين من لفظه قال : كان المذكور سهروردىّ الخرقة ، له أدبٌ كثير وشعر كثير وتوشيح ، أنشدنا[2] بالقاهرة :

ما زال يَهْوَى المقلا ... قلبي إلى أنْ قُتِلاَ
الحمد لله الذي ... مَات ومَا[3] قِيْلَ سَلا
لو قيل لي واللحدُ قَدْ ... صار لجسمي مَنْزلا
ما أنتَ صبٌّ بِهِمُ ... متيّم قلت : بلى

وأنشدني له أيضاً :

يا سيد العلماء إنّ موشحي ... حَرَمٌ لكعبتهِ البدائعُ تسجُدُ
قلّدته من بَحْر جودك جَوْهرا ... فأتاك وهو موشّحٌ ومُقَلّدُ

وقال :

---

(١) كذا بياض في الأصول .

* الدرر : ٢٠٩/٣ .

(٢) (أ) ، (ق) : « أنشدنا لنفسه » .

(٣) في الدرر : « ولا » .

أنـــــا في السّر والعَلَنْ عبـــــد رقّ بـــلا ثَمَنْ
يـــا مليحـــاً بحسنـــهِ ســائِرَ النــاس قَــدْ فَتَنْ
إن تــزرني فـــإنّهـــا لـــك عنـــدي مِن المِنَنْ
لست أسلـــو هـــواك أو يُـــدْرَج الجِسْمُ في الكفنْ
وينـــادى بـــأنـــه مـات في العشـق والشجنْ

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في تاسع عُشْرَي شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرين وسبع مئة .

١٣٢٠ ـ عيسى الشيخ الكبير نجم الدين أبو المحامد*

ابن الشيخ أبي محمد شاه أرمن بن الشيخ صلاح الدين صالح بن عبد الله الأبلستاني الرومي المعروف بالسيوفي .

كان شيخاً كبيراً مقصوداً بالزيارة ، وأطلق له السلطان قرية الفيجة ، وكانت له حرمَة عند الدولة .

توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون في زاويته المعروفة به[١] .

١٣٢١ ـ عيسى بن أبي محمد بن عبد الرزاق**

الصّالحي العطّار ، الشيخ المسند الصالح ضياء الدين أبو محمد المعروف بابن المغازي[٢] ، كان أبوه شيخ مَغَارَة الدم .

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٠/٣ ، ووقع في الأصل و (ط) : « عيسى بن الشيخ المكين نجم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وما يوافقه من الدرر .

(١) هي الزاوية السيوفيّة ، انظر : الدارس : ١٥٧/٢ .

** الدرر : ٢١٠/٣ ، والشذرات : ١١/٦ .

(٢) (أ) ، (ق) ، (ط) : « المعروف بالمغاري » .

حدّث (بالصحيح) عن ابن الزبيدي ، وسمع ابن صبّاح حضوراً ، وسمع من الإربلي وابن اللّتي ، وجعفر الهمذاني ، وأخذ عنه الواني ، والمحبّ ، والطلبة .

وتوفي رحمه الله تعالى ....[١] سنة أربع وسبع مئة .

١٣٢٢ - عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيي*

شرف الدين الزواوي الفقيه المالكي .

انتهت إليه معرفة مذهب مالك رضي الله عنه بالديار المصرية .

تفقّه بزواوه على أبي محمد عبد الصمد ، ورحل إلى بجاية ، وقرأ على أبي يوسف يعقوب الزواوي ، وقرأ عليه[٢] في (المهذّب) و (الموطّأ) و (البرهان في الأصول) ، ثم قدم القاهرة سنة سبع مئة وسمع (الموطأ) من الدميَاطي .

وحضر إلى دمشق في أوائل شهر ربيع الآخر سنة سبع[٣] وسبع مئة ، وحكم نيابةً عن قاضي القضاة جمال الدين عوضاً عن نائبه محيي الدين ، وذكر درساً بالجامع ، وأقام بدمشق سنين ، ثم عاد إلى القاهرة ، وسمع من قاضي القضاة جمال الدين الزواوي ، واستنابَهُ في الحكم بها مُدّة ، وعاد إلى القاهرة[٤] وانتصَبَ للإقراء وانتفع الناس به .

وصنّف تصانيف : منها (شرح مسلم) في مجلدات ، و (كتاب ابن الحاجب) في الفقه ولم يكمل[٥] ، و (تاريخاً) في مجلدات ، واختصر (كتاب) ابن يونس[٦] في الفقه .

---

(١) كذا بياض في الأصول ، وفي الدرر أنه توفي في شهر ربيع الآخر .

* وفيات ابن رافع : ١٩٣/١ ، والدرر : ٢١٠/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٥٩/١ .

(٢) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « التهذيب في المهذب » .

(٣) (أ) ، « تسع » ، تحريف .

(٤) كذا في الأصول ، وهذه العبارة لم ترد في الدرر .

(٥) (أ) ، (ق) : « ولم يكمله » .

(٦) عبارة الدرر : « وشرح مختصر ابن يونس » ، وابن يونس هو : أحمد بن موسى الموصلي (ت ٦٢٢) ، اختصر كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، الكشف : ٢٤/١ .

وكانت له معرفة بالفرائض والحساب ومعرفة البلاد والأقاليم ، ويحفظ جملة من أشعار العرب ، وكان لا يقيم الوَزْنَ ، ويصحّف .

وكان فيه ودٌّ لأصحابه ، ودارت عليه الفتيا . وولي تدريس المنكو تمريّه بالقاهرة ، والإعادة بالناصريّة والمدرسة الصالحيّةِ ، وتولى تدريس المدرسة المالكية بمصر .

وحَصَل له بلغم فمنعه من الحركة ، وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس مستهل شهر رجب سنة أربع وأربعين[1] وسبع مئة .

ومولده بزواوة سنة أربع وستين وست مئة .

١٣٢٣ - عيسى بن موسى*

المعروف بابن الزِبطْر ، بكسر الزاي والباء[2] الموحدّة وسكون الطاء المهملة وبعدها راءٌ.

كان نصرانياً مُسْتوفياً بحمص ، وقع منه تعرض بكلام قبيح لا يليق[3] ذكره في حق سيدنا رسول الله ﷺ ، فقام الناس عليه فسعى في الباطن ، وسكنت القضية . ثم إنّ أهل حمص قاموا عليه وأثبتوا شهادةً استرعاها اثنان لآخرين عليه ، فثبت ذلك على قاضي حمص ، فادّعى أنَّ معه نصيحة ، فحمل إلى دمشق ، فكتب قاضي حمص إلى قاضي قارا بأمره ، فلمّا وصَلَ إلى قارا أسلم وأراد من قاضي قارا أن يحكم بإسلامه فامتنع ، فحضر إلى دمشق وتظاهر بالإسلام فما قُبل منه ، وفوّض شيخنا قاضي القضاة

---

(١) في الدرر أنه توفي سنة (٧٤٣) .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) (أ) : وكسر الباء » .

(٣) (أ) « لا يمكن » .

تقي الدين السبكي الحكَمَ فيه إلى قاضي القضاة جمال الدين المرداوي الحنبلي ، فحكم بِسَفْك دَمِه .

وضربت رقبته في سوق الخيل بعد عصر الاثنين خامس شوال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة بحضور القضاة الأربعة .

١٣٢٤ - عيسى بن يحيى*

ابن أحمد بن محمد بن مسعود ، الشيخ الإمام المحدّث الصوفي ضياء الدين أبو الهدى الأنصاري السبتي .

قدم القاهرة واستوطنها في الصِّبا ، وسكن دمشق مدة في الدولة الناصريّة الصلاحيّة[١] يوسف .

وحدّث عن أبي القاسم الصفراوي ، ويوسف بن المخيلي ، وابن المقيّر ، وابن الطفيل ، وابن دينار ، وابن الصابوني ، وجماعة ، وخرّج له التقي عبيد (أربعين تساعيات أبدالا) .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : سمعها منه ، وكان مليح القراءة للحديث حسن المعرفة ، كثير الحرمة ، أَلْبسني[٢] الخِرْقَة وذكر أنه لبسها بمكة من الشيخ شهاب الدين الشَّهْرَزَوْري[٣] .

---

* الشذرات : ٤٣٦/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١١١/٨ .

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ألبسنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل و (ط) : « الشهرزوي » ، تحريف ، فأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والشذرات . وهو شهاب الدين يحيى بن حبش (ت ٥٨٧) ، السير ٢٠٧/٢١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...[١] سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده بسبته سنة ثلاث عشرة وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن أبي العيش** : بدر الدين عبد الله بن الحسين .

☆ **عين بصل** : إبراهيم بن عليّ[٢] .

(١) كذا بياض في الأصول .

(٢) ههنا ينتهي الجزء السابع من (ق) .

أعيان العصر وأعوان النصر

باري

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عشة — الدكتور محمد موعد — الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الرابع

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي: ٤-٠١١,١١٥٠
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-498-0
الرقم الموضوعي: ٩١٠
الموضوع: التراجم والسير والأنساب
العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر
التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي
التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة، د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد
قدم له: مازن عبد القادر المبارك
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٦٨٦ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

الطبعة الأولى
1418هـ = 1998 م

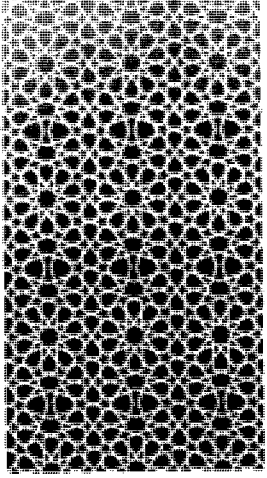

بسم الله الرحمن الرحيم

أعيان العصر وأعوان النصر

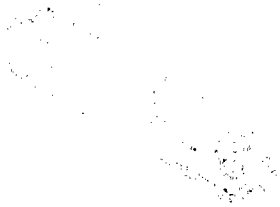

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي ونعم الوكيل

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل العَلاّمَة نادرة الزمان أبو الصّفاء صلاح الدين خليل الصفدي ، مَتّع الله العالمين بطول بقائهِ آمين[1] .

حرف الغين

١٣٢٥ ـ غازان بن أرغون بن أبغا*

ابن هولاكو بن تولى بن جنكزخان ، السلطان الكبير والقان الجليل إيلخان ، معز الدين .

كان من أجلّ ملوك هذا البيت وأعظم مَنْ رَكِبَ ظهرَ أدهمَ أو امتطى صهوة كُمَيْت . جزءٌ أعظمُ مِنْ كلّهم ، وواحدٌ في موازنةِ جُلّهم ، رابطَ الجأش ، ضابط السياسة والانتعاش ، خبيرا بالحروب وتدبيرها ، وهلاكِ أعاديه[2] وتدميرها .

وكان أشْقَرَ ربعة خفيف العارضين واللحيه ، غليظ الرقبة ، كبير الوجه ، عليه من المهابة حلْية وأيّ حلْيه :

---

(١) هذه المقدمة خلت منها (أ) ، (ط) .

* تاريخ أبي الفداء : ٥٠/٤ ، والبداية والنهاية : ٢٩/١٤ ، وفوات الوفيات : ٩٧/٤ ، والدرر : ٢١٢/٣ ، والشذرات : ١٩/٦ ، وقد خلا الأصل من ترجمته ، وأثبتناها عن (أ) .

(٢) (ط) : « أعدائه » .

يمد يديه في المفاضة ضيغم وعينيه من تحت البرّتكة أرقم[١]

لَمّا ملك أخذ نفسه في الملك مأْخَذَ جنكزخان ، ودوّخ البلاد والأقطار وأخذ مَن أدّى الأمانة ومَنْ خان . وكان لا يعفّ عن الأموال ويعف عنِ الدماء ، ويودّ لعلوّ همّته أن يملك[٢] ما تحت السماء .

وكان يؤثر أن يَظْهَر العدلُ عنه ، ويودّ لو تمّكن منه ، ولذلك تسمّى « محمود » ، يريد به[٣] نور الدين الشهيد . وينتمي إلى تقليد أفعالهِ في القريب والبعيد ، فما تمسّك من ذلك إلا بأقصر سبب ، وحَكَى ولكنْ فاته الشَّنَبُ . هذا في بلاد أذربيجان والعراق ، وما ضُرب فيه له خام أو امتد رواق ، وأما الشام فإنه مُني من مغوله بالدّاء العضال ، ورُمِي من جبّاريهم بِما يُرمى به الغرضِ من النبال في النّضال ، وسلّم الله منهم بعضَ السلامة ، ولطف بأهله إلاّ من أسروه فما سرّوه أو جرّعوه حِمامه . ولكن لَمّا عادوا[٤] في الواقعة الثانية أخذ الله بالثأر لنا ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾[٥] :

وإن كان أعجبكم عـــامُكم فعُـودا إلى حِمْصَ في قـابـل
فـإن الحسـام الخضيبَ الـذي قُتلتم بـه في يـد القـاتـل

والذي أعتقده أنه من حين ظهر جنكزخان ما جرى للمغول بعد واقعة عين جالوت ولا إلى يومنا مثل واقعة شَقْحَب[٦] ، كادت تأتي على نوعهم فناء ، فإنّ الموت أهّل بهم ورحّب ، وما نجا منهم إلاّ من حصّنه الأجل ، أو اختار الأسرَ لِمَا وجد من[٧] الوجل .

---

(١) كذا في (أ) ، (ط) ، (ق) .
(٢) (ط) : « لو ملك » .
(٣) ليست في (ط) .
(٤) (أ) : « عاد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٥) الحاقة : ٨/٦٩ .
(٦) سنة (٧٠٢ هـ) ، انظر : البداية والنهاية : ٢٥/١٤ ، وتاريخ أبي الفداء : ٤٨/٤ .
(٧) ليست في (ط) .

ولم يزل غازان على حاله إلى أن ...[١] وصلت إليه يدّ سواء عندها البازي الأشهب والغراب الأبقع .

وتوفي في ثاني[٢] عشر شوال سنة ثلاث وسبع مئة ، ببلاد قزوين ، وحُمل إلى تربة بـ « شم » ظاهر توريز ، والعوام يسمّون هذا المكان : الشام ، وهي تربة اشتملت على عمارة جليلة .

وظاهر توريز يشتمل[٣] على ثلاث مدارس : للشافعية وللحنفية وللحُكماء[٤] ، وعلى مارستان وجامع وخانقاه ، ورصد للكواكب ، وخزائن للكتب ، ودار مضيف ، وأوقاف ذلك تغلّ في السنة نحو خمس مئة ألف دينار رائج ، والرائج ستة دراهم ، والدرهم نصف وربع كاملي . وكان النظر في ذلك للخواجا رشيد[٥] وأولاده .

واختلفت أخباره[٦] على البلاد الإسلامية[٧] ، وخبط القُصّاد فيها تخبيطاً كبيراً . واشتهر أخيراً أنه سُمّ في منديل تمسَّحَ به بعد الجماع ، فتعلّل مُدَّةً ومات .

وكان الشيخ علاء الدين الوداعي ـ المقدّم ذِكْرُه ـ تلك المدّة في البيرة ، فكتب مطالعة عن نائبها إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وكتب فيها :

قد مات قازانُ بلا مِرْيَةٍ ... ولم يَمُتْ في الحِجَجِ الماضِيَه
بل شنّعوا عَنْ موته فانثنى ... حيّا ولكنْ هذهِ القَاضِيَه

فكتب الجواب إلى الأمير سيف الدين طوغان نائب البيرة شيخنا العلاّمة

(١) كذا بياض في (أ) ، (ط) ، (ق) .
(٢) (أ) : « ثامن » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والدرر .
(٣) (ط) : « عمارة جليلة ظاهر توريز ، وتشتمل .... » .
(٤) (ط) : « والحكماء » .
(٥) هو رشيد الدولة ، فضل الله بن أبي الخير ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٦) (أ) : « أجناده » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٧) (ط) : « الشامية » .

شهاب الدين أبو الثناء محمود ـ رحمه الله تعالى ـ : ووقفنا على البيتين اللذين نُظما في [وَصْف][1] حال قازان ، وتحقُّقِ مَوْتِهِ بعد اختلاف الأخبار فيه ، والجواب عنها :

مـــــات من الرعب وإن لم تكن ... بموته أسيافنا راضيه
وإنْ يفتها فأخوه إذا رأى ... ظباها كانت القاضيَه

وللوداعي ـ رحمه الله تعالى ـ في موت قازان عدة مقاطيع منها ما نقلته من خطه :

لقد مات قازانٌ فويلُ منافقٍ ... يكابرُ فيه بالخديعة والمكْرِ
ولم يَبْقَ إلاّ أن يجيء بنَفْسه ... ويحلف أني قد شَبِعْتُ مِنَ القَبْرِ

ونقلت منه أيضاً له :

وكم يجعل القصّادُ حيّا وميتا ... قَزَاناً وأَوْحَتْهُم شياطينهم وَحْيَا
إلى أن قضى نحبا وصار إلى لظى ... وأصبح فيها لا يموت ولا يحيا

ونقلت منه أيضاً له مضمنا :

قد قال غازانُ يا للمسلمين لَقَدْ ... ثارت بقُصَّادكم بين الورى الفِتَنُ
كم قد نُعيت وكم قد متّ عندكم ... ثمّ انتفضت فزال القُطْن والكَفَنُ

وكان جلوس غازان على تخت الْمُلكِ في سنة ثلاث وتسعين وست مئة . وحسّن له نائبُه نوروز[2] الإسلامَ ، فأسلم في سنةِ أربع وتسعين ، ونثر الفضة والذهب واللؤلؤ على رؤوس الناس ، وفشا بذلك الإسلام في التتار . وكان[3] صاحبَ العراقين وخراسان وفارس والجزيرة وأذربيجان والروم .

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .
(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) (ط) : « وكان هو » .

قال العز الإربلي الطبيب[١] ما معناه : إن غازان لمّا ملك استَضَافَ نساء أبيه إلى نسائه [علَى ياسا[٢] المغول في ذلك ، وكان مُغْرىً بحبّ بلغان خاتون دون نسائه][٣] ، وهي أكبر نساء أبيه ، فلما أسلم قيل له : إن الإسلام يفرّق بينك وبينها ، لأنه لا يَجُوز في دين الإسلام أن ينكح الرجل ما نكح آباؤه من النساء ، فَهَمَّ بالرّدة إلى أن أفتاه بعض العلماء بأن أرغون أباه كان كافراً . وكانت بلغان خاتون معه سِفَاحاً والحرامُ غَيْرُ مُحَرِّم ، فيجوز لك أن تنكحها ، فَسُرَّ بذلك ، وعقدَ عَقْد نكاحه عليها ، وثبت على الإسلام ، ولولا ذلك لارتد . قال : ولاموا مَن أفتاه ، فقال : إنما قلت ظاهرَ الشرع ، وإن تسهّلْتُ فالتّسهُّل[٤] في ارتكاب غازان بمحرّمٍ واحد وأسهلُ من أن يرتدَّ كافراً ، ويَنْتَصِبَ لمعاداةِ الإسلام وأهْلِه . فاستُحسن ذلك من قوله ، وعُرف فيه حُسْنُ قَصْدِه .

وكان غازان يتكلم بالتركية والمغلية[٥] والفارسية ، ولكنه ما يتكلم بها إلاّ مع الخواجا رشيد وأمثالِه من خواصِّ حَضْرَتِه ، ويفهم أكثر ما يقال قدّامه بالعربي ، ولا يُظهر أنّه يَفْهَمُه تعاظماً لأجل ياسا جنكزخان الخالصة . ولمّا ملك أخذ نفسه بطريق جنكزخان ، وأقام الياسا المغولية ، ورتّب الأرغوجية لعمل[٦] الأرغو وأن يلزم كل أحد قَدْرَه ، ولا يتعدّى طَوْرَه ، وأن يكون الآغا آغا والأيني أيني ، وصرف همّته وعزيمته إلى إقامة العساكر وسدّ الثغور ، وقَصَدَ الأعداء في الأطراف ونفّذ البراليغ[٧] والأحكام بعمارة البلاد والكف عن سفك الدماء وتوفير أهل كل صنعة على عملها ليكثروا

---

(١) حسن بن أحمد بن زفر ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) كلمة مغولية تعني ههنا القوانين ، وقد سلفت الإشارة إليها .

(٣) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٤) في (أ) : « فالتسهيل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٥) (ط) : « يتكلم بالمغلية » .

(٦) (ط) : « بعمل » .

(٧) جمع بُرْلَغ ، وهو المرسوم .

وتعمر البلاد كما كانت في [أيام] [١] الخلفاء - رضوان الله عليهم - والملوك الخوارزمية وغيرهم . إلاّ أنه كان مع شجاعته وحزمه ورأيه مبخّلاً بالنسبة إلى ملوك بيته .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله [علي إن شيخنا] [٢] شمس الدين الأصفهاني حدّثني [عنه] [٣] أنه أجاز خواجا رشيد على كِتَابٍ صنّفه باسمه ألف ألف دينار ، أخذ[٤] بها عِقاراً[٥] خراباً كان يساوي أضعاف ذلك ، ثم عمّره بجاهه ، فتضاعفت قيمته .

قلت : مِثلُ هذا لا يُعَدُّ كَرَماً ، لأن هؤلاء الملوك عطاؤهم لخواصهم ومَن يقرّبونه ويحبّونه ليس بقياس ولا على قاعدة مطَّرِدَة ، فإن السلطان الملك الناصر محمد كان يعطي خواصه مثل بكتمر الساقي وقوصون وبشتاك والحجازي ويلبغا أضعاف هذا العطاء[٦] ، وهذا الخواجا رشيد لم يكن عند قازان أحد في محلّه ولا في رتبته لأنه كان لا يثق إلا به ، وهو جليسه وأنيسه ونديمه[٧] وطبيبه وطبّاخه ، فلا يأكل إلاّ من يده أو من أيدي أولاده ، وكانوا يطبخون الطعام له في قُدورِ فضة ، ويغرفونها في الطّياسي الذهب والجفانات[٨] الذهب ، ويحملونها بأنفسهم إليه ، ويقطع له خواجا رشيد ويلقمه بيده . وكان بيد خواجارشيد على هذه الوظيفة مغل بَلَدَيْن ، إلى غير ذلك من الأرزاق الواسعة ، وكان يطلعه من أسراره على ما لا يطّلع غيره عليه .

---

(١) زيادة من (ط) .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٣) زيادة من (ط) .

(٤) زيادة من (ط) .

(٥) (أ) : « أخذتها » ، وأثبتنا ما في (ط) . وفي (ط) : « عقاراً كان ... » .

(٦) (ط) : « أضعاف ذلك » .

(٧) ليست في (ط) .

(٨) (ط) ، (ق) : « والخناقات » .

ولّما استقر غازان وثبتت قدمه قطع الراتب [عن][١] كاز خاناه السراي وجامِعِهم بتوزير وما[٢] كان لهم من قديم الزمان ، فجاءته رُسل ملك السراي وقالوا له : خرجت عن الياسا ، فردّهم أقبح رد ، وقال : الياسا ما أقرره أنا ، ويكفيكم[٣] سكوتي عنهم .

قال نظام الدين يحيى بن الحكيم[٤] : إن هولاكو لّما فتح البلاد لمنكوقان نزّل نفسه منزلة النائب له ، لا يخرج له عن أمر ، فبعث يقول له : إن بركة آغا يعني ملك السراي ليس في بلاده صُنّاع ولا لها كبيرُ دخل ، ويحتاج هو وعسكره إلى قماش فتكون له مراغة وتوريز ، فسَلّمها إلى نواب بركة ، فعمّروا بها كازخاناة لاستعمال القماش ، والكازخاناة عندهم بمنزلة دار الطراز[٥] [عندنا] ، وبنوا لهم جامعاً وظفّ له وظائف ، وكتب عليها اسمه . ثم كانوا فيما بعد يُجرون للكازخاناة والجامع بعضَ خراج مراغة وتوريز ، فقطع غازان ذلك رأساً ، والجامع والكازخاناة إلى الآن باقيان[٦] ، وعليها اسم بركة .

ثم إن قازان بعد ذلك تسمى بالقان [وأفرد][٧] نفسه بالذكر في الخطبة[٨] وضَرب السكة باسمه دون القان الأكبر ، وطرد نائبه من بلاده ، ولم يسبق قازان إلى هذا أحدٌ من آبائه . بل كان هولاكو وجميع من جاء بعده لا ينزلون أنفسهم إلا منزلة [نواب][٩] القان الأكبر ، ولا يُسمّى أحد منهم بالقان ، وإنما يقال السلطان فلان ،

(١) زيادة لعل السياق يقتضيها .
(٢) (أ) ، (ق) : (ما) ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٣) (ط) ، (ق) : « ويكفيهم » .
(٤) في الأصل : « الحكم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وهو يحيى بن عبد الرحمن الجعبري ، نظام الدين المعروف بابن النور الحكيم ، توفي بعد السبعين والسبع مئة . الدرر : ٤١٧/٤ .
(٥) زيادة من (ق) ، (ط) .
(٦) (ط) : « هما باقيان » .
(٧) زيادة من (ق) ، (ط) .
(٨) (ط) : « بالذكر والخطبة » .
(٩) زيادة من (ق) ، (ط) .

والسكّة والخطبة للقان الأكبر دونهم ، وإنْ ذكر لأحد منهم اسم ، ذُكر على سبيل التبع ، وإن كانوا مُلاّك البلاد وحكامها ، ولهم جباية الخراج ، وإليهم العقد والحل والولاية والعزل .

وقال قازان لمّا طَرَد نائب القان : أنا أخذت البلاد بسيفي ، ما أخذتها[١] بجنكزخان ولا بأحد . ولا[٢] يجسر أحد على مراجعته . ولهذا لا يقال ذهب هولاكي ولا أبغاوي ولا أرغوني ، وما يقال إلا ذهب قازاني وذهب خربندي وذهب بوسعيدي .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : قال لي الأمير سيف الدين ظهير بغا ـ رحمه الله تعالى ـ : المغل تقول : « من رأى غازان ما فاتته رؤية جنكزخان » . ثم قال : مات مُلْكُ المغلِ من[٣] بعده . قال : فحكيت ما قاله للأمير سيف الدين أيتمش الناصري ، وكان أعرف أهلِ زمانه بأحوال المغل ، فقال : لا أخطأ إلاّ مَنْ رأى غازان ما فاتته رؤية هولاكو ، ومن رأى أبغا ما فاتته رؤية جنكزخان ، وما مات ملك المغل بعد غازان ، وإنما ماتت ياسا المغل .

قال : وقال لي ظهير بغا : كان غازان إذا اشتد غضبه ، وهو جائع أكل ، أو هو بعيد العهد بالنساء جامع ، وتشاغل عن غضبه بهذا وأمثاله . وكان يقول : آفة العقل الغضب ، ولا يصلح للملك أن يكون في عقله آفة[٤] .

وقال : كان غازان إذا غضب خرج إلى وسيع الفضاء[٥] ، ويقول : الغضب إذا خزنته ازداد ، وإذا صرفته تصرف .

---

(١) (أ) ، (ق) : « ما أخذته » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٢) (ط) ، (ق) : « ولم » .
(٣) ليست في (ط) .
(٤) (ط) : « غضبٌ وآفة » .
(٥) (ط) : « وسع من الفضاء » .

وقال : كان يقول : المُلك بلا رجال ، شجرة بلا أغصان ، والملك بلا مال ، شجرة بلا ثمر ، والملك بلا سلاح ، شجرة بلا ورق ، والملك بلا إحسان ، شجرة بلا فيء .

وقال : رُمي بعض أولاد القانات بابنه ، فقال الناس : ابن قان يكون بهذا[١] ، كيف يتفق هذا ؟ فقال لهم غازان : ما العنب منه خَمْرٌ وخَلّ !

وقال : ركب قازان يوماً فرساً ، فلَعِبَ به ، فقال له[٢] : معذور أنت ، محمود غازان فوقك . فوقع عنه ، فقال : لولا وقوع المطر على الأرض ما طلع النبات . انتهى .

وضَرَب غازان في مدة مُلكه سبع مصافّات ، منها ما حضره بنفسه ، ومنها ما لم يحضره[٣] ، فأولها المصاف الذي بينه وبين نوروز بن أرغون آغا ، وكان هذا نوروز قد سعى لغازان حتى ملك ، ثم وقع في خاطره أنه آن خروج المهدي ، وأنه هو يكون الممهّد له ، فاستحال على غازان ، وخرج غازان لقتاله ، واستعان نوروز[٤] بالأكراد اللوّ ، فانتصر غازان ، وهرب نوروز إلى أقاصي خراسان ، ثم لجأ إلى قلعة ، فأمسكه صاحبها وقطع رأسه ، وجهّزه إلى غازان ، فأنكر عليه غازان ، وقال : كان قَتْلُ هذا إلى ماهو إليك ، ثم إنه قتله به[٥] .

والمصاف الثاني مع اللو الأكراد ، لكونهم قاموا مع نوروز ، فكَسَرهم كسرة عظيمة أُبيعت فيها البقرة الفتيَّة السمينة بخمسة دراهم ، والرأس الغنم بدرهم ، وأبيع الصّبي البالغ الحسن الصورة باثني عشر درهماً .

(١) (ط) : « أين كان يكون هذا » .
(٢) ليست في (ط) .
(٣) (ط) : « منها ما خصّه .... مالم يخصّه » .
(٤) (ط) : « غازان » ، سهو .
(٥) (ط) : « وقتله به » .

قال الإربلي : وقُتل في هذه الواقعة أوّلاً وآخراً خمسون ألفاً .

والمصاف الثالث كان مع عرب البطائح وواسط ، وكانوا قد ملّكوا عليهم شيخا منهم يُدعى عمران ، وكان قد حاربه عز الدولة بن بويه عدّة نُوَب ، ولم ينتصف منه .

وللمصاف الرابع والخامس والسادس بالشام ، نوبة حمص ونوبة الأطراف ونوبة شقحب ، فانتصر في الأولى ، ومَلَك الشام مدة أربعة أشهر ، وفي الثانية طلع رأساً برأس ، وفي الثالثة كانت الكسرة على جيشه .

والمصاف السابع كان من أهل كرمان بعد حصارها ونهب أموالها ، وعفّ عن الدماء في الذراري[1] والنساء .

ولم يَصْدع حصاةَ قلبه ولا فلّ عرشَ قواه مثلُ نوبة شقحب ، فإنها أماتته بغبنه غبناً[2] ، وكانت بغير رأيه ، لأنه جهّز قطلوشاه بالعساكر ليغير بهم على حلب والأطراف ، وأمره ألا يعدّي[3] حمص ، فلمّا جاء إلى البلاد وجد عساكرها قد تقهقرت قدامه ، والبلاد خالية ، وليس للجيوش ولا للسلطان في الشام خبر ، فظن أن كسرتهم نوبةَ حمص مابقي لها خبر ، فجاء إلى دمشق ، ومرّ على ظاهرها وجرّه الطمعُ إلى مصر ، لعلّه يملك لغازان مملكة الإسلام . فأنجز الله وعده ، ونصر حزبه . ولّما رجع قطلوشاه شَتَمه وضربه وأوقفه يوماً في الشمس وحملها غازان على نفسه ، فلم تتطاول به الأيام حتى مات .

وقيل : إن بلغان خاتون سمّته في منديل عقيب نكاحها .

قال القاضي شهاب الدين : ولم يصح هذا ، وإنما هذا شيء ادعته يَلَقْطُو بنت

---

(١) (ط) : « وعفّ عن الذراري » .

(٢) في (أ) : « غمّا » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) .

(٣) في (أ) : « ألا يتعدى » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) .

أبغا[١] ، ومشت به إلى ملوك الإسلام ، وكانت تكاتبهم ، وادّعت أنها حسّنت ذلك لبلغان خاتون ، لأن بلغان خاتون كان لها أرب لم تخل فيه من هوى ، وكانت تخافه ، فقالت لها : أمرك ما بقي يَخْفَى ، فعاجليه وإلا فروحك رائحة .

قال الإربلي : وكان غازان له نظر في عواقب الأمور وخبرةٌ تامَّةٌ بتدبير الملك ، وكان يلتحق في أفعاله بجدّه الأكبر هولاكو ، ولم يكن فيه ما يشينه ، غير أنه كان مبخّلاً ، لكن كانت هيبته قوية ، وكان الرعايا في أيامه آمنين .

قلت : وخُطب له على منبر دمشق في يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة بحضور المغل ، ودُعي له على السدّة ، وقرئ مرسوم بتولية قبجق نيابة دمشق[٢] .

وكان قد كتب غازان لأهل دمشق فرمانا بإشارة الأمير سيف الدين قبجق ونسخته :

بقُوَّةِ الله تعالى ، ليعلمْ أمراءُ التومانات والألوف والمئات وعمومُ عساكرنا من المغول والتتار والأرمن والكُرج وغيرهم ممنَّ هو داخلٌ تحت طاعتنا أنّ الله سبحانه وتعالى لمّا نوّر قلوبنا بنور الإسلام ، وهدانا إلى ملّة النبي عليه السلام ﴿ أفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صدرَهُ للإسلامِ فهوَ على نُوْرٍ من رّبّهِ فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهُم مِنْ ذكرِ اللهِ أولئكَ في ضَلالٍ مُبينٍ ﴾[٣] ولمّا سَمِعْنَا أنّ حكّام [مصر والشام خارجون عن طرائق الدين غير متمثلين بأحكام][٤] الإسلام ناقضون لعهودهم ، مخالِفُون لمَعْبُودهم ، حالفون بالأيمان الفاجره ، ظالمون في[٥] أحكامهم المتغايره ، ليس لديهم وفاءٌ ولا ذِمام ، ولا لأمورهم التئام ولا

(١) هي عمّة غازان ، ستأتي ترجمتها في موضعها .

(٢) البداية والنهاية : ٨/١٤ ، وستأتي ترجمة (قبجق) في موضعها .

(٣) الزمر : ٢٢/٣٩ .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ط) .

انتظام ، وكان أحدهم ﴿ إذا تولَّى سَعَى في الأرضِ ليُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسلَ واللهُ لا يُحبُّ الفَسَادَ ، وإذا قيلَ له اتقِ اللهَ أخذتْهُ العِزَّةُ بالإثمِ ، فحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ولبئسَ المهادُ ﴾[١] ، وشاع الخبر أنّ شعارهم الحيف على الرعية ، ومد الأيدي إلى حريمهم وأموالهم بالأذيّه ، والتخطي عن جادة العدل والإنصاف . وارتكابهم الجور والاعتساف[٢] ، حَمَلَتْنَا الحميّةُ الدينيّة والحفيظةُ الإسلامية على أن تَوَجَّهْنا إلى هذه البلاد ، لإزالة العدوان والفساد ، مستصحبين الجمّ الغفير من العساكر ، ونَذَرْنَا على أنفسنا إنْ وفَّقنا اللهُ تعالى بحولِهِ وقوَّته لفتح البلاد ، أَنْ نُزيل عَنْ أهلها العدوانَ والفساد ، ونَبْسُط العدلَ في العباد ، ممتثلين الأمر الإلهي المطاع ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[٣] ، وإجابة إلى ما نُدِبَ إليه الرسول عليه السلام : المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في أحكامهم وأهليهم[٤] .

وحيث كانت طوّيتنا[٥] مشتملة على هذه الطوية الجميلة والنذور الأكيدة ، مَنَّ الله سبحانه وتعالى علينا بتبلّج تباشير النصر المبين ، وأتمّ علينا نعمته ، وأنزل علينا سكينته ، فهزمنا العدّة[٦] الطاغية ، والجيوش الباغيه ، ففرقناهم أيدي سبا ﴿ ومزّقناهم كل ممزّق ﴾[٧] ، حتى ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ﴾[٨] . فازدادت صدورنا انشراحاً للإسلام ، وقويت نفوسنا بحقيقة الأحكام ،

---

(١) البقرة : ٢٠٥/٢ ، ٢٠٦ .

(٢) (أ) : « والإعساف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) النحل : ٩٠/١٦ .

(٤) الحديث في صحيح مسلم ، في الإمارة : ١٤٥٨/٣ ، رقم (١٨) .

(٥) (ط) : « طريقتنا » .

(٦) (ط) : « فقهرنا العدوّ » .

(٧) سبأ : ١٩/٣٤ .

(٨) الإسراء : ٨١/١٧ .

منخرطين في زُمْرَة مَنْ حُبّب إليه الإيمان ، فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثقة والنذور المؤكّدة ، فصدَرت مراسمنا العالية أن لا يتعرّض أحدٌ من العساكر المذكورة على اختلاف طبقاتهم بدمشق وأعمالها وسائر البلاد الشامية ، وأن يكفوا أظفار التعدّي عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم وأطفالهم ، وأن لا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه حتى يشتغلوا بصدور منشرحة وآمال منفسحة لعمارة البلاد وما هم بصدده من تجارة وزراعة .

وكان في هذا الهرج العظيم وكثرة العساكر تعرُّضُ بعضِ نفر يسير إلى بعض الرعايا وأسرهم ، فقتلنا منهم ليعتبر الباقون ويقطعوا أطماعهم عن النّهب والأسر وليعلموا أنّا لا نسامح بعد هذا الأمر البليغ البتة ، وأن لا يتعرّضوا لأحد من أهل الأديان من اليهود والنصارى والصابئة ، فإنما يبذلون الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا ، لأنهم من جُملة الرعايا ، قال عليه السلام : الإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم[١] ، فسبيلُ القُضَاة والخطباء والمشايخ والعلماء والشرفاء والأكابر وعامة الرعايا الاستبشار بهذا النصر الهنيّ والفتح السنيّ ، وأخذ الحظ الوافر من الفرح والسرور ، مقبلين على الدعاء لهذه الدولة القاهرة والمملكة الظاهرة .

وكتب بتاريخ خامس ربيع الآخر ، وقرئ هذا الفرمان في الجامع ، ونثر الناس عليه بعضَ دنانير وبعض[٢] دراهم .

ولما نزل قازان على دمشق دخلها الأمير سيف الدين قبجق ، وجلس بالعزيزية ، وكتب للناس أمانات من جهته ، وخُطب يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة [تسع و][٣] تسعين وست مئة بجامع دمشق لغازان ، وقرئ مرسوم بولاية قبجق

(١) انظر الجامع الصغير : ٩٥/٢ ، ومسلم في الإمارة (١٤٥٩/٣) برقم (٢٠) .
(٢) ليست في (ط) .
(٣) زيادة من (ط) .

لدمشق . وفي رابع عشري جمادى الأولى خرج جماعة من القلعة وكسروا المجانيق التي للتتار بالجامع الأموي .

ودُقّت البشائر ، ورحل غازان عن دمشق بعدما أخذ أموالاً كثيرة وترك قبجق نائبا عليها ، وعنده قطليشاه ، ومعه جماعة من المغول .

قال الشيخ وجيه الدين بن المنجا[١] ـ رحمه الله تعالى ـ : الذي حُمل من دمشق إلى خزانة غازان ثلاثة آلاف [ألف][٢] أو ست مئة ألف درهم سوى ما تمحّق من البراطيل والتراسيم وإنّ[٣] شيخ المشايخ الذي نزل بالعادلية حصل له ما قيمته [ست][٤] مئة ألف [والذي حصل للأصيل بن نصير الدين الطوسي مئة ألف][٥] درهم والصفي السنجاري[٦] ثمانون ألفاً .

قلت : هذا خارج عمّا نهبه المغل والأرمن للناس من الصالحية ومن المدينة وضواحيها ، ولعلّه يقارب هذا المقدار .

وفي سادس عشري جمادى الأولى ، نودي في دمشق بخروج الناس إلى البلاد والقرى والحواضر ، وألا يُغَرّر أحد بنفسه . وفي سابع عشري رجب أُعيدت الخطبة للملك الناصر محمد بن قلاوون على منابر الجوامع بدمشق[٧] .

---

(١) نقله في البداية والنهاية : ٩/١٤ .

(٢) زيادة من (ق) و (ط) والبداية .

(٣) (ط) : « وابن » .

(٤) زيادة من (ق) و (ط) والبداية .

(٥) زيادة من (ط) و (ق) والبداية .

(٦) في البداية : « السخاوي » ، تحريف ، انظر : الدارس : ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ .

(٧) ههنا ينتهي ما بين أيدينا من نسخة (أ) ، وجاء في آخرها « تمّ الجزء الرابع من أعيان العصر وأعوان النصر ، بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله في الخامس غازي بن داود بن عيسى » .

١٣٢٦ - غازي بن داود بن عيسى بن محمد بن أيوب*

الأمير الملك المظفر بن الناصر صاحب الكرك بن المعظّم بن العادل .

كان رجلاً جيداً كبير القدر محترماً مبجلاً ، عنده فضيلة وفيه تواضع .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن خطيب مردا ، والصدر البكري . كان قد حج وزار القدس ، وقدم دمشق وأقام بها مدة ثلاثة أيام .

ثم إنه عاد إلى القاهرة فتوفي بها - رحمه الله تعالى - في ثاني عشر شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وست مئة بقلعة الكرك .

ودفن بالقرافة ، وصُلّيَ عليه بدمشق غائباً .

١٣٢٧ - غازي بن خطلبا**

شهاب الدين الصرخدي ثم الدمشقي .

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : كان المذكور جنديّاً ثم تصوّف ثُمَّ اسْتُغل[1] بالقاهرة وتعدّل [2] وقعد في الدكان يسترزق مع الشهود .

وأنشدني لنفسهِ بباب المدرسة الفاضليّة :

فلولا حظوظُ النفسِ ما كنتُ في الهوى ... أسيراً وفي بَحر الهوى أنت غارقُ
دَع الكلَّ والإخلاصَ إن كنت خالصاً ... وإيّاك والأوهام فهي العَلائقُ

---

* الدرر : ٢١٥/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيول العبر : ٧١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٤/٩ .

** لم نقف على ترجمة له .

(١) في (ط) : « اشتغل » .

(٢) زيادة من (ط) .

إذا مـا نظرتَ الخلـقَ بـالحـق لن ترى سـوى الحـقِّ إنّ الكلّ بـالحـقّ نـاطـقُ
وأيْنَ السـوى والغيرُ إن كنت عـارفـاً سـوى صُـوَرٍ والسرُّ في الكل فـــارِقُ

١٣٢٨ - غازي بن عبد الرحمن بن أبي محمد*

شهاب الدين الدمشقي[١] الكاتب المشهور المجوّد .

كاتب كبتِ البروقُ وراءَه وَمَـا لحقت غبـارَه ، ولاَنَشَقَتْ الريـاضُ ريحـانـه ولا ملكت الملوك طُومَارَه . لحق الوَليّ التبريزي ، فكان الوليَ وَسْمِياً وهو وَليُه[٢] ، وخطُّه تحت طبقته والوليُّ عليُّه .

وَكَتَب عليه جماعةٌ من الكُتّاب وأبْنَاء الرؤساء وأرباب الآداب ، وكان يـدّعي أنـه كتب على الـوليّ ، والصحيـح أنـه كتب على ابن النجّـار[٣] ، وأتى بمـا يخجِـل الجـواهرَ والأحجار .

ولم يزل إلى أن حقّقَ الْمَوْتُ نَسْخَه ، وأوجب عَقْد الحياة فَسْخَه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء رابع عشر شوال سنة تسع وسبع مئة .

ومَوْلِدُه سنة ثلاثين وست مئة .

وكان قـد أجـاد قلمَ الرقـاع ، وكان يُكتّب النـاس على طريـق الـوليّ التبريـزي ويَسْتَحْسِنها ويقول : ما كتب أحدٌ مِثلهُ ، وكان يجلس في المـدرسـة العزيزيّـة وَيكتّب الناس فيها مدة خمسين سنة وقبلها مدةً زمانية تحتَ مئذنة فيروز ، وكتب عليـه عَـامَّـةُ من أجـاد الخـط في زمـانـه كشمس الـدين محمـد بن أسـد النجـار[٤] ونجم الـدين بن

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٥/٣ .
(١) ليست في (ط) .
(٢) الولي : المطر بعد المطر .
(٣) إبراهيم بن سليمان بن حمزة القرشي الدمشقي كتب للأمجد صاحب بعلبك .
(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

البصيص[١] ، وابن الأخلاطي[٢] ، وغيرهم ، وإن كان ابن النجار قد كتب على ابن الشيرازي[٣] فإن أكثر انتفاعه إنما كان بالشهاب غازي ، وكان إماماً في التوفيق ومعرفته بالخط أكثر من كتابته باليد ، ولكنّه كان في لسانه سَفَهٌ وبَذَاءَة مع كل بنت شَفَه وغير ذلك .

وكان قَدْ سَمِعَ شيئاً من الحديثِ من ابن عبد الدائم ، وروى ، وسمع عليه الطلبة .

١٣٢٩ ـ غازي بن عمر بن أبي بكر*

ابن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الأمير شهاب الدين أخو المعظم عيسى بن المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل الكبير .

أجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

١٣٣٠ ـ غازي بن أحمد**

الصَّدْر الكبير ، القاضي شهاب الدين المعروف بابن الواسطي الكاتب .

كان صدراً كبيرا ، ورئيساً[٤] تنقّل في المباشرات حتى صار وزيرا ، وعلا بكتابته وتدبيره محّلاً أثيرا ، إلا أنه ما كان يخلو من جَوْر ، وَمَيل إلى تَنَقل[٥] من طور إلى طور ، وكانت لديه فَضيله ، وأدبٌ عنده منه نُكتٌ جليله .

---

(١) موسى بن علي ، ستأتي ترجمته .

(٢) ويعرف بابن الخلاطي ، وهو : محمّد بن نجيب بن محمّد الكاتب ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله ، ستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٢١٦/٣ .

** نكت الهميان : ٢٢٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٤/٣ .

(٤) (ط) :« رئيساً » بلا واو .

(٥) (ط) :« من جَوْرٍ وتنقّلٍ » .

وكتب الإنشاء بالقاهره ، وأبرز طروسه كالرياض الزاهره ، وكان خَطُّه كالوشي إذا حُبِك ، والذهب الخالص إذا سُبِك .

ولم يزل إلى أن أضرّ ، وقوبل بما أضمر وأسَرّ ، حتى التحق بربّه ، وجرّه القبر إليه وضمّه بتربه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشْرَة وسبع مئة .

ومولده بحلب ، وكان من أبناء الثمانين رحمه الله تعالى .

خدم بديوان الاستيفاء نائباً في حلب ، ثم خَدَم كاتب الجيش بها ، ثم إنه تَوجَّه إلى مصر وخدم هناك في جهات ، وحضر إلى حلب مستوفياً في دولة الظاهر بيبرس وصُرِف ، وعاد إلى مصر ورُتِّبَ بديوان الإنشاء . وكان يكتب خطاً حسناً ، رأيتُ بخطه نسخة (المثل السائر) في مجلَدةٍ واحدة في غاية الحسن .

ثم إنه ولي نظر الصحبة في الأيام المنصوريّة . ورافق الأمير بدر الدين بكتوت الأقرعي[1] سنة اثنتين وثمانين وست مئة والأقرعي مُشدّ الصحبة وصادرا الناس وعاقباهم ، ووصل أذاهما إلى القُضَاة .

ثم إنه ولي نظر حلب في الدولة الناصرية إلى سنة اثنتين وسبع مئة ، وَصُرِف ، ثم إنه ولي نظر الدواوين بدمشق ، ثم إنه صُرِف وأعيد إلى حلب وقد ضَعُف نظره جداً ، وتوفي بها رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان قد وصل من مصر إلى دمشق متولِّيَ النظر بها [عوضاً][2] عن شرف الدين بن مزهر[3] في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة .

---

(١) (ت ٦٩٤) ، الوافي : ٢٠٠/١٠ .

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) في الدرر : « هرمز » ، تحريف ، وهو : يعقوب بن مظفر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

١٣٣١ ـ غازي بن قرا أرسلان بن ارُتق*

ابن غازي بن ألبي بن تمرتاش بن غازي بن أرتق ، الملك المنصور نجم الدين بن الملك المظفر فخر الدين بن الملك السعيد نجم الدين بن الملك المنصور ناصر الدين صاحب ماردين .

أقام في سلطنة ماردين نحو عشرين سنة ، وَليها بعد أخيه السعيد داود ، وولي بعده الأمير علي ولُقب بالملك العادل ، فبقي سبعة عشر يوماً ، ومات رحمه الله تعالى وولي بعده أخوه الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور ، وكان المنصور رجلاً سميناً بديناً إذا ركبَ يكون خلفه محفّه دائماً خوفاً من تعب يحصل له ، فتكون المحفّة مهيأة ، ولما مرض أخرجَ أهل السجون وتصدَّق .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع شهر ربيع الآخر في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ودُفن رحمه الله تعالى بمدرستهم تحت القلعة عند أبيه وأجداده ، رحمهم الله تعالى أجمعين ، وكان شيخاً في عشر السبعين[1] .

اللقب والنّسَب

☆ **أولاد ابن غانم** : جماعة ، منهم القاضي شمس الدين محمد بن سلمان بن حمايل ، وهو والد الرؤساء الإخوة : الشيخ علاء الدين علي ، وأولاده بدر الدين محمد وجمال الدين عبد الله ، ونجم الدين أحمد . والشيخ شهاب الدين أحمد وولده تاج الدين عبد الله وأمين الدين إبراهيم . والشيخ حسام الدين سلمان بن حسن . والشيخ بهاء الدين أبو بكر ، وولده شهاب الدين أحمد . والشيخ أبو الحسن عبد الله . وجمال الدين عمر بن محمد بن سلمان . وفخر الدين عثمان .

---

* البداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدرر : ٢١٦/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيول العبر : ٦٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٤/٩ .

(١) (ط) : « التسعين » ، تحريف .

☆ **والغانمي** : إبراهيم بن يونس .

☆ **والغافقي** : النحوي إبراهيم بن أحمد بن عيسى .

☆ **الغالب بأمر الله** : صاحب الأندلس إسماعيل بن الفرج .

☆ **ابن غاليه** : المسند يوسف بن أحمد .

☆ **الْغُتْمِيّ** : نائب الرحبة ، حسام الدين لاجين .

☆ **الغزي** : بدر الدين حسن بن علي ، أخوه الحسين بن علي ، الشيخ محمد الْمُنَجِّم .

☆ **الغرَّافي** : إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن ، وتاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن .

☆ **ابن غَنّوم** : صدر الدين يوسف بن أحمد .

☆ **الغُورِي** : محمد بن الحسين .

١٣٣٢ - غنايم بن إسماعيل بن خليل*

الشيخ الصالح أبو محمد التدمري الخَوَّاص بقرية راوية بقبر الست مِنْ غُوطة دمشق(١) .

كان رجلاً مباركاً معروفاً بالصلاح والديانة من البيانِيّة .

سمع من الشيخ تقي الدين بن الواسطي ، وكان عنده فهم ، وله شعر ، ويحفظ جملة من اللغة . وكان حسن الأخلاق ، أخبرَ باليوم الذي ، يموت فيه وصَدَق .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عُشْرَي شهر شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، تجاوز الثانين .

* الدرر : ٢١٧/٣ ، وفيه : « غانم بن إسماعيل » .

(١) انظر معجم البلدان .

حرف الفاء

١٣٣٣ ـ فارس بن أبي فراس بن عبد الله*

الجعبري الحوائصي ، الشيخ الصالح المُعَمّر أبو محمد .

أجاز لي في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

النسب واللقب

☆ **الفارسي** : علاء الدين علي بن بلبان .

☆ **الفاروثي** : نصير الدين عبد الله بن عمر .

☆ **الفاتولة** : عبد الله .

☆ **الفار الشطرنجي** : أحمد بن محمد .

☆ **الفارقي** : جماعة منهم : سعد الدين سعد الله بن مروان .

☆ **الفارقي النحوي الكفري** : سليمان بن أبي حرب .

☆ **زين الدين الخطيب** : عبد الله بن مروان .

☆ **الفاشوشة الكتبي** : إبراهيم بن أبي بكر .

☆ **الفارغ الحموي** : أمين الدين عبد الحق بن أبي علي .

---

* الدرر : ٢١٩/٣ ، ووقع في الأصل : « ابن أبي فارس » ، وأثبتنا ما في (ط) والدرر .

١٣٣٤ - فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر*

الشيخة المعمّرة الْمُسْنِدة العابدة ، أم محمد البطائحية البعلية ، والدة الشيخ إبراهيم بن القريشة[١] ، وقد تقدّم ذكره في الأَبَارِه .

سمعت (صحيح البخاري) من ابن الزبيدي ، وسمعت من العلاّمة الحصري (صحيح مسلم) .

وحدّثت في أيام ابن عبد الدائم ، وطال عمرها ، وروت الصحيح مرّات .

سمع منها شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وسراج الدين بن الكويك ، وتقي الدين بن أبي الحسن ، وابن شيخنا الذهبي[٢] ، وعدد كثير .

وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة خمس وعشرين وست مئة .

١٣٣٥ - فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر**

المقدسيّة الصّالحية المعمّرة[٣] ، خاتمة أصحاب إبراهيم بن خليل ، وآخر مَنْ حَدّث بالإجازة في الدنيا عن محمد بن عبد الهادي[٤] ، وابن السروري[٥] ، وابن عَوّة[٦] ، وخطيب مردا ، وغيرهم .

---

* الدرر : ٢٢٠/٣ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وذيول العبر : ٦٠ .

(١) في الدرر والشذرات : « القرشيّة » . وفي ذيول العبر : « القرشية » .

(٢) عبد الله بن محمّد بن عثمان (ت٧٥٤) ، وفيات ابن رافع : ٣١٦/١ .

** وفيات ابن رافع : ٢٣٨/١ ، والدرر : ٢٢٠/٣ ، وذيول العبر : ٢٥٩ .

(٣) (خ) : « الشيخة الصالحة المعمرة » .

(٤) في ذيول العبر : « عبد القادر » . ومحمد بن عبد الهادي بن يوسف المقدسي (ت٦٥٨ هـ) . العبر : ٢٤٩/٥ .

(٥) أبو طالب تمّام بن أبي بكر بن أبي طالب الدمشقي السروري (ت٦٥٨) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .

(٦) عمر بن أبي نصر بن أبي الفتح الجزري (ت٦٥٦) ، الشذرات : ٢٨٠/٥ .

توفيت رحمها الله تعالى في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وسبع مئة[١] .

١٣٣٦ - فاطمة أم عبد الله*

ابنة الشيخ الإمام المقرئ المحدّث جمال الدين سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن عبد الله [٢] بن أبي القاسم الأنصاري الدمشقي .

كانت امرأةً صالحة ، وقفت وبرّت أهلها وأقاربها في حياتها .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روت لنا عن أكثر من مئة شيخ ، منهم - بالسماع - المُسلَّم المازني[٣] ، وكريمة ، وابن رواحة . وبالإجازة المجد القزويني ، والحسين بن صَصْرَى ، والفتح بن عبد السلام ، والداهري[٤] ، وابن عُفيجة[٥] ، والحسن بن الجواليقي[٦] ، وأحمد بن النرسي ، وعبد السلام بن سكينة[٧] ، والمهذب بن قُنَيدة[٨] ، والأخوان ابنا الزبيدي[٩] وعبد اللطيف بن الطبري[١٠] ، ومحاسن الخزايني ، وشرف النساء بنت الأنبوسي[١١] ، وجماعة من البغداديين وغيرهم .

---

(١) توفيت عن أزيد من ثلاث وتسعين سنة ، كما في ذيول العبر .

* الدرر : ٢٢٢/٣ ، والشذرات : ١٧/٦ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٣) المسلم بن أحمد بن علي المازني (ت٦٣١) ، الشذرات : ١٤٧/٥ .

(٤) أبو الفضل عبد السلام بن عبد الله بن أحمد (ت٦٢٨) ، السير : ٣٠٤/٢٢ .

(٥) محمّد بن عبد الله بن المبارك البندنيجي (ت٦٢٥) ، السير : ٢٨٠/٢٢ .

(٦) الحسن بن إسحاق بن موهوب بن أحمد (ت٦٢٥) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(٧) عبد السلام بن عبد الرحمن بن علي (ت٦٢٧) ، السير : ٣٣٣/٢٢ .

(٨) في الأصل و (ط) : « فقيدة » ، تحريف ، وهو المهذب بن علي بن هبة الله الأزجي (ت٦٢٦) ، السير : ٣١٣/٢٢ ، والشذرات : ١٢١/٥ .

(٩) هما الحسن والحسين ابنا مبارك بن محمد بن يحيى ، توفي الحسن سنة (٦٢٩) ، (السير : ٣١٥/٢٢) ، والحسين سنة (٦٣٠) ، (السير : ٣٥٨/٢٢) .

(١٠) عبد اللطيف بن عبد الوهاب بن محمد الطبري (ت٦٢٩) ، والشذرات : ١٣٢/٥ .

(١١) أمة الله بنت أحمد بن عبد الله (ت٦٢٦) ، الشذرات : ١١٩/٥ .

وقرأ عليها شيخنا الذهبي قبل موتها بيوم ، وحضر[١] معه جماعة ، وأسمعت كثيراً .

وكان لها إجازات من العراق وأصبهان ودمشق .

وتوفيت رحمها الله تعالى ثاني عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبع مئة .

ومولدها تقريباً سنة عشرين وستّ مئة .

١٣٣٧ - فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح*

الشيخة الْمُفْتِية الفقيهة العالمة الزاهدة العابدة ، أم زينب البغدادية الحنبليّة الواعظة .

كانت تصعد المنبر وتعظ النساء ، فيُنيب لوعظها[٢] ، ويقلع من أساء ، وانتفع بوعظها جماعة من النسوه ، ورّقت قلوبهن للطاعة بعد القسوه ، كم[٣] أَذْرَت عبرات ، وأجرت عيوناً من الحسرات كأنها أيكيّة على فننها ، وحمامة تصدح في أعلى غصنها[٤] .

وكانت تدري الفقه وغوامضه الدقيقه ، ومسائله العويصه ، التي تدور مباحثها بين المجاز والحقيقه . وكان ابن تيمية رحمه الله تعالى يتعجب من علمها ، ويُثني على ذكائها وخشوعها وبكائها .

وبحثتْ مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل في الحيض وراجت ، وزخرت بحور علومها وماجت ، فلو عاينتُها لقرّبت من الشيخ تقي الدين في تفضيلها . ولن أقْصيه ،

---

(١) في الأصل : « وحضرت » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* الدرر : ٢٢٦/٣ ، وفيه : « بنت عياش » ، وحسن المحاضرة : ٣٩٠/١ ، والشذرات : ٣٤/٦ .

(٢) في الأصل : « وعظها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « ثمّ » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « على غصنها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وقلت له : هذه التي يصحّ أن يقال عنها : إنها بأربع أخْصِية ، لأنها مؤنثة قد تفرّدت بالتذكير ، وعارفة لم يدخل على معرفتها تنكير .

ولم تزل على طريق[١] سداد واعتداد من الازدياد إلى أن فُطم من الحياة رضاعها ، وآن من الدنيا ارتجاعها .

وتوفيت رحمها الله تعالى بالقاهرة في يوم عرفة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

انصلح بها جماعة [نساء][٢] في دمشق وبصدقها في وعظها وتذكيرها وقناعتها ، تحوّلت بعد السبع مئة إلى مصر ، وانتفع بها في مصر من النساء جماعة ، وبَعُد صيتها . وكانت قد تفقّهت عند المقادسة بالشيخ شمس الدين وغيره .

حكى لي غير واحد أن الشيخ تقي الدين بن تيمية قال : بقي في نفسي منها شيء ، لأنها[٣] تصعد المنبر ، وأردت أن أنهاها ، فنمتُ ليلة ، فرأيت النبي ﷺ وسلم في المنام ، فسألته عنها . فقال : امرأة صالحة ، أو كما قال .

وحكى لي أيضاً أنها بحثت مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل في الحيض ، وراجت عليه . ثم قالت : أنت تدري هذا علما ، وأنا أدريه علماً وعملا .

١٣٣٨ - فاطمة بنت محمد بن جميل بن حمد*

ابن حُميد بن أحمد بن عطّاف ، الشيخة الصالحة المعمّرة ، أم محمد البغدادية المولد ، الدمشقية .

سمعت من والدها ، وأجاز لها السِّلفي أجازت لي بدمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكتب عنها بإذنها عبد الله بن المحب .

(١) في الأصل : « طرائق » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .
(٣) في (ق) ، (ط) : « لكونها » .
* الدرر : ٢٢٧/٣ .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة[١] ثلاثين وسبع مئة .

١٣٣٩ - فاطمة بنت القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد*

أم الحسن ابنة شيخنا الإمام علم الدين البرزالي .

نقلْتُ من خط شيخنا والدها ، رحمها الله تعالى ، قال : أحضرتها سماع الحديث ، ولها ثلاثة أيام ، حضرت على ابن الموازيني ، وفاطمة بنت سليمان[٢] ، وابن مشرّف ، والمخرّمي[٣] ، وفاطمة بنت البطائحي ، والفخر إسماعيل بن عساكر ، وجماعة .

وسمعت من القاضي بهاء الحنبلي ، وإبراهيم بن النصير[٤] ، وعيسى المطعم[٥] ، وأبي بكر بن عبد الدايم والبهاء بن عساكر ، وابن سعد ، وجماعة من الشيوخ . وسمعت (صحيح البخاري) على ست الوزراء بنت ابن المنجّا ، وحفظت من الكتاب العزيز ، وتعلّمت الخط ، وكتبت ربعة [ظريفة][٦] ، وكتاب (الأحكام) لابن تيمية ، و (صحيح البخاري) ، وكمّلته قبل موتها بأيام قليلة .

قلت : ونسختها هذه بدمشق من النسخ التي يعتمد عليها ، ويُنقل منها .

قال : وكَتَبت غير ذلك ، وحجت ، وسمعت بطريق الحجاز ، وحدّثت بالحرمين الشريفين .

---

(١) في الأصل : « من سنة » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* تاريخ أبي الفداء : ١٠٢/٤ ، والشذرات : ٩٧/٦ .

(٢) في الأصل : « ابن يوسف أم محمد بنت الحسن » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وما أثبتناه من (ط) ، (ق) ، وما يقتضيه نسب والدها .

(٣) إبراهيم بن الحسن ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل و (ط) : « البصير » ، وأثبتنا ما في الإعلام للذهبي ، ووفاته (٧١٩هـ) .

(٥) في الأصل : « المعظم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) .

وكانت امرأة مباركة محافظة على الفرائض والنوافل ، لها اجتهاد وحرص على فعل الخير ، تجتهد يوم دخول الحمّام أن لا تؤخر الفريضة عن وقتها ، لا تدخل حتى تصلي الظهر ، وتجتهد في الخروج ، لإدراك العصر ، وكذلك تسارع في قضاء أيام الحيض من شهر رمضان تصومها وتعجلها وتحتاط فيها ، وكان فيها مودّة ، وخير وعقل ومعرفة وخير[1] لم يفارقها قط . وتزوجت نحو خمس سنين ، ولم تخرج من البيت ، وما رأيت منها إلاّ ما يسرّني ، وكنت إذا رأيتها تصلّي أفرح وأقول : أرجو الله أن ينفعني بها ، فإنها كانت تصلي صلاة مكملة ، وتجتهد في الدعاء ، ولم تسألني قط شيئاً من الدنيا ، ولا شراء حاجة . وانتفعت بها في الدنيا وأرجو أن ينفعني الله بها في الآخرة .

واعتبرتُ الشيوخ الذين سمعت منهم فوجدتهم مئة وخمسة وثمانين نفساً .

وتوفيت رحمها الله تعالى في يوم الاثنين حادي عشري صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفنت عند تربتهم خارج الباب الشرقي .

ومولدها يوم الجمعة سادس عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وسبع مئة .

١٣٤٠ - فاطمة بنت الخشّاب*

نقلت من خطّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال : بلغني عنها وقد سكنت قريباً مني أنها تجيد النظم ، فكتبت إليها لأمتحنها في شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة :

هل ينْفعُ الْمُشتاقَ قُرْبُ الدّارِ ... والوصلُ ممتنعٌ على الزّوّار
يا نازلين بمُهجتي وديارُهم ... من ناظريَّ بمطْمح الأبصار
هيّجْتُمُ شَجَني فعُدتُ إلى الصِّبا ... من بعد ما وخط المشيبُ عِذاري[2]

(١) قوله : « وخير » ، ليس في (ط) .

* الدرر : ٢٢٥/٣ ، وفيه : « فاطمة بنت علي بن عمر بن خالد المخزومية بنت الخشاب » .

(٢) في (ق) ، (ط) : « خطّ » . ووخطه الشيب : خالطه .

أنّي اهتديتُ، ولَيْلَتي مُسودّةٌ ... وضَلَلْتُ حين أضاء ضوءُ نهاري
عهدي بأنّي لا أخاف من الردى ... فحَذار من لَحْظِ العيون حَذارِ
لا أرهبُ اللّيثَ الهزبر مُجَاوِراً ... داري، وأرهبُ مِن جوار جَوار
الصائبات بلحظهنّ مقاتلي ... هل للسّهام لديّ من أوتار
يا جيرتي الأدْنَيْن حقّي واجبٌ ... إن كنتم ترعون حقّ الجار[1]
ليلي بكم أدب الزمان مقسّمٌ ... ما بين تسهيد إلى أفكار[2]
يا جيرةً جارَ الزمان ببُعدهم ... وهُمُ بأقرب منزل وجوار
إنّي سمعت صفاتكم فسكرت من ... طربي بغير مُدامة وحُمار
وهويت بالأخبار حسنكم كما ... تُهوى الجنان بطيّب الأخبار
يا مُعرضين وما جنيت إليهم ... ذنباً سوى وجدي وقرب ديار
ميلوا إليّ فللغصون تمايلٌ ... حتى تقبلّ أوَجْهَ الأُنْهَار
وتلفّتوا نحوي التفاتَ أوانسٍ ... إنّ الأوانِسَ غيرُ ذات نِفار
واجلوا محاسنكم لأحظى بالذي ... قد كنت أسمعه من الأخبار
لا تحسبوا أن السُفور نقيصة ... أو ما ترون مطالع الأقمار
أو تحسبوا أنّي أضيّع سرّكم ... وأنا الْمُعَدُّ لمودَع الأسرار
أيجوز أن أظما وورد نداكم ... صفوٌ من الأقذاء والأكدار[3]
وأموت من دائي وفي أيديكم ... طبّي من الأسقام والأخطار
ولقد عُرفتم في الأنام بمنطق ... عذب المذاقة طيّب المشتار
فحويتم حسن الصفات مؤيداً ... بمحاسن الأقوال والآثار
بمحاسن تهَبُ العقول بلاغة ... وبلاغة تذر المفوّه عاري
أخرستم الفصحاء إذ أنطقتم ... مَنْ لا يُجيز القول بالأشعار

(١) في الأصل : « يا جيرة الأنس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٢) (ط) : « إنكار » .
(٣) في الأصل : « الأقذار » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

فبعثت من نظمي قلادة أدمع نُثِرتَ لآليها بلا استعبار
نفثات مصدور الفؤاد متيم عجزت موارده عن الإصدار

قال : فكتبت الجواب إليّ :

إن كان غرّكم جمال إزاري فالقبحُ في تلك المحاسن واري
لا تحسبوا أني أُماثل شعركم أنّى تُقاسُ جداولٌ ببحار
لو عاصر الكنديُّ عَصْرَكم رمى لكمُ عوالي رايةَ الأشعار
أقصى اجتهادي فهم ظاهر نظمكم لا أنني أُدْعَى دُعاء مُجار
من قصّرت عنه الفحول فحقه أن ليس يبلغه لحاق جواري
ولربما استحسنت غير حقيقة فإذا سفرتُ أشحتَ بالأبصار
لستُ الطَّموحَ إلى الصَّبا من بعدما وضح المشيبُ بلمّتي كنهاري

قلت : هذا الشعر كثير من امرأة في مثل هذا الزمان ، ولعلها أشعر من ذكرانِ كثيرين في عصرنا ، وممّن تقدمنا أيضاً ، وما أحسن ما استعملت لفظ جواري هنا في القافية[1] .

اللقب والنسب[2]

☆ **ابن الفاكهاني :** عمر بن علي .

☆ **ابن الفراء :** مقدم البريدية ، الأمير علاء الدين علي بن عبد الرحمن . ابنه : ناصر الدين محمد بن علي .

☆ **ابن الفرات :** عز الدين عبد الرحيم بن علي .

---

(١) لم يذكر المؤلف شيئاً عن ولادتها ووفاتها ، وفي الدرر أنها ولدت سنة (٧٠٨) وسمعت من وزيرة والحجّار صحيح البخاري وحدّثت ، سمع منها أبو حامد بن ظهيرة بعد السبعين .

(٢) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

١٣٤١ ـ فخريّة بنت عثمان*

أم يوسف البَصْرَوية ، الحاجّة الصوامّة القوامة العابدة الزاهدة ، زاهدة عصرها ، وفريدة دهرها .

رفضت الدنيا ، ولم ترض إلاّ بالمنزلة العليا ، خرجت عن أهلها ومالها ، وتقوّتت في القوت ببعض حلالها ، وانزوت بحرم القدس الشريف ، وتبرّأت عن التالد والطريف ، وقنعت من العيش الرغيد بكوز ماءٍ ورغيفٍ .

واشتهر أمرها ، وعُرَف الناس[1] خَبَرهُا ، وأعرضت عن الدنيا الفانيه ، وأصبحت وهي لرابعةٍ[2] ثانيه . وجرّبَ الناس لها أحوالا ، وصدّقوا منها مقاماً ومقالا . وكان لها كرامات ، وعن وجوه الدنيا انصرافات وانصرامات . وكانت تتمنّى أن تموت بمكّة ، وتدفن إلى جانب قبر خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها . فسمع الله لها هذه الأمنيَّة واستجاب منها .

وتوفيت رحمها الله تعالى في مستهلّ صفر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة عن ست وثمانين سنة .

حكى لي أخوها الأمير صفيّ الدين أبو القاسم البصروي ، قال : حَمَلَ إليها أخي نجم الدين ستة عشر ألف درهم مما يخصّها ، فتصدقت بالجميع في جلسة واحدة ، ولم تترك منها درهماً واحداً .

كانت تستقي ماء الوضوء بنفسها ولا تستعين بأحد . ولما حجّت في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، قالت عند منصرف الحاج للذي قد توجّه يخدمها من جهة أخيها :

---

* لم نقف على ترجمة لها .

(١) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « عرف بين الناس » .

(٢) في الأصل : « رابعة » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

انصرف ودعني في حالي ، فأنا إذا دخل الحجاج[١] إلى دمشق التحقت بربي ، وكان الأمر كما ذكرت ، وتوفيت رحمها الله تعالى مستهل صفر ، ودفنت إلى جانب قبر خديجة زوج النبي ﷺ .

وأقامت بالقدس منقطعة أربعين سنة تقف على باب الحرم تصلي إلى أن يُفتح الباب فتكون أوّل داخل إليه ، وآخر خارج منه ، وتقتات بشيء يسير مما يُحضر إليها من مُلكها ، وهو قريب من مئتي درهم ، وتؤثر الفقراء والمساكين بالباقي . وطار ذكرها في الآفاق ، ودخل إليها الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى مرات ، ومعه الذهب ، ويخرج به وما تقبل منه شيئاً .

وسيأتي ذكر أخيها صفي الدين أبو[٢] القاسم ، وذكر أخيها نجم الدين محمد بن عثمان في مكانيها[٣] ، إن شاء الله تعالى .

١٣٤٢ ـ فرج بن قراسنقر*

الأمير جمال الدين بن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري ، و [أخوه][٤] الأمير علاء الدين ، وقد تقدم ذكره ، كان جميل الصورة حسن الشكالة .

توفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثالث عُشري شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقبيبات . وهو والد الأمير جمال الدين فرج أيضاً .

☆ **الفرجوطي : محمد بن محمد .**

---

(١) (خ) : « الحاج » .

(٢) كذا في الأصل على الحكاية لأنه اسم له وليس كنية .

(٣) في الأصل : « مكانها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

* الدرر : ٢٣٠/٣ .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) .

١٣٤٣ ـ فَرَج بن محمد بن أحمد*

الشيخ الإمام العالم نور الدين الأرْدَبيلي ، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وياء آخر الحروف ساكنة ولام ، الشافعي ، مدّرس المدرسة الناصرية[١] الجوّانية بدمشق ، داخل باب الفراديس ، والمدرسة الجاروخيّة .

كان عالماً ديّنا ، فاضلاً صينا ، منجمعاً عن الناس ، مباعداً مَنْ لا يشاكله من الأجناس[٢] .

وله إلمام (بالكشّاف) يعرفه ويُقْرِيه ، ويُسبغ كؤوس مافيه من المشكل[٣] ويُمريه .

وعلّق على (منهاج) الشيخ محيي الدين النواوي في مواضع منه مفرّقة في نحو ستة مجلدات .

ولم يزل على حاله إلى أن طُفي[٤] نوره ، وغلب على نهار عيشه دَيْجُوره .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأوسط من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وَرَدَ إلى دمشق ولازم شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهاني مدّة مقامه في دمشق ولم[٥] يفارقه .

---

* وفيات ابن رافع : ٢٦٥ ، والدرر : ٢٣٠/٣ ، والدارس : ١٧٢/١ .

(١) في الأصل : « المنصورية » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والدارس .

(٢) في الأصل : « الناس » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ط) ، (ق) .

(٣) قوله : « من المشكل » . ليس في (خ) .

(٤) (خ) : « أطفئ » .

(٥) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « لم » بغير واو .

ولّما توفي الشيخ كمال الدين بن الشيرازي تولّى عوضاً عنه تدريس المدرسة الناصرية في جمادى الأولى[١] سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

اللقب والأنساب

☆ **ابن فرج الإشبيلي** : شهاب الدين أحمد بن فرج .

☆ **ابن فرحون** : علي بن محمد .

١٣٤٤ ـ أبو الفرج ، ولي الدولة ابن الخطير*

تقدم في الدولة لّما ظهر النشّو صهره ، وأضاء في سماء المعالي بَدْرُه ، خدم عند كبار الأمراء الناصرّيه ، وتطفّل الأمراء على خدمته لهمّته السّريَّه ، وخضع الناس له ودانوا ، وتطامنوا لترفّعه[٢] واستكانوا .

وكان حُلْوَ الصورة لطيف الإشاره ، عذب الكلام ، طلق العباره ، فصيحاً في نطقه ، مليحاً في خلقه وخُلقه ، يحفظ ماراق من شعر المتأخرين ، ووقائع المعاصرين النازلين والمفتخرين ، ويندب ماهو أرشق من حركات القدود المشوقه ، وألطف من إشارات العيون المعشوقه ، ويذوق الأحجيّة النحوّية ويضعها بلا كلفه ، ويأتي بها وهي أحسن من البدر إذا تطّلع في السَّدفه[٣] ، حتى كنت أعجب منه ومن اقتداره ، مع عدم اشتغاله بما يعينه في هذا الفن إذا جرى في مضماره ، وأمّا التصحيف فكان لا يتكلّف فهمه ولا يردّ من الإصابة فيه سَهْمَه ، وأمّا التورية والاستخدام ، فكانا له من أطوع الأرقّاء والخدّام ، يذوقهما حال ما يطرقان سمعه ، ويقد ذهنه لفهمهما كأنّه شمعه .

---

(١) قوله : « في جمادى الأولى » ليس في (خ) .

* انظر شيئاً من خبره في بدائع الزهور ٤٧٦/١/١ .

(٢) (خ) : « لرفعته » .

(٣) (خ) : « من البدور .. من السّدفة » .

ثم اشتملت عليه قافية صهره ، وجرّته إلى الردى ، فصودر وقاسى من القلة ما ّرق له منه العِدَا ، ثم أعان الله وأفرج عنه ، وعادت له الدولة لتأخذ حظها منه . ثم إنّ الزمان استدرك عليه مافرط ، وأوقعه في أُحْبُوله الوَهْم والغَلَط ، فسمّروا شخصه على جَمَل ، وشَمّروا إليه ذيل الأجل ، وفاز عدوُّه بالسرور والشمات ، وقال وليّه : « عُلُوٌّ في الحياة [وفي][1] الممات » .

وكان قد أسلم فما سَلِم ، وحكم الله فيه بما علم ، وحلّ بمن يعرفه هجوم[2] الوجوم ، « وعند الله تجتمع الخصوم » . وكانت واقعته في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في شهر ربيع الأول .

كان وليُّ الدولة هذا قد تزوج وهو نصرانّي ، بأختِ القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص قبل اتصال النشو بالسلطان ، ولما تولى النشو الخاصَّ عَظُمَ وليُّ الدولة ، وزادت وجاهته ، وتقدم على إخوة[3] النشو . وخدم عند الأمير سيف الدين أرغون شاه ، ثم إنه انفصل من عنده وخدم عند الأمير علاء الدين طَيْبغا المجدي ، وتحدث في ديوان الأمير سيف الدين بهادر الْمُعزّي ، وهو أمير مئة مقدم ألف من أمراء المشورة ، وفي ديوان الأمير سيف الدين طقبغا ، وزادت وجاهته ، فلما أُمسك القاضي شرف النشو وجماعته ، أمسك هو في الجملة ، ولكنه دخل إلى السلطان ، وقال : والله يا خوند أنا ما أحمل[4] عقوبة ، وأنا أحمل موجودي ، فإن بلغ مولانا السلطان أنه بقي لي درهم واحد ، خُذْ روحي ، فأمر السلطان بأن لا يُعاقب ، وسَلِم تلك المرة إلاّ من ضَرْب يسير .

---

(١) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « هجور » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل و (ط) : « أخوه » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « لا أحمل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

وتوفي النشو تحت العقوبة وأَهْلُه ، وبقي وليّ الدولة وأخوه الشيخ الأكرم في الاعتقال بعدما استُصفي موجودهما .

وكان قد عمّر داراً عظيمة على بركة الفيل في حكر أزدمر الشجاعي فأبيعت في [جملة][1] موجوده ، وموجود أخيه ، ولما مرض السلطان الملك الناصر محمد مرضه الذي مات فيه ، أفرج عن وليّ الدولة وعن أخيه فيمن أفرج عنه من الاعتقال بالشام ومصر .

وكان الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي يعرف وليّ الدولة ، لأنّ مجد الدين رزق الله أخا النشو ، كان كاتبه ، فطلب من الملك المنصور أبي بكر ، فرسم به له ، فأخذه وأسلم على يده وبقي عنده .

وعاد إلى تلك العظمة بزائد ، ورُمي بأشياء مما أوجبت خلع المنصور ، وأوحى أعداؤه إلى الأمير سيف الدين قوصون ما أوحَوه ، فقَبض عليه ، وحسَّنوا له تسميره ، فأُخرِجَ من محبسه وسُمّر على جمل ، وهو لابسٌ فرجيّةً بسنجاب وشَعَّلُوا قدّامه الشموع ، وطافوا به بالمغاني في شوارع القاهرة ، ثم قضى الله أمره فيه .

وبلغني أنه وقف قدّام دكّان الشهود على باب خانقاه « سعيد السعداء » . وقال : يا مسلمين اشهدوا أنني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، واللهِ لم يَبْدُ شيء مما رُمِيْتُ به ، ولكنْ لي ذنوبٌ ، وخطايا تقدَّمت ، هذا بها .

١٣٤٥ ـ فرج الله بن علم السعداء*

الصدر الرئيس أمين[2] الدين بن العسّال .

---

(١) زيادة من (خ) ، (ق) .

* الدرر : ٢٢٩/٣ .

(٢) في الأصل : « ابن أمين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) (ق) والدرر .

دخل هذا[١] هو وأخوه سعد الدين [أسعد][٢] بن علم السعداء إلى القاهرة عُقيب ما جرى للنصارى ما جرى من إلزامهم بلبس الأزرق وشد الزنّار ، فأَنِفا من ذلك وأسلما .

وكان هذا أمين الدين صدراً محتشماً ، فيه مكارم ومروءة ، ورأى من السعادة في دمشق ما لا رآه أمثاله ، وباشر صحابة الديوان مدّة ، ولما غضب تنكز على ابن الحنفي ناظر ديوانه ، وتوفي رحمه الله تعالى ، تولّى أمينُ الدين نَظَر ديوانه ، فأقام به مدة ، ثم إنه عُزِل منه ، وعاد إلى صحابة الديوان ، وعمّر القاعات المليحة المشهورة عند « قناة صالح »[٣] داخل دمشق ، واجتهد وسعى ، فزوّج صلاح الدين يوسف ابن أخيه ، الآتي ذِكرهُ في مكانه إن شاء الله تعالى ، بابنة الصاحب شمس الدين غبريال .

ولم يزل في سعادة وصدارة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في حادي عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وسبع مئة .

النسب والألقاب

☆ **الفرسيسي** : فخر الدين علي بن عثمان .

☆ **الفزاري** : الخطيب شرف الدين أحمد بن إبراهيم . الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن . والده تاج الدين عبد الرحمن .

☆ **ابن أبي الفصيح** : فخر الدين أحمد بن علي . وجلال الدين عبد الله بن أحمد . والمَرْنَدْري عبد الرحمن بن العليم .

☆ **الفصيح** : المغني عبد العزيز .

---

(١) ليست في (ط) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، وانظر : الدرر : ٤٤٩/٤ .

(٣) أشار إليها صاحب الدارس : ٢٥٠/٢ .

١٣٤٦ ـ فضل الله بن عمر بن أحمد بن محمد*

القاضي بدر الدين بن إمام الدين القزويني الشافعي .

قدم دمشق للحج ، ونزل بتربة أم الصّالح عند ابن أخيه القاضي إمام الدين[١] والخطيب جلال الدين .

وحصل له ضعفٌ فلم يمكنه السفر .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست وتسعين وست مئة ، وشيعه الخلق إكراماً لأخويه .

وكان مع شيخوخته يكرر على (الوجيز) ، وكانت له حلقة إقراءٍ بتبريز ، ثم ولي قضاء بنسكار[٢] بلده بالروم ، وكانت له معرفة بالحساب وغير ذلك .

١٣٤٧ ـ فضل الله بن أبي بن الخير عالي**

رشيد الدولة ، فخر الوزراء ، مُشير الدول الهمذاني ، الطبيب العطار والده .

أسلم هو ، ومات والده يهودياً على دينه ، وجرى القضاء بسَعْدِ ولده هذا في ميادينه ، واتصل بغازان محمود ، وخَدَمَتْهُ في خِدْمَتِهِ السّعود ، فقرّبه نجيّا ، وقُرَّ به عَيْناً لّما استقرّ به صَفِيّا ، وعظّم شانه ، وعلا بتمكنه مكانه ، ولم يكن عنده أحد في محلّه ، وحَكمه في حرمِهِ وحَلّه .

ثم إنه اتّصل بعده بخربندا ، فزاده على ذلك وعقد له لواءً من السعد وبَنْدا ، وزاد

---

* لم نقف على ترجمته .

(١) هو عمر بن عبد الرحمن القزويني (ت٦٩٩هـ) . (النجوم الزاهرة : ١٩٢/٨) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ط) : « بنكبار » وفي (ق) : « ينكسار » .

** الوافي : ٧٨/٢٤ ، والدرر : ٢٣٢/٣ ، وفيه : « غالي » ، والشذرات : ٤٤/٦ .

علوّا ، واستفاد غلوّا ، وكثرت أمواله ، وامتدت آماله ، وصار في عداد الملوك ، ونُظِمَتْ جواهرُ سعوده في السلوك .

ثم إن الدّهر تيقظ ، وتيقّن هلاكه وما تحفّظ ، فنقض ما أَبْرَم ، ونفض ما أكرم ، ولما طبّب خربندا ومات ، نزل به المكروه والشمات ، وشغب عليه الوزراء ، علي شاه وأمثاله ، وصاده من المقدور حبائله وحبالُه ، فدارى عن نفسه بقناطير مِنَ الذهب ، ودفع جملاً من الجواهر[1] ، فما أفاد ، لأنّ عمره ذَهَب .

وقتِل هو وابنه قَبْلَه ، وذبحوهما على غير قِبلة ، وذلك في سنة ست عشرة وسبع مئة .

وقال الشيخ علم الدين البرزالي : في جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وعاش بضعاً وسبعين سنة ، ولّما قتلوه فصَلُوا أعضاءه ، وبعث إلى كلّ بلد بعضوٍ من أعضائه ، وأحرقت جثته ، يقال : إن جوبان أخذ منه ألف ألف مثقال .

وكان فيه حلم وتواضع وسخاء وبذل للعلماء والصلحاء ، وكان ذا رأي ودهاء ومروءة ، وفسَّر القرآن ، وأدخل فيه الفلسفة .

ويقال : إنه كان [جيّد][2] الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ ولما مات خلّف بنين وبنات ، وعمائر فاخرة ، وأموالاً لا تُحصر ، وأحرقت تآليفه بعده .

ثم وزر ابنه محمد بعده[3] بسنوات ، وتمكّن أيضاً وسيأتي ذكره في مكانه .

وكان قد نُسب رشيد الدولة إلى أنه سقى خربندا السم ، فطلبه جوبان على البريد السلطانيّة ، وأحضره بين يديه ، وقال له : أنت قتلت القان . فقال : كيف أفعل ذلك ، وأنا كنت رجلاً طبيباً عطاراً ضعيفاً بين الناس ، فصرت في أيامه وأيام أخيه

(١) في (ق) ، (ط) : « الجوهر » .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) والوافي .

(٣) في الأصل : « ابنه بعده محمّد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

متصرفاً في أموال المملكة ، ولا يتصرف الأمراء والنواب إلاّ بأمري ، وحصّلْتُ من الجواهر في أيامها ما لا يحصى ؟.

وأُحضر الجلال الطبيب ابن الحَزّان طبيب خربندا ، فسألوه عن موت خربندا ، وقالوا : أنت قتلته ؟ فقال : الملك أصابته هيضة قوية فانهل[1] بسببها ثلاث مئة مجلس ، وتقيّأ قيئاً كثيراً ، فطلبني وعرض عليّ هذا الحال فاجتمع الأطباء بحضور الرشيد على أعطائه أدوية قابضة مخشنة للمعدة والأمعاء .

فقال الرشيد : عنده امتلاء ، وهو يحتاج إلى الاستفراغ بعد فسقيناه برأيه دواء مسهلاً ، فانسهل به سبعين مجلساً ، فمات ، وصدّقه الرشيد على ذلك . فقال الجوبان فأنت يا رشيد[2] قتلته ، فأمر بقتله . واستأصلوا جميع أمواله وأملاكه ، وقتلوا قبله ولده إبراهيم ، وكان عمره ست عشرة سنة .

وحُمل رأس الرشيد إلى تبريز ، ونودي عليه هذا رأس اليهودي الذي بدّل كلام الله تعالى ، وقُطعت أعضاؤه وحُمل كل عضوٍ إلى بلد ، وأحرقت جثته ، وقام في ذلك الوزير علي شاه التبريزي ، وقال بعضهم : إن الوزير كان ملحداً عدوّاً للإسلام .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : ولّما قدم علينا الشيخ تاج الدين الأفضلي التبريزي حاجاً إلى دمشق في رمضان سنة ثماني عشرة وسبع مئة . فذكرناه ، فذكر قتل الشيخ والنداء عليه . وقال : قَتْلُه أعظمُ مِنْ قَتْل مئة ألف نصراني ، فإنه كان يكيد الإسلام .

قال الإربلي : الأفضليُّ كان قد تكلم في الرشيد مرّة ، وهو يهودي ، وقد بدّل كلام الله ، فقصده الرشيد لينتقم منه[3] ، فاختفى الأفضلي منه مدة ، ثم وقعت فيه شفاعة ،

(١) في الأصل : « قام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (ط) : « فأسهل » .

(٢) في الأصل : « الرشيد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في ق : « لنفسه منه » ، وفي (ط) : « منه لنفسه » .

فعفى عنه وطلبه إليه ، وطيّب قلبه وخلع عليه خلعة سنية ، فلم يقبلها منه ، وبقي في نفس الأفضلي منه إلى الآن يُذمّه حَيّاً وميتاً . والرشيد ما دخل في الإسلام كرهاً ، وقد كان يناصح المسلمين ويخدمهم في كلّ الأحوال .

قلت : وحكى لنا نجم الدين قاضي الرحبة ما رآه[١] الرشيد من الشفاعة[٢] على أهل الرحبة ، وحَقْنِ دمائهم ، وكيف ساعدهم على خلاصهم من التتار ، وإصلاح أمورهم مع الملك الناصر ، وله في تبريز عظيمة من البرّ ، وكان مشغولاً بسعادته عن معاداة الإسلام وكيده ، ولم يكن يتبعُ إلاّ أعداه ، ومن يقصد أذاه وسواء أكان مسلماً أو كافراً أو صالحاً أو فاسقاً .

١٣٤٨ ـ فضل بن عيسى*

الأمير الكبير شجاع الدين أخو الأمير حسام الدين مهنّا بن عيسى .

كان ذا رأي وفضل ، وخير وعدل ، وهمة بلغت السِّماك ، وعَزْمَة ليس لها عن الحزم انفكاك .

تولى إمرة آلِ فضل سنين عديده ، ونزل من السعادة بروجاً مشيده ، وأخذها منه موسى ابن أخيه في وقت وأعيدت إليه مع عَود المِقَةِ وذهاب المقْت .

وكان خبيراً بأخلاق السلطان ، دَرِباً بأحوال العُربان ، قَدْ خَبرهم وجرّبهم ، وصرفهم على ما أراد ، وسُرّ بهم لمّا سَرَّ بَهُم ، وكثرت إقطاعاته وأمواله ، وزادت مواشيه وغلاله ، ونمت عبيده وإماؤه ، ومطرته بالسعادة والأمن سماؤه .

ولم يزل على حاله إلى أن فضّ لفضل خَتْمُ القبر وكُسِر كَسراً ماله جَبْر .

---

(١) في الأصل : « قال ما رآه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وهو الوجه .

(٢) (ط) (ق) : « الشفقة » .

* الدرر : ٢٣١/٣ .

وتوفي رحمه الله تعالى ...[١] .

ورأيته برحبة مالك بن طوق .

وكان إذا وَرَدَت جِباله الفُرات يظنّ الإنسان أنّ الله تعالى قد ملأ الفضاء جمالاً ، وبلغني هناك أنه دفن في بعض دفائنه في تلك الأراضي قِدْراً فيها ثمانون ألف دينار ، وضاع المكان منه ولم يقع له على خبر .

وكان السلطان الملك الناصر محمد قد أخذ الإمرة من أخيه مهنّا لمّا خرج عن الطاعة في واقعة قراسُنقر ، وأعطاها للأمير شجاع الدين فضل ، وغضب عليه في وقت وأعطاها للأمير مظفر الدين موسى بن مهنّا ، ثم أعادها إلى فضل .

١٣٤٩ ـ فضل بن عيسى بن قنديل*

الشيخ الزاهد العابد الصالح العَجْلُوني . كان مقيماً بالمدرسة المساريّة .

كان مشهوراً بالخير والصلاح ، وتعبير الرؤيا ، اشتغل في ذلك على الشيخ شهاب الدين العابر الحنبلي ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وعُرض عليه خَزْن الْمُصحف العثماني ، فامتنع . وكان لا يقبل لأحد شيئاً .

وحضر إليه الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ و ـ وزاره وهو في بيته في المدرسة المذكورة .

مولده سنة تسع وأربعين وستّ مئة[٢] .

ودفن بمقبرة الصّوفيّة قريباً من قبر الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، وحضر جنازته القضاة ، والأمراء والأعيان والجم الغفير .

(١) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) ، ولم يذكر صاحب الدرر سنة وفاته أيضاً .

* البداية والنهاية : ١٤/١٧٣ ، والدرر : ٣/٢٣١ .

(٢) في الأصل و (ط) : « وسبع مئة » ، سهو وأثبتنا ما في (ق) ، وفي الدرر أنّ ولادته كانت سنة (٦٤٩) ووفاته سنة (٧٣٥) ، وكذا جاءت سنة وفاته في البداية .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن فضل الله :** جماعة منهم : شهاب الدين أحمد بن يحيى . ولدُه شرف الدين عبد الوهاب . القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله . أخوه القاضي شرف الدين عبد الوهاب . بدر الدين محمد بن يحيى .

١٣٥٠ ـ فضيل بن عَرَبي بن معروف بن كلاب الْجُرْفي*

والْجُرْف : قرية ببلاد أُدْفو

كان رجلاً مباركاً متورعاً متطوعاً ، يحكي عنه أهل تلك الناحية حكاياتٍ عجيبة من الكرامات والصلاح .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوي : قال لي بعض الْجُرفيّة : إنّي زرعت أنا وهو مقثأةً ، فظهر فيها بطّيخة كبيرة . وكان بعض الفلاحين يشتهي أن يسرقها ، ويخشى من الشيخ فضيل ، فقطعها ودفعها إليه ، وقال : خُذها حَلاَلاً .

وحكى لي[١] نفيس الخولي ، وكان قد أسلم وحَسُن إسلامه ، قال : رأيت في النوم ثعباناً كبيراً وقصدني ثم صار إنساناً . وقال لي : تبْ عن القضية الفلانية ، فوقع في نفسي أنه فضيل ، فلمّا وصلنا إلى الجرف قلت له : يا شيخ فضيل أنا من قبيل أن تعاملني بهذه المعاملة ؟ فقال : ماهي ؟ القضية الفلانية ؟ نعم[٢] أنا هو .

[قال][٣] : وحكى لي الجُرفية : أنه كان يوماً بأدفو ، فركبوا إلى أن وصلوا

---

* الوافي : ٨٢/٢٤ ، والطالع السعيد : ٤٦٦ ، والدرر : ٢٣١/٣ ، وفيه : « الفضل » .

(١) عبارة الوافي : « قال : وحكى لي » . والقول ما زال للأدفوي في الطالع السعيد .

(٢) في الطالع : « قلت : نعم . قال : أنا هو » .

(٣) زيادة من (ط) ، (ق) ، والقول للأدفوي أيضاً .

[إلى][1] قلاوة الكُوم - وهي أرض كشف - فوقف في مكان ، وحوّق حوّاقة[2] ، وقال : ادفنوني هاهنا ، ثم توجه إلى بيته ، فأقام ثلاثة أيام أو نحوها . وتوفي - رحمه الله تعالى - ودفناه بتلك البقعة وبينها وبين مسكنه مسافة طويلة .

ووفاته في سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن الفُقّاعي** : جمال الدين إسماعيل بن محمد .

☆ **ابن الفهّاد القُوصي** : محمد بن إبراهيم .

☆ **ابن أبي الفوارس** : محمد بن مجاهد .

☆ **ابن الفُوَطي** : كمال الدين المؤرخ ، عبد الرزاق بن أحمد .

☆ **ابن الفويرة** : جمال الدين يحيى بن محمد . ووالده [بدر الدين][3] محمد بن يحيى وعلاء الدين علي بن يَحْيَى .

☆ **ابن الفُويّة** : محمد بن أحمد .

١٣٥١ - فَيْرُوز الأمير نجم الدين*

أحد أمراء الطبلخانات بصفد .

كان في شكله قصيرا ، إلا أنه في الحرب كان يُرى بصيرا ، فيه شجاعة وإقدام ، وثَبَاتٌ عند الوَثبات لا تُزحزح له الأقدام .

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي ، والطالع .

(٢) في الأصل : « حوقة » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي ، والطالع .

(٣) زيادة من (ط) م (ق) .

* الوافي : ١٠٢/٢٤ ، والدرر : ٢٣٤/٣ ، وفيه : « فيروز بن عبد الله » .

وكان ذا تجمُّل وافر ، واضطلاع بـأمر الإمرة متظـافر ، كثير الرَّخت ، وافي الحـظ من ذلك والبَخْت ، يتجمل في خروجه إلى الأيْزاك ، ويَظْهَر بجماعة من الجنـد الـذين تهول أشكالهم من الأتراك ، وكان لصفد به جَمال ، ولبَدْرِ ذِكْرِهـا في البلاد بـه كمال . إلى أن كتب نائبُها الحاج أرقطاي في معناه إلى السلطان في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فأمر باعتقاله في قلعة صفد . فأقام بهـا مُعْتقلاً نحواً من خمس سنين . ثم إنّ الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ شفع فيه . فأُفْرِجَ عنه ، وحضر إلى دمشق بطّالاً .

ولم تطل مدته حتى توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وثلاثين وسبع مئة تقريباً .

وكان يرميه أهل صفد بأنه ظَفِر بإكسيرٍ كان مع بعض المغاربة ، وأنه تزوج بامرأة المغربي ، وأخذه منها .

وعمّر بصفد داراً حسنة بالنسبة إلى صفد وعمل إلى جانبها تربة مليحـة ومسجـداً ، ونقل غالب أحجار الدار من عكّا . وأقام بصفد مدة ـ رحمه الله تعالى ـ .

حرف القاف

١٣٥٢ ـ القاسم بن محمد بن يوسف*

شيخنا الإمام الحافظ المحدّث المؤرّخ عَلَم الدين أبو محمد ابن العَدْل بهاء الدين ابن الحافظ زكي الدين البِرْزالي ـ بكسر الباء الموحدة ، وسكون الراء وبعدها زاي ، وألف ولام ـ الإشبيلي ثم الدمشقي الشافعي[١] .

حفظ القرآن العظيم ثم (التنبيه) ومقدمة ...[٢] في صغره ، وسُمِّعَ سنة ثلاث وسبعين وست مئة من أبيه ، ومن القاضي عز الدين بن[٣] الصّائغ .

ولمّا سُمِّعَ (صحيح البخاري) على الإربلي بَعَثه والده فسمَّعه سَنَةَ سَبْع ، وأحبّ طَلَبَ الحديث ونسخ الأجزاء ، ودار على الشيوخ ، وسمع من ابن أبي الخير ، وابن أبي عُمر ، وابن عَلاَّن ، وابن شَيْبَان ، والمقداد ، والفخر ، وغيرهم . وجَدَّ في الطلب وذهب إلى بعلبك ، وارتحل إلى حلَب سنة خمس وثمانين ، ومنها ارتحل إلى مصر ، [وأكثر][٤] عن العز الحرّاني وطبقته .

وكتب بخطه كثيراً وخَرّج لنفسه ولغيره كثيراً ، وجلس في شبيبته مع العدول

---

* الوافي : ١٦١/٢٤ ، والفوات : ١٩٦/٣ ، والبداية والنهاية : ١٨٥/١٤ ، والدرر : ٢٣٧/٣ ، والشذرات : ١٢٢/٦ .

(١) زاد في الوافي : وُلِدَ في جمادى الأولى سنة خمس وستين وست مئة .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) والوافي .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) زيادة من (ق) والوافي .

الأعيان[١] مدة . وتقدم في معرفة الشروط . ثم إنه اقتصر على جهاتٍ تقومُ بـه ، وحصّل كتباً جيدة ، وأجزاء في أربع خزائن ، وبلغ عـدد مشـايخـه بـالسمّـاع أزيَـد من ألفين ، وبالإجازة أكثر من ألف ، رتّب كلّ ذلك وترجمهم في مسوّدات متقنة .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ رأساً في صِدْقِه ، بارعـاً في خِـدْمـه ، أمينـاً صـاحبَ سُنّـة واتبآع ، ولزوم فرائض ومجانبة الابتداع ، متواضعاً مع أصحابـه ومَن عـداهم ، حريصـاً على نفع الطلبة وتحصيل هُداهم ، حسن البِشْر دائمـه ، صحيح الودّ حـافـظ السرِّ كاتمـه ، ليس فيـه شرّ ، ولا لـه على خيـانـةٍ مَقر ، فصيح القراءه عـدم اللحن والـدمـج ، ظـاهر الوضاءه ، لا يتكَثَّر[٢] بمـا يعرفُ من العلوم ، ولا يتنقَصّ بفضـائل غيره ، بل يُوفيـه فوق حقه المعلوم .

وكان عالماً بالأسماء والألفـاظ ، وتراجم الرواة والحفـاظ ، وخطّـه كالوشي اليماني ، أو رونق الهنـداوني ، لم يخلّف بعـده في الطلب وعَملـه مِثْلَـهُ ، ولا جـاء من وافق شكلُـه شكله .

ولم يزل على حـالـه إلى أن حجّ سنـة تسع وثـلاثين وسبـع مئـة ، فتـوفي بخُليص[٣] مُحْرِمـاً بكرة الأحـد رابع ذي الحجـة عن أربـع وسبعين سنـة ونصف ، وتـأسّف النـاس عليه .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ لدمشق بـه في الحـديث جَمال ، بلغ ثبتـه أربعـاً وعشرين مجلداً ، وأثبت[٤] فيه من كان يسمع معه ، وله (تاريخ) بدأ فيه من عام مولـده الـذي توفي فيه الإمام أبو شامة ، فجعله صلة (لتـاريخ) أبي شـامـة في ثـاني مجلـدات ، ولـه مجـاميع وتعـاليق كثيرة ، وعَمَلٌ كَثيرٌ في الروايـة ، قلّ من وصل إليـه ، وخرّج أربعين

(١) في الأصل : « والأعيان » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، وما يتفق مع الوافي .
(٢) في الأصل : « ولا يكثر » ، وأثبتنا ما في (ط) (ق) والوافي .
(٣) حصن بين مكّة والمدينة ، (معجم البلدان) .
(٤) عبارة الدرر : « أثبت » .

بلديّة ، وحجّ سنة ثمان وثمانين وأخذ عن مشيخة الحَرَمين . وحج غير مرة ، وكان باذلاً لكتبه لا يمنعها من سأله شيئاً منها ، سَمْحاً في كلّ أموره مؤثراً متصدقاً ، وله إجازات عالية عامَ مولده من ابن عبد الدائم وإسماعيل بن عزوّن والنجيب وابن علاق ، وحدّث في أيام شيخه ابن البخاري .

ولي دار الحديث مقرئاً فيها ، وقراءة الظاهرية سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وحضر المدارس ، وتفقّه بالشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزاري ، وصحبه ، وأكثر عنه ، وسافر معه ، وجّود القراءة على رضي الدين بن دَبّوقا[١] ، وتفرّد ببعض مروياته . ثم تولّى مشيخة دار الحديث النورية ، ومشيخة النفيسية ، ووقف كتبه وعقاراً جيداً على الصدقات .

وقرأت أنا عليه بالرَّواحيّة قصيدة لابن إسرائيل[٢] يرويها عن المصنف سماعاً ، وهي في مديح سيدنا رسول الله ﷺ أولها :

غَنِّها باسمِ مَن إليه سُرَاها

وقرأت أيضاً عليه قصيدتين ميمية ، أولها :

هي المنازلُ فانزل يُمْنَةَ العَلَم

ودالية أولها :

قلبٌ يقوم به الغرام ويقعُد

في مديح سيدنا رسول الله (ﷺ) ، نظم الضياء أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف الخزرجي[٣] رواها لي سماعاً عن الْمُصَنف بالإسكندريّة .

---

(١) جعفر بن القاسم بن جعفر المقرئ ، توفي (٦٩١ هـ) ، العبر : ٣٧٢/٥ .

(٢) محمّد بن سوار بن إسرائيل الشيباني (٦٧٧ هـ) ، العبر : ٣١٢/٥ .

(٣) (ت ٦٨٦ هـ) ، والوافي : ١٥٧/٢٢ .

وسمعت عليه وعلى الحافظ جمال الدين المزي (جزء الأربعين العوالي ، من المصافحات والموافقات والأبدال) ، تخريج ابن جعوان[١] للقاضي دانيال[٢] . وقرأت عليه غير ذلك ، وقرأ هو عليّ قطعة من شعري .

وكان دائم البِشر لي جميلَ الودّ ، وكان من عقله الوافر وفضله السافر أنه يصحب المتعاديين ، وكل منهما يعتقد صحة ودّه ، ويبث سِره إليه .

وكان العلاّمة تقي الدين بن تيمية يودّه ويصحبه ، والشيخ العلاّمة كمال الدين بن الزملكاني يصحبه ويودّه ويُثني عليه .

وقال القاضي شهاب الدين بن فضل الله يرثيه :

تُراهم بالذي ألقاه قد علِموا ... شطَّ المَزارُ، وبانَ البانُ والْعَلَمُ
لهفي عليهم وقد شدّوا ركائبهم ... عن الديار ولا يُثْني بهم ندم
قد [كان] يُدنيهم طيفٌ ألمَّ بنا ... فالآن لا الطيف يدنيهم ولا الحلم[٣]
الله أكبر كم أجرى فراقُهم ... دَمْعاً، وعاد بن لاعاد وهو دم
أمّوا الحجازَ فما سارت مطيتُهم ... حتى استقلّت دموعاً قُدِّمَتْ لَهُمُ
وأحْرَموا لِطوافِ البيت لا حُرِمُوا ... مِن لذّة العيش طولَ الدَّهْر لاحُرموا[٤]
زارُوا النّبيَّ وساروا نحو موقفهم ... حتّى إذا فارقوا مطلوبهُم جَثُموا
يا سائرين إلى أرض الحجاز لَقَدْ ... خلَّفتم في حشاي النارَ تَضْطرم
هل مُنْشدٌ فيكم أو ناشدٌ طلباً ... أضْلَلْتُهُ وادْلَهَمتْ بعده الظلم

---

(١) محمّد بن محمّد بن عباس (ت ٦٨٢ هـ) ، الوافي : ٢٠٣/١ .

(٢) في الأصل و (ط) و (ق) : « ابن دانيال » ، وفي الوافي : « ضياء الدين دانيال » ، وهو دانيال بن منكلي الشافعي (ت ٦٩٦ هـ) ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « يثنيهم طيف » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) . والزيادة منهما .

(٤) (ط) (ق) : « ماحرموا » .

قد كان في قاسمٍ مِنْ غيرهِ عِوَضٌ ... فاليوم لا قاسمٌ فينا ولا قَسَمُ
من لو أتى مكةً مالَتْ أباطحُها ... به سروراً، وجادت أفْقُها الدّيم
أقسمتُ مُنْذ زمانٍ ما رأى أحدٌ ... لقاسمٍ شبهاً في الأرض لو قسَمُوا
هذا الذي يشدَ المختارُ هجرته ... «والبيت يعرفه والحلَ والحَرَمُ»[1]
ما كان ينكره ركنٌ الحطيم له ... لو أُخِّر العمرُ حتّى جاء يستلم
له إليه وفادات تُقَرُّ بها ... جُبالُ مكةَ والبطحاءُ والأكَمُ
محدّثُ الشّام صِدْقاً بل مؤرّخُه ... جرى بهذا وذا فيما مَضَى القلم
ياطالبَ العِلْمِ في الفنّين مُجْتَهداً ... في ذا وهذا ينادى الْمُفْرَدُ العلم
يُرْوَى حديث العوالي عن براعته ... ومالُه طاعنٌ فيها ومُتَّهم
قد كان يدأب في نفع الأنام ولا ... يردُّهُ ضجرٌ منه ولا سأم
وحقّق النقد حتى بان بهرجُهُ ... وصحّح النَّقل حتى مابه سقم
وعرّف الناس كيف الطَّرقُ أجمعها ... إلى النبي فما حاروا ولا وهموا
وعرّف الناس في التاريخ ماجهلوا ... وبَعْضُ ما جَهِلوا أضعافُ ماعلموا
يُريك تاريخهُ مَهْما أردت به ... كأنَّ تاريخه الآفاقُ والأُمَمُ
مافاته فيه ذو ذِكرٍ أخلّ به ... ولو يروم لعادت عَادُ أو إرام[2]
إذا نشرتَ له جزءاً لتقرأه ... تظلّ تنشر أقواماً وهم رمم
ياأيّها الموت مهلاً في تفرّقنا ... شَتَّت شَمْلَ المعالي وهو منتظم
تجِدُّ فينا وتَسْعى في تطلُبنا ... اصبرْ سنأتيك لا تسعى بنا قدم
قد ظَفِرْت بفْردٍ لا مثيل له ... وإن أردْتَ له مِثْلاً فأينَ هم
ياذاهباً ما لنا إلاّ تذكُّره ... آهاً عليك وآهٌ كُلها ألم
جادَتْ عليك من الغفران بارقةٌ ... غرّاءُ يضْحكُ فيها البارِدُ الشبم

---

(١) ضمّن عجز بيت من قصيدة الفرزدق المشهورة في مدح زين العابدين بن علي .

(٢) (ط) : « مافاته » .

تَروي ثراكَ وتُسْقَى من جـوانبـه ... إلى جـوانب حُـزوى البـانُ والسلمُ
وحَـلّ أرضَ خُليصٍ كلُّ ريـح صَبَـا ... بنشرهـا تُبعثُ الأردان واللمم
وخيّمت دون عُسفـانٍ لهـا سُحبٌ ... تَسْقَىَ بـأنـوائهـا السكانُ والخيم
لُهفي عليـك لتحرير بلغتَ بـه ... مـا ليس تبلغـه أو بعض الهمم
ما الحافظ السلفيّ الطُّهر إن ذكرت ... أسـلافـك العُـزّ والآثـار والكرم
قَطعتَ عُمْرك في فَرْضٍ وفي سُنَنٍ ... هـذي الغنيمـة والأعمـار تَغْتَنم

١٣٥٣ ـ أبو القاسم بن الأجل*

الصاحب جلال الدين .

أوّل ما علمته من حاله أنه كان من جملة كتاب حلب ، فلما كان في أيام الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور نائب دمشق في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، حَضَر على البريد من مصر على يده مرسوم شريف بأن يكون مستوفياً بدمشق ، فما مكنّه وردَّهُ ردّاً قبيحاً . ولّما مات أيدغمش ـ رحمه الله ـ عاد بعد ذلك وباشر الاستيفاء بدمشق مدة .

ولم يزل على حاله إلى أن توجَّهَ إلى مصر بحساب دمشق ، وذلك في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، أو أوائل سنة تسع وأربعين .

وراح على أنه يُصلح حال معاملةِ دمشق ، فعاد منها وقد تولى نظر النظّار بدمشق عوضاً عن الصاحب شمس الدين بن التاج إسحاق ، فما هان ذلك على الأمير سيف الدين أرغون شاه .

---

* ذيول العبر : ٣٦٩ .

واستمر به وهو منكّر الوجه عليه ، فضاق عِطْنه لذلك ، ولم يُقم إلاّ قليلاً ، وطلب الإعفاء من المباشرة . فكتب أرغون شاه بذلك ، وطلب عَوْدَ الصاحب شمس الدين بن التاج إسحاق ، فأُعيد .

واستمر الصاحب جلال الدين على نظر الحَرَمَيْن القدس الشريف وحرم الخليل عليه السلام ، عوضاً عن الصاحب شمس الدين ، وأقام على ذلك مدة ثم توجّه إلى مصر وأقام مدّة . وحضر صحبة ركاب [الملك][1] الصَالح صالح إلى دمشق في واقعة بيبغاروس ، وعاد صحبة الركاب إلى مصر ، وحنا عليه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ، وبقي يذكّر به الأمير سيف الدين شيخو ، وتوجه صحبة شيخو إلى الصعيد ، ورأى تلك الأحوال وما بذله شيخو [مِن السيف][2] في أهل الصعيد ، وعاد ، ثم إنه ولي[3] استيفاء الصحبة بالقاهرة، وحضر هو والأمير سيف الدين جرجي إلى دمشق ، بسبب ديوان المهمّات ، وتذكرة على يده في حال معاملة دمشق .

ثم إنه عاد إلى مصر وأقام إلى أن انفصل من الاستيفاء ، وأقام بمصر بطّالاً إلى أن استخدم قبل موته بأشهر قلائل في نظر الخزانة البرّانية فيما أظن إلى أن توفي رحمه الله تعالى في طاعون مصر سنة أربع وستين وسبع مئة .

١٣٥٤ ـ أبو القاسم بن عثمان*

الأمير صفي الدين البصروي الحنفي ، أخو الأمير نجم الدين محمد البصروي ، ابن أخي قاضي القضاة صدر الدين الحنفي ، وسيأتي ذكر أخيه في مكانه من المحمّدين إن شاء الله تعالى .

---

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ط) ، و (ق) .

(٣) (ط) و (ق) : « تولّى » .

* الدرر : ٢٦٠/٣ ، والذيل التام : ١٦٨ .

كان فقيهاً فاضلاً في مذهبه ، ناهلاً ما صفا من الفضائل في مَشْرَبه ، ودرّس ببصرى زمانا ، وكان على ما يعانيه من ذلك مُعانا .

وله إقطاعٌ في الحلقة يأكله ، ويتخذ من العلم ما يشاكله ، يلبس القباء والعمّة المدوّره ، ويُبْرُز بذلك في صورة مركبة بين الأمراء والعلماء مصوّره ، ثم إنه أُعطي الطبلخاناه ، وانسلخ من ذلك الزيّ الذي عاناه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُدّر بالموت[٢] صفاؤه ، وحَان بالوفاءِ وفاؤه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة أو أوائل سنة ستين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين تقريباً .

كان لأخيه الأمير نجم الدين على السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خِدمٌ يرعاها له لمّا كان بالكرك ، ولمّا مات نجم الدين رعى حق أخيه ، وأعطاه إمرة عشرة ـ فيما أظن ـ مضافاً لما بيده من تدريس المدرسة ببصرى ، فيلبس قباء وعمامة مدوّرة ويتوجه كلّ قليل إلى باب السلطان بالخيول المثمنة الجيدة العربية .

ولمّا كان بعد موت الأمير تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ألزمه السلطان بلبس الكلوتة ، ثم أُعْطِيَ طبلخاناه ، وكانت جيّدة .

ولما ورد الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى دمشق نائباً أخذه الأفرم منه وجهزّه إلى حلب على إمرةٍ غيرها ، فلّما قتل أرغون شاه عاد الأمير صفي الدين إلى دمشق على حاله .

وتولى نابلس فعمل الولاية على أتمّ ما يكون من الأمانة والمهابة والحُرْمَة ، وأقام بها قليلاً وسأل الإقالة منها ، فأجيب إلى ذلك .

---

(١) (ط) : «كَدَّرَ الموت » ، وفي (ق) : « كَدَّرَ الحِمامُ » .

وتولّى نظر الحرمين القدس والخليل عليه السلام ، وعمله على أتمّ ما يكون وذلك في آخر عمره ، وفيه توفي ـ رحمه الله تعالى .

وكان له نظمٌ متوسّط ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد تقدم ذكر أختِهِ فخرية أم يوسف في حرف الفاء مكانه .

١٣٥٥ ـ القاسم بن مظفر بن محمود*

ابن تاج الأُمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر .

الشيخ الجليل الطبيب الْمُعَمِّر مُسند الشام بهاء الدين أبو محمد الدّمشْقي .

له حضور في سنة مولده على مشهور النيرباني ، وحضر في الثانية[١] على كرية القرشيّة ، وحضر في الثالثة على سيف الدولة بن غسان[٢] ، والفخر الإربلي ، ومكرّم بن أبي الصّقر[٣] ، وعم جده أبي نصر عبد الرحيم بن محمد[٤] ، وحضر سنة اثنتين وثلاثين وست مئة على ابن المقيّر ، وسمع في سنة أربع وثلاثين من ابن اللّتي والقاضي شمس الدين بن سنّي الدولة والعز النسّابَة وطائفة ، وأجاز له خاصّاً وعاماً ، مثل أبي الوفاء بن منده ، وابن رُوزبه والقطيعي [وخَلْق][٥] .

وكان يعالج المرضى مُروءة ، وله من مِلكه ومغَلّه ووقفه شيء وافرٌ . وخدم في ديوان الخزانة مُدّة ، ثم ترك ذلك وكبر وارتعش خطّه .

خرّج له المفيد ناصر الدين بن الصيرفي[٦] (معجماً) حافلاً في سبع مجلدات ،

---

* الوافي : ١٦٨/٢٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٢٣٩/٣ ، والشذرات : ٦١/٦ .

(١) في الأصل و (ط) : « الثالثة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو الصواب .

(٢) محمّد بن غسان بن غافل (ت ٦٣٢) ، السير : ٣٨١/٢٢ ، والشذرات : ١٥٥/٥ .

(٣) مكرم بن محمد بن حمزة بن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، العبر : ١٤٦/٥ .

(٤) (ت ٦٣١) ، العبر : ١٢٦/٥ .

(٥) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

(٦) محمّد بن طغريل ، ستأتي ترجمته في موضعها .

وخرّج لـه شيخنـا البرزالي ، والشيـخ صـلاح الـدين العـلائي ، وعُمّر دَهْراً ، ورَوى الكثير ، وكان كثير المحاسن صبوراً على الطلبة .

قال شيخنا الذهبي : على تخليـط في نحلتـه والله أعلم بسرِه ، ولـه صـدقـة ووقف ، وقد جعل داره دار حديث .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ خامس عشري شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

اللقب

☆ **قاضي القضاة حسام الدين الحنفي الرومي** : الحسن بن أحمد .

☆ **تقي الدين الحنبلي** : سليمان بن حمزة .

☆ **وقاضي القضاة جمال الدين الزرعي** : سليمان بن عمر .

☆ **قاضي بغداد الحنبلي** : سليمان بن عبد الرحمن .

☆ **وقاضي القضاة شرف الدين الحافظ** : عبد الله بن حسن .

☆ **زين الـدين قـاضي قضـاة حلب الشـافعي المعروف بـابن قـاضي الخليـل** : عبد الله بن محمد .

☆ **وقاضي القضاة الحنبلي** : شرف الدين عبد الغني بن يحيى .

☆ **وقاضي القضاة بصفـد** : شرف الـدين محمـد بن عثمان . ووالـده : جلال الـدين عثمان بن أبي بكر .

☆ **وقاضي القضاة بحلب نجم الدين خطيب جبرين** : فخر الدين عثمان بن علي .

☆ **وقاضي القضاة عماد الدين الطرطوسي الحنفي** : علي بن أحمد .

☆ **وقاضي القضاة الشيخ علاء الدين القُونوي** : علي بن إسماعيل .

☆ **وقاضي القضاة نور الدين السخاويّ المالكي** : علي بن عبد النصير .

☆ **وقاضي القضاة علاء الدين بن التركماني الحنفي** : علي بن عثمان .

☆ **وقاضي القضاة صدر الدين الحنفي** : علي بن القاسم .

☆ **وقاضي القضاة زين الدين المالكي بن مخلوف** : علي بن مخلوف .

☆ **وقاضي القضاة علاء الدين بن المنجّا الحنبلي** : علي بن منجا .

☆ **وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي** : عمر بن عبد الله .

☆ **وقاضي القضاة إمام الدين القزويني الشافعي** : عمر بن عبد الرحمن .

☆ **وقاضي القضاة نجم الدين بن العديم** : عمر بن محمد .

☆ **وقاضي القضاة زين الدين البلفيائي** : عمر بن محمّد .

☆ **وقاضي القضاة سعد الدين الحارثي الحنبلي** : مسعود بن أحمد .

☆ **وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة** : محمد بن إبراهيم .

☆ **وقاضي القضاة ناصر الدين بن العديم** : محمد بن عمر .

☆ **وقاضي القضاة ابن المجد** : محمد بن عيسى .

☆ **وقاضي قضاة حلب ابن بهرام** : محمّد بن محمّد .

☆ **وقاضي القضاة علم الدين الإخنائي** : محمد بن أبي بكر وأخوه وقاضي القضاة المالكي : محمد بن أبي بكر .

☆ **وقاضي القضاة شرف الدين المالكي** : محمد بن أبي بكر .

☆ **وقاضي القضاة شمس الدين بن النقيب** : محمّد بن أبي بكر .

☆ **وقاضي القضاة جمال الدين ابن واصل** : محمد بن سالم .

☆ **وقاضي القضاة جمال الدين الزواوي** : محمد بن سليمان .

☆ **وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي** : محمد بن سُليمان .

☆ **وقاضي القضاة جلال الدين** : محمد بن عبد الرحمن .

☆ **وقاضي قضاة حلب بدر الدين أبو اليسر** : محمد بن محمد بن الصايغ . وأخوه قاضي القضاة بحلب أيضاً نور الدين محمد بن محمد بن محمّد .

☆ **وقاضي القضاة جمال الدين** : يوسف بن إبراهيم بن جُملة .

☆ **قاضي نابلس فخر الدين** : عثمان بن أحمد .

☆ **قاضي فوّه شمس الدين** : علي بن محمد .

☆ **ابن قاضي شهبة كمال الدين** : عبد الوهاب .

☆ **قاضي شهبة نجم الدين** : عمر بن عبد الوهاب .

☆ **قاضي غزة** : عمر بن محمد .

☆ **القاضي أخوين** : محمد بن محمد .

☆ **قاضي ملطيّة** : محمد بن محمد بن علي .

☆ **قاضي تونس** : إبراهيم بن الحسن .

☆ **ابن قاضي الحصن** : إبراهيم بن علي .

☆ **قاضي الرحبة نجم الدين** : إسحاق بن إسماعيل .

١٣٥٦ ـ القاسم بن يوسف بن محمد بن علي*

الإمام المُحدَّث الرّحال علم الدين التَجيبي السّبتي .

قال شيخنا الذهبي : حجَّ وقدِمَ علينا ، وسَمع من ابن القّواس ، والشرف بن عساكر وطائفة .

قال : وانتقيت له مئة حديث من مئة شيخ . ثم إنه سمع بمصر وبالثغر من الغرّافي ، وبالمغرب ، ونسخ وقرأ وحصّل أصولاً ، وله فضيلةٌ جيّدة ، تأخرّ وحدّث وروى عنه الوادي آشي .

قال : وسمعته يقول : أحاديث بقيّة[1] ليست نقيه ، فكن منها على تقيّه .

وُلد في حدود السبعين وست مئة .

قال : وأظنه بقي إلى نحو الثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ **ابن القاهر** : علي بن عبد الملك .

☆ **القبابي** : نجم الدين عبد الرحمن بن الحسن .

☆ **القَبّاري** : الشيخ أحمد .

١٣٥٧ ـ قَبْجَق**

الأمير الكبير سيف الدين نائب دمشق وحماة وحلب .

---

* الوافي : ١٧٣/٢٤ ، والدرر : ٢٤٠/٣ .

(١) بقية بن الوليد الكلاعي ضعّفه المحدّثون (ت١٩٧) ، السير : ٤٥٥/٨ .

** الوافي : ١٧٨/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٩٥/٢ ، والعبر : ٣٨٦/٥ ، والدرر : ٢٤١/٣ ، وإعلام الورى : ١٠ .

وكان من فرسان الإسلام ، وأبطاله[١] الشجعان الأعلام ، لا يُرام ولا يُرامى ، ولا يُسام في تدبير ولا يُسامى ، بَرّز في جَوْدَة الرمي بالنُشّاب ، واللعب بالرمح على ظهور الْمُطَمَّهة العِراب .

وأمّا عَقْلُه ودهاؤه وحزمه وانتخاؤه ، فانفرد بافتراع ذُرْوَته ، وإحكام عُرْوَته ، يَظُنّ بالشيء قبل وقوعه ماآل إليه ، ويتخيّل المقادير فتنثال عليه ، وكان فصيحاً في اللغة الْمُغْلِيّه ، مُجيداً في كتابتها كما تُجيده كُتّابُ العربيّه .

وكان لا يكاد الصَيد يخرج من بين يديه سليما ، ولا يعبأ هو به أكان ظبياً أو ظليما ، لكنه اضطر في الدخول إلى بلاد التتار ، والتجاهر بالخروج منها دون الاستتار . ولكنه شَعَبَ ما صَدَع ، ودَمَل ما جذع . فكان في عداد التتار وهو مع الإسلام ، وفي ظاهر الأمر بينهم ، وهو في الباطن[٢] تحت الأعلام . وداراهم إلى أن عادوا ، وبَدهَهم بدهائه إلى أن بادوا[٣] .

ولم يزل بعد ذلك يتقلب في النيابات ، ويشفي غلّة سيوفه من التتار في المصافّات إلى أن جاءه المصرع القاسر ، واختطفه[٤] عقبان المنية الكواسر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بحلب وهو نائبها في أواخر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة ، ونقل إلى حماة ودفن في تربتة المشهورة بها .

لما كان في بيت المنصور قلاوون كان مؤاخياً للأمير حسام الدين لاجين لا يكاد أحدهما يصبر عن الآخر إلى أن انعكس ذلك ، على ما سيأتي ذكره .

وما زال الأمير سيف الدين قبجق مقدّماً في البيت المنصوريّ ، رأساً من رؤوس

(١) في الأصل : « وأبطال » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « الظاهر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « عادوا » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٤) في (ط) ، (ق) : « واختطفته » .

مماليكه ، وتأمّرَ وأستاذه[١] ما يثق به ولا يركن[٢] إليه ، ولا يزال ينتظر منه بادرة ، فلا يُخرجه معه إلى حروب الشام ، ولا تجاريده خوفاً منه لئلا يهرب .

قال لي القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله : حكى بلبان الطُشلاقي مملوك الصالح علي ، قال : ركب المنصور يوماً إلى قبّة النصر في جماعةٍ من خوُشْدَا شِيّته الأمراء الصالحيّة ، ونزلوا هناك في صواوين خفاف ، فأكلوا وانشرحوا ، وقام كلٌّ أمير إلى صيوانه ، فأتى المنصورُ بعدة خراف رُمسَان بَدَارِيّة ، فقلّبها ثم إنه تخيّر له منها خروفاً من أصحّها أعضاءً ، وفرق البقية ، ثم بعث إلى كل أمير بخروف منها . وقال : ليقم كلّ واحد يذبح خروفه بيده ويشويه بيده مثلما نعمل في بلادنا ، وأنا في الأول . ثم قام فذبح خروفه الذي اختاره وسلخه بيده ، وأمَر بنارٍ فأُوقدت ، ثم شَواهُ بيده ، ولما انتهى طلب الأمراءَ ليأكلوا معه ، ثم أخذ منه[٣] الكتف اليمين ، فأكل لحمه ، ولمّا فرغ لحمه جرّده إلى أن أنقاه[٤] ، ثم إنه تركه قليلاً إلى أن جف ، ثم قام وجعل يلّوحه على النار برفق ، ثم نظر إليه وأطال فيه التأمّل ، ثم تَفَل عليه وسبّه ، فألقاه من يده ، وكان يجيد معرفة النظر في الكتف فلم يجسر أحد من الأمراء[٥] على سؤاله عمّا رأى فيه ، فدسّوا عليه أميراً سمّاه الطشلاقي ، قال القاضي شهاب الدين : أظنه بَيْسَري ، فمازحه ، وقال له : يا خوند أيّ شيء رأيت في الكتف . فقال : والله حاشاك[٦] ، [قال][٧] عن هذا الصبيّ قبجق ، وهذا الصبيّ عبد الله [عن][٨] مملوك آخر [كان][٩] عنده[١٠] من

(١) في الأصل : « وتأمّر أستاذه » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، وعبارة الوافي : « وأُمّرَ وأستاذه » .
(٢) في الوافي : « ولا يسكن » .
(٣) (ط) و (ق) والوافي : « هو منه » .
(٤) في الوافي : « نقاه » .
(٥) في الأصل : « من أحد الأمراء » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) والوافي .
(٦) في الأصل و (ط) : « فقال حاشاك » وفي (ق) : « فقال والله قال حاشاك » . وأثبتنا ما في الوافي .
(٧) زيادة من الوافي .
(٨) زيادة من الوافي .
(٩) زيادة من الوافي .
(١٠) في الأصل : « هذه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، والوافي .

الْمُكَتَسَبين أيضاً لا تخرجهم معك إلى الشام ، فهؤلاء متى صاروا[١] في الشام هربوا وعملوا فتنة . فأما عبد الله فتقدّمَ موته ، وأما قبجق ، فلما صار نائب الشام هرب وأتى بالتتار .

وقال : قال والدي : إن الشجعاعي ، قال مرّة ، وقد جاء كتاب من قبجق : هذا قنّينة دُهن وردٍ مخبوء لكلّ يوم مشؤوم .

ولم يزل مقدّماً في بيت الملك المنصور وهو مؤخر إلى أن مات المنصور ، وهو مؤخر[٢] .

ولَمّا ملك ولده الأشرف أجلَّهُ ونوّه بقَدْره ، وكان من أقرب المقربين إليه ، وربما استشاره في بعض الأمر .

ولَمّا قتل الأشرف ، ومَلَك كتبغا لم يبق لحاشيته دأب إلاّ لاجين وقبجق ، وتقصّد قبجق قصَّ جناح لاجين حتى اتفقا وطردا كتبغا ، وملك لاجين ، وخيّر قبجق بين نيابة الشام ونيابة مصر ، فاختار الشام ، فجاء إليه وهو يظن أنه مالكها ، ووصل إلى دمشق يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول سنة [ستّ][٣] وتسعين وست مئة .

وظهر من تعظيم لاجين له أن كتب إليه « بالجناب العالي » ، وكان يكتب إليه : « المملوك » ، فاستعفى ، فقيل له : أنت تعرف مكانتك ونحنُ نعرف مكانتك .

ثم إنّ لاجين ولّى جاغان ، المقدّم ذِكْرُه ، أحَدَ مماليكه شدَّ الدواوين بالشام ، وكان جاغان مُدِلاً على أستاذه ، فعمل الوظيفة على قاعدةٍ ضاق منها قبجق وانحصر .

---

(١) في الأصل : « صار » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، والوافي .

(٢) العبارة مضطربة ، وفي الوافي : « ولم يزل مع تقدّمه في البيت المنصوري مؤخراً عند السلطان حتى مات » .

(٣) زيادة من (ط) و(ق) والوافي .

وكانت مراسيم قبجق تَردُ عليه ، فمنها ما يردّه ، ومنها ما يُوقّفه على المشاهدة ، فنشأت بينهما منافسة ، وبقي جاغان يكتب في حقّه بما يغيّر بينه وبين السلطان من المودة التي [أنفقوا][1] فيها الأعمار ، حتى اشتد تخيّل لاجين منه ، وبعث إلى آقوش الأفرم ، وهو ابن خالة لاجين ، يقول له : تجعل بالك من قبجق ، وتعرفنا بأخباره ، فطمع في النيابة ، وكتب بما يزكّي أخبار جاغان وأقواله .

واشتد نفار قبجق [وهَمّ بالأفرام ، فجاء الأفرمَ البريدُ بطَلَبه إلى مصر ، ورسم لجاغان بسلوك الأدب مع قبجق][2] ولا يردّ له أمراً ، ولا ينقل قدماً عن قدم إلاّ بأمره ، فأظهر قبجق الرضا ، وأسرّ ما أسرّ .

ثم [إنّ][3] الأخبار تواترت بقصد التتار أطراف الشام ، فجرِّدت[4] العساكر المصرية والشامية ، ورُسم لقبجق بالخروج ، وأن يكون مقدّماً عليهم ، فخرج إلى حمص وعرض عرضاً ما رأى قبله مثله ﴿ وخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ في زِينَتِه ﴾[5] وعليه قباء مزركش بالذهب مرّصع بالجواهر[6] ، وكذلك سربُه يبهر العيون ، وعليه كلوته كذلك ، وفي وسطه كاشٌ ملبسٌ بالذهب مرصّع بالجواهر ، وكذلك سرجه وكنفوشه ولجامه .

ونزل بحمص وخيّم عليها ، فقال منكوتمر للاجين : ما قصرّت سَلطَنْتَ قبجق وبعثت معه الجيوش والأمراء ، وقعدت أنت وحدك برقبتك ، وندّمه .

---

(١) زيادة من (ق) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

(٣) زيادة من (ط) و (ق) .

(٤) في الأصل : « فجرت » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) .

(٥) القصص : ٧٩/٢٨ .

(٦) زاد في الأصل ما نصّه : « وكذلك سرجه وكنفوشه بالذهب مرصع بالجواهر » ، وقد خلت منه (ط) و (ق) ، وكذلك الوافي ، ثم إنّ هنا الكلام سيتكرر في معناه بعد قليل .

وكان هذا دأب منكوتمر يُوحش بين لاجين وبين الأمراء ، ويتقصّد إبادتهم ، فشرع لاجين في العمل على إمساك من قدر عليهم منهم ، واغتيال من لا يقدر على إمساكه ، ونَدَب لهذا صَلغاي بن حمدان ، وكان خؤوناً نمّاماً غربال أسرار .

ولما جاء قبجق وحدّثه وكان والدي حاضراً[١] ، قال : فقال له : السلطان يُسَلِّمُ عليك ، ويقول لك : قد حَصَل القصد بإلقاء السمعة والمهابة ، وما بقي للتتار حركة ، وأنا قد بعثني أردّ العساكر المصرية من حلب والأمير يرجع إلى دمشق .

فقال له قبجق : لمّا قال لك السلطان هذا ، كان منكوتمر حاضراً عنده ؟ قال : وإلاّ فأين يغيب ذاك . قال والدي : تفهمّت[٢] بها خيانة ابن حمدان .

ثم إن ابن حمدان قطع الكلام ، وقال : يا خوند أنا جيعان[٣] وقد اشتهيت كركياً يُشْوَى لي . فقال : هاهنا كركي مشوي هاتوه ، فأتوا به وأنا قاعد ، فلما أُتي به ، قال ابن حمدان : لا يقطع لي أحد ، أنا أقطع لنفسي ، ثم إنه أخرج سيخاً كان معه ، وجعل يقطع برأسه ، ويأكل ، ثم قطع بسُفل ذلك السّيخ وقدّمه لقبجق ، وقال له : أنا قد قطعتُ لك وأنت إن اشتهيت تأكل ، وإن اشتهيت لا تأكل ، ففهم قبجق أنه قد سَمَّ له ما قطعه له ، وغضب وأربدَّ وجهه واسودّ وظهر عليه ما لا يخفى من الأذى ، ثم قال : أنا ما آكل شيئاً .

قال والدي : فقمت من عنده ، وشرع قبجق فيما همّ فيه ، وهمّ بما هم به .

ثم سافر ابن حمدان إلى جهة حلب وكان من الأمراء الذين بها ما كان ، وركب بكتمر السلاح دار وألبكي نائب صفد ، عائدَين إلى حمص[٤] حتى أتيا قبجق وشكيا إليه ما كان أُريد بهما بحلب ، فشكا هو إليهما ما أُريد به بحمص ، وأجمعوا على الرأي .

(١) في الأصل : « وحدثه قال : وكان حاضراً » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .
(٢) في الوافي و (ق) : « ففهمت » .
(٣) كذا في الأصل .
(٤) في الأصل : « صفد » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

وأراد قبجق تحليف الأمراء له ، وطلب من شهاب الدين بن غانم ليتولى له ذلك ، فعمل نسخة بالتحليف ، فلما حضر ليحلّف . قال له أمراء الشام : أين كاتب السر ، فقالوا : هو بعث هذا .

فقال الطواشي ، وكان رأس الميمنة وكبير الأمراء والملك الأوحد بن الزاهر ما نحلفُ إلا إن حلّفنا كاتب السرّ ، فإنه أخبر بالعَادة .

قال والدي : فَطُلبتُ ، وأُعطيتُ نسخة التحليف ، فوجدتُها مجردّة لقبجق .

فقلت : ما جرَت بهذا عادة ، ثم أخذت القلم وأضفت فيها اسم السلطان ولزوم طاعته ، وجماعته ، فحلفوا على هذا .

وتنكر لي قبجق ، قال : فلما رأى قبجق أن الأمر ما يتم له ، لاختلاف الأمراء عليه ، أعمل الرأي في الهرب ، قال : حكى لي الغرسي[1] الحاجب ، قال : جئت إلى قبجق في الليلة التي أراد الركوب فيها للهرب ، وأخذت في لومه وعذله ، وقلتُ له : يا خوند بعد الحج إلى بيت الله الحرام وقطع هذا العمر في الإسلام ، وأمير علي تَروح[2] إلى بلاد العَدوّ ؟ فقال : ياحاج ، أنا كنت أعتقد أن لك عقلاً ، الرّوح ما يعدلها شيء ، وأما الإسلام فأنا مسلم أينما كنت ، ولو كنت في قُبرسٍ . وأما الحجّ فكلّ سنة يحجّ من الشرق قدر من يحجُّ من عندكم مرات ، وأمّا أمير علي ، فأيّ امرأة بصقت فيها جاء منها أمير علي وأمير إبراهيم وأمير خليل .

ثم قال : هاتوا ما نأكل ، فجاؤوا بزبدية خشب فيها لحم يَخْني ، فأخذ منه قطعة وحطّها على قباء كنجي زيتي عليه ، وشرع يقطع منها ويأكل ، ويغني بالتتري ، يريني بذلك أنه قد دخل في زي التتار ، وعيشهم .

---

(١) في الوافي : « الفرسي » .

(٢) في الأصل : « روح » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

ثم هرب وأمسك نائب حمص معه . فقال : يا خوند أيش هو ذنبي . فقال : مالك ذنب ، وإنّما أخذتك معي حتى تُفرّق هؤلاء الخَيَّال ، يعني[١] جند حمص ثم إنه أطلقه بعد ذلك .

وبعد هربه بيومين ثلاثة ـ**قلتُ** أنا : الصحيح بعد أسبوع وأكثر ـ جاءت الأخبار بقتل السلطان لاجين وذبح مملوكه منكوتمر ، فجُهّز إليه البَريدي الذي وصل بهذا الخبر ، وهو علاء الدين الدبيسي ، فلحقه وأخبره ، فما صدقه ، وهمّ بقتله ، ثم تركه ورَدّه ، واستمر قبجق حتى وصل إلى أردو القان غازان ، فقبل وفادته ، ولم يجد لديه طائل إكرام .

قال : وحكى لي شرف الدين راشد كاتب بكتمر السلاح دار ، قال : إن غازان رتبّ له راتباً لا يليق بمثله ، ثم إن غازان حشد للصيد وجمع حلقةً ما رُئي مثلها ، وضمّت مالا يحصى من الوحش .

وقال لأمرائه[٢] : حتى نبصر هؤلاء إن كانوا أقجيّة أولا ، فظن[٣] أنه يفضَحُهُم .

ثم قالوا لقبجق : يا قبجق نحن قد شبعنا[٤] ، وإنما عملناه ضيافة لكم ، فنزل قبجق ، وضرب له جُوكا ، ثم قال : بسعادة القان نتصيّد ، فعبرت بهم حمرٌ وحشيّة ، فأمر غازان بالرمى عليها .

فقال قبجق : أيش يشتهي القان يأكل لحمه من هذه الحمير . فقال له : هذا وهذا ، وأشار إلى اثنين منها أو ثلاثة أو أكثر ، فساق قبجق وصهرٌ له عليها ، واتفقا على الرمي على مكان منها .

---

(١) في الوافي : « عن » .

(٢) في الأصل : « لامرأته » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

(٣) في الوافي : « وكان يظنّ » .

(٤) عبارة الوافي : « نحن شباعي صيد » .

ثم حاذياها ورميا عليها ، فلم يخطئا المكان حتى تلاقى نشابها وتقاصف . وهكذا في كل رماياهم ، ثم إنهما حملاها حتى رمياها بين يدي غازان . فلما رأى رميهما المتوارد على مكان واحد في كل رمية زاد توقيرهم في صدره ، وقال إلي قبجق بك ، ثم ألبسه قبعاً[١] كان على رأسه ، وألبس صهره بكلاً[٢] كان عليه ، ثم أصغى إلى كلامهم ، فحدثوه في أمر[٣] الشام ، واتفق أن الملك المظفر صاحب ماردين كان قد تحدث في هذه الإغارة التي شملت بلاده ، فخرج بهم غازان حتى أتى بلاد حمص ، وكان الملك قد آل إلى الملك الناصر ، وقد خرج إلى الملتقى .

قال : فحكى لي والدي قال : قال لي قبجق بعد عَوْدِه لّما تلاقينا : نحن وأنتم تَتَعْتَعَ جيشنا ، فهمّ غازان بالرجوع ، وطلبني ليضرب عنقي قبل أن نرجع لكون خروجه كان برأيي ، ففطنت لذلك فلمّا صرت بين يديه قال : أيش هذا ؟ فضربت له جُوكا ، ثم قلت له : أنا أخبر بأصحابنا ، وهم لهم فَرْد حملة ، فالقان يصبر ، ويُبْصر كيف ما يبقى قدّامه منهم أحد ، وكان الأمر كما قلت ، وخلصت من يده ، فلما انكسر ثُم[٤] أراد أن يسوق عليكم ، فعلمت أنه متى فعل ذلك لم يبق منكم أحد ، فقلت له : القان يَصْبر فإن هؤلاء أصحابنا أخباث ، وربما يكون لهم كمين ، ، وقد انهزموا مكيدة حتى نسوق خلفهم فيردّوا علينا ، ويطلع الكمين وراءنا ، فوقف حتى أبعدتم عنا ، فلولا أنا ما قتل منكم أحد ، ولولا أنا ما بقي منكم أحد .

ولّما جاء غازان ونزل بتل راهط ، جعل الحكم لقبجق بدمشق ، وكان فيه مغلوباً مع التتار لا يسمعون منه ، وعلى هذا ، فكان يداري ويدافع عن المسلمين بجهده ويباطن أرجواش في عدم تسليم القلعة .

---

(١) في الوافي : « تبعا » .

(٢) في الوافي : « تكلاً » .

(٣) في الوافي : « في أخذ » .

(٤) في الوافي : « انكسر ثمّ » .

ولّما عزم غازان على العود ، جعل إليه نيابة الشام ، ولبكتمر السلاح دار نيابة حلب ، ولألبكي نيابة السواحل كلّها .

قال : ووقفت على نُسخ تقاليد كتبت لهم على مصطلح ملوكنا ، كتبت بخط جمال الدين بن المكرّم ، وكتب لقبجق فيها « الجناب العالي » ، وجعل زكريا بن الجلال وزيراً بالشام وحلب والسواحل عامة[١] يتحدث في الأموال ، وترك بولاي من عسكر التتار ، ليكون ردءاً لهؤلاء النوّاب إلى أن يستخدموا لهم جنداً .

ثم لما بَنت ببولاي الدار ، شرع يراسل المصريين ، وجهّز الصاحب عز الدين بن القلانسي والشريف زين الدين رسلاً منه إليهم ، واستعان بكتب كتبها محمد بن عيسى ، إلى الأمراء بسببه .

فأما سلاّر فلان له جانبه . وأما الجاشكير فخشُن عليها ، ثم غلبَ عليه رأي سلاّر والأمراء الكبار . وقالوا : لو لم يكن إلا لأجل محمّد بن عيسى ، فإنه بالغ في أمره ، وقام معه هذا القيام الذي ما بقي معه يمكن أن يتخلى عنه ، وإن لم تؤووه أنتم آووه هم .

وأخذوا وجهاً عند غازان ، وقالوا : عملنا هذا لأجلك ، فأجمعوا على صُلحه ، ثم جعلوا مقامه بالشوبك لخاصّة مماليكه على رزق جيد[٢] عُيّن لهم .

ودام على هذا حتى كانت الواقعة الثانية نوبةً شقحَب ، فحضر وشهد يومها بماليكه ، وأبلى[٣] بلاءً حسناً لم يُبلِ أحدٌ بلاءه .

وسبق إلى الماء ليملكه ، فوجد عليها فوجاً من التتار ، فما زال يقاتلهم حتى

---

(١) في الوافي : « ولاية عامّة » .

(٢) في (ق) والوافي : « جند » .

(٣) في الأصل : « وبلى » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) .

زَحْزَحهم ، وملكه . فبات المسلمون يرتوون بالماء ، وبات التتار يصلون بنار العطش ، وكان ذلك من أكبر أسباب النُصَرة فرعي له هذا العمل .

ولما خلت حماة بعث إليها قبجق نائباً ، وكان مثل مالكها .

حكى الصاحب أمين الدين ، قال : طلبت يوماً إلى دار النيابة وسلاّر جالسٌ وبيبرس إلى جانبه ، فدخلت مسرعاً لكثرة الاستعجال ، وليس معي منديل للحساب .

فقال لي سلاّر : أين كارتك ، يعني مزرّة الحساب ، فقلت : هي مع العبد ، فأمر بها ، فأُحضرت .

فقال : اكشف أي شيء مضمون التذكرة التي كُتبت على حماة ، قال : فكشفتها ، وكانت قد كتبت تذكرة على حماة ، وكتب فيها إلى قبجق فالجناب العالي[1] يتقدم بكذا ، والجناب العالي يفعل كذا .

فقال لي : يا سبحان الله نسيت ما عمله قبجق أمس ما تريد[2] تغيظه ، حتى يعمل النوبة أنحس من النوبة الأولى ، هو طلع رقّاصاً عندكم ، حتى تقولوا له : اعمل كذا ، افعل كذا ما يقنعكم ، أنه قنع بحماة ويسكت عنكم ، ثم أخرج كتاباً جاء منه ، وهو يقول فيه بين أسطره : لا إله إلا الله ، يا خوند يا خوشداش صرت مشدّ جهةٍ عند الكتّاب والدواوين أو والي بلد ، إنْ كان هذا برسومك ، فحاشاك منه ، والموت أهون من هذا ، وإنّ كان برسوم الدواوين ، فتريد تعرف أن الدنيا سائبة وأنت تعرف أيش يترتب على هذا .

قال : فقمت والله ما أبصر الطريق ، فلمّا كنت في الدهليز لحقني نقيبٌ فردّني ،

---

(١) في الوافي : « العالي السيفي » .

(٢) عبارة الوافي : « ما عمله قبجق ، أيش هذا ، تريد » .

فلما رآني ، قال : لا تعودوا تذكرون حماة ، واحسبوا أنها ما هي[١] في الدنيا ، قال : فوالله ، ما عُدنا مددنا فيها قلم .

ثم لم يزل فيها قبجق حتى جاء السلطان الملك الناصر من الكرك إلى دمشق آخر مرّة تسلطن فيها ، وجاءه قبجق من حماة وأسندمر من طرابلس معاً ، وكانا قد اتّعدا لمثل ذلك .

وخرج السلطان للقائهما بظاهر الميدان الصغير بدمشق ، وترّجل لهما وعانقهما . ولّما ركب أمسك [أسندمر له][٢] الركاب وعضده قبجق ، ثم توجها معه إلى مصر ، ولما استقر له الملك بمصر بعث قبجق ، وفي ظنه أنه نائب الشام . وأتى دمشق ونزل بالقصر الأبلق وهو ينتظر التقليد ، فجاءه التقليد بحلب ، فتوجه إلى حلب ، وأقام بها نائباً إلى أن مات في التاريخ المذكور ، وكان ما يحبّ إلاّ دمشق ، وما يتمنى سواها ، ففرّقت الأيام بينها وبينه ، وعكست مراده ، وهذه عادتها القادرة ، وشيمتها الغادرة .

١٣٥٨ ـ قُبلاي الأمير سيف الدين الناصري*

ولي نيابة الكرك في الأيام الصّالحيّة إسماعيل لّما أخذت من أخيه الناصر أحمد ، فأقام بها مدة ، ثم طُلب إلى مصر ، وأقام إلى أن ولي الحجبة الصّغرى مع الأمير سيف الدين أمير حاجب أيتمش الناصري ، ثم إنه ولي الحجبة الكبرى ، ولم يزل على ذلك إلى أن خُلع السلطان الملك الناصر حسن ، وتولى الْمُلك الْمَلك الصالح صالح ، فولاّه نيابة السلطنة[٣] بالديار المصرية عوضاً عن الأمير سيف الدين بيَبُغاتتر ، وذلك في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

---

(١) في الأصل و (ط) : « أنّا هي » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

* الوافي: ١٨٥/٢٤ ، والدرر : ٢٤٣/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢١/١٠ ، والذيل التام : ١٤٨ .

(٣) عبارة الوافي : « فولاّه كفالة الملك » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة ست وخمسين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **القبتُوري** : خلف بن عبد العزيز .

☆ **قتّال السبع** : اسمه آقوش .

١٣٥٩ ـ قجا الأمير سيف الدين*

مشد الخاص بزُرع وإربد وطَفَس ، ومشدّ مراكز البريد بالقبليّة والشمالية ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان خبيراً نحريرا ، ذكياً بصيرا ، يعرف ما يُبَاشِرُهُ ، ويعرف الرجل قبلها يعاشره ، إلاّ أنه كان مُتشدّداً في أموره ، متجدّداً في يقظته يخاف من نسبته إلى قصوره .

وكان لا يمكّن رفيقه من الحديث ، ولا يدعه يستريب ولا يستريث ، وكان المباشرون معه في بوتَقَةِ حَصر ، وأبواعهم المديدة تشكو من القَصْر . لا ينخدع[١] ولا ينصدع ، ولا يرتد عن الشدة ولا يرتدع . فكان الكتّاب وغيرهم يبيتون معه بليلة السليم[٢] ، ويصبح كلّ منهم وهو غير سليم :

ولم تزل قلّةُ الإنصاف قاطعةً بين الرجال ولو كانوا ذوي رحمِ[٣]

---

* الدرر : ٢٤٣/٣ ، والذيل التام : ١٤٨ ، وذيول العبر : ٣٠٧ .

(١) في الأصل : « ولا ينخدع » بزيادة الواو ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) ، (خ) .

(٢) السليم هو الذي لدغته الأفعى .

(٣) (خ) : « وإن كانوا » .

ولم يـزل في جبروتـه يتشـدّد ، وفي قسـوتـه يتمرّغ ويتمرّد ، إلى أن قُصمت بـالمنـون عُرى غُروره وبات وليُّهُ في حزنه ، وعدوُّه في سروره .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الأحد رابع شوال سنـة ست وخمسين وسبع مئـة ، وقد تعدى[١] الخمسين .

ومن الغريب أنه في بلاد الساحل بغزة قد توجّه للقَسْم وأُرجف بأنـه مـات . وكان ذلك في شعبان ، وأظنّه بلغـه الخبر ، فنجّز أشغـالـه ، وحضر إلى دمشق ، وأرى النـاس نفسه ومابه قَلَبه . ثم إنه توجّه لقبض مغَلّ زُرَع ، فـأرجف بموتـه ، فحضَرَ في أخريـات رمضان وهو متوعكٌ ، [وركب][٢] وجاء لدار السعادة في ليالي العيد ، وهو يتجلّـد ، ويري أنه ممّن يُخلد[٣] :

وإذا المنّيـــة أنشبت أظفـــارهـــا ألفيت كلَّ تميـــــمـــة لا تنفـــعُ[٤]

فأقام على حاله بعد ذلك ، وتوفي سامحه الله ..[٥] .

وأولُ أمره كان من جُملـة البريـديّـة ، وكان فيـه حـذقٌ ومعرفـة وخبرة ، فجهَّـزه الأمير سيف الـدين تنكـز ـ رحمـه الله تعـالى ـ بمشـافهـة فيهـا قـوّةٌ وغلظـة ، إلى الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب ، فبلّغه المشافهـة بعبـارة فجّـة مؤلمـة ، فبقيت في قلب ألطنبغا .

---

(١) (ق) و (خ) : « وكان قد تعدّى » .

(٢) زيادة من (ق) و (خ) .

(٣) في الأصـل : « وهـو يرى » ، وأثبتنـا مـا في (ط) (ق) ، وعبـارة (خ) : « ويُري أعـداءه أنّـه ممن يُخلّد » .

(٤) لأبي ذؤيب الهذلي .

(٥) (ق) ، (ط) ، (خ) : « توفي رحمه الله وسامحه » .

ولما جاء نائب الشام أَرَاد أذاه ، فقطع خبزه[١] وتهدَّده ، وكان قجا رجلاً ، فسعى[٢] في إصلاح أمره ، وسكنت القضية .

ولم يزل على حاله في جملة البريدية ، إلى أن جاءت واقعة بيبغارُوس ، فاحتاج الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى المطالعة بأمره ، فكتب مطالعة ، واستنجد بالمصريين في سُرعة إنجاده ، وندب سيف الدين قجا في التوجه بالمطالعة ، فتوجّه بها ، وكان ذلك مهمّاً كبيراً ، فجاء قجا وقد أُعطي إمرة عشرة ، ثم إنه أخذ تقدمة البريديّة[٣] وأخذ في الترامي إلى الأمير سيف الدين صرغتمش ، والانتماء إليه .

فلما كان السلطان الملك الصالح صالح بدمشق أُعطي طبلخاناه ، وتحدث في أمر شدّ زُرع وطفس وإربد ، ثم إنّه توجه في أواخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة [إلى مصر وأثبت][٤] مَحَاضر بوقفيّة زُرع وطفس وإربد ، وأنه هو مشدّها ، وأبطل من كان فيها مباشراً ، واستخدم غيرهم .

وزادت عظمته ووجاهته ، وتسلّطه إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ في وسط عِزّه .

وكتبت له توقيعاً بتقدمة البريديّة عوضاً عن ناصر الدين محمد بن القرايلي ، لّما توفي إلى رحمة الله تعالى ، في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، ارتجالاً من رأس القلم وهو : « أمّا بعد حَمْد الله على نعمه التي جرَّدت من أولياء هذه الدولة القاهرة سيفا ، ومنعت بجدّه جَنَفاً من الأيام[٥] التي زادت خطباً وحيفا ، وجمعت بمضائه من المصالح ما كانت الأطماع لا تؤمل أن تراه طيفا ، وصلاته على سيّدنا محمّد ،

(١) في الأصل : « خبره » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) .
(٢) (ق) ، (خ) : « يَسْعَى » .
(٣) في الأصل : « البرية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٥) (خ) : « الأنام » .

وآله وصحبه الذين نصروا حِزْبَه ، وتظاهروا[١] على قمع عداه ، فحازوا من المعالي أرْفع رُتبه ، وتضافروا على اتباع هداه ، فلم يكن بين الكواكب وبينهم نسبه[٢] ، صلاةً يملأ البَرَّ بريدُها ، ويكاثر موجَ البحر عديدُها ، ما تقعقع من البريد لجام ، وزعزع من المهمّات ريح تثير السحب السِّجام ، وسلامه إلى يوم الدين .

فإنّ أَوْلَى من غُدق به أمر البريد المنصور ، وأضيفت إليه أَمْرُ التقدمة على فرسانه الذين يسابقون البُروق اللامعة في الديجور ، مَن قَدْمت خدمته في الدولة[٣] القاهرة ، وساق في مهمّاته الشريفة ، فشخصت لسيره ، وسُراه عيونُ النجوم الزاهره ، وقطع المسافة في وقت تُقصر عنه فيها الطيور الطائره ، كم تألق برق دُجُنّة فسَبقه في شق جيب الظلام ، وأتى في مهم فبلغ الغاية قبل وصول خبره على أجنحة الحمام .

يكاد من السرعة يأتي ،وما جفّ ختم كتابه ، ولا ارتسم ظله على الأرض ، ولا اعْتقل الخيال بركابه ، وتحمّل من أسرار الملوك مشافهاتٍ لم يُبدها من القلم لسان ، وأدّى فيها الأمانة التي لم تحملها الجبال وحملها الإنسان .

وكان المجلس السامي الأميري السيفي قُجا الصالحي ، هو هو الذي تضمنته هذه الإشارة ، ومن رّبا ذِكره نفحُ عبير هذه العباره . وعلى شخصه دلّت هذه الأدلّة ، وعليه وقع اختيار هذه الإماره . فلذلك رُسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الصالحي أن يرتّب مقدَّماً على جماعة البريّدية الشاميين عوضاً عمن كان بها على عادة ابن الفرّاء ، لما كان[٤] أمير عشرة ، لأنه نصْل تجرّع العدو منه الغُصّة لّما تجرد ، وأصْلٌ تَفَرّع[٥]

---

(١) (خ) : « وظاهروا » .

(٢) (ق) ، (خ) : « بين الكواكب وبين سيوفهم نسبة » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « مَنْ قَدُمت هجرته في خدمة الدولة » .

(٤) (خ) : « لّما كان بها » .

(٥) في الأصل و (ط) : « تفرّد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، وهو الصحيح ، لما سيأتي .

بالمحاسن وبالمزايا تفرد ، قد عرف الأيام وخبرها ، ودرب الأمور ودبرّها ، وقطع [مفاوز][1] المباشرات وعبرها .

فليباشر ذلك مباشرة من مارس هذه الوظيفة طول عُمره ولم يركن إلى زيد الزمان ولا عَمْرِه ، وليرتب الجماعة نوباً يتداولون الخدمة ، ويختر لكلّ شغلٍ بريديّاً يكون في ذلك الْمُهمّ عالي الهمة ، ويعامل باللطف كبيرهم ، وصغيرهم ، ويبذُل البشر إذا رأى جليلهم ولا يعرف الناس حقيرهم .حتى يعترف الجميع[2] بفضله الجليل الجلي ، ويقولوا إن القرايلي ما يلي ، وتعود أيامهم بيضاً بعدما سَجَا الدجا ، ويقول أحدهم : ذهب ناصرنا ، فجاء قُجَا ، يَعمر أرجاء الرَّجا ، والوصايا كثيرة وتقوى الله تعالى عمدةٌ إن[3] ازدجر ، وعمل للآخرة وادّكر ، وخاف من سفرٍ ينتهي به إما إلى جنة عدنٍ ، وإما إلى سقر .

فلا يصحب غيرها خليلا ، ولا يلمح من سواها وجهاً جميلا ، والله يعلي درجته ، ويحرس مهجته ، والخطّ الكريم أعلاه ، حجه في العمل بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٣٦٠ ـ قجليس*

الأمير سيف الدين الناصري السلاح دار .

كان خيّراً ، لطيفا ، حسن العشرة ظريفا ، يحب العلماء ويؤثرهم ، ويتعصّب لهم وينصرهم ، ويخلّص بجاهه لهم المناصب ، ويدفع عنهم كل عذاب واصب .

إلاّ أن أستاذه الملك الناصر يقذف به في كل هُوه ، ويعتمد عليه في كلّ واقعة مرجوه ، فما أمسك في الشام أمير إلاّ على يده ، ولا كُسف قمر منير إلا بتتبع رصده ،

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٢) (خ) : « الناس » .
(٣) (خ) : « لمن » ، وهي أشبه .
* الدرر : ٢٤٣/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٧/٩ .

فكان إذا سمع الناس بخروجه من مصر تزلزلت أقدامهم ، تحققوا أنه متى وصل تحتّم إعدامهم .

وكان من كبار الخواصّ عند أستاذه المقربين ، وأمراء الألوف الذين أصبحوا على وَفق مُراده مجرّبين .

ولم يزل على حاله إلى أن سُقي بكأس سُقي به سواه وضمّه قَبْرُه وحواه .

وتوفي - رحمه الله تعالى في نصف صفر ليلة الثلاثاء ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

وكان عارفاً بعلم المواقيت يضع الأسطرلابات والأرباع والرخامات المليحة ، ويتقنها ، ويعرف عدة صنائع ، وعنده آلاتها المليحة الفائقة الظريفة .

واقتنى من المجلدات النفيسة شيئاً كثيراً إلى الغاية . وكان الفضلاء يترددون إليه خصوصاً أرباب المعقول ، كان يتردد إليه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني ، وله عنده مملوك بإقطاعٍ جعله أستاذ داره . ويتردد إليه شرف الدين بن مختار الحنفي[1] وغيرهما من الفقهاء وغيرهم .

وكان جميل المودة ، حسن الصُحبة لطيفاً ظريفاً ، حسن العشرة ، ولكنه له سُمعة في الشام سيئة لِما ذكرتُه من أن السلطان يندبه في المهمّات وثوقاً بعقله .

وكانت طبلخانته في القاهرة مالأحد مثلها ، لأنه اعتنى بصُناعها وانتقاهم ، وأحضرَ بعضهم من البلاد .

وكان قد تزوج ابنة الأمير سيف الدين آلملك ، كان يقال : إنه في القاهرة ليس لها

---

(١) محمد بن مختار الحنفي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

نظير ، وكان يُحبّها محبّة مُفرطة[١] ، وينفق عليها نفقة عظيمة إلى الغاية ، ولا تنقطع[٢] الأغاني من داره ليلاً ولا نهاراً من الجواري المطربات الفائقات . فكانت إذا دخلت إلى الطهارة وخرجت[٣] تَلَقَّيْنَها وزفيّنها ، وكذلك إذا أرادت النوم مع زوجها يعملن لها زفة .

وأخذت يوماً منه إذناً لتنزل إلى المنظرة التي له على البحر مدة ثمانية أيام ، فأعطاها لكل يوم مبلغ ألفي درهم ، وأباعت هي من قماشها شيئاً بعشرة آلاف درهم ، وطلعت إلى القلعة قبل الميعاد بيومين ، وقالت : فرغت النفقة .

ولما مات ـ رحمه الله تعالى ـ ما انتفع بها أحد بعده ، لأنه[٤] حصل لها مرض سوداوي ، وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ .

اللقب والنسب

☆ **القَحْفَازي** : الشيخ نجم الدين ، علي بن داود .

☆ **القدسي** : علاء الدين الشافعي علي بن أيوب . وشرف الدين محمد بن موسى .

☆ **ابن قُدس** : محمد بن أحمد .

١٣٦١ ـ قُدُودَار الأمير سيف الدين*

متولّي القاهرة ، ولاّه السلطان الملك الناصر محمد القاهرة ، بعد الأمير علم الدين سَنْجَر الخازن في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، فوليها وأحسن إلى الناس أوّل ولايته ، ولم يزل فيها إلى أن توجّه إلى الحجاز فحج وجاء .

(١) في (ق) ، (ط) : « مفرطة إلى الغاية » ،

(٢) في الأصل : « ولا تقطع » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في (ط) ، (ق) : « وخرجت منها » .

(٤) (ق) ، (ط) : « لأنها » .

* الوافي : ٢٠٦/٢٤ ، والدرر : ٢٤٤/٣ ، وفيه : « قَدَيدار » .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سادس عشر صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

١٣٦٢ ـ قرابغا ، الأمير سيف الدين*

قرابغا دوادار الأمير سيف الدين أرغون شاه .

لَمْ نَرَ ولم نسمع بدوادارٍ كانت له منزلة هذا عند أستاذه ، على أنه كان قد قاسى منه شدائد في أوّل أمره ثم سخّره ـ الله تعالى ـ له أخيراً .

كان لا يخالفه فيما يراه ، ولا يخفي عنه ما ألمّ به في باطنه أو اعتراه . وكانت آراؤه عليه مباركه ، وليس له فيها مع أحد مشاركه ، قد تحقق نُصْحُه ومحبته ، وتيقن خبرته بحاله ودربته ، فقوله عنده ، قَوْلُ « حَذَامِ » ، وأمرُه[١] على كل حالٍ لزام ، وثوّر نعمه طائله ، وسعادة هائله ، في مدة يسيرة جداً ، ووقتٍ كأنه زمن الوَرَدْ إذا ردّ وتردّى . هذا مع أنه كان لا يعرف باللسان العربي كلمة واحدة ، ولا درى[٢] ما اللفظة الفائتة من الفائدة .

ولكن اختُطِفَ من وسط هذه السعاده ، واقتطف من روض هذه السياده ، وخلَت منه الديار ، وشطّ منه المزار .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الاثنين حادي عشري شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة . ودفن في تربة [زوجه] كسُبَاي[٣] عند دار الأمير شمس الدين حمزة التركماني بالقبيبات .

---

* الوافي : ٢٠٧/٢٤ ، والبداية والنهاية : ٢٢٨/١٤ ، والدرر : ٢٤٤/٣ .

(١) في الأصل : « وقوله » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . وقوله : « حذام » إشارة إلى البيت المشهور :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(٢) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « ولا يدري » .

(٣) الزيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) . وفي الوافي : « كشباي » .

أخبرني القاضي ناصر الدين كاتب السر بالشام ، قال : لم أدخل على هذا أرغون شاه قط فرأيته جالساً قدامه ، بل إلى جانبه ، ولا رأيته يتحدث هو وأستاذه ، وعنده[١] مملوك آخر ، انتهى .

وكان يرجع إلى قوله ومهما أشار به فهو الذي يكون والعملُ عليه ، ولم يكن مشترى ماله بل السلطان الملك الناصر وهبَهُ له على عادة إنعاماته ، وزَوّجه بجاريته كُسْباي ، وهي أعزّ جواريه ، وأحظاهنّ عنده .

وكان بعد ذلك لا يصبر أستاذها عنها ، ولّما خرج معه إلى صفد ، أُعطي إمرة عشرة ، ولّما توجّه إلى مصر وأُعطي نيابة حلب أُعطي قرابغا إمرة طبلخاناه .

ولّما حضر إلى دمشق أعطاه أستاذه من عنده زيادة على إقطاع الطبلخاناه قرية بيت جنّ[٢] ، وهي تعمل مئة ألف درهم[٣] ، وأعطاه في كل سنة مئتي ألف درهم ، غير الذي ينعم به على الدوام والاستمرار من الخيل والذهب والقماش .

مرضت زوجه كسباي المذكورة في أيام الطاعون وبصقت دماً وماتت في اليوم الثالث ، ودفنت في تربة أنشأها لها في جمعة ، فدفنت في يوم الخميس سادس عشر شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ثم إنه مات ابنها ودايتُه[٤] بعدها بيومين . ثم إنه هو بصق دماً ، ومات يوم الاثنين [في] التاريخ ، فلحقها بعد خمسة أيام وحُمل من دار حمزة إلى باب النصير ، وخرج أستاذه وصلّى عليه مع الأمراء والقضاة ، وللناس ولم يتبعه[٥] أستاذه ـ رحمها الله تعالى ـ .

(١) (ق) ، (خ) : « وعندها » .
(٢) من قرى ريف دمشق .
(٣) عبارة الوافي : « تغلّ مئة ألف وخمسين ألفاً » .
(٤) في الوافي : « وكاتبه » .
(٥) في الأصل و (ط) : « يبلغه » ، وأثبتنا مات (خ) ، (ق) .

وكان لي ربيب يُدعى مراد ، يحمل دواتي فَوُصِفَ له ، فدخل إلى قاعة الإنشاء ، وأخذه[١] بيده وراح وسلّمه إلى طواشي أرغون شاه . وقال : هذا مملوك ملك الأمراء ، فكتبت إلى القاضي ناصر الدين صاحب ديوان الإنشاء في هذا :

يا سيّداً صُرّتُ ظلَّ جَنَابه ... لي جُنَّة إن جاد دَهْرِي أوْبَغا
أتَرى الزمان معاندي ومحاربي ... حتى رماني في الورى بقَرابُغا

١٣٦٤ ـ قرابُغا، الأمير سيف الدين*

ابن أخت الأمير سيف الدين أيتمش نائب الشام .

حضر معه إلى دمشق ، وكان في مصر مِن جملة السلاح داريّة للسلطان الملك الناصر حسن ، وكان خاله ، قد قال له في مصر : يا قرابغا ، إن كنت تجيء معي على أنك ابن أختي تشفع وتتكلم فيما لا يعنيك ، فلا تجيء ، وإن كنت جئت كأنك أجنبي لا يكون لك في شيءٍ كلام ، فتعال . فحضر معه ، وأقام قليلاً ، ورَتَّب له في كل [يوم][٢] مبلغ خمسين درهماً ، إلى أن انحلت طبلخاناه ، فأخذها وكان لا يجسُر أن يتحدث مع خاله في شيءٍ ، وإنما كان الناس يخدمونه لأجل [الصورة][٣] الظاهرة .

وكان أسمر طوالاً غليظاً ، إلاّ أنه أرق من نسيم ، وألطف من كأس تسنيم ، حسن الأخلاق ، يتصف بما راق ، وما لاق ، ويسجع على عوده كأنه الورقاء بين الأوراق ، نادم جماعة من أهل دمشق وأجمعوا على لطفه ، وجنوا ثمار الإحسان من عطفه ، ولما توجه خاله إلى نيابة طرابلس توجه معه ، ولم يحل عن تلك الحال ، ولا ذاك الصنع الذي صنعه .

---

(١) في الأصل و (ط) : « وأخذ » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

* الوافي : ٢٠٨/٢٤ .

(٢) كذا العبارة في الأصل و (ط) ، ولعل الصواب : « في كل شهر مبلغ ... » ، أو نحو ذلك .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) .

ولّما توفي خاله ـ رحمه الله تعالى ـ توجه إلى مصر فأقام بها ، إلى أن اضمحّل وتلاشى ، وأصبح على نار المنيّة فراشا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ...[١]

١٣٦٥ ـ قَرَاجا بن دُلْغادر*

بدال مهملة ، ولام ساكنة ، وغين معجمة وبعدها ألف ودال مهملة وراء : الأمير زين الدين النائب بالأبْلُستَين .

كان من أمراء التركمان ، وارتمى إلى الأمير سيف الدين تنكز وانتمى إليه ، فأقامه وأحبّهُ وعظمّه ، وكان ميْلُه إليه أحد الأمور التي نقمها السلطان[٢] على تنكز لأنّه كان يراجعه في أمره كثيراً ، ويقول له : اعزلُه عن الأبلستين ، فيراجعه في أمره ، لأن ابن دُلغادر كان الواقع بينه وبين الأمير أرتنا حاكم البلاد الروميّة .

ولّما هرب الأمير سيف الدين طشتمر ، حمّص أخضر نائب حلب المحروسة توجّه إليه ، واستجار به فآواه ، وأقام عنده إلى أن انتصر الناصر أحمد على قوصون ، وطلب طشتمر ، فحضر من البلاد الرومية وابن دلغادر معه ، وتوجّه معه إلى مصر ، وما صدّق [بالخروج من القاهرة ، ورأى نفسه قد عدّى حلب وقويت نفسه عليه من ذلك الوقت][٣] ووقع بينه وبين الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي نائب حلب ، وتواقعا وانتصر ابن دُلغادر عليه .

ولّما جاء الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى حلب نائباً دخل معه ، وكان يكاتبه

---

(١) كذا في الأصل و (ط) والوافي ، وفي هذا الأخير أنه كان حيّاً سنة (٧٥٦هـ) .

* الوافي : ٢٠٩/٢٤ ، والدرر : ٢٤٥/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٤/١٠ .

(٢) في الوافي : « السلطان الناصر » .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

دائماً ويهاديه ولّما قدم دمشق استمر الودّ بينهما ، وأخذ لابنه الأمير صارم[١] الدين طبلخاناه بدمشق ، وكانت بيده ، وهو عند والده .

[ولّما][٢] وصل الأمير سيف الدين بيبغاروس إلى حلب وأراد الخروج على السلطان الملك الصالح صالح ، راسله واتفق معه ، وحضر معه[٣] في تركمانه إلى دمشق ، وتسيّب تركمانه يفسدون في الأرض ، ويعبثون فنهبوا الأموال ، وافْتَضّوا الفروج ، وسَبَوا الحريم ، وسفكوا الدماء ، واعتمدوا مالا يعتمده الكفار[٤] في الإسلام .

ثم إنه لّما تحقق خروج السلطان الملك الصّالح ، ووصوله إلى لُدّ[٥] خامَرَ على بيبغاروس ، وتوجّه على البقاع إلى بلاده ، وساق قدامه ما وجده للناس من خيول . فأخذ لأهل صفد جُشاراً فيه [أكثر من][٦] خمس مئة فرس .

ولّما هرب بيبغاروس وأحمد وبكلمش وغيرهم ، توجهوا إليه إلى الأبلستين فتقرب بإمساكهم ، وجهّز أولاً أحمد وبكلمش إلى حلب ، ثم أمسك بيبغاروس من الأبلستين وجهّزه إلى حلب ، فجرى ما جرى ، على ما هو مذكور في تراجمهم ، ثم إن الأمير[٧] سيف الدين شيخو ، والأمير سيف الدين طاز قاما في أمره قياماً عظيماً ، وجَهّزا الأمير عز الدين طقطاي الدوادار إلى الأمير سيف الدين أرغون الكاملي نائب حلب وصمّما عليه . وقالا : لابدّ من الخروج إليه بالعساكر ، وخراب أبلستين ، فتوجّه بما معه من العساكر الحلبيّة وغيرهم من عساكر الثغور ، ووصلوا إلى الأبلستين ، وقاست العساكر شدائد عظيمة ، وأهوالاً فنيت فيها خيولهم وجمالهم ، ومشوا على أرجلهم في عدة

(١) في الأصل و (ط) : « حسام » ، وأثبتنا ما في (خ) (ق) والوافي .
(٢) زيادة من (ق) .
(٣) (خ) : « وحضر إليه » .
(٤) في الوافي : « إلاّ الكفار » .
(٥) في الوافي : « إلى الرملة » .
(٦) زيادة من (خ) .
(٧) في الوافي : « الأميرين » .

أماكن ، ووجدوا أهوالاً صعبة ، وهرب منهم خلق فخرّب [الأبلستين وحرقها وخرّب][١] قراها ، وتبعه بالعساكر إلى قريب قيصريّة ، وأحاطت به العساكر من هنا ، وعساكر ابن أرتنا من هناك ، فأمسكه قطلوشاه من أمراء المغول بالروم ، وجهّزه إلى [ابن][٢] أرتنا .

وكتب نائب حلب إلى ابن أرتنا يطلبه ، فدافعه من وقت إلى وقت إلى أن بعثه في الآخر مقيّداً .

ودخل[٣] إلى حلب يوم السبت ثاني عشري شعبان سنة أربع وخمسين وسبع مئة . فثقّل النائبُ قيوده وأغلاله واعتقله بقلعة حلب ، وجهّز سيفه إلى السلطان صحبة مملوكه علاء الدين طيبغا المقدّم[٤] .

ولّما كان يوم الاثنين خامس [عشر][٥] شهر رمضان ، وصل إلى دمشق وجهّز إلى مصر صحبة عسكرٍ يوصله إلى غزة . ووصل إلى مصر فأقام في الاعتقال مدة ، ثم إنه وُسِّط وعُلّق على باب زويلة قطعتين ثلاثة أيام ، وذلك في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبع مئة . فسبحان مبيد الجبارين[٦] .

وكُنتُ قد قلت لّما أمسك ابن دلغادر أحمد وبكلمش وبيبغاروس وحضّرهم[٧] إلى حلب ، وذلك مواليا :

قد جيت في الغدر زايد يا بن دلغادر ... وما تَركْت لفعلك في الورى عاذر

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « أُدخِلَ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

(٤) (خ) : « المقدّم ذكره » .

(٥) زيادة من (ق) ، (خ) والوافي .

(٦) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

(٧) (خ) : « وجهّزهم » .

وخنت مَنْ آمنك وانقاد لـك صـاغِرْ سـوّدت وجهـك في الأول وفي الآخر

ولّما كان بيبغاروس على دمشق وتوجهنا نحن مع النائب بالشام[١] الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى لُدّ وأقمْنا بها زائداً عن أربعين يوما ، وفي كلّ يوم نسمعُ من الأخبار ما ينكّد عيشنا من جهة أهل دمشق وأهلنا وأولادنا ، جاءني من القاضي شرف الدين حسين بن ريان كتابٌ قبل خروجي من دمشق ، فلمّا عُدت من لدّ كتبت جوابه ، وجاء منه : « وحاول المملوك الجواب فجاءت هذه العوائق التي ما احتُسِبت والحوادث التي لم تكن كيوم القيامة ، فإن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت[٢] ، يا مولانا : هذه مصائب عمّت وطمّت وصرّحت بالشرّ وما عمّت ، وقيدت إليها الأهوال وزُمّت ودعت الجَفَلى إلى مآدبها وأصمَّ المسامع نعي نوادبها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قول من ضاقت به حيلته ، واتسعت عليه بالهموم ليلته :

وكان مـا كانَ مِمّـا كنت أذكره فظُنّ شرّاً ولا تسـأل عن الخبر[٣]

ونسأل الله تعالى حُسْنَ الخاتمه ، وفجر هذه الليلة العاتمه ، فقد بلغت القلوب الحناجر ، وحُزّت الغلاصم بالحناجر[٤] ، وكُسِرت براني الصَّبر ، وحسد من امتطى ظهر الأرض من استكن في جوانح القبر ، وهذه رزيّة شموسُ التثبت بها كاسفه ، وليس لها من دون الله كاشفه ، اللهمّ اكشف هذه البليّة عن البريّه ، ولَقّ النفوس الظالمة وَوَقّ البريّه ، وأجرنا على عادة أجرنا وعجّل فكّ أسرنا بأسرنا ، إنك بالإجابة جدير ، وعلى كشف هذه[٥] اللأواء قدير » .

(١) (ق) ، (خ) : « نائب الشام » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لا يكلّفُ اللهُ نفساً إلاّ وسعها لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكتسبتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦/٢] .

(٣) (ق) ، (خ) : « لست أذكره » .

(٤) (خ) : « وجُرّت ... بالحناجر » .

(٥) (ق) ، (ط) : « هذا » .

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك نظماً ونثراً مطوّلاً ، وكتبت أنا جوابه نظماً ونثراً مطوّلاً ، وهما في الجزء الرابع والثلاثين من التذكرة التي لي .

١٣٦٦ ـ قرا أرسلان*

الأمير الكبير بهاء الدين المنصوري ، أحد الأمراء المقدّمين الكبار بدمشق ، كان مليح الصورة ، تامَّ الخَلْق ، سميناً ، شجاعاً .

لمّا هرب الأمير سيف الدين قبجق إلى بلاد التتار أمر هو ونَهَى ، وحجّ بالناس .

توفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، ودفن بمقابر باب توما ، في يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة .

١٣٦٧ ـ قرا سنقر**

الأمير الكبير شمس الدين أبو محمّد الجوكندار المنصوري ، من كبار الأمراء وأجل مماليك البيت المنصوري ، اشتراه الملك المنصور في زمان الإمرة قبل أن تطير سُمعَته ويظهر[1] اسمُه .

وكان من رجالات العالم ودُهاتهم ، وممّن إذا قَصَده عداه وقف كالشجى في لهاتهم ، كثير العَزْم ، كبير الحَزم ، لا يثق بمن يداهنه أو يداهيه ، ولا يصبر لمن يظاهره أو يضاهيه ، قد حلب الدهر أشطره ، وعلم المخزية من الأمور والمأثرة :

يروّعه السرار بكلّ شيء مخافة أن يكون به السِّرارُ[2]

---

* الوافي : ٢١١/٢٤ .

** الوافي : ٢١٢/٢٤ .

(١) في الوافي و (ق) : « ويُذكر » .

(٢) لبشار بن برد .

عاداه جماعة من الأكابر وربطوا عليه المخالص والمضائق والمعابر ، ولم يظفرهم الله تعالى منه بمقصود .

ولم يزل زرعه قائماً غير مَحْصود ، ودفن من أعاديه جُمله ، وفرّق بكائده من حِزْبهم شَمْلَه ، بطرقٍ خفيّة المسارب ، دقيقة المسالك بعيدة المرامي والمضارب .

ترك المال والوطن والولد ، ونزع من عنقه مأنة[1] الصبر والجلد ، وألقى حِمل الاحتمال عن الكَبَد ، ولم يَرْضَ أن يكون ثالث الأذليّن العَير والوَتِد[2] ، وأخذ في النجا بسنّة النبي عليه السلام فنجا برأس طمرّة ولجام[3] ، ودخل بلاد التتار ، وخلّى من تطلّبه كما يقال على برد الديار ، فأخذ البريد بسببه في قعقعة لجمِه والبر يضيق عن الجيش وحجمه ، والقُصّاد تروح وتغدو ، وتعود ناكصةً على أعقابها ، والفداويّة تفدُ عليه ولكن يدوس على رقابها :

إلى كم تردّ الرسل عمّا أتوا له ... كأنهمُ فيما سمعت من لام
لهم عنك بالبيض الخفاف تفرّقٌ ... وحَوْلك بالكتب اللطاف زحام

وكادت خزائن مصر فيه يسكنها الغراب الأبقع ، وبلد مصياف تعود وهي خرابٌ بلقع ، هذا والسلطان لايني عزمه ، ولا يُثْنَى حَزْمُه ، بل البريد في أثر البريد ، والقاصد في عقد القاصد فيما يريد ، وغلب سعادة مثل الملك الناصر في احترازه وتوقيّه

---

(١) مأن مأنه : لم يكثرت له .

(٢) يشير إلى قول المتلمس :

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحيّ والوتد

ديوانه : ٢٠٨ .

(٣) يشير إلى قول حسان في الحارث بن هشام :

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرّة ولجام

وسلفت الإشارة إليه .

وردّ سهامه بتزفعة عنها وترقيّه ، إلى أن مات حتف أنْفِه من غير نجاح ، أمر ، وكاد يقول : بيدي لا بيد عَمْرو[١] :

وإن أسلم فما أبقى ولكن سَلِمْتُ من الحِمام إلى الحِمام[٢]

وتوفي رحمه الله تعالى في مراغة في شوال سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

كان الأمير شمس الدين قراسنقر لما اشتراه المنصور وهو أمير جعله أوشاقيّاً ، ثم إنه ترقى وعُرف عنده من صغره بحُسن التأني[٣] في الأمور والتحيّل لبلوغ الغَرض . وهو من أقران طرنطاي[٤] وكتبغا والشجاعي وتلك الطبقة ، وكان أسعد منهم ، لأنه عاصرهم وقاسمهم سعادة أيامهم ، وعمّر بعدها العُمْر الطويل متنقلاً في النيابات الكبار ، فأناسٌ كثيرون يعتقدون أنه من قارا[٥] النبك ، وليس بصحيح ، بل هو جهاركس استنابه الملك المنصور في حلب ، وتتبعه طرنطاي ونصب له الحبائل ، وسلّط الحلبيين عليه فشكوا منه ، وأخذ يُحَسِّنُ للمنصور عَزْله ، ولم يَزل يعبث به إلى أن أمره بالكشف عليه ، فأتى حلب بنفسه وكشَفَ عليه ، ولم يظفر منه بمُراد .

ثمّ إنّ الوزير ابن السلعوس أغرى به الأشرف وفطن له قراسنقر ، فلم يزل يتلافى أمْرَ نفسه ويرفع حاله بنفائس الأموال وكرائم الذخائر إلى أن سكن غيظ الأشرف عنه واستمر به .

ثمّ إن ابن السلعوس لم ينم عَنْه حتى عزله من حلب ووّلى الطباخيّ عوضه ، ونقل[٦] قراسنقر إلى أمراء مصر وتقرب إلى الأشرف وخواصه بكلّ نفيس ، إلى أن ندم

(١) مقولة للزباء لما قتلت نفسها ، صارت مثلاً .
(٢) للمتنبي في ديوانه : ٢٧٩/٤ ، (البرقوقي) .
(٣) في الوافي : « التأتي » .
(٤) في الوافي : « طرنطاي ولاجين » .
(٥) قاراة بلدة إلى الشمال من النبك بنحو عشرين كيلاً على الطريق إلى حمص .
(٦) الكلام الآتي أسنده المصنّف في الوافي إلى القاضي معين الدين بن العجمي .

الأشرف على عزله ، فقال له : حلب الآن انفصل أمرها ، ولكن سلْ حاجتك ، فقبل الأرض وقال : نظرةٌ من وجه السلطان أحبّ إليّ من حلب وما فيها ، ولكن أسأل أن أكون أمير جاندار ، لأنني أرى وَجْهَ مولانا السلطان[١] ، وإذا جاء ذاك الرجل أقول له يتصدّق مولانا ويقعد ، فإنّ السلطان في هذا الوقت مشغول ، يعني بذاك الرجل الوزير ابن السلعوس ، فضحك السلطان ومزح معه في هذا ، وقال له : هذا بسّ ، قال : يا خوند يكفيني ، وهذا ما هو قليل . واستمرّ أمير جاندار ، وحجبَ ابن السلعوس مرّات من الدخول إلى السلطان ، وابن السلعوس يتلظّى عليه ، وقراسنقر يعمل مع الأمراء الأشرفية عليه إلى أن فعلوا تلك الفعْلة .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي أينبك مملوك بيسري قال : خرجنا مع الأشرف إلى جهة تروجة ، فقدم للسلطان لبن ورقاق ، وهو سائر ، فنزل يأكل ، وكان أستاذي بيسري ولاجين قراسنقر قد نزلوا جملة على جانب الطريق ، فبعث الأشرف إليهم بقصعة من ذلك اللبن وقد سمَّها ، فقال بيسري : فؤادي يغسني ، ما أقدر آكل لبناً على الريق ، فقال :لاجين : أنا صائم ، فقال قراسنقر : دسَّ الله هذا اللَّبن في كذا وكذا ممّن بعثه ، نحن نأكله[٢] ؟ ثم أخذ منه ، وأطعم كلباً كان هناك ، فمات لوقته [فقال : أبصروا أيش كان ، يريد يزقّمنا][٣].

ثم قاموا على كلمَةٍ واحدةٍ واتفاق واحد في نِجازِ ما كانوا بَنَوْا عليه ، إلى أن كان ما كان ، ولم يُباشر قرا سُنْقُر قتله ، ولما قتِل نزل إليه ونَزع[٤] خاتَمَهُ من يده وأخذ حِياصته بيَدِه ، وفعل به ما تقتضِيه [شماته][٥] الْمُتَشَفِّي ، ثم إنه اختفى هوَ ولاجين في

(١) زاد في الوافي : « ولا طلبت هذه الوظيفة إلاّ حتى أكون أهين ذلك الرجل » .
(٢) زيادة في (ق) ، (ط) ، والوافي : « نحن ما نأكله » .
(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « نزع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٥) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

بيت كتبغا ، وكان ينادي عليها ويتطلَّبُهَا وهما عنده . ولما تسلطن كتبغا أخْرَجها[١] وأمَّرهما ، وعَظَّم شأنَهُا .

ثم إن قرا سُنْقُر نابَ للاجين لَمّا تَسَلطَنَ نيابَةً عامة ، وأورَدَ الأمور وأصدَرَها برأيه ، فعَزَّ[٢] على منكوتمر ، ولم يزل به حتى أمسكه واعتقله في نصف ذيْ القعدة سنة ست وتسعين وست مئة ، ومعَه جَماعَة من الأمراء . وعمل منكوتمر النيابَة عوض قراسُنقر ، وتحدث القاضي شرف الدين بن فضل الله معه في أمره ، فقال له : يا شرفَ الدين ، أنا أمسكه[٣] ، ووَالله ما أُؤذيه ، فقال له : يا خوند ، أروح إلَيه وأعرِّفه [هذا ، فقال : روح إليه][٤] ، فلَمّا عرف قَراسنقر ذلك بَكى وقال : والله ما كنتُ أموتُ وأعيش إلا عليه ، فعاد إلى لاجين وعرَّفه ذلك ، فقال : يا شرفَ الدين هات المصحَف ، فحلف عليه أنه ما يؤذيه ، ولا يُمكِّنُ أحداً من أذِيَّته ، فعاد إلَيه وعرّفه ذلكَ ، فقالَ : يا شرفَ الدِّين ، الآن طاب[٥] الْحَبسُ .

ولَمَّا قُتِل لاجين ، وجلسَ السُّلطان الملك الناصر في المرة الثانية أطلقه وأعطاه الصُّبَيْبَة ، فبقيَ فيها مُديدة ، ونقل إلى نيابة حَماة بعد العادل .

ولما مات الطّباخي في حلب نقل قراسُنقر إلى نيابة حلب ، وأعطيت حماة لقبجق .

ولم يزل قراسنقر في حَماة نائباً إلى أن حضر السُّلطان الملك الناصِر مُحَمَّد من الكرك إلى دمشق في شهر رمضان سنة تسع وسبع مئة ، فحضر إليه ، وركبَ السُّلطان وتلقَّاه

---

(١) في الأصل و (ط) : « أخّرها » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) في (ط) والوافي : « فعز ذلك ... » .

(٣) في الأصل : « ما أمسكه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وعليه سياق كلامه في الوافي .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الأصل : « طال » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) والوافي .

وترجَّل له وعانقه وقبَّل صَدرَهُ ، والتقيا باليدان الكبير ، وبه استتم أمرُهُ واستَبَبَّ له الملك [١] .

وكان ابنه ناصر الدين محمد هو الذي استمال أباه قراسُنقُر ، فشعَر بذلك المظفَّر ، فيقال : إنه سمَّه . وأخذ قراسُنقُر في تدبير الملك والسُّلطان [٢] تبعٌ فيما يَراه ، ووعده بكفالة الْمَمالك والنيابَة العامَّة بمصر . ولما وصل إلى مصرَ وجلسَ على تخت الملك قال له : الشام بعيد عني وما يضبطه غيرك ، فأخرجَهُ لنيابة دمشق وقال له : هذا الجاشنكير خارج إلى صهيُون ، فأمْسِكْه واحضُرْ به لنتفق على الْمَصلحة ، فاجتهد على إمساكِه ، ولما وصل به إلى الصَّالحية أتاه أسندمر كَرْجي ، فأخذه منه وأعاده إلى الشام ، ووصَل إلى دمشق ودخلها يوم الاثنين خامس عُشْري القعدة سنة تسع وسَبع مئة ، ونزلَ بالقصر الأبلق وقد نفض يده من طاعة السُّلطان ، غير أنَّه حَمَل [٣] الأمر على ظاهِره ولم يفسد [٤] السُّلطان بكَشْفِ باطنه ، وأقام بدمشق [على] [٥] أوْفاز [٦] ، فما حَلَّ بها أحْمالاً ، ولا خزن غلة ، ولا تقيَّد فيها بشيء ، وأخذ أمره فيها بالْحَزم ، فجَعَل له مماليك بطفس ، ومماليك بالصنمين ، وعيناً ببيسَان ، وإذا وصَل من مصر [أحد] [٧] بَطَّقوا إليه من بيسَان ، وإذا وصل الواصل إلى طفس تلقاه نواب قراسُنقر ومماليكه ، وقدَّموا لهُ ما يأكل وما يشرَب ، وإذا أتى إلى الصنمين فعلوا به كذلك ، ويشغلونه بالأكل والشرب والتكبيس إلى أن يبلغ الخبر قراسُنقُر وخَيْلُه وهجنه كلُّها محصَّلة لما يريد يفعله ، وإذا ركبَ مِن الصنمين ركبَ معَه من مماليك قراسُنقُر من

(١) في الأصل : « الأمر الملك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٢) في (ط) ، (ق) : « والسلطان له تبع » .
(٣) في الأصل : « حَصَلَ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « يفد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٦) جمع « وَفْز » ، وهي العجلة .
(٧) زيادة من (ق) والوافي .

يوصله إلى قراسُنقُر بجميع[١] من معه من مماليك وأتباع وسوَّاقين حتى لا ينفرد أحد ، ويكون معه ملطّفات أو كتب أو مشافهات ، فيتوجه بها ، ثم إن قراسُنقُر ينزِّلُ الذي حضر من مصر هو وكلّ مَن معه عنده ، ولا يدعه يجد محيصاً . فلما أتاه الأمير سيف الدين أرغون الدوادار وأنزله عنده ولم يمكنه من الخروج خطوة[٢] واحدة ، وأنزلَ مماليكه عند مماليكه ، وكان عنده كأنه تحت الترسيم ، وفتح أجْربتهم ، وفتق نمازنيات سروجهم ، فوَجد فيها الملطّفات بإمساكه ، فأعادَها إلى مكانها ، وطاوله إلى [أن][٣] نَجَز حاله ، وهو لا يُظهِر[٤] شيئاً مِمَّا فهم منه ، وغالطه بالبَسط والانشراح .

قال الصاحب عز الدين بن القلانسي : أتيت إلى قراسنقر ، وهو يَأنس[٥] بي ، وقلت له : ما هذا الذي أسمَعُه ؟ فقال : اصبر حتى أفرّجك[٦] ، ثم قال لأرغون : بأي شيء غويتم أنتم ؟ فإن نحن كنا في بيت الْمَنصُور غاوين بالعلاج والصراع ، وحدّثه في مثل هذا ، فقال أرغون : ونحنُ هكذا ، فقال : أيش[٧] تعمل ؟ قال : أصارع ، فأحضر قراسُنقُر مصارعين تصارعوا قدّامَه ، ولم يزل به حتى قام أرغون وصارعَ قدّامَه ، فبقي قراسُنقُر يتطلَّع إليَّ ويقول : يا مولانا ، أبصر من جاء يمسكني . انتهى .

وفهم بَيبرس العلائي الْحَال من غير أن يقال له ، فركبَ على سَبيل الاحتياط على أنه يُمسِكه ، فبعَث يقول له : إن كان جاءك مرسوم خلِّني ، وإلاَّ أنا أركب وأقاتل ، إما أنتصر ، أو أُقتل ، أو أهرب ويكون عذري قائماً عند أستاذي ، وأبعث أقول له : أنت الذي هرَّبتني ، فتخيَّل بيبرس العلائي وراح إلى بيته .

(١) في الأصل و (ط) : « بجمع » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وفي (ق) : « بجمع » وهي أشبه .
(٢) في الأصل : « خطرة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٣) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « لا يظهر له ... » .
(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٥) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « وكان يأنس » .
(٦) في الوافي : « أمزّجك » !
(٧) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنت أيش » .

وكانت[١] نيابة حَلَب قد خلت ، وقد بعث السُّلطان مع أرغون تقليداً وفيه اسم النائب خالياً ، وقال له : تصرَّف في هذه النيابَة ، وعيِّنها لمن تختَاره ، فهيَ لك إن اشتهيت تأخذها[٢] ، وإن أردتها لغيرك فهي له . وكان في تلك المدة كلها يبعث قراسُنقر إلى السُّلطان ويقول : يا خوند ، أنا قد ثقل جناحي ، في حلَب بكثرة علائقي بها وعلائق مَماليكي ، ولو تصدَّق السُّلطان بها عليَّ رحت إلَيها .

فلما كان من بيبرس العلائي ما كان قال لأرغون : أنا قد استخرتُ الله ـ تعالى ـ ، وأنا رائح إلى حلب ، ثم قام وركبَ ملبّساً تحتَ الثياب من وقته ، وركبَ مَماليكُه معه ، وخرج في يوم الأحد ثالث المحرَّم سَنة إحدى عشرة وسَبع مئة إلى حلب ، وأرغون معه إلى جانبه ما يفارقه ، والْمَماليك حَولَها لا يمكِّنون الأمراء من الدخول إلَيه ولا التَّسليم عليه ، وخرج ـ كما يقال ـ على حميَّة إلى حلب في يوم الأحد ثالث المحرَّم سنة إحدى عشرة وسَبع مئة ، وأقام بحلَب وهوَ على خوف شديد . ثم إنه طلبَ دستوراً لِلْحَج .

فلَمَّا كان بزيزاء[٣] أتته رسل السُّلطان تأمره بأن يأتي الكرك ليأخذ منها ما أعَدّه السلطان له هناك من الإقامات ، فزادَ تخيُّله ، وكثر تردُّد الرُّسل علَيه في هذا ، فعظم توهُّمُه ، وركب لوقته وقال : أنا ما بقيت أحج ، ورمَى هو وجماعته ما لا يحصَى من الزادِ ، وأخذ مشرِّقاً يقطَعُ عرض السمَاوة حتى أتى مهنّا بن عِيسَى ونزل علَيه واستَجار به . وأتى حلبَ فوقف بظاهرها حتى أخرجَت مَماليكه ما كان لهم في حلَب ، مِمَّا أمكنهم حَملُه بعدما مانَعَه الأمير شهاب الدين قَرَطاي من ذلك ، فإنه ركبَ في الجيش ، ولكنَّه لم يقدر على مدافعَة مهنا .

ولم يزل يكاتب الأفرم والزردكاش ، ومهنَّا يستعطف لهم خاطِر السُّلطان على أن

(١) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « تأخذها خذها » .

(٣) من قرى البلقاء يطأها الحاج ويقام لهم بها سوق . (معجم البلدان) .

يُعطي الأفرم الرحبة ، والزردكاش بهسَنى ، وقراسُنقر البيرة ، والسُّلطان يقول : بل الصُّبيبَة ، وعجلون ، والصَّلت . فهمُّوا بالْمُقام مع العَرب ، وعملوا على هذا ، وتهيؤوا لإزاحة العذر فيه ، فلما طَالَت المدة ضاقت أعطانهم وأعطان مماليكهم [أكثر][1] ؛ لأنه ما يلائم العرب صحبَةُ الأتراك وقَشَفُ البادِيَة وخُشونة عيشها ، وشَرعوا في الهَرب ، فخاف قراسُنقر من الوحدة ، فقال لمهنّا في هذا ، فقال : أنا كنت أُريد الحديث معك في هذا ، ولكن خَشيتُ أن تظنَّ بي أنني استثقلتُ بكم ، لا والله ، ولكن أنتم ما تضمكم إلا الحاضِرة والمدن ، وهذا قد تخبَّث لكم ، وأنتم قد تخبثتم له ، وما بقي[2] إلا مَلك الشرق ـ يعني خربندا ـ وهو كما أسمَعُ ملكٌ كريمٌ محسنٌ إلى مَن يجيئه ويقصده ، فدَعوني أكتب إلَيه بسَبَبكم . فوافقوه على هذا ، فكتب لهم ، فعاد جواب خربندا بأن يُجَهِّزَهم إليه ويَعدهم بالإحسان ، فتوجَّهوا إليه ، فوجَدوا منه ما أنساهم مصيبَتَهم ، وسَلاَّهم عن بلادهم ، وكان وصولهم إلى ماردين في أواخِر شهر رَبيع الأوَّل سنة اثنتي عشرة وسَبع مئة ، فتلقاهم صاحبها ، وحملَ إلَيهم بأمر خربندا ستين ألفَ دِرهم وفي كل يوم مئة مكوك شعيراً وخمسين رأساً من الغنم ، وأقاموا عنده في بستان مدة تسعة أيام ، وتوجَّهوا إلى خربندا .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي شيخنا شمسُ الدين مَحمود الأصفهاني قال : لما جاؤوا أمَرَ[3] السلطان خربندا للوزير أن يبصِرَ كم كان لكل واحد منهم من مَبلغ الإقطاع ليُعطِيهم نظيره ، فأعطاهم على هذا الحكم ، فأعطى قراسُنقر مَراغة ، وأعطى الأفرم هَمذان ، وأعطى الزردكاش نهاوَنْد ، وتفقدهم بالإنعامات حتى غَمرهم .

وقال : لقد كنت حاضراً يوم وصولهم ، واختَبَرَهم في الحديث ، وقالَ عن قراسُنقر : هذا أرجحهم عقلاً ؛ لأنه قالَ لكل واحد منهم : أيش تريد ، فقال شيئاً ،

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « وما بقي لك » .

(٣) في الأصل : « أمراء » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

فقالَ قراسُنقر : ما أريد إلا امرأة كبيرة القدر أتزوجَها ، فقال : هذا كلام من يُعَرِّفنا أنه ما جاء إلاّ مستوطناً عندنا ، وأنه ما بقي له عودة إلى بلاده ، فعَظُمَ عنده بهذا ، وأجلسَهُ فوق الأفرم ، وسَنَّى له العَطايا أكْثَر[١] منه ، وزوّجه ابنة قطلوشاه ، وسمَّاه آقسُنقُر ؛ لأنَّ المغل يكرهون السَّوَاد ، ويتشاءمون به .

قال القاضي شهابُ الدين : وكان خربندا وابنه بوسَعيد يُحضِران قراسُنقر في الألطاع[٢] والأرغو معها دون الأفرم ، وهما مِن مَواضع الْمَشُورَة والحكم . وامتد عمر قراسُنقر بعد الأفرم ، ووقع الفداويَّة عليه مرَّات ولم يقدِّر الله ـ تعالى ـ أنهم يَنالونَ منه شيئاً ، وما قدروا عليه إلاّ مرّة وهو بباب الكِربَاس[٣] منزل القان ، فإنهم وثبُوا عليه وهو بين أمراءِ المغل ، فَخُدِش في ساقِه خدشاً ، وتكاثر مَاليكه والمغلُ عَلى الوَاقِع ، فقطَّعُوه ، ولم يتأثَّر قراسُنْقُر لذلك . انتهى .

قلت : يقالُ : إن الذي هَلكَ بسَبَبه مِنَ الفداويَّة ثمانون رجلاً . حَكى لي مجد الدين السَّلاَّمي[٤] الخواجا قال : كنا يَوم عيدٍ بالأردو ، وجُوبَان ووَلده دِمَشْق خَواجا إلى جانبه ، وقراسُنْقر جالسٌ إلى جانبه وهوَ قاعدٌ فوق أطراف قماش دِمَشْق خَوَاجَا ، فوقع الفداويُّ عَليه ، فرأى دمَشق خواجَا السكين في الهواء وهي نازلَة ، فقامَ هارباً ، فبسَبب قِيامه لَمّا قام مسرعاً تعلَّق بقماشه تحت قُراسُنقر ، فدَفعَ قراسُنْقُر ليخلُصَ ، فخرج قراسُنقر من مَوضِعه ، وراحت الضربَة في الهواء ضائعَة ، ووقع مَاليك قراسُنقر على الفداوي فقطعوه قطعاً ، والتفت إليَّ قراسُنقر وقالَ : هذا كُلُّهُ منكَ ، وما كان هذا الفداويُّ إلا عندك مخبوءاً ؛ وأخذ في هذا وأمثاله ، ونهض إلى القان بوسَعيد وشكا إلَيهِ ، ودَخلتُ أنا وجُوبان خلفَه ، فقال للسُّلطان بُوسَعيد : يا خوند ،

---

(١) في الأصل و (ط) : « وأكثر » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) في (ق) والوافي : « الألطاغ » .

(٣) في الوافي : « الكرباش » .

(٤) إسماعيل بن محمّد ، سلفت ترجمته في موضعها .

إلى متى هـذا ؟ بـالله اقتلني حتى أستريح ، والله زاد الأمر وطـال ، وأنـا فقـد الْتَجَـأْت إليكم ، ورميت نفسي عليكم [واستجرت بكم][1] ، والعصفـور يَستَنِـدُ إلى غصن شـوك يقيه الْحَرَّ والبَرد . فانزَعج بوسَعيد لهذا الكلام ، وقـالَ لي بغيـظ : إلى متى هـذا وأنت عندنا والفداويَّة تخبؤُهم عندكَ لهذا ؟ فقلت : وحَياة رأس القان ما كانَ عنـدي ، وإنمـا حضر أمس مع فلان ، لكن هذا أخوك السُّلطان الملك الناصِر قد قال غير مرة : إن هذا مملوكي ومملوك أخي ومملوك أبي ، وقـد قتَل أخي ، ومـا أرجع عن ثـأر أخي ولو أنفقتُ خزائن مصر على قتل هذا [وهـذا][2] دخل إليكم قبل الصُّلح بيننـا ، وهو مستثنًى من الصُّلح ، فعند ذلك قالَ جُوبَان : هذا حقـه ، نحن مـا نـدخل بينـه وبينَ مملوكـه قـاتل أخيه ؛ وخرجَ فانفصلَتِ القَضيَّةُ .

وحَكى لِي عَلاء الدِّين بن العُـدَيل القـاصـد قـال : توجَّهنـا مرَّة ومَعنـا أربعَـة من الفِداويَّة لِقراسُنقُر ، فلما قاربنا مَراغة وبقي بيننا وبينهـا يوم أو يَومـان ونحنُ في قفل تُجَّارٍ والفـداويَّـة مستـورون أحـدهم جَمَّـال والآخر عَكَّـام[3] والآخر مشـاعليّ والآخر رفيق ، فما نشعر إلاَّ والألجيَّة قد وَرَدوا علينا ، فتقـدَّموا إلى أولئـك الأربعَـة وأمسَكوهم واحِداً واحِـداً من غير أن يتعرَّضوا إلى أحَـد غيرهم من القفل ، وتوجهوا بهم إلى قراسُنقر فقتلهُمْ ، وكذلك فعَل بغيرهم .

قلت : والظاهِر أنه كانت لـه عُيون تطـالعـه بـالأخبـار ، وتعَرِّفُـه المتجـددات من دمشق ومن مصر ، فإنه كان في هـذه البلاد نـائبـاً ، وقـد جهز جمـاعـة من الفـداويَّـة ، ويَعرِف قواعد هذه البلاد ومَا هِي علَيه ، ومـا كانَ يغفلُ[4] عن أمر الفـداويَّـة ، وإنـه ما كان يؤتى عليه إلا منهم .

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) العكّام : مهنة يعرفها أهل الشام لمن يقود الجمل أو يرافقه في السفر .

(٤) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « ممن يغفل » .

قال القاضي شهابُ الدين : ومات في عزه وجاهه معظماً بين المغل كأنه ما رُبِّيَ إلاّ فيهم ، ويقالُ : إنه ملك ثماني مئة مَمْلوك ، وعندي أنه لم يبلُغ هذه العدّة ، وإنما كان عنده مماليك كثيرةٌ[١] ، وحَصَّل أموالاً جمَّة ، وكان يُعطي لمماليكه الأموال الكثيرة ، وجماعته من الخيول الْمُسَوَّمة والسُّروج الزَّرْخونا[٢] والحوائص الذهب والكَلاوت والطرز الزركش والأطلس والسمور والقاقم وغير ذلك من كل شيءٍ فاخِر . وتأمَّر في حياته بنوه الأمير ناصِر الدين محمد تقدمة ألف ، والأمير علاء الدين على إمرة أربعين ، وفَرَج بعشرة . وتأمَّرَ له عدة مَماليك مثل بيخان ومغلطاي وبلبَان جركس[٣] بطبلخاناه ، وبهادر وعبدون بعشرات .

قال شهاب الدين بن الصنيعَة النقيب : لما جاءت العَساكر الحلبية مع قراسُنقر إلى دمشق سنة تسع وسَبع مئة كان ثلث الجيش يحمل رَنْك قراسُنقر ؛ لأنهم أولاده وأتباعه ومَماليكهم وأتباعهم . وكان في حلب ، والأُمراء الحكّام في مصر مثل سَلاَّر والْجَاشنكير وغيرهما يخافونه ويُداروه ولا يخالفون أمرَهُ ، وكان مَع[٤] العَظَمة الكبيرة يداري بَالِه ويصانع حواشي السُّلطان حتى الكتّابَ والغلمان ، فيقالُ له في ذلك ، فيقول : ما يعرِف الإنسان كيف تدورُ الدَّوائر ، وواحد من هؤلاء يجيءُ له وَقتٌ يلقح[٥] كلمةً تعمر أَلفَ بيتٍ وتخربُ ألف بيت .

وكان يَرى أخذ الأموال ولا يرى إهراق الدماء ، فحقنَ اللهُ دمَه وأذهَبَ مالَهُ .

قال القاضي شهابُ الدين : حكى[٦] الشيخ أبو العبَّاس أحمدَ بن عمر الأنصاري

---

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « كثيرة جداً » .
(٢) ضربٌ من الدروع ، وهي لفظة فارسية .
(٣) في الوافي : « جهاركس » .
(٤) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « مع هذه العظمة .. » .
(٥) في الوافي : « تلفح منه » !
(٦) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « حكى لي .. » .

الصوفي قال : كان ابن عبُّود إذا عمل الْمَولد الشريف النَّبويَّ حضر إلَيه الأمراء وسائر الْمَمَاليك والناس ، فعَمل الْمَولد مرة في سَنة مِن السِّنين ، فَحَضَره قراسُنقر ، وكان في المولد رجلٌ شريفٌ صَالح مغربيٌّ يُعْرف بالمراكشيِّ ، فلما مُدَّت الأسمطة قام قراسُنقر وخلع[١] سيفه وشمَّر ومدَّ السِّماط المختصَّ بالفقراء وقدَّم بيده الطعام ، وشَرَع يقطع المشوي لهم ، ولا يدع أحداً يتولَّى خِدمتهم [سواه][٢] ، فقال المراكشي : من هذا ؟ فقالوا لَهُ : هذا الأمير شمسُ الدين قراسنقر ، أمير كبير صِفَتُه[٣] نعتهُ ، ومكانته في الدولة كبيرة ، فقال : لا إله إلا الله ! يعيش [سعيداً][٤] وينزل به في آخر عمره كائنة ، ويخلص منها ويخلُصُ بسَبَبه غيره ، ويسلم وما يموت إلا على فراشه .

وكان لا يأخذ من أحد شيئاً إلا ويقضي شغله ويفيده قدر ما أخذ منه مرَّات مضاعفة ، وأين مثله أو من يقارب فعلَهُ ؟!

حُكِيَ أنَّ شخصاً من أبناء الأمراء الكبار بحلب كان يحبُّ صبيّاً اشتهر به وعُرِف بحبِّه ، فاتفق أن ذلك الصَّبيَّ غابَ ، فاتَّهمَهُ أهله بدمِه وشَكَوْهُ إلى الوالي ، فأحضره وقرَّرَهُ بالضَّرب والتَّعليق ، فلم يصبر وقالَ : قتلته ، فأُلْزِمَ به وأودع الحبس على دمه ، وكان بريئاً ، فتحيَّل في إرسال شيء . خدم به قراسُنقُر ، فأمَر أن يُنظَر ولا يعجل عليه ، فما مضت مدة حتى جاء كتاب نائب ألبيرة يخبر بأنه قد أنكرَ على صبي من أبناء النعمَة مع جَماعة من الفقراء قصَدوا الدُّخول إلى ماردين ، وأنه ردَّه إلى حَلَب ليحقق أمرَه ، فلما جاء إذا بِهِ ذلك الصَّبيُّ بعينهِ ، وظهرت براءَة المتَّهَم وخُلِّي سبيله ، وغفل عنه قراسُنقر مدة لا يذكره إلى أن مات أمير بحلب وخلَّف نعمَة طائلة ولا وارثَ له ، فلما أتاه وكيلَ بيت المالِ والديوان يَستأذنونه في الْحَوطة عَليه ، فقالَ : هذا مالٌ

---

(١) في الوافي : « وقلع » !

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « طبقته » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

كثير ، أُريد واحداً من جهتي يكون معَكم ، وطلبَ ذلك الرجل وأمَرَهُ أن يكون معهم ، فحصَّل مِن تلك التركة محصولاً جيداً ، وعَمل به ذهباً أضعاف ما أعطي قراسُنقر أولاً ، وأتى بالذهب إلى قراسُنقُر وقالَ : يَا خوند ، هذا الذي تحصَّل ، فقال : بارك الله لكَ فيه ، نحنُ أخذنا نصيْبَنا منكَ أولاً سَلفاً ؛ ولم يأخذ[1] [منه] شيئاً ، رحمه الله وسامحه .

وكان ورد إلى بغداد في أول شهر رَمَضان سنة خمس عشرة وسَبع مئة ، ومَعَه زوجته الخاتون بنت أبغا ، وأقام ببغداد ثلاثة أشهر ونصفاً ، ثم عاد إلى خدمَة خَربندا ، وكان عزمُه الإغارة على أطراف الشَّام ، فلم يؤذن له ، ووثبَ عَليه فداويٌّ في ذيْ القعدة فلم يَصِل إليهِ وقُتل الفداوي .

١٣٦٨ ـ قَرَا طُرنْطَاي*

الأمير حُسَام الدين . كان أميراً بحلَب ، ونُقل إلى دمشق على إقطاع الأمير سَيف الدين مَلكتمر المعروف بالدم الأسود[2] ، فوصَل إلى دمشق مريضاً ، ومات ـ رحمه الله ، تعالى ـ بعد أيام قلائل في مستهل شهر رمضان سنة أربع عشرة وسَبع مئة ، ووصَّى إلى الأمير سيف الدين بلاط .

١٣٦٩ ـ قراقوش**

الأمير بهاء الدين .

كان يقال : إنه ظاهِريٌّ ، أتى إلى صفَد أميراً على طَبلخاناه ، وكان عنده مَماليك[3]

(١) ما بينهما زيادة من (ط) ، (ق) .

* لم نقف على ترجمته .

(٢) توفي سنة (٧١٤ هـ) . النجوم الزاهرة : ٢٢٨/٩ .

** لم نقف على ترجمته .

(٣) (ط) : « مماليك ملاح » .

وخُدَّام طواشيَّة[١] وأولاد ناس أتباعٌ له ملاح . وأقام في صفد مدة مديدة . وقيل : إن القاضي فخر الدين ناظر الجيش كان يكرهه ويَحُطُّ عليه ؛ لأنه كان في وقت قد عَمل شَدَّ الدواوين بالقاهرة ، وكان فيه معرفة ، وعنده مجلدات ، ويستنسخ الكتب الأدبيَّة وغيرها .

وحكي لي أنه كان بالوجه البحريِّ مباشراً شيئاً من أمور الدولة ، فلما وزَر[٢] ابن السَّلعوس كتبَ إليه كتاباً ، فأغلظ قراقوش في الجواب ، ثم إن الوزير أحضره بعد ذلك وضربَه بالمقارع .

[اللقب][٣]

☆ **القَرامزي** : عبد الرحمن بن أبي محَمَّد .

☆ **القرافي** : صفيُّ الدين محمود بن محَمَّد .

١٣٧٠ ـ قَرَطاي*

الأمير شهابُ الدين الأشرفي الجوكندار الحاجب ، نائب طرابُلس .

كان معدوداً في الأبطال ، ومسروداً في عداد أبي محَمَّد البَطّال[٤] ، قد مارَس الحروبَ ، وعرف الأماكِنَ والدروبَ ، وتمرَّن في الحصارات ، وتدرَّنَ جسمه بعد التَّنعم في الإغارات .

---

(١) في (ق) : « طواشية ملاح » .

(٢) (ط) : « ورد » .

(٣) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الوافي : ٢٢٦/٢٤ ، والدرر : ٢٤٨/٣ ، وذيول العبر : ١٨١ .

(٤) عبد الله البطال ، قائد شجاع من أمراء الحرب الشاميين في زمن بني أمية . الأعلام : ٧٤/٤ .

وكان كثير الاحتشام ، عزيز المكارم التي تُنتَجَعُ بروقها وتُشام ، معروفاً في الشام ومصر بالكفاءَة ، مشهوراً بالحلم والأناءَة :

تشُفُّ على جسم الـزُّلال صفـاتُـهُ وتلطُفُ عن رَوْح النَّسيم شمائلُـــه

أقام بطرابلس في المرة الأولى نائباً إلى أن عُزِل ، وقُطع أمره فيها وخُزِل ، وحَضَر إلى دمشق وكان فيها أميراً كبيرا ، نازلاً في حِماها محلاً أثيرا ، يعظِّـه تِنكِـز ويرعَى جانبه ، ويجمِّل به مواكبَه ، إلى أن أعاده إلى طرابُلسَ ثانياً نائباً كما كان ، ووطَّد له عند السُّلطان القواعد والأركان .

ولم يزل إلى أن توفِّي ـ رحمه الله ، تعالَى ـ في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان ـ فيما أظنُّ ـ بحلب حاجباً في واقعة قراسُنقر لَمّا توجه إلى الحجاز وعاد من بركة زَيْزَاء إلى حَلب وأحاط ، فوقف الأمير شهابُ الدين قرطاي في وجهه ومنعَهُ من الدخول إليها ، فقال : أنا ما جئت إلا لأجل مَملوكي جركس ، فقالَ : خذه ، وما عَسى أن تفعَله أنت وهو ؟!

وكان قد عزل عن طرابلُس في المرة الأُولى في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وحَضَر إلى طَرابلس عوضهُ الأمير سَيف الدين طينال[٤] الْمُقَدَّم ذكره . وأقام الأمير شهابُ الدين بدمشق على إقطاع الأمير بدر الدين بَكتوت القَرَماني ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن أُعيد إلى نيابة طرابلُس في العشر الأواخر من سَنة ثلاث وثلاثين وسَبع مئة عوضاً عن الأمير سيف الدين طينال ، وجَهَّز طينال إلى غَزّة نائباً ، ونقل السَّنجري من غزة إلى نيابَة حمص .

(٤) انظر ذيول العبر : ١٤٣ .

١٣٧١ ـ قُردُم*

الأمير الكبير سَيفُ الدين أمير آخور

كان في أيام الصَّالح صَالح ، وهو في مَحَلٍّ كبير ، فعُمل عليه وأخرج إلى دمشق على إقطاع الأمير سَيف الدين منكلي بغا السِّلاح دار الصَّالحي ، فوصل إلى دمشق في سادس عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ، وطُلبَ تلك الشحنة إلى مصر ، فأقام الأمير سَيف الدين قُردُم إلى أن أمسَكه الأمير سَيفُ الدين أرغون الكاملي بين العشاءَين ليلة الأربعاء سابع عشر شهر رَجَب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، واعتقله بقلعَة دمشق ، وبقي في الاعتقال إلى أن حضر السُّلطان الملك الصَّالح إلى دمشق ، في واقعة بيبغاروس ، ولما توجَّه إلى مصر أُخِذَ[1] معه صحبَةَ مَن أُمسك في تلك الواقِعَة إلى مصر ، ثم إنه أفرج عنه وحضر إلى دمشق نائباً في عاشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، ورُتِّبَ له على الديوان في كل يومٍ خمسُون درهماً ، فلَمّا مات الأمير سَيفُ الدين ألجيبغا العَادِلي أُنعم عليه بإقطاعه وتقدمته على الألف .

واستمرَّ على حالِه بدمشق في جملة مقدمِي الألوف إلى أن مرض ، وتوفِّي ـ رحمَه الله ، تعالى ـ في يوم الأحد تاسع عشر رمضان سَنة سِتّ وخمسين وسَبع مئة[2] .

اللقَبُ والنَّسَبُ

☆ **ابن قُرْصَةْ** : أحمدَ بن محَمَّد . عز الدين أحمد بن موسى .

☆ **ابن قِرطاس** : عبد الرحمن بن محمود .

☆ **القَرَماني** : الأمير بدر الدين بكتوت .

---

* الوافي : ٢٢٤/٢٤ ، والدرر : ٢٤٨/٣ ، والذيل التام : ١٤٩ ، وفيه : « قردمر » ، والنجوم : ٣٢٢/١٠ .

(١) في الوافي : « أخذه » .

(٢) لم تذكر سنة وفاته في الوافي .

☆ **القَرمي** : قاضي طرابُلُس الحسن بن رمضان .

١٣٧٢ ـ قرمشي بن أقْطُوان*

الأمير سَيفُ الدين ابن الأمير علاءَ الدين الحاجب بمصر والشام .

كان رجلاً داهيَه ، وذا همَّة لم تكن بغير الْمَعالي لاهيَه ، خاطرَ في أمرٍ لو انعكسَ عليه لم يكن لحمزةَ التركماني[١] غيره ثانيا ، ولم يصبح الهلالُ الوخيّ[٢] لعنان الموت عنه ثانيَا ، ولكنه حصَّنَهُ الأجَل ، واستعمل القَدرُ فيه التأنّي لا العَجَل[٣] ، على أنه ما انشقَّ له زهر السَّلامَة عن الكِمام ، ولا سُقِيَ روضُ نجاتِه بحبِّ الغَمام ، حتى وقع في أُحبولة القَدَرِ وكان كَمَنْ سَلم من الحِمام إلى الحِمَام .

ومن تَعْلَق بـه حمَةُ الأفاعي يَعِش ، إن فاتَه أجَلٌ ، قَليْلا

وكان في صِبَاه قد تَنَسَّكْ ، وبحبال الآخرة تَمَسَّكْ ، وامتَنَع من دخول الحَمَّام ، وأعرضَ عن لَذَّات هذه الدنيا ورفَضَ ما فيها مِنَ الْحُطام ، وأخذ في مُطالعَة الأحاديث النَّبويَّه ، والاقتفاء بسيرة السَّلَف المرضيَّه ، وتتلمَذَ[٤] للشيخ العلاَّمَة تقي الدِّين بن تيميَّه ، وكانت كتُبُه ترد عَليه بالنَّهي عَن التَّمسُّك[٥] بالأمور الدنيويَّه ، هذا وأبوه أمير كبير حاجب بصفد ، والدنيا مقبلة علَيه بالعطاء والمِنَح والصَّفَد ، وهو عنها بمَعزل ، وإذا ضربت له سُرادق الدولة لا يُعرِّج إليها ولا ينزل . ثم إنه انسلَخ مِن ذاك ، وآثر

---

* الدُّرر : ٢٤٨/٣ ، والسلوك : ٤٩٧/٢/٢ ، وفيه : « قرمجي » .

(١) قتله تنكز لكلام سوء بلغه عنه ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) الوخيّ : القاصد .

(٣) في الأصل : « الأجل » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « وتلمّذ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « ترد عليه بالحثّ على النهي بالتسك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) . وفي (ق) : « ترد عليه بالحث على التمسك بالأمور » .

الفكاك ، ونسِيَ أن سَلامَة العُقبَى كانت له خَيْرا ، وتلك[١] الطريقة الأولى كانت أحمَدَ سَيْرا .

وتنقلت به الأحوالُ فتقدَّم في دمشق فكان بها من جملة الْحُجّاب ، وأولي التقدم عند تنكِز والاقتراب ، ثم توجه إلى مصر فكان فيها حاجبا ، ونالَ مِن الْحُظوَة عند السُّلطان ما كان له واجبا ، ثم إنه حضر إلى صَفَد وولِيَ بها نِيابَة القلعه ، ومنها كانت القَلْعه ، وطُلِبَ إلى دِمشق واعتُقِل ، وحلَّ به من نوائب الزَّمان ما لا عُرِفَ ولا عُقِل .

وكان موته ـ رحمه الله ، تعالى ـ في شهر شعبان سَنة سَبع وأربعين وسَبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفيَّة ظاهِر باب النَّصر بدمشق .

كان قد [نشأ][٢] بصفَد على خيرٍ وديانة وتعبُّد ، ولَم نعلَم له صَبْوَة ، وكان يحبُّ الفقراءَ والصُّلحاءَ ، ويميلُ إلى الشيخ تقي الدين بنِ تيميَّة وأصحابه ، واختصَّ بالأمير سَيف الدين أرقطاي نائب صَفَد ، وكان يَسْمُر عنده ويُلازمُه ليلاً ونهاراً .

ولَمَّا كان في سَنة ست وثلاثين اختصَّ بالأمير سيف الدين تِنكز ، وأقام عنده ليلاً ونهاراً بدمشق ، وأقبل [عليه][٣] إقبالاً كثيراً ، وصار من أحظى الناس عنده ، ثم إنه أعطاهُ عشرة أرماح بدمشق ، وعلت مكانته عنده ، وتردَّدَ في البريد مراتٍ عديدة . ثمَّ إنَّه توجَّه معَ الأمير سَيف الدِّين تنكِز ـ رحمه الله ـ تعالى ـ لَمّا توجَّه إلى مصر ، وهي آخر مَرَّة توجَّه فيها إلى مصر ، فغيَّر إقطاعه هناك بالإمرة ثلاث مرات ، وولاه الحجوبيَّة بدمشق .

ولَمَّا أُمْسِك هو[٤] طلبَ سَيف الدين قرمشي إلى مِصر ، فتوجه إليه ، وأقام بها

---

(١) (خ) : « وأنّ تلك » .
(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٤) عبارة الوافي : « ولَمّا أمسك الأمير سيف الدين تنكِز » .

حاجباً في باب السُّلطان ، وكان الناسُ يَرونَ أنه كان له باطِنٌ في واقعة تنكِز ، وشنَّع النَّاسُ بأنه نَمَّ على تنكِز ورَماه بما غيَّر خاطِر السُّلطان عَليه ، والله أعلم ، فنفرت قلوب مَماليك السُّلطان منه ، وأبغضَه الأمراءُ .

ثم إنه في [أوَّل][1] دولة الصالح إسماعيل طَلَب الخروج إلى دِمَشق ، فحضَر إليها أميراً ، ثم رُسِمَ له بالتَّوجُّه إلى صفد أميراً ، ثم إنه بقيَ بها حاجِباً . ثم إنه رُسِمَ له بنيابة قلعَة صفد ، فباشرَها على أحسَنِ ما يكون ، وبالغ في عمارتها ، ورمَّ ما تشعَّث منها ، فاجتهد في ذلك . ثم إن الأمير سَيف الدين آلملك نائب صفَد لَمّا أُمسِكَ في أيام الكامل شعبان شَنَّعَ الناسُ أن الأمير قُرمُشي هو الذي نمَّ عليه ، وكتبَ إلى مصرَ في السِّرِّ يقولُ : إنه قد عزم على أنه يهرُبُ ، فجددت هذه المرة علَيه ما كان كامِناً في نفوسِ الأُمَراء .

ولَمّا برز الأمير سَيفُ الدين يَلبُغا[2] من دمشق إلى الجسورة ، واجتمعَ عَليه العَساكِر طلبَه ليَحضر إليه ، فوعده بذلك ولم يحضر ، واتفق أن وردت كتب الكامل[3] االى قرمشي في الباطِن ، فجهزَها هو مِن جهته إلى أُمراء الشام وغيرهم ، وأمسَك قصَّاده بالكتب ، فحرَّك ذلك [عليه][4] ساكناً عظيماً .

ولَمَّا استقرَّ الملك للمظفر[5] حاجِّي جَهَّز يَلبُغا حاجي إلى قرمشي ، وأحضره علَى البَريد ، وأودعه معتقَلاً في قلعَة دمشق هو وأولاده وجَماعة من أهله ، فأقام بها قريباً من شهر أو أكثر ، ثم أُفرِج عن أولاده وجَماعته ، وخنق وأخرج في اللَّيْل في صندوق ، ودُفن في مقابر الصُّوفيَّة ؛ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

---

(١) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) (خ) : « يلبغا اليحيوي » .

(٣) (خ) : « الكاملي » ، وفي الوافي : « الملك الكامل » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) (خ) : « المظفّر » .

ولما كنت بالدِّيار المصريَّة سَنة خَمس وأربعين وسَبْع مئة كتبت له مَرْسُوماً بنِيَابَة قلعة صَفد ارتجالاً من رأس القلم ، وهو :

« الْحَمْدُ لله الذي نَصَر هذا الدِّين بسَيْفه الماضي الشَّبا ، وأيَّدَه بخير ولي تَقْصُرُ عن بأسه سمرُ القَنا وبيض الظُّبَى ، وحصَّنَ معاقله بكُفْءٍ تأرَّجَ عنه الثَّناءُ وطابَ النَّبَا[١] ، وحَمى سَرْحَةَ بفارس إذا أظلم العَجاجُ أطلَعَ في دُجاهُ من سِنانه اللامِعِ[٢] كَوْكَبا .

نحمَده على نِعَمه التي لا يداني جُودَها غمام ، ولا يُقارِبُ حُسْنَ مَواقعَها[٣] تبسُّم زهر من ثغرِ كام ، ولا يُجارِي سُرَاها برق تسرَّع جَواده في ميدان ظلام[٤] ، ولا يُحَاكِيْ تواخيَها[٥] [في نواحيها] ازدِوَاج لآلئ تألَّفت حبَّاته في النظام .

ونشهَد أن لا إله إلا اللهُ وَحدَه لا شريكَ له ، شهادةً رقَمَ الإيمانُ بُرُوْدَها ، وخَتَم[٦] البُرهان وُجودَها ، وحَسَم الإدمان عَنودَها[٧] ، ونظَم الإيقانُ[٨] عُقُودَها .

ونشهَد أنَّ سَيِّدَنا محمداً عبدُهُ ورسوله الذي تثنَّى الخطّار[٩] من بَأسهِ طَرَبا ، وضحكَ البَتَّارُ [في يمينه][١٠] الشريفة عَجَبا ، وولَّى الأدبار عدوُّ الدين ممعناً[١١]

(١) في الوافي : « البنا » .
(٢) في الأصل : « أطلع من سناه اللامع » ، وفي (ط) : « أطلع من سنانه اللامع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « موقعها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « غمام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٦) الأصل : « ختم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٧) سحابة عنود : كثيرة المطر ، والعَنَد : الميل .
(٨) في الوافي : « الإيمان » .
(٩) في الأصل : « الحظ » ، وفي (ق) ، (ط) : « الخط » ، وفي (خ) : « الخطّي » ، وأثبتنا ما في الوافي . والخطّار : ما اهتزّ من الرِّماح .
(١٠) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(١١) (خ) : « ممعناً منه » .

هَرَبا ، وباد الكفار من حزبه لِما ذاقوا وَيْلاً وحَرَبا[١] . صلَّى الله عَليه وعَلى آله الذين سادوا الأنام ، وجادوا بِمَا فاقَ الغمام ، وعادوا بفضلهم على أولي الفاقة والإعْدام ، وحادوا عَن طرق الضَّلال والظَّلام ، صلاةً دائِمَة السَّنا ، قائِمَةً بنيل المراد والْمُنى ، ما ابتسَم في الروض ثغر أقاح ، وفتق غمدَ[٢] الظَّلام شَفرةُ صَباح . وسَلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد فإن ثغر صَفدَ المحروسَة من الْحُصون الْمَشيده ، والمعاقل الفريده ، قد طاوَلَتِ النُّجوم شرفاته ، وعَلت على الغيوم[٣] غرفاتُه ، وتلهَّبَتْ ذبالة الشمس في سراجه ، ونفض الأصيل زعفرانه على بَياضِ أبراجه . كم لاثت الغمائم على هامته عمائم ، وكم لَبست أنامل بروجهِ من الأهلَّة خواتم . والنيابَة فيه منصبٌ شريف ، وفضلٌ على الكواكب ينيف .

وكان الْمَجلِسُ السَّامي الأمير سَيْفُ الدين قُرمشي مِمَّن جَمَّل الدول ، وفاز بالقُرْب من الملوك الأُوَل ، ونصَحَ والدنا الشهيد فأدَّى من حقِّه واجبا ، واجتَهَدَ في رضاهُ فكان له عَيناً وحاجبا ، وآثر عَودَه إلى وطنه فنوَّلْناهُ مَرامَه ، وأَجَبْنا[٤] قَصْده الذي أحْكَم نظامَه ، رَغبَةً في العُزلة والانجماع عن الناس ، وطَلَباً للانفراد والخلوَة وما في ذلك من باس ، فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالي ، والمولوي ، السُّلطانِيّ ، الملكيّ ، الصَّالِحيّ العمادِي ـ أعلاه الله ، تعالى ، وشرَّفه ـ أن يستقرَّ[٥] في النيابَة بقلعَة صَفد المنصورة على أجمل العَوائد [وأكمل القواعد][٦] ، فليَجهد في مُراعاة أحوالِها ، وتفقُّد مباشريها ورجالها ، ورمِّ ما تشعَّث من بنائها ، وإصلاح ما تحتاج إليه في

(١) في الأصل : « من بأسه لما يلاقوا حرباً » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٢) في الوافي : « غمّة » .
(٣) في الأصل : « النجوم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٤) في الوافي : « واجْتنبنا » .
(٥) في الأصل : « يسهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

رَبْعها[١] وفنائها ، فإن لها منه أيام والده المرحوم إيثارا ، وله في عمارَتها آثارا ، فليُجْرِها على ماعهدت ، وليُزَكِّها فيما له شهدَت ، ويَبذل الجهدَ في تشييدِها ، ودوام تحصينها بالرجال وتخليدها ، وتثير حواصِلَها بالسلاحِ والعُدَد والغِلال ، وعَرض رجالها النفّاعة[٢] فما الْحُصُونُ إلا بالرجال ، ومثلُهُ لا يُذَكَّر بوصيَّة ، ولا يُنبَّه على مصلحَة دانية أو قصيَّة[٣] ، ولكن التقوى هي العمده ، والكنز الذي لا يفنى في الرَّخاء ولا فِي الشِّدَّه ، وهي به أَلْيَق ، وبشَدِّ عُراهُ أوثق ؛ والخطّ الشريف ـ أعلاه الله تعالى أعلاه ـ حجّتُهُ في ثبوت العَمَل بما اقتضاه ، إن شاء الله ، تعالى .

١٣٧٣ ـ قشتَمُر*

الأمير سَيفُ الدين قشتمر زَفَر ـ بفتح الزاي والفاء وبعدَها[٤] راءٌ ـ .

أولُ ما علمتُهُ من أمره أنه حضَرَ في سنة ستين وسَبع مئة من الديار المصريَّة إلى [نيابة][٥] الرَّحبَة ، فأقام بها إلى أن حَضَر إلى دمشق ، وتوجَّه بدَله الأمير سيفُ الدين قطلو بن صاروجا . وأقام قشتمر زفر بدمشق إلى أن خرج الأمير بَيْدمُر ، فجهزه الأمير سَيفُ الدين تمان تمر[٦] نائب طَرابُلُس ، فأحضره[٧] إلى دمشق ، فنقم علَيه ذلك .

ولما حضر السُّلطان الملك المنصور محمد بن حاجيّ[٨] إلى دمشق أمر بإمساك سَيف الدين قشتمر زفر فأمسك ، واعتقِل بقلعَة دمشق .

(١) في الأصل : « من ريعها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٢) النفاع : كثير النفع .
(٣) في الوافي : « على مصلحة أو قضية » .
* الوافي : ٢٤٥/٢٤ ، والدُّرر : ٢٤٩/٣ .
(٤) في الأصل : « وبعد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٦) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « ثمان عشرة » ! وفي ذيول العبر : ٣٣٩ ، ٣٤٠ : « تومان تمر » .
(٧) في الأصل : « فأحضر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٨) (ت ٧٦٤) ، وفي (خ) : « الملك المظفر حاجي » ، وهذا بعيد لأنه توفي سنة (٧٤٨ هـ) .

وتوفِّي في محبسِهِ في يومِ الجمعة سادس عشر شوال سنة اثنتين وستين وسَبْع مئة ، رحمه الله ، تعالى .

الأنسابُ والألقابُ

☆ **ابن قُريشَة** : الشيخ تقي الدين مُحَمَّد بن بَرَكات . أخوه محيي الدين عبد القادر . أخوهما الشيخ إبراهيم .

☆ **ابن قريش** : علي بن إسماعيل .

☆ **ابن قُرناص** : علاء الدين علي بن إبراهيم ، وهبة الله محمود[١] .

☆ **القَرَنْدَليّ الكاتب** : مُحَمَّه بن بَكتوت .

☆ **ابن القزّاز** : مُحَمَّد بن أحمَد .

☆ **ابن القسطلاني** : محمد بن محمد بن أحمَد . وجَمال الدين مُحَمَّد بن محمد بن الْحَسَن .

☆ **ابن قطرال** : محمد بن علي بن مُحَمَّد .

☆ **قطب الدين السُّنْباطي** : محمد بن [عبد][٢] الصَّمد .

١٣٧٤ ـ قُطُز*

الأمير سَيفُ الدين أمير آخور .

لَمّا أُخْرِجَ[٣] الأمير حسام الدين لاجين أمير آخور الكبير إلى دمشق من الديار

(١) (ط) : « ابن محمود » .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

* الوافي : ٢٥٣/٢٤ ، والنجوم : ٢٤١/١٠ ، والدُّرر : ٢٥٠/٣ ، والذيل التام : ١٠٧ .

(٣) في الوافي : « خرج » .

المصريَّة ـ على ما سَيأتي ـ جُعل هـذا الأمير سَيف الـدين مكانـه ، وذلـك في شهر رجب سنـة ثمـان وأربعين وسَبع مئـة ، فبقي في الوظيفـة إلى أن خُلِعَ المظفر حـاجّي في شهر رمضان من السَّنة المذكورة ، وتولَّى الملك النـاصر حَسَن ، فـأخرج الأمير سَيف الـدين قطز إلى نيابة صفد عند مَوت الأمير سيف الدين أولاجا نائبها ، فأقام بصفد نـائبـاً إلى ثاني شهر ربيع الأول سَنة تسع وأربعين وسَبع مئـة . فوصَلَ الأمير شهـابُ الـدين أحمـد السَّاقي إلى صفد نائباً ، ورسم للأمير سَيف الـدين قطز بـالحضور إلى دمشق ليكون بهـا مقيماً من جملة أمرائها ما عاش ، إلى أن جاءه منشوره .

بل توفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ سَنة تسع وأربعين وسَبع مئة في طاعون دمشق .

١٣٧٥ ـ قطلقتَمُر قُلِي*

الأمير سَيفُ الدين النّاصِري ، أحد الأمراء بدمشق أصحاب الطبلخاناه .

كتَبَ في حقِّه أرغون شاه إلى بـاب السُّلطـان وشكاه ، وسـأل نقلتـه إلى[1] حلَب ، فأجيبَ إلى ذلك . وكان قد جُرِّد من دمشق صحبَة العَسكر إلى سيس سنة خمسين وسَبع مئـة ، فكتبَ أرغون شـاه إلى نـائب حلب أنـه إذا عـاد العَسكر الـدمشقِي يتقـدم إليـه بالإقامَة في حلب حسبَما رُسِم به ، فأقام بها تقدير خمسَة أشهر أو أقل .

وتوفِّي إلى رحمة الله ـ تعالى ـ في جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة .

١٣٧٦ ـ قطلقتَمُر**

الأمير سيف الدين . كان يُعرفُ بصهر الجالق .

وكان أحد الأمراء بدمشق ، ثم إنه ولِيَ نيابة غزة .

---

*: الوافي : ٢٥١/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٠/٣ .

(١) ليست في الوافي .

** الدُّرر : ٢٥٠/٣ .

وأُمسك في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وجاء عوَضه الأمير علم الدين الْجَاولي .

١٣٧٧ ـ قطلُو بغا*

الأمير الكبير الداهية الشُّجاع المقدام سَيفُ الدين السَّاقي الناصري المعروفُ بالفخري .

رجل لا يهابُ الموت ، ولا يعبأ بالفوت ، أسَدٌ يصول بمخلب من صارمه ، ويربض في غابٍ من ذوابله التي ينصّلها من عزائمه[1] ، دبَّر الْحُروب ، وثبت في موقفٍ تهربُ منه الخطوب ، كحل عيون النجوم بمَراود الرماحِ ، وضَوَّأ الدُّجى الحالك بصَباح الصِّفاح ، ونوَّرَ العَجاج فكان كالإثمد والنجوم فيه مثل العيون الرُّمد ، ومزَّقه بالبيض المرهفات لَمّا نسجَت مُلاءَته المطَهَّمَة الْجُرُد :

يَمُّ على فَتكاتِـــــهِ زَهَرُ القَنـــــا كذاكَ حديثُ الزَّهْرِ يَحْلُو إذا نَمَّا
ويَحْلـو مَـعَ الْخَطِّي مِن كَلَفٍ بـهِ ويَحْسِبُـه قَـدّاً فيُـوسِعُـه ضَمّـاً

وكان الناس يظنون به أنَّه فارس صَيْد ، لا فارس حرب وكَيْد ، وأنه حامل رايَة كاس[2] ، لا حامل راية القَنا الدعَّاس ، إلى أن قام في ناصِر[3] أحمَد الناصِر ، وشَهدت له بالفروسيَّة والثَّبات الأواصِر ، وظهر عن تدبيرٍ ساعدته عليه المقادير ، وثبت في وقتِ اللقاءِ ثباتَ الأنجاد المغاوير ، وثبتَ للقاء جيش الشام بجموعِه ، ورَزَقه الله النَّصر من أول طَلوعِه ، وكان هو [في][4] دون الألفي فارس ، وخَصمُه في أكثر من عشرين ألفاً ،

* الوافي : ٢٥٥/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٥١/٢ ، والنجوم : ١٠٣/١٠ ، والدُّرر : ٢٥٠/٣ ، وإعلام الورى : ١٦ .

(١) (ق) ، (خ) : « بعزائمه » .

(٢) في الأصل : « راس » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٣) (خ) : « في دولة » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

إلاّ أنهم في عداد الأطلال الدَّوارس ، وكان يوماً عظيماً في النصر ، ومشهداً تفوت عجائبه العدَّ والْحَصْر ، وسار ألطنبغا في بيداء سَمْلَق[١] ، وسار الفخري ونزلَ القصر الأبلق .

ولكن قُلِبَت هذه السعادة إلى تعاسَه ، فَصلت عن جَسَده راسَه ، وقطعَت من الحياة أمراسَه ، وقُتل صَبْرا ، وأُلقِيَ على الأرض شِلواً لا يُوْدَع قبرا ، فسُبحان مَن بيدِه تصاريف الأمور ، وبأمره ينقلبُ الْحُبور إلى الثُّبور .

وكانت قتلته بظاهر الكركِ في [أوّل][٢] المحرَّم سنة ثلاث وأربعين وسَبع مئة .

كان من أكبر مَماليك السُّلطان الملك الناصر محَمَّد بن قلاون من رفعة[٣] الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، ولم يكن لأحَد من الخاصكيَّة ولا من غيرهم إدلاله على السُّلطان ، ولا فيهم من يكلِّمُه [بكلامه][٤] ويرد[٥] علَيه الأجوبة الحادَّة الْمُرَّة وهو يحتمله .

وقد تقدم شيء [من ذكره][٦] في ترجمة أخيه الأمير سَيف الدين طشتمر حمص أخضر .

لم يزل عند السُّلطان أثيراً عالِيَ المكانة إلى أن أمسَكه في نوبَة إخراج أرغون النائب إلى حلَب في سنة سَبع وعشرين وسَبع مئة .

وكان الفخري مِمَّن يكرهُ الأميرَ سَيف الدين تنكِز ويَحُطُّ علَيه ، وهوَ الذي ساعد الأمير حُسَين بن جندر عليه ، يقال : إنه توجَّه مرَّة إلى بابه ، وأقام ـ فيما قيل ـ من

---

(١) السَّمْلَق : القاع الصَّفصف .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « وفعة » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) ، (خ) . وفي الوافي : « رفعه » .

(٤) الزيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) . والوافي .

(٥) (خ) : « ولا من يردّ » .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

بكرة إلى الظهر حتى أذن له في الدُّخول ، ولما أخرجَه السُّلطان معَه إلى الشام في شهر ربيع الآخر سنة سَبع وعشرين وسَبع مئة شدَّ الشِّلو في وسَطه ، وكان يَرْكب في خدمته ويترجَّل قبلَ نزوله ويَمشي في ركابه بالخفِّ من غير سَرمُوزة ، ويحصِّل الصَّيْد بين يديه ، ويطعم طُيورهُ ، ولم يزل يَدخل إلى قلبه بالخدمَة إلى أن أحبَّه ومالَ إليهِ . قال تنكِز مرَّة : والله أشتهي[1] أن أركبَ مَرّة ، وما أخرج ألتقي الفخري واقِفاً ينتظِرني .

قيل : إنه كانَ [له][2] واحد واقفاً دائماً بدار السَّعادة متى قُدِّمت فرس تنكِز للركوب توجَّه إلَيه وأعلمه ، ويكون هُوَ قاعداً متأهباً للركوب ، فيركَبُ ويقف ينتظِره ، فأحبَّهُ محبَّة شديدة حتى لم يبق عنده بدمشق أعزّ منه .

وقال تنكِز عن الفخري : والله لو خدم أستاذه عُشْرَ[3] هذه الخدمة ما كان أحد منّا نال مرتبته .

كان يوماً في ضِيافة الأمير صلاح الدين بن الأوحَد[4] ، وقد شربوا القَمِز ، فدخل عليهم الأمير سَيف الدين أوران الحاجب وهو عند تنكِز بمحَلّ كَبير ، فأخذ الفخريَّ الهَياب[5] وقام وقال : عندك يا أمير ، فلم يقبلهُ ، فألحَّ عليه ، فلَم يوافقه ، فقالَ تنكِز : عندي يا أمير ، أنا أحقُّ بك ، والله يا أمراء ما عند أستاذنا أكبر منه ولا أعز ، ولو وطَّأ نفسه قليلاً ما كان عند أستاذنا[6] فينا أحد يصل إلى ركابه ، وأخذ في الثناء عليه والشكر منه ، ومنها ، وكان[7] الواقع ، وانتحَسَ أُوران بها إلى أن مات ، وكان إذا

---

(١) في الأصل : « ماأشتهي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٣) (خ) : « ربع » .

(٤) هو يوسف بن شاذي بن داود ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) أي : الخوف . وفي (ق) ، (خ) ، والوافي : « الهناب » .

(٦) قوله : « عند أستاذنا » ، ليس في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٧) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « كان » بلا واو .

شفع عنده ما يردُّه . ولم يزل إلى ترضَّى له السُّلطان . وكان بعد ذلك يُحضر إليه الخيل والجوارح وغيرها من السلطان .

ولم يزل في دمشق على هذا الحال إلى أن كتبَ السُّلطان إلى الفخري في الباطن[١] في إمساك تنكِز ، وقالَ له : يا ولدي ، ما خبأتك إلا لهذا اليَوم ، أبصر كيف تكون ، و [هذا][٢] من راح معه راح بلا دنيا ولا آخرة ، فاجتمع هو والأمراء بدمشق ، وخرجوا إلى الأمير سيف الدين طشتمر ، وأمسكوا تنكِز ، على ما تقدم في ترجمته ، فنظر إليه تنكِز والتركاش في وسطه ، فقال له : يا فخري ، لا إله إلا الله ، وأنت الآخر بالتركاش ؟! فقال : ما شدَّ إلاّ في يومه . ثم إنه أقام [بعده][٣] بدمشق إلى أن حضر الأمير سَيفُ الدين بشتاك وأخذ حواصل تنكِز وخزائنه ، وتوجَّه بها .

ثم توجَّه الفخري إلى مِصر بطلبه ، وعظَّمَهُ السُّلطان زائداً ، ولم يزل في أعز مكانة إلى أن توفي السُّلطان الملك الناصِر ، فأظهرَ الْمَيْل إلى قوصون ، وكان معه على بشتاك ، وحضَرَ إلى الشام ، وحلَّف العَساكر الشاميَّة للمنصور أبي بكر ، وذلك أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، ونزل في القصر ، وخرج الناس للمتقاه ، ودعَوا له ، وخصصوه بالدعاء دون ألطنبغا ، وقدَّم له الأمراء[٤] بدمشق ، وعاد إلى القاهرة .

ولَمّا جرى للمنصور ما جرى وخلعوه وملَّكوا الأشرف علاء الدين كجك[٥] وجعلوا الأمير سيف الدين قوصون ، مالَ الفخريّ إلى قوصون ميلاً عظيماً [وقام بنصره][٦] ، وطلبَ قوصون مَنْ يتوجَّه إلى الكرك ليحاصِرَ أحمد ، فلم يجسُر أحَد غير

---

(١) قوله : « في الباطن » ليس في (خ) .
(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٤) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٥) عبارة الوافي : « علاء الدين كجك أخاه » .
(٦) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

الفخري ، فخرج هو والأمير سَيف الدين قماري في ألفي فارس إلى الكرك ، وحصَر أحمَد[١] ، ووسَّط جماعة مِن أهل الكرك ، وبالغ وربَّا أفحش في خطاب الناصر أحمَد ، فَحَقَدَها علَيه ، ثم لَمّا بلغ الفخري أن ألطنبغا نائب دمشق توجَّه إلى حلب لإمساك طشتمر نائبَها ، وخَلت دمشق من العَسكر ، حضر الفخري إلى دمشق وترك الكرك ، وخرج أهل دمشق إليه وتلقَّوْه ودعَوْا له ، فدخلَها ونزلَ على خان لاجين ، واقترض من مال الأيتام مبلغ أربع مئة ألف درهم ونَفَق[٢] فيمن معه من العَسكر ، ولحق الأمير بهاء الدين أصلم - وهو على قارا - بعَسكر صفد ليلحَق الأمير علاء الدين ألطنبغا إلى حلَب ، فبَعَث إليه الفخري وردَّه ، وطلبَ الأمراء الذين تخلَّفوا في بَرِّ دمشق ، فحضروا إلَيه ، وأقام بخان لاجين ، وكتبَ إلى الأمير سَيف الدين طقزتمر نائب حماة ، فحضر إليه وتلاحقَ الناسُ به ، ولَمّا حضر طقزتمر إليه قويَ جَأشه وجَأش من مَعه .

وكان لَمّا دخل إلى دمشق أحضر الناسَ وحلَّفهم للناصِر أحمَد ، ودعا الناسَ إلى بيعته ، ومال الخلق إليه ، واستخدمَ الجند البَطَّالة ورتَّبَ أناساً في وظائف ، ووعده الناس كثيراً ، وحَضر إليه الأمير شمسُ الدين آقسُنقر السلاَّري لما كان في غزّة نائباً وأمسَك الطُّرقات وربطها من صرخد إلى بيروت على من يحضر من مصر إلى حلَب أو يحضر[٣] من حلَب إلى مصر ، وأمسَك البريديَّة وأخذ ما معهم ، وعمَّى الأخبار على قوصون وعلى ألطنبُغا ، وظهر بعزم كبير وحزم كثير ، وساعده القَدر وخدمته السُّعود زائداً ، حتى لقد كنت أعجبُ منه .

وصارَ أمرُه كلَّما جاء قويَ ، وأمْرُ ألطنبغا كلّما جاء انحلَّ وضعف ، وتردَّدت الرُّسُل بينه وبين ألطنبغا ، وطالَ الأمر بينَهما ، ولم يزالا كذلك إلى أن وَصَل ألطنبغا مِن

---

(١) عبارة الوافي : « وحَصَرَ النّاصر أحمد » .

(٢) (خ) : « وأنفق » .

(٣) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « أو من يحضر » .

حَلَب ونزلَ القطيّفة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وجبنَ عن لقاء الفخري ومعه عسكر دمشق وعسكر حلب[١] وعسكر طرابلس في عدّة تسعَة عشر ألف فارس أو أكثر ، وضعفت نفوسُ الذين مع الفخري ؛ لأنهم دون الثلاثة آلاف بمن معهم مِن رجّالة[٢] الجَبَليَّة من أهل البقاع وبَعلبك ، وتردَّدت القضاة بينَهما ، ومَال الفخري إلى الصُّلح وقال : أرجع عنك بشرط أن توفي عني مالَ الأيتام ؛ لأنني أنفقت عَلى مَن معي من العَسكر ، ولا تقطع مَنْ رتَّبته في وظيفةٍ[٣] . فتوقَّف ألطنبغا ، وطال التَّردُّد بينهما ، والعسكران في المصافِّ ، وهَلك مَن مَع ألطُنبُغا مِنَ الْجُوع ؛ لأن عسكر الفخري حالَ بينهم[٨] وبينَ دمشق ، وسَيَّبَ المياه على الْمَرج ، فحالَ بينه وبين حريمِه ، وبين العسكر وبين دمشق ، ولو نزل ألطنبغا ولم يقف بالقطيفة داسَ الفخري ومَن معَه دَوْساً ، ولو وافق الفخري على ما أراد ودخل إلى دمشق دخلَها ومَلكها وبقي على حاله نائباً ، وكان الفخريّ يَكونُ ضيفاً عنده تحت أوامره ونواهيه ، ولكن إذا أراد الله أمراً بَلَغه ، فلم يَكن ذلك النهار إلاَّ بمقدار الثالثة منَ النَّهار حتى مَالَ العَسْكر الشامي بمجموعِه إلى الفخري ، وحركوا طبلخاناتهم وتحيَّزوا إلى الفخري ، وتركوا ألطنبغا وحده على ما مرَّ في ترجمته ، فهربَ فيمَن هرب معه من الأمراء ، ودخل الفخري بعساكره إلى دمشق ، ومَلكها ونزلَ القصرَ الأبلَق ، وأخذ في تحليف العَساكر للسُّلطان الملك الناصِر أحمدَ ، وجَهَّزَ[٥] إليه ليَحضُر إلى دمشق ، فقال : جَهِّز لي الأمراء الكبارَ الذين عندكَ . فتوجَّه إلَيه الأمير سَيفُ الدِّين طقزتمر ، والأمير بهاء الدِّين أصْلَم ، والأمير سَيف الدِّين قُماري ، وعلم الدِّين سليمان بن مهنّا ، فتوجَّهوا إلى الكرك ، وعادوا ولم يحضُر مَعَهم ، ووعده بأنه إذا حَضَر طشتمر نائب حَلَب حَضَرْت ، فأخذ الفخري في العَمل[٤] على

(١) في الأصل و (ط) : « الشام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) (ق) ، (ط) ، (خ) : « رجال » .

(٣) في الأصل و (ط) : « قطيفة » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « بينه » .

(٥) (ط) : « وجهَّزه » .

(٦) في الأصل و (ط) : « فأخذ الفخري للعمل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

حُضور طشتمر من بلاد الرُّوم ، ولَم يزل في الليل والنهار يعمَل على ذلك إلى أن حَضَر ، ووصل إلى دمشق ، فخرج وتلقّاه ، وأنزله بالنَّجيبيَّة على الميدان ، وحَمل إلَيه مالاً عَظيماً .

ووَرَدت كتبُ الملك الناصِر أحمدَ إلى الأُمراء الكبار[1] بالشام تتضمَّنُ أن الأمير سيف الدِّين قُطلُوبغا الفخري هو كافل الشام يولِّي النيابات الكبار لمن يختار ، فوجَّه الأميرَ علاء الدِّين طيبُغا حاجي إلى حلَب نائباً ، ووجَّه الأميرَ حسام الدِّين طرنطاي البشمقدار إلى حمص نائباً ، ووَجَّه الأمير سيف الدِّين طينال إلى طَرابُلس نائباً ، وشرع في عَمل آلات السَّلطَنة وشعار الملك[2] ، ويسأل مِن الناصِر أحمدَ الحضور وهو يسوِّف به وبالأمير سيفَ الدِّين طَشتمر إلى أن عزم الفخري وطَشتَمُر على التَّوجُّه إلَيه بالعَساكر ، فلَمَّا خَرجوا مِن دمشق وسَمع بهم توجَّه هو وَحده إلى القاهِرة ، فتوجَّها بالعَساكر إلى القاهِرَة ، فلَمّا قارَبا القاهِرة بعَث إلى الفخري وإلى طَشتَمُر مَن يَتلقاهُما ، وأكرمَ نُزلهما ، واستتبَّ الأمرُ للناصِر أحمد ، وحَلَفَ المصريون والشاميُّون له ، وكان يوم الْبَيْعَة الفخريُّ واقفاً مشدود الوسَط ، وبيَده عصاً محتفلاً بذلك الأمر احتفالاً كبيراً .

وخرج الأمير سَيفُ الدِّين آقسُنقر الناصِري إلى غزّة نائباً ، وخرج الأمير ركن الدِّين بَيْبرس الأحمَدي إلى صَفد نائباً ، وخرج الأمير سَيفُ الدين الملك إلى حَماة نائباً ، وخرج الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور إلى حلب نائباً ، وخرج[3] الفَخريُّ بعد الْجَميع إلى دمشق نائباً ، فلما كان قريباً من العريش لحقه الأمير علاء الدِّين ألطنبغا المادراني في ألفيّ فارس لإمساكِه والقبض عليه ، فأحسَّ بذلك[4] ، ففرَّق

---

(١) (خ) والوافي : « الأكابر » .

(٢) في الأصل : « وشعار السلطنة الملك » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) (ط) ، (خ) والوافي .

(٣) ما بين « خرج » و « خرج » ، سقط من (خ) .

(٤) في (ق) والوافي : « بالقضية » .

ما معه من الأموال وهربَ في نفر قليل من مَماليكه ، ولحق بالأمير علاء الدِّين أيدغمش وهو على عين جالوت ، واستَجار به . فأكرمَ نُزُلَهُ أوَّلَ قدومِهِ ، ثمَّ بَدا له فيا بعد ، فأمسَكَهُ وقيَّده وجهَّزَه مع ولده أمير علي إلى القاهرة ، فلَمّا بَلغ الناصِر أحمدَ إمساكُه خرج إلى الكرك ، وأخذ معه طَشتَمُر - وكان قد أمسَكه أوّلاً على ما تَقدَّم في ترجمته - وسَيَّر إلى[1] أمير علي مَن تَسَلَّم الفَخريَّ منه ، وسَارَ به إلى الكرك ، ودَخل الناصِر أحمدَ الكرك ، واعتقل الفخريَّ وطشتمر بالكرك مدة يَسيرة ، فيقال : إنَّهما في ليلة كَسَرا بابَ حَبْسِهما وخَرَجا ، ولو كان معهما سيف أو سلاح ملكا قلعة الكرك تلك الليلة ، وكان الناصر أحمد في تلك الليلة قد بات خارج القلعة ، ولما أصبح أحضرهما وقتلَهُما صبراً قدّامَه .

يحكى أن طشتمر خارَ من القتل وضعف وانحنى ، وأما الفخري فلم يهب الموت ، وقال للموكلّين بهما : والكم قدّموني[2] قبل أخي هذا ، فإن هذا ماله ذنبٌ ، لعله يحصُلُ له بَعْدِي شفاعة . وكان قتلهما في التاريخ المذكور .

وكان الفخري شجاعاً مقداماً أريباً داهيةً حليماً جوَاداً أميَّاً لا يُحسن[3] يكتُبُ شيئاً[4] ، وإنما يكتبُ على التواقيع وعلى الكتب دوادارُه طغاي .

قال لي القاضي شهابُ الدين أحمد بن فضل الله : ما رأيت أكرم منه ، لا يستكثر[5] على أحد شيئاً يطلبُه[6] . انتهى .

قلتُ : ولما جاء ونزل فِي القصرِ الأبلق بعد هروب ألطُنبُغا كتب كتباً على لسانه

---

(١) في الأصل و (ط) : « وسلّم على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

(٢) في (ق) ، (خ) والوافي : « بالله قدموني » . وقوله من بعد : « أخي » . ليس في (خ) .

(٣) (خ) : « لا يحسن أن » .

(٤) (ط) ، (خ) والوافي : « يكتب اسمه » .

(٥) في الأصل : « لا يستكبر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

(٦) (خ) : « يطلبه منه » .

إلى الأمراءِ المصريين ، ورمى بينهم ، فاختلفوا على قوصون وأمسكوه ، هذا وهم في قصر دمشق فعَل هذه الفعلة ، فكنت أعجَبُ من دهائه مع غُتميَّتِه وأميَّتَه ومَا دبَّره وما اعتمده حتى خبط الشام ومصر . على أنه لما أدبرت سعادته كان حتفه فيما دبَّرَه :

إنَّ المقـــــــــاديرَ إذا أُبْرِمَتْ ألْحَقَتِ الحـــازِمَ بـــالعـــاجِـزِ

ولقد أقولُ إذا فكَّرتُ فيه :

أضـــاعُـوهُ وأيَّ فَتًى أضـــاعُـوا لِيَـوْمٍ كريهَـــةٍ وسَـــدادِ ثَغْرِ[1]

وقلتُ أنا فيه لَمّا قُتِل ـ رحمه الله ، تعالى ـ :

سَمَتْ هِمَّـــةُ الفَخريِّ حتَّى تَرَفَّعَتْ عَلى هـامَـةِ الْجَـوْزاءِ والنَّسْرُ بـالنَّصْرِ
وكانَ بـهِ لِلْمُلْـكِ فَخْرٌ فَخـانَـهُ الـز زمـانُ فـأضْحى ملـكُ مِصْرَ بلا فَخْرِ

ولَمّـا كان بعـد واقعتـه جَلَسْنـا يومـاً بحماة في خِـدْمَـة القـاضي شهـاب الـدِّين بن فَضْل الله ، فـأخـذ في نظم شيء مِن المجون مـع شخص ينبسـط معَـه ، ونظَم هـوَ وغيره أشياء ما بين هَجوٍ وما بين مجون ، وألزمني ، فاستعفيت ، فقـال : لا بـد ، وأقسَمَ عليَّ ، فقلتُ :

هَـل لَـــكَ في أيرٍ غَـــدا رأسُـــهُ تَعجَبُ مِنـــــهُ قُبَّـــــةُ النَّسرِ
لَـــو أنَّـــــهُ في جَيشِ ألطُنْبُغـــا خَرِي لـــهُ قُطلُـوبُغـــا الفَخريّ

فأعجَباه وزهزَهَ لهما كثيراً ، وقال : ما بَقي بعد هذا شيءٌ ، وترك ما كان فيه .

١٣٧٨ ـ قُطلُوبُغا*

الأمير سَيف الدِّين النّاصِري الْمَعْروفُ بالمغربيِّ .

(١) أصـل البيت : « أضـاعوني .. » . والبيت للعرجي في ديـوانـه : ٣٤ ـ ٣٥ ، (ط . بغـداد ـ ١٩٥٦) . وانظر الشعر والشعراء : ٥٧٨/٢ .

* الدُّرر : ٢٥٢/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٦٩/٩ .

كان [قد جاء] في بُشْرى بعافية السُّلطان إلى دمشق لما كان قد مَرِض السُّلطان وعُوفِيَ ، وحصل لَهُ شيء كثير من تنكز ومن أمَراء الشّام .

وكان أمير مئة مقدَّم ألف ، وكان قد حضر مَع رَسول القان بوسَعيد من القاهِرة ، فوصَّلهُ إلى الفرات[1] ، وعادَ إلى القاهِرَة ، فمات عندَ وُصوله إليها في ثامِن شهر رمضان سَنة سَبع وعشرين وسَبع مئة .

وكان فيه دِينٌ وخيرٌ . حَجَّ في وقت بالركب المصريِّ ، رحمَه اللهُ ، تعالى .

١٣٧٩ ـ قُطلوبَك*

الأمير سَيف الدِّين المنصوري المعروف بقُطلوبَك الكَبير .

كان أميراً إذا قيل : أمير ، لا بل مَلكاً على تحقيق قدره الكبير ، لم يَر النـاسُ مثل رَخْتِه ، ولا مثل جُلوسه في سعادة تختِه ، أموالٌ تَفوق الأمواج ، وخُيول حصونها أعظم من الأبراج ، ومَماليكٌ كأنهم الكواكب ، وحَفَدة تتجمَّل بهم للمواكب ، وآلات ، تفتخر بها البُدور في الهالات ، حتّى كان النّاسُ يعجَبونَ مِن بذخه ، وعُنْفُوانِ سَعده الزائد وشرخه .

وكان ذا خِبرة ودهاء ، ومعرِفة بالأصنافِ واعتناءٍ في الاقتناء ، وتوجَّهَ إلى السُّلطان الملك الناصِر وأحضَرَهُ مِن الكرك ، والتزم له بأنّه لا همَّ يَناله ولا دَرَك ، وهو الذي أتى به ، وأخذ في توكيد ملكه وأسبابه ، ويقالُ : إنَّه هو الَّذي قامَ له بشِعار الملك مِن عنده ، وكلَّما احتاج إلَيه في ذلك الْمُهِمِّ عَجَّله في نقده ، حتى إنَّ الْحَوائص الفضَّة والذَّهَب أحْضَرَها في أطباق الغسيل ، وزاد في هذه الأشياء وأمثالها[2] حتى عجبَ منه

---

(١) عبارة الدُّرر : « سفر رسولاً إلى بوسعيد ملك التَّتار ، فوصل إلى الفرات » .

* الوافي : ٢٦٠/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٢/٣ .

(٢) في الأصل : « أمثالها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

الفرات والنِّيل ، فعظَّمه السُّلطان ، ووعده بأن يكونَ في دمشق نائبا ، وأن يكون هُوَ حاضر الملك إذا كان هوَ غائبا . ثم إنه [من][1] مِصْرَ أخرجَه إلى صَفد نائبَها ، وألزَمه أن يكفيَها مَهامَّها ويكفَ نوائبَها ، ثم إنَّه أمسَكه فيها بعد قليل ، وأذاقه فيها الْخَطبَ الجليل . وقبض عليه في رابع عُشْرَي جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسَبع مئة بصفد ، وحُمل منها إلى الكرك .

وفي شهر رجب سنة إحدى عشرة حمل بكتمر الْجُوكندار إلى الكرك ، واعتقل مع كراي وقطلقتمر صهر الجالق وأسندمر نائب طرابلس وبتخاص .

كان الأمير قَطلوبك[2] الكبير - رحمه الله ، تعالى - مؤاخياً لسَلاَّر ، ووليَ الحجوبيَّة في مصر ؛ لأنه كان قد ولِيَ الشَّدّ بدمشق عوضاً عن جاغان لما قتل حسَام الدِّين لاجين مُدّة يسيرة إلى أن وصل السلطان منَ الكرك إلى مصر ، فأعرض عن الشَّدِّ ، وتوجَّه إلى مصرَ في يوم الأحَد سادس عُشْريّ جمادى الأولى سَنة ثمان وتسعين وستّ مئة ، فولاَّه السُّلطان الحجوبيَّة عوضاً عن الأمير سيف الدِّين كرت[3] لَمّا قُتِل ، فعملَها عملاً صَغرت النيابة معه فيها ، وقلَّ قَدْرُها ؛ لجمع الأمراء عليه والأويراتيّة والوافدين ، ومَدِّ السماط لهم وإفاضَةِ الخلع عليهم ، فأهَمَّ البُرجيَّة أمره خوفاً من قوة شوكة سَلاَّر ، فأُخرج إلى الشام ووليَ نيابَة طرابلس ، فكرِهَها ، واستَعان بالأفرم في الإقالة منها ، فأقيل . ثم كانت بينه وبين أسندمر الكُرْجي نائِبها بعده مُصاهرة ، كان معين الدِّين بن حُشيش هو السّاعي فيها .

واستقرَّ قطلوبك الكبير في دمشق من مُقَدَّمي الألوف ، ولم يَمش إلاّ مَشْيَ عظماء الملوك من فرط البَذخ والتَّجمُّل وعظم الخدم والحشم والأتباع [و][4] وفور الحاشيَة

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) (ط) : « سيف الدِّين قطلوبك » .

(٣) في الأصل : « شرف الدِّين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) زيادة من (ط) .

وكثرة الغاشيَة ممَّا لا يقوم مَغَلٌّ إقطاعه بثلث الكلفة له ، وكلَّمَا طالَ الزَّمان ومرَّ عَليه ازداد في ذلك أمره ، وكان لا يدري من أين مَدَده ، ولا كيف تُنْفِق يَدُه ، وظهر من الأفرم كراهيَة له ؛ لأنه بان له تكبره عَلَيْه ، فوقع بينهما ، ودخل الحاج بهادر وبَكتمر الحاجب وغيرهما من الأمراء [بينهما][1] ، فاصطلَحا ، وأوجَبُوا على قطلوبك الشكران[2] ، فعَمل ذلكَ في المرج .

قال القاضي شهابُ الدِّين بن فضل الله : أنفق فيه ما يقارِبُ الثلاثين ألفَ دينار ما بينَ طَعام وشَراب وخلع[3] وتقادُم للأفرم وحاشيته ، وكانت الضِيافة ثلاثة أيام لم ينقطِعْ مَدَدها . قال : وكنت ممَّن حضرها ونظرَها ، وهيَ تزيد عَلى الوصفِ .

قال : والتزَم مرّة بدرك الرحْبَة سَنة حملاً عن الأمراء ، وجرَّ نحو مئة جنيب من الْخَيل غير الهجن مجلَّلات بالحرير ملبسات حُلِيَّ الذهَب والفِضَّة ، جميعُها باسمِهِ ورنكِهِ ، وأقام بالرحبَة عشرة أشهر غير مَسافات طرقِه ، وكان يقيم بأكثر الجند المضافين إلَيه ، فأمَّا جُنْدُه [فلا يتكلَّف أحدٌ منهم شيئاً في مدَّة بيكاره][4] قال : فحكى لي صاحبنا الشريف ناصر الدِّين مُحَمَّد الحسَيني ـ رحمه الله ، تعالى ، وكان من مضافيه[5] ـ من هذا ما تَعجَبُ منه ، وقال لي : كان راتب شرابخانته في شهر رمضان في كل يوم وزن خمسَة وعشرين رطلاً بالدمشقي من السكر ، وبنى بالرحبة جامعاً وقصراً وميدان كُرة ومنازل للجند .

قال : ولما أتى السلطان من الكرك إلى دمشق كان [لا][6] ينفق في مدَّة مُقامه

---

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) في الوافي : « الشكرانة » .

(٣) في الأصل : « في خلع » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) زيادة من الوافي .

(٥) في الوافي : « مصافيه » ، ولعلها أشبه .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

بدمشق تلك الأيام إلاّ من خزائنه ، وسَفره[١] ، إلى أن دخل إلى مصر ، وهو من دمشق على وَظيفة الأستاذ داريَّة ، ثم أخرجه إلى صفد نائباً ، فأقام بها إلى أن أمسكه .

وكان قطلوبك بُغَا يعاني زيَّ المغل في لبس الكنبك والطرز بين كتفيه ، وركوب الأكاديش غالباً ، وكان أسمرَ شديد السُّمرة بطيناً حسن الصُّورة ، يكتبُ خطّاً جيِّداً قويّاً ، وله إلمامٌ ببعض عربيَّة وفقهٍ وحَديث ، وعنده تنديرٍ ووَلع[٢] على سبيل اللعب ، وله شِعر منه ما عمله في مجلس الأفرم في ساقٍ يَسقيهم القمز ، فقال :

أمير الحسنِ سَاقِينَا يُحَيِّينَا فَيُحْيِينَا
فَيَا للهِ مَا أحلَى إشَارَاتِ الْمُحبِّينَا

فأمر الأفرم الشيخ صدر الدِّين بن الوَكيل ـ رحمه الله ، تعالى ـ بأن يزيد عليها ، فَذَيَّلها بأبيات ، ثمَّ إنَّه أمرَ بها فَلُحِّنت ، وغُنِّيَ بها عامَّة يومه .

قلت : إلا أنه كان يَأخذ أموالَ الناس ، وما يعطيهم شيئاً ، وإذا اشترى من أحد شيئاً ما يعوِّضُه بثمنه ، فأخذ مرّةً من تاجرٍ شيئاً ، وحال ما بينه وبين ثمنه ، ولم يجد التاجر مَن يخلص حقَّه ، فشكا حاله إلى الشيخ تقيّ الدِّين بن تيميَّة ـ رحمه الله ، تعالى ـ فتوجَّه معه إلَيه ، فلما دخل إليه قامَ له وأجلسَه ، وقال : شيخ ، إذا رأيت الأمير بباب الفقير فنعم الأمير ونعم الفقير ، وإذا رأيت الفقير ببابِ الأمير فبئسَ الأمير وبئس الفقير . فقال له الشيخ تقيّ الدِّين : اسمع قطلوبَك ، لا تعمل دركوانات العجم ، موسى كان خيراً مني ، وفرعون كان أنحسَ منك[٣] ، وكان موسى يَأتي إلى بابه كل يوم ويأمره بالإيمان ، أعطِ[٤] هذا التاجر مالَه . فقال : نعم ، ووزن له الذي له .

---

(١) مراده : في مدَّة مقامه وسفره . وعبارة الوافي أوضح مِمّا هنا .

(٢) في الوافي : « ودلع » .

(٣) في الأصل : « معك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (ط) : « أعطي » .

وعمل عيد النحر في صفد ، فنحر من الضَّحايا بقراً وغَنماً ما يزيد على الوصف ، وبعث بذلك إلى الزوايا والفقراء ، وجافت[١] بذلك صفد ، وأنتنت بأسقاط الأبقار والأغنام ، ولم يجد ذلك من يَأكله .

١٣٨٠ ـ قطلُوبك بن قراسُنقر*

الأمير سَيفُ الدِّين ابن الأمير شمس الدِّين الجاشنكير ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان ظريفاً في عِباراته ، لطيفاً في إشاراته ، عليه خَفَر أولاد الناس ، وفيه مباينةٌ غَيْرِه من غرائب الأجناس ، يتأنَّق في مآكله الشهيَّه ، ويتخرق في ملابسه البهيَّه ، يترامَى على ودِّ أصحابه ، ويخالط كل أحد بمَا هُوَ أولَى به ، وله ندماء وعُشراء ، وأصحابٌ وخُلَطاء .

ولم يزل على حاله إلى أن ذابت شحمتا عينيه ، ووجد ما قَدَّمَ من الأعمال بين يديه .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في سابع شهر ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وسَبع مئة .

كان قد باشَر الحجوبيَّة بدمشق عوضاً عن الأمير شهاب الدِّين قرطاي في سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وَعُزِلَ منها في ...[٢] وبقي على إمرته ، ونَدَبَه الأمير سيف الدِّين تنكِز إلى عمارة القناة التي ساقَها من عين عَرُّوب إلى القدس ، ولَمّا فرغ من ذلك طلبَه السُّلطان الملك النّاصر مُحَمَّد ، وطلبَ الصُّناع الذين كانوا معه في العَمَل ، فتوجهوا في البريد ، وَلما وصَلوا قالَ لهم السُّلطان : أريد أن أسوقَ خليجاً من

(١) أي كثرت فيها الجيف .

* الدُّرر : ٢٥٤/٣ .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) .

النيل إلى سوق الخيل تحت القلعَة ، وأرميه على القاهرة . فتوجه الأمير قطلوبك[١] بالصُّناع إلى حُلوَان ، ووزنوا مجرى الماء وعادوا ، وقالوا للسُّلطان : هذا يصير بسَعادتك . قال : كم يريد ؟ قالوا : ثمانين ألف دينار ، قال[٢] : ما هو كثير ؟ قالَ : وكم يريد من المدّة ؟ قالوا : عشر سنين ، فقالَ : هذا كثير . وبطل ذلك العَزم ، وأعادهم إلى دمشق .

ولَمَّا جاء الأمير شرفُ الدِّين حسَين بن جندربك إلى دمشق ليتوَجَّه منها إلى القاهرة لَمّا طلبَه السُّلطان في سنة سَبع وعشرين وسَبع مئة اجتمعا وتحادثا ، وانشرحا لما بينهما من الروميَّة التي تجمعهُما ، وذكرا قديم صحبتهما ، وأحضَر أمير حُسَين وصيَّة كنت كتبتها له بصَفد ، وقرأتها عليهما . ومما وصَّى به فيها يقول : فإن مات بدمشق فيدفن في تربتهم بجبَل قاسيون المعروفة بهم ، وإن ماتَ بالقاهرة يدفن في بيت الخطابة بجامعه الذي أنشأه ظاهر القاهرة بحكر جوهر النُّوبي ، وإن مات في الغزاة يترك في مكانه في الفلاة ليبعثه الله ـ تعالى ـ من حواصل النُّسُور وبطون السِّباع . فقال قطلوبك بن الجاشنكير : والله يا أمير شرف الدِّين لقد اخترت ميتة عجيبَة ، والله أنا ما أشتهي أن أموت إلاّ على فراشي ، ونطوعي ومخادِّي المزركشة في باشخاناتي ، ويخرج نعشي وعلَيه الرَّيحان والياسمين ، وجواريَّ من خلفي يبكينَ عليَّ ويندبنني . فعجبتُ من تفاوت قصديهما ، رحمهما الله ، تعالى .

١٣٨١ ـ قطلُوبك*

الأمير سَيف الدِّين الشيخي ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

توفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ بدمشق في خامس شهر ربيع الآخر سَنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

(١) (ط) : « سيف الدّين قطلوبك » .

(٢) في الأصل : « وقال » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

* الدُّرر : ٢٥٤/٣ .

١٣٨٢ ـ قطلُوتمرُ*

الأمير سَيف الدِّين الخليلي الناصِري .

كان من جملة الأُمراء بدمشق ، وولاَّهُ الأمير سيف الدِّين طقزتمر نائب دمشق الحجبَة . وكان حاجِباً صغيراً ، وعمَّر الدار التي في العُقيبَة قبالة سوق الخيل والمئذنة والمسجد ، وله الدارُ التي في القصَّاعين ، وبقِيَ على ذلك إلى أن حضرَ الأمير حسام الدِّين طُرنطاي البشمقدار من القاهرة متوجِّهاً إلى حمص نائباً في أول دولة الكامل شعبان ، ولَمّا وصل القَسْطَل حضر البَريد مِن مصر بردِّه وأن يتوجَّه الخليلي مكانه إلى حمص[1] نائباً ، فتوَجَّه الأمير سيف الدِّين قطلوتمر ، وأقام بحمص قريباً من شهر .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في أواخر جمادى الآخرة سَنة ستّ وأربعين وسَبع مئة .

١٣٨٣ ـ قُطلِيْجا**

الأمير سيف الدِّين الْحَمويُّ الناصِري الجَمدار .

كان حسَنَ الصورة بهيّا ، لطيف الحركاتِ شهيّا ، أبيض تعلوه حمرة قانِيَه ، نقيَ الثغر كأنه أُقحوانة في الروض زاهِيَه ، معتدل القوام ، مبتسماً على الدَّوام ، إلاّ أنَّه في حَماة أساءَ السيره ، ولَم يجعَل التَّقوى ظهيره ، ونقل منها إلى حلب فما تمتع بها ، ولا لحق أمْرُه يتمسَّك بسببها ، إلى أن ذَوَت زهرته اليانِعَه ، وقامت به الناعيَة الرائعه .

---

* الوافي : ٢٦١/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٤/٣ ، وأشار إليه صاحب البداية : ٢١٣/١٤ بلفظ : « تقطم الخليلي » ، وورد اسمه في الذيل التام : ٨٢ ، بلفظ : « طقتمر الخليلي » .

(١) صريح كلام الدُّررلأنه ولي نيابة صفد وبها توفي .

** الوافي : ٢٦٢/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٥/٣ ، والذَّيل التّام : ١١٣ .

وتوفِّي بحلَب ـ رحمه الله ، تعالَى ـ في آخر نهار الخميس خامس جمادى الآخرة سنة خمسين وسَبع مئة .

لما توفِّي الملك الناصِر أستاذه عهدي به وهو أمير عشرة بالدِّيار المصريَّة ، ثم إنَّه تأمَّر طبلخاناه ، وحضر إلى دمشق ، وأقام بها أميراً مدّة في أيام الكامل شعبان ، ولما تولَّى[1] المظفر حاجي ونقل أسندَمُر العُمري من [نيابة][2] حَماة إلى نيابة طرابلس طلبَ قُطليجا[3] المذكور إلى مصر ، ورسم له بنيابة حَماة ، فحضر إليها ، وأقام بها . وهو الذي أمسَك الأمير يلبغا[4] اليحيوي لَمّا خرجَ على المظفَّر ، على ما سَيأتي في ترجمته .

ولم يزل قُطلَيجا في حماة نائباً إلى أن قتل أرغون شاه نائب دمشق ، ورسم للأمير سيف الدين أرقطاي بنيابة دمشق ، وأن يكون قطليجا بدله في نيابة حلَب ، فتوجَّه إليها ، ودخلَها في العشر الأوسَط من جمادى الأولى سنة خمسين وسَبع مئة ، فأقام بها أيّاماً قلائل .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في التاريخ المذكور .

١٣٨٤ ـ قطليجا*

الأمير علاء الدِّين بن الأمير سيف الدِّين بلبان الجوكندار ، وأحد[5] أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان أبيض أزهر اللون ، حسَن الشَّكل تامَّ الكون ، ظريف الحركات ، لطيف

(١) (ط) ، (خ) والوافي : « ولي » .
(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .
(٣) (ط) ، (خ) : « سيف الدِّين قطليجا » .
(٤) (ط) ، (خ) : « سيف الدِّين يلبغا » .
* الدُّرر : ٢٥٥/٣ .
(٥) في (ط) ، (ق) : « أحد » بلا واو .

السَّكنات ، على وجههِ مسحَةُ جَمال ، وفيه من البدر حُسْنُهُ ليلةَ الكمال . لم يُرَ أزرق العَين أحسَن منه مقلَه ، ولا أفتك مِن جفونِه في كل حَمْله .

وكان الأفرم يعضُّ على حُبِّه بالنَّواجذ ، وله في حسنه إدراكاتٌ وما عليه فيها مآخِذ ، وكان هو ليسَ في دمشق من يلعَبُ مثله بالكُرَه ، وله في الْمَيدان صولة بها ومَقدِرَه ، إلى خصائص أُخر من فروسيَّته ، ومحاسن تذهل العقولَ إذا فكرت في انفِراده وجمعِيَّته .

ولَم يزل على حاله إلى أن أصبح شخصه مع قربه أبعد من أمسِه ، وتخيَّل النّاس أن النجمَ دفن في رمسه .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالَى ـ يَوم الْجُمعَة تاسع عشر جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة ، وكان في عشر الأربعين .

لَمّا جاء السُّلطان الملك النّاصر من الكرك إلى دمشق جعله في عداد السِّلاح داريَّة ، وكان ـ على ما قيل ـ يسُوقُ الفَرَس ، ويأخذ نصف السَّفرجلة من غصنها ، ويَدع النصفَ مكانه وهو في أقوى مشوار الفرس ، وهو أمر معجزٌ لغيره .

وأمَّا اللعب بالكرة فكان فيه غايَة ، يقال : إن برديَّته كانَتْ زنة مئتي درهم وخمسين درهماً ، ولقد جاء إلى صفد مرات والْجُوكندار الكبير في صفد نائب ، وكان يلعَبُ هو والأمير ناصر الدِّين مُحَمَّد بن الْجُوكندار ، وكنّا نتفرَّج عليهما ، ويقول الناس : هذا طُبْجي مصر [وهذا طبجي دمشق][٦] . وكان الأمير ناصر الدِّين أرشق على ظهر الفرس وأسرع حركة ، والأمير علاء الدِّين قطليجا إذا تناولَ الكرةَ بصَوْلجانه ما يحتاج معه إلاّ ضربة واحدة وقد بلَّغها الْمَدى .

ورأيته ـ رحمه الله ، تعالى ـ كثيراً ما يتقيَّأ ، ثم بعد ذلك يتغرغر بالخلِّ والماورد ،

(٦) زيادة من (ط) ، (ق) .

هـذا دائمـاً ، وكان يَحْسُو من دهن اللوز المربَّى شيئـاً كثيراً قِنِّينـة قِنِّينـة ، وكان لـلأمير سَيف الدِّين قطلوبك الكبير إليه ميل ، ولَمّا جاء إلى صفد نائباً أحضره من دمشق إلى صفد أميراً ، ولَمَّا أُمسك قطلوبَك عاد قطليجا إلى دمشق على مكانه .

اللَّقَبُ والنَّسَبُ

☆ **القَفصِي** : محمَّد بن سُليمان .

☆ **ابن قطينة** : شهاب الدِّين التاجر أحمد بن محمَّد ، وزين الدِّين عمر بن أحمد .

☆ **قُطُنْبَة** : شرف الدِّين حسن بن محمد .

☆ **ابن قُلَيْلة** : عُمَر بن عوض .

١٣٨٥ ـ قلاوُز*

الأمير سيف الدِّين الجَمدار الناصِري .

كان من جملة أمراء الطَّبلخانات بدمشق ، ثمَّ إنَّه أعطي إمرة مئة وتقدمَة ألف .

ولاَّه الأمير سَيفُ الدِّين طقزتمُر نيابة حمص ، فأقام بها مـدّة . ثمَّ إنَّـه عُزِلَ منهـا ، وكانت ولايتـه لحمص بعـد الأمير سيف الـدِّين بكتمر العـلائي ، ولَمّـا عُـزِلَ من حمص [حضر إلى دمشق و][1] أقام بها ، وتقدَّم عندَ الأمير سَيف الدِّين يلبُغـا . ولمـا برَّز إلى الْجُسُورة في أيام الكامل عاضـده ووازره ، ولَمّـا انتصر رعى ذلـكَ لـه ، وصـار حظيّـاً عنـده يلازمُـه ويـنـادمُـه . ولَمّـا كانت المرة الثـانيـة برز معـه إلى الْجُسـورة في الأيَّـام المظفريَّة ، ولَما هربَ يلبغا لم يتوجَّـه معَـه أحَـدٌ من الأمراء غيره وغير محمـد بن جُمق ،

* الوافي : ٢٦٦/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٨/٣ ، وذيول العبر : ٢٦٢ ، وفيها : « قلاوون » .

(١) زيادة من (خ) ، والوافي .

على[١] أنه كان قد أودع خزائنه في داريّا ، وأراد أن ينهزم ، فما أمكنه . ولم يزل معه في البريَّة إلى أن دخلا إلى حَماة ، والأمير سَيفُ قَلاوز ضعيفٌ ، وقد عُمِل قدّامَه مخدَّة على الفرس[٢] ، وأقام بها مدّة جمعَة ، وورم وازرقَّ ؛ لأنها كانت أياماً شديدة الحرِّ ، وكان هو في نفسِهِ سَميناً بديناً .

فمات ـ رحمه الله ، تعالَى ـ في العَشر الأواخِر من جمادى الأولى سَنة ثَمان وأربعين وسَبع مئة قبل أن يخرج يلبغا من حماة ، رحمها الله ، تعالى .

١٣٨٦ ـ قماري*

الأمير سيف الدِّين الناصِري أمير شكار .

كان من الأمراء الخاصكيَّة الكبار في أيام الملك الناصِر مُحَمَّد . كان عند أستاذه مَكينا ، ثابت الأساس ركينا ، زوَّجَه إحدى بناته ، وجعل غصنه في روض ملكه من أحسَنِ نباتِه ، ثم قدَّمَه على الألف ، وجعَله أمير مئة يكون إماماً والنّاس من خلف ، وكان عَقْلُه وافرا ، ووجهه كأنه البَدر سافِرا .

ولم يزل في مراقي سُعوده ، ومَعارج صعوده ، إلى أن قمر الموت قُمارِي ، وناحت علَيه الحمائم والقماري .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في سنَة ثلاث وأربعين وسَبع مئة بالقاهرة[٣] .

جَاء إلى دمشق في مهمٍّ لأستاذه إلى تنكِز في سنة خمس وثلاثين ـ أو ستّ وثلاثين ـ وسَبع مئة ، وحضر إلى الجامع الأموي بدمشق ، وتفرَّج فيه وفي

---

(١) في الوافي : « ملي » ! .

(٢) في الأصل : « الفرش » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .

* الوافي : ٢٧٤/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٦/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ١٠١/١٠ .

(٣) وفي الدُّرر أنَّ وفاته في أواخر سنة (٧٤٥) أو أوائل سنة (٧٤٦) .

الفوّارة بجيرون[١] ، وفي غيرها ، وكان مجيئه في الظاهر بطيور جوارح على العادة ، وفي الباطِن بسَبب إمساك الأمير جَمال الدِّين آقوش نائب الكرك .

حَكى لي القاضي شهابُ الدِّين بن فضل الله قال : لَمّا عاد من الشام أرسَل إليَّ وإلى الدوادار وإلى أمير جاندار ، وقال : ما أدخل إلى مَولانا السُّلطان إلاّ بكم ، فقلنا له : يا خوند ، أنت ما أنت غريب ، أنت من كبار الخاصكيَّة ، وزوج ابنة مولانا السُّلطان ، فقال : أنا الآن في حكم الغرباء الأجانب ، فلما قيل ذلك للسُّلطان أعجَبَه هذا التّأني ، وقال : جيِّداً عَمل[٢] .

ولَمَّا تولَّى الملكُ الصَّالح إسماعيل أخذ قماري هذا وجعَله أمير آخور ، فأقام قليلاً ، وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في أوائل جمادى الأولى من السنة المذكورة .

١٣٨٧ ـ قَمَارِي*

الأمير سيف الدِّين الناصِري أخو الأمير سيف الدِّين بكتمر السَّاقي الناصري .

كان شكله مليحا ، ووجهه يلوح به الْجَمال صريحا ، عمل أستاذ داريَّة الملك الصَّالح إسماعيل ، وكان يشارك في الكثير والقليل ، أحد من يُشارُ[٣] إلَيه ، وتقوم أركان الدولة به وعليه . ورأى في أيام الصَّالح دهراً صالِحا ، وعيشاً لوشراه بالنفس كان رابِحا ، إلى أن أخرجَهُ الكامل إلى طرابلُس نائبا ، وأتاها فكان أمَله في الْحَياة خائبا ، وقوض الخيام للرحلة الكُبْرى ، وجعل العيون على فقده عَبْرَى . وأُمسك بطرابلس في أواخر ذي الحجَّة سنة ستّ وأربعين وسَبع مئة .

كان الأمير سَيفُ الدِّين قماري في أيام أخيه أميراً صغيراً لا يُدرَى به ولا يُحَسُّ ،

(١) عبارة الوافي : « وتفرَّج نهاراً ورأى فوّارة جيرون » .

(٢) في الأصل : « عمل جيداً عمل » ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الوافي : ٢٧٥/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٦/٣ ، والذَّيل التّام : ٨٨ ، والنُّجوم الزّاهرة : ١٧٧/١٠ .

(٣) في الأصل : « يسارّ » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

ولَما ماتَ أخوه بكتمر السَّاقي في طريق الحجاز أعطاه السُّلطان إمرة مئة وتقدمَة ألف ، ولم يزل إلى أن خرج مع الفخريّ إلى الكرك لحِصار أحمد ، وحضَر معه إلى دمشق ثم توجَّه إلى مصر وأقام بها أميراً كبيراً ، ولَمّا تولَّى الملك الصّالح كان أستاذ داره ، وكان أحد المشارين إليهم في تلك الدولة ، فلما ولِيَ الكامل شعبان أخرجه إلى طرابلُس نائباً ، فمرض في أول قدومه إليها مدّة أشفى معها على التلف ، ثم إنه انتعش منها واستقلَّ . ولم يزل بها إلى أن حضر الأمير سَيفُ الدِّين طقتمر الصَّلاحِيّ في البريد ، فأقام بدمشق أياماً قلائل ، وتوجَّه إلى طرابلُس في العشر الأواخر من ذي الحجّة ، وقبض عليه وأحضره مقيَّداً إلى دمشق ، ثم إنَّه جُهِّز منها على البريد إلى مصر مقيَّداً في ذي الحجّة سنة ستّ وأربعين ، وكان الناس قد أرجفوا بأنَّه قد عزم على أن يُقَفَّزَ باتفاق مع الأمير سيف الدِّين الملك نائب صَفد[1] .

١٣٨٨ ـ قُماري*

الأمير سَيف الدِّين ، كان أخا الأمير علاء الدِّين أمير علي الماردانى نائب السَّلطنة بدمشق .

ورد مع أخيهِ من الدِّيار المصريَّة في خامس ذي الحجَّة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وكان يعتمد على عصاً إذا مشى ؛ لأنه كان عرَج يسيرٌ ، وكان بطّالاً ، فَرسَم له بعد مدة بخمسين درهماً في كل يوم مرتباً على الأموال الديوانيَّة إلى أن ينحلَّ إقطاع إمْرَة ، فأخذ ذلك مدة ، ولَمّا توفِّي الأمير جُجكتُو[2] التركماني بدمشق أعطي إقطاعَه بالإمرة ، وأقام على ذلك إلى أن مرض مرضة طوَّلَ فيها ، وأصابَه فيها فالِج .

---

(١) وفي الدُّرر أنه نُقِل بعد ذلك إلى سجن الإسكندريّة ، فقتل في سنة (٧٤٧) .

* الدُّرر : ٢٥٦/٣ .

(٢) (ط) : « سيف الدِّين ججكتو » ، وسلفت ترجمته .

ثم إنَّه ابتلي بالصَّرع ، فكان يُصرَع في النهار عشر مرات وأكثر وأقل ، وبقي على ذلك قريباً من خمسين يوماً حتى تعجَّبَ الناس من ذلك ، ولم يُسمَع بمثل أمره ، وأُغمي عليه مرات ، وجزموا بموته ، ثم إنه يفيق بعد ذلك إلى أن توفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في بكرة الأحد ثالث شهر ربيع الأول سنة سَبع وخمسين وسَبع مئة ، ودفن بمقابر الصُّوفيَّة برّا باب النصر ، ومشى أخوه ملك الأمراء في الجنازة والأمراء والْحُجّابُ والقضاة وغيرهم . وكانت جنازة حافلة . وبعد دفنه مدَّ أخوه سماطاً على قبره أكل منه من كان حاضِراً من مَماليكه وغيرهم ، ولم يأكل هو شيئاً ، وبات على قبره ، وجاء الناس إليه على طبقاتهم ثاني يوم بكره .

وكتبت أنا فيه مرثيَّة قرأها ملك الأمراء أخوه ، وهيَ :

إنَّ حُـزني على الأمير قماري ... علَّمَ الـوُرقَ شَجْـوَهـا القَماريْ
بـاحَ سِرِّي فيـهِ بمَضمـون وَجْـدي ... لا أُواري بينَ الضُّلـوعِ أُواري
سـارَ فـوقَ الأعنـاقِ للتُّرب عِـزّاً ... ودُمـوعُ الـوَرَى عَليـه جَـواري
ونُجـومُ الـدُّجى لَبِسْنَ حِـداداً ... وأرَتْنـا تَهَتُّـكَ الأستـارِ
وعُيـونُ الغَمامِ تَبكي بجَفْنٍ ... وتَبُـلُّ الثَّرى بـدَمعِ القطـارِ
ولكَم لطَّمَ الرَّعـودُ سَحـاباً ... فَتَراهُ مُشَقَّـقَ الأطْمَـارِ
وجَبينُ الصَّبـاحِ شُـقَّ فـأضْحى ... شَفَـقُ الصُّبْـحِ زائـدَ الإحْمِرارِ
ونَسيمُ الصَّبـا يَهبُّ عَليـلاً ... بفُتـورٍ في سـاعَـةِ الأسْحـارِ
لـو أفـادَ الفـداء مَيتـاً سَمحنـا ... بنفـوسٍ جـادَت بغيرِ اعْتِـذارِ
وتَرامَت مِن دونِـهِ لِلْمَنـايـا ... لا تَـوانٍ يَعـوقُهـا في تـوارِ
غيرَ أنَّ الْمَنـونَ في الفَتْـكِ لا تعـ ... ـبَـا بسُمرِ القَنـا وبيضِ الشِّفـارِ
كادَ لـولا أخـوه [حيّ] يَسيـلُ الدَّ ... مْـعَ في الْخَـدِّ كالـدَّمِ الْمَـوَّارِ[1]

(١) الزيادة من (ط) ، (ق) .

جَرَحَ الـــدَّمـــعَ ثمَّ آسى ببقيـــا ... كافِلِ الملكِ ذي الزِّنـادِ الـواري[١]
مَلِـكٌ قَـــد حَمى دِمشـقَ بعَـزمٍ ... آمن في مَـــدى الرَّدى من عِثـــار
وبِها العَـدْلَ قـد أقـامَ و [حكَمَ] الشـ ... ـرع في رَبعهـــا رفيـع الْمَنـــار[٢]
لا تحـلُّ الْخُطـوبُ منهـــا بِرَبـعٍ ... فَهيَ مَحْروسَـــة بعينِ الـــدَّراري[٣]
ونَـــدى كَفِّـــه إذا جـــادَ يُلْقى ... لانْسِكابِ الغَمامِ فيهـــا يُبـــاري[٤]
صَبَّرَ اللهُ قَلبَـــــهُ في مُصـــــابٍ ... زادَ منـــهُ الأمـواتَ أكرَمَ جـــارِ[٥]
تَرَكَ المـــــــالَ والبَنينَ وَوَلَّى ... عن ديـــارِ البلَى لـــدارِ القَرارِ
هُـوَ ضَيفٌ قَـد بـاتَ عِنـدَ كَريمٍ ... بـــاذِلِ العَفـوِ ســـاترٍ غَفّـــارِ
يـــا سَمِيَّ الـوَلِيِّ لا ذُقْتَ يـومـــاً ... بَعْـدَهـــا حـادِثـــاً مِنَ الأقـدارِ
وحَمى اللهُ مَنْـــزِلاً أنتَ فيـــــهِ ... ووقـــاهُ من دهرنـــا الغـــدَّارِ
وفَـدَتْـكَ النُّفوسُ مِن كُـلِّ سُـوءٍ ... مـا أزاحَ الـدُّجَى بَيـاضُ النَّهـارِ

اللَّقَبُ والنَّسَبُ

☆ **ابن القَمّاح** : القاضي[٦] جَمال الدِّين أبو بكر بن إبراهيم .

☆ **ابن القَمّاح** : القاضي شمسُ الدِّين مُحَمَّد بن أحمد .

☆ **القَمولي** : القاضي نجم الدِّين أحمد بن مُحَمَّد . ونجمُ الدِّين محمد بن إدريس .

☆ **القِمني** : مُحَمَّد بن الْحَسَن .

---

(١) في (ط) ، (ق) : « جرح الدَّهر » .
(٢) الزيادة من (ط) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « فيه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٥) في (ط) ، (ق) : « زار منه » .
(٦) (ط) : « الفاضل » .

☆ **القميّ الشَّريف** : مُحَمَّد بن محمد بن أحمد .

☆ **القِنائي** : جماعة منهم : مُحيي الدِّين أحمد بن مُحَمَّد ، والشريف تقيُّ الدِّين محمد بن جعفر .

☆ **القوَّاس** : المسند أحمد بن عبد الرحمن .

☆ **القواس البعلبَكي** : صالح بن أحمد .

☆ **القوَّاس الوتّار** : علي بن إسماعيل .

☆ **ابن القوّاس** : ناصِر الدِّين عمر بن عبد المنعم . وناصر الدِّين محمد بن إسماعيل .

☆ **ابن قوام** : الشيخ نجم الدِّين أبو بَكرٍ .

☆ **ابن قوام** : الشَّيخ مُحَمَّد بن عمر .

☆ **والقوام الكرماني** : مسعود بن مُحَمَّد .

☆ **ابن القوبع** : ركن الدِّين محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

☆ **القُونوي** : الشيخ علاء الدِّين علي بن إسماعيل .

☆ **والقونوي** : الشيخ علاء الدِّين علي بن مَحمود .

١٣٨٩ ـ قوصون*

الأمير الكبير النائب سيف الدِّين السّاقي الناصِري .

كان أميراً وهو في عداد الملوك الكبار ، وهو المشار إليه في أواخر الدولة الناصرية

---

* الوافي : ٢٧٧/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٧/٣ ، والنُّجوم الزّاهرة : ٢٤/١٠ وما بعدها ، و ٧٥ ، وذيول العبر : ٢٣٠ .

وما بسواه اعتبار ، ليس فيه شر ، ولا عنده ظلم ولا ضرّ ، لطيف النفس ، قليل البأس ، ولما هيَّجوه هاجَ منه ذو لبدة ضَرا[١] ، وسَلُّوا منه حُساماً ما لقي الضريبة إلاّ فرى .

نهض بخلع أبي بكر المنصور ، وأعاد ذاك الشمل وهو مبتوت[٢] ومبتور ، ونثر من الدولة عقداً نظيما ، وفرَّق بعزمه جمعاً عظيما ، وفرَّق أموالاً تكاثر البحار الزَّخّاره ، والكواكب السَّيّاره ، إلاّ أن الزمان أخْنى عليه أخيرا ، ورَدَّ جبره كسيرا ، وطَرْفَ سعادته حسيرا ، ولو دام على ما كان عليه أيام أستاذه لما رُمِيَ بالداهيَه ، ولا كانت شدَّته متناهيَه :

تَوَقَّى البُدورُ النَّقصَ وَهيَ أهلَّةٌ ... ويُدْرِكُها النُّقْصانُ وهيَ كَواملُ
فإنْ رُمْتَ أهْنَأ العَيشِ فابْغِ تَوَسُّطاً ... فَعِندَ التَّناهي يَقْصُرُ الْمُتطاولُ

ولَمَّا خانه أصفياؤه وتمادَوْا ، وتَعاونوا على خذلانه وتَغادَوا ، قُبِضَ علَيه ونُهبت أموالُه ، وفُرِّق رجالُه ، وخَربت عمائره وأوقافه ، وانهالَت كتبُه[٣] وأحقافُه ، وأصبحَ لعدوِّه رحَمه ، وصار بينه وبين الفَرَج زحَمه ، واعتُقِل بثغرِ الإسكندريَّة إلى أن خُنِق ، واشتفى منه كل قلب[٤] حَنِق .

وكانت واقعته التي عدم فيها في شوال سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

كان أولاً من أكبر خواص الملك الناصر ، لم يكن بعد بكتمر السَّاقي أكبر منه ، وزوَّجه السُّلطان ابنته ـ وهي ثانية ابنة زوّجَها من مَماليكه ـ ودخل بها في سنة سَبع وعشرين وسَبع مئة ، وكان عرساً حَفِلاً احتفل به السُّلطان ، وحمل الأمراء التقادم

(١) ضرا ضروّاً : إذا بدا منه الدَّم .
(٢) (خ) : « مستور » ، تحريف .
(٣) في الأصل و (خ) : « كتبه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٤) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « ذي قلب » .

إليه ، وكانت جملتها خمسين ألف دينار ، وكنتُ بالقاهرة في تلك المدة ، وصَنَع في ليلة عُرسه[١] الأمير سيف الدِّين قجليس برج بارود ونفط يقال : إنه غَرِم عليه مقدار[٢] ثمانين ألف درهم .

وكان من قوصون قد حضر أوّلاً إلى الدِّيار المصريَّة مع الْجَماعة الذين حضروا صحبَة ابنة القان أزْبَك زوج السُّلطان[٣] ، وهو ابن ناس ولم يكن مملوكاً ، ولكنه طلع يوماً مع تُجّار المماليك ليَرى السُّلطان قريباً ، فوقعت عين السُّلطان علَيه ، فقال : لأي شيء [ما][٤] تبيعونني هذا ؟ فقالوا : هذا ما هو مملوك ، فقال : لا بُدّ أن أشتريه ، فوزن فيه مبلغ ثمانية آلاف درهم وجُهزت إلى أخيه صَوصُون إلى البلاد ، ثم إنَّه أنشأه وقدَّمَه وأمَّره ورشَّحَه لكلِّ شيء ، وأعطاه آمريَّة مئة وتقدمَة ألف ، وصار في طبقة بكتمر السّاقي ، وكان يَتَنَفَّس عليه ويفتخر ، ويقول : أنا السُّلطان اشتراني بماله ، وكنت من خواصِّه وأمَّرني وقدَّمني وزوَّجني ابنته ، ما أنا مثل غيري[٥] تَنَقَّلْتُ من التُّجار إلى الاصطَبلات إلى الطّباق .

وكان السُّلطان يتنوَّع في الإنعام عليه . قيل : إن السُّلطان دفع إلَيْه [مفتاح][٦] الزردخاناه التي لبكتمر السَّاقي وقيمتها ستّ مئة ألف دينار .

وعمَّر جامعاً حسَناً على بركة الفيل ، وعمر الخانقاه المليحة العظيمة بالقرافة .

ولَمَّا ماتَ السُّلطان الملك الناصر قام هو في صف المنصور أبي بكر ، وقام في صف الناصر أحمد الأمير سيف الدِّين بشتاك ، واختلفا ، وفي الآخر كان الأمر على ما أراده

---

(١) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « عرسه بالقلعة ... » .

(٢) (ط) ، (خ) : « مبلغ » .

(٣) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « السلطان الملك الناصر » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) زاد في الأصل : « ما أنا من التجار » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

قوصون حسبما تقدَّم ذكره في ترجمة بشتاك ، وجلسَ الملك المنصور أبو بكر على التَّخت ، واستقرَّت قواعده . ثم إنَّ خلطاءَه حسَّنوا له القبض على قوصون وعلى غيره من الأمراء ، فبلغ ذلك قوصُون ، فعَمِل[١] عليه وخَلعَه من الملك وجهَّزه إلى قوص ، وأجلسَ أخاه الأشرف كُجك على كرسي الملك ، وحلَّف الناسَ له ، وصارَ هو نائباً ، وجهَّز الفخري إلى الكرك يحاصر أحمد ، فَجَرى ما جَرى في ترجمة الفخري .

وكان طشتمر نائب حلَب قد تنفس أوّلاً على قوصون ، فاستعان عليه بألطنبغا نائب دمشق ، ولَمّا خرج من دمشق خامر الفخري على قوصون ، وحَضَر إلى دمشق ، وملكَها ، وجرى ما تقدم ، وأغرى الفخري الناس بقوصون ، وصار يقولُ : هذا الغريب يخلع ابن أستاذنا ويقتله ؟! هذا ما نصبر عليه . وظهر الشناع على قوصون لَمّا قتل أبو بكر في قوص ، وكان قد قتل جماعة من الحرافيش ، وقطع أيدي جماعة وسمَّرهم ، وسمَّر جماعة من الخدّام ، وسمَّر وليَّ الدولة الكاتب الذي تقدَّم ذكره ، وغيره ، فنفرت القلوبُ منه ، وأخذ الفخري يكاتب أمراء مصر عليه ، فتنكر أيدغمش أمير آخور عليه ، وعامل الخاصكيَّة عليه ، فاجتمعوا عنده ، وأقاموا ليلتهم عنده صورةً في الظاهر معه ، وهم في الباطن علَيه عيون ، ونادى أيدغمش في الناس بنهب إصطبل قوصُون ، فثار العَوام والْحَرافيش ، وخربوا الإصطبل والخانقاه ونهبوهما ، ونهبوا بيوت جَماعته وألزامه وحاشيته ، وهو يَرى ذلك من الشُّبّاك ويقول : يا مسلمين ، ما تحفظون[٢] هذا المال ، إمَّا أن يكون لي أو للسُّلطان ، فيقول أيدغمش : هذا شكران للناس ، والذي عندك فوق من الْجَواهِر[٣] يكفي السُّلطان ، وكُلَّما هَمَّ قوصون بالركوب في مَماليكه الذين لبسُوا السِّلاح كسَر الخاصكيَّة علَيه وقالوا له : يا خوند ، نحن غداً نركب ، ونرمي هؤلاء بالنِّشاب وقد تفرَّقوا . ولم يزالوا به إلى أن أمسَكوه وقيَّدوه

(١) في الأصل و (ط) : « فخلع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « ما تحفظوني » .

(٣) في الوافي : « من الجوهر » .

وجَهَّزوه مع ألطنبغا نائب دمشق وغيرهما ، واعتقلوهم في ثغرِ الإسكندريَّة ـ على ما تقدم في ترجمَة ألطُنبغا ـ .

ولم يزل بها معتقلاً إلى أن حَضَر الناصر أحمد من الكرك ، وجَلسَ على كرسي الملك بقلعة الْجَبل ، ثم إنه اتفق آراء الدولة على أن جهزوا الأمير شهاب الدين أحمدَ بن صبح إلى الإسكندريَّة ، فدخل إلى السجن ، وخنق ألطنبغا وقوصون وغيرهما في شوال أو في أواخر[١] ذي القعدة من السَّنة المذكورة .

ولَمّا مات ـ رحمه الله ، تعالى ـ خلَّف عدَّة بنين وبنات .

وكان خَيِّراً كريماً يعطي [العشرة][٢] آلاف درهم والألف إرْدَبّ قمحاً .

وكان إذا انفرد عن السُّلطان وهو في الصَّيد وتوجَّه هو لنفسه يروح معه ثلث العسكر ، وكان الناسُ يهرعون إلى بابه ، ويركبُ قدّامَه في القاهرة مئة نقيب أو دُونَ ذلك .

وكان أخوه صوصون أميراً ، وابن أخته[٣] الأمير سيف الدِّين بلجك أميراً .

وكان قد وقع بينه أخيراً وبين تنكِز ، ولما أمسك تنكِز وحمل إلى باب السُّلطان ما عاملَه قوصون إلاّ بالْجَميل ، وخلصه من القتل وأشار بحبسه . وعمل النيابة جيداً ، وأنعم على الأمراء والخاصكيَّة ، وفرَّق فيهم وفي عسكر مصر ـ على ما قيل ـ ست مئة ألف دينار ، ولم يتم أمره مستقيماً في النيابَة شهرين حتّى خرج عليه طشتمر من حلب والفخري من الكرك ، وكثرت البثوق[٤] عليه ، وأعياهُ سَدَّها ، ونهبَ الناس والحرافيش

(١) ليست في (خ) والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٣) (خ) : « أخيه » .

(٤) في الأصل : « السوق » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . والبثوق : الثغرات والكسور التي تنفتح في أيّ سد .

شيئاً كثيراً إلى الغاية ، حتى إنَّ الدينار أُبيع بعشرة دراهم كل مثقال وبأقلّ لكثرة ما نهبَ .

وعلى الْجُملة فكان أمرُه في أول حاله وفي وسَطه وفي آخره من أعاجيب الزمان وغرائب المقدورات .

وقلت أنا في واقعته مع أيدغمش :

قوصونَ قد كانَت لهُ رُتبَةٌ ... تَسْمُو على بَدرِ السَّما الزّاهِرِ
فَحَطَّه في القَيدِ أيدغمشٌ ... من شاهِقٍ عالٍ على الطّائرِ
ولم يَجِدْ من ذُلِّه حاجِباً ... فأينَ عَينُ الملكِ النّاصِرِ
صارَ عَجيباً أمرُهُ كلُّه ... في أوّل الأمرِ وفي الآخِرِ

الألقابُ والأنسابُ

☆ **القَلانسيُّ** جماعة ، منهم : مفيد بغداد جَمال الدِّين أحمدَ بن عليٍّ . ومنهم : جمالُ الدِّين وكيل بيت المال أحمدَ بن مُحَمَّد . ومؤيَّد الدِّين أسعَد ابن الصّاحب عزِّ الدِّين حَمزَة . وجلال الدِّين إبراهيم بن مُحَمَّد . وأمين الدِّين بن الجلال حَسَن بن علي . وعلاء الدِّين وكيل بيت المال علي بن مُحَمَّد . والصّاحبُ عزّ الدِّين حمزة بن أسعد . عزّ الدِّين المحتسبُ مُحَمَّد بن أحمد . وشرف الدِّين مُحَمَّد بن علي . وشرف الدِّين محمد بن محمد . ومحيي الدِّين محمود بن مُحَمَّد . ونجم الدِّين مُحَمَّد بن أسعَد . وأمين الدِّين كاتم السِّرِّ مُحَمَّد بن أحمد .

١٣٩٠ ـ قيران*

الأمير شرف[1] الدِّين المنصوري .

---

* الدُّرر : ٢٥٩/٣ .

(١) في الأصل : « الأمير الأشرف شرف » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

كان في القاهرة أمير عشرة ، يسكن بالْحُسَيْنيَّة ، وينوبُ في الأستاذداريَّة ، وصحبَ[١] ابن معضاد ، ويحفظ شيئاً من كلامه .

ثم إنه نقل إلى شدِّ الدِّيوان بدمشق ، وأقام بها مدة . ثم إنه نكبَ مدةً ، ثم نقل إلى حلَب ، ثم إنه قُطع خبره .

وقدم دمشق وكانت نيَّته أن يتوَجَّهَ إلى مِصر ، فتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ بداره في درب تليد بدِمشق[٢] في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مئة .

☆ **القيراطي** : شرف الدِّين عبد الله بن محمد .

الألقابُ والأنسابُ

☆ **بنو القيسَراني** جَماعَة : عماد الدِّين القيسَراني إسماعيل بن مُحَمَّد . ووَلَدهُ القاضي شِهاب الدِّين يحيَى . وشمسُ الدِّين إبراهيم بن عبد الرَّحيم . والصَّاحبُ فتح الدِّين عبد الله بن مُحَمَّد . وعزّ الدِّين عبد العزيز بن مُحَمَّد بن عبد الله . وشرفُ الدِّين محمد بن عبد الله .

١٣٩١ ـ قيصر*

الْحَلاويّ بالقاهِريَّة . كان مشهوراً بِجَودة الحلوَى يُضرَبُ به المثلُ في ذلك ، مع المواظبة على الخير والصلواتِ في أوقاتها .

توفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في تاسِع شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وعشرين وسَبع مئة .

☆ **ابن قيِّم الجوزيَّة** : شمسُ الدِّين محمد بن أبي بَكر . وولده عبد الله بن مُحَمَّد .

☆ **ابن القيم** : علي بن عيسى .

---

(١) (ط) : « ويصحب » .

(٢) أشار إليه في الدارس : ٢/٢٥٤ .

* لم نقف على ترجمة له .

حرفُ الكافِ

[الألقاب والأنساب][1]

☆ **الكامل** : شعبان بن مُحَمَّد .

☆ **والملك الكامل** : مُحَمَّد بن عبد الملك .

☆ **الكازروني** : علي بن مُحَمَّد .

☆ **الكاساني** : مُحَمَّد بن إبراهيم .

١٣٩٢ ـ كاوَزْكا*

الأمير سَيف الدِّين المنصوري .

كان مِن أكابر أمراء دمشق ، ومِنْ أكبَرِ مَماليك السُّلطان الملك الْمَنصُور .

ورثه السُّلطان الملك الناصر مُحَمَّد بالولاء لَمّا توفِّي في ذي القعدة سَنَة ستّ وسَبع مئة ، ودفنَ بسفح قاسِيُونَ .

ومِمَّا يُحكَى عَنه أنه كان [إذا] استعمل الشرابَ وطابَ وثمل وانتشى أمر مَماليكه أن يخرجوا إلى مهتار[2] الطبلخاناه ويَأمروه بدقها ، واشتهر ذلك عنه واستفاض ، وإلى الآن بعض الناس يقولُ إذا سَمِعَ طبلخاناه في غير وقتها : سكِر كاوزكا .

---

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الدُّرر : ٢٦١/٣ .

(٢) لفظ فارسي ، وهو لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت .

١٣٩٢ م ـ كُبَيْس بن منصور بن جمّاز*

الشريف أمير المدينة الْحُسَيْني .

تولّى إمْرَةَ المدينة لَمَّا قتل والده مَنْصور في رابع عشر شهر رمضان سَنة خمس وعشرين وسَبع مئة .

[ولم يزل بها إلى أن قُتِل أيضاً في شهر رَجَب سنة ثمان وعشرين وسبع مئة][1] .

☆ **ابن الكِتّاني** : الشيخ زين الدِّين عُمَر بن [أبي][2] الحرم .

١٣٩٣ ـ كُتْبغا**

الملك العادل زين الدِّين المنصوري المغلي .

كان فيه دينٌ وتعَبُّدٌ ، وخير ومزايا له بها تفرُّد . عَديمُ الشَّرِّ لا يناوِي مَن ناوَاهُ ، ولا يقاوي من قاواه ، مُنْقاداً لأحداث دَهْره ، مرتاداً لما يريده من خيره وشرِّه ، ولذلك سَلِمَت له العاقِبَه ، وأفادته الإنابَة إلى الله والْمُراقبه . ولكن جاء الغلاءُ المفرط في أيامِه ، ونقَصَ النيلُ زائداً عَمَّا عُهِد في قديم أعوامِه ، فتشاءم الناسُ بطلعته ، ولم يُنَفِّق القَدَر له رديء سِلعته ، وكان إذا رأى ذلك زادَ بُكاؤه ، وعَظُمَ ابتكاؤه ، وقال : هذا بحظي وخطيئتي ، وهذا جاء في قسمي وقدِّر في عَطِيَّتي :

وغايتي أنْ ألُومَ حَظِّي ... وحَظِّيَ الحائط القَصيرُ

---

* الدُّرر : ٢٦٢/٣ .

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

** الوافي : ٣١٨/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٩٣/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣١ ، وفوات الوفيات : ٢١٨/٣ ، والبداية والنِّهاية : ٢٧/١٤ ، والدُّرر : ٢٦٢/٣ ، والشَّذرات : ٥/٦ .

ثم إن أخصَّاءَهُ خانوه ، وشانوه بعدَما زانوه ، ولما فَطِنَ لما بَطنَ ، وعَلم أن الشَّرَّ قد خيَّم عندَهُ بعدما قَطنَ[1] ، فعل كما فَعل الحارث بن هِشام ، ونَجا برأس طِمِرّةٍ ولجام[2] ، وتحصَّنَ بقلعَة دمشق فما أفادَه ، ثم إنه رجع بعد ذاك إلى الهوادَه ، ونزلَ عَلى حكم اليَدِ الغالِبَه ، ورَضِيَ بعد الْمُوجبة بالسَّالبَه ، فأمسَى في حالة بعين الرَّحمَة مَرموقَه ، وأصبح بعد أن كان مَلكاً وهو في عداد السُّوقَه ، عبرة لِمَن تذكَّر ، وتبصرة لمن تفكَّر .

واضطر إلى قلعَة صَرخَدَ بَعدَ مُلك مصرَ والشّام ، وقعدَ على مَقالي النار بعدَ ذلك المقام ، ثمَّ بعدَ لأيٍ لوى الزَّمان إلَيه عنانه ، ورفع قليلاً مَكانه ، وتوجَّه إلى حِمَاه ، وأرشفه ثغرُ الزمان لماه ، فأقام بها إلى أن زار الموت حِمَاه ، وأصابه بسَهمِه لَمّا رَماه .

وتُوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في يومِ النَّحرِ نهار الجمعَة سنة اثنتين وسَبع مئة ، ونقل تابوته إلى دمشق ، ودفن بتربته بسَفح قاسيُون .

وكان ـ رحمه الله ، تعالى ـ أسمر قصيراً دقيق الصوت ، لحيَته صغيرة في حنكه ، أُسِرَ حَدَثاً من عَسْكر هُولاكُو نوبة حِمص الأولى في آخر سَنة ثمان وخمسين وستّ مئة .

وأمَّره أُستاذه الملك الْمَنصور ، وكان من أُمراءِ الألوف ، ثم إنه عَظم في دولة الأشرف ، التفَّ الخاصكيَّة عليه ، وحَمَل بهم على بَيْدَرا وقتلوه . ولما حَضر السُّلطان الملك الناصِر من الكرك عقيبَ ذلك جعَله نائبَه ، واستمرَّ الحال سَنة ، ثم تحوّلَ الناصر إلى الكرك ، وتسَلطن كتبغا ولقبَ العادل ، ونهضَ بأمره لاجين وقراسُنقر وطائفة كان قد اصطَنعهم في نوبَة الأشرف ، وتمكن .

وكان جلوسُه على الكرسي في يوم الأربعاء حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستّ مئة .

---

(١) (ق) ، (ط) : « خيَّم عنده وقطن » .

(٢) كذا الأصل ، وقد سبق أن استخدم هذا التعبير من قبل ، وهو الحارث بن همام راوي مقامات الحريري .

وقدم إلى دمشق يوم السَّبت منتصَف ذي القعدة سنة خمس وتسعين ، وصلى بجامعها الأُمَوي غير مرة .

وسافر في الجيش إلى حمص ، ثم رُدَّ وعاد إلى مصر ، فلما كان بأرض بيسان وثبَ عليه حسَام الدِّين لاجين وشَدَّ على مملوكَيْه بتخاص وبكتوت الأزرق ، فقتلَهما في الحال ، وكانا عَضُدَي كُتبغا ، واختَبَطَ الجيش ، وفرَّ كتبغا عَلى فرس النَّوبَة . يقال : إن لاجين لحقه وضربه بطومار[1] رماه به ، وقال : انجُ بنفسك ، وتبعَه أربعة مِن مَماليكه لا غير ، وذلك في صفر سَنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

وكانت دولته سنتين وبعض شهر .

وساقَ كتبغا إلى دمشق ، فتَلقاه مملوكه نائبها في الأمراء وقدم القلعَة ، ففتح له نائبَها أرجواش الباب ، ودقَّت له البشائر ، ولم يجتمع له أمر ، واجتمع كجكن والأمراء ، وحلفوا لصاحب مصر ، وصَرَّحوا لكتبغا بالحال ، فقال : أنا ما منِّي خلاف ، وخرج من قصرِ السَّلطَنة إلى قاعة صغيرة ، وبذل الطاعة للاجين ، وقال : هوَ خُوشداشي ، فرسَم له أن يقيم بقلعَة صَرخَد ، وأتاه بعض نسائه وغلمانه . وانطوَى ذِكْرُه إلى بعد نوبَة غازان ، فأعطاه السُّلطان الملك الناصِر حَماة ، فأقام بها إلى أن ماتَ في التاريخ المذكور .

وكان السلطان الملك الناصِر يَكرَهه وما يذكره بصالحَةٍ ، ويقول : ما أنسى وقد أخرجني إلى الكرك ، وفكَّ حَلقة من أذني فيها لؤلؤة ، وأخذها وحطَّها في جيبه ، وقلَّ أن كان يرى له توقيعاً فيمضيهِ ، وفيه يقولُ علاء الدِّين الوَداعِي لَمّا خَلَعَ على أهل دمشق ـ ومن خطه نقلتُ ـ :

أيُّها العادل سُلطان الوَرى ... عندَما جادَ بتشريفِ الْجَميع[2]
مِثلَ قَطرٍ صابَ قُطراً ماحِلاً ... فَكَسا أعطافِهِ زَهْرُ الرَّبيع

(١) في الأصل : « بطور » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (ق) .
(٢) في الوافي : « إنما العادل » .

١٣٩٤ ـ كُتبغا*

الأمير زين الدِّين أمير حاجب الشام . أظنه تولَّى نيابة شَيزرَ في وقت .

كان الأمير سَيفُ الدِّين تنكِز يعَظِّمُه ، ويجلسُه قُدّامَه ويُكرِمُه ، ويرمل هو علَى يَده ، ويتوشَّحُ بِمَا غَلا مِن قلائدِه .

وكان في نفسِه رئيسا ، وقدرُ المالِ عنده خَسيسا ، وكان يحضر السَّماعاتِ ، ويرقص في الجماعاتِ ، ويعمَل في كلِّ سنة مولداً للنَّبي ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ، ويجمع فيه الخاص والعام ، ويقف ويخدم بنفسه الفقراء ، ويبالغ في ذلكَ ويعرض عن الأمراء . إلاّ أنه كانت فيه استحالَه ، وإعراض عمَّا يثق به في الحالَه .

ولم يزل على حالِه إلى أن انتهت مُدَّته ، وفرغت عُدَّته .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في آخرِ نهار الْجُمُعَة ثامِن عشري شوَّال سنة إحدَى وعشرين وسَبع مئة ، ودفن بتربته في القُبيبات .

وكان تنكِز يعظِّمُه ويحترمه ، ويحبُّ حديثِه ويصغي إليه ، ويقبل شفاعاتِه ، ويزوره في بيته .

وأظنه في وقت مشى بالفقيريِّ ، ولبسَ زيَّ الفقراء ، وكان إذا دخل إليه[1] إنسان في بيته في أمر قال : السَّمع والطاعة ، مَنْ أحقُّ منك بهذا الذي تطلبُه ؟! قف غداً لمولانا ملك الأمراء ، وأنا أساعدكَ ، وتبصر ما أقولُ ، فإذا وقف ذلك المسكين قال : يا مولانا ، أيّ [حائك][2] قام ، وأي بيطار قام ، قال يريد يَبقى[3] جنديّاً . فإذا سَمع

---

* الوافي : ٣٢٠/٢٤ ، والتالي : ١٨٨ ، والدُّرر : ٢٦٤/٣ .

(١) (ط) : « عليه » .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « يريد يصير » .

ذلك الأمير سَيف الدِّين تنكِز قال : نَحِّه ، فتتناول المسكين العصيُّ من كل جانب ، ولكن هذا في بعض الأحايين . ولكنه[١] كثيراً ما يشكر الناس عند تنكِز ، ويثني على من يعرفه ومَن لا يعرفه حتى تحقق منه ذلك . ورتَّبوا يوماً قصة بعلم تنكِز باسم إنسان يطلُبُ إقطاعاً ، وقرئت يوم الخدمَةِ[٢] وهو حاضرٌ ، فقال : نعم يا خوند ، أعرِفه وأعرف أباه ، وهوَ مسكين بَطّالٌ ، وفي هذه الجمعَة حضر مِن حَلَب ، فقال تنكز : أبصر جيِّداً ، فقال : سُبحان الله ، وجَهِّز نقيباً إلى ذلك الشخص ، وأحضره ، وكان الأمر كما قال ، فتعجَّبَ تنكِز مِن ذلك ، وأعطَى ذلك إقطاعاً ، وكانت هذه من الغَرائب .

وحجَّ ـ رحمَهُ الله ، تعالى ـ غير مرّة ، وفرَّق في الحرمين مالاً وافراً .

وكان قد ولِيَ شدَّ الدواوين بدمشق والأستاذ داريَّة عوضاً عن الأمير سَيف الدِّين أقجبا في ثالث عُشْرَي شوَّال سَنَة تسع وسَبع مئة . وولِيَ الحجوبيَّة بالشام عوَضاً في شهر رمضان سَنة إحدى عشرة وسَبع مئة .

١٣٩٥ ـ كُجُك بن مُحَمَّد بن قلاون*

السُّلطان الملك الأشرف عَلاء الدِّين ابن الملك الناصر ابن الملك المنصور .

لَمّا خَلَع قوصون الملك المنصور أبا بَكْر ولَّى هذا كجك الْمُلكَ ، وأجلسَه على التَّخت ، وحَلَفَ له ، وحلَّف له العَساكر بمصر والشام ، وكان عمره يومئذ خمسَ سنين تقديراً ، وذلك في أواخر صفر سَنة اثنتين وأربعين وسَبْع مئة . واستقلَّ الأمير سَيْفُ الدِّين قوصون بكفالة الْمَمالك ، وصارَ نائبه ، وإذا حضرت العَلامَة أعطي قلماً

(١) في (ط) ، (ق) : « ولكنه كان » .

(٢) (ط) ، (ق) : « ثاني يوم في الخدمة » .

* الوافي : ٣٣٠/٢٤ ، والدُّرر : ٢٦٥/٣ ، والذَّيل التام : ٨١ ، وبدائع الزهور : ٤٩٠/١/١ ، والشَّذرات : ١٥٠/٦ .

في يده ، وجاء فقيهه المغربيُّ الذي يقرئ أولاد السُّلطان ، ويكتُبُ العَلامَة ، والقلم في يَد السُّلطان علاء الدِّين كجك .

ثمَّ إن الفخري خرج لمحاصرة الكرك ، وكان ما كان ، وجرى ما جرى ـ على ما تقدم في ترجمة ألطنبغا والفخري ـ ولَمّا توجَّه الناصر أحمد من الكرك إلى مصر في شهر رمضان جلسَ على كرسيِّ الملك ، وخلع الأشرف كجك ، وانفصل من الملك . ثم تولَّى أخوه الصَّالح إسماعيل بعد خلع الناصر ، ولَمّا توفِّي الصَّالح تولَّى الكامل شعبان .

وجاء الخبر إلى الشام بوفاة كجك ـ رحمه الله ، تعالى ـ في سنة ستّ وأربعين وسبع مئة .

١٣٩٦ ـ كُجْكن*

الأمير سَيف الدِّين المنصوريّ .

كان مِن أكابر مُقَدَّمي الألُوف بدمشق ، قديم الهجرة في الإمره ، كثير المعرفة بالصَّيد والخبره ، كثير الخدم ، غزير الْحَشَم ، عمِّر دهراً صالحا ، وقطع عيشاً ناجحا ، وهو وافر الحرمَه ، ظاهِر النِّعمَه ، معظّم عند النُّوَّاب ، مفخَّمٌ على مرِّ السِّنين والأحقاب .

ولم يزل على حاله أن ابتلعَه فم القبر ، وتعذر فيه على ذويه الصبر .

وتوفِّي ـ رحمَه الله ، تعالى ـ سَنة تسع وثلاثين وسَبع مئة .

وسَمَّى أولادَهُ الثلاثة الذكور كلاًّ منهم محمداً ، وأظنُّه كان قد نزل عن إقطاعه قبل وفاته بقليل ، وكان السلطان الملك الناصر ينتظر موته ، ويسألُ عنه كل من يصل من دمشق .

* الوافي : ٣٣٠/٢٤ ، والدُّرر : ٢٦٥/٣ ، وذيول العبر : ٢٠٧ ، والنُّجوم الزَّاهرة : ٢٨٤/٩ ، وفيه وفاته سنة (٧٣٠ هـ) .

أخبرني الأمير شرفُ الدِّين حُسَين بن جندر بك قال : لَمّا حضرتُ قدّام السُّلطان عند حضوري من دمشق قال لي أشياء سَأل مني عنها ، ومنها[١] قال لي : أيش حسّ كَجْكُن ، فقلتُ : طيِّب .

وكان قد أُمسكَ في دولة الناصِر مُحَمَّد في يوم الجمعَة حادي عشري شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستّ مئة .

١٣٩٧ ـ كَراي*

الأمير الكبير سَيفُ الدِّين الْمَنصوري نائب صَفد ودمشق .

كان شديد المهابه ، بطيء الرجوع إذا غضبَ والإنابَه ، أطْيَش من حَبابَه[٢] ، وأطيرَ من ذُبابَه ، إذا غضبَ لا يقوم شيءٌ لغضبِه ، ولا تهجم[٣] الأسُود على سَلَبِه ، ولا تقدم[٤] الملوك على غَلَبه ؛

يقومُ مَقامَ الجيشِ تقطيبُ وجهِهِ ويَستغرِقُ الألفاظَ من لَفْظِه حرفُ

إلاّ أنه كان شديد الديانه ، مَديد الصيانه ، عفيف الفَرْج مع القدرَه ، عزوفَ النفسِ لا يتناوَل من مالِ غيره ذَرّه ، لا يقبل لأحَدٍ هديَّه ، ولا يدعُ مافيه شبهَة يدخل نَديَّه .

وكان مُغرًى بالنكاحِ لا يكاد يفارقه ، ولا يشغله شغل عنه ولا يسارقه ، ومع ذلك فكفُّه أندى من الغَمام ، وأجوَدُ من النَّسيم بالطِّيب إذا مرَّ بالزهر وشقَّ عنه الكمام ،

---

(١) عبارة الوافي : « سألني عن أشياء ومنها » .

* الوافي : ٣٣١/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٢٣/٢ ، والنجوم : ٢٤٥/٩ ، والدُّرر : ٢٦٦/٣ ، وإعلام الورى : ١١ .

(٢) الحبابة : دويبة سوداء مائية .

(٣) في الأصل : « ولا تجهم » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « ولا تقوم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

يحبُّ الطَّربَ الدائم ، وسَماع النَّغَم الْمُلائم . وكان منهوماً في المآكل والمشارب ، ملهوفاً في تفرقة طَعامه لكل مستخفٍّ وسارب ، وما رزق في نيابة دمشق سَعادة ، ولا وافقتهُ المقادير على ما أرادَه ، وأبغضَهُ أهلُها ، ونَفَرَ منه حَزْنها وسَهلُها ، فأمسك فيها بعد قليل ، وخرج منها بعدما رشفَ كأس الذُّلِّ ورَسَف في القيد الثَّقيل ، وذلك في يوم الخميس ثاني عُشري جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

أنشدني لنفسه الشيخ علاء الدِّين بن غانم :

أنا راضٍ بحالَتي لا مَزيد ... وبأنْ لا أزالَ عندَ الْحَميدِ
إنَّ في أمرِ كافلِ الملكِ بالشّا ... مِ عِظاتٍ للحازمِ الْمُستَفيدِ
جاءَ بالتَّقليدِ أرغونَ بالأمـ ... ـسِ وولَّى وعادَ بالتَّقييدِ

كان أوّلاً نائباً في صفد بعد الأمير فارس الدِّين ألبكي ، وأقام بها إلى أن توجَّه في واقعَة غازان ، وحصلت الكَسرة ، فحضر هو إلى صَفد ، وقصَد القلعَة لإيداع حريمه بها ، وانجفل[1] الناس ، فلم يفتَح له الباب ، وسبَّه جماعة من مستخدمي القلعة ، وآلموه بالكلام ، فقال : أنا ما أدخل ، ولكن افتحوا للحريم ، فلم يسمَعوا له ، وبقيت هذه النكاية في خاطره .

ولمّا توجّه إلى مصر ، طلب العود إلى نيابة صفد ، فعاد إليها ، وقَتَل أولئك الّذين جاهروه بالأذى ومنعوا حريمه بالمقارع ، ونفاهم منها . ثمّ إنه توجّه إلى مصر ، وحضر بَدَلَه الأمير سيف الدّين بتخاص ، وأقام بمصر مدّة ، ثمّ إنّه رمى إقطاعَه [وأقام][2] بالقدس مُدّةً يأكل من ريع أملاكه وهو بطّال . ولم يزل إلى أن حَضَر السلطان من الكرك إلى دمشق ، فحضر إليه وقال له : أيّ من ملك غزّة ملك مصر ، فقال له السلطان : أنتَ لها . وجهّزه إلى غزّة ، فملكها ، وأقام بها ، وكان الأمر كما قال .

---

(١) (ق) ، (ط) : « وقد انجفل » .
(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

وقلتُ أنا في ذلك :

كرائي الّذي أهدى الكرى لجفوننا ... وجَمَّعَ شَمْلَ المُلك بعد تنائي
أشار على السّلطان يحفظ غزّةً ... فلم أرَ في عمري كَرَأيِ كرائي

ودخل معه إلى القاهرة ثمّ إنّ السلطان جهّزه في عسكر مصر[1] إلى حمص ، فأقام بها قليلاً ، وَساق في ليلة العيد بالعساكر من حمص إلى حلب ، ولم ينفجر الصّبح إلاّ وقد أحاط بالعساكر على دار النّيابة بحلب ، وأمسك أسَندَمر ، وحضر إلى دمشق نائباً في يوم الخميس حادي عشر المحرّم سنة إحَدى عشرة وسبع مئة . ووصل تقليده إلى دمشق على يد الأمير سيف الدين أرغون الدّوادار في خامس عُشريّ المحرّم من السّنة المذكورة .

وحلف بالطّلاق من زوجاته أنّه ما يطّلع على أحد سرق النّصاب الشّرعي إلاّ ويقطع يده ، فضاق النّاس منه ، وبعث أحضر المباشرين والكُتّاب من حمص إلى غزّة لعمل الحساب في الزّناجير ، وضيّق على النّاس ، وشدّد واتّكل في العلامة على الشيخ نجم الدين الصّفدي لأنّه كان يعرفه من صفد ، وجعل دَرَكَها عليه ، فكانت العلامة تحمل إليه ، ويعتبرها شيئاً فشيئاً ، فما رآه سائغاً وضعه في فوطة العلامة ، ودخل به وما ارتاب فيه عزله عنها .

ولّما كان في جمادى[2] الأولى من السّنة المذكورة ، قرّر على دمشق ألف وخمس مئة فارس ، يقومون بها ، لكل فارس خمس مئة درهم ، وطلب الأكابر بالتّرسيم إلى دار الوالي ، وتجمّعوا لتقرير ذلك ، وندب من يحضر ، ويقف على الأملاك والأوقاف ، وغلّظ على النّاس ، وحلّفوهم على مقدار الأجر ، فضاق النّاس ، وتوجّه الأعيان إلى الخطيب جلال الدّين ، فقام في ذلك ، واجتمع بالحكام وقرّر دفع[3] القضيّة معهم

---

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « مصري » .
(٢) في (ط) ، (ق) : « أول جمادى » .
(٣) في (ط) : « رفع » .

ليكون الكلام في يوم الاثنين مع الأمير سيف الدين كراي . وخرج الناس بكرة النّهار ، ومعهم المصحف الكريم والأثر النبويّ والصّناجق الّتي على المنبر ، فلمّا كان النائب واقفاً في سوق الخيل ، ورأى[1] ذلك السّواد الأعظم من بعد والأطفال وغيرهم ، فقال : ما هذا ؟!، فقالوا له : أرباب الأوقاف والأملاك وأرباب الرّواتب على الجامع جاؤوا بسبب هذا المقرّر عليهم ، فقال : ردّوهم ، وقل لهم : الشّغل انقضى ، فجاء الأمير سيف الدين قطلوبك بن الجاشنكير الحاجب ، وهو يعرف خُلقَ النائب ، فقال[2] [لهم] : بسم الله ، ارجعوا ، فقد انقضى شغلكم ، فقالوا له : المصحف ما يُرَدّ ، فقال : ارجعوا وإلاّ ما هو جيّد لكم ، فأبَوْا ، فشال العصا بيده ، يشير إلى أنّه يضرب بها ، وكان المصحف الكريم - فيما أظنّ - على رأس الخطيب ، فهرول به ، فوقع المصحف الكريم إلى الأرض ، فلمّا رآه النّاس قد وقع تناولوه بالحجارة ، فردّه[3] الحاجب إلى النائب والحجارة في قفاه ، ووقع بعضها قدام كراي ، فاشتّد غضبه وردّ إلى القصر ، وأخرق بقاضي القضاة ابن صَصْرى ، وقال : كل هذا عملك ، فأنكر ذلك ، وحلَف له ، فسبّه ، وأخرق به وبالخطيب ، فقال له الشيخ نجم الدّين التّونسي : اسكت ، كفرت . فرماه إلى الأرض ، وضربه ضرباً مؤلماً كثيراً ، ورسّم عليهم ، ثمّ أطلقهم بضُمَّان وكفلاء .

ولم يكن بعد ذلك إلاّ دون العشرة أيّام حتّى حضر الأمير سيف الدين أرغون الدّوادار من مصر يوم الأربعاء ، وأحضر له تشريفاً عظيماً ، فلبسه ثاني يوم بكرة ، وعمل الموكب ، وحضر دار العدل ، ومدّ السماط ، فأخرج أرغون كتاباً عظيماً مطلقاً إلى الأمراء بدمشق بإمساك كراي ، فأُمسك في التّاريخ المذكور ، وقُيِّد في الحال ، وجهّز إلى الكرك صحبة الأمير سيف الدين اغُرلو العادلي والأمير ركن الدين بيبرس المجنون ، وكان قد أمسك الصّاحب عزّ الدين بن القلانسي ، ورسّم عليه .

---

(١) في الأصل : « وذلك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٣) في (ق) : « فردّه للحاجب » .

ولّما كان في مستهل جمادى الأولى حكم القاضي نجم الدين الدمشقي نائب ابن صَصْرى ببطلان البيع الّذي اشتراه ابن القلانسي من تركة السّلطان الملك المنصور في الرّمثا والسّبوخة والفضاليّة لكونه بدون قيمة المثل ، وبعزل الوكيل الّذي صَدَر منه البيع قبل عقد البيع ، ولوجود ما يوفّى منه الدّين غير العقار ، ونفّذ الحكام ذلك . ثمّ إنّ القاضي[١] تقي الدّين الحنبلي[٢] نقض ذلك في تاسع شعبان من السّنة المذكورة ، وادّعى قبل هذا على الصّاحب عزّ الدين واعتقل ، فلمّا كان في يوم إمساك كراي خرج الصّاحب عزّ الدّين بن القلانسي من الاعتقال من دار السّعادة ، وفرح النّاس بخلاصه ، وبإمساك كراي .

ثمّ إنّ السّلطان بعث إلى كراي وهو معتقل في الكرك من يخدمه ، وجهّز إليه جارية من حظاياه ، وأقام كذلك إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ وكان له أربع زوجات وثلاثون سَرّيّة ، وكان إذا سافر إلى الصّيد استصحب نساءه معه ، لأنّه لا يقدر على الصّبر عن النّكاح ، وتزوّج بابنة الأمير سيف الدّين قبجق وهو بدمشق .

قال لي الشيخ : نجم الدين الصّفدي ـ رحمه الله تعالى ـ : لّما دخل على بستان ابنة قبجق غرِم عليها حتى صارت عنده أربع مئة ألف درهم ، وبعث إلى الأمير سيف الدّين بهادر آص يقول : يا مسلمين يكون هذا ، يكون هذا خوشداشي أنا وإياه مماليك بيت واحدٍ وهو في مدينة أنا فيها ، وهو نائب سلطان ، ويدخل على زوجته ، وما أقدّم له شيئاً ، والله ما أعرف قبول هذه البقج إلاّ منك ، قال : فدخلت عليه ، وقلت له : يا خوند أنا رجل غريب في هذه المدينة ، وهذا الأمير سيف الدين بهادر آص أكبر مَن فيها وما بعدك أكبر منه ، وقد قال : كذا وكذا ، فقال : أين هذا الّذي[٣] أحضره ؟ فأحضرته ، فقلّبه جميعه قطعة قطعة ، ثمّ قال : قل له : أنت تعلم أخلاقه ومحبّته لنسائه

(١) (ط) ، (ق) : « قاضي القضاة » ، وهو الصحيح .

(٢) سليمان بن حمزة ، سلفت ترجمته .

(٣) (ط) : « فقال : هات النبي » ، وفي (ق) : « فقال : هات هذا الذي » .

وجواريه ، وهو قد حلف بالطّلاق منهنّ وبعتقهنّ أنّه ما يقبل في هذه النيابة لأحد من خلق الله تعالى شيئاً قلّ ولا جلّ ، فأنت رأيت يا خوشداش طلاق زوجاته وعتق جواريه فالأمر أمرك . قال : فأعدتُ ما قاله عليه ، فقبل العُذر في ذلك .

وكان يحبّ الطّرب ، فأحضر ابن غُرّة العوّاد ، وآخر يلعب بالكمنجا ، وآخر دُفيّاً ، ورتّب لهم معاليم على ديوانه ، وقال لهم : أقسم بالله ما يتكلّم أحد منكم في فضول ، أو يحضر قصّة ، أو غير ذلك إلاّ كانت يده قبالة ذلك أو لسانُه ، وقد أكفيتكم ، وهذا الطّعام أنتم فيه وفي الفاكهة وفي الحلوى وفي المشروب ليلاً ونهاراً ، فكلوا واشربوا وغنّوا ، ليس إلاّ .

وكانت له قصعة تسَعُ ثمانية أرؤس غنماً يحملها أربعة عتّالين يملؤها يوماً حلوى سكريّة ، ويوماً طعام أرز مفلفلاً ، ولا يزال ليله ونهاره في مشروب وأطعمة وفاكهة وحلوى ، واعتذر للسّلطان عن إمساكه ، فقال : ماله عندي ذنبٌ إلاّ أنه خوشداش بكتمر الجوكندار ، ولمّا أمسكت هذا ؛ خفتُ من ذاك لئلّا يتغيّر فإنّ نفسه قويّة .

وراح في وقت إلى إقطاعة بالصّعيد ، واستغلّ من قرية ست مئة ألف درهم ، فخطر له أن يدخل إلى بلاد السّودان ، ويفتحها ، وقال لي ـ وأنا في الكرك ـ : أنا أقيم لك ست مئة جندي .

١٣٩٨ ـ كُرت*

الأمير سيف الدين المنصوري نائب طرابلس .

كان من الفرسان المذكورة والأبطال المشهورة . له دِيْنٌ متين ، وسلطان في التقوى[1] مبين ، وفيه برٌّ ومعروف ، وجوده على الفقراء والصّالحين معروف .

* الوافي : ٢٣٣/٢٤ ، ووقع في بعض أصوله : « كرد » .

(١) (ط) : « وسلطان في الفتوى » .

حمل على التّتار في الوقعه ، وبيّن الفروسيّة ذلك اليوم لّما ضاقت الرّقعه ، وأبلى بلاءً حسناً وقَتل منهم جماعه ، وخاض فيهم ، فملأ الموت بالمصاع[١] صاعَه ، وذلك في سنة تسع وتسعين وست مئة .

كان هذا الأمير سيف الدين من مماليك الأمير ضياء الدين بن الخطير ، وجعله السّلطان الملك المنصور حسام الدّين لاجين حاجباً في أيامه ، ثمّ إنّه تولّى نيابة طرابلس ، وأبلى في واقعة غازان ، وقتل من التّتار جماعة ، ثمّ إنّه خاض فيهم فاستشهد ، رحمه الله تعالى .

وكان فيه اعتناء بأهل الخير وأهل الحرمين ، وله بالقدس رباط وعليه وقوف ، وكان كثير الصّدقة ، متين الدّيانة .

١٣٩٩ ـ كُرت*

الأمير سيف الدين النّاصري ، أخو الأمير سيف الدين طَغاي الكبير المقدّم ذكره .

حضر إلى صفد بتبع[٢] واحد ، وأقام بها مدّة ، ثمّ إنّه نقل في أواخر أيّام الأمير سيف الدّين تنكز إلى دمشق ، وبقي كذلك إلى أيّام الفخري ، فجهّزه إلى البلاد الرّوميّة لإحضار سيف الدّين[٣] طشتمر ، وأنعم عليه . ثمّ إنّ النّاصر أحمد أمَّرَهُ[٤] طبلخاناه ، وأقام بدمشق مديدة ، ثمّ إنّه جهّزه إلى جَعْبَر نائباً ، فأقام بها قليلاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

---

(١) للمصاعة : للقاتلة والمجالدة بالسيوف ، يريد : إنّ الموت أهلكه .

* الوافي : ٣٣٤/٢٤ ، والدرر : ٢٢٦/٣ .

(٢) في الأصل و (ط) : « بقبع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) والوافي .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « الأمير سيف الدين » .

(٤) في الأصل و (ط) : « أجهزه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

١٤٠٠ ـ كُرْجي*

الأمير سيف الدّين .

كان جريئاً شجاعاً كثير التّهوّر ، شديد الإقدام ظالم النّفس ، هو الّذي قتل السّلطان حسام الدّين لاجين ـ على ما سيأتي ـ .

ثمّ إنّه قُتِل لما[1] قُتِل طغجي ، وطيف برأسه في القاهرة سنة ثمان وتسعين وست ومئة ، قتله كردي من الحسينيّة برّا القاهرة بين الكيمان .

اللّقب والنّسب

☆ **ابن الكَرْكَري** : الأمير سيف الدين بهادر .

١٤٠١ ـ كُرْماس**

الأمير سيف الدّين ، أحد أمراء الطّبلخانات بدمشق .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عُشْريّ المحرّم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

اللقب والنسب[2]

☆ **كريم الدّين الكبير** : عبد الكريم بن هبة الله .

☆ **وكريم الدّين الصّغير** : أكرم .

---

* الوافي : ٢٣٤/٢٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٣/٨ .

(١) في (ق) ، (ط) : « يوم » .

** لم نقف على ترجمة له .

(٢) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

١٤٠٢ ـ كُسْتاي*

بضمّ الكاف وسكون السّين المهملة وبعدها تاء ثالثة الحروف[١] وألف ممدودة وياء ، الأمير سيف الدّين النّاصري .

كان من أحسن الأشكال وأتمّها ، وأجمعها للمحاسن وأعمّها ، يميل إلى الأفاضل ، وذيله بالإحسان إليهم فاضل ، وله دين ، وفيه خير وإحسان وبرّ ، يسقط على حَبِّه الطّير ، وكان خطّه كحظّه زائدَ الحسن والقوّه ، فائق الرّونق ، كأنّه في العلامة عروساً على البصائر مجلوّه .

تولّى نيابة طرابلس ، فأحسن فيها الولايه ، وأظهر الاحتفال بعدله والعنايه .

ولم يزل بها على حاله إلى أن كَسَت كُستاي أكفانُه ، وجرى عليه من الدّمع غُدرانه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الآخرة سنة ست عشرة وسبع مئة .

كان في رفعة طغاي الكبير ، وهو ثانيه في المنزلة ، ثمّ إنّ السّلطان الملك النّاصر أخرجه إلى نيابة طرابلس في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة عوضاً عن تمر السّاقي .

١٤٠٣ ـ كُشْتُغْدي**

الأمير الكبير المعمَّر علاء الدّين أبو أحمد الخطائي .

---

* الوافي : ٣٣٩/٢٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٢ والنجوم الزاهرة : ٢٣٧/٩ ، والدرر : ٢٦٨/٣ ، وذيول العبر :٨٧ ، وفيه « كشته » .

(١) في الأصل : « آخر الحروف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

** الدرر : ٢٦٨/٣ .

كان شيخاً معمّراً ، جاوز التّسعين . وسمع من النجيب الحرّاني ومن بعض أصحاب البوصيري والخشوعي .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني[1] عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبع مئة .

اللّقب والنّسب

☆ **الكفري** : الشّيخ شهاب الدّين الحسين بن سليمان .

☆ **ابن كُسَيْرات** : تاج الدّين علي بن إسماعيل .

☆ **ابن الكلاّس** : علاء الدّين علي بن محمّد .

١٤٠٤ ـ كَماليّه*

بفتح الكاف وبعدها ميم وألفٌ ولام وياء مشدّدة وهاء .

أَخْبَرني من لفظه العلاّمة أثير الدّين ، قال : كانت المذكورة أديبة شاعرة ، ذكرها لي ناصر الدّين شافع وقال : إنّها كاتبت شعراء عصرها من أهل مصر . قال : وأخبرني فتح الدّين البكري ، وأنشدني قال : كتبت كماليّه إليّ :

سَمِعْتُ مِنْ شِعْرِك سحراً غدا ... يخامر الألباب إذ يَنْفَثُ
أصبح كالخَمْرة في فِعْلها ... فهو بألباب الورى يعبثُ

الكمالي : الأمير شمس الدين سنقر الحاجب .

---

(١) في الدرر : « ثالث » .

* الوافي : ٣٦٦/٢٤ .

١٤٠٥ ـ كُنْجشْكب*

بالكاف المضمومة والنّون السّاكنة والجيم والشّين المعجمة السّاكنة وبعدها كاف أخرى وباء ثانية الحروف ، ابنة [أبغا][١] .

كانت من الخواتين الكبار ، وكان الأمير سيف الدين [تنكز][٢] يبالغ في تعظيمها ، ويكرم قصّادها ومَن يحضر من عندها أو يأتي بكتابٍ منها ، وكانت تُعْلِمه بأخبار القوم ومتجدّداتهم ، وما يدور بينهم ، وكانت تجهّز إليه في كل سنة من عندها كامليّة طلسمو[٣] إمّا لون فاختي أو لون بنفسجي ، أو غير ذلك من الألوان بطراز زركش ، عمل الموصل ، ودايرباولي من أفخر ما يكون ، وأصنعه[٤] بأزرار مرجان ملبّسة ذهباً على فَرْو قاقم له داير سنجاب في عرض أصبع أزرق طري غض كشن من خيار ما يكون . وكان تنكز تعجبه هذه الكامليّات ، ويُديم لبسها ، لما فيها من الطرافة وحسن الصّياغة ، وكان هو يهدي إليها أضعاف دلك .

وعهدي بها في حياة تنكز في سنة أربعين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **الكنجي** : نائب مصياف ، اسمه : آقوش .

☆ **والكنجي** : محمّد بن محمّد بن أبي بكر . ومحمّد بن أبي بكر بن عبد الرّحمن .

ومحمّد بن أبي بكر بن عبد الرّحمن .

---

* الوافي : ٣٧٢/٢٤ .

(١) زيادة من تمام نسبها في الوافي .

(٢) زيادة من (خ) والوافي .

(٣) كذا في الأصل ، واختلف في رسمها في النسخ الأخرى ، ففي (ق) ، (ط) : « طسلمو » ، وفي (خ) : « طشلمو » ، وفي الوافي : « طملوء » .

(٤) في الوافي : « واضعة » .

١٤٠٦ ـ كُنْدُغدِي *

الأمير سيف الدّين العُمري .

أعرفه وهو والي باب القلعة بالديار المصريّة ، أقام على ذلك مدّة .

وكان حسنَ الصّوت والوجه ، نقي الشّيب ، أحمر الوجنة .

ثمّ إنّ السّلطان الملك النّاصر محمّد بعثه إلى إلبيرة[١] نائباً ، فتوجّه إليها في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة ـ فيما أظنّ ـ ، وأقام بها إلى أن حضرت مطالعة الأمير سيف الدّين يلبغا اليحيوي نائب [حلب][٢] تتضمّن الشّكوى منه ، ويذكر أنّه وقعت فيه قصص كثيرة ومحاضر ، فرسم السّلطان الملك الصّالح إسماعيل بإحضاره إلى حلب ، ومحاققته على ذلك في مِحَفّة ، وكان مريضاً ، فوصل إليها ، وأقام ساعة واحدة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

١٤٠٧ ـ كُهُرْدَاس **

الأمير سيف الدّين الرّزّاق[٣] أحد الأمراء بدمشق .

كان ذكياً فطناً حذقاً ، له اعتناء بالمجلدات النفيسة والخطوط المنسوبة وغير ذلك من الأصناف الغريبة ، وأنفق على ذلك أموالاً جمّة ، عَمِل له قَدمةً بالبندق غرم عليها ثلاثة آلاف درهم ، وهي مليحة ، رأيتها وهي ناقصة الغالقة .

---

* الوافي : ٣٧٣/٢٤ ، والدرر : ٢٦٩/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١١٥/١٠ ، ووقع في الأصل و (ط) : « كيد غدي » .

(١) إلبيرة : من نواحي حلب .

(٢) زيادة من (ق) والوافي .

** الدرر : ٢٦٩/٣ .

(٣) في (خ) : « الرّراق » .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بداره ، وهي دار القَيْمري خلف المدرسة القيمرية بدمشق في سلخ شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٤٠٨ ـ كُوْجَبَا*

الأمير سعد[١] الدين النّاصري .

كان نائباً بثغر الإسكندريّة .

روى للشيخ[٢] شمس الدّين الذّهبي أحاديث عن النجيب عبد اللّطيف ، وكان خَتَنَ ابن الظّاهري[٣] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر سنة سبع وتسعين وست مئة ، وهو من أبناء السّبعين .

١٤٠٩ ـ كوكاي**

الأمير سيف الدّين أحد الأمراء المشايخ بالقاهرة .

تزوّج ابنتَه ستيته ـ المقدَّم ذِكْرُها ـ في حرف السّين ـ الأميرُ سيف الدّين تنكز ـ رحمها الله تعالى .

ولم يزل أميراً كبيراً مقدّم ألف من الأيام الناصريّة إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الأولى سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٣٧٥/٢٤ .

(١) في الوافي : « سيف الدين » .

(٢) في الوافي : « الشيخ » .

(٣) عبارة الوافي : « وكان ختن ابن الظاهري على ابنته » .

** الوافي : ٣٧٦/٢٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤١/١٠ .

وخلّف من الأموال على ما قيل ألف ألف ومئتي ألف درهم[١] وسبعة وعشرين ألف دينار عيناً غير الخيل والبرك والعدّة والبيوتات والقماش وغير الأملاك الكثيرة .

١٤١٠ ـ كوكنجار*

الأمير سيف الدّين المحمّدي ، أحد الأمراء الطبلخاناه بدمشق .

كان يسكن إلى جوار الأمير صارم الدّين صاروجا ، قريباً من الشّاميّة البرانيّة .

توجّه إلى الحج سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الجمعة منتصف القعدة سنة ثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب[٢]

☆ **الكولمي** : عز الدين عبد العزيز بن منصور .

☆ **ابن الكويك** : سراج الدّين عبد اللّطيف بن أحمد . وشمس الدّين محمّد بن محمود .

١٤١١ ـ كَيْتمر**

الأمير سيف الدين ، بفتح الكاف وسكون الياء آخر الحروف وبعدها تاء ثالثة الحروف وميم بعدها راء .

كان من خوشداشيّة الحاج أرقطاي والأمير حسام الدّين البشمقدار[٣] ، أظنّه أُمِّرَ

---

(١) ليست في (خ) والوافي . وفي النجوم : « خلف أكثر من أربع مئة ألف دينار عيناً » .

* الدرر : ٢٧٠/٣ ، وفيه : « كوكي » .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

** الوافي : ٣٧٨/٢٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، وفيه : « كيتم » .

(٣) في الوافي : « طرنطاي البشمقدار » .

طبلخاناه في أيام نيابة[١] الأمير سيف الدّين أرقطاي بمصر ، والظّاهر أنه كان أميراً قبل ذلك ، عَيّنه الأمير سيف الدّين أرغون شاه أمير الحج .

فمات بالطّاعون في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومات أيضاً جماعة من أولاده ومماليكه . وكان له ولدان هما[٢] في سماء الحسن فرقدان ، ومات وَصِيّهُ الأمير سيف الدّين حاجّي ، الجميع في جمعة واحدة ، وتأسّف النّاس على ولديه .

☆ **الكيزاني** : سديد الدّين عبد الرّحمن بن عبد الرّحيم .

---

(١) ليست في الوافي .

(٢) (ط) ، (خ) : « كأنها في » .

حرف اللام

١٤١٢ ـ لاجين*

السّلطان الملك المنصور حسام الدّين المنصور[١] ، مملوك السّلطان الملك المنصور قلاوون .

كان من خيار الملوك في الإسلام ، وأفضلِ مَنْ خَفَقت على رأسه البنود والأعلام ، شُجاعاً مَعْدُوداً في الفُرْسَان ، بَطلاً في وقت تمرح جياده في الأرسان ، جواداً يخجل الغمام إذا هتن أو همى ، كريماً أنسى جوده كرمَ حاتم الّذي سَمَا ، له ذبٌّ عن الإسلام وبَيْضَته ، وحِمايةٌ في جلوسه ونهضته ، أحقّ النّاس بقول أبي الطّيب :

فأنتَ حسام الْمُلْك والله ضاربٌ وأنت لواء الدّين والله عَاقدُ[٢]

وكان صحيحَ الوداد لمن يصحبه ، مليحَ الاعتقاد فيمن[٣] يألف به ويعجبه . تعجبه الفضائل ويعظّم أهلها ، ويذكر أُنسَها ويغضّ[٤] فضلها ، ويجمع عليها شملها ، ويَتطَفَّل على طِفلها ، ويوقّر كَهْلَها . شديد الغَيْرة على حريمه ، لا يدع الأُسْد تقارب كناس ريمه .

سَنَّ لّما ملك أشياءَ حسنه ، وأزاح من جَفْن الْمُلك بها وَسَنه . أحبّه أهل دمشق لّما

---

* الوافي : ٣٨٥/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٨١/٢ ، وتالي وفيات : الأعيان ١٣٢ ، وانظر أخبار سلطنته ومقتله في البداية والنهاية : ٣٤٨/١٣ ، ٣/١٤ ، وإعلام الورى : ٨ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٢/٨ .

(١) في الوافي : « المنصوري » .

(٢) ديوانه ٢٧٧/١ .

(٣) في الأصل : « فيا » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « أيها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) . وفي (ط) أيضاً : « ويغض » .

كان عندهم نائبا ، واستصحبوا ذلك لّما كان عنهم غائبا ، ولكنْ خانَ الزّمانُ مُلْكَه ، وأوْقَف في وسط بَحْره فلْكَه ، وجال الْحُسَام في الْحُسَام ، وفصّل أوصالَه الجِسام ، وما راعى سميَّه ، ولا حفظ وليَّه وسمَّيه .

وكانت قتلته ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الجمعة ، وقد صام نهار الخميس عاشر شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مئة .

أمّرهُ الملك المنصور أستاذُه عندما مَلَك ، وبَعَثه نائباً على قلعة دمشق ، فلمّا تَسَلْطن سنقر الأشقر ، ودخل القلعة قَبض عليه ، ولما انكسر سنقر الأشقر أخرجه الأمير علم الدّين سنجر الحلبي .

ثمّ إنّه رُتّب في نيابة السّلطنة بمرسوم السّلطان ، ودَخَل في خدمته إلى دار السّعادة في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وستّ مئة ، وعمل النّيابة إحدى[1] عشرة سنة ، وأحبّ أهل دمشق وأحبّوه ، وأحسن إليهم .

ثمّ إنّ الأشرف عَزله من نيابة دمشق بالشجّاعي لّما أمسكه على عكا ، وأفرج[2] عنه ، وحضر معه إلى قلعة الرّوم ، ولّما كانوا بعدها بدمشق هرب يوم العيد مستهلّ شوال سنة إحدى وتسعين ، وركب الأشرف والعسكر في طلبه ، وكان قد توجّه إلى بعض عرب صرخد ، ليتوجّه به إلى الحجاز ، فأمسكه وجاء به للأشرف فقيّده ، وجهّزه إلى مصر هو وسنقر الأشقر ، ثمّ إنّه أفرج عنه ، وأُعطي إمرَة مئة بالقاهرة .

وفي شوّال سنة اثنتين وتسعين قَطَع الأشرف خبز الأفرم الكبير ، وأعطاه للاجين المذكور ، وكان عظيماً ، وخُنق بين يدي الأشرف ثمّ خُلّيَ عنه ، فإذا فيه[3] روحٌ ، فَرَقَّ له السّلطان ، وأطلقه ، وردّه إلى رُتْبَته .

---

(١) في الأصل : « إحدى عشر » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وهو الصحيح .

(٢) في الأصل : « وأخرج » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والتحفة .

وقيل : إنّ السّلطان الملك المنصور قال لولده الأشرف : هذا طرنطاي ، لا تؤذه ولا تتعرّض له[١] أبداً ، فإنّه ما يؤذيك ، وهذا لاجين ، لا تُمْسِكْه ، وإن أمسكته لا تبقه ، فإنّه يَحْقِدُ عليك ، ويَعْمَل على قتلك . فخالف والِدَه في الجهتين ، فأوّل ما تسلطن أمسك طرنطاي ، وقَتَله وأمسك لاجين وأطلقه فقتله . وقيل إنّه إنّما قام على الأشرف لأنّه تعرّض لزوجته بنت طقصو[٢] فعزّ ذلك عليه .

ولمّا قَتل الأشرفَ[٣] هو وَبَيْدَرا ، كان بيدار الّذي تقدّم إلى الأشرف وضربه وهو على الأرض يحصّل طيراً صَادَه ، وكانت ضربة غير طائلة ، فجاء بعده لاجين ، وهو سائق فَرَسَهَ ، فرأى ضربة بَيْدَرَا ، فقال : يا مأبون[٤] ، هذه ضربة من يطلب الملك ، ثمّ إنّه ضربه ضربة حلّ منها كتفه ، فقضى عليه .

ولمّا قتله[٥] اختفى حسام الدّين لاجين ، وقيل : إنّه هرب وقرا سنقر ، وعَدَّيَا النّيل ، وجاءا إلى جامع ابن طولون ، واختبأا في المئذنة ، وبقيا فيها أكثر من يومين ، ونذر لاجين إن سَلِم أنّه يعمّر الجامع المذكور ، ووفّى بنذره . وتنقّل بعد ذلك في البيوت ، وقاسى أهوالاً وشدائد من الجوع والعطش والخوف .

ثمّ إنّ كتبغا أجاره وأجار قرا سنقر ، وأحسن إليه ، ودخل به إلى السّلطان الملك النّاصر وقرّر معه أن يخلع عليه ويحسن إليه ، ففعل به ذلك ، وأعطاه خبزاً كان مع الأمير بدر الدّين بكتوت العلائي بالدّيار المصريّة وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وستّ مئة .

---

(١) (ق) ، (ط) : « إليه » .

(٢) في الأصل و (ط) : « لزوجته طقصور » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٣) سنة (٦٩٣) ، انظر خبر مقتله في البداية والنهاية : ٣٢٤/١٣ .

(٤) المأبون : مَنْ لحقه العيب .

(٥) (ق) ، (ط) : « قتلاه » .

ولّما ملك كتبغا جعله نـائبـه في مصر ، فوثب عليـه ـ كما تقـدّم في ترجمـة كتبغـا ـ وقتل مملوكيه[١] الأزرق وبتخاص ، وتغافل عنه لِمَا عَلَيْه من الأيـادي ، وهرب كتبغـا ـ كما تقدّم ـ وسـاق لاجين الخزائن والعسـاكر بين يـديـه من الغَور ، ومـا دخل غزّة إلاّ وهو سلطان ، وهو لم يختلف عليه اثنان .

وتملّك في أوّل صفر سنـة ستّ وتسعين وستّ مئـة ، وخُطِبَ لـه بغزّة وبلـد الخليل عليه السّلام والقدس .

ولّما دخل القاهرة جلس على سرير الملـك ، وبعث قبجق نـائبـاً إلى دمشق ؛ لأنـه خوشداشه ، وجعل قراسنقر نائبـه بمصر إلى أن تمكّن ثمّ قبض عليـه ، وأقـام في النّيـابـة مملوكه الأمير سيف الدّين منكوتمر ، فحسَّن لـه القبض على الأمراء ، فـأمسـك البَيْسرِيّ وقراسنقر وأيبـك الحموي ، وسقى جمـاعـة السّمّ ، ولـذلـك هرب قبجـق وألبكي وبكتمر السّلاّح دار وَبزلار إلى التّتار ـ كما تقدّم في تراجمهم ـ ولم يخرج إلى الشّام مدّة ملكه .

ولّما كان يوم الخميس في التّاريخ المذكور ركب موكبه وهو صائم ، عمل عليه جماعة من الأشرفيّة ، ودخلوا عليه بعد العشاء الآخرة ، وهو مكِبٌّ على الشّطرنج[٢] وما عنـده إلاّ القـاضي حسـام الـدّين الحنفي وَعبـد الله الأمير وَبُرَيـد[٣] البَـدوي وإمـامـه محبّ الدّين بن العسّال ، فأوّل مَنْ ضَرَبَـهُ بـالسّيف كرجي ـ مقـدّم البرجيـة ـ وتوجّـه طغجي وكرجي إلى دار منكـوتمر ، ودقّـا عليـه البـاب ، وقـالا : السّلطـان يطلبـك ، فنكرهمـا ، وقـال : قـد قتلتمـاه ؟، فقـال كرجي : نعم يـا مـأبون ، وجئنـا لنقتلـك ، فاستجار بطغجي ، فأجاره ، وحلَفَ له ، فخرج إليهما ، فـذهبـا بـه الْجُبَّ ، وأنزلاه ، فاغتنم كرجي الغفلـة ، وحضر إلى الجّب ، وأخرجـه من الجبّ ، وذبحـه ، وقـال : نحن ماقتلنا أستاذه إلاّ من أجلـه فمـا في بقـائـه فـائـدة ، ونهبوا داره في الحـال ، واتّفقوا على

(١) في الأصل و (ط) ، (ق) : « مملوكه » ، وفي الوافي والتحفة : « غلاميه » .

(٢) في الوافي و (ق) : « على اللعب بالشطرنج » .

(٣) في البدائع م ٣٩٨/١/١ : « يزيد » .

إعادة الملك النّاصر ثانياً إلى الملك ، واتفقوا على أن يكون طغجي نائباً ، وحَلَفوا له على ذلك ، وأرسلوا سلاّر ـ وهو إذ ذاك أميرٌ صغير ـ إلى الكرك ، لإحضار النّاصر محمّد ، وعمل طغجي النّيابة أربعة أيّام .

ولمّا حضر أمير سلاح من غزوة الشّام ؛ وطلعوا للقياه[1] جرى ما جرى ـ على ما تقدّم في ترجمة طغجي وأمير سلاح ـ وقتل طغجي وكرجي ، وكان يعلّم على الكتب إذ ذاك ثمانية أمراء : سلاّر وَالجاشنكير وبَكتمر أمير جاندار وآقوش الأفرم وَالحسام أستاذ الدّار وَكُرت[2] وَأيبك الخزندار وَالأمير عبد الله .

وقتل لاجين وهو في عشر الخمسين :

قَدَرٌ عَدَت فيه الحوادثُ طورَها وتجاوزت أقدارَها الأيّامُ

لأنّه كان سلطاناً جيداً ، عادلاً خبيراً ، دَرِباً كريماً ، جواداً شجاعاً ، كان يسلُّ سيفه ، ويهزّه في يده ، ويقول : أشتهي أرى أبغا وهذا في يدي .

ولمّا ملك أخرج الخلفاء من الاعتقال ، وأبطل تجهيز الثلج من بيروت وطرابلس[3] ، وقال : لا حاجة لي به ، فإنّي كنتُ في دمشق ، وأدري ما يجري على الرّعايا في وسق الثّلج في المراكب ، وما يجدونه من التّعب والمغارم والكلف .

وكان ذكياً يقظاً ؛ أخبرني القاضي شهاب الدّين بن فضل الله ، قال : حكى لي والدي أنّه وصل إليه في بعض الأيام بريدٌ من مصر على يده كتابٌ من طرنطاي ، وممّا فيه بخطّه أنّ الخروف نطح كبشه قَلَبه[4] ، فقال لي : ما هذا يا محيي الدّين ؟! قلت : ما أعلم ، فقال : هذا الكلام معناه أنّ بيدَرا قد وثب على عمّه الشّجاعي ، وكذا كان ،

(١) (ق) ، (ط) : « لتلقّيه » .
(٢) في الوافي : « كزد » .
(٣) في الوافي : « من الشام إلى مصر » .
(٤) في الوافي : « اقلبه » .

فإنّ الشّجاعي كان زوج أم بيدرا ، فعمل عليه عند المنصور ، وأمسكه ، وعزله ، وصادره . وهذا في غاية الفهم من مثل هذه الإشارة .

وحكى لي الأمير شرف الدّين أمير حسين بن جندر بَك ، قال : قال لي السّلطان حسام الدّين لاجين يوماً : يا حُسين ، رأيتُ البارحة أخاك مظفر الدّين في النّوم وهو يقول لي : ﴿ وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴾[١] ، فما كان بعد[٢] ثلاث ليالٍ حتّى قتل رحمه الله تعالى .

وحكى[٣] عنه الشّيخ علاء الدّين بن غانم ـ رحمه الله تعالى ـ مكارم كثيرة ولطفاً زائداً وإحساناً جمّاً ومودّة يرعاها لمن يعرفه .

وكذلك حكى لي عنه شيخنا فتح الدّين بن سيّد الدّين لمّا دخل إليه لم يدعه يبوس الأرض ، وقال : أهل العلم يُنَزَّهون عن هذا وأجلسه عنده ـ أظنّه قال لي : على المقعد ـ، ورتّبه موقّعاً[٤] في ديوان الإنشاء ، فباشر ذلك أياماً ، ثمَّ استعفى فأعفاه ، وجعل المعلوم له راتباً ، فأقام يتناوله الشّيخ إلى أن مات سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان شيخنا العلامة شهاب الدّين محمود يوماً بين يديه ، وهو بدمشق [يكتب][٥] ، فوقَع شيءٌ من الحبر على ثيابه ، فأعلمه لاجين بذلك ، قال لي : فنظمتُ في الحال بين يديه :

ثيابُ مملوكِكَ يا سيّدي قَدْ بيّضت حالِي بتسويدها

---

(١) الشعراء : ٢٢٧/٢٦ .

(٢) في (ق) ، (ط) والوافي : « بعد ذلك ... » .

(٣) في (ق) ، (ط) والوافي : « وحكى لي ... » .

(٤) في الأصل : « موضعاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي .

(٥) زيادة من (ط) ، (ق) والوافي .

مـــا وَقَـع الحِبْرُ عليهـــا بلَى وَقَّـعَ منْـكَ بتجـديـدهـا

قال : فأمرَ لي بتفصيلتين ومبلغ خمس مئة درهم ، فقلتُ : يا خوند مماليكك الجماعة رفاقي يبقى ذلك في قلوبهم ، فأمر لكلّ منهم بمثل ذلك ، ثمّ صار ذلك راتباً لنا في كلّ سنة عليه .

ونَدب الأمير علم[1] الدين الدّواداراي ، وهو سلطان ، فعمّر جامع ابن طولون ، واشترى له وقوفاً كثيرة ، وجدّد فيه وظائف كثيرة من التّفسير والحديث والفقه والقراءات والطّبّ وعمّر بدمشق الخان المنسوب إليه تحت ثنيّة العُقاب .

وكان أشقر ، في لحيته طولٌ يسيرٌ ، وخفّه . وَجْهُه رقيق مُعَرّقٌ وعليه هيبه ، وهو تام القامة ، في قدّه رشاقة وهَيَفٌ . وكان وهو سلطان يجهّز البريديّة ، ويحمّلهم السّلام إلى الموقّعين الّذين كان يعرفهم .

وأنشدني شيخنا أبو الثّناء محمود إجازة قصيدة مَدحَهُ بها وهي :

أطاعك الدّهرُ فَأْمُرْ فهو مُمْتَثِلُ واحكُمْ فأنْتَ الّذي تُزهى به الدّولُ
واشرُفْ فلو مُلِكَت شمسُ النّهار عُلاً مَلَكْتَها لم يَزِدْ في سَعْدِها الحَمَلُ
وانْهَضْ بعَزْمِكَ فهو الجيش يَقْدمُه من بأسك المنذران الرّعب والوجل[2]
وسِرْ به وَحْدَه لا بالجيوش وإنْ لم يَحْوِها الأَرْحَبان السّهل والجبل
تلقى الفتوحَ وقد جاءتك وافدةً يحثّها الْمُزْعِجان الشّوقُ والأمل
قد أرهفَ الْمَلِكُ المنصور منك على جَيْش الأعادي حُساماً حدُّه الأجل
تهوى أسنتُه بيضَ النّحور فمِنْ آثارها الحمر في أجيادها قبَلُ[3]
تُدْمِي سطاه وتندَى كفه كرماً كالغيث يَهْمي وفيه البرقُ يشتعل

(١) في الأصل : « علاء » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) . وعلم الدين هذا هو سنجر .
(٢) في الأصل : « المنذرات » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .
(٣) في الأصل : « الجمر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي .

سَلْ يوم حمصَ جيوشَ الْمُغْل عنه وقد ... ضاق الفضاءُ بهم واستدّت السُبُلُ[١]
والهام تسجد والأجسام راكعةٌ ... والموتُ يُقْبل والأرواحُ تَنتقل[٢]
والبيض تُغْمَد في الأبطال عارية ... وتَنْثَني وعَلَيْها منْهُمُ حُلَلُ
والخيلُ تَحْفَى وتخفى في العَجاج فإنْ ... بَدَت غَدَتْ وهي بالهاماتِ تَنْتعلُ
يخبرُك جمعُهمُ والفَضل ما شهدت ... به العِدا أنّه ليث الشَّرى البطل
وأنّه خاض في هيجائها وَجَلاَ ... غمارَها واصطلاها وهي تشتعل
وصدّهم وهُمُ كالبحر إذ صُدِموا ... ببأسِه وحَمَى الإسلامَ إذ حَمَلوا
فمزّقتهم سُطاه ذا يَسيرُ وذا ... عانٍ أسيرٌ وذا في التُّرْبِ مُنْجَدِلُ
كأنّ أسْهُمَهُ والموتُ يبعثها ... بين المنايا وأرواحِ العِدى رُسُلُ
كأنّ هاربَهم والخوفُ يطلبه ... يبدو لديه مِثالٌ منه أوْ مَثَلُ
فإن تنبّهَ يوماً راعَهُ وإذا ... أغْفَى جَلَتْهُ عليه في الكَرَى الْمُقَلُ
وعادَ والنصر معقود برايته ... والْمُغْلُ ما بين أيدي خَيْلِه خَوَلُ[٣]
قد جَمّعَ اللهُ فيه كلَّ مفترق ... في غيره فهو دُون النّاس مُكْتَمِلُ
فعن نَدى يده حدِّث ولا حرجٌ ... اليُمُّ تَمَّ وعَمّ العارضُ الهَطِل
أستغفر الله أين الغيثُ مُنْفَصِلاً ... من برّه وهو طول الدّهر متّصل
عطاء من ليس يثني قطّ راحتَه ... عن النّدى سأمٌ يوماً ولا ملل[٤]
مَنْ حاتِم ؟ عَدِّ عنه ، واطّرح فبه ... فيالْجُود لا بسواه يضرب المثل[٥]
أين الّذي برّه الآلاف يتبعها ... كرائمَ الخيل مِمّن جُوده الإبل[٦]

(١) في الأصل و (ط) : « واشتدت » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .
(٢) في الوافي : « ترتحل » .
(٣) في الأصل : « معقوداً » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .
(٤) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « فيض راحته » .
(٥) في الأصل : « فيه » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (ق) والوافي .
(٦) في الأصل : « إن الذي بره الآلات » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي . وفي الوافي : « ممن بره ... » .

لـو مُثّـل الْجُـود سَرْحـاً قـال حـاتمهم «لا نـاقـة لي في هـذا ولا جَمَـلُ»[١]
أحـاط بـالنّـاس سـورٌ من كفـالتـه ظـلّ لهم وعلى أعـــدائهم ظلَـل[٢]
أضحَـوا بـه في مهـاد الأرض يكلـؤهم من رأفـةٍ بهم يقظـــانُ إن غفلـوا
يحنـــوا عليهم ويعفـــو عن مسيئهم حِلْماً ويصفـح عنهم إنْ هُمُ جَهلـوا[٣]
وأعـدل النّـاس أيّـامـاً بـلا شطـط في الحكم منـه ولا حيفٌ ولا ميـل[٤]
أطـــاع خـــالقـــه فيما تقلّـــده فما عن الـدّين بـالـدّنيـا لـه شُغُـل
إنْ رام صيـداً فمـا الكِنْـديّ مفتخراً بالخيل في الصّيد إلاّ مُطْرِقٌ خجلُ[٥]
بكلّ طِرْفٍ يفـوت الطّرفَ رؤيتـه لا يـأخـذ الصّيـد إلاّ وهـو منفتـلُ[٦]
في فتيـــــة من كماة التّرك ليس لهم إلاّ التّعلّم من إقـــدامـــه أَمَـلُ[٧]
إن يقتلوا الصّيـد في أيـدي الجوارح بل جوارحُ اللّحظ إن يرموا بها قتلوا[٨]
عـــزّاً وصـــونـــاً لمن دان الأنـام لـه حتّى السّهـــام إلى أغراضـــه ذُلَـل
أو حـاولَ اللّعبَ المعهود بـالكرة الـ ـتي بهـــا تستعين البيضُ والأسَـلُ

(١) في الوافي : « مسرحا » . والسرح : البهائم التي يملكها الإنسان ، وهي ترعى .
وعجز البيت للراعي ضمنه شعره ، وصدره :
وما هجرتك حتى قلْتِ معلنةً
وأصله مثل للحارث بن عُباد حين قتلَ جساسُ بن مرّة كليباً ، وهاجت الحرب بين الفريقين ، وكان الحارث اعتزلها .
انظر : مجمع الأمثال للميداني : ٢٢٠/٢ .

(٢) في الوافي : « أعدائه » .

(٣) زيادة من (ق) والوافي .

(٤) في الوافي : « فلا شطط » .

(٥) في الأصل و (ط) : « مشتغل بالخيل » ، وأثبتنا ما في الوافي . والكندي هو امرؤ القيس . يشير أبيات الطرد في معلقته .

(٦) في الوافي : « الطرف منظره » . وفي (ق) ، (ط) : « منتقل » . والطِرف : الخيل الكريمة .

(٧) في الوافي : « حماة الترك » .

(٨) في الوافي : « إن يقتلوا » .

حيث السّوابق تجري في أعنّتها ... طوعاً وتعطف أحياناً فتمتثل
كأنّه وهو والبرديُّ في يده ... على الجواد وكلٌّ نَحْوَها عَجِلُ[1]
شمسٌ على البرق حاز البدر يرفعه ... عَن الهلال فيعلو ثمّ يستفلُ
لا زال بالملك المنصور منتصراً ... ما قال بالدّوح غصن البانة الثّمل

ولّما تولّى السّلطنة جاء غيثٌ عظيم ، بعدما كان تأخّر ، فقال علاء الدّين الوَدَاعي ، ومن خطّه نقلت ـ :

يا أيّها العالَم بُشْرَاكُمُ ... بدَوْلَةِ المنصورِ رَبّ الفَخار
فاللهُ بارك فيها لكم ... فأمطرَ اللّيلُ وأضحى النّهار[2]

ولّما أبطل المنكرات في أيّامه : قال ابن دانيال :

احذر نديمي أن تذوق الْمُسْكِرَا ... أو أنْ تحاولَ قطّ أَمْراً منكرا
لا تشربِ الصّهباء صرفاً قرقفا ... وتزور من تهواه إلاّ في الكرى[3]
أنا ناصحٌ لك إنْ قَبِلت نصيحتي ... اشربْ متى مارمت سُكراً سُكّرا
والرّأي عندي تَرْكُ عقلك سالماً ... مِنْ أن تراه بالْمُدام تَغَيّرا
ذي دولة المنصور لاجين الّذي ... قهر الملوك فكان سلطان الورى
إياك تأكلُ أخضراً في عصره ... يا ذا الفقير يكون جنبك أحمرا[4]
والمزر يا مسعود دعه جانباً ... واشرب من اللّبن المخيض مكرّرا[5]
وبني حرامٍ احفظوا أيديكم ... فالوقْتُ سيفٌ والمراقِبُ قد دَرَى
توبوا وصلّوا داعيين لملكه ... فبه تنالون النّعيم الأكبرا

(١) في الوافي : « وهي » .
(٢) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .
(٣) القرقف : الخمر يرعد عنها صاحبها .
(٤) (ط) : « في مصره » . وفي (ط) و (ق) : « يصير جنبك » .
(٥) المزر : ضربٌ من الأشربة المسكرة .

ولمّا كان بدمشق نائباً ـ رحمه الله تعالى ـ؛ أُمسك نصراني في أوائل شهر رمضان سنة سبع وثمانين وستّ مئة عند امرأة مسلمة[١] جميلة يشرب الخمر ، فأمر بإحراقه ففدى النّصراني نفسه بمال جزيل ، فلم يقبله ، وأمر بنار عظيمة ، فأضرمت ، وأُلقي النّصراني فيها[٢] ، فقال العلاّمة شهاب الدّين محمود يمدحه ، أنشدنيه لنفسه إجازة :

يا من به وبرأيه ورُوائه ... بلغ المرادَ الدّينُ من أعدائه
أنت الّذي لم يخشَ لَوْمَةَ لائمٍ ... في الله فابشر فُزْتَ عند لقائه
ما يومك الماضي لديك بضائع ... واللهُ والأملاك من شهدائه
يا كافل الإسلام قَبلك لم يقم ... هذا المقامَ سواك من كفلائه
بالسّيف قام ولا اختلافَ بأنّه ... أنت الحسام وذاك من أسمائه
أقسمتُ لو آلى امرؤٌ لك أنّه ... أحدُ الفتوح لبرّ في آلائه
أرسلتها في العدل أحسنَ سيرةٍ ... بك يَقْتدي من كان في أُلفائه
وغضبتَ للإسلام غضبة ثائرٍ ... لله غير مشارَكٍ في رائه
وحميت سرح الدّين من متخلّسٍ ... رَجِسٍ يُسِرّ الْغَدْرَ في استخفائه
أخفى سُرَاهُ إلى الحريم وما دَرَى ... أنّ الإله وأنت من رقبائه
جمع الخيانةَ والخَنا في الأرض والإ ... شراكِ بالرّحمن فَوْقَ سَمائه
فأمرت أمْراً جازماً بحريقه ... ورأيتَ أنّ القتل دُون جَزائه
أحرقْتَ من أدْنت عداوةُ كُفره ... يَدَهُ من الإسلام في استعلائه
طهّرت مِنْ دَمِهِ الثّرى وقَذفته ... في النّار إذ هي مُنْتَهى نُظَرائه
ورفعت قَدْرَ السّيف عنه وإنّه ... لَيجلّ عن تنجيسه بدمَائه
أرعبتَ أهل الشّرك منك وكلّهم ... يلقى خيالك واقفاً بإزائه
وسلبتَهم طِيب الرّقاد فَمَنْ غفا ... ألفى دَبيب النّارِ في أعضائه

(١) في الأصل : « مسلم » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (ق) .
(٢) انظر : البداية والنهاية : ٣١٢/١٣ .

أَوْلَـوْ تخيّـل في المنـام بجُرْمِـهِ ... خشيَ الحريـق ومـات في إغفـائـه[1]
رامـوا شفيعـاً عنـده في ذنبهم ... كي يُسخـط الرّحمن في إرضـائـه
غابوا وهل في الأرض من يثنيه عن ... تنفيـذ حكم الله في إمضـائـه[2]
مـاضٍ حكيم ثـابتٌ مُتمسّـكٌ ... بـالشروع في أحكامـه وقضـائـه
وكما البُـزاة أمِنّ سطـوةَ بـأسِـه ... فكـذا البغـاةُ يَئِسْنَ مِنْ إبقـائـه
كالسّيف يبـدو في تـوقُّـدِ حَـدّهِ ... في النّـاظرين إليـه رونـق مـائـه
يـا راعي الإسلام صُنت السّرب أن ... تـدنـو كـلاب الشرك من ضعفـائـه
عـاملت ربّـك بـالّـذي أسلفتـه ... في دينـه فـابشر بحُسْنِ وفـائـه
مـا غِرْت إلاّ لـلإلـه وخَلْقِـه ... من فَتْـكِ شَرّ عبيـده بـإمـائـه
نـزّهْتَ شِرْعَـةَ دينـه فـابشر بهـا ... هي خيرُ مـا أَوْلاك من آلائـه
ولـك الهنـاء إذ النّبيّ محمّـد ... وافيتـه بـالحـوض تحت لـوائـه
فـاستشهـدِ الشّهر الشريف فـإنّـه ... يُثني بمـا أبـديت في أثنـائـه
أَحْيَيْتَـهُ بـالعَـدْل فـارقـد إن تشـا ... فلقَـدْ بَلَغْتَ القَصْـدَ مِن إحْيَـائـه
عَظّمتَ حُرْمَتَـه وأهلكْتَ الّـذي ... لم يَرْعَ حـقّ الله في آنـائـه
فـاسْلَمْ لهـذا الـدّين تحرس سِرْبَـه ... ويُغَضّ جفن الشّرك منك بـدائـه[3]
واشكر إلهـك بـالّـذي أُلهمتَـه ... فيما فعلتَ فـذاك من نَعْمائـه

١٤١٣ ـ لاجين*

الأمير حسام الدّين الأستاذ الدّار الرّومي .

كان من كبار الأمراء مقدّمي الألوف بالدّيار المصريّة . وكان مقدّم الميسرة في يوم

(١) في الأصل و (ط) : « في الأنام » ، وما أثبتناه من (ق) .
(٢) (ق) ، (ط) : « أو إمضائه » .
(٣) في الأصل : « ويعض » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (ق) .
* الدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٠٦/٨ .

شَقْحَب ، ثبت هو ومَن معه مِن أصحابه وكان معه ثمانية أمراء مقدّمون أبْلَوْا جميعهم بلاءً حسناً ، وثَبَتوا لحملات التّتار ، فاستشهدوا جميعهم في الواقعة المذكورة ـ رحمهم الله تعالى ـ وذلك في شهر رمضان سنة اثنتين وسبع مئة .

وقَبْرُه هو وحده هناك على جبلٍ عليه قبّة يراها المسافرون على يمين المارّ من دمشق إلى الصّنمين[١] .

وكانت قتلته في عصر السّبت ثاني شهر رمضان ـ رحمه الله تعالى .

ونَقَلْتُ من خطّ الشّيخ شهاب الدّين أحمد بن يوسف الصّفدي الطّبيب بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة من مرثية كتب بها إلى الأمير ركن الدّين عمر بن الأمير حسام الدّين لاجين الرّومي أولها :

كأس الحِمام على الأنام يدورُ ... والعُمْرُ ماضٍ والزّمانُ يَسير
أنفاسُنا كَرَواحِلٍ لنفوسنا ... لمراحلٍ فيها الأنام تصيرُ
يا مَنْ يسير على اليسير وحَوْلَهُ ... عِبَرٌ وخلقٌ في القبور عبور
انظر إلى الدّنيا وما فعلت بَمَنْ ... ترنو إليه بطرفها وتسيرُ
كم خوّلت فتحوّلت ولَئِنْ حَلَت ... قد أنْحلَت وأصابها التّغيير

منها :

يا مرجُ صُفَّرَ أصْفَرت بك أرْبُعٌ ... وجَرَت دموعٌ نَظْمُها مَنْثُورُ[٢]
جاء التّتار تدفّقاً تترى له ... فترى ....[٣] والجبال تسير
ورَدُوا بمائة ألفِ مغلاً بعدها ... عشرون ألفاً بأسها محذور

---

(١) الصنمين : من أعمال حوران ، جنوب دمشق بنحو خمسين كيلاً .
(٢) مرج صفر : في دمشق . (معجم البلدان) .
(٣) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) .

لله مَنْ فـــادى الأنـــامَ بنفســـه ... لم يُرهبـــــــــاه منكرٌ ونكير
في محضرٍ شَرْعُ الأسنـــة شـــاهـــدٌ ... إنّ الثّنـــــــاء لغيره مَحْظـــورُ
فـالسّيف يكتب والمثقّف نـاقِـطٌ ... والسَّهمُ يُشكل والطّـلا المسطـور[1]
حِضْنَ السّيـوفُ بـــه وهنّ ذكـور ... وقَـــدَحنَ نـــاراً والأكفّ بحـور
هـذا حسامُ الـدّين والـدّنيـا فمـا ... يُلقى لـــــه بين الأنـــــام نَظير
كم خـاض أهـوالَ المعـارك عـاركاً ... والحربُ تَقْـــــدَح والشّرار يطير
والخيـل تعثر بـالنّـواصي والقنـا ... والأرض راجفـــةٌ تكادُ تمـور[2]
فرمـاحُـهُ مثل الرّجوم نصـالهـا ... شهبٌ يراهـــا في النّحـور تَغـور
تبكي عليـه محـافـلٌ وجحـافـلٌ ... ومنـــاصـــل وذوابـــل وقصـــور

وهي أربعة وستون بيتاً وهذا القدر منها كافٍ .

١٤١٤ ـ لاجين*

الأمير حسام الدّين الحموي .

كان أوّلاً بحماة أستاذ دار الملك المؤيّد صاحب حماة . ولّما ولي الأمر الملك الأفضل وقع بينهما ، فَنزَح عن حماة ، وتوجّه إلى مصر ، وعاد إلى دمشق أميراً .

وكان الأمير سيف الدّين تنكز يُكْرمه ، ولم يزل بدمشق إلى أن أمسك تنكز ، وحضر بشتاك إلى دمشق ، فولاّه المهمندارية بدمشق . فأقام يُوَيْمَات ثمّ ولي مدينة دمشق ـ فيما أظنّ ـ، فأقام قليلاً وطلب الإقالة .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن توفي بدمشق في مستهلّ صفر سنة ستّ وأربعين وسبع مئة .

---

(١) المثقف : الرمح .

(٢) في الأصل : « تعبر » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

* الدرر : ٢٧٠/٣ .

١٤١٥ ـ لاجين*

الأمير حسام الدين المنصوري المعروف بالصُغَيّر .

كان أحد الأمراء الطّبلخاناة بدمشق ، وولي البّر في وَقْتٍ في المحرّم سنة ثمان وتسعين وستّ مئة .

ثمّ إنّه قُيّد واعتقل بقلعة دمشق بعد قتل حسام الدّين لاجين السّلطان في شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وتسعين ، وأفرج عنه في جُمادى الآخرة .

وعُزِل وجهّز إلى ولاية الولاة بالقبليّة عِوَضاً عن الحاج بهادر في شوّال سنة إحدى عشرة ، وتوجّه أمير الحج في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وولي غزّة بعد الجاولي .

ثمّ إنّه توجّه لنيابة إلبيرة ، وأقام بها إلى أن توّفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وصل[1] تابوته إلى دمشق في خامس صفر من السّنة المذكورة وكان قد نقل أولاً إلى حلب ودفن بها ثمّ إنّ أستاذ داره نقله إلى دمشق ، وكان قد أسند وصيّته إلى الأمير سيف الدّين تنكز ، ولأجل ذلك لمّا اتفق ما اتفق لابنته أمر بخنقها ، وكانت واقعة عجيبة .

١٤١٦ ـ لاجين**

الشيخ الصّالح حسام الدّين الأزهري .

كان شيخاً كبيراً تجاوز المئة بثلاث سنين ، وَجاور بالجامع الأزهر في القاهرة مدّة سبعين سنة .

---

* البداية والنهاية : ١٤٧/١٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

(١) في الأصل و (ط) : « ووصل » .

** الدرر : ٢٧١/٣ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث عشر شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وكانت جنازته[١] حافلةً ، وصُلِّي عليه غائباً بالجامع الأموي بدمشق .

١٤١٧ ـ لاجين*

الأمير حسام الدّين المنصوري المعروف بالزّيرباج .

كان قد حبسه السّلطان الملك النّاصر محمّد ، فأقام في الحبس مدّة سبع عشرة سنة ، ثمَّ إنّه أفرج عنه وعن الأمير فرج بن قراسنقر[٢] وعن الأمير علم الدّين[٣] وخلع عليهم في ليلة عرفة سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة[٤] .

١٤١٨ ـ لاجين**

الأمير حسام الدين الإبراهيمي أمير جاندار .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عُشْرَي ذي الحجّة سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالرّوضة تحت قلعة الجبل ظاهر القاهرة .

كان أمير خمسين ، وفيه دين ومروءة .

١٤١٩ ـ لاجين***

الأمير حسام الدّين الغُتمي نائب الرّحبة .

---

(١) (ط) ، (ق) : « جنازة » .

* الدرر : ٢٧١/٣ .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) سنجر ، وسلفت ترجمته .

(٤) وتوفي سنة (٧٣١ هـ) ، كما في الدرر .

** الدرر : ٢٧١/٣ .

*** الدرر : ٢٧١/٣ .

كان من مماليك الغُتمي نائب الرّحبة[١] ، ولم يكن هو في نفسه غُتمياً . وانتشا بالرّحبة ، وعمل بها ولاية البَرّ مُدّة . ثمّ إنّه أقام بدمشق وخدم القاضي محيي الدّين بن فضل الله ، فخلّص له ولاية البقاع ، فأظهر نهضة كافية وكفاية[٢] تامّة ، فنقله إلى ولاية نابلس ، فأبان فيها عن سداد وشهامة ، فأحبّه الأمير تنكز ، فقال له : يا خوند إن ولّيتني نيابة الرّحبة ، وفّرت العسكر الدّمشقي من التّجريد إليها ، فكتب له إلى السّلطان ، فأجابه إلى ذلك ، وأعطاه إمرة طبلخاناة ، فتوجّه إليها ، ووفّى بما التزمه من عدم تجريد العسكر إلى الرّحبة . وفرح بذلك تنكز ، وأحبّه .

وحضر العربان والناس ورافعوه ، ولم يلتفت إليهم ، وأمسك غرماءه ورماهم في الحبس ، وتوجّه العربان الكبار من آل مهنّا وغيرهم ، وشكوا منه إلى السلطان شكوى كبيرة[٣] ، فطلبه السلطان إلى مصر ، فتوجّه إليها في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة ، وكتب تنكز على يده ، فلم يسمع فيه كلاماً ، وخلع عليه ، وجهّزه إليها مكرّماً ، وتوجّهت أنا إليها موقّعاً في آخر هذه السّنة المذكورة ، وكتبتُ إليه من قُباقب[٤] على جناح الحمام بطاقة بوصولي ، وفيها :

هذي بطاقةُ خادمٍ قد جاء يلهج بالمدح
حمّلتها قلبي الذي قد طار نحوك بالفرح

ولما قدمت إليها انجمع منّي[٥] وانزوى عني مدة تزيد على شهرين ، ثم إنه أقبل عليّ إقبالاً عظيماً ، وأفضى إليّ بأسراره ، وأحسن إليّ غاية الإحسان ، وقال : يا مولانا ، خوّفوني منك ، وقالوا : هذا واحد قد سيّروه من مصر عيناً عليك ، وزال ذلك .

(١) هي رحبة مالك بن طوق م وسلفت الإشارة إليها .
(٢) في الأصل : « وكاية » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٣) في (ق) ، (ط) : « كثيرة » .
(٤) موضع قرب الفرات . (معجم البلدان) .
(٥) في الأصل : « عني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ولما انفصلت من الرحبة وعدت إلى دمشق زوّدني وأعطاني مبلغ ألف درهم وقماشاً وحجراً عربية ثمينة واستمر لي عليه راتب في دمشق من الشعير لخيلي ومن التّبن في كل سنة . وتوجهت إلى مصر ، وهو يخدمني ويحسن إليّ بأنواع ، ويطلب الناس مني الشفاعات إليه ، فلا يردّها ، إلا أنّه كان جباراً سفّاكاً للدماء يعاقب عقاب المغل ، ويتنوع في ذلك بأنواع العذاب .

ولم يزل على حاله في الرحبة إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٤٢٠ ـ لاجين*

الأمير حسام .

كان قد تزوّج بأمّ المظفّر حاجّي ، وجعله أمير آخور على حاله وقَدِم في أيّام المظفر إلى دمشق أمير مئة مقدّم ألف ، ووصل معه الأمير سيف الدين بتخاص في تاسع شهر رجب سنة ثمانٍ وأربعين .

وكان أمير آخور في أيّام الكامل أيضاً ـ فيما أظنّ ـ، ووصل طلبه بَعْدَه ، ومعه الأمير ناصر الدّين محمّد على إقطاعه في ربيع الآخر سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة . وطُلب الأمير حسام الدّين لاجين وولده إلى مصر ، وأظنّه أخُرج بعد ذلك ، ثمّ إلى مصر .

ولم يزل بها مقيماً على طبلخاناه إلى أن توفّي في شهر رجب الفرد سنة أربع وستّين وسبع مئة بالقاهرة في طاعون مصر[1] .

---

* الوافي : ٣٨٩/٢٤ ، والدرر : ٢٧٢/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٩/١٠ .

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٥١ هـ) . وكذلك في النجوم الزاهرة .

اللقب والنسب[١]

☆ **اللحياني** : صاحب تونس : زكريا بن أحمد .

☆ **ابن اللّمطي** : محبّ الدّين عمر بن عيسى .

☆ **ابن اللّبّان** : محمّد بن أحمد .

١٤٢١ ـ لولو*

الأمير بدر الدّين الحلبي المعروف بغُلام فَنْدَش ، بالفاء المفتوحة والنّون السّاكنة والدّال المهملة المفتوحة والشّين المعجمة .

كان المسكين جبّاراً خوّاناً أثيماً خوّاراً خدّاعاً غدّاراً مكّاراً غرّاراً ، حقوداً حسودا ، عنيداً[٢] مريدا ، قصيّاً من الخير بعيدا . مبيراً مبيدا ، لو عاصر الحجّاج لم يدعه يفرح بإمرة الكوفه ، ولا اشتهر دونه من قبح سجاياه الموصوفه ، ولم يكن قدّامه إلاّ جلوازا ، أو مارّاً في طريقه مجتازا ، أو مشّاءً بنميم همّازا[٣] :

مَساوٍ لو قُسِمْنَ على الغواني لَما أُمهرنَ إلاّ بالطّلاق

دخل إلى السّلطان ورافع كُتّاب حَلَب ، وجَلَبَ[٤] إليهم الوَيل والشّوم فيما جَلَب ، وسلّمهم السّلطان إليه ، وعوّل في استصفاء أموالهم عليه ، فمزّق جلودهم بالسّياط ، وأهلك البريء والمتّهم عملاً بالاحتياط ، فباع بعضُ النّاسِ موجوده ، وبعضهم باع

---

(١) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الوافي : ٢٤/٤١٠ ، والدرر : ٣/٢٧٢ .

(٢) في (ط) ، (خ) « عتيدا » .

(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ همّاز مشّاء بنميم ﴾ القلم : ٦٨/١١ .

(٤) في الأصل : « وحلب » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . وكذا الكلمة في آخر الجملة .

مولوده . وكانت نَوْبة دون نوبة هولاكو [و][1] شرّاً منها ، وواقعة تحدّث النّاس في سائر الأقطار عنها .

ثمّ إنّه نُكب فيها ، وطُلب إلى مصر وأخذ منحوسا ، وظنّ النّاس أنه[2] يكون فيها مرموسا ، فنجا وليته لا نجا ، ووجد بين الأسنّة مخرجا .

ثمّ إنّ السّلطان ندبه لشَدّ الجهات ، فسدّ الجهات على من تنفّس ، ووصل شرّه حتّى إلى الجواري الكُنّس ، وأساء إلى من اصطنعه من تلك الورطه ، وأخرجه من مصر بعد أيّ ضغطه ، فولاّه السلطان بمصر شدّ الدّواوين بالقاهره ، وتولّى ذلك والنّاس أحياء ﴿ فإذا هم بالساهره ﴾[3] ونوّع العذاب على المصادَرين ، وابتَدَع من العقاب مالا مَرَّ بذِهْن الواردين ولا الصّادرين ، ثمّ إنّه نُكب [بالقاهرة][4] نكبة عظيمه ، وانفرطت منها حبّات سعادته النّظيمه .

إلى النّار يا ولد الزّانية ... وهذا الهُوِيُّ إلى الهاوية
وقَعْتَ فيا بَرْدَها في القلو ... ب، فياليتها كانت القاضية

ثمّ إنّه جُهّز إلى حلب ، وقدّر الله أنّه منها انقلب ، فذاق فيها وبال أمره ، وأفاق من سكرة[5] خمره ، وَقَاءَ ما كان أكل واتّخم ، وشكا وهو تحت العقوبة شكوى الجريح إلى العقبان والرّخم ، ومنها قضى ، وأسفر الوجود بموته من الظّلَم وأضَا .

وكان هلاكه في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

أوّل ما عرفت من أمره أنّني رأيته بحلب سنة أربع وعشرين وسبع مئة وهو ضامن

(١) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « أن » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٣) النازعات : ١٤/٧٩ .
(٤) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « وأفاق فيها من سكره .. » .

المدينة ، وكان ضامنها[١] من قبل ذلك بمدّة ، وطلع مرّات إلى مصر ورافع النّاس ، والقاضي فخر الدّين ناظر الجيش يصدّه ويردّه ويكذّبه قدّام السّلطان ، ولم يبلغ مرامه مدّة[٢] حياته ، فلما مات طلع إلى مصر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ودخل إلى السّلطان[٣] ورمى بين يديه ديناراً ودرهماً وفلساً ، وقال : يا خوند الدّينار في حلب للمباشرين ، والدّرهم للنائب ، والفلس لك ، فتأذّى السّلطان من ذلك واستشاط غضباً وطلب الجميع من حلب على البريد ، وسلّمهم إليه وكان يقعد في قاعة الوزارة ويستحضرهم ويقتلهم بالمقارع ، وكان النّاس قد طال عهدهم بالمقارع لأنّ القاضي كريم الدّين - رحمه الله تعالى - كان قد أبطلها ، واستمّر إبطالها بعده إلى أن جاء هذا لولو فأعادها وبالغ في أذى أهل حلب ، فأنكر أهل مصر ذلك ، وساءت سُمعَتُه ذلك اليوم ورثى النّاس لمباشري حلب ، ووقف النّاس له ليرجموه إذا نزل ذاك النّهار من القلعة ، فأحسّ بذلك ، ودخل إلى السّلطان وعرّفه ذلك ، فزاد غضب السّلطان ، ولم ينزل لولو من القلعة ، وربّما جعل[٤] معه أو شاقيّة يحفظونه من النّاس .

ولم يزل يعاقبهم بمصر حتّى استصفى أموالهم وأخذهم معه ، وتوجّه بهم إلى حلب ، وقد أمّره السلطان وجعله مشدّ الدّواوين بحلب .

ولمّا وصل إليها صادر وعاقب وتنوّع في ذلك حتّى أباع النّاس أولادهم ، وزاد في الخيانة ، فبلغ الخبر إلى السّلطان ، فسيّر السّلطان للكشف عليه الأمير سيف الدّين الأكزّ فصانعه وداراه وقدّم له ، فأخذه معه وطلع إلى مصر بما معه من التّقادم العظيمة فقبلها [السلطان][٥] منه ، وجعله بين يدي الأكز مشدّ الجهات بمصرف القاهرة ، فزاد

---

(١) ليست في (خ) .
(٢) (خ) : « أيام » .
(٣) عبارة الوافي : « السلطان الناصر محمّد » .
(٤) في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي : « أنه جعل ... » .
(٥) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

تسلّطه على النّاس ، وكرهه الأكزّ ، فأخذ العصا يوماً ، وضربه إلى أن خرّب عمامته ، وخرج إلى برّا وهو كذلك ، فتوجّه إلى القاضي شرف الدّين النّشو ناظر الخاص ، ودخل عليه واتفق معه ، وعَمِلا على الأكزّ ، وأخرجاه إلى الشام ، وولاّه السّلطان شَدّ الدّواوين بالقاهرة ، فعمل ذلك بجبروت عظيم ، وزاد طغيانه وعتوّه .

ثمّ إنّ السّلطان غضب عليه ، فأمسك لولو ، وطلب الأمير علم الدّين سنجر الحمصي من الشّام وولاّه شدّ الدّواوين بالقاهرة ، وسلّم لولو إليه ، فضربه بعض ضرب ، وأقام مُدّة في الاعتقال ثمّ إنّه خرج إلى حلب مشدّاً ـ والله أعلم ـ، فأقام بها إلى أن حضر الأمير سيف الدين طشتمر حِمّص أخضر نائب حلب ، ومعه الأمير سيف الدّين بهادر الكركري[1] مشدّ الدّواوين ، فغضب على لولو ، وسلّمه إلى ابن الكركري فقتله بالمقارع إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

حكى لي الشّيخ شمس الدّين بن الأكفاني قال : أعرف هذا لولو وهو عند فندش ـ أو قال : قبل وصوله إلى فندش ـ وهو يبيع أسقاط الغنم والأقصاب والتّعاشير وغير ذلك في لِقّينٍ[2] بحماة على الطّريق ، وربّما حمل ذلك على رأسه ودار به يبيعه .

أنشدني لنفسه إجازة القاضي زين الدّين عمر بن الوردي ـ رحمه الله تعالى ـ:

أشكو إلى الرّحمن لؤلؤ فندش ... أضحى يصادر سادة وصدورا[3]
نثر الجنوب بل القلوب بسَوْطه ... فمتى أشاهد لؤلؤاً منثورا[4]

---

(١) (خ) : « الكركي » ، تحريف ، وسلفت ترجمته .
(٢) اللِّقْنُ : الوعاء .
(٣) (ط) ، (خ) : « لؤلؤاً الذي » .
(٤) في الأصل : « بوسطه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

حرف الميم

النّسب والألقاب

☆ **ابن الماسح** : نجم الدّين أحمد بن إبراهيم .

١٤٢٢ ـ مالك بن عبد الرحمن*

ابن علي بن عبد الرّحمن ، أبو الحكم بن المرحّل الأديب الشّاعر المغربي .

أخذ عن الشّلوبين[١] ، وابن الدّباج[٢] ، وعِدّه .

وروى عنه أبو القاسم بن عمران ، ومحمّد بن أحمد القيسي ، وغيرهما .

واستوطن سَبْتَة .

له الشّعر الرّائق ، والنّظم الفائق ، لطّف ألفاظه ورقّقها ، وزَخْرَف أبياته ونمّقها . وكان من أفاضل شعراء الْمَغرب[٣] وأدبائهم الّذين يأخذون [من كلامهم بـ][٤] الْمُرْقِص والْمُطْرِب .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل ابن المرّحل إلى الآخره ، وأقام تحت الأرض إلى أن تُنْشَرَ العِظام النّاخره .

---

* بغية الوعاة : ٢٧١/٢ .

(١) عمر بن محمّد الإشبيلي (ت ٦٤٥ هـ) ، البغية : ٢٢٤/٢ .

(٢) علي بن جابر بن علي (ت ٦٤٦ هـ) ، البغية : ١٥٣/٢ .

(٣) في الأصل : « الغرب » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وهو أنسب للسجعة .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسعٍ وتسعين وستّ مئة بسبتة . وقيل : سنة سبع مئة بفاس ـ والله أعلم ـ.

ومولده بمالقة سنة أربع وستّ مئة ، فمات عن خمسٍ وتسعين سنة .

وكان قد نظم (التيسير) في قصيدة تزيد على ألفي بيت ورويُّها يلازم ، وما أحسن قوله :

يا أيّها الشّيخ الّذي عُمْرُه ... قد زاد عَشْراً بعد سَبْعينا
سَكِرْتَ من أكؤسِ خمرِ الصّبا ... فَحَدَّكَ الدّهرُ ثمانينا
وليته زادك من بعدها ... لأجل تخليطك عشرينا

ووقع بينه وبين ابن أبي الرّبيع[1] في مسألة « كان ماذا » ؟ فنظم مالك بن المرحّل :

عَاب قومٌ « كان ماذا » ... ليت شعري لِمَ هذا
وإذا عابوه جَهْلاً ... دون علم كان ماذا

وجَهَّله ابن أبي الرّبيع ، وصنّف في المنع من المسألة مصنّفاً .

وأنشدني العلاّمة شيخنا أثير الدّين أبو حيّان ، قال : أنشدنا مالك بن المرحّل لنفسه :

مَذْهَبي تقبيلُ خَدٍّ مُذْهَبِ ... سيّدي ماذا ترى في مَذْهبي
لا تخالف مالكاً في رأيه ... فَبِهِ يأخذُ أهلُ المغرب

ومن شِعر ابن المرحّل :

---

(١) عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي (ت ٦٨٨ هـ) ، البغية : ١٢٥/٢ .

يـــا راحلين وَلِي في قُرْبهم أَمَـلُ ... لو أغنت الحالتان القول والعمل[١]
سِرتم فكان اشتياقي بَعْدكم مثلاً ... من دون السّائران الشّعر والمثل
قد ذُقْتُ وصلكم دَهْراً فلا وأبي ... ما طاب لي الأسمران الخمر والعسل
وقد هَرِمْتُ أسىً في حُبّكم وجوىً ... وشبّ منّي اثنتان الحِرص والأمل
غَدَرْتمُ أو ملكتم يا ذوي ثقتي ... وبِئْستِ الخُلّتان الغَدْر والْمَلَل
عَطْفاً عَلَيْنا ولا تَبْغوا بنا بَدَلا ... فما استوى التّابعان العطف والبدل
قالوا: كبرت ولم تبرح كذا غَزِلاً ... أودى بك الفاضحان الشّيب والغزل
لم أنسَ يومَ تدانوا للرّحيل ضُحىً ... وقُرّب المركبان الطِّرف والجمل[٢]
وأشرقت بهوادِيهم هوادجهم ... ولاحت الزّينتان الحَلي والْحُلَل
كم عفّروا بين أيدي العيس من بطل ... أذابَه الْمُضنيان الغنج والكَحَل
دارت عليهم كؤوس الحبّ مترعة ... وإنّما المسكران الرّاح والمقل
وآخرون اشْتَفَوا منهم بضمهم ... يا حبّذا الشّافيان الضّمّ والقُبَل[٣]

وقال قبل[٤] وفاته وأمر أن يُكتب ذلك على قبره :

زُر غريباً بمغرب ... نازحاً ماله ولي
تركوه موسداً ... بين تُربٍ وجندل
ولتقل عند قبره ... بلسان التذلل
رحم الله عبده ... مالك بن المرحّل

---

(١) (ط) : « لو أخنت » .
(٢) في الأصل : « يوماً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٣) في (ط) : « بضيّمهم » .
(٤) في الأصل : « وقبل » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

[اللقب والنسب][1]

☆ **ابن مالك** : شمس الدين محمد بن محمد . وجمال الدين بن محمد بن محمد .

☆ **المارستاني** : محيي الدين محمد بن علي .

☆ **المأمون** : ناظر الكرك زكي الدين عبد الله بن عبد الكافي .

١٤٢٣ ـ مبارك بن نُصير*

الفقيه الشافعي المعيد بالمشهد الجيوسي[2] .

كان من أهل قوص ومن الصالحين المتواضعين يخدم الطلبة بنفسه ، ويعالج المرضى ، ويطبخ لهم ، ويقوم بالوظائف من الإعادة والإمامة والآذان ، من غاب قام عنه بوظيفته .

ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى الحج فغرق في سنة إحدى وسبع مئة .

١٤٢٤ ـ مبارك**

الأمير زين الدين المنصوري .

كان أمير خمسين فارساً بدمشق . ثمّ إنه نقل إلى طرابلس ، فعمي هناك ، وقطع خبزه . ثم إنه قدح عينيه فأبصر ، ولم يعد إليه خبزه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

---

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الطالع السعيد : ٤٧٤ ، والدرر : ٢٧٥/٣ ، وفيها : « مبارك بن نصر » .

(٢) في الطالع : « الجيوشي » .

** الدرر : ٢٧٥/٣ .

اللّقب والنّسب

☆ **المجير الخيّاط** : أحمد بن حسن .

☆ **ابن المحسني** : شهاب الدّين أحمد بن بيليك .

☆ **ابن المحدّث الكاتب** : الشّيخ بدرالدين حسن بن علي .

☆ **ابن المحبّ** : الشّيخ محبّ الدّين عبد الله بن أحمد .

☆ **المحّار** : سراج الدّين عمر بن مسعود .

١٤٢٥ ـ محفوظ*

ابن رشيد الدّين العراقي الشّاعر .

قدم إلى دمشق بعد السّبع مئة ، وكان شاعراً مطيقا ، متكلّماً[١] مِنطِيقا ، يغوص على المعاني البعيده ، ويُبْرزُها في الألفاظ السَّديده ، له مقاطيع راقت ، وأبيات ساقت النّفوسَ إلى الطّرب وشاقت ، فكان شعرُ محفوظٍ محفوظا ، وشعر من سواه ملفوظا . إلاّ أنّه كان الهجو عليه غالبا ، ولسانه للأعراض ثالبا ، ومَدْحُه للأموال سالبا .

عاد إلى البلاد وانقطع خَبره ، وكأنَّ الموتَ جَبَرَه لّما زاد دَبَره .

وكان لّما دخل الشام ووصل حماة اتّصل بابن قرناص [وطلب إيصاله إلى الملك المظفّر صاحب حماة ، وكان ابن قرناص][٢] كاتب سرّه ، فأطال الشّرح عليه ، فلمّا

---

* الدرر : ٢٧٧/٣ .

(١) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « ومتكلما » . في الأصل : « متكلّما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، وابن قرناص هو علي بن إبراهيم ، سلفت ترجمته في موضعها .

يئس منه الرّشيد عدل إلى كشتغدي[١] الأستاذ دار وأنشده :

ولقد ركبْتُ هجينَ عَزْمٍ ساقَه ... منّي الرّجاءُ إلى الأغَرّ الأبْلَج
مَلِكٌ تُوَعِّرُه جُنودٌ حَوْلَهُ ... كالرّوض باتَ مُسَيَّجاً بالعَوْسَج

فأنشدها كشتغدي للمظفّر ، فاستحضره[٢] وابن قرناص حاضر ، فاستنشده البيتين فأنشدهما ، وقال في الثّاني :

ملك تزان به جنودٌ حوله ... كالرّوض بات مُسَيّجاً ببنفسج[٣]

فقال له المظفّر : ما هكذا قلت ، فقال : كان ذاك قبل أن أحضر لديك ، فأمّا الآن ؛ فهو كما قلت ، فأسنى عطاءه .

ثمّ إنّ الرّشيد وصل إلى حصن الأكراد ، وعمل قصيدة في نائبها وأعطاها كاتبه ابن الذّهبي ، ليوصلها إليه ، فعاد إليه بعد مدّة وزعم أنّها ضاعت من حِزْره فقال :

لا الذّهبيُّ اشترى المديح ولا ... أَعْذَبَهُ مَنْهَلاً وعَذَّبَهُ
أهديتُ سرّاً مَدْحي إليه فما ... ذَهّبه بل عليّ أذهبه

ومن شعره أيضاً :

ركّب الله في فتاء بنى فعـ ... ـلان معنى النّيران والجنّات[٤]
أَوْجُهُ القوم بالمكاره تُحْفَى ... وفروج النّساء بالشّهوات[٥]

---

(١) سلفت ترجمته في موضعها .
(٢) (خ) : « ماستُحْضر » .
(٣) في الدرر : « يزين » .
(٤) الفتاء : الشباب .
(٥) في الدرر : « في المكارم حفت » .

ومنه :

فرّقت بيننـــــا الحـــوادث لكنْ لِيَ نفسٌ إليكم أُدْنيهـــــــــــا
فكأنّي في الـوّدّ فـــارةُ مِسْـــكٍ أفْرغـوهـا ونفحـة الطّيب فيهـا[1]

وقال وقد رأى مشجّر الفسيفساء في الجامع الأموي بدمشق :

ألم ترَ أشجـــاراً بجـــامـع جلّـق حكت للورى لو أنّ صانعها بـاق[2]
نَضَـارتهـا أن لا تُـدَانى فُروعُهـا بشمسٍ ولا سَقْي مغـارسهـا سـاقي

ومنه :

هيّـج البَرق لـوعـــة المشتـــاق بـــوميض لقلبـــه الخفّـــاق
هـــذه مـزنـــة إليّ حَـدَتْهـا نسمـةُ الصّبح من نـواحي العراق[3]
يـا قسـاة القلـوب رقّـوا فـإنّي لا غرامي فـــانٍ ولا أنـــا بـــاق
[هـل لبـؤسٍ لاقيتُـــه من فراق ونعيمٍ فـــارقتـــه من تـلاق][4]

قلتُ : هذا البيت الثّاني من هذه القطعـة ذكرت بـه مـا اتّفق لي نظمـه بـالـدّيـار المصريّة ، وقد توجّهت إليها في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وتركت أولادي بـدمشق وهو :

قلت إذ رَقّ لي النّسيم وقلبي يتلظّى بـــالشّـوق في أرض مصرا
هـــذه نفحـــة هَـــدَتْهـــا لبرئي وحَـدَتهـا أنفـاس سَطْرَى ومَقْرَى[5]

---

(١) في الدرر : « وفائح » .
(٢) في (خ) ، (ق) : « حلت للورى » .
(٣) في (خ) : « حدتها إلينا » .
(٤) زيادة من (خ) ، (ق) .
(٥) قريتان من نواحي دمشق . (معجم البلدان) .

١٤٢٦ ـ محمّد بن إبراهيم*

ابن علي فتح الدّين القوصي ، ابن الفهّاد .

كان فقيهاً حسناً مشكور السّيرة ، اشتغل بفقه الشّافعي على أبيه وغيره ، وتولّى الحكم بسمهود ، ثمّ إنّه استوطن القاهرة ، وجلس بحانوت الشّهود ، يعقد الأنكحة ، وعُرف بذلك ، ومضى على جميل .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٤٢٧ ـ محمّد بن إبراهيم بن محمد**

ابن [أبي] نصر الشيخ الإمام العلاّمة حجّة العرب بهاء الدّين أبو عبد الله بن النّحّاس النّحويّ شيخ العربيّة بالدّيار المصريّة .

سمع من ابن اللّتي ، والموفّق بن يعيش النّحوي ، وابن رواحة[١] ، وابن خليل ، ووالده . قرأ القرآن على أبي عبد الله الفاسي[٢] . وأخذ العربيّة عن الشّيخ جمال الدّين محمّد بن عمرون[٣] . ودخل مصر لمّا خَربت حلب ، وقرأ القرآن على الكمال الضّرير ، وأخذ عن بقايا شيوخها ، ثمّ جلس للإفادة .

كان حسن الأخلاق ، منبسطاً على الإطلاق ، مُتَّسِعَ النّفس في حالتيّ الغِنى والإملاق ، ذكيَّ الفِطره ، زكيّ المخالطة والعشره ، مطَّرِح التّكلف مع أصحابه ، عديم

---

* الوافي : ٦/٢ ، والطالع السعيد : ٤٨٠ ، والدرر : ٢٩١/٣ .

** الوافي : ١٠/٢ ، وترجمته فيه منقولة من بعض أصول الأعيان كما ذكر المحقق ثَمّة ، وتالي وفيات الأعيان : ١٤٣ ، وفوات الوفيات : ٢٩٤/٣ ، وغاية النهاية : ٤٦/٢ ، والبغية : ١٣/١ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ ، وما بين حاصرتين زيادة من مصادر ترجمته .

(١) (ط) والوافي : « وأبي القاسم بن رواحة » .

(٢) في الأصل : « القاضي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) ، والوافي والفوات .

(٣) محمّد بن محمّد بن أبي علي (ت ٦٤٩ هـ) ، بغية الوعاة : ٢٣١/١ .

التخلّف عن أشكاله وأضرابه ، ومع ذلك فلم يُرزق أحد سعادته[١] في صدور الصّدور ، ولا فرح أحد بسيادته الّتي أرْبَت على تمّام البدور .

وكان معروفاً بحلّ المشكلات ، موصوفاً بإيضاح المعضلات ، كثير[٢] التلاوة والأذكار ، كثير الصّلاة في نوافل الأسحار ، موثوقاً بديانته ، مقطوعاً بأمانته .

وأمّا علمُه بالعربيّة فإليه الرّحلة من الأقطار ، ومن فوائده تُدرك الأماني ، وتُنال الأوطار ، قد أتقن النّحو وتصريفَه ، وعَلِمَ حدّ ذلك ورَسْمَه وتَعْريفه ، ما أظنّ ابن يعيش مات إلاّ من حَسَدِه ، ولا ابن عصفور لأجله طار ذكره إلاّ في بَلَدِه ، ولا الْمُرسي[٣] رست له معه قواعد ، ولا لأبي البقاء العكبري[٤] معه ذكرٌ خالد ، بذهنٍ نَحَّى النّحّاسَ القديم[٥] عن مكانه ، وجعل ابن برّي بريّاً من فصاحة لسانه ، وتحقيق ما اهتدى ابن جنّي إلى إظهار خباياه ، ولا نُسبت إلى السّخاويّ[٦] هِبَاته ولا عطاياه .

تخرّج به الأفاضل ، وتحرّج منه كلّ مناظرٍ ومناضل ، وانتفع النّاس به وبتعليمه ، وصاروا فضلاء من توقيفه[٧] وتفهيمه ، وكتب خطّاً أزرى بالوشي إذا حُبِكَ ، والذَّهَبِ إذا سُبِك .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ من الحياة أمدها ، وأهدى الزّمان إلى عينيه[٨] بفقده رَمَدَها .

---

(١) في الوافي : « وجاهته » .

(٢) في الأصل : « كبير » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) لعلّه يشير إلى ابن سيدة صاحب المحكم والمخصص ، وهو من مُرْسِية .

(٤) في الأصل « العسكري » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

(٥) (ط) : « القدير » ، والنحاس القديم هو أبو جعفر أحمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨) ، بغية الوعاة : ٣٦٢/١ .

(٦) علم الدين علي بن محمّد بن عبد الصمد (ت ٦٤٣) ، بغية الوعاة : ١٩٢/٢ .

(٧) (ط) : « توقيعه » .

(٨) في (ق) والوافي : « عينه » .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الثّلاثاء سابع جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مئة بالقاهرة .

ومولده بحلب في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستّ مئة[١] .

وكان من العلماء الأذكياء الشّعراء ، له خبرة بالمنطق ، وخطّ من إقليدس ، وكان على ما قيل يحفظ ثلث (صحاح) الجوهري وثلث (سيبويه) ، وكان مطّرحاً صغير العمامة ، يمشي في اللّيل بين القصرين بقميص وطاقيّة فقط ، وربّما ضجر من الاشتغال[٢] فأخذ الطّلبة ، ومشى بهم بين القصرين وألقى لهم الدروس .

وكان متين الدّيانة ، وله أُبّهة وجَلالة في صدور النّاس ، وكان بعضُ القضاة إذا انفرد بشهادة حكّمه فيها وثوقاً بديانته ، واقتنى كتباً نفيسة .

أخبرني الشّيخ نجم الدّين الصّفدي ، وكان ممّن قرأ عليه ، قال : قال الشّيخ بهاء الدّين : ما يزال عندي كتب بألف دينار ، وأحضُرُ سوقَ الكتب دائماً ولا بُدّ أن يتجدّد لي عِلْمٌ باسم كتاب ما سمعت به انتهى .

ولم يتزوج قط ، وكانت له أورادٌ من العبادة . وكان يَسْعَى في حوائج النّاس ويَقْضِيها .

وأخبرني القاضي الرّئيس عماد الدّين بن القيسراني أنّه لم يكن يأكل العنب ، قال لأنّه كان يحبّه ، فآثر أن يكون نصيبه في الجنّة .

وأخبرني الحافظ بن سيّد النّاس ، قال : زكّى بعضَ الفقهاء[٣] تزكية عند بعض القضاة ما زكّاها أحد قطّ ، لأنّه أمسك بيد الّذي زكّاه ، وقال للقاضي : يا مولاي[٤]

(١) في الأصل و (ط) : « وست مئة بالقاهرة » ، سهو .
(٢) في (ق) والوافي : « الإشغال » .
(٣) في الأصل : « القضاة » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (ق) والوافي .
(٤) (ق) ، (ط) : « يامولانا » .

النّاس ما يقولون : ما يُؤْمَن على الذّهب والفضّة إلاّ حِمَار ، قال : نعم ، وهذا حمار ، وانصرف فحكم القاضي بعدالة ذلك الفقيه .

وأخبرني أيضاً أنّ الأمير علم الدّين الشّجاعي لمّا فرغت المدرسة المنصوريّة بين القصرين في أيّام السّلطان الملك المنصور قلاوون طلبه الأمير المذكور ، فتوجّه إليه وعمامته صغيرة بكُرّاثة ، على مصطلح أهل حلب ، فلمّا جلس عنده ، ولم يكن رآه ، أخذ الأمير يتحدّث بالتّركي مع بعض مماليكه ، فقال : يا أمير ، المملوك يعرف بالتّركي ، فأعجب الأمير هذه الحركة منه ، وقال له : السّلطان قد فوّض إليك تدريس التّفسير بالقبّة المنصوريّة ، ونهار غدٍ يحضر السّلطان والأمراء والقضاة والنّاس ، فغداً تحضر وتكبّر عمامتك هذه قليلاً ، فانصرف ، ولمّا كان من الغد رآه الأمير علم الدّين من بعيد ، وهو جائز إلى المدرسة بتلك العمامة ، فجهّز إليه يقول له : ما قلت لك تكبّر عمامتك قليلاً ؟، فقال : يا مولانا ، تعملوني مسخرة ، وأراد أن يرجع ، فقال الأمير علم الدّين : دَعُوه يدخل ، فلمّا جلس مع النّاس ؛ نظر الملك المنصور إلى الّذين هناك ، فقال : هذا ما هو الشّيخ بهاء الدّين بن النّحّاس ؟، قالوا : نعم ، فقال : هذا أعرفه ، لمّا كنت ساكن[1] في المدينة والنّاس يقرؤون عليه ، وشكر الشّجاعي على إحضاره ، قال الشّيخ فتح الدّين : فلم يُعَرّف السّلطان غيره ، ولا أَثْنَى إلاّ عليه .

وأخبرني عنه غير واحد أنّه لم يزل عنده في بيته من أصحابه ومن الطّلبة مَن يأكل على مائدته لا يَدَّخر شيئاً ، ولا يحبّئه عنهم ، وهُنَا أناس يلعبون الشّطرنج ، وهنا أناس يطالعون ، وكلّ واحد في شأنه لا ينكر على أحد شيئاً . ولم تزل أخلاقه مرتاضةً حتّى يكون وقت الاشتغال يتنكّر[2] ، وكان لا يتكلّم في حلّ النّحو للطّلبة إلا بلُغَة العوام لا يراعي الإعراب .

---

(١) كذا في الأصول .

(٢) في الأصل و (ط) : « يتبلّد » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

وأخبرني الإمام أثير الدّين ، وعليه قرأ بالدّيار المصريّة ، قال : كان الشّيخ بهاء الدّين والشّيخ محيي الدّين محمّد بن عبد العزيز المازوني للقيم[١] بالإسكندريّة شَيْخَيّ الدّيار المصريّة ، ولم ألقَ أحدا أكثر سماعاً منه لكتب الأدب ، وانفرد بسماع (صحاح) الجوهري .

وكان كثير العبادة والمروءة والتّرحّم على مَن يعرفه مِن أصحابه ، لا يكاد يأكل وحده[٢] ، ينهى عن الخوض في العقائد ، وله ترداد[٣] إلى من ينتمي إلى أهل الخير . ولي التّدريس[٤] بجامع ابن طولون وبالقبّة المنصورية ، وله تصدير في الجامع الأقمر ، وتصادير بمصر ، ولم يصنّف شيئاً إلاّ ما وجدناه من إملائه على الأمير سنان الدّين الرّوميّ شرحاً لكتاب (المقرّب) لابن عصفور ، وذلك من أول الكتاب إلى باب الوقف[٥] أو نحوه .

قال : وكنتُ وإيّاه نمشي بين القَصْرَين ، فعَبَر علينا صبيٌّ يُدعى بجمال وكان مصارعاً ، فقال الشّيخ بهاء الدّين : لينظم كلّ منّا في هذا المصارع ، ونظم الشّيخ بهاء الدّين :

مُصارِعٌ تصرع الآسادَ شَمْرَتُهُ ... تيهاً فكلٌّ مليح دُونَهُ هَمَجُ[٦]

لمّا غدا راجحاً في الْحُسن قُلْتُ لهم ... عَنْ حُسنه حَدّثُوا عَنْه ولا حرج

قال أثير الدّين : ونظمت أنا :

---

(١) في الأصل : « القيّم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي ، والفوات .

(٢) في (ط) ، (ق) والوافي : « يأكل شيئاً وحده » .

(٣) في الفوات : « تودّد » .

(٤) في الوافي : « التفسير » ، وعبارة البغية : « ولي تدريس التفسير » .

(٥) في الأصل : « الواقف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي .

(٦) التشمير : الجدّ ، وفي الوافي والفوات : « سمرته » .

سبـاني جمـالٌ من مليـحٍ مُصـارِعٍ عليـه دليـلٌ للمـلاحَـةِ واضِـحُ
لئِن عَـزَّ منـه المِثْـلُ فـالكلُّ دونَـهُ وإنْ خفّ منـه الْخَصْرُ فـالرَّدْفُ راجِـحُ

قال : وسمع الشّيخ شهاب الدّين العزازيّ نظمَنا[١] ، فنظم فيه ، وأنشدنيه :

هـل حَكَمٌ يُنصِفُني في هـوى مُصـارعٍ يَصْرَعُ أُسْـدَ الشَّرى[٢]
مُـذْ فَرّ عنّي الصّبرُ في حبّـه حكى عليـه مَـدْمَعي مـا جرى[٣]
أبـاح قتلي في الهـوى عـامـداً وقـال: كم لي عـاشقٍ في الـورى[٤]
رميتُـه في أَسْرِ حُبّي ومِنْ أجفـان عينيـه أخـذتُ الكرى

قلتُ : أمّا قول الشّيخ بهاء الدّين ـ رحمه الله تعالى ـ فإنّه منحطّ وما أتى فيه من مصطلح القوم إلاّ بلفظة « الرّاجح » لا غير . وأمّا قول شيخنا أثير الدّين فإنّه غايّة لأنّه أتى فيه بلفظ « المثل » و « الدّون » و « الرّاجح » . وأمّا قول الشّيخ شهاب الدّين العزازي فَبينَ بين ، لم ينحطّ ولم يرتفع ، لأنّه أتى فيه بلفظة « حكى عليه » و « الإباحة » و « الرّمي » و « أخذ الكرى » في أربعة أبيات وفيها عيبٌ وهو التّضمين وهو تعلّق الثّالث بالرّابع ، وقوله « الكرى » أخطأ فيه ، لأن الكرى بمعنى النّوم بفتح الكاف ، والكِرى بمعنى الأجرة بكسر الكاف فتنافيا وقد أشبعت القول في هذا في كتابي (فضّ الختام عن التّورية والاستخدام) .

وأنشدني شيخنا العلاّمة أثير الدّين قال : أنشدني الشّيخ بهاء الدّين لنفسه يخاطب الشّيخ رضي الدّين الشّاطبيّ ، وقد كلّفَه أن يشتري له قَطْراً :

أيُّهـا الأوحـدُ الرّضيُّ الّـذي طـا ل عـلاءً وطـابَ في النّـاس نَشْرا
أنتَ بحرٌ، لاغروَ إن نحن وافيـ ـنـاك راجين مِنْ نـداك القطرا

---

(١) في الوافي : « نظمينا » .
(٢) في الفوات : « من هوى » .
(٣) في (ق) ، (ط) ، والوافي ، والفوات : « فرّ مني » .
(٤) (ط) : « الورى » ، و (ط) والوافي : « وقال لي كم ... » ، وفي الفوات : « وقال كم من .... » .

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه يرثي الشّيخ أحمد المصري النّحوي :

عَزَاؤُكَ زينَ الدّين في الفاضل الّذي بكَتْـهُ بنـو الآداب مثنى ومَـوْحَـدا
فَهُمْ فَقَـدوا منـه الخليـلَ بن أحمـدٍ وأنت ففـارقت الخليـلَ وأحمـدا

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه ممّا يُكتب على منديل :

ضَـاع منّي خصرُ الحبيب نحـولاً فلهـذا أُضْحي عَلَيْـه أَدُورُ
لَطُفَتْ خِرْقَتي ودقّت فجلّت عن نظيرٍ لمّـا حكتهـا الخصـورُ[1]
أكتم السِّرَّ عن رقيبٍ لهـذا بي يُخفي دمـوعـه المهجـورُ

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

إنّي تركتُ لـذا الـورى دنيـاهُمُ وظَلَلتُ أنتظر المماتَ وأرقب
وقَطَعْتُ في الـدّنيـا العلائق ليس لي ولـدٌ يمـوت ولا عقـارٌ يخرب[2]

وأنشدني شيخنا نجم الدّين الصّفدي من لفظه قال : أنشدنا الشّيخ بهاء الدّين لنفسه :

قلتُ لمّـا شرّطـوه وجَرَى دَمَـهُ القـاني على الخـدّ اليَقَـقْ[3]
ليسَ بِـدعـاً مـا أتَـوا في فِعلـه ستروا البـدر بمحمّر الشّفـق[4]

قلتُ : ذكرتُ أنا هنا ما نظمته في هذا :

قلتُ إذ شرّطـوا الحبيب وقـد ضـا ق عليّ الغرامُ في كلِّ مَسْلَـكْ
قـد ملكتَ الفـؤادَ من غير شرطٍ قـال: لكنّني مـع الشّرط أَمْلَـكْ

(١) في الفوات : « كما حكتها » .
(٢) في الفوات : « علائق » .
(٣) اليقق : الناصع البياض .
(٤) رواية العجز في الوافي والفوات :

هو بدرٌ ستروه بالشفق

وقلتُ أنا فيه أيضاً :

تشرّط مَن أُحبّ فـذُبْتُ خـوفـاً وقـال وقـد رأى جـزعي عليـه
عقيـق دمٍ جرى فـأصـاب خـدّي وشِبْـه الشيء مُنْجَـذِبٌ إليـه

وأخبرني شيخنـا الـذّهبي قـال : قرأتُ على الشّيخ بهـاء الـدّين ـ رحمـه الله ـ جزأين[1] .

قلت : وغالب روايات الشّيخ أثير الدّين كتب الأدب عنه ـ أعني الشّيخ بهاء الدّين رحمه الله تعالى ـ.

١٤٢٨ ـ محمّد بن إبراهيم بن علي*

ابن أحمد بن فضل الشّيخ الموفّق ابن الشّيخ القدوة تقي الدّين .

كان يصوم يـومـاً ويفطر يـومـاً .وكان كثير التّلاوة ، قليـل الاجتماع بـالنّـاس ، لا يُعْرَف لـه صـاحب ولا عشير ، وسمع كثيراً من الحـديث على المشـايخ الّـذين أدركهم بالصّالحيّة .

وتـوفّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في خـامس شهر المحرّم سنـة سبـع مئـة ، ودُفِنَ عنـد والده .

١٤٢٩ ـ محمّد بن إبراهيم بن يحيى**

ابن علي الأنصاري المرويّ الأصل ، المصري المولد[2] ، جمال الـدّين الكتبي المعروف بالوطواط .

---

(١) في الوافي : « جزء شيء » .
* لم نقف على ترجمة له .
** الوافي : ١٦/٢ ، والدرر : ٢٩٨/٣ .
(٢) في الأصل : « الأصل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

كان من كبار الأدباء ، وأعيان الألبّاء ، ألّف وجمع ، وصنّف فأبْرَقَ ولِمَع . وكان نثْره جيدا ، وطبعه عن النّظم متحيّدا ، لم يقدر ينظم البيت الواحد ، ولو لَحَده اللاّحد ، وينثر جيّداً ما شاء ، ويُتقن في هذا الفن الإنشاء .

وكانت له معرفة بالكتب وقيمتها[١] ، ودُربةٌ بوجودها وعَدَمِها ، وله فَهْمٌ وذوق ومعرفة ، وفضلُ يدٍ له في مجاميعه[٢] على ما يريد أن يورده أو يصرفه ، تدّل تواليفه على ذلك ، وتشهد له بحسن السّلوك في تلك المسالك ، وكان يرتزق بالوِراقه ، ويجمع في أثنائها ما راقه .

ولم يزل على ذلك إلى أن بلغت حياتُه غايتها ، وتناولت وفاتُه رايتها .

وتوفّي - رحمه الله تعالى -.....[٣] وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة اثنتين وثلاثين وستّ مئة .

أخبرني شيخنا العلاّمة أثير الدّين ، قال : كان له معرفة بالكتب وقيمتها[٤] ، وله نَثْرٌ حَسَن ، ومجاميعُ أدبيّة . وكان بينه وبين ابن الخوّيّ[٥] قاضي القضاة مودّة ، لمّا كان بالمحلّة ، فلمّا تولّى قضاء الدّيار المصريّة ، توهّم جمال الدّين أنّه يحسن إليه ، ويبرّه ، وسأله فلم يجبه إلى شيء من مقصوده ، فاستفتى عليه فضلاء الدّيار المصريّة ، فكتبوا له على فتياه بأجوبة مُخْتَلِفَة ، وصيّر ذلك كتاباً ، وقد راحت به نسخة إلى بلاد

---

(١) في (ق) ، (ط) : « وقيمها » .

(٢) (ط) : « مجامعه » .

(٣) كذا بياض في الأصل و (ق) و (ط) والوافي . وفي الدرر : « في العشر الأخير من رمضان سنة ٧١٨ » .

(٤) في (ق) ، (ط) : « وقيمها » .

(٥) في الأصل :« الخوّي » ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي ، وهو محمّد بن أحمد بن الخليل (ت ٦٩٣ هـ) العبر : ٣٧٩/٥ .

المغرب . وكان قد سألني على [أن][1] أجيب على ذلك ، فامتنعت لأنّ الإجابة اقتضت ذمّ الْمُسْتَفْتَى عليه ، وكذلك أجاب جميع من كتب عليها . انتهى .

قلت : أمّا هذه الفتيا فقد رأيتها ، ونقلتها بخطّي ، وهي في الجزء الثّاني عشر من (التّذكرة) الّتي لي ، وقد سمّاها (فتوى الفُتُوَّة ومرآة الْمُرُوَّة) . وكتب له الشّيخ بهاء الدّين بن النّحّاس وناصر الدّين حسن بن النّقيب[2] ، ومحيي الدّين بن عبد[3] الظّاهر كتب له جوابين أحدهما له والآخر عليه ، وشرف الدّين بن فضل الله[4] والسّراج الورّاق ، وناصر الدّين شافع ، وشرف الدّين القدسي ، وشرف الدّين بن قاضي إخميم[5] ، ومكين الدّين الجزري كتب له جوابين ، والنّصير الحمّامي وكمال الدّين بن القليوبي ، وعلم الدّين بن بنت العراقي ، وشمس الدّين الخطيب الجزري ، وعلم الدّين القِمّني ، وبدر الدّين الحلبي الموقّع ، وعماد الدّين بن العفيف الكاتب[6] ، وشمس الدّين بن مهّنا ، بدر الدّين المنبجي[7] ، وأمين الدّين بن الفارغ ، وشمس الدّين بن دانيال ، والفقيه شعيب ، وناصر الدّين بن الإسكاف ، ونور الدّين المكّي ، وآخر لم يذكر اسمه لأنّه عاهده على ذلك .

ومن تصانيف جمال الدّين المذكور كتاب (مناهج الفكر ، ومناهج العبر)[8] أربع

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) والوافي .

(٢) الحسن بن شاور بن طرخان (ت ٦٨٧ هـ) ، والوافي : ٤٤/١٢ .

(٣) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان ، سلفت الإشارة إليه .

(٤) عبد الوهاب بن فضل الله . سلفت الإشارة إليه .

(٥) لعلّه شرف الدّين الإخميي ، محمّد بن محمّد بن الحسن (ت ٦٨٤) ، العبر : ٣٥٠/٥ . وفي (ط) والوافي :« شهاب الدّين بن قاضي ... » .

(٦) محمّد بن محمّد بن الحسن (ت ٧٣٦ هـ) ، الوافي : ٢٣٨/١ .

(٧) نصر بن سليمان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) (ق) ، (ط) : « مباهج الفكرة » ، وكلتا التسميتين وردت في الكشف انظر : ١٥٧٩/٢ ، ١٨٤٦ ، وموضوع الكتاب : الكيمياء والطبيعة والحيوانات والنبات . انظر : الأعلام : ٢٩٧/٥ .

مجلّدات ، تعب عليه ، وجوّده ، وما قصّر فيه ، وكتاب (الدُّرر والغُرر وَالدِّرَر والعِرَر)[١] .

وملكت بخطّه تاريخ (الكامل) لابن الأثير ، قد ناقش المصنّف في حواشيه ، وغلّطه ، وواخَذَهُ .

وفي جمال الدّين هذا يقول شمس الدّين بن دانيال وقد حصل للوطواط رمد :

ولم أقطع الوطواط بُخْلاً بكحله ... ولا أنا من يُعْيِيه يوماً تَرَدُّدُ
ولكنّه ينبو عن الشّمس طرْفُه ... وكيف به لي قُدْرَةٌ وهو أَرْقَدُ

وأنشدني إجازة له ناصر الدّين بن شافع :

كم على درهم يلوح حراماً ... يا لئيمَ الطّباع سِراً تواطي
دائماً في الظّلام تمشي مع النّا ... س، وهذي عوائد الوطواط

وأنشدني له أيضاً :

قالوا: ترى الوطواط في شدّة ... من تعبِ الكدّ وفي وَيْلِ
فقلتُ: هذا دَأْبُه دائماً ... يسعى من اللّيل إلى اللّيل

وكان المسكين[٢] جمال الدّين لا يزال الواقع بينه وبين القاضي محيي الدّين بن عبد الظاهر[٣] ، فكتب تقليداً على سبيل المداعبة لشخص يعرف بابن غراب يعرّض

---

(١) اسم الكتاب كما نصّ عليه المؤلف بخطّه : « غرر الخصائص الواضحة وعِرَر النقائض الفاضحة » . والكتاب مطبوع بهذا الاسم .
انظر : الأعلام : ٢٩٧/٥ ، وأشار إليه في الكشف ٧٤٨/١ بلفظ الدرر والغرر ، وذكر أنه في شعراء الأندلس .

(٢) في (ق) ، (ط) : « وكان هذا المسكين » .

(٣) عبارة الوافي : « لا يزال القاضي محيي الدّين بن عبد الظاهر يكرهه ويغض منه » .

فيه بالوطواط[١] ، وهو : ﴿ إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴾[٢] إلى كلّ ذي جناح ، وكلّ اجتراء من الطّير واجتراح ، وإلى كلّ ذي صِيَال منهم ، وكلّ ذي صياح ، وإلى كلّ ذي عَفَاف منهم ، وكلّ ذي جِاح .

أمّا بعد :

فإنّه لمّا عُلّمنا من الله كلامَ الطّير وفُهمّناه من منطقه ، وأُلزمناه من عهده وموثقه ، فقال : ﴿ وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾[٣] ترى أنّ مَن برز لعجزٍ من أولي المخالب وذوي المناسر ، صار على ذي مُسالمه ، وإن غدا بعضُها لبعض طعماً ، ولا يتجاوز أحدٌ منها مقامَه المحمود في الْمُكَارمه ، وإن اتفقت الأجناس واختلفت الأسماء للوضيع والأسمى ، وأن يشكر للوُرْقِ حُسْنَ سجعِها وعفافَ طبعها ، مساعدتَها للخليّ بغنائها في دَوْحِها ، وللحزين بترجيع نَدْبِها ونوحها ، ولأنها متجمّلة بتَخْضِيب الكفِّ وتطويقِ الأعناقِ ، ومتحمّلة[٤] من القدود إلى الغصون رسائل[٥] العشاق بالأشواق ، حتّى وُسِمَت بأنّها على تعانق القُضب رُقَبا ، وسَمَتْ حتّى أصبحت على منابر الأشجار خُطَبا . ويؤثر أن يحمل لذوات الاصطياد من الجوارح تحصيل ما تقتات به النّفوس ، وتمتار منه الجوارح لأنّها شرفت بنفوسها حتى[٦] علت على أيدي الملوك ، وقيل لابنها : لله أبوك ، وأن يصف بحسن اعتذاره في جيئته وذهابه ، وأن ينْثني على حسن خطبته وجميل خطابه ، إلى غير ذلك من قطا لو تُرِك لهدأ ونام[٧] ، وإلى بلابله الملوك من

(١) عبارة الوافي : « والتقليد السليماني الذي أنشأه بالولاية لابن غراب على أجناس الطير » .

(٢) النمل ٣٠/٢٧ .

(٣) الإسراء : ١٣/١٧ .

(٤) في الأصل : « متجمله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٥) في الأصل : « إلى رسائل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٦) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٧) يشير إلى قول حذام :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو تُرِكَ القطا ليلاً لناما

انظر : مجمع الأمثال للميداني ١٧٤/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي : ٣٣٠/٤ .

الحمام ، وإلى غرانيق تهرب الثّعابين من أصواتها ، وإلى سباطر[١] ترتج الأرض بأكلها لحيّاتها ، وإلى لغالغ[٢] تنطق ، وكأنّما ألبست ملابس أهل الجنان من السّندس والاستبرق ، وإلى ما ينجلي من طواويس كأنّما استعار منها قوسُ قزح أثواباً دَبَّجتها الشّمس بشعاعها ، وأهَّلَتها الأهلّةُ لإيداع إبداعها ، وإلى ديكة مباركه ، يُؤْذِن آذانها بمرور ملك من الملائكه ، وإلى نَسْرٍ عظيم التأمير ، وإلى نعامٍ كاد يطير .

وإنّا فكّرنا في بعض ذوات الأجنحة خبيث حقير السّمات ، أسود الوجه والقفا والصّفات ، لا يألف إلاّ قبورَ الأموات ، ولا يسعى إلاّ في الظُّلَم والظّلمات ، ذو أذن ناتئة[٣] وما هذه الصّفة من صفات الطّيور ، وإنّه يولد والطّير لا يُعْرَف منها إلاّ أنّها تحضن بيضها في أعشاشها والوكور ، وإنّه لا يقع في الشّباك ولا في الفخوخ ، وإنّه يَمني كما يمني الرّجل وليس من الأنس ، وإن كان شيطاناً فإنّه شيطانٌ مسوخ ، ولا يُسمع منه هديل ولا هدير ، ولا يصير مَسْرورٌ حيث يصير ، يغدو على الرّوضات متلصّصا ، ويغدو للثمار مُنَقّصا ، مشؤوم الطّلعه ، مذموم النجعه ، مرجوم البقعه سيّئ الجوار قبيح الآثار ، مُؤْذِنٌ بخراب الدّيار ، أسودُ من قار ، وأفسد من فار ، لا يَحْسَن به الانبساط ، ولا يُمكن معه الاحتياط ، أخسّ مخلوقات الله تعالى ، وهو المسمّى بالوطواط . كم ضَرِيَ وكم ضرّ ، وكم ساء وما سَرّ ، وما أَبْرَأ قَطّ ولا أَبَر ، ولا هو حيوان من بحر يُنتفع به ولا مِن بَرّ .

وهذا كتابنا إلى كلّ ذي بَسْط وقَبْض ، وإلى كلّ ذي انتهاسٍ وانتهاش وعض ، وكلّ ربّ مَقْبرةٍ مُظلمه ، وكلّ ذي مُوْحِشَة مُعْتِمَه ، وكلّ مَنْ إليه تَوَغُّل الأعماق الْمُقْتِمه ، يتضمّن إهلاك هذاالحيوان الخبيث وتطهير الأمكنة من رجسه ، وسدّ المنافس

(١) في الأصل و(ق) و(ط) : « شباطر » ، ولم نقف عليها ، والسباطر : جمع سبطر ، وهو طائر طويل العنق .

(٢) جمع لغلغ ، وهو طائر ، غير القلق .

(٣) في الأصل : « نائية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

على الكريهين من نَفَسه وَنفْسه ، وأن لا تُرعى له حُرْمَه ، ولا يُرْقَبُ فيه إلٌّ ولا ذِمَّه[١] ، بحكم أنّه ليس من الطّير ولا من الوحش ، ولا ذو قوّة ولا بَطْش ، ولا فيما يَنْتَفع به صائل ولا صائد ولا آكل ، ولا هو مُعينُ ذي فَرَجٍ ولا ثاكل ، وإنّ ضرره للأحياء والأموات فاش . ولأنّه إذا دُعِيَ بأحبّ الأسماء إليه قيل له : خَفّاش ، لا يكرع في نهر النّهار ، ولا يحوم مع ذوات الجناح في مَطَار ، وأكْرَهُ شيء إليه الأنواءُ والأنوار ، ولا يوصف بأنّه الشّهم ، ولا [هو][٢] ذو ريش يُنْتَفع به بإراشةِ السّهم ، لا تُحدّ له الصّفائح ، ولا يُعدّ في جملة الذّبائح ، ولا ريح له في الشّواء ، ولا ريح له في الشّرائح .

ورسمنا[٣] أن يفوّضَ أَمْرُه وحِسْبَةَ الطّير للإمام شرف الدّين بن غراب ، فليتق الله في كلّ ذات طوقٍ وغير طوق ، وليراقبه مراقبةَ أبيه إذا قنع من إيمانه بما اقتنع[٤] به ﷺ من السّوداء بأنْ قال لها : أين الله ؟، فقالت : في السّماء . وأبوه ، فلا يزال يقول : الله فوق ، وليحتسب[٥] على هذا الخبيث المشوَّه ، وهذا الخسيس المنوّه ، فقد فَوَّضْنَا[٦] ذلك إليه إذ هو كأبيه مُنَطَّق مَفَوّه ، وليترك في أمره النّعيق والنّعيب ، وليعلن بلغته إعلاناً فصيحاً يستوي فيه البعيد والقريب ، ويتجاوز فيه في ذلك كلّ[٧] سمّي بهذا الاسم المشؤوم ، إذْ لكلّ امرئ[٨] مِنْ نَعْتِه نَصيب ، وليُقرأ هذا المرسوم على رؤوس الأشهاد وعند الآبار المعطّلة والبراني والخراب واليباب ، ويزيل[٩] من التّرب المظلمة والقباب عند كلّ باب ، والخاتم الشّريف السّليماني أعلاه حجّة بمقتضاه إن شاء الله تعالى .

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ لا يَرْقَبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة ﴾ ، التوبة : ٨/٩ . ووقع في الأصل : « إلاً » وأثبتنا ما في (ط) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٣) في (ط) : « فرسمنا » .

(٤) (ط) : « أقنع » .

(٥) في (ق) : « وليجتنب » .

(٦) في الأصل : « فرضنا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٧) في (ق) ، (ط) : « ويتجاوز في ذلك إلى كلّ » .

(٨) في الأصل و (ق) و (ط) : « أمر » ، ولا يستقيم .

(٩) كذا .

١٤٣٠ ـ محمد بن إبراهيم بن سعد الله*

ابن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر ، الإمام العالم[١] قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي قاضي قضاة الديار المصرية .

سمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ الأنصاري بحماة وبمصر من الرّضي بن البرهان والرشيد العطار وإسماعيل بن عزون [وعدّة][٢] . وبدمشق من ابن أبي اليسر ، وابن عبد ، وطائفة . وأجاز له عمر بن البراذعي ، والرشيد بن مسلمة وطائفة . وحدّث (بالشاطبية) عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبي[٣] . وله إجازة في سنة ست وأربعين أجازه فيها الرشيد بن مسلمة ، ومكي بن علاّن ، وإسماعيل العراقي ، واليلداني ، والصفي عمر بن عبد الوهاب البراذعي ، وخطيب مردا ، وغيرهم .

وسمع من والده ، وأحمد بن القاضي زين الدين الدمشقي[٤] ، وابن علاّق ، وعثمان بن رشيق ، والحافظ العطّار ، والنجيب عبد اللطيف الحرّاني ، والرّضي بن البرهان الواسطي ، وشمس الدين إسحاق بن بلكويه[٥] الصوفي المعروف بالمشرّف ، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر[٦] ، والقاضي شمس الدين بن عطا الحنفي[٧] ، وكمال الدين عبد العزيز بن عبد ، وشيخ الشيوخ شرف الدين ، والشيخ ناصح الدين

---

* الوافي : ١٨/٢ ، ونكت الهميان : ٢٣٥ ، وفوات الوفيات : ٢٩٧/٣ ، والبداية والنهاية : ١٦٣/١٤ ، والدرر : ٢٨٠/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٨/٩ .

(١) (ط) : « العالم الفاضل » .

(٢) زيادة من (ط) والوافي .

(٣) في الأصل و (ق) و (ط) : « عبد الوهاب » سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، والفوات ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث (ت ٦٦٤) ، غاية النهاية : ٤٥٢/١ .

(٤) أحمد بن علي بن يوسف بن عبد الله (ت ٦٧٠) ، العبر ؛ ٢٩٢/٥.

(٥) (ت ٦٧٩) ، الإعلام للذهبي : ٢٧٩ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقسي (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٣٨/٥ .

(٧) عبد الله بن محمد (ت ٦٧٣) ، العبر : ٣٠١/٥ .

القسطلاني ، وأخيه قطب الدين[١] ، والشيخ محب الدين بن دقيق العيد ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، والشيخ جمال الدين الصيرفي[٢] ، وجماعة غيرهم .

وطلب الحديث بنفسه ، وقرأ على الشيوخ [وحدّث][٣] بـ (صحيح) البخاري بطريق البوصيري .

وحدّث بالشّام ومصر والحجاز ، وخرّج له المحدّثون عوالي ومشيخات بمصر وبدمشق ، وخرّج هو لنفسه أربعين حديثاً [من][٤] الأحاديث التّساعيّات العوالي ، وسمعت عليه مع جماعة بمنزلهِ بمصر المجاور للجامع النّاصري ، وأجاز لي في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة . وحدّث بالكثير ، وتفرّد في وقته .

كان إمام زمانه ، وصَدْرَ أوانه ، وانتهت إليه رياسة الدّين والدّنيا ، رقى بسيادته في مراتب العُليا ، وجُمع له من المناصب ما لم يجمع في وقته لسواه ، وترك كلّ عدوّ له وحاسد ينطوي على نيران جَوَاه ، اشتغل بالعلم من صغره ، واستّمر على ذلك في مدّة كبره . وصحب قاضي القضاة تقي الدّين بن رزين ، وانتفع به وقرأ عليه كثيراً من كتبه ، ولازم طريق الخير وصُحْبَة الصّالحين ، واتّحد بالفقراء العاملين العالمين ، واشتهر بهذه الطّريق ، وعرف بهذا الخير الّذي هو نعم الرّفيق في كلّ فريق ، فترشّح بذلك للوظائف الكبار ، والمناصب الّتي ما على حسنها غُبار ، ومع هذا كلّه[٥] لازم طريقة واحدة ، وباشرَ القضاء والحكم وقد جعل اللهُ فَضْلَه شاهِدَه ورُزق السّعادة العظمى في كلّ ما تولاّه ، وزانه من محاسنه ما تحلاّه ، واتّصف بصفات ، وما يقول النّاس في البدر إذا محا سواد الدّجى وجلاّه :

---

(١) محمد بن أحمد بن علي المصري (ت ٦٨٦) الإعلام للذهبي : ٢٨٦ .

(٢) يحيى بن أبي منصور (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣٢١/٥ .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٥) (ق) ، (ط) : « وهو مع ذلك كلّه » .

وجـــلال لـــو كان للقمر البَـــــدْ ر لمـا جـاز فيـه حكم الْمُحَـاق[١]

ثمّ إنّه ضَعُفَ بصره واستعفى من المباشره ، وترك الخلطة بـالنّـاس والمعـاشره ، وانقطع في منزله قريباً من ستّ سنين يزوره النّـاس للبركـه ، ويقصـدونـه للتّملي بمحـاسنـه ، والأخذ من فوائده المشتركه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُسِفَ بَـدْرُه ، وأُزلف قبره ، وتوفّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ ليلة الإثنين بعد العشاء الآخرة الحادي والعشرين من جمـادى الأولى سنـة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولـده ليلـة السّبت عنـد مُضيّ الثُّلث الأوّل من ليلـة رابع شهر ربيع الأوّل سنـة تسع وثلاثين وستّ مئة .

وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق صلاة الغائب يوم الجمعة بعد الصّلاة عاشر جمادى الآخرة من السّنة المذكورة .

وكان قد درَّس أوّلاً بدمشق في المدرسة القيميّة مُضـافـاً إلى الخطـابـة في أوّل دولـة لاجين . ثمَّ إنَّه نقل إلى قضاء القدس مع الخطابة به في شوّال سنة سبع وثمانين وستّ مئة عوضاً عن فخر الدّين الزُّرَعيّ . ثمَّ إنَّه طُلب لقضاء الدِّيـار المصريَّـة ، فتوجَّـه إليهـا في شهر رمضان سنة تسعين[٢] بدل ابن بنت الأعَزّ ، وجُمِعَ له بين قضاء البَلَدَيْن ، فـأحسن السِّيرة هناك ، وأقام مُدَّة ، وتجمَّعت له هناك مناصبُ جليلة .

أقام بالقاهرة على حاله ، إلى أن قُتِل الأشرف ، وأُمسك الصّـاحب بن السَّلعوس ، فَصُرِف القاضي بدر الدّين بن جماعة وأُعيد قاضي القضاة تقيّ الدّين بن بنت الأعَزّ إلى ما كان عليه .

---

(١) (ط) : « حاز » .
(٢) (ط) : « وستّ مئة » .

واستقرَّ ابن جماعة هناك في تدريسٍ وكفاية ؛ إلى أن توفِّي قاضي القضاة شهاب الدِّين محَمَّد بن الخويي ، فنقل إلى قضاء الشّام ، ووصل إلى دمشق رابع عشر ذي الحجّة من السَّنة قاضي قضاة الشّام ، وجُمع له مع القضاء الخطابة ـ وليها بعد الشَّيخ شرف الدِّين المقدسي[1] في شوّال سنة أربع وتسعين وستّ مئة ـ ومشيخة الشُّيوخ ، وأقام على ذلك مدَّة ، ولم يتَّفق هذا لغيره ، وازداد على ذلك التَّداريس الكبار ونظر الأوقاف وغير ذلك .

ولم يزل على ذلك إلى أن طلب ثانياً لقضاء الدِّيار المصريّة في شعبان سنة اثنتين وسبع مئة عوضاً عن ابن دقيق العيد ، فأقام على ذلك إلى أن حضر السّلطان من الكرك في سنة تسع وسبع مئة ، فعزله ، وولَّى مكانه قاضي القضاة جمال الدِّين الزُّرعي في شهر ربيع الأوّل سنة عشر وسبع مئة مستهلِّ الشَّهر . وعزل أيضاً شمس الدِّين السُّروجي قاضي القضاة الحنفي ، وطلب ابن الحريري ، فوّلاه مكانه ، وتولَّى قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة في هذه العطلة تدريس المدرسة النّاصريّة في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة وسبع مئة . ثمَّ إنَّه أُعيد إلى منصبه قضاء القضاة بالدِّيار المصريّة عوضاً عن القاضي جمال الدِّين الزُّرعي في الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة واستقرَّ له مع الحكم مشيخة الحديث بالكاملية وجامع ابن طولون ، وتدريس الصّالحيّة والنّاصريّة .

ولم يزل على حاله إلى أن استعفى من القضاء في جمادى الآخرة ـ فيما أظنُّ ـ سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فاستمرَّت بيده الزّاوية المنسوبة إلى الشّافعي ـ رضي الله عنه ـ بجامع مصر ، وقَرَّر له السُّلطان الملك النّاصر راتباً في الشَّهر مبلغ ألف درهم وعشرة أرادب قمحاً ، وكان قد ترك تناول المعلوم قبل انفصاله عن القضاء بمدّة .

وحجَّ ستَّ مرّات ، أوَّلها سنة ستّ وخمسين وستّ مئة ، وجاوز التِّسعين سنة ،

---

(١) أحمد بن أحمد بن نعمة (ت ٦٩٤ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٤١/١٣ .

وكان قد رزق القبول عند الخاصّة والعامّة ، وصنَّف في التَّفسير والحديث والفقه والأُصول والنَّحو وعلم الميقات وغير ذلك ، وقُرِئت عليه مصنَّفاته . وكان يخطب غالباً من إنشائه ، ويؤدّي الخطابة بفصاحة ، ويقرأ في النَّهار طيّباً . واجتمع له من الوجاهة والمناصب والعمر المديد في العزِّ والعمل والتَّقدُّم ما لا اجتمع لغيره ، وانقطع نظراؤه ، وانقرضوا ، وسادَ هو عليهم في حياتهم .

ومن نظمه ـ رحمه الله تعالى ـ ما أنشدنيه له إجازة :

يا لَهْفَ نفسي لوتَدومُ خَطابَتي ... بالجامعِ الأقصى وجامعِ جُلَّقِ
ما كانَ أهْنأ عَيشُنا وألذَّهُ ... فيها وذاكَ طِرازُ عُمري لو بَقي
الدِّينُ فيهِ سالِمٌ مِن هَفْوَةٍ ... والرِّزْقُ فوقَ كِفايةِ الْمُسْتَرزِقِ
والنّاسُ كُلُّهم صَديقٌ صاحِبٌ ... داعٍ وطالِبُ دَعوةٍ بتَرَقُّقِ

وأنشدني له أيضاً إجازة :

لَمّا تَمَكَّنَ مِن فُؤادي حُبُّهُ ... عاتَبْتُ قَلبيَ في هَواهُ ولُمْتُهُ
فَرَثى لهُ طَرْفي، وقالَ: أنا الذي ... قد كنتُ في شَرَكِ الهَوى أوقَعْتُهُ
عايَنتُ حُسْناً باهِراً فاقْتادَني ... سِرّاً إليهِ عِندَما أبْصَرتُهُ

وأنشدني لنفسه إجازة :

أحِنُّ إلى زيارَةِ حَيِّ لَيْلَى ... وعَهْدي مِن زيارَتِها قَريبُ
وكنتُ أظنُّ قُرْبَ العَهدِ يُطْفي ... لَهيبَ الشَّوقِ فَازْدادَ اللَّهيبُ

قلت : ما أحسن قول القائل :

وكُلَّما زِدْتَني دُنُوّاً ... زِدْتُ إلى وَجْهِكَ اشْتِياقاً

وأنشدني لنفسه إجازة :

وإذا ما قَصَدْتُ طَيبَةَ شَوْقاً ... صارَ سَهْلاً لَدَيَّ كلُّ عَسيرِ
وإذا ما ثَنَيْتُ عَزْميَ عنها ... فَعَسيرٌ عَليَّ كلّ يَسيرِ

قلتُ : ما أحسن القائل :

يا ليلَ ما جِئتُكم زائراً ... إلاّ وَجَدْتُ الأرضَ تُطْوى لي
ولا انْثَنى عَزمي عَن بابِكُم ... إلاّ تَعَثَّرتُ بأذْيالي

١٤٣١ ـ مَحَمَّد بن إبراهيم بن محمد*

ابن طرخان ، الصَّدر الشَّيخ بدر الدِّين بن الحكيم ، العالم رئيس الأطبّاء عزّ الدِّين أبي إسحاق الأنصاري السُّويدي ـ من سويداء حوران ـ من أولاد سعد بن معاذ .

سمع من جماعة فَوْقَ المئة منهم الرَّشيدي مسلمة ، وابن علاّن ، وإبراهيم بن خليل ، والعراقي ، وعبد الله بن الخشوعي ، والصَّدر البكري ، ومحَمّد بن عبد الهادي ، وأخوه عبد الحميد ، واليلداني ، والكفرطابي ، ومحَمّد بن سعد المقدسي ، وخطيب مردا . وأجاز له من بغداد بعض أصحاب ابن شاتيل ، وبعض أصحاب شُهدَة .

وكان مستوفي الأوقاف ، وخدم بديوان الجامع مدَّة ، وسمع منه الطَّلبة .

وتوفِّي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمسٍ وثلاثين وستّ مئة .

---

* البداية والنهاية : ٦٣/١٤ ، والدُّرر : ٢٩٤/٣ .

(١) بالشبلية ، كما في البداية والنهاية .

١٤٣٢ ـ محَمّد بن إبراهيم*

ابن معضاد ...[١] .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ .....[٢] سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بمصر .

ولَمّا توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ قام أخوه عُمَر .

قال لي شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقيُّ الدِّين[٣] ـ رحمه الله ـ: هؤلاء أهل بيت[٤] لا يتكلَّم فيهم أحد حتّى يموت واحدٌ قبله[٥] .

١٤٣٣ ـ محَمّد بن إبراهيم بن غنايم**

الصّالحي الحنفي المحدِّث العدل ، شمس الدِّين بن المهندس الشّروطي .

سمع من ابن أبي عمر[٦] ، وابن شيبان[٧] ، والفخر[٨] ، وطبقتهم . وكتب العالي والنّازل ، ورحل إلى مصر بابنه ، ونسخ الكثير ، وحصَّل الأصول ، وخرَّج ، وأفاد مع التَّصوُّن والتَّواضع وطيب الخلق وصحّة النقل[٩] . وخلَّف أولاداً ومُلكاً .

---

* الوافي : ٢٠/٢ ، والدُّرر : ٢٩٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٣/٩ .

(١) بياض في الأصل و (ط) ، وفي الوافي : « ابن معضاد الشيخ ... من بيت » ، وعبارته مضطربة ، وعبارة الدُّرر : « ابن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الشيخ ناصر الدِّين الجعبري » ، وزاد في الدُّرر أنه ولد بقلعة جعبر سنة ٦٥٠ هـ .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) ، وفي الدُّرر أنه توفي : في الرابع والعشرين المحرم سنة ... السبكي ، كما في الوافي والدُّرر .

(٣) عبارة الوافي : « هم أهل بيت ، وفي الدُّرر : هم أهل بيت علمٍ » .

(٤) عبارة الوافي والدُّرر : « حتى يموت قبله واحد منهم » .

** الوافي ٢١/٢ ، والدُّرر : ٢٩١/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، وذيول العبر : ١٧٩ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢) ، سلفت الإشارة إليه .

(٧) في الأصل و (ط) : « ابن أبي شيبان » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته ، وأحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥ هـ) سلفت الإشارة إليه .

(٨) ابن البخاري ، علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي (ت ٦٩٠) ، سلفت الإشارة إليه .

(٩) في الأصل : « العقل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

وكان رأسه يضطرب دائماً لا يفتر ، وصّى بوقفيَّة أجزائه ، وكتب شيخنا الذَّهبي عنه ، وأجاز لي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في الثّالث والعشرين من شوّال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ستٍّ وخمسين وستّ مئة تقريباً .

١٤٣٤ ـ محَمّد بن إبراهيم بن محمد*

ابن أحمد الفقيه المفيد الرَّحّال أمين الدِّين الوانيّ الدِّمشقيّ الحنفيّ ، رئيس المؤذِّنين بدمشق وابن رئيسهم برهان الدِّين . وقد تقدَّم ذكر والده شرف الدِّين .

كتب أمين الدِّين ، وتعب ، وحصَّل الأصول ، وحدَّث بمصر ودمشق ومكَّة عن أبي الفضل بن عساكر ، والتقيّ بن مؤمن ، وجماعة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد والده بشهر ، ودفن إلى جانبه ... [1] سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، عاش إحدى وخمسين سنة .

قال شيخنا الذَّهبيّ : كان مِنْ خير الطَّلبة ، وأجودِهم نقلاً .

١٤٣٥ ـ محَمّد بن إبراهيم بن عبد الله**

الشَّيخ الجليل الفاضل القُدْوَة أبو عبد الله بن الشَّيخ السَّيِّد القدوة ابن الشَّيخ السَّيِّد القدوة الأرموي .

روى (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدَّائم .

---

* البداية والنهاية : ١٤/١٧١ ، والدُّرر : ٣/٢٩٣ .

(١) كذا بياض في الأصل و (ق) و (ط) . وفي الدُّرر : « شهر ربيع الأول » .

** الدُّرر : ٣/٢٨٧ ، والبداية والنهاية : ١٤/٦٤ ، وفيه : « الأموي » .

كان من كبار الأدباء ، وجلّة العلماء ، وسادةِ العارفين ، وأئمّة المصنّفين ، ديانتُه متينه ، وصيانته مبينه ، له فضائل ، وفيه تَوَدُّد ولطف شمائل ، يُكْرِم من يزوره ، ويُقْبَلُ عنده لكَرَمِ طِباعه حقّه وزوره . له وجاهة عند الأمراء والأكابر ، وأرباب الطَّيالس والمحابر ، وكلمته نافذة فيما يراه ، وقوله يُسمع فيما يأمر به ويراه . وشعره أرقّ من دموع العشّاق وعتاب الأحباب إذا وصلوا[1] بعد الصَّدّ والفراق ، ونسيم الرِّياض إذا هبَّ في وقت الاغتباط بالاعتباق :

تسمَعُ مِن شِعرِهِ بُيوتاً ... ألذَّ مِن غَفلةِ الرَّقيب
كأنّما إذا صَفَتْ ورَقَّتْ ... شَكْوى مُحِبٍّ إلى حَبيب[2]

لم أرَ مثلَ نظمه العذب ، وقريضه الذي هو في سلاسة الماء وصقال العَضْب[3] ، يهزأ بسجع الحمام ، ويهزُّ عِطْفي بالطَّرب ؛ حتّى كأنّي ثملتُ من المدام . وقد أوردتُ منه[4] جملة في الجزء الثّامن والثّلاثين من (التّذكرة) لي .

ولم يزل الشَّيخ على حاله إلى أن رمي الأرموي بسهم الحِمام ، وبكى عليه يوم مات حتّى جفون الغَمام .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في عاشر شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، بزاويته بسفح قاسيون ، وصُلِّي عليه بالجامع المظفَّري ، ودفن عند والده ، وحضر جنازته خلق كثير من الأمراء والقضاة والفقهاء والصُّدور وعامَّة النّاس . وغُلّق سوق الصّالحيَّة بأسره ، وكان يوماً مطيراً كثير الوحل والطِّين .

وكان فيه خيرٌ وتودُّد ومواظبة على المشيخة ، وإكرام من يزوره .

---

(١) (ق) ، (ط) : « واصلوا » .
(٢) (ق) ، (ط) : « كأنها » .
(٣) العضب : السيف .
(٤) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ومولده في شهر رجب سنة خمسٍ وأربعين وستّ مئة .

جمع جزءاً في السَّماع وجزءاً في أخبار جدِّه .

ومن كلامه في السَّماع قال : افتقار السَّماع إلى الوجد افتقار الصّلاة إلى النِّيَّة ، فكما لا تصحُّ الصَّلاة إلاّ بالنِّيَّة والقصد ؛ كذلك لا يُباح السَّماع إلاّ بالوجد ، فمن كانت حركته في السَّماع طبيعيّه ؛ كانت نشوته به حيوانيَّه ، ألا ترى أنَّ كثيراً من الحيوانات ينشأُ له حالٌ غير[1] المعتاد عند سماع الْمُطْرِبات ، وقوّةُ حركة لسماع النَّغمات ، فمن كان هذا السَّماع الحيواني في ذلك أقصى أربه ؛ كان مقصوراً فيه على لهوه ولعبه ، وهو سماع الطَّبيعة لا سماعُ الأرواح ، فجديرٌ أن يُجتنب ، فإنه يستعمل الطَّبيعة فيه غير مباح[2] ، والسَّماع الذي اختلفت فيه الأقوال ، إنَّما هو سماع أهل المقامات والأحوال ، فمنهم من أباحَهُ على حكم الاختصاص ، ومنهم من جعله زلَّة الخواص ، ومنهم من توقَّف ، ولم يجد إلى إقامة الدَّليل على كِلا أمريه نشاطا ، ورأى الاستغفار منه إذا قدِّر له الحضور فيه احتياطا ، فهو متردِّدٌ في أمريه ، فتركه لمثل ذلك أولى ، ولم يدر على من حضره من السَّلف ، ولكن لم يرَ نفسه لحضوره أهلاً ، فهذه جملةٌ إقناعيّة ممّا قيل فيه ، ونبذةٌ لعلَّ من تأمَّلها تكفيه :

إذا حرَّكَ الوَجدَ السَّماعُ إليكُم ... يباحُ ، وإلاّ فالسَّماعُ حَرامُ

ومَن هَزَّهُ طيبُ السَّماعِ حديثُكُم ... ومالَ مِنَ الأشواقِ ليسَ يُلامُ

ولا عَجبٌ إن شتَّتَ الْحُبّ جَمْعَه ... فليسَ لأحوالِ الْمُحبِّ نظامُ

غُذِّيَ بِلبانِ الْحُبِّ قِدْماً ومالَه ... سواهُ إذا آنَ الفِطامُ فِطامُ

يسيرُ معَ الأشواقِ أنَّى توجَّهت ... وليسَ لهُ في الكائناتِ مقامُ

ولا غَرَوَ إن ضلَّت مذاهبُ عَقْلِه ... فإنَّ مقرَّ العزِّ ليسَ يُسامُ

حِمىً لا سبيل أن يُباحَ مصونه ... وكلُّ الورى طافوا عليهِ وحاموا

وقاموا وقد جدّوا لأوَّلِ منزلٍ ... فقاموا حَيارى فيهِ حيثُ أقاموا

(١) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) كذا في الأصل و (ط) و (ق) ، ولعلّ المراد : « في غير مباح » .

ومن شعره أيضاً :

وافى الرَّبيـعُ فعـادَ الرَّوضُ مُبتَسِماً ... وطـالَما انتحَبَتْ فيـهِ سَحـائبُـه
والغُصنُ مِن فَوْقِه الشّحرورُ تحسبُه ... يتلـو الـزَّبـورَ بـأعلى الـدَّير راهِبُـه
وشـاطئُ النَّهرِ قـد دبَّت عـوارِضُـه ... وافْتَرَّ مَبسِمُـهُ واخْضَرَّ شـارِبُـه
فصفَّـقَ الـدَّوْحُ لَمّـا أنْ رأى عَجَبـاً ... من أجـلِ ذلـكَ قَـدْ شابَت ذوائبُـه

ومنه :

لم أنْسَ ليلـةَ بـاتَ البَـدرُ يَخـدمُنـا ... إلى الصَّبـاحِ ولم يَشْعُر بنـا الرُّقَبـا
والنَّهرُ يجري لُجينـاً والـدُّجى سَبَـجٌ ... فَمُذ بَـدا الصُّبحُ يـاقوتـاً جَرى ذَهَبـا

ومنه :

وافى النَّسيمُ أمـامَ القَطْرِ فـانْثَنَتِ الـ ... أغصـانُ تَرقُصُ مِن تيـهٍ ومِن مَرَحِ
وأعْيُن الرَّوضِ تَجْري وهـو مُبْتَسِمٌ ... وقَـد تَفيضُ دُمـوعُ العَيْنِ بـالفَرَحِ

ومنه :

أصبحتُ أسجَـعَ مِن وَرقـاءَ فـاقِـدَةٍ ... تَنـوحُ في الـدَّوْحِ طـولَ اللَّيـلِ لم تَنَمِ
بعـدَ الأحِبَّـةِ لا تَهْـوى المنـامَ بلى ... إنْ سامَحوهـا وزارَ الطَّيفُ في الْحُلُمِ

ومنه :

رأيتُ الصَّبـا لَمّـا اسْتَعَنْتُ بلطفِهـا ... على حمـلِ مـا لاقيتُـه تتعلَّـلُ
وقُمتُ بحفظِ العهدِ للنَّجمِ في الدُّجى ... فمـا بـالـهُ في صُحْبَتي يَتَنَقَّـلُ
وقلبُ الـدُّجى مـا زالَ للسِّرِّ كاتِماً ... وهـا هـو عمّـا خلتُـه يَتَحَـوَّلُ

ومنه :

سَكرت كما تهبّ صَبـاً صَبـاحـاً ... فرقَّ لأنَّـهُ بِرٌّ كَريمُ
فـلا تَعْجَب لـهُ إن مـالَ عِطْفـاً ... فـإنَّ الغُصْنَ يَعْطِفُـهُ النَّسيمُ

ومنه :

لَطُفَتْ شَمائلُــــه فعُــــدْنَ شَمائــلاً ... مِن أجلهـــــــا عَرْفُ النَّسيمِ مُعَطَّرُ
لـــــو لَم يَنُمَّ عَبيرُهُ بعُبـــــــوره ... كانَ الرَّقيبُ لِلُطْفِـــــــــه لا يشعُرُ

ومنه :

أصــافِـحُ الأغصـــانَ أبْغي الْحَيــا ... مُسْتَسْقِياً أكْـؤسَ جريــالِهــا[1]
وكَيفَ لا يُـــدْرِكُني جُـودُهـــا ... وقَـــدْ تَعَلَّقْتُ بـــأذْيـــالِهـــا

ومنه :

يــا مُعْرِضــاً عَنِّي وفي إعراضِــه ... لُطْفٌ يَفي بفَضـــائـــلِ القُرْب
مِن دونِ سَفكِ دَمي بِحُبِّكَ عـامِداً ... مَعْنىً يَقيـــكَ بــواعِثَ العُتْبِ[2]

ومنه :

كأنَّما النَّهرُ في ظِـلِّ الغُصـونِ وقَــدْ ... ألْقَى السَّحابُ عَليــهِ حُمْرَةَ الشَّفَقِ
خَـدٌّ تكنّفــه فَرطُ الْحَيــاءِ وقَــدْ ... مَـدَّ العِـذارُ عَليــهِ خُضرةَ الـوَرَقِ

ومنه :

ورُبــوعٌ يَكادُ طيبُ شَـــذاهـــا ... يَفْضَحُ المِسْـكَ في نُحـورِ العَـذارى
أشْرَقَتْ شَمسُ نـورِهـــا فرأينـــا ... نحـوهـا في الــدُّجى نَـؤُمُّ نَهــارا
وأتى القــابِسـونَ نَحـو سَنــاهــا ... فرَأَوْا جُـلَّ نــارِهـــا جُلَّنـــارا

ومنه :

أنـــا مُسْتَجيرٌ بـــالـــدُّجى ... مِن سَـلِّ سَيفِ صَبـــاحِـــه
فعَســـاهُ يَكْـــلأُ ذا هـــوًى ... كَرَمـــاً بظِـلِّ جَنـــاحِـــه

---

(١) الجريال : الخمر ، أو لونها .

(٢) في الأصل : « يحبك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ومنه :

كأنَّ سَماءَنـــا والبَـــدْرُ فيهـــا ... وأنْجُمِهـــا مُحَـــدِّقَـــة إليـــه
حَـــديقـــةُ نَرْجِسٍ مِن حُـورِ عين ... تَـدَفَّـقَ مـاؤهـا فَطَفـا عليـه[1]

ومنه :

تبسَّم ثَغرُ الرَّوْضِ بعـدَ قُطـوبِـه ... سُروراً بـإقبـالِ الرَّبيـعِ إليـه
ألَم تَرَ أنَّ الغُصْنَ إذ رَقَّت الصَّبـا ... يُصَفِّـقُ مَسْروراً لهـا بيَـدَيْـه
وأنَّ ثِيـابَ الـوَرْدِ وهِيَ شَقيقـة ... يُشقِّقهـا حتَّى تَمرّ عَليـه

ومنه :

خِلْتُ أنَّ الغُصـونَ تَرْقُصُ لَمّـا ... أن أتـاهـا النَّسيمُ بـالأمطـارِ
فَلهـذا أُلْقَتْ لـهُ مـا عَلَيْهـا ... فَهِيَ مِن شِـدَّةِ السُّرورِ عَـواري
لَبِسَت في الثِّيـابِ ثـوبَ وقـارٍ ... ورَأت في الْمَشيبِ خَلْـعَ عِـذاري

١٤٣٦ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر*

شمس الدِّين المؤرِّخ الجزري[2] .

لهج بالتّاريخ ، وجمعه[3] ، وسمع من إبراهيم بن أحمد[4] بن كامل ، والفخر

---

(١) (ق) ، (ط) : « حول » .

* الوافي : ٢٢/٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٦/١٤ ، والدُّرر : ٣٠١/٣ ، والشذرات : ١٢٤/٦ .

(٢) في الأصل : « الخزرجي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي ، ومصادر ترجمته . ولكنه وقع في البداية والنهاية : « الجوزي » ، وهو تحريف .

(٣) واسم كتابه الذي جمعه في التاريخ : (حوادث الزمان وأنباؤه ووفيات الأعيان وأبناؤه) ، الكشف : ٦٩٣/١ ، وفي الأعلام : ٢٩٨/٥ : أنه مخطوط في مجلدين .

(٤) (ط) ، (ق) ، والوافي ، كابعض أصول الدُّرر : (حمد » .

علي[١] ، وابن الواسطي[٢] ، والأبرقوهيّ ، وابن الشّقاري[٣] ، وغيرهم من الشُّعراء .

وكان حَسَنَ المذاكرة ، سليم الباطن صادقاً ، وفي تاريخه عجائب وغرائب عاميّة[٤] . أجاز لي بخطِّه ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثلاثين وسبع مئة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ...[٥] سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بدمشق ، ودفن في مقابر الباب الصَّغير .

وروى عنه الشَّيخ علم الدِّين البرزالي هذه الأبيات :

إلَهِيَ قَدْ أعْطَيْتَنِي مَا أُحِبُّهُ ... وأطْلُبُه مِنْ أمْرِ دُنْيَايَ والدِّينِ
وأغْنَيْتَنِي بالقُنْعِ عَن كُلِّ مَطْمعٍ ... وألْبَسْتَنِي عِزّاً يَجِلُّ عَنِ الهُونِ
وقَطَّعت عَن كُلِّ الأنامِ مَطَامِعي ... فَنِعْمَاكَ تَكْفِيني إلى يَومِ تَكْفِيني
ومَنْ دَقَّ باباً غيرَ بابِكَ طَامِعاً ... غَدا راجِعاً عَنهُ بصَفْقَةِ مَغْبُونِ

قلت : وأنا أستكثر هذه الأبيات عليه ، وإن لم تكن في الذّروة .

١٤٣٧ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن إبراهيم*

ابن داود بن حازم ، الشَّيخ الإمام الصَّدر الكامل قاضي القضاة الأذرعي شمس الدِّين الحنفي .

كان فاضلاً من أعيان مذهبه ، يعرف الفقه والأصول والنَّحو ، ودرَّس بالمدرسة الشَّلبيَّة ، وولِّي القضاء بدمشق سنة كاملة ، وروى عن ابن عبد الدّائم .

---

(١) ابن البخاري ، وسلفت الإشارة إليه .
(٢) هو التقي الواسطي ، إبراهيم بن علي بن أحمد ، سلفت الإشارة إليه .
(٣) يوسف بن أبي نصر بن أبي فرج (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٤٠٧/٥ .
(٤) في الوافي : « وعاميّة » .
(٥) كذا بياض في الأصل و (ق) و (ط) ، وفي الدرر أنه توفي بواسط سنة ...
* البداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدُّرر : ٢٧٨/٣ ، والدّارس : ٤٢٩/١ .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه بدمشق وبتبوك . توجَّه إلى القاهرة متمرِّضاً ، ونزل بخانقاه سعيد السُّعداء ، فأقام خمسة أيام .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وستّ مئة .

وكان قد ولي القضاء بدمشق في ثاني عشر ذي القعدة سنة خمس وسبع مئة عوضاً عن القاضي شمس الدِّين بن الحريري[1] ، ولَمّا وصل توقيعه في شهر ربيع الآخر سنة ستّ وسبع مئة غلط البريدي ، وتوجَّه بالتَّوقيع إلى ابن الحريري ، ولَمّا قُرئ عُلم أنَّه قد غلط ، فعاد به [إلى][2] الأذرعي .

١٤٣٨ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم*

العدل الرَّئيس الفاضل صلاح الدِّين أبو عبد الله الطَّيب المعروف بابن البرهان . كان أبوه جرائحياً ، وفي أبيه يقول القائل ، وقد ظَرَّفَ :

كلُّ مَن عالَجَ الجِراحَةَ فَدَمّ وأقيمُ الدَّليلَ بالبرهانِ

ولَمّا نشأ صلاح الدِّين المذكور لأبيه أقرأه أبوه القرآن ، فحفظ منه نحو النِّصف ، وقرأ طرفاً من العربيّة على الشَّيخ بهاء الدِّين بن النَّحاس ، وقرأ الطِّبّ على العماد النّابلسي ، ثمَّ على الشَّيخ علاء الدِّين بن النَّفيس .

وكان قد أجيز أولاً بالكحل ، ثمَّ بالتَّصرُّف في الطِّبِّ ، وكان فاضلاً في فروع الطِّبِّ ، مشاركاً في الحكمة ، مائلاً إلى علم النُّجوم والكلام على طبائع الكواكب وأسرارها ، وقرأ في آخر عمره على الشَّيخ شمس الدِّين الأصفهاني كثيراً من الحكمة ،

(١) البداية والنهاية : ٣٨/١٤ ، وعنه في الدّارس : ٤٣٠/١ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في (ق) ، والبداية والنهاية والدُّرر .

* الوافي : ٢٣/٢ ، والدُّرر : ٢٨٨/٣ .

وسمع بقراءة فخر الدِّين عبد الوهّاب[١] كاتب الدّرج كتاب (الشِّفاء) لابن سينا على الشَّيخ شمس الدِّين ، وهو يشرحه لصلاح الدِّين ميعاداً فميعاداً إلى أن أكمله .

قال القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله : وسألت الشَّيخ شمس الدِّين عنه ، فقال : اشتغاله أكثرُ من ذهنه ، وكان علمه بالطِّبِّ أكثر من معالجته .

وقال لي شيخنا شمس الدِّين : إنَّه طلعت في أصبعه سِلْعَة[٢] ، فاستطبَّ لها صلاح الدِّين ، فبُهِت ، ثمَّ وَصَفَ أشياء لم تَفِده ، فقال له فخر الدِّين عبد الوهّاب : لو عملت كذا وكذا كان أنفع له ، فعمله ، فنفعه ، وبَرِئَ به .

وكان صلاح الدِّين المذكور ذا مالٍ ومُتَّجَر[٣] ، وأكثره في إخميم ، وكان من أعيان أطبّاء السُّلطان الَّذين يدخلون عليه ، ويعرف له السُّلطان مكانته وفضله ، وكان خَصِيصاً بالنّائب الأمير سيف الدِّين أرغون . ثمَّ إنَّه اختصَّ بعده بالأمير سيف الدِّين طقزتمر ، ويطلع معه في كلِّ سنة إلى الصَّعيد ، فيكون في خدمته ، ويستعين بجاهه على استخراج أمواله وإنفاق[٤] متاجره .

وصحب قاضي القضاة تاج الدِّين القزويني ، وكان يَسْفُر عنده لقُضاة الصَّعيد ، يقدِّم[٥] كتبهم ، ويتنجَّز أجوبتهم . وكان لا يزال ضيِّق الذَّرع من تقدُّم القاضي جمال الدِّين بن المغربيّ رئيس الأطبّاء عليه ، وسأل من السُّلطان الإعفاء من الطِّبِّ ، وأن يكون من تجّار الخاصّ ، فقال السُّلطان : نحن نعرف أنَّه إنَّما قال هذا لكون ابن المغربيّ هو الرَّئيس ، وكونه هو أكبر وأفضل ، فلا يأخذ في خاطره من هذا ، فهو عندنا عزيز كريم ، ولكن إبراهيم صاحبنا ، ونعرف أنَّه ما يستحقُّ التَّقدُّم عليه .

(١) في الوافي : « عبد الوهّاب بن الحكيم » .
(٢) السلعة : غدّة أو زيادة في الجسم .
(٣) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « ومتجر بالصعيد » ، وفي الوافي : « في الصعيد » .
(٤) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « ونفاق » .
(٥) في الوافي : « يقدم إليه » .

فطاب قلب صلاح الدِّين بهذا الكلام ، وخطب بعد ذلك أخت ابن المغربيّ ، وتزوَّج بها ، واتَّحدا بعد مباينة البواطن .

وكان صلاح الدِّين يثبت علم الكيمياء ، ويقول إنَّه صحب ابن أمير كان اسمه ابن سنقر الرُّومي ، وقال : عملها بحضوري غير مرّة .

وكان مغرًى بالرُّوحانيّات ، واعتقاد ما يقال من مخاطبات الكواكب ، حدَّثني بهذا جميعه القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله ، وكان كثير التَّردُّد إليه والاجتماع به ، وقد اجتمعت به أنا غير مرّة ، وسمعتُ كلامه ، وكان يستحضر كلِّيّات (القانون) ، وكان يلثغ بالرّاء لثغة مصريّة ، وعلى[1] ذهنه شيء من الحماسة والمقامات وشعر أبي الطَّيب .

وكان في ذهنه جمود ، وكان يجتمع هو والشَّيخ ركن الدِّين بن القوبع ـ رحمه الله تعالى ـ في دكّان الشُّهود الَّتي على باب الصّالحيَّة ، فيذكر صلاح الدِّين شيئاً من كلام الرَّئيس ابن سينا ، إمّا من (الإشارات) أو من غيرها ، ويشرح ذلك شرحاً غير مطابق ، فما يصبر له الشَّيخ ركن الدِّين ، ويقول : سبحان الله ! من يكون ذهنه هكذا يشتغل فلسفة ، هذا الكلام معناه كيت وكيت ، فهو في وادٍ وأنت في واد ، وهذا الَّذي يُفهم من كلام الشَّيخ هو المطابق للقواعد عند القوم . فيعود صلاح الدِّين في خجل كبير من[2] الجلوس . وأظنُّه فارق الزَّوجة أخت ابن المغربيّ قبل وفاته .

ولَمّا مرض النّائب أرغون بحلب أوّل مرَّة طلبه من السُّلطان ، فجهَّزه إليه [فحضر][3] وعالجه ، ثمَّ توجَّه إلى القاهرة ، ثمَّ إنّه مرض الثّانية ، فطلبه ، فوصل إلى إربد ، وبلَغَتْه وفاته ، فعاد من إربد إلى القاهرة .

وتوفِّي صلاح الدِّين ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

---

(١) (خ) : « وكان على » .

(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « بين » .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

وكنت أراه دائماً يحمل (شرح الإشارات) للنّصير الطُّوسيّ ويتوجَّه به إلى الشَّيخ شمس الدِّين الأصفهاني ليقرأه عليه .

١٣٣٩ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن يحيى*

الشَّيخ الإمام الفقيه العالم شمس الدِّين الصَّنهاجي المالكي ، إمام محراب المالكيَّة بالجامع الأموي .

كان فقيهاً فاضلاً من أهل العلم والصَّلاح وملازمة الاشتغال[١] .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشر ذي الحجّة سنة اثنتين وسبع مئة ، ودفن برّا الباب الصّغير .

وتولَّى الإمامة بعده الشَّيخ أبو الوليد بن الحاج الإشبيلي[٢] .

١٤٤٠ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن ساعد**

الشَّيخ الإمام الفريد المحقِّق النِّحرير الفاضل الحكيم شمس الدِّين أبو عبد الله الأنصاري ، السِّنجاريّ الأصل والمولد ، المصري الدّار والوفاة ، المعروف بابن الأكفاني .

كان فاضلاً قد برع في علوم الحكمة ، وجمع شتات العلوم من غيرها بماله من الهمّة ، لو رآه الرَّئيس لكانت إليه إشاراته ، وبه صحَّ شفاؤه ، وتمَّت نجاته ، ولم يكن قانونه يُطْرِب ، ولا حكمته المشرقيّة[٣] مما يأتي بالفوائد فيُغرب . ولو عاصره النَّصير الطُّوسيّ

* الدُّرر : ٢٩٩/٣ .

(١) (ط) : « الأشغال » .

(٢) محمد بن أحمد بن قاضي الجماعة ، ستأتي ترجمته بعد قليل . وانظر : الدارس ٥/٢ .

** الوافي : ٢٥/٢ ، والدُّرر : ٢٧٩/٣ ، والبدر الطالع : ٧٩/٢ .

(٣) في الأصل : « المشرفية » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي ، والمراد كتاب : الحكمة المشرقية لابن سينا . وكذلك الأسماء السابقة فيها تورية بكتب ابن سينا .

لَمَا بَنى الرَّصَد[١] ، وكفَّ من طول باعه في التَّصنيف واقتصد[٢] ، ولم يعدُّ النّاس متوسّطاته[٣] في المبادي ، وعلم أنّه ما ظفر بهيبة[٤] من الهيئة إلى يوم التَّنادي . ولو عاينه بطليموس لما وضع اسطرلابا ، ولم يدر مجسّ المجسطي ، ولم يجد له فيه طِلابا . ولو ناظره الخونجيّ[٥] لما أجلسه على خوانه ، وعلم أنَّ منطقه في (كشف الأسرار)[٦] هذرٌ عند بيانه . هذا إلى توسُّع في علم[٧] الأدب على كثرة فنونها ، واتِّساع بحرها لملاعب نونها ، وفهم نكته ودقائقه ، ومعرفة مجازاته وحقائقه . واستحضار كثير من وقائع العرب وأيّامها وتواريخ الأعيان وأحكامها .

اجتمعتُ به فكنتُ أرى العجائب ، وأسير في فضاء غرائبه على متون الصَّبا والجنائب ، أخذت عنه فوائد في الرِّياضي ، وملأتُ بقطر علومه حياضي ، ولم أرَ مثل عبارته ، ولا لطف إشارته ، فكنت أحقَّ بقول أبي الطَّيِّب[٨] .

مَن مُبلغُ الأعرابِ أنّي بعدَها ... شاهدْتُ رَسْطاليسَ والإسْكَندرا
ولَقيتُ كلَّ العالمينَ كأنَّما ... رَدَّ الإلهُ نُفوسَهُمْ والأعْصُرا

ولم يزل الشَّيخ على حاله إلى أن اندرج ابن الأكفاني في الأكفان ، وتحقَّقَ معنى قوله[٩] : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ ﴾[١٠] .

(١) في الأصل : « للرصد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٢) (ق) ، (ط) ، (خ) : « واقتصر واقتصد » .
(٣) المتوسطات : كتب تتوسط في الترتيب التعليمي بين كتاب الأصول لإقليدس وبين كتاب المجسطي لبطليموس ، الكشف : ١٥٨٥/٢ .
(٤) (ق) ، (خ) : « بهبة » .
(٥) محمّد بن نامور (ت ٦٤٦) من علماء الحكمة والمنطق . الشذرات : ٢٣٦/٥ .
(٦) اسم كتابه كشف الأسرار عن غوامض الأفكار في الحكمة ، الكشف : ١٤٨٦/٢ .
(٧) في (ق) ، (ط) : « علوم » .
(٨) ديوانه : ١٧٠/٢ ، ورواية الشطر الأول من البيت الثاني فيه : « ولقيت كل الفاضلين ... » .
(٩) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، « قوله تعالى » .
(١٠) سورة الرَّحمن : ٢٦/٥٥ .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة ، في طاعون مصر ، تعجيزاً من الله تعالى لما يعرفه ، وينفقه من حواصل[١] علومه ويصرفه .

كان هذا الشَّيخ شمس الدِّين ، قد برع في علوم الحكمة ، وتفرَّد بإتقان الرِّياضي ، فإنَّه كان إماماً في الهندسة والحساب والهيئة ، وله في ذلك تصانيف وأوضاع مفيدة ، قرأتُ عليه قطعة جيِّدة من كتاب إقليدس ، وكان يحلُّ لي ما أقرأه عليه بلا كلفة ، كأنَّه مُمَثَّلٌ بين عينيه ، فإذا ابتدأت في الشَّكل شرع هو يَسْرُدُ باقي الكلام سرداً ، وأخذ الميل ، ووَضَع الشكل ، وحروفَه في الرّمل على التَّخت ، وعبَّر عنه بعبارة جزلة فصيحة بيِّنة واضحة ، كأنَّه ما يعرف شيئاً غير ذلك[٢] . وقرأت عليه مقدَّمة في وضع الأوفاق ، فشرحها لي[٣] أحسن شرح ، وقرأتُ عليه أوّل (الإشارات) ، فكان[٤] يحلُّ شرح نصير الدِّين الطُّوسي بأجلِّ عبارة ، وأجْلَى إشارة ، وما سألته عن شيءٍ في وقت من الأوقات عمّا يتعلَّق بعلوم الحكمة من المنطق والطَّبيعي والرِّياضي والإلهي [إلاّ][٥] وأجاب بأحسن جواب ، كأنَّه كان في بارحته يطالع في تلك المسألة طول اللَّيل .

وقرأت عليه (رسالة الاستبصار فيما يدرك بالأبصار) ، وهو كتابٌ صغير في علم المناظر ، تصنيف الشَّيخ شهاب الدِّين القرافي الأصوليّ المالكي[٦] ، فحلَّ كلامه ، وواخذه في أشياء .

وأمّا الطِّبُّ فإنَّه كان فيه إمام عصره ، وغالب طبِّه بخواصّ ومفردات يأتي بها إلى المريض ، وما يعرفها أحد ، لأنَّه يغيِّر كيفيَّتها وصورتها ، حتّى لا تُعلم ، وله إصابات غريبة في علاجه .

(١) (ق) ، (ط) ، (خ) : « حاصل » .
(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « غير ذلك الشكل » .
(٣) (خ) : « في » .
(٤) في الأصل : « فكل » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٦) أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٢) ، الوافي : ٢٣٣/٦ ، والكشف : ٧٧/١ .

وأمّا الأدب ـ وكان[١] فيه فريداً ، يفهم نُكَتَه ، ويذوق غوامضه ، ويستحضر من الأخبار والوقائع والوفيات للنّاس قاطبةً جملة كبيرة ـ فحفظ[٢] من الشّعر شيئاً كثيراً إلى الغاية للعرب والمولّدين والمحدّثين والمتأخّرين والعصريّين . وله في الأدب تصانيف ، وكان يَعْرف العروض والبديع جيداً ، ولم أرَ[٣] مثل ذهنه يتوقد ذكاءً بسرعة [ما][٤] لها رويّة ، وما رأيت فيمن رأيت أصحّ ذهناً منه ، ولا أذكى .

وأمّا عبارته الفصيحة الموجزة الخالية من الفضول فما رأيت مثلها . قال لي شيخنا الحافظ فتح[٥] : ما رأيت من يعبّر عمّا في ضميره بعبارة موجزة مثله . انتهى .

ولم أرَ أمتع منه ، ولا أفكه من محاضرته ، ولا أكثر اطّلاعاً منه على أحوال النّاس وتراجمهم ووقائعهم ، ممّن تقدّم ، وممّن عاصره .

وأمّا أحوال الشّرق ومتجدّدات التّتار في بلادهم في أوقاتها فكأنّما كانت القصّاد تجيء إليه ، والملطّفات تتلى عليه ، بحيث إنّني كنت أسمع منه ما لم أطّلع عليه في ديوان الإنشاء عند كاتب السّر .

وأمّا الرُّقَى والعزائم فيحفظ منها جُملاً كثيرة ، يسردها سرداً . وله اليد الطُّولى في الرُّوحانيّات والطّلاسم وإخراج الخبايا ، وما يدخل في هذا الباب ، وله اليد الطُّولى والباع المديد في معرفة الأصناف من[٦] الجواهر والقماش والآلات وأنواع العقاقير والحيوانات ، وما يحتاج إليه البيمارستان المنصوري لا يُشْترى شيء ، ولا يدخل البيمارستان إلاّ بعد عرضه عليه ، فإنْ أجازه اشتراه النّاظر ، وإن لم يُجزه ؛ لم يُشْتَرَ

---

(١) في (ط) ، (خ) : « فكان » .

(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « يحفظ » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « وما رأيت » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) (خ) : « فتح الدين » ، وهو ابن سيّد الناس ، سلفت الإشارة إليه .

(٦) (خ) : « ومن » .

البتّة ، وهذا اطِّلاعٌ كثير ومعرفة تامَّة ، فإنَّ البيمارستان يريد كلّ ما في الوجود ، ممّا يدخل في الطِّبِّ والكحل والجراح والتّرايق ، وغير ذلك .

وأمّا معرفة الرَّقيق من المماليك والجواري فإليه المآل في ذلك ، ورأيت المولعين بالصَّنعة يحضرون إليه ويذكرون ما وقع لهم من الخلل في أثناء ذلك العمل ، فيرشدهم إلى الصَّواب ، ويدلّهم على إصلاح ذلك الفساد ، ولم أرَ شيئاً يعوزه من كمال أدواته ، إلاَّ أنَّ عربيَّته كانت ضعيفة ، وخطّه أضعف من مَرْضى مارستانه ، ومع ذلك فله كلامٌ حسن ، ومعرفة جيِّدة بأصول الخطِّ المنسوب ، والكلام على ذلك وأنشدني من لفظه لنفسه :

ولقد عَجِبْتُ لعاكسٍ للكيميا ... في طبِّه قد جاءَ بالشّنعاء[١]
يلقي على العَينِ النّحّاس يحيلها ... في لَمحَةٍ كالفِضَّةِ البيضاء

وقرأتُ عليه من تصانيفه (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد)[٢] عوداً على بدءٍ ، ومنْ هذا المصنَّف يُعرف قَدْرُه ، وكتبتُ عليه :

لقد وضَعَ الشَّيخُ تَصنيفهُ ... ولكن على زَهراتِ النُّجومِ
جَلا كُلَّ فَضلٍ بِمِرآتِه ... ففيها تُطالَعُ كُلّ العُلومِ

وقرأتُ عليه (اللُّباب في الحساب)[٣] ، وكتاب (نخب الذَّخائر في معرفة الجواهر)[٤] ، وكتاب (غُنْيَة اللَّبيب عند غيبة الطَّبيب)[٥] ، وقد جوَّده . وممّا لم أقرأه

---

(١) (خ) : « في ظنّه » .

(٢) « ذكر فيه أنواع العلوم وأصنافها ، وهو مأخذ مفتاح السعادة ... وجملة ما فيه ستون علماً » ، كشف الظنون : ٥٧/١ ، والكتاب مطبوع . الأعلام : ٢٩٩/٥ .

(٣) (خ) : « في علم الحساب » ، وانظر : الكشف ١٥٤٢/٢ .

(٤) في الكشف : ١٩٣٥/٢ : « في أحوال الجواهر » ، وهو مطبوع ، كما في الأعلام .

(٥) الكشف : ١٢١١/٢ ، وهو مخطوط كما في الأعلام .

عليه من تصانيفه ، بل أجازه لي كتاب (كشف الرَّين في أمراض العين)[١] ، وتألَّمْتُ لفقده لَمّا بلغتني وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ .

وكان له تجمُّل زائد في بيته وفي ملبوسه ومركوبه من الخيول المنسوبة والبزّة الفاخرة ، ثمَّ إنَّه اقتصر على الخيل ، وآلى على نفسه أن لا يطبَّ أحداً إلاّ إن جاءه إلى بيته أو في الطَّريق أو البيمارستان[٢] ، وامتنع من التَّوجُّه إلى بيت أحد .

وكان مُرْصَداً لتركيب التِّرياق في كلِّ سنة بالبيمارستان المنصوري ، وله في كلِّ سنة[٣] مبلغ ستّ مئة درهم ، ولَمّا باشر الأمير جمال الدِّين نائب الكرك نظر البيمارستان أعجبه كثيراً ، وأضعف معلومه ـ لأنَّه كان ستِّين درهماً ـ فجعله مئة وعشرين درهماً ، وكان يعطيه الذَّهب من عنده خارجاً عن الجامكيّة المقرَّرة له ، وكان من أطبّاء البيمارستان ، ومن نصيبه فيه مداواة المرورين ، ولَمّا بلغتني وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ ؛ قلت أنا فيه :

مِنَ الطّاعونِ قلبي في انْقِلابِ ... فإنَّ لِكُلِّ مَنْ تَلْقاهُ فاني
ولَمّا ماتَ شمسُ الدِّين نادى ... كَفاني فَقْدُ الاكفاني كَفاني

وكنت قد كتبتُ أنا إليه من الرَّحبة :

أمَوْلايَ شمس الدِّينِ قد كُنْتَ أوّلاً ... تَحُلُّ مَحَلَّ النُّورِ في العَينِ بالأمسِ
فلا بدعَ أن يَسودَ يومي ولَيلَتي ... وقَد حُجِبَتْ عَيْنايَ عَن طَلعةِ الشَّمسِ

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

طَبيبكَ في مِصرَ مريضٌ مِنَ الْجَوى ... وقَد قُصَّ منهُ بالبعادِ جَناحُه
فَيا مَن لِذي سَقَمٍ تَمَكَّن داؤهُ ... وأفسدَهُ مُذْ غابَ عنهُ صلاحُه

(١) الكشف : ١٤٩٠/٢ ، وهو مخطوط كما في الأعلام .
(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « أو في البيمارستان » .
(٣) في (ط) ، (خ) : « كل تركيبة » .

وكتبتُ أنا إليه أيضاً من الرّحبة :

سَلامٌ فَضّ مِن مِسكٍ خِتاماً ... وفتَّقَ زَهْرُهُ مِنهُ كاما
ووصفُ محبَّةٍ وحفاظُ عهدٍ ... وشوقٌ سَلَّ في كَبدي حُساما
وكَم لي في النَّسيمِ إليكَ شَكْوى ... أضَمِّنُها اشتياقي والغَراما
وكَم فيها تَحيّاتٌ لِطافٌ ... حَكَت أنفاسُها ريحَ الْخُزاما
تَجانَسَ فعلُ أجفاني وقَلبي ... فتلكَ هَمَتْ، وهذا فيكَ هاما
فنارُ القلبِ ليسَ لها خمودٌ ... ودَمعُ العينِ قد فاقَ الغَماما
وأمّا الحالُ لستُ أطيلُ فيها ... شُروحاً مَلَّ سامِعُها الكَلاما
بُليتُ بِعَكْسِ آمالي وظَنّي ... وحظٌّ عِندَه تَنسى الظَّلاما[1]
وعيشٌ ضاقَ فاتَّسَعتْ هُمومي ... وكانَ فِراقُ مولانا تَماما

يقبِّل الأرض ، وينهي بعد سلام اتَّسم برقّه ، وارتسم برِقِّه[2] ، وشوقٍ منع طرفَهُ القريحَ لذَّة الهُجوع ، ووحشةٍ علّمت جفنه كيف تجري[3] الدُّموع ، وأسفٍ خيَّم بين المنحنى من الضُّلوع ، ووجدٍ يشبُّ له جمر الفؤاد ، كلَّما أضاء له البرق اللَّموع ، وورود المثال العالي فقبَّل كلَّ حرف منه ألْفا ، وصاغ لجيده ورأسه وأذنه عقداً وتاجاً وشنفا ، ياله من أفق فضل كلَّما غاب بدرٌ أطْلَعَ شمسا ، وبحر أدبٍ إن أعطى سائله لؤلؤاً رطبا قذف بعده دُرّاً نفيساً ، وغادة فضح الغزالةَ نورها ، وتحية فضح قلائد العقيان منثورها .

غريبةٌ تُؤنِسُ الآداب وَحشَتها ... فَما تَمرُّ على سَمعٍ فَتَرْتَحِلُ

---

(١) في الأصل و (ط) : « بكيت » ، وأثبتنا ما . (ق) ، (خ) .
(٢) رق الأولى من الرقّة ، والثانية ما يكتب عليه .
(٣) (خ) : « تُذْرى » .

١٤٤١ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن يوسف*

ابن حامد الشَّيخ الإمام تاج الدِّين المراكشي الشّافعي .

كان فقيهاً ، نبيهاً نبيلاً ، نحويّاً فاضلا ، أصوليّاً مناظراً مناضلا ، عنده غرائب ونكت ، وفوائد لو سمعها الرّازي[١] ما وسعه إلاّ أن سكت . جيِّد الذِّهن والفهم ، سريعاً إلى إدراك المعاني يكاد يسبق السَّهم ، قويُّ النَّفسِ ، لا يخضع لأحد ، ولا يكون له دون السُّموّ والرِّفعة مُلتحد ، ضيِّق العِطن ، لا يصبر على أذى ، ولا يغضي جفونه من السُّلطان على قذى . أساء الأدب مرّات على قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني ، واحتمله ، ونشر له رداء الحلم واشتمله ، ولَمّا زاد عليه رصَّع التّاج بالدُّرّه ، وكَسَر دالها ، فكانت في أيّامه بلا نقطة غُرّه . ثمَّ إنَّه زاد في[٢] تسلُّط لسانه عليه ، فشكاه إلى السُّلطان ، فبقَّاه مصحَّفا ، وأُخرج إلى الشّام ، فنشر فيه من فضائله بُرداً مُفَوَّقا .

ولم يزل بدمشق إلى أن ارتدى بالتّرْب ، وأصبح بعيداً عن العيان ، وهو في غاية القُرْب .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ فجأة بعد العصر من يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

ومولده بالقاهرة بعد السَّبع مئة .

تفقَّه بالدِّيار المصريَّة على الشَّيخ علاء الدِّين القونوي ـ رحمه الله تعالى ـ، ولازم الشَّيخ ركن الدِّين بن القوبع كثيراً ، وأخذ عنه فوائد وإيرادات ومآخذ ، وما يُعَظِّم أحداً مثله . وأعاد في القاهرة بقبَّة الشّافعي ، وتولَّى بدمشق تدريس المسروريّة ،

---

* وفيات ابن رافع : ٣٠٣/١ ، والدُّرر : ٣٠٠/٣ ، والشَّذرات : ١٧٢/٦ ، والدّارس : ٣٤٩/١ .

(١) في الأصل : « الراوي » ، وأثبتنا ما في (ط) ، « ق) ، (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

وأقام على ذلك مدّة ، ثمَّ إنَّه قبل موته بسنة نزل عنها ، وقال : شرط المدرِّس أن يعرف الخلاف ، وما أعرف أحقَّ بهذا الشَّرط من قاضي القضاة تقيَّ القضاة تقيَّ الدِّين السّبكي ، وانقطع بدار الحديث بالأشرفيّة معتكفاً على طلب العلم ، ولم أرَ أحرص منه على ذلك ليلاً ونهاراً ، يدع[١] طعامه وشرابه لأجل القراءة والاشتغال . وكان ضريراً[٢] ، ليس له إلا[٣] بعض نظر من عين واحدة ، وكان لا يفتر عن الطَّلب إلاّ إذا لم يجد من يقرأ له ما يريد .

١٤٤٢ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله*

الإمام العالم الثِّقة الصّالح عزّ الدِّين أبو عبد الله ابن الإمام عزّ الدِّين ابن شيخ الإسلام أبي عمر المقدسيّ الصّالحيّ الحنبليّ .

حدَّث بـ (صحيح) مسلم عن ابن عبد الدّائم . ودرَّس بأماكن . وخَطَب بالجامع المظفّري .

وكان [على][٤] سمت السَّلف ، مواظباً على الجماعات ، وتشييع الجنائز ، وتلقين الموتى . طلق الوجه ، حسن البشر .

خرَّج له ابن المحبّ (مشيخة) في أربعة أجزاء ، حدَّث بها غير مرَّة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة عن خمسٍ وثمانين سنة .

---

(١) في الأصل : « ويدع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) (خ) : « ضرير النظر » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « غير » .

* الدُّرر : ٢٨٧/٣ ، والشَّذرات : ١٥٧/٦ .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

١٤٤٣ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم*

الشَّيخ شمس الدِّين الكرديّ ، إمام مشهد عليّ بالجامع الأموي .

حدَّث عن ابن الواسطي وغيره ، وكان يحفظ (التَّنبيه) ، ويفتي . وكان إماماً في صناعة الحساب .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسعٍ وخمسين وسبع مئة .

وكان [عسراً][1] في مباشرة الوظائف الَّتي يليها .

١٤٤٤ ـ مُحَمَّد بن أحمد**

ابن عثمان بن سياوش ، الشَّيخ الإمام المقرئ الفقيه الصَّالح ، بقيّة السَّلف ، شمس الدِّين أبو عبد الله الخلاطي الدِّمشقيّ الشَّافعيّ الصُّوفيّ ، إمام الكلاّسة وابن إمامها .

كان ديِّناً خيِّراً وقوراً ، حسن الشَّكل ، طيِّب الصَّوت إلى الغاية ، جيِّد المشاركة في القراءات ، والفقه مليح الكتابة .

خطب بالجامع الأمويّ بدمشق بعد الشَّيخ شرف الدِّين .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ فجأة بعد[2] سنة من ولايته في بكرة يوم الأربعاء ثامن شوّال سنة ستّ وسبع مئة ، وحضر الأفرم والأعيان جنازته .

عاش اثنتين وستِّين سنة . وولي الخطابة بعده جلال الدِّين القزويني . وكان النّاس يُقَبِّلون يده ، ويتباركون به ، وما تصل أيديهم إليه من الزِّحام .

---

* الدُّرر : ٢٧٩/٣ ، والدّارس : ٣٠٦/٢ ، وفيهما : « مُحَمَّد بن إبراهيم بن داود بن نصر الكردي » .

(١) زيادة من (ق) .

** الوافي : ١١٩/٢ ، وترجم له مرة أخرى : ١٦٩/٢ ، والإعلام للذَّهبي : ٢٩٦ ، والدُّرر : ٣٣٥/٣ .

(٢) (ق) ، (ط) : « بعد مدَّة » .

وهو مِمَّن كان كاملاً في الإمامة والخطابة لورعه ودينه وصلفه وتواضعه وفضيلته وطيب نغمته وحسن أدائه[١] ومعرفة الأنغام وفقهه ، وكل ما كان فيه غاية .

١٤٤٥ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

الشَّيخ سعد الدِّين الكاساني[٢] ، شيخ خانقاه الطّاحون بدمشق[٣] .

كان فاضلاً في فنِّه على رأي الصُّوفيّة ، بصيراً بأقوالهم . قرأ هو والشَّيخ شمس الدِّين الأيكي على الشَّيخ صدر الدِّين القونوي .

وهو قرأ على الشَّيخ محيي الدِّين بن عربي ، وقد شرح قصيدة ابن الفارض التّائيَّة في مجلَّدين .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عشر ذي الحجّة سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

١٤٤٦ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد العزيز**

ابنَ عبد الله بن علي بن عبد الباقي ، العدل الخطيب معين الدِّين أبو المعالي بن الصَّوّاف الإسكندري المالكي الشّروطي .

سمع (أربعين) السِّلَفي من جدِّه . قال شيخنا الذَّهبي : قرأتها عليه ، وهو أخو شيخنا شرف الدِّين يحيى . وكان شيخاً صالحاً جليلاً حسن البزّة ، ينوب في خطابة الثَّغر ، ويَعْقد[٤] الوثائق .

---

(١) في الأصل : « آدابه » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* الوافي : ١٤٠/٢ ، والعبر : ٣٩٨/٥ ، وفيه : « سعيد الكاساني » .

(٢) نسبة إلى كاسان ، مدينة كبيرة في أوّل بلاد تركستان وراء نهر سيحون . (معجم البلدان) .

(٣) الدّارس : ١٢٩/٢ .

** الوافي : ١٤١/٢ .

(٤) في الأصل : « ويعتقد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

ومولده في سنة اثنتين وعشرين وستّ مئة .

١٤٤٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن نوح*

ابن أحمد بن زيد بن مُحَمَّد بن عصفور ، الأديب الفاضل أبو عبد الله الإشبيلي ابن أخت الإمام ابن عصفور [صاحب][(١)] (المقرّب) .

كان شيخاً مطبوعاً حلو المجالسة ، دمث الأخلاق ، متفنِّناً في الآداب واللُّغة ، وله نصيبٌ من علوم القرآن والأثر والبلاغة والحساب ، وله اليد الطُّولى في الشِّعر .

وكانت فيه ديانة وعفاف ، أخذ عن علماء المغرب[(٢)] ، قال شيخنا الذَّهبي : جالسته مرّات .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

ومولده ، بإشبيليّة سنة إحدى وثلاثين وستّ مئة .

١٤٤٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن صلاح**

شمس الدِّين السّرواني[(٣)] الصُّوفي ، شيخ الخانقاه الشِّهابيّة بدمشق[(٤)] .

كان عارفاً بالنُّجوم والأرصاد والأحكام ، ويَقْرئ الفلسفة ، وله مشاركات جيِّدة في المعقولات .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

---

* الوافي : ١٤٢/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل و (ق) و (ط) : « العرب » ، وأثبتنا ما في الوافي .

** الوافي : ١٤٢/٢ .

(٣) في (ط) والوافي : « الشّرواني » .

(٤) داخل باب الفرج ، بناها علاء الدِّين الشّهابي أيدكين بن عبد الله سنة (٦٧٧ هـ) . الدّارس : ١٢٦/٢ .

١٤٤٩ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

ابن أبي بكر بن مُحَمَّد ، الشَّيخ المقرئ العابد المسند أبو عبد الله الحرّاني القزّاز أبوه ، الحنبلي ابن أخت المحدِّث سراج الدِّين بن شحانة[١] .

سمع (صحيح) البخاري من ابن روزبة أو بعضه ، وسمع من إبراهيم بن الخيِّر ، والمؤتمن بن قميرة ، وأبي الوقت الرّكبدار ، ومُحَمَّد بن أبي البدر بن المنّي[٢] ، وعلي بن بكروس[٣] ، ومُحَمَّد بن إسماعيل بن الطَّبّال ، وتفرَّد بأشياء .

وسمع بمصر من ابن الجميزي ، وسمع (الصَّحيح) من صالح المدلجي[٤] صاحب المأموني[٥] . وسمع من الضِّياء بن النَّعّال ، والشَّرف المرسي ، وابن بَنين[٦] ، ومُحَمَّد بن إبراهيم[٧] المخزومي ، وبحلب من ابن خليل .

وكان زاهداً تالياً لكتاب الله تعالى ، صاحب نوادر ودعابة .

قال شيخنا الذَّهبي : حدَّثني أنَّه تلا بمكَّة أزيد من ألف ختمة ، وأنَّه اتَّكأ في ميزاب الرَّحمة ، فتلا فيه ختمة ، فلعله قرأ سورة الإخلاص ثلاثاً . حدَّث بدمشق والحجاز .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة خمسٍ وسبع مئة .

ومولده سنة ثماني عشرة بحرّان ـ فيما زعم ـ .

---

* الوافي : ١٤٣/٢ ، والدُّرر : ٣٥٤/٣ .

(١) عبد الرحمن بن عمر بن بركات (ت ٦٤٣) ، السير : ٢١٤/٢٣ .

(٢) مُحَمَّد بن مقبل بن فتيان (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥٢/٢٣ .

(٣) علي بن إبراهيم بن علي التميمي الدينوري (ت ٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٢/٥ .

(٤) صالح بن شجاع بن مُحَمَّد المدلجي (ت ٦٥١ هـ) ، السير : ٢٩٠/٢٣ .

(٥) سعيد بن الحسين بن سعيد العباسي (ت ٥٧٦) ، العبر : ٢٢٩/٤ .

(٦) عبد الغني بن سليمان بن بنين المصري . (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .

(٧) (ق) ، (ط) ، والوافي : « مُحَمَّد بن عبد الله بن إبراهيم » .

١٤٥٠ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

ابن قاضي الجماعة ، أبو الوليد بن أبي عمر [مُحَمَّد][١] بن عبد الله بن القاضي أبي جعفر بن الحاجّ التَّجيبي الأندلسي القرطبيّ الإشبيليّ المالكي نزيل دمشق ، إمام محراب المالكيّة بالجامع الأموي .

كان وقورا ، ونصيبه من الدّيانة قد جعله موفورا ، لم يزل عن النّاس في انقباض ، وبمعارفه في رياض ، مُنَوَّر الشَّيبه ، موفّر الهيبه . كتب بخطّه المليح الصَّحيح المغربيّ عدَّة كتب ، وأتى بها وهي أضوأ من الشُّهب . وذُكِرَ لنيابة القَضاء فما وافق ، بل واقف في الإباء وحاقق .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أبو الوليد ، وهو تحت الصَّعيد .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الجمعة وقت الآذان ثامن عشر رجب سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وثلاثين وستّ مئة .

ومات أبوه وجدّه كلاهما في عام إحدى وأربعين وستّ مئة ، وورث مالاً جزيلاً ، فتمحَّق بمصادرة السُّلطان ابن الأحمر له ، أخذ منه[٢] في وقت عشرين ألف دينار[٣] ، وعُدمت له كتبٌ جليلة .

ونشأ يتيماً في حجر أمِّه ، وتحوَّلوا إلى شُرَيْش ثمَّ إلى غرناطة . ثمَّ إنَّه شبَّ ، وقدم تونس ، وسكنها خمس سنين . ثمَّ إنَّه رحل بولديه إمامَيّ المالكيّة إلى دمشق ، وسكنوها ، وسمعوا من الفخر بن البخاري ، وكانت له جنازة حافلة مشهودة .

* الوافي : ١٤٤/٢ ، والبداية والنهاية : ٩١/١٤ ، والدُّرر : ٣٥٠/٣ ، وذيول العبر : ٩٧ .

(١) زيادة من (ق) والوافي والبداية .

(٢) (ط) والوافي : « له » .

(٣) عبارة ابن كثير : « وصادر ابن الأحمر جدَّه القاضي بعشرين ألف دينار » .

قال شيخنا الذَّهبي : سمعتُ عليه [حديثاً][1] واحداً ، وملكت أنا بخطِّه الظَّريف (الأذكار) للشَّيخ محيي الدِّين ، و (رياض الصّالحين) له ، وكتاب (المفصَّل) للزَّمخشري . ورأيت بخطِّه (شرح مسلم) و (شرح الموطّأ) في عدّة مجلّدات ، وكتاب (جامع الأصول) في عشرة وغير ذلك ، وكتب بخطِّه نحو المئة مجلّد .

وكان منجمعاً عن النّاس ، وله عدّة كاملة من السِّلاح والخيل ، يعدّها للغزاة من ماله .

وكان له ورد من اللَّيل ، ورؤيت له المنامات الصّالحة .

١٤٥١ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي نصر*

القدوة الزّاهد شمس الدِّين بن الدّباهي[2] البغدادي الحنبليّ .

كان من أكابر التُّجّار كأبيه ، ثمَّ إنَّه تزهَّد ، وقوَّى نفسه على الوجود ، فتفهَّد ، ولبس العباءه ، ورفض الملاءه ، واللَّذة برفيع المُلاءه . وجاور بمكَّة مدّه ، وتصوَّف ، ولقِيَ من المشايخ عدّه ، وكان ذا صدقٍ وإنابه ، وخضوع وكآبه ، وله مواعظ نفع بها ، وجرَّ الخير بسببها .

وكان بالحقّ قوّالا ، وعلى أُولي اللَّعب صوّالا ، وصفاته حميده ، وحركاته سديده .

ولم يزل على حاله إلى أن حلَّت أمّ الدَّواهي بابن الدّباهي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وكان قد قَدِمَ دمشق وصحب الشَّيخ تقيَّ الدِّين بن تيميَّة .

---

(١) زيادة من (ط) والوافي .

* الوافي : ١٤٣/٢ ، والدُّرر : ٣٧٥/٣ ، والشَّذرات : ٢٧/٦ ، وذيول العبر : ٦٠ .

(٢) نسبة إلى (دباها) قرية من نواحي بغداد . (معجم البلدان) .

١٤٥٢ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم*

القاضي عزّ الدِّين الأُمْيوطي .

تفقَّه على ضياء الدِّين عبد[١] الرَّحيم ، والنَّصير بن الطَّبّاخ . وأخذ أيضاً مذهب مالك عن ابن الأبياري قاضي الثَّغر ، وبحث عليه (مختصر ابن الحاجب) ، وقرأ بالسَّبع على النّور الكُفتي ، والمكين الأسمر ، وجماعة .

وتصدَّر للإقراء ، وتخرَّج به جماعة من الفقهاء ، وكان فيه ورع .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الخميس سادس شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وقد أكمل خمسة وسبعين عاماً .

وكان حاكماً بالكرك ثلاثين سنة ، وكان يروي كتاب (التَّنبيه) بالسَّند عن القَسطَلاني[٢] عن شيخ ابن سكينة ، عن ابن عبد السّلام ، عن المؤلِّف . ويروي (مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه) عن شيخ له عن المصنّف ، كذا نقلتُه من خطِّ شيخنا علم الدِّين البرزالي . وقال : اجتمعتُ به في سنة ثلاث وسبع مئة بالكرك ، وأراني (التَّنبيه) و (المختصر) وعليهما طبقة السَّماع .

١٤٥٣ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمود**

ابن أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان الشَّيباني القاضي الصَّدر الرَّئيس بدر الدِّين بن العطّار ، تقدَّم ذكر والده القاضي كمال الدِّين في الأحمدين مكانه .

حضر على الشَّيخ تقيّ الدِّين بن أبي اليُسر في السَّنة الثَّالثة ، وروى عنه . وسمع

---

* الوافي : ١٤٤/٢ ، والدُّرر : ٣٠٨/٣ ، وذيول العبر : ١٤١ .

(١) في الوافي والدُّرر : « ابن عبد الرَّحيم » .

(٢) علي بن أحمد بن علي (ت ٦٦٥) ، الشذرات : ٣٢٠/٦ .

** الوافي : ١٤٤/٢ ، والدُّرر : ٣٦٧/٣ .

من ابن الصَّيرفي ، والقاضي ابن عطاء ، وابن علاّن ، وابن الصّابوني ، والمقداد ، والشَّيخ شمس الدِّين بن أبي عمر ، وابن البخاري ، وغيرهم .

قال شيخنا : علم الدِّين البرزالي ، ورافقني في سماع (مسند أحمد) و (صحيح) البخاري وغير ذلك ، كتب المنسوب ، وأتى به آنقَ من تخاريج العذار في خدّ المحبوب ، ونظم القريض ، وباهى به زهر الرّوض الأريض ، وباشر نظر الجيش في أيّام الأفرم ، فحظي عنده ، وصار عَضُدَه في ذلك الوقت وزنْدَه ، وسمر عنده ونادمه ، وصدَّ عنه الأذى وصادمه ، واختصَّ به كثيرا ، وأحلَّه من العزِّ محلاً أثيرا ، وما أحمد عُقبى ذلك لَمّا عاد النّاصر من الكرك ، ووقع من الرَّدى في حبائل موبقةِ الشّرك ، فغودر ، وقد صودر ، ثمَّ انتاشه الله من تلك الورطة ، وأجاب الخلاصُ شَرْطَه .

ولم يزل بعد ذلك على حاله إلى أن لحق أباه ، وسلب الموتُ قلبه ، وسباه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة السَّبت رابع عُشْرَي ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودُفِنَ بتربة والده بسفح قاسيون .

ومولده في ليلة الجمعة سادس جمادى الأولى سنة سبعين وستّ مئة .

وكان في أيّام الأفرم زائد الحظوة لديه ، نادَمه ، وعاشره ، وطلع يوماً إلى بستانه ، فوجد الفعول يعملون في طين السّطوح ، فأخذ الأفرم الحبل بيده ، ومتح[1] به أسطال طين ، ولَمّا جاء الأمير سيف الدِّين تنكز في الرّسليّة إلى الأفرم من عند أستاذه النّاصر إلى الكرك قام إليه ، وفتَّش حتّى تكّة لباسه ، لئلاّ يكون فيها كتب إلى الأمراء بدمشق . ولَمّا توجَّه مع النّاس صحبه السّلطان إلى أن عوّقه في مصر ، وصادره ، وأخذ منه مالاً ، وعاد بعد النّاس بمدّة إلى دمشق ، وكان قد ولِيَ نظر الأشراف وكتابة الإنشاء بدمشق وغير ذلك . وكان حسن المباشرة ، شديد التَّصرُّف ، وشكَرَهُ النّاس عند مَوْته[2] ، وتألَّموا له ، وتأسَّفوا عليه .

(١) في الأصل و (ق) و (ط) : « مدح » ، ولا تستقيم ، والمتح : انتزاع الماء وغيره بالحبل .

(٢) في الأصل : « عند التصرف صوته » ، سهو .

١٤٥٤ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن شبل*

الفقيه الإمام المفتي شمس الدِّين أبو عبد الله الحريريّ المعروف بالبغدادي المالكيّ .

أَسَرَه التَّتار ، وعمره اثنتا عشرة سنة ، ونشأ ببغداد وغيرها ، وتفقَّه لمالك ـ رضي الله عنه ـ ، وكان كثير الاشتغال والمطالعة ، وأقام بدمشق مدّة[1] ، وعُرِض عليه نيابة الحكم ، فامتنع ، وقال : الشَّهادة أسلم ، وكان رجلاً مباركاً .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني عُشْرَي شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وأربعين وستّ مئة .

١٤٥٥ ـ مُحَمَّد بن أحمد**

الشَّيخ الصَّدر الرَّئيس الفاضل المسند تاج الدِّين أبو المكارم ابن الشَّيخ الجليل المسند الزّاهد بقيَّة المشايخ كمال الدِّين بن زين الدِّين مُحَمَّد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النَّصيبيّ الحلبيّ .

حضر[2] على ابن قُمَيرة ، وسمع من يوسف بن خليل جملة من الأجزاء والكتب ، وسمع من أبي طالب عبد الرَّحمن بن العجمي وجماعة .

ووَلِيَ وكالة بيت المال بحلب مع تدريس العصرونيّة . ووَلِيَ نظر الأوقاف وكتابة الدّرج .

وجَرَتْ له نكبة[3] في أيّام طرنطاي في الأيّام المنصوريّة ، وقُيِّد ، وسُجِنَ بالقاهرة مدَّة . وكان من رؤساء حلب المعروفين .

---

* الدُّرر : ٣١٩/٣ .

(١) في (ق) زيادة : « واشتهر بالإفتاء ، وجلس تحت الساعات مع الشهود » .

** الدُّرر : ٣٥٥/٣ ، وذيول العبر : ٨٥ .

(٢) (ق) والدُّرر : « أُحضِرَ » .

(٣) في الأصل : « نكته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وتوفِّي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وستّ مئة .

١٤٥٦ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى*

ابن رضوان القليوبيّ[١] الْمَحْتِد ، القاضي الفاضل الأديب فتح الدِّين .

اشتغل بالفقه على مذهب الشَّافعيّ على أبيه وعلى[٢] غيره ، وتأدَّب . له الشِّعر الجيِّد ، والنَّظم الَّذي به السَّمع متقيِّد ، يُلْهِي النُّدامى عن الأوتار ، ويُغْنيهم عن معاطاة كؤوس العقار .

وكانت فِطْرَتُه ذكيَّه ، ونفسه فيها بقايا[٣] من لوذعيّه ، واسع الكرم والجود ، لا يُبْقي على موجود ، كثير التَّبذير ، غَزيرَ التَّنديب والتَّنديد ، واسع الخيال ، زائدَ التَّوهُّم والاحتيال ، إلاّ أنَّه تعب بخياله ، وحصل له أنكادٌ مَنَعَتْهُ من طيف خياله .

ولم يزل بذلك في نكد ، وما يهبّ نسيم سُعوده ، حتّى يراه وقد ركد .

ولم يزل على حاله إلى أن انقلب القليوبي في حفرته ، وأورث[٤] أصحابه دوامَ حسرته .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة ثالث عشر جمادى الأولى سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة .

ومولده في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة اثنتين وستِّين وستّ مئة .

---

* الوافي : ١٤٥/٢ ، والدُّرر : ٣٤٦/٣ .

(١) في الوافي : « العسقلاني » .

(٢) ليست في (ق) .

(٣) (ق) : « بقيّة » .

(٤) في الأصل : « ووارت » ، وأثبتنا ما في (ق) .

حضر هذا فتح الدِّين إلى صفد قاضيَ القضاة ، بعدما عُزل عنها القاضي شرف الدِّين مُحَمَّد النَّهاوندي ، وأقام بها قليلاً ، وعاد إلى الدِّيار المصريَّة . وكان كثير التَّخيُّل والتَّوهُّم ، فتوَهَّم شيئاً في قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة ، فحصلت الوحشة بينهما ، فأعرض عنه بعد الإقبال عليه ، وجَفاهُ ، وأبعده ، وألجأته الضَّرورة والحاجة إلى قيام الصُّورة ، حتّى ناب القاضي عزّ الدِّين عبد العزيز بن أحمد الأشمومي بمدينة المحلَّة . ثمَّ إنَّه حصلت بينهما نفرةٌ من خياله ، فعاد إلى القاهرة ، وأقام بها مدَّة لطيفة ، وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التّاريخ المذكور .

وله نوادر طريفة ، منها : قال كمال الدِّين الأُدْفُوي ـ رحمه الله تعالى ـ : حكى لي فتح الدِّين قال : كنت أجلس دائماً فوق الصَّدر سليمان المالكي[١] ، فجاء مَرَّةً لمجلس قاضي القضاة ابن مخلوف المالكي[٢] ، فجلس فوقي ، فقلتُ لقاضي القضاة : قال ابن شاس[٣] : إنَّ مالكاً ـ رضي الله عنه ـ كره طول اللِّحية جدّاً ، ـ قوله « جدّاً » وصفٌ للكراهة أوللِّحية ـ وكان الصدر طويل اللحية ، فقام من المجلس . وقلت له مرة : مِنْ أي بلدٍ أنت ؟ فقال : من شَبرا مريق ، فقلتُ له : بَلْدَةٌ مليحة هي ! فقال : ما فيها أكثر من الشَّعير ، فقلتُ له : لأجل ذلك[٤] أخذت في وجهك مخلاة .

وطلبوه مرَّة ليُرْسِلوه إلى العراق ، فجلس معي ، يشكو إليَّ ، فقلتُ : يا صدر الدِّين ! ما أوقعك في هذه الحرية إلاّ هذه الذَّقن[٥] ، فتوجَّه الصَّدر رسولاً ، ثمَّ حضر ، فقال له فتح الدِّين : أيّ شيء غنمتَ في هذه السَّفرة ؟ قال[٦] : كبرت لحيتي ، قال : هذه الغنيمة الباردة .

(١) سليمان بن إبراهيم بن سليمان ، سلفت ترجمته .

(٢) مُحَمَّد بن علي بن مخلوف ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) عبد الله بن مُحَمَّد بن نجم بن شأس الجذامي السعدي شيخ المالكية في عصره (ت ٦١٦ هـ) ، الشذرات : ٦٩/٥ .

(٤) (ق) : « هذا » .

(٥) في الأصل : « الدمن » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) (ق) : « فقال له » .

وجمع فتح الدِّين من هذه الأشياء كَرّاسة ، وسمّاها (نُتَف الفَضيلة في اللِّحية الطَّويلة) .

قلتُ : لو قال : « نُتَف الفضيلة في نَتْف اللِّحية الطَّويلة » ؛ لكان ذلك حَسَناً ، وقد ذكرت هنا ما اتَّفق للشَّيخ تاج الدِّين الكندي[١] والحافظ ابن دِحْيَة[٢] ، وكان الشَّيخ تاج الدِّين جالساً إلى جانب الوزير ـ أظنُّه ابن شكر[٣] ـ ، فجاء ابنَ دِحْيَة ، فجلس من الجانب الآخر ، فأورد ابن دِحْيَة حديث الشّفاعة ، فلَمّا وصل إلى قول إبراهيم عليه السّلام : « إنَّما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ »[٤] ، وفتح ابن دِحْيَة الهمزتين ؛ فقال الكندي : وراءُ وراءُ بضمِّ الهمزتين ، فعزَّ ذلك على ابن دِحية ، وقال للوزير : مَنْ ذا الشَّيخ ؟! فقال : هذا الشَّيخ تاج الدِّين الكندي ، فتسمَّح ابن دِحية في حقِّه بكلمات ، فلم يسمع من الكندي إلاّ قوله : هو من كلب قبيح . وصنَّف ابن دِحية في ذلك مصنَّفاً ، وسمّاه (الصّارم الهندي في الرَّدِّ على الكندي)[٥] ، وبلغ ذلك تاج الدِّين الكندي ، فعمل مصنَّفاً ، وسمّاه (نَتْف اللِّحية من ابن دِحية)[٦] .

قلتُ : قال الشَّيخ شهاب الدِّين أبو شامة[٧] : رأيت في (أمالي) أحمد بن يحيى ثعلب جوازَ الأمرين . انتهى .

قلتُ : قال الأخفش : يُقال : لقيتُه من وراءُ ، فترفعه على الغاية ، إذا كان غير مضاف تجعله اسماً وهو غير متمكن . كقولك : من قبلُ ومن بعدُ ، وأنشد :

---

(١) زيد بن الحسن بن زيد (ت ٦١٣ هـ) ، السير : ٣٤/٢٢ .

(٢) عمر بن حسن بن علي الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) ، السير : ٣٨٩/٢٢ .

(٣) عبد الله بن الحسين (ت ٦٢٢ هـ) ، الشّذرات : ١٠٠/٥ .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث : ٣٣٠/٤ .

(٥) الكشف : ١٠٧٠/٢ .

(٦) الكشف : ١٩٢٥/٢ .

(٧) عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) ، العبر : ٢٨٠/٥ .

إذا أنـــا لم أؤمَن عليـــكَ ولم يكُن لقـــــــاؤكَ إلاّ مِن وراءُ وراءُ[١]

هكذا أثْبتته بالرَّفع .

رجع ما انقطع من بقيَّة ترجمة القاضي فتح الدِّين القليوبيّ : وقال له يوماً فخر الدِّين الأحدب المعروف بابن القابلة : كان والدي يدعو الله تعالى أن يرزقه ولداً نجيباً ، فقال فتح الدِّين : لا جرم أنَّك جئتَ بُختيّاً[٢] ، قال فتح[٣] الدِّين : كان بيني وبين الجلال الهوريني صحبة ورفقة ، فولي قضاء منيَة بني خصيب ، فأهدى إليَّ بسراً ، فوجدت نواه كثيراً ، فكتبتُ إليه :

أرسَلتَ لي بُسْراً حقيقتُـــهُ نَـــوىً عـــارٍ فليسَ لِجِسْمِـــهِ جلبـــاب
ولئن تَبـــاعَـــدتِ الْجُســـومُ فـــودّنـــا بـــاقٍ ، ونحنُ على النَّـــوى أحبـــاب[٤]

قلتُ : سبقه إلى هذا التَّضمين سراج الدِّين الورّاق ـ رحمه الله تعالى ـ ، ونقلته من خطِّه ، قال : أهدى إليَّ الرَّشيدُ الماورديُّ قدورَ تمرٍ كُرْبُس ، فكتبتُ إليه من أبيات :

يـــا مَنْ غَـــدا لي واضِعـــاً بقـــدورِهِ قِـــدْراً لـــهُ فـــوقَ السّماءِ قِبـــابُ
جـــاءت بـــأنواعِ النّـــوى ، فجلبَبٌ أدْمـــاً ، وعـــارٍ مـــالـــهُ جلبـــابُ
وعلى النَّقيرِ لتمرِهـــــــا أثرٌ عَفى فَهـــدَى إليـــهِ الحـــائرينَ ذُبـــابُ
أرجيـــع مـــا لاكَ الحجـــاز بعثتـــه والرِّزق سـدّ فمـــا لـــديـــهِ بـــابُ[٥]
أم خلت زجّـــاجـــاً أخـــاكَ ومصرُ مِنْ شـؤمِ النَّـــوى قَفْرُ الرِّحـــابِ يبـــابُ
وإذا تَبـــاعَـــدَتِ الْجُســـومُ فـــودّنـــا بـــاقٍ ، ونحنُ على النَّـــوى أحبـــابُ

(١) من أبيات لُعتّي بن مالك العقيلي ، أنشدها صاحب اللسان (وري) ، ونقل كلام الأخفش المذكور عن الجوهري .
(٢) البخت : ضربٌ من الإبل الخراسانيّة .
(٣) في الأصل و (ط) : « جلال » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٤) في الوافي : « وإذا تباعدت » .
(٥) عجز البيت فيه خلل في وزنه .

وأنشدني شيخنا العلاّمة أبو حيّان ، قال : أنشدني فتح الدِّين المذكور لنفسه :

تظـــافرَ المـــوتُ والغـــلاءُ هـــذا لعَمْري هـــو البـــلاءُ
والنّـــاسُ في غَفْلَـــةٍ وجَهْـلٍ لـــوفَطِنَ النّـــاسُ مـــا أســـاؤوا

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني لنفسه :

إنّي لأوثر أن أرا كَ ، ولستُ أوثِرُ أن تَراني[1]
علمـــاً بـــأنّي في السَّما عِ أجـــلّ منّي في العيـــانِ

قلتُ : من قول الأوّل :

أنـــا المعيـــدي ، فـــاسـ ـمَـــعْ بي ، ولا تَراني

والأصلُ في هذا المثل المشهور : « تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه »[2] .

وأنشدني الشَّيخ أثير الدِّين ، قال : أنشدني لنفسه :

علَّقتـــه مُحـــدِّثـــاً شرَّدَ مِن عَيني الـــوَسَنْ
حـــديثُـــه ووجهُـــه كِـلاهمـــا عِنـــدي حَسَن

قلتُ : ذكرتُ هنا ما قلته أنا في محدّث :

محـــدَّثٌ ذُو قَـــوَامٍ قَـــوامُـــهُ في العَـــوالي
وطَرْفُـــه ليسَ يُغرَى إلاّ بجرحِ الرِّجـــالِ

وقلتُ فيه أيضاً :

قـــالَ حبيبي لا تحـــدِّث بـــأو صـــافي مَن لا عِنـــدَه معرفَـــهْ
فـــإنَّـــهُ ليِّنَ قـــدّي وإنْ حـــدَّثتـــهُ عَن نـــاظري ضعَّفَـــهْ

(١) (ق) : « ولست تؤثر » .
(٢) انظر : مجمع الأمثال : ١٢٩/١ .

وأنشدني الشَّيخ أثير الدِّين ، قال : أنشدني في فتح الدِّين لنفسه :

يـا أيُّهـا المـولى الـوزيرُ الَّـذي ... إفضـالـهُ أوجبَ تَفضيلَهُ
أحسَنتَ إجمـالاً ولم تَرضَ بـالـ ... ـإجمـال إذ أرسلتَ تَفصيلَه

[**قلتُ** : وذكرتُ أنا هنا قولي :

وقَفَ القَضيبُ لِقـدِّهِ لَمّـا مَشى ... وجَرَت دُموعُ العينِ في تَحصيلِه
رَشـأٌ كَسـاهُ الحسنُ منـهُ حُلّـةً ... جاءَت بِجُمْلَتِها على تَفصيلِه][1]

قلتُ : ولفتح الدِّين المذكور موشَّحة مليحة أوّلها :

قـد حـدَّثت ألسن التَّجـاربْ ... بكُـلِّ مـا فيـهِ معتَبَرْ
وأنتَ يـا حـاضِراً كغـائبْ ... فَلَستَ تصغي إلى الْخَبَرْ
تعـايشَ النّـاسُ منـذُ كانـوا ... بـالمكْرِ والحِقْـد والْحَسَـدْ[2]
وخَلَّفـوا ذِكرَهُم وبـانـوا ... لم يُصْلِحـوا منـهُ مـا فَسَـدْ
إلاّ القليـل الَّـذينَ دانـوا ... بـالحـقِّ في الْمَسْلَـكِ الأسَـدْ
والكلُّ للتّربِ في سَبـاسِب ... قَـد أُودِعـوا ضيـقَ الْحُفَرْ[3]
قـد عـوملـوا بـالَّـذي يُنـاسِب ... من كلِّ خيرٍ وكلِّ شَرْ

وقد ذكرتها كاملة في الجزء السّابع والثّلاثين من (التّذكرة) الَّتي لي ، وهي موشَّحة[4] جيِّدة صنعة .

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) .
(٢) في الأصل و (ط) : « والحقد » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٣) (ق) : « أضيق » .
(٤) في (ق) ، (ط) : « موشحة مليحة جيدة » .

١٤٥٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحمن*

ابن علي ، الشَّيخ الصّالح المقرئ أبو عبد الله البجّدي ـ بالباء الموحَّدة والجيم المشدَّدة والدّال المهملة ـ الصّالحي الحنبليّ .

سمع من المرسي ، وخطيب مَرْدا ، وإبراهيم بن خليل . وأجاز له[١] الكثير ، منهم عبد اللَّطيف بن القبّيطي ، وعلي بن أبي الفَخار ، وكريمة القُرشيّة . وطال عمره ، وروى الكثير ، وسمّعوا منه قديماً في صباه ابن عبد الدّائم (ثلاثيّات) البخاري عن ابن الزُّبيدي ، ثمَّ إنَّهم تردَّدوا فيه[٢] .

قال شيخنا الذَّهبي ـ رحمه الله ـ : سألته سنة ثلاث وسبع مئة بكَفَرْ بَطْنا[٣] عن جليّة الأمر ، فذكر ما يقتضي أنَّ مولده سنة ستّ وثلاثين وستّ مئة ، وأنَّه من أقران عبد الله بن الشَّيخ[٤] . وقال : كان لي أخٌ اسمه اسمي ، ذاك من أقران القاضي تقيّ الدِّين سُليمان ، ذاك [مات][٥] صبيّاً .

وكان البجّدي ذا نصيب من صلاة وتألّه وتواضع وقناعة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ...[٦] سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وبجّد : قرية قريبة من الزَّبداني .

---

* الوافي : ١٤٦/٢ ، والدُّرر : ٣٢٤/٣ ، والشّذرات : ٥٧/٦ ، وفيه : « النجدي » . وذيول العبر : ١٢٤ .

(١) في الأصل : « لي » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .

(٢) في ذيول العبر أن صاحب الترجمة قال : « لم ألحق ابن الزبيدي » .

(٣) كفر بطنا : من ضواحي دمشق الشرقية .

(٤) هو عبد الله بن الشيخ شمس الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر عمر المقدسي (ت ٧٠٨) ، الدُّرر : ٢٦٩/٢ .

(٥) زيادة من (ق) والوافي .

(٦) كذا بياض في الأصل و (ق) ، وفي الدُّرر وذيول العبر أنه توفي في صفر .

١٤٥٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الخالق**

ابن علي بن سالم بن مكّي شيخ القُرّاء ومسندهم تقيّ الدِّين أبو عبد الله المصري الشّافعي ، المشهور بالصّائغ .

تلا بعدّة كُتب على الكمال [الضرير والكمال][1] بن فارس ، والتقي الناشري[2] ، وسمع من الرَّشيد العطّار وجماعة . وأعاد بالطَّيبرسيّة وغيرها .

وكان شاهداً عاقداً خيِّراً صالحاً متواضعاً صاحب فنون ، صحب[3] الرَّضي الشّاطبيّ مدَّة ، وتضلَّع من اللُّغة ، وسمع (مسلم) عن[4] ابن البرهان . وكان يدري القراءات وعللها ، وتفاصيل إعرابها وجملها ، يبحث ، ويناظر فيها ، ويعرف غوامض تواجيهها وخوافيها .

صنَّف خُطَباً لِلْجُمَعِ ، وأظهر فيه أنَّه تعب وجَمَعَ ، وقرأ عليه الأئمَّة ، وفضلاء الأمّة ، وقُصِدَ من أطراف الأرض ، وقام بنفل[5] الإتقان والفَرْض .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الصّائغ في الأحياء ضائعا ، وأمسى نشر الثناء عليه ضائعا[6] .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الأحد ثامن عشر صفر سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة .

** الوافي : ١٤٦/٢ ، والدُّرر : ٣٢٠/٣ ، وغاية النهاية : ٦٥/٢ ، وذيول العبر : ١٣٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٦/٩ .

(١) زيادة من (ق) . وفي ذيول العبر : « تلا بالسبع على الكمالين الضرير وابن فارس » .

(٢) في الأصل و (ط) و (ق) : « الياسري » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو : عبد الرحمن بن مرهف بن يحيى بن ناشرة ، تقي الدّين ، (ت ٦٦١ هـ) ، غاية النهاية : ٣٧٩/١ .

(٣) في الأصل : « سمع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٤) (ق) ، (ط) ، والوافي : « من » .

(٥) (ط) : « بنقل » .

(٦) ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

ومولده سنة ستّ وثلاثين وستّ مئة بمصر .

وتلا عليه أئمة مثل إبراهيم الحِكْري[١] ، وإسماعيل العجمي[٢] ، وابن غدير[٣] ، وبرهان الدّين الرَّشيدي[٤] ، وجمال الدّين بن عوسجة ، وتاج الدّين بن مكتوم ، وعليّ الحلبيّ الضَّرير ، وعوض السَّعدي ، ومُحَمَّد بن الزّمردي ، وأبي العبّاس العكبريّ النَّحويّ ، والقاضي بهاء الدّين بن عقيل[٥] ، والشَّمس العَزب ، وخلقٌ سواهم .

وكتب الختمة في سبعة وعشرين يوماً ، وصنَّف خطباً جُمَعِيّة ، وابتدأ كلَّ خطبة بعلاّمةٍ قاضٍ .

وتقدَّم للصَّلاة عليه قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة بعد الظُّهر بجامع مصر ، وحضره خلقٌ كثير ، وحُمِلَ على الأيدي ، ودُفِنَ بالقرافة ، وكان آخرَ مَنْ بقِيَ مِنْ مشايخ الإقراء .

١٤٥٩ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي الهيجاء*

الشَّيخ المسند الرّحلة الصّدوق شمس الدّين أبو عبد الله الصّالحي بن الزّراد الحريري .

سمع بعد الخمسين من البَلْخي ، ومُحَمَّد بن عبد الهادي وأخيه ، والعماد[٦] بن النَّحّاس ، واليلداني ، والصَّدر البكري ، وخطيب مَرْدا ، وابن خليل[٧] ، والفقيه اليونيني ، وعدَّة .

---

(١) إبراهيم بن عبد الله ، أبو إسحاق الحكري (ت ٧٤٩) ، غاية النهاية : ١٧/١ .

(٢) إسماعيل بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت ٧٣٧ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٨/١ .

(٣) مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد بن غدير (ت ٧٣٩) ، غاية النهاية : ٥١/٢ .

(٤) إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرَّشيدي ، سلفت ترجمته .

(٥) عبد الله بن عبد الرَّحمن (ت ٧٦٩) . البغية : ٤٧/٢ .

* الوافي : ١٤٧/٢ ، والدُّرر : ٣٧٦/٣ ، والشَّذرات : ٧٢/٦ ، وذيول العبر : ١٤٨ .

(٦) في الأصل و (ق) و (ط) : « العماد » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) (ق) ، (ط) : « وإبراهيم بن خليل » .

وسمع من الكتب [١] الكبار ، وتفرَّد ، وروى الكثير . وخرَّج له شيخنا الذَّهبي مشيخة .

وكان ديِّناً متواضعاً ، يتّجر ، ويرتفق ، ثمّ ضعف حاله ، وافتقر ، وساء ذهنه قبل موته ، وتبلغم . وكان له نظمٌ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث عشر شوال سنة ستّ وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستّ وأربعين وستّ مئة .

١٤٦٠ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

الشيخ أبو عبد الله بن الشَّيخ المحدِّث كمال الدِّين بن عبد الرَّحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي ، المعروف بالضِّياء السّالك طريق الفقر .

كان شيخاً يخالط الفقراء طول عمره ، وحضر غزوات الظّاهر مع [المشايخ ، وسمع من] [٢] المِزّي حضوراً ، ومن خطيب مَرْدا ، والبكري ، وابن سعد ، ومُحَمَّد بن عبد الدّائم ، وجماعة . وله إجازة بعضِ أصحاب السّلفي ، وشُهدة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وستّ مئة .

---

(١) في (ق) ، (ط) : « وسمع الكتب ... » .

* الدُّرر : ٣٢٥/٣ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

١٤٦١ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن هبة الله*

ابن قُدس تاج الدِّين الأرمنتي .

كان مقرّئاً فاضلاً ، وكان يؤمُّ بالمدرسة الظّاهريّة بالقاهرة .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في حدود السَّبع مئة .

ومن شعره :

قَـــد قلتُ إذْ لَـجَّ في مُعـــاتَبَتي ... وظنَّ أنَّ المـــــلالَ من قِبَلي[1]
خـــــدُّك ذا الأشعريّ حَنَّفَني ... وكانَ من أحمـــدِ المـــذاهبِ لي
حُسنُـــكَ مـــا زالَ شـــافِعيٌّ أبَـــداً ... يـــا مـــالِكيّ كيفَ صِرتَ مُعْتَـزِلي

قلتُ : سبقه إلى هذا الأوّل ، فقال :

وعُطِّلَتْ مِنْ وَجْهِـــــهِ ... تلـــكُ الْخُـــدودُ الصَّقِلَـــهْ
يـــــا أشْعَرِيّ خَـــــدِّهِ ... إنِّي مِنَ الْمُعْتَـــزِلَـــــهْ

والآخر أيضاً فقال :

وابن عَجـــوزٍ قـــــالَ لي مَرّةً ... يـــا هـــــاجِري ظُلْماً ولم أهجُر
مُعتزِليّ صِرتَ ، فقلتُ اتَّئِـــــد ... واعتب على مَبعركَ الأشعري

ولكن قول الشَّيخ تاج الدِّين الأرمنتي أجمعُ ، وألطفُ ، وأحسنُ[2] من هذا كلِّه قولُ القائل ـ وقد نُسِبَ إلى الشَّيخ صدر الدِّين بن الوكيل :

هَـويتُ شيعي ومِنْ حَظِّي أنا سُنِّي ... لولا الذَّهب شافعي كان انتفى منِّي
ظَهْرُوسُرَيْجي وكنتُ أحسِنُ به ظَنِّي ... صارَ مالِكي أشعري قلتُ اعتزِل عنِّي

---

* الوافي : ١٤٧/٢ .

(١) في الأصل : « معاينتي » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٢) (ق) : « ألطف وأحسن ، وأحسنُ ... » .

ومن شعر تاج الدّين الأرمنتي :

احفَظْ لِسانَكَ لا أقولُ فإن أقُلْ فَنَصيحَةٌ تَخْفَى على الْجُلاَّسِ
وأُعيذُ نَفسي مِن هِجائكَ فالَّذي يُهْجى يَكونُ مُعَظَّماً في النّاسِ

١٤٦٢ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن فتوح*

المحدّث العالم أبو الفضل الْمَصْغوني ـ بالميم المفتوحة والصّاد المهملة السّاكنة والغين المعجمة وبعدها واو ونون ـ الإسكندراني .

قَدِم دمشق ، وطلب الحديث سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وقرأ الحديث ، وسمع من القاضي تقيّ الدّين ، وطائفة ، وقرأ (الصّحيح) على بنت المنجّا .

قال شيخنا الذّهبي : وعلّقت[1] عنه شيئاً . وكان ديّناً عاقلاً فاضلاً ، وحدَّث عن التّاج الغَرّافي .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجّة سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده قبل الثّمانين وستّ مئة .

١٤٦٣ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن منعة**

بالنّون بعد الميم والعين المهملة ـ ابن مُطَرِّف بن طريف ، شمس الدّين أبو يوسف القَنَوي الصّالحي ، الشّيخ الصّالح المعمّر .

سمع من عبد الحق[2] بن خلف (جزء ابن عرفة) حضوراً ، وسمع من ابن قمّيرة

---

* الوافي : ١٤٨/٢ ، والدُّرر : ٣٤٨/٣ .

(١) عبارة الوافي : « ذاكرته وعلّقت » .

** الوافي : ١٤٩/٢ ، والدُّرر : ٣٦٩/٣ ، والشّذرات : ٧٧/٦ ، وذيول العبر : ١٥١ .

(٢) في الأصل و (ط) : « عبد الخالق » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي وذيول العبر .

ـ إن شاء الله ـ والمرسي ، واليلداني ، وأجاز لـه ابن يعيش النَّحوي والحـافـظ الضِّيـاء ، وإبراهيم بن الخشوعي . وحدَّث بالكثير .

قال شيخنا الذَّهبي : كان خيِّراً أميناً .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع المحرَّم سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وله اثنتان وتسعون سنة .

وكان يعرف مضيّـه للسّماع من ابن قميرة بـدرب السّوسي ، وإنَّما لم يجـزم لأنَّ لـه أخوين باسمه .

قـال شيخنـا البرزالي : كان الأخوة الثّلاثـة يسمعـون ، ولكن يترجَّـح هـذا لأنَّـه الأكبر .

١٤٦٤ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

ابن أحمد بن محمود ، الصَّدر الرَّئيس القاضي عزّ الدِّين بن القلانسي العقيلي ، نـاظر الخزانة بقلعة دمشق ، ومحتسب البلد .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) . وحدَّث ، وسمع منه بعضُ الطَّلبة .

وكانت له ديانه ، وفيه مُسكة وصيانه ، وعنده للخير محبَّة وإيثار ، وعنه في حسن المباشرات أحاديث مرويّة وآثار .

وكان كافياً فيما يتولاّه من الوظائف ، وله على العوامّ سائق[1] من مهابته وظائف ، شكرت سيرتُه ، وطُهِّرت لَمّا ظهرت بالأمانة سريرته ، لم يعهد النّاس منه إلاّ عفـافـا ، ولم يباشر الحسبة إلاّ ودخل النّاس منها جَنّاتٍ ألْفافا .

* الوافي : ١٤٩/٢ ، والدُّرر : ٣٦٤/٣ . وفي البـدايـة والنهـايـة : ١٧٦/١٤ ، وذيول العبر : ١٩١ ترجمـة لـه باسم : « أحمد بن محمد ... » .

(١) في الأصل : « سابق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وما زال إلى أن لبَّى داعيه ، وسمع النّاس ناعيه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بكرة الاثنين تاسع شهر ربيع الآخر سنة ستّ وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وستّ مئة .

وكان شكلاً ضخماً ، عليه مهابة ووقار ، يتحدَّث وهو مطرق ، ولم يضرب أحداً من السّوقيّة إلاّ دون العشرة ضرباً خفيفاً ، وله في قلوبهم المهابة العظمى . باشر الحسبة مدَّة سنين ، ووصل من مصر إلى دمشق في أوائل صفر مباشراً نظر الخزانة عوضاً عن نجم الدِّين البصروي بحكم ولايته[1] الوزارة .

ولَمّا شهد جماعة من رؤساء دمشق بأنَّ الصّاحب شمس الدِّين غبريال ، إنَّما عَمَر أملاكه من بيت المال ، لأنَّه كان فقيراً طُلِب عزّ الدِّين المذكور ليشهد بذلك ، فقال . كيف أشهد وهو في كل شهرٍ يُصرف له جامكيّة من بيت المال بمبلغ عشرة آلاف درهم ؟ وله هذه المدَّة الطَّويلة يتناول ذلك ، ومن كان كذلك لا[2] يكون فقيراً ، ولم يشهد . فقالوا له : تُعزل من وظائفك ، فلم يوافق . وعزل من الحسبة ، وبقي بيده نظر الخزانة . وأعجب ذلك الأمير سيف الدِّين تنكز ، وأثنى عليه ، ولَمّا بلغ السُّلطان أعجبه دينه ، ولم يحلّ أملاك الصّاحب شمس الدِّين .

١٤٦٥ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

القاضي الرَّئيس الأصيل ، بقيَّة الرّؤساء ، عماد الدِّين بن الصّاحب تاج الدِّين بن الشِّيرازي ، ناظر الجامع الأموي ، ومحتسب دمشق .

---

(١) في الأصل : « ولاته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) (ق) ، (ط) ، والوافي : « ما » .

* الدُّرر : ٣٦٥/٣ ، وذيول العبر : ٢٧٤ ، والبداية والنهاية : ٢٢٨/١٤ .

كان من الرّؤساء بالشّام ، ومن أولي الحشمة الّذين [لهم فيها][١] الوجوه الوسام[٢] والأيادي الجِسام ، عريق في الرِّئاسه ، غريق في السِّيادة والمباشرة والسِّياسه ، يخدم النّاس ، ويتقرَّب إلى القلوب بسائر أنواع المكارم والأجناس . بزَّته فاخره ، ووجاهته من شكله ظاهره . بقيّة أولئك الرّؤساء الأوّل ، والأكابر الّذين تجمَّلت بهم الأيام والدُّول ، باشر الجامع مرّات ، وأثَّرَ فيه من العمارة ما يجلب للنفس المسرّات . وباشر الحسبة مرّات عدّه ، فما رأى النّاس إلاّ كلَّ خير أعَدَّهُ واستجدَّه[٣] .

ولم يزل على حاله متنقِّلاً فيما يتولاَّه ، ويباشر أمْره[٤] ، فيملؤه ما جلاّه وحلاّه ، إلى أن دارت عليه طاحون الطّاعون ، وراح مع أولئك القوم الّذين هم إلى السّاعة ساعون .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وكان قد [تولَّى][٥] نظر الجامع الأموي بعد تقيّ الدِّين بن مراجل[٦] في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل . وفي هذا اليوم دخلتُ أنا في[٧] ديوان الإنشاء بدمشق . وأقام فيه مدَّة سنين . ثمَّ إنَّه نُقل إلى نظر الحسبة ، وأقام بها مدَّة . ثمَّ إنَّه جاء المرسوم في أيّام الصّالح بعزله ، فأقام في المدرسة الطّرخانيّة جوار داره تقدير شهرين ، ووزن بعض شيء ، ثمَّ أعيد إلى الحسبة .

وكتبتُ أنا له عدَّة تواقيع منها ما هو بنظر الحسبة ، ومنها ما هو بنظر الجامع

---

(١) زيادة من (ق) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « الحسام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (ط) .
(٣) (ق) : « أو استجده » .
(٤) في الأصل : « مرّة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٦) علي بن عبد الرحيم ، سلفت ترجمته .
(٧) (ط) ، (خ) : « إلى » .

الأموي ، فمن ذلك توقيع كتبتُ له بالحسبة مضافاً إلى نظر الجامع الأموي في جمادى الأولى سنة ستّ وأربعين وسبع مئة ارتجالاً من رأس القلم ، وهو :

الحمدُ للهِ الذي جعل وليَّ هذه الدَّولة القاهرة عمادا ، ومَلَّكه من الرِّئاسة الَّتي امتاز بها من[١] غيره قيادا ، وثنى الجوزاء تحت يده لَمّا سادَ وِسادا ، وبلَّغ همَّته[٢] العليّة من المفاخر السّامية مراماً ومُرادا .

نحمده على نعمه الَّتي حَسُنت[٣] مواقعها عند من ألفها مَعاجاً ومَعادا ، ومننه الَّتي فاقت جواهرها ازدواجاً[٤] وازديادا ، وعوارفه الَّتي تجد النُّفوس لعرْفها ارتياحاً وارتيادا ، وأياديه الَّتي تتخيَّر الاقتراح[٥] محاسنها انتقاءً وانتقادا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزعم معاطس من أنكرها عنادا ، وتُخجل من تلفَّظ بها تقيّة وأضمر الباطل اعتقادا ، وتدحض حجج من أصرَّ على البهتان ، وتمالا[٦] ضلالاً وتمادى ، وتنير وجوه قائلها بياضاً يوم تَدْلهمُّ وجوه جاحديها سوادا .

ونشهد أنَّ سيِّدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله الَّذي ارتقى سَبْعاً شِدادا ، وأبلَى في أعداء الدِّين القيِّم للهِ جهادا ، وجَلَّى غياهب العجاج والأسنّة تحكي النُّجوم اتِّقادا ، وحمى سرح الحقِّ فما ضرَّه منَ عاد إلى الباطل وكادَ وعادى .

صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الَّذين تسابقوا في حلبة الهُدَى جيادا ، واتَّحدوا في سبيل الله محبَّة ووِدادا ، وتقلَّدوا لِنَصْرِ دينه بيضاً صِفاحا ، واعتقلوا سُمُراً صِعادا ،

(١) (ق) ، (خ) : « عن » .
(٢) (خ) ، (ق) : « همَمه » .
(٣) (خ) : « أحسنت » .
(٤) في الأصل : « أزواجاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٥) (ق) : « الأفراح » .
(٦) مخففة من « تمالأ » .

ونُظِمَت جواهرُ معاليهم على جيد الزَّمان تؤاماً وفُرادى صلاةً لا يملُّ طرفُ السُّهى من مراقبتها سهادا ، ولا يعرف الأبد لأمَدِها ولا مددها نفادا ، ما نزعت يدُ الصَّباح عن منكب الظَّلماء حدادا ، ونَفَتْ نسمات الصَّبا عن عيون الأزهار رُقادا ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين .

وبعد :

فإنَّ نظر الحسبة الشَّريفة بالشّام المحروس منصبٌ جليل القدر ، ومحلّ سامي الأفق ، لا يطلع في أوْجِهِ إلاّ مَن تمَّ تمام البدر ، ومكانٌ لا يستكنُّ في ذُراه إلاّ مَنْ رَفَض غُشّ الغشّ ، ولم يَخُضْ في غدير الغَدْرِ ، من وَلِيَ أمرَه غُدِقَتْ به الأمور ، وعَلِقت به مصالح الجمهور ، وساسَ الرَّعيّة سياسةً مَحَبَّتُها في القلوب ومحلّتها في الصُّدور ، لأنَّه ينظر فيما [١] دقَّ وجلَّ ، وكثُر وقلّ ، وانحصر بمقدار ، وضُبط بمثقال ورَطْلٍ وقِنطار ، وكل ما ابتلعته فُمُ كيل وامتدَّ له باعُ ذراع ، أو تحدَّث فيه لسان ميزان ممّا يُجلَب من تحف البلاد ونفائس البقاع ، وكل ما يُعمل من أنواع المعايش ، وكل ما أمره محرر أو سَهْم تقديره [٢] طائش ، وله الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، والحديث فيما شأنه أن يُشْكى أو يشكر ، فهو الآمر في كلِّ ذلك أجمع ، وشآبيب تأديبه تهمع ، وبروق تهديده تلمع .

وكان الجناب الكريم العالي المولوي القضائي العمادي مُحَمَّد بن الشِّيرازي ممن قَتَل هذا المنصب خُبْرا ، وقلَّبَتْهُ معرفته بطناً وظهرا ، باشره مدَّة أمدّها الله بالمحاسن الباهره ، وجعل رياضها بالعدل زاهره ، وأتى بيوت الرِّئاسة من أبوابها ، وجنى ثمر السَّعادة من حدائق الإقبال متشابها ، وجاذبته السِّيادة أهداب هُدّابها ، ومَدَّت له المعالي من المجرَّة طويلَ أطنابها ، ودَرِبَ هذه الوظيفة فعرفها جيِّداً ، كما أنَّ أهل مكَّة أخبرُ

---

(١) (خ) : « ما » .

(٢) في الأصل : « تقدير » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) .

بشعابها[١] ، وتشوّقت عَوْدَه إليها تشوّق الرَّوض إذا ذوى إلى صَوْب الغمام ، وتشوَّفت إلى رُجوعه تشوُّفَ المشتاق إلى نوح الحمام .

فلذلك رُسِم بالأمر العالي المولوي السُّلطاني الملكي الكاملي السَّيْفيّ ـ أعلاه الله تعالى ـ أن يفوّض إليه نظر الحسبة الشّريفة بالشّام المحروس ، لأنَّه أفضل من سكته[٢] التّجارب ذهبا ، وأولى من درَّبته المعارف ، فأظهرته حُساماً ماضي الشَّبا .

فليباشر ما فُوّض إليه مباشرةً ألِفَها النّاس من سياسته ، وعَرَفها الأنامُ من حميد رئاسته ، وعهدها الرَّعيّة لَمّا أنامهم الأمن في مَهْدِ حِراسته ، وشهدها البريّة من جميل أصله ونفاسته ، لأنَّ آثار اعتماده في الجامع المعمور للعيون مشاهَدَه ، وحسنات صنيعه في صحائف الأيّام واللَّيالي خالِده ، ومحاسنَ ما زخرفه في جدرانه على كلِّ عامود حالَّة وعلى كلِّ قاعدةٍ قاعده . هذا إلى ما أنماه من أجوره ، وأسماه من إدرار ما عليه من الرّواتب ، حتّى شارك بها الواقف في أجوره ، وأتعب من يأتي بعده حتَّى يسدَّ مسدَّه ، أو يلبث مدَّة ما يمدُّ قلمه من الدّواة مَدّه .

ووصايا هذه الحسبة الشّريفة كثيرة إلى الغايه ، عزيزة لا يقف القلم في سردها عند نهايه ، شهيرة عند معارفه الَّتي أصبح فيها آيه ، ولكن القلم يُطرق عند مثله لائذاً بالصَّمت ، ويجفُّ ريق المداد في لَهَوات الدّواة هيبةً لما يراه فيه من عظمة الوقار وحسن السَّمت . فاجرِ فيها على عادتك الحسنى ، وأوْلِ النّاسَ فيها أمناً ومنّا ، واستعمل البأس[٣] في موضعه الَّذي يليق به وضعا ، والرِّفق ولكنْ عزَّ مكانه ، فإنَّ الغدر والخيانة يكونان في أكثر النّاس طبعا ، وأمُرْ نُوّابَك ـ أعزَّك الله ـ أن يحذوا في العِفّة[٤] والأمانة حذوك ، وأن يتلوا في حسن السياسة[٥] تِلوَك ، وأن يصبروا على مُرِّ طريقك في

(١) مَثَلٌ معروفٌ .
(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « سبكته » .
(٣) (خ) : « الناس » .
(٤) في الأصل و (ط) : « والعزّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « التلاوة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

المباشرة ، إن أرادوا أن تُسوِّغَهم حُلوَك ، ولا شيء يزيِّن الإنسان مثل تقوى الله فإنَّها واسطة العقود في الصِّفات المحموده ، وزينة الوجود في السِّمات المشهوده ، تَصْدُق يوم القيامة ، إذا كذبت الظُّنون ، وتنفع ﴿ يَومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنونَ ﴾[١] ، وأنت بحمدِ الله لا ينوب فيها أحدٌ منابك ، ولا يزُرّ عليها سواك ثيابَك ، وإنَّما الخطاب لك ظاهراً ، وأردنا بباطنه نوّابك ، فلتكن خُطْوتَهم كلّ خُطْوَه[٢] ، وجلوتهم [في] كلّ جَلْوَه[٣] ، والله يتولَّى إعانتك على ما ولاّك ويزيدك ممّا أولاك ، والخطّ الكريم أعلاه ، حجَّة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٤٦٦ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

الإمام الفاضل الرَّئيس الأصيل الشَّيخ عزّ الدِّين ابن الشَّيخ شمس الدِّين بن المنجّا التنوخي الحنبلي ، ناظر الجامع الأمويّ ، ومحتسب دمشق أخيراً .

كان حسن الشَّكل والعمّه ، مليح الوجه ، يحكي البَدْرَ وتمّه ، فيه مكارم وإحسان ، ومحاسن قلَّما تجتمع[٤] في إنسان ، غزير المروّه ، كثير الفتوّه . حنبليّ كثير الاختلاط بالشّافعيّه ، ظاهر الذَّكاء فيما يباشره والألمعيّه ، أثَّر في الجامع آثاراً حسنه ، وجدَّد فيه التَّرخيم[٥] والزَّخرفة ، ما أسهر له العيون الوسنه .

وكان جمّاعة للكتب النَّظيفه ، والمجلَّدات الطَّريفه[٦] ، خلَّف منها أشياء نفائس ،

---

(١) سورة الشُّعراء : ٨٨/٢٦ .

(٢) في الأصل و (ط) : « حظوتهم ... حظوة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والأقرب : « في كلّ خطوة » ، بدليل ما سيأتي .

(٣) في الأصل : « كل جلوهم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) . والزيادة منها .

* الوافي : ١٥٣/٢ ، وذيول العبر : ٢٥٠ ، والدُّرر : ٣٥٧/٣ ، وفيه : « مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عثمان بن أسعد بن المنجّا التنوخي » .

(٤) في الأصل و (ط) : « تجمع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٥) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « من الترخيم » .

(٦) (ق) ، (ط) ، (خ) : « الظريفة » .

وكتباً عدّة كالنُّجوم الزّاهرة أو الكواعب[١] العرائس ، وبَهضَهُ ما تحمّل من الدُّيون ، وكانت جملةً لوصوّرت خارت لها القوى ، وحارت العيون[٢] ، ولكن لنيَّته الجميله ، قام ولده بحملتها الثَّقيله .

ولم يزل على حاله في الحسبة إلى أن جاء[٣] ما لا احتسب ، وقَدِم على ما قدّم واكتسب .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في العشرين من جمادى الأولى سنة ستّ وأربعين وسبع مئة .

ومولده ...[٤] .

وحدَّث عن زينب بنت مكي ، وكان قد ولي نظر الجامع الأموي عوضاً عن عماد الدِّين بن الشِّيرازيّ في يوم عرفة سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مئة ، وانتقل ابن الشِّيرازيّ إلى الحسبة .

١٤٦٧ - مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

الإسكندرانيّ الصُّوفي ، شمس الدِّين المعروف بابن الفُوّيه - بضمِّ الفاء وتشديد الواو والياء آخر الحروف - .

كان ظريفاً لطيفاً شاعراً ، حسن المحاضره ، جميلَ المذاكره ، اجتمعت به غير مرَّة بالقاهره ، وأنشدني من شعره كثيراً .

---

(١) في الأصل : « الكواكب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (ط) .

(٢) (خ) : « خارت منها ... وحارت لها العيون » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « جاءه » .

(٤) كذا بياض في الأصول ، وفي الدُّرر : أنه ولد أوّل سنة (٦٨٨ هـ) .

* الوافي : ١٥٣/٢ ، الدُّرر : ٣٦٥/٣ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر ، وكان قد نسك آخر عمره ، واقتصر .

ومّما أنشدني له قوله :

لي أمٌّ مِنْ أصْلَحِ النّاسِ تَدْعُو ... لي رَبَّ السَّماء سِرّاً وجَهْرا
جَعَلَ اللهُ كُلَّ يابِسَةٍ يانو ... رَ عَيْنيَّ بينَ كفَّيكَ خضرا
فاستُجيبَ الدُّعاءُ فيَّ وما رُدَّ ... تْ يَداها مِنَ المواهِبِ صِفْرا
فَلِذا لا أفيقُ ظهراً وعَصْراً ... سَكْرَةً لا ولا عشاءً وفَجْرا

وأنشدني له أيضاً :

أعْجامُنا قَدْ أصْبَحَتْ قلوبُهُم ... وَجْداً بِحُبِّ الخانقاه خافِقَهْ
لا تَعْجَبوا فَكُلُّ كَلبٍ نابِحٍ ... ولا يُحِبُّ الكلبُ إلا خانِقَهْ [(١)]

وأنشدني له أيضاً :

وقالوا الشَّيخَ مَجدَ الدِّين ... شيخ الْجَهالةِ والبَلادَهْ
فقلتُ وأوْحَدُ في الـ ... ليـاطِ وفي القيادَهْ
[وزيدوا إن أرَدْتُم ... وشيخُ النَّحْسِ زادَهْ][(٢)]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً في نجم الدِّين وكيل الفخر ، وكان أعور :

يا رَبَّنا لي صاحِبٌ ... بالذَّنبِ مَدْحُوٌّ شَقِي
غَطَّيت [منه] عَورةً ... يا خَيْرَ ربٍّ مشفقي [(٣)]
وسترتُ منهُ ما مضى ... يا ربِّ فاسْتُر ما بَقي

---

(١) في الأصل : « نائح » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .
(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .
(٣) في (ق) : « يا خير برّ » . والزيادة من (ق) والوافي .

ذكرت بهذا التَّهكُّم في الدُّعاء ما نقلته من خطِّ السّراج الورّاق :

طـــالَتْ مســـافـــةُ بيني بينَ الصَّفيّ وبيني
فـــــلا أمـــــوتُ إلى أن أرى الصَّفِيَّ بِعَيني

قلت : هذه تورية ، خدمت معه من ثلاثة وجوه :

أحدها : وهو الظّاهر في بادئ الرّأي ، من أنه يراه[1] بعينه .

والثّاني : أن يراه ضعيفاً ، « فعيلاً » بمعنى « مفعول » .

الثّالث : أن يراه بفرد عين أي أعور ، وهكذا يكون النَّظم الَّذي يُسمع .

وكتب الشَّيخ جمال الدِّين بن نباتة إلى ابن الفوّيه :

واحربـــــا مِن سَـــوالِفِ الْخَشْفِ والنّـــواعِسِ الـــوُطْفِ
كَم لـكَ يـا خَشْفُ من فَتىً وامِقْ
لِنـونِ صُدْغَيْـك يعبـد الخـالِقْ
يـالكمـا من رشـا ومن عـاشِـقْ
مِن ذا ومِن نُـونِ صُـدغِ ذا قُـلْ في عـــابِـــدٍ عَلى حَرْفِ
سكنتَ عِنـدي بيتـاً هـو القَلبُ
وغِبْتَ عن نـــاظِري فـــلا عتبُ
يفـديـكَ[2] يـا بـدرُ هـائم صَبُّ
بمنزِلِ القَلبِ منـــــــهُ تَستكْفي لا بِمنزِلِ الطَّرفِ
جـادَت جُفـوني[3] بـالأدمـعِ الْحُمرِ

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنه طلب أن يراه ... » .
(٢) في الأصل : « يكفيك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٣) في الأصل و (ط) : « دموعي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

جُـوْدَ ابنِ فَضْـلِ الإلــه بــالتَّبر
للهِ منـــــهُ جَــوادٌ ذا الـــــدَّهرِ
يُمْسِـكُ جُود الْحَيـا عَنِ الـوَكْفِ وهُـو جـائـدُ[1] الكَفِّ
انظُر لآثــارِ مَجْــدِهِ العـــالي
وصُنْعِــه بــالعِــدا وبــالمــال
صَنْعَـة[2] نحـوَ بـديعـة الحــال
فــالمــالُ نَحْـوَ العُفــاة للصَّرفِ والعُــداةِ لِلْحَـــذْفِ
خِتــامُ ذكرِ العُـلا بــهِ مِسْــك
وأنَّ لفظي لفَضلِـــهِ سِلْـــكُ
وَصْفي وَجَــدْواهُ ليسَ يَنفَــكُّ
فليسَ يُخْلي يـــــديّ[3] من عُرفِ أو[4] عُــلاه من وصفِ
وأغيَـــد زارَهُ مُخـــالِفُـــه
وعـادَ بعـدَ الْجَفـا يُسـاعِفُـه
وقـــالَ لَمّـــا مَشى يُكاتِفُـــه
أصبـحَ بعـــدَ الجفـــاءِ والْخُلْفِ كالطِّرازِ على كَتِفي

فكتب شمس الدِّين بن الفوّيه الجواب :

زَهرٌ أم الـزَّهر يـــانـع القَطْفِ مِن كمائمِ السَّجْفِ
ريـاضُ حُسْنٍ قـد راضَهـا الـدَّلُّ
مِن وَرْدِ خَـدٍّ فيـه الْحَيَـا طَـلُّ
وآسِ صُـدْغٍ فيـهِ الحيـا ظِـلُّ

(١) في الأصل و (ط) : « جامد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « صيغة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٣) في الوافي : « تُخلى يداي » .
(٤) في الأصل : « آه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

كَفَفتُ عن هَصرِ كَفِّي[1] إذ[2] رعيتُ بالطَّرفِ

مَنْ لي ببَدْرٍ حُشاشتي أفقه
يزيدهُ حسنَ وجههِ طَلْقُه
لوجالَ في سَمْعِ عاذِلي نُطْقُه

لقالَ فيهِ بالصَّوتِ والْحَرْفِ عاذِلي بلا خُلْفِ

قلتُ وصُدْغٌ في الخدِّ قد عَقْرَبْ
ونَمْلُ ذاكَ العذارِ فيه دَبْ
وحُسْنُه في طِرازِهِ الْمُذْهَبْ

يا واو صُدغٍ مِنْ ليّنِ العطف هل أتيتَ للعَطفِ

قالَ وأبدى ابتسامَهُ دُرّا
أُعطيتُ نَظْمَ الجمالِ والنَّثرا
ونُطقُه فاتَّخذتُهُم ثَغرا

وصُنتُهم في مواضعِ الرَّشفِ لا مواضع الشَّنْفِ

أشرف يا بني نُباتة الأدبْ
وقد نشا في القريضِ والخطبْ
فَهْمٌ ولو لم يضمهم نَسَبْ

بينهم نِسْبَةٌ منَ الظَّرفِ والبيانِ واللُّطفِ

وغادةٌ دونَ حُسنِها الوصفُ
يُثْقِلها عندَ خُطوها الرِّدفُ
قالت وأمواجُ رِدْفِها تَطْفو

هذا الثَّقيلُ رِدْفي يَعتمِدُ خُلْفي أمشي يَنقَطِعُ خَلفي

قلت: ما أبدع هذه الخرجة الداخلة والألفاظ الجادة، وهي هازلة، رحمه الله تعالى.

(١) في الأصل: « كفة »، وأثبتنا ما في (ق)، (ط)، والوافي.
(٢) في الأصل: « إذا »، وأثبتنا ما في (ق)، (ط)، والوافي.

١٤٦٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم*

ابن حَيْدرة بن علي القاضي الإمام الفاضل شمس الدِّين أبو عبد الله المعروف بابن القمّاح المصري الشّافعيّ .

سمع من أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن مُضَر[١] (صحيح) مسلم إلاّ قليلاً ، ومن النَّجيب عبد اللَّطيف والعزّ عبد العزيز ابني[٢] عبد المنعم بن علي بن الصَّيقل الحرّاني ، وعبد الرَّحيم بن يوسف بن خطيب المزّة ، وقاضي القضاة تقيّ الدِّين مُحَمَّد بن الحسين بن رزين الشَّافعي[٣] في آخرين .

وحدَّث ، وتفقَّه ، وبرع ، وأجاد[٤] ، وأفتى ، وأفاد ، وجاد بالعلم ، فأجاد ، وناب في الحكم بالقاهره ، وشُكرت سيرتُه الزّاهره ، وكانت فتاويه مُسَدَّدَه ، ولياليه وأيامه بالعدل مُجَدَّده ، وهو آية في الحفظ الَّذي لا يحكيه فيه نظير ، ولا يضبطه فيه حوزة ولا حَظير .

ولم يزل إلى أن بان وباد ، وسكن الأرض إلى يوم المعاد .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وأربعين وسبع مئة . [ومولده سنة ستّ وخمسين وستّ مئة .

وقد أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة][٥] .

---

* الوافي : ١٥٠/٢ ، والدُّرر : ٣٠٣/٣ ، والشّذرات : ١٣١/٦ ، وذيول العبر : ٢٢١ .

(١) (ت ٦٦٤ هـ) ، العبر : ٢٧٦/٥ ، ويعرف بالرضي بن البرهان .

(٢) في الأصل : « ابن » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) ، والوافي ، وتوفِّي عبد العزيز سنة (٦٨٦ هـ) ، النجوم : ٣٧٣/٧ ، وتوفِّي عبد اللطيف سنة (٦٧٢) ، العبر : ٢٩٨/٥ .

(٣) (ت ٦٨٠ هـ) ، العبر : ٣٣١/٥ .

(٤) في (ق) ، (خ) ، (ط) : « وأعاد » .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

وكان متى سُئِلَ عن آية ، ذكر ما قبلها ، وكذلك يفعل في (التَّنبيه) ، وهذه غاية لم يصل إليها أحدٌ إلاّ مَنْ مَنَّ اللهُ عليه بها ، ولعلَّ الإنسان ما يقدر يفعل هذا في الفاتحة . ويحكى أنَّ الحجّاج بن يوسف ما كان يمتحن القرّاء إلاّ بذلك ما يسأل أحداً منهم إلاّ يقول له : إيش قبل الآية الفلانيّة ، فيُبْهَتُ ذلك المسكين .

وكان ينوب في الحكم على باب الجامع الصّالحي بظاهر القاهرة ، ودرَّس بالمدرسة المجاورة لقبر الإمام الشّافعي بالقرافة ـ رضي الله عنه ـ، وناب عن قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة في تدريس الكامليّة مدَّة غيبته في الحجاز ، وجمع مجاميع مُفيدة ، وكان على ذهنه تواريخ ووفيّات وحكايات وفوائد[١] ، واختصر كتباً في الفقه ، ولكن كان يتسامح في الأحكام حتَّى إنَّ قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة كان يمنعه من إثبات كتب الأوقاف .

ولَمّا تولَّى ولده قاضي القضاة عزّ الدِّين بن جماعة لم يولِّه القضاء ، فانقطع للاشتغال ، وقراءة القرآن .

١٤٦٩ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحمن*

ابن مُحَمَّد تاج الدِّين بن الشَّيخ جلال الدِّين ، الدّشناوي محتداً ، القوصيّ مولداً وداراً ووفاةً .

قرأ[٢] القراءات على الشَّيخ نجم الدِّين عبد السّلام بن حِفاظ[٣] ، وسمع على المنذري[٤] ، والرَّشيد العطّار ، وتقيّ الدِّين بن دقيق العيد ، وشرف الدِّين الدِّمياطي ، وغيرهم .

(١) (ق) ، (خ) : « ونوادر » .

* الوافي : ١٥٠/٢ ، والطالع السعيد : ٤٨٨ ، والدُّرر : ٣٥٣/٣ .

(٢) في الأصل : « وقرأ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) عبد السلام بن عبد الرحمن (ت ٦٨٥ هـ) ، الطالع السعيد : ٣٢٠ .

(٤) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، (ت ٦٥٦ هـ) . العبر : ٢٣٢/٥ .

وحدَّث بقوص ومصر والقاهرة والإسكندريَّة . وسمع منه شيخنا أبو الفتح[١] ، والشَّيخ عبد الكريم بن عبد النّور[٢] ، وفخر الدِّين النّويري ، وسراج الدِّين بن الكُوَيْك[٣] ، وغيرهم .

وأخذ الفقه عن الشَّيخ مجد الدِّين بن دقيق العيد ، وعن والده جلال الدِّين ، والشَّيخ بهاء الدِّين هبة الله القفطي .

ودرَّس بالفاضليّة بالقاهرة نيابة عن الشَّيخ مجد الدِّين بن دقيق العيد ، ودرَّس بالعزيّة بظاهر قوص ، والمدرسة النَّجميّة والمدرسة السِّراجيّة . وأفتى ، وحدَّث ، واستبق الخيرات وما تلبَّث .

وكان قويَّ الجنان ، فصيح اللِّسان ، طيِّب الأخلاق ، كريمَ الْمُعاشره ، جميل الأوصاف فيما تولاّهُ أو باشره ، مقرئاً محدِّثاً أديبا ، شاعراً لبيباً أريبا .

لم يزل على حاله إلى أن فارق العيش واستوى عنده الحلم والطَّيش .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستّ وأربعين وستّ مئة .

قال كمال الدِّين الأدفوي : أنشد[٤] شيخنا تاج الدِّين ، قال : أنشدنا الشَّيخ شمس الدِّين التّونسي :

اصبِرْ على حادِثَةٍ أقبَلَتْ ... فَهيَ سَواءٌ والَّتي ولَّت
وأرْهِفِ العَزْمَ فليسَ الظُّبى ... تَفْري وتَبْري كالَّتي كلَّت[٥]

(١) محمد بن سيِّد النّاس .
(٢) توفِّي سنة (٧٣٥ هـ) . ذيول العبر : ١٨٦ .
(٣) عبد اللطيف بن الكويك . (حاشية الطالع السعيد) .
(٤) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنشدنا » . وفي الطالع السعيد : « وأنشدني » .
(٥) في الطالع : « تبري وتفري » .

قال : فنظمت هذه الأبيات ، وأنشدتها للشَّيخ تقيّ الدِّين بن دقيق العيد فاستحسنها ، وهي :

لَيْتَ يَداً صَدَّتْ حَبيباً أتى ... لِلوَصْلِ يَشْفي غُلَّتي غُلَّت
قَضَّيتُ قِدْماً مَعَهُ عِيشَةً ... يا لَيتَ فيها مُدَّتي مُدَّت
لو لم أرُضْ نَفسي بصَبرٍ غَدا ... ساعةَ صَدٍّ جُنَّتي جُنَّت[1]

قلت : كذا رأيت البيتين الأولين قد ساقهما الفاضل كمال الدِّين جعفر الأدفوي ، ولو أنَّ فيهما حكماً ، لقلت : « اصبر إذا ما حالة حلَّت » ، فإنَّها أنسبُ من قوله : « حادثة أقبلَتْ » ، وأمّا بيتا الشَّيخ تاج الدِّين الدّشناوي الأوّلان فإنَّهما في الحسن غاية ، ولكن البيت الثّالث في تركيبه قلق ، وليس بأخٍ لما تقدّمه ، ولو كان لي فيه حكم ؛ لقلتُ :

أقْبِحْ بِصَدٍ جاء لو لم يكُن ... صَبري لِنَفسي جُنَّتي جُنَّت

على أنَّ الأوّل أيضاً فيه قلق ، وأمّا الأوسط فإنَّه في الذّروة .

وقد كنت نظمت قديماً ، لَمّا وقفت على البيتين الأوّلين ، وهما مشهوران أبياتاً من جملتها :

هَذي الَّتي نِلتُ بها ذلَّتي ... وحُلَّتي في الصَّبرِ قد حُلَّت
وأدمُعي في وَجْنَتي أُطلِقَتْ ... وفي فؤادي غُلَّتي غُلَّت
خَلائقي وَفْقَ غرامي بها ... فاسْتَخْبِروها ما الَّتي مَلَّت

وقلت[2] في جارية لي توفِّيت :

دَفَنْتُها كالبَدْرِ تَحتَ الثَّرى ... ومِن شَقائي مُدَّتي مُدَّت

---

(١) الطالع السعيد : ٤٩٤ .

(٢) في الأصل : « وقال » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

كانت إذا ما سَيف أجفانِها الـ مُرْهَفُ يَـــدعـــو لبَّتي لبَّت
ما سَجَعَتْ في الأيكِ وَرْقُ الحِمى لكنَّهـــا في عِـــزَّتي عَـــزَّت

قال كمال الدِّين الأدفوي : وأنشدني لنفسه :

الشِّين في الشَّيخ من شَربٍ غدا كَدراً فلم تَعَفْهُ نُفوسُ الغانِيـاتِ سُـدىً
والياء من يأسِ أن تَصبو إليهِ وقد بدَت لها لُحمة من شيبه وسَدَى
والخاء من خوفِ أن تُقْضَي لهُ فترى ما ابيضَّ من شعرهِ في جيدِها مَسَدا[1]

قال كمال الدِّين : ومِمّا نظمته أنا في ذلك :

الشِّين في الشَّيخ من شَيْنٍ ألَمَّ بهِ واليأسُ من اللَّذاتِ والهممِ
والخاءُ مِن خامَرَ العقلَ الصَّحيح أذًى يُقصي قواهُ ويُدنيهِ من العدَمِ[2]

قلت : شعر كمال الدِّين أخصر وأحسن وأفصح وأمتن . وقد نظمت أنا في هذا المعنى في أقصر وأخصر فقلت :

الشِّين في الشَّيـــخ شَيْنٌ واليـــاءُ يـــأسٌ تبيَّنْ
والخـــــاءُ خسرانُ عُمرٍ والْحَين مِنْ ذا تعيّنْ

ومن شعر تاج الدِّين الدّشناوي :

ولولا رَجائي أنَّ شَملي بعدَما تَشَتَّتَ بالبَيْنِ الْمُشتِّ سيُجْمَعُ
لَمّا بَقِيَتْ منّي بَقايا حُشاشَةٍ تُحالُ على طَيفِ الخيالِ فتقنعُ[3]

---

(١) الطالع السعيد : ٤٩٥ .
(٢) (ق) : « خامر الجِسْم » . وفي الطالع السعيد : « .. الجسم .. يفصي .. » . وأفصى ؛ بالفاء والصاد المهملة : خرج وانقضى .
(٣) الطالع السعيد : ٤٩٥ .

قلت : لولا الزّيادة الّتي ألحقها في آخر البيت الثّاني ؛ لكان معنى بيتيه في بيتٍ واحد من قول الأوّل :

ولولا رجاءُ القلبِ أن تعطفَ النّوى ... لما حملتهُ بينهنَّ الأضالِعُ

ومن شعر تاج الدِّين ـ وقد جوَّده ـ :

عَجَزْت عن قصّة الطِّيب وعن ... قصّة أخذِ الشّرابِ إن وَصَفَهْ
والحالُ أبدَتْ لِمَنْ يميِّزها ... تعجُّباً ساءَ مَصدراً وَصِفَه[1]

قلت : جمع في هذا البيت الثّاني الحال والتّمييز والتّعجُّب والمصدر والصِّفة بتركيب سهل عذب .

١٤٧٠ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن تمام*

ابن كيسان أبو عبد الله الصّالحي الخيّاط ، الشّيخ البركة ، أخو الشّيخ تقيّ الدِّين بن تمّام[2] ـ وقد تقدَّم ذكره ـ .

سمع من عمر بن عَوّة التّاجر[3] ، وتمّام السّروري ومن ابن عبد الدايم ، وعبد الوهاب بن مُحَمَّد ، ومن والده عن القزويني .

كان رجلاً صالحا ، منجمعاً عمَّن يراه طالحا[4] ، له أُبَّهة في الصُّدور ، وعلى وجهه لمحة[5] من جمال البدور ، هشّاً بَشّاً بَسّاما ، ليِّن الكلمة بالمعروف ، قَوّالاً قوّاما . صَحِبَ

(١) الطالع السعيد : ٤٩٥ .

* الوافي : ١٥٢/٢ ، وفوات الوفيات : ٣١٤/٣ ، والدُّرر : ٣١١/٣ ، والشّذرات : ١٣١/٦ ، وذيول العبر : ٢٢٠ ، وسلفت ترجمة أخيه عبد الله بن تمام بن حسان ، كذا ، بدل (كيسان) .

(٢) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « عبد الله بن تمام » .

(٣) هو عمر بن أبي نصر الجزري السفار . (ت ٦٥٦ هـ) . العرب : ٢٣٤/٥ .

(٤) في الأصل : « طامحاً » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) .

(٥) (ق) : « مسحة » .

الأخيار ، وأسمعَ الأحاديث والأخبار . يرتزق من الخياطة ، ومِمَّا يُفْتَح عليه ممَّن يأتي رباطَه . يُوْثِرُ من جمع ما يملك ويُؤْثَرَ ، ويَصْبر ولا يمُنُّ بذاك ولا يَسْتكثر[١] . وكان قد تفقَّه قليلاً ، واعتزل طويلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن التحق بالرَّحمن ، وأُدْرِجَ في الأكفان .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وشيَّعه خلق كثير ، وموته في ثالث عشر شهر ربيع الأول من السَّنة المذكورة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

خرَّج له شيخنا الذهبي (مشيخةً) في جزء ضخم .

وسَمِعَ منه خَلْق كثير ، وطال عُمرُه ، وحَدَّث أكثرَ من أربعين سنة ، وصَحِبَ الأخيار ، ورافقَ الإمام شمس الدِّين بن مُسَلَّم[٢] ، والشيخ علي بن نفيس[٣] .

وكان الأمير سَيف الدِّين يُكْرِمه ويزوره ، ويذهب هو إليه ، ويشفع عنده .

ومُتِّع بحواسّه ، وأبطأ شيبُه ، وروى عن الْمُؤْتمن بن قُميرة .

وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

١٤٧١ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الهادي*

ابن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسُف بن مُحَمَّد بن قدامة ، الشيخ الإمام الفاضل المفنن الذّكي النِّحرير شمس الدِّين الحنبلي .

---

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ ، [المدَّثِّر : ٦/٧٤] .

(٢) المسلم بن مُحَمَّد بن المسلم (ت ٦٨٠) ، العبر : ٣٣٢/٥ .

(٣) علي بن مسعود بن نفيس ، سلفت ترجمته في موضعها ، ووقع في الأصل و (ق) و (ط) : « يعيش » ، سهو .

* الوافي : ١٦١/٢ ، ووفيات ابن رافع : ١٩٠/١ ، والبداية والنهاية : ٢١٠/١٤ .

سمع القاضي تقي الدّين سُلَيمان بن حمزة ، وأبا بكر بن عبد الدايم ، وعيسى المطعّم[١] ، وأحمدَ الحجّار . وأكثرَ عن محمد بن الزرّاد وسَعد الدّين بن سَعد[٢] ، وعدّة . وتفقّه بالقاضي شمس الدّين بن مُسَلَّم ، وتردَّد كثيراً إلى الشيخ تقيّ الدّين بن تيميَّة . وأخذ العربيَّة عن أبي العبّاس الأندرشي[٣] ، وعلّق على (التّسهيل) ، مجلّدين تأذَّى بذلك منه[٤] أبو العبّاس الأندرشي ، وأخذ بعض القراءات تفقهاً عن ابن بَصْخَان .

وحفظ كتباً منها (أرجوزة) الْخُوَيّ في علم الحديث و (الشّاطبيّة) و (الرائية) و (المقنع) و (مختصر ابن الحاجب) . وعَلّق على أحاديثه وعمل تراجم[٥] الْحُفّاظ ، وعمل (كتاب الأحكام) ولم يكمل . قيل لي بأنّه[٦] مجلّدات . وله غيرُ ذلك .

كان ذهنه صافيا . وفِكْرُهُ بالْمُعضلات وافيا ، جيِّد المباحث ، أطْرَب في نقله من المثاني والمثالث . صحيح الانتقاد ، مليح الأخذ والإيراد ، قد أتقن العربيّه ، وغاص في لُجَّتها على فوائدها ونكتها الأدبيّة ، وتَبَحَّر في معرفة أسماء الرجال ، وضيَّقَ على المِزّيّ فيها المجال .

نزل أخيراً عمّا بيَده من المدارس ، وعدَّها من الأطلال الدّوارس ليكون مُفَرَّغاً للإشغال[٧] ، ويترك ما هو دون ويأخذ ما هو غال ، ولو عُمِّر لكان عجباً في علومه ، ونقّطه البدر طَرَباً منه بنجومه ، ولكن اجتُثَّ يانِعا ، ولم يَجد له من الحِمام مانعا .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في العشر الأوّل من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « المعظّم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) يحيى بن مُحَمَّد بن سعد ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل و (ط) : « الأندلسي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي ، وهو أحمد بن سعد . سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « أنّه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الأصل : « على تراجم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٦) (ق) ، (ط) ، (خ) : « إنّه » .

(٧) (ق) ، (خ) : « للاشتغال » .

ومولده سنة خمس وسبع مئة .

كان من أفراد الزمان ، رأيته يواقِفُ شَيخنا جمال الدِّين المزّي ، ويردُّ عليه في أسماء الرجال ، واجتمعت به غيرَ مرَّة ، وكنت أسأله أسئلة أدبيَّة وأسئلة عربيّة ، فأجده فيها سيلاً يتحدَّر ، ولو[1] عاشَ كان عجَباً .

١٤٧٢ ـ محمد بن أحمد بن بدر بن تبّع*

الشيخ المقرئ صلاح الدِّين أبو الحسن البَعلبَكي القصير .

روى عن ابن عبد الدائم . قال شيخنا البرزالي : وذكر لنا أنَّه حدَّث ببغداد لَمّا سافر إليها لاستنقاذ وَلَدِه .

وكان رجلاً جيِّداً فيه خَيْرٌ ودِين ومعروف ، وعنده مروءة ، مواظبٌ على قراءة القرآن .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بالمدرسَة الرواحيّة سابع عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة . وشيَّعَه جَماعَة .

١٤٧٣ ـ محمد بن أحمد بن سُليمان الدّلاصي**

الشيخ المعمَّر صدر الدِّين .

حدَّث عن ابن خطيب المزّة ، وتجاوز الثمانين .

وتوفِّي ـ رحمَه الله تعالى ـ بالقاهرة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

---

(١) (ق) ، (ط) ، (خ) : « لو » .

* الدُّرر : ٣١١/٣ .

** الدُّرر : ٣١٨/٣ ، وذيول العبر : ٣٠٨ .

١٤٧٤ ـ محمد بن أحمد بن يعقوب*

كمال الدِّين أبو عبد الله[١] الدِّمشقي الكاتب .

باشر كتابة الإنشاء ، وتنقَّل بها في حنايا بلاد وأحْشاء ، وكان يكتب سَريعا ، ويجعل الطّرس بقلمه روضاً مريعا ، إلا أنه لا يُنشئ شيئا ، ولكنه يجعَل له في التقييد ظِلاًّ[٢] وفيئا .

وكان في خُلُقِهِ حِدَّه ، وفي ممارسته شدَّه . لا يزال طالباً ما لا يمكنه ، جالِباً لنفسه من الشَّرِّ والنَّكد ما يوهي جَلَدَهُ ويوهنه ، يتخيَّل حتى من حبيبه ، ويتحيَّل على من يكون من أنصاره ليجعَله بمنزلة رقيبه ، فمضى عمره في أنكاد ، وقضى وفي القلوب منه أحقاد .

ولم يزل على حاله إلى أن نقص كمالُه ، وذهبَ في طلَب الْمُحال رُوْحُه وماله .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وسبعُ مئة .

ومولده في نيف وسَبعُ مئة .

طلبَ الحديث في وقت ، ودار على الشيوخ ، وكتب الطباق ، وسمع من الحجّار ، والعفيف الآمدي .

وكان قد توجه لتوقيع الرّحْبَة ، ووكالة بيت المال عوضاً عنِّي في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وأقام بها مدّة ثم حضر إلى دمشق .

---

* الوافي : ١٤٨/٢ ، والدُّرر : ٣٧١/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١١/١١ ، وذيول العبر : ٣٤٦ .

(١) زاد في الوافي : « الهاشمي الجعفري » .

(٢) في الأصل و (ط) : « طلاّ » ، وأثبتنا ما في (ق) .

وتوجَّه لتوقيع جَعْبَر ، وأقام بها مُديدة ، وحضر إلى دمشق ، وباشَرَ ديوان[١] الأمير سيف الدِّين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ . ثم توجَّه إلى مصر ، وباشَرَ في ديوان الأسرى بدمشق ، وبيَده فقاهات في المدارس .

ولَمّا كان في أواخر أيام الأمير سيفُ الدِّين يلبغا نائب دمشق نزل له ابن البيَّاعة[٢] عمّا باسمه على كتابة الإنشاء بدمشق ، فدخل ديوان الإنشاء[٣] ، ثم إنَّه توجَّه إلى الحجاز في سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، وعاد مع الركب المصريّ . فاتفق أنَّه مات في تلك الأيام شرف الدِّين موقع غزة ، فاستخدمَه القاضي علاء الدِّين بن فضل الله في توقيع غزّة ، فحضر إليها ، وباشرها مدة بنفسٍ قويّة حتى على النُّوّاب . فنفرت القلوب منه ، وكثرت الشكاوى عليه بباب السُّلطان ، فرُسِم بعزله ، ومع عناية القاضي علاء الدِّين معَه خرَج منها ، وقد كاد يعطَب . وكان قد نزل عن بعض جهاته لقاضي غزة من[٤] مباشرة الأسرى ، وقام باسم أولاده على كتابة الإنشاء بدمشق ، وأخذ من القاضي الخطابة بجامع الجاولي ، والتدريس .

حَكى لي[٥] القاضي شرف الدِّين قاضي غزّة أنه صعد المنبر ، فقال : الحمد لله . وسكت ساعة ، ثم قال : الحمد لله ، وسَكت ساعَة[٦] ، فعَل ذلك مراراً ! حتى إنَّه قال لي النائب : قُم أنت اخطب ، فخطبت عنه ذلك النهار ، ولَمّا حضر إلى دمشق رسم السُّلطان الملك الناصر حسن بإبطال من استجد بديوان الإنشاء بعد الشهيد ، فبَطَل هو لأنَّه كان قد قايض قاضي غزّة بماله على كتابة الإنشاء من الأيام الشهيدية ، وأبقى له على ذلك ما استُجِدَّ ، فجرت بينه وبين[٧] القاضي مخاصمات ومحاورات ومحاكمات كادت

(١) في (ق) ، (خ) : « في ديوان » .
(٢) مُحَمَّد بن سليمان ، ستأتي ترجمته .
(٣) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .
(٤) (ق) : « عن » .
(٥) (ق) ، (خ) : « لنا » .
(٦) ليست في (ق) ، (خ) .
(٧) (ق) ، (خ) : « منه ومن » .

تفضي إلى ملاكمات ، ولم يثبت له شيء ، فتوجَّه إلى مصر ، فمرضَ مرضةً طويلة بالبيمارستان المنصوريّ ، ثم إنَّه خرج في محارة مع العرب ، فلَمَّا كان بين سِرياقوس والقاهرة ، أو بعد سِرياقوس ، توفِّيَ ـ رحمه الله تعالى ـ فحمله العَرب إلى بُلْبيس ، ودُفن بها عفا الله عنه وسامَحَه .

وكان أولاً يعرف بالزَّيْنَبي ، ثم إنَّه أخيراً كتب عن نفسه الجعفري . وكان إذا خاصَم أحداً يقول : أنا ابن بنت رسول الله ﷺ ، فقلت له : يا مولانا السيِّد كنّ ، أعرف ما تقول إن كنت جعفريّاً فهذه نسبَة إلى جعفر الطَّيار أخي علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وجعفر ما تزوَّج ببنت رسول الله ﷺ ، والذي تزوَّج بها أخوه علي بن أبي طالب ، فإن أردت النسبة إلى بنت رسول الله ﷺ فقل أنا علويّ ، لأنَّك تكون من أولاد الحسن أو الحسين رضي الله عنهم . فأخجله هذا ، ولم يرجع عن هذه الدعوى ، سامَحه الله وعَفا عنه .

وكان مُبغَّضاً إلى كل[1] من يرافقه من فقهاء المدارس ، وكُتّاب الجامع الأُمويّ وكُتّاب الإنشاء حتى أنشدني فيه بعض الناس :

يا صاحِبٌ لي فيكَ وَاشٍ ... بَيْني وَبينَكَ يُوقِعْ
ومَالَهُ مِن مُحبٍّ ... مثلِ الشّريف الْمُوَقّعْ

وأنشدني من لفظه لنفسه القاضي شمس الدِّين محمد بن شرف الدِّين عيسى بن قاضي شهبة في ذلك :

ولرُبَّ خِلٍّ قالَ لي يُهنيك قد ... عَطَف الحبيبُ وزارَ بعد تَجنُّبِ
وكَسَتْكَ أيدي الدَّهرِ ثَوْبَ شَبيبَةٍ ... ما عِشْتَ عنك جَديدُهُ لم يَذْهَبِ
وأنا لَكَ الدَّهْرُ الخؤونُ قيادَهُ ... وأمِنتَ مِن صرفِ الرَّدى المتغلّبِ
وصَفَتْ لكَ الدُّنيا ووُسِّعَ رِزْقُها ... فتمِلَّ بالمحبوبِ واشرَبْ واطرَبِ
فأجَبتُ قد أفْرَحْتَ لكن لم تَقُل ... وكذاكَ قد ماتَ الكمالُ الزَّيْنَبي

(١) ليست في (ق) ، (خ) .

وأنشدني من لفظه لنفسه غير ذلك في هذا المعنى ، والجميع مُثْبَتٌ في الجزء الثالث والثلاثين من (التذكرة) التي لي .

١٤٧٥ ـ محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي*

الشيخ تقي الدِّين أبو حاتم ابن الشيخ الإمام العلاّمة بهاء الدِّين أبي حامد ابن شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي الشافعي .

تقدَّم ذِكْرُ جَدِّه وذِكرُ عمِّه في مكانيهما من حرف العين والحاء .

شابٌّ شبَّ على الهدى ، ودبَّ إلى النَّدى ، وحثَّ[١] في طلب العلم ، ودبَّ في حمى[٢] الكَرَم والحِلم ، فخطب ودرَّس ، وسرى إلى المعالي وما عَرَّس ، ما وصل هلاله إلى الإبدار ، ولا انفصل زلاله عن الإكدار حَتَّى قَصِفَ غُصنُه المائل ، وخُسِفَ بدره الكامل ، وفُجع به أبوه وعمّه ، ودفع إلى كل منهما فيه هَمُّه وغَمُّه ، فعطلت غصون المنابر من وَرْقائه ، وخملت فنون المدارس من إلقائه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ...[٣] من شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة .

ومولده في غالب الظنّ في شهر رجب الفرد سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

كان هذا تقي الدِّين أبو حاتم قد نشأ أحسنَ نشأة ، ورَبِي خَير مَرْبى ، اجتهدَ جدُّه قاضي القضاة تقي الدِّين رحمه الله تعالى لَمّا كان عنده بدمشق ، وحفَّظه القرآن ، و(التنبيه) ، و (العُمدة) في الأحكام . وحفظ هو بالديار المصريّة كتاب (جمع

---

* البداية والنهاية : ٣٠١/١٤ ، والذَّيل التّام : ١٩٧ .

(١) في (ق) ، (ط) : « وخب » .

(٢) (ق) : « وذبّ عن حمي » ، وهي أشبه .

(٣) كذا بياض في الأصول ، وعبارة ابن كثير : « في أواخر شهر رجب » .

الجوامع) لعَمِّه قاضي القضاة تاج الدِّين . وولاه السُّلطان مدارس والده وخطابة جامع ابن طولون ، فقام بجميع ذلك أتمَّ قيام ، وسَدَّ وظائفه كلَّها على أحسن نظام ، ولبسَ تشريفاً في دمشق وألقى به الدرس في العادليّة في حياة جدِّه سنة ستٍّ وخمسين وسبع مئة ، وعمره يومئذ دون الاثنتي عشرة سنة .

وعلى الجملة ، فكان من نجباء الأبناء ، ولكن جاءه أجَلَهُ مبكِّراً .

ولَمّا مات توجَّه والدُه إلى الحجاز ولحق بالركب الرّحبي ، ولم يلق بعده قراراً ، وضاقت رحاب القاهرة به[١] ، وهو معذورٌ في هذا الولد إذا ضاقت به الأرض فضلاً عن البَلد .

وكتبتُ إلى عمِّه قاضي القضاة تاج الدِّين أعزِّيه بقصيدة هي :

الْمَوتُ حَتْمٌ يا أبا حاتِمِ ... وغَيْرُ مُسْتَثْنىً بَنو آدَمِ
وليسَ تَنجو مِن ورودِ الرَّدى ... لا نَفْسُ مَخْدومٍ ولا خادِمِ
وكلّ عُمْرٍ فلَهُ عُرْوَةٌ ... ولا بُدَّ أن تُفْضِي إلى فاصِمِ[٢]
والْمَوْتُ يَقْظانُ لِهذا الوَرى ... وكُلُّنا في غَفْلَةِ النّائِمِ
كالذّودِ في الرَّعي بِهِ غَفلةً ... عَن مُلتقى جزّارِهِ الغاشِمِ[٣]
وكُلُّنا يَسْعَى إلى غايَةٍ ... لا بُدَّ مِن إدراكِها اللازِمِ
ونَشرَبُ الكأسَ التي ذقتَها ... من كَفِّ ساقٍ لِلْمُنى حاسِمِ[٤]
وقَد تَساوى النّاسُ في شُرْبِها ... تَأْتي على الْمُحْسِنِ والْجارِمِ[٥]
لَهْفي على نَجْمِكَ لَمَّا هَوَى ... ولَيلِ شَعْرٍ للصَّبا فاحِمِ

---

(١) (ق) : « به بعده » .
(٢) في الأصل : « قاصم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٣) في الأصل : « كالبود » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، وفيها أيضاً : « المرعى » .
(٤) في الأصل : « وتشرب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٥) في الأصل : « والجازم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

[لَهفي على علمِكَ ذاكَ الذي ... قد كُنتَ فيهِ نَدرَةَ العالمِ][1]
ودرسكَ الفقْهَ الذي قالَ فيـ ... ـهِ النّاس ما دارَ على الدّارمي
كأنَّ مِن جدّكِ فيهِ غَدا ... جَدُّكَ يُمليهِ على الرّاقِمِ
كذلكَ التَّفسيرُ قالوا أبو ... حيّانَ حيٌّ أو أبو حاتمِ[2]
كَم منبرٍ تَحتكَ يَهتَزُّ مِن ... بَلاغَةٍ ما حازَها الغانمي
تُملي عليهِ خُطَباً سَجْعُها ... كالدُّرِّ يُزهى في يَدِ النّاظِمِ
فَصاحةٌ يعجَبُ مِن لَفظِها الـ ... ـجاحِظُ والرّاغبُ والحاتمي
وأنتَ في أعلاهُ قمريّةٌ ... وذاكَ مثلُ الغُصنِ النّاعِمِ
فالَنا اليَومَ ولا للعُلا ... ولا دروسَ العِلمِ مِن راحِمِ
وكلّنا بعدَكَ في ضَيْعَةٍ ... كالذَّودِ إذْ أمسى بلا سائمِ
لَهفي على الشَّيخِ أبيكَ الذي ... تَركْتَهُ بَعْدَكَ كالهَائمِ
قَد كانَ عن بَلْواهُ في غَفْلَةٍ ... بَل كانَ في إغفاءَةِ الْحَالِمِ
فاعتاقَهُ صَرْفُ الرّدَى دونَ ما ... أمّلَهُ في ظنِّهِ الزّاعِمِ[3]
قَد كُنتَ منهُ مثلَ ما قالَ عَبـ ... ـدُ اللهِ في أمرِ ابْنِهِ سالِمِ
جلدَةُ بَينَ العَينِ لكنَّهُ ... راحَ بأنفٍ في الوَرَى راغِمِ[4]
هَجَّ إلى مَكَّةَ مِن حُزْنِهِ ... يَعَضُّ كَفَّ النّادِمِ السّادِمِ
وأمَّ بيتَ اللهِ مُسْتَصْرِخاً ... في الضُّرِّ بالصَّفوَةِ مِن هاشِمِ
رُحْتَ إلى اللهِ خَفيفَ الْمَطا ... غَيْرَ مُسِيءٍ لا ولا آثِمِ

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « قالوه أأبو » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٣) اعتاقه أي : منعه .
(٤) يشير إلى قول عبد الله بن عمر في ابنه سالم :
يديرونني عن سالمٍ وأريفه ... وجلدةُ بينَ العينِ والأنفِ سالم
انظر : اللسان (سلم) .

تُصافِحُ الولْدانَ والْحُورَ في ... جَنّاتِ عَدْنٍ بِرِضىً دائمِ
فأيْنَ تِلكَ الحركاتُ التي ... أنحى عليها الْمَوتُ بالجازمِ[1]
لَهْفي على نَفسي فقد كُنتَ لي ... رُكْناً مَحَتْهُ صَدمَةُ الهادِمِ
أراكَ في الأنصارِ لي عُدَّةً ... ولم أخَلْ أنَّ الرَّدى فاطِمي
وكنتُ مِن شَوقٍ كَطَيرٍ قَدِ انـ ... ـقَضَّ إلى مَنْهَلِهِ حائمِ
وكانَ ذاكَ البعدُ من قبلِ ذا ... دخانَ هذا الضَّرمِ الْجَاحمِ
كَمْ قلتُ لَمَّا أن سَمعتُ الَّذي ... يَسُرُّني مِن خَبَرِ القادِمِ
تُرى أرى النّاشي وقَد خصَّني ... بنَظمِهِ الزّاهِيْ على النّاجِمِ
وهَل أرى ذاكَ الْمُحَيّا الذي ... بارِقُهُ راقَ لدى السَّائمِ
والآنَ لا الصَّبرُ غَدا نافِعي ... وليسَ من بَحرِ البُكا عاصِمي
تَعَزَّ يا مَولايَ عَن ذاهِبٍ ... مَضى بِهِ سَيلُ رَدًى عارِمِ
وأنتَ من بيتٍ دَراريهِ أمّـ ... ـثالُ الذَّراري في الدُّجى العاتِمِ
قَد زَيَّنوا الدَّهرَ الذي ضَمَّهُم ... فراحَ ذا ثَغْرٍ بِهِم باسِمِ
واصْبِرْ لِخَطبٍ قَد عَرا واحْتَسِبْ ... تَظْفَرْ بأجْرِ الصّائمِ القائمِ
واللهُ يَسقي تُرْبَ مَن قَد مَضى ... صَوْبَ الْحَيا مِن جودِهِ السّاجمِ[2]

١٤٧٦ ـ محمد بن أحمد بن بَصْخان*

بفتح الباء الْمُوَحَّدة وسكون الصّاد الْمُهْمَلة ، وبعدها خاء مُعجمة وألف ونون ، ابن عين الدولة ، شيخ القُرّاء بدمشق ، الشيخ الإمام بدر الدِّين أبو عبد الله بن السَّرّاج الدِّمشقي ، المقرئ النَّحوي .

---

(١) في الأصل : « فإنَّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) هنا ينتهي الجزء الثامن من نسخة (ط) ، والجزء الثامن أيضاً من (ق) .

* الوافي : ١٥٩/٢ ، ونكت الهميان : ٢٣٩ ، ووفيات ابن رافع : ١٧٨/١ ، والدُّرر : ٣٠٩/٣ ، وغاية النهاية : ٥٧/٢ ، وبغية الوعاة : ٢٠/١ .

سمع الكثير بعد الثمانين من أبي إسحاق اللمتوني ، والعزّ بن الفرّاء ، والإمام عزّ الدّين الفاروثي ، وطائفة . وعُني بالقراءات سنة تسعين وبعدها ، فقرأ لِلْحَرَمِيَّيْن[١] وأبي عَمْرو عَلى رضيِّ الدّين بن دبّوقا ، ولابن عامر عَلى جمال الدّين الفاضلي[٢] ، ولم يكمل عليه ختمة الجمع ، ثم كَمَّل على الدّمياطي وبرهان الدّين الإسكندري ، وتَلا لعاصم ختمة على الخطيب شرف الدّين الفَزاري ، ولازَمَه مُدَّةً ، وقرأ عليه القصيدة لأبي شامة .

قال شيخنا شمس الدّين الذّهبي : وترَدَّدْنا[٣] جميعاً إلى الشيخ المجد[٤] نَبْحَثُ عليه في القصيد ، ثم إنَّه حجَّ غير مَرَّة ، وانجفل عام سبع مئة إلى مصر ، وجلسَ في حانوت تاجر[٥] ، وأقبل على العربية فأحْكَمَ كثيراً منها ، وقدم[٦] دمشق بعد ستة أعوام ، وتصدَّى لإقراء القراءات والنحو ، وقَصَدَه الطَّلَبة ، وظهرت فضائله ، وبَهَرت معارفه ، وبَعُد صيته ، ثم إنه أقرأ لأبي عَمْرو بإدغام ﴿ الْحَمير لِتَركَبوها ﴾[٧] ، وبابه[٨] ورآه سائغاً في العربيّة ، والتزم إخراجه من القصيد ، وصمَّم على ذلك ، مع اعترافه بأنَّه لم يَقُلْ به أحد ، وقال : أنا قَدْ أُذِنَ لي في الإقراء بما في القصيد ، وهذا يخرج منها .

---

(١) هما : نافع وابن كثير .

(٢) أشار إليه صاحب غاية النهاية : ٢٧٠/٢ .

(٣) في الأصل : « وردنا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٤) هو المجد التونسي ، سلفت الإشارة إليه .

(٥) في (خ) والوافي : « تاجراً » .

(٦) في الأصل : « وقد » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٧) سورة النّحل : ٨/١٦ . وانظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي : ١٥٧/١ ، والنشر في القراءات العشر : ١٢/٢ .

(٨) في الأصل : « وبانه » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . ويريد بقوله : « بابه » أي : باب إدغام الراء باللام .

فقام عليه شيخنا المجد وابن الزملكاني وغيرهما ، فطلَبه قاضي القضاة ابن صَصْرى بحضورهم ، وراجعوه وباحثوه فلم ينتهِ ، فمَنَعَهُ الحاكم من الإقراء بذلك ، وأمره بموافقة الجمهور ، وذلك في عشري شهر[١] ربيع الأول سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فتألَّم وامتنع من الإقراء جُملة . ثم إنَّه استخار الله تعالى في الإقراء بالجامع ، وجلسَ للإفادة ، وازدحم عليه المقرئون وأخَذوا عنه ، وأقرأ العربيّة .

قال : وذهنه مُتَوسِّط لا بأس به ، ثم ولِيَ بلا طلب مشيخةَ التُّربَة الصّالحيّة بعد مجد الدِّين التونسي بحكم أنَّه أقرأُ مَنْ بدمشق في زمانه ، انتهى .

قلت : وكان بَهِيَّ الْمُحَيّا ، يَطْوي السُّكون طَيّا ، ظاهِرَ الوَقار ، باديَ التَّكبر على الناس والاحتقار ، نظيفَ اللِّباس ، طيِّبَ الرائحة في الانطلاق والاحتباس[٢] ، ظريفَ العِمامَه ، كأنَّه مِنْ بياض ثيابِه حَمامَه ، له قُعْددٌ في جُلوسه ، وتَسَدُّد[٣] في ناموسه ، وكذا إذا مشى لا يلتفتُ ولو زَحَمه اللَّيث والرَّشا . وإذا كان في حالة تصدُّرِه للقراءة يتلبَّسُ بالتَّوقُّر على التَّوقُّر والأناة ، لا يتنحَّم ولا يتلفَّت لا يعير بصره [وسمعه] غيرَ من يقرأ عليه[٤] إن عَطَس أو شَمَّت ، مشغولاً بمن قَدْ أمَّه قُدّامَه ، مَجموع الحواس على القارئ الذي جعله [إمامه][٥] أمامَه :

ويَبْقى على مرِّ الحوادثِ صَبْرُهُ ويَبْدو كما يَبْدو الفِرَنْدُ على الصَّقلِ

ولم يزل على حاله إلى أن مات به شاطبيٌّ عصره ، وأُنزل إلى قعر لحدٍ من علوِّ مجده في قَصْرِه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

---

(١) في الوافي : « في العاشر من شهر » .

(٢) (خ) : « والاحتباء والاحتباس » .

(٣) (خ) : « تشدّد » .

(٤) في الأصل : « يعير بصبره غير من يقرأ عليه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) زيادة من (خ) .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

واشتُهر[١] عنه أنَّه كان لا يأكل اللحم إلا مصلوقاً والحلاوة السُّكّرية لا غير . وقيل إنَّه لم يأكل المشمش في عمره ؛ ومن شعره في المشمش :

قَـــــد كَسَرَ المشمشُ قَلبي ولَم أكسِر لَـــهُ لَمَّـــا أتى قَلْبـــا[٢]
لسِعْره الغـــالي وعُسْري معـــاً وأسْتَحي أن ألقـــطَ الْحَبّـــا

وكان له ملك يرتفق بمصالحه ، ولم يتناوَلْ مِنَ الجهات دِرْهماً ولا طلب جهةً كمال أهليته .

وكان يدخل الْحَمَّام وعلى رأسِه قبع لِبّاد غليظ إذا تغسَّل رفعَهُ وإذا أبطل قَلْبَ الماء أعاده ، فأفادَهُ ذلك ضُعفاً في بَصَره ، وكان طيِّب النغمَة .

دخَل يوماً هوَ والشيخ نجم الدِّين القحفازي في دَرْب العجَم وفيه ظروف زيت ، فعثر في أحدها ، فقال نجم الدِّين : تَعِسْنا في ظَرف المكان . فقال له الشيخ بَدر الدِّين : لا بل تمشي بلا تمييز ، فقالَ : إنَّ ذا حال نحس .

وقد أجاز لي رحمه الله تعالى جَميعَ ما صَنَّفه ونظمه بخطِّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وأنشدني شمسُ الدِّين مُحَمَّد الخياط الشاعر ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه[٣] :

كُلَّما اختَرْتَ أن تَرى يـوسُف الْحُسـ ـنِ فَخُـــذ في يَمينِـــكَ المِرآةَ
وانظُرَنْ في صَفـــائِهـــا تُبصِرَنّـــهُ واعْـذُرَنْ مَنْ لأجْـلِ ذا الحسنِ باتـا
لا يَـــذوقُ الرُّقـــادَ شَـوقـــاً إليـــهِ قَلـقُ القَلْبِ لا يُطيـقُ ثَبـــاتـــا

(١) في الأصل : « وأشهر » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
(٢) (خ) والوافي : « منذ أتى » .
(٣) الأبيات في البغية .

قُلتُ : كان الشيخ بدر الدّين رحمَهُ الله تعالى لَمّا سَمِع كلام الناس في كلام هذه المادة مثل قول القائل :

ما أخذَ المرآة في كفِّهِ يَنظرُ فيها للجمالِ الْمَصُونْ
إلاّ رأى الشَّمسَ وبَدْرَ الدُّجى ووَجْهَهُ في فلكٍ يَسبَحونْ[1]

وقَولِ أبي الْحَسَن بن يونس بن عبد الأعلى[2] :

يَجري النَّسيمُ على غلالةِ خَدِّهِ وأرقُّ منهُ ما يَمُرُّ عَلَيهْ
ناوَلْتُه المرآة ينظرُ وَجْهَهُ فعَكستُ فتنَةَ ناظريهِ إليَهْ

وقول الآخر :

وأهيَفُ ظلَّ بالمرآةِ مغرًى يُواظِبُ رؤيَةَ الوَجْهِ الْمَليحِ
يَقولُ طَلَبْتُ مَعْشوقاً مَليحاً فَلَمّا لَم أجِدْهُ عَشِقْتُ روحي

وقول الآخر :

أخَذَ المِراةَ بكفِّهِ كيما يَرى فيها مَحاسِنَ وَجْهِهِ فَتَحَيَّرا
ما كانَ يَدْري ما جَنَتْ عَيْني على قَلبي فَحينَ رَأى محاسِنَهُ دَرى

وقول الآخر :

عَجِبْتُ لِبَدْرِ التَّمِّ أصبحَ عاشِقاً هِلالاً وأمْسَى مُغْرَماً فيهِ قَلبُهُ
ولو أخَذَ المرآةَ يَنظرُ وَجْهَهُ لأبصرَ ما يُسليهِ عَمَّن يُحِبّهُ

وقول ابن السَّاعاتي :

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لا الشَّمسُ يَنْبَغي لَها أن تُدْرِكَ القَمَرَ ولا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ وكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحونَ ﴾ ، [سورة يس : ٣٦/٤٠] .

(٢) هو أحمد بن يونس (ت ٣٠٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٧/٢٥٣ .

يَقولُ مـــاذا تَرى وفي يَـــدِهِ مِرآتُـــهُ وهـو نـــاظِرٌ فيهـــا
قُلتُ أرَى البـــدرَ في السَّماءِ وقـــد أفـــاضَ نـوراً على نـواحِيهـــا

وقلت أنا في هذه المادة :

لـوأخَـذتَ المرآةَ يـامَن سَبـاني لَترى طَلعَـــةً سَمَتْ كُـلَّ بَـــدْرِ
وتَحَقَّقْتَ أنَّ عُـــذري بـــادٍ في غَرامي وفي تَهتُّـــكِ سِتْري

وللناس في هذا كثير ، وهذا القدر كافٍ .

وأراد الشيخ بدر الدِّين أن ينظم مثل ذلك في رِقَّته وطلاوة تراكيبه فأتى بما أتى وزاد عُلوّاً في الثقالة وعَتا .

وأنشدني شمس الدِّين الخيّاط أيضاً ، قال : أنشدني لنفسه في مليح دخل الْحَمَّام مَعَ عَمِّه ، فلَمَّا جَعَل السّدر على وجهه قلبَ الماء علَيه عَبْدٌ أسوَد كان هناك :

وبِروحي ظَبيٌ على وَجهِهِ السّـــد ر وقَـد أغْمَضَ الْجُفون لـذلِكْ[1]
قـــائِلاً عنـــدَ ذاكَ حينَ أتـــاهُ يسكبُ الماءَ عَليهِ أسوَد حـالِكْ
مَن تَرى ذا الـــذي يصبّ أعَمّي قُلْتُ بَل ذا الذي يصبّ كخالَكْ[2]

قلتُ : قد حقَّق الشيخ بدر الدِّين رحمه الله تعالى ما قيل عن شعر النُّحاة من الثَّقالة ، على أنني ما أعتقد أن أحداً رضي لنفسه أن ينظمَ هكذا ، والذي أظنه أنَّه تعمَّد هذه التراكيب القلقة[3] وإلاّ فما في طباع أحد يعاني النظم هذا التَّعاظُل ، ولا هكذا[4] التَّعسُّف ولا هذه الركَّة ، ولكني المعاني جيِّدة ، فهي عروسٌ تجلى في ثياب حِداد .

---

(١) في الأصل : « وبروحي ظلّي على السّدر وجهه » ، كذا ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
(٢) في الأصل : « قابل ذا » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « القلعة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) (خ) : « ولا هذا » .

١٤٧٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز*

الشيخ الإمام الحافظ[١] شمسُ الدِّين أبو عبد الله الذهبي ، شيخنا الإمام حافظ الشام[٢] .

كان في حفظه لا يُجارى ، وفي لفظه لا يُبارى ، أتقن الحديث ورجالَه ، ونظر علَله وأحوالَه ، عَرَف تراجم الناس ، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس ، مع ذِهْنٍ يتوقَّد ذكاؤه ، ويصحُّ إلى الذهب نَسَبُهُ[٣] وانتماؤه .

جَمَع الكثير ، ونفع الجمّ الغفير ، وأكثرَ من التصنيف ، ووفَّر بالاختصار مُونَةَ التطويل في التأليف ، وكتب بخطِّه ما لا يُحْصى ، ولا يوقف له على حدٍّ يُسْتَقصر ولا يستقصى[٤] .

ومنذ انتشا لم يُضَع له زمان ، ولا ظفر الفراغ منه بأمان ، أخَذْنا من فوائده الجليلة وفرائدِه الجميله ، وأضحَت دمشق بعده من فنِّه دِمنةً والعيونُ كليله :

أطل على الأخبارِ مِنْ كُلِّ وِجهَةٍ وشارِفها من كلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبِ

وأضرَّ قبل موته بسنوات[٥] ، وحصل للناس بذلك في تلك الحال هَفَوات .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبحَ الذَّهبيّ وقد ذَهَبْ ، ونهبَ الأجَلُ من عُمرِه ما وَهَبْ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسَبع مئة ، ودفن في مقابر باب النصر .

---

* الوافي : ١٦٣/٢ ، وفوات الوفيات : ٣١٥/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٥٥/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤٩/١ ، والدُّرر : ٣٣٦/٣ ، وغاية النهاية : ٧١/٢ .

(١) (خ) : « العلاّمة الحافظ » .

(٢) (خ) : « وأحد حُفّاظ الشام » .

(٣) (خ) والوافي : « نسبته » .

(٤) (خ) : « يُستقصر لَمّا يُستقصى » .

(٥) عبارة الوافي : « بأربع سنين » .

ومولده سألته عنه فقالَ : في ربيع الآخر سنة ثلاث وسَبعين وستّ مئة .

وقلت أنا[١] أرثيه :

لَمّـا قَضى شيخنـا وعـالِمُنـا ... ومـاتَ فَنُّ التّـاريـخِ والنَّسَب
قُلْتُ عَجيبٌ وحـقٌّ ذا عَجَب ... كيفَ تَخطَّى البِلى إلى الـذَّهب[٢]

وقلت فيه أيضاً :

أشَمسَ الـدِّينِ غِبْتَ وكلُّ شَمسٍ ... تَغيبُ وزالَ عَنّـا ظِـلُّ فَضْلِـك
وكم ورّخت أنتَ وفـاةَ شَخْصٍ ... ومـا ورَّخْتُ قَـطُّ وفـاةَ مِثْلِـك

وارتحل وسَمع بدمشق وبَعلبك وحمص وحماة وطرابلس ونابلس والرَّملة وبُلْبيس والقاهرة والإسكندريّة والحجاز والقدس وغيرها .

سَمع بدمشق من عمر بن القواس وغيره ، وببعلبك من عبد الخالق بن علوان[٣] وغيره . وبالقاهرة من الحافظين ابن الظاهري والشيخ شرف الدِّين الدّمياطي ، ومن الشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد ، ومن أبي المعالي الأبرقوهي . وسمع بالإسكندريّة من الغَرافي وغيره .

وسمع بمكة من التوزري[٤] وغيره ، وسمع بنابلس مِنَ العماد بن بَدْران[٥] ، وباشَرَ تدريس الحديث بالتربة الصّالحيّة بدمشق عوضاً عن الشيخ كمال الدِّين بن الشُّرَيْشيّ .

---

(١) (خ) : « أنا فيه » .

(٢) في (خ) والوافي : « عجباً » .

(٣) (خ) : « ابن علوان القاضي » ، وعبد الخالق بن علوان هو تاج الدّين البعلبكي (ت ٦٩٦) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « التورزي » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهو عثمان بن مُحَمَّد بن عثمان (ت ٧١٣ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) عبد الحافظ بن بدران بن شبل المقدسي النابلسي (ت ٦٩٨ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

أخبرني شيخنا العلاَّمَة تقي الدِّين قاضي القضاة قالَ : عُدْتُه ليلةَ مات ، فقلتُ له : كيف تَجِدُك ؟ فقال : في السِّياق .

وكان قد أضرَّ قبل مَوته بأربع سنين أو أكثر بماء[١] نزلَ في عَينَيْهِ ، وكان يتأذَّى ويَغْضب إذا قيل له : لوقَدَحْتَ هذا لرجع إليك بصرك ، ويقول : ليس هذا بماءٍ ، وأنا أعْرَفُ بنفسي ، لأنَّ بَصري لا زال ينقص قليلاً قليلاً إلى أن تكامل عُدْمُه .

اجتمعتُ به غَيْرَ مرة ، وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه . ولم أجد عنده جُمود المحدِّثين ولا كَوْدنة[٢] النَّقَلَة ، بل هو فقيهُ النظر ، له دُربَة بأقوال الناس ، ومَذاهب الأئمة والسَّلَف وأرباب المقالات .

وأعجبني ما يعانيه في تصانيفه من أنَّه لا يتعدَّى حديثاً يُورده حتى يُبَيِّن ما فيه من ضعفِ متنٍ أو ظلامِ إسنادٍ أو طعنٍ في روايةٍ[٣] وهذا لم أرَ غيرَهُ يراعي [هذه][٤] الفائدة فيما يورده .

ومِنْ تصانيفه (تاريخ الإسلام)[٥] ، وقد قرأت عليه [منه][٦] المغازي والسيرة النَّبويّة إلى آخر أيام الْحَسَن ، وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مئة . وكانت القراءة[٧] في أصْلِه بخطه ، و (تاريخ النبلاء) ، ونقل عنِّي فيه أشياء ، و (الدول الإسلاميَّة) و (طبقات القُرّاء) سمّاه : (مَعْرِفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار) ، تناولته منه ، وأجازني روايته عنه ، وكتبت أنا عَليه :

---

(١) في الأصل و (خ) : « بما » ، وأثبتنا ما في الوافي ، ويرجحه ما سيأتي .

(٢) الكودن : الفرس الهجين .

(٣) في الوافي : « رواته » .

(٤) زيادة من (خ) والوافي .

(٥) هو سير أعلام النبلاء ، وقد طبع محققاً في مؤسسة الرسالة .

(٦) زيادة من (خ) والوافي .

(٧) في الأصل : « الهراة » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

عليكَ بهذهِ الطَّبقاتِ فاصْعَدْ إليها بالثَّنا إن كُنْتَ راقي[١]
تَجدها سَبْعَةً مِن بعدِ عَشر كَنَظْمِ الدُّرِّ في حسنِ اتِّساقي[٢]
تُجَلِّي عَنْكَ ظُلمةَ كلِّ جَهْلٍ بهِ أَضْحى مقالُكَ في وِثاقِ
فنورُ الشَّمسِ أحسَنُ ما تراهُ إذا ما لاحَ في السَّبْعِ الطِّباقِ

و (طبقات الحفّاظ) مجلدان ، (ميزان الاعتدال في الرجال) في ثلاثة أسْفار ، كتابُ (الْمُشتَبه في الأسماء والأنساب) ، (نبأ الدَّجّال) مجلد ، (تَذْهيب التَّهذيب) ، (اختصار تهذيب الكمال) للحافظ شيخنا المزّي ، اختصار كتاب (الأطراف) أيضاً للمزّي ، (الكاشف) ، (اختصار التذهيب) ، (اختصار السُّنن الكبير) للبَيهَقي ، تنقيح أحاديث (التَّعليق) لابن الجوزي ، (الْمُستَحلى في اختصار المحلَّى) ، (المقتَنَى في الكُنى) ، (الْمُغْني في الضُّعفاء) ، (العِبَرَ في خبر مَن غَبر) ، مجلَّدان ، (اختصار المستدرك) للحاكم ، (اختصار ابن عساكر)[٣] في عشرة أسفار ، (اختصار تاريخ الخطيب) مجلَّدان ، وملكْتُها بخطِّه ، (اختصار تاريخ نيسابور)[٤] مجلَّد ، (الكبائر) جزءان ، (تحريم الإدبار) جزءان ، (أخبار السُّدّ) ، (أحاديث مختصر ابن الحاجب) مَلكته بخطه ، (توقيف أهل التوفيق على مناقب الصِّدِّيق) ، (نِعَم السَّمَر في سيرة عُمَر) ، (التبيان في مناقب عثمان) ، (فتح المطالب في أخبار علي بن أبي طالب) ، قرأته عليه كاملاً ، (معجم أشياخه) ، وهم ألف وثلاث مئة شيخ ، ومَلكته بخطِّه ، (اختصار كتاب الجهاد) لبهاء الدِّين بن عساكر ، (ما بعد الموت) [مجلَّد][٥] ، (اختصار كتاب القَدَر) للبيهقي ثلاث مجلدات ، (هالة البدر في عَدَد[٦]

(١) كذا ، وله شاهد من قول الحطيئة :
لما بَدا لي منكُم عيبُ أنفسِكُم ولم أجِدْ لجراحي فيكُم آسي
(٢) في الأصل : « من عشر كنّا » ، كذا ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
(٣) (خ) والوافي : « تاريخ ابن عساكر » .
(٤) لِمُحَمَّد بن علي الكعبي ، انظر : كشف الظنون : ٣٠٨/١ .
(٥) زيادة من (خ) والوافي .
(٦) في الأصل : « عذر » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

أهل بدر) ، (اختصار تقويم البلدان) لصاحب حَماة ، (نفض الْجُعْبَة في أخبار شُعْبَة)[١] ، (قَضٌّ نهارك في أخبار ابن المبارك)[٢] ، (أخبار أبي مسلم الْخُراساني) ، وله في تراجم الأعيان في كلٍّ[٣] واحد مصنّف قائم الذّات مثل الأئمة الأربعة ، ومن جرى مَجراهُم ، ولكنه أدخل الكل في (النبلاء) ، ومن تكلَّم فيه ، وهو موثّق ، كَتَبْتُه من خطِّه ، وقرأته عليه ، و (الثلاثين البلديّة) كتبتها من خطِّه[٤] ، وقرأتها عليه .

وكتب بخطِّه من الأجزاء شيئاً كثيراً ، وملكْتُ منها جملة .

أنشدني من لفظه لنفسه ، وجوَّد ما شاء :

إذا قَرأ الحديثَ عَلي شَخصٌ ... وأخلى مَوضعاً لوَفاةِ مِثلي
فَما جازَى بإحسانٍ لأنِّي ... «أريدُ حياتَهُ ويُريدُ قَتلي»[٥]

فنظمت أنا وأنشدته :

خَليلُكَ مالَهُ في ذا مُرادٌ ... فدُمْ كالشَّمسِ في عُلْيا محلّ
وحَظّي أن تَعيشَ مَدى الليالي ... وأنَّكَ لا تُمَلُّ وأنتَ تُملي

[٦] وأنشدني من لفظه لنفسه :

تَولَّى شَبابي كأنْ لم يَكُن ... وأقبَلَ شَيبٌ عَلينا تولَّى
ومَنْ عايَن المنحنى والنَّقا ... فما بعدَ هذينِ إلاّ الْمُصلّى

---

(١) شعبة بن الحجّاج بن الورد ، أمير المؤمنين في الحديث (ت ١٦٠ هـ) ، سير أعلام النبلاء : ٢٠٢/٧ .

(٢) عبد الله بن المبارك الحنظلي (ت ١٨١ هـ) ، السير : ٣٣٦/٨ .

(٣) في الوافي : « لكلّ » .

(٤) في الأصل : « كتبتها من عليه من خطّه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) عجز البيت تمثَّل به غير واحد ، انظر : أمالي القالي : ١٤/١ ، واللسان ، والتاج (غدر) .

(٦) زاد في (خ) :

« فأعجبه قولي : (خليلك ماله في ذا مراد) كثيراً ، لأنه بقية البيت الذي ضمنه هو ، وهو :

أريدُ حياتَهُ ويريدُ قَتلي ... عَذيركَ من خَليلكَ مِن مُراد »

قلتُ : الشيخ رحمه الله تعالى أخذ هذا من قول الأول :

ألا يا سارياً في بَطنِ قَفْرٍ ... لِيَقْطَعَ في الفَلا وَعْراً وسَهْلا
قَطَعتَ نَقا المَشيبِ وبِنتَ عنهُ ... وما بعدَ النَّقا إلاّ المصلَّى [1]

قلتُ : ولكن شيخنا العلامة رحمه الله تعالى زاد عليه (المنحنى) ، وهي زيادةٌ مليحةٌ ، زيادة من له ذوقٌ ، ولو كان لي في قوله حكمٌ لقلت : « ومن وَصَل المنحنى والنَّقا » وهو أحسن ، وكذا في قول الأول لكان في حكم لقلتُ : « ليقطع في المدى » .

وكتب شيخنا الذَّهبيّ رحمه الله تعالى إلى شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكيّ ، ولعلَّه آخر شعرٍ نظمه :

تقيَّ الدِّين يا قاضي المَمَالِكْ ... ومَنْ نَحْنُ العبيدُ وأنتَ مالِكْ
بَلغْتَ المجْدَ في دينٍ ودنيا ... ونِلْتَ من العُلُوِّ مَدى كمالِك
ففي الأحكامِ أقْضانا عليٌّ ... وفي الخُدّامِ مع أنَسِ بن مالِكْ
وكابنِ مَعينٍ في حِفظٍ وتَقدٍ ... وفي الفَتوى كسُفيان ومالِكْ
وفَخر الدِّين في جَدَلٍ وبَحْثٍ ... وفي النَّحوِ المُبَرّدُ وابن مالِكْ
تَشَفَّعَ بي أُناسٌ في فِراءٍ ... لِتَكسُوَهم ولو مِنْ رأسِ مالِكْ
لِتُعْطى في اليمينِ كتابَ خيرٍ ... ولا تُعطى كتابَك في شمالِكْ

ثم إنه استطرد إلى مديح ولدِه قاضي القضاة تاج الدِّين ، فقال بعد ذلك :

وللذَّهبي إدلالُ المَوالي ... على المولى لِحِلْمِكَ واحتمالِكْ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

لو أنَّ سُفيانَ على حفظِهِ ... في بعضِ هَمِّي نَسي الماضي
نَفسي وعرسي ثمَّ ضِرْسي سَعَوْا ... في غربَتي والشَّيخُ والقاضي

(١) (خ) : « وبنت عليها » .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

العِلمُ : قـالَ اللهُ قـالَ رسـولُـهُ ... إن صحَّ والإجماع فاجهَد فيه
وحَذارِ من نصبِ الخلافِ جَهالةً ... بَينَ الرَّسول وبين رأْي فقيه

وأنشدني مِن لفظه لنفسه :

أفِقْ يا مُعَنّى بِجَمعِ الْحُطامِ ... ودَرْسَ الكَلام ومَيْنٍ يُصاغُ[1]
ولازِم تِلاوَةَ خَيْرِ الكَلامِ ... وجانِب أُناساً عنِ الحقِّ زاغُوا[2]
ولا تُخْدَعَن عن صحيحِ الحديـ ... ـثِ فما في مُحِقٍّ لرأْي مَساغُ[3]
ومـا للتَّقِيّ وللبَحْثِ في ... علومِ الأوائلِ يوماً فَراغُ
بلاغاً من اللهِ فاسْمَع وعِشْ ... قَنوعاً فما العَيشُ إلاّ بَلاغُ

ولَمّا توفِّي شيخنا علم الدِّين البرزالي ـ رحمه الله تعالى ـ تولَّى الشيخ شمس الدِّين ـ رحمه الله تعالى ـ تدريسَ المدرسَةِ النفيسيَّة وإمامتها عوضاً عنه ، فكتبتُ له توقيعاً بذلك ، وهو :

« رُسِم بالأمر العالي لازالت أوامرُه المطاعَة تطلع في أفق[4] المدارس شمسا ، وتذيل بمن توليه عن المشكلات لَبْسا ، أن يُرتَّبَ المجلس السّامي الشيخي الشمسي في كذا وكذا ، علماً بأنَّه علاَّمة ، وحافظ متى أطلِقَ هذا الوصف كان عَلماً [عليه][5] وعَلامَة ، ومُتَبحّرٌ أشبَه البحر اطِّلاعَه والدُّرّ كلامَه ، ومترجِمٌ رفع لِمَنْ ذكره في تاريخ الإسلام أعلامَه . فالبخاريّ طاب أرَجُ ثنائه عليه ، ومُسْلِم أوّلُ مؤمنٍ بأنَّ هذا الفنَّ

(١) في الأصل : « ومنن » ، وأثبتنا ما في (خ) . والمين : الكذب .
(٢) (خ) : « راغوا ».
(٣) في الأصل : « ولا تحد عن » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) في الوافي : « آفاق » .
(٥) زيادة من (خ) والوافي .

انتهى إليه . وأبو داود يحمَد آثارَه في سلوك سَنن السُّنَن ، والترمذيّ يخال أنَّه فداه بنورِ ناظِرِه من آفات دار الفتن ، والنَّسائي لونسأ الله في أجله لرأى منه عَجَبا . وابن ماجَه لوعايَن ما جاء به ماجَ له طَرَبا .

فليُبَاشِر ما فُوِّض إليه مُباشَرَةً تليق بمحاسنه وتَدلُّ طالبي السواد[١] على مظانِّه وأماكنه ، ويُبيِّن لهم طُرُقَ الرواية . فالفقهُ حُلَّة وعِلْم الحديث عَلَمُها وطِرازها ، والروايةُ حقيقة ، ومَعْرفة الرجال مجازها ، ويتكلم على الأسانيد ، ففي بعض الطرق ظلمٌ وظَلام ، ويورد ما عنده كامن الجرح والتعديل « إن بعض الكلام فيه كلام » ، ويوضح أحوال الرواة الذين سَلفوا فليسَ ذاك بعيب . وما لجرح بميت إيلام[٢] ، ويَتم بما اطَّلع عليه من تدليسهم فما أحسنَ روضةً هو فيها تمام ، ويَسرُد تراجم من مضى من القرون التي انقضت « فكأنها وكأنهم أحلام »[٣] ، ويحرص على اتصال السَّنَد بالسَّماع ليكون له من الورَق والمداد « رصدان ضوء الصبح والإظلام » . ولا يدع لفظة يوهم إشكالها ، « فالشمس تمحو حندس الأوهام » .

حتى يقول الناس إن شعبةً منك شُعبَه ، وأبا زرعة[٤] لم يُتْرَك عنده من الفضل حبّه ، وابن حزم ترك الحزم وما تنبَّه ، وابن عساكر توجَّس[٥] منك رغبَه ، وابن الجوزي عدم لبّه وأكل الحسَدُ قَلْبَه . ولا تغفل عن إلزام الطلبَة بالتكرار على المتون الصحيحة دون السقيمة فما يستوي الطيِّب والخبيث[٦] . وذكّرهم بقوله عليه الصلاة السلام :

---

(١) في الوافي : « الصواب » .

(٢) يشير إلى قول المتنبي :

من يَهِن يَسْهُل الهَوانُ عليه ... ما لِجرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

ديوانه ٤/٩٤ .

(٣) يشير إلى بيت أبي تمام :

ثمَّ انقَضَتْ تِلْكَ السُّنونَ وأهلها ... فكأنَّها وكأنَّهم أحلامُ

(٤) عبد الرحمن بن عمرو ، من أئمة زمانه في الحديث ورجاله (ت ٢٨٢ هـ) ، السير : ١٣/٣١١ .

(٥) في الأصل : « توحش » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ قُل لا يَسْتَوِي الْخَبِيث والطَّيِّب ﴾ ، [سورة المائدة : ٥/١٠٠] .

« من حفظ على أمتي أربعين حديثاً »[١] ، وإن كان الحفظ بمعنى الجمع فالعمل بظاهر الحديث ، فأنت ذو الصّفات التي اشتهرت ، والفضائلِ التي بَهَرت ، والدُّربة التي اقتدرت على هذا الفنِّ ومَهَرت ، والفوائد التي ملأت الأمصار وظهرت ، والحجج التي غلبت الخصوم وقهرت .

لم تُضِع وقتاً من زمانك إمّا أن تُسْمِع أو تلقي أو تَنْتقي ، وإما أن تجتهدَ في [نُصْرَة][٢] مَذهب الشّافعي حتى كأنَّك البَيهقي ، وإمّا أن يُصنّف ما يودّ بقي بن مَخلّد[٣] لو عاش له وبقي .

وأنت أدرى بشروط الواقف رحمه الله تعالى ، فارعها واتّبع أصلها وفَرْعَها ، وأهْدِ الدعاء له عقيبَ الميعاد[٤] ، وأشركه مع المسلمين في ذلك فآثار[٥] الرحمَة تلمَعُ على هذا السَّوَاد ، واذكر من تقدَّمك فيها بخير ففضلُه الباهر كان مشهورا ، واسأل له من الله الجنة لِيَسُرَّك يوم القيامة أن تراه علماً[٦] منشورا .

والوصايا كثيرة ، ومثلك لا ينبَّه ، ولا يُقاس بغيره ولا يشَبَّه ، وملاكُ الأمور تقوى الله تعالى ، وقد سَلكت منها المَحجَّه ، ومَلكْتَ بها الْحُجَّه ، فلا تعطِّل منها جيدك الحالي ، وارْوِ[٧] ما عندك فيها فسَنَدُكَ فيها عالي ، واللهُ يمدكَ بالإعانه ، ويوفِّقك للإنابة والإبانة،بمنِّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) وتمام الحديث : « مِنْ سنّتي أدخلْتُهُ يومَ القيامَةِ في شَفاعتي » ، انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٧٠/٢ .

(٢) زيادة من (خ) والوافي .

(٣) (ت ٢٧٦ هـ) ، السير : ٢٨٥/١٣ .

(٤) في الوافي : « كلّ ميعاد » .

(٥) في الوافي : « فأنوار » .

(٦) عبارة الوافي : « يوم القيامة إذا أصبح علماً » .

(٧) في الأصل : « وار » ، وأثبتنا مافي (خ) والوافي .

١٤٧٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان*

ابن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود ، الشيخ الإمام العلاَّمة شمس الدِّين أبو عبد الله الكناني المصري الشّافعي ، المعروف بابن عدلان .

سَمِعَ من العزّ بن الصَّيْقَل الحرّاني ، ومِنَ النِّظام محمد بن الحسين بن الخليلي ، (مشيخة) عُمر بن طَبَرْزَد تخريج ابن الدُّبَيثي بإجازتها منه ، ومن محمد بن إبراهيم بن ترجم[١] ، ومن الدّمْياطي أخيراً . وأجازَ له عبد الله بن الواحد بن علاّق ، وعبد الرَّحيم بن خطيب المزة ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن القَسْطَلاني ، وغيرهم .

وتَفَقَّه على الشيخ وجيه الدِّين البهنسي . وقرأ في الأصول على الشيخ شمس الدِّين مُحَمَّد بن محمود الأصبهاني شارح (المحصول) . وقرأ (الْمُفَصَّل) على الشيخ بهاء الدِّين بن النحاس ، وكان قد قرأ القرآن على الصفي خليل بن أبي بكر المراغي[٢] .

وكان في الفقه بارعا ، وإلى استحضار الفروع [ونقلها] مُسارِعا[٣] . لو عاصره المزني غرق[٤] قَطْرُه في بحره ، أو الماوردي لاستطابَ نفحَة ذكره ، أو الغزاليّ لسَدّى تحت طاقه ، أو القاضي أبو الطيِّب[٥] لقضى أن المرارة ساعة فراقه .

شرح (مختصر المزني) وما أظنه كَمَّلَه[٦] ، ولو أتَمَّه طرَّز به المذهبَ وجمَّله ، إلاَّ أنَّه مع عِظَم قَدْرِه ، وسموِّ بدرِه ، كان الملك الناصر[٧] يكرهه ، ويصدّه بالكلام المؤلم

---

* الوافي : ١٦٨/٢ ، والدُّرر : ٣٣٣/٣ ، والشّذرات : ١٦٤/٦ ، وذيول العبر : ٢٧٠ .

(١) (ت ٦٩٢ هـ) ، الشّذرات : ٤٢٢/٥ .

(٢) (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٢/٥ .

(٣) في الأصل : « وإلى نقل استحضار الفروع مسارعاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في الأصل : « عرف » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ، له شرح مختصر المزني (ت ٤٥٠ هـ) ، السير : ٦٦٨/١٧ .

(٦) انظر : كشف الظُّنون : ١٦٣٥/٢ .

(٧) (خ) : « الناصر محمد » .

ويَجْبَهُه[١] ، لأنَّه أفتى الجاشنكير في تلك المرّة بما أفتاه من خلعه ، وكان ذلك سبباً إلى صرم ثمره ، وشرط طلعه .

ولم يزل إلى أن تسجَّى ، وعُدَّ فيما لا يُرجَّى .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - بين العيدين في سنة تسع وأربعين في طاعون القاهرة .

ومولده سنة نيفٍ وستين وست مئة .

قال القاضي تاج الدِّين بن قاضي [٢] القُضاة تقي الدِّين السبكي : أفتى ابن عدلان في واقف وقف مدرسة على الفقهاء ومدرس ومعيد وجماعة عيَّنهم ، قال : ومن شروط المذكورين أن لا يشتغلوا بمدرسة أخرى غير[٣] هذه المدرسة ولا يكون لواحد منهم تعلق بمدرسة أخرى ولا مباشرة تجارة ولا بزازة يعرف بها غير تجارة [الكتب][٤] ، ولا ولاية بأنَّه يجوز للمقرّر في هذه المدرسة الجمع بينها وبين إمامة مسجد قريب منها ، ووافقه شيخ الحنفيّة في زَمانه قاضي القضاة بالدِّيار المصريّة علاء الدِّين علي بن عثمان المارديني[٥] رحمه الله تعالى ، وهذا فيه نظر ؛ لنص الشافعي على أنَّ الإمامة ولايَة حيث يقول[٦] ولا أكره الإمامة إلا من جهة أنها ولايَة ، وأنا أكره سائر الولايات .

قال : ومن محاسن ابن عدلان أنَّه سُئِلَ أيهما أفضل أبو بكر أو عليّ في مكان لا يمكنه التصريح بمذهب أهل السُّنَّة ، فقال : عليّ أفضل القرابة وأبو بكر أفضل الصَّحابَة .

---

(١) في الأصل : « ويجابهه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) (خ) : « قال قاضي القضاة....بن شيخنا قاضي.... ».

(٣) في الأصل : « ولاغير » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) (خ) : « المارديني الحنفي » .

(٦) في الأصل : « أقول » ، وأثبتنا ما في (خ) .

قلت أنا[١] : جَوابٌ حسن ، لكنه لا يرضي السَّائل من كل وجه ، لأنَّ عليّاً رضي الله عنه من الصحابة[٢] ، وأحسن ما مرَّ بي في ذلك قول ابن الجوزي وقد سُئِلَ من أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ وهو على المنبر ومماليك الخليفة واقفون فرقتين ، فقال : مَن كانت ابنتُه تحته . فقالت كل فرقة قال بتفضيل من ذهبنا إليه ، وتركهم في الخصام ، ونزل عن المنبر حتى لا يستفسروه في الضمير إلى من يعود ، وهذا في غاية الحسن ، لأنَّها عبارة أوهَمَت كلّ فرقة نصرة مذهبها .

قلت : وتوجَّه الشيخ شمس الدِّين رسولاً إلى اليَمَن في أيام سَلاّر والجاشنكير ، وباشَرَ الوكالة لأمير موسى بن الصالح علي بن الملك المنصور[٣] ، وهذه أيضاً من أسباب الجاشنكير ، فنقم السُّلطان عليه هذا الأمر ، وبقي إلى آخر أيامه ، وهو عنده ممقوت . قرأ له في وقت القاضي شهابَ الدِّين بن فضل الله قصّةً على السلطان ، فقال : قل له : الذين كانوا يعرفونك ماتوا ، ثم إنَّه ـ رحمه الله تعالى ـ وَلِيَ قضاء العسكر في أيام الناصر أحمد لما حضر من الكرك إلى أن مات ودرَّس بعدّة مدارس ، وأفتى ووَلِي نيابةَ القضاء للشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد .

١٤٧٩ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردي*

الشيخ الإمام أبو عبد الله شمس الدِّين المعروف بابن اللبّان الدِّمشقي .

سمع بدمشق من أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن القواس ، وانجفل إلى مصر ، وسمع بها من الدّمياطي ، ومن عبد الرحمن بن عبد القوي بن عبد الحكيم الخثعمي

---

(١) في الأصل : « قلت قلنا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) في الأصل : « لأنَّ علياً رضي الله عنه كنا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أوضح .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ١٦٨/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٢٧٨/١ ، والدُّرر : ٣٣٠/٣ ، والشَّذرات : ١٦٣/٦ ، وذيول العبر : ٢٧١ .

بطُهُرْمُس[١] من الجيزيّة ، وحدَّث بالدِّيار المصريّة ، وسمع منه الطلبة ، وخرَّج له شهاب الدِّين أحمد بن أيبك الدّمَياطي جُزْءاً من حديثه ، وتَفَقَّه وبَرَع وأخذ في الإشغال وشرع ، ولم يترك ابن اللبان لغيره في الفقه زُبدة .

وروى الحديث ، وكان لحلاوة روايته كأنما أسند عن شهدة ، ودرَّس بزاوية الشافعي في جامع عمرو بن العاص ، وعقد مجالس الوعظ ، فاشتمل عليه العامُّ والخاصُّ ، واشتهر ولا شهرة ابن الجوزيّ في بغداد ، وطارت سُمعته كأنَّه ابن سمعون الأستاذ[٢] .

ولم يزل على حاله إلى أن نُقِلَ ابن اللبان إلى الجبّانه ، وراح بفَقْرِهِ إلى الغنيّ سبحانه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

ومولده في حدود سنة خمس وثمانين وست مئة .

وكان قد قام عليه في وقتٍ قاضي القضاة القزويني بالديار المصرية ، وربَّما أنه كفَّره في سنة ست ثلاثين وسبع مئة وقام في أمره القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله وناصر الدِّين خزندار الأمير سيف الدِّين تنكز وغيرهما من أصحابه فسكت عنه وعمل في ذلك كمال الدِّين الأدفوي مقامةً .

١٤٨٠ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن علي*

الإمام المفتي شيخ القرّاء شمس الدِّين أبو عبد الله الرقي .

---

(١) انظر معجم البلدان .

(٢) مُحَمَّد بن أحمد بن إسماعيل (ت ٣٨٧ هـ) ، السير : ٥٠٥/١٦ .

* الوافي : ١٧٠/٢ ، ووفيات ابن رافع : ١٥٢/١ ، والدُّرر : ٣٤١/٣ ، وغاية النهاية : ٧٥/٢ .

سمع الحديث ورافق الطَّلَبة ، ودار على المشايخ ، وتميَّز في الفقه والقراءات وغير ذلك . وتلا بالسَّبع على الفاروثي وابن مُزْهِر[١] وغيرهما .

وأقرأ ودرَّس وأفتى ، وروى الكثير عن [ابن][٢] البخاري وطبقته .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في غرّة شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة سبع وستين وست مئة .

١٤٨١ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

الإمام المفتي الشيخ بدر الدِّين بن الحبّال الحنبلي ، فاضل الْحَنابلة في عصره .

سألت عنه شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي ، فقال لي : فقيه فاضل ، كان ينوب للقاضي تقيّ الدِّين الحنبلي .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سَلخ ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسَبع مئة في طاعون مصر .

١٤٨٢ ـ محمد بن أحمد بن شويش**

الفقيه نجم الدِّين محتسب قلعَة الْجَبَل بالقاهرة الحنفيّ .

كان كثير التِّلاوة ، وفيه مروءة وخير .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن شوال سنة ثلاثين وسبع مئة .

---

(١) مُحَمَّد بن عبد الخالق بن مزهر (ت ٦٩٠ هـ) ، غاية النهاية : ١٥٩/٢ .

(٢) زيادة من الوافي ومصادر ترجمته الأخرى .

* الوافي : ١٧٠/٢ ، والدُّرر : ٣٢٩/٣ ، وفيه : « مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله » .

** الدُّرر : ٣١٩/٣ .

١٤٨٣ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحيم*

الإمام شمسَ الدِّين أبو عبد الله المِزّي الموقّت بالجامع الأمويّ بدمشق .

كان قد حفظ (الشّاطبيّه) ، وينقل القراءات ، وعلى ذهنه عربيّه ، بَرَع في وضع الإسطرلابات والأرباع ، وتأنَّق فيها ودقَّقَ مِنْ حُسْن الرسوم والأوضاع ، لم يلحقه أحد في زمانه في ذلك ، ولم يسلك طريقَه فيه سالك ، وكان على ذهنه شيء مِنْ حِيَل بني موسى[١] ، ولديه صنائعُ لو يعيش بها لم يلقَ بُوسا ، قلَّ أن رأيتُ مِثْلَه في ذكائه أو وصل أحدٌ فيما يعانيه إلى مَدى اعتنائه .

ولم يزل على حاله إلى أن ذاق المِزّي طعم الموت خَلا ، وترك أقرانه على إثره وولَّى .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة خمسين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستِّين فما فَوقَها .

قرأ أوّلاً على الشيخ شمس الدِّين الأكفاني ، وكان يشكر ذهنه وإتقانه لما يعمله بيده ، ثم انتقل عائداً إلى الشام ، وسكنَ دمشق ، وكان أوّلاً يوقِّت بالرَّبوة ، ثم انتقل إلى الجامع ، وكان قد برع في وضع الاسطرلابات[٢] والرّبع ، ولم أرَ أحسنَ من أوضاعه ، ولا أظرف ولا أتقن ولا أكثر تَحْريراً ، كان يباع اسطرلابه في حياته بمئتي درهم ، ورُبْعُه بخمسين درهماً وأكثر ، ولعلَّه إذا تقادم زمانه غلا أكثر من ذلك . وبرع في دهن القسيّ ، ومن ملازمته للشمس[٣] نزل في عينيه ماء ، ثم إنَّه قَدَحَه فأبصر بالواحدة ، وله

---

* الوافي : ١٧٠/٢ ، ونكت الهميان : ٢٤٤ ، والدُّرر : ٣٢٥/٣ .

(١) هم ثلاثة إخوة ، اشتهروا بعلم الحيل ، « الفيزياء » ، وكانوا يشرفون على بيت الحكمة ببغداد ، في العصر العباسي .

(٢) (خ) : « الإسطرلاب » .

(٣) في الأصل : « في الشمس » ، وأثبتنا ما في (خ) .

رسائل في الإسطرلاب ورسالة سمّاها (كشف الرّيب في العمل بالجيب)[١] ، وله نظم أيضاً .

١٤٨٤ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن يمن*

قاضي القضاة [شمس الدِّين][٢] الحنفي الحاكم بطرابلس .

هو أول من ولي قضاء الحنفية بطرابلس بعد السُّلطان الملك الناصر محمد . ولم يكن فيها في أيامه إلاّ حاكم واحد شافعي ، وصل إليها في غالب ظنّي إمّا في أوائل سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، أو في أواخر[٣] سنة ثلاث وأربعين .

ولم يزل على حاله إلى أن وُجِدَ في بيته مذبوحاً بطرابلس ، وقد أُخِذَ ما في بيته من المال ، وذلك في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبع مئة رحمه الله تعالى .

١٤٨٥ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عُمَر بن إلياس**

الصَّدر عز الدِّين ابن العدل شهاب الدِّين الرّهاوي .

شاب[٤] بلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً ، وكان كاتباً جيِّداً ، باشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك ، وكانت له خصوصيّة بالصّاحب أمين الدِّين ، فلَمّا أُمسك الصّاحب بمصر ، اعتُقل عز الدِّين بالمدرسة العَذْراوية[٥] .

وتوفِّي بها في تاسع عُشْري جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

---

(١) انظر : كشف الظنون : ١٤٩٠/٢ .

* الدُّرر : ٣٧٢/٣ .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « أوائل » ، وأثبتنا ما في (خ) .

** الدُّرر : ٣٤٤/٣ .

(٤) في الأصل : « شابّاً » .

(٥) بدمشق ، مدرسة للشافعيّة والحنفيّة بحارة الغرباء داخل باب النصر ، أنشأتها السّت عذراء بنت أخي صلاح الدِّين سنة (٥٨٠ هـ) ، الدّارس : ٢٨٣/١ .

١٤٨٦ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن مُفَضَّل*

ابن فضل الله المصري القاضي الرئيس علم الدِّين بن قطب الدِّين . تقدَّم ذكر والده في الأحمدين .

وكان هذا علم الدِّين أخيراً ناظر الجيوش الْمَنصُورة بدمشق ، وكان في نفسه رئيساً ، قضى عُمْرَه في نُعمَى عجيبة ، إلا أنها ما خَلَت من بُوسى ، يتأنَّق في المأكل والملابس . ويتخرَّق بالتَّجمُّل في المحافل والْمَجالِس ، بنفسٍ يَتَدَفَّق بَحْرُها ، ويَتَألَّق وَفْرُها ، يبالغ في إكرام من يعاشره ، ويهشُّ لوفادته عليه ويكاشره . قد اشتهر بالتوسع في الأطعمة والمشارب ، والتنقل في النُّزَه والمسارب ، قلَّ من رُئي[١] في دمشق [مَنْ][٢] يدانيه في سِمَاطه ، أو تَنْخَرطُ لآلئُ حِشْمَتِه في أسْماطه .

مَنْ تَعاطَى تَشَبُّهاً بِكَ أعْيَا ... هُ ومَنْ دَلَّ في طريقِكَ ضَلاّ

وكانت مساعيه دقيقه ، ومجازاته في المناصب الكبار حقيقه ، وثبَ[٣] من الثَّرى إلى الثُّريا ، وطَوى شُقَّةَ المشقَّة طَيّا ، وتنقَّل في الوظائف الكبار ، وتوقَّلَ[٤] هضباتِ المجدِ من غير اعتناء ولا اعتبار ، كأنَّ له غُصنَ الرِّياسَة يُجْنَى ويُهْتَصَرْ ، أو كأنَّ له طريقاً إلى العلياء تُختصَر .

ولم يزل في سَعاداته ، وما ألفه في اللَّذات من عاداته ، إلى أن دُكَّ عَلَمُه ، وفُكَّ من التَّصرفات[٥] قلَمُه .

---

* البداية والنهاية : ٢١٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٥٤/١ ، والدُّرر : ٣٦٨/٣ ، وذيول العبر : ٣٢٩ .

(١) في الأصل : « رأى » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « وثبت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) توقّل : صعّد .

(٥) (خ) : « التصريف » .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - بكرة نهار الاثنين ثاني جمادى الأولى سنة ستين وسبع مئة . ودفن في تربة بني هلال [بالصّالحيّة][١] .

كان هذا القاضي عَلم الدِّين مِن بقايا رؤساء دمشق ، رأى الناس وصحبهم وعاشرهم وخالَطهم .

وكان جميلَ الصُّورة ، أنيق الشكل ، مديدَ القامَة ، حَسَن البِزَّة ، نظيفَ اللِّباس ، عاطِرَ الرائحة ، يتجمَّل في الملابس ، ويتأنَّق في المآكل ، ويتوسَّع في المطاعم والمشارب ، يَمدُّ في كلِّ يوم من الطَّعام ألوانا ، ويُنفِق على مخالطيه[٢] المال مجّانا .

أوّل ما علمتُه من أمره أنه كان في خدمة عمِّه القاضي محيي الدِّين كاتب قبجق ، وسيأتي ذكره في مكانه ، وكان يميل إليه ويركن إلى تربيته له دون والده قطب الدِّين ، وكان يتوجَّهُ معه إلى قِسْم النواحي ، وينوبه في ديوان الأمير سيف الدِّين تنكز . ولَمَّا توفِّي قطب[٣] الدِّين رُتِّبَ هو مكان والده في عَمالة خانقاه الشميساطي .

ثم إنَّه بعد ذلك بمدّة رتَّبَهُ الأمير سيف الدِّين تنكز في استيفاء ديوانه ، وأضاف إليه عَمالة الأشراف ، وفي ديوان الأمير سيف الدِّين أرغون الدوادار ، وكان مُداخلاً سؤوساً ، خبيراً بالمساعي عارفاً بالتوصُّل [دَرِباً بالتَّوسُّل][٤] ، فداخل حمزة التركماني ، وقد انفرد بالأمير سيف تنكز ، وقد احتوى عليه ، وكان يشكره للأمير سيف الدِّين تنكز ويرشحه عنده لكلِّ وظيفة ، ويستكتبه عنه في مكاتباتٍ خاصّة ما يرى أن كاتب السِّر يطَّلع عليها فيَأتي[٥] فيها بالمراد فيعجبه ذلك . ولم يزل به إلى أن حَسَّنَ له أن

(١) زيادة من (خ) .
(٢) (خ) : « مخالطته » .
(٣) (خ) : « والده قطب ... » .
(٤) زيادة من (خ) .
(٥) في الأصل : « فسيأتي » ، وأثبتنا مافي (خ) .

يولِّيه كتابة سرِّ دمشق ، فكتب فيه إلى السلطان وشكَره وبالغ في أمره ، فأجابه الملك الناصر محمد إلى ذلك ، وجُهِّزَ توقيعهُ بكتابة السِّرّ بدمشق في سنة ستّ وثلاثين وسبع مئة ثاني شعبان المكرّم[١] ، وكان قد باشرها[٢] في هذا اليوم قبل [وصول][٣] توقيعه الشريف ، ووصل التوقيع والتشريف من مصر في حادي عشري الشهر المذكور . وتولاها عوضاً عن القاضي جمال الدِّين عبد الله بن الأثير[٤] ، فوليَها وعملَها على القالب الجائر . وخضع الناس له ، وتمكَّن من قلب الأمير سيف تنكز ، وكان يعجبه شكله وكتابته وتأنِّيه . إلى أن لم يكن عنده في دمشق غيره ، وسلَّم قيادَهُ إليه ، وتوجَّه معه إلى مصر ، وشكره للسُّلطان ، وبالغ في وصفه ، فَعَظَّمَهُ السُّلطان وألبسه تشريفاً بطرحَة ولم يكن ذلك لغيره ، وحضر بريدٌ من الشام ، فدخل به القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله ليقرأه ، فطلب السُّلطان علمَ الدِّين هذا[٥] ، وقرأه عليه ، فما حمل القاضي شهاب الدِّين ذلك ، وجرى له مع السُّلطان ما جرى ، وقدَّم الدواة الأمير سيف الدِّين تنكز لعلم الدِّين هذا بين يدي السلطان ، فزادت عظمته [عند][٦] الناس .

ولم يزل كذلك وهو في أوج سَعْده إلى أن تغيَّر عليه في سنة [ثمان][٧] وثلاثين وسبع مئة ، فقَبَض عليه وضربه بالعَصيّ ضرباً مبرحاً ، واحتاط على موجوده ، واعتقله مُدَّة ، ثم أفْرَجَ عنه وأمر أنَّه لا يخرج من داره ، ولا يجتمع بأحد ، فسكن عند حمّام السَّلاري ، وكان لَيْلَه ونهاره في تربة الكامليّة المجاورة للجامع الأموي ، وأقام على ذلك

(١) البداية والنهاية : ١٧٤/١٤ .
(٢) (خ) : « باشر » .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت ٧٧٨ هـ) ، الشَّذرات : ٢٥٧/٦ ، وانظر : الدّارس : ١٢٥/٢ .
(٥) في الأصل : « لهذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٦) زيادة من (خ) .
(٧) زيادة من (خ) . وانظر البداية والنهاية : ١٨٠/١٤ .

مدّة إلى أن أُمسك الأمير سيف الدّين تنكز . فقال السُّلطان للأمير بشتاك [١] : إذا وصلت إلى دمشق ، اطلب العلم بن القطب الذي كان مستوفي تنكز ، فهو يدلّك على جميع ماله .

ولَمّا وصل بشتاك إلى دمشق ، ونزل بالقصر الأبلق ، طلب القاضي علم الدّين واستعان به على تطلّب أموال تنكز ، وتَحَكَّم علم الدّين في تركة تنكز ، وأخذ منها غالب ما وجده فيها من الأصناف التي أُخِذَتْ منه ، ودخل في الأمير بشتاك وخَدَمه ، ودخل معه إلى مصر ، فعيَّنه السُّلطان لاستيفاء الصّحبة بالدّيار المصريّة ، وأراد السلطان أن يمكّنه ويتسلَّط على الكُتَّاب ، فأدّاه عَقْلُه إلى مصاحبة جمال الكفاة ، ومَنْ كان في ذلك الزمان ، وداخلهم واتحدَّ بهم ، وصافُوه .

ويَئس السُّلطان منه فتركه ولم يزل في استيفاء الصّحبة إلى أن توفي السلطان ، ودخل الفخريّ وطشتمر إلى القاهرة ، فسعى معهما في أن يكون ناظرَ النظّار بدمشق عوضاً عن الصّاحب علاء الدّين بن الحرّاني ، فوصَل إلى دمشق وباشر بها الوزارة ، ولكنَّه تعب فيها تعباً كثيراً ، فاستوخم مرعاها ، وطلب النقلة من الأمير طقزتمر إلى نظر الجيوش بدمشق ، فكَتَبَ له ، فأجيبَ إلى ذلك ، وحضر توقيعه ، فباشر ذلك عوضاً عن القاضي فخر الدّين بن العفيف [٢] ، فَحُمِد مَسراه عند صَباح هذه المباشرة ، ورأى فيها ما لا رآه غيره ، ودانت له الأيام ، وطال عمره فيها [٣] ، وطابَ عَرْفُه .

وكان كثير الهديّة للمصريّين والخدمة لهم [٤] ، وما جاءت دَوْلَة إلاّ وهو فيها عزيزٌ مُكَرَّم لا يبالي بمن ناواه ، ولا يَعْبأ بمن جاراه ، يَقْهَرُ خُصومَه ولا يدرون سِرَّه ولا مكتومَه ، وباشر هذه الوظائف الثلاث التي هي أكبر مناصب دمشق .

---

(١) (خ) : « سيف الدّين بشتاك » .

(٢) محمد بن محمد بن الحسن (ت ٧٢٦ هـ) ، الوافي : ٢٣٨/١ .

(٣) في (خ) : « وطال عزه ... » .

(٤) (خ) : « كثير الخدمة للمصريين وللهاداة لهم » .

ولم يزل على حاله إلى أن مَرض بعلَّة الرَّبو ، فأقام على ذلك قريباً من خمسين يوماً ، وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور ، وكان يعتريه وَجَعُ الْمَفاصِل في كلِّ سنة فأنهكه ذلك ، وهَرم به وانحنت قامته وضعف .

وكُنتُ قد كَتَبْتُ له توقيعاً بعمالة ديوان الأشراف بدمشق في شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة وهو :

« رسم بالأمر العالي ، لا زال يُتَلَقَّى برفع عَلَمه ، ويُكْسِبُ المناصب فخراً بمن يولِّيه لكفاية هِمَمه أن يُرتِّب المجلس السَّامي القضائي[١] علم الدِّين في كذا ، ثقةً بكفايته التي شهدت بها مخائله ، ودلَّت عليها حركاته السعيدة وشمائله ، وتكفَّلت حركاته[٢] المباركة أن تُبَلِّغه من العليا ما يُحاولُه ، إذ هو الكاتب الذي أضحت نظراؤه في الْمَعدوم مَعْدوده ، والبارعُ الذي مخزومة[٣] فضله لا تبيت إلاّ وهي بالمحاسن مسدوده ، والماجد الذي خرَّجَ سيادته عن سَلفه ، فكانت أبوابُ النقص فيها مردودة . أقلامه في كفِّه أنابيب يضمُّها منه خير عامل ، وأعنّة يُصَرِّفها في السِّيادة بأطراف الأنامل . فليباشر ما فُوِّضَ إليه مباشَرَةً يَطْلُبُ بها من الله رضاه ، ويدَّخر عمله فيها عنده ، فيا حبَّذا ما يعتمده ويتوخَّاه ، ويحمل لواء الشرف لهذا الدِّيوان ، تولَّى خدمته وتوالاه ، وينفق في الفضل[٤] من سَعَة مجده فقد كفاه ما نالته منه كَفّاه ، ويثق بالسَّعادة التي أظفرته حتى ببركة آل البيت ، ويشكر الله على هذه النِّعْمة التي أدخلته في حساب حَسَبهم الذي هو شَرَفُ الحي والْمَيْت ، مجتهداً على رضا السَّادة الأشراف بإيصال كل منهم ما يخصّه ، على اختلاف القسَم ، محقِّقاً معرفة بيوتهم الشريفة التي بقاؤها ما بين هذه الأمّة نِعْمَه ، وتقوى الله تعالى مَعقِل حَصين ، فلا يلتجئ إلى غيره ،

---

(١) (خ) : « القاضي » .

(٢) في (خ) : « مساعيه » .

(٣) في الأصل : « محرومة » ، وأثبتنا مافي (خ) ، والخزم : الثقب .

(٤) في الأصل : « المجد » ، وأثبتنا مافي (خ) .

وحَبْلٌ[١] متين فلا يَتمسّك بغير عُرْوَتِه التي هي سَببُ خَيره ، وليقابل هذه النِّعمة بشكرٍ يوصله إلى ما تَسْتَحقه أهليّته في ذمّتها ، وتبلغه الرتب[٢] العَليَّة التي لا تنالها النفوس إلا بشرف همَّتها ، والله يتولَّى عَوْنَه فيما ولاّه ، ويزيده فضلاً إلى فَضْله الذي أولاه ، والاعتماد فيما رُسِم به على الخطِّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه إن شاء الله تعالى .

وكتبت أنا إليه من القاهرة وهو بدمشق :

مِنْ جُودِ كَفِّيكَ تَخْجَلُ الدِّيَمُ ... ومِنْ مُحَيَّاكَ تَنْجَلي الظُّلَمُ
يا مَن سَما وارْتَقى وطالَ عُلاً ... حتّى غَدا وهُوَ في الوَرى عَلَمُ
ومَنْ صَفَت للوَرى مَكارِمُهُ ... وساعَدَتْها الأخلاقُ والشِّيَمُ
ومَنْ إذا خَطَّ طَرسَهُ خَجِلَتْ ... منهُ رياضٌ بالزَّهرِ تَبْتَسِمُ
ومَنْ إذا فاهَ بالكلامِ فَما ... تَراهُ إلاّ العُقودُ تَنتَظِمُ
لَستُ أُطيلُ الكلامَ في صِفَةٍ ... تَرْضى بِها في عُلُوِّكَ الكَلِمُ
مثلُكَ واللهِ ما رأيتُ ولا ... يَصْلُحُ إلاّ لمثلِكَ الكَرَمُ
عِندي مِنَ الشَّوقِ والتَّطَلُّعِ ما ... يَعْجزُ عَن بَعْضِ وَصْفِهِ القَلَمُ
أوحَشَني وَجْهُكَ الجميلُ فلَمْ ... يَلِذّ مِن بعدِهِ لِيَ الْحُلُمُ
فالقلبُ مِن لوعَةٍ ومِن حُرَقٍ ... مُضطربٌ دائماً ومُضْطرِمُ[٣]
والعَينُ أفنى البكا مَدامِعَها ... فَسالَ مِنها بَعْدَ الدُّموعِ دَمُ
واللهِ ما سارَ في الطَّريقِ معي ... بعدَكَ إلاّ البُكاءُ والنَّدَمُ
فَلَيْتَني لا أطَعتُ فيكَ نَوًى ... ولا سَعَت لي لفرقةٍ قَدَمُ[٤]

وكتبت إليه من مصر أهنئه بكتابة السِّر بدمشق :

---

(١) في الأصل : « وجبل » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) (خ) : « من الرتب » .
(٣) (خ) : « من روعة » .
(٤) في (خ) : « ولا سعت بي » .

قد عَمَّنا هذا الهناءُ الَّذي حَديثُهُ عِندَ العُلا مُسْنَدُ
وهُو مِنَ الأقلامِ والنَّفسِ قد حَقَّقَهُ الأحمَرُ والأسوَدُ[1]
يا سَيِّداً كَم لمساعيهِ مِنْ فَضلٍ بإبلاغِ العُلا يَشهَدُ
نُوديتَ مَرفوعاً إلى رُتبَةٍ إذْ أنتَ فيها عَلَمٌ مُفْرَدُ

١٤٨٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد*

القاضي الرئيس أمين الدِّين بن القلانسي التميمي ، كاتب السِّرّ الشريف بدمشق .

تقدم نسبه في ترجمة والده القاضي جمال الدين في الأحمدين .

باشَرَ وكالة بيت المال ، ثم انتقل إلى كتابة السِّرِّ في آخر الحال ، وما لبثَ في ذلك إلاّ دون الثلاث سنين أو ما يزيد ، وعُزل منها عزلاً غَيرَ حَميد .

وله الأمْلاكُ التي تكاثر الأفْلاك وتفاخر الدُّرَّ المنظم في الأسلاك من البساتين المونقَه ، والأراضي التي تمسي[2] النواظر إلى حدائقها مُحدِقَه ، والقاعات التي تبهت العُيونَ في زُخرفها ، وتجتلي محاسن ما رأتها صواحبُ المكر من يوسُفها ، وحوانيت لكلِّ آجُرَّةٍ منها أُجْرَه ، وفي كلِّ ذَرَّةٍ منها لولا الغلوِّ لقلت دُرَّة ، ومن ذلك ما جرَّهُ الإرث إليه ، ومن ذلك ما أنشأه بما لديه ولكنه ﴿ ما أغْنَى عَنهُ مالُهُ ﴾[3] ولا كثرة مُلْكه ولا ما نظمه من الجوهر في سِلكه ، وخان الدهرُ أمينَ الدِّين في حياته ، وكشف الموتُ باطن الأرض لمواراته .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

---

(١) (خ) : « والنقش » .

* البداية والنهاية : ٢٩٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٧٥/١ ، والدُّرر : ٣٦٢/٣ ، والدّارس : ٢٣٢/١ ، ٢٦٦ ، وفي (خ) ومصادر ترجمته زيادة في نسبه « محمد » .

(٢) في الأصل : « والبساتين التي تمشي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) سورة المسد : ٢/١١١ .

ومولده فيما أظنُّ في سنة إحدى وسبع مئة .

وله إجازةٌ من الحافظ شرف الدِّين الدمياطي وجماعة . وحدَّث عن ابن مكتوم ، وعن عيسى المطعِّم وغيرهم .

وكان قد [دخل][1] إلى الديوان في حياة والده ، واختصَّ بالقاضي شرف الدِّين بن الشهاب محمود لَمّا كان كاتب السِّرّ بدمشق[2] ، ولَمّا مات والده أُعطي من وظائفه نظرَ الظاهريّة[3] وتدريس العصرونيّة ، ووقَّع في الدّست في أواخر أيام تنكز . ولم يزل يَسُدّ الغيبة عن كتابة السِّرّ في غيبة من يغيب . وتولَّى بيت المال مُدَّة . وأخذها منه القاضي علاء الدِّين الزُّرَعي ، فمالبث فيها شهرين فما دونها ، حتى أُعيدت إليه . ولَمّا أخذ الزُّرعي منه الوكالة عوضوه عن ذلك بقضاء العَسْكر ، ولَمّا أُعيد إلى الوكالة لم يزل فيها إلى أن رُسِم له بكتابة السِّرّ في دمشق عوضاً عن القاضي ناصر الدِّين ، وذلك في أوائل صفر سنة ستين وسبع مئة . وتوجَّه القاضي ناصر الدِّين إلى كتابة سرّ حلب عوضاً عنِّي ، وحضَرْتُ أنا إلى دمشق عوضاً عن القاضي أمين الدِّين على وظيفته وكالة بيت المال ، وتوقيع الدّست .

ولم يزل في كتابة السِّرّ إلى أن حضر السلطان الملك المنصور وصلاح الدِّين محمد بن حاجّي في واقعة الأمير سيف الدِّين بيدمر ، فَعُزِلَ منها بالقاضي ناصر الدِّين ، ورُسم عليه ، وأُخِذَ منه مبلغ مئة وخمسين ألف درهم وأكثر ، فوزنها ، وأباع ما بيده من الوظائف وغيرها ، وطَرَح الرِّياسَة ، وصار يمشي بلا كلفة في مَلبوس ولا غيره . ولم يَبْقَ على ذلك إلاّ دون السبعة أشهر حتى انقطع يومين .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور . ولم تبقَ معه مدرسة ولا تصدير في الجامع الأُموي ، غير أنطار يسيرة نزل عنها لولده ، ودُفِن في تربتهم عند حمّام النَّحّاس .

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) في الأصل : « القاهرية » ، وأثبتنا مافي (خ) والدّارس : ٢٦٦/١ .

وبلغني أنه كان له أرْبَعة جُباةٍ لأملاكه . ومن الغريب أنه هو وأبوه وعمّاه وجدّهم كلّ منهم ما تعدى الاثنتين وستين سنة ، وكان دائماً يقول : أنا ما أعدّي أعمار أهلي ، فكان الأمر كما قال .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ خاتمة رؤساء بيته .

وكان قد قرأ على شيخنا العلاّمة شهاب الدِّين أبي الثناء محمود كتابه (حُسن التّوسُّل) وكتابه (مِنَح المِدَح)[١] وغير ذلك .

١٤٨٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد ...*

الشيخ الإمام ناصر الدِّين الحنفي المعروف بالرُّبْوَة ، بضم الرّاء وسكون الباء الموحّدة وبعد الواو المفتوحة هاء .

كان من فضلاء الحنفيّة . وكان بيده تدريس المقدميّة داخل باب الفراديس بدمشق[٢] ، ونزل عنها لولده ، واشتغل هو بخطابة جامع الأمير سيف الدِّين يلبغا[٣] ـ رحمه الله تعالى ـ بعد منازعات ومخاصمات .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

وتولّى مكانه في الخطابة قاضي القضاة جمال الدِّين الكفري[٤] الحنفي .

وكان الشيخ ناصر الدِّين المذكور يعرف بالقونوي .

---

(١) وهما مطبوعان .

* كذا بياض في الأصل ، وكذا وقع نسبه في البداية والنهاية : ٣٠٠/١٤ ، وفي وفيات ابن رافع : ٣٨٠/١ ، والدُّرر : ٣٢٧/٣ : « مُحَمَّد بن أحمد بن عبد العزيز » ، وفي الدّارس ، ٤٥٩/١ : « محمد بن أحمد بن عطية بن عبد العزيز » . وفي ذيول العبر : ٣٦٩ ، « الشهير بابن الرّبوة » .

(٢) وهي للقدّميّة الجوانيّة . الدّارس : ٤٥٦/١ .

(٣) على شطّ بردى تحت قلعة دمشق اليوم . انظر الدّارس : ٣٢٦/٢ .

(٤) في الأصل : « الكفوي » ، تحريف ، وهو يوسف بن أحمد بن الحسين (ت ٧٦٦ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٤٠٣/١ ، والدُّرر : ٤٤٦/٤ ، والدّارس : ٤٨٠/١ .

١٤٨٩ ـ مُحَمَّد بن إدريس بن مُحَمَّد*

الشيخ الإمام الفاضل نجم الدِّين القَموليّ[١] ، بفتح القاف وضم الميم وسكون الواو وبعدها لام .

كان من الفقهاء النبلاء والأعيان الفضلاء ، يكاد يستحضر (الروضة) ، ويُترع من سَرْدها حوضَه ، وينقل من شرح مسلم[٢] كثيراً ، ويكرّ على شرحه مغيراً ، ويفعل كذلك في (وجيز) الواحدي في التفسير[٣] ، ويأتي على ما فيه من تقرير فوائده بأحسن تقريب وتقرير ، ويده في العربيّة والأصول طولى ، وإذا تكلم في الفرائض والجبر والمقابلة بَلَّغ الْمُطالِب مَراماً وسُولا .

ولم يزل على حاله إلى أن التقم القموليَّ قَبْرُه ، وطاب خَبَرُه ، وعُدِم خُبْرُه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص في جمادى الأولى سنة سبع[٤] وسبع مئة .

قال الفاضل كمال الدِّين الأُدفوي : كان لا يستغيب أصْلاً[٥] ، ولا يُسْتَغابُ بحضرته ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وملازماً للعبادة والإشغال ، مُتَقلِّلاً[٦] من الدنيا ، قليلَ النظر . وأظنُّه لو عاش ملأ الأرض علماً .

حجَّ وزار وعاد ، فتوفي في قوص رحمه الله تعالى .

---

* الوافي : ١٨٤/٢ ، والطالع السعيد : ٥٠٠ ، والدُّرر : ٣٧٧/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٧٩/٨ .

(١) نسبة إلى « قَمُولة » ، بليدة بأعلى الصعيد من غربيّ النِّيل . (معجم البلدان) .

(٢) شرح مسلم للنووي ، كما في الطالع السعيد .

(٣) والواحدي هو : علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ) ، كشف الظنون : ٢٠٠٢/٢ .

(٤) في الطالع السعيد ، والنُّجوم : « تسع وسبع مئة » .

(٥) في الطالع : « أحداً » .

(٦) في الوافي والطالع : « والاشتغال » . وفي الأصل : « متقلاً » ، وأثبتنا ما في الطالع والوافي .

١٤٩٠ ـ مُحَمَّد بن أرغون بن أبغا*

ابن هُولاكو بن تولي بن جَنْكَز خان المغلي ، القان غياث الدِّين خدابندا ، معناه بالعربيّ عبد الله وإنما الناس غيَّروه فقالوا خربنْدَا[١] ، صاحب العراق وأذربيجان وخراسان .

ملك بعد أخيه غازان ، وتقدم ذكره ، وكانت دولته ثلاث عشرة سنة .

كان شابّاً مليحا ، حَسَنَ الوجه صبيحا ، لكن شانَه العَور قليلا ، وما شان ذاك من حاز وجهاً جميلا .

وكان جَواداً لا يلحقه في حلبة الكرم جواد ، سمحاً تَمْحو أياديه البيض ما في الدَّياجي من السَّواد ، مُحِبّاً للعماره ، مُعْرِضاً عما يتعلَّق بالمملكة والإماره ، قد استغرق في اللعب ، وأعرض عمّا يجدُه الجادّ التَّعِب ، لَعِبَ بعقله الروافض فرَفَّضوه ، وأجابهم إلى ذلك لَمّا دعوه إلى الضلالة وفاوَضوه .

فَيالَهُ مِن عَمَلٍ صالِحٍ يَرْفَعُهُ اللهِ إلى أسْفَلِ

ولم يزل في عيشه الذي لا يردُّ فَيْضه ، إلى أن فارق الحياة بهَيْضَه .

وتوفِّي في شهر رمضان سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودُفن بسُلطانيّة . وسُلطانية بلدة أنشأها ورسم بعَمارتها ، وتوفِّي بقوص من أبناء الأربعين[٢] .

وكان قد حضر إلى الرحبَة ، وحاصَرها في شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة[٣] ، وأخذها بالأمان ، وعَفا عن أهلها ، ولم يَسفك فيها دماً وبات بها ،

---

* الوافي : ١٨٥/٢ ، والدُّرر : ٣٧٨/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٨/٩ ، وذيول العبر : ٨٨ .

(١) انظر ما جاء في النجوم الزاهرة عن اسمه .

(٢) كذا العبارة في الأصل . وفي الوافي : « وهو في عشر الأربعين » . والسلطانية : في أرض قنغرلان بالقرب من قزوين . (النجوم الزاهرة) .

(٣) انظر ، البداية والنهاية : ٦٦/١٤ .

فما أصبحَ ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان المذكور ، وترك لأهل الرحبة أشياء كثيرة من أثقال مجانيق وغيرها . وكان معه يومئذ قراسنقر والأفرم وسليمان بن مهنّا ، وذكرت في ترجمة جوبان ما اعتمده في أهل الرحبة من الخير في هذه الوَقْعَة ، وكان أهل الرحبَة ، قد حلفوا لخربندا ، فلَمّا ارتحل عنها ، واستقرَّ الأمر ، التمس قاضيها ، ونائبها[1] وطائفة حلفت له من السُّلطان عزلهم فعزلهم لمكان اليمين من خربندا .

وكان مسلماً فما زال به الإماميَّة حتى رفَّضوه وغيَّر شعار الخطبة ، وأسقط منها ذكر الخلفاء سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وصمَّم أهل باب الأزَج[2] عليه وخالفوه ، فما أعجبه ذلك ، وتنمَّر ، ورسم بإباحة دمائهم وأموالهم ، فعوجل بعد يومين بهيضة مُزْعجة ، داواه فيها الرشيد بسهل منظف فخارت قواه .

وكان قبل موته قد رجع عن التَّشيُّع ، وقال بقول أهل السُّنّة .

وفي رَحيله عن الرحبة يقول علاء الدِّين الوداعي ، ومن خطِّه نقلت :

مـا فَرَّ خربَنْـدا عَنِ الرحبَـةِ الـ ـعُظْمى إلى أوْطـانِـهِ شَـوْقـا
بَـل خـافَ مِن مـالِكِهـا أنَّـهُ يُلْبِسُـهُ مِن سَيْفِـهِ طَـوْقـا[3]

ولما تشيَّع السُّلطان خربندا قال جمال الدِّين إبراهيم بن الْحُسام المقدَّم ذكره يمدحه :

أُهـدي إلى مَلِـكِ الْمُلوكِ دُعـائي وأخُصُّـه بِمَـدائحي وثَنـائي
وإذا الـوَرى والـوا مُلـوكاً غَيرَهُ جَهْـلاً فَفيـهِ عَقيـدَتي ووَلائي
هـذا خَـدابنـدا مُحَمَّـدٌ الَّـذي سَـادَ الْمُلـوكَ بِـدَوْلَـةٍ غَرّاءِ

(١) الأمير بدر الدِّين موسى بن أبي بكر الأزكشي ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) محلّة كبيرة في شرقي بغداد . (معجم البلدان) .
(٣) يشير إلى مالك بن طوق ، باني الرحبة ، وسلفت الإشارة إلى ذلك .

ملك البَسيطَة والَّذي دانَتْ لهُ ... أكْنافُها طَوْعاً بِغَيرِ عَناء
أغْنَتْكَ هَيبَتُكَ التي أُعْطيتَها ... عَن صارِمٍ أو صَعْدَةٍ سَمراء
ولَقَد لَبِسْتَ مِنَ الشَّجاعَةِ حُلَّةً ... تُغْنيكَ عَن جَيشٍ ورَفْعِ لِواء
مَلأ البَسيطَةَ رحبةً ومَهابَةً ... فالنّاسُ بينَ مخافَةٍ ورَجاء[1]
مِن حَولِهِ عُصَبٌ كآسادِ الشَّرى ... لا يَرهَبونَ الموتَ يَوْمَ لِقاء
وإذا رَكِبتَ سَرى أمامَكَ للعِدَى ... رُعْبٌ يُقَلْقِلُ أنْفُسَ الأعداء
ولَقَد نَشَرتَ العَدْلَ حتّى إنَّه ... قَد عَمَّ في الأمواتِ والأحياء
فَليهنِ دينـاً، أنتَ تَنْصُرُ ملكَهُ ... وطَبيبُه الدّاري بِحَسمِ الدّاء
نَبَّهْتَهُ بعدَ الْخُمولِ فأصبَحْتَ ... تَعْلُو بِهِمَّتِه على الْجَوزاء
وبَسَطْتَ فيهِ بذكرِ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَوْقَ الْمَنابِرِ أَلْسُنَ الْخُطَباء
وغَدَتْ دَراهِمُكَ الشَّريفَةُ نَقْشُها ... باسْمِ النَّبيِّ وسَيِّدِ الْخُلَفاء
ونَقَشْتَ أسماءَ الأئِمَّةِ بعدَهُ ... أحْسِنْ بِذاكَ النَّقْشِ والأسماء[2]
ولَقَد حَفِظْتَ عَنِ النَّبيِّ وَصيَّةً ... ورَفَعْتَ قُرْباهُ على الغُرَباء[3]
فابْشِر بِها يَومَ الْمَعادِ ذَخيرةً ... يُجْزيكَها الرَّحمنُ خَيرَ جَزاء
يا ابنَ الأكاسِرَةِ الملوكِ تَقدَّموا ... ووَرِثتَ مُلكَهُم وكلَّ عَلاء

ولَمَّا رجع عن التَّرفُّض وتَسنَّن ، وكتبَ على الدَّراهم والدَّنانير الشَّهادتين وأسماء الصَّحابة ، قال بعض الشعراء في ذلك :

رأيتُ لِخَربَندا اللَّعين دَراهِماً ... يُشابِهُها في خِفَّةِ الوَزْنِ عَقْلُهُ
عليها اسمُ خَيرِ الْمُرْسَلينَ وصَحْبُهُ ... لَقَد رابَني هذا التَّسَنُّنُ كُلُّه

---

(١) في الوافي : « رغبة ومهابة » .
(٢) في الأصل : « أسماء الصحابة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي المرادة .
(٣) في الوافي : « القرباء » .

١٤٩١ ـ مُحَمَّد بن أرغون*

ابن الأمير ناصر الدِّين محمد بن الأمير سيف الدِّين أرغون .

كان والده نائبَ الدِّيار المصريّة ، وكافل الممالك ، وتوجَّه مع والده لَمَّا توجَّه إلى حلب نائباً ، وكان السلطان الملك الناصر مُحَمَّد قد أمَّرَه بالدِّيار المصريَّة طبلخاناه وأمَّر معه جماعة منهم الأمير سَيف الدِّين أيتْمِش نائب الشام والأمير سيف الدِّين بيدمر البدري نائب حلب وغَيْرَهما ، وكان السُّلطان يحبُّه ويعظِّمه ويقرِّبُه .

وكان حسن الصُّوره ، بديع الجمال ، محاسِنُه للواصف غيرُ محصوره ، أخلاقه لطيفه ، وحركاته ظريفه ، أظنُّ الشيخ أثير الدِّين أقرأهُ العربيَّه ، ودَرَّبه في النكت الأدبيَّه ، وله فيها أبيات نظمها غزلا ، وجوَّدها عَملا ، وكان يشكره ويوقِّره ، وللمكارم يوفِّره :

أفعالُ من تَلِدُ الكِرامُ كَريمَةً وفِعالُ مَن تَلِدِ الأعاجِمُ أعجَمُ

كان يتأسّى بأخلاق والده ، ويتكسَّب من طارفه وتالده ، وزاد عليها فبلغت بالإجادة ، وأتى عليها والفرع فيه ما في الأصل وزيادة .

ولم يزل بحلب على حاله إلى أن كسفَ الموتُ شمسَه ، وأطبق على درِّه المكنون رَمْسَه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الْجُمُعة ثاني عشر شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودُفن يوم السبت في تربة سودي خارج باب المقام .

١٤٩٢ ـ مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد**

ابن نصر بن صقر ، شمس الدِّين الحلبي الحنبلي ناظر أوقاف حلب .

---

* الدُّرر : ٣٧٩/٣ .

** الوافي : ٢٠٠/٢ ، والدُّرر : ٣٨١/٣ .

كان قد باشر نظر الأوقاف وبيده جهات ، يلبسُ لبس الفقراء ، وهمّته همّة الأمراء . يمدحه الشعراء ويُجيزهم ، وينفلهم[١] عن غيرهم في العطاء ويَميزهم ، وفيه كرم وسَماحَه ، وعلى مُحيّاه قبول وصَباحَه ، وهو مقيم بالخانقاه ، والعز والجاه ، قد أقاما معه وما فارقاه . وحضر إلى دمشق صحبة قراسنقر فما لاق بها ولا لاقت به ، لمن بها من الكتبة ، وكان إذا ضاق عِطْنه بها قال : ما يحملني إلا تلك الخرية .

وعاد إلى حلب وأحْمَدَ فيها المنقلب ، وأقام بها إلى أن حلّقت على ابن صقر من الموت عُقابُه الكاسر ، ووقع بسياقه منها بين المخالب والمناسر .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده بحلب ثالث عُشْرَي جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

كان يذكر أنه سمع من قرابته الضياء[٢] ، ومن الحافظ يوسف بن خليل

قال شيخنا البرزالي : وما وجدنا شيئاً من ذلك ، وإنما روى عن النجيب عبد اللطيف ، سَمع منه بالقاهرة (مشيخة) بن كليب[٣] ، انتهى .

قلت : وقد رأيته بحلب غير مرَّة في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وهو شيخٌ أبيض ، أحمر الوجه ، نقيَّ الشَّيب ، نظيف الثياب ، ورأيت الحلبيين يشكّرون في شهاداته ، وإنما كان [فيه][٤] كرم وقيام بحقوق الواردين إلى حلب .

وممن امتدحه الشيخ جمال الدِّين محمد بن نباتة ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

---

(١) في الأصل : « وينقلهم » ، ولعلَّ ما أثبتناه أشبه .

(٢) في الدُّرر : « الضياء صقر » .

(٣) في الأصل : « كلب » ، وأثبتنا ما في الدُّرر ، وهو ابن كليب الحرّاني ، عبد المنعم بن عبد الوهاب (ت ٥٩٦) ، السير : ٢٥٨/٢١ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

..... واللهِ لـــولا شَمْسُهـــا الْمُجْتَبى[١]

لم يَلـــقَ راجي حَلبٍ زُبْـــدَةً ولم يُصـــادِفْ لَبَنـــاً طَيِّبـــا[٢]

وأنشدني :

حَمىٰ اللهِ شَمسُ الْمَكْرُمـاتِ من الأذَى ولا نَظَرَتْ عَيْنـايَ يَـومَ مَغيبُـه[٣]

لقـد أبقَتِ الأيـامُ منـهُ لأهلِهـا بقيّـةَ صـافي الْمُـزْنِ غَيرَ مَشُـوبَـه[٤]

كأنَّ سَجـايـاهُ اللطيفَـةَ قَهـوةٌ حَبـابُ حُمَيّـاهـا بَيـاضُ مَشيبـه[٥]

وبلغني أنه كان يأخذ القصيدة من شاعرها ، ويكتب في قفاها تاريخ إيصالها إليه ، ويذكر الجائزة ما هي ، ويدعها عنده . فإذا تقدم ذلك الشاعر في الزمان أو صارت له صورة في الدولة ، أحضر للناس تلك القصيدة ، وقال : هذه أتى بها إليَّ في الوقت الفلاني ، وأجزته عليها بكذا ، فعل ذلك بجماعة كبار ، وحكي أنه كان تاج الدِّين بن النصيبيّ له حُجْرة[٦] شقراء يركبها دائماً . فاتفق أن ركب غيرَها في بعض الأيام فرآه شمس الدِّين بن صقر فقال له : يا تاج الدِّين أين الشقراء ؛ فقال ابن النّصيبي : في استِي . فضحك هو ومَن سمعَه .

---

(١) صدره كما في الدُّرر :

يـــا ســـائلي عن حلبٍ لا تُطِـل

ولم نقف عليه في الديوان .

(٢) ديوان ابن نباتة : ٥٧ .

(٣) في الدُّرر : « عيناك » .

(٤) في الدُّرر : « فيه لأهلها » .

(٥) في الدُّرر : « يناجي مشيبه » .

(٦) هي أنثى الخيل ، وفي القاموس أنها بغير هاء .

١٤٩٣ ـ مُحَمَّد بن إسحاق بن لولو*

الأمير جلال الدِّين بن الملك المجاهد سَيف الدِّين بن السُّلطان بدر الدِّين الأتابكي ، صاحب الموصل .

سَمع من النجيب عبد اللطيف (جُزء ابن عرفة) ، والحديث المسلسل ، و (الثمانيات) و (المصافحات) المخرَّجة له ، وسمع (الجمعة) للنَّسائي .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة .

١٤٩٤ ـ محمد بن أسعد بن عبد الكريم**

ابن سُلَيمان بن طحا القاياتي ، الشيخ الإمام كمال الدِّين أبو بكر المنصوري .

سمع من النجيب عبد اللطيف وأخيه العز عبد العزيز ، وابن الحامض[1] ، وغيرهم .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة .

وقد أجاز لي رحمه الله تعالى .

وكان معيداً بزاوية الشافعي وبالزاوية المجدية .

١٤٩٥ ـ محمد بن أسد***

الشيخ شمس الدِّين ، الكاتب المجوِّد ، المعروف بابن النجار .

---

* الدُّرر : ٣٨٢/٣ .

** الوافي : ٢٠٢/٢ ، والدُّرر : ٣٨٣/٣ .

(١) محفوظ بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٩٣ هـ) ، الشذرات : ٤٢٧/٥ .

*** الدُّرر : ٣٨٢/٣ .

كتب عليه جماعة بمدرسة القليجية بدمشق وبداره ، وانقطع في آخر عمره مدة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع عشر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وسبع مئة .

١٤٩٦ ـ مُحَمَّد بن أسعد بن حمزة*

القاضي نجم الدِّين بن القاضي مؤيَّد الدِّين بن الصّاحب عز الدِّين بن القلانسي التَّميمي ، تقدم ذِكْرُ والده وجدِّه .

كان نجم الدِّين رحمه الله تعالى كثيرَ الأدب ، وافر الحشمة ، قد تمسَّك فيها بأقوى سَبب ، زائدَ التواضع في الرَّغَب والرَّهَب ، متيّماً عَشّاقا ، يشرب كأس الحبِّ دِهاقا[1] ، لا يزال يهيم من المحبّة في كلِّ واد ، ولا يصُدُّه عمن يألفه يَدُ عَوّاد .

وكان في ديوان الإنشاء أولا ، ثم جَعَل له إلى ديوان الجيش متحوَّلا ، وبيده أوقاف وأنظار ، وماله في سعادته أشباهٌ ولا أنظار . وكان يؤدِّي الأمانة فيما يباشِرُه من الوقوف ، ولم يكن له تربُّصٌ عن الخروج من الحق ولا وُقوف ، وكان يرجع إلى ديانه وتَمَسك بعصَم الأمانه[2] . إلى أن انكدر نجمه ، وانضمَّ عليه لما نزل رَجْمُه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس خامس شوال سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، ودُفن بعد الظهر في تربة والدته ، ولم يُدفن عند أبيه وجده .

وكان لا يأكل إلاّ مِمّا يَدْخُله من وَقْف والدته دون أوقاف أبيه وجدِّه .

وكان في ديوان الإنشاء أوّلاً ، ولم يُسْمَعْ له نظم ولا نثر ، ويقول : أنا لا أدع الناس يضحكون عليَّ .

ولَمّا جاء الفخري ومَلَك دمشق خرج من ديوان الإنشاء وباشر صحابة ديوان

---

* الدُّرر : ٣٨٣/٣ .

(١) أي : ممتلئة . وفيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وكأساً دِهاقاً ﴾ [سورة النَّبأ : ٣٤/٧٨] .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ ﴾ ، [سورة الممتحنة : ١٠/٦٠] .

الجيش بدمشق ، وكانت بيده أنظار وأوقاف[١] وغيرها يؤدي فيها الأمانة ، ويتحرّى في مصروفها ، وكان قاضي القضاة تقي الدّين السبكي رحمه الله تعالى يثني عليه في ذلك ، ويقول : ما رأيت في دمشق مثله .

وكان يدخله من ملكه ووقفه في [كل][٢] سنة ما يقارب الأربعين ألف درهم ، إلا أنّه كان مُبَخّلاً ، وفي يده مُسْكَة . ويكتب كتابة ضعيفة مرجوفة .

وقف يوم الخميس لملك الأمراء ، وسأله الإعفاء من[٣] الجامكيّة إلا الكسوة لا غير ، فتعجَّب ملك الأمراء منه ، وخرج من عنده ، فمرض يوم السَّبت وما جاء الخميس الآخر إلا وهو تحتَ التراب .

١٤٩٧ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل*

السُّلطان الملك الأفضل ناصر الدّين ابن السُّلطان الملك العالم الفاضل عِماد الدِّين المؤيَّد بن الأفضل علي ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور ابن صاحب حماة تقى الدِّين عمر بن شاهَنْشاه بن أيوب بن شاذي . ملك ابن ملك ، وذو نسب في البيت الأيوبيّ يضيء به الليل الحالِك[٤] ، يعطي عطاء الملوك ، ويجود بما تخجل من نفاسته الشمسُ في الدّلوك[٥] ، ويغنم من الثناء عليه بالجواهر التي تنتظم في السلوك ، إلا أنه لم يكن محظوظاً في جوده ، ولو سَمَحَ بما في موجوده .

كان والده رحمه الله تعالى في ذلك أسعد ، وأرقى في درج الثناء وأصعد .

---

(١) (خ) : « وقوف » .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « عن » ، وأثبتنا ما في (خ) .

* الوافي : ٢٢٤/٢ ، وتاريخ أبي الفداء : ١٣٦/٤ ، والدُّرر : ٣٨٨/٣ .

(٤) في (خ) : « الحلك » .

(٥) الدلوك : الغروب .

وكان الملك الأفضل سليمَ الباطن عديمَ الشَّرِّ للنازح والقاطِن ، تنسَّكَ في وقت وجلسَ على لبّاد ، ورفض سماع الشعرَ حتى نقائض الفرزدق وجرير .

وما كان يخلو من ذوق ، وعنده فضيلة تَزين ربّ التاج والطوق ، كثير التأدب مع من يخاطبه ، غزير التَّعتُّب على من يقاطعه أو يُجانبه ، كبير التألُّب على من يَسْتَدعيه لجوده ولا يجاوبُه :

وَرِثَ السِّيادةَ كابراً عن كابرٍ كالرمْحِ أنبوباً على أنبوبِ[1]

ونُقِلَ أخيراً إلى دمشق من حماه ، وتَرَك مُلْكَهُ فيها وحِمَاه ، فأكمده على ذلك الْحَزَن ، وطوَّل الغَمَّ لهُ الرَّسَن ، وحَصَل له قولنج أُعقبَ بصَرْع ، وألحق بالأصل الفَرْع . وجفَّ من حياته الضَّرْع ، وضاق من أهله وخدَمِه الذَّرْع ، وأفضى الأفضل إلى ما قدّم من عمل[2] ، وخاب ممّن كان يقصده ويرجوه الأمل ، ووُضِعَ في تابوت ونُقل إلى حماه ، ورشف العدوُّ من السرور لَمَاه ، فعاد من وطنه إلى غير سَكَن ، وناح عليه حتى ناعورة أم الْحَسَن .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق ليلة الثلاثاء حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

ومولده ...[3] .

كان والده رحمه الله تعالى ، قد سمّاه في حياته بالمنصور ، فلَمَّا تُوفِّي والده في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة رَسَم له السُّلطان الملك الناصر مُحَمَّد بمكان أبيه في حماة ، وسَمّاه بالأفضل باسم جدِّه ، ورسم السلطان للأمير سيف الدِّين تنكز ولسائر نواب الشام أنْ يُجروه على عادة والده في جميع أحواله من المكاتبة وقَبول الهديّة وسَماع الشفاعة وغير ذلك .

---

(١) أنبوب الرمح : كعبه .

(٢) في الأصل : « عمل العمل » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) كذا بياض في الأصل و (خ) .

وطلبه إلى مصر وأقبل عليه ، وكتب تقليده بحماة[١] على عادة والده ، وأفاض عليه التشاريف الفاخرة ، وكان يعطي الناس ويجود عليهم[٢] ، ويخدم الأكابر وهو مذموم .

وما زال في حَماة مُرَوَّعاً مُدَّة حياته تارة من جهة السلطان ، وتارة من جهة تنكز ، وتارة من جهة العربان ، يأخذون إقطاعاته ، وتارة من جهة أقاربه يَشْكُون عليه .

وكان وهو في حماة قد ولاّني نظر المدرسة التقويّة بدمشق نيابة عنه ، وزاد معلوم النظر . ولَمَّا حضر إلى دمشق توجَّهت إلى خدمته ، فتصدَّق وأحسن وأجمل ، وتردَّدْتُ إليه ، وسَمِعت كلامه غَيْرَ مرّة ، وما كان يخلو من استشهادٍ على ما يقوله بشعر مطبوع ، أو مثل مشهور .

ولم يزل على حاله في حماة إلى أن تولى الأشرف[٣] كجك ، فرسم له بحضوره إلى دمشق ، ووَلِيَ الأمير سيف الدّين طقزتمر نيابة حماة ، وأن يكون الأفضل بدمشق أميرَ مئة رأس الميسَرة ، وأن يُطْلَق له من دخل حماة ألف ألف درهم ومئتا ألف في كل سنة ، فوصل إليها في أوائل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، فلم يركب بها سوى مركبين[٤] ، وحصل له قولنج أُعقب بصَرْع ، فتوفِّي في التاريخ المذكور .

ومن الغريب أن زوجته كانت قد مرضت وأشرفت على الموت ، فعمل لها تابوتاً ليضعها فيه إذا توفيت ، ويحملها إلى حماة ، فتوفي هو قبلها ، فوضعته والدته هو[٥] فيه بعينه ونقلته إلى حماة . ثم إن الزوجة المذكورة توفِّيت عشيّة ذلك النهار ، وتوجَّه ابناه

---

(١) في الأصل : « إلى حماة » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) في الأصل : « الأشراف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) في (خ) : « موكبين » .
(٥) ليست في (خ) .

إلى مصر صحبة جدتها ، فأكرم نزلها إكراماً لِقَوْمها ، وأُعطي ابنُه الأكبر سبعين فارساً ، فمات في مصر قبل خروجهم[١] . فسبحان مَنْ يُقَرِّب الآجال ، ويقطع الآمال .

وتَرَك الملك الأفضل ـ رحمه الله تعالى ـ عليه من الدين على ما بلغني ممّن له اطِّلاع على حاله فوق[٢] الألفي ألف درهم .

وكان الأمير سيف الدِّين تنكز قد حنا عليه آخراً حَنْوَاً كثيراً ، وأراد السُّلطان أن يَعْزِله عن حماة فتوجَّه تنكز إلى مصر ، وشفع فيه ، ولَمّا أُمسك تنكز تعبَ بعده ، ولَزِمَتْه مغارمُ كثيرة ، وكثرت الشكاوَى عليه ، وقلَّ ناصره فتضعضعت أحواله ، واختلَّت أموره ، وكان الموت فجاءة آخر خموله ـ نعوذ بالله من الخمول ـ .

وقال شاعره وشاعر أبيه جمال الدِّين مُحَمَّد بن نباتة يرثيه وأنشدنيها من لفظه :

تَغَرَّبَ عَنْ مَغْنَى حَماة مَليكُهـــا ... وأَوْدَى بِهـا مِنْ بَعْـدِ ذاكَ مَماتُـهُ
وما ماتَ حتّى ماتَ بَعْضُ نسائِهِ ... بِهَمٍّ وكادَتْ أن تَموتَ حَماتُـهُ[٣]

وقال فيه أيضاً قصيدة منها[٤] :

بَكى الشّعرُ أيّـام المنى والمنـائِحِ ... ففي كلِّ بيتٍ للثَّنـا صَوتُ نـائِحِ
ولَمّا ادْلَهَمَّت صَفحةُ الأُفقِ بالأسى ... عَلِمْنا بأنَّ الشُّهبَ تحتَ الصَّفائِحِ
حَيَا الْمُزنِ أسعِدْني على فَقَد سادَتي ... بدَمعٍ كَجَدْواهُم على الخلقِ سَافِحِ[٥]

---

(١) (خ) : « خروجهم منها » .

(٢) (خ) : « جملةً فوق » .

(٣) في الديوان : ٨١ بيتان يشبهان هذين ، رثى فيها الأفضل ، هما :

مَضى الأفضل المرجوّ للبأسِ والنّدى ... وصحَّت على رغمِ العُداةِ وفاتُه
وما ماتَ أو ماتت بحزن نساؤه ... وماتت بأحزان البلاد حماتُه

(٤) ديوانه : ٩٩ .

(٥) في الديوان :

« ... ... على فقدِ سادةٍ ... بدمعٍ كجدواهم على الناسِ طافحِ »

أَبَعْدَ بَني شادٍ وقَدْ سَكنوا الثَّرى ... قَريضٌ لِشادٍ أو سُرورٍ لفارحِ
أَبَعْدَ مُلوكِ العلمِ والباسِ والنَّدى ... تَشبُّ العُلا نار القِرى والقرائحِ
لَئن أوحَشوا منهُم بُيوتَ مقامِهم ... لَقد أوحَشوا مِنا بيوتَ المدائحِ[1]

منها :

تَلا فَقْدَ إسماعيل فقدُ مُحَمَّد ... فيا لِلأسَى مِن فادحٍ بعدَ فادحِ[2]
وزالا فما إنسانُ عَيني بِمُمْسِكٍ ... بُكاهُ ولا إنسانُ عَيني بكادحِ[3]
كأنْ لم يَجُد بعد المؤيّد أفضلٌ ... فَمَن جَذَع بَذَّ الجيادَ وقارحِ[4]
كأنَّ زِنادَ الفضلِ لم يورِ منها ... سَنا شِيَم ما فيهِ قولٌ لقادحِ

منها :

وَوَاللهِ كانُوا في صِفاتِ مُحَمَّد ... إذا نَحنُ أثنَينا عليهِ بصَالحِ[5]
سَلامٌ على جنّاتِ أجْداثِهم ولا ... سَلامٌ لنارِ الْحُزنِ بينَ الجوانحِ

وأنشدني من لفظه لنفسه الأديب علاء الدِّين علي بن مقاتل الْحَموي بحماة يرثي صاحبها الملك الأفضل ويعرِّض بمجيء طقزتمر لحماة نائباً بدله ، وهو مملوك أبيه :

صاحبُ حماة ما عُطي في الدّست إلهامات ... بيدَق تَغرزن عَقَدْ بَنْدُو على الهامات
دارت عليهِ رخاخ أفيال وهامامات ... لعِب بنفسو على خيلٍ ركبها مَات[6]

وأنشدني أيضاً :

---

(١) في الديوان : « لقد أوحشت » .
(٢) في الأصل : « قادح بعد قادح » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي والديوان .
(٣) في الديوان : « بكاء ... ولا إنسان قولٍ .. » .
(٤) ليس في ديوانه .
(٥) في الديوان : « والله ما نقضي حقوق مُحَمَّد » .
(٦) في الأصل و (خ) : « وهامات » ، وأثبتنا ما في الوافي .

يـا أولادَ الأفضلِ كُسِرتوا كَسْر مـا لوجَبْرِ فقَـدتُم ابنَ المؤيَّـدِ نجـلَ ذاكَ الْحَبْرِ[١]
تَصَبّروا وانْـدُبـوا مَن قَـد حَـواهُ القَبْر فـــآل أيـوبَ هُم أهـلُ البـلاَ والصَّبْرِ

وأنشدني له أيضاً :

بالأمسِ يا أولادَ الأفضلِ صاحَ صايحُكُم على الْمَـــلا بينَ غـــــاديكُم ورايحكُمْ
واليَـومَ صـــارَت مغـــانيكُم نـوايحكُم وابْتـــــدّلت بمراثيكُم مَـــــدايحكُمْ

وأنشدني له أيضاً :

مُحَمَّـــد المصطفى المختـــار مِن مَنْشـــاهْ مَن شرَّف الكونَ في سابعِ سَما مَمْشاه[٢]
أذاقَـهُ الْمَوت مَنْ كُـلُّ الـوَرى تَخْشـاه مَنْ هُو مَلك مصرَ أومَن هو ابن شاهَنْشاه[٣]

ولَمّا مات والده الملك المؤيَّد ـ رحمه الله تعالى ـ حضر منه كتاب إلى الأمير سيف الدِّين تنكز يعلمُه بذلك فكتبت أنا الجواب[٤] إليه :

« جعَله الله خيرَ خَلَف ، وهَنّأ البيت الأيوبيّ بما ورثه من المجد[٥] المؤثل والشرف ، وسقى صوب الرحمة أصلَه الذي فرَّع دَولتَه[٦] الطاهرة وسَلف ، تقبيل من صدع الهناءُ جَبْرَ قلبه ، ومَسَحَ كفُّ السُّرور غمام دمعه الذي [كاد هيدبه][٧] يذهب بهُدْبه ، ويُنْهي بعد الدعاء الذي أجيبَ بالقَبُول لإخلاصِه رَفْعَه ، والولاء الذي لم يضق بالعبودية رَبْعُه ولا ذَرْعُه ، والثناء الذي أخجَلَ تغريد الحمام في الخمائل سَجعُه ، أنَّ مثاله الكريم وردَ على يد فلان يتضمَّن ماقدَّره الله تعالى من وفاة المقام الشريف

(١) في الوافي : « كُسِرْتُم كسر » .
(٢) في الأصل و (خ) : « منشاه » ، وأثبتنا مافي الوافي .
(٣) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .
(٤) في (خ) : « أنا عنه الجواب » .
(٥) (خ) : « وهنأ الأنام بما ورثه عن سعادة بيته التقوي من المجد ... » .
(٦) في (خ) : « دوحته » .
(٧) زيادة من (خ) .

العمادي والد مولانا قدَّسَ الله روحُهُ الكريمه ، وسقى تُرْبةً ضمَّتهُ صَوب كلّ ديمه . فوقف للمملوك على الخبر الذي روّع العباد ، وغدا كلُّ قلب كأنَّما يُجَرّبه على شوك القتاد ، ونظر إلى النجوم كأنها خَرائد سافرات في حداد ، فأرسَل للملوك دَمْعَةَ الصَّبِّ على الحبيب الذاهب ، وأخذ من قِسمَة الأحزان بين الأنام نَصيبَه الواجب ، وكيف لا يعم الوجودَ هذا الْمُصابُ ، وتُبَيِّن الدُّموعُ بسحِّها شُحَّ[١] السَّحاب ، وقد كُوِّرت الشَّمسُ ، ولا تقول انقضَّ الشِّهابُ ، وغيضَ البَحْر ، ولا تقول انقشع[٢] الرّباب ووهى عماد الملك ، ولا تقول انقَصَمت[٣] الأطناب ، وفجع بمن أثقلت أياديه الأعناق قبل أن حُمِلَ على الرِّقاب :

رَدّت صنائعُه علَيه حَياتَه فكأنَّه من نشرِها منشورُ

وللوقت طالعَ المملوك العلوم الشريفة بذلك ، ووَرَد الجواب الشريف يتضمن شمول مولانا بالصَّدقات الشريفة ، وإقامته مقام والده قدَّس الله روحَه ، فهنّأ الله مولانا بهذه البشرى التي صدَّقت الرّجا ، والمسرّة التي رُقمت سُطورها على كافور النهار بعنبر الدُّجى[٤] . وما أحقّ هذه البشرى أن تهتز لها أعطافُ المنابر ، وأن تنطق بحمدها ألسنة الأقلام من أفواه المحابر ، وأن تَعُدَّ نعَمَها أناملُ الرّايات إذا خَفَقَت ، وأن تتورَّد صفحاتُ السيوف من دم الأعادي إذا امتشقت ، والله يجمِّل الأيام بدَولته الزاهره[٥] ، ويجعل الأقدار على مُرادِه ومرامه متظافره ، بمنِّه وكرمه ـ إن شاء الله تعالى ـ » .

فعاد جوابُه يتضمن أنه واصلٌ إلى دمشق ليتوَجَّه منها إلى الدِّيار المصريّة ، فكتبتُ أنا الجوابُ إليه :

---

(١) (خ) : « سحٌّ » .

(٢) (خ) : « تقشع » .

(٣) في الأصل : « انضمّت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في (خ) زيادة : « والهناء الذي خلّق الأصيل أفق السماء بزعفرانه ، والفرح الذي قلّد الليالي بدر أنجمه وجمانه » .

(٥) (خ) : « القاهرة » .

« أعَزَّ اللهُ أنصار المقام الشريف العالي المولويّ السُّلطاني الملكي الأفضلي ، ولا زال مقامُه الشريفُ بالتحف ملتحفا ، ومجدُه المؤثّل بأزاهر الْمَحامد رَوْضه أنفا ، وركابُهُ العالي إذا سار أخذت الأرض زينتها ، ولبست زخرفاً[١] تقبيلاً يكسبُ به ثغر الثُّرَيّا شَرَفاً ، ويغدو على[٢] شفَة الهلال شفا ، بعد أن كان من السُّقم على شَفا . ويُنهي بعد أدعية رُقمت على سرادق الإجابة أحرفا ، وعبوديّة لم يجد الولاء عن إخلاصها مَصْرفا ، وأثنيَةٍ تُنْشَرُ على الرّوض بُروداً وتُقرأ الْحَمائم من سَجعها صُحُفا . ورد[٣] المثال العالي يتضمَّن حركة الركاب الكريم إلى الأبواب الشريفة ، فكاد قلبَ المملوك لِتَلَقِّيه يطير فرحا ، ويميد عطف الزَّمان ومَنْ فيه مَرَحا ، ويكون يوم قدومه يومَ الزينة وأن يُحْشَر النّاس ضُحى . فالله تعالى يجعلها حركةً مقرونةً بالسُّعُود ، موصولةً بالْمَيامِن التي [بها][٤] جمال الأيام والأنام والوجود » .

وكتبت أنا إليه عن السلطان الملك الناصر مُحَمَّد كتاباً ببشارة النيل عَقيب وروده من الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة :

« أعزَّ الله أنصار المقام الشريف ، وجعل رُسُلَ الهنا تتوارد على مَقامه تَتْرى ، وأبهجه بكلِّ نبأ[٥] من الْخَصب يتحرَّق له البرق حَسَداً في قلب السحاب ويَتَحَرَّى ، وسَرَّه بكلِّ خَبَر يتفرَّق به مَحَلَّ الْمَحْل ويَتَفَرَّى ، ويعمّه بكل وارد يقص عليه حديثاً جَعل البَرَّ بحراً وملأ البحر برّا . أصدرناها إلى مقامه الكريم تجد[٦] رعي عهوده ،

---

(١) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ حتّى إذا أخَذَتِ الأرضُ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ ﴾ [سورة يونس : ٢٤/١٠] .

(٢) (خ) : « ورود » .

(٣) (خ) : « في » .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) في الأصل : « ثناء » ، وأثبتنا مافي (خ) .

(٦) في (خ) : « تجدد » .

وتَفضّ سلاماً يتردد إليه تردّد أمواج[١] البحر في انحداره وصعوده ، وتبثّ ثناء لا يزال بين خفق ألويته وبنوده ، وتُبْدي إلى العلم الكريم أنه وَرَد ركابنا الشريف إلى محل[٢] ملكه ، ومجرّة فلكه ، ومَجْرى فُلْكه ، فوجدنا النيل المبارك قد جعل الأرض لجّه ، وأرخى نقاب تيّاره على وجه كل مَحَجَّه ، وارتفع إلى أن جعل على هَضَبات السَّحاب مَقَرَّه ، وزاد إلى أن كاد يمازج نهر المجرّه ، وبعث سَرايا مقدّماته ، فتحصَّنت في كلِّ فَجٍّ وفَجْوَه ، وانعطف حول أزرار الأهرام كالعُرْوَه ، وشَرِب دمَ الْمَحل فهو من تحت حباب القلوع كالقهوه ، واتَّصَف بصفات الأولياء ، فبينا هو في أقصى الجنوب إذا هو في أقصى الشمال ، والأرض للرجل الصّالح خُطْوَه ، وأصبح في طلب تخليقه مُجدّا ، وأعدَّ لِلْجَدب من تياره سابغَة وعَدّاء علَنْدَى[٣] ، ومَرَق كالسَّهم في خليجه من قسيٍّ قناطره ، وخنق الْمَحل بعَبَراته في مَحاجره ، وبشّرَ أن آلاف الأموال أضعاف ما فيه من الأمواج ، وخبّرت رقاعه[٤] أنَّه لم يبق فيها مُحتالٌ ولا محتاج ، فأكمل السّتة عشرة ذراعاً .

وكتبت إليه أجوبة كثيرة عن الأمير سَيفُ الدِّين تنكز ، منها ما هو جوابٌ على[٥] مشمش كافوري أهْداه في باكورةِ السَّنَة ، ومنها ما هو عن رُخام مُلَوّن أهداه وغير ذلك ، وهي في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) التي لي .

١٤٩٨ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن أسعد*

وقيل : ابن أحمد بن علي بن منصور بن مُحَمَّد بن الحسين الشَّيباني ، الأمير

---

(١) في الأصل : « انحدار » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) (خ) : « مستقرّ » .

(٣) يشير إلى بيت عمرو بن معديكرب :

أعددتُ لِلْحَدثان سا بِغَةً وعدّاءً عَلَندى

شعره : ٨٠ . والعلندى من كل شيء : الغليظ .

(٤) في الأصل : « رفاعه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) (خ) : « عن » .

* الوافي : ٢٢٧/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٥ ، والدُّرر : ٣٨٦/٣ ، والشذرات : ١١/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢١٧/٨ .

شمس الدِّين بن الصّاحب شرف الدِّين الآمدي ، المعروف بابن التِّيتي ، بتاء ثالثة الحروف مكسورة ، وبعدها ياء آخر الحروف ، وتاء ثانية وياء النسب .

كان وزيراً بماردين ، وحضر أخيراً في الرسليّة من الملك أحمد[١] صحبة الشيخ عبد الرَّحمن الكواشي ، ومات من أرسَلَهُ وحُبسَ رُسُلُه ، ومات الشيخ عبد الرَّحمن ، على ماذكرته في ترجمته في (تاريخي الكبير)[٢] ، وطُلِبَ شمس الدِّين هذا إلى مصر ، وأُعطي إقطاعات الحلقة ، وترقَّى إلى أن صار نائب دار العدل في أيام السُّلطان حسام الدِّين لاجين .

وجَفَل به فَرَسٌ فَوَقَع ، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة بمصر .

روى عن الشيخ بهاء الدِّين بن بنت الْجُمّيزي ، وأبي الْحَسن بن المقيّر ، وجَماعة .

وكانت له مشاركة في نحو ولغة . وروى عنه شيخنا الحافظ أبو الفتح ، والشيخ قطب الدِّين عبد الكريم ، وغيرُهما .

ومن شعره :

إذا ما الدَّهرُ مالَ عليكَ يَوْماً ... وصالَ بِصَرْفِه وسَطا وجارا
فثِقْ باللهِ مُعتَمِداً عَليهِ ... يَكُن لكَ مِن صُروفِ الدَّهرِ جارا[٣]
وإن دارَت دوائرهُ ببَغيٍ ... عليكَ وعَنكَ بالإقْبالِ دارا
وشَطَّ بِكَ الْمَزارُ فلا مَزار ... وباعَدَ عنكَ أحباباً ودارا
فلا تَجْزَع ودارِ وكُنْ صَبوراً ... فَمَن يَرْجو نَجاةً منهُ دارَى

(١) سنة (٦٨٢ هـ) كما في التالي .
(٢) الوافي : ٢٦٠/١٨ .
(٣) في الأصل : « صرف الدهر » ، ولا يستقيم بها الوزن .

ولا تَرْكَن إلى الـدُّنيـا وبـادِرْ بفعـلِ الخيرِ واغتَنِمْ البِـدارا
فـإنَّ أخـا الْجَهـالـةِ مَن تَـولَّى ولم يَنظُر إلى الـدُّنيـا اعْتِبـارا

أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدِّين ؛ قال : قال الأمير شمسُ الدِّين ابن التِّيتيّ :

أنشدت الزّين خالد :

قلتُ للـزَّين : كَيفَ لا تُثْبِتُ البَعْـ ـثَ وتَنْفي إنكارَهُم لِلْحَشرِ
قال : أثْبِت . قلتُ : ذقنـك في استي قالَ : انْفِ . فقلتُ : في وَسطِ حجري

قلتُ : أخذ هذا المأخذ من قول الأوّل :

جـاءَ سَـدُّ يـدِ الـدينِ في وَجهـه أنْفٌ لَـهُ كادَ يُـواريـه
قلتُ لـهُ : مـاذا القضـا ؟ قـال لي : ذا مِنْخَري ، قلتُ : أنـا فيـه

١٤٩٩ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن موسى*

الشريف تقي الدِّين الْحُسَيني الأشقر .

كان يتوكَّل للنـاس من الأمراء ، وغيرهم وتـوكَّل لأمير حسين بن جنـدر بـك ، وتوجَّه له إلى مصر ، وعاد إلى دمشق .

ثم إنَّه شَنَق روحه في بيته بحارة بلاطَة[1] ، وكتب ورقـة وعلَّقها في عنقـه ، يقول فيها : ما آذاني أحد من خلق الله تعالى ، وما فعلت هـذا بنفسي إلا بسبب الـديون التي عليَّ ، وخشيتُ أن أُضرب بمقارع الأمير علم الدِّين الطرقجي . وما كان قد استـدان من جـامع السَّـلامي ، ومن غيره عشرة آلاف درهم وأكلها ، فراح ابن جـامـع[2] وشكاه إلى

* الدُّرر : ٣٩٢/٣ .
(١) أشار إليها صاحب الدارس غير مرّة ، انظر : ٢٨٤/١ ، ٣٦٨ ...
(٢) هو عمر بن جامع بن يوسف السّلامي (ت ٧٥٧) . وفيات ابن رافع : ٣٣٥/١ .

أوران الحاجب ، فرسم عليه وتهدده بالطرقجي ، ففعل بنفسه ذلك في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

١٥٠٠ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن أحمد بن سَعيد*

القاضي الرئيس الكاتب كمال الدين بن الأثير ، موقِّع الدّست بالدِّيار المصريّة .

كان فاضلاً في صناعته ، كاملاً في براعته ، فصيحاً في عِبارته ، مليحاً في إشارته وشارته . يكتبُ خَطّاً آنقَ من الحدائق ، وأرشقَ من الأغْيدِ الذي لُطِفَت منه الخلائق ، كَتَب المناشير الكِبار والتواقيع ، وأتى فيها بمقاصِد الكتّاب المطابيع ، فكان كما قال الغزّي :

تَصيخُ لهُ الأسماعُ مادامَ قائلاً وتَعْنو لهُ الأبصارُ مادامَ كاتِباً

ولم يزل على حاله في توقيع الدّست بمصر إلى أن أصبح مسجّى .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجّة النصف منه سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، ودُفِنَ بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة بأرباب الدولة والعلماء والصَّوفيّة ، وصلِّي عليه بالجامع الأموي بدمشق ، يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجّة .

ورثاه شيخنا العلامَة شهاب الدِّين محمود ـ رحمه الله تعالى ـ بقصيدة طنّانة وهي ... [1] .

ومن إنشاء القاضي كمال الدين بن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ نسخةُ تَقليدٍ للأمير شمس الدِّين قراسُنقر المنصوري بنيابة دمشق عقيب قدوم الملك الناصر من الكرك وهوَ :

---

* الدُّرر : ٣٨٦/٣ .

(١) كذا بياض .

« الحمد لله الذي أنجز من الأُلْفة للإسلام ما وَعَد ، وأطفأ لهب الْخُلْفِ ، وقَدْ وَتَد ، وأحسنَ عاقبةَ المسلمين فيما صَدَر من أمْرِهم وما وَرَد ، جاعِلِ الْمُلْكِ من هذا البيت الشريف منتقلاً في عَقِبه ، آيلاً إلى مَنْ أصبَحَ ومغناه أهلٌ به لَمَّا حَلَّ في رُتَبِه ، وأضحى وهو مفروضُ الطاعةِ على الأولياء في تغيّر الدَّهْرِ ومُنْقَلبِه . نحمَده حَمْدَ مَن يعلم أنَّه يؤتي الْمُلْكَ مَنْ يشاءُ مِنْ عِباده[١] ، وأنَّ الأقدارَ جاريَةٌ على مُرادِه ، غير مُعْترِض على مشيئته مُعَرِّض نفسَه لعناده .

ونشهدُ أن لا إله إلا الله وَحْدَه لا شريك له شهادةَ من رضِيَ بقَسْمِه[٢] ، وفَوَّض الأمر إلى حُكْمِه ، ووقَفَ في زُمْرَةِ قوم يعلمون أن الله ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾[٣] .

ونَشْهَدُ أن مُحَمَّداً عبده ورسوله الذي وطّأ للإسلام مِهادَه ، وأزالَ عن جَفْن الإيمان غَمْضَ الشِّرك وسُهادَه ، واستنقذ من يد الضلالة رُبا الحقِّ ووهادَه .

صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أصحاب الحلِّ والعَقْد وذوي[٤] الاجتهاد والجدّ ، وأهل السَّعي المقترن بالسَّعْد ، صلاةً مستمرّة الإيراد ، متصلةَ الأوراد ، مُوْفِيةً بالمراد مُؤْذِنةً للرائدِ بخصب الْمُراد ، وسَلَّم تسليماً .

وبعد :

فإنَّ المالك أولى من قام بنصرها ، وقعد بالمصلحة في أمرها ، وأقيمت به دعوتها وعزّت بعَزْمِه ذُرْوَتُها ، وفُوِّضَ تدبيرها إلى نَظَرِه ، وحَسُنَت فيها مواقع أثره ، واستقامت هضَبة أُسّها على رايه ، واستقلَّت بمَهامِّها كفالة ولائه ، من حمى سرحَها

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٧/٢] .

(٢) أي : بعطائه .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥/٢ .

(٤) في الأصل : « وذي » .

وبنى صَرحَها ، وسدَّد أمورها ، وسَدَّ ثغرَها وثغورها ، وحَماها من الأيدي المتخطّفه ، وصانَها من الأغراض المتحيّفه ، واستقلَّ بأعبائها التي آدت ، ونَهض بحفظها ، وقد كانت العزائم همّت بأنْ تُفَلَّ أو كادت ، ووقف المواقف التي تهول ، وثَبَت بحيث الأقدام تَزِلّ والأحلام[١] تَزول ، واصطلى في مضائق الحروب جَمْرها ، وكان فيها بحمد الله في الرأي قَيْسَها ، وفي الإقدام عَمْرَها[٢] ، وهو الجنابُ العالي الأميري الشمسي قراسُنقر ، ذو الصفات الكامله ، والسيرة العادله ، والأنا الجميلة والهمم الجليله ، والمحاسن الجزيله ، والطريقة المتَّبعه ، والأفعال التي لا تخشى منها تَبِعَه ، والآراء الصّائبه ، والمساعي التي لم تَشُبْها في نصرة الإسلام شائبه .

طالما خاض الغمرات ، واصطلى الْجَمرات ، وأقدمَ إقدامَ اللَّيث ، وحرس الْمَمالك من العَيْث[٣] ، وأقام الأدِلَّة على فَضْله ، وأجْلَبَ إلى الأعداء بخَيْله ورَجله . إليه تُشَدُّ الرِّحال في صَوْن الأُمور وصَلاح الجمهور ، واستطلاع خبايا المقاصد ، وأخْذ الأعداء بالْمَراصِد ، وإقامةِ شعائر الدين ، ونُصْرَة حِزْبِ الْمُوَحِّدين .

وقد اقتضى رأيُنا الشريفُ أن نفوِّض إليه نيابةَ السَّلطنة الشريفة بالشام المحروس من حدود العرائش إلى سلميّه ، وجعلنا كلمته في النفاذ باقيَه ، وعَزْمَتَه في رتبة الْمَضاء راقيه ، واقتضينا في المهمّات عقدة عزمه وحَلِّه ، وأمضينا في مصلحة المملكة تصرُّفه كلَّه ، واستندنا من تدبيره إلى ركن شديد ، وعَطَفْنا إلى مضافرته كلَّ جيد ، إذ كان الْمُلْكُ بمثله يُصان ، وبمحاسنه يُزان ، وبتدبيره يُستَدُّ ثَلْمُه ، وبتفويقه[٤] يستَدّ سَهمُه . وقد قَلَّدْناهُ منّا سَيفَ اعتناءٍ مُطْلَقِ الْحَدِّ ، ومضافرة غير متناهيَة إلى حدّ ، ومنَحْناهُ

(١) في الأصل : « والأحلال » .

(٢) يشير إلى قيس بن الأحنف ، الذي يضرب به المثل في الحلم ، وإلى عمرو بن معديكرب ، ويضرب به المثل في الشجاعة .

(٣) العيث : الإفساد .

(٤) فوَّق السَّهم : جعل له فوقاً ، أي موضع الوتر من السهم .

اهتماماً يكفيه ما أهمّ ، ومُعاضدةً لرأيه الذي يُشْرق في ليل الخطب إذِ ادلَهَمَّ ، وقبولاً يبلِّغه مِن رفعة القَدْر ما يريد ، واتِّحاداً أقرب إلى الداعي من حبل الوريد .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصريّ ، لا زالت دَوْلته مبارَكةً على الإسلام وأيامُه عائدةً بصِلات الجميل التي لا تَحْصرها الأقلام ، أنْ تفوَّض إليه نيابة السَّلطنة الشريفة بالشام المحروس ، وأعمالها وعساكرها ومَمالكها وقلاعها وبلادها ورعاياها وذخائرها وأموالها ، وثغورها ورجالها ، وكبيرها وصغيرها ، ومأمورها وأميرها ، وكلّ ما يتعلَّق بها ويُنْسَب إليها ، على عادة من تقدمه في ذلك كلّه ، علماً منّا بأنّه أولى مَنْ فَرَعَ ذروتها ، وقرع مَرْوَتها ، وحُلَّتْ له حُباها ، وحُمِي به حِماها ، واتَّسَقت به عقودها ، وحُفظت به عُهودها .

فليضِ على رسْلِه فيما رتَّبْناه فيها وقرَّرنا ، ويتحقق حسن النِّيَّة فيما أعلنّا من أمره وأسرَرْنا ، ويَدْأب في بسط الْمَعْدَلة والسيرة الْمُجْمَلة ، والعمل بالعَدل فإنَّه الطريق المسلوك ، وليشمل الرعايا بنظرِه فإنَّهم عند الملوك هذه وصيّتُنا له ، وأمّا عَداها مِن مصالح المسلمين ، واعتماد كل ما يقضي بنصرة المؤمنين ، وجُندٍ تُعْرَض ، وأرزاق تفرض ، وأموال تثَّر ، وبلاد تعمَّر ، وثغور تُسدُّ ، وعقود تُشدُّ ، وسَطوة تكفُّ الأيدي عن الجور ، ومهابة تزعزع كلّ جبّار متعدِّي الطور ، ونظرٍ في المصلحة الخاصّة والعامّه ، وقَصْد يدلُّ على الخبرة التامه ، وشرع يُتَّبع حكْمُه ، وأمر بالمعروف يُجَدَّدُ رَسْمُه ، وقلوب تُؤلَّفُ على الطاعَه ، وخدم يبذل فيها جُهْدُ الاستطاعَه ، فهو أدْرى بما يُعاد منها وما يُبْدا ، ولم يزل في طرق الخيرات ولله الحمد أهْدَى أن يُهدى . وهو غنيٌّ عن شَرْح فيها يطوّل ، والعُمدة في ذلك على الله تعالى ثم على تدبيره الْمُعَوَّل .

وسبيل كلّ من يقف على هذا التقليد الشريف من أمراء الدولة ونوّابها ووزرائها ومتحفِّظي حصونها وولاة أمورها كافَّة أن يأتمروا بأمره ، ويعرفوا له جلالة قَدْره ، وينتهوا إلى إشارته في سرّ كل عمل وجَهْره .

والله يشدُّ به قواعد الْمَمالك ومَبانيها ، ويُؤهِّل بجميل تَدْبيره معاهدها ومغانيها ، بمنِّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٥٠١ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم*

الشيخ المسند المعمّر أبو عبد الله ابن المحدِّث نجم الدِّين .

كان خاتمة أصحاب ابن عبد الدائم وابن أبي اليُسر وابن عبد وغيرهم . وكان قد بقي مسنِد الوقف .

توفِّي رحمه الله تعالى في سنة ست وخمسين وسبع[١] مئة عن تسعين سنة .

١٥٠٢ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن عبد المؤمن**

ابن عيسى بن أبي بكر بن أيوب الشيخ المسند المعمر الصُّوفي ، المعروف بابن مُلوك .

حدَّث عن العزِّ الحرّاني وابن الأنماطي ، وابن خطيب المزّة ، وطائفة ، وتفرَّد .

وتوفِّي بالقاهرة[٢] في سنة ستّ وخمسين [وسبع مئة][٣] وقد تجاوز الثمانين .

١٥٠٣ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن عمر***

ابن المسلم بن حسن بن نصر بن أبي الدم ، القاضي الرئيس المعمِّر المسند عز الدِّين

---

* وفيات ابن رافع : ٣٣٣/١ ، والدُّرر : ٣٨٤/٣ ، والشَّذرات : ١٨١/٦ .

(١) في ثالث شهر رمضان . وولادته في رجب سنة (٦٦٧) ، أو (٦٦٩) .

** وفيات ابن رافع : ٣٣١/١ ، وفيه : « ناصر الدِّين مُحَمَّد بن إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب » ، وفي الدُّرر : ٣٨٧/٣ ، وذيول العبر : ٣٠٨ : « محمّد بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عيسى ... » .

(٢) في سابع عشر جمادى الأولى .

(٣) زيادة من (خ) .

*** البداية والنهاية : ٢٥٥/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٣٦/١ ، وذيول العبر : ٣١٢ .

ابن القاضي الرئيس ضياء الدِّين ابن القاضي عز الدِّين أبي حفص الدِّمشقي ، المعروف بابن الْحَمويّ .

حفظ في صغره (التنبيه) و (الفضول) لابن معط[١] . وسَمع الحديث الكثير من الشيوخ[٢] . وأجاز له جماعة من شيوخ مكة والمدينةَ ومصر وحلب وبعلبك وغيرها . وروى عن والده ، وتفرَّد في آخر عمره برواية (السنن الكبير)[٣] للبيهقي . ومن مرويّاته (الموطّأ) ، و (مسند) الإمام أحمد بن حنبل ، و (صحيح) البخاري ، و (صحيح) مسلم ، و (سنن أبي داود) ، و (جامع) الترمذي ، و (سُنن) النَّسائي وابن ماجه ، و (مسند عبدٍ) ، و (مسند الدَّارمي) ، و (مسند ابن الزبير) ، و (مسند الطَّيالسي) ، وكتاب (المغازي) للزهري[٤] ، و (عمل يوم وليلة) لأبي بكر أحمد بن السُّنيّ[٥] ، و (مكارم الأخلاق) للخرائطي[٦] ، و (خطب ابن نباتة) ، و (فوائد) الرّازي[٧] ، و (شرح السُّنّة) للبغوي ، و (مَعالم التَّنزيل) له ، و (الْحُجَّة على تارك الْمَحَجَّة) لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي[٨] ، و (الجعديّات)[٩] و (الغيلانيات) [والخلعيات][١٠] ، و (مشيخة) ابن البخاري مع ما ذيَّله الحافظ المزّي عليها .

---

(١) وتعرف بالفصول الخمسين في النحو ، ليحيى بن عبد المعطي النحوي (ت ٦٢٨) . انظر كشف الظنون : ١٢٦٩/٢ .

(٢) في (خ) « « من علية الشيوخ » .

(٣) في (خ) : « كتاب السُّنن » .

(٤) مُحَمَّد بن مسلم (ت ١٢٤) ، كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ ، وانظر السيرة : ٣٢٦/٥ .

(٥) (ت ٣٦٤) ، كشف الظنون : ١٧٣/٢ . والكتاب مطبوع .

(٦) أبو بكر محمّد بن جعفر السامري (ت ٣١٧) ، كشف الظنون : ١٨١١/٢ . والكتاب مطبوع .

(٧) تمّام بن محمّد بن عبد الله بن جعفر البجلي (ت ٤١٤) ، كشف الظنون : ١٢٩٦/٢ .

(٨) (ت ٤٩٠) ، السير : ١٣٦/١٩ .

(٩) لأبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ، وهي اثنا عشر جزءاً ، كشف الظنون : ٥٨٦/١ .

(١٠) زيادة من (خ) .

وحدَّث ، وروى كثيراً .

وترك ما بيده من الأوقاف ، وأقبل على الرواية ، وألحقَ الصغار بالكبار .

ولم يَزَل على حالِه ومُلازمةِ الجامع الأموي إلى أن توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

ومَولده في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وستّ مئة .

١٥٠٤ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل ...*

الأمير ناصر الدِّين أخو الأمير صارم الدِّين حاجب صفد . تقدَّم ذكر أخيه مكانَه .

كان أحد أمراء العَشرات بدمشق ، وكان الأمير سيف الدِّين تنكز رحمه الله يثِق بعقله ودِينه ومعرفته ، فولاّه نظرَ الأوقاف بدمشق في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، عوضاً عن بدر الدِّين بن معيد[1] ، وولاّه نظر الْحَرَمَيْن بالقدس ، فتوجَّه إليها ، وعُزل ، وعاد إليه . وكانت الولاية الأولى في المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ولم يزل إلى أن توفِّي رحمه الله تعالى في شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

١٥٠٥ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن ناجح**

الشيخ الفقيه الإمام الزاهد الخطيب ناصر الدِّين أبو عبد الله الحموي ، المعروف بابن القوّاس وابن النقيري .

---

* كذا بياض في الأصل ، وترجمته في الدُّرر : ٣٩٣/٣ ، وعبارته : « مُحَمَّد بن إسماعيل الصفدي » .

(١) محمّد بن محمود ، ستأتي ترجمته .

** الدُّرر : ٣٨٥/٣ ، وفيه : « ابن ناصح » .

نشأ في خيرٍ واشتغال وتصوُّف بدمشق ، ثم إنَّه انتقل إلى حلب ، وتزوَّج بها ، ووَلِيَ خطابة جامع ألطنبغا نائب حلب ، والنظر عليه وعلى أوقافه ، وتقدَّم عنده وأحبَّه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عُشْري ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسَبع مئة .

١٥٠٦ ـ مُحَمَّد بن أسندمر*

الأمير ناصر الدِّين بن الأمير سَيفُ الدِّين الجوكندار[١] .

كان والده من أمراءِ الطبلخاناه ، ثم إنَّه نُقل من مصر إلى صفد ، ومن صفد إلى دمشق ، ومات بها . ووَلَدَهُ[٢] هذا ناصر الدِّين كان أمير عشرة بدمشق .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

١٥٠٧ ـ مُحَمَّد بن آقوش**

الأمير ناصر الدِّين ابن الأمير جمال الدِّين المطروحي .

كان رجلاً جيِّداً ، وعنده دِراية .

قال شيخنا علم الدِّين : وسمع من شيخنا ابن النجّار[٣] ، وحدَّث .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسَبع مئة .

---

* الدُّرر : ٣٩٣/٣ .

(١) في الأصل : « الحموي » ، وأثبتنا ما في (خ) والدُّرر .

(٢) في الأصل و (خ) : « وولد » ، وأثبتنا ما يقتضيه السياق .

** الدُّرر : ٣٩٣/٣ .

(٣) محمد بن محمود بن حسن (ت ٦٤٣) ، السير : ١٣١/٢٣ .

١٥٠٨ ـ مُحَمَّد بن الآقوش*

الأمير ناصر الدِّين ، أحدُ أخوتِهِ ، وهم الأمير سيف الدِّين كجكن ، والأمير زين الدِّين أمير حاج ، وغرس الدِّين خليل ، أولاد الآقوش .

كان أبوهم أميراً بطرابلس ، ولهم وُصْلَةٌ بالأمير سيف الدِّين قرطاي نائب طرابلس ، كان وكانوا آخر الحال مقيمين في حلَب ، ولَمّا حضر يلبغا لنيابة دمشق حضر معه ناصر الدِّين مُحَمَّد هذا ، وحَصَّل له إمرة عشرة ، ثم انتقل إلى إمرة الطبلخاناه . ثم إنَّه تولَّى نيابة بعلبك فتوجه إليها ، وأقام بها قليلاً ، ثم إنَّه عاد إليها نائباً مرَّة ثانية ، ثم أُعطي نيابة حمص ، فتوجَّه إليها وأقام بها ، فلما أُمسك الأمير صرغتمش رسم السُّلطان للملك الناصر حسن بمصادرته ، ومصادرة إخوته وعزلهم من وظائفهم ، فأخذ منهم تقدير ثلاث مئة [ألف][1] درهم ، وأقاموا بدمشق بطّالين .

ثم رسم بتوجّهه إلى حلب وتوجه أخيه سَيف الدِّين كجكن إلى طرابلس ، وبتوجّه أخيه زين الدِّين أمير حاج إلى صفد ، وأقاموا كذلك إلى أن خُلِعَ الناصر حسن ، فرُسم بإحضارهم إلى دمشق . ولَمّا حضر السُّلطان الملك المنصور إلى دمشق في واقعة بيدَمُر أعطى الأمير ناصر الدِّين إمرة طبلخاناه .

وحَصَل له مرض توفِّي منه في بكرة الاثنين عُشريّ شَوّال سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

١٥٠٩ ـ مُحَمَّد بن أيبك**

الأمير صلاح الدِّين المعروف بابن أيبك الطويل .

تَنَقَّل في المباشرات في أيام الأمير سيف الدِّين تنكز ، فباشر شَدَّ السَّاحل وولاية

---

* الدُّرر : ٣٩٣/٣ .

(١) زيادة من (خ) .

** الوافي : ٢٣٣/٢ ، والدُّرر : ٣٩٣/٣ .

الولاة بالصفقة القبليّة ، ثم تَنَقَّل في نيابة الرحبَة وجعبَر مرّات ، وكاد في واقعة الأمير سيف الدِّين تنكز ينعطب ، لأنَّه كان في جعبر نائباً ، وكان قد أودع عنده زردخاناه[١] ، وطلب إلى مصر عقيبَ الواقعة ، فأصلح أمره ، ونجّاه الله تعالى ، وعاد .

ولَمّا كان في آخر الأمر جُهِّز إلى صفد صحبة الأمراء الذين جُهِّزوا إلى مَحَلِّ إقطاعاتهم ، فأقام بها قريباً من نصف سنة .

وتوفِّي في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون صفد .

وهو أخو الأمير علاء الدِّين علي بن أيبك الطويل .

١٥١٠ ـ مُحَمَّد بن أيوب بن علي*

ابن حازم الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن الطَّحان ، نقيب السّبع والشّاميَّة بدمشق .

تَفَقَّه وقرأ بروايات ، وأذَّن مُدَّة بتربة أم الصّالح .

وكان فاضلاً مناظراً حَسَن الخلق ، وفيه وسوسة في أمر المياه .

سَمع مع زوج خالته النَّجم بن الشَّاطبيّ[٢] ، ومن عثمان خطيب القرّافة[٣] جزءاً ، ومن الزَّين خالد والكَرْماني ويوسف بن يعقوب الإربيلي ، وعجز وانقطع بالشّاميّة ، وسمع منه جماعة الطلبة .

قال شيخنا الذهبي : ورويت عنه (المعجم) .

---

(١) في الأصل : « زردخاه » ، وأثبتنا مافي (خ) والوافي .

* الوافي : ٢٣٩/٢ ، والدُّرر : ٢٩٤/٣ ، والشَّذرات : ١١٦/٦ .

(٢) يوسف بن أحمد ، ستأتي ترجمته .

(٣) عثمان بن علي بن عبد الواحد (ت ٦٥٦) ، السير : ٢٤٧/٢٣ ، وسلفت الإشارة إليه .

قلتُ أنا : وسمعت عليه بقراءة ابن طغريل الجزء الثاني من الأول من (فرائـد)[١] القاضي أبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق[٢] الحافظ بالمدرسة الرّواحيّة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة في شهر ربيع الأول .

١٥١١ ـ مُحَمَّد بن أيوب*

الفقيه العالم شمس الدِّين أبو عبد الله الأشقر الزرعي .

سمع الكثير ، ودار على الأشياخ في أيام ابن البخاري ، ونظم الشعر وحدّث .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده قبل الستين وست مئة .

١٥١٢ ـ مُحَمَّد بن أيوب بن عبد القاهر**

الإمام بدر الدِّين التّاذفي شيخ القُرّاء بحماة ، الحنفي الحلبي .

تلا على الفاسي ، وسمع من ابن عَلاّق ، وابن العديم ، وجماعة . وقرأ بنفسه ، وتميَّز وصَنَّف .

قال شيخنا الذهبي : أخذت عنه مباحث ، وسمعنا منه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بحماة في شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة[٣] .

---

(١) في الوافي : « فوائد » ، ولعلَّ كتابه هذا هو ما اشتهر به معجم الصحابة .

(٢) (ت ٣٥١) ، السير : ٥٢٦/١٥ .

* الوافي : ٢٣٩/٢ ، والدُّرر : ٣٩٤/٣ .

** الوافي : ٢٣٩/٢ ، والدُّرر : ٣٩٤/٣ ، وغاية النهاية : ١٠٢/٢ .

(٣) وفي غاية النهاية أنَّه توفِّي (سنة ٦٩٥ هـ) .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن ابن علاّق (جُزء) القُدُوري[١] ، وأقرأ الناس زَماناً بدمشق ، وكان معيداً في المدارس الحنفيّة ، وكان عارفاً بالعربية والقراءات و (شرح قصيدة الصَّرصَري) الطويلة في مجلدين ، ونسخ كثيراً . وكان يكتب المصاحف على الرسم ، وأقام إمامَ الرَّبوة مُدَّةً بَعدَ الثمانين ، وكان يقرئ نائب السَّلطنة عز الدِّين الحمويّ ، ثم إنَّه سكن حماة .

١٥١٣ ـ مُحَمَّد بن بادي بن أبي بكر*

ابن عثمان بن بادي ، شمس الدِّين الطيبي[٢] نسبة إلى الطِّيب ، لأنَّه كان يصنع فتائل العنبر ، وكان يُهدي إليَّ منها كلَّ قليل .

وكان يتطور أطواراً ، مرّة[٣] يكون مُعَلِّم كُتّاب بدمشق ، وتارة يسافر إلى طرابلس ويقيم بها ، ثم ينتقل إلى حلب وغيرها .

وفي آخر أمْرِه ، أقام في بيروت واتَّخَذَها سَكَناً ، ثم إنَّه كان يقرأ فيها الحديث بالجامع ، ويحضر إلى دمشق في كلِّ سنة ، لِمَا كان يباشره في فرع الحرير ، ويعود إلى بيروت .

وكان يحلُّ التقويم ، وعلى ذهنه أشعارٌ وحكايات ، وما تُمَلّ محاضرته .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغتني وفاته في ثغر بيروت في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي (ت ٤٢٨ هـ) ، السير : ٥٧٤/١٧ .

* الدُّرر : ٣٩٥/٣ .

(٢) (خ) : « المعروف بالطيبي » .

(٣) (خ) : « تارة » .

وسألته عن مولده فذكر لي : أنَّه في سنة ثمان وثمانين وست مئة في شهر رمضان بالقاهرة .

وأنشدني من لفظه لنفسه في العيون الزجاج التي يعانيها من ضعف بصره لرؤية الخط الدقيق ، ويضعها على أنفه :

لَهْفي على دولَةِ التَّصابي ... وحُقَّ لي أن يَزيدَ لَهفي
كانَت عُيوني من فوقِ خَدِّي ... فاليومَ أمْسَتْ مِن فوقِ أنفي[1]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

قالوا : أتبكي والديار قريبة ... والكأس تُجلى والشباب تجمعا ؟
فأجبتهم نيرانُ قلبي صَعَّدت ... كاسي فيقطر من دموعي أدْمُعَا

١٥١٤ ـ محمّد بن بُتْخَاص*

الأمير ناصر الدين بن الأمير الكبير سيف الدين بتخاص المنصُوري العادلي .

كان قدم إلى الشام في خدمة الأمير سيف الدين سلاّر ، ثم رجع مَعهُ وشوَّش ووصَل إلى القاهرة مريضاً ، وأقام عشرة أيام وتوفي إلى رحمة الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومَولده في عاشوراء سنة سبع وسبعين وست مئة .

وكان شاباً حسناً فصيح العبارة ، كثير الحياء ، حسن الهيئة محبّاً للعُلوم ، واشتغل وحصّل وسمع الحديث .

---

(١) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (خ) .
* لم نقف على ترجمته .

١٥١٥ ـ محمد بن بركات*

ابن أبي الفضل بن أبي عليّ الشيخ تقي الدين أبو عبد الله ابن الشيخ الصّالح البعلبكّي .

سمع من الفقيه محمّد اليونيني ، وحدَّث عنه . وسمع بدمشق من ابن [أبي][1] اليُسْر ، والنجم بن النّشّابي ، وشيخ الشيوخ ، وهو سبط الشيخ إبراهيم بن محمود البطائحي البعلبكي ، وكان شيخ الخانقاه الشبليّة بظاهر دمشق .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (جزء ابن عرفة) و (جزء ابن جَوْصا)[2] .

وتوفي رحمه الله تعالى بحصن الأكراد في ثالث عشري شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولدُه سنة خمس وأربعين ببعلبك .

وقد تقدم ذِكْرُ أخيه إبراهيم وذِكْر أخيه الشيخ محيي الدين عبد القادر أيضاً .

١٥١٦ ـ محمد بن بكتاش**

الأمير ناصر الدين متولّي دمشق .

كنتُ أعرفه أولاً مُشِدَّ غزّة والسّاحل في أواخر أيام الأمير سيف الدين تنكز ، وسُرِقت له عُمْلةٌ من بيته بدمشق ، ولم يقع لها على خبر إلى آخر وقت ، وقيل : إنها كانت بخمسين ألف درهم .

---

* الدرر : ٣٩٨/٣ ، وفيه : « محمد بن أبي البركات » .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في الدرر .

(٢) في الأصل : « حوصا » ، تصحيف ، وهو أحمد بن عمير بن يوسف بن موسى بن جَوْصا الكلابي الدمشقي (ت٣٢٠) ، السير : ١٥/١٥ ، وكشف الظنون : ٥٨٤/١ .

** الوافي : ٢٥٥/٢ ، والدرر : ٣٩٥/٣ ، وأشار إليه في البداية والنهاية : ١٦٤/١٤ .

ثم إنه بعد ذلك تولّى مدينة دمشق ، فعمل الولاية على أتمّ ما يكون من الصّلف الزائد والعفّة والأمانة ، ثم إنّه وقع في أيامه حريقٌ دمشق الذي أمسك بسببه النصارى وجرى لهم ما جرى[١] ، وورَد كتاب الملك الناصر محمّد إلى تنكز يقول فيه : هذا فِعْلُ أهل دمشق كراهةً في ابن بكتاش : فلما أُمسك تنكز رسم بعزله ، فبقي بطالاً مدة .

واحتيج إليه لأجل دُرْبته وَمَهابته في الولاية ، فأعيد إليها بلا إقطاع ، ثم عزل عنها وبقي مُدّةً بطالاً . ثم إنّه جُهِّز إلى حماة مشدّ الدواوين بها ، فأقام هناك سنة ونصفاً تقريباً ، ثم إنّه طُلب هو وناظرها القاضي شرف الدين حسين بن ريّان إلى مصر ، فتوجّها ، وعاد القاضي شرف الدين وهو على حاله إلى حماة ، وحضر الأمير ناصر الدين بن بكتاش نائب المرقب وأُعطي طبلخاناه وخَرَجت عنه[٢] ، وبقي في طرابلس أميراً ، فلمّا كان طاعون طرابلس توفي ابنه الأصغر وجماعة مِنْ أهل بيته ، فنزح عن طرابلس ، فماتت ابنته في الطريق ، فجاء إلى بعلبك ليدفنها ، ونزل على رأس العين ، فحضر إليه نائب بعلبك بطعام ، وأقسم عليه أن يأكل ، فأكل بعض شيء .

وتوفي إلى رحمة الله تعالى عقيب ذلك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ودفن رحمه الله تعالى إلى جانب ابنته .

وكان قد وليَ شدّ خاص داريًّا ودومة في أيام تنكز ، وكان يهزّ رأسه دائماً ، وكان مع هذه المعرفة والمهابة والدُّربة إذا أنشد الشعر لا يقيم وَزْنَه ، قال لي صلاح الدين محمّد الكبتي الدمشقي[٣] وكان صاحبه كثيراً : كان ينشد :

قد أقبل المنثور يا سيدي وأمير الناس كلهم ومخّ مَنْ يشناك مثل اسمهْ

---

(١) انظر : البداية والنهاية أحداث سنة (٧٤٠هـ) ، ١٨٦/١٤ .

(٢) (خ) : « وخرجت عنه الطبلخاناه » وكذا في الوافي .

(٣) هو ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة (٧٦٤هـ) .

١٥١٧ ـ محمّد بن بكتاش*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير بدر الدين أمير سلاح .

توفي في ثامن عشري جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ودفن بتربة والده برّا بابُ النصر بالقاهرة .

١٥١٨ ـ محمّد بن بكتمر**

الأمير ناصر الدين بن الأمير الكبير سيفُ الدين الجوكندار ، كافل المملكة بالديار المصرية .

كان من رشاقته كأنه غُصْنٌ بانْ ، ومن هيفه يكاد يعقده النسيم الوان[1] .

ولم يكن في مصر والشام من يلعبُ بالكرة مثله ، وكلّ طبجي في الإقليمين يعرف في ذلك فضله . ويقول ما عندي منه إلا فُضلَة ، كأنه على ظهر جواده عقربٌ أو برق يتسرع والكرة أمامه كوكب . رأيته بصفد وهو يلعب مرّات ، وللكرات قدامه غدوات وكرَّات .

وكان قد رُبي هو والسلطان الملك الناصر محمّد ، وما يدعوه إلا بأخي ، ولا يُرى إلاّ وهو ينتخبُ له كل وقتٍ وينتَخي .

ولّما كان في الكرك كانت كتبه لا تنقطع عنه البتة ، إمّا أن تجيء إلى ميعاد وإمّا أن تجيء بغته . ولّما توجهوا إلى مصر بقيت له المكانة العُليا ، وضاقت بسعادته الدنيا ، إلا أن المدة مَا طالت ، ومَا زارت حتى زالت ، وكان كأنه كوكبُ السَّحَر في قصر عمره ، أو الزهر الذي أينع فاجتُني لطيب نشره .

---

* الدرر : ٣٩٥/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٢/٩ .

** الدرر : ٣٩٥/٣ .

(١) يريد : الوافي .

وتوفي رحمه الله تعالى في جُمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ، وتجرّع أبوه غصّته . ومَا أمكنه أن يشرحَ قصّته .

كان الأمير علاء الدين بن الجوكندار[١] طبجي الشام يجيء إلى صفد كل قليل ويلعبُ هو وناصر الدين فيرى الناس منهما أمراً عجيباً .

١٥١٩ ـ محمد بن بكتوت*

ناصر الدين بن بدر الدين ، الكاتب المجوّد ، المعروف بالقَرَنْدَلي[٢] ، لأنه لبس زيّهم في حلب .

كان قادراً على الكتابة . وله فيها رأيٌ ، لا تفارقه الإصابة . كتب الأقلام السبعة ، وكاد فيها يسمو على الثريا رفعة . يدّعي أنه كتب على ابن الوحيد[٣] ، وما قوله في ذلك بسديد ، وإنما كتب في بعلبك على خطيبها[٤] ، وفاز من طريقة ابن الوحيد بلذّاتها وطيبها ، ونسخ من المصاحف الكريمة والمجلدّات كثيرا . وعلى الجملة فكان على الكتابة قديرا .

ولم يزل يكتب إلى أن مُحيَ اسمُه من الْمَحيا ، ونزل إلى قرار اللّحد بعد العَليا .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، في يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الأول .

حُكي له أنّه لبس زيّ القرندليّة بحلب ودخل بينهم وهو ينسخُ فقالوا : ماهذا ؟

---

(١) هو قطليجا بن بلبان الجوكندار ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٢٥٦/٢ ، والدرر : ٣٩٦/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٧/٩ .

(٢) في النجوم : « القلندري » ، والقلندرية : طائفة من المتصوفة تعرف بالملامتية أيضاً .

(٣) هو محمد بن شريف بن يوسف الزرعي المعروف بابن وحيد ، توفي (٧١١هـ) . النجوم الزاهرة : ٢٢٠/٩ .

(٤) بهاء الدين محمود بن محمّد بن عبد الرحيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

مَا هو طريقنا[١] . قال : فقلت لهم : أنتم تَعْملون هذه القلائد الصّوف ، فقال له من بينهم واحد : أريد أن أنزل أنا وأنت في هذه البركة بالبلاس ، فقال : فنزلت معه في يوم بارد في مثل حلب ، فبقينا نغطس إلى أن عجز هو وطلع ، فلما أعياهم قالوا له : فينا واحد يكاثرك في أكل الحشيش ، فقلتُ : أحضروه قال : فأحضروه وجعلوا يلقموننا وأنا وهُو نأكل إلى أن نزل الدم من منخريه ، وأظنه قال : مَات ، فعند ذلك أخرجوه من بينهم .

وكان الذي أغواه في الكتابة القاضي جمال الدين بن ريّان[٢] ـ رحمه الله تعالى ـ فإنه رأى خطّ يده القابلة فلازمه ، وجعل ينسخ له المجلدات ، فنسخ له (الكشّاف) وغيره ، ورتب له الدراهم والطعام ، وألزمه بالكتابة فأجاد ، وكتّب أولاده وغيرهم في حلب .

وحكى لي جماعة عنه أنه كان يضع المحبَرة في يده الشمال والمجلد من الكشاف على زَنْده ويكتب منه وهو يغنيّ مَا شاء الله ولا يغلط[٣] ، وكان قليل اللحن فيما يكتبه ، وأمّا أنا فرأيته غير مرة يكتب ويُغَنّي ولا يغلط .

وكان قد أقام أولاً بحماة عند الملك المؤيد صاحبها ينسخ له ، فأحبّ امرأة تعرفُ ببنت النصَرانيّة ، فكان كل مايحصّله ينفقه عليها ، ويشتغل بها عن الكتابة ، فشقّ أمره على الملك المؤيد ، فنفاها إلى شيزر ، فحكى لي أنه كان يكتبُ في حماةَ إلى المغرب ، ويجري من حماة إلى شيزَر ، ويبيت[٤] عندها ، ويقوم من آذان الفجر ويجري إلى حماة ويكتب ، وأقام على ذلك سنة وكانت قد تَعَنَّتت عليه يوماً وقالت له : إن كنت تحبّني فاكوِ لي[٥] في رأسك صَليباً . ورأيتُ أنا كيَّ الصَليب في يافوخه ، وكتبت

(١) عبارة الوافي : « ما هو طريقنا أن تتكسّب » .
(٢) سليمان بن أبي الحسن بن ريّان ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٣) ذكره في النجوم الزاهرة .
(٤) في الأصل : « ويكتب » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .
(٥) ليست في الوافي .

أنا عليه أربعة عشر سطراً قلم الرقاع[١] ، ثم إنه امتنع من توقيفي ، ولم أكتب بعده على غيره .

وكان كاتباً مطيقاً كتبَ من الربعات والختم بقلم الفضاح[٢] والمحقّق الكبير في قطع البغدادي كاملاً ومن الهياكل المدورة والمجلّدات شيئاً كثيراً .

١٥٢٠ ـ محمد بن أبي بكر بن محمد*

الشيخ الإمام ، العالم شمسُ الدين الأيكي ، بهمزة بعدها ياء آخر الحرُوف ساكنة وبعدها كاف ، كان قاضي القضاة جلال الدين القزويني يقول : هو بكسر الهمزة .

وكان فاضلاً في المقولات ، كاملاً في المنقولات ، وكان يكشف أسرار (الكشاف) وهو لما فيه من أمراض الاعتزال كالشّاف ، يدري دقائقه ، ويري حقايقه ، ويقرئه الطلبة ويقريه ، ويفرّق بذهنه مافيه من الغموض في الغمُوض ويفريه .

وكان في علم التصوف إماما ، وفي فن التعريف لمن تقدم ختاما ، لو عاصر المعرّي لأملى في وصف الأيكي أيكهُ وغصونه ، أو سنان الراشدي[٣] لأنزلَهُ معاقله وحصونه .

ولم يزل على حاله في الإفاده ، والتفرّد في فُنونه بالإجاده ، إلى أن خرست تلك الفصاحه ، وكَرَّر الحمام في الأيك عليه النّياحه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الجمعة قبل العصر ثالث شهر رمضان سنة سبع وتسعين وستّ مئة ، بالمزة في دمشق .

---

(١) في الأصل : « أربعة مثالاً من الرقاع » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في مطبوعة الوافي : « الفصاح » ، وأشار المحقق إلى أنها في الأصل بالضاد .

* البداية والنهاية : ٣٥٣/١٣ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ ، والدارس : ٣٢٠/١ .

(٣) سنان بن سلمان بن محمد ، قال في الوافي ، ٤٦٣/١٥ : « كبير الإسماعيلية وصاحب الدعوة النزاريّة ، كان عارفاً بالفلسفة وشيء من الكلام والشعر والأخبار » (ت٥٨٨) .

وله شرح على أول (مختصر) ابن الحاجب ، تكلّم على منطقه . ودرَّس بالغزاليّة ، وولي مشيخة الشميساطية ، وولي مشيخة الصّلاحيّة بالقاهرة ، وتكلم فيه الصوفية ، وحضر قاضي القضاة تقي الدين وقال : ياشيخ شهد عليك جماعة من الصّوفية بكذا وكذا ، فقال : أنت تنكّل بي في هذا الجمع نكّل الله بك . فقال قيّموه ، فأقيم وهو يقرأ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولون ﴾[1] ولما قال : ﴿ فسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[2] مَا قال : ادفع بحيلك وقُوّتك ، وتوجه إلى الشام وأقرأ الجماعة (الكشاف) .

وقيل إنه وُصِفَ للشيخ بدر الدين بن مالك ومعرفته (الكشاف) ، فحضر ليلةً درسه وسَمِعَه وهو يتكلم ، فلمّا فرغ قال له : يَا شيخ بدر الدين مَا سَمعتك تتكلم . قال : كيف أتكلّم ومن وقت تكلّمت إلى أن سكت ، عَدَدت عليك ثلاثين لحنَة .

وفيه يقول شيخنا العلّامة شهاب الدين مَحمود :

بنتِ فبات الطَّيْفُ لي مُؤنِساً ... يُبيحُني جَنّةَ خَدَّيكِ
وطالَما أَمّلتُها يقظةً ... فَصَدَّ عَنْها سَيْفُ جَفْنيكِ
ولم أَخَلْ أنّ حَمام اللوى ... في الأيكِ يُغني عن رَقيبَيكِ
نفّر نوماً كان مِثْلَ الصِّبَا ... يعطف لي إن مِلْتِ عطفيكِ
فلا رعى الله حَمامَ اللوى ... ولَعْنَةُ الله على الأَيْكِ

وكان سببُ نظمها أن الأيكي تكلّم في حقّ الإمام أحمد رضي الله عنه ، وثار الحنابلة عليه ، ولمّا بلغه قال : والله لقد تلطّف في الهجو ، وكان شيخُنا أبو الثناء بعد موته لا ينشدها إلا ويقول : ورحمة الله على الأيك .

وبعض الناس قال فيه : اسمُه أحمد بن أبي بكر .

---

(١) الحجر : ٩٧/١٥ .
(٢) الحجر : ٩٨/١٥ .

قلت : واشتهرت هذه الأبيات كثيراً ، وسلك هذه الطريقة جماعة ممّن عاصره . فقال النصير الحمّامي :

مذ أحضرَتْني زوجتي حاكما ... أنكرتُ ما قد كانَ من حقّي
فأخرَجت رقّ صداق لها ... ردّ كلام الكلّ في حَلْقي
وكان ذاك الرقّ أصل البلا ... فلعنةُ الله على الرِقّ

وقال النّور الإسعردي :

وربّ خلّ قلت إذ قدّم لي ... خلاً وقُبّاراً عَلى سِمَاط
لا آكل القُبّار من بُغضي له ... ولعنة الله على الخِلاط

١٥٢١ ـ محمد بن أبي بكر*

ابن عبد الرحمن بن عبد الله ، الشيخ الصالح أبو عبد الله الكنجي .

جَاور بالجامع الأموي مُدّة طويلة أكثر من ستين سنة ، وسمع كثيراً بعد الخمسين وستّ مئة على الزين خالد ، والخطيب عماد الدين بن الحرستاني وغيرهم .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ربيع الآخر سنة سبع مئة ، وحضر جنازته القضاة والعلماء والصلحاء ، وكان قد بلغ التسعين سنة .

وسيأتي ذكره ولده محمد بن محمّد بن أبي بكر .

١٥٢٢ ـ محمد بن أبي بكر بن خليل**

ابن إبراهيم بن يحيى بن فارس ، الإمام رضيّ الدين المعروف بابن خليل المكي الشافعي[1] .

---

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٢٦٤/٢ ، والشذرات : ٤٣٧/٥ .

(١) شيخ الحرم ، كما في الوافي .

كان فقيهاً عالماً ، مُفَنّناً ، ذا فضائل ومعارف وعبادة وصلاح وحُسن أخلاق ، سمع منه شيخنا البرزالي وابن العطّار ، وأجاز لشيخنا الذهبي مروياته .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة بمكة .

وولد في أيام التشريق بمنى سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكان يعرف (التنبيه) جيّداً ، وحفظ (المفصّل) في النحو للزمخشري .

١٥٢٣ ـ محمد بن أبي بكر بن عبد السلام*

ابن إبراهيم الصّالحي المقرئ الحفّار ، يعرف بابن الطُبيل .

كان شيخاً معمّراً ذا جلادةٍ وهمّة [وملازمة][1] للجماعة .

سمَع (الصحيح) من ابن الزبيدي . وحدث عنه ابن الخباز في (مُعْجَمه) في حياة ابن عبد الدائم ، وسمع منه ابن البرزالي ، وأخذ شيخنا الذهبي عنه ثلاثيات البخاري ، وغير ذلك .

وتوفي في سنة إحدى وسبع مئة[2] ـ رحمه الله تعالى ـ .

١٥٢٤ ـ محمد بن أبي بكر بن إبراهيم**

ابن هبة الله بن طارق الأسديّ الحلبي الصفّار ، الشيخ الصالح المعّمر المُسْنِد أمين الدين ، نزيل دمشق ، المعروف بابن النحاس .

---

* الوافي : ٢٦٥/٢ ، والدرر : ٤٠٤/٣ .

(١) زيادة من الوافي والدرر .

(٢) من شهر ربيع الأوّل ، كما في الدرر .

** الوافي : ٢٦٥/٢ ، و ٣٩٩/٣ ، والشذرات : ٥٣/٦ .

سمع لمّا حجّ مع إخوته من صفيّة القرشيّة ، ومن شُعيب الزعفراني بمكة ، ومن يوسف السّاوي[١] وابن الْجُمَّزي بمصر ، ومن ابن خليل بحلب ، وأجاز له أبو إسحاق الكاشغري وطائفة . وأضَرّ ، وتفرّد ، وعجز وانحطَم ، وأبطل الحانوت .

وكان ساكناً خيّراً عاميّاً ، وله دُنْيَا ، وفيه برّ ، ومَا تزوج قطّ ولا احتلَم ، ثم إنه قُدح بعدمَا أضَرّ فأبصر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وستّ مئة .

١٥٢٥ ـ محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم*

شيخ الإماميّة وعالمُهم شمسُ الدين الهمداني الدمشقي السكاكيني الشيعي .

قال شيخنا الذهبي ، رحمه الله تعالى : حفظ القرآن بالسبع ، وتفقّه وتأدّب ، وسمع في حداثته مَن الرشيد بن مَسْلمة ، والرشيد العراقي ، ومكي بن علاّن وجماعة ، وخرّج له ابن الفخرِ عنهم .

وربي يتيماً فأقعد في صناعة السكاكين عند شيخين رافضيّين ، فأفسداه ، وأخذ عن أبي صالح الحلبي[٢] ، وصَاحَب الشريف محيي الدين بن عدنان[٣] .

وله نظم وفضائل ، وردٌّ على التلمساني[٤] في الاتحاد . وأمَّ بقرية جسرين مدَّة ، ثم

---

(١) في الأصل : « الشاوي » ، تصحيف .

* الوافي : ٢٦٥/٢ ، والبداية والنهاية : ١٠٠/١٤ ، والدرر : ٤١٠/٣ ، والشذرات : ٥٥/٦ ، والبدر الطالع : ١٥١/٢ .

(٢) في البداية والنهاية : « الحلّي » .

(٣) محمد بن عدنان بن الحسن الحسيني (ت ٧٢٢هـ) ، والدرر : ٤٧/٤ .

(٤) العفيف التلمساني ، كما في الدرر ، وسلفت الإشارة إليه .

أخرج منها . وأمَّ بالسَّامريّة ، ثم إنه أخذه منصور بن جَمّاز الْحُسَيني[١] معه إلى المدينة ، لأنه صاحِبُها ، واحترمَه . وأقام بالحجاز سبعة أعوام ، ثم رجع .

وهو شيعيّ عاقل ، لم يُحْفظ عنه سبّ ، بل نظم في فضائل الصحابة .

وكان حلو المجالسة ، ذكياً عالماً فيه اعتزال ، ويَنْطوي[٢] على دين وإسلام ، وتعبّد ، على بدعته ، وترفّض به ناس من أهل القرى .

قال الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، رحمه الله تعالى : هو ممّن يتشيع به السُنّي ، ويتسنَّن به الرافضي . وكان يجتمع به كثيراً وقيل : إنّه رجع آخر عمره عن أشياء .

نسخ (صحيح) البخاري ، وكان ينكر الجبر ويناظر على القدر .

وتوفي في سادس عشري صفر سنة إحدى وعشرين وسبع مئة[٣] .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

قلت : لما كان يوم الاثنين حادي عشري ذي الحجّة سنة خمسين وسبع مئة ، أحضر صلاح الدين محمد بن شاكر الكبتي بدمشق إلى شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى كتاباً في عشرين كُرّاساً قطع البلدي في ورق جيد ، وخطّ مليح سمّاه مصنفه (الطرائف في معرفة الطوائف) افتتحه بالحمد لله وشهادة أن لا إله إلا الله فقط . وقال بعد ذلك : « أمّا بعد فإنني رجل من أهل الذمّة ولي على الإسلام حُرْمَة ، فلا تُعَجّلوا بسفك دمي قبل سماع ما عندي ، ثم أخذ في نقض عُرا الدين عروة بعد عروة ، وأورد أحاديث وتكلم على متونها ، وتكلم في جرح الرجال[٤] وطعن عليهم ،

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها ، وفي البداية والنهاية : « حمّاد » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « ومنطوي » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في البدر الطالع أنه توفي سنة (٨٢١هـ) ، وهو سهو .

(٤) في الأصل : « الدجال » ، وأثبتنا ما في الوافي .

كلام محدّث عارف بما يقول ، وذكر أموراً دلّت على زندقته وتشيّعه ، وختم ذلك بأن قال : ولله القائل

فإن كنت أرضى مِلّةً غير ملتي فما أنا إلا مُسْلِمٌ أتشيع

وشهد صلاح الدين المذكور وآخر من أهل الحديث المعروفين بأنّ هذا خط شمس الدين السكاكيني ، فظهر من ذلك أنه تصنيفُه ، لأنه قال في فهرست الكتاب المذكور : تصنيف عبد المحمود بن داود المصري[١] ، وقال الشيخ عماد الدين بن كثير : الأبيات التي كُتبت للشيخ تقي الدين ، أولها :

أيا معشر الإسلام ذِمّي دينكم .....

وقد ذكرتها أنا في ترجمة الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي كاملة لهذا السكاكيني[٢] . فقطّع شيخنا قاضي القضاة هذا الكتاب الملعون وغَسله وحرقه[٣] ، قال - رحمه الله تعالى : أخذته معي إلى البستان لأنظر فيه ونويت تقطيعه وغَسْلَه ، ثم إنني انتبهت في الليل وقلت لنفسي : لعلك ياعليّ لا تصبح غداً ، فقمتُ في الليل وقطعته وغسلته ، قلت : والله أعلم لحقيقة حال هذا الرجل .

ولكن الذي ظهر لنا أنه كان مُتَزَنْدِقاً ، غير مسلم .

وقالوا : إن قاضي القضاة شمس الدين بن مُسَلّم رجع من جنازته .

ونقلت من خطّ شيخنا علم الدين البرزالي ، قال أنشدني لنفسه :

أجزت لهم ما يسألون بشرطه أثابهمُ ربّي ثواب أولي العلم

---

(١) زاد في الوافي : « ولم يُعرف هذا الرجل » ، ومثله في الدرر .

(٢) كذا عبارة المؤلف ههنا ، وفي الوافي : « وأوّلها ... وهي لهذا السكاكيني » ، وهي أصح مما ههنا ، إذ لم تتقدم نسبتها إلى السكاكيني عند المؤلف ، وعليه فعبارة : « لهذا السكاكيني » هي لابن كثير ، ولم نقف على هذا الكلام في البداية والنهاية .

(٣) في الوافي : « وخرقه » .

ووفقهم أن يعملوا بالذي رَوَوا ... فعال أولي الإخلاص والجِدّ والعزْم
وكاتبها العبد الفقير محمّدٌ ... هو ابن أبي بكر بن قاسمٍ العُجْم
ومولده في عام خمسٍ وبعدها ... ثلاثون والستّ المئون لدى النَّجم[١]

ونقلت منه أيضاً ما[٢] خاطب به صاحب المدينة منصور ورُمَيثة صاحب مكة :

ألا يا ذوي الألباب أصغوا لناطقٍ ... بحقٍّ وباغي الحق مَنْ ذا يُدافِعُه
إذا لم يكن نَسْل النبيّ محمد ... نتابعه في الدين مَنْ ذا نتابعه
فإن كان مسبوقاً وذو البعد سابقاً ... إلى المصطفى والدين مَنْ ذا يُبانعه[٣]
فكم من بعيدٍ للشريف مُعَلَّم ... طرائق آباءٍ له وهو سامِعُه
وهذا بديعٌ في الزمان وأهله ... وما زال هذا الدهر جَمٌّ بدائعه

ونقلت من خط الشيخ شهاب الدين بن غانم[٤] ، قال أنشدني الشيخ شمس الدين السكاكيني لنفسه :

هي النفس بَيْن العقلِ والطبع والهوى ... وما العقلُ إلاّ كالعُقَال يَصُونُها
فداعي الهوى يدعو إلى ما يشينها ... وداعي النُّهى يدعو إلى ما يزينها[٥]
فإن أُطلقت مِنْ غَيْر قيْد توثَّبت ... على حظّها الأدنى وزاد جنونها[٦]
وإن نظرت بالعقل ينبوعَ نُوره ... أضاءت لها الظلمات طابَ معيْنُها
وحنّت إلى الذّكر الحكيم تَدَبُّراً ... رياض معانيه وذاك يعينها

---

(١) في الوافي : « المئين » .
(٢) في الوافي : « ممّا » .
(٣) في الوافي : « سابق » .
(٤) أحمد ، كما في الوافي ، وسلفت ترجمته .
(٥) في الأصل : « وراعي النهى » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٦) في الأصل : « خطّها » ، وأثبتنا ما في الوافي .

وفـزْتُ بـــه منـــه إليـــه محقّقـــاً ... وعـادت إلى الأكوان تزكو فنـونهـا[١]
فـأكرِمْ بهـا نَفْسـاً زكَتْ مُطْمئنـةً ... بمجبـوبهـا قرّت لـديـه عُيـونهـا
فياذا الـذي ضَيَّعت نفسـك في الهوى ... تروم لهـــا عِـزاً وأنت تُهينُهـــا
أَجِبْ إذا دَعـاك الحقُّ طـوعـاً لأَمْرِهِ ... بطيبِ رضـا نَفْسٍ قـويّ يقينهـا
ولا تبخلَنْ بـالنفس إذ هي ملكُـه ... إليـه بهـا فـارجـع فـأنت أمينُهـا[٢]

قال شيخنا علم الدين البرزالي : حدثني قاضي القضاة شمس الدين محمد بن مسلم الحنبلي ، قال : كنت بالجامع بعد الجمعة وقد أُحضرت جنازته ، فقمت وصلّيت عليه ومشيت مع الجنازة إلى قريب المدرسة الركنيّة ، فأُخبرت أنها جنازتُه ، فرجعت من هناك ، ولم أشهد دفنه ، وذلك لأنه كان رافضياً داعية إلى الرفض ، أقام بعدّة قرى فرفّضَ أهلها وأُخرج من الصالحيّة لهذا السبب .

١٥٢٦ ـ محمد بن أبي بكر بن عمر*

ابن محمد ، قاضي الممالك القانيّة ، برهان الدين ، أبو عبد الله السمرقندي النُّوجاباذي[٣] الحنفي البخاري ، قاضي المغل .

كان صدراً معظماً ، وعالماً مُفَخَّماً ، كثير الكيس[٤] واللطافه ، عزيز النفس التي تحف أخلاقه وأعطافه ، حسن المذاكره ، جميل المحاولة والمحاوره ، يلازم الملوك والوزراء ، ووجوه الدول والأمراء .

---

(١) في الوافي : « تحقّقاً » .
(٢) في الوافي : « ولا تبخلن وبالنفس » ، ولا تستقيم .
* الوافي : ٢٦٨/٢ ، والدرر : ٤٠٥/٣ .
(٣) نسبة إلى نُوجاباذ ، من قرى بخارى ، (معجم البلدان) .
(٤) في الأصل : « اللبس » ، تحريف ، عبارة الوافي : « فيه كيس ولطف » .

ولم يزل على حاله في وجاهته وعظم قدره ونباهته إلى أن سُلب روحه ، وعَمَّر بجسده ضريحه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ...[١] ـ سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وستّ مئة .

قدم بغداد مراراً ، وروى بالإجازة عن سيف الدين الباخرزي[٢] ، يقال إنه سمع منه . قال شيخنا الذهبي : ولم يصح .

ولمّا كمل من عمره ثمانين سنة عمل وليمة عظيمة ، واتفق موته بعدها بجمعة ، وكانت وفاته قريباً من تبريز .

وأخذ عنه السراج القزويني ومحمد بن يوسف الزرندي[٣] وأجاز لأولاد شيخنا الذهبي .

١٥٢٧ ـ محمد بن أبي بكر بن عيسى*

ابن بَدْران بن رحمة ، الإمام قاضي القضاة ، علم الدين الأخنائي ، بهمزة وخاء معجمة ونون وألف ممدودة ، السعدي المصري الشافعي ، قاضي قضاة الشام .

حدّث عن أبي بكر الأنماطي ، والأبرقوهي ، وابن دقيق العيد ، وتفقّه ، وشارك ، وكان مِنْ عُدول الخزانة بالديار المصرية . ثم إنه نُدِبَ لقضاء الإسكندرية .

ولمّا توفّي شيخ الشيوخ علاء الدين القونوي بدمشق رسم له السلطان بقضاء

---

(١) بياض في الأصل ، وفي الدرر أنّ وفاته في رمضان .

(٢) سعيد بن المطهّر (ت ٦٥٩) ، الوافي : ٢٦٢/١٥ ، والسير : ٣٦٣/٢٣ .

(٣) (ت ٧٤٧ أو ٧٤٨) ، الدرر : ٢٩٥/٤ .

* الوافي : ٢٦٩/٢ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ ، والدرر : ٤٠٧/٣ ، والشذرات : ١٠٣/٦ .

الشام ، وحضر صحبة الأمير سيف الدين تنكز من القاهرة ، وكانت ولايته في الإصطبل السلطاني يوم السبت بعد العصر رابع المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة ، ووصل إلى دمشق يوم الجمعة رابع عُشري المحرم .

كان عالماً ، ديِّنا ، ساكناً صيّنا ، وافر الجلاله ، سافر [١] البساله ، متوسّطاً في العلم ، متبسّطاً في الحلم ، محمود السيرة ، مجهود السريرة ، سلفي الطريقه ، سلفي الحقيقه[٢] ، يحبّ الروايه ، ويعتني بها أتمَّ عنايه .

ولم يزل على حاله إلى أن أخنى على الأخناي دَهْرُه ، وضمّه بعد علوِّ منْصبِهِ قَبْرُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده عاشر شهر رجب سنة أربع وستين وست مئة .

وتولّى بعده قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن جملة . وكان القاضي علم الدين قد لازم الدمياطي مُدّة .

ومن أمداح الشيخ جمال الدين محمد ابن نباته فيه ، قوله :

قاضي القضاة بيُمْنى كَفِّهِ القلمُ ... ياساريَ القصد هذا البانُ والعَلَمُ[٣]
هذا اليراعُ الذي تجني الفخارَ به ... يدُ الإمام الذي معروُفُه أمَمُ
مُعيي الأماثل في علم وفيض يد ... فالسُّحب باكيةٌ والبحرُ مُلْتَطم[٤]
وافى الشآم وما خِلنا الغمام إذاً ... بالشام ينشأ من مصر وينسجم

---

(١) أي : ظاهرها .
(٢) السلف : العمل الصالح .
(٣) ديوان ابن نباته : ٤٣٥ ، وفيه : « بيمنى حكمه .. هنا الباب » .
(٤) في الديوان والوافي : « وفيض ندى » ، وفي الوافي : « يلتطم » .

آهـاً لمصر وقـد شـابت لفرقتـه ... فليس ينكر إذ يعـزى لهـا الهرم[١]
وأوحش الثغر من رؤيـا محـاسنـه ... فمـا يكاد بـوجـهِ الـدَّهرِ يبتسم[٢]
يُنْشِي ويُنشـد فيـه الثغر منْ أسف ... بيتـاً تكاد بـه الأحشـاء تضطرم
« يـا من يعِـزّ علينـا أنْ نفـارِقَهم ... وجـدانُنـا كلَّ شيء بعـدكم عـدم »[٣]
يـزهى الشـآم بمن فـارقتَ طلعتـه ... « واحرَّ قَلْبَـاهُ مِمّن قَلْبُـه شَبِم »[٤]

١٥٢٨ ـ محمد [بن] أبي بكر بن عيسى*

قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي المالكي الحاكم بالديار المصرية .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة في شهر رمضان[٥] .

تولى الحكم بالديار المصرية في ...[٦] وأقام على حاله إلى أن طلع القلعة ليحضر دار العدل ، فرأى السلطان الملك الناصر من نظرة حاله فهم منها أنه يعمى ، قال شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي : فأرسل إليه السلطان من قال له : انزل إليه فما تجده قد وصل إلى بيته إلا وهو أعمى ، فلمّا وصل إليه الرسول وجَدَهُ قد عَمي بماء نزل في عينيه ، فلمّا أخبره بذلك قال له : أشتهي من صدقات السلطان أنه كما فهم عنّي هذا

(١) في الأصل : « آهاً لعصرٍ وقد شاقت » ، وأثبتنا ما في الديوان والوافي ، وفي الديوان : « أن يعزى لها هرم » .

(٢) في الديوان : « مِنْ مرأى » .

(٣) هذا البيت وعجز البيت الذي يليه مضمن من قصيدة للمتنبي ، انظر ديوانه : ٣٦٢/٣ ، البيت (١) ، (٢٤) .

(٤) تمامه :

ومَنْ بجسمي وحالي عنده سقم

* الوافي : ٢٧٢/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٨/١ ، والدرر : ٤٠٧/٣ .

(٥) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٦) كذا بياض في الأصل ، ويفهم من كلام ابن رافع أنّه تولّى ذلك في حدود سنة (٧٢٠) .

الحال يكْتُمها عليَّ ويدع منصبي عليّ إلى أن أعالج نفسي ، فقبل السلطان ذلك ، وترك منصبه عليه مُدَّة ستة أشهر إلى أن قدح عينيه وأبصر وطلع القلعة ونزل ، أو كما قال .

واستمر على حاله إلى أن توفّي - رحمه الله تعالى - في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع[١] مئة .

وكان السلطان يعظّمه ويرجع إلى أقواله في أشياء ، ولما عزل القضاة بمصر عزل قاضي القضاة جلال الدين القزويني وقاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق الحنفي[٢] ، وعزل قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي[٣] ، وأما قاضي القضاة تقي الدين بن الأخنائي فلم يُغيّر عليه شيئاً من حاله ، وكان السلطان الملك الناصر محمد قد قال في وقت يوم دار عدل للقضاة : أريد تبصرون لي رجلاً فاضلاً شافعياً يَعْرِفُ عربية ، ويكون ساكناً ، لا يدخل في شيء غير التعليم ، فأجمعوا كلّهم على الشيخ برهان الدين الرشيدي خطيب جامع أمير حسين ، وانفصل الحال على ذلك ولم يجرِ شيء غيرُ ما جرى ، ولا[٤] طُلب الشيخ برهان الدين ، وسكن الحال حتى نَقّب[٢] قاضي القضاة جلال الدين القزويني عن السبب ، فوجد أن القاضي تقي الدين الأخنائي قال للسلطان : مالك به حاجة ، فإنه من أصحاب ابن تيميّة ، فسكت السلطان ولم يَجْرِ بعد ذلك شيء . وكان في نفس قاضي القضاة تقي الدين منه من أيام واقعة شهاب الدين بن مري لما كان يتكلم عنده في الجامع ، وجرى ما ذكرته في ترجمة شهاب الدين بن مري .

---

(١) وفي وفيات ابن رافع والدرر أن وفاته في أوائل سنة (٧٥٠ هـ) .

(٢) إبراهيم بن علي بن أحمد ، سلفت ترجمته .

(٣) سليمان بن حمزة ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « ولّا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) في الأصل : « وتعب » ، وأثبتنا ما في (خ) .

١٥٢٩ ـ محمد بن أبي بكر بن ظافر*

ابن عبد الوهاب ، قاضي القضاة ، شرف الدين الهمداني ، بسكون الميم وبعدها دالٌ مهملة ، المالكي ، ابن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر ابن الشيخ ركن الدين[١] أبي المنصور .

حضر من الديار المصرية إلى دمشق في خامس جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

كان ساكناً ، كثير الوقار ، سعيد الحركات في المحافل الكبار ، كثير التّجمّل في ملابسه ، غزير الإطراق والصمت عند مجالسته ، لا يرى مَنْ حاضره في دسته المكّل ، غير أنه « كَبيرُ أُناسٍ في بجاد مزمل »[٢] . إلاّ أنه وادع السر ليس عنده[٣] أذى ولا يُطبق أحدٌ جَفْنه منه على قذى[٤] .

وكان الأمير سيف الدين تنكز يجلّه ويضعه فوق النجوم ويُحلّه .

ولم يزل على حاله إلى أن قضى قاضي القضاة نَحْبَه ، وفارق أعزّاءه وصحبه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بكرة الأحد ثالث المحرم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وصلّى عليه الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي نائب دمشق والأمراء والقضاة والحجّاب

---

* الوافي : ٢٧٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢١/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤١/١ ، والدرر : ٤٠٤/٣ ،

(١) في الوافي : « زكي الدين » .

(٢) عجز بيت لامرئ القيس من معلقته .

(٣) في الأصل : « ليس عندي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في الأصل : «ولا يطبق أحد منه جفنه على ... » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وقد أفاد المؤلف من معنى قول معن بن أوس :

فإنْ أعفُ عنه أغضِ عيناً على قذى ... وليس له بالصفح عن ذنبه علم

انظر : أمالي القالي : ٩٩/٢ .

والأعيان بسوق الخيل ، ودُفِنَ في تربته التي أنشأها بميدان الحصى ، وفي يوم موته حُررت قبلة الجامع الذي عمّره يلبغا .

وكان شكلاً طويلاً مهيباً يعظّمه النّواب كلهم ويحترمونه ، وكان يعاني الآلات الكبار في جميع ماعنده من دواة وقنديل ومغرز وطاسة ، وما يرى أحد مثل القماش الذي يكون عليه ولا أغرب ، ولا يُرى ألطف من شاشة وقماشه ، ولا أطيب من ريحه .

١٥٣٠ ـ محمد بن أبي بكر بن محمد*

ابن طَرْخان بن أبي الحسن ، العالم الفاضل الأديب شمس الدين .

سمع حُضوراً من إبراهيم بن خليل ، والنجيب عبد اللطيف ، وسمع الكثير من ابن عبد الدائم ، وكتب المنسوب ، وله نظم ونثر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس عشري ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وله حضور في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستّ مئة ، وهو في الثانية من عمره . وحضر على إبراهيم بن خليل ، والنجيب عبد اللطيف الحراني ، وأبي طالب بن السروري ، وسمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعبد الوهاب بن الناصح وجماعة وطلب بنفسه وكتب الطباق ، وسمع من جماعة من أصحاب ابن طبرزَد ومَنْ بعده ، وخرّج له ابن خاله شمس الدين بن سعد[1] (مشيخةً) في مجلدين وحدّث بها غير مرّة .

وكان كاتباً مجيداً ، وكان يصحب الأكابر ويخدمهم وله مرتبات جيدة بالشام على الديوان السلطاني .

---

* الوافي : ٢٧٠/٢ ، والدرر : ٤٠٨/٣ .

(١) محمّد بن يحيى محمّد بن سعد للقدسي (ت ٧٥٩) ، وفيات ابن رافع : ٣٥١/٠ ، والدرر : ٢٨٣/٤ .

١٥٣١ ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب**

ابن سعد بن حريز الزُّرعي ، الشيخ الإمام الفاضل المفتن شمس الدين الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية .

سمع على الشهاب العابر وجماعة كبيرة[١] منهم سليمان بن حمزة الحاكم ، وأبو بكر بن عبد الدائم ، وعيسى المطعّم ، وأبو نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي ، وابن مكتوم[٢] ، والبهاء بن عساكر ، وعلاء الدين الكندي الوداعي ، ومحمد بن أبي الفتح البعلبكي[٣] ، وأيوب بن نعمة الكحّال ، والقاضي بدر الدين بن جماعة ، وجماعة سواهم .

وقرأ العربية على ابن[٤] أبي الفتح البعلي ، قرأ عليه (الملخص) لأبي البقاء[٥] ، ثم قرأ (الجرجانية) ، ثم قرأ (ألفية ابن مالك) ، وأكثر (الكافية الشافية) وبعض (التسهيل) ، ثم قرأ على مجد الدين التونسي قطعة من (المقرّب) .

وأما الفقه فأخذه عن جماعة منهم الشيخ مجد الدين إسماعيل بن محمد[٦] الحراني ، قرأ عليه (مختصر) أبي القاسم الخرقي و (المقنع) لابن قدامة ، ومنهم ابن أبي الفتح البعلي[٧] ، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، قرأ عليه قطعة من (المحرّر)[٨] تأليف جدّه ، وأخوه الشيخ شرف الدين .

** الوافي : ٢٧٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٣٤/١٤ ، والدرر : ٤٠٠/٣ ، والبغية : ٦٢/١ ، والشذرات : ١٦٨/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٩/١٠ ، وذيول العبر : ٢٨٢ .

(١) في (خ) : « كثيرة » .

(٢) إسماعيل بن يوسف القيسي ، سلفت ترجمته .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) لعلّه كتاب التلخيص لأبي البقاء العكبري ، عبد الله بن الحسين . البغية : ٣٩/٢ .

(٦) في الأصل و (خ) : « محمّد بن إسماعيل » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، وقد سلفت ترجمته .

(٧) في الأصل : « ومنهم أبو الفتح » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٨) في الأصل : « المحرمات » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . وانظر : كشف الظنون : ١٦١٢/٢ .

وأخذ الفرائض أولاً عن والده وكان له فيها يد ، ثم اشتغل على إسماعيل بن محمد ، قرأ عليه أكثر (الروضة) لابن قدامة ، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، قرأ عليه قطعة من (المحصول) ومن كتاب (الأحكام) للآمدي[١] .

وقرأ في أصول الدين على الهندي[٢] أكثر (الأربعين) و (المحصل) ، وقرأ على الشيخ تقي الدين بن تيمية قطعة من الكتابين ، وكثيراً من تصانيفه .

وكان ذا ذهن سيّال ، وفكر إلى حل الغوامض ميّال ، قد أكبّ على الاشتغال ، وطلب من العلوم كلَّ ما هو نفيسٌ غالٍ ، وناظر وجادل وجالد الخصوم وعادل ، قد تبحّر في العربية وأتقنها ، وحرَّر قواعدها ومكّنها ، واستطال بالأصول ، وأرهف منها الأسنة والنُّصُول ، وقام بالحديث وروى منه ، وعرف الرجال وكلَّ من أُخذ عنه .

وأما التفسير فكان يستحضر من بحاره الزخّارة كلَّ فائدة مُهمّه ، ومن كواكبه السيارة كل نيّر يجلو حَنَادس الظلمه .

وأمّا الخلاف ومذاهب السلف فذاك عُشّه الذي مِنه دَرَج[٣] ، وغابُه الذي ألفه لَيْثُه الخادر ودخل وخرج .

وكان جريء الجنان ثابت الجأش لا يُقعقع له بالشنان [٤] ، وله إقدام وتمكن

---

(١) هو السيف الآمدي ، علي بن محمّد (ت٦٣١) ، واسم كتابه : إحكام الأحكام في أصول الأحكام ، كشف الظنون : ١٧/١ .

(٢) الصّفي الهندي ، سلفت الإشارة إليه .

(٣) يشير إلى المثل : ليس هنا بعشّك فادرجي ، يضرب لمن يتعرض إلى شيء ليس منه ، وللمطمئن في غيروقته فيؤمر بالجدّ والحركة . اللسان (درج) ، ومجمع الأمثال : ١٨١/٢ .

(٤) الشّنّ : الخلق البالي من كل آنية صُنِعَتْ من جلد . والقعقعة : صوت الأدم اليابسة . وفي المثل : لا يُقَعْقع لي بالشنان .
اللسان : (شنن) ، (قعقع) .

أقدام[١] ، وحظّه موفور ، وقبوله كلُّ ذنب معه مغفور ، وكان يسلك طريق العلامة تقي الدين بن تيمية في جميع أحواله ، ومقالاته التي تفرّد بها والوقوف عند نص أقواله .

وتوجه إلى الحجاز مرات ، وحازَ ماهناك من المبرات .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل تحت رَزَّة[٢] الرزيّه ، وعدم الناس منه لذة الحلوى السكرية وإن كانت نسبته إلى الجوزيه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى تسعين[٣] وستّ مئة .

وكان محظوظاً عند المصريين من الأمراء ، يعطونه الذهب والدراهم ، وَهَبهُ الأمير بدر الدين بن البابا مبلغ اثني عشر ألف درهم ، والأمير سيف الدين بشتاك أعطاه في الحجاز مئتي دينار .

وكان قد اعتقل مع الشيخ تقي الدين بن تيمية في قلعة دمشق بسبب « مسألة الزيارة » ، ولم يزل إلى أن توفي الشيخ تقي الدين ، فأفرج عنه في ثالث عشري الحجة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وما جمع أحد من الكتب ما جمع ، لأن عمره أنفقه في تحصيل ذلك . ولما مات شيخنا فتح الدين اشترى من كتبه أمهات وأصولاً كباراً جيّدة ، وكان عنده من كل شيء في غير مافن ولا مذهب ، بكل كتاب نسخٌ عديدة ، منها ماهو جيد نظيف ، وغالبها من الكرندات[٤] . وأقام أولاده شهوراً يبيعون منها غير ما اصطفوه لأنفسهم .

---

(١) في الأصل : « وتمكن وأقدام » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) رزّة الباب : الحديدة التي يدخل فيها القفل .

(٣) في الأصل : « وسبعين » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ومصادر ترجمته .

(٤) كذا .

واجتمعت به غير مرة ، وأخذت من فوائده ، خصوصاً في العربية والأصول .
وأنشدني من لفظه لنفسه :

بُنيَّ أبي بكر كثير ذنـــوبـــه ... فليس على من نـال من عرضـه إثم
بُنيَّ أبي بكرٍ جَهُـــولٌ بنفســـه ... جهـول بـأمر الله أنّى لـــه العلم
بُنيَّ أبي بكر غـــدا متصـــدراً ... يُعلِّمُ علمـــاً وهـو ليس لـــه علمُ
بُنَيَّ أبي بكر غـــدا مُتَمنّيـــاً ... وصـال المعـالي والـذنوب لـه هَمّ
بُنيَّ أبي كبر يَرُوم ترقّيـــاً ... إلى جنّـة المـأوى وليس لـه عَـزْم
بُنيَّ أبي بكر يرى الغُنم في الـــذي ... يـزول ويفنى والـذي تركُـه غُنمُ[1]
بنيَّ أبي بكر لقـد خـاب سَعْيُـه ... إذا لم يكن في الصـالحـات لـه سهم
بنيَّ أبي بكر كما قـــال ربُّـــه ... هلُـوع كنُـودٌ وصفـهُ الجهْـلُ والظلم
بُنيَّ أبي بكر وأمثـالُـه غَـدَوا ... بفتـواهم هـذي الخليقـة تـأتمّ[2]
وليس لهم في العلم بـاع ولا التقى ... ولا الـزّهـد والـدنيـا لـديهم هي الهمّ
فـوالله لـو أنَّ الصحابـة شـاهـدوا ... أفـاضلهم قـالـوا هُمُ الصُّمُ والبكم

ومن تصانيفه[3] : (زاد المعاد في هدي خير العباد)[4] أربعة أسفار ، (مفتاح دار السعادة) ، مجلد كبير ، (تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته) ، نحو ثلاثة أسفار ، (سفر الهجرتين وطريق السعادتين) سفر كبير ، كتاب (رفع اليدين في الصلاة) ، سِفْر متوسط (معالم الموقعين عن رب العالمين) ، سفر كبير ، كتاب (الكافية الشافية لانتصار الفرقة الناجية) ، وهو نظم [نحو][5] ستة آلاف بيت ، وهذا الكتاب لمّا وقف عليه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي أنكره

(١) في الوافي : « يرى الغُرْمَ ، تَركُهُ الغُنْمَ » .
(٢) في الأصل و (خ) : « هذا الخليفة ... » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .
(٣) انظر : الأعلام ٥٦/٦ .
(٤) (خ) : « زين العباد » وفي الوافي : « في هُدى دين » .
(٥) زيادة من (خ) والوافي .

وتطلّبه أياماً ، (الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية) ، (بيان الاستدلال على بطلان مُحَلِّل السباق والنضال) ، (التحبير بما يحل ويحرم لبسه من الحرير) ، (الفروسية المحمدية) ، (جَلْي الأفهام في أحكام الصلاة[١] والسلام على خير الأنام) ، (تفسير أسماء القرآن) ، (تفسير الفاتحة) ، مجلد كبير ، (اقتضاء الذكر بحصول الخير ودفع الشر) ، (كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء) ، (الرسالة الشافية في أسرار المعوّذتين) ، (معاني الأدوات والحروف) ، (بدائع الفوائد) مجلد .

١٥٣٢ ـ محمد بن أبي بكر بن إبراهيم*

ابن عبد الرحمن الدمشقي ، الشيخ الإمام قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب الشافعي ، قاضي حمص ، وقاضي قضاة طرابلس ، وقاضي قضاة حلب ، ومدرس الشاميّة الكبرى بدمشق أخيراً .

كان عالماً حبرا ، وحاكماً برّا ، من قضاة العدل وأئمة الهدى ، وحكام الحق الذين تساوى عندهم في القضاء الأحبَّةُ والعِدا ، مع لطف خلق كأنه نسيم ، وتواضع يراه محادثه ألذّ من كأس تسنيم[٢] ، سالكاً طريق السلف والأخيار ، ناهجاً سبيل السنّة والآثار ، لم يُحْكَ عنه ميلٌ مُذْ حُكْمِه[٣] ولا حَيْف ، ولا جَنف تزول به عن المظلوم لذّة من قدوم ضيف الطيف[٤] ، وكان من بقايا الأئمه ، وخبايا هذه الأمَّه .

ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن طرّق الموت لابن النقيب طريقه ، وترك العيون بالدموع غريقه ، والقلوب بالأحزان حريقه .

---

(١) في الكشف ، ٥٩٢/١ : « جلاء .. في فضل الصلاة » ، وكذا هي : « جلاء » في الدرر ، وفي الوافي : « حَلَى الأفهام » .

* الدرر : ٣٩٨/٣ ، والشذرات : ١٤٤/٦ ، وذيول العبر : ٢٤٨ .

(٢) التسنيم : ماء بالجنة .

(٣) كنا ، والأشبه : مدّة حكمه .

(٤) في الأصل : « اللطيف » ، والطيف : الغضب .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ومات عن بضع وثمانين سنة .

وحدّث عن ابن النحاس وطائفة .

وكان قد تفقّه على الشيخ محيي الدين النواوي ـ قدس الله روحه ـ وقال له يوماً : أهلاً بقاضي القضاة ومدرّس الشامية ، فما مات رحمه الله تعالى حتى نال ذلك أجمع ببشرى الشيخ له .

وسمع من ابن البخاري وغيره ، وكان عنده خمائر في الفقه من الشيخ محيي الدين ، ويعرف (شرح العمدة) للأحكام الذي لابن دقيق العيد معرفة جيدة ويُقرئها لمّا كان بدمشق للطلبة .

ولمّا عزل القاضي فخر الدين ابن البارزي من حمص رسم الأمير سيف الدين تنكز للشيخ شمس الدين بالتوجه إلى قضاء حمص ، فامتنع من ذلك ، فتهدّده ، فما أمكنه إلاّ الرواح إليها ، وتوجّه إليها في يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وخرج الناس لوداعه واستناب في وظائفه .

١٥٣٣ ـ محمد بن أبي بكر بن أحمد *

ابن عبد الدائم المقدسي .

سمع الكثير من جَدِّه[1] ، ومن محمد بن إسماعيل خطيب مردا ، وأجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع ربيع الأول سنة ست وثلاثين وسبع مئة[2] .

* الوافي : ٢٧٣/٢ ، ووفيات ابن رافع : ١٧٣/١ ، والدرر : ٤٠٠/٣ .

(١) انظر في مسموعاته الدرر .

(٢) وفي وفيات ابن رافع والدرر أنّ وفاته في رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة . ومولده سنة ثمان أو تسع وأربعين وست مئة ، كذا مولده في الدرر .

١٥٣٤ ـ محمد بن بلبان *

الأمير ناصر الدين ابن الأمير الكبير سيف الدين البدري .

كان أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، وكان قد زوّج ابنته بركن الدين عمر بن الأمير ناصر الدين دوادار تنكز ، ودخل بها في ليلة الجمعة عاشر شوال سنة ثلاثين وسبع مئة ، وكان عرس عظيم وزفة عظيمة ، ثم إن تنكز ولاّه الحجبة .

١٥٣٥ـ محمد بن تميم**

شرف الدين أبو عبد الله الإسكندري ، نزيل اليمن ، أحد كُتّاب الدرج للملك المؤيد هِزَبْر الدين صاحب اليمن[١] .

نقلت من خطّ الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليمني[٢] . قال : نشأ المذكور في بلاد المعْبر من بلاد الهند ، وكان كاتب درج الملك الرحيم تقي الدين عبد الرحمن بن محمد السواملي الطيبي ، ثم لمّا مات مخدومه وفد إلى الملك المؤيد فاستكتبه .

وكان ذا لفظ صنيع ، ونظم بديع وله إنشاء حسن ، وكان يُعرف بالمقاماتي وحاولته على أن أرى تلك المقامات ، وكان يجيب ما هي مقامات بل قامات . اجتمعت به في عدن سنة ثلاث وسبع مئة وأنشدني قصيدة مدح بها عز الدين عبد العزيز بن منصور الحلبي عرف بالكويكي[٣] وقد جاء إلى عدن بمال عظيم لم ير مثله ، وأول القصيدة :

---

* الدرر : ٣٩٧/٣ .

** الوافي : ٢٧٩/٢ ، والدرر : ٤١٢/٣ .

(١) وهو داود بن يوسف بن عمر بن رسول ، سلفت ترجمته .

(٢) هو عبد الباقي بن عبد المجيد المخزومي ، سلفت ترجمته .

(٣) كذا في الأصل والوافي . وفي الدرر ٣٨٣/٢ : « الكريمي » ، وسلف في ترجمته أنه الكولي .

أتـذكر ليلى عهـدنـا المتَقَـدّمـا أم البينُ أنساها عهوداً على الحمى[١]
وأيامنا اللائي على الخيف قد مضت بمجلس أُنس بـالمسّرة تمّمـا

وكنت أنا وإياه يوماً على باب البحر بثغر عدن فمرّ خادم هندي بديع الصورة فقال لي : أنظم في هذا بيتين فنظمت بديهاً :

بـأبي ظبيٍّ من الهنـد حكى لَحْظُـه الهنـديَّ في أفعـالـه
جـوهري الثغر يـدعى جـوهرا وأراهُ الفَرد في أمثـالـه

فعجب من سرعة البديهة ، قال : لكني أحكي لك حكاية اتفقت لي في بلاد الهند ، اقترح عليَّ بعضُ التجار الرُّعَّن[٢] اقتراحاً فيه قبح ، وذاك أنه كان له خادم هندي يسمى جوهراً وكان مغرماً به ، فقال لي تستطيع أن تنظم أبياتاً مضمونها أنّ فعلي لذلك الحال موجب لنفاسة هذا العلق عندي[٣] ومتى فعلت هذا أعطيك عشرين عيناً ، فأنشدته أبياتاً من غير رويّة ، وهي :

أقـول للخـلّ عَـدَاك الرَّدى إني أنـا المـاسُ فـلا تعتجب
في أصلي الحـدّة أسطـو بهـا على أصمّ الجـوهر المُنْتسب
والجـوهر الشّفـاف مـالم يكن يثقُبـه الثـاقِبُ لم يَنْتَسب
فلي على الجـوهر فضـلٌ إذا صيّرتُـه بين الـورى منثقب

قال الشيخ تاج الدين : وكان مولعاً بأكل البر شِعثا أكثر أوقاته ، غائب الذهن منها ، وكرهه السلطان لذلك .

مات ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس عشرة وسبع مئة وله موشحات بديعة .

---

(١) في الأصل : « أنشاها » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .
(٢) في الوافي : « الرعنى » .
(٣) ليست في الوافي .

١٥٣٦ ـ محمد بن تمر*

الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير سيف الدين الساقي نائب طرابلس .

كان شاباً حسن الصورة ، كريماً ، شجاعاً ، فيه خير ودين ، قُرئ في داره (صحيح) البخاري ، وسمعه معه جماعة ، وكان عمره يوم مات خمسةً وثلاثين[١] سنة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق تاسع صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتقدّم ذكر والده في حرف التاء مكانه .

١٥٣٧ ـ محمد بن ثابت**

الفقيه شمس الدين الخبي[٢] الحنبلي الصّالحي رفيق ابن سعد[٣] .

قال شيخنا الذهبي : عاقلٌ ، سمع ودار على الشيوخ ، وتنبّه قليلاً ، ثم أمَّ بقريةٍ بالمَرجْ ، سمع منّي .

وتوفي شاباً ـ رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٥٣٨ ـ محمد بن جابر***

العالم المقرئ المحدّث ، الجليل ، أبو عبد الله الأندلسي ، الوادي آشي ، ثم التونسي المالكي .

---

* الدرر : ٤١٢/٣ .

(١) في الدرر : « وثمانين » ، سهو .

** الوافي : ٢٨١/٢ ، والدرر : ٤١٢/٣ .

(٢) في الأصل : « الجبي » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والظاهر أن نسبته إلى خبب ، وهي بليدة قرب دمشق على طريق حوران ، وفي الدرر : « الحبشي » .

(٣) يحيى بن محمد بن سعد المقدسي ، ستأتي ترجمته .

*** الوافي : ٢٨٣/٢ ، والدرر : ٤١٣/٣ ، وغاية النهاية : ١٠٦/٢ ، وتمام نسبه فيهما : « محمد بن جابر بن محمد بن قاسم » .

قرأ على والده ، وبالسبع[١] على طائفة ، وسمع من ابن هارون الطائي[٢] ، وأبي العباس بن الغمّار[٣] ، وطائفة بتونس .

قال شيخنا الذهبي : وقرأ عندنا (صحيح) البخاري ، وسمع من البهاء بن عساكر ، وبمكة من الرضي الإمام ، انتقى العلائي عليه جزءاً ، وكان حسن المشاركة في الفضائل ، خرّج (الأربعين البلدانية) ، كتبها عنه شيخنا علم الدين البرزالي ...[٤]

ومولده سنة ثلاث[٥] وسبعين وستّ مئة .

١٥٣٩ ـ محمّد بن جعفر بن ضوء البعلبكي*

الفقيه شمس الدين الشافعي .

كان من فقهاء المدرسة القيمرية بدمشق ، وكان له تردد إلى الناس واجتماع بهم ، وله عليهم خدمة ومعرفة بقضاء حوائجهم وأشغالهم ، على ما في نفوسهم ، وهو مطبوع داخل . وكانت بينه وبين النجم هاشم البعلبكي[٦] مودة وصحبة واتحاد ، وكان حسن الشكالة والصورة .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس وأثنى الناس عليه وتأسفوا عليه .

---

(١) في الأصل : « بالسبع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٢) عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي ، مسند تونس (ت٧٠٢) ، الدرر : ٣٠٣/٢ .

(٣) أحمد بن محمّد بن الحسن ، قاضي تونس (ت٦٩٣) ، غاية النهاية : ١١٠/١ ، ووقع في الأصل : « الغمار » ، تصحيف .

(٤) كذا بياض في الأصل . وهو موضعُ ذِكْرِ وفاته . وفي الغاية أنه توفي في ربيع الأول سنة (٧٤٩) .

(٥) في الغاية : « ثمان » .

* الدرر : ٤١٥/٣ .

(٦) هاشم بن عبد الله بن علي التنوخي البعلي (ت٧٣١) ، الدرر : ٣٩٩/٤ .

١٥٤٠ ـ محمد بن جعفر بن محمد*

ابن عبد الرحيم بن أحمد بن حجّون الشيخ الإمام الشريف تقي الدين ابن الشيخ ضياء الدين القنائي ، بالقاف والنون .

كان فقيهاً ، شاعراً ، صالحاً ، سَمِع من أبي محمد عبد الغني بن سليمان[١] ، وأبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن نصر بن فارس .

وحدّث بالقاهرة ، وسمع منه الشيخ عبد الكريم بن عبد النور[٢] وجماعة ، ودرس بالمدرسة المسرورية[٣] وتولى مشيخة خانقاه أرسلان الدوادار ، وانقطع بها وتزوج بعلما أخت الشيخ تقي الدين[٤] ، ورزق منها ابنين فقيهين ، قال كمال الدين الأدفوي : كان خفيفاً ، لطيفاً ، وله شعر . أنشدني بعض أصحابنا بقوصٍ مِمّا نظمه سنة اثنتين وسبع مئة ، عندما حَصلت الزلزلة :

مجـــازٌ حقيقتهـــا فـــاعبروا ... ولا تَعْمُروا هـــوّنـــوهـــا تَهُنْ[٥]
ومـــا حسنُ بيتٍ لـــه زخرفٌ ... تراه إذ زلـــــــزلت لم يكن

ومن شعره أيضاً :

من بعـــد فراقكم جرت لي أشيـــا ... لا يمكنُ شرحُهـــا ليـوم اللُّقيـــا
كم قُلت لقلبي بـــدلاً قـــال بمن ... والله ولا بكل مَنْ في الـــدنيـــا

---

* الوافي : ٣٠٧/٢ ، والطالع السعيد : ٥٠٥ ، والدرر : ٤١٥/٣ .

(١) (ت ٦٦١ هـ) ، العبر : ٢٦٥/٥ .

(٢) توفي سنة (٧٣٥ هـ) .

(٣) في القاهرة ، وكانت دار مسرور أحد خدام القصر ، وكان مسرور ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٤)) ابن دقيق العيد .

(٥)) في الأصل : « فاعتبروا » . وأثبتنا ما في الطالع وبه يستقيم الوزن .

قال[١] : ووفاته بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده بقوص ظنّاً سنة خمس وأربعين وست مئة .

قلت : أخبرني من لفظه القاضي الرئيس الكاتب تاج الدين محمد بن محمد البارنباري[٢] . قال : قال لي الشيخ تقي الدين المذكور لمّا نظمت : « مجاز حقيقتها فاعبروا » البيتين بقي في نفسي شيء من كوني ذكرت في الشعر أسماء سور القرآن العظيم ، فأتيت الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ـ رحمه الله تعالى ـ وأنشدتها له ، فقال : لو قلت : « وما حُسْنُ كَهْف له زُخْرُف » لكنت قد زدت سورة رابعة . قال : فقلت له ياسيدي : قد أفدتني وأفتيتني[٣] ، أو كما قال .

وأنشدني قال : أنشدني المذكور لغزاً في العين الباصرة :

ومحبوبة عند المنام ضَمَمتها ... أُحسُّ بها لكنني ما نظرتها
لذيذة ضمّ لا أطيق فراقها ... وكم من ليال في هواها سهرتها[٤]

قلت : وما أحسن قوله « في هواها سهرتها » .

وقد ذكرت هنا لغزاً في العين للجهرميّ وهو حَسَنٌ :

إنّ التي أَوْدَت فؤادي تلت ... حزناً عليه وهو ملسوعها
جملتها واحدُ أجزائها ... طبيعة يعجب مطبوعها
فالكلّ إذ يُقرأ بعض لها ... والبعض إذ يذكر مجموعها
عمّيتها في لحن قولي فَمَنْ ... يُخرجها إذ كان يسطيعها

---

(١) أي الأدفوي في الطالع السعيد .
(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) في الأصل : « وأقنيتني » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الوافي : « ورُبَّ ليالٍ » .

وقد رأيت لبعضهم ستة أسماء من سور القرآن العظيم في بيت واحد وهو قوله :

أقول وقد هبّت لنا نسمة الصَّبَا ... ترى دارت بنا كأس قرقف[١]
وفاطر قلبي هل أتى نَبَأ الورى ... بنمل عِذارٍ جاء في صفّ يُوسف

وما أحسن ما نقلته من خط السّراج الوراق :

سامح بفضلك من أتى ... ذنباً ولقّنْهُ المعاذر
وبزخرف من قوله ... كن أنت للزلات غافر

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه أيضاً :

حياة المنازل سكّانها ... هُمُ رُوحها وهي جُثمانها
أضاءت بمن حلّها بهجةً ... كما حلّ بالعين إنسانها
وللظاعنين تحنّ الدّيا ... ركأنّ الأحبة أوطانها

قلت : ذكرتُ بهذا قول أبي الحسين الجزار ، وهو :

طرف المحب فمٌ يذاع به الجوى ... والدمع إن صمت اللسان لسانُ
يا سائلي عما تكابدُ مُهجتي ... إعراب طرفي بالدموع بيانُ
تبكي الجفون على الكرى فاعجب لمن ... تبكي عليه إذا نأى الأوطان

وأنشدني قال أنشدني المذكور لنفسه في باذهنج[٢] :

كأنما الباذهنج قلعٌ ... علا على الفُلك حين تَسْري
لكنّ ذاك الرياح أجرت ... وذا غداً للرياح يجري

---

(١) كذا في الأصل ، وفي عجز البيت خلل .

(٢) فارسية ، مؤلفة من « باذ » بمعنى « ساحب » ، و « آهنج » بمعنى هواء ، والمراد نافذة أو طاقة للتهوية .

وذكرت هنا قول شهاب الدين مسعود بن محمد بن مسعود السَّبكي المالكي :

وبـــاذهنـــج إذا حَرُّ المصيف أتى أهـدى النسيم وقـد رقت حـواشيـهِ
مصغ إلى الجـوّ مـاناجـاه نـافحـةٌ إلاّ ونمَّ عليـــه فَهْـوَ واشيـــه

قلت : ومما قلته أنا في باذهنج :

بنَيْنَـــا للتنسم بـــاذهنجـــا غـــلا فعلى إلى جَـــوّ السَّماء[1]
وراق بـــه الهـواء ورقّ لطفـــاً فسمّينـــاه راووق الهـــواء

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه في شيخ منحنٍ مطيلس[2] :

كالعين شيـــخ منحنٍ مُطَيلس أعرفـــه
تقـــويسهـــا كظهره ورأسهـــا رَفْرَفُـــه

قلت : هذا تشبيه عجيب ، وتخيّل غريب إلى الغاية .

وأنشدني قال أنشدني فيمن جهّز إليه بوريّه فايتة :

دع الاضطراب عن الحيـــا ة وخـلّ نفسـك ثـابتـة
وازرع فحبـــات القلـــو ب بهـا المحبـة نـابتـه
وذكرت فـــايتـــةً فقم للفـور واقضِ الفـــايتـــه

١٥٤١ ـ محمد بن جنكلي*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير[3] بدر الدين جنكلي ابن البابا الحنبلي .

---

(١) في الأصل : « بيننا للتنسم » ، ولا تستقيم .
(٢) صفة للرجل إذا رمي بقبيح ، وتعني أيضاً الإنسان الأعجمي .
* الوافي : ٣١٠/٢ ، وفيات ابن رافع ١٣٦/١ ، الدرر ٤١٦/٣ .
(٣) في (خ) : « الأمير الكبير » .

تقدم ذكر والده في حرف الجيم مكانه .

كان جمال المواكب ، وتمال الكواكب ، أحسن خلق الله وجهاً وقواما ، كأنه غصن بان ركب الله في أعلاه قمراً تماما ، مع أخلاقٍ ما للنسيم لُطفُها ، ولا لأزاهر الرياض اليانعة عرفها[١] ، ولا للغصون الناعمة لينها ولا عطفها ، وسماحٍ يتعلم السَّحابُ سحَّه ، ويظهرُ من البحر شحَّه ، وكتابةٍ إنْ وصفتها بالخمائل أخملتها ، وإن قلت : هي كالعقود ، فقد نقصت من قدرها وأهملتها ، تصبح بها السطور[٢] وقد توشت ، والعيون وقد تردّت بالمحاسن وتَغَشَّت ، وفقهٍ ما لابن حزم حَزمه ، ولا لابن عبد البر نقلُه ولا جزمه ، وحديثٍ ماترقى الخطيب دَرجه ، ولا ألم به ابن عساكر ولا خرّجه ، وأسماء رجالٍ يغرق فيها ابن نقطه ، ويتحقّق سامعه أنه ما عند السمعاني بعدها غبطه ، وأدبٍ ما وصل الحُصريّ[٣] إلى أنماطه ، ولا صاحب (الذخيرة)[٤] إلى التقاطه ، ولا صاحب (القلائد)[٥] إلى تيجانه وأقراطه ، وشعر راق نسجه ، ولاق نهجه :

شخص الأنامُ إلى جمالك فاستعذ من شرِّ أعينهم بعيبٍ واحد[٦]

ولم يزل على حاله إلى أن حل بحماه الحمام ، وأبكى عليه حتّى الحمام .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وتسعين وست مئة .

كان أولاً قد اشتغل بمذهب أبي حنيفة ، ثم إنه تمذهب للإمام أحمد بن حنبل[٧]

(١) (خ) : « قطفها » .

(٢) في (خ) : « الطروس » .

(٣) إبراهيم بن علي الحصري صاحب زهر الآداب (ت ٤٥٣ هـ) .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لعلي بن بسّام البسامي (ت ٤٠٣ هـ) .

(٥) هو قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، لأبي النصر الفتح بن عيس بن خاقان (ت ٥٣٥ هـ) .

(٦) (خ) : « إلى كمالك » .

(٧) في الوافي : « وفي آخر الأمر مال إلى الظاهر ، ورأى رأيَ ابن حزم » .

وأنشدني من لفظه لنفسه غير مرة :

بـــك استجـــار الحنبلي مُحمـــــــــدُ بنُ جَنكلي
فـــاغفر لـــه ذُنـوبـــه فـــــأنت ذو التفضُّـــل

وكتب طبقة واشتغل في غير مافن ، ولم يزل مواظباً على سماع الحديث ، واختلط بشيخنا الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس وبه تخرّج ، وعنه أخذ معرفة الناس وأيامهم وطبقاتهم وأسماء الرجال .

وكان آية في معرفة فقه السَّلف ونقل مذاهبهم وأقوال الصحابة والتابعين ، وهذا أجود ما عرفه ، مع مشاركة جيدة في العربية والطبّ والموسيقا .

وكان في النظم متوسّط الطبقة وربما تعذّر عليه حيناً ، لكنْ له ذوقٌ في الأدب ، يفهم لطائف المعاني ويُدركها ويهتزّ للفظ السهل ، ويطرب لنكت الشعراء المتأخرين كأبي الحسين الجزّار والوراق وابن النقيب وابن دانيال وابن العفيف ومن جرى مجراهم ، ويستحضر من مجون ابن حجاج جُملة .

وكان يلعب الشطرنج والنرد ، وقل أن رأيتُ مجموعه في أحد .

رأيته غير مرّة واجتمعتُ به كثيراً ، وقد شاركته في بعض سماعاته ، وسمع بقراءتي على شيخنا الحافظ أبي الفتح كثيراً ، وردّ عليَّ يوماً بعض الأسماء صحّفته أنا ذُهُولاً مني ، ولمّا فرغنا أنشدته :

يردّ علينـــا مـــا نَقُـولُ أميرنـــا لئلا يرانا في النهى دون حـدسِـه
ويختـــار منّـــا أن نكـون كمثلـــه «ويطلب عند الناس ماعند نفسه»

فأعجبه هذا التضمين وطرب له .

وكان فيه برّ وإيثار لأهل العلم والفقراء ، ويُخَيّر مجالسة أهل العلم على مجالسة الأمراء والأتراك ، وكان كثير الميل إلى مَنْ يَهْوَاه ، لا يزال متيماً ، هائماً ، يذوب صبابة

ويفنى وجداً ، ويستحضر في هذه الحالة ما يناسبها من شعر الشريف الرضي[١] ومهيار[٢] وابن المعلّم[٣] ، ومتيمي العرب جملة يترنم بها ويراسل بذلك ، ويعاتب .

وخرّج له شهاب الدين أحمد الدمياطي أربعين حديثاً ، وحدّث بها قبل موته ، وأثنى عليه الفاضل كمال الدين الأُدْفُوِّي في تاريخه : (البدر السافر) ثناء كثيراً .

ولما بلغتني وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ وأنا بدمشق قلته أرثيه ، وضمنت القصيدة أعجاز أبيات قصيدة أبي الطيب[٤] :

هي الأيام ليس لها ذمام ... وليس لها على عَهْد دوام
نُصبْنا للردى غَرضاً فأصْمَتْ ... حشانا من رزاياه السّهام[٥]
وما بعد الرضاع وذاك حق ... تبّين عندنا إلاّ الفطام
نسير على مطايا للمنايا ... وفي كفِّ الزمان لها زِمام
إذا متْنا تَنَبَّهْنا لَهَوْلٍ ... نَرَى أن الحياة هي المنام
ألم تَرَ كيف عاث الدهرُ فينا ... وأوْدَى ناصرُ الدين الهُمَام
فشق الرَّعْدُ جَيْبَ السُّحْب لمّا ... تَلَهَّب برقُها وبكى الغمام
فيا أسفاً لوجه كان يبدو ... فيستحيي له القمر التام
ويا الشمائل كم هام فيها ... فؤادٌ ما يُسَلّيه المدام[٦]
ويا الخلائق كالرَّوض لمّا ... تَفَتّح عن أزاهره الكمام
ويا الفضائل قُلنا لديها ... أفدنا أيها الحَبْر الإمام

---

(١) محمد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤١٤/٤ .
(٢) مهيار بن مرزوية (ت٤٢٨) ، وفيات الأعيان : ٣٥٩/٥ .
(٣) محمد بن علي بن فارس الهُرْثي الواسطي ، شاعرٌ غَزِلٌ (ت٥٩٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٥/٥ .
(٤) في مدح المغيث بن علي العجلي ، ديوانه : ٦٩/٤ ، وما بعدها .
(٥) في الأصل : « عرضاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٦) في الأصل : « ماتسلته » ، وأثبتنا ما في (خ) .

ويـــا لكتـــابـــةٍ كالـــدرّ لمّـــا ... يُـؤلّفـــه على النّحر انتظـــام[١]
وكان يُرام في بـــذل العطـــايـــا ... «وأمـــا في الجـــدال فمـــا يُرَام»
ولم نر في الـزمـــان لـــه شبيهـــاً ... «وإن كثر التجمّـــلُ والكـــلام»
أيـــا من في الرقـــاب لـــه أيـــادٍ ... «هي الأطـواق والنـــاس الحمـــام»
لئن عمّت مصيبتـــك البرايـــا ... وصـار بهـا على الـدنيـا ظـلام
فكم حَسُنَتْ بـــك الأوقـــات حتى ... «كأنّـك في فم الـدنيـا ابتسـام»[٢]
ستنـــدبـــك المـواكبُ كلَّ يـوم ... ويبكيـــك المثقَّفُ والْحُســـام
لأنّـك مـــا شهـــدت الْحَرْبَ إلاّ ... «تعـالى الجيشُ وانحـطّ القتـام»
فلـو تُفـدى بـذلنـا كُـلَّ نَفْس ... لأنَّ حـلال بُقْيـانـــا حرام
ولـــــو رد الردى حربٌ لشُبّت ... وكان وَقُـودهـــا جثثٌ وهـــام
وكفَّ الخطبَ عَنـك كُفـاةُ أهـل ... هُمُ في الروع أمجـــــاد كرام
أب وأخ همـــا ليثـــا عرين ... إذا مـــا كان للحرب اصطـــلام
يعـــــزّ عليهما أن بتَّ فرداً ... وجـالت في محـاسنـك الهـوام
ومـــا تركاك رهْنَ الترب عَمْـــدا ... «ولكن مَعْـدِنُ الـذهب الرّغـام»[٣]
فنم فلـــو افتقرت لفعـــل بر ... «لأعطوك الذي صلّوا وصـاموا»[٤]
ومـــا تحتـــاج عنـــد الله قربى ... مـواهبُـه لنـا أبـداً جسـام
فللرحمن لُطفٌ واعتنـــــاءٌ ... بَمَنْ بـالعلم كان لـــه اعتصـام
فكم أذريت خَـوْفَ الله دَمْعـــاً ... غمـائمُـــه إذا انهلّت سجـــام
قَضَيْتُـك بـالـوفـا حقـاً أكيـداً ... لأنّ بصحبـــةٍ يجبُ الـــذمـــام
ســـأجعـل طِيب ذكرِك لي سميراً ... «ومَنْ يعشـق يلـــذّ لـــه الغرام»

---

(١) (خ) : « يؤلّفها على » .
(٢) في ديوان المتنبي « فم الدهر » .
(٣) الرّغام : التراب .
(٤) في الأصل : « قتم لو » ، وأثبتنا ما في (خ) .

وأرجـو الله أن يـوليـــك رحْمَى «ومن إحـدى عطـايـاه الـدوام»
فـلا تبعـد فنحن عليـك وفْـدَ وغـــايتنـــا لهـــذا والسـلام

وأورد الكمال الأدفوي في آخر ترجمة الأمير ناصر الدين ، وأظن ذلك في نظم كمال الدين المذكور فيه :

أبكي عليـك بـدمعـة كتبت على صفحـات خـدٍ للكئيب سُطـورا[١]
تجري من العين التي أنشـأتهـا مـا زال من إحسـانـه مسرورا[٢]
سالتْ عقيقاً فاستحالت عَنْدمـا شـابت فصـارت لـؤلـؤاً منثـورا

قلت : العين وإنسانها لا يوصفان بسرورٍ البتة ، وإنما السرور من صفات القلب .

وأنشدني من لفظه لنفسه ـ رحمه الله تعالى ـ لما أخرج السلطان الملك الناصر محمد خليل بن بلغدار[٣] إلى الشام بسببه ، وكان له إليه ميل عظيم :

ومن حيثمـا غُيّبت عني ظـاهراً وسرتَ على رغمي وفـارقتني قَسْرا
أقمتُ ولكنيّ وعيشـك آيسٌ من الرُّوح بعد الخلّ أنْ تسكن الصدرا
فكم عبرةٍ للعين أجريتُهـا دمـاً وكم حُرقٍ في القلب أذكيتها جَمْرا[٤]
لعلّ الـذي أضحى لـه الأمر كلُّـه على طول ما ألقاه يُحْدثُ لي أمرا[٥]

وأنشدني من لفظه لنفسه في المذكور ، اهتدم قول :

ألا ليت شعري هـل أبيتن ليلـة وحـولي ... إذخر وجليـل[٦]
وهـل أرِدَنْ يـومـاً منـاهـل جلَّـق ويبـدو لعيني شـامـة وخليـل

(٢) (خ) : « أبكي عليه » .
(٣) في الأصل : « العين الذي » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) كذا في الأصل و (خ) والوافي . وأكبر الظّن أنها « دلغادر » ، وقد ترجم له صاحب الدرر : ٨٨/٢ ، ووقع فيه اللفظ بالدال ؛ إلاّ أنه قطع ترجمته ، ولم يذكر وفاته .
(٤) (خ) والوافي : « في الصدر » .
(٥) هنا ينتهي مضمون الترجمة في الوافي .
(٦) كذا ، والإذخر : الحشيش .

وقال كمال الدين الأدفويّ نقلت من خطه له :

وإذا اعتبرت سِنّي عمرك في الهـوى ... ومرورهـا في أعصر الخسران[١]
وعلمت أن المرء منهـا راحـلٌ ... سقراً بـه للسخـط أو رضـوان
أيقنت أن الفـوز فيهـا للتقى ... ولمن يقـوم بحكم القرآن
فـاجهـد لنفسـك يـا أخيّ مخلِّصـاً ... فلَقَـدْ نَصَحْتُـك في جميـل بيـان

وكتبت له وأنا بالقاهرة منشوراً بإمرة أحد وأربعين رمحاً في أيام السلطان الملك الناصر محمد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة وهو :

« الحمد لله الذي نصر هذا الدين بمحمّده ، وجعل مفارق العدا من أغماد مهنده ، وأطفأ بوبل نبله حَرَّ الوَغى إذا زاد في توقُّده وجمع له بين فضل السيف والقلم ، فكان هذا الجمعُ من مزايا تفرُّده .

نَحْمَده على نِعَمِه التي منحت دولتنا القاهرة وليّاً تُعقَدُ عليه الخناصر ، وخصَّت أيامنا الزاهرة بماجد طابت[٢] منه الأصول ، كما طابت العناصر ، وزانت مواكبنا الوافرة بفارس يصبح النجم عَنْ مداه وهو قاصٍ والبرق قاصر ، واعْتَزَّت[٣] جيوشنا الباهرة منه ببطل من لم يكن له وَسْمُه واسمه ﴿ فمالَهُ مِنْ قُوّةٍ ولا نَاصر ﴾[٤] .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تُرغم معَاطس الكفر والضلال ونعلي بها كلمة الإيمان بصدور البيض البُتْر وكُعوب السُّمر الطوال ، ونُطلع بها في ليل العجاج المظلم أسنَّة الذوابل تتّقد كالذُّبال ، وننال بإخلاصها النصر إذا تَبّت[٥] يد الكافر يوم الفتح في القتال .

---

(١) (خ) : « في الورى » .
(٢) (خ) : « طابت » .
(٣) في الأصل : « واعترت » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) الطارق : ١٠/٨٦ .
(٥) في الأصل : « نبت » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهو معنى قرآني .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حقّ جهاده ونصر الدين الحنيف بأنواع أعوانه وأجياد جياده وأتْعب السيوف في راحته حتى لقي الشرك وألوفَهُ بالتوحيد وآحاده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دعاهم إلى هداهم فثَنَوا إليه الأعنة ورأوا أفعاله فَرَووا عنه السُّنة وجالدوا عداه ، فرووا منهم الأسنّة واستبشروا ببيعهم الذي بايعهم بأن لهم الجنة[١] ، صلاة تتبلج بها نجوم الظلم ، وتتأرّج بها نسمات الضال والسَّلم ما خَفَقت عذبات عَلَم وثلّ الإيمان عَرْشَ البهتان وثلم ، وسلّم تسليماً كبيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فإنّ أحقّ الأولياء بموالاة النِّعم ومغالاة القيم ومضاعفة الآلاء عليه حتى تخجل الدّيم ، مَنْ تزاحم النجوم عُلياه بالمناكب ، ويغدو بَدْرُ الجيوش في هالة المواكب ، ويمتشق الصوارم بيمناه ويركب[٢] من شوق إلى كل راكب ، ويعتقل الذوابل فتلجّ في عُلوّ « كأنما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب »[٣] .

وكان المجلس السامي الأميري وألقابه الناصري ونعوته محمد بن الجناب العالي الأميري البدري محمد بن جنكلي بن البابا الناصري من قوم ندعوهم فيُلبّون إلى طاعتنا مسرعين ، ونرجو لفَتَاهم كمال المئة ، فإنه قد تجاوز حد[٤] الأربعين ، فهم أبطال تفرق[٥] الأسود الغُلْب من وثَباتها وثباتها ، وفرسانٌ قوائمٌ خيلهم صوالج تَلْعب من رؤوس

---

(١) اقتباس من قوله جلّ وعزّ : ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ﴾ [التوبة : ١١١/٩] .

(٢) في الأصل : « ومركب » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) عجز بيت سلف للمؤلف أن مثّل به .

(٤) في (خ) : « بهذا حد » .. وهو يشير إلى بيت سحيم بن وثيل الرياحي :

وماذا يدّري الشعراء منّي وقد جاوزت حدَّ الاربعين

وهو من قصيدة اختارها الأصمعي ، انظر : الأصمعيات : ٦ .

(٥) الفَرَق : الخوف والفزع .

العدى بكُرَاتها في كَرّاتها ، وشجعان ألفوا[١] مقاعد الخيل فكأنهم وُلدوا على صهواتها ، وأمراء زانوا مواكبنا السعيدة التي لا تخرج الأقمار عن هالاتها ، قد احتكم إلى يمينه السيف والقلم ، وانطوى على نشر العِلْم والعَلَم ، ونقص عند أقوامه زَيْدُ الخيل ، وشاب من شجاعته عامر بن الطفيل ، وعجز ابن عساكر عن حفظه ، وغرق ابن نقطة في بحر لفظه ، فهو من المناضلة إلى المفاصلة ، ومن تدبير العوالي إلى تسطير الأمالي ، ومن جلاد الفوارس إلى جدال المدارس ، ومن ظهور السابقة العِرَاب ، إلى بطون الناطقة بالصواب عملاً بقول القائل :

أعزّ مكان في الدُّنا سرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ[٢]

لأنه نَجْل والده الذي مارفعنا راية رأيه في أمر ففسد ، وفرْعٌ أصله الذي نشأ في خدمتنا الشريفة ، والشبل في المخبر مِثل الأسد ، كم لوالده من يوم حرب أذكر الناس بيوم بدر ، وكم له من ليلة علا فيها قدرهُ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القدر ﴾[٣] .

وقد اقتضت آراؤنا الشريفة تغيير إقطاعه ليقوى حزبه على الحرب وينتقي من يكون أمامه من أبناء الطعن والضرب ، وتمرح به كمت الجياد في الأرسان وتُشاهد في مقامات حربه مقاتل الفرسان وينظم في صفاته (صحاح) الجوهري إذا نثر من الدماء (قلائد العقيان) ، فالفتوح تيسَّر للدين القيّم بالحتوف ، والجنة كما قال ﷺ تحت ظلال السيوف[٤] :

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

---

(١) في الأصل : « ألقوا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) للمتنبي ، ديوانه : ١٩٣/١ .

(٣) القدر : ٢/٩٧ .

(٤) فيه إشارة إلى الحديث : (الجنة تحت ظلال السيوف) ، ذكره السيوطي في الجامع الصغير : ١٤٥/١ ، وضعّفه .

يفوق الألوف فلذلك خرج الأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري أعلاه الله تعالى وشرّفه أن يُجْرَى في إقطاعه .

فلما جُهّز المنشور إليه كتب هو إليّ قرين تشريف جهّزه والده رحمها الله تعالى إليّ :

« يا مولانا ما هذا منشور إن هذا إلا لؤلؤٌ منثُور ، كل سطر منه جنة قد حفّت بالثمار ، وكل شطر[١] من سطره لو يباع اشتري بألف دينار ، تلعّب فيه قلم مولانا بالعُقُول ، وأدار بكلامه على الأسماع كأس الشمول ، فعلّم كل بليغ ما يقول ، وتصدّق على المملوك بأوصاف استعارها له بيانُه ، ورصّع جواهرها بنانُه ، وقد وقف عليه محبّكم الوالد وقال : بمثل هذا الفضل يحيي الذكر الخالد[٢] ، وقد سيّر إليكم شيئاً من تمام الإحسان قبوله ، وهو يعتذر بما إذا حضر المملوك يذكره ويقوله ، والله تعالى يعلي لمولانا المكانة ، ويديم لهذه الدولة الشريفة بيانه بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكنت قد كتبت أنا إليه وأنا بالقاهرة في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة :

لي في الجوانح من حزني حرارات ... كما لبرد اللّمى فيها حرارات[٣]
وللبوارق إن لاحت أو اعترضت ... في الضوء من ثغرك الضاحي إشارات[٤]
وللغصون إذا ورق الحمام تلت ... أياتِ عطفيك في الأسحار سجداتُ
أشكو ظلام ذؤابات دَجَت فغدت ... ومالها غير نُور الفرق مشكاة
خيالك البدر في جوّ السماء إذا ... نظرت فيها لأنّ الأفق مرآةُ
ومن يَسُق نفسه للوجد فيك ففي ... لعْب الغرام على خدَّيك شاماتُ

---

(١) في الأصل : « سطر » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) في الأصل : « الخالد » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) في (خ) : « حزازات » .
(٤) في الأصل : « وللبواق » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وفيها : « في الجو » .

يـا بـدر حسنٍ لـه دُون البَريّـة في ... أهلّـة اللثم لا في السحب هـالاتُ
دينـار خـدّك وافٍ في الجمـال فلِمْ ... زيـدت بـه مِنْ سواد القلب حبّاتُ
لـولا تَجَنّيـك لم يَعْـذُب جنـاك ولا ... طـابت عليـك لـذاتِ الصبّ لـذّاتُ
لم لا سمعتِ دعـاوى الصبّ فيـك على ... هـواك إنّ دعـاويـه صحيحـاتُ
وأنت يـا مَن أداجيـه على شغفي ... بـه وهيهـات أن تخفى الصبـابـات
لا تقبلنّ شهـادات الـدمـوع ومن ... تعـديل عطفيـه في جفني جراحـاتُ
حلبت شطري زمـاني وارتضيت بهـا ... لي وحشـةٌ عن أنيس فيـه إعنـاتُ[1]
فكم مجـالس لهـوٍ خمرُهـا غـزلي ... وشمعتي فكرةٌ فيهـا شرارات
وليس لي طرب إلاّ إذا تُلِيَتْ ... عن نـاصر الـدين أخبـارٌ وآيـاتُ
فتى إذا فكرتي صَاغَتْ لـه مـدحـاً ... شُنّت على الوصف في علياه غـاراتُ
وسـابـق اللّفـظ في نظمي مـدائحـهُ ... الـدرّ والـزّهر والـزُّهر المنيراتُ
حـوى الفضـائـل مِن سيف ومن قلم ... فليس عنـد الـورى إلاّ فُضـالاتُ
لـه محـاريب حرب كلّما ركعت ... سيـوفـه سجـدت إذ ذاك هـامـاتُ
فـالأرض طِرس وغَىً والخيل أسطرهُ ... والسمهري ألف واللام لامـاتُ
وكم أدار كـؤوس المـوت حين شـد الـ ... ـحُسـامُ وارتقصت للسمرقـامـاتُ
ليث فرائسـه الفرسـانُ يـوم وغى ... ومـا البراثِنُ إلاّ المشرفيّـاتُ
إنْ أظلم الجوُّ من جَوْنِ العَجاج فمِن ... خُرصـان ذُبّلِـهِ فيـه ذُبـالاتُ[2]
وإن دجـا البحث في تحقيق مسألـة ... جلت حنـادسـه منـه الـدّلالاتُ
وأوضـح الحـقّ بـالبرهـان وازدحمت ... فيما يرى نَصْرَه منـه العبـاراتُ
وإن أتـاك بنقـلٍ فـالبحـور طمت ... ويعضـد الرأي مـا تهـدي الروايـاتُ

---

(١) في الأصل : « حكيت ... إغنات » ، وفي (خ) : « خلبت .. إعنـات » ، تحريف ، يقـال : حلب فلان الدّهر أشطره ، أي : خبر ضروبه .

(٢) الخرصان هي الأسنّة ، وتطلق أيضاً على الرّماح .

وإن تمسك في قولٍ بظاهره ... تخضع له الشُّبهات الفلسفياتُ
نقول إلاّ إذا ما كان حاضرنا ... فهو الخطيب ومنّا نحن إنصاتُ
وإن أدار على قرطاسه قلماً ... فباطنُ الطّرس أنهار وجنّاتُ
عن كل همز سما في سطره ألفاً ... فقُلْ غصون بأعلاها حماماتُ
يكاد معنى عباراتٍ يسطّرها ... تبدو لها من حمام الهمز رنّاتُ
نظم يروق ومعناه يرقّ لنا ... فاللفظ كأس له المعنى سلافاتُ[1]
يا شاكي الزمن الجاني استجر كرماً ... به فللدهر من نُعماه ردّاتُ
وسوف يغفر للأيام زلّتها ... وتنجلي ظلماتٌ أو ظلاماتُ
فما سَميُّ النبي الهاشمي له ... بدع إذا انكشفت عنك الغيباتُ
لقد سما والورى مِنْ دُون رتبته ... ولم تزل تَفْضُل الأرض السماواتُ
خلائقُ مِثلُ أنفاس الرياض إذا ... مرّت بأزهارها ليلاً نُسَيْماتُ
وجُود كفٍّ كأنّ الفقر قفرُ فلاً ... تهمي على عطش منه غماماتُ
مِن مَعشرٍ قد سها طَرْفُ السُّهى لَهُمُ ... عليه من مجدهم تُرخى الذؤاباتُ
لا زال في نِعمٍ أنفاسُ لذّتها ... في كل نادٍ لها بالنّد نفحات

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

أوراق نظمك للأبصار روضات ... فيها لغرّ المعاني منك زَهراتُ
يا ناظماً نزلت زُهْر السماء له ... كانت بروجاً فأضحت وهي أبياتُ
وفاضلاً لا يَفُضّ الله خالقُنا ... له فما منه للدنيا كمالاتُ
ترجّلت لك فرسان القريض وولّوا منك خوفاً كأنّ القوم أمواتُ
كلّ بفضلك أمسى وهو معترفٌ ... وليس يقوى لعصف الريح نسماتُ
يروي الأنامُ حديث الفضل عنك وقدْ ... علت لهُم منك في ذاك الإجازات
ومن يعاند فيما رُحتُ أذكُرُه ... عمّا حويت من العليا فَقُلْ هاتُوا

(١) (خ) : « يروق لنا » .

وكتبتُ أنا إليه أهنئه بقدومه من الحجاز في شهر الله المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة :

قدمت قدوم البدر والليل قد دَجا ... فأشرقتِ الآفاقُ من سائر الأرجا
وكانت رُبا مصر رياضاً تصوَّحت ... فجئت إليها كالغمام إذا ثجّا
إذا النوق أعياها المسيرُ فإنها ... بطيب الثنا والذكر عنك غدت تُزْجَى
أيا من سرى والأنجم الزُّهرُ في الدجى ... ليُهْدى بها في القفر قد عُلِّقت سرجا
وأمسى هلال الأفق كوراً لنُجبه ... وإلاّ على ظهر الجياد له سَرجا
قطعت الفيافي نحو مكة مُحرما ... ولم تتخذ إلاّ التقى والفلا منجا[1]
وجُرِّدْت من ثوبٍ مخيطٍ ولم تَزَل ... برود الندى والبأس تُحكِمُها نَسْجا
ولبَّيْتَ لبّاك الإله لأنَّه ... رأى خير من لبّى بركبك أو عجّا
وطُفْتَ ببيتٍ لم تر الباب مُرْتجاً ... متى جئته تدعو ولا الركن مرتجّا
ترى الحجر المسودّ أحسن موقعاً ... بقلبك من خالٍ على وجنة بَلْجَا[2]
فتوسِعُه لثماً بأبيض واضحٍ ... إذا قال قلنا السحرُ من لفظه مجّا
وفي عرفاتٍ كان عَرفك ذائعاً ... تضوَّع عَرْفاً نَشْرُه مَلأ الفجّا
وحلّقت حتى لا تكون مُقصّراً ... وذلك أنجى في العبادات بل أرجى
وسُقْتَ مطايا الهَدْي تنحر كومها ... وقد نضجتْ أكبادُها بالسُّرى نُضجَا
فبَخَّلتَ حتى السحب في جُود وَبلها ... وزدت إلى أن كدْت أن تُغرق اللُّجا
وجئت إلى قبرٍ حوى خير مُرْسل ... ومَنْ حُبُّه الذُّخرُ المُؤمَّل والمُلْجَا
تجادِل عنه أو تجالِد مَنْ غدا ... يعالج منه المسلمون فتىً عِلْجا
إذا أنت رفعَّت الرماح مراوَداً ... تشقّ بها من نَقْعِهِ مُقْلةً دَعجا[3]

---

(١) (خ) : « نهجا » .
(٢) (خ) : « ثلجا » .
(٣) المرود : أداة الكحل .

وإن ظَمِئَتْ يوم الوغى أنفسُ العدا سَلَلْت لها في الروع بيض الظبا خَلْجَا
أيا مَنْ غَدَت أعلامُه وعُلومه تُنيرُ لنا مِثْل الشهاب إذا أجّا
قطعت الورى بَحْثاً وطُفْتَ بمكة فأصبحْتَ في الحالين أفْضَل مَنْ حَجّا
بقيت مليكاً في الفضائل والعلا متى هاج خَطْبٌ والتفتَّ له هجّا
ولا زلت محروس الجناب من العدا يسلُّ لها غمدُ الدجا فجره نَمْجا[١]

وكتب هو إليّ من القاهرة بعد خروجي منها إلى صفد في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة[٢] : إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد :

يا راحلاً وجميلُ الصبر يتبعه هل من سبيل إلى لقياك يتّفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية ولا وفى لك قلبي وهو يحترق[٣]

يا مولانا تذكر قوله ﷺ : ما قضى الله لامرئ مؤمن من قضاء إلا وكان الخيرة له فيما قضى من ذلك ، إن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له[٤] وإن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن . وفي الأثر : المؤمن مُلقّى[٥] ، وفي حديث سويد الأزدي[٦] وقومه حين قدومهم على سيد البشر أنه فسّر إيمانهم بخمس عشرة خصلة وعدّ منها الصبر[٧] عند البلاء ، والرضا بمواقع القضاء . وبالجملة الحمد والشكر لله أولاً وآخراً ، والله معك حيث كنت ، والسلام :

---

(١) في الأصل : « له » ، وأثبتنا ما في (خ) . والنمج : سيف رقيق يوضع إلى جانب السلطان أو النائب .
(٢) في الأصل : « هكذا في سنة ٧٣٢ » ، وأثبتنا ما جاء في (خ) .
(٣) في الأصل : « وهي آبية » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) في الأصل : « كان له خيراً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٥) ملقّى : أي : مُوَفَّق لها .
(٦) في (خ) : « سويد بن الحارث الأزدي » .
(٧) في (خ) : « خصلة وفيها الصبر » .

أوحَشْتَ مصراً فادلهمّ رَبْعُها شوقاً إلى ذلك المحيّا الزاهر
أفضت من فضائها فضائلاً مِنْ بَحْرِ علم قد حَويت زاخرِ
نثرٌ إذا نظرته كأنه المنثور لاح وسط روضٍ ناضر
ونظم شعر راق في تأليفه فأخجل العقود في الجواهر
وحُسن خط قد جعلت طِرسه مدبّجاً كالروض بالأزاهر
يا فخر دهر أنت من كتّابه تُخجل كلَّ ناظم وناشر
وعزّ ملك كنت في ديوانه تنشئ ما يلعَبُ بالضمائر
إذا ترسّلتَ إلى أعدائه أغْنَيْتَه عن الحسام الباتر
يا فاضلاً أخنى عليه دهرُهُ لا تخضعن لنكبةِ في الظّاهر
فاصبر ولا تقلق لأهوال الرَّدى فإنْ ثَبَتّ نلت أجر الصّابر
أرجو لك العودَ لمصر سُرْعَةً مظفراً كما يظنّ خاطري

فكتبت أنا الجواب إليه ، رحمه الله تعالى :

يا برق هل ترثي لصب ساهرِ وهل ترى لكسْرِه من جابر[1]
وهل لما قدْ نَابَهُ من راحم أو لم يكن فهل له من عَاذر
أبيت لا أنيس لي إلاّ الذي يدور من شكواي في ضمائري
أخرجني كالسهم من كنانةٍ حكم زمان في القضاء جائر
وابتزّني صبري وما أرى الورى على الذي قد نالني من صابر
فأضْلُعي تُحنى على جمر الغضى وما الشرار غير قَلْبي الطائر
ومن غدا باطنُه مشتعلاً لم يُفنه تجلّدٌ في الظّاهر
ومقلتي تعثّرت دموعُها لأنّها تجري على محاجري
والنومُ لا أعرف منه سنة في سنة إلاّ بحكم النادر
يا دهرُ قد رَمَيْتَني بنكبةٍ عَدمتُ فيها قُوَّتي وناصري

(١) (خ) : « وأهل » .

القـــاتـل المحـل يجـود كفّـــه وصـــاحب الإبـداع في المفـــاخر
كم حـــدَّثتني راحتـــاه عَنْ عطـــا وكم روى إحســـانـــه عن جـــابر
يـــا قـــاطـع البيـــد إلى أبـوابـــه ظفرت من جـــدواهُ بـــالجـواهر
لا تشـــك في القفر ظمأً فكفّـــه أطبقهـــا على الخضمّ الـــزاخر[1]
ويـــا مجـاريـه لغـايـات العُـلا قِفْ واسترح من هـــذه الخـواطر
كم قـــد جرى البرق على آثـــاره فلم يفـــز إلاّ بجـــدّ عـــاثر
ويـــا مُنـاوي بـأســـه إلى الـوغى جَهلْتَ مـــا تبغي فـلا تخـــاطر
أمـا ترى مـــا حـاز مِن فضـائـل فـــاقت على قطر الغمام المـــاطر
والسيف والبراع في بنـــانِـــه مـــا اجتمعـــا إلاّ على المـــآثر
سيـــادة في بيتـــه مشهـــورةٌ يَعُـــدّهـــا في كابر عن كابر
آه على مـــا فـــات مِنْ نـوالـــه وفضلـــه وجبره لخـــاطري
ولطفـــه ذاك الـــذي إذا بـــدا تَعْرفـــه في كل روض زاهر
أبعـــدني دَهْري عن أبـوابـــه يـا ويـح دَهْر بـالفراق ضـائري[2]
وربّما يسمـــحُ لي بعـــودةٍ فيُغفر الأوّل عنـــد الآخر

وكنت كتبت إليه من الرَّحبة سنة تسع وعشرين وسبع مئة :

لي حـالـة بعـد الأمير نـاصر الـ ـدين لهـا كل الأنـام عـاذرُ[3]
ضنيتُ بـالبعـد فمـا لي قـوة وغـاب عن عيني فمـا لي نـاصر[4]

(١) في الأصل : « في الفقر طما » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) (خ) : « صائري » .
(٣) في الأصل : « له حالة » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) لعلّه يشير إلى قول القائلة :

قـــامت تبكيـــه على قبره من لي من بعـدك يـا عـامرُ
تركتني في الـــدار ذا غربـــة قـــد ذلّ مَنْ ليس لـــه نـــاصرُ

انظر : المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١٨٨/١ .

وكتبت أيضاً إليه :

يـــا غـــائبـــاً عني بحكم النـــوى وذكره مـــــا زال في خـــــاطري
قـــد جـــار في الحكم زمـــاني ولا بـــــدع إذا اشتقت إلى نـــــاصري

١٥٤٢ ـ محمد بن جوهر بن محمد*

أبو عبد الله التلّعفري المقرئ المجوّد الصوفي .

قرأ على أبي إسحاق بن وثيق[1] لأبي عمرو ، وأخذ عنه التجويد ومخارج الحروف . وسمع بحلب عن ابن رواحة ، وابن خليل ، والصلاح موسى بن راجح ، وغيرهم .

قال شيخنا الذهبي : قدم علينا دمشق ، وقرأت عليه مقدمته في التجويد وجُزءاً من الحديث . وكان شيخاً ظريفاً فيه دعابة وحسن محاضرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وتسعين .

ومولده بتلّعفر سنة خمس عشرة وستّ مئة .

١٥٤٣ ـ محمد بن حازم بن حامد**

ابن حسن الشيخ الإمام الصالح شمس الدين أبو عبد الله بن القدوة المقدسي ، إمام دار الحديث الأشرفية بالجبل .

كان شيخاً صالحاً بهيّ المنظر ، حسن الهيئة ، كثير الخير ، مشكور السيرة ، حدّث

---

* الشذرات : ٤٣٦/٥ .

(١) في الأصل : « رشيق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الشذرات ، وهو : إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن وثيق (ت ٦٥٤ هـ) ، غاية النهاية : ٢٤/١ .

** الشذرات : ٤٣٦/٥ .

بـ (صحيح) البخاري وغيره ، وسمع عن ابن اللّتي ، والحسين بن صَصْرى ، والناصح الحنبلي ، وابن غسان ، والفخر الإربلي ، وغيرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة عشرين وست مئة أو بعدها بقليل .

ووجد سماعه في أول سنة خمس وعشرين وست مئة حضوراً .

١٥٤٤ ـ محمد بن الحرّاني*

ناصر الدين التاجر الشرابيشي[1] .

كان للأمير سيف الدين تنكز به اعتناء ، وإذا توجّه للقاهرة يقف حوله ويشتري له ما يريد ، وما يخرج من القاهرة حتى يقترض منه مبلغاً كبيراً من المئة ألف وما فوقها وما دونها ، وما كان القاضي شرف الدين النشو يعارضه لأجل تنكز .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة أربعين وسبع مئة ، وخلّف ستة عشر ألف ومئتين وستين ديناراً ، ومئة وخمسة وثلاثين ألف درهم ، وحججاً على أناسٍ بمئة وخمسين ألف درهم ، وخلعاً وقماشاً بسبعين ألف درهم ، وأملاكاً بمئتي ألف درهم ، ولم يخلف وارثاً ، وكان عند موته يقول : مالي .. مالي .. مالي .. إلى أن مات .

١٥٤٥ ـ محمد بن الحسن بن إبراهيم**

فتح الدين الأنصاري المعروف بالقمّني .

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) في الأصل : « الشرانيسي » ، ولعلّها محرّفة ، والشراب : ضربٌ من النسيج الرقيق .

** الوافي : ٣٣٩/٢ ، والدرر : ٤١٨/٣ .

سمعت عليه بثغر الإسكندرية في صفر سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة جميع الحديث المسلسل بروايته عن النجيب عبد اللطيف الحراني ، وأجاز لي جميع ما يجوز له روايته ، وكتب بذلك بخطه[١] .

١٥٤٦ ـ محمد بن الحسن بن سباع*

الشيخ الإمام العَرُوضي ، شمس الدين الصائغ الدمشقي .

كان من مشيخة الأدب ، والناس ينسلّون إليه من كل حَدَب ، أقرأ الناس في دكّانه بالصاغة زمانا ، وأخذوا عنه لشعرهم ميزانا ، والعروض أول ما كان يعرف ، وينفق من حاصله لمن يقصد ويصرف .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الصائغ في الأحياء ضائعا ، وصوّح روض الأدب منه ، وكان به ضائعا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الثلاثاء ثالث شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبع مئة[٢] . والصحيح أنه مات في ثالث شعبان .

ومولده في صفر سنة خمس وأربعين وستّ مئة .

رأيته غير مرّة وكان يتردّد إلى القاضي قطب الدين بن شيخ السلامية ، وينفق آدابه عليه ، وله نظم كثير ، ونثر كثير ، وشرح (ملحة الإعراب) ، و (اختصر صحاح) الجوهري ، فجرّده من الشواهد ، وله قصيدة عارض بها (القصيدة الهيتيّة) التي لشيطان العراق ، فما داناها وشرحها على هوامشها ، وملكتُها بخطّه وأخرجتُها عن

---

(١) في الأصل : « خطّه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الوافي : ٣٦١/٢ ، وفوات الوفيات : ٣٢٦/٣ ، والدرر : ٤١٩/٣ ، والشذرات : ٥٣/٦ ، وذيول العبر : ١١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٨/٩ .

(٢) الذي في الوافي والفوات أنه توفي سنة (٧٢٢) تقريباً .

يدي ، (وشرح الدريدية)[١] في مجلدين من أربعة[٢] ، ملكتُها بخطه ، وقد أخرجتها عن يدي لما وقعت على أشياء في الشواهد ضبطها بخطّه على غير الصواب ، وله (المقامة الشهابية)[٣] وضعها للقاضي شهاب الدين بن الخُويّبي ، ملكتها بخطه مشروحة .

ومن شعره :

إنْ جَزْتَ بالموكب يوماً فلا ... تسأل عن السيّارة الكُنَّس
فثَمّ آرامٌ على ضُمَّرٍ ... لله ما تَفْعَل بالأَنْفُس
بأحمرٍ هذا وذا أصفرٌ ... وأخضرٌ هذا وذا سندسي
فقل لذي الهيئة ياذا الذي ... ينقُل ما ينقلُ عن هُرْمسي[٤]
قولك هذا خطأ باطل ... أما ترى الأقمار في الأطلس[٥]

قلت : أخذه من سيف الدين بن قزل المُشِدّ ونقّصه ، لأنه قال :

زَعَم الأوائل أنّما ... تبدو الذوائب للكواكبْ
وتوهّموا الفلك المعظـ ... ـم أطلساً ما فيه ثاقب
أتراهم لم ينظروا ... ما في الزمان من العجائب
كم من هلالٍ قد غدا ... في أطلس وله ذوائب[٦]

وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين أحمد بن عزّ الدين الفارقي الموقع[٧] قال :

---

(١) هي مقصورة ابن دريد في اللغة .
(٢) في الوافي : « يقربان من أربعة » .
(٣) في الوافي : « المقالة » . وانظر كشف الظنون : ١٧٨٥/٢ .
(٤) حكيم فرعوني ، ويقال إنه النبي يونس .
(٥) في الوافي والفوات : « هذا خطل » .
(٦) في الوافي والفوات : « قد بدا » .
(٧) هو أحمد بن سعد الله بن مروان الفارقي (ت ٧٣٧) ، وفيات ابن رافع : ١٧/١ .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين الصائغ ملغزاً :

مـــــا اسمٌ إذا عكستَـــــهُ رأيتـــــه بنفســـــه
كـــذاك إن ضـــاعفتـــه لم يختلف بعكســـــه

قلت : هو في « سدس » وضعفه ثلث ، وهذا في اللغز بديع .

وقال الشيخ شمس الدين الصائغ وهو بمصر يتشوّق إلى دمشق :

لي نحـو ربعـك دائمـاً يـا جلّـق شـوقٌ أكاد بـــه جـوًى أتمـزّق[١]
وهـولُ دمعٍ من جوى بـأضـالعي ذا مُغْرِقٌ طرفي وهـــذا مُحْرِق[٢]
أشتـاق منـك منـازلاً لم أنسهـا أنّى وقلبي في ربـوعـك مُـوثـق
طَلَـلٌ بـــه خَلقي تكـوّن أوّلاً وبـــه عُرِفْتُ بكلّ مـــا أتخلّـق
وقْفٌ عليـك لـذا التـأسّف والبكا قلبي الأسير ودمْـعُ عيني المطلـق
أدمشـق لا بَعْـدَتْ ديـارُك عن فتىً أبـداً إليـك بكُلِّـهِ يتشـوَّقُ
أنْفَقت في نـاديـك أيـامَ الصّبـا حُبّـاً وذاك أعـزّ شيء يُنفـق
ورحلت عنـك ولي إليـك تلفّتٌ ولكلّ جمـع صَـدْعـةٌ وتَفَرّق
فـاعتضت عن أنسي بظلـك وحشـةً منهـا وهَىَ جَلَـدي وشَـاب المفرق
فلبستُ ثـوب الشيب وهـو مُشَهّر ونزعْتُ ثـوب الشَّرخ وهـو مُعَتّـق[٣]
ولكم أسكّن عنـك قَلْبـاً طـامعـاً بـوعـودِ قُرْبـك وهـو شـوقـاً يخفـق

منها :

والريـحُ تكتب في الجـداول أسطراً خَـطٌّ لـــه نَسْـخُ النسيم مُحقَّـقُ[٤]

(١) في الأصل : « أكابده » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .
(٢) في الفوات : « عيني » .
(٣) في الفوات : « وخلعت ثوب » ، وفي الأصل : « الشرح » بالحاء المهملة ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٤) في الفوات : « والريح تكتب والجداول أسطر . الربيع محقق » .

والطير يقرأ والنسيم مردِّدٌ والغُصْن يرقُصُ والغدير يصفّق
ومعاطفُ الأغصان غنّتها الصَّبا طَرَباً فذا عارٍ وهذا مُوْرِق
وكأنّ زَهْرَ اللوز أحداقٌ إلى الزّوار من خُلَل الغصون تحدّق[١]
وكأنّ أشجار الغياض سُرادِقٌ في ظلّها مِن كل لون نَمْرق
والورد باللّوان يجلو منظراً ونسيمه عَطِر كمسك يعبق[٢]
فبلابلٌ منها تهيج بلابلي ولذاك أثواب الشقيق تشَقَّق[٣]
وهزارُه يصبو إلى شحروره ويجاوب القمريَّ فيه مطوّق[٤]
فكأنّما في كلِّ عود صارخ عُود حلا مزمُومه والْمُطَلَق[٥]
والورق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الطليق الموثق[٦]

قلت : وهي طويلة جداً ، وقد ذكرتها مستوفاة في الجزء الأول من (التذكرة) التي لي[٧] .

١٥٤٧ ـ محمد بن الحسن بن محمد*

الخطيب كمال الدين أبو عبد الله ابن الشيخ[٨] الإمام العلامة نجم الدين أبي محمد ابن الشيخ كمال الدين القرشي الأموي القرطبي الأصل الصفدي الخطيب بن الخطيب بن الخطيب ، الدمشقي المولد[٩] .

---

(١) في الأصل : « حلل » .
(٢) في الفوات : « بالألوان » ، وفي الأصل : « عطراً » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٣) في الفوات : « بلابلاً وكذاك » .
(٤) في الأصل : « ويحارب » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٥) في الفوات : « صادح » .
(٦) في الفوات : « الخليّ الموثق » » .
(٧) وأثبتها بتمامها أيضاً صاحب الفوات .
* الوافي : ٣٦٦/٢ ، والدرر : ٤٢٤/٣ .
(٨) في الوافي : « ابن الخطيب الشيخ » .
(٩) وزاد الوافي في نسبه : « العثماني » .

كان خطيباً مِصْقَعا ، وأديباً ترك ربع البلاغة بعده بَلْقَعا ، كم أسال الدموع وفضّها على الخدود من الخشوع ، وكم علا ذروة المنبر واستقبل الناس فقالوا : هذا بدرٌ قدْ بدا في سماء من العنبر . ليس للحمائم مثل أسْجَاعه إذا غَرَّدت ، ولا للفُصَحاء مثل عبارته التي جمعت أنواع البيان فتَفَرَّدت .

وكان ممّن ينظم وينثر ، ويجري قلمه[١] في ميدان البلاغة ولا يعثر ، يأتي فكره بقصائد كأنها قلائد ، ونثره برسائل كلها فرائد :

لا تطلبنّ كلامه متشبّهاً ... فالدّر ممتنع على طُلاّبه
كلٌّ كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حُسْنَ الماء تحت حبابه

خطب في حياة والده ، وهو خالي الوجنة من النبات ، وحيَّر العقول بمالَهُ من الإقدام والثبات ، وكان وهو أمرد [يفتن][٢] القلوب بنظره ، ويُقسمُ الأفق أنه أحسن من قَمَره .

ومات والده وهو عارٍ[٣] من حليّ الآداب سارٍ في مَيْعَة[٤] الصَّبا والشباب ، فلمّا مات والده ـ رحمه الله تعالى اجتهد ودأب ، وتمسّك بعُرَا الفضل والأدب ، فنظم ونثر وكتب .

ولم يزل على حاله إلى أن خاطبه الخطب فجاءه ، ولم يدفع الطبيبُ داءَه .

وتوفّي رحمه الله تعالى ـ يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

ومولده بدمشق ، تقريباً سنة تسع وسبع مئة .

---

(١) في (خ) : « ويجري جواد قلمه » .
(٢) زيادة من (خ) .
(٣) في الأصل : « خال » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أنسب للجناس .
(٤) في الأصل و (خ) : « منعة » ، وما أثبتنا أشبه .

صلّى الظهر بالناس يوم الاثنين ، وجاء إليه المؤقّت فقال له : إن بعض المؤذنين ما يلازم التأذين ، فأحضره وأنكر عليه ، وحصَل له منه غيظ ، دخل بعد ذلك إلى بيته ونام[١] فجأة على فراشه . وكذلك توفي والده رحمه الله تعالى ـ فجأة بصفد أيضاً ، وقد تقدم ذكره في حرف الحاء مكانه .

وكان الخطيب كمال الدين يكتب خطّاً حسناً وهو من بيت بلاغة وكتابة ، وبَيْني وبينه مكاتبات ومراجعات ، ذكرت أكثرها في كتابي (ألحان السواجع بين البادي والمراجع) ، وكنت أودّ ما يودّه ، وأختار ما يختاره من مسكنه[٢] دمشق ـ رحمه الله تعالى ـ وما اتفق له ذلك .

وكان قد كتب هو إلى من صفد في أواخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة :

سلامٌ كنَشْر المِسْك يَسْري ويَعْبق ... على مَعْهَد كالبدر يَعْلُو فيُشْرِق
ومَشْهدُ أُنْسٍ حَلَّه مِنْ أحبَّتي ... مُوالٍ لهم في شاهدِ المجد مُشْرق
وسادات عزٍّ قيَّدُوا القلب في الهوى ... على حبِّهم والدَّمْع في الخدّ أطلقوا
يذكّرنيهم كلُّ شيءٍ يروقني ... فلي بهمُ مَعْ كلِّ حُسْن تَعَلُّقُ
ويذكي فؤادي هجرهُم وبعادُهم ... ولي نحوهم في كل حين تَشَوُّق
يردّده سارٍ ينمّ به الشذا ... ويخبر عن جار من الدمع يَسْبق
ويتلو على سمع التعطّف منهم ... حديثي عسى يوماً يرق ويشفق[٣]
ويرفع حالا نكّرت وَصْف لمّتي ... بعطف ابتداء لي على الودّ يُنْسَقُ
وينسخ أشواقي بريحان قُربه ... ويرقُمه [حقاً] دنوّي الْمُحَقَّقُ[٤]
أأحبابنا إن لم أفز بلقائكم ... فمُنّوا بطيفٍ في الكرى وتصدَّقوا

(١) كذا ، ولعله نام فمات .
(٢) (خ) : « سكنه » .
(٣) في الأصل : « ويعطف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) الزيادة من (خ) .

فقد طال هذا البعدُ والزمنُ انقضى ... بأحلام قُرْبٍ لا تَتِمّ فتصْدُق
وإن كان معْ بُعدي صحيحاً ودادكم ... أكيدٌ ولكنَّ التداني أوفَقُ
سقى دوحةً كنّا نلوذ بظلّها ... مِنَ القُرْب سحَّاحُ الندى مُتَدفِّق
وحيّا زماناً كان فيه بوصلكم ... لسانُ حُبُوري بالمسرات ينطق
فما كان أهنا عيشنا وألذَّهُ ... وما راعنا بُعدٌ ولا شاب مَفْرِق
ولا فرّقت أيدي الحوادثِ شملنا ... ولا باتَ قلبي من لُقَا البين يَخفق
فواهاً على أوقاتِ قُرْبٍ قَطَعْتُها ... بكم وشبابي مائسُ الغُصْنِ مُورق
ووصلكُم داني الجنى في ربا المنى ... وصافي التصافي بيننا يترقْرَقْ[1]
مضَتْ بسلامٍ ثم أعْقبتِ الأسى ... فؤاداً سوى إعراضكم ليس يفرَق
فما ذاتُ طوقٍ راعها فَقْدُ إلفها ... وأشجى حَشَاها بَيْنُه والتفرُّقُ
وأنطقها بالنوح في الدوح والبكا ... غريمُ غرامٍ شَفَّها والتحرُّقُ
بأشجى فؤاداً أو أشدَّ تشوّقاً ... وأحْرَى لعبراتٍ بها العين تَشْرَق[2]
وأبرحَ مني أو بأذكى تلهُّباً ... على قرب إلفٍ أو على الطيف يَطْرق
لعمري لقد كنت البعيد مَزارُه ... فَحُبُّك في سَوداء قلبيَ مُلْصَقُ[3]
وإن تنكر الأيام مالي عندها ... فأنت على دعوى ودادي مُصَدَّق
فديتك كن لي في ودادي معاضداً ... فأنت بإسعادي أحقُّ وأخلَقُ[4]
ورأيك مسعودٌ فكن لي مُساعداً ... فإنَّك ذُو الرأي السعيد الموفَّقُ
وإن أنت لم تسمع لقول شكايتي ... فعِشْ سالماً مما يسوء ويُرهقُ
فشكري أياديك الجميلة واجبٌ ... أقومُ به مادمتُ أحْيَا وأُرزق[5]

(١) (خ) : « ربا الرضا » .
(٢) في (خ) : « وأجرى » .
(٣) (خ) : « لئن كنت » .
(٤) (خ) : « في زماني » .
(٥) (خ) : « أياديك القديمة » .

وأسجع من مدحي بكل غريبة ... لأنّي بعقد المنّ منك مُطوَّق
فدُمْ في بقاءٍ يُنْبِتُ العزَّ والغِنى ... فأنت لنا الكنزُ الذي مِنْه نُنْفِق

يُقَبّل الأرض التي يسأل الله تعالى أن يحمي حماها من الغير ، ويجعلها كعبة تَطُوف بها الآمال والفكر ، وأن يمنح ربَّها من مزيد النعم « ما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1] ، ويُنْهي أشواقه التي أصبح من حرها على خطر ، ويذكّره الذي كم له فيه مِنْ وَطر ، فلا يخلو منه أين كان ولا أنّى نظر ، وصحيح ودّه الذي هو بنَقل الثقات مُعْتَبر ، وحديث حُبّه الْمُسْتَطر ، وقديم ولائه الذي هو للسان الملأ سَمَرْ .

وتلك نِسبُة رقٍّ قد عُرفت بها ... حفظُ الولا منكم حقٌّ لها يَجب
يا مالكي أين إسعافي بما طَمِعتْ ... نفسي به من بعيد الدار يقترب[2]
فقد سئمت حياتي مع بعادكم ... وقد خشيت الردى تأتي به النُوبُ
وإن قضيتُ ولم يُقضَ اللقاء لنا ... فكم مضى بحزازات الحشا وصبُ
فلا تعينوا على قلبي بقسوتكم ... فقد كفاه الجفا والشوقُ والنَّصَب
وإن تباخل أحبابي بقربهم ... فالرُّسل والطيف يكفي الصبَ والكتبُ
وإن تجَنّوا برفع السود من خبر ... فالعبدُ للحب في الحالين ينتصب

فكتبت أنا الجواب إليه من رأس القلم ارتجالاً :

تحيّة ذي ودّ براه التشوُّقُ ... وأضناهُ بلْ أفناه وجْد مُؤرِّق[3]
تَرُوق كم راقت معاني حديقةٍ ... إليها عيونُ الناظرين تحدّق
وتأتي بلطفٍ من تخصّ ربوعه ... كدمعةِ صبّ ودْقُها يترقرق
إلى مجدك السامي البنا الغامر الثنا ... تروح وتغدو دائماً تتأنّق[4]

(١) من حديث قدسي أوّله : (قال رسول الله ﷺ ، قال الله : أعددْتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ...) ، وهو في صحيح البخاري ، الحديث رقم ٣٢٤٤ ، ٤٢٤/٣ .
(٢) في الأصل : « أسعى بما » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) في الأصل : « تحية ذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) (خ) : « على مجدك » .

بعثت كمال الدين نَحوي مُشرِّفاً ... عُقودُ لآليه لجيدي تُطوّق[١]
تنزّهت منه في رياض بلاغة ... بها أدبٌ أنْهارُه تَتَدفّق
كأن قوافيه كؤوسٌ يُديرها ... على السمع مني البابليُّ الْمُعَتَّقُ
قِوى في قوافيه التي قد تمكنت ... يخور لها عند البيان الخَوَرْنَقُ
به ألفات كالغصون تقوَّمت ... من الهمز يعلُوها الحمام المطوّق
ولا عين إلاّ مثل عينٍ مريضة ... يهيم بها في الناس من يتعشَّق
ولا ميمَ إلا مبسمٌ من رضابه ... رضاب يحاكيه المدام المُروَّق[٢]
وأين البها أعني زهيراً فلو رأى ... أزاهر هذا كان في الحال يُطْرِق
وذلك شعر ليس للناس مثله ... ولكنّ ذا أندى وأحلى وأرشق
وذاك قريضٌ قد سما للسما وذا ... على أُذُن الجوزاء قرطٌ مُعَلَّق[٣]
وذاك إمام في البلاغة شامل ... وهذا موشّى بالبديع موشق[٤]
فأذكرتني عهد الصبا بقدومه ... وذلك عَهْد في الصبابة معرق[٥]
إذا ذكرت نفسي زماناً قَطَعْتُه ... وغُصْنُ الصّبا ريّان باللّهو مُورق
تصوبُ على خدي سحائب أدْمُعٍ ... فلولا زفيري كنت بالدمع أغرقُ
ولو كان لي صبرٌ لقيت به الأسى ... ولكنّ ثوب الصبر عني مُمَزَّق
فيازمني بالغت في عكس مقصدي ... فمالي بالحرمان أُرْزى وأُرزقُ
فلا وطني يدنو ولا وطري أرى ... ومِنْ دون ما أبغيه هامٌ تُفَلَّقُ
أمولاي مدّتْ بَيْنَنا حُجُب النَّوى ... وما رُفعِت والعمر من ذاك أضيق
فإن كان مولانا به صفدٌ صَفَتْ ... فإنك قد جلّت بقربك جلّق

(١) في الأصل : « لعقدي » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) في (خ) : « مبسم من ورائه » .
(٣) في (خ) : « وذاك قريض للسما سما وذا » ، وفيه خلل .
(٤) في (خ) : « وذلك سام في الفصاحة سامك » . والسامك : الرافع . وفي الأصل : « مشوق » ، وأثبتنا ما في (خ) . والتوشيق : التقطيع .
(٥) في (خ) : « في اللذاذة » .

وهبْكَ خطيباً قد علا فوق مِنْبرٍ ... أما في دمشق منبرٌ بكَ أَلْيَقُ
أدِم شقّ لجِّ البين في عرصاتها ... فكم من أناس أفلحوا مُذْ تَدَمْشقوا[١]
وجدّد لباس العزّ في غير ربعها ... فطولُ مقام المرء في الحي مُخْلق[٢]
وضُمّ بنا شمل التآلف واللّقا ... «بأسحم داج عَوْض لا نتفرق»[٣]
فكلّ مكان يُنبت العزّ طيّبٌ ... وفي كل أفق للسعادة مشرق
فلو وضحتْ لي من مرادك لمحةٌ ... لكنتُ لوفْد الريح والبرق أسْبِقُ
فما أنا في حفظ الوفا مُتَصنّعاً ... ولا أنا للزور القبيح منمّق
وأنت فتدري ما قَضته جبلّتي ... فما أدعي إلا وأنت تصدّق[٤]
ولكنّ دهراً قد بُلينا بأهلهِ ... أباعوا به ثوب النفاق ونفّقوا
أناسٌ تنازلنا إلى أن ترفّعوا ... علينا ألا ياليتهم لو ترفّقوا
فكانوا أصولاً في صحائف عزّهم ... ونحن على بعض الهوامش مُلْحَق
فثق بقضاء الله وارض بحكمه ... فلي أملٌ لا بدّ فيك يُحقّق

يقبّل الأرض ويُنْهي ورُودَ المثال الكريم الذي فضح كمالُه القمر ، وسلب بسحره الألباب وقر ، وأحيا رسم البلاغة ، فساد بما شاد وعمر ، وهَمَى غمامُ فضله وسقى رياض الفصاحة وهَمَر[٥] ، وقسم نظْمَه ونَثْرَه فهذا للنَّدامى غناء ، وهذا للمُحدثين سَمر ، وخالف العادة لأنه جاء بستاناً في ورقة ، إلاّ أن جميعه زهر وثمر ، وأمر ونهى في سلطان فضله ، فأذْعن الفصحاء له وقالوا له : السمع والطاعة فيما[٦] نهى وأمر ، وأطرب

(١) (خ) : « عن عرصاتها » ، وهي أقرب .
(٢) فيه معنى قول أبي تمام :
وطول مقام المرء في الأرض مخلق ... لديباجيته فاغترب تتجدد
(٣) عجز بيت للأعشى ، صدره : رضيعَيْ لبان ثدي أمّ تحالفا
والأبيات قالها في مدح آل المحلق .
(٤) (خ) : « ما اقتضته » .
(٥) في الأصل : « وسطى ... وهمز » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٦) (خ) : « لما » .

المسامع فعلم أنّ مَنْ أنشأه لو شاء بالطرس طبَّل[١] وزَمر ، فوقف المملوك على أبياته وآمن بآياته وعلم أنه يُقَصّر عن مباراة مباديه وهو في غاياته ، وتصوّر عُتْبَه فتضوّر ، وتفكّر في أمره الأمر فتكفّر ، وتربّص لما يدبره في معناه فما تصبَّر ، وترفّق للحيلة فما رأى لها دليلاً تقرَّر ، وتحرى فيما يعتمده فما وجد فيه بحثاً تحرّر :

سوى حضورك في أمنٍ وفي دعة ... ليقضي الله ما نرجو ونرتقب
أو فالتصبرُ أولى ما ادَّرعتَ به ... فالسُّوْل يُقْضى به والقصد والأرب
فلي أمانيٌّ خير فيك أرقبها ... أرى بعيد مداها وهو مقترب
فلا يضق لك صدر من أذى زمَن ... أيامه تَمْنَح الحسنى وتستلب[٢]
وربما كان مكروهُ الأمور إلى ... معرُوفها سبباً ما مِثْلُه سَبَبُ

وكنت قد كَتَبتُ له توقيعاً من الفخري لّما كان بدمشق ، على أن يكون موقعاً [بصفد][٣] في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، ونسخته :

« رُسم بالأمر العالي ، لا زال يزيد بُدور أوليائه كمالا ، ويُفيد سفور نَعْمائه جمالاً ، ويُعيد وفور آلائه[٤] على من بهر بفوائده التي غدا سِحر بيانها حلالا ، أنْ يرتّب المجلس السامي القضائي الكمالي في كذا ، لأنّه الأصيلُ الذي ثبت في البيت[٥] الأموي رُكْنه ، وتفرَّع في الدوحة العثمانية غُصْنُه ، وكَمُل قبل بلوغ الحلم حِلْمُه ، فلم يكن في هضبات الأبرقين[٦] وزْنُه ، وألف حين أشبل غابَ المجد حتى كأنه كنُّه ، والبليغ الذي تساوى في البديع نَظْمُه ونثره ، وخلَب العقول من كلامه سحرُه ، وفاق[٧] زهر الليالي لآليه

(١) في (خ) : « بالطرس والقلم طبل » .
(٢) في الأصل : « صدراً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) زيادة من (خ) ، ومثله في الوافي .
(٤) في الأصل والوافي : « الآية » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٥) في الوافي : « النسب » .
(٦) الأبرقان : غير ما موضع في الجزيرة العربية ، انظر : (معجم البلدان) .
(٧) في الأصل : « وفارق » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

ودراريها [درّه][١] ، والفاضل الذي ألقى إليه العلم فَضَل الرّسن ومجّ السهادَ فُمٌ جفنه وغيرُه قد ذَرّ الكسل فيها فترة الوسن ، وبهر[٢] في مذهبه فللشافعية به كما للحنفية محمد بن الحسن ، والخطيب الذي يعلو صهوة المنبر فيعرفه وإن لم يضع العمامه[٣] ، ويطمئن له مطاه حتى كأن بينه وبين عَلَميه علامه ، ويبرز في سواد شعاره بوجه يُخجل البدر إذا بدا في الغمامة ، وَيَوّد السَّمع إذا أطاب[٤] لو أطال ، فإنه ما سامَهُ منه[٥] سآمه ، ويغسل درن الذنوب إذا أيَّه[٦] بالناس وذكر أهوال القيامة ، ويتحقق الناس أنّ كلامه رَوْضٌ ومنبره غصن ، وهو في أعلاهُ حَمَامه .

فليباشر ذلك مباشرةً هي في كفالة مخائله ، وملامح شمائله ، ومطامح الآمال في نتيجة المقدمات من أوائله ، وَلْيُدَبِّج المهارق بأقلامه التي تنفث السحر في العقد[٧] ، وتشب برق الإسراع حتى يقال : هذا الجمر قَدْ وَقَد[٨] ، وتُنَبّه على قدر هذا الفن فإنه من عهد والده خمل وخَمَد ، وتُنَبّهه فإن ما رقى لّما رقد ، ليسرّ ذلك الليث الذي شبّ له منه شبلُه ، وذلك الغيث الذي فضّ له منه[٩] فضله ، والوصايا كثيرة وهو غنيّ عن شرحها . مَلِيّ بحراسة سرَحها ، فلا يُهدَى إلى هجره منها ثمره[١٠] ، ولا يُلْقَن إلى بَحْره منها دُرّه ، ولكنّ تقوى الله تعالى أعمّ الوصايا وأهمّ نفعاً مما في حنايا الزوايا من الخبايا ، وهو بها يأمر الناس على المنابر ، والآن تنطق بها ألسنة أقلامه مِنْ أفواه

(١) زيادة من (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « وبرع » .

(٣) يشير إلى بيت سحيم الذي تمثّل به الحجّاج ، وقد سلف غير مرّة .

(٤) (خ) ؛ « أطال » ، والوافي : « طاب » .

(٥) ليست في الوافي .

(٦) أي قال : يا أيّها .

(٧) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق : ١١٣/٤] .

(٨) (خ) والوافي : « وقد وقد » .

(٩) ليست في الوافي .

(١٠) في الأصل : « ثمره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، وفي المثل : (كستبضع التمر إلى هجر) ، انظر : مجمع الأمثال : ١٥٢/٢ .

المحابر ، فليكن بها أوّل مأمور ، وأوّل [١] متّصف أسفر له صُبْحُها من سواد الديجور . والله يزيده فضلا ، ويزيده [٢] من القول المحكم فصلا .

والخطُّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حُجّة ثبوتِه ، والعمل بمقتضاه إن شاء الله تعالى .

١٥٤٨ ـ محمد بن الحسن*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير عماد الدين بن النشّائي .

كان أمير عشرة مقدماً على خمسين بدمشق ، وأحد [٣] الحجبة بين يدي النواب وأخذ حكومة البندق بعد الأمير سيف الدين بلغاق المقدم ذكره في حرف الباء .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وصلّي عليه بالجامع الأموي ودفن بسفح قاسيون .

١٥٤٩ ـ محمد بن الحسن بن يوسف الأرموي**

الفقيه المحدث الصالح ، صدر الدين الشافعي نزيل دمشق .

قدم دمشق ولزم ابن الصلاح ، وحدَّث عنه ، وعن كريمة ، والتاج بن حَمُّوية ، وابن قُمَيرة ، وعدة . وتفقّه وحصّل وتعبّد .

قال شيخنا الذهبي : كتبت أنا عنه وسائر الرفاق .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع مئة .

ومولده سنة عشر وست مئة .

---

(١) الوافي : « وأولى » .

(٢) الوافي : « ويفيده » ، وهي أشبه .

* الدرر : ٤٢٥/٣ ، ووقع في الأصل : « الحسين » وليس موقعها ههنا ، وأثبتنا ما في الدرر .

(٣) في الأصل : « وأخذ » ، وأثبتنا ما في الدرر ، وهي أصحّ .

** الإعلام للذهبي : ٢٩٣ .

١٥٥٠ ـ محمد بن الحسن*

الأمير صلاح الدين أبو الحسن ابن الملك الأمجد مجد الدين ابن السلطان الملك الناصر داود ابن السلطان الملك المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

سمع حضوراً من والده ، وروى عنه ، وسمع من ابن البخاري والفاروثي وجماعة . وكانت له ديون كثيرة .

ولم يزل في تعب إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده في رابع عشري القعدة سنة أربع وستين وست مئة .

١٥٥١ ـ محمد بن الحسين بن محمد**

ابن يحيى الأرمنتي ، جمال الدين .

كان فقيهاً ذكيا ، كريم النفس أبيّا ، لطيف الذات ، ظريف الصّفات ، نهايةً في السماح ، لا يلحقه البرق في ذلك ولا عاصف الرّياح ، حتى أفضى به ذلك إلى الفقر ، وأدّى بحاله إلى العَقْر .

وكان أديباً ناظماً ناثرا ، إذا جرى في فنّ الإنشاء لم يكن عاثرا .

ولم يزل على حاله إلى أن حضرت منيّته ، وانقطعت من الحياة أُمنّيتُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بأرمنت سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

كان قد أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين القفطي ، والشيخ جلال الدين أحمد[1]

---

* الدرر : ٤١٩/٣ .

** الوافي : ٢٠/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٠ ، والدرر : ٤٢٩/٣ .

(١) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوي (ت٦٧٧هـ) . الطالع السعيد : ٨٠

الدشناوي ، والأصول عن الشيخ شهاب الدين القرّافي والشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الجزري[١] الخطيب ، وأصول الدين والمنطق عن بعض العجم ، وذكرَ للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فقال : الفقيه ابن يحيى ذكيّ جدّاً ، فاضل جداً . وتولى الحكم بأدْفُو[٢] ، ناب في الحكم بقوص وبنَى بأرمنت مدرسةً ودرّس بها .

ومن شعره :

عُرَيب النقى قلبي بنار الجوى يكوى ... وجيدي عنكُم دائم الدهر لا يُلَوى
ولي مُقْلَةٌ تبكي اشتياقاً إليكُمُ ... ولي مُهْجَةٌ ليست على هَجْرِكم تقوى
نشرتُم بساط البُعد بيني وبينكم ... ألا يا بِساطَ البُعْد قل لي متى تُطْوَى
بعادكم والله مرٌّ مذاقُه ... وقربكم أحْلَى من المنّ والسَّلوى[٣]

١٥٥٢ ـ محمد بن الحسين بن تغلب*

موفق الدين الأُدفوّي خطيب أدفو .

كان فيه كرمٌ وجودٌ وسماح ، شاع خَبَرُه في الوجود ، وله في الطبّ يدٌ باسطه ، وقوّة في العلاج ناشطة[٤] ، وينظم وينثر ، ويخْطُو لمّا يخطب فلا يَعْثُر . ومعرفته بالوثائق جيّدة وكتابته[٥] .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح فلم يجد لعِلَّتِهِ علاجا ، وأمْسَى وقد اتخذ إلى المعاد معاجا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة سبع وتسعين وستّ مئة .

---

(١) في الأصل : « الجرري » ، وأثبتنا ما في الوافي والطالع .
(٢) في الوافي : « بأدفو وقولا » .
(٣) الأبيات وغيرها في الطالع السعيد : ٥١٣ ـ ٥١٤ .
* الوافي : ٢١/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٥ ، وفيه : « ابن ثعلب » .
(٤) في الأصل : « باسطة » ، وما أثبتناه أقرب .
(٥) كذا ، وعبارة الوافي : « ويكتب خطّاً حسناً » . وكذلك في الطالع السعيد .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي : رأيته مرات ، وكان يأتي الجماعة أصحابنا أقاربه فيسمعهم يشتمونه ، فيرجع ويأتي من طريق أخرى حتى لا يتوهموا أنه سمعهم .

ووقَفْتُ له على كتاب لطيف تكلّم فيه على تصوّف وفلسفة[١] .

وكان وصيّاً على ابن عمّه وعَلَيه ثمر للديوان وقفٌ ، عليه منه[٢] خمسةٌ وعشرون أرْدَبّاً ، فشُدد الطلب عليه ، فتقدم الخطيب إلى الأمير وأنشده :

وَقَفَتْ عليَّ من المقرر خمسةٌ ... مضروبة في خمسة لا تُنْكَر[٣]
مِنْ ثمر ساقية اليتيم حقيقةً ... ليت السواقي بعدها لا تثمر
حمت النصارى بينهم رهبانُهم ... وأنا الخطيب وذمّتي لا تُخْفر[٤]

واجتمع يوماً بالجامع جماعة وعملوا طعاماً وطلبوا « جعفر »[٥] المؤذن ولم يطلبوا الخطيب ، فبلغه ذلك ، فكتب إليهم أبياتاً منها :

وكيف رضيتم بما قَدْ جَرَى ... صحبتوا المؤذّن دُون الخطيب[٦]
أمنتم من الأكل أنْ تَمْرضوا ... ويحتاج مرضاكم للطبيب

قال : وكان يَمْشي[٧] للضعفاء والرؤوساء ويطبّهم ـ رحمه الله تعالى ـ .

---

(١) الطالع السعيد : ٥١٦ .
(٢) عبارة الوافي : « وقف عليه منه للديوان » .
(٣) في الوافي والطالع : « لا تحقر » .
(٤) في الوافي : « تُحقر » .
(٥) في الوافي « جعفراً » .
(٦) كذا في الوافي والطالع : صحبتو » .
(٧) في الأصل : « عيسى » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والطالع .

١٥٥٣ ـ محمد بن الحسين*

الشيخ شمس الدين الغوري ، بضمّ الغين المعجمة وسكون الواو بعد راء ، الحنفي المدرّس .

كان فاضلاً ، وكان في لسانه عُجْمة ، وكتب بخطّه كُتباً في العربية ، ووقع المسكين في لسان الفخر عثمان النصيبّي ، فجعل يُمَسْخر به في حكاياته ، ويذكر وقائعه ويزيد في بعضها من مضحكاته . ولقد حُكي عنه مرة حكاية تنّر فيها تنكز نائب الشام ورسم بقتل الشيخ شمس الدين بالمقارع ، وما خلص من ذلك إلا بالجهد .

وأهل دمشق يحكون عنه حكايات مشهورة بينهم .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٥٥٤ ـ محمد بن الحسين بن القاسم**

ابن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، الصدر الأصيل بدر الدين ابن العدل عماد الدين ابن الحافظ بهاء الدين ابن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر .

كان رجلاً حسناً .

قال شيخنا البرزالي : روَى لنا عن ابن أبي اليسر ، وسمع على جماعة ، وشهد على الحكام بدمشق ، وولي الولايات من جهة الكتابة ، وحجّ وأقام باليمن مدة ، وكان له ثلاثة أولاد نجباء قدَّمهم بين يديه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٢/٣ ، والدرر : ٤٣٠/٣ .

** الدرر : ٤٢٩/٣ .

١٥٥٥ ـ محمد بن الحُسَيْن بن عبد الله*

ابن الحسين ، زين الدين أبو عبد الله القرشي ابن الفويّي[١] .

رَوَى (الخَلَعيّات) كاملة عن ابن العماد ، وكان من الفقهاء بمصر .

وكان عدلاً خيِّراً ، عمّر وتفرّد في وقته ، وأخذ الناسُ عنه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سادس عشري المحرم سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده سنة أربع عشرة وست مئة .

وأجاز شيخنا البرزالي .

١٥٥٦ ـ محمد بن الحُسَيْن بن عتيق**

ابن رشيق ، الشيخ الإمام علم الدين المصري المالكي .

سَمع (الأربعين المخرّجة) لابن الجُميَّزي عليه ، وسمع (صحيح) مسلم من ابن البرهان .

وكان فقيهاً عارفاً بالمذهب مفتياً ، ولي نيابة القضاء بالإسكندرية نحو اثنتي عشرة سنة ، وليها قبل شرف القضاة ابن الربعي نحو سنة وأكثر ، ثم وليها بعده بقية المدة ، ثم عُزِل واستمرَّ إلى أن مات .

وكان متعيّناً للقضاء ، وعيّنه بدر الدين بن جماعة لقضاء دمشق ، وكان يقول : ما عندي مثله .

---

* الدرر : ٤٢٧/٣ .

(١) في الدرر : « لغوّي » .

** الدرر : ٤٢٧/٣ ، وذيول العبر : ١١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/٩ ، وفيه : « محمد بن محمد بن الحسين » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ حادي عشر المحرم سنة عشرين وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة .

وكان يكتب في الإجازات :

أجزت لهم أبقاهم اللهُ كلّ ما رويتُ عن الأشياخ في سلف الدَّهر
وما سمعت أذناي من كلّ عالم وما جاد من نظمي وما راق من نثري
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم بريّاً من التصحيف عارٍ من النكر
وبالله توفيقي عليه تَوَكُّلي له الحمدُ في الحالين والعُسر واليسر

١٥٥٧ ـ محمد بن الحسين*

السيد الشريف شمس الدين ابن السيد شهاب الدين الحسيني الموقع ، تقدم نَسَبَهُ في ترجمة والده رحمهما الله تعالى .

كان يكتب خَطّاً حَسَناً ، ويجعل الطروس بسطوره تختال بين سناء وسنى ، كأن المهارق تحت خطّه خمائل ، وألفاته فيها غصون تتايل ، وكان والده ينشئ وهو يكتب ، فما ترى أحداً يتعنّت ولا يعتب .

ولم يزل على حاله إلى أن لحق أباه قريبا ، وما خلص مِنْ شرك المنية من كان الأجل لأجله رقيبا .

وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في حادي عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومولده ...[1]

وكان قد دخل إلى توقيع الدّست الشريف بالديار المصرية لمّا توجّه والده لكتابة

---

* الدرر : ٤٣٠/٣ .

(١) كذا بياض في الأصل (خ) .

السرّ بحلب ، واستمرَّ على [ذلك][١] ، وحضر صحبة ركاب السلطان الملك الصالح في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وحضر[٢] صحبة ركاب السلطان المنصور صلاح الدين محمّد بن حاجّي إلى دمشق ، وعاد إلى مصر .

وكان قد اختصّ بالكتابة عند الأمير سيف الدين الداودار ، وما سمعت له بنظم ولا نثر ، وإنما كان عنده من إنشاء والده شيءٌ كثير إلى الغاية .

١٥٥٨ ـ محمّد بن حُسينا الأمير*

كان قد حكم في مملكة التتار بأذربيجان ، أعطاه يوماً النوين جُوبان قدحاً ليشربه ، وذلك في سنة أربع وعشرين وسبع مئة فقال : إن لم تشربه تؤدي[٣] ثلاثين تومانا من المال ، فقال : أنا أؤدي ذلك ولا أشربه ، فأشار جوبان إلى جماعة بأن يلازموه على المبلغ ، فخرج محمّد حسينا من عنده ، ومضى إلى الأمير نكباي وهو ذو مال عظيم ، فقال له : أعطني ثلاثين تومانا ، فقال له : بربح عشرة توامين ، فقال : نعم[٤] ، وكتب عليه حجّة بأربعين تومانا وسلمها إليه ، فقال الأمير نكباي للجماعة الذين هم مع حسينا : اذهبوا إلى النوين جوبان وقولوا له : إنّ المال عندي ، فهل أحمله إلى خزانته أو أسلّمه إلى العسكر ، وأي شيء تريد من النقود . فحضروا إلى جوبان وعرّفوه ذلك ، فطلب محمّد حسينا ، وقال له : تُعطي أربعين تومانا من الذهب ولا تشرب قدحاً من الخمر ؟! قال : نعم . فأعجب جوبان ذلك ، وخلع عليه ملبوسه ، ومزَّق[٥] الحجة ، وحكّه حكاً قوياً ، وصار عنده مقرباً .

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) في (خ) : « وحضر أيضاً صحبة » .

* كذا بياض في الأصل ، ووقع الاسم فيه هكذا : « محمد بن محمد بن حسينا » ولعلّ ما أثبتناه هو الصحيح .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « لهم » ، ولعلّ ما أثبتناه هو الصحيح .

(٥) في الأصل : « وفرّق » ، وما أثبتناه هو الصواب .

١٥٥٩ ـ محمّد بن الحشيشي*

الشمس الرافضي الموصلّي .

قال شيخنا الذهبي ، ومن خطّه نقلت : حدثني الإمام محمّد بن مُنتاب أنّ[١] عز الدّين يوسف الموصلي[٢] ، كتب إليه وأراني كتابَه قال : كان رفيق معنا في سوق الطعام ، يقال له الشمس بن الحشيشي ، كان يسبّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويبالغ ، فلمّا ورد شأن تغيير الخطبة إذ ترفّض القان خربندا ، افترى وسب . فقلت له : يا شمس ، قبيح عليك أن تسبّ هؤلاء ، وقد شِبْت . مالك ولهم وقد درجوا من سبع مئة[٣] ، والله تعالى يقول : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾[٤] فكان جوابه : والله إنّ أبا بكر وعمر وعثمان في النار ، قال ذلك في ملأ من الناس ، فقام شَعْر جسدي ، فرفعت يدي إلى السماء وقلت : اللهم يا قاهر فوق عباده يا مَنْ لا يخفى[٥] عليه شيء ، أسألك بنبيّك إن كان هذا الكلب على الحق فأنزل بي آية ، وإن كان[٦] ظالماً فأنزل به ما يُعْلم هولاء الجماعة أنه على الباطل في الحال . فورمت عيناه حتى كادت تخرج من وجهه ، واسودَّ وجهه وجسمه[٧] حتى بقي كالقير[٨] ، وخرج من

---

* الوافي : ٢٢/٣ .

(١) في الأصل : « ابن » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) يوسف بن عبد الكريم بن هبيل الموصلي ، كان متشيعاً ، وكان حيّاً سنة ٧٢٦ هـ ، انظر : الدرر : ٤٦٢/٤ .

(٣) في الوافي : « من سبع مئة سنة » .

(٤) البقرة : ١٣٤/٢ ، ١٤١ .

(٥) في الأصل : « يخفيه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) عبارة الوافي : « واسوّد جسمه » .

(٨) في الأصل : « كالقبر » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وعبارة هذا الأخير : « كالقير وانتفخ » .

حلقه شيء يصرع الطيور ، فحمل إلى بيته ، فما جاوز ثلاثة أيام حتى مات ، ولم يتمكن أحد مِنْ غَسْلِه ممّا يجري من جسمه وعينيه . ودفن .

قال ابن منتاب : جاء إلى بغداد أصحابنا وحدثوا بهذه الواقعة ، وهي صحيحة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة .

١٥٦٠ ـ محمّد بن حمزة بن أحمد بن عمر*

القدوة الشيخ الصالح شمس الدين أبو عبد الله المقدسي الحنبلي .

سَمِعَ حضوراً من ابن اللّتي ، وجعفر الهمذاني ، وسمع من كريمة ، والضياء ، وجماعة . وتفقّه ودرَّس وأفتى وأتقن المذهب .

قرأ الحديث بالصالحية [١] التي بالسفح وكتب الخطّ المليح .

وكان صالحاً خيّراً إماماً أمّاراً بالمعروف ، داعية إلى ما يعتقده [٢] ، يحطّ على مَنْ خالفه .

ناب في القضاء عن أخيه مديدة قبل موته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

---

* الوافي : ٢٦/٣ ، وسيذكره المؤلف : ١٥٠/٥ ، بلفظ « ابن أبي عمر » .

(١) عبارة الوافي : « قرأ الحديث بالأشرفية » ، والمدرسة الصالحية تقع في تربة أم الصالح بدمشق ، أنشأها الصالح إسماعيل بن الملك العادل سنة ٦٨٣ ، انظر ، الدارس : ٢٣٩/١ .

(٢) عبارة الوافي : « داعية إلى السنة » .

١٥٦١ ـ محمّد بن حمزة بن عبد المؤمن*

أمين الدين الأصفوني الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً متدّيناً ، تولّى الحكم بأبوتيج[١] ، وتولّى إسنا ، وأعاد بمدرسة سُيوط .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده بسيوط .

١٥٦٢ ـ محمّد بن حمزة بن مَعَد**

الْفَرْجُوطي ، مجد الدّين .

كان له أدب ونظم . قال كمال الدّين الأدفوي : أنشدني ابن أخيه أبو عبد الله محمّد قال : أنشدني عمي لنفسه :

يا سيداً أُسْنَدُ في جاهه ... بجانبٍ عَزَّ به جانبي[٢]
عساك أن تنظر في قصّةٍ ... واجبةٍ تُطْلَقُ لي واجبي
أوصلك اللهُ إلى مَطْلبٍ ... مُؤَيَّدٍ بالطالبِ الغالب[٣]

وتوفي رحمه الله تعالى بفرجوط سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٧ ، والدرر : ٤٣٢/٣ .

(١) أبوتيج : على الشاطئ الغربي من النيل قبل أسيوط . (حاشية الطالع) .

** الوافي : ٢٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٨ ، والدرر : ٤٣٢/٣ .

(٢) في الدرر والطالع : « أسندني » . وفي الأصل : « عز بي » . وأثبتنا ما في الطالع والوافي والدرر .

(٣) في الطالع : « بالطلب » .

١٥٦٣ ـ محمّد بن الخضر بن عبد الرحمن*

ابن سليمان بن علي ، القاضي تاج الدّين بن زين الدّين ، المعروف بابن الزين خضر .

كان من جملة كتّاب الدّرج بباب السلطان ، ثم إنه كَتَب[١] قدّام الوزير الأمير علاء الدّين مغلطاي الجمالي ، وكان حظيّاً عنده ، وكان يجلس في دار العدل هو وشمس الدّين بن اللبّان خَلْفَ موقّعي الدست على عادة كتّاب الدّرج للوزير[٢] . ثم إن السلطان الملك الناصر محمد جَهّزه إلى حَلَب كاتب سرها لمّا عَزَل القاضي جمال الدين[٣] بن الشهاب محمود . فتوجه إليها في أوائل سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فباشَرَها إلى سنة تسع وثلاثين وسبع [مئة][٤] فحضر في أوائلها صحبة الأمير علاء الدّين ألطنبغا نائب حلب إلى باب السلطان ، فعزلهما معاً ، وجهَّز بدلهما الأمير سيف الدين طرغاي[٥] الجاشنكير نائباً والقاضي شهاب الدين أحمد بن القطب كاتب سر ، فأقام القاضي تاج الدين بمصر بطّالاً مدة .

وكان الأمير سيف الدّين طاجار يعتني به كثيراً ، فسعى له حتى رُتّب مِنْ موقّعي الدست بين يدي السلطان ، فأقام على ذلك مدّة . فلما توفي القاضي بدر الدّين محمد بن فضل الله كاتب سر دمشق ، رسم السلطان الملك الكامل للقاضي تاج الدين بكتابه سرّ دمشق عوضاً عنه ، فحضر إليها في سلخ شعبان سنة ست وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها إلى ثامن شهر ربيع الآخر من السنة الثانية .

---

* الوافي : ٣٨/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٣٣/١ ، والدرر : ٤٣٢/٣ ، والذيل التام : ٨٨ .

(١) في الأصل : « كنت » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « الوزير » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٣) في الأصل : « جمال » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٤) زيادة من (خ) والوافي .

(٥) في الأصل : « طوغاي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

وتوفي ليلة الجمعة من الشهر سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ودفن بسفح [قاسيون][1] وصلّى الناس عليه والقضاة والأعيان ، وكان مرضُه بدوسنطاريا انقطع به ثمانية أيام .

١٥٦٤ ـ محمّد بن خلف بن محمد بن عقيل*

الشيخ بدر الدين المنبجي التاجر السفّار .

كان رئيساً متموّلاً معروفاً بالدين والعقل والثقة ، يحضر بمجالس الحديث ، ويُسمع لأولاد ابنه .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

١٥٦٥ ـ محمّد بن خليل**

الشيخ شمس الدين الصوفي .

سمع من الشيخ شمس الدّين أبي بكر محمّد بن إبراهيم المقدسي[2] ، وأبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن[3] الحلاوي ، وغيرهما . حدث مراراً . أجاز لي ...[4]

---

(١) زيادة من (خ) والوافي .

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٥٠/٣ ، والدرر : ٤٣٣/٣ .

(٢) محمّد بن الحسن بن عبد السلام (ت ٦٥٤) ، السير : ٢٩٥/٢٣ .

(٣) ليست في الوافي . وكانت وفاته سنة (٦٩٠ هـ) . وسلفت الإشارة إليه .

(٤) وهنا انتهت ترجمته في الوافي أيضاً . وفي الدرر أنه : « مات في شهر رمضان سنة (٧٣٢) ، وله سبع وستون سنة » .

١٥٦٦ ـ محمّد بن دانيال بن يوسف*

الخزاعي الموصلّي ، الحكيم الفاضل الشاعر الأديب شمس الدّين .

صاحب النظم الحُلْو ، والقريض الذي ليس فيه بيت من النكت خلْو ، والنثر العذب الرائق ، والكلام الذي أصبح وهو على زهرِ الرياض فائق ، والطباع الداخله ، والمخيّلة [التي][1] هي بالصواب غير باخله .

كان ابنَ حَجَّاجِ عَصْرِه ، وابنَ سُكرة مِصْرِه . لو كانا حيّين لقلّداه المجون . وعَلِما أن نُكتَه تفعل بالألباب ما لا تفعله ابنة الزَّرْجون . قد لطف كلامه ، وظرفُ نظامه ، يأتي بمُضْحِكات تعجبُ منها الثّكالى ، وتنشِطِ الكَسَالى ، لو رآه أبو نواس لما قال :

« أما ترى الشمس حلت الحمل[2] » .

أو ابن الهبّارية[3] لَمَا نظم « حيّ على خير العمل » . وكان لا يبالي بما يقول من سُخْفه ، ولا يستحي في المجون إذا رَفع مُرخى سُجْفه :

لو عابه سيبويه قال له : خرا الكسائيّ في لحيـة الفراء

ولم يزل على حاله إلى أن استجنّ حشا ضريحه ، وأوحش الزمانَ وأهلَه خِفّةُ رُوحه .

---

* الوافي : ٥١/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٨ ، وفوات الوفيات : ٣٣٠/٣ ، والدرر : ٤٣٤/٣ ، والشذرات : ٢٧/٦ .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) ديوان أبي نواس ص ٦٣ .

(٣) محمد بن محمد بن صالح بن حمزة ، شاعر عباسي (ت ٥٠٤) ، وقيل : (٥٠٩) ، الوافي : ١٣٠/١ ، ووفيات الأعيان : ٤٥٣/٤ .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ليلة الأحد ثاني عُشْري جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة .

وكان ابن دانيال رحمه الله تعالى طبيباً كحّالاً ، أديباً شاعراً مَطْبوعاً على الدخول في أقواله وأفعاله . توجّه صحبة الأمير سيف الدّين سلاّر إلى قوص ومع الأمير سَلاّر حَسَنُ الحليق ، وكان من جملة مَماليك سلاّر غلام جميل الصّورة ، له صورة عند أستاذه ، فتمشى الحليق ومعه الخادم ، فوجدا ظل جُمّيز وَجَدْوَلاً يجري ، فرقد الحليق هناك ، ونام الخادم عنده . فطلبه أستاذُه فلم يجده ، ففرّق المماليك في طلبه ، فوجدهما على تلك الحالة ، فأحضروا وقد اشتدَّ غضب سلاّر ، فلمّا رأى ابن دانيال ذلك تقدم وقال : يا خوند ، أقول لك ما تفعل بهذين ، فقال : قل . قال : احلق ذقن هذا الْقَوّاد حَسَن ، واخْصِ هذا الخادم . فضحك سلاّر[1] وسكن غضبه .

حكى لي شيخنا الحافظ فتح الدّين قال : اجتزنا[2] جماعة به وهو في دكّان داخل باب الفتوح والناس عليه مجتمعون ، فقالوا : تعالوا نخايل على الحكيم ، فقلت لهم : ما أنتم وزنه فلا تشاكلوه فقالوا : لا بدّ وهو يكحل الناس . فقال[3] بعضنا : يا حكيم تحتاج[4] إلى عُصّيات ؟ فقال : لا والله ، إلا ... أي من كان منكم يشتهي يقود[5] فليتقدم قال : فقلت لهم : قلت لكم : لا تشاكلوه فما قبلتم قولي ، أو كما قال .

---

(١) في الأصل : « سلاّم » ، سهو .

(٢) في الأصل : « أخبرنا » ، ولا تستقيم ، وعبارة الوافي : « فاجتزت به أنا وجماعة من أصحابه » ، ومثله تقريباً في الفوات .

(٣) في الأصل : « فقالوا » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الوافي : « أتحتاج .... » ، وزاد في الفوات بعد هذه العبارة ما نصّه : « يعنون أنّ هؤلاء الذين يكحّلهم يعمون ، ويحتاجون إلى العصا » .

(٥) في الوافي : « إن كان فيكم أحد يقود » ، وفي الفوات : « إن كان فيكم مَنْ .. » .

ولـه نـوادر كثيرة من هـذا النمـط . يقـال إن الملـك الأشرف أعطـاه قبـل أن يلي فرساً ، وقال له : هذا اركبه إذا طلعت القلعة أو سافرت معنا إلى الصيد ، لأنـه كان في خدمتـه[١] ، فلمّـا كان بعـد أيـام رآه وهو راكب [على][٢] حمـارٍ مكسّح ، فقـال لـه : يا حكيم أين الفرس الذي أعطيناك ؟ فقال : بعتها وزدت عليها واشتريت هذا الحمّار ، فضحك منه .

وكان لـه راتب لَحْمٍ على ديـوان السلطـان فعُمـل في وقتِ استيـار ، وقطـع هـو وغيره ، فدخل على الأمير سيف الدين سلاّر وهو يعرج فقال له : مـابـك يـا حكيم ؟ قال : بي قَطْع لحم ، فضحك منه ، وأمر له بإعادة مُرَتّبه من اللحم .

وله من التصانيف كتاب (طيف الخيال) أبدع فيه وقيل : إنـه أخرجـه من القوة إلى الفِعْل ، ولبس ثيـابـه ورقص بـالآتـه جميعهـا ، ولـه أيضـاً أرجوزة سماهـا : (عقود النظام في مَنْ ولي مصر من الحكام) .

ومن شعره يستهدي قطراً[٣] :

نَعَم أنت أَوْلى مَنْ نُـؤمّلـه قَـــدْراً ... وأَكْرَمُ مَنْ نُهـدي المـديـح لـه دُرًّا[٤]
ومـــا أنت إلاّ دِيَمَـــةٌ أيُّ دِيَمَـــةٍ ... تَسِـحُّ فيُحيي سَحُّهـــا البَلَـــدَ القَفْرا
ولـــو لم تَكُنْ يـــا ابْنَ الْمَكارمِ ديمـــةً ... تجودُ لما استهديت مِنْ جُودِك القطرا[٥]
فَجُـدْ لي بـــه مِنْ ســاعتي إنني امرؤٌ ... أخـــاف إذا جُرِّعتُ في عَسَـلٍ صَبرَا
ودَعْنيَ مِنْ رَفْـعِ النُّحـــــاةِ ونَصْبهم ... وَجرِّهُمُ أنْ يَمْـــــلأوا جَرّتي جَرّا[٦]

(١) زاد في الوافي : « فأخذه منه » .
(٢) زيادة من الوافي .
(٣) المختار من شعر ابن دانيال : ٧٥ .
(٤) في المختار : « أنت أعلى » .
(٥) في المختار : « الأكارم .... من صوبك » .
(٦) في المختار : « جرّي جرّا » .

فقد لهبت عندي القطائفُ غُلّةٍ ... عليه وأبدت ألْسُناً للظّما حَرّا [١]
وشقّت له أيدي الكُنافة جَيْبَها ... وقد ضيّقت من طُول وَحْشَتِها الصّدرا [٢]
وقد صَدَع البَيْنُ الْمُشِتُّ لبُعْده ... قلُوباً، فَقَلْبُ اللَّوْز مُنْكَسِرٌ كَسْرَا
وإن جاءني مع ذلك القطرِ سُكَّرٌ ... أُنَقَّطُه حتى يَكُونَ لكم شُكْرا [٣]

ومنه في الثقة عامل المَلَقة بالجيزة :

مالِيَ ولِلْمُنْخرِقَه ... والعطفِ والْمُنْزِلَقَه
وغَلّهِ الخالصِ في ... تحصيلها والمَلَقَه
ورحْلَتي في مركبٍ ... بكل فَدْم مُوسَقَهْ
أرجاؤها عَلَيّ مِنْ ... زِحامِهم مُضيّقَهْ
بتُّ بها لضيقها ... وضَنْكِها في بوتقَهْ
تَرْقُصُ في البَحْرِ لدى ... أمواجِهِ الْمُصفّقَهْ
والريح لا تَجْري عَلَى ... طريقة مُتّفِقَهْ
تهبُّ غرباً وتهبْ ... بُ تارةً مُشَرّقَهْ
كأنّها مِنْ هَوَجٍ ... رَفيقُنا اللّصّ الثقهْ
أقبحُنا خلقاً فسبـ ... ـحان الذي قد خلَقَهْ
بصورَةِ القرْد فلو ... لا ، ذَقْنُه والعَنْفَقَهْ [٤]
وأنه الكلبُ لِمَنْ ... عاينه أو حقّقَهْ
والكلبُ لو جاراه في ... خَسَاسةٍ ما لحقَهْ
شيخ لنقصه وإن ... كان ثقيلاً طَبَقَهْ

(١) في المختار : « فقد لهثت » .
(٢) في المختار : « وحشته» .
(٣) في المختار : « حتى يعود » .
(٤) في المختار : « بصورة كالقرد لولا ... » ، والعنفقة : ما بين الشفة السفلى والذقن .

رافقْتــــــــــه ولم تكن رفــاقتيــــه رَفقَــــهْ[1]
حتى إذا مـــــــاغيّب الأُ فـقُ لــدَينـــا شَفَقَــهْ
وهــوّمَ النـــــاس فــلا عَيْنُ امرئٍ مــؤرّقـــــهْ
نـــام فكان نـــائمــاً كالحيّـــة المطـوّقـــهْ
وقـــــام في الليـــل كمثـ ـــلِ مَنْ يُريــد السرقــهْ
يَسْعى إلى عبـــدٍ لـــهُ وَجْــهٌ شبيــه الــدّرقــهْ
عَبْــلُ الـــذراع أســوَدٌ بشَفَـــــة مُشقّقَـــــهْ
لـــو جـــاز رأس أيْره في كُمِّ قـــاضٍ فَتَقَـــهْ
أَوْلَجَـــه في سُرْمِـــــه ثُمّ عليـــه طَبَّقَـــهْ
وفــكّ سَنْــدانَ اسْتِــه بِفَيْشَـــةٍ كالمِطْرَقـــهْ
ولم يـــــزل حتى رمى بيض المخـــاصي زنبقـــهْ
فقلت في نفسي تُرى خَيَّطـــه أم فتقَـــهْ
وعـــاد نحـوي قـــائلاً وجُحْرَه مُبصّقـــــهْ
مـــــاأطيب الأير سجـ ـقـا والخصيّ مـــدقّقَـــهْ
ولـــو أتـــاني نكتـــه على سبيـــل الصـــدقـــهْ
أحسن من ذاك وذا جـــاريـــةٌ مُعَشَّقـــهْ
جـديـــدة في حسنهـــا وقهـــوة معتقـــــهْ
ذات حِرٍ يضيـق بـــالأيْـ ـر إلى أن يخنقـــــهْ
حرٌّ رميت طَيْرَه من خِصيتي بنـــدقـــهْ
فخرَّ مصروعـــــاً ولمْ يقطـع ســواي سَبقَـــهْ
غنّت فـأغْنَتْ عن شَـدا الـ ـحمامـــة المطـوقـــهْ
لله صبٌّ لا يُضيـ ـع عَهْـدَه ومَـوْثَقَـــهْ

(١) في المختار : « زافته .... زفافيته » ، والمزافة : التكلّم بخشونة » .

أو شـــادنٍ عليـــه أكـ ـبَـاد الـورى مُحْتَرقـــهْ
عِلْـــقٌ نفيسٌ كُـــلّ مُهْـ ـجَـــةٍ بـــه مُعْتَلِقـــهْ
يمـوج عنـــد نيكـــه تحتـك مثـلَ العَلَقـــهْ[1]
يكاد مـــوج رِدْفـــه للصبّ أن يغرّقَـــهْ[2]
كم ليلـــــة ركّبني من خلفـــه في الحلقـــهْ
لّمـــا استجـــاد عِـــدّتي في العرض يـوم النفقـــهْ[3]
وجَـوْنـــة[4] زاهيـــة بظلمـــة وبرزقـــهْ
ذات شـواءٍ قَـدْ غـــدا مشتمـــلاً بجردَقـــهْ[5]
وافى ونفسي لم تـــزل إلى لقـــاء شيّقـــهْ
لـولا خلـوق ثـوبـــه لكـــدت أن أُخلّقـــهْ
في إثره دَجَـــاجـــة مصلـوقـــة في مرقْـــه
تتبـــع بـــورانيـــةً في دهنهـــا مُغَرّقَـــهْ[6]
فمن حَبَتـــه هـــذه سبحـــانَ ربٍّ رزقـــهْ

وقالَ يومَ كتب كتابَه :

قـدْ تجـاسرتُ إذ كتبتُ كتـابي طمعـاً في مكارم الأصحـاب

وهي طويلة وقد أوردتها في الجزء الأول من (التذكرة)[7] .

---

(١) في المختار : « تحت ... عندك » .
(٢) في المختار : « يخرّقه » .
(٣) في المختار : « الحلقة » .
(٤) سلّة تكون مع العطارين .
(٥) الجردقة : نوع من الخبز ، فارسية .
(٦) في المختار : « معرّقة » .
(٧) انظر : المختار من شعره ١١٨ ، وما بعدها .

وقال وقد أبطلوا المنكرات في أيام الملك المنصور حسام الدّين لاجين[١].

رأيت في النـــوم أَبـــا مُرّه ... وهـــو حـــزين القلب في مَرَّهْ
وعينـــه العـــوراءُ مقروحـــةٌ ... تقطرُ دَمْعَـــــاً قطرةً قطرَهْ
يَصيـــح واويـــلاه من حَسْرتي ... تلـــكَ التي مـــا مثلُهـــا حسْرَهْ
وحَـوْلَـــه مِنْ رهطـــهِ عُصْبَـــةٌ ... فيهم عَلى قلّتهم كَثرهْ
مِنْ كلِّ علـق مثـل بَـدْرِ الـدُّجى ... قيمتـــه في واحـــدٍ بَـــدْرَهْ
مُظَفّر اللّحـــظِ بعشّـــاقـــهِ ... وإنمـــا في جَفْنـــهِ كَسْرهْ
شمسُ ضحىً غُصْن نقىً قَـــدُّهُ ... وظِلُّـــهُ من خَلْفـــه الشَّعْرَهْ
تجميشُـــه نقـــلٌ لمن ضَمَّـــهْ ... وجـــوَّز التينـــةَ بـــالتَمْرهْ[٢]
يهـون وزن المـــالِ في وَصْفـــهِ ... طـــالعُـــهُ الميزانِ والـــزهرَهْ
ومن سَحـــورِ العين فتّـــانـــةٍ ... خَـــوْدِهـــا شمسُ الضُّحَى ضُرَّهْ
تقـــول للعشـــاق من مِعْصَمي ... تنزهـــوا في المـــاء والْخُضْرهْ
إذا رأى عـــاشقهـــا كسَّهـــا ... يـــودُّ لـــو تُرْضِعُـــه بَظْرَهْ
وكُـلّ قـواد لـــه ضَرْطَـــة ... من شـــدقـــه يتبعهـــا شخره
يسطـو على العـاشـقِ في سَـومِـه ... مُغَـــالبـــاً لمـــا اقتضى حـــذرهْ
يقـول والكيفـــاح من خلفـــهِ ... وعنـــده في قـولـــه شَمْرَهْ[٣]
زن ألف دينـــار إذا رُمْتَهـــا ... إن كنتَ مـــا ترضى بهـــا بَعْرَهْ
سبحـان من ولّـد في خـدّهـا النّـ ... ـقي بيـــاضـــاً فَـوْقَـــهُ حُمْرهْ
هيّـــا تمتـع دي[٤] بحـقّ الـوفـــا ... لا تتركْ القَصْفَ على فشرَهْ
وكل لـــوطي لـــه نَهْمَـــةٌ ... على سميـــط اللحم في السَفْرهْ

(١) المختار ١١٩ .
(٢) في المختار : « وجوّن » .
(٣) الكيفاح : هو المضاجع .
(٤) كذا في الأصل .

إن وسوست في وجهه فِسوة ... يَقُلْ لها يا طيبها نَخْره
وكلُّ زنّاءٍ يرى بولةَ الـ ... ـقحبةِ في صُبحته نَشْرَهْ
وكلُ بنتٍ مالها عُذَرةٌ ... لكنْ هواهَا من بني عُذْرَهْ
سحّاقةٌ قد كَلْكَلت بظرها ... ومالها في دلْكِهَا شَعْرَه
وكل خَمّارٍ وفي كفِّهِ ... كأسٌ على عاتقه جَرَّهْ
ومن حشيشيّ سطيل على ... شاربه قد بقلت خُضْرَهْ
ومن بني حامٍ له مَزرَةٌ[1] ... صفّى لها صاحبه الْمَزرَهْ
وكل بغّاءٍ به أبنةٌ ... مبادِلٌ أبْغَى من الإبرهْ[2]
وكل جلاّد على خلوةٍ ... عُمرةً هاجت به عُمَيْرَه
ومن خيالِيّ ومن مُطْرِب ... وزامرٍ قد جاء في الزَّمْرَه
فقلت يا إبليس ماذا الذي ... أسال من مُقلتك العَبْرَه
وما الذي أزعج أشياعك النو ... كَى وإن كانوا ذوي شرّه
فقال لي: يا بأبيْ أنت قد ... وَقَعْتُ في كُسّ أخت ما أكره[3]
قلّت جُيوشي ووَهَى منصبي ... وعُدْت لا أمرٌ ولا إمْرَه
وأصبح الخمار لا يَلْتَقِي ... في بيته كوزاً ولا جرّه[4]
ومنزل المزّار صِفْرٌ وقد ... علتهُ من ذلّته صفْرَه
وبات قليّ الفار في حَسْرَةٍ ... وقلبهُ يُقلى على جَمْره
وكاد أن يسطو الحشيشي وأن ... يجرح بالخنجر والشفره[5]

---

(١) في الأصل : « زمرة » ، وأثبتنا ما في المختار ، وهو ضربٌ من الأشربة المسكرة .
(٢) في المثل : أبغى من الإبرة ، ومن الزبيب ، ومن المحبرة . انظر : مجمع الأمثال : ١١٩/١ . والأبنة : العيب .
(٣) في المختار : « يا مانيّ » .
(٤) في المختار : « لا يكتفي » .
(٥) في المختار : « يخرج » .

وسائر السّتات من قحبنا ... أكثرهنّ اليوم في الحُجْره
يطلبن أزواجاً فلا قحبةٌ ... منهنّ إلا أصْبحَت حُرّه
وكل سالوسٍ قِمَارٍ وقد ... أجاد بالعَفق بها مَهرَهْ[1]
كم جَهْد ما أغوي وأعوي وكم ... أصفّف المقصوص والطرّه[2]
وكم أرى العينين مكحولة ... لمن رُمي بالعين والنظره
وكم وكم أسهر في خدمة الـ ... ـعُشّاق في الليل إلى بُكْرَه
وما أرى اليومَ ولا عاشقاً ... إلا الذي أغويه في الندره
قد كَسَدت سوق المعاصي فلا ... شربٌ ولا قَصْف ولا عشره
هذا على أني ومن غيّتِيْ ... أقود لا أَجْر ولا أجره
فقلتُ : يا إبليس سافرْ بنا ... وطوّلَ الغيبةِ والسَّفْرهْ
إياكَ أن تسكن مِصْراً وأن ... تَقْرَبَهَا إن كُنْتَ ذا خِبرَه
فإن فيها صاحباً عادلاً ... مباركَ الطلعَة والغرّه
قد علمَ السلطانُ من نُصْحِهِ ... لملكه ما شاعَ بالشُّهْرَه
جزاءُ مَنْ خالفَ مرسومَه ... تجريسُه والضربُ بالدّرّه

وقال على لسان الْمَشاعِلَة[3] :

لا ودُخانِ المِشْعَلِ ... وضوئِه الْمُشْتَعِل[4]
وعَرْفِه الذي غدَا ... يُزري بَعْرفِ المندل[5]

(١) السالوس : مَنْ أدمن على شيء . وفي المختار : « ساكوس » .
(٢) في المختار : « أعوى وأعوي » .
(٣) المختار : ١٢٥ .
(٤) في المختار : « وجمره المشتعل » .
(٥) في المختار : « الذي سرا » .

وقد جوّدها وهي طويلة ، وقد أوردتها في الجزء الثالث من (التذكرة) .

وقال[١] :

قد عَقِلْنا والعَقْلُ أيُّ وِثاقِ ... وصَبَرْنا والصَّبْرُ مُرُّ المذاقِ
كُلّ مَنْ كانَ فاضلاً كان مثلي ... فاضلاً عندَ قِسْمَة الأرزاقِ

وقال[٢] :

بي من أمير شكار ... وجدّ يُذيبُ الجَوانح
لَمّا حكى الظبي جيداً ... حَنَت إليه الجوارح[٣]

وقال[٤] :

ما عاينت عيناي في عطلتي ... أقلَّ مِنْ حظّي ولا بَخْتي[٥]
قدْ بعتُ عبدي وحماري معاً ... وصرتُ لا فوقي ولا تحتي[٦]

وقال[٧] :

يا سائلي عن صَنْعتي في الورى ... وحرفتي فيهم وإفلاسي[٨]
ما حالُ مَنْ دِرْهَم إنفاقه ... يأخذه من أعين الناس

وقال[٩] :

---

(١) المختار : ٤٠ .
(٢) المختار : ٦٣ .
(٣) في المختار : « أحنت » .
(٤) المختار : ٩٢ .
(٥) في المختار : « أفحش » ، وفي الفوات : « أدبر » .
(٦) في المختار : « عبدي وحصاني وقد أصبحت لا فوقي » .
(٧) المختار : ٩٢ .
(٨) في الوافي والفوات : « عن حرفتي .... وضيعتي » ، وفي المختار : « وثروتي فيهم » ، ولعلّ الصواب : « واضيعتي فيهم » ، وهو ما ورد في خيال الظّل ، انظر : حاشية المختار .
(٩) المختار : ١٣٤ .

إذا مـــا كنت مَتْخـومـــاً فكن ضيفـــــــاً على شير
فمـــا يخرجُ منـــــه الخبـ ـــز إلاّ بـــــالمنـــــاشير

وقَالَ[١] :

يـا رشـاً لَحْظُـه الصَّحيـحُ عَليـلُ كُـل صبٍّ بسَيْفـــه مقتـولُ[٢]
لـك ردفٌ غـادرتـه رهن خصرٍ وهـــو رهنٌ كما علمتَ ثقيـــل[٣]

وقال[٤] :

وأَقْطـــعٍ قلتُ لـــــه أنت لصٌّ أَوْحَـــــــدُ
فقـــالَ هـــذي صنعـــةٌ لم يبـقَ لي فيهـا يـــدُ

وقَالَ[٥] :

كم قيـــل لي: إذ دعيت شمســـاً لا بـــــدّ للشمس من طلـــوع[٦]
فكان ذاك الطلـــــــــوعُ داءً يُرْقى إلى السطـح من ضُلـوعي[٧]

وقال وقد صلبوا ابن الكازروني ، وفي عنقه جرة خمر في أيام الظاهر[٨] :

لقـد كان حَدُّ الخمر مِنْ قبـل صلبـه خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جَلْـدَا[٩]
فلمـا بـدا للصلـوب قلت لصـاحبي ألا تُبْ فإنَّ الحدّ قد جاوزَ الحدّا

(١) المختار : ١٨٥ .
(٢) في المختار : « رشأً لحظه الصحيح العليل » .
(٣) في المختار : « رهن غصن » .
(٤) المختار : ١٠٤ .
(٥) المختار : ١٦٩ .
(٦) في الأصل : « إذا » ، وأثبتنا ما في المختار والفوات .
(٧) في الفوات : « سما إلى ... » .
(٨) المختار : ١٠٥ .
(٩) في المختار : « حد السكر » .

وقالَ أيضاً[١] :

لقـد منـعَ الإمـامُ الخمرَ فينـا ... وصيّر حَـدَّهـا حَـدَّ اليماني
فمـا جَسَرتْ ملـوك الجن خـوفـاً ... لأجْـل الحـدِّ تـدخـل في القنـاني[٢]

وقال أيضاً[٣] :

يقـولـون الحكيم أبـو فـلانٍ ... حَوَى كَرَماً وجوداً في اليـدين[٤]
فقلتُ علمتُ ذلـك وهـو سمـحٌ ... يُضَيّـع كل يـوم ألف عَيْن

وقال أيضاً[٥] :

قَطَعْتُ من يـومين بطيخـةً ... وجـدْت فيهـا جَعْسَ مصـودي
قـالـوا خرى الخـولي في أصلهـا ... من يـوم جَرْي المـاء في العـود[٦]

قال في مكارم اليهودي[٧] :

مكارمٌ مـا زالَ في طِبّـه ... مُكارهـاً واللفـظ فيـه اشتبـاه
أعْني بـه الغَـارقَ في ذَقْنـه ... ولستُ أعني غـارقـاً في خراه

قلت : وقد اخترت أنا (ديوانه) بالديار المصرية وهو أجمعه في الجزء الرابع عشرين من التذكرة .

---

(١) المختار : ٢٨٤ .
(٢) في المختار والفوات : « لأجل الخمر » ، وفي الوافي : « السيف » .
(٣) المختار : ٩٤ .
(٤) في المختار :

يقـولـون الطبيب أبـو عليّ ... ببـذل الجـود مبسـوط اليـدين

(٥) المختار : ٩٥ .
(٦) في المختار والوافي : « أيّام » .
(٧) المختار : ١٩١ .

وللحكيم شمس الدين بن دانيال موشحة ظريفة وهي[١] :

غُصْن من البـــان مثمّر قَمرَا يكاد من لينـــه إذا خطرَا يُعقَـــدْ
أسمرُ مِثْلُ القناة مُعْتدلُ
ولحْظُه كالسِّنان منصقِلُ
نشوان من خمرةِ الصِّبا ثَملُ
عَربَـــدَ سكراً عليّ إذ خَطرا كـذاك في النـاس كل من سَكِرَا عَرْبَـــدْ
يَا بأبي شادنٌ فُتِنْتُ بهِ
يهواهُ قلبي على تَـقلُّبِهِ
مُذ زادَ في التيهِ من تِجنُّبِهِ
أحْرَمني النّـومَ عِنْـدمَـا نَفَرا حتى لطيف الخيـال حين سرى شرّدْ[٢]
عَيْنَاه مثوَى الفتور والسَقم
قَدْ زلزلا من سُطاهما قَدَمي
سيفان قد جُرّدا لسَفْك دمي
إن كان في الحب قتلتي نَكَرا فهَـا دمي فـوق خَـدّه ظَهَرا يشهَـــدْ
لا تَلْحَني بالملام يا عَذَلي[٣]
فإنني في هواه في شغل[٤]
وانظر لماذا المحبّ به بُلي[٥]
لَـوْ عَبَـد النـاسُ قَبْلَـه بشراً لكان من حسنـــــه بغير مِرَا يُعْبَـــدُ

---

(١) المختار : ١٧٧ .
(٢) في الفوات : « قيّد » .
(٣) في الأصل : « في عذلي » ، وأثبتنا ما في الوافي والمختار والفوات .
(٤) في الفوات والمختار : « من هواه » .
(٥) في الوافي والمختار : « لماذا به المحبّ بلي » .

حُمّلْتُ وجْداً كردْفه عِظَماً
وصِرْت نضواً كخصره سقماً
لو أن ما بي بالصخر لانْهَدما

فـالحبُّ داءٌ لـو حُمّـل الحجرا لـذاب مِن هَوْل ذاك وانفطرا وانْهَـد

جوىً أذابَ الحشا فَحرّقني
ونيْل دمع جرى فغرّقني
لكنّه بالدموع خلّفني

فبت[1] أجري في الدمع مُنْحدرا ذاك لأني غـدوت مُنْكَسِرا مُفْرَدْ

بَديع حُسْنٍ سبحانَ خالقه
أحمرُ خدٍّ يُبْدي لعاشقه[2]
مِسكاً ذكيَّ الشذا لناشقه

نَمْـلُ عِـذَار يحيِّر الشُّعَرا وفَوْد شَعْرٍ يستوقف الزمرا[3] أسـودْ

وقد عارض ابن دانيال بهذه الموشحة موشحةً لأحمد بن حسن الموصلي[4] الوشاح وهي :

بي رَشاً عندما رنَا وسَرَا بالّلحظ للعاشقين إذ أسَرَا قيَّدْ

السِّحرُ من لفظه ومُقْلَته
والرشد من فرقِهِ وغرّتِهِ
والغيّ من صُدغِهِ وطُرّتِهِ

---

(١) في الوافي والمختار والفوات : « فرحت » .
(٢) في الفوات : « أبيض ثغر » .
(٣) في الفوات : « وفوق شعر النهرا » .
(٤) ترجم له في الوافي ، ولم يذكر سنة وفاته ، وهو ممن مدحوا للنصور صاحب حماة (ت ٦٨٣ هـ) ، الوافي : ٣٢٣/٦ .

بَـدْرٌ بصُبْـح الجبين قـد سترا بليـلِ شَعْرٍ وانظرْ لـهُ سترا اسْـوَدْ
إن قلتَ بدرٌ فالبدرُ ينخسفُ
أو قلتَ شمسٌ فالشمس تنكسف
أو قلتَ غصنٌ فالغصن ينقصفُ

وَسْنـانُ جفنِ سما عَنْ النَّظَرا وكل[1] طرفٍ إليـه قـد نظرا سَهَّـدْ
حاجبهُ مشرفٌ على شغفيْ
عارضُه شاهدٌ على أسفِيْ
ناظرهُ عاملٌ على تَلَفيْ
بـه غرامِي قَـدْ شـاعَ واشتهرا وسَيْفُـه في الحشـا إذا اشْهرَا يُغْمَـدْ
زها[2] بثغرٍ كالدُّر والشنب
وأطلعَ الأقحوَان كالحَبَب[3]
رُصّع شبهَ اللُّجين في الذهب
حـوى الثريـا من نـوره أثرا لـه أدمعي الـذي نَثَرَا[4] نضَّـدْ
عِذارهُ النّملُ في القلوب[5] سَعَى
والنّحلُ مِنْ ثغرِه الأقاحَ رَعَى
ويوسفُ أيدِي النسَا قَطعَا
بالنورِ من وجههِ سبـا الشعرا وردَّني بـالجفـا ومـا شَعَرا مُكْمَـدْ
بما بأجفانهِ مِنَ الوَطَفِ

(١) في الأصل : « لكل » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٢) في الفوات : « يزهو » .
(٣) في الفوات : « والطلع والأقحوان والحبب » .
(٤) في الفوات : « من ثغره أثرا له الذي أدمعي نثرا » .
(٥) في الفوات : « الفؤاد » .

وما بأعطافِهِ مِنَ الهَيَفِ
وما بأردافِهِ من التّرفِ
ذا الأسَمَرُ اللون[١] ردنّي سَمرا وفي فـؤادي من قـــدّه سَمَرَا أَمْلَـــدْ
خلّد طولَ الحياةِ في خَلَدِي
وكابَدَتْ لاعجَ الجوى كبدِي
ضعيفُ خَصْرٍ يوهي قوى جلدي
فخصرهُ حـــالتي قـــد اعتبرا وعن سَقَامي فقد روى خبرا مُسْنَـــدْ

قلت : وسيأتي في ترجمة شمس الدّين محمّد بن علي الدّهـان عـدّة موشحـات في هـذا الوزن وهي جيدة .

١٥٦٧ ـ محمّد بن داود بن محمّد بن مُنْتَاب*

بضم الميم وسكون وبعدها تاء ثالثـة الحروف وبعـدهـا ألف وبـاء موحّـدة ، التقيّ المأمون شمس الدّين أبو عبد الله الموصلّي السلامي الشافعي التاجر .

حضر غزاة[٢] عكا ، وحفـظ (التنبيـه) و (الشـاطبيـة) وسمع من أبي جعفر بن الموازيني ، وببغداد من أبي القاسم وغيره .

وسافر للتجارة وغاب عن دمشق زماناً ، ثم إنه عـاد إليهـا وسكنهـا بعـد العشرين وسبع مئة .

وكان مليحَ الشكل مَهيباً جميل اللباس حسن البِشْر ، دائم البذل والصّدقـة ، خبيراً

---

(١) في الفوات : « اللدن » .

* الوافي : ٦٤/٣ ، والدرر : ٤٣٧/٣ .

(٢) في الأصل : « عزلة » ، تحريف عمّا أثبتناه ، وفي الوافي : « غزوة عكّا » .

بالأمتعة ، ذا خطٍّ من أوْرَادٍ وتهجّد ومُرَّوة ، مجوِّداً لكتاب الله . وكان التّجّار يخضعون له ويحتكمون إليه وثوقاً بعلمه ووَرَعه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة رابع عشري ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة نيِّفٍ وسبعين وست مئة .

وصُلّي عليه بعد الجمعة ، وشيّعه أُمَم من الناس .

١٥٦٨ ـ محمّد بن داود*

المسند الجليل شرف الدّين أبو الفضائل بن الخطيب عماد الدين بن عمر بن يوسف بن يحيي بن عمر بن كامل بن يوسف بن يحيي بن خطيب بيت الأبّار .

رَوَى عن السَّخَاوي ، وشيخ الشيوخ تاج الدّين بن حَمّوْيَه ، وإبراهيم الخشوعي ، وعز الدّين بن عساكر ، وعتيق السلماني ، والصفيّ عُمَر بن البراذعي ، والرشيد بن مسلمة ، وإسحق بن طرخان الشاغوري ، والْمُرَّجا بن شقيرة ، والحافظ ضياء الدّين المقدسي ، وابن الصلاح ، وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٥٦٩ ـ محمّد بن داود**

مجير الدين بن الأمير سيف الدّين أبي الحسن علي بن عمر بن قَزَل الْمُشِدّ التركماني

---

* الدرر : ٤٣٧/٣ .

** الوافي : ٦٤/٣ ، والدرر : ٤٣٦/٣ .

الأصل ، سبط الملك الحافظ ابن السعيد بن الأمجد صاحب بعلبك ، القاضي شمس الدين بن الحافظ .

كان فقيهاً حنفيّا ، شاعراً ذكياً يقع بقوة ذهنه على الْمَعْنَى إذا كان خفيّا ، ويرى غوامضَ المواقيت وكيف لا وقد كان للشمس سمّيا ، وله مشاركة في العربيه ، ومداخلة في النكت الأدبيّه . ونثره غير طائل ، وخَطّهِ ليس بهائل .

يعرف الرياضيَّ جيداً ، أعْني فيما يتعلق بالحساب ، وآلات المواقيت من الربع والاصْطِرلاب ، ويَضع الآلات بيَدِه ولكنْ وضعاً عفشا ، ويكتب رسومها رسماً وحشا . وكان يضع مِن حيل بني موسى جُمْله ، ويحمّل نفسه من تجارب أعمالها ما لا يطيق حمله . قد أفنى عمره في ذلك وسلك طرائقها الموحشة وليله حالك . إلا أنه كان في حَلِّ الْمُتَرْجَم آيه ، وذِهْنُه في حلّه بلا فاصلة غايَه ، وهو أَوَّلُ مَنْ كتب لي مُتَرجماً وحَلَلْتُه ، وهَزَزْتُ لَهُ حسامَهُ وسَلَلْتُه .

ولم يزل على حاله إلى أن ضاع من ابن الحافظ حِسابُ عُمْرِه ، وأذهل ذويه مُبْهمَ أَمْرِه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس فيما أظن سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في تاسع عشر المحرّم ، ودفن هناك ، وكان وصّى بأن يُنْقَلَ إلى دمشق .

وكان أوّلاً بصفد ناظرَ الجيش ، فأقام بها زماناً ، ثم إنه نُقِل إلى نظر جيش طرابلس .

وكان قد سمع من ابن شيبان (ثلاثيات المسند) ، ومن ابن البخاري (كتاب الترمذي) ، وسمع بمصر والإسكندرية ، وحدّث .

ولّما توجه الأمير سيف الدّين بكتمر الحاجب من صفد والأمير علم الدين الجاولي لحصار سَلْع[1] ، عمل رسالة في ذلك نظماً ونثراً ، وسمعْتها من لفظة غَيْرَ مرَّة ، وممّا جاء

(١) حصن بوادي موسى قرب بيت المقدس . (معجم البلدان) .

فيها نظماً :

دعَتْ قلعـــةُ السّلْـــع مَنْ مَضَى بلُطفٍ إلى حُبِّهـــا القَـــاتِـــل
وغرَّتْهُم حين أبْـــــــدَت لَهُم مُحيّـــاً كبَـــدْرِ دُجىً كامِـــلِ
ولّمـــا استجـــابُـوا لهـــا أعرضتْ دَلالاً وقـــالتْ إلى قـــابـــل
تفـــانى الرجـــالُ على حُبِّهـــا ومـــا يحصلُـونَ على طـــائـــلِ

وقَرأت عليه بصفد (رسالة الإصطرلاب) لقاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة ، وأخبرني أنّه قرأها على الْمُصنّف .

وحكى لي أن القاضي بدر الدّين حكى له أن إنساناً من المغاربة جاء إليه وهو بمنزله دار الخطابة بالجامع الأموي ، وكان إذ ذاكَ قاضي القضاة وخطيباً ، وقال : يا سيّدنا رأيت اليوم في الجامع إنساناً وفي كمّهِ آلة الزندقة ، فاستفهمت كلامه واستوضحته إلى أن ظهر لي أنه رآه وفي كُمّه إصطرلاب ، قال : فقال لي : إذا جئتَ لتقرأ عليَّ شيئاً تحيَّلْ في إخفاء ذلك ما أمكن .

ووصف لي يوماً حلَّ الْمُتَرجَم وحبَّبهُ وزيَّنه ، وقال لي : يعوزك أن تكونَ تحلّ الْمُتَرْجم ، فقلت له : اكتبْ لي شيئاً منه ، فكتبه لي وأخذته من عنده ، وبتّ بعض لَيْلَتي أفكّر فيه ، وفتح الله عليّ بفكّه من غير شيخ ولا مُوَقّف ، فحَلَلْته وكتبت جواب ما كتبه لي ، وكتبت فيه :

سَلكتُ الْمُترجمَ في لَيْلَـــــــةٍ ولـولاكَ مـــا كنتُ ممَّن سَلَـــكْ
ومَـــا كانَ لَيْلي بـــهِ ذا حيـــاً لأنّـــك شمسٌ تُضِيء الحَلَـــكْ

وكتب إليَّ يوماً ، وقد بلغه عني كلام لَمْ أقله ، واستقالني من العتب فلم أَقِلْه :

أُعيـــذُك من ضميرٍ غيرِ صـــافٍ وأنتَ كما نراكَ أبـــو الصفـــاء
وغرسُ الـــدين لا يَـــذْوي ثَراه فُحتـــاجٌ لشمسِ الاستـــواء

فكيف يَرى بعاداً عن سَنَاها ... ويُعمل فكْرَه طَلَبَ الخفاء
أُحاشي ذهنَك الوقّادَ يَسْطُو ... عليه ظُلْمةُ الخِلِّ المِراء
وأن تُصْغِي إلى الواشِي وأنت الـ ... عليمُ بصدق ودّي وانتمائِي
فلا بالله لا تسمع حديثاً ... ينمّقه الحواسدُ بافتراء
فإني قد جَعَلْتُك في مَمَاتي ... خليلاً أصطفيه وفي بقائي

فكتبت أنا الجواب إليه :

أيا شَمْسَ العُلُومِ لِمُجْتَليها ... ويا مَنْ فَضْلُه بادي السَّنَاء
ومَنْ قد ظَل [منه] الفَضْلَ فينا ... ولولاه نُبِذْنا بالعَراء[1]
ألست إذ ادلَهمّت مشكلاتٌ ... جَلاها بالتّروّي والذّكاء
فما يخفى عليه مَقال غُشٍّ ... لأنّ الغَشَّ يظهر في الصَّفاء
أُعيذك أن تُصدّقَ قَوْلَ واشٍ ... وأنْ تَمْشي على غير استواء
أتحسبني أفوه بغير شُكْرٍ ... لفَضْلك لا وخلاّق السماء
وبابُك منذ كنت عرفت نفسي ... عَقَدْتُ عَلَيه أَلْوية الولاء
وما أهدى النّسيمُ إليك طِيباً ... وكانَ شَذاه إلاَّ مِن ثناء
وودّي أنت تَعْلَمُه يقيناً ... صحيح لا يُكدَّرُ بالْجَفاء
فلا تَسْمَعْ لِمَا نَقَل الأَعَادي ... وما قَدْ نمّقوه من افتراء
فأصْلُك طيّبٌ حاشاه يجفو ... خليلاً دَأْبُه رَفْعُ الدُّعاء
وهَبْني قلت هذا الصّبحُ لَيْلٌ ... أيَعْمى العالمون عن الضياء

وأنشدني من لفظه لنفسه :

لله دَرُّ الخليج إنّ لَهُ ... تَفَضُّلاً لا نُطيق نشكُره
حَسْبُك منه بأن عادته ... يجبر من لا يزال يكسره

(١) الزيادة يقتضيها الوزن .

قلت : أخذه من قول الأول وفيه زيادة :

سَـدَّ الخليـحُ بكَسْره جَبْرَ الـورى ... طُرّاً فكُـلٌّ قـد غَـدَا مَسْرورا
البـاء سلطـانٌ فكيف تـواترت ... عنـه البشـائر إذ غـدا مكسـورا

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وذي شَنَب مـالت إلى فيـهِ شَمْعـةٌ ... فرُدَّتْ لإشفـاق القلـوب عليـه
فمـالت إلى قُـدَّامـه شغفـاً بـه ... فقبّلت البطحـاء بين يـديـه[1]
وقـالت بـدا من فيـه شهـد فهـزّني ... تَـذكّرُ أوطـاني فمِلْت إليـه
فحـالت يَـدُ الأيـام بيني وبينـه ... فعفّرتُ أجفـاني على قـدميـه

قلت : أخذ قول الأول ، وزاد هو عليه :

أتـدرون شمعتنـا لِمْ هـوتْ ... لتقبيـل ذا الرشـأ الأكحـل[2]
دَرَت أنّ ريقتـهُ شهـدة ... فحنّت إلى إلْفهـا الأوَّلِ

١٥٧٠ ـ محمّد بن داود*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير نجم الدّين بن الزيبق .

كان أولاً أمير عشرة بعد وفاة والده ، ثم إنّه أُعطي نيابة الرحبة في أيام الأمير سيف الدّين أيتمش ، فأقام تقدير سنتين أو أقل ، ثم عُزِلَ منها وأقام في دمشق وهو أمير طبلخاناه ، فولاّه الأمير سيف الدّين أرغون الكاملي ولاية مدينة دمشق ، فباشرها إلى أن أتى الأمير علاء الدّين أمير علي الماردانى إلى دمشق نائباً ، فجعله والي الولاة بالصفقة

---

(١) في الأصل : « شغفاً فيه » ، ولا يستقيم الوزن وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في الأصل : « لمن هوت » ، وأثبتنا ما في الوافي .
* الدرر : ٤٣٨/٣ ، وذيول العبر : ٣٠٨ .

القبلية ، فسفك فيها الدماء ، واستخرج الأموال ، ولكن اطمأنت بـه البلاد من العشران والفتن .

ولم يزل بهـا إلى أن مرض مـدّة ، وتوفي رحمـه الله تعـالى ، وجـاء الخبر إلى دمشـق بوفاته في أول شهر رمضان[١] سنة ستٍ وخمسين وسبع مئة ، ونقل إلى دمشق .

١٥٧١ ـ محمّد بن رضوان*

ابن إبراهيم بن عبد الرحمن ، زين الـدّين العُـذْري ، المعروف بـابن الرَّعـاد ، براءٍ وعين مهملة مشدّدة وبعدها ألف ودال مهملة .

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدّين قال : كان المذكور خياطاً بـالْمَحلّـة من الغربيـة وله مشاركة في العربية وأدب لا بأس به ، وكان في غـايـة الصيـانـة والترفّع عن الـدنيـا والتردد[٢] إليهم ، واقتنى من صناعة الخياطة من الكتب كثيراً ، وابتنى بها داراً حسنـة ، ورأيته بالمحلة مراراً .

وأنشدني لنفسه قال : أنشدني للشيخ بهاء الدّين بن النحاس :

سَلَّمْ على الْمَوْلَى البهـاء وقُـلْ لـه : شـوقي إليـه وإنني مملـوكـه[٣]
أبـداً يحرّكني إليـه تشـوّقٌ جِسْمي بـه مشطـورُه مَنْهـوكُـه
لكنْ نَحِلْت لبعـده فكأنني أَلِفٌ وليسَ بِمُمْكِنٍ تحريكـه[٤]

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

(١) وفي الدرر أنه توفي في شعبان .

* الوافي : ٧٢/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٥٦/٣ ، والدرر : ٤٤٠/٣ ، والبغية : ١٠٣/١ .

(٢) في الوافي والفوات : « عن أهل الدنيا والتودد » ، وما بين حاصرتين زيادة منها ، وعبـارة البغيـة نقلاً عن الأدفوي : « مترفعاً عن أبناء الدنيا لا يتردد إليهم » .

(٣) في الوافي والفوات : « وصف له » ، وهي أنسب .

(٤) واضح ههنا أن الشاعر أفاد من مصطلحات العروض والصرف في بناء فنٍّ بديعي يدعى التوجيه .

رأيت حبيبي في المنـــام مُعَـــانقي وذلـــك للمهْجُـــورِ مرتبـــةٌ عُلْيـــا
وقـد جـاء لي مِنْ بعـدِ هَجْرٍ وقسـوةٍ ومـا ضرَّ إبراهيمَ لو صـدّق الرؤيـا[١]

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

نـــــارَ قلبي لا تقرِّي لَهَبـــــاً وامنعي أجفـانَ عيني أن تنـــامـــا
فـــإذا نحنُ اعتنقنـــا فـــارجعي نـــارَ إبراهيم برداً وسـلامـــا[٢]

وأنشدني قال أنشدني لنفسه :

قـــالـوا وقَـــدْ عـــاينـوا نُحُـولي إلامَ في ذا الغرام تَشْقَى
ضنيتَ أو كـــــدتَ فيـــــهِ تفنى وأنت لا تستفيـــق عشقـــــا[٣]
فقلتُ: لا تَعْجَبـــوا لهـــــذا مـــــا كان للهِ فهـــوَ يَبْقى

قلت : شعر عذب منسجم .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمحلّة سنة سبع مئة .

وكان قد أخذ النحو عن العلامة أبي عَمْرو ابن الحاجب .

ومن شعر ابن الرّعاد أيضاً :

أشكـــو إلى الله قصّـــاصـــاً يُجَرِّعني بـالصَدِّ والهجرِ أنـواعـاً من الغُصصْ
إن تُحْسِنِ القصَّ يمنـــاه فُقْلَتُـــه أيضـاً تقصُّ علينـا أحسنَ القصصْ[٤]

---

(١) في الوافي والفوات : « وقـد رقّ » . وفي البيت إشـارة إلى قولـه تعـالى : ﴿ ونـاديـنـاه أن يـا إبراهيم قـد صدّقت الرؤيا ﴾ الصافات : ١٠٥/٣٧ .

(٢) في الفوات : « نحن التقينا » . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ الأنبياء : ٦٩/٢١ .

(٣) في الوافي والفوات : « فنيت أو كدت » .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ نحن نقصّ عليك أحسن القصص ﴾ يوسف : ٣/١٢ .

قال كمال الدين الأدفوي : أخبرني شيخنا أثير الدين قال : قال لي زين الدين المذكور : أرسل إليّ شهاب الدين الخويّي حين كان قاضياً بالغربيّة أن أرسِلْ إليّ بالكتاب الذي استعرتَه مني ، فقلت له : ما استعرت في دهري من أحدٍ شيئاً فأعاد الرسالة[1] ، فكَتبت إليه هذه الأبيات :

غَنيتم فأطغاكم غناكم فأغنتنَا ... قناعتُنا عنكم ومن قنع استغنى
ألا مالكُم سُدْتم فساءت ظنونكم ... ومن عادة السادات أن يُحسنوا الظنا
عسى سفرةٌ شرقيةٌ حلبيّةٌ ... تروح بكم منّا وتغدو بكم عنّا

وأرسلها إليه ، فما فرغ من قراءته إلاّ بريديٌّ وصل إليه أن يتوجه إلى حلب قاضياً .

ومن شعر ابن الرعّاد أيضاً قوله :

أعِدْ نظراً فما في الخدِ نَبْتٌ ... حماه الله من ريبِ الْمِنون
ولكنْ رقّ ماءُ الوجهِ حتى ... أراكَ خيال أهدابِ الْجُفون

قلت : مأخوذ من قول الأوّل :

ولّما استقلتْ أعينُ الناسِ حَوْلَهُ ... تراقِبُه حيثُ استقلّ وسارا
تمثلَتِ الأهدابُ في صفوِ خَدِّهِ ... خيالاً فخالوا الشعرَ فيه عِذارا

ولعلّ هذا وما قبله منقول من قول ابن سناء الملك :

لم يُهنّي إلاّ هواه ولا دلّ ... لَ على السّقام إلاّ دلالُهْ
ما خلا خدُّه الصقيلُ من الخا ... ل ولكنْ سوادُ عيني خالُه

---

(١) في الأصل : « فاد الرسالة » ، وعبارة الدرر نقلاً عن الأدفوي : « فأعاد السؤال » .

وزاده تصريحاً نجم الدين بن صابر المنجنيقي[١] حيث قال :

أهـلاً بـوجـهٍ كالبـدرِ حُسْنـا ... صيّرني حُبْـهُ هِـلالا
قـد رقّ حتّى لحظتُ فيـه ... سـوادَ عينِي فخِلتُ خـالا

وقال تاج الدّين مُظفّر الذهبي :

لاحَ هـلالاً وانثنى مثقّفـاً ... وصـال لينـاً ورنـا غـزالاً
لـو لم تكن وجنتُـهُ مـاء لمـاَ ... خِلتُ سـواد العينِ فيـه خـالا

وكلّهم أخذه من الشريف البياضي[٢] حيث قال :

بـوجـهٍ شفَّ مـاءُ الحسنِ فيـهِ ... فلـو لُثِمَتْ صَحيفتـهُ لسـالا
يـؤثر فيـهِ لَحْـظُ العين حَتّى ... رأيتُ سـوادَهـا في الخـد خـالا

١٥٧٢ ـ محمّد بن سالم*

ابن نصر الله بن سالم بن واصل ، القاضي الإمام العلامة جمال الدين بن واصل الحموي الشافعي ، قاضي القضاة بحماة .

كان أحد الأئمّة الأعلام ، والقائمين بجمع العلوم الخافقةِ الذوائب والأعلام .

برع في العلوم الشرعية وطلع كالشمس في الفنون العقليه ، وجَمْعَ شَمْلَ ما تفرّق في العلوم الأدبيّه . صنّف وجمع وألّف ، ودخل في كل فنٍّ وما تخلّى عنه ولا تَخَلّف . وأفتى واشتغل ودرَّس ، وقضى وحَكَم وفَصَل لمّا علم وتفرس . وبَعُدَ صيتـه واشتهر ، وبرّز على الأقران في الجدال ومَهَر . وغلب عليه الفكر إلى أن صار يـذهل عَنْ جليسـه ، ويغيب عن وجوده في حضرة أنيسه :

(١) يعقوب بن صابر بن بركات (ت ٦٢٦) ، وفيات الأعيان : ٣٥/٧ .
(٢) مسعود بن عبد العزيز بن عبد المحسن (ت ٤٦٨) ، وفيات الأعيان : ١٩٧/٥ .
* الوافي : ٨٥/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٠ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ .

وأدِيم نحـــو محـــــدثي نظري أنْ قـــد فَهمتُ وعنـــدكم عقلي

ولي القضاء مدّة مديده ، وفاز منها بالسيرة الحميده . وأضرّ أخيراً ، وحاز بذلك أجراً كبيرا .

ولم يزل على حاله إلى قُطِع عُمْرُ ابن واصل ، ولم يبقَ في حياته حاصل .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ثاني[١] عُشري شوّال سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده بحماة في ثاني شوال سنة أربع وست مئة .

ودفن بتربته بعقبة بيرين .

وقيل إنه كان يشغل في حلقته في [ثلاثين][٢] علماً وأكثر ، وحضر حلقته نجم الدّين دبيران المنطقي ، وأورد عليه إشكالاً في المنطق .

وكان قد جُهّز عن صاحب مصر رسولاً إلى الأنبرور[٣] ، فتوجّه ، فأعظمه الأنبرور ، وسأله عن مسائل تتعلق بعلم المناظر وغيرها ، فأخذها وبات بها ، وأصبح وقد أملى الجواب عليها في مُجَلّد صغير ، فعظم في عين الأنبرور وقال : ياقاضي ما سألناك عن حَلال ولا حرام في دينك الذي أنت فيه قاض ، وإنما سألناك عن أشياءَ لا يعرفها إلاّ الفلاسفة الأقْدمون ، فأجبت عنها ، وليس معك كتب ولا ماتَسْتعين به ، مثلكِ يكون قسّيساً ، وحَسَد المسلمين[٤] عليه ، وزاد في تعظيمه وإكرامه ، وأحضر له الأرغل وهو الآلة عندهم في الطرب ، ولا يضرب به إلاّ في أيام أعيادهم ، فقيل : إنه

---

(١) في الوافي : « رابع » .
(٢) زيادة من الوافي .
(٣) هو ملك الصقليتين .
(٤) في الأصل : « المسلمون » .

ما اهتز له ولا تحرك ، وعندهم إن أحداً ما يسمعه فيملك نفسه من الطرب ، إلاّ أنّه لمّا قام وجدوا كِعَابه ممّا حكّها في البساط قد أدماها الحك ، وبقي أثر الدم في البساط ، فزاد تعجب الأنبرور منه أيضاً وأعطاه شيئاً كثيراً .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدّين بن الأكفاني غرائب من حِفظه وذكائه ، وحكى الحكيم السديد الدمياطي عنه أنه تعشى ليلة عند الشيخ علاء الدين بن النفيس ، وصلّينا العشاء الآخرة . قال : إلاّ أنّ القاضي جمال الدّين كان يحتدّ في البحث ويحمارّ وجْهُهُ ، والشيخ علاء الدّين في غاية الرياضة ، ثم إن القاضي آخراً قال : والله يا شيخ علاء الدّين أمّا نحن فعندنا نُكيتات ومواخذات وإيرادات[1] وأجوبة ، وأما أنت فهكذا خزائن علوم ، هذا أمر بارع . أو كما قال .

وأخبرني شيخنا العلامة أثير الدين قال : قدم المذكور علينا القاهرة مع الملك الْمُظَفَّر صاحب حماة ، فسمعت منه ، وأجاز لي جميعَ مروياته ومصنفاته ، وذلك بالكبش من القاهرة في يوم الخميس التاسع والعشرين من الْمُحَرَّم سنة تسعين وست مئة . وهو من بقايا[2] من رأيناه من أهل العلم الذين خُتِمَتْ بهم المئة السابعة .

وأَنْشَدَنَا لنفسه مما كتب به لصاحب حماة الملك المنصور محمّد بن مُظَفّر :

يا سيّداً ما زالَ نجمُ سَعْدِهِ ... في فَلَكِ العلياءِ يعلُو الأنجُمَا
إحسانُكَ الغَمْرُ ربيعٌ دائمٌ ... فلا نرى في صفرَ مُحَرَّمَا[3]

ومن شعر قاضي القضاة جمال الدين بن واصل أيضاً :

وأعيذ مصقول العِذار صحبتُه ... ورَبْعُ سروري بالتأهّلِ عَامِرُ

---

(١) في الأصل : « وإيرات » ، ولعلّها محرّفة عمّا أثبتنا .
(٢) في الأصل : « بقاياه » .
(٣) في الأصل : « العمر » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وفيه : « فلم ير في صفر » .

وفـارقتـهُ حينـاً فجـاءَ بلحيـةٍ تَرُوع وقـدْ دارتْ عليـهِ الـدوائرُ
فكررّتُ طِرْفي في رُسُـوم جمـالـهِ وأنشـدتُ بيتاً قـالـهُ قبلُ شَـاعرُ
« كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يُسْمرْ بمكـةَ سـامرُ »(١)
« فقـال مجيبـاً والفـؤاد كأنّما يقلقـهُ في القلبِ مني طـائرُ »
« بلى نحن كنّـا أهْلَهـا فـأبـادنـا صروفُ الليـالي والجـدود العواثرُ »

قلت :ومن مصنفـاتـه (التـاريخ) الـذي لـه ، وكان مفرّج الكُروب في دولـة بني أيوب ولـه (مختصر الأربعين في أصول الـدين) ، (شرح المـوجـز في المنطـق) لأفضـل الـدين الخـونجي ، و (شرح الجمـل) لـه أيضاً ، و (شرح قصيـدة ابن الحـاجب) في العروض والقـوافي ، و (التـاريـخ الصـالحي) ، و (مختصر الأدويـة المفردة) لابن البيطار ، واختصر (الأغـاني الكبير) ، وملكت بـه نسخـة عظمى . وكان خطّـه عليها بعدما أضرّ ، وكتاب (نخبة الأملاك في هيئة الأفلاك) .

١٥٧٣ ـ محمّد بن سعد الله*

ابن مروان بن عبـد الله القـاضي الرئيس عـز الـدّين ابن القـاضي سعـد الـدين أبي الفضل ابن الشيخ الفقيه العدل بدر الدين الفارقي .

كان جيّد الكتابة يكتب المطالعة بـديوان الإنشـاء بـدمشق ، وهو مرّشح لكتـابـة السر ، مشاراً إليه مُعَظماً .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة سـابع عُشْري ، شعبـان سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وعمره اثنان وخمسون سنة .

---

(٢) هذا البيت والبيت الأخير من أبيات لمضّاض بن عمرو الجرهمي يتشوق مكّـة لمّا أجلتهم عنها خزاعـة . (معجم البلدان) .

* الدرر : ٤٤٤/٣ .

وهو والد القاضيين محيي الدّين محمّد ، وشهاب الدّين أحمد ، كاتبي الإنشاء بدمشق .

١٥٧٤ ـ محمّد بن سعيد بن أبي المنى*

الإمام الفقيه بدر الدين الحلبي الحنبلي نزيل القاهرة .

سمع من التقي بن مؤمن ، والعزّ بن الفرّاء ، والأبرقوهي . ونسخ كثيراً ، وحصّل وأفاد . وكانت فيه صفات حميدة .

قال شيخنا الذهبي : انتقيت له جزءاً حدّث به .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمسٍ وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وسبعين وست مئة .

١٥٧٥ ـ محمّد بن سعيد بن عبد الله**

تقي الدين المدني الحجازي ، قارئ الحديث بالمدينة النبوية .

كان أسود اللون ، فاضلاً في الأدب . وَرَد إلى دمشق ، ثم توجّه منها إلى القاهرة ، ليعود إلى المدينة .

فتوفي رحمه الله بالقاهرة في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

وسمع بالشام ومصر وكتبَ عنه من شعره شيخنا البرزالي .

ومولده في أحد الربيعين سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

---

* الدرر : ٤٤٦/٣ .

** لم نقف على ترجمة له .

١٥٧٦ ـ محمّد بن سعيد بن محمّد بن سعيد*

الصدر الرئيس الفاضل شرف الدين ابن الصدر شمس الدين بن الأثير الكاتب ، تقدم ذكر والده .

كان شاباً حَسَناً عاقلاً ساكناً وقوراً ، كان قد أسره التتار في واقعة غازان فيمَن أسروه ، ومَنَّ الله عليه بالرجوع إلى وطنه ، وكان وصوله إلى دمشق في تاسع عشر صفر سنة إحدى وسبع مئة ، فأُصيب بوالده ، وترك له ميراثاً جيداً ، فلم يتمتع به .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع ربيع الأول سنة ثلاث وسبع مئة ، وكان على طريقٍ حميدة ودُفِنَ عِنْدَ والده .

١٥٧٧ ـ محمّد بن سعيد بن ريّان**

الطائي ، القاضي ، تاج الدين ابن الرئيس عماد الدّين .

أوّل ما عرفت من أمره أنه كان كاتبَ إنشاء بحلب ، ثم إنّه حَضَر إلى القاضي كريم الدّين الكبير لمّا جاء لزيارة بيتِ المقدس[١] في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، وأخذ كتابه إلى الأمير سيف الدين تنكز بأن يكون مباشراً بدمشق ، فتولّى نظر بَعْلَبك وأقام بها مدة ، ثم إنه توجه إلى حلب صاحب الديوان ، ثم إنه خرج منها في واقعةِ لؤلؤ وعاد إلى دمشق وأقام بها على نظر البيوت وصحابة ديوان الجامع الأموي .

ودام على ذلك مدة ، ثم أصابَهُ فالج فأقْعَده في بيته بقدر[٢] أربع سنين أو أكثر ، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في بُكرة الاثنين ثاني عُشري جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

---

* الدرر : ٤٤٦/٣ .

** الدرر : ٤٤٥/٣ .

(١) (خ) : « لزيارة القدس » .

(٢) (خ) : « تقدير » .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ شكلاً حسناً ، فيه رئاسة وسؤدد ، حسن الأخلاق كريماً ، يتجمّل في ملبسه ومأكله ، ويكتب خطّاً جيّداً .

ورأيته يكتب الكتاب مقلوباً من الحسبلة إلى البسملة في أيّ معنى اقتُرح عليه .

وبرع في كتابة الحساب والإنشاء .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ [و][1] قد تجاوز الستين قليلاً .

١٥٧٨ ـ محمد بن سلمان بن حمائل بن علي*

الصدر الرئيس الفاضل شمس الدين المقدسي ، عُرف بابن غانم . وقد تقدم ذكر أولاده شهاب الدين أحمد ، وعلاء الدين علي ، وبهاء الدين أبو بكر .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا [عن][2] ابن حَمّويه وابن الصلاح . وكان من أعيان الناس ، معروفاً بالكتابة والكفاية والمعرفة والتقدم وحُسن المحاضرة ، وحصّل كُتباً نفيسة .

ولي التّدريس بالعصرونية . وسمع أيضاً في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة من الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بنابلس ، وسمع بدمشق من القرطبي وابن مسلمة وجماعة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

---

(١) زيادة من (خ) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، والشذرات : ٤٥١/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٣/٨ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الشذرات .

١٥٧٩ ـ محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين*

العلاّمة الزاهد جمال الدين أبو عبد الله البلخي الأصل ، المقدسي ، الحنفي المفسّر ، المعروف بابن النقيب ، أحد الأئمة .

دخل القاهرة ، ودرّس بالعاشورية ، ثم تركها وأقام بالجامع الأزهر مدة .

وكان صالحاً زاهداً متواضعاً عديم التكلّف ، أنكر على الشجاعي إنكاراً تاماً ، بحيث إنه هابه وطلب رضاه . وكان الأكابر يترددون إليه ويلتمسون منه الدعاء .

صرف همّته أكثرَ دهره إلى التفسير ، وجمع تفسيراً حافلاً ، جمع فيه خمسين مصنَّفاً . وذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق في علم الباطن . قيل : إنه في ثمانين[١] مجلّدة . ولهذا التفسير نسخة في جامع الحاكم بالقاهرة .

قال شيخنا الذهبي : سمعت منه حديث علي بن حرب[٢] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في شهر الله المحرم سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى عشرة وست مئة .

وقال الفاضل كمال الدِّين الأدفوني في تاريخه (البدر السافر) في ترجمة ابن النَّقيب هذا : وله نظم ، منه يمدح الشيخ قطب الدِّين القسطلاني وهو قوله :

سألتُ أخاكَ البحرَ عنكَ فقالَ لي ... شَقيقيَ إلاّ أنّه الساكنُ العَذْبُ[٣]
لنا ديمَتا ماءٍ ومالٍ ، فديمَتي ... تَماسُكٌ أحياناً وديمتهُ سَكْبُ
إذا نشأت تبريّه فلهُ النَّدى ... وإن نشأت بحريّة فلي السُّحُبُ

---

* الوافي : ١٣٦/٣ ، والفوات : ٣٨٢/٣ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٨/٨ .

(١) في الوافي والفوات : « خمسين » .

(٢) الطائي الموصلي (ت ٢٦٥) ، السير : ٢٥١/١٢ .

(٣) في الوافي (عند ترجمة ابن اللبانة) : « أخاه البحر عنه ... أنه البارد » .

أقـلّ عليـهِ من سماحِ صِفـاتِـه فـإنّي أخشى أن يُـداخِلَـهُ العُجبُ

قلت : كـذا قـال كمال الـدّين الأدفـوي ، ونسب هـذه الأبيـات إلى ابن النّقيب المفسر ، وليس الأمر كذلك ، وإنما هذه من قصيدة لابن اللبّانة[1] مـدح بهـا المعتمـد بن عبّاد وأولها :

بَكَتْ عِندَ تـوديعي فما عَلِمَ الرَّكبُ أذاكَ سَقيطُ الطَّلِّ أم لـؤلـؤٌ رَطبُ
وتـابَعَهـا سَرب وإنّي لَمُخْطِئ نُجومُ الـدَّيـاجي لا يُقـالُ لَهـا سَربُ

وأظنُّ ابن النَّقيب كتب بها إلى ابن القسطلاني[2] مستشهداً بها على عادة الناس .

وأورد لابن النَّقيب أيضاً :

نَسيمَ الصَّبـا هيَّجتَ مِن قَلبيَ الْمُضْنى فُنـونـاً مِنَ الأشـواقِ نَفْنَى ولا تَفْنى
وعَهدي بـأنفاسِ الصَّبـا تبرِدُ الْجَوى وتَهـدي مِنَ الأرواحِ راحـاً لِمَن أنّـا
فَما لي إذا هَبَّت سُحَيْراً يَهـزُّني غَرامٌ كَما هَـزَّت جُنـوبيَّـةٌ غَصْنـا
ومـالي إذا هَبَّت صَبـا شـامَ بـارِقٌ مِنَ الْحُزْنِ أنساني صَميمَ الْحَشا حُزنا

قلت : نعم هـذا شعر ابن النقيب ، وإلا فـأين هـذه الطبقـة من تلـك الطبقـة الأولى ، أين الثريا من الثرى .

١٥٨٠ ـ محمد بن سليمان بن أبي العز بن وُهَيْب*

الإمام المفتي شمس الدّين ابن قاضي القضـاة صـدر الـدّين الحنفي مـدرّس النوريّـة والعذراويّة .

---

(١) محمد بن عيسى بن محمد الداني (ت ٥٠٧ هـ) ، الوافي : ٢٩٧/٤ .
(٢) محمد بن محمد بن الحسن ، ستأتي ترجمته .
* الوافي : ١٣٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٩١/٨ .

كان من كبار الحنفيّة مقصوداً بالفتوى ، أفتى نيّفاً وثلاثين سَنَة ، وناب في القضاء عن والده ، وكان منقبضاً عن الناس .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ نهار الجمعة سادس عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكانت له إجازة بعد سنة خمسين وست مئة ، ولم يحدث .

١٥٨١ ـ محمد بن سلمان*

الإمام المفتي وجيه الدِّين الرومي القونوي الحنفي ، إمام الرّبوة .

كان شيخاً فاضلاً متواضعاً ، ولِيَ تدريس العزيّة التي بالميدان ، وأعاد وأفتى .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٥٨٢ ـ محمد بن سليمان بن عمر بن سالم**

الصَّدر الرَّئيس بدر الدِّين محمد بن قاضي القضاة جمال الدِّين الأذرعي المعروف بالزُّرَعي .

كان رئيساً محتشماً قد باشر عدة أنظار بالدِّيار المصريَّة ، وكان من أصحاب القاضي كريم الدِّين الكبير ، وكان قد سمع من ابن البخاري وزينب بنت مكي وجماعة ، وحدَّث بالقاهرة وبمنفلوط . وآخر ما تولَّى نظر الفيّوم .

فتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ فجأة في آخر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

---

* الوافي : ١٣٧/٣ .

** الدرر ٤٥٠/٣ ، وفيه : « ابن عمرو » .

١٥٨٣ ـ محمد بن سليمان بن سومر البربري الزواوي*

قاضي القضاة جمال الدِّين أبو عبد الله المالكيّ .

قدم الإسكندرية حدثاً ، وتَفَقَّه بها ، وبَرَع في المذهب ، وفَرَّط في السَّماع من ابن رواج والسّبط .

ثم إنه سمع من أبي عبد الله المرسي ، وأبي العباس القرطبي ، والشيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام ، والشيخ أبي محمد بن بَرْطُلَّة . وعالج الشروط ، وناب في الحكم بالقاهرة ، وحكم بالشرقيّة وغير مكان .

ثم إنه قدم على قضاء دمشق فحكم بها ثلاثين سنة ، وكان حاكماً ذا صرامه ، قاضياً يبلغ بها الضعيفُ مَرامَه ، ماضي الأحكام بَتّاتاً[1] ، أراق دم جماعة تعرضوا لجناب النَّبي ﷺ ، عارفاً بمذهبه ، عالماً بمقدمه ومُنْقَلبه ، لو رآه مالك رضي الله عنه لَسرَّه ، وأشهب[2] لَما ركب في إثْره إلا المجرَّه .

حَصَل له في آخر عمره فالج ورعشه ، وبقي على نطقه من العجز وحشه ، وكان لا ينطق إلاّ بمشقّه ، ولا يأتي بالكلمة إلا حسَّيتَ شفته مُنْشَقَّه ، وعجز عن العلامه ، واستناب من يكتب عنه من برئ عنده من الملامه .

وعزل قبل موته بقليل ، وبقي إلى أن سلك تلك السبيل ، ومضى إلى ربِّه ذي المنِّ والفضل الجزيل .

---

* الوافي : ١٣٧/٣ ، والبداية : ٨٤/١٤ ، والدرر : ٤٤٨/٣ ، والشذرات : ٤٥/٦ ، والدارس : ٩/٢ وذيول العبر : ٩٣ .
ووقع في الأصل : « الراوي » ، تحريف ، وفي الوافي : « ابن سرور » .

(١) في الدرر عن الذهبي : « ثياتاً » .

(٢) أشهب بن عبد العزيز العامري ، تلميذ الإمام مالك (ت ٢٠٤ هـ) . السير : ٥٠٠/٩ ، ووفيات الأعيان : ٢٣٨/١ .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبع مئة .

عُزل قبل موته بنحو عشرين يوماً بالقاضي فخر الدِّين بن سلامة[١] المالكي .

ومولد القاضي جمال الدِّين الزواوي في حدود سنة ثلاثين وستّ مئة ، ومات ولم يسرع إليه الشبهات .

وكان بمصر من أعيان العدول ، وناب في الشرقيَّة والغربيَّة ، وناب في القاهرة ، وترجَّح لولاية القضاء بالقاهرة عقيب وفاة ابن شاش ، وتولي ابن مخلوف[٢] ، ثم إنه تولى قضاء دمشق ووصل إليها في عاشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وست مئة ، واستمر بها قاضيا نحو ثلاثين سنة .

وظهر في أيامه ما لم يكن معروفاً من مذهب مالك ، وعمّر المدرسة النورية والصمصامية[٣] ، وحصلت له رعشة في وسط ولا يتهوكان يجد له مشقة ، وثقل لسانه عن الكلام أخيراً .

وحدّث (بصحيح) مسلم و (الموطأ) رواية يحي بن يحي[٤] ، و (بالشفا) لعياض وغير ذلك .

١٥٨٤ - محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف*

الشَّيخ الصالح المقرئ الصنهاجي المراكشي الإسكندري ، إمام مسجد قَدَّاح .

---

(١) أحمد بن سلامة بن أحمد . سلفت ترجمته .

(٢) محمد بن علي (ت ٧١١ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « العصامية » ، ولا ذكر لها في الدارس ، وأتبعنا ما في البداية والنهاية ، وانظر الدارس : ٦/٢ .

(٤) يحي بن يحي الليثي (ت ٢٣٤ هـ) ، السير : ٥١٩/١٠ ، والكشف : ١٩٠٨/٢ .

* الوافي : ١٣٨/٣ ، والدُّرر : ٤٤٧/٣ ، والشَّذرات : ٤٦/٦ ، وذيول العِبَر : ٩٦ .

سمع عبد الوهاب بن رواج ، ومظفّر بن الفُويّ .

أخذ عنه الرحالون ، وكتب في الإجازات .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٥٨٥ ـ محمد بن سليمان بن حمزة*

ابن أحمد بن عمر ، ابن الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، قاضي القضاة عزّ الدِّين أبو عبد الله بن قاضي القضاة تقيّ الدِّين المقدسي الحنبلي .

وسمع الحديث من جماعة من أصحاب ابن طَبَرْزَد ، منهم الشيخ شمس الدِّين[١] ، وابن البخاري ، وأبو بكر الهروي . وجدته خديجة بنت خلف ، وحبيبة بنت الشيخ أبي عمرو ، ومن جماعة غيرهم .

وخرَّج له شمس الدِّين بن سعد[٢] (مشيخة) عن أكثر من خمسين شيخاً . وأجاز له ابن عبد الدائم وجماعة .

واشتغل وحصَّل ، وقرأ الفقه على والده وغيره . وكان له محفوظ في الحديث . واستنابه والده في الحكم . وترك تدريس المدرسة الجوزيَّة ، وكتب في الفتوى . وكان فيه عقل وحُسْن تودُّد .

ولما مات والده باشر تدريس دار الحديث الأشرفيّة بالصّالحيَّة ، وانقطع في بيته مدة ولاية قاضي القضاة شمس الدِّين ابن مسلّم الحنبلي ، ولَمّا توفِّي ولّوه مستقلاً ، و [وصل][٣] توقيعه بذلك إلى دمشق في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين

---

* البداية والنهاية : ١٥٤/١٤ ، والدُّرر : ٤٤٨/٣ ، والشَّذرات : ٩٦/٦ ، والدّارس : ٤١/٢ .

(١) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٣٨/٥ .

(٢) يحيى بن محمد ، ستأتي ترجمته .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

وسبع مئة[١] ، فباشره واختاره الناس لما تقدم لوالده من الحقوق[٢] ، ولحسن خُلُقه وتودُّده ، وقضاء حوائج الناس .

وحجَّ ثلاث مرات ، وحدَّث في كل حجة منها ، وزار القدس مرّات ، وحضر بعض الغزوات ، وتولَّى القضاء مستقلاً أربع سنين ولم يكملها . وكان له وِرْدٌ من التِّلاوة ، ومن الصلاة في الليل .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - يوم الأربعاء تاسع صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وحضر جنازته خلق كثيرة ، وكان يوماً كثير المطر والوحل ، ودفن بتربة الشيخ أبي عُمَر .

ومولده في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وست مئة .

وولي المنصب بعده قاضي القضاة شرف الدِّين أبو محمد عبد الله بن الحافظ .

١٥٨٦ - محمد بن سليمان بن أحمد*

تاج[٣] الدِّين بن الفخر .

سمع من أبي عبد الله محمد بن غالب الجيّاني[٤] بمكة ، ومن تقيّ الدِّين بن دقيق العيد بالقاهرة ، ومن غيرهما .

---

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٢٧/١٤ ، وفيه : أنه قرئ تقليده يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول .

(٢) في الأصل : « الحوق » .

* الوافي : ١٣٩/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٤ ، والدُّرر : ٤٤٧/٣ .

(٣) في الأصل : « ابن تاج ... » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُّرر . وفي الطالع : « ينعت بالتاج ويعرف بابن الفخر » .

(٤) في الأصل : « الحباني » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُّرر ، والطالع ، وهو محمد بن غالب بن سعيد الجياني (ت ٧٠٢ هـ) ، وستأتي ترجمته .

وحدَّث بقوص وغيرها . واشتغل بالعلم . وكان متعبِّداً ممتنعاً عن الغيبة وسماعها[١] .

له في السَّماع حالٌ حسنة ، وكتب الخط الجيِّد ، وكتب كثيراً من الحديث والفقه وغير ذلك .

قال كمال الدِّين جعفر الأُدفوي[٢] : لَمّا عُدِّل بعض الجماعة بقوص في أيام ابن السديد قام في ذلك وقصد أن لا يقع ، وتوجه إلى مصر وقال قصيدة سمعتها منه أولها :

شريعتنا قد انحلَّت عُراها ... فَحَيَّ على البُكاءِ لِمَا عَراها

وأقام بمصر .

وتوفِّي فيها ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

قلت : أنشدت بالقاهرة وقد تعدّل جماعةُ سُقّاط :

تَعدَّل كلُّ جَمْريّ بمصرَ ... وشافَ إلى العَدالةِ كلُّ جَمْري
فقُل للفاسِقينَ ازنوا تَزْكوا ... ولا تتأخَّروا فالوقتُ بَدْري[٣]

١٥٨٧ ـ محمد بن سليمان بن همَّام بن مرتضى*

الصَّدر القاضي جلال الدِّين ابن العدل وجيه الدِّين ، المعروف بابن البيّاعة ، أحد كتّاب الإنشاء بدمشق ، وناظر ديوان الربّاع . كان أبوه من عدول القاهرة .

---

(١) في الأصل : « وجماعة » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُّرر .
(٢) الطّالع السَّعيد : ٥٣٤ .
(٣) في الأصل : « زنوا » .
* الدُّرر : ٤٥٠/٣ .

روى عن جعفر الهمذاني وغيره ، وسمع منه علاء الدّين الوداعي وغيره .

كان يُمَنّي نفسه بالوزاره ، ويزعم أن طيفها جاءه في النّوم وزارَه ، ويعد أصحابه بوظائف ، ويجعلهم في الذّهن كباراً وهم ما بين حارس وطائف ، وله في ذلك آثار ، وعند رفاقه الموقّعين أخبار .

ولم يَزَلْ على ذلك إلى أن مرض مرضة طوّل فيها ، وانقطع عوّاده وعدم تلافيها ، وانفلج أخيرا ، ولم يجد له في ذلك أُجْرَة ولا أجيرا ، ثم إنه أصبح ثالث التراب والمدر ، وانقبض عن الأحياء وانقبر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

وكان شيخاً طوّالاً ، مسترسل الذقن خفيفها ، وكانت له معرفة بابن الخليلي الوزير ، وصَحِبَه ، فمن هنا كان يحدّث نفسه الأمّارة بالوزارة ، وبلغت هذه الأماني شمسَ الدّين غبريال وكان يضحك منه ويهزو به ، وما ترتب له على ذلك إلاّ مصلحة من خلاص جامكيته وماله على الديوان .

جاء الأمير علاء الدّين ألطنبغا من مصر متوجّهاً رسولاً إلى مُهَنّا عن السلطان قبل أن يلي نيابة حلب ، فلَمّا وصل إلى دمشق توجّه إليه الصاحب شمس الدّين وسلم عليه ، وقال : يا مولانا الساعة يجيء إليك شيخ طوال صفته كذا وكذا ، ونشتهي توهمه أنك سمعت هناك أنه يكون وزير الشام ، وجاء الصاحب شمس الدّين ، وطلب جلال الدّين وقال له : يا مولانا كنا عند هذا الأمير ورأيناه يسأل عنك كثيراً ، وقال : لي معه كلام وأريد أجتمع به ، رح إليه وعرفني أي شيء يقول لك ، فتوجّه إلى ألطنبغا ، فحالما رآه عرفه بالصفة التي قررها عنده الصاحب شمس الدّين ، فقام إليه وأجلسه إلى جانبه وتلقّاه ، وقال : توقيعُ مَوْلانا بوزارة دمشق قد كتب في مصر ،

وكان السلطان رسم بأن أحضره إليك ولكن تَعَوَّق ليكون التشريف قرينه ، وفي هذه الأيام يصل إليك . ويا مولانا أنا والله قد بشرتك والحلاوة أنك لا تنسانا ، فقال : بسم الله ، وبينما هم في هذا الحديث دخل الشيخ كمال الدِّين بن الزملكاني ، ولم يعلم القضية ، فجلس فوقه إلى جانب الأمير ، فتأذَّى جلال الدِّين وقال : هذا قلة أدب ، فقال له الشيخ كمال الدين : إيش جرى ؟ فذكروا له طرفاً من ذلك وأن تقليده بالوزارة واصل في هذه الأيام . فقال له الشيخ كمال الدِّين : يا شيخ مسكين هؤلاء يضحكون عليك . فقام وخَرَج مُغضباً .

وقال يوماً للشيخ شهاب الدِّين أحمد بن غانم : بلغني أنَّك لَمّا كنت في مصر سعيت عند فخر الدِّين ناظر الجيش حتى أبطل كتابة تقليدي ، فقال : والله يا مولانا ما دولةٌ أكون أنا مشيرها وأنت وزيرها إلاّ دولة خَرَا .

وكان قد أُنْزِل عليه الشيخ تاج الدِّين اليمني[1] ، وكان في زمن الأفرم بدمشق ، وكان ينشئ له ما يحتاج إليه في الدِّيوان .

١٥٨٨ ـ محمد بن سليمان بن عبد الله بن سليمان*

المحدِّث الفقيه الفاضل تقيّ الدِّين الجعبريّ[2] ، الشاهد .

سمع من الْحَجّار وطبقته ، وقرأ عليه[3] كثيراً ، وتخرَّج بوالد حَمِيّه شيخنا الحافظ جمال الدِّين المزّي[4] ، وقرأ على العامة ، وهو رفيقي في أكثر مَسْموعاتي بالشام ، وقد كنت أجزت له ولأولاده .

---

(١) هو عبد الباقي بن عبد الحميد بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

* الدُّرر : ٤٤٩/٣ .

(٢) في (خ) زيادة : « الشافعي » .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) عبارة الدُّرر : « تزوّج بنت المزيّ ، وقرأ عليه » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وسبع مئة .

١٥٨٩ ـ محمد بن سليمان بن أحمد*

القاضي شمس الدِّين القفصي ، بالقاف المفتوحة والفاء الساكنة ، وبعدها صاد مُهْمَلة ، نائب الحكم العزيز المالكي بدمشق .

ناب لقاضي القضاة شرف الدِّين المالكي ، ومِنْ بَعْده لقاضي القضاة جمال الدِّين الْمَسَلاّتي[١] .

كان فهماً بمذهب مالك رضي الله عنه ، خبيراً بالأحكام ، وفي لسانه عجمة المغاربة ، يجعل الثاء سيناً والجيم زايا . وكان يَسْكن المنيحة[٢] ، ويدخل المدينة كل يوم ويخرج منها . وكان إذا رأى في مجلس حكمه ما لا يعجبه قال بفمه ، وأشار بيده بالفُحش ، ويقول للمرأة التي يتأذى منها : والك يا مومس .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني شوّال يوم الأحد سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وكانت له مشاركة في العربيّة والأصول ، عفا الله عنه وسامحه .

وكان قد ولي نيابة الحكم في صَفَر سنة عشرين وسبع مئة[٣] .

١٥٩٠ ـ محمد بن شِرْشِيق**

بكسر الشين المعجمة وبعدها راء ساكنة وسين ثانية معجمة وبعدها ياء آخر

* وفيات ابن رافع : ٣٠٩/١ ، والدُّرر : ٤٤٧/٣ .

(١) محمد بن عبد الرحيم بن عبد الملك المسلاتي (ت ٧٧١ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٣٩/٢ .

(٢) من قرى دمشق بالغوطة . (معجم البلدان) . وتعرف اليوم (المليحة) .

(٣) البداية والنهاية : ٩٦/١٤ .

** الوافي : ١٤٩/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٣ ، والدُّرر : ٤٥٢/٣ .

الحروف ساكنة وقاف ، ابن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر بن صالح بن دوست[١] بن يحيي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الشيخ الإمام العارف الكامل شمس الدّين أبو الكرم ابن الشيخ الإمام القدوة حسام الدّين أبي الفضل ابن الشيخ الإمام القدوة جمال الدّين أبي عبد الله ابن الشيخ الإمام علم الدّين الزّهّاد شمس الدّين أبي المعالي ابن الشيخ الإمام قطب العارفين أبي محمد الجيلي الحسني الحنبلي المعروف بالحِيالي ، بكسر الحاء المهملة والياء آخر الحروف وألف بعدها لام ، والحِيال : بلدة من أعمال سنجار .

حفظ القرآن العظيم في صباه ، والفقه للإمام أحمد ، وسمع الحديث وهو كثير من جماعة منهم الإمام فخر الدّين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد البخاري المقسي[٢] بدمشق ، وأبو العباس أحمد بن محمد النصيبي[٣] بحلب ، والإمام عفيف الدّين أبو محمد عبد الرّحيم بن محمد بن أحمد بن الزّجّاج[٤] بمكة ، والإمام عفيف الدّين أبو محمد عبد السّلام بن محمد بن مزروع المصريّ البَصْريّ[٥] بالمدينة الشريفة . ورحل وحدَّث ببغداد ودمشق والحيال وغيرها من البلاد .

وروى عنه جماعة منهم أولاده المشايخ حسام الدّين عبد العزيز ، وبدر الدّين حسن ، وعز الدّين الحسين ، وظهير الدّين أحمد ، ومحدِّث العراق تقيّ الدّين أبو الثّناء محمود بن علي بن محمود الدّقوقي الحنبلي[٦] ، والشيخ الإمام زين الدّين أبو الحسن علي بن

---

(١) في الوافي : « ابن صالح جنكلي دوست » .

(٢) (ت ٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٨/٥ ، ووقع في الأصل : « أبو الحسين » ، سهو .

(٣) أحمد بن محمد بن عبد القاهر (ت ٦٩٢ هـ) ، العبر : ٣٧٤/٥ .

(٤) (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٣/٥ .

(٥) (ت ٦٩٦ هـ) ، الإعلام : ٢٩١ .

(٦) ستأتي ترجمته .

الحسين بن شيخ العُوينة الموصلي الشافعي[١] ، والإمام بدر الدِّين محمد بن الخطيب الإربلي الشافعي ، وخلق .

كان مشهوراً بالصَّلاح والعبادة والزهد والسماح ، يكاثر الغمام إذا سَحَّ ، ويتحقق البحر الزَّاخر معه أنه شحّ . وله هيبة في النفوس وعليه [وقار][٢] وناموس ، يعظِّمه الناس وهو لا يعبأ بأمرهم ، ولا يلتفت إلى شواظ نارهم ولهيب جمرهم ، وكان ملوك دار بكر يحبونه ويخدمونه ويحيّونه ويقبلون إشاراته ويُقْبلون على رسائله وإماراته ، ولهم فيه اعتقاد وانتفاء لما يؤثره منهم وانتقاد ، ومع ذلك مليح الخلق ، صبيح الخلق ، زائد الحشمه ، كثير الإحسان للناس والخدمه .

ولم يزل على حاله إلى أن حالت حياة الْحَيالي وأبلت جدَّته الأيام والليالي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الجمعة سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده ليلة الجمعة منتصف شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وستّ مئة بالحيال .

وبيتُه بيت رياسة وحشمة وسؤدد ومروءة . والخير والإحسان معروف بهم ، ولم تمسّ يد هذا الشيخ شمس الدِّين من نشأته إلى موته فضة ولا ذهباً ، وجوده في تلك البلاد مشهور ، وكان له كشف وأحوال وحلم وتجمُّل ، وهو وأهل بيته معروفون بمناصحة الإسلام ، ويكاتبون ملوك مصر ونوّاب أطراف بلاد الشام .

ولَمّا كنتُ في الرحبة سنة تسع وعشرين وسبع مئة وما بعدها أهديت إليه قماشاً إسكندريّاً وأهدى إليَّ أشياء من طرائف سنجار ، ولم تزل رسله مدة مقامي بالرحبة تتردد إلى الرحبة وأخدمهم وأقوم بما يجب لأجله . رحمه الله تعالى .

---

(١) سلفت ترجمته .

(٢) زيادة يقتضيها السِّياق .

١٥٩١ ـ محمد بن شريف بن يوسف*

الفاضل الكاتب المجيد صاحب الخط[١] الفائق ، شرف الدِّين ابن[٢] الوحيد الزُّرعي .

سافر إلى الحجاز[٣] والعراق ، واجتمع بياقوت المجوِّد[٤] .

كان تامَّ الشكل ، متأنِّقاً في اللبس والأكل ، حسن البزّه ، لَدْن المهزّه ، موصوفاً بالشجاعه ، وبالعبارة[٥] السَّادّة والبراعه ، يتكلّم بعدة ألسن ، ويأتي فيها بما يروق ويحسن ، وقد ضُرب بحُسن كتابته المثل ، وسار ذكرها في السهل والجبل ، لأنها أخملت زهرات الخمائل ، وفاقت على [من][٦] تقدَّمَهُ الأوائل ، فلو رآه ابن البوّاب لجوَّد تحت مثاله ، وعلم أنَّ بدر هذا فاق على هلاله ، أو ابن مقلة شخص إليه إنسانه ، وعلم أنه ما تُلْحَق إجادته ولا حسانَه ، أو الولي التبريزي لتحقق أنه قد بَرَّز وسبقه ، وأنه ما يشم ريحانه ولا محققه .

وكان قد فضح الأوائل والأواخر بفصاح نسخه ، وتفرَّد هو بكمال الخط وترك غيره يخبط في مَسْخه ، فما أحقه بقول البستي[٧] :

---

* الوافي : ١٥٠/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٩٠/٣ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، ووفيات ابن رافع : ٩١/١ ، والدُّرر : ٤٥٣/٣ ، والشَّذرات : ٢٧/٦ ، والنُّجوم الزّاهرة : ٢٢٠/٩ .

(١) في الأصل : « الحفظ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « أبو » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الأصل : « العراق » بلا واو .

(٤) هو ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرّومي (ت ٦٨٩ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٢٢/٦ .

(٥) في الأصل : « بالعبارة » .

(٦) زيادة يقتضيها السياق .

(٧) علي بن محمد بن الحسين (ت ٤٠٠ هـ) ، وهو شاعر عصره . وفيات الأعيان : ٣٧٦/٣ .

إنْ هَـزَّ أقـلامَـهُ يَـومـاً لِيعملهـا أنسـاكَ كلَّ كَميّ هَـزَّ عـاملَـهُ
وإن أقَرَّ على رقٍّ أنـاملِـه أقرَّ بـالرِّقِّ كتـابَ الأنـامِ لَـهُ

أما أنا فلا أرى أحداً مثله كتب في المحقق والريحان وفصاح النّسخ ، لأنه[١] أتى في ذلك بالإبداع . وكان في حياته يبيع المصحف نسخاً بلا تجليد ولا تذهيب[٢] بألف درهم . وكان ابن تمام[٣] قد كتب عليه وحكى طريقه ، وكان يكتب المصاحف فيقول له : اكتب أنت المصحف وهاته إليَّ ، فإذا أتى به يزن له أربع مئة درهم ، ويأخذ الشيخ شرف الدِّين فيكتب في آخره : كتبه محمد بن الوحيد ، ويبيعه هو بألف درهم .

وروى عنه البرزالي وقاضي القضاة جلال الدِّين القزويني .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن الوحيد في قبره وحيدا ، وفقد الناس منه كاتباً فريدا .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في البيمارستان المنصوري بالقاهرة في يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده بدمشق سنة سبع وأربعين وستّ مئة .

وكان يتكلم بعدة ألسن ، وكان يتَّهم في دينه . قيل : إنه وضع الخمر في دواته وكتب منها[٤] المصحف .

وأخوه علاء الدِّين[٥] مدرِّس البادرائيّة كان ممن يحطُّ عليه ويذكِّره بكل سوء ،

---

(١) في الأصل : « لأنَّ » ، ولا تستقيم .
(٢) في الأصل : « تذهب » ، ولا تستقيم .
(٣) محمد بن أحمد بن تمام بن السَّراج (ت ٧٤٩ هـ) . الدُّرر : ٣١٢/٣ .
(٤) في الوافي : « بها » .
(٥) علي بن شريف بن يوسف الزُّرعي (ت ٧٤٤ هـ) . وفيات ابن رافع : ١٨٤/١ ، والدُّرر : ٥٥/٣ .

وكان قد اتصل بخدمة الجاشنكير[١] قبل السلطنة وأعجبه خطُّه . فكتب له ختمة في سبعة أجزاء في ورق بغدادي قطع النصف بليقة ذهب ، قلم الأشعار ، دَخَّل فيها ألف وست مئة دينار ليقة ، فدخل في الختمة ست مئة دينار وأخذ هو الباقي ، فقيل له في ذلك ، فقال : متى يعود آخَر مثل هذا يكتب عليّ مثل هذه الخِتْمة ، وزمّكها صندل[٢] ، ورأيتها أنا وهي وَقْفٌ بجامع الحاكم بالقاهرة وما أظنها يكون لها ثان من حسنها ، ولَمّا فرغَتْ أدخله الجاشنكير ديوان الإنشاء ، فما أنجب في الدّيوان ، فكانت الكتب التي تدفع إليه ليكتبها في أشغال الناس على القصص تبيت عنده وما تُتَنَجَّز ، وهذا تعجيز من الله تعالى لمثل هذا الكاتب العظيم . كما يحكى عن الحريري صاحب (المقامات) وأنه بعد عمل المقامات طلب إلى ديوان الإنشاء ببغداد فأعطاه صاحب الديوان كتاباً فمكث فيه من بكرة النهار إلى الظهر وهو ينتف عُثْنونَه ، ولم يفتح الله عليه بشيء حتى قال فيه ابن حِكّينا[٣] :

شيخٌ لَنا من رَبيعةَ الغَرَس ... يَنْتِفُ عُثْنونَهُ مِنَ الهَوَس
أنطَقَهُ اللهُ بالمشانِ وقَد ... أَلْجَمَهُ في العراقِ بالْخَرَسِ[٤]

هذا وقد كان يوماً في بعض مجالس الأكابر ، فجرى ذكر البستي وقوله في رجلٍ بخيل شرير : إن لم يكن لنا طمع في دَرَك درّك فاعفنا من شَرَك شَرّك ، فلم يبقَ أحد حتى استحسنها ، وأقرَّ بالعجز عن الإتيان بمثلها ، فقال الحريري في الحال : وإن لم تُدننا من مَبارِك مَبارّك فأبعدنا عن مَعارِك مَعارّك .

---

(١) بيبرس ، كما في الفوات .

(٢) في الوافي والفوات : « صندل المذهب » .

(٣) الحسن بن أحمد بن محمد ، من ظرّاف الشعراء الخلعاء (ت ٥٢٨ هـ) ، ووقع اسمه في بعض المصادر بالجيم .
انظر : فوات الوفيات : ٣١٩/١ ، والبيتان الآتيان هما في وفيات الأعيان : ٦٥/٤ .

(٤) الذي في وفيات الأعيان هو :
أنقطَعَهُ اللهُ بالمشانِ كما ... رماهُ وسطَ الدّيوانِ بالْخَرَسِ

قلت : وما لابن الوحيد والحريري إلا قول أبي الطيب[١] :

وتوهَّموا اللَّعِبَ الوغى والطَّعن في الـ هيجاء غيرُ الطَّعنِ في الميدانِ

ولهذا ، إنَّه لَمّا دخل ابن الوحيد ديوان الإنشاء بلغ القاضي شرف الدِّين بن فضل الله صاحب الديوان عنه كلام يفهم منه أنه يُنَقِّص به ، فطلبه وقال : اقعد . أعطوه درجين قطع الثلاثين ، وقال : أوصل أحدهما بالآخر وعجل ، فوصلها . فقال : اكتب وعجِّل إلى صاحب اليمن وهدِّ قوائمه ، وزعزِعْ أركانَه فيه ، وتوعَّدْه وهدِّدْه ، ثم لطِّفِ القولَ حتى لا ييأس ، ثم عُدْ ببعض تلك الغلطة الأولى وعرِّفه أنَّ العساكر التي نجهِّزها إليه يكون أوّلها عنده وآخرها عندنا ، وذكِّره باصطناعنا لوالده قبله ، وأنه لوشئنا ما تركناه جالساً على سرير مَمْلكته ، ولكن نحن نرعى هذا البيت الأيوبي ، ومن هذا وأشباهه . وعجِّل بكتابة هذا لأدْخُلَ وأقرأهُ على السلطان ، فبهت شرف الدِّين وأُسقِطَ في يده وأُرْعِدت فرائصُه ، ولم يدرِ ما يقول ولا ما يكتب ، ثم إنه اعترف وقال : يا مولانا والله ما أنا قدر هذا ، والعفو . فقال له : إذا كنت كذا فلا تكن بعدها تكثر فضولك . فاستغفرَ اللهَ وخَرَج .

وكان الشيخ شرف الدِّين شيخَ خطيبِ بعلبك وغيره مِمَّن كتب عليه .

ونَظْمُه فيه يَبْسٌ قليل ، إلاّ أنه كان جَيِّدَ العربيَّة ، عارفاً باللغة ، وله رسائل كثيرة وقصيدةٌ لامية سمّاها (سَرْد اللأم في مادة[٢] لامية العجم) .

وكان الله تعالى قد رمى بينه وبين محيي الدِّين البغدادي[٣] حتى عمل له ذلك المنشور[٤] المشهور الذي أقطعه فيه قائم الهرمل وأبو عروق وما أشبه هذه الأماكن .

---

(١) ديوانه : ٤/٤٧٦ .

(٢) في الوافي : « في معنى » .

(٣) في الوافي : « ابن البغدادي » .

(٤) في الأصل : « النّشو » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .

ولقد وقفت أنا بالدِّيار المصريّة على كتاب (خواص الحيوان) وفي بعضه ذكر الضّبع ، ومن خواص شعْره أنه من تَحَمّل بشيء منه حدث له البغاء ، وقد كتب ابن البغدادي على الهامش : أخبرني الثقة شرف الدِّين بن الوحيد أنه جرَّب ذلك فصحَّ مَعَه ، أو كما قال.

ومِمّا ينسب إلى ابن الوحيد[1] ، ورأيته لغيره :

وخضراء لا الحمراء تفعلُ فعلها ... لَها وثَباتٌ في الْحَشا وثباتُ
تؤجِّجُ ناراً في الْحَشا وهِيَ جَنّةٌ ... وتبدي مريرَ الطَّعمِ وهيَ نباتُ

ومن شعر ابن الوحيد :

اللهُ باري قوسَ حاجبه التي ... مُدَّت وإنسانِ العُيونِ النّابل
ولِحاظُه نَبلٌ لها مِن هُدبِهِ ... ريشٌ وأفئدَةُ الأنامِ مقاتل

ومنه :

جُهْدُ الْمُغَفَّل في الزَّمانِ مضيّع ... وإنِ ارتَضى أستاذه وزمانه
كالثَّورِ في الدّولابِ يَسعى وهو لا ... يدري الطَّريقَ ولا يَزالُ مكانه[2]

وكان السّراج الورّاق قد مرض في وقت ، فجهز إليه شرف الدِّين بن الوحيد أبلوجة سكّر ومعها رقعة بخطه المليح ، فكتب إليه السّراج ومن خطه نقلت :

أرسلَ لي ابنَ الوحيدِ لَمّا ... مَرِضْتُ بالأمسِ جامَ سُكَّرْ
ومدحةٌ لي بخطِّه لي ... فقلتُ ذا سُكّر مُكرَّرْ
حلَّى وحلَّى فَمي وجيدي ... عَقْدُ شرابٍ وعِقْدُ جَوْهَرْ

ووقف يوماً شيخنا ناصر الدِّين شافع على شيء من نظم [ابن] الوحيد فقال :

(١) في تفضيل الحشيشة على الخمر ، كما في الوافي والفوات ، والنّجوم .
(٢) في الوافي والفوات : « فلا يزال » .

أرانـا يراعُ ابنِ الـوحيـدِ بـدائعـا تَشـوقُ بِها قَـد أنهَجتـهُ مِنَ الطَّرْقِ
بِهـا فـاتَ كلّ النّـاسِ سَبْقـاً فَحَبَّـذا يَمين لـهُ قَـد أحْرَزَتْ قَصَبَ السَّبْـقِ

فقال ابن الوحيد :

يـا شـافِعـاً شَفـعَ العَليـا بِحِكْمَتِـهِ فسـادَ مَنْ راحَ ذا عِلْمٍ وذا حَسَبِ
بـانَتْ زِيـادةُ حَظّي بـالسَّماعِ لـهُ وكانَ يَحْكيـهِ في الأوضـاعِ والنَّسَبِ
فَجـاءَني مِنـهُ مَـدْحٌ صيـغَ مِن ذَهَبٍ مُرَصَّعـاً بَـل أتى أبْهى مِنَ الـذَّهَبِ
فَكِـدْتُ أنشِـدُ لـولا نـورُ بـاطِنِـه «أنـا الَّـذي نَظَرَ الأعمى إلى أدَبي»[1]

فلما بلغت هذه الأبيات ناصر الدّين شافعاً قال :

نعَم نَظرتُ ولكن [لم] أجِـدْ أحَـداً يـا مَن غَـدا أوحَـداً في قِلّـةِ الأدب[2]
جـازَيتَ مَـدْحي وتَقريظي بِمَعْيَرة والعَيبُ في الرّأسِ دونَ العيبِ في الـذَّنَبِ[3]
وزِدْتُ في الفَخْرِ حتّى قلتُ مُنْتَسِبـاً بِخَطِّـكَ اليـابِسِ الْمَرْئي كالْحَطَبِ
بـانَتْ زِيـادةُ حَظّي بـالسَّماعِ لـهُ وكانَ يَحكيـهِ في الأوضـاعِ والنَّسَبِ
كَـذَبتَ واللهِ لَن أرضـاهُ في عُمُري يـابنَ الـوحيـدِ وكَم صَنَّفتَ مِن كَـذِبِ
جـازَيْتَ نَظْمي وقَـد نَضـدتُـه دُرراً يروقُ سَمـعَ الـوَرى درّاً بمحتلبِ[4]
ومـا فَهِمْتَ مُرادي في المـديحِ ولـو فَهِمْتَـهُ لم تُـوَجِّهْـهُ إلى الأدبِ
سـأتبـعُ القـافَ إذا جـاوبتُ مُفْتَخِراً بالـزّاي يـا غـافِلاً عَن سَوْرَةِ الغَضَبِ
خـالَفْتَ وَزْني عَجْـزاً والرويّ معـاً وذاكَ أقْبَـحُ مـا يُرْوى عنِ العَرَبِ

(١) هو للمتنبي وعجزه : « وأسمعت كلماتي مَنْ به صَمم » ، ديوانه : ٣٦٧/٣ .
(٢) الزيادة من الوافي والفوات . وفي الفوات : « غدا واحداً » .
(٣) في الأصل : « بمغيرة » ، وأثبتنا ما في الوافي . وروي صدر البيت في الفوات بلفظ :
«عيّرتني ، بعمى أصبحت تذكره »
(٤) في الوافي : « درّي وقد نضدته كلّما » . وفي الأصل : « بمخشلب » ، ولم نقف على ذكر لها في المعاجم ، وأثبتنا ما في الوافي .

قلت : ابن الوحيد ـ رحمه الله تعالى ـ معذور في العدول عن الوزن والقافية لأنه ما كان يجد في ذلك الوزن والقافية مثل قول أبي الطيِّب : « أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي » ، فإن ناصر الدِّين كان ذلك الوقت قد أضرّ ، وقد احترز ابن الوحيد بقوله : « لولا نور باطنه » احترازاً ، لكنه ما أفاده مع تسرُّع ناصر الدِّين شافع ، ورحم الله كلاً منهما .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدِّين محمد بن سيِّد النّاس اليعمري ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان شرف الدِّين بن الوحيد الكاتب [يقول في][1] قول القائل : « النبيذ بغير الدّسم سُمّ ، وبغير النّغم غمّ » : هاتان السَّجعتان ما وقع لهما ثالث[2] ، وهو قولي : « وبغير المليح قبيح » .

قلت أنا : ما كان ابن الوحيد ـ رحمه الله تعالى ـ لمح فيهما من الجناس المرقص والمطرب ، ولو أن الأمر راجع إلى السّجع فقط أو إلى الوزن فقط عمل الناس مجلدات من هذا النوع ، ولكن أنا تكلفت لهما ثالثاً : « وبغير النَّهم همّ » ، أعني أن الإكثار من الشراب سَبَب الانشراح والسرور ، على العادة من كلام الذين أولعوا بالشراب وبالغوا في الإكثار وحثّوا على معاقرته .

١٥٩٢ ـ محمد بن شكر*

الشيخ الإمام الفاضل شمس الدِّين الديري الشافعي الناسخ .

كتب ما لا يحصى كثرة ، وكان مُقْرِئاً بالسَّبع ، وكان يعرف علم الحرف ويتكلم عليه جيِّداً إلى الغاية ، وله مشاركة في علوم كثيرة ، وأظنه كتب في المصطبة في وقت . والله أعلم .

(١) زيادة لعلَّ السياق يقتضي نحوها .

(٢) في الأصل : « ثالثاً » ، ولا تستقيم ، وسياق كلامه يدلُّ على أنه ما وقع لهما ثالث إلاّ عنده .

* الدُّرر : ٤٥٦/٣ .

وكانت له عناية بتصانيفي ، لا يسمع بشيء منها إلا ويكتبه لنفسه أوّلاً وللنّاس ثانياً ، وكتب من الكتب السّتة الصّحاح كثيراً ، ومن كتب الفقه المطوّلة كثيراً .

ثم إنّه آخر الحال أقام بدار الحديث الأشرفيّة يرتزق بالنّسخ إلى أن توفّي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة وقد[1] قارب التّسعين . عفا الله عنه .

١٥٩٣ - محمد بن الشنبكي*

بالشين المعجمة والنون الساكنة وبعدها باء موحدة وكاف ، ناصر الدّين .

كان من ظرفاء القاهرة ، ساكناً خيّراً ، يلعب بالعود ويلوذ بالقاضي جمال الدّين رئيس الأطباء ، ورأيته بسوق الكتب مرات وكتب إليّ يوماً :

أيا صَلاحَ الدِّين يا فاضِلاً ... لفظكَ ما أسْمَى وأسناه
كالدّرّ مَنظوماً وإن كانَ مَنثوراً فَما أغلى وأعلاه
إنْ دارَ بينَ الشرب في أكْؤسِ الـ ... أفواهِ ما أجلا وأحلاه
ما الزُّهر ما الزَّهر إذا استمتَعوا ... منهُ برؤيّاهُ وريّاه
فيطربُ السَّمعَ لألفاظِهِ ... ويرقصُ القلبُ لِمَغناه

فكتبت أنا الجواب إليه :

يا ناصِرَ الدِّين الذي نَظمَهُ ... قَد زانَ مَغْناهُ ومَعْناهُ
أتحَفْتَني منهُ بشعرٍ غَدا ... كالزّهرِ مَرآهُ ورَيّاهُ
فَلَفْظُهُ إن حالَ في مَنطِق ... حلاهُ أو في السَّمعِ حلاّهُ
يَحكي محيّاكَ الكريمَ الذي ... حيّاهُ لي الله وحيّاهُ
كَذا يكونُ الشعر يا مالكيّ ... ما كلّ مَنْ أنشاهُ وشّاهُ

(١) في الأصل : « قد » .

* الدُّرر : ٤٥٦/٣ ، وفيه أنّ وفاته بعد سنة ٧٤٠ هـ .

١٥٩٤ ـ محمد بن شهري*

الأمير شجاع الدِّين متولِّي بعلبك .

توفِّي يوم الأحد خامس شهر رجب سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بمقبرة اللوزة يوم الاثنين .

١٥٩٥ ـ محمد بن صالح بن حسن**

شمس الدِّين بن البنّا القفطي الشافعي .

كان فقيهاً أديباً شاعراً ، أخذ الفقه والأصول عن الشيخ مجد الدِّين بن دقيق العيد وتلميذه بهاء الدِّين القفطي ، وتولَّى الحكم بسمهود والبُلْينا وجَرْجا وطُوخ[١] .

وكان الشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد يُكرمه ، وتوجّه صحبته إلى دمشق ، وسمع منه . قال ابن الوالي : قد سمع منه بقوص .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمان وتسعين وستّ مئة .

١٥٩٦ ـ محمد بن صبيح بن عبد الله***

بدر الدِّين ، رئيس المؤذِّنين بالجامع الأُموي بدمشق المعروف بالتفليسي ، لأن والده كان عتيق امرأة كانت ابنة كمال الدِّين التفليسي[٢] التاجر ، وتارة كان ينتسب إلى الكرخي[٣] .

---

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ١٥٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٥ .

(١) في الأصل : « طوح » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

*** الوافي : ١٥٨/٣ ، والدُّرر : ٤٥٨/٣ ، والبداية والنهاية : ١٢١/١٤ ، وفيه : « أحمد بن صبيح » .

(٢) عمر بن بندار بن عمر (ت ٦٧٢ هـ) ، العبر : ٢٩٨/٥ .

(٣) وفي البداية والنهاية : « أبوه مولى لامرأة اسمها شامة بنت كامل الدين التفليسي امرأة فخر الدِّين الكرخي » .

سمع على أيبك الجمالي[١] سنة سبع وخمسين وهو حاضر في الخامسة ، وسمع بعد ذلك على ابن عبد الدائم ، وعمر الكرماني ، وأبي بكر بن النشبيّ ، وأحمد بن نعمة المقدسي ، وغيرهم .

وقرأ القرآن على الشيخ يحيى المنبجي[٢] . وكان حسن الصوت في القراءة والأذان والتسبيح موصوفاً بذلك مشهوراً في البلاد ، سمع منه الطلبة وأمَّ بنائب السلطنة مدة ، وولي حِسْبةَ الصالحية والإشراف على الجامع الأموي . وكان يقرأ في المصحف على الكرسي عقيب صلاة الصبح ويخرج أمام الخطيب يوم الجمعة بالسواد .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجة سنة خمس وعشرين وسبع مئة بخانقاه الطواويس .

ومولده تقريباً سنة اثنتين وخمسين وستّ مئة .

١٥٩٧ ـ محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي*

شمس الدّين المعروف بشيخ حطِّين أولاً ، ثم أخيراً[٣] بشيخ الربوة .

رأيته بصفد مرات ، واجتمعت به مُدَّة مديدة .

كان من أذكياء العالم وأقوياء الفهم الذي مَن رُزِقَه فقد سلم وسالم . له قدرة على الدخول في كل فن ، وجرأة على التصدي لكل ما سَنح في الأذهان وعَنّ ، رأيت له عدة من التصانيف في كل علم حتى في الأطعمه ، وكلّ ما يعمل على النار الْمُضْرَمه ، وفي أصول الدِّين على غير طريق الأشاعره ، ولا طريق الاعتزال ولا الحشويّة[٤] المتظاهره ، لأنه

(١) عز الدّين الأمير ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « محيي » ، تحريف ، وكان من أصحاب أبي عبد الله الفاسي (ت ٦٧٦ هـ) . الشذرات : ٣٥٤/٥ .

* الوافي : ١٦٣/٣ ، والدُّرر : ٤٥٨/٣ .

(٣) في الوافي : « آخراً » .

(٤) هم المشبّهة ، ولا مذهب لهم منفرد .

لم يكن لـه علم . وإنما كان ذكيّـا ، وعقلـه بفَهْم الغرائب زكيّـا ، فكنت يـومـاً أراه أشعريّاً ، ويوماً أراه مُعتزليّا ، ويومـاً أراه حشويّـا ، ويومـاً أراه يرى رأي ابن سبعين وقـد نحـا طريقـه ، وتكلّم على العِرْفـان والحقيقـه . نعم كان يتكلم على الأوفـاق ووضْعها ، وحفظها فيما يستعمله ورفعها ، ويتكلم على أسرار الحروف كلاماً منـاسبـا ، ويدّعي أنه لا يرى دونه في ذلك حـاجبـا ، ويعرف الرمل ويُتْقِنُـه ضَرْبـا ، ويـدريـه جنساً ونوعاً وضَرْبا .

وكان ينظم نظماً ليس بطائل ، ويستعير فيه مـا يريـده من جميع القبـائل ، وكان قد لحقه صَمَمٌ ، وحصل به له ولمن يعرفه ألَم ، ثم أضَرَّ بأخَرة من عينـه الواحـده ، وبقي رحمة لمن يراه عدوّاً أو عنده له معانده .

ولم يزل على حاله إلى أن رأى عين اليقين ، وعلم أن مُعارات الدنيـا[1] لا يحمين من الموت ولا يقين .

وتـوفّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ فيما أظن في جمـادى الأولى سنـة سبـع وعشرين وسبع مئة[2] بصفد .

ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

نقلته من خطّ شيخنا البرزالي .

كان ذكيّاً وعبارته حلوة ، ماتُمَلُّ محاضرتـه ، وكان يـدَّعي عمل الكيميـاء ، ودخل على الأفرم وأوهمه شيئاً من ذلك ، فولاّه مشيخة الربوة ، والظـاهر أنـه كان يَعْلَمُ منهـا ما يخدع به العقول ، ويتلعَّبُ بالألباب الأغمار ، ولما جاء إلى صفد ورأيته بها كان شيخ قرية علمين الفقراء ، وهي قرية عند قريـة مغران[3] بـالقرب من الشريعـة عنـد جسر يعقوب ، وَقْف السلطان صلاح الدِّين يوسف تَغَمَّده الله تعالى برحمته .

(١) معارات الدنيا أي : ماتعيره الدنيا .

(٢) وكان ذكر في الوافي أنه توفي سنة ٧٢٥ هـ .

(٣) كذا رسمت في الأصل .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : ومولده بزاوية جده الشيخ أبي طالب بقصر حجَّاج بدمشق .

قال الشيخ علم الدِّين البرزالي : وأعرف جَدَّه أبا طالب ، وكان صالحاً يصلي الجمعة دائماً تحت النسر ، انتهى .

قلت أنا : وهو شيخ النجم الحطِّيني[1] المعروف بنُجَيْم الذي سَمَّرهُ السلطان الملك الناصر بالقاهرة وجهَّزه إلى دمشق مُسَمَّراً على جمل ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون مكانه ، وكان هذا النجم يخدمه ، وهو شيخ الخانقاه بحطين من بلاد صفد ، ووردَ عليهم إنسان في تلك المدة أضافوه على العادة ، وكان هذا النجم رأى مع الضَّيف ذهباً ، فاتَّبعه لَمّا سرى من الخانقاه ، وقتله في الطريق وأخذ ذهبه ، وبلغت القضية نائب صفد الأمير سيف الدِّين كراي ، فأحضر الشيخ شمس الدِّين وضربه ألف مَقْرعة ، على ما قيل ، وعوقب زماناً ، ثم أُفرج عنه ، ثم إن هذا النجيم كان بعد ذلك يؤذي الشيخ . حكى لنا الشيخ شمس الدِّين قال : كنت أخافه على نفسي ، فأنام في الربوة وأغلق باب المكان وهو محدود ، وأستوثق من الأقفال وغيرها ، وأكون نائماً آمناً ، وما أشعر به إلا وقد أيقظني فأفتح فأرى السكين في يده مُجَرَّدة[2] ، ويقول : يا أفخاذ الغنمة ، ما تريد أن أفعل بك ؟ قال : فأدْخل بكلِّ طريق من ضروب الخداع والتَّلطف أنه أيّ فائدة في قتلي ، وفرضنا أني قتلت ، فهل في هذا فائدة تحصل ، ولا أزل أخدعه حتى يمضي ويتركني .

وأنشدنا لنفسه ومن خطِّه نقلت :

الله أكبر يـــــا الله مِنْ قَـــــدَر حارَتْ عقولُ أُولي الألبابِ في صَدره[3]
نَجمٌ بـــــهِ كُسِفَتْ شَمسٌ وذا عَجَبٌ أن يكسفَ الشَّمسَ جُرمُ النَّجمِ معَ صِغرِه

(١) في الأصل : « الخطيبي » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُّرر .
(٢) في الأصل : « مجرّة » .
(٣) في الأصل : « أولو » ، ولا تستقيم .

ولم يزل الشيخ شمس الدِّين مُرَوَّعاً من هذا النجيم إلى أن سُمِّر . وكان ما يسمِّيه بعد ذلك إلا الهالك ، ويكني عن نفسه بالشخص . فيقول : جَرَى للشخص مع الهالك كيت وكيت ، وما كانت حكاياته عنه تُمَلُّ ، لأنه يؤديها بعبارة فصحى ويُنَمِّقها ويزمِّكها .

وجمع هذا الشيخ كتاباً في علم الفِراسة سمّاه (كتاب السياسة في علم الفراسة)[1] كتبته بخطي مِنْ خَطِّه ، وتَناولته منه بصفد ، ولم أر في كتب الفراسة مثله ، وقد نَقَله مني جماعة أفاضل بمصر والشام منهم الشيخ شمس الدِّين الأكفاني ، لأنَّه جَمَع فيه كلام الشافعي رضي الله عنه وكلام ابن عربي وكلام صاحب المنصوري وكلام أفلاطون وكلام أرسطو ، فجاء حسناً إلى الغاية .

ولحقه صَمَمٌ زائد قبل موته بعشرة أعوام ، أضرَّت عينه الواحدة . وتوفي بمارستان الأمير سيف الدِّين تنكز بصفد رحمه الله تعالى .

كان من أفراد العالم وله في كلِّ شيء يتحدث فيه مصنف .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، ومن خطه نقلت ، في مليح كان يميل إليه ، وتوكَّل بقرية فَرّادية من عمل صفد ، ولاه الحاكم بصفد هذه الوكالة :

قُـــل لِلْمُقيمينَ بِفرَّاديـــــه ... مَن ذا الـــذي أفْتَى بـــإفراديَـــه
ومَنْ لحيْني في الهـوى عـــامـــداً ... أصـــدَرني من قبـــلِ إفراديَـــه
ومـــا الَّـــذي أوجبَ هَجري وأن ... تقصـــــد الأتراك أكرادِيَـــــه
فقيـــــلَ مُتْ في حبِّهم أو فَعِشْ ... فَالمَقْتـولِ الهَـوى من دِيَـــه[2]
وهَجْرك الحكم العـــزيـــز اقتضى ... من غيرِ مـــا ذَنبٍ ولا عـــادِيَـــه
وإنّما سُنَّـــةُ أهـــلِ الهَـــوى ... تُغـــايرُ الْحُضَّـــارَ والبـــادِيَـــه

(١) وهو مطبوع ، كما في الأعلام : ١٧٠/٦ .

(٢) في الأصل : « فقيل : فت ... لقتول » .

ونقلت من خطه له :

للنَّفسِ وَجهـانِ لا تَنفـكُّ قـابِلَـةً ... ممّـا تُقـابِـلُ من عـالٍ ومُستفـلِ
كنحلَـةٍ طَرفـاهـا في مقـابلَـةٍ ... فيهـا مِنَ اللَّسعِ مـا فيهـا منَ العسـلِ

ونقلت من خطه وأنشدنيه :

نَظَرَ الهِـلالُ إليـــهِ أوّلَ ليلـــةٍ ... فَرآهُ أحسنَ مَنْظراً فَتَـــزَيَّـــدا
ورآهُ أحسن وهـو بـدر فهـو من ... غم يـــذوبُ ويضمَحِـلُّ كما بـــدا[1]

ونقلت مِن خطِّه له :

يـا مَن تَعـالى أن يجـوزَ بـذاتِـهِ ... وصِفـاتِـهِ التَّلـويـحُ والتَّصريـحُ
أنتَ العَليّ عنِ الصِّفـاتِ بـأسرِهـا ... لكن تنزّلـــك اللَّطيف يبـــوحُ
والقـولُ منّـــا عنـــد كلِّ تعقّـل ... وتخيّـــل وتـــوهّم سُبُّـــوحُ

ونقلت من خَطِّه له ، يعني نفسه :

تـأدَّب حتّى لم يجِـد من يُنـاظرهُ ... وحتّى قَلَتْـهُ كُتْبُـهُ ودفـاترُه
ودارسَ مـا فيهـا فلم يَرَ ذا حجىً ... وذا أدَبٍ مِمّـا يَراهُ يُحـاورُه
وطـابَ بـهِ الحِرمـانُ من كلِّ جانبٍ ... وظـلَّ إليـهِ الفقرُ تَسْعى بـوادرُه
فلـو رامَ بَحراً زاخِراً وهـو ظـاميٌ ... يُحـاولُ منـهُ شربـةَ غـاص زاخرُه

وكان يعرض شعراً كثيراً عليَّ وأغيِّر منه كثيراً .

وكان صبوراً على القلة والفقر والوحدة ، كثير الآلام والأوجاع . وكان بـه انفتـاق في أنثييه يثور به كل قليل ويقاسي منه شدة ، وكان قد كبر سنّه وأنقى شيبه . والذين رأيتهم يقومون بعلم الفراسة ثلاثة : شيخنا نجم الدِّين بن الكمال الصفدي الخطيب رحمه الله تعالى ، وهذا الشيخ شمس الدِّين ، والحكيم أسد اليهودي ، وكان أصدقهم

(١) في الدُّرر : « ورآه أحسن منه بدراً فهو من ... » .

فراسة أسد اليهودي ، ولكنَّه لَمّا رأى هذا المصنِّف الذي ذكرته لشيخ الربوة معي بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وطلبه مني لينسخه ، فأبيت ، ثم طلبه بدمشق ، ثم طلبه بالقاهرة وما اتفق إعطاؤه .

١٥٩٨ ـ محمد بن طرنطاي*

الأمير[١] ناصر الدِّين ابن الأمير الكبير حسام الدِّين ، أمير مئة مقدم ألف بالديار المصرية .

وكان قد اتصل ببستان ابنة الأمير سيف الدِّين قبجق نائب الشام ، أظنها كانت أولاً زوجة الأمير سيف الدِّين كراي المنصوري نائب الشام .

كان جيِّداً خيِّراً ، سليمَ الباطن ، وعنده ثلاثة مماليك اسم أحدهم (حلب) والآخر (مصر) والاخر (دمشق) ، وهو ابن الأمير حسام الدِّين طرنطاي نائب الديار المصرية لأستاذه الملك المنصور .

وحجَّ الأمير ناصر الدِّين أربع مرات .

وكان قد أجاز له ولأخوته سنة سبع مئة الحافظ شرف الدِّين الدمياطي ، والأبرقوهي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الخميس تاسع شهر رجب الفرد سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمدرسة والده داخل القاهرة .

١٥٩٩ ـ محمد بن طُغْريل الصيرفي**

المحدِّث ، الْمُخرِّج ، مفيد الطلبة ، ناصر الدِّين الدمشقي .

---

* الدُّرر : ٤٥٩/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٨٧/٩ .

(١) في الأصل : « ابن الأمير » سهو .

** الوافي : ١٧٢/٣ ، ووفيات ابن رافع : ١٦/١ ، والدُّرر : ٤٦٠/٣ .

روى عن أبي بكر بن عبد الدائم ، والمطعّم . وقرأ الكثير . وسمعت بقراءته (صحيح) مسلم على البندينجي الصوفي وغير ذلك . وكان سريع القراءة فصيحها يأتي فيها إتيان السيل إذا تحدَّر ، لا يكترث ولا يَدْأب فيها .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ غريباً في حماة سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ولم يتكهل أو بلغ الأربعين .

قال شيخنا شمس الدِّين الذهبي : جيِّد التحصيل ، مليح التصريح ، كثير الشيوخ ، حسن القراءة ، ضَعّفوه مِنْ قِبَل العدالة ، ثم تردَّدنا في ذلك وتوقَّفْنا ، فالله يُصْلحه ، ولو قبل النصح لأفلح .

قلت : لم يَطْعنوا عليه إلا لأنه إذا قرأ قلب الورقتين والثلاث ، والله أعلم .

١٦٠٠ ـ محمد بن طُغلُق شاه*

السلطان الأعظم العادل الفاضل أبو المجاهد ، صاحب دهلي وسائر مملكة الهند والسند ومكران والْمَعْبر ، وكان يخطب له بمقدشوة وسرنديب وكثير من الجزر البحرية .

ورث الْمُلْكَ عن أبيه طغلق شاه ، مَلِكٌ هو إسكندر زمانه ، وحاكم الأرض في عصره وأوانه ، قد دَوَّخ البلاد ، ودخل في طاعته العِباد ، يحكم على بلاد الهند ، وما دخل في مسمَّى السّند ، ليس في ملوك الأرض من يدانيه في اتساع ملكه ، ولا من ينخرط دُرّ بلاده في سلكه ، تُكاثِرُ الرمال عساكره ، وتفاخر النجوم جَواهِرُه ، وتغامر البحار الزاخرة ذخائره ، وتُحْصى الحصى قبل أن تحصى مآثره إذا تغلغل طَرْف المرء في طَرَفٍ من ملكه غرقت فيه خواطره ، كريم بَخَّل الغمام ، وجوادٌ أضحت هباته هي الأطواق والناس الحمام ، تغرق البحار في فضاء كرمه ، وتستحي السيول أن تطأ مواطئ حَرمه ، قد وسع الناسَ طَوْلُه ، وشملهم بالإحسان فِعْلُه وقَوْلُه ، ما أمّه عاف إلا

وتلقَّاه الغنى ، وسَرَّى[١] الفقر عنه[٢] والعَنا ، ونوَّله في مبادي جوده غايات المنى :

وغيرُ كثيرٍ أن يـــزورك راجِـــلٌ فيرجـــعَ مَلْكاً للعراقينِ والِيـــا[٣]

وأما تواضعه لله تعالى مع هذه العظمة فأمر عجيب ، وفِعلٌ لا يصدر إلا مِمَّن إذا دعاه الهُدَى يجيب .

وأما محبته لأهل العلم فشيء زاد على الصِّفة ، وعجزت عن إدراك كنهها بنت كل شَفة ، يجعلهم ندماءه الخواص وجُلساءه الذين هم في بحر كرمه غواص ، يتقرب إليهم بالمكارم ، ويحكِّمهم في أمواله كما يَحكَّم في فريسته الليث الضَّبارم[٤] .

لم يزل على حاله إلى أن أوحش[٥] منه إيوانه ، وما أغنى عنه ماله وهلك عنه سلطانه[٦] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة تقريباً .

مما يستدل به على عظمة هذا السلطان أنه ورَدَ في وقتٍ كتابُه إلى سلطاننا الأعظم محمد في مقلمة ذهب وزنها ألفا دينار ، وهي مرصَّعة بجوهر قُوِّم بثلاثة آلاف دينار .

وكنت يوماً عند الأمير عز الدِّين أيدمر الخطيري وقد جاء إنسان في زيٍّ فقير ، فقال : يا خوند أنا جئت في جملة مَنْ أرسله السلطان صاحب الهند محمد بن طغلق

---

(١) (س) : « وتبرّأ » .

(٢) (خ) : « منه » .

(٣) البيت للمتنبي ، ديوانه : ٢٩٠/٤ .

(٤) الضبارم : الجريء على أعدائه .

(٥) (س) ، (خ) : « استوحش » .

(٦) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه ﴾ [سورة الحاقة : ٢٨/٦٩ـ٢٩] .

شاه ، وسبب الرسالة أن السلطان فتح تسعة آلاف مدينة وقرية أو قال : تسعة عشر ألف ، وأخذ من ذلك ذهباً عظيماً يتجاوز الحدّ والوَصْف ، وانتعل من مدينة دِهلي كرسي مُلْكِهِ إلى وسط هذه البلاد التي فتحها ليكون قريباً من الأطراف ، وأنه أجري يوماً عنده ذِكْرُ مَكّة والمدينة . فقال : أريد أن يتوجه من عندنا ركب يحج في كلّ سنة ، فقيل له : إن ذلك في مملكة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فقال : نجهز إليه هدية ، ونطلب منه الإذن في ذلك . وأنه جهز إليه مركباً قد ملئ من التفاصيل الهندية الفائقة خيار ما يوجد[١] ، وعشرة بُزاة بيض وخدم وجواري[٢] ، وأربعة عشر حقّاً قد مُلِئت من فصوص الماس ، وكنت أنا في جُمْلَة الْمُسَفَّرين . وأنّنا لَمّا وصلنا إلى اليمن أحضر صاحب اليمن المماليك الذين في خدمة الرسول ، وقال لهم : أي شيء يعطيكم صاحب مصر ، اقتلوا أستاذكم وأنا أجعلكم أمراء عندي ، فلما قَتلوه شنق الجميع وأخذ المركب بما فيه[٣] ، وأريد أن تحضرني عند السلطان ، فأدخله الأمير عز الدّين الحظيري إلى السلطان وحَكَى له الواقعة .

وكتب القاضي[٤] شهاب الدّين أحمد بن فضل الله في ذلك الوقت كتاباً إلى صاحب اليمن جاء فيه عند ذكر ذلك : وبَعْدَ أنْ كان في عداد الملوك أصبح وهو من قطّاع الطريق .

ومن الأدلة على سعة ملكه وكَثْرة الذهب عنده أنه أقلّ ما يوجد الدينار عنده مثقالين وثلاثة كثيراً ، ويوجد الدينار خمسين مثقالاً ، وأنا رأيت في الرحبة ديناراً زنته تسعون مثقالاً .

---

(١) (س) : « يؤخذ » .

(٢) كذا .

(٣) وفي الدُّرر رواية أخرى لهذه الحكاية .

(٤) في الأصل : « للقاضي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

قال القاضي شهاب الدّين بن فضل الله : وكان طغلق شاه رجلاً تُركيّاً من مماليك ملوك الهند[١] ، ويقال إنه الذي عمل أبيه فقتله[٢] . قالوا : وصورة قَتْله أنه تركه في خَرُكاه وقد بدت به علّة ، ثم إنه هيَّج[٣] عليه الفيلة حتى أتى فيل منها على الخركاه وحطَّمها وألقاها عليه ، وتمادَوْا في إخراجه حتى أخرجوه[٤] ميتاً لا روح فيه .

قال : وكان محمد هذا عنيناً لكيٍّ كُوِيَ على صُلْبه أيام[٥] الحداثة لعلّةٍ حَصَلت لَهُ ، وهو متمذهب بمذهب أبي حنيفة ، يَحْفظ في المذهب كتاب (الهداية) . وقد شدا[٦] طرفاً جيداً من الحكمة ، ويحضر مجلسَه الفقهاء للمناظرة بين يديه ، ويجيز الجوائز السنية ، وملكه ملك متَّسع جدّاً ، وعسكره كثير .

قال : ذكر الافتخار عبد الله دفتر خوان الواصل في الرسليّة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أن عسكره مبلغ تسع مئة ألف فارس ، قال : وفي ذلك نظر ، إنما الشائر الذائع أنه يقارب الستّ مئة ألف يُجْري على كلهم ديوانه ، منهم الفارس والرّاجل ، والرّاجل أكثر لقلة الخيل عندهم ، لأن بلادهم لا تنتج الْخَيْل وتُفْسِد ما يُجلَبُ إليها من الخيل . وذكر أن عنده[٧] ألفاً وسبع مئة فيل وأن عنده عدداً كثيراً من الأطباء والندماء والشعراء بالعربية وبالفارسية وبالهندية ، وعدداً كثيراً من

---

(١) في الوافي : « سلاطين الهند » ، وفي الدرر : « صاحب الهند » .
(٢) (س) ، (خ) ، والوافي : « حتى قتله » .
(٣) في الوافي : « هاج » .
(٤) (خ) : « خرج » .
(٥) (س) ، (خ) ، والوافي : « أوان » .
(٦) في الأصل : « شد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٧) في الأصل : « عنده من الخيل » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

المغاني[١] رجال وجواري قال : ونعتُه في بلاده : « سلطان العالم ، إسكندر الزمان الثاني ، خليفة الله في أرضه » ، ولهذا يدعو له الخطباء على المنابر في ممالكه والدعاة .

وفي بلاده معادن كثيرة وتجاوره كوّة قراجل ، بالقاف والراء والألف والجيم واللام ، وهو جبلٌ يقارب البحر المحيط الشرقي ، وهي بلاد كُفّار ، وفيها معادن الذهب ، وله عليها أتاوة جزيلة إلى غير ذلك . ومما يوجد في بعض بلاده من نفائس الياقوت والماس عين الهر والْمُسَمَّى بالماذنبي[٢] . قلت : هو البنْفش الماذنبي ، يعنون أنه يقول : ماذَنْبي كوني لم أكن بسعر البلخش .

قال : وذكر لي الشيخ مبارك الأنبابتي[٣] ، وكان من كبار دولته ثم تزهد : أن ابن قاضي شيراز أتاه بكتب حكميّة منها كتاب (الشفاء) لابن سينا بخط ياقوت في مجلدة ، فأجازه عن ذلك جائزة عظيمة ، ثم إنه أمر بإدخاله إلى خزائنه[٤] ليأخذ منها ما يريد ، فأخذ منها ديناراً واحداً وضعه في فمه فلما خرج ليقبِّل يده قيل له : ما فعل شيئاً[٥] ، وأنه لم يتعرض إلا لدينار واحد فسأله عن ذلك . فقال : أخذت حتى امتلأ بطني[٦] ، وطلع هذا الدينار من فمي ، فأعجبه ذلك وضحك منه وأمر له بلُكّ من الذهب ، واللُّك عبارة عما يقارب المئتي ألف مثقال وسبعين ألف مثقال بالمصري .

قال : ولحقه يُبْس مزاج من قبيل السوداء ، انتهى .

قلت : وممّا يؤكد كرمه المفرط ما ذكرتُه في ترجمة الشريف عَضُد المذكور في حرف العين مكانه .

---

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « الأغاني » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل و (س) و (خ) : « الماذنبي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الوافي : « الأنبايتي » .

(٤) (س) ، (خ) ، والوافي : « خزانته » .

(٥) ليست في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٦) في الوافي : « حتى امتلأت » .

١٦٠١ ـ محمد بن طولو بغا*

المحدّث ناصر الدِّين أنو نصر التركي .

شابّ ساكن ديِّن ، كتب الأجزاء ، ودار على الشيوخ وحصَّل . أجزتُ أنا لهُ . وكان قد سمع من الحجّار بعض (الصحيح) ، وسمع من ابن أبي التائب[١] ، وبنت صصرى ، وخَلْق بنفسه . وكتب ، وتخرَّج[٢] .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في .....[٣] .

ومولده سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

١٦٠٢ ـ محمد بن طينال

الأمير ناصر الدِّين ابن الأمير الكبير سيف الدِّين نائب طرابلس وغزّة وصفد .

كان الأمير ناصر الدِّين المذكور من جملة أمراء الطبلخاناه[٤] بدمشق . وكان ذا صورة بديعة ومحيّا جعله[٥] البدر طلعته في الكمال طليعة ، ووَجَنات يُقْطف الورد من جنّاتها[٦] الغضّة ، ويخال أنها خليطا عقيق أحمر وبلور أو مرجان وفضة ، بحيث إنه ظهر للنساء في دمشق قماش يعرف بخدود ابن طينال ، وبذل الناس في ذلك جملة من الأموال .

---

* الوافي : ١٧٦/٣ ، والدُّرر : ٤٦١/٣ ، وذيول العبر : ٢٧٨ .

(١) عبد الله بن الحسين ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) عبارة الدُّرر : « عني بالحديث والتخريج » .

(٣) كذا في الأصل . ولم يذكر سنة وفاته في الوافي . وفي الدُّرر أنه توفي سنة (٧٣٩ هـ) . وكذلك في ذيول العبر .

** الدُّرر : ٤٦١/٣ .

(٤) في الأصل : « الطبلخاناة » .

(٥) في (خ) و (س) : « جعل البدر طلعته له .. » .

(٦) في الأصل : « جنباتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وكان في مرح الشبيبة يجري مُرخى الرسن ، ويملأ عينيه في غفلة الزمان عنه من الوسن ، وورَّثه والده جملة من الأملاك والعين ، ورَخْتُ الإمرة الذي هو من النعمة الطائلة أحد النصفين ، فأذهب الجميع وتحمَّل ما يقاربه من الدين .

ولم يزل على حاله إلى أن خسف الموت بدره في الكمال ، وأودع في بطن الأرض منه جملة من الجمال .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في بكرة الأربعاء تاسع عشري شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة[١] .

١٦٠٣ ـ محمد بن عالي بن نجم*

الشيخ شمس الدِّين الدمياطي .

سمع من النجيب ، والمعين الدمشقي .

وأجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في ....[٢] .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

١٦٠٤ ـ محمد بن عبد الجبّار**

معين الدِّين الأرمنتي الفلكي المعروف بابن الدُّوَيْك .

---

(١) وفي الدُّرر أنه توفِّي سنة (٧٥٠ هـ) .

* الوافي : ١٨٠/٣ ، ووفيات ابن رافع : ١٢٧/١ ، والدُّرر : ١٣٣/٤ ، وفيها : « ابن غالي » .

(٢) كذا بياض في الأصل ، ولم يذكر وفاته في الوافي . وفي وفيات ابن رافع والدُّرر أنه توفي سنة (٧٤١ هـ) .

** الوافي : ٢١٦/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٧ ، والدُّرر : ٤٩١/٣ .

قال الفاضل كمال الدِّين الأدفوي : كان ينظم[١] ، وأنشدني من نظمه ، وكان يعمل التقاويم ، وأخبرني في بعض السنين أن النيل يقصّر[٢] فجاء نيلاً جيِّداً ، فعمل فيه بعض الشعراء أبياتاً منها قوله :

أُخرم تقويمكَ يابنَ الدُّوَيك من أينَ علم الغيبِ يوحَى إليك

[وتوفي رحمه الله تعالى في سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وستّ مئة][٣] .

١٦٠٥ ـ محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد*

الإمام المفتي البارع شمس الدِّين أبو عبد الله ابن الشيخ المفتي الزاهد فخر الدِّين البعلبكي الحنبلي .

سمع من خطيب مَرْدا ، وشيخ الشيوخ شرف الدِّين الأنصاري ، والفقيه محمد اليونيني ، والزين بن عبد الدائم ، والرضي بن البرهان ، والنجم البادرائي ، وجماعة ، وتفقَّه على والده على الشيخ شمس الدِّين بن قدامة ، وجمال الدِّين بن البغدادي[٤] ، ونجم الدِّين بن حمدان[٥] .

وقرأ الأصول على مجد الدِّين الرووراوري ، وبرهان الدِّين المراغي .

وقرأ الأدب على الشيخ جمال الدِّين بن مالك . وحفظ القرآن وصلَّى بالناس وهو

(١) قوله : « كان ينظم » ليس في (س) .

(٢) في الوافي : « مقصّر » .

(٣) زيادة من (س) ، ومثله في الوافي .

* ترجم له في الوافي مرتين : ٢٣٨/٣ ، ٢٤٣ ، والعبر : ٤٠٣/٥ ، والشّذرات : ٤٥٢/٥ ، والدّارس : ٩٢/٢ .

(٤) (س) ، والوافي : « ابن البغدادي » ، وهو عبد الرحمن بن سلمان الحرّاني البغدادي (ت ٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٣/٥ ، والشّذرات : ٣٣٢/٥ .

(٥) أحمد بن حمدان بن شبيب الحرّاني (ت ٦٩٥ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٩٠ .

ابن تسع ، وحفظ (المُقْنع) و (منتهى السُّول) للآمدي ، و (مقدمتي) أبي البقاء ، وقرأ معظم (الشافية) لابن مالك .

وكان أحد الأذكياء المناظرين العارفين بالمذهب وأصوله ، والنحو وشواهده ، وله معرفة حسنة بالحديث والأسماء وغير ذلك وعنايةٌ بالرواية . وأسمع أولاده الحديث .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين .

قال شيخنا الذهبي : سمع[1] بقراءتي (معجم) الشيخ علي بن العطار ، ولي منه إجازة .

وكان يبحث مع الشيخ تقي الدِّين بن تيميّة .

١٦٠٦ ـ محمد بن عبد الرحمن بن سامة*

ابن كوكب بن عز بن حُمَيد الطائي السواديّ ، الدمشقي الصالحيّ الحنبلي ، الحافظ المتقن المحدِّث الصالح شمس الدِّين أبو عبد الله ، نزيل القاهرة .

سمَّعوه من ابن عبد الدائم . وطلب بنفسه فسمع من ابن أبي عُمَر ، وابن الدرجي ، والكمال عبد الرَّحيم ، وأصحاب حنبل والكندي . وارتحل فسمع بمصر من العز الحرّاني ، وابن خطيب المزة ، وغازي الحلاوي ، وببغداد من الكمال الفويرة وعدّة بواسط وحلب والثغر ، وانتهى إلى أصبهان . قال شيخنا الذهبي : وما أظنه ظفر بها برواية .

وقرأ الكثير من الأمهات ، وانتفع به الطلبة .

---

(١) في الأصل : « سمعت » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

* الوافي : ٢٣٨/٣ ، والإعلام : ٢٩٧ ، والدُّرر : ٤٩٧/٣ ، والشَّذرات : ١٧/٦ ، ووقع في الأصل : « شامة » تصحيف .

وكان فصيحاً سريع القراءة حسن الخط ، له مشاركة في أشياء ، وفيه كَيَس وتواضع ودين وتلاوة ، وله أوراد ، وتزوّج بأخَرة .

وكان عمّه شهاب الدّين بن سامة محدثاً عدلاً شروطيّاً ، نسخ الأجزاء وحمل عن ابن عبد الدائم وعدة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ رابع عشري ذي القعدة يوم الثلاثاء سنة ثمان وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة .

وكانت وفاته بالقاهرة ، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي .

١٦٠٧ ـ محمد بن عبد الرَّحمن بن عبد الوهاب*

بهاء الدّين الأسنائي .

كان فقيهاً فرضيّاً فاضلاً ، تفقّه على الشيخ بهاء الدّين هبة الله القفطي ، وقرأ عليه الأصول والفرائض والجبر والمقابلة ، وكان يقول له : إن اشتغلت ما يقال لك إلا الإمام .

وكان حسن العبارة ، ثاقب الذهن ، ذكيّاً ، فيه مُرَوّة ، بسببها يقتحم الأهوال ، ويسافر في حاجة صاحبه الليلَ والنهار .

قال كمال الدّين جعفر : ثم ترك الاشتغال بالعلم وتوجّه لتحصيل المال فما حصل عليه ولا وصل إليه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص ليلة الأضحى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٤١/٣ ، والطالع السعيد : ٥٣٣ ، والدُّرر : ٤٩٩/٣ .

١٦٠٨ ـ محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد بن زيد*

البُقْراط الدَّنْدَري ، بدالين مهملتين بينهما نون ساكنة وبعد الدال راء[١] .

قرأ القرآن على أبي الربيع سليمان الضرير البوتيجي ، وقرأ أبو الربيع على الكمال الضرير ، وتصدر للإقراء ، وقرأ عليه جماعة بدندرا ، واستوطن مصر مدة ، واشتغل بالنحو مدة ، واختصر (اللمحة)[٢] نظماً ، وقال في أول اختصاره :

وها أنا اخترتُ اختصارَ اللمحةِ ... أمنحهُ الطلاب فهو مِنْحَه
وفي الذي اختصرتُه الحشوَ سَقَطْ ... ليقربَ الحفظَ ويَبْعُد الغَلَط[٣]
وفيهِ أيضاً بِما أُريدُ ... فائدةٌ يحتاجُها المريد[٤]

قال الفاضل كمال الدِّين الأدفوي[٥] : وهو الآن حي .

قلت : ....[٦]

١٦٠٩ ـ محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد**

ابن عمر بن عبد الرَّحيم ، الصَّدر الرئيس الكاتب شهاب الدِّين ، أبو عبد الله بن العجمي كاتب الدرج بحلب ، وهو أخو الشيخ عز الدِّين عبد المؤمن ، وأخو الخطيب شمس الدِّين أحمد .

---

* الوافي : ٢٤١/٣ ، والطالع السعيد : ٥٣٠ ، والدُّرر : ٧/٤ ، والبغية : ١٥٨/١ .

(١) نسبة إلى دندرة ، بلدة غربي النيل من نواحي الصعيد ، دون قوص . (معجم البلدان) .

(٢) في الوافي والبغية والطالع : « الملحة » ، والمراد باللمحة : اللمحة البدرية لأبي حيان الأندلسي ، وذكر صاحب الكشف : ١٥٦١/٢ ، اختصار الدندري لها .

(٣) في الدُّرر : « وينتفي الغلط » .

(٤) في الأصل و (س) : « أريد » ، في الوافي : « أزبد » ، وفي الطالع والدُّرر : « أزيد » .

(٥) (س) والوافي : « جعفر الأدفوي » .

(٦) كذا في الأصل و (س) ، ولم تذكر سنة وفاته .

** الدُّرر : ٧/٤ .

وقد تقدَّم ذكرهما في مكانيهما ، وكانوا قد سمعوا على الشيخ كمال الدِّين بن النصيبي (الشمائل) للترمذي في سنة ثمان وثمانين وست مئة .

وتوفِّي[١] ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع عشر شوال سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربتهم .

١٦١٠ ـ محمد بن عبد الرَّحمن بن عمر*

الشيخ الإمام العلامة ، ذو الفنون ، قاضي القضاة جلال الدِّين أبو عبد الله القزويني الشافعي الأشعري .

سمع من الشيخ عز الدِّين الفاروثي وطائفة . وأخذ المعقول عن شمس الدِّين الأيكي .

كان قاضي القضاة جلال الدِّين شريفَ الخِلال ، مُنيفَ الجلال ، وارفَ الظِّلال ، صارف الملال ، طَوْد حلم ، وبحر علم ، يتموَّج فضائل ، ويتبرَّج براهين ودلائل ، بذهن يتوقد ، ويَدورُ على قطب الصَّواب كالفرقد ، قد ملأ الزمان جودا ، وجعل أقلام الثناء عليه رُكَّعاً وسُجودا .

ولم يُرَ قاض أشبه منه بوزير ، ولا إنسان كأنه وفي أثوابه أسد يزير[٢] ، يجلس إلى جانب السلطان في دار عدله ، ويغدو كالشمس بين[٣] أهلّة وأهْلِه ، مهما أشار به هو الذي يكون ، ومهما حركه فهو الذي لا يعتريه سكون . يرمّل على يد السلطان لا يفعل ذلك غيره إذا حضر ، ولا يتقدم عليه سواه من أشراف ربيعة أو مضر :

---

(١) (س) : « وتوفِّي شهاب الدِّين المذكور » .

* الوافي : ٢٤٢/٣ ، والبداية والنهاية : ١٨٥/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٧٦/١ ، والدُّرر : ٣/٤ ، والنُّجوم الزّاهرة : ٣١٨/٩ ، والبغية : ١٥٦/١ ، والشَّذرات : ١٢٣/٦ ، والدّارس : ٣٤٨/١ .

(٢) زار يزيز : مثل : زأر ، يزأر ...

(٣) في الأصل : « في بين » ، وأثبتنا ما في (س) .

فـــــــــــالأمرُ مردودٌ إلى أمْرِهِ وأمْرُه ليسَ لـــــــــــــهُ رَدُّ

جمع بين قضاء الشام والخطابة ، وفاز في كل المنصبين بالإصابة ، وطُلب إلى قضاء الدِّيار المصريَّة فسَدَّ ما فَسَد ، وعَوَّذَتْهُ مكارمه ﴿ مِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾[١] ، وأقام هناك مدة ينشر ألوية علومه ، ويفيض على الناس سواكب غيومه . ثم إنه عاد إلى الشام عود الغمام إلى الروض إذا ذوى ، والبدر التمام إلى الأفق الذي زلَّ[٢] نجمه وهوى ، فجدَّد معاهد الفضل والإفضال ، وعمَّر غابَهُ بالليث الخادر أبي الأشبال .

ولم يزل على حاله إلى أن زال ذلك الطَّوْد ، وزلَّ وتقشَّع ذلك المطر الْجَوْد[٣] .

وتـوفِّي - رحمه الله تعالى - منتصف[٤] جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة . وشيَّع جنازته خلقٌ عظيم ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

ومولده بالموصل سنة ست وستين وست مئة .

وسكن الروم مع والده وأخيه ، وولي بها قضاء ناحية وله من العمر نحو ثلاثين سنة ، وتفقَّه وناظر واشتغل ، وتخرَّج به الأصحاب ، وناب في قضاء لأخيه قاضي القضاة[٥] سنة ست وتسعين ، وناب في ما أظن لقاضي القضاة نجم الدِّين بن صصرى في أول المحرم سنة خمس وسبع مئة . وولي خطابة الجامع الأموي مدّة .

وطلبه السلطان إلى دمشق في جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وشافهه بولاية قضاء الشام ، ووصله بذهب كثير ولَمّا طلبه دافع عنه تنكز ، فقال : هذا عليه ديون كثيرة ، وابنه نحس ما يجمل أن يكون أبوه قاضي القضاة[٦] . فقال

(١) سورة الفلق : ٥/١١٣ .

(٢) في الأصل : « الأفق زال » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « المطر والجود » .

(٤) في (س) : « في منتصف » .

(٥) (س) والوافي : « قاضي القضاة إمام الدِّين » .

(٦) في الأصل و (س) : « ما يجمل » ، وعبارة الدُّرر : « وابنه نحس ما يصلح أن يلي أبوه القضاء فيحتمله الناس » .

السلطان : أنا أوْفي دينه ، وولده أنا أدعه يقيم في الديار المصرية . فجهزه في نصف جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة . صلى بالناس صلاة الخسوف لأن القمر خُسف تلك الليلة . ثم إنه صلى الصبح يوم الخميس وسافر إلى القاهرة .

وعاد إلى دمشق في خامس شهر رجب يوم الخميس ، وباشر المنصب على أتمّ ما يكون وصرف مال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين وراك المدارس ، واستناب الشيخ جمال الدين بن جملة والشيخ فخر الدّين المصري .

ولما كان في يوم الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة وصل البريد إلى دمشق فطلبه إلى مصر وولاّه السلطان قضاء الديار المصريَّة ، وعظَّمه ورفع شأنه ، ورأى من العزّ والوجاهة ما لا رآه غيره .

وكان يرمّل على يد السلطان في دار العدل .

قال لي القاضي شرف الدّين أبو بكر بن الشهاب محمود ، وقد كان كاتب السِّر بمصر ، وقد خرج من يوم اثنين نهار دار عدل[1] : اليوم أخْرَج قاضي القضاة جلال الدّين من كمِّه ست عشرة قصة غير ما شفع فيه وأشار به وشكر منه ، والجميع يَقْضيه السلطان وما يردّه .

وحجَّ مع السلطان ، ورتَّب له ما يكفيه بزيادات ، وأحسن في مصر إلى أهلها وإلى الشاميين ، وكان في باب السلطان ذخراً وملجأ لمن يقصده من الشاميين يشفع له ويساعده على مقاصده ، ويصله عند قدومه وعند سفره وما بين ذلك . وأحبَّه المصريون ، وفتح لهم باب الاشتغال في الأصول . كنت يوماً عنده وقد جاء إليه محضر فيه شهود ، فوقف على أسماء الشهود اسماً اسماً ، والتفت[2] وقال : من هو فلان ؟ فقال أحد الواقفين : أنا يا مولانا ، فقال له : ما أنت الذي كان يعمل الدواداريـة لقبجق ؟

(١) (س) : « دار العدل » .

(٢) في الأصل : « التفت » ، وأثبتنا ما في (س) .

قال : نعم . قال : ما هذه الحالة ؟ فشكا بطالة وقلة . فقال له : اصعد إلى فوق ، وأجْلَسَه . ولَمّا انقضى ذلك الشغل وخفَّ المجلس ولم يبقَ إلاّ من هو به[١] خاصّ أخرج كيس النفقة ونفضه فنزل منه ما يقارب المئة . فقال[٢] : خُذ هذه ارتفق بها في هذا الوقت وعُد إذا فرغت ، ولما كان في ...[٣] رسم له السلطان بالعود إلى دمشق قاضي القضاة كما كان أوّلاً ، فحضر إليها وصحبه ، وصحب أولادُه من المجلدات النظيفة النفيسة ما يزيد على خمسة آلاف مجلد ، وفرح الناس به . فأقام قليلاً وتعلَّل ، وأصابه فالج إلى أن توفِّي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المذكور ، وتأسَّف الناس عليه لِمَا كان فيه من الحلم والمكارم وعدم الشَّرّ وعدم المجازاة لمن أساء إليه إلا بالإحسان .

وكان ينتسب[٤] إلى أبي دلف العجلي وكرمه بصدق هذه الدعوى .

وكان فصيحاً بليغاً في وقت البحث والجدل ، منطقياً إلا إذا علا صهوة المنبر فإنه ليس ذلك ، لغلبة الحياء .

وكان مليح الصورة ، حلو العبارة ، كبير الذقن رسلها ، موطأ الأكناف ، سَمْحاً ، جواداً حليماً ، جمّ الفضائل ، حادَّ الذهن ، يراعي قواعد البحث . وكان يحب الأدب ويحاضر به ، وله فيه ذوق كثير يستحضر نكته ، ويكتب خطّاً جيِّداً حسناً . وصنَّف في المعاني والبيان مُصَنَّفاً وسمَّاه (تلخيص المفتاح) ، وشرحه وسمّاه (الإيضاح)[٥] ، وقرأ عليه جماعة بمصر والشام ، وكان [يعظِّم][٦] الأرَّجاني الشاعر ، يرى[٧] أنه من مفاخر العجم ، واختار شعره وسمّاه (الشَّذر المرجاني من شعر الأرَّجاني) .

(١) (س) : « فيه » .

(٢) (س) : « فقال له » .

(٣) كذا بياض في الأصل و (س) .

(٤) في الأصل : « ينزل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) وهو مطبوع .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في (س) : « ويرى » . والأرجاني هو أحمد بن محمد (ت ٥٤٤ هـ) ، وديوان شعره مطبوع . الأعلام : ٢١٥/١ .

وعلى الجملة فكان من أفراد الزمان في مجموعه علماً وعقلاً وأخلاقاً . وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين[١] بالقاهرة .

وكتبت أنا إليه أهنِّيه في الدِّيار المصريَّة لَمّا قدم من الحج سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة بقصيدة فائيَّة وهي :

من خصَّ ذاكَ البنانَ الغضّ بالتَّرَف ... وزانَ ذاكَ القوامَ اللّدْن بالهَيَفِ
وضَمَّ في شَفتيها درَّ مَبْسَمِها ... فراحَ من أحمرِ المرجانِ في صَدَفِ
وحَلَّلَ الفرقَ فرعاً من ذوائبها ... والبدرُ أحسن ما تلقاهُ في السُّدَفِ
عُلقتها من بناتِ التُّركِ قد غَنِيَتْ ... بدمعِ عاشقِها عن منَّةِ الشُّنُفِ[٢]
يَلقى المتيَّم من تثقيفِ قامتِها ... ما لا يُلاقيهِ كوفيٌّ مِنَ الثَّقَفي[٣]

ومنها :

في حفظِ سالفِها لِلْحُسنِ تَرْجَمَةٌ ... فاقَتْ وما اتَّفَقَت للحافظِ السَّلَفي
يا للهَوى عينها عينٌ ؛ وحاجبها ... نُون وتمّ العَنا من قدِّها الألِفي
يا هذه إنَّ للأشعارِ مُعجزَةً ... تَبقى عنِ السَّلفِ الماضينَ لِلْخَلَف
ضعي بنانكِ مَخضوباً على جَسَدي الـ ... ـبالي ليَجتَمِعَ العُنّاب بالحشفِ[٤]
يا عاذِلي في هَوى عينَيْ محجّبة ... خَفْ شرَّ ناظرِها ، فالسِّرّ فيه خَفي
ودّع فؤادي ودَعْه نصبَ ناظرِها ... لا ترمِ نفسكَ بين السَّهمِ والهدَفِ
إنّي لأعجَبُ للعُذّال كيف رأوا ... شَخصي وقد رحت ذا روح تردّد في[٥]

(١) (س) : « ثمان وعشرين وسبع مئة » .
(٢) في الأصل و (س) : « قد عنيت » ، تصحيف .
(٣) الثقفيّ هو الحجّاج بن يوسف .
(٤) لعلَّه أفاد من قول امرئ القيس في معلَّقته :
كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رطباً ويابساً ... لَدى وكرِها العنّابِ والْحَشَفِ البالي
(٥) يشير إلى قول المتنبي :
روحٌ تردَّدُ في مثلِ الخلالِ إذا ... أطارَتِ الرِّيحُ عنهُ الثَّوبَ لم يبنِ
ديوانه : ١٨٦/٤ .

أليسَ يشغلهم طيب الثَّنـــــاء على ... قاضي القضاة جلالَ الـدِّين عن شَغَفي
ويستَفـزّهُم أفراحُ مَقْـــدِمِـــه ... من حَجِّـه وهو مِثـل الشَّمسِ في الشَّرَفِ
حَـجّ غَـدا حُجَّـة في الـدَّهرِ ثـابتـة ... إن ينكَسِف نورهـا للشَّمسِ تنكسِفِ
كم جـابَ في سَيرِهِ والعيس قـد سَئمت ... جذبَ البُرى والسُّرى في مهمه قُـذفِ
والرَّكبُ من فضلـهِ أو من فضـائلِـه ... مـــا بينَ مُغترفٍ منـــهُ ومُعترفِ
حتّى نَضـــا الإحرام مَلْبَسَـــه ... عنِ الهُـدى والنَّـدى والعلمِ والصَّلفِ
وراحَ ذا جسـدٍ قـد طـابَ عُنصرُه ... عـارٍ من العـارِ بـالإحسـانِ ملتَحِفِ
مـا مَسَّ طيبـاً وإن كانَ الحجيـجُ بِما ... أثْنَـوا عليـهِ غَـدوا في رَوضـةٍ أُنُفِ
وأمَّ أُمَّ القُرى ذاتَ القَرارِ ومَنْ ... يطلبُ رِضى اللهِ في تلكَ الـدِّيـارِ كُفي
وطـافَ بـالبيتِ فـارتـاحَ المقـامُ لـهُ ... لَمّـا تَمَسَّـكَ بـالأستـارِ والسَّجَفِ
فكلُّ رُكنٍ إذا حـــاذاهُ منكبُـــهُ ... يـودُّ لـو كان عنـــهُ غير مُنعَطِفِ
وراحَ في عرفـــاتٍ واقفـــاً ولـــهُ ... عُرْفٌ يسيرُ بـــــهِ عِرْقٌ ولم يَقِفِ
وفي مِنًى كم أنـــالُ الطَّـــالبينَ مُنى ... أمْسوا بها عن سَطا الأعـداءِ في كَنَفِ
وجـاء طيبـةَ يَقضي حـقَّ سـاكِنِهـا ... ومثـل ذمتـــهُ تُرعى لـــهُ وتَفي
وزارَ مَن لم يَـــزَل في نَصرِ ملَّتِـــهِ ... وشَرْعِـهِ بـالقَضـا يـا خَيْرَ مُعتكِفِ
هـذا الإمـامُ الـذي تَرضى حكـومتُـه ... خلافَ ما قالهُ النَّحويُّ في الصُّحُفِ[1]
حَبْرٌ متى جـالَ في بحثٍ وجـادَ فـلا ... تَسـأل عنِ البحرِ والهطّـالـة الـوكفِ
لـــهُ على كلِّ قـولٍ بـــاتَ ينصرُهُ ... وجـهٌ يُصـانُ عنِ التَّكليفِ بـالكَلَفِ
قـد ذَبَّ عن ملَّـةِ الإسـلامِ ذَبَّ فتى ... يَحمي الحِمى بـالعوالي السُّمرِ والزّعفِ
ومَـذهبُ السُّنَّـةِ الغَرّاءِ قـامَ بـهِ ... وثقفَ الحـقّ من حَيْفٍ ومِن جَنَفِ
يـأْتي بكلِّ دليـلٍ قـد جَـلا جبـلاً ... فليسَ ينسفُـهُ مـا مغلـط النّسفي

---

(١) يشير إلى بيت الفرزدق المشهور عند النحاة :

مـا أنت بـالحكم لترضى حكومتـه ... ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

وقد شَفى العيَّ لَمّا باتَ مُنتصِراً ... للشّافعي بزَعمِ المذهبِ الحنفي[١]
تحمي دروسَ ابن إدريس مباحثُهُ ... فحبَّذا خلفٌ منهُ عن السَّلَفِ
فما رأى ابن سُرَيج إذْ يناظرُهُ ... من خيلِ ميدانِهِ فَلْيَمضِ أو يَقِفِ
ولو أتى مزنيٌّ الوَقتِ أغرقَهُ ... ولم يَعُد قطرةً في سُحبِهِ الذُّرِفِ
وقَد أقامَ شِعارَ الأشعريِّ فَما ... يشكُّ يوماً ولا يَشكو منَ الدَّنفِ
وليسَ للسَّيفِ حَدٌّ يَستقيمُ لهُ ... ولو تَصدَّى لهُ ألقاهُ في التَّلَفِ
والكاتبيّ غَدا في عينِهِ سَقَمٌ ... إذْ راحَ يَنظُرُ من طَرْفٍ إليهِ خَفي
من مَعْشَرٍ فَخرهِم أبقاهُ شاعرهُم ... في قولِه: «إنَّما الدُّنيا أبو دُلَفِ»[٢]
هو الحفيّ بما يوليهِ من كَرَمٍ ... فما جَرى قَلَمٌ في مَدحِهِ فَحَفي
لوشاءَ في رِفعَةٍ من مَجدِهِ وُغلا ... لَمَدَّ نحوَ الثُّريا كَفَّ مُقتطفِ[٣]
قد زانَ أيّامَهُ عدلٌ ومعرفةٌ ... فسعدُهُ في دوامٍ غيرَ مُنصَرِفِ
يَغْدو الضعيف على الباغينَ مُنتصِراً ... ولم يكُن قبلَهُ منهُم بمُنْتَصِفِ
لو يَشْتكي النَّهرُ مثلَ الغصنِ عنهُ مع الصَّبا إليهِ رَمى عَطفَيْهِ بالقَصفِ
بَل لوشَكى الدَّهرَ خَصمٌ من بَنيهِ غَدا ... من خَوفِه بينَ مرتَجٍّ ومُرتَجِفِ[٤]
دامَت مآثِرهُ اللاتي أنظمّها ... تهدي لسَمعِ المعالي أحسنَ التُّحَفِ
ما رَسَخَت عَذَباتُ البانِ سافحةً ... مِنَ الصَّبا وشَفت صَبّاً منَ الأسفِ

فكتب هو إليَّ قرين ما بُعث به :

يا مولانا هذه الأبيات التي تفضلت بإرسالها ، وأنبطتَ[٥] معين زلالها ، ما أقول فيها إلاَّ أنَّها ذهبٌ مسبوك ، أو وشيٌ محبوك ، أو ستر ظلام عن الذراري مهتوك ،

(١) ليست في الأصل ، وهي ثابتة في (س) .
(٢) سلفت الإشارة إليه .
(٣) (س) : « من رفعة » .
(٤) في الأصل : « من خوف » ، ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) نبط الماء : نبع .

أو دمعٌ مسفوح من صبٍّ دَمَّهُ في الحبِّ مسفوك ، قد رقَّ وراق وراع ، وأمال الأعطاف وشنَّف الأسماع ، وتألَّق في ديباجي سطوره برقُ معناه اللَّمّاع . كم قد تلعَّبتَ فيه بضروب الفنون ، وخضت من أنواع العلوم في شجون ، أخمَلْتَ أرْجَ الخمائل من الأرّجاني ، وأهنتَ ما عزَّ من أبكار ابن هاني :

وأخذتَ أطرافَ الكلامِ فلم تَدَع قَولاً يُقالُ ولا بَديعاً يُدَّعى

فكذا فليكن كلام الأفاضل ، وكذا فليكن مَن يناصر أو يناضل . لقد تفضل مولانا بأوصاف هو أحقّ بها مِمَّن وصَفَه ، وأولى بأن يجعل إليه مرجعه ومَصْرفَه ، ومن تمام الإحسان العميم والبرِّ الجسيم ، قبولُ ما جهَّزه المملوك[1] صحبة محكم القاضي ضياء الدِّين فإنه نَزْر ، وما يقابل مَنْ هذا مَدُّه بهذا الْجَزْر[2] ، والله تعالى يمتِّع الزمان وأهله بهذه الكلمات ، ويمد بعونه في الحركات والسكنات ، إن شاء الله تعالى .

١٦١١ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن*

الصَّدر الرئيس الكبير ، القاضي شرف الدِّين ابن القاضي الكبير[3] ابن العدل أمين الدِّين سالم ابن الحافظ بهاء الدِّين أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي[4] الدمشقي .

سمع كثيراً من الحديث . وسُمِّع رضيعاً بقراءة شيخنا البرزالي على والديه وجدّته

---

(١) (س) : « ما جهّزه المملوك صحبة محبكم القاضي ضياء الدّين » .

(٢) في الأصل و (س) : « الحرر » ، تصحيف .

* البداية والنهاية : ٨٦/١٤ ، والدُّرر : ٩/٤ ، وثمة اختلاف في نسبه ، ففي البداية والنهاية هو « شرف الدِّين محمد بن عال الدِّين إبراهيم بن شرف الدِّين عبد الرَّحمن بن أمين الدِّين سالم ... » .
وفي الدُّرر هو : « محمد بن عبد الرَّحيم بن سالم ... » .

(٣) ثمّة بياض بعد هذه الكلمة في (س) .

(٤) في الأصل : « الثعلبي » ، وأثبتنا ما في (س) والدُّرر .

وخاله ، ثم سمع على الشيخ فخر الدِّين [بن][1] البخاري (مشيخة) بكمالها . وكان صدراً يملأ العين والصَّدر ، ويَخْجَلُ لمحاسنه البَدْر ، يستحيي الغمام من جوده ، ويَهَب كل ما هو في موجوده ، ساد على الدماشقة ، بكثرة المكارم ، وعلَّم الناس السماح حتى الغمائم :

ولهـــذا أثنَتْ عليـــهِ اللَّيـــالي ومَشَتْ دونَ سَعْيِـــهِ الأيّـــامُ

ولم يزل في المعالي يترقَّى ويحاذر الملام ويتوقَّى إلى أن فاضت نفسه وهو محرم يلبِّي ، وختم الله له بخير فهو يخبأ له عمله ويربِّي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سابع ذي الحجة سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وعمره خمسة وثلاثون سنة ، ودفن ضحوة[2] يوم التروية بمقبرة الحجون على باب مكة .

وكان له همَّة وعزمة ومعرفة وكفاية . باشر بدمشق نظر الأشراف ، ونظر الجامع الأموي ، ولبس خلعَة بصحابة الديوان في سادس عشر المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ولبس الصّاحب غبريال[3] أيضاً لنظر الدواوين ، وكان هو[4] قد وصل من حماة إلى دمشق في شهر رمضان سنة ثمان وسبع مئة ، وكان بها ناظراً لَمّا أُقطعت حماة للأمير سيف الدِّين قبجق ، وولي عوضَهُ بهاء الدِّين عبد الصَّمد بن المغيزل وباشر نظر الجامع الأموي في ذي القعدة من السنة المذكورة .

ومن مكارمه ما حكاه لي عنه القاضي الرئيس ضياء الدِّين أبو بكر بن خطيب بيت الآبار بالقاهرة ، قال : كنّا عنده ليلة وقد أحضر حلوى ليجهزها لبعض أصحابه الذين يقدمون من الحجاز ، قال : فأكلناها بمجموعها ، ثم إنه أحضر عوضها مرة

(١) زيادة من (س) .
(٢) (س) : « ضحية » .
(٣) (س) : « شمس الدِّين غبريال » .
(٤) ليست في (س) .

أخرى ، فأكلناها بمجموعها ، ثم إنَّه أحضر الثالثة ، وأنا في شك هل قال : فأكلناها ، وأحضر الرابعة أوْ لا ، وأهلُ دمشق يحكون عن كرمه غرائب ـ رحمه الله تعالى ـ .

وكان قد تولَّى صحابة الديوان بدمشق في سادس عشر المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وخُلِعَ عليه وعلى الصاحب شمس الدِّين غبريال .

١٦١٢ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن الطيِّب القيسي*

الأندلسي الضرير العلاّمة الضرير المقرئ أبو القاسم .

تلا بالسَّبع على جماعة ، وسكن سبتة ، أراده الأمير العَزَفيّ[1] أن يقرأ في شهر رمضان (السيرة) فبقي يدرس في كلِّ يوم ميعاداً ويُورده ، فحفظها في شهر رمضان . وكان طيب الصوت صاحب فنون ، يروي عن أبي عبد الله الأزدي ، وأخذ عنه أئمة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى[2] ـ في رمضان سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة أو نحوها .

١٦١٣ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن مُحَمَّد الأرموي**

الشيخ الإمام العلاّمة المحقق صفيّ الدِّين أبو عبد الله الشافعي الأشعري المعروف بالهندي .

---

* الوافي : ٢٤٨/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٤ ، والدُّرر : ١٠/٤ ، وغاية النهاية : ١٧١/٢ .

(١) محمد بن أحمد ، أمير سبتة ، وهو أول من ولي الإمارة من بني أبي عَزَفة (ت ٦٧٧ هـ) . انظر الأعلام : ٣٢٣/٥ .

(٢) ثمة بياض بعد هذه الكلمة في (س) . وفي الدُّرر والغاية أنه توفي في رمضان .

** الوافي : ٢٣٩/٣ ، وفيه : « محمد بن عبد الرَّحمن » ، والبداية والنهاية : ٧٤/١٤ ، والدُّرر : ١٤/٤ ، والشَّذرات : ٣٧/٦ ، والدّارس : ٩٧/١ ، والبدر الطالع : ١٨٧/٢ .

كان قيِّماً بفن الكلام ، عارفاً بغوامضه التي خفيت عن السيف والإمام ، لو رآه ابن فُورَك[١] لانفرك ، أو الباقلاني لقلا معرفته ، ووقع معه في الدَّرَك ، أو أمام الحرمين لتأخر عن مقامه ، أو الغزالي لما نسج (المستصفى)[٢] إلاّ على منواله ولا رصفه إلاّ على نظامه ، أو ابن الحاجب لحمل العصا أمامه ، وجعله دون الناس إمامه . مع سلامة باطن تنعتُه يوم حشره ، وديانة طواها الحافظان له إلى يوم نشره ، ومودة لا تُنْسى عهودها ، ولا تجفو على كبره مهودها ، وانعطاف على الفقراء وحُنّو ، وبراءة من الكبرياء والعتو[٣] . أقرأ الكبار وأفادهم ، وأفاض عليهم فضلة فَضْلِهِ وزادهم .

ولم يزل على حاله إلى أن تكدَّر للصفي مورد حياته ، وناداه الموت بإغفال شياته ، فبات الدينُ وقد ثلم هنديُّه ، وثلَّ عرش الأصول بل هُدَّ نديّه .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - ليلة الثلاثاء تاسع عُشْرَي صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة بمنزله بالمدرسة الظاهرية بدمشق ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

ومولده في ليلة الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وست مئة بالهند .

وكان له جدّ لأمه فاضل من [أهل][٤] العلم هو شيخه ، قرأ عليه ومات سنة ستين وست مئة ، وخَرَج من دهلي[٥] البلد المشهور بالهند في شهر رجب سنة سبع وستين وست مئة ، ودخل اليمن ، وأقام بمكة نحواً من ثلاثة أشهر ، واجتمع بابن سبعين .

ولَمّا كان باليمن أكرمه المظفر وأعطاه أربع مئة دينار . ثم إنه ركب البحر ،

---

(١) محمد بن الحسن ، من علماء الكلام والأصول (ت ٤٠٦ هـ) ، السير : ٢١٤/١٧ .

(٢) الكشف : ١٦٧٣/٢ .

(٣) في (س) : « والتجبر والعتو » .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) في الوافي : « دهلي » .

ودخل الديار[١] المصرية في سنة سبعين ، وخرج منها ، ودخل البلاد الرومية وأقام بها إحدى عشرة سنة ، منها خمسة[٢] بقونية ، وخمسة بسيواس ، وسنة بقيصريّة . ودرَّس بقونية وسيواس ، واجتمع بالقاضي سراج الدِّين الأرموي وأكرمه وأخذ عنه المعقول .

وخرج من الروم سنة خمس وثمانين وست مئة ، وقَدِمَ دمشق وأقام بها واستوطنها وعقد حلقة الإشغال بالجامع الأموي وقرأ عليه الأعيان وفضلاء الناس ، ودرَّس في دمشق بالرواحيّة[٣] والدّولعيّة والأتابكيّة والظاهريّة . وكان مقصوداً بالاستفتاء ، ويكتب كثيراً في الفتاوى . وكان فيه خيرٌ وديانة وبرٌّ للفقراء يُفَطِّر في شهر رمضان عشرة من الفقراء الضعفاء .

وصنَّف في أصول الدِّين كتاب (الفائق)[٤] ، وكان يقوم في الليل فيتوضّأ ويلبس أفخر ثيابه ، وعلى ما قيل حتى الخفّ والمهماز ، ويصلّي ورده في جوف الليل ، وكان يحفظ ربع القرآن لا غير . قيل عنه إنه قرأ يوماً في الدرس : « الْمَصّ » ، مصدر يمصُّ مصّاً ، ولم ينطق بها حروفاً[٥] مقطَّعة كما هو لفظ التلاوة .

وممن تخرَّجَ عليه الشيخ صدر الدِّين بن الوكيل وغيره ، وأظن الشيخ كمال الدِّين بن الزملكاني أيضاً ، وكان في بعض مدارسه ناظر لا ينصفه ، فقال : هذه المدرسة يُعمل فيها بآيتين من كتاب الله تعالى ، المدرّس : ﴿ لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيءٌ ﴾[٦] ، والناظر : ﴿ لا يُسألُ عَمّا يَفعَلُ ﴾[٧] .

ولَمّا عقد بعض المجالس للعلاّمة تقي الدِّين بن تيميّة عُيِّن صفي الدِّين الهندي

(١) (س) : « إلى الديار » .
(٢) (س) : « خمس سنين » .
(٣) في الأصل : « الرواجية » .
(٤) الكشف : ١٢١٧/٢ .
(٥) في الأصل : « حروف » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) سورة آل عمران : ١٢٨/٣ .
(٧) سورة الأنبياء : ٢٣/٢١ .

لمناظرته ، فلما وقع الكلام قال لابن تيميّة : أنت مثل العصفور تنط من هنا إلى هنا . وقيل : إن الشيخ تقي الدّين ذكر ما هو المشهور في سبب تسمية المعتزلة بهذا[١] الاسم ، وهو أن واصل بن عطاء لَمّا اعتزل حلقة الحسن البصري سمي بذلك معتزلاً ، فيقال إن الشيخ صفي الدّين قال : لا نُسَلِّم[٢] . فقال الحاضرون : ما يقال في نقل التاريخ لا نسلِّم ، وكان ذلك سبب نصرة ابن تيميَّة . ومنها أن قاضي القضاة نجم الدّين بن صصرى قال لابن تيميّة : هذا الكلام الذي يثلج الصدر . فقال له الشيخ كمال الدّين بن الزملكاني : والله تَسخَرَّ[٣] وجه الشافعية بتلك الحاجة لما كنت[٤] أنت حاكمهم ، فقال لابن صصرى : لي يقال هذا الكلام ؟ اشهدوا عليَّ أني عزلت نفسي من القضاء ، فانفصل المجلس على غضب ابن صصرى .

قلت : وما أُنصف[٥] صفي الدّين الهندي في قوله[٦] ، لعله كان عنده سببٌ آخر لتسمية المعتزلة غير ذلك ، إذ هو ممكن .

وما رأيت أضعف ولا أوحش من خَطِّه ومن خط الشيخ شمس الدّين بن الأكفاني ، وقد تقدم ذكره . وقيل إنه أجري بين يديه ذكر خطِّه ، فقال له بعض الطلبة : والله يا سيِّدي ما رأينا أوحش من خطِّك . فقال : والله البارحة رأيت كرّاساً أوحش من خطِّي . فقالوا له : هذا يمكن . فقام وأتى بالكراسة فإذا بها أوحش من [خطِّه][٧] ، واعترفوا بذلك ، ثم إنَّ ذلك الطالب تتبع الكلام إلى آخره فوجدَ آخره : وكتب محمد بن عبد الرَّحيم الأرموي . فقالوا : هذه بخطِّك ، فأعجبه ذلك ، وضحك .

(١) في الأصل : « لهذا » ، وفي (س) : « هذا » .
(٢) في الأصل : « نسلم » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) (س) : « قد تسخّر » .
(٤) (س) : « صرت » .
(٥) في الأصل : « انصرف » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) (س) : « لقوله » .
(٧) زيادة من (س) .

وكان قد جاءه يوماً حمل دبس هديَّة من بعلبك ، فأخذهُ الردّادُون الذين يقفون في الطريق لأجل المكس . فقالوا : هذا للشيخ تقي الدِّين الهندي . فقالوا : هاتوا خطّه ، فحضروا إليه وأخذوا خطّه . وقد كتب : صفي الدِّين هندي[1] في حمل دبس ، إن يكن هُوَ هُو فهو هُو وإلا فليس به ، وكانت في لسانه عجمة الهنود .

١٦١٤ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن إبراهيم*

ابن هبة الله البارزي ، القاضي كمال الدِّين أبو عبد الله بن البارزي الجهني الحموي .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : كان رجلاً جيِّداً موصوفاً بالخير ، عنده مُرُوّة وانقطاع ، وكان من الفقهاء المدرّسين ، روى لنا عن جده ، وسمع حضوراً من صفية القرشية .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده في ثالث صفر سنة إحدى وأربعين وست مئة .

١٦١٥ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن عمر**

الجزري الباجُرْبَقي ، بالباء الموحدة ، وبعدها ألف وجيم وراء ساكنة وباء موحدة وقاف[2] . الشيخ الزاهد ابن المفتي الكبير جمال الدِّين الشافعي .

وقد ذكرت والده[3] في (التاريخ الكبير) .

---

(١) ليست في (س) .

* الوافي : ٢٤٨/٣ .

** الوافي : ٢٤٩/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٩٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٢/٩ ، والبداية والنهاية : ١١٥/١٤ ، والدُّرر : ١٢/٤ ، وفيه : « ابن عبر » .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « والده المذكور » .

كان أمره عجيبا ، وحاله تجعل الولدان شيبا[١] ، خلب عقول الكبار من الفضلاء ، وسَحَر بحاله السادة النبهاء النبلاء . لم نسمع عن أحدٍ ما بلغنا عنه من الأمور الخارقه ، والأحوال التي هي للعوائد مفارقه . حكى عنه جماعة فضلاء لا أتّهم علومهم ، ولا أستَزِلُّ حلومهم ، حكايات ما أدري ما هي ، ولا أعرف ما تضاهي ، إلاّ أنها بعيدة عن تصديق عقلي بها ، نائية[٢] عن انفعال نفسي لصحّتِها عند تقليبها .

ولكن شاع هذا عند كثير من أهل عصري ، وأخذ كل منهم على ذلك إصري[٣] ، فما أدري ما أقول ، إلا أنَّ جماعة كفَّروه وأخرجوه عن حمى الإسلام ونفَّروه ، والله يعلم السرائر وما تنطوي عليه الضمائر ، وحُكم بإراقة دمه من دمشق . وكان يكون ذلك دَرِيّة[٤] للسيوف عند المشق .

وضاقَتْ خطَّة فَخَلصتُ منها خُلوصَ الْخَمْرِ من نَسْجِ الفِدامِ[٥]

وفرَّ إلى الدِّيار المصريّة ، وانقطع بالجامع الأزهر . وأتى هناك بأشياء مما أتى به في دمشق وأشهر ، ثم إنه عاد إلى دمشق بعد مدة مديدة[٦] ، وأقام بالقابون . واستمرَّ الناس يترددون إليه وينتابون .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه ما أعجز الأوائل والأواخر رَدُّه ، وفَصَّل أوصاله الذي لا يلفّ[٧] على طول المدى خدّه .

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فَكَيفَ تَتَّقونَ إن كَفَرتُم يَوماً يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِيباً ﴾ [المزّمّل : ٧٣ /١٧] .

(٢) في الأصل : « نائبة » ، ولا وجه لها .

(٣) أفاد من قوله تعالى : ﴿ وأخَذْتُم على ذلِكُم إصْري ﴾ [آل عمران : ٨١/٣] .

(٤) (س) : « وكاد يكون دريئة » .

(٥) الفدام : ما يوضع في فم الإبريق . ووقع في الأصل : « الجمر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) في الأصل : « مدّة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) (س) : « لا يكفّ » ، وهي أشبه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الأربعاء سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

كان والده الفقيه قد تحوَّل بولديه بعد الثمانين إلى دمشق ، وسمعا من ابن البخاري[١] ، وجلس أبوهما للإفتاء . ودرَّس ومات وقد شاخ ، فتزهَّد محمّد هذا . وحَصَل له حال وكشف وانقطع ، وصَحِبَهُ جماعة فهوَّن لهم[٢] الشرائع ، وأراهم بوارق شيطانية ، وكانت له قوة نفسانية فعّالة مؤثِّرة ، فقصده الشيخ صدر الدِّين بن الوكيل وقلَّده جماعة في تعظيمه ، وكان ممَّن قَصَده الشيخ مجد الدِّين التونسي النحوي ، فَسَلَّكه على عادته ، فجاء إليه في اليوم الثالث في الوقت الذي قال له يعود فيه[٣] ، وقال له : ما رأيت ؟ وقال : وصلت في سلوكي إلى السماء الرابعة . فقال له : هذا مقام موسى بن عمران[٤] بلغته في ثلاثة[٥] أيام ، فرجع الشيخ مجد الدِّين إلى نفسه وتوجَّه إلى القاضي المالكي وحكى[٦] له ما جرى وجدَّد إسلامه . وطَلَب الباجربقي وحكم بإراقة دمه القاضي جمال الدِّين المالكي قاضي القضاة بمحضر جماعة من العلماء في يوم الخميس ثاني[٧] ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة . وفي سابع عشر رمضان حكم قاضي القضاة تقي الدِّين الجنبلي بحقن دمه بحكم عداوة الشهود ، وذلك في سنة ست وسبع مئة[٨] ، وكان الشهود عليه مجد الدِّين التونسي وعماد الدِّين محمد بن مزهر ، والشيخ أبو بكر شرف

---

(١) في الأصل و (س) : « النجار » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته .

(٢) عبارة الوافي : « جماعة من الرذالة » . وفي الأصل : « فهون له » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) (س) والوافي : « تعود إليَّ فيه » .

(٤) في الدُّرر : « هذا مقام إدريس » .

(٥) في الوافي والفوات : « أربعة » .

(٦) في الأصل : « وتوجَّه فقال له ، وحكى » ، وهي مضطربة ، وأثبتنا ما في (س) والمصادر الأخرى .

(٧) في البداية والنهاية : ٣٤/١٤ : « الثاني والعشرين » .

(٨) البداية والنهاية : ٤٠/١٤ ـ ٤١ .

الصّالحيّ ، وجلال الدِّين بن النجاري خطيب الزنجليّة[١] ، ومحيي الدِّين بن الفارغي ، والجمال إبراهيم بن الشيخ إسماعيل اللبناني[٢] . والذين شهدوا بالعداوة ناصر الدِّين بن عبد السّلام ، والشريف زين الدِّين [بن][٣] عدنان ، وأخوه ، [و][٤] القاضي قطب الدِّين ابن شيخ السلاميّة ، وشهاب الدِّين الرومي ، وشرف الدِّين قيروان الشمسي . فاختفى وتوجه إلى مصر وانقطع بالجامع الأزهر ، وتردد إليه جماعة .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدِّين بن الأكفاني حكايات عجيبة وأموراً غريبة ، وحكى لي غيره من مادَّتها أشياء لليس للعقل فيها مجال . وحكى لي عنه[٥] القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله أن أمين الدِّين سليمان رئيس الأطباء حكى له عنه ، قال : كنتُ يوماً عنده في البستان الذي كان فيه ، فجاء البستاني وهو من أهل الصحراء العوام ، فقال له ابن[٦] الباجربقي : اقعد . فقعد ورمق الشيخ[٧] وقال للفلاح : تحدَّث مع الرئِّيس أمين الدِّين ، قال : فأخذ ذلك الفلاح يتحدث معي في كلِّيّات الطِّب وجزئياته وأنواع العلاج وخواص المفردات إلى أن أذهل عقلي ، ثم بعد ساعة شال الشيخ رأسه من عبِّه فبطل ذلك الكلام ، وسألت الفلاح فقال : والله ما أدري ما قلت ، ولكن شيء جرى على لساني ما أدري .

---

(١) وتعرف أيضاً بالزنجارية ، خارج باب توما ، تنسب إلى فخر الدِّين الزنجيلي (ت ٦٢٦ هـ) ، الدّارس : ٤٠٤/١ .

(٢) كذا في الأصل و (س) ، ومطبوعة الدرُّرر : ١٩/١ ، ووقع في بعض أصوله : « الكناني » ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) زيادة من (س) والوافي والدُّرر ، وفي البداية : « ابن الشريف عدنان » .

(٤) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (س) والدُّرر .

(٥) (س) : « لي القاضي » .

(٦) في الأصل : « يابن » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) في الأصل : « وزنق » ، وأثبتنا ما في (س) والدُّرر . وفي الدُّرر : « ورمق الباجربقي » .

وقد حكي عنه عجائب من هذا . وكان الشيخ صدر الدِّين يتردَّد إليه كثيراً ، ويجلس بين يديه ويحصل [له][1] بهت في وجهه ويضع كفّه على ذقنه ويخللها بأصابعه :

عجَبٌ مِن عجـــائبِ البرِّ والبحـ ـرِ وشكلٌ فَرْدٌ ونَـــــوْعٌ غَريب

وشهد عليه مجد الدِّين التونسي ، وخطيب الزنجليّة ، ومحيي الدِّين ابن الفارغيّ ، والشيخ أبو بكر بن مشرّف[2] بما أبيح به دمه ، وجنَّ أبو بكر هذا أياماً ثم عقل .

وحكي عنه التهاون في الصلوات[3] وذكر النَّبي ﷺ باسمه من غير تعظيم ولا صلاة عليه ، يقول : ومن هذا محمّدكم[4] ؟! فحكم القاضي جمال الدِّين الزواوي المالكي بإراقة دمه ، فاختفى وسافر[5] . وسعى أخوه بجاه بيبرس العلائي إلى القاضي الحنبلي ، فشهد نحو العشرين أن الستة بينهم وبينه عداوة ، فعصم الحنبلي دمه ، وغضب المالكي ، وجدَّد الحكم بقتله . ثم إنه جاء بعد مدة ونزل بالقابون ، وأقام به إلى أن مات وله ستون سنة .

ومما قيل عنه إنَّه قال : إنَّ الرُّسل طوَّلت على الأُمم الطرق إلى الله تعالى .

قلت : بدون هذا يباع الحمار ، بدون هذا يسفك ألف دم من هذا وأمثاله .

١٦١٦ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم*

الخطيب محيي الدِّين شيخ بعلبك ، ومسندها ، وشيخ الكتابة .

---

(١) زيادة من (س) والفوات .

(٢) في الفوات : « شرف » .

(٣) (س) : « بالصلاة » .

(٤) (س) والوافي والفوات : « ومَنْ محمدٌ هذا ؟ » .

(٥) إلى العراق ، كما في الوافي والوفيات .

* ذيول العبر : ٢٣٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٤/١٠ ، والدُّرر : ١١/٤ .

حدَّث عن ابن عبد الدائم ، والقاسم الإربلي ، والرشيد العامري ، وابن هامل[١] ، وطائفة . وسمع الكثير[٢] ، وكتب المنسوب .

وكان مليح الشكل عاقلاً صيِّناً .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة عن خمس وثمانين سنة .

١٦١٧ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن علي*

القاضي شرف الدِّين الأرمتني .

قال الفاضل كمال الدِّين الأدفوني : كان فقيهاً ذا وَرَع ونزاهة ومكارم ، وتولَّى[٣] الحكم بقنا ، ثمَّ ارتحل إلى مصر ، وتولَّى الحكم بإطفيح[٤] ، ثمَّ بمنية بني خصيب وأبياروفُوَّة[٥] ودمياط والفَيّوم وسيوط . قال : وكان قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة يرعاه ويكرمه لِمَا اتَّصف به من النّزاهة ، ولا يأكل لأحد شيئاً مطلقاً سواء كان من أهل ولايته أو غيرهم ، غير أنه كان يقف مع[٦] حظِّ نفسه ويحبُّ التعظيم وأن يقال عنه رجل صالح ، وإذا فهم من أحد أنه لا يعتقده يحقد عليه ويقصد ضرره ، ويرى أنه إذا عزل عن ولاية[٧] لا يتولَّى أصغر منها ويعالج الفقر الشديد ، وعزله قاضي القضاة

(١) في الأصل : « ابن عامل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو محمد بن عبد المنعم بن هامل الحراني (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٦/٥ .

(٢) في الأصل : « الكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

* الوافي : ٢٥٠/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٨ ، والدُّرر : ١٢/٤ .

(٣) (س) والوافي والطالع : « تولَّى » .

(٤) بلدٌ بالصَّعيد الأدنى على شاطئ النيل في شرقيّه . (معجم البلدان) .

(٥) في معجم البلدان : منية أبي الخصيب ، على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى . وأبيار : قرية بجزيرة بني نصر بين مصر والإسكندرية . وفوّه : بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر ، قرب رشيد . (معجم البلدان) .

(٦) في الأصل : « عند » ، وأثبتنا ما في (س) والطالع والوافي .

(٧) في الأصل « ولايته » ، وأثبتنا ما في (س) والطالع والوافي .

جلال الدّين القزويني من سيوط ثم عرض عليه دونها فلم يوافق مع شدة ضرورته ، واستمرَّ بطّالاً[١] .

قلت : ما أحقه بقول الأول :

فأصبَحَتْ بعدَ ذاكَ تَفسُو فَما سِوَى عِطرها فُسَاها

قال : وكان يحفظ (التنبيه) حفظاً متقناً معرباً . وكان قليل النقل والفهم ، وله في الحكم حرمة وقوة جنان .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - بمصر في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة فيما يغلب على الظن .

١٦١٨ - مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن عباس*

ابن أبي الفتح بن عبد الغني بن أبي محمد بن خلف بن إسماعيل القرشي ، الشيخ شرف الدّين أبو الفتح المعروف بابن النشو .

كان حسن الشكل ، فيه أمانة ومعرفة . وسافر في التجارة إلى بغداد وديار مصر . وكان له مُلْك[٢] .

أسمعه خاله الشيخ برهان الدّين إبراهيم بن محمد بن عبد الغنيّ القرشي ابن النشو بالقاهرة من ابن رواج ، ويوسف الساوي ، وفخر القضاة ابن الجبّاب ، وابن الجميزي بهاء الدّين ، وغيرهم . وسمع أيضاً بدمشق .

وخرَّج له فخر الدّين البعلبكي (مشيخة) في أربعة أجزاء عن نحو عشرين شيخاً . قال شيخنا علم الدّين البرزالي : قرأتها عليه ، ومن الأجزاء التي تفرد بها بدمشق ،

(١) انظر الخبر في الطالع السعيد ، ففيه زيادة .

* الوافي : ٢٤٨/٣ ، والدُّرر : ١٠/٤ ، والشَّذرات : ٥٣/٦ .

(٢) عبارة الدُّرر : « وله بستان » .

وقرأتها عليه مراراً كتاب (المحدث الفاصل)[١] الذي للرامهرمزّي سبعة أجزاء ، و (مشيخة وكيع ابن الجراح) ، وحديث إسماعيل [الصفار][٢] عن الصغاني والدوري ، و (مسند عائشة) للمروزي ، والأجزاء الثلاثة من (المحامليات) : السادس والسابع والتاسع[٣] من المركبات وغير ذلك .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث شوال سنة عشرين وسبع مئة ، ودفن برّا الباب الصغير .

ومولده في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وست مئة .

١٦١٩ ـ مُحَمَّد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي*

قطب الدِّين ، الفقيه الشافعي .

سمع من الحافظ الدمياطي ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرهما . وتَفَقَّه على ظهير الدِّين الترمنتي ، وتقيّ الدِّين بن رزين . وبَرَع في مذهب الشافعي . وأفتى ، ودرَّس ، وتصدَّر للإشغال ، وانتفع به الطلبة . وكان كثير النقل حافظاً للفروع ساكناً متديِّناً . وناب في الحكم بالقاهرة ، وولي الوكالة بالديار المصرية ، ودرَّس بالفاضليَّة والحاميّة ، وأعاد بالصالحيّة ، وصنَّف تصحيحاً لكتاب (التعجيز)[٤] و (أحكام الْمُبَعّض) .

---

(١) في الأصل و (س) : « الفاضل » ، تصحيف ، واسمه بتمامه : المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي ، صنَّفه الحسن بن عبد الرَّحمن الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ) ، الكشف : ١٦١٢/٢ ، والأعلام : ١٩٤/٢ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) زيادة في (س) زيادة : « والثامن والتاسع » .

* الدُّرر : ١٦/٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٤/١٤ ، والشذرات : ٥٧/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٧/٩ .

(٤) الكشف : ٤١٨/١ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده بشبرا من الغربيّة سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

قول أصحاب الشافعي رضي الله عنه : إنَّ الراهن والمرتهن إذا تَشاحَّا في الرهن يكون عند من يسلمه الحاكم إلى عدل صورةُ التشاحح ممّا يسأل عنه .

فإنه إن كان قبل القبض فالتسليم غير واجب ، وإن كان بعد القبض فلا يجوز نزعه ممّن هو في يده .

وكان الشيخ قطب الدِّين السنباطي ـ رحمه الله تعالى ـ يصوِّر ذلك فيما إذا وضعاه عند عدل ففسق ، فإنَّ يده تُزال والرهن لازم ، فإذا تشاحّا حينئذٍ فمن يكون تحت يده اتجه اختيار الحاكم وكذلك لو رضيا بيد المرتهن لعدالته حين القبض ثم فسق ينبغي أن يكون كذلك .

قلت : هذه الكذلكة الثانية لا فائدة فيها فإنها هي الأولى بعينها .

١٦٢٠ ـ مُحَمَّد بن عبد العظيم بن علي بن سالم*

جمال الدِّين بن السَّقْطي القاضي الشافعي .

كان رئيساً عاقلاً لبيباً وقوراً ، من قضاة العدل ، تولَّى نيابة الحكم بمصر والجيزة والقاهرة والقليوبيّة سنين كثيرة ، ولم يؤخذ عليه في حكمٍ حكم به ، ولا نُقِصَ عليه أمرٌ أبرمه . شهد عنده جماعة في قضية فتثبَّت فيها وركب إلى القرافة وقرأ تاريخ الوفاة من المشهود عليه[1] ، ورجع الجماعة إليه ، فقال لهم : امضوا إلى قبره ، واقرؤوا تاريخ الوفاة ، فوجوا لذلك .

---

* الدُّرر : ١٨/٤ ، والشَّذرات : ١٦/٦ .

(١) عبارة الدُّرر : « على قبر للشهود » .

ولـه حكايـات في التوقف وعـدم التسـامـح في الأحكام . ودَرَّس بـالطيرسيّـة بمصر وبالجامع الأقمر .

وسمع الحديث من ابن الصّابوني ، وأجاز له ابن باقا . وترك القضاء مدة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الإثنين حادي عشر شعبان سنة سبع وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين أو ثلاث وستين وست مئة .

ومن تشدُّده ـ رحمه الله تعالى ـ ما حكاه الفـاضل كمال الـدِّين الأدفوي قـال : حكى لي العالم الفقيه أبو إسحـاق إبراهيم الإسنـائي قـاضي قوص قـال : وَقَعَتْ لشخص عنـده قضيـة احتيج فيهـا إلى التعريف ، فقـال لـه : أحضر من يعرِّف بـك . فـأحضر الشيـخ علاء الدِّين الباجي ، فقام إليه وأجلسـه معـه وبَجَّلَـه ، فقـال ذلـك الشخص : سيِّـدي علاء الدِّين يُعَرِّف بي ، فقال القاضي : سيِّدي علاء الـدِّين أكبر من ذلـك ، امضِ وأتِ بمن يعرِّف بك .

قـال : وقـال لي صـاحبنـا أبو عبـد الله مُحَمَّـد الإخميي الشهير بـابن القـاسح[1] : طلبت من قاضي القضاة الشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد ولاية العقود [بالقاهرة][2] وسألته أن يفوض ذلك إلى ابن السقطي فقال : مـا يفعل ، قلت : بلى يفعل . فقـال : أنا أقرب في ذلك منه .

وله حكايات في التثبُّت والاحتياط والاحتراز معروفة مشهورة بين المصريين .

---

(١) في وفيات ابن رافع ٥٣/١ : ابن القاصح ، وهو فيه : مُحَمَّد بن يوسف (ت ٧٣٨ هـ) .

(٢) زيادة من (س) .

١٦٢١ ـ مُحَمَّد بن عبد الغني بن عبد الكافي*

ابن عبد الوهاب بن مُحَمَّد بن أبي الفضائل ، الشيخ زين الدِّين الأنصاري بن الحرستاني[١] .

سمع من ابن صبّاح ، وابن اللَّتي ، وغيرهما .

وحدَّث بالدّارمي ، قَرَأهُ عليه ابن حسيب ، وكان ذَهَبيّاً[٢] بقيساريّة المد ، وله حرمة ووجاهة ببلده لدينه ومكارمه ، وكان حافظاً للحكايات والأشعار يوردها إيراداً جيداً ، وكان يلقب بالنّحوي .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

١٦٢٢ ـ مُحَمَّد بن عبد الغني بن محمد**

ابن يعقوب بن إلياس ، الشيخ شمس الدِّين بن عز الدِّين ابن قاضي حرّان ، الحموي النّحوي .

كان مُتَصدِّراً بجامع حماة الأعلى للإقراء ، وفقيهاً في المدارس ، وله خصوصيّة بالأمير بدر الدِّين حسن بن الأفضل ، وله عنده منزلة .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن صفر سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٦٨/٣ ، والعبر : ٤٠٣/٥ ، والشذرات : ٤٥٢/٥ .

(١) في (س) والوافي زيادة : « وعبد الوهاب هو أخو القاضي أبي القاسم بن الحرستاني » .

(٢) في العبر : « هو زين الدِّين الذهبي المعروف بالنحوي » .

** الدُّرر : ١٩/٤ .

١٦٢٣ ـ مُحَمَّد بن عبد القادر*

ابن عثمان بن منهال المصري ، الصدَّر عز الدِّين .

كان رجلاً جيِّداً عارفاً ، ولم يكن رأى دمشق ، فنزل بالمدرسة الإقباليّة الحنفيّة[١] .

قال شيخنا البرزالي : فاجتمعتُ به وذاكرني في مروياته [ومسموعاته][٢] ، وكان له ميل إلى أن يخرَّج له شيء ، وكان له شعر ، وتولَّى إمامة الجامع الحاكمي بالقاهرة .

وسمع من الحرّاني ، وشاميّة[٣] ، والصفّي خليل ، وطبقتهم .

وأجاز له جماعة من المتأخرين من أصحاب البوصيري ، وجمع شيوخه بالإجازة ، ورتَّبهم فزادوا على الألف .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني عشر جمادى الأولى سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون في تربة ابن الْجُوخي .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة .

١٦٢٤ ـ مُحَمَّد بن عبد القوي بن بدران**

الإمام المفتي النحوي شمس الدِّين أبو عبد الله المقدسي المرداوي الحنبلي .

---

* الدُّرر : ٢٠/٤ .

(١) واقفها الأمير إقبال عتيق الخاتون . الدّارس : ٣٦٢/١ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) (س) : « شامة » ، تحريف ، وهي شامية بنت البكري ، أمة الحق بنت الحسن بن محمد (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٢/٥ .

** الوافي : ٢٧٨/٣ ، والبغية : ١٦١/١ ، والشَّذرات : ٥٤٢/٥ ، والدّارس : ٦٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٢/٨ .

قدم الصّالحيّة ، وتفقّه على الشيخ شمس الدّين وغيره .

وبرع في العربية واللغة ، وأقرأ ودرَّسَ وأفتى وصنَّف ، وكان حسن الديانة ، دمث الأخلاق . ولي تدريس الصّاحبيّة[١] ، وكان يحضر دار الحديث ويُشغل بها وبالجبل .

وسمع من خطيب[٢] مردا ، ومن مُحَمَّد بن عبد الهادي ، وعثمان بن خطيب القرافة ، ومظفر بن الشيرجي[٣] ، وإبراهيم بن خليل ، وابن عساكر تاج الدّين .

وله قصيدة دالية في الفقه ، وكان على ذهنه حكايات ونوادر . وقرأ النحو على الشيخ جمال الدّين بن مالك وغيره . وأخذ عنه القاضيان شمس الدّين بن مسلم ، وجمال الدّين بن جملة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده بمردا سنة ثلاثين وست مئة .

١٦٢٥ ـ مُحَمَّد بن عبد الكريم بن علي التبريزي*

المقرئ المعمِّر نظام الدّين .

سافر مع أبيه للتجارة وأقام بحلب ، وسمع من ابن رواحة ، وقال : سمعت بها من بهاء الدّين بن شدّاد . وكَمَّل القراءات سنة خمس وثلاثين وست مئة على السخاوي

---

(١) أنشأتها ربيعة خاتون بنت نجم الدّين أيوب بجبل الصّالحيّة بسفح قاسيون من الشرق . الدّارس : ٦٢/٢ .

(٢) في الأصل : « الخطيب » ، سهو .

(٣) في الأصل : « السيرجي » ، تصحيف ، وسلفت الإشارة إليه .

* الوافي : ٢٨٢/٣ ، والدُّرر : ٢٣/٤ ، وغاية النهاية : ١٧٤/٢ .

إفراداً وجمعاً ، وتلا بحرف أبي عمرو بالثغر على أبي القاسم الصَّفراوي ، وبمصر على ابن الرمّاح . وتلا به وبغيره ختماً على المنتخب الهمذاني[١] .

ثم استوطن دمشق وأمّ[٢] بمسجد وأقرأ بحلقة ، وكان ساكناً متواضعاً كثير التلاوة . قرأ عليه شيخنا الذهبي لأبي عمرو ، وسمع منه (حرز الأماني) بقراءة ابن منتاب .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - يوم الأربعاء سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وسبع مئة .

ومولده بتبريز سنة ثلاث عشرة وست مئة .

١٦٢٦ - مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد*

الصَّدر مجير الدِّين بن المغيزل .

كان قد تولَّى نظر الدّواوين[٣] بحماة .

وتوفِّي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

وقد تقدم ذكر والده شرف الدِّين في حرف العين مكانه .

١٦٢٧ - مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد بن علي**

الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع شمس الدِّين أبو عبد الله القرشي [بن][٤] الشمّاع .

---

(١) في غاية النهاية : « المنتجب بن الهمذاني » ، وفي الأصل : « المنتجب » . وهو المنتخب بن أبي العز بن رشيد الهمذاني (ت ٦٤٣ هـ) . العبر : ١٨٠/٥ .

(٢) في الأصل : « وأقرأ » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* الدُّرر : ٢٤/٤ .

(٣) (س) : « الديوان » .

** الدُّرر : ٢٤/٤ .

(٤) زيادة من (س) والدُّرر .

كان فاضلاً ، من أعيان الفقهاء ، وله مشاركة في القراءات[١] والحديث والأصول والنحو ، [سمع][٢] من أصحاب الخشوعي وابن طَبَرْزد ، وحصَّل النسخ ، وقرأ وحدَّث وتزهَّد مدة .

أقام بصفد في أواخر عمره إلى أن مات بها ـ رحمه الله تعالى ـ في مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبع مئة .

١٦٢٨ ـ مُحَمَّد بن عبد اللطيف بن يحيى*

ابن تَمّام بن يوسف بن موسى بن تَمّام بن تميم بن حامد ، أقضى القضاة تقي الدِّين أبو الفتح بن أبي البركات بن أبي زكريا الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي .

أجاز[٣] له لَمّا ولد جماعة من الْمُسْندين منهم الحافظ شرف الدِّين الدمياطي ، وفي تلك السنة توفِّي .

وأحضره أبوه على أبي العباس أحمد بن قاضي القضاة شمس الدِّين مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ، وأبي الحسن علي بن محمد بن هارون الثعلبي ، وأبي المحاسن يوسف بن المظفر بن كوركيك[٤] الكَحّال ، وأبي الحسن علي بن عيسى بن سليمان بن القيِّم ، وغيرهم .

وأجاز له في سنة سبع وسبع مئة خَلْقٌ من أعيان المشايخ بالديار المصرية والشاميّة يطول ذكرهم . ثمَّ سمع بنفسه من خلق بالقاهرة ومصر وأعمالها ومكَّةَ والمدينة ودمشق

(١) (س) : « له مشاركة في القراءة » .

(٢) زيادة من (س) ، ولكن فيها : « سمع من ابن الخشوعي » ، وهو سهو ، وفي الدُّرر : « سمع من جماعة من أصحاب الخشوعي » .

* الوافي : ٢٨٤/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٠٠/١ ، والدُّرر : ٢٥/٤ ، والشّذرات : ١٤١/٦ ، وذيول العبر : ٢٤١ .

(٣) أخذ للصنِّف مادّة هذه الترجمة من لفظ ابن السبكي نفسه ، كما في الوافي .

(٤) في الوافي : « كوركيل » ، تحريف ، انظر ، الدُّرر : ٤٧٨/٤ ، ووفاته سنة (٧١٠ هـ) .

بقراءتـــه[١] وقراءة غيره كأبي علي الحسن بن عيسى بن خليـل الهَكَّـــاري وأبي الحسن علي بن عمر بن أبي بكر الـواني وأبي الهـدى أحمـد بن مُحَمَّـد[٢] بن علي بن شجـاع العباسي ، وقاضي القضاة بدر الـدِّين بن جماعـة ، ومُحَمَّـد بن عبـد الحميـد بن مُحَمَّـد الهمـذاني ، وعبـد الله بن علي بن عمر بن شبـل الحميري ، ويـوسف بن عمر بن حسين الختني ، وأحمد بن أبي طالب الصّالحي ، ويحيى بن يوسف المقدسي ، ومحيي[٣] الدِّين بن فضل الله ، وعلي بن إسماعيل المخزومي ، ومُحَمَّد بن عبد المنعم الصّواف ، وأبي بكر بن يوسف بن عبـد العظيم المصري ، وخلائـق يطـول[٤] ذكرهم . وسمـع العـالي والنـازل ، وكتب بنفسه وخرَّج وانتقى وحصَّل .

وقرأ القرآن بالسبع في ختماتٍ على شيخنا العلاّمة أبي حيان ، وأجاز لـه بـإقرائـه[٥] حيث شاء متى شاء ، وكتب له خطّه بذلك .

وقرأ الفقـه على مـذهب الشـافعي ، وغيره من العلـوم على شيخنـا العـلاّمـة شيـخ الإسلام قاضي القضاة تقي الـدِّين السبكي ، وقرأ الفقـه أيضـاً على جـده يحيى بن علي ، وعلى الشيـخ قطب الـدِّين السنبـاطي . وقرأ الفقـه أيضـاً على ذي الفنـون أبي علي الحسين[٦] بن علي الأسواني ، ولازمـه مـدة طويلـة ، واشتغل بـأصـول الفقـه على جـده يحيى .

وقرأ النحو على شيخنـا العلاّمـة أثير الـدِّين ، لازمـه نحواً من سبعـة عشر عـامـاً ، وشرح عليه (تقريب الْمُقَرَّب) تصنيفه ، وكتاب (التَّسهيل) لابن مـالـك ، وأجـازَهُ بـإقرائهما ، وسمع عليـه كثيراً من (شرحـه للتسهيل) ، وكثيراً من (كتـاب سيبويـه)

(١) في الوافي : « بذاته » .
(٢) في الأصل : « وأبي الهدى علي بن محمد أحمد ... » سهو ، وأثبتنا مافي (س) و (خ) والوافي .
(٣) (س) : « يحيى » ، تحريف .
(٤) في الأصل : « طوال » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .
(٥) (خ) : « وأجاز بإقرائه » ، وفي (س) : « وأجازه بإقرائه » ، وفي الوافي : « وبإجازة بإقرائه » .
(٦) (خ) : « الحسنين » ، تحريف .

سماعاً وشرحاً ، وسمع عليه كثيراً من شعره بقراءتي أنا ، وسمع عليه من شعر غيره ، وكثيراً[١] من المرويات الأدبية . وسمع عليه (مقامات) الحريري بقراءتي أنا ، وقرأ كتاب (لباب الأربعين)[٢] وكثيراً من علم الخلاف على شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي . وقرأ كتاب (مطالع الأنوار) مرتين على الشيخ تاج الدِّين التبريزي ، وسمع عنده كثيراً من الكتب المنطقيّة والخلافيّة والأصوليّة . وجالس في الأدب شيخنا العلاّمة ناصر الدِّين شافع بن علي وسمع عليه من شعره وتصانيفه ، ومَدَحه بأبيات منها :

رأتِ العِدا عبّاس جَدَّكَ طاهِراً فأتَوْا إلى عَلْيا نَداكَ بشافِعِ

كان هذا أقضى القضاة تقي الدِّين من أصحِّ الناس ذهناً وأذكاهم[٣] فطرة كما سفر البدر وَهْناً .

شارك في فنون ، وعارك في عدّة علوم خاض منها في شجون ، عمل في القراءات عملاً بخل الزمان [به][٤] على السَّخاوي ، وكُسر له ابن جبارة فما يقاومه ولا يقاوي[٥] .

وَجَدَّ في سماع الحديث ، وقرأ بنفسه ، فما عند السّلفي منه نقده ، ولا ابن عساكر لو لاقاه لولّى فراراً وهو[٦] وحده .

واشتغل بالفقه فلو أن الماوردي في زمانه ما تسمّى أقضى القضاه ، أو رآه الروياني نشف بحره في فضاه .

(١) في الأصل : « وحدَّث وكثيراً » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) لأبي الثناء الأرموي محمود بن أبي بكر بن أحمد (ت ٦٨٢ هـ) ، وكتابه مخطوط . الأعلام : ١٦٦/٧ .
(٣) في الأصل : « وأذكاه » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « ولا يقاري » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٦) في الأصل : « لو لاقاه ، لو رآه وهو » .

ودأب في الأصول فما للآمدي[١] في مداه خطوه[٢] ، ولا لابن خطيب الرّيّ ري إذا رقا من المنبر على ذرْوَه .

وأكَبَّ على العربية حتى أطار ابن عصفور عن هذا الفن ، وغدا الزجاجي يكسر قواريره على ضنِّه بما ظن . وحضر مآدب الأدب حتى افتقر صاحب (الذّخيره) وجُعل صاحب (القلائد) مع الحصيري على حصيره . وكتب فَرَوَّضَ المهارق ، وأخمل بخطه الخمائل ، وقد أحدقت بها زُهْرُ الحدائق . ونظم الشعر الذي ترقرق وانسجم . ولام الناس صاحب (لاميّة العرب) و (لاميّة العجم) :

لفظٌ كأنَّ مَعاني السُّكرِ تَسكنُهُ ... فَمَن تَحفَّظ بيتاً منهُ لم يَفِقِ
إذا تَرَنَّمَ شادٍ للیَراعِ بهِ ... لاقى الْمَنايا بلا خَوْفٍ ولا حَرَقِ

وأما الدين فإنه تمسَّك منه بالحبل المتين ، وأما الورع فكان معلَّقاً منه في الوتين ، له في ذلك عجائب ، وأخبار تحملها الصَّبا والجنائب ، قدم على شيخنا العلاّمة شيخ الإسلام وهو مقيم بالشام وعاد إلى القاهرة ثم زاره ثانياً فأمسكه إمساك غريم ألدّ ، وألزمه بنيابته فسلك فيها الطريق الأسَدّ بالأمر الأشدّ .

ولم يكن يزل على حاله إلى أن جُرَّ أبو الفتح إلى لَحْدِه ، وطوت شقّة الأيام منه نسيج وَحْدِه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة السبت ثاني عشر ذي القعدة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد نَزَلَّ بالمدارس في القاهرة وتولّى الإعادة للفقهاء بالمشهد الحسيني والمدرسة السَّيفيّة في حدود سنة عشرين وسبع مئة . ودَرَّس بالمدرسة السَّيفيّة المذكورة سنة أربع وعشرين وسبع مئة نيابة عن جده أبي زكريا يحيى ، واستقرَّ التدريس بها باسمه ،

(١) في الأصل : « والآمدي » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « مدى » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

ولم يزل بها مُدرِّساً مع ما أضيف إليه من الوظائف إلى أن باشر التصدير بالجامع الطولوني وغيره لَمّا توجَّه شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي إلى الشام وولي القضاء بالمقسّم ظاهر القاهرة .

ثمَّ إنَّه ورد الشام وتولَّى تدريس المدرسة الركنيَّة الجوّانية وخلافة الحكم العزيز بالشام والتصدير بالجامع الأموي .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ شديد الورع[١] متحرزاً في دينه محتاطاً لنفسه ، درَّس بالرّكنية فحكى لي بعض الفقهاء[٢] أنه كان لا يتناول منها مافيها[٣] من الجراية ويقول : تركي لهذا في مقابلة[٤] أني ما يتهيأ لي فيها الصَّلوات الخمس . وكان سديد[٥] الأحكام بصيراً بمواقع الصّواب فيها .

وكتب إلى شيخنا العلاّمة أبي حيان مع خشكنانج [جهّزه][٦] إليه بعد عيد الفطر :

أهنيكَ بالعيدِ الَّذي حَلَّ عندَما ... خَلَعْتَ عليهِ من عُلاكَ جَلالَا[٧]
وحاولتُ تَعْجيلَ البِشارَةَ والهَنا ... فأرسَلْتُ مِن قبلِ الهِلالِ هِلالا

ومن شعره ـ رحمه الله تعالى ـ :

واللهِ لم أذهَبْ لِبحرٍ سلوةً ... لكم ولا تَفريج قَلبٍ موجَعِ[٨]

(١) في الأصل : « الزرع » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٢) (س) ، (خ) ، والوافي : « بعض فقهاء المدرسة » .
(٣) عبارة الوافي : « ما للمدرس فيها » .
(٤) في (س) ، (خ) ، والوافي : « مقابلة على أني » .
(٥) في الأصل و (س) : « شديد » ، وأثبتنا مافي (خ) ، والوافي .
(٦) زيادة من (س) ، (خ) . وفي (س) والوافي : « .. قبل عيد الفطر » .
(٧) (س) : « حلَّ عندما » ، وفي الوافي : « حلالاً » .
(٨) (س) : « ببحر » .

لكنّـــهُ لَمّـــا تـــأخَّرَ مُـــدَّةً أحْبَبْتُ تَعْجيـلَ الـوفـاءِ بـأدْمُعي

ومنه :

مُنـــذُ بَعـــدتُم فَسُروري بَعيـــدْ وبَعـــدكُم لم أتَمَتَّـعْ بِسَعيـــدْ[1]
وكيفَ يَهـوى العيـد أو نـزهـة شهيـد وَجـدٍ ودمـوع تَـزيـدْ
فـــالبحرُ من تيّـــارِ دَمعي لـــهُ يَبكي بـهِ والعيـد عيـد الشَّهيـدْ[2]

وكنت قد كتبت إليه في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبع مئة :

تقيّ الـدِّين يـــا أقْضى البَرايـــا ويـــا رَبّ النُّهى والألمعيّـــة
ويـــا [من] راحَ أثنيتي عليـــهِ تَضوعُ كمِسْكِ فطرتِه الـذَّكيّـة[3]
أهـزّ إليَّ منـــكَ بجـــذعِ علم فـوائـدُه تساقـطُ لي جَنِيّـة
لأنّـــكَ لا تُســـامى في علـوم نَـزَلت بهـا منـازلـكَ العَليّـة
ونَظمُـكَ نظمُ مَصريٍّ طِبـاعـاً حَـلاوتـهُ لـذلـكَ قـاهريّـة
ودأبُـكَ فتـحُ بـابِ النَّصرِ حقّـاً وغيرِكَ شُغْلُـهُ بـالبـاطليّـة[4]
أفِـــدْنـــا إنّنـــا فقراءُ فَهْم لمـا تملي فضـائلـكَ الغنيّـة
تقرّر أنَّ فعّـــالاً فَعُـــولاً مُبـالغَتـانِ في اسمِ الفـاعليّـة
فكيفَ تقـولُ فيما صَـحَّ منـهُ ومـا اللهُ بظـلاَّمِ البَريّـة[5]
أيعطى القـولُ إن فَكَّرت فيـهِ سـوى نفيُ الْمُبالغـةِ القـويّـة
وكيفَ إذا تـوضّـأنـا بمَـاءٍ طَهُـورٍ وهـو رأيُ الشّـافعيّـة
أزَلنـا الـوصفَ عنـهُ بفردِ فعـلٍ وذاكَ خِـلافُ رأيِ المـالكيّـة

(١) في الأصل : « ولم أتمتع » ، وأثبتنا مافي (خ) ، (س) ، والوافي .
(٢) (س) والوافي : « دمع » .
(٣) الزيادة من (س) ، (خ) ، والوافي . وفي (س) : « كمثل فطرته » .
(٤) في الأصل : « دأب » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .
(٥) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلعَبيدِ ﴾ [فُصّلت : ٤٦/٤١] .

فـــأوضـح مـــا ادلهَمَّ عليَّ حتّى تُغـــادِرُني على بَيضـــا نَقيّـــة
فـإن يَـدنـو ظـلام الشَّـكِّ منّي فـإنَّـك ذو قنـاديـل مَضيّـة[1]
ودُمْ للمشكـلاتِ تُميـطُ عنهـــا أذى فَهمٍ لأذهـــانِ مـديّـــة[2]

فكتب الجواب إليَّ عن ذلك ، وأجاد :

جَلَـوتَ عَليَّ ألفـاظـاً جَليّـة وسُقْتَ إليَّ أبكاراً سَنيّـــــة
ونَظّمت الجـــواهرَ في عُقـــودٍ فـأزرَت بـالعُقـودِ الجـوهريّـة[3]
وأبـــدَعَت المسيّر من نظـــامٍ فمـــا لمسيّر عنـــدي مـزيّـــة
لآلٍ مثـــلَ بـــدرِ التّمِّ نـــوراً ولكن في النَّهـــارِ لنـــا مَضيّـــة
حـلاوتهـــا تخـــالِـــطُ كلَّ قلبٍ ومن حَشـو وحـــوشيٍّ نقيّـــة
أتَتْ من حـــافـــظِ الآدابِ طُرّاً وقَلبي مُغرَمٌ بـــالحـــافظيّـــة
وتُعْـزى للخليـل فمـــا فـؤادي يميـلُ هـــوىً لغيرِ السُّكَّريَّـــة
فهمتُ بِها فَهمت منَ المعـــاني ولم أظفَر بنكتَتِهـــا الخفيّـــة
لأنَّ العجـــزَ منّي غيرُ خـــافٍ ومـــالي في العلـوم يَـدٌ قـويّـة
تـــأنَّفَ صـــاغـــةُ الآدابِ منّي ومـالي لـلإجـابَـةِ صـالحيّـة
ومَنْ جـــاءَ الحروبَ بـلا سِـلاحٍ كَمَن عَقَـــدَ الصّـلاةَ بغيرِ نيّـــة
فَخُـذْ مـا قـد ظفرت بـهِ جوابـاً فما أنـا قَـدر فطرتَـكَ الـذَّكيّـة
فظـــلاّمٌ كبزاز وأيضـــــاً فقَـد يـــأْتي بمَعنى الظّـالميّـة
وقَـــد ينفى القَليـلَ لعِلَّـــةٍ في فـوائِـــدِه بنَفيِ الأكثريّـــة
وقـد يَنْحى بـــهِ التّكثيرُ قَصْـداً لكَثرَةِ مَنْ يُضـــامُ منَ البَريّـــة
وأمّـــا قـولُـــهُ مـــاءٌ طَهـورٌ ونُصْرَتـــه لِقَـوْلِ المـــالكيّـــة

(١) (س) ، (خ) ، والوافي : « فإنْ يدجو ... فذهنك ذو » وهي أشبه .
(٢) في (س) ، (خ) ، والوافي : « تميط عنها ... مدية » .
(٣) (س) و (خ) والوافي : « الكواكب في » .

فَجـــاءَ على مُبـــالَغَـــة فعـولٌ وشـــاعَ مَجيئـــهُ للفـــاعليّـــة
وقَـــد يُنـوى بـــهِ التَّكثيرُ قَصـــداً لِكَثْرَةِ مَن يَرومُ الطّـــاهريّـــة
وأيضـــاً فَهُـوَ يَغسِـلُ كلّ جـزء ولاءٍ وهُـــوَ رأيُ الشّـــافعيّـــة
فَخُـــذْهـــا مِن مُحِبٍّ ذي دُعـــاءٍ أتى منـــهُ الرّويّ بـــلا رَويّـــة
لـــــهُ فيكُم مُـــوالاةٌ حَلَتْ إذْ أصـولُ الـوُدِّ منـــهُ قـــاهريّـــة[1]
فـــإنْ مَرَّت إذا مَرَّت فَعَفْـــواً فـــإنَّ السِّتر شيَمَتـــكَ العَليّـــة
فَمُرسَـل شعرهُ مـــافيـــهِ طَعمٌ تُجـــابُ بـــهِ القَـوافي السُّكَّريَّـــة

وأورد له قاضي القضاة تاج الدّين أبو نصر عبد الوهاب السبكي في (الطبقات الصُّغرى) له ، قال : وأنشدني أبو الفتح لنفسه بقراءتي عليه :

إذا رُمْتَ تعـدادَ الخـلائفِ عُـدّهُم كَما قلتـهُ تُـدعى اللَّبيبَ الْمُحَصّلا
عَتيـقٌ وفـــاروقٌ وعثمانُ بعـــدهُ عليّ الرّضى من بعـــدِهِ حسنٌ تَـلا
معـــاويـــةٌ ثمَّ ابنـــه وحَفيـــده معـاويـة وابن الـزُّبير أخـو العُـلا
ومروانٌ يَتلـوهُ ابنـــهُ ووليـــده سُلَيمـــان وافى بعـــدهُ عمر ولا[2]
يـزيـد هشـام والـوليـد يـزيـدهم سَنـاهُم وإبراهيم مروان قَـد عَلا[3]
بسِفـاحِ المنصـورِ مهـديّ ابتـدي وهـــادٍ رشيـــد لـلأمينِ تَكَفَّـلا
وأعقَبَ بـالمـأمـونِ مُعْتَصِمٌ غَـدا بـواثقـــه يستتبـعُ المتـوكّـلا
ومُنتصِرٌ والمستعين وبعـــــدهُ لمعتزّ المتلـوّ بـــالمهتـــدي انقـلا
ومُعتمـــد يَقْفـوهُ معتضـــد وعن سَنـا المكتَفي يتلـوهُ مقتـدِرٌ سَـلا
وبـالقـاهرِ الرّاضي تعـوّض متَّـقٍ وبـــاللهِ مُسْتَكفٍ مُطيـع تَفَضَّـلا

---

(١) في الأصل : « حكت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « وحفيده » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) في الأصل : « قد تلا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وطـــائعهُم للهِ بـــــاللهِ قـــادِرٌ وقـائمُهُم بـالمقتـدي استظهرَ العُـلا
ومُسْتَرشِـد والرّاشِـد الْمُقْتَفى بـهِ ومُسْتَنجِـدٌ والمستضي نـاصرٌ تَـلا
وظـاهرهُم مستنصِرٌ قـد تَكَلَّمـوا بِمُستَعصِمٍ في وقتِـه ظَهر البـلا
ومستنصِرٌ وحـاكم وابنـه ولم يقم واثـق حتّى أتى حـاكم الملا
فـدونَكَهـا منّي بَـديهـاً نظمتـهُ فـإن آتِ تقصيراً فكُن مُتطـولا

وكتب له شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقيّ الدّين السبكي رحمه الله تعالى :

أجَـدْتَ تَقِيَّ الـدِّينِ نَظْماً ومَقـولاً ولم تُبْـقِ شَـأْواً للفَضـائِـلِ والعُـلا
فَمَن رامَ نَظْماً لـلأئِمَّـةِ بعـدَهـا يـؤمّ محـالاً خـاسئـاً ومجهّـلا[1]

قلت : لم يـذكر تقي الـدّين ـ رحمـه الله تعـالى ـ إبراهيم بن المهـدي ، وكان قـد تولّى[2] بعد الأمين ، ولا ابن المعتز في خلفاء بني العباس ، لأنه بويع له في حياة المقتدر بعدمـا خلع ، وكانت بيعـة ابن المعتز يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنـة ست وتسعين ومئتين ، وأُقعد في دار الـدّايـة ، وسُلِّم عليـه بـإمرة المؤمنين ، لأن أوليـاء الأمر قالوا : المقتدر غير بالغ ، ثم كان أمر ابن المعتز يوم السبت وبعض يوم الأحد ، ثم فسد أمره وبطل لأن غِلمان المقتدر صعدوا في الطيـارات في المـاء وصـاحوا من دجلـة ، فخـاف أصحـاب ابن المعتز وتفرَّقوا ، وأُخِـذ وقُتِـل وأُعيـد المقتـدر . وفي ابن المعتز قـال القائل :

للهِ دَرُّكَ مِن مَلـــك بضيعـــة وافٍ منَ العلمِ والعَليـــاءِ والحسبِ
مـــافيـــهِ لـــوٌّ ولا لـــولا تُنَقِّصُـــه وإنَّما أدركتـــهُ حِرفَـــةُ الأدَبِ[3]

---

(١) (خ) : « مجالاً » .
(٢) (خ) ، (س) : « قد ولي » .
(٣) (س) : « فتنقصه » .

وفي قوله ـ رحمه الله تعالى ـ : « ووليده سليمان » تجوّزٌ يوهم من لا علم له أن وليده سليمان واحد ، ومراده اثنان لأنه قال : « ومروان يتلوه ابنه » ، يعني به عبد الملك ، وولي بعد عبد الملك ابنه الوليد الذي عمَّر الجامع الأموي ، ثم تولَّى بعده سليمان ، فقوله : « ووليده سليمان » كان ينبغي أن يأتي بينهما بفيصل ، لأن لفظة الوليد مشتركة بين الولد والعَلَم .

وقد نظم الشيخ برهان الدِّين الجعبري ـ رحمه الله تعالى ـ قصيدة في هذه المادة مليحة ذكر الخلفاء إلى آخر وقت كُلاًّ منهم بلقبه وعمره ومُدَّة خلافته ، لكنها بخلاف بحروف الْجُمّل ، وقد ذكرتها مستوفاة في الجزء الرابع عشر من (التَّذكرة) التي لي . وله قصيدة أخرى نونيّة مردفة بألف ، ذكر ذلك بعد حروف الْجُمّل ، بل ذكره تصريحاً[1] .

ولشيخنا الذهبي أبيات قليلة ضمَّنها أسماء الخلفاء أيضاً في ثمانية أبيات ذكرتها أيضاً في هذا الجزء ، وللرشيد الكاتب قصيدة رجز في ذكر الخلفاء ، وقد أودعتها في الجزء السابع والثلاثين من (التَّذكرة) التي لي ، وبعضهم نظم الخلفاء المصريين وما رأيت من نظمهم غيره ، وهي :

الأوَّلُ الْمَهـــــدِيُّ ثُمَّ القـــــائمُ ... وبعـــدَهُ المنصـورُ ذاكَ العَـــالِمُ
ثُمَّ الْمُعـــزُّ بعـــدهُ العَـــزيـــزُ ... والحـــــاكِمُ المبَرّزُ الإبريـــــزُ
والظّـــاهِرُ المشهـــورُ والْمُسْتَنْصِرُ ... في عهـــدِهِ شَخص الهُـــدى مُسْتَبْصِرُ
والْمُصْطَفى للـــــدِّين والْمُسْتعلي ... وآمِرٌ والحـــــافِـــــظُ الْمُستَتلي[2]
والظـــاهِرُ الْمَـــذكـــورُ ثمَّ الفـــائـــزُ ... والعـــاضِـــدُ الأخير ذاكَ الفـــائـــزُ

---

(١) (س) ، (خ) : « صريحاً » .
(٢) (س) : « المستعلي » .

ونظم أبو الحسين الجزار أرجوزة سمّاها : (العقود الدُّرِّيَّة في الأُمراء المصريَّة) ، ذكر فيها من حكم في مصر من أول الإسلام إلى آخر أيام السعيد بن الظاهر ، ثم كمل على ذلك فيما أظن الشيخ علاء الدِّين بن غانم إلى آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في الدولة الثانية ، ثم كمل عليها القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله إلى آخر أيام الملك الصّالح إسماعيل بن الناصر محمد ، ثم إنني أنا كملت عليها إلى آخر وقت ، وهي جميعها في الجزء الرابع من (التّذكرة) التي لي .

١٦٢٩ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن أحمد*

القاضي شرف الدِّين [بن الصاحب][١] فتح الدِّين القيسراني المخزومي .

روى (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدائم ، وسمع من الفقيه اليونيني[٢] ، وإبراهيم بن خليل ، وجماعة .

ولد بحلب سنة ثمان وأربعين وست مئة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الجمعة مستهلّ شعبان سنة سبع وسبع مئة .

وكان من بيت حشمة وصداره ، وكتابة ووجاهة وعباره[٣] ، وسيادة تسفل عن مراقي مراتبهم النجوم السَّيّاره . جمّلوا الممالك وصانوها ، وزادوا الدول بهجة بألفاظهم وزانوها .

وكان القاضي شرف الدِّين هذا إذا كتب أخذ أرض الطرس زخرفها وازَّيَّنت[٤] .

---

* الوافي : ٣٧٠/٣ ، والدُّرر : ٤٨١/٣ .

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) (س) : « محمد اليونيني » .

(٣) (س) : « ووزارة » .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ حتّى إذا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرفَها وازَّيَّنَت وظَنَّ أهلُها أنَّهُم قادِرونَ عَليها أتاها أمْرُنا ﴾ [يونس : ٢٤/١٠] .

وعُدَّت من الخيرات [اليمانيّة][1] وتعينت . نَظْمٌ كأنه القلائدَ ، ونظمٌ يشبه الدُّرَّ على لَبّات الخرائد ، كلّه منتخبٌ ، وكلّه وجه غانية كأنه بالحسن[2] البارع قد انتقب :

كأنَّ طُروسَهُ رَوْضٌ نَضيرُ وأزهارُ المعاني فيهِ غَضَّهْ
فَكَمْ نالَ الأديبُ بِها غِناهُ لأنَّ كلامَهُ ذَهَبٌ وفِضَّهْ

وكان متين الديانه ، متوشّحاً بالصّيانه ، معروفاً بالعفّة والأمانه . وكان يلازم تلاوة القرآن ، لا يخلُّ بذلك في ولا أوان . يقرأ القصص ، وإذا فرغ منها عاد إلى التلاوة على الراتب . وإذا مرَّ بآيةِ سَجْدة دار إلى القبلة وسجد وظهره إلى النائب . وتبرَّم منه النائب وشكاه ، وذكر ذلك للسلطان وغيره وحكاه ، فما رجع عن عادته ، ولا ترك ذلك من سعادته .

ولم يزل على حاله إلى أن سكن نَبْضُه وبطل من بيت المال قَبْضُه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور .

أخبرني شيخنا الحافظ أبو الفتح بن سيِّد الناس قال : كان القاضي شرف الدِّين قد توجَّه صحبة السلطان إلى غزوةٍ ، فرأيته في المنام كأنَّه منصرفٌ عن[3] الوقعة ، وقد نصر الله المسلمين فيها على التتار ، فأخبرني بما فتح الله به ، فنظمت في المنام بيتين ، واستيقظت ذاكراً للأول منهما وهو :

الحمدُ للهِ جاءَ النَّصرُ والظَّفَرُ واستبشرَ النَّيِّران: الشَّمسُ والقمرُ

فكتبت إليه أعلمه بذلك ، فكتب إليَّ الجواب عن ذلك :

أيا فاضِلاً تُلْهي معاني صِفاتِهِ فكلٌّ بَليغٍ فاضِلٍ من رواتِهِ[4]

(١) زيادة من (س) .
(٢) (س) : « وكل وجه غانية بالحسن » .
(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٤) (س) : « بليغ محسن » .

ومن يَسْتبين الفَهْمَ مِن لَحَظـاتِـهِ لـهُ آمِرٌ بـالرُّشـدِ في يَقَظـاتِـهِ
وفي النَّومِ يَهديهِ لخيرِ[١] الطَّرائقِ
ومَنْ قُرْبُـه غـايـاتُ كلِّ فَضيلَـةٍ وأسْطُرُهُ تُـزْهى بـزَهْرِ خَميلَـةِ[٢]
وجُملَتُـه في النّـاسِ أيّ جَميلَـة فـإنَّ قـامَ لم يَـدْأب لغيرِ فَضيلَـة
وإن نـامَ لم يَـدْأب لغَيرِ[٣] الحقائق

يقبِّل اليد العالية الفتحيّة فَتَحَ الله أبوابَ الجنة بها ولها ، وأسعد خاطره الذي ما اشتغل عن الصواب ولا لها ، ومشتهى خُلُقه الذي لا أعرف لحسنه مشبهاً ، تقبيل مشتاق إلى روايته ورؤيته ، ونتائج بديهته ورَويَّته ، متعطِّش إلى روائه وإروائه والتَّيمُّن بعالي آرائه ، والتَّحلّي به في هذه السفرة المسفرة بمشيئة الله تعالى عن الفلاح والنجاح ، والغزوة التي لها الملائكة الكرام النجدة ، والرايات النبوية السلاح ، والحركة التي أخلص المسلمون لله تعالى رواحهم ، وغدوّهم ، وتعلّقت آمالهم بأنّه سبحانه وتعالى يهلك عدوّهم ، فإنهم قد بغوا والبغي وخيم المصرع ، وابتغوا الفتنة والفتنة لمثيرها تَصْرَع . وقد تكفّل الله تعالى بالملّة[٤] المحمّدية أن يديل دولتها ، وأخبر رسول الله ﷺ أنّ الله لا يسلّط على هذه الأمة من يستبيح بيضتها ، فلهذا ما أمضينا[٥] في السهر ليلا ، ولا أنضينا في السفر خيلا ، ولا رجونا[٦] إلاّ أن « نَحْمِدَ السّرى عند الصّباح »[٧] ، وكدنا أن « نطير إلى الهيجاء زرافاتٍ ووحداناً » بغير جَناح ولا جُناح . وسمحنا بنفوس نفائس في طلب الجنة والسماح رباح ، وينهي أن المشرّف العالي ورد إليه فتنسّم

(١) في الأصل : « لغير » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٢) في (س) والوافي : « كل وسيلة » .
(٣) (س) والوافي : « لم يحلم بغير » .
(٤) في (س) والوافي : « للملّة » .
(٥) في الأصل : « أفضينا » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٦) في الأصل : « راحونا » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٧) من أمثال العرب : عند الصباح يحمد القوم السّرى . انظر مجمع الأمثال : ٣/٢ .

أرواح قربَه ، وأوجد مسرّات قلبه ، وأعدم مضرّات كَرْبه ، وأبهجه الكتاب بعبير رَيّاه ، وألهجه[١] الخطاب تعبير رؤياه ، فرأى خطّه وشياً مرقوما[٢] ، ولفظه رحيقاً مختوما ، ووَجَدَه محتوياً على دُرَرٍ كلاميّة وبِشَرٍ مناميّه ، وحديث نفس عصاميّه .

نرجو من الله أن نشاهد ذلك أيقاظا[٣] ، ونكون لأبنائه حُفّاظا .

وهو كتاب طويل . وأجاب عنه شيخنا فتح الدِّين ، وقد أثبتها في الجزء الأول من (التذكرة) [التي][٤] لي .

١٦٣٠ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن المجد إبراهيم*

الشيخ الكبير المشهور الصّالح المرشدي .

[قرأ على][٥] ضياء الدِّين بن عبد الرحيم ، وتلا على الصّائغ . وكان فقيهاً شافعيّ المذهب . وكانت له أحوال وهمّة عظيمة ، في خدمة الناس على مرِّ السنين والأحوال ، يطعم الناس الذين يردون عليه ، ويأتي لكلٍّ واحد بما في خاطره ويقدِّمه بين يديه ، اشتهر هذا الأمر عنه وذاع ، وامتلأت به النواحي والبقاع . ولو وَرَدَ عليه من الألف نفس فما دونها أو جاؤوه في أيِّ وقت كان من غير هديّة يهدونها وجدوا ما يكفيهم ويكفي دوابّهم وشيوخهم وشوَابّهم .

---

(١) في الأصل : « وأبهجه » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « مرفوعاً » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

(٣) في الأصل : « ألفاظاً » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

* الوافي : ٣٧٢/٣ ، وفيه : « المجد بن إبراهيم » ، والدُّرر : ٤٦٢/٣ ، والشذرات : ١١٦/٦ ، وذيول العبر : ١٩٨ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٣/٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٩/١٤ .

(٥) زيادة من (س) ، والوافي ، والدُّرر .

ولم يكن يقبل لأحد شيئاً البته . وتحيَّل الناس عليه في مثل هذا فحالما علم به ردّه بغته .

ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى خالقه على سداد ، وسكن لحده إلى يوم المعاد .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

كان يحكي[١] عجائب يحار لها السامع من إحضاره الأطعمة الكثيرة للواردين وكلّ من حضر وخطر بباله في الطريق قبل وصوله إليه شيء من المآكل الغريبة أحضره إليه ووضعه قدّامه على الخصوص ، وكان مقامه بقرية منية مرشد بالقرب من بلد فوّه بالديار المصريّة .

تحيَّل السلطان الملك الناصر محمد وجهَّز له[٢] مع الأمير سيف الدِّين بكتمر الساقي جملة من الذهب ، فغالطه في قبولها ودسَّها معه في مأكول جهَّزه معه إلى السلطان . وحجَّ في هيئة كبيرة وتلامذة .

أنفق في ليلة ما قيمته ألفان وخمس مئة درهم ، وقيل : إنَّه أنفق في ثلاث ليال ما قيمته ألف دينار ، وكان يأتيه الأمراء الكبار ومن دونهم الفقراء ، فيقوم بخدمتهم على أتمِّ ما يكون ، وقلَّ من أنكر عليه[٣] ، فاجتمع به إلاّ وزال ذلك من خاطره . وكان شيخنا فتح الدِّين بن سيِّد الناس ممن ينكر حاله ويشنِّع عليه ، فما كان إلاّ أن اجتمع به ، فسألته عنه ، فقال : هو إنسان حسن . ثم إنَّه اجتمع به مرّة ومرّة ، وكذلك الأمر ناصر الدِّين بن جنكلي كان ينكر عليه واجتمع به ، وجرى بينهما تنافس في الكلام ، ولم يجئ من عنده إلاّ وقد رضي به .

---

(١) في الدُّرر : « يحكى عنه » .

(٢) (س) ، والوافي ، والدُّرر : « عليه وبعث له » .

(٣) في (س) والوافي : « عليه حاله » .

وأخبرني جماعة مِمَّن توجّه إليه وأقام عنده أنَّ في مكانه مسجداً ومنبراً للخطيب يوم الجمعة ، وكان يأمر الناس بالصلاة ، ولم يصلِّ مع أحد ، وصلاة الجماعة لا يَعْدِلها شيء . وأمره غريب والسلام ، يتولَّى الله سريرته[١] .

وكان قد عظم شأنه ، ويكتب الأوراق إلى دوادار السلطان ، وإلى كاتب السِّرِّ ، وإلى من يتحدث في الدولة بقضاء أشغال الناس بعبارة ملخَّصة موجزة على يد من يتقاضاه ذلك ، ويقضي جميع ما يشير به ، وما عَظُمَ واشتهر في الديار المصرية إلاّ بتردد القاضي فخر الدين ناظر الجيش إليه ، فإنه كان يزوره كثيراً ، فعظم لذلك محلُّه في النفوس .

وبات في عافية ، وأرسل إلى الذين من حوله[٢] ليحضروا إليه فقد عرض أمرٌ مهم ، فأتوه ، فدخل خلوته وأبطأ ، فطلبوه فوجدوه ميتاً في التاريخ المذكور .

والحكايات في شأنه تزيد وتنقص إلاّ أنه لا يدّعي شيئاً ، ولم يُحفظ عنه شطح ، حسن العقيدة ، شافعي المذهب ، وكان يُخرِج إلى الواردين أطعمة كثيرة من داخل مكانه ، ولا يدخل إلى ذلك المكان أحد سواه .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي الأمير الوزير مغلطاي الجمالي رحمه الله تعالى ، قال : توجهت إلى زيارة الشيخ محمد المرشدي ، فلَمّا قربت منه اشتهيت قحيّة بلبن حليب بلحم رميس ، فلَمّا وصلنا جاء ومعه زبدية كبيرة فيها قحيّة بلبن حليب بلحم رميس[٣] ، وقال لي : كُلْ . ثمَّ بقي يغيب ويأتي بأشياء أُخَر ويضعها قدام مماليكي ، وكلّما أتى بشيء إلى واحد منهم تعجَّب منه ويقول : أنا والله كنت اشتهيته ، وأحضرَ أكثر من عشرين لوناً ما يطبخ إلاّ في مطبخ السلطان .

---

(١) في (س) والوافي : « سيرته » .

(٢) (س) والوافي : « إلى القرى التي حوله » .

(٣) (س) : « خروف رميس » .

قال : وحكى لي شهاب الدّين أحمد بن مليح الإسكندري بالإسكندرية ، قال : نويت زيارة الشيخ محمد في نفسي . وقلت : لعلّي أصادف عنده هيطليّة بسمن وعسل آكل منها . فجاء كتاب وكيل الخاص باستعمال حوائج السلطان ، فعاقني عمّا عزمت عليه ، فلم يمضِ غير يومين أو ثلاثة وإذا أنا برجل قد أتاني من عند الشيخ ، وقال : الشيخ يسلّم عليك وقد بعث لك هذا السمن والعسل ليعمل لك هيطليّة وتأكل بها ، ولو كانت تحمل إليك لبعث بها .

قال : وقد زعم قوم أن هذه الكرامات إنما كانت بصناعةٍ مُقَرَّرة بينه وبين قاضي فوّه فإنهما كانا روحين[1] في جسد ، وكان قد تحصَّن بالشيخ ، فلا يقدر قاضي القضاة ولا أحد على عزله ، وطال ذيله ، وأكثر من تسجيل البلاد والتجارة ، والولاة ترعاه إمّا لاعتقاد في الشيخ أو لرجاء العناية من الشيخ بهم عند الدولة . فنمت أمواله ، وصلحت حاله ، واتسعت دائرة سعادته ، ولم يبق له دأب إلاّ يلقى من يصل من ذوي الأقدار قاصداً زيارة الشيخ ، لأن فوّه طريق مُنية مرشد ، فإذا وصل الزائر أنزله وأضافه وشرع في محادثته ومحادثة من معه حتى يقف على ما في خواطرهم وما يقترحونه ، ثمَّ إنَّه يبعث إلى الشيخ بذلك على دوابّ مُرَكَّزة في الطريق بينهما ويمدّه من الأصناف بما لعلَّه لا يكون عنده ، ويعطيه حليَة كلّ رجل من المذكورين واسمه .

قلت : هذا فيه بعدٌ إلى الغاية ، وهذا يريد أموالاً كثيرة ينفقها القاضي أولاً على الزائرين ، ثمَّ إنَّه يجهِّز إلى الشيخ بما يطعم به زوّاره ثانياً . ولعلَّ الذي كان يشتهي المأكول أو المشروب يشتهيه بعد فراق القاضي في نفسه ، فمن أين يعلم الشيخ بذلك أيضاً[2] ؟ فما كلٌّ من قصد الشيخ يعمل طريقه على فُوّه ويجتمع بالقاضي .

---

(١) في الأصل : « زوجين » ، وأثبتنا مافي (س) .

(٢) في (س) : « وأيضاً » .

واستفاض[١] أنّه ما راح أحد وتمنّى شيئاً يأكله أو يشربه إلاّ وجاءه الشيخ به .

وكان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أسمر مبدناً ربعة[٢] من الرجال ، حسن الشكل ، منوّر الصورة ، جميل الهيئة ، حسن الأخلاق .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ وقد قارب الستين . وكان يفتي من يسأله من غير أن يكتب خطّهُ .

١٦٣١ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسين*

ابن علي بن عبد الله الزرزاري[٣] الإربلي الدمشقي ، قاضي القضاة العلاّمة شهاب الدّين أبو الفرج وأبو عبد الله بن الإمام مجد الدّين .

سمع من ابن أبي اليُسر ، ومظفر بن عبد الصَّمد بن الصائغ ، والفخر علي ، وابن أبي عُمَر ، وأبي بكر [بن][٤] الأنماطي ، وابن الصابوني ، وعبد الواسع الأبهري ، والنجم بن المجاور ، وابن الواسطي ، وابن الزين ، وابن بلبان ، وغيرهم .

وكتب الطباق ، وسَمع كثيراً ، وأفتى ، ودرس ، وجوَّد العربية والفقه . وكان في الشروط آية ، وفي معرفة الأحكام ونقضها وإبرامها غاية . وكان في المكارم لا يجارى ، وفي الجود[٥] لا يبارى ، وله على الناس خدم ، وفي المروّة رسوخ قَدَم . ينظر في المكتوب نظرة واحدة فيعرف فساده من صلاحه ، ويزيل منه واواً أو يزيده ألفاً فيأتي

(١) (س) : « وقد اشتهر واستفاض » .

(٢) (س) : « رفعة » ، تحريف .

* الوافي : ٣٧٣/٣ ، والدُّرر : ٤٦٧/٣ ، وذيول العبر : ٢٠١ ، والبداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٤/٩ .

(٣) في الأصل : « الزرزالي » ، وفي الوافي : « الزدزاي » ، تحريف ، وفي البداية : « الرازي » ، وزِرْزا : قرية من الصعيد الأدنى . (معجم البلدان) .

(٤) زيادة من (س) والوافي والدُّرر .

(٥) (س) : « في الكرم ... وفي جود » .

بالمراد على اصطلاحه . ولي قضاء القضاة بدمشق بعد ابن جملة[١] فلم يحمد ، وعاد طرف الدِّين به وهو أمْدَ .

ولم يزل على حاله إلى أن انهدم ابن المجد ، وأهلك نفوس ذويه عليه من الألم والوجد .

كان أولاً ينوب في وكالة بيت المال عن القاضي جمال الدِّين والقاضي علاء الدِّين ابن القلانسي ، ثمَّ إنَّه انفرد بالوكالة في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ثمَّ ولي قضاء القضاة بعد ابن جملة ، ولبس تشريفه لذلك اليوم في يوم الأحد ثامن عشري القعدة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة . ولم يزل به إلى أن عزل من باب السلطان بقاضي القضاة جلال الدِّين القزويني ، ولم يُعْلَم ، ثمَّ إنَّه توجَّه إلى القاضي شهاب الدِّين بن القيسراني يهنِّئه بكتابة السِّرّ ، فنفرت به البغلة عن حمام الخضراء فَرُضَّ دماغه ، فحمل في محفَّة إلى العادليّة .

ومات بعد أسبوع في آخر جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة ، ولم يعمل له عزاء . وأُوذي أصهاره .

أنشدني من لفظه لنفسه شمس الدِّين مُحَمَّد الخياط الشاعر :

بغلةُ قاضينا إذا زُلْزِلَتْ ... كانَت لهُ مِن فوقِها الواقِعَة
تَكاثُرٌ ألْهاهُ مِن عُجْبِهِ ... حتّى غَدا مُلْقى على القارِعَة
فَأظْهَرَت زَوْجَتُهُ عِندَها ... تَضايُقاً بالرَّحْمَةِ الواسِعَة[٢]

وكتب إليه الشيخ جمال الدِّين مُحَمَّد بن نباتة[٣] :

---

(١) هو يوسف بن إبراهيم بن جملة الدمشقي (ت ٧٣٨ هـ) . النجوم الزاهرة : ٣١٧/٩ .
(٢) في الأصل : « روحه » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والدُّرر ، والنجوم .
(٣) ليست في ديوانه .

قـاضي القُضـاةِ ابـقَ في سَماءِ عُـلاً مُقتبِـلَ السَّعـدِ نـافِـذَ الْحُكْمِ
كَم مِن صَديـقٍ قـد جـاءَ يَسْـأَلُني في البِرِّ والْمَكْرُمـاتِ والْحِلْمِ
عن ابن صَصْرى وعنـكَ. قلتُ لـهُ: لا فَرْقَ بينَ الشِّهـابِ والنَّجْمِ

١٦٣٢ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن عمر*

الشيخ الإمـام العـلاّمـة الخيِّر الـورع زين الـدِّين بن علم الـدِّين ابن الشيـخ زين الدِّين بن المرحّل الشافعي . هو ابن أخي الشيخ صدر الدِّين بن الوكيل .

رَبي على طريق خيرٍ [وسلامـه][(١)] ، ونشـأ في صـون وعفـاف لم يلحقـه في ذلـك سآمـه ، يلازم الاشتغـال ليلاً ونهـارا ، ويكرِّر دروسـه في [كلِّ][(٢)] وقت مرارا . وكان من أحسن الناس شكلا ، وأبهجهم وجهاً ، كأنَّ البدر منه تجلَّى .

وكان قد جَوَّد الفقه والأصول وتوفَّر عنده منهما المحصول .

وأما العربيّة فكان فيها ضعيفا ، ولم يسمع الناس له فيها صريفا .

وناب في الحكم بدمشق فَحُمِدَت سيرته ، وودَّ الناس ، لو دامت على ذلك جيرته .

ولم يزل على ذلـك إلى أن رحل ابن المرحّل إلى المقـابر وعُـدَّ بعـد أن كان موجـوداً في[(٣)] الغوابر .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

---

* الـوافي : ٣٧٤/٣ ، والبـدايـة والنهـايـة : ١٨١/١٤ ، ووفيـات ابن رافـع : ٥١/١ ، والـدُّرر : ٤٧٩/٣ ، والشَّذرات : ١١٨/٦ ، والدّارس : ٢١٣/١ عن الوافي ، وذيول العبر : ٢٠٣ .

(١) زيادة من (س) .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان عمّه الشيخ صدر الدّين رحمه الله تعالى يحسده ، ويقول : لا إله إلا الله ابن الجاهل طلع فاضلاً [وابن الفاضل طلع جاهلاً][1] يعني بذاك ابنه .

وكان قاضي القضاة شمس الدّين بن الحريري عيّنه للقضاء وأشار به على السلطان إما لقضاء [مصر][2] أو لقضاء الشام ، ولم يكن فيه ما يمنعه عن[3] ذلك غير صغر سنّه . وجهزه السلطان على البريد إلى دمشق وولاّه تدريس الشاميّة البرّانيّة[4] عوضاً عن الشيخ كمال الدّين بن الزملكاني ، فوصل إليها يوم الثلاثاء تاسع[5] عشري شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وكان الناس قد أوهموا الأمير سيف الدّين تنكز ووصفوه بالدين المتين ، فلما جاء كان في الميدان ، فلما رآه ترجل له وجاء وقبّل يده ، فنزل بذلك من عينه[6] .

وأخبرني جماعة أن دروسه لم تكن بعيدة عن[7] دروس الشيخ كمال الدّين لفصاحته وعذوبة ألفاظه .

وباشر نيابة الحكم عن قاضي القضاة علم الدّين الأخنائي بدمشق في الحادي والعشرين من صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

١٦٣٣ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد الأموي المروي*

الشيخ الأديب محبّ[8] الدّين أبو عبد الله المغربي المعروف بابن الصائغ .

---

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) زيادة من (س) والوافي .

(٣) (س) : « من » .

(٤) انظر ، البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .

(٥) (س) : « سابع » .

(٦) في الأصل : « فترك بذلك عن عينه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) (س) : « في » ، والوافي : « من » .

* الوافي : ٣٧٥/٣ ، والدُّرر : ٤٨٤/٣ ، والشّذرات : ١٦٥/٦ ، وفيه : « المرّي » .

(٨) (س) : « مجير » ، تحريف .

رأيته بالقاهرة مرات ، واجتمعت به في دروس شيخنا العلاّمة أثير الدِّين وغيرها . وسمعت أنا وهو (صحيح) البخاري بقراءة الشيخ شهاب الدِّين بن المرحّل النحوي على الشيخ فتح الدِّين وأخيه بالقاهرة[١] أبي القاسم بالظاهرية بين القصرين ، فكان هذا الشيخ محب[٢] الدِّين يأتي بفرائد في أثناء السماع مما يتعلّق بالعربية الغريبة واللغة .

وكان يعرف العروض معرفة تامّه ، ويجيد الكلام على غوامضها الخاصّة والعامّه .

وأما العربيّة فكان عنده لبابها ، ولديه تجتمع أبوابها ، ذهنه الخارق[٣] فيها كالنار إذا توقَّدت ، وحلّها بيده إذا تَعَقَّدت .

وشعره فائق جزل ، يسلك به طريق[٤] الجدّ لا الهزل ، أنشدني منه كثيرا ، وحباني منه لؤلؤاً نظيماً ونثيرا . وكان يعاني اللعب بالعود[٥] ، ويُطيب وقته بالأماني والوعود .

ولم يزل على حاله إلى أن سكت المحبّ فما نبس ، وصحَّ عنده من أمر الموت ما التبس .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان قد كتب إليَّ وأنا بالقاهرة :

صلاحَ الدِّينِ يا ربّ المقالِ ... ويا تِربَ المعاني والمعالي
تَصدَّق لي بصَرْفِ زَكاةِ جاهٍ ... فَفيها إن أرَدْتَ صلاحُ حالي[٦]

(١) ليست في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) (س) : « مجير » ، تحريف .
(٣) ليست في (س) .
(٤) ليست في (خ) .
(٥) (س) : « وكان يلعب بالعود » .
(٦) (خ) : « فقيهاً » ، تحريف .

فكتبت جوابه مع شيء أهديته إليه :

محبّ الـــدِّين في الآداب شيـــخٌ نـــوى لي أن يعرّضَ بـــالنّـــوالِ
إذا مـــا الجـــاهُ لم أكُ فيـــهِ وَجْهـــاً فمـــالي لا أجـــودُ بفَضـــلِ مـــالي

وأنشدني من لفظه لنفسه يمدح القاضي نجم الدِّين محمد بن محمد الطبري قاضي مكة ، وقد أنشده القاضي خمسة أبيات على هذا الوزن والروي ، وستأتي في ترجمة المذكور إن شاء الله تعالى :

شَرع الهَوى هُوني لعـزّةِ جـاهـك فَارْثِي لِـذِلَّـةِ مَـوْقِفي بِجـاهـك[١]
رِقّي لجسمٍ رَقَّ مِن دَنَفِ الهَـــوى وشَفـاهُ مـا تَحْويـهِ حُـوّ شِفـاهـك[٢]
لا تعجبي إن ذبت شـوقـــاً واعجبي أنْ ليسَ إلاّ سقم طَرفك نـاهـك[٣]
وَسَنٌ نفى وَسَني فنِمتُ ولم أنم ماليلةِ السّاهي كليلِ السّاهـك[٤]
بَطحـاء وادي الأثـلِ لـولا تيهها ونِفـارُهـا مـا حُمْتُ في أتيـاهـك
ولَمَـا وخَـدْت بهـا شَـوازب ضمّراً أوردتهـا عَشراً ثِغـاب ميـاهـك[٥]
بُدِّلت سِدْرَك بـالسَّدير ومـا حوى ونفـائـح النِّسرين فيحُ عِضـاهـك
وهجرت طيبَ كرىً وواصلتُ السُّرى بمَشَقَّـةِ التَّهجيرِ في إدمـــاهـــك[٦]
أدعـوا بسعـــدى أينَ يُمن سَراي إذ أكرهتم وعفّفت عن إكراهـــــك[٧]

---

(١) (س) : « فادني لذلة » .
(٢) في الأصل : « حلو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٣) في (س) ، (خ) ، والوافي : « ذبت سقماً » .
(٤) الساهك : الرّمد .
(٥) في الأصل : « بغاب » ، وفي (س) : « ثواب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، والثغاب : أكثر الماء للتبقي في الوادي .
(٦) في الأصل : « هوى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي . والدمه : شدة حر الرمل .
(٧) في الأصل : « كرهتم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

نَصبـــوا عليّ رِحـــــاضهم لكنَّهم ... شاهَت وُجوهُهم لِصَوْلـةِ شـاهـك
جُبْتُ الشِّعـابَ وآلَ شعبـة عنـدمـا ... سَـدَل الظَّـلام رِداءَهُ برداهـــك [١]
أعْشـــو إلى حلي التّرائبِ خِفيَـــةً ... إذا غَمَّضَ الأترابُ عن أفكاهـــك
ادني اللجين لعسجـــديّ شـــاحبٍ ... صدئ الإهابِ بما اكْتَساهُ ساهـك [٢]
اسقي عِهاد الـدَّمع عَهـداً بـاللّوى ... أنسيتـــهِ لشفـــاي لا لشفـــاهـــك
زَمنـــاً أُرَدِّدُ آهـــة المشغـوفِ من ... حُرَقي فيحيكيني ترجُّـــعُ آهـــك
أنضـارتي اشتعـلَ المشيبُ فـأنضبت ... شُعَـلَ الحشـا مـا راقَ من أمـواهـك
ينهى وينهكني مشيبٌ صُنْتـــــه ... ولمـا عرفت بصـونِ نـاهٍ نـاهـك
حُلُك المفـارق قـد تنفس صبحـه ... يا نفس هبِّي من كَرى استعماهك [٣]
يَستَبْـــدِهـونـــك للنَّسيبِ فشرِّفي ... بشريفِ مكَّـةَ منتـجِ استبـداهـك
قـاضي الشريعـةَ والمقيم منـارَهـا ... حيثُ المقـــامُ وحيثُ بيت إلهـــك
بُلّـدت في جوبِ البـلادِ ومَـدْحـه ... يشفي فينفي تهمـة استبـلاهـــك
لـــولاه أوشكت الخمـول فـــلازمي ... شكرَ الـذي سنّى لقـاهُ لقـاهـك
يـــا خيرَ أرضِ الله قَـد رضِيَ النّـوى ... رَجُـلٌ ثَـوى فـــأوَى إلى أوّاهـــك
القطب نجم الـدِّين إشراق الـدُّنـا ... معنى العُـلا أسنى وجـوهِ وجـاهـك
مَنْ إن تَشـابَهَت الوُجـوهُ أقُـلْ لهـا ... من بعد هـذا الـذهن لاستشباهـك [٤]
إن يخف مَعنـاكِ السَّقيم فعـامـل ... بصحيحِ حكمتـهِ على أفقـاهـك [٥]
روّى الحـديث فروّيت سـاحـاتهـا ... يـا سحب إذا حُلّت عُرا أفـواهـك [٦]

---

(١) في الأصل : « برادهك » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « بعسجدي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٣) (خ) : « حلل » ، تحريف .
(٤) (س) : « تشابهت الرموز » .
(٥) (س) : « فعائل » . وفي الأصل : « تصحيح » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٦) في (س) ، (خ) ، والوافي : « ساحاتها » .

غَيثاً أغاثك يا حجاز بدُّره ... وجَلا هَوامدَ أغْبَرتْ بجلاهك
فاخضرَّ مَرعاكِ المبارك مُمْرِعاً ... والتفَّت البهمى بغَضِّ شباهك
جودي سماءُ يُمنّ دعوة من سما ... رُتبا يقلُّ لها انتعال جباهك
يا نفس إنَّك قد نُقهت من الغِنى ... ولقد غَنيت اليومَ في استنقاهك
هذا الجواد لما حوى يمناه في ... إفقار كيسِ المالِ أم إرفاهك [١]
يَسخو بما يوعى ويُطْبي ما يعي ... كم بينَ كنز نفيسةٍ ونفاهك [٢]
دارت رَحى الأيّامِ تَبغي جاره ... فأجارَه من كلِّ داءٍ داهك [٣]
أُمَّ القُرى قد جارَ مَن أمَّ القِرى ... بفِناءِ بُدْنِكِ كلَّها وشاهك
ناسبت غرّته وبيت نسيبه ... فأعدت ليس البدر من أشباهك
يا همّةً عن كلِّ همٍّ نُزِّهَت ... إلا العُلا دومي على استِنزاهك
لسموتَ حينَ سمهت في شأو العُلا ... أُفرِدْت فالأسماء في أسماهك [٤]
يا فِكرةً بَدهت بأبدعِ مُلحَةٍ ... ما أقربَ الإبداعَ من إبداهك
عرّضتها لمعارض لم يحكِها ... أنّى وقد لزمَت قوافيها هك

١٦٣٤ ـ محمد بن عبد الله بن الحسين*

ابن علي بن عبد الله بن عمر بن عيسى ابن أحمد بن حسن ، الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عفيف الدين أبو عبد الله ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي محمد الزرزَاري الإربلي الدمشقي .

---

(١) في (س) ، (خ) ، والوافي : « بما حوى أمناه » .
(٢) (خ) : « ويبطي » ، وفي الوافي : « ويظني » .
(٣) في (س) ، (خ) ، والوافي : « الأزمات » .
(٤) في الأصل : « أسموت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، وفي الوافي : « سهمت » .
* الدرر : ٤٦٨/٣ .

سمع من شيخ الشيوخ الأنصاري ، وإبراهيم بن خليل ، وجماعة . حفظ (التنبيه) ، ولمّا مات والده ولي تدريس الكلاّسة مُدّةً بعده . وكان إماماً بالقيمرية ، ثمّ انتقل عنها إلى الظاهرية .

حدث بالقاهرة ودمشق وبطريق الحجاز .

توفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شهر [ربيع][1] الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بحلب سنة خمسين وسبع مئة ، وأثنى الناس عليه عند موته كثيراً[2] .

١٦٣٥ ـ محمد بن عبد المجيد بن عبد الله*

القاضي سعد الدين بن فخر الدين [بن صفيّ الدين][3] ابن الأُقْفَاصي .

كان قد ولي نظر الخزانة بمصر ، ولمّا توجه السلطان الملك الناصر[4] إلى الكرك في سنة ثمان وسبع مئة توجه صحبته ، وأظهر هناك شرّاً كثيراً وعَسفاً .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة أربع عشرة وسبع مئة في ثامن عُشري [ذي][5] الحجة .

كذلك[6] يقال في ألسنة العوام : « الأقفاصي »[7] ، وإنما هو الأقفهسي ، بهمزة

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) (س) : « ثناء كثيراً » .

* الوافي : ٢٦/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٧ ، والدرر : ٢٧/٤ .

(٣) زيادة من (س) والوافي ، والتالي .

(٤) (س) والوافي : « الناصر محمّد » .

(٥) زيادة من الوافي .

(٦) (س) : « كنا » .

(٧) (س) : « ابن الأقفاصي » .

مفتوحة وقاف ساكنة وفاءٍ مفتوحة وبعدها سين مهملة ، نسبة إلى أَقْفَهْس ، وهي قرية من قرى مصر[٢] .

١٦٣٦ ـ محمد بن عبد المجيد بن أبي الفضل*

ابن عبد الرحمن بن زيد[٣] الحنبلي ، الشيخ الفقيه الإمام[٤] المفتي بدر الدين أبو عبد الله .

كان فاضلاً صالحاً مسجلاً ، ليس في بلده له نظير ، وكان يكتب الإسجالات[٤] والشروط كتابة مليحة خطّاً ولفظاً .

ويفتي الناس ويقرئهم[٥] .

توفي رحمه الله تعالى تاسع شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٦٣٧ ـ محمد بن عبد المحسن بن الحسن**

شرف الدين الأرمنتي ، قاضي البهنسا .

كان فقيهاً نحوياً شاعراً ذكياً[٦] كثير الاحتمال ، أريباً باذلاً للنوال . بنى مدرسة ورباطاً ومسجداً بالبهنسا . ورسخ بذلك قدَمَه في الخير ورسَا .

---

(١) بالصعيد ، (معجم البلدان) .

* الدرر : ٢٧/٤ .

(٢) في الأصل : « يزيد » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

(٣) في الأصل : « الإمام الفقيه الإمام » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) الإسجال : الكتابة أو التسجيل .

(٥) (س) : « يقربهم » .

** الوافي : ٣٠/٤ ، والطالع السعيد : ٥٣٩ ، والدرر : ٢٧/٤ .

(٦) (س) والوافي : « ذكياً لبيباً » .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه حتفه ، ورُغِمَ بالموت أنْفُه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وسبعين وست مئة .

وكان قد قرأ الفقه بالصعيد على خاله سراج الدين يونس بن عبد المجيد الأرمنتي[١] ، وتأدَّب به ولازمه ، وأقام بمصر سنين يشتغل بها مع خاله ، [إلى أن ولي خاله][٢] فسار معه وتزوج ابنته ، وكان ينوب عنه حيث كان ، وكان قد عُيّن شرف الدين المذكور لقضاء الإسكندرية ، وطُلَب إلى القاهرة [فحضر][٣] جمعٌ كبير من أهل البهنَسَا وأظهروا الألم لفراقه ، وسألوا القاضي جلال الدين القزويني ألاّ يغيره ، فأعفاه ، ورجع إلى البهنسا . ثم إنه عُيّن لقوص ، فلم يوافق ، ومات رحمه الله تعالى ولم يُعْقب .

وقال القاضي كمال الدين الأدفوي : أنشدني كثيراً من شعره ومنه :

جز بسفح العقيق وانشق خزامَه ... وفؤادي سَلْ عنه إن رُمت رامه
وإذا ما شهدت أعلام نجد ... وزرود وحاجر وتهامَه
صف لجيرانها الكرام بيُوتاً ... حالة الصبِّ بعدهم وغرامَه
وترقق لهم وسَلْهُم وصالا ... وقل الهجرُ والصدود علامه ؟[٤]
عَبدكم بعدكم على الودّ باقٍ ... لم يغير طولُ البعَاد ذمَامَه
يا كرام النصاب إنا نراكم ... حيث كنتم بكلّ حيّ كرامَه[٥]

---

(١) (ت ٧٢٥هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .
(٣) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .
(٤) في الدرر : « وترفّق بهم » .
(٥) الطالع السعيد : ٥٤٠ .

قال : وأنشدني لنفسه يجمع « العَبادلة » :

إن العَبـادلـة الأخيـار أربعـة ... مناهج العلم في الإسلام للنـاس[١]
ابن الـزبير وابن العـاص وابنُ أبي ... حفص الخليفـة والحبر ابن عبّـاس
وقـد يضـاف ابنُ مسعـود لهم بـدلاً ... عن ابن عمرٍو لـوهْمٍ أو لإلبـاس[٢]

وقال : حكى لي أن بعض عدول البهنسا حكى له أنّ امرأة حضرت مع زوجها إلينا لنُوقع بينهما الطلاق ، فرأيناه لا يشتهي ذلك ، فكلمناها ، فلم تقبل ، فاوقعناه ، فالتفت إلينا وأنشدت :

لمّـا غـدا لأكيـد عَهْـدي نـاقضـاً ... وأراد ثـوبَ الـوصـل أن يتمـزّقـا[٣]
فـارقتـه وخلعت من يـده يـدي ... وتلـوت لي ولَـهُ ﴿ وإنْ يتفرَّقـا ﴾[٤]

١٦٣٨ ـ محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن*

ابن عبـد الغفـار ، الشيخ الفـاضل الواعـظ المسنـد المعمّر ، مسنـد الوقت ، عفيف الدين أبو عبـد الله الأزَجي البغـدادي الحنبلي الخرّاط ، والـده الـدواليبي شيخ الحـديث بالمستنصرية .

سمع سنة أربع وأربعين من ابن الخيّر إبراهيم[٥] ، وابن العلّيق[٦] ، وابن قُمَيْرة[٧] ،

(١) في الوافي : « الأحبار » .
(٢) الطالع السعيد : ٥٤١ .
(٣) في الأصل : « الصبر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .
(٤) ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِن سَعَتِهِ ﴾ [النساء : ١٣٠/٤] .
* الوافي : ٢٨/٤ ، والدرر : ٢٧/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٤/٩ ، والشذرات : ٨٨/٦ ، وذيول العبر : ١٥٦ ، ووقع في الأصل « ابن عبد القادر » ، وأثبتنا ما في (س) وبعض المصادر الأخرى .
(٥) في الأصل و(س) : « ابن أبي الخير إبراهيم » ، وأثبتنا ما في الوافي . وهو إبراهيم بن محمود بن سالم (ت٦٤٨ هـ) ، السير : ٢٣٥/٢٣ ، والعبر : ١٩٨/٥ .
(٦) هو الأعز بن فضائل البغدادي ، ابن العليق . توفي سنة (٦٤٩هـ) ، العبر : ٢٠٢/٥ .
(٧) هو يحيى بن أبي السعود (ت٦٥٠هـ) ، العبر : ٢٠٦/٥ .

وأخيه يحيى ، وعبد الملك بن قينا[١] ، وأحمد بن عمر الباذبيني ، وعجيبة الباقداريّة[٢] ، وطائفة أخرى ، وسمع (المسند) كله بفَوتْ ، و (صحيح مسلم) ، وانتهى علوّ الإسناد إليه .

كان يقولُ : حفظت (اللمع) في النحو و (مختصر الخَرقيّ) .

وحجَّ غير مره . وَوَعظ بكلاّسة دمشق ، وسمع منه شيخُنا الذهبيّ بالعُلا[٣] وغيرها ، وكان حَسَن المحاضرة ، طيّب الأخلاق ، أخذ عنه الفرضي وابن الفوطي ، وشيخنا البرزالي ، وصفيّ الدين بن الخطيب ، وسراج الدين القزويني ، وشمس الدين بن خلف ، وأخوه منصور ، وعفيف الدين المطري ، وخلق سواهم .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الخميس ، ودفن يوم الجمعة خامس عشري جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة [ببغداد][٤] .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

ومن شعره :

كم قد صفت لقلوب القوم أوقاتُ ... وكم تقضّت لهم باللّيل لذّات
فالليلُ دَسكرةُ العشّاق يجمعُهم ... ذكر الحبيبُ وصِرف الدمع كاسات[٥]
ماتوا فأحياهم إحْيَاء ليلهمُ ... ومن سواهم أناسٌ بالكرى ماتوا[٦]
لمّا تجلّى لهم والْحُجْبُ قَدْ رُمغت ... تهتكّوا وصَبَتْ منهم صَبابات

(١) في ذيول العبر : « قيبا » .
(٢) عجيبة بنت الحافظ محمد بن أبي غالب الباقداري (ت٦٤٧ هـ) ، الشذرات : ٢٣٨/٥ .
(٣) اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام ، نزله رسول الله ﷺ في طريقه إلى تبوك . (معجم البلدان) .
(٤) زيادة من (س) .
(٥) الدسكرة : بيت يكون فيه الشراب واللهو .
(٦) في الأصل : « للكرى » ، وأثبتنا ما في (س) .

وغيبّتهم عن الأكـــوان في حُجُب ... وأظهرت سرّ معنـــاهم إشـــاراتُ
شـافي القلُوب هـو المحبـوب يشهـده ... صبٌ لـه بقيـام الليـل عـادات[١]
إذا صفـا الوقت خـافـوا مِن تكـدُّرِهِ ... وللـوَصـــال من الهجران آفـــاتُ

وكان ينظم المواليّا والكان وكان[٢] .

١٦٣٩ ـ محمد بن عبد المحسن*

القاضي قطب الدين أبو عبـد الله بن مجـد الـدين بن تقيّ الـدين السبكي ، قـاضي حمص .

مولده سنة أربع[٣] وثمانين وست مئة .

وتوفّي رحمه الله تعالى بدمشق بعدمَـا نزل[٤] عن القضـاء بحمص ، وكان قـد وليهـا في سنة تسع[٥] وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل[٦] إلى أن ولي بعلبـك في سنـة ثلاث وستين وسبع مئـة [فـأقـام بهـا مـديـدة يسيرة ، ثم عـاد إلى حمص ، وحضر إلى دمشق في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وسبع مئة][٧] وحصل لـه ضعف انقطع بـه إلى أن توفي في بكرة الجمعة مُستهل جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة ، ودفن بالصّالحية .

---

(١) في الأصل : « ساقي القلوب » ، وأثبتنا ما في (س) ، ولعلّها أشبه .
(٢) في (س) : « كان » بلا واو ، وهو أحد الأنواع الشعرية المستحدثة .
* البداية والنهاية : ٢٩٩/١٤ وفيه : « حمد بن الحسن » . ووفيات ابن رافع : ٣٦٩/١ ، والـدرر : ٢٨/٤ ، وذيول العبر : ٣٥٩ .
(٣) في ذيول العبر : « ست وثمانين » .
(٥) في الأصل : « ترك » وأثبتنا ما في (س) .
(٥) في ذيول العبر : « سبع » .
(٦) في (س) : « يزل بها » .
(٧) زيادة من (س) .

وكان كثير السكون والميل إلى المـوادعـة والركـون ، لا يتحـدث فيما لا يعنيـه ، ولا يؤسس الشر ولا يَبْنيـه . وكان شيخنـا قـاضي القضـاة تقيّ الـدين السُبكي رحمـه الله تعالى يركن إليه ويعتمد عليه .

وروى عن ابن الحبوبي[١] ، وعلي بن محمد بن هارون الثعلبي[٢] وطائفة .

وكان قد تفقّه على الشيخ صدر الدين السبكي ، وأخبرني قاضي القضاة تـاج الـدين أبو نصر عبـد الوهـاب السبكي أنـه كان يستحضر من (الحـاوي)[٣] جملـة كبيرة ، وكان كثير التلاوة رحمه الله تعالى .

١٦٤٠ ـ محمَّد بن عبد الملك بن عمر*

الشيخ الإمام الزاهد القدوة شرف الدين الأرزوني .

كان شيخاً مشهوراً بالصلاح ، تامَّ الشكل ، أسمر ، مهيبـاً جليلاً قليل الشيب مليح الهمّة والعمّة والشيبة والبزّة[٤] ، صاحب سمت وهدى ووقار .

صحبَ الكبار وتعبد وانقطع [سنة ست وتسعين وست مئة][٥] .

١٦٤١ ـ محمد بن عبد الملك بن إسماعيل**

الأمير الملك الكامل ناصر الدين ابن الملك السعيد بن السلطـان الملـك الصـالح ابن

(١) إبراهيم بن علي بن محمد ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « علي بن محمّد بن محمّد ... » ، سهو ، وقد سلفت ترجمته ، وفي ذيول العبر : « التغلبي » .

(٣) (س) : « الحاوي الكبير للماوري » ، وانظر : الكشف ٦٢٨/١ ، وتوفي الماوري سنة (٤٥٨ هـ) .

* الوافي : ٤٥/٤ ، والدرر : ٣٢/٤ .

(٤) (س) : « مليح العمّة والبزّة » ، ومثله في الوافي .

(٥) زيادة من الوافي .

** الـوافي : ٤٦/٤ ، والبـدايـة والنهـايـة : ١٣٠/١٤ ، والـدرر : ٣١/٤ ، وذيـول العبر : ١٥٣ ، والنجـوم الزاهرة ، ٢٦٩/٩ .

العادل الأيوبي سبط السلطان الكامل وابن خالة صاحب الشام الناصر يوسف وابن خالة صاحب حماة .

حدّث عن ابن عبد الدايم .

كان من أمراء دمشق الأكابر في الطبلخاناة ، وكان ذكياً خبيراً بالأمور ، بصيراً بالورود في القضايا والصدور [يُعَدّ في رؤساء الأمراء وسادة الصدور ، ويجلس من المحافل الكبار في الصدور][1] ، ينبسط كثيراً مع لطافه ، وينخرط في التنديب إلى سلك يزين عقوده من الزمان أعطافه ، ونوادره عديده ، وبوادره فيها عتيده ، لو عاصره أبو العَيناء[2] لقال هذا هو الإمام ، أو الجمّاز[3] قفز وناوله هذا الزمام . أو أبو العِبَر[4] لعثر ، أو أشعب الطمَع لسلا عمّا رأى وسمع .

كانت تقع له نكتٌ حارّه ، وتناديب إلى القلوب[5] سارّه ، هزّازة ، خلاّبه ، [بزّازة سلاّبه][6] .

ولم يزل يستدين ويُنفق ويستعين ممّن[7] لا يرفق إلى أن بهضهُ حمل الدين ، وصار منه بمنزلة القذى في العين ، وصار كلما نهض بهض[8] . وكلما نسخ رسخ .

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) محمد بن القاسم بن خلاّد ، أديب من الظرفاء (ت٢٨٣ هـ) ، وفيات الأعيان : ٥٠٤/١ ، والأعلام : ٣٣٤/٦ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمرو ، تحكي عنه نوادر ، وفيات الأعيان : ٧٠/٧ .

(٤) محمد بن أحمد ، له نوادر كثيرة (ت ٢٥٠هـ) ، فوات الوفيات : ٢٩٨/٣ .

(٥) (س) : « للقلوب » .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في الأصل : « عمّن » ، وأثبتنا مافي (س) .

(٨) في الأصل : « نهض » وفي (س) : « ربض » ، ولعل ماأثبتناه أقرب ، يقال : بهضه الأمر إذا شقّ عليه .

كخائض الوحل إذا طال العناء به فكلّما قلقلتــــهُ نهضــــةٌ رسَبَـــــا[١]

وأنجده الله أخيراً بالأمير سيف الدين تنكز فحجر عليه في إقطاعه ، وترك الصاحب شمس الدين يتحدّث له في مشتراه وابتياعه ووفاء ديونه وانتفاء غبونه . فصلحت حاله بعض الصّلاح . وما تقدر على الإمساك كف تعوّدت البذل والسّماح .

وبقي على حاله حتى فقده الوجود ، وترك العيون عليه بالدموع تجود .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وأوصى أن يُدفن عند أبيه بتربة الكامل فما مكّن ، ودفن بتربة جدتهم أم الصالح ، و [والدته][٢] وهي ربيعة خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمّد ابن السلطان الملك العادل أبي بكر .

وكان الملك المنصور صاحب حمَاة ابن خالته ، وكان الملك العزيز صاحب حلب مزوّجاً بخالته الأخرى .

كان أولاً[٣] من أمراء دمشق ، ثم نقل إلى حماة ، ثم أعيد إلى دمشق ، ولّما حضر إليها اجتمع بأصحابه ، فسألوه عن حماة ، فقال : أنا ما كنت في حماة بل كنت في الأردو ، يعني بذلك أن الملك المؤيد ابن خالته صاحب حماة يتكلم بالتركي .

وعاشر الأفرم ونادمه وأحبه كثيراً وقربه ، وكان لا يصبر عنه ، وكان يوما هو والشيخ صدر الدين بن الوكيل عند الأمير جمال الدين الأفرم وقد أحضر لهم على بكرة

(١) في الأصل : « العتاء » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) زيادة من (س) .
(٣) ليست في (س) .

سخاتير[١] صنعَها لهم وتأنق الطّباخون بها ، فقال الملك الكامل : يا شيخ أنا أحبّ السخاتير فقال صدر الدين: « حب الوطن من الإيمان »[٢] فانتكى الكامل منها ، وكان قد تقرر بينهم أنه من سبق وحضر إلى حضرة الأفرم يَركب الذي يجيء بعده ويدور في المجلس فتأخر الملك الكامل تلك الليلة إلى أن تحقق أن صدر الدين قد سبقه وجاء بعده ، فقال الأفرم : أيش أخّرك إلى هذا الوقت ، قم يا شيخ اركبه ، فقال : والله طيّب إن غبنا ما تذكرونا[٣] ، وإن جئنا تحمّلون علينا الكلاب ! فقال صدر الدين : يا خوند ما يضيع له شي ، استوفاها .

قلت : والشيخ صدر الدين أخذ تنديبتَهُ من قول نصير الدين الحمّامي ، أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدين اليعمري ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه النصير الحمامي :

رأيت شخصاً آكلاً كرشَةً ... وهو أخو ذوق وفيه فِطَنْ
وقالَ مَازلت محبّا لَهَا ... فقلت من الإيمان حبّ الوطن

ونقلت من خط[٤] الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم ، وأنشد فيه إجازةً:

أيها اللائمي لأكلي كُرُوشا ... أَتْقَنُوها في غاية الإتقان
لا تَلُمْني على الكروش فحبّي ... وطني من دلائل الإيمانِ[٥]

(١) السخاتير ، عامية : وهي نوع من الطعام يصنع من أمعاء الغنم ومعدته . معروفة في مناطق حمص وحماة بهذا .

(٢) يسخر منه ، إذ جعل أحشاء الماشية وطناً له .

(٣) في (س) ، والدرر : « تطلبونا » .

(٤) ليست في (س) .

(٥) في (س) والوافي ، زيادة : « وتوجه مرة مع الأفرم إلى الصيد ، فضرب الحلقة ، ولما فرغ أحضر على العادة كل أمير ما رماه من الصيد ، فقال له الأفرم : وأنت يا ملك ما رميت شيئاً ؟ قال : نعم ، رميت . قال : وأين هو صيدك ؟ قال : الكف الذي كان معلقاً في حياصتي رميته ، فضحك الأفرم والجماعة » .

وقيل له[١] : إن هلال رمضان ثبت البارحة ، فقال : من رآه ؟ فقالوا : مجد الدين الميت ، فقال : هذا ميت وفضولي ، ويخلط شعبان في رمضان .

وحضر عند الصاحب شمس الدين ليلة[٢] ، فلمّا أحضرت الحلوى وجاء البابا بالفوطة والماوردية ورشّ على يده ، فأخذ الماورد ومسَحَ به عينيه وقال : الحلوى رأيتها بعيني ، وأما بيدي فما لمستها ، لأن الصاحب كان قد أشغله بالحديث عنها حتى فرغت ، فضحك الصاحب وأحضر له حلوى تخصه .

وحكى لي الأمير شرف الدين حسين بن جندر قال : جرى الحديث بيننا يوماً في حضرة الأفرم ، فقلت المثل المشهور : « فقلت اصفعوني وردّوا شبابي » ، فقال : والله الأولى نقدر عليها الساعة والأخرى ما يقدر عليها إلاّ الله تعالى .

ونظر ولده يوماً في حضرة الأفرم وهو واقف قدامه إلى بعض الفقهاء وقد لبس بابوجاً أزرق ، فتعجب ولده من ذلك فقال : لا تعجب منه ، هذا نصراني مقلوب .

ووجدوه يوماً في الصيف وعليه فروة سنجاب ، فقالوا : يا مَلِك في الصيف بفروة ؟ فقال : أنا ما ألبس بالفصول ، إلا إذا بردت لبست الفروة .

وكان من أخص الناس بالشيخ كال الدين الزملكاني ، وكان إذا وقع بينه وبينه ركب فرسه ودار على أصحابه ومعارفه وقال : قد وقع بيني وبين ابن الزملكاني فلا تسمع فيّ ما يقول ، وكذلك يفعل الآخر .

ودخل إليه الأمير شرف الدين حسين بن جندر يعوده في مرضه ، وكان قد طُلب إلى الديار المصرية وأخذ معه ثلاث مئة درهم فقال : هذه برسم الطبيب ، فقال : بالله

---

(١) (س) والوافي : « له يوماً » .

(٢) في الوافي : « ليلة موعد » .

دعها تحت الطُرّاحة[١] لئلا يبصرها أرباب الدِّين ، وقال له يوماً : أمير[٢] شرف الدين ما نحنُ كلنا أولاد ناس ، فما أعلم من أين داخلت هؤلاء التتر وصرت منهم ، وما أعلم وَجْه المناسبة بينكم ، نعم دينك[٣] هو الذي يجمع بينكم .

وقلت أنا فيه :

الملكُ الكامل في سَعده ... نَقْصٌ وفيَ تَنْديبه قد كَملْ
كَبيت شعر نصفه سائر ... حُسناً وباقي لفظه قد خَملْ

وكان الملك الكامل قد باشر شدّ الأوقاف بدمشق وصار يولّي ويعزل ، فغضب ابن صَصَرى لذلك ، وترك الكلام في الأوقاف ، فصار الملك الكامل يصرف مال الأوقاف الحكمية بقلمه إلى أن وصل كتاب السلطان لقاضي القضاة ابن صصرى في أواخر شهر رجب الفرد سنة تسع وسبع مئة باستمراره على نظر الأوقاف ، فانشرح لذلك وتكلم على عادته في الأوقاف .

ولم يزل الكامل في شد الأوقاف إلى أن عزل بالأمير سيف الدين بكتمر المنصوري لما[٤] وصل الناصر من الكرك ، وكان الملك العادل كتبغا قد أمّره في المحرم سنة تسع وتسعين وست مئة لما كان بدمشق .

١٦٤٢ ـ محمّد بن عبد المنعم*

شرف الدين بن المعين[٥] المنفلوطي .

---

(١) في التاج (طرح) : « طرح له الوسادة ألقاها ، وطرحوا لهم المطارح : المفارش » .
(٢) في (س) : « يا أمير » .
(٣) (س) : « ذكرت دينك » .
(٤) في الأصل : « ولما » ، وأثبتنا ما في (س) .
* الدرر : ٣٣/٤ ، والشذرات : ١٣٢/٦ .
(٥) في الأصل : « المعيني » ، وفي (خ) : « المعتني » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

كان فقيهاً شافعياً ، أديباً شاعراً تَفَقَّه بالشيخ نجم الدين البالسي وغيره ، وقرأ الأصول على الشمس الْمُحَوْجَب[١] . وكان مقبولاً عند الحكام ، واختصر (الروضة) ، وتكلم على أحاديث (الْمُهَذَّب) وسَمَّاه (الطراز الْمُذَهَّب)[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومن شعره :

ما المليحة ما رَعَت حَقّ الإخا ... لحّبها يوماً ولم تَدْرِ السّخَا
أضحت رياح صدودها لحبّها ... نكداً عواصف بعدمَا كانت رَخَا[٣]
وعزيزة بالدَّل ظَلتُ لعِزّها ... متذللاً أبغي لديها مُنْتَخَا
سَفكت دمي عمداً وآيةُ سَفْكِها ... في الخدّ إذ أضْحَى به متضمّخا
كم أثبتت للصبّ آية صدّها ... منها أبَت لثبوتها أن تنسَخا

١٦٤٣ ـ محمّد بن عبد الوهاب بن عطية*

الفقيه المحدّث ناصر الدين الإسكندراني .

قال شيخنا الذهبي : صحبته بالثغر ، وسمعت بقراءته على الغرّافي ، وكان قارئ الحديث عنده بالأبزاريّة[٤] ويؤم بمسجد ، وكان ديّنا عاقلاً ، مليح الخط .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده في حدود الستين وست مئة .

---

(١) محمد بن يوسف بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) كشف الظنون : ١٩١٣/٢ .
(٣) في الأصل و (خ) : « بلدا » ، وأثبتنا ما في (س) .
* الوافي : ٧٧/٤ ، والدرر : ٣٦/٤ .
(٤) لعلّها منسوبة إلى : « أبزار » قرية بينها وبين نيسابور فرسخان (معجم البلدان) .

١٦٤٤ ـ محمّد بن عبد الوهاب بن عبد العزيز*

ابن الحسين بن الحَبّاب ، القاضي نجم[١] الدين المصري ، وكيل بيت المال بالقاهرة .

روى (جزء الحفّار) عن علي ابن مختار بن الْجُمّل[٢] ، وسمع أيضاً من جدّه وابن الْجُمَّيزي .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة[٣] أربع وعشرين وست مئة .

وكان موصوفاً بالأمانة والنزاهة ، وهو من بيت رئاسة في مصر .

١٦٤٥ ـ محمّد بن عبد الوهاب بن علي**

القاضي جمال الدين بن السديد الإسنائي .

نشأ في سعادة ورئاسه ، وسيادة ونفاسه . وكان له خَدَم ، وأتباع وحَشَم ، وكانت فيه صداره ، وعليه رونق من السعادة والنضاره[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى ... وسبع مئة[٥]

---

* لم نقف على ترجمته ، وأشار إليه في السير : ٧٧/٢٣ .

(١) (س) : « شرف » ، وظاهر كلام الذهبي في السير أنه : « زين الدين » .

(٢) (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٦/٢٣ ، والعبر : ١٥٨/٥ .

(٣) زيادة من (س) .

** الوافي : ٧٧/٤ ، والطالع السعيد : ٥٤٤ ، والدرر : ٣٦/٤ .

(٤) (س) : « ونضارة » .

(٥) كذا في الأصل و (س) ، ولم يذكر في الوافي سنة وفاته ، وفي الدرر : « ومات في سنة ٧٣٩ أو بعد ذلك . قلت : بل عاد إلى نيابة القضاء بقوص فإني وقفت على مكتوب أثبته سراج الدين أبو بكر ... في ذي القعدة سنة (٧٤١ هـ) ، وهو يومئذٍ ينوب عن جمال الدين هذا في الحكم بقوص » .

ومولده سنة ثمان وسبعين وست مئة .

اشتغل بالعلم ، وقرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي ، وأجازه بالفتوى . وتوجه إلى القاهرة ، وسمع من الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحافظ شرف الدين الدّمياطي ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وقرأ على شيخنا أثير الدين (الفصول في النحو) ، وعلى الخطيب الجزري (الأصُول) وأجازه بالفتوى ، وأجازه الشيخ فخر الدين عثمان بن بنت أبي سعد[١] .

وتعدّل وجلَسَ بالقاهرة وقوص ، وتولّى العُقود ، واستنابه زين الدين إسماعيل السفطي[٢] في الحكم بأرمنت ، وتولّى الخطابة بإسنا ، وتولى الحكم بقمولا وقنا وقفط وأصفون ، ثم ولي النيابة بقوص ثم إن قاضي القضاة جلال الدين القزويني قسم عَمَل قوص بينه وبين شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن حرمي القمولي ، فتولّى جمال الدين قوص والبَرّ الشرقي وذاك في البر الغربي ، وتزوج ببنت ابن حرمي للائتلاف ، وأقبل جمال الدين على المتجر بجملته[٣] ، واستمال ابن حرمي الوالي بالهدايا . فاتّفق أن وقع الغلاء في قوص سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وكان عند جمال الدين تقدير ألفي إردبّ وخمس مئة إردب ، فقال الوالي لجمال الدين : إنه يبيع بالسعر المعروف ، فأراد التأخير لغلاء السعر ، فكتب الوالي إلى السلطان ، فبرز مرسومه بالحوطة عليه وإحضاره ، وصَرْف عن القضاء . ثم إن جمال الدين تولّى النيابة خارج باب النصر بالقاهرة بعد سنتين [وشهرين][٤] مُدَيْدة لطيفة ، فلمّا تولّى قاضي القضاة عز الدين بن جماعة لم يُولّه .

---

(١) هو عثمان بن علي بن يحيى ، سلفت الإشارة إليه .

(٢) إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق . سلفت الإشارة إليه .

(٣) في الوافي : « بجملته » .

(٤) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

١٦٤٦ ـ محمد بن عثمان بن أبي الوفاء*

القاضي بدر الدين بن فخر الدين العزازي ، أحد كتاب الدرج بدمشق .

كان حسَنَ البِزّة والسّمت ، كثير الوقار يلزم الصمت ، عديم الشرّ ، حافظ السرّ ، يكتب خطاً حسنا ، يطلعُ به في روض الطّرس ورداً وسوسنا .

لم يزل على حاله إلى أن غاب بدره فما طلع ، وسار على النعش وما رجع .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومَولده سنة ست وسبعين وست مئة .

حجّ واستصحب معه الشيخ إبراهيم الصيّاح[١] ، وعادله في المحمل . وكان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان .

قال شيخنا البرزالي : وسمع معنا على الشيخ تقي الدين الواسطي عدة أجزاء .

قلت : وكان كثير الملازمة بسوق[٢] الكتب بحسر اللبادين يوم الجمعة ، ويقتني[٣] الكتب النفيسة ، ومَلَك منها ومن الكرند شيئاً كثيراً ، وكان عنده من والده ـ وقد تقدم ذكره في حرف العين ـ أشياءُ نفيسة مثل السرطان البحري والكحل الأصبهاني والنصفّية في داخل قصبة ، إلى غير ذلك . إلاّ أنه كان إذا أنشأ شيئاً يأتي[٤] بما يُضحِك منه .

ولمّا توفي رحمه الله تعالى طُلِبْت أنا من الرحبة ورُتّبت مكانه ، وكان في آخر أمره

---

* الوافي : ٨٨/٤ ، والدرر : ٤٥/٤ .

(١) إبراهيم بن منير ، سلفت ترجمته .

(٢) (س) : « من سوق » .

(٣) في الأصل : « وتعتني » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) (س) : « أتى » .

قد حنا عليه الأمير سيف الدين أُلجاي الناصري الدوادار ووعَدَه أن يكون مِنْ جملة مُوقّعي الدست فعَاجلته المنيّة ولم تُبلغه الأمنية .

١٦٤٧ ـ محمد بن عثمان*

الصاحب الأمير نجم[١] الدين البصروي ، ابن أخي قاضي القضاة صدر الدين الحنفي .

كان فيه كرمٌ زائد ، وجودٌ يأتي لعافيه بالصلة والعائد ، وعنده شهامه ، ولديه همّة وصرامه .

ودَرَّس أولاً ببصرى ، وأتى بفوائد في دروسه[٢] تتْرى ، وخدم السلطان الملك الناصر وهو في الكرك ، ونقل إليه ما أراد فما بقّى ولا تَرَك ، وسعى له في الباطن مع أمراء دمشق بملطفات[٣] إلى أن انبرم له الأمر ، وصار لهباً ذلك الجَمْر ، فرعى له حقّه ، وملكّه من السؤدد رِقّه . فولي الحسبة ، ثم نظر الخزانة ، ثم الوزارة ، وانتقل بعد ذلك إلى الإمارة ، فأعطي طبلخاناه ، ولم يلبس زي الأمراء ، وأنف منه للازدراء .

ولم يزل على حاله إلى أن انبثق نجمه وضمّه رَجْمه[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشري شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٨٩/٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٤٦/٤ ، والشذرات : ٦٢/٦ .

(١) في الأصل : « فخر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) (س) : « درسه » .

(٣) في (س) زيادة : « ومذكرات ومعطفات » .

(٤) في الأصل : « إلى أن ضمّه نجمه رغمه » ، وأثبتنا ما في (س) ، لكن وقع فيها : « رحمه » ، وما أثبتنا أشبه ، والرجم : القبر . وانبثق : الفجر .

ووصل من مصر[١] إلى دمشق في سابع صفر سنة عشر وسبع مئة متولياً وزارة دمشق[٢] ، وترك الحسبة لأخيه فخر الدين سليمان ، وأظنه استمرّ في الوزارة إلى أنْ تولاها الصاحب عز الدين بن القلانسي ثالث ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة[٣] ، ولبس هو للإمرة يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ولم يغيّر ملبوسه ، وكان قد وَصَل من مصر إلى دمشق في ذي الحجّة سنة ست وسبع مئة .

وقد تولّى الحسبة عوضاً عن أمين الدين [يوسف العجمي ، ثم إنّه وصل من مصر أيضاً متولياً نظر الخزانة عوضاً عن شمس الدين بن][٤] الخطيري مضافاً إلى الحسبة في أواخر شهر رمضان سنة سَبع وسبع مئة . ثم إنه عزل من الحسبَة في عشري جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة بالشيخ عز الدين بن القلانسي .

وقد تقدم ذكر أخيه الشيخ صفيّ الدين أبي القاسم بن عثمان في مكانه ، وذكر أختهما أم يوسف فخرية الصّالحة في مكانه[٥] من حرف الفاء .

١٦٤٨ ـ محمّد بن عثمان بن يوسف*

الصدر الكبير القاضي بدر الدين أبو عبد الله الآمدي ثم المصري الحنبلي ، المعروف بابن الحدّاد .

تفقّه بمصر ، وحفظ (المحرر) وتميّز ، ثم دخل في الكتابة ، واتصل بالأمير قراسنقر ، ودخل[٦] معه إلى حلب وولي نظر ديوانه والأوقاف والخطابة . ولما تولّى

(١) في الأصل : « حضر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) البداية والنهاية : ٥٨/١٤ .
(٣) البداية والنهاية : ٥٩/١٤ .
(٤) زيادة من (س) . وانظر البداية والنهاية : ٤٦/١٤ .
(٥) (س) : « مكانها » .
* الوافي : ٨٩/٤ ، والبداية والنهاية : ١١٥/١٤ ، والدرر : ٤٦/٤ ، والشذرات : ٦٥/٦ .
(٦) (س) والوافي : « وسار » .

دمشق ولّى ابنهُ خطابة دمشق ، انتزعها من الخطيب جلال الدين القزويني ، ثم وصل توقيع جلال الدين بعد أيام من مصر بإعادته . ثم ولي الحسبة عوضاً عن فخر الدين البصروي . ووصل[١] إلى دمشق من مصر في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، ثم إنه عزل بابن مبشر[٢] ، ثم أعيد إليها في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة . وتولى[٣] نظر البيمارستان النوري ، ثم نظر الجامع الأموي .

وكان له سماع من القاضي شمس الدين بن العماد ، وذُكِر لقضاء دمشق في وقت .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١٦٤٩ ـ محمّد بن عثمان*

الصدر المقرئ صلاح الدين ابن الشيخ المقرئ شمس الدين [بن][٤] محمد بن منيع بن عثمان بن شاد البشطاري[٥] .

كان مقرئاً ، رئيس المؤذنين بالجامع الصالحي خارج باب زويلة بالقاهرة ، كانت له قراءات في عدة أماكن ، وفيه مروءة وعصبيّة ، وله مكانة عند الناس .

توفي رحمه الله تعالى ليلة عيد الأكبر[٦] سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن ثاني يوم بالقرافة .

---

(١) (س) : « وصل » .

(٢) عز الدين المبشر (ت ٧١٦ هـ) ، كما في البداية والنهاية : ٧٨/١٤ .

(٣) ليست في (س) . وانظر البداية والنهاية : ٧٣/١٤ ـ ٧٤ .

* الدرر : ٤٤/٤ .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) كذا في الأصل و (س) ، وفي الدرر : « ساد البسطاوي » .

(٦) في (س) : « عيد الله الأكبر » .

١٦٥٠ ـ محمَّد بن عثمان بن أبي الحسن*

ابن عبد الوهاب الأنصاري ، قاضي القضاة ، شمس الدين بن الحريري ، قاضي القضاة بدمشق وبالقاهرة .

سمع من ابن أبي اليُسر ، وابن عطاء ، والجمال بن الصيرفي ، والقطب بن أبي عصرون ، وجماعة . وتفقَّه فبرع في الفقه ، وحفظ (الهداية) وغيرها ، وأفتى ودرَّس وتميّز .

وكان مِنْ قضاة العدل ، والحكام الذين خُصّ ستر وقارهم[١] بالهدل ، نظيف البزّه ، صلب القناة في الحق عند الغمز والهزّه ، عليه مهابة ووقار ، وسَمْت[٢] تُرمى النجوم عنده بالاحتقار ، وله عِبَاره ، وشارة وإشاره ، وكان قوّالاً بالحق ، قواماً بالصّدق ، حميد الأحكام ، صَارماً على الخاص والعام ، متين الديانه ، وصيّن الصيانه ، له أوراد يقوم بأوقاتها ، ويعدّ ذلك لنفسه من أقواتها .

وكان يراعي الإعراب في كلامه ، وفي فصله القضاء عند أحكامه ، ومع نسائه وخدّامه ، إلاّ أنه كان مفرطاً في تعظيم نفسه ، ورؤية الناس من أبناءِ[٣] جنسه . وبهذا لا غير نُقم عليه ، وبه يشار عند الذم إليه .

ولم يزل على حاله إلى أن لبس الحريري[٤] قطنَ أكفانه ، وأطبق القبر على إنسانه ما يطول من غمض أجفانه .

---

* الوافي : ٩٠/٤ ، والبداية والنهاية : ١٣٤/١٤ ، والدرر : ٣٩/٤ ، والشذرات : ٨٨/٦ .

(١) في الأصل : « والحكم الذي خص ستر وقارهم » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « وشمس » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في (س) : « من دونه في أبناء » .

(٤) (س) : « ابن الحريري » .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة يوم السبت رابع جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وفي شهر ربيع الأول ورد البريد يطلبه إلى مصر متولياً قضاء القضاة بها عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين السروجي ، وولاّه السُلطان أيضاً تدريس الناصرّية والصّالحية وجامع الحاكم . وكان وهو بدمشق قد عُزل بقاضي القضاة شمس الدين الأذرعي ، وطُلب للأذرعيّ توقيع شريف من الشام ، فلما كان في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبع مئة وصل البريد من مصر ومعه توقيع فتوهم البريديّ أنه لقاضي القضاة ابن الحريري ، فتوجه به إليه ، وحضر أصحابه إليه للهناء به ، ففُتح التوقيع وقرئ ، ولّما وصل القارئ إلى الاسم وجَدَه غيره فطوى التوقيع ، وحصل لقاضي القضاة[١] خجل من هذا الأمر ، وكانت هذه واقعة غريبة[٢] .

ولما أقام بمصر قاضياً كان لبكتمر الساقي إصطبل بأرض بركة الفيل لورثة الملك الظاهر وقفاً ، فتعرض إليهم وقال : هذه الأرض زادت معكم[٣] ، فتوجه وكيل بيت المال ونائب الحكم لقياس الأرض فما زادت شيئاً ، ثم أرسلوهم مرة أخرى وتحيّلوا على الزيادة وقالوا : أعطونا أرض الإصطبل بالزيادة ، فقالوا : نحن نُشهد علينا بقبض الأجرة ونعوّض ، فقيل للسلطان : في[٤] مذهب أبي حنيفة يجوز التعويض ، فقال لابن الحريري عن ذلك ، فقال : هذا رواية عن أبي يوسف وحده[٥] ، وما أعمل بها ، فولّى السلطان القاضي سراج الدين عمر صهر القاضي السروجي قاضياً وعزل ابن

---

(١) (س) : « وحصل للقاضي شمس الدين بن الحريري » .

(٢) انظر ، البداية والنهاية : ٤١/١٤ .

(٣) (س) : « معلم » .

(٤) ليست في (س) .

(٥) (س) : « وجدّه » ، تصحيف .

الحريري ، وحكم سراج الدين [بذلك][1] وبقي على القضاء[2] مُدَّة يسيرة ، ثم مات ، وأعيد ابن الحريري ، وعظمت مكانته .

وكان فقيهاً جيّداً ، له محفوظات جيدة ، ودرَّس بعدّة مدارس ، وأفتى وشغل[3] الطلبة وولي قضاء دمشق مدّة سنتين ، وانفصل منه ، ثم طُلب لقضاء مصر ، وكان موصوفاً بالنزاهة لا يقبل لأحد هديّة ، وكان له حرص على خلاص الحقوق وفصل القضايا ، وصُحْبَتُه جيدة ، ومودّتُه أكيدة ، ينفع أصحابه ومعارفه .

وكانت جنازته حافلة ، وعُمل عزاؤه بالجامع الأموي ، وكان قد سمع الحديث على النجيب المقداد ، وابن علاّن ، وغيرهم . وحدّث بدمشق والقاهرة .

قال شيخنا علم الدين البُرزالي : وخَرَّجْت له جزءاً عن عشرة من الشيوخ ، قرئ عليه غير مرة .

وفي قاضي القضاة شمس الدين الحريري[4] يقول شمس الدين الباذرائي[5] :

مذ أسلمتَني عَيْنُ أمِّ سالمٍ ... إلى الرّدى يئسْتُ مِنْ مُسالميْ
وكلما قَلّ نصيبي عندها ... تكاثرت في حُبِّها لَوَائميْ
يا مقلتيَّ أنتما نعمتَما ... والقلب يَشْقَى وهوَ غيرُ جارِم
جنيتما الذنب فلا أقلّ مِنْ ... أن تبكيا قلبي بدمعٍ ساجم
عيناي عَونان عليّ وهما ... منّي وهل بعدهما مِن راحم[6]

---

(١) زيادة من (س) .
(٢) (س) : « على قضاء القضاة » .
(٣) (س) : « وأشغل » .
(٤) (س) : « ابن الحريري » .
(٥) (س) : « شمس الدين محمد بن محمد الباذرائي » ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٦) (س) : « متى فهل » .

قلبي غمرٌ في اتّبـــاع غيّـــه يـــالَيتني بـــدّلتـــه بحَـــازِم[١]

منها في المديح :

قـــد ختم الـــدهر بـــه أجـوَاده وإنمـــا الأعمـــالُ بـــالخـــواتم

وقال يَمدحه أيضاً :

أشكـــو إلى عثمان جـــودَ ابنـــه فقـــد رمـــاني في الطـويـل العَريض
قـــد صيّـــد البَـــاخِـــلَ بحر النـــدى وعلَّم المفحم نظم القريض
والشيء لا يظَهرُ تمييزُهُ للنـــاس إلاّ بـــوجـــود النقيضْ
لـــه يـــد فيّـــاضَـــةٌ بـــالنـــدى كالبحر إلاّ أنهـــــا لا تغيض
عجبتُ مِن حـــاســـده كيفَ لا يقضي أسىً وهـــو المعنّى المريضْ[٢]

قلت : البيتان الأولان من هذه القصيدة مأخوذان من قول الأول[٣] :

مـا رأينـا من جـود فضـل ابن يحيى ترك النـــــــاسَ كلّهم شعراء

١٦٥٠ ـ محمد بن عثمان بن أسعد*

ابن المنجّا بن بركات بن المؤمل ، الرئيس الإمـام ، شيـخ الجمـاعـة من الحنـابلـة ، وجيه الدين أبو المعالي بن المنجّا التنوخي الدمشقي الحنبلي .

سمـع من ابن اللّتي حضـوراً ، ومن جعفر الهمـداني ، ومكّرم ، وسـالم بن صَصَرى ، وخضر بن المقيّر .

---

(١) في الأصل : « غمّة .. بذلته » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) في الأصل : « مريض » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) زاد في (س) : « وهو بيت واحد » .
* الوافي : ٩١/٤ ، والدرر : ٣٨/٤ ، والشذرات : ٣/٦ ، وذيول العبر : ١٧ .

ودَرَّسَ بالمسماريّة ، وكان صدراً مبجّلا ، [وجواداً يذر الغمام مُبَخّلا ، ديّناً محترما ، صيّناً لا يُرى منه وقت من البرّ مخترما][1] ، محبّاً للأخيار[2] ، مجانباً للأغيار ، له تسرع في الخير ، وهمّة تسابق البرق فضلاً عن الطير .

ولم يزل على حاله إلى أن هلك ابن المنجا ، وأصبح على فراشه مُسجّى .

وتوفي رحمه الله تعالى بدار القرآن في شهر شعبان سابعه[3] سنة إحدى وسبع مئة .

ومولدُه سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكانت له أملاك ومتاجر ، وله برّ وأوقاف ، أنشأ داراً للقرآن بدمشق ورباطاً بالقدس ، وباشر نظر الجامع الأموي تبرّعاً ، وكان من أولي الاقتصاد في ملبسه مع سعة دائرته وسعادته[4] .

١٦٥١ ـ محمّد بن عثمان بن عبد الله*

سراج الدين أبو بكر الدرندي[5] ، الفقيه الشافعي .

قرأ القراءات[6] على نجم الدين عبد السلام[7] بن حفّاظ صهره ، وتصدّر للإقراء بقوص سنين كثيرة ، وانتفع به جَمْع كثير .

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) في الوافي : « للأخبار » .

(٣) (س) : « سابع الشهر » .

(٤) في (س) : « في سعادته » .

* الوافي : ٩١/٤ ، والطالع السعيد : ٥٤٧ ، والدرر : ٤١/٤ .

(٥) في الطالع السعيد : « الدندري » .

(٦) في الأصل : « القرآن » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

(٧) في الأصل : « ابن عبد السلام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع ، وهو عبد السلام بن عبد الرحمن بن رضوان (ت ٦٨٥ هـ) . الطالع السعيد : ٣٢٠ .

وكان متقناً ثقة ، وسمع من الحافظ ابن الكومي ، وتقي الدين بن دقيق العيد ، ومحمد بن أبي بكر النصيبي[١] ، وعبد النصير بن عامر بن مصلح[٢] الإسكندري وغيرهم ، وحدّث بقوص .

وقرأ الفقه على جلال الدين أحمد الدشناوي ، وسراج الدين بن دقيق العيد[٣] ودرّس ، وناب في الحكم بقفط وقنا وقوص .

واستمرّ في النيابة إلى أن توفّي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان يستحضر متوناً كثيرة من الحديث والتفسير والإعراب ، واختلط في آخر عُمره .

١٦٥٢ ـ محمّد بن عثمان بن محمد*

ابن علي بن وهب بن مُطيع ، جلال الدين ابن علم الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

سمع جدَّه ، والحافظ الدمَياطي[٤] ، والفقيه المقرئ تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق الصّائغ ، ومن[٥] أحمد بن إسحاق الأبرقوهي ، وغيرهم . واشتغل بالمذهبين[٦] المالكي والشافعي .

---

(١) في الطالع : « النصيبيني » . وهو محمد بن محمد بن عيسى ، (ت ٧٠٠ هـ) ، الطالع السعيد : ٦١٣ .

(٢) في الأصل : « ومصلح » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

(٣) هو موسى بن علي بن وهب القشيري ، سراج الدين (ت ٦٧٥ هـ) ، الطالع السعيد : ٦٦٥ .

* الوافي : ٩١/٤ ، والدرر : ٤٣/٤ ، والطالع السعيد : ٥٥١ .

(٤) هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي . (الطالع) .

(٥) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

(٦) في الأصل : « بالمذهب من » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

وقرأ (مختصر المحصول) لجدّ والده الشيخ مجد الدين[١] وكان يُذْكر بخير ويُنسب إلى دين .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : وكان قاضي القضاة ابن جماعة يُؤثره ويبرّه ، ودَّعه مرّةً فأعطاه ذهباً وفضة من ماله ، وكتب [له][٢] بتدريس دار الحديث بقوص ، فأقام بها مُدة .

وتوفي بالقاهرة سنة[٣] ست أو سبع وعشرين وسبع مئة .

١٦٥٣ ـ محمّد بن عثمان بن أبي بكر*

قاضي القضاة شرف الدين النهاوندي ، قاضي صفد وغيرها .

كان من أعرف الناس بالْمُداراه ، وأخلبهم[٤] في المحادثة والمجاراه ، له دُربة بسياسة الخصوم ومصالحهم ، وقَوْدهم إلى تراضيهم بعد تشاحيهم[٥] ومشاحتهم ، وله قدرة على مداخلة النواب ، والعبور إلى رضاهم من كل باب ، وكان مُمْتع المحاضره ، شهيَّ المسامره ، لطيف الأخلاق ، ذا كرم دفّاق ، تنقَّل في البلاد كثيرا ، وقاسى في آخر عمره قلّةً وفقراً كبيرا .

ولم يزل على حاله[٦] إلى أن ضمَّه ترابه وفارقه أحبابُه وأترابُه .

---

(١) هو علي بن وهب بن دقيق العيد (ت٦٦٧ هـ) ، الطالع السعيد : ٤٢٤ .

(٢) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

(٣) (س) : « رحمه الله تعالى في سنة » .

* الوافي : ٩٠/٤ ، والدرر : ٣٩/٤ .

(٤) (س) : « وأجلبهم » .

(٥) في (س) : « تشاحنهم » .

(٦) قوله : « على حاله » ، ليست في (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة أربعين وسبع مئة[١] بالقاهرة .

كان أوّلاً قد تولّى قضاء صفد بعد والده المقدّم ذكره في مكانه من حرف العين ، وأقام[٢] بها إلى أن طُلِب إلى مصر ، وانحرف عليه قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة وعزله بالقاضي فتح الدين القليوني ، ثم إن قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى حنا عليه وولاّه قضاء عجلون ، ثم قضاء نابلس ، ثم ولاّه[٣] قضاء القضاة بطرابلس ، ثم إنه أعيد إلى صفد بعد القاضي [حسام الدين القَرْمي ، ثم إنَّه نُقِل إلى قضاء طرابلس ، ثم أعيد إلى صفد بعد القاضي][٤] جمال الدين عبد القاهر التبريزي فيما أظن وأقام بها إلى أن تغير عليه الأمير سيف الدين[تنكر ، فعزله بالقاضي شمس الدين الخضري ، فأقام في بيته بصفد بطالاً نحواً من أربع سنين ، ثم إنه توجه إلى القاهرة ونزل عند الأمير سيف الدين[٥] أرقطاي لما بينهما من الصحبة ، فمات هناك في التاريخ .

١٦٥٤ ـ محمّد بن عثمان بن حمدان*

شمس الدين الثعلبي المعروف بابن البيَّاعة .

كان شاعراً ، مدح الأمير علم الدين الدوادار[٦] وغيره ، وكان مُشِد الرقيق ، ويخدم في الجهات السلطانية .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « أربع وستين وسبع مئة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، ومصادر ترجمته .

(٢) (س) : « وقام » .

(٣) ليس في (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

* الدرر : ٤٠/٤ .

(٦) في (س) : « الدواداري » .

ومن شعره :

نَعَمْ غرامي بنجدٍ فوق ما زعموا ... أفنى وأبقى وهذا بعضُ ما علِموا
حدِّث فَدَيْتُكَ عن ذاك الحمى وأَعِدْ ... ففي حديثك مَا يُشْفَى به الأَلَمُ[1]
ليس الحمى غير قلبي والذي بهِ ... ففيه ثأرهم بالشوق يضطرمُ
بانوا فبان الغضى ذاوٍ ومَنْهَلُهُ ... غَوْرٌ وأنواره من بعدهم ظُلَمُ
خيّمت يا وجدُ في قلبي لفقدهم ... فلا رأت وحشةً مِنْ أهلها الخيمُ
ولا تغيّر واديهم ولا أفَلَت ... بُدَورُهُ وسقت أكنافه الديمُ
فالقلبُ في حُرق والطرف في غرق ... والصّبر منثلم والدمع منسجمُ[2]

١٦٥٥ ـ محمّد بن عثمان بن أحمد*

ابن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل ، الصدّر الفاضل الحكيم فتح الدين أبو عبد الله الشيخ جمال الدين بن أبي الحوافر القيسي .

سمع مِن النجيب الحرّاني (مشيخة) ابن كُليب ، و (مجالس) ابن مسلمة ، و (مجالس) الخلاّل ، وحدَّث ، وكان طبيباً معروفاً بالقاهرة .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة[3] ، ودفن بالقرافة .

١٦٥٦ ـ محمّد بن عثمان بن محمد**

الفقيه[4] الإمام شمس الدين الأصبهاني المعروف بابن العجمي الحنفي .

---

(١) (س) : « الأكم » .
(٢) (س) : « والدمع في غرق » .
* الدرر : ٣٨/٤ .
(٣) ليست في (س) .
** الدرر : ٤٣/٤ ، والدارس : ٣٦٤/١ .
(٤) في الأصل : « العقبة » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

كان مُدَرِّساً بالإقباليّة للحنفيَّة ، وفيها توفّي رحمه الله تعالى في نصف شوال سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ودرّس أيضاً بالمدينة النبويّة .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) ، وكان فيه وسواس في الطهارة وديانة وانجماع عن الناس ، وجمع منسكاً على مذهبه ، وولي تدريس الإقباليّة بعده قاضي القضاة نجم الدين إبراهيم ابن قاضي[١] القضاة عماد الدين الطرسوسي[٢] ، وأثنى الناس على درسه وفصاحته .

١٦٥٧ ـ محمّد بن عدنان بن حسن*

الشيخ الإمام العابد الشريف السيّد محي الدين العلويّ الحسيني الدمشقي الشيعي ، شيخ الإماميّة وكبيرهم .

وليَ مرّةً نظر السبع ، مات ولداه زين الدين حسين وأمين الدين جعفر وهما من جلّة رؤساء دمشق ، باشر الأنظار ونقابة الأشراف ، وتقدم ذكرهما في مكانها ، فاحتسبهما عند الله تعالى . وأخبرني غَيْرُ واحد أنّه لمّا مات كلٌّ منهما كان يُسجَّيه قدَّامَهُ وهو قاعد يتلو القرآن ولم تنزل له دمعة ، وولي النقابة في حالة[٣] حَياته ابن ابنه شرف الدين عدنان بن جعفر إكراماً لجدّه .

وكان محي الدين ذا تعبد زائد وولاية وتلاوة دائمة وتألّه ، وانقطع[٤] بالمزة .

---

(١) في الأصل : « إبراهيم إلاّ أنّ قاضي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) البداية والنهاية : ١٦٦/١٤ .

* الوافي : ٩٣/٤ ، والدرر : ٤٧/٤ ، والشذرات : ٥٧/٦ ، ووقع في الأصل : « ابن عثمان » ، سهو .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) (س) والوافي : « وانقطاع بالمزة أضرّ مدة » .

وكان يترضّى عن عثمان وعن غيره من الصحابة ، ويتلو القرآن ليلاً ونهاراً ، ويناظر [منتصرا][1] للاعتزال متظاهراً بذلك .

توفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع[2] وعشرين وست مئة .

١٦٥٨ ـ محمّد بن أبي العزّ بن مُشَرّف*

ابن بيان الأنصاري الدمشقي ، الشيخ الجليل ، الْمُسْنِد الْمُعَمِّر شهاب الدين البزاز ، شيخ الرواية بالدار الأشرفيّة[3] .

رَوَى الصحيح غيْر مرَّة عن ابن الزبيدي ، وحدَّث أيضاً عن ابن صبّاح والناصح ، وابن[4] المقيّر ، ومكرم ، وابن ماسويه[5] ، وتفرَّد في وقته .

وكان حَسَن الإصغاء جيّد الخط . أخذوا عنه ببعلبك ودمشق وطرابلس وأماكن ، وعاش سبعاً وثمانين سنة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وسبع مئة في سابع ذي[6] الحجّة .

وهو أخو نجم الدين أبي بكر بن العزّ بن مشرّف الكاتب .

---

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « ست » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* الوافي : ٩٤/٤ ، والدرر : ٤٩/٤ .

(٣) دار الحديث الأشرفية البرانية بسفح جبل قاسيون ، بناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى . الدارس : ٣٦/١ .

(٤) في الأصل : « والناصح بن » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) علي بن المبارك بن الحسن الواسطي (ت ٦٣٢ هـ) ، العبر : ١٢٨/٥ .

(٦) زيادة من (س) .

١٦٥٩ ـ محمّد بن عقيل بن أبي الحسن*

ابن عقيل نجم الدين البالسي ، أحد أعيان الشافعيّة وفضلائها بالديار المصرية .

سمع من الفخر بن البخاري وغَيْره بدمشق ، وسمع ببلبيس من علي بن عبد الكريم ، والفضل بن رواحة وغيرهما . وبالقاهرة من ابن دقيق العيد ، وناب في الحكم بمصر عن ابن دقيق العيد ، وولي قضاء بلبيس ودمياط عن قاضي القضاة ابن جماعة ، وولي نيابة الحكم ظاهر القاهرة بالحُسينية . ودرّس بالمدرسة الطيبرسية بمصر وبالمدرسة المعزيّة ، وبزاوية الدوري بالجامع[1] العتيق وبالمسجد بالشارع خارج القاهرة .

وصنف في الفقه مختصراً حسنا لخص فيه كتاب (المعين) ، وشرح (التنبيه) شرحاً جيّداً ، ولم يكمله ، واختصر (كتاب الترمذي في الحديث) .

وكان قويَّ النفس ، حصل بينه وبين فخر الدين ناظر الجيش بسبب أنّه ركب لرؤيا الهلال لشهر رمضان ورجع والمديرون أمامه يصيحون على العادة ، فمروا على دار فخر الدين ، فأهان المديرين[2] ، وشقّ ذلك عليه وانزعج ، وتكلم في ذلك ، وكتب محضَراً ، وجرى في ذلك كلام ، ولوُطِف وسئل على أن يجتمع بفخر الدين فلم يفعل .

وطلب منه قاضي القضاة جلال الدين القزويني قضية فتوقف فيها وصرف نفسه ، وكان ينوب عنه بمصر ، ثم استُرضي وعاد .

قال كمال الدين الأدفوي : جئته مرّة وهو راكبٌ ، وطلبت منه كتاباً من وقف المدرسة المعزيّة ، فرجع إلى المعزيّة من دار النحاس بمصر فأخرج [الكتاب][3] وأرسله

---

* الوافي : ٩٨/٤ ، والدرر : ٥٠/٤ ، والشذرات : ٩١/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

(١) في الأصل : « وبرواية الدودي وبالجامع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل « المديرون » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

إليّ ، وكان يُؤْثر مع ضعف حاله ، قانعاً باليسير ، مقللاً من المأكل والملبس . دارت الفيتا عليه بمصر ، واشتغل طلبة مصر عليه[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى رابع عشر المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستين وست مئة .

قلت : وأجاز لي بالقاهرة بخطّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٦٦٠ ـ محمّد بن علي بن محمد بن المَلاَق*

بالتخفيف في اللام ، القاضي بدر الدين الرقّي ، الفقيه الحنفي .

سمع من بَكبرس الخليفتي[٢] (الأربعين الودعَانّية)[٣] وسمعها منه الدواداري ، وأجاز للدمَاشقة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة تسع عشرة وست مئة .

١٦٦١ ـ محمّد بن علي**

الأمير شهاب الدين العُقَيْلي ، نائب الدواداري في شد الدواوين بالشام .

قتل في أواخر سنة سبع[٤] وتسعين وست مئة ، وكان قد شاخ وأسن وسُمِّر قاتله .

---

(١) في (س) زيادة : « وانتفع به أهل مصر » .

* الوافي : ١٩٢/٤ .

(٢) بكبرس بن يلنقج (ت٦٥٢ هـ) ، الوافي : ١٨٧/١٠ .

(٣) للقاضي محمد بن علي ودعان (ت٤٩٤ هـ) ، الكشف : ٦٠/١ .

** الوافي : ١٩٣/٤ .

(٤) في الأصل : « تسع » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

١٦٦٢ ـ محمّد بن علي بن محمد بن علي*

ابن منصور المؤمّل بن محمود البالسي ، المسند عماد الدين أبو المعالي .

كان يشهد على الحكّام مُدّة طويلة ، وأسمعه أبوه حضوراً وسماعا واستجاز له من جماعة ببغداد ومصر ودمشق ، وانتفع به الناس ، وحدث بالقاهرة ودمشق .

ومن شيوخه حضوراً السخاوي ، وابن الصلاح ، وكريمة القرشيّة ، وشيخ الشيوخ ابن حمّوية ، والضياء المقدسي الحافظ ، وسالم خطيب عقربا ، وعمر بن المنجا ، وإبراهيم الخشوعي ، وإسحاق بن طرخان الشاغوري ، وعتيق السَلماني ، وعبد الحق بن خلف وعبد الملك بن الحنبلي ، وعلي بن عبد الصمد الرازي ، وعيسى الداركي . وخرّج له شيخنا الذهبي جزءاً جمع فيه شيوخه بالسماع والحضور والإجازة على حروف المعجم ، وحدث به .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده في صفر سنة ثمان وثلاثين وست مئة بدمشق .

١٦٦٣ ـ محمّد بن عليّ بن وَهَب بن مُطيع**

الإمام العلاّمة شيخ الإسلام ، أستاذ المتأخرّين ، قاضي القضاة ، تقيّ الدين أبو الفتح ابن الشيخ الإمام مجد الدين المعروف بابن دقيق العيد القشيري المنفلوطي المصري المالكيّ الشافعي .

سمع من ابن المقيّر ، وابن الجُميّزي ، وابن رواج ، والسبط ، وعدّة . وسمع من

---

* الدرر : ٨٣/٤ ، وذيول العبر : ٦١ .

** الوافي : ١٩٣/٤ ، وفوات الوفيات : ٤٤٢/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٧/٤ ، والطالع السعيد : ٥٦٧ ، والدرر : ٩١/٤ ، وبدائع الزهور : ٤١١/١/١ ، والشذرات : ٥/٦ ، والبدر الطالع : ٢٢٩/٢ .

ابن عبد الدائم ، والزين خالد بدمشق وخرَّج لنفسه (أربعين تساعيَات)[١] ولم يحدّث عن ابن المقيّر وابن رواج ، لأنّه داخله شكّ في كيفيّة التحمّل عنهما .

كان الشيخ تقيّ الدين رحمه الله تعالى إماماً في فُنونه ، غماماً فيما يرسله من الفوائد في كلامِه وعيونه ، مُفسّراً ، محدّثاً ، سبق في هذين مَنْ كان عَجِلاً أو متلبثاً ، فقيهاً مدّققا ، قام بفروع المذهبين مُحَقّقا ، أصوليّاً أشعريّا ، حقيقاً بانفراده في ذلك حرّيا ، نحوّياً أديبا ، ناظماً ناثراً عجيبا ، لا يباريه في كلّ فُنونه مُبارٍ ، ولا يجاريه في مضمارها مجارٍ ، ولا تعلقُ له الريح إذا أمّ غايةً بغبار .

وإذا خطابُ القوم في البحث اعتلى فصل القضيّةَ في ثلاثةِ أحرُفِ

وكان ذكيّاً غوّاصاً على المعاني ، قنّاصاً لشوارد ما يحاولُهُ مِن العلوم ويعاني ، وافر العقل ، سافَر الْحُجب عن وجوه النّقْل ، كثير السَّكينه ، لازم الوَقَار والأبّهة الركينه ، بخيلاً بالكلام ، قلّ أنْ يسمع منه غَيْرُ ردّ السَّلام ، شديد الورع ، مديد الباع إذا قام في أمرٍ شرعي وشرع ، ملازم السَّهر والسهاد ، مُداوَم المطالعَة في استخراج ما ينتفع به في العبادةِ العباد ، وكانت كفّه تتخرقُ ، وتدع الغمام حِسداً لجوده بنار البرق يتحرّق ، عديم الدّعاوى ، كثير الشّكر قليل الشكاوى ، بصيراً بعلل المنقول ، خبيراً بغلل المعقول :

يَروي فيرى كلّ ذي ظمأ لَهُ بحمَى الحديث تَعَلُّقٌ وهُيَامُ
ببديهةٍ في العِلم يُقسِمُ مَنْ رَأى ذاك التَسَرّع أنّهُ السهامُ

وكيف لا يكون ذلك[٢] ، وهو الذي بعثه الله على رأس المئة[٣] ليُجدّد للأمّة أمرَ دينها ، ويحدّد لها ما اشتبه من قواعد شريعتها عند تبيينها . وهؤلاءِ الذين أشار إليهم

(١) في الوافي : « تساعيّة » .
(٢) في (س) : « كذلك » .
(٣) في (س) زيادة : « السابعة » .

رسول الله ﷺ في قوله : « يبعث الله على رأس كل مئة سنة لهذه الأمة مَنْ يُجَدِّدُ لها أَمْرَ دينها » .

كان الأول على رأس المئة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس المئة الثانية الشافعيّ رضي الله عنه ، وعلى رأس المئة الثالثة ابن سُريج ، وقيل : أبو الحسن الأشعريّ ، ويمكن الجمع بينهما ، فإنّ الأشعري جاء لأصول الدين ، لأن المعتزلة كانوا قد طبقوا الأرض فحجزَهم رضي الله عنه في قموع السمسم ، وابن سريج جاء لتقرير الفروع .

وعلى رأس المئة الرابعة أبو حامد الإسفراييني ، وقيل : سَهْل بن أبي سهل محمد المقول [فيه] النجيب[1] بن النجيب ، كان أحد عظماء الشافعية الراسخين في الفقه والأصول[2] والحديث والتصوف .

وعلى أرس المئة الخامسة[3] حجّة الإسلام أبو حامد الغزّالي . وعلى رأس المئة السادسة الإمام فخر الدين الرازي . وعلى رأس المئة السّابعة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

ومن سعادة الشافعيّة أنّ الجميع شافعيّون . فإنْ قلت : فكيف تعمل في عمر بن عبد العزيز ؟ قلت : ما كانت المذاهب الأربعة ظهرت ذلك الزمان .

وقد أنشد شيخ من أهل العلم في مجلس ابن سُريج :

اثنان قَدْ مَضَيا فبورك فيهما ... عُمرُ الخليفةُ ثم حِلفُ السَّؤدد

الشافعي الألمعيّ محمّد ... إرث النبوّة وابن عمّ مُحمَّد

---

(١) في الأصل (البحث) ، وأثبتنا ما في (س) ، والزيادة منها ، وكانت وفاته سنة (٤٠٤هـ) . انظر سير أعلام النبلاء : ٢٠٧/١٧ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الأصل : « السادسة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .

أبشر أبـا العَبّـاس إنـك ثـالثٌ مِن بَعـدهم سُقيـاً لتُربَـةِ أحمَـدِ

فصاح ابن سُريج وبكى ، وقال : لقد نَعى إليَّ نفسي ، ومات في تلك السنة رحمه الله تعالى .

وزاد على ذلك بعضُ الفقهاء فقال :

والرابـع المشهـورُ سَهـل محمّـد أضحَى عظيماً عنـد كل مُـوَحِّـدِ
يـأوي إليـه المسلمـون بـأسرهم في العلم إن جـاؤوا بخطب مُـؤيَّـد
لا زال فيا بَيننـا خير الـوَرى للمـذهَب المختـار خَيرَ مُجَـدِّد

وأنشد[1] من لفظه لنفسه مولانا قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب الأنصاري السُبكي الشافعي مُكمّلاً على الأبيات الأولى التي في ابن سُريج :

ويقـالُ إنّ الأشعريّ الثـالث الـ ـمبعـوث للـدين القـويم الأملـد
والحـقّ ليسَ بمنكرٍ هـذا ولاَ هـذا وعلْمها اقرأنّ فعَـدّد[2]
هـذا لنصرة أصـل دين محمّـد لنظير ذلـك فيَ فروع محمّـد[3]
وضرورة الإسـلام داعيـةٌ إلى هـذا وذاك ليهتـدي من يهتـدي
وقضى أنـاسٌ أنّ أحمـد الأسفرا يينيّ رابعهم فـلا تستبعـد
فكلاهمـا فرد الـورى المعـدود من حـزب الإمـام الشـافعيّ محمّـد
والخـامس الحبر الإمـام محمّـد هـو حجّـة الإسـلام دون تردّد
وابن الخطيب السـادس المبعوث إذ هـو في أصـول الـدين أيّ مـؤيَّـد
والسـابع ابن دقيـق عيـد فـاستمع فـالقـوم بين محمّـد أو أحمَـد
وانظر لسر الله أن الكلَّ مِن أصحـابنـا فـافهم وأنصف ترشُـد

(١) (س) : « وأنشدني » .
(٢) في الأصل : « أمران فعدد » ، ولعلّ ما أثبتناه هو الوجه .
(٣) (س) : « كنظير » .

هـــذا على أنَّ المصيب إمـــامنـــا ... أجلى دليـــلٍ واضـــح للمُهتـــــدي
يـــا أيّهـــا الرَّجُـــلُ المُريـــد نجـــاتـــه ... دَعْ ذا التعصّب والمراء وقلـــــــدّ
هـــــذا ابن عم المصطفى وسميّـــــه ... والعـــــالم المبعـــوث خيرُ مجـــــدّدِ
وضـح الهُـدَى بكـلامـــه وبَهـديـهِ ... يـــا أيُّهـــا المسكين لم لا تقتـــدي

ولم يزل الشيخ تقيّ الـدين بن دقيق العيـد إلى أن طُفِئ سراجُـهُ الـوهّـاج ، وأثـار عليه لواعج الأحزان وَهَاج .

وتُوفّي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولـده في البحر المِلْح وكان والـده رحمـه الله تعـالى متوجّهـاً إلى مكّـة في البحر ، فولد له عند الينبعُ في يوم السبت الخـامس والعشرين من شعبـان سنـة خمس وعشرين وست مئة ، ولـذلـك ربمـا كتب بخطّـه : « السجيّ »[1] . ثم إن والـده أخـذه على يـده فطاف به وجعل يدعو الله أن يجعله عالماً عاملاً .

وقلت أنا فيه :

ومن عنـــــد الطـــوَاف بخير بيتٍ ... غـدا يـدعـو أَبُـوه لـه هنـالـكْ
بـــــأنْ يمتـــــاز في عمـــل وعلم ... فقـل لي كيف لا يـأتي كـذلـك

وكان الشيخ تقيّ الدين رحمه الله تعالى قد تَفَقّه بأبيـه الشيخ مجـد الـدين بقوص ، وبالشيخ عز الدين بن عبد السلام بالقاهرة وبطائفةٍ ، واشتهر اسمـه في حيـاتـه وحيـاة مشايخه ، وتخرج به أئمة .

وكان لا يسلـك المراء في بحثـه ، بـل يتكلم بسكينـة كلمـات يسيرة ، فـلا يُرادّ ولا يراجع . وكان عارفاً بمذهبي مالكٍ والشافعّي ، كان مالكياً أوّلاً ، ثم صار شـافعيـاً .

---

(١) كـذا ، ولعلّـه يشير إلى سجّو البحر ، وهو سكونـه وامتـداده ، وفي الطـالع السعيـد : « الثبجي » ، أي المعمّى .

قال : وافق اجتهادي اجتهاد الشافعي إلاّ في مسألتين أحدهما أنّ الابن لا يُزَوّج أمَّهُ والأخرى ...[١] ، وحسبك بمن يتنزّل ذِهْنُه على ذِهْن الشافعي .

قلت : أما مسألة الابن وعدم تزويجه لأمّه فلأنه مُتفرعٌ عن أصلين : أحدهما : أبوه ، **ولا ولاية** له في تزويج أمّه ، والثاني : أمّه ، **ومالها** أن تُزَوّج ابنها[٢] ، فبطل أن يكون للابن ولاية في تزويج أمّه .

وامتدحه شيخنا الإمام العلامة المحقق النظّار ركن الدين محمد بن محمد بن القُوبع[٣] بقصيدة طنّانة جاء منها في مدحه :

صَبَــا للعلم صبــاً في صَبــاهُ فــاعْـل بهمّــة الصبّ الصبّي
وأتقَنَ والشبــاب لــه لبــاسٌ أدَلّــة مــالــكٍ والشــافعيّ

وستأتي بقية الأبيات في ترجمة الشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

وكانت ولايته قضاء القضاة بالديار المصرية في يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وست مئة .

وكان الشيخ تقيّ الدين لا ينام الليل إلا قليلاً ولا يقطعه إلاّ بمطالعة[٤] وذكرٍ وتهجّد ، أوقاته كلُّها مَعْمورة .

وله التصانيف البديعة كـ (الإلمام والإمام)[٥] شرحه ولم يكمله ، ولو كمل لم يكن

---

(١) كذا بياض في الأصل و (س) والوافي .
(٢) (س) : « نفسها » .
(٣) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف القرشي التونسي (ت٧٣٨هـ) .
(٤) في الأصل : « بمطاله » ، وعبارة (س) والوافي : « إلاّ قليلاً ، يقطعه بمطالعة » .
(٥) في الطالع : « وأما كتابه المسمى بالإلمام الجامع أحاديث الكلام ، فلو كملت نسخته في الوجود لأغنت عن كل صنف في ذلك موجود » .

للإسلام مثله ، وكان يجيء في خمس وعشرين مجلدة ، وله « علوم الحديث »[١] و « شرح العمدة »[٢] في الأحكام الذي أملاه على ابن الأثير فاضل العصر الذي تعرفه وهو إملاء ، وشرح (مقدّمة) المطرزّي[٣] في أصول الفقه . وألّف (الأربعين في الروايــة عن رب العــالمين) وشرح بعض (مختصر ابن الحــاجب) ، و (شرح ابن الحاجب) في فروع المالكية ، وشرح (مختصر التبريزي) في فروع الشافعيّة .

وكان رحمه الله تعالى قد قهره الوسواس في أمر المياه والنجاسات ، وله في ذلك وقائع وحكايات عجيبة . وكان كثير التَسرّي ، وله عِدَّة أولاد سمّاهم بأسماء الصحابة العشرة .

ولّما طلع إلى السلطان حسام الدين [لاجين] قام[٤] له وخطا عن مرتبته .

وعَزَل نفسه عن القضاء مرات ، ثم يُسأل ويعادُ . وكان شفوقاً على المشتغلين ، كثير البّر لهم .

قال قطب الدين عبد الكريم[٥] : أتيت إليه بجزءٍ سَمِعَهُ من ابن رواج والطبقة بخطه ، فقال : حتى أنظر في هذا ، ثم عاد إليه فقال : هو خطّي ، ولكن ما أحقّقُ سماعي له ولا أذكره .

أخبرني شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي قال : حكى لي الشيخ قطب الدين السنباطي قال : بلغني أنَّ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قال : لكاتب

---

(١) في الدرر : « الاقتراح في علوم الحديث » . وفي الكشف : ١٣٥/١ : « الاقتراح في أصول الحديث » . وعبارة الوافي : « علوم الحديث في شرح عمدة الأحكام » . وفي الطالع : « الاقتراح في معرفة الاصطلاح » .

(٢) انظر كشف الظنون : ١١٦٤ .

(٣) في الأصل : « المطرز » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر ، والطالع .

(٤) في الأصل : « حسام الدين أقام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) (س) : « أظنّه عبد الكريم » .

الشمال عشرين سنة . أو قال : « سنين » ، الشك منّي أنا في روايتي عن شيخنا تقي الدين ـ لم يكتب عليَّ شيئاً ، قال السنباطي : فاجتمعت به وقلت له : قال فلان عن مولانا[١] كذا وكذا ، فقال : أظن ذلك أو كذلك يكون المسلم ، أو كما قال .

وكان يقول : ما تكلّمت كلمة ولا فعَلْتُ فِعلا إلاّ وأعدَدتُ له جواباً بين يديّ الله تعالى .

ولمّا جاءت التتار وَرَدَ مرسوم السُلطان إلى مصر بجمع العلماء وقراءة البخاري ، فقرؤوا البخاريَّ إلى أنْ بقي ميعادٌ أخرّوه ليُخْتَم يوم الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة رُئي الشيخ تقي الدين في الجامع فقال : ما فعلتم ببخاريّكم ؟ فقالوا : بقي ميعاد ليكمل اليوم ، فقال : انفصل الحال من أمس العصر وبات المسلمون على كذا ، فقالوا : نخبر عنك ؟ قال : نعم ، فجاء الخبر بعد أيام بذلك ، وذلك في سنة ثمانين وست مئة على حمص ، ومقدَّم التتار منكوتمر[٢] .

وقال عن بعض الأمراء وقد خرج من القاهرة إنه ما يرجع ، فما رجع .

وأساء شخص عليه الأدب فقال الشيخ : نُعيتَ لي في هذا المجلس ثلاث مرّات ، فمات بعد ثلاثة أيام[٣] .

واستمع له بعض أصحابه ليلةً وهو يقرأ ، قال : فوصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَاب بينهُم يَومئذٍ ولا يَتَسآءَلُونَ ﴾[٤] . قال : فما زال يُكَرّرها حتى طلع الفجر[٥] .

---

(١) (س) : « قال فلان عن فلان عن مولانا » .

(٢) انظر الخبر في الطالع السعيد : ٥٧٧ .

(٣) هو ابن القصري كما في الطالع السعيد : ٥٧٩ .

(٤) المؤمنون : ١٠١/٢٣ .

(٥) انظر الطالع السعيد : ٥٧٩ .

قلت : ويدل على ذلك تحريّه في عدم الكلام ، وأنه كان بخيلاً ، وشعره فيه أيضاً ما يدل على ذلك .

أنشدني الشيخ شمس الدين بن نباته المصري من لفظه ، قال : أنشدني الشيخ تقي الدين لنفسه :

الجسم تذيبُه حُقُوقُ الخدمَهْ والنفسُ هلاكَها عُلوّ الهمَّة
والعمرُ بذاك ينقضي في تعبٍ والراحة ماتت فعليَها الرّحمَة

ومن العجيب ما نقلته أنا من بعض التعاليق أنّ هذين البتيين حفظهما تاج الدين أحمد أخو الشيخ تقيّ الدين ، وكان فارضاً عاقداً[1] بالحسينية ، فاتّفق أنه قال في وقت في الهاجرة بمسجد الجوادي[2] ، فرأى في النوم والدهما الشيخ مجد الدين ، رحمه الله تعالى ، فسلم عليه ، وسأله عن حاله ، فقال : يا سيّدي بخير . فقال : كيف مُحمد أخوك ؟ قال : بخير ، الساعة كنت عنده وأنشدني هذين البيتين . وأنشدهما ، فقال : سلّم عليه وقل له :

الروح إلى محلّهَا قد تاقَتْ والنفسُ لها مع جسمها قد عاقَتْ
والقلبُ معذّبٌ على جَمْعهمْ والصبر قضى وحيلتي قد ضاقت

ونقلت أنا من خطّه رحمه الله تعالى لنفسه :

أفكّر في حالي وقُرْب منيّتي وسَيْري حَثيثاً في مَصيري إلى القبر
فيُنشئ لي فكري سحائبَ للأسى تسحّ دموعا دونها وابل القطر[3]
إلى الله أشكو مِن وجودي فإنني تعبتُ به مذ كنتُ في مبدأ العُمر[4]

(١) في الوافي : « وعاقداً » .
(٢) في الوافي : « الجواري » .
(٣) في الأصل : « في فكري » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي والفوات ، وفي الأخيرين : « تسح هموماً » .
(٤) في الفوات : « مبتدا » .

تروح وتغدو للمنايا فجائع تكدّره والموت خاتمةُ الأمَرِ

ونقلت من خطه له أيضاً :

سحاب فكري لا يزال هامياً ولَيْلُ هَمّي لا أراه راجلاَ
قد أتعبتني همّتي وفِطنتي فليْتَني كنت مهينا جاهلا

قلت : جاء في كلام أرسطو : تعبت بعرفاني فليتني خلقتُ لا أعرف .

وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري قال : أنشدنا من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد :

أتعبت نفسك بين ذلة كادحٍ طلب الحياة وبَيْنَ حِرص مُؤمّل
وأضعت عُمْرك[1] لاخلاعة ماجن حصّلت فيه ولا وقار مُبَجّل[1]
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي الـ أخرى ورُحْتَ عنِ الجميع بمعَزلِ

ولقد وقفت له على جواب طويل كتبه بخطّ يدّه في دَرجٍ إلى الأمير سيف الدين منكوتمر نائب السلطان حسام[2] الدين لاجين ، وكان عند أستاذه الجزء الذي لا يتجزأ ، وقد كتب فيه بعد البسملة .

« ورَدَ على العبد الفقير محمد بن علي مخاطبة الأمير الكبير سيف الدين ، ووقف عليها وعجب منها لأمريْن ، ثم إنه ذكر[3] كل فصل ويجيبه عنه ، إلى أن قال في آخر ذلك : فكتب الأمير إليّ كتاباً يَكْتُبُ إلى من ليس عنده من الدين شيء ، ولو كان الأمير عرف مني ارتكاب الكبائر الموبقات ما زاد على ما فعل ، وبالجملة[4] فإنّ الله تعالى

(١) في الوافي والفوات : « نفسك » .
(٢) في الوافي : « نائب السلطنة لحسام » .
(٣) في الوافي : « الأمرين ثم إنه يذكر » . وفي (س) : « ... ثم ذكر » .
(٤) (س) والوافي : « وعلى الجملة » .

أمَر نبيَّه بالْمُبَاهلة والملاعنة في الدين ، فقال لأهل الكتاب : ﴿ فَقُل تَعَالَوا نَدْعُ أَبنَاءَنَا وأَبنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وأَنْفُسَنَا وأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَل لَّعنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبين ﴾ فنمتثل[١] أمر الله لرسوله ونقول : اللهمّ ياشديد البطش ، ياجبّار ، ياقهار ، ياحكيم ، ياقوّي ياعزيز ، ياقوي ياعزيز ، ياقوي ياعزيز ، نسب[٢] إليّ أكل الحرام من المدارس[٣] الغائبة ، وإلى أمور أنْتَ أعلمُ[٤] بسرّها ، فإن كان ذلك في علمك صحيحاً فاجعل لعنتك ولعنة ملائكتك والناس أجمعين عليّ ، وإن لم يكن صحيحاً فاجعلها على من افترى عليّ بها ، وإن كان الولد قد فَعل مَا قيل من أخذ البراطيل فاجعلها عليه ، وإن لم يكن فاجعلها على من افترى عليه ، فهذا إنصاف وامتثالٌ لِمَا أمر الله به رسوله[٥] ، وربُّك بالمرصاد[٦] ، والشكوى إلى الله الحكم العدل » .

فلم يلبث إلاّ أسبوعا أو أقل أو أكثر حتى قُتل السلطان وحبس منكوتمر ، ثم أخرج من محبسه وذُبح .

وكان مِنْ شدّة وسواسه ما يجلس على جوخ ولا يقربه .

وكان[٧] في بعض الأيام طلع إلى السلطان حسام الدين وهو جالس على طرّاحة جوخ ، فجلس معه عليها وقضى شغله ، وعاد إلى بيته ، ونزع كلّ ماعليه وغَسَله .

---

(١) في (س) : « فتمثيل » . والآية من آل عمران : ٦١/٣ .
(٢) (س) ، وأصل الوافي : « قد نسب » .
(٣) في الوافي : « من مال المدارس » .
(٤) (س) : « عالم » .
(٥) في الوافي : « به ورسوله » . وفي (س) : « الله ورسوله به » .
(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤/٨٩] .
(٧) (س) : « ولمّا كان » .

فقالوا له : يا سيدي لا كنت جلست عليها ، فقال فكّرت إن جلستُ دونه أكن قد أهنت[١] منْصِبَ الشرع ، وهو أمر ما يزول ، فجلست معه وغسلت ما عليّ فزال .

وقيل : إنه امتنع من أكل الحلوى فقيل له في ذلك ، فقال : لأني رأيت يوماً بعض الصناع يحرّك دست حلوى[٢] ثم إنّه أراق ماءً ولم يستنج . وقيل : كان يغسِل الحَلْوى ويأكلها .

وكان قد عَزَل نَفْسه في شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستّ مئة ، ثم إنّه أعيد إلى القضاء وخُلع عليه ، ورُسم له أن لا يستنيب وَلَدُه محبّ الدين .

وعلى الجملة فكان امرأ غريباً قلَّ أنْ تَرَى العيونُ مِثْله زهداً ووَرعاً وتصميماً وتحرّياً واجتهاداً وعبادة وتوسّعاً في العلوم .

فهَوَ الّـذي بجح الـزمـان بـذكره وتـزيَّنتْ بحـديثـه الأشعـارُ[٣]

وأمَّا ما كان يقع في حقّه من شيخنا العلاّمة أثير الدين فله سبَبٌ ، أخبرني شيخنا الحافظ أبو الفتح اليعمري قال : كان الشيخ تقيّ الدين قد نزل عن تدريس مدرسةٍ لولده ، أُنسيت أنا اسم المدرسة واسم ابنه ، فلمّا حَضَر الشيخ أثير الدين دَرْسَ قاضي القضاة تقي الدين بن بنت الأعزّ قرأ آيةً يدرس بها ذلك[٤] اليوم وهي ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَولادَهُمْ ﴾[٥] الآية ، فبرز أبو حيّان من الحلقة وقال : يا مولانا قاضي القضاة « قدّموا أولادهم » ، يكرّر ذلك ، فقال قاضي القضاة : ما معنى هذا ؟ فقال : ابن دقيق العيد نزل لولده فلان عن تدريس المدرسة الفلانية ، فنُقل المجلس إلى الشيخ

(١) (س) : « دونه فقد أهنت » .
(٢) (س) : « الحلوى » .
(٣) في الوافي : « الأخبار » . وبجح : فرح ، وتبجّح : فخر .
(٤) (س) : « قرأ آية يدّرسها ذلك .. » ، وعبارة الوافي : « يفسّرها دَرْس ذلك » .
(٥) الأنعام : ١٤٠/٦ .

تقي الدين ابن دقيق العيد فقال : أمّا أبو حيان ففيه دعابة من أهل الأندلس ومجونهم ، وأمّا أنْتَ يا قاضي القضاة يُبَدَّل[١] القرآن في حضرتك وما تنكر هذا[٢] الأمر . فما كان إلاّ قليل[٣] حتى عُزِل ابن بنت الأعز عن[٤] القضاء بابن دقيق العيد . وكان[٥] إذا خلا شيء من الوظائف الّتي تليق بالشيخ أثير الدين يقول الناس : هذه لأبي[٦] حيّان ، فتخرج عنه لغيره . فهذا هو السبب الموجب لحطّه عليه وشناعته[٧] .

والصحيح أنّ أهل العصر لا يُرْجَعُ إلى جَرْح بعضهم بعضا لهذه الوقعة[٨] وأمثالها :

إن العرانين تلقاها مُحَسّدة ولا ترى للِئام النّاس حُسّادا

وبعد هذا ما خَلَّصَ ابن بنتِ الأعزِّ مِنْ ضَرْب العُنَق إلاّ ابن دقيق العيد ، لأنّ الوزير شمس الدين بن السَّلْعُوس لمّا عمل على ابن بنت الأعزّ وعَزَله ، وعمل مَحَاضر بكفره ، وأخذ خطّ الجماعة على المحاضر ، ولم يبق إلا خطّ[٩] ابن دقيق العيد ، أرسل إليه المحاضر مع النقباء وقال[١٠] : يا مولانا الساعة تضع خطك على هذه المحاضر ، فأخذها وشرع يتأمّلها واحداً واحداً ، والنقباء من القلعة يتواترون بالحَث والطلب والإزعاج ، وأنّ الوزير والسلطان في طلب ذلك ، وهو[١١] لا ينزعج ، وكلّما فرَّغ محضراً

---

(١) في الوافي : « فيُبدّل » .
(٢) (س) : « وما تذكر عن هذا » .
(٣) (س) : « فما كان عن قليل » ، وفي الوافي : « فما كان إلاّ عن قليل » .
(٤) (س) والوافي : « من » .
(٥) في الوافي : « فكان » .
(٦) في الأصل : « لابن » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) في الوافي : « وشناعة عليه » .
(٨) (س) والوافي : « لمثل هذه الواقعة » .
(٩) (س) : « وأخذ خطّ الجماعة إلاّ خطّ » .
(١٠) (س) والوافي : « مع نقباء » . وفي (س) : « وقالوا » .
(١١) (س) : « انتظار ذلك وهما يحثان الطلب ، وهو .. » .

دَفَعه إلى الآخر وقال[١] : ما أكتب فيها شيئاً . قال الشيخ فتح الدين : فقلت أنا : يا سيّدي لأجل السلطان والوزير ، فقال : أنا ما أدخل في إراقة دم مسلم ، قال : فقلت[٢] : فكيف كنت تكتب خطّك بذلك ، وبما يخّلص فيه ؟ فقال : يا فقيه ما عقلي عقلك ، هم ما يدخلون إلى السلطان ويقولون : قد كتب فلان بما يخالف خطوط الباقين ، وإنما يقولون : قد كتب الجماعة ، وهذا خطّ ابن دقيق العيد ، فأكون أنا السبب الأقوى في قتله[٣] ، قال : فأبطل ذلك عَمَلهم ، وسكّن سَوْرتهم ، وأطفأ شواظّ نارهم .

قال شيخنا أبو الفتح : وما كان الشيخ تقي الدين يعجبه من يقول[٤] : قاضي القضاة الشافعي ، فإذا قلنا : قاضي قضاة الشافعيّة قال : إيه[٥] هذا .

وأخبرني شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء قال : قال لي يوماً الشيخ تقي الدين : قولُ أبي الطيب[٦] :

أو كان صادف رأسَ عازَر سيفه في يوم معركة لأعيَا عيَسى

في هذا شيء غير إساءة الأدب ، ففكرت[٧] ساعة ، ثم قلت : نعم ، كون الموت ما يتفاوت إنْ كان بالسيف أو بغيره ، فالإحياء من الموت سبيل واحدة ، فقال[٨] : أحسنت يا فقيه . أو كما قال .

---

(١) (س) والوافي : « فقال » .
(٢) (س) والوافي : « فقلت له » .
(٣) في الأصل : « حقه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في (س) والوافي : « قول من يقول » .
(٥) في الأصل : « إنه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٦) ديوانه : ١٩٨/٢ .
(٧) في الوافي : « فأفكرت » .
(٨) (س) : « فقال لي » .

وهذه المؤاخذة دقيقة لا تصدر إلاّ من أديب كبير كالجاحظ أو غيره .

قال لي شيخنا شهاب الدين : ما رأيت في أهل الأدب مثله ، وناهيك بمن يقول مثل الشهاب محمود في حقه مثل هذا[١] ، وقد كان شيخ الأدب في زمانه ، ووقفت أنا له على كتاب كتبه إلى قاضي القضاة شهاب الدين الخُويّي شافعاً ومُتَشَوِّقاً :

« يخدم المجلس لا زال حافظاً لأحكام الجود ، محفوظاً بضمان الله في ضمن السعود ، محروس العزم من دواعي الهوى والعز من دعاوي[٢] الحسود ، مقابل وجه الرأي بمرآة[٣] الحقّ ، مولّي جناب الباطل جانب الصدود ، ولا برح على العُفَاة سحائب كَرَمه ، ويَروي الرواة من بحار علوم تُمَدُّ[٤] مِنْ قلمه ، ويجلو أبكار الأفكار مقلدة بما نظم[٥] السحر من حليّ كَلِمِه ، ويُبرز خفيّات المعاني منقادةً بأيد ذهنه وأيدي حكمه ، ويسمو إلى غايات المعالي حتى يقال : أين سُمُوّ النجم من هِمَمه ، ويسبغ من جمال فضله وجميله ما يبصره الجاهل على عماه ، ويسمعه الحاسد على صَمَمِه ، ويُنهي من ولائه ما يشهد به ضميره الكريم ، ومن ثنائه ما هو أطيبُ مِنْ ودائع الروض في طيِّ النسيم . ومن دُعائه ما يقوم منه بوظيفة لا تُهمل ، ويُشَيِّعه برجاءٍ يَطْمع معه بكرم الله أن يُقبل ويقبل ، ويجري منه على عادةٍ إذا انقضى منها ماضٍ تبعُه الفعل في الحال والعَزمُ في المستقبل ، غير خاف أنه ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[٦] ، ولكلّ مقصودٍ أسباب ، ولم يزل يهم بالكتابة والأيام تدافع ، ويعزم على المخاطبة فتُدفع في صدر[٧] عزمه الموانع ، حتى

---

(١) في الوافي : « بمن يقول شهاب الدين محمود في حقّه هذا » .

(٢) في الأصل : دواعي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الأصل : « بمرأى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في الوافي : « بمدّ » .

(٥) (س) : « ممّا نظم » .

(٦) الرعد : ٣٨/١٣ .

(٧) في الوافي : « صدور » .

طلع بهذا الوقت فَجر حَظّه[١] ، واستناب منافثة قلمه عن مشافهة لفظه ، وقال لخدمته هذه : رِدِي مورداً غير آسن ، وتهنّي بمحاسن[٢] لا تشبهها المحاسن ، وتوطّني المحلّة المسعودة فكما يسعد الناس ، فكذلك تسعد الأماكن ، وشاهدي من ذلك السيّد صدراً بشره بالنجح ضامن ، وشهاباً ما زلنا نعُد السيادة سبعاً حتى عزّزت لنا منهُ بثامن ، وكان السبب في ذلك أنّ القاضي نجم الدين بمحلّة مَنَف[٣] لمّا قدم القاهرة أقام بحيث نقيم ، وحاضرنا محاضرة الرجل الكريم ، ونافث منافثةً ﴿ لا لَغْوٌ فِيها وَلاَ تَأْثِيمٌ ﴾[٤] ، ولازم الدروسَ ملازمةً لولا أنها محبوبة لَقُلْنا ملازمة[٥] غريم ، وتلك حقوقٌ لهُ مرعيّه ، ومعرفة أنسابها[٦] مراضعة العلوم الشرعيه ، وقصد هذه الخدمة إلى المجلس ، فكان ذلك من واجب حقّه ، وذكر ثناءً فقلنا : رأيت الحق لمستحقّه وسيّدنا[٧] حرسه الله تعالى أهلٌ لتقليد المنن[٨] ، ومَحَلٌ لأن يُظَنّ به كل حَسَن ، والعلم بمروءته لا يقبل تشكيك المشكك ، وأبوة[٩] يقتضي أن يرتقي منْ بِعروة وُدّه يستمسك . والله تعالى يرفع شانه ، ويُعْلي بُرهانه ، ويكتب له يوم إحسانه إحسانَهُ ، ويطوي على المعارف اليقينية جنابه ، ويُطلق بكل صالحةٍ يدَه ولسانه بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى » .

قلت : ما أعرف من كتب الإنشاء بعد القاضي الفاضل رحمه الله تعالى مثل القاضي

---

(١) في الأصل : « خطّه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) في الوافي : « وتهن محاسن » .
(٣) اسم مدينة فرعون بمصر . (معجم البلدان) .
(٤) الطور : ٢٣/٥٣ .
(٥) (س) : « هي ملازمة » .
(٦) في الأصل : « أنشأ بها » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) في الأصل : « وسيد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٨) في الأصل « المن » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٩) في (س) والوافي : « وأبوية » .

محيي الدين ابن عبد الظاهر ، وماله مثل هذه المكاتبة إذا[١] لم تعتبر التورية علم ذلك من علمه وجهله[٢] مَن جَهله .

وأنشدني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال : أنشدني من لفظه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد لنفسه :

أأحباب قلبي والذين بذكرهم ... وترْداده طول الزمان تعلّقي[٣]
لئن غاب عن عيني بديعُ جمالكم ... وجار على الأبدان حكم التفرّق
فما ضرّنا بُعْدُ المسافةِ بيننا ... سَرائرنا تَسْري إليكم فنلتقي

وبالسند المذكور له أيضاً :

قالوا فلان عالمٌ فاضلٌ ... فأكرموه مثل ما يرتضِي
فقلت لمّا لم يكن ذا تقى ... تعارض المانع والمقتضي

ومن شعر الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى :

كم ليلة فيك وصلنا السرى ... لا نعرف الغمض ولا نستريح[٤]
قد كلّت العيس فجدّ الهوى ... واتسع الكَرْبُ فضاق الفسيح[٥]
وكادت الأنفسُ ممّا بها ... تزهق والأرواح منها تطيح[٦]
واختلف الأصحاب ماذا الذي ... يزيل من شكواهم أو يريح[٧]

---

(١) (س) : « إذ » .
(٢) في (س) والوافي : « أوجهله » .
(٣) في الطالع : « أحبة ... في كل وقت تعلقي » .
(٤) في (س) : « لا نغرم الغمض » . وفي الطالع : « وصلت السرى لا نرقد الليل .. » .
(٥) في الأصل و (س) : « فسدّ » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات . وفي الطالع : « بجد الهوى .. فضاق » .
(٦) في الفوات : « منا تطيح » .
(٧) في الطالع : « يرد من أنفسهم .. » .

فقيـــل تعريسُهم ســـــاعـــــةً وقيـل بـل ذكراك وهـو الصحيـح[١]

قلت : لا أعرف لأحد من المتقدمين ولا من المتأخرين حسن هـذا المخلص[٢] ثم إنـه نص على الصحيح بعد ذلك .

ومن شعره :

يـــا مُعرضـــاً عني ولست بمعرض بل ناقضاً عهدي ولست بناقض[٣]
أتعبتني فخـلائـق لـــك لم يفـــدْ فيها وقد جمحَت ريـاضة رائض[٤]
أرضيت أن تختـار رفضي مـذهبـاً ويُشَنـع الأعـداء أنـك رافضي[٥]

ومنه :

قـد جَرحتنـا يـدُ أيّـامنـا وليس غير الله مِنْ آس
فـلا ترجِّ الخلـق في حـاجـة ليسـوا بـأهـل لسـوى اليـاس
ولا تـزد شكـوى إليهم فـلا معنى لشكـواك إلى قـاسي[٦]
وإن تخـالـط منهم معشرا هَـوَيت في الـدين على الراس[٧]
يـأكل بعضٌ لحم بعض ولا يحسب في الغيْبـة من بـاس[٨]
لا ورع في الـدين يحميهم عنهـا ولا حشمـة جُـلاّس

---

(١) (س) : « ذكرك » . وفي الطالع : « وقيل بل قربك » .
(٢) (س) : « التخلص » . وفيها زيادة : « ما كأنه في هذا الشعر إلا إمام الحرمين ، قد ألقى مسألة خلاف ، وهو يذكر فيها أقوال الأصحاب » .
(٣) في الأصل : « وليت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات والطالع .
(٤) في الفوات والطالع : « بخلائق » .
(٥) في الوافي والفوات والطالع : « فتشنّع » . وفي الأصل : « أني رافضي » وأثبتنا ما في المصادر السابقة .
(٦) في الأصل : « ترد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٧) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات . وفي الطالع : « فإن » .
(٨) في الفوات : « ولا يخاف في الغيبة » .

لا يعـــــدم الآتي إلى بـــــابهم ... من ذلّـة الكلب سـوى الخـاسي [١]
فـــاهرب من النـــاس إلى ربّهم ... لا خير في الخلطـــة بـــالنـــاس

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وقـــائلـــة مَـــات الكرام فمن لنـــا ... إذ عضَّنا الـدهرُ الشـديـدُ بنـابـهِ
فقلتُ لها : مَنْ كان غـايـة قَصْـده ... سُـؤالا لمخلـوق فليس بنـــابـــه
لئن مَـات من يُرجى فمعطيهم الـذي ... يرجّـونـه بـاق فلـوذي ببـابـه [٢]

ومنه :

ومستعبـــد قلب المحب وطرفـــه ... بسُلطـــان حكم لا ينـــازع في الحكم
متين التقى عف الضمير عن الخنـــا ... رقيق حواشي الطرف والحسن والفهم [٣]
ينـــاولني مســواكـــه فـــأظنّـــه ... تحيّـل في رشفي الرضـاب بـلا إثم [٤]

ومنه :

إذا كنت في نَجْـــد وطيب نسيمهـــا ... تـــذكَّرتُ أهلي بـــاللـــوى فمحجّر
وإن كنت فيهم ذُبت شوقاً ولـوعـة ... إلى ســاكني نجـــد وعِيْـلَ تصبّري
وقـــد طـــالَ مـــا بين الفريقين قصتي ... فمن لي بنجـــد بين أهلي ومعشري [٥]

ومنه ، وقيل إنّه في ابن الجوزي :

دقّقت في الفطنـــــة حتى لقـــــد ... أبـــــديت مَـــــا يسحر أو يسبي

---

(١) الخاسي : الذليل المهان .
(٢) الطالع السعيد : ٥٩٠ .
(٣) (س) : « مبين » . وفي الوافي : « الظرف » .
(٤) الطالع السعيد : ٥٩٠ .
(٥) الطالع السعيد : ٥٩٠ .

وصِرت في أعلى مقـــامـــاتهـــا حيث يراك النـــــاس كالشهب
وســـارمَـــا صيّرت من جـوهر الـ ـحكمـــــة في الشرق وفي الغرب[١]
ثم تنـــــــــازلت إلى حيث لا يـــنزل ذُو فـــهم وذو لـــب[٢]
تُثَبّت مـــا تجحـــده فطرة الـ ـعقـــل وَلا تشعرُ بـــــالخطب
أنت دليـــلٌ [لي] على أنّـــــه يُحـــــــال بين المرء والقلب[٣]

ومنه ما نظمه في بعض الوزراء :

مقبـلٌ مـــدبرٌ بعيـــدٌ قريب مُحْسنٌ مُـــذنب عـــدوّ حبيب
عجبٌ من عجـــائب البرِّ والبحـ ـر ونـــوع فرد وشكل غريب[٤]

ومن شعره :

يـــا هـــل أقضّى حـــاجتي من منًى وأنحـرُ البُـــزْل المهـــارِيـــا[٥]
وأرتـــوي من زَمْـــزم فهي لي ألـــذُّ من ريـــق المهـــا ريّـــا[٦]
يهيم قلبي طربـــــــــاً كلّما أستلمـح البرقَ الحجـــازيّـــا[٧]
ويستخف الـوجـــد عقلي وقـــد لبست أثـــواب الحجى زيّـــا[٨]

ومنه :

تمنّيت أنَّ الشيب عَـــاجـــل لَمّتي وقرّب منّي في صبـــاي مَـــزَارَه

(١) في (س) ، والوافي : « سيرت » .
(٢) (س) والوافي : « ولا لبّ » .
(٣) الزيادة من (س) والوافي ، والطالع السعيد .
(٤) في الطالع السعيد : « وشكل عجيب » .
(٥) (س) : « يأهل » . والإبل المهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان .
(٦) المها : بقر الوحش .
(٧) (س) والوافي : « تهيم نفسي » . وهذا البيت والذي يليه جاءا أولاً في الطالع السعيد .
(٨) في الطالع : « قلبي وقد أصبح لي حسن الحجا » .

لآخذ من عصرِ الشباب نشاطه وآخذ مِنْ عصر المشيب وقارَهُ

ومنه :

يا شبابي أفسدت صالح ديني يا مشيبي نغّصت طيّب عيشي
فعَدوّان أنتما لا صَديقا ن تلعّبتما بحلمي وطيشي

ومنه :

لم يبق لي أملٌ سواك فإن يَفُت ودَّعْت أيام الحياة وداعا[٢]
لا أستلذّ لغيرِ وجهك منظراً وسوى حديثك لا أريد سماعا

وأنشدني الشيخ شمس الدين بن نباته قال : أنشدني له :

لعمري لقد قاسيتُ بالفقر شدةً وَقَعْتُ بها في حيرة وشتات
فإن بُحتُ بالشكوى هتكتُ مُروءتي وإن لم أبح بالصبر خفت مماتي
فأعظم به من نازل بمُلِمّة يُزيلُ حيائي أو يزيل حياتي

وأنشدني من لفظه شيخنا فتح الدين قال : أنشدني من لفظه له :[٣]

الحمدُ لله كم أسعى بعزمي في نيل العلا وقضاءُ الله ينكسهُ[٤]
كأنني البدر أبغي الشرق والفلك الـ أعلى يعارضُ مسعاه فيعكسه

قلت : هذا مثل قول الأرّجاني :

سعيي إليكم في الحقيقة والذي تجدُون عنكم فهو سَعيُ الدّهر بي
أنحوكم ويردّ وجهي القهقرى دهري فسيري مثل سير الكوكب[٥]

(١) الطالع السعيد : ٥٩٣ .
(٢) في الأصل : « فلم يفت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٣) (س) : « لنفسه » .
(٤) في الأصل : « يعكسه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٥) في الأصل : « أنحو بكم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

فـالقصـد نحـو المشرق الأقصى لـه والسير رأي العين نحـــو المغرب

قلت : إلاّ أنَّ هـذا المعنى الـذي أتى بـه الشيخ تقي الـدين في بيتين فهو[١] أخصر . وقد تكلمت في (شرح لاميّة العجم)[٢] على معنى الأرّجاني وأوضحته .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدين ، وكان خصيصاً بالشيخ تقي الدين قـال : كان الشيخ مغرىً بالكيمياء ، معتقداً صحّتهـا ، قـال : لأنـه اتفق لي[٣] في مـدينـة قوص من صَنعها بحضوره وحكى لي الواقعة بطولها في ذلك .

ومِمّن روى عنـه الشيخ فتـح الـدين بن سيـد النـاس ، وقطب الـدين بن منيّر ، وقاضي القضاة علاء الدين القونوي ، وقاضي القضاة علم الـدين الأخنـائي ، وآخرون ، وحدّث شيخنا الذهبي إملاءً .

وقال كمال الـدين الأدفوي : حكى[٤] القـاضي شهـاب الـدين بن الكُوَيـك التـاجر الكارميّ رحمه الله تعالى ، قال : اجتمعت به مرّةً واحـدة ، فرأيتـه في ضرورة ، فقلت : يا سيِّدنا ما تكتب ورقة لصاحب اليمن ؟ اكتبها وأنـا أقضي فيهـا الشغل ، فكتب ورقـة لطيفة فيها :

تجـادل أربـابُ الفضـائـل إذ رأوا بضـاعتهم مَوكـوسـة الحَـظّ في الثَمن
وقـالـوا عرضنـاهـا فلم نلف طـالبـاً ولا من لـه في مثلهـا نظر حسن[٥]
ولم يبـق إلاّ رفضُهـا واطّراحُهـا فقُلتُ لهم لا تعجلـوا السُوقَ بـاليمن

وأرسلها إليه فأرسل له مئتي دينار ، واستمّر يُرسلها صاحب اليمن[٦] إلى أن مات .

---

(١) (س) : « وهو » .
(٢) الغيث المسجم : ١٤٥/١ .
(٣) (س) : « له » .
(٤) (س) : « حكى لي » .
(٥) (س) : « ولا من له فيها » . وفي الطالع : « فقالوا » .
(٦) في الطالع : « واستمر يرسلها كل سنة إلى أن مات . يعني صاحب اليمن » .

وقال كمال الدين أيضاً : قال لي عبد اللطيف بن القَفْصي : هجَوتُهُ مرّة فبلغه ، فلقيته في الكامليّة فقال : بلغني أنك هجوتني ، أنشدني ، فأنشدته بُلَّيقةً أوّلُها :

قـــاضي القضـــاة أعـزلَ نفسُـو لّمـــا ظهر للنـــاس نحسُـــو[١]

إلى آخرها فقال : هجوت جيداً .

وقال قالي صاحبنا الفقيه الفاضل الثقة مجير الدين عمر بن اللَّمطي[٢] ، قال : كنت مَرّةً بمصر ، وطلعت إلى القاهرة ، فقالوا لي : الشيخ طلبك مرّات ، فجئت إليه ، فقال أين كنت ؟ قلت : بمصر في حاجة ، قال : طلبتك في حاجة[٣] ، سمعتُ إنسانا ينشد خارج الكامليّة :

بكيت قـالـوا عـاشـق سكتّ قـالـوا قـد سَـلا
صلّيت قـــالـــوا زوكر مـــا أكثر فضـول النـــاس

وقال : حكى لي صاحبنا فتح الدين محمد بن كمال الدين أحمد[٤] بن عيسى القليوبي قالَ : دخلتُ مرّةً عليه وفي يده ورقة ينظر فيها زماناً ، ثم ناولني الورقة[٥] وقال : اكتب من هذه نسخة ، فأخذتها فوجدت فيها « بُلّيقة » أولها :

كيف أقـــدر أتـــوب وراس إيري مثقـــوب

وقال : قال لي شيخنا تاج الدين محمّد بن أحمد الدشناوي : سمعته يُنشد هذه « البليقة » أولها :

---

(١) في الوافي : « نَفْسه .. نحسه » . وفي الطالع : « عزل » .
(٢) هو عمر بن عيسى بن نصر اللمطي (ت٧٢١هـ) . الطالع السعيد : ٤٤٨ .
(٣) قوله « في حاجة » ، ليس في (س) والوافي ، والطالع .
(٤) (س) : « ابن أحمد » ، سهو ، وسلفت ترجمته في موضعها .
(٥) (س) : « تلك الورقة » .

جَلْـد عميرة[١] بـالـزجـاج ولا الـــــــــــــزواج

ويقول : بالزّجاج يا فقيه ...!

وقال : حكى لي القاضي سراج الدين يونس بن عبد المجيد الأرمنتي قاضي قوص قال : جئت إليه مرّة ، وأردت الدخول ، فمنعني الحاجب وجاء الجلال العسلوجي فأدخله وغيره ، فتألّمت ، وأخذت ورقة وكتبت فيها :

قل للتقي الذي رَعِيَّتُهُ راضُون عَنْ عِلْمه وعَنْ عَمَلِه

انظر إلى بابك ... ... يلوح من خلله[٢]

باطنه رحمةٌ وظاهرهُ يأتي إليك العذابُ مِن قِبلِه[٣]

ثم دَخَلْتُ وجعلتُ الورقة في الدواة ، وظننت أنّه ما رآني[٤] ، فقال : أجلس ، ما في هذه الورقة ؟ قلت : يقرأها سيدنا ، فقال : أقرأها أنت ، فكررّت عليه ، وهو يرد عليّ فقرأتها ، فقال : ما حَملك على هذا ؟ فحكيت له ، فقال : وقف عليها أحد ؟ فقلت : لا ، فقال قطّعها .

قال[٥] : وأخبرني برهان الدين إبراهيم المصري[٦] الحنفي الطبيب ، وكان قد استوطن قوص سنين ، قال : كنت أباشر وقفاً ، فأخذه مني شمس الدين محمد ابن أخي الشيخ ، وولاّه لآخر ، فعَزّ عليّ ، فنظمت أبياتاً في الشيخ ، فبلغته ، فأنا أمشي خلفه

---

(١) (س) والوافي والطالع : « العميرة » .

(٢) كذا بياض في الأصل و (س) والوافي ، والطالع .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ [الحديد : ١٣/٥٧] .

(٤) عبارة الوافي والطالع : « أنه ما رآني وقت » .

(٥) الأدفوي في الطالع السعيد : ٥٨٥ .

(٦) إبراهيم بن محمّد المصري ، سلفت ترجمته في موضعها .

مرّة فإذا به قد التفت إلّي وقال : يا فقيه ، بلغني أنّك قد هجوتني ، فسكتّ فقال : أنشدني ، فألحّ عليّ فأنشدته :

وَليتْ فَوَلَّى الزّهْدُ عنكَ بأسرهِ ... وبان لنا غيرُ الذي كنتَ تُظهرُ
ركنتَ إلى الدنيا وعاشرت أهلها ... ولو كان عن جدٍ لقد كنت تُعذَرُ

فسكتّ زمانا وقال : ما حملك على هذا ؟ فقلت : أنا رجل فقير ، وأنا أباشر وقفاً أخذه مني فلان ، فقال : ما علمتُ هذا ، أنت على حالك ، فباشرتُ الوقف مُدّةً ، وخطر لي الحجّ ، فجئت إليه استأذنه ، فدخلت خَلْفَه ، فالتفت إليّ وقال : أمعك هجوٌ آخر ؟ فقلت : لا ، ولكنّي قصدتُ الحجَّ ، وجئتُ أستأذن سيّدي ، فقال : مع السلامة ما نغير عليك .

وقال ناصر الدين شافع : من شعر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قوله :

تجاوزت حدَّ الأكثرين إلى العلا ... وسافرت واستبقيتهم في المعاوز[1]
وخضت بحاراً ليس يُعرف قدرُها ... وألقيت نفسي في فسيح المفاوز
ولجّجتُ في الأفكار ثم تراجع اخـ ... ـتياري إلى استحسانِ دين العجائز

وكتب إليه ناصر الدين حسن بن النقيب الفُقْيسي[2] لّما قدم الديار المصرية في سنة أربع وسبعين[3] وست مئة :

أنْتَ كالشافعّي إذْ حَلَّ مصراً ... فهو فيها عِلْماً وإن فات عصَرا
قد رأيناه مُذ قدمت علينا ... وسمعناه بعد ما حَلّ قَبْرَا
وارتضيناك مالكا وإماماً ... فامضِ فينا الأحكام نهياً وأمرا

---

(١) في الوافي : « في المفاوز » .
(٢) هو الحسن بن شاور بن طرخان بن حسن الكناني (ت٦٨٧ هـ) الوافي : ٤٤/١٢ .
(٣) (س) : « وتسعين » ، تحريف .

وهي ثلاثون بيتاً ، فأجاب الشيخ عنها بأبيات أولها[١] :

قد تأمّلتُ ما بعثتَ به لا ... زلت تُهدي لمن يواليك برّا[٢]
فرأيت الجمال كُمّل والإجـ ... ـمال فاستجمعا وسُمّي شِعَرا
وتنزهت في رياض بديع ... من صنيع البيان أطلعن زهرا
يا أميراً حتى على النظم والنثـ ... ـر لقد زدت في الإمارة قَدْرا

وهي خمسة عشر بيتاً ، وكتب الجواب ابن النقيب أيضاً وأوله :

أرسلت أبياتا إليّ بنشرها ... غرف الجنان تزخرفت وقُصُورها
وبها عُيون الشعر إلاّ أنها ... ولدانُ هاتيك الجنان وحُورها
ورأيت ألفافا من الجنّات إلا ... أنهنّ حروفها وسُطورها

وهي أحد عشر بيتاً ، وقد أثبتّ الجميع في الجزء التاسع والعشرين من (التذكرة) التي لي .

وكان الشيخ تقيّ الدين رحمه الله تعالى صحّح حديث القُلّتين[٣] ، واختار ترك العمل به لا لمعارض أرجح بل[٤] ، لأنه لم يثبت عنده بطريق يجب الرجوع إليه شرعاً تعيين لمقدار القلّتين .

وقال رحمه الله تعالى : ذكر بعضهم المسألة السريجيّة وقال : إذا انعكست انحلّت [وتقريره أنّ][٥] صورة المسألة : متى وقع عليك طلاقي فأنت طالق قبله ثلاثاً ، أو متى طلّقتك ، فوجْهُ الدَّور أنه متى طلّقها الآن وقع قبله ثلاثاً ومتى وقع قبله ثلاثاً لم

(١) (س) : « بأبيات منها » .
(٢) (س) : « ولا زلت » .
(٣) وهو : « إذا بلغ الماء قلّتين لم يحمل نجساً » ، وفي رواية : لم يحمل خبثاً . اللسان (قلل) .
(٤) (س) : « به » .
(٥) زيادة من (س) .

يقع ، فيؤدي إثباته إلى نفيه ، فانتفى ، وعَكْسُ هذا أن يقول : متى طلقتك ، أو متى وقع عليك طلاقي فلم يقع فأنت طالق قبله ثلاثاً ، فحينئذ متى[1] طلّقها وجب أن تقع الثلاث القبلية ، لأنه حينئذ يكون الطلاق القبلي ثابتاً على النقيضين ، أعني المنجز وعدم وقوعه ، وما ثبت على النقيضين فهو ثابت في الواقع قطعاً ، لأن أحدهما واقع قطعاً ، فالمعلق به واقع قطعاً . وهذه مقدمة ضرورية عقلية لا تقبل المنع بوجهٍ من الوجوه ، وأصل المسألة الوكالة . وكان شيخنا العلامة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى يقول : هذا فيه نظر ، وإنّما يلزم وقوع الطلاق المعّلق بالنقيضين المذكورين لو قال : إن طلقتك فوقع عليك طلاقي [أو لم يقع فأنت طالق قبله ثلاثاً ، ثم يقول لها : أنت طالق][2] ، فحينئذ يحكم بأنها طلقت قبل ذلك التطليق ثلاثاً عملاً بالشرط الثاني ، وهو عدم الوقوع ، لأنّ الطلاق المعّلق مشروط بأحد أمرين : إمّا الوقوع وإمّا عدمه في زمن واحد مُستندٍ إلى زمن واحد قبلي ، ولا يمكن الحكم بالوقوع القبلي استناداً إلى الشرط الأول وهو الوقوع للزوم الدور ، وأما الوقوع في ذلك الزمان القبلي مستنداً إلى عدم الوقوع فلا مجال فيه ، لأنه لا يمكن أن يقال : لو وقع فيه لوقع قبله ، لأنه إما أن يحتمل القبلية على المتسعة[3] التي أوّلها عقب التعليق ، أو على القبلية التي تستعقب التطليق ، فإن كان الأول لم يكن وقوع الطلاق قبله ، لأنه يكون سابقاً على التعليق ، وحكم التعليق لا يسبقه ، وهذا فائدة فرضنا التعليق على التطليق ونفيه بكلمة واحدة ، وإن كان الثاني لم يتمكن القول أيضاً بالوقوع قبله استناداً إلى الشرط الأول ، لأنه كما تتقيّد القبلية القريبة بالنسبة إلى الشرط الثاني كذلك تتقيّد بالنسبة إلى الشرط الأول ، فلا يكون على تقدّم [الوقوع][4] على ذلك الزمان دليل ، ولا له موجب ، هذا كله إذا كان التعليق بالنقيضيين بكلمة واحدة ، كما فرضناه ، وبان لك

---

(١) (س) : « متى إن » .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في (س) : « على القبلية للتسعة » .

(٤) زيادة من (س) .

بهذا أنّ الحكم بالوقوع ليس لكونه معلّقاً بالنقيضين وأنّ ما تعلّق بالنقيضين واقع ، كما توهّمه القائل لأن التعليق بالعدم ، وأنّه لا مانع منه ولا استحالة فيه حتى لو انفرد التعليق بالعدم ، وكان كذلك فلا أثر للتعليق معه على الوجود وإن وقع في فرض المسألة .

١٦٦٤ ـ محمّد بن علي بن أحمد*

ابن فضل ، المسند المبارك شمس الدين أبو عبد الله ، أخو الإمام القُدوة تقي الدين الواسطي[١] .

حضر على الشيخ الموفّق ، وموسى بن عبد القادر ، وابن راجح ، وسمع عن ابن أبي لقمة ، والقزويني ، وابن البنّ ، وابن صَصْري ، والبهاء ، وابن صبّاح الكاشغري ، وابن غسّان ، والزبيدي ، وعمر بن شافع ، وطائفة .

خرّج له شيخنا الذّهبيّ عوالي في جزء ضخم ، وخرّج له ابن النابلسي (مشيخةً) في جُزأين ، وسمع منه شيخنا المزي ، وشيخنا البرزالي ، وشيخنا ابن سيّد الناس ، والمقاتلي ، وابن المهندس ، ونجم الدين القحفازي ، وشمس الدين بن المهيني ، وغيرهم .

وتوفّي رحمه الله تعالى في منتصف شهر رجب الفرد سنة سبع مئة .

ومولده سنة خمس عشرة وست مئة تقريباً .

١٦٦٥ ـ محمّد بن علي**

الوزير الكبير سعد الدين الساوجي العجمي .

---

* الوافي : ١٩٣/٤ ، والعبر : ٤٠٤/٥ ، والشذرات : ٤٥٣/٥ ، وفي هذين الأخيرين أنه توفي سنة (٦٩٩ هـ) ، وكذلك في النجوم الزاهرة : ١٩٣/٨ ، عن الذهبي .

(١) في الوافي : « ابن الواسطي » ، وكذلك في العبر .

** الوافي : ٢٠٩/٤ ، والدرر : ١٠١/٤ ، وذيول العبر : ٦٣ .

كان من جملة وزراء خربندا ، كان جبّاراً ظالماً ، إلاّ أنه كان عمّر ببغداد جامعاً أنفق عليه ألف ألف درهم ، رافعوه ، فقتله خربندا ، وذُبح ابناه قبله . صلّى ركعتين قبل قتله وودّع أهله وثبت للقتل ، وخلع فُرجيّته على قاتله ، فباس يده واستجعل منه في حلٍّ ، ثم إنه أطار رأسه وقتل معه الوزير مبارك شاه[١] ، وصاحب الديوان المانشتري ، وتاج الدين الآوي كبير الأشراف ، والملك ناصر الدين يحيى بن إبراهيم[٢] صاحب سنجار ، وذلك في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

١٦٦٦ ـ محمّد بن علي بن يحيى بن علي*

الشيخ العلاّمة الغرناطي المالكي المقرئ بالمدينة ، أبو محمد .

كان فقيهاً نحوّياً مشاركا في عدّة فنون ، أديباً شاعراً ، سمع بالمغرب (الْمُوطَّأ) من أبي محمد بن هارون ، وسمع بالحجاز من جماعة ، وشرح (الجمل) في النحو وحدَّث .

سمع منه شيخنا البرزالي وجماعة ، وجاور بمكّة والمدينة [مدّة][٣] ، وله نظم كثير في المديح النبوي أكثر من ألفي بيت .

وتوفّي رحمه الله تعالى بالمدينة في يوم الاثنين سادس صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده بأجوار غرناطة سنة إحدى وسبعين وست مئة .

١٦٦٧ ـ محمّد بن علي بن عمر المازني الدهان**

شمس الدين الدمشقي الشاعر المشهور .

(١) الدرر : ٢٧٦/٣ .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٢٠٩/٤ ، والدرر : ٩٦/٤ ، وغاية النهاية : ٢١٢/٢ ، والبغية : ١٩٣/١ .

(٣) زيادة من (س) والدرر .

** الوافي : ٢٠٩/٤ ، وفوات الوفيات : ٥/٤ ، والدرر : ٧٨/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ .

كان يعرفُ (مقامات) الحريري ، وربّما يحفظها ، ويدري الموسيقى ، ويرى محاسنها ويلحظها ، فينظم الشعر الرقيق ويُلحِّنُه ، ويروجهُ بذلك على الأسماع ويملأه بهجة ويشجِّنه . وكان يلعب بالقانون ، ويرى أنه يصلح[١] لمنادمة المأمون .

وكان له مكان قد عمّره في الربوه ، واعتنى به ، وجعله بالزخرفة حُظوه ، يجمع به أحبابه وأترابه وأصحابه ، ويأخذ أربابُ الملاهي[٢] عنه الألحان ، ويرون أنهم أشوق إليها من بنت الحان .

ولم يزل على حاله إلى أن دُهي الدهّان ، وأمسى تحت الأرض إلى أن تصير السماء وردة كالدهان[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس شهر رجب يوم السبت سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه القاضي شهاب الدين بن[٤] فضل الله قال : كتبت إليه مُضمِّنا :

رأيتك [أيها] الدّهان تبغى ... مزيدا في التودّد بالمساعي
«فلو صوّرت نفسك لم تُزدها ... على مَا فيك من كرم الطبَاع»[٥]

وذكرتُ أنا هنا ما نظمته في مليح دهّان :

ودهّانٍ أقول له ونفسي ... من الوَجد المبَرّح لم أجدها[٦]

---

(١) (س) : « كان يصلح » .
(٢) (س) : « الملاهي والطرب » .
(٣) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ [الرحمن : ٣٧/٥٥] .
(٤) (س) : « أحمد بن .. » .
(٥) البيت لأبي تمام . انظر ديوانه .
(٦) (س) : « من الوجه » .

مَلكت جميع حسنٍ في البرايا فلو صوّرت نفسك لم تزدها

وكان قد اشترى مملوكاً وأحبّه وربّاه وهّذبه وخرّجه ، فمات ، فحزن عليه حزناً عظيماً ، وأسف عليه أسفاً كبيراً ، ورثاه بأشعار كثيرة ، ولحّنها وغنّى بها على قانونه ، ونقلها المغنون عنه وتداولها الناس مُدَّة مديدة .

وأنشدني من لفظه لنفسه جمال الدين يوسف الشاعر الصوفي في ذلك :

لئن مات يا دهانُ مملوكك الّذي بلغتَ به في الفِسْقِ مَا كنت ترتجي
فَثّلهُ بالأصباغ وجهاً وقامةً وخصراً وردفاً ثم عاينه واصلُج[1]

ومن شعر شمس الدين الدهان مِمّا رثى به مملوكه :

مُصيبةُ فقدٍ أيقظت كُلّ هاجع ووثبة حَتف فاجأت بالفواجع
ولوعة حزنَ فاجأت لاعج الأسى فصدمتها الشنعاء بين الأضالِع
ووقعة رُزءٍ لم تدع حين هدّمت قوى الصّبر قلباً وقعها غير واقع
إذا مَا دَعا داعي التذكر باسمها أجابت حنيناً هاطلات المدامع[2]
لقد ضل من يبغي اجتماعاً وألفةً من الدهر والأيام ذات القوارع
ومَا الدهر إلاّ ظالم غيرُ منصف وموجد تفريق لنا غير جامع
ومّا هذه الأجَساد إلا منازل وأرواحُنا فيهنّ غير ودائع[3]

ومنها :

ألاَ في سبَيل الله شخصٌ رزئتُهُ على غِرّة والدهر جمّ الفجائع
فُجعتُ به كالبدر في السنّ والسنا وكالشمس في إشراقها والمنافع
سريع إلى داعي الجميل مُبرّأ من العيب عفّ طَرفُه في المجامع

(١) الأصلج : الشديد الأملس .
(٢) (س) : « حبيباً » .
(٣) (س) : « غير منازل » .

جميل المحيّا فيه تلمح صادقا رزانة كهل وهو في سنّ يافع[١]

وهي طويلة تزيد على الخمسين بيتاً .

وقال فيه أيضاً :

سلُوا طول هذا الليل يخبركم عنّي بأني لم يغمض لفقدكم جفني
رَحلتم بصبري واستمر مريركم وأسلمتم قلبي إلى لوعة الحزن[٢]
وعوضتموني عن سروري بالأسى وبالبعد عن قربي وبالخوف عن أمني[٣]
وقد كان ظنّي أن يدوم وصالكم فأخلفتِ الأيّام في وصلكم ظني

ومن شعره فيه مَا أنشدنيه[٤] عنه الصارم إبراهيم بن عبد الرحمن العوّاد :

مَا سيّج الورد في خديك ريحان إلاّ ووَجْهُك في التحقيق بُستان
وَلا تعطّف مِنك العِطْفُ من صَلَفٍ إلاّ وريقك خمرٌ وهو نشوانُ
لله فتنة ذاك الطرفِ منك لقد سَبَى المحبّين لحظ منهُ فتّانُ
لو لم يكن سلبَ العشاق نومهم مَا راح مِن غير سُهد وهو وَسنان

قلت : البيت الرابع أخذه من قول مهذّب الدين بن القيسراني :

هذا الذي سلب العشاق نومَهُمُ أمّا ترى عيْنَهُ مَلأى من الوسَن

وما أحسن ما أتى بهذا تضميناً شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى ، أنشدنيه لنفسه إجَازة :

---

(١) (س) : « وزانه » .
(٢) استمرّت مريرته عليه : استحكم عليه .
(٣) (س) : « من أمني » .
(٤) (س) : « ومن شعر الدهان ما أنشدنيه » .

قالوا وقد عاينوا عينيَّ ساهرة ... من الكَرى وأطالوا فيَّ لومهُمُ
فقلتُ: عهدي بهِ من يوم فارقني ... هذا الذي سَلب العُشاق نومَهُمُ

وبه قال : أنشدني له :

عند قلبي منك وجدٌ لا يُحدُّ ... وغرامٌ هَزلُه في القول جَدُّ
واشتياق نارُهُ لا تنطفي ... وله بين شغاف القلب وقَدُ
أيّها البدرُ الذي تيّمني ... منه وجهٌ يُشبه البدر وخَدُّ[1]
وسباني جَوهَر من ثغرِه ... فوقه من رِيقهِ خمر وشهدُ

وبه[2] قال : أنشدني له :

دلائل الوجد لا تخفى على الفطن ... والحب أقصاه مَا أفضى إلى الفتن[3]
كم ذا التستر والأشواقُ تعربُ عن ... سرِّ الهوى بلسان المدمع الهتِن
دع التكتمَّ فالكتمان نارُ جوى ... بين الجوانح تذكيها يدُ المحن
وبح فليس بعارٍ أن تبوح فما ... في ساحة الحّي إلاّ كُلّ ذي شجن[4]

قلت : الرابع أخذه من قول الأول .

لا تُخفِ مَا صنعت بك الأشواق ... واشرح هَواكَ فكُلُّنا عُشّاقُ

وبه قال : أنشدني له :

ألا حبذا الوادي وروضُ البنفسج ... وطيبَ شذىً من عرفه المتأرّج
وأغصان بان في نواحيه ميد ... وكلّ قويم القدّ غير معوّج

---

(١) (س) : والوافي : « يخجل البدر » .
(٢) في الأصل : « ومنه » ، وأثبتنا ما في (س) قياساً على ما سبق .
(٣) (س) : « أقصى ».
(٤) في الوافي : « ونح .. أن تنوح » .

وأنهار ماءٍ في صفاءٍ ورقّةٍ تسيل بها ما بين روضٍ مدبّج
فإن جَعّدته خطرةٌ مِن نسيمهِ فيا حسن مرآى مائه المتموّج[١]

ومن شعره ملغزاً في الجوز :

ومجلود له جرمٌ بلا جرمٍ ولا ذنب
يعاقَبُ وهو من كَرَم السجيّة طيّبُ القلبِ

وكتب إليه المجير أحمد الخياط ، نقلته من خطه[٢] :

بات بعيد الدار عن سَكَنهْ صبٌّ قريبُ المزار من شجنه[٣]
متيّم يذرف الدمُوع دما في الرَّبع بعد الدمَا على دمنهْ
لم يُبق فيه بلى الرسوم سوى وسم خيال يلوُح من بدنه
رام اكتتام الغرام مستتراً بالصبر والصّبر ليس من جُنَنِه
وكيف يُخفي الهوى وعبرته تُنقل من سرّه إلى عَلَنه
رقّ له الشامتون حين رأوا فرط اكتئاب علاه من حزنه
مدلّهٌ لا يعي الملام ولا يدخل عذل العذول في أذنه[٤]
أقسَمتُ بالبيت ذي السُتُور وبالـ ـحَجيج والرَّاقصاتِ من بدُنه[٥]
ويوم جمع والمشعرين ومَنْ وفّى فُرُوض الميقات مع سُنَنِه
إنّ أبا عبد الله نادرة أحسن ما في الزمان من حسنه
ليس يوازى بمن يشاكله في سائر الناس من بني زمنه
لا في نِهاهُ ولا فضائله ولا ذكاهُ كلا ولا فطنه

(١) في الوافي : « متنه المتموج » .
(٢) (س) : « ومن خطّه نقلت » .
(٣) (س) : « الديار » .
(٤) (س) : « لا يعي الغرام » .
(٥) الراقصات : الإبل في سير الخبب .

غُـذّي لبـان الآداب في حكم الـ ـعُلوم قبل الفصال من لبنه[١]
وفاق في الموسيقا ومعبد في دخوله والغريضَ في غننِه[٢]
وفي القريض الجزل الرقيق شأى وفات نجل الحسين مع حَسَنه
هو الحبيبُ الذي يداهنني والدهن من فنّه ومن فننه
واعدني ذورة وقد علقت ذاتي بحبّ الوعود في رهنه
فإنْ يبادر إنجازها عدةً عَددتُها مَا حييت من مننه
وللمحبّ الداعي إليه هوىً يجذب من ضبعه ومن رسَنه
سَنّ لهُ شوقه تباعده فلم يزل جارياً على سَننه
وهو مقيمٌ على ودادكَ مَاعَا ش إلى أن يلفّ في كفنِه

قلت : قد حَذَفْتُ منها كثيراً لما فيه من اللحن والزحاف[٣] وفساد التركيب .

وكتب شمس الدين الدهان إليه الجواب عن ذلك :

شفَّ المعنّى وزاد في شجنه[٤] هاتفُ أيكٍ أوفَى على فَننه[٤]
دَعا هَديلاً شطّت به غُرْبةُ الـ ـبين فأمسى يبكيه من شجنه[٥]
فاهتجن من دائه الدويّ عقا بيل غرام له إلى سكنه
أذكَرَهُ طيب عيشة سلفت وانصرمت بالقيان مع فتنه
فبات يُجري دمعاً يشاركه الـ ـغيث إذ الغيث ارفض عن مُزنه[٦]
واصطلم البينُ صبره ونفى عن جفنه المستلذ من وسَنه

---

(١) (س) : « من حلم » .
(٢) الفريض : المغني المجيد .
(٣) في الأصل : « والزخارف » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) في الأصل : « سجنه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) (س) : « من حزنه » .
(٦) (س) : « إذا » .

فيـــالـــه من فتًى أخي حُرَقٍ ... حـافـظ عهـد المغيب مـؤتمنـه
مَـا تركَ الحبّ حين جـدَّ بـه ... سـوى خيـال يلـوح من بـدنِـه
فقـال لِـلاحِيـهِ في الغرام دع اللَّـو ... م ودّعـــه إن كنت لم تعنـــه
لا تبـغ بـالعـدل أنْ تقـاد فقـد ... مكّن كفّ الغرام من رسنِـــه
وللهـوَى المستَلـذّ مهجتُـه ... قـد خضعت فـانضـوت إلي محنـهِ
كما لعبـد المجير قـد خضعتْ ... غرّ القـوافي فـاتّضعن في قَرنـه
أيّ بليـغ أعيت بـلاغتُـه ... مَسّـا وفـاقت إيـاس في لَسنـه
صريـح وُدٍّ من أنْ يُشـاب نقيّ الـ ... ـعِرضِ صـافي الأديم من درنـه[1]
كاتبتني محسنـاً بمحكمـةٍ ... ذات بيـان دلّت على فطنـه
رقت ورَاقت فراح سـامعهـا ... يخـال سحراً قـد صُبّ في أذنـه[2]
لم يجر سبقـا لمثلهـا ابن أبي الصّلـ ... ـت بغمـدانـه ولاعـدنـه[3]
أربى على جرول بهـا وشـأى ... حسّان وابن الحُباب من حسنـه[4]
يفـديـك عبـد المجير مُضطغَن الـ ... ـضغنـة أمسى يطـوي على ضغنـه
فـاسلم على رغمـه تصرف في الـ ... ـكـلام منثـوره ومتّـزنـه
مَـا انعطف البـان بـالنسيم ومَـا ... رجّعت السَـاجعـات في غصنـه

قلت : قوله : « فقل للاحيه في الغرام » البيت قافيته ملحونه ، لأنّه قال : « إن كنت لمْ تُعنِه » لأن النون ساكنة ووقع له قبلها أخرى في بيتٍ حذفْتُه ، وهو معذور لأنّ المجير وقع له مثل ذلك ، وحذفته ، فقلّده الدهّان ، وكلاهما اغتر بقول النحاة : الساكن إذا تحرك كُسِرَ ، ذاك إذا كان الساكن متطرفاً ، أمّا وبعده ضمير أو غيره فلا .

(١) في الأصل : « تقي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « يختال » .
(٣) أمية بن أبي الصلت .
(٤) (س) : « مع حسنه » . وجرول : هو الحطيئة ، وحسان بن ثابت ، ووالبة بن الحباب ، والحسن بن هانئ أبو نواس .

ولشمس الدين الدهّان رحمه الله تعالى :

يـا بـأبي غصن بـانـة حَمَـلاَ بـدرَ دجَى بـالجمال قـد كـمـلا أهيفْ
فريـد حسن مـا مـاس أو سَفَرا
إلا أغـــــار القضيب والقَمَرَا
يبـدي لنـا بـابتسـامـهِ دُررا
في شهـد لـذّ طعمـه وحَـلا كأن أنفـاسـهُ نسيمُ طِـلاَ قَرْقَف
مُـورّدُ الخـدّ فـاترُ الْمُقَـل
يفـوق ظبي الكنـاس بـالحمـل
وينثني كالقضيب في الميـــل
مِنْ حَمل ردف مثل الكثيب علا نيـط[1] بخصر كأضلعي نُحلا مُخطَّف
ظبيٌ من الترك يقنص الأســدا
مقرطـقٌ قـد أذابني كَمَـدَا
حـاز بـديـع الجمـال فـانفردا
واهـاً لـه لـو أجـار أو عـدلا لمستهـام بهجره نحـلا[2] مُـدنف
غـزالُ سِرْب جمـالـه شرك
ستْر اصطبـاري عليـه مُنتهـكُ
لكلّ قلب هَـوَاه منتهـك
علّم قلبي الـولـوع والغَـزَالا طرفُ[3] له بالفتور قد كَحَلاَ أوطفْ
لله يـوم بـه الـزمـان وفى
إذْ منّ بـالـوصـل بعـد طُـول جَفـا
حتّى إذا مـا اطمأن وانعطفـا

(١) في الأصل : « ينط » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٢) في الأصل : « نجلا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٣) في الأصل : « ظبي » وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

أسفر عنه اللّثام ثمّ جلا ورْداً بغير اللّحاظ منه فلا يُقطَفُ
فَظَلْتُ من فرط شدة الترحِ[١]
إذ زارني والرقيب لم يَلُح
ألثم أقدامه من الفَرَحِ
وقُلتُ إذ عَنْ صدوده عدلا أهلاً من بعد جفوة وقلى أسْعَف[٢]

قلت : والأصل في هذا التوشيخ أن بعضهم أخذ[٣] قول أبي نواس الحسن بن هانئ[٤] :

أمَا ترى الشمس حلّت الحَمَلا وطاب وقت الزمان واعتدلا

فجاء إلى آخره وزاده توشيحة فقال : « فاشرب » ، ولّما فتح هذا الباب لأهل النظم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا ودخلوا أرسالاً لخفته[٥] وعذوبته ، وغالب من نظم فيه لزم الباء في التوشيخة ، وبعضهم عملها دالاً ، وبعضهم عملها فاءً مثل الدهان . فأوّل من علمته نظم في هذا ولزم الباء إبراهيم بن سهل المغربي[٦] فقال :

رَوْضٌ نضير وَشادن وطلا فاجتن زهر الربيع والقُبلا واشرب
ياساقياً ماوقيت فتنته
حكت[٧] كؤوس الرحيق صُورته
فمثّلت ثغره ووجنته

(١) في الفوات : « البرح » .
(٢) (س) : « أضعف » .
(٣) في الأصل : « إن أخذ » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) انظر : ديوان أبي نواس ص ٦٣ .
(٥) (س) : « ودخلوه أرسالاً بخفته » ، والأرسال : القطيع .
(٦) (ت٦٤٩ هـ) ، الوافي : ٥/٦ ، وأثبت الصفدي موشحته الآتية ثمّة .
(٧) في (س) والوافي : « جلت » .

هذا حبابٌ كالسّلك معتدلا وذا رحيق لذا الزجاج علا كوكبْ
أقمتُ حربَ الهوىَ على ساق
وبعتُ عقلي بالخمر من ساق
أُسهر جفني بنوم أحْداق
تمثّل السحر وسطَها كحَلا معتلة وهي تُبْري العِلَلا فاعجبْ
قلبك صخر والجسم من ذهبِ
أيا سمّي النبّي يا ذهبي
جاورت من مهجتي أبا لهب
يا باخلاً لا أذمّ مَا فعلا صيّرت عندي محبّة النُجَلا مذهبْ
يا منيتي والمنى من الخُدع
مَا نلتُ سولي ولا الفؤاد معي
هل عنك صبر وفيك من طمع[1]
أفنيتُ فيك الدُمُوع والحيلا فلا سُلوي في الحبّ نِلْتُ ولا مَأربْ
أتيتُ اشكوه لوعتي عجبا
فصدّ عني بوجهه غضبا
فعند هذا ناديت يا حَربَا
تَصَدّ عني يا منيتي ملاَ وأشتكي مِنْ صدودك العِلَلا[2] تغضب

قلت : ولّما علّقت هذه الموشحة راق لي وزنها فنظمت فيه مع عِلْمي بأنني ما أوفيه ، وهو :

لا تحسب القلب عن هواك سلا وإنما حاسدي الذي نَقَلا حرّف

---

(١) في الوافي : « أو فيك » .
(٢) في الوافي : « الملا » .

أسلو ولا صبر لي ولا جلدُ
ونار شوقي وسط الحشا تقـد
وكلّ وجد دون الذي أجدُ

مَـا وصل القلبُ في هواك إلى هذا وإن شئت أن يرى بـدلاَ سـوّف

لي بـدر تمّ للعقـل قـد قَمَرَا
وفـاق شمس النهـار والقمرا
وَطرفـه لـلأنـام قـد سحَرَا

والريق خمرٌ قد حلّ لي وحَلا لأنـه بـالمُنى إذا بَخَـلا يُرشف

وجفنـه صـح سُكره وصحـا
كم بـات حتفٍ لصّبـه فتحـا
وعُـذرُ ذاك العـذار قـد وضحـا

سَعَى إلى فيه يرشف[1] القُبَلا والنمل سار إلى أن[2] رأى العَسلا يَـزحف

يـا شـادنـاً سـلّ سيف مقلتـه
وهـزّ قـدّ القنـا بخطرتـه
وأخجـل البـدر حسن صُورتـه[3]

وجهك يـزداد بـالجمال عُـلا والبـدرُ في تمـة إذا كَمُـلا يُخسف

تبـدو فترمي الغصون بـالخجـل
فلم يمس عطفُهـا من الكسـل
وأنت مُغرى الأعطـاف بـالميـل

وقـدّك اللَّـدْنُ كلَّما اعتـدلا أخشى عليـه إن مَـال وانفتلا يُقصَف

---

(١) (س) : « يطلب » .
(٢) في الأصل : « مازال أن » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) (س) : « طلعته » .

شعرك ليـــل ووجهـــــك القَمرُ
والريـــق حلـــو وحشـــوّهُ دُررُ
والقـــدّ غصن ووجهـــك الـــزهرُ
خـدٌّ زهـا الورد فيـه واشتعلا وعقربُ الصّدغ فيـه قـد نَزلا والتَفُ

وأنشدني لنفسه إجازة صفّي الدين الحلّي رحمه الله تعالى[1] :

زار وصبغ الظـلام قـد نَصـلا بـدرٌ جـلا الشمس في الظـلام ألا فـــاعجب
جـاء وسَجف الظـلام قـد فتقـا
والصّبح لم يبـق في الـدجـا رمَقـا
وقـد جـلا نـورُ وجهـه الغَسقـا
وأدهم الليّـل منـه قـد جفـلا وقـد أتى رائـد الظَّـلام على أشهبْ
أفـديـه بـدراً في قـالب البشر
قـد جـاء في حسنـه على قـدر
يرتـع في روض خـــدَّه نظري
خَـدّ بلطف النعيم قـد صقـلا كأنّـــه من دمي إذا خَجـلاَ يُخضب
يـا من غـدا ظـلٌّ حسنـه حرمـا
لّمـا حـوى مَـا بـه الجمـال حمى
فرعاً وصدغا مُـذُ حكّمـا ظَلَمَـا
فـأرقَمُ الجعـد يَحرسُ الكفـلا وحَارسُ الخـدّ منـه قـد جُعِلاَ عقرب
هـــلاَّ تعلمت بَـــــذْل ودّك ليْ
من المليـــك المـؤيـــد بن علي

(١) ديوان صفي الدين الحلي : ٢١٣ ، وفيه اختلاف يسير عما هاهنا .

سُلطـــــــان عصر سَما على الأُول

لـولا أيـادٍ بهـا الـورى شَمَـلا لأصبـح النـاسُ كالسماء بـلا كـــوكَب

وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني[1] :

بـدرٌ عن الوصل في الهـوى عـدلا مَـالي عنـه إن جَـار أو عـدلا مـــذهب

مُترّكُ اللحـــظ لفظـــه خنثٌ

إليـــه يصبُـو الحشـــا وينبعث

أشكـــو إليـــــه وليسَ يكترث

دَعَـا فـؤادي لأنْ يـذوبَ قِلى والمـوت والله من مقـالي لاَ أقرَب

لم يبـق لي مقلـــة وَلا كبَـــدُ

والقلبُ فيـه أودى بـه الكَمـد

وليس يُلفى لهجره أمَـــــــدُ

لا تعجبُـوا إن غَـدوت محتملا لكنّ قلبي إن كان عنـه سَلا أعجب

بـالحسن كلَّ العقـول قـد نَهبـا

والحـزن كلّ القلـوبَ قـد وَهبـا

شمسٌ وُلكنني لـديـــه هَبَـــا

فـانظر لـذاك القوام كيف حلا غضتنـا وكم منـه بـالجَمال جَلاَ غَيْهَبْ

١٦٦٨ ـ محمَّد بن علي بن عبد القوي*

ابن عبد الباقي محيي الدين التنوخي المعريّ ثم الدمشقي ، ابن المارستاني الحنفي ، نزيل القاهرة .

---

(١) ديوان العفيف ص ٢٤٥ .

* الوافي : ٢١٣/٤ ، والدرر : ٦٨/٤ .

سمع من عثمان بن علي ، وإبراهيم بن خليل ، وفرج الخادم[١] ، وعبد الله بن الخشوعي ، وعدّة . وخرَّج له الدمياطي (مشيخة) ، وسمعها منه قديماً .

وكان مديماً للاشتغال ، ورعاً زاهداً متواضعاً مُفَسّراً ، من كبار الحنفية ، أعاد بالمنصورية والناصرّية والظاهرية والصالحية ، وحمل عنه الطلبَة من سماعاته (جزء) الذّهلي[٢] على ابن خطيب القرافة[٣] سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وأربعين وست مئة .

١٦٦٩ ـ محمّد بن علي بن الحسين بن سالم*

الشيخ المقرئ الصالح الحاج ، بقيّة المُسْندين ، شمس الدين ، أبو جعفر السلمي المرداسي بن الموازيني .

سماعه سنة اثنتين وعشرين وبعدها ، إذ كان عند الملقّن .

سمع أبا القاسم بن صَصرى ، والبهاء عبد الرحمن ، وتفرّد بالرواية عنهما . وسمع من إسماعيل بن ظفر[٤] ، وأبي سليمان بن الحافظ ، والشيخ الضياء .

وورث من أبيه ثروةً وعقاراً ، وجاور مدّة ، وأنفق في البّر والقُرب ، ثم أعطى ملكه لابنته ، وبقّى لنفسه كلَّ يوم درهمين ، ولبس العَسَلي وتزهد ، وحدَّث بالحرم ، وانحطم بالهرم[٥] ، وثقل سمعه وضعف بصره .

---

(١) في الأصل : « وفرج بن خليل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي الدرر : « فرج مولى القرطبي » ، وهو فرج بن عبد الله الحبشي الخادم (ت٦٥٢ هـ) ، العبر : ٢١٣/٥ .

(٢) محمد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري (ت٢٥٨ هـ) ، السير : ٢٧٣/١٢ ،

(٣) عثمان بن علي (ت٦٥٦ هـ) ، السير : ٢٤٧/٢٣ .

* الوافي : ٢١٢/٤ ، والدرر : ٦٣/٤ ، والشذرات : ١٨/٦ ، وذيول العبر : ٤٤ .

(٤) كذا في الأصل ، وهو ابن المظفر ، انظر ترجمته في العبر : ١٦٠/٥ .

(٥) في الأصل : « وانهزم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

وحدّث عنه ابن الخباز وباقي الطلبة .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين منتصف ذي الحجة سنة ثمان وسبع مئة .

ومولده سنة خمس عشرة تقريباً .

١٦٧٠ ـ محمّد بن علي*

الإمام الفاضل الفقيه النحوي الأصولي تاج الدين البارنباري الشافعي .

أخبرني شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ، قال : قرأ المذكور على الشيخ حسن الراشدي[١] القراءات السبع بالفاضليّة ، وقرأ المعقول على الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، وحفظ (التعجيز) ، وكان يستحضره إلى آخر وقت ، ويعرفه جيداً ، وحفظ (الجُزُوليَّة) ، واستمرّ على حفظ القرآن إلى أن مات .

وكان جيد المناظرة ، متوقّد الذّهن في الفقه والأصولين والعربية والمنطق ، وكان عديم التكلف في ملبسه ، ولم يكن بيده غير فقاهات بالمدارس[٢] ، كان يلقب بطوير الليل .

توفّي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة .

وقال لي[٣] شيخنا قاضي القضاة تقي الدين ، قال لي ابن الرفعة : مَن عندكم من الفضلاء في دَرْسِ الظاهريّة ؟ فقُلْت له : قطب الدين السنباطي ، وفلان ، وفلان ، وعددت حتى انتهيت إلى ذِكر البارنباري ، فقال : ما في من ذكرت مثله .

---

* الوافي : ٢٢٢/٤ ، والدرر : ١٠٠/٤ .

(١) حسن بن عبد الله ويحيات (ت ٦٨٥هـ) ، وغاية النهاية : ٢١٨/١ .

(٢) في الوافي : « فقاهات للدارس » .

(٣) ليست في (س) .

ومن مباحثه في السؤال الذي يورد في قوله تعالى : ﴿ لا تَأْخُذُهُ سنةٌ ولا نومٌ ﴾[١] وتقديره أنّ السِّنة أعمُّ من النوم ، ويلزم مِن نفي العام نفي الخاص[٢] ، فكيف قال ﴿ ولا نوم ﴾ بعد قوله ﴿ لا تأخذه سنة ﴾ ؟

وقد أجاب الناس عن هذا بأجوبة كثيرة ، ومن أحسنها ما قاله البارنباري هذا ، قال : الأمر في الآية على خلاف ما فهم ، والمنفيّ أولاً إنما هو الخاص وثانياً العامّ ، ويُعرَفُ ذلك من قوله ﴿ لا تأخذه ﴾ أي لا تغلبه ، ولا يلزم[٣] مِنْ أخَذ السنة التي هي قليل من النوم أو النعاس عَدَم أخذ النوم له ، فقال ﴿ ولا نوم ﴾ فعلى هذا فالسؤال منتفٍ ، وإنّما يصح إيراده أن لوْ قيل لا يحصل[٤] له سنة ولا نوم . وهو [جواب][٥] بليغ ، قال مولانا قاضي القضاة تاج[٦] الدين السبكي : إلاّ أن لك[٧] أن تقول : فلم لا اكتُفي بنفي[٨] أخذ النوم على هذا التقدير[٩] الذي قررت ، وما الفائدة في السنة[١٠] .

ومن سؤلات تاج الدين طوير الليل : سوّى الأصحاب بين المانع الحسّي والمانع الشرعي فيما إذا باع جاريةً حاملاً بحرٍّ أو باع جارية إلاّ حَمْلَها ، فإنّ الصحيح فيهما البطلان ، ولم يفعلوا ذلك فيما إذا باع داراً مستأجرة ، فإن الصحيح فيها الصحة ، والبطلان فيما إذا باع داراً واستثنى منفعتها شهراً[١١] .

---

(١) البقرة : ٢٥٥/٢ .
(٢) (س) : « على الخاص » .
(٣) في الأصل : « ويلزم » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) في الأصل : « يصل » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) زيادة من (س) .
(٦) (س) : « تقي » .
(٧) في الأصل : « إلاّ لك » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) في الأصل : « حكم لا النفي بنفي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٩) (س) : التقرير » .
(١٠) (س) : « ذلك السنة » .
(١١) ليست في (س) .

وأجاب ، وقد سئل : كيف يقول الغزّالي إن النيّة في الصلاة بالشروط أشبه وهي بشرط [١] أن تكون مقارنة للتكبير ، والتكبير ركنٌ ، فيتحد زمان الركن والشرط مع كون الركن لابد أن يكون داخل النيّة [٢] والشرط خارجاً ؟ بأن المراد بالداخل ما تتقوَّمُ به الماهيّة ولا تصدق بدونه وبالخارج [٣] ماليس كذلك سواء أقارن الداخل في الزمان أم لا ، فالترتيب ليس في الزمان ، والنيّة لا تَتَقَوَّم بها الصلاة ، لجواز [٤] أن توجد بلا نيّة [٥] ، وتكون صلاة فاسدة ، وكذلك ترك الأفعال الكثيرة في الصلاة فإنّه شرط مع أنه [٦] لا يوجد إلاّ داخل الصّلاة .

قال مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي : هذا جوابه ، وهو على حُسْنه قد يقال عليه : هذا يتم [٧] إذا قلنا : إن الصلاة موضوعة لما [٨] هو أعمّ من الصحيح والفاسد لتصدق صلاة صحيحة وصلاة فاسدة ، أمّا إذا قلنا : إنما هي موضوعة للصحيح فقط ، فحيث انتفى شرطها لا تكون موجودة . وقد حكى الرافعي الخلاف في أنّ لفظ العبادات هل هُو موضوع لما هو أعم من الصحيح والفاسد أو هو مختص [٩] بالصحيح [حيث قال في كتاب الإيمان : وسيأتي خلاف أن لفظ العبادات هل هو موضوع لما هو أعم من الصحيح] [١٠] والفاسد ، أو هو مختص بالصحيح ؟ وإن كان لم يف بما وعد إذ لم يحكه بعد ، على ما رأيناه .

---

(١) (س) : « يشترط » .
(٢) في الأصل : « داخل إليه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) (س) : « والخارج » .
(٤) (س) : « بجواز » .
(٥) (س) : « ثلاثية » .
(٦) (س) : « مع كونه » .
(٧) في (س) : « إنما يتم » .
(٨) في الأصل و (س) : « لها » ، وما أثبتنا أشبه .
(٩) في الأصل : « محض » ، وأثبتنا ما في (س) .
(١٠) زيادة من (س) .

١٦٧١ ـ محمّد بن علي بن محمد بن غانم*

الشيخ الفاضل القاضي بدر الدين ابن الشيخ علاء الدين بن غانم ، تقدم ذكر أبيه وعمّه وأخيه وابن عمه .

كان مِنْ جُمْلة كتاب الإنشاء ، كان على الاشتغال مكبّاً وإلى التفّهم مُنْصّباً لا يثنيه عن ذلك ثانٍ ، ولا لَهُ من بيته في هذا ثان ، يكون في ديوان الإنشاء جالسا ، وتراهُ في (مختصر) ابن الحاجب دارسا ، كثير الصّمت ، عليه وقار وسمت ، يفيض جماعة الإنشاء فيما يفيضون فيه ، وهو مَشغول بنفسه وصلاح حاله وتلافيه . يتَشدَّدُ في الكتابة فلا يكتب إلاّ ما وافق الشريعه ، وكان مضمونه إلى الحقّ ذريعه . وكتب كثيراً وعلّق تراجم والتقط ذلك من التواريخ والمعاجم ، وكان غاوياً باقتناء الكتب ، رافعاً عن البذْل فيها أذيال الحُجُب ، على مَسْكَةٍ كانت في يده ، وشحٍّ سكن في خلده .

وكان جميل الصّورة في صباه ، مَصُونا في مَرْباه . ثم إنّه سأل الإعفاء مِنْ ديوان الإنشاء ، فأُجيب إلى ما قصده ، وتناول ما رَصَده .

ولم يزل على ذلك إلى أن سلك سبيل من مضى [من][1] الأُمم ، وأصبح وقد عَدّ في الرّمم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر جمادى الأولى سنة أربعين وسبع مئة .

وكان مُنْجَمعاً عن الناس لا يتكلّم فيما لا يعنيه ، يكرّر على محافظه[2] الليل والنهار . وكان قد حفظ القرآن و (المنهاج) و (مختصر) ابن الحاجب و (الحاجبيّة)

---

* الوافي : ٢٢٢/٤ ، ووفيات ابن رافع : ١٠٨/١ ، والدرر : ٨٤/٤ ، والدارس : ٣٣٠/١ .

(١) زيادة من (س) .

(٢) في الوافي : « محفوظاته » .

و (الْمُلْحة) ، وعرض ذلك على الشيخ كمال الدين[١] ، وعلى الشيخ برهان[٢] وعليه تفقه .

ولّما توجه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى قضاء حلب وصار بها[٣] كَتَب له إذناً بالإفتاء[٤] ، وجهّزه إليه إلى دمشق ، وفي آخر أمْره سأل الإعفاء من كتابه الإنشاء وأن يكون له نظير معلومه على الجامع الأموي ، فأجيب إلى ذلك . وكان بيده تدريس القليجيّة الشافعية والشريفية عوضاً عن القاضي نجم الدين الدمشقي[٥] ، وباشر العمادّية والدماغيّة عوضاً عن الشيخ [بدر الدين بن][٦] أبي اليُسر ابن الصائغ[٧] لّما توجه لخطابة القدس ، وكان يحمل المعلوم إلى أقارب الشيخ بدر الدين ، ولّما عاد ابن الصائغ إلى دمشق استمرّ بدر الدين في تدريسها ، فوشى به الأمير حسام الدين بن النجيبي مشدّ الأوقاف إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فأمر بإعادة المدرستين المذكورتين إلى ابن الصّائغ ، وكان قد عُيِّن لخطابة القدس عوضاً عن ابن الصائغ فغضّ[٨] ذلك منه .

ولّما توجه الشيخ برهان الدين إلى الحجاز ألقى عنه الدرس بالباذرائية ، وكان معه عدّة وظائف من قراءات على الكراسي[٩] وغير ذلك مِمّا يقارب[١٠] الألف درهم في كل شهر .

---

(١) ابن الزملكاني ، كما في الدرر .
(٢) الفزاري ، إبراهيم بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته .
(٣) قوله : « وصار بها » ليست في (س) .
(٤) في الأصل : « إذا بالإفتاء » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) الدارس : ٢٣٨/١ .
(٦) زيادة من (س) .
(٧) محمد بن عبد الخالق (ت٧٤٩هـ) ، الدارس : ١٧٨/١ .
(٨) في الأصل : « بعض » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٩) في الأصل : « الكرسي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(١٠) في الأصل : « مما رب » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان جمّاعةً للكتب ، أبيع له لمّا مات قريب الألفي مجلدة ، وعلّق على (المنهاج) تعليقه ، وكان يحب الصالحين .

١٦٧٢ ـ محمّد [بن علي] بن محمد بن سعيد*

ابن حمزة الشيخ الصدر الرئيس شرف الدين بن الصدر علاء الدين التميمي ، ابن القلانسي .

من بيت كبير ، وكان صاحب ثَرْوة ، تزوّج في شبابه بابنة قاضي القضاة صدر الدين بن سنيّ الدولة ، وهو صاحب حمّام الزهور بالصالحيّة ، وهو خال عز الدين بن القلانسي .

كان محبّاً للفقراء والصالحين ، وسمع [من السخاوي][(١)] والقرطبي ، والعز بن عساكر ، وابن[(٢)] مسلمة ، غيرهم .

وتوفّي رحمه الله تعالى في حادي [عشري][(٣)] جمادى الأول سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سَنة ست وثلاثين [وست مئة][(٤)] بدمشق .

١٦٧٣ ـ محمّد بن علي بن عبد الواحد**

الأنصاري السّماكي الدّمشقي الزملكاني ، الشيخ ، الإمام ، العالِم العلاّمة ، ذو

---

* الدرر : ٨٢/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (س) والدرر .

(١) زيادة من (س) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) زيادة من (س) .

** الوافي : ٢١٤/٤ ، وفوات الوفيات : ٧/٤ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، والدرر : ٧٤/٤ ، وبدائع الزهور : ٤٥٨/١/١ ، والشذرات : ٧٨/٦ ، والدارس : ٢٤/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٠/٩ ، وذيول العبر : ١٥٤ .

الفنون ، الذكيّ النحرير ، شيخ الشافعيّة في عصره ، كمال الدين أبو المعالي قاضي القضاة بحلب .

سمع من أبي[١] الغنائم بن عَلاّن ، والفخر عليّ ، وابن الواسطي ، وابن القوّاس ، ويوسف بن المجاور[٢] ، وعدّة ، وطلب الحديث .

وكان فصيحاً في قِراءته مُتَسّرعاً[٣] . قال شيخنا شمس الدّين الذهبي : له خِبْرَةٌ بالمتون ، تَفَقَّهَ عَلَى الشيخ تاج الدين الفزاري[٤] [وأفتى][٥] وله نيّفٌ وعِشْرُون سَنَة ، وسُمِّيَ بالشيخ وعُمْرهُ عشرون سَنة .

وقَرأ العربيَّةَ على الشيخ بدر الدين بن مالك ، وقَرَأ على قاضي القضاة شِهاب الدّين الخويّي[٦] وشمس الدين الأيْكي .

وقرأ الأصول على الشيخ صفي الدين الهندي أوّلَ قدومِه البلادَ ، أمّا لمّا عاد لم يقرأ عليه[٧] ، وقرأ على قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي .

وأخبرني شيخنا نجم الدين بن الكمال الصفدي ، قال : قُلْتُ له : فَرّطت في المنطق ، قال : كان في طلبي له تلك الأيام شخص[٨] يعرف بالإفسِنْجي[٩] ، وكنت قد

(١) في الأصل : « ابن أبي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وأبو الغنائم هو المسلم بن محمد بن المسلم القيسي الدمشقي ، ابن علان ، (ت ٦٨٠ هـ) . العبر : ٣٣٢/٥ .

(٢) في الأصل : « المحار » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وهو يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني ، (ت ٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٧٠/٥ .

(٣) في الفوات : « متشرعاً » .

(٤) في الأصل : « العزاري » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

(٦) في الأصل : « ابن الخوبي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) عبارة الوافي : « أمّا لما عاد الشيخ صفي الدين وأقام بدمشق لم يقرأ عليه » .

(٨) عبارة الوافي : « فقال كان بدمشق أيام طلبي له شخص » .

(٩) في الوافي : « الأفشنجي » .

دَرّسْتُ وتميّزت ، أو قال : وأفْتَيْت ، فكنت أتَرَدّدُ إليه على كُرْهٍ منّي ، والعلمُ في نفسه صعب ، وعبارة الأفسنجي فيها[١] عُجْمَة ، فإذا أردْتُ منه زيادةَ بيان ، أو قُلْت له : ما ظهر لي ، جثا[٢] وأدار وَجْهَهُ عَنّي ، فأَنِفْتُ من تلك[٣] الحالة ، وبطّلت الاشتغال[٤] ، أو كما قال .

قلتُ : أغناه فكره الصائب وذهنه الثاقب عن ذلك ، لأنّ المنطق عِلْمُ عَقْلٍ لا نَقْل ، على أنه كان يعرف منه ما يحتاج إليه في أصول الدين وأصول الفقه ، فالمنطق نحو[٥] المعاني ، كما أنّ النحو منطقُ الألفاظ ، وابن الزملكاني كان[٦] يعرف المنطق على وجهٍ كليّ ، كما أنّ امرأ القيس وغَيْرَه مِنْ فصحاء قريش يعرفون النّحو على وجهٍ كليّ ، وقال ابن سينا : واضعُ النحو والعروض في اللغة العربية يُشْبه واضعَ المنطق والموسيقا في اللغة اليونانية .

قلت : لعمري هذا تشبيهُ مَنْ عَرَف حقيقة هذه العلوم الأربعة ، ولقد أوْرد بعضُ الأفاضل على تعلّق[٧] المنطق : إنْ كانت هذه الآلات من الفطريات[٨] فليستغن عن تَعَلّمها ، وإلاّ افتقرت إلى آلةٍ أخرى ، ودار وتسلسل ، وأجابه[٩] المنتصرون بأنّ بعضها فطري وبعضها كَسْبيّ ، فاندفع الإشكال .

---

(١) في الأصل : « الأصبحي في » وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « قال : جثا » ، وفي الوافي : « قال جاء » .
(٣) في الأصل : «ذلك » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في الأصل : « الإشغال » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) (س) : « هو نحو » .
(٦) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٧) في الأصل : « علم تعليق » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) في الأصل : « الآيات » ، وفي (س) : « الآلة من النظريات » .
(٩) (س) : « أو تسلسل وأجاب » .

قلت : بل الإشكالُ باقٍ على حالهِ ، فنقول فيما هو فطري ما قلناه أوّلاً ، وفيما هو كسبي ما قلناه أوّلاً ، وما كان الشيخ في ذلك بحيث إنّه يجهل معرفةَ التصّور والتصديق ، ودلالة المطابقة ، ودلالة التضمّن[١] ، ودلالة الالتزام ، والضرب من[٢] الشكل المنتج والكاذب ، وموادّ البُرْهَان ، والمقدَّم والتالي ، وقياس الْخُلْف ، وغير ذلك مما يَدْخُلُ في الأصولين ، بل كان يعرف ذلك معرفةً جيّدة تامة يتسلط بها على باقي الفن[٣] ، أمّا أنّه كان يُطْلَبُ مِنْهُ[٤] أنْ يشغل في مختلطات كشف الأسرار للخونجي فلا ، وقلت أنا في مقتضى حال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى :

أغناه ثاقبُ ذِهْنِه وذكاؤه ... عَنْ أنْ يُقَلِّد فيَ الأنام سِواهُ
مَنْ كان كالشمسِ المنيرة ذِهْنُه ... فجميعُ مَا تحوي العلومُ يراهُ

وقال : وكان[٥] الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى عَلاَّمةَ الزمان وثَلاَّمة[٦] البهتان ، قائماً بالفِقْه ودقائقه وغوامضه وحقائقه ، لو رآه الرّوياني لأغرقه في بَحْره ، أو المتولي[٧] لَعَزِل عما اكسبه نهاية فخره ، أو القَفّال لفتح له أبواب نَصْره ، أو الرافعي لانحطَّ إلى خَفْضه وجَرّه . قاعداً بالأصول فقهاً ودِيناً ، ناهداً كالأسد وقد جعلت له الأقلام عرينا ، فلو رآه الحليمي[٨] لسفّه رأيه ، أو الباقلاّني لكان باقلاً[٩] في الرّواية والدّراية ، كأنما عناه الغزي بقوله ، واقتصر به على طَوْله ، حيث قال :

---

(١) (س) : « التضين » .
(٢) (س) : « في » .
(٣) قوله : « يتسلط ... الفن » ليس في (س) .
(٤) (س) : « فيه » .
(٥) في (س) : « وكان » بلا « وقال » .
(٦) ثلم الشيء : كسر حرفه .
(٧) عبد الرحمن بن مأمون بن علي (ت ٤٧٨ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٣٣/٣ ، والسير : ٥٨٥/١٨ ، والكشف : ١/١ .
(٨) الحسين بن الحسن بن محمّد بن حليم البخاري الشافعي (ت ٤٠٣ هـ) ، السير : ٢٣٢/١٧ .
(٩) يشير إلى المثل : « أعيا من باقل » .

لم يَبْرح الفقه رَوْضاً فاقَ فيكَ لـه ... سحَـابـةٌ وَرْدُه منهَـا وعَبْهَرَهُ[١]
ذو الـدرس سهل المعَـاني في عبـارَتـه ... يكاد يحفظـــه مَنْ لا يكرّره[٢]
أمّـا الجـدال فيـدانٌ فَـوارسُـه ... تُقِرُّ أنّـك دُون النـاس عنترَهُ

لا يرى النـاس أفصحَ من عبـارتـه ، ولا أمْلَحَ من إشـارتـه ، لـو سمعـه الأصمعيّ لم ينقل عَربيه عن أعْرَابه ، أوْ يُونس بن حبيب لَمَا قلّده سيبويه في إعرابه ، كأنّ عبارتَـه السكّرُ الْمُذَاب ، أو رشْفُ الثنايا العِذَاب ، تدخل الأُذنَ بلا إذْن لفصاحتها ، ويرشفهـا الذهن لصناعتها ونَصَاعتها .

وكان شَكْلُـه يُرَى وهـو من أحْسَن الأشكال ، ومثلـه[٣] لا يَرى وليُّـه معـه إلاّ أنْ يذل[٤] له الأنذال ، وعدوّه سوى إن كال[٥] له الأنكال ، بعمّة لا يحسن أحدٌ أنْ يُـديرهـا ولا يَصْدُق تصويرها ، وطلعةٍ يستحيي القمر أنْ يُقَابلها ، والشمس أنْ تُشاكلها ، وشيبـةٍ عليهـا نُور الإيمـان ، ورونق الإيقـان ، وكَرَم نفسٍ لا يُـذكَرُ مَعَـه صَوْبُ الغَوادي ، ولا النيل ذو الأصابع ولا البحر ذو الأيادي .

وأمـا خطُّـه فلم يكتب أحـدٌ في زمـانـه مثـلَ تَعْليقـه ، ولا يصـل معـه كاتب إلى تَعْليقه ، كأنّ طروسه رياضٌ دَبَّجها أيدي[٦] الغمام ، سطورُه حـدائقُ ألفـاتُهـا غصونٌ ، والهمزاتُ عليها حَمَام ، كأنما :

تَنَـاولَ من لطـافتـه نَهـاراً ... وفَرّقَ فَـوْقَـهُ لَيْـلاً بَهيمَـا

هذا إلى معارف حواها من سائر الفنون . وأخذ من كلٍ منها محاسنَ النكت وفوائد

(١) العبهر : العظيم ، والنرجس والياسمين .
(٢) في الوافي : « في جزالته » .
(٣) (س) : « ونبله » .
(٤) في (س) : « يذال » .
(٥) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) (س) : « إبر » .

العيون ، فما باشر شيئاً إلاّ وزانَه ، ونَفَى عنه ما شابه وشانَه ، تنقّل في مباشرات الدوله ، ونال فيها الوجاهة والعزّ والصون والصّوله ، ووَلي في آخر عمره قضاء قضاة حَلب غَصْبا ، ولقي فيها نَصْبا ، وإن كان قد وَجَد فيها رَفْعا ونَصْبا ، ثم إنّه عزل [منها وطلب إلى] باب[١] السلطان فما وصل ، ونزع خضاب سعده ونَصَل ، ومرض في طريق الرّمل . وانبَتّ من حياته الشَّمْل ، فعُدِم الوجودُ كالَه ، وما وصل جرح حياته اندمَاله .

وأدركه أجلُه في بُلْبَيس سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وله من العمر ستون سنة .

كان[٢] مولده في شوال سنة سبع وستين وست مئة .

وحَمَله ولده عبد الرحمن[٣] إلى القاهرة ودفنه بالقرافة عند الشافعيّ رضي الله عنه .

وكان قد حفظ (التنبيه) فيما أظن و (المُنْتخب) في أصول الفقه ، و (المُحَصَّل) في أصول الدين . وكتب المنسوب الفائق ، كان يقال إنّه ما كتب على نجم الدين بن البُصَيْص أحْسَنَ منه ومن الشيخ بدر الدين [حسن][٤] بن المحدّث ، وخَطُّه هو أحْسَن ، وقيل[٥] : إنّه كان يكتب الكوفيّ طبقة .

وذكره شيخنا الذهبي في (معجمه) المختص فقال فيه : شيخنا عالم العصر ، انتهى .

---

(١) في الأصل : « عزل من باب » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « وكان » .
(٣) (س) : « تقي الدين عبد الرحمن » .
(٤) زيادة من (س) والوافي .
(٥) في الوافي : « وقيل لي » .

وكان الشيخ من بقايا المجتهدين ومن أذكياء أهلِ زمانه ، تخرّج به الأصحاب ، وانتفع به الأئمّة . لم ير مثل كرم نفسه وعلوّ همته وتجمّله في ملبسه ومأكله ، لم تزل تلاميذه الخواصّ على مائدته ، يحب الطالب الذكي ويجذب بضَبْعه[١] من ورطة الخمول ويكبره . ويعظّمه ويُزَهْزه[٢] له ، ويسير إليه في البحوث ويُصوّب ما يقول ويُحَسّنه ويُعجب الحاضرين منه ، فعل ذلك بجماعة ، ونزل للقاضي فخر الدين المصري من تدريس العادلية الصغيرة ، وما رأى أحد أسعد منه في علمه وقوله ، كان إذا دوغ[٣] أحداً بكلمة سوء لبسته من فرقه إلى قدمه ، وكذا في الخير غضب مرة على فخر الدين المصري فقال : مَنْ أرادني وأحبّني فلا يكلمه ، وكان[٤] المسكين يراه الناس في الجامع فما يجسر أحد يسلم عليه ، وعمل خطبة افتتحها بقوله : الحمد لله الذي جعل « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، وكان لا يتعب على التلميذ ، بل إذا رأى الطالب [في] دروسه وذهنه جيّد وقد تعب على نفسه اجتذبه إليه ونَوّه به وعرّف بقدره ، فيُعْرَفُ به ويُنْسَب إليه ، وإذا جاءه مبتدئ ليقرأ عليه يقل له : رُح الآن إلى الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبة وإلى الشيخ شمس الدين بن النقيب وإلى مجد الدين التونسي وإلى نجم الدين القحفازي ، فإذا تَنَبّهت عُدْ إليّ .

واشتهر في زمن أشياخه وتقدم عليهم إلى أنْ سادهم[٧] ورأس وساد في الدولة ، وطار ذكره .

وصنف رسالة في الردّ على الشيخ تقي الدين بن تيمية في الطلاق[٨] ، ورسالة في

(١) أي : بعضده .
(٢) في الأصل و (س) : « ويزهر » ، وأثبتنا ما في الدرر .
(٣) كذا ، يقال : أصابتنا دوغة ، أي : برد ، والمراد أنه إذا رمى أحداً بكلمة .
(٤) (س) : « فكان » .
(٥) انظر : الجامع الصغير ١٣٤/١ .
(٦) في (س) : « .. الطالب في دروسه .. » .
(٧) قوله : « إلى أن سادهم » ، ليس في (س) .
(٨) قوله : « وصنّف رسالة » حتى ههنا بياضٌ في أصول الوافي لم يتمّه المحقق ، وهو ثابت في الفوات .

الردّ عليه في مسألة الزيارة ، وصنّف مُصَنّفين في تفضيل البشر[١] ، أحدهما سماه (تحقيق الأَوْلى في الرفيق الأعلى)[٢] ، وجَوَّدَهُ ما شاء ، وشرح من (منهاج) النووي قطعاً مفرقه ، وكان يلقي الدروس من (نهاية المطلب) . وله رسالة سماها (رابع أربعة) نظماً ونثراً ، وشرح في (عُمْدة الأحكام) قطعة .

ودرَّسَ بالشاميّة البرّانية . والظاهرية الجوانيّة والرواحيّة ، وباشر في وقتٍ دارَ الحديثِ الأشرفيّة تحت القلعة عوضاً عن الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، تقدير نصف شهر ، ثم أخذها منه كمال الدين بن الشُّرَيْشي في شعبان سنة عشرٍ وسبع مئة .

وولي نظر ديوان الأفرم ، ثم بطّله ، وولي نظر الخزانة ووكالة بيت المال ، وكتب في ديوان الإنشاء مُدّة [ووقع في الدست][٣] قُدَّام الأفرم وغيره ، فكان لا يدع أحداً يتكلم لا مِنْ وزيرٍ ولا مِنْ قاضٍ ولا من ناظر جيش ولا من حاجب ولا من كاتب سرٍ ، ولا من مُشّد أوقاف ولا من والي المدينة ولا أحد [له][٤] وظيفة ، وكلامه في جميع [ذلك][٥] سادٌّ وافٍ بالمقاصد ، وكلّ ذلك لمعارفه وسَعة علمه وخبرته ودُرْبَته [ومعرفته][٦] بتراجم أهل العصر .

وله الإنشاء الجيّد ، ونثره خَيرٌ من نظمه . وله التواقيع الجيّدة المليحة ، وكَتَب عن الأفرم في فتح جبل كسروان[٧] بعد البسملة : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾[٨] .

---

(١) (س) : « البر » .
(٢) في الكشف ٣٧٧/١ : تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى .
(٣) زيادة من (س) والوافي .
(٤) زيادة من (س) .
(٥) زيادة من (س) .
(٦) زيادة من (س) .
(٧) في الأصل : « السروان » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) طه : ٩٧/٢٠ .

ولّما كان في شهر شعبان سنة أربع وعشرين وسبع مئة رَسَم له السلطان بقضاء حلب ، فامتنع ، ودخل على الأمير سيف الدين تنكز وسأله الإعفاء ، فكتب له إلى السلطان ، فجاء الجواب بالتشديد في أمره وتجهيزه قولاً واحداً ، فتوجَّهَ بَعْدَ ما قضى أشغالَهُ مِن دمشق في رابع عشر شوال من السنة المذكورة ، وتأسّف الناس على فراقه .

ولّما دخل[١] إلى حلب يوم الثلاثاء سادس عشري شعبان قال له نائب حلب كانت قلوبنا قد انكسرت فجَبَرْتَها ، وقال : يا حَلبيّين لقد سعدتم وأراد الله بكم الخير ، والآن عَظُمت حلب بهذا الرجل . ولّما وصل إلى حلب نزل بمكان يعرف بالفردوس ، وكان قد توجَّهَ مَعَه شمس الدين محمد الخَيّاط الشاعر ، فأنشده وأنشدنيه من لفظه غير مرَّة :

يا حاكَمَ الحكّام يا مَنْ به ... قَدْ شُرفت رتبتُه الفاخرَه[٢]
ومن سَقى الشهباء إذْ حَلّها ... بحَارَ علم ونَدىً زاخِرَه[٣]
نَزَلْتَ في الفردوس فابشرْ به ... دارُك في الدنيا وفي الآخِره

وتألَّم أهْلُ دمشق لِفراقه[٤] وتأسَّفُوا على بُعْدِهِ ، لأنه كان للشافعية واسطةَ قلادتِهم وشمسَ سيادتهم ، وأقام في حلب مُدّةً وما رُزِق فيها سعادة ، وتعكّس في أيّام الأمير سيف الدين أرغون الدوادار وكان أصحب الناس إليه ، وذلك لأنه عبث باليهود عبثاً [عظيما][٥] وأخذ منهم كنيسة كانت لهم وفتحها مدرسةً ، فتسلّطوا عليه وبرطلوا وبذلوا ، فنودي عليه في الجامع بعد صلاة الجمعة على رؤوس الأشهاد ، وقاسى من ذلك شدة وتألم .

---

(١) (س) : « وصل » .
(٢) في الوافي : « قد شرفت » .
(٣) (س) والوافي : « مُذ حلها » .
(٤) (س) : « بفراقه » .
(٥) زيادة من (س) .

وطلبه السلطان بعد ذلك إلى الديار المصريّة بعد ما وصل من حلب إلى دمشق في عشري شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فأقام بدمشق أربعة أيام ، وتوجّهَ على البريد إلى القاهرة ليوليه قضاء الشام أو كتابة [السر][1] بمصر ، فقيل : إنه مات [وهو][2] مسموم ، وعند الله تجتمع الخصوم[3] .

على أنّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله حَكَى لي عن ولده تقي الدين أنّ والده الشيخ كمال الدين قال له وقد بدا في المرض في الرمل : والله يا ولدي أنا ميّت ولا أتولى لا مصر ولا دمشق[4] وما بقي بعد حلب ولاية أخرى ، لأنه في الوقت الفُلانيّ حضر إلى الجامع الأموي فلانٌ الصالح فتردّدْتُ إليه وخَدَمْتُه وَطَلَبْتُ منه التسليك ، فأمرني بالصوم مُدّةً ، ثم أمرني بصيام ثلاثة أيّام ، أظنّه ، قال لي : أفطر فيها على الماء واللبان الذكر ، وكان آخر ليلة في[5] الثلاث ليلة النصف من شعبان ، فقال لي : الليلة تجيء إلى الجامع تتفرج[6] أو تخلو بنفسك فقلت : بل أخلو بنفسي ، فقال : جيّد ، ولا تزال تصلي حتى[7] أجيء إليك ، قال : فخلوت بنفسي أصلّي كما وقفني ساعة جيدة ، فلّما كُنت في الصّلاة إذا به قد أقْبَل ، فلم أبطّل[8] ، ثم إنّني خُيّل لي قبّة عظيمة بين السماء والأرض ، وظاهرها معارج ومراقي ، والناس يصعدون فيها من الأرض إلى السماء ، فصَعِدت معهم ، فَكُنت أرى على كلّ مَرْقاة مكتوباً : نظر الخزانة ، وكالة بيت المال ، نظر المارستان النوري ، التوقيع ، المدرسة الفلانية ، المدرسة العلائيّة ، قضاء حلب ، هذا

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في الأصل : « تلتقي الخصوم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات ، وهو عجز بيت .

(٤) في الأصل : « مصر » ، سهو وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) الوافي « من » .

(٦) في الأصل : « وتفرّج » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٧) (س)والوافي : « إلى أن » .

(٨) (س) والوافي والفوات : « فلم أبطّل الصّلاة » .

أعلى المراقي المفرّقة[١] ، ولّما وصَلْتُ إلى هذه المرقاة أشفقْت من هذه الحالة[٢] ورجعت إلى حسّي وبتُّ لَيْلتي . فلّما اجتمعت بالشيخ قال لي : كيف كانت ليلتك ؟ جئت إليك وما قصّرت ، لأنّك ما اشتغلت بي ، والقبة الّتي رأيتها هي الدنيا ، والمراقي هي المراتب والوظائف والأرزاق ، وهذا الذي رأيتَه[٣] تنالُه كلّه . والله يا عبد الرحمن وكل شيء رأيته[٣] قد نلته ، وكان آخِرَ الكُلّ قضاء حلب ، وقد قَرُبَ الأجَل . أو كما قال .

وكان الشيخ كمال الدين ـ رحمه الله تعالى ـ كثيرَ التخيّل ، شديدَ الاحتراز ، يتوهَّم أشياءَ بعيدة ويَبْني عليها ، وتعب بذلك ، وعادَى أصحابَه ، وحُسِد[٤] ، وعُمِلَ عليه مرّات ، ونجّاه الله ببركات العِلْم . وطار ذِكْرُه ، ورماه الناس أنّه يؤذي أصحابه ، حتّى قال فيه صدر الدين بن الوكيل ما أنشدنيه من لفظه القاضي علم الدين إبراهيم بن سليمان المستوفي ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ صدر الدين بن الوكيل :

طبَاعُ الزَّمْلَكِيِّ لَهَا مِثَالٌ ... كعَقْرَبٍ أُخْفِيت في البيت مَعْنَا
فمَا مرّت بشيءٍ قَطّ إلاّ ... وتَضْربُه سَريعاً لا لِمَعْنَى

ولقد رأيته مَرّةً في الظاهريّة وفي يده قائمة الحِسَاب وهو يُسَاوق المباشرين على المصروف فيسبقهم إلى الجمع وعَقْدِ الْجُمْلَةِ ، ويَبْقَى ساعةً ينتظرهم إلى أن يَفْرَغُوا ، فيقول : كم جاء معكم ؟ فيقولون : كذ وكذا ، فيقول : لا ، فيُعيدون الْجَمْعَ ، إلى أن يصح .

ومرِض مَرّة بالماشرا ، وكان يعوده لعلاجه من جملة الأطباء [أمين الدين رئيس الأطباء][٥] ، فخرج يوماً من عنده وقال : الله لا يعافي هذا الشيخ كمال الدين ، قالوا

(١) (س) : « هكذا على مراقي مفرّقة » .
(٢) (س) : « أشفقت على تلك الحالة » ، وفي الوافي : « استفقت من تلك الحالة » ، وفي الفوات : « أشفقت من تلك الحالة » ، وعبارة الدرر : « وأفقت من غيبتي » ، ومعنى الإفاقة ههنا أقرب .
(٣) في الوافي : « رأيتها » .
(٤) عبارة الوافي والفوات : « وعودي وحُسِدَ » .
(٥) زيادة من (س) .

له : لأيّ شيء ؟ قال : حتّى يطول علاجنا له واجتماعنا به[١] ، لأننا نسمع منه أسماء أعضاء ما كُنّا نحقّقها وأمراض ما نُصحّحها ، فاستفدنا منه تصحيح ألفاظ ذلك كلّه .

وخرّج له الشيخ صلاح الدين العلائي[٢] عوالي وأربعين ، وقرأها شيخنا الذهبيّ عليه .

ومن نظمه ما كتبه [إلى][٣] قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي يطلب منه (تيسير الفتاوي في توضيح الحاوي) :

يا واحد العصر ثاني البدر في شَرَفٍ ... وثالث العُمَرين السَّالفين هُدى
تيسيرك الشامل الحاوي الوجيز له ... نهاية لم تنلهَا غايَةٌ أبَدَا
مُحَرَّرٌ خُصَّ بالفَتْح العَزِيز ففي ... تهذيبه المقصَدُ الأسْنَى لمن قصَدا
وقد سَمَت همّتي أنَ أصطَفِيه بهَا ... وأن أعلّمَهُ الأهليَن والولدا
فانعِم به نسخةً مقابلةً ... وَلاَحَ نورك في أثنائها أبدا[٤]
لا زِلت بحرَ عُلُومٍ طابَ موردُهُ ... وكَلّ ظمآن علمٍ منه قد وَرَدَا

ومن نظمه رحمه الله تعالى[٥] :

أهوَاكِ يَا رَبّة الأستار أهوَاكِ ... وإنْ تباعَدَ عَن مَغْناي مغنَاكِ
وَأُعمِل الْعَيسَ والأشواقُ تُرْشدني ... عَسَى يُشَاهِدُ مَعْنَاك معنّاك
تهوي بها البيد لا تخشى الضلال وقد ... هَدَت ببرق الثنايا الغرّ مُضناك[٦]
تشوقها نسمَات الصبح سَارَيةً ... تَسوقها نحو رؤياك برّياك[٧]

(١) قوله : « حتى .... به » ليس في (س) .
(٢) في الوافي : « ابن العلائي » .
(٣) زيادة من (س) .
(٤) (س) : « بها ... وبدا » .
(٥) وفي الوافي : أنه نظمها يذكر فيها الكعبة المعظمة ، ويمدح النبي ﷺ .
(٦) في (س) : « تهوي البيد » .
(٧) (س) : « تشوقها نحو » .

يـا ربّـة الْحَرم العَـالي الأمين لِمن ... وافاه من أين هـذا الأمن لـولاكِ[١]
إن شبّهوا الخال بالمِسْكِ الذكي فهـ ... ـذا الخال من رؤيـة المحكيّ والحاكي
أفـدي بـأسـود قلبي نـورَ أسـودهِ ... مَنْ لي بتقبيلـه منْ بَعْـد يُمْنَـاك
إنّي قصـدتـك لا ألـوي على بشرٍ ... ترمي النوى لي [سريعاً] نحو مرماك[٢]
وَقد حَطَطْت رحالي في حماك عسَى ... تُحَـطّ أثقـالُ أوْزَاري بلُقْيَـاكِ
كما حَططتُ ببَـاب المصطفى أمَلي ... وقُلْتُ للنفس بـالمـأمـول بُشراك
محمّـد خير خَلْـق الله كلّهم ... وفـاتـحُ الخَيْر مـاحي كلّ إشْراكِ
سما بـأخمصـه فـوق السماء فكم ... أوْطَـا أسَـافِلَهـا منْ عُلْـو أفـلاكِ
ونـالَ مرتبـةً مَـا نـالهَـا أحَـدٌ ... منْ أنبيـاءٍ ذوي فَضْـل وأمـلاكِ
يـا صاحبَ الجاه عند الله خالقه ... مَـا رَدَّ جـاهَـك إلاّ كلُّ أفّـاك
أنتَ الـوَجيـهُ على رغم العـدا أبـدا ... أنت الشفيـع لفُتّـاكٍ ونَسّـاك
يـا فِرقـة الـزيغ لا لُقّيت صَـالحـةً ... ولا شفى الله يوماً قَلْبَ مَرْضاك[٣]
ولا حظيتِ بجـاه المصطفى أبـداً ... ومن أعـانَك في الـدنيـا ووالاك[٤]
يا أفضل الرسل يـا مولى الأنـام ويـا ... خَيْرَ الخلائـق من إنس وأمـلاك[٥]
ها قد قصدتك أشكو بعض مـا صنعت ... فيّ الـذنـوب وهـذا ملجـأ الشـاكي[٦]
قـد قَيَّـدتني ذنـوبي عن بلـوغ مـدى ... قَصْـدِي إلى الفـوز منهـا فهي أشراكي[٧]
فـاستغفر الله لي واسـألْـه عصمتـه ... فيما بقي وغنىً من غير إمسـاك
عليـكَ من ربـك الله الصّـلاةُ كما ... منّـا عليـك السَلامُ الطيّب الـزاكي

(١) في الأصل : « أمن ... أولاك » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٢) الزيادة من (س) . وفي الوافي والفوات : « سراعاً » .
(٣) في الفوات : « ولا سقى » .
(٤) (س) : « وأولادك » .
(٥) في الأصل : « جنس » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٦) في الوافي والفوات : « بي الذنوب » .
(٧) (س) والوافي والفوات : « ذنوب » .

قلتُ : ولم أقف للشيخ رحمه الله تعالى على نظم هو خير من هذه القصيدة لقصدها الصالح ، وقد أشبع فيها الكاف كسرة في خطاب المؤنث في ثلاثة أماكن[١] حتى نشأت ياءً ، لكنه جائز . وعَمِلَ على هذه القصيدة ، أو على قصيدةٍ ميمية مديح في النبي[٢] ﷺ أو عليها ، كراريسَ سمّاها (عجالة الراكب) .

ومن شعره :

يا سَائق الظّعن قِفْ بي هذه الكثبُ ... عَسايَ أقضي بَها مَا للهوى يجبُ
وارفق قليلا [لكي]تروي الثرى سُحُبٌ ... من نَاظِرَيّ بمُزنٍ منه تنسكبُ[٣]
فثمّ حيٌّ حَيَاتي فيَ خيَامِهم ... فالموتُ إن بَعُدوا والعيشُ إنْ قَربوا
لي فيهُم قمرٌ والقلبُ منزله ... لكنّ طرفِيْ له بالبُعد يَرْتَقِبُ[٤]
لَدْنُ القوام رشيقٌ القدّ ذو هَيَفٍ ... تَغَارُ من لينه الأعطاف والقُضُبُ[٥]
حُلو المقبّل مَعْسُولٌ مَراشفُهُ ... يجول فيها رضابٌ طَعْمُه الضَّرَبُ
لا غرو إن راحَ نشواناً ففي فَمِه ... خمرٌ ودُرّ ثنايَاهُ لها حَبَبُ[٦]
ولائم لامني فيَ البعد عنه[٧] وفي ... قلبي من الشوق نيران لَهَا لهبُ[٧]
فقلت: إنّ صُروفَ الدهر تصرفني ... عما أرُوم فمالي فَي النوى سَبَبُ
ومُذْ رمَاني زماني بالبعاد ولمْ ... يَرحَمْ خضوعي وَلم يبق لي نشبُ[٨]

---

(١) في الوافي : « في موضعين » . وهو الصحيح ، في قوله : « معناك ، رؤياك » .
(٢) عبارة الوافي : « مدح بها النبي » .
(٣) الزيادة من (س) والوافي .
(٤) في الوافي : « القلب » ، وفي الوافي : « في القلب » .
(٥) في الأصل : « ذي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٦) في الأصل : « ثناياها » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٧) في الأصل : « البعد وفيه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٨) في الوافي ، والفوات : « ولما يبق » .

ولمّا توفي رحمه الله تعالى نَظم فيه المولى جمال الدين محمد بن نباته قصيدة مليحة يَرثيه بها ، أوّلها[١] :

بلّغا القاصدين أنّ اللّيالي ... قبضَتْ جُمْلة العُلا بالكمال
وقِفا في مَدارس العَقل والنقـ ... ـل ونُوحا معي على الأطلال
سائلاها عسَى يُجيبُ صداها ... أيْنَ ولّى مُجيبُ أهْل السؤال
أين ولّى بَحرُ العُلوم وَأبْقَى ... بَيْنَ أجفاننا الدموع لآلي
أين ذاك الذهنُ الذي قد ورثنا ... عنه مَا في الْحَشَا من الاشتعال [٢]
أين تلك الأقلام يومَ انتصار ... كعوالي الرمَاحِ يوم النّزال [٣]
ينقل الناس عن طريق هُداهَا ... طُرُقَ العلم عن متونِ العَوالي [٤]
وتفيد الجنا من اللفظ حُلْوًا ... حين كانت نوعاً مِنَ العَسّال

وكنت قد اختلفت أنا والمولى شرف الدين حسين بن ريّان في وقتٍ بصفد في قول الحريري في بعض (مقاماته) :

فلم يزل يبتزّه دَهْرُه ... ما فيه من بطشٍ وعود صليب[٥]

فذهب هو في إعراب قوله : « ما فيه » إلى أنّ هذا في موضع نصبٍ على أنه مفعول ثان ، وذَهَبت أنا إلى أنه بدل اشتمال من الهاء في قوله : « يَبْتزّه » ، فكتب شرف الدين فتوى من صفد وجهّزها إلى الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى ، ونقلتها مِنْ خَطّه وهي :

---

(١) ديوان ابن نباته : ٤٠٥ .
(٢) في الأصل : « الاشتغال » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والديوان والفوات .
(٣) في الديوان : « أين ملك » . وفي الأصل : « لعوالي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في الوافي والديوان والفوات : « عن حديث » .
(٥) مقامات الحريري ، للقامة الفارقيّة ، للقامة (٢٠) .

ما تقول السادة علماء الدهر ، وفضلاء هذا العصر ، لا برحوا لطالبي[١] هذا العلم الشريف قبلة ، وموطنَ السؤال ومحلّه ، في رجلين تجادلا في مسألة نحويّة ، وهي في بيت من (المقامات الحريرية) وهو :

فلم يَـــــــــــــزَلْ يبتزّهُ دَهْرُه مـــا فيـــه من بطش وعـود صليب

وذهبا إلى أن معنى « يبتزه » يسلبُه ، وكلّ منهما وافق في هذا مذهب خصمه مَذْهَبُه ، وأصل[٢] سؤالهما الغريب إعراب قوله : « مافيه من بطش وعُود صليب » . لم يختلفا في نصبه ، بل خُلْفهما فيما انتصبت به ، فذهب أحدهما إلى أنّه بدل اشتمال مِن الهاء المنصوبة في « يبتزّه » ، وله على ذلك استدلال ، وذهب الآخر إلى أنّه مفعول ثانٍ « ليبتزّه » وجعل المفعول الهاء ، واختلفا في ذلك وقاصديكم جاءا[٣] وقد سألا الإجابة عن هذه المسألة[٤] .

فكتب الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى الجواب ، ونقلته من خطه وهو : الله يهدي للحقّ ، كلٌّ من المختلفين المذكورَيْن قد نَهَجَ نَهْجَ الصَّواب ، وأتى بحكمةٍ وفَصْل خِطاب ، ولكلٍّ مِن القولين مساغ في النظر الصحيح ، ولكنّ النظر إنما هو الترجيح[٥] ، وجَعْلُ ذلك مفعولاً أقوى توجيها في الإعراب ، وأدق بحثا عند ذَوي الألباب[٦] . أمّا من جهة المعنى فإن[٧] المقام مقامُ تَشَكٍ وأخذٍ بالقلوب ، وتمكينُ ، هذا

(١) (س) والوافي : « الطالب » .

(٢) (س) والوافي : « وموطن » .

(٣) في الأصل : « جاء » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

(٤) في (س) والوافي زيادة : « وقد اضطر في ذلك إلى للسألة » .

(٥) في (س) والوافي : « في الترجيح » .

(٦) في (س) ، والوافي : زيادة : « أما من جهة الصناعة العربية فلأن للفعول متعلق الفعل بذاته التي هي بوقوع الفعل عليه معنية والبدل مبين لكونه الأول معه مطرحا في النية ، وهذا الفعل بهذا متعد إلى مفعولين وما فيه من بطش هو أحد ذينك الاثنين لئلا يفوت متعلق الفعل المستقل والبدل يرجع إلى توكيد بتأسيس للعنى مخل » .

(٧) (س) : « فلأنّ » .

المعنى أقوى إذا ذكر ما سلب ، منه مع بيان المسلوب[١] ، فَذِكْرُ المسلوب مقصودٌ كذكر[٢] ما سُلِب ، وفي ذلك من تمكين الْمَعْنَى ما لا يَخْفَى على ذوي الأدب[٣] ، ووراء هذا بسط لا تحتمله هذه الْعُجَالة ، والله أعلم . كتبه محمد بن علي .

قلت : لا أعلم في ذلك العصر أحداً يأتي بهذا الجواب غيره ، لمعرفته بدقائق النحو وبغوامض علميّ المعاني والبيان ودُرْبَته بصناعة الإنشاء .

وأمّا صورة الخط الذي نقلت منه هذه الفتوى فما كانت إلا قطعةَ روضٍ[٤] تدبّجت ، أو هوامش عِذارٍ على طِرْس الخد تَخَرّجت ، رحمه الله وأكرم[٥] مثواه ، وجعل الجنة مُنْقَلَبَهُ وعُقْبَاه .

ونقلت من كلامه تعليقاً على قوله تعالى : ﴿ التائبون العابدون ﴾[٦] الآية : فإنْ قيل : كيف تَرَكَ العَطْف في جميع الصفات وعَطَف (النهي عن المنكر) على (الأمر بالمعروف) بالواو ؟ قلت : للمفسرين والعلماء في الجواب عن هذا السؤال أقوال ، فمنها قولهم لأنها الصفة الثامنة ، فهي واو الثمانية ، وهذا في غاية السخافة ، منها أن هذا من التفنن في الكلام ، وهو جواب إقناعي[٧] ، ومنها أن المراد التنبيهُ على أن الموصوفين بالصفات المتقدّمة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وهذا بعيد في الإعراب ومقصود الكلام[٨] ، ومنها أنّ هاتين الصفتين متعلقتان بالغير فاحتاجت إلى مزيّة ، وهو كالأجوبة التي قبله .

قال : وعندي في هذا وجه حسن ، وهو أن الصفات تارة تُنْسَقُ بحرف العطف

(١) (س) : « أنّه مسلوب » .
(٢) في (س) ، والوافي : « منه مقصود كذكر .. » .
(٣) في (س) والوافي : « الأرب » .
(٤) (س) : « روضة » .
(٥) (س) : « وكرّم ».
(٦) التوبة : ١٢/٩ .
(٧) قوله : « ومنها أنّ هذا » حتى ههنا ليس في (س) .
(٨) في الأصل : « في الكلام » ، وأثبتنا ما في (س) .

وتارة تُذكر بغيره ، لكل مقام معنىً يناسبه ، فإذا كان المقام مقام تَعدادِ صفاتٍ من غير نظرٍ إلى جمع أو انفراد حَسُنَ إسقاطُ حرف العطف ، فإنْ أريد الجمع بين الصفتين أو التنبيه على تغايرهما عُطف بالحرف أيضاً ، وفي القرآن أمثلة تبيّن ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ عسى ربّه إن طلقكنّ أن يبدّله أزواجاً خيراً منكن ﴾[1] الآية ، فأتى بالواو بين الوصفين لأن المقصودَ بالصفات الأُوَل ذَكْرُها مجتمعة ، والواو قد تُوْهِمُ التنويع ، فحذَفَ ، وأما الأبكار فَلاَ يكنّ ثيّبات والثيبات[2] لا يكُنَّ أبكارا ، فأُتي بالواو لتضادّ النوعين ، وقال تعالى : ﴿ حم ☆ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ☆ غافر الذنب وقابل التَّوب شديد العقاب ذي الطَّول ﴾[3] ، فأتى بالواو في الوصفين الأوَّلَيْن ، وحَذَفها في الوصفين الآخرين ، لأن غفران الذنب قبل التوب[4] ، وقبول التوب قد يظن أنهما يجريان مجرى الواحد لتلازمهما[5] ، فَمَنْ غَفَر الذنب قبل التوب ، فبين الله تعالى بعطف أحدهما على الآخر [أنهما][6] مفهومان متغايران ووصفان مختلفان يجب أن يُعْطَى كلُ واحدٍ حكمه ، وذلك مع العطف أبين وأرجح وأوضح ، وأما شديد العقاب ، وذو الطول فهما كالمتضادّين ، فإنّ شدّة العقاب تقتضي اتصال الضرر ، والاتصاف[7] بالطول يقتضي اتصال النفع[8] ، فحذف ليعرف أنهما مجتمعان في ذاته المقدّسة موصوفاً[9] بهما على الاجتماع . فهو في حال اتصافه بشديد[10] العقاب ذو[11]

(١) التحريم : ٥/٦٦ .
(٢) (س) : « وكذا الثيّبات » .
(٣) غافر : ١/٤٠ ـ ٢ .
(٤) قوله : « قبل التوب » ليس في (س) .
(٥) في الأصل : « للازمهما » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) زيادة من (س) .
(٧) في الأصل : « والاتصال » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) في الأصل : « المنع » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٩) (س) : « موصوفة » .
(١٠) (س) : « شديد » .
(١١) كذا في الأصل .

الطول ، فحسن ترك العطف لهذا المعنى . وفي هذه الآية التي نحن فيها يتضح معنى العطف وتركه مما ذكرناه ، لأنّ كلّ صفة مما لم يُنْسَق بالواو مغايرة للأخرى ، والغرض أنها في اجتماعها كالوصف الواحد لموصوف واحد ، فلم يُحتج إلى عطف ، فلّما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما متلازمان أو كالمتلازمين مستمدان من مادة واحد كغفران الذنب وقبول التوب ، حَسُن العطف ليبين أن كل واحد معتد به على حِدَة ، فإنّه[١] بذاته لا يَكْفي منه ما يحصل في ضمن الآخر ، بل لا بد من أن يظهر أمره بالمعروف بصريح الأمر ، ونهيه عن المنكر بصريح النهي[٢] ، فاحتاج إلى العطف ، وأيضاً فلّما كان الأمر والنهي ضدين أحدهما طلب الاتحاد والآخر طلب الإعدام كالنوعين المتغايرين [في][٣] قوله تعالى : ﴿ ثيّباتٍ وأبكاراً ﴾ فحسن العطف [بالواو][٤] ، فهذا ما ظهر من الجواب . والله أعلم .

قلت : وكنت أنا في زمن الصبا والإشغال قد جمعت في هذه الواو كراسة وفيها فوائد .

١٦٧٤ ـ محمّد بن علي بن أبي بكر الرقّي*

الشيخ الصالح الواعظ المحدّث شهاب الدين بن تاج الدين [المعروف بـ ابن][٥] العُدَيسة .

---

(١) (س) : « قائمة » .

(٢) في الأصل : « اللفظ » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) زيادة من (س) .

* الوافي : ٢٢١/٤ ، والدرر : ٦٠/٤ ، والدارس : ١٣٣/٢ ، عن البرزالي .

(٥) زيادة من (س) والدارس .

كان شيخ الخانقاه المجاهديّة ظاهر دمشق ، وله مواعيدُ حديث يقرأ فيها في الجامع الأمويّ والجامع السيفيّ وأماكن[١] أُخَر ، وكان يعاني شيئاً من المواعظ[٢] في كلامه ، وكان فيه تعبّدٌ وانقطاعٌ وكَرَم وسخاء ، وحجَّ مراتٍ وجاور ، سمع على عمر[٣] بن القواس ، ويوسف الغُسولي وغيرهما ، وسمع ببعلبك من الشيخ تاج الدين عبد الخالق ، وحدّث .

وتوفي رحمه الله تعالى بوادي الأخضر[٤] في يوم الخميس عاشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين .

ومولده ....

وأظنّ المجير الخياط فيه يقول :

في الـــــــدهر شيءٌ عجيبٌ مرآه يُقْـــذي اللـواحِـــظ
ابن الرُزَير خَطيبٌ وابن العُـــدَيســـة وَاعِـــظ

١٦٧٥ ـ محمّد بن علي بن سعيد الأنصاري*

الشيخ الإمام الفاضل المُفَنّن بهاء الدين أبو محمد المعروف بابن إمام المشهد .

قرأ القرآن العظيم وأتقنهُ بالروايات السبع على الكفري[٥] ، واشتغلَ بالعربيَّة على

---

(١) (س) والدارس : « وبأماكن » .

(٢) (س) : « الوعظ » .

(٣) في الأصل : « وجاور مع علي بن عمر » ، وأثبتنا مافي (س) والدارس .

(٤) في طريق الحجاز قرب تبوك ، (معجم البلدان) وفي (س) : « الأخيضر » .

* الوافي : ٢٢٢/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٠٩/١ ، والدرر : ٦٥/٤ ، والشذرات : ١٧٢/٦ ، والدارس : ١٤٩/١ .

(٥) حسين بن سليمان بن فزارة الكفري الحنفي (ت ٧١٩ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

الشيخ محمد[١] التونسي ولازَم الشيخ نجم الدين القَحْفَازي كثيراً ، وقرأ الفِقْهَ على الشيخ برهان الدين بن تاج الدين . وسمع بمصر والإسكندرية وحلب ، وبدمشق من أشياخِ عَصْرِهِ .

وكان حَسَنا شكلُه بَيِّناً فَضْلُه ، كثيرَ التبسُّمِ ، غزير الارتياح للسيادة والتسنم . جاب البلادَ وما هاب الجدال والجلاد ، وقطع المفاوز بحَظّ هابط وعزمٍ صاعد . وشَام كلَّ بارق ، وانتَجَع كلَّ راعد ، إلى أن أقمَرَ ليل حَظّه الدجوجّي بعدما تَطَوّر في أطْوَارِ أبي زيد السروجي[٢] .

وكان قد جَوَّدَ الفِقْهَ والعربيه ، وعلَّق التعاليق الأدبيه ، وبلغ ما أراد من الوصول إلى الأصول ، واستنفد الحاصل واستغرق المحصول . وكتب المنسوب الفائِق ، وقطع في حسنه الدرج والدقائق ، ونَظَم جَيِّداً ونَثَر . ورقا درج منبره ، وكان كأنّه في[٣] أعلاه حمام هَدَر :

يُنَمْنِمُ الخَطّ لا يَجتاب أحرفَهُ ... والوشي مهمَا حكاهَا منه يجتابُ
إلى تصانيف في أكمَامِهَا ثَمَرٌ ... تجنيه بالفهم دون الكفّ ألْبَابُ

ولم يزل على حاله إلى أنْ نزلت به دُؤلول[٤] بنة الرقّ ، وأصبح كفّ الموت من شخصه يَنتقم .

وتوفّي رحمه الله تعالى بدمشق في بكرة الأربعاء ثامن عُشْريّ شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

---

(١) في (س) ، (خ) والوافي : « مجد الدين » وهو « محمّد » ، لكن لم يتقدم للصفدي أن ذكره إلاّ بلفظ « مجد الدين » ، وستأتي ترجمته .

(٢) هو بطل مقامات الحريري .

(٣) في الأصل : « كأنه حمام في ... » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) هي الداهية . وفي (خ) : « ذؤول » .

ومَوْلده في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة .

وجمع كتاب (الأحكام) في ست[١] مجلدات وجَوَّده ، وتناولته منه ، وأجازني روايةَ مالَهُ تسميعه بديوان الإنشاء في المحرّم سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة بدمشق .

وكان قَدْ أمّ بدار الحديث ثم بمسجد الكنيسة ، ودرَّس بالقوصيّة ، وأقام بحلب مدّة ، وتردّد إليها مرات ، ثم أقام بطرابلس مدّة ، وتوجّه إلى صفد وأهلُها على عطش ، ومعه أشياءٌ بخطه فأباعها بأوْفَر الأثمان ، وتوجَّه إلى مصر مرّات ، وحضر في سنة ست وثلاثين بين يدي السلطان الملك الناصر[٢] ، وساعده القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، فوّلاه المدرسة الأمينيّة بدمشق عوضاً عن القاضي علاء الدين بن القَلانسي ، وحضر إلى دمشق على البريد ، وذكر الدرس بها في رابع شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وحضره الأعيان . ثم إنّه سَعى وأخذ نظرها أيضاً من الخطيب بدر الدين ، ومشت بذلك حاله قليلاً ، وهو من وراء السعي والطلب .

ثم إنّه سعى وتولّى الحسبة بدمشق بعد موت القاضي عماد[٣] الدين الشيرازي في أيّام سيف الدين أرغون شاه . وكتبت أنا توقيعاً له بذلك وهو « الحَمْدُ لله الذي زاد الدين بهاءً بمحمّده ، وزان العلم الشريف بكل حَبْرٍ جَمّل مُغَيَّبَه[٤] حُسْنُ مَشْهده ، وكَمّل الفضل بكلّ عالِمٍ يشهد من يومه مخائل الزيادة في غده .

فحمده على نعمه التي أعلت الرتب ، ونَفت الشُّبَهَ وكشفت الرِّيَب ، وكَفَت المؤونة في رفعةِ قَدْر مَنْ توكّل على الله واحْتَسب .

---

(١) (خ) : « ستّة » .

(٢) (س) ، (خ) : « الناصر محمد » .

(٣) في الأصل : « علاء » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو محمّد بن أحمد ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « معيبه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً لا يدخل الشكّ إقرارَها ، ولا يمحو الإفك أنوارَها ، ولا يبهرج الحك[١] دينارها .

ونشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ذو الخلق العظيم ، والجود الذي اخْتُصَّ به وهو للخلق عميم ، والفضل الذي أوتيه ﴿ من لَدنّ حكيم عليم ﴾[٢] صلّى الله عليه وعلى آله وصَحْبه الذين اتّبعوا أوامره ، وسمعوا زواجره ، ووضعوا على هامة الثريا مناقبه ، ورفعوا[٣] على فرق الفرقد مفاخره . صلاة تَشَرَّفَ بحفظها كلّ جمع ، وتشنف[٤] بلؤلؤ لفظها كلّ سمع ، ما عمَّ نظرٌ في المصالح فأنعم ، وملأ إناءَ الأنى[٥] قَطْرُ الإحسان فأفْعَم ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن النظر في مصالح الجمهور ، والفكر في المنافع العامة الوافية الأجور من الأمور الّتي تتجمّل بها[٦] الدول ، وتفخر بها الأيام المختصّة بمحاسنها على الليالي الأول ، والنظر في أمر الحسبة الشريفة سِلْكٌ ينخرط فيه هذا الجوهر الفاخر القِيَم ، وملك تتنافس في ادّخاره الأخلاق الطاهرة[٧] الشيم . كم باطل أقام به الحق منه الأود ، وقوّم المَيْل ، وكم نَجس أزاله [به][٨] من الذراع والميزان والكَيْل ، وكم غَشّ أخرب الله به عشه في معايش النهار والليل ، وكم زُغل طهر الله به الكُمّ فولّى وقد شمّر الذيل .

---

(١) (خ) : « الحلّ » .

(٢) النمل : ٦/٢٧ .

(٣) (س) ، (خ) : « ورفعوا على هامة ... ووضعوا » .

(٤) (س) : « يتشرف .... ويتشنف » .

(٥) أي : الحلم والوقار .

(٦) في الأصل و (خ) : « به » ، وأثبتنا مافي (س) .

(٧) (س) : « الظاهرة » .

(٨) زيادة من (خ) و (س) . وعبارة (س) : « وكم نحس أزاكه الله به من الذراع » .

وكان الجناب العالي الشيخي البهائي ممن اشتهر فضله ، ونزع[١] في قوس الإحسان فأصاب الصوابَ نَبْلُه الذي أرسله نُبْلُه ، وخَدم العلم الشريف حتى عز في عصره أن يوجد في فنونه[٢] مِثْلُه ، وتفرَّعَ عن أصلٍ زكا فكان والده رحمه الله تعالى ليثاً وقد شبّ له منه شبله .

أما القراءات فباعُ صاحب القصيدة مَعَه [فيها][٣] قصير ، ومَسْلك مصنف (التيسير) أصبح وهو عسير .

وأما العربيّة فأين صاحب (الجمل) من هذا التفصيل . وأيْنَ صاحبُ (الحجّة) من هذا التعليل .

وأمَّا الفقهُ فلو رآه الروياني علم أن بحره في حوضه قَطْرَه ، ولو سمعه النووي لأطلع من كلامه بروضته في كل شطرٍ[٤] سطر زَهْرَه .

وأما الأصول فالإمام يتأخر عن محراب فخره ، والسيف لا يثبت له عند هزّه .

وأمّا الخطابةُ فهو من فرسان منابرها ، وأبطال محاريبها[٥] ومحابرها . كم أذاب حصاةَ قلب تحت منبره ، وأذرى بها دمعاً إذا جرى تعثّر في مِحْجَره .

وأمَّا الكتابةُ فما فتح ابن البواب لغيره فيها بابا ، ولا رفع ابنُ مُقْلة فيها لغيره أَهْدابا ، فشُهْدَة[٦] شَهدت له بالحلاوة نَصّاً . وياقوت أصبح في خاتمه فَصّا ، هذا إلى سياسةٍ حَلَب بها أشْطُرَ الأمور ، وعلم بها مصالح الجمهور ، ومَلَكَ بعرفانها أزِمّةَ تسقط

---

(١) (خ) : « وبرع » .

(٢) (س) : « فنونه للتنوعة » .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) (س) : « شط » .

(٥) في الأصل : « محاربتها » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

(٦) شهدة بنت أحمد بن الفرخ ، فخر النساء (ت ٥٧٤ هـ) ، السير : ٥٤٢/٢٠ .

على حَبّها طَيْر المصالح . ويصبح راجي العدل بها وميزانُه راجح ، وتَصْدُق بتوخيّها المنى والمناجح .

فلذلك رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني أن يرتّب في الحسبة الشريفة بالشام المحروس ، لأن هذا العقد بجيده[١] لائق ، وهذا التاج لا يعوقه عن[٢] مفرقه عائق ، وهذا الميدان لا يجري معه فيه سابق ولا سائق .

فليباشر ذلك مباشرةَ من هذَّبته العُلوم ، وتَدرَب بالقواعد الشرعيّة فاستدلّ بالمنطوق على المفهوم ، وساد بنفسه العصاميّة ، فكان له من الرياسة سرب[٣] معلوم ، وملك من السياسة ما يعرف[٤] به وجه الظالم من المظلوم ، فقد ولّيناك هذه الوظيفة وأنت ملء قالبها ، وعَذَقنا[٥] أمرها بك ، وأنت أوْلَى مِنْ قالبها وقال بها . فَتَمِّم نَقْصَها بكمالك[٦] ، ومشِّ الناس فيها على أقوم المسالك . وأقَمْ المهابة فإنها تَرعى هؤلاء الرَّعَاع ، ومالك فيها إلاّ مذهب مالك[٧] ، وافعل ما تقتضيه معرفتك من احتكار ومَنْع ، وانخفاض[٨] سعر ورَفْع ، وتحرير ما يخرج من دار الضرب من النقود وتصحيح العيار ، فكم درهم ودينار هو في الْمَعْدُوم معدود ، وقد يَتَغطى الزين بالرين[٩] ويشتبه الشيء الحسن بالشين ، وضبط ما يمتد فيه باع الذراع ، ويتحرك به لسان الميزان ويبتلعه فَمُ الصاع ، ومنع العطارين من بيع العقاقير الغريبة لمن هو مجهول ،

(١) (خ) : « لجيده » .

(٢) في الأصل : « من » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل و (خ) : « شرب » ، وأثبتنا مافي (س) ، والسرب هو المسلك والطريق .

(٤) في الأصل : « وما يعرف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) العاذق من يقوم بأمر النحل . وهو يريد هنا المثل المشهور : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » . انظر مجمع الأمثال : ٣١/١ .

(٦) في الأصل : « بك » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

(٧) (خ) : « ملك » .

(٨) (س) ، (خ) : « وانحطاط » .

(٩) الرين : الصدأ . ووقع في الأصل : « الزين » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

والأصناف التي لا يلتئم اجتماعها وريعها بالهلاك مأهول ، وأهمّ ما عندك خبر الخبز فأمتع العيون ببدور رغفانه[١] ووجوه لُجَين عجينه الذي تتلّون[٢] في النار خدود عقيانه ، وانظر في جليل أمْرِه ودقيقه ، وقف على مبتدأ حَبّه وخَبَرِ دقيقه . وانْتَهِ إلى غاية[٣] أمره إذا خرج من النار المسعّره ، واقصد العدل كمن[٤] عمل مَعْدَلة وسعّره ، وغش البواطن فاستعن بالله على إزالته ، وصلاح فساده وإحالته ، لأن ما أمْرُه مغيّب يُتَوقف في أمره ويستراب ، والدّاء القاتل أكثر ما يكون من الطعام والشراب . إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، ويضيق هذا المقام فلا يتوسع فيه سرحه . وأنت بتفصيل الوصايا جدّ[٥] بصير ولو قيل لك قليل كان عندك منه علم كثير .

وتقوى الله تعالى حِلْية لكل راع ، وزينة[٦] لكل فاضل انعقد عليه الإجماع . فلتكن عين جمالك وحاجب جلالك ، والله يوفّق مسعاك . ويحفظك ويرعاك .

والخطّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حجة في ثبوت العمل بمقتضاه . والله الموفق بمنّه وكَرَمه إن شاء الله تعالى .

ثم إنّه أقام في الحسبة إلى أنْ وصل القاضي عماد الدين بن الفرفور على الوظيفة في أوائل سنة إحدى وخمسين[٧] ، فتوجه ابن إمام المشهد إلى الديار المصريّة ، ومعه زوجتُه الحمويّة ، وكان قد غرم عليها جملةً إلى أنْ مات ما يقارب المئتي ألف دِرْهَم .

(١) سقطت من الأصل راء « رغفانه » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « تتكوّن » .

(٣) (س) : « آخر » .

(٤) (س) : « لمن » .

(٥) في الأصل : « ماجد » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

(٦) (خ) : « ورتبة » .

(٧) في الأصول جميعها : خمس وخمسين ، وزاد في (س) : « وسبع مئة » ، ولا يستقيم ذلك ؛ لأن وفاة إمام للشهد كانت سنة (٧٥٣ هـ) ، وأثبتنا مافي البداية والنهاية فإنه ذكر أن القاضي عماد الدين بن الفرفور تولى الحسبة سنة (٧٥١ هـ) .

وأنشد[١] بدر الدين حسن بن علي الْغَزّي[٢] فيه ، واشتهر بذلك عنه في الشام ومصر :

قلت لَمّا سَار البهاءُ لمصرٍ وَسَرَى نَحوها بعرس ظريفَهْ
أنتَ لا شك أنْ تعود ولكن لا بِهَا يا بها ولا بالوظيفه

فتوصل هناك إلى أن وصل للأمير[٣] سيف الدين شيخو ، وسَعَى ، وتولّى الوظيفة ثانياً ، ثم أخذت[٤] منه للقاضي جمال الدين الفاقوسي في أيام الأمير سيف الدين أيتمش ، ثم إنّه سعى وأخذها ، ولّما حضر الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى دمشق أخذها منه وأعطاها للقاضي بدر الدين ابن وُهَيْبَة[٥] قاضي بعلبك ، فأقام بها قليلاً ، ولم تمض الولاية من مصر وأعيدت إليه .

ولم يزل فيها إلى أنْ مَرِض مرضةً طويلة قريباً من سنة إلى أن مات في التاريخ . وكان بيده أيضاً خطابة جامع العُقَيبة .

وأنشدني له إجازة :

وَلولا مَا أخاف من الأعادي وأن حديثنا فيهم يسيرُ
جُنِنتُ بكم كما مجنونُ ليلى وإنْ طَال المدى فكذا نصيرُ

وأنشدني له في ناعورة :

كنت في دوحة الرَياض مُهّنا أنهل الطلُّ بين تلك الغصُون

---

(١) في (س) ، (خ) : « وأنشدني » .
(٢) سلفت ترجمته في موضعها .
(٣) (س) : « إلى أن دخل إلى الأمير » .
(٤) في (س) ، (خ) : « ثم إنها أخذت .. » .
(٥) (س) : « وهيب » .

فلنـــوح الْحَمامِ فـــوقي طـــويـــلاً غَرَّقتني كما تراني عيـــــــــوني[١]

قلت : تقدّم لي في ترجمة القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وله عدة مقاطيع في الناعورة ، وممّا قُلْتُه أنا فيما يشبه هذا ....[٢]

وأنشدني ابن إمام المشهد [له][٣] إجازة :

أنْتُم بـــلائي وأصْـــلُ بَلْبَـــالي وغيْرُكُم مَـــا يمرّ فيَ بـــالي
يـا جيرة في الغـوير قـد نـزلُـوا لله من جيرة ونُـــــــزّال
مـا عطَّـل الطرف بَعْـدَ بُعـدكُم عن دمعـه واسـألـوا عَن الحـال
فلـــو زعمتم أنّي سَلـــوتَكم ويَعلم اللهُ أيّنـــا السَّـــالي[٤]
لا تتلفـــوا مهجَـــةً لكم خُلقت فقـد نهي عن إضـاعـة المـال

قلت : أحسن ما رأيت في هذه المادّة ، أعني البيت الرابع قولُ السِّراج الوراق رحمه الله تعالى ، ومن خطّه نقلت :

قـــال صَـــديقي ولم يَعُـــدني وعَـــــــارضُ السُقم فيَّ أثّر
لقـــد تغيّرت يـــا صـــديقي ويَعْلَـــمُ الله مَـــنْ تـــغيّرْ

١٦٧٦ ـ محمد بن علي بن أيبك*

الشيخ الْمُحَدِّث الإمام شمس الدين أبو عبد الله السروجي .

عرض القرآن وهو ابن تسع سنين ، وارتحل إلى حلب ودمشق وغيرهما من البلاد

(١) (خ) : « عرفتني » . وفي الأصل و (خ) : « العيون » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) كذا بياض في الأصول .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) .
(٤) في (س) ، (خ) : « فلم زعمتم » .
* الوافي : ٢٢٥/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٨٦/١ ، والدرر : ٥٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٣٨ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٨/١٠ .

الشاميّة[١] مرّات ، وأخذ عن الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس ومَنْ عاصره مِنْ أشياخ العِلْم ، وصار من الْحُفّاظ ، أَتْقَن المتون وأسماء الرجال وطبقات الناس والوقائع والحوادث ، وضبط الوفَيَات والمواليد .

ومال إلى فنّ الأدب ، وحَفِظ من الشعر القديم والْمُحَدث جملةً ، وكتب الطباق[٢] والأجزاء ، وحصّل ما يرويه عن أهل عصره في البلاد التي ارتحل إليها . ولم أر بعد شيخنا الحافظ أبي الفتح مَنْ يقرأ أسرعَ منه ولا أفصح ، وسألته عن أشياء من تراجم الناس ووَفياتهم وأعصارهم وتصانيفهم ، فوجدته حفظة لا يغيب عنه ما حصّله ، وهذا الذي رأيته منه في هذه السنّ القريبة كبير على من غلب[٣] سنُّه من كِبَار العلماء ، ومع ذلك فله ذوق الأدباء وفهم الشعراء ، وخفّة روح الظرفاء . وكان قد خرَّج لنفسه تسعين حديثا متباينة الإسناد . قال شيخنا الذهبي : سمعناها[٤] منه ، ثم إنه كملها مئة .

وتوفّي رحمه الله تعالى بحلب ثامن شهر ربيع الأوّل سنة أربع وأربعين وسبع ومئة ، ودفن ثاني يوم الجمعة بكرة .

وسألته عن مولده فقال : في ذي الحجّة سنة أربع[٥] عشرة وسبع مئة .

١٦٧٧ ـ محمّد بن علي بن محمد*

ابن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد بن قطرال الأنصاري الخزرجي الحارثيّ ، القرطبي الأصل ، ثمّ المراكشي .

---

(١) (س) والوافي : « من بلاد الشام » .

(٢) في الأصل : « الطبقات » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في (س) والوافي : « كثير ... علت سنه » .

(٤) في الأصل : « سمعناه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في ذيول العبر : « سنة خمس عشرة » .

* الدرر : ٨٣/٤ .

كان رجلاً فاضلاً صالحاً ، له نظم ونثرٌ ، وعنده صلاح وانقطاع وديانة . سمع كثيراً بالمغرب ، ودخل مصر والشام ، وسمع ، وحجّ غَيْرَ مرّة ، وجاور .

وتوفي رحمه الله تعالى بمكة برباط الجزري[١] عند باب إبراهيم عليه السلام في رابع جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة ، غسل ثوبه وطلع إلى سطح الرباط لينشره فوقع من أعلاه فمات ، ودفن بباب المُعَلَّى .

ومولده سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٦٧٨ ـ محمد بن عليّ بن أبي طالب*

ابن أبي عبد الله ، الشريف شمس الدين بن الشريف علاء الدين الْحُسَيْني الموسويّ العَطّار المعروف بالشريف عطّوف .

كان يَرْوي (صحيح) مُسْلم عن المشايخ الاثني عشر . وسمع من جدّه لأمه محمد بن أبي بكر النيسابوري[٢] ، وسمع من ابن مسلمة ، وسمع (جزء الأنصاري) من المشايخ الأربعة والأربعين مجتمعين ، وحدّث .

وله إجازاتٌ مِنْ بغداد سنة إحدى وثلاثين وست مئة . أجازه ابن القطيعي ، ونصر بن عبد الرزاق ، وابن اللَّتي ، وابن روزبة ، وزهره بنت حاضر[٣] وجماعة . وأجازه بمصر أبو الخطاب بن دِحْية[٤] ، ومرتضى[٥] ، وابن الصفراوي[٦] . ومن دمشق ابن الشيرازي ، وابن ماسويه ، والفخر الإربلي ، وابن صباح ، ومكرّم .

(١) في الدرر : « الخوزي » .

* الدرر : ٦٦/٤ .

(٢) هو محمّد بن أبي بكر بن علي الحنفي الفقيه (ت ٦٣٧ هـ) ، الشذرات : ١٨٦/٥ .

(٣) زهرة بنت محمّد بن أحمد بن حاضر شيخة صالحة صوفية (ت ٦٣٣ هـ) الشذرات : ١٥٩/٥ .

(٤) عمر بن حسن بن علي (ت ٦٣٣ هـ) ، السير : ٣٨٩/٢٢ .

(٥) مرتضى بن حاتم بن المسلّم (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١١/٢٣ .

(٦) عبد الرحمن بن عبد المجيد (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .

وتوفي رحمه تعالى بالقاهرة في خامس[١] جمادى الآخرة[٢] سنة عشر وسبع مئة .

١٦٧٩ ـ محمد بن عليّ بن عبد الكريم *

الشيخ الإمام العلاّمة ذو الفنون أقْضَى القضاة ، فخر الدين ، أبو الفضائل وأبو عبد الله المصري الشافعي الأشعري المعروف بابن كاتب قطلوبك . تَقدَّم ذِكْرُ والده في مكانه .

قرأ القرآن على جماعة منهم الشيخ مُوسى العجمي . وقرأ العربية والفقهَ أوّلاً على الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبه ، ثُمّ قرأ الفقهَ على الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين ، وقرأ بقيّة العلوم على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وهو أكثرهم إفادة له ، وكان معجباً به وبذهنه وبحافظته ، يشير إليه في المحافل والدروس وينوّه بقدره ويثني عليه ، ونزل له عن تدريس العادليّة الصغيرة . وقرأ على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وبحث على الشيخ مجد الدين التونسي ، وعلى الشيخ نجم الدين القحفازي . كتاب[٣] (الْمُقَرّب) في النحو ، وحفظ (الْجُزوليَّة) ، وبَحَث [منها][٤] جانباً على شيخنا نجم الدين الخطيب وقرأ الجست على النعمان[٥] ، والمنطق على جماعة أشهرهم الشيخ رضيّ الدين المنطقي ، وعلى الشيخ عَلاء الدين القونوي بمصر . وحفظ (التنبيه) و (المنتخب) في أصول الفقه ، وحفظ (مختصر) ابن الحاجب في مدّة

(١) (س) : « حادي » .

(٢) في الدرر : « جمادى الأولى » .

* الوافي : ٢٢٦/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٩٩/١ ، والذيل التام : ١١٥ ، والدرر : ٥١/٤ ، والدارس : ١٨٤/١ ، ٢٧٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/١٠ ، وفيه : « محمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم » وذيول العبر : ٢٨٣ .

(٣) في الأصل و (خ) : « وكتاب » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٥) هو النعمان بن دولات ، فاق في المعقولات ، وستأتي ترجمته في موضعها ، وعبارة الدارس عن الصفدي في الوافي : « وقرأ الحساب ... » .

تسعة عشر يوماً ، وهذا أمر عجيب باهرٌ إلى الغاية ، فإنَّ ألفاظ (المختصر) غَلِقة عقدة ما يَرْتَسم معناها في الذهن ليساعد على الحفظ ، وحفظ (المحصل) في أصول [الدين][1] وهو قريب من ألفاظ (المختصر) وحفظ (المُنْتَقى) في الأحكام ، وقال : أحفظ منه في كل يوم خمس مئة سطر . وشرع في حفظ أشياء لم تكمل مثل (مطلع النيّرين)[2] و (المنهاج) للنووي ، و (تصريف) ابن الحاجب .

وأُذِن له بالإفتاء وعمره ست وعشرون سنة ، وولي تدريس العادليّة الصغيرة في سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وفيها أذن له بالإفتاء ، ولما توفي شيخنا[3] **الشيخ** [برهان الدين ابن الشيخ][4] تاج الدين جلس بعده بالجامع الأموي وحلقةُ[5] الإشغال في المذهب عند الرخامة ، وتأدب مع شيخه ، فأخلى مكانه وجلس إلى جانب منها .

وأنشدني شيخنا العلاّمة مفتي الإسلام وشيخهم قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى يذكر أوّل من جلس إلى هذه الرخامة إلى[6] آخر وقت من الْمُصدّرين . للإشغال ، ومن خطه نقلت وهو :

الجامع الْمَعمُورُ فيه رخامَة ... يَأْوي لها مَن للفضائل يَطلُبُ
الشيخ فخر الدين ابن عَسَاكر ... والشيخ عز الدين عنه ينسَبُ
والشيخ تاج الدين نجل فزارةٍ ... عنه تلقاهَا يفيدُ ويدأب
ثم ابْنه أكرمْ به مِنْ سَيّدٍ ... وَرع له كل المَنَابر تخطب[7]

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الحديث ، الكشف : ١٧٢١/٢ .
(٣) في الأصل : « تولّى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي . وفي (س) : « توفي شيخه » .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .
(٥) (س) : « في حلقة » .
(٦) (س) ، (خ) : « و إلى » .
(٧) (خ) : « المناصب » ، و (س) : « المناسب » .

وتـلاه فخر الـدين وَاحـد مِصْره بـذكائـه كالنـار حين تلهَّبُ
وابني يليهم زادهم ربّ السَّمَـا علمـاً وفَهماً ليسَ فيـه يُنصَبُ[١]

وأقدم من سمع عليه الحديث هدّية بنت عسكر ، وأحمد بن مشرّف .

وحجّ إلى أن مات تسع[٢] حجات فيما أظن أو ثمانية ، وجاور في بعضها مرّات بمكة والمدينة .

وكان رحمه الله تعالى في الذكاء والحفظ أعجوبه ، لم يكن في زمانه من يلحق أسلوبه ، قد صار الفقه والأصول له طباعا ، ونقْل فروع المذهب هَوَىً مطاعا ، متى دعاه لبّاه وجاءه مسرعاً ولا يأباه ، فلو رآه أبو ثور[٣] لزم التسلسل في التعجب[٤] أوْ الدور ، وما قال بتقديم الوصيّة على الدَّين ، وهو في المذهب أغْرَب من بياض غراب البين ، أو الزعفراني لخلّق ثيابه بها فرحا ، وفتح دربه ببغداد مَرحا ، أو عاصره الْمُزَني لغرق في قطره وتحقق أنّ الفخر لمصره ، أو ابن سُرَيْج لعلم أنه لم يكن من خيل[٥] هذه الحلَبَة ، ووصى للماوردي أن يكون صاحب الثناء عليه ونَبَه[٦] . وما أحقّه بقول الأرّجاني :

غَبَّرْتَ في غِرَرِ الذين تقَدموا في الدهر من أهل الفضائل والعُلاَ
وسَبقتهم ولرُبّ آخر حَلْبَة بسط العنان له فصَار الأوّلا

وكان يَتَّجرُ ويقتني الأصناف ويدّخر إلى أن ثوّر نعمة طائله ، وحصّل جملة هائله ، إلاّ أنّه كان يُخْرج الزكاه . أخبرني بذلك مَنْ صدقته لما حكاه .

(١) في الأصل : « وابني عليهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) في الوافي : « سبع » .
(٣) إبراهيم بن خالد الكلبي مفتي العراق (ت ٢٤٠ هـ) ، السير : ٧٢/١٢ .
(٤) (س) : « في التعجب منه » .
(٥) ليست في (س) ، (خ) .
(٦) في الأصل : « بعده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولم يزل على حاله إلى أنْ نَزَلت بشعاب حياته شَعوب ، ولبست الدنيا من الأصيل عليه ثوبَ شحوب[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد سادس عشر[٢] ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وصلّي عليه الظهر بالجامع الأموي ، ودفن في مقابر الباب الصغير ، وكانت جنازته حَافلة . وتوفّي بدمشق في داره بالعادلية الصغيرة بعد مرضةٍ طويلة عُوفي منها ثم انتكس .

وسألتهُ عَنْ مولده فقال : في سنة إحدى وتسعين[٣] وست مئة[٤] .

واجتمعتُ به غَيْر مرَّة . وكان ظريفاً ولطيفا ، وكان قد حج بعض حجاته وجاور ، ولّما حضَر كتبتُ له توقيعاً بإعادة نظر الدولعيّة وتدريسها إليه ، وهو :

« رُسِمَ بالأمر العالي أعلاه تعالى[٥] ، لا زال يرتفع به العِلْم الشريف إلى فخره ، ويعيده إلى خير حبر تُقبس الفوائد من نُوره وتُغْتَرَفُ من بحره ويجمل الزمان بن[٦] هو عَلَمُ عصره وفَخْرُ مِصره أن يعاد المجلس العالي القضائي الشيخي الفخري إلى كذا وكذا ، وضعاً للشيء في مَحَلّه ، ورفعاً للوبل على طلّه ، ودفعاً لسيف النظر[٧] إلى يدٍ هي مألف هزّهِ وسَلّه ، ومنعاً لشِعْب مكة أن ينزلَهُ غَيْرُ أهْله[٨] ، إذ هو لأصحاب الشافعي رضي الله عنه حجّه ، ولبَحْر مذهبه الزاخر لجّه ، ولأهل فضله الذين يقطعون مفاوزَهُ بالسّرى صبح وبالمسير مِحَجَّه ، طالما ناظر الأقران فَعَدَّلهم ، وجادل الخصوم في حَومة

(١) (س) : « الشحوب » .

(٢) (س) : « عشري » .

(٣) (س) : « وسبعين » تحريف .

(٤) زاد في (س) : بظاهر القاهرة في الحيّانيّة » ، وفي الوافي : « الحبانيّة » ، وخرج من القاهرة أول سنة اثنتين وسبع مئة .

(٥) قوله : « أعلاه الله تعالى » ، ليس في الوافي .

(٦) عبارة الوافي : « ويجعل الزمان بولائه من هو » .

(٧) (خ) : « القطر » ، تحريف .

(٨) يشير إلى القول المشهور : « أهل مكة أدرى بشعابها » .

البحث فجدَّ لهم وجدَّلهم . كم قطع الشبهات بحججٍ لا يعرفها السيف[١] ، وأتى بوجهٍ ما رأى الروياني أحلى منه في أحلام الطّيف ،ودخل[٢] بابَ علمٍ فتحه القفّال لطالب (نهاية المطلب)[٣] التبري ، وارتوى مِنْ معينٍ ورَدَ عين حياته الخضري[٤] . وتمسَّك بفروعٍ صحَّ سَبْكُها فقال ابن الحداد[٥] : هذا هو الذهب[٦]المصري ، وأوضح المغالط بما نَسَف به جبال النَّسفي ، وروى أقوال أصحاب المذهب بحافظةٍ يتمناها الحافظ السِّلفي .

كم جاور بين زمزم والمقام ، وألقى عصا سفره لمّا رحل الحجيج وأقام ، وكم طاب له القرار بطَيبه . وعطّر بالإذْخِر والجليل[٧] رِدْنَه وجَيْبَه . وكم استروح بظل نخلها والسَّمُرَات[٨] . وتملّى بمشاهدة الحجرة[٩] الشريفة ، وغيره يَسفح على قرب تربها العَبَرات ، وكم كتب له بالوصول[١٠] وصول ، وبث شكواه فلم يكن بينه وبين الرسول رسول ، لا جرم إنّه عاد وقد زاد وقارا ، وآبَ بعد ما غاب ليلاً فتوضّح شَيْبُهُ نهارا .

فليباشر ما فُوض إليه جرياً على ما ألف من إفادته ، وعهد من رياسته لهذا العصابة وسيادته ، وعرف من زيادة يومه على أمْسِهِ ، فكانت كنيلِ بلاده ، لا[١١] يتعجب من

---

(١) (خ) : « للسيف » ، والمراد : السيف الآمدي .

(٢) في الأصل : « ودخل على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني (ت ٤٢٨ هـ) في الفقه الشافعي . الكشف ١٩٩٠/٢ .

(٤) في الأصل : « الحصري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وفي مطبوعة الدارس عن الوافي : « الحضرمي » .

(٥) محمد بن أحمد بن محمّد بن الحداد الشافعي (ت ٣٤٤ هـ) ، السير : ٤٤٥/١٥ .

(٦) في الأصل : « المذهب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٧) الإذخر : حشيش طيّب الريح . والجليل : الثمام .

(٨) في الأصل : « السرات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٩) في الأصل : « قرب الحجرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(١٠) في الوافي : « بالوصال » .

(١١) (س) ، (خ) والوافي : « ولا » .

زيادته ، حتى يحيي بدرسه مادَرس ، ويثمر[١] عود الفروع ، فهو الذي أنبته بهذه المدرسة وغرس ، مجتهداً في نظر وقفها ، معتمداً على تتبّع ورقات حسابها وصحفها ، عاملاً بشروط الواقف فيما شرط ، قابضاً ماقَبَضه باسِطاً[٢] ما بسط ، وتقوى الله جنّة يَرْتع فيها خاطره ، ويسرح في رياضها الناضرة ناظره . ومثله لا يُنَبّه عَلَيْهَا . ولا يوماً[٣] له بالإشارات إليها ، فلا يَنْزع مالبس[٤] من حلاها ، ولا يَسِرْ في مَهْمَهٍ فهم إلا بسناها . والله يديم فوائده لأهل العلم الشريف ، ويجدّدُ له سَعْداً يشكر منه التالد والطريف.

والخط الكريم أعلاه حجة بثبوت مقتضاه[٥] ، إن شاء الله تعالى » .

وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني قد استنابه واستناب جمال الدين يوسف بن جملة ، واستمرّا على ذلك ، ولّما جاء القاضي علاء الدين القونوي باشر النيابة في أيامه ، ثم إنّ القاضي فخر الدين استعفى في شهر شوال سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكان يعتكف في بعض السنين في شهر رمضان بمقصورة الخطابة رحمه الله تعالى .

١٦٨٠ ـ محمّد بن علي بن محمود*

ابن الدُّقوقي البغدادي المعمر .

توفّي رحمه الله تعالى ببغداد في سنة أربعين وسبع مئة عن خمس وسبعين سنة .

سمع من ابن أبي الديّنَة (مسند) الإمام أحمد ، وحدث عن أبي محمد بن ورخز .

---

(١) (خ) : « ويتم » .

(٢) (س) ، (خ) والوافي : « وباسطاً » .

(٣) في الأصل : « ولا ما يوماً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « لبسه » .

(٥) في الوافي : « حجّة بمقتضاه » .

* الدرر : ٩٠/٤ ، وذيول العبر : ٢٢٢ ، وفيه وفاته (٤٧١ هـ) .

١٦٨١ ـ محمّد بن علي بن حَرَمي*

الشيخ الإمام الفاضل الفَرَضي المحدّث عماد الدين أبو عبد الله الدّمياطي .

سمع من الدمياطي ، والأبرقوهي ، وبنت الإسعردي وطائفة بمصر ، وبدمشق[١] من الموازيني ، وابن مشرف . وسمع بقراءتي (المقامات الحريريّة) وغيرها على شيخنا العلامة أثير الدين ، وعلّق عني أشياء .

وكان حلو المحادثة ، كثيرَ التودّد ، غزير المحاسن ، وله خصوصيّة زائدة عن الحدّ بُقَاضي القضاة عز الدين بن جماعة ، وليَ مشيخة الكامليّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة بطاعون مصر .

١٦٨٢ ـ محمد بن علي بن أحمد**

ابن عبد الواحد بن أحمد ، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ، ابن الشيخ الإمام المسند فخر الدين أبي الحسن الصالحي الحنبلي ، المعروف بابن البخاري .

سمع من إبراهيم بن خليل ، وعبد الله الخشوعي[٢] ، وعليّ بن إسماعيل بن إبراهيم بن طلحة المقدسي[٣] ، وابن عبد الدائم ، وغيرهم .

وأجاز له جماعة من بغداد منهم إبراهيم الرعيني[٤] ، ومحمد بن الحصري[٥] وهما من

* الوافي : ٢٢٨/٤ ، وفيات ابن رافع : ٢٦٠/١ ، والدرر : ٦٠/٤ .

(١) في الأصل : « ودمشق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

** الدرر : ٥٥/٤ .

(٢) (س) : « ابن الخشوعي » .

(٣) (ت ٦٦١ هـ) ، الشذرات : ٣٠٦/٥ .

(٤) إبراهيم بن عبد العزيز (ت ٦٨٧ هـ) ، النجوم : ٣٧٨/٧ .

(٥) في الدرر : « محمد بن نصر الحصري » .

أصحاب ابن شاتيل . وسافر إلى العراق بسبب الأسرى ، وحدَّث بدمَشْق والقاهرة ، وكان شيخ الحديث بالمدرسة الضيائيّة ، وليها بعد موت سعد الدين سعد ، وخَرَّج له ابن الْمُحب جزءاً من عواليه فيه خمسة عشر شيخاً بالسماع .

وكان فيه همّة وشجاعة وقوّةُ نفس وكَرَم ، وعنده عبادة وقيام لَيْل .

وتوفّي رحمه الله تعالى في سادس عشر ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

١٦٨٣ ـ محمد بن علي بن أبي القاسم*

المقرئ الإمام الكبير ، بَقيّة السَّلَف ، أبو عبد الله الموصلّي الحنبلي ابن خروف ، ويعرف بابن الوَرّاق .

ارْتَحَل إلى بغداد في طلب العِلْم سنة اثنتين وستين وست مئة ، وتلا بِعِدَّةِ كُتب على الشيخ عبد الصمد ، وسمع من جماعة ، وقرأ كتباً كِباراً ، وقرأ (تفسير الكواشي) على الْمُصَنِّف و (جامع أبي عيسى)[1] على ابن العجمي[2] .

قال شيخُنا الذهبي : قدم علينا وسمعنا منه .

وتوفّي رحمه الله تعالى بالموصل في جمادى الأولى سنة سبعٍ وعشرين وسبع مئة .

ومَوْلده سنة أربعين وستّ مئة .

١٦٨٤ ـ محمد بن علي بن مخلوف بن ناهض**

قاضي القضاة محيي الدين ابن قاضي القضاة زين الدين المالكي .

---

* الوافي : ٢٢٩/٤ ، والدرر : ٧٧/٤ ، وغاية النهاية : ٢٧٠/٢ .

(١) محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، الكشف : ٥٥٩/١ .

(٢) في الدرر : « محمد بن مسعود العجمي » .

** الدرر : ٩٠/٤ .

كان مشكورَ السيرة عاقلا دَيِّناً كثير السكون ، يفضله الناس على والده ، وناب عن والده مُدّةً في الحكم .

وتوفي رحمه الله تعالى حادي[١] عشر ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكان من أبناء الأربعين . وقد تقدم ذكر والده .

١٦٨٥ ـ محمد بن علي*

الكاتب الْمُجَوّد البارع أمين الدين ابن المهتار الصفدي ، كانت يُعْرَف عند بعض[٢] الناس بدرويش ، بفتح الدال المهملة وسكون الراء وكسر الواو وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة ، وشين معجمة .

كتب المنسوب الفائق ، وأبرزه للعيون في المنظر اللائق الرائق[٣] ، ووضع سطوره في طروسه فحكى نظرات الأحداق ونضارة الحدائق ، وفاق كُتَّابَ العصر[٤] ، إلاّ أنّ خَطّه كان لِحَظّه من أكبر العوائق ، لم أر ولا غيري مثل الصَّفاء الذي كان في خَطّه في سائر الأقلام ، والقوة التي يشهد بها أرباب العلوم والأعلام ، والتحرير[٥] الذي لم تشاهد العيون مثله في اليقظة والأحلام[٦] ، فيالها من كتابة :

ذهَبَت كما ذهبت بسَاطعِ نورها شمسُ النهار وأعْقَب الإظلاَمُ

مولدُه تقريباً في سنة سبع وسبع مئة .

وأظنّ وفاته كانت بالقاهرة في طاعون مصر ، سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

---

(١) (س) : « في حادي » .

* الدرر : ٩٠/٤ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الأصل : « الفائق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) (س) ، (خ) : « عصره » .

(٥) (خ) : « والنحرير » .

(٦) (س) : « ولا أحلى في الأحلام » .

وكان والده ركابيّاً[١] عند الأمير علاء الدين أقطوان أمير حاجب بصفد ، ونشأ هو بصفد ويده قابلة يكتب خطا قَوِيّا إلى الغاية ، لكن خَطّه غير منسوب ، فنزل إلى دِمَشْق ، ونزل عند الشيخ العلاّمة كمال الدين بن الزملكاني بَوّاباً في المدرسة الرواحيّة ، فحنا عليه لحسن كتابته .

وكتب على الأشْيَاخ المجوّدين ، ومهر ، ثم عاد إلى صفد ، وأقام قليلاً ، ثم توجه إلى بغداد ، وكتب هناك على طريقة ياقوت المستعصمي ، وجَوَّد النسخ الفَضَّاح ، ثم إنّه دخل إلى الهند ولبس زِيّ الفقراء ، وجاء إلى اليمن ، ثُمّ قدم إلى القاهرة ، فرأيته بها في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ثمّ عدت رأيته بها في سنة ست وثلاثين إلى سنة تسع وثلاثين . وقد اتّصل بالقاضي الرئيس ضياء الدين بن الخطيب ، وقد أحبّه وحنا عليه وجعله نائبه في الفروع من الحسبة ، ثم[٢] إني رأيته بدمشق سنة ست وأربعين وسبع مئة ، وعاد منها إلى الديار المصريّة ، وكان ذلك آخر عهدي به .

وكان ينظم متوسّطا ، إلاّ أنّه كان مُنْحَرفَ المزاج ، في أخلاقه زعارة ، وعنده طيش ، وفيه سلس[٣] ، فكان ذلك سببَ تأخيره وعَدم تَقَدّمه .

كتب إليّ في أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة وأنا بالقاهرة :

تصوم بخير في سُرور وغبطةٍ ... وضدك فيَ عكس القضية خاملُ[٤]
وحكمك ماض في البرية نافذ ... وأمرك في أقصَى الأقاليم واصلُ[٥]
لأنت صلاح الدين أفضل مَنْ وشى ... وأنشا إذا التفّت عليه المحَافِلُ

---

(١) في الأصل : « ركاباً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) (س) : « نائبه في بعض فروع ثمّ ... » .
(٣) فيه سلس أي : « جنون » .
(٤) (خ) : « وصدك » ، تصحيف .
(٥) في الأصل : « في القضية » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وكنت قد كتبت إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف قصيدة على وزن قصيدة ابن بابَك[١] التي أوّلها :

عُلّقتـــــه أســـودَ العينين والشَّعرَه

ولهج بها المصريون ، ونظم جماعة كثيرة[٢] على وزنها ، فكتب هو إليَّ في ذلك الوزن ، والجميع هو في الجزء الرابع والعشرين[٣] من (التذكرة) :

سَرَت نسيم الصبا في رَوْضة حَبَره ... فَرنَّحتنا بأنفاس لَهَا عطَرهْ
وغنّت الوُرْق في الأغصانِ مِنْ طربٍ ... على رياض ببانات الحمى عَطرَه
وزمْجَر الرعد في أكناف سَاريَةٍ ... وأومض البَرق عايَنّا إذاً مطرَه
وصَفق الماء في الغدران مِنْ فرحٍ ... والغصن أهدى لنا باصَاحبي ثمَرَه
ونحنُ في مجلس اللذات نَكْرَعُها ... من كل صافية صفراءَ معتصرَه
ونغمة الشيز في راحات غانيةٍ ... أغنت بمبسمَها عن أن ترى قمَرَه[٤]
وحُسنُ سَاقٍ سقى صرفا فأسكرَني ... فما رأيت له عينا ولاَ أثرَه
دع عنك ذلك وانظر في فضائله ... وافتْ وحقك في المنظوم منتثره[٥]
صلاح ديوان إنشاء الشام به ... فما على الحق مَا مَحمُود من غَبَره
قَدمته وَفْق أبياتٍ نظرت لَهَا ... فما تلعثمتُ أنْ وافيت بالعشره

وكتب إليّ كثيراً ، وهذا القدر يكفي مِنْ أنموذجه .

---

(١) عبد الصمد بن منصور (ت ٤١٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٩٦/٣ .
(٢) في الأصل : « كثير » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « والعشرون » .
(٤) في الأصل : « من أن نرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٥) وقع البيت في (س) ، (خ) بلفظ :
..... وانظر فضل من ... وردت منه الفضائل في المنظوم منتثرة

١٦٨٦ ـ محمد بن علي بن حسن*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير علاء الدين بن المرواني .

كان هذا الأمير ناصر الدين أحد أمراء العشرات ، ولما كان والده والي القاهرة[١] كان هو والي مصر ، ولمّا تُوفّي والده وتوفّي السلطان الملك الناصر محمد حضر هو إلى الشام ، وتعكّس ، وتوجّه إلى حلب ، ثم إنّه عاد مع الأمير يلبغا[٢] اليحيوي لمّا حضر إلى دمشق نائباً ، فولاّه برَّ دِمَشْق ، وأقام به مدّة ، ثم انفصل وبقي بطّالا مُدّة .

ثم إنّه تولى بيروت وأقام به[٣] مُدَّة ، ثمَّ إنّه حَضَر إلى دمشق وأقام مُدَيْدَة .

وتوفّي رحمه الله تعالى[٣] ، وكان فيه حشمة وخدمة للناس ورعاية وتودّد[٤] ، وتولى ولاية المدينة بدمشق أيضاً وكانت وفاته في ....[٥]

١٦٨٧ ـ محمّد بن علي بن محمد**

الفاضل الأديب الْمُنَجِّم شمس الدين أبو عبد الله ، المصريُّ مَوْلِداً الغزيُّ مَنْشَأً ، المعروف بابن أبي طرطور .

أقام بغَزَة مُدّةً ، وكابد فيها من الاقْلاَل شِدّة . ووَرد إلى دمشق وسكَنَها ، وأزاح بآدابه لَكَنها . وكان يجتمع بالصاحب شمس الدين وبناصر الدين الدوادار . وكَلَفَ به

---

* الدرر : ٦٣/٤ .

(١) في الأصل : « العشرة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « سيف الدين يلبغا » .

(٣) وقع بعد هذه الكلمة بياض في (س) بمقدار سطر .

(٤) هنا تنتهي الترجمة في (س) .

(٥) كذا في الأصل ، وفي الدرر أنّ وفاته بعد الخمسين وسبع مئة .

** الوافي : ٢٢٣/٤ ، والدرر : ٨٨/٤ .

(٦) اللكن : العجمة .

ناصر الدين ، لأنه على مثله طَوَّفَ وسَعَى ودار . وامتزج برؤساء [الشام][1] ، حَصَل على مراده لمّا انتجع بَرْقَهم وشام ، ثم توجَّه إلى حماة أيّام الملك الأَفْضَل ، فصانه وحَمَاه .

وأنزله من جودِه الغامر في رَبْعِهِ العامر[2] وحَمَاه ، فأجرَى عليه راتبا يكفيه ، ولم يدع نوعاً من البرّ إلاّ ويجزلُ[3] قِسْمَه منه ويوفيه . فَتَخَيَّرها مقاما ، وشفى من داء فقره سقاما . وغَرّد بمدائحه لمّا أصبح بإحسانه وهو مُطَوَّق ، وناضل الفقر بسهامه فأصاب مَقاتِله لمَّا سَدَّدَها إليه وفَوَّق . ولمّا مات الأفضل رحمه الله تعالى لم يتخذ غَيْر حماة سَكَنا ، وأَلِفَهُ أَهْلُها وألفهم ، فصرَّح بشكرهم وكَنَى .

وكان يعرف النّجامة ، ويقول لمن سأله منها النَّجامَه ؟ ويعرف ما يتعلّق بالإسطرلاب ، ويتكلم على ما فيه من بروج الاستواء والانقلاب، وكتب الخط الفائق ورقا[4] فيه درجاً ، يعزّ على غيره أن ينال ما فيها من الدقائق . ونَظَمَ فنونا من الشعر وغيره . وأمال الأعطافَ بأسجاع طَيْرِهِ .

ولم يزل على حاله بحماة إلى أن أصابه الحِمامُ بسهمٍ رماه ، فأصبح الغزّي مَغْزُوّا ، ووجوده إلى العَدم مَعْزُوّا[5] .

وتوفي رحمه الله تعالى في العُشر الأواخر من ذي القعدة في سابع عشريه سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده في سنة خمس وثمانين وست مئة .

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « ويجلّ » .

(٤) في الأصل : « ورفا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « مغزوّ ، مغروّ » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ووجد في بيته بخان الخطيب بحماة ، وهو سكنه ، ميتا بعد ثلاثة أيام وهو جالس ، ووجد له خمسة وسبعون ديناراً مصريّة هرجة ، وثلاث مئة درهم ، وقماش بدنه بيع بخمس مئة درهم ، وكتبه مجلدات بيعت بست مئة درهم .

واجتمعت به غَيْرَ مرّة بالقاهرة ودمشق وصفد وحماة ، وكان خفيفاً على القلوب حَسَنَ العِشرة ، كثير النادرة ، حلو التنديب ، قد برته الأيام في صحبة الناس ومخالطةِ الأكياس . وكان حسنَ الشكل ظريف الملبس يتأنّق في مأكله ومشاربه ، ولكنّه ما كان يجلس في بيته إلا وحَوْلَه عُفَاش كثير من الزبادي والأواني ، وكان يطبخ قُدَّامه ، فلهذا كان كثير العفاش . وأمّا محاضرته فلا تُمَلّ ، وكانت له بديهة عظيمة وعنده جُرأةٌ وقوة عَيْن زائدة ، مع النظم الحلو والكتابة الحسنة[1] . وما أحقه بقول[2] الشريف الرضي في ابن حَجّاج رحمهم الله تعالى أجمعين وهي :

وما كنت أحسبُ أنّ الزمَا ... ن يغل مضاربَ ذاك اللسَان
ليبك الزمَانُ طويلا عَليـ ... ـك فقد كنتَ خِفّة روح الزمان

أنْشَدته لنفسي بصفد سنة أربع وثلاثين وسبع مئة :

يا حسنه رشأً تَخَلَّى الليث عن ... وَثَباته وثَباته في حربه
تروي السَّقامَ جفونُه عَنْ خَصْره ... عن عهده وعن الصّبا عن صبّهِ

فأنشدني هو رحمه الله تعالى لنفسه :

بأبي غزال غزْلُ هُدْبِ جُفُونهِ ... يكسُو الضّنا صبّا أُذيب بَصدِّه
يَروى حديث السُقم جُسْمُ مُحبِّه ... عن جَفْنه عن خَصْره عَنْ عَهْدِهِ

---

(١) قوله : « وكان حسن الشكل » حتى ههنا ، ليس في (س) .
(٢) (س) ، (خ) : « بمرثية » .

وأنشدني هو لنفسه رحمه الله تعالى في التاريخ :

مَرّ في الفستقّي يجلـــو عَلَيْنَـــــا طلعـــةً حلـوة الرِضـــابَ شهيّـــه
قلتُ: مَنْ للفقير لـــو ذاق في السطـ ـلـــة من ذي الحـلاوة الفُستقيَّـــه

فأنشدته أنا لنفسي :

في فستقيّ اللّـون لمّـــا بَـــــدَا يميس مثَـــلَ الغُصْن المُـــورِق
مَنّ وقـــــد مرّ عَلى صبّـــــهِ ومَـــا ألـــذّ المنَّ بـــالفستـــقِ

وأنشدته أيضاً لنفسي :

لمـــا بـــدا في الفستقيِّ مُعَـــذّبي نـاديت مِنْ وَجْـدِي وفَرْط تحرقّي
كانت لـوجهـك في الفـؤاد حـلاوة كَمّلْتَ لـــذَّتَهـــا بهـــذا الفُستقِي

وأنشدته أنا لنفسي أيضاً :

لاتقيسُـوا إلى الْحَمامـــة حـزني إنّ فَضْلي تَـدْري بـه العُشـاقُ[1]
أنـــــا أُمْلي الغرام عن ظهر قلبٍ وهي تملي وحـــولَهَـــا الأوراقُ

فأنشدني هو لنفسه رحمه الله تعالى :

أتشكَى مـــع البعـــــاد إليكم برقيـق العِتَـاب فَرْطَ اشتيـاقي
وكأني الـورقـــاء من فُرقـــة الإلـ ـفِ تَلَهّت بـــالسّجـع في الأوراقِ

وكتب هو إليّ وقد قَـدِمْتُ إلى حماة لتلقي النـائب الجـديـد لحلب في المحرم سنة ستين وسبع مئة :

مملكـــة الشَهبـــا على الشهب علَتْ فـــاستبشرت بـــالخير والفـلاح
لمّـــا شكت سرّاً فَسَـادَ حـالهـــا أعـانهـــا السُلطـــان بـــالصـلاحِ

(١) (س) : « حزناً » .

يقبل الأرض التي ابتهلت أوّلَ أمْرها بعلّو قَدْرها ، وابتهجت في سرّها بقدم كاتب[١] سِرِّها ، فلله دَرُّها دولةً اقتضت آراؤها الشريفة لمملكتها[٢] الحلبية بمن صانها وزانها ، وارتضت آلاؤُها المنيفة من أصلح شانها الذي شانها ، فجانست أوامِرَها العالية بين مقامِ أعْلمِ خليل ، وبين مقام أكرم خَليل ، وآنَسته رَشَدا بتقدم[٣] فاضل زمانه ، وإنْ كان اللائق بالتقديم والتفضيل ، فأقرت عيناً بآيات[٤] الفضائل السجيّة الصلاحيّة ، وأقَرَّت وألقت في ساحتها من ساعتها عَصَاها واستقرّت[٥] ، ومدَّت وارِفَ ظِلِّها عليها الرياسةُ والسيادة فما ساءت حين سَرّت . وينهي أنّ المملوك مِمن سرّته هذه البشرى التي ردّت شوارد الأدب بعد مَفَرّها إلى مَقَرّها ، و أسبغت ظلالها على سر الصناعتين بعد هجير هجرها ، فلقد دلت على الهدى ، وجَلَت صدأ الصدا بأنوارها وأنوائها[٦] ، وجَلّت في حَلَبة المعالي على أبلقها وشَقْرائها بشهبائها ، فلله الحمد على منةٍ لا ترد إلاّ مِنْهُ ، وله الشكر على نعمة لا تُصَدّ إلاّ عنه .

زِنْتُم رُغم الحسود محلَّها كنتم أحقَّ بِهَا وكنتم أهْلَها

والقصد أنّ مولانا يعفّي خطأها وخَطَلَها ، ويسامح بحلمه جَهْلَها ، ويسبل عليها ستر معروفه لأنّه مالك الحلّ والعَقْد ، وإليه مرجع النقل والنقد ، لا زال جابرًا بقبوله وإقباله ، ساتراً بخلاله الكريمة ما خفي عن المملوك من إخلاله بمحمدٍ وآله إنْ شاء الله تعالى .

---

(١) (س) : « كتاب » .

(٢) (خ) : « بملكتها » .

(٣) في (س) : « وآنست رشداً بتقديم » .

(٤) (س) : « بإياب » .

(٥) يشير إلى قول معقر بن حمار :

فألقت عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

اللسان (عصا) (نوى) .

(٦) في الأصل : « وأنوانها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

١٦٨٨ ـ محمد بن علي بن عبد الواحد*

ابن يحيى بن عبد الرحيم ، الشيخ الإمام العالِم الفاضل الْمُفَسّر المحدّث شمس الدين أبو أُمَامَة الدُّكَالي ، بالدال المهملة المضمومة وكاف بعدها ألف ولام وياء النسبة ، **ودُكَال :** قَلْعَةٌ بالْمَغْرب[١] ، المعروف بابن النقاش .

كان شكلاً حَسَنا ، راقَ سناءً وسنا ، حلو الصورة والشكالة ، يريح بمحاضرته ألَمَ مَنْ شكا له ، يستحضر من التفسير كثيراً ، ويحل من غرائبه محلاً أثيراً . وكانت طريقه[٢] في التفسير غريبة ، يأتي[٣] فيها بكلّ عجيبة ، ما رأيت له في ذلك نظيراً ، ولا توهمت أنّ غيره من أبناء جنسه[٤] يكون على ما يأتي به قديرا . حصّل من الدنيا جانبا ، وأكبّ على السعي فيها فما كَلَّ اجتهاده[٥] ولا نبا . وكان يدخل إلى الملك الناصر حسن ، وقادَهُ [الله][٦] إليه بغير رسن ، وعمل على شيخه قطب الدين الهِرْمَاس[٧] ، فأبعده عنه حتى كأنّه ما خطر بين يديه ولا ماس[٨] . وكان يصحب أمراء الدولة ، حتى صار له في كل جَوّ جَوْلَة . فنال[٩] مرامه وتعدى أقرانه ، وتجاوز الغاية في علو المكانة .

---

* وفيات ابن رافع : ٣٧٤/١ ، والبداية والنهاية : ٢٩٢/١٤ ، والدرر : ٧١/٤ ، والبغية : ١٨٣/١ ، والبدر الطالع : ٢١١/٢ ، وبدائع الزهور : ٥٨٩/١/١ ، والشذرات : ١٩٨/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٣/١١ .

(١) الذي في معجم البلدان أنّ : « دكّالة » بفتح أوّله ، وتشديد ثانيه : بلدٌ بالمغرب يسكنه البربر .

(٢) في الدرر : « طريقته » .

(٣) (س) : « ويأتي » .

(٤) قوله : « من أبناء جنسه » ليس في (س) .

(٥) في الأصل : « اجتهاده فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) هو محمد بن محمود بن هرماس الشافعي . (ت ٧٦٩ هـ) .

(٨) انظر في البداية والنهاية أحداث سنة (٧٦١ هـ) : ٢٧١/١٤ ـ ٢٧٢ .

(٩) (خ) : « فقال » .

يكاد مِنْ صِحّــة العــزيمَــة مَــا يَفْعَــل قبــل الفَعــــال ينفعــلُ

ولم يزل على حاله إلى أنْ مُحيت من الحياة سكّة ابن النقّاش ، وتلّقاها[١] الدهر بعد البِشْر بالتقطيب والإيحاش .

وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في القاهرة[٢] في أواخر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكنت سألته عن مولده فقال : في نصف شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة .

أخبرني أنّه قرأ القرآن على الشيخ برهان الدين الرشيدي كاملاً ، وقرأ العربيّة عليه وعلى الشيخ محبّ الدين أبي عبد الله بن الصائغ الأندلسي ، وعلى العلاّمة أثير الدين ، قال : وقرأت (ألفيّة ابن مالك) على ابن معاوية ، وسَمِعْتُ في شرح (التسهيل) وغَيْرِهِ على أثير الدين ، قال : وحفظت (الحاوي) في الفِقْه ، وأنا أوّل مَنْ حفظه بالقاهرة ، و (منهاجَ الأصول) للبيضاوي على العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي وعلى الشيخ شهاب الدين الأنصاري وعلى غيرهما ، قال : وعلّقت مُثُلاً على (التسهيل) ، وقرأت (العُمْدَة في الأحكام) وألّفت (شرحاً) لها يجيء في ثماني مجلّدات ، قال : وألّفت كتابا سمّيته (كاشف الغُمّة عن شافعيّة الأمّة في أحاديث الرافعي) قال : وسمّيته[٣] (أمنية الألمعي في أحاديث الرافعي) ، قال : ووضعت شرحاً (لألفيّة ابن مالك) وسمّيته (توضيح الألفيّة وإلحاقها بالجرجانيّة) ، وكتاب (النظائر وفروق المذهب) و (تفسير آيات وسور) .

وكان قد قدم إلى دمشق ، واجتمعت به في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، ونزل لمّا جاء إلى دمشق عند العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وكانت

(١) (س) : « وتلقّاه » .
(٢) (س) : « من القاهرة » .
(٣) (س) : « وسميته أيضاً » .

بَيْنَه وبين النائب علاء[١] الدين أمير علي المادريني نائب الشام معرفة من مصر ، فأكرمه وأقبل عليه وأحْسَن رعايته ، وتوجَّه إلى حماة لمعرفةٍ بينَه وبين الأمير سيف الدين طازيرق نائب حماة ، وقامت له سوق بدمشق ، ورُزِقَ منها الحظّ والحظوة ، وعمل مجلساً بالجامع الأموي في التفسير ، وتكلّم فيه كلاماً كثيراً ، واستحضر[٢] أحكاماً وأقوالا ومذاهب ورقائق[٣] وتصوّفاً بجَنانٍ ثابت ولسانٍ فصيح من غير توقف ، ووسَّع فيه المجال ، وأبدع فيه الجمال ، ولَمَّا فرغ منه كتبت أنا إليه :

أتينا المجلس حَبْرَ الورى ... فسَرّ القلوبَ بما فسَّرا[٤]
وحرك أعطافنا نشوةً ... ولا تسأل الدَّمْعَ عَمَّا جَرى
فشبَهتُهَا بغصون سمت ... وشبهته بنسيم سرى[٥]

وأنشدني من لفظهِ لنفسه يمدح قاضي القضاة تقي الدين السبكي لَمّا كان بالقاهرة :

طرقَتْ وقَدْ نامَتْ عيونُ الحُسَّدِ ... وتوارت الرُّقَباء غير الغرقدِ[٦]
والعسكر الزنجيّ رُمْح سِماكه ... قانٍ وعضب الفجر لم يتجرد
والليل قد نشرت غلائل مسكِهِ ... لَمّا طوَى الإمساء حلّة عَسْجَدِ[٧]
وسَرى يَجُر عَلى المجرّة ذَيْلَه ... إذْ طُوّقت مِنْ شهبهَا بمقلّد
ربعيّة حلّت بأكناف الحشَا ... ودموعها بين النقا والأنْجد
غراء يفضح خَدّها وَلحاظها ... مرأى الغزالة والغزال الأغيدِ[٨]

---

(١) (س) ، (خ) : « الأمير علاء » .
(٢) في الأصل : « وأحضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) كذا في الأصل و (خ) ، وفي (س) : « ومذاهب دقائق » .
(٤) في الأصل : « خير الورى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والدرر . وفي الدرر أيضاً : « بما قد قرا » .
(٥) (س) ، (خ) : « فشبهتنا » .
(٦) (س) : « وتوارث » . وهذا البيت فقط في النجوم الزاهرة .
(٧) (س) : « قد غشيت » .
(٨) في الأصل : « يصبح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . والغزالة : الشمس .

خلصَت إليّ ودونَ رَبْعي حـــاجـزُ ... من سَيـل أجفـاني ونـار تـوقّـدي
وَأتت ولم تضرب لـوصـل مـوعـدا ... أحلى المنى مـا لم يكن عن مـوعـد[١]
تهْفـو بمعْطفهـــا الشمُـولُ كما هفت ... أيـدي الشمائـلِ بـالقضيب الأملـد[٢]
أرَجت بقـــاع الرقمتين وشعبُهـــا ... وتشرّفت أعـلامُ ذاك الْمَعْهَـــدِ[٣]
شرف المجَـالس شيخنـا علم الفخـا ... ر الأوحـديّ الألمعيّ الأمجـدي[٤]
يـاقـوت سلـكِ البَحر أحكم نظمـه ... فـالـــدّر بينَ مرصّـعٍ ومنضّـد
عين السَيـادة حـلّ منهـا رتَبـة ... كيـوَان يرصـدهـا بعين الأرمـدِ[٥]

وهي طويلة وقد أوردتها في ترجمته في (تاريخي الكبير)[٦] .

وكتبت أنا إليه ملغزاً في فيل ، وهو :

يـــا إمَـــام الأنـــام في كل علمٍ ... وإليـــه الـورى ترى منتهـــاهُ
وهـــو شمسُ التحقيـــق في كل فنّ ... وسـواه يكـون فيـــه سُهَـــاهُ[٧]
أيّما اسمٌ تركيبـــــه من ثـــلاثٍ ... وهـو ذو أربـع تعـــالى الإلـــه
حَيَـوان والقلبُ منـــه نبـــاتٌ ... لم يكن عنـد جـوعـــه يرعَـــاهُ
فيـــك تصحيفـــه ولكنْ إذا مَـــا ... رُمْتَ عكســـاً يكـون لي ثُلْثَـــاهُ
فـــأبِنْـــه لا زلت في ظـلّ سَعْـــدٍ ... مَـــــا تَمَلّى طَرْفٌ بطيبِ كَراهُ

فكتب هو الجواب عن ذلك :

(١) في الأصل : « ولم تصرف » .
(٢) الأملد : « الناعم اللين » .
(٣) في الأصل : « العهد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٤) (س) : « علم الفخار الأوحدي الأوحد » ، وفي (خ) : « الأوحدي الأوحدي الأوحد » .
(٥) (س) : « الأملد » . وكيوان : كوكب زحل .
(٦) الظاهر أنه يريد : في ترجمة تقي الدين ، وتقع في الجزء الحادي والعشرين من الوافي ، ولم يطبع .
(٧) في الأصل : « سواه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والدرر .

يـا إمَـامـاً قـد حـاز علمـاً وفَضْـلاً ... وسُمـوّاً على الـورى بنـــدَاهُ[1]
وَهـو للـــدين والعلـومِ صَـلاحٌ ... جَـلّ ربٌّ بكلّ حسن حبَـــاهُ
إن لغـزاً أبـدعت فيـــه لعمري ... يَقْصُرُ الفهمُ عَنْ بُلـوغ مَـــداهُ
قَلْبُـه بـالعراق في النخـل بـادٍ ... وهـو بـــالهنـــد كلّ عين تَرَاهُ
مَـا أُحب الشطرنـج إلاّ بـدا لي ... منـــه خصمٌ داعٍ لحربي أخـــاهُ[2]
هُـو عَنيّ بـادٍ فـإنْ رَاح منـــه ... آخرٌ عُـــــــدْت جهراً أرَاهُ
دُمْتَ لي مُهْـــدِيـــاً جـواهرَ علمٍ ... لَـــكَ كلّ الـوَرَى ترى منتهـــاهُ

محمد بن علي بن عبد الرحيم*

الشيخ علم الدين بن بهاء الدين بن الإمام محيي الدين ، عُرف بابن الدُّمَيْري .

أجاز لي رحمه الله تعالى في سنة .....[3]

ومولدُه سنة خمس وسبعين وست مئة بدار الزعفران بزقاق القناديل بمصر .

وتوفي رحمه الله تعالى ....[4]

١٦٩٠ ـ محمد بن علي**

الأمير ناصر الدين بن الأمير علاء الدين بن الفراء .

كان والده علاء الدين بن الفراء أمير طبلخاناه ، وهو مقدّم البريدية ، وكان هـذا

---

(١) في الدرر : « على الورى وعداه » .
(٢) في الدرر : « ما أخذت » و « الحرب » .
* الوافي : ٢٢١/٤ ، وفيه : « ابن عبد الرحمن » ، والدرر : ٦٧/٤ .
(٣) كذا بياض في الأصل ، وفي (س) : « رحمه الله تعالى » .
(٤) كذا بياض في الأصل و (س) والوافي والدرر .
** الدرر : ١١٠/٤ .

ناصر الدين ولده أمير عشرة بدمشق ، وكان صورة جميلة ظريفاً لطيفاً ، فيه حياء وحشمة ، وفيه كرم وهمّة .

ولم يزل حاله يقوم في ديونه ويقع إلى أنْ توفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسبع مئة ، وقد تقدّم ذِكْرُ والده في حرف العين مكانه .

١٦٩١ ـ محمد بن عمر بن أبي بكر البانياسي*

كان شاباً ذكيّاً متيّقظاً ، قرأ القراءات وبرع فيها ، وقرأ الفقه والعربية والأصول[١] ، وأفاد في القراءات ، وله نظم .

ومات سنة تِسْع وتسعين وست مئة[٢] .

١٦٩٢ ـ محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر**

الخطيب الأمين الصالح الفاضل موفق الدين عبد الله ابن الخطيب الزاهد نجيب الدين الخطيب بقرية بيت الآبار وابن خطبائها ، وهو أخو علاء الدين علي بن عمر[٣] المُقَدّم ذكره في حرف العين مكانه ، بينهما في الوفاة أربعة أيام .

سمع الخطيبُ موفّقُ الدين من الضياء يوسف ، والموفق محمد[٤] . وحدّث وحجّ غَيْرَ مرّة . وروى بالعلا وبدر من منازل الحجيج . وأقام خطيباً بالقرية نحو أربعين سنة ، وليها بعد والده .

---

* الوافي : ٢٨٤/٤ .

(١) قوله : « والأصول » ليس في (س) .

(٢) في (س) : « ومات ولم يبقل خدّه ، ولا بلغ العشرين سنة ، ووفاته رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة » .

** الدرر : ١٠٨/٤ .

(٣) (س) : « علي بن محمّد » ، سهو .

(٤) محمد بن يوسف بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٩٩ هـ) العبر : ٤٠٥/٥ .

كان اشتغل على تاج الدين ، وكتب بخطه الْحَسَن[١] جملةً من المجلدات ، وكان له خُلقٌ حَسَن ، وفيه تواضع .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء عاشر شعبان سنة ثلاثين وسبع مئة[٢] .

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٦٩٣ ـ محمد بن عمر بن محمد*

ابن عمر بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد [بن محمد][٣] بن رُشَيْد ، أبو عبد الله الفهري السبتي .

أخذ العربية عن [ابن][٤] أبي الربيع ونُظَرائه ، واحتفل في صغره[٥] بالأدبيات وبَرَع فيها ، ورَوَى (البخاريَّ) عن عبد العزيز الغافقي قراءةً من لفظه .

وارتحل إلى فاس ، واشتغل بالمذهب ، ورحل[٦] إلى سبتة ، وتصدَّر لإقراء الفقه خاصّة ، وتأدّب مع أشياخه ، فما أقرأ غير الفقه ، وارتحل إلى تونس واشتغل بالأصلين على ابن زيتون ، ثم رحل[٧] إلى الإسكندريّة ، وحج سنة خمس وثمانين وست مئة ، وجاور بمكة والمدينة ونزل بمصر .

---

(١) (س) : « للحسن » .

(٢) وعدّه الذهبي في الإعلام ص ٣٠٠ في وفيات سنة (٧١٣ هـ) .

* الوافي : ٢٨٤/٤ ، والدرر : ١١١/٤ ، وذيول العبر ؛ ١٢١ .

(٣) زيادة من (س) والدرر ، وفي الوافي : « ابن حسن بن عمر بن محمّد بن رشيد » .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « شعره » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي . وعبارة الدرر : « في صباه » .

(٦) (س) والوافي : « ورجع » .

(٧) (س) : « دخل » .

وكان رحمه الله تعالى صاحبَ همّة ، وله عز في الطلب وعَزْمَة ، صنَّف تصانيف مفيدة ، وألف تواليف في الإفادة[١] عتيدة ، وباشر الخطابة فَصَدَحت على غصن المنبر حمامته ، واستجنّ في حشا[٢] المحراب فجمّلْتُه إمامته ، وبث في غرناطة علومَه وسُفحت بها غمامته . ثم إنّه أُخرج منها وزُحْزِح عنها ، فأحسن إليه ملك[٣] العَدْوَة ، ونوّله إحسانَه مسَاءً وغُدوة .

ولم يزل إلى أن توسّد بطن اللحدَ واستوى منه الاعتراف والْجَحْد .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

أخبرني من لفظه شيخنا العلاّمة أبو حيان قال : قدم المذكور علينا القاهرة حاجّاً وسمع معنا الحديث ، وعُنِي به ، وكان قد بحث (سيبويه) على أبي الحسين بن أبي الربيع ، ولّما توجّه من الحجّ صُحْبة أبي عبد الله بن الحكيم[٤] [اتفق أن السلطان أبا عبد الله][٥] ابن السلطان أبي عبد الله بن الأحمر ، استوزر[٦] ابن الحكيم ، فولّى ابن رشيد الإمامة والخطابة بجامع غرناطة ، ولّما قتل الوزير أَخْرَج أهل غرناطة ابن رشيد إلى العَدْوَة ، فأحسن إليه ملك العدوة أبو سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف بن عبد الحق المريني[٧] ، وبقي في إيالته إلى أنْ توفي رحمه الله تعالى ، وكان فاضلا . انتهى .

---

(١) في الأصل : « الإعادة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « بحشا » .

(٣) (س) : « بتلك » ، تحريف .

(٤) في الأصل : « الحكم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو : محمّد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي اللخمي (ت ٧٠٨ هـ) ، الأعلام : ١٩٢/٦ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الوافي .

(٦) في الأصل و (س) : « واستوزر » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وابن الأحمر هو محمد بن محمد ، ويعرف بالمخلوع (ت ٧١٣ هـ) . الأعلام : ٣٢/٧ .

(٧) (ت ٧٣١ هـ) ، الدرر : ٤٥٢/٣ .

قلت : ولـه من التصـانيف (الرحلـة المشرقيـة) أربـع مجلـدات ، (فهرست مشايخه) ، (المقدّمـة المعرِّفـة في علوّ المسـافـة والصفـة) ، (الصراط السوي في اتصـال [سماع][1] جامع الترمذي) ، (إفادة النصيح في مشهور رواة الصحيح) ، (جزء فيـه مسـألـة العنعنـة)[2] ، و (المحـاكمـة بين الإمـامين) ، (إيضـاح المـذاهب في تعيين من ينطلق عليه اسم الصـاحب) ، (جزء فيـه حُكْم رؤيـة هلال شهر رمضـان وشوّال) ، (تلخيص كتـاب القـوانين في النحـو) ، (شرح جـزء التجنيس) لحـازم بن حـازم الإشبيلي[3] ، و (حكم الاستعارة) ، وغير ذلك .

وله خطبٌ وقصائد نبوية مطوّلة ، ومقطّعات بديعة .

قال شيخنا أثير الدين : كان سريّا حسنَ الأخلاق .

وسألته أن يكتب لي شيئاً من شعره ، وكان ممن ينظم بـالعروض إذ لم يكن الوزن في طبعه ، فكتب لي بخطّه :

يـــا من يفـوق النجمَ مـوطنـــه ... كَلَّفتني مَـــــاليسَ أحسنُـــــه
ولْتُغْضِ عمـــا فيـــه مِنْ خلـلٍ ... خُلِّـــدْتَ في عـــزٍّ تُـــزَيِّنُـــه

وله أبياتٌ كَتَبها على حَذْو نعل النبي ﷺ بدار الحديث الأشرفية :

هنيئـاً لِعَيني أن رأت نَعْـل أحمَـدٍ ... فيا سَعْدَ جدي قـد ظفرت بمقصِدي
وقبلتـــه أشفي الغليـــل فـــزادني ... فيـا عجبـاً زاد الظما عنـدَ مـوردي
ولله ذاك اليـوم عيـــداً ومَعْلمـــاً ... بمطلعـــه أرّخت مَـوْلـــد أسعـــد
عليـــه صـلاة نشرهـــا طيب كما ... يُحبّ ويَرْضَى ربّنـــا لمحمـــد

---

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « الضِعنة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) هو حازم بن محمّد بن حسن بن حازم القرطاجني (ت ٦٨٥ هـ) البغية : ٤٩١/١ .

١٦٩٤ ـ محمد بن عمر بن محمود*

الشيخ الإمام بدر الدين البابي[١] الحلبي ، المعروف بابن جَحْفَل[٢] الشافعي معيد الباذرائيّة .

وكان رجلاً جيّداً فاضلاً ، عنده معرفة بالنحو ، وفيه سكون كثير ، وانقطاع وملازمة لبيته .

توفي بالباذرائيّة رحمه الله تعالى في حادي عشري جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة[٣] ، وكان قد بلغ السبعين أو قاربها .

١٦٩٥ ـ محمد بن عمر بن أحمد بن المثنى**

بدر الدين المنبجي الشافعي .

سمع من ابن عبد الدائم بدمشق ، ومن النجيب بمصر ، وتخرّج في الأدب بمجد الدين بن الظهير الإربلي رحمه الله[٤] .

توفي رحمه الله تعالى بمصر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده بمنبج قبل الخمسين وست مئة .

أنشدني شيخنا العلامة أثير الدين إجازة ، قال : أنشدني المنبجي لنفسه :

---

* الدرر : ٤/١١٥ .

(١) في الأصل : « الباني » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

(٢) في الدرر : « جحفلة » .

(٣) في (س) زيادة : « ودفن بمقابر الصوفية » .

** الوافي : ٤/٢٨٦ ، والدرر : ٤/١٠٢ .

(٤) ليست في (س) .

ومهفهفٍ نـــاديتـــه ومحـــاجري تـــذري دمـــوعـــاً كالجُمان مبـــدّدا
يـــا من أراه على المـــلاح مـــؤمّراً بـــالله قـــل لي هـــل أراك مجرّدا

ومنه أيضاً :

وبـــــدر دجًى وافى إليّ بـــوردة ومـــا حـــان من ورد الربيـــع أوانُـــه
فقـال ـ وقـد أبـديت منـه تعجبـاً ـ رويدك لا تعجب وعنـدي بيـانـه[1]
هـو الـورد مِن روضٍ بخـدي جنيتُـه وَوَرْدُ خـــدودي كلّ وقت أوانـــه[2]

ومنه أيضاً :

ومن عجب سيف بلحظـــك ينْتَضى فيفتِـــك في العشـــاق وهـــو كليـــل[3]
وأعجبُ من ذا لحظ طرفـك في الورى يـــداوي من الأسقـــام وهـــو عليـــل

ومنه أيضاً :

وكأنّ زهر اللـــوز صبٌّ عـــاشـــق قـــدْ هـــزّه شـــوقٌ إلى أحبـــابـــه
وأظنـــه مِن هـــولِ يـــوم فراقهم وبعادهم قـــد شـــاب قبـــل شبـــابـــه

وذكرت أنا هاهنا ما قلته في زهر اللوز :

عجباً لزهر اللـوز حين يلـوح في الـ أوراق إذ تجلى على نُظّـــــــاره[4]
عكس القضيـــة في الـورى، فمشيبُـــهُ يَبْيَضّ مِن قبـــل اخضرارِ عـــــذاره

وأورد له كمال الدين الأُدفُوّي في (البدر السافر) قوله :

---

(١) في الوافي : « فعندي » ، وفي (س) : « فعندي أوانه » .
(٢) في الوافي : « زمانه » .
(٣) (س) والوافي : « سيف بجفنك » .
(٤) (س) : « يلوح والأوراق » .

وبـــدر دجىً زارنـــا مـوهنـــاً فـــأمسى بـــه الهمّ في معـــزل

الأبيات المشهورة :

وأورد له أيضاً :

صل الراح بـالراحـات واقـدح مسرة بأقـداحهـا واعكف على لـذة الشرب
ولا تخش أوزاراً فـأوراق كرمهـا أكفٌّ غـدت تستغفر الله للـذنب

قلت : وهـذان البيتـان مشهوران موجودان في المجاميع الأدبيـة ، ورأيت بعضهم نسبها إلى ديك الجن ، وهما من أنفاس المتأخرين . وقد ذكرت أنا لي هاهنا أبياتاً جاء فيها ذكر أوراق الكرم ، وهي :

وكم روضـة يحكي الـزواهر زهرهـا فـلاعجب إن قلت أفـقٌ مُكَـوكب
تخـال خيـال النجم في زهرهـا إذا تمـوّج إن الـدّر يطفـو ويرسب[1]
وتحسب أن النرجس الغضّ أعين لتـدبير هـذا الكون تسهو وتسهب[2]
وطَـلّ على ورد حكى خـدّ غـادة بـــه عَرقٌ من خجلـــةٍ يتصبب
وأوراق كرم قـد حكت كف سائـل لمن كان في نعمائـــــه يتقلب[3]

محمد بن عمر بن أبي بكر*

ابن قوام البالسي ، الشيخ الإمام العالم الزاهد القدوة .

روى للجماعة من[4] أصحاب ابن طبرزد . وكان يُحب الحديث ويُسمع أولاده .

(١) (س) : « في نهرها » .
(٢) في الأصل : « ترسو وترسب » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .
(٣) (س) : « لمن بات » .
* الوافي : ٢٨٤/٤ ، والبداية والنهاية : ٨٩/١٤ ، والدرر : ١٢٤/٤ ، وذيول العبر : ٩٦ ، والشذرات : ٤١/٦ ، والدارس : ١٦٢/٢ ، ووقع في الأصل : « النابلسي » ، تحريف .
(٤) (س) والوافي : « عن » .

كان فيه تواضعٌ وعليه وقار ، وعنده تمسك بأرباب السنّة والآثار ، وعليه مهابة ، وعنده تفرُّسٌ وإصابة ، وفيه صِدْق وإخلاص وقَبُولٌ عظيم من العامة والخاص ، تحبه القلوب وتميل إليه ، وتترامى بالتودّد والموالاة عليه .

وكان فيه جُود وكرم ، وسماح له التهاب وضَرم ، وله تهجد في الليل وعبادة ، ومعاملة وجد بها عند الله الحسنى وزيادة ، قلّ أن ترى العيون مِثْله في بابه ، أو تشاهد له عديلاً في أنواعه وأضرابه .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح في كفنه مُدرجاً ، ووجد له من ضيق الدنيا مخرجاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...[1] سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وله من العمر ثمان وثمانون سنة ، ودفن بزاويته بسفح قاسيون .

وعرض عليه أرباب الدولة راتباً يكون على زاويته ، فامتنع ووقف عليها بعض التجار بعض قرية ، وكان قد جمع (سيرة) لجده رحمه الله تعالى .

١٦٩٦ ـ محمد بن عمر بن الفضل*

الفضلي ، قاضي القضاة ، قطب الدين التبريزي الشافعي ، قاضي بغداد ، الملقب بأخوين[2] ، كان صاحب مشاركة في فنون ، وقد أتقن علمي المعاني والبيان ، ونسخ كتباً كثيرة ، ولم يكن من قضاة العدل .

توفي ببغداد في سادس عشري شهر الله المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة .

---

(١) كذا بياض في الأصل و (س) والدرر . وفي الدارس أنه توفي في الثاني والعشرين من صفر .

* الوافي : ٢٨٧/٤ ، والدرر : ١١٠/٤ ، والشذرات : ١١٤/٦ ، وذيول العبر : ٣٨٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، وفيها وفاته سنة (٧٣٦هـ) ، ووقع في (س) : « ابن عمر الفضل » .

(٢) في البداية : « الأحوس » .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وكان فيه تؤدة وحلم ومروءة وكرم ، رحمه الله تعالى ، وكان يكتب خطاً حسناً ، وفيه شفقة وحُنُوّ على الفقراء والضعفاء وتواضع وحسن خلق . وقال الشيخ سراج الدين القزويني : كان فقيهاً أصولياً مفسّراً نحوياً كاتباً[1] بارعاً وحيداً فريداً من أعيان أفاضل الزمان .

١٦٩٧ ـ محمد بن عمر بن حمّاد*

شمس الدين الظفاري اليمني الواعظ المعروف بالأبلوج ، لأنه كان يعتمّ بعمامة كأنها أبلوج السكر ، فاشتهر بذلك .

وتوفي بالقاهرة في تاسع عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة[2] ، ودفن في يومه خارج باب النصر .

وكان قد أقام بدمشق مدة ، ووعظ بمسجد أبي اليُمن .

١٦٩٨ ـ محمد بن عمر بن أبي بكر**

ابن ظافر بن أبي سعيد ، ناصر الدين أبو الفضل البصري الأصل ، الحنبلي .

روى عن ابن الجُميزي ، وابن الحباب ، وسبط السّلفي ، والسّاوي ، والمرجّى بن شقيرة[3] .

---

(١) ليست في (س) .

* الدرر : ١٠٤/٤ .

(٢) كذا وقع في الأصل و (س) . وفي الدرر أنه توفي في ربيع الآخر سنة عشرين وسبع مئة .

** الدرر : ١٢٤/٤ .

(٣) (س) : « والمرجاني شعره » ، تحريف ، ووفاة المرجّى سنة (٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٨٥/٥ .

وكان إمام مسجد ، ويلقن القرآن ويحضر الختم ، وهو فقيه بالمدرسة الصالحية . وحدّث (بصحيح مسلم) عن ابن الجباب ، سنة سبع وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه المجلس الرابع من (أمالي أبي مطيع)[١] بسماعه من ابن الجباب .

١٦٩٩ ـ محمد بن عمر بن أبي القاسم*

القاضي الصدر الرئيس نجم الدين ابن الشيخ نجم الدين بن أبي الطيب [وكيل بيت المال بدمشق وابن][٢] وكيل بيت المال بها .

كان صدراً رئيساً وماجداً جعل الخلق الطلق عليه حبيساً[٣] ، له معرفة تامة بتراجم أهل عصره ووقائعهم وماجريّاتهم في وظائفهم وصنائعهم ، إذا فُتح له هذا الباب دخل فيه وحده ، وسرد ما عنده .

وباشر وظائف كباراً جاد له الدهر[٤] فيها بأمانه ، وتقدم في آخر زمانه . وكان مع ذلك عديم الشرّ وادعاً ، قائلاً بالحق صادعاً .

ولم يزل على حاله إلى أن غاب نجمه في الثرى ، وسلك الطريق التي ما يتخلف عنها أحدٌ من الورى .

(١) محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز ، أبو مطيع للديني (ت ٤٩٧هـ) ، السير : ١٧٦/١٩ ، والوافي : ٦٧/٤ .

* الوافي : ٢٨٧/٤ ، والدرر : ١٢٥/٤ ، والمدارس : ٣٤٠/١ عن الصفدي .

(٢) زيادة من (س) و (خ) .

(٣) (س) : « جليساً » .

(٤) في الأصل : « الدهر له فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شعبان سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، توفي من جَمْرة[١] ظهرت في وجهه ، أقام معها يومين ، ومات ـ رحمه الله تعالى ـ .

وكان شافعي المذهب . حسن الشكل ، تام الخلق له تودّد وملقى [وملق][٢] .

وكان قد تزوج ابنة القاضي محيي الدين بن فضل الله ، ولم يزل على حاله الناقص إلى أن توجه محيي الدين إلى مصر كاتب سر ، فتولى بواسطته نظر الخزانة ، ووكالة بيت المال ، وكان بيده أولاً نظر الرباع وتدريس المدرسة الكروسيّة[٣] ، وتولى الوكالة بعد القاضي شهاب الدين بن المجد لمّا صار قاضي القضاة في يوم عرفة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكان ابن المجد قد وليها بعد القاضي علاء الدين بن القلانسي ، وكان علاء الدين قد وليها بعد أخيه القاضي جمال الدين[٤] أحمد بن القلانسي ، وكان قد وليها بعد كمال الدين بن الشريشي ، وكان ابن الشريشي قد وليها بعد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وكان قد وليها بعد[٥] نجم الدين بن أبي الطيب والدصاحب هذه الترجمة ، وقد تقدم الكلام في ترجمة والده لأي شيء سمي هذا البيت بابن أبي الطيب .

---

(١) في الوافي : « حمرة » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

(٣) واقفها محمد بن عقيل بن كروس ، محتسب دمشق ، (ت٦٤١ هـ) ، وهي إلى جانب المدرسة السامرية الشافعية . الدارس : ٣٣٩/١ ، وعبارة (س) : « للدرسة الكروسية والمدرسة .. » ، وفي الوافي : « المدرسة الكروسية والصلاحية » .

(٤) (س) ، (خ) : « شهاب الدين » ، سهو ، وهو أحمد بن محمد بن محمد ، سلفت ترجمته .

(٥) في (خ) زيادة : « ..كمال الدين بن الشريشي ، وكان وليها بعد نجم » .

أعيان العصر وأعوان النصر

باذيي

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عشة — الدكتور محمد موعد — الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الخامس

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي: ٥-٠١١,١١٥٠
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-499-9
الرقم الموضوعي: ٩١٠
الموضوع: التراجم والسير والأنساب
العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر
التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدي
التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة،
د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد
قدم له: مازن عبد القادر المبارك
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٦٩٢ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

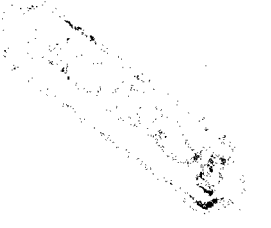

الطبعة الأولى
1418هـ = 1998 م

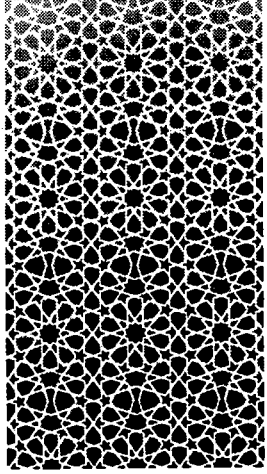

بسم الله الرحمن الرحيم

أعيان العصر وأعوان النصر

١٧٠٠ ـ محمد بن عمر بن مكيّ*

ابن عبد الصمد بن عطية بن أحمد ، القرشي الأموي العثماني ، الشيخ الإمام المفسر المحدث[١] الأصولي النحوي الأديب الفاضل المفتن :

عـلامـــة العلمـــاء واللّـج الـــذي لا ينتهي ولكل بَحْر ســـــاحـــلُ

صدر الدين أبو عبد الله الشافعي الأشعري المعروف بابن الوكيل وبابن المرحّل وبابن الخطيب .

أفتى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وتفقه بوالده وبالشيخ شرف الدين المقدسي ، وبالشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزاري ، وقرأ الأصولين على الشيخ صفي الدين الهندي ، والنحو على بدر الدين بن مالك .

وكان له عدّةُ محافيظ ، وحفظ (الْمُفصَّل)[٢] في مئة يوم ، وكتب له عليه الشيخ شرف الدين : قرأه في مئةٍ لا أراني [الله][٣] له يوماً ، وحفظ (ديوان) المتنبي في جُمْعة ، و (المقامات) في خمسين يوماً ، وكان لا يمر بشاهد من كلام العرب إلاّ حفظ القصيدة التي ذلك البيت منها .

وسمع الحديث من القاسم الإربلي ، والمسلّم بن علان . وسمع الكتب الستة على أشياخ عصره .

ولمّا باشر مشيخة دار الحديث روى قطعةً كبيرة من (صحيح) مسلم عن[٤] الأمين

* الوافي : ٢٦٤/٤ ، والبداية والنهاية : ٨٠/١٤ ، والدرر : ١١٥/٤ ، وبدائع الزهور : ٩١٨/١/١ ، والشذرات : ٤٠/٦ ، والدارس : ٢١/١ ، وذيول العبر : ٩٠ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٣/٩ .

(١) (س) : « المحدّث الفقيه » .

(٢) في الأصل : « المحصّل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ومصادر ترجمته ، وفي الوافي : « مئة يوم ويوم » .

(٣) زيادة من (س) والدرر .

(٤) (س) : « من » .

الإربلي[١] والعامري[٢] والمزي[٣] .

وكان ذكياً نظّاراً حافظاً ، يسرد في كل فن أسفاراً ، لا يقوم أحد[٤] لجداله ، ولا يُرى في عصره أحد من رجاله ، مكثراً من جميع الفنون ، يستحضر الأسانيد والمتون . ولم يكن يقوم بمناظرة العلامة تقي الدين بن تيمية سواه ، ولا يعترض كالشجى في حلقه فيما أورده ورواه ، ولما بلغته وفاته قال : « أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين » . وتناظرا يوماً بالكلاّسة خلف العزيزية ، فأخذ الشيخ تقي الدين يستشهد ببعض الحاضرين ، فقال الشيخ صدر الدين :

إن انتصارك بالأجفان من عجب وهل رأى الناس منصوراً بمنكسر

ولم يقم أحدٌ بعده بمناظرته ، ولا قام إلى منافرته .

أمّا التفسير : فابن عطية عنده مُبخَّل ، والواحدي شارك العيّ لفظه فتميّل .

وأمّا الحديث : فلو رآه ابن عساكر لانهزم وانضم في زوايا (تاريخه)[٥] وانجزم ، أو ابن الجوزي لبس من الغيرة غياراً ، وانكسر قلبه لمّا خرج من قُشوره ولم يجد لله عيارا[٦] .

وأما الفقهُ : فلو أبصره المحاملي محا ما تحمل من غرائب فاضَ النقلُ عنه وما نضب ، ورجع عما قال به من استحباب الوضوء من الغيبة وعند الغضب ، أو القفّال لما فُتح له

---

(١) في الأصل : « الإبلي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والدرر والدارس ، وهو : أبو القاسم بن أبي بكر (ت ٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٧/٥ .

(٢) محمد بن أبي بكر (ت ٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٨١/٥ .

(٣) في الأصل : « وللري » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٤) في الأصل : « لأحد » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في الأصل : « زوايا ريخه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) في الأصل : « عبارا » ، وما أثبتناه أشبه . والعيار : الوزن أو القيمة .

من الفقه باب ، ولرجع من أوّل الأمر إلى الاعتدال عن الاعتزال وتاب ، أو الروياني لما عبر له رؤيا ، ورأى أن بحره قد صار وشلا واستحيا :

كم مُقْفَلٍ ضلَّ فيه العَقْلُ فانْفَرجَتْ ... أرجاؤه لحجاه عَنْ معانيهِ
يفتي فيروي غليل الدين من حَصَرٍ ... أدناه نقلاً وقد شطت مراميه
ومونقٍ قد سقاه غيث فطنته ... مُزناً أيادي رياح الفكر تَمْريه

وأما الأصول : فلو رآه ابن فُوْرك[١] لفرك عن طريقته ، وقال بعدم المجاز إلى حقيقته ، وإمامُ الحرمين لتأخر عن مقامه ، ورأى الرجوع عن الإرشاد من كلامه .

وأما النحو : فلو عاصره عنبسة الفيل[٢] لكان مثل ابن عصفور ، أو أبو الأسود لكان ظالماً[٣] ، وذَنْبُه غير مغفور .

وأما الأدب : فلو رآه الجاحظ لأمسى لهذا[٤] الفن وهو جاحد ، أو الثعالبي لراغ عن تصانيفه ، وما اعترف منها بواحد .

وأما الطبُّ : فلو شاهده ابن سينا لما أطرب (قانونه) ، أو ابن النفيس لعاد نفيساً قد ذهب[٥] نونه .

وأما الحكمة : فالنَّصير الطوسي عنه مخذول ، والكاتبي دبيران أدبَرَ عنه [وحدّه][٦] مفلول .

---

(١) (س) : « فوك » ، سهو ، وهو أحمد بن موسى بن مَرْدويه (ت ٤١٠) السير : ٣٠٨/١٧ .
(٢) من أوائل النحويين ، وهو من تلاميذ أبي الأسود . انظر : البغية : ٢٣٣/٢ .
(٣) يشير إلى اسم أبي الأسود الدؤلي ، وهو : ظالم بن عمرو .
(٤) (س) : « بهذا » .
(٥) (س) : « ذهبت » .
(٦) زيادة من (س) .

وأما الشعر : فلو جاراه ابن سناء الملك فنيتْ ذخيرة مجاراته وحقائقه ، أو ابن الساعاتي ما وصل إلى درجه ، وانتهى[١] إلى دقائقه .

وأما الموشحات : فلو وصل خبره إلى الموصلي لأصبح مقطوع الذَّنب ، أو ابن زهر لما رأى له في السماء نجماً إلا هوى ، ولا برجاً إلا انقلب .

وأما البلاليق : فابن كلفة عنده يتكلّف ، وابن مُدَغليس يغلس للسعي في ركابه وما يتخلّف .

هذا إلى غير ذلك من معارف وفنون كان لحواصلها عنده مصارف .

وكان رحمه الله تعالى محظوظاً ، وبعين المحبة ملحوظاً ، قلّ أن وقع بينه وبين أحد وما عاد له ولياً ، وأصبح لمسامرته نجياً . وقع بينه وبين الأعسر ، وكان[٢] إذا رآه ينسر ، ووقع بينه وبين الأفرم ، ثم أصبح عنده وهو الأعزّ الأكرم ، وغضب السلطان الملك الناصر محمد عليه غضباً لا يقوم له غَيْرُ سفك دمه ، ثم أصبح عند رؤيته وهو لا يمشي إلا على قدمه .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل ابن المرَحّل إلى دار القرار ، وأصبح سيف[٣] لسانه وهو مفلول الغرار[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة نهار الأربعاء رابع عشري ذي الحجة سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودفن بالقرب من الشيخ محمد بن أبي جَمْرَة[٥] بتربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش بالقرافة .

---

(١) (س) : « ولا انتهى » .

(٢) (س) : « ثم كان » .

(٣) (س) : « سيف » .

(٤) غِرار السّيف : حدّه .

(٥) في الأصل :« حمزة » تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) والدرر والدارس ، وانظر ، الوافي : ١٨١/١١ .

ومولده في شوال سنة خمس وستين وست مئة بدمياط ، وقيل : بأشموم .

ورثاه جماعة من الأفاضل[١] ، وتأسف الناس عليه .

وأنشدني من لفظه لنفسه القاضي شمس الدين محمد بن داود ابن الحافظ ناظر جيش صفد[٢] يرثيه :

مـامـات صَـدْرُ الـدين لكنّـه ... لمّـا غَـدَا جَـوْهَرةً فـاخره
لم تعرفِ الـدنيـا لـه قيمـةً ... فعجّـل السير إلى الآخره

قلت : وهو مأخوذٌ من قول الأول :

قـد كان صـاحبُ هـذا القبر جـوهرةً ... غرّاء قد صاغهـا البـاري من النُطَف
عـزّت فلم تعرف الأيّـامُ قيمتهـا ... فردّهـا غيرةً منـه إلى الصَّـدف

ونشأ الشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى بدمشق ، ونبغ وظهر واشتهرت فضائله ومناظراته ، ودرّس بالمدارس الكبار ، واشتهر صيته . ولَمّا دخل الناس في الجفل أيام[٣] غازان وعلماء الشام كبارهم وصغارهم ، فلم يقعد صدر الدين ثلاثة أيام حتى أعطي تدريس المشهد فيما أظن .

وكانت له وجاهة وتقدّم عند الدولة ، ونادم الأفرم وغيره ، وركب[٤] البريد إلى مصر في أيام الجاشنكير ، واجتمع هو وابن عدلان[٥] وأفتوا بأنّ الملك الناصر محمد لا يصلح للملك ، ورُمي بأنّه نظم قصيدة هجا بها السلطان ، ومن جملتها :

---

(١) (س) : « من الناس الفضلاء » .
(٢) سلفت ترجمته في موضعها .
(٣) في الأصل : « إلى مصر أيام » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) (س) : « وركب على » .
(٥) (س) : « وابن عدلان وغيرها .

مـــا للصبي ومـــا للملـــك يطلبـــه إن المراد من الصبيـــــان مَعْلُـــوم

وعمل أعداؤه إلى أن أوصلوا القصيدة إلى السلطان ، فكانت في سولفه[١] يخرجها كل يوم ، ويقرؤها ، وأراد الصاحب فخر الدين بن الخليلي القبض عليه تقرّباً إلى الملك الناصر ، فلما أحسّ بذلك هرب هو إلى السلطان ، وجاء إليه وهو على غزّة ، حكى قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، قال : « بينما أنا جالس عند السلطان بغزة فإذا بالأمير سيف الدين بكتمر الحاجب قد دخل ، وقال : يا خوند صدر الدين بن الوكيل فقال : يحضر فلمّا دخل به بكتمر الحاجب قال له : بُس[٢] الأرض ، فقال : مثلي [ما][٣] يبوس الأرض إلا لله تعالى . فقال[٤] : فجمعت ثيابي لئلا تلحقني طراطيش[٥] دمه ، لما نعلمه من أنفاس السلطان فيه ، فقال له : والك ، أنت فقيه تركب على البريد ، وتروح من دمشق إلى مصر لتدخل بين الملوك وتغير الدول وتهجوني ؟ فقال : حاشى لله يا خوند ، وإنما أعدائي وحسّادي نظموا ما أرادوا على لساني ، ولكن هذا الذي قلته أنا ، وأخرج قصيدة تجيء مئة[٦] بيت ، وأنشدها في وزن تلك ورويّها ، فأعجب السلطان وعفا عنه[٧] .

قال جلال الدين : ولما أصبحنا وسارت العساكر والجيوش والسلطان رايح وإلى جانبه صدر الدين بن الوكيل ، فتعجبنا من ذلك ، ولما عاد إلى مصر ، وطلبه[٨] من

---

(١) كذا في الأصل ، وفي (س) : « سواقه » ، ولم نهتد إلى مراده .
(٢) (س) : « بوس » .
(٣) زيادة من (س) ، وفي الدرر : « لا » .
(٤) (س) : « قال » .
(٥) أي رذاذ عامية .
(٦) (س) ، والدرر : « مئتي » .
(٧) قوله : « فأعجب ...عنه » ليس في (س) .
(٨) (س) : « وطلبه السلطان إلى مصر » .

حلب ، عظّمه السلطان[١] ، كان إذا رآه وعليه الخلعة يقول : الله ! إن هذا صدر الدين إلا[٩] شكل مليح مُجمّل[٢] التشاريف التي يلبسها .

وقد جرى له مع السلطان في قضية البكري[٣] ماجرى ، وخلصه منه بعدما أمر بقطع لسانه . وقد ذكرت ذلك في ترجمة البكري .

وباشر بدمشق مدارسها الكبار ، ودار الحديث الأشرفية والشامية البرّانية والجوانية والعذراوية ، والخطابة بالجامع الأمويّ ، ولكنه لم يُصَلّ في المحراب إلاّ يومين ، حتى قام الشيخ تقي الدين بن تيمية وغيره من المتعصبين عليه حتى عزل ، وأثبت قاضي القضاة شمس الدين الحريري محضراً بعدم أهليته للخطابة .

وكان الشيخ صدر الدين في القاهرة لما توفي زين الدين الفارقي خطيب الجامع الأموي في تاريخ وفاته على ما يأتي في ترجمته ، وكان الأفرم غائباً في الصيد ، فلما عاد عيّن الشاميّة ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي ، وعيّن الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكاني عوضاً عن ابن الشريشي ، وعيّن الخطابة للشيخ شرف الدين الفزاري ، وأمَرَه بالإمامة والخطابة ، فباشر وخطب جمعتين ، ولازم الإمامة عشرة أيام ، فوصل البريد يوم الاثنين منتصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبع مئة[٤] ومعه توقيع بجميع جهات الشيخ زين الدين للشيخ صدر الدين بن الوكيل مضافاً إلى مابيده من المدرستين ، فشق على الناس خروج الشيخ شرف[٥] الدين من الخطابة بعد مباشرته وكماله وصلاحه وجودة قراءته وحُسن أدائه[٦] ، ووصل الشيخ صدر الدين بعد ذلك على البريد ، وسلّم على الأفرم بالقصر ، وحضر إلى الجامع ، ودخل إلى دار الخطابة ، وهنأه

(١) ليست في (س) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) في (س) والدرر : « يجمل » .
(٤) علي بن يعقوب بن جبريل (ت٧٢٤هـ) .
(٥) البداية والنهاية : ٢٨/١٤ .
(٦) في الأصل : « زين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، والبداية والنهاية ٢٨/١٤ .

الناس على العادة ، وصلّى بالناس العصر ، وبقي يومين يباشر الإمامة ، فأظهر جماعة التألم من خطابته ، واجتمعوا بالأفرم ، فمنعهُ من الخطابة ، وأقرّه على المدارس الثلاثة . ثم إنه وصل[١] توقيع بالخطابة للشيخ شرف الدين من القاهرة . ثم إن الشامية البرانية انتُزعت منه أيضاً للشيخ كمال الدين ابن الزملكاني .

وفي أيام قراسنقر ونيابته على[٢] دمشق قام على صدر الدين جماعة من الفقهاء ، ونازعوه في المدارس التي بيده ، وحصل له من قراسنقر أذى كثير[٣] ، وخاف على نفسه منه ، فتوجه إلى قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي ، وطلب منه الحكم بإسلامه ، وحقن دمه ، وإسقاط التعزير عنه ، والحكم بعدالته واستحقاقه المناصب [فحكم له بذلك][٤] ، ثم ورد المرسوم من مصر بعزله من سائر جهاته ، وبقي[٥] بطالاً .

ولَمّا فرغ شهر رمضان سنة عشر توجَّه إلى حلب ، وأقبل عليه أسندمر نائب حلب إقبالاً زائداً ، وطلبه يوماً قبل صلاة الجمعة ، وسأله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجمِ إِذَا هَوَى ﴾[٦] فقال : الوقت يضيق عن هذا ، لأن هذه الآية يحتمل تفسيرها ثلاثة أيام ، فوهبه نسخة مليحة (بأسد الغاب في ذكر الصحاب) لابن الأثير[٧] ، وأقام بحلب عشرة أشهر فقال : الذي حصل لي من مكارمات الحلبيين في هذه الْمُدَّة أربعون ألف درهم . ولَمّا جاء أرغون الدوادار إلى حلب كان عنده ربعة مليحة إلى الغاية[٨] فقدّمها له ، فقال أرغون[٩] : يا شيخ هذه ما تصلح إلا للسلطان ، وإذا عدتُ إلى مصر

(١) (س) : « ثم عاد وصل » .
(٢) (س) : « في » .
(٣) في الأصل : « كثيراً » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) زيادة من (س) ، وعبارة الدرر : « ففعل » .
(٥) في (س) زيادة : « بدمشق » .
(٦) النجم : ١/٥٣ .
(٧) في الأصل : « لابن الزبير » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) في (س) زيادة : « وهبها له أسندمر » .
(٩) ليست في (س) .

ذكرتُها للسلطان الملك الناصر[١] ، وطلبتك فوفي لـه بما وعـده ، ودرّس بمصر بـالمشهد الحسيني وبـالزاويـة المعروفـة بـابن الجميزي ، ولَمّـا قـدم مصر [في الجفل][٢] أفهم أمراء الدولة أنّه ليس في مصر مثلـه ، وادّعى علماً كبيراً[٣] ، وطلب المنـاظرة ، وحضر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وكان صـدر الـدين قـد رتب شيئـاً ، فلمـا شرع فيـه قـال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد : هذا كلامٌ مُعَبّـأ[٤] ، وقـال : يقرأ شخص آيـة فقرأ شخص آية ، وذكر الشيخ سؤالاً ، فشرع صدر الـدين يتكلم ، فـانتـدب لـه عز الـدين النمراوي ، فقـال لـه الشيـخ تقي الـدين : التزم[٥] هـذا يـا غرّ ، هـذا جيـد . وانفصـل المجلس ، والشيخ صدر الدين مغلوب .

ولما عـاد إلى القـاهرة بعـد مجيء النـاصر من الكرك ولاّه السلطـان الملـك النـاصر تدريس النـاصريـة بين القصرين ، وهو[٦] أول من درّس بهـا ، وجهّزه السلطـان الملـك الناصر رسولاً إلى مهنّـا ، فقـال : حصل لي في هـذه السفرة ثلاثون ألف درهم . وأظنـه توجّه إليه مرتين في سنة ثلاث عشرة[٧] ، وجمع كتاب (الأشباه والنظائر)[٨] ومات ولم يحرره ، فلذلك ربما وقعت فيه أغلاط . قال مولانا قـاضي القضـاة تـاج الـدين السبكي مثل حكايتـه عن بعض الأئمـة وجهين فيما إذا كشف عورتـه في الخـلاء زائـداً على القـدر المحتاج هل يأثم على كشف الجميع أو على القدر الزائد . وهذا لم نره في كتاب ويشبـه أن تكون زلة قلم إلى غير ذلك .

---

(١) قوله : « الملك الناصر » ليس في (س) .

(٢) زيادة من (س) ، وفيها : « الحفل » ، تصحيف ، وقد مرّت .

(٣) في (س) : « كثيراً » .

(٤) أي : مهيّأ ومجّهز .

(٥) (س) : « أكرم » ، والدرر : « الزم » .

(٦) (س) : « فهو » .

(٧) (س) : « وسبع مئة » .

(٨) في الفقه ، كما في الوافي .

وكان شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي رحمه الله تعالى يثني[١] عليه ويقول : فاضل عصره[٢] . قال : دخلت عليه في المرض الذي توفي فيه رحمه الله تعالى ، فقلت له : كيف تجدك ؟ وكيف حالك ؟ فأنشدني :

ورجعت لا أدري الطريق من البكا رجعتْ عداك المبغضون كمرجعي[٣]

وكان ذلك آخر عهدي به .

وقال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : كان ابن الوكيل عارفاً بالطب[٤] علْماً لا علاجاً ، فاتفق أن شكا إليه الأفرم سوء هضم ، فركّب له سفوفاً ، وأحضره ، فلما استعمله أفرط به الإسهال جداً ، فأمسكه مماليك الأفرم ليقتلوه ، فأُحضر أمين الدين سليمان الحكم لمعالجة الأفرم ، فعالجه باستفراغ بقيّة المواد التي اندفعت ، وحركها الشيخ صدر الدين ، وأعطاه أمراق الفراريج ، ثم أعطاه الْمُقَبّضات حتى صلحت حاله . ولما عاد الأفرم إلى وعيه سأل عن الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فأخبره المماليك ما فعلوه به ، فأنكر ذلك عليهم ، وقال : أحضروه ، فلما حضر قال : يا شيخ صدر الدين جئت أروح معك غلطاً[٥] ، وهو يضحك . فقال له سليمان الحكيم : يا صدر الدين اشتغل بفقهك ، ودع الطب فغَلَطُ المفتي يُستدرك ، وغلَطُ الطبيب ما يستدرك ، فقال الأفرم : صدقٌ لك لا تخاطر . ثم قال لمماليكه : مثلُ صدر الدين مايُتّهم : والله الذي جرى عليه منكم أصعب من الذي جرَى عليّ ، وما أراد والله إلا الخير . فقبّل يده ، وبعث إليه الأفرم لَمّا انصرف جملة من القماش والدراهم .

---

(١) (س) : « يعظمه ويثني » .

(٢) قوله : « ويقول ... عصره » ليس في (س) .

(٣) (س) : « ورجعت » ، وفي الأصل : « المبغضين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي الدرر : « المغضبون » .

(٤) (س) والوافي : « بالطبّ والأدوية » .

(٥) عبارة الوافي : « جئت تروحني غلطاً » .

وأخبرني أيضاً قال : كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول عنه : ابن الوكيل ما يرضى[١] لنفسه أن يكون في شيء إلا غاية ، ثم يُعدّد أنواعاً من الخير [والشر][٢] فيقول : كان في كذا غاية ، وفي كذا غاية . انتهى .

قلت[٣] : وكان فيه لعب[٤] ولهو ، ومع ذلك فحكى لي عنه جماعة ممن صحبه ونادمه في خلواته أنهم إذا فرغوا من حالهم قام وتوضأ ولبس قماشاً نظيفاً وصلى وبكى ومرَّغ وجهه على الأرض والتراب ، وبكى حتى بلّ[٥] لحيته بدموعه ، واستغفر وسأل الله[٦] التوبة والمغفرة ، حتى قال بعضهم : لقد رأيته قد قام من سجوده ولصق بجدار الدار كأنه أسطوانة ملصقة . وكان إذا مرض غسل ديوانه .

وكان قادراً على النظم من القريض والموشح والزجل والبلّيق والدوبيت والمواليّا والكان وكان ، لا يفوته شيء ولا يعجزه ، وهو في جميع هذه الأنواع مطبوع ، له غوص على المعاني ، ومع ذلك فكان ينتحل أشياء ويدّعيها .

حكى لي شيخنا الحافظ ابن سيد الناس ، أنشدني مرّةً قصيدةً عينيّة منها قوله[٧] :

يـاربِّ جَفني قـد هجـاه هجـوعـه .....

ومنها :

يـاربِّ بـدْرُ الـدين غـاب عن الحمى فمتى يكـون على الخيـام طلـوعـه[٨]

(١) في (س) والوافي : « ما كان يرضى » .
(٢) زيادة من (س) والوافي .
(٣) في الأصل : « قال » . وأثبتنا ما في (س) وما يتفق مع مصادر ترجمته .
(٤) (س) : « علم » .
(٥) (س) والوافي : « يبلّ » .
(٦) في الوافي : « ويستغفر ... ويسأله » .
(٧) في (س) زيادة : « أولها » .
(٨) (س) : « التم » .

قال : ثم إني اجتمعت بالشهاب العَزازي ، وأنشدته إياها ، فقال : هذه لي ، وأنشدني إياها من أولها إلى آخرها . انتهى .

قلت : ولما عمّر السلطان الملك الناصر محمد القصر الأبلق بقلعة الجبل دخل إليه الشيخ صدر الدين ، وأنشده :

لولاك يا خير من يمشي على قدم خاب الرجاء وماتت سُنّةُ الكرم

منها :

بَنَيْتَ قصراً قضى بالسعد طالعه قامت لهيبته الدنيا على قَدَم

وهذه القصيدة بمجموعها لابن التعاويذي ، وهي في (ديوانه) ، وإنما ابن التعاويذي قال : « بنيت داراً » ، فغيَّره ابن الوكيل ، وقال : « بنيت قصراً » .

وشاع عنه أنه كان ينظم الشاهد على ما يدّعيه في الوقت وينشده ، من ذلك قال شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عمّن أخبره قال : ادعى ابن الوكيل يوماً في الطائفة المنسوبة إلى ابن كرّام أنهم الكرامية ـ بتخفيف الراء ـ فقال الحاضرون : المعروف فيهم بتشديد الراء ، فقال : التخفيف ، والدليل عليه قول الشاعر :

الفقه فقهُ أبي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام

واسترت هذه الحكاية في ذهني ، وأنا لا أشك في أنه وضعه ، فما كان بعد مدة[1] ظفرت ببيتين من شعر المتقدمين وأولهما :

إن الذين بجهلهم لم يقتدوا في الدين بابن كرام غير كرام[2]

---

(١) (س) : « مدّة مديدة » .

(٢) في الوافي : « لا يعتدوا في الدين » .

فاستغفرت الله تعالى من ذلك الخاطر ، وسألت الله تعالى له المغفرة والرحمة ، وكان ظفري بهذين البيتين في سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وما يبعد أنه كان يجازف في النقل وأخذه .

قيل : إنّه دخل إلى الأفرم يوماً ، وقال : يا خُوند أنا أنقل للأسد ثلاثة آلاف اسم .

قلت : وهذا مبالغة عظيمة ، والذي وقفت أنا عليه في مجموع للأسد خمس مئة اسم ، ولولده الشبل ثلاث مئة اسم الجملة ثمان مئة اسم .

والجيِّدُ من شعره طبقة عليا ، على أن شعره يقع فيه اللحن الخفي ، على أنه بلغني عن مجد الدين التونسي أنه قال يوماً : ما اجتمعت بالشيخ صدر الدين إلا واستفدت منه فائدة في العربية ، ولَمّا توجه إلى حلب وجد شيخنا علم الدين طلحة[١] مستحضراً للعربية جيداً ، لكنه كان يعرف (الحاجبّية) و (شروحها) ، وهي دائرة ضيقة ، فأخذ الشيخ صدر الدين (شرح السيرافي) (لكتاب سيبويه) ، وأخذ يطالعه وينقل منه ما طمّ طلحة ، وغطاه . وسبب اللحن الخفي الذي كان يقع له إنما اشتغل بالنحو وهو كبير السن ، والنحو علم صغر يحتاج إلى أن يمتزج باللحم والدم ، وأنشدني كثيراً من شعره[٢] الشيخ شهاب الدين العسجدي[٣] ، وقال : كنت معه . وكانت ليلة عيد ، فوقف له فقير ، وقال : شيء لله ؟ فالتفت إليّ وقال : إيش معك ؟ فقلت : مئتا درهم . فقال ادفعها إلى هذا الفقير . فقلت له : يا سيدي الليلة العيد ، وما معنا ما ننفقه غداً . فقال لي : امض ا إلى القاضي كريم الدين ، وقل له : الشيخ يهنئك بهذا العيد . فدفع إليّ ألفي درهم ، وقال : هذه للشيخ ، وكأنّه يعوز نفقة في هذا العيد ، ولك أنت

---

(١) سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « شعر » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت٧٥٧هـ) . الشذرات : ١٨٤/٦ .

ثلاث مئة درهم ، فلما حضرت بالدراهم من عند كريم الدين إلى الشيخ ، قال : صدق رسول الله ﷺ ، الحسنة بعشرة ، هذه[١] مئتان بألفين .

وكان هذا شهاب الدين العسجدي والقاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم المستوفي ، وكانا به خصيصين ، وحكيا لي عن مكارمه وعن صدقاته وبره للفقراء والصالحين أمراً عظيماً[٢] ، وحكى لي عن أوائل عشرته أنها تكون في غاية اللطف والإقبال الزائد على صاحبه ، ثم إذا طالت استحال ، ولهذا قال فيه بعضهم :

وداد ابن الوكيل له مثال ... كلبّا دين جُلّق في المالك[٣]
فأوّله حليّ ثم طيبٌ ... وآخره زجاج مع لوالك

وجمع موشحاته ، وسماه (طراز الدار) ، وهذه تسمية بديعة ، قلب فيها [تسمية][٤] موشحات ابن سناء الملك ، لأنه سمي ديوانه (دار الطراز) .

ومن شعره - وهي من غرر قصائده :

ليذهبوا في ملامي أيّةً ذهبوا ... في الخمر لا فِضّةً تبقى ولا ذهب
والمال أجمل وجه فيه تصرفه ... وجهٌ جميل وراحٌ في الدجى لهب[٥]
لا تأسفن على مالٍ تمزّقه ... أيدي سقاةِ الطلا والخرّد العرُب

---

(١) ليست في (س) والوافي .

(٢) ماوقع في الأصل من قوله : « وكان هذا شهاب .. » حتى ههنا بادي الركاكة واضطراب العبارة . والذي في (س) هو : « وأنشدني كثيراً من شعره الشيخ شهاب الدين العسجدي والقاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم المستوفي ، وكانا به خصيصين ، وحكيا لي عن مكارمه وعن صدقاته وعن برّه للفقراء واعتقاده في الصالحين أمراً عظيماً » ، ووقع كذلك اختلاف بين الأصل و (س) في ترتيب بعض أجزاء النص ههنا .

(٣) (س) والوافي : « له شبيه بلبادين » .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) هذا البيت ليس في الوافي .

فـا كسَـوا راحتي من راحهـا حللاً إلا وَعرّوا فـؤادي الهمَّ واستلبـوا
راح بهـا راحتي في راحتي حصلت فتمّ عُجْبي لهـا وازداد لي العجب
أنْ ينبع الـدر من حلوٍ مـذاقتـه والتبر منسبك في الكأس ينسكب[1]
وليست الكيميا في غيرهـا وُجـدت وكل مـا قيـل في أوصافها كـذب[2]
قيراط خمرٍ على القنطـار من حـزن يعـود في الحال أفراحـاً وينقلب[3]
عنـاصر أربع في الكأس قـد جُليَت وفـوقها الفلـك السيّـار والشهبُ[4]
مـاءٌ ونـار هـواءٌ أرضُهـا قـدح وطـوفهـا فلـك والأنجم الحَبَبُ
ما الكأس عندي بأطراف الأنامل بل بـالخمس تقبض لا يحلـو لهـا الهرب
شَجَجْتُ بالماء منها الرأس موضحةً فحين أعقلهـا بـالخمس لا عجب

قلت : لو لم يقل الشيخ صدر الـدين من الشعر إلا هـذا البيت لكان قـد أتى بشيء غريب نهاية في البديع ، لقد غاص فيه على المعنى ، ودق تخيّله فيه ، وهذا شعرٌ فقيه .

ومـا تركت بهـا الخمس التي وجبت وإن رأوا تركها من بعض مـا يجب
وإن أقطبّ وجهي حين تبسم لي فعنـد بسـط الموالي يحفـظ الأدب

قلت : وهذا البيت أيضاً بـديع المعنى دقيقـه ، وقـد اعتـذر عن تقطيبـه بـأحسن عذر ، وأوضحه ، وقد أشار إلى ذلك الشعراء وقبحوا فعله قال ابن أبي الحديد :

بـالراح رح فهي المنى وعلى جمـاع الكاس كسْ
لا تلْقَهـا إلا ببشـ ـرِكَ ، فـالقطـوب من الـدَّنس
مـا أنصف الصهبـاء من ضحكت إليـه وقـد عبس

---

(١) في الوافي : « منسكب » .
(٢) في الوافي : « في أبوابها » .
(٣) (س) والوافي : « يعيد ذلك أفراحاً » .
(٤) (س) والوافي : « قد جُمعت » .

وإذا سكرت فغنّ لي: «ذهب الرّقـــاد فمـــا يُحَسّ»[١]

وما أحسن قول ابن رشيق :

أحب أخي وإن أعرضت عنـــــه وقَـلّ على مســـامعـــه كـلامي
ولي في وجهـــــــه تقطيب راضٍ كما قطبتُ في وجـــه الْمُـــدام[٢]

رجع القول إلى تتمة أبيات ابن الوكيل :

عـاطيتهـا من بنـات الترك عـاطيـة لحـاظهـا لـلأُسُـود الغُلْب قـد غلبـوا
هيفـاء جـاريـة للراح ســاقيـة من فـوق سـاقيـةٍ تجري وتنسكب
من وجههـا وتَثنّيهـا وقـامتهـا تُخْشَى الأهلّـة والقضبـان والكثب
يـا قَلْب أردافهـا مهما مررت بهـا قف لي عليها ، وقل لي هـذه الكثب[٣]
تريـك وجنتهـا مـا في زجـاجتهـا لكنْ مـــذاقتـــه للريـق تنْتسب
تحكى الثنايا الـذي أبـدتـه من حَبَبٍ لقد حكيت ولكن فـاتـك الشنب[٤]

قلت : في هـذه الأبيـات تضمين أعجـاز أبيـات من القصيـدة البـائيـة التي لابن الخيمي ، وأولها :

يـــا مَطْلبـــاً ليس لي في غيره أرب إليك آل التقصّي ، وانتهى الطلب[٥]

وقد ذكرت القصيدة وما قيل في وزنها ، وواقعتها بين ابن الخيمي وابن إسرائيل في

(١) إشارة إلى مطلع قصيدة للأسود بن يعفر :
نـام الخليّ فمـا أحسّ رقـادي والهمّ محتضر لـديّ وسـاري
انظر ، المفضليات : ٢١٦ .
(٢) في الأصل : « رأس المدام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) بعده زيادة في (س) ، والوافي :
وإن مررت بشعر فـوق قـامتهـا بالله قـل لي كيف البـان والعـذب
(٤) في الأصل : « التي أبدته » ، وأثبتنا ما في الوافي . والبيت ليس في (س) .
(٥) في الأصل : « التقضي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي في ترجمة ابن الخيمي ، واسمه محمد بن عبد المنعم (ت٦٨٥ هـ) .

ترجمة ابن الخيمي في (تاريخي الكبير)[١] .

ومن شعره صدر الدين رحمه الله تعالى :

سرى وسُتور الهمّ بالكاس تُهتكُ ... وساكن وجدي بالغِناء يُحرك
فعاطيته كاساً ، فحيّا بفضلها ... ومازج ذاك الفضل ريق مُمَسَّكُ
أرقتُ دم الراووق حِلاّ لأنني ... رأيت صليباً فوقه ، فهو مشرك
وسالت دموع العين منه وكلّما ... بكى بالدّما مما جرى منه أضْحَك
وزوَّجت بنت الكرم بابن غَمامة ... فصحّ على التعليق والشرط أملك[٢]

وهذه القصيدة طويلة ، ولكن هذا أحسنُ ما فيها .

وقال أيضاً :

ياليلة فيها الأمان والمنى ... وكلما أطلبه تهيّا
لا تقصري فالصبح قد شربته ... مدامة عنقودها الثريّا[٣]

وقال أيضاً :

غازِلْ وخُذ من نرجسٍ من لحظه ... منثور دمع كلّهنّ نظامُ
واحذر إذا بعث السلام إليك من ... نبت العِذار فإنه نَمّامُ

قلت : أخذه من قول الأول :

لافتضاحي في عوارضه ... سببٌ والناس لُوَّام
كيف يخفى ما أكابده ... والذي أهواه نمّام

(١) الوافي : ٥٠/٤ ومابعدها . وانظر فوات الوفيات : ٤١٣/٣ ـ ٤١٥ .
(٢) في الأصل : « غدامة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) في الأصل : « عقودها » ، وأثبتنا ما في (س) .

وقال دوبيت :

كم قال معاطفي حكتها الأسلُ ... والبيض سَرَقن ما حوته المقل
الآن أوامري عليها حكمت ... البيض تُحَدّ والقنا تُعْتقل[1]

وقال أيضاً :

عانقت وبالعناق يُشْفَى الوَجد ... حتى شُفِي الصبّ ومات الصَّدُ
من أخمصه لثما إلى وجنته ... حتى اشتكت القضب وضجّ الورد

وقال أيضاً :

بكفّ الثّريا وهي جَذْمَا تقاسُ لي ... شقاق دجًى مُدّت من الشرق للغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انتهت ... فما تنقضي ياليل أو ينقضي نحبي

قلت : أخذه من قول الأول :

كأن الثريا راحة تشبُر الدجى ... ليعلم طال الليل أم قد تعرضّا
فَلَيْلٌ تراه بين شرق ومغرب ... يُقاس بشبرٍ كيف يُرجى له انقضا

وقال :

راحٌ بها الأعمى يرى مع العمى ... وهاك بُرهاناً على هذي المِنَح[2]
الخمر للأقداح قلب دائماً ... والحدَق انظرها تجد قَلْبَ القدح[3]

وقال :

كأنما البدر خلال السما ... من فوق غيم ليس بالكاب
طراز تِبْر في قبا أزرق ... من تحته فروة سنجاب

(١) في الوافي ، والنجوم : « عليهم » .
(٢) في الوافي : « للدح » .
(٣) (س) : « دائم » . وقلب أي مقلوب كلمة (قدح) .

وقال :

وعـــارضٌ قـــد لام في عـــارض وطـــــاعنٌ يطعن في سنّـــــه
وقـــائـــل قـــد كبرت ذقنـــه فقلت: لا أفكر في ذقنـــــه[١]

وقال :

شب وجـــــدي بشـــــائب من سنـــا البـــدر أَوْجَـــهُ
كلّما شـــــــــاب ينحني بيّض الله وجهـــــــــه

وقال في مليح به يَرَقان :

رأيت في طَرفـــــــــه اصفراراً سَبَى فـــؤادي فقلت : مهـــلا
أيـــا مليـــك المـلاح حسنـــاً العفـــو من سيفـــك المَحـــلا[٢]

قلت : هو مثل قول الوَدَاعي ، وفيه زيادة :

قـال قـوم: قـد شـانـه يرقـان قُلْتُ: أخطـأتم وحـاشى وكـلاّ
إنمـا الخـدّ واللـواحـظ منـه مصحف مُـذّهب، وسيف محلّى

ذكرت أنا هنا باليرقان ماقلته ، وقد حصل لي يَرَقان ، وطوّل في مدته في سنة خمس وخمسين وسبع مئة :

يـا يرقـانـاً زاد في مكثـه أمرضْتَ مني الجسم والنفســـا
أبـدلتني بـالـدال سينـاً ومـا أقبـح ورداً قـد غـدا ورسـا[٣]

وقلت أيضاً :

---

(١) (س) : « قد طلعت » .
(٢) (س) والوافي : « مليك الأنام » .
(٣) في الأصل : « بالدال شيئاً » ، وأثبتنا ما في (س) .

صَفّرني ذا اليرقـــان الـــذي بمثلـــه الأسقـــام لم تظهر
ينفر من يبصرني مُقبـــلاً حتى كأني من بني الأصفر

وقلت :

تصـــدّق خـــلاني عليّ بصحـــة تسُرّ وأعفـاني زمـاناً وعـافـاني
ومرّ على غيري سقـــامٌ وصحـــة ولم يُر قـــان مثـلَ ذا يرقـــاني

وقلت من أبيات :

مـــا ترى علّتي التي قـــد عرتني وبرتني بري المُـدَى القـاطعـات
فصفـــاري هـــذا وأبيض شيبي نرجس للنفـــوس غير مـــوات
ثم عنـــدي تشبيـــه شيبي بتمٍ قـــد غـــدا نـــاظراً بعين البُـزاةِ

ومن شعر الشيخ صدر الدين -وهو عجيب -:

وبي مَن قسا قلبـاً ولان معـاطفـاً إذا قلت أدناني يضـاعف تبعيـدي
أقرّ برقٌ إذ أقـــول أنـــا لَـــهُ وكم قـالها أيضاً ولكن لتهـديـدي

قلت : من أعجب مـا مر بي أن البـاخرزي في (دميـة القصر) لمـا ذكر في ترجمـة الفقير أبي نصر عبد الوهاب المالكي أورد فيها قول الشيخ أبي عامر الجرجاني :

عـــذيري من شـــادن أغضبـوه فجرّد لي مُرهفـــاً فـــاتكا[1]
وقـال أنـا لـك يـابن الـوكيـل وهـــل لي رجـــاء ســـوى ذلكا

أيهـا الـواقف أنعم النظر فيما أوردتـه ، وتعجب من هـذا الاتفـاق ، كـون صـدر الدين بن الوكيل أخذ هذا المعنى الـذي لـه من قول الجرجـاني ، والجرجـاني أتى بـالقول الموجب في بيتيه خفيّـاً ، لأنـه قـال : « غضب ، وجرّد المرهف » ، وقـال : « أنـا لـك

(١) في الوافي : « باتكا » .

يـا ابن الوكيل ، وهـذا[١] بقرينـة تجريـد المرهف تهـديـد[٢] ، فقلب الجرجـاني ، وقـال بموجبه ، ونقله إلى التمليك ، فأخذه صدر الدين ، وأتى به واضحاً جليّاً صريحاً ظـاهراً ، ومحل التعجّب قوله : « أنا لك يا ابن الوكيل » ، كأنّ هذا المعنى قال : « أنـا لـك يـا ابن الوكيـل » تنظمني فتجيء أحسن وأبين ، وتكـون أنت أحـق بي من الجرجـاني ، وهـذا اتفاق غريب[٣] إلى الغاية ، ما مر بي مثله ، والظاهر أن الشيخ صدر الـدين لَمّـا وقف على هـذا المعنى تنبَّـه لـه[٤] [فكان لـه][٥] ، وهـو بـه أحـق ، وهـذا المعنى قـد ابتكره الجرجاني أبو عـامر ، وترك فيـه فضلـة ، فجـاء الشيخ صـدر الـدين رحمـه الله تعـالى ، وأخذه وجوّده ، ولم يبق لأحد معه مطمع إلى زيادة ، ولا مطمح[٦] في إفادة ، وما بقي إلاّ الاختصار فقط[٧] ، فلهذا قلت أنا فيه مختصراً :

قـــال حبّي أنـــالَـــهُ ولكم قلتُ سرمـــــــــدا
أنـــا للملـــك قلتهـــا وهـــو للغيـــظ هـــدّدا

وقال الشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى :

معطّف على مهجـــة ظـــاميـــه وتقـــذفهـــا عَبْرة هـــاميـــه
فقـد طـــال سقمي، فقـل لي متى تجيء إلى عبـــدك العـــافيـــه
وأرخصتَ دمعي يـــوم النـــوى لأجـل ســوالفـــك الغـــاليـــه
فصبراً على مـــــا قضى لم أقـــل فيـا «ليتهـا كانت القـاضيـه»[٨]

(١) (س) : « وأخذ » .
(٢) في الوافي : « لفظ تهديد » .
(٣) (س) والوافي : « عجيب » .
(٤) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) زيادة من (س) والوافي .
(٦) (س) والوافي : « مطمح ... ولا مطمع » .
(٧) (س) والوافي : « إلاّ اختصار ألفاظه فقط » .
(٨) اقتباس من سورة الحاقة : ٢٧/٦٩ .

ونحن عبيـــــدك ذُبْنـــــا أسىً فرفقـــاً على رقـــة الحـــاشيـــه
فقـــــال: بعيني أقيـــــك الردى فقلت: على عينـــك الـواقيـــه
فشنَّف سمعي بهـــــذا الحـــديـ ـث فما ذكرت قرطهـا مـاريـه[١]
فيـــا عـــاذلي لـو دعـــاك الهـوى لقـد كنت تسمـع يـاساريـه[٢]

واشتهر شعر الشيخ صدر الدين في حياتـه كثيراً ، وتنـاقلـه النـاس ، وتـداولوه ، وممّا اشتهر له من الموشحات قوله يعارض السرّاج المحّار ، وهو :

ما أخجل قدّه غُصُون البانْ بين الـــورق إلاّسلب المهـامع الغـزلان سود الحـدق[٣]
قاسوا غلطاً من حاز حُسن البشر
بالبدر يلوح في دياجي الشَّعر
لاكيد ولا كرامة للقمر
الحبّ جمالُه مدى الأزمان معنـــاه بقي وازدادسناً وخُصّ بالنقصان بـــدر الأفـق
الصحّة والسقام من[٤] مقلته
والجنة والجحيم في وجنته
مَنْ شاهده يقول من دهشته :
هذا وأبيـك فرّ من رضوان تحت الغســق للأرض يُعيده من الشيطان ربُّ الفلـــق
قد أنبته الله نباتاً حسنا[٥]

---

(١) مـاريـة بنت الأرقم بن ثعلبـة ، أو بنت ظـالم بن وهب ، يضرب المثـل بقرطيهـا ، يقـال : خـذه ولـو بقرطي مـاريـة ، ولا تبعـه ولـو بقرطي مـاريـة ، انظر : تـاج العروس (قرط) ، ومجمع الأمثـال : ٢٣١/١ .

(٢) يشير إلى القول المأثور للخليفة عمر رضي الله عنه : « ياسارية الجبل الجبل » .

(٣) (س) والوافي : « حسن الحدق » .

(٤) في الوافي : « في » .

(٥) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وأنْبَتَها نَباتاً حَسَناً ﴾ [آل عمران : ٣٧/٣] .

وازداد على المدى سناء وسنا
من جادَلَهُ بروحه ما غُبِنَا

قد زيّن حسنه مع الإحسان حسن الخلق لو رمت لحسنه مليحاً[١] ثاني لم يتّفِقِ
في نرجس لحظه وزهر الثغر
روض نضر قطافه بالنظر
قد دبّج خده نبات[٢] الشعر

فالورد حماه[٣] ناعم الريحان بالطل[٤] سُقي والقد يميل ميلة الأغصان للمُعْتَنِق
أحيا وأموت في هواه كمدا
من مات جوىً في حبه قد سُعدا
ياعاذلُ لا أترك وجدي أبدا

لا تعذلني فكلما تلحاني زادت حُرقي يستأهل من يهمّ بالسلوان ضرب العنقْ
القدّ وطرفه قناة وحسام
والحاجب واللحاظ قسي[٥] وسهام
والثغر مع الرضاب كاس ومُدام

والدر منظّم مع المرجان في فيه نقي قد رُصّع فوقه عقيق قاني نظم النسق

قلت : لا يخفى على الفطن ما فيه من اللحن الخفي والألفاظ النازلة ، وقد تكررت من لفظة « ثان » . ولمّا وقف الشيخ تقي الدين بن تيمية على هذا الموشح وانتهى إلى قوله : يستأهل من يهم بالسلوان ضرب العنق قال : لا يا شيخ صدر الدين ، يستأهل من يقول بالصبيان .

(١) في الوافي : « شبيهاً » .
(٢) في الوافي : « بنبت » .
(٣) في الوافي : « حواه » .
(٤) في الوافي : « بالظل » .
(٥) في الوافي : « قوس » .

وأما موشحة السراج المحّار فهي :

مُذْ شِمْتُ[١] سنا البروق من نعمان باتت حدقي تذكي[٢] بسيل دمعها الهتان نار الحرق
ما أومض بارق الحمى أو خَفَقا
إلاّ وأهاج لي البُكا والأرقا[٣]
هذا سبب لمحنتي قد خُلقا

أمسي لوميضه بقلبي العان[٤] بادي القلق لا أعرف[٥] في الظلام ما يغشان غير الأرق
أضنى جسدي فراقُ إلفٍ نزحا
أفنى جلدي ودَمْعُ عيني نَزَحا
كم صِحْتُ وزَنْدُ لوعتي قدْ قدحا

لم تُبق[٦] يد السقام من جثماني غير الرمق ما أصنع والسلوّ مني فان والصبر[٧] بقي
أهوى قمراً حلو مذاق القُبل
لا[٨] يُكحل طرفه بغير الكحل
تركيّ اللحظ[٩] بابلي المَقل

زاهي الوجنات زائد الإحسان حلو الخُلق عذْبُ الرشفات ساحرُ الأجفان ساجي[١٠] الحدق
ماحطّ لثامه وأرخى شعرَه

(١) في الأصل : « شممت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) في الأصل :« تطفي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) (س) والوافي : « إلاّ وأجدّ لي الأسى والحرقا » .
(٤) (س) والوافي : « بقلب عان » .
(٥) (س) والوافي : « لا أعلم » .
(٦) في الوافي : « تُبْدِ » .
(٧) (س) والوافي : « والوجد » .
(٨) في الوافي : « لم » .
(٩) في الوافي : « اللحظات » .
(١٠) (س) : « ساهي » .

أو هزّ معاطفاً رشاقاً نضره
ألا ويقول كلّ راءٍ[١] نظره

هذا قمر بدا بلا نقصان تحت الغسَق أو شمس ضحى في غُصنٍ فَيْنان غض الورق

ما أبدع معنىً لاح في صورته
إيناع عذاره على وَجْنته
لما سُقي الحياة من ريقته

فاعجب لبنات خدّه الرّيحاني من حيث سُقي يضحى ويبيت وهو في النيران لم يحترق

قلت : « لا يخفى على الناظم أن هذا أجزلُ ألفاظاً ، وأحكم من موشحة صدر الدين .

والسرّاجُ المحّار عارض بموشحته موشحة أحمد بن حسن الموصلي صاحب الموشحات المشهورة ، وهي :

مُذغَرّدت الوُرق على الأغصان بين الورق أجرت دمعي وفي فؤادي العاني أذكت حرقي

لّما برزت في الدوح تشدو وتنوح
أضحى دمعي بساحة السفح سفوح
والفكر نديمي في غبُوق وصبوح

قد هيّجت الذي به أضناني منه قلقي والقلب له من بعد صبري الفاني[٢] والوجد بقي

ما لاح بريق رامةٍ أو لمعا
إلا وسحاب عبرتي قد هَمَعا
والجسم على المزمع هجري زَمَعا

بالنازح والنازح عن أوطاني ضاقت طوقي ما أصنع قد حملتُ من أحزاني ما لم أطق

قلبي لهوى ساكِنه قدْ خفقا

(١) في الوافي : « رداء » .
(٢) في الأصل : « الغاني » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

والوجد حبيسٌ واصطباري طلقا
والصامت من سرِّي بدمعي نطِقا

في عشق منعّم من الولدان أصبحت شقي من جفوته ولم يَزُر أجفاني غيْرُ الأرق
فالورد مع الشقيق مِنْ خَدَّيه
قد صانها النرجس منْ عينيه
والآس هو السياج من صدغيه

واللفظ ورِيق الأغيد الروحاني عند الحدق حلوان على غصن من المران غضٌّ رشِقِ
الصّاد من المقلة من حقّقه
والنون من الحاجب من عَرّقه
واللام من العارض من علقه

قد سطّره بالقلم الريحاني ربُّ الفلق . بالمسك على الكافور كالعنوان فوق الورق
الملحة لمع الصلت بالإيضاح
والغُرّة بالتبيان كالمصباح
والمنطق نثر الدرّ بالاصلاح

والثغر هو الصحاح كالعقبان كالعقد بقي[1] والرَّد مع الخّلاف كالسلوان[2] عنه خُلقي
ما أبدع وضع الخال في وجنته
خطّ الشكل الرفيع من نقطته
قد حيّر إقليدس في هيئته

كالعنبر في نار الأسيل القانِ للمنتشق فاعجب لعبير وهو في النّيران لم يحترق

قلت : في هذه الموشحة ألفاظ تحتاج معانيها إلى مشاحّة ، وموشحة الشيخ صدر الدين على كل حال خير منها ، وموشحة المحّار خير من الاثنين .

---

(١) في الوافي : « نقي » .
(٢) (س) والوافي : « المسلوان » .

وقد خطر لي أنا نظم موشحة في هذه المادة ، وقد زدت الحشوات توشيحاً ، وهي :

ما هزّ قضيب قدّه الرّيان للْمُعْتَنِق إلا استترت معاطف الأغصان بين[1] الورق

أفدي قمراً لم يُبق عندي رَمَقاً لما رَمَقا
قد زاد صبابتي به والحُرَقا شوقاً وشَقَا
لو فوّق سهم جفنه أو رشقا في يوم لُقا

أبطال وغىً تميس في غُدْران نسج الخَلَق أبصرتهم في مَعْرَك الفرسان صرعى الحدق

بدْرٌ منعتهُ قسوةُ الأتراك رُحمىَ الشاكي
من ناظره حبائل الأشراك والإشراك
كم ضلَّ بها قبلي من النُّسَّاك والفتّاك

قاني الوجنات ينْتمي للقانِ صعب الخُلقِ إن قلت أموت في الهوى ناداني هذا يَسقي[2]

كم جا جبينه الدجا فاقترضا صُبحاً فأضا
كم جرّد جفنُه حساماً ونضى والصبّ قضى
كم أودع ريقه فؤاداً مَرِضاً من جمر غضا

فاعجب لرُضابه شفا الظمآن يذكي حرقي والخدّ به الخال على النيران لم يحترق

يا خجلةَ خدّ الورد في جنته من وجنته
يا كسرة غصن البان في حضرته من خطرته
يا حيرة[3] بدر التمّ من عزّته في طُرَّته

لا تعتقد الأقمار بالبهتان وسط الأفق أن تشبهه فليس في الإمكان ما لَمْ تُطِق

ما أسعد مَنْ أصابه بالحَوَر سهم النظر

---

(١) (س) والوافي : « تحت ».

(٢) أي : هذه شريعتي ، واليسق تعني القانون في المغولية .

(٣) في الوافي : « ياحسرة » ، وفي الوافي و (س) : « بدر الأفق » .

مـــا أنعم من يصليـــه نـــار الفكر طـــــــول العُمرِ
أو قيّـــــــده الحب بقيـــــــد الشَّعَر عنـــــــد السَّحَر
أو طوقه بذلك الثعبـان فوق العنق أو بـات بقفل صُـدغـه الريحـاني تحت الغَلق

قلت : والشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى قد عـارض المحّار في أكثر موشحـاتـه ، فيَندُر له المطلع أو حشوه ، ثم إنه يسقط من الثريا إلى الثرى كقوله :

قـالـوا : سـلا واستردّ مضنـاه قلبـاً أخـذا لا والـذي لا إلـه إلا هـو مـا كان كـذا
عشقته كوكباً من الصّغر
أأترك الوجد وهو كالقمر
ديباج ديباجته بالشعر
زيدت طرازاً كالرقم بالإبر
لا والـذي زانـه وأعطـاه حسنـاً وشـذىً على البرايـا وإنـه[1] الله مـا كان كـذا
ولو تقاس الكؤوس بالثغر
وبالثنايا الحباب كالدّرر
لفضّل الثغر صحة النظر
والصَّرف في مطعم وفي عطر
لو قيس مـا فـاق من حُمَيَّـاه أو مـا نُبـذا إلى رُضـابٍ حـوتـه عينـاه مـا كان كـذا
كل دمٍّ الناس فوق وجنته
قد سفكتها سهام مُقْلته
العفو من نبلها وحدّته
لو صبّ بهْرامُ كل جعبته

(١) (س) : « إنه » .

واختار من نبلها ونقّاه سهماً نفذا في الأرض من خَرقِه رَمَاياه ما كان كذا
وسُودَها يا حكيم[١] خذ بيدي
أمضى من البيض مع بني أسد
لو قيس ما فكّ مُحكم الزَرَد
من كل ماضي الغروب[٢] غير صَد
إلى حسام نضته عيناه مَاضٍ شحذا على مسَنٍّ أبدته صدغاه ما كان كذا
قد سلب الظبي حسن لفتته
كما سبى الغصن حسن[٣] خطرته
والشمس خجلى من نور طلعته
والبدر في حسنه وبهجته
لو قيس أيضاً إلى محيّاه في الحسن إذاً حُفت به هالةً عذاراه ما كان كذا

١٧٠١ ـ محمّد بن عمر بن إلياس*

شمس الدين أبو العز الرّهاوي ، ثم الدمشقي الكاتب .

سمع بمصر (صحيح) مسلم ، بفَوْت من ابن البرهان ، وسمع من النجيب ، ومن ابن أبي اليسر ، وابن الأوحد ، وطائفة . ودار على الشيوخ ، وكتب الطباق ، وسمع الكتب وروى عنه شيخنا الذهبي في (المعجم) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وحضر جنازته قاضي القضاة جلال الدين القزويني وغيره من الأعيان .

---

(١) (س) : « يا حليم » .
(٢) (س) : « العروب » .
(٣) (س) : « بحسن » .
* الوافي : ٢٨٨/٤ ، والدرر : ١٠٣/٤ .

١٧٠٢ ـ محمّد بن عمر بن سالم*

العدل الفاضل ناصر الدين بن المشهدي المصري .

سمع من غازي الحلاوي ، وخلق ، وعُني بذلك ، وكتب الطباق ، وبرع في كتابة السجلاّت ، وحصّل منها جملة ، وأقام بدمشق مدة .

قال شيخنا الذهبي : وقد تكلموا في عدالته .

وتوفي رحمه الله تعالى كهلاً سنة بضع وعشرين وسبع مئة[١] .

١٧٠٣ ـ محمّد بن عمر بن محمد**

الشيخ الإمام المفنّن شمس الدين بن الخباز .

قرأ بدمشق قليلاً على الشيخ مجد الدين التونسي ، ثم قرأ على القحفازي وعلى ابن قاضي شهبة . وعلى الشيخ برهان الدين ، ثم توجّه إلى حلب ، وقرأ على الشيخ فخر الدين قاضي القضاة بن خطيب جبرين شيخنا ، وعلى شيخنا علم الدين طلحة ، ثم على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وحفظ (التنبيه) و (المختصر) و (ألفية ابن مالك) و (الجرجانية) ، وباحث[٢] وناظر ، وأذن له ابن خطيب جبرين في الإفتاء .

كان جيد المناظرة ، فكه المحاضرة ، يستحضر كثيراً من المعقول ، ويورد جملة من المنقول ، وبحوثه مُتقنة محررة ، ونقوله بالأصول رياضها مزهرة .

وكان والده بدمشق خبازاً فسمت همته ، وعلت عَزْمته إلى أن دخل في عداد

---

* الوافي : ٢٨٨/٤ ، والدرر : ١٠٦/٤ .

(١) في الدرر أنه توفي سنة (٧٢٨ هـ) .

** الدرر : ١١٤/٤ .

(٢) (س) ، (خ) : « وبحث » .

الفضلاء ، وحشر في زمرة النبلاء ، وكانت يده شلاّء ، وعن البطش زلاّء . ولم يزل مصفّراً من أفواه العروق ، ووجهه كأنه الأصيل عند الغروب لا الضحى عند الشروق ، وكانت له قدرة على المحاكاة وقوة على التكيف[١] بمن خاصمه أو شاكاه[٢] .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء سيل المنيّة على أفواه عروقه ، وسدّ منه مجاري خروقه .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثاني عشري ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وكان يُعرف في دمشق بالحلبي ، وفي حلب بالدمشقي ، اجتمعت به غَيْرَ مرّة بدمشق وحلب ، وجَرَت بيني وبينه مباحث عديدة ، وهو رفيقي في الاشتغال رحمه الله تعالى .

١٧٠٤ ـ محمّد بن عمر بن محمد بن عمر*

ابن الحسن ، الشيخ الجليل الفاضل الصدر العدل إمام الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شرف الدين أبي حفص بن خواجا إمام ، الفارسي الأصل ، الدمشقي .

سمع من جده وعمّ والده أبي بكر بن عمر ، والرضي بن البرهان التاجر الواسطي ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، وابن أبي اليسر ، وشمس الدين بن أبي عمر ، وجماعة .

---

(١) في الأصل : « وقدرة على التكلف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « بمن خاصمه أو جادله أو شكاه » .

* الدرر : ٢٠٤/٤ ، وفيه : « محمد بن محمد بن عمر » .

وحدث (بصحيح) مسلم و (موطأ) مالك رواية أبي مصعب عن [ابن][١] البرهان .

وكان معروفاً بالكفاءة والخبرة ، وخدم في عدة جهات ، وكان كثير [التلاوة][٢] .

توفي رحمه الله تعالى في سابع شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٧٠٥ ـ محمّد بن عمر بن عبد العزيز*

ابن ...[٣] .

الصدر النبيل الرئيس قاضي القضاة ناصر الدين ابن قاضي القضاة كمال الدين ابن قاضي القضاة عز الدين بن العديم الحنفي .

كان أولاً بحماة قاضي القضاة ، ثم إنّه نقل إلى حلب ، وتولّى حماة[٤] في شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة عوضاً عن جدّه .

وكان صدراً واسع الصدر ، ورئيساً يجلس من سيادته في هالة البدر ، قد وسع الناس بإحسانه ، وملك قلوبهم بلسانه ، يخدم الأكابر والأصاغر ، ولا يزال [فوه][٥] بالشكر لهم يُرى وهو فاغر ، يكارم الزائرين بأنواع القماش والحلوى ، ويغدق

(١) زيادة من (س) .

(٢) زيادة من (س) والدرر .

* الدرر : ١٠٦/٤ ، والذيل التام : ١٢١ ، وذيول العبر : ٢٨٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥١/١٠ .

(٣) كذا بياض في الأصل . وتمّ صاحب الدرر نسبه وفيه : ... ابن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير أبي جرادة العقيلي » . وكذلك في النجوم .

(٤) (س) : قضاء حماة » .

(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

عليهم[١] ، فلا يرون لمنّه سلوى ، وطالت مدته في حلب ، وساق إليه كلّ شاعر نفائس أمداحه وجلب .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل ابن العديم في العدم ، وانهدّ طَوْد حياته وانهدم .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأول من شوال[٢] سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثمانين وست مئة .

وكان قد طلب إلى مصر ليجعل بها قاضي القضاة عندما أُخرج القاضي حسام الدين الغوري ، فوصل إلى دمشق ، ثم إنه جاء المرسوم بعوده إلى حلب على حاله .

وحدّث عن الأبرقوهي وغيره .

وكتب إليه شهاب الدين أحمد بن المهاجر الوادي آشي الحنفي ، ومن خطه نقلت :

فذاك قاضي القضاة عَبْدُ ... قريضُه مثلُه رقيقُ
يكابد البرد في قماش ... أشبهه ببيته العتيقُ
له إذا الرياح هبّت ... عطف كغصن النقا رشيقُ
غزا ابن ماء السماء منه ... نضواً سوى السلم لا يطيق[٣]
ليس يرد الشتاء عنه ... بيتٌ مع القبح فيه ضيقُ
والصبر مع أنه بعيدُ ... قد سُدّ من دونه الطريق
فانظر إليه بعين مولًى ... من غُرّ أوصافه الشفيق
واعطف عليه فأنت فرع ... من دوحةِ غُصْنُها ورَيق[٤]

---

(١) في (س) ، (خ) زيادة : «بجوده » .
(٢) (س) : « شعبان » .
(٣) المنذر بن امرئ القيس الثالث ابن النعمان ، وماء السماء أمّه . الأعلام : ٢٩٢/٧ .
(٤) (س) : « دوحه » .

لازلت مـــــــاعشت في نعيم أنت بـــإنعـــامـــه حقيـــق
مجّـلاً مـــذهبـــاً أتـــانـــا منـــــك لنُعْمانـــــه شقيـــق

١٧٠٦ ـ محمّد بن عمر*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير ركن الدين البُتْخاصي الصفدي .

كان أميراً بطبلخاناه[١] في الديار المصرية ، وله مكارم ومروءة ، وفي طباعه حُرّيّة . يخدم أصحابه ، ويعرف حق من[٢] لازم بابه ، يخدم الوُرّاد ، ويكرم الرّواد ، ويتجمل بين الناس ، ويُرْضي من يُقدم عليه ، ويبسط له الإيناس . تنقل في الممالك ، وصَرَّفَهُ الدهر بين صُبْحِه النيّر ، ودُجَاهُ الحالك ، وقبض وسجن وامتلأ قلب الدهر عليه وشحن ، وهو صابرٌ للأقدار فيما تنوبه ، عالمٌ أن الزمان لا تدوم حرُوبه .

ولم يزل بالديار المصرية في آخر أمره ، إلى أن انصرمت مُدّة عمره .

وتوفي رحمه الله تعالى بالديار المصرية ، وجاء الخبر بوفاته إلى دمشق في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وعمره ما يقارب الخمسين سنة .

كان الأمير ناصر الدين قد نشأ بصفد في حياة والده ، وكان والده ركن الدين يتصرف في المباشرات السلطانية من الولايات والشد وغير ذلك ، وكان من أعيان أهل صفد ، وفي آخر عمره[٣] ولي الحجبة الصغرى بصفد بإمرة عشرة ، فلمّا خرج الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي نائب صفد هارباً منها طالباً دمشق تبعه عسكرها وركن الدين معهم ، فناوشوهم القتال ، فجاءته طعنة حمل منها إلى صفد ، ومات بها . وتقلّبت

---

* الدرر : ١٢٦/٤ ، وفيه : « الشجاعي » .

(١) في الأصل : « طبلخاناه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « كلّ مَنْ » .

(٣) في (س) ، (خ) : « أمره » .

الأيام بولده هذا الأمير ناصر الدين ، وترقى إلى أن تولى الحجبة بصفد ، ثم إنه أُمسك واعتقل بإسكندريّة ، في[١] واقعة بيبغاروس لما كان صحبة الأمير علاء الدين الطنبغا برناق نائب صفد ، ثم إنه أفرج عنه ، وأخرج إلى طرابلس ، ثم طُلب إلى مصر ، وجُعل حاجباً صغيراً بحلب ، وفوض إليه الأمير سيف الدين شيخو نيابة ديوانه بحلب ، فاجتهد في خدمته ، وعمّر الخان المليح[٢] والحمّام بجبّ السقّايين[٣] بين المعرة وحماة ، ثم أضيف إليه شد[٤] الخاص وشد الأوقاف بحلب .

ثم إنّه رسم له بإمرة الحجبة الكبرى عوضاً عن الأمير ناصر الدين بن شهري ، وأقام على ذلك إلى أن طُلب إلى مصر صحبة علاء الدين علي البشيري ، فأعطاه السلطان بمصر إمرة طبلخاناه ، وجعله مشدّاً في العمائر[٥] السلطانية بالقاهرة ، ثم إنه جهّزه في سنة إحدى وستين وسبع مئة إلى منفلوط لقبض مغلها ، فقبضه وعاد إلى القاهرة على شد العمائر .

ثم إنه مرض مرضة طويلة في ذلك الوباء العام ، ووصل الخبر إلى دمشق بموته رحمه الله تعالى .

وكان رحمه الله بارّاً بوالدته وإخوته وأخواته ، عفيفاً أميناً في مباشراته ، عارفاً درباً بما يتحدث فيه ، فيه كرم ومروءة زائدة[٦] .

---

(١) في الأصل و (خ) : « وفي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) (س) ، (خ) : « بجبّ السّقا » .
(٤) (س) : « مشدّ » .
(٥) (س) ، (خ) : « مشدّ العمائر » .
(٦) (س) : « ومروءة زائدة وخير ، رحمه الله تعالى » .

١٧٠٧ ـ محمّد بن عمران بن عامر القطناني*

المقرئ الحرّاني البغدادي ، الشيخ الصالح الملّقن[١] عند البرادة بالجامع الأموي بدمشق .

كان مقرئاً فاضلاً عارفاً بالتجويد ، حسن الأداء ، حفظ (التيسير)[٢] و (الشاطبية) وبعض (المقنع) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة عشر وسبع مئة[٣] .

١٧٠٨ ـ محمّد بن عنبرجي**

القان المغلي بن النوين عنبرجي المذكور .

كان صبيّاً من أبناء العشرين ، من أهل توريز ، لمّا قتل القان بوسعيد عنبرجي زعمت سرّيته[٤] أنها حبلى منه . فولدت محمداً هذا ،فلمّا أقبل النوين الشيخ حسن الكبير من البلاد ، وهزم جمع الملك موسى قان[٥] ، وقتل موسى ، عَمَد الشيخ حسن[٦] إلى محمد هذا وأقامه في الملك ، وناب له هو وابن جوبان وزوجة جوبان ساطي[٧] بك ، وهي ابنة القان خربندا ، وتماسك الأمر أشهراً . ثم أقبل من الروم

---

* الدرر : ١٠٢/٤ ، وغاية النهاية : ٢٢٢/٢ ، وفيها : « الوطّائي » .

(١) (س) : « المجيد الملقن » .

(٢) في الأصل : « التفسير » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٣) ذكر في الدرر أنّ وفاته سنة (٧٢٠هـ) .

** الوافي : ٢٩٣/٤ ، والدرر : ١٢٦/٤ .

(٤) في الوافي : « سريّة » ، وفي الدرر : « سريّة له » .

(٥) موسى بن علي بن بيبدو (ت٧٣٧ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (س) : « حسن الكبير » .

(٧) في الأصل : « شاطي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

ولدا تمرتاش ، وأوهما أن أباهما حيّ معهما ، وجعلاه في خركاة ، فهرب الشيخ حسن الكبير إلى خراسان ، ثم أهلك هذا محمد . وماج الناس واشتد البلاء والظلم والنهب ببلاد أذربيجان وافتقر من الجَوْر جماعة ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

١٧٠٩ ـ محمّد بن عيسى بن مهنّا*

الأمير أخو مهنّا .

كان من أعيان أمراء آل فضل . وكان حسن الشكل ، له معرفة ودُرْبة .

توفي رحمه الله تعالى بساميّة في يوم السبت سابع شهر رجب سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وصلّى عليه قاضيها .

ولما كان قراسُنقر قد وصل إلى بيوت أخيه مهنا ، كان محمد هذا غائباً ، فلما جاء وبصربه قال لمهنا : أبشر يا مهنا بالإنعامات والإقطاعات من السلطان ، ففهم قراسُنقر الغَدر منهم ، فقام إلى كاملة زوج مهنا وشال ذيلها ودخل تحته ، فقالت : يا أبا محمد إن الله قد أجارك[1] وجاءت إلى مهنا . فقالت له : إيش يتحدث عنك العربان ؟! إن هؤلاء الملوك جاؤوا إليك ونزلوا عليك ، وإنك غدرت بهم لأجل الدنيا ، فقال : الله الأحد إن الله قد أجارهم فقال محمد لأخيه مهنا : الله بيننا وبينك حرمتنا[2] هواء الشام وطيبه .

---

* البداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ١٣١/٤ ، والشذرات : ٦٦/٦ ، وذيول العبر : ١٣٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦١/٩ .

(١) (س) : « جارك » .

(٢) في الأصل : « أحرمتنا » ، وأثبتنا ما في (س) .

١٧١٠ ـ محمّد بن عيسى بن عيسى*

ابن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب بن مُشرّف الأسدي الغاضري[١] الريّاني ، القاضي البليغ الناظم الناثر المفوّه شمس الدين ابن القاضي شرف الدين ابن قاضي شهبة .

رجل انقاذ له الكلام ، ونزل على حكم نثاره والنظام ، له النظم المطبوع والنثر[٢] الغزير الينبوع ، كتب الإنشاء وترسَّل ، وتوصل إلى مآربه بذلك وتوسّل ، إلا أن خَطّه كان مرجوفاً ، ولم يُعبه[٣] ذلك لأنه كان يُودعه من إنشائه قلائد وشنوفا[٤] . كتب للسرّ بحمص وغزّة ، ونال فيها شرفاً وعِزّة ، وتولى الخطابة في غزة ، فصدح على منبرها حمامه ، وأقام بمواعظة المبكيات على الناس القيامة .

ولم يزل على حاله إلى أن توارت شمسه بالحجاب ، ودعا الحركة بعدما سكن فسكت وما أجاب .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة عن ثلاث وخمسين سنة في طاعون غزة .

حرص عليه أهله ، وشغّلوه بالعلم ، فرأى أن رزق الفقهاء ضعيف ، فرجع إلى صناعة الكتابة ، وقال لي : أخذت كتاب (التنبيه) و (العمدة في الأحكام) وكتاباً في النحو وألقيتها في قدر والماء يغلي ، وهجرت الاشتغال بالعلم ، واشتغلت بصناعة الحساب ، وكان موجب ذلك أنّي حضرت العزيزية سنةً فحصل لي منها خمسة دراهم في

---

* الدرر : ١٢٩/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٨٥/١/١ ، وقد خلت (س) من ترجمته .

(١) في الدرر : « الغضاري » .

(٢) في الأصل : « والنظم » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في الأصل : « يعنه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) (خ) : « وسيوفا » .

تلك السنة . وباشر في جهات ، ثم إنه تعلّق بالإنشاء ، وكان النظم والنثر فيه طباعاً ، فتوجه إلى مصر ، وسعى في توقيع حمص ، فتولاه من مصر ، وباشره مع نيابة الأمير سيف الدين قلاوون في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها قليلاً ، وانفصل منها ، وعاد إلى مباشرة الحساب ، فتولى نظر نابلس ، ولّما توجه الأمير سيف الدين يلبغا نائب الشام إلى القدس خدمةً هناك ، وبقي أمره على ذهنه ، وحضر إلى دمشق ، وامتدحه وامتدح عز الدين طقطاي الدّوادار ، فقال يلبغا : ما تريد ؟ فقال : ياخوند أكون كاتب إنشاء في دمشق بمعلومي الذي على نظر نابلس ، وتوفر معلوم ناظر نابلس ، فرسم له بذلك .

ولم يزل يكتب بديوان الإنشاء إلى آخر وقت ، ثم إنه جُهّز في سنة إحدى وستين وسبع مئة إلى غزة موقّعاً في أيام الأمير سيف الدين أسندمر الزيني ، عيَّنه لذلك القاضي أمين الدين بن القلانسي كاتب السر بالشام لّما عزل الشريف كمال الدين موقّع غزة ، ولّما كتب الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في معنى أولاد رزق الله[1] وعُزلُوا من صفد ، رُسم بأن يكون كاتب سر بصفد في سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فأقام قليلاً ، وأعيد إلى غزة . فأقام على كتابة سرّها والخطابة بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في طاعون غزة في التاريخ المذكور .

وكان قادراً على الهجو المقذع ، وبيني وبينه مكاتبات كثيرة ، وهي مُودعة في (التذكرة) التي لي في أماكنها ، ومنها شيء في كتابي (ألحان السواجع) .

كتب إلي وهو بدمشق قرين جبن صرخدي أهداه لي :

يا شجاع الوجود في العلم والفضـ ـل وشيخ الأنام في كلّ فنّ[2]
قد تجاسرت في الهديّة فاسمح بالتغاضي واستر بحلمك جُبني

(١) رزق الله بن عبد الله المصري ، تاج الدين الموقّع ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٢) في الدرر : « ياشجاع العلوم والجود والفضل ... وشيخ الوجود » .

فكتبت أنا الجواب إليه :

حـــاش لله أن يُرى منـــك جبن ... ومعـاليـك قـد حَـوَت كل حُسْن
وكريم الأقـوام فهـو شجـــاع ... والبخيـــل الـــــذي تردّى لجبن

وكتبت إلي قرين ماء وردٍ أهداه :

يـا سيـداً تجلـو ثنـايـا لفظـه ... لظـامئ الأكبـاد برداً من بَرَدْ[1]
ومَنْ إذا مـــا لَمَست يمينُـــه ... جمر الغضـا من النـدى الغمر برد
كان لكم عنـــدي فيما قـــد مضى ... وعـدٌ بمـاء الـورد، لكن مـا ورد
والآن قـد وافى فقـابـل كسره ... بـالجبر لا يخجـل إن جـاء ورد
وعش مدى الدهر صلاحاً في الورى ... تصلح من حـال الأنـام مـا فسـد
في نعمـــة وافرة مـــديـــدة ... تكتب فيهـا بـالبقـاء من حسـد
يـــا خير روح للعـلا طـــاهرةٍ ... كم أنعشت للمكرمـات من جسـد[2]

وكتب إلي ، وقد نظمت قصيدة في مديح سيدنا رسول الله ﷺ :

يـا إمـامـاً قـد أتى العـزُّ إلى ... بـابـه ينقـاد في أرسـانـه
لـــو رآك المصطفى في عصره ... مثبتـاً فُقتِ على حسّـانـه
بمـديـحٍ فيـه قـد جئت بـه ... بعـد مـا جـاء فتى غسّـانِـه
إن دهراً سُـدت فيـه سيـدي ... نـاظر أنت ضِيـا إنسـانـه
عبـدك الشـاكر وافى سـائـلاً ... كيف مـولانـا على إحسـانـه[3]

وكتب[4] إليّ ملغزاً :

(١) (خ) : « فضْله » .
(٢) في الأصل : « طاهرة للعلا » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) في الأصل : « فكيف » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) (خ) : « وكتب هو » .

أيها الفاضل الذي هو في الفضـ ـل إمامٌ والناس جمعاً وراء
والبليغ الذي لـه لطف معنًى عجزت عن مثاله الفصحاء
والإمام الذي لـه لطف خطّ لم تطق وصف نوره الشعراء[1]
ما اسم ثاوٍ في الأرض بين البرايا وله صاحبٌ حوته السماء
وهو عارٍ ومكتسٍ ثوبَ حُسن عنده الصيف والشتاء سواء[2]
لم تحكْ ثوبَهُ يدٌ ولم تَحْـ ـوِ نظيراً لنسجه صنعاء
قام بالعُرْفِ آمراً وعلى العا دة يجري وليس فيه رياء
فأبنه ياذا الرئيس المفدّى لانَأتْ عن مقرك النعماء
وابقَ ما غنّت الصوادح في الصبـ ـح ولاح الضحى وولى المساء

فكتبت أنا الجواب عن ذلك ، وهو في « ديك » :

يا فصيحاً عنت له البلغاء وبليغاً ونَتَ له الفصحاءُ
والبليغ الذي إذا ما بدا البَدْ رُ لديه اعتراه منه حياء[3]
نظمك المستَلذّ في كل سمعٍ هو والدرّ والأغاني سواء
أنت ألغزْتَ في مسمىً عجيبٍ طائر ما حواه قطّ الهواء
وهو يمشي مثل الملوك بتاجٍ وعلى رأسه يشالُ لواء
ليس تُحصَى أشخاصه وهو يُحصَى فعجيب لما يراه القضاء
وتحاشى من عِكْسِهِ فهو أمر يتبرّا من فعله الكرماء
وإذا ما صحّفته يتبدّى حيواناً وقد حواه المساء[4]
فابق واسْلم لكل لغز بديع فهو فنّ تحبه الأدباء

(١) (خ) : « نمل خط » ، وهي أشبه .
(٢) في الدرر : « وهو عارٌ ملبّس » .
(٣) (خ) : « والرئيس » .
(٤) يريد : « دُئِل » ، وهو ابن آوى ، والذئب .

وكتب هو إليّ من غزة :

ذكرتـــك والجـــوُّ في حُلَّـــةٍ ... مكللـــةٍ بـــلآلي النجـــوم
وبرق الـــدجى خـــافـــقٌ ومَضْـــهُ ... كقلبٍ مُعَنّىً عـــديم الهجـــومِ
وعرفُ الصَّبـــا كـــزمـــان الصِّبـــا ... رقيـــق الحـــواشي نـــديّ النسيم
وللبحر أفـــواج مـــوج حَكَت ... تـــزاحُمَ خيـــل الكفـــاح العقيم[1]
ورمـــل الكثيب بتَمْـــويجـــه ... يحـــاكي البُرُود حســـان الرقـــوم
وكأس المـــدام مـــدام الصفـــا ... كـــوّدك لـــو كنتَ فيهـــا نـــديمي
فهـــاج لـــذكراك عنـــدي هـــوًى ... رمى نـــــار حرّ الأسى في صميمي
وأضعف من همّتي قـــــــوةً ... لفقـــدك تُغْـــزَى بجيش الهمـــوم[2]
وبـــات حـــديثـــك لي مُـــؤنســـاً ... يعلّلني بـــالرحيـــق القـــديم
فجـــادَك صَـــوْبُ ســـلام امرئٍ ... مقيم على ودّه الْمُستقيم
سقيم إذا شـــافَ ريّـــاكم ... رجـــا بـــالعليـــل شفـــاء السقيم

يقبّل الأرض ويُنهي مـالم يَخفَ من[3] العُلـوم الكريمـة من مضـاعفـة شـوقـه ، ومضاعفة أسفه الذي أحاط به من تحتـه وفوقـه ، ومـا يجـده من التـألم لانقطـاع مراسيم مولانا التي تفُلُّ حدَّ الغربة بغَربها ، وتحجب عن الأنفس المكروبة والمحزونة كرّ كربها :

وقـــد غضِبت حتّى كأنّي مـــذنب ... أروم الرضـا منهـا ويـاليتهـا ترضى

أُنهي ذلك إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا الجواب عن ذلك :

---

(١) (خ) : « حلت تزاحم » .

(٢) في الأصل و (خ) : « تعزى » ، ولعلّ الوجه ما أثبتناه .

(٣) (خ) : « عن » .

أتـــاني كتـــابُـــك والجـوّ قـــد ... تـوشّـعَ من بـــارقـــات الغُيـوم
فهـــذا يجـود بـــدرّ الحيـــا ... وهـــذا يجـود بـــدرّ العُلُـوم
ومـــا الـــدّر كالـــدّر بين الـورى ... ولا الـــزّهرُ فيهم كـــزهر النجـــوم
ويـــا حُسْنـــه وافـــداً قـــد غـــدا ... ينفّس عني خنـــــاق الهمـــوم
ويـــوقفني اللفـــظ منـــه على ... نـــــديم لكلّ سرور مُـــــديم
بخـــطٍ ترفّـــع في وَضْعـــه ... أويْتَ إلى كَهْفـــــه والرقيم[1]
وولّى الـــوليّ لإقبـــالـــه ... كما ابنُ هـلالٍ غـــدا في النجـوم[2]
وأنسْتُ حـــلاوتُـــه شُهْـــدةً ... ورقّت حـواشيـــه لابن العـديم[3]
أيـــــا عربيّ القريض افتحرْ ... فكم في معـانيـــك من ابن رومي[4]
ومثلـــك مـــا دار في دارم ... ولا تمّ مـــا قلتـــه في تميم
يهـز نظـامـــك أعطـافنـــا ... كأنّ قـــوافيـــك بنت الكروم
وتحكي الريـــاض بـــأسطـــارهـــا ... نسيبـــك فيهـــا نسيب النسيم[5]
وبعـــد فـــإنيّ في وحشـــة ... سميري أذكاري وصبري حميم[6]

يقبـل الأرض وينهي ورود المشرّف الكريم ، فـوقف المملوك[7] لـوروده ، وقبّـل من سطره وطرسه عِذار آسِهِ ووجنـة وروده ، ومتع نـاظره من جنتـه النـاضرة بحـدائق

---

(١) اقتباس قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحَابَ الكَهفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنا عَجَباً ، إذ أَوَى الْفِتيَةُ إلى الكَهْفِ ... ﴾ [الكهف : ٩/١٨ ـ ١٠] .

(٢) في الأصل و (خ) : « التخوم » ولا وجه لها . وابن هلال هو عبد الواحد بن محمد بن المسلم ، أبو المكارم المحدّث (ت ٥٦٥ هـ) ، السير : ٤٩٩/٢٠ ، والدارس : ١٣٧/١ . وفيه تورية .

(٣) شهدة بنت أحمد بن فرج ، فخر النساء (ت ٥٧٤ هـ) ، السير : ٥٤٢/٢٠ .

(٤) كذا ، ولا تستقيم ، وهي في (خ) أقرب إلى رسم : « جنّ » .

(٥) (خ) : بأشطارها » .

(٦) (خ) : « ودمعي » ، وهي أشبه .

(٧) ليست في (خ) .

ذات بهجة ، وفداه لمّا رآه بسواد العين وسُويداء المهجة ، وتحقَّق أن أبا ذرٍ حديثه أصدق لهجة ، فلم يرتب فيما ادّعاه من المحبة ، وقال لا شُبهة في وداد ابن قاضي شهبة :

قلبي لـــــديـــــك أظنّـــــهُ يُمْلي عليـــــــــــك وتكتب

فكتبَ هو الجواب عن ذلك :

ساق الحمـامُ إلى لقـائـك نـائحـاً صبٌ تـذكّر نـازحـاً أوطـانَـه[1]
فـــاهتزّ قلبي بـــاهتزاز أراكـــه طربـاً، وهيـجّ شجـوه أشجـانـه
ودعـا وقـد بـلّ النـدى أذيـالـه صُبحاً، ورصفت الصّبا أفنانـه[2]
وشكا كما أشكـو الحمـــام وإنمـــا لم يُجْرِ مثلي بـــالبكا أجفـــانـــه
لكنْ أعـان على الجوى وأخـو الهـوى إن عـاين العـاني الكئيب أعـانَـه
ومع الإعـانـة أذكر العيش الـذي مـا زلت أفـدي بـالحيـاة زمـانـه
حتى إذا حَسَر الصبـاحُ قنـاعَـهُ وجـد النهـار سـوره وأبـانـه
غنى وصفّـق طـائراً بقـوادم تـدنيـه إن أنـأتْ نـوىً جيرانـه
فبكيت محـزونـاً، وقلت تَعَلُّـلاً ليت الحمـام أتم لي إحسـانـه

يقبّل الأرض وينهي ورود الجواب الكريم عما كان تهجَّم المملوك من العبودية ، والأبيات التي بان بتلك المراجعة قصورها ، وتضعضع بتلاوة سور تلك العوذ الصلاحية سورها وصُورها[3] ، فقابل العبد ذلك الفضل الخليلي مسلماً إليه وعليه ، ووقف سيف ذهنه الكالّ عنده ، فإنه ينفق مستجدياً ، ومولانا ينفق مما أفاء الله وأفاض من سعة فضله عليه ، يا أُلْفَ مولاي قد تجاسر العبد ، ولكن والله مقتبساً من أنوار فضائلك ، وتهجمّ ولكن ملتبساً من مبارّ شمائلك ، ومع هذا فعين الله على ميم منطقك ، وحاء

(١) في الأصل : « نائحاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) (خ) : « أعطافه صبحاً ورنحت » .
(٣) في الأصل : « وسورها » ، وأثبتنا ما في (خ) .

حمايته على راء رونقك ، فإنك ، فداك الأعداء ، حُرّ غمر بالجود ، ومولىً بمزيّه[١] مزيدٌ شانه الحسود ، وما زال المملوك من ورود[٢] ذلك المثال العالي يتحلى بألفاظ شهدتة[٣] ، ويتأنّس بمعاينة الوارد عن وحيد العصر . فما يشكو ألم وحدته ، يا مخدومي ، من أين للقائل سواك أن يقول :

وأنست حلاوته شهدةً ورقت حواشيه لابن العديم

وأن يقول :

أيا عربيّ القريض افتخر فكم من معانيك من ابن روميّ

وإنما سبحان من جعل مفاتيح كنوز الأدب بيديك ، وصَرّفك فيما صرفك عن قبول ما أنعم به عليك ، وسؤال المملوك من الصدقات إدامة الجبر الكريم ، فإن المملوك إذا رأى كتاب سيدي شاهد معانيه من مثاله ، وتذكر مواصلة الخيرات الحِسَان بين يديه بالنشر الفائح من طيّ أوصاله .

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

وافى قريضك فاستهال أخا الهوى وثنى إلى ذكرى صباه عيانه[٤]
هاجت بلابلُه بلابل صبوتي قدْماً وذكّرني العقيق وبانَه
فكأن رقم سطوره روضٌ غدت تثني نسيمات الحمى أغصانه
أخملت منه خمائل الشعراء والـ كتّاب لمّا عاينوا عنوانه
أما السّراج فما لشعلة نظمه نور وسود في الطروس دخانه
وابن النقيب عصت عصاه فلم تسق جُند القريض وعطّلت ميدانه

(١) كذا ، والمزيّ : الظريف .
(٢) في (خ) : « من يوم ورد » .
(٣) (خ) : « شهديّة » .
(٤) كذا في الأصل و (خ) ، والأشبه : « عنانه » .

وكـــذلـــك الجـزار ليس لشعره شعرٌ وأغلـق في الـــورى دكانـــه
والفـاضـل المشهـور أصبـح خـامـلاً في نثره ورأى الـورى نقصـــانـــه
وكـــذلـــك الجـزري أنبت نثره روضـاً فلم يرض الـورى بستـانـه
وكـــذلـــك ابن الصيرفي لم ينتقـــد شيئـاً، وعطـل بعـدهـا ميزانـه
يـا من قطعتُ بـه زمـانـاً بـالحمى سُقي الحمى ورعى الإلـه زمـانـه
عصرٌ متى أملى النسيم حـــديثـــه في الروض فتّـــح زهرُه آذانـــه
سجْـعُ الحمـــام يلـــذ لي لا سيّما إن حركت أيـدي الصبـا عيـدانـه
فيجـــد لي ذكراك في تغريـــده وأروح ريـــان الحشـا نشـوانـــه
يـا حسرتـا ليت الحمـام أعـاد لي إحســانـــه فـأعـارني طيرانـــه

يقبّل الأرض ، وينهي ورود الجواب الكريم على من وَرَد ، الجسيم الفضل الذي دخل باب الأعجاز ورَدّ ، العميم الإحسان الذي يروي صدى من صدر عنه أو وَرَد ، فتلقاه بكلتا يديه ، وضمّه وشمّ أنفاسه ، ووضعه على رأسه لا بل أتحف بالتاج رأسه ، وفضه عن فضل نظم رأى ملائكة البلاغة حرّاسه ، واستجلى من طرسه ياسمينة ومن سطره آسه ، وبهت لرقم طروسه ، إلى أن قاس بالمسك الاذفر[١] أنفاسه ، ونظره فإذا[٢] هو قد اختبا له فيه اختباله ، وما احتمى له احتماله ، وخلط جسده بجسده[٣] ، وعقل لسانه بحبلٍ من مسَدِه ، وصرفني عن معارضته بالجواب ، وقال : الاعتراف بالقصور أولى وأليق بالصواب ، فما أنت ومكاثرة الغمائم[٤] ومكابرة هذه السمائم ومنافحة هذه الكمائم ، ومناوحة هذه الحمائم ، أدخل تحت ذيل الاعتراف وقل تبختري يا ديباجة البحتري ، وفُوقي النظّارة يا نضارة المشتري ، واخلبي القلوب يا أقلامه التي نفثت السحر في العُقد ، وصولي على كتّاب هذا الزمان فقد نبّهت من هذا الفن ما أغفى ورَقَد .

(١) مسك أذفر : جيد إلى الغاية .
(٢) في الأصل : « وإذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) الجسد : الزعفران .
(٤) : « هذه الغمائم » .

والمملوك فقد اعترف ، ووقف على الشاطئ ولو أمكنه لاعترف ، ولكنه يدعو ببقاء هذه الفضائل ، ودوام هذه التحف التي أمسى بها فنّ الأقدمين[١] وهو متضائل ، إن شاء الله تعالى .

وفي (التذكرة) التي لي في أماكن متقرقة أشياء كثيرة ممّا دار بيني وبينه .

١٧١١ ـ محمّد بن غالب بن سعيد*

الشيخ الإمام الزاهد الصالح البركة المحدث شمس الدين أبو عبد الله الأندلسي الجيّاني .

ارتحل في طلب الحديث ، وسمع من الرضي بن البرهان ، وابن عبد الدائم ، وطبقتهما .

وجاور بمكة ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده بعد العشرين وست مئة[٢] .

١٧١٢ ـ محمّد بن أبي الفتح**

ابن أبي الفضل بن بركات ، الإمام المفتي المحدث المتقن النحوي البارع شمس الدين أبو عبد الله شيخ العربية البعلبكي[٣] الحنبلي .

سمع من الفقيه محمد اليونيني ، وابن عبد الدائم ، والعز حسن بن المُهَيْر[٤] ، وابن أبي

---

(١) (خ) : « في الأقدمين » .

* الدرر : ١٣٣/٤ .

(٢) في الأصل : « وسبع مئة » ، سهو .

** الوافي : ٣١٦/٤ ، والدرر : ١٤٠/٤ ، والبغية : ٢٠٧/١ ، والشذرات : ٢٠/٦ ، وذيول العبر : ٤٧ .

(٣) في الوافي وذيول العبر : « البعلي » .

(٤) توفي نسة (٦٦٦ هـ) ، كما في الإعلام للذهبي : ٢٧٨ .

اليسر ، ومن بعدهم . وعني بالرواية ، وحصّل الأصول . وجمع وخرّج ، وأتقن الفقه ، وبرع في العربية ، وصنف شرحاً كبيراً (للجرجانية)[١] ، وجوّده ، وأخذ عن ابن مالك ولازمه .

وحدث بدمشق وطرابلس وبعلبك ، وتخرج به جماعة ، وكان إماماً[٢] متواضعاً متزهداً ، ريِّض الأخلاق حَسَن الشمائل على الإطلاق ، جيّد الخبرة بألفاظ الحديث ، مشاركاً في رجاله أهل القديم والحديث .

ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى القاهرة ، وانتقل منها إلى الآخرة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمنصورية ليلة السبت ثامن عشر المحرم سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بمقبرة عبد الغني .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

وكان قد توّجه من دمشق إلى القدس ، ومن هناك توجه إلى الديار المصرية ، فمرض[٣] أياماً يسيرة ، ومات رحمه الله تعالى .

١٧١٣ ـ محمّد بن فضل الله*

القاضي بدر الدين الموقع ، أحد الإخوة ، شرف الدين عبد الوهاب ومحيي الدين يحيى .

كان قد أسره التتار في أيّام غازان ، ودخل معهم البلاد ، ومنَّ الله عليه بالخلاص من أسرهم ، ووصل إلى دمشق في يوم الأربعاء ثالث عشري جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة .

(١) وهي كتاب الجمل في النحو ، للإمام عبد القاهر الجرجاني . انظر : الكشف : ٦٠٣/١ .

(٢) (س) والوافي : « إماماً متعبداً » .

(٣) في (س) : « فمرض بها » .

* الوافي : ٣٢٨/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٧ ، والدرر : ١٣٧/٤ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وروى لنا (الأربعين الثقفيّة) عن العراقي بإجازته من السِّلفي ، وسمع أيضاً من فرج الحبشي والشرف الإربلي . وكان ليّن الكلمة ، لطيف الجانب ، من أعيان الكُتّاب المتصرّفين .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع جمادى الأولى سنة ست وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وست مئة بطبريّة .

١٧١٤ ـ محمّد بن فضل الله*

القاضي الكبير الرئيس الشهير فخر الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية .

كان عند أستاذه وجيهاً إلى الغاية ، ومكيناً من خاطره إلى النهاية ، لا يمكّن السلطان في الغالب من فعل ما يريد ، ولا يدع أحداً يجتمع به من أهل السّر السرّيد[١] ، ومن اجتمع به بغير علمه راحت روحه ، وأثخنت جروحه ، فكان للناس رحمة ، وبه كانت كلُّ بيضاء شحمة[٢] ، والناس في أمان على أموالهم وأرواحهم ، وسَمَات القبول والإقبال تهبّ عليهم في غُدوّهم ورواحهم ، نَصَل[٣] عنده خضاب ابن حنّا[٤] ، والوزيرُ الفائزي مافاز مثله بما تمنّى ، وابن السَلعوس مابلغ وجاهته ، ولا رأى طول مدته ولا حصّل تفرّجه ونزاهته :

جمال وزارة وشهاب دَسْتٍ وسائس دولةٍ وسعيد قال

---

* الوافي : ٣٣٥/٤ ، والبداية والنهاية : ١٥٩/١٤ ، والدرر : ١٣٨/٤ ، وذيول العبر : ١٧٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٥/٩ .

(١) في الأصل : « الشريد » ، وأثبتنا ما في (س) . والسريد : الأشقى .

(٢) يشير إلى المثل : ما كلّ سوداء تمرة ، ولا كلّ بيضاء شحمة .

(٣) نصل ، أي : زال وسقط .

(٤) أحمد بن محمد بن محمد ، سلفت ترجمته في موضعها .

تحمّـــل للممالـــــك كلَّ عبءٍ فقـــام لـــه قـــدَم الكمـــال[١]
فـأخْصَبَتِ الممالـك بعـد جـدبٍ وأنشطت الممالـــك من عقـــال[٢]
فـــإن يـــك آخر الـوزراء عصراً فقـــد خُتمت بـــه الرتبُ العـوالي
ومـــا برح الحيـــا قطراً ووبـــلاً أواخرُه تنيف على الأوالي

ولم يزل في نصرة مظلوم وإنالة محروم ، إلى أن حوّمت عليه المنية ، وعَظُمت فيه الزريّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في نصف شهر رجب [سنة][٣] اثنتين وثلاثين وسبع مئة . وكان عمره ثلاثاً وسبعين[٤] سنة .

وكان قد سمع من الأبرقوهي[٥] ، وانتفع [به][٦] خلق كثير في الدولة الناصرية من الأمراء والنوّاب والعلماء والقضاة[٧] والفقراء والأجناد وغيرهم من أهل الشام ومصر لوجاهته عند مخدومه ، وإقدامه عليه ، لم يكن لأحد من الترك ولا من المتعمّمين مثل إقدامه عليه .

حكى لي القاضي عماد الدين بن القيسراني أنه قال له يوم خدمة ونحن جلوس في دار العدل : يا فخر الدين تلك القضية طلعت فاشُوْش . فقال[٨] : ما قلت لك إنها

---

(١) في الأصل : « غبّ » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « وأنشطت المكارم » .
(٣) زيادة من (س) .
(٤) في الأصل : « سبعاً وثلاثين » سهو ، وأثبتنا ما في (س) وذيول العبر . وفي الدرر أنّ ولادته سنة (٦٥٩هـ) .
(٥) في الأصل : « ابن الأبرقوهي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) زيادة من (س) .
(٧) في (س) : « والقضاة والصلحاء والفقراء » .
(٨) عبارة الوافي : « فقال له » .

عجوز نحس وتكذب . قال عماد الدين : يريد بذلك بنت كوكاي زوج السلطان ، لأنها كانت ادّعت أنها حُبلى .

وأمّا أنا فسمعت السلطان الملك الناصر يقول يوماً في خانقاه سِرياقوس لجندي وقف بين يديه يطلب إقطاعاً : لا تطوّل ، والله لو أنك ابن قلاوون ما أعطاك القاضي فخر الدين خبزاً يعمل أكثر من ثلاثة آلاف درهم[١] .

وكان قد غضب عليه في وقت عندما حضر من الكرك في المرة الثانية ، وطلب القاضي قطب الدين ابن شيخ السلامية من الشام ، وولاّه مكانه ، وأخذ منه أربع مئة ألف درهم ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فأفرج عنه ، وأعيد إلى نظر الجيش شريكاً لقطب الدين في جمادى الأولى من السنة المذكورة . ولّما رضي بعد قليل عليه أمر بإعادتها عليه ، قال[٢] : يا خوند أنا خرجت عنها لك ، فابنِ[٣] بها جامعاً ، فبنى بها الجامع الذي في موردة الحَلفاء[٤] .

وكان في آخر عمره يباشر بلا معلوم ، وأعرض عن الجميع ، وترك الكُماجة الحمراء تحضر إليه من المخابز السلطانية ، ويقول : أتبّرك بها .

وحكي عنه أنه من يوم إسلامه تسمّى[٥] بمحمد ، وأعرض عن النصارى جملة كافية ، فلا يقربه نصراني ولا تحوي داره نصرانياً .

وحكى لي شيخنا الحافظ فتح الدين قال : قال القاضي شرف الدين بن زنبور ـ وكان خال القاضي فخر الدين هذا : ابنُ أختي عمره مُتعبّد متألّه لأننا كنّا[٦] نجتمع على

(١) ذكره في النجوم الزاهرة عن الصفدي .
(٢) (س) : « فقال له » .
(٣) في (س) والوافي : « فابن لك » .
(٤) (س) : « الخلفاء » ، تصحيف .
(٥) (س) : « ومن حين إسلامه تسمّى » .
(٦) في النجوم الزاهرة : « لما كنا » .

الشراب في ذلك الدِّين ، فيتركنا وينصرف ونفتقده إذا طالت غيبتُه ، فنجده واقفاً يصلّي ، ولمّا ألزموه بالإسلام امتنع ، وهمّ بقتل نفسه بالسيف ، وتغيَّب أياماً ، ثم إنه أسلم وحَسُن إسلامه إلى الغاية .

وحجّ غير مرة ، وزار القدس غير مرة ، وفي بعض المرات أحرم من القدس ، وتوجّه إلى مكة مُحرماً من هناك ، وبنى مساجد كثيرة بالديار المصرية وعمّر أحواضاً كثيرة في الطرق ، وبنى بنابلس مدرسة ، وبنى بالرملة بيمارستاناً ، وأكثر[١] من أفعال البر .

وقال لي القاضي شهاب الدين : إنه كان حنفي المذهب .

وكان إذا خدَمه الإنسان في العُمر مرة واحدة كفاه مؤونة أمره ، وصحبه إلى آخر الدهر ، وقضى أشغاله[٢] ، ونقله إلى وظائف أكبر[٣] مما في يده ، فكانت[٤] فيه عصبيّة شديدة لأصحابه . وقيل : إنه كان يتصدق[٥] في كل شهر بثلاثة آلاف درهم .

وكان في أول أمره كاتب المماليك إلى أن توفي القاضي بهاء الدين بن الحلي ، فولاه السلطان مكانه في نظر الجيوش ، وكان الأمير سيف الدين أرغون النائب يكرهه كثيراً ، وإذا قعد للحكم أعرض عنه ، وأدار كتفه إليه ، ولم يزل فخر الدين يعمل عليه إلى أن توجَّه[٦] إلى الحجاز ، فقيل : إنه أتى يوماً بذكره ، وقال له : يا خُوند ، ما يقتل الملوكَ إلا نوّابهم ، هذا بيْدَرا قتل أخاك الأشرف ، ولاجين قُتِل بسبب نائبه منكوتمر ، فتخيّل السلطان من أرغون ، ولمّا جاء من الحجاز جهزه إلى حلب نائباً . وهو الذي حسّن

(١) (س) والوافي : « وكثّر » .
(٢) (س) : « شغله » .
(٣) في الأصل : « أكثر » ، وأثبتنا مافي (س) .
(٤) (س) والوافي : « وكانت » .
(٥) في (س) والوافي : « .. كان في آخر مرة يتصدق » .
(٦) عبارة الوافي : « إلى أن توجّه أرغون » .

للسلطان أن لا يكون له وزير بعد الجمالي ، ولذلك بقيت أمور المملكة ترجع إليه ، وهي متعلقة به من الجيش والأموال والعزل والولاية .

وسمعت أنا من قرمان[١] شخص كان كاتباً بصفد ، أنه جاء مرة إلى القدس وكتب هناك وتوجه إلى « قمامة »[٢] ، وكنتُ خلفه ، وهو لا يراني ، وهو يمشي وينظر إلى تلك الآثار والمعابد ، ويقول : ﴿ رَبَّنا لاَ تُزِغ قُلُوبنَا بَعدَ إذْ هَدَيتَنَا ﴾[٣] .

وعلى الجملة فكان للزمان جمال ورَوْنق ، ولمّا قيل للسلطان إنه مات لعنه وسبّه ، وقال : له خمس عشرة سنة ما يدعني أعمل ما أريد . ومن بعده تسلّط السلطان على الناس ، وصادر وعاقب وتجرأ على كل شيء . وأوصى عند موته للسلطان بأربع مئة ألف درهم ، فأخذ منه ما يزيد على الألف ألف درهم .

وكتب إليه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ما أنشدنيه إجازة :

في دعاء الإله في كلّ عام ... لك فخر تسمو به في الأنامِ
وحجيج البيت المُحرَّم أنّى ... شئته من أسنى المزايا الجسام
كلّ حول تعود عن كعبة الله ... نَ نقيّاً من سائر الآثام
عارياً من ملابس الذنب قدما ... رافلاً في حُلى القبول الوشام[٤]
مع ما تبتنيه ثمّ من الطا ... عات ما بين زمزم والمقام
قد ألفْت السّرى فلو رمت في اليقـ ... ـظة مثوىً لسرت في الأحلام[٥]
هو يتك المشاعر الزهر تختا ... ل بها في ملابس الإحرام
فهي تشتاقك اشتياقك إيّا ... ها فسيّان أنتما في الغَرامِ[٦]

(١) في الوافي : « قزمان » .
(٢) هي كنيسة القيامة اليوم في القدس .
(٣) آل عمران : ٨/٣ .
(٤) جمع وشم ، وهو غرز الإبرة في البدن .
(٥) في الأصل : « ألقت » ، وقد طمست في (س) .
(٦) (س) : « اشتياقك معناها » .

لـك وجـدّ بـالبيت والعروة الوثـ ـقى ولا وجَـد عُروة بن حـزام
فجـزاك الإلـه عن سعيـك المبـ ـرور خيراً جمّـاً عن الإسـلام
فلكم قـد سهرت في حَرَم الهـا دي عليـه السلام ليـل التّمـام
في حمى لـو يُسعي إليـه على الرا س لقـدّمتـه على الأقـدام
حيث تُغني عبـارةُ العبرات البـ ـكم في الشـوق عن فصيـح الكـلام
وتُراح الشكـوى ويستطر البُرْ ر ويعنى العانية ويُروى الظامي[1]
وتجـازى عَنْ بـذلـك الرِّفـدَ للوفـ ـد وإكرامهم جـزاء الكرام
وإذا عـدت عنـه عـدت خفيف الـ ـحـاد إلاّ من الأجـور العظـام
فلـك الله حـافـظٌ ومثيب ومعين في رحلـة ومقـام
ومجـازٍ بـالعـز في دار دنيـا ك وعـز الأخرى بـدار السـلام

١٧١٥ ـ محمد بن فضل الله بن أبي الخير*

ابن غالي ، الوزير الكبير غياث الدين خواجا ابن الوزير رشيد الدولة الهمذاني .

كان من أجمل النـاس صـورة ، وصفـاتُ الخير فيـه محصـورة ، والمحاسن على ذاتـه مقصُورة ، لم يَنَلْ أحد رتبته في الممالك القانيّة ، ولا وصل إلى محَلّه من قلب مخـدومـه في تدبير الأمور السلطانية ، وكان لـه عقلٌ وافر ، وذهنٌ في تـدبير الأمور متضـافر ، وفكرٌ صُبح عقباه إلى النجـاة والنجـاح سـافر ، داهيَـة ذا غَوْر[2] ، يتطور في بلوغ مقـاصـده طوراً بعد طور ، مع حسن إسلام وكرم يخجل منـه الغمام ، ويسجع[3] بوصفـه الحمام ، أثَّر الآثار الجميلة ، وخرّب كنائس بغداد ، وجعلهـا دِمنَـة ، والعيون من أهلهـا كليلـة .

---

(١) (س) : « العافي » .
* الوافي : ٣٢٩/٤ ، والدرر : ١٣٥/٤ .
(٢) في الأصل : « ذا وعور » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في الأصل : « وسجع » ، وأثبتنا ما في (س) .

وهو كان السبب في صلح الإسلام مع التتار ، وبه صارت سُنَّة باقية إن شاء الله إلى يوم تُكشف فيه الأستار :

هو العارض الثَجَّاجُ أخضل جَوْدُه وطارت حواشي برقه فتلهَّبا
إذا ما تلقَّى في الوغى أصعق العدى وإن فاض في أكرومة غمر الرُبا

ولم يزل على حاله إلى أن توفي بوسعيد رحمه الله تعالى ، فأخذ سعدُهُ ، وما طال بعدَه أمرُه إلى أن سكن لَحْدَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكان هذا الوزير غياث الدين قد وُلد في الإسلام ، ولّما نُكب والده وقتل سَلِمَ هو ، وقد تقدم ذكر والده في حرف الفاء مكانه ، واشتغل مُدَّة ، وصحب أهل الخير . ولما توفي الوزير علي شاه[١] طلبه السلطان بوسعيد ، وفوَّض إليه الوزارة ، ومكَّنه وردّ الأمور إليه ، وألقى إليه مقاليد الممالك ، وحصل له من الارتقاء والملك ما لم [يبلغه][٢] وزيرٌ غيرهُ في هذه الأزمان ، وكانت رتبته من رتبة[٣] نظام الملك .

وكان جميل الصورة ، وأمّه تركيّة ، وله عقل ودهاء وغَوْر ، وكان خيراً من والده ، خرّب كنائس بغداد ، وردّ أمر المواريث إلى مذهب أبي حنيفة ، فورّث ذوي الأرحام ، وكان إليه توليّة نيابة الممالك وعزْلهم لا يخالفه القان في ذلك . وخدم السلطان الملك الناصر محمداً صاحب مصر كثيراً ، وراعى مصالحه وحقن دماء الإسلام ، وقرر الصلح ، ومشّى الأمور على أجمل ما يكون .

ولّما توفي القان بوسعيد رحمه الله تعالى نهض الوزير غياث الدين إلى شابّ من

---

(١) سلفت ترجمته .
(٢) زيادة من (س) والوافي .
(٣) في (س) والوافي : « من نوع رتبة .

بقايا النسل يُقال له : « أربكوون » وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ، فسلطنه ، وأخذ له البيعة على الأمراء واستوسق له الأمر ، فخرج عليهما علي باشا خال بوسعيد وابن بَيدو فانْفَلّ الجمع ، وقُتل أرباكوون والوزير في التاريخ المذكور .

١٧١٦ ـ محمّد بن فضل [الله] بن أبي نصر*

ابن أبي الرضا السديد المعروف بابن كاتب المرج .

قرأ النحو والأدب والأصول على نجم الدين بن الطوفي[١] البغدادي الحنبلي بقوص ، ثم قرأ (التقريب)[٢] على مؤلفه الشيخ[٣] العلامة أثير الدين ، وتأدّب على تاج الدين أبي الفتح محمد بن الدّشناوي ، والأمير مجير الدين عمر بن اللّمطي ، وشرف الدين محمد النصيبي بقوص ، وغيرهم .

أديب كامل ، ولبَيَبٌ لأنواع اللطف شامل ، كأنّما خلق من نسمات السحر ، أو تكوّن من شمائل أغيد إن نطق سلب ، وإن رنا[٤] سحر . حَسن الصورة ، عليه ملامح الجمال مقصورة ، مع فصاحة لسان وسماحة بنان[٥] ، وحسن كتابة ، وكثرة وقوع على الإصابة ، وصدق لهجة ، وسَيْر سيرة سلك فيها[٦] أوضح محجة ، ونظم ما للسراج معه إضاءة ، ولا للجزار به لحاق ، ولو قطع أعضاءه ، ولا للبوصيري ولو صار في سكّر دانه

---

* الوافي : ٣٢٩/٤ ، والطالع السعيد : ٦٠٢ ، والدرر : ١٣٥/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (خ) ، (س) ومصادر ترجمته .

(١) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري (ت٧١٦ هـ) . (ذيول العبر : ٨٨) .

(٢) هو تقريب للقرّب ، وللقرّب كتاب في النحو لابن عصفور .

(٣) (س) : « شيخنا » كما في الطالع .

(٤) (س) ، (خ) : « أو رنا » .

(٥) في (س) ، (خ) زيادة : « وإحسان » .

(٦) (س) ، (خ) : « منها » .

صِيرا[١] ، ولا للنصير الحمّامي ولو كان ابن النقيب له نصيراً ، وهيهات ، هذا في علوٍّ ورفعة ، يضيء وأين النجم ممّن يحاوله .

ولم يزل في بلاد الصعيد يتنقل ، ويقرع هضبات الولايات ويتوقّل ، إلى أن فُتح سدّ المنايا على ابن السّديد ، وأصبح في الصعيد من تحت الصعيد .

وتوفي رحمه الله تعالى في .....[٢] .

وتقلب في الولايات السلطانية ، وهو في كلها محمود السيرة . وتولى وكالة بيت المال بقوص ، وجلس بالورّاقين بقوص .

وقال الفاضل كمال الدين الأفودي : كان والده قد أعطى في سعة العطاء ما يعزّ الآن وجودُه ، فجازاه الله بما أسلف من خير ، إسلام أبنائه أجمعين ، وهداهم إلى اتّباع سيّد المرسلين ، وانتقلوا من شريعة [عيسى][٣] إلى شريعة محمّد المختار ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[٤] .

وله مشاركة في النحو والأصول والحكمة والطب وغير ذلك ، وجرى على مذهب أهل الآداب في أنهم يستَجْلُون محاسن الشباب ، ويستحلّون التشبب في الشراب[٥] ووصف الحباب . انتهى .

أنشدني من لفظه القاضي صدر الدين سليمان بن داود بن عبد الحق قال : أنشدني من لفظه القاضي سديد الدين ابن كاتب المسرج :

---

(١) الصِّير : الماء .

(٢) كذا بياض في الأصول ، ولم يذكر في الوافي سنة وفاته أيضاً ، ولكن وقع في الدرر ما نصّه : قال الصفدي : مات سنة بضع وأربعين وسبع مئة .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في مصادر ترجمته .

(٤) القصص : ٦٨/٢٨ .

(٥) في الأصل : « السبب » ، وفي (خ) : « السراب » . وأثبتنا ما في (س) والطالع .

تحـــاول عيني جهـــدَهـــا أن تراكمُ ... وكيف وفيهـا للـدموع تراكم ؟! [١]
أيـــا جيرة الـــوادي ولم أدر طيبـــه ... أمِنْ شجرات فيـــه أم من شـــذاكم !
فبـالمسك مـالي حـاجـة إن أتيتكم ... ولا لكم إنْ طيبُ ذكري أتـــــاكم [٢]
ومـــا بي [٢] فقرٌ إن وقفت بـــأرضكم ... لأنّ ثرائي وَقْفَـــــــةٌ في ثراكم [٣]
أسير إليكم والسقـــام مســـايري ... فـإمـا حـمـامي دونكم أو حمـاكم [٤]
وإن فـات تفـديكم من السوء مهجتي ... ومـا مهجتي حتى تكـون فـداكم [٥] ؟!
هـويتكم والنـاس طرّا فمـا الـذي ... خُصصت بـــه حتى ولاء هـواكم [٦]
وفيم يعـــاديني الأنـــام عليكمُ ... وكلهم أحبـــابكم لا عـــداكم
كفـــاني إليكم أن مـــالي وسيلـــة ... ولـــو شئتم أن تحسنـــوا لكفـــاكم
وكان شبـــابي إن غضبتم تجنّبـــاً ... شفيعاً إلى مـا أرتضي من رضـاكم [٧]
وكنت أظن الشيب ينهى عن الهوى ... فلم ينهني عنكم، ولكن نهـــــاكم

قلت : البيت الأول مأخوذ من قول شمس الدين محمد بن العفيف :

في دمـــــــــــع عيني تراكم ... لعلهـــــــــــا أن تراكم

وبه قال : أنشدني لنفسه :

وقـــالـوا: لم صحبت شرار قـــوم ... ولا مـوُني ولـومهم حمـــاقـــةْ
وكيف أميّـــــــز الشرير منهم ... ولم أعرفـــه إلا بـــالصـــداقـــة

(١) في الطالع : « ترى هل لعيني حيلة أن تراكم » .
(٢) في الطالع : « ما لي حيلة » .
(٣) في الأصل و (خ) : « ومالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، والطالع ، وفي الطالع : « إن حللت » .
(٤) في الطالع : « والسقام يقودني » .
(٥) في الطالع : « فإن قلت تفديكم ... فما » .
(٦) في الطالع : « حتى ولا بهواكم » .
(٧) في الطالع : « إلى ما أبتغي » .

قلت : أبو الطيب كان أحكم بقوله[١] :

أخالط نفْسَ المرء من قبلِ جسمه وأعوفها من فعله والتكلم [٢]

وبه قال : أنشدني لنفسه :

ولي في الهوى العذريّ عذرٌ وإنما عذار الذي أهواه لي فيه أعذارُ
أيُحسن أن أسلو وخدّاه جنّة وقد كنتُ لا أسلوهما وهما نارُ

قلت : وقد لهج الناس بهذا المعنى كثيراً ، ومن أحسنه قول ... [٣] وبه قال : أنشدني لنفسه :

أُوْصيكَ يا مُرْتَحلاً بقَلْب مَن قَدْ وَدَّعَك
إن عاشَ أو ماتَ فلا تُفِض عَليهِ أدْمُعَك
وارْدُدْه لِيَ مُصَبّراً فالقلبُ والصَّبرُ مَعَك

ومن شعر ابن كاتب الْمَرج :

إذا حَمَلَتْ طِيْبَ الشَّذا نَسَمَةُ الصَّبا فَذاكَ سَلامي والنَّسيمُ فَمِنْ رُسْلي
وإنْ طَلَعت شمسُ النّهارِ ذَكرتُكُمْ بصالحَةٍ والشيء يُذكَرُ بالمِثلِ [٤]

قلت يريد : « طيب الشذا » : سَلامَه ، والنسيم نفسه رسولٌ ، فلا يُتَوهَّم أن الاثنين واحد ، والثاني والأول مأخوذ من قول :

إذا طلَعت شَمسُ النَّهارِ فَسَلِّمي فآيةُ تَسليمي عليكِ طُلوعُها

---

(١) (س) ، (خ) : « كان أحكم منه لقوله » .
(٢) ديوان المتنبي : ١٣٥/٤ ، وفيه : « أُصادق .. في فِعْله » .
(٣) كذا بياض في الأصول وهو بمقدار بيتين في (س) .
(٤) في الأصل : « وللثل » ، وكذلك في الطالع . وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وسيأتي ما يؤيد هذه الرواية من قول المؤلف . والبيتان في الطالع السعيد .

وقولُه : « والشيءُ يذكر بالمثل » أصلُ الْمَثَل : والشيء بالشيء يُذكرُ . ولو قال : والمثلُ يُذْكَرُ بالمثل [لكان أحسن][(١)] .

ومنه :

أقولُ لِجُنحِ الليلِ لا تَحْكِ شَعر مَنْ ... هَويت وهذا القولُ من جهَتي نُصْحُ
فقَد رامَ ضوءُ الصُّبحِ يَحكي جبينَهُ ... مِراراً فَما حاكاهُ وافتَضَحَ الصُّبْحُ[(٢)]

ومنه :

بَرقٌ بَدا مِنْ دارِ عَلوَهْ ... أوْ قَلبُ صَبٍّ صارَ جذْوَه
فيها قلوبُ العَاشقيـ ... نَ تَضَرَّمَتْ صَدّاً وجَفوَه
إنّي اجْتَهدتُ فصرتُ في العُشْـ ... ـشَاقِ قُدْوَةَ كلِّ قُدْوَه
لو أنَّ قَيساً مُدْرِكي ... لَمَشى على نَهْجي وعُروَه
لا عَيشَ مِنْ بعدِ الصّبا ... يَحْلو سِوَى بجنون صَبوَه
بُهَفْهَف يسبي العُقو ... لَ كأنَّ في جَفنَيْه قَهْوَه
أبَداً قَضيبُ القدّ منـ ... ـه يَميلُ مِنْ لِينٍ ونَشوَه[(٣)]
قَد أسْكَرَتْ رشَفاتُه ... لكِنَّها كالشَّهْدِ حُلْوَه

ومنه :

وَرِد الكاسَ فَهيَ نارٌ إذا كا ... نَ وَلا بُدَّ مِن دُخولِ النّارِ[(٤)]
وتَحَدَّ الذينَ لم يَرِدوها ... بِضُروبٍ مِن مُعجِزاتِ الكِبارِ[(٥)]

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) في (س) ، (خ) : « وانفضح » . والبيتان في الطالع .
(٣) في الأصل : « البان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، والطالع .
(٤) في الأصل : « إذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .
(٥) في الأصول ما عدا الطالع : « وتحدى » ، والصيغة طلب .

فـاجْلُ في اللَّيلِ من سَنـاهـا شُموساً وأدِرْ في النَّهـارِ منهـا الـدَّراري[١]
وأرِ الـــدرّ مَنْ يغـوصُ عَلَيْـــهِ عـائمـاً من حبـابهـا في النَّضـارِ[٢]
إنَّما لَـــذَّةُ الْمُـــدامـــةِ مِلْـــكٌ لـكَ فـاشْرَبْ ومـا سِواهـا عَـواري

قلت : قوله : « وأدِرْ في النَّهار منها الدّراري » استعمل هـذا المعنى مجير الـدِّين بن تميم[٣] أحسن من هذا ، ومن خطِّه نقلت :

أمَـولايَ أشْكُـو إليـكَ الْخُمّـار ومـا فَعَلتـه كـؤوسُ العُقـار
وجَـوْر السُّقـاة التي لم تـزل تريني الكـواكبَ وسـطَ النَّهـار

ومن شعر ابن كاتِب الْمَرج :

لِمَنْ أشْتَكي البَرغوثَ يـا قَـومِ إنَّـهُ أراق دمي ظُلمـاً وأرّق أجفـاني
ومـازال بي كالليث في وَثَبـاتـه إلى أن رَمـاني كالقَتيـل وعرّاني
إذا هـو آذاني صَبَرْتُ تَجَلُّـداً ويَخْرُج عَقْلي حينَ يَـدخـلُ آذاني[٤]

قلت : ذكر أصحـاب الخـواص [أن البرغـوث][٥] إذا دخـلَ في أذن أحـد ووضَـع الإنسانُ يـده على سُرَّتـه أو أصبعـه في سُرَّتـه وقـالَ : « سَبَقْتـك » فـإن البرغوث يخرج منها .

وقال علاء الدِّين الوداعي في البَراغيث ، ومن خطِّه نقلتُ :

بَراغيثُنـــا فيهم جَراءَة فبـالأسْرِ والقَتْـلِ لا يَرْجِعُـونـا

---

(١) الدراري : جمع الكواكب . وفي الطالع : « واجل » .
(٢) (س) : « في حبابه » .
(٣) في (س) ، (خ) : « محمد بن تميم » ، وهو محمد بن يعقوب بن علي (ت ٦٨٤ هـ) ، الوافي : ٢٢٨/٥ .
(٤) الطالع السعيد .
(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

كَثيرو الأســـــاةِ مـــــعَ أنَّهُم قَليـلاً مِنَ اللَّيـلِ مـا يَهْجَعـونـا [١]

ونقلت من خطِّه له مضمِّناً :

بَراغيث تَسري في الظَّـلامِ كأنَّهـــا حَرامِيّـة مِن بيضِهـا يُسْفَـكُ الـدَّمُ
«قَـوارِضُ تَـــأْتيني فَيَحْتَقِرونهـــا وقَـــد يَمـلأ القَطرُ الإنـــاءَ فيُفعَمُ»

ونقلتُ منه أيضاً له :

بَراغيث فيهـــا كَثرَة فكأنَّهـــا عَلينـــا مِنَ الآكامِ يَحتَفِرونهـــا [٢]
تَقـولـون لي صِفْهـا فقلتُ أُعينكُم «قَـوارِضُ تَـــأْتيني فيحتَقِرونهـــا»

وما أحسن قول الصّاحب جمال الدِّين بن مطروح :

رُبَّ بَرْغـوث ليلـــةٍ بِتُّ منـــه وفـــؤادي في قَبضَـــةِ التِّسعين
أمكَنتْ قبضـــة الثّـلاثين منـــه فسقتُـــــــه الحِمامَ في سَبعين

وقال آخر :

للبَراغيث صـــارَ جسمي مَقيـلاً ففـــؤادي من شَرِّهم في عَـــذاب
طَفَـــحَ السُّكرُ والشَّرابُ عليهم فتَقـــايَـوا دَمي على أثـوابي [٣]

ومن شعر ابن كاتب المرج :

أمـــا وطيبِ عَشيّـــاتٍ وأسحـــارِ مِن بعـــدِهـــا أفَلَتْ شَمسي وأقْماري
بهـــا أذَكِّرُ دَهْري كي يَجـودَ بهـــا فـــلا يَجـودُ ولا يَـــأْتي بـــأعـــذار
لـوأنَّ تِلـكَ مِنَ الأيّـامِ عُـدْتَ بهـا أو اللَّيـــالي ولم تَحْتَـجْ لِتِـــذْكارِ [٤]

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ كانوا قَليلاً مِنَ اللَّيلِ ما يَهْجَعونَ ﴾ . [الذّاريات : ١٧/٥١] .
(٢) في الأصل : « يحتقرونها » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٣) تقايوا : من القيء .
(٤) في الأصل : « من الآثار ... أو لليالي ... ولا تحتج » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .

لله لَيـلاتهـا البيض القِصـار فكَمْ سَطَـوتُ منهـا على دهري ببتّـار[١]
أنكرتُ إفْشـاءَ سِرٍّ كُنتُ أكتُمُـه فيهـا ولكِنَّني أنكَرتُ إنكاري[٢]
يـا للعجـائب ليـل مـا هَجَعْتُ بـهِ لِنُـورِه كَيفَ تُخْفَى فيـهِ أسراري[٣]
إنِ الضَّنى عَن جميعِ النّـاسِ مَيَّـزني فكانَ علّـةَ إخفـائي وإظهـاري[٤]
فـلا تَقـولـوا إذا اسْتَبطَـأتُم خَبَري أمَـا النَّسيمُ عليـهِ سـائرِ سـاري
فَلـو يَمرُّ نَسيمٌ بي لَسـارَ إلى مَغنـاكُم بي كما يَسْري بـإخْبـاري

ومن نظم ابن كاتب الْمَرْج موشح كتبَ به إلى كمال الدِّين الأدفوي[٥] :

لي[٦] مَرْبعٌ قَـد خَـلا مِن أهلِه في السَّبْسَب: عَمْـران
فـإنْ يَكُن أمْحَـلا فَمَـدْمَعي كالسَّحْب: هتّـانُ
سَرَوا فَطـابَ النَّسيمْ[٧] وكلّ وادٍ عـاطِرُ
ولي فـؤادٌ يَهيمْ بـالعِشْقِ وهـو شـاعِرُ
حَكَـوْا ظِبـاءَ الصَّريمْ[٨] لَـوْصِيـد مِنهم نـافِرُ
حَـذِرتُ أنْ لا يريمْ فَرامَ مـا أُحـاذِرُ
فـإن سَرى في بَهيمْ[٩] ليـل فبَـدرٌ سـافِرُ
وإن يَسْرِ عَجِـلا فـالظَّبيُ عنـدَ الهرب عجـلان

(١) في الأصل : « بنتار » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .
(٢) في الأصل : « إنشاء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (خ) : « بنوره » .
(٤) (خ) : « الصبا » .
(٥) الطالع السعيد : ٦٠٩ .
(٦) (س) والوافي : « بي » .
(٧) (س) والوافي والطالع : « الشميم » .
(٨) الصريم : القطعة من معظم الرمل .
(٩) في الوافي : « فإنَّ سرّي » . وفي الطالع : « فإنْ سَرَى » .

أو حـلَّ وسـط الفـلا فقـومـــه من عَربٍ غـزلان
يقـــولُ خـــلٌّ انطِـــلاقْ الـــدَّمـع قَصـــد السُّمْعَـــةِ
فَما لأهـــلِ النِّفـــاقْ ووَجنـــةٍ كالْجَنَّـــةِ
فقلتُ دَمـــــعٌ يُراقْ هَـــل ردُّهُ في الحِيلـــةِ
كُلِّفْتُ مـــا لا يُطـــاقْ في شِرَعـــةِ الْمَحبَّـــةِ
ولا وَعَـــدتُ العنـــاقْ وقَهـــوة الرِّيـــق التي

من حاسديها الطَّلا وحسن نَظمِ الْحَبَب خَجْلان
لا لَغْوَ فيهـــا ولا[1] يحرسُهـــا من شَنب[2] رضـوان
لَيست كراحٍ يُطـــافْ بهـــا حَرامـــاً لا حَـــلال
تَـــدُقُّ عِنـــدَ اختِطـــافْ عُقـــولَ قـــومٍ كالجبـــالِ
كَم أمَّنَتْ من[3] يخـــاف إمّـــا بحـــقٍّ أو مُحـــالِ
وهـــوَّنَتْ مِن تَـــلافِ عِرضٍ ودينٍ بعـــدَ مـــالِ
فَـــدَع كُـــؤوسَ السُّـــلاّفِ واستَجْـلِ أوصـــافَ الكمـــالِ
فـــإنَّما يُجْتَلى على الكِرامِ النُّجُبِ إحسـان
مَن عِنـــدَه بـــالغَـلا يُستعبَـــد الحرّ الأبي إيمـــان
أثنَت علَيـــه العِـــدا وعَـــدَّدت مـــآثِرَه
مَركَـــز بَـــذلِ الجـــدى ومَن سِـــواهُ الـــدائرَه
بـــلا حُروفِ النّـــدا لبَّت لَهـــاهُ[4] الغـــامِره
أسلَفَ كـــلاً[5] يَـــداً حتّى السَّحـــابَ الهـــامِرَه

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لا لَغْوٌ فيها ولا تَأْثِيمٌ ﴾ [الطُّور : ٢٣/٥٢] .
(٢) في الأصل : « سبب » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي ،لاالطالع .
(٣) (س) : « ممّن » .
(٤) في الوافي : « لهاة » .
(٥) (س) : « كلّ » .

وقـــد مَـلا بـــالنَّـــدا كلَّ بقـــاع القـــاهِرَه
حتّى رأينـــا الْمَـلا لِفَضلـــه والأدَب قَـدْ دانوا
إذْ هُم رَعـايـا العُـلا وجَعْفَر بنُ[1] تَغْلِب سلطـان
منـــهُ يُفـــادُ[2] الكـــلامْ فمـــا يقـــولُ النّـــاظِمْ
في العِلم حَبْر[3] إمـــام وفي السَّخـــاء حـــاتِمْ
فيَـــا أبـــا الفَضـــلِ دامْ لِي ببَقـــاكَ العـــالَمْ
فـــأنتَ عينُ الأنـــامْ يَقْظى وكلٌّ نـــائمْ
بِـــكَ الجـــدودُ الكِرامْ تسَرُّ حتّى آدَم
أنتَ لمن قَـــد تَـــلا على صَمِيمِ النَّسَب عنـــوان
يـــا آخِراً وأوّلاً كأنَّـــهُ في الكُتُب قُـرآن
وغـــادةٌ تَنْجَلي فينجَلي القلبَ الْحَـــزينْ
بهـــا تُحَلَّى الْحُلي ويُسْحَر السِّحر المبينْ
قلتُ لهـــا والخلي لم يَـدرِ مـا الـدّاءُ الـدَّفينْ
بـــاللهِ مَنْ يَنْطَلي عَليـــك أو تـــألَفينْ
ابنَ عَلِي بَعلي قـــالت نعم يـــا مُسْلِمين
لـــولا عَلِيَّ انطَـــلا تركتُ أُمّي وأبي من شـــانـــو
كفـــايـــة الله البـــلا[4] يَبيت سوى ذا[5] الصَّبّ في أحضـــانـــو

ومن موشحاته أيضاً :

---

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « فغاد » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي . وفي الطالع : « يعاد » .
(٣) في الأصل : « خير » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي ، والطالع .
(٤) في الطالع : « كفاه » .
(٥) في الوافي : « وذا » .

أفتِـــكْ بنـــا في السَّقَم والهمّ كلّ فَتْـــــكِ
بِخَمرَة كالعَنْـــــدَمِ أو مَرشَف بن تُرْكي
فلَـونُهـــا لَـوْنُ الـــدَّمِ والرِّيـــح ريـــحُ المِسْـــكِ
كم صَيَّرت[1] ذا ألَم مِن كَـــدَرٍ وضَنـــكِ
والعَيش منـــهُ يَصفـو والطَّيش يُسْتَخفُّ وللسّرور زَحْف
منـــهُ الهُمـــوم تهربُ ولـــــو أتَتْ في ألْفِ

ومنه في الخرجَة :

يـــا مَرحَبـــاً بـــالغـــائِبِ إذ جـــــاءَ في العِـــــذارِ
يُـــزْري بكُـــلِّ كاعِبِ تَـــــزورُ في الإزارِ
فَلَم أكُن بخـــــائِبِ عليـــــهِ في انتظـــــارِ
ولم أقُـــلْ كالعـــــاتِبِ أبْطَـــأتَ في مَـــزاري
إلاّ التَفَتْ لَخَلْفُـــو وقـــالَ يُشيرُ بكَفّـــو وحاجبُو لردفو
هذا الثَّقيل حَقّاً اعتبوا[2] على انقطـــاعـــو خلفي

١٧١٧ ـ محمد بن أبي القاسم بن جميل*

الشيخ الإمام العالم الفاضل المفتي شمس الدِّين أبو عبد الله الرّبعي المالكي التونسي .

سَمع بدمشق سنة ثلاث وسبعين وست مئة وبعدها من ابن جعوان ، والحارثي ، وغيرهما ، وحدَّث ، وكان من الفضلاء المشهورين . وولِيَ القَضاء بالإسكندريّة مدّة .

---

(١) في الوافي : « صبَّرت » .

(٢) في الطالع سقطت كلمة « حقاً » .

* الدُّرر : ١٤٩/٤ ، وذيول العبر : ٨٤ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشري صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة .

وكان فاضلاً في فنون[١] النحو والأصول ، واللغة ، ودرَّسَ وأفتى وصَنَّف واختصر (تفسير ابن الْخَطيب)[٢] ، ودرَّسَ بالمنكوتمريّة ، وناب في الحكم بالْحُسَينية ، ولم تحمَد سيرته في الإسكندريّة .

قال كمال الدِّين الأدفوي : ذكروا عنه أنه كان يأخذ الدراهِمَ في قضاء الحاجات ويقولُ : أنا أعرف كيف آخذ . وتُكلِّم فيه وصُرِف[٣] ، وكان قبل القَضاء يُظنُّ به الخير ، وكانت [دروسه][٤] فصيحة في غايَة الجودة ، وكان إماماً بالمدرسة الصّالحية في إيوان المالكيّة .

١٧١٨ ـ محمد بن أبي القاسم بن محمد*

ابن يوسُف بن مُحَمَّد بن يوسُف بن محمد ، بهاء[٥] الدِّين أبو الفضل ابن شيخنا علم الدِّين البرزالي .

قال شيخنا والده : ختم القرآن العَظيم في السَّنَة الثامنة ، وصَلَّى به التّراويح سنتين ، وجَوَّد قراءته ، وقرأ بالسَّبع[٦] ، وحَفظ (الشّاطبية) و (الرّائية) وكتاب (التنبيه) في الفقه و (الجرجانيّة) و (مختصر النووي) في علوم الحديث . ولازم

(١) (س) : « فنون من » .
(٢) هو الخطيب التبريزي . انظر : الكشف ٤٤٦/١ .
(٣) (س) : « ... وأتكلم فيه ، فصرف » .
(٤) زيادة من (س) والدُّرر .
* الوافي : ٣٥٢/٤ ، والدُّرر : ١٤٢/٤ .
(٥) في الأصل : « ابن بهاء » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .
(٦) (س) : « وقرأه بالروايات السبع » .

زكيّ الدِّين زكَريّا مدَّة سنتين ، وقرأ الفقه عليه ، ولازم كمالَ الدِّين بن قاضي شهبَة مدّة وقرأ عليه في النَّحو ، وجوَّد الخط مُدَّة على الشِّهاب غازي ، ثم بعده على النجم الكاتب . وجاد خطُّه ونَسخ (الشّاطبيّة) وقطْعَةً من أول (تفسير البغوي) إلى قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبولٍ حَسَنٍ ﴾[1] ، و (علوم الحديث) للنووي . وسَمع على خلق كثير عدّتهم تسع مئة شيخ وسَبع من الرِّجال والنِّساء . وزار بيت المقدس ، وحجَّ مع والده سنة عشر وسبع مئة ، وسَمع بالحرمَيْن ، وتزوَّج بعد ذلك .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - ليلة السَّبت ثامن شهر الله المحرَّم سنة ثلاث عشرة وسَبع مئة ، ودُفِن بتربتهم بمقبرة الباب الشرقي .

ومولده العشرون من الْمُحرّم سَنة خمس وتسعين وست مئة ، عاش ثماني عشرة سنة .

١٧١٩ - محمد بن قايماز بن عبد الله*

الشيخ الصالح المسند شمسُ الدِّين ابن الصّارم .

شيخٌ مبارك قرأ القراءات السَّبعة على السّخاوي ، وسمعَ من ابن الزبيدي ، وابن اللَّتي ، وابن صباح ، والفخر الإربلي ، وغيرهم . وتفرَّد بالسَّماع من ابن ماسويه المقرئ ومُحَمَّد بن نصر بن ناصر بن قوام الرّصافي[2] ، وحدَّث بـ (صحيح البخاري) كاملاً عن ابن الزُّبيدي بسنده ، قال شيخنا البرزالي : قرأته عليه .

توفِّي - رحمه الله تعالى - في سابع عشري ذي الحجّة في أوائل[3] سنة اثنتين وسبع مئة .

---

(١) سورة آل عمران : ٣٧/٣ .

* الدُّرر : ١٤٣/٤ ، وذيول العبر : ٢٢ ، والشّذرات : ٧/٦ .

(٢) كنا ، وفي الشّذرات ٤٣٠/٥ : « أبو محمد عبد الله بن محمد بن نصر بن قوام بن وهب الرصافي ثم الدمشقي ، توفِّي سنة (٦٩٥ هـ) ، وعاش ثمانين سنة » .

(٣) ليست في (س) .

ومولده سنة عشرين وست مئة بدمشق . وكان أبوه طحاناً بدمشق .

١٧٢٠ ـ محمد بن قطلوبك بن قراسُنقر*

الأمير الكبير بدر الدِّين ابن الأمير الكبير سَيف الدِّين المعروف بابن الجاشنكير .

كان شابّاً ظريفاً لطيفاً ، تأمَّر بعد والده وتَقَرَّب بالخدمة إلى الأمير سَيف الدِّين تنكز ، فولاّه ولاية البَرّ في ثامن عشر شوال سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ولبسَ تَشْريفة ، وباشر الوظيفة وكان عنده مكرَّماً معظَّماً .

ثم إنه في أيّام الأمير علاء الدِّين ألطنبغا حَصَّل تَقْدِمَة ، وتوجَّه إلى باب السُّلطان وكاتب بجملة ، وسعى في الحجوبيّة ، فرسَمَ له بها ، وكان في نفسه منها أمر عظيم ، وحضر إلى دمشق مريضاً .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يومَ الأضحى سَنة إحدى وأربعين وسبع مئة ولم يُباشر الوظيفة ، ولعله كان لم يصل إلى الأربعين ، وأظنّه تولَّى نيابَة جعبر في أيام الأمير سيف الدِّين تنكز رحمه الله تعالى .

١٧٢١ ـ مُحَمَّد بن قلاوون**

السُّلطان الأعظم الملك الناصِر ناصِر الدِّين ابن السُّلطان الملك المنصور سَيف الدِّين الصَّالحي .

من أعظم ملوك الأتراك ، ومَن دانت [له الأقدار][1] ودارَت بسُعوده الأفلاك ،

---

* الدُّرر : ١٤٣/٤ .

** الوافي : ٣٥٣/٤ ، وفوات الوفيات : ٣٥/٤ ، والبداية والنهاية : ١٩٠/١٤ ، ووفيات رافع : ١٤٧/١ ، والدُّرر : ١٤٤/٤ ، وبدائع الزهور : ٤٨٢/١/١ ، والشذرات : ١٣٤/٦ .

(١) زيادة من (س) .

لم يرَ الناسُ مثل أيّامه ، ولا أسعَدَ من حَرَكاتِه ، في رَحيلِه ومُقامِه ، تجرَّع في مَبادئ أمره كؤوس الصَّبر ، وتجلَّد إلى أن وَارَى أعاديه القبر[١] .

وَلِيَ الملك ثلاث مرّات ، وخَرجَ إلى الكرك وعادَ إلى مصرَ كَرّات ، وفي الثالثة صَفا لهُ الوَقت ، واختصَّ بالمِقَة مِنْ رَعاياه كما اختصَّ عِداه بالْمَقْتِ ، فحصَد من كان حَسَده ، وأراحَ قلبَهُ وجَسَده ، وخَلَت له الأرض من الْمُعارض ، وأكلتهم القوارع والقوارض ، وضمَّن بعضهم لُحودَ السُّجون ، ووقَعوا من سَطواته في الحدِّ وكانوا يَظُنّون أنه مجنون[٢] ، ولَمّا استوسق له الملك وفاز أولياؤه بالنجاة[٣] ، وحاز أعداؤه الهلك ، صفت له الأيام من الكدر وسابق السَّعد مرادَهُ وبَدَرْ ، وضاق بعدوِّه السَّهل والْجَبل ، وحلَّ به من الخذلان ما لم يكن له به قِبَل :

وقَد سارَ في مَسراهُ قبل رسُولِه ... فَما سارَ إلاَّ فوقَ هامٍ مُفلّقِ
ولَمّا دَنا أخفى علَيه مَكانهُ ... شُعاعُ الحديدِ البارقِ الْمُتألّقِ
وأقبَلَ يَمشي في البِساطِ فَما دَرى ... إلى البحرِ يَمشي أم إلى البَدْرِ يَرتَقي

واقتصَّ بما اغتصّ ، وانفرد بالملك فيما اختَلَّ عليه فما اختص ، وقالت السعود المخبوءة : خُذ ، وقالت الأقدار : تحصَّن بألطاف الله وعُذْ . ودانت له مُلوك الأرض ، وأصبح كلٌّ من مهابته يَرمق العَيش على بَرْض[٤] . وهادنه الفرنج والتَّتار ، وساطَه حتى زنج الليل ورُوم النَّهار ، وأصبح سيفه[٥] :

على عاتِقِ الملكِ الأغرِّ نِجادُهُ ... وفي يَدِ جَبّار السَّمواتِ قائِمُهْ
تُقَبِّلُ أفواهُ الْمُلوكِ بِساطَهُ ... ويَكبُرُ عنها كُمّه وبُراجُمُهْ

(١) في (س) : « في القبر » .
(٢) (س) : « مجون » .
(٣) في الأصل : « النجاة » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) البرض : القليل .
(٥) الأبيات الآتية للمتنبي ، وهي في الديوان على ترتيب يخالف ما ههنا . انظره : ٣٣١/٣ ، وما بعدها .

تحـولُ رِمـاحُ الخـطِّ دونَ محلِّـه ... وتَسْبي لـهُ من كلِّ حيٍّ كَرائِمُـهْ[١]
لـه عَسكرا خَيـلٍ وطَيرٍ إذا رَمى ... بهـا عَسْكراً لم يَبْـقَ إلاّ جَماجِمُـهْ
تُحـارِبُـهُ الأعـداءُ وهِيَ عِبـادُهُ ... وتُـدَّخَرُ الأمـوالُ وهِيَ غَنـائِمُـهْ
ويَسْتَكْبِرونَ الـدَّهْرَ والـدَّهرُ دونَـهُ ... ويَسْتَعظِمونَ الموتَ والموتُ خـادِمُـهْ

وأصبَح النيـل على إثر النيـل ، والخصب يَسير على إثر الخصبْ [ويسيـل][٢] ، ورُخاء الرَّخاء تهبُّ نسيماً ، ووَجه الأمْنِ قد أسفَر وسيماً ، ومُحَيّا[٣] الدَّعَة والسكون عَليه من الإقبال طلاوة وسِيْما ، والغنى أصبَحَ للناس غناءً ، ولكن زيـد يـاء وميماً ، والإنعـامـات تُفاض فتخجل البحار الزَّخّـارة ، وبـدرهـا إذا فُضَّت استَحيـا منهـا البَـدر ، ولم يخرج عن[٤] الدارة ، أغْرَقَ خَواصّه بالجوائز وعمَّهم بالهبات التي يتحدَّث بشأنها على المغـازل الأبكار[٥] والعجائز . لم نسمع لِمَلِك[٦] بمثل عطـايـاه ، ولا لجواد غيره بمـا وَهَبَ حتى أثقل جيـاده وكلَّت مَطاياه :

تَمشي خـزائنُـهُ من جـودِ راحَتِـه ... بَيـــداءَ لا ذَهَبٌ فيهـــا ولا وَرِقُ
وتَحسَبُ الـوَفْرَ غَيْماً والعُـلا أُفُقـــاً ... إذا انْجَلى الغَيمُ أبْـدَى حُلْيَـةُ الأُفُقُ[٧]

ولم يَزل في سعادَة ملكه وريحُ السعود تجري بها مواخر فُلكـه ، إلى أن هلـك عنـه سلطانه[٨] ، وما أغنى عنه أنصاره ولا أعوانه .

---

(١) في الديوان : « دون سباءه » .
(٢) زيادة من (س) .
(٣) في الأصل : « ووجه » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٤) (س) : « من الدارة » .
(٥) (س) : « الأكابر » .
(٦) في (س) زيادة : « لملك قبله » .
(٧) في الأصل : « غُنْماً » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَه ﴾ [سورة الحاقة : ٢٩/٦٩] .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الأربعاء تاسع عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسَبع مئة .

ومولده في صفر أو في ربيع الأول سنة أربع وثمانين وست مئة .

كان والده المنصور إذ ذاك على المرقب[١] محاصراً ، ودُفِنَ ليلة الخميس بالمنصوريّة[٢] . تولَّى دفنه بعد عشاء الآخرة الأمير علم[٣] الدِّين الجاولي ، وكان لَمّا قتل أخوه الأشرف خليل في عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وست مئة وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ من قاتليه وقَّع الاتفاقُ بعد قتلةٍ بيَدرا على أن يكون الملك الناصر مُحَمَّد أخو الأشرف هو السُّلطان ، وأن يكون زين الدِّين كتبغا نائباً ، وعلم الدِّين الشجاعي وزيره استادار[٤] ، واستقر ذلك ووَصل إلى دمشق الأمير سَيف الدِّين ساطلمش والأمير سيف الدِّين بَهادُر التَّتري على البريد في رابع عشري المحرم ومعهما كتابٌ عن الأشرف أننا[٥] قد استَنَبْنا أخانا الملك الناصِر محمداً وجعلناه ولِيَّ عَهْدِنا ، حتى إذا توجَّهنا للقاء العدوّ يكون لنا من يخلفُنا ، فَحَلَف الناس على ذلك وخطب الخطيب به ، ودعا للأشرف ثُم لوليّ عهده الناصر ، وكان ذلك تدبير الشجاعي . وفي[٦] ثاني يوم ورد مرسوم بالْحَوْطة على موجودِ بيدَرا ولاجين وقراسُنقر وطُرُنْطاي الساقي وسنقرشاه وبهادر رأس نوبه ، وظهرَ الخبر بقتل الأشرف واتِّفاق الكلمة على أخيه الناصر مُحَمَّد ، واستَقَلَّ[٧] كتبغا نائباً والشجاعي مدبِّر الدَّولة ، وقبضَ على جَماعَة من الذين اتَّفقوا على قتل الأشرف وهُم الأمير سَيف الدِّين نوغاي ، وسَيف الدِّين الناق ، وألطنبغا الجمدار ، وآقسنقر مملوك لاجين ، وطرَنطاي السَّاقي ، وآروس ، وذلك في خامس صفر .

(١) المرقب : حصن للمسلمين على ساحل جبلة . (معجم البلدان) .

(٢) في الوافي : « بالمدرسة المنصورية بين القصرين » .

(٣) (س) : « علاء » ، سهو ، وهو : سنجر ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) (س) : « وزيراً واستادار » ، وفي الوافي : « وهو الوزير وأستاذ الدار » .

(٥) في الوافي : « من الأشرف ومضونه أننا » .

(٦) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الأصل : « واستغلّ » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

فأمر السلطان الناصر بقطع أيديهم وتسميرهم أجمَع ، وطِيْفَ بهم مع رَأس بيدَرا ثم ماتوا .

ولَمَّا كان في عشري صفر بلغ كتبغا أنَّ الشجاعي قد عامَل جَماعة في الباطن على قَتْله ، ولَمَّا كان في خامس عشري صَفر ركب كتبغا في سوق الخيل [وقتل في سوق الخيل][1] أمير يقالُ له البندقداري لأنه جاء إلى كتبغا وقال له : أين حسام الدِّين لاجين أحضِرْه ؟ فقال [ما هو عندي ، فقال][2] : بل هو عندك ، ومَدَّ يَدَه إلى سَيفه ليسلَّه فضربه الأزرق[3] مملوك كتبغا بالسَّيف حلَّ كتفه ، ونزل مَماليك كتبغا فأنزلوه وذبحوه ، ومَالَ العسكر منَ الأمراء والْمُقَدَّمين[4] والتَّتار والأكراد إلى كتبغا ومال البرجيّة[5] وبعض الخاصكيّة إلى الشجاعي ، لأنه أنفق فيهم في يوم ثمانين ألفَ دينار ، وقرَّر أنَّ كلَّ مَنْ أحضَرَ رأس أمير فإقطاعُهُ له ، وحاصر كَتبغا القلعَة وقطع عنها الماء ، فنزلَ البُرجيَّة ثاني يوم من القلعة إلى كتبغا على[6] حميّة وقاتلوه وهزموه إلى بئر البيضاء ، فركبَ الأمير بدر الدِّين بيسَري والأمير بدر الدِّين بكتاش أمير سلاح وبقيّة العسكر نصرةً لكتبغا ورَدُّوهم وكسَروهم إلى أن أدخلوهم القلعَة ، وجدّوا في حِصارِها ، فطلعَت الستّ والدة السُّلطان الملك الناصر إلى أعلى السُّور وقالت : إيش المراد ؟ قالوا[7] : مالنا غرض غير الشُّجاعي[8] ، فاتَّفقَتْ مع الأمير حسام الدِّين لاجين الاستادار[9] وأغلقوا بابَ القلّة ، وبقي الشُّجاعي محصوراً في داره . وتسرَّبَ الأمراء

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) زيادة من (س) والوافي .
(٣) في الوافي : « بلبان الأزرق » .
(٤) في الأصل : « والمتقدمين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في الأصل : « الرحبة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٦) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) في الأصل : « قالت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٨) في الوافي : « إمساك الشجاعي » .
(٩) في الأصل : « استادار » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

الذين معَه واحِداً بعدَ واحِد ونزلوا إلى كتبغا ، فطلبَ الشجاعي الأمان ، فطلبوه إلى الستّ وإلى لاجين استادار ليستشيروه فيما يفعلونه ، فلَمَّا توجَّه إليهم ضَرَبه الآقوش المنصوري بالسَّيف قَطَعَ يدَه ، ثم ضَرَبَه أُخرى بَرَى رأسه ، ونزلوا برأسه إلى كتبغا ، وجَرَتْ أمور ، وغلِّقت أبوابُ القاهرة خمسَةَ أيام .

ثم طلعَ كتبغا إلى القلعَة سابع عشري صفر ودُقَّت البشائر وفُتِحت الأبواب[١] وجُدِّدَت الأيْمان والعهود للسُّلطان الملك الناصِر ، وأُمسك جماعة من البُرْجيّة كانوا مع الشّجاعي ، وجاءت الْخوطة إلى دمشق على ما يتعلَّق به ، وخُطِبَ الْخَطيب في يوم الجمعة حادي عشري شهر ربيع الأول للسُّلطان الملك الناصِر استقلالاً ، وترحَّم على والده الْمَنْصور وأخيه الأشرف .

وفي عشري شهر رجب وَرَد البَريد بالْحَلْفِ للناصر ووليّ عهده كتبَغا .

وفي سَلخ رجب وَرد البريد أنَّ السُّلطان ركبَ في شعار الملك وأبَّهة السَّلطَنة وشَقَّ القاهرة ، دخل من باب النَّصر وخرج من باب زويلَة عائداً إلى القلعَة ، والأمراء وكتبَغا يمشون في ركابه ، وفرحَ الناس بذلك ودُقَّت البشائر .

ولم يزل مستمرّاً في الملك إلى حادي عشر الْمُحرّم سنة أربع وتسعين وست مئة ، فتسلطَنَ كتبغا وتسمَّى بالعَادِل ، وحَلَف له الأمراء بمصر والشام ، ودُقَّت البشائر وزُيِّنت البلاد ، وجعَلَ أتابكَةَ الأمير حسام الدِّين لاجين ، وتولى الوزارة الصّاحب فخر الدِّين [ابن][٢] الخليلي ، وصَرَف تاج الدِّين بن حنّا ، وحَصَل الغلاء الزائد الْمُفْرِط في أيّامِه حتى بلغ الإردبّ بمصر إلى مئة وعشرين ، ورطل اللحم بالدمشقي إلى سبعة دراهم ، ورطل اللَّبَن بدرهمين ، والبَيض ستّاً[٣] بدرهم ، ورطل الزَّيت بثمانية ،

(١) في الأصل : « الأيام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) زيادة من (س) . وفي الوافي : « عمر بن الخليلي » .

(٣) في الأصل : « ستة » .

ولم يكن الشّام[١] مرخصاً ، وتوقفت الأمطار ، وفزع الناس ، وذلك في سنة خمس وتسعين وست مئة . وتبع ذلك وباء عظيم ، وفناء كثير ، ثم إنَّ الغَلاءَ وَقَع بالشام وبلغت الغَرارة مئة وثمانين .

وقدم كتبغا بالعساكر إلى الشامَ في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ، ولما عاد إلى مصر من[٢] نوبَة حمصَ في سلخ الْمُحَرّم سنة ست وتسعين وست مئة ووصل إلى اللُّجون جرى له ما جَرى مِمَّا تَقَدَّم ذكره في ترجَمَة كتبغا ، وهربَ كتبغا إلى دمشق ، ودخل لاجين بالخزائن وتَسَلْطن بالقاهرة وتسمَّى بالمنصور ، ولم يختلف عليه اثنان ، كما تقدم في ترجمة لاجين .

واستناب قراسُنقر بمصر مدة ، ثم إنه قبض عليه واستنابَ منكوتمر مملوكه ، على ما تقدم ، وجعل قبجق نائب دمشق ، وجهز الملك الناصر إلى الكرك ، وقال[٣] : لوعَلمت أنهم يخلون الملك لك والله تركته ، ولكنهم ما يخلونه ، وأنا مملوكك ومملوك والدك ، أحفظ لك الملك ، فأنت[٤] تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتخرَّج وتدرب[٥] الأمور وتعود إلى ملكك ، بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حَماة ، فقال له السُّلطان : فاحلف لي إنك[٦] تبقي عليّ نفسي وأنا أروح ، فحلف كلٌّ منهما على ذلك ، وتوجَّه السُّلطان وأقام بالكرك إلى أن قُتِل لاجين ، على ما تَقدم في ترجمته ، في شهر ربيع الأول سَنة ثمان وتسعين وست مئة ، فَحَلَف للسُّلطان الملك الناصر جميعُ الأمراء وأحضروه من الكرك وملَّكوه . وهذه سلطنته الثانية . وجَعَل سلاّر نائباً بمصر ، وحسام الدِّين أستادار أتابكاً .

(١) في الأصل : « بالشام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) في الأصل : « حمص في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) عبارة الوافي : « وقال له المنصور » .
(٤) (س) والوافي : « وأنت الآن » .
(٥) في الوافي : « وتجرّب » .
(٦) (س) : « على أنك » .

وفي جمادى الأولى من السَّنَة المذكورة[١] ركبَ السُّلطان بأبَّهَة الملك وشعار السَّلطنة والتقليد الحاكمي[٢] أمامَه ، وعُمْرُه يومئذٍ خمس عشرة ، ورُتِّبَ الأفرم نائباً بدمشق .

وفي عَوْد السَّلطنة إلى الملك الناصر قال علاء الدِّين الوداعي ، ومن خطِّه نقلت :

الملكُ الناصِرُ قَدْ أقبلَتْ دَولتُه مشرقةَ الشَّمْس
عادَ إلى كُرسيِّهِ مثلَما عادَ سُلَيمانُ إلى الكُرْسيّ

ولم يزل بمصر إلى أن حضر غازان إلى الشام ، فخرج بالعَساكر في أوائل سَنة تسع وتسعين وست مئة ، ودخل دمشق في ثامن شهر ربيع الأول بعدما طوّل الإقامَة على غَزّة ، وأقام في قلعَة دمشق تسعة أيام ، وعدّى التَّتارُ الفرات ، فخرج السُّلطان وسَاقَ إلى حمص ، ورَكِبَ بكرةَ الأربعاء سابع عشري الشهر المذكور ، وساقَ إلى وادي الْخَزندار ، وكانتِ الوقعَة ، والتحم الحرب ، واستحرَّ[٣] القتل ، ولاحت أمارات النصر للمسلمين ، وثبتوا إلى العصر ، وثبتَ السُّلطان والخاصكيّة ثباتاً كلِّيّاً ، فانكسَرت ميمنة المسلمين ، وجاءهم ما لا قِبَل لهم به ، لأن الجيش لم يَكن بكاملٍ يومئذ ، وكان جيش الإسلام بضعة وعشرين ألفاً ، وكان جيشُ التَّتار يقارب المئة ألف ، فيما قيل ، وشرع المسلمون في الهزيمة ، وأخذ الأمراءُ السُّلطانَ وتحيَّزوا به ، وحَمَوا ظهورهم وساروا على دَرْبِ بعلبك والبقاع ، وبعض العَسْكر المكسور دخل إلى دمشق ، واستشهد جماعة من الأمراء ، وخُطبَ بدمشق للملك المظفر غازان محمود ، ورفع في ألقابه ، وتولَّى قبجق النيابَة عن التّتار ، وملكَ غازان دمشق خلا القلعَة فإن قبجق في الباطن لاحظ أميرَها مع أرجواش [وأبان أرجواش][٤] عن همَّة عظيمة في حفظها[٥] ، على ما تقدَّم في

(١) ليست في (س) والوافي .
(٢) (س) : « الحاكي » .
(٣) في الأصل : « واستجر » ، تصحيف ، وأثبتنا مافي (س) ، واستحرَّ : اشتدّ .
(٤) زيادة من (س) .
(٥) عبارة الوافي : « خلا القلعة فإن أرجواش قام بحفظها ، وأبان عن حزم عظيم ، وعزم قويم » .

ترجمته ، وجَبى التَّتار الأموال من الدَّماشِقة ، وقيل : إن الذي حُمل إلى خزانة غازان ثلاثة آلاف ألف ألف وست[١] مئة ألف درهم ، والذي أطلَقه لمقدّمي المغل نحو آلات[٢] على الناس بوصولات وأخذوا[٣] أكثر ممّا كُتبَ لهم فهو أكثر من ذلك . وأخذ شيخ الشُّيوخ لنفسه مبلغ ست مئة ألف درهم . وأخذ قبجق أكثر من ذلك ، وأخذ يَحيى وإسماعيل أكثر من ذلك ، وعزم الناس أكثر من ذلك ، وجَبوا على الرؤوس أكثر من ذلك ، وجبوا على البُيوت أكثر من ذلك ، وجَبَوا على الأوقاف أكثر من ذلك ، وأخذوا جميع ما وجدوه[٤] من الخيل والبغال والجمال والدّواب[٥] . وأحرقوا جامع التّوبة بالعقيبة ، وجميع[٦] ما حولَ البلد وخيار منتزهاتها[٧] ، وأجود عماراتها مثل الدهشة ، وصُفَّة أبقراط ، وصفّة العافية ، وناصريّة الْجَبل ، وبيمارستان الصّالِحيَّة ، وترب كثيرة ، وغالب الْجَواسِق التي بالبَساتين ، وغالب ما حولَ القلعَة . وأمّا شبابيك الصّالحية وما قدِروا عليه من الرخام فإنهم أخَذوه وأفسَدوه . وقتلوا من أهل الصّالحيَّة أربعة آلاف نفس ، وأسَروا ما شاء الله . وأمّا الذي قَتلوه من الضياع البرّانية وأسَروه فشيء لا يعلمُه إلاّ الله تعالى . وكانوا[٨] إذا قرروا على الإنسان عشرة آلاف درهم ينوبه ترسيم لِلْمُغل ألفان[٩] . ولم يزل وجيه الدِّين ابن المنجَّا يجبي[١٠] من الناس إلى أن كَمَّل المبلغ وحَمله إلى غازان ، وجُمْلَتُه ما تقدّم ذكره .

(١) في الأصل : « ست مئة » من دون الواو ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) كذا ولم نتبيَّن مراده .

(٣) (س) : « وأخذوا هم » .

(٤) في الأصل : « وجده » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في (س) زيادة : « والغلال » .

(٦) في الأصل : « التولعيقية ! » ، وأثبتنا ما في (س) ، وفي (س) : « وغالب » ، وجامع التّوبة يعرف بجامع العقيبة قرب مقبرة باب الفراديس . انظر : الدّارس ٣٢٨/٢ . وهو بهذا الاسم إلى اليوم .

(٧) (س) : « منتزهاتها بها » .

(٨) (س) والوافي : « وكان » .

(٩) في الوافي : « ألقان » .

(١٠) (س) : « يخفي » .

وأقام غازان بالغوطة نازلاً إلى ثاني عشر جمادى الأولى ، ورحَل طالباً بلادَه وخلَّف نائبَه خطلو[١] شاه بالقصير في فرقة منَ الْمُغْل .

وفي شهر رجب جمعَ قبجق الأعيان والقضاة إلى داره وحَلَّفهم للدّولة الغازانيّة بالنُّصح وعدم المداجاة ، ثم إن قبجق توجَّه هو والصاحب عز الدِّين ابن القلانسي إلى مصرَ في نصف رَجب ، وقام بحفظ المدينة وأمر الناس أرجواش .

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة للسلطان الملك الناصر ، وكان مُدّةُ إبطال ذلك مئة يوم .

وأما السلطان الملك الناصِر فإنَّه دخل إلى مصر بعد الكسرة[٢] وتلاحَقَ به الجيش ، وأنفق[٣] في العَساكر ، واشتُرِيَت الخيلُ وآلات السِّلاح بالأثمان الغاليَة .

وفي يوم عاشر شعبان قَدِم الأفرم نائب دمشق بعسكر دمشق ، وقدم أمير سلاح بالميسَرة المصريَّة ، ثم دَخَلَت الميمنة ، ثم دخل القَلْب وفيهم سَلاّر بالجيُوش إلى القاهرة ، وكثرت الأراجيف بمجيء التَّتار ، وانجفل الناس إلى مصر وإلى الْحُصون ، وبلغ أجرة المحارة إلى مصر خمس مئة درهم ، ثم فترت أخبار التَّتار في شهر ربيع الأول سنة سبع مئة . ثم دخل التَّتار إلى حلبَ وشرع الناس في قراءة البخاري ، وقال الوداعي في ذلك ، ومِنْ خَطِّه نقلتُ :

بَعَثْنا على جيش العَدوِّ كَتائباً ... بُخاريّةً فيها النَّبيّ مُقدَّمُ
فَرُدّوا إلى الأُرْدو وبِغَيْظٍ وخَيْبَةٍ ... وأُرْدُوا وجيشُ المسلمينَ مُسَلَّمُ
فقولوا لَهُم: عودوا نَعُدْ، ووراءكم ... إذا ما أتيتُم أو أبيتُم جَهَنَّمُ

ووصل السُّلطان إلى العَريش ووصل التَّتار إلى حَلَب .

(١) في الأصل : « خلطو » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (س) . وانظر ذيول العبر : ١٩ .
(٢) في الأصل : « الكسر » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٣) في الوافي : « ونفق » .

ودَخل شهر جمادى الأولى والنـاس في أمر مَريج ، ووصَل بكتمر السلاح دار بـألف فارس ، وعاد السُّلطان إلى مصر ، فانجفل[١] النـاس غنيُّهم وفقيرهم ، ونُودِي في الأسواق بـالرَّحيل[٢] ، وضجَّ النِّسـاء والأطفـال ، وغُلِّقت أبـواب دمشـق ، واقتسم النـاس قلعـة دمشق بالشبر ، ووقع على غيّـارة التَّتـار عَسْكرُ حِمْص فكسروهم وقتلوا منهم نحو مئـة ، وصحَّت[٣] الأخبار برجوع غـازان نحو حلب ، فبلع النـاس ريقهم ، وأطفـأ السُّكون[٤] حريقهم ، وهلـك كثير من التّتـار تحتَ الثلج بحلب ، وعمَّ الغلاء ، وعزَّ اللحم بـدمشـق وبيع الرَّطل بتسعَـة دراهم ، ثم دخل الأفرم والأمراء مِن المرج بعـدمـا أقـاموا بـه أربعَـة أشهر ، واستقرَّ حال الناس بعد ذلك .

وفي شهر شَعبان أُلبِسَ النَّصارى الأزرق واليهود الأصفر والسَّامِرَة الأحمر ، وسبب ذلـك أن مغربيّـاً كان جـالسـاً بـبـاب القَلْعَـة[٥] عنـد سُـلاّر والجـاشنكير ، فحضر بعض الكتّـاب النَّصـارى بعمامَـة بيضـاء ، فقـام لـه المغربيّ يتوهَّم أنَّـه مُسلِم ، ثم ظهر لـه أنَّـه نَصرانيّ ، فدخل إلى السُّلطان وفاوَضه في تغيير زيِّ أهل الذِّمَّة ليَمتـاز الْمُسلمون عنهم . وفي ذلك يقول علاءُ الدِّين الوَداعي ، ومن خَطِّه نقلتُ :

لقـد أُلـزِمَ الكُفّـارُ شـاشـات ذلّـةٍ ... تَـزيـدهُم مِن لَعْنَـةِ اللهِ تَشـويشـا
فقُلتُ لَهُم : مـا أَلْبَسـوكُم عَمائمـاً ... ولكنَّهم قـد أَلْبَسـوكُم بَراطيشـا[٦]

ونقلت منه له :

غَيَّروا زَيَّهُم بِما غَيَّروهُ ... مِنْ صِفـاتِ النَّبِيِّ ربِّ الْمَكارِمْ

(١) في (س) والوافي : « وانجفل » .
(٢) في (س) والوافي زيادة : « إلى مصر » .
(٣) (س) : « وضجَّت » تصحيف .
(٤) في (س) زيادة : « والفرار » .
(٥) في الوافي : « القلّة » .
(٦) في الوافي : « قد ألزموكم » .

فَعَلَيهم كما تَرَوْنَ بَراطيـ ـشُ ولكنَّهـــــــــا تُسَمَّى عَمائِمْ

ونقلتُ منه له :

لقـد ألبَسوا أهـلَ الكِتـابَيْنِ ذلَّـةً لِيَظْهَر مِهم كُـلُّ مَن كانَ كامِنـــا
فقلتُ لهم مـــا ألبَسـوكُم عَمائِمـــاً ولكِنَّهم قَـد ألْبَسـوكُم لَعـائنـــا

وفي ذلك يقول شمس الدِّين الطيّبي :

تَعَجَّبـوا للنَّصـارى واليَهـودَ مَعـاً والسَّـامِريِّين لَمّـا عُمِّمـوا الْخرَقـا
كأنَّما بـاتَ بـالأصبـاغِ مُنْسَهِـلاً نَسرُ السَّماءِ فـأضحى فـوقَهُم ذَرقـا

وفي جمادى الأولى سنة إحـدى وسَبع [مئـة][1] توفي أمير المؤمنين الحـاكم بـأمر الله أبو العبّاس أحمدَ ودُفِنَ عنـد السَّيِّـدة نفيسَـة ، كما تقـدَّم في ذكره ، وتولَّى الخلافـة ولـدُه أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سُلَيمان ، وقرئ تقليده بولايَة العَهد بعد العَزاء .

وفي[2] سنـة اثنتين وسَبع مئـة فتحت جزيرة أرواد وهي بقرب انطرسوس[3] وقُتل بها عدّة من الفرنج ، ودخل الأسرى إلى دمشق وهم قريبٌ من المئة وخمسين[4] .

وفي شعبان من السَّنة عدَّى التَّتارُ الفرات وانجَفل الناس ، وخَرَج السُّلطان بجُيوشه من مصر . وفي عاشِر شعبان كان للصـاف بين المسلمين والتَّتـار بعُرْض[5] ، كان المسلمون ألفاً وخَمس مئة ، وعليهم أسنـدمر وأغرلو العـادلي وبهـادر آص ، وكان التَّتـار نحواً من أربعة آلاف ، فانكسرَ التَّتار ، وأسر مقدّمُهُم وقُتِل منهم خلق كثير . ثمَّ دخل دمشق من

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) في الأصل : « في » من دون واو ، وأثبتنا مافي (س) .
(٣) في الأصـل : « انطرطـوش » ، وأثبتنـا مـافي (س) والـوافي . انظر : معجم البلـدان ٢٧٠/١ . وتعرف اليوم بطرطوس .
(٤) عبارة الوافي : « وهم ما يقارب الخمسين » .
(٥) بُليد في بريّة الشام يدخل في أعمال حلب ، وهو بين تدمر والرصافة . (معجم البلدان) .

جيش مصر خمسٌ تقادم وعليهم الجاشنكير والْحُسام أستاذ الدار ، ثم دخل بعدهم ثلاثة آلاف مقدمهم أمير سلاح وبعقوبا وأيبك الخزاندار ، ثم أتى عسكر حلب وحَماة متقهقراً من التَّتار ، وتجمَّعت العَساكر إلى الْجُسورة بدمشق ، واختبط الناس ، واختنق في أبواب دمشق من الزحام غيرُ واحد ، وهرَبَ الناس ﴿ وبَلَغَتِ القُلوبُ الْحَناجِرَ ﴾[١] ، ووصل السلطان إلى الغَوْر ، وغُلِّقت أبواب دمشق ، وضجَّ الخلق إلى الله تعالى ، ويئس الناس من الحياة . ودخل شهر رَمضان ، وتعلَّقت آمال الناس ببركاته ، ووَصل التَّتار إلى المرج ، وساروا إلى جهَة الكسوَة ، وبَعَدوا عن[٢] دمشق بكرة السبت ثاني شهر رمضان المعظّم ، وصعد النِّساء والأطفال إلى الأسطحة[٣] وكَشفوا رؤوسهم وضجّوا وجأروا إلى الله تعالى ، ووقع مطر عظيم ، ووقّعت الظهر بطاقة بوُصول السُّلطان واجتماع العَساكر الْمُحَمَّدية بمرج الصُّفّر ، ثم وقعت بعدها بطاقة تتضمَّن طلبَ الدعاء وحفظ أسوار البلد ، وبعد الظهر وَقع المصاف والتَحم الحرب ، فحمَل التَّتار على الميمنة من المسلمين فكسَروها ، وقُتِل مقدّمُها الْحُسام أستادار[٤] ومعه جماعة من الأمراء المقدّمين ، وثبت السُّلطان ذلكَ اليَوم ثباتاً زائداً عن الحدّ ، واستمرَّ القتال من العصر إلى الليل ، ورُدَّ التَّتار من حملتهم على الميمنة بغَلَس[٥] وقد كَلَّ حدّهم فتعلَّقوا بالجبل المانع .

وطلع الضوء بكرة يومَ الأحد والمسلمون مُحْدِقون بالتَّتار ، فلم يكن ضحوة من النهار إلاّ وقد ركن التَّتار إلى الفَرار وولَّوا الأدبار ، ونزلَ النَّصر ، ودُقَّت البشائر ، وزُيِّن البلد ، وكان التَّتار نحواً من خمسين ألفاً وعليهم خطلو[٦] شاه نائب غازان ،

(١) سورة الأحزاب : ١٠/٣٣ .
(٢) (س) : « من » .
(٣) (س) والوافي : « السطوح » .
(٤) (س) والوافي : « استاد الدار » .
(٥) (س) : « بعكس » ، تحريف . والغلس : الليل .
(٦) في الأصل : « خلطو » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

ورَجَع غازان من حلَب ضيِّقَ الصَّدر من كسر[١] أصحابه يوم عُرْض ، وبهذه الكسرة سَقطت قواه ؛ لأنَّه لم يعد[٢] إليه من أصحابه غير الثلث ، وتخطَّفهم أهل الْحُصون ، وساقَ سلاّر وقبجق وراء المنهزمين إلى القريتين ، ولم ينكسر التَّتار مثل هذه المرّة .

حكى لي جَماعة من دير[٣] بشير أنهم كانوا يأتون إلينا عشرين عشرين وأكثر وأقل[٤] ، ويطلبون أن نعدِّي بهم الفرات في الزواريق إلى ذلك البر ، فما نعدّي بمركب إلاّ ونقتل كلَّ من كان[٥] فيه ، حتى إن النِّساء كنَّ يضربن بالفؤوس ونحن نذبحهم في إثر ذلك ، فما تركنا أحداً منهم يعيش .

وهذه الواقعة إلى الآن في قلوبهم ، وكان قد جاء كتاب غازان يقول فيه : ما جئنا هذه المرَّة إلاّ للفُرجَة في الشام ، فقال علاء الدِّين الوداعي في ذلكَ ، ومن خطِّه نقلت :

قولوا لغازان بأنَّ جُيوشَهُ ... جاؤوا ففَرَّجْناهم بالشّام
في سَرحَةِ الْمَرجِ الَّتي هاماتُهم ... منشورُها وشَقائق الأجسام
ما كانَ أشأمَها عليهم فُرْجَةً ... غَمّت وأبركها على الإسلام

وقال لَمّا انهزم :

أتى غازان عَدْواً في جُنودٍ ... على أخْذِ البِلادِ غَدَوا حِراصا
فَما كَسَبوا سِوى قتلٍ وأسرٍ ... وأعْطَوْهُ بِحِصَّته حُصاصا[٦]

---

(١) (س) والوافي : « كسرة » .
(٢) (س) : « سقطت قواه ولم يعد » .
(٣) في (س) : « من أهل دير » ، وفي الوافي : « دير يسير » ، وأشار صاحب معجم البلدان إلى جبل سمّاه (البشر) يمتد من عُرْض إلى الفرات .
(٤) في الوافي : « أو أقل » .
(٥) ليست في (س) والوافي .
(٦) حصاص : من معانيها الهرب .

وقد نظم الناس في هذه الواقعة كثيراً ، ومِنْ أحسَن ما وقفتُ عليه قولُ شَمسُ الدّين الطيّبي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يقارب[١] المئة بيت ، وهذا الذي وقع لي منها وهو :

بَرقُ الصّوارمِ للأبْصارِ يَختطِفُ ... والنَّقعُ يَحكي سَحاباً بالدِّما يَكِفُ
أحْلَى وأعلَى وأغلَى قيمَةً وسَنا ... من ريقِ ثغرِ الغَواني حينَ يُرتَشَفُ
وفي قُدودِ القَنا معنىً شُغِفْتُ بهِ ... لا بالقُدودِ الَّتي قَدْ زانَها الهيَفُ
ومَن غَدا بالْخُدودِ الْحُمرِ ذا كَلَف ... فإنَّني بخُدودِ البيضِ لي كَلَفُ
ولامَةُ الحربِ في عينيَّ أحسَنُ من ... لامِ العذارِ التي في الخدِّ تنعَطِفُ[٢]
كِلاهُما زَرَدٌ هذا يُفيدُ وذا ... يُردي فشأنُهما في الفعلِ يختَلِفُ[٣]
والخيلُ في طَلَبِ الأوتارِ صاهِلَةً ... ألَذُّ لَحناً من الأوتارِ تأتَلِفُ
ما مَجلسُ الشّربِ والأرطالِ دائرَةٌ ... كموقفِ الحربِ والأبطالِ تَزدَلِفُ[٤]
والرِّزقُ من تحتِ ظلِّ الرّمحِ مُقْتَرِنٌ ... بالعزِّ، والذُّلُّ يَأباهُ الفَتى الصَّلِفُ[٥]
لا عيشَ إلاّ لفتيانٍ إذا انتُدِبوا ... ثاروا وإن نَهَضوا في غمّةٍ كشَفوا
يَقي بهِم ملَّةَ الإسلامِ ناصِرُها ... كما يَقي الدُّرّةَ المكنونَةَ الصَّدفُ
قاموا لقوّةِ دينِ اللهِ ما وَهَنوا ... لِمَا أصابَهُم فيهِ ولا ضَعُفوا
وجاهَدوا في سَبيلِ اللهِ فانتَصَروا ... من بعدِ ظُلْمٍ وممّا ساءَهُم أنِفُوا
لَمّا أتَتْهُم جُيوشُ الكُفْرِ يَقْدُمهم ... رأسُ الضَّلالِ الذي في عَقلِهِ جَنَفُ[٦]
جاؤوا وكلّ مَقامٍ ظَلَّ مُضطَرِباً ... منهُم وكلّ مَقامٍ باتَ يَرتَجِفُ

(١) (س) والوافي : « وهي تقارب » .
(٢) اللامة : الدرع ، والألف مخففة عن الهمزة . وفي الوافي : « الذي في ... ينعطف » .
(٣) في الأصل : « يقيد » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٤) في الأصل : « والأوتار دائرة » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي ، وهو أشبه . وفي (س) : « لموقف » .
(٥) في الأصل : « الغنى » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٦) في الوافي : « جموع الكفر » . والجنف : الميل والجور .

فَشاهَدوا عَلَمَ الإسلامِ مُرْتَفِعاً ... بالعَدْلِ فاسْتَيْقَنوا أنْ ليسَ يَنصَرِفُ
لاقاهُمُ الفَيْلَقُ الجرّارُ فانكَسَرُوا ... خَوْفَ العَواملِ بالتّأنيثِ فانصَرَفوا[1]
يا مَرجَ صُفّر بيَّضْتَ الوُجوهَ كما ... فَعَلتَ مِن قَبلُ بالإسلامِ يُؤتَنَفُ
أزهَرُ رَوْضِكَ أزْهى عِندَ نَفْحَتِهِ ... أم يانِعاتُ رُؤوسٍ فيكَ تُقْتَطَفُ
غدرانُ أرضِكَ قَد أضحَتْ لوارِدِها ... مَمْزوجَةً بدِماءِ الْمَغْلِ تُرْتَشَفُ[2]
زَلَّت على كَتفِ المصريّ أرجُلُهُم ... فليسَ يَدْرونَ أنّى تُؤكَلُ الكَتِفُ
أوَوْا إلى جَبَلٍ لو كانَ يَعصِمُهُم ... مِن موجِ فوجِ الْمَنايا حينَ يختطَفُ[3]
دارَت عليهم مِنَ الشُّجْعانِ دائرَةٌ ... فَما نَجا سالِمٌ منهُم وقد زَحَفوا
ونَكَّسوا منهُمُ الأعلامَ فانْهَزَموا ... ونَكَصُوهُم على الأعقابِ فانقَصَفوا
ففي جَماجِمِهم بيضُ الظّبي زُبَرٌ ... وفي كلاكِلِهم سُمْرُ القَنا قِصَفُ[4]
فَرّوا منَ السَّيفِ مَلْعونينَ حيثُ سَرَوا ... وقُتِّلوا في البَراري حَيثُما ثُقِفوا
فَما اسْتَقامَ لَهُم في أعوَجٍ نَهَجٌ ... ولا أجارَ لَهُم مِن مانعٍ كَتِفُ[5]
ومَلَّتِ الأرضُ قَتلاهُم بما قَذَفَتْ ... منهُم وقد ضاقَ منها المهمَهُ القذفُ[6]
والطَّيرُ والوَحشُ قد عافَت لُحومَهُم ... ففي مزاجِ الضَّواري منهم قَرَفُ
رُدّوا فكلّ طريقٍ نحو أرضِهِمُ ... تَدُلُّ جاهِلَها الأشلاءُ والجِيَفُ[7]
وأدْبَروا فَتَولّى قطعَ دابرَهُم ... والْحَمْدُ للهِ قومٌ للوَغى أُلِفُوا
ساقوهُم فَسَقَوا شَطَّ الفراتِ دَماً ... وطَمَّهُم بعُبابِ السَّيلِ فانحَرَفوا
وأصبَحوا بَعْدُ لا عَينٌ ولا أثَرٌ ... غيرَ القِلاعِ عليها منهُم شَعَفُ

(١) في الأصل : « حرف » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي البيتين تورية بمصطلحات النحو .
(٢) (س) والوافي : « تغترف » .
(٣) في الوافي : « فرج المنايا » .
(٤) في الأصل : « ففي جماعتهم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في الوافي : « ولا أجارهم » .
(٦) المهمه القذف : الفلاة الواسعة البعيدة .
(٧) في الأصل : « الأعلاء » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

يـــا بَرقُ بلِّـغ إلى غـــازانَ قِصَّتَهُم ... وصِفْ فقصَّتهم من فـوق مـا تَصِفُ
بَشِّرْ بهَلكهم ملـــــكَ العِراقِ لكي ... تُعطيـكَ حلـوانهـا حُلـوانَ وَالنَّجَفُ
وإن تَسَـل عنهُم قُـل قـد تركتهُم ... كالنَّخلِ صَرعى فلا تَمْرٌ ولا سَعَفُ[1]
مـا أنتَ كَفؤَ عروسِ الشّامِ تَخطبُهـا ... جَهْـلاً وأنتَ إليهـا الهـائمُ الـدَّنِفُ
قـد مـاتَ قبلـكَ آبـاءٌ بحَسْرتهـا ... وكلّهم مُغْرَمٌ مُغْرىً بهـــــا كَلِفُ
إنَّ الـذي في جحيمِ النّـارِ مسكنـهُ ... لا تُستبـاحُ لـهُ الجنّـاتُ والغُرَفُ
وإن تَعـودوا تُعـد أسيـافُنـا لكُم ... ضَرباً إذا قـابلتَهـا رُضَّت الْحَجَفُ[2]
ذوقـوا وَبـالَ تَعَـدِّيكُم وبَغيكُم ... في أمْرِكُم ولِكأسِ الْخِزْيِ فارْتَشِفوا[3]
فـالْحَمـدُ للهِ مُعْطي النّصر نـاصِرَهُ ... وكاشِفُ الضُّرِّ حيثُ الحـال يَنْكَشِفُ

وفي ذي الحجة من السَّنَـة المـذكورة كانت الزَّلزَلـة العُظْمى ، بمصر والشـام ، وكانَ تأثيرها بالإسكندرية أعظَم ، ذَهَبَ تحتَ الرَّدْمِ عَدَدٌ كثير ، وطَلع البحر إلى نصف البلَد وأخَذ الجمالَ والرِّجال وغرقَت[4] المراكب وسَقطت بمصر دُورٌ لا تحصى ، وهُـدمت جَوامع ومَآذن وانتدبَ[5] سَلاّر والجاشنكير وغيرهُما من الأمراء ، وأخذ كلٌّ واحـد منهما جـامعاً وعمَّره وجَدَّد له وُقوفاً[6] .

وفي سَنـة ثـلاث وسَبع مئـة تـوجَّـه أمير سـلاح وعسكر من دمشـق وقبجـق في عسكر[7] من حَماة وأَسَندَمُر في عسكر السَّاحل وقراسُنقر في عسكر حلب ، ونـازلوا تل

(١) في الوافي : « يسل » .
(٢) الحجف : الترس إذا كان خالياً من الخشب .
(٣) في الوافي : « وبغيتكم » .
(٤) في الأصل : « وعرفت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في الوافي : « فانتُدِبَ » .
(٦) انظر النجوم الزاهرة : ٢٠١/٨ .
(٧) ليست في (س) والوافي .

حَمْدون وأخذوه[١] ، ودخل بعض العسكر الدربند وأغاروا ونهبوا وأسَروا خلقاً ، ودقت البشائر .

وفي[٢] هذه السَّنة توفي غازان ملك التتار[٣] ، وملك بعده أخوه الملقب خربندا .

وفي سَنة خمس وسَبع مئة نازلَ الأفرم بعَساكر دمشق جبل الْجُرْد ، وكسر الكسروانيين لأنهم كانوا روافض ، وكانوا قد آذَوا المسلمين وقتلوا المنهزمين من العساكر المصريّة في نوبَة غازان الأولى الكائنة في سنة تسع وتسعين وست مئة .

وفي سنة ثمان وسَبع مئة في سادس عشري شهر رمضان توجَّه السُّلطان الملك الناصر إلى الحجاز وأقام بالكرك متبرِّماً من سلاّر والجاشنكير وحَجْرهما عليه ومنعهما[٤] له من التَّصرُّف ، قيل : إنه طَلَبَ يوماً خروفاً رميساً[٥] فمنع منه ، أو قيل : يجيء[٦] كريم الدِّين ، لأنه كاتب الجاشنكير ، وأمر نائبَ الكرك بالتَّحوُّل إلى مصر ، وعند دخوله القلعة انكسر به الجسر فوقع نحو خمسين مملوكاً ، ومات منهم أربعَة وتَهَشَّم منهم جماعة وأعرض السُّلطان عن أمر مصر ، فوثبَ للسَّلطَنة بعد أيّام الجاشنكير وتَسلطَن ، وخُطبَ له ، ورَكبَ بخلعة الخلافة ، وذلك عندَما جاءتهم[٧] كتبُ السُّلطان من الكرك باجتماع الكلمة فإنه ترك لهم الملك .

وفي سَنة تسع وسَبع مئة في شهر رَجب خرج السُّلطان من الكرك قاصداً دمشق ، وكان قد ساقَ إليه من مصر مئة وسبعون[٨] فارساً فيهم أمراء وأبطال ، وجاءَ مملوك

(١) في الوافي : « وأخذوها » .
(٢) في (س) والوافي زيادة : « وفي شوال من » .
(٣) النجوم الزاهرة : ٢١٢/٨ .
(٤) في الوافي : « وحجرهم ... ومنعهم » .
(٥) الرَّمس : النتن .
(٦) عبارة الوافي : « قيل له : حتى يجيء » .
(٧) (س) : « بعدما جاء » .
(٨) (س) : « وسبعين » ، وساق ههنا بمعنى قصَدَه ومشى إليه .

السُّلطان إلى الأفرم يخبرُه بأن السُّلطان وَصَل إلى الخان[١] ، فتوجَّه إلى السلطان بيبرس المجنون وبيبرس العلائي ، ثم ذَهَب بهادر آص لكشف القضيّة ، فوجَد السُّلطان قد رُدَّ إلى الكرك ، ثم بعد أيام ركِبَ السلطان وقصَد دمشق بعدَما ذهب إليه قطلوبك الكبير والحاج بهادر ، وقفَز سائر الأمراء إلَيه ، فقلق الأفرم لذلك ونزح[٢] من دمشق بمماليكه مع الأمير علاء الدِّين بن صُبح [إلى الشقيف][٣] ، فبادر بيبرسَ العلائي وآقجبا المُشد وأمير علم في إصلاح الجتر[٤] والعصائب وأبّهة الملك ، ودخل السُّلطان قبل الظهر إلى دمشق يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان سَنة تسع وسَبع مئة ، وفتح له باب القلعَة باب السّرّ ، ونزل نائبها قبَّل[٥] الأرض ، فلوى هناك فرسه إلى القصر[٦] ونزل به . ثم إن الأفرم حضر إليه بعد أربعة أيام فأكرمَه واستمرَّ به في نيابة الشام[٧] ، وبعد يومين وصل قبجق نائب حَماة وأسندمر نائب طَرابلس وتلقاهما السُّلطان . وفي ثامن عشري الشهر وصل قراسُنقر نائب حلب .

ثمَّ إنَّ السُّلطان خرج لمصرَ في تاسع شهر رمضان ومعه العَساكر والنُّواب والقضاة ، ووصَل غزّة ، وجاءَه الخبر بنزول الجاشنكير عن الملك وأنه طلَب مكاناً يأوي إليه وهربَ من مصر مغرِّباً وهرب معه[٨] سلاّر مشرِّقاً ، فلما كان بالرَّيدانية ليلةَ العيد اتفق الأمراء عليه وهمّوا بقتله ، فجاء إليه بهاء الدِّين أرسَلان دوادار سَلاَّر وقالَ : قُم الآن

(١) في الوافي : « الخان » .

(٢) في الأصل : « وترفَّع » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) زيادة من (س) ، وفي الوافي : « إلى شقيف أرنون » .

(٤) الجتر : مما يختصّ السلطان ، وهو مظلّة من الحرير الأصفر مزركشة بالذهب ، على أعلاها طائر من فضّة مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان ، وهي من بقايا الدولة الفاطمية . معجم الألفاظ التاريخية : ٥١ .

(٥) في (س) : « وقبل » .

(٦) (س) : « إلى جهة القصر » ، وفي الوافي : « إلى جهة القصر الأبلق » .

(٧) (س) والوافي : « دمشق » .

(٨) ليست في (س) والوافي .

واخرج مِن جانب الدهليز واطلع إلى القلعَة ، فرعاها له ، ولم يشعر النـاس بـالسُّلطـان إلاّ وقد خرجَ راكباً فتلاحقوا به وركبوا في خدمتـه وصعـد القلعَـة ، وكان الاتفـاق قـد حَصَـل أنَّ قراسُنقر يكـون نـائبـاً بمصر وقطلـوبـك الكبير نـائب دمشـق ، فلَمّـا استقرَّ جلوسُ السُّلطـان بقلعـة الْجَبَل ، وهـذه المرّة الثـالثـة مِنْ عَوْده إلى الملـك قبضَ في يوم واحد على اثنين وثلاثين أميراً من السِّماط ، ولم ينْتَطح [فيهـا][1] عنزان ، ورسّم للأفرم بصرخد ولقراسُنقر بالشام[2] ، وجعل قبجق نـائبَ حلبَ والحـاج بهـادر نـائب طرابلس وقطلوبك الكبير نائب صفد ، وجعل بكتمر الْجُوكَندار نائب مصر .

وفي سنة عشر وسَبع مئة وصَل أسندمُر إلى دمشق متوجِّهـاً إلى حَمَاة [نـائبـاً][3] ، ومنهـا عـزلَ القـاضي بـدر الـدِّين ابن جَماعـة ، وولِيَ القضـاء جَمال الـدِّين الـزرعي[4] عِوَضَه ، وصَرَف السُّروجي عن قضاء الحنفيّة ، وطَلَبَ شمس الـدِّين بن الحريري وولاَّه مكانـه . وبعـد أيـام قلائل توفِّي الحـاج بهـادر نـائب طرابلس ، ومـاتَ بحلَب نـائبُهـا قبجق ، فرسم للأفرم بنيابَـة طرابلس ، وأمَرَه أن لا يـدخل بـدمشق ، على مـا تَقـدَّم في ترجمته ، ورسَّم لأسَندَمر بنيابة حلب .

وفي هذه السَّنة أمَرَ لعماد الدِّين إسماعيل بن الأفضل علي بحماة .

وفي سَنة إحـدى عشرة وسَبع مئـة نقل قراسُنقر من نيـابـة دمشق إلى نيـابـة حلَب بعدَما أمسك أسندمر وتولَّى كراي نيابة دمشق . وفي شهر ربيع الآخر أعـاد ابنَ جَماعـة إلى مكانـه ، وتقرَّر القـاضي جَمال الـدِّين [الـزرعي][5] في قَضـاء العسكر مـع مَـدارس أُخَر .

---

(١) زيادة من (س) والوافي ، والعبارة من الأمثال .

(٢) (س) : « بدمشق » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) (س) : « ابن الزرعي » .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

وفي جمادى الأولى أُمسك كراي نائب دمشق وقيِّد وجُهِّز إلى الباب بعدَما أُمسكَ الْجُوكندار نائبُ مصر ، وأُمسكَ قطلوبُك الكبير بصَفد وحُبِسَ[1] هو وكراي بالكرك وجاء الأمير جَمال الدِّين آقوش نائبَ الكرك إلى دمشق نائباً .

وفي سَنة اثنتي عشرة وسَبع مئة تسحَّب الأمير عز الدِّين الزردكاش والأفرم وتوجَّها إلى قراسُنقر ، وساق الْجَميعُ إلى عند مهنّا فأجارهم ، وعدّوا الفرات وطلبوا خربندا ، على ما تقدَّم في تراجمهم .

وفي شهر ربيع الأول طُلِب نائب دمشق الأمير جَمال الدِّين آقوش نائبَ الكرك إلى مصر ، وفيها أمسك العلائي بيبرس نائب حمص ، وبيبرس الْمَجنون ، وبيبرس التاجي ، وكجلي ، والبرواني ، وحُبِسوا في الكرك ، وأمسك بمصر جماعة أيضاً .

وفي ربيع الأول[2] قَدم الأمير سَيف الدِّين تنكِز إلى دمشق نائباً ، على ما تَقدَّم في ترجمته ، وسودي إلى حلبَ نائباً على ما تقدَّم . وفي أوائل شهر رَمضان قويت الأراجيف بمجيء خربندا ومنازلته الرحبَة ، على ما تقدم ، ثم إنه رحل عنها ، على ما تقدم في ترجمته . وعَيّد السُّلطان بمصر وخرج إلى الشَّام ، ووصلَ في ثالث عشري شوّال وصلَّى بالجامع الأمَوي ، وعمل دار عدل ، وتوجَّه من دمشق إلى الحجاز ، وعاد إلى دمشق ، ثم توجَّه إلى مصر .

وفي صَفر سَنة أربع عشرة توفِّي سُودي نائب [حلب][3] وجاء عوضَهُ نائباً الأمير علاءُ الدِّين ألطنبغا .

وفي سَنة خمس عشرة وسَبع مئة توجَّه الأمير سيف الدِّين تنكز بعَساكر الشّام

---

(١) في الأصل : « وجلس » .

(٢) في الوافي : « الآخر » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

وستة آلاف من الجيش المصري إلى ملطيّة ففتحها وسَبَى ونهبَ وألقى النارَ في جوانبها ، وقتل جَماعة من النّصارى .

وفي سنة ست عشرة توفّي خربندا ملك التّتار ، وتولّى بعده ولده بوسَعيد على ما تقدم .

وفي سنة إحدى وعشرين وسَبع مئة وقع الحريق بمصر واحترق دور كثيرة للأمراء وغيرهم ، ثمَّ ظهر أن ذلك من كيد النَّصارى ، لأنه وُجد مع بعضهم آلات الإحراق من النفط وغيره ، وقتل منهم جَماعة وأسلَم عدّة ، ورَجَمَ العامّةُ والْحَرافيش كريم الدِّين الكبير ، فأنكر السُّلطان ذلك وقطعَ أيدي أربعة وقيَّد[1] جَماعة .

وفيها جرى الصلح بين السُّلطان وبين بوسعيد ، سعى في ذلك مجد الدِّين السلاميّ مع النوين جوبان ومع الوزير غياث الدِّين مُحَمَّد بن الرشيد .

وفي جَمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة أمَرَ السُّلطان بحفر الخليج من رأس الخور إلى أن ينتهي إلى سرياقوس ، تولى ذلك الأمير علاء الدِّين مغلطاي الْجَمالي ، وفرغ في أقرَب مدة ، ودام العَمل إلى آخر شَعبان من السَّنة المذكورة ، وما يَعْلَمُ ما أنفق فيه من الأموال إلاّ الله تعالى .

وفي سَنة خمس وعشرين وسبع مئة جهز[2] السُّلطان من عسكر مصر ألفي فارس نجدةً لصاحب اليَمن ، وقَدَّم عليهم الأمير ركن الدِّين بيبرس الحاجب والأمير سَيف الدِّين طينال ، فَدَخلوا زَبيد ، وألبسوا الملك المجاهد خلع السَّلطنة وعادوا . وبلغ السلطانَ أمورٌ نقمها ، فاعتقل بيبرس الحاجب . وفي هذه السَّنة فتحت الخانقاه التي أنشأها بِسُرْياقوش ، وكان يوماً عظيماً ، وحضر القضاة والعلماء ووجوه الدَّولة ، وخلع على القضاة وعلى المشايخ ، وفرّق قريباً من ثلاثين ألف درهم .

(١) في الأصل : « وقتل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « وجهز » ، وأثبتنا ما في (س) .

وفي سَنة ست وعشرين حجَّ الأمير سَيف الدِّين أرغون النائب ، ولَمّا حضر أمسكه وجهَّزه إلى حَلب نائباً ، على ما تقدَّم .

وفي سَنة سبع وعشرين وسبع مئة طُلِبَ أمير حسين بن جندر من دمشق[١] إلى مصر ليقيم بها أميراً ، وطلب قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني ، وجعَله قاضي القضاة بمصر ، على ما تقدَّم ، وفيها كان عُرْس ابنة السُّلطان على الأمير سيف الدِّين قوصون ، وكان عرساً عظيماً على ما تقدم ، وفيها كانت الكائنة بإسكندريّة ، وتوجَّه الْجَمالي الوزير إليها وصادر الكارم والحاكم[٢] ، وضربَ القاضي ، ووضع الزنجير في رقبته ، وجعل قاضيَها شافعيّاً ، وكانت واقعَةً فظيعَة .

وفي سَنة اثنتين وثلاثين وسَبع مئة دخل ابن السُّلطان آنوك على بنت بكتمر السَّاقي وكان عُرْساً عظيماً حضَرَه تنكز وطينال ، على ما تقدَّم في ترجمته .

وفيها حجَّ[٣] السُّلطان واحتفل بأمر الحجاز ، وفي العَوْدِ ماتَ سَيفُ الدِّين بكتمر السَّاقي وولده أحمَد قبله ، على ما تقدَّم . وفيها أمسك الصاحب شمسُ الدِّين غبريال وأخذ خطّه بألفي ألف درهم ، على ما تقدَّم .

وفي سنة ثلاث وثلاثين عَمَّر الأمير سيف الدِّين تنكز ثغر جعبر وصارت من ثغور المسلمين .

وفي سَنة خمس وثلاثين وسبع مئة جُهِّز[٤] مهنا وداسَ بِساطَ السُّلطان بعد عناءٍ عظيم وتسويف[٥] كثير فأقبل عليه وأعطاه شيئاً كثيراً ، على ما سَيأتي في ترجمته . وفيها أخرجَ من السِّجن ثلاثة عشر أميراً منهم تمر السَّاقي وبيبرس الحاجب .

(١) في الأصل : « ومن صفد » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٢) في الوافي : « والحاكة » .
(٣) في الأصل : « وفيها كانت الكائنة حجّ » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) (س) والوافي : « حضر » .
(٥) (س) : « وتشويش » .

وفي سَنة ست وثلاثين وسبع مئة توفِّي القان بوسَعيد ، على ما تقدَّم .

وفي سنة أربعين أمسَك السُّلطان الأميرَ سَيف الدِّين تنكز في ثالث عشري ذي الحجة ، على ما تقدَّم .

وفي سَنة إحدى وأربعين وسبع مئة توفِّي ابن السُّلطان آنوك .

وفيها توفِّي الملك الناصر رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور . وقامَ في الملك بعده ولده المنصور أبو بكر على ما تقدَّم في ترجمته .

وكان الملك الناصِر رحمه الله تعالى مَلكاً عَظيماً مُطاعاً محظوظاً مهيباً ذا بَطْشٍ ودهاءٍ ، وأيْد وكَيْد ، وحزم وحلم ، قلَّما حاوَل أمراً ، فانجذمَ عليه فيه شيء يحاوله ، لأنه كان يأخذ نفسَه فيه بالحزم البعيد والاحتياط ، أمسَك إلى أن مات مئة وخمسين أميراً ، وكان يلبس الناس [على][1] علاّتهم ، ويَصْبر الدَّهر الطويل على الإنسان وهو يكرهه . تحدَّث مع أرغون النائب في إمساك كريم الدِّين الكبير قبل إمساكه بأربع سنين ، وهَمَّ بإمساك تنكز في سنة ثلاث وثلاثين وسَبع مئة بعد بكتمر[2] السَّاقي ثم أمهله[3] ثماني سنين . وكان الملوك الكبار[4] يهادونه ويراسلونه ، وكانت ترد إليه رسل ملك الهند ، ورسل القان أزبك[5] ، وتزوَّج ابنته ، وملوك الحبشة ، وملوك الفرنج ، وملوك الغَرْب ، وبلاد الأشكري ، وصاحب اليَمن ، وأمّا بوسعيد ملك التَّتار فكانت الرُّسل لا تنقطع بينَهما[6] ، وكل منهما يسمي الآخر أخاً ، وصارت الكلمتان[7] واحدة ،

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) في (س) والوافي : « بعد موت بكتمر » .
(٣) في (س) والوافي : « ثم إنه أمهله » .
(٤) (س) والوافي : « ملوك البلاد » .
(٥) عبارة الوافي : « رسل صاحب الهند ، وبلاد أزبك » .
(٦) في الأصل : « بينهما الرسل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) في الأصل و (س) : « الكلمتين » ، وأثبتنا ما في الوافي .

والمملكتان واحدة، ومَراسيم السُّلطان تُنفّذ في بلاد بوسعيد ، ورسله تدخل البلاد بالأطلاب والطبلخانات والأعلام المنشورة ، وكلّما بعد الإنسان عن مملكته وجدَ ذكره وعظمته ومهابته أعظم ، ومكانَته في القلوب أوقع[٢] .

وكانَ سمحاً جواداً على مَنْ يقرِّبه ويؤثره ، لا يبخل عليه بشيء كائناً ما كان . سألت أنا القاضي شَرَف الدِّين النشو ناظر الخاص قلت : هل أطْلَق السُّلطان يوماً ألف ألف درهم ؟ قالَ : نعم . كثير . وفي يوم واحد ، أنْعَمَ على الأمير سَيف الدِّين بشتاك بألف ألف درهم في ثمن قرية يُبْنَى التي بها[٣] قبر أبي هُرَيرة رضيَ الله عنه صاحب رسول الله ﷺ ، وأنعم على موسى بن مهنّا بألف ألف درهم في ثمن القريتين ، وأراني القاضي شرفَ الدِّين[٤] أوراقاً فيها ما ابتاعه فيها من الرَّقيق ، وكان ذلك لمدة[٥] أوّلُها شعبان سنة اثنتين وثلاثين وسَبع مئة [إلى سنة سبع وثلاثين][٦] ، وكان جملته أربع مئة ألف وسَبعين ألف دينار . كذا قال .

وكان ينعم على الأمير سَيف الدِّين تنكز في كل سنة يتوجَّه إليه بما يزيد على الألف ألف درهم ، وأنعم [يوماً][٧] على الأمير سيف الدِّين قوصون بزردخاه بكتمر الساقي ، قال[٨] المهذّب كاتب بكتمر : فيها شيء بمبلغ ست مئة ألف دينار ، وأخذ السُّلطان من الجميع سَرجاً واحداً[٩] ، ولَمّا تزوَّج قوصون بابنته حَمَل الأمراء إليه شيئاً

(١) (س) : « والمملكتين » .
(٢) (س) : « أرفع » .
(٣) في الأصل : « ويبنى التي في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في (س) : « شرف الدّين المذكور » .
(٥) (س) : « بمدّة » .
(٦) زيادة من (س) والوافي .
(٧) زيادة من (س) .
(٨) في (س) : « قال لي » .
(٩) زاد في (س) : « وسيفاً واحداً » .

كثيراً ، ثم بعد ذلك زوَّج ابنته الأخرى الأمير[١] سيف الدِّين طغاي تمر ، وقال السُّلطان ما نعمَل له عرساً ، لأن الأمراء يقولون : هذه مصادرة بحسن عبارة ، ونظر إلى طغاي تمر فرآهُ قد تغيَّر ، فقال للقاضي تاج الدِّين إسحاق ناظِر الخاص : يا قاضي اعمل لي ورقة بمكارمة[٢] الأمراء في عرس قوصون ، فعمل ورقة وأحضَرَها ، فقال : كم الْجُملة ؟ فقال : خمسون ألف دينار ، فقال : أعطِ نظيرها من الخزانة لطغاي تمر ، وهذا خارجاً عمّا دخل مع الزوجة من الجهاز .

وحَكَى لي الحاج حسين أستادار الأمير سَيف الدِّين يلبُغا اليحيوي قال : جَرَى يوماً بين يَدَي السُّلطان ذكر عشرين ألف دينار ، فقال الأمير : والله يا خوند أنا عُمري ما رأيت عشرين ألف دينار ، فلَمّا راح من عنده طلبَ النّشو وقال : احمل السَّاعة إلى يلبغا خمسَة وعشرين ألف دينار ، وجَهِّزْها مع الخزندارِيّة ، وجهِّز خمسَة تشاريف أطلس أحمَر بكلوتات زركش ، وطرز زركش ، وحوائص ذهَب ، ليخلع ذلك عليهم .

وأما عطاؤه العُربانَ[٣] فأمرٌ مشهور زائد عن الحد ، وكان راتب مطبَخِهِ ورواتب الأمراء الكبار والكتاب الذينَ هم على مطبخه في كل يوم بالمصري ستَة وثلاثين ألف رطل لحماً ، وأما النفقات في العَمائر فكان الرّواتب لها في كل يوم شيئاً كثيراً ، أظنه في كل يوم ألفي درهم ، غير ما يطرأ ممّا يستدعي به . وبالغ في مشترى الْخُيول بالأثمان العظيمة ، فاشترى بنت الكردا بمئتي ألف درهم ، وبالغ أخيراً في مشترى الْمَماليك فاشترى الأمير سَيف الدِّين صرغتمش بخمسة وثمانين ألف درهم غير تشريف أستاذه ، وغيرما كتبَ له من المسامَحَة . وأمّا العشرة والعشرون والثلاثون ألفاً فكثير ، وغلا الْجَوهر في

---

(١) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا ما في (س) : « بالأمير » .

(٢) (س) : « عكارم » .

(٣) (س) : « للعربان » .

أيامه واللؤلؤ وما رأى الناس مثل سعادة ملكه ومسالمة الأيام له وسكون الأعادي من بعد شقحب وإلى أن مات لم يتحرك عليه عدوّ في البرّ[١] ولا في البَحْر .

وخلّف من الأولاد جماعةً ، منهم البنون والبنات ، فأمّا البَنون : فمات له ولده عَلاء الدِّين علي بعد حضوره من الكرك في المرة الأخيرة ، ومنهم الناصر أحمد وقتل بالكرك ، وإبراهيم وتوفّي أميراً في حياة أبيه ، والمنصور أبو بكر وقُتل في قوص بعدما خلع ، والأشرف كجك وقَتَله أخوه الكامل شَعبان والله أعلم . وآنوك وَهوَ [ابن] الخوندة[٢] طغاي ، مات في حَياة أبيه ، ولم يكن في الأتراك أحسَنَ شكلاً منه ، والصّالح إسماعيل وتوفّي بعد ملكه مصر والشام ثلاثة أعوام ، والكامل شعبان وخلعَ وقُتل ، والمظفر حاجّي وخلع وقتل ، ويوسف ، ورمَضان ، وتوفّيا في حياة أخيهما الصّالح إسماعيل ، والنّاصر حَسَن وخُلِعَ أوّلاً ثم أعيد ثانياً ثم خُلِعَ وقُتِلَ في سَنة اثنتين وستين وسَبع مئة ، والصّالح صالح وخُلِع ، وحسين .

نوابه بمصر جماعة ، وهم :

زين الدِّين كتبغا العادل ، والأمير سَيف الدِّين سَلار ، الأمير سَيف الدِّين بكتمر الجوكندار ، الأمير ركن الدِّين بيبرس الدوادار ، الأمير سيف الدِّين أرغون الدوادار مملوكه ، ولم يكن له بعده نائب .

نوابه بدمشق :

الأمير عز الدِّين أيبك الْحَمَوي ، الأمير جَمال الدِّين آقوش الأفرم ، الأمير شمس الدِّين قراسُنقر ، الأمير سَيف الدِّين كراي ، الأمير جَمال الدِّين آقوش نائب الكرك الأشرفي ، الأمير سيف الدِّين تنكز ، الأمير علاء الدِّين ألطنبغا نائب حلب .

وزراؤه مِن أرباب السيوفِ والأقلام :

---

(١) في (س) : « لا في البر » .

(٢) في الأصل : « وهو الخوند طغاي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

الأمير علم الدّين سنجر الشجاعي ، الصاحب تاج الدّين بن حنّا ، الصّاحب فخر الدّين بن الخليلي مرتين ، الأمير شمسُ الدّين سُنقر الأعسَر ، الأمير سَيف الدّين البغدادي ، الأمير ناصر الدّين الشيخي ، أيبك الأشقر وسمّي (المدبر) ، ابن عَطايا ، القاضي ضياء الدّين بن النشّائي ابن التركماني وسمّي (مدبراً) ، الصاحب أمين الدّين ، أمين الملك ثلاث مرّات ، الأمير سَيف الدّين بكتمر الحاجب ، الأمير علاء الدّين مغلطاي الْجَمالي ، ولم يكن له بعده وزير .

قضاة الشافعية بمصر :

الشيخ تقيّ الدّين بن دقيق العيد ، القاضي بدر الدّين بن جَماعة ثلاث مَرّات[1] ، القاضي جلال الدّين القزويني ، القاضي عز الدّين بن جَماعة .

قضاة الشافعية بدمشق :

القاضي إمام الدّين القزويني ، القاضي بدر الدّين بن جماعة مرتين ، القاضي ابن صصرى ، القاضي جَمال الدّين الزرعي ، القاضي جلال الدّين القزويني مرتين ، الشيخ علاء الدّين القونوي ، القاضي عَلم الدّين الأخنائي ، القاضي جَمال الدّين بن جملة ، القاضي شهابَ الدّين بن الْمَجد عبد الله ، القاضي تقي الدّين السُّبكي .

كُتّاب سرّه بمصر :

القاضي شرف الدّين بن فضل الله ، القاضي علاء الدّين بن الأثير ، القاضي محي الدّين بن فضل الله ، القاضي شرف الدّين بن الشهاب مَحمود ، القاضي محي الدّين بن فضل الله ، القاضي علاء الدّين بن فضل الله .

كتّاب سرّه بدمشق :

القاضي محي الدّين بن فضل الله ، أخوه القاضي شرف الدّين بن فضل الله ،

(١) في الوافي : « مرّتين » ، وأضاف بعده : « القاضي جمال الدّين الزرعي » .

القاضي شهابُ الدِّين محمود ، ولده[١] القاضي شمس الدِّين مُحَمَّد ، القاضي محي الدِّين بن فضل الله ، القاضي شَرفَ الدِّين بن الشهاب محمود ، القاضي جمال[٢] الدين بن الأثير ، القاضي علم الدِّين بن القطب ، القاضي شهابَ الدِّين يحيى بن القيسَراني ، القاضي شهابَ الدِّين أحمد بن فضل الله .

دواداريّته :

الأمير عزّ الدِّين أيدمر مملوكه ، الأمير بهاء الدِّين أرسَلان ، الأمير سَيف الدِّين ألجاي مملوكه ، الأمير صلاح الدِّين يوسف بن أسعَد ، الأمير سَيف الدِّين بغا ، ولم يؤمَّر طبلخاناه ، الأمير سيف الدِّين طاجار الدوادار[٣] المارداني .

نُظّار جيشه بمصر : القاضي بهاء الدِّين بن الحلّي ، القاضي فخر الدِّين ، مرتين ، القاضي قطب الدِّين بن شيخ السلاميّة[٤] ، القاضي شمسُ الدِّين موسى بن التاج إسحاق ، القاضي مَكين الدِّين بن قروينة ، القاضي جمال الدِّين جمال الكفاة .

نظار خاصّه ، هذه وظيفة أحدثها القاضي كريم الدِّين الكبير :

القاضي تاج الدِّين إسحاق ، القاضي شمس الدِّين ولده ، القاضي شرف الدِّين النشو ، القاضي جَمال الدِّين جَمال الكُفاة .

الذين دَرَجوا بالوَفاة في أيامه من الْخُلَفاء :

الحاكم بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ، ولده المستكفي بالله أبو الربيع سُلَيمان .

---

(١) في الوافي : « وولده » .

(٢) في الأصل : « جلال » وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والبداية والنهاية : ١٤/١٧٠ ، وفيه : « جمال الدِّين مُحَمَّد بن عماد الدِّين بن الأثير » . وانظر الدّارس : ٢/١٢٥ .

(٣) ليست في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « العلامية » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

ومن الملوك : كيختُو بن هُولاكو ، المستنصر بالله محيي الدِّين بن[١] عبد الواحد صاحب إفريقيّة ، المظفَّر يوسُف صاحب اليَمن ، السَّعيد إيلغازي[٢] صاحب ماردين ، المظفر تقيّ الدِّين محمود صاحب حَماة ، المنصور حسام الدِّين لاجين ، أبو عبد الله بن الأحمر محمد بن محمد بن يوسف صاحب الأندلُس ، أبو نميّ[٣] صاحب مَكة ، العادل زين الدِّين كتبغا المنصوري ، غازان محمود بن أرغون مَلك التَّتار ، أبو يعقوب المريني صاحب الغرب ، المظفر ركن الدِّين بيبرس الجاشنكير ، أبو عصيدة صاحب تونس ، المنصور[٤] غازي صاحب ماردين ، طقطاي صاحب القبجاق ، دوباج صاحب جيلان ، علاء الدِّين محمود صاحب الهند ، خربندا بن أرغون ملك التَّتار ، دون بطرو الفرنجي ، حميضة صاحبُ مَكَّة ، المؤيَّد داود صاحب اليَمن ، ابن الأحمر أبو الجيوش نصر بن مُحَمَّد اللِّحياني صاحب تونس ، منصور بن جمّاز صاحب المدينة ، الغالبُ بالله إسماعيل صاحب الأندلس ، أبو سعيد [عثمان][٥] صاحب فاس وغيرها ، المؤيَّد صاحبُ حَماة ، ابن الأحمر مُحَمَّد بن أبي الوليد صاحب الأندلس ، تَرْمشين صاحب[٦] بلخ وسَمَرقند وبخارى ومَرو ، بُوسَعيد مَلك التَّتار ، أربكوون ملك التَّتار ، صاحب تلمسان عبد الرَّحمن أبو تاشفين ، موسى مَلك التَّتار ، مهنّا بن عيسى .

ولما كنتُ بالقاهِرة سَنة سَبع وعشرين وسَبع مئة قال لي الأمير شرف الدِّين حسين بن جندربك رحمه الله تعالى : لو نظمت أبياتاً مديحاً في السُّلطان لقدمتُها أنا مِن يدي ، وكان يحصل لك ما تريده ، فنظمت أبياتاً ، وكتبتها بالذهب وزمَّكتها ، وتوفي الأمير شرف الدِّين رحمه الله تعالى وما اتفق وصولها ، وهي :

---

(١) (س) والوافي : « المستنصر بالله يحيى بن عبد الواحد » .

(٢) (س) : « المغازي » ، تحريف ، وانظر في ترجمته الوافي : ٢٧/١٠ .

(٣) ليست في (س) .

(٤) في الأصل : « المنصوري » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

(٦) (س) والوافي : « سلطان » .

بعِـزِّ نَصرِكَ أضحَى الـــدَّهرُ يَبتَسِمُ ... وعن رَعـايـــاكَ ولَّى الظُّلْمُ والظُّلَمُ
يـا نـاصِرَ الـدِّين والـدُّنيـا ويـا ملِكاً ... ذَلَّت لِعِـزَّتِـــه في أرضِهـــا الأُمَمُ
أصبَحْتَ سُلطانَ أهلِ الأرضِ قاطِبَةً ... سـارَت بـأنبـائِـكَ الوَخّـادَةُ الرُّسُمُ[1]
تَخـافُ بَـأْسَـكَ أمـلاكُ الأنَـام فَما ... تَسعى لَهُم في سِوَى طاعاتِـكَ القَـدَمُ
يُبـــادِرونَ إلى مـــا كُنتَ تَـــأْمُرُهم ... كأنَّهم عنـــدَمـــا تَختـــارُهُ خَـــدَمُ
متى يَخَفْ مَلِـــك منهم فليسَ لـــهُ ... إلاَّ ظِـلالُـك في هـذا الـوَرى حَرَمُ
فـالأُســدُ تَخْشـاكَ في سِرٍّ وفي عَلَنٍ ... فليسَ يعصِمُهـــا غـــابٌ ولا أجَمُ
تَغـزو سَرايـاكَ أمـلاكَ البـلادِ فَما ... يَحمي العِـدا منهُم قـاعٌ ولا أكَمُ[2]
ويبلغـونَ الأمـــاني مِن عَـــدُوِّهم ... لأنَّهم بـاسمِكَ المنصور قـد قَـدِمـوا
فـإن تَصُـل في جُيـوشِ الكُفْرِ وَغًى ... وأبحُرُ الحربِ بـالأبطـالِ تَـزدَحِمُ[3]
تُفَرِّجُ الضِّيـقَ في يـومِ الكريهَـةِ إذْ ... أضحَت سُيوفـكَ من أغمـادِهـا القِمَمُ
ومـا هبـاتـك في يـومِ النَّـوالِ نـدًى ... لكنَّهـــــا سُحُبٌ تَهْمي وتَنسَجِمُ
تَجـودُ بـالصَّـدَقـاتِ الـوافِراتِ فَكَمْ ... أحْيَت عَطاياكَ مَن أودى بـهِ العَـدَمُ
وفضـلُ حِلْمِـكَ مَشهـورٌ لِطـالِبِـه ... ونَفحَـةُ المِسْـكِ فينـا كيف تَنكَتِمُ
مَنـاقِبُ شَرُفَتْ قَـدْراً فقَـد رَجَعَت ... دَرّاً على جهَـــةِ الأيّـــامِ تَنْتَظِمُ
فـالله يَجْعَـل هـذا الملـكَ مُتَّصِـلاً ... بالسَّعْدِ ما ابتَسَمَت عن صُبْحِها الظُّلَمُ[4]
ولا بَرَحْتَ على الأعـــداءِ مُنتَصِراً ... مـؤيَّـداً مـا جَرى في مُهَرِق قَلَمُ[5]

---

(١) الوخادة : الإبل . الرسم : المؤثرة في الأرض .
(٢) (س) : « أطراف البلاد » .
(٣) (س) : « تلتطم » ، وهي أشبه .
(٤) في الأصل : « ما اتصلت » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) (س) : « من مهرق قدم » .

١٧٢٢ ـ محمد بن كجكن*

الأمير شمس الدِّين ابن الأمير الكبير سَيف الدِّين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، تقدم ذكر والده في مكانه .

كان الأمير ناصر الدِّين[١] أمير شكار السَّلطنة بدمشق يُربِّي الغزلان وغيرها ، وله حوش في بلاد حوران ، وفي كل سَنة يجهز من ذلك تقدمَة إلى باب السُّلطان ، ويُحْضَر له من مصر تشريف يجهزه الأمير سَيف الدِّين أيتمش نائب الشام إلى ولاية الولاة بعد الأمير سَيف الدِّين ساطلمش الجلالي ، وذلك في أواخر سنة اثنتين وخمسين[٢] وسَبع مئة أو أوائلها ، فأقام بها مدّة إلى أن طَلَبَ الإقالَة من الأمير علاء الدِّين أمير علي الماردِيني نائب الشام ، فأعفاه منها في أوائل قدومه سَنة أربع وخمسين وسَبع مئة ، ثمَّ إنه ولاَّه نيابَة حمص فتوجَّه إليها بعد وفاة الأمير سَيف الدِّين [تلك][٣] في ذي القعدة سَنة أربع وخَمسين وسَبع مئة .

ولم يزل بها مُقيماً إلى أن توفِّي رحِمَهُ الله تعالى في العشرين من شهر رجب الفرد سَنة خَمس وخمسين وسَبع مئة وهو من أبناء السِّتين ، ونقل تابوته من حمص إلى دمشق ودُفِنَ بتربة والده بالصّالحية .

وكان وقوراً محتشماً يخدم الناس ويرعاهم ويعرف حقوقهم .

---

* الدُّرر : ١٥١/٤ ، وفيه : « كجكي ، ناصر الدّين » .

(١) كذا في الأصول ، وهذا يخالف ما قدَّمه من قوله : « شمس الدِّين » ، وقد سلفت الإشارة إلى أن صاحب الدُّرر سمّاه : « ناصر الدّين » .

(٢) في الأصل : « وثلاثين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

١٧٢٣ ـ محمد بن كشتغدي*

الأمير ناصر الدِّين العِزِّي[١] المصريّ الصَّيْرَفي .

سَمع من النَّجيب والْمُعين الدمشقي .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومَولده سَنة إحدى وستين وست مئة[٢] .

١٧٢٤ ـ مُحَمَّد بن كوندك**

ناصر الدِّين دوادار الأمير سَيف الدِّين تنكز نائبَ الشام رحمه الله تعالى .

ما رأى الناسُ مثله دَواداراً ، ولا بلغ عظمَته في أيامه كسرى ولا دارا . بلغ الغاية القصوى مِن الوَجاهَة ، وتفرَّد مع ذلكَ بالعفَّة عن أموال الرَّعايا والنزاهَة ، يتطفل نوابُ الشام على مكاتباته ، ويَفْرَحون إذا ظفروا بما يَرِدُ عليهم من جَواباتِه ، لأنه كان قد تمكن من أستاذِه ، وملك أمره باشتماله عَليه واستحواذه ، لا يَقْدر أحَد من القضاة ولا الحاجِب ولا أرباب المباشرات من المتولي والصّاحب[٣] ، ولا ناظِر الْجَيوش ولا كاتب الأسرار ، ولا مَنْ له حديثٌ في هذه[٤] الدَّولَة من الأخيار والأشرار أن يَنْفرد بأمرٍ في عزلٍ ولا وَلايَةٍ ولا حكمٍ ولا عناية دون أن يكون ذلكَ بأمرِه ، أو موافقاً لما في

---

* الوافي : ٣٧٧/٤ ، والدُّرر : ١٥١/٤ .

(١) في الوافي : « الغزّي » ، وفي الدُّرر : « المغري » ، وترجم صاحب الدُّرر لوالده ٢٦٨/٣ ، وفيه أيضاً : « المعزّي » .

(٢) وفي الدُّرر أنه « مات في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة ٧٢٩ هـ » .

** البداية والنهاية : ٢٧٠/١٤ ، والدُّرر : ١٥٢/٤ ، ووقع في الأصل : « كويدك » ، تصحيف .

(٣) (س) ، (خ) : « من القضاة ولا الصاحب ... من المتولّي أو الحاجب » .

(٤) ليست في (س) ، (خ) .

باطنه وسِرّه . فمشت الأمور وأصلح[١] الْجُمهور ، وساسَ فأحسَنَ السِّياسَة . وبالَغ في العظَمَة والرِّياسَة ، وكأنَّ الأمر مردودٌ إلى أمرِه ، وأمْرُهُ لَيسَ له رَدٌّ .

وكان في وقت يوقِّع على القِصص ويَتجرَّع الموقعون وغيرهم من ذلك الغُصَص ، ودام على ذلك مدَّة مديدة[٢] . ثم بَطلَ ذلك ولا فُلَّ حَدّه ولا نقص عديده ، إلى أن أولع به حَمزة التركاني فخرَّبَ ديارَه ، ونقَّص عيارَه ، [ونفضَ غُباره][٣] ، وكسَفَ بَدْره التَّام ، ونكَّسَ قامَة غصنه حتى ناح علَيه الْحَمام ، فتغيَّر عليه أستاذه تَغيُّراً شديداً ، وحوَّلَ عنه رأْياً كان فيه رَشيداً[٤] ، فضربَه بين يديه بالسِّياط ، ولم يَعمل فيه[٥] بالاحتياط ، وأخذَ منه جُملة من الدَّنانير ، ورُدّ[٦] بعد تلك المنعة والقوة يَتَجَشّأ بينَ التَّنانير[٧] . فأصبَحَ تحتَ الثَّرى بعد أن كان عَلى الثُّريّا ، ووَلاَّه الزَّمانُ قَفاه بعدَما كان قابله بالمحيّا . فذَلَّ من بعد تلك العزّة ، وسَلَبه الدهر ما قَلَّده وبزَّه ، وراحَ بعد علوّ المرتَبة ، وهوَ من ذوي المتربَة :

وكَم حـــالِم سَرَّهُ حِلْمُـــهُ وأدْرَكَــه الرّوعُ لَمَّــا انْتَبَــه [٨]

ولم يزل على الحال المذكور إلى أن استجنَّ ضريحَه ، وأسمعَه الفناء صريخه ، وعَلَّم منه ضريحه .

---

(١) في (س) ، (خ) : « وانصلح » .

(٢) (س) : « مدّة من السنين مديدة » .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) (س) ، (خ) : « سديدا » .

(٥) (س) ، (خ) : « في أمره » .

(٦) (س) : « وردّه » .

(٧) يشير إلى قول حسّان :

ألا طعـان ألا فرسـان عـاديـة إلاّ تجشّـؤكم حـول التنـانير

والتَّجشؤ : تنفُّس المعدة عند الامتلاء ، والبيت في الهجاء .

(٨) (س) : « حاكم » .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في عشري شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسَبع مئة .

وكان قد وردَ مع أستاذه من مصر هو وناصر الدِّين الخزندار ، وضبطا بابَه على أحسَن ما يكون . أمّا هذا ناصر الدِّين فكان أمره خارجاً عن الحدّ ، وكان عنده خبرة ومعرفَة وتنفيذ للمهمات وما يتعلَّق بالدولة والمباشرات والوظائف وغيرها .

عَرَفَ خُلُق أستاذه ومشى عليه ، فلم يكن يجتمع على أحد[١] في بيته إلاّ بأناس قلائل من الصوفيّة وغيرهم ، ولا يعرف أحدٌ بابه ولا يَقْربُه ، فإن[٢] كان له شغل اجتمع به في دار السعادة ، ولم يُشْبع أحداً[٣] منه كلاماً ، وأنشأ جَماعة من الأمراء والقضاة والكتّاب والدواوين والأجناد وغيرهم من سائر الطوائف ، ولم يَأخذ على أحد من ذلك شيئاً . ولما غضبَ عليه أستاذه ضربه قدّامه بالمقارع ، وأخذ منه للسُّلطان ثمانية عشر ألف دينار ، وأخذ منه لنفسه مثلَها وأكثر[٤] منها ، وباع موجوده وغالبَ أملاكه ، ومع ذلك لم يشْكُ أحدٌ عليه ، ولا قالَ أحد إنه أخذ منه درهماً فما زاد عليه .

ولما أُفرِجَ عنه كان يُلْزِمه بالركوب والنزول في أيام المواكب ، وكان يقول : قصدي بذلك حتى يَرَى مكانه وما كان فيه من العظمة[٥] أوّلاً وكيف أصبح الآن ، ثم إنه جهَّزه إلى القدس فأقام[٦] هناك مُدَّةً ، ثم إنه[٧] أحضره إلى دمشق . ولم يزل غَضباناً[٨] عليه من سَنة أربع وثلاثين إلى أواخر سنة أربعين وسبع مئة ، فأحضره ورضيَ عليه وخَلَع

(١) في (س) ، (خ) : « بأحد » .
(٢) (س) ، (خ) : « وإن » .
(٣) (س) ، (خ) : « أحدٌ » .
(٤) (خ) : « أو أكثر » .
(٥) (س) : « حتى يرى مافيه من العظمة » . وفي (خ) : « حتى يرى ما كان فيه من العظمة » .
(٦) (س) : « فما أقام » .
(٧) ليست في (س) ، (خ) .
(٨) كذا بالتنوين خلافاً للقاعدة .

[عليه][١] ، وكان يَرْكَبُ معه في غير المواكب ويُسايره ويحادِثُه . ولم نَرَ هذا الحال حصلَ لغيره ، لأنَّه ما غضبَ على أحد قطّ ورضِيَ عنه ، وكان هذا الحال في حق الدّوادار مُضِرّاً له ، لأن السُّلطان لَمّا أمسك الأمير سَيف الدِّين تنكز رحمه الله تعالى شَمَل غضبُه كلَّ مَن كانَ من جهته ، واستخدم كلّ من كان بطالاً ، وقد غضبَ عليه فناله بهذا أذًى ، وأراد السُّلطان أن يعطيه إمرة عشرة فلم يقبل خوفاً من أستاذه .

وكان يتوجَّه في كل سَنة مرتين أو ثلاثاً على قدر ما يتفق له إلى باب السُّلطان في[٢] البريد ، فيعامله السُّلطان بالإكرام الزائد والتعظيم .

وكان بيده في حلقة الشام إقطاع يعمَل أربعين ألف درهم ، وأربعة[٣] إقطاعات أو خمسَة جياد بأيدي أولاده ومَماليكه ، وكان له على أستاذه مرتب خبز ولحم وعَليق ، ويعطيه وينعم عليه في كلّ قليل ، فأقام على هذا الحال من سنة اثنتي عشرة وسبع مئة إلى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكلّ ماله في عظمة ووجاهة ، وكان إذا توجَّه إلى مصر وعادَ يتعذر على الأمير سيف الدِّين قطلوبغا الفخري وأمثاله السَّلامُ عليه في بيته ، بل يقفون له في الطريق إذا تَوَجَّه إلى دار السَّعادة ويسلِّمون عليه .

وعلى الْجُملة ما رأيت أنا ولا غيري عظمَةً نالَها هذا ناصر الدِّين في دواداريته لا من قبله ولا من بعده ، وبعد هذا[٤] كنت أراه يشتري اللحم ويربطه خَلْفَه على الفرس ويتوجَّه به إلى بيته ، فما كنت أقضّي العجب من أمره ، سُبحان مَن بيده تصاريفُ الأمور لا إله إلاّ هو ، وكنتُ أرى ذلك لأنه[٥] غَيرُ بارٍّ بأبيه ، وكان يُؤْثر إيحاش الأكابر ويشتهي[٦] إذْلالَهُم .

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) (س) : « على » .
(٣) » س) : « وأربع » .
(٤) (س) : « هذا كلّه » .
(٥) (س) : « أنّه » .
(٦) (س) : « ويريد » .

١٧٢٥ ـ محمد بن ليث العِدى*

الحاج شمس الدِّين ابن الحاج زين الدين التاجر بمدينة سَيدنا الخليل عليه السَّلام .

توفِّي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في الطاعون ، ووصَّى بأن يُصرف من تركته لعَمارة مكة[١] وحرم النبي ﷺ وحرم القدس وحرم الخليل عليه السَّلام ، لكل مكان منها مبلغ ثماني مئة دينار ، فقال له شهابُ الدِّين أبو العباس أحمد خطيبُ الحرم : إن هذه الوصيّة إنما تنفذ من الثلث . فقال : أعرفُ ذلكَ ، فإن النَّبي ﷺ قالَ لسَعد : « الثُّلث ، والثُّلث كثير »[٢] ، وثلث مالي يزيد على ذلكَ ، وكُتِبَ محضر[٣] ، وجهز إلى دمشق في أيام أرغون شاه .

١٧٢٦ ـ محمد بن مجاهد بن أبي الفوارس**

القاضي الصدر [الكبير][٤] بدر الدِّين النابلسي .

لبسَ خلعة نظر الدواوين شريكاً للشريف أمين الدِّين بن عدنان في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسَبع مئة ، وأقام على ذلك إلى أن تولَّى الصّاحب شمسُ الدِّين غبريال نظر الدَّواوين عِوضاً عن ابن أبي الفَوارس وعن الشريف أمين الدِّين في سادس عشر المحرَّم سنة ثلاث عشرة وسَبع مئة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى ثاني[٥] عشر شوال سنة تسع عشرة وسَبع مئة .

---

* الدُّرر : ١٥٢/٤ ، وفيه : « ابن الليث البغدادي » .

(١) في (س) : « حرم مكة » .

(٢) انظر : صحيح البخاري ٢٥٤/٣ (٥٥ كتاب الوصايا ، باب ٢ ، رقم الحديث ٢٧٤٢) .

(٣) في (س) : « وكتب بذلك محضر » .

** تالي وفيات الأعيان : ١٨٦ ، والدُّرر : ١٥٣/٤ .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) (س) : « ثامن » .

ولَمّا عزل من نظر الدواوين بدمشق بقي بَطّالاً خاملاً إلى أن مات رحمَهُ الله تعالى .

١٧٢٧ ـ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد بن علي*

ابن محمد بن الْحَسَن بن عبد الله بن أحمَد بن الْمَيمون .

الشيخ الإمام أمين الدِّين أبو الْمَعالي ابن الشيخ قطب الدِّين أبي بَكر بن القسطلانيّ المكّي ، شيخ الحديث بالْحَرَم .

كان من بيت صلاح وله فضيلة .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : قرأت عليه أحاديث من (الثقفيات) عن ابن الْجُمّيزي وهو مريض بالإسهال ، ولم يمكنه حضور الموقف ، واستمرَّ مرَضه بعدما رَحَلنا أياماً .

ومات في مستهل المحرم سَنة أربع وسَبع مئة .

١٧٢٨ ـ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن بَهرام**

العالِم العَلاّمَة قاضي القضاة بحلب وخطيبها ، شمس الدِّين أبو عبد الله الشافعي الدمشقيّ .

ولِيَها مدّة طويلة ، وكان قد تفقَّه بمصر على الشيخ عزّ الدِّين بن عبد السَّلام ، وبرع في المذهب وتصَدَّر ، وتخرَّج به الأصحاب[1] .

---

* الدُّرر : ١٦٩/٤ .

** الوافي : ٢٠٩/١ ، والدُّرر : ١٧١/٤ ، والشذرات : ١٣/٦ ، وفيها : « الكوراني » . وذيول العبر : ٣١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٠/٨ .

(١) (س) : « وخرّج به » . وفي الوافي : « وخرَّج له » .

وكان محمود الأحكام على ضيق خُلُقه ، وكان يخالف قراسُنقر نائب حلب كثيراً في أغراضه ، وعُزل[١] بالقاضي زين الدِّين ابن قاضي الخليل ، وقد تقدم ذكره .

وتوفِّي القاضي شمس الدِّين في العشر الأول من جمادى الأولى سنة خمس وسَبع مئة .

ومولده سَنة خمس وثلاثين وست مئة ظنّاً .

ولَمَّا عُزِلَ عن قضاء حلب ولِيَ الخطابَة بها وبقيَ مدَّة[٢] مفتي البَلد وشيخ الجماعة والناس يقرؤون عليه الفقه والأصول . وتولَّى خطابة حلَب بعده بدرَ الدِّين بن الحدّاد .

١٧٢٩ ـ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسَين*

ابن أحمد بن علي بن محمَّد الْخَطيب جَمال الدِّين بن تقي الدِّين أبي الطّاهر بن مجد الدِّين أبي علي ابن الشيخ تاج الدِّين أبي الْحَسَن بن القسطلاني ، إمام جامع مصر وخطيبَ القلعَة .

سَمع من ابن خطيب المزّة ، وصحِبَ الشيخ المرجاني[٣] وحجَّ معه ولازَمهُ وانتفع به ، وخطبَ بجامع مصر مدّة . ولما نُقِل إلى خطابة القلعة خطب مكانه أخوه تاج الدِّين بجامع مصر .

وتوفِّي رحمَهُ الله تعالى في مستهل ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسَبعين وست مئة تقريباً .

---

(١) في الأصل و (س) : « وولي » ، وعبارة الدُّرر : « عزل ... وبقيت معه الخطابة » .

(٢) ليست في (س) .

* الدُّرر : ١٧٣/٤ .

(٣) عبد الله المرجاني (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٤٠٨/٥ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : ووالد جَمال الدِّين المذكور سبط الشيخ مجد الدِّين الإخميمي خطيب مصر .

١٧٣٠ ـ محمد بن محمد بن علي*

ابن مُحَمَّد بن سليم ، الصّاحب تاج الدِّين أبو عبد الله ابن الصّاحب فخر الدِّين ابن الوزير بهاء الدِّين ابن حنّا .

سمع من سبط السّلفي (جزء الذهلي) ، ومن الشرف[١] الْمُرْسي . وبدمشق من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر ، وحدّث بدمشق وبمصر .

رأى من العز والوَجاهة ما لا رآه جدُّه ، وساعَدَهُ على الرئاسة حَظه وجَدّه .

كان ذا تصوّن ورياسَة[٢] وسيادة ، وتفنُّنٍ في المكارم بلغ[٣] من العَلياء ما أراده ، وانتهَت إليه رياسَة مِصْره في عَصْره ، وسيادة دهره في سِرِّه وجَهْره .

وكان شكله حَسَناً ، وبزَّته إذا رآها الناظر لم يذق معها وسَنا ، لأنه تفنَّنَ في مطعمِه ومَلبَسِه ، ومَركوبه ومَجْلِسه ، وراحة قلبه وبدنه ، وسَكَنه ومَسْكَنِه ، مع كثرة صَدقاتِه على الفقراء . ومَبرّاته للأمراء ، وتواضعه الذي مَلك به قلوبَ الأصاغِر والعظماء .

وزاده زينة والبَدرُ أحسَنُ ما تَراهُ في طَرف السَّماء ، وعزم تلاه[٤] الْحَزم ، ولم يَدخل عليه منَ العَوامِل إلا ذوات[٥] الجزم .

---

* الوافي : ٢١٧/١ ، وفوات الوفيات : ٢٥٥/٣ ، والدُّرر : ٢٠١/٤ ، والشَّذرات : ١٤/٦ ، وذيول العبر : ٣٨ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٢٨/٨ .

(١) في الأصل : « الفخر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « بلغ ذلك » .

(٤) (س) : « تراه العين في ذيل السماء وعزم تلاوة ... » .

(٥) في (س) : « أدوات » .

مستبـــــدّ بهمَّـــــةٍ جَعَلَتْـــــه في عُلُـوِّ الْمَرمى شريـــكَ النُّجُـومِ
وخِـــلال لـــواستردّت إليهـــــا مثلَهـا مـا وجَـدْتهـا في الغُيـومِ

وكان ممدَّحاً معظَّماً ، يختار الشعراء لأمداحِه الدرّ الكبار مُنَظَّماً .

وولي الوزارة مرتين ، وتجمَّلت به كَرَّتين . ثم إن الوزراء بعده كانوا له غلماناً ، ولأوامره كفلاء وضُمّاناً .

ولم يزل على حاله إلى أن سَكَن ابن حنّا زوايا ضريحه ، وخرج فقده من مُعَمّاهُ إلى ضريحه .

وتوفِّي رحمه الله تعالى ليلة السَّبت خامس جمادى الآخرة سَنَة سَبع وسبع مئة .

ومَولدُه في يوم الْخَميس سابع شَعبان سنة أربعين وستّ مئة .

وهوَ الذي اشترى الآثار النبويّة على ما قيل بمبلغ ستين ألف درهم ، وجَعَلها في مكانه بالمعشوق ، وهو المكان المنسوب إليه بمصر ، وقد زرت هذه الآثار ورأيتها مرَّتين ، وهي قطعة من العنزة[١] ومِرْوَد[٢] ومِخْصَف وملقط وقطعَة من القصعَة ، وكَحَّلْتُ [ناظريّ][٣] برؤيتها ، وقلْتُ أنا :

أكرِمْ بـــآثـــارِ النَّبيِّ مُحَمَّـــدٍ مَنْ زارَهـا اسْتَوفى السُّعُودَ مَـزارُهُ
يـا عين دونَـكِ فـالْحَظي وتَمَتَّعي إنْ لم تَرَيْـــهِ فَهَـــذِهِ آثـــارُهُ

وحَكى لي الإمام العلامَة شيخنا شهابُ الدِّين أبو الثَّناء محمود وغيرُ واحد أن الصاحب فخر الدِّين بن الخليلي لَمّا لبس تشريف الوزارة وتوجَّه[٤] إلى القلعةَ بالخلعَة

(١) العنزة : العصا .
(٢) في الوافي : « مِزْوَد » .
(٣) زيادة من (س) والوافي .
(٤) في الوافي : « توجَّه » .

إلى عنـد الصّـاحب تـاج الـدّين ، وجلسَ بين يـديـه وقبّـل يَـدَه ، فـأراد الصّـاحب تاج الدّين أن يُجْبره ويعظّم قَدْره ، فالتفت إلى بعض غلمانه الواقفين أو عبيـده وطلبَ منـه تـوقيعـاً بمرتب يختص بـذلـك الشخص ، فـأخـذه وقـال : مـولانـا يعلّم على هـذا التوقيع ، فأخذه وقبّلَه وعلّم عليه قدّامه .

وكانَ شيخنا الحافظ فتح الدّين إذا حكى ذلك يقول : هـذه الحـالـة من الصّـاحب تاج الدّين بمنزلة الإجازة[١] والإمضاء لوزارة ابن الخليلي .

ومن أحسَن حَركةٍ اعتَمدها ما حكاه لي القاضي شهاب الدّين بن فضل الله قـال : اجتزت بتربة[٢] فرأيت في داخِلَها مكتباً للأيتام ، وهم يكتبون القرآن في ألواحهم ، فإذا أرادوا مسحَهـا غَسلوا الألواح وقلبوا المـاء على قبره ، فسـألتُ عن ذلـك فقيل لي : هـذا شرطٌ في هذا الوقف ، وهذا مقصَدٌ حَسَنٌ وعقيدةٌ صحيحة .

وكان جدُّه الصّاحب بهاء الدّين يؤثره على أولاده لصُلبه ويعظّمـهُ عليهم . أخبرني القـاضي شهـابُ [الـدّين][٣] بن فضل الله قـال : أخبرني قـاضي القضـاة جلال الـدّين القزويني رحمه الله تعالى ، قال : وقَفْتُ على إقرار الصّاحب بهاء الـدّين بـأنـه في ذمّتـه للصاحب تاج الدّين ولأخيه [مبلغ][٤] ستين ألف دينار مصريّة .

ومن وَجاهته وعظمته في النفوس أنّه لَمّا نُكِبَ على يَد الشُّجاعي جرَّدَه من قِماشـه وضربَهُ مقرعةً واحـدةً من فوق قميصـه ، ولم يـدعـه النـاس يصل إلى أكثر من ذلـك مع جَبروت الشجاعيّ وعتوّه وتمكّنه من السُّلطان .

وكان قـد رُتّب في الوزارة بعـد ابن السَّلعُوس وقَتْـل الأشرف في أول دولـة النـاصر

---

(١) في الأصل : « الإجارة » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « بتربته » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

مُحَمَّد بن المنصور وقتل الشّجاعي ، وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين وستّ مئة إلى أن عُزِلَ بابن الخليلي فخر الدّين في جمادى الأولى سَنة أربع وتسعين وست مئة .

وكان الصاحب يتعاطى الفروسية ويحضرُ الغزوات ويتصيَّد بالْجَوارح والْجَوامي ، ولَمَّا قدم من غزوة حمص امتدحه الحكيم شمس الدِّين مُحَمَّد بن دانيال وذلك في سَنة ثمانينَ وست مئة ، وأوّل القصيدة[١] :

تَذكَّرتَ سُعدى أم أتاكَ خَيالُها ... أمِ الرِّيحُ قَد هَبَّت إليكَ شَمالُها

منها :

لقَد أقبَلَ الصَّدر الوزيرُ مُحَمَّد ... فأقبلَتِ الدُّنيا وسُرَّ وِصالُها[٢]

منها :

بَغَى أبغا لَمّا تَصرَّعَ أهلُه ... بِدارِ هَوانٍ قَد عَراهُم نَكالُها[٣]
وألقوا عنِ الأفراسِ حيثُ رؤوسَهُم ... أكاليلُها فوقَ التُّرابِ نِعالُها
وكانَ لها تِلكَ الذّوائبُ في الثَّرى ... شكالاً وثيقاً حينَ حلَّ وثالُها[٤]
فأمْسَوا فراشاً والأسنّة شُرَّعٌ ... ذِبالٌ إلى أنْ أحرَقَتهُم ذبالُها

وأنشدني إجازة لنفسه شيخُنا العَلامَة أبو الثناء يمدَحُهُ بقصيدة تزيد على الثمانين بيتاً أولُها :

أعَلِيَّ في ذكْرِ الدِّيارِ مَلامُ ... أم هَل تَذَكُّرُها عَلِيَّ حَرامُ
أمْ هَل أُذَمُّ إذا ذَكَرتُ مَنازِلاً ... فارَقْتُها ولَها عَلِيَّ ذِمامُ

(١) المختار من شعر ابن دانيال : ٦٤ .
(٢) في المختار : الصلد الوزير » .
(٣) في المختار : « زكالها » .
(٤) في المختار : « وكانت » . في الوافي والمختار : « حلّ شكالها » . والوَثَل : الحبل .

دار الأحِبَّـــةِ والهَـوى وشَبيبـــة ذَهَبَت وجيرانٌ عَليَّ كِرامُ[1]
فـارقتُهُم فـأرِقْتُ من وَجْـدي بِهِم أفَهَـــل لهم أوْ لِلكَرى إلمـــامُ
كانـوا حَيـــاتي وابتُليتُ بفقـدِهِم فَعلى الْحَيـــاةِ تَحيَّـــةٌ وسَـلامُ
أشتـاقُهـا شـوقَ الغريبِ مَـزارهُ سَفهـــاً وإلاّ أينَ منّي الشّـــامُ
وتَروقني خِـدَعُ الْمُنى منهـا وقَـد بَعُـدَ الْمَـدى وتَمادَتِ الأيّـامُ
وتَلَـذُّ لي سُنّـةُ الكَرى لا رَغبَـةً في النَّومِ بـل لتعيـدَهـا الأحـلامُ
وتمثّـلُ الأوهـامُ لي أنّي بِهـا ثـاوٍ ولـذّات الهَـوى أوهـامُ
وكأنَّ دَمـعَ تشـوُّقي وخَيـالَهـا دمَنٌ ألَمَّ بهـا فقـالَ سَـلامُ

منها :

ولَـهُ بظِـلِّ مُحَمَّـد بن مُحَمَّـدٍ حَرَمٌ يُطـافُ برُكْنِـه ومَقـامُ
الصّاحبُ الْمَولى الوزيرُ ومَن بـهِ بُعِثَتْ عِظـامُ الْمَجـدِ وهي رمـامُ
مُتفَرِّدٌ دونَ الـوَرى بمنـاقبٍ أمسى لَهـا بينَ النُّجـومِ مَقـامُ
خُلُـق كَنَشرِ الرّوضِ حُـلَّ لنـورِهِ بيَـد الصَّبـا عنـدَ الصَّبـاحِ لِثـامُ
وبـديهـة أسرى وأسرَعُ مِن سَنـا بَرقٍ بَـدا فكأنَّهـا إلهـامُ
مِن خـاطِرٍ كالنّـارِ يَجْري مـاؤُهُ عـذباً وهَـل تُجري الميـاهُ ضرامُ
مِنْ كلِّ مغنى لـوتَمَثَّـل جَـوْهَراً فَرْداً أقَرَّ لـهُ بهـا النّظـامُ
وشَجـاعَـة مـاعـامِرٌ فيهـا لَـهُ قَـدَم ولا عَمْرٌو لَـهُ إقـدامُ[2]
ثَبْتَ الجنـانِ إذا الفَوارِسُ أحْجَمَتْ خَـوْفَ الرَّدى لم يُثْنِـهِ إحجـامُ
وبكفِّـهِ في جَحْفَـلٍ أو مَحفَـل تُـزْجى الرِّمـاحُ السُّمرُ والأقـلامُ[3]

(١) يشير إلى قول الفرزدق :

فكيفَ إذا مررتُ بـدارِ قـومٍ وجيران لنـا كانـوا كِرامُ

ديوانه : ٢/٢٩٠ .

(٢) هما عامر بن الطفيل ، وعمرو بن معديكرب ، من أبطال العرب .

(٣) في الوافي : « تزهى » .

وهذه قصيدة غَرّاء طنانة ، وقد أثبتها بكمالها في الجزء التاسع عشر من (التَّذكرة) التي لي .

وحَكَى لي عنه سيادةً كثيرةً شاهدَها منه ، من ذلك أنه قالَ : دخلتُ يوماً إليه ، فلقيني إنسان من الشعراء ـ أُنسيت أنا اسمه ـ ومَعَه قصيدَة قد امتدحه بها ، فقال : يا مولانا لي مُدَّة ولم يتفق لي إلى الصاحب وصول ، فأخذتُها منه ودخلت بها إليه وقلتُ : بالباب شاعرٌ وقد مَدح مولانا ، فقال : يَدخل . فأعطاه القصيدة ، ولم يمتنع مِن إسماعها[١] كما يَفعله بعض النّاس ، فلما فرغت أخذَها منه ، ووضعَها إلى جانبه ، ولم يتكلَّم ولا أشار . فحضرَ خادم ومعَه مَبلغ مئتي درهم وتفصيلة ، فدفعَها لذلك الشاعر .

قلتُ : وهذه غاية في السِّيادة والرِّئاسة من سَماعِها وعدم[٢] قوله : أعطوه كذا ، أوْ إشارة إلى من يحضر فيشير[٣] إليه .

وقيل عنهُ : إنه كانت أحواله كلُّها كذا لا يشير بشيء ولا يتكلم به في بيته ، وكلّ ما تَدْعو الحاجة إليه يقع على وفق المراد ، وحَكَى لي أنه أضاف[٤] جدّه يوماً ووسَّع فيه ، فلما عادَ إلى بيته أخذ الناس يعجَبون منه ومن همَّته وكرم نَفسه ، فقال الصاحب بهاء الدِّين : ليسَ ما ذكرتموه بعجيب ، لأنَّ نَفْسَه كريمة ومُكْنَتُهُ متَّسعَة ، والعَجبُ العَجَب[٥] كونه طول هذا النَّهار وما حضر فيه من المأكول والمشروب والطعام[٦] والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف أنواعه ، ما قام من مكانه ، ولا دعا خادماً فأسَرَّ إليه بشيء ، ولا أشارَ بطرفه ولا بيَده ، ولم يجئ إليه أحد من خدمه ولا أشار إليه . وقيل : إنَّ الناس تعجَّبوا من كثرتهم وتشربهم الماء البارد في كيزان عامَّة

(١) في الوافي : « سماعها » .
(٢) (س) : « أو عدم » .
(٣) في الوافي : « فيسرّ » .
(٤) (س) : « أضاق » .
(٥) في الوافي : « العجيب » .
(٦) في (س) والوافي : « الطعام » بلا واو .

النهار[١] ، فسُئل عن ذلكَ فيما بعد ، فقال : اشترَينا خمس مئة كوز ، وبعثنا إلى الجيران قليلاً قليلاً ، بردّوا ذلك في الباذهنجات[٢] التي لهم .

ولا شكَّ في أنه كان عاليَ الهمَّة مجَّداً مسوّداً ، ولكن لم يكن له سَعادة جدِّه ولا دربته في تنفيذ الوزارة ، فإنَّه وَلِيَها مرَّتين وما أنجبَ فيها ، وكان له إنسان مرّتب معه حمام كحمام البَطايق مدرَّب ، إذا خرج من باب القرافة أطلق ما مَعه من الْحَمام ، فيروح إلى الدار التي له فيعلم أهله أنَّه قد خرج من القَلعة ، فيرمون الطُّطماح[٣] والملوخيّة وغير ذلك من أنواع الطعام ومن المطجَّن وما شابَهه ، حتى إذا جاء وَجد الطعام حاصلاً والسماط[٤] مَمدوداً .

وله (ديوان شعر) لطيف سمعه منه ابن شامَه وابن الصّابوني .

أخبرَني شيخنا العلاّمَة أثير الدّين قال : اجتمعت به وسَمعت عليه شيئاً من الحديث ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

ولقد أتيتُ على أغرّ أدهمٍ ... عبل الشَّوى كاللَّيل إذْ هُو مُظْلِمُ[٥]
وبكَفيَ اليُمنى قَناةٌ لَدْنَةٌ ... كالأُفعُوان سنانها منهُ الفَمُ
مُتَقَلِّداً عَضباً كأنَّ مُتونَهُ ... بَرقٌ تَلألأُ أو حَريقٌ مُضْرَمُ[٦]
وعليَّ سابغَةُ الذُّيول كأنَّها ... سَلْخٌ كسانيهِ الشُّجاعُ الأرقَمُ
وعلى المفارقِ بيضَةٌ عاديَّةٌ ... كالنَّجْمِ لاحَ وأينَ منها الأنجُمُ
فالرَّعْدُ مِن تِصهالِ خَيلي والسَّنا ... بَرقُ الأسِنَّةِ والرَّذاذُ هو الدَّمُ[٧]

(١) (س) والوافي : « ذلك النهار » .
(٢) فارسية ، وهي نوافذ تستعمل للتهوية والتبريد .
(٣) (س) : « الططماح له » .
(٤) في الأصل : « والطعام » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٥) (س) والوافي : « أبيت » . والشوى : الأطراف .
(٦) في الأصل : « مظلم » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٧) (س) والوافي : « برق الأشعّة » .

وكان قد اشترى فَرَساً من العَرب ، فأقامت عنده مدة في الحاضرة[١] ، ثم إنَّه عَبر بها على بيوت العَرب ، فجفلت به ، فقال :

نَسيتِ بيوتَ الشَّعْرِ يا فَرَسي وقَد ... ربيتِ بها والْحُرُّ للعَهْدِ ذاكِرُ
ولكِن رأيتيها بنَجدٍ وأهلُها ... على صِفةٍ أُخرى فعُذْرُكِ ظاهِرُ

قلت : أثبتَ الياء في قوله : « رأيتِها » وإنما هي بكسر التاء ، فأشبَعَ ، فنشأت[٢] ياء .

قال شيخنا أثير الدِّين : ونظمتُ أنا هذا المعنى فقلتُ :

عَجبتُ لِمهري إذْ رأى العُرْبَ نُكّبا ... كأنْ لم يكُنْ بينَ الأعاريبِ قَد رَبا
أجَلْ لَيسَ نكراً للفَريقِ وإنَّما ... تخوّفَ عُتْباً منهم فتَجَنَّبا

وقد سمع منه شيخنا الذهبيّ وجالَسَه ، وأنشده من شعره ، واعتكف مرة في مئذنة عرفات بجامع مصر ثلاثة أيام ، فقال السِّراج الورّاق ، ونقلت ذلك من خطه :

ثلاثة أيّامٍ قَطعْتَ كَطولِها ... ثلاث شديدات مِنَ السَّنواتِ[٣]
حَجَبْنَ مُحَيّا الصّاحبِ بن مُحَمَّد ... لِيَجْمَعَ بينَ الْحُسْنِ والْحَسَناتِ
وما كادَ قَلبي أن يقرَّ قَرارهُ ... لأنّي بمصرٍ وهُو في عَرَفاتِ

ولَمّا عمَّر الصّاحب تاج الدِّين جامع دير الطين قال السّراج الورّاق ، ومن خطه نقلت :

بَنَيْتُم على تَقوىً مِنَ اللهِ مَسْجِداً ... وخَيرُ مَباني العابِدينَ مَساجِدُ[٤]

---

(١) في الأصل : « الحاضر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) (س) : « وإنما هي كسرة فأشبع الكسرة فنشأت » .
(٣) في (س) والوافي : « لطولها » .
(٤) في الوافي : « المساجد » .

وأعلَنَ داعيـــهِ الأذانُ فبـــادَرَت إجـابتـهُ الصُّمُّ الجبـالُ الْجَـلامِـدُ
ونـالَتْ نـواقيسَ الـدِّيـارات وجْمَـةٌ وخَـوْفٌ فَلم يَمْـدُد إليهنَّ سـاعِـدُ
تَبكي عليهنَّ البَطـاريـقُ في الـدُّجى وهُنَّ لـديهم مُلْقيـاتٌ كَـواسِـدُ[1]
بِـذا قَضَتِ الأيّـامُ مـا بينَ أهلِهـا مَصـائِبُ قَـومٍ عِنـدَ قَـومٍ فَـوائِـدُ

قلتُ : البيتان الأخيران لأبي الطَّيِّب الْمُتَنبي من قصيدة مشهورة[2] .

وأهدى إليه الصّاحبُ تاج الدِّين عَسَلاً مسعودِيّاً فقال ، ومن خطه نقلتُ :

مِنَ الظّرفِ رَدُّ الطَّرْف مُمْتَلِئاً حَمْدا كَما جاءَ مِن نِعْماكَ مُمْتَلِئاً رَفـدا[3]
وكُنتُ لَسيعـاً مِن زَمـاني وصَرْفِـه فبَـدَّلَني من سَمِّـهِ القـاتِلِ الشُّهَـدا

منها :

أتـاني مَسعـودٌ بـهِ لـون عِرْضِـه بَياضاً جَلا من حالِكِ الحالِ ما اسودّا
فـأدْنَيْتُ مَن أبعـدتُهـا لا قِلَى لَهـا ولكِن مِنَ الأشْياءِ مـا يوجبُ البُعـدا
فـإن رَفَـعَ الـدّاعي يَـدَيـهِ فَهَـذِهِ بـأربَعِهـا تَـدْعـو فَتَسْتَفْرِغُ الْجُهْـدا

وأرسلَ إلَيهِ الصّاحبُ يوماً ديوكاً مخصيّة ، فاستبقاهنَّ ، فأرسَل إليه دجاجةً كبيرَة ، ومن خطِّه نقلتُ ما قاله في ذلك :

فَـدَيتُ الـدِّيـوكَ بِـذبحٍ عَظيمٍ وَانْقَـذْتُهـا مِن عَـذابٍ أليمْ[4]
فَنـاري لَهُم مثـلُ نـارِ الخليـ ـل ونـارُكَ لي مثـل نـارِ الكَليمْ
وذو العُرفِ بـاللهِ في جَنَّـةٍ فَكُن واثِقـاً بـالأمـانِ العَظيم

(١) في الأصل : « فتبكي » ، وأثبتنا ما في الوافي وديوان المتنبي .
(٢) ديوانه : ٢٧٦/١ .
(٣) في الأصل : « الطرف » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ [الصافات : ٢٧/٣٧] .

لَقَـــــــد أنِستُ لِيَ دارٌ بِهِم ... ومِن قَبلِهـــا أصبَحَت كالصَّرِيمِ[١]
مَشَـــوْا كالطَّـــواويسِ في مَلبَسٍ ... بَهِيٍّ البُرودِ بَهيـــجِ الرّقـــومِ[٢]
كأنّي أشـــاهِـــدُهُم كالقُضـــاة ... بِسَمتٍ عَليهِم كَسَمْتِ الْحَليمِ
وإلاّ أزمّـــــة دارٍ غَـــــدَت ... بِهِم حَرَمـــــاً آمِنـــــاً كالْحَريمِ
ولا فَرْقَ بيني وبينَ الْخَصيّ ... فَلِمَ لا أراهُم بِعَينِ الْحَميمِ
ونِعمَ الفِـــداءُ لَهُم قَـــد بَعَثت ... مِنَ الفـاتِنـاتِ ذَواتِ الشُّحـومِ[٣]
أعَـــدتَ الشَّبـــابَ إلى مَطْبَخي ... وقَـــد كانَ شـــابَ بِحمـلِ الهُمـومِ
وعـــادَت قُـــدوريَ زِنجيّـــةً ... فـــأعْجِبْ بِـزِنْجيّـــةِ عِنْـــدَ رومي
وطـــالَ لســـانٌ لِنـــاري بـــهِ ... خَصَمتُ خُطوباً غَدَت مِن خصومي
وأمسَيتُ ضيفَـــــــكَ في مَنزلي ... ومَن فيـــــهِ ضيفٌ لضيفِ الكَريمِ

قلتُ : قوله : « زنجيّة عند رومي » ظرَّف فيه إلى الغايـة ، لأن السّراج رحمـه الله تعالى كانَ أشقرَ أزرق ، ولذلك قال ، ومن خطه نقلت :

ومَن رَآني والحمـــــــار مَركبي ... وزُرْقَتي للرّومِ عِرْقٌ قَـــــد ضَرَبْ
قـــالَ وقَـــد أبْصَرَ وَجْهي مُقْبِـلاً ... لا فـارِسَ الخيـلِ ولا وَجـهَ العَرَبْ

ونقلتُ من خطِّ السّراج الورّاق قصيدةً مَدح بها الصّاحب تاج الدّين أولُها :

أترومُ صَبري دونَ ذاكَ الرِّيمِ ... هَيهـــاتَ لمتُ عليـــهِ غَير مَلـومِ
لـوشـاهَـدَت عَينـاكَ مـا شـاهـدتُـه ... لَرَجَعْتَ في أمري إلى التَّسليمِ
مُخضَرُّ آسٍ واحْمِرارُ شَقـــائـــقٍ ... أنـــا منهُما في جنَّـــةٍ وجَحيمِ[٤]

---

(١) في الوافي : « قبلهم » . وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَطافَ عَليها طائِفٌ مِن رَبِّكَ وهُم نائِمونَ ☆ فَأصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ ﴾ [سورة القلم : ١٩/٦٨ـ٢٠] .

(٢) في الأصل : « رقيم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « القانتات » .

(٤) في الوافي : « ونعيم » .

ومَعـــــاطِفٌ من دونهنَّ روادفٌ أنـــــا منهما في مقعَـــــدٍ ومُقيمِ
سَلْ طرفَهُ عَن شعْرِهِ الـدّاجي فلَنْ يُخْبِركَ عَن طـولِ الـدُّجى كسَقيمِ[1]
يـاغُصْن قـامتـهُ إليـكَ تُحَيتي مَـــع كلِّ مـــاطِرَةٍ وكلِّ نَسيمِ
إنَّ الْجَمالَ لـــهُ بغيرِ مُنـــازعٍ والـوَجْـــدُ لي فيـــهِ بِغَيرِ قَسيمِ
وكَـذا العُـلا لمحمَّـدِ بن مُحَمَّـدٍ بـ ـن عليٍّ بن مُحَمَّـــــدِ بن سَليمِ
نَسَبٌ كمطَّردِ الكُعـوبِ فـلا تَرى إلاّ كَريمـــــاً يَنتَمي لِكَريمِ

منها :

وشَبيبَـــة حَرسَ التُّقى أطرافَهـــا فلَهـــا مَحـلّ الشَّيبِ في التَّعظيمِ
وإذا تَحَرَّمَتِ الْمَسـائـلُ بـاسْمِـهِ جَلَّى عَنِ التَّحليـــــلِ والتَّحريمِ
إنْ قـــالَ لا يَخْلـو فَما مِن علّـــةٍ تَبقى لصحَّـــةِ ذلـــكَ التَّقسيمِ
أمّـا إذا جـارَى أخـاهُ أحمَـداً شـاهـدتَ بَحْرَي نـائـلٍ وعُلـومِ
بَحْرانِ إنْ شئتَ النَّـدى، نَجْمانِ إن شئتَ الهُـدى، غَـوْثـانِ في الإقليمِ

وكَتب الصّاحب تاج الدِّين إلى الورّاق يعزِّيه في حمار له سَقط في بئر فنفق :

يَفْديكَ جَحْشُكَ إذْ مَضى مُتَرَدِّيـاً وبتـالـدٍ يُفـدى الأديبُ وطـارفِ
عَـــدِمَ الشَّعيرَ فـــلا رَآهُ ولا يَرى تَبنـــاً وراحَ مِنَ الظَّمأ كالتَّـــالفِ[2]
ورَأى البُـوَيرةَ غَير خـافٍ مـاؤهـا فَرأى حُشـاشـةَ نَفسـهِ لمخـاوفِ[3]
فَهُـو الشَّهيـــدُ لَكُم بـوافرِ فَضلُكُم هـذي الْمَكارِمُ لا حَمامـة خـاطِفِ
قَـومٌ يَمـوتُ حِمارُهُم عَطَشـاً لَقـد أزْرَوْا بحـاتم في الـزَّمـانِ السَّـالفِ

قلت : قوله : « لا حَمامة خاطف » يشير فيها إلى أبيات ابن عنين التي مَدَح بها

(١) كذا في الأصل و (س) ، وفي الوافي : « ولم يخبرك » .
(٢) في الوافي : « فلم يجده ولا رأى » .
(٣) في الوافي : « جاف » .

الإمام فخر الدِّين الرازي وهو على المنبر فجاءت إليه حَمامة وراءَها جارح ، فقال ابن عنين أبياتاً منها :

جاءَتْ سُليمانَ الزَّمانِ حَمامَةٌ ... والْموتُ يَلْمَعُ مِن جَناحَيْ خاطِفِ
مَنْ أعْلَمَ الوَرْقاءَ أنَّ مَحَلَّكُم ... حَرَمٌ وأنَّكَ مَلْجأٌ للخائفِ

وأجاب الورّاق للصّاحب تاج الدِّين بقصيدة طويلة ، ومن خطِّه نقلتُ :

أذنَتْ قُطوفُ ثِمارِها للقاطِفِ ... وثَنَتْ بأنْفاسِ النَّسيمِ مَعاطِفي

منها ، فيما يتعلَّق بالحمار :

ولَكَمْ بَكَيتُ عليهِ عَهدِ مَرابعٍ ... ومَراتِعٍ رُشَّت بِدَمْعي الذّارِفِ[١]
يُمسي على يُسْري وعُسْري صابراً ... بمَعارِفٍ تلْهيهِ دونَ مَعالِفِ[٢]
وقَد استَمَرَّ على القناعَةِ يَقْتَدي ... بي وهي في ذا الوَقتِ جلّ وَظائفي
ودَعاهُ للبئرِ الصَّدى فَأجابَهُ ... واعْتاقَهُ صَرْفُ الحِمامِ الآزِفِ
وهُوَ الْمُدِلُّ بأَلْفَةٍ طالَت وما ... أنسى حُقوقَ مَرابعي ومَآلِفي
ومَوافقي في كلِّ ما حاولتُهُ ... في الدَّهرِ غيرَ مواقفي ومخالفي
دَورانُ طاحونٍ لِساقيةٍ لِنَقـ ... ـلِ الماءِ في شاتٍ ويومٍ صائفِ[٣]
لكِنْ بِماءِ البئرِ راحَ بنَقْلةٍ ... فَثَلاثُ شاماتٍ بمَوتٍ جارِفِ[٤]

ونظم الصاحب يوماً بيتاً وهو :

توفي الْجَمال الفائزيّ وإنَّه ... لَخَيرُ صديقٍ كانَ في زَمنِ العُسْرِ[٥]

(١) في الوافي : « عند مرابع » .
(٢) في الأصل : « يمشي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي : « يمسي » . وفي الأصل : « معاطف » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٣) (س) والوافي : « دوران ساقيه لطاحون » .
(٤) كذا في الأصل و (س) ، وفي الوافي : « قتلته شامات » .
(٥) في الوافي : « توافى » .

وأمر الورّاق بإجازته فقال :

فيا رُبَّ عاملٍ بألطافكَ الَّتي ... يَكونُ بها في الفائزينَ لَدى الْحَشْرِ

ومِمَّا ينسَبُ إلى الصاحب تاج الدِّين :

تَوهَّم واشِينا بليلٍ مَزارنا ... فجاءَ لِيَسْعى بَينَنا بالتَّباعُدِ
فَعانَقْتهُ حتّى اتَّحَدْنا تَلازُماً ... فلَم يَرَ واشينا سِوى فَرد واحِدِ

قلتُ : هو مأخوذ من قول الأول :

كأنَّني عانَقْتُ ريحانَة ... تَنَفَّسَتْ في لَيلها البارِدِ
فَلَو تَرانا في قَميصِ الدُّجى ... حَسِبْتَنا في جَسَدٍ واحِدِ

وقلتُ أنا وقد كنا بمرج الغسّولَة في يوم منَ الربيع ، فورَد علينا برد[1] شديد إلى الغايَة :

أتانا فَجْأةً بَرْدٌ شَديدٌ ... أنا لِلْمَدحِ فيه غيرُ جاحِدْ
لأنِّي كنتُ عن إلْفي بَعيداً ... فَصَيَّرَني ومَن أهْواهُ واحِدْ

وكَتَبَ شيخنا العلامَة شهابُ الدِّين أبو الثناء محمود إلى الصّاحب تاج الدِّين مع رأس فانوس أهداه وفيه صورَة الفلك :

أيا مولىً أعوذ مَجْدَه ... بالرُّوحِ والْمُلكِ
ومَن بِسَنا مَفاخِرِه ... تُضيء غَياهِبُ الْحلكِ
بُعِثْتَ بِما أبَوْه إذا ... يصحّفُ من كُنى مَلكِ[2]
يُريكَ الشَّمس في جُنحِ الدُّجا ... في قبّةِ الفَلَكِ

---

(١) (س) : « في الربيع فورد علينا في يومِ بردٍ » .
(٢) (س) : « أتوه » .

فَكَتَبَ الصاحب تاج الدّين الجواب :

أتَتْني من الْحَبْرِ الكريمِ هـديّـةٌ بها مِنَ أبي فانوسَ نَسَبَةَ ناسِبْ
وما أبْعَدَ الفانوسَ إلا لِريبَةٍ مَطالِبُها مَرْجُوّةٌ في الغَباهِبْ
شَياطينُها تَرْجو انْقِضاضَ شِهابِها وتَأْمَلُ منهُ أن تَفوزَ بثاقِبْ

وكان شيخنا العلامة شهاب الدّين محمود رحمه الله تعالى في يوم عند الصّاحب تاج الدّين ، فقام إلى الصلاة ، ورمَى إليه بخاتم فضّة فَصُّهُ زَبَرجد ، ولَمّا انفَتَل من الصّلاة أنشده الشيخ شهابَ الدّين محمود لنفسه :

يا سَيِّدَ الوُزراءِ يا مَن كفُّه أرْبى نَداهُ على سَماحَةِ حاتِمِ
أشْبَهْتَ في الْخُلُقِ الوَصِيَّ وفِعلُهُ لَمّا تَصَدَّقَ في الصَّلاةِ بِخاتمِ

ومن شعر الصّاحب تاج الدّين مُلغزاً في الوَرْد :

ومَعرَكَةٍ أبطالُها قد تَخَضَّبَت أكُفُّهُم مِن شِدَّةِ الضَّربِ عنْدَما
لهم عندَها ثَأْرٌ وللنّارِ عَنبَرٌ تَأَجَّجَ حتّى يتركَ الوَرْدَ أدْهَما

ومنه يمدَح الشيخ خضر المكّاري :

وجُزتُ بِمَيدانِ العبادةِ غايةً تُذكرني يومَ السِّباقِ ابنَ أدهَما

ونظم يوماً بيتاً وهو :

ألا قاتَلَ اللهُ الْحَمامَةَ إنّها أذابَتْ فُؤادَ الصَّبِّ لَمّا تغَنَّت

وقالَ للورّاق : أجزه . فقال قصيدة أولُها :

أطارحُها شَكوى الغَرامِ وبَثَّه فَما صَدَحَتْ إلاّ أجَبتُ بأنَّة

ومِمَّا ينسَبُ إلى الصّاحب تاج الدّين هذه الموشّحة وقد التزم فيها الحاء قبل اللاّم وهي :

قـــد أنحَـل الجسمُ أسْمَرْ أكْحَـلْ وأوْحَـلْ القلبُ فيـهِ مُـذْ حَـلْ
يميـــلُ وعنـــــهُ لا أميـــلُ
يَحـولُ وعنـــــهُ لا أحـــولُ
أقـــولُ إذْ زادَ بي[١] النُّحـــولُ
أمَـا حَـلَّ عِقْـدَ الصَّـدودِ يَنحـلّ ويرحَـلْ عن جسمي[٢] الْمُـزَحّـلْ
بِرَغمي كم[٣] يَستَبيـــحُ ظُلْمي
ويَرمي بِحَربِـــــــهِ لِسلمي
وجسمي مـــــعَ التزامِ سُقَمي
مُنَحَّـلْ وقَـد غَـدا مُرَحَّـلْ[٤] فكَم[٥] حَل سَفكَ دَمي ومـا حَلْ
مُتـوَّجْ بـالْحُسْنِ هـذا الأبْهَجْ
مُـدَبّجْ عِـــذارهُ البَنَفسِـــجْ
مُفَلَّـــجْ يَرْنـــو بِطَرْفٍ أدْعَـجْ
مُكَحَّـلْ وريقَـــــهُ الْمُنَحَّـلْ مُفَحَّـلْ بـالعَنْبَرِ الْمُحَلْحَـلْ[٦]
كَم أبعَـدْ وكَم أبيتُ مُكْمَـــــدْ
ويَعْمَـد بِهَجْرِهِ لا يفقَـــــــدْ
ويَجْهَـدْ في ارْتِضـــاءِ مَنْ قَـــدْ
تَمَحَّـلْ والحـاسِـدونَ وحَّـلْ[٧] ومحّـل والـوَعـد منـهُ أمْحَـلْ

(١) في الأصل : « زاني » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٢) في الوافي : « نجمي » .
(٣) في الأصل : « حتى » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٤) في الوافي : « مزحّل » .
(٥) (س) والوافي : « فلِمْ » .
(٦) في الأصل : « للفحّل » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٧) في الوافي : « ذحل » .

قَـــلاني واشتَـطَّ هـذا الجـاني[١]
رَمـــاني في عُشْقِـــهِ زَمـــاني
خَلاّني[٢] أشْكُـــــو لِمَنْ يَراني
قـــد أنْحَـــلَ الجسمَ أسمَرُ أكْحَـــل وأوحَـلْ القلبُ منـهُ مُـذْ حَـلْ

١٧٣١ ـ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله*

القاضي نجم الدين بن جمال الدين بن محب الدين الطبري الآمُلي الشّافعي ، قـاضي مكة .

كان فقيهاً جيّداً ، كريم سيّدا ، سديـداً[٣] في أحكامـه أيِّـدا . فيـه لُطْفُ أخلاق ، وحُسْن صحبةٍ وودّ في يوميّ الفراق والتلاق . له نظمٌ يتأرَّج به الرّوض ، ويتـدرج بـه الماء العَذْب في الحوض .

لم يزل على حاله إلى أن [غاب][٤] نجمه في الثرى وعدمته أمّ القرى .

وتوفّي رحمه الله تعـالى سنـة ثلاثين وسبع مئـة ، في أول جمعـة من جمـادى الآخرة بمكة شرّفها الله تعالى .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وكان قـد سمع من عمِّ جـدّه يعقـوب بن أبي بكر الطبري[٥] (جـامـع) الترمـذي .

---

(١) في الوافي : « الحاني » .
(٢) في الوافي : « حلاني » .
* الوافي : ٢٢٨/١ ، والفوات : ٢٣٩/٣ ، والدرر : ١٦٢/٤ ، وذيول العبر : ١٦٥ .
(٣) (س) : « شديداً » .
(٤) زيادة من (س) .
(٥) أشار إليه ابن رافع في وفياته : ٩٨/١ .

وسمع من جدّه محب الدين[١] ، ومن الفاروثي[٢] ـ وله إجازة من الحافظ أبي بكر بن مُسْدىً[٣] ، وأخذ عنه شيخنا البرزالي وجمال الدين الغانمي ، والواني ، وآخرون .

وما خلف بمكة مثله ، وكان بارعاً في الفقه ، وولي بعده ابنه الإمام شهاب الدين أحمد[٤] .

قال لي الشيخ تاج الدين اليمني قال : أنشدته قصيدة في سنة عشر وسبع مئة امتدحته[٥] بها عند منصرفي من دمشق قاصداً اليمن ، منها :

جادَ عِهَادُ المطرِ عهدَ مِنًى والمشعَرِ[٦]
ولا عدا ربوعها سحٌّ السحاب الممطر
منازلٌ كم لي بها من ليل وصل مُقمر
والبَيْنُ في بينونةٍ بوصلنا لَمْ يَشْعُرِ

قال : فلمّا فرغتُ من إنشادها أنشدني بديها :

أقسمتُ حقاً بالصّفا يا ابن الكرام الغُرَرِ
شِعْرُك هذا فائق أشعار أهل الحَضَر
ما ناله حبيبُه ولا الوليد البحتري[٧]

(١) (ت ٦٩٤هـ) ، العبر : ٣٨٢/٥ .
(٢) في الأصل : « الفاروقي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وهو عز الدين أحمد بن إبراهيم (ت ٦٩٤هـ) . العبر : ٣٨١/٥ .
(٣) أبو بكر محمد بن يوسف (ت٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٤/٥ ، والشذرات : ٣١٣/٥ .
(٤) (ت ٧٦٠هـ) ، الدرر : ٢٩٧/١ .
(٥) (س) والوافي : « أمتدحه » .
(٦) في الوافي : « عَهدي » .
(٧) يشير إلى أبي تمام والبحتري .

قال : وأنشدني القاضي نجم الدين المذكور قصيدة يمدح بها الملك المظفر عند قدومه [من][١] اليمن أوّلها :

إن لم أَرَوِّ الرَّبـــع من أجفـــــاني بعـد البعـادِ دمـاً فمـا أجفـاني

وأنشدني من لفظه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة الشيخ محبّ[٢] الدين أبو عبد الله محمّد بن الصّائغ المغربي الأموي[٣] ، قال : أنشدني القاضي نجم الدين الطبري لنفسه :

أشبيهـــة البـــدر المنير إذا بـــدا حُسناً وليسَ البَدْرُ من أشباهك[٤]
مأسور حُسْنك إن يكن متشفِّعاً فإليك في الحسن البديع بجاهك[٥]
أشفى أسىً أعيـــا الأســـاة رواؤه وشفاهُ يحصُل بارتِشاف شفاهك[٦]
فصليـــه واغتنمي بقـــاء حيـــاتـــه لا تقطعيـــه جفـــاً بحـق إلاهـــك

قال : فنظمت قصيدة في هذا الوزن واللزوم والرّويّ ، وقد ذكرتها في ترجمة محب الدين المذكور آنفاً .

١٧٣٢ ـ محمد بن محمد بن أبي بكر*

قاضي القضاة تاج الدين المالكي بالديار المصرية ابن قاضي القضاة علم الدين الأخنائي[٧] ، تقدَّم ذِكْرُ والده علم الدين في مكانه من هذا التاريخ .

(١) زيادة من (س) .
(٢) (س) : « مجير » ، سهو .
(٣) هو محمد بن عبد الله ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٤) (س) والوافي : « البدر الهتمام » .
(٥) (س) والوافي : « حبك » .
(٦) في الأصل : « داؤه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
* وفيات ابن رافع : ٢٧٣/١ ، والبداية والنهاية : ٢٩١/١٤ ، والدرر : ٢٤٥/٤ ، والبدائع : ٥٩١/١/١ ، الذيل التام ١٩١ ، وذيول العبر : ٣٤٨ ، والنجوم الزاهرة : ١٤/١١ .
(٧) في (س) ، (خ) : « ابن الأخنائي » .

كان من بيت كلهم قضاه ، وبيتٍ كلُّه رياحين ، إذا كان غيره عِضاه[١] . باشر القضاء بمصر بعد عمّه ، وطلع في منصبه كالبدر ليلة تمّه .

ولم يزل إلى أن « أخنى عليه الذي أخنى على لبد »[٢] ولم يترك له في الحياة من سبد ولا لبد[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...[٤] ورد الخبر إلى دمشق بوفاته في أواخر ربيع الأول سنة ثلاث وستين[٥] وسبع مئة .

ومولده في ...[٦] .

وكان قد ولي القضاء بعد عمّه قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي في سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، وتولّى بعد تاج الدين المذكور قضاء المالكية بالديار المصرية أخوه قاضي القضاة بُرهان الدين إبراهيم[٧] ، وسمع الحجّار ووزيرة[٨] ، فيما أظن ، بالديار المصرية ، وأظنه حدّث بالبخاري عنه في مكة أو المدينة .

---

(١) العضاه : شجر يَعْظُم وله شوك .

(٢) عجز بيت للنابغة من معلقته وصدره :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا

انظر : الأغاني ٣١/١١ ، وديوان النابغة .

(٣) في الأصل : « سيد ولا ليد » ، تصحيف ، وهذان أقوال العرب : يريدون : ماله ذو وبرٍ ولا صوف ، ويكنى بها عن الإبل والغنم ، وَقيل : غير ذلك .

(٤) كذا بياض في الأصول ، وفي مصادر ترجمته أنّ وفاته في « صفر » .

(٥) في الأصل و (خ) : « وثلاثين » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٦) كذا بياض في الأصول .

(٧) (ت٧٧٧ هـ) ، الدرر : ٥٨/١ .

(٨) وزيرة بنت عمر بن أسعد التنوخية ست الوزراء ، تقدّمت ترجمتها في حرف السين .

١٧٣٣ ـ محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن*

الكنجي الدمشقي .

سمع كثيراً ، ونسخ وكتب الطباق ، وعلّق أشياء جيده واقتنى كتباً مليحة وأصولا .

قال شيخنا الذهبي : وله عمل قليل في هذا الفن ، وهو قانع متعفّفٌ ، لا بأس به إن شاء الله تعالى . سمع من ابن القوّاس وطبقته ، وسمع قبلنا من الشيخ تاج الدين ، قال : وسمعنا من أبيه .

وتوفي صاحب هذه الترجمة في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

ونَسبَه الذهبي إلى خِفّة وعدم رزانة .

١٧٣٤ ـ محمد بن محمد**

القاضي الإمام العالم الفاضل أقضى القضاة شمسُ الدين أبو عبد الله بن الشيخ شرف الدين أبي البركات بن الشيخ عز الدين أبي العزّ صالح بن أبي العز بن وهيبة بن عطاء بن حسن[1] بن جابر بن وهب[2] الأذرعي الحنفي .

كان فاضلاً فقيهاً بصيراً بالأحكام ، حكم بدمشق نيابةً عشرين سنة ، وخطب بجامع الأفرم مدّة ، ودرّس بالظاهريّة والقليجيّة مدة ، وأفتى وأذِنِ في الفتيا ، وقام

---

* الوافي : ٢٣٠/١ ، والدرر : ٢٤٤/٤ .

** البداية والنهاية : ١٠٣/١٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ .

(١) ليست في (س) ، وتُرِكَ مكانها بمقدار كلمة . وفي البداية : « جبير » .

(٢) في البداية : « ابن أبي العزّ بن وهيب ... بن وهيب » .

بكثير من المناصب الدينية ، وكان ديّناً يتلو القرآن كثيراً ، وحج ثلاث مرات ، وكانت جنازته حافلة ، وأصيب به أبوه وأولاده وأقاربه وأصحابه .

وتوفي رحمه الله تعالى سلخ[١] المحرم سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وست مئة .

وكان قد سمع (الغيلانيات) بقراءة ابن جعوان ، وحدّث في حجاته الثلاث ، وباشر الظاهرية عوضاً عنه نجم الدين القحفازي[٢] ، وباشر نيابة الحكم عوضاً عنه القاضي عماد الدين الطرسوسي .

١٧٣٥ ـ محمد بن محمد بن الحسين*

ابن عتيق بن رشيق ، القاضي الإمام المفتي زين الدين أبو القاسم ابن الإمام علم الدين المصري المالكي ، قاضي الإسكندرية .

بقي في القضاء بها اثنتي عشرة سنة ثم عُزل ، وقد عَيَّنه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة لقضاء دمشق .

وكان شيخاً وقوراً ديّناً فقيهاً معمراً ، روى للجماعة[٣] عن أبي الحسن بن الجمّيزي .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة حادي عشر المحرم سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة ثمان وعشرين وست مئة .

قال كمال الدين الأدفوي : نُقِلَتْ عنه أحكامٌ أخطأ فيها ، وعزل عن القضاء ، ثم لمّا

---

(١) في (س) : « في سلخ » .

(٢) في الأصل : « وباشر الظاهرية عند نجم الدين عنه نجم الدين القفحازي » ، وهي مختلة ، وأثبتنا ما في (س) ، ولكن وقع فيها : « عن » موضع « عنه » ، ولا يستقيم . وعبارة البداية : « ودّرس بعده في الظاهرية نجم الدين القفحازي » .

* الوافي : ٢٣١/١ ، والدرر : ١٧٤/٤ ، وذيول العبر : ١١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/٩ .

(٣) (س) والوافي : « الجماعة » .

صرف السلطان الملك الناصر محمد قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف[١] عن القضاء استناب قاضي القضاة بدرُ الدين بن جماعة ابن رشيق هذا في القاهرة مدة إلى أن أعيد ابن مخلوف إلى القضاء ، وكان يكتب في الإجازات ، من نظمه :

أَجَـزْتُ لَهَم أبقـاهمُ الله كل مـا ... رويتُ عن الأشياخ في سالف الدهر
ومـا سمعت أذنـاي عن كل عـالم ... وما جاد من نظمي وما راق من نثري[٢]
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم ... بريء من التصحيف عـار من النكر
وبـالله تـوفيقي عليـه تـوكّلي ... له الحمد في الحالين : في العسر واليسر

١٧٣٦ ـ محمد بن محمد بن علي*

الفقيه المحدّث مجد الدين الأنصاري الدمشقي الشافعي المعروف بابن الصَّيْرفي ، سبط المحتسب ابن الحبّوبي[٣] .

كان شاباً متواضعاً ساكناً ، نسخ للناس ولنفسه وعمل المعجم ، وجلس مع الشهود ، وحدّث عن محمد بن النشّبي[٤] ، والتقي بن أبي اليُسر ، وأحمد بن أبي الخير[٥] ، وابن مالك ، وابن البخاري ، وحضر المدارس ، وعاش أبوه بعد موته نحواً من عشر سنين وكان لمجد الدين نظمٌ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...[٦] سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة[٧] .

---

(١) سلفت ترجمته في موضعها .
(٢) في الأصل : « وماجمعت » ، وأثبتنا ما في (س) .
* الوافي : ٢٣١/١ ، والدرر : ١٩٨/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ ، وذيول العبر : ١٢٣ .
(٣) في الأصل : « الجوبي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وسلفت الإشارة إليه .
(٤) في الأصل : « السني » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وفي ذيول العبر : « النشي » . وسلفت الإشارة إليه .
(٥) في الدرر : « يحيى بن أبي الخير ، سهو ، وأحمد هنا توفي سنة (٦٧٨ هـ) وسلفت الإشارة إليه .
(٦) كذا بياض في الأصل و (س) ، وفي الدرر وذيول العبر أنه توفي في رمضان .
(٧) ومولده سنة (٦٦١ هـ) كما في الوافي والدرر .

١٧٣٧ ـ محمد بن محمد بن أحمد أبي القاسم*

المرتضى العلويّ الشريف المعروف بالقُمّي بضم القاف وتشديد الميم .

داخل التتار لما أتى غازان إلى دمشق وتوجّه إليهم وعاد إلى دمشق ومعه أربعة من التتار ، وكسر أقفال باب توما ، ونزلوا بالباذرائيّة في يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة . وشرع يُدلُّ التتار على عورات المسلمين إلى أن أمسك وحمل إلى القلعة في يوم الأربعاء رابع عشري جمادى الأولى ، وبعد ذلك كُحِّل الحاج مَنْدَوه وقطع لسانه . وفي ليلة الرابع من شوّال سُمّر الشريف القُمّي هو وابن العُوفي والبرددار وابن خُطليشي المزّي على الجمال ، وشنق اثنان : كاتب مصطبة الوالي وآخر يهوديّ ، وقُطِع لسان ابن طاعن وقطعت يد الدَّلْدرمي ورجله وكُحل الشجاع همّامّ[1] .

١٧٣٨ ـ محمد بن محمد بن علي**

ابن إبراهيم ابن حُريث القُرشي العَبْدَريّ البلنْسي ثم السّبتي المالكي المقرئ .

حدّث (بالموطأ) عن أبي الحسين ابن أبي الربيع[2] ، عن ابن بقي . وتفنّن في العلوم والقراءات والعربيّة ، وولي خطابة سبتة مدة ، وأقرأ الفقه مدة ثلاثين عاماً ، ثم إنه تزهّد ، ووقف كتباً[3] بألف دينار ، ووقف عقاره وحج وجاور بالحرمين ، وحدّث بمكة .

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) أشار إلى هذه الحادثة ابن كثير ٢/١٤ بإيجاز .

** الوافي : ٢٣٢/١ ، والدرر : ١٩٩/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ ، وذيول العبر : ١٢٣ .

(٢) عبيد الله بن أحمد (ت٦٨٨ هـ) البغية : ١٢٥/٢ .

(٣) في الوافي والدرر : « كتبه » .

وبها توفي رحمه الله تعالى في ....[١] سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة [٢] .

١٧٣٩ ـ محمد بن محمد بن عبد القاهر*

ابن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف ، الصدر ضياء الدين أبو المعالي النصيبي الحلبي .

كان رئيساً كبيراً فاضلاً ، حسن الكتابة . وزر بحماة ، وولي المناصب ، ودرّس بعصرونيّة حلب ، وحدّث بالكثير .

سمع من ابن شدّاد ، والموفق عبد اللطيف ، والكاشغري ، وابن روزبة ، وابن اللّتي ، وابن خليل ، وقرأ بنفسه على المشايخ .

سمع منه شيخنا علم الدين البرزالي بحلب سبعة أجزاء منها (المئة السريجيّة) و (ثلاثيات البخاري) ، والأول من (مسند عمار بن ياسر) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة ست وتسعين وست مئة بحلب .

ومولده بها في صفر سنة ثماني عشرة وست مئة .

١٧٤٠ ـ محمد بن محمد بن محمود بن مكّي**

ابن عيسى بن دمْرتاش ، الدمشقي ، العدل ، شهاب الدين أبو عبد الله .

كان أديباً ، فطناً لبيباً ، إذا دعا المعنى الغامض كان له مجيباً ، [وإذا نظمه كان

---

(١) كذا بياض في الأصل و (س) . وفي الدرر أنه توفي في جمادى الآخرة .

(٢) ومولده سنة (٦٤١ هـ) كما في الوافي .

* الشذرات : ٤٣٧/٥ .

** الوافي : ٢٣٢/١ ، والدرر : ٢٣٨/٤ .

عجيباً][1] ، له غوْصٌ على المعاني ، وألفاظه أطربُ من المثالث والمثاني ، له مقاطيعُ أعْذَبُ مِنْ أيّام الوِصال ، وأشهى من حبيب كَرُمَت منه الخصال .

لم يزل بدمشق على حاله إلى أن نعق غراب بينه ، ونزل بحيّه وافد حَيْنه .

وتوفي رحمه الله تعالى بكرة السبت خامس صفر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده في ...[2] .

كان أوّلاً في شبيبته جُنْديّاً بحماة ، وخدم بها صاحبها الملك المنصور ، صحب بها مجير الدين محمد بن تميم الحموي الشاعر ، وأقام معه بحماة ، وبسببه دخل في الجُندية ، وكان يثني على مكارمه . وأقام بحماة مدة عشرين سنة ، ولما أسنّ وكبر بطّل الجندية ودخل في زيّ العدول ، وجلس بمركز الرواحية ، ورأيته في سنة ثماني عشرة وسبع مئة وفيما بعد ذلك ، وأظنه كان مخلاً بإحدى[3] عينيه .

أنشدني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : أنشدنا ظهير الدين البارزي قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أقول لِمسواكِ الحبيب لك الهنا ... برشْف فم ما ناله ثَغْرُ عاشق
فقال وفي أحشائه حُرقة الجوى ... مقالة صبّ للديار مُفارقِ[4]
تذكرت أوطاني فقلبي كما ترى ... أعلِّله بين العُذَيبِ وبارق

قلتُ : وما أحلى قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

وعود أراكة يجلُو الثَّنايا ... مِنَ البيض الدُمى جَلْي المرايا

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) كذا في الأصل و (س) ، وفي الدرر أنه ولد سنة (٦٣٨ هـ) .

(٣) في الوافي : « من إحدى » .

(٤) في الوافي : « النوى » ، وفي (س) : « حرق الجوى » .

يقـولُ مُسَـاجـل الأغصـان فَخْرا «أنـا ابن جـلا وطـلاّع الثنـايـا»[١]

وقول محيي الدين بن قرناص :

سـألتـك يـا عُـود الأراكـة أنْ تعُـدْ إلى ثغر مَنْ أهـوى فَقَبِّلْـه مُشْفِقـا
وِردْ مِنْ ثنيّـات العُـذيب مُنَيْهـلاً تَسَلْسـل مـا بين الأبيرق والنقـا

وقال : أنشدني المذكور لنفسه :

ولمـا التقينـا بَعْـدَ بيْن وفي الحشـا لـواعـجُ شـوقٍ في الفـؤاد يُخَيِّمُ[٢]
أراد اختبـاري بـالحـديث فمـا رأى سـوى نظرٍ فيـه الجـوى يتكلمُ

وأنشدني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أنشدني لنفسه :

ومُهَفْهَفِ الأعطـاف معسـول اللَّمى كالغصن يَعْطفـه النسيم إذا سرى
قـال اسقني فـأتيتـه بـزجـاجـة ملئت قراحـاً وهـو لاهٍ لا يرى[٣]
وتـأرّجت بَرضـابـهِ وأمَـدَّهـا مِنْ نـار وجنتـه شعـاعـاً أحمرا
ثم انثنى ثمـلا وقـد أسكرتُـهُ برضـابـه وبـوجنتيـه ومـادرى

قلت : هو مولَّدٌ من قول الملك الأمجد ، وفيه زيادة :

طلبتُ لمـاءٍ في إنـاء فجـاءني غـلام بهـا صرفـاً فـأوسعتـه زجرا
فقـال هي المـاء القراح وإنمـا تجلّى لهـا خـدّي فـأوهمـك الخمرا

ومن شعره ، وهو ممّا نقلته من خطه :

---

(١) صدر بيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، عجزه :
متى أضع العمامة تعرفوني

(٢) (س) والوافي : « تخيّم » .

(٣) في الأصل : « ملاه » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

حتـام لا تصـل الْمُـدام فقـد أتت لـك في النسيم من الحبيب وُعـودُ
والنهر مِن طرب يصفّـق فرحـة والغُصْنُ يرقُص والريـاض تميـدُ

وأنشدني الشيخ الإمام العالم نجم الدين القحفاري قال : أنشدني المذكور لنفسه :

قـال لي سـاحر اللـواحـظ صف لي هَيَفي قلت: يـا مليـح القـوام[1]
لـك قـدٌّ لـولا جـوارح عينيـ ـك لغنت عليـه وُرْق الحمـام[2]

قلت : قد اشتهر هذا المعنى بين شعراء العصر وأولعوا به ، ومما نظمته أنا فيه :

ذو قـامـة من لينهـا بيـد النسيم يكاد يُعْقَـدْ
لـولا جـوارح لحظـه غنى الحمـام بهـا وغرد

ونقلت له من خَطّه :

قـد صنتُ سرَّ هـواكم ضنـاً بـه إنّ المتيم بـالهـوى لضنين
فـوشت بـه عيني ولم أك عـالمـاً من قبلهـا أنّ الـوشـاة عيـون

ونقلت منه له :

روى دمع عيني عن غرامي فأشكلا ولكنـه ورّى الحـديث فـأشكـلا
وأسنـده عن واقـديّ أضـالعي فـأضحى صحيحـاً بـالغرام مُعَلّلا

ونقلت منه له :

وافى النسيم وقـد تحمـل منكم لُطفـا يُقصِّرُ فَهْمـهُ عن عِلمـه
وشكا السقام ومـادرى مـا قـد جرى وأنـا أحـقّ من الرسـول بسقمـه[3]

---

(١) في الوافي : « يارشيق » .
(٢) في الوافي : « جفنيك تغنّت » .
(٣) في الوافي : « قد حوى » .

ونقلت منه له :

إن طـــال ليلي بعـــدكم فلطـــولـــه عُـــذرٌ وذاك لمـــا أقـــاسي منكم
لم تَسْرِ فيـــه نجـومُـــه لكنهـــا وَقَفَت لتسمـع مـــا أُحـــدِّثُ عنكم

ونقلت منه له :

عجبـــاً لمشغـوف يَفُـوه بـــذكركم مـــاذا يقـول ومـــا عســـاه يمـدحُ[1]
والكـون إمّـــا صـــامت فمعظمٌ حرمـــاتكم أو نـــاطـق فمُسَبِّـحُ

ونقلت منه له :

مَن لأسير أمست قرينتـــــــــه في الـــدوح عن حـــالـــه تســـائلـــةُ
فهـو يغني مَبْـــدا الحـزين لهـــا وهي بـــأوراقهـــا تراسلـــةُ

قلت : ما أعرف هذا المعنى في أحسن من قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي[2] :

قـامت على سـاقٍ تُطـارِحُني الهـوى مـا بين صَحْبي في الـدّجى ورفـاقي
ورْقـاءُ قـد أخـذت فنونَ الحـزن عن يعقـوب والألحـان عن إسحـاق
أنّى تبـــاريني أسىً وكآبـــة وصبـــابـــة وجـوى وفيض مـــآقي
وأنـا الـذي أملي الهوى عن خـاطري وهي التي تملي عن الأوراق

وقلت أنا في هذه المادة مع اعترافي بالتقصير عنها :

لا تقيســوا إلى الحمـــامـــة حـزني أنـــا فضلي تَـــدْري بـــه العشـــاق
أنـــــا أملي الغرام عن ظهر قلب وهي تملي وحـــولهـــــا الأوراق

---

(١) في الوافي : « بمدحكم » .

(٢) من كبار شعراء الدولة الناصرية ، ومن الأدباء الظرّاف (ت ٦٨٠هـ) الشذرات : ٣٦٩/٥ ، والأعلام : ٢٤٦/٨ .

ونقلت من خط ابن دمرتاش له :

حتى إذا رقَّ جلبابُ الدجى وسرتْ ... من تحتِ أذيالِه مِسكيّةُ النفس
تبسّم الصبح إعجاباً بخلْوَتِنا ... ووصْلِنا الطاهر الخالي من الدنس

ونقلت منه له :

بالروح أفدي منطقياً علا ... برتبة النحو على نَشْوِه
منطقه العَذْب الشهي الذي ... قد جذب القلب إلى نحوه

ونقلت منه له :

جيادك يا من طبّق الأرض عَدْلُه ... وحاز بأعلى الجدّ أعلى المناصب[1]
إذا سابقتها في المهامهِ غِرّةً ... رياح الصّبا عادت لها كالجنائب
ولو لم تكن في ظهرها كعبة المنى ... لما شبهت آثارها بالمحارب

ونقلت منه له :

يا سيّدي أَوْحَشْتَ قوماً مالهم ... عن حسن منظرك الجميل بديلُ
وتعللت شمس النهار فمالها ... من بَعد بُعدك بكرةٌ وأصيلُ
وبكى السحابُ مساعداً لتفجعي ... من طول هجرك والنسيم عليلُ

ومن شعره :

انظر إلى الأزهار تلق رؤوسها ... شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها ... وغدا بأذيال الصبا متمسكا

ومنه :

---

(١) في الوافي : « الحدّ » ، وفي (س) : « بأعلى المناصب » .

ولما أشارت بالبنان وودّعت ... وقد أظهرت للكاشحين تَشهُّدا[١]
طفِقْنا نبوسُ الأرض نوهم أنّنا ... نُصَلّي الضحى خوفاً عليها من العدا

ومما نقلته من خطه له :

يقولون شبهت الغزال بأهْيفٍ ... وهذا دليل في المحبة واضحُ
ولَوْلَم يكن لحظ الغزال كلحظه احـ ... ـوراراً لما تاقت إليه الجوارحُ

قلت : يشبه قول ابن دانيال :

بي من أمير شكار ... وَجْدٌ يذيب الجوانح
لَمّا حكى الظبي جيداً ... حنت إليه الجوارح[٢]

ونقلت منه له :

يقول لي الدولابُ راض حبيبك الـ ... ـملول بما يهوى من الخير والنفع[٣]
فإني من عود خُلِقْتُ وها أنا ... إذا مال عني الغصن أسقيه من دمعي

ومن شعره دوبيت :

الصبُّ بك المتعوبُ والمعتوب ... والقلب بك الملسوب والمسلوب[٤]
يا من طلبت لحاظُه سَفك دمي ... مَهْلاً ضَعُفَ الطالب والمطلوب

قيل : إن الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى كان يقول : وددتُ لو أنه كان يأخذ مني جميع شعري ويعطيني هذين البيتين .

---

(١) في الأصل : « تسهّدا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) (س) : « الجوانح » .
(٣) في الوافي : « المملول » .
(٤) لسبته الحيّة : لدغته .

١٧٤١ ـ محمد بن محمد بن أحمد*

ابن عبد الواحد ، عماد الدين بن شرف الدين بن الزّملكاني ، وهو ابن عم الشيخ كمال الدين بن الزملكاني .

كان شكلاً حسناً طوالاً ، وكان خطّه حسناً ، وكان ينظم إلا أنه قليل .

كان قد سعى بالقاهرة على أن يكون كاتب إنشاء بدمشق ، وقام بأمره الأمير سيف الدين بغا الدوادار في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فوقف القاضي شهاب الدين بن فضل الله في طريقه وأبطل ما كان قُرّر من أَمْره . وكان أخيراً ناظر السُّبع الكبير وغيره .

ومولده [فيما أظن][(١)] سنة إحدى وتسعين[(٢)] وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وستين وسبع مئة بدمشق .

١٧٤٢ ـ محمد بن محمد بن سهل**

الوزير العالم الزاهد الأزدي الغرناطي .

سمع من ابن الرضي الطبري ، وقدِم دمشق ، وقرأ (الصحيح) على الحجّار ، و (صحيح مسلم) على ابن العسقلاني ، وقرأ بالسبع في صغره على ابن بشر[(٣)] وابن أبي الأحوص[(٤)] .

---

* وفيات ابن رافع : ٣٧٠/١ ، والدرر : ١٦٤/٤ ، وذيول العبر : ٣٤٧ .

(١) زيادة من (س) ، و (خ) .

(٢) في وفيات ابن رافع والدرر : « اثنتين وتسعين » .

** الوافي : ٢٣٦/١ ، والدرر : ١٧٨/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٤/٩ ، وزاد في (س) والوافي والدرر : « ابن محمد بن سهل » .

(٣) كذا وقع في الأصل و (س) والوافي . والذي في الدرر أنه قرأ على أبي جعفر بن الزبير ، وقد أشار إلى ذلك صاحب غاية النهاية في ترجمة أبي جعفر : ٣٢/١ .

(٤) حسين بن عبد العزيز (ت ٦٨٠هـ) . غاية النهاية : ٢٤٢/١ .

وبرع في معرفة الاسطرلاب .

كان في بلده وافر الجلالة ، غامر الإنالة ، سافر الإيالة[١] ، تزهّد وحضر إلى الديار المصرية ، وأعرض عن المناصب العصرية ، فما كاد يلحقه ابن أدهم[٢] زُهداً ، ولا أشهب[٣] علماً ورفداً . وكان يَبرّ الناس ويتحيَّلُ على كتمان أمره ، ويفرّق الذهب وهو يتّقد في جمره ، « والشمس لا تخفى بكل مكان » والحرف لا تُعْدَمُ ماهيّته بين التحريك والإسكان :

سروا ونجوم الليل زُهرٌ طوالعٌ فنمَّ عليهم في الظلام التنسم

ولم يزل على حاله إلى أن نزلت شدة الموت بابن سهل ، وبكاه حتى الحزن والسهل .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الأربعاء ثاني عُشري المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة قافلاً من الحج .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة .

قال الشيخ تاج الدين أحمد بن [مكتوم][٤] النحوي يرثيه :

مات ابن سهل فماتت من بعده المكرماتُ
ولم يُخَلِّف مثيلاً أمثاله الصِّيدُ ماتوا

وقلت[٥] : أنا فيه لَمّا سمعتُ بموته :

---

(١) في الأصل : « الإبالة » ، وما أثبتناه أشبه ، والإيالة : هي السياسة والإصلاح .

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور ، زاهد مشهور (ت ١٦١هـ) ، البداية والنهاية : ١٣٥/١٠ .

(٣) أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود ، تفقّه على الإمام مالك ، وإليه انتهت الرياسة بمصر (ت ٢٠٤هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٣٨/١ .

(٤) زيادة من (س) والوافي . وقد سلفت ترجمته .

(٥) قوله : « وقلت » إلى آخر ما في هذا النص من شعر ليس في (س) .

مـات ابنُ سهـل ومنّـا قلّت الحِيَـلُ ... وللعفـاة فضـاق السهـل والجبـلُ
مـات الوزير الـذي كان الملـوك بـه ... في غبطـة ولـديـه العلم والعمـلُ
الزاهـد العـابـد السـامي الرفيع ذُرى ... العـالم العـامـل المستـأمن البطـلُ
عليـه مني سـلام الله مـا صـدحت ... ورق لهـا في حـواشي دَوْحهـا زجـلُ

وقلت أرثيه :

مـوت ابن سهـل قـد كان صعبـاً ... لكل عـاف وكلّ طـالب
يحـق والله أن يُرثّى ... مَنْ قـد حـوى هـذه المنـاقب

توفي أبوه سنـة سبعين ، وجـدّه سنـة سبع وثلاثين . وحج هـو سنـة سبـع وثمـانين وعاد ، ثم إنه قدم مصر سنة عشرين وسبع مئة ، وحجَّ وجاور سنتين .

وكان في بلده يرجعون إليه وإلى رأيه وحُرمةِ عقله فيمن يولونه المملكـة ويلقبونـه الوزير ، وكان فيه ورعٌ شديد ، وتعفّف وصيانة وديانة وكرم ومُروّة وحلم وعلم .

وأخـذ عنـه الشيخ قطب الـدين عبـد الكريم[1] ، وكان شيخـاً وقوراً حسن الهيئـة مليح الشيبة لا يتعمم ويتطيلس على طاقية .

ورأيته عند شيخنا العلاّمة أثير الـدين ، وأخبرني هو وغيره عنـه أنـه يتصـدق سرّاً من ماله الذي يحمل إليه من أملاكه من الغرب ، وعرفه الناس ، وصـاروا يقصـدونـه ، فإذا طلب منه أحد شيئاً أنكر ذلك ، وقال : ليس ما قيل لك صحيحـاً ، ثم إنـه يتركـه بعـد يوم أو أكثر ويـأتي إليـه وهو غـافـل ويلقي في حجره كاغـداً[2] فيـه ذهب ، ويمرُّ

(١) في الأصل : « ابن عبـد الكريم » ، سهـو ، وأثبتنـا مـا في (س) والـوافي ، وهـو عبـد الكريم بن عبد النور ، وسلفت ترجمته في موضعها .

(٢) الكاغد : الورق .

ولا يقف له ، ويتصدّق من الستين ديناراً فما دونها ، واستنسخ (البحر المحيط) تفسير القرآن لشيخنا أثير الدين ، و (شَرْح التسهيل) له وغير ذلك وجهزه إلى الغرب[١] .

١٧٤٣ ـ محمد بن محمّد بن المفضّل*

ابن عبد المنعم بن حسين بن حمزة بن حسين بن أحمد بن علي بن طاهر[٢] بن حبيش ، القاضي الإمام المفتي الخطيب موفّق الدين ابن القاضي عز الدين أبي اليسر[٣] ابن القاضي نجم الدين أبي المكارم ابن القاضي مهذب الدين أبي عدي ابن القاضي تاج الدين أبي سالم ابن القاضي أمين الدين أبي القاسم حسين بن حمزة ، البهراني القضاعي الحموي الشافعي ، المعروف بابن حبيش .

تفقّه بحماة ، وحصّل وشارك في الفضائل ، وسمع من ابن رواحة ، والكمال بن طلحة ، وجماعة . وروى لشيخنا الذهبي وغيره بالإجازة عن جده لأمه أبي المشكور مدرك بن أحمد بن مدرك بن حسين بن حمزة القضاعي .

وكان إماماً جليل القدر ، وافر الحرمة ، ظاهر الحشمة ، ولي خطابة[٤] حماة ، ثم خرج عنها لتهديد السلطان له لمّا أنكر وأراق الخمور . وقدم دمشق في ... وولي[٥] خطابتها سنة ثلاث وتسعين وست مئة ، وقيل : سنة إحدى وتسعين عوضاً عن الشيخ عز الدين الفاروثي[٦] ، وعزّ عليه وعلى الناس ذلك ، وحضر السلطان الملك الأشرف ، فلما رآه السلاح داريّة أخذوه وأجلسوه إلى جانب الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب

(١) في الأصل : « للغرب » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* العبر : ٤٠٤/٥ ، والبداية والنهاية : ١٣/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، والشذرات : ٤٥٣/٥ .

(٢) (س) : « ظاهر » .

(٣) (س) : « المبشر » .

(٤) في الأصل : « الخطابة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) (س) : « وقدم دمشق وولي » .

(٦) البداية والنهاية : ٣٣٠/١٣ .

الشام ، فسأل السلطان عنه ، فأخبر أنه قد عُزل ، وتوهم الشيخ[١] أنّ الوزير ابن السلعوس هو الذي عزله ، فاعتذر السلطان إليه وقال[٢] : بلغنا أنك ضعيف . فقال : من صلّى مئة ركعة بألف ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يعجز عن صلاة الفرض ؟ يعني صلاة النصف[٣] ، فلم يلتفتوا إليه وانكسر قلبُه .

ثم في هذه الجمعة هرب حسام الدين لاجين فاغتمّ السلطان لذلك ، وتوجه هو والأمراء والعسكر يفتشون عليه ، وكانوا قد أطلعوا المنبر إلى الميدان الأخضر ، فصلى موفق الدين بالعوام[٤] ، والسلطان والعساكر مُهجَّجون في طلب حسام الدين لاجين ، ثم إن السلطان عاد بالعساكر بعد العصر يوم العيد ، فقال بعض الشعراء في ذلك :

خطب الموفق إذ تولى خطبة ... شق العصا بين الملوك وفرّقا
وأظنّه إن قال ثانية غدا ... دينُ الأنام وشملُه متفرّقا

وقال آخر :

إن الموفق لمّا ... في خطبة قد ترفّق
في جمعة العيد شمل الـ ... ـملوك كالخطب فرّق
وكان مع ذا وهذا ... في الحال غير مُوَفّق

وكان هذا الخطيب موفق الدين رجلاً صالحاً ديّناً خيراً ، ولكن لم يرزق سعادة في هذه الحركة .

ثم إن الموفق طلب إلى حماة بكتاب من صاحبها في ذي القعدة سنة سبع وتسعين

(١) يعني عز الدين الفاروثي .

(٢) وقع في الأصل بعد هذه الكلمة ما نصّه : « أعني ابن الفاروثي » ، ولا معنى لها ههنا ، وقد خلت منها (س) ، ولو وقعت بعد قوله : « وتوهم الشيخ » لاستقامت .

(٣) عبارة ابن كثير : « فذكر له أنه يصلي ليلة النصف مئة ركعة بمئة قل هو الله أحد » . والمراد ليلة النصف من شعبان .

(٤) البداية والنهاية : ٣٣٠/١٣ .

وست مئة من بعد وفاة قاضي القضاة جمال الدين بن واصل رحمه الله تعالى ، فتوجه من دمشق إلى حماة ، وولي بها القضاء مدة .

ثم إنه قدم من دمشق جافلاً من التتار . فتوفي رحمه الله تعالى بدرب القاضي الفاضل في يوم السبت سادس عشري جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن برًّا باب الفراديس ظاهر دمشق .

ومولده في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

وكان من أهل الدين والخير والصلاح ، رحمه الله تعالى .

١٧٤٤ ـ محمد بن محمد بن هبة الله*

ابن يحيى بن بندار بن ميل ، القاضي الرئيس الكبير الصدر تاج الدين أبو الفضل ابن القاضي شمس الدين بن نصر الشيرازي .

كان من أعيان الدماشقة ، ولي وكالة بيت المال والحسبة ونظر الدواوين ونظر ديوان الخزندار ، وتنقل في المناصب ، وباشر الوظائف الكبار ، ورأسَ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي رحمه الله تعالى : روى لنا عن ابن عبد الدائم ، وسمع من والده وعمّه وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمزة في بستانه في رابع شهر رجب الفرد سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وخمسين وست مئة ، رحمه الله .

وجرى بينه وبين شمس الدين محمّد ابن الشيخ عفيف الدين التلمساني منافسة بسبب شخص مشهور ، وعمل شمس الدين مقامة بسبب ذلك . وكان هذا تاج الدين

* ذيول العبر : ١٣١ ، والشذرات : ٦٢/٦ .

من الرؤساء الفضلاء النبلاء فلم يسمع عنه بسبب ذلك كلمة واحدة ، ولا أعاد ولا أبدأ ، لحشمته ورياسته وفضله ومروّته .

١٧٤٥ ـ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف*

الشيخ الإمام العالم العلاّمة المفنّن[١] المحقق المدقق جامع أشتات الفضائل ركن الدين أبو عبد الله بن القَوْبع ، بالقاف والواو الساكنة وبعدها باء موحدة مفتوحة وعين مهملة[٢] ، الجعفري التونسي المالكي .

فاضلٌ إذا قلت فاضل ، [ونظّار لم يثبت له مناظر ولا مناضل ، قد جمع الفضائل][٣] وأتقن ما لمفرداتها من البراهين والدلائل .

إن فَسَّرَ القرآن العظيم خضع له وأذعن ابن مُقاتل وفتح على السُّديّ باباً لا يخاتر[٤] فيه ولا يخاتل .

وإن ذُكِرَ الحديث (فنهايةُ) ابن الأثير له بداية ، وصاحب (الغريبين) معروف بأنّه لا يصل إلى هذه الغاية[٥] .

وإنْ ذكر أسماء الرجال فما يذكر مع بَحْره الزاخر ابن نقطة ولا ابن عبد البرّ في (استيعابه) مما يوافق شرطه .

---

* الوافي : ٢٣٨/١ ، ووفيات ابن رافع : ٦٢/١ ، والبداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، والدرر : ١٨١/٤ ، والبغية : ٢٢٦/١ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٥/٩ .

(١) (س) : « المفتن » .

(٢) قال صاحب الدرر : « والقوبع على الألسنة بضمّ القاف ، ونقل ابن رافع عنه أنه قال : إنه بفتح القاف ، وذُكر عن بعض المغاربة أن القوبع طائر » .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) الختر : الغدر .

(٥) في الأصل : « النهاية » ، وأثبتنا ما في (س) .

وإنْ ذكر الفقه فدونه [صاحب][1] (المدوّنة) ، وابن أبي زيد نقص قدره عنه[2] وهوّنه .

وإن ذكر الأصول فالغَزّالي ليس من هذا البزّ ، والحُلَيْمي سَفِه رأيه واغْتَر بما اعتز .

وإن ذكر النحو فالشلوبين شِلْوٌ بين ماضغيه ، وابن عصفور يطير وما يقع إلا بين يديه .

وإن ذكرت اللغة فصاحب (المحكم) تشابهت أقواله ، والقزاز[3] سَدَى وألحم[4] وما أفادته أحواله .

وإن ذكر العروض فالخليل ضاقت معه دائرته ، والجوهري غامَ جو جواه وما أفادته مغامرته .

وإن ذكر التاريخ فالخطيب لا يرقى درجته ، وابن عساكر يبذل في اعترافه له مهجته .

وإن ذكر الطب فجالينوس ما تجالس أنْسُه ، وابن زُهر كسف نورهذا من ذاك شمسه . هذا إلى غير هذه المعارف ، وسوى هذه النقود التي لا تبهرجها الصيارف :

إليه انتمت فينا الفضائل كُلّها فدعوى سواه للفضائل زور[5]

---

(١) زيادة من (س) . والمدونة في فروع المالكية لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي (ت ١٩١هـ) ، وهي من أجلّ الكتب في مذهب مالك . الكشف : ١٦٤٤/٢ .

(٢) في الاصل : « وإنّ أبي » ، وأثبتنا ما في (س) ، وفي (س) : « قدره عنده » .

(٣) القزاز القيراواني ، محمد بن جعفر ، له : ما يجوز للشاعر في الضرورة ، والحروف ، والجامع في اللغة (٤٠٢ هـ) . البغية : ٧١/١ .

(٤) أي : نسج ، وفي المثل : ألحم ما أسديت ، أي : تمم ما ابتدأته من الإحسان .

(٥) (س) : « الفضائل » .

إليـــه كأن الفضـــل في كلِّ ليلـــة بكف الثريـــــــا في السماء يشير
يقـــول كـــــذا فليسمُ للعلم من سما ويفخر بـــإدراك العـــلاء فخـــور

وكان يتودد إلى الناس ويتعهد الأكابر بالبشر والإيناس من غير حاجة [١] إلى رب جاه أو صاحب وظيفة يترجاه ، لأنه كان في غُنْيَةٍ من دينـاه ، ورفعة من ذاتـه في علياه .

وولي نيابة الحكم بالقاهرة مُدّةً فملأ المنصب عدلاً وإنصافاً ، ومـال على المظـالم وإن صادق وإن صافى ، ثم إنه سأل الإعفاء ، ورجع إلى العطلة وفاء .

ولم يزل في رياسة علمه وفضائله الباهرة وسيادته البـاطنـة والظـاهرة إلى أن تولّى العلم بركنه ، وطال من القبر على إنسانه إغماض [٢] جفْنِه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين في سابع عشر ذي الحجة سنة ثمـان وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده بتونس سنة أربع وستين وست مئة .

وسمـع الحـديث من أبي إسحـاق إبراهيم بن علي الـواسطي ، وأبي الفضـل أحمـد بن هبة الله بن عساكر ، وأبي العباس أحمـد بن محسن بن ملّي [٣] ، وأبي القـاسم الخضر بن عبـد الرحمن الـدمشقي ، وأبي عبـد الله محمـد بن حمـزة بن أبي عمر المقـدسي ، وجمـاعـة كثيرة . وكتب على سورة « ق » مجلدة جيّدة ، وعلى آيات من القرآن تفاسير جيّدة .

ولّما تولى إعادة الناصرية علق على قوله تعالى : ﴿ إنَّ أولَ بيتٍ وُضع للناسِ للَّـذي ببكّة ﴾ [٤] الآية . وكتب على بعض (ديوان المتنبي) كلاماً جيداً ، واختصر (أفعـال)

(١) (س) : « حاجة به » .
(٢) (س) : « إخماص » .
(٣) (س) : « مكي » .
(٤) آل عمران : ٩٦/٣ .

ابن الحاج[١] . وتولّى الإعادة في الفقه بالمدرسة الناصرية والجامع الطولوني . ودرس بالمدرسة المنكوتمرية ، وكان طبيباً بالبيمارستان ، ويلقي الدرس فيه نيابة عن رئيس الطب .

وكان قد تأدّب بابن حبيش ، وقرأ المعقول على ابن الدارس .

وكان يستحضر جملة من شعر العرب والمولدين والمتأخرين ، ويعرف خطوط الأشياخ ، لا سيما أهل الغرب .

وكان نقده جيّداً ، وذهنه يتوقد ذكاءً ، قد مهر في كل ذلك ، إذا تحدث في شيء من هذه العلوم تكلم على دقائقه وغوامضه ونكته حتى يقول القائل : إنما أفنى عمره في هذا الفن .

وكان قد قرأ النحو على يحيى بن الفرج[٢] بن الزيتون ، والأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس ، وقدم مصر عام تسعين وست مئة .

قال لي شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقيّ الدين السبكيّ رحمه الله تعالى وهو ما هو : أنا ما أعرف أحداً مثل الشيخ ركن الدين[٣] ، وقد رأى من رآه [من][٤] الفضلاء .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال : قدم إلى الديار المصرية وهو شاب فحضر سوق الكتب والشيخ بهاء الدين بن النحاس حاضر ، ومع المنادي (ديوان ابن هانئ) ، فأخذه الشيخ ركن الدين وأخذ يترنّم بقول ابن هانئ :

فتكاتِ لحظك أم سيوف أبيكِ وكؤوس خمرك أم مراشفَ فيك

(١) أحمد بن محمّد بن أحمد الأزدي (ت٦٤٧ هـ) . البغية : ٣٥٩/١ .

(٢) (س) : « محيي الدين بن أبي الفرج » .

(٣) زاد في الوافي : « أو كما قال » .

(٤) زيادة من (س) .

وكسر التاء وفتح الفاء والسين والفاء ، فالتفت إليه الشيخ بهاء الدين وقال : يا مولانا ذا نصب كثير . فقال له الشيخ ركن الدين بتلك الحدة المعروفة منه والنفرة : أنا ما أعرف الذي تريده أنت من رفع هذه الأشياء[١] على أنها أخبار لمبتدآت مُقدَّرة ، أي : أهذه[٢] فتكات لحظك أم كذا أم كذا ، وأنا الذي أريده أغزلُ وأمدحُ ، وتقديره : أأقاسي فتكات لحظك أم أقاسي سيوف أبيك ، وأرشف كؤوس خمرك أم مراشف فيك . فأخجل الشيخ بهاء الدين وقال له : يا مولانا فلأيّ شيء ما تتصدر[٣] وتشغل الناس . فقال استخفافاً بالنحو واحتقاراً له : وأيش النحو في الدنيا ، النحو علم يذكر[٤] ؟! أو كما قال .

وأخبرني أيضاً قال : كنت أنا وشمس الدين [بن][٥] الأكفاني نأخذ عليْه في (المباحث المشرقية)[٦] فأبيت ليلتي أفكّر في الدرس الذي نصبح نأخذه عليه وأجهد قريحتي وأعمل تعقُّلي وفهمي إلى أن يظهر لي شيء أجزم بأنّ المراد به هذا ، فإذا تكلّم الشيخ ركن الدين كنت أنا في واد في بارحتي وهو في واد . أو كما قال .

وأخبرني الشيخ تاج الدين المراكشي قال : قال لي الشيخ ركن الدين : لمّا أوقفني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس على (السيرة) التي عملها علّمت فيها على مئة وأربعين موضعاً أو مئة وعشرين موضعاً ـ السهو مني ـ أو كما قال .

---

(١) عبارة الدرر : « أنا أعرف الذي تريد من رفعها » .

(٢) في الأصل : « هذه » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والمعنى على الاستفهام .

(٣) في الأصل : « تتصدق » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

(٤) قوله : « النحو علم يذكر » ، ليس في الوافي ، والذي في الدرر : فقال : « وإيش هو النحو في الدنيا حتى يذكر » .

(٥) زيادة من (س) والوافي والدرر .

(٦) المباحث المشرقية في العلم الإلهي والطبيعي للرازي ، محمد بن عمر (ت٦٠٦ هـ) ، الكشف ١٥٧٧/٢ .

ولقد رأيته [أنا][١] مرات يواقف[٢] الشيخ فتح الدين في أسماء رجال ويكشف عليها فيظهر الصواب مع ركن الدين .

وكنت يوماً أنا وهو عند الشيخ فتح الدين فقال : قال الشيخ تقي الدين بن تيميّة : عمل ابن الخطيب أصولاً في الدين أصول الدين[٣] أعوذ بالله من الشيطان[٤] الرجيم - بسم الله الرحمن الرحيم - ﴿ قل هو الله أحد ☆ الله الصمد ☆ لم يلد ☆ ولم يولد ☆ ولم يكن له كفواً أحد ﴾[٥] فنفر الشيخ ركن الدين وقام وقال : قل له يا عُرَّة ، عمل الناس وصنفوا وما أفكروا فيك ، ونفر مغضباً .

وأخبرني الشيخ فتح الدين قال : جاء إليه إنسان يصحح عليه في (أمالي) القالي ، فأخذ الشيخ ركن الدين يُسابقه إلى ألفاظ الكتاب ، فبهت ذلك الرجل فقال[٦] له : لي عشرون[٧] سنة ، ما كررت عليها .

وكان إذا أنشده أحد شيئاً في أيّ معنى كان أنشد فيه جملة للمتقدمين والمتأخرين ، كأن الجميع كان يكرّر عليه البارحة .

وتولى نيابة الحكم بالقاهرة لقاضي القضاة المالكي مُدّة ، ثم إنه تركها تديّنا منه وقال يتعذر فيها براءة الذمة ، وكانت سيرته فيها حميدة[٨] ، لم يُسْمع عنه أنه ارتشى في حكومة ولا حابى أحداً .

---

(١) زيادة من (س) ، ومن الدرر عن الصفدي ههنا .

(٢) في الأصل : « يوافق » تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الوافي : « في الدين الأصول » .

(٤) في الأصل : « الشيخ » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) الإخلاص : ١١٢ .

(٦) أي : ابن القويع .

(٧) في الأصل : « عشرين » ، سهو .

(٨) (س) : « جميلة » ، وفي الوافي : « حسنة » .

وكان كثير التلاوة وكان ينام أول الليل ثم يستفيق وقد أخذ راحة ، وأخذ كتاب (الشفاء) لابن سينا ينظر فيه لا يكاد يخل بذلك .

قال لي الشيخ فتح الدين : قلتُ له يوماً : يا شيخ ركن الدين إلى متى تنظر في هذا الكتاب ؟ فقال : أريد أن أهتدي .

وكان فيه سأمٌ وضجر حتى في لعب الشطرنج ، يكون في وسط الدست وقد نفضه وقطع لذة صاحبه ويقول : سئمت سئمت . وكذلك في بعض الأوقات يكون في بحث وقد حرّر لك[1] المسألة وكادت تنضج وتتضح فيترك الكلام ويمضي .

وكان حسن الودّ ، جميلَ الصحبة ، يتردد إلى الناس ويُهنّيهم بالشهور والمواسم من غير حاجة لأحد ، لأنّه كان معه مالٌ له صورة ما يقارب الخمسين ألف درهم ، وكان يتصدقّ سراً على أناس مخصوصين ، وكان مع هذه العلوم لثغته بالراء قبيحة يجعلها همزة ، وكنت أنا وهو قد طلعنا إلى القلعة فجاء في الطريق ذكر الراء واللثغة بها ، فأخذ يسرد عليّ ما يمكن من اللثغة بها وعدّ أنها تُغير لغالب حروف المعجم ، وأخذ يذكر أمثلة ذلك .

وكان إذا رأى أحداً يضرب كلباً أو يؤذيه يخاصمه وينهره ويقولُ له : ليس تقفل هذا[2] أمَا هو شريكك في الحيوانية ؟

وكان خطه مغربياً وليس بجيد ، وكنت كثيراً ما أجتمع به وآخذ من فوائده الغامضة ، وكتبت له استدعاء في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، ونسخته :

« المسؤول من إحسان سيّدنا الشيخ الإمام العالم العلامة جامع شتات الفضائل ، وارث علوم الأوائل ، حجة المناظرين سيف المتكلمين :

---

(١) (س) : « تلك » .

(٢) (س) : « به هنا » .

سبّاق غايات الورى في بحثه ... فالبرقُ يسري في السحاب بحثّه
ويهبّ منه بالصواب صبا لها ... بردٌ على الأكباد ساعة نفثه[١]
ويضوع من تلك المباحث ما يُرَى ... أشهى من المسك السحيق وبثه[٢]

المتكلم الذي ذهلت بصائر أولي المنطق نحوه ، وأنتجت مقدماته المطلوب عنوة ووقف السيف عند حَدّه فما للآمدي في مداه خطوه ، وحاز رتب النهاية فما لأبي المعالي بعدها خطوه ، فهو الرازي على الرازي ، لأن قطب علومه من مصره ومحصوله ذهب قبل دخول أوانه وعصره ، والفقيه الذي رفع لصاحب (الموطأ) أعلام مَذهبه مُذهبة ، فمالكٌ عنه رضوان ، وأسفر وجوه اختياره خالية من كلف التكلف حالية بالدليل والبرهان ، وأبرزها في حلاوة عبارته فهو جلاّب الجُلاّب[٣] ، وأظهر الأدلة مِنْ مكامن أماكنها ، وطالما جمحت تلك الأوابد على الطُلاّب .

والنحوي الذي تركت (لُمعةُ) الخليل أخفش ، وأعرت الكسائي ثوب فخره الذي بهر به سيبويه وأدهش ، فأبعد ابن عصفور حتى ضار عن (مُقَرّبه) ، وأمات ابن يعيش لمّا أخلق مُذْهب مَذْهبه .

والأديب الّذي هو رَوْضٌ جَمَع زهر الآداب وحَبْرٌ قلّد العِقْد أجياد فنّه الذي هو لُبُّ الألباب ، وكامل أخذ عنه كُتّاب الأدب (أدب الكُتاب)[٤] ، فإذا نظم قلت : هذه الدّراري[٥] في أبراجها تتّسق ، أو خِلْتَ الدُّرَر تتنضدّ في ازدواجها وتنتسق ، أو

(١) في الوافي : « ضباً » .
(٢) في الأصل : « ويصوع » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) الجلاب : ماء الورد ، معرّبة .
(٤) فيه تورية ، وأدب الكتاب هو أدب الكاتب لابن قتيبة .
(٥) في الأصل والوافي : « الذراري » ، والدراري : النجوم .

نثر فالزهر يتطلع من كامه غبَّ غمامه ، والألفات[١] غصون ترنحّ معاطفها بحمائم[٢] همزِه التي هي كهمز حمامه .

والطبيب الذي تحلى منه أبقراط[٣] وسقط عن درجته سُقراط ، فالفارابي ألفاه رابياً ، وابن مسكويه أمسك عنه مُحَاشياً[٤] لا محابياً ، وابن سينا انطبق (قانونه) على جميع جزئياته و (كليّاته) ، وطلب (الشفاء) والنجاة من (إشاراته) و (تنبيهاته) ، فلو عالج نسيم الصبا لما اعتلّ في سحره ، أو الجفنَ المريض لزانه وزاده من حَوَره ، ركن الدين أبي[٥] عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفري المالكي :

لا زال روض العِلْم مِن فضله ... في كُلّ وقت طيّب النَشْر
وكلّ ما يبدعُه للوَرَى ... تطويه في الأحشاء للنشر
وتزدهي الدنيا بما حازَهُ ... حتى تُرى دائمة البشر

إجازة[٦] كاتب هذه الأحرف ماله مِنْ مَقُول منظوم أو منثور ، وَضَع أو تأليف ، جمع أو تصنيف ، إلى غير ذلك على اختلاف الأوضاع وتباين الأجناس والأنواع » .

وذكرت أشياء مذكورة في الاستدعاء .

فأجاب بخطه رحمه الله تعالى :

يقول العبد الفقير إلى رحمه ربه وعَفْوِه عمّا تعاظم من ذنبه محمد بن عبد الرحمن القُرشي الجعفري المعروف بابن القُوبع : بعد حمد الله ذي المجد والسَّناء والعظمة

(١) في الوافي : « وألفات » .
(٢) في الوافي : « لحمائم » .
(٣) (س) والوافي : « بقراط » .
(٤) في الأصل : « محاسباً » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) مردودة على قوله : « من إحسان سيدنا » .
(٦) خبرٌ لقوله : « المسؤول » .

والكبرياء ، الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ، خالق الأرض والسماء ، وجاعل الإصباح والإمساء ، والشكر له على ما مَنَّ به من تضاعُفِ الآلاء وترادفِ النعماء ، نحمده ونذكره ، ونعبده ونشكره لتفرده باستحقاق ذلك وتوفر ما يستغرق الحمد والشكر هنالك ، مع ما خصَّنا به من العلم[١] وأضاء به بضيائها من نور الفهم .

ونصلي على نبيه محمد سيّد العُرْب والعُجم ، وعلى آله وأصحابه الذين فازوا من كل فضل بعظمِ الحظ ووفور القُسْم[٢] ، أجزت لفلان وذكرني :

جمّاع أشتات الفضائل والذي ... سبق السّراع ببطئه وبمكثه
فكأنهم يتعثّرون بجدولٍ ... ويسير في سهل الطريق وبرثه[٣]
أزرى بسحب بيانهم في هطلها ... فيما يبين بطلّه وبدثّه[٤]

جميع ما يجوز لي [أن][٥] أرويه مما رويته من أَصْنَاف المرويات أو قلته نظماً أو نثراً ، أو اخترعته من مسألة علميّة مُفتتحاً ، أو اخترته من أقوال العلماء واستنبطت الدليل عليه مرجّحاً مما لم أضعه[٦] في تصنيف ولا أجمعه في تأليف على مشرط ذلك عند أهل الأثر :

وفّقه الله لما يرتضي ... في القول والفعل وما يدري
وزاده فضلاً إلى فَضْلِه ... بما به يأمن في الحشر
فهذه الدار بما تحتوي ... دارٌ أذىً ملأى من الشرّ
ذلّت بينهم بغرور فهم ... في عَمَهٍ عنه وفي سكر[٧]

(١) في الأصل : « الحلم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) القسم : من القسامة وهي الجمال والحسن .
(٣) الأرض السهلة .
(٤) في الأصل : « بنانهم » ، وأثبتنا ما في الوافي . وفي الوافي أيضاً : « أذرى » . والدثّ : المطر الضعيف .
(٥) زيادة من الوافي .
(٦) في الوافي : « أصنعه » .
(٧) في الوافي : « دلّت » . وأشار محقق الوافي إلى أنه في بعض نسخ الأعيان : « بنيها » .

قـدْ خَـدَعَتْهُم بـزخـاريفهـا معقبـة للغـدر بـالغـدر
تريهم بشراً ويـا وَيحهم كم تحت ذاك البشر من مَكْرِ
بينـا ترى مبتهجـاً نـاعمـاً ذا فرج بـالنهي والأمر
آمن مـا كان وأقصى مُنَىً فـاجـأه قـاصمـة الظهر
فعـدِّ عنهـا واشتغـل بـالـذي يُـوْليـك خيراً آخر الـدَّهر
فـإنمـا الخير خصيصٌ بمـا تلقـاه بعـد المـوت والنشر
هـذا إذا مَنَّ الـذي ترتجي رحمـاه بـالصفـح وبـالغفر
وزاد رضـوانـاً فهـذا الـذي يُـدعى بـه لأطـول العمر

ويؤيد هذا ما أخبرناه الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع المُسند تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الواسطي ، قراءة عليه ونحن نسمع بدمشق في شوال سنة [إحدى][١] وتسعين وست مئة ، قيل لي[٢] : أخبركم أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي قراءة عليه بدمشق ، وأبو الفرج الفتح بن عبد الله بن عبد السلام البغدادي قراءة عليه ببغداد قالا : أخبرنا الخطيب[٣] أبو منصور أنوشتكين[٤] بن عبد الله الرضواني ، قراءة عليه : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد البُسْري[٥] . (ح) وأخبرنا ابن ملاعب وأبو عليّ الحسن بن إسحاق ابن الجواليقي[٦] ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله [بن] الزاغوني[٧] ، أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) في الوافي : « له » .
(٣) (س) والوافي : « الحاجب » .
(٤) في الأصل : « وأبو شيكين » ، تحريف . وهو مولى أبي الفرج محمد بن أحمد بن عبد الله بن رضوان البغدادي (ت٥٤٦ هـ) ، الوافي : ٤٢٦/٩ .
(٥) (ت٤٧٤ هـ) ، السير : ٤٠٢/١٨ .
(٦) في الوافي زيادة : « ببغداد » . والجواليقي هو صاحب كتاب المعرّب (ت٥٢٦ هـ) ، السير ٢٧٨/٢٢ .
(٧) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ومصادر ترجمته ، (ت٥٥٢ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٠ .

الزيني[١] ، قالا : أخبرنا أبو الطاهر محمد بن عبد الرحمن المخلّص الذهبي[٢] ، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي[٣] حدثنا خلف بن هشام البزاز[٤] سنة ست وعشرين ومئتين حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم[٥] ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد[٦] ، قال : قال النبي ﷺ ونحن نحفر الخندق ، وننقل التراب على أكتافنا : « اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة »[٧] مختصر .

وهذا الحديث من أعلى ما أرْويه ، نسأل الله حالاً يرضاها ونرضاها[٨] ، إنه سميع الدعاء ، فعّالٌ لما يشاء ، وله الحمد والمنّة . كتبه محمد القوبع ليلة التاسع والعشرين من رجب سنة ذك ج[٩] .

وأنشدني لنفسه إجازة ، ومن خطه نقلت :

جوى يتلظّى في الفؤاد استعارُهُ ... ودَمْعٌ هتونٌ لا يكفّ انهماره
يحاولُ هذا بَرْدَ ذاك بصوبه ... وليس بماء العين تطفأ ناره[١٠]
وُلوعاً بمن حاز الجمال بأسره ... فحاز الفؤاد المستهام إسارُه[١١]
كَلِفْتُ به بَدْريّ ما فوق طوقه ... ودعصيّ ما يثني عليه إزاره[١٢]

(١) (ت٤٧٩ هـ) ، السير : ٤٤٣/١٨ .
(٢) (ت٣٩٣ هـ) ، السير : ٤٧٨/١٦ .
(٣) (ت٣١٧) ، السير : ٤٤١/١٤ .
(٤) في الوافي : « البزاز » ، تصحيف ، (ت٢٢٩ هـ) ، السير : ٥٧٦/١٠ .
(٥) (ت١٨٤ هـ) ، السير : ٣٢١/٨ .
(٦) الخزرجي ، (ت٩١ هـ) ، السير : ٤٢٢/٣ .
(٧) انظر : صحيح البخاري ٥٤/٥ (٦٤ كتاب المغازي ، باب (٣١) ، رقم الحديث : ٤٠٩٨ .
(٨) في الوافي : « ورضاها » .
(٩) في الوافي : « ذلح » . وبحاب الجمل تقابل سنة (٧٢٣ هـ) .
(١٠) في الأصل : « بضوئه » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(١١) في الأصل : « ولوغاً » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(١٢) الدعص : القطعة من الرمل ، والكثيب ، وتشبه به أرداف النساء .

غـزال لـه صـدري كنـاسٌ ومرتـع ... ومِن حب قلبي شيحـــــه وعراره
من السِّمر عُـدمي الصبر أحمر خـده ... إذا مـا بـدا يـاقـوتـه ونضـاره [١]
جرى سابحاً مـاء الشبـاب بروضـه ... فـأزهر فيـــه وردُه وبهـــارُه [٢]
يشبّ ضرامـاً في حشـاي نعيمـــه ... فيبـدو بـأنفـاس الصعـاد شراره
وينثر دمعي منـــــه نظم مـــؤشر ... كنـور الأقـاحي حَفّـه جُلّنـاره [٣]
يُعَـلّ بَعَـذْبٍ من برود رضـابـــه ... تفـاوح منـه مسكـه وعقـاره [٤]
وسهـد أجفـاني بـوسنـان أدعـجٍ ... يحيّر فكري غنجـــه واحـوراره [٥]
حكاني ضعفاً أو حكى منـه مـوثقـاً ... وخصراً نحيلاً عال صبري اختصاره [٦]
معنىً بردف لا ينـــوء بثقلـــــه ... فيـاشدَّ مـا يلقى من الجـار جـارُه
على أنّ ذا مُثرٍ وذلـــــك معسِرٌ ... ومن محنتي إعســاره ويســاره [٧]
تـألّف مِنْ هـذا وذا غُصنُ بـانـة ... تـوافت بـــه أزهـــاره وثمـــاره
تجَمَّـــع فيـــــه كلُّ حُسْن مُفَرّق ... فصـار لـه قطبـاً عليـه مـداره
زلال ولكنْ أيْن مني وروده ... وكـــدْنٌ ولكن أين مني اهتصـــاره
وسَلسَـــال راحٍ صـــدّعني كأســـه ... وغـودر عنـــدي سكْرُه وخمـــاره
وبـدر تمـام مشرق الضـوء بـاهرٌ ... لأفقي منـــــه مَحْقُـــــه وسراره
دنـا ونـأى فـالـدارُ غيرُ بعيـدة ... ولكنَّ بُعْـــداً صَـــدُّه ونفـــاره
وحين درى إن شـــد أسري حبُّـــه ... أحـلّ بي البلـوى وسـاء اقتـداره

---

(١) في الوافي : « من السحر يبدي عرمي الصبر خدّه » .
(٢) (س) : « ونهاره » .
(٣) في الأصل : « مؤثر » ، وأثبتنا ما في الوافي . والمؤشّر : المرقّق .
(٤) (س) : « فيه مسكه » .
(٥) في الوافي : « ويسهر » .
(٦) في الوافي : « غال » .
(٧) في الوافي : « وإيساره » .

[ومنها][1] :

حكت ليلتي من فقدي النوم يومها ... كما قد حكى ليلي ظلاماً نهاره[2]
كتمت الهوى لكنْ بدمعي وزفرتي ... وسقمي تساوى سرُّه وجهاره
ثلاث سجلات عليَّ بأنني ... أمام غرام قلّ فيك استتاره[3]
أُورِّي بنظمي في العذار وتارةً ... بمن إنْ تفنّى القرط أصفى سواره
وجَلّ الذي أهوى عن الحلي زينة ... ولّما يقارب أن يدب عذاره
أراحةَ نفسي كيف صرت عذابها ... وجنة قلبي كيف منك استعاره

ونقلت منه يمدح الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد :

ولو غيرُ الزمان يكون قرني ... لُلاقي الحتف من ليثٍ جريّ
تحاماه الكماة إذا ادلهمّت ... دُجى الهبوات في ضنك حميّ[4]
وطَبّقتِ الفضاء فلا ضياء ... سوى لمعان أبيض مشرفيّ
وأرمدتِ العيونَ وكلّ طرف ... عمٍ إلا لأسمر سمهري
بحيثُ عبابُ بحر الموت يَرْمي ... بموج من بنات الأعوجي
عليها كلّ أروع هبرزيّ ... يغالب كل أغلب شمّري[5]
تراه يرى الظُّبى ثغراً شنيباً ... من الإفرند في ظَلْم شهيّ[6]
ويعتقد الرماح قدود هَيْفٍ ... فيمنحها معانقة الهديّ[7]

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) في الأصل : « نومها » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٣) في (س) والوافي : « فكيف استتاره » .
(٤) في الأصل : « تحاكاه » ، وأثبتنا ما في الوافي . وفي (س) : «تجافاه » .
(٥) الهبرزي : هو الجيّد الرمي بالسهام ، أو الحسن الثبات على ظهر الفرس ، ويطلق على الأسد أيضاً . والأغلب : الغليظ الرقبة ، ويطلق على السادة والأسود ، والشمري : الماضي في الأمور .
(٦) الشنب : رقةٌ وعنوبة في الأسنان .
(٧) في الوافي : « فيمنحها » . والهدي : الأسير .

هنـــــاك ترى الفتى القرشي يحمي ... حمـــــاة المجـــــد والحسب السنيّ
وتعلم أنّ أصـــلاً هـــاشميـــاً ... تفرع بـــــالنضـــــار الجعفريّ
ولـو أن الجعـــافرة استبـــدّت ... بـــــه يمنى الهُمَـــــام القـــوبعي

منها في المديح :

إلى صـــدر الأئمـــة بـــاتّفـــاق ... وقـــــــــــدوةِ كلّ حَبْر ألمعيّ
ومَن بـــالاجتهـــاد غـــدا فريـــداً ... وحـــاز الفضـــل بـــالقـــدح العليّ
ومـــا هـــو والقـــداح وذاك تخت ... وهـــذا نـــال بـــالسقي الرضيّ[1]
صَبـــا للعلم صبّـــاً في صبـــاه ... فـــأعْـــلِ بهمّـــة الصبّ الصبي
فـــأتقن والشبـــابُ لـــه لبـــاسٌ ... أدِلـــة مـــالـــكٍ والشـــافعي

منها :

ونـور جـلالـــة يرتـــدّ عنـــه ... رسـول الطرف بـــالحسن العيي[2]
ومن كثرت صـلاة الليـل منـــه ... سيحسن وجهـــــه قـــول النبي

منها :

بعَـــدْلٍ عَمَّ أصنـــاف البرايـــا ... تســـاوى فيـــه دان بـــالقصيّ
ضممتَ نـــدىً وجـوداً حـــاتميـــاً ... إلى رأي وحلم أحنفيّ
لـــديـــك دعـــائم المجـــد استقرت ... فحـــط بنـــو الرضى ملقى العصيّ[3]
بحيث طـــوامـــح الآمـــــال مهما ... رمت لم تُخـــطِ شـــاكلـــة الرميّ
أيـــــا قمر الفهـــوم إذا ادْلهمّت ... دُجى الإشكال في غـــــوص خفيّ

(١) في الأصل : « نحت » ، وفي الوافي : « وتلك بخت » .
(٢) في الوافي : « الحيي » .
(٣) يقال : ألقى عصاه : إذا استقرّ وأقام على الشيء .

وسحبـــان المقـــالـــة حين يلفى ... بليـــغ القـــول كالفَـــــة العيّ[١]
لكم أبـــديت من معنىً بـــديـــع ... يروق بحلـــــة اللفـــــظ البهيّ
فـأقسم مـا الريـاض حنـا عليهـا ... ملثّ القطر هطّـــــــال الجيّ[٢]
فـــألبسهـــا المـزخرف والموشّى ... حيـــا الـوسْميّ منـــه أو الـوليّ
وأضحـــك نبتهـــا ثغر الأقـــاحي ... فـــا نظم الجمـــان اللـــؤلـــؤي
وعطّر جـوّهـــا بشـــذى أريـــج ... من المســـــك الفتيـــق التُبتّي[٣]
فـلاحت كالخرائـــد يـزدهيهـــا ... حليّ الحسن أو حسن الحليّ
بـــأبهـج من كـلامـــك حين تفتي ... سـؤالاً بـــالبـــديـــهِ أو الرويّ

وأنشدني لنفسه إجازة :

تـأمّـل صحيفـات الـوجـود فـإنهـا ... من الجانب السامي إليـك رسـائلُ[٤]
وقـد خُـط فيهـا إن تـأملت خطهـا ... «ألا كل شيء مـا خلا الله بـاطلُ»[٥]

١٧٤٦ ـ محمد بن محمد بن علي*

ابن وهب بن مطيع ، كمال الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيـد القشيري ، تقدَّم ذِكْرُ والده وجماعةٌ من إخوته .

كان يحفـظ القرآن ويتلـوه كثيراً ، وكرَّر على (مختصر مسلم) للمنـذري ، وربّما

---

(١) في الأصل : « يلقى » ، وأثبتنا ما في الوافي . وسحبان وائل يضرب بفصاحته المثل ، والفهه : العيّ .
(٢) في الأصل : « ملت » ، وأثبتنا مافي الوافي وفيه « ملث الودق » ، والإلثاث : دوام المطر .
(٣) في الوافي : « النبيتي » ، تصحيف ، والتبني : نسبة إلى تُبّت بلاد بالمشرق ينسب إليها المسك الأذفر .
(٤) في الأصل : « صفحات » ، وأثبتنا مافي (س) والدرر .
(٥) من قصيدة لبيد للشهورة ، وعجز البيت :
وكل نعيم لا محاله زائل
* الوافي : ٢٤٧/١ ، والطالع السعيد : ٦٢٣ ، الدرر : ٢٠٣/٤

قيل : إنه حفظه . وسمع من المنذري ، ومن النجيب عبد اللطيف والعز الحرانيّين ، وجماعة .

قال كمال الدين الأدفوي : أخبرت أنه كرر على (الوجيز) ، وجلس بالورّاقين بالقاهرة ، ودرّس بالمدرسة النجيبيّة بقوص ، إلا أنه خالط أهل السفه ، والخلطة لها تأثير ، فخرج عن حدّه ، وترك طرائق[١] أبيه وجده . ولما ولي أبوه القضاء أقامه من السوق وألحقه بأهل الفسوق ، قال : هكذا أخبرني جماعة من أهله وغيرهم .

وكان قوي النفس ، بلغني أنّ[٢] وكيل بيت المال مجد الدين عيسى بن الخشاب[٣] رسم للشهود أن يكتبوا شيئاً يتعلق ببيت المال إلا بإذنه ، فجاءته ورقة فيها خط كمال الدين ابن الشيخ ، فطلبه ، فقال له : ما سمعت ما رسمت به ؟ فقال : نعم ، فقال : كيف كتبت ؟ قال : جاء مرسوم أقوى من مرسومك وأشدّ . قال : السلطان ؟ قال : لا . قال : فمن رسم ؟ قال : جاء مرسوم الفقراء ، أصبحت فقيراً ما أملك شيئاً ، وجاءتني ورقة أخذت فيها خمسة عشر درهماً فتبسم . وقال : لا تَعُد .

قال : وحكى لي بعض أصحابنا قال : حضرنا وهو معنا عند الشيخ عبد الغفار بن نوح[٤] ، وكان الشيخ عبد الغفار كبير الصورة بقوص ، يأتي إليه الولاة والقضاة والأعيان ، وكان يمد رجليه في بعض الأوقات ويدّعي احتياجاً لذلك . فمد رجله ذلك اليوم فأخذ الكمال مروحة وضربه على رجله وقال : ضمّها بلا قلة أدب .

وكان كثير الصدقة مع الفاقة .

---

(١) في الوافي : « طريق » ، وفي الطالع السعيد : « طريقة » .

(٢) في الأصل : « أنه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع ، والكلام ما زال للأدفوي .

(٣) عيسى بن عمر بن خالد ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « فتوح » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، والطالع ، وهو عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد (ت ٧٠٨ هـ) ، سلفت ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثماني[١] عشرة وسبع مئة بالقاهرة .

١٧٤٧ ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك*

الشيخ شمس الدين ابن العلاّمة الشيخ جمال الدين بن مالك الجيّاني .

كان شيخاً حسناً ، بهيَّ المنظر ، أحمر الوجه ، منوّر الشيبة ، كثير التلاوة والتلقين ، لازم الجامع الأموي أكثر من أربعين سنة ، وله خزانة وبيت بالمئذنة الشرقية .

سمع (جزء) الأنصاري بقراءة ابن جعوان على بعض الشيوخ ، ولم يحدث .

رأيته غير مرة بالجامع ، وكان يسأل الطلبة ، فإذا قال له أحدهم : قرأت (ألفية ابن مالك) ، يقول : (ألفيّة) والدي ، ويفرح .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة .

١٧٤٨ ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك**

الشيخ جمال الدين[٢] ابن العلاّمة [ابن][٣] مالك ، أخو شمس الدين المذكور أوّلاً[٤] .

كان مقيماً بالقاهرة . سمع من ابن البخاري الجزء الذي كتبه له عمّه الحافظ ضياء الدين من (المسند) و (الغيلانيات)[٥] ولم يحدث .

---

(١) (س) : « سبع » ، وفي الطالع : « بعد العشرين وسبع مئة أو قريباً من ذلك .

* الدرر : ١٩١/٤ .

** الدرر : ١٩٢/٤ .

(٢) كذا ذكر المؤلف ، والمعروف أنّ جمال الدين هو لقب بن مالك نفسه .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) (س) : « المذكور ، كان أوّلاً » .

(٥) في الأصل : « الغيلانيات » بلا واو ، وأثبتنا ما في (س) .

وله نظم . وكان حسن الأخلاق جميل الهيئة ، باشر بعض الجهات ولّما تُوفي خلّف جملة .

وتوفي بالقاهرة عاشر شعبان[١] سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١٧٤٩ ـ محمد بن محمد بن عبد الرحمن*

البليغ الفصيح الصدر الرئيس بدر الدين أبو عبد الله[٢] الخطيب بالجامع الأموي بدمشق ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني .

كان وافر الحشمة ، ظاهر النعمة ، جميل البزة ، نبيل الوجاهة والعزة ، كثير التجمل ، غزير التحمل ، سافِر الوضاءة ، غامر[٣] الوجه بالإضاءة ، إذا رقا منبره أو توقل صهوته وأظهر من وجهه مضمره قال الناس : « أترى ضمّ خطيباً أم ترى ضمّخ طيباً » ، وكان يؤدي الخطبة فصيحاً ، ويوردها إيراداً مليحاً .

وكان في كل عام يتوجه إلى الديار المصرية يزور والده ويكيد بذلك ضدهُ وحاسده ، فيقيم هناك مدة ، ويقضي له وللناس أشغالاً عدّة ، ويلبس هناك تشريفاً ، وفي دمشق إذا عاد مَثْله ، ويسرُّ بذلك قبيلة وأهله :

وأسعدُ الناس من لاقى بلا تعبٍ ... مبدا السعادة في مبدا شبيبته[٤]

ولم يزل بدرُه في مطالع سعوده ومعارج صعوده إلى أن خُسِف في تمامه ، وتجرع كؤوس حِمَامه .

---

(١) في الدرر : « مات في شوّال » .

* الوافي : ٢٤٨/١ ، والدرر : ١٨٥/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٧٧/١٠ .

(٢) (خ) : « أبو عبد الله محمد » .

(٣) في الأصل : « عامر » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (خ) .

(٤) (خ) : « بلا نصب » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وسبع مئة ، ودفن في مقابر الصّوفيّة ، وقد كمّل الأربعين أو تجاوزها قليلاً .

وكان قد خطب في حياة والده قبل أن يلي القضاء وفي[١] حياة المشايخ الكبار مثل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني والشيخ برهان الدين بن تاج الدين[٢] والشيخ تقي الدين بن تيميّة . ولما طُلب والده إلى مصر وتولى قضاء القضاة بالشام استقل هو بالخطابة فيما أظن ، ولمّا طُلِب والده ثانياً لقضاء الديار المصرية بقي هو في الوظيفة . وكان في كل سنة يتوجه على البريد إلى مصر ويحضر عند السلطان ويلبس تشريفاً ويقيم عند والده مدة ثم يعود إلى دمشق على البريد ، وكانت له بذلك وجاهة زائدة وصيت بعيد ، وقضى سعادة وافرة .

ولما عاد والده إلى قضاء الشام ناب والده في الحكم ، وكان قد أتقن الخطابة وانصقلت عبارته وتلفظ بها فصيحاً ، وقرأ في المحراب قراءة حسنة طيّبة النغم .

ولّما توفي والده توهّم أن يلي المنصب فما اتفق له ذلك [وانعكست آماله] ونقض[٣] حبل سعده وتعكّس ، وكلما حاول أمراً أدبر ولم ينجب فيه .

وطُلب إلى مصر بوساطة الفخري ونزل عنده في[٤] القلعة ، وأقام تقدير أربعة أشهر [وعاد][٥] وقد أكمده الحزن ، فأقام أياماً قليلة ، ومات رحمه الله تعالى .

---

(١) (خ) : « في » بلا واو .

(٢) قوله : « ابن تاج » ، ليس في (خ) والوافي ، وبرهان الدين هو إبراهيم ابن عبد الرحمن الفزاري ، وقد سلفت ترجمته ، وترجمة أبيه في مكانيهما .

(٣) في (خ) : « وانتقض » . والزيادة من (خ) ، وقد وقع مكانها في الأصل و (ط) تكرار قوله : « وقرأ في المحراب .. النغم » ، وعبارة الوافي : « وعكس الدهر آماله » .

(٤) في الأصل و (ط) : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) زيادة من (خ) .

ولما توجه إلى مصر بعد وفاة والده رحمها الله تعالى كتبت أنا له توقيعاً بأن يستنيب في وظائفه من يراه إلى أن يعود ، ونسخته :

« أما بعد حَمْدِ الله الذي سيَّر البدر في منازل سعوده ، وأثمر رجاه الذي أنجب لصدق باطنه وظاهره عند غرس عُوده ، ورّقاه إلى درجات الكمال من إنجاز وعوده ، وبلّغه أمانيه التي جاءت بها الأقدار على وفق غرضه[١] واقتراح مقصوده . وصلاته على سيدنا محمد الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ،ونوّله من الكرامات ما لا يحصر لفضله ولا يحصى[٢] ، وعلى آله وصحبه الذين لم يَرَ عدوّ الدين في كالهم نقصا ، ولم يكن فيهم من يخالف له مفهوم أمر ولا نصّا[٣] ، صلاةً يتألق برقها في سماء الرحمة ، ويترقرق وَدْقُها في نماء النعمة ما نسخت آية النور آية الظلمة ، وأضرم الشفق جمرته من الغسق في فحمة ، وسلامه إلى يوم الدين .

فإنه لما كان الجناب الكريم العالي البدري له على الأبواب الشريفة في كل حين وفادة ، وفاز من حسن النظر الشريف في كل أوان من الإنعام بإفاءة وإفادة ، وخطر في برود الوقار بين أغصان السيادة ، وتجمّل بملابس العلم الشريف مطرَّزةً برقوم السعادة ، واتّصف بمكارم ارتجال معانيها لا يبادى ولا يباده[٤] ، واقتفى سنن والده ، وكان[٥] أفضل من سَعَى ومن برّ ، ورقَى بأهبة الخطابة دَرج منبره فكان بدراً بدا في سحابة عنبر ، وأسال الدموع[٦] بمواعظة الصادقة الصادعة ، وأذاب القلوب بحكمة النافذة النافعة ، وناب في الأحكام وفصل القضايا المعضلة ، وألقى الدروس ، فجلا[٧] دياجي المسائل المشكلة ، وجلس في المحافل فكانت تفاصيل الرياسة فيه مُجْمَلة .

(١) في الأصل : « عرضه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) .
(٢) (خ) : « الكرامات ما لا تحصى » .
(٣) قوله : « ولم يكن .. » حتى ههنا ليس في (خ) .
(٤) في الأصل : « لا يبارى » ، وأثبتنا ما في (خ) . والمباداة والمبادهة : المفاجأة والمباغتة .
(٥) في (خ) : « فكان ».
(٦) (س) ، (خ) : « المدامع » .
(٧) في الأصل : « وجلا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وتصدَّر في المجالس فما شك أحدٌ في أن هذا البدر أولى بهذه المنزلة ، وطُلب الآن إلى الأبواب الشريفة خلَّدَ الله سلطانها ، فأعمل [إلى الأبواب الشريفة][1] ركابه وأحمدَ غُدوَّه إليها وإيابه ، وسيكون قدومه عليها مقروناً بالنجح المبين ، ومقول سعادته ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاء اللهُ آمِنِين ﴾[2] . وكان لابدّ لوظائفه المباركة من يسدُّ فيها غيبته ، ويقوم فيها[3] إلغ أن يقدر الله أوبته .

فلذلك رسم بالأمر العالي أن يستنيب عنه في الخطابة الشريفة وغيراها مما هو به معذوق ومنوط بمباشرته من يراه أهلاً لذلك ، ويعتقد أنه في هذه الجادة خير سالك إلى أن يعود بدراً منيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ، والله تعالى يقدّر له السعود حيثما توجّه ، ويجعل النجح قرينه في كل سبيل سلك فجّه ، والخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حجّة بمقتضاه إن شاء الله تعالى .

١٧٥٠ ـ محمد بن محمد*

الأمير الفاضل سيف الدين أبو بكر بن صلاح الدين أبي الحسن ابن الملك الأمجد مجد الدين الحسن ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين داود ابن المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

كان فقيهاً فاضلاً ، وله شعر ، مدح الخليفة والسلطان وقاضي القضاة ابن صصرى والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وأجابه عنها ابن الزملكاني ، وأقام بحماة مدة ، وحضر المدارس معيداً ، ثم إنه عاد إلى دمشق وأقام بها . وسمع على الفاروثي وغيره .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة .

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) يوسف : ٩٩/١٢ .

(٣) في (س) ، (خ) : « بها » .

* تاريخ أبي الفداء : ١٠١/٤ .

١٧٥١ ـ محمد بن محمد بن عبد المنعم*

القاضي البليغ الكاتب الناظم الناثر تاج الدين أبو سعد السعدي المعروف بابن البارنباري .

كان كاتباً مطيعاً ومترسّلاً منطقياً[١] ، خطه أنهج[٢] من الروضة الغنّاء وأخلب للقلب من الحدقة الوَسنا . كتب الرقاع والتوقيعات والثُلث من أحسن ما يكون ، وكان لبقاً في كتابته وفي الحركات[٣] والسكون ، وكان خبيراً بمصطلح الديوان وبما يكتبه إلى الملوك من صاحب التخت والإيوان ، وكان يكتب من رأس القلم ، ويأتي في كتبه وتواقيعه بما ينسي نسمات الضال والسلم :

جرى معه الجارون حتى إذا انتهوا ... إلى الغاية القصوى جرى وأقاموا
فليس لشمسٍ مذ أنار إنارة ... وليس لبدر حيث تمَّ تمامُ

فهو كان أحد الكتاب الكملة الذين رأيتهم وبعتهم في الاختيار وشريتهم ، وخبرتهم وذخرتهم وقرأتهم ، وإلى مآدب هذه الصناعة دعوتهم وقريتهم .

ولم يزل إلى أن توجه إلى القدس ليزور ويستنتج أمّ الحظ وهي مِقلاتٌ نزور[٤] . فهناك وافاه حمامه ، وبكاه من الفضل غمامه ، وناح عليه حمامُه .

---

* الوافي : ٢٤٩/١ ، ووفيات ابن رافع ٣٣٠/١ ، والدرر ١٩٥/٤ ، وذيول العبر : ٣٠٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٠/١٠ .

(١) في الأصل : « مطبقاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « أبهج » ، والنهج : الوضوح .

(٣) (خ) : « الحركة » .

(٤) يشير إلى بيت كثير :

بغاث الطير أكثرها فراخاً ... وأمّ الصقر مقلاتٌ نزور

والمقلات : هي التي لا تلد إلا واحداً ، أو التي لا يعيش ولدها .
والنزور أيضاً : قليلة الولد .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل ربيع[١] الأول سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وست مئة .

وكتب الإنشاء في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة في شهر رجب الفرد سنة ثلاث عشرة وسبع مئة . ولم يزل من أعيان كتاب الإنشاء ، وكان القاضي علاء الدين بن الأثير يستكتبه في البريد ، ولم يزل في القاهرة في جملة كتاب الإنشاء إلى أن توفي القاضي بهاء الدين أبو بكر بن غانم صاحب ديوان المكاتبات بطرابلس ، فرسم[٢] له السلطان الملك الناصر محمد بأن يتوجّه مكانه ، فتوجه إلى طرابلس ونائبها يومئذ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، فرأس هناك ، وعمل الوظيفة هناك على القالب الجائر[٣] ، وداخل النوّاب ، وصار[٤] هو عبارة عن الدولة .

وفي سنة خمس وأربعين وسبع مئة كان في الشتاء نائماً هو وأولاده ، فجاء سيل عظيم ، وكانت داره على النهر ، وكان للسيل ضجة من الناس وضوضاء ، فقام من فراشه ليعلم ما الخبر وعاد فلم يجد داراً ولا سكاناً ، وراح [البيت][٥] وولداه ، وأحدهما موقع والآخر ناظر الجيش ، وجميع ما في البيت إلى البحر . وانتبه الناس لهذه المصيبة العظمى ، وركب النائب وتوجهوا إلى البحر إلى أن طلع الضوء وقذف الموج ولديه وهما ميتان ، فأخذوهما وعمّر لهما تربة عظيمة هناك . وصدعت واقعته قلوب الناس في الشام ومصر . وأمّا هو فإنه داخله هلعٌ عظيم واختلط عقله ، وبعث إلى مصر يسأل الإعفاء والإقالة ، وكنت إذ ذاك بالديار المصرية ، فكتبت لولده شرف الدين عبد الوهاب توقيعاً ، ونسخته :

(١) في (س) ، (خ) : « شهر ربيع » .
(٢) في الأصل : « رسم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) الذي في الوافي : « فرأس هناك ، وأحسن إلى الناس ، وسار سيرة مرضية » .
(٤) في الأصل : « صار » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

« رسم بالأمر الشريف[١] العالي المولوي السلطاني الملكي الصالحي ، لا زال يجبرُ بفضله مَنْ أُصيب ، ويغمر بإحسانه مَن فقد الدار والحبيب ، ويعمر برفده من مُني من خطب الأيام بأوفر نصيب أن يرتِّب المجلس السامي القاضي شرف الدين في كذا جبراً لأبيه المصاب في غُصْنيه اليانعين ، وحصنيه المانعين ، وبدريه الطالعين ونسريه الطائرين بجناح حياته ، فأصبحا في حبائل الردى واقعين ، وسرّيه المخبوءين في سواد عينه ، وإن كانا بالثناء ضائعين .

فليباشر ذلك مباشرة أُلفت من بيته ، وأجرت فارسَ بلاغتهم من طرسه ونقسه على أشهبه وكميته ، مقتدياً بطريق[٢] أبيه ، فهي طريقة مثلى ، وحقيقة تُدرس أماليها وتُملى ، وحديقة غرائس بنانها[٣] تجلّى محاسنها وتجلى ، وعريقة في فن الكتابة التي يُفرغ عليها كيس الثناء حين يُملى ، لأنه درة تاجه ، وقرُّةٌ تخلف على أبيه ماضي سروره وابتهاجه ، وغرّة يُزان[٤] بها الفجر عند انصداعه وانبلاجه ، مجتهداً في تحرير ما يكتبه وتقرير ما يرْقمه ويهذّبه ، حتى تكون روضات الطروس مدبّجة بأزهار كلماته وتسجيعه ، وترى وجنات هوامش القصص مطرزة بغدار توقيعه ، والوصايا كثيرة ، وتقوى الله تعالى ملاك ما نأمره باتّباعه ، وأسلاك الدرر[٥] التي يؤم غيثها في انتجاعه ، فلا يألف إلاّ حماها ، ولا يرشف إلا لماها ، والخط الكريم أعلاه الله وشرّفه أعلاه حجةً في ثبوت العمل بما اقتضاه إن شاء الله تعالى » .

وكان القاضي تاج الدين قد أقام بعد ذلك بطرابلس على حاله إلى أن تولى نيابة طرابلس الأمير سيف الدين بيدمر البدري في أوائل سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فعُزِل من كتابة سرِّ طرابلس ، وطالبه الناس بحقوق ، فأقام هناك إلى أن خرج منها وحضر

(١) ليست في (س) .
(٢) (خ) : « بطرائق » .
(٣) (خ) : « نباتها » .
(٤) في الأصل : « يصان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « الدرر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

إلى دمشق في أواخر السنة المذكورة ، وأقام بدمشق مُدّة ، ثم توجّه إلى القاهرة وأقام بها مدة ، إلى أن رُتّب موقّعاً في الدست بدمشق ، فحضر إليها في شهر رجب ، فيما أظن سنة إحدى وخمسين وسبع مئة . ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى القدس ، وتوفي في يومين في التاريخ[١] .

وكنت أنا قد كتبت إليه بعد خروجي من مصر متوجهاً إلى الرحبة كاتب الدرّج :

لما أتيت دِمشقاً بعد مصر وفي ... عطفيَّ منك بقايا الفضل للراجي[٢]
عُظِّمْتُ من أجل مولانا وصحبته ... وقيل هذا بمصر صاحبُ التاج

وينهي بعد رفع الدعاء[٣] ، وحمل لواء الولاء ، وإشادة بناء الثناء ، أن المملوك سطّرها وشوقُه قد ضاقت به الرحبة ، وأغار على مثاقيل الصّبر فما ترك عند[٤] حبّة القلب حبة ، وذكّره الأيام السالفة ، حتى عاد نسيبه بها أعظم نسبه :

كأني لم أكن في مِصْرَ يوماً ... قطعْتُ به الوصال مع الأحبه
ونلتُ القرب من سادات دَسْتٍ ... محلُّهم علا كيوانَ رُتْبه
إذا عانيت في الإنشا حُلاهم ... تراهم بالنجوم الزهر أشبه
وإن سابقتهم علماً وفضلاً ... فأنت إذا نطقت سَكَيْتَ حلبه[٥]
فما ابن الصيرفي إذا أتاهم ... يُساوي عندهم في الفضل حبّه
خصوصاً تاجهم سقي الغوادي ... محلٌّ ضمّه واخضلّ تُرْبه
إذا أخذ اليراع فليس بين الـ ... ـطروس وبين زهر الروض نسبه
وإن نطق استبان المرءُ منه ... محاسن تستبي في الحال لُبَّه

(١) (س) : « في التاريخ المذكور » .
(٢) في الأصل : « للداجي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « الرياء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) في (س) ، (خ) والوافي : « منها عند » .
(٥) السكيت : آخر خيل السباق في الحلبة .

وليس الملـــك محتـــاجـــاً إلى أن يُعـــدّ كتـــائبـــاً إن عـــدّ كتبـــه
لـــــه الفَضْـــــلان في نظم ونثر إذا مـــا جـــال في شعر وخطبـــه
أيـــــا مـــولاي عفـــواً عن محبّ تهجّم فـــالبعـــاد أذاب قلبـــه
بعثتُ بهـــا إليـــك عسى تراهـــا على بعـــد من المملـوك قربـــه

فكتب هو الجواب :

شكراً لغرس بروض الفضل قـد نبتـا وودّه في صميم القلب قـــد ثبتـــا
أهـدى إليَّ كتـابـــاً كنت أرْقُبُـــه أزال عني من عيث النوى العَنَتـا[1]
مبـاركاً جاء بـالحسنى فـأحْسنَ لي وكيف لا وهـو من عنـد الخليـل أتى

لا زالت ألفـاظـه حليـة المالـك ، وودّه في النفوس ثـابتـاً وللقلوب خير مـالـك ، ومنزله من فضل الله رحيب الساحات معموراً بـالسماحـات في رحبـة مـالـك ، وينهي ورُود مشرّف سمح بيانه ، ونفح بعرفانه ، وجنح إلى عوائد إحسانـه ولمح أشرف المعـاني بإنسانه ، وربح إذا بدا بفصل خطابه وفضل بنانـه ، أبى الله إلا أن يكون لـه الفضل في ابتدائه ، والفوز بسبق تحيته[2] وإنشائه ، فقبّله المملوك تقبيلاً ، وفضّه فإذا البيان جاء معه كله قَبيلا ، ورأى أدَباً غضاً ، ونظماً ونثراً فاقـا مَنْ سَلفَ عصرَه وتَقَضّى . ولقـد ذكّر مولانا بأوقات قُرْبـه ، على أن المملوك مـا زال يـذكرهـا ، وأقرّ عينـاً مـا برحت تشهـد محاسنه وتنظرها :

أبلـغ أخـــانـــا أدام الله نِعمتـــهُ أنّي وإن كنتُ لا ألقـــاه ألقـــاه[3]
الله يعلـم أنّي لســـــتُ أذكـرهُ وكيف يـــذكره من ليس ينســـاه

---

(١) في الأصل : « غيث » ، وأثبتنا مافي الوافي ، والعيث : الفساد ، وفي (خ) : « عتب » .
(٢) في الأصل : « تحينه » ، وأثبتنا مافي (خ) والوافي . وفي (س) : « بحسّه » .
(٣) قوله : « وإن » ليس في الوافي .

ولقد تجمّلت[١] بمولانا جهة تَصَدَّرُ أخبارُها بأقلامه ، وتَصْدُر مهمّاتها[٢] بمتين كلامه ، ويبدو صَلاحُها بألفاظه التي هي كالزُّلال في رقته والدُرّ في نظامه ، فبسط الله ظلال مَنْ أمتع هذه المملكة بمولانا ، وسيَّر ركابه إليها ، وطالما أولاه الخير وأولانا ، قد شمل البعيد والقريب بفضله ، وعمّر مصر بسؤدده ، وغمر[٣] الشام بفضله :

كالبحر يقذف للقريب جواهراً كرماً ويبعث للبعيد سحائبا

ثم يعود المملوك إلى وصف محاسن مولانا التي مكنت في القلب حُبَّه ، وأرضت بالودّ مملوكه وتِربه ، وشيّدت له [في][٤] الأفئدة أعظم رتبة :

أتتنا من ودادك خيرُ هبّه فنعّمَ طيبها عيش الأحبه
وزارتنا على نأيٍ فأهدت لنا أنساً به أنسي تنبّه
تذكّرني بزورتها ائتلافاً ووقتاً طالما مُتّعت قربه
نأى عن[٥] مصر من مولاي أُنسٌ فأَلْفَى بعدها رحباً ورَحْبَه
للفظك في الطروس عُقودُ معنى بها دُرُّ الترائب قد تشبّه
وخطك لم يزل دُرّاً ثميناً له بالجوهر الشفّاف نسبه
بنانكَ منبر يرقى عليه يراعٌ كَمْ لها في الطرس خطبه
خطبت من المعاني كلَّ بكر فلبّت بالإجابة خير خطبه
كأنك قدْ رقيت الأفق عَفْوا فأعطى طرسُك الميمون شُهبه
فدُمت مُعظّماً في كل أرضٍ تنال من السعود أجلَّ رُتْبه

---

(١) في الوافي : « تحمّلت » .
(٢) في الأصل : « مهاته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « وعمّر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) زيادة من (خ) والوافي .
(٥) في الأصل : « نأى من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

وكتب هو إليّ ونحن بالمخيّم السُلطاني على طَنَان[١] ملغزاً :

يـــا مبـــدعـــاً في النظم والنثر ... وفـــاضـــلاً في عِلْمـــه يُثْري
ومُـودعـــاً مُهرقـــهُ كلّ مـــا ... يُرزي بحسن الـــــدرّ والتبر[٢]
إن أُحكمت ألفـــاظُـــه أصبحت ... قـــواطعـــاً تربي على البُتْر
مـــا صـــامتٌ تنطـق أفضـــالُـــه ... وكاتِمٌ للسرّ في الصـــــدر
تصلحُـــه الراحـــةُ لكنَّـــه ... يُتعب في الطيّ وفي النشر
قـــد أشبـــه البيض ولكنّـــه ... يحتـــاج يـــاذا الفضـــل للسمر
تفرّق الليـــل بـــأرجـــائـــه ... كأنّـــــه وصـــلٌ على هجر
يسير عن أوطـــانـــه دائمـــاً ... للنفـــــع في البرّ وفي البحر
إذا كان يـــومـــاً ضيف قـــومٍ غـــدا ... يقري وخير النـــاس من يقرى
فهـــات لي عنـــه جـــوابـــاً كما ... عـــوّدتني يـــا عـــالي القـــدر[٣]

فحللته في « كتاب » وكتبت الجواب :

أروضـــــــةٌ تبسم عن زهر ... أم أكـــــــؤسٌ دارت من الخمر
أم نظم مـــولانـــا فـــإنّي الـــذي ... أعـــــدّه مِنْ جُملـــــة السِّحر
إذ كلُّ حرف منـــــك شمسٌ وإنْ ... ســامَحْتَ قُلْتَ الكـوكبُ الـدرّي
يـــا فـــاضـــلاً مـــا مُشتهى نظمـــه ... في النـــاس إلاّ قطـــعُ الـــزهر[٤]
وكاتبـــاً أصبـــح من خطـــهِ ... يغني عن الخطيّـــــــة السُّمر
حَلَلْتُ مـــا ألغـزتـــه في الـــذي ... تجلـــــــوه لي في حبر الحِبْرِ

(١) في الأصل : « طغان » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . وطَنَان : قريبة قريبة من الفسطاط (معجم البلدان) .
(٢) الْمُهْرَق : الصحيفة البيضاء ، فارسيّة .
(٣) في الأصل : « يا غالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) في الأصل : « ما يشتهي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . وفي الوافي : « يا مشتهي » .

مـــا فـــاه بـــالنطـق ولكنّـــهُ ... لـــــه فنـــــون النظم والنثر
يُخبرُنـــــا عمّـــــا مضى وانقضى ... ومـــا جرى في ســـالف الـــدّهر
لا يكـــذبُ القـول إذا مـــا ورى ... فقـــــد حكى صـــــدق أبي ذرّ
وعنـــده للحسن ديبـــاجـــةٌ ... سبيهـــــةٌ بـــــالليـــل والفجر
ذُرَّتْ على كافـــوره مِسْكَـــــةٌ ... ليس لهـــــا نشرٌ مـــــع النشر
كم أقسم البـــــاري بـــــه مَرّةً ... مَرَّت لنـــــا في محكم الـــــذكر
يا حسن ما [قـد] قلت يقري وهل ... تعرف في الأيـــــام من يقري[1]
ومـــا قراه غير سمـع الـــذي ... يَبُثُّـــــه بـــــاللبّ والفكر
هـــذا جـوابٌ إن تكن راضيـــاً ... بـــه فيـــا عـزّي ويـــا فخري
وإنْ أكن أخطـــأت في حَلّـــه ... فـابسـط على مـا اعتـدتـه عُـذري
لا زلْتَ ترقى صـــاعـــداً في العُـلا ... إلى محـــــلّ الأنجم الـــــزهر

وكتبتُ أنا إليه عقيب ذلك :

بلّغـــك الله الأمـــاني فقـــد ... أطربني لغـــــزك لمّـــــا أتى
يحلُـــو إذا كرّرت إنشـــــاده ... وكيف لا يحلـو وفيـــه كتـــا

وكتب إليّ أيضاً ونحن بالمخيم على المنوفيّة :

طرُق الصواب بـك استبـان سبيلهـا ... وبـك استقـام على السواء دليلهـا
كم خلّـــةٍ محمـــودة أوتيتَهـــا ... في المكرمـــات وأنت أنت خَليلُهـــا
مـا مُلغَـزٌ الفـاءُ منـه كـلامـه ... وحُروفـه مـا شـانهن قليلهـا[2]
لا شيء تحجبـــه وكم من دونـــه ... من حـــاجب فعُـلاه ثم أثيلُهـــا[3]

(١) الزيادة من (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الوافي : « ما شأنهن » .
(٣) في الوافي : « ثمّ » .

إن طـال مُـلّ وخيره يـا صـاح مـا ... قـد طـال والنعماء طـاب طويلها[١]
وإذا أهـلّ الـوفـد من ميقـاتهم ... طُـويت غـمـامتـه وزال طليلهـا
كم أوضحوا مـزقـاً فـأخفـاه ومـع ... هـذا إبـانتـه دنـا تعجيلهـا
ومحلّـه كمحـلّ مـولانـا غَـدَا ... يسمـو فرفعتـه رسـا تـأصيلهـا
فـاحللـه لا برحت يراعـك كالظبى ... فصريرهـا منـه يمـدّ صليلهـا

فحللته في « شاش » وكتبت الجواب :

جـاءت تُـدار على النفـوس شمولهـا ... وتُجَرُّ من فـوق الريـاض ذيـولهـا
أبيـاتـك الغُرّ التي أبـدعتهـا ... تُطوى على جُمَـل الجمـال فُصُولهـا[٢]
ويسير في الآفـاق ذكرك لي بهـا ... وتهبّ بـالإقبـال منـك قبـولهـا
قـد ألغـزت لي في مسمّى واحـد ... ولـه مقـادير تفـاوَتَ طـولهـا
كغمامـة ترخى على ليـل الشبـا ... ب الغَضّ أو صبح المشيب فضولهـا
لا يستحيـل إذا قَلَبْتَ حروفـه ... بـالعكس بـل يبقى لها مـدلولهـا
وحروفـه بيتٌ وبـاقي لفظـه ... آس على التصحيف رُحت أقـولهـا
هـذا الجـواب وغـايـة الفضل التي ... قـد نلتهـا في النظم لست أطولها[٣]
فلـك النجـوم تسير في فلـك العلا ... مـا شـانهـا بعـد الطلـوع أفولهـا

وكتب هو إليَّ عقيب ذلك :

المسـك منـك ختـام ... وراحتـاك غمـام
الخَـطّ روض نـديم ... واللفـظ حلـو مـدام
والسحرُ قـولـك لكنْ ... السحر أمرٌ حرام

---

(١) في الأصل : « قد طاب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الأصل : « أودعتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) (خ) : « الذي » .

أجبتني عَنْ معمّىً بسرعة لا تُرام
في القلب حُبُّك ثاو له أقام غرام
فأنت حقاً خليلٌ على الخليل السلام

فكتبت أنا الجواب إليه :

أجوهرٌ أم كلام وقهوة أم نظام
أم البدورُ تجلّت فانجاب عنها الظلام
أم الحدائق وشّى منها البرود غمام
غُصونُها ألفاتٌ والهمز فيها حمام
أشبّه السطر كاساً فيها المعالي مُدام
أو أعيناً فاتنات يصبو لها المستهام[1]
وحشوها السحر بادٍ ولا أقول السقام
أقلامك الحمر فيها للنائبات سهام
كم قد أصابت لمرمى ولم يَفُتْها مرام
أثنت عليك المعاني والكاتبون الكرام
وقلّدتك المعالي إذ أنت فينا إمام
فأنت أشرف تاج في فضله لا يرام
له على كل رأسٍ فاءٌ وصادٌ ولام

فكتب هو الجواب أيضاً :

ألفاظك الغرّ أضحت بُرُوقهنّ تشام
لأجل ذلك سَحّت من سحبهن ركام[2]

(١) (خ) : « بها » .
(٢) الركام : الضخم .

فـاحبس سيـولـك إن الـ ـبيـوت هـذي الخيـام
مِصْرٌ بهـا قـد تحلّت كما تحلّى الشـآم
عنهـا يقصر قسّ والسـالفـون الكرام[١]
أمثـالهـا سـائرات ومـالهن مقـام
بـدورهـا طـالعـاتٌ لهـا التمام لـزام

وفي العشيّ أتتني منهـا وجـوه وسـام
تُعْـزى إلى العُرْب لمـا يُرْعَى لـديهـا الـذمـام
لهـا العيـون عيـونٌ والنـون فيهـا لثـام
فكنَّ خير سمير حتى تجلّى الظـلام[٢]
وكلّما دار دَوْرٌ مِنْ خمرهـا حـاء جـام
هـذا جـوابٌ جـوابٍ قـد كلَّ منـه الكـلام[٣]
فـاستر لـه كل عـاب إذ أنت فينـا إمـام

١٧٥٢ ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير*

ناصر الدين ، الطبيب المصري .

قرأ الطبّ والحكمة على والده ، والأدب على الشيخ علاء الدين القونوي .

كان فيه ظرف الأدباء ، ولطف الحكماء ، وخلاعة أهل مصر ، وبضاعة تُنْفَق عند أهل كل عصر ، لا يطبّ إلا أصحابه ، أو بَيْتَ السلطان وأربابه . وهو من بيتٍ كلّهم أطبّاء ، وفضلاء ألبّاء .

---

(١) في الأصل : « فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٢) (س) (خ) والوافي : « حتى تقضّى » .
(٣) في الوافي : « فيه » .
* الوافي : ٢٥٨/١ ، والدرر : ١٩٠/٤ .

وكان ظريف العِشرة ، دمث الأخلاق ، ولا ينصبُّ إلا إلى المجون وفيه يَشره ، وكان يلعبُ بالعود لأناس يختص بهم ، ويتوفر على قربهم .

ولم يزل على حاله إلى أن لم تجد حيلة البرء[١] فيه خيلة ، وراح والأبصار على فقده كليلة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وسألته عن مولده فقال لي : في سنة إحدى وتسعين وست مئة .

وكان من أطباء السلطان ، وتوجه معه إلى الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وحضر من القاهرة إلى دمشق متوجهاً على البريد لمداواة الأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني نائب حلب فمالحقه إلا وقد تمكّنَ منه المرض ، فعاد ناصر الدين المذكور إلى دمشق وقد تغيّر مزاجه من حماة . فأقام في دمشق يُمَرَّض[٢] في مدرسة الدنيسري[٣] قريباً من خمسين يوماً .

وكان رحمه الله تعالى رزقه قليل ، لمتُه يوماً وقلت له : يامولى ناصر الدين ، لو جلست في دكان عطار وعالجت الناس لدخلك كل يوم أربعون خمسون درهماً . فقال : يامولانا هؤلاء نساء القاهرة إن لم يكن الطبيب يهوديّاً شيخاً مائل الرقبة ، سائل اللعاب وإلا فما لهنّ إقبال عليه .

قلت : يريد بذلك السديد الدمياطي لأنه بهذه[٤] الصفة .

---

(١) في الأصل و (س) و (خ) :« البرّ » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (خ) : « يمرض نفسه » .

(٣) غربي باب البيمارستان النوري والصلاحية ، أنشأها عماد الدين أبو عبد الله محمد بن العباس الربعي الطبيب (ت٦٨٦ هـ) . الدارس : ١٠٤/٢ ، وانظر الوافي : ٢٠٠/٣ .

(٤) في (خ) : « كان بهذه » .

أخبرني من لفظه القاضي الفاضل فخر الدين [عبد الوهاب][١] كاتبُ الدرج ، قال : دخل يوماً ناصر الدين بن صغير إلى الطهارة ، فعلق برجله شيء من القاذورات ، فكتبت إليه والشيء بالشيء يذكر : توجّه سيدي بالأمس مخضّب القدم[٢] من هَيُولاه ، ذا مّا من محله المعمور لما منه يولاه ، وما كان في حقه في أمسه[٣] تكدير نفسه ، ولكل شيء آفة من جنسه ، هذه مسألة علكها أكبر لحيين[٤] ، واشتغل بها اشتغال ذات النحيين[٥] ، وأظنه قبل قدمه ، فخرج على تلك الصورة أو بعض أجزائه ، خلع صورة ولبس[٦] صورة :

فتى غير محجوب الندى عن صديقه ولا يُظهر الشكوى إذا النعْل زلّت

على أنه أكثر منه محافظة وودّاً ، وأرعى ذمّة وعهدا . كم أحرقته نار وجد من أوطانه وأزعجته من مكانه ، وهُو لا يضر إلا حُبّاً ، ولا يطلب منك إلا قُرباً :

لاشك إذ لونكما واحد أنكما من طينةٍ واحده[٧]

وأخبرني قال : كتبت إليه ونحن بسريا قوس في أيام الطاعون بمصر :

أظن الناس بالآثام باؤوا وكان جزاؤهم هذا الوباء
أسيّد من له قانون علم بحيلة برئه يرجى الشفاء
أأجال الورى متقاربات بهذا الفضل أم فسد الهواء[٨]

---

(١) زيادة من (خ) .
(٢) في الأصل : « العرم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وفي (س) : « وهو مخضب » .
(٣) (خ) : « من حقه » ، وفي (س) : « من أمسه » .
(٤) في (س) ، (خ) : « منه لحيين » .
(٥) يشير إلى المثل المشهور : (أشغل من ذات النحيين) ، وقد سلفت .
(٦) في الأصل : « ليست » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٧) في الدرر : « إذ أبو كما » .
(٨) في الأصل : « الفصل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

أم الأفـــلاك أوجبت اتصـــــالاً ... بـه في النـاس قـد عـاث الفنـاء
أم استعـداد أمـزجـه جفـاهـا ... جميـل الطب واختلف الغـــذاء
أم اقتربت على مـــا تقتضيـــه ... عقيـــدتنـــا فللـزمن انتهـــاء
أفِـدنـا مـا حقيقـة مـا تراه ... فمـا الأذهـان أحرفهـا سـواء
وقـلْ مـا صـحّ عنـدك من يقين ... بحـقٍّ لا يعـارضُـه ريـاء[1]
فـــــإني غير مفش سرَّ حَبرٍ ... من الْمُتَشرّعين بـــه حيـــاء
ولا تخلى الأحبّـــة من دعـــاء ... فمنـك اليـوم يلتمسُ الـدعـاءَ

١٧٥٣ ـ محمد بن محمد بن علي بن أبي طاهر*

القاضي شمس الدين بن جلال الدين الموسوي الحسيني المعروف بقاضي ملطيّة .

كان خطيباً بملطيّة مدة ، ثم جمع له بين القضاء والخطابة بملطيّة مدّة أخرى . ولما حضر إلى دمشق بعد فتح ملطية ولي تدريس الخاتونية ظاهر دمشق . واستمرّ بها إلى أن مات في حادي عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وعمره ستون سنة .

وحجّ من دمشق ، وكان قاضي الركب .

وكان عنده حظٌّ من الأدب ، وفيه مشاركة وله شعرٌ ، وتولى مكانه القاضي بدر الدين محمد بن الفويرة .

١٧٥٤ ـ محمد بن محمد بن عثمان**

ابن عبد الخالق بن حسن ، القاضي الفقيه الإمام العالم المقرئ المحدّث الأديب ، فخر الدين أبو عبد الله القرشي المصري الشافعي المعروف بابن المعلم .

---

(١) (س) ، (خ) : « عن » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٥ ، والدرر : ٢٠٤/٤ .

** الدرر : ١٩٧/٤ .

سمع من ابن علان ، وابن[١] عبد الهادي القيسي ، وجماعة .

وحدّث ، وقرأ القراءات ، وحفظ المقامات .

وكان فاضلاً ، له نظمٌ ونثرٌ . كان يشهد بمصر على باب الجامع ، ثم تولّى[٢] قضاء بلد الخليل عليه السلام . ولي قضاء أذرعات ، ثم صرف عنها .

وولي إعادة الباذرائيّة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في تاسع عشري جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستين وست مئة .

وفيه سخاء وكرم ، وله مصنفات .

محمد بن محمد بن عيسى بن نحّام*

ابن نجدة بن معتوق الشيباني النصيبي ثم القوصي ، الأديب الشاعر الفاضل المحدّث .

سمع العز الحرّاني ، ومحمد بن الحسين الخليلي ، وإسماعيل بن علي بن هبة[٣] الله بن علي [بن] المليجي[٤] وغيرهم .

وحدث بالبخاري بقوص .

وكان له مشاركة في النحو واللغة والتاريخ والبديع والعروض والقوافي . كثير

---

(١) ليست في (س) .

(٢) (س) : « ولي » .

* الوافي : ٢٥٩/١ ، والطالع السعيد : ٦١٣ ، والترجمة مأخوذة منه بتصرف يسير ، والدرر : ٢٠٧/٤ .

(٣) في الأصل و (س) : « إسماعيل بن علي بن هبة » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من (س) والوافي . وتوفي إسماعيل هذا سنة ٦٨١ . الوافي : ٢٣٥/٩ ، وطبقات القراء : ١٦٩/١ .

المروّة ، ظاهر الفتوة ، طريفاً لطيفاً خفيفاً ، له قُدرةٌ على ارتجال الحكاية المطوّلة والشعر ، سريع النادرة ، قال كمال الدين جعفر الأدفوّي : (شعره) في ثلاث مجلّدات ، وكان رزقه منه ، يمدح القضاة والأمراء والأكابر والتجار . قال : لمّا جئت إلى قوص وجدت بها الشيخ تقي الدين والشيخ جلال الدين الدشناوي فتردّدت إليهما ، فقال لي كل منهما كلاماً انتفعت به ، فأما الشيخ تقي الدين فقال لي : أنتَ رجلٌ فاضل ، والسعيد من تموت سيئاته بموته ، فلا تهج أحداً . وأما الشيخ جلال الدين فقال لي : أنت رجل فاضل ، ومن أهل الحديث ، ومع ذلك فأشاهد عليك شيئاً ، ما هو ببعيد[١] أن يكون في عقيدتك شيء . وكنتُ متشيّعاً ، فتبتُ من ذلك .

وقال : كنتُ مرَّة عند ابن البصراوي[٢] الحاجب بقوص ، فحضر الشيخ علي الحريري ، وحكى أنه رأى دُرّة[٣] تقرأ سورة (يس) فقلت : وكان غرابٌ يقرأ سورة « السجدة » ، فإذا جاء عند آية السجدة سجد ، وقال : سجد لك سوادي واطمأن بك فؤادي .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة سبع وسبع مئة . ومن شعره :

إذا ابتسمت من الغَـــور البروقُ ... تـــأوّه مُغْرَم وبكى مشـــوقُ
تـــذكّرني العقيـــق وأيّ صبٍّ ... لـــه صبرٌ إذا ذكر العقيـــق[٤]

قلتُ : في هذا الثاني نظرٌ لا يخفى على مَنْ له ذوق .

ومنه :

تـذكَّر بـالسَّفـح بـانـاً وظـلا ... فـأجرى المـدامـع وبْـلاً وطـلا

---

(١) (س) : « شيئاً ما يبعد » .
(٢) في الوافي : « عند عز الدين البصراوي » . وانظر الطالع .
(٣) الدرة هنا : طائر ، مثل الببغاء ، غير عربية .
(٤) الطالع السعيد .

يُرجِّي زمـــانـــاً تـولّى يعـود ... وليس يعـــود زمـــانٌ تـــولّى
كئيبٌ تحمّـل مـــــا لا يطيـــقُ ... لـــــه الصخر من ألم البين حمـــلا
يبيت يكابـــــد الآمـــــــةُ ... وأسقـــامـــه وكما بـــات ظـلّا
وضيّـــع أوقـــاتـــه في عسى ... ومـــاذا تفيـــد عسى أو لعـــلّا
ويشرب من مـــاء أجفـــانِـــهِ ... على الظمأ البرْح نهـــلا وعـــلّا[1]

ومنه :

نَعَم هي دار من نهـــوى يقينـــا ... ومـا نخشـاه سـاكنهـا يقينـا[2]
أنيخـوا في معـالمهـا المطـايـا ... فـــديتكم لنشكـو مـــا لقينـا
ذكرنـــا حُلْـوَ عيشٍ مَرّ فيهـــا ... ومـا كنـا لـه يـومـاً نسينـا[3]
وكاســـــــات المسرّة دائرات ... تحيينـــــا شمالاً أو يمينـــــا

١٧٥٥ ـ محمد بن محمد بن أحمد*

جلال الدين الكندي بن تاج الخطباء القوصي .

قال كمال الدين الأدفوّي : سمع من الشيخ تقي الدين القشيري . وكان فقيهاً فاضلاً أديباً ، له نظمٌ ونثرٌ وخطبٌ ، وكان أمين الحُكم بقوص ، وعاقد الأنكحة وفارضاً[4] بين الزوجين ، وكان يكتب خطّاً حسناً لا يماثله أحدٌ بقوص .

اجتمعت به كثيراً بقوص ، ثم إنه أقام بغرب قُمولا ، وتوفي بها سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وأورد له من شعره :

(١) الأبيات من قصيدة طويلة ذكرها صاحب الطالع السعيد .
(٢) في الطالع : « تهوى » بالتاء .
(٣) في الطالع : « مرّ غضا » .
* الوافي : ٢٦٠/١ ، والطالع السعيد : ٦٢٢ ، والدرر : ١٦٩/٤ .
(٤) في الطالع : « فاصلاً » .

يـا غـايـة منيتي ويـا مقصـودي قـد صرتُ من السقـام كالمفقـود
إنْ كان بَـدَتْ مني ذنـوبٌ سلفت هبهـا لكريم عفـوك المعهـود

وأورد له أيضاً :

هـل إلى وصـل عَـزَّة من سبيـل وإلى رشف ريقهـا السلسبيـل[1]
غـادةٌ جرَّدت حسـام المنـايـا مُصْلتـاً من جفـون طرف كحيـل
قـد أصـابت مقـاتلي بسهـام فـوّقتهـا من جفنهـا المسبـول
أبرزت مبـدعـاً من الحسنُ يفـدى بنفـوس الـورى بـوجـهٍ جميـل

وأورد له أيضاً :

دعوى سلامـة قلبي في الهـوى عجبٌ وكيف يسلم من أودى بـه الـوَصَبُ
أضحت سـلامتـه منكم على خطر لا تسلمـوه ففي إسـلامـه نَصَبُ[2]
شربت حبّكم صرفـاً على ظمأ وكُنْت غرّاً بمـا تـأتي بـه النـوبُ
لا يمنعنّكمُ مـا قـال حـاسـدُنـا عن الـدنـوّ فـأقـوال العِـدا كـذبُ

١٧٥٦ ـ محمد بن محمد*

المعروف بابن الجبَلي الفَرْجُوطي .

كان لـه مشـاركـة في الفقـه والفرائض ، ولـه معرفـةٌ بـالقراءات ، ولـه أدبٌ وشعرٌ ومعرفة . يحل الألغاز والأحاجي .

وكان ذكيـاً ، جيّـد الإدراك خفيف الروح ، حسن الأخـلاق ، كفّ بصره في آخر عمره .

(١) في الطالع : « أو إلى » .
(٢) في الطالع : « فيكم » .
* الوافي : ٢٦١/١ ، ونكت الهميان : ١٧٠ ، والطالع السعيد : ٦٣٠ .

قال كمال الدين الأدفوي : اجتمعت به كثيراً ، وأنشدني من شعره وألغازه .

وتوفي رحمه الله تعالى بفرجوط في المحرّم سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

وأورد له :

وشـــاعر يـــزعم من غرّةٍ ... وفَرْط جهـــل أنـــه يشعر
يصنف الشعر ولكنـــه ... يحـــدّث من فيـــه ولا يشعر

وأورد له في النبق :

انظر إلى النبـق في الأغصـان منتظماً ... والشمس قد أخذت تجلوه في القُضُب
كأن صفرتـــه للنـــاظرين غَـــدَت ... تحكي خلاخل قد صيغت من الذهب[1]

١٧٥٧ ـ محمد بن محمد*

الصـدر الأصيـل العَـدل الرّضي شرف الـدين أبـو عبـد الله ابن العـدل الرضي شرف الـدين أبي عبـد الله بن أبي الفتـح نصر الله بن المظفر بن أسعـد بن حمـزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي ابن القلانسي .

سمع (صحيح) مسلم من الرضي بن البرهـان ، وروى منـه أربعين حـديثـاً ، ولـه إجازة من عثمان ابن خطيب القرافة وعبد الله بن الخشوعي وجماعة .

وكان من أعيان دمشق وأكابرها ، وباشر وكالة السلطـان[2] مـدة . وكانت حرمتـه وافرة وأخلاقه حسنة ، وشهد في القيم مدة مع الأكابر ، ثم إنه تركها مُدّة .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة السبت ثاني عشر صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة .

---

(١) (س) والوافي والطالع : « جلاجل » .

* البداية والنهاية : ٧٤/١٤ ، والدرر : ٢٤١/٤ .

(٢) عبارة الدرر : « وكالة السلطانية » .

ومولده سابع عشري صفر سنة ست وأربعين وست مئة بدمشق .

وكتب شيخنا العلاّمة شهاب الدين محمود إلى أولاده القاضي جمال الدين والقاضي علاء الدين ومحيي الدين يعزيهم بما أنشدنيه لنفسه إجازة :

لو سالم الدهر ذا مَجدٍ لسؤددِه ... ثنى عن الشرف العالي سُطَا يده
ولو تحامى الردى ذا مفخر وتقى ... ونائل كفّ كفّاً عن مُحَمَّده
لكنه طالبٌ لا حصن منه فمن ... أرجاه في يومه فاجاه في غده
ومنهل ما لحيٍّ في الورى صَدرٌ ... إلاّ عن الريّ من إثناء مَوْرده
كم فضَّ جمعاً وكم أخلى حمى شرف ... برغم أهليه من آثار سيّده
فلا علوّ أخي فضل بعاصمه ... منه ولا مجد ذي مجد بمخلده
فحقٌّ من كان هذا الموت غايته ... بدء العزاء به من يوم مولده
لله طودُ حجىً زانت خلائقه ... نجاده وأبانت طيب محتده
حرٌّ تقيٌّ نقيّ طاهر ورع ... قد آمنَ الناسَ من فيه ومن يده
عفّ السريرة لا يطوي على دخل ... مَغيب من غاب عنه مثل مشهده
سيّان ظاهره صفوٌ وباطنه ... بل ودُّه المحض أجلى من تودّده
مُغْضٍ عن الناس لا يعنيه عيبهم ... مغرىً بمنزله فيهم ومسجده
لله عهد مضى أيام تجمعنا ... عصر الصبا نَسقاً في سلك معهده
وكلنا حافظٌ عهد الصفاء له ... شاء الوفاء يراعي حفظ موعده[1]

ففرّق الدهر سَهم البُعد ثم بَدا ... بخَيْرَنا فرمَاه عن تَعَمُّدِهِ
قضَى وَلَمْ أَقضِ من توديعه وطراً ... ولم أكنْ حَاضراً ما بينَ عُوَّدِهِ
فَبات يخذِلني صَبري وَينجدني ... دَمْعي ومَا خاذلٌ صبّاً كمنجدِهِ
أخشى علَى ناظري دمعي فيكحِلني ... تَسهّدي من دجى ليلي بأثمدِهِ
مضى وهَا أنا أقْفو إثْرَهُ وإلى ... كم يبطئ المرء أمسَى دون مقصدِهِ

(١) (ط) : « عهد الصفاء كما » .

وَمَـا مضى من رَقَتْ أبنـاؤهُ رتبـاً ... لم يَرْقَهـا وَعَلَـوْا عَنْ أفـقِ مصْعـدهِ
وسَـاد منهـا عليّ مَـا وهَى وَعـلا ... مَحْمـود في كلّ مجـد فـوقَ فرقـدِهِ
ثَـلاثـة نظمُـوا عقـد العُـلاَ فغَـدَا ... يختـال في مجـدِهم لاَ في زَبرجـدهِ
أَوْصَيتهم بـاصطبَـار لم أجـده ففي ... حسن التّصبّر تَمهيـد لمرقـدهِ
فَجـادَه صَـوب رِضْـوان يَسـحُّ إذا ... سَـحَّ العِهـاد عَليـه في تغمّـدهِ
ولا خـلا أُفْقٌ هَـذا البَيتِ من شرفٍ ... تَثني مَفـاخِره أَبصـارَ حُسّـدهِ

يقبّل اليد العالية المولويّة القضائيّة الجماليّة ، لا زالت جزيلة الثّواب ، جميلة المآب ، غنيّة بما منحها الله من العلم عن[١] الدلالة على الصّواب ، آمنة بحلاوة التّلقي لأمر الله بالعدول[٢] عن مراجعة التجرّع لصَاب المصاب ، وينهي [أنه][٣] اتَصَلَ بهِ مَا قدّره الله من وَفاة المولى السّيد الوالد تعمّده الله برضوانه وبوّأه فسيح جنانه ، فأجرَى دمُوعَه ، ونفى هجوعه ، وصدع قلبه ، وأطار لبّه ، وأطال ألَمه ، وَأطابَ عَدمَه ، وألزم الحصر لسانه ، وألقى قلمه ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، امتثالاً لأمره ، وصبراً على حلو القضاء ومُرّه ، مات والله الصاحب الذي كان للملوك يعقد عَلى محبته[٤] الخناصِر ، ويستند من أخوّته إلى نسبةِ صفاءٍ ثابتةِ الأواصِر ، ويأنس ببقائه ، ويعلّل نفسَه بلقائه ، فاجْتُثّ بوفاته أصلُ الوَفَا ، وتكدّر بذهابه وِرْد الصّفا ، وذهب الودّ إلاّ باللسَان ، وتنكّرت بين المعارف وجوه الإحسَان الحِسَان ، وعدمت الرّياسةُ راسَها وفي الرّياسَة[٥] أكثَرُها ، وفقدت المعالي عينها[٦] فلم يبقَ إلاّ أثَرُها ، فلله تلك النّفس مَا كان لتقاها ، وتلك الشيَم ما كان أطهرها وأنقاها ، وذلك اللّسان ما كان أقدره على

(١) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٢) في (س) : « بالقبول » .
(٣) زيادة من (س) ، (ط) .
(٤) (س) : « مودّته » .
(٥) (س) : « الرأس » .
(٦) في الأصل و (ط) : « عنها » ، وأثبتنا ما في (س) .

ملكة نطقه ، وألهجه[١] في المقال بحقّ صِدْقِه ، وذلك النّظر[٢] ما كان أغضّه عن المحارم وأبصرَه بالمكارم ، وأغضاه عن النقائص والمعايب ، وأشبهه بسَمعِه عن الإصغاء إلى المذامّ والمثالب ، نضَّر الله ذلك الوجه الكريم ولقّاه نُضْرَة النَعيم[٣] وتقبّل أعمَالَه ، وبلّغه عند القدوم عليه من عَفوه سولَهُ ، ومن رضاه آمَالَه . والْمَملوك فقد تأهّب المحاق بإخوانه ، ولم يخادع نفسه الحداد عند أوانه ، وإذا تقدّم الرّفاق لم[٤] يبق إلا الرحيل على آثارهم ، والاستقرار للنّزول معهم في دارهم . فالله يجمعنا في مستقرّ رحمته ، ويجعلنا ممّن جعل الثّبات عند المَمَات من فواتح فضله عليه ونِعْمَته ، على أنّه مَا فُقد من جَمال بيته باق ببنيه في الوُجود ، ولا عدم من علاوة راقٍ بأولاده إلى رتب القعود[٥] ، ولا ذهبَ مَنْ لم تخل معاليه من[٦] ذي مقام مَحمُود ، فعمله الصّالح ببقائهم متصل المواد ، وثناؤه السائر[٧] بدَوام ارتقائهم آخذ في الازدياد ، والمملوك يقبّل اليد العَلائيّة واليد المحيويّة ، ويكتفي بهذه الخدمة عن تجديد تعزيتهمَا بما يهيج الأسى والأسف ويعتذر للدّهر ببقاء الموالي ، فعفا الله عمّا سلف ، وعمّن سلف بمنّه وكرمه .

١٧٥٨ ـ محمّد بن محمد*

الشيخ الإمَام والعالم الفاضل شمس الدين السَفاقسي .

تقدّم ذكر أخيه إبراهيم في الأباره ، وكانا فقيهين مَالكيين .

(١) في الأصل : « وألهجه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٢) (س) : « النظم » .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ولقّاهم نضرة وسرورا ﴾ الإنسان ١١/٧٦ ، وقوله تعالى : ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ المطففين : ٢٤/٨٣ .

(٤) في (س) ، (ط) : « فلم » .

(٥) في (س) : « الصعود » . وفي (ط) : « إلى أقصى رتب القعود » .

(٦) في (س) : « بدابته من ... » .

(٧) في الأصل و (ط) : « الثائر » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الدرر : ١٥٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٣٧ ، والوافي : ٢٧٠/١ .

حضر شمس الدين هذا إلى دمشق وأنا بها رأيته ، وكان شكلاً حسناً مليح الوجه أظنه لم يبلغ الأربعين . وأقام بدمشق بعض سنة أو أكثر ، وأقرأ الناس بالجامع الأموي ، ثمّ[1] توجّه إلى حلب فحظي هناك ، وتصدر وأفاد ، ووَلي وظائف .

ولم تطل مدّته حتى توفّي رحمه الله في حلب ليلة الاثنين ثاني شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

سألت شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السُبكي رحمه الله تعالى فأثنى عليه ثناء كثيراً ، وقال : له على (مختصر ابن الحاجب) بعض شرح ، و (شرح قصيدة ابن الحاجب في العروض) .

١٧٥٩ ـ محمّد بن محمّد بن الحسن*

ابن أبي الحسين بن صالح بن عليّ بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نباته . الشيخ شمس الدين الفارقي الأصل ، المصري المولد ، والد الشاعر جمال الدين محمد بن نباته .

كان الشيخ شمس الدين هذا من أشياخ الحديث بدمشق ، وكان ساكناً خيراً قليل الكلام ، منجمعاً عن الناس . وكان يباشر شهادة الخاص بداريّا ودومَة . وكان كل ما يحصّله ينفقه على أحفاده[2] أولاد وَلده .

وتولّى دار الحديث النورية بدمشق بعد الشيخ زين الدين بن المزي[3] ، وَكان في الديار المصريّة شاهداً بديوان الجاشنكير .

---

(١) (خ) : « ثم إنّه » .

* الوافي : ٢٧٠/١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٧/١ ، والدرر : ١٧٣/٤ .

(٦) في الأصل : « أحفاد » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٢) عبد الرحمن بن يوسف ، سلفت ترجمته .

وسمع من العزّ الحرّاني ، وابن خطيب المزّة ، وغازي الحلاوي ، وأبي بكر بن إسماعيل الأنماطي وغيرهم ، وكان له بدمشق سكن بالظاهريّة ، سمعت عليه بعض أجزاء بدمشق ، وأجاز لي بخطّه سنة ثلاثين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة ست وستين وست مئة .

١٧٦٠ ـ محمد بن محمد بن مينا*

بميم مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وبعدها نونٌ وألف ممدودة ، الشيخ الإمام الفاضل العالم شمس الدين البعلبكي الشافعي .

سمع من القاسم بن عساكر ، ومن عيسى المطعّم وغيرهما .

وكان فقيهاً فاضلاً ، عارفاً بالجدال مناضلاً ، قرأ الفقه وبَرع ، وبلغ غايةً قصّر عنها من شرد حظه لمّا شرع ، وكان على ذهنه إشكالات في المذهب ، وإيرادات[١] مَن ناظره فيها سبقه ولو كان أشهب . وعنده شكوك في غير الفقه عَقِدة ، ومؤاخذات يتعب بها منتقيه[٢] ومنتقده ، إلاّ أنّه ينحرف كثيراً[٣] ، ويهدم بذلك له مجداً أثيرا .

ولم يزل على حاله إلى أن حلّت المنايا بابن مينا ، ولم ينفعه طبّ ابنِ سينا .

وتوفي رحمه الله في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق وهو في حدود الخمسين .

اجتمعت به غير مرّة ، وكتب عني شيئاً ، وكان يعجبني ذهنه وحديثه ، وكان

---

* الوافي : ٢٧١/١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٩/١ ، والدرر : ٢٤٠/٤ .

(١) في الأصل : « إبرادات » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « منتقبة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) ليست في (س) .

الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يثني على ذهنه ، وكان قد توجَّه إلى بغداد بعدما أفتى وناظر وأعاد بالنظاميّة وعاد إلى دمشق ، وسَكنَ الرَّواحيّة . وما كان يخلو من تعبّد ، وتولى قضاء الإقليم بدمشق ، وخلّف لمّا مات دنيا صالحة ، ووصّى بأن يصرف ثلث ماله على فقراء الفقهاء ، كلّ إنسان عشرة دراهم .

١٧٦١ ـ محمد بن محمد بن يعقوب*

القاضي عماد الدين الأنصاري المصريّ المعروف بابن النويري ، بالنون والواو والياء آخر الحروف [والراء][1] .

كان من أجود الناس طباعاً ، ويحفظ الكتاب العزيز ويتلوه كثيراً ، ويصوم الخميس دائماً ، وله عقيدة في الفقراء وخدِم في الأنظار الكبار بمصر والشام . تولى نظر المرج والغوطة والإقليم ، ونقل من ذلك إلى صحابة الديوان بدمشق وإلى نظر صفد ، باشره غَيْرَ مرّة ، وإلى نظر الكرك مدة طويلة ، وأعيد بعده إلى صفد ، وآخر وقت ولي ديوان طرابلس .

وتوفّي رحمه الله تعالى في عشر الثمانين ، ورأيته بصفد غير مرة ، وكانت وفاته في طرابلس في حادي عشر شعبان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٧٦٢ ـ محمد بن محمد بن عطايا**

الوزير سعد الدين .

كان أولاً ناظر البيوت بالقاهرة ، ورسم له بالوزارة في ثاني عشر شهر رمضان سنة

---

* الدرر : ٢٤٢/٤ .

(١) زيادة من (ط) . وفي (س) : « الراء » .

** الدرر : ١٨٧/٤ ، وفيه : « محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عطايا » .

أربع وسبع مئة ، وأقام في الوزارة إلى أن عُزل عنها بضياء الدين النشائي في أوائل سنة ست وسبع مئة[١] .

١٧٦٣ ـ محمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن أبي القاسم ، الشيخ الإمام المعمّر المسند صدر الدين أبو الفتح المَيْدومي ، بفتح الميم وسكون الياء آخر الحروف والدال المهملة والواو الساكنة وبعدها ميم ، خاتم أصحاب النجيب عبد اللطيف .

توفي عن تسعين سنة في سنة أربع وخمسين وسبع مئة . انتخب عليه خلق من عواليه .

١٧٦٤ ـ محمد بن محمد بن الحارث**

ابن مسكين ، القاضي الإمام فخر الدين القُرشيّ الزّهريّ نائب الحاكم بمصر والقاهرة .

حدّث عن الشّهاب القرافي ببعض تصانيفه ، وعن عبد السلام الدميري وغيرهما ، وأجاز له جماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة إحدى وستين وسبع مئة .

وكان قد أجاز لي رحمه الله تعالى بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٧٦٥ ـ محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله***

ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن مميل[٢] الفارسيّ الشيرازي

---

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة ٧٣٠ هـ .

* وفيات ابن رافع : ٣١٥/١ ، والدرر : ١٥٧/٤ ، وذيول العبر : ٢٩٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩١/١٠

** وفيات ابن رافع : ٣٦٣/١ ، والدرر : ٢١٦/٤ ، وذيول العبر : ٣٣٧ .

*** تالي وفيات الأعيان : ١٤٩ ، والدرر : ٢٣٣/٤ ، وذيول العبر : ١٣١ ، وشذرات الذهب : ٦٢/٦ .

(٢) في الأصل و (ط) : « يميل » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

الأصل ، الدمشقيّ ثمّ المزّي ، الرئيس شمس الدين أبو نصر بن عماد الدين الكاتب ابن أقضى القضاة شمس الدين أبي نصر .

سَمع من جدّه حضوراً ، ثمّ سماعاً ، ومن عمّه تاج الدين ، ومن علم الدين السّخاوي ، والعَلم ابن الصّابوني ، والمؤتمن بن قميرة ، وأبي إسحاق بن الخشوعي ، وبهاء الدين بن الْجُميزي ، وجَماعة . وأجاز له الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وبهاء الدين بن شداد ، وإسماعيل بن باتكين ، وابن روزبة ، وخلق كثير . وتفرّد بأجزاء وعوالي ، وازدحم الطلبة عليه ، وألحق الصغّار بالكبار . وانتقى له الشيخ صَلاح الدين العلائيّ والبرزالي والواني وشمس الدين الذهبي .

وكان ساكناً وقوراً متواضعاً ، نزر الحديث منجمعاً عن الحديث الناس ، له ملكٌ يعيش منه . وكان بارعاً في تذهيب المصاحف ، وظهرت فيه مبادئ اختلاط في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

١٧٦٦ ـ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

القاضي زين الدين أبو حامد بن تقي الدين العثماني الشريشي القنائي الشافعي .

اشتغل بالفقه على الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي وأجازه بالفتوى ، وسمع منه .

---

* الوافي : ٢٨٧/١ ، والطالع السعيد : ٦٢٦ ، والدرر : ٢١٥/٤ .

وكانت لـه مشاركـة في الأصـول والنحـو والأدب . وخَطُّـه حَسَن ، ولـه يـد في الوراقة .

وتولى القضاء بأدفو وأسوان وتولى قفط ، وقنا ، وهُوْ[١] ، وعيذاب ، وكان حسن السّيرة ، مرضيّ الطريقة ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة خمس وسبع مئة بقنا .

وأورد له كمال الدين الأدفوي أبياتاً من جملة صداق كتبه وهي :

أَطِـلْ نَظراً فِيـــه فَلَسْتَ بِنـــاظِر ... نَظِيْراً لـــه كـلاّ وَلَست بِـواجِـــدِ
وَفُـزْ مِنْ مُحَيّـــاهُ بلمحـــةِ نَـــاظِرٍ ... تَنَـلْ مَـا تَرجي مِن سَنِيّ الْمَقَـاصِـدِ
فَكلٌّ سَـــديـــدٍ منهم وَمُسَـــدَّدٍ ... وَكلّ تَقيّ عِنـــدهمْ ثُمّ مَـــاجِـــدِ[٢]
إذا مَـا اغْتَـدى سَمْعي بـذِكرِ صِفـاتِهمْ ... تُخـــامِرُ قلبي سَكْرَةُ الْمُتَـوَاجِـــدِ

١٧٦٧ ـ محمد بن محمد بن محمد*

ابن عبد القـادر بن عبـد الخـالق بن خليل بن مقلّـد ، الشيخ الإمـام الْمُفْتي بركـة والده[٣] بدر الدين أبو اليسر ابن قاضي القضاة عزّ الدّين أبي المفاخر الدمشقيّ الشافعي المعروف ابن الصّايغ مدرس الدماغيّة وأخو[٤] القاضي نور الدين قاضي قضاة حلب .

---

(١) هو بضمّ الهـاء وسكون الواو ، وتعرف بـ هُو الحمراء ؛ على تلّ بـالصعيـد بـالجـانب الغربي دون قـوص . (معجم البلدان) .

(٢) في الطالع : « فيهم » .

* الـوافي : ٣٣٢/١ ، وفـوات الـوفيـات : ٢٩٣/٣ ، ووفيـات ابن رافـع : ٧٩/١ ، والـدرر : ٢٢٦/٤ ، والشذرات : ١٢٣/٦ ، والدارس : ١٧٨/١ .

(٣) في الوافي : « بركةالوقت » .

(٤) في (س) والوافي : « والعمادية أخو القاضي » .

سمع كثيراً من أبيه ، وابن شيبَان ، والفخر علي ، وبنت مَكّي ، وعدة . وحضر ابن علاّن . وحدث بـ (صحيح البخاري) عن اليُونيني ، وسمع حضوراً من فاطمة بنت عسَاكر ، وحفظ (التنبيه) ، ولازم حلقة الشيخ برهان الدين .

وكان دينهُ متيناً ، وتصوّنه مبيناً . طُلب لقضاء القضاة بدمشق فامتنع ، وظهرت عَليه أمارات الزَّمع[١] ، فعظم قدره ، ولزم الناس حمده وشكره .

وكان مقتصداً في لباسه وفي أموره بين أناسه ، ودَرّس وهو أمرَد ، ولم يبال بمن يناظره أنقضّ عليه أم ردّ ، وحجَّ غَيْرَ مرّة ، وفعل في طريقه كل مبرّة[٢] :

وَكانَ غَريباً في جَميعِ أُمورِهِ ... لهُ بركاتٌ في الوَرى وَصَلاحُ
إذا مَا ادْلَهمّ اللّيل قام لرَبِّهِ ... وَناجى إلى أن يَسْتنير صَباحُ[٣]

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أبو اليسر من الحياة مُعْسِرا ، ومكّن الحِمامُ منه مخلباً ومَنْسِراً .

وتوفّي رحمه الله تعالى في يوم الجمعَة ، جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن عند قبر والده بسَفح قاسيُون ، وشَيّعه الخلائق وحملوه على أكتافهم[٤] ، وكانت وفاته بعد قاضي القضاة جلال الدين القزويني بليالٍ يسيرة .

ومولده سنة ست وسبعين وست مئة .

وكان تنكز قَدْ عظّمه واعتقد فيه لّما امتنع من ولاية قضاء[٥] القضاة ، فإنّه حُمِلَ

(١) (س) : « إثارات الزمع » . والزمع : المضاء في الأمر والعزم عليه . والزميع : الشجاع المقدام . ورجل رفيع الرأي : جيّده .
(٢) (س) : « مسرّة » .
(٣) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٤) (س) : « رؤوسهم » ، وفي الوافي : « على الرؤوس » .
(٥) (س) : « قاضي » .

إليه تقليده وتشريفه بالقضاء بعد القاضي جلال الدين القزويني في نصف شهر شوّال[١] سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وحضر إليه الأمراء والناس ، فامتنع وتغيَّر مزاجه . ثمّ إنّ أرباب الدّولة عادوا إليه ثانياً ، وأُدِّيَت إليه رسالة الأمير تنكز ، فأصرّ على الامتناع ، فأعيد التقليد إلى مصر ، وزادت عظمته عند نائب الشّام ، فولاّه خطابة القدس مُدَيدَة ، ثم إنّه تركها ، ولّما كان بالقدس طلبه الْمَقَادِسَة ، ودخلوا عليه بسماع الحديث وخَرَجُوا به من هذا إلى طلب الشفاعات عند ناظر الحرمَين ، فشفع لهم وأكثر من ذلك ، فثقل أمره على النّاظر ، وشكا في الباطن إلى تنكز وقال : هذا يُدْخِلُ روحه في غير الخطابة ، ويتكلّم في الولاية والعزل ، فنقص بذلك قدره عند تنكز ثمّ إنه فيما بعد زار القدس فتعلّل هناك ، ونُقل إلى دمشق ضعيفاً ، فأقام أياماً يسيرة[٢] ، وتوفي رحمه الله في التاريخ المذكور .

١٧٦٨ ـ محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر*

قاضي القضاة نور الدين بن الصّائغ ، تَقَدَّمَ تَمام نسبه في ترجَمة ابن عمّ أبي اليسر آنفاً .

كان خيّراً ساكناً وقوراً ، سمع من أحمد بن هبة الله بن عساكر .

ولاّه الفخري في نوبة الناصر أحمد قضاء العساكر بدمشق ، وتوجّه مع العسكر إلى القاهرة ، ثمّ إنّه عُزِلَ بعد ذلك ، وبقيَ على تدريس الدّمَاغيّة إلى أن تولّى قضاء القضاة بحلب بعد القاضي بدر الدين بن الخشّاب[٣] سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ولم يزل بحلب إلى أن توفي رحمه الله في شوّال سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

---

(١) (س) : « شهر شوّال » .

(٢) (س) : « يسيرة بدمشق » .

* الوافي : ٣٣٢/١ ، والدرر : ٢٢٦/٤ ، وذيول العبر : ٢٧٢ .

(٣) محمد بن يحيى بن أحمد ، وستأتي ترجمته .

ومَولده سنة ست وسبعين وست مئة[١] .

وباشرَ القضاء بحلب جيداً وأحبّه أهلها لحسْن سيرته .

١٧٦٩ ـ محمد بن محمد بن محمد*

الإمام المحدّث صدر الدين الورّاق البغدادي المصري .

قدم دمشق طالب حديث سنة أربع عشرة وسَبع مئة ، وسَمع من القاضي والصّدر ابن مكتوم وطائفة .

وكان ذا حظ حُلْو وخُلُق حسن .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده بعد التسعين وست مئة .

١٧٧٠ ـ محمد بن محمد بن محمد بن محمود**

المحدّث تقيّ الدين البخاري الدمشقي الحنفي ابن خطيب الزنجيليّة جلال الدين .

حفظ القرآن واشتغل في النافع ، وسمع كثيراً ونسخ أجزاءً وكتاب (الكاشف)[٢] . وكتب الطباق وَسَمع ابن سَعد والبهاء بن عساكر وعدّة ، وأخَذ عن شيخنا الذهبي .

---

(١) في الأصل : « وسبع مئة » ، سهو .

* الوافي : ٢٨٩/١ ، والدرر : ٢٣٦/٤ .

** الدرر : ٢٣١/٤ .

(٢) الكاشف في أسماء الرجال للذهبي ، وهو مختصر في رجال الكتب الستّة الصحيحين ، والسنن الأربع . الكشف : ١٣٦٨/٢ .

وتوفّي رحمه الله تعالى في أواخر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومَولده سَنة ست وسبع مئة .

١٧٧١ ـ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

ابن عبد الله بن محمد بن يحيى ، الشيخ سَعد الدين أبو سَعد ، ابن الفقيه أبي عمرو بن الحافظ أبي بكر بن سيّد النّاس اليعمري أخو الحافظ فتح الدين .

سَمع من ابن الأنماطي ، ومن العزّ الحرَّاني ، وابن خطيب المزّة ، وغازي الحلاوي ، وشامية بنت البكري ، وجَماعة .

وحدّث . وكان له نظمٌ . وجلس مع الشهود .

توفي رحمه الله تعالى في مستهلّ شهر ربيع الأوّل سَنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة سبعين وست مئة .

١٧٧٢ ـ محمد بن محمد بن محمد**

ابن أحمد بن عبد الله بن محمّد بن يحيى بن سيّد النّاس ، الشيخ الإمام ، العالم ، العلاّمة ، الحافظ ، البارع ، الأوحد ، مجموع الفضائل ، الكاتب ، الناظم ، الناثر ، الأديب فتح الدين أبو الفتح ابن الإمام الفقيه أبي عمر وابن الإمام الحافظ الخطيب أبي بكر اليَعمري الأندلسي الإشبيلي ثمّ المصري .

أجاز له في سنة مولده النّجيب عبد اللّطيف الحرّاني ، وحضر على الشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي ، وطلبَ بنفسه في سنة خمس وثمانين ، وقرأ على الشّيوخ ، فسمع من قطب الدين بن القَسْطلاني ، وغازي الحلاوي ، وابن الأنماطي ،

* الدرر : ٢١٣/٤ ، والبدائع : ٤٦٩/١/١ ، والشذرات : ١٠٨/٦ .

** الوافي : ٢٨٩/١ ، وفوات الوفيات : ٢٨٧/٣ ، والبداية والنهاية : ١٦٩/١٤ ، والدرر : ٢٠٨/٤ .

وابن خطيب المـزّة ، وابن ترجم[١] ، وابن الخيمي ، وابن الفـارض ، والعـزّ الحرّاني ، وشاميّة بنت البكري ، والفخر بن المَليجي[٢] وغيرهم .

ورحل إلى الإسكندرية وسمع من شيوخهـا ، ورحل إلى دمشق سنـة تسعين وست مئة وسمع من بعض أصحاب الكندي وابن الحرستاني وابن ملاعب .

نقلت من خط شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : وتَنَزّل في الأخذ إلى أصحاب سبـط السّلفي ، ثمّ[٣] أصحاب الرشيد العطار قال : وكاد يدرك الفخر بن البخـاري[٤] ففـاتـه بليلتين ، ولعلّ مشيخته يقـاربون الألف ونسخ بخطـه ، واختـار وانتقى شيئـاً كثيراً ، ولازمَ الشهادة مدّة ، قال : جالسته مرّات و [بت][٥] معه ليلة ، وسمعت بقراءتـه على الرضي النحوي[٦] . وكان طيّبَ الأخلاق بسّاماً ، صاحب دعابة ولعب ، وكان صـدوقـاً في الحديث ، حجـةً فيما ينقلـه ، لَـهُ بَصَرٌ نـافـذٌ في الفنّ ، وخبرة بـالرّجـال وطبقـاتهم ، ومعرفةٌ في الاختلاف ، ويدٌ طولى في [علم][٧] اللسان ، ومحاسنهُ جمّة . انتهى .

ونقلت من خط شيخنا البرزالي قال : كان أحدَ الأعيَان معرفـةً وإتقـانـاً وحِفْظـاً وضبطاً للحديث وتفهمّاً في عِلَلِه وأسَانيده ، عالمـاً بصحيحـه وسَقيمـه ، مستحضراً للسيرة النبويّـة ، لـه حـظٌ من العربيـة ، جيّـدَ الضبـط حَسَنَ التصنيف ، صحيـحَ العقيـدة ، صحيح القراءة ، مع الشُّرعـة التّـامـة ، حَسَن الأخلاق ، جميل الهيئـة ، كثير التّواضع ،

---

(١) محمد بن إبراهيم بن ترجم المازني المصري (ت ٦٩٢ هـ) ، العبر : ٣٧٧/٥ .

(٢) إسماعيل بن هبة الله بن علي (ت ٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٣٧٣/٥ .

(٣) (س) : « ثمّ إلى » .

(٤) في الوافي : « الفخاري » ، تحريف .

(٥) زيادة من (س) ، (ط) ، والوافي ، والدرر .

(٦) في الأصل و (ط) : « البرهان » ، ولا يصحّ ، وأثبتنـا مـا في (س) والوافي . والرضي هـذا هو الرضي الشاطبي ، محمد بن علي بن يوسف (ت ٦٨٤ هـ) . غاية النهاية : ٢١٣/٢ .

(٧) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

طارحاً للتكلّف ، طيّب المجالسَة ، حلوَ المعاشَرة ، خفيفَ الرّوح ، ظريفاً كيّساً متودّداً إلى النـاس ، لـه الشعر الرائـق والنثر[١] الفـائـق وَالتَرسُّـل البـديـع . وكان محبّاً لطلبـة الحـــديث ، وصنّف سيرةً نبـويّـــة لخّصَ فيهـــا (سيرة ابن هشـــام) وشرع في شرح (الترمذيّ) ، عمل منه إلى الصّلاة ، جمع فيه فأوعى ، وله القصائد النبويّـة الفـائقـة ، ولم يخلف في مجموعه مثله ، انتهى .

وقال كمال الدين الأدفويّ في تـاريخـه (البـدر السَـافر) : ولازم الإمـام أبـا الفتح محمّـد بن عليّ بن وهب القشيري ، وتخرّج بـه[٢] ، وقرأ عليـــه في أصـول الفقـــه وحفـــظ (التنبيه) في مـذهب الشّـافعي ، وقرأ (المفصّل) في النحو على الشيخ بهـاء الـدين بن النحاس ، وبرع في الحديث والأدب ، وكتب الخَطّ الحسن بالمغربي والمصري ، وحدّث ، وسمع منـه جمـع كثير من الشـاميين والمصريين وغيرهم ، وصنّف في السّير كتـابـه المسمّى (عيون الأثر) وهو كتاب جيّد في بابه ، وشرع بشرح (الترمـذي) وَلو اقتصر فيـه على فن الحَديث من الكلام على الأسانيد لكُمل تصنيفه وتمّ ترصيفه وكان يفيد ، ولكنّه قصد أن يتّبع شيخه الإمام ابن دقيق العيد ، فوقف دون ما يريد . انتهى .

قلتُ :

وعـاجـوا فـأثنـوا بـالـذي أنت أهْلُـه ولـو سكتـوا أثنت عليـك الحقـائب

كان شيخنا المذكور حافظاً بارعاً ، متوقّلاً هضبات الأَدَب فارعاً ، متفنّناً بليغاً في إنشائه ، ناظماً ناثراً مترسّلاً ، لم يضمّ الزّمان مثله في أحشائـه ، خَطُّـه أبهج من حـدائق الأزهَار ، وآنَقُ من صفحات الخدود المطرّزِ وَرْدها بآسِ العذار ، حسن المحـاورة مـأمون المجاوَرَة ، لطيف العبَارة ، طريف الشارَة والإشارة ، فصيح الألفاظ ، نسي الناس ذكرَ قسّ سـوق عكاظ ، كامـل الأدوات ، جيّـــد الفكرة في الغـوص على درر المعـــاني

(١) (س) : « والنظم » ، ولا تستقيم .
(٢) (س) : « عليه » .

والأدبيّات ، صحيح الذهن ، يشرق نورُه ، مَليح الفهم ، كأنّه الصبح إذا ملأ الأفق سُفُورُه ، لا تُمَلُّ محاضرتُه ولا تُذَمّ مُعَاشرته ، أَدَبُه غضّ ، والإمتاع بأنسه نضٌّ ، كريم الأخلاق ، زكي الأعراق ، كثير الحياء والاحتمال ، قَلَّما جُرح من إنسَان إلاّ وكان سريع الاندمَال .

إن كتبَ فما ابن مقلة عنده إنسَان ، ولا ابن البوّاب إلاّ واقف على بابه بعصا القلم يَسْأَلُهُ الإحسَان ، ولا ابن العديم إلاّ له وزير ، ولا الوليّ العجميّ إلاّ وليٌّ له ونصير .

وإن نثر فالعمَاد مائل عن طريقه ، وابن الأثير لا يضرب المثل إلاّ في تحقيقِه وتحريره .

وإن نظمَ فابنُ النبيه خامل ، وابن الذَّرَوي[١] في الحضيض هامل ، والجزار مَا حلَت قِيَمُه حَلا قِيَمِه ، ولا جوّد تعاطي تقاطيفه[٢] ، والسّراج مَا نوَّر بل نوّص في شعره وسوّد حائط تواليفه .

صحبته مدّة فلم أرَ معه من الزمان[٣] شدة ونمت معه ليالي ، وخالطته أيّاماً ، ورعيت من حسن ودّه أراكاً وبريراً وبَشَاماً[٤] :

لـه هَـزَّةٌ منْ أريحيّـةِ نَفْسِـهِ تكاد لها الأرض الجديبةُ تُعْشِبُ
تجاوزَ غاياتِ العقول مواهبا تكاد لَها لولاَ العَيان تكذّب[٥]
خلائق لو يلقى زيادٌ مثالَهَا إذاً لم يقل: «أيّ الرجال المهذّبُ»[٦]

(١) علي بن يحيى ، شاعر مجيد ، (ت ٥٧٧ هـ) ، فوات الوفيات : ١١٣/٣ .
(٢) هي مختارات شعر الجزار التي صنعها المؤلف .
(٣) في الأصل : « الرمان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٤) البرير : هو الأوّل من ثمر الأراك . والبشام : شجرٌ عطر الرائحة ورقُه يسوّد الشعر ، ويستاك بقضبه .
(٥) في الوافي : « مواهب » .
(٦) البيت بتمامه :
فلست بمستبق أخاً لا تلمُّه على شعثٍ أي الرجال المهذب =

عجبت لـه لم يَـزْهُ تيهـاً بنفسـه ونحن بـه نختـال تِيهـاً ونعجب[١]

ولم يزل عَلى حـالـه إلى أن انضم على[٢] فتح الـدين قبره وعُـدم من كل أحـد عليـه صَبْره .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم السبت حادي عشر شهر شعبـان[٣] سَنـة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن يوم الأحد بالقرافة جوار ابن أبي جَمْرَة وابن عطا قبالةَ خانقاه بكتمر السّاقي ، وشَيَّعَهُ خلقٌ كثير من القضاة والأمراء والفقهاء والجند والعَوام ، وتقـدّم للصلاة عليه قاضي القضاة جلال الـدين القزويني . وتَعَجَّب السلطـان الملـك النـاصر محمـد من جنازته الحَفلة ، وسأل عنه فعُرِّف بحاله ، فقال : هـذا رجل جليل[٤] القـدر مـا نعطي وظائفه إلاّ لمن يكون مِثْلَه .

ومولده في العشر الأوّل من ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وست مئة .

وكان من بيت رئاسة وعلم ، كان ابن عمّه أخيراً في زمانه قائداً حاجباً بـإشبيليـة . وكان عنـد الشيخ فتح الـدين رحمـه الله تعـالى كتبٌ كثيرة وأصـول جيـدة (كمصنّف) [ابن أبي شيبـــة ، و (مسنـــده) ، و (جـــامـع) عبـــد الرزاق ، و (المحلى) ، و (التمهيـد) ، و (الاستيعـاب) ، و (الاستـذكار) ، و (تـاريخ)][٥] الخطيب ،

= وهو للنابغة ، وقد عناه المصنّف في قوله : « زياد » .
انظر : ديوان النابغة الذبياني : ٥٣ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي : ١٢٥/٢ .

(١) في الأصل : « إن يزه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) في الأصل و (ط) : « من » ، واثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « شوال » سهو .

(٤) (س) : « كبير » .

(٥) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

و (التاريخ المظفّري) ، و (تاريخ ابن أبي خيثمة) و (مسند البزار)[١] و (معاجم)[٢] الطبراني . وكان قد تفرّد في وقته بالحديث في الديار المصريّة .

أخبرني من لفظه القاضي الرئيس عماد الدين بن القيسَراني قال : كان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد إذا حضرنا دَرْسَه وجاء ذكر أحد من الصحابة أو أحد من رجال الحديث قال : أيش ترجَمة هذا يا أبا الفتح ، فيأخذ فتح الدين في الكلام ويسرد والناس[٣] سكوت ، والشيخ مُصْغٍ إلى ما يقوله . انتهى .

وكان صحيح القراءة سريعها ، لم أسمع أفصحَ منه ولا أسرع . وأما خطّه فكان يكتب المصحف في جمعة واحدة ، ويكتب (سيرته) وهي مجلدان كبيران في عشرين يوماً ، وأظنّه قال لي : لم أكتب على أحد ، ولم يرَ أحدٌ أحلى من خطه ولا أظرف . وقال لي : لم يكن لي في العروض شيخ ، ونظرت فيه جمعَة فوضعت فيه مصنّفاً ، ورأيت أنا هذا المصنّف .

وصنّف (عيون الأثر[٤] في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر) سمعت بعضه من لفظه ، واختصَر ذلك وسمّاه (نور العيون)[٥] وهو عندي بخطّه ، وَسَمعته من لفظه ، و (تحصيل الإصابة في تفضيل الصّحابة) وسمعته من لفظه وملكته بخطّه ، (والنفح الشذيّ في شرح الترمذي) ، ولم يَكْمُل ، وكان قد سمّاه (العَرْف الشذيّ) ، فلما اجتمعت به قلت له : سمِّه (النفح الشذي) ليقابل الشرح بالنفح ، فسمَّاه بذلك ، وكتاب (بشرى اللبيب بذكرى[٦] الحبيب) وقرأته عليه بلفظه مشروحاً ، و (منح

(١) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢ هـ) . الكشف : ١٦٨٢/٢ .

(٢) في الأصل و (ط) : « و معجم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات . ومعاجم الطبراني ثلاثة مشهورة .

(٣) (س) والوافي : « والناس كلّهم » .

(٤) (س) والوافي : « عيون الستر » ، وما أثبتناه يوافق ما في الكشف : ١١٨٣/٢ ، وهو مطبوع .

(٥) تمامه : في تلخيص سيرة الأمين المأمون . انظر : الكشف : ١١٨٣/٢ .

(٦) في الأصل : « بذكر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

المِدَح) . وسمعته من[١] لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزّبعرى ، و (المقامات العليّة في كرامات الصّحابة)[٢] ، وسمعت قصيدتها الميميّة من لفظه .

وكان بيده من الوظائف مشيخة الظاهريّة ومدرسة أبي حليقة على بركة الفيل ، ومسجد الرصد ، وخطابة جامع الخندق ، وكانت له رِزَقٌ في الديار المصريّة ، وَرَاتبه[٣] في صفد ، وما رأيت أحداً محظوظاً مثله ، ما رآه أحد إلاّ أحبّه وعظّمه . كان الأمير علمُ الدين الدواداري يحبّه ويلازمه كثيراً ويقضي أشغال الناس عنده ، ودخل به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقد امتدحه بقصيدة ، وقال : أحضرت[٤] لك هذا وهو كبير من أهل العلم ، فلم يَدعْهُ السلطان يبوسُ الأرض ، وأجلسه معه على الطّراحة ، وهل قام له أوْلا ، أنا[٥] في شك مِن ذلك ، ولّما رأى خَطّه وسمع لفظه قال : هذا ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء ، فرتّبه في ديوان[٦] الموقعيّن ، فرأى الشيخ فتح الدين الملازَمة ولُبْسَ الخفّ والمهماز صَعباً عليه ، فسأل الإعفاء من ذلك ، فقال السلطان : إذا كان لا بدّ من ذلك فيكون هذا المعلوم يتناوله على سبيل الراتب ، فرّتب له إلى أن مَات رحمه الله تعالى .

وكان الكمالي ينام معه في قرظيّة النوم ، وكان كريم الدين الكبير يميل إليه كثيراً ويودّه ، ويقضي أشغال الناس عنده ، وهو الذي ساعده على عمل المحضر وإثباته بعداوة قاضي القضاة بدر الدين بن جَماعة .

---

(١) في الأصل : « وسمعت ومن » ، وأثبتنا ما في (س) و (ط) والوافي ، وهو الأولى .

(٢) اسمه كما في الكشف والدرر : « المقامات العلية في الكرامات الجلية » . انظر : الكشف : ١٧٨٦/٢ .

(٣) في الأصل : « ورأيته » ، تحريف . وفي (س) و (ط) والوافي : « وراتب » .

(٤) (س) : « قد أحضرت » .

(٥) (س) : « وأنا » .

(٦) في (س) والوافي : « في جملة » .

سَمع[١] (صحيح البخاري) بقراءته على الحَجّار ، وتعصّب له الأمير سيف الدين أرغون النائب وخَلّص له مشيخة الحديث بالظاهريّة ، ولم أعرف أحداً من أمراء الدولة[٢] إلاّ وهو يحبّه ويصحبه ويميل إليه ويجتمع به ، وإنّما كان الأمير سيف الدين ألجاي الدوادار والقاضي فخر الدين ناظر الجيش منحرفين عنه قليلاً ، وكذلك القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل [الله][٣] كان منحرفاً عنه .

وأقمت عنده بالظاهريّة قريباً من سنتين فكنت أراه في كثير من الأوقات يصلّي في كلّ صَلاة مرّات كثيرة ، وسألته يوماً عن ذلك فقال لي : إنّه خطر لي يوماً أن أصلّي كلّ صلاة مرتين ففعلت ذلك زماناً فخف عليّ ، فخطر لي[٤] أن أصلي كلّ صلاة ثلاث مرات ففعلت ذلك زماناً وخفّ عليّ ، فخطر لي أن أصليّ كلّ صلاة أربع مرّات ففعلت ذلك زماناً وخفّ علي ، وأنسيت هل قالَ لي : خمس مرّات أو لاَ .

وكان صحيح العقيدة ، جيّد الذّهن ، يفهم به النكت العقليّة ويسارع إليها ، ولكنه جَمَّدَ ذهنه لاقتصاره به على النّقل ، ولو كان اشتغاله على قدر ذهنه بلغ الغاية القصوى ، ولكن كان عنده لعبٌ ، على أنّه ما خلّف مثله . وكان النّظم عليه بلا كُلْفة ، يكاد لا يتكلّم إلاّ بالوزن . وفيه قلت أنا :

لي صَاحبٌ يَتمنّى لي الرّضَا أَبداً ... كأَنّما يختشي صَدِّي وهِجْرَاني
ويَغْلب النّظم ألفاظاً يَفوهُ بِها ... فَما يُكلّمني إلاّ بِمِيْزَانِ

وكتبت له استدعاء بإجازته لي ، ونسختُه بعد الْحَمْدَلَة والصّلاة .

« المسؤولُ من إحسَان سيّدنا الشيخ الإمام العالم العلاّمة المتقن الحافظ رحلة

---

(١) في (س) ، والوافي : « وسمع » .
(٢) في الأصل الظاهرية ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٣) زيادة من (س) والوافي .
(٤) عبارة (س) والوافي : « ذلك زماناً ثم خطر لي » .

المحدثين ، قبلةِ المتأدبين ، جامع أشتات الفضائل ، حاوي محاسن الأوائل والأواخر :

حَـافـظ السنّـة حِفْظـاً لاَ تَرى ... مَعَـهُ أَنْ يُعمِـل النّـاسُ الأَسنّـه
مَركـزُ الـدائِر مِنْ أَهْـلِ النُّهى ... فَـإِلى مَـا قَـدْ حَوى تُثْنَى الأَعنّـه

بديع زَمانه ، نادِرُة أوَانه ، ضابط الأنساب على اختلافها ، فهو السيل المتحدّر لا ابنُ نقطة ، ناقل العلم الشريف عن سَلَفه الذي وافق على المراد شَرْطَه ، سَاحب ذيل الفخر الذي لو بلغَ السَمعاني[١] جعله في الحُليَة قِرطَه ، صاحب النقل الذي إذا[٢] أتى رأيت البحر بأمواجه منه يلتطم ، والعبَارة تستبق في مضمار لهَواتِه فتزداد وتزدحم ، الذي إذا[٣] ترسَّل نقصَت عنده ألفاظ الفاضل ، وعجز عن مفاوضته ومعارضته كلُّ مناظر ومناضل ، أو نظم ثبت الجوهر الفرد خلافاً للنّظام فيما زَعم ، وَتخطّى بما بيديه فرق الفرقدين ، وتَرْضى النجوم بما حكم ، أَوْ أورَد ممّا قد سمع واقعة مات التاريخ في جِلْده ، وَوقف سيفُ حاكٍ[٤] عند حدّه ، أو استدّ قلماً كف بصره عنه ابن مقْلَه ، وَوَقَفَ ابن البّواب بخدمته يطلب من فَضْلِه فُضْلَهُ[٥] ، فهو الّذي تطير أقلامُه إلى اقتناص شوارد المعَاني فتكون من أناملِه ﴿ أُوْلِي أجنحةٍ مَثْنَى وثلاث ﴾[٦] ، وتَنْبَعِث فكرته في طلب[٧] السُّنَّةِ النبويّة وما يكره الله هذا الانبعاث ، وتَبرزُ مخبّآت المعاني بنظمه ومن السّحر إظهارُ الخَبايَا ، وَيعقِد الألسنة عن معارضتهِ ، وعَقْدُ اللّسان لا يكون بغير السّحر في البرايَا ، وَيستنزل كواكب الفصاحة من سمائِها بغير رَصَد ، ويأتي بألفاظه العذبَةِ ، وَنورها للشمس وفُحُولتها للأَسَد ، ويحلّ من بيت سيادته بيتاً

(١) عبد الكريم بن محمد صاحب كتاب الأنساب (ت ٥٦٢ هـ) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) (س) والوافي : « إنّ » .
(٤) في الأصل و (س) و (ط) : « حال » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) في الأصل : « فصلة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٦) اقتباس من سورة النساء : ٣/٤ .
(٧) (س) والوافي : « خدمة » .

عمودُه الصّبح وَطُنُبه[١] الْمَجرّة ، ويتوقّل هَضَبات المنابر ، ويَسْتَجنّ حَشَا الْمَحاريب ويَطأ بطونَ الأسِرّة ، فتح الدين محمّد بن سيّد النّاس :

لا زَال رَوضُ العِلم مِنْ فَضْلِهِ ... أَنْفَاسُهُ طيِّبَةُ النَّفْحِ
وكابِدا نظما إلى نَظْمِهِ ... أبدى سَحابا دائم السِحِّ[٢]
وَكيفما حَاوَلَهُ طَالبٌ ... في الْعِلْمِ لاَ يَنْفَكُّ ذَا نُجْحِ
وَإِنْ غَدا بابُ النُّهى مُقْفَلاً ... في النَّاس نَادَوا يَا أَبَا الْفَتْحِ

إجازة[٣] كاتبُ هذه الأحرف جميع ما رَوَاهُ من أنواع العلوم ، وَمَا حملهُ من تفسير لكتاب الله أو سُنّة عن رسول الله ﷺ ، أو أثر عن الصّحابة والتّابعين رضي الله عنهم ومَنْ بعدهم إلى عصرنا هذا بسماعٍ من شيوخه أو بقراءة من لفظه ، أو سماع بقراءة غيره ، أو بطريق الإجازة خاصة كانت أو عامة أو بإذنٍ أو مُناوَلة أو وصيّة كيفَما تَأَدّى ذلك إليه ، إلى غير ذلك من كتب الأدب وغيرها ، وإجازةُ ماله من مقول نظماً ونثراً وَتأليفاً وجمعاً في سائر العلوم ، وإثبات ذلك بأجمعه[٤] إلى هذا التاريخ بخطّه إجازةً خاصّة ، وإجازةُ مالَعَلّه يتّفق له بعد ذلك من هذه الأنواع ، فإنّ الرياض لا ينقطعُ زَهْرُها والبحارَ لا تنفد دررها إجازة عامة على أحد الرأيين عند من يجوّزه .

وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

فكتب هو الجواب رحمه الله تعالى :

« بعد حمدِ الله المجيب مَن دَعَاه ، القريبِ ممّن نادى نَداه ، الذي ابْتَعثَ محمّداً بأنواره السّاطعة وهداهُ ، وَأَيَّدَه بصحبهِ الذين حَمَوْا حماه ، ونَصروه على مَنْ عَاداه ،

(١) في الأصل و (س) و (ط) : « وطينه » ، وأثبتنا ما في الوافي . والطنب : الحبال للخيمة .
(٢) في الأصل و (ط) : « سجايا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) خبر للمبتدأ « المسؤول » في أوّل الاستدعاء .
(٤) (س) : « ذلك جميعه » .

وحزبَه الذين رَوَوْا سُنَّته وَرَوَّوْا أسنتهم من عِداه ، وشَفَوا بإيراد مناهلـه مَنْ كانَ يشكو صَداهُ ، وأجابوه لّما دعاهم لِمَا يُحْييهم إجابَـة الصّـارخ صَـداه ، صلى الله عليـه وعلى آلـه وصحبه صلاة تُبَلّغهم من الشرف الرّفيع غاية مَداه ، وسلَّم عليـه وعليهم تسليماً يُسَوّغهم مشرع الرضوان عذباً ريّه[١] ، سهْلاً منتداه .

فلمّا كتبت أيّها الصّدر الذي يشرح الصّدور شفـاء ، والبـدر الـذي يَبْهَر العقول[٢] سنـاً وسنـاءً ، والحبر الـذي غـدا في التماس أزهـار الأدب راغبـاً ، ولاقتبـاس أنـوار العلم طالباً ، فحصل على اقتناءِ فرائِدها واقتناصِ شَوارِدهَا ، وأُلفي[٣] عقْلُه عقالَ أوابـدهـا ، ومجال مَصَائدها ، ومطار مطارِدهَا ، بما أَوْدَعت الألمعيّـة من المعَـاني الْمُبْتـدعَـة ذهنـه ، واستعادته[٤] على لسَان قلمه وقد ألبسته[٥] الفصاحة من حسن تلك الفطنة :

زَهَرُ الآدابِ مِنْـــــــــه يُجْتَنى ... حَسَنُ الإبْـداعِ مَـا أَبْـدَعَ حُسْنَـه
بـــــارِعٌ في كِـــــلّ فَنٍّ فَمَتَى ... قَالَ: قَـالَ النّـاس: مَـا أَبْـدَعَ فَنَّـه[٦]
وَمَتى مَـــا فَـــاهَ فَـــاضَ السِّحْرُ عَنْ ... غَـــامِضِ الأَفْكارِ مِنْـــهُ المرجَحنّـــه

فالآداب ، حرسه الله تعـالى ، ريـاضٌ هو مجتني غروسهـا وسماءٌ هو مجتلي أقمـارهـا وشموسها ، وبحر استقرت لديه جواهره[٧] وسحر حلال لم تنفث في عصره إلا[٨] عن قلمـه سواحرُه ، فَلَـهُ في فنّي النظم والنثر حَمْلُ الرايتين وسَبْقُ الغـايتين ، وحـوز البراعتين ،

---

(١) في الأصل : « رديّه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٢) في الوافي : « البدور » .
(٣) في الأصل و (ط) : « وألقى » ، وفي الوافي : « وألفى » .
(٤) في الأصل و (ط) : « واستفادته » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في الأصل : « ألبسه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٦) (س) ، (ط) والوافي : « ما أبرع » .
(٧) في الأصل : « جوهرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٨) ليست في (س) .

وسرّ الصناعتين ، وهو مَجْمع البحرين ، فما طلُّ الغمامة ؟، وله النظر[١] الثاقب في دقائقهما ، فَمَنْ زَرْقاء اليمامة ، إن سام نظماً فَمَنْ شاعر تِهامَه ؟، وإن شاء إنشاء فله التقدّم على قُدامَه[٢] ، فإن وشّى طِرساً فما ابن هلالٍ إلاّ كالقُلامَة = أن أجيز لك ما عندي فكأنّما ألزمتني أن أتجاوز حَدّي ، لولا أنّ الإقرار بأنّ الرّواية عن الأقران نهج مَهْيَعْ ، والاعتراف بأن للكبير من بحر الصغير الاغتراف وإن لم يكن مَشْرَعه ذلك الْمَشْرَع . فنَعَم قد أجزت لك ما رويتُه من أنواع العلوم ومَا حملتُهُ على الشرط المعروف والعُرف الْمَعْلوم ، وَمَا تضمّنه الاستدعاء الرقيم بخطّك الكريم مما اقتدحه زندي الشَّحَاح[٣] وجادت به لي السجايا الشِّحاح من فنون الأدب التي باعُكَ فيهَا من باعي أَمَدّ ، وسَهْمك في مَراميهَا مِنْ سَهمي أَسَدّ . وأذنت لك في إصلاحِ مَا تَعْثُر عليه من الزّلل والوهم وَالخَلل الصادر عن غَفْلة اعترت النقل ، أَوْ وَهلة اعترضت الفَهْم ، فيما صدر عن قريحتي القريحَة من النثر والنّظم ، وفيما تراه من استبدال لفظ بغيره ممّا لعله أنجى من المرهوب ، أَوْ أَنْجَع في نيل المطلُوب ، أو أجرى في سَنَن الفصاحة عَلى الأسلوب ، وقد أجزتُ لك إجازة خاصة ، يرى جَوَازهَا بعضُ مَنْ لا يرى جواز الإجَازة العامّة ، أن تروي عنّي مَا لِيَ مِن تصنيف أبقيته [في أي معنىً انتقيته][٤] فمن ذلك ... وذكر رحمَه الله تعالى ههنا مَا لَهُ من التّصَانيف ، وقد ذكرتها آنفاً . وقد أجزت لك أيّدك الله جَميع ذلك بشرط التّحري فيَا هنَالك ، تبركاً بالدّخول في هذه الْحَلْبَة ، وتمسّكاً باقتفاء السَّلف في ارتقاء هذه الرُّتْبَة ، وإقبالاً من نشر السُّنَّة على مَا هوَ أُمنية المتمنّي ، وامتثالاً لقوله عليه أفضل الصّلاة والسّلام : « بلّغوا عنّي »[٥] فقد أخبرنا أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم بن عليّ الحرّاني رَحمه الله تعالى بقراءة وَالدي عليه وأنا أسمع

(١) (س) : « النظم » .
(٢) قدامة بن جعفر ، صاحب كتاب نقد الشعر .
(٣) زند شحاح : لا يوري .
(٤) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .
(٥) انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٢٦/١ .

سَنَة ست وسَبعين وست مئة ، قال : أخبرنا أبو علي بن [أبي] القاسم البغدادي[١] قراءةً عليه وأنا أسمع منه[٢] سَنة ست مئة[٣] ، وقَبْل ذلك سَنة تسع وتسعين وخمس مئة ، وأنا محضر في الخامسَة ، قال : أخبرنا القاضي أبو بكر الأنصاري قاضي المارستان[٤] سماعاً عليه سنة أربع وعشرين وخمس مئة : قال : أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب[٥] في سنة ست وأربعين وأربع مئة[٦] ، أخبرنا أبو محمّد الْحَسَن بن علي بن أحمد بن يَسَار[٧] السَابوري بالبصرة ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمويه العسكري حدثنا محمّد بن إبراهيم بن كثير الصوري ، حدثنا الفريابي[٨] ، عن ابن ثوبان[٩] ، عن حسّان بن عطيّة[١٠] ، عن أبي كبشة السَلولي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسُول الله ﷺ : « بلّغوا عني ولو آية وحَدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومَنْ كَذَبَ عليّ متَعمِّداً فليتبوأ مَقْعَدَهُ من النار » .

أبو كبشة[١١] تابعيّ ثقة ، والصّحيح أنّه لا يُعْرَفُ اسمُه .

ومولدي في رابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وسَبعين وست مئة بالقاهرة ، وفي

---

(١) أحمد بن علي بن الخَرَيْف البغدادي ، ضياء بن أبي القاسم (ت ٦٠٢ هـ) ، العبر : ٥/٥ ، وما بين حاصرتين زيادة من الوافي والعبر .

(٢) ليست في (س) ، (ط) والوافي .

(٣) في الأصل : « سنة ست وسبعين وست مئة » ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٤) محمد بن عبد الباقي بن محمّد (ت ٥٣٥ هـ) السير : ٢٢/٢٠ .

(٥) (ت ٤٦٣ هـ) ، السير : ٢٧٠/١٨ .

(٦) في الوافي : زيادة : « قال » .

(٧) (س) ، (ط) والوافي : « بشار » .

(٨) في الأصل : « الفرياني » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو محمّد بن يوسف بن واقد (ت ٢١٢ هـ) . السير : ١١٤/١٠ .

(٩) محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان العامري . الوافي : ٢٢١/٣ .

(١٠) حسان بن عطية الدمشقي (ت نحو ١٣٠ هـ) ، الوافي : ٣٦٣/١١ .

(١١) في (س) ، (ط) زيادة : « السلولي » .

هذه السنة أجاز لي الشيخ الْمُسْنَد نجيب الدين أبو الْفَرج عبد اللّطيف بن عبد المنعم الْحَرَّاني ، وكانَ أبي رحمه الله يخبرني أنه كَنَاني ، وأجلسني في حجره ، وكان يسأله عني بَعد ذلك . وأجاز لي بعده جماعةٌ .

ثمّ في سَنة خمس وسَبعين حَضرت مجلس سماع الحديث عِنْدَ جماعة من الأعيَان ، منهم الحبر الإمام شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ابن أخي الحافظ عبد الغني المقدسي ، وأثبت اسمي في الطباق حاضراً في الرابعة .

ثمّ في سنة خمس وثمانين كتبت الحديث عن شيخنا الإمام قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني رحمه الله بخطّي ، وقرأتُ عليه بلفْظي ، وعلى الشيوخ من أصحاب المسند أبي حفص بن طبرزد والعلاّمة أبي اليُمن الكِنْدي والقاضي أبي القاسم الحرستاني والصّوفي أبي عبد الله بن البنّا وأبي الْحَسَن بن البنّا ، وغيرهم بمصر والإسكندرية والشام والحجاز وغَير ذلك .

وأجاز لي جماعة من الرّواة بالحجاز والعراق والشّام وإفريقيّة والأندلس وغيرهم يطول ذكرهم .

وحبّذا ، أيّدك الله ، اختيارك من طلب الحديث الدرجة العالية ، وإيثارك أنْ تكون مع الفرقة الناجية ، لا الفرقة التاويَة[1] ، فقد أخبرنا الشيخان أبو محمد عبد اللطيف وعبد العزيز ابنا الشيخ أبي محمّد عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن الصَّيْقل الحرّاني ، الأول إجازة ، والثاني سماعاً قالا : أخبرنا ضياء بن الْخُرَيف ، محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا أبو بكر الخطيب ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، أخبرنا أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطير[2] اللّخمي ، حدثنا محمّد بن

(١) أي : الهالكة .

(٢) في الأصل : « مطر » ، تحريف ، ووفاته سنة (٣٦٠ هـ) ، السير : ١١٩/١٦ .

أحمد بن هاشم البعلبكي ، حدثنا عبد الملك بن الإصبع البعلبكي : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ بني إسرائيل افْتَرقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كُلّها في النار إلا واحدة ، وهي الْجمَاعة[١] » .

وبالإسناد إلى الخطيب[٢] : حدثنا عبد الله بن أحمَد بن علي السوذرجاني بأصبَهان قال : سمعت عبد الله بن القاسم يقول : سمعت أحمد بن محمد بن رُوَّه يقول حدثنا إبراهيم بن محمد بن الْحَسَن قال : حُدّثت عن أحمد بن حنبل ، وذكر حديث النبي ﷺ « تفترق الأمة على نيّف وسَبعين فرقة كلّهَا في النار إلاّ فرقة واحدة[٣] » فقال : إن لم يكونوا أصحابَ الحديث فلا أدري مَنْ هُم .

وبه إلى أبي بكر الخطيب قال : حَدّثني محمّد بن أبي الْحَسَن قال : أخبرني أبو القاسم بن سَختويه قال : سمعت أبَا العباس أحمد بن منصور الحافظ بصُور يقول : سمعت أبا الحسن محمّد بن عبد الله بن بشر نفسا يقول : رأيت النبي ﷺ في المنام فقُلت : يا رسول الله : مَنْ الفرقة النّاجية من ثلاث وسبعين فرقة ؟ قالَ : أنتم يا أصحاب الحديث .

وبه إلى الخطيب قال : أخبرني محمّد بن عليّ الأصبهَاني حدثنا الحسين بن محمّد بن الوليد التّستري بها . حدثنا أبو العباس أحمَد بن محمّد بن يوسف بن مسعدة إملاءً ، قال : سمعت عبد الله بن محمّد[٤] بن سَلاّم يقول : أنشدني عبدة بن زياد الأصبَهاني[٥] من قوله :

---

(١) انظر : الجامع الصغير ٤٨/١ ، وجامع الأصول .

(٢) في الوافي ، زيادة : « قال » .

(٣) ليست في (س) والوافي .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) ليست في (س) .

دِيْنُ النّبي محمّـــــدٍ أَخْبـــــارُ نِعْمَ المطِيَّـــــةُ للفَتَى الآثَـــــارُ
لا تُخْـــدعنَّ عَنْ الحـــديثِ وَأَهلـــهِ فَـــالرّأيُ ليـــلٌ وَالحـــديثُ نَهـــارُ
وَلربّما غَلَـــط الفتى سُبُـــلَ الهـــدى وَالشّمسُ بـــازغـــةٌ لهـــا أنـــوارُ

وأنشدني وَالدي أبو عمرو محمّد ، قـال : أنشـدني والـدي أبو بكر محمّـد بن أحمـد بن عبد الله بن محمّد بن يحيى بن سيّـد النـاس رحمهما الله تعـالى قـال : أنشـدني الحـافـظ أبو العباس أحمـد بن محمّـد بن مفرج النبـاتيّ[١] قـال : أنشـدني أبو الوليـد سَعـد السّعود بن أحمد بن هشام[٢] قال : أنشدني الحافظ أبو العبّاس أحمد بن عبـد الملـك قـال : أنشـدنـا أبو أُسَامَة يعقوب ، قال : أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم[٣] لنفسه :

مَنْ عَـــذيْري مِنْ أُنـــاسٍ جَهلـوا ثُمّ ظَنّـــــوا أَنَّهُمْ أَهْـــــلُ النَّظَرْ
رَكِبـــوا الرّأيَ عِنـــــاداً فَسَروا في ظـلامٍ تَـــاهَ فيـــهِ مَنْ غَبَرْ
وَطَريـقُ الرّشْـــدِ نَهـــجٌ مَهْيـــعٌ مِثْلَما أَبصرتُ في الأُفْـــــقِ القَمَرْ
وَهُـوَ الإجمـــاع وَالنّص الّـــذي لَيْسَ إلاّ في كِتَـــــابٍ أَوْ أَثَرْ

والله المسؤول أن يلهمنا رشداً يدلّنا عليه ، ودلالة تهدينا إلى ما يُزلِفُنا لَدَيْه ، وهداية يسعى نُورها بين أيدينا[٤] إذا وقفنا يوم العَرْض بين يديه بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكنت بصفد لمّا بلغتني وفاته رحمه الله تعالى :

فَلَقَـــد أَلِمْتُ فَما الحِمَـــامُ بِصـــادحٍ أَسَفـــاً وَلا أَغْصَـــانُهـــا بِمَـــوائسِ[٥]

(١) في الأصل : « البناتي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وترجم له المؤلف في الأحمدين من الوافي : ٤٥/٨ ، وفيه أنه يعرف بالعشّاب ، وهو أندلسي (ت ٦٣٧ هـ) .

(٢) ويعرف بابن عفير ، فقيه ظاهري أندلسي (ت ٥٨٨ هـ) ، الوافي : ١٨٣/١٥ .

(٣) في الوافي : « خزم » ، تصحيف .

(٤) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ الحديد : ١٢/٥٧ .

(٥) (س) : « بمؤانس » ، تحريف .

قلت أرثيه رحمه الله تعالى :

مَـا بَعْـدَ فَقْـدكَ لي أُنس أُرجّيـه ... وَلا سُرُوْرٌ مِنَ الـدُّنيَـا أُقَضِّيْـه
إنْ متُّ بَعْـدَكَ مِنْ وَجْـدٍ ومِنْ حَزَنٍ ... فَحـقٌّ فَضْلِـكَ عِنـديْ مَنْ يُـوفِّيْـه
وَمن يُعلِّمُ فيـكَ الـوُرْقَ إنْ جَهلَتْ ... نُـواحَهـا أَوْ تَنـاسَتْـهُ فَتُمْلِيْـه
أَمَّـا لَطَـافَـةُ أنفـاسِ النَّسيْمِ فَقَـدْ ... نَسيْتُهـا غَيْرَ لُطْفٍ كُنْتَ تُبْـدِيْـه
وَإنْ تَرشَّفْتُ عَـذْبَ المـاءِ أَذْكَرني ... زُلالُـهُ خُلُقـاً قَـدْ كُنْتَ تَحْـوِيْـه
يَـا راحلاً فَوْقَ أَعْنـاقِ الرّجـالِ وَأَجْـ ... ـفَـانُ الملائِـكِ تَحتَ الْعَرشِ تَبْكِيْـه
وَذاهبـاً سَـارَ لاَ يَلْـويْ عَلَىٰ أَحَـدٍ ... وَالـذِّكْرُ يَنْشرهُ وَاللَّحْـدُ يَطـويْـه
ومَـاضيـاً غَفَرَ اللهُ الكَرِيمُ لَـهُ ... بـالُّلطْفِ حَـاضِرَهُ منـه وَبَـاديْـه
وَبـاتَ بـالْحُـورِ وَالـولـدانِ مُشْتَغـلاً ... إذا أَقْبلَتْ تَتَهـادى في تَلَقِّيْـه
حَتّى غَدا فِيْ جِنَانِ الْخُلْـدِ مُبْتَهجـاً ... وَالقَلْبُ بِـالْحُزْنِ يَفْنَى في تلظِّيْـه
لَهفي علَى ذَلـكَ الشّخصِ الكَرِيمِ وَقَـدْ ... دَعـاهُ نَحـوَ البلى في التُّربِ دَاعيْـه
وحَيْرتي فيـه لا تَقضي عليَّ وَلاَ ... تُقْضَى لَـواعِجُهـا حَتّى أُوَفِّيْـه[1]
أَجزَى الأَسَى عَبَراتي كَـالْعَقيقِ وَقَـدْ ... أَصَمَّ سَمْعي وَأَصْمى القلبَ نـاعيْـه[2]
يَا وَحْشَـةَ الـدَّهْرِ في عينِ الأنـامِ فَقَـدْ ... خَلَتْ وُجـوهُ اللّيـاليْ مِنْ مَعـانيْـه
ووَحشَـةَ الـدرسِ إنْ تُنشر مُـلاَءتُـهُ ... وَلَمْ تُطَرِّزْ حَـواشيهـا أَمَـاليْـه[3]
يَا حَـافِظـاً ضَـاعَ نَشْرُ العِلْمِ مِنْـهُ إلى ... أَنْ كَـاد يَعْرِفُـهُ مَنْ لا يُسَمِّيْـه
صَـان الرّوَايـةَ بـالإسْنـادِ فَـامْتَنَعَتْ ... ثُغـورُهَـا حِيْن حَـاطَتْهـا عَـواليْـه
وَاسْتَضْعَفت بـارقـاتُ الجـوِّ أَنْفُسَهـا ... فِي فَهْمِ مُشْكِلـةٍ عَنْ أَنْ تُجـاريْـه
حَفِظْتَ سُنَّـةَ خيرِ المرسَلِيْنَ فَمَـا ... أَراكَ تُمسِيْ مُضَـاعَـاً عِنْـدَ بَـاريْـه[4]

(١) (س) ، (ط) والوافي : « أوافيه » .
(٢) في الوافي : « جرى » ، وفي (س) : « أسرى » .
(٣) في الوافي : « الدهر إن تنثر » .
(٤) في الأصل : « أراك تمشي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

للهِ دَرُّكَ مِنْ حَبْرٍ تبحَّر فِيْ ... عِلْمِ الحَدِيْثِ فَما خَابَتْ مَسَاعَيْهِ[١]
وَهَلْ يخيبُ مَعَاذَ اللهِ سِعْيُ فَتىً ... في سُنَّةِ الْمُصْطَفَى أَفْنَى لَيَالِيْهِ
يَكْفيهِ ما خَطَّهُ في الصّحْفِ مِنْ مَدْحِ النـ ... ـبيِّ يَكفيهِ هَذا الْقَدرُ يَكفيهِ
عزِّ البُخَاري فِيْما قَدْ أُصيْبَ بِهِ ... مَاتَ الّذي كانَ بينَ الناسِ يَدْرِيْهِ
كَأَنَّهُ مَا تحلّى سَمْعُ حَاضِرِهِ ... بِلَفْظِهِ عندما يَروي لآلِيْهِ
روايةِ زانها مِنْهُ بِمعْرِفَةٍ ... مَا كلّ مَنْ قَام بيْن النّاس يَرْوِيْهِ
يا رحمتَاهُ لِشرْحِ التِّرْمذيّ فَمَنْ ... يَضمّ غُربَتَهُ فيْنَا وَيُؤْوِيْهِ
لَوْ كَانَ أَمْهَلَهُ داعي المنونِ إلى ... أَنْ تنتهي في أَمَالِيْهِ أَمَانِيْهِ
لَكانَ أَهْداه رَوْضاً كُلُّه زَهَرٌ ... أَنَامِلُ الْفكْرِ في مَعْنَاهُ تَجنِيْهِ
مَنْ لِلْقَرِيْضِ فَلَمْ أَعْرِفْ لَهُ أَحَداً ... سِواهُ رَقَّتْ بِهِ فيْنَا حَوَاشِيْهِ
مَا كانَ ذَاكَ الّذيْ تَلْقَاهُ يَنظُمُهُ ... شِعْراً وَلكنّهُ سِحْرٌ يُعَانِيْهِ
يَهزّ سَامِعَهُ حَتّى يخيّلُ لِي ... كَأس الْحُمَيّا أَدَارَتْهَا قَوافِيْهِ[٢]
ومَنْ يُمرُّ عَلى القِرْطَاسِ رَاحَتَهُ ... فَيُنْبِتُ الزَهْرَ غَضّاً في نَواحِيْهِ
مَا كُلّ مَنْ خَطَّ في طِرْسٍ وَسَوَّدَهُ ... بِالْحِبْرِ تَغْدُو بِهِ بِيْضاً لَيَالِيْهِ
وَلا تَخَلْ كُلّ مَنْ في كفّه قَلَمٌ ... إذا دَعَاهُ إلى مَعنىً يُلَبِّيْهِ
هَيهَاتَ مَا كانَ فَتْحُ الدّين حينَ مَضى ... واللهِ إلاّ فَريداً في مَعَالِيْهِ
كَم حازَ فَضْلاً يقولُ القائلونَ لَهُ ... لَوْ جَازَكَ اللّيْلُ لابْيضَّتْ لياليهِ[٣]
لا تَسْأَلِ النّاسَ سَلْنِي عَنْ خَلائِقِهِ ... لِتَأْخُذَ الماءَ عنّي مِنْ مَجارِيْهِ
مَاذا أَقولُ وَمَا للنّاسِ مِنْ صِفَةٍ ... محمودةٍ قَطُّ إلاّ رُكِّبَتْ فِيْهِ
كالشّمسِ كلُّ الوَرى تَدْري مَحاسِنَهَا ... وَالكافُ زائدةٌ لا كافُ تَشبِيْهِ
سَقى الْغَمامُ ضَريحاً قَدْ تَضَمَّنَهُ ... صَوْباً إذا انْهَلَّ لا تَرْقَا غَواديْهِ

(١) (س) ، (ط) والوافي : « لله سَعْيُك » .
(٢) في الأصل : « المحيا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٣) في (س) ، (ط) والوافي : « دياجيه » .

وَبـاكَرَتْـهُ تَحِيّـاتٌ نَـوافِحُهَـا مِنْ الجِنـانِ تُحَيِّيْـهِ فَتُحْيِيْـهِ

وكتبت إليه لمّا قَدِمْت إلى دمشق من القاهرة :

كَـانَ سَمْعي في [مصر] بـالْشّيْـخِ فَتْـحِ الـدّينِ يَجني الآدَابَ وَهِيَ شَهيَّـهْ[1]
يَـا لهـا غُرْبـةً بـأرضِ دِمَشْـقٍ أعَـوَزَتْنِيْ الْفَـواكِـهَ الفَتْحِيَّـهْ

وكتبت إليه :

يَـا حَـافِظَـاً كَمْ لِرِوَايَـاتِـهِ مِنْ جَنَّـةٍ في بَطْنِ قِرْطَـاسِ
وَكَم شَـذىً مِن سُنّـةِ الْمُصطَفَى قَـدْ ضَـاعَ مِنْ حِفْظِـكَ لِلنَّـاسِ

وكتبت على كتابه (بشرى اللبيب) :

بُشْرى اللّبيب لِبُـابُ النّظْمِ لِلبَشَرِ فِيْ مَـدْحِ سَيِّـدَنـا المختـارِ مِنْ مُضَرِ
لّمـا بَدا الشّيخُ فتحُ الـدّينِ ينظمَـهُ تَـأرّجَتْ نَسْمَـةُ الآصَـالِ وَالبُكَرِ
بحرٌ وَلكنّـهُ أهْـدى الـدَّراري والـ ـبحورُ مِنْ شَأْنِها الإتْيانُ بـالـدُّرَرِ
تَجْلو عَلَيْـكَ مَعـانيـهِ العرائِسَ في بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ لاَ بَيْتٍ مِنَ الْشَعَرِ

وبيني وبينه رحمه الله تعالى مكاتبات كثيرة . كتبت[2] إليه من الرحبة وهو :

سَلُـوْا نَسْمَـةَ الـواديْ إذا هيَ هبَّت سُحَيْراً وَهـزَّتْ في الرّبَـا كلَّ أيْكَـةِ
فَكَمْ لي في أثْنـائِهـا مِنْ رِسَـالَـةٍ أُضَمِّنُهَـا شَـوْقِي إلَيْكُمْ وَوَحْشَتِيْ[3]
وَمـا طـابَ ريـاهـا إلى أنْ تَضمّنتْ ثَنـائِيْ عَلى عَلِيَـائِكُمْ وَتَحيتِيْ
إذَا عَانَقَتْ فِي الرّوضِ أغْصانَ بَانِـهِ حَكَتْ خطراتِ الغيـدِ لَمّـا تَثَنَّتِ
وَإنْ نَبهَتْ وُرْقَ الحمـائِمِ أعْلنَتْ وَأغْنَتْ عَنِ الأوْتـارِ لمـا تَغَنَّتِ

(١) الزيادة من (س) ، (ط) والوافي .
(٢) (س) : « منها ما كتبت » .
(٣) (س) : « من أثنائها » .

وَإنْ سَحبتْ ذَيلاً بمنْعَرجِ اللّوَى تَحلّ عُرى أَزْهَارِهِ حيث حَلَّتِ[١]
وَإنْ صَافحتْ وَجهَ الرّياضِ فَإنّما تُقبِّلُ مِنْ أَوْطانكمْ كلَّ تُربَةِ
فَمنّوا بإهداء السّلام عَلى فتىً تَردَّدَ مِنْهُ الرّوحُ في جِسْمٍ ميّتِ[٢]
يُقبِّلُ مِنْ فَرطِ الْجَوى عَتَباتِكُمْ وَذلكَ فرضٌ عِنْدَه غيرُ سُنَّةِ
وَينْشُرُ مِنْ طِيبِ الثّناءِ عَليكمُ محاسِنَ ينْسي نشْرُها كَلَّ رَوْضَةِ
وَيَبْكِي إذا مَا اسْتخبرَ البَرقَ عَنكُمُ وَقَدْ بَسَمتْ مِنْه ثُغورُ الدُّجُنَّةِ
وَإنْ رَتّلَ الذّكرى تَداعَتْ صَبابَةً لَهُ الوُرقُ فارتَاحَتْ وَنَاحتْ وحَنّتِ
وَلَمّا رأتْ رِيحُ الصَّبَا مَا تُكنّهُ أضَالعُهُ اعتلَّتْ لِذاكَ وَأَنّتِ
رَعَى اللهُ أيّاماً تقضتْ بقُربكُمْ وَحيّا مَحلاً كُنتُم فِيهِ جيْرَتِيْ
وَلا شَكَرَ الرّحمنُ أيّامَ بَيْننا فَليستْ سَواءً وَالتّيْ قَبْلُ وَلّتِ
وَلَوْ أَنْصَفَ الدّهرَ الخؤونُ الّذيْ قضت صُروفُ لياليْهِ بِبَيْنِي وَفُرْقَتِيْ
لَمّا سِرْتُ عَنْ ذَاكَ الجنابِ الّذي حَوَى مِنَ الْفَضْلِ وَالْعَلْيَاءِ كُلّ عَظيْمَةِ
وَلَوكَانَ [يُشْرى] الْقُرْبُ بالنّفسِ مَاغَلاَ وَمَنْ لِي لَوْ نِلْتُ الْمُنَى بِالْمَنيَّةِ[٣]
عَسَى الدّهْرُ أَنْ يُدْنِي إلى ظِلّ قُربكُمْ مُحبّاً رَأَى في الْبُعْدِ كلّ مَشَقَّةِ
وَوَاللهِ مَا حَالتْ عَنِ الْعَهدِ مُهْجَتِي وَكَمْ مُرهفاتٍ لَوْ تَسَلَّتْ لَسُلَّتِ
وَمَا ضَرّكُمْ لَوْ زَارَ طَيْفٌ خَيالِكُمْ فَخَفَّفَ مِن وَجْدِي وَنَفَّسَ كُرْبَتِي
وَكَيْفَ يَخُوضُ الطَّيْفُ لُجَّ مَدامِعِيْ وَمِنْ بَعْدِكُمْ تَعرفِ النَّومَ مُقْلَتِي

فكتب هو الجواب عن ذلك :

---

(١) في الأصل : « حين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٢) أفاد من بيت المتنبي :

روحٌ تردّدُ في مثل الخلال إذا أطارت الريحُ عنه الثوب لم يَبِنِ

ديوانه ١٨٦/٤ .

(٣) زيادة من (س) ، (ط) .

مَنَنْتَ بِنُعْمى بَلّغَتْ كلَّ مُنْيَـــــةٍ ... وَنِلْتُ بِهـا المـأْمُـولَ قَبْـلَ مَنيَّتي
وَأَهـــدَتْ إلى قَلبيَ الجريْـحِ قَرارَهُ ... وَجَـادتْ عَلى طَرفي القَريـحِ بِقُرّةِ
مُشَرِّفـــةٌ لَم يـــأتِ عصرٌ بمثْلِهَـــا ... سَقَتْ دارَ مُهْـديْهـا سَـوافِـجُ عِبْرتي
وَصَلْتَ بِهـا عَهْـدَ المسرَّةِ مُحسنـاً ... وَأَنْعمتَ لي مِنْهـا بـأحسَنِ وُصْلتَي
وَشَرّفتَ مِن ذكري وَشَنَّفْتَ مَسْمَعي ... وَأَعْلَيتَ مِنْ قَـدري وَأَغْلَيت قِيْمَتي
فَهَـا أَنَـا مِنْهـا في صُعـودٍ كَـأَنَّما ... أُحَاوِلُ مَـا بينَ الكـواكبِ ثُـوْرَتي[1]
وَأَهَـدَيْتها عَـذراء بـالحسنِ أفرَدتْ ... وَمَـا بينَ أغصـانِ اليَراعِ تَثَنَّتِ
جَلَتْ كلّ مَعنىً مِن بَـديعِـكَ بَـاهرٍ ... وَأَبْـدَتْ فُنـونَـاً مِنْ عُلومِـكَ جَلَّتِ
وَنَـادَت فَلَبَّتْهـا المعـانِي مُجْيبَـةً ... وَلَـوْ غَيرُهـا نَـادى الْمَعَـافي لنَـدَّتِ
حَوَتْ قَصباتِ السَّبـقِ في كلّ غـايـةٍ ... فَلَمْ تَـكُ فِيهـا كَـالتّي قَبـلُ كَلَّتِ
فَمِنْ دُرّ نَظْمٍ لاَ يُسَـــــامُ لِمفْلِسٍ ... وَمِنْ نَثْرِ دُر لا يُسَـــــامى بنثرةِ
وَمِنْ وَشْيِ خَـطٍ فيـهِ نُزّهت نـاظري ... وَمِنْ سِحْرِ مَعنىً فيـه أنشـأتُ نَشْـأتي
إليـكَ صَلاحَ الـدّينِ أَشكـو صبَـابَتي ... وَأَرْفَـعُ فِيمَـــا رَابني منـــكَ قِصَّتي
أَقُـول بـــأنّ القَلْبَ مَثْـواكَ دائِماً ... وَأَشْكو إليـكَ الشَّـوقَ في كلِّ لَحْظَـةِ
وَأَشْكُر أيّـــامـــاً تقضَّتْ بِقُرْبِكُمْ ... وَقـلّ لَهـا شُكري وَإنْ هي حَلّتِ
وَأَشْكـو لـكَ الأيّـامَ تلـكَ بعَيْنهـا ... فَـأَعْجَبُ مِنْ شُكري لَهَـا وَشكيتي
تَصدَّتْ لَنـا بـالـوصْلِ تُطْمِعُنـا بـهِ ... فَلَمّـا أَجَبْنَـاهَـا تَجنَّت وَصَـدّتِ[2]
وَلَـوْ أَنّهـا مَنّتْ بطـولِ بقَـائهـا ... جَنَيْنَـا ثِمارَ الْـوَصْـلِ مِنْ حَيْثُ مَنّتِ
لَعَمْرِيَ أَشْـوَاقِي إِلَيْـكَ شَـديْـدَةٌ ... فَهَـلْ تُفْرِجُ الأَيّـامُ بِـالْقُربِ كُرْبَتي
وَإني لَمّـــــا سِرْتَ عَنّي وَلَمْ أَكُنْ ... بِـداري لِبُعـدي عَنْـكَ فِي دَارِ غُرْبَتي
تَنـــاءَيْتَ عَنْ طَرْفي وَأَنْتَ بِمُهْجَتي ... فَهـا بَصَري يَشْكُـو إِلَيْـكَ بَصيْرَتي

---

(١) (س) : « أنا مني » .

(٢) (س) : « تصدّت وجنت » .

يقبّل كذا ويُنهي ورود المشرف فأكرِم به واراداً ، وأعززْ علي به وافداً ، يجلو على الأبصار ما شاء من زَيْن ، ويَجلي عن البصائر ما شاء من رين ، حائزاً من نظمه ونثره ربح الصّناعتين ، فائزاً من سحر[١] بيانه ودرّ بنانه بأمَدِّ الشرّفين ، والسّبق في الطرفين ، والاستيلاء على الأمدين[٢] ، والاستعلاء على الصَّدفين[٣] ، فمدّ الملوك إليه راحته ، واستمدّ منه راحته ، وأدار منه راحَهُ ، وألفى[٤] لديه انشراحَه ، ونال به على الدّهر اقتراحَه ، بعدمَا وَجَدَ من فراق من به وَجَد ، وقد أضرمَ بقلبه من نار الخليل لفقد الخليل مَا وَقَد ، فراح كليم اشتياق في أليم احتراق ، ينادي بلسان الأشواق :

قد لَسَعت حيَّة النّوى كَبدي ولا طبيب لَهـا وَلا رَاقِ

[فوافته وقد شطت الدار ، وتنادى عنه المزار ، تحية باهى بلطفها الصبا][٥] وباهر في حسنها شمس الضحى ، وبعَرْفها زهر الرُبَا ، فقال يا بشرايَ بعهدِها الوفيّ وجمالها اليوسفيّ ، أصَدَرَت عن بَشَرٍ أم مَلَكْ[٦] ، أم عن ملك البلاغة الذي ملك من درّ القول مَا مَلك ، وترك لغيرِه من مخشلبه ما ترك ، و أمّا فَقْده ، حرسه الله تعالى[٧] ، وهو بدمشق الفواكه الفتحيّة ، فقد وقف المملوك على ما تضمّنته تلك التحيّة ، وهزّت منه عِطفاً لتلك الأريحيّة ، وإنّما يجتني كما قال المقرّ الشهابي حرسَهُ الله تعالى من غرسٍ بَدَا صَلاحُه ، ورُوِّضَ فلاحُه ، وتفتح زهره فراق اختتامه بالمسك وَافتتاحه ، المملوك يلتمس التشريف بخَدمه ومَراسيمه وَمهمّاته ، والله يحرسُه في حركاته وسكناته ، إن شاء الله تعالى .

(١) (س) : « بسحر » .

(٢) الأمدان : ابتداء خلق الإنسان وانتهاؤه .

(٣) الصدفان : ناحيتا الجبل ، وقيل : جبلان متلاقيان بيننا وبين يأجوج ومأجوج .

(٤) (س) ، (ط) : « وألقى » .

(٥) زيادة من (س) .

(٦) يشير إلى قوله تعالى في صفة (يوسف) عليه السّلام : ﴿ ما هذا إلاّ بشراً إن هذا إلاّ ملك كريم ﴾ يوسف ٣١/١٢ .

(٧) قوله : « حرسه الله تعالى » ، ليس في (س) .

فكتبت أنا الجوابَ إليه عن ذلك :

أَهْـلاً بهـا مِنْ تحيَّـةٍ صَـدرَتْ ... عَن رَاحَـةٍ بـالفَضَـائِـلِ اشْتَهَرَتْ
يَـا حُسْنَ مَـا سَطرتْ أَنـامِلُهـا ... وَلَطفَ مَـا نَظَمَتْ وَمَـا نَثَرتْ
فَضَضْنَ عَنْهـا ختـامَهـا فَـإِذا ... بـالشّمسِ في حَضْرتي وَقَـد سَفَرَتْ
فَشرَّفَتْني وَشَنَّفَتْ أُذني ... بـدرّ ألفـاظِهـا الّتي بَهَرَتْ
أَسْتغفرُ الله لَـو تُقـابِلهـا النُّـ ... ـجـومُ خَرَّت لـلأَرْضِ وَانْكـدَرَتْ
وَلَـوْ دَرَتْ نَسمـةٌ برقَّتِهـا ... جَفَّت غُصـون الرّبـا إذا خَطَرَتْ
فَلَيْسَ لِلْمُقْلَـةِ الْكَحيْلَـةِ مَـا ... تَفْعـلُ أَلْفَـاظُهـا الّتي سَحَرَتْ
وَلا لِكَـأْسِ الْمُـدامِ نَشْـوَتُهـا ... في أَنْفسٍ منْ سُـلافِهـا سَكِرَتْ
لِـلأدبِ الغَضّ في حَـديقتِهـا ... أَزاهر مِن نـداك قَـدْ مُطِرَتْ
بَـالَغتَ في سِحركَ الحـلالِ فَكَمْ ... نَظَمت زَهرَ الـدّجى ومَـا شَعَرتْ
وَزِدْتُ لُطفـاً فهَـل بَعثت بهـا ... نَفحـةَ روضٍ مـعَ الصَّبـاحِ سَرتْ
سُبحـان مُعْطِيـكَ فطرةَ غلبتْ ... عَلى بـديـعِ الكـلامِ واقْتـدرَتْ
وَراحـة مـا انطـوتْ على قلمٍ ... إلاّ وَوشَّتْ مَطـارِفـاً نُشرَتْ
مَنْ ذَا الـذي في العُـلا يُطَـاوِلُهـا ... وَهي عَلى ذيْ الْمحـاسنِ اقْتَصَرَتْ
لا مُتِّعَتْ مُقلتي برؤْيَتهـا ... إنْ نَظَرت مِثْلهـا أَوْ انْتَظَرَتْ
مُـذْ بَرّدَتْ حُرقَتي تحيّتُهـا ... تَلَتْ شِفـاهي الـدُّعـا وَمـا فَتَرَتْ
وَأصبحتْ أدمـعٌ أَكَفْكِفُهـا ... يَـا جيرة كالفرات جَرَتْ
وَالنَّفس لَم تَسْتَعر مَحبّتكم ... لَكنّهـا بـالصّبـابَـةِ اسْتعرَتْ
يـا سيّـد النـاسِ وابنَ سيِّـدهمْ ... ديـارُ مصرَ بفَضْلِـكَ افْتَخرَتْ
إذ أَنْتَ في رَبْعهـا تقـوم بحفّـ ... ـظِ سُنَّـةِ الْمُصطَفَى إذا ذُكِرَتْ
هُنِّيْتَهـا رُتْبـةً ظَفِرْتَ بهـا ... خُطـا بني العِلمِ دُوْنَهـا قَصُرَتْ

يقبّل الأرض الّتي مجالس العلم بهَا مشهودة ، وبركاتها مشهُورَة ، وكتب السُنَّة الشريفة منصوصة ، وكتائبها منصورة ، ونفائس الآداب بها مسرودة ، ونفوس أهلها مسرورة :

فَهيَ أَرضٌ تُطـــاولُ الأُفْــقَ فَخْراً إذْ عَلَيْهــا مَسْعــاك دُوْنَ البِقَــاعِ

والقدم الذي إذا خطت يكاد يسعى إليها المنبر ، ويوطئها قَدْرُها العليّ خَدّ من فسد ومَنْ بَر ، ويمسح أخمصها إذا سعت في المعالي عن برّ عنبر :

قــــدَمٌ تَستَقــلَّ نَعْــلَ الثُريَّـــا مُـذْ تَرَقَّتْ فِي سَامِيَاتِ الْمَسَاعِيْ

واليد التي لو أرادت لنالت الكواكب ، وأخجلت بجُودها الغيوث الهوامع والسحب السواكب ، وحملت رايات فخارها التي تزدحم تحت ظلها في السيادة مناكبُ الكواكب :

رَاحــةٌ تُشْرِفُ الشِّفــاهُ إذا مَــا قَبَّلتْهــا لِلْفَضْلِ بِــالإجْمَــاعِ

تقبيلَ محب ظفر بوصل[1] حبيبه ، وأمكنته الفرصة بغفلةِ كاشحِهِ وغيبَة رقيبه ، فهو يصل القبلة بالقبلة ، ويشفَع النهلة بالعلَّة :

ويَسْتَمرُّ على وَلائِهِ [الذي] :

« يَراهُ على طولِ الْمَدى خَيرَ صَاحِبِ »

ويَحافظُ علَى دعائِهِ الذي :

« بِهِ تُعَرف العشّاقُ عندَ الحبَائِبِ »

وَيبثُّ مِنْ ثَنائِهِ الذي :

« يَضوعُ شَذَاه فِيْ الصَّبَا وَالجنَائِبِ »

(١) (س) : « بوصال » .

ويصف أشواقَه التي[١] لا يعلم قرارها إلا الذي أوجبَها وقررّها ، ولا يدري قدرها إلاّ الذي حكم بها وقدّرها ، ولا يعرف ألمها إلاّ القلبُ الذي لَمَّهَا ، ولا يجبر ضيمها إلاّ الفؤاد الذي ضمَّها ، فهي الأشواق التي استعارت الجحيمُ استعارَها ، ونَفَتْ عن الجفون قرّتها وعن الجوانح قرارها ، وأعدمت النفس في الصّباح صَلاَحَها وفي المساء مسَارّها .

وَحنيني إذا تَصـــــــدَّى لِنَفْسِي ... صَـدّ لَهْوِي عَن ارتيـاد ارْتِيـاحي
عَلَّم الـوَرْقَ حُـزْنَهَـــا في الأَو ... راقِ تَتْلُـوهُ في نـواحِي النّـواحِي
لا يَردّ الجـوى اغْتبـاطُ اغْتِبـاقٍ ... مِنْ حَنَيْني وَلاَ اصْطِبَارُ اصْطِبَـاحِي
يَـالَهـــا هَفْـوةً مَسْيري عَنْكُمْ ... قَـــــذفَتْ بي إلى اطّرادِ اطّراحي
وَدَرَتْ أنني لي الـــــذّنبُ في البُعْـ ... ـدِ فَجَارَت علَى اجْتِراءِ اجْتِراحِي[٢]

فآهاً على الديار المصريّة وأوقاتها ، وَسَقياً لمعَاهد أُنْسِها لنفسها ولذاتّها لذاتها ، ورعياً لتلك المنازل التي لا تخرج الأقمار عن هالاتها ، وحفظاً لتلك الوجوه التي :

« للشمس أضواءٌ على جَبَهاتِهَا » .

وشكراً لتلك النفوس التي :

« المجد يغلبُها على عِلاّتها » .

ذُكر الأنـــام لنـــا فكن قصيـــدة ... أنت البـديع الفرد من أبيـاتهـا[٣]

وما أقول بل ما أنتظر إلاّ نظرة[٤] شهابيّة ، ولا أترقب إلاّ همّة عدويّة عمريّة ، تُنْقذني من نار هذه الغربَه ، وتعيدني إلى خير عالم وألطف تربه ، وتتعطّف عَلَى من غدرت به أيامه ولياليه ، وأتى كما حكمت عليه الأقدار بذنب عقابه فيه :

(١) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (ط) : « فحازت » .
(٣) (س) : « لنا فكنت » .
(٤) (س) : « قطرة » .

وَكأنّني بِهَـــا كَمَـــا عَـــوَّدَتْني عَطَفَتْهـا عَليَّ تِلْـكَ الْمعَـاطِفْ[١]
ثُمّ قَـالتْ دَعُـوهُ يَحْظَى بِـوَصْـلٍ إذْ لَـــه مـــدةً عَلى البـــابِ وَاقِفْ

فلله عزمَاتها التي لو شاءت جَمَعت بين الضبّ والنّون[٢] ، وأبدلت بالمنى موارد المنون ، وما ذلك عليها بمشيئة الله تعالى بعزيز ولا عتيد ، وما هي إلاّ كلمة تدخل بالمملوك إلى دار السّعادة كما عوّدت من بَاب البَريد .

وأمّا المثال العالي أعلاه الله تعالى وجعل القلوب في عَلِيّ قدره تتوالى ، فأعود إلى وصفه نثراً وأستعير[٣] من كلماته في تقريظه درّا ، فأقول : إنّه اشتمل على الْمَحاسن وغدا أنموذج الجنّة الّتي خمرها مغتال وماؤها غير آسن ، تقطر البلاغة من كَلِمه ، وتشفّ الفصاحة من وراء ما سطّر بقلمه ، وتغني رياضه الناضرة عن أراك الحمى وعن سَلِمه ، ويهز الواقف على مَعانيه بالطرب من قرنه[٤] إلى قَدَمِه ، يتحيّر الناظر فيه لتردّده بين روض[٥] وأفق ، ويتخيّر الماهر من لفظه تاجاً لفرقٍ أو قلادةً لعنق :

قُـلْ فَكَمْ مِنْ جَـواهِرٍ بِنِظَـــامِ وُدُّهَـــا أنَّهـــا بِفِيْـــكَ كَـــلاَمُ

وأمّا عبوديّة المملوك التي تقدّمت فوالله ما توهّم المملوك أن سيّدي ، حرسه الله تعالى ، يتكلّف لها جَواباً ، ولا يفتح من بيوت نظمه الْمَصُون لهذه الطّارقة باباً . ولو تحقّق هذا الأمر لأعطاها[٦] حِيلَهُ وحَيْلَه وشدّ على شنّ الإغارة على المعاني الجامحة خَيله ، وأعمل فكرة في تهذيب مَا يهديه حتّى يقال : هذا كتاب ليلة وألف ليلة .

ولّما كان هذا مقام افتراص ، واقتناء لجواهرِ كَلِمِ سيّدي واقتناص بعث هذه

(١) في الأصل : « عودتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٢) النون : الحوت .
(٣) (ط) : « وأستعبر » .
(٤) (س) : « فرقه » .
(٥) (س) : « رياض » .
(٦) (س) : « أعطاه » وفي (ط) : « أعطاها » .

العبودية طمعاً في الجواب الثّاني ، وعوّذها من الشّآم بعَطف مَولاَنا الذي لا يثنيه عن الخير ولا الجَبر ثانٍ ، ولله المعرّي حيث قال :

قَدْ أَجَبْنَا قَوْلَ الشَّرِيْفِ بِقَوْلٍ ... فَأَنبنَا الْحَصَى عَلى الْمُرْجَانِ[1]

والله يمتّع الأنام بحياته الّتي هي جملة الأماني ، ويديم فضائله الّتي لا توجد إلاّ في « العِقد » ولا تؤخذ إلا من « الأغاني » ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

فكتب هو الجواب عن ذلك :

حَيَّت فَأَحيَتْ عِنْدَ مَا حَسَرتْ ... خِمَارَهَا كلَّ مُهْجَةٍ سَحَرتْ[2]
يَا خَجْلَةَ الشّمسِ عِنْدَ مَا سَفَرَتْ ... وَغَصَّةَ الغُصْنِ عِنْدَمَا خَطَرَتْ[3]
وَفِتْنَةَ الظَّبْيِ عِنْدَ لَفْتَتِهَا ... وَحَيْرَةَ الظّبي كلَّما نَظَرَتْ
مَا [كنت] أَسْلُو جَمَالَهَا أَبَداً ... لَوْلاَ الّتي بِالْجَمَال قَد بَهَرتْ[4]
عَقيلَةٌ تَسلبُ العُقولَ فَهَا ... أَلبَابُنَا من بَديْعِهَا سَكِرَتْ
جَاءَت فجادَتْ بكلِّ مُطربَةٍ ... يُطوى لَهَا البِيْدُ كلّما نَشَرَتْ
سَماء مجدٍ سَمت ببَهْجَتِهَا ... عَن صدرِ أَهْلِ الزَّمَان قَدْ صَدَرَتْ
مُحْمَرَة الْحُسنِ في حُلَى شَفَقٍ ... تخضرُّ فِي حُسْنِهَا وقَدْ حَضَرَتْ
أَبيَاتُهَا مِنْ عُقودِهَا نُظِمَتْ ... وَنَثْرُهَا لِلْكَواكِبِ انْتَثَرَتْ
لابْنِ جَلا مَا جَلَتْهُ مِنْ دُرَرٍ ... وَابْنِ هلالٍ بَديعُ مَا سَطَرَتْ
يَا حبَّذا لِلصلاحِ نِسْبَتُهَا ... خَليلُهَا مَنْ بِهِ العُلاَ افْتَخَرَتْ
يَا رَوْض فَضْل غُصونُه زَهرَتْ ... وَحِبْر عِلْمٍ بِحَارُهُ زَخَرَتْ

---

(١) في الأصل : « فأثبنا » .
(٢) (س) : « فعندما » .
(٣) (س) ، (ط) : « كلّما خطرت » .
(٤) الزيادة من (س) ، (ط) .

سَرَتْ فعين السُّرور مَـــا نَظَرَتْ ... في دَوْحَـةِ الأُنْسِ أَغْصُنـاً نضرت[١]
وَلا نَسيْمَ الصّبـــا سَرَتْ سِحْرَاً ... إلاّ كَـــدَأبِ الْهَجِيْرِ إذَ هَجَرَتْ[٢]
وَلاَ تَغنّت في الأَيْـكِ سَـاجِعـةً ... فَـأَطْلَقَتْ مُـوْنعـاً وَلاَ أَسَرَتْ
وَلا تثنّى للرّاح غَـانيـةً ... أَوْتَـارُهـا وَاللّحـاظ كَمْ وَتَرَتْ
وَلاَ سَمَتْ مُقلـةُ الْمَشُـوقِ إلى ... لُقيـاك نحـوَ الْمَقـام مُـذْ سَمَرَتْ
يـا عَجبـاً مِنْ بحـار عبرتـه ... مَـا أُخمـدت نَـارَهُ الَّتي اسْتَعرتْ
كـدَّرتْ مُـذْ غِبْتِ عَنْـهُ عيْشَتَـهُ ... فَيـا لأُنْسٍ نُجـومُـهُ انْكَـدَرَتْ
علَى هـواكَ القلـوبُ قَـدْ فُطِرَتْ ... لَـولا تمنّي لِقـائِـك انْفطَرَتْ
يـا مُقلـةً مُـذْ غِبْتُمُ سَخِنَتْ ... هَـلْ عيْشَـةً إنْ حَضَرتُمُ حَضرَتْ
وَيَـا حَيـاةً صَفَتْ بِقُرْبِكُمُ ... هَـلْ يُرْتَجى عَوْدُهَا وَمَـا كَـدَرَتْ

يقبّل اليد العالية الصلاحيّة ، لا زالت صالحة الشيمَ ، سافحة الديَم بل الباسطة الكريمة ، لا برحت واسطة عقد الكرم ، بل الأرض المنيفة بحلوله لافتئت مواطن النّعم ، ومواطئ أولي الهِمَم :

تَقبيـل مـلآنِ الجنـا ... نِ بحبّـه دُونَ الأُمَمْ[٣]
متنـدّم لفراقـه ... لَـوْ كَـانَ يَنفعُـهُ النَّـدَمْ[٤]
لَـوْ كَـان يطرقُـهُ الكَرى ... لكنّـه لَمْـا يَنَمْ
لَهْفِي عَلى عَصْرٍ بِـهِ ... وَلّى حَميـداً لَمْ يُـذَمْ
شَـوقي لَـهُ شَـوقُ العليـ ... ـل لمـا شَفَـاهُ مِنَ السَّقَمْ
شُكري لَـهُ شُكرُ الرّيـا ... ض السُّحبَ جـادَتْ بِـالـدّيَمْ

---

(١) (ط) : « بعين » ، وفي (س) : « لعين » .
(٢) في الأصل و (ط) : « لذات » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) (س) : « بودّه » .
(٤) في (س) : « يشتاق من تلقائه » .

ذِكرى لأيّـــامٍ بِـــهِ مَرَّتْ كَمَـــا مَر لحُلْمْ
وَحَلتْ كَمَـــا مَرَّتْ لَيـــا ليّ الشّرِيْفِ بِـــذِيْ سَلَمْ[١]

وينهي ورود المشرّفة العالية قدراً ، الحاليَة من البدائع الروائع درّاً ، المؤنّقة في رياض الفصاحة زهراً ، الْمُطْلِعَة في سماء البلاغة زهراً ، وكلف[٢] بها كلف عمرو بعَرارِهِ[٣] ، والفرزدق بنوارِه[٤] ، وأقسم من طِرسها بحمرة الشّفق ، ومن نِقْسها[٥] بالليل وما وسَق ، ومن غرر معانيها السّامية على غير مُعانيها بالقمر إذا اتَّسَقْ لتليت[٦] أهل البلاغة ، فظلّت أعناقهم لَها خاضعين ، وجليت على أرباب اليراعة وألباب البراعة فقالتا : أتينا طائعين ، انقياداً لطفيل[٧] أعنّتها ، وتبرّياً من مطاعنة أبي براءٍ ملاعب أسنّتها[٨] ، كلّ يلمحها بطرف كليل[٩] وشخص ضئيل ، ويرجع عن مجاراتها بأمل حسير وقلب كَسير ، فلا يُجري في ميدانها خَيل طرادِهِ ولو قام مقام قسٍّ في إيادِهِ ، وَأين[١٠] حَميُه من حمياها أم أيْنَ سهيله من ثريّاها ، لشدما ارتفعت منها المطالِع وانقطعت دونها الْمَطامع ، فما الظنّ بوحيد يحتاج إلى الذمَام وربيط في الرّغام لا عهد له في السّرايا ولا أنس له بالدخول في القتامِ أن يجول في حلبة الرهان أو يَطول إلى مقاتل

---

(١) يريد : الشريف الرضي ، وقد اشتهر في شعره بذكر مواضع الحجاز .

(٢) (س) : « فكلف » .

(٣) هو عرار بن عمرو بن شأس الأسدي وفيه يقول أبوه عمرو :
وإنّ عراراً إن يكن غير واضـــحٍ فإني أحبّ الجون ذا المنكب العمم

(٤) هي زوج الفرزدق ، وابنة عمّه . وفيها يقول الفرزدق :
نـــدمت نـــدامـــة الكسعي لمّـــا غـــــدت مني مطلقـــــة نـــوار

(٥) النّقس : المداد .

(٦) كذا في الأصول .

(٧) هو طفيل بن عوف بن كعب الغنوي من أوصف شعراء الجاهلية للخيل .

(٨) هو عامر بن مالك بن جعفر العامري اشتهر بـ ملاعب الأسنّة (ت ١٠ هـ) .

(٩) في الأصل : « كحيل » ، وأثبتنا ما في (س) .

(١٠) في الأصل (وابن) ، وأثبتنا ما في (س) .

الفرسان أو يُسابق بسُكّيته مجلّيَ الميدان ، أو يناطق بباقل[١] من سحَبَ ذيلاً على سَحْبان ، وهل تستفادُ تلك المواد من غير ذلك الْمُوَاد ، وهل استولى على أمد تلك الجواد غير ذلك الجواد ، وأن يكاثر البحار الزواخر مَنْ ورده الثِّماد[٢] ، وأن يطاول الأنجم الزواهر مَنْ قرارته الوهاد ، فما تفوّه السّليم الصّدق إلاّ بالتسليم لذلك السَبق والتعظيم لذلك الحقّ اعترافاً بما قد حواه رافع ذلك المنار وجامع تلك المبّار .

وأمّا أمره بالمسارعة إلى المراجعَة والمعاجلة إلى[٣] المسَاجلة وما غادر لغيره من متردّم[٤] ، ولو شنّ على الآداب إغارة ربيعة بن مكدّم[٥] ، فلم يرجع المملوك إلى جواب ينجده وخطاب يسعفه بالمراد ويسعده إلاّ التمثّل بقول القائل :

وَأَخَـذْتَ أَطْرافَ الكَلامِ فَلَمْ تَـدَعْ قَـوْلاً يُقَـالُ وَلاَ بَـديْعَـاً يُـدَّعَى

وأمّا تمثيله ببيت أبي العلاء ما هو فيه من علوّ المكان لإنابته ابنَ عمّه الحصى عن الْمُرجان فما مكاثره بالأدب ، وعيوبه تَنْسل إليه من كلّ حَدَب إلاّ المكاثر بيائي (أنيسيَان)[٦] بل لعلّه حرسه الله تعالى عنّ له المرور ببلاد ابن عنين « بلاد بها الحصباء درّ » أو ثنى عنَانَه إلى منزل ابن اللبّانة :

نِـزَلْنَـا بِكافـورٍ وَتَبْرٍ وَجَـوْهَرٍ يُقالُ لَـهُ الْحَصْبَـاءُ وَالرَّمـلُ وَالتُّرْبُ

---

(١) في الأصل و (ط) : « بناقل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، وفي المثل : « أعيا من باقل » . انظر مجمع الأمثال : ٤٣/٢ .

(٢) الثماد : الماء القليل .

(٣) (س) ، (ط) : « على » .

(٤) إشارة إلى مطلع معلقة عنترة :

هـل غـادر الشعراء من متردم أم هـل عرفت الـدار بعـد تـوهم

(٥) أحد فرسان الجاهلية المعدودين ، يقال : إنه حمى الظعن حياً وميتاً .

(٦) تصغير « إنسان » ، وللنحويين خلاف مشهور في أصل هذه اللفظة .

أو أجتاز بنهر أخي مَنَاز[١] وحَصاهُ تروع حاليَة العَذارى ، فورده وأمواجه تطرّد ؛ إما يَرد أو يَبْتَرِد ، لكنّه عاكَسَهم في التّشبيه ، ونافسهم في التمويه ، فاستعبدَ كلامَهم كلامُه الْحُرّ ، وكان مَا جَاء به من الحَصَى أنفس ممّا جاؤوا به من الدرّ ، فتأخّروا وإن تقدّموا ، وتَقدَّم وإن تأخرّ ، وكانت بدائهه لبدائِهِ سواه تسحَر ، وبدائعه من بديع سواه تسخَر .

وأمّا تشبّثه بالهمّة الشهابيّة وتشوّفه إلى الهمة[٢] العَدويّة فلا بدّ بمشيئة الله تعالى أن تعدَى العَدويّة قربَه على بعاده ، وتعمر العُمَريّة أرجاء رجائه بعوده إلى مَعاده ، والقّطر يسبق الدّيم السَوَاجم ، والزهر يعبق ومَا انشقّت عنه الكمائم :

وَإنّ رَجاءً كَامِلاً فِيْ جَمِيْلَةٍ ... لكَالْمَالِ في الأكْيَاسِ تَحتَ الْخَواتِمِ

والله يعمر ببقائه أنداءَه ، ويسرّ بلقائه أودّاءَه بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكتبت أنا إليه من دِمشق في سُنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

يَا عَذولاً في لَومِهِ قَد تفصَّح ... وَيَرى أَنَّه بِذَاكَ تَنَصَّحْ
ليسَ عِندي مِنَ الْجَوَى بِي جَوابٌ ... هَذِهِ أَدْمُعي تَقُولُ وتَشْرَحْ
قِفْ عَلى غَيْرِ مَسْمَعي وَاسْأَلِ الصَبْـ ... ـرَ فَمَا عِنْدهُ سِوَى الله يَفْتَحْ
كَمْ يُنَادِي السِّلْمُ بِالحربِ أَوْلَى ... وَيُنَادِي الغَرامُ بَالصُّلحِ أَصْلَحْ
قِسْتُ بَيْنَ السِّلمِ وَالوَجْدِ حَتّى ... صَحّ أَنّ الغَرامَ أَرْجى وَأَرْجَحْ
كَيْفَ صَبْري عَنْ أَرضِ مِصرٍ وَفِيْهَا ... لِي قَوْمٌ أَسْمى الأنَامَ وأَسْمَحْ

(١) يشير إلى الوزير أبي نصر المنازي الذي تنسب إليه الأبيات المشهورة :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ ... سقاه مضاعف الغيث العميم

ومنها :

تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

(٢) في (س) ، (ط) : « العزمة » .

لَوْ تُعاطي الجبَالُ كَأْسَ حَديثٍ ... عَنْهُمُ مَالَ عِطْفُهَا وَتَرَنَّحْ
هَاتِ قُلْ ليْ مِنْ [أين] تَلْقَى لِفَتْحٍ الد ... ينِ مَثْلاً إنْ كُنْتَ لِلحقِّ تَجْنَحْ[1]
خَادِمٌ سُنَّةَ النَّبي وَهَذَا الـ ... ـفَضل أنجى يوْمَ الحِسَاب وَأَنْجَحْ
كُلّمَا خَطّ بِالْيَراعِ حَدِيْثاً ... كبّر اللهُ في الطِّروسِ وسَبَّحْ
إنْ تَقسْ خَطّهُ بِرَوْضٍ نَدِيٍّ ... صَحَّ هذا وجَفّ ذَاكَ وَصَوّحْ
كُلّ عَيْنٍ كَأَنَّهَا طَرفُ حِبٍّ ... مَا تَوقَّى الفُؤادَ لَمَّا تَوقَّعْ
أَيُّ قلبٍ بالحزن والهَمِّ يصدا ... وَحمام الأَسْجَاعِ فِيهِ يَصْدَحْ
بِنِظَامٍ كَالدُّرِ لَمَّا تنقى ... وَمَعَانٍ كالسِّحر لَمَّا تُنَقَّحْ
لَوْ يُجاري بَرْقَ الدُّجَى مَا تَنَحّى ... أَوْ يُبَارِيْ قِسّ النُّهى مَا تَنَحْنَحْ
لاَ أَكفّر قَوْلي إذ قُلْتُ دَهْري ... قَدْ تَوشَّى مِنْ فَضْلِهِ وَتَوَشَّحْ
مَا رِياضُ قَضَيبها قَد تَلوَّى ... فِيهِ زَهْرٌ يُزْهى بِلَوْنٍ تَلَوَّحْ
جَادَ قَطْرُ النَّدى بِها وَتَفتّى ... وغَدا وَرْدُ نَصْبُها قَدْ تَفَتّحْ
مِثْلُ أَخْلاقِهِ الّتي قَدْ حَوَاها ... بَلْ أَرَاها بِالْحُسْنِ أَمْلَى وَأَمْلَحْ
قُوبِلَتْ نُسْخَةُ المَعَالِيْ عَلَيْها ... وَأَجَازَ الْجمَالُ ذَاكَ وَصَحَّحْ[2]
آه وَا وَحْشَتَا لِذَاكَ الْمُحيَّا ... وَالسَّجَايَا الّتي أَبرُّ وَأَوْضَحْ
لاَ أَرَى في الزَّمَانِ أَسْعَدَ مِمَّنْ ... قَدْ تِمسى بِوجْهِهِ وَتَصَبَّحْ

فكتب الجواب عن ذلك :

صَادِحاتُ الْحَمامِ في الدَّوْحِ تَصْدَحْ ... بِغرامي فِي الْعَيْنُ لِلْبَيْنِ تَسْفَحْ
رَجَّعتْ شَدْوَهَا فَبَرَّحَ بي شَوْ ... قٌ مُقيمٌ لظَاعِنٍ لَيْسَ يَبْرَحْ
فَرّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللّيَالي ... فَهَلِ الدَّهْرُ بِالتَّواصُلِ يَسْمَحْ

(١) زيادة من (س) ، (ط) .
(٢) (س) ، (ط) : « الكمال » .

فَتَنَـــادي بـــك الْمنى مِنْ قَرِيْبٍ ... بَعْـدَ قَفرٍ مِنَ التّبـاعُـدِ أَقْبَـحْ[١]
إنّ لي مَطْمَعـاً بِقُربـكَ يَـأْسُـو ... مَـا غَـدا النّـاس بـالتَّبـاعُـدِ يَجْرَحْ
كُلَّما شـام بَـارقَ الشّـام طَرْفِي ... قُلْتُ شَوْقـاً لِـوَصْلِـكَ: اللهُ يَفْتَـحْ
وَلِقَلْبِي مِنْـهُ خُفُـوقٌ ونَـارٌ ... وَلِطَرْفِي مِنْـهُ سَحَـائِبُ سُيَّـحْ
يَاصَلاح الـدّيْنِ الّـذي فَـاقَ أَهْلَ الْـ ... ـعَصْرِ حُلْماً عَنْـهُ الرَّواسِي تَـزَحْـزَحْ
وَبَلَيْغَـاً مَـا رَامَ يَـأْتِيْـهِ عَفْـواً ... وفَصِيْحـاً مـا احْتَـاجَ أَنْ يَتَفَصَّـحْ
لَـوْ رَآهُ غَيْـلانُ قَصّرَ عَنْ قَصـ ... ـصدِ بِلالٍ وَصدّ عَنْ زَجْرِ صَيْدَحْ[٢]
وَفَرّ النَّفْسَ عَنْ مُنى كلّ وَفرٍ ... وَرأَى العِلْمَ مِنْـهُ أَرْجَى وأَرْجَـحْ
وَغِـذاءُ الأَرْوَاحِ أَشْرَفُ مِمّـا ... تَغْتَـذيْـهِ الأَجْسَـامُ قَـدْراً وأَصلح
سَبَّـحَ اللهُ مَنْ رَآكَ إِمَـامَـاً ... كَمْ لَـهُ في بِحَـارِ علمـك مَسْبَـحْ
حَـائِـزاً مِنْ بَـدائِـعِ بَني هِـلالٍ ... سِحْرَ نَثْرٍ بِـدُرٍّ خَـطٍّ مُـوشَّـحْ
كَعلي وَضْعـاً ورِقَّـةِ إِبْرا ... هِيمَ طَبْعـاً بَـلْ أَنتَ أَسْمى وأَسْمَـحْ
يَـا خليـلَ الآدابِ مَـا اخْتَـلّ مِنْهـا ... فَـالصَّحيـحُ الَّـذيْ عَلَيْـكَ يُصَحَّـحْ
كَمْ عَلى الـدَّهْرِ مِنْ حُـلاهـا جَمالٌ ... مَـا لمسرى مُـؤَمِّـلٍ فِيْـهِ مُسَرَحْ
سِمْطُهـا فَـائِـزٌ بِـدُرٍّ مَعَـانٍ ... سَقْطُهـا مِنْ زِنـادِ فِكْرِكَ يَقْـدَحْ
كُـلَّ عـذراء تَسْبِي كلَّ لُبٍّ ... بِسَنَـا عَنْ سَنَـاءِ عِلْمِـكَ يُلْمَـحْ
زَارَت الصَبَّ في لَيَـالٍ مِنَ البُعْـ ... ـدِ فَلَمّـا دَنَتْ رَأى الصُّبْحَ أَصْبَحْ
قَلـدت بـالعقيـانِ سِحرَ بيـانٍ ... لَيْسَ فِيْـهِ لِلْفَتْحِ بَعْـدَكَ مَطْمَحْ[٣]

---

(١) (س) ، (ط) : « أفيح » .

(٢) يشير إلى بيت ذي الرمة المشهور في مدح بلال بن أبي بردة :

رأيت النـاس ينتجعـون غيثـاً ... فقلت لصيـدح انتجعي بـلالا

وصيدح : ناقته . انظر : اللسان « صدح » وديوانه .

(٣) في الأصل : « بالعقبان سحر بنان » . وأثبتنا ما في (س) ، (ط) . وهو يورّي بكتاب « قلائد العقيان » للفتح .

خَتَمَ النَّظْمُ مِنْـــــكَ بحر قَرِيْضٍ مَـا أراهُ مِنْ بَعْـدِ خَتْمِـكَ يُفْتَـحْ

وكتب هو إليّ رحمه الله تعالى وأنا بصفد في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة :

سُرِرْتُمْ فَـإنّي بَعْـدَكُمْ غَيْرُ مَسْرُور وكَمْ لي عَلى الأَطْلال وقْفَـة مَهْجـور[1]
وَلا حِسَّ إلاّ حِسُ صَائِحـةِ الصَّـدى وَلا أُنْسَ إلاَّ أُنْسَ عِيْسٍ وَيَعْفُـوْر[2]
فَيـا وَحـدةَ الـدّاعي صَـداهُ جَـوابُـهُ وَيَا وَحْشَـةَ السَّـاعي إلى غَيْرِ مَعْمُور
إذا قُلتُ سِيري قـال سيريْ مُحـاكيـاً وَإنْ قُلْتُ زُوْري قَالَ لي مِثْلَهـا زُوْري
وَمَـا سَرَّني بـالْقُرْب أَنّي اسْتَـزَرْتُهـا وَلا سَـاءَني بـالبُعْـدِ قَـوْلي لَهَـا سِيْري
فَيَـا وَيْـحَ قَلْبي كَمْ يُعَلِّلُـهُ الْمُنَى عُلالَـةَ دُنْيـا اسْتَعْبَـدَتْ كُـلَّ مغْرُوْر
تُواصِلُ وَصْلَ الطّيْفِ في سِنَةِ الْكَرى وَلَسْتَ إذا اسْتَيْقظتَ مِنْـهُ بِمَحْبُـور
وتَـدنُـو دَنُـوّ الآلِ لا يَنْقَـعُ الصَّـدى وتخلبُ آمَـــالاً بِخُلّبِهـــا الـزُّوْر
تُنيـل الْمُنَى من سَـالَمَتْـهُ خَـديعـةً وتُعقب من نَيْلِ الْمُنَى كُـلّ مَحْـذُور
فَـدَعْهـا وَثِـقْ بـاللهِ فَـاللهُ كَـافـلٌ بِرِزْقِـكَ مَـا أَبْقَـاكَ وَارضَ بِمَقْـدُوْر
وكُنْ شَـاكِراً يسْراً وبـالعُسْرِ رَاضيـاً فَأَجْرُ الرِّضـا والشُّكْرِ أفْضَلَ مَـذْخُور

فكتبت أنا الجواب عن ذلك :

هَلِ الْبَرْقُ قَدْ وَشَّى مَطـارِفَ دَيْجُور أَوْ الصُّبْحُ قَدْ غَشّى دُجَى الأُفْقِ بـالنُّوْر
وَهَلْ نَسْمَـةُ الأَسْحـارِ جُرَّتْ ذُيُـولُهـا عَلى زَهْرِ رَوْضٍ طيِّب النّشْرِ مَمْطُوْر
وَهَيْهَـاتَ بَـلْ جَـاءَتْ تَحيَّـةُ جيْرَةٍ إلى مُغْرَمٍ في قَبْضَـةِ الْبُعْـدِ مَـأْسُـور
أَتَتْـهُ وَمَـا فيْـهِ لَعَـائِـدِ سُقْمِـهِ سَوَى أَنَّـةٍ تنبثّ مِنْ قَلْبٍ مَصْـدُوْر
فَلَمّـا تَهَـادَتْ في حُلِيٍّ فَصَـاحَـةٍ مَنَ النَّظْمِ عَنْ سِحْرِ الْبَلاغَـةِ مَـأْثُـور
أكبَّ عَلى تَقْبيلهَـا بَعْـدَ ضَمِّهـا إلى خَـاطرٍ مِنْ لَوْعَـةِ الْبَيْنِ مَكْسُـور

(١) في الوافي : « على الإطلاق » .
(٢) في الوافي : « داعية الصدى » . واليعفور : الظبي .

وَأَجْرى لَهـا دَمـعَ المـآقي وَلَمْ يَكُنْ ... يُقـابـلُ مَنْظـوْمَـاً سـواه بمَنْثُوْرِ[١]
فَـأَرْشَفَـهُ كأْسَ السُّلافَ خطـابُهـا ... وَغـازَلَـهُ مِنْ لَحْظِهـا أَعْيُنُ الْحُـورِ
فَكَمْ حِكْمَـةٍ فِيْهـا لَهـا الْحُكْمُ في النَّهى ... وَكَمْ مَثَـلٍ في غـايـةِ الْحُسْنِ مَشْهُوْرِ
يَرى كُـلّ سَطْرٍ في محـاسِنِ وَضْعِـهِ ... كَمِسْـكِ عِـذَارٍ فَـوْقَ وَجْنَـةِ كَـافُـوْرِ
فَـلا أَلِفٌ إلاّ حَكَتْ غُصْنَ بَـانَـةٍ ... وَهَمْـزَتُهـا مِنْ فَـوْقِهـا مِثْـلُ شُحْرُوْرِ
فَـأَصْبَـحَ لاَ يَثْني إلى الأَرْضِ جِيـدَهُ ... غَراماً وَلَمْ يَعْـدِلْ بِهـا وَرْدَةَ الْجَوْرِي[٢]
وَقَدْ كَانَتْ الأَطْمَاعُ نَـامَتْ لِيـاسِهـا ... فَلَمّـا أَتَتْ قَـال الغَرامُ لَهـا ثُـوْرِي[٣]
وَزَادتْ جُفـوْنَ الْعَيْنِ سُهْـداً كَـأَنَّما ... حَبَتْهَا بكُحْلٍ مِنْهُ في الجَفْنِ مَذْرُوْرِي
وَكَان الدُّجَى كَالْعَامِ فَـاحتقرتْ بِـهِ ... وَقَالتْ لَـهُ ميعـادُكَ النَّفْخُ في الصّوْرِ
وَلا تَرْضَ مِنْ نَـارِ الحَشَـا بـاتّقـادِهـا ... فَقَـدْ قَـذَفَتْ في كُلّ عُضْـوٍ بِتَنُّـوْرِ[٤]
وَمَـا شكَرَتْ عَيْني عَلى سَفْحِ عَبْرَتي ... عَلى أَنَّ محصُـوْلَ البُكى غَيْرُ مَحْصُـوْرِ
وَقَـالَتْ أَمَـا نحيـا الـدّمـوع لشـدَّة ... فَدَعْهـا تَفِضْ مِنْ زَاخِرِ اللّجِّ مَسْجُوْرِ
وَلَـوْ كُنْتُ أَلْقَى في الْبُكا فَرَجـاً لَمـا ... مَضَى الْيَـوْمُ حَتَّى كُنْتُ أَوَّلَ مَغْرُورِ[٥]
وَلَوْ كُنْتُ أَلْقَى الصبرَ هَانَتْ مُصِيْبَتي ... وَلَكنَّـه لِلْحَـظِّ في غَيْرِ مَقْـدُوْرِ
فَـإِنْ تَبْعَثُوا لي مِنْ زَكاةِ اصْطِبـاركُمْ ... فـإنّي لِمَـا تُهْـدُوْنَـه جَـدُّ مَضْرُوْرِ
سَلـوا اللّيـلَ هَـلْ آنستُ فيـه بِرَقْـدَةٍ ... فَما هُـوَ ممن رَاح يَشْهَـدُ بـالـزُّوْرِ[٦]
فَكَمْ لِيَ فيْـه صَعْقَـةٌ مُـوسَـويَّـةٌ ... وَلِلْقَلبِ مِنْ تَذْكَارِكُمْ دَكَّةُ الطُّورِ[٧]

---

(١) في الأصل : « منه بمنثور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٢) (س) ، (ط) والوافي : « الروض » .
(٣) (س) : « لناسها » .
(٤) في الوافي : « ولم مَرض » .
(٥) (ط) : « حنا اليوم » . وفي (س) والوافي : « مسرور » .
(٦) في الأصل : « منه برقدة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٧) في الوافي : « ذكراكم » .

تَشَفَّعتُ لِلْبَيْنِ المشِتِّ بكم عَسى ... يَعودُ هَـزيمُ القُرْبِ عَوْدةَ مَنْصُورِ[١]
عَلى أنّ جَـاه الحـظّ أكرمُ شَـافِـعٍ ... وَلَوْلاهُ لَم يُحْتَجْ إلى بنْت مَنْظُورِ[٢]
وَمَـا هُـوَ إلاّ الحـظّ يَعْترِضُ الْمُنَى ... وَلَوْلاَهُ كانَ الـدّهْرُ أَطْوَعَ مَـأْمُوْرِ[٣]
فَكَمْ في الْبَرايَـا بَيْنَ عـانٍ وَمُطْلَـقٍ ... وَسَـالٍ وَمَحْـزُوْنٍ وَدَانٍ وَمَهْجُـوْرِ
وليس سـوى التسليم لله والرضـا ... بقلب منيبٍ طـائـعٍ غير مقهـور
وحـاش لعـلاّم الخفيّـات في الـورى ... على ما ابتلاني أن أُرى غير مأجور[٤]

فكتب هو رحمه الله الجواب :

وردت المشرّفة السّامية بحُلاها ، الزاهية بعلاها ، المشتملة على الأبيات الأبيّات ، الصّادرة عن السَجيّات السّخيّات ، التي فاقت الكِنْديَّيْن[٥] ، وطوت ذكر الطّائِيين[٦] ، ما شئت من بدائع إيدَاع وروائع إبداع ، تَقِفُ الفَصاحةُ عندَها وتَقْفو البلاغة حـدّهـا ، فـالله ذلـك الفضل الوافي ، بل السحر الحلال الشـافي ، بل تلـك القُوى في القوافي ، بـل تلك المقاصد الّتي أقصدت المنى في المنافي ، بل تلك المعاني التي حيّرت الْمُعَـاني ، وفَعَلت في الألباب ما لا تفعله الثالث والمثـاني ، بل تلـك الأوضـاع الّتي حـاك الرّبيع وَشيَهـا ، وامتثل[٧] القلم أمرها ونهيها ، فهو يصرفها كيف يشاء مرسوماً ، ثقـة أنهـا لا تخـالف لـه

(١) في الأصل : « بالبين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٢) في الوافي : « ولو صح » . وابنـة منظور هي خولـة بنت منظور بن زبـان الفـزاري زوج عبـد الله بن الزبير ، وكانت النوار زوج الفرزدق قد لجأت إليها ، وشفعت لها ، فقال الفرزدق :

أمـا بنـوه فلم تنجـح شفـاعتهم ... وشفعت بنت منظـور بن زبـانـا
ليس الشفيع الـذي يـأتيـك متزراً ... مثل الشفيع الذي يأتيـك عريـانـا

انظر : وفيات الأعيان ٩٩/٦ ـ ١٠٠ .
(٣) وقع صدر البيت السابق عجزاً لهذا البيت في الوافي ، وكذا وقع فيه صدر هذا البيت عجزاً لذاك .
(٤) في الأصل : « مهجور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٥) هما امرؤ القيس ، وللقنع الكندي .
(٦) هما أبو تمام والبحتري .
(٧) (س) : « وأمسك » .

مرسوماً . لقد آل فضل الكتاب إليها وآلى فصل الخطاب لا وقف [إلا][١] بين يديها ، لقد صدرت عن رياض الأدب فجنَت زهرةُ اليَانع ، لقد أخذت بآفاق سماء البلاغة[٢] فلها قمراها والنجوم الطّوالع[٣] ، لقد أفحمت قائلة :

مَنْ يُسَاجِلْني يُسَاجِلْ مَاجِداً ... يَمْلأُ مِنْ آدابِهِ كُلَّ ذَنُوْب[٤]
لَقَدْ حَسُنَتْ حَتّى كَأَنَ مَحاسِناً ... تَقَسَّمَها هَذا الأَنَامُ عُيُوْبُ[٥]
هيَ الشَّمسُ تَدْنُو وَهي ناءٍ مَحَلُّهَا ... وَمَا كُلُّ دَانٍ لِلأَنَامِ قَرِيْبُ[٦]
تَخَطَّتْ إلى الْحُضْرِ الجِيَادَ نَباهَةً ... وَهَيْهاتَ مِنْ ذَاكَ الجَنَابِ جَنِيْبُ
وَحيَّتْ فَأَحيتِ بالأَماني مُتَيَّماً ... حَبِيْبٌ إِلَيْهِ أَنْ يُلِمّ حَبِيْبُ
يُذكّرني ذاكَ الجَمَالَ جَمالُها ... فَلَيْلي كَمَا شَاءَ الغَرامُ رَحِيْبُ
وَمالي إلاّ أَنَّةٌ بَعدَ أَنَّةٍ ... وَمالي إلاّ زَفْرَةٌ وَنَحِيْبُ
حَنينٌ لِعَهْدٍ غَادرَ القَلْبَ رَهْنَهُ ... وَعَلّمَ دَمْعَ العَيْنِ كَيفَ يَصُوبُ
وَذِكرى خَليلٍ لَمْ يَغِبْ غَيرُ شَخْصِهِ ... وَفي كلِّ قَلْبٍ مِنْ هَوَاهُ نَصِيْبُ
وَلَوْلا حَديثُ النَّفْسِ عَنْهُ بِعَوْدِهِ ... وَأَنَّ المُنَى تَدْعُو بِهِ فَيجيبُ[٧]

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) (س) والوافي : « الشرف » ، ولعلّها أشبه .
(٣) يشير إلى بيت الفرزدق :
أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع
(٤) كذا في الأصول والوافي ، ولا يخفى ما في البيت من خلل في وزنه ، وفيه إشارة واضحة إلى قول الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :
مَنْ يساجلني يساجل ماجداً ... يملأ الدلو إلى عقد الكَرَبْ
ووقع صدر البيت في الأصل هكذا :
مَنْ يساجلني يساجلني
وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي .
(٥) (س) : « محاسنها » .
(٦) (س) : « للعيان » ، وفي الوافي : « للعيون » .
(٧) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

لِمَـا اسْتَعْـذَبَ المـاء الـزلال لأنّـهُ إذا مَـــازجَ المـــاءَ الـزّلالَ يَطيْبُ

فبادرها المملوك لبنائها مُتعرفاً ، وبأرحبها متعرفاً ، وبولائها متمسّكاً وبثنائها متمسّكاً ، شوقاً إليها لا يبيد ولو عمّر عمر لبيد ، واقفاً على آمال اللّقاء وقوفَ غيلان بدار ميّة ، عاكفاً على أرجاء الرّجاء عكوف توبة على حب ليلى[1] الأخيليّة ، والله يتولاّه في حالتيه ظاعناً ومقيماً ، ويجعل السّعدَ لَهُ حيث حلّ خديناً والنُجْحَ خَديما ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

تنوحُ حمـامـاتُ اللّـوَى فَـأُجيْبُ ويَحضُرُ عِنْـدي عَـائِـدي فَـأُغيْبُ
وَقـد مَـلّ فرشُ السّقْمِ طـولَ تَقلّقي عَليْـــه بجنبي إذْ تَهبُّ جَنُـوبُ[2]
وَلَمّـــا بَكَتْ عَيني نَـواكَ تَعلّمتْ دَمـوعُ السّحـابِ الغرّ كيفَ تَصوْبُ
أيـا برْقُ إنْ حَـاكَيْتَ قَلبي فَلَمْ يَكُنْ لِنَـاركَ مَـعْ هَـذا الخفُـوقِ لَهيْبُ
ويَـا غَيْثُ إنْ سَـاجَلْتَ دَمْعي فَـإنّه يَفـوْتُـك مَـعْ ذا أنّـــةٌ وَنَحيْبُ
وَيَا غُصْنُ إنْ هَزّتْ مَعاطِفَكَ الصّبا فَما لَـكَ قَلْبٌ بِـالغَرَامِ يَـذُوْبُ
إذا جَفّ جَفْني ذَابَ قَلْبيَ أدْمُعـــاً فَللـــهِ قَلبٌ عـــادَ وَهـوَ قَليْبُ
أَبيتُ بجفْنٍ ليْسَ يَعْرِفُ مَـا الكرى وَأيُّ حَيـــاةٍ بـــالسُّهـــادِ تَطيْبُ
وَقَلبٍ إذا مـا قرّ عَـادَتْـهُ لَـوْعَـةٌ فَيَعْرُوْهُ مِن بَعْـــدِ الْقَرارِ وَجيْبُ
أَلاَ إنَّ دَهْراً قَـدْ رَمـاني بِصَرْفِـهِ لَـــدَهْرٌ إذا فكّرتَ فِيْـــه عَجيْبُ
ويَكْفي أَني بَيْنَ أَهْلي ومَعْشَري وَصَحْبي لبُعْدِي عَنْ حِمَاكَ غَرِيْبُ[3]

---

(١) ليست في (س) .

(٢) « عليه » ليست في (س) .

(٣) في الوافي : « ويكفي بأني » .

يقبّل الأرض[١] وينهي ورود المثال الذي تصدّق به مَولانا[٢] مَنْعماً ، وأهداه خميلةً فكم شفى زهرُها المنعّم من عمى ، وبعثه قلادة فكم أزال درّها المنّظم مِن ظمأ وأقامَهُ حجّة ، على أن مُرسله[٣] يكون في الإحسَان والآداب[٤] مالكاً ومُتَمِّماً[٥] ، فَبَلَلْتُ برؤيته غلة الظّمأ البَرْح ، وعاينت ما شاده من بنيَان البيَان ، فقلت لبلقيس عيني ادخلي الصّرح ، وقمت من حقوقه الواجبَة عليّ بما[٦] يطول فيه الشّرح ، وتلقّيته بالضمّ إلى قلب لا يَجبر منه الكسر غير الفتح ، وأسمَت ناظري من طِرسه في روضهِ[٧] الأُنُفِ ، وقسمت حليّه على أعضائي فللجيد القلائد وللفرق التيجان وللأذن الشُنُف ، ووردت منهله الصّافي والتحفت بظله[٨] الضّافي ، واجتليت[٩] مِنْ وجهه بشراً قابله الشُكر[١٠] بالقلم الحافي ، وعكفت منه على كعبة الفضل فلله ما نشر في استلامي وطوى في طوافي ، وكلّفت[١١] قلبي الطّائر جواباً فلم تقوَ القوادم وظهر الخواء في الخوافي ، وقلت هذا الفنّ[١٢] الّذي ماله ضريب ، وهذا وصل الحبيب البعيد ، قد نلته برغم الرقيب القريب :

فَيا عَيْنَيّ بِيْتا في اعْتِناقٍ وَيا نَومي قدِمْتَ على السَّلامَهْ

---

(١) قوله : « يقبّل الأرض » ليست في الوافي .

(٢) ليست في الوافي .

(٣) في الوافي : مَنْ أرسله » .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) ابنا نويرة التميمان . وقد اشتهرت مراثي متمم في أخيه مالك .

(٦) في الأصل : و (ط) : « ما » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الوافي : « الروض » .

(٨) في الوافي : « ظلّه » .

(٩) في الأصل : « وأجليت » ، وأثبتنا ما في (س)، (ط) والوافي .

(١٠) في الأصل : « بالشكر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(١١) في الأصل : « طواي وكلف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(١٢) في (س) ، (ط) والوافي : « الفن الفذ » .

وأقسم أن البيَان ما نكّب عمّا دبّجه مولانا ونكّت ، ولا أجراه الله على لسَانه إلاّ لمّا سكّت البلغاء وبكّت ، ولا آتاه هذه النّقود المطبوعة إلاّ وقد خلّصت القلوب من رقّ غيره وفكّت ، ولا وهَبَه الله هذه الكلم الْجَوامع إلاّ أن الأوائل أحسّوا بطول رسائلهم فقطّعوها من حيث رقّت ، والصحيح من حيث[١] ركّت ، فما كلٌّ كاتب يَدُهُ فم ولسانه فيه قلم ، ولا كلُّ متكلّم حُش بيانه تأتّم الهداة به كأنّه عَلَمْ[٢] ، ولا كلّ بليغ[٣] إذا خاطب الوليّ كلاّ أوْ كلّم العدوّ كَلَمْ ، لأنّ مولانا حرسه الله تعالى لا يتكلّف إذا أنشا ، ولا يتخلّف إذا وشّى ، والسّجع أهون عنده من النفس الذي يردده أو أخفّ[٤] ، والدرّ الذي يقذفه من رأس قلمه أكبر من الدرّ الذي في قعر البحر وأشفّ ، وإذا راضَ قَلمه روّض الطّروسِ من وقته ، وإذا أفاض كَلِمَهُ فوّض البيان أمْرَ مقته وَمِقته ، ومَا كَلِمُه إلاّ بحرٌ ، والقوافي أمواج ، وما قَلَمه إلاّ ملك البلاغة[٥] فإذا امتطى يده ركضت به من الطّروس على حلل الدّيباج ، فلهذا أخملت رسائلُه الخَمائل ، وتعلّمت منها[٦] الصّبا لطف الشّمائل ، وأخذت بآفاق البلاغة فلها قمرها الطّوالع ولغيرها نجومها الأوافل ، وانتقت أعالي الفضائل ، وتركت للناس فضالة[٧] الأسافل :

وَهذا الحقّ لَيْسَ بِهِ خفاءٌ فَدَعْني مِنْ بُنَيَّاتِ الطّرِيْقِ

فأمّا درّه الذي خرطه الجناس في ذلك[٨] السلك فما أحقّه وأولاه بقول ابن سناء الملك :

---

(١) قوله : « من حيث » ، ليس في الوافي .

(٢) يشير إلى بيت الخنساء المشهور :

وإنّ صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نارُ

(٣) (س) : « وليّ » .

(٤) في (س) ، (ط) والوافي : « وأخف » .

(٥) (س) : « البرايا » .

(٦) في الوافي : « منه » .

(٧) في الوافي : « فضالات » .

(٨) عبارة الوافي : « الذي خلطه الجناس وخرطه » .

فَذَا السَّجَعُ سجعٌ لَيْسَ في النَّثْرِ مِثْلُـهُ وَهذا جِنَاسٌ لَيْسَ يُحْسِنُـهُ الشعر[١]

فلو رأى الميكالي نمطه العالي[٢] وتنسّم شذى غـاليتـه العزيز الغـالي لقـال عطّلت هـذه الْمَحـاسن حـالي الحـالي وكنت من قبلهـا مـا أظن اللآلئ إلاّ لي ، ولو ظفر الحظيري[٣] بتلك الـدّرر حلّى بهـا[٤] تصنيفـه[٥] ، ولو بَلغ العمـاد الكاتب هـذه النكت رفعهـا على عرشه وعوّذها بآية الكرسي ، ودخل دار صمته وأغلق بـاب الفتح القُـدْسي[٦] ، فعينُ الله على هذه الكلم الّتي نفَثت في العُقَد ، وأيقظت جدّ هذا الفن الّـذي كان قَـدْ رَقـد ، فقـد أصَاب الناسُ بالسّهام ، وأَصَبْتَ أنت بالقرطاس ، وجـاؤوا في كلامهم بـالـذاوي الـذابل وجئت أنت بـالغضّ اليـانـع الغِراس ، وأبعـدت أنتَ[٧] في مَرمى هـذا الفنّ فقـاربـوا ، ولكن أين النّاس من هـذا الجنـاس ، وسبقت إلى الغـايـة ، ولو وقفت « مـا في وقوفـك ساعةً من باس »[٨] ، وقد قيل : بُدئ الشّعر بـأمير وخُتِمَ بـأمير ، يريـدون امرأ القيس وأبـا فراس ، وكـذا أقول بُـدئ بـالبُسْتي وخُتم بمولانـا ، وكلا كا [أبو الفتـح][٩] فَصحَّ القياس .

وقد أثنيت على تلك الرّوضة ولو وُفّقْتُ[١٠] لانثنيت ومَا أثنيت ، ووقفتُ[١١] عند

(١) في الأصل : « الشعرا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) في الأصل : « الغالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٣) سعد بن علي بن القاسم ، شاعر بغدادي ومؤلف ، له : زينة الدهر ، ولُمح الملح (ت ٥٦٨ هـ) . وفيات الأعيان : ٣٦٦/٢ .

(٤) في الوافي : « بها » .

(٥) في (س) ، (ط) ، والوافي زيادة : « وعلم أن أرباب الجناس لو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهبا ما بلغ مدّ مولانا ولا تصنيفه » .

(٦) هو الفتح القسي في الفتح القدسي ، للعماد الكاتب محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) والكتاب مطبوع .

(٧) ليست في الوافي .

(٨) صدر بيت لأبي تمام عجزه : « نقضي حقوق الأربع الأدراس » وهو مطلع قصيدة .

(٩) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

(١٠) (س) : « وقفت » .

(١١) في الأصل : « وقفت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

قدري فَما أَجَبت ، ولكن اتّقحت [١] وما استحيَيْت ، على أنّي لو وجدت لساناً قائلاً لقلت ، فإنّي قد وجدت أوّل البيْت وقد شغل وصف مثال مولانا عن شكوى حال المملوك [٢] الشّاقّة ، وأرجو أنّني أُوصيها شفاهاً إمّا في الدُّنيا وإما في يوم الحَاقّة :

إنْ نَعِشْ نَلتَقي وَإلاّ فَما أَشْغل مَنْ مَاتَ [عن] جَميعُ الأَنَامْ [٣]

قلت : كأنّ هذه الخاتمة كانت مني فألاً عليه ، فإنّا لم نلتق ، وحالت المنيّة بينه وبين الجواب ، والمرجوّ من الحليم الكريم أن يجمعنا في دار كرامته ورحمته .

وأنشدني رحمه الله تعالى من لفظه لنفسه ما كتبه [٤] إلى ابن عمّه :

تَمنّاهَا وَمَا عَقَدَ التَّمَائِمْ ... وشَابَ وَحُبُّهَا في الْقَلْب دَائِمْ
وَحَكّم لَحْظَهَا فَقَضَى عَلَيْه ... فَأَيْنَ مُجيرُهُ مِنْ جُوْرِ حَاكِمْ
وَطَارَحَهَا الْغَرامَ بِهِ فَقَالَتْ ... عَلِمتُ فَقَالَ مَاذا فِعْلُ عَالِمْ [٥]
مُعلّلَةُ الْمُتَيَّمُ وَالْغَوَاني ... حِبَالٌ وُعودهَا أَبداً رَمَائِمْ
أَمَا لي في وِصَالِكِ مَنْ نَصيْب ... وَلا لَكِ في عَذابي مِنْ مُسَاهِمْ
وَلا لي مَلجأً في الْخَطْب إلاّ ... سَليلُ الملك ذُو المَنَنِ الجَسَائِمْ [٦]
إلى ابْنِ أَبي الْحُسَيْنِ الْحُسْنُ يُعْزَى ... وَتَغْر الجُوْدُ عَنْ جَدْوَاه بَاسِمْ
هُمامٌ بالحروب لَهُ اهْتِمامٌ ... بِفَتْكٍ في العِدا لا في الغنَائِمْ
فَيُعْمِل رأيَهُ المَاضي شباه ... إذا نَبَتِ الأَسِنَّةُ واللّهَاذِمْ
وَيَثْبُتُ حَيْثُ مُشْتَجر الغَوالي ... وَيَمْضي حَيْثُ لا تَمْضي الصّوارِمْ

(١) من القحة ، مصدر : وقح الرجل .
(٢) في الوافي : « عن شكوى حالي » .
(٣) الزيادة من (س) ، (ط) والوافي .
(٤) (س) ، (ط) : « ما كتب به » .
(٥) (س) : « بها » .
(٦) في (س) : « سليل العم » .

ويَـأمَنْ عِنْـدَهُ الـلاّجي إليْـه وَلـوْ حَفَّتْ بِمُهجَتِـه الضَّراغِمْ
وَيقْصِـدُهُ السّليمُ فَـلا يُبـالي بِما أَعْيـاه مِنْ مِنْ سَمّ الأَراقِمْ

وَهِيَ طويلة ، وهذا القدر منها كافٍ .

وأنشدني من لفظه لنفسه غير مرّة :

فَقْري لِمَعْرُوْفِـكَ الْمَعْرُوْفِ يُغْنيني يـا مَنْ أُرَجِّيْـه وَالتَّقْصيْرُ يُرجيْني
إنْ أَوْبَقَتْني الْخَطَايَا عَنْ مَدى شَرَفٍ نجَا بِإدراكِـه النَّـاجُوْنَ مِنْ دُوْنِي[1]
أَوْ غَضَّ مِنْ أَمَلي مَـا شَـاءَ مِنْ عَمَلي فَـإنَّ لي حُسْنَ ظَنٍّ فيْـكَ يَكْفيْنِي

وأنشدني من لفظه لنفسه :

صَرَفْتُ النَّـاسَ عَنْ بَـالي فَحَبْـلُ وِدادِهِمْ بَـالي
وَحَبْـلُ اللهِ مُعْتَصَمي بِـه عَلّقْتُ آمَـالي
وَمَنْ يسـلِ الـوَرى طُرّاً فَـإنّي عَنْهُمُ سَـالي
فَـلا وَجْهي لِـذي جَـاهٍ وَلا مَيْلي لِـذي مَـالِ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

عـذيْري مِنْ دَهرٍ تَصَـدَّى مُعَـاتِبـاً لِمُسْتَمْنِحْ العُتْبى فأَقصَدَ مَنْ قَصَدْ
رَجَـوْتَ بِـهِ وَصْـلَ الحبيبِ فَعِنْـدَما تَبدَّى لَـهُ الْمَعْشُوْقُ قَـابَلَـهُ الرَّصَدْ[2]

وأنشدني من لفظه لنفسه ملغزاً في « قراقوش » :

ظَبيٌ مِنَ التُّركِ هَضِيْم الحَشَـا مُهَفْهَفُ الْقَـدِّ رَشِيْـقُ الْقَـوَامْ
لِلطّرفِ مِنْ تَـذْكارِهِ عِبْرَةٌ وَالقَلْبُ شَـوْقٌ أَرَقَ المسْتَهَـامْ

(١) في الوافي : « المطايا » .
(٢) في الوافي : « لي » .

وأنشدني إجازة ، ومن خطه نُقلت :

إن غَضّ مِنْ فقرنا قومٌ غِنى مُنحوا ... وكلّ حِزْبٍ بما أُوْتُوهُ قَدْ فَرِحُوا[١]
إنْ هُمْ أَضاعوا لِحِفْظِ المالِ دِيْنَهُمُ ... فإنَّهُمْ خَسِرُوا أَضْعافَ ما رَبِحُوا

وأنشدني في لفظه لنفسه :

يا بَديعَ الجمالِ شُكْرُ جَمالِكْ ... أنْ تُوافي عُشَّاقَهُ بوِصالِكْ
لِنْتَ عطْفاً لَهُمْ وَقَلْبُكَ قاسٍ ... فَهم يأخُذُوْنَ مِنْ ذَا لِذَلِكْ
غَيْرَ أنّ الجَمالَ أَوْلى بِذَا الْحُسْـ ... ـنِ ومَنْ لِلْبدُوْرِ مِثْل كَمالِكْ[٢]
قابلتْ وجْهَكَ السَّماءُ فشكل الـ ... ـبدْرِ ما في مرآتها مِنْ مِثالِكْ
مَثَّلْتُه لَكنْ رسُوْمُ صَداها ... كَلَّفَتْهُ فَقصَّرتْ عَنْ مِثالِكْ

١٧٧٣ ـ محمد بن محمد بن يوسف*

ابن نصر ، صاحب الأندلس أمير المسلمين أبو عبد الله بن الأحمر الخزرجي .

كان ملكاً جميلاً نبيهاً نبيلاً حسن السّياسة[٣] ظاهر الرياسة ، عاقلاً وقوراً ، فاضلاً يرسل من ذهنه على صيد المعاني صقوراً ، متظاهراً[٤] بالدّين متجاهراً بقمع الملحدين ، له نظم أرق من هبَّة نسيم سَحَرْ ، وأخلب من لحظ غادةٍ إذا رمق وسَحَر[٥] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ الروم ٣٢/٣٠ . ووقع في (س) ، (ط) والوافي : « فكل » .

(٢) (س) ، (ط) والوافي : « الكمال » . وفي الوافي : « مثل خيالك » .

* الوافي : ٢٠٦/١ ، والدرر : ٢٤٢/٤ ، ووقع في (س) : « محمد بن محمد بن محمد » سهو .

(٣) في الأصل : « السيادة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « متظاهر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في (س) : « سحر » ، بلا واو .

وكان قد قرأ العربيّة على الأستاذ أبي الحسن الأُبَّذي[١] وراح وهو على طريقه يَحْتذي .

ولم يزل على حاله إلى أن خانَه زمانه ، وغدر به سُلطانه ، فَخُلِعَ ثمَّ غُرِّق ، وَوزِّع سَعْدُه وفُرِّق ، وذلك في سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكان قد بويع السّلطان أبو عبد الله بعد والده سنة إحدى وسبعين وست مئة ، فتملك ثمانية أعوام ، ثمّ إنّه وثب عليه أخوه أبو الجيوش نصر[٢] ، وظفر به وسجنه مدّة ، ثمّ جهزّه إلى بلده شلوبينيّة[٣] ، فحبسه بها إلى أن تحرّك على نصر[٤] ابنُ أخته الغالب بالله وطلب نصر أخاه المخلوع إلى غرناطة فجعله عنده بالْحَمراء في بيت أخته ، ومرض أبو الجيوش نصر ، فأغمِي عليه ثلاثة أيّام ، فأحضر الكبراء أخاه ليملّكوه ، فلمّا عوفي[٥] أبو الجيوش تعجّب من مجيئه وأُخبر فغرَّقه خوفاً من شهامته ، وكان خَلْعُه وتغريقه في السَّنَةِ المذكورة .

أخبرني من لفظه شيخنا الإمام العلاّمة أثير الدين[٦] قال : رأيته بغرناطة مراراً بالمصلّى ، وأنشدته قصيدةً امتدحته[٧] بها ، وحضرت عنده إنشاد الشعراء في بعض أعياده ، ويُذكر أن له نظماً ، وقد اشتهر عنه وهو قوله يخاطب وزيره أبا سلطان عزيز بن علي الداني :

---

(١) علي بن محمد بن محمد (ت ٦٨٠ هـ) . بغية الوعاة : ٩٩/٢ .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « سلبونيّة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وشلوبينيّة : حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة . (معجم البلدان) .

(٤) (س) : « أبو نصر » .

(٥) في الأصل : « توفي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) (س) : « أثير الدين أبو حيان » .

(٧) في الوافي : « أمدحه » .

تَـــذَكَّرْ عَـزيـز لَيـــاليّنـــا وَأُنْســاً نُعَــاطي عَلى الفرقَــدَيْنْ
وَنحنُ نُـــــدبِّرُ في مُلْكِنَـــــا وَنُعْطى النُّضَــارَ بِكلْتَــا اليَــدَيْنْ
وَقَـــد طلبَ الصُّلـح منَّـــا اللّعيـ ـن فَما فَـــــاز إلا بِخُفّيْ حُنَيْنْ
إذا مـــا تُكاثِر إرْسَـــالُـــهُ يَكـون الجـوابُ شَبَـــا المرهَفَيْنْ
فلِمْ لاتشمِّر عَن ســـــاعِـــدٍ وَتضربُ بـــــالسَّيْفِ في المغْرِبَيْنْ
وَقَــدْ خَـدمَتْنـا ملـوكُ الـزّمـا نِ وَقَـدْ قَصَـدَتْنَـا مِنَ العَـدْوَتَيْنْ
فَنَسْـــأَلُ مِنْ ربِّنَـــا عَـوْنَـــهُ عَلى مَــانَـويْنَــا مِنَ الْجَــانِبَيْنْ

وممّا ذكر عنه قوله :

أَيـا رَبَّـة الْحُسْنِ الَّتي أَذْهَبَتْ نُسْكِي عَلى كُلّ حَالٍ أَنْتِ لابُدَّ لي منْـكِ[1]
فَـإمّـا بِـذُلٍّ وَهُـوَ أَلْيَـقُ بِـالْهَوى وَإمّـا بِعِـزٍّ وَهُـوَ أَلْيَـقُ بِـالْمُلْـكِ

انتهى .

قلت : وقد نظمت جوابه كأني حاضُرُه في وزنه ورويّه :

مَتى لاقَ بـالعُشـاق عـزٌ وَسَطْـوَةٌ كَـأَنّـكَ مِنْ ذُلِّ المحبّـة في شَـكِّ
تَلْـقَ الهـوى مَـعْ مَـا مَلَكْتَ بِـذِلَّـةٍ لِتَنْظَمَ مَـعْ أَهْـلِ المحبَّـةِ في سِلْـكِ

ولكنّه ظرَّف في كونه قدّم لفظ الذّل على العزّ .

١٧٧٤ ـ محمد بن محمد بن محمد*

ابن محمّد بن عبد القادر ، الإمام المفتي المدرّس ناصر الدين بن الصّايغ الدّمشقي .

كان من أعيـان الفقهـاء وسمع كثيراً ونظر في الرّجـال ، وعنيَ بـالمتون ، وسَمع من

---

(١) (س) : « أيّ حال » .

* الوافي : ٢٨٨/١ ، والشذرات : ١٢٣/٦ .

القاضي ، والمطعّم ، وعدّة . وكتب عن شيخنا الذّهبيّ . وقال شيخنا عنه : له عبادة وإنابة وتَسَنّن .

وتوفّي رحمه الله تعالى في طاعون دمشق سَنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وسبع مئة .

كان[١] مدرّس العماديّة .

١٧٧٥ ـ محمد بن محمد بن محمد*

الشيخ الفقيه القاضي فخر الدين أبو عبد الله الشافعي المعروف بابن الصّقلّي .

ناب في الحكم بالحكر ظاهر القاهرة إلى حين وفاته ، وصنّف كتاب (التنجيز في تصحيح التّعجيز)[٢] وَوَلي قضاء دِمياط .

توفّي رحمه الله تعالى في أواخر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وقد قارب السّبعين .

١٧٧٦ ـ محمد بن محمد بن محمد**

ابن خليفة بن نصر [الله] القاضي الرئيس الفاضل الكاتب أمين الدين ابن القاضي نجيب الدين [بن القاضي كمال الدين][٣] بن النحاس .

أتقن القَلَمَيْن إنشاءً وحساباً ، وتجاوَزَ غاية الفنّين ، فإذا دعاهما أجابَا ، وكان فيه رئاسة تشرَّبها قَلْبُه قديماً ، وصحب الناس على اختلاف حالتيه خادماً وخديماً .

---

(١) في (س) ، (ط) : « وكان » .

* الدرر : ٢٣٦/٤ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٤/١ ، والشذرات : ٧٩/٦ .

(٢) كشف الظنون : ٤٩٤/١ .

** الدرر : ٢٢٤/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من الأصول والدرر .

(٣) زيادة من (خ) .

ولّما كان في ديوان الأمير سيف الدين تنكز رأى من العز والوجاهة والصدارة والنباهة ما فاق به أبناء جنسه ، وجنى ثمر غرسه ، ونفخ في ضرم الكرَم ، وأبقى من الثناء ما لا انصرف ذكرهُ ولا انصرم . ثم إن الدهر قلب له المجنّ ، وأسدف ليلُ خموله وجنّ ، وانحرف عليه مخدومه ، وغابت من إقباله نجومُه ، ثم إنّه حنّ عليه بعض حُنُوّ وأسمى قدْرَهُ بعض سمو .

ولم يزل في عمالة الخزانة معروفاً بالضبط والأمانة إلى أن نحّى النحاس عن الحياة أجلُه ، ولم ينفعه ريثه ولا عجله .

وتوفي رحمه الله تعالى فجأة يوم الخميس سابع شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

ومولده في غالب الظن في[١] سنة إحدى وثمانين .

بات ليلة الخميس وأصبح بكرة نهاره ، فحكى لبعض أصحابه ، قال : رأيت في بارحتي كأني دخلت الحمام ومتّ ، وفي البارحة الأولى رأيت مِثْل ذلك ، ثم إنه اشترى لأهله حلوى ، لأنه كان ليلة الرغائب ، وجهَّزها مع أهله إلى تربة ولده بالمزّة ، وقال : أنا العصر عندكم ، ثم إنه دخل الحمّام وخرج منه ، فمات فجأة ، وما أذّن العصر إلا وهو عند أهله كما قال ، ولكن على النعش .

وكان أوّل أمْره قد توجه مع الأمير سيف الدين طقطاي الجمدار إلى نيابة الكرك ، ثم إنه عاد واستخدمه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى صاحب ديوانه عوضاً عن القاضي محيي الدين ، فصال وجال ، وكان [له][٢] ذكرٌ في دمشق وصيت وسمعة إلى أن تغيّر عليه بعد مدّةٍ[٣] فعزله ، وأخذ منه بعض شيء ، واستمر[٤] في إحدى وظيفتيه

(١) ليست في (س) .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) .
(٣) في (خ) : « تغير عليه مخدومه فعزله » .
(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « به » .

بديوان الإنشاء ، ثم إنَّه بعد مُدَيدَة لزم بيته ، وأقام على ذلك مدة . ثم إنه حَنّ عليه واستخدمه في نظر دار الطراز ، فباشرها مدّة ، ثم إنه تناقل هو وابن السابق[١] من عمالة الخزانة إلىنظر دار الطراز ، فاستمر[٢] أمين الدين في عمالة الخزانة بقلعة دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

ولما كان[٣] الأمير علاء الدين الطنبغا بدمشق تحدث له القاضي شهاب الدين بن فضل الله في أن يكون في جملة كُتّاب الإنشاء ، فرسم له بذلك ، وكتب بذلك توقيعه ، وعلّم عليه ، وطُلب ليباشر فاستعفى من ذلك .

وكان له نظم ونثر لا بأس بهما ، من ذلك ما نظمه وكتبه على (حسن التوسّل)[٤] وهو :

..... فأدركته منها بحسن التوسل

ونقلت من خَطّه صورة قصة كتبها على لسان قلعة الكرك تسأل أن يكون بها مُوقّعا وهي :

المملوكة المُملكة الكركيّة الشاكي على[٥] لسان حالها أكبر مصيبة[٦] وأعظم بليّة :

تقبل الأرض لدى مالك ... ساس الأقاليم برأي مصيب
وتشتكي جَوْرَ الزمان الذي ... قد خصها دون الورى بالصليب

---

(١) علي بن عبد الواحد ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٢) (خ) : « فباشر » .
(٣) في الأصل : « ولّما توفي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٤) حسن التوسل في صناعة الترسل للشهاب محمود ، وهو من أشهر كتب الإنشاء .
(٥) في (س) ، (خ) : « إلى » .
(٦) (س) : « الأكبر بمصيبة » ، وفي (خ) : « كبر مصيبة » .

وتنهي أنها من أعز المالك وأصعب المسالك ، قلعتها منيعة ، وهضبتها رفيعة ، وبقعتها وسيعة ، وذروتها باسقة وقُلّتها شاهقة ة ، وقد اتخذت لها الغمام لثاماً ، وزرقة السماء وشاما ، يكاد ساكنها يردُ من المجرة نهرها ويجالس[١] من النجوم زهرها ، وهي دار السلطنة الشريفة ، ومحلّ الأمن من الخيفة ، قد جمعت بين قرب الأرض المقدسة والشام ومجاورة الأنبياء والبلد الحرام ، ومع ذلك كلّه لسان إنشائها أقلف ، وقلم توقيعها من الحجارة أجلف ، ووليّه نصرانيّ الدين ، وفي ذلك إجحاف بالإسلام والمسلمين ، وكانت صابرة على البلوى ومحتسبة عند الله ما تقاسيه من هذه الشكوى ، لعدم مَن تنهي [إليه][٢] حالها وتبث مقالها ، إلى أن أعزها الله بعز الدين ، ومنحها[٣] منه بالرأي الصائب والفتح[٤] المبين :

أمير لـه حـزم وعـزم وفطنـة ورأي يجيد العقد والحل صائبه
تردّى بثوب العدل والباس والندى كما قال من قد أحكمته تجاربه:
«بصير بأعقاب الأمور كأنما تغازله من كل أمر عواقبه»

فلمّا حل ساحتها ، وأعاد لها بعد التعب راحتها ، وأزال عنها كل بوس وأضحك وجوه[٥] أملها العبوس ، حضر لديه منشئ هذه القصة ومزيل - إن شاء الله - هذه الغصّة عَبْد الأبواب الشريفة محمد بن محمد بن خليفة ممن غذِي بالإسلام ، ونسب إلى أنصار النبي عليه السلام ، وهي تسأل توليته ديوان إنشائها ، وإن لم يكن لذلك أهلاً ، لكنه أحق من هذا[٦] الأقلف وأولى ، لتكون المملوكة في ذلك كمن اتخذ سداداً من عوز أو تقلّدِ لعدم الدرّ الخرز :

(١) في الأصل : « ومجالس »، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) زيادة من (خ) .
(٣) (خ) : « الذي منحها » .
(٤) (خ) : « والنصر » .
(٥) (خ) ، (ط) : « وجه » .
(٦) (خ) : « ذلك » .

فـإن اقتضت آراءُ مـولى قـد سما بمفـاخر ومـآثر وبسـؤدد
أن يسعف الشـاكي إليـه برأفـة تـدنيـه من آمـالـه والمقصـد
فليصرفن هـذا اللعين ويغتنم إبـدالَـهُ لي بطْرُسـاً بمحمـد[١]

ويشرف هذا القلم[٢] الذي لا يبارى ، وليعمل بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى ﴾[٣] ويسلك هذه الصناعة أحسن مسلك ، معتمداً على قوله عز وجل : ﴿ وَلَعَبدٌ مُؤمِنٌ خَيْرٌ مِن مشْرِكٍ ﴾[٤] وينزهها من ذلك كأمثالها من الحصون ، آخذاً بقوله حلَّ اسمه : ﴿ لاَتَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونَ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادُّونِ ﴾[٥] .

وقد أرسلت المملوكة هذه القصة والسيل بالغ الزبا وخفيف بلله قد عمّ أعالي الربا ، فإن أُجيبت فاللومُ عداكم ، وإلا أنشدت : « فعلى علاكم » أنهت ذلك إن شاء الله تعالى .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بنظر دار الطراز ثالث[٦] عشري صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وهو :

رسم بالأمر العالي ـ لا زال يصطفي من كان أميناً ويكتفي بمن تتقلد الأيام من محاسنه عقداً ثميناً ، ويحتفي بمن يصبح نور كفايته على مرّ الليالي مُبيناً ـ أن يرتب المجلس السامي[٧] القضائي في كذا .. ركوناً إلى كفايته التي يزيد جمالها ويزين ،

---

(١) (خ) : « هذا الخبيث » . وفي الأصل : « بطرس محمّد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) المائدة : ٥١/٥ .
(٤) البقرة : ٢٢١/٢ .
(٥) المجادلة : ٢٢/٥٨ .
(٦) (خ) : « في ثالث » .
(٧) (خ) : « العالي » .

ويعيد جلالها ويعين ، ويبيد كل فضل[١] سواها ويبين ، ويستحق بمكانتها أن يقال له ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[٢] إذْ هو الخبير الذي إذا قام في أمر سدّه ، وتمنى بَدْرُ التمام لو نال بعض كماله وودَّه ، والفاضل الذي مر الزمان على محاسنه وهي لا تزيد[٣] إلا جدّة وجدّة ، وأعيا تعدادُ فضله أنامل الحُسّاب فما أمسكوا إلا على عدة وعدّة ، والكاتب الذي وشّى المهارق ، عُوّذ قلمه وطرسه بالقضيب والبُرْدة ، ورقم[٤] ابن مقلة تحت رقم خطّه ، وشهدت له بالحلاوة شَهده ، والبليغ الذي إذا قال قال الذي عنده ، وأعجلت رويّته القلم فلم تدعه يبلغ ريقه ولا يستريح في مُدّة مدّه .

فليباشر ذلك مباشرة هي في كفالة معرفته وكفاية خبرته ناظراً فيما يوشي ويوشع ، ويلم شمل الحسن في رقه ويُلمع ، متطلباً أعمال الصناعة بإتقانها ، وإقامة الحجة في النظر على صحة رقمهم بأدلتها وبرهانها[٥] ، متطلعاً إلى ضبط ما يصرف ، وعرفان ما يمكن أن يتوصل إلى كيفية إحسانه وكميّة أوزانه ويعرف ، حتى تكون هذه المباشرة حقيقةً في صحة النظر دون مجازهِ ، وينسى ابن سناء الملك لمحاسنها طراز داره ودار طرازه ، فإنه من هذه الوظيفة المباركة قد تسوّغ العذب النَّمير ، وفُوّض إليه النظر في جمال المأمور والأمير وزينة الكبير ، ولا حَظّ فيها للصغير ، فيقال : والصغير ، ينعم نظره منها في نعيم وملك كبير ، ويتفاءل منها بسعادة الآخرة فإنه بها في الدنيا في جنّة وحرير .

وتقوى الله ملاكُ الأمور فليكن طراز بروده وواسطة عقوده المتحلّي بها في صعود سعوده ، وليقابل هذه النعمة بشكر يوجب[٦] مزيد الخير المستمر والحمد الذي

(١) في الأصل : « فصل » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) يوسف : ٥٤/١٢ .
(٣) (خ) : « لا تزداد » .
(٤) قوله : « والكاتب .. » إلى ههنا ليس في (خ) .
(٥) (خ) : « على صحّة برهانها » .
(٦) في (س) ، (خ) : « يوجب له » .

يستقل بالأيادي الجزيلة ويستقر ، والله يزيده فضلاً من عنده ويوفقه إلى ما[١] يرشده إلى مظان سَعده ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٧٧٧ ـ محمد بن محمود*

ابن شمس الدين بن الكويك ، التاجر التكرتي .

أقام بدمشق مدة طويلة ، ورحل وأقام بالإسكندرية ، وصار من تجّار الكارم ، وكانت له في الإسكندرية صورة مشهورة[٢] ومعروف وبرّ .

توفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٧٧٨ ـ محمد بن محمود بن محمد**

ابن بندار ، الشيخ بدر الدين التبريزي الشافعي .

كان رجلاً مباركاً معروفاً بالصّلاح ، ولي القضاء في أماكن متعدّدة ، منها القدس وبعلبك ، ثم إنه نُقل من القدس إلى بلد الخليل عليه السلام خطيباً ، فأقام أشهراً يسيرة .

ومات رحمه الله تعالى في عاشر شوال سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٧٧٩ ـ محمد بن محمود بن ناصر***

ابن إبراهيم ، الشيخ الفقيه المقرئ المجوّد شمس الدين ابن الشيخ نجم الدين الزُّرعي الدمشقي المعروف بابن البصال .

---

(١) (خ) : « لما » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٣٧ ، والدرر : ٢٥٢/٤ .

(٢) ليست في (س) .

** الدرر : ٢٥٢/٤ .

*** الدرر : ٢٥٢/٤ .

كان مُقرئاً جيداً عارفاً بالقراءات ، حسن الصوت ، مليح الأداء ، أمّ بدار الحديث الأشرفيَّة مُدّة ، وكان الناس يقصدون الصلاة خَلْفَهُ في التراويح فيمتلئ المكان ويزدحم .

وكان صيّنا ديّنا متواضعاً ظاهر الخير ، وتصدَّر للإقراء مُدّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة[١] وقد تجاوز الأربعين من عمره .

١٧٨٠ ـ محمد بن محمود بن سلمان*

ابن فهد ، القاضي شمس الدين صاحب ديوان الإنشاء بدمشق ، وابن شيخنا العلاّمة شهاب الدين محمود صاحب ديوان الإنشاء بدمشق .

كان ساكناً وادعاً ، رادّاً عن الظلم رادعاً ، ليس من الشر في شيء وإن هان[٢] ، ولا عنده كبرٌ ولا له في الملق وجهان . وكان خطّه كالقلائد على اللبّاب ، والأزهار إذا كان للنسيم فيها[٣] هبات . جمع من إنشاء والده مجاميع ، وعلّق أشياء مطابيع :

كأنها من حسنها روضةٌ تسرح فيها مُقلةُ الناظر

ولم يزل على حاله إلى أن صرعته المنايا ، وصدعت شمل حياته الرزايا .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر شوال سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

---

(١) (س) : « ثمانية عشرة » . وفي الدرر : « ثمانون وثلاثين وسبع مئة » .

* الوافي : ١٢/٥ ، والدرر : ٢٥١/٤ ، والشذرات : ٨/٦ .

(٢) يشير إلى قول الحماسي :

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرّ في شيء وإن هانا

(٣) في (س) : « عليها » .

ومولده ثامن[١] شوال سنة تسع وستين وست مئة .

وكان يكتب خطاً نقشاً نغشاً مليحاً[٢] إلى الغاية ، وكان كثير التواضع لم يغيره المنصب ، وكان الأمير سيف الذي يحبه ويعزه ويكرمه ، ولّما جاء والده رحمه الله تعالى إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء كان هو حَوْلَ والده يكتب المطالعة ، هو والقاضي شرف الدين أبو بكر ولده ، وقد تقدم ذكره ، وكان إذا سافر الأمير سيف الدين تنكز إلى الصيود يسافر القاضي شمس الدين معه ، وتوجّه معه إلى الحجاز لعجز الشيخ شهاب الدين والده عن حركة السفر . ولّما توفي والده رحمه الله في شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة كتب فيه تنكز إلى السلطان فولاّه صحابة ديوان الإنشاء بدمشق على عادة والده ، ووصل توقيعه ...[٣] .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في التاريخ المذكور ، فما طالت المدة .

ولما مات رحمه الله تعالى رثاه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة بقصيدة أولها :[٤]

أطلق دموعك إنّ القلب مَعْذورُ ... وإنّه بيد الأحزان مأسورُ
وخلّ عينيك يهمي مِنْ مدامعها ... درٌّ على كاتب الإنشاء منثورُ
يسوءني ويسوء الناس أجمع يا ... بيت البلاغة أنّ البيت مكسور
في كل يوم برغمي من منازلكم ... ينأى ويذهب محمود ومشكور[٥]
خبا الشهاب فقلنا الشمس فاعترضت ... أيدي الردى فزمان الأنس ديجور
آهاً لمنظر شمسٍ لا يُذَمّ لها ... بالسعي في فَلَك العلياء تسيير[٦]

---

(١) (س) : « في ثامن » .
(٢) ليست في (س) .
(٣) كذا بياض في الأصول .
(٤) ديوانه : ٢٢١ .
(٥) في الديوان : « عن منازلكم » .
(٦) في الديوان : « لا يدوم لها ... تسيير » .

منها :

لهفي عليه لأخلاق مهذبة ... سعى الثناء بها والأجر مبرور[١]
تواضعٌ لاسمهِ منه ازدياد عُلا ... وفي التكبّر للأسماء تصغير
وهمّة بين خُدّام العلا نشأت ... فاللفظ والعَرْض ريحان وكافور
لا عيب فيه سوى فكر عوائده ... للحمد رقّ وللألفاظ تحرير
حتى إذا لاح مرفوع مدائده ... وراح ذيلُ علاه وهو مجرور
تخيَّرته أكفُّ الموت عارفةً ... بنقده وتَنَقّته المقادير

منها :

والمرء في الأصل فخّار ولا عجب ... أنْ راح وهو بكف الدهر مكسور
جادت ضريحك شمس الدين سارية ... يسي صداك لديها وهو مسرور[٢]

١٧٨١ ـ محمد بن محمود بن معبد*

الأمير بدر الدين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، وهو أخو الأمير علاء الدين ، وقد تقدم ذكره في حرف العين ، وأصلها من بعلبك .

أخذ الأمير بدر الدين هذا العشرة ، ثم الطبلخاناه ، وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى قد تغير عليه لما تغير على[٣] ناصر الدين دواداره ، ثم رضي عنه بعد ذلك وولاّه الصفقة القبليّة ، وكانت له نعمة طائلة ، وأملاك وسعادة[٤] .

وكان يحبّ الفضلاء ويكرمهم ، وعلى ذهنه تواريخ الناس ووقائعهم ، وعنده

(١) في الوافي : « سَعي » .
(٢) في الديوان : « شمس الدين سحب ندىً » . وفي الأصل : « إليها » ، وأثبتنا ما في (س) والديوان .
* الدرر : ٢٥٢/٤ .
(٣) في (س) ، (خ) : « على الأمير ناصر » .
(٤) قوله : « وكان الأمير سيف الدين » حتى ههنا ليس في (خ) .

مجلدات في الأدب وغيره ، ولم يكن يقدر أحد يحجّه ولا يخصمه إذا سارعه[١] أو حاكمه ، وكان شكلاً طويلاً بطيناً دون أخيه علاء الدين .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ودُفن إلى جانب بيته داخل دمشق .

١٧٨٢ ـ محمد بن مختار*

الفقيه الفاضل شرف الدين الحنفي .

كان جيّد الذهن ، يعرف الهندسة جيّداً ، وله يد طولى في الهيئة والحساب ، وكان في الأصل صائغاً ، فتسلط بالصياغة[٢] على معرفة كتاب الحيل لبني موسى[٣] وكان يصنع بيده أشياء[٤] غريبة ويقدّمها للأمير سيف الدين قجليس الناصري ، فراج عنده بذلك ، وأخذ له فقاهات في المدارس[٥] الحنفيّة . وكانت له يد في المنطق ، وكان يحب الأدب ، ولم يكن له فيه يدّ بل ولا ذوق .

اجتمعت به بقلعة الجبل غير مرّة وجرَت بيني وبينه مباحث أصولية ، وكان يميل إلى رأي الفلاسفة ، وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد العسجدي[٦] أبياتاً أنشد فيها ، منها أولها :

ليس ابنُ مختـــار في كفر بمختـــار وإنمـــا كُفْرُه تقليـــدُ كفّـــار

---

(١) في الأصل : « شارعه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والمسارعة : المبادرة .

* الوافي : ١٤/٥ ، والدرر : ٢٥٤/٤ .

(٢) (خ) : « صانعاً ... بالصناعة » .

(٣) هم ثلاثة أخوة محمّد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر عاشوا في عصر المأمون في دار الحكمة ، وينسب إليهم كتاب الحيل . انظر ، وفيات الأعيان : ١٦١/٥ وما بعدها .

(٤) (س) ، (خ) والوافي زيادة : « منها أشياء » .

(٥) (س) : « بالمدارس » .

(٦) أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٧٨٣ ـ محمد بن مسعود*

ابن أيوب بن التوزي ، بالتاء ثالثة الحروف وبعد الواو زاي ، القاضي بدر الدين الحلبي ، محدث حمص .

طلب الحديث واجتهد ، وخرَّج لنفسه أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشري شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة .

ومولده بقلعة حلب سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت الأربعين التي له عليه ، وكتبها لي بخطّه ، وروى لنا عن عبد الله بن النحاس[١] ، والصدر البكري ، وخطيب مردا ، وإبراهيم بن خليل ، وضياء الدين صقر[٢] ، والكفرطابي وجماعة .

١٧٨٤ ـ محمد بن مسعود ، صلاح الدين**

اجتمعت به غير مرّة بالقاهرة وبقلعة الجبل ، وأنشدني كثيراً من شعره ، ومما أنشدنيه من لفظه لنفسه في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة[٣] :

صرْفُ الـــــــزبيبي لصَرْف همّي نص على نَفْعِـــــــــــهِ طبيبي
آهٍ على سكرةٍ لعلي أن أخلـــــط الهمَّ بـــــالـــــزبيبي

---

* الوافي : ٢٤/٥ ، والدرر : ٢٥٦/٤ .

(١) عبد الله بن الحسن الدمشقي (ت ٦٥٤ هـ) . السير : ٢٠٨/٢٣ .

(٢) في الأصل : « صفر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، وسلفت الإشارة إليه .

** الوافي : ٢٤/٥ ، الدرر : ٢٥٧/٤ .

(٣) في الدرر : « قلت : ورأيتها في ديوان إبراهيم المعمار » .

١٧٨٥ ـ محمد بن مسعود بن أوحد بن الخطير*

الأمير ناصر الدين بن الأمير بدر الدين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، وسيأتي ذكر والده .

كان فيه شمم ، وبه عن الخنا صمم ، يأخذ نفسه بعظمةٍ زائدة ، ويرى أنها على أبناء نوعها سائدة ، لا يُذعن لأحد ، ولا يذل لكبير اعترف له بالفضل أو جحد . تمتدّ آمالهُ ولا تقف عند غاية ، ويحدّث نفسه بأمور مالها نهاية . يتجمل في ملبوسه ومركوبه ومسكنه ، ويجعل النظافة والصلف من دأبه وديدنه . طويل الروح في المخاصمة لا يرجع عمّن حاوره[١] ولوحزّ غلاصمه ، يركب في خدم وحشم وحفدة ، ويُجمِّل الموكب الذي أمَّه وقصده .

ولم يزل راقياً في أوج شبابه ، صاعداً في معارج عيشه الذي انتهى به إلى انتهابه ، إلى أن اخترقه حمامُه ، وانهدّ بالموت يذبله وشمامه[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة الجمعة سادس عشري جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومولده بدمشق في سنة ست وعشرين وسبع مئة .

مات والده رحمه الله تعالى وهو أمير عشرة فلم يزل يسعى[٣] ويبذل إلى أن أخذ إمرة الطبلخاناة بعد توجّهه إلى مصر ، وأخذ لأولاده إقطاعات جياداً في حلقة دمشق ، وكان سعيد الحركات مجتهداً في تحصيل الأملاك وغيرها ، ويغالي في الخيول والملبوس

---

* الدرر : ٢٥٤/٤ .

(١) (س) : « حاوله » .

(٢) يذبل وشمام : جبلان لباهلة .

(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « ويجتهد » .

وفي رخت الإمرة ، ويركب [وينزل][١] في جماعة من مماليكه وجنده وأولاده ، وكان يمنّي نفسه ويعدها أموراً عالية من الولايات والمناصب ، ولو عاش وأمهلهُ الدهر لنال ما يطلب لحُسن تأتيه[٢] وجميل [سلوكه][٣] .

وكان والده رحمه الله تعالى يثق بعقله ويركن إليه دون إخوته ، وكان قد رغب إلى الأمير سيف الدين تمر المهمندار وخطب منه[٤] قطلو ملك ابنة الأمير شرف الدين موسى ابن الأمير علاء الدين علي ابن الأمير سيف الدين منكوتمر ، وكتبت أنا الصداق له من رأس القلم وهو :

الحمد لله الذي أيّد هذا الدين بناصرِهِ ، وشيد قواعده بشَدّ أواخيه وإحكام أواصره ، وخصّه بكرم أبوّته وطيب عناصره .

نحمده على نعمه التي منها الهداية إلى اتباع السنة ، والعناية بما يؤدّيه[٥] إلى سلوك الطرق التي توصل إلى الجنة ، والرعاية لأعمال تكون النفس بها يوم الفزع الأكبر مطمئنة .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تخفف[٦] بين سرادق العرش أعلامها ، وتُشرق في الحنادس المظلمة أقمارها ، وقد كمل نورها وتمامها ، وتورق غصون الإيمان بأدلتها إذا انشقت عن زهرات اليقين أكمامها .

ونشهد أن سيدنا محمداً[٧] عبده ورسوله الذي حَضّ على النكاح ، وحث على تجنّب

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) (خ) والدرر : « تأنيّه » .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) .
(٤) (خ) : « إليه » .
(٥) في الأصل : « ما » ، وفي (س) ، (خ) : « بما يؤدي » .
(٦) (خ) : « تحقق » .
(٧) في الأصل : « محمّد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

السفاح وحصَّ قوادم[١] الباطل ، وراش جناح النجاح ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حافظوا على اقتفاء آثاره ، وبلغوا الأمة ما وصل إليهم من سُنَنِه[٢] وأخباره ، وكاثروا النجوم الزاهرة بمُهَاجريه وأنصاره ، صلاة لا تُحط البوارق من رضوانها لثاماً ، ولا تشق السوابق من غفرانها غماماً ما عُقد نكاح ، وفُقد سفاح ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين وبعد :

فإن النكاح من مزايا هذه الأمة ومحاسنها التي تجلو بأنوارها الحنادس المدلهمَّة ، والسنة بذلك طافحة ، وفي كل مكان منها نافجة نافحة ، فمن ذلك ما هو في بيانه ووضوحه كالعَلَم ، وهو قوله عليه السلام « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم »[٣] .

وكان المقر الكريم العالي المولويّ الأميري الناصري محمد بن الأمير المرحوم بدر الدين مسعود بن الخطير ممن طاب فرعاً وأصلاً ، وحوى[٤] الفضلين حكماً وفصلاً[٥] ، وحاز المنقبتين قلماً ونصلاً ، وتفرّد بالمحاسن التي فضلُها للعيان مشهود ، وروضها بغمام الكمال مجود ، وحَوضها لك ناهل مورود ، وحديثها في الناس مشهور ، **وما أصدق من** روى حديث ابن مسعود ، ومحله في السيادة أثيل وأثير ، وباع رُمحِه في البأس طويل ولسان السيف من غيره قصير ومناقب بيته فعمدة كل خطيب وَصفُ بني الخطير :

من النفر الغرّ في قـــــــومهم فطالوا أصولاً وطابوا جدودا[٦]

(١) في الأصل : « وحصّ على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . والحصّ : القطع ، والقوادم : مقدّم ريش الطائر .

(٢) (س) : « سنته » .

(٣) انظر : الجامع الصغير للسيوطي ١٣٠/١ . وفي (خ) : « مباه » .

(٤) في الأصل : « وحكى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل و (س) : « فضلاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٦) في الأصل :« تطاولوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

أنـــاروا الليـــالي وهـــزّوا العـــوالي وشـادوا المعـــلي وزانـوا الـوجـودا[١]
لفضـــل الخطير انتهى مجـــــدُهم فـلا زال في كل عصر جـــديـــدا
إذا غـــاب بـــدر بـــدا كـوكب منـــازِلُـــهُ تستـــديم السعـودا
ونـــــاصرهم فضلُـــــه بيّن فمـــــا تلتقي لعـــلاه حســـودا
فيـاهَـلْ عنـــاه الـــذي قـــال في سـواه فعن وصفـــه لن يحيـــدا[٢]
أمير أمير عليـــــه النـــــدى جـواد بخيـل بـــأن لا يجيـــدا [٣]

فلـذلـك تمسـك بـالسبب المتين [٤] من السنـة ، وآثر الاتصـال بمن حجـابهـا بيْض السيوف وحجَّابها [٥] زُرْق الأسنة [٦] ، ورغب إلى المقر الشريف العـالي المولوي الأميري السيفي تمر أمير مهمندار :

غـــدا في الـزمـــان كبير الأنـــا م بتـــــدبيره تستقيم الـــــدُّول
بعقـــــــلٍ رصين ودينٍ متين وفضـــل مُبين وجـــود كمـــل
ومـــا نظرت مقلـــة مثلـــه على من مضى في الملـــوك الأُوَل
إذا أشكل الأمر في حـــالـــه أبـان الهـدى للـورى فـانفصل[٧]

وخطب الجهة المصونة الخاتون قطلوملك[٨] ابنة الأمير المرحوم شرف الـدين موسى لأنها في كفاية كنفه ، وظل حجره وتصرفه ، ومهاد برّه وتلطفه ، وعناية إقبالـه عليهـا وتعرفه :

(١) في الأصل : « أثاروا .. الجدودا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « لا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (س) ، (خ) : « يجودا » .
(٤) (خ) : « المبين » .
(٥) في الأصل : « وحجالها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٦) في الأصل : « الأعنّة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٧) (س) : « حالة » .
(٨) في الأصل : « قطوبك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وتقدّم ذكرها قبل قليل .

لا يبعث النجم طرفاً نحو مطرفها وكيف يلحظ طرفاً بالعفاف عمر[١]
ولا تجوز الصبا من دون مضربها ولا تمر عليها وهي عند تمر[٢]

١٧٨٦ ـ محمد بن مسكين*

الإمام عز الدين القرشي الزهري .

توفي في جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة بالمصّاحبة بمصر[٣] ودفن بالقرافة .

وكان من أعيان الفقهاء ، متزهداً مُدَرّساً بالمدرسة المجاورة لقبر الشافعي رضي الله عنه . ووليها بعده القاضي مجد الدين حرمي ، وكان الشيخ عز الدين بن مسكين قد عين لقضاء الشام فما اختار فراق الوطن . وروى عن الرشيد العطار .

١٧٨٧ ـ محمد بن مسلم**

بتشديد اللام ، ابن مالك بن مزروع الزيني ثم الدمشقي الصالحي ، الشيخ الإمام العالم ، بركة الإسلام ، قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله الحنبلي .

سمع الكثير وله حضور على ابن عبد الدايم ، وسمع من الشيخ شمس الدين وطبقته ، وخرّج له ابن الفخر (مشيخةً) في مجلدة ، وسمعها منه خلق ، وخرّج له ابن سعد[٤] (الأربعين المتباينة الأسانيد) ، وخرّج له المزّي (تساعيّات) ، وخرج له الذهبي جزءاً ، وأجاز له من مصر جماعة من أصحاب البوصيري .

كان من قضاة العدل في أحكامه ، ومن أئمّة الهدى في نقضه وإبرامه ، مُطّرح

(١) (س) : « ربعاً بالعفاف » .
(٢) في الأصل : « مطرفها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
* الدرر : لم نقف على ترجمته .
(٣) (س) : « من مصر » .
** الوافي : ٢٨/٥ ، والبداية والنهاية : ١٢٦/١٤ ، والدرر : ٢٥٨/٤ ، والشذرات : ١٣/٦ .
(٤) أحمد بن محمّد بن سعد المقدسي ، سلفت ترجمته في موضعها .

التكلّف في أحواله ، متوخي الصدق والحق في أقواله ، عمّر الأوقاف وضبطها ، وحاسب العمال وأمسك القواعد وربطها ، وحرّر الإسجالات ، وتوقف في العدالات ، ولازم الورع والتحري ، ومنع الظلمة من التعدي والتجري ، وباشر أمور الحكم بقوة وصلابة في الدين ، وكف يد الظلمة[١] والمعتدين ، فهو كما قال أبو الطيب[٢] :

قاضٍ إذا اشتبه الأمران عنّ له ... رأيٌ يفرق بين الماء واللبن[٣]
القائل الصدق فيه ما يضرّ به ... والواحد الحالتين السرّ والعلن

ولم يزل على حاله إلى أن حج ، وقبض عليه بالمدينة الشريفة ، ونقل إلى الدار الآخرة والملائكة به مطيفة .

وتوفي رحمه الله تعالى في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة في صفر .

توفي والده وكان ملاّحاً في سوق الخيل[٤] ، وله ست سنين ، وحفظ القرآن ، وتعلم الخياطة ، واشتغل ، وتفقّه ، وبرع في الفقه والعربية ، وتصدر لإقرائهما وتخرج به فضلاء . ولم يطلب تدريساً ولا فُتيا ، ولا زاحم على الدنيا .

وسمع شيخنا الذهبي بقراءته الأجزاء ، وكان ربما يكتب الأسماء والطباق ويذاكر ، وبقي مدة على الخزانة الضيائية . ولَمّا توفي قاضي القضاة تقي الدين سليمان عين[٥] للقضاء ، وأثني عليه عند السلطان بالعلم والنسك والسكينة ، فولاه القضاء ، فتوقف[٦] ، وطلع إليه

(١) في (س) : « يد العدوان من الظلمة » ..
(٢) ديوانه : ٢١٥/٤ .
(٣) في الديوان : « يخلص بين » .
(٤) في الوافي : « الجبل » .
(٥) (س) : « عيّن هو » . وسليمان هو ابن حمزة ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٦) في الأصل : « وتوقف » وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

الشيخ تقي الدين بن تيميّة إلى بيته ، وقوّى عزمه ، ولامه ، فأجاب بشرط أن لا يركب بغلة ، ولا يأتي موكباً ، فأجيب ، وكانت قراءة تقليده ، سادس عشر صفر سنة ست عشرة وسبع مئة .

وكان ينزل من الصالحية إلى الجوزية ماشياً ، وربما ركب حمار مكار ، وكان مئزره سجادته ، ودواة الحكم زجاجة ، واتخذ فرجية مقتصدة من صوف ، وكبّر العمامة قليلاً ، ونهض بأعباء الحكم بعلم وقوة ، وعمّر الأوقاف ، وحاسب العمال ، وحكم إحدى عشرة سنة ، وشهد له أهل العلم والدين أنه من قضاة العدل .

وحجَّ مرات ، وانتصر لابن تيمية ، فحصل له أذى ، فتألم وكظم ، وسار للحج بنيّة المجاورة فمرض من العلا[1] ، ولما وصل المدينة تحامل حتى وقف مسلّماً على النبي ﷺ ، ثم أدخل إلى منزل ، فلما كان في السحر توفي رحمه الله تعالى ودفن بالبقيع .

١٧٨٨ ـ محمد بن مصطفى بن زكريا*

ابن خواجا بن حسن ، فخر الدين التركي الصُّلْغري ، بالصاد المهملة واللام الساكنة والغين المعجمة ، وبعدها راء ، الدوركي ، بالدال المهملة والواو الساكنة والراء والكاف ، وصُلْغر : فخدّ من الترك ، ودورك : بلد من الروم .

كان شيخاً فاضلاً في الأدب ، وممن ينسل إليه من كل حَدَب ، فقيهاً في مذهب أبي حنيفة ، نبيهاً وهمته في الرتب منيفة ، نظم (القدوري)[2] في الفقه نظماً جيّداً وضبط فروعه مقيداً ، ونظم قصيدة في النحو استوعب فيها أكثر (الحاجبية)[3] سرداً ، وأتى فيها بأحكام كثيرة ، طرّزها للنحو حلة وبرداً .

---

(١) موضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام . (معجم البلدان) .

* الوافي :٣١/٥ ، ونكت الهميان : ٢٧٤ ، والدرر : ٢٥٩/٤ ، والبغية : ٢٤٦/١ .

(٢) في فروع الحنفية للإمام أحمد بن محمّد القدوري (ت٤٢٨هـ) .

(٣) هي كافية ابن الحاجب .

وكان خطه يخجل العقود المنظمة والرياض التي برودها بالأزهار مُسهَّمة ، يتلو القرآن غالب وقته ، وله فيه نغمة طيبة أشهى من سجع الحمام في روض أينع في نبته ، مع تواضع زانه وقوّم ميزانه .

ولم يزل على حاله إلى أن أضر ، ولازم لحين أجله وأصر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده بدورك سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدين قال : أخذنا عنه لسان الترك ولسان الفرس ، وكان عالماً باللسانين يعرفهما إفراداً وتركيباً ، أعانه على ذلك مشاركته في العربية[1] . وله قصائد كثيرة منها قصيدة في قواعد لسان الترك ، ونظمٌ كثيرة في غير فن ، وأنشدني كثيراً منه .

ودرّس بالحسامية الفقه على مذهب أبي حنيفة ، وكان قد تولى الحسبة بغزة قديماً ، وقد أدّب بقلعة الجبل بعض أولاد الملوك .

قلت : هو السلطان الملك الناصر محمد ، قال : وعَمي في آخر عمره .

وأنشدني من قصيدة مدح بها النبي ﷺ :

قيل اتخذ مدح النبي محمد ... فينا شعارك إن شعرك ريّقُ
وعلى بنانك لليراعة بهجةٌ ... وعلى بيانك للبراعة رَوْنق
يا قطب دائرة الوجود بأسره ... لولاك لم يكن الوجود المطلق
مذ كنت أوّله وكنت أخيره ... في الخافقين لواء مجدك يخفق
كلّ الوجود إلى جمالك شاخص ... فإذا اجتلاك فعن جلال يطرق

(١) في (س) والوافي : « علم العربية » .

كنت النبيَّ وآدمٌ في طينـــــــه ما كان يعلم أيّ خلـق يخلـقُ
فـأتيت واسطـة لعقـد نبـوّة منهـا أنـار عقيقهـا والأبرق

١٧٨٩ ـ محمد بن مظفر بن عبد الغني*

الشيخ الفقيه محيي الدين القصاع .

كان ممن حصّل وقرأ القراءات والفقه والأصول ، وتميّز . وسمع كثيراً من ابن جعوان وغيره .

وتوفي بطرابلس رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٧٩٠ ـ محمد بن معالي بن فضل الله**

ابن معالي بن بركات بن محمد بن أبي نصر بن الملاّق ، الشيخ زين الدين أبو عبد الله بن الملاّق ، بتشديد اللام ، الرّقي[١] .

كان مباشراً في ديوان السكر أقام بدمشق أربعين سنة ، وولي أبوه الوزارة والقضاء بالرقة . وجدهم أبو نصر بن الملاّق ، نقله المعتصم من بغداد إلى الرقة وولاه الخطابة بها .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه جزء البانياسي بالإجازة عن جماعة من البغداديين منهم الشيخ شهاب الدين السهروردي[٢] ، وعبد السلام الداهوي[٣] ، وعلي بن الجوزي[٤] ، وعبد اللطيف بن الطبري[٥] ، وإسماعيل بن باتكين .

---

* لم نقف على ترجمة له .

** لم نقف على ترجمة له .

(١) ليست في (س) .

(٢) عمر بن محمّد بن عبد الله (ت ٦٣٢ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

(٣) عبد السلام بن عبد الله الداهري (ت ٦٢٨ هـ) ، السير : ٣٠٤/٢٢ .

(٤) علي بن عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٦٣٠ هـ) ، السير : ٣٥٢/٢٢ .

(٥) عبد اللطيف بن عبد الوهاب بن محمد الطبري (ت ٦٢٩ هـ) ، الشذرات : ١٣٢/٥ .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وست مئة بعد رحيل التتار عن دمشق .

ومولده بالرقّة في شعبان سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

١٧٩١ ـ محمد بن مفضل*

ابن فضل الله ، الرئيس الصدر الكبير ، الدين ، محيي الدين المصري الكاتب .

كان صدراً في المجالس ، وبدراً في الحنادس ، نبيهاً نبيلاً ، وجيهاً جليلاً ، ديّناً خيّراً مهيباً ، صيّناً وقوراً أريباً ، يلازم الصلوات الخمس في الجامع الأموي ، لا يُخلّ بذلك ولو حال بينه وبين الجامع سنا الأسنة في عِثير السنابك[١] .

ولم يزل على حاله إلى أن توفّى اللهُ[٢] الْمُحْيِي فمات ، ونزل به من عِداه الشمات .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ودفن في تربة بني هلال بالصالحية وعمره ستة وأربعون سنة .

كان أولا يعرف بكاتب قبجق ، وكان صاحب ديوان الأمير سيف الدين تنكز ، ومن جملة كتاب الإنشاء بدمشق ، ومستوفي الأوقاف ، ولم يكن عند مخدومه في أبناء جنسه له نظير ، محلّه عنده عظيم إلى الغاية . وكان يحب الصالحين والفقراء ويودهم ويبرهم ، وسار في دمشق سيرة جميلة حميدة ، وكان مغرى بتحصيل المصاحف ، فيقال إنه وجد في تركته أربع مئة مصحف .

وهو عم القاضي علم الدين بن قطب الدين ناظر جيش الشام[٣] ، وهو الذي خرجه ودَرَّبه .

---

* الدرر : ٤/٢٦١ .

(١) العثير : هو العَجَاج الذي تثيره حوافر الخيل .

(٢) في الأصل : « رحمه الله » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٣) محمد بن أحمد بن مفضل ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٧٩٢ ـ محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج*

أقضى القضاة ، الإمام العالم شمس الدين القاقوني ، نسبة إلى قاقون الساحل[١] ، الحنبلي نائب قاضي القضاة جمال الدين المرداوي الحنبلي وزوج ابنته .

كان قد برع في الفروع ونال الغاية فيها من الشروع ، ومهد في الأحكام وبهر في الأحكام ، يستحضر فروعاً كثيرة من مذهبه كلها غرائب ، ويرسل منها في أغراضه سهاماً صوائب .

ولم يزل على حاله إلى أن خاب الأمل في ابن مفلح ، وانقطع الرجاء فيه من المفسد والمصلح ، وكانت له جنازة حافلة ، وساعة بالتعجب كافلة ، وتوفي رحمه الله تعالى يوم الخميس ثاني شهر رجب الفرد سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً بعد عشر وسبع مئة .

١٧٩٣ ـ محمد بن مكرَّم**

بتشديد الراء ، ابن علي بن أحمد الأنصاري الرُويفعي الأفريقي ، ثم المصري ، القاضي الفاضل جمال الدين أبو الفضل ، مِن وَلَدِ رُويفع بن ثابت الصحابي رضي الله عنه[٢] .

---

* الدرر : ٢٦١/٤ ، والشذرات : ١٩٩/٦ ، وذيول العبر : ٣٥٢ .

(١) قال ياقوت : حصنٌ بفلسطين قرب الرملة ، وقيل : هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (معجم البلدان) .

** الوافي : ٥٤/٥ ، ونكت الهميان : ٢٧٥ ، وفوات الوفيات : ٣٩/٣ ، والدرر : ٢٦٢/٤ ، والشذرات : ٢٦/٦ .

(٢) توفي سنة (٥٦ هـ) . الأعلام : ٣٦/٣ .

سمع من يوسف بن المخيلي[١] ، وعبد الرحيم بن الطفيل[٢] ، ومرتضى بن حاتم[٣] ، وابن المقيّر ، وطائفة . وتفرد وعُمّر وكبر وأكثروا عنه ، وكان فاضلاً وعنده تشيّع بلا رفض . خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ، وأتى في عمله[٤] بما يخجل النجوم الزاهرة ، وله شعر غاص على معانيه [وأبهج به نَفْسَ مَنْ يعانيه][٥] . وكان قادراً على الكتابة لا يمل من مواصلتها ، ولا يولّي عن مناصلتها . لا أعرف في الأدب وغيره كتاباً مطولاً إلا وقد اختصره ، وزوّق[٦] عنقوده ، واعتصره ، تفرد بهذه الخاصة البديعة ، وكانت همته بذلك في بُرْد الزمان وشيعه .

ولم يزل على حاله إلى أن خبا من عمره مصباحه [ونُسِخ بدجا الموت من الحياة صباحه][٧] .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده في أول سنة ثلاثين وست مئة .

وكان قد ولي نظر طرابلس ، وهو والد القاضي قطب الدين بن المكرم ، وقد تقدم ذكره .

وكتب عنه شيخنا الذهبي .

وأخبرني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : وُلد المذكور يوم الاثنين

---

(١) يوسف بن عبد المعطي بن منصور (ت ٦٤٢ هـ) . السير : ١١٦/٢٣ .

(٢) في الأصول والوافي : « عبد الرحمن » وهو سهو ، وأثبتنا ما في الدرر ، والسير : ٤٣/٢٣ ، ووفاة عبد الرحيم هذا سنة (٦٣٧ هـ) .

(٣) توفي سنة (٦٣٤ هـ) . السير : ١١/٢٣ .

(٤) (س) : « بعمله » .

(٥) زيادة من (س) ، (ط) .

(٦) في الأصل و (س) : « روق » ، وما أثبتناه أقرب ، والتزويق التزيين والتحسين .

(٧) زيادة من (س) ، (ط) .

الثاني والعشرين من المحرم من السنة المذكورة ، وهو كاتب الإنشاء الشريف ، واختصر كتباً ، وكان كثير النسخ ، ذا خط حَسَن ، وله أدب ونظم ونثر ، قال : وأنشدني[١] لنفسه سادس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وست مئة :

ضع كتابي إذا أتاك إلى الأر ... ض وقلّبه في يديك لمامَا
فعلى ختمهِ وفي جانبيه ... قُبَلٌ قد وضعتهن تؤاما
كان قصدي بها مباشرة الأر ... ض وكفيك بالتشامي إذا ما[٢]

قال : وأنشدني المذكور لأبيه :[٣]

الناس قد أثموا فينا بظنّهم ... وصدّقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرّك في تصديق قولهم ... بأنْ نُحقّق ما فينا يظنونا
حَمْلي وحملك ذنباً واحداً ثقةً ... بالعفو أجملُ من إثم الورى فينا[٤]

وبه إلى المكرم[٥] :

توهَّم فينا الناس أمراً وصمّمت ... على ذاك منهم أنْفسٌ وقلوبُ
وظنوا وبعضُ الظن إثم وكلهم ... لأقواله فينا عليه رقيب[٦]
تعالي نُحقّق ظنهم لِنريحهم ... من الإثم فينا مَرّة ونتوب[٧]

قلت : هذا معنى مطروق للقدماء . ومنه قول الأول :

---

(١) (س) : « وأنشدني من لفظه » .
(٢) (س) : « قصدي به » .
(٣) (س) : « لأبيه المذكور » .
(٤) في الأصل : « من عفو » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٥) في الأصل : « ابن المكرم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٦) في الوافي والفوات : « ذنوب » .
(٧) في الوافي : « تعال » .

قم بنـــا تفـــديـــك نفسي نجعـــل الشـــك يقينـــا
فـــــإلى كم يـــــا حبيبي يـــأثم القـــائـــل فينـــا[١]

وأخذ[٢] هذا من قول القائل :

مـــا أنس لا أنس قـــولهـــا بمنى وَيْحَـك إنّ الـوُشَـاةَ قَـدْ علموا [٣]
ونمّ واش بنـــا فقلت لهـــا هـل لـك يـا هنـد في الـذي زعموا
قـــالت لمـــاذا تُرى فقلت لهـــا كي لا تضيـــع الظنـــون والتهمُ

وقلت : أنا كأني قد حضرتها وسمعت خطابها :

هـــذا محب ومـــا يخلّصُـــهُ في دينـــه أنْ وشـــاتُـــه أثموا
فـــواصليـــه واصغي لمغلطـــةٍ يقبلهـــا من طبـــاعُـــهُ الكرمُ
يـــا ويـح وصـلٍ أتى بمغلطـــة إن كنت لم ترع عنـــدك الـــذممُ

ولكن المكرّم في معناه زيادة على من تقدمه ، وقوله : « ثقة بالعفو » من أحسن متممات البلاغة .

وأنشدني شيخنا أثير الدين قال : أنشدنا فتح الدين [أبو][٤] عبد الله البكري ، قال : أنشدنا ابن المكرم لنفسه :

بـــالله إن جُـزت بـوادي الأراك وقَبّلَتْ عيـــدانُـــه الخضرُ فـــاك
ابعث إلى المملـوك من بعضهـــا فـــإنني والله مـــالي ســواك[٥]

(١) البيتان قريبان ممّا قاله بشار :

قم بنـــا يـــا نـــور عيني نجعـــل الشـــك يقينـــا
فـــإلام يـــا حبيبي يـــأثم العـــذال فينـــا

(٢) في (س) والفوات : « وأخذه » .
(٣) في الأصل و (س) : « لا أنس » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٤) زيادة من (س) والوافي .
(٥) (س) والوافي : « بعضه » .

وأنشدت له :

وفـاتر الطرف ممشـوق القـوام لـه ... فعـل الأسنـة والهنـديـة القضبِ
في حُسْنِـهِ الفرد أوصـاف مركبـة ... الْخَلْـقُ للترك والأخـلاق للعرب

قلت : مـا أعرف في كتب الأدب شيئـاً من المطـوّلات إلا وقـد اختصره جمال الدين بن المكرم رحمه الله تعالى ، فمّما اختصره : كتاب (الأغاني) ورتبه على حروف المعجم ، وكتاب (الحيوان) للجاحظ فيما أظن ، و (اليتيمة) للثعالبي ، و (الذخيرة) لابن بسام ، و (نشوان المحاضرة) ، و (مفردات) ابن البيطار ، واختصر (تاريخ ابن عساكر) ، و (تاريخ الخطيب) ، و (ذيل) ابن النجار عليه ، واختصر كتاب التيفاشي[1] وسماه (سرور النفس) في عشرة كبار ، وجمع بين كتاب (صحاح) الجوهري و (المحكم) لابن سيده وكتاب الأزهري ، فجاء[2] في سبعة وعشرين مجلداً وسماه (لسان العرب) ، وأراني ولده قطب الدين أول النسخة ، وقد قرظه من أهل ذلك العصر جماعة يصفونه بالحسن ، منهم الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، فيما أظن ، وشيخنا العلامة شهاب الدين محمود ، رحمهم الله أجمعين .

وأنشدني شيخنا العلامة أثير الدين تقريظاً لهذا الكتاب ، ورأيته بخطه :

أجَلْتُ لحاظي في الرياض الدمايث ... ونزهت فكري في فنون المباحث
وشاهدت مجموعاً حوى العلم كلّه ... بأوّل مكتوب وثانٍ وثالث
فياحسنه من جامع لفضائل ... جليل على نيل المعارف باعث
لحاز لسان العرب أجمع فاغْتَدى ... نهاية مرتاد ومطلب باحث[3]

---

(١) محمد بن أبي العباس (ت ٦٥١ هـ) ، وفيات الأعيان ٣/٢٣٩ .

(٢) (س) : « فجاء ذلك » .

(٣) في الأصل : « باعث » ، وأثبتنا ما في (س) .

بـه أزهرت لـلأزهري ريـاضُـهُ ... فـأنوارهـا تجلـو ديـاجي الحـوادث
وصحت بـه للجـوهريّ صحـاحـه ... فـلا كسر يعروهـا ولا نقـد عـابث[١]
وسـاد بـه بين الأنـام ابن سيـده ... فمحكَمُـه مـا فيـه عيث لعـايث
وبرَّ ابن بريٍّ وصحّت بنقـده الـ ... ـصحاح استقلّت في براثن ضابث[٢]
وللجـزريّ ابن الأثير نهـايـة ... إذا قرئت أزرت بسبـع المثـالث[٣]
وكلّ مَحَـل إذْ تقـادم عهـده ... وليس المصلّي في السبـاق برايث
وإن جمـال الـدين جَمّـل كُتْبَهم ... بإصلاح مـا قـد أوهنـوا من رثـائث
لقـد فـاقهم علمـاً وزاد عليهم ... وأنّي يباري الريح عَرْجُ الأبـاعث[٤]
تجمـعَّ فيـه مـا تفرق عنـدهم ... وأربى عليهم بـالعلـوم الأثـائث[٥]
بنثرٍ كشبـه الـزهر غبّ سمائـه ... ونظمٍ كمثـل الـزهر بـالسحر نـافث
لـه قـدمٌ في سـاحـة الفضـل راسخٌ ... ومجـد قـديم ليس فيـه بحـادث
ونسبـة علم كابراً بعـد كابر ... فمنَ خير مـوروث إلى خير وارث
حفيـظ لأسرار الملـوك أمينهـا ... عليم بتصريف الخطوب الكـوارث[٦]
بـه افتخرت قحطـان واشتـد أزرهـا ... وبـاهت بـه الأملاكَ أبنـاءُ يـافث[٧]
سقى جـدثـاً قـد حلـه ابنُ مكرّم ... ملث من الغرّ الغـوادي المـواكث
ولا برحت روح الجمـال مقيمـةً ... لعـذرٍ لـدى الغيـد الحسـان الأراعث

---

(١) في الأصل : « يعدوها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٢) الضابث : الأسد .
(٣) في (س) : « بسمع » .
(٤) في الأصل : « فاتهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٥) الأثائث : التامة .
(٦) في الأصل و (ط) : « عليه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٧) (س) : « وتاهت » .

وأخبرني ولده القاضي قطب الدين أبو بكر رحمه الله تعالى في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل أن والده مات وقد ترك بخطه خمس مئة مجلد .

١٧٩٤ ـ محمد بن مكي بن .....*

القاضي الفاضل الشاعر بدر الدين وكيل بيت المال بطرابلس وكاتب الإنشاء بها .

كان من مشايخ الأدب والقائمين بإحياء شِعار العرب ، له المقاطيع الرائقة ، والأبيات الفائقة ، وكان يعرف فنوناً أخر ، وعلوماً إذا تكلم فيها قلت بَحْرٌ زخَر . وكان من رجالات الزمان دُرْبَة ودهاء ، وخبرة تباعد منها الجهل وتناءى .

ولم يَزل بطرابلس على حاله ، إلى أن كسف الحِمامُ نورَ بَدْره وألحفهُ غمامةَ[1] قَبْره .

وَرَد الخبر إلى دمشق بوفاته في أواخر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى .

كان يكتب خطاً حسناً ، أخبرني قاضي القضاة شرف الدين محمد بن النهاوندي[2] قاضي صفد قال : قال لي : بدر الدين بن مكي بطرابلس : فتحت بدمشق دكان كتبي ، وكنت أتّجر فيها ، يعني في المجلدات ، وأتبلغ من عِرض المكسب[3] فأدَّخر من الْمُجَلَّدات ما أحتاج إليه إلى أن حصلت من ذلك ما أرَدْت من الكتب ، وفضل لي رأس المال والقوت تلك المدة . أو كما قال .

وقال بدر الدين رحمه الله : كنت أنا وشمس الدين الطيبي نمشي في وحل فقلت :

---

* كذا في الأصل و (س) و (خ) والوافي . وتمام نسبه في الدرر : « ابن أبي الغنائم » . انظر : الوافي : ٦٠/٥ ، والدرر : ٢٦٤/٤ .

(١) (س) : « لغمامة » .

(٢) محمد بن عثمان بن أبي بكر ، سلفت ترجمته .

(٣) في الأصل : « المكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

المَشْي خَلْفَ الدواب صَعْبٌ

فقال : في الوَحْلِ والماءِ والحجاره

فقلت : لأن هذا له رشاش

فقال : وربما تزلق الحماره

وأخبرني المولى شرف الدين حسين بن ريّان قال : كنت أنا وهو جالسين في مكان فيه شباك بيني وبينه ، فلمّا جاءت الشمس رددتهُ ، فقال :

لا تحجبِ الشمسَ عن أمرٍ تحاوله فإنّ مقصودها أن تبلغ الشرفا

فقلت :

في الشمس حرٌّ لهذا الأمر نحجبها وحَسْبنا البدرُ في أنواره وكَفَى

وأنشدني من لفظه قال : أنشدني ابن مكي لنفسه :

أهواه كالبدر لكنْ في تبدّله والغصن في ميله عن لوم لائمه[1]

سمحٌ بهجته ما ردّ نائله كأنما حاتم في فصّ خاتمه

قلت : معنًى جيّدٌ مطبوع ، وما أحسن قوله : « رد[2] نائله » .

ومن شعره أيضاً :

كأن الشمس إذ غَرُبَت غريق هوى في البحر أو وافى مغاصاً

فأتبعها الهلال على غروب بزورقهِ يريد لها خلاصا

(١) في الوافي : « تبذّله » .

(٢) في (س) ، (خ) : « مارد » .

وكتبت أنا إليه ، رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في المحرم :

أنفحةُ روضةٍ أمْ عَرْفُ مِسْك ... يضوع أو الثناء على ابن مكي
إمام في الفتاوى لا يجارى ... وفرْدٌ في البيان بغير شك
إذا ما خطَّ سطراً خلْت روضاً ... تبسَّم عن غمام بات يبكي
ويحكي نثره دُرّاً فأمّا ... إذا حققت ما يحتاج يحكي
له نظم يروق ألذّ وقْعاً ... على الأسماع من أوتار جَنْك
كأنّ كلامه نفثات سحرٍ ... تغازلني بها لحظات تركي[1]
وآنقُ في النواظر مِنْ رياض ... نواضر بل جواهر ذات سلك
لقد فاق الأنام بفضل جُود ... وفرطِ زيادة زِيْنَتْ بنسك
شهدتُ بأنّه في الدهر فردٌ ... وقولي فيه لم يحتج مزكي
حملت له لواء ولاء صدقٍ ... لأُعرف في الأنام بحمل رنكي
فلو منّ الإله بجمع شملي ... به لعدمت ما بي مِنْ تَشَكّ

يُقبّل الأرض لا زالت قبلة الأمل ، وكَعْبةَ العِلم والعمل ، وروضة الفضل إذا همى ، والجودِ إذ هطل ، لأن دارها تخجل دارة الحمل ، وتربها يفوق الأفق إذ بدره لما كَمل نقص ، وبدرها ما نقص لمّا كمل ، تقبيلاً يؤدّي به الواجب ، ويداوي به قلباً سكنه مولانا فإنه كبير وما خرج عن الواجب :

ترابكم وحقٌّ أبي تراب ... أعزُّ علَيَّ مِنْ عيني اليمين

وينهي إلى العلم الكريم بعد الأدعية التي تجر الإجابة برفعها ، والعبودية التي أبان المنطق شرف حَملها ووضعها ، والأثنيةِ التي لا تغرّدُ الحمائم الصادحة إلا بسجعها :

ومالي لا أثني على وابل الحيا ... إذا الروض أثنى بالنسيم على القطر

---

(١) في الوافي : « ألحاظ » .

أنّه من حين بلغته هذه الفضائل البدريّة ، والفوائد التي نسماتها سحَريّة ، وكلماتها سحريـة ، يعتلج في خـاطره التطفل على خطـابهـا ، والتوصـل إلى عرائس إنشـائهـا ، ليكون من خُطَّـابهـا ، والوقوف بـذلّ التلمـذة وفَقْر الحـاجـة على بـابهـا ، والـدخول إلى جنّـات كرمهـا وحبّـات كرمهـا ليجني[١] ثمرهـاً متشـابهـاً ، والاعتراف يـدفع في صـدره ويبجل على قدره باجتلاء ليلة قدره ، ويقول لـه القصور لا تطل فـا أنت من سكان[٢] هذه القصور ، ولا تزد مع نقصك ، فما وشـاح ألفـاظـك ممـا يـدور على هـذه الحضور ، ولا تلح فما غابَ أقلامك ممّا يصم هذا الليث الهصور :

قـد يـدرك المتـأني بعض حـاجتـه وقـد يكون مع المستعجـل الـزلـل[٣]

فأغفل المملوك مُراودته مدّة ، وكابد من جزم حَظّه[٤] خفضاً لشدّته مـدّة وشـدّه . هذا وغريم الشوق يلح ، والإقدام يمرض تارة ويصح ، إلى أن انتهز فيها فرصة حمل فيها على جيوش الخجل فأمالها ، وطعن[٥] في صفّ الممانعة برمح قلمه إمّا عليها وإمّـا لهـا[٦] ، فتهجم هذه[٧] الخدمة والضراعة ، وخدم أسوة[٨] الطلبة ليكون من أهل الجماعة :

وكاد سروروي لا يفي بنـــــدامتي على تركـــهِ في عمري المتقـــادم

وعطفها على استدعاء جرت العادة به للأصاغر ، واستمطر به الإحسـان الـذي ملأ

---

(١) في الأصل : « ليحي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « مكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) ينسب للقطامي ، انظر ما كتبه البغدادي في شرح أبيات المغني : ٦٠/٥ .

(٤) في الأصل : « حفظه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « وظعن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) يشير إلى قول القائل :

ســـأحمـــل نفسي على آلـــة فـــإمّـــا عليهـــا وإمّـــا لهـــا

(٧) في (س) ، (خ) : « بهذه » .

(٨) في (س) ، (خ) : « وخدم بها » .

كل كفّ[١] فارغ ، وأطبق كل فم فاغر . وسأل صدقات مولانا التي عمّت وما خصت ، وشرّعت المكارم للمتأدبين ونصت ، الكتابة فيه بالإجازة للمملوك ، وإن كان صغير القدر ، والإجابة إلى ما سأله لعلّه أن يكون من أهل بدر ، فإنه لم يقل إلا[٢] علماً بأنه لم يُقَلْ ، ولم[٣] يخاطب إلاّ طمعاً في الجواب الذي هو ألذ من الإغفاء في ساهر المقل ، وأن يتصدق فيه بذكر مولده وذكر أشياخه الذين أخذ عنهم ومن رآه واجتمع به من الأعيان الذين إذا قال السائل من هم ، كان مولانا منهم ، وكتابة ما يراه من مقاطيعه التي هي قطع الرياض ، وزهر الغياض ، وقطر الحياض ، إلى غير ذلك مما يقتضيه الرأي الكريم والجود الذي إذا جاد البحر بالدر النثير[٤] جاد هو بالدر النظيم ، لا زال بابه حرماً وسحابُهُ ينهل كرماً بمنه وكرمه[٥] . وجهّزت الاستدعاء[٦] . فجاء[٧] جوابه بعد مديدة يخبر بوصوله[٨] . وإنه عقيب[٩] ذلك توجه إلى اللاذقية فيما يتعلق بأشغال الدولة ، وإنه عقيب ذلك يجهز الجواب ، ثم ما لبث أن مرض وجاء الخبر بوفاته رحمه الله تعالى .

١٧٩٥ ـ محمد بن مكي*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير مكيّ .

(١) (خ) : « كفّ كلّ » .
(٢) ليست من (س) .
(٣) (س) : « ولا » .
(٤) في الأصل : و (س) : « النثر » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٥) زاد في (خ) : « إن شاء الله تعالى » .
(٦) زاد في (س) ، (خ) : « وكان نثراً » .
(٧) (س) ، (خ) : « فعاد » .
(٨) في الأصلا و (س) : « بوصولها » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
(٩) (س) : « بعد » .
* لم نقف على ترجمة له .

توفي والده رحمه الله تعالى في أوائل سنة خمس[١] وسبع مئة ، وهو من جملة أمراء الطبلخاناه بدمشق ، وإقطاعه إقطاعٌ جيّد ، فطلبه من الأمير سيف الدين أرغون شاه جماعة ، فكتب به لابنه ناصر الدين محمد المذكور ، وتقدير عمره عشرون سنة ، فجاءه منشوره بذلك ، وكان قبل ذلك أمير عشرة ، فما متّع بشبابه ولا بالإقطاع .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شعبان سنة خمسين وسبع مئة .

١٧٩٦ ـ محمد بن المنجا*

ابن عثمان بن أسعد بن المنجّا ، الشيخ الإمام العالم الفاضل الصدر الأصيل شرف الدين أبو عبد الله ابن الشيخ العلاّمة الكبير زين الدين أبي البركات التنوخي الحنبلي .

سمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عُمر ، وابن علان ، وابن البخاري ، وابن الواسطي وجماعة وحدّث .

وكانت فيه خلالٌ جميلة من العلم والدين والمروءة والشجاعة وعلّو الهمة والتودد ، وقضاء الحقوق .

توفي رحمه الله تعالى رابع شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ولم يكمل الخمسين .

١٧٩٧ ـ محمد بن المنذر**

القاضي الرئيس فخر الدين .

---

(١) في الأصل و (ط) : « خمسين » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٥٥ ، والدرر : ٢٦٦/٤ ، والشذرات : ٦٥/٦ ، وذيول العبر : ١٣٥ .

** الدرر : ٢٦٦/٤ .

كان أولاً في دمشق يباشر في ديوان الجيوش ولما حضر معين الدين بن حشيش[١] إلى دمشق ناظر الجيش عوضاً عن ابن حميد ، انتقل القاضي شمس الدين بن حميد[٢] إلى وظيفته بدمشق ، وتوجه ابن المنذر إلى طرابلس ناظر الجيش ، وأقام بها مدة ، وَقَع بينه وبين نائبها ، فتوجه إلى مصر وعاد إلى[٣] مكانه ووظيفته في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة وأقام بها مدّة .

ثم إنه نُقل إلى نظر جيش حلب[٤] ، وأقام هناك مدة عوضاً عن القاضي جمال الدين بن ريان[٥] .

ثم إنه توجه إلى مصر ووقع منه كلام في حق القاضي فخر الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية فجهزه إلى صفد ناظر المال ، وولده ناظر الجيش بها ، فأقام بها مدة ، ثم إنه جهز إلى طرابلس .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى[٦]

١٧٩٨ ـ محمد بن منصور بن موسى*

الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الحاضري الحلبي المقرئ النحوي .

قرأ القراءات على الكمال الضرير ، والشيخ علي الدهان[٧] ، والعربية على ابن مالك جمال الدين ، وكان له تصدير في الجامع ، وكان متوسطاً في النحو والقراءات .

(١) مسعود بن أبي الفضائل ، ستأتي ترجمته .
(٢) أبو طالب ، سلفت ترجمته .
(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) في الأصل : « ط » : « الشام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والدرر : ١٤٥/٢ .
(٥) سليمان بن أبي الحسن ، سلفت ترجمته .
(٦) ولم يذكر في الدرر سنة وفاته .
* الوافي : ٧٦/٥ ، والدرر : ٢٦٧/٤ ، وغاية النهاية : ٢٦٦/٢ .
(٧) علي بن موسى بن يوسف السعدي المصري (ت ٦٦٥ هـ) . غاية النهاية : ٥٨٢/١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر صفر سنة سبع مئة وكتب في الإجازات .

١٧٩٩ ـ محمد بن منصور بن إبراهيم*

ابن منصور الحلبي ، الإمام العالم الصدر الصاحب بدر الدين الجوهري ، نزل الديار المصرية .

سمع من إبراهيم بن خليل بحلب ، ومن الكمال العباسي[١] . وابن عزّون ، وابن عبد الوراث ، والنجيب ، وعدة بمصر . وتلا بالروايات على الصفي خليل ، وتفقه ، وشارك في فضائل .

وكان ينطوي على خير وعبادة ودين ، وله جلالة وصورة ، ذكر في وقت الوزارة ، وكان له خلق حاد ، وحدث بدمشق ومصر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .

١٨٠٠ ـ محمد بن منصور**

القاضي شمس الدين مُوقّع غزة ، أقام بها مدة طويلة يباشر التوقيع وكتابة الجيش ، ثم إنه نقل إلى توقيع[٢] صفد عوضاً عن القاضي بهاء الدين بن غانم لمّا نقل إلى طرابلس في سنة ست وعشرين وسبع مئة[٣] ، وتوجه إلى غزة مكانَةُ القاضي جمال الدين بن رزق الله[٤] ، ثم إنّ ابن منصور عمل على العود إلى غزة ، لأن صفد لم

---

* الوافي : ٧٦/٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٦ ، والدرر : ٢٦٦/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٦/٩ ، وذيول العبر : ١٠٧ .

(١) هو الكمال الضرير ، علي بن شجاع بن سالم (٦٦١هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

** الوافي : ٧٦/٥ ، والدرر : ٢٦٧/٤ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الوافي : « في أواخر سنة سبع وعشرين وسبع مئة تقريباً » .

(٤) يوسف بن رزق الله ، ستأتي ترجمته .

توافقه . وكان له في غزة متاجر من[١] الكتّان والصابون وغير ذلك ، وحصّل نعمة وافرة ودنيا صالحة[٢] . ثم إن الأمير سيف الدين تنكز عزله من غزة بعلاء الدين علي بن سالم ، وقد تقدم ذكره في حرف العين ، وبقي ابن منصور بطّالاً . وكان الأمير سيف الدين طينال قد ناب في غزة في وقت ، على ما تقدم في ترجمته ، وابن منصور موقّعها ، فعرفه من ذلك الوقت ، فلما بطل سأل طينال من تنكز في أن يكون ابن منصور في جملة كتاب الدرج بطرابلس ، فرسم له بذلك ، وتوجه ابن منصور إلى طرابلس .

وكان رجلاً داهية سيوسا ، يكتب خطاً حسناً ، وله نظم لا بأس به ، غير أنه لم يكن فيه طبقة ، مع ما فيه من اللحن .

وتوفي رحمه الله تعالى ...[٣]

أنشدني من لفظه القاضي زين الدين الصفدي[٤] قال : أنشدني من لفظه القاضي شمس الدين محمد بن منصور[٥] وقد أعيد الصاحب تقي الدين توبة[٦] إلى الوزارة :

عتبت على الزمان وقُلْتُ مَهْلاً ... أقمت على الخنا ولبست ثوبه
ففاق من التجاهل والتعامي ... وعاد إلى التُّقَى وأتى بتَوبَه

قلت : صوابه : فأفاق .

---

(١) في الوافي : « في » .
(٢) في الأصل : « نعمة وافرة ودنيا وافرة ودنيا صالحة » . وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) كذا في الأصول والوافي والدرر .
(٤) عمر بن داود . سلفت ترجمته .
(٥) (س) : « محمد بن محمد بن منصور » .
(٦) في الأصل : « نوبة » ، تصحيف ، وهو توبة بن علي بن مهاجر ، سلفت ترجمته .

١٨٠١ محمد بن موسى*

القاضي الفاضل ، الأديب الكاتب البارع شرف الدين المقدسي ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، المعروف بكاتب أمير سلاح .

كان كاتباً بارعاً ، ناظماً ناثراً ، يأتيه المعنى على وفق إرادته ضارعا ، إذا نظم قلت العقودُ ينظم جواهرها ، أو السماء يُطلع زواهرها ، أو الرياض يجلو أزاهرها . يتلعب بالعقول سحره الحلال ، يترشّف السمع منه كؤوساً ليست نشوتها مما يجري في الجديال[١] . ونَشْرُه أحسنُ من رقم البرود ، وآنقُ مِنْ حلول الكواكب في منازل السعود ، وخَطّه يسرّ النواظر ، ويُزري بالرياض النواضر ، تخال سطوره فوق طروسه فتيت مسك على كافور ، أو طرز صبح تطلعّت من [تحت][٢] أذيال ديجور . كأنّ جياته وجناتٌ خيلانُها تلك النقط ، أو محاريبٌ فيها قناديل لا تخبو نور معانيه ولا يقط ، وكأنّ ألفاته ألفت الاعتدال فهي قدودُ الخُرّد الغيد ، أو قضبانٌ بانٍ تميس من مرور النسيم ، والهمزات من فوقها حمائم ذات تغريد :

فلو أعيد ابن هلال لحكى ... مشياً على الرأس إليه القلما
وقال في هذا برود أحرفٍ ... كنت أرها في كتابي أنجما[٣]

ولم يزل على حاله إلى أن سكنت شقاشقه ، وقرطست عن عرض[٤] الحياة رواشقه .

توفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٩٣/٥ ، وفوات الوفيات : ٤٢/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٧ ، والدرر : ٢٦٩/٤ ، والشذرات : ٣٢/٦ .

(١) الجريال : الخمر .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) (س) : « كتاب » .

(٤) في (س) ، (ط) : « غرض » .

وكان قد خدم الشجاعي وأمير سلاح ، وبه يعرف في القاهرة .

أخبرني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : هو رجل حَسَنُ الأخلاق ، كريم العشرة ، محتمل ، فيه كرم ، وله خط حسن ونثر كثير ونظم .

وجالسته مراراً ، وكتبت عنه ، وقرأ علينا من نظمه ونثره كثيراً ، وقد خَمَّس (شذور الذهب)[١] . في صنعة الكيمياء تخميساً حسنا يقضي له بسبق النظم وجودة حوك الكلام ، ومطابقة الفصل . وأنشدني قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

اليوم يوم سُرور لا شرور به ... فزوجّ ابن سماء بابنة العنب[٢]
ما أنصفَ الكأس من أبدى القطوب لها ... وثغرها باسم عن لؤلؤ الحبب

قلت : قد تقدم لهذا المعنى نظائر في ترجمة صدر[٣] الدين بن الوكيل .

وبه قال أنشدني من لفظه لنفسه :

صرّف بصرفِ الحميّا ما حمى طرباً ... فإن فيها لسم الهم درياقا[٤]
دنياك معشوقةٌ والراح ريقتها ... فارشف مراشِفها إن كنت عشّاقا

وبه قال : أنشدني له يخاطب الشجاعي[٥] ، وكان كاتبه :

أيا علم الدين الذي عَيْنُ علْمه ... تُريه المعالي نثرها ونظامها
قذفت لنا يا بحر أي جواهر ... وها هي فالبس فذّها وتؤامها[٦]

---

(١) شذور الذهب في الإكسير لأبي الحسن علي بن موسى الحكيم الأندلسي (ت ٥٠٠هـ) . الكشف : ١٠٢٩/٢ .

(٢) (س) ، والوافي : « ابن سحاب » .

(٣) (س) : « الشيخ صدر ... » .

(٤) الدرياق : الترياق ، وهو الدواء .

(٥) علم الدين سنجر ، سلفت ترجمته .

(٦) الفذ : الفرد .

ومنها :

رأى الملكُ المنصورُ أنّك صالحٌ ... لدولته يُلْقَى إليك زمامها
فولاّكها إذا كُنت في الرأي شيخها ... وكنت إذا نادى الصريخ غلامها
فما احتفلت إلاّ وكنت خطيبها ... ولا استبقت إلاّ وكنت إمامها[1]
فلو غاب بدر الأفق نُبت منابَهُ ... بل الشمسُ لو غابت لقُمتَ مقامها
نهضت بعبء الملك والأمْرُ فادح ... وسُسْت الرعايا مِصْرها وشآمها

ولمّا خمس (شذور الذهب) كتب إليه ابن الوحيد[2] :

لقد رقّ تخميس الشذور فأصبحت ... مداماً ولكن كَرْمُها حَضرة القدسي
هي الشمس والأشعار في جنب حُسنها ... نجوم وما قدْرُ النجوم مع الشمس

وكتب إليه شمس[3] الدين بن دانيال :

إذا ناب في التقبيل عن شفتي طرسي ... وعن بصري في رؤيتي لكم نفسي
وواصلني منكم خيال مخصَّص ... بروحي في حلم فمالي وللحسّ
ومَنْ لي بمرآك الجميل الذي به ... لعيني غنًى عن طلعة البدر والشمس
على أنني مستأنِسٌ بعد وحشتي ... بأنسِ ولي الدولة الأرخن النفس[4]
غدوت به بعد البطالة عاملاً ... ولا مثلما أعملت في زاده ضرسي[5]
وإنّ ابنه الشيخ الخطير لمسعفي ... بما شئت من رفد جزيل ومن أنس
وأقسم ما للأب والابن عندهم ... حياة بلا روح تجيء من القدسي

ومن شعر شرف الدين القدسي :

(١) (س) : « اختلفت » ، بالخاء .
(٢) محمد بن شريف بن يوسف ، سلفت ترجمته .
(٣) في (س) والوافي : « الحكيم شمس الدين .. » . والأبيات في المختار من شعر ابن دانيال : ١٦٧ .
(٤) كذا في الأصول والوافي ، وفي المطبوع من شعر ابن دانيال : « الأزخر » .
(٥) البيت خلت منه المطبوعة من المختار .

يـــاليلـــة بت أستجلي محيـــاهـــا كأنمـــا بتّ أستجلي حميّـــاهـــا
أوْلت يـــداً ثم ألـوت بي فقلت إذاً ما كان أرخصها عنـدي وأغلاهـا
بيـوسف الحسن جـزء من محـاسنـه فاعجب لها وهي كثر كيف جَزّاها[1]
طال النهـار انتصـاراً فـانطوت قصراً كأن في شفقيهـــا كان فجراهـــا

منها :

يـدير من لحظـه أو لفظـه لُطفـاً لـو نستطيـع لهـا شُرْبـاً شربنـاهـا
والـــزير والبم والمثنى ومثلثـــــةٌ محرّكات من الأوتـــار أشبـــاهـــا[2]

ومنه في مليح اسمه « سالم » :

وأهيف تهفـو نحـو بـانـةِ قـدّه قلـوب تبثّ الشجـو فهي حمـائم[3]
عجبت لـه إذ دام تـوريـد خـدّه ومـا الـورد في حـالٍ على الغصن دائم
وأعجب من ذا أن حيـــــة شعره تجـول على أعطـافـه وهـو ســالم

ومنه :

بي فرط ميـل إلى الغـزلان والغـزل فكيف لا يُقصر العـذال عن عـــذلي
مـالـوا عليّ ولامُـوا في الهـوى عبثـاً من لم يمـل سمعـه مـذ كان للملـل[4]
أضحى الغرام غريمي في هـوى رشـأ يغنيـه عن كحلـه مـا فيـه من كَحَل
فـالبـدر من حسنـه قـد راح ذا كلف والوردُ من خَدّه قـد راح ذا خجل[5]

(١) في الوافي : « كنز » .
(٢) في (س) والوافي ، والفوات ، بعده زيادة « ومنه :
تبسم فـــاستبكى ببـــارق ثغره سحائب جفن مـا أحلت بعـارض
مليـــح أصبنـــاه بعين ونظرة فمن أجل هذا قـد أصيب بعـارض»
(٣) في (س) ، والوافي ، والفوات : « نحو بانة » .
(٤) في الأصل و (س) : « لا يمل » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٥) (س) ، (ط) والوافي : « في خجل » .

تشاغل الناس في الأسمار بي وبه وإنني عن حديث الناس في شغل

وأنشدني له قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ، قال : وأنشدني بعضها من لفظه :

ما مِلْتُ عَنْكَ لجَفوةٍ ومَلال يوماً ولا خطَر السلوُّ ببالي
يا مانحاً جِسمي السقام ومانعاً جَفني المنام وتاركي كالآلِ[1]
عمَّنْ أخذتَ جواز منعي ريقك الـ ـمعَسول ياذا المعطف العَسّال
عن شعرك الفحام أم عن ثغرك الـ ـنظام أم عن طرفك الغزالي[2]
فأجابني أنا مالكٌ أهل الهوى والحسنُ أضحى شافعي وجمالي
وشقائق النعمان أضحى نابتاً في وجنتيّ حماه رشقُ نبالي[3]
والصبر أحمد للمُحِب إذا ابتُلي في الحب من مِحن الهوى بسؤالي[4]
وعلى أسارى الحب في سجن الهوى بين الملاح عُرفت بالقفّال
وقَتَلْتُ معتزليّ في شَرْى الهوى وطرفت بالتنبيه عين السالي[5]
وتفقَّه العُشّاق فيّ وكلّ من نقل الصحيح أجزْتُه بوصال
والجوهري غدا بثغري ساكناً يحمي (الصحاح) بقدّي الليّال
وشهود جسمي لو نظرت إليهم بين الأنام عجبت من أفعالي[6]
جَرَح البكاءُ عيونهم وقلوبهم وزكوا لقذف الدمع في الأطلال
والشاهد المجروح عندي صادق هل في قضاة العاشقين مثالي
وعلى رحيق الثغر صارمُ مقلتي ولّيته، ولكلّ ثغرٍ والي

(١) في الفوات : « طرفي » .
(٢) في الوافي : « من شعرك » .
(٣) في الأصل : «ثابتاً » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات . وفي الفوات : « في وجنتي وحماه » .
(٤) في الفوات : « أجل » .
(٥) في الأصل والفوات : « وطرقت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٦) في (س) والوافي والفوات : « حبي » .

وعلى مقـامـات الغرام شـواهـدٌ ... جسمي الحريري والبديع جمالي[١]
ولبست من حُلـل الجمـال مُفَصّـلاً ... حسن الملابس مـدهش الغـزالي[٢]
ولحسني الكشـاف من جمـل الضيـا ... لمعـاً لإيضـاح الفصيـح مقـال[٣]
وأتي المطرز نحـو خـدّي راقمـاً ... طُرَز العـذار وحـارَ في أشكالي
والـواقـديّ بنـار هجري والجفـا ... وكّلتُـه فلكل سـال صـال
وبلفظي الفراء يفري قلبَ من ... وافى بنـاظر نـاظري بنصـال[٤]
ومَصَـارعُ العشـاق بين خيـامنـا ... ومقـاتـل الفرسـان يـوم نـزال
ورفضْتُ نـوم العـاشقين فكلّ من ... ذكر الغرام فـدمعـه متـوالي[٥]
ولـديّ سلـوان للطـاع سفـاهـة ... لمتيّم أوثقتُـه بحبـالي
وخصصت إخـوان الصفـا برسـائـل ... ولهم صفـا ودّي وهُمْ آمـالي[٦]
والبيهقيّ بـوجـه كل معنّف ... في مـوقف التـوديـع والترحـال
وبـوجهي النقـاش راح مفسّراً ... صُـوَرَ للـلاحـة من دليـل دَلال
ورقيبي الكلبي قـد أخسـأتُـهُ ... بـوقـوفـه في بـاب ذلّ سـؤالي
ومجـاهـدٌ أضحى عليَّ مقـاتـلاً ... خـوفـاً من الرقبـاء والعُـذّال
وأبـو نعيم منعم في حليتي ... إذ بـات يمليهـا على النقّـال
ومحـاسني قُـوت القلـوب تكرّمـاً ... ومنـاقب الأبرار حُسْن فعـالي
وتطلعي زاد للسير ومبسمي الـ ... ضحّـاك والمنثـور حُسْن لآلي[٧]

---

(١) في الوافي والفوات : « مقالي » .
(٢) في الأصل : « للداهس » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي والفوات .
(٣) في الوافي والفوات : « في جمل » .
(٤) في الأصل : « وبقلبي » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي والفوات .
(٥) في الوافي والفوات : « ذكر الفراق » .
(٦) (س) : « وخضعت » . وفي الفوات : « برسائلي » .
(٧) في الفوات : « وبطلعتي » .

وبخـــدي الـزهريّ جنّـــات المنى ... أضحى بهـا الثـوري من عمّـال[١]
وبمنطقي قسّ الفصـاحـة نـاطـقٌ ... في فترة الأجفـــان للضـــلال[٢]
وقميص حُسني قُـدّ من قُبُـل الـورى ... بيـــدي اليمين وتـــارةٍ بشمالي[٣]
والثعلبيّ رأى الـوجـوه بجهـــده ... وحَـلاَلَـهُ في النقـل وَجْـهُ الحـال
ولحسني الأنســاب يرويهـا عن الـ ... ـعـدل الـزكيّ بصحـة النُقّـال
فيراه للتمييز نصبـــاً واجبـــاً ... ورفعت عنـه الهجر من أفعـالي[٤]
ولي الخـلافـة في المِـلاح بلحظي الـ ... ـسفّـــاح والمنصـور في أقـوالي
وعلى محلّي بـالجمـــال روايـــة ... في رايـــةٍ نُشرت ليـوم جـدال
ومـدينـة العَلَم السخـاوي أصبحت ... في راحتي فعُرفت بـــالبَـــذّال
قـال الأوائـل مـا رأينـا مثلـه ... غصنٌ رطيب مثمر بهـــــلال
قَـدْ عمّـه الحسن الغريب وخـالـه ... مـا في البريـة منـه قلبٌ خـال
فـوصلت عُشّـــاقي فـلام معنّفي ... فـأجبتـه هـذا الـذي يبقى لي
القـوم أبنـاء السبيـل وعنـدنـا ... تعطى زكاة الحُسْن كالأمـــوال
قد طـالمـا نقلـوا حـديث محـاسني ... فهم عُـدولي صحـة ورجـال[٥]
هـذي القصيـدة بـالأئمـة شرفت ... قـدري وفقت بهـا على أمثـالي
وكأنهـا العقـد الثمين وهم بهـا الـ ... ـــدر النظيم مكلـلاً بـلآلي[٦]

---

(١) في الأصل : « الزهري » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٢) في الوافي والفوات : « واعظ » .
(٣) في الفوات : « قبل الهوى » .
(٤) (س) : « فرآه » .
(٥) في الأصل : « صحبة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٦) وقع البيت في الفوات بلفظ :
فكأنهـا العقـد النظيم وهم بهـا الـ ... ـــدرّ الثمين مكلّـلاً بـلآلي

قلت : قصيدة فريدة فائقة رائقة ، إلا أنها [فيها][1] أليفاظ غير قاعدة ، والتسامح يسكن قلقها .

١٨٠٢ ـ محمد بن ناصر بن علي*

القاضي الرئيس فخر الدين بن الحريري ، بالحاء والرائين للمهملات[2] .

كان أولاً كاتب الأمير شهاب الدين قرطاي نائب طرابلس ، أقام بها مدة ثم إنه عاد إليها مع مخدومه ، وعمّر بها أملاكاً ، ولم يكن لأحد معه فيها حديث . ولما انتقل مخدومه إلى دمشق ثانياً عاد معه ، ولما مات استمر[3] بطّالاً مدة . ثم إنه باشر استيفاء النظر بدمشق مع الصاحب أمين الدين لمّا قبض على علم الدين إبراهيم المستوفي في صفر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . ولما عزل الصاحب أمين الدين بالصاحب علاء الدين الحرّاني نقل القاضي فخر الدين إلى نظر الديوان[4] بطرابلس فتوجه إليها وأقام بها مدّة .

ثم إنه توجّه في نوبة الفخري إلى الديار المصرية وخرج منها مستوفي النظر بدمشق مع الصاحب علم الدين بن القطب ، فأقام بها مدة يسيرة على ذلك ، وانتقل إلى نظر الجيش عوضاً عن القاضي فخر الدين بن العفيف فأقام بها[5] قليلاً ، وأعيد القاضي فخر الدين بن العفيف إلى نظر الجيش ، فأقام بدمشق مدّة بطالاً . ثم إنه توجه إلى الديار المصرية في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

---

(١) زيادة من (س) . وعبارة الوافي : « إلاّ أنها لابدّ فيها » .

* الدرر : ٢٧٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٨٣

(٢) (س) : « المهملتين » .

(٣) في (س) ، (خ) : « استمر بدمشق ».

(٤) (س) ، (خ) : « الدواوين » .

(٥) في (س) ، (خ) : « به » .

ثم إنه تولى كتابة السر بطرابلس بعد عزل القاضي شهاب الدين بن القطب المصري ، وأقام بها من أوائل سنة ثمان[١] وأربعين وسبع مئة إلى أن توفي رحمه الله تعالى بطرابلس يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى أبيض أشقر سميناً فيه بشاشة وكيس ولطف ودماثةُ أخلاق ودهاء ، وكان قد مشى بالفقيري ، بالطاسة[٢] والأزار العسلي في وقت ، وخلف عدة أولاد كل منهم اسمه محمد .

اجتمعت به غير مرة بدمشق والقاهرة[٣] .

١٨٠٣ ـ محمد بن نبهان*

الشيخ الصالح الزاهد العابد الورع القُدْوة شيخ البلاد الحلبية .

كان فقيراً ، بالله غنياً ، خلياً من الدنيا وإن كان بسعادة الآخرة مليّاً ، مقيماً بزاوية في بيت جبرين[٤] معروفة بهم من قديم ، موصوفة بإضافتها إليهم ، لا يزال فيها للفقراء منهم خديم ، واشتهر هذا الشيخ محمد بتلك الناحية ، وأشرقت شمس عرفانه في سمائها المصحية ولا أقول الصاحية ، وتبلّجت وجوه بركاته الضاحية ، وعرف بالخير وقصد من كل أرض ، وإنما يسقط الطير[٥] وكان يطمع كل من يرد عليه من أمير ومأمور ، وذي قلب خراب من التقوى ومعمور ، ولم يُسمع أنه قبل لأحد شيئاً قلّ ولا جلّ ، ولا حرم

(١) في الأصل : « خمس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الدرر : « بالطاقيّة » .

(٣) (س) ، (خ) : « وبالقاهرة » .

* الوافي : ١٠٩/٥ ، والدرر : ٢٧٢/٤ .

(٤) في الأصل و (س) و (خ) : « جبريل » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر . وانظر : معجم البلدان ١٠١/٢ .

(٥) يشير إلى قول بشار المشهور :

إنما يسقط الطير حيث يلتقط الـ حبّ وتغشى منازل الكرماء

ولا حل ، لأنه كانت لهم أرض قليلة يزرعونها ويتبلغون مما يستغلّونها ويستَغْلونها ، وإنما كانت أخلاف البركات عليهم تَدُر[١] ، واللطف الخفيّ يقر فيهم ولا يفر .

وكان الشيخ محمد كما قال الغَزّي[٢] :

هو حلية الدنيا وبقراط العلا ... وشكيمة الناجي وحرز للتّقي
أموالُه لموفّرٍ ومقصّر ... ومقالُةٌ لمحصّل ومحقّق

ولم يزل الشيخ محمد ، رحمه الله ، على هذه الطريق إلى أن جاء الأمير سيف الدين طشمتر حِمّص أخضر إلى حلب نائباً ، فاشترى لزاوية الشيخ أرضاً ووقفها على الزاوية ، فامتنع الشيخ من ذلك وامتعض ، وارتمى إلى عدم القبول وارتمض . فقال الأمير : إنما هذا للزاوية ، وليس هُو لك ، فبعد لأيٍ ما قبل ذلك ، وهو غير راض . ثم إنّ الأمير سيف الدين طقزتمر لمّا جاء إلى حلب نائباً أيضاً وقف على الزاوية أرضاً أخرى فاتّسع الرزقُ بذلك على أولاده ، وفاض الخير عليهم ببركات الشيخ .

ولم يزل على حاله حتى تَنَبَّه الأجل لابن نبهان من رقدته ، وعجّل الله له بالرحمة[٣] في أول نقدته .

وجاء الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في شعبان سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وصلي عليه بالجامع الأموي صلاة الغائب .

ولم نسمع عن الشيخ إلا صلاحاً وخيراً ، وكان نُواب حلب جميعهم يعظمّونه ، ويجلّونه ، ويكرمونه ، ويقْبلون شفاعاته ويعملون بإشاراته ، وكان منقطعاً عن الناس ، منجمعاً .

---

(١) (خ) : « وتدر » .

(٢) إبراهيم بن يحيى وقيل : ابن عثمان (ت ٥٢٤ هـ) . وفيات الأعيان : ٥٧/١ ، والوافي : ٥١/٦ .

(٣) (س) ، (خ) : « الرحمة » .

وأخبرني القاضي ناصر الدين[١] كاتب السر بدمشق قال : كان الشيخ محمد كثير التلاوة ، وله كل يوم ختمة ، ومن يراه يحسبه أنه لا يتلو شيئاً .

كتب إليه القاضي شهاب الدين بن فضل الله في جملة كتاب :

قيل جبريلُ مُنْزَل لابن نبها ... ن محوط بمحكم التنزيل
قد تبدّى محمد في رُباها ... علماً للسائرين وابن السبيل
بوقار كأنّه الليل خوفاً ... وجبينٍ يُنير كالقنديل
ليس يخشى الضلال من أمّ منه ... حضرةً أشرفت علَى جبريل

وأما أنا فلم يتفق لي لقاؤه ، ولكن اجتمعت بولده الشيخ علي وقدم إلى دمشق متوجهاً إلى الحج في سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

ولما مات الشيخ محمد قلت أرثيه رحمه الله تعالى :

تَنبَّه صرفُ الدهر من بعد غَفْلَةٍ ... وخصَّ ابن نبهان بمطعم صابه
ومات فأحيا الذكر من بعده الثنا ... عليه كنشر الروض غب سحابه
فمن لقرى الأضياف من بعد فقده ... فقد طالما راق الجنا من جنابه
أقول وبعض القول يعطي تمامه ... «كأنَّ بني نبهان يوم مصابه»

١٨٠٤ ـ محمد بن نجيب*

ابن محمد بن يوسف ، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ، الكاتب الْمُجَوّد والْمُحَرّر المعروف بالخلاطي ، إمام التربة القيمرية بالقباقبيين[٢] بدمشق .

سمع من ابن أبي اليسر ، وحَدَّث .

---

(١) محمد بن يعقوب ، ستأتي ترجمته .

* الدرر : ٢٧٣/٤ .

(٢) في الدرر : « بالقبيبات » .

وكان حسنَ الهيئة كريم الأخلاق ، يكتُب المنسوب ، وكتب الناس عليه بعد الشهاب غازي المجوّد ، وعنده قطع كثيرة من الخط للمنسوب . وتوجَّه إلى القاهرة وأقام بالخانقاه مُدّة وعاد .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشري ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودفن في مقابر الشيخ أرسلان .

ومولده سنة ستين وست مئة .

١٨٠٥ ـ محمد بن نصر الله*

ابن عبد الوهاب ، القاضي الرئيس علاء الدين الجوجري ، بجيمين بينهما واو وبعد الجيم الثانية [راء][1] المالكي الحاكم بالقاهرة .

درَّس الفقه على مذهب مالك بالجامع الحاكمي ، وناب في الحكم عن قاضي القضاة تقي الدين الآخنائي المالكي ، وكان ناظر خزانة الخاص .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة تاسوعاء سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ولعله قد تجاوز السبعين .

وولي نظر الخزانة بعده القاضي محيي الدين بن بنت الأعز .

١٨٠٦ ـ محمد بن نصر الله بن محمود**

شهاب الدين ، الشيباني العطار .

سمع من ابن مسلمة[2] في سنة ثمان وأربعين وست مئة[3] الجزء الذي كان عنده

---

* الدرر : ٤/٢٧٤ .

(١) زيادة من (س) ، وفي الأصل : « والمالكي » بواو ، وأثبتنا ما في (س) .

** لم نقف على ترجمة له .

(٢) (س) : « ابن مسلم » ، سهو ، وهو أحمد بن المفرج ، سلفت الإشارة إليه .

(٣) (س) : « وسبع مئة » سهو .

(موافقات ابن عساكر) ، وسمع أيضاً من العراقي ، وفرج الحبشي ، ولم يحدث .

وتوفي رحمه الله تعالى في ربيع[١] الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٨٠٧ ـ محمد بن نصر الله بن يوسف*

ابن أبي عبد الله ، الشيخ الصالح عز الدين القرشي الأبزاري[٢] المصري رئيس للمؤذنين بحرم النبي ﷺ .

كان عنده ثبتٌ وإجازات تركها بمصر ، وغالب مسموعاته بقراءة المكين الحصني[٣] .

توفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة عند فراغه من أذان الفجر بالمنارة الجديدة ، من غير مرض ولا عرض ، وكان له مشهد عظيم .

١٨٠٨ ـ محمد بن هاشم**

ابن عبد القاهر بن عقيل بن عثمان ، ينتهي إلى عليّ بن عبد الله بن العباس[٤] ، الشريف شمس الدين أبو عبد الله بن الشريف تاج الدين بن الكاتب بهاء الدين .

روى عن عمّ والده الفضل[٥] بن عقيل ، وعن ابن الزبيدي . وحدث (بصحيح البخاري) مرات ، وكان اسمه مضمناً في إجازة ابن عساكر ، وحدث عن أبي روح الهروي[٦] بها .

---

(١) (س) : « في شهر ربيع » .

* الدرر : ٢٧٥/٤ .

(٢) في الدرر : « الأبراري » .

(٣) هو أبو الحسن بن عبد العظيم المصري (ت٦٧٤هـ) . العبر : ٣٠٢/٥ .

** العبر : ٤٠٥/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٤) في (س) زيادة : « الشيخ المعمر » .

(٥) (س) : « الفخر » ، وما أثبتناه يوافق ما في العبر والشذرات .

(٦) عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي الهروي (ت٦١٨هـ) ، السير : ١١٤/٢٢ .

وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة[١] ست وست مئة .

١٨٠٩ ـ محمد بن الهمام*

ابن إبراهيم بن الخضر بن همام بن فارس ، ناصر الدين القرشي .

أخبرني شيخنا العلامة أبو حيّان ، قال : هو صاحبنا ، كان له سماع في الحديث ، وقد حدّث عن النجيب الحرّاني . وكان ذا خطّ حسن وصُورة حسنة كريماً محبّاً في الفقراء إماماً للأدباء ، حسن النغمة بالقرآن ، وإنشاء[٢] الشعر ، باشاً بأصحابه ، يحبّ من يأكل طعامه ومَنْ يجتمع به . وكان يعرف الحساب واشتغل بالخدم[٣] ، وناب في نظر البيمارستان المنصوري ، وكان الفقهاء معه في الجوامك على أحسن حال .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وسبع مئة .

١٨١٠ ـ محمد بن أبي الهيجاء بن محمد**

الأمير الفاضل عز الدين الهذباني الإربلي ، متولي دمشق[٤] .

قدم الشام[٥] شاباً ، واشتغل ، وجالس العز الضرير . وكان جيّد المشاركة في التاريخ والأدب والكلام .

---

(١) (س) : « في سنة » .

* الوافي : ١٦٩/٥ ، والدرر : ٢٧٨/٤ .

(٢) (س) : « بالقراءة » . وفي الوافي : « وإنشاد » .

(٣) في الأصل : « الخدم » وأثبتنا ما في (س) والوافي .

** الوافي : ١٧٠/٥ ، والدرر : ٢٧٨/٤ .

(٤) (س) : « مدينة دمشق » .

(٥) في الأصل : « القاهرة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي وبعض أصول الدرر .

قال شيخنا الذهبي : وهو معروف بالتشيع والرفض ، وكان شيخاً كُردياً مهيباً ، يلبس عمامة مُدَوَّرة ، ويرسل شعره على أكتافه . ولي دمشق وكان جيّد السياسة .

توفي رحمه الله تعالى بالسوّادة التي في رمل مصر سنة سبع مئة .

ومولده بإربل سنة عشرين وست مئة .

١٨١١ ـ محمد*

الأمير الكبير بدر الدين بن الوزيري ، توفي بدمشق بدار الجاولي ظاهر دمشق في يوم الأربعاء سادس عشر شعبان سنة ست عشرة وسبع مئة [ودفن][(١)] برأس ميدان الحصى[(٢)] .

كان عنده معرفة وله فضيلة ، وتكلم في الديار المصرية في أمر الأوقاف والقضاة والمدرسين ، وناب بدار العدل عن السلطان مدة ، صاحب[(٣)] الميسرة وأمير مئة ومقدم ألف . وخلّف تركة عظيمة ، ثم إنه صرف عن ذلك ونقل إلى دمشق .

١٨١٢ ـ محمد بن يحيى**

المنصور بالله ، أبو عصيدة بن الواثق الدهَنتاتي ، بفتح الهاء وسكون النون ، وبعدها تاء ثالثة الحروف وبعدها ألف وتاء أخرى . تملك تونس بإشارة المرجاني في آخر سنة [أربع وأربعين][(٤)] وست مئة .

---

* البداية والنهاية : ٧٩/١٤ .

(١) زيادة من (س) والبداية .

(٢) عبارة ابن كثير : « بميدان الحصى فوق خان النجيبي » .

(٣) في (س) والبداية : « حاجب » .

** الوافي : ٢٠٤/٥ ، والدرر : ٢٨٥/٤ ، وما في تمام نسبه من بياض لم يُشَرْ إليه في مطبوعة الوافي .

(٤) زيادة من الوافي ، وثمة بياض موضعها في الأصل و (س) .

كان شريف النفس مهيباً ، جيّد الرأي أديباً ، صالحاً ديّناً ، حميد السيرة صيّناً ، ظريفاً شكله ذريعاً[١] أكله ، ينفق في جنده ، ولا يرد أحدهم على رفده .

ولم يزل على حاله حتى رمي أبو عصيدة باليوم العصيب ، ورماه الحمام بسهمه المصيب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ولم يعهد إلى أحد ، فقام بعده ابن عمه ، فقُتل بعد أيام ، توثّب عليه المتوكل خالد بن يحيى من بني عمه وقتله ، ثم خلع بعد يومين .

ومات أبو عصيدة رحمه الله تعالى شاباً ، وإنما لقب بذلك لأنه عمل في سماط[٢] عصيدة عظيمة في وعاء سعته تفوق العبارة ، في وسطها بركة واسعة[٣] مملوءة سمناً ، ويليها خندق عسل ثم خندق من دهن ثم خندق من دبس ثم خندق من زيت ثم خندق من رب خرنوب ، سبعة خنادق ، والله أعلم ، وكان عسكره نحواً من سبعة آلاف .

١٨١٣ ـ محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد*

الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله القرطبي المالكي الأشعري ، نزيل مالقة ومحدثها وفقيهها ووزيرها .

وكان أشعرياً ، وكان آخر من حدث عن والده بالسماع ، وسمع من الدبّاج[٤] والشلوبين[٥] ، وابن الطيلسان[٦] . وكان من جملة محفوظاته (المقامات) .

(١) أي : واسعاً .

(٢) (س) والوافي : « سماط له » .

(٣) في الوافي : « واسطة » .

* الوافي : ٢٠٥/٥ ، والدرر : ٢٨٠/٤ ، والشذرات : ٥٢/٦ .

(٤) علي به جابر بن الدباج للقرئ النحوي (ت٦٤٦هـ) . السير : ٢٠٩/٢٣ ، والعبر : ١٠٩/٥ .

(٥) أبو علي عمر بن محمّد ، سلفت الإشارة إليه .

(٦) القاسم بن محمّد بن أحمد القرطبي (ت٦٤٢هـ) . البغية : ٢٦١/٢ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده بقرطبة سنة ست وعشرين وست مئة .

١٨١٤ ـ محمد بن يحيى بن أحمد*

ابن علي بن يَس ، الشيخ شمس الدين الحِمْيري المعروف والده بابن المعلم .

سمع من ابن عبد الدائم وروى عنه ، وسمع من عمر الكرماني . وكان له ملك يرتزق منه .

وسمع منه شيخنا علم الدين البرزالي .

توفي رحمه الله تعالى في العشر الأوسط من صفر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

١٨١٥ ـ محمد بن يحيى بن موسى**

الشيخ شرف الدين بن نجم الدين بن تاج الدين أبي البركات الصائغ المعروف بابن صفّ عذاره .

وكان شيخنا أوصى بثلث ماله أن يُشتري به وقفٌ للصدقة فكان أربع مئة دينار وكسوراً ، ووقف وقفاً على من يقرأ (صحيح البخاري) كل سنة في شهر رمضان بالإسناد .

توفي رحمه الله تعالى في أول ذي الحجة سنة تسع وسبع مئة .

---

* الدرر : ٢٨٠/٤ .

** الدرر : ٢٨٥/٤ .

١٨١٦ ـ محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الرحمن*

الشيخ الإمام المفتي المدرس بدر الدين ابن القاضي جمال الدين بن الفُويرة الحنفي ، تقدم ذكر أخيه علاء الدين علي ، وسوف يأتي ذكر والده جمال الدين إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الياء .

اشتغل كثيراً ، ورقى من الحفظ محلاً أثيراً ، تفنن في العلوم وتفنـد عما سوى ذلك من ملاذ المشارب والطعوم ، وحصّل رأس مال جيد من الفقه وأصوله ، وأنفق ولم يخش ذهاب محصوله .

ولم يزل على حاله إلى أن فارَ وفاض أجل الفويرة ، وسبق أقرانه ، وماجَدَّ في سيره .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء ، الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

وكان له حلقة إشغال في الجامع[١] الأموي عند شباك الكاملية في الحائط الشمالي ، ودرس بالخاتونية البرانية وبمجلس الرأس[٢] ، وخطب بالزنجليّة وسمع عن[٣] جماعة ، وحدث .

وكان قد انتشاله ولد تقدير عمره ست عشرة سنة ، وحج وهو صغير مع والده سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وحفظ الكتاب العزيز ، وسمع الحديث ، وحفظ شيئاً من

---

* الوافي : ٢١١/٥ ، والدرر : ٢٨٣/٤ ، والدارس : ٣٧٣/١ .

(١) في الأصل : « جامع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في (س) ، (ط) : « بمسجد الرأس » . والذي في الدارس : « مدرسة التاشي » ، وترجم للمدرسة ثمّة .

(٣) (س) : « على » .

الفقه ، فمات في شهر صفر من سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، ففجع فيه والده وأهله[١] ، وحزن والده عليه حزناً عظيماً ، ولم يعش والده بعده إلا هذه المدة اليسيرة ، ولحقه إلى الله تعالى .

وكان الشيخ بدر الدين رحمه الله تعالى رفيقا للقاضي فخر الدين المصري يجاريه في الإشغال فنّاً بعد فن[٢] ، خَلاَ أن ذلك كان شافعياً وهذا حنفيّاً ، وكان كثيراً ما يمشي هو وشمس الدين محمد بن زين الدين المقرئ الصفدي ، فكان الناس يسمونهما القط والفأر .

وحضرت يوماً عنده في حلقة إشغاله[٣] ، وأوردت عليه أنّ لفظه « طَهُور » صيغة مبالغة في تكرير[٤] الفعل من الفاعل مثل « صبور » و « قتول » ، و « أكول » و « شروب » ، فكيف يسلب الماء الطهورية بالمرة الواحدة ، على ما تقدم في ترجمة تقي الدين أبي الفتح السبكي مما نظمته وأجاب عنه نظماً ، فأعجب الشيخ بدر الدين هذا الإيراد وزَهْزَهَ له ، ولم يجب عنه ، ولم يكن في طباعه مع كثرة علومه وتفننه إقامة وزن الشعر .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : كان بدر الدين بن الغويرة ينشد قول الشاعر :

معاوي إننا بشر فأسجحي[٥] .....

بإثبات الياء بعد الحاء .

---

(١) (س) : « والده وجدّه وأهله » .

(٢) (س) : « فنّاً بفنّ » .

(٣) (س) : « اشتغاله » .

(٤) (س) : « تكرار » .

(٥) البيت بتمامه :

معاوي إننا بشرٌ فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديد

وهو لعقيبة الأسدي .

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٥٣/٧ وما بعدها .

١٨١٧ ـ محمد بن يحيى بن أحمد بن سالم*

الأمير بدر الدين بن الخشاب ابن العدل زين الدين القرشي الدمشقي .

دخل بدر الدين هذا في الجندية ، وباشر الشدّ في ديوان سلاّر في بلاد صفد وقضى من السعادة في هذه المباشرة ما لا يوصف ، وحصّل جملاً ، وبقي فيا بعد ذلك من أعيان مقدمي حلقة صفد . ثم إنه ترامى إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فأمرّه عشرة ، وجعله مشدّ الديوان بصفد ووالي الولاة ، وحضر إليها في سنة أربع وعشرين وسبع مئة . ثم إنه نقله إلى دمشق على شد الدواوين بها عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الطرقجي ، فوصل إليها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة بإعانة الصاحب غبريال[1] له . ثم إن الصاحب عُزل في أيامه وتولي هو مصادرته .

ولم يزل على وظيفة الشد إلى أن عزل منها ، وصودر في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وأقام في الترسيم نحواً من أربعة أشهر . ثم إنه أفرج عنه ، وتولى فيا أظن بعد ذلك بيروت بواسطة سيف[2] الدين قرمشي ، لأنه كان مزوّجاً بأخت قرمشي . ثم إنه نقله إلى ولاية نابلس ، وتقلب في المباشرات كثيراً .

ولم يزل على حاله في دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان يحب المباشرات ولو كانت ، مهما كانت عالية أو سافلة .

وكان فيه كرم وخدمة لأرباب الدولة ماعليها مزيد . وكان مع اتساع دائرته

---

* الدرر : ٢٨٠/٤ .

(١) (س) ، (خ) : « شمس الدين » .

(٢) (س) : « الأمير سيف » .

لا يخرج فلساً لبقل حتى يضبطه في تاريخه عنده في تعليق [وكان][1] عجباً في هذا الباب .

١٨١٨ ـ محمد بن يحيى بن فضل الله*

القاضي بدر الدين بن القاضي محيي الدين .

توجه إلى الديار المصرية صحبة والده ، وعاد معه إلى دمشق ، ثم توجه معه ثانياً إلى الديار المصرية ، وأقام بها إلى أن أخرجه أخوه القاضي علاء الدين إلى كتابة السر [بالشام][2] عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، فوصل إلى دمشق في أوائل شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وكان عاقلاً ساكناً كثير الإطراق ، ملازم الصمت ، لا يفوه بكلمة تُودي إلى الإحراق أو الإغراق[3] ، يخدم من يقصده ولا يلتفت إلى من يزحمه أو يحسده ، فأحبّه الناس وخضعوا ، وطأطأوا رؤوسهم له واتّضعوا ، وارتشفوا كؤوس محبّته وارتضعوا . وكان خطه جيداً يزين[4] به مهارقه ، ويودع الدرّجيد دَرْجه ومفارقه .

ولم يزل على حاله إلى أن خسف بدره في ليلة تمامه ، وأدار الغصن عذبته لنوح حمامه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر من شهر رجب الفرد سنة ست[5] وأربعين وسبع مئة .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وعبارة (س) : « حتى يضبطه عنده في تعليق ، وكان عجباً في هذا الباب » .

* الوافي : ٢١١/٥ ، والدرر : ٢٨٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٥٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٤٣/١٠ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في (س) ، (خ) : « أو الإغراق » .

(٤) (س) ، (خ) : « يطرّز » .

(٥) في الأصل : « ثلاث » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، ومصادر ترجمته .

ومولده سنة عشر وسبع مئة .

وهو شقيق أخيه القاضي شهاب الدين ، وخلّف نعمة طائلة ، وعمر أملاكاً مليحة عند قناة صالح داخل باب توما[١] ، وكان أحب الإخوة إلى والده القاضي محيي الدين .

وكان أخوه القاضي علاء الدين وهو أصغر سنّاً منه قد أدخله بعد موت والدهما إلى دار العدل ، وجلس في أيام السلطان الملك الناصر محمد ووقّع في الدست ، ولما توجه القاضي علاء الدين إلى الكرك صحبة الناصر أحمد ، وتسلطن الملك الصالح إسماعيل ، سدّ هو الوظيفة إلى أن عاد أخوه ، ثم إن أخاه جهزه[٢] إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء ، ولما مات رحمه الله تعالى كتبت إلى أخيه القاضي علاء الدين أعزيه فيه على لسان الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ارتجالاً من رأس القلم وهو :

يقبّل الأرض لا ساق الله إليها بعْدها[٣] وفدَ عَزَاء ، ولا أذاقها فَقْدَ أحبّةٍ ولا فراق أعزّاء ، ولا أعدمها جملة صبر تفتقر منه إلى أقل الأجزاء وينهي ما قدره الله تعالى من وفاة المخدوم[٤] القاضي بدر الدين أخي مولانا ، جعله الله وارث الأعمار ، وأسكن من مضى جنّات عدن ، وإن كانت القلوب بعده من الأحزان في النار ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قول من غاب بَدْره وخلا من الدست صدره ، وعمّ[٥] مصابه فهو يتأسى بالناس ، وعدم جَلَده فقال[٦] للدمع : اِجرِ فكم في وقوفك اليوم من باس[٧] ، وهذا مصاب لم يكن مولانا فيه بأوحد ، وعزاء لا ينتهي الناس فيه إلى غايةٍ أوْحَدّ :

---

(١) باب توما : أحد أبواب دمشق السبعة ، ومازال إلى يوم الناس هذا .

(٢) في الأصل : « عاد » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) في الأصل : « للرحوم » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) والوافي .

(٥) في الوافي : « وعمر » .

(٦) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) والوافي .

(٧) هذه الجملة من صدر بيت لأبي تمام : « مافي وقوفك ساعة من باس » . وقد سلف .

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً بشقّ قلوب لا بشق جيوب

فما[١] كان المست الشريف إلا صدراً نزع فيه القلب ، أو نجوماً[٢] بينما بدرها يشرق نوراً إذا به في الغرب ، وما يقول للملوك إلا إن كان البدر قد غاب فإن النيّر الأعظم واف ، وبيتكم الكريم سالم الضرب ، وإنما أدركه بالوهم خفي زحاف ، وما بقي إلا الأخذ بسنة النبي ﷺ في الصبر[٣] والاحتساب ، وبتسليم الأمر إلى صاحبه الذي كتب هذا المصرع على الرقاب : « وفي بقائك ما يسلي عن[٤] الحزن » ، وظلّ مولانا بحمد الله تعالى باق على بيته ، وما نقص عددٌ ترجع جملته إلى مولانا ، وكلنا ذلك الدارج ، والله لا يذيقه بعدها فقد قرين ولا قريب[٥] ، ويعوض ذلك الذاهب عمّا تركه في هذه الدار الفانية من الدار الباقية ، بأوفر نصيب إن شاء الله تعالى .

وقلت أرثيه ، ولم أكتب بذلك لأحد :

لفقدك بَدْرَ الدين قد مسنا الضّر وأظلم أفقُ الشام واستوحشت مصر
وشُقّق حبَيْبُ البَرْق واستعبر الحيا ولُطّم خد الورد وانصدع الفجر[٦]
وكادت لنوح الوُرق في غسق الدجى تجف على الأغصان أوراقها الخضر[٧]
لك الله من غادٍ إلى ساحة البلى «ومن بعده تبقى الأحاديث والذكر»
كأن بني الإنشاء يوم مصابه «نجوم سماء خرّ من بينها البدر»[٨]

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « فلمّا » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في الأصول : « صدرٌ ... نجومٌ » .
(٣) (س) : « بالصبر » .
(٤) في الوافي : « من » .
(٥) في الوافي : « قرين قريب » .
(٦) في (س) ، (خ) والوافي : « خد الرعد » .
(٧) في الأصل : « الأرق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٨) ضمّن البيتين الأخيرين شطرين من قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي .

١٨١٩ ـ محمد بن يحيى بن محمد*

الشيخ الإمام الصدر الكبير شمس الدين بن قاضي حرّان الحراني الحنبلي ، ناظر الأوقاف بدمشق .

كان صدراً محتشماً نبيلاً .

توفي رحمه الله تعالى في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربة ابن الصباب[١] بالصّالحية ، وعمل عزاؤه بكرة الجمعة بمحراب الصحابة بجامع دمشق .

وتولى نظر الأوقاف عوضه القاضي عماد الدين بن الشيرازي مضافاً إلى نظر الجامع[٢]

١٨٢٠ ـ محمد بن يحيى**

المعمّر الصالح كمال الدين ، ابن القاضي محيي الدين بن الزكي القرشي .

حدث عن ابن النحاس ، ودرس بأماكن .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

١٨٢١ ـ محمد بن يعقوب بن بدرَان***

الإمام المسند المقرئ أبو عبد الله بن الجرايدي ـ بالجيم ـ الأنصاري الدمشقي ثم القاهري ، نزيل بيت المقدس .

---

* البداية والنهاية : ١٦٨/١٤ .

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن أبي العزّ الحراني . انظر : البداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، والدارس : ٩٤/١ .

(٢) (س) : « الجامع الأموي » .

** الدرر : ٢٨٠/٤ .

*** الوافي : ٢٢٥/٥ ، والدرر : ٢٨٦/٤ .

أجاز له السخاوي ، وسمع بمصر سنة أربع وأربعين ، وبعدها من ابن الجميزي ، وسبط السلفي ، والمنذري ، والرشيد العطار وتلا بالسبع مفردات على الكمال الضرير ، وسمع منه (الشاطبيّة) ، ومن ولد الشاطبي[١] ، وجود الخط ، ودخل اليمن ، وروى بأماكن .

روى عنه شيخنا البرزالي والوافي ، وشيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وجماعة .

واستوطن القدس ثماني سنين ، وبه توفي سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده بدمشق سنة تسع وثلاثين وست مئة .

١٨٢٢ ـ محمد بن يعقوب بن زيد*

الشيخ الإمام العالم شمس الدين أبو عبد الله البلفيائي الشافعي المحدث .

كان قد رافق شيخنا العلامة تقي الدين قاضي القضاة السبكي في سنة خمس وسبع مئة ، وسمع معه على ابن الصواف ، وسمع بالقاهرة ، ومابرح يسمع إلى أن مات . وكان عدلاً فاضلاً ورعاً وديناً .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني[٢] عشري جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبع مئة ودفن بالقرافة ، وكان الجمع متوفراً .

١٨٢٣ ـ محمد بن يعقوب**

الشيخ الإمام العالم الأديب بدر الدين ، ابن النحوية ، الأديب ، نسبة إلى النحو .

(١) في (س) زيادة : « حفظها » . وفي الوافي : « وحفظها » .

* الدرر : ٢٨٧/٤ .

(٢) (ط) : « ثامن » .

** الوافي : ٢٣٥/٥ ، والدرر : ٢٨٥/٤ ، والبغية : ٢٧٢/١ .

كان أديباً لبيباً ، فاضلاً أريباً ، حمى سرح النحو بحماة ، وشاد ركنه وحماه ، له يد في النحو طولى ، وذهن بلغ به من الغوامض سولا بما أصفه وهو ابن النحويّة ، والفرع فيه ما في الأصل ، وزيادة مَحْويّة ، وتصانيفه تشهد له بالتقدم وتحكم بأن مجده آمنٌ من التهدّم .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح لقىً بين يدي المنايا ، وحكمت فيه الرزايا .

وتوفي رحمه الله تعالى

اختصر الشيخ بدر الدين (المصباح) الذي لبدر الدين بن مالك في المعاني والبيان والبديع ، وسماه (ضوء المصباح) وهذه تسمية حسنة .

قلت : وهذه التسميات تحتاج[1] ذوقاً ، كما اختصر ابن سناء الملك كتاب (الحيوان) للجاحظ ، وسمّاه (روح الحيوان) ، (البرق السامي) ، وسمي (سنا البرق) ، وصنف شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي كتاباً سماه (النور في مسائل الدور) واختصره فسماه (قطف النور)[2] . واختصرت أنا (ديوان السّراج) وسميته (لمع السّراج) . وشرح الشيخ بدر الدين (ضوء المصباح) في مجلدين وسماه (إسفار الصباح عن ضوء المصباح) . وكتبته بخطي وفي البديع مثلٌ مثّل بها ، وفيها نظر ، وعندي في التسمية أيضاً نظر ، وشرح أيضاً (ألفية ابن معط) شرحاً حسناً وسماه (حرز الفوائد وقيد الأوابد) .

أنشدني من لفظه الشيخ الإمام العلامة نجم الدين القفحازي قال :

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا بدر الدين محمد بن النحوية ما كتبه ارتجالاً على

---

(١) (س) : « تريد » .

(٢) في الوافي : « قطب النور » ، تحريف ، وانظر : الكشف : ١٣٥٣/٢ .

قصيدة أحضرها بعض شعراء العصر[١] يمدح فيها صاحب حماة :

لا ينشـــدَنْ هـــذا القريض متيم خـوداً يحـاذر من أليم صـدودهـا
فتملّـــه وتصـــدّه وتظنـــه أنْ قَدْ أغـار على فريـد عقـودهـا

قلت : لا يقال : إلا حـاذرت كـذا ، ولا يقـال إلا صـدّ عنـه ، اللهم إلا أن يكون حمل ذلك على المعنى ، فيكون « حاذرت » بمعنى خفت ، و « تصدّه » بمعنى تجفوه ، وفي هذا ما فيه . وقد بلغني من[٢] قاضي القضـاة جلال الـدين القزويني أنـه قـال : اجتمعت ببدر الدين بن النحوية في العادلية وسألته عن قول أبي النجم[٣] :

قـــد أصبحت أم الخيـــار تـــدعي عليّ ذنبـــاً كلّـــه لم أصنـــع

في تقـديم حرف السلب وتـأخيره ، فـما أجـاب بشيء ، أو كما قـال . وقـد تكلم ابن النحوية في[٤] هـذا البيت في (إسفـار الصباح) كلامـاً جيـداً ، والسبب في ذلـك أنـه ما يلزم كل من وضع مصنفاً أن يستحضر جميع مسائله متى طُلب ذلك منه ، لأنه حالـة التصنيف يراجع الكتب المـدونـة في ذلـك الفن ويطـالع الشروح فيحرر الكـلام ذلـك الوقت ، ثم إنه يشذ عنه ، وهذا الشيخ علاء الدين البـاجي كان إمـامـاً[٥] علاّمـة في فنونـه ، وقـد وضـع كتـابـاً في الجبر والمقـابلـة ، قـال لي عمـاد الـدين الـدميـاطي : سـألتـه مسـألـة في الجبر والمقابلة فما أجاب .

قلت : وهذا لا ينقص من قدر الباجي .

---

(١) (س) : « شعراء أهل العصر » .
(٢) (س) : « عن » .
(٣) انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٢٤٠/٤ .
(٤) (س) : « على » .
(٥) ليست في (س) .

١٨٢٤ ـ محمد بن يعقوب بن عبد الكريم*

القاضي ناصر الدين بن الصاحب شرف الدين ، كاتب السر الشريف بحلب ودمشق .

سألته عن مولده فقال : تقريباً في سنة سبع وسبع مئة بحلب .

كان من رجالات الدهر[١] عزماً وحزماً ، وسياسة ودُرْبَة بالسعي وفهماً . ينال مقاصده ولو كانت عند النعائم[٢] ، ويتناول الثريا قاعداً غير قائم ، وكتب ما يصبح به طرسه ، وكأنه حديقة ، وينظم بسرعة لا يقف فيها قلمه يُخال البرق رفيقه .

باشر كتابة السر بحلب ودمشق مرتين ، وخرج من كل منهما وهو قرير العين . وكان محظوظاً من النواب الذين يباشر بين أيديهم ، وله عندهم الوجاهة التي لا تعدوه عند غضبهم وتعديّهم ، يشكرونه في المجالس ، ويثنون عليه عند أرباب السيوف وأصحاب الطيالس ويقبلون شفاعته[٣] ما عسى أن تكون ، ويثقون إلى ما عنده من التأني والسكون :

فأمرهم رُدَّ إلى أمره وأمره ليس له رَدّ

ومع هذا فكان ساكناً وادعاً ، رادّاً على من اتصف بالشر رادعاً ، أخلاقه تعلم النسمات حسن[٤] الهبوب ، ويُغفر لها ما يعدّه الناس[٥] للدهر من الذنوب .

---

* الوافي : ٢٣٧/٥ ، والدرر : ٢٨٧/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٩٠/١/١ ، وذيول العبر : ٣٥٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٦/١١ .

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) النعائم : من منازل القمر .

(٣) (س) ، (خ) : « شفاعاته » .

(٤) (س) ، (خ) : « لطف » .

(٥) (خ) : « من الناس » .

ولم يزل على حاله إلى أن اعتلّ ، ورماه الموت بدائه وانسلّ .

وتوفي رحمه الله تعالى بكرة الأحد سادس ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، ودفن بتربته بمقابر الصوفية ، وكانت جنازته حافلة .

قال لي : قرأت القرآن على الشيخ تاج الدين الرومي ، وعلى الشيخ إبراهيم القبسج[١] . وقرأ (الحاجبية) على ابن إمام المشهد ، وقرأ (مختصر ابن الحاجب) ، وحفظ (التنبيه)[٢] ، وأذِن له الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني بالإفتاء ، ودرّس في حلب بالنوريّة وغيرها ، واشتغل على ابن خطيب جبرين[٣] قاضي حلب في الأصول ، وقرأ في الهيئة على أمين [الدين][٤] الأبهريّ ، وكان يستحضر من كليّات (القانون) جملة ، وعلى ذهنه من العلاج جملة وافرة ، ويستحضر من قواعد المعاني والبيان مواضع جيّدة .

وولي في حياة والده نظر الخاص المرتجع عن العربان ، ثم نُقل إلى كتابة الإنشاء بحلب . وكان الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب يقرّبه ويحبه ويحضر عنده في الليل ، ويقول له : يا فقيه ، ودخل به إلى توقيع الدست في حلب ، وتولّى تدريس المدرسة الأسدية بحلب سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، ثم إنه ولي كتابة السر بحلب عوضاً[٥] عن القاضي شهاب الدين بن القطب سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وتولّى قضاء العسكر بحلب في أيام الأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير نائب حلب .

ولما توفي زين الدين محمد بن الخضر[٦] كاتب سرّ دمشق طلب الأمير سيف الدين

(١) في الوافي : « الفتح » .

(٢) في الوافي : « للشيخ أبي إسحاق » .

(٣) في الأصول : « جبريل » ، وأثبتنا ما في الوافي . وسلفت الإشارة إلى نحو ذلك .

(٤) زيادة من الوافي .

(٥) في الأصل : « وكان عوضاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٦) في النجوم : « تاج الدين بن الزين خضر » . وهو محمد بن زين الدين خضر بن عبد الرحمن . (ت ٧٤٧هـ) ، النجوم : ١٠/١٧٧ .

يلبغا[١] من السلطان أن يكون القاضي ناصر الدين عنده بدمشق كاتب سر ، فرسم له بذلك ، ووصل إلى دمشق في رابع عشر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فباشر كتابة[٢] سرّ دمشق وبيده تدريس الأسديّة بحلب إلى أن مات بدمشق ، وبيده أيضاً قضاء عسكر حلب وهو بدمشق إلى أن نزل عنه لمن بذل له شيئاً ، ثم إنه تولى تدريس المدرسة [الناصريّة الجوّانيّة بدمشق ، وتدريس المدرسة][٣] الشامية الجوانية ومشيخة الشيوخ .

وكان يزعم أنه سمع على سنقر مملوك ابن الأستاذ[٤] حضوراً في الرابعة ، كذا قال لي من فمه ، وعندي في ذلك شيء[٥] ، فإن سنقر المذكور توفي سنة ثمان وسبع مئة ، وناصر الدين فمولده على ما أخبرني[٦] في سنة سبع وسبع مئة ، فهذا الحضور في الرابعة على سنقر لا يتصور .

وكان ينظم سريعاً ، ويكتب خطّاً حسناً ، وحصّل لأولاده الإقطاعات الجيّدة من إمرة العشرة إلى ما دونها ، ولمماليكه ولألزامه ، والرواتب الوافرة على الديوان ، وعلى الجامع الأموي واقتنى من الكتب النفيسة لليحة جملةً وافرة ، ومن الأصناف من القماش والجوهر واللؤلؤ وغير ذلك جملاً ، واقتنى الأملاك الجيدة والبساتين المعظمة في دمشق وغالب بلادها ، وفي حلب وغالب معاملاتها .

وكان رَجُلاً سعيداً محظوظاً إلى الغاية ، إلاّ أنّه لم يكن فيه شَرٌّ ، ولا تسرع يملك نفسه ، ويكتم أذاه وغيظه ولا يواجه أحداً بسوء .

---

(١) (س) ، (خ) : « يلبغا نائب الشام » .

(٢) في الأصل : « فباشرها به » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) هو سنقر الزيني ، سلفت ترجمته .

(٥) (خ) : « في هذا نظر » .

(٦) في (س) ، (خ) زيادة : « به » .

ولما كان في سنة ستين وسبع مئة رسم له بكتابة سر حلب عوضاً عني ، وجُعل القاضي أمين الدين [بن][1] القلانسي عوضاً عنه بدمشق ، وحضرتُ أنا على وظائف ابن القلانسي ، وذلك في أوائل سنة ستين .

ولم يزل بحلب إلى أن حضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجّي إلى دمشق في واقعة الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فولي القاضي ناصر الدين كتابة سر دمشق عوضاً عن القاضي أمين الدين بن القلانسي في ثاني عيد الأضحى ، فباشر كتابة السر إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وباشرت معه كتابة الإنشاء بدمشق مدّة ولايته الأولى ومافارقته فيها في سفر ، ولا حضر[2] ، وبيني وبينه بداءات[3] ومراجعات في عدة فنون ، وكلها في أجزاء (التذكرة) التي لي ، من ذلك ما كتبه إليّ[4] وقد وقع مطر عظيم :

كأنّ البرق حين تراه ليلاً ... ظُبَىً في الجوّ قد خُرطت بعنف
تخال الضوء منه نار جيشٍ ... أضاءت والرعود حسيس زحف[5]

وكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

يحاكي البرق بشرك يوم جُود ... إذا أعطيت ألفاً بعد ألف
وصَوت الرعد مثل حشا عدُوّ ... يخاف سطاك في حيف وحتف

ثم كتب هو إليّ :

لئن أوسعت إحساناً وفضلاً ... وجُدْتَ بنظم مدح فيك لائق

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) (س) : « لا في سفر ولا في حضر » .
(٣) (خ) : « مكاتبات بداءات » .
(٤) في (س) ، (خ) والوافي زيادة : « ونحن بمرج الغسولة » .
(٥) الحسيس الجبلة . وفي الوافي : « فَجَيْشُ » .

فهذا الفضل أخجل صوب سحبٍ وهذا البشر أخجل بِشرَ بارق

وكتب هو إليّ أيضاً :

وكأنّ القطر في ساجي الدجا لؤلؤ رصّع ثوبا أسودا[١]
وإذا ما قارب الأرض غدا فضةً تشرق من بعده المدى[٢]

فكتبت أنا الجواب إليه :

ما مُطرنا الآن في المرج سدى ورأينا العذر في هذا بَدَا
نظر الجوّ لما تَبْذُ لُه فهو يبكي بالغوادي حَسَدا

وكتب هو إليّ أيضاً :

طبَّق الجوّ بالسحاب صباحاً ومُطرنا سحّاً مغيثاً وبيلا
نسخ الريّ كل قحط ويبس بغمام أهدى لنا سلسَبيلا
ارتشفنا منه الرضاب فخلنا عن يقين مزاجه زنجبيلا[٣]

فكتبت أنا الجواب إليه بديهاً :

جَلتِ الأرضُ بعد قحط ويبسٍ من بكاء الغمام وجهاً جميلاً
وتثنى القضيب فيها رطيباً وتمشّى النسيم فيها عليلا
هكذا كل بلدة أنت فيها يجعل الغيثُ في حماها مسيلا

وكتب هو إليّ بعد ذلك :

---

(١) في الأصل : « لؤلؤاً » .

(٢) في الأصل ، و (س) و (خ) : « حارب الأرض » وأثبتنا ما في الوافي . وفي النجوم الزاهرة : « فإذا جادت على .. مع بعد » .

(٣) (س) ، (خ) والوافي : « الرضاب منه » .

أوضـــح اللهُ للبيـــــان سبيـــلا بـــك يـــا أقْـوَم المجيـــدين قيـــلا[١]
إن تثنى القضيب في الروض عجبـاً وتبـــدى نضـــاره مستطيـــلا[٢]
فبـــأقـــلامـــك المبـــاهـــاة فخراً كل غصن رطب وخـــدا صقيـــلا[٣]
ولئن زدْت في ثنـــائي فـــإني شـــاكر فضلـــك الجـزيـل طـويـلا
لم أنس بـــــالمرج مَرّ لنـــــا بـــه حللنـــا في غـــايـــة الشـــدّهْ
تقـــابـــل الرعـــدَ منـــه خيمتُنـــا بســورة الانشقـــاق والسجـــدهْ

وكتبت أنا إليه :

ما أنس لا أنس يوم المرج حين غدت أمطـــاره بـــدمـــوع العين تمتزج[٤]
كم في الختـام فتـوق كالعيـون غـدت أجفـان رفرفهـا بـالريـح تختلـج

وكتبت إليه في السنة الثانية ، ونحن بالمرج[٥] أصف حرّ الظهائر :

مرج دمشـــــــــق عجب أمره في الطيب والكره غـدا خـارجـا
كم نســخ الحرّ بـــــه للنـــــدى وكان مرجـاً فغـدا مـارجـا[٦]

وكتب هو إليّ ملغزاً :

أيها العالم الذي فاق علماء زمانه ، وعَلاَ قدراً في معانيه وبيانه ، وقام بصلاحه عماد الأدب بعد هوانه :

مـــا اسم شيء ســـداسي[٧] الحروف ، ظرف للعشرات والألـوف ، لا تنفـك علتـاه الصوريـة والغـائيـة عن عـاطف ومعطوف ، يمنع من القنص ويُتخذ كاتخاذ القفص ،

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « لك » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في (س) والوافي : « أو تبدى » .
(٣) في الأصل و (س) و (خ) : « على غصن » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الأصل و(س) و (خ) : « لا أنس » ، ولا تستقيم .
(٥) (س) ، (خ) : « بالمرج المذكور » .
(٦) (س) : « نسج » .
(٧) في الأصل : « سباعي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولا يوصف جلده ببهق ولا برص ، أعجمي للسمى ، حرم دان لمن تأمّله ورُزق حزماً ، إن صُحّف نصفه كان من علل العروض ، وأتى عقاباً ليعملة[١] غير ركوض ، وربما دخل تصحيفه في ألقاب الإعراب وأتى مشكوراً من ذوي السيادة والآداب ، وإن اعتبر نصفه الثاني فهو مرادف « قريب » ، واستُحب من الحبيب ، وإن قُلب كان للرؤساء مكاناً ، وربّما أضيف إلى قبيلة إذا أردت بيانا ، فاكشف لنا أيّها العالم عن معمّاه ، فما برحت تكشف عن وجوه الإعجاز حجابها ، وتكسف نور الشمس وترفع جلبابها ، وتنزع عن المعميات بنور بصيرتك ثيابها .

فكتبت أنا الجواب إليه ، وهو في « حرمدان »[٢] :

يا فريدا جمع الله فيه فنون الآداب ، ووحيدا علا عن الأشكال والأضراب ، وحَبرا بل بحرا زخرت بالعلوم أمواجه ، و « بل » للإضراب . نزّهت بصري وبصيرتي في هذه الحدائق[٣] التي لا تزال العيون إليها محدّقة ، ولا تبرح كواكبها في سماء بلاغة[٤] لا يسبح قمرها في الطريقة المحترقة ، فرأيتك قد ألغزت في ظرف ، حوى حُسن الشكل والظُرف ، وفيه الألف والنون والتركيب ولا يُمنع من الصرف ، وسدساه الأولان ثلثا « حرف » وسدساه الآخران حرف يُعبّر بألفاظه عن بابك المعمور للخائف[٥] ، لأنه حرم قريب لا يوجد به حائف ، حِرْز لما يودع فيه ، وهذا الوصف له من أجلّ الوظائف ، ذو جَلَد على الغربة ، فبينا هو بالبلغار[٦] إذا هو بالطائف ، ليس بعربي ، وعهده بالعجم قد تقادم ، وليس هو من بني آدم . وإذا قلبته وجدت به آدم ، ولا يفوه بكلمة ، ومتى عكس ثلثاه نادم ، يتلون ألوانا ، وما ضمّ جسده حسدا ، ونصفه مرح إذا

(١) اليعملة : الناقة النجيبة .
(٢) ضربٌ من الدروع .
(٣) (س) : « الحديقة » .
(٤) (س) : « بلاغته » .
(٥) (س) ، (خ) : « الخانق » .
(٦) (س) ، (خ) : « في البلغار » .

قُلب ، وسدساه داء ، وكلّه يرى مابين جنبيه لاجفنيه رمدا ، يماثل قول المحاجي الأديب[١] ، مأمن للخائف قريب . وله خواص أُخَر عجيبة وصفات بعيدة إلا عن ذهنك الصافي فإنها قريبة .

هذا ماظهر للمملوك منه ، وكُشف له من الغطاء عنه . فإن وافق الصواب فهو بسعادتك وبركات خاطرك ، ياشيخ الشيوخ ويُمن إرادتك ، وإلا فالعذر ظاهر في القصور ، وشرّ الطير يأوي الخراب وخيرها يأوي القصور . والله يمتّع الأنام بهذه الكلم اللؤلؤيات ، ويمنع بفضله من تحدّى لمعارضة هذه الآيات[٢] البيّنات ، بمنه وكرمه .

١٨٢٥ ـ محمد بن يوسف بن عبد الله*

الجزري شمس الدين ، يُعرف بابن الحشّاش ، وبالخطيب[٣] .

قال شيخنا البرزالي : كان أبوه صيرفيّا بالجزيرة .

وقال كمال الدين الأدفوي : كان ذا فنون ، وكان محسنا إلى الطلبة . قدمت من الصعيد في سنة ست وسبع مئة ، فوجدته يدرّس بالمدرسة الشريفية ، وتؤخذ عليه دروس كثيرة ، فسألته أن يرتّب لي درسا ، فاعتذر بضيق الوقت ، ثم قال : مالك شغل ؟ فقلت : لا ، فقال : تحضر بعد العصر ، فإن اتفق أن تجدني اقرأ[٤] . ففعلت ذلك ، فلم يخلُ يوما من الخروج إليّ ، فقرأت عليه قطعة من (المنتخب) في أصول الفقه ، وخصّني بوقت مع كثرة أشغاله وانتصابه للإقراء إلى نصف[٥] النهار .

---

(١) في (س) ، (خ) : « الأريب » .

(٢) في الأصل : « الأبيات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

* الوافي : ٢٦٣/٥ ، والدرر : ٢٩٩/٤ ، والبغية : ٢٧٨/١ ، وذيول العبر : ٦٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢١/٩ .

(٣) وبالموجب ، كما سيأتي في الألقاب .

(٤) (س) : « فاقرأ » .

(٥) (س) : « منتصف » .

وكان حسن الصورة ، مليح الشكل ، حلو العبارة ، عالما بفنون من الفقه على مذهب الشافعي ، والأصولين ، والنحو ، والمنطق ، والأدب ، مشاركاً في هندسة وغيرها من الرياضيات [١] . قدم قوص مجرّدا ، فوجد بها الشيخ شمس الدين الأصبهاني حاكًا ، فقرأ عليه فنونه ، ثم إنه[٢] قدم مصر ، واشتغل بها ، وأعاد بالمدرسة الصاحبيّة ، وأقام بالقاهرة ، وولي تدريس الشريفية ، وانتصب للإقراء ، فقرأ عليه المسلمون واليهود وغيرهم . وكان يلقي دروسا ، وتقرأ عليه طائفة ، وصحب الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وارتفعت منزلته عنده مدة ، ثم إنه وقع بينه وبين الشيخ نصر المنبجي فحطّ عند بيبرس من قدره ، وشهد عليه بعض طلبته . وكان خطيبا بالقلعة ، فعُزل عنها ، وتولّى الخطابة بالجامع الطولوني مدة ، ثم لما عاد السلطان الملك الناصر[٣] سنة تسع وسبع مئة مشى حاله .

وتولّى المدرسة المعروفة بالمعز[٤] بمصر .

وله تصانيف منها (شرح التحصيل) في ثلاث مجلدات ، و (شرح منهاج البيضاوي) في مجلدة لطيفة ليست بطائل ، صنّفه في آخر عمره ، واعتذر في خطبته بالكِبَر ، وله أجوبة على أسئلة (المحصول) ، و (شرح ألفية ابن مالك) .

وكان فيه مروّة وكرم أخلاق على الإطلاق ، يسعى في حوائج[٥] الناس بنفسه ، ويبذل جاهه لمن يقصده ، ويُسعفه بأربه . وله ديوان خُطب وشعر كثير .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر في سادس ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وقد جاوز الثمانين .

---

(١) (س) : « الرياضيات » .
(٢) ليست في (س) .
(٣) (س) : « الناصر محمد » .
(٤) في الوافي : « بالعزيّة » .
(٥) في (س) زيادة : « قضاء حوائج » .

ومن شعره :

لم أَصْبُ للبرق من تياء يـــأتلـق ... إلا وللقلب من حُبّيكم عُلَـــــقُ[١]
يعتـــاض من حرّ أنفـــاسٍ تلهّبـــه ... ثم استقـــل ولي في طيّـــــه حُرَقُ
يـا لامع البرق إمّـا لُحت معترضـا ... لا تستقرّ كقلبٍ هَـــزّهُ القلـــق
إني إخـال خفـوقـاً منـك في عَجَـل ... يهـدى وقلبيَ لا يهـدا بـــه الفَرَق[٢]
ويـا نسيم الصبـا هـل لَبْثـة برُبى ... نجـدٍ على غفلـة الـواشين تتفـق
وسل أُهيليه عن قلبي ومـا صنعـوا ... بـه فـإني بـا ترويـه لي أثـق[٣]
وعُـــدْ إليّ بمـــا ضُمّنت من خبر ... وفي دجـا الليـل من ظلمائـه رمـق
ومـــل إليّ دُوَين القـــوم مستترا ... كي لا ينمّ علينـــا نَشْرُك العبـــق
أبثكم أنّ لي من بعـــدكم كبـــدا ... أمست إليكم بنـــار الشـوق تحترق
أهـوى المنـام لمسرى طيفكم كلفـا ... بـه عسى مقلتي بـالطيف ترتـق[٤]
وهـل يخـوض الكرى جفنـا تقسّمـه ... كما يشـاء الغرام الـدمـع والأرق
إن أحتكم أنـــا والأشـواق نحـوكم ... يشهـد بـدعواي جفن من دمي شَرِق
لا تسمعـوا فيّ أقـوال الـوشـاة ولا ... تُصغوا سماعاً بما قـالـوه واختلقـوا
قـالـوا: نَبَتْـه الليـالي في تقلّبهـا ... عن حبكم، فتنـاساكم ومـا صـدقـوا

ومنه :

يعيـذك من نـار حـوتهـا ضلـوعـه ... مشـوق أحـاديث البّعـاد تروعـه
بعـدت فلمّـا يعرف النـوم جفنـه ... ولم يـدر هـل كان السكـون يريعـه
وكيف يلـذ العيش بعـدك مَن غـدا ... من العمر في محـل وأنت ربيعـــه

(١) في الأصل : « البرق » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « على عجل » .
(٣) (س) : « من قلبي » .
(٤) (س) : « ترتفق » .

وهـا نَبْت فـوديـه يلـوح مصـوّحـا ... ويبـــدو كمبيّض الهشيم فروعـــه
أقـــول وقـــد حمّلت بثّي إليكم ... نسيمـــا وظني أنـــه لا يضيعـــه
لعـــلّ النسيم الحـــاجريّ إذا قضى ... رسـائلـــه يُقضى إليّ رجـوعـــه
ومستخبر عن حال قلبي وما الـذي ... سرى منه لمّـا بنت، قلت: جميعـه[1]
ويسألني عن نـاظري مـا الـذي ترى ... تأخر عنـدي منـه، قلت: دموعـه[2]

منها :

وإني متى مـــــا ضم شملي وشملكم ... ويـدعـو بنـا داعي الهـوى لا أطيعه
فمـــا كلّ حين لي دمـوع أريقهـــا ... ولا كل وقت لي فـؤاد تريعـــه

ومن شعره :

سل عن أحاديث أشواقي إذا خطرت ... رسـلَ النسيم فقـد أودعتهـا لُمعـا
واستوضح البارق النجـديّ عن نفسي ... بعـد النـوى فسيحكيـه إذا لمعـا
واستحك من طير غصن البان بث جوى ... أمليتـــه فسيُمليـــه إذا سجعـــا[3]
ومـذ رمتنـا النـوى والله مـاهـدأت ... أشجـان قلبي وطرفي قطّ مـاهجعـا
وليس يمسـك من بعـد النـوى رمقي ... إلا أمـــاني قلبي أن نعـود معـــا

١٨٢٦ ـ محمد بن يوسف*

ابن الحافظ زكيّ الدين محمـد بن يوسف بن محمـد بن يّـداس ـ بـالياء آخر الحروف والـدال المهملـة المشـددة ، وبعـد الألف سين مهملـة ـ الشيـخ الإمـام العـالم المرتضى

(١) (س) : « ويستخبر » .
(٢) في الأصل : « ضلوعه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في مطبوعة الوافي « واستمل » .
* الوافي : ٢٦٤/٥ ، والنجوم : ١٩٤/٨ .

بهاء الدين أبو الفضل بن أبي الحجاج بن البرزالي الإشبيلي الأصل ، الدمشقي ، الشافعي .

أحضره والده على جماعة ، منهم السخاوي ، وابن الصلاح ، وكريمة ، وعتيق السلماني ، والمخلص بن هلال ، والتاج ابن أبي جعفر[1] ، ومحاسن الجوبري ، والمرجّى ابن شقيرة .

ثم توفي والده شابا ، وخلّفه ، وله خمسة أعوام ، فربي في حجر جده الإمام علم الدين القاسم بن أحمد اللورقي ، وقرأ عليه القرآن وشيئا من النحو ، وكتب الخط المنسوب ، وبرع فيه ، ونسخ جملة من الكتب ، وأجاز له طائفة من شيوخ بغداد ومصر والشام .

وقرأ عليه ولده شيخنا علم الدين البرزالي شيئا كثيرا ، منها الكتب الستة بالإجازات وحدّث بمصر وبدمشق وبالحجاز ، وبرع في كتابة الشروط وكتب الحكم للقضاة ، ورزق حظوة مع التصوّن والديانة والتقوى والتعبّد .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوّال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

١٨٢٧ ـ محمد بن يوسف بن يعقوب*

ابن أبي طاهر الإربلي ثم الدمشقي الذهبي .

أجاز له أبو محمد بن البُنّ ، وجماعة . وسمع من ابن المسلّم المازني ، وأبي نصر بن عساكر ، وابن الزبيدي ، وابن اللتي ، وابن مكرّم ، والزكي البرزالي ، وعدّة . وخُرّجت له (مشيخة) ، وذيّل عليها شيخنا الذهبي .

(١) محمد بن أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي (ت ٦٤٣ هـ) . الشذرات : ٢٢٦/٥ .

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٥/٤ ، والشذرات : ١١/٦ .

وكان مكثرا . وسمع (السنن الكبير) للبيهقي سنة اثنتين وثلاثين على المرسي . وكان شيخاً عاميا .

سقط من السُلّم فمات لوقته في شهر رمضان سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وعشرين وست مئة .

وكان قد تفرّد بأشياء .

١٨٢٨ ـ محمد بن يوسف بن محمد*

ابن المهتار المصري ، العدل الجليل ناصر الدين أبو عبد الله بن الشيخ مجد الدين المصري ثم الدمشقي الشافعي .

سمع من ابن الصلاح ، والمرجّى بن شقيرة ، ومكي بن علاّن ، وجماعة . وأجاز له ظافر بن شحم[1] ، وابن المقير . وتفرّد بأجزاء .

وكان نقيب قاضي القضاة إمام الدين القزويني .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس عشري ذي الحجة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه (الآداب) و (الاعتقاد)للبيهقي و (علوم الحديث) و (الطوالات) للتنوخي ، وقطعة من الأجزاء . وحدّث (بالزهد) للإمام أحمد بكماله ، وانفرد برواية (علوم الحديث) لابن الصلاح عن مصنّفه مدّة سنين ، وبقطعة كبيرة من (سنن البيهقي) و (بالطوالات) للتنوخي .

---

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٣/٤ ، والشذرات : ٣٨/٦ .

(١) ظافر بن طاهر بن ظافر بن شحم الأزدي (ت ٦٤٢ هـ) . الشذرات : ٢١٣/٥ .

وأجاز له من دمشق السخاوي ، وشيخ الشيوخ ابن حموّيه ، وإبراهيم بن الخشوعي ، وعبد الحق بن خلف وجماعة من الديار المصرية فخر القضاة ابن الحباب ، وظافر بن شحم ، وسبط السلفي ، وابن رواج ، وعلي بن زيد التسارسي[١] ، وعلم الدين بن الصابوني ، وابن الجمّيزي ، والسراج محمد بن يحيى بن ياقوت[٢] ، وهبة الله بن محمد المقدسي[٣] ، وهم من أصحاب السلفي .

١٨٢٩ ـ محمد بن يوسف ...*

محيي الدين المقدسي المصري النحوي ....[٤]

١٨٣٠ ـ محمد بن يوسف بن عبد الغني**

ابن تُرْشَك ـ بالتاء ثالثة الحروف والراء والشين المعجمة وبعدها كاف ـ الشيخ تاج الدين المقرئ الصوفي البغدادي .

حفظ القرآن العظيم في صباه بالروايات ، وأقرأه ، وسمع الكثير من ابن حصين[٥] . وإجازاته عالية . وروى وحدّث ، وسمع منه خلق ببغداد وبدمشق وبغيرها من البلاد .

وكان ذا سمت حسن ، وخُلق طاهر ، ونفس عفيفة رضيّة ، وصوت مطرب إلى الغاية . وقدم دمشق مرارا ، وحدث ، وحجّ غير مرة ، ثم عاد إلى بلده ، وأضرّ بآخرة .

---

(١) (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ٩٢/٢٣ .

(٢) (ت ٦٤٦ هـ) ، الشذرات : ٢٣٧/٥ .

(٣) (ت ٦٥٠ هـ) ، العبر : ٢٠٦/٥ .

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٦/٤ ، نسبه فيه : « محمد بن يوسف بن أبي محمد بن أبي الفتوح بن ناصر الدين المقدسي » وترجمته ثمة أوفى مما ههنا .

(٤) في الوافي : توفي سنة ثلاث وسبع مئة .

** الوافي : ٢٨٣/٥ ، ونكت الهميان : ٢٨٦ ، والدرر : ٢٩٧/٤ .

(٥) في الأصل : « ابن أبي حصين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر . وزاد بعده في (س) والوافي : « ومن في طبقته » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده ببغداد في شهر رجب الفرد سنة ثمان وستين وست مئة .

١٨٣١ ـ محمد بن يوسف بن علي*

ابن يوسف بن حيّان ، الشيخ الإمام العالم العلاّمة الفريد الكامل[١] ، حجة العرب ، مالك أزمّة الأدب ، أثير الدين أبو حيّان الأندلسي الجبّائي الجيّاني ، بالجيم والياء آخر الحروف مشدّدة ، وبعد الألف نون .

كان أمير المؤمنين في النحو ، والشمس السافرة شتاءً[٢] في يوم الصحو ، والمتصرّف في هذا العلم ، فإليه الإثبات والمحو ، لو عاصر[٣] أئمة البصرة لَبصرهم ، وأهل الكوفة لَكَفَّ عنهم[٤] اتّباعهم الشواذ[٥] وحذّرهم ، نزل منه (كتاب سيبويه) في وطنه بعد أن كان طريدا ، وأصبح به (التسهيل) بعد تعقيده مفيدا[٦] ، وجعل سرحة شرحه وَجْنة راقت النواظر توريدا . ملأ الزمانَ تصانيف ، وأمال عُنق الأيام بالتواليف . تخرّج به أئمة هذا[٧] الفن ، وروّق لهم في عصره منه سُلافة الدن ، فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير مُحبّب ، أو عيسى بن عمر لأصبح من تقعيره وهو مُحدّب ، أو الخليل لكان بعينه قذاه[٨] ، أو سيبويه لما تردّى من مسألته الزنبوريّة برداه ، أو الكسائي لأعراه

* الوافي : ٢٦٧/٥ ، ونكت الهميان : ٢٨٠ ، وفوات الوفيات : ٧١/٤ ، والبداية والنهاية : ٢١٣/١٤ ، والدرر : ٣٢٠/٤ ، وغاية النهاية : ٢٨٥/٢ ، والبغية : ٢٨٠/١ ، والشذرات : ١٤٥/٦ ، والنجوم : ١١١/١٠ .

(١) في (س) ، (خ) والوافي ، زيادة : « الحافظ » .

(٢) (س) : « سناء » .

(٣) (خ) : « عاصره » .

(٤) ليست في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل و (س) : « السواد » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٦) (خ) : « عقيدا » .

(٧) (س) : « في هذا » .

(٨) في (س) ، (خ) : « فداه » .

حُلّة جاهه عند الرشيد وأناسه ، أو الفرّاء لفرّ منه ولم يقتسم ولد [١] المأمون تقديم مداسه ، أو الزبيدي لأظهر نقصه من مكامنه ، أو الأخفش لأخفى جملة من محاسنه ، أو أبو عُبيدة لما تركه ينصبّ لشعب الشعوبية ، أو أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلّق بعربية [٢] ، أو السكّري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا ، أو للمازني لما زانه قوله :

« إن مصابكم رجلا » [٣]

أو قطرب لما دبّ في العربية ولا درج ، أو ثعلب لاستكنّ بمكره في وكره وما خرج ، أو للمبرّد لأصبحت [٤] قواه مُفتّرة ، أو الزجاج لأمست قواريره مكسّرة ، أو ابن الوزان [٥] لَعَدم نقده ، أو الثانيني [٦] لما تجاوز حدّه ، أو ابن بابشاذ [٧] لَعَلم أن قياسه ما اطّرد ، أو ابن دريد ما بلع ريقه ولا ازدرد ، أو ابن قتيبة لأضاع رَحْلَه ، أو ابن السراج لمشّاه [٨] إذا رأى وحله ، أو ابن الخشاب [٩] لأضرم فيه نارا ولم يجد معها

---

(١) (س) : « ولدا » .

(٢) يشير إلى اختلافهم في اسم أبي عمرو على واحد وعشرين قولاً ، كما ذكر السيوطي . انظر : البغية ٢٣١/٢ .

(٣) البيت :

أظلوم إنّ مصابكم رجلاً أهدى السّلام تحيّة ظلم

وقصة البيت معروفة . انظر : البغية : ١٦٤/١ .

(٤) (س) : « لأضحت » .

(٥) كذا في الأصول ، ولعلّها محرّفة عن ابن الورّاق ، محمد بن عبد الله من نحاة القرن الرابع (ت ٣٨١ هـ) .

(٦) عمر بن ثابت ، سلفت الإشارة إليه .

(٧) في الأصل : « ابنَ باب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) وهو طاهر بن أحمد (ت ٤٦٩ هـ) ، البغية : ١٧/٢ .

(٨) في الأصل : « لمشّى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٩) عبد الله بن أحمد بن أحمد ، صاحب كتاب المرتجل في النحو (ت ٥٦٧ هـ) . البغية : ٢٩/٢ .

نورا ، أو ابن الخباز[١] لما سجر له تنورا ، أو ابن القواس لما أغرق في نزعه[٢] ، أو ابن يعيش لأوقعه في نزعة ، أو ابن خروف لما وجد له مرعى ، أو ابن إياز[٣] لَمَا وجد لإوازّه[٤] وقعا ، أو ابن الطراوة[٥] لم يكن نحوه طريّا ، أو الدبّاج[٦] لكان من حُلّته الرائقة عريّا .

وعلى الجملة فكان إمام النحاة في عصره شرقا وغربا ، وفريدَ هذا الفن الفذّ بُعدا وقربا ، وفيه قلت :

سلطان علمِ النحو أستاذنا ... الشيخ أثير الدين حَبْرُ الأنام
فلا تقل زيد وعمرو فما ... في النحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين ، وسلك من[٧] غرائبه وغوامضه طُرقا متشعبة الأفانين .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل في خبر كان ، وتبدّلت حركاته بالإسكان .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة ، في يوم السبت بعد العصر ، الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصُلّي عليه بالجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر .

(١) أحمد بن الحسين بن أحمد (ت ٦٣٧ هـ) البغية : ٣٠٤/١ .
(٢) في الأصل : « ترعه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « إواز » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . وابن إياز هو الحسين بن بدر (ت ٦٨١ هـ) . البغية : ٥٣٢/١ .
(٤) كذا في الأصول ، ولعلّه يشير بلفظ : « الإوز » إلى ما عرف به ابن إياز في علم التصريف ، فقد اختلف التصريفيون في وزن هذه اللفظة .
(٥) سليمان بن محمد بن عبد الله (ت ٥٢٨ هـ) ، البغية : ٦٠٢/١ .
(٦) علي بن جابر بن علي (ت ٦٤٦ هـ) ، البغية : ١٥٣/٢ .
(٧) (س) : « عن » .

ومولده[١] بمدينة مطخشارش[٢] في أُخريات شوّال سنة أربع وخمسين وست مئة .

وقلت أنا أرثيه ـ رحمه الله تعالى ـ[٣] :

مـات أثير الـدين شيـخ الـورى ... فـاستعر البـارق واستعبرا
ورَقّ من حـزن نسيمِ الصّبـا ... واعتـلّ في الأسحـار لمّـا سَرَى
وصـادحـات الأيـك في نَـوْحهـا ... رثتـه في السجـع على حرف را
يـا عَيْنُ جـودي بـالـدمـوع التي ... يُرْوَى بهـا مـا ضمّـه من ثرى
واجرِ دمـا فـالخطب في شـأنـه ... قـد اقتضى أكثر مِمّـا جرى[٤]
مـات إمـامٌ كان في فنـه ... يُرى أمـامـا والـورى من ورا[٥]
أمسى منـادَى للبلى مفردا ... فضمّـه القبر على مـا ترى
يـا أسفـا كان هُـدىً ظـاهراً ... فعـاد في تربتـه مضمرا[٦]
وكان جَمْـع الفضـل في عَصْره ... صـحّ فلمّـا أن قضى كُسّرا
وعُرّف الفضـل بـه بُرهـة ... والآن لمّـا أنْ مضى نُكّرا
وكان ممنـوعـا من الصرف لا ... يَطْرق مَن وافـاه خطب عرا
لا أفعـلُ التفضيـل مـا بينـه ... وبين مَن أعرفـه في الـورى[٧]
لا بـدلٌ عن نعتـه بـالتقى ... ففعلـه كان لـه مَصْـدَرا[٨]
لم يُـدَّغم في اللحـد إلا وقـد ... فـك من الصبر وثيـق العُرا

---

(١) ليست في (خ) .
(٢) مدينة من حضرة غرناطة ، كما في البغية .
(٣) نقلها السيوطي في البغية . وفي النجوم : « بغرناطة » .
(٤) (خ) : « في الخطب » .
(٥) (س) ، (خ) الوافي والبغية : « في علمه » .
(٦) في البغية : « طاهرا » ، تصحيف .
(٧) في البغية : « ما أعرفه » .
(٨) في البغية : « لا بد لي عن » .

بكى لـــه زيـــد وعمرو فمِنْ أمثلـــة النحـو ومَن قـــد قرا [١]
مـا أعقـد (التسهيـل) من بَعْـدَه فكم لـــه من عُسْرة يسّرا [٢]
وجسّر النـــاس على خـوضـــه إذ كان في النحـو قـــد استبحرا [٣]
مِنْ بعـــده قـــد حـــال تمييزُه وحظّـــه قـــد رجـع القهقرى
شـارك مَن قـد سـاد في فنـــه وكم لـــه فن بـــه استـــأثرا [٤]
دأب بني الآداب أن يَغْسلـــوا بـدمعهم فيـه بقـايـا الكرى [٥]
والنحـو قـد سـار الرَّدى نحـوه والصّرف للتصريف قـــد غيّرا
واللغـة الفصحى غـدت بعـده يُلغى الـذي في ضبطهـا قرّرا [٦]
تفسيره (البحر المحيـط) الـذي يُهـدي إلى ورّاده الجـوهرا [٧]
فـوائـد من فضلـه جمّـة عليـه فيهـا نعقـد الخنصرا [٨]
وكان ثبتـاً نُقْلُـه حجـةٌ مثـل ضيـاء الصبـح إن أسفرا
ورَحْلـة في سنّـة المصطفى أصـدق مَن تسمـع إن أخبرا [٩]
لـه الأسـانيـد التي قـد علت فـاستغلت عنهـا سـوامي الـذُرا
سـاوى بهـا الأحفـاد أجـدادهم فـاعجب لمـاض فاتـه مَن طرا [١٠]
وشـاعراً في نظمـه مُفلقـا كم حرّر اللفـظ وكم حَبّرا

---

(١) في البغية : « وممَّن قرا » .
(٢) في البغية : « من عثرة » .
(٣) في البغية : « إن كان » .
(٤) في البغية : « من ساواه » .
(٥) في البغية : « مدمعهم » .
(٦) في البغية : « يلفى » بالفاء .
(٧) (خ) والوافي : « وارده » .
(٨) في الأصل : « وفوائد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٩) في البغية : « يخبرا » .
(١٠) في البغية : « أحرارهم فاعجب لها من .. » .

لـــه معـــانٍ كلّما خطّهـــا ... تسترمـــــا يُرقِ في تُسْتَرا[١]
أفـديـه من مـاض لأمر الردى ... مُسْتقبلاً من ربّـه بـالقِرى
مـا بـات في أبيضِ أكفـانـه ... إلا وأضحى سنـدسـاً أخضرا[٢]
تُصـافـح الحـورَ لـه راحـةٌ ... كم تعبت في كل مـا سطّرا
إن مـات فـالـذكر لـه خـالـد ... يَحْيَـا بـه من قبـل أن يُنشرا
جـــاد ثرىً واراه غيث إذا ... مسّـاه بـالسقيـا لـه بكّرا[٣]
وخصّـه من ربّـه رحمـة ... تـورده في حشره الكـوثرا

وكان قد قرأ القرآن على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحواً من عشرين ختمة ، إفرادا وجمعا ، ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر أحمد الغرناطي المعروف بالطبّاع بغرناطة ، ثم قرأ السبعة إلى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص بمالقة .

ثم إنه قدم الإسكندرية ، وقرأ القراءات على عبد النصير بن علي بن يحيى المريوطي .

ثم قدم مصر فقرأ بها القراءات على أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي ، وسمع الكثير[٤] على الجم الغفير بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية والإسكندرية ، وبادر مصر والحجاز ، وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك ، واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالا منه ، لأني لم أره قط إلا يُسمع أو يشتغل[٥] أو يكتب ، ولم أره على غير ذلك . وله إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم ، ونَظَم ونَثَر ، وله الموشحات البديعة .

(١) تستر : من بلاد فارس .
(٢) في البغية : « أبيض أجفانه » .
(٣) في الأصل : « وافاه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « وقرأ بنفسه » .
(٥) (س) ، (خ) : « يشغل » .

وهو ثبت فيما ينقله ، محرِّر لما يقوله[١] ، عارف باللغة ، ضابط لألفاظها .

وأما النحو والتصريف ، فهو إمام الناس كلهم فيهما ، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته .

وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم[٢] وحوادثهم ، خصوصا المغاربة ، وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة[٣] وترقيق وتفخيم ، لأنهم يجاورون بلاد الإفرنج ، وأسماؤهم قريبة من لغاتهم ، وألقابهم كذلك ، وقيّده وحرّره ، وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلّق بذلك ، وأجابه عنها .

وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت ، وقرئت ودُريت ، ونُسخت وما فسخت ، أخملت[٤] كتب الأقدمين ، وألهمت[٥] المقيمين بمصر والقادمين ، وقرأ الناس عليه ، وصاروا أئمة وأشياخا في حياته ، وهو الذي جسّر الناس على مصنّفات ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ ورغّبهم في قراءتها ، وشرح لهم غامضها[٦] ، وخاض بهم لججها ، وفتح لهم مُقْفَلها . وكان يقول عن (مقدمة ابن الحاجب)[٧] : هذه نحو الفقهاء .

وكان التزم أن لا يقرئ أحداً إلاّ إن كان في (كتاب سيبويه) أو في (التسهيل)

---

(١) (خ) : « ينقله ويقوله » .

(٢) في (س) ، (خ) والوافي ، زيادة : « وتواريخهم » .

(٣) في الوافي والفوات : « إمالة وترخيم » .

(٤) في الأصل : « أجملت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٥) في (س) ، (خ) والوافي : « وألهت » .

(٦) (س) : « غوامضها » .

(٧) وهي المعروفة « بالكافية » في النحو .

لابن مالك أو في تصانيفه ، ولمّا قدم من البلاد[١] لازم الشيخ بهاء الدين[٢] ـ رحمه الله ـ كثيرا ، وأخذ عنه كتب الأدب .

وكان شيخا[٣] حسن العمّة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون مُشْرَبا حمرة ، منوّر الشيبة ، كبير اللحية مسترسل الشعر فيها ، لم تكن كثّة . عبارته فصيحة بلغة الأندلس ، يعقد القاف قريبا من الكاف على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة . وسمعته يقول : ما في هذه البلاد من يعقد حرف القاف .

وكانت له خصوصية بالأمير سيف الدين أرغون كافل الممالك ، ينبسط معه ، ويبيت عنده في قلعة الجبل . ولمّا توفيت ابنته « نُضار » طلع إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وسأل منه أن يدفنها في بيته[٤] داخل القاهرة في البرقيّة ، فأذن له في ذلك ، وسيأتي ذكرها ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وكان أوّلاً يرى رأي الظاهرية ، ثم إنه تمذهب للشافعي ـ رضي الله عنه ـ بحث على الشيخ علم الدين العراقي (المحرّر) للرافعي ، و (مختصر للنهاج) للنووي ، وحفظ (المنهاج) إلا يسيرا ، وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر بن الزبير ، بحث عليه من (الإشارة) للباجي ومن (للمستصفى)[٥] للغزالي ، وعلى الخطيب أبي الحسن ابن فصيلة[٦] ، وعلى الشيخ علم الدين العراقي ، وعلى الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، وعلى الشيخ علاء الدين الباجي . وقرأ أشياء من أصول الدين[٧] على شيخه ابن الزبير ، وقرأ عليه شيئاً من المنطق ، وقرأ شيئاً من المنطق على بدر الدين محمد بن

(١) عبارة الوافي : « ولما قدم البلاد » .
(٢) (س) ، (خ) والوافي : « بهاء الدين بن النحاس » .
(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « طوالاً » .
(٤) في الوافي : « بيتها » .
(٥) في الأصل : « المستعفى » .
(٦) (س) : « فضيلة » .
(٧) في الأصل : « فقه الدين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

سلطان البغدادي ، وقرأ عليه شيئاً من (الإرشاد) للعميدي في الخلاف . ولكنه برع في النحو ، وانتهت إليه الرئاسة والمشيخة فيه ، وكان خاليا من الفلسفة والاعتزال والتجسيم ، وكان أولا يعتقد في الشيخ ابن تيمية ، وامتدحه بقصيدة ، ثم إنه انحرف عنه لمّا وقف على (كتاب العرش) له .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : وجرى على مذهب كثير من النحويين في تعصّبه للإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ التعصّب المتين قال : حُكي لي أنه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة إن عليا ـ رضي الله عنه ـ عهد إليه النبي ـ ﷺ ـ أن لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق أتراه ما صدق في هذا ؟ فقال : صدق ، قال : فقلت له : فالذين سلّوا السيوف في وجهه ، يبغضونه أو[1] يحبونه ؟ وغير ذلك .

قال : كان سيّء الظن بالناس كافة ، فإذا نُقل له عن أحد خير لا يتكيف به [وإذا كان شرّاً يتكيّف به][2] ويبني[3] عليه ، حتى ممن هو عنده مجروح ، فيقع في ذم مَنْ هو بألسنة العالم ممدوح ، وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كثير منه ألم كثير . انتهى .

قلت : أنا لم أسمع منه في حق أحد من الأحياء والأموات إلا خيرا ، وما كنت أنقم عليه شيئا إلا ما كان يبلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، على أنني أنا ما سمعت[4] في حقه شيئاً ، نعم سمعته كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح ، حتى قلت له يوما : يا سيدي ، فكيف نعمل في الشيخ أبي مدين ؟ فقال : هو رجل

---

(١) (س) : « أم » .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « ويثني » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « منه » .

مسلم ديّن ، وإلاّ ما كان يطير في الهواء ، و يصلي الصلوات في مكة كما يدّعي فيه هؤلاء الأغمار .

وكان فيه ـ رحمه الله تعالى ـ خشوع ، يبكي إذا سمع القرآن ، ويجري دمعه عند سماع الأشعار الغزلية . وقال كمال الدين المذكور ، قال لي : إذا قرأت أشعار العشق أميل إليها ، وكذلك أشعار الشجاعة تستميلني ، وغيرهما ، إلا أشعار الكرم ما تؤثر فيّ ، انتهى .

قلت : كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم ، وكان يقول لي : أوصيك احفظ دراهمك ، ويقال عنك بخيل ولا تحتج[١] إلى السُّفَّل .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

رجاؤك فَلْسا قد غدا في حبائلي ... قنيصا رجاء للنتاج من العقم
أأتعب في تحصيله وأضيعه ... إذاً كنت معتاضا من البر بالسقم[٢]

قلت : والذي أراه فيه أنه[٣] طال عمره وتغرّب ، وورد البلاد ، ولا شيء معه ، وتعب حتى حصّل المناصب تعبا كثيرا ، وكان قد جرّب الناس ، وحلب أشطر الدهر ، ومرت به حوادث ، فاستعمل الحزم ، وسمعته غير مرّة يقول : يكفي الفقير في[٤] مصر أربعة أفلس ، يشتري له طُلْمة[٥] بايتة بفلسين ، ويشتري له بفلس زبيبا وبفلس كوز ماء ، ويشتري ثاني يوم ليومنا بفلس يأكل به الخبز . وكان يعيب علي مُشتري الكتب ،

---

(١) (س) : « ولا تحتاج » .
(٢) في الأصل : « للسقم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « رجل » .
(٤) (خ) : « من » .
(٥) أي : خبزة .

ويقول : الله يرزقك عقلا تعيش به ، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف ، وإذا أردت من أحد أن يعيرني دراهم ما أجد ذلك[١] .

وأنشدني له إجازة :

إن الدراهم والنساء كلاهما ... لا تأمننّ عليها إنسانا
ينزعن ذا اللبّ المتين عن التقى ... فترى إساءة فعله إحسانا

وأنشدني له[٢] من أبيات :

أتى بشفيع ليس يمكن رَدُّه ... دراهم بيض للجروح مراهم[٣]
تصيّرُ صَعْبَ الأمر أهونَ ما يُرى ... وتقضي لُبانات الفتى وهو نائم

ومن حزمه قوله ـ رحمه الله تعالى ـ :

عُدَاتي لهم فضل عليّ ومنّة ... فلا صَرَف الرحمن عني الأعاديا[٤]
هم بحثوا عن زلّتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وقد مدحه كثير[٥] من الشعراء والكبار الفضلاء ، فمنهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

قد قلت لمّا أنْ سمعت مباحثا ... في الذات قررّها أجَلُّ مفيد
هذا أبو حيان ، قلت : صدقتم ... وبررتم هذا هو التوحيدي[٦]

---

(١) ليست في (خ) .
(٢) في (س) ، (خ) زيادة : « إجازة » .
(٣) في الأصل : « إليّ » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) : « أتى » .
(٤) في الوافي : « فلا أذهب » .
(٥) (س) ، (خ) : « جماعة » .
(٦) فيه تورية باسم أبي حيان التوحيدي ، والتوحيدي أيضاً من أجود التمور .

وكان قد جاء يوما إلى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده ، فكتب بالجص على مصراع الباب ، فلما رأى ابن الوكيل ذلك قال :

قالوا أبو حيّان غير مدافع ملك النحاة، فقلت : بالإجماع
اسم الملوك على النقود وإنني شاهدت كُنيته على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطوّلة[١] ، أولها :

إليك أبا حيان أعملت أينقي وملت إلى حيث الركائب تلتقي
دعاني إليك الفضل فانقدت طائعا ولبّيت أحدوها بلفظي المصدّق[٢]

ومدحه نجم الدين إسحاق بن ألمى التركي ، وسأله تكملة شرح (التسهيل) ، وأرسلها إليه من دمشق ، وأولها :

تبدّى فقلنا وجهه فلق الصبح [يلوح لنا من حالك الشعر في جنح[٣]

منها :

بدأت بأمر تم الله قصده] وكمّله باليمن فيه وبالنُّجح[٤]
وسهلت تسهيل الفوائد محسنا فكُن شارحا صدري بتكملة الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن المطي بقصيدة ، أولها :

يا شيخ أهل الأدب الباهر مِن ناظم يُلْفَى ومن ناثرِ

ومدحه نجم الدين يحيى الإسكندري بقصيدة ، أولها :

ضيف ألمّ بنا من أبرع الناس لا ناقض عهد أيامي ولا ناس

(١) ليست في (خ) .
(٢) (س) ، (خ) : « بمدحي » .
(٣) في (س) ، (خ) : « فخلنا » .
(٤) مابين حاصرتين من (س) ، (خ) .

عـارٍ من الكِبْر والأدنـاس ذو ترف لكنـه من سرابيـل العـلا كاس[١]

ومدحه نجم الدين[٢] الطوفي بقصيدتين ، أول الأولى :

أتراه بعـــد هجران يصـــل ويرى في ثـوب وصـل مُبتـــدِلْ
قمر جـــار على أحـــلامنـــا إذ تـولاّهـــا بقـــدّ معتـــدلْ

وأول الثانية :

أعـــذروه فكريم مَن عَـــذَر قَمَرتـــه ذات وجـــه كالقمَرْ

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة ، أولها :

إن الأثير أبـا حيـان أحيـانـا بنشره طيّ علم مـات أحيـانـا

ومدحه القاضي ناصر الدين شافع بقصيدة ، أولها :

فضضتُ عن العذب النمير ختامها وفتحت عن زهر الرياض كمامها

ومدحه جماعة آخرون ، يطول ذكرهم .

وكتبت أنا إليه من الرحبة في سنة تسع وعشرين وسبع مئة :

لو كنت أملك من دهري جناحين لطرت لكنـــه فيكم جنى حَيْني
يـا سـادة نلتُ في مصرٍ بهم شرفـا أرقى بـه شُرُفـا تنـأى عن العينِ
وإن جرى لسما كيـوان ذِكْر عُـلاَ أحلّني فضلهم فـــوق السّماكين
وليس غير أثير الـــدين أثّلـــه فسادَ ما شاد لي حقا بلا مَيْن[٣]
حبر ولـو قلت: إن البـاء رُتْبَتُهـا من قبل، صدّقك الأقوام في ذين[٤]

(١) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) (س) ، (خ) : « الفضل نجم الدين » .
(٣) في الأصل : « سوى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٤) في (س) : « زيّنها » ، ومراده أننا لو قدّمنا الباء على الحاء في كلمة « حبر » لأضحت بحراً .

أحيا علوما أمات الدهر أكثرها ... مذ جُلّدت خُلّدت ما بين دفين
يا واحد العصر ما قولي بُمّتهم ... ولا أحاشي امرأ بين الفريقين
هذي العلوم بدت من سيبويه كما ... قالوا وفيك انتهت يا ثاني اثنين
فدُمْ لها وبودّي لو أكون فدى ... لما ينالك في الأيام من شَيْن
يا سيبويه الورى في الدهر لا عجب ... إذا الخليل غدا يفديك بالعين[1]

يقبّل الأرض ويُنهي ما هو عليه من الأشواق التي برّحت بألمها ، وأجرت الدموع دما ، وهذا الطرس الأحمر يشهد بدمها ، وأربت بسحّها على السحائب ، وأين دوام هذه من ديمها ، وفرقت الأوصال على السقم لوجود عدمها :

فيا شوق ما أبقى ويا لي من النوى ... ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبا[2]

ويذكر ولاءه الذي تسجع به في الروض الحمائم ، ويسير تحت لوائه مسير الرياح بين الغمائم ، وثناؤه الذي يتضوّع كالزهر الكمائم[3] ، ويتنسم تنسّم هامات الربا إذا لبست من الربيع ملونات العمائم .

ويشهد الله على كل ما ... قد قلته والله نعم الشهيد

فكتب هو الجواب عن ذلك ، ولكنه عُدم مني .

وأنشدته يوما لنفسي :

قلت للكاتب الذي ما أراه ... قط إلا ونقّط الدمع شكله
إن تخطّ الدموع في الخد شيئاً ... ما يُسمّى ؟ فقال : خط ابن مقله

وأنشدني هو من لفظه لنفسه :

---

(١) فيه تورية بالعين الباصرة ، وكتاب الخليل .
(٢) للمتنبي ، ديوانه ٥٩/١ .
(٣) في (س) ، (خ) : « في » .

سبق الدمعُ بالمسيل المطايا إذْ نَوَى مَنْ أحبّ عني رحله[١]
وأجاد الخطوط في صفحة الخد ولِمْ لا يجيد وهو ابن مقله[٢]

وأنشدني[٣] في مليح نوتي :

كَلِفْتُ بِنُوتيّ كأنّ قوامَه إذا يَنْثني خوط من البان ناعم
مجاذفه في كل قلب مجاذب وهزاته للعاشقين هزائم

وأنشدته أنا لنفسي[٤] :

إن نوتيّ مركبٍ نحن فيه هام فيه صبّ الفؤاد جريحه
أقلع القلب عن سلويَّ لمّا أن بدا ثغره وقد طاب ريحه

وأنشدته أنا لنفسي أيضا :

نوتيّنا حُسْنُهُ بَديع وفيه بدر السماء مغرى
ماحَكّ برّا إلا وقلنا ياليت أنّا نحكّ بَرّا[٥]

فأعجباه ـ رحمه الله ـ وزهزه لهما .

وأنشدني هو لنفسه في مليح أحدب :

تعشّقته أحدباً كَيّسا يحاكي نجيبا حنين البُغام[٦]
إذا كدت أسقط من فوقه تعلّقت من ظهره بالسنام

(١) في الوافي والفوات والنجوم : « نقله » .
(٢) في النجوم : « وأجاد السطور ... » .
(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « لنفسه » .
(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « في ذلك » .
(٥) (س) : « ماحلّ » .
(٦) (خ) : النعام » .

فأنشدته أنا في ذلك لنفسي :

وأحـــدب رحت بـــه مغرمـــا إذ لم تشـــاهـــد مثلـــه عيني[١]
لا غرو أن هـــام فـــؤادي بـــه وخصره مـــــــا بين رِدْفَيْن[٢]

وأنشدني من لفظه في مليح أعمى :

مـا ضرّ حُسن الـذي أهـواه أن سنـا كريمتيـه بـلا شين قـد احتجبـا[٣]
قـد كانتـا زهرتي روض وقـد ذوتـا لكن حسنها الفتّـان مـا ذهبـا[٤]
كالسيف قـد زال عنـه صَقْلُـه فغـدا أنكى وآلم في قلب الـــذي ضُربـــا

وأنشدته أنا لنفسي في ذلك :

ورب أعمى وجهـــــه روضـــــة تنزّهي فيهـــا كثير الـــديـــون
في خـــدّه ورد غنينـــا بـــه عن نرجس مـــا فتّحتـــه للعيـــون

وأنشدته أيضا لنفسي في ذلك :

أيـا حُسن أعمى لم يخف حدَّ طرفـه محبٌّ غدا سكران فيـه ومـا صحـا[٥]
إذا طـار خـد بـات يرعى خـدوده غـدا آمنـا من مقلتيـه الجـوارحـا

وكتبت إليه استدعاء ، وهو :

المسؤول من إحسان سيدنا الإمام العالم[٦] العلاّمة لسان العرب ، ترجمان الأدب ، جامع الفضائل ، عمدة وسائل السائل ، حجة المقلّدين ، زين المقلِّدين ، قطب

(١) (س) ، (خ) : « إذا » .
(٢) في الأصل : « دفّين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (س) : « ما ظنّ حسن » .
(٤) في الأصل : « قد ذهبا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٥) في الأصل : « يا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٦) زيادة من (س) ، (خ) والوافي : « سيدنا الشيخ الإمام » . وفي الوافي : « العالم العامل » .

المولّين ، أفضل الآخرين ، وارث علوم الأولين ، صاحب اليد الطولى في كل مكان [١] ضيق ، والتصانيف التي تأخذ بمجامع القلب [٢] ، فكل ذي لب إليها شيّق ، والمباحث التي أثارت الأدلّة الراجحة من مكامن أماكنها ، وقنصت أوابدها الجامحة من مواطئ مواطنها ، كشّاف مُعْضلات الأوائل ، سبّاق غايات قصّر عن شأوها سحبان وائل ، فارع هضبات البلاغة في اجتلاء اجتلابها وهي [في][٣] مرقى مرقدها ، سالب تيجان الفصاحة في اقتضاء اقتضابها من فَرْق فرقدها ، حتى أبرز كلامه جِنانَ فضل جَنانُ مَنْ بعدَه عن الدخول إليها جبان ، وأتى ببراهين وجوهٍ حورُها ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾[٤] وأبدع خمائل نظم ونثر ، لا تصل إلى أفنان فنونها يد جان ، أثير الدين أبي حيّان محمد :

لا زال ميت العلم يحييه وهل ... عجب لذلك من أبي حيّان[٥]
حتى ينال بنو العلوم مرامهم ... ويُحِلّهم دار الْمُنى بأمان

إجازةُ كاتبِ هذه الأحرف ما رواه ـ فسح الله في مدّته ـ من المسانيد والمصنفات والسنن والمجاميع الحديثية والتصانيف الأدبية ، نظما ونثرا إلى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها ، وتباين أجناسها وأنواعها ، ممّا تلقّاه ببلاد الأندلس وإفريقية والإسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة خاصة أو عامة ، كيف ما تأدّى إليه ، وإجازة ماله أدام الله إفادته من التصانيف في تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والأدبيّة وغيرها ، ومالـه من نظم ونثر ، إجازة خاصة ، وأن يُثبت بخطّه تصانيفه إلى حين هذا التاريخ ، وأن

---

(١) في الوافي : « مقام » .
(٢) في الوافي : « القلوب » .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .
(٤) الرحمن : ٥٦/٥٥ .
(٥) (س) ، (خ) والوافي : « ولا عجب » .

يجيزه إجازة عامة لِما يتجدد له من بعد ذلك على رأي مَن يراه ويجوّزه ، منعما متفضلا إنْ شاء الله تعالى .

فكتب الجواب هو ـ رحمه الله تعالى ـ:

أعزّك الله ظننت بالإنسان جميلا فغاليت ، وأبديت من الإحسان جزيلا وما باليت[١] ، وصفت مَن هو القتام[٢] يظنه الناظر سماء ، والسّراب يحسبه الظمآن ماء ، يابن الكرام وأنت أبصر مَن يشيم[٣] ، أمع الروض النضير يُرعى الهشيم ، أما أغنتك فواضلك وفضائلك ، ومعارفك وعوارفك ، عن نغبة من دأماء[٤] ، وتربة من يهماء[٥] ، لقد تبلّجت المهارق من نور صفحاتك ، وتأرّجت الأكوان من أريج نفحاتك ، ولأنت أعرف بمن[٦] يُقْصد للدراية ، وأنقد مَن[٧] يُعْتمد عليه في الرواية ، لكنك أردت أن تكسو من مطارفك ، وتتفضل[٨] من تالدك[٩] وطارفك ، وتجلو الخامل في منصة النباهة ، وتنقذه من لَكْن الفهاهة ، فتشيد له ذكرا ، وتُعلي له قدرا ، ولم يمكنه إلا إسعافك فيما طلبت ، وإجابتك فيما إليه ندبت ، فإن المالك لا يُعْصَى ، والمتفضل المحسن لا يقصى .

وقد أجزت لك ـ أيّدك الله ـ جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة أو سماع[١٠] ومناولة وإجازة بمشافهة

(١) (خ) : « جميلاً وما آليت » .
(٢) (خ) : « القوام » . والقتام : الغبار .
(٣) شام البرق نظر إليه أين يمطر .
(٤) النغبة : الجرعة ، والدأماء : البحر .
(٥) اليهماء المفازة لا ماء فيها ولا نبات .
(٦) (خ) : « مَن » .
(٧) في الوافي : « بمن » .
(٨) في الأصل : « وتفضل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٩) في الوافي : « بتالدك » .
(١٠) (خ) : « وسماع » .

وكتابة ووجادة ، وجميع ما أُجيز لي أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك ، وجميع ما صنّفته واختصرته وجمعته وأنشأته نثرا ونظما ، وجميع ما سألت في هذا الاستدعاء .

فمن مروياتي : الكتاب العزيز ، قرأته بقراءات السبعة[١] على جماعة ، من أعلاهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطّاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري ابن المليجي[٢] آخر مَن روى القرآن بالتلاوة عن أبي الجود . والكتبُ الستة ، و (الموطّأ) و (مسند عبد) و (مسند الدارمي) و (مسند الشافعي) و (مسند الطيالسي) و (المعجم الكبير) للطبراني ، و (المعجم الصغير) له ، و (سُنن الدارقطني) وغير ذلك .

وأما الأجزاء فكثير جداً[٣] .

ومن كتب النحو والآداب ، فأروي بالقراءة (كتاب سيبويه) و (الإيضاح) و (التكملة) و (المفصّل) و (جُمل الزجاجي) وغير ذلك . و (الأشعار الستة) و (الحماسة) و (ديوان حبيب) و (ديوان المتنبي) و (ديوان المعري) .

وأما شيوخي الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة ، فهم كثير ، وأذكر الآن منهم جملة[٤] ، فمنهم : القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي ، والمقرئ أبو جعفر أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير الأنصاري ، وإسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس ، وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب البغدادي القوّاس ، وصفيّ الدين الحسين بن أبي المنصور بن ظافر الخزرجي ، وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ، ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزدي بن الدهان ، وقطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن

(١) (خ) : « السبع » .
(٢) توفي سنة (٦٨١ هـ) . العبر : ٣٣٥/٥ .
(٣) في الوافي : « فكثيرة » .
(٤) في (س) ، (خ) والوافي زيادة : « من عواليهم » .

محمد بن القسطلاني ، ورضيّ الدين محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي اللغوي ، ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني ، ومحمد بن مكي[١] بن أبي القاسم بن حامد الأصبهاني الصفار ، ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير ابن الفارض ، وزين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطي ، ومحمد بن إبراهيم بن ترجم بن حازم المازني ، ومحمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الداري بن الخليلي ، ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصاري بن الخيمي ، ومحمد بن عبد الله بن عمر العنسي عُرف بابن النن[٢] ، وعبد الله بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد العزيز الطائي القرطبي ، وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الخزّمي[٣] ، وعبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التيمي ، وعبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المزة ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري ، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني ، وعبد العزيز بن عبد القادر بن إسماعيل الفيالي الصالحي الكتاني ، وعبد المعطي بن عبد الكريم بن أبي المكارم بن منّجا الخزرجي ، وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحيى بن إسماعيل الحسيني البهنسي المجاور ، وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي ، والفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين [بن رواحة الخزرجي ، ويوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبري المكي ، واليسر بن عبد الله][٤] بن محمد بن خلف بن اليسر القشيري ، ومؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي ، وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية ، وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي .

وممن كتبت عنه من مشاهير الأدباء : أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن

(١) في الأصل : « ومكي بن محمّد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « البن » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، (ت ٦٧٩ هـ) العبر : ٣٢٤/٥ .

(٣) في الوافي : « الخزمي » .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

أبي الفرج[١] المالقي ، وأبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصاري القرطاجني ، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلي التطيلي ، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن زنون المالقي ، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجلياني العكّي المالقي ، وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الأنصاري الجزار ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشي ، وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن المصري الوراق ، وأبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن ياتينّ[٢] الكومي التلمساني ، وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري ، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن حمّاد[٣] بن مُحْسِن الصنهاجي البوصيري ، وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي .

وممن أخذت عنه من النحاة : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخُشني الأُبّذي ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتاني بن الضائع[٤] ، وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللَّبْلي[٥] ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر الله الحلبي بن النحاس .

وممن لقيته من الظاهرية : أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الأنصاري الإشبيلي الزاهد ، وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون القهري الشنتمري .

وجملة الذين سمعت منهم نحو من أربع مئة شخص وخمسين .

---

(١) في الوافي : « ابن الفرح » . وفيه وفي (س) ، (خ) : « ... المالقي ابن المرحل » . وهو متوفى سنة (٦٩٩ هـ) . وسلفت ترجمته .

(٢) في الوافي : « ههنا ياتيبن » ، وترجم له للصنف في موضعه وفيه كما ههنا ، ووفاته سنة ٦٩٠ هـ . انظر : الوافي : ٤٠٨/١٥ ، والعبر : ٣٦٧/٥ .

(٣) (خ) : « عباد » ، تحريف .

(٤) في الأصل : « الصائغ » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، (ت ٦٨٠ هـ) ، البغية : ٢٠٤/٢ .

(٥) في الأصل و (خ) : « الكيلي » ، تحريف ، (ت ٦٩١ هـ) ، البغية : ٤٠٢/١ .

وأما الذين أجازوني فعالم كثير جداً من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام .

وأما **ما صنفته** : فمن ذلك (البحر المحيط) في تفسير القرآن العظيم ، (إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب) ، كتاب (الإسفار الملخَّص من كتاب الصفّار) شرحا لكتاب سيبويه ، كتاب (التجريد لكتاب[١] سيبويه) ، كتاب (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) ، كتاب (التنخيل الملخّص من شرح التسهيل) ، كتاب (التذكرة) ، كتاب (المبدع في التصريف) ، كتاب (الموفور) ، كتاب (التقريب) ، كتاب (التدريب) ، كتاب (غاية الإحسان) ، كتاب (النكت الحسان) ، كتاب (الشذا في مسألة كذا) ، كتاب (الفصل في أحكام الفصل) ، كتاب (اللمحة) ، كتاب (الشذرة) ، كتاب (الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء) ، كتاب (عقد اللآلي) ، كتاب (نكت الأمالي) ، كتاب (النافع في قراءة نافع) ، (الأثير في قراءة ابن كثير) ، (المورد الغمر في قراءة [أبي][٢] عمرو) ، (الروض الباسم في قراءة عاصم) (المزن الهامر في قراءة ابن عامر) ، (الرمزة في قراءة حمزة) ، (تقريب النائي في قراءة الكسائي) ، (غاية المطلوب في قراءة يعقوب) ، (المطلوب في قراءة يعقوب) قصيدة ، (النيّر الجليّ في قراءة زيد بن علي) ، (الوهّاج في اختصار المنهاج) ، (الأنور الأجلى في اختصار المحلّى)[٣] ، (الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية) ، كتاب (الإعلام بأركان الإسلام) ، (نثر الزَهر ونظم الزُهَر) ، (قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي) ، (فهرست مسموعاتي) ، (نوافث السِّحر في دمائث الشِّعر) ، (تحفة النَّدُس[٤] في نحاة أندلس) ، (الأبيات الوافية في علم القافية) ،

(١) (س) والوافي : « لأحكام » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٣) في الوافي : « المجلّى » تحريف ، والمحلّى كتاب في الخلاف لابن حزم الظاهري . انظر : الكشف : ١٦١٧/٢ ، وفيه أنّ اسم الشرح : « الأنور الأعلى ... » .

(٤) الندس : الفطِن .

(جزء في الحديث) ، (مشيخة ابن أبي منصور) ، كتاب (الإدراك للسان الأتراك) ، (زهو المُلْك في نحو الترك) ، (نفحة المسك في سيرة الترك) ، (كتاب الأفعال في لسان الترك) ، (مُنطق الخرس في لسان الفرس) .

ومما لم يكمل تصنيفه ، كتاب (مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد) ، كتاب (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) ، (نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب) رجز ، (مجاني الهصر في آداب وتواريخ لأهل العصر) ، (خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان) رجز ، (نور الغَبَش في لسان الحبش) ، (المخبور في لسان اليخمور) .

قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان .

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه في صفات الحروف :

أَنَا هاوٍ لمستطيلٍ أغنّ ... كلما اشتدَّ صارت النفس رخْوَه
أهمس القول وهو يجهر سَبّي ... وإذا ما انخفضت أظهر عُلْوَه
فتح الوصل ثم أطبق هجرا ... بصفير والقلبُ قَلْقَلَ شجوه
لان دهراً ثم اغتدى ذا انحرافٍ ... وفشا السرّ مذ تكررت نحوه

وأنشدني أيضاً لنفسه :

يقول لي العذولُ ولم أُطعْهُ ... تَسَلّ فقد بدا للحبّ لِحْيَهْ
تَخيّل أنها شانت حبيبي ... وعندي أنها زَيْن وحِلْيَه[1]

وأنشدني لنفسه أيضاً :

شوقي لذاك المحيّا الزاهرِ الزاهي ... شوقٌ شديدٌ وجسمي الواهن الواهي
أسْهَرْت طرفي ودلّهت الفؤاد هوىً ... فالطرفُ والقلب مني الساهر الساهي

(١) (خ) : « أنها ثابت » .

نهبتَ قلبي وتَنْهَى أن تبـوح بمـا ... يلقـاه واشـوقـه للنـاهب النـاهي [١]
بَهَرْتَ كل مليـح بـالبهـاء فمـا ... في النيّرين شبيـهُ البـاهر البـاهي
لهجتُ بـالحبّ لمّـا أنْ لهـوت بـه ... عن كل شيء فَوَيْحَ اللاهـج اللاهي

وأنشدني من لفظه لنفسه :

راض حبيبي عـارض قـد بـدا ... يـا حُسْنَـه من عـارض رائض
وظن قـوم أن قلبي سـلا ... والأصـل لا يُعتَـدّ بـالعـارض [٢]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

تعشّقتُـه شَيْخَـا كأن مشيبـه ... على وجنتيـه يـاسمين على وَرْد
أخا العقل يَـدْري مـا يراد من النّهى ... أمنت عليـه من رقيب ومن صـدِ [٣]
وقالوا : الورى قسمان في شرعة الهوى ... لسـود اللحى نـاسٌ ونـاسٌ إلى المرد
ألا إنني لـو كنت أصبـو لأمردٍ ... صبـوت إلى هيفـاء مـائسـةِ القَـدّ
وسـود اللحى أبصرت فيهم مشـاركا ... فأحببت أن أبقي بأبيضهم وحدي [٤]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

ألا مـا لهـا لُخْصـا بقلبي عـوابثـا ... أظن بها هـاروتَ أَصْبحَ نـافثـا [٥]
إذا رام ذو وجـد سلـوّا مَنَعْنَـه ... وكُنّ على دين التصـابي بواعثـا [٦]
وقيدنَ مَن أضحى عن الحبّ مُطلقا ... وأسرعت للبلـوى بمن كان رائثـا

(١) (س) : « يلقى وأشواقه » .
(٢) في النجوم : « فظن » .
(٣) (خ) : « من الهوى » . وفي الوافي : « ضد » بالمعجمة .
(٤) (خ) : « بأبيضها » .
(٥) اللخص : من صفات العين التي تورّم ما حولها ، ولعلّه يريد بها أعين الأتراك . وفي (خ) : « لحظاً » .
(٦) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

بروحي رشا من آل خاقان راحل ... وإن كان ما بين الجوانح لا بثا
غدا واحدا في الحسن للفضل ثانيا ... وللبدر الشمس المنيرة ثالثا[١]

وأنشدني لنفسه ، ومن خطه نقلت :

أسحرٌ لتلك العَيْن في القلب أم وَخْز ... ولِيْنٌ لذاك الجسم في اللمس أم خزّ
وأملودُ ذاك القدّ أم أسمرٌ غدا ... له أبداً في قلب عاشقه هزّ
فتاة كساها الحسن أفخر حُلّة ... فصار عليها من محاسنها طرز[٢]
وأهدى إليها الغصن لينَ قوامه ... فماس كأن الغصن خامره العز
يضوع أديم الأرض مِنْ نَشْر طيّها ... ويخضرّ من آثارها تُرْبُه الْجُرْز[٣]
وتختال في بُرْد الشباب إذا مشت ... فيُنهضها قَدٌّ ويقعدها عجز
أصابت فؤاد الصبّ منها بنظرة ... فلا رُقية تُجدي المصاب ولا حرز

وأنشدني إجازة في « مليح أبرص » ، ومن خطه نقلت :

وقالوا الذي قد صرت طوعَ جماله ... ونفسك لاقت في هواه نزاعَها[٤]
به وَضَحٌ تأباه نفس أولي النّهى ... وأفظع داء ما ينافي طباعَها[٥]
فقلت لهم لاعيب فيه يشينه ... ولا علّة فيه يروم دفاعَها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت ... محاسنه ألقت عليه شعاعها

وأنشدني من لفظه لنفسه في « فحّام » :

وعُلّقته مسوّد عين ووفرة ... وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد

---

(١) (خ) : « واجداً » .
(٢) (س) ، (خ) والوافي : « أفخر ملبس » . وفي (س) : « محاسنه » . .
(٣) (س) ، (خ) والوافي : « في آثارها » . والجرز : هي الأرض التي لا تنبت .
(٤) (خ) : « هواك » .
(٥) (س) ، (خ) : « أخي النهى » .

كأن خطـوط الفحم في وجنـاتـه لطـاخـة مسـك في جنيّ من الـورد

وأنشدني إجازة ، ومن خطه نقلت :

سـأل البـدر هـل تبـدّى أخـوه قلتُ يـا بـدر لن يُطيـق طلـوعـا
كيف يبـدو وأنت يـا بـدر بـاد أوَ بـدران يطلعـان جميعـا ؟!

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني :

عـاذلي في الأهيف الآنسِ لـو رآه كان قـد عَـذَرا
رشـأ قـد زانـه الْحَـوَر غُصْنٌ مِنْ فَـوْقـه قمر
قَمَر من سحبـه الشعر ثغر في فيـه أم دُرَر
جـال بين الـدرّ والّلعسِ خَمْرةٌ مَنْ ذاقهـا سكرا
رجّـة بـالردف أمْ كَسَـل ريقـة بـالثغر أم عَسَـل
وَرْدَة بـالخـد أم خجـل كُحْـل بـالعين أم كَحَـل
يـا لهـا من أعْين نُعُسِ جلبت لنـاظري سهرا[1]
مُـذْ نـأى عن مقلتيّ سَني مـا أُذيقـا لـذّة الـوسن
طـال مـا ألقـاه من شجني عجبـا ضـدان في بـدني
بفـؤادي جـذوة القبس وبعَيْني المـاء مُنْفَجرا
قـد أتـاني الله بـالفرج إذْ دنـا مني أبـو الفرج
قمرٌ قـد حـلّ في المهـج كيف لا يخشى من الوهـج
غَيْرُه لـو صـابَـهُ نَفَسي ظنَّـه مِنْ حرّه شررا
نصب العينين لي شركا فـانثنى والقلب قـد ملكا
قمر أضحى لـه فلكا قـال لي يَـوْمَـا وقـد ضحكا
أنت جئت من أرض أنـدلسي نحـو مصر تعشـق القمرا

(١) في الفوات : « للناظر السهرا » .

وأما موشحة ابن التلمساني ، فهي :

قَمَر يجلـــو دجـــا الغلس ... بهر الأبصـــار مُـــذْ ظَهَرا
آمنٌ من شُبْهـــة الكلف ... ذُبت في[1] حُبّيـه بـالكلف
لم يـــزل يسعى إلى تلفي ... بركاب الـــدلّ والصلف
آه لـــولا أعين الحَرَس ... نِلْت منـــه الـوصـل مقتـــدرا
يـا أميراً جـار مـذ وليـا ... كيف لا ترثي لمن بليـــا
فبثغر منـك قـد جُليـا[2] ... قـد حـلا طَعْماً وقـد حَليـا
وبمـــا أُوتيتَ من كَيَس ... جُـــدْ فَمَـــا أبقيتَ مُصْطَبَرا
بَـدْرٌ تمّ في الجمـال سني ... ولهـــذا لقبّـــوهُ سَني
قـد سبـاني لـذّة الـوسنِ ... بُحيّـــا بـــاهرٍ حسن
هـــو خِشْفي وهـــو مفترسي ... فـــارو عن أعجـــوبتي خبرا
لـك خـدّ يـا أبـا الفرج ... زِينَ بـالتوريـد والضّرج
وحـديثٌ عـاطر الأَرَج ... كم سبى قلبـاً بـلا حَرَج
لـــو رآك الغصن لم يَمسِ ... أو رآك البـــدر لاستترا
يـا مُـذيبـا مهجتي كَمَـدا ... فُقت[3] في الْحُسن البدور مدى
يـا كحيـلا كحلـة اعتمـدا ... عجبـا أن تُبرئ الرّمـدا
وبسقم النـــاظرين كُسي ... جفنـــك السّحـــار وانكسرا[4]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضا :

إنْ كان ليـلٌ داج ... وخـاننـا الإصبـاحْ ... فنـورهـا الـوهّـاج ... يُغني عَنِ المصبـاح

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي والفوات .
(٢) (خ) : « حليا » .
(٣) في الوافي والفوات : « فتّ » .
(٤) في الوافي والفوات : « فانكسرا » .

سلافة تبدو كالكوكب الأزْهَرْ
مِزاجها شَهْدٌ وعَرْفُها عَنْبَرْ
يا حبّذا الوِرْدُ منها وإنْ أسْكَر
قلبي بها قَدْ هاجْ فما تراني صاحْ عن ذلك المنهاجْ وعَنْ هوى يا صاح
وبي رشا أهيفْ قَدْ لجّ في بُعْدي
بدر فلا يُخْسَفْ منه سنا الخدّ
بلحظه الْمُرْهَف يَسْطُوْ على الأُسْدِ
كسطوة الحجّاج في الناس والسفّاح فما ترى من ناج من لحظه السفاح
عَلَّل بالْمُسك قلب رشاً أحور[1]
منعّم الْمَسْكِ ذو[2] مبسم أعطر
ريّاه كالمِسْكْ وريقه كَوْثَرْ
غصْنٌ عَلى رَجْراج طاعت له الأرواح فحبَّذا الآراج إن هبّت الأرواح
مَهْلاً أبا القاسم على أبي حيّان
ما إنْ له عاصِمْ من لحظك[3] الفتّان
وهَجْرك الدائم قد طال بالهَيْمَان[4]
فدمْعُه أمواج وسرُّه قد لاح[5] لكنّه ماعاج ولا أطاع[6] اللاح
يا رُبّ ذي بُهْتَان يَعْذل في الراح[7]

(١) في (س) ، (خ) والوافي والنجوم ، والفوات : « قلبي » .
(٢) في الأصل و (س) و (خ) : « ذي » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .
(٣) (خ) : « طرفك » .
(٤) في الأصل و (س) و (خ) : « بالهميان » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .
(٥) في النجوم : « باح » .
(٦) في الأصل : « أطاح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي والفوات .
(٧) في النجوم : « يعذلني » .

وفي هـــوى غـــزلان[١] دافَعْتُ بـــــــالراح
وقلت لا سلـــــــوان عن ذاك يـــــا لاحي
سبع الوجـوه والتـاج هي منيـة الأفراح فاختر لي يازجاج قُصال[٢] وزوج أقداح

وأنشدني من لفظه لنفسه القصيـدة الداليـة ، التي نظمهـا في مـدح النحو والخليل وسيبويه ، ثم خرج منها إلى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه ، وأولها :

هـــــو العِلْم لا كالعلم شيء تراوده لقـد فـاز بـاغيـه وأنجـح قـاصـده

وهي قصيدة جيدة تزيـد على المئـة بيت . حُكي لي أن الشيخ أثير الـدين ـ رحمـه الله تعالى ـ نظمها وهو ضعيف ، وتوجه إليه جماعـة يعودونـه ، وفيهم شمس الـدين بن دانيال ، فأنشدهم الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ القصيدة المـذكورة ، فلمـا فرغت ، قـال ابن دانيال : يا جماعة ، أخبركم أن الشيخ قد عوفي ، وما بقي عليه باس ، لأنه لم يبق عنـده فضلة ، قوموا باسم الله .

وأنشدني من لفظه لنفسه ـ رحمه الله تعالى ـ قصيدته السينية التي أولها :

أهـاجـك ربع حـائـلُ الرسم دارسـه كوحي كتـاب أضعف الخـط دارسـه

١٨٣٢ ـ محمد بن يوسف بن عبد الله*

شمس الدين ، الشاعر الماهر الخيّاط الدمشقي الحنفي .

شاعر لا يُجارى ، ومكثر لا يُبارى ، قـادر على صوغ القريض ، وارتجـال النظم الـذي يشفى بـه المريض ، طـويـل النَفَس إذا نظم ، مـديـد البـاع إذا رقم ، ذو قصـائـد قـد

(١) في الوافي والفوات والنجوم : « الغزلان » .

(٢) في (خ) زيادة : « وهي قصيدة عظية . ومن شعره » . وعبارة الوافي : « وهي قصيـدة مليحـة تلعّب فيها بفنون الكلام تقارب المئة » .

* الوافي : ٢٨٣/٥ ، ووفيات ابن رافع : ٣٢٩/١ ، والدرر : ٣٠٠/٤ ، والنجوم : ٣٢٠/١٠ ، والبدر الطالع : ٢٨٦/٢ .

طوّلها ، ومدائح سوّرها[١] وَهْمُه وسوّلها ، ولم يكن له غوص على المعاني البديعة ، ولا احتفال بطريق المتأخرين التي هي[٢] عليه وعلى أمثاله منيعة . ومع ذلك فكان بين فكيه مقراض[٣] للأمراض[٤] ، وكنانة نبل أنفذ من السهام في الأعراض[٥] ، لا يكاد يسلم أحد من هجوه ، ولا ينجو طاهر الذيل من نجوه . وكان هجوه أجودَ من مدحه ، وأوقع في النفوس لكدّه فيه وكدحه ، ولكنه ذاق وبال هذا وأُوذي أكثر مما آذى ، إلا أنه كان كثير التلاوة ، يلازم[٦] الصلاة في الحضارة والبداوة ، وحج غير مرة ، وقرن البعرة بالدرة .

وحججت أنا وهو في عام خمسة وخمسين وسبع مئة ، ولمّا وصلنا إلى مُعان مزّق الله من الخياط عمره ، وأذهب شِعره وشَعْرَه ، وأتاه من نايات المنايا ما بطّل زَمْرَه ، فدفنّاه على قارعة الطريق ، وانكفّ ذاك اللسان الذي كأنه مبرد وما حمل التطريق ، وجعلناه سراً مودعا من البرية في صدر ، ووضعنا الشمس في الأرض ليلة البدر ، فلو كان الرفّاء موجودا لرثى الخياط وأبّنه ، ونقله بلبنه الطّيب إلى مقبره وجَبّنه .

وعلى كل حال فقد راح إلى الله وأراح ، وحمل كارة أهاجيه وهو كاره وقلّ من حمل كارة واستراح ، والله يسامحه في يوم عَرْضه ، ويعطّف عليه قلب مَن أخذ من عِرضه ، حتى إنه يسامحه ويحالله ، ويصادفه فيصادقه[٧] ويخالله .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في معان ، ليلة الرابع عشر من المحرم سنة ست وخمسين وسبع مئة .

---

(١) (خ) : « سوّدها » .
(٢) ليست في (خ) .
(٣) (خ) : « مقرض » .
(٤) في (س) ، (خ) : « للأعراض » .
(٥) في (خ) : « الأغراض » .
(٦) (س) ، (خ) : « ملازم » .
(٧) في الأصل : « ويصادقه فيصادمه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وسألته عن مولده ، فقال : في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وست مئة بدمشق .

كان في مبدأ حاله يتردد إلى شمس الدين الصائغ ، ويقرأ عليه ، ويجتمع بالمجير الجوخي ، ثم إنه تردد إلى شيخنا العلاّمة شهاب الدين محمود ، وكتب عنه كثيرا ، وكان يثني عليه ويميل إليه .

ونظم في سنة عشرين وسبع مئة[١] قصيدة جيمية مديحا في قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وأولها :

أما ولواحظ الحدق السواج لقد أصبحت منها غير ناجي

فقرّظها شهاب الدين محمود ، وأثنى عليها ، وكتب عليها فضلاء العصر ، وانصقل نظمه وجاد ، وشعره كثير[٢] يدخل في ست مجلدات .

وسافر إلى الديار المصرية ، ومدح أعيانها ، واتصل بالأمير سيف الدين ألجاي الدوادار ، وكان يبيت عنده . ومدح السلطان الملك الناصر بأبيات قرأها عليه قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، فرسم له براتب في كل يوم درهمين[٣] .

وأنشدني من لفظه غالب شعره لمّا[٤] نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة[٥] قصيدته التائية الطنانة في الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ـ رحمه الله تعالى ـ جعل غزلها المقدّم على المدح في وصف الخمر ، وأولها[٦] :

---

(١) في (س) ، (خ) زيادة : « أو ما قبلها » .
(٢) (خ) : « وجاد شعره وهو كثير » .
(٣) (س) ، (خ) : « بدرهمين » .
(٤) (خ) : « ولّما » .
(٥) (س) ، (خ) : « محمد بن نباته » .
(٦) ديوانه : ٦٧ .

قضى وما قُضيت منكم لُبانـاتُ متيّم عبثتْ فيه الصبابات

نظم الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط قصيدة أخرى في وزنها وروّيها ، ومدح بها الشيخ كمال الدين أيضاً ، وجاء منها في الآخر ما أنشدنيه من لفظه :

ما شان مدحي لكم ذكرُ الْمُدام ولا أضحت جوامع لفظي وهي حانات
ولا طرقت حِمى خمّارة سحرا ولا اكتست لي بكاس الراح راحات[١]
وإنما أُسكِر الجُلاّس من أدب تدور منه على الأكياس كاسات[٢]
عن منظر الروض يُغنيني القريضُ وعن رقص الزجاجات تُلهيني الجزازات[٣]
عشوت منها إلى نور الكمال ولم يَدُر على خاطري دير ومشكاة

وكان الشيخ جمال الدين بن نباتة إذا جاء إلى دار السعادة ، يقال[٤] له : إن ملك الأمراء في القصر ، فيحتاج أن يروح إلى القصر الأبلق ماشيا ، وقال في ذلك[٥] :

يا سائلي في وظيفتي عَن كُنْه حديثي وعن معاشي
ما حال مَن لا يزال يطوي مسافة القصر وهو ماشي[٦]

فقال شمس الدين جوابه ، وأنشدنيه من لفظه :

يا شاعراً يخطئ المعاني فيما يعاني من المعاش
أنت شبيه الحمار عندي مركّب الجهل وهو ماش

---

(١) في الوافي : « كاسات » .
(٢) هذا البيت خلا منه الوافي .
(٣) في الأصل : « الجرارات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) (س) : « يقول » .
(٥) ديوانه : ٢٧٦ .
(٦) في الأصول : « ينوي » ، وأثبتنا ما في الديوان .

وقد كان كتب ابن نباتة صداقا ، فخُلع عليه ، فلبسه ودار به في البلد ، فقال شمس الدين الخياط في ذلك ، وأنشدنيه من لفظه :

ما خِلعة العقد على شاعرنا ... يوم الهنا شقاء وعَنا
رأيته فيها وقد أرخى له ... ذؤابة تُبدي عليه الحزنا
فقلت: مَن هذا الذي سواده ... سوّده بين الورى ؟ قال: أنا[1]
نباتة كان أبي، فقلت: ما ... أنبته الله نباتا حسنا[2]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :

ما خلعة ابن نباتة إلا كمن ... ألقى الرياض على الكنيف المنتن

ومنها :

واختصّ عِمّته بفضل ذؤابة ... هي في القلوب قبيحة في الأعين[3]
فكأنها ذنب لكلب نابح ... تحت الدجا من فرط داء مُزمن
فالله يجعلها [له] كَفَن البِلى ... ويكون غاية كل سوء يقتني[4]
حتى يقول مسيّر في هجوه ... هذا لَعَمر أبيك شرّ مكفّن

ونظم ابن نباتة ما يُكتب على دواة فولاذ[5] :

معنى الفضائل والندى والباس لي ... والسيف مُشتهر بمعنى واحد
بالنفس أضرب في نضار ذائب ... والناس تضرب في حديد بارد[6]

(١) (س) والوافي : « بين الورى سوّده » .
(٢) في الوافي : « أنبتك » .
(٣) في الوافي : « قبيحة والأعين » .
(٤) الزيادة من (س) ، (خ) .
(٥) ديوانه : ١٦٤ .
(٦) في الديوان : « والسيف يضرب » .

فقال شمس الدين الخياط ، وأنشدنيه من لفظه :

قل للذي وصف الدواة وحسنها ... ما جئتَ عن لفظي بمعنى زائد
أسخنت عينك في نضار ذائب ... وذبحت نفسك بالحديد البارد

وكان قد سلّطه الله عليه ، كلما نظم شيئاً ناقضه فيه ، فهما فرزدق وجرير عصرهما ، ولولا خوف التطويل لأوردت كثيراً من ذلك .

وأنشدني من لفظه له :

قصدت مصرا من ربا جلّق ... بهمّة تجري بتجريب
فلم أر الطرّة حتى جرت ... دموع عيني في المزيريب[1]

وأنشدني من لفظه له :

خلّفت بالشام حبيبي وقد ... يممّت مصرا لِعَنا طارق
والأرض قد طالت فلا تبعدي ... بالله يا مِصْرُ على العاشق[2]

وأنشدني من لفظه له :

تركت لقوم طِلابَ الغِنى ... لحبّ الغناء ولَهْو الطرب[3]
وعندي من زَهَرِ فضة ... وعندي من خندريس ذهب

قلت : أين هذا من قول النصير الحمامي :

أصبحت من أغنى الورى ... مستبشرا بالفرح
عنديَ خمرٌ ذهب ... أكتاله بالقدح

---

(١) قوله : « للزيريب » فيه تورية ، فهو تصغير (مزراب) ، ومزيريب بلدة على مقربة من درعا .
(٢) ذكرهما في النجوم الزاهرة .
(٣) (خ) : « القوم » .

وقد ولّدت أنا من هذا معنى آخر ، ونقلته إلى أوراق الخريف ، وقلت :

لِمَ لا أكـون غنيـا بـالخريف ولم ... أحتـج إلى غيره في اللهـو والطرب
وكل دوحـةِ بستـان إذا عبثت ... بها الصَّبا نُثرت كـوما من الذهب

ولكن قول النصير (أكتاله بالقدح) غاية في الحسن .

وأنشدني شمس الدين الخياط له :

يـا أهـل مصر أنتُم للعـلا ... كـواكب الإحسـان والفضـل
لـو لم تكـونـوا لي سعـودا لَمَـا ... وافيتكم أضرب في الرمـل

وأنشدني من لفظه له :

كم تُظهر الحسن البـديـع وتـدّعي ... وبيـاضُ شكلـكَ في النـواظر مظلمُ
هـل تَصْدُق الـدعـوى لَمن في وجهـه ... بـالـذقن كـذّبـه السـواد الأعظمُ

وأنشدني من لفظه له :

حتّـام شخصي بين هـذا الـورى ... حيّ وفضلي عنـدهم مَيْتُ
أبني بيـوت الشّعر في جِلّـق ... وليس يُبنى لي بهـا بيت

وأنشدني من لفظه وقد أعطاه قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى جائزة :

لم يُجـزني القـاضي على قَـدْر شِعري ... بـل حبـاني مضـاعف الأبيـات
فلهـذا أعـدّهـا صـدقـات ... من عطـايـاه لا من الصـدقـات

وأنشدني من لفظه له :

وَيْـلاَهُ من ظبي لـه وجنـةٌ ... شـامـاتهـا تَلْعَبُ بـالأنفس
لـو لم تكن في خـدّه جنـة ... لـما اكتسى بـالعـارض السنـدسي

وأنشدني من لفظه له :

يـا كعبـة الْحُسن التي رُميتْ لهـا ... في كل قلب بـالهـوى جمراتُ
قـد تم ميقـات الصـدود وقصـدنـا ... لـو تمّ منـك لـوصلنـا ميقـاتُ

وأنشدني من لفظه له :

قـد طـال فكري في القريض الـذي ... مِنْ نفعـه لست على طـائـلِ
أمّرني زورا فصرت امرأ ... صـاحب ديـوان بـلا حـاصـلِ

وأنشدني من لفظه له في « الفلوس » :

يـا ليت شعري أي خير يُرتَجى ... للمُعتفي من هـذه الأزمـان[1]
لـو لم يكن عُـدْمُ الـدراهم قـد بـدا ... مـا كان صـار الفلس بـالميزان

وأنشدني له في « المشمش » »:

حبّـذا مشمش يروق لطرفي ... منـه حُسْنٌ حـديثـه مشهـور
قـد بـلاني بحبّـه وهـو مثلي ... أصفر الجسم قلبـه مكسـور

وأنشدني له أيضاً :

يـا أيهـا البحر الـذي في وِرْده ... رِيٌّ لقلب الحـائم المتعطّش
أشكـو إليـك هـوان شِعر لم يقم ... لي رُخصـه بغلّـو سعر المشمش[2]

وأنشدني له أيضا :

يـا مَن بـه ادرأ عن مهجتي ... من حـادث الأيـام مـا أختشي[3]

(١) في الأصل : « خبر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الأصل : « شعر المشمش » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « أردأ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

قـد أقبـل الصيف ومـا في يـدي ... من درهم للتـوت والمشمش

وأنشدني له أيضا :

لـوزيٌّ جلّـق شيء يـذوبُ قلبي عليـه
كالسلسبيـل ولكن كيف السبيـل إليـه

وأنشدني من لفظه له ما يكتب على باب :

نحن إلفـان مـا افترقنـا لبُغض ... لا ولا في اجتماعنـا مـا يُريب
نَكْتم السر بيننـا في زمـان ... كاتم السر في بنيـه غريب

وأنشدني من لفظه له أيضا :

مَن ذا الـذي يُنكر فضلي وقـد ... فـزت من الحسن بمعنى غريب
عنـدي لمن يخـذلـه دهره ... نصر من الله وفتـح قريب[1]

وكتب هو ـ رحمه الله تعالى ـ على كتابي (جنان الجناس) :

سرّ الفصاحة في كتابك ظاهرٌ ... وله ضياء الحسن عنك بديع[2]
وكذا الثناء المحض في أثنائه ... بنوافج الذكر الجميل يضوع
فلذاك يُحفظ في الصدور لفضله ... وسواه يُنسى ذِكْرُه ويضيع
لله روض في جنان جناسه ... هو للقلوب وللعيون ربيع
كم أثمرت أغصانه بفوائدٍ ... كم طاب فيها للفؤاد ولوع
مازال يمطره الجنان سحائباً ... يُضْحِي بها القرطاس وهو مَريع
في طيّه نَشْر العلوم تأرجت ... أرجاؤه فتعطّر المجموع

(١) الشطر الثاني اقتباس من القرآن .
(٢) (خ) والوافي : « مديع » ،

سِفْرٌ عن الفضل المحقق سافرٌ ... ولـه على القمر المنير طلوع
بيّنتَ فيه لنا الأصول فأينعتْ ... لجنى العقول من الأصول فروع
وشرعتَ في حلّ الرموز وقد حلا ... للمفهم في ذاك الشروع شروع
لم يبق في علم المعاني ناطق ... إلاّ وبان به لديك خضوع
فابن الأثير ولو تأثّلَ مجده ... وعصى لكان لِما بنيت يُطيع[1]
سيّرت أمثالا لها حكم فما ... لنجومها مثل النجوم رجوع
أعليت بُنيان البديع مشيّدا ... مالم يشيّد للزمان بديع
وأذبت لابن أبي الحديد جوانحا ... لم تُطْفَ منها للحريق دموع
وأدرت أفلاكا على أمثاله ... أضحت تروق بحسنها وتروع[2]
وطعنت في ابن سنان عند خفاجة ... لغة فأودت بالصدور صدوع[3]
وأنرت ما لا نوّر (المصباح) في ... علم البيان وفي سناه لموع
وتخلّف للعتز إذ زلّ ابنه ... وبدا بمنطقه لديك خشوع[4]
هذا كتاب قد كبتّ به العدى ... فجنابه عن حاسديه منيع
أتعبت مَن يسري وراءك في النّهى ... ومتى تساوى ظالع وضليع
ورفعت قدر العلم حين وضعته ... فتشرّف الموضوع والمرفوع
نثر حكته من الكواكب نثرةٌ ... فيها لصفحة أَوْجِهِ ترصيع
ونظام شعر دونه الشعرى وإن ... أمست ومنزلها عليه رفيع
شعر يروق طباقه وجناسه ... والسبر والتقسيم والتصريع
يسمو حبيبا بالمكارم إن بدا ... ويرى الوليد لديه وهو رضيع[5]

---

(١) في الأصل : « تأثر » ، وفي الوافي : « وإن تأثّل » .
(٢) في الأصل : « أفكالاً » .
(٣) في الأصل : « بالصدوع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) (خ) : « إذ ركّ » .
(٥) (س) ، (خ) والوافي : « بالمحاسن » .

وهي أطول من هذا ، وهذا القدر منها كاف .

وله قصيدة أخرى نظمها على كتابي (نصرة الثائر على المثل السائر)[١] .

وكتبت أنا على قصائد نظمها في قاضي القضاة جلال الدين القزويني وأولاده بدر الدين وجمال الدين وتاج الدين وصدر الدين - رحمهم الله -:

وقفت على هذه القصائد التي تدبّجت ، والمدائح التي طاب ثناؤها فتأرّجت ، والقوافي التي ما لوت جيدها إلى غير شاعرها[٢] ولا عرّجت . فألفيتها قيد النواظر ، وتنزّهت منها في روضة أخملت الخمائل النواضر ، وعلمت أنها تحفة القادم وزاد المسافر وحضرة المحاضر ، لو[٣] عقل الناس تَلعُّبها بالمعاني وفنونها ، لعلّقوها على كعبة مجاميعهم فقد علّقت العرب دونها ، قد أحكمها ناظمها رصفا ، ورقّت لفظا ، وراقت معنى وشاقت وصفا . ومزّق بها هذا الخياط أقوال ذلك الرّفا ، ونبتَ كل قضيب في روضها فشلّ مِن باعِ الشعر أكُفّا :

أكرم بها من قواف وبدرها وجمالِه

وصدرها إن تبدّى في تاجه وجلاله

ما للكادّ التّعِب ظفر بممنوحها ، ولا للشكر مندوحة عن ممدوحها ، وما أظنه إلا[٤] أُدخل الجنة بسلام ، ولقي جلاله وكرمَه [وجه][٥] ذي الجلال والإكرام ، فالله يمتّع الوجود برُقيّ بدره درج منبره ، ويشنّف الأسماع بما يتحفها لفظه من جوهره ، ويجعل الفتاوى مُتفيأة ظل قلمه ، ويديم عليه مواد نعمه[٦] ، إن شاء الله تعالى .

(١) (س) ، (خ) : « على الفلك الدائر » .
(٢) في الأصل : « شأوها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (خ) : « أو » ، تحريف .
(٤) في (س) ، (خ) : « إلا أنه .. » .
(٥) زيادة من (س) ، (خ) .
(٦) زاد في (س) : « بمنّه وكرمه » .

١٨٣٣ ـ محمد بن يونس بن فتيان*

الفاضل أبو زرعة الكناني المقدسي الشافعي .

كان شابا فَهِما ذكيا ، حفظ كتبا وتفنن ، وقدم إلى دمشق سنة أربعين وسبع مئة . وسمع من أبي العباس الجزري والمزي والذهبي ، ونسخ ومهر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وأربعين وسبع مئة في الطاعون .

ومولده في حدود سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٨٣٤ ـ محمود بن أحمد**

ابن محمد بن نصر بن أبي الرضا ، الشيخ العدل نور الدين أبو القاسم البعلبكي المعروف بابن رضي .

كان إمام المدرسة النورية ظاهر بعلبك ، وكاتب الحكم . كتب لجماعة من القضاة أكثر من خمسين سنة . وتردّد إلى دمشق مرّات في شهادات .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة ببعلبك .

١٨٣٥ ـ محمود بن أوحد بن الخطير***

شرف الدين أخو الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في مكانه .

---

* الدرر : ٣١٧/٤ .

** الدرر : ٣٢٢/٤ .

*** الدرر : ٣٢٣/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٢/١٠ .

طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر بعد مقام أخيه الأمير بدر الدين مدة بالقاهرة ، في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وأعطاه طبلخاناه ، وولاّه الحجوبية بمصر تحت يد أخيه ، ولمّا قُبض على تنكز - رحمه الله تعالى - وجَهز أخاه الأمير بدر الدين مسعود نائبا إلى غزة ، جهز الأمير شرف الدين إلى دمشق حاجبا صغيرا ، فأقام بدمشق على الحجبة إلى أن رُسم لأخيه الأمير بدر الدين مسعود بالحضور إلى دمشق ، فرسم للأمير شرف الدين بأن يتوجّه إلى صفد ، فتوجّه إليها ، كل ذلك في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولمّا مات السلطان وجرى ما جرى ، وولي النيابة بمصر الأمير سيف الدين قوصون ، طلب الأمير بدر الدين مسعود إلى مصر ، وطلب أخاه أيضا ، فتوجّها إليه ، وعملا الحجوبية بمصر ثانيا . ثم إن الأمير بدر الدين خرج بعد قوصون إلى الشام ، وأقام الأمير شرف الدين محمود على الحجبة بمصر إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في شهر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

ومات له ابنان وبنت وجماعة من أولاد أولاده وأولاد مماليكه في الطاعون .

وكان قد ولي شد الأوقاف بدمشق أيام تنكز في سابع صفر سنة ثلاثين وسبع مئة عوضاً عن نجم الدين بن الزيبق ، ولمّا توجه إلى مصر في التاريخ المتقدم ، تولى شد الأوقاف عوضه ناصر الدين محمد بن بكتاش .

١٨٣٦ - محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء*

المحدّث الفرضي شمس الدين أبو العلاء البخاري الكَلاَباذي الحنفي الصوفي .

تفقه ببخارى ، وسمع بها ، وقدم العراق ، وسمع من محمد بن أبي الدنية[1] ،

* العبر : ٤١٢/٥ ، والدرر : ٣٤٢/٤ ، والشذرات : ٤٥٧/٥ .

(١) في الأصل و (س) : « المدينة » ، تحريف ، كما في مصادر ترجمته ، وهو : محمّد بن يعقوب بن أبي الفرج البغدادي (ت ٦٨٠ هـ) ، العبر : ٣٣٢/٥ .

ومحمد بن عمر المريح ، وابن بلدجي ، وابن الدّباب[١] وطائفة . وبالموصل[٢] من الموفق الكَوَاشي وجماعة . وبماردين ودُنيسر ، وقدم دمشق ، وسمع بها ، ورحل إلى مصر ، وأكثر بها ، وكتب الكثير بخطه المليح الحلو ، وصنّف في الفرائض تصانيف ، وكان فيها بارعا ، له أصحاب يشغلون عليه فيها . وكان دَيّنا نَزِها ورِعا متحريّا ، سوّد معجما لنفسه ، وكان لا يمس الأجزاء إلا على وضوء وطهور .

وروى له الدمياطي ، وسمع منه أشياخنا : المزي ، وأبو حيان ، وابن سيّد الناس ، والبرزالي ، وقطب الدين . وسمع منه المقاتلي ، والمجد الصيرفي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بماردين في أواخر شهر ربيع الأول سنة سبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين[٣] .

١٨٣٧ ـ محمود بن أبي بكر بن حامد*

ابن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن الحسين ، الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث اللغوي ، صفيّ الدين أبو الثناء الأرموي الصوفي .

كان من أعيان طلبة الحديث ، اشتغل وحصّل ، وكتب الكثير ونسخ من الأجزاء والكتب الحديثية جملة . وسمع بالقاهرة (جزء ابن عرفة) على النجيب عبد اللطيف ، وسمع بدمشق من عبد العزيز بن عبد الحارثي[٤] وجماعة من أصحاب ابن طبرزد والكندي[٥] . وقرأ (مسند) الإمام أحمد ببعلبك على ابن علاّن ، وسافر إلى القاهرة والإسكندرية ، وسمع منه شيوخها .

(١) محمّد بن محمّد بن علي البابصري (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٥/٥ .

(٢) س : « بالموصول » .

(٣) في (س) زيادة : « وست مئة » .

* البداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٣٤١/٤ .

(٤) هو عبد العزيز بن عبد المنعم الحارثي الدمشقي ، ابن عبد . توفي سنة (٦٧٢ هـ) . العبر : ٢٩٩/٥ .

(٥) في الأصل : « الكندي » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان يحفظ (التنبيه) ، ورجع إلى دمشق . وكان يطالع كتب اللغة ، وجمع (الصحاح) و (الأزهري) و (المحكم) وذيّل على (النهاية) ، وكان يقرأ الحديث فصيحا بسرعة ، ثم إنه تغيّر ذهنه ، وحصل له مرض بالسوداء ، وكان يحاضر في بعض الأوقات ، ويتكلم كلاما حسنا ، وفي بعض الأوقات يشتم من يخاطبه . وسافر إلى الحجاز وحلب والقدس ، وهو بهذا المرض .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالباب الصغير .

ومولده بالقرافة سنة سبع وأربعين وست مئة .

وسمع منه شيخنا الذهبي (جزء ابن عرفة) وغيره . وهو أخو الشيخ المعمر شهاب الدين محمد القرافي ـ رحمهما الله تعالى ـ.

١٨٣٨ ـ محمود بن رمضان*

شرف الدين بن والي الليل .

قال كمال الدين الأدفوي : رأيته واليا بأدفو ثم أسنا . وله نظم ، ومدحني بقصيدة .

وتوفي بمصر ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومن شعره :

هَجرتموني بلا ذنب ولا سَبب ... وحُبُّكم منتهى الآمال والطلب
ورمت بالقرب منكم راحةً فغدا ... قلبي ببعدكم في غاية التعب[1]

* الدرر : ٣٢٤/٤ ، والطالع السعيد : ٦٤٦ ، واسمه فيه : « محمد بن يوسف ، ابن والي الليل » .
(١) في الطالع : « النصب » .

ومـذ أطعت هـواكم مـا عصيت لكم أمرا ولا ملت في حبّي عن الأدب[١]
فمـــا لطرفي لا يغشـــاه طيفكم بُخـــــلاً عليّ وأنتم أكرم العرب

١٨٣٩ ـ محمود بن طي*

الشيخ جمال الدين العجلوني المعروف بالحافي .

كان إنسانا حسنا فقير الحال ذا عيال ، أقام بصفد مدة ، وكان يعرف بعض عربية ، وينظم شعرا لا بأس به ، وصحب عفيف الدين التلمساني زمانا ، وأخذ عنه ذلك المذهب . وكان مع فقره وتصوفه حادّ الأخلاق .

أنشدني كثيرا من شعره وكثيرا ما رواه لي عن عفيف الدين التلمساني ، وكان لعله يحفظ أكثر (ديوان العفيف) . وبحثت معه غير مرة . وكنت أردّ مقالته ، وشعّب ذهن[٢] جماعة بصفد ، وأعان اللهُ على إنقاذهم ، وكان يرتزق بشهادة القسم في خاص السلطان .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بصفد في سنة أربع وعشرين وسبع مئة . وقد قارب السبعين سنة .

وكتبت أنا إليه مرة ، وقد توجه إلى قرية تُسمى « عَلْمَا » من قرى صفد ، ومعه شخص يعزّ عليّ :

ألا هـل تُرى يـا نـازلين رُبـا عَلْما أحطتم بمـا يلقى مشـوقكم عِلمـا
فلو شاء حَمْلي الريح نحو خيامكم أتاكم بصبّ قد براه الهوى سقما[٣]

---

(١) في الطالع : « وقد أطعت » .
* الدرر : ٣٢٦/٤ .
(٢) في الأصل : « ذهنه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) (س) : « حَمْل » .

ومـا ضرّكم رعي العهـود التي مضت ... فكم قـد رعى طرفي لبعـدكم نجما
شُغلت بكم عن غيركم لا عـدمتكم ... فطرفٌ يرى إلاّ محـاسنكم أعمى
وعلّمني دمعي وجـوهر ثغركم ... إذا غبتم عن مقلتي النثر والنظما
ولا عجب أن جاء صبري مُحـاقّـه ... وحسنكم قـد أخجـل القمر التّما
منعتم جفوني لـذّة الغمض في الـدجا ... فمـا ذاق طرفي بعـدكم للكرى طعما
فكيف قضيتم بعـدكم إنّ أدمعي ... لعيني غسل وهي لم تبلـغ الحلمـا[1]
أظنّكم طهّرتم بـدامعي ... عيـوني لمـا أن رأت غيركم قِـدمـا
ولمـا شكت عيني إليكم سُهـادهـا ... حكمتم عليها أن تـدوم وأن تـدمى[2]
ومَن كنتم أحبـابـه يـاسروره ... ويـاسعـده إن صـح لـك أو تمّـا
ويـافـوز قلب أصبحت خطراتـه ... إلى حبكم تسمـو، وصب لكم يسمى
وإن كان عُـذّالي عمـوا عن جمـالكم ... فلي أُذن عن كل مـا نقلـوا صمّـا

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك ، ولكنه لم أجده عند تعليقي هذه الترجمة .

وأنشدني من لفظه لنفسه تخميس قصيدة جيمية للعفيف التلمساني :

بالناظر الفاتر الوسنان ذي الـدعج
ومـا بخـدّ الـذي تهـوى من الضَّرج
قم يـانـديمُ فمـا في الـوقت من حرج
انظر إلى حسن زهر الروضـة البهـج ... واسمـع ترنّم هـذا الطـائر الهـزج
لي الهنا قد وفت سعدي بما وعـدت
ودارُهـا قربت من بعـدمـا بعـدت
فـانظر تشـاهـد أنوار الجمـال بـدت

(١) في (س) : « بعدها » .
(٢) في الأصل : « إليها » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في الأصل : « الهرج » ، وقد أثبتنا ما في (س) ، (ط) .

تُجْلَى الرياض وقينات الحمام شدت والـزهر يحرق عرف المنـــدل الأرج
نُسَيْمة القرب من ذاك الجمال سرت
فكم فـؤاد بهـــا سرّت وكم أسرت
وخـاطر بلبلتـه عنـدمـا خطرت

فعـاطِني يـا رشيقَ القـد مـا اعتصرت يـد المـلاحـة لي من طرفـك الغنـج
عـزت فعـزّ علينـا نيـل مطلبهـا
لّمـا تسـامت علـوّا في تمر تبهـا
وفي لحـاظـك معنى عن تطلبهـا

فمـا المـدامـة في سلب العقـول بهـا بـالْسُّكْرِ أسلبُ من عينيـك للمُهج
صهبـاء تَـذْهب بـالتبريـح والترح
وتُبْـدِل الهمّ والأوهـام بـالفرح
يا طيب في ساحتي حاناتِها مرحي

وإن تُرد مـزجهـا لا تمـزجاً قـدحي دعـه برقـة وجـدي فيـك يمتزج
يـا ويح روحي تمـادت في مـآربهـا
واستعـذبت مـا تـلاقي من مُعـذّبهـا
مسلوبـة قـد براهـا عشـقُ سـالبهـا

مرّت ليـالي صـدود لـو جمعت بهـا دمعي جرت سفنٌ منـــه على لجـج
أشفقت من فيض آمـاقي على غرقي
ولم يخـلّ الضنى مني ســوى رَمَقي
وبُـدِّل النـومُ بـالتسهيـد والأرق

كم قـد فتحت لضيف الطيف من حُرَق بـاب المنى فـانثنى [عنـه] ولم يلـج[1]
عليك مُذ كنتَ لي مـا زلت معتمـدا

(١) الزيادة من (س) ، (ط) .

لَـا أجلّـك بـالتعظيم معتقـدا
ولم أحـل عن عهـود بيننـا أبـدا
وكم بـذلت جميعي مجتهـدا وصنت سرّك في قلب عليـك شـج
أضحى وجوديَ مَنْسُوبا إلى العَدَم
وسِرُّ وجـدي بسقمي غير مكتتم
كم قـد تبرّمت من شـوقي ومن ألمي
وشمت برقـا على الجرعـاء من إضم قلبي عليـك وطرفي غير مختلـج
لي البشارة أحلامي بكم صـدقت
وبالرضا أحسن الأحوال قد نطقت
وكان ما صار بالحسنى التي سبقت
وهـذه ليلـة من لـؤلـؤ خُلقت حسنا وإن ظهرت في صبغـة السبج[1]
أكرم بهـا ليلـةً عظّمت حرمتهـا
ودمت أشكر مهما عشت نعمتهـا
ولم أخف من صروف الدهر نقمتهـا
جلت ثنـايـاك ذات الظلم ظلمتهـا ولم يكلهـا لضـوء الشمـع والسّرج
لّمـا تجنّبت عن علمي وعن عملي
شوقـا لرؤيـاك يـا سولي ويـا أملي
أفنى فِنـاك فنـائي وانقضى أجلي
فصـار ثبتـك في محـوي يحقـق لي إيجـاب سلبي من ستر ومن بهـج[2]
ومـذ تجلّيت في كل المظـاهر لي
ولاح معنـاك لي في السهل والجبـل

(١) السبجة : الكساء الأسود .
(٢) في (س) : « من سير ومن نهج » .

حققت رؤياك كشفا بالعيان جَلي
فلم أقل للصّبا من بعدها احتملي للحيّ شخصي ولا لي في الخيام لُجي

١٨٤٠ ـ محمود بن سلمان بن فهد*

الشيخ الإمام العالم العلاّمة الأديب الكامل البارع الناظم الناثر القاضي الرئيس الجليل شهاب الدين أبو الثناء الحلبي الدمشقي الحنبلي ، صاحب ديوان الإنشاء بدمشق .

سمع من الرضيّ بن البرهان ، ويحيى بن عبد الرحمن بن الحنبلي ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، وابن هامل المحدّث ، وغيرهم . وكان يذكر أن له إجازة من يوسف بن خليل ، وتفقه على ابن المنجا وغيره . وقرأ العربية على ابن مالك ، وتأدّب بالشيخ مجد الدين بن الظهير الإربلي الحنفي ، وسلك طريقه في النظم وحذا حذوه وأربى عليه ، وإن كان قد تلا تلوه ، لأنه كان إذا نظم أخذ الكلمات حروفا ، فإذا ركّبها صارت في الآذان شنوفا ، يرشف السمعُ منه مدامه ، ويتعلم التغريدَ منها الحمامة ، ويُسطرها فيرى الناس بدرها وقد استفاد تمامه ، وزَهْرَها وقد شق الربيعُ كمامَه ، وروضها وقد جادته الغمامه . وإذا نثر فضح الدر في السلوك ، ورصّعه في تيجان الملوك ، فكم من تقليد هو في يد صاحبه للسعد إقليد ، وكم منشور[1] فيه توليد ، وهو بوجنة السيادة توريد ، وكم من توقيع هو قنديل[2] يضيء لمن حواه أو هو في كأس مسرّته قنديد[3] . وخطه من أين للوشي رقمه أو للعِقْد نظمه أو للروض زهره أو

* الفوات : ٨٢/٤ ، والبداية والنهاية : ١٢٠/١٤ ، والدرر : ٣٢٤/٤ ، والشذرات : ٦٩/٦ ، وذيول العبر : ١٤٠ ، والنجوم : ٢٦٤/٩ .

(١) في (س) : « وكم من منشور » .

(٢) (س) : « من قنديل » .

(٣) القنديد : عسل قصب السكر ، معرّب .

لطرف الحبيب سِحْرُه ، أو للنجوم طرائقه ، أو لخطوط إقليدس دقائقه ، أو للفكر الصحيح حقائقه ، قد نمّق أوضاعه المتأنّقة ، ونسخ محاسن مَن تقدّمه بحروفه المحققة :

يُنَمْنِمُ الخَطّ لا يجتاب أَحْرُفَه ... والوشي مهما حكاها منه يجتابُ
لو لم يكن مستقيما بعدما سجدت ... فيه المعاني لقلت السطرُ محرابُ
أملى تصانيف في أكمامها ثَمَرٌ ... تجنيه بالفهمِ دون الكف ألبابُ

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ مِمَّن أَتْقَنَ الفَنّين نَظْما ونثرا ، وبَرعَ في الحالين بديهة وفكرا . وكان هو يزعم أن نَثْره أَحْسَنُ من نظمه ، وأن بَدْره فيه أكمل منه في تمّه .

والذي أراه أنا ، وأبرأ فيه من العناية والعنا ، أن نظمه أعذب في الأسماع ، وأقرب إلى انعقاد الإجماع ، لأنه انسجم تركيباً وازدحم تهذيبا ، فسحَرَ الألباب ، ودخل بالعجب من كل باب ، وإن كان نثره قد جوّده ، وأجراه على قواعد البلاغة وعوّده ، فإن شعره أرفع من ذلك طَبَقَة ، وأَبْعَدُ شأواً على مَن رام أن يَلْحَقَهُ ، وهو يحذو فيه حذو سبط التعاويذي . وقصائده مطوّلة فائقة ، ليس يرتفع فيها ولا يَنْحَطّ ، بل هي أنموذج واحد ليس فيها ما يُرمى . ولم يكن بغوّاص على المعاني ولا يقصد التورية ، فإنها جاءت في كلامه قليلة ، ومقاطيعه قليلة ، ولكن قصائده طويلة طائلة هائلة ، لعلّها تجيء في ثلاثة مجلدات أو أربعة ، ولم يجمعها أحد ، وهي كما قال ابن الساعاتي :

ناطقاتٌ بكلّ معنىً يضاهي ... نُكَتَ السِّحْر في عيون الملاح
من نسيب يهزّ عاطفة المجـ ... ـد ومدح يلين قلب السماح[1]

وأما نثره فيجيء في ثلاثين مجلدة . وكان أخيراً بالديار المصرية ، يُنْشئ هو ويكتب ولده القاضي جمال الدين إبراهيم ، فيجيء المنشور أو التوقيع فائقا في خطه ولفظه .

وعلى الجملة فلم أر مَن يصدق عليه اسم الكاتب غيره ، لأنّه كان ناظما ناثرا ، عارفا

(١) في الأصل : « ومجدٍ » ، وأثبتنا ما في (س) .

بأيام الناس وتراجمهم ومعرفة خطوط الكُتّاب ، وله الروايات العالية بأمهات كتب الأدب وغيره ، ورأى الأشياخ وأخذ عنهم . وعُيّن في وقت بالديار المصرية لقضاء الحنابلة .

وهو ـ رحمه الله تعالى ـ أحد الكملة الذين عاصرتهم وأخذت عنهم . وكان يكتب الإنشاء أولا بدمشق ، ثم إن الصاحب شمس الدين بن السلعوس[١] نقله إلى الديار المصرية لمّا توفي القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وتقدم ببلاغته وكتابته وإنشائه وسكونه وتواضعه[٢] .

وأقام بالديار المصريّة إلى أن توفي القاضي شرف الدين بن فضل الله بدمشق ، فجُهز مكانه إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء ، فأقام بها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة السبت ثاني عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة بدار الفاضل بدمشق داخل باب الناطفانيين[٣] ، وصُلي عليه ضحى يوم السبت بالجامع الأموي ، وصلى عليه نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز والأعيان برّا باب النصر ، ودفن التي عمّرها لنفسه بالقرب من مسجد ابن يغمور[٤] ، وصُلّي عليه بمكة والمدينة .

ومولده في شعبان سنة أربع وأربعين وست مئة .

وكان محباً لأهل الخير والصالحين ، مواظباً على النوافل والتلاوة والأدعية ، يستحضر ذلك ، ويذكر للموت دائما ، وعنده خوف من الله ـ تعالى ـ وعليه سكينة كبيرة[٥] ووقار .

---

(١) قوله : « ابن السلعوس » ، ليس في (س) .

(٢) في (س) زيادة : « وكتب الإنشاء مدة خمسين سنة بالشام ومصر » .

(٣) أحد أبواب الجامع الأموي في الجهة الشمالية ، ووقع في الأصل : « الناطقانيين » ، تصحيف .

(٤) جمال الدين موسى بن يغمور الباروقي ، كان من جلّة الأمراء ، وولي نيابة مصر ونيابة دمشق (ت ٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٤/٥ ، والدارس : ٤٩٩/١ ـ ٥٠٠ .

(٥) في (س) : « كثيرة » .

ولَمّا مات رحمه الله تعالى كنت بالديار المصريّة فقلتُ أرثيه ، ولم أكتب بها إلى أحد :

ما حُزْنُ قلبيَ في البَلوى بمحدودِ ... ولا فؤادِيَ في السَّلْوى بمَعدود
فلا تَذمَّ امرأ يَبكي الدِّماء على ... أبي الثَّناءِ شهاب الدِّين محمود
يا ساريَ اللَّيلِ يَبغي الفَضلَ مُجْتَهداً ... ارْجِع وحُطَّ عَنِ المهريّةِ القُود[1]
ماتَ الإمامُ الذي كنّا نؤَمِّلُهُ ... فيا نؤمِّلُهُ من غَيرِ تَفنيد
وأقفَرَتْ ساحةُ الآدابِ وانْدَرَستْ ... مَعالمُ العِلْم منهُ بعد تَشْييدِ
أما تَرى كَيفَ كُتّابُ الأنامِ غَدَتْ ... أوراقُهُم وهي فيهِ ذات تَسويدِ
هو الإمامُ الَّذي لَمّا سَما كَرَماً ... ألْقَتْ إليه المعاني بالأقاليد[2]
طُوفان علم جَرَت فيهِ السَّفينةُ من ... آدابِهِ واسْتَوَت منهُ على الجودي[3]
فليسَ باغي معاليهِ بذي ظَفَرٍ ... وليسَ راجي أياديه بمَرْدود
كأنَّ أقلامَهُ في الكَفِّ بانٌ نَقيَ ... حَمائم السَّجْعِ منها ذات تَغْريد
فَيرجِع الطِّرس من نَقشٍ عليهِ بَدا ... كأنَّه نَقشُ كفِّ الكاعِبِ الرّود[4]
كم قَلَّدَ الدَّهرُ عقداً من قَصائدِهِ ... بدُرِّ لفظٍ بَديعِ الرَّصفِ مَنضود
وكَم حَبا الملكَ تيجان البَلاغَةِ من ... تلكَ التَّواقيعِ أو تِلْكَ التَّقاليد
وكم أفادَ المعاني من بَلاغَتِهِ ... ما زانَها باخْتِراعاتٍ وتَوليد
فَصالَ إذْ صانَ سِرّ الملكِ مُنْفَرِداً ... على الأعادي بكَيدٍ غير مَكْدود
فلا قَوامُ القَنا يَهتزُّ من مَرَح ... ولا خُدود المواضي ذات تَوريد
وليس يُسمَع للأبطال هَمْهَمَةٌ ... رعودها خار منها كل رِعْديد
تَدبير مَنْ حَلبَ الأيام أشطرها ... مهذّب الرّأي في عَزم وتَسديد

(١) القود من الإبل : المنقادة المذللة ، والمهريّة : المهورة بالحمرة .
(٢) (س) : « سما أدباً » .
(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ واسْتَوَت على الْجُودِيّ ﴾ [هود : ٤٤/١١] .
(٤) مخففة من الرؤود ، وهي المرأة الشابة الحسنة .

أراهُ إن قـــامَ ذو فَضـلٍ بمنصِبِـــه ... قـــالَ البيـــانُ لـــهُ قُم غيرَ مَطرود
أمّـا ترسُّلُـه السهـلُ البـديعُ فقـد ... أقـامَ في شـاهِـقٍ بـالنَّجمِ معقـود
أنسى الأنـــامَ بـــهِ عبـــدَ الرَّحيم كما ... راحَ العِماد بقلبٍ غير معمـــــود[1]
تراهُ إن أعمـل الأيـــــام مُرتَجِـــلاً ... قـالَ البيـانُ لهـا يـا سُحبَنـا جـودي
يُمْلي ويكتبُ من رأسِ اليَراعِ بِـــلا ... فِكْرٍ فَيَـــــأْتي بسحرٍ غير مَعْهـــود
إذا سَمِعْنـا قـوافيـهِ وقـد نَجَـزَت ... نَقـولُ من طَرَبٍ ألبـابنـا عيـدي
شاعَت فَضائلُـهُ في النّـاسِ واشْتَهَرَت ... وبـاتَ يُنْشِدُهـا الرُّكبـانُ في البيـد
يـا مَن رَجعتُ بـهِ في النّـاسِ مَعرِفَـةً ... من بعـدِ مـا زالَ تَنكيري وتَنكيـدي
ساعدت فيـكَ حمامُ الأيـكِ نـائحـةً ... فقصَّرت فيـكَ عن تَعـدادِ تَعـديـدي
لَهْفي عليكَ وهل يُجـدي التَّلهُّف أو ... يفـــكُّ أسرَ فـؤادٍ فيـــكَ مَصْفـود
وحُرْقَتي فيـــك لا يُطْفي تَلهُّبهـــا ... دَمعي ولو سالَ في خَـدّي بأُخـدود
فـلا جَفَت قبركَ الأنـواءُ وانسَجَمَت ... عليـهِ يـا خَير ذي صَمْتٍ وقـد نـودي

وكنتُ قد قرأت عليه (المقامات الحريرية) وانتهيت منها إلى آخر المقامة الخامسة والعشرين في سنة ثلاثة وعشرين وسبع مئة ، فكتب هو عليها : قرأ عليَّ المولى الصدر فلان الدِّين ، نفعه[2] الله بالعلم ونفع به ، من أوّل كتاب المقامات إلى آخر الخامسة والعشرين قراءة تُطرب السامع[3] وتأخذ من أهواء القلوب بالمجامع ، وسأل منها عن غوامض تدلُّ على ذكاءِ خاطرهِ المتَّقد ، وصفاء ذهنه العارف منه بما ينتقي وينتقد .. ورَوَيْتها له عن الشيخ الإمام مجد الدِّين أبي عبد الله محمد بن أحمد[4] بن الظهير

(١) في (س) : « منه معمود » . وعبد الرحيم هو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي (ت ٥٩٦ هـ) ، سلفت الإشارة إليه . والعماد هو الكاتب ، محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ) ، الوافي : ١٣٢/١ .
(٢) في الأصل : « نفع » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في (س) : « المسامع » .
(٤) (س) : « مُحَمَّد » ، سهو . انظر : فوات الوفيات : ٣٠١/٣ ، وسلفت الإشارة إليه .

الإرْبلي ، وساق سنده إلى الحريري ثم إنه كتب لي على آخرها وقد كَمَّلتُ قراءتها عليه بدمشق في ثاني عشر شهر الله المحرَّم سنة أربع وعشرين وسبع مئة :

قرأ عليَّ المولى الصَّدر الكبير الرئيس العالم الفاضل الْمُتْقِن الْمُجيد نظماً ونَثراً المحسن في كلِّ ما يأتي به من الأنواع الأدبيَّة بديهةً وفكراً .. فلانُ الدِّين نفعه الله بالعلم ونفع به[١] كتاب (المقامات الحريرية) قراءة دلَّت على تمكنه من علم البيان واقتداره على إبرازَ عقائِل المعاني المستكنَّة في خدور الخواطر مجلوَّة لعيان الأعيان . وإنه استشفَّ أشعةً مقاصدها بفكره المتَّقد ، وفرَّق بين قيم فرائدها بخاطره المنتقد ، فما تجاوز مكاناً إلاَّ وأحسن الكلام في حقيقته ومجازه ، ولا تعدَّى بياناً إلا وأجمل المقال في تردد[٢] البلاغة بين بسط القول فيه وإيجازه ، ورَوَيْته له عن فلان ، وذكَرَ السند على العادة .

وكتب هو لي أيضاً على كتاب (الحماسة) :

قرأ عليَّ الصدر فلان الدِّين قراءة مطَّلعٍ من البلاغة على كنوزها[٣] ، مُمَيِّزٍ في الصناعة بين لُجَيْن بديعها وإبريزها ؛ باحثٍ عن إبراز[٤] مقاصدهم التي لا توجد في كلام مَنْ بعدهم ، عالمٍ بقيم فرائدهم التي إذا ساواها بغيرها نُقّاد الأدباء بسرح الامتحان والسبك نقدهم . ثم ذكر سنده فيها ، على العادة .

وكتب هو أيضاً على كتابه (أهنا المنائح[٥] في أسنى المدائح) مما نظمه هو [في][٦] مديح رسول الله ﷺ :

---

(١) زيادة من (س) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « تردد » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في (س) ، (ط) : « مواضع كنوزها » .
(٤) (س) : « أسرار » .
(٥) في الأصل : « المدائح » ، تحريف ، والكتاب مطبوع .
(٦) زيادة من (س) .

قرأ عليَّ المولى الصدر فلان الدِّين أيَّده الله تعالى هذا الكتاب والزيادات [١] الملحقة في آخره من نظمي أيضاً قراءةً دلَّت على وفور علمه ، وثَبْت [٢] رويّته في استنباط المعاني وقُوَّة إدراكه وسرعة فهمه ، وشَهِدتْ بتمكُّنه في هذه الصِّناعة ، وأنبأتْ عما يُجْريه [٣] فكره من مواد البراعة على لسان اليراعة ، وأذنتُ له أن يرويها عني ، وغيرها ممّا قرأه عليَّ وما لم يَقرأه من نظمي ونثري ومسموعاتي وإجازاتي .

وكتبتُ أنا في آخر كتابه (حسن التَّوسل إلى صناعة التَّرسُّل) [٤] بعدما قرأته عليه في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة : قرأت هذا الكتاب على مصنِّفه الشيخ الإمام :

العالِمُ العَلاّمَةُ الحِبْرُ الذي ... بَهَرَت عَجائبُهُ بَني الآدابِ
ودَنَتْ لَديهِ المشكلاتُ وطالَما ... جَمَحَت أوابِدُها على الطُّلابِ
مِن كلِّ قافِيَةٍ تَهزُّ مَعاطِفَ الـ ... أيّام من سُكْرٍ بغير شَرابِ
ورسالةٍ غَلَبت عُقولَ أولي النُّهى ... وتلعَّبَت بالسِّحرِ للألبابِ [٥]
الألْمَعيّ أخي الفَواضل والنَّدى ... الكاملِ الأدواتِ والأسبابِ

المفوَّه ، للدبّر ، المشير ، السفير ، يمين المُلْك [٦] ، يمين الملوك والسلاطين ، شهاب الدين أبي الثناء محمود صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس :

لا بَرِحَت أبكارُ أفْكارِهِ ... تُجْلى لَنا في حِبَرِ الحِبْرِ
ورَوضَةُ الآدابِ مُفْتَرَّة ... مِن لَفظِهِ عن يانِعِ الزَّهرِ

(١) (س) : « والزيادة » .
(٢) في الأصل : « وثبتت » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في الأصل : « يجزئه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) من أشهر كتب الإنشاء ، مطبوع .
(٥) في (س) : « للسحر بالألباب » .
(٦) اليمين ههنا بمعنى اليمن ، وهذه العبارة : « يمين الملك » ليست في (س) .

ابن المولى الوليّ[١] الصالح السعيد زين الدين سلمان بن فهد رحمها الله تعالى في مجالس آخرُها التاريخ المذكور ، وقد رأى أن ينظمني في سلك خَدَمِهِ ويُفيض عليَّ كما أفاض عليهم ملابس نعَمِه ، ويَحْشُرني في زمرة الآخذين عنه ويُقبسني أنوارَ كماله في التهذيب الذي لم تطمح النفسُ الأدبيّة أن تقبسها إلاّ منه .

وكتبتُ أنا على أول هذا الكتاب :

إذا كُنتَ بالإنشاءِ حلْف صبابَةٍ ... فقُمْ واتَّخِذْ حُسْن التَّوسُّلِ واسِطَهْ
بهِ ختمَ الآدابَ مُنشيه للورى ... ولكن غَدا في ذلكَ العقد واسِطَهْ[٢]
إمامٌ لهُ في العِلْمِ والجِسْمِ بَسْطَةٌ ... وكَفٌّ غَدَت في ساحَةِ الفَضلِ باسِطَهْ
فَطُوبى لِمَن أضحى نزيلَ مقرِّهِ ... وقابَلَهُ يوماً وقَبَّلَ باسِطَهْ

فلما وقف هو عليها كتب إليَّ رحمه الله تعالى :

أذا الدُّرّ أم ذا الزَّهر لو كان حاضراً ... مَحاسِنَه حسّانُ أصبَحَ لاقِطَهْ
وذا البَدر حَيثُ البدر في كَبِدِ السَّما ... على حبِّه أطيارُ عَقلي ساقِطَهْ
تَفَضَّلت غَرْسَ الدِّينِ لَمّا تقبّلت ... علومُك أعمالاً من النقص حابِطَه
وشيَّدتَ إذ قيَّدتَ فينا ضوابطاً ... قواعِدُها لولا وجودُكَ هابِطَهْ

وقرأتُ عليه بعض (ديوان أبي الطَّيِّب) . وقرأت عليه (ألفية ابن مالك) ورواها لي عن المصنِّف .

ولَمّا قرأت عليه قوله في كتاب (حُسن التَّوسل) :

فلَم أرَ مِثلَ نَشرِ الرّوضِ لَمَّا ... تَلاقينا وبنت العامِرِيّ
جَرى دَمعي وأوْمَضَ بَرْق فيها ... فَقالَ الرَّوْضُ في ذا العامِ رِيِّي

(١) (س) : « الشيخ » .
(٢) بعد هذا البيت فقد ما يقارب ثلاث أوراق من (س) .

أخذتُ في الزهزهة لِما في هذين البيتين من الجناس المركب ، وبالغتُ في الثناء عليهما فقال لي : خُذ نفسَك بنَظم شيءٍ في هذه المادة ، فامتنعتُ فقال : لا بدَّ من ذلك ، فغبت عنه يومي ، وجئته في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي في هذه المادة :

بقولِ الشّافعيّ اعْمَل تُحَقِّقْ ... مُناكَ فَما تَرى كالشَّافعِيّ
فكَم في صَحْبِهِ من بحرِ عِلمٍ ... ومن حَبْرٍ ومِنْ كَشَّافِ عِيّ

فقال : حسن ، وعجَّبَ بها الحاضرين . ثم قال : إلا أنَّ قافيتي أنا رائيَّة ، فغبتُ عنه يومي وأتيته في غد ، وأنشدته لنفسي :

أرى في الْجَوْدَرِيّة ظَبي أُنس ... فَيا شَغفي بهِ مِن جو دريّ
لبارق فيهِ سَحَّتْ سُحبُ دَمعي ... فقالَ الرَّوْضُ إنَّ الْجُودَ ريّ

وأنشدته لنفسي أيضاً :

أقولُ لِمُقْلَتي لَمّا رَمَت في ... فُؤادي حَسْرَةً من عَنبَريّ
سَلِمتِ وباتَ قلبي في عَذابٍ ... أَلَم يَخْشَى فُؤادك عن بريّ[1]

فقال : حَسَنٌ لَسِنٌ[2] ، وزاد في الإعجاب بذلك ، ثم قال : إلاّ إن قافيتي أنا مؤسَّسَةٌ ؛ يعني أن فيها الألف ، فأتيته في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي أيضاً :

مَليكٌ كَم سحاب سَحَّ لي مِن ... نَداهُ الهامعيّ الهامريّ
وقالَ السَّيف في يُمناهُ لَمّا ... رأى الأعداء : مِن ذا الهام ربيّ

فقال : أجَدْتَ ، ولكن أنا بيتاي في غزل ، وهذان في مَديح ، فغبت عنه يومي ، وجئته في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي :

---

(١) كذا في الأصل و (ط) ، ليستقيم الوزن .

(٢) اللَّسِنُ : الفصيح . والمشهور في هذا السياق : حَسَنٌ بَسَنٌ على الإتباع .

مَليحٌ جاءَ بعدَ الحجِّ يُذكي غَرامي بالنَّسيمِ الحاجِريّ
تَلَظَّت منهُ أشواقي بقلبي وقالت : عندَ هذا الحاج ريِيّ

فزاد في تقريظها والثناء عليها ، فقلت : يا سيدي ، والله ما يلحقك أحد في بيتك ، ولو كان المطوّعي[١] أو البُستي[٢] . قال : ولِمَ ذاك[٣] ؟ قلت : لأنك شاعرٌ مُجيدٌ فحلٌ وقعْتَ على المعنى بكراً فلم تدع[٤] فضلة لغيرك ليأتي به[٥] في تراكيبك العذبة الفصيحة ومعناه الحسن البليغ ، فبالغ في الجبر والصدقة .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

قُل لي عنِ الحمّام كيفَ دخلتها يا مالكي لِتَسُرَّ خِلاً مُشْفِقا[٦]
أدَخَلتَها وأُولئكَ الأقوام قد شَدُّوا الْمَآزِرَ فوقَ كثبانِ النَّقا

فاستحسنتُها ، وأنشدته لنفسي مضمّناً في اليوم الثاني :

مليحٌ أتى الحمّام كالبدرِ في الدُّجا ومَبسَمُه يُزْري بزَهْرِ الكواكِبِ
وأردافُهُ مِنْ تَحْتِ مِئْزَرِهِ حَكَت بَياضَ العَطايا في سَوادِ الْمَطالِبِ

فأعجبه هذا التضمين كثيراً ، وأنشدني يوماً له :

إذا كانَ مَنْ أهواهُ روحي وراحتي ولُقياهُ أرجى من حَياتي وأرجَحُ
وأظْمأني منهُ الزَّمانُ بفَقْدِه فلا شكَّ أنَّ الموتَ أروى وأروَحُ

فاستحسنتُها ، وأنشدته لنفسي في اليوم الثاني :

(١) عمر بن علي ، شاعر رقيق من أهل نيسابور ، (ت ٤٤٠ هـ) . الأعلام : ٥٥/٥ .
(٢) علي بن محمّد ، شاعر عُني بالتجنيس ، (ت ٤٠٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ٣٧٦/٣ .
(٣) في الأصل : « ماذاك » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٤) في (ط) : « تدع فيه .. » .
(٥) قوله : « ليأتي به » مطموس في الأصل .
(٦) في الفوات : « يا صاحبي » .

لَئن كان ما بيَ عنك في الْحُبِّ خافياً فــــلاشـــــكَّ أنَّ اللهَ أعلى وأعلم
وإن كنتَ في إنســانِ عَيني مُمَثَّـلاً ففي خــاطِري ذكراكَ أغْرَى وأغرَم
وإن كنتَ أذْكَيْتَ الْجَوى بِمدامِعي فنــارُ الهوى في القَلب أضرى وأضرَم
وإن كنتَ تختـــــارُ للنى في مَنِيَّتي فَـــوالله إنَّ للـــوتَ أسْلَى وأسْلَم

فقال : نَفَسٌ جيِّد دالٌّ على التمكُّن والقُدْرَة ، ولكن اجتهِدْ إذا عارضت أحداً أن يكون قولك في وزنه ورَويّه ، فأنشدته في اليوم الثاني :

لَئن طلَبتْ نَفسي السُّلُوَّ عنِ الَّـذي تَلِفْتُ بــهِ فــالصَّبْرُ أنْجَى وأنْجَـحُ
فقُـل لِلْحَيـا الهتـانِ أمْسِـك ولا تَرُم مُسـاجَلَتي فـالـدَّمـعُ أسمى وأسمحُ

فقال رحمه الله تعالى : أجدتَ بارك الله فيك .

وأنشدني يوماً لنفسه قولُه :

عُرَيْبٌ سَبَـوا نَـوْمي ولم تَـدرِ مُقلَتي كما سَلَبـوا قَلبي ولم تَشْعُر الأعضـا[1]
وطَلَّقت نـومي والْجُفـونُ حَـوامِـلٌ فمن أجلِ ذا في الخدِّ أبقَت لها فَرضا

فغبتُ عنه وأنشدته في اليوم الثاني :

سننتَ السُّهـــــادَ بمنـــعِ الكَرَى فــأظهَرْتَ في حــالــة بِـدعَتَيْن
وصيَّرتَ تكرارَ دَمعي على خُــدودي من فَـوقِهـا فرضَ عَيْن

فأعجباه كثيراً .

وأنشدني قوله أيضاً مما كتب به إلى الملك المظفَّر صاحب حماة :

أمَّلتُ أنَّـــك لا تَــزالُ بِكُــلِّ مَنْ نــاواكَ من كلِّ الأنـــامِ مُظفَّرا
ورَجَـوتُ أن تَطـأ الكـواكب رِفْعَـةً مِن فوقِ أعناقِ الوَرى وكذا جَرى[2]

(١) في الفوات : « كما سكنوا » .
(٢) (ط) : « الردى » .

فغبتُ عنه وأنشدته في اليوم الثاني :

أمّلتُ أن تتعطفوا بوصالكِمْ ... فَرأيتُ مِنْ هجرانكم ما لا يُرى
وعَلِمتُ أن بعادكُم لابُدَّ أن ... يَجْري لهُ دَمعي دَماً وكذا جَرى

فأعجباه كثيراً وزَهْزَهَ لهما .

وأنشدني من لفظه لنفسه يعارض ابن الخيَمي[1] :

قَضى ، وهذا الذي في حبِّهم يجبُ ... في ذِمَّةِ الوجدِ تِلكَ الرّوح تَحتَسِبُ
ما كانَ يومَ رَحيلِ الحيّ عن إضَمٍ ... لرُوْحِهِ في بَقاءٍ بعدَهُم أرَبُ
صَبٌّ بَكى أسَفاً والشَّملُ مُجتَمِعٌ ... كأنَّه كان للتَّفريقِ يرتَقِبُ
نَأوْا فَذابَت عَليهِم رُوحُه أسَفاً ... ما كانَ إلاّ النَّوى في حَتْفِه سَبَبُ[2]
طوبى لِمَنْ لم يبدِّلْ دينَ حُبِّهم ... بَل ماتَ وهو إلى الإخلاصِ منتَسِبُ
لو لم يَمُت فيهم ما عاشَ عندَهُم ... حياتُه من وفاةِ الحبِّ تَكتَسِبُ
بانوا وفي الْحَيِّ مَيْتٌ ناحَ بَعْدَهم ... وُرْقُ الحمام وسَحَّت دمعَها السُّحُبُ[3]
وشَقَّ غصنُ النَّقا من أجلِهِ حَزَناً ... جُيوبَه وأديرت حولَهُ العُذبُ
وشاهدَ الغيثُ أنفاساً يصعِّدها ... فعادَ والبرقُ في أحشائِه لهبُ
لو أنصفوا وقفوا حِفْظاً لمهْجَتِه ... إنَّ الوُقوفَ على قَتْلى الهَوى قُرَبُ
يا بارقَ الثَّغرِ لَو لاحَت ثُغورُهُم ... وشِمْتَ بارِقها ما فاتَكَ الشَّنَبُ
ويا قضيبَ النَّقا لو لم تجِد خبراً ... عندَ الصَّبا منهُم ما هَزَّكَ الطَّرَبُ
ويا حَيا جادَهم إن لم تَكُن كَلِفاً ... «ما بالُ عينيكَ منها الماءُ يَنسَكِبُ»[4]

(١) شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد (ت ٦٨٥ هـ) الوافي : ٥٠/٢ ، وقصيدة الشهاب محمود الآتية وكذا ما أنشأه المؤلف لنفسه مثبتان في ترجمة ابن الخيمي هذا .

(٢) في الوافي : « كمداً » .

(٣) في الوافي : « له الحمام » .

(٤) في الوافي : « منسكب » ، وهذا الشطر مطلع قصيدة لذي الرمة والبيت بتمامه : =

بـــالله يـــا نَسمات الرِّيـح أيْنَ هُمُ ... وهَـل نَـأوْا أو دُمـوعي دونَهُم حُجُبُ
بـالله لَمّـــا استَقَلّـوا عن ديـــارِهِم ... أحنَّت الـــدَّار من شَـوقٍ أمِ النُّجبُ
وهـل وجـدتَ فـؤادي في رِحـالِهم ... فـإنَّـه عنـدَهُم مِن بعضِ مـا سَلَبـوا[1]
نَـأوا غِضـــابـــاً وقَلبي في إســـارِهم ... يـا لَيْتَهُم غَضِبـوا روحي ولا غَضِبـوا
عَسـاك أن تَعطفي نحـوي مَعـاطِفَهم ... فـالغصنُ بـالرِّيـح يَنْـأى ثمَّ يَقتَرِبُ
وإن رجَعتِ إليهِم فـــاذْكُري لَهُم ... أنِّي شرَقت بـدَمعِ العينِ مُـذ غَرَبوا[2]
ثمَّ اذْكُري سَفحَ دَمعي في مَعـاهِـدِهم ... لا يُـذْكَر السَّفْـح إلا حن مغتَرب[3]

قلتُ : فأعجبتني هذه القصيـدة وهزَّت أعطـافي طربـاً ، لمـا هزأت بـالروض وقـد مرَّت به نسمة الصَّبا وفارقَتْه . وتوفي رحمه الله تعـالى فـأنشـدتهـا يومـاً بـالقـاهرة لبعض الأصحـاب الأفـاضـل فـألـزمني بنظم شيءٍ في هـذه المـادة ، فـاستعفيت ، فلم يسعف بالإعفاء ، فقلتُ مع اعترافي بأنه شهاب في أوجه ، وأنا في حضيض من الحظ :

يـــا جيرةً مُـــذْ نَـــأَوْا قَلبي بِهِم يَجبُ ... ولـو قَضى مـا قَضى بعضَ الَّـذي يَجبُ[4]
سِرْتُم وقَلْبي أسيرٌ في حُمـــــــولكُم ... فَكيفَ يَرجـــعُ مُضْنـــــاكُم ويَنقَلِبُ
وأيُّ عَيشٍ لـــــهُ يَصْفـــو ببُعْـــدِكُم ... فـالجِسْمُ مُنْسَبِـكٌ والـدَّمعُ مُنْسَكِبُ[5]
نـــاحَت عَليَّ حَمامـــات اللّـوى ووَنَت ... ولـو رَثَتْني مـــا في فِعلِهـــا عَجَبُ

= مابال عينك منها الماء ينسكب ... كأنـــه من كُلىً مفريّـــة سرب

ديوانه ص : ٩ .

(١) في (ط) والوافي : « في بعض » .

(٢) في الوافي : « فاذكروا خبري » .

(٣) في الأصل : « حين يغترب » ، وفي (ط) : « مغترب » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) وجب القلب : خفق .

(٥) كذا في الأصل و (ط) ، وهو ملفق من بيتين كما في الوافي ، وهما :

وأيُّ عَيشٍ لـــهُ يَصفـو ببُعـــدِكم ... والقَلبُ مُضطرِمُ الأحشاء مُضطَرِبُ
أضرَمْتُم نـــارَ أشـــواقِيَ بَيْنَكُم ... فـالجِسْمُ مُنسَبِكٌ والـدَّمْعُ مُنْسَكِبُ

تملي عليّ حمـــامـــات اللـوّى ورثت ... ولـو رثتني مـــا في فعلهـــا عجب[١]
والغَيثُ لَمّـا رأى مـا قـد مُنيتُ بـهِ ... فكُلُّـهُ مُقَـلٌ بـالـدَّمـعِ تَنسَكِبُ
بـاللهِ يـا صـاحَ روِّحْني بـذِكْرِهِم ... وزِدْ عَسى أن يَخِفَّ الـوَجـدُ والـوَصَبُ[٢]
ويـا رَسـولي إليهم صِفْ لَهُم أرَقي ... وأنَّ طَرْفي لضَيفِ الطَّيفِ يَرتَقِبُ
واسْـأل مَـواهبهُم للعينِ بعضَ كرى ... عَسـاي أن يهبُـوا لي بعض مـا نَهَبـوا
ولَطِّفِ القَـولَ لا تَسـأم مُراجَعـةً ... واشْكُ الهَوى والنَّوى قـد ينجـح الطَّلَبُ
عرِّض بـذِكْري فـإن قـالـوا أتعرِفُـهُ ... فسَل ليَ الـوصلَ وآنكرني إذا غَضِبوا[٣]
ذَكِّرهُمُ بِليـالٍ قـد مَضَت كَرَمـاً ... وهُم نُجـومي بهـا لا السَبعـة الشُّهُبُ[٤]
هُمُ الرِّضـا والْمُنى والقَصْـدُ مِن زَمَني ... وكلّ مـا أرتَجي والسُّـول والأرَبُ
وهم مُرادي على حـالَيْ وَفـاً وجَفـاً ... وبُغيَتي إن نَـأَوْا عَنّي أو اقْتَرَبـوا
وهُم مَـلاذي إذا مـا الْخَطبُ خـاطَبَني ... وهُم عِيـاذي إذا مـا نـابَتِ النُّـوَبُ[٥]
هُم روحُ جِسمي الَّـذي يَحْيـا لشقـوَتِـه ... بهم فـإنَّ حَيـاتي كلّهـا تَعبُ
هُم نـورُ عَيني وإن كانت لِبُعـدِهم ... أيـامَ عيشِيَ سـوداً كلهـا عَطَبُ[٦]
إن يَحضُروا فـالبُكا غَطّى على بَصَري ... فَهُم حُضـورٌ وفي الْمَعْنى هُمُ غُيُبُ
وإن يَغيبـوا وأهْـدَوا طَيفَهُم كَرَمـاً ... فـالسّهدُ من دونِ مـا يَهـدونَـهُ حُجُبُ
فلـو فرضت انقِطـاعَ الـدَّمـعِ لم أرَهُمْ ... وصَـدَّهُم عَنّيَ الإجـلالُ والرَّهَبُ[٧]
فَما تَمَلَّت بـهِ عَيني بـلِ امْتَـلأت ... بـأدْمُعٍ خَجِلَت مِن دونِهـا السُّحُبُ[٨]

(١) بيَّن أنَّ هذا البيت تكرار لما قبله ، وليس في الوافي إلاّ واحد بلفظ : « ناحت ... ورثت » .
(٢) الوصب : المرض .
(٣) في الوافي : « فاسأل لي » .
(٤) في الوافي : « مضت بهم » .
(٥) ليس في الوافي .
(٦) في الأصل و (ط) : « تعب » ، وهو عيب في القافية ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٧) في الوافي : « والأدب » .
(٨) في الوافي : « من سحّها » .

لم تُترك التُّرك في شمسٍ ولا قَمرٍ ... حُسناً لِغيرهم يُعزى ويَنتَسِبُ
لكنَّهُم لَم يَفُوا أن عاهدوكَ على ... وُدٍّ وما هكَذا في فِعْلِها العَرَبُ [١]
خَلا الغَزالُ الَّذي نَفسي بهِ عَلِقَت ... فَكَم لهُ مِن يَدٍ في الفَضْلِ تُحْتَسَبُ [٢]
لهُ لَطافةُ أخلاقٍ تُعَلِّمُ مَن ... لا يعرِفُ الوَجْدَ كيفَ الذُّلُّ والْحَرَبُ
ولَحْظُهُ الضَّيِّق الأجفانِ وسّعَ لي ... هُمومَ وَجدٍ لها في أضلُعي لَهَبُ
سُيوفُ أجفانِهِ المرضى إذا نَظَرت ... تغري الجوانح لا الهنديّةُ القضبُ
إذا انْثَنى سلبُ الألبابِ معطفُهُ الـ ... ـبادي التّأوّد لا الخطّيَّةِ السّلَبُ
وإن بَدا فَبُدورُ الأُفْقِ في خَجَلٍ ... تُرْخي على وجْهِها من سُحبِها نقبُ [٣]
يا برقُ لا تَبْتَسِم مِن ثَغْرِهِ عَجَباً ... قَد فاتَ مَعْناكَ منهُ الظَّلْمُ والشَّنبُ [٤]
ويا قَضيبَ النَّقا لَوْهَزَّ قامَتَهُ ... لكُنتَ تَسْجدُ إجْلالاً وتَقتَرِبُ [٥]
شَمعي ضِيا فَرقِهِ والوَردُ وجْنَتِهِ ... والرِّيقُ خَمْري لا ما يعصرُ العنبُ
ومُذْ رَشَفتُ لَماهُ وهُوَ مُبْتَسِمٌ ... ما راقَ لي بَعْدَهُ خَمرٌ ولا حَبَبُ

قلتُ : وقد سقتُ في ترجمة ابن الخيمي في (تاريخي الكبير) قصيدته البائية والقصيدة التي نظمها ثانياً لَمّا تحاكم هو ونجم الدّين بن إسرائيل [٦] إلى شرف الدّين بن الفارض [٧] ، وغير ذلك مما نظمه العفيف التّلمساني وغيره .

وأنشدت يوماً أيضاً بعض الأصحاب الأعزّة بالقاهرة قولَ شيخنا شهاب الدّين أبي الثّناء محمود رحمه الله تعالى ، وهو :

(١) في الوافي : « من فعلها » .
(٢) في الوافي : « به ألفت » .
(٣) في الوافي : « من خجل » .
(٤) الشنب : ماء الأسنان .
(٥) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ واسْجُد واقْتَرِب ﴾ .
(٦) محمد بن سوار (ت ٦٧٧ هـ) ، الوافي : ١٤٣/٣ . وقد مرّ الخبر في ترجمة العفيف التلمساني .
(٧) عمر بن علي (ت ٦٣٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤٥٤/٣ .

تَثَنَّى وأغصـــانُ الأراكَ نَـــواضِرٌ فنُحتُ وأسراب مِن الطَّيرِ عكّفُ
فعلَّم بـــانـــاتِ النَّقـــا كيفَ تَنْثَني وعلّمت وَرقاءَ الحِمى كيفَ تَهتِفُ[1]

فألزمني بنظم شيءٍ في هذا المعنى ، فقلت : هذا يتعذر ، لأن هـذا استوفى المعنى ولم يترك فيه فضلاً ، وجوّد النظم فألفاظه في غاية الفصاحة وتراكيبُه في غاية الانسجام ، فقال : لا بد من ذلك ، فقلتُ أنا مختصراً :

لم أنسَـــــهُ في روضَـــــةٍ والطَّيرُ يَصْـــدَحُ فـــوقَ غُصن
فـــأعلّم الـــوُرق البُكا ويعلم البـــــانُ التَّثَنّي

وأنشدته يوماً أيضاً من قصيدة :

وإن تُرِدْ عِلْمَ بَـــديـــعِ الهَـــوى بينَ الـوَرى فَـأْتِ فعِنْـديَ الْمُرادُ

الأبيات كلها ، وقد تقدمت هذه القصيدة في ترجمة الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة ، فأعجبه ذلك ، وألزمني نظم شيءٍ في هذه المادة ، فنظمت ولكن ذاك بنى وأنا هدمت :

أنـــا والحبيبُ ومَن يَلـومُ ثَـلاثَـةٌ لَهُم بَـــديـعُ الْحُبِّ أصْبَحَ يَنْتَمي
فَلي الجِنـــاسُ لأن دَمعي عن دَمي يَجْري أَلَسْتَ تَراهُ مِثـلَ العَنْـــدَمِ
ولـهُ مُطـابَقَـةُ التَّواصُلِ بـالْجَفـا ولِعـاذِليـه لـزومُ مـا لم يلـزمِ

وقلتُ أنا أيضاً في هذه المادة :

لا تَعْجَبـوا منـــهُ فَما حُسْنُـــه إلاّ بَليـــغٌ حِرْتُ في وَصْفِـــهِ
إن كانَ قـــد أوْجَـــزَ في خَصْرِهِ فَـــإنَّـــه أطْنَبَ في رِدْفِـــهِ
ومـــا أتى بـــالـــوَاوِ في صُـــدْغِـــه إلاّ وقَـــد رَتَّبَ في عِطْفِـــهِ
ولَفَّ في البُرْدَةِ أعْطـــافَـــهُ حتّى يَطيبَ النَّشْرُ مِنْ لَفِّـــهِ

(١) في الفوات : « اللوى » .

وأنشدني شيخنا المذكور رحمه الله لنفسه :

رأتْني وقــد نــالَ مِنّي النُّحــولُ وفاضَتْ دُموعي على الْخَدِّ فَيضا[١]
فَقــالَت بِعَينيَ هــذا السّقــامُ فقُلتُ صَدَقتِ وبــالْخَصْرِ أيضــا

قلتُ : هو من قول الأرّجاني :

غــالطَتْني إذْ كَسَت جِسْميَ الضَّنــا كُسوةً أعرَت منَ اللَّحمِ العِظاما[٢]
ثمَّ قــالَت أنتَ عِنــدي في الهَوى مِثل عَيْني، صَدَقَتْ ولكِن سِقامــا

وأنشدني لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة[٣] :

ومَلــولــة في الحبِّ لَمّــا أن رأتْ أثَرَ السَّقــامِ بِعَظْمي الْمُنهــاض[٤]
قــالَت: تَغَيَّرنــا . فقلتُ لَهــا : نعَم، أنــا بــالسَّقــامِ وأنتِ بــالإعْراضِ[٥]

قلتُ : لا يقال إلا عظم مهيض ، وأمــا (منهــاض) فمــا أعرفــه ورد في فصيح الكلام ، و (السقام) لا علاقة له بالعَظم إنما هو باللحم والجلد معاً تبعاً لذلك .

ومن نظم شيخنا شهاب الدِّين ما كتب به إلى القاضي فتح الدِّين بن عبد الظاهر ، رحمه الله تعالى ، ومن خطه نقلتُ :

هَل البَدرُ إلا مــا حَواهُ لِثــامُهــا أوِ الصُّبْحُ إلاّ مــا جَلاهُ ابْتِسامُهــا[٦]
أوِ النّارُ إلاّ مــا بَدا فوقَ خَــدِّهــا سَنــاهــا وفي قَلبِ الْمُحِبِّ ضِرامُهــا
أقــامَتْ بِقَلبي إذْ أقــامَ بِحُسْنِهــا فَــدارتُهــا قَلبي وداري خِيــامُهــا[٧]

(١) في الأصل : « دموعي مني فيضا » ، وأثبتنا ما في (ط) والفوات ، والنجوم .
(٢) في الفوات : « عرّت » .
(٣) ديوانه : ٢٨٢ .
(٤) في الديوان : « وملولة الأخلاق لَمّا ... بجسمي المنهاض » .
(٥) في الديوان : « أنا بالصدود » .
(٦) في الأصل : « ما جوته » ، وأثبتنا ما في (ط) والفوات .
(٧) في الفوات : « بحبها » .

مَهاةٌ نَقا لو يُستَطاعُ اقتِناصُها ... وكَعبَةَ حُسْنٍ لو يُطاقُ اسْتِلامها
إذا ما نَضَت عَنها اللِّثامَ وأسْفَرتْ ... تَقَشَّعَ عن شَمسِ النَّهارِ غَمامُها
نِهايةُ حَظِّي أنْ أقبِّلَ تُربَها ... وأيسَرُ حَظٍّ للِّثامِ الْتِثامُها
تُريكَ مُحَيّا الشَّمسِ في لَيلِ شعرِها ... على قَيدِ رِمحٍ وجْهُها وقَوامُها
وتزهى على البَدْرِ الْمُنيرِ بأنَّها ... مَدى الدَّهرِ لا يَخْشى السرار تَمامُها[1]
تُغنّي على أعْطافِها وُرْقُ حَليها ... إذا ناحَ في هيفِ الغُصونِ حمامُها
تردّد بينَ الخمرِ والسِّحرِ لَحظُها ... وحازَهُما والدُّرّ أيضاً كلامُها
كِلانا نَشاوى غيرَ أنَّ جُفونَها ... مُدامُ الْمُعَنّى والدَّلالُ مُدامُها
وليلَةٍ زارَت والثُّرَيا كأنَّها ... نِظاماً وحُسْناً عَقْدُها وابْتِسامُها
فَحَيَّت فأحْيَت ما أماتَ صُدودها ... ورَدَّت فرَدَّ الرّوحُ فِيَّ سَلامُها
فقالَت بعَيني ذا السَّقامَ الذي أرى ... فقلتُ وهل بَلْوايَ إلاّ سقامُها
وأبْدَتْ ثَناياها فَقُلْ في خَميلَةٍ ... بَدا نَورُها وانْشَقَّ عَنها كمامُها[2]
وأبعدتَ لا بل سَمطُ درّ تَصونهُ ... بأصْدافِ ياقوتٍ لماها خِتامُها
وقالَتْ وما للعَيْنِ عَهْدٌ بِطَيْفِها ... ولا النَّومُ مُذْ صَدَّت وعَزَّ مرامُها
لقَد أتْعَبَتْ طَيفي جُفونُكِ في الدُّجا ... فقُلتُ سَلي جَفْنَيْكِ أينَ مَنامُها[3]
وما علمت أن الرُّقادَ وقد جَفَت ... كَمثلِ حَياتي في يَدَيها زِمامُها
وكَم لَيلَةٍ مَرَّت وفيها نُجومها ... كأنّيَ راعٍ ضَلَّ عَنهُ سوامُها[4]
كأنَّ الذَّراري والهلال ودارَة ... حَوَتْهُ وقَد زانَ الثُّرَيا الْتِئامُها[5]

---

(١) في الفوات : « فإنها » .
(٢) في الأصل : « ثناها » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .
(٣) في الفوات : « أتعبت عيني » .
(٤) في (ط) والفوات : « وكم ليلة سامرت فيها » .
(٥) في الفوات : « كأنّ الذّراري » .

حَبابٌ طَفا مِن حَولِ زَورَق فضّة ... بكفٍّ فَتاةٍ طافَ بالرّاحِ جامُها[١]
كأنَّ نُجوماً في الْمَجَرَّةِ خُرَّدٌ ... سَواقٍ رَماها في غَديرٍ زحامُها
كأنَّ رِياضاً قَد تَسَلْسَل ماؤها ... فَشَقَّت أقاحيها وشاقَ خزامُها
كأنَّ سَنا الْجَوزاءِ إكليلُ جَوْهَرٍ ... أضاءَت لَياليهِ وراقَ انتظامُها
كأنَّ لَدى النسرَينِ في الجَوِّ غلمَةً ... رُماة رَمى ذا دونَ هذا سِهامُها
كأنَّ سُهَيلاً والنُّجوم وراءَهُ ... صَلاةُ صُفوفٍ قامَ فيها إمامُها[٢]
كأنَّ الدُّجى هَيجاء حَرْبٍ نُجومُه ... أسنتها والبَرق فيها حُسامُها[٣]
كأنَّ النُّجومَ الهادِياتُ فوارِسٌ ... تَساقَط ما بينَ الأسِنَّةُ هامُها[٤]
كأنَّ سَنا المريخِ شعلَةُ قابسٍ ... تَلوحُ على بُعْدٍ ويَخْفى ضِرامُها
كأنَّ السُّها صَبٌّ سَها نَحْوَ إلْفِه ... يُراعي اللَّيالي جفنهُ لا ينامُها
كأنَّ خفوق القَلبِ قلبُ مُتَيَّمٍ ... رأى بلدَةً شَطت وأقوى مَقامُها[٥]
كأنَّ ثرَيا أفقِهِ في انبساطها ... يمين كريمٍ يُخافُ انْضامُها
كأنَّ بفتْحِ الدِّين في جودِه اقْتَدَت ... فرَوَّى الرّوابي والإكامَ رِكامُها
كأنَّ بِيُمناهُ اقْتَدى يُمْن نَوْئِها ... فَعَمَّت غَوادِيها وأخصَبَ عامُها
كأنَّ بهِ من لَفظِهِ قد تَشَبَّهَت ... فَفاقَ عُقودَ الدُّرِّ حُسناً نِظامُها
كريمَ الْمُحَيّا لو يُقابل وجهَه ... سحابَةُ صَيفٍ لاستهل جهامُها[٦]
بهِ جَبَرَ اللهُ البِلادَ وأهْلُها ... ولولاهُ ماشامَ السعادة شامُها[٧]

---

(١) في الأصل : « صفا » ، وأثبتنا ما في (ط) والفوات . وفي الفوات : « رفرف فضة » .
(٢) وفي الفوات : « صفوف صلاة » .
(٣) في الفوات : « جرت نجومه » .
(٤) في الفوات : « كأن الرّجوم » .
(٥) في الفوات : « رأى بلدة الأحباب أقوى ... » .
(٦) في الأصل : « لم يقابل » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٧) في الأصل : « سام » ، وأثبتنا ما في (ط) .

بـــهِ عَصَمَ اللهُ الأقـــاليمَ إذْ غَـــدا ... بأقْـلامِـهِ بعـدَ الإلـهِ اعتِصـامُهـا
بآرائـهِ وهي السَّـديـدةُ أُحكِمَت ... عُراهـا فـلا يُخْشى عليهـا انفِصـامُهـا
بـهِ الـدَّولـةُ الغَرّاءُ أشْرَقَ نـورُهـا ... فَجابَ البَرى وانْجابَ عنهـا ظلامُهـا
بِما نَشَرَت مِن عَـدْلِـهِ في بِـلادِهـا ... يَزيـدُ على عُمرِ الـدُّهـورِ دوامُهـا [١]
إليـــهِ انتَهى عِلمُ البَيـــانِ وإنَّـــهُ ... لَفي كُـلِّ أنـواعِ العُلـومِ إمـامُهـا
تميتُ العِـدا قَبـلَ الكَتـائبِ كُتْبُـه ... فـألْفـاظُـهُ وهيَ الْحَيـاةُ سِهـامُهـا
لـهُ عَـزْمَـة في اللهِ للكُفْرِ حَرُّهـا ... وللـدِّينِ منهـا بَرْدُهـا وسَـلامُهـا
إذا الْخَيلُ صَلَّت في الحديدِ جِيادُها ... وعبَّت نَهاراً في النَّجيعِ صِيامُها [٢]
وأضْحَت وكالأمـواجِ في بَحْرِ نَقْعِهـا ... تـدفّقهـا أو كالجِبـالِ اضطِرامُهـا
تَـلا رَأْيُـهُ آيَ الفُتـوحِ على العِـدا ... فَوَلَّت وقَد أضْحَت عِظاماً عِظامُهـا
ففي سـورَةِ الفَتْحِ الْمُبينِ ابْتِـداؤُهـا ... ومِن آيَـةِ النَّصرِ العَـزيـزِ اخْتِتـامُهـا
فرَدّ جُيـوشَ الشِّركِ بعـدَ اصْطِـلائـهِ ... لَظاها وقَد أحْنى عَليـهِ اصْطِلامُهـا [٣]
جـوادٌ بِما شـــاءَ العفـــاةُ كأنَّما ... لهـا في يَـدَيْـهِ حُكْمُهـا واحتِكامُهـا
تَقِيٌّ لـــهُ في الحـقِّ نَفسٌ أبِيَّـــةٌ ... وإن كُفَّ بـالصَّفْحِ الجميـلِ انتِقامُهـا
كَريمٌ عَريـقٌ أصلُـــهُ وبنفسِـــهِ ... معَ الأصلِ دونَ النّاسِ سادَ عِصامُهـا
إذا أَلِفَ الآراء أَلَّفَ وضعهـــــا ... فليسَ بمغنٍ للعِـدا منـــهُ لامُهـــا
روى زينةَ الـدُّنيـا فـأضْحى لزُهـدِهِ ... سَـواءٌ عليهـا ريّهـا وأُوامُهـا [٤]
وأعرضَ عنها وهي في عَصْرِ حُسْنِها ... وقَـد زادَ فيـهِ وجْـدُهـا وغَرامُهـا
ولا زُهْـدَ إلاّ وهي بَيضـاءَ غَضَّـة ... يَروقُ العُيـونَ الشَّائمـاتِ وشـامُهـا
يُسِرّ اصطِناعَ البرِّ في النّاسِ جاهِداً ... لِيَخْفى وهَل يُخْفي الشُّموس اكْتِتامُهـا

(١) في الأصل : « نشر » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٢) جمع صائم ، وهي من الخيل : القائم على قوائمه الأربع من غير حفاء .
(٣) في الأصل : « احنى » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٤) في (ط) : « زوى » . والأوام : شدّة العطش .

ويَغتَنِمُ الأخرى بـدُنيـاهُ عـالِماً ... وقَـد حـازَهـا إنَّ النَّجـاةَ اغتِنـامُهـا
تَقـاسَمَتِ الأوقـاتُ دُنيـاهُ فـاغْتَـدَتْ ... وقد أحرَزَ [الأجرَ] الجميلَ انقسامُهـا[1]
فقـامَت بـأوقـاتِ الصَّلاةِ صلاتُهـا ... وصـانَ ذمـارُ الكافرينَ صيـامُهـا[2]
رأيتُ عُـلاهُ فـوقَ نَظْمي وإنَّني ... بَليـغٌ ولكِن أينَ منِّي مرامُهـا
فعُـدْتُ بـهِ من خُطَّـة العَجـزِ دونَهـا ... ومـا كُنتُ يَومـاً قبـلَ ذاكَ أسـامُهـا
فـلا زالَتِ الـدُّنيـا وأيّـامُهـا بـهِ ... برَغمِ العِـدا عَمَّ الـوجـوهَ وشـامهـا

ومن إنشائه البديع وحَوْكه الذي قصَّر عنه الحريري وبَعُد عن البديع كتاب في وصف الخيل : وينهي وصول ما أنعم به من الخيل التي وُجِد الخير في نواصيها[3] واعتدَّ حصنها حصوناً يُعتصم في الوغى بصياصيها .

فمن أشهبَ غطاه النهار بحُلّته ، وأوطأه الليل على أهلّته ، يتموَّج أديمه ريّاً ويتأرجح رياً ، ويقول مَنْ استقبله في حُلَى لجامه : هذا الفجر قد أطلع الثُّريا ، إن[4] التقت المضائق انساب انسياب الأيم[5] ، وإنْ انفرجت المسالك مرَّ مرور الغيم . كم أبصر فارسُه يوماً أبيض بطلعته ، وكم عاين طرفُ السنان مقاتل العدا في ظلام النقع بنور أشعته ، لا تستنّ[6] داحس في مضماره ، ولا تطلع الغبراء في شق غباره ، ولا يظهر لاحقٌ[7] من لحاقه بسوى آثاره ، تسابق يداه مرامي طَرْفه ، ويُدرك شوارد البروق ثانياً من عِطْفِه .

---

(١) الزيادة من (ط) . وبها يستقيم الوزن .
(٢) (ط) : « بأنواع الصلاة » .
(٣) أفاد من الحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » . انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٣/٢ .
(٤) (ط) : « إذا » .
(٥) الأيم : الحيّة .
(٦) أي : لا تجري .
(٧) داحس والغبراء ولاحق ، من أسماء خيول العرب .

ومن أدهم حالك الأديم ، حاليَ التشكيم[١] ، له مقلةُ غانيةٍ وسالفةُ ريم ؛ قد ألبَسَه الليل بُرْده ، وأطلعَ بين عينيه سَعْده ، يظنُّ من نظر إلى سواد طُرَّته ، وبياض حُجولِه وغرّته أنه توهم النهار نهراً فخاضه ، وألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك لمخاضة . ليِّن الأعطاف ، سريع الانعطاف ، يُقْبِلُ كالليل ويمرُّ كجلمودِ صخر حطَّه السَّيل[٢] ، يكاد يسبق ظلَّه ، ومتى جارى السهمَ إلى غرض سبقه قبله .

ومن أشقر وشّاهُ البرقُ بلَهَبه ، وغشَّاه الأصيلُ بذهبه ، يتوجَّسُ ماليديه برقيقتين وينفض وفرتيه عن عقيقتين ، وينزل عذارُ لجامه من سالفتَيْهِ على شقيقتين . له من الرّاح لونُها ، ومن الرِّيح لينها ، إن حَرَى فبرق خَفَقْ ، وإن أُسْرِج فهلالٌ على شفَق ، لوأدرك أوائل حرب ابني وائل[٣] لم يكن للوجيه وجاهه ، ولا للنعامة[٤] نباهه ، وكان تَرْكُ إعارة سكاب[٥] لوماً وتحريمُ بيعها سفاهة ، يركض ما وجد أرضاً ، وإذا اعترض به راكبُه بحراً وثَبَ عرضاً .

ومن كُميت نَهْد ، كأنَّ راكبه في مهد ، عندميّ الإهاب[٦] . « يزلُّ الغلامُ الخف

---

(١) التشكيم : وضع اللجام في فم الفرس ، والشكيمة حديدة اللّجام .

(٢) يشير إلى قول امرئ القيس في صفة فرسه :

مُكِرٍّ مُفِرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِن عَلِ

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ص ٨٣ .

(٣) بكر وتغلب وحربها اشتهرت باسم حرب البسوس .

(٤) الوجيه والنعامة من أسماء خيولهم ، والنعامة فرس الحارث بن عَباد البكري ، القائل :

قَرِّبا مَربِطَ النَّعامَةِ منّي لقحت حربَ وائلٍ عن حيال

انظر : أسماء خيل العرب للأعرابي : ١١٨ ، ١٥٧ .

(٥) الوجيه والنعامة من أسماء خيولهم ، والنعامة فرس الحارث بن عَباد البكري ، القائل :

أبيت اللّعن إنَّ سكاب علق نفيس لا يعار ولا يباع

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٣٨٩/٢ .

(٦) في (ط) زيادة : « شمألي الذهاب » .

عن صهواته »[١] ، وكأنَّ نغَم الغريض ومعبد في لهواته . قصير المطا ، فسيح الْخُطا ، إن ركب لصيد قيَّد الأوابد ، وأعجل عن الوثوبِ الوحوشَ اللوابد ، وإن جُنِبَ[٢] إلى حرب لم يزوَرّ من وقع القنا بلبانه ، ولم يَشك لوعلم الكلام بلسانه[٣] ، ولم يُر دون بلوغ الغاية وهو في عرض راكبه ثانياً من عنانه ، وإن سار في سهل اختال براكبه كالثمل ، وإن أَصعد في جبل طار في عِقابه[٤] كالعُقاب ، وانحَطَّ في مجاريه كالوَعل ، متى ما تَرْقَ العين فيه تَسَهّل ، ومتى أراد البرقُ مجاراته قال له الوقوف عند قَدره ما أنت هناك فتمهَّل .

ومن حبشيّ أصفر يروق العين ويشوق القلب بمشابهة العين ، كأنَّ الشمس ألقت عليه من أشعتها جلالاً ، وكأنه نفرَ من الدُّجا فاعتنق منه عُرَفاً واعتلق حجالاً ، ذي كفل يزين سرجه ، وذيل يسدُّ إذا استدبرته منه فَرْجَه ، قد أطلعته الرياضة على مراد راكبه وفارسه ، وأغناه نضارلونه ونضارته عن ترصيع وتوشيع ملابسه ، له من البرق[٥] خفة وطئه وخطفُه ، ومن النسيم طروقه ولطفه ، ومن الريح هزيزها « إذا ما جرى شأوين وابتلَّ عطفُه » ، يطيرُ بالغمز ، ويدرك بالرياضة مواضعَ الرَّمز ، ويغدو كألف الوصل في استغناء مثلها عن الهمز .

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس من معلقته المشهورة ، وتمامه :

ويُلوي بأثواب العنيفِ المثقَّلِ

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ٨٧ .

(٢) جنب : قيد ، يقال : فرس طوع الجناب ، وطوع الجنب : إذا كان سلس القياد .

(٣) يشير إلى بيت عنترة في صفة فرسه :

فازوَرَّ من وَقعِ القَنا بلِبانه وشكا إليَّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ
لو كانَ يَدْري ما الْمُحاوَرَةُ اشْتَكى أو كانَ لو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمي

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(٤) رؤوس الجبال .

(٥) في الأصل : « من برق » ، وأثبتنا ما في (ط) .

ومن أخضر حكاه من الروض تفويفه ، ومن الوشي تقسيمه وتأليفه ، قد كساه الليل والنهار حلتَيْ وقارٍ وسناً ، واجتمع فيه من البياض والسواد ضدّان لما استجمعا حَسُنا[١] ، ومنحه الباري حلة وشيه ، ونَحَلَتْه الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفةَ مشيه ، يعطيك أفانين الجري قبل سؤاله ، ولَمّا لم يُسابقه شيء من الخيل أغراه حبُّ الظفر بمسابقة خياله ، كأنه « تفاريق شيب في سواد عذار » ، أو طلائع فجر خالط بياضه الدُّجا فما سجى ، ومازج ظلامه النهار فما انهار ولا أنار ، ينحال لمشاركة بينه وبين الماء في السير كالسيل ، ويدل بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البَرْقيّة من الخيل[٢] . ويكذّب المانوية لتولد اليُمن بين إضاءة النهار وظلمة الليل .

ومن أبلق ظهره حَرَم وجريُه ضَرَمٌ ، إن قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها عَدَم ، وإن صُرّف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان « وفِعْله ما يريد الكفّ والقدم » . قد طابق الْحُسْنُ البديع بين ضدَّي لونه ، ودلَّت على اجتماع النقيضين علة كونه ، وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار ، وأخذ وصف حُلَّتي الدُّجا في حالتي الإبدار والإسرار[٣] ، لا تكِلُّ مناكبه ، ولا يضلُّ في حجرات الجيوش راكبه ، ولا يحوج ليلَه المشرق لمجاورة نهاره إلى أن تُسترشد فيه كواكبُه ، ولا يجاريه الخيال فضلاً عن الخيل ، ولا يمل السّرى إلا إذا ملَّه مُشْبِهاه[٤] النهار والليل ، ولا تتمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الأثر ، فإن جهدت فبالذيل ، فهو الأبلق الفرد ، والجواد الذي لمجاريه العكس وله الطّرد[٥] ، قد أغنته شُهرة لونه في جنسه عن

---

(١)

ضدّان لما استجْمَعا حُسْناً والضِّدُّ يُظهِرُ حُسْنَه الضِّدُّ

والبيت من الدرة اليتيمة في صفة امرأة .

(٢) لعلّه أراد الخيل المنسوبة إلى (البرق) فرس ابن العرفة . انظر : القاموس (برق) .

(٣) (س) ، (ط) : « السرار » .

(٤) في الأصل : « مشبهات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٥) فيه تورية بمصطلحات علم البديع .

الأوصاف ، وعدل بالرياح عن مباراته سلوكُها من الاعتراف له جادّةُ الإنصاف ، فترقَّى المملوك إلى رتب العزّ من ظهورها ، وأعدَّها لخطبة الجنان إذ الجهاد عليها من أنْفَس مهورها ، وكَلِف بركوبها فكلّ ما أكمله عاد ، وكلّ ما ملَّه شَره إليه ، فلو أنه زَيْدُ الخيل[١] لَما زاد ، ورأى من آدابها ما دلَّ على أنها من أكرم الأصائل ، وعلم أنها ليومَي حربه وسلمه جنّة الصّايد وجُنَّة الصائل . وقابل إحسان مُهديها بثنائه ودعائه ، وأعدَّها في الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه ، والله تعالى يشكر برّه الذي أفرده في الندى بمذاهبه ، وجعل الصافنات[٢] الجياد من بعض مواهبه ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

ومن إنشائه رسالة في البُندق ، وذكر الأربعة عشر واجباً ، وهي من بدائع أعماله وما أظنُّ أحداً يأتي بنظيرها ، وقد سُقتها بكمالها في (تاريخي الكبير) ، وسُقت كثيراً من نثره ونظمه .

وكتب إليه ناصر الدين حسن بن شاور المعروف بابن النقيب :

يا فاضِلاً وافى محلّيَ زائِراً ... مُتَفَضِّلاً والفضلُ للمتَقَدِّمِ
ومُشَرِّفي ومُشَنِّفي بسَلامِهِ ... وكلامِهِ ومُبجلي ومُعظمي
أنتَ الشِّهابُ الثّاقِبُ الذِّهن الذي ... أضحَتْ ذكاء إلى ذكاهُ تنتمي
والواضِحُ الخطِّ المحقّق أصله ... والطاهر القلم الموقع والفمِ
شعر كثير الدرّ أو تَبْر غدَت ... في خجلةٍ منهُ ذراري الأنجُمِ
مولايَ زوِّدني فإنّي راجلٌ ... من لَفظِكَ العالي المحل المُعلَمِ
وابعَثْ إليَّ بفذٍّ شيءٍ منهُما ... وامْنُن عليَّ وجُدْ بذلكَ وانعمِ

فأجابه بقوله :

يا سَيِّداً لَمّا وطِئْتُ بِساطَهُ ... حدَّثتُ آمالي بفَيْضِ الأنْجُمِ[٣]

(١) الطائي ، شاعر معروف ، اشتهر بوصف الخيل ، وسلفت الإشارة إليه .
(٢) الصافنات من الخيل : ما يقوم على ثلاث قوائم .
(٣) في (س) : « بقبض » .

أنتَ الَّـذي روّى المسـامِـعَ والقَنـا ... ذي من فَضـائلِـهِ وتِلـكَ منَ الـدَّمِ
كَم قـد منعتَ بـأخـذِ كلِّ مـدرّع ... حـامي الحقيقـةِ معلّماً من معلّمِ
وفتحتَ من حصن بشدّك في الوَغى ... بـالرّمـحِ ثَغرَ الفـارِسِ الْمُسْتَلئِمِ
وافَيتَ رَبعـكَ ظـامِئـاً مُسْتَمْطِراً ... أنـواءَ شِعركَ في شعـارِ مُسَلّمِ
فبَعَثتَ لي وَطْفـاء لـو لم يُغْضِ من ... خَطَفاتٍ وامِض بَرقِها طَرفَيْ عَمي[1]
ميّـتـة لَمّـا لثمتُ سطـورَهـا ... حَسَـدتْ على تَقبيلِهـا عيني فمي
يا نـاصر الـدّين الـذي شرُفَت بـهِ الـ ... آدابُ [إذ] أضحَت إليـه تَنتمي[2]
يـا مـالِكاً حُـزني على زَمنٍ مَضى ... في غيرِ خـدمتِـهِ كحـزنِ مُتَيَّمِ
سَيَّرتَ إنعـامـاً شَغلتَ بشكْرِهِ ... عَبـداً يَرى إيجـابَ شكرِ الْمُنْعِمِ

وكتب إليه السّراج الورّاق ملغزاً في (سُجّادة) :

يـا إمـامـاً ألفـاظُـه الغرّ في الأسـ ... ـماعِ تُـزْري بـالـدُّرِّ في الأسماطِ
وشِهـابـاً تجـاوَزَ الشُّهبَ قَـدْراً ... فغَـدَتْ عن عُـلاهُ ذات انحِطـاطِ
أيّ أنثى وطِئَت منهـا حَـلالاً ... مُستَبيحـاً مـا لا يُبـاحُ لـواطِ
لم أُحـاوِلْ تَقبيلَهـا غير خَمسٍ ... حالَ زُهدي فيها وحالَ اغتباطِ[3]
وهي مَملـوكَـةٌ وعنـدَ أُنـاسٍ ... وهي ستّ على اختلافِ التّعاطي[4]
وهي في صـورةٍ خُماسيّـةٍ مـا ... قَهقَهت ولا دَنت للبـواطي[5]
ومصيبُ الإيمـان يسعى إليهـا ... طـالَب الله وهـو عَبـد خـاطِ[6]
وأرى أن تحلّهـا بيمين ... ويسـار فقـد غَـدَت في ربـاطِ

(١) في (س) : « يخض » .
(٢) الزيادة من (س) ، وبها يستقيم البيت .
(٣) في الفوات : « اغتباطي » .
(٤) في الفوات : « هي ست » ، بلا واو .
(٥) في الفوات : « فهقت » ، والفهق : الامتلاء .
(٦) في الفوات : « وتصيب » .

فكتب إليه الجوابَ ، ومن خطه نقلتها :

يـاسِراجـاً لمـا سمت بـاسمـه الشمسُ غَـدا البـدر دونَهـا في انحطـاطِ
أنتَ بحرٌ نـداكَ مـوجٌ وألفـا ظـكَ دُرٌ وصنعٌ يُمنـاكَ شـاطي
لا تلمني إذا نظمت معـانيـ ـك فمن دُرّ فيكَ كان التَّعـاطي[1]
أنتَ ألغـزتَ في اسم ذاتِ رقـاعٍ لم تجـاهِـد وكم غَـدَت في رِبـاطِ
خَمسـاهـا عُشْرٌ وللعشرِ فيهـا خطـوات براحَـةٍ وانبسـاطِ
حـازَهـا تـابعُ المجلّي فجـازَ السَّبْـقَ من دونِـهِ بغيرِ اشتراطِ
مُـذْ عَـلاهـا في أول الصَّفِّ أضحى كسُليمـانَ فـوقَ ظَهرِ البسـاطِ[2]

وأنشدني من لفظه لنفسه علاء الدين ألطنبغا الجاولي مما كتب به إلى شيخنا رحمه الله تعالى :

قـالَ النُّحـاةُ بـأنَّ الاسْمَ عنـدَهُمُ غيرُ الْمُسَمَّى وهـذا القَـولُ مَردودُ
الاسم عينُ المسمَّى والـدَّليـل على مـا قلتُ أنَّ شهـابَ الـدِّين محمـودُ

وكتب إليه شهاب الدين العزاريّ مترجماً :

إذا مـا شئت تلبَسَ ثـوبَ فخرٍ وتسحبُ ذيـلَ مكرمـةٍ وحَمـدِ
فَكُن في سُـؤددٍ وعليّ فضـلٍ كمحمـود بن سَلمـان بن فهـدِ[3]

فكتبَ هو الجواب إليه عن ذلك :

أتـاني من شهـابِ الـدِّين برٌّ أبرّ بـهِ على شكري وحَمـدي
فصِرْتُ بـهِ ولم أكُ جـاهِليّـاً لأحمـدَ طـولَ دهري عَبْـدَ ودِّ

(١) في (س) والفوات : « التقاطي » .
(٢) (س) : « متن ظهر » ، وفي الفوات : « فوق متن » .
(٣) (س) : « وعلوّ » .

وشرَّفني بنظمٍ كلُّ بيتٍ تُفرّد منـــه واسِطَـــة لعِقْـــدِ
وأطلـــعَ في سماء الطِّرسِ منـــهُ كـــواكِبُ كلهنّ نجـــوم سَعـــدِ
وأفحمني ممـــــا استمكنتُ أنّي أجـــاوبُ نقـــدَهُ إلا بـوَعْـــدِ
كَســـانِي في الثَّنـــاء أجـلَّ ممّـــا كَســـاهُ سِـوايَ بشـــارُ بن بُردِ
فـلا بَرِحَت فـوائـــدُه إذا مـــا هَفـا بي الفِكرُ يهـدى لي فيُهـدي

١٨٤١ ـ محمود بن شروين*

الأمير نجم الدِّين[١] وزير الشرق والغرب .

وفد على السلطان الملك الناصر محمد في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وكان في تلك البلاد وزير بغداد ، ولَمّا سلَّم على السلطان وقبَّل الأرض ثم قبَّل يده حطَّ في يد السلطان حَجَر بلخش وزنه أربعون درهماً قُوِّم له بمئتي ألف درهم ، ثم إن السلطان أمَّره مئة ، وأعطاه تقدمة ألف . ولَمّا توفي وصَّى بأن يكون بعده وزيراً ، فرُتِّب وزيراً في أول دولة المنصور أبي بكر ، وعامَل الناس بالجميل .

ولم يزل كذلك إلى أيام الملك الصالح إسماعيل ، فحظي عنده ، وتقدم كثيراً ولازمه ونادمه ، ولَمّا وليَ الكامل شعبان عزله عن الوزارة . [وأبعده ، فلَمّا تولَّى الملك المظفر حاجّي أعاده إلى الوزارة][٢] .

ولم يزل على ذلك إلى أن أُخرج إلى الشام في أوائل شهر رجب أو أواخر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة هو والأمير سيف الدِّين بيدمر البدري ، والأمير سيف الدِّين طغاي تمر النجمي الدوادار بَغْتَة على الهجُن . فلَمّا وصلوا إلى غزة لحقهم الأمير سيف الدِّين منجك فقضى أمر الله فيهم .

* الدرر : ٣٣١/٤ ، والذيل التام : ٩٢ ، والنجوم : ١٨٣/١٠ ، وفيها : محمود بن علي بن شروين .
(١) قوله : « الأمير نجم الدين » ليس في (خ) .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

١٨٤٢ ـ محمود بن عبد الرحمن بن أحمد*

ابن محمد بن أبي بكر بن علي ، وينتمي إلى علاء الدولة الهمذاني ، الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المفتن[١] الفريد الحجة ، جامع أشتات الفضائل ، وارث علوم الأولين[٢] ، حجة المتكلمين ، إمام الفقهاء ، شمسُ الدِّين أبو الوفاء [بن][٣] جمال الدِّين أبي القاسم بن مجد الدِّين الأصبهاني .

بحرٌ يتدفق بالعلوم أمواجه ، وحَبر فضله في كل فن تضيء شموسه ولا أقول يتقد سراجه ، وملكٌ يجبى إليه من كلِّ علْم متَّسعِ الأقطار خَراجُه ، لو رآه الرازي علم[٤] أنه ما رأى زِيّه ، وصحّ أن المعقول هجر القطبين مصريَّهُ وشيرازيَّه ، ولو أنصفه النصير الطوسي لَمَا بَنى الرصد إلا لكواكبه ، ولا سار مع الجيوش إلا خدمة لمواكبه ، وما عسى أنْ أصِفَ مَنْ هو إمام في كلِّ علم ، وأُثني على من بيده زمام كل حلم ، تصانيفُه تَشْهَدُ له بأنه فريد أوانه ووحيدُ زمانه ؛ برع في الشرعيات لَمّا شَرَع ، وبزَعَ[٥] في العقليات شمساً نورُها محا ظلام الجهل فانقشع ، علاّمة في كل علم له علامة ، وأستاذ ترى كل شيخ في فنه غلامَه . اشتغل في البلاد الشرقية [ووردَ إلى الشام][٦] فأنسى الناس المحاسن الدمشقية :

وردَ اللِّوى سَحَراً فَعَطَّرَ جيبَهُ ... بالجزعِ طُبّاق هناك وشيحُ[٧]
حتّى غَدَت نفحاتُه وكأنّما ... يُهدَى بِهِنَّ لكُلِّ جسمٍ روحُ

* الدرر : ٣٢٧/٤ ، والبغية : ٢٧٨/٢ ، والشذرات : ١٦٥/٦ ، والدارس : ٢٠٥/١ ، وذيول العبر : ٢٧١ .
(١) (خ) : « المفنن » .
(٢) (س) ، (خ) : « الأوائل » .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) .
(٤) في الأصل : « ماعلم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٥) في الأصل و (خ) : « وبرع » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) زيادة من (س) ، (خ) .
(٧) الطباق والشيح : ضربان من الشجر . ووقع في الأصل : « سيح » تصحيف .

وقرأ عليه الأئمة ، وشهد له الأعلام أنه عالم هذه الأمة .

ثم إن السلطان طلبه إلى القاهرة ، وأطلع في آفاقها نجومَه الزاهرة ، فوردها وهي بحر بالفضلاء يتموَّج ، وزهرٌ بالفضائل يتأرَّج ، فأقام بها ينشر مُلاءات فضائله ، ويعلِّم الزمان بأخلاقه الزكية رقّة بُكرهِ وأصائله .

ولم يزل على حاله إلى أن كحل بالأصبهاني[١] جفن الضريح ، وغادر قلب الزمان عليه وهو جريح[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وسألته عن مولده فقال : ولدت بأصبهان في سابع عشر[٣] شعبان سنة أربع وسبعين وست مئة .

وورد إلى دمشق بعد حجّه وزيارة القدس في صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وظهرت فضائله للناس وعظَّمه الشيخ تقي الدِّين بن تيميّة ، وقال يوماً في حقه : اسكتوا حتى نَسْمَع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثلُه .

وكان يلازم الجامع الأموي ليلاً ونهاراً ، وسكن[٤] في باب الناطفيِّين[٥] ، وأكبَّ على التلاوة والسمع[٦] والإشغال للطلبة عند قبر زكريا ، وتولى تدريس الرواحية ، ودرَّس بها في ثاني عشر شعبان يوم الأحد من السنة المذكورة بعد الشيخ كمال الدين بن

---

(١) من أجود الكحل ، وفي الكلام تورية .

(٢) في (س) ، (خ) : « قريح » .

(٣) (س) : « سابع شهر » .

(٤) (خ) : « ويسكن » .

(٥) كذا في الأصل و (س) و (خ) ، والمشهور : الناطفانيين ، وقد سلف ذكره .

(٦) في الأصل : « وأكبّ مع التلاوة والسبع » ، وأثبتنا ما في (س) . وفي (خ) : « على التلاوة مع السبع » .

الزملكاني فيما أظن ، وكان درساً حافلاً حضره الأعيان والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأثنى الأعيان على فضائله[١] .

ولم يزل بدمشق إلى أن طلبه السلطان إلى الديار المصرية ، فتوجه إليها على البريد في منتصف شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وكان السفير له في ذلك الشيخ مجد الدِّين الأقصرائي شيخ خانقاه[٢] السُّلطان بسرياقوس ، وكان السلطان يشتهي يرى الغرباء من تلك البلاد ، ولَمّا وقعت بطاقته من بُلبيس بقي متطلعاً إلى قدومه ساعة فساعة ، فتوجَّه الشيخ شمس الدِّين إلى سرياقوس ونزل بالخانقاه إلى عند الشيخ مجد الدين فأضافه ، وعمل له السماعات ، ودخل به الحمام ، فلما أبطأ خبرُه على السلطان وعلم[٣] أنه اشتغل عنه ولم يدخل إلى السلطان إلا بعد ثلاثة أيام [أو][٤] أربعة ، نزل من عين السلطان ومحّه ، ولم يلق بقلبه ولم يتجدد له شيء .

ونزل إلى القاهرة ، لكنَّه[٥] فيه رياسة العلم ، وكان الشيخ ما يعرف اللغة التركية ، فقعد به ذلك ، إلا أنه راج باللغة العجمية عند الأمير سيف الدِّين قوصون ، وبنى له الخانقاه العظيمة بالقرافة ، وجعله شيخها ، ثم إنه قرَّبه عند السلطان ، فكان يحضر عنده في [بعض][٦] الأوقات .

وسألته في سنة خمس وأربعين وسبع مئة بمنزله بالخانقاه المذكورة لَمّا كنتُ بالقاهرة عن مبتدأ[٧] حاله فقال :

---

(١) انظر : البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .
(٢) في الأصل : « الخانقاه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (س) : « علم » .
(٤) زيادة من (خ) . وفي (س) : « ثلاثة أربعة أيام » .
(٥) (خ) : « ولكنه » .
(٦) زيادة من (س) ، (خ) .
(٧) (س) : « مبدأ » .

قرأتُ القرآن والفقه على والدي ، والعربية أيضاً ثم على الشيخ نصير الدِّين الفاروثي[١] ، وعلى الشيخ جمال الدِّين بن أبي الرجا شيخ في تربة علي بن سهل الصوفي ، وقرأت شيئاً من المعقول على صدر الدِّين تُركا ، والمولى جمال الدِّين تركا ، وشيئاً من الطب والخلاف ، وقرأت عليه (نكت الأربعين) للنّسفي ، وصنّف في تلك البلاد (شرح المختصر لابن الحاجب) للخواجا رشيد[٢] ، وشرح (مطالع سراج الدِّين الأرمويّ) لقاضي القضاة عبد الملك ، وشرح (تجريد النصير الطوسي) باسم علي باشا[٣] ، وصنَّف أكثر من ربع العبادات على مذهب الشافعي مضافاً إليه مذهب أبي حنيفة ومالك إلى الاعتكاف ، وشرح (قصيدة الساوي) في العروض[٤] و (تفسير آية الكرسي) ومختصراً[٥] في المنطق سمّاه (ناظر العين)[٦] ، كل ذلك صنفه بتبريز .

ثم إنه انتقل إلى دمشق في التاريخ المذكور وشرح فيها (مقدمة ابن الحاجب) ، وتفسير قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ هُوَ ﴾[٧] ، وتفسير ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ ﴾[٨] الآية ، وتفسير ﴿ يا أَيُّها النّاس إِنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ ﴾[٩] .

ثم إنه توجه إلى مصر في التاريخ المذكور وصنَّف فيها (شرح البديع) للساعاتي في

---

(١) (خ) : « نصر الدين » ، تحريف . وهو عبد الله بن عمر الشيرازي (ت ٧٠٦ هـ) ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) فضل الله بن أبي الخير الهمذاني (ت ٧١٦ هـ) سلفت ترجمته .

(٣) سلفت ترجمته .

(٤) وهي قصيدة لاميّة لمحمد بن ركن الدّين بن محمد الساوي . انظر : الكشف : ١١٣٦/٢ .

(٥) في الأصل : « ومختصر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) سمّاه في الكشف ١٩٢١/٢ : « ناظرة العين » .

(٧) سورة آل عمران : ١٨/٣ .

(٨) سورة الأحزاب : ٥٦/٣٣ .

(٩) سورة الحج : ٥/٢٢ .

الأصولين باسم السلطان الملك الناصر[١] ، وشرح (ناظر العين) ، وشرح (المنهاج) للبيضاوي ، وشرح (طوالع) القاضي ناصر الدين البيضاوي وتعاليق على مسائل . ثم صنَّف مختصراً في أصول الدين ، وشرح (فصول النسفي) ، وتفسير سورة يوسف ، وسورة الكهف .

ثم إنه شرع في تفسير مستقل وصل فيه إلى حين اجتماعي به في سابع عشر شوال سنة خمس وأربعين وسبع مئة إلى قوله تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسولَ فقَد أطاعَ اللهَ ﴾[٢] . وقال لي : كنت قد فسَّرت جملة كبيرة[٣] ، ولكن في فتنة قوصون عدمت المسوّدات فأنا الآن أغرمها .

وقال لي بعض الجماعة إنه يمتنع من الأكل في كثير من الأوقات لئلا يحتاج إلى الدخول إلى الخلا خوفاً من ضياع الزمان بلا كتابة في التفسير .

وكان خطّه قويّاً وقلمه سريعاً ، ورأيته يكتب في هذا التفسير من خاطره من غير مراجعة ، وكان قد شرع قبل ذلك في مختصر لطيف في أصول الدين ، وجيز اللفظ ، كثير الفوائد والمباحث[٤] .

وسمع (البخاريّ) مرتين على الحجّار بقراءة شيخنا البرزالي ، وسمع على أشياخ ذلك العصر ، وأذن لجماعة كثيرة بالشام ومصر في الإفتاء ، وانتفع به الناس في الشام ومصر كثيراً ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ولَمّا بلغتني وفاته رحمه الله تعالى قلتُ أرثيه :

أيُّهـــا العـــاذِلُ لاتلـــح فعنـــدي مـــا كَفـــاني

(١) (س) : « الناصر محمّد » .
(٢) سورة النّساء : ٨٠/٤ .
(٣) (خ) : « كثيرة » .
(٤) (س) ، (خ) : « كثير المباحث » .

كيفَ لا تسفح عيني ... دمعُها أحمرَ قاني
أظلَمَت عينَيَّ لَمَّا ... فَقَدتُ شَمسَ الزَّمانِ
وغَدا جَفْني قريحاً ... باكِياً مِمّا دَهاني
لم يُفِدْهُ قَطُّ كُحْلٌ ... بَعْدَ فَقْدِ الأصْبَهاني

١٨٤٣ ـ محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة*

الشيخ الإمام الورع الخطيب جمال الدِّين بن جملة ، خطيب الجامع الأموي بدمشق .

كانت له طريقة ، سلكها فجعل مجازها حقيقة ، لازم بها الخطابة وركن ، ولزم مكانه بالجامع فما تحرَّك منه بعدما سكن ، واقتصر به على خاصّة نَفْسه وملازمة خطابته وهواه ودرسه ، لا يتردد إلى أمير ولا كبير ولا صغير ، بل الأمراء يحضرون إليه ، ويتطفلون عليه ، ويلتمسون بركاته ، ويعدّون سكناته وحركاته ، وإشاراتُه عند نوّاب الشام مشهورة[١] مقبولة ، وربوع أوقاته بالخيرات مأهولة[٢] :

حَسُنَت وطابَت في الوَرى أخبارُه ... وأصحّها راوي العُلا أصحاحا
وكأنَّ دُرّاً فاهَ راوي مَدحه ... مَهما روى وكأنَّ مِسْكاً فاحا
قد سَخَّرَ الأرواحَ خالقها لَهُ ... إن لم يكُن قد سَخَّر الأشباحا
فإذا عَلا يَوماً ذؤابةَ مِنبرٍ ... نَثَروا على كَلِماتِه الأرواحا

وأما جنازته فكانت آية بلغت من الاحتفال الغاية ، وجازت[٣] الحد في الكثرة

* البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٨٤/١ ، والنجوم : ٢٣/١١ ، والدُّرر : ٣٣٢/٤ ، والذيل التام : ١٩٨ ، والشذرات : ٢٠٣/٦ ، وذيول العبر : ٣٦٧ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) (خ) : « وربوع جيرانه مأهولة » .

(٣) في الأصل : « وحازت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

والنهاية ، حُملت على الأصابع ولم تصل إليها الرؤوس ، وتناهب الناس آثاره ، واجتلوا[١] نعشه منصة وهو فيها عروس .

وما زال[٢] على حاله إلى أن انفرد ابن جملة عن جملة الأحياء وأصبح في مماته من أعجب الأشياء[٣] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الاثنين العصر الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة .

وكان قد ولي الخطابة بعد الخطيب تاج الدِّين بن جلال الدِّين القزويني في سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

١٨٤٤ ـ محمود بن علي بن محمود*

ابن مقبل العراقي ، تقي الدِّين الدّقوقي الحنبلي ، الإمام المتقن محدِّث بغداد ، شيخ المستنصرية .

أسمعه أبوه من المؤرخ علي بن أنجب[٤] ، وعبد الصَّمد بن أبي الجيش ، وابن أبي الدنيّة[٥] وجماعة ، من ذلك كلّ جامع المسانيد من محمد بن أبي الدنية ، وطلب هو بنفسه يسيراً ، وكان يحدِّث الناس على كرسي ببغداد ، ويحضره خلق عظيم ويأتي بكل نفيس ، وله نثر ونظم ومعرفة بالنحو واللغة ، وكان يعظ في الأعزّية .

(١) في الأصل : « واختلوا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) (خ) : « ولم يزل » .

(٣) في الأصل و (ط) : « وأصبح في تماديه من أصبح الأشياء » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الدُّرر : ٣٣٠/٤ ، والشَّذرات : ١٠٦/٦ ، وذيول العبر : ١٧٧ ، ومن ههنا يبدأ الجزء الثاني عشر من نسخة (ق) ، وهي كما وُصِفت نسخة المؤلف .

(٤) علي بن أنجب بن عثمان البغدادي السلامي المعروف بابن الساعي (ت ٦٧٤ هـ) . الشذرات : ٣٤٣/٥ .

(٥) في الأصل : « للدينة » ، تحريف ، وهو محمَّد بن يعقوب (ت ٦٨٠ هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه . وانظر العبر : ٣٣٢/٥ .

وكان متقناً متحرِّياً جهوريّ الصوت محبوباً إلى الناس لفضله وعلمه . ولِيَ مشيخة المستنصرية بعد ابن الدواليبي[١] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل المحرَّم من سنة ثلاث وثلاثين ، أو أواخر الحجة من سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ولم يخلِّف درهماً ، وحُمل نعشه على الرؤوس .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

١٨٤٥ ـ محمود بن عزّي بن مشعل*

الشيخ الفقيه الفاضل جمال الدِّين البصروي .

كان فقيهاً جيداً حفظ (التنبيه) ثم حفظ (الوجيز) ، وكان يكرر عليه وينقل منه كثيراً .

توفِّي في سابع عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ببصرى ودفن بها .

١٨٤٦ ـ محمود بن محمد بن عبد الرحيم**

ابن عبد الوهاب ، الشيخ بهاء الدِّين ، الكاتب المجوِّد المتقن المحرر السّلمي ، المعروف بابن خطيب بعلبك .

كان فرداً في زمانه ، وندرةً في أوانه . كاتبٌ أين الرِّياض من حروفه القاعدة ، والعقود من سطوره التي تبيت العيون في محاسنها ساهدة ، كم روَّض قلمُه طرساً ، وجلا على الأبصار عرساً ، وخضع له الكُتّاب فلا تسمع إلاّ همساً ، ألفاته أحْسَنُ اعتدالاً من

---

(١) محمد بن عبد المحسن ، سلفت ترجمته .

* الدُّرر : ٣٣٢/٤ .

** البداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، والدُّرر : ٣٣٥/٤ ، وذيول العبر : ١٨٦ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٨/٩ ، والشذرات : ١١٢/٦ .

القدود الرشيقة ، ولاماته أظرف انعطافاً من الأصداغ المسوّدة على الخدود الشريقة[١] ، وعَيْناته أسحر من العيون الدَّعْج ، ونوناته أسلبُ للقلب من الحواجب البُلْج :

خَـــطٌّ كأنَّ العيـونَ نـــاشِـــدَة ... ســود أنـــاسِيهنَّ من كُتبـــه
أقـلامُـــه كُنَّ للـوَرى قَصَبـــاً ... والسَّبـقُ للمحتَـوى على قَصبـــه[٢]

كتب عليه جماعة من أولاد الأعيان ، وبرع في الكتابة منهم شرذمة مختلفة الأديان .

وكان فيه ديانة وعِفّة وصيانة ، وتقوى تمنعه من التطلُّع إلى أولاد الناس وأمانة .

ولم يَزل على حاله إلى أن جرى القلم بحلول حَينه ، وودَّ كل كاتب لَوفَداهُ بإنسان عَيْنه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الثلاثاء سَلخ شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وسبع مئة بمنزله في العُقيبة بدمشق ، ودفن بمدرسة الشيخ أبي عمر بالصالحية .

ومولده في إحدى الجماديين سنة ثمان وثمانين وست مئة .

وكان يخطب جيداً بصوت طيِّب ، وأقام بدمشق مدة سنين ، وكان محبوباً لكرم أخلاقه وعفَّته . وكان من أحسن الأشكال ، تام الخلق ، وُصِف خطّه للأمير سيف الدِّين تنكز رحمه الله تعالى ، فأحضره وأمره بأن يكتب له نسخة بالبخاريّ ، فاعتذر له بأنه مشغول بتكتيب أولاد الناس ، فقال : أنا أصبر عليك ، فأغفله مدة تزيد على سنة ، وطلبه فأحضر له منه مجلداً ، فرماه إلى الأرض وضربه ضرباً كثيراً مبرحاً ، ودفع إليه الْمُجَلَّد ، ورأيته ، أعني المجلد ، في بعلبك وهو نسخ شيء عجيب إلى الغاية[٣] .

(١) في الأصل : « الشريفة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والشريقة : المشرقة .
(٢) (س) ، (ق) : « كن للمدى » .
(٣) قال في الدُّرر بعدما نقل كلام الصفدي هذا : « رأيته بخطّه نسخة كاملة في ثلاث مجلّدات ، وهي باسم تنكز ، وقابلها المزّي بقراءة ابن كثير ، وهي أعجوبة في الحسن والصحة ، فكأنه أكمل المجلد المذكور » .

وقلت : أنا في الشيخ بهاء الدِّين :

إنَّ ابنَ الخطيبِ وابنَ هِـــــلالٍ ... ليسَ ذا مثــلَ ذا على كلِّ حـــالِ
أيُّ نــون أمسكتَ من خـطِّ هــذا ... فهِيَ من حُسْنِهــا بــألفِ هِـلالِ

١٨٤٧ ـ محمود بن محمد بن محمد*

ابن نصر الله ابن المظفر بن أسعد بن حمزة ، الصدر الرئيس العدل الكبير الفاضل الأصيل محي الدِّين ، أبو[١] الثناء ابن الصدر الكبير شرف الدِّين ابن الصدر جمال الدِّين بن أبي الفتح التميمي الدمشقي بن القلانسي .

كان أحد الصدور الأعيان ، كان له إشغال وتحصيل ، وكان فيه خيرٌ وتواضع وملازمة لداره وعدم اختلاط بالناس ، وباشر نظر ديوان البيوت وأوقاف الْحَرَمين .

وكان قد سمع من ابن البخاري وعبد الواسع الأبهري .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في عُشْري ذي[٢] الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وسبعين وست مئة .

١٨٤٨ ـ محمود بن مسعود بن مصلح**

الإمام العَلاّمة ذو الفنون قطب الدِّين أبو الثناء الفارسي الشيرازي الشافعي المتكلم صاحبُ التصانيف .

---

* البداية والنهاية : ١٥٢/١٤ ، والدُّرر : ٣٣٨/٤ .

(١) في الأصل : « أبي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ق) : « عشرين من ذي » .

** تاريخ أبي الفداء : ٦٣/٤ ، والدُّرر : ٣٣٩/٤ ، والبغية : ٢٨٢/٢ ، وذيول العبر : ٥٥ ، والنجوم : ٢١٣/٩ .

كان أبوه طبيباً ، وعمّه من الفضلاء ، فقرأ عليهما وعلى الشمس الكتبي والزكي البرشكاني[١] ، ورتب طبيباً في البيمارستان وهو حدث .

وسافر إلى النصير الطوسي ولازمه وبحث عليه (الإشارات) وقرأ عليه (الهيئة) وبقية (الرياضي) وبرع .

واجتمع بهولاكو وأبغا ، وقال له أبغا : أنت أفضل تلامذة النصير وقد كبر ، فاجتهد لا يفوتك شيء من علمه . قال : قد فعلتُ ، وما بقي لي به حاجة .

ثم إنه دخل الروم فأكرمه البَرواناه ، وولاّه قضاء سيواس وملطيّة ، وقدم إلى الشام رسولاً من جهة الملك أحمد ، فلَمّا قُتِل أحمد ذهبَ قطبُ الدّين ، فأكرمه أرغون ، ثم إنه سكن تبريز مدة ، وأقرأ المعقولات وسمع (شرح السُّنّة) من القاضي محيي الدّين ، وروى (جامع الأصول) في رمضانين ، قرأه الصدر القونوي عن يعقوب الهذباني[٢] عن مصنفه .

وكان من أذكياء العالم وممن ساسَ الناس وداهن وسالم ، مدَّ يد الباع في كل الفنون ، سديد الرأي في مخالطة الملوك والتحرّز من العيون . صنف التصانيف المفيدة وأودعها الذخائر العتيدة ، وكان لفَلك الفضائل قطباً ، ولشمس العلوم شرقاً وغرباً :

بجُودٍ يُهملُ السُّحب احتِقاراً ... إذا ما امتدَّ بينهُما الهُمولُ[٣]
وأخلاقٍ كأبكارِ الغواني ... إذا اشتَمَلت عليهنَّ الشَّمولُ

ولم يزل على حاله إلى أن دارت رحى المنون على قُطْبه ، وجعلت شخصَهُ في الثرى تِرْباً لتُرْبه .

---

(١) في الدُّرر : « البركشائي » ، وفي البغية : « الركشاوي » .
(٢) يعقوب بن محمّد بن حسن الهذباني (ت ٦٥٤ هـ) . الشذرات : ٢٣٣/٥ .
(٣) في الأصل : « الحمول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع[١] عشري شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة .

ومولده بشيراز سنة أربع وثلاثين وست مئة .

وكان الشيخ قطب الدّين ظريفاً مزّاحاً لا يحمل همّاً ، وهو بزي[٢] الصوفية ، وكان يجيد اللعب بالشطرنج ويلعب به ، والخطيب على المنبر وقت اعتكافه .

وكان حليماً سمحاً لا يدّخر شيئاً ، بل ينفق ما معه على تلامذته ويسعى لهم ، وصار له في العام ثلاثون ألف درهم ، وقَصَدَه صفي الدّين عبد المؤمن المطرب فوصله بألفي درهم ، وفي الآخر لازم الإفادة ، فدرّس (الكشّاف) و (القانون) و (الشّفا) وعلوم الأوائل .

وكان القان غازان يعظّمه ويعطيه ، وكان كثير الشفاعات ، وإذا صنّف كتاباً صام ولازم السهر[٣] ومسوّدته مبيّضته .

وكان يحبُّ الصلاة في الجماعة ويخضع للفقير ، ويوصي بحفظ القرآن ، وإذا مُدح يخشع ويقول : أتمنى لو كنت في زمن النّبي ﷺ ، ولم يكن لي سمع ولا بصرٌ رجاءَ أن يلمحني بنظرة .

مرض نحو شهرين ، ولَمّا مات رحمه الله أُدّيت عنه ديونه .

وكان يتقن الشعبذة ، ويضرب بالرباب ويورد من الهزليات ألواناً بحضور خربندا ، وفي دروسه ، وكانت أخلاقه جميلة ومحاسنه وافرة .

ومن تصانيفه (غرّة التاج) حِكمة ، و (شرح الإشراق) للسهروردي[٤] ،

---

(١) (ق) : « في يوم ... رابع » .

(٢) في الأصل : « يرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والدُّرر .

(٣) في الأصل : « الشهر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (س) : « وشرح الإسرار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الدرر . واسم كتابه : « حكمة الإشراق » .

و (شرح الكلّيّات)[١] و (شرح مختصر ابن الحاجب) و (شرح المفتاح للسكاكي) .

١٨٤٩ ـ محمود بن مسعود*

السلطان علاء الدّين بن شهاب الدّين صاحب الهند .

كان ملكاً عظيماً بنى بدلّي منارة عظيمة ارتفاعها مئة وخمسون ذراعاً مرجَّلة الأساس عظيمة البناء ، عرضُها من أسفل رَمْيَةُ سهم ، ويراها الناس[٢] من مسيرة يومين .

ولم يزل في ملكه إلى أن وصل الخبر إلى مكة بوفاته ، وصُلِّي عليه بها صلاة الغائب سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وتسلطن بعده[٣] ولده غياث الدّين فدام سنة ، وخرج عليه أخوه قطب الدّين مبارك[٤] وتملّك ، وسجن غياث الدّين ، ودام قطب الدّين مبارك في الملك إلى سنة عشرين وسبع مئة ، وقُتِل ، وتسلطن مملوكهم خسرو[٥] التركي .

١٨٥٠ ـ محمود بن دِيوانا**

كان قد ظهر في تبريز بمشيخةٍ وصلاح ، وخضع له المغول وغَيْرهم ، وكانت له زاوية في توريز[٦] .

---

(١) في البغية : « الكلمات » ، تحريف ، وهو من كتب ابن سينا .

* الدُّرر : ٣٤١/٤ .

(٢) (س) ، (ق) : « الإنسان » .

(٣) (ق) : « بعد » .

(٤) (ت ٧١٦ هـ) ، الدُّرر : ٢٧٥/٣ .

(٥) في الأصل : « خسر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والدُّرر .

** الدُّرر : ٣٤٤/٤ .

(٦) في الدُّرر : « تبريز » .

حكى الإربلي عز الدّين الطبيب نقلاً عن التاج عبد الله الطيبي ما معناه أن آل فَرَنْك أحد أولاد القانات كان مرشحاً للملك ، وكان محبّاً للفقراء ، فأتى يوماً إلى زاوية الشيخ محمود ديوانا ومدَّ له سماطاً ، وعمل له سَماعاً ، ورقص الشيخ محمود وطاب ودار في الطابق ، وجذبَ آل فرنك إليه ، وألقى كلاهه[1] عن رأسه وألبسه طاقية كانت على رأسه وقال : قد ولّيتك السلطنة ، ورقص ورقص معه . فنقلت هذه الكلمة إلى غازان ، فضربَ عنق آل فرنك بين يديه .

وكان قسيم الغصن في تثنيه ، وشقيق البدر أو ثانيه .

وأمر بإحضار الشيخ محمود ديوانا ، فلما رآه قال : أهلاً بالشيخ الذي قد صار يُولّي الملوك بطاقية ، وأمر به فشُدَّ بين دفتين ، ونُشِر حتى وقع نصفين بقسمة صحيحة سواء بسواء .

☆ **المحوجب :** شمس الدّين محمد بن يوسف الجزري .

١٨٥١ ـ مختار*

الأمير الكبير الطواشي ظهر الدّين المعروف بالبَلبيسي[2] الخازن دار بقلعة دمشق .

كان حسن الشكل ، حسن الأخلاق ، فيه وقار وسكون ، وحفظ القرآن ، وكان يتلوه بصوت حسن .

أنشأ مكتباً للأيتام قبالة القلعة ، ووقف عليه الجامكية . وكان له خبز بطبلخاناه . ووليَ التقدمة على المماليك السُّلطانية بمصر مكان الطواشي فاخر[3] .

---

(١) هو غطاء الرأس ، ويقال له أيضاً : الكَلَفْتا .

* البداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدُّرر : ٣٤٤/٤ .

(٢) في البداية : « البكنسي » .

(٣) في الدُّرر : « فامر » ، تحريف ، وهو فاخر المنصوري شهاب الدّين (ت ٧٠٤ هـ) ، الدُّرر : ٢١٩/٣ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في آخر شعبان سنة ست عشرة وسبع مئة بقلعة دمشق ، ودفن برّا باب الجابية بتربته التي عمرّها ، ووقف عليها أوقافاً وقرّر فيها مُقرئين[١] بالنوبة ليلاً ونهاراً .

اللقبُ والنَّسَبُ

☆ **ابن مخلوف :** محيي الدين محمد بن علي . وقاضي القضاة علي بن مخلوف .

☆ **ابن مراجل :** علاء الدين علي بن عبد الرحيم .

☆ **المرداوي**[٢] **:** موسى بن محمد .

☆ **ابن المرحّل**[٣] **:** الشيخ شهاب الدّين عبد اللطيف بن عبد العزيز . والشيخ صدر الدّين محمد بن عمر ، وأخوه عبد الوهاب .

☆ **والمغربي :** مالك بن عبد الرحمن .

☆ **وزين الدّين :** محمد بن عبد الله .

☆ **ابن مختار الحنفي :** محمد بن مختار .

☆ **المَرجاني :** عبد الله بن محمد .

☆ **ابن المخرميّ :** إبراهيم بن الحسن .

☆ **ابن المرواني :** أحمد بن حسن[٤] ، وأخوه علاء الدّين علي بن حسن ، وابنه ناصر الدين محمد بن علي .

☆ **المراكشي :** فخر الدّين عبد الله بن محمد .

☆ **وتاج الدّين :** محمد ابن إبراهيم .

☆ **والمريني :** الأمير علاء الدّين مغلطاي .

---

(١) في البداية : « ووقف عليها القريتين ، وبنى عندها مسجداً حسناً ، ووقفه بإمام » .

(٢) في الأصل : « ابن المرداوي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « المرحل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) (ق) : « شهاب الدّين أحمد بن الحسن » .

☆ **المريني :** السلطان عثمان بن إدريس .

☆ **والمريني :** عثمان بن يعقوب ، وولده السلطان علي بن عثمان .

١٨٥٢ ـ مريم بنت أحمد*

ابن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد ، الدمشقية ، أم عبد الله ، بنت الجمال .

كانت امرأة صالحة خيِّرة ، حضرت على الفقيه محمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي ، وأجازها الكاشغري ، وابن القُبيّطي ، وجماعة .

وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ ثالث عشري جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولدها سنة خمس وثلاثين وست مئة .

وهي أخت الإمام محبّ الدِّين عبد الله المقدسي المحدّث[١] ، وزوجة الشيخ أحمد بن أبي محمد العطار إمام مغارة الدم[٢] .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : قرأت عليها جزءاً من (فوائد أبي عروبة الحراني) وغير ذلك .

النَّسَبُ والألقابُ

☆ **ابن مزهر :** القاضي فخر الدين محمد بن مظفر .

☆ **وشرف الدِّين :** يعقوب بن مظفّر[٣] .

☆ **ابن مُزَيْز :** تاج الدِّين الحموي أحمد بن إدريس .

---

* لم تقف على ترجمة لها .

(١) (ت ٦٥٨ هـ) . السير : ٣٧٥/٢٣ .

(٢) بجبل قاسيون ، معروفة .

(٣) (س) : « مزهر » .

☆ **وعز الدّين** : عبد العزيز بن إدريس .

☆ **المِزّي** : المؤقّت محمد[1] بن أحمد .

☆ **والمزي** : يوسف بن عبد الرحمن .

☆ **المستكفي بالله** : أمير المؤمنين ، أبو الربيع سليمان بن أحمد .

١٨٥٣ ـ مسعود بن أحمد*

ابن مسعود بن زيد ، الشيخ الإمام العالم ، المفتي الحافظ ، المجوِّد فخر المحدِّثين ، قاضي القضاة بالدِّيار المصرية ، سعد الدِّين الحارثي ، العراقي ، الحنبلي . والحارثية قرية قريبة من بغداد ، المصري المولد .

سمع من الرضي بن البرهان ، والنجيب عبد اللطيف ، وابن علاّق ، وطبقتهم . وبدمشق من جمال الدِّين الصيرفي ، وابن أبي الخير ، وابن أبي عمر ، وعدّة .

وعُني بهذا الشأن ، وكتب العالي والنازل ، وخرَّج وصنَّف ، وتميَّز وتفرَّد ، ودرَّس بالناصريّة بالقاهرة ، وبالصالحيّة ، وبالجامع الطولوني .

ووليَ القضاء بالديار المصرية في ثالث شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مئة ، فأقام في ذلك سنتين ونصفاً ، وسار فيه سيرة مرضية ، وكان متيقظاً فيه محتاطاً متحرزاً ، وقدَّم الفضلاء والنبلاء من كل طائفة .

قال كمال الدِّين الأدفوي : قال لي القاضي شمس الدِّين بن القمّاح : تكلمت معه في المذهب ، فقال : كل ما يلزم القول بالجهة أقول به . قال وحكى لي بعض أصحابنا أنه دخل المدرسة الكامليّة ليجتمع بالشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد ، فلما رآه الشيخ قام وقال : داعيَة ، ولم يجتمع به . انتهى[2] .

---

(١) (ق) : « شمس الدّين محمد » .

* الدُّرر : ٣٤٧/٤ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وذيول العبر : ٦٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢١/٩ .

(٢) وفي الدُّرر عن الذهبي : « وكان ابن دقيق العيد ينفر منه لقوله بالجهة : ويقول : هذا داعية ، ويمتنع من الاجتماع به » .

وشرح جملة من (سُنن أبي داود) شرحاً جيداً ، وشرح قطعة من (المقنع) في مذهبه[١] ولم يكمله ، أتى فيه بفوائد ومباحث ونقول كثيرة ، ولو كمل لانتفع الناس به .

وكان قد قدم إلى دمشق على مشيخة دارِ الحديث النوريّة ، ثم إنه ضجر ورجع وحدث بدمشق ومصر .

وكان رئيساً فصيح الإيراد ، عذب العبارة ، قويّ المعرفة بالمتون والرجال صَيِّناً[٢] ، وافر الحرمة ، فاخر البزّة . وكان أبوه من التجار .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة[٣] سحَر الأربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

وخلفه في الفقه ولده الإمام شمس الدِّين عبد الرحمن[٤] .

١٨٥٤ ـ مسعود بن أوحد بن الخطير*

الأمير الكبير بدر الدِّين ، أمير حاجب بالديار المصرية في أيام الملك الناصر محمد وفيما بعد ، ونائب السلطنة بغزّة غير مرة ، ونائب طرابلس غير مرة ، وأكبر مقدمي الألوف بالشام .

---

(١) هو المقنع في فروع الحنبلية لموفق الدين عبد الله بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) ، الكشف : ١٨٠٩/٢ . وهو مطبوع .

(٢) (ق) : « ديِّناً صيِّناً » .

(٣) (س) ، (ق) : « وتوفي قاضي القضاة سعد الدين للذكور بالقاهرة » .

(٤) سلفت ترجمته في موضعها .

* تحفة ذوي الألباب : ٢٧٩/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٣١٥/١ ، والنجوم : ٢٩٢/١٠ ، والدُّرر : ٣٤٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٩٢ .

كان عريقاً في الرئاسة ، غريقاً في الحشمة والنفاسة ، كريمَ الودّ والإخاء ، كثير البذل لأصحابه والسخاء ، وكان بابه حرمَ اللاجي ، وقبلة الراجي ، لا يخباً جاهه عن قاصده ، ولا ماله عن وافده . كثير الاتّضاع كأن من يجالسه أخوه من الرضاع ، ألطف من النسيم إذا سَرَى ، وأرأف بالضعيف من والديه إذا عاينا به أمْراً منكراً . وكان به للملك الناصري جمال ، و [هو][1] لمن استجار به ثِمال ، بل كان في ذلك الأفق بدر كماله ، وزينة موكبه في يمينه وشماله ، وصاحب رأيه الذي كَم[2] أسفر وجهه عن جماله . وحكَّمه الملك الناصر في الديار المصرية فحكم بالعدل ، وأفاض نِيل نَيْله بالجود والبَذل ، وزان دولته بحسن سيرته ، وصفاء باطنه وطُهْر سريرته :

يتكفَّلُ الأيتامَ عن آبائهم ... حتّى وددْنا أنَّنا أيتامُ
يتجنَّب الآثامَ ثمَّ يخافُها ... فكأنَّما حَسَناتُه آثامُ
قد شرَّدَ الإعدامَ عن أوطانِهِ ... بالبَذلِ حتّى استُطْرِفَ الإعدامُ

ولم يزل يتنقل في الممالك تنقل البدور ، ويتوقَّل في هضبات المعالي توقُّل العقبان والنسور ، إلى أن اختار المقام بدمشق فأجيب ، وسكن ما بقلبها[3] من الوجيب ، وكان في حِماها للناس رحمَة ، ولكلِّ مَنْ نزلت به بَلِيَّة نعمة ، يمدُّ عليهم ظل شفقته ، ويَنْشُر لهم جناح رحمته[4] ، فما يبالون بمن عدَل أو جار ، ولا يحفلون بمن بَعُد أو زار ، حتى نزل الأمر الخطير بابن الخطير ، ورأى الناسُ بالبكاء[5] لموته كيف يكون اليوم[6] المطير .

---

(١) طمست في الأصل ، وأثبتناها عن (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) ليست في (خ) .
(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) ، زيادة : « شوقاً إليه » .
(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « رأفته » .
(٥) في الأصل : « البكاء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٦) في الأصل و (خ) : « الموت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الثلاثاء سابع شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة ليلة السبت سابع جمادى الأولى بحارة الخاطب بدمشق .

وأخذ[١] إمْرَة العشرة بدمشق سنة ثلاث عشرة وسبع مئة [٢] . وقرَّبه الأمير سيف الدِّين تنكز وأدْناه وأحبَّه ، ثم إنه جهَّزه إلى باب السلطان صحبَة أسْنْدَمُر رسول جوبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فلما رآه السلطان أعجبه شكلُه وسَمْتُه ووقاره ، ورسم له بالمقام عنده ، وأعطاه طبلخاناه ، فجعله حاجباً . ولم يزل في الحجوبيَّة إلى أن أمسك الأمير سيف الدِّين أُلماس أمير حاجب سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، فولاّه السلطان مكانه أمير حاجب ، ولم يكن بمصر إذ ذاك نائب سلطنة إلا أمير حاجب ، فكان يعمل النيابة والحجوبيّة ، وقيل : إنَّ السلطان لَمّا أعطاه إمرة الحجوبية كان على حركة للصيد فأعطاه جَمَلاً حِمْلُه دراهم ، تقدير[٣] سبعين ألف درهم إنعاماً عليه ، وقال له : هذا برسم إقامة الرّخت وحركة الصيد ، وأحبّه السلطان والناس أجمعون من الأمراء والمشايخ وأمراء الخاصكيَّة ، وكان يمشي في خدمته الأمراء الكبار .

ولم يزل على حاله في وجاهةٍ حتى أمسك الملكُ الناصر محمد الأميرَ سيف الدِّين تنكزْ ، فرسم للأمير بدر الدِّين بنيابة غزة ، فحضر إليها في مستهل صفر سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، فأقام فيها سبعة أشهر[٤] ، ثم إنه نقله إلى دمشق ، فحضر إليها في أيام الأمير علاء الدِّين ألطنبغا . فلما اتفق للأمير سيف الدِّين قوصون ما اتفق أيام

---

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « أخذ » ، بلا واو .

(٢) في (س) : « تسع عشر » . وفيها وفي (ق) ، (خ) زيادة : « وولي الحجوبية بدمشق سنة سبع عشرة وسبع مئة » .

(٣) عبارته في التحفة : « فأنعم عليه بجملة دراهم تقدير .. » .

(٤) في التحفة : « تسعة أشهر » .

الملك الأشرف كجك طَلَب الأمير بدر الدِّين إلى مصر ، وأعاده إلى وظيفة الحجوبيّة وكان بها أمير حاجب في مستهل صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

ولَمّا انفصل قوصون[١] خرج إلى غزّة ثانياً نائباً ، وأقام بها شهرين ، ثم حضر إلى دمشق ثانياً وأقام بها مدة ، وهو أكبر مقدمي الألوف . ثم إنه رُسم له بالتوجه إلى غزة نائباً[٢] ثالث مرة ، فتوجه إليها في شهر رجب أو أوائل شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل بها إلى أن جرى للأمير سيف الدِّين يلبُغا ما جرى وقُتل ، فرُسم للأمير بدر الدِّين بنيابة طرابلس ، فتوجه إليها في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وعاد منها إلى دمشق في أواخر شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فإنه عُزل بألجيبغاالخاصكي ، ولَمّا اتَّفق حضور ألجيبغا إلى دمشق[٣] وقَتْلُه أرغون شاه ، على ما مرَّ في ترجمته ، في سنة خمسين وسبع مئة ، وخلت دمشق من نائب يقوم بأمرها سدَّ الأمير بدر الدِّين النيابة ونفَّذ مهمات الدولة[٤] ، وكاتَبَه الملك الناصر حسَن في البريد وسدَّ[٥] ذلك على أحسن ما يكون .

ثم إن السلطان رسم له بالعود إلى طرابلس نائباً بعد أن وُسِّط ألجيبغا وأياز بسوق الخيل في دمشق ، على ما تقدم في ترجمتها .

فتوجَّه إليها في أوائل جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة .

ولم يزل بطرابلس إلى أن طُلب إلى مصر ، فدخل إلى دمشق نهار عيد الفطر سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وخرج منها متوجِّهاً بطَلْبِهِ إلى مصر ، فلما وصل إلى الرملة ورد المرسوم عليه بعودِهِ إلى دمشق ، فعاد إليها ودخلها في عاشر ذي القعدة ، وأقام

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « أمر قوصون » .
(٢) (خ) : « ثانياً » تحريف .
(٣) قوله : « إلى دمشق » ليس في (خ) .
(٤) (خ) : « ونفذ المهمات » .
(٥) (س) : « وشدَّ » .

مدةً[١] بغير إقطاع ، ثم إنه أُعطي أخيراً خبز نوروز . ولم يزل كذلك إلى أن توجه في نوبة بيبغاروس صحبة الأمير سيف الدِّين أرغون الكاملي نائب الشام والعسكر الشامي ، وأقاموا على لدّ ، وحضر الأمير عز الدِّين طقطاي الدوادار وهم على لُدّ ومعه تقليدُه الشريف بنيابة طرابلس مرة ثالثة ، فلبسَه هناك ، وخدم به ، وأقام هناك إلى أن حضر السلطان الملك الصالح صالح من مصر ودخل إلى دمشق وهو مع نائب الشام ، ثم إنه توجه إلى حلب صحبة الأمير سيف الدِّين شيخو ، والأمير سيف الدِّين طاز إلى حلب في طلب بيبغا روس ، وأقاموا بحلب مدة ، فاستعفى الأمير بدر الدِّين هناك من نيابة طرابلس ، وثَقل عليهم[٢] ، فأعفَوه ، واستقر على حاله بدمشق .

وفي يوم عيد رمضان حُمل الْجَتْر[٣] على رأس السلطان على العادة في مثل ذلك ، ولَمّا عادت العساكر المصرية صحبَة السلطان إلى القاهرة فوَّضت إليه نيابة الغيبَة بدمشق ، ولم يتحرك السلطان في تلك المدة بحركة في دمشق إلا برأيه وترتيبه ، لقِدم هجرته ومعرفته بمُصطلح الملك من الأيام الناصرية .

ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور وصلى عليه نائب الشام وأعيان الأمراء والقضاة . وكانت جنازة حافلة ، ودفن في الصالحية بتربتهم .

وكان قد حدَّث عن ابن دقيق العيد .

ولَمّا توفي ـ رحمه الله تعالى ـ قلتُ أنا أرثيه :

يا ذلّتي وشقايَ بعدَ مَسْعود ... وطولَ حُزني وتعدادي لتَعديدي
ويا نواحي الذي يَملا نواحيَ جيـ ... ـرون استَعِدْ واسترد لي فوق مجهودي[٤]

(١) في (خ) ، (س) زيادة : « بها مدة » .
(٢) أي : أبطأ في نجدتهم .
(٣) الجتر : هي المظلّة على هيئة قبّة من الحرير المزركش .
(٤) (خ) : « واسترني » . وفي (س) : « فوق موجودي » .

ماتَ الأميرُ الذي كان الزمانُ إذا ... سَطا لجأنا لظلٍّ منهُ ممدودِ
ولّى وزالَ وقد أضحَت مناقبه ... بينَ الأنامِ لهُ تَقْضي بتخليدِ
كانت لَياليهِ أعراساً لناظِرِها ... حُسْناً وأيّامُه أيام تَعييدِ
وكانَ للملكِ عِطفٌ من عَزائمه ... يَختالُ في حلّتي نصرٍ وتأييدِ
[زها بهِ الملك من مصرٍ إلى حلب ... وهزَّ عجباً بهِ أعطاف أُملود][1]
وشيَّدت ركنَه منه سياستُه ... وباتَ من ذاكَ في استيعابِ تَمهيدِ
تُغني بسالته يومَ الكريهةِ عن ... لِباسِ سابغةٍ من نَسجِ داوودِ
تكادُ أسيافُه تَقضي على مُهَجِ الـ ... أعداءِ في حَربها من غيرِ تَجريدِ
ويصبحُ الرّمح في يُمناهُ ذا هَيَفٍ ... ووجنةُ السَّيفِ تمسي ذات توريدِ
يَمحو ببيضِ أياديهِ الكريمةِ ما ... للدَّهرِ من ظلماتٍ في الوَرى سودِ
أضحَت بهِ غزةٌ في عِزَّة فتحت ... باباً لنَيْلِ المعالي غير مردودِ
كذا طَرابُلُس إذ صارَ نائبُها ... بادَت نوائبها عنها إلى البيدِ
وجاورَ البحر فيها مثلهُ وربا ... على عجائبهِ بالفَضلِ والجودِ[2]
خلائقٌ مثلَ روضِ زَهرِهِ خَضِلٌ ... ونسمَةُ الصُّبحِ فيهِ ذات ترديدِ
وطابَ رَيّاً كما طابت أرومته ... أصلاً تَفَرَّع عن آبائهِ الصيدِ
وما تواضعَ إلاّ زادَ رفعته ... علوُّ مجدٍ بفرعِ النَّجمِ معقودِ
وزانَ أيامه من بعدما عطلت ... بجوهرٍ تزدهي منه بتنضيدِ[3]
فالتّاجُ في رأسِها راقَتْ جواهرُهُ ... والشّنْفُ في أذنِها والطَّوقُ في الجيدِ
يا حاجباً كانَ عينُ اللهِ تحرسه ... من عينِ عادٍ مع المعدومِ معدودِ
أخليت أفق دمشقَ من سناك فطر ... ف النجم ما بين تصويت وتصعيدِ
تَبكي الكواكب بَدْراً كانَ يؤنِسُها ... بنورِه ثم أضحى تحتَ جُلمودِ

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) (س) ، (خ) ، (ق) : « في الفضل » .
(٣) في الأصل : « هطلت » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، (ق) .

أبقى بنيـهِ رواةَ الجـودِ عنـهُ لنـا فنحنُ في سنـدٍ فيـهِ ابن مسعـودِ[١]
لا زالَ تسقي ثَراهُ سُحبُ مغفرةٍ تسري لـه في طريـقٍ غير مسـدودِ[٢]

ولَمّا كان الأمير بدر الدّين ـ رحمه الله تعالى ـ بطرابلس نائباً أهدى إلى الأمير سيف الدّين أرغون شاه ، وهو نائب دمشق ، شيئاً من القلقاس وقصب السكر والحمّضات[٣] ، فكتبتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك وهو : يقبّل الباسطة الشريفة العالية المولوية الأميرية الكبيرية[٤] البدريّة ، لا زالت أياديها تنقل الغوارب[٥] ، وتبعث نفوس محبيها[٦] على التوسع في نيل المآرب ، وتخصّهم من تُحَفِها بما يجمع لهم بين لذّة المناظرة[٧] والمآكل والمشارب ، ويُنْهي بعد دعاءٍ تفسحت له بين النجوم المضارب ، وولاءٍ أعلامُه خفّاقةُ الذوائب بين المشارق والمغارب ، ورود المشرف الكريم أعلاه الله تعالى قرينَ ما أنعم به مولانا أعزّ الله أنصاره من هدايا طرابلس المحروسة ، وتفضل بما يتوق[٨] به إلى معاهدها المأنوسة ، فوقف المملوك منه[٩] على روض تدبَّج ، وكافور بعنبر[١٠] الليل تسبّج . ورأى بحر فضله وهو بأمواج سطوره مُدَرّج[١١] ، [وبهت لرصف سطوره التي كأنها نبت عذار في هامش الخدّ مخرَّج][١٢]، فلثم المملوك منه موقع الاسم

---

(١) تورية بعبد الله بن مسعود الصحابي .
(٢) (س) ، (ق) : « لا يزال » .
(٣) في الأصل : « والحمصات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . وسيأتي ما يؤيد هنا .
(٤) ليست في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) : « تثقل الذرا والغوارب » .
(٦) (خ) : « محبتها » .
(٧) في الأصل : « المناظرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٨) (س) ، (ق) : « سوّق » ، (خ) : « شوّق » .
(٩) (خ) : « به » .
(١٠) (خ) : « بغير » . والسبجة : كساء أسود ، وتسبج : لبسه .
(١١) (خ) : « تدرّج » ، (س) : « مُدَيّح » .
(١٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

الكريم ، وقبّل منه خدَّ كعابٍ وسالفةَ ريم ، ووصل ما أنعم به من الهدية الكريمة ، فمن قلقاس يقصّر ابن قلاقس عن نعته ، ويَعْجَز البحتري [لوأنّه][1] قواف عن نحته ، كل رأس منه يعود في طبخه كالْمُخّ ، وتمشي النفس إليه وهو في رقعة الخوان مشي الرّخ ، رؤوسه كرؤوس العدا المحزوزة غَلَّفتها الدماء والهضاب[2] ، وأصابعه كأصابع العَذارى إذا انغمست في الخضاب ، يتفرّى العنبر عن كافوره ، وينصدع الديجور منه بصبح بدا في سفوره ، وينزل في اللهاة ليناً ونعومة وانغلاساً ، ويزدرد الحلقوم لذاذة يخطفها[3] من العيش اختلاساً ، ويكاد من نضجه يقول لطاهيه وآكله إذا شبّها وقاسا :

وإن سألوك عن قلبي وما قاسى فقل قاسى ، فقل قاسى

ومن قصب سكرٍ كلّ عود له لدونة غصن البان ، وصفرةٌ استعارها من العاشق إذا صدَّ عنه الحبيبُ أو بان ، وحلاوة ذَوق لولاها لما شبَّهه إلا بالمرّان ، ومائيَّةٍ كريق الحبيب الذي ردّ الردى وصدّ الصدى عن القلب الحرّان ، فشكراً لجزرات الهند وما أهدت منه لأرض العجم والعرب ، وعُجْباً للونه وطعمهِ ووصفه فما يُدرَى هل هو قصبُ ذهَب ، أو قصب ضَرَب ، أو قصب طَرَبْ ، وبَخٍ بخٍ لِجُرَعه التي تمرُّ بالحلق والازدراد نائم لم يتنبَّه ، وزاهٍ زاه لحالاته المتناقضة فإنَّ حزَّه كحزِّ رقاب العدا ومصّه كمص شفاه الأحبّة ، ومن أترجٍ أصفر وكبّاد أحمر ، هذا لونه لون الوَجل ، وهذا له حمرة الخدِّ الْخَجِل ، هذا تحرّج متضرِّج ، وهذاك تهيَّج وما تدبَّج ، لا تنهض بأوصافها[4] قوائم المسودات والمبيّضات ، ولا يقربُ منها الفواكه الحلوة لأنها تقول : مالنا وللدخول

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) من (س) ، (خ) ، (ق) : « وتراب الهضاب » .

(٣) في الأصل و (س) : « يحفظها » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) : « بأوصافها الحسنة » .

في هذه المحمّضات ، فالله يشكر هذه الأيادي التي جادت له بالبستان والقصر ، ومتّعته وهو في الشام بالمحاسن التي ادَّكرَ بها أوقات مصر ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكان الأمير بدر الدّين ـ رحمه الله تعالى ـ قد جهَّز إليَّ من طرابلس ثوب صوف أزرق مربَّعاً في غاية الحسن قرين كتاب منه . فكتبتُ أنا الجوابَ إليه أشكر إحسانه وهو :

يقبّل الأرض ، وينهي ورود المرسوم الكريم أعلاه الله تعالى ، فوقف المملوك له قائماً ، وقبّل شفة عنوانه اللّعساء [١] لاثماً ، وتوهَّم أن هذا طيف خيال من فرحه [٢] وأنه كان حالماً ، ووضعه على رأسه وعينيه ، وفَضَّهُ فقبَّل الأرض وكرَّر ذلك ، كأن مولانا ـ أعزّه الله تعالى ـ حاضر [٣] والمملوك بين يديه ، ورآه متوّجاً بالاسم الكريم فعلم أنَّ طالعه مسعود ، وفاح أرجه فقال : هذا إما لطخ عنبر أو مسّ عود ، ونزّه ناظره في تلك الحديقة التي تَجَدْوَلت بالسطور وتطوَّلت [٤] ببياض طرسها وسواد نقشها فقصر عنها كافور النَّهار ومسكُ الديجور ، وعلم أن كاتبها حرسَه الله تعالى قد تأنى فيها وتأنق ، ودبَّجها بأنواع المنثور فقابل المملوك ما فيها من الجبر والصدقة بدعاءٍ يرفعه ، والملائكة بين سُرادق العرش [٥] تضعه ، والله الكريم لعلمه بإخلاصه يستجيبُ له لَمّا يسمعه ، فإن المملوك ما توهَّم أن العبد يرعى له المولى حقوقه ، ولا أن المملوك يُجري بين أيديهم ذكر السُّوقَة ، ووصل ما تصدق به مولانا ملك الأمراء أعزّ الله أنصاره من الصوف [٦] الأزرق المربَّع :

---

(١) اللّعس : سواد مستحسنٌ في الشفة .

(٢) (خ) : « قزحه » .

(٣) (س) ، (خ) ، (ق) : « أعزَّ الله أنصاره حاضر » .

(٤) في الأصل : « وتطوّل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) : « العرش العظيم » .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « الثوب الصوف » .

فيـــا فخري بـــه لَمّـــا أتـــاني ويـــا شَرفي بـــهِ بينَ الصفـــوفِ
فـــزُرقتـــهُ تُحـــاكي لازَورداً على لـــونِ السّما والبحر تـــوفي
ولم أرَ قبلـــهُ ثـوبـــاً رفيعـــاً غـــدا دِرعـــاً أردّ بـــهِ حُتـوفي
يقـولُ مســـاجـل الأثـواب فَخراً لقـد أعيـا الحريري وصفُ صـوفي

ياله من مربّع[1] يَودّ المملوك لو وصفَهُ بألفِ مخمّس ،وذي لون أزرق يحسُن أن يكون سماءً تتبرَّج فيها ﴿ الْجَوارِي الكُنَّسِ ﴾[2] ، ما أحسن لونه الأزرق لأنَّ البدر أهداه ، وما أحكم نسجه فإن صانعه أتقن ما ألحمه فيه وسدّاه ، وما أثقله من سحابه فإن الغمائم تخجلُ من أيادي مَن أسداه . كم نال المملوكُ به من مسرة بخلاف ما يزعمه المنجمون في التربيع ، وكم استجلى من لونه الأزرق سوسناً فكأنّ الزمان به زمان الربيع[3] ، وتعجبُ له من مربّع يُحكمه أهل التثليث ويطيبُ الثناء على صانعه وأصلُه خبيث ، ونشره المملوك من طيِّه فرآه بحراً وجنْدرَتُه أمواجُه ، وقال : هذا خليجٌ جاء من بحر لا ينحرف عن الجود[4] معاده ومعاجُه[5] ، فكل أمره عجيب ، وكلٌّ ما فيه غريب ، حتى إنه في غاية اللِّين وإن كان يصنعه عُبّاد الصليب . وقد غفر المملوك به من ذنوب الدهر ما مضى وما بقي ، وجعل تاريخ قدومه عيداً وما يُنكر تاريخ المسعودي ولا الأرزقيّ[6] ، والله يُوزع المملوك شكر هذه الصّدقات التي عمَّ سحابُها وأغرق . وروى جودُها عن نافع بن الأزرق[7] ، فقد نوَّهت بقَدْره ، ونوعت له أسبابَ جبره ،

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « من ثوب مربع » .
(٢) سورة التّكوير : ١٦/٨١ .
(٣) قوله : « وكم استجلى » حتى ههنا ليس في (خ) .
(٤) (خ) : « لا ينحرف عنه » .
(٥) (س) ، (خ) ، (ق) : « ولا معاجه » .
(٦) محمد بن عبد الله ، مؤرخ له : أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار ، (ت ٢٥٠ هـ) .
(٧) (ت ٦٥ هـ) .

ويُديم الله أيام مولانا ملك الأمراء لمماليك[١] أبوابه وغلمانه ، ويغفر بإحسانها لهم ذنوب زمانهم ، فإنهم مِنْ ظِلّه الوارف في أمانه ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

١٨٥٥ ـ مسعود بن سعيد*

[ابن يحيى] ، سعد الدّين المصريّ الجيزيّ المعروف بابن الحماميّة .

كان صوفيّاً أديباً ، سمع من الحافظ العطار[٢] ، وكان شيخاً حسناً ، حسَنَ المحاورة يكتب خطّاً حسناً . وكان واسع الصدر ، كثير الاحتمال ، صحبَ بيدرا مملوك الأشرف[٣] ، وكانت له صورة في أيامه ، وكان مع ذلك متواضعاً ، دخل عليه يوماً ولده ، فأساء عليه الأدب وسبّه وشتمه شتماً قبيحاً ، فلما فرغ قال له : ما نصطلح ؟ وكتب له ورقة بأربعين درهماً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده تخميناً سنة تسع وثلاثين وست مئة .

وكانت وفاته بالجيزة .

أنشدني من لفظه شيخنا أثير الدين ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

عــلامَ أُلامُ في حُلــو الشَّمائــل ... ويَعـذُبُ في الهَوى عَـذْلُ العَواذِلْ
غـزالٌ هِمتُ من غَـزلي عليـه ... إذا وافى بِجَفنَيْـه يُغـازِل[٤]
لـهُ وَجـهُ الغَـزالـةِ حينَ تَبـدو ... ضُحىً من فوقِ غصنِ البانِ مائـل

---

(١) (خ) : « بمماليك » .

* الدُّرر : ٣٤٩/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (ق) والدُّرر .

(٢) يحيى بن علي (ت ٦٦٢ هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٣) قتل سنة (٦٩٣ هـ) ، الوافي : ٣٦٠/١٠ .

(٤) في (س) ، (ق) : « لديه » .

نَبيّ جمـــالِ حُسْن كم أقـــامَت لـهُ الألحـاظُ فينـا من دلائـل[1]

١٨٥٦ ـ مسعود بن أبي الفضائل*

علم الدِّين المعروف بابن حشيش الكاتب .

نقل طرائق خاله معين الدِّين هبَة الله بن حشيش وزير المعظم بن الصالح أيوب وكاتبه . وكان قد رتَّبه كاتب الوزارة بدمشق مدة ، ثم اجتذبه الأشرف موسى صاحب حمص[2] وحظي عنده ، وله فيه أبيات :

واللهِ لـــــولا الأشرف السلطـــــانُ عنترة الجيـــــوش
مـــــا كان ابن حشيش بين النـــــاس إلا كالحشيش[3]

ولما توفي الأشرف صاحب حمص استمر علم الدِّين مسعود كاتب درج النواب بمعلوم من ديوان السُّلطان ، ثم نقل إلى كتابة الدرج بدمشق .

أقام مدة ثم إنه توفي سنة ست وتسعين وست مئة بدمشق ، وسيأتي ذكر ولده القاضي معين الدِّين هبة الله بن حشيش .

١٨٥٧ ـ مسعود بن قراسنقر**

الأمير سعد الدِّين بن الجاشنكير ، أخو الأمير سيف الدِّين قطلوبك ، وقد تقدم ذكره .

كان قد ولِيَ الحجوبيَّة بدمشق مُدّة ، ثم إنه تولى القدس مدة .

---

(١) في الأصل : « بَنَيَّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
* لم نقف على ترجمة له .
(٢) هو موسى بن إبراهيم بن أسد الدِّين شيركوه (ت ٦٦٢ هـ) ، الشذرات : ٣١١/٥ .
(٣) في الأصل و (ط) : « ما كان لين لحشيش » . وأثبتنا ما في (ق) .
** الدُّرر : ٣٥٠/٤ .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق ثاني[١] شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ونقل بعد ست ليال [إلى القدس][٢] ودفن هناك في تربةٍ كان عمَّرها له .

١٨٥٨ ـ مسعود بن محمد بن محمد*

الإمام الفاضل قوام الدِّين ابن الشيخ برهان الدِّين ابن الشيخ الإمام شرف الدِّين الكرماني الحنفي .

قدِم دمشق في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، ونزل الخاتونية بالقصّاعين[٣] ، وحضر عنده الجماعة ، ودخل إلى تنكز ، وتردد إليه الطلبة ، وكان يعرف الفقه والأصول والعربية ، وكان عنده بحث ونظر وجدال ، ولوالده وجدِّه مصنَّفات في العلوم[٤] .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن المشهدي :** محمد بن عمر .

☆ **ابن مصدّق :** الحسين بن عليّ .

☆ **ابن مُصعَب :** نور الدِّين أحمد بن إبراهيم .

☆ **المطروحي :** الأمير جمال الدِّين آقوش .

☆ **المطعّم :** عيسى بن عبد الرحمن .

☆ **ابن المطهّر :** الشيخ جمال [الدِّين][٥] الحسين بن يوسف .

---

(١) في (س) ، (ق) : « ثاني عشر » .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

* الدُّرر : ٣٥١/٤ ، والشذرات : ١٥٧/٦ .

(٣) (ق) : « ونزل بالخاتونية في القصاعين » .

(٤) ووفاته سنة (٧٤٨ هـ) .

(٥) زيادة من (ق) .

☆ **ابن معبد** : الأمير علاء الدّين علي بن محمود . وأخوه الأمير بدر الدّين محمد بن محمود .

١٨٥٩ ـ المظفر بن محمد*

[ابن جعفر][(١)] الصّدر الكبير الأمير فخر الدّين بن الطَّرّاح ، قد تقدَّم ذكر أخيه قوام الدّين الحسن بن محمد في مكانه من حرف الحاء .

كان عارفاً بتحصيل الأموال وعمارة الأرضين .

ولِيَ نيابة واسِط والحلّة والكوفة مدة طويلة ، وكان كريماً شجاعاً فاضلاً ينظم[(٢)] وينثر ، وله خبرة تامة بمباشرة الديوان .

ولم يزل على ذلك إلى أن قُتل ببغداد ، وكان عليه ديوان أكثر من مئة ألف درهم ، وصودر أهلُه وأقاربه وأتباعه ، وكان يكاتب السلطان الملك الأشرف صلاح الدّين خليل بن قلاوون ، وقد مرَّ طرف من ذكره في ترجمة أخيه قوام الدّين .

١٨٦٠ ـ مظفر بن عبد الله**

ابن مظفر بن قرناص الشيخ فتح الدّين أبو الفتح بن بدر الدّين بن قرناص الخزاعي الحموي .

سمع بدمشق من ابن أبي اليسر سنة سبعين وست مئة .

وحدَّث عنه ، وسمع منه ابن طويل وجماعة .

---

* لم نقف على ترجمة له ، وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ، وهي زيادة صحيحة تتفق مع نسب أخيه .

(١) في الأصل : « ابن الصدر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) في الأصل : « وينظم » ، وأثبتنا ما في (س) .

** تاريخ أبي الفداء : ١٠٠/٤ ، والدُّرر : ٣٥١/٤ .

وكان من أعيان بلده وعُدولِها ، وله نظم .

وولِيَ نظر الْمَعَرَّة ، ونظر الجامع بحماة ، وله مُلك يقوم بأمره .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في نصف المحرَّم سنة ثلاثين وسبع مئة بحماة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن المعلم :** رشيد الدين الحنفي إسماعيل بن عثمان . وفخر الدِّين محمد بن محمد . وشمس الدِّين محمد بن يحيى . وتقي الدِّين يوسف بن إسماعيل .

☆ **ابن معضاد :** محمد بن إبراهيم .

☆ **ابن المغازي :** ضياء الدِّين عيسى بن أبي محمد .

١٨٦١ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الدِّين الناصري الجمالي ، المعروف أولاً بمغلطاي خُرُزْ ، بضم الخاء المعجمة والراء وبعدها زاي .

كان من أكبر مماليك السلطان الملك الناصر محمد ، أمير مئة مقدم ألف .

ولاّه السلطان الوزارة بعد الصاحب أمين الدِّين في رابع عشري شهر رمضان[1] سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، كان أستاذدار وأمير منزل ، وتولى الوزارة مضافة إلى ذلك ، ولم يجتمع ذلك قبلَه لغيره .

وكان خيِّراً كريماً عديم الشر حليماً ، لا يستكثر شيئاً على أحد ، ولا يظلم مَن اعترف ولا جَحَد[2] ، وعمَّر داراً ومدرسة وتربة على التقوى إن شاء الله مؤسسة ، وذلك بدرب الملوخيّة داخل القاهرة . إلا أنه في الآخر تزلزلت عند السلطان مكانته ،

---

* الدُّرر : ٣٥٥/٤ .

(١) في البداية والنهاية : ١١٢/١٤ : « في ثاني عشر رمضان » .

(٢) (ق) : « ولا مَنْ جحد » .

وخانته إعانته فمرض وتعلل وظمئ إلى العافية وما تبلَّل ، وكَلَّ حَدُّ سَعده وتغلَّل ، وتردَّى حلة الإدبار وتجلَّل ، وتوجه إلى الحجاز ، وانتقلت حقيقة حياته إلى المجاز .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ عائداً بعقبة إيلات سنة ثلاثين وسبع مئة ، ولم يزل على الوزارة إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان أستاذ داره سيف الدِّين مازان وخزنداره سيف الدِّين طُراي هما المتحدثان في القطع والوصل والاستخدام والانفصال ، ولَمّا ولِيَ الوزارة طلب الصاحبَ شمس الدِّين غبريال من دمشق إلى مصر وجعله ناظر الدولة معه ، فأقام معه إلى أن سعى في عوده إلى الشام بعد سنتين ، وكان إذا توقف الأمير سيف الدِّين أرغون النائب في العلامة على توقيع براتب أو بإقطاع أو بشيء من غير ذلك ، يقول الوزير : لأي شيء ما كتبت عليه ؟ فيقال له : يا خوند ، أستكثر ذلك على صاحبه ، فيقول : هو ما هو كثير عليه ، إقطاعه تعمل في السنة ألف ألف درهم[1] ، ويعلّم هو على التوقيع .

وكان قد حضر إلى دمشق متوجِّهاً لكشف القلاع الحلبيّة في شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٨٦٢ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الدِّين البيسري ، أحد أمراء دمشق .

كان أميراً جيداً ، وله معرفة بالطيور وأمراضها .

ودفن[2] بالجبل ، وصلى عليه نائب السلطنة الأفرم بسوق الخيل ، وكانت وفاته في ثاني جمادى الأولى سنة سبع وسبع مئة .

---

(١) في (ق) زيادة : « وثلاث مئة » .

* الدُّرر : ٣٥٥/٤ .

(٢) في (س) ، (ق) : « دفن » بلا واو .

١٨٦٣ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الدِّين بن أمير مجلس .

حضر إلى دمشق من القاهرة ، وكان في دمشق أمير مئة مقدم ألف ، وكان الأمير سيف الدين يحبه ويكرمه .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في رابع ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن بجبل قاسيون .

١٨٦٤ ـ مغلطاي**

الأمير علاء الدِّين الخازن النائب بقلعة دمشق .

توفي بها في عاشر صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في تربته بسفح قاسيون .

وكان رجلاً جيداً محبّاً للخير ، وله برّ ووقف ، وخلَّف تركةً جيدةً .

١٨٦٥ ـ مغلطاي بن قليج***

ابن عبد الله ، الشيخ الإمام الحافظ القدوة علاء الدِّين البكجريّ ـ بالباء ثانية الحروف وبعد الكاف جيم وراءٌ وياء النسبة ـ الحنفي مدرِّس الحديث بالظاهرية بين القصرين بالقاهرة .

شيخٌ حديث ، يعرف القديم والحديث ، ويَطول في معرفة الأسماء إلى السماء بفرع أثيث ، وينتقي بمعرفته الطيّبَ من الخبيث ، ولِيَ الظاهرية شيخاً للحديث بها بعد

* لم نقف على ترجمة له .

** البداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، والدُّرر : ٣٥٥/٤ .

*** وفيات ابن رافع : ٣٧١/١ ، والدُّرر : ٣٥٢/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٨٦/١/١ ، والبدر الطالع : ٣١٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٩/١١ .

شيخنا العلاّمة فتح الدّين بن سيّد الناس ، وعبث المصريون بـه لأجل ذلـك ، ونظموا الأشعار والأزجال والبلاليق الأكياس[١] ، ونفضوا ماعندهم في ذلك ولم يغـادروا بقـايـا نفقات ولا فضلات أكياس .

وكان كثير السكون ، والميل إلى الْمُوادَعـة والركون ، جمع مجـاميـع حَسَنـة ، وألَّف تواليف أتعبَ فيها أنامله ، وكدَّ أجفانه الوسنة .

ولم يزل على حاله إلى أن ابتلعته المقابر ، واستوحشت له الأقلام والمحابر .

وجـاء الخبر إلى دمشـق بـوفـاتـه في سلـخ شهر رمضـان المعظم سنـة اثنتين وستين وسبع مئة[٢] .

ومولده بعد التسعين وست مئة[٣] .

كان يلازم قاضي القضاة جلال الدّين القزويني وانتفع بصحبته كثيراً ، فلَمّا مـات الشيـخ فتـح الـدّين محمـد بن سيّـد النـاس ـ رحمـه الله تعـالى ـ في سنـة أربـع وثـلاثين وسبع مئة ، تكلم القاضي له مع السلطان ، فولاّه تدريس الحديث بالظاهرية مكانـه ، وقام الناس وقعدوا لأجل ذلك ، ولم يبال بهم .

ولَمّا كان في سنة خمس وأربعين وسبع مئـة وقف لـه الشيخ صلاح الـدّين العلائي رحمه الله تعالى على تصنيف لـه[٤] وضعـه في العشق ، وكأنّـه تعرَّض فيـه لـذكر عـائشـة الصِّدّيقة رضي الله عنها ، فقـام في أمره وكفَّره ، واعتقل أيـامـاً ، فقـام في حقِّـه الأمير بدر الدّين جنكلي بن البابا وخلَّصه .

---

(١) في الأصل : « والأكياس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) ووفاته كما في الدُّرر في رابع عشري شعبان . وانظر النجوم .

(٣) وفي الدُّرر : « وكان مغلطاي يذكر أنّ مولده سنة ٦٨٩ هـ » .

(٤) ليست في (س) ، (خ) ، (ق) .

وكان قد حفظ (الفصيح) لثعلب ، و (كفاية المتحفظ)[١] ، وسمع من علي بن عمر الوالي ، ويوسف بن عمر الختني ، ويونس الدبابيسي ، وغيرهم ، ووضع شيئاً في (المؤتلف والمختلف)[٢] ، وعمل (سيرة) مختصرة للنَّبي ﷺ[٣] ، وقرأ النسائي بنفسه ، ودرَّس بجامع القلعة بالقاهرة بواسطة قاضي القضاة جلال الدِّين .

وكان ساكناً جامد الحركة يلازم المطالعة والكتابة والدأب ، وعنده كُتب كثيرة وأصول صحيحة .

كتب إليَّ من القاهرة وأنا بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة :

سـلام كما ازدانَت برَوضٍ أزاهِرُ ... وذكرٌ كما نـامَت عيونٌ سـواهِرُ
تحيـة مَن شطَّت بـهِ عنـكَ دارُهُ ... وأنتَ لـهُ عَيْنٌ وسَمْعٌ ونـاظِرُ
فيـا سيِّـدَ السّـاداتِ غيرَ مـدافَـع ... ويـا واحدَ الدُّنيـا ولا مَنْ يُفـاخِرُ
لكَ الشَّرفُ الأسْمى الذي لاحَ وَجْهُـه ... كما لاحَ وجـهُ الصُّبحِ والصُّبحُ سـافِرُ
لئن سَهِرَتْ في الْمَكْرُمـاتِ أوائـلٌ ... لقـد شَرَفت بـالمـأثراتِ أواخِرُ
سَجـايـا استَوَت مِنهنَّ فيـكَ بـواطِنٌ ... أقـامَت عليهنَّ الـدليـلَ ظـواهِرُ

يقبّل الأرض عبدٌ كتَبَ هذه الخدمة عن ودٍّ لا أقول كصفو الراح ، فإن فيها جُناحاً ولا كسقط الزند ، فربما كان شحاحاً ، ولكن أصفى من ماء الغمام ، وأضوا من قمر التمام ، مستوحش من خدمتكم كثيراً ، ومعلن بالثناء وإن كان المملوك حقيراً ،

---

(١) في اللغة للأجدابي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي (ت ٤٧٠ هـ) ، وكتابه مطبوع ، وكذا كتاب الفصيح لثعلب .

(٢) في أسماء الرجال للدارقطني علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ) ، ولعلاء الدِّين مغلطاي ذيل عليه كبير . الكشف : ١٦٣٧/٢ . وانظر النجوم .

(٣) سمّاها : الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم . الكشف : ٩٥٨/٢ .

ومستعرض خدمتكم وحاجتكم[٥] ليحصل له الشرف بمناجاتكم ، ويتطلبُ منكم الدعاء بظهر الغَيب ، فإنه متقبل ولا سيما منكم بلا ريب .

والمملوك أجلّ خدمتكُم أن يكتب إليكم لما يقدحه خاطره ، ويسفره ناظره ، لكون باعه قصيراً في هذا العلم وغيره ، وجبركم أوجب هذا الإدلال .

فكتبت أنا الجواب إليه في ورق أحمر وهو :

سُطورٌ تَبَدَّت أم رياضٌ نواضِرُ ... تحارُ لها مما حوتْهُ النّواظِرُ
أتَينا فَخِلْناها أزاهرَ روضَةٍ ... وما هيَ إلاّ في السَّماء زواهِرُ
وما شاهَدَتْ عَيْني سِواها رِسالةً ... يُغازِلُني منها حِسانٌ سَواحِرُ
يُحقِّقُ ما فيها مِنَ الْحُسْنِ باطِناً ... لأهلِ المعالي زُخرُفٌ وهو ظاهِرُ[٢]
صناعة من تمسي البلاغة فوق ما ... يُحاوِلهُ من نَظمِهِ وهو قادِرُ[٣]
وما كلّ مَن عانى التَّرسُّل ناثِرٌ ... ولا كلّ مَن يُعْزَى لهُ النَّظمُ شاعِرُ
أيا حافِظاً قد ضاعَ عَرْفُ حديثِهِ ... وما ضاعَ بل قد أحرَزَتْهُ الدَّفاتِرُ
تفضَّلت بدأً بالتَّحيّةِ عالِماً ... بأنّي عن غاياتِ فَضلِكَ قاصِرُ
وباعكَ قد أمسى مديداً على العُلا ... وبحركَ في النَّظمِ المنقّحِ وافِرُ[٤]
إذا افتقرَ المنشي إلى بعضِ فقرةٍ ... فعندكَ من حُرِّ الكلامِ ذخائرُ
وما شئتَ إلاّ أن فضلكَ بعدما ... ترحلتَ يَرويهِ عطاءٌ وجابِرُ[٥]

---

(١) في (س) ، (ق) ، (خ) : « خدمكم وحاجاتكم » .
(٢) في الأصل : « المعالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) : « المعاني » .
(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) : « طوع ما » .
(٤) (ق) ، (خ) : « قد أضحى » . وفي الأصل : « على العلا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) : « إلى العلا » .
(٥) هما : عطاء بن أبي رباح القرشي (ت ١١٤ هـ) . انظر : السيرة : ٧٨/٥ . وجابر بن عمير الأنصاري . انظر : الوافي : ٣٠/١١ .

فلا تُلْزِمَنّي بالجوابِ وبالجوى لبُعدِكَ يكفيني الحنينُ المسامِرُ
وشوقي إلى ما فاتَني من فضائل لها نَقَصت عندي البحورُ الزواخِرُ
وإنّي إذا ما غَنَّتِ الوُرْقُ نادبٌ وإنّي إذا نامَ الْخَلِيُّونَ ساهِرُ
فلا زالت العَلياءُ حاليةَ الطُّلَى بألفاظك الحسنى فهنَّ جواهِرُ

يُقبِّل الأرض التي تضع الملائكةُ بها الأجنحة ، ويُدّخر بها من بركات الدعاء نفائس الأسلحة ، تقبيلَ من عدم أنسَه ، وفقَد من السرور فصله ونوعَه وجنسَه ، وعلم أن بهجته من الزمن كانت عارية فاستردَّها ، وكذلك العواري . وتبيَّن أن الفراق جعل القلبَ مملوك الجوى والعبرات جواري ، وتحقق أن الدهر ناقد فأعدم كلّ مُسلم للنوى شرط البخاري .

وكنّا كما نَهوى فيا دَهرُ قُلْ لَنا أفي الوَسعِ يَوماً أن نَعودَ كما كنّا[1]

على أن المملوك يصبِّر نفسه على فراق مولانا ويتجلد ، ويُعَلِّل قلبه باجتماع الشمل فإنه أَلِفَ العَوْد وتعوّد ، ويحمل الأمر في هذا البَيْن على الظاهر ولا يتأوَّل ، ويتمسَّك[2] في بُعْدِه بما قاله الأوّل :

أأحبابَ قَلبي والّذينَ بذكرِهِم وترداده طولَ الزّمانِ تَعلُّقي
لئن غابَ عن عَيني بديعُ جمالِكُم وحارَ على الأبدانِ حكمُ التَّفَرُّقِ
فما ضرَّنا بُعْدُ المسافةِ بيننا سرائرُنا تَسري إليكُم فنَلْتَقي

وينهي ورود المشرفة الشريفة ، لا بل كنز الفصاحة التي لو أنفق البليغ مثل[3] أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّها ولا نَصيفه ، بل كعبة الحسن التي لا تزال[4] الألباب بها طائفة ،

---

(١) في الأصل : « التّوسع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٢) (خ) : « ويتمثل » .
(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) : « فيها مثل » .
(٤) في الأصل : « لا تراك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

والعيون مطيفة ، لا بل الغادة الحسناء التي تقرّر بها الاستحسان في مذهب أبي حنيفة ، فوجد مقام الجواب عنها ضنكاً ، ووقف لها واستوقف وبكى واستبكى وقال :

لكَ الفَضلُ سَبّاقاً بهِ كلَّ غايةٍ ومالكَ فيهِ من شَبيهٍ ولا مِثْل
وقد كنتُ مسعوداً لوأنّيَ سابق بكَبْتِيَ عن شَوقي ولكن بَكَت قَبلي[1]

وقد شجع المملوك نفسَه وأرسل الجواب في هذا الورق الأحمر لأمر يرجو فيه خيراً ، ولأن الحمرة دليل الخجل إذا نشرت بين يدي مولانا الذي حَمَد البيانُ عند صباحه سُرىً[2] وسَيْراً ، ولأنها متى أوردت حديث بديع قال لها حفظ مولانا ونقده : لا يصح حديث جاء فيه ذكر الْحُميرا[3] ، ولمولانا علوُّ الرأي في الإتحاف بهذه الفوائد ، والمحاسن التي لا تزال غصون رياضها للمتطفلين على الآداب موائد ، والله تعالى يخرق ببقاء مولانا العوائد بمنّه وكرمه .

١٨٦٦ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الدين المُرْتيني ، بفتح الميم وسكون الراء وبعدها تاء ثالثة الحروف وياء آخر الحروف ، ونون .

وليَ نيابة قلعة دمشق مرّات ، وولي الحجوبية بدمشق أيضاً وغير ذلك .

وتوفي بقلعة دمشق نائباً في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون

---

(١) في الأصل : « مسبوقاً » ، وأثبتنا ما في (ص) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « صاحبه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . وفي المثل : (عند الصباح يحمدُ القوم السّرى) .

(٣) هي عائشة . وأكبر الظن أن المراد بالحديث : حديث الإفك ، وقد سلف أن مغلطاي اتّهم بأنه تعرّض لعائشة رضي الله عنها في كتاب (العشق) ، ولعلّ الصفدي يشير إلى ذلك ، وإلى تبرئته مما رمي به .

* الدرر : ٣٥٥/٤ .

دمشق[١] ، وكان قد جاء الخبر بوفاة ابن له بالقاهرة بأيام قلائل ، فمات رحمه الله تعالى عقيب ذلك .

وكان قد ولي قلعة[٢] دمشق في وقت في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وذلك بعد الأمير سيف الدين بنغجار .

١٨٦٧ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الدين أمير آخور السلطان الملك الناصر حَسَن .

كان شديد الباس قويّ النفس في دفع الإلباس ، لا يصبر على ذلّة ، ولا يصاحبُ إلا العزمة المشعلة[٣] ، كثير الحسد ، لا يرحم عدوّه ولو كان بين ماضغي[٤] أسد . وكان يتنفس الصعداء في حق الدولة ، ويظن أنه فارس الجوّ وصاحب الجولة ، ويرى أنه أحق بها منهم وأجدر ، وأنه أولى بذلك وأقدر ، فما زال يعمل على إبعاد مَنْ كَرِهَه منهم ، وذهاب الحكم في الأمر والنهي عنهم ، وساعدته الأقدار على مراده ، وحكّم فيهم بيض سيوفه وسمرَ صِعَاده ، وزاد في التشفي وإظهار حقوده ، وتلظت نار غضبه بوقوده[٥] :

حتى لو ارتشق الحديد أذابه ... بالوَقد من أنفاسه الصعداء

ثم إن مدة حكمه ما امتدت ، وشِدّة جبروته ما اشتدت ، فكبا جواد سعده في وسط ميدانه ، وخرّ بناؤه المشمخر بعد علوّ أركانه ، فانقلبت الدولة عليه كما قلبها ، وجُلبَت البليّة إليه كما جَلبَها ، ونزل من الثريا إلى الثرى ، وكان أمام الملوك فأصبح وراء السوقة

---

(١) في الأصل : « مصر » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « انظر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* الدرر : ٣٥٥/٤ ، وانظر طرفاً من خبره في البداية والنهاية : ٢٤٩/١٤ .

(٣) المشعلة : من صفات الناقة القوية .

(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « ولو رآه مابين » . وفي (خ) : « ولو رآه بين خنعي » .

(٥) في الأصل : « بوفوده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

من الورى ، وانحط منهبطا[١] إلى سيدوك[٢] ، وقال له القدر : هذا القدر الذي لا يعدوك :

فيالها من محنة عاجَلَت قريبةُ العُرس من المأتم

ثم إنه أُفرجَ عنه من اعتقاله ، وحكم الدهر له بانتقاله ، فما فرح بالفضاء حتى عثر بالقضاء ، وناحَ عليه حمام حَمامه ، وبكاه الغيث بأجفان غمامه .

وتوفي بدمشق رحمه الله تعالى عاشر شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

كان يشاقق الأمير سيف الدين منجك الوزير ، ويسمعه الكلامَ الفجّ في كلّ وَقْت ، وكان الوزير يتّقيهِ ، فلمّا توجّه الأمير بيبغاروس[٣] إلى الحجاز ، عمل مغلطاي على إمساك الوزير ، لأنّه انفرد به ، وقلَبَ ذلك الحزب وأباده ، وسَيَّر إلى الطريق وأمسك النائب بيبغا ، وهو أخو الوزير ، وتفرّد بتدبير الحال ، وطلع من الإصطبل وصار رأس نوبَة ، وسكن الأشرفيّة . وكان قد تزوّج بابنة الأمير سيف الدّين أيتمش نائب الشام ، وأخرج الأمير سيف الدين شيخو إلى الشام على أنّه يتوجّه إلى طرابلس ، ثم إنّه سيّر[٤] إلى دمشق فأمسكه[٥] ، وجهّزه إلى الإسكندرية ، وأخرج الأمير علاء الدّين علي[٦] الماردانى إلى دمشق[٧] ، وأخرج غيره ، وأراد[٨] إمساك أحمد الساقي نائب صفد ، فجرى ما ذكرتُه في ترجمتِه ، واستوحش الأمير سيف الدّين أرغون الكاملي

(١) (خ) : « وانهبط منحطاً » .
(٢) لم نقف على معناها .
(٣) (ق) ، (خ) : « سيف الدين بيبغاروس » .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) : « إلى طرابلس نائبا ثم سير .. » .
(٥) (ق) ، (خ) : « فأمسكه بدمشق » .
(٦) في (س) ، (ق) : « أمير علي » .
(٧) (خ) : « الشام » .
(٨) في الأصل : « وأمسك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

نائب حلب ، فعمل على إمساكه ، وتخبّط أمر الشام ومَن فيه ، وتعب الناس به ، وصاروا منه في أمر مريج ، وزاد في الإقدام على القبض والنّقل ، وإخراج الأمراء من الدّيار المصريّة .

ولم يزلْ شرّه[١] يتفاقم ، وضرره يتعاظم ، إلى أن خُلع السلطان الملك النّاصر حسن في يوم الاثنين ثامن[٢] عشري جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وذلك بعد ركوبهم إلى قبّة النّصر ، وأجلسوا السلطان الملك الصّالح صالحاً على الكرسيّ ، ثم إنّ السلطان أمسكه في رابع يوم من مُلكه ، وهو ثاني شهر رجب الفرد ، وأمسك معه جماعة ، منهم الأمير سيف الدّين منكلي بغا الفخري ، وجُهّزوا إلى الإسكندريّة[٣] ، وفي مغلطاي يقول القائل :

سلطاننا في مُغلطا ... ي أطاع أمرَ الخالقِ
وشفى القلوب بحبسه ... وأذَلَّ كلَّ منافقِ
وخَبيصةَ البحر اغتدى ... وخراه منه تقانقي

ولم يزل مغلطاي معتقَلاً إلى أن أفرج السلطان[٤] الملك الصّالح عنه وعن الوزير منجك ، فوَصلَ الأمير علاء الدّين مغلطاي إلى دمشق في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة متوجّهاً إلى طرابلس ليكون بها مقيماً بَطّالاً ، وأقام بها قليلاً ، فحصَل له ضعفٌ وتعلّلَ ، فسأل من السلطان أنْ يحضرَ إلى دمشق ليتداوى بها ويقيم فيها ، فرسم له بذلك ، فحضر إلى دمشق وأقام بها أيّاماً قلائل ، وهو في مرضه إلى أنْ مات في تاريخه المذكور ، رحمه الله تعالى .

وكانت مدّة حكمه ثمانية أشهر ويومين ، لأنّه أمسك الوزير[٥] منجك في رابع

(١) (خ) : « أمره » .
(٢) (خ) : « ثاني » .
(٣) في (ق) (خ) : « ثغر الإسكندرية » . وانظر البداية والنهاية : ٢٤٠/١٤ .
(٤) ليست في (خ) .
(٥) (خ) : « الأمير » .

عشري شوّال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وأمسك هو في ثامن عشري جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وذلك ثمانية أشهر ، لا بل ثمانية أيام حسوما .

وقلتُ أنا في أمره لمّا أُمْسِكَ :

مَغَالِطُ مغلطاي مشتْ قليلاً ورَوَّجَها الزمانُ لَهُ فراجَتْ
وعاجَتْ عن قليلٍ واضمحلّتْ وما جاءَتْ بِخَيْرٍ حين مَاجَتْ

اللّقب والنّسب

☆ **ابن المغيث :** إسماعيل بن عبد العزيز .
☆ **ابن مكتوم :** تاج الدّين أحمد بن عبد القادر .
☆ **ابن المكرّم :** أبو بكر بن محمّد . وجمال الدين محمّد بن مكرّم .
☆ **ابن مكيّ :** محمّد بن محمد . وأخوه أحمد .
☆ **المقصّاتي المقرئ :** أبو بكر بن عمر .
☆ **المقدسي :** بهاء الدّين إبراهيم بن عبد الرحمن .
☆ **المقريزي :** محي الدين عبد القادر بن محمّد .
☆ **المقاتلي :** فخر الدين عثمان بن بلبان .
☆ **ابن مقاتل الزجّال :** علي بن مقاتل .
☆ **ابن مُقَلّد :** حاجب العرب علي بن مُقَلّد .
☆ **بنو الْمُغَيْزِل :** جماعة : منهم زين الدين أحمد بن محمّد ، وفخر الدين عبد الله بن أحمد ، وبهاء الدين عبد الصمد بن عبد اللّطيف[1] ، وفخر الدين محمد بن

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « وشرف الدين عبد الكريم بن محمد ، ونور الدين علي بن عبد الرحمن ، وشمس الدين عمر بن عبد اللطيف » .

عبد الكريم ، وصلاح الدين يوسف بن محمّد ، وناصر[١] الدّين عبد الرحمن بن أحمد .

١٨٦٨ ـ مَلِك آص*

الأمير سيف الدين .

كان أوّلاً بالديّار المصريّة جاشنكيراً ، وقدِم إلى دمشق ، ولم يزلْ على حاله ، وباشر شدَّ الدواوين بدمشق[٢] . ثم إنّه سأل الإعفاء ، فَأُجيبَ إلى ذلك ، وباشر عمارة التّربة التي لأرغون شاه تحت قلعة دمشق . وكان قبل ذلك كلّه قد باشر نيابة جَعْبر ، وجَرتْ له واقعة مع العرب ، ونَجّاه اللهُ منها ، ثم إنّه عاد إلى دمشق .

ولمّا أمْسَكَ السلطان الملك النّاصر حسن الوزير منجك ، أمرَ بإمساكِ الأمير سيف الدين مَلِك آص والأمير شهاب الدين بن صبح ، لأنّهما اتُّهما بميلهما إلى الوزير ، فأمْسِكَا بدمشق في يوم الخميس عشري القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، واعتُقِلا في قلعة دمشق[٣] .

ولمّا كان في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وخمسين وسبع مئةأُفرجَ عنهما ، فأُعِيدَا إلى طبلخاناه بعد ذلك ، فأقام الأمير سيف الدين ملك آص على حاله .

ولمّا حضر بيبغاروس إلى دمشق انتمى إليه ملك آص ، وبقِيَ في خدمتهِ ، ونَدَبهُ في أشغالٍ ومهمّاتٍ ، فلمّا وصلَ السلطان الملك الصّالح صالح إلى دمشق أمرَ بإمساكِ جماعةٍ ، منهم[٤] الأمير ساطلمش الْجَلالي ، والأمير زين الدّين مصطفى البيري[٥] ،

---

(١) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (س) .

* الدرر : ٣٥٧/٤ ، والذيل التام : ١٤٩ ، والنجوم : ٣٢٢/١٠ ، وذيول العبر : ٣٠٧ .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) البداية والنهاية : ٢٣٦/١٤ .

(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « وهم » .

(٥) في الدرر ٣٥١/٤ : « بدر الدين مصطفى البيري (ت ٧٦٩ هـ) .

والأمير علاء الدين عليّ بن البشمقدار ، والأمير سيف الدين ملك آص ، والأمير حسام الدين حسام مملوك أرغون شاه ، وذلك في يوم الأربعاء خامس شوّال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وتوجَّهُوا بهم إلى الإسكندرية واعتُقِلوا بها جميعاً . ولم يزالوا[1] بها .

ولّما كان في يوم الأربعاء من شهر رجب الفرد سنة أربع وخمسين وسبع مئة وصل إلى دمشق الأمير سيف الدين ملك آص والأمير سيف الدين ساطلمش الْجَلالي ومَنْ كان معهما في الْحَبْسِ ، وقد أُفْرِجَ عنهم ورُسِمَ لهم بالإقامةِ في دمشق بطّالين[2] .

ولم يزلْ ملك آص في دمشق بطّالاً إلى أنْ كتبَ له الأمير علاء الدين أمير علي المارداني نائب الشّام وسأَلَ من السلطان أنْ يُرَتَّبَ له على الأموال الديوانيّة مرتَّبٌ ، فرسم له بذلك ، ورتّب مقدار شهرين .

ثم إنّه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عشر شهر رمضان سنة ستّ وخمسين وسبع مئة ، ودُفِنَ رحمه الله تعالى في تربته المليحة الْمُجاوِرَة لدارِه بجوارِ جامع يلبغا في سوق الخيل .

١٨٦٩ ـ مَلِكْتَمُر*

الأمير سيف الدين الحجازي النّاصري ، أحد المقدّمين أمراء الألوف ، أصهار السلطان الملك النّاصر محمد ، أظنّه تزوّج بابنة السلطان التي كانت أوّلاً مع الأمير سيف الدين طغاي تَمُر النّاصري .

كان في حركاتِه أَشْبَهَ شيءٍ بالقضيبِ إذا مَاسَ ، وهَبَّ بهِ نسيمُ السّحَر باردَ الأنفاس ، ووجْهُه كالبدرِ إذا بَدَا ، والشمسِ إذا رَامَ الحائرُ بها الهدى ، إذا التفتَ فلا

(١) أعاد الناسخ بعد هذه العبارة قوله : « وكان ذلك في يوم الأربعاء خامس شوال ... وسبع مئة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٤٩/١٤ .

* الدرر : ٣٥٨/٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٤/١٠ .

تلتفتْ إلى الغزال النّافر ، ولا تحتج مع جبينِه إلى الصَّباحِ السّافر ، مع جودٍ من أين للغمامِ كرمُه إذا سَفحْ ، أو البحر[١] نوالُه إذا طفح ، وخلق كأنّه نسيم وَرْد هبَّ في سَحَره[٢] ، وجرّ ذَيْلَه المبلولَ على زَهره ، فهو كما قال أبو تمام في وليده وتغزَّل به في قصيدِه[٣] :

مَلِيٌّ بأن يسترقَّ القلوبَ على هزله وعلى جدّه[٤]
وأنْ يوجَدَ السّحْر في طرفه وأنْ يُجْتَنَى الوردُ من خَدّه
يشِفُّ القلوب وإنْ أكذبَ الظّنونَ وأخْلَفَ في وَعْدِه
بما أشبه البدْرَ من حُسنه وما شاكَل الغصنَ من قَدّه
وألسنةُ الْحَمْدِ مجموعةٌ على شُكْرِه وعلى حَمْدِهِ

وجرَتْ له بعد أستاذه النّاصر أمور ، وكُسِفَ بدره وسط الدّيجور[٥] ، وغَرُبَ نجما ، ثمّ بزَغ في سماء السّعادةِ قمراً تمّا .

ولم يزلْ بعد ذلك في مدارج صعود ، ومَطالِع سُعُود ، إلى أن غُصَّ من بريق السّيف بريق ، وأمسكَه الأجَلُ في المضيق .

وكانت قتلتُه في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

ولم يكن عند أستاذه الناصر أحدٌ في منزلته ولا مَنْ يُدَانِيه في علوّ مرتبته .

قال لي القاضي شرف الدين النشّو : لو أنّ هذا الحجازي يلازم خدمةَ السلطانِ ويواظبها أخذ منه شيئاً كثيراً إلى الغاية .

---

(١) في (ق) ، (خ) : « للبحر » .
(٢) (خ) : « شجره » .
(٣) في الأصل : « وتغزل في وليده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) الأبيات ليست في ديوان أبي تمام .
(٥) في الأصل : « بعد الديجور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

وقال لي الشيخ شهاب الدين أحمد العَسْجدي : اجتمعتُ به فرأيتُ[١] على ذهنه مسائل فقهيّة يسأل عنها ، وذِهْنُه جيّد .

وقال لي كاتبُه مجد الدين رزق الله : إنّه يلعب بجميع الملاهي ؛ بالعود[٢] والدفّ وغير ذلك . وحكى لي أنّه يُصَفُّ له ثلاثة أرؤس خيلاً وأنّه يهمز نفسه فيعدّيها في الهواء إلى الأرضِ من ذلك الجانبِ من غير أنْ يَضَعَ يَدَهُ على شيء[٣] منها .

ولقد رأيتُه أنا وهو في القاهرة[٤] وفي صلاة الجمعة مع السلطان بجامع قلعة الجبل ، وما يكاد يستقرّ على الأرضِ لا قائماً ولا قاعداً ، لا يزال في حركةٍ يتموّج وينعطف كالغصن[٥] ، وكان من محبّةِ السلطانِ فيهِ ما يدعه ينزل[٦] يوم السبت إلى الميدان للّعبِ بالكرةِ ، بل يدعه ينزل يوم الثلاثاء ويلعب بالكرة هو وخاصيَّته[٧] من الجماريّة الذين يألف بهم ويميل إليهم من مماليك السلطان ، وكان يقول له : يا ملكتمر لمّا تلعب تَبرقَعْ حتّى لا توثّر الشمسُ في وجهك ، ولا يدعه يحضر الخدمة إلاّ في بعض الأوقاتِ القليلة حتّى لا يَرَاهُ أحد .

وكان الحجازي في جملةِ مَنْ أَمْسَكَهم قوصون وحبَسهم في واقعة المنصور أبي بكر[٨] ، ولمّا حضر النّاصر أحمد مِن الكرك أخرجَه من الحَبْسِ ، وقتل قوصون ، وأبانَ في واقعة الكامل عن فروسيّةٍ ورُجْلَةٍ ، على ما تقدَّمَ في ترجمةِ الأميرِ شمس الدين آق سنقر[٩] .

---

(١) (س) ، (ق) : « فرأيته » .

(٢) (خ) : « وبالعود » .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) : « على ظهر شيء .. » .

(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) : « في الخدمة » .

(٥) ثمّة بياض بمقدار ثلاثة أسطر بعد هذه الكلمة في (ق) ، (س) .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ينزل معه » .

(٧) في الأصل : « وخاصّة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٨) وذلك في سنة (٧٤٢ هـ) ، كما في الدرر .

(٩) في الأصل : « قراسنقر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

وكان الحجازي أحد مَنْ قامَ بدولةِ الملك المظفّر حاجّي ، ولم يزلْ في غايةِ العظَمة والوجاهةِ إلى أنْ تنكَّر له الملك المظفّر بسببِ لعب الكرة وتحزُّبهم ، وكأنّه أضْمَرَ الغَدْرَ ، فجاء أحد مَن اتّفق معه إلى السلطانِ وعرَّفَه[١] أنّهم قد عزموا يوم الاثنين عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين على الركوب إلى قبّة النّصر ليفعلوا كما فعلوا بالملك الكامل ، فطلَبه السلطان الملك المظفّر عشيّة الأحد العصر ، وأمسكه [أمسك][٢] الأمراء الستّة المذكورين في ترجمةِ آقسُنقر ، ويُقالُ إنّ الأمير سيف الدين منجك وغيره من الخاصكية ضربوه بالسّيوف وبضّعوه ، فقال الأمير شمس الدين آقسنقر وقد أمسكوه أيضاً : هذا المسكين ما هو مسلم[٣] ؟! فضربوه بالسيوفِ وقطعوه .

وكان الأمير سيف الدين ملكتمر شابّاً طويلاً حسنَ الوجه ، خفيف الحركة ، زَائدَ الكرَم ، قَلَّ مَن يحضر بينَ يديْه ويخرج بغير خِلْعة ولا إنعام سواء كان ربَّ سيفٍ أو قَلَم أو ربَّ صناعة . وحكى لي بعضُ الفقهاء أنّه وَهَبَه مرّة ألف دينار ولم يجتمع به إلاّ مرّة واحدة .

وكان أخيراً قد لَفَّ عليه أولاد الأمراء يركبون معه وينزلون في خدمته ويأكلون على ساطِه ويأخذون إنعاماته[٤] وإطلاقاته ، ولهذا أُمْسِك معه جماعةٌ منهم واعتُقِلوا ، وكانَ السببُ في إمسَاكه وإمساك غيره ، شجاع الدّين أغرلو المقدّم ذكره .

وقلتُ أنا فيه رحمَه الله تعالى :

بَغَا أغرلو على الحجازي ... وكان لِلْمُلْك كالطراز
مضى شهيداً وعاش هذا ... يرتع في اللؤمِ والْمَغَازي
فمصرُ والشام في التهاب البَرْق اليماني على الحجازي

(١) في الأصل : « وعرّفهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « منكم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) (خ) : « ويأخذون أفعاله وإنعاماته » .

١٨٧٠ ـ مَلكتَمُر*

الأمير سيف الدين السعيدي .

أظنّه الذي جَهّزَه القان بوسعيد إلى الملك النّاصر محمّد بن قلاوون هو والأمير سيف الدين أرغون شاه ، وحضر في وقتٍ إلى الشام وأقام به ثم طُلِبَ إلى مصر وأقام بها إلى أنْ أمسك الأمير سيف الدين صرغتمش ، فَرَسَم السلطان الملك النّاصر حسن بإخراجه إلى قلعة المسلمين .

فخرج وهو مريضٌ ، فلمّا وصل إلى حماة توفّي إلى رحمة الله تعالى في العشر الأول من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

١٨٧١ ـ ملكتَمر**

الأمير سيف الدين المعروف بالدم الأسود .

كان[١] أميرَ ستّين فارساً بدمشق ، وسَكَنَ[٢] بالعقيبة عند حمام الجلال .

توفّي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

اللّقب والنّسب

☆ **ابن الملاّق :** محمّد بن علي .

☆ **ابن ملّي :** الشيخ نجم الدين أحمد بن محسن .

---

* الدرر : ٣٥٩/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣٣٢/١٠ . وفيه « السعدي » .

** الدرر : ٣٥٩/٤ .

(١) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) (ق) : « وسكنه » . والعقيبة من أحياء دمشق القديمة في وسطها اليوم .

١٨٧٢ ـ المنجّا بن عثمان*

ابن أسعد [بن المنجا] بن بركات بن المؤمّل ، العالم[١] العلامة المفتي زين الدين أبو البركات ابن الصدر عز الدين ابن الإمام الكبير الأوحد العلاّمة وجيه الدين التنوخي المعريّ الأصل ، الدمشقي المولد ، الحنبلي .

حضر على جعفر الهمداني ، وابن المقيّر ، وسالم بن صصرى ، وسمع من السخاوي[٢] ، والتّاج القرطبي ، والرشيد بن مسلمة ، وتفقّه على أصحاب جدّه ، وعلى أصحاب الشيخ الموفّق ، وقرأ الأصول على كمال الدين التفليسي وغيره ، وبرعَ في المذهب .

وتفقّه عليه[٣] ابن الفخر ، وابن أبي الفتح ، وابن تيميّة ، وجماعة من الأئمة .

وشرح كتاب (المقنع) في الفقه شرحاً جيّداً[٤] في أربع مجلّدات ، وفَسَّر الكتابَ العزيز ولكنّه لم يبيّضْهُ ، وألقاه كلَّه[٥] دروساً ، وشَرَعَ في شرح (المحصول) ولم يكمله واختصر نصفه . وكانت له في الجامع الأموي حلقة للاشتغال والفتوى نحو ثلاثين سنة متبرِّعاً . وكان يصوم الخميس والاثنين ، ويذكّر من حين يصلي الصبح [إلى أن يصلي الضحى][٦] .

---

* البداية والنهاية : ٣٤٥/١٣ ، والشذرات : ٤٣٣/٥ ، والدارس : ٩٤/٢ . وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ، (س) ومصادر ترجمته .

(١) (ق) ، (س) : « الإمام العالم » .

(٢) في الأصل : « البخاري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ومصادر ترجمته .

(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ومصادر ترجمته .

(٤) (ق) ، (س) : « حسناً » .

(٥) (ق) ، (س) : « جميعه » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) .

وكان لـه مع الصّلوات تطوّعٌ كثير ، وفي آخر اللّيل تَهَجُّـد ، ويُفَطّر الفقراء عنـده في بعض اللّيالي وفي شهر رمضان كلّه .

وسمع (صحيح مسلم) على السخاوي .

وكان له مُلكٌ وثروة وحُرمة وافرة ، وسأل الناس الشيخ جمال الدين بن مالك أنْ يشرحَ لهم (ألفيته) فقال : زين الدين[1] يشرحُها لكم . وكان قـد قرأ على ابن مـالـك وأجازَ لشيخنا الذّهبي جميع مرويّاتِه .

وتوفّي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وستّ مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وستّ مئة[2] .

اللقب والنسب[3]

☆ **المنبجي :** الأديب بدر الدين محمد بن عمر . ومحمد بن خلف .

☆ **ابن منتاب :** شمس الدين محمد بن داود .

١٨٧٣ ـ منتصر بن الحسن بن منتصر*

الشيخ ضيـاء الـدين الكنـاني العسقلاني المحتـد ، الأدفويّ المولـد والـدّار ، خطيب أدفو .

سمع من الشيـخ شمس الـدين محمّـد بن إبراهيم بن عبـد الـواحـد بن عليّ بن سرور

---

(١) (ق) : « زين الدين بن المنجا » .

(٢) سها المصنّف في إثبات سنـة وفـاتـه ، والمشهور أنـه توفي في شعبـان سنـة (٦٩٥ هـ) ، كما نقل صـاحب الدارس عن العبر للذهبي ، وكما في البداية والنهاية والشذرات .

(٣) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الطالع السعيد : ٦٦٠ ، والدرر : ٣٦٠/٤ .

المقدسي[١] ، وأبي عبد الله بن النعمان[٢] ، وغيرهما . وقرأ الفقه ، ثم ورد إلى البلاد فقيرٌ من السعوديّة[٣] فصحبه وتصوّف ، وعمَّرَ رباطاً بأدفو .

قال كمال الدين الأدفوي : وكان كثير المروءة ، كثير المكارم والحلم ، يبذل ماله ونفسه وجاهه في حوائج الناس . وكان صحيحَ الاعتقاد وكان كلّ يوم جمعة يصلّي الصّبح بغلس ، ويخرج إلى المقابر يزور ويقرأ ويدعو ، لا يخلّ بذلك ولا ينقطع[٤] عن الصّلوات الخمس بالجماعة إلا لضرورة . وكان يحفظ مسائل من الفقه والكلام ، ويستحضر تواريخ وتراجم النّاس وأنسابهم ، وكان من أحسَن الناس خطابةً يُشجي سامعه .

وتوفّي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وقال : قرأت عليه جزءاً من (الشّفاء) .

[اللقب والنسب][٥]

☆ **بنو المنجا :** عز الدّين المحتسب محمد بن أحمد . وقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا . ووجيه الدين محمد بن عثمان . وشرف الدين محمد بن المنجا . وعز الدين محمد بن أحمد ناظر الجامع .

☆ **ابن المنذر :** فخر الدين محمد بن المنذر .

١٨٧٤ ـ منصور بن جمّاز*

منصور بن جَمّاز بن شيخة الحسيني صاحب المدينة الشريفة النبويّة .

(١) توفي سنة (٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٢) محمد بن موسى بن النعمان التلمساني (ت ٦٨٣ هـ) . العبر : ٣٤٦/٥ .

(٣) كذا في الأصل ، والطالع . ولعلها : « السعيدية » وهي بلدة بمصر . (انظر التاج) .

(٤) في الأصل : « ولا يخل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وهو موافق لما في الطالع .

(٥) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الدرر : ٣٦٢/٤ . ووقع في الأصل : « ابن حماد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر . وفي الدرر : « شيحة » .

قُتِل رحمه الله تعالى سنة خمس وعشرين وسبع مئة في رابع عشر شهر رمضان ، قتله في البريّة شابّ من أقاربه .

وكان قد كبر وأسَنَّ وشاخ ، وله مدّة في إمرة المدينة من حياة والده ، لأنّ والده كان قد كبر وعجز ، وكان يُخْطَبُ لهما معا إلى أنْ مات والده ، واستقرّ في إمرة المدينةِ بعده ولده الأمير بدر الدّين كُبيش .

١٨٧٥ ـ منصور بن عبد الكريم*

ابن أحمد الشّيخ الصّالح أبو أحمد السَراوي المعروف بابن العَجمي وبابن الحمصي .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان شيخاً صالحاً أقام بدمشق مدّةً في بستانٍ جوار دار الطَعم ، حضرت يوماً عنده فذكر أنّ والدَه كان تاجراً من أهلِ تبريز ، وأنّه قرأ القرآن ولازمَ التّجارة مع والده إلى أنْ بلغ عشرين سنة ، فترك ذلك وحصل له إقبالٌ على الطاعة . وجاور وحضر واقعة حمص سنة ثمانين وست مئة ، ورأى الملائكة فيها ، وأنّه نَظَم قصيدةً على حرف التّاء أكثر من ألفيْ[1] بيت في السلوك ، قال : وأنشدني بعضَها ، وكان اجتماعي به في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

ثم إنّه بعد ذلك انتقل إلى حمص ، وتولّى بها مشيخة الخانقاه إلى أن توفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

[اللقب والنسب][2]

☆ **المنصور :** [جماعة][3] : صاحب ماردين غازي بن قرا أرسلان .

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) (س) ، (ق) : « ألف » .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

(٣) زيادة من (س) .

☆ **والمنصور :** حسام الدين لاجين .

☆ **والمنصور :** أبو بكر بن محمد .

☆ **والمنصور الكبير :** والد المملوك سيف الدين قلاون .

☆ **ابن منعة :** محمد بن أحمد .

☆ **المنفلوطي :** شرف الدين محمد بن عبد المنعم .

١٨٧٦ ـ مَنْكلي بُغا*

الأمير سيف الدين النّاصري .

كان سلحداراً من أكبر خاصكيّة السلطان الملك النّاصر محمّد ، وكان شكلاً مليحاً طوالاً ، تامَّ الخَلْقِ كبيرَ الذقن ، وكان من خوشداشيّة الأمير سيف الدين أرغون النّائب ، وهو أمير مئة مقدّم ألف ، وزوَّجه السلطان أخيراً بزوجتِه بنت بُرقطاي قريب القان أزبك ، فأقامت عنده قليلاً .

وتوفّي عنها في سنة ثلاثين أو أوائل إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ثم تزوّجَها الأمير سيف الدين موصون[١] أخو قوصون .

١٨٧٧ ـ منكلي بغا**

الأمير سيف الدين الفخري النّاصري .

كان في جملة أمراء دمشق ، ولّما توجَّه[٢] العساكر إلى مصر في نوبة السلطان أحمد ، توجّه هو صحبَة الفخري ، وأقام في القاهرة ، ثم[٣] جعل أمير جاندار .

* الدرر : ٣٦٦/٤ .

(١) في الأصل : « قوصون » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٣٦٧/٤ .

(٢) (خ) : « توجهت » .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ثم إنه » .

وكان حسَنَ الشكل بسَّاماً[١] ، فيه خيرٌ ومروءة وتعصُّبٌ لِمَن يخدمه .

ولم يزلْ على ذلك إلى أنْ رُسِمَ له في أيّام المظفّر حاجي بنيابةِ طرابلس ، فحضر إليها على البريد ووصل إلى دمشق في ثاني عشري المحرّم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحضر معه الأمير شجاع الدين أغرلو ، ليقرّه في النّيابة ويعود ، فأقام بها نائباً إلى أنْ جَرَى للأمير سيف الدين يلبغا[٢] ما جرى من هروبه وإمساكه ، على ما يأتي في ترجمته إنْ شاء الله تعالى ، فطلب منكلي بغا الفخري إلى مصر ، وجاء في طلبه الأمير سيف الدين طشبغا الجمدار ، ووصلَ إلى دمشق وتوجَّهَ منها إلى القاهرة في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأقام بمصر ، من أكبر أمراء المشور ، وزادت عظمتُه لمّا أُمْسِكَ الأمير سيف الدين منجك الوزير ، لأنّه هو الذي عضدَ الأمير علاء الدين مغلطاي أمير آخور على إمساك الوزير .

ولم يزل في زيادة عظمة إلى أنْ خُلِعَ الملك النّاصر حسن وتولّى الملك الصالح صالح ، فأُمسك منكلي بغا المذكور في ثاني شهر رجب من السّنة المذكورة .

ولم يزلْ في الاعتقال بالإسكندرية إلى أنْ وصل الخبرُ إلى دمشق بوفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة . ووُجِدَتْ له أموال عظيمة .

١٨٧٨ ـ منكلي بغا*

الأمير سيف الدين[٣] .

أنشأه الملك الصّالح إسماعيل ، وصار من أكبر الخاصكية ، وحضر من مصر ليتوجَّه

---

(١) (خ) : « شاباً » ، (س) : « تاما » .

(٢) (خ) : « يلبغا اليحيوي » .

* انظر خبراً عنه في النجوم : ١٩٣/١٠ . وخلَتْ (س) ، (خ) ، (ق) من لفظة « بغا » .

(٣) ثمة بياض بمقدار ثلاث كلمات في (ق) ، (س) بعد قوله : « سيف الدين » .

بالأمير بدر الدين أمير[١] مسعود بن الخطير في أيّام الملك المظفّر حاجي ليرتّبَه في نيابة طرابلس ويعود ، وأحضره من غزّة وتوجّه به إلى طرابلس وأقرّه فيها وعاد إلى دمشق فأقام بدمشق مدّة ثلاثة أيام .

وتوفّي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رجب[٢] سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

١٨٧٩ ـ مَنْكبرس*

الأمير الكبير ركنّ الدين أبو سعيد الجَمالي التركي السّاقي ، وأحد غلمان الأمير جَمال الدين إيدغدي العزيزي .

كان بطلاً شجاعاً مهيباً من أمراء الدولة المنصورية والأشرفيّة ، وَلِيَ نيابة غزّة في دولة المنصور لاجين .

سمع منه شيخنا الذّهبي بحضرة ابن الظّاهري ، وشهد الوقعة ، فجاءتْه ضربةٌ في وجهه ، فصرخَ في أصحابِه وحَمَل بهم في التّتار ، فجاءَه سَهْمٌ واشتغل عنه أصحابُه ، ثمّ عادوا إليه فوجدوه مستنداً إلى رمحِه ، فلمّا سقط عجزوا عن دفنِه .

وكانت قتلتُه[٣] في سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٨٨٠ ـ منكوتمر**

الأمير سيف الدين مملوك السلطان حسام الدين لاجين .

---

(١) ليست في (خ) .

(٢) (خ) : « صفر » .

* العبر : ٤٠٦/٥ . والنجوم الزاهرة : ١٩٠/٨ . ووقع في الأصل : « منكرس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والعبر .

(٣) (ق) : « وقتلته » .

** العبر : ٣٩٠/٥ ، والنجوم : ١٨٨/٨ ، وبدائع الزهور : ٣٩٩/١/١ .

كان عند مخدومِه جزءاً لا يتجزّا ، ولدناً صلبت قناتُه وإن لان مهَزّا ، لا يخرج عمّا يراه ، ولا يضرب به جبَلاً إلاّ قَطعَه وفَرَاه ، قد حكم عليه وملكَه ، وأدارَ عليه فلكَه ، وهو لا يرى خلافَه ، ولا يرشف إلاّ سُلافه ، فكان عنده[1] :

نـــافـــذ الأمر لـو يجير من النقـ ـص بـدور الـدّجى لـــدَامَ التّمام

فسلك في النّيابة مـا لا يجب ، وترك كلّ أمير من الأكابر وقلبُـه من الخوفِ يَجب ، وجَسَّرَ أستاذَه على إمساكِ جماعة ، وهَوَّنَ عليه أمانيّه وأطماعَـه ، فتغلّثت[2] الخواطر من الأمراء الأكابر ، وتوحّشوا بعدَ الأنسِ وأيقنُوا أنّ السّجونَ لهم مقابر . فقتلوا السلطـان ، كما مرّ في ترجمته ، وجرّوا هذا ملكتمر على حزّ رقبته ، على مـا تقـدّم في ترجمـة لاجين ، وذلك سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وبنى المـدرسـة التي داخل القـاهرة ، ودرّس بهـا في شوّال سنـة سبع وتسعين وست مئة . وكان قد وَلِيَ كفالة الممالك بالقاهرة بعد إمساك قراسُنقر وجماعَته في منتصف ذي القعدة سنة ستّ وتسعين وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن مُنَيّر :** فخر الدين عبد الواحد بن منصور .

☆ **ابن مهاجر :** الشاعر أحمد بن عبد الله .

☆ **ابن المهتار :** مجـد الـدين أحمـد بن محمّـد . ومجـد الـدين عليّ بن يـوسف . وناصر الدين محمد بن يوسف[3] .

---

(١) (س) : « وهو عنده » .

(٢) تغلثت أي : أضمرت السوء ، وأصله : خلط الطعام بالسمّ .

(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « ومحمد بن علي الصفدي » .

١٨٨١ ـ المهدي*

كان قد خرج بعض الزّنادقة من مدينة حماة وتوجّه إلى بلاد النُّصَيريّة ودخل بلد جَبلة ، ووردَ إلى دمشق محضَرٌ من طرابلس ، مضمونُه أنّه لمّا كان يوم الجمعة ثاني عشري ذي الحجّة سنة سبع عشرة وسبع مئة بعد صلاة الجمعة حضرت النّصيريّة الكفرة الفجرة إلى مدينة جبلة ، وعُدَّتُهم أكثر من ثلاثة آلاف ، يقدُمهم شخص تارة يدَّعي أنّه محمّد بن الْحَسن المهدي القائم بأمرِ الله تعالى ، وتارةً يَدَّعي أنَّه علي بن أبي طالب فاطر السّماوات والأرض ، وتارةً يدّعي أنه محمّد بن عبد الله ، وأنّ البلادَ بلاده ، والمملكة الإسلاميّة مملكتُه وأنّ المسلمين كفرةٌ ، وأنّ دين النّصيريّة هو الحقّ ، وأنّ السلطانَ الملك النّاصر محمّد صاحب البلاد مات من ثمانية أيّام ، واحتوى المذكور على عقول جماعة من مقدّمي النّصيريّة ، وعيّنَ لكلّ إنسانٍ منهم تقدمَةَ ألف ، ونيابَةَ قلعةٍ من قلاعِ المسلمين من المملكةِ الإسلاميّة ، وفرّق عليهم إقطاعاتِ الأمراء والحلقة ، وافترقت الطّائفة المذكورة ثلاث فَرِق على مدينة جبلة ، فرقة ظهرت قبلي البلَد بالشّرق فخرج عليهم عسكر المسلمين فكسّرهم وقتَل جماعة عدتهم مئة وأربعة وعشرون ، وقتل من المسلمين نفر يسير ، وهربت الفرقة المذكورة ، وجرح من المسلمين منهم جمال الدين مقدّم العسكر بجبلة . وفرقة ثانية ظهرت قبلي جبلة بالغربِ على جانب البحر ، وفرقةٌ ثالثة ظهرتْ شرقيَّ جبلة بشمالٍ ، وكثروا على المسلمين وكسَروهم ، وهجموا على جبلة ، ونهبوا الأموالَ ، وسبوا الأولاد ، وهتكوا النّساء ، وقتلوا جماعةً من المسلمين بجبلة ، ورفعوا أصواتهم « لا إله إلاّ عليّ ، ولا حجاب إلاّ محمد ، ولا باب إلاّ سلمان » ، وسبّوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم . وبقي الشيوخ والنّساء والصّبيان يصيحون وإسلاماه ، واسلطاناه ، وامراءاه[1] ، ولم يكن لهم[2] مُنْجِد في تلك الحالة إلاّ الله تعالى ، وجعلوا يتضرّعون ويبتهلون . وجرى في هذا اليوم أمرٌ عظيمٌ .

* انظر : البداية والنهاية : ٨٣/١٤ ، وذيول العبر : ٩١ .

(١) في البداية : « وأميراه » .

(٢) في الأصل : « له » ، وأثبتنا ما في (ق) .

ثمّ إنّ الشّخصَ المذكور جمعَ الأموال المذكورة المأخوذة وقَسّمها على مقدّميهم ، وقال إنّه لم يكن للمسلمين ذِكْرٌ ولا خبرٌ ولا دولةٌ ، ولو كنت في عشرةٍ بقضيبٍ واحدٍ لا بسيفٍ ولا بترسٍ ولا برُمْحٍ ، انتصرتُ عليهم[1] وقتلتُهم ، وأظْهَرَ دينَ النّصيريّة ونادى في البلاد المقاسَمة عليهم بالعشر ، وأمر بخراب المساجد ، وجعلَها خمّارات ، وأمسك النّصيريّة جماعة من المسلمين بجبلة ، وأرادوا قَتْلَهم ، وقالوا لهم : آمِنُوا بمحمّد بن الحسن ، وقولوا لا إله إلاّ عليّ ، فَمَنْ قالَها حقن دَمه وصَانَ مالَه وأعطي فرمانا .

وكانوا في اليومِ المذكورِ قبلَ دُخُولِ جبلة كبسوا ذوق سليمان التركماني وذوق تركمان من جهة حلب ، وأخذوا أموالَهم وأولادَهم وحريمهم ، وكان الغالبُ على الجمع المذكور طائفة العبديّين ، ومنهم الشّخص المذكور ، وطائفة من الحرانيّة وجماعة من بلد المرقب والعليقة[2] ، والمنيعة . وفي عشيّة اليومِ المذكورِ ، وصل الأمير بدر الدين التّاجي مقدّم عسكر اللاّذقيّة ، وبات يحرس جبلة وأولادُه حضور معه ، ومعه العسكر ، وكان قد عزمَ المذكور على دخول جبلة مرّة ثانية ، والشخص المذكور في جامع بجبلة بخَيْلِه ورجالِه[3] بقريةٍ اسمها الصريفة من عمل جبلة . وقد ثبت المحضر المذكور على قاضي جبلة ، وقيل إنّ المذكورَ كان يُريهم خياماً وعساكر في البحرِ ويقول لجَمْعه هؤلاء الملائكة يُقاتِلون معكم وينصرونكم . ثم إنّ العسكر الطرابلسي ركب معهم إليهم فأبادوهم ، وقتلوا منهم جماعة وقُتلَ كبيرُهم المذكور ، وأراحَ الله منهم .

١٨٨٢ ـ مهدي*

الأمير عز الدين والي حلب .

---

(١) (ق) : « على المسلمين » .

(٢) كذا ضبطت في (ق) ، ولم تعجم في الأصل . وهي غير واضحة في (س) ، (ط) . والمرقب : بلد وقلعة حصينة تشرف على مدينة جبلة على الساحل .

(٣) (ق) : « ورجلة » .

* الدرر : ٣٧٠/٤ .

ذُكر أنّه كان وتّاراً يصنع الأوتار بحلب ويبيعُها للقطّانين ، ثمّ إنّه توصّلَ وعملَ الجنديّة ، ثمّ أخذ عشرة ، وعمل ولاية حلب ، ثمّ شدّ الدّواوين بحلب .

وكان حسَنَ الشّكلِ مليحَ الذقن والحواجب ، أسودَ الشعر ، حلو العبارةِ ، عليه قبول .

حضَرَ مع بيبغاروس إلى دمشق ، ثمّ إنّه أُمْسِك مع مَنْ أُمْسِكَ وحضر مع الجماعة الذين جُهِّزُوا مع الأمير فارس الدين ألبكي ، واعتُقِلوا بقلعة دمشق .

ثمّ إنّه أخرج ووسّط في ثالث شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة في سوق الخيل هو ونائب صفد برناق وحاجي أخو أحمد نائب صفد وأسنبغا الرّسولي نائب جعبر وأسنَ بك بن خليل الطرقي[1] ، على ما تقدَّم في ترجمةِ ألطّنبغا برناق .

١٨٨٣ ـ مهلهل بن سعيد*

الفقيه نجم الدين الخليلي .

كان شاهداً عاقداً فقيهاً مدرِّساً بالفرّخشاهيّة الشافعيّة ومدرسة سبع المجانين ، وكان ضعيفَ البصر ، معروفاً بخدمة القاضي شرف الدين بن فضل الله .

توفّي رحمه الله تعالى في سادس عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

☆ **ابن مهمندار العرب :** يوسف بن سيف الدولة .

١٨٨٤ ـ مهنا بن عيسى بن مهنا**

أمير آل فضل عرب الشام . من بيتٍ أولهم[2] من رجل [من][3] طيّ بن

(١) في الأصل : « الظرفي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

* الدرر : ٣٧١/٤ .

** البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، ومختصر أبي الفداء : ١١٦/٤ ، والدرر : ٣٦٨/٤ ، والشذرات : ١١٢/٦ ، وذيول العبر : ١٨٧ .

(٢) في (ق) ، (س) : « أوله » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

سلسلة بن عُنَين بن سلامان ، نشأ هذا الرّجل في أيّام أتابك زنكي وأيّام ولده[١] نور الدين الشّهيد ، وفَد عليه فأكرمَه وشَادَ بذكره ، وإلى هذا عنين يُنْسَبُ كلّ عرب عنين مَن كان من ولده أو من حُلَفائه[٢] أو مَن استخدمه الأمراء الذين من ولده ، وهم يزعمون أنّهم من ولد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك[٣] من العبّاسة بنت المهدي أخت الرّشيد هارون .

كان هذا الأمير حسام الدين مهنّا طويل النجاد ، كثير الرماد[٤] ، غزيرَ العتاد ، ينخرط في سلوكِ الملوك ، وتقصّر الشّمس عن بلوغ مجدِه إذا كانت في الدّلوكِ ، يتطفّل الملوك على وفادتِه ، ويرونَ سعادتهم دون سعادتِه ، يُبالغون في إنعاماته ، ويزيدون فيما يُجْرُونَه في إقطاعاته .

لم يزل معظَّماً عند ملوك المغل والإسلام ، مفخما إذا نشرت في الحروب مطويّات الأعلام ، أجَارَ قراسُنقر والأفرم والزّردكاش ، وردّهم بعدَ موتهم إلى الانتعاش .

ولم تُخْفِرْ له ذمّة ، ولم يُبَال بالسلطان أَمَدَحَهُ[٥] أم ذمّه ، وتشرَّدَ بسببهم عن وطنه ، وبَعُدَ لذلك عن عطنه ، وتمادت الأيّام واللّيالي على ما فَعَل ، واشتغل السلطان بأمره واشتعل ، وأتعب العساكرَ في تطلّبه ، وكَلَّ البريد من تقاضي وعوده وتقلُّبه ، وحفيت الأقلام بما تخطّ الرسائل ، وتنّمق الاستعطاف والوسائل ، ونفذت بيوت الأموال في تَرضِّيه ، وتقضّت الأعمارُ في تقاضيه :

إلى كم ترد الرسل عمّا أتوا لَهُ كأنّهم في ما وهبتَ مُلاَمُ

(١) في الأصل : « والده » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « خلفائه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « ابن يحيى بن جعفر برمك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « النجاد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٥) (س) : « إن مدحه » .

فإنْ كنتَ لا تعطي الذّمام طواعة فعَوْذُ الأعادي بالكريم ذمامُ[١]
وإنّ نفوساً أمَّمَتْك، منيعةٌ وإنّ دماءً أَمَّلَتْكَ حَرَامُ
إذا خافَ ملك من مليكٍ أجَرْتَه وسيفَك خافوا، والجوار يُسامُ

إلاّ أنّه فَازَ في الوفاء بالثّناء[٢] السّموألي ، وفَاحَ بعدَ وفاتِه الذّكرُ المندليّ ، ولم يَزلْ يدافعُ بوُعودِه ، ويُمَنِّي السلطانَ بوصاله بعد صدودِه مدّةً تزيدُ على الاثنتين وعشرين سنة ، والسّلطانُ يرى كلَّ سيّئةٍ يأتي بها حَسَنَة ، إلى أنْ دَاسَ بساطَه ، وأَوْفَدَ عليه اغتباطه ، فَسُرَّ بمَقْدَمِهْ ، ولم ينل قطرة من دمه ، وأفاض عليه أنعُماً[٣] أخجل البحارِ مَدَدُها ، وأملَّ الأنفاسَ[٤] والأنفالَ عَدَدُها ، وعَادَ إلى بيوتِه سالمًا ، وظنَّ النّاسُ به أنّه كان في هذه الحركة حالِمًا .

ولم يَزَلْ بعد ذلك على حالِه إلى أنْ ركبَ مطيّة الشرجع[٥] ، وعَزَّ على ذَويه المآبُ والْمَرجِع .

وتوفّي رحمه الله تعالى في ثامن عشر ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة بالقربِ من سَلَميّة ، ودُفِنَ بتربةٍ له في قرية بينها وبين سلميّة مسافة بريد ، وحزن العربُ عليه ، وأقاموا له مأتماً عظيماً ، واجتمع الرّجالُ لذلك والنساء من البلاد والقرى ، ولبسُوا السّوادَ ، وعَاشَ نيفاً وثمانين سنة .

وقُلْتُ أنا لمّا توفّي رحمه الله تعالى :

أمسى مهنا بالمات منغّصا فمصابُه عَمَّ الأنامَ وخصَّصَا
كم شقّ منه على الصّوارم والقنا إدراكُ مطلوبٍ وقد شقّ العَصَا

(١) (س) : « الأيادي » .
(٢) (س) : « بالهناء » .
(٣) (س) ، (ق) : « نعما » .
(٤) (س) : « الأنقاس » .
(٥) الشرجع : النعش .

وأقـــامَ في نجـــدٍ بحصنٍ مـــانـع لا تستطيـعُ لـه الجيـوشُ تَخَلُّصَـا
حتّى إذا وافَتْ منيّتُـــه، وقـــد أمسى بـــه ظـلُّ الحيـاة مقلّصَـا
جَرَّتْ عليـه الرّيـحُ ذَيْـلَ هَـوَانِـه لَمْ يَـدْرِ ضربَ الرّمل أو طَرْقَ الحصى

وهـؤلاء آل فضـل هم جمهرة العرب ، وجمرة الْحَرب والْحَرَب ، وسُحُبُ السَّماح إذا جرَّ الكرم ذيلَه وانسحب .

ومهنّا جـدّه : هو الأمير مـانع بن حُـدَيْثـة بن فضل بن ربيعـة الطّـائي الشّـامي التدمري[١] ، كان أميرَ عَرب الشّام في دولة طغتكين صـاحب دمشق ، ولم يصرَّح لأحـد من هذا البيت بإمرة على العرب بتقليدٍ من السّلطان إلاّ من أيّام العادل الكبير أبي بكر أخي السّلطان صلاح الدّين ، أمَّرَ منهم حُدَيْثَـة ، ثمّ إنّ ابنـه الكامل قسَم الإمرة نصفين لمانع بن حُـدَيْثَـة ولغنّـام أبي طـاهر بن غنّـام[٢] ، ثمّ إنّ الإمرة انتقلت إلى أبي بكر بن علي بن حُدَيْثَة ، وعَلاَ فيها قَدْره ، وبَعُدَ صِيتُه .

ولّما كان من البحريّةِ ما كانَ ، سـاقَتْ تصـاريفُ الـدّهرِ الملـك الظّـاهر بيبرس إلى بيوتهم وهو طريدٌ شريدٌ ، ولم يكنْ معه سوى فرس واحـد يعوِّل عليـه ، فسـأل عليّ بن حُديثة فَرَساً يركبه فلم يُعْطِه شيئـاً ، وكانَ ذلـك بمحضرٍ من عيسى بن مهنّـا ، فـأخـذَه عيسى إليه ، وضَمَّهُ وآواهُ وأكرَمَه وقراه ، وخَيَّره في رباط[٣] خيله ، فاختارَ منها فَرَساً ، فأعطـاه ذلـك وزوَّدَهُ ، وبـالغَ في الإحسـانِ إليـه ، فعرفَهـا الظّـاهرُ لـه ، ولّمـا تَسَلْطَنَ الظّاهرُ ، انتزعَ الإمرةَ من أبي بكر بن علي ، وجعلها لعيسى بن مهنّا ، وأتـاه أحمـد بن طاهر بن غنّام وسأله أنْ يُشْرِكَه معه في الإمرةِ ، فَـأَرْضَـاه بـأنْ يُعْطِيَـهُ إمْرَةً ببوق[٤] ،

(١) في الأصل : « المنذري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « غلام » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) (س) ، (ق) : « ربائط » .
(٤) لم تعجم في الأصل . وفي (ق) : « بنوق » ، وأثبتنـا مـا في (س) . و (بوق) : مـوضع قرب رحبـة مالك بن طوق . انظر : معجم البلدان .

وبقي أبو بكر بن عليّ شريداً طريداً ، تارةً بنجد ، وتارةً بأطرافِ الشام إلى أنْ ماتَ . وأمّنه الملك الظاهر غيرَ مرّةٍ وحلفَ له فَمَا وثق به واطمأنّ إليه .

وعلتْ درجةُ عيسى بن مهنّا عند الظّاهر ولم يزل مُعَظَّماً إلى أنْ ماتَ .

ثمّ إنّ الإمرةَ صارتْ لوَلَدِهِ الأمير حسام الدين مهنا هذا في أيّام الملك المنصور قلاوون ، وعَلَتْ مكانتُه أكثرَ مِنْ مكانةِ أبيه .

قال شيخُنا شهاب الدين محمود : حضرت طرنطاي المنصوري ، وهو مخيّم بالخربة ، وقد حضره أحمد بن حجّي أمير آل مَرِي[1] يدّعي بألف بعير أخذتْها آل فضل لعربهِ ، ومهنّا حاضر ، وكلّ منهما جالسٌ إلى جانبٍ من طرنطاي فألحَّ أحمدبن حجي في المطالبة واحتدّ[2] وارتفع صوته ، ومهنا ساكت لا يتكلم ، فلما طال تمادي أحمد في الضّجيج وتمادى مهنّا في السّكوتِ ، أقبل طرنطاي على مهنا وقال : ما تقول يا ملك العرب ، فقال : وما أقول؟ نُعطيهم ما طلبوا ، هم أولاد عمّنا ، وإنْ كانت لهم عندنا هذه البُعيْرات ، أعطيناهم حقَّهم ، وإنْ كان مَالَهم شيء ، فما هو كثيرٌ إذا أعطينا بني عَمِّنا من مالنا . فقال أحمد : ألا قل ، تَكَلَّمْ ، وزَادَ في هذا ومثله ، ومهنا ساكت ، فلما زادَ ، رفع مهنا رأسه إليه وقال : يا أحمد : إنْ كانَ كلامك عليك[3] هيّناً فكلامي أنا عليّ ما هو هيِّن ، وهذه الأباعر أقلّ من أن يحصل فيها كلام ، وأنا أعطيكَ إياها . ثمّ قام فقال طرنطاي ، هكذا والله يكون الأميرُ .

ولم يزل مهنا على إمرته إلى أنْ جاءت الدّولة الأشرفيّة . ولّما خرجَ الأشرف لِفَتحِ قلعة الرّوم مرّت العساكر بسرمين[4] إقطاعِ مهنا ، فأكلت زروعها وآذَتْ أهلَها ، فشكوا

(١) توفي سنة (٦٨٢ هـ) . الشذرات : ٣٧٦/٥ .

(٢) في الأصل : « وأحد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « علينا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر .

(٤) بلدة من أعمال حلب .

إلى مهنّا أذِيَّةَ العساكر ، فَشكَا إلى الأشرفِ ، فعَزَّ على الأشرفِ[١] ، واستنقص همّتَه وقال : كم جهد ما أُوذُوا حتّى تواجهَني بالشكوى ، وما كان يغتفر هذا الفعل لهذا الجيش العظيم الخارج لأجل إذلالِ العدوّ وقَصِّ جناح الكفر . وأسْمَعَهُ من هذا ومثله ، ثمّ لمّا كان الفتحُ ركبَ الأشرف في الفرات في خواصّه ، ومعه جلساؤُه مِنْ بَني مهدي وكانوا يُضْحِكُونَه ، فجاءَ مهنا بن عيسى فأمرَ بمَدِّ الإسْقالة له ليدخُل ، فلمّا دَخَل عليها غمز عليه فحرّكت الإسقالة فوَقع في الماء وتَلوّثَ بالطّين ، فهزأت به بنو مهدي ، وضحك الأشرف ومَن حولَه ، وطوى مهنا جوانحَه على ألَمها ، ثمّ إنّه استأذن في الانصراف إلى بيوته ، فَأَذِنَ له وقال : إلى لعنة الله ؛ فأَسرّهَا مهنا في نفسه ولم يُبْدِها ، وركب مِن وَقْتِه وتوجّه إلى أهلِه وأقامَ عندَهم على حَذَر ، ثمّ لمّا عاد الأشرف ونزلَ بحماة ، بعث إليه مهنا بخَيْلٍ وجِمَالٍ ، فقبلها وخَلَعَ على رسولِه وبعثَ إليه خلعةً سَنِيَّةً ليُطَمْئِنَه بذلك ثمّ يكبسه ، فلمّا جاءت إليه ، لَبِسَها إظْهَاراً للطّاعةِ ، وارتحلَ لوقتِه ضارباً وجه البريّة ، فلم يَتمّ للأشرف ما أرادَه منه . وعاد إلى مصر وفي نفسه مِنْ إمْسَاكِ مهنا وإخوته وبنيه . وظَنَّ مهنا أنْ لا حِقْدَ عنده ، فلم يلبث الأشرف أنْ خرجَ إلى الكرك وخرجَ منها على أنّه يتصيَّدُ كباش الجبل ، فعمل له مهنا ضيافةً عظيمةً ، فحضرها[٢] الأشرفُ وأكَلَ منها ، ولمّا فَرَغَ من ذلك أمسك مهنا ومعه جماعة ، وجهّزهم إلى مصر وحبَسَهم في برجِ القلعة[٣] ، وضيّق عليهم إلا في الرّاتب لهم .

وكان مهنا في الْحَبْسِ لا يأكلُ إلاّ بعد مدّة ، وإذا أكل أكلَ ما يُقيم رمَقَه ، ويصلّي الصّبحَ ، ويُدير وجهَه إلى الحائط ويصمت ولا يكلّم أحداً حتّى تطلعَ الشّمس ، ثمّ يقوم بعجلةٍ وسرعةٍ ويأخذُ كفّاً من حصى وتراب كان هناك ، ثمّ يُزَمْجِرُ ويرمي به إلى الحائط كالأسد الصّائل . فلمّا خرجَ الأشرفُ إلى الصّيْدِ ، تركَ ذلك الفعلَ ، فَقِيل له في ذلك ، فقالَ : قُضِيَ الأمرُ ، ولم يُرَ مُنبسِطاً إلاّ في ذلك الحين .

(١) (س) ، (ق) : « فعزّ عليه » .

(٢) في الأصل : « فحضر لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في (س) ، (ق) : « في القلعة » .

قال القاضي شهاب الدّين أحمد بن فضل الله : حدّثني الأميرُ مظفّر الدين موسى بن مهنا قال : لمّا كنّا في الاعتقال كان عمّي محمد بن عيسى مغرى بدخول المرتفق والتّطويل فيه ، وكان المرتفق مقارباً لدور حريم السّلطان أو لبعض الأمراء ، فقلتُ له في ذلك فقال : يا ولد مهنا ، لَعَلّي أسْمَعُ خبراً من النّسوان ، فإنهنّ يتحدّثن بما لا يتحدّث به الرّجالُ . فبينما نحن ذات يوم ، وإذا بمحمّد قد خرج وقال بشراكم ، قد سمعت صائحة النساء تقولُ : واسُلطاناه ، فقلنا له : دَعْنا ممّا تقولُ ، فقال : هو ما أقول لكم . وكان لنا صاحبٌ من العربِ تنكّر وأقامَ بمصر ، وكان يَقِفُ قبالةَ مرمى البُرجِ الذي نحن فيه ويُومئ إلينا ونُومئ إليه ، غير أنّه لا يسمعنا ولا نسمعه ، فلمّا كُنّا في تلك الساعة ومحمّد يحدّثنا ، وإذا صاحبنا[1] قد جاءَ وأوْمَأ ثمّ مَدَّ يَدَه إلى التُّراب وصَنَعَ فيه هيئةَ قبرٍ ونَصَبَ عليه عودا ، عليه خرقة صفراء كأنّها صنجق سلطانيّ ثمّ نكسَها وقَعَدَ كأنّه يبكي ، ثمّ وَقَفَ قائماً ورَقَصَ ، فتأكّدَ الخبرُ عندنا بموتِ الأشرفِ . فلمّا فُتِحَ علينا من الغَد سألْنَا الفَتّاحَ والسجّانين فأنكروا[2] ، ثم اعترفَ لنا بعضُهم ، فكان ذلك أعظم سرور دَخَلَ على قلبنا .

ولمّا خرجوا من السّجنِ شكوا احتياجهم إلى النساء ، فأطلق لهم جماعة من الجواري الأشرفيّات ، ولم يكن مرادهم بذلك إلاّ التشفّي ، وأُعِيدَ الجماعة إلى أهلهم إلاّ مهنا ، فإنّه أُخِّرَ مدّةً ثمّ جُهِّزَ ، ولمّا خرجَ من دمشق لحقَه البريدُ من دمشق إلى ثنيّةِ العقاب بأنْ يعودَ ، فامتنعَ وتوجّه إلى أهلِه ، وكانوا قد ندموا على إطلاقِه ، ثمّ إنّه قدم مصر بعدَ ذلك مرّاتٍ وهو كالطائر الحَذِر الذي نُصِبتْ له الأشراك في كلِّ مكان ، وآخر مرّة قَدِمَها في أوائِل الدّولة النّاصريّة الأخيرة سنة عشر وسبع مئة ، وكان بلرلغي الكبير مملوك مهنا وهو الذي قدمَه ، فلمّا وجده قد أمسك تحدّث فيه مع السلطان ، وقالَ هذا مملوكي وقدمته ليعطى إقطاعاً في الحلقة فأعطى فوق حقّه حتّى جعلتموه مَلِكاً من الملوك ، وأنا أريدُ أنْ تأخذ كلّ ماله ومماليكه وتعطيني إيّاه [برقبته][3] ليكونَ عندي [إلى أن

(١) (س) ، (ق) : « بصاحبنا » .
(٢) (س) ، (ق) : « فأنكرونا » .
(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

يموت][٢] ، فوُعِدَ بذلك . ثمّ إنّ بلرلغي مَاتَ في ذلك الوقتِ ، فقيل له : قد ماتَ ، فعَزَّ ذلك عليه من عدمِ قبولِ شفاعتِه مَع ما كانَ يَمّت به من سوابق الخدم للسّلطان لّما كانَ في الكركِ .

وخرج مهنا وقد طارَ خوفاً ورعباً ، ولّما اجتمعَ بقراسُنقر ، وكانت بينهما صداقة مؤكّدة قديمة ، وكلّ منهما مستوحِش ، فجدّدا الأيْمانَ والعهودَ على المضافرة ، وأنْ لا يسلّمَ واحدٌ منهما صاحبَه . ولّما توجّه قراسُنقر إلى حلب زارَه مهنا وخلاَ به ، فأَرَاهُ قراسُنقر كتاباً من السّلطانِ إليه فيه إعمال الحيلةِ على إمساكِ مهنا ، فقال له مهنا : فما أنتَ صانع ، قال : أنا أُطيعُه فيك وأُجَاهِرُه ، وهو يجعلني وَكْدَهُ ودَأْبَه ، فَمَنْ يَحْميني منه إنْ قَصَدَنِي ، قال له [مهنا][٣] تجيء إلينا . فتحالَفا على ذلك . ثمّ إنّ مهنا وَفَّى لقراسُنقر لّما توجّه إليه ـ على مَامَرَّ في ترجمةِ قراسُنقر وأجارَه ـ.

وأمّا زوجة مهنا عائشة بنت عسّاف ، فإنّها بالغَتْ في خدمةِ قراسُنقر ، وكانت تقول لمهنا : يامهنا ، ذِكر الدّهر ، لاتدعه . وكذلك محمّد بن عيسى بن علي الأفضل بن عيسى بن مهنا أخو مهنا ، فما كان رأيه إلاّ التّقرب بإمساك قراسنقر والجماعة إلى السلطان ، فكانت عائشة تقول : تعساً لأمٍّ ولدت الفضل بن مهنا . وكتَبَ مهنا إلى السلطان يستعطفُه ويقول : هؤلاء مماليكك ومماليك أبيك وكبار بيتكم ، وقد هربوا مِنَ الموتِ ، وسألوا أنْ تكفَّ عنهم وتَهبَهم « البيرة » لقراسُنقر ، الرحبة للأفرم ، وبهسنا[٤] للزّردكاش ، وإذا حصل مهمٌّ جامِعٌ للإسلامِ حَضَرُوا [إليه][٥] وجاهَدوا بين يديكَ ، على مامرَّ في ترجمةِ قراسُنقر .

وَمَا[٥] اطمأنّوا ، وجهّزَهم مهنا إلى خربندا وقال له : متى حميت هؤلاء كنتُ أنا في

(١) في الأصل : « عبدي » ، وما بين حاصرتين زيادة من (س) ، (ق) .
(٢) زيادة من (س) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « بهنسا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٤) زيادة من (س) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « فلما » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

طاعتك وخفرت الرّكب العراقي ، وسيَّرَهُم مع ابنِه سُليمان ، وجَهَّزَ معهم لخربندا ومَن حوله خيولاً مُسَوَّمَةً من جهتِه ، فقُوبِلُوا بالإكرامِ والرّعايةِ ، وخلع على سليمان ، وأطلق له أموالاً جمّةً ، وجُهِّزَت لمهنا خلع وإنعامات وبرالغ[1] بالبصرةِ له ولأهلِه ، ومعها الحِلة والكوفة وسائر البلاد الفراتيّة ، واشتدت الوحشة بينَه وبين السّلطانِ الملك الناصر محمد ، فأعطى الإمرةَ لأخيه فضل ، وتَظَاهَرَ مهنا بالمنافَرةِ والْمُبَايَنةِ والوحشة ، وحضر إلى خربندا ، فأَكْرَمَهُ غايَةَ الإكرامِ وأَجلَّه نهايةَ الإجلالِ ، وقرّر أمرَ الركب العراقي ، وأعطى عصاهُ خفارة لهم وتأميناً ، وضَاعَ الزّمانُ وامتدّت الأيّامُ واللّيالي في الْمُراوغة من مهنا ، وهو يعد السلطان [أنّه يحضر إليه][2] ويُمنّيه ويُسَوِّفُ به مِنْ وقتٍ إلى وقتٍ ، والبريد يَرُوحُ ويجيءُ ، والرُّسُل[3] تتردَّدُ مثل الأمير بهاء الدين أرسلان الدّواردار والأمير علاء الدين الطّنبغا نائب حلب والشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وما ألوى ولا عاج ، ثمّ كان أولاده وإخوته يتناوبُون الحضورَ إلى السلطانِ وهو يُنْعِمُ عليهم بمئين ألوف وبالإقطاعات العظيمة والأملاك ، وهم يُمَنّونَه حضورَه ويعدونه بقدومِه ، ومهنا لا يزداد إلاّ حذراً . والسّلطان لا يزداد إلاّ طمعاً في حضوره ، ومع ذلك في هذه المدّة جميعها ما تنقطِعُ المراسلاتُ بينها والمكاتَباتُ والشّفاعاتُ ، وإذا ظهرت للمسلمين مصلحةٌ نَبَّهَ مهنا عليها وأشارَ إليها ، وكان السلطان يَقْبَلُ نُصْحَه .

ثم لّما كانَ سنَة أربع وثلاثين وسبع مئة ، تَوجَّهَ مهنا بنفسِه من ذاتِه إلى السلطانِ ، ووصَلَ إلى دمشق يوم الجمعة رابع ذي الحجّة من السّنَة ، ودَخَل الدّيارَ المصريّة ، فأكرمَهُ السلطان غايةَ الإكرام وأَنْعَمَ عليه بإنعاماتٍ كثيرة إلى الغاية . وعادَ مهناً راجعاً إلى بلاده ، وكان دخولُه قلعةَ الجبل نهار[4] الأحد عشري الحجّة ، وعادَ إلى دمشق فَدخلَها

---

(١) أي : مراسيم .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « في الرسل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) (ق) ، (س) : « يوم » .

سادس المحرّم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . ولَمْ يَزَلْ بعد ذلك إلى أن توفّي في التّاريخ المذكور .

وله مِنَ الأولادِ جماعةٌ ، وهم : موسى وسليمان[١] وأحمد وفيّاض وحَمام وهيازع وحيار[٢] وجُوَيف وقَارَا وشُعْبَه[٣] وتوبَلة وعنقا .

ومِنْ سيادةِ مهنا ما حَكَاهُ لي زغبان بن عبد المؤمن الشقاري التّدمري حاجب الأمير معيقل بن فضل يومئذ ، قال : كَانَ قد دفن الأميرُ فضل دَفِيناً في الأرض من الذَّهَب مَبْلَغُه اثنا عشر ألف دينار ، ثمّ إنّه طلبه في وقتٍ ولم يَجدْهُ في المكان الذي دَفَنَهُ ، وإنّه اتّهم به محمّد بن نجام حاجبَه ، ولم يذكر له ذلك ، وإنّ ابن نجام بلغَه ذلك ، فخافَ ابن نجام مَنِ الأميرِ فضل ، وتوجَّهَ إلى مهنا ، وشكَا حَالَه إليه فأعطاه مهنا اثني عشر ألف دينار ، فأخذَها ابن نجام وأحْضَرَها إلى فضل ، فأبَى أنْ يأخُذَها ، وقال : ما مهنا أكرم منّي ، أنا ما طالبتُكَ بها ولا آخُذُها ، فردَّها ابن نجام على مهنّا ، فقالَ : أنا خَرَجْتُ عنها وهي لك ، ولم يَأْخُذْها .

☆ **ابنُ المهندس** : محمد بن محمّد بن إبراهيم .

☆ **ابن الموازيني** : المسند شمس الدين محمد بن علي .

١٨٨٥ ـ موسى بن إبراهيم*

ابن يحيى ، الإمام المحدّث المفتي نجم الدين الشّقراوي ثمّ الصّالحي الحنبليّ الشروطيّ ، شيخ العالميّة[٤] .

(١) (ق) : « سلمان » .

(٢) في الدرر : « جبار » ، تصحيف .

(٣) (س) : « شعيب » ، وفي (ق) : « شعيبة » .

* الدرر : ٣٧١/٤ ، والشذرات : ٧/٦ .

(٤) في الدارس : « العالِمة » تقع غربي سفح قاسيون تحت جامع الأفرم ، واقفتها الشيخة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي (ت ٦٥٣ هـ) . الدارس : ٨٧/٢ .

روى عن الحافظ الضّياء ، وإسماعيل بن ظفر[١] ، وقَرَأَ الكثيرَ ونَسَخَ وجَمَعَ . وكان حُلْوَ المحاضرة .

توفّي رحمه الله تعالى في مستهلّ جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة .

وكانَ قد قرأ الكُتُبَ الكِبارَ ، وسَمِعَ النّاس بِقَراءَتِه كثيراً ، وحَدَّثَ ، وكَتَبَ كثيراً ، واشتغَل كثيراً . وكان مفتياً[٢] ، وله نظمٌ ، وكان يَنْقُلُ كثيراً من اللّغةِ وعندَه جملة من التاريخ ، وكان يُفْتِي في مذهبِه .

١٨٨٦ ـ موسى بن أحمد*

ابن الحسين بن بدران بن أحمد ، القاضي الرئيس الكبير ، قطب الدين بن ضياء الدين ، أبو البقاء ، ابن شيخ السّلاميّة ، ناظر الجيوش الإسلاميّة بالشام ومصر ، الخاقاني ، نسبةً إلى الفتحِ بن خاقان وزير المتوكّل .

كان وقوراً مهيباً ، فاضلاً لبيباً ، يحبّ الفضلاء ، ويَرُبُّ النّبلاء[٣] ، ويُحْسِنُ إلى الفقراء ، ويُوَاسِي هَمَّ كبارِ الأمراء .

رأى من العزّ والوجَاهَة ، وعُلُوِ المرتبةِ والنّباهة ما لا رآه غَيْرُهُ ، ولا قُدَّ لِمِثْلِه سَيْرُه .

بَاشَرَ نَظَرَ الجيوش بمصر والشّامْ ، وتَأَلَّقَ بَرْقُ سُعُودِهِ حتّى انْتَجَعَه كُلُّ أَحَدٍ وشَامْ ، فَلاَحَ بَدْرُ سِيَادِه ، وفَاحَ زَهْرُ سَعَادِهْ ، حتّى كأنَّ أبا تمّامْ ، عَنَاهُ بقولِه دُونَ الأَنَامْ[٤] :

---

(١) في الشذرات : « مظفر » ، تحريف .

(٢) (ق) : « مفننا » ، وما أثبتناه يوافق ما نقله صاحب الشذرات عن الذهبي .

* مختصر أبي الفداء : ١٠٧/٤ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ ، والدرر : ٣٧٢/٤ ، والشذرات : ١٠٣/٦ ، والدارس : ٥٨/٢ ، وذيول العبر : ١٧٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٨/٩ .

(٣) يربهم أي : يلازمهم .

(٤) انظر : ديوان أبي تمام : ١٩٤/١ ، من قصيدة في مدح خالد بن يزيد الشيباني .

جُعِلتَ نظـام المكرمـات فلم تَـدُرْ رحَى سُـؤْدَدٍ إلاّ وأنتَ لهـا قطبُ
بجُـودِك تَبْيَضّ الخطـوب إذا دَجَتْ وترجع عن ألـوانِها الْحُجَجُ الشّهبُ

لم يَزَلْ في تَقَدُّمٍ وتكريمْ ، وتَرَقٍّ إلى غاياتِ مَجْدٍ يحتقر معها كلّ غـايـةِ تعظيم ، إلى أن أمسَى من ترابٍ فراشه ، وبطل حتّى المعاد معاشُه .

وتوفّي رحمـه الله تعـالى يوم الثلاثـاء ثـاني ذي الحجّـة سنـة اثنتين وثـلاثين وسبـع مئة .

ومولدُه سنة إحدى وستين وست مئة .

كان أوّلاً صاحبَ ديوان الجيش والقاضي بدر الـدين بن العطـار[1] نـاظِراً في زمنِ الأفرمِ ، ولّما جاء السّلطان الملك النّاصر محمّد إلى دمشق من الكرك ، وتوجّـه بـالعسـاكر إلى مصر ، توجّه معه القـاضي قطبُ الـدين ، وعـادَ إلى الشـامِ وهو نـاظرُ الجيش ، ولَمْ يَزَلْ كذلك إلى أنْ غضبَ السّلطـان على القـاضي فخر الـدّين نـاظر الجيش فجهز طلب القاضي قطب الدين ، فتَوجّهَ إليها هو والأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، وذلك في أوائلِ سنة اثنتي عشرة وسبع مئـة في شهر ربيع الأوّل ، ووَلاّهُ نَظَرَ الجيشِ بـالـدّيـار المصرية .

ولم يَزَلْ هنـاك إلى أنْ عُمل روك[2] الشـام ، فحضر إلى دمشـق بـأوراق الرّوك في شهر ذي الحجّة سنّة ثلاث عشرة وسبع مئـة . واستمرّ نـاظر الجيش بـالشـام إلى أنْ حَضَرَ القاضي معين الدين بن حشيش على وظيفة النّظر ، وعزل القاضي قطب الدين تقـدير أربعة أشهر . ثم إنّه وردَ مرسومُ السلطانِ بأنْ يكونَ القاضي مُعين الدين شريكاً للقاضي قطب الـدين في النَّظَرِ ، وأنْ يكـونَ لكُـلٍ منهما معلـومٌ مستقِـلٌ نظير الأصـلِ . وكان القاضي قطب الدين يُعلّم أوّلاً .

(١) محمد بن أحمد ، سلفت ترجمته .
(٢) الروك : مسح الأرض لتقدير الخراج المترتب عليها ، وقد سلفت .

ولم يَزَالاَ كذلك إلى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فطلبَ القاضي معين الدين إلى الديار المصرية لينوبَ عن القاضي فخر الدين في نَظَر الجيش عند تَوَجُّهِه إلى الحجازِ ، وانفردَ القاضي قطب الدين أخيراً بالنّظر ، إلى أن توفّي رحمه الله تعالى في التاريخ . ورأى من السَّعادة والعزّ والوجاهة والتَمكُّنِ والتقدُّم في أيّامٍ تنكز ما لا رآه غيرُه ، ولّما تنكَّر الأميرُ تنكز على المتعمِّمين وعلى صهرِه الصَّاحب شمس الدين غبريال توفّي رحمه الله تعالى ، ولم ير منه ما يكرهُه .

وكان الأدباء والفضلاء والشّعراء يتردّدون إلى مَحِلِّه ويقضِي حوائجهم ، وله نَظْمٌ ونَثْرٌ .

[أنشدني][1] من لفظه وَلَدُه الشّيخ عز الدين حمزة[2] ، قال : أنْشَدني والدي لنفسِه مواليا :

الحبّ في الله يا محبوب لي مفسوحْ ... فَدَاوِ بالوَصْلِ مَنْ أضحى به مجروحْ[3]
وارحمْ مُحِبّاً على فرشِ الضَّنَا مطروحْ ... دمع مسفوحٌ ، وجفنٌ بالبُكَا مَقْرُوحْ[4]

وبه قال أنشدني له :

باللهِ دَعْ عنك هجراني ودَعْ ذَا الصدْ ... فقد تطاوَلَ بي الهجران فوق الحَدْ
كم ذا تجورُ عليَّ يا رشيقَ القدْ ... مُسْلِم أنا ، ما أنا كافرٌ ولا مُرْتَدْ

وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، ومن خطِّه نقلتُ ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه القاضي قطب الدين :

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) .
(٢) توفي سنة (٦٧٩ هـ) . الدرر : ٧٧/٢ .
(٣) في الأصل : « لله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٤) (ق) ، (س) : « بالجفا » .

مـا اخترتُ مقـامي برُبـا لبنـانْ فرداً ومشرَّداً عن الأوطـــانْ
إلا لأراك أو أرى مَن نظرتْ عينـاه إلى جمـالـك الفتّـانْ

وكتب الشيخ علاء الدين علي بن غانم إلى القاضي قطب الدين ، رحمها الله تعالى ، وهو بالقاهرة سنة اثنتي عشرة وسبع مئة :

يـا غـائبـاً بينـه وبيني مِن شقّـة البعـد لي حجـابُ
هجرت حتى ولا سـلام ولا كـلامٌ ولا كتـابُ
فكم بعثنـا لـه كتـاباً مـا عـاد عنهـا ولا جـواب
عليـه قـد حَـقَّ كلُّ عتب ومـا عسى ينفـع العِتـاب
فقـد أحبـائي عن يقين بغير شـك هـو العـذاب

فكتب القاضي قطب الدين إليه الجواب :

أقسمت بـالله أن شـوقي بضيـق عن حصره كتـابُ
وأنني إذ نـأيت عنكم دمـوعُ عيني لهـا انسكاب
وأن كتُبي وإن تراخت فـإن ودّي لـه إيـاب
وإن يكن حُـقّ كل عتب يـا حبـذا ذلـك العتـاب[1]

١٨٨٧ ـ موسى بن أحمد بن محمد*

ابن إبراهيم ، الصّدر ، كمال الدين أبو الفتح ابن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمعت منه ببعلبك أحاديث من (جزء ابن

(١) هذا النص من (س) ، (ط) ، وهو ثابت أيضاً في الأصل و (ق) ؛ إلاّ أنه وقع بعد ترجمة موسى بن أحمد بن محمد الآتي ذكره بعد هذا .

* الدرر : ٣٧٢/٤ .

عرفة) عن النّجيبِ الحرّاني ، وله إجازةٌ من السّبط . وكان رجُلاً عاقلاً عارفاً بالأمورِ . درّسَ بالمدرسةِ النّجيبيّة في حياة والده ، وبعده مدّة ، ووَلِيَ نظرَ الدّواوين الحكميّة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت سابع عشري شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وسبع مئة ، ودفِنَ بسفحِ قاسيون عند قبر والده .

ومولده بالقاهرة سنة إحدى وخمسين وست مئة .

قُلْتُ : وهذا كمال الدين موسى كان السّبب في عَزْلِ والده ، وبذَنْبه عُزِلَ ، قيل : إنّه شكا يوماً عليه غريمٌ ودفَعَه إلى قاضي القضاة ابن الصّائغ على مبلغ ست مئة درهم ، فاسْتَحْيَا القاضي وَوَزنها[1] ، فتوجّه كمال الدين موسى إلى والده وقال : اليوم تفضّل قاضي القضاة ووَزَن عنّي ست مئة درهم ، فقالَ والدُه : والله لو وزَن ستّة آلاف دينار ما أَنْصَفَك ، يعني والده أنّك أنتَ السّبب[2] في عَزْلِ أبيك وولايته[3] . وفيه يقولُ مجد الدين بن الظّهير[4] :

وكيف يؤتَى[5] رشدَه حاكِمٌ حَكَّمَ في لحيته موسى[5] ؟

١٨٨٨ ـ موسى بن أحمد*

الشيخ مجد الدين الأقصرائي ، شيخ الشيوخ بسرياقوس .

(١) (ق) : « قاضي القضاة » . وفي (ق) و (س) : « ووزنها عنه » .

(٢) في (س) (ق) زيادة : « كنت السبب » .

(٣) وفي الدرر : « لم يكن حسن السيرة ، ويقال : إنه كان السبب في عزله أبيه لسوء سيرته وطواعية أبيه له » .

(٤) (ت ٦٧٧ هـ) . انظر ، فوات الوفيات : ٣٠١/٣ .

(٥) في الأصل : « يُعطَى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر .

* وفيات ابن رافع : ١٠٥/١ ، والدرر : ٣٧٣/٤ ، والنجوم : ٣٢٤/٩ . وتمام نسبه فيها : « موسى بن أحمد بن محمود بن محمد » .

كان شَيْخاً كريمَ النَّفْسِ إلى الغاية ، له بالمكارمِ أتمّ عناية ، يهبُ ما يملكُه ، ويأتي على ما في يَدِه ويتركه[١] ، ريّضَ الأخلاق حتّى كأنّها مرّ النّسيم ، أو كأس رحيق مختومٌ مزاجُها من تسنيم[٢] ، كثير الاحتمال ، غزير التضرّعِ والابتهال ، له أوراد يسردها من الذِّكْرِ عُقَيْبَ الصّلوات ، وأحوالٌ تتنزَّلُ عليه في أوقاتِ الخلوات ، قَلَّ أنْ ترى العيونُ له نظيرا ، أو تجد له شبهاً في الملوكِ وإنْ كانَ فقيرا :

يصبو إليه قلبُ مَنْ هو عندَ أَرْ ... بابِ القلوبِ معشّقٌ مقبولُ
يهواه لا يُصْغِي لقولِ مُفَنِّدٍ ... أبداً ولا يثنيه عنه عذولُ
كُلٌّ يَهِيمُ بحبِّه وكذاكَ مَنْ ... ملكَ الإرادةَ أَمْرُه المفعولُ

ولم يزلْ على حاله إلى أنْ عرقَ جبينه ، ونَبا حسُّه ورَبَا أنِينُه .

وتوفّي رحمه الله تعالى[٣] سنة أربعين وسبع مئة .

وكانَ له سَمَاع من عبد الله الصّنهاجي[٤] ، ومِنْ أبي الحسن عليّ بن جابر اليمنيّ[٥] .

وكان في الإسكندرية ، ثمّ وَلِيَ مشيخة خانقاه الأمير سيف الدين بكتمر السّاقي بالقرافة ، ثمّ إنّ السلطان نقلَه إلى الخانقاه التي لَهُ بسرياقوس .

وكان آيةً في الكرم ، وعليه روحٌ وأنسٌ زائِدٌ إذا دَارَ في السَّماعِ ، وله ذكر يورده

---

(١) في (ق) ، (س) : « ولا يتركه » .

(٢) اقتبس من قوله تعالى ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ ، وقوله : ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ . المطففين : ٢٥/٨٣ ، ٢٧ .

(٣) ثمة بياض في (ق) ، (س) ، وفي الدرر : أنّ وفاته سابع عشر شهر ربيع الأول . وفي النجوم : « في شهر ربيع الآخر » .

(٤) عبد الله بن علي بن عمر (ت ٧٢٤ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) في الأصل : « ابن خالد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ت ٧٢٥ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

هو وجماعة الصوفيّة عُقَيْب كلّ صلاةٍ بحيث إنّه يتّصل[١] الذكرُ عُقيب المغرب بأذان العشاء الآخرة . وقلتُ له في ذلك ، فقالَ : أنا اختصَرْتُ لأجْلِ هذا الجَمْع ، ولّما كنتُ بالإسكندرية كان الوِرْدُ أكْثَرَ من هذا .

وكان السلطان يُعَظِّمُهُ ويحمل إليه في كلّ شهرٍ مبلغ سبعة آلاف درهم ، للشّيخ منها ألفان ، والباقي للفقراء . وكان يفعَل ذلك معهم في كلّ شهر[٢] ، يطلع إلى الخانقاه ، ويُقيمُ عندهم اليوميْن والثلاثة ويعود بجلس[٣] بينَ الفقراء ويقضي أشغالَ النّاس ، وكان النّاس قد عرفوا ذلك منه ، وكانوا يُؤَخِّرون أشغالَهُم إلى أنْ يطلعَ إلى خانقاه سرياقوس ، وهذا الإنعامُ كان خارِجاً عن أوقافِ الخانقاه ، لكنّه قُطِع ذلك قبل موتهِ بسنواتٍ .

ولبستُ منه خرقة التصوّفِ في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وقال : لبستُ الخرقة الصوفيّة من يدِ الشيخ العارف الكامل كمال الدين العجمي ، وهو لبسَها من يدِ الشيخ أبي منصور العراقليّة [وهو لبسها من يد الشيخ بدر الدين العراقلية ، وهو لبسها من يد الشيخ أوحد الدين الكرماني][٤] وهو لبسَها مِنْ يَدِ الشيخ أبي الغنائم ركن الدين السّجاسي ، وهو لبسَها من يدِ الشيخ قطب الدين الأبهري ، وهو لبسها من يد الشيخ ضياء الدين أبي النجيب السّهروردي ، وهو لبسها من يد الشيخ أحمد الغزالي ، وهو لبسَها من يد الشيخ أبي الفرج الزّنجاني ، وهو لبسها من يَدِ الشيخ أحمد الأسود ، وهو لبسَها من يد الشيخ أبي العباس النّهاوندي ، وهو لبسَها من يد الشيخ أبي عبد الله بن خفيف ، وهو لبسَها من يَدِ الشيخ أبي العباس النّهاوندي ، وهو سمع تلقينَ الذِّكْرِ من أبي القاسم الْجُنَيْد البغدادي وصحبه ، وهو لبسَها من سَرِيّ السّقطي

(١) في الأصل : « يصل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « كل قمر شهر » .
(٣) في (س) ، (ق) : « ويجلس » .
(٤) زيادة من (س) ، (ق) .

وصحبه ، وهو من معروف الكرخي وصحبه ، وهو مِن داود الطّائي وصحبه ، وهو من حبيب العجمي وصحبه ، وهو من الحَسَنِ البصري وصحبه ، وهو من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وصحبه ، وهو من سَيِّدِ المرسَلين والآخرين محمد رسول الله ﷺ .

وطريق أخرى : لبسَها الشيخ أحمد الغزالي من يد الشيخ أبي بكر الزجّاج النّيسابوري ، وهو لبسَها من يَدِ الشيخ محمد النّساجِ ، وهو لبسَها من الشيخ أبي بكر الشّبلي ، وهو لبسَها من الْجُنَيْد البغدادي رضي الله عنهم .

١٨٨٩ ـ موسى بن أبي بكر*

الأمير بدر الدين ابن الأمير سيف الدين الأزكشي .

جَهَّزَهُ الأميرُ جمال الدين الأفرم [إلى][(١)] الرحبة نائباً ، فأقامَ بها إلى أنْ نَزَلَ عليها خربندا ومعه عساكر المغل وقراسُنقر والأفرم وسليمان بن مهنا ، ونَصبُوا عليها المجانيق فقاتَلَ وصَابَرَ ورَابَطَ[(٢)] وحَصَّنَ القلعةَ وثبتَ ، جَزَاهُ اللهُ خيراً عن الإسلامِ إلى أنْ رحلَ خربندا بمن مَعَهُ مِنَ الْمُغل ، وقد تَقَدَّمَ شيءٌ من طرقِ ذلك في ترجمةِ[(٣)] ذلك وفي ترجمةِ جوبان رحمَه اللهُ تعالى ، ثم إنه عُزِلَ وحضر إلى دمشق .

وبَقِيَ على إمْرَتِه إلى أنْ تُوُفِّيَ رحمَه الله تعالى في شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة بدارِه في القبيباتِ ، وحضر الأميرُ سيف سيف الدين تنكز جنازَتَه .

---

* الدرر : ٣٨٤/٤ .

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ق) : « مقاتل ورابط وصبر وصابر » ، وفيها إفادة من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ آل عمران ٢٠٠/٣ .

(٣) (س) ، (ق) : « شيء من طَرف ذلك في ترجمة جوبان » .

١٨٩٠ ـ موسى بن أبي بكر*

شرف الدين ، ملك التّكرور[١] .

وَصَلَ إلى الديار المصرية في أوّل شهر رجب سنة أربع وعشرين وسبع مئة بسببِ الحجّ ، وصحبَه[٢] جمعٌ كثيرٌ ، ونَزل بالقرافة الكبرى ، واستأذَنَ في الصّعودِ إلى القلعةِ لتقبيلِ يَدِ السلطان ، فأذن له ، فَطلع في طائفَةٍ يسيرةٍ ، ولمّا وصَل أُمِرَ بتقبيل الأرضِ فامتنع ، فأُلْزِمَ ، ففعل ذلك على كُرْهٍ ، ولم يُمَكَّنْ مِنَ الجلوسِ . فلمّا خرجَ ووصَلَ إلى بابِ القلعةِ قُدّم له حصانٌ أشهب بزنّاري أطلس أصفر ، وبعد ذلك خلع عليه السلطان خلعةً سنيّةً ، وأمرَ له بمركوبٍ ، وسَيَّرَ هو إلى السلطان أربعين ألف دينار ، وصَيَّرَ إلى نائب السّلطنةِ نحو عشرة آلاف دينار ، وهَيَّأَ له السلطانُ من الْهُجْنِ والنّياقِ وآلاتِ الحجِّ أشياء كثيرة ، وكذلك فَعَل بهِ نائب السلطنة .

وكانَ شاباً مليحَ الشَّكْلِ حَسَنَ الوَجْهِ ، له رغبةٌ في العلماء ، وهو فقيهٌ مالكيٌّ المذهبِ ، وقيلَ : إنّه كان معه تقدير عشرة آلاف تكروري وجاء معهم ذهب كثير حتّى نزل الذهب[٣] في تلك المدةِ درهمين ، وحَصَل للنّاس بهم نَفْعٌ كثيرٌ ، وذكروا أنّ تحت يده أربعة عشر ملكاً ، وسعة ملكه ثلاث سنين .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني رحمه الله تعالى رئاسة كبيرة[٤] ، ووصل إليه منه جملةٌ كثيرةٌ مِنَ الذّهَبِ ، وقالَ : كانت تحيّةُ مَنْ يدخُل إليه أنْ يضعَ

---

* الدرر : ٣٨٣/٤ . وانظر ذيول العبر : ١٣٣ ، ١٣٨ .

(١) هي بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنوج . (معجم البلدان) وهي اليوم بلاد مالي .

(٢) (ق) : « وصحبته » .

(٣) في (س) ، (ق) : « حتى إنه نزل الدينار » .

(٤) في الأصل : « كثيرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

عمامتَه ويكشفَ رأسه ، وهناك رمادٌ مفروشٌ فيأخذ من ذلك الرّمادِ ويرشّه على رأسه .

١٨٩١ ـ موسى بن رافع*

ابن مفرّج بن رافع بن عبد الواحد بن أحمد ، الشيخ الصالح الحمصي .

كان مِنْ أهل الخير والصّلاحِ ، ومن أهل القرآن والفَهمِ والمعرفة .

سمع من ابن هامل ، وحدّث عنه .

وتوفّي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستيّن بحمص .

١٨٩٢ ـ موسى بن عبد الرحمن بن سلامة**

القاضي الرّئيس بهاء الدين المدلجي المصري[١] أحد كتّاب الإنشاء بالدّيار المصريّة .

تولّى خطابة المدينة النبوية في ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة[٢] .

١٨٩٣ ـ موسى بن علي بن موسى***

ابن يوسف ابن الأمير محمد شرف الدين الزّرزاري .

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : هذا المذكور مولده بإربل في ثالث عشري جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وستّ مئة .

---

* الدرر : ٣٧٥/٤ .

** الدرر : ٣٧٥/٤ .

(١) في الأصل : « المضري » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر .

(٢) توفي في ثامن عشر شهر رجب سنة (٧٤٤ هـ) كما في الدرر .

*** الدرر : ٣٧٨/٤ ، وغاية النهاية : ٣٢١/٢ .

وذكر لي أنّ أباهُ قاضي القضاة بإربل ، وأنّ جدَّه أيضاً كان قاضياً .

وهو رجل ساكنُ النّفس حسنُ الصورةِ ، عنده فضائل من فقه وأدب وغير ذلك . وذكر لي أنّه سمع الحديث ، وأنّه قرأ على الكواشي (التفسير الصّغير) ، وسمع عليه كثيراً من (التّفسير الكبير) وأنّه سمع ببغداد من ابن الفويرة والقلانسي . وذكر لي أنّه نظمَ (الوجيز) وأنشدنا[1] منه أبياتاً .

وأنشدنا لنفسه من أبياتٍ :

تواضعَ تكن كالنّجم استبانَ لناظرٍ ... على صفحاتِ الماء وهو رفيعُ
ولم يَكُ كالدّخانِ يرفع نفسَه ... إلى طبقاتِ الجوّ، وهو وَضيعُ[2]

قال : وأنشدَنا لنفسِه ، وقد تردّدَ إلى بعض أهل الجاهِ بمصر مراراً :

لئن عاد موسى واقفاً بباب هامان ... على كبره حتّى انقضت منه عامان[3]
فقد قام في أبْواب فرعون قبله ... على كفره، في مصر موسى بن عمران

قلت : أظنّه المعروف بالقطبيّ[4] ، ويلقّبُ ضياء الدين ، كان يخطب بجامعِ الأمير كراي بالْحُسَينيّة ، ومتصدّراً لإقراء السبع بالجامع الظاهري بالحسينية أيضاً ، وكان من العلماء الصّلحاء . واتّفق الناسُ على الثّناء عليه .

وتوفّي رحمه الله تعالى وهو سَاجِدٌ في الصّلاة في حادي عشر شهر رجب سنة ثلاثين وسبع مئة ، وكانت جنازتُه حافلةً إلى الغاية ، ودُفِنَ بزاويةِ الشيخ ابن معضاد .

وحدَّث عن ابن عزّون ، والنّجيب عبد اللطيف ، ومَنْ في طبقتها . وأجاز لي في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

(١) في (س) ، (ق) : « وأنشدنا لنفسه » .
(٢) رُوي البيتان في الدرر بلفظ : « تواضَعْ كما النجم ... ولأنك ... » .
(٣) في الأصل : « بين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٤) لسكنه في المدرسة القطبية بالقاهرة ، كما في غاية النهاية .

١٨٩٤ ـ موسى بن علي بن قلاوون*

أمير موسى ابن الملك الصالح ابن السلطان الملك المنصور .

كان أحد الأمراء بمصر ، وكان شَكِلا مُحبَّباً حَسناً ، فبلغ السلطانَ محمداً[١] عمّه عنه أمرٌ ، فخافه[٢] وندب الأمير علاء الدين أيدغدي شقير والأمير سيف الدين بكتمر الحاجب للتوجّه إليه والقبض عليه ، فتغيّبَ ، وخرج السلطان وزادَ غضبُه وقالَ : هذا [هو][٣] في القاهرة وما لحق يخرج منها ، وأمر بإحراقها ، فوقف الأمير سيف الدين أرغون النّائب وبَاسَ الأرض وتضرَّعَ ، وسألَه إبطال ذلك وأنْ ينزلَ الجماعة ويتطلبوه . وتوجَه المذكورون وأمسكوا مملوكاً صغيراً من الكتابية وضربوه فأقَرّ أنّ الفقيه الذي لهم تَوَجَّهَ هو والأمير ، فأمسكوا الفقيه وعاقبوه ، فأخذهم ودلَّهم على المكان الذي هو فيه ، وأتى بهم إلى دار أستاذ دار الفارقاني ، فكبسوا دارَه وفتّشُوا جميعَ دارِه ولم يجدوا أحداً وحَلَفَ أنّه ما رآه ، فبقي هناك مكانٌ لا يُؤبَهُ ، له صورة خرستان[٤] ، فقالوا : افتحوا هذا ، فحَلَفَ باللهِ والطّلاقِ وبنعمةِ السلطانِ أنّ ما فيه ما يطلبونَه ، فقال بكتمر أنا ما أقدر أقول للسلطان إنّه بقي مكانٌ ما دخلنا إليه ، ففتحوه فإذا بأمير موسى هناك ، فشتم أمير موسى لبكتمر الحاجب ، وسبَّه ، وبالغ في ذلك وهو ساكتٌ ، وأرادوا إخراجَه فقال : ما أخرجُ من هنا حتّى تحلفوا لي بأنّ هذا صاحب هذه الدار لا يكلمه السلطان ولا يؤذيه ، فإنّني واللهِ ما أعرفُه ولا أكلت معه خبزاً ، وإنما الفقيه[٥] هو صاحبُه ، وأنا الذي طَرَحْتُ شرّي عليه ورَمَيْتُ أذَايَ عليه ، فحلفوا على ذلك باللهِ وبالطّلاقِ ، وأخذوه من هناك ، وطلعوا به إلى السلطانِ . فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام ، سَيَّرَ السلطان

* الدرر : ٣٧٧/٤ ، وترجمته أوفى مما ههنا .

(١) في الأصل و (ق) : « محمد » .

(٢) في الدرر أنه كان يسعى مع بعض الأمراء إلى الاستيلاء على السلطنة .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

(٤) ما يشبه الخزانة تكون في الحائط .

(٥) في (س) ، (ق) : « هذا الفقيه » .

إلى دار أمير موسى وقال : اِعْملوا عزاءَه ، فدار جواريه بينَ القصريْن وفي الشّارعِ مدّةً يَطُفْنَ بالدّرادك ، وأمّا أستاذ دار الفارقاني ، فإنّه سُمِّرَ وبقي من بكرة إلى العصر ، ووقفَ الأمراء وشفعُوا فيه ، فأفرج عنه وعاش بعد ذلك سنتيْن وكان ذلك في سنة[1] ...

١٨٩٥ ـ موسى بن علي*

الشيخ الإمام الكاتب المجوِّد الْمُتْقن شيخ دمشق نجم الدين المعروف بابن البُصَيْص ـ بباءٍ موَّحَّدة وصادَيْن مهمَلتين وبينهما ياء آخر الحروف ـ.

شيخ الكتَّاب في زمانه ، ونادِرَةُ عصره وأوانِه ، تفرَّد في الدنيا بكتابةِ المزدوج وأتقنه وكلّ مَن تقدّمه فيه سَمَج ، واخترعَ قلماً آخر سمّاه « المعجز » ، وأتى فيه بمحاسن إذا أطنبَ فيه الواصفُ ظنّ أنّه مُوجز ، وكان خطّه كأنّه حدائق ذات بهجة ، وسطورُه من حسنِها تُفْدَى بكلّ مُهْجَة ، لو عايَنَه الوليّ التّبريزي لم يكنْ له تبريز ، أو ابن العديم لاعترفَ له بالتّعجيز :

كأنّ المعاني في محاريبِ طرسه ... قناديل ليلٍ ، والسّطورَ سلاسلُ
كواكب عجم في أهِلَّةِ أحرف ... بدورُ المعالي بينهنّ كواملُ

كتب عليه جماعةٌ من الأعيان وسادوا ، وأبانوا بفضلهم مقاديرَ رتبهم فأبانوا من تقدّمهم وأبادوا .

ولم يزل على حاله إلى أن غار في الثّرى نجمه ، وهيل عليه ترابه ورجمه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده بحماة سنة إحدى وخمسين وست مئة .

(١) الذي في الدرر أنّ الأمير موسى أفرج عنه ، وأرسل إلى قوص ، وأنه أشيع موته سنة (٧١٨ هـ) .

* البداية : ٧٩/١٤ ، والدرر : ٣٧٦/٤ ، وذيول العبر : ٨٩ .

وكتب الأقلام السبعة وجوّدها ، وأقلامه الرطبة كلها لم يلحقه فيها أحد . وممّن كتب عليه : الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، والشيخ بدر الدين بن المحدّث ، والقاضي علاء الدين بن الآمدي ، وجماعة آخرون .

وكتب هو شيئاً كثيراً إلى الغاية من الدروج والقطع والطراز الذي في الطّارمة[1] ، والذي على باب دار السعادة ، والذي في الظاهرية الجوانيّة والذي على باب الأمير سيف الدين بهادر آص ، كلُّ ذلك بخطٍّ يده ، وقد تغيَّرَ طراز دار السعادة مرّات وأعاد عليه الدهّانون ، وأصوله باقيةٌ ومعالم حسنها بادية . وكان يكتب على الطّاسات وعلى ما يُنقش ، ويُطعّمُ كل سطرٍ بدرهم ويكتب في اليوم جملة من ذلك مستكثرة .

وكان يعمل بالفأس في بستانه ويعمّر باللّبن وغيره ، ويكتب تلك الكتابة المليحة الرطبة ، ورزقَ الحظوة في خطِّهِ واشتهر ، وكان مأموناً على أولاد الناس ، عفيفاً خيّراً[2] ديّناً .

وقلتُ أنا فيه :

يَشْهَدُ لابن البَصَيْصِ خطّ ... يسلب مِمّن يراه عَقْلَهْ
بأنّه النَّجْمُ في عُلاَهْ ... وما رأى مثلَه ابن مَقْلَهْ

وله شعرٌ في الحقيقة على رأي أهل التصوف ، وكان قليل البضاعة من العربية . ومن شعره ما نقلته من خطِّه على ما تراه من اللّحن الفاحش وفساد المعنى :

ألاَ كلّ شيء ما خَلاَ الله نافد ... وكلّ وجودٍ قد بَدَا فهو بَائِدُ
تفكر في هذا الوجودِ ووضعِهِ ... وفي حركاتِ الفلكِ وهي سوامدُ
وفي حركات النيّرات بأفقِها ... وفي كلّ جرم لا يُرى متباعدُ

(١) علي باب الحديد من أبواب قلعة دمشق . والطارمة : بيت من خشب سقفه على هيئة قبّة لجلوس السلطان ، وتطلق أيضاً على أعلى غرفة في البيت .

(٢) في الأصل : « حرا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وما ذاتها في رقةٍ وكثافة ... وهل هي شيء دائمٌ متوالدُ
ترى كلَّ ما في الكونِ لابُدَّ زائلٌ ... له محدث بَاقٍ وذلك نَافدُ
وإيجادنا فيه وذلك آية ... تدلُّ على فَرْدٍ تفرَّد وَاحِدُ[1]
وكم آيةٍ غابت فليس تُرَى لنا ... تَدُلُّ على وتر تَفَرَّدَ مَاجِدُ
شهيدٌ على الأشياء ليسَ بغائب ... على كُلِّ شيءٍ مِنْ نواحيه شَاهِدُ
تحقَّقْتُ حَقًّا أنّه لي مُحَرِّكٌ ... على أنّه سبحانه ليَ وَاحِدُ
فعشتُ سعيداً ثم أُنْقَلُ مكرماً ... إلى واحدٍ إنْعَامُه مُتَزَايِدُ
وإنّي مهما عشتُ شاكرُ أنعم ... عليَّ توالتْ مِنْ نوالك حَامِدُ
فحسبي تشريفاً أراهُ محقَّقاً ... بأنّك ربّي ليس فيه مُعَانِدُ

١٨٩٦ ـ موسى بن علي بن بيدو*

ابن نوغاي تمر بن هولاكو[2] القان المغلي .

نشأ بسوادِ[3] العراق ، يقالُ إنّه كان نسّاجاً[4] ، فلما مات بوسعيد توثّب علي باشا وطلب موسى هذا وسلطنه ، وسار به إلى أذربيجان ، وعملا مصافا مع أربا كاوون[5] المذكور في حرف الهمزة وابن الرّشيد مع ذلك ، وانتصرَ موسى وتملّك بتوريز ، ثمّ إنّ المغل تناخت مع الشّيخ حسَن ، وعملوا مصافا يقل فيه جَمْع موسى ، وقتل عليّ باشا[6] ، وتقهقر موسى ، وبقي في جبال الأكراد نحو أربعة أشهر ومعه محمد بيك والأمير

(١) (ق) ، (س) : « تعزّز واحد » .
* الدرر : ٣٧٦/٤ ، وذيول العبر : ١٩٣ ـ ١٩٤ .
(٢) في الدرر : « ابن طوغان بن هولاكو » .
(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « نشأ هذا ... » .
(٤) في الأصل : « نساخاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « أربا كادون » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، وترجمه المؤلف باسم أربكوون .
(٦) في ذيول العبر : « علي باش » .

حافظ ، ومعه أيضاً الوزير نجم الدين ابن شروين ، وقصدوا بغداد ودخلوها ، وقتلوا طوغان ، وكان من كبار الظّلمة المقدَّمين ، له سطوةٌ وشجاعةٌ ، فاستخفّ بهم وبرزَ للقتال ، فقُتل هو وجماعة ، وطِيفَ برأسه ورأس[1] الأمير نصرت شاه معاً .

ثمّ حشد موسى وقصد أذربيجان ، فتصابر الفريقان أياماً وليالي ، ثم كبس أصحاب حسن بإعانة خَلْقٍ من الأكراد موسى ، فاستجارَ موسى بأميرٍ من الأكراد - وكان قد أحسن إليه - فأجارَهُ . ثم إنه غدر به وحمله إلى حسن فهمَّ باستبقائه ، فقام عليه الأمراءُ وقتلوه ، قَصَّفُوا ظهرَه ، فماتَ في سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، وقيل : إنّهم قَطَعُوا أنْفَه أوّلاً ثمّ ذبحوهُ .

وكان موسى حسن الشكل جيّد العقل صحيح الإسلام ، وكانت قتلتُه يوم الأضحى بالأردو ، هو من أبناء الأربعين . وكان قد نشأ عند نصرانيّ بدقوقا يتعلَّم الحياكة .

قال شيخنا شمس الدين الذّهبي : رأيت القاضي حُسام الدين الغوري يُثْنِي على عقله ودينِه .

١٨٩٧ - موسى بن علي بن أبي طالب*

ابن أبي عبد الله بن أبي البركات العلوي الحسيني الدمشقي الحنفي ، عز الدين أبو القاسم[2] الموسَوي ، من ذرية إبراهيم ولد موسى الكاظم .

سمع حضوراً من الفخر الإربلي ، وسمع (الموطأ) من مكرّم القرشيّ ، وسمع من السخاوي ، وابن الصّلاح ، وأبي طالب بن صابر ، وعدّةً .

وتفرَّد وأكثر عنه[3] الطلبة ، وسكن مصر ، وحضر المدارس .

(١) (س) ، (ق) : « وبرأس » .

* الدرر : ٣٧٩/٤ ، والشذرات : ٣٨/٦ ، وذيول العبر : ٨٦ .

(٢) في الذيول : « أبو الفتح » .

(٣) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وكان مليح الشكل حسن البزّة ، تفرَّد عن جدّه مدرس المعينيّة رشيد الدين النيسابوري[١] ، وأخذ عنه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وشيخنا الذهبي والشيخ تقي الدين بن رافع والواني .

ومات وهم يسمعون عليه (صحيح مسلم) ، فانتهوا إلى نصفِ الكتاب ، وتوفّي رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

١٨٩٨ ـ موسى بن علي بن منكوتمر*

الأمير شرف الدين ابن الأمير علاء الدين ابن الأمير سيف الدين . قد تقدّمت ترجمةُ جدّه منكوتمر .

كان الأمير شرف الدين المذكور أحد أمراء الطّبلخات بطرابلس ، ولكنّه أُضيف إلى عسكر دمشق ، وإذا كان أوان يَزَكِه توجَّه إلى طرابلس وعمل يزكه وعاد إلى [دمشق][٢] .

وكان شاباً ظريفاً مطبوعَ الحركات والسكنات ، نظيف اللباس ، طيّب الرائحة ، كأن غُصْنٌ بانٍ أو قضيبُ ريحان .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في عشري شهر الله المحرّم سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

١٨٩٩ ـ موسى بن محمد**

ابن موسى بن يونس كمال الدين بن بهاء الدين ابن العلاّمة الفريد كمال الدين بن

(١) محمد بن أبي بكر (ت ٦٣٧ هـ) . العبر : ١٥٥/٥ ، والدارس : ٤٥٣/١ .

* الدرر : ٣٧٨/٤ .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٣٨١/٤ .

يونس قاضي الموصل وابن قَاضِيها .

توجَّه إلى[١] السلطانيّة في مهمّ له فـأدْرَكَـهُ أَجَلُـه بهـا في جمـادى الأولى سنـة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان فاضلاً إماماً علاّمةً ، ووَلِيَ قضاء الموصل بعدَه وَلَدُه .

١٩٠٠ ـ موسى بن محمد بن أبي الحسين*

الشيخ الفاضل المؤرّخ المعمّر المسند بقيّة المشايخ ، قطب الدين أبو الفتح ابن شيخ مذهبِهِ أبي عبد الله اليونيني البعلبكي .

سمع من أبيه ، والشرف الإربلي ، وشيخ الشيوخ عبد العزيز ، والرّشيـد العطـار ، وأبي بكر بن مكارم ، وابن عبـد الـدائم ، وعـدة ، وأجـاز لـه ابن رواج ، ويـوسف الساوي وجماعة .

وكانت له صورةٌ كبيرةٌ وجلالةٌ ، وفيه مروءةٌ وعنده كَرَمٌ ومعرفةٌ تامّةٌ بالشروط ، وصار شيخ بعلبـك بعـدَ أخيـه أبي الحسين ، وروى الكثير بـدمشق وبعلبـك ، واختصر (مرآة الزمان) على نصف النّصف[٢] ، وذيّل عليها في أربع مجلدات[٣] .

ثم إنه أسنّ وكبر وعجز وتعلّل .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده في صفر سنة أربعين وست مئة .

---

(١) في الأصل : « في » ، وأثبتنا مافي (س) ، (ق) .

* الدرر : ٣٨٢/٤ ، والشذرات : ٧٣/٦ ، وذيول العبر : ١٤٥ ، والبداية والنهاية : ١٢٦/١٤ .

(٢) في (س) ، (خ) : « نحو النصف » .

(٣) الكشف : ١٦٤٧/٢ ، والكتاب مطبوع .

١٩٠١ ـ موسى بن محمد بن أبي بكر*

ابن سالم بن سلمان المرداوي الحنبلي .

كان فقيهاً صالحاً حسن الهيئة مليح الشّيبة .

قدم دمشق وحفظ (المقنع) و (ألفيّة ابن معطي) ، وحصَّل كتباً ، وكان يطالع وينقل ، وسمع من خطيب مردا بها ، وبدمشق من ابن عبد الدائم ، وعمر الكرماني ، وجماعة . ومرض بالفالج مدةً طويلة وانقطع عشرين سنة[١] لا يقدر أنْ يصلّي إلاّ بمن يعينه في السجود ويجلسه .

وتوفي رحمه الله تعالى[٢] في سادس شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٩٠٢ ـ موسى بن محمد بن يحيى**

عماد الدين اليوسفي المصري ، المعروف بابن الشيخ يحيى ، أحد مقدّمي الحلقة[٣] بالديار المصرية .

كان مشهوراً بالمروءة ، معروفاً بالعصبيَّة التي هي في حنايا جوانحه مخبوءة ، يصحبُ الأكابر ، ويغالطهم بالمودة ويكابر ، ويلازم صحبة الأعيان ويثابر ، لم تفته صحبة ربِّ سيفٍ ولا قلم ، ولا حامل عِلْمٍ ولا رافع عَلَم ، يتقرّب إليهم بالخدم ويسعى على رأسه في قضاياهم لا على القدم :

---

* الدرر : ٣٨١/٤ .

(١) (ق) : « عشر سنين » . وفيها وفي (س) زيادة : « منها سبع سنوات » .

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « بمردا » .

** الدرر : ٣٨١/٤ .

(٣) ليست في (س) .

تلـــذّ لـــه المروءة وهي تـؤذي ومن يعشـق يلـــذّ لـــه الغَرَامُ[١]

وكان يعاني شيئاً من النَّظم والنّثر على عامّيته ، ويـأتي بـه طبـاعـاً من غير تكلف سجيته ، فيأتي من ذلك بما[٢] يُضحك الثكالى ، وينشط القلوب للتعجب بعـد أن كانت كُسالى ، على أنّه يأتي في ذلك بمـا يُشبـه التوريـة والاستخـدام ، والاستعـارةَ والجنـاس النّاقص والتّام ، فما كنت أنا ولا شيخنا الحافظ فتح الدين محمـد بن سيـد النـاس نقضي العجب من ذلك ، ونقول له : يا سيدنا سبحان من وسع عليك في هذا الفن المسـالـك ، فيعجبـه ذلـك ، ويقـول : والله هـذا ولم أقرأ (المقـامـات) ولا حفظتُ شيئـاً من شعر المتنبي ، ولا اشتغلت بشيءٍ من العربية ولا العلم ، فنقولُ له : هذه مواهب وقرائح .

ولم يزل على حاله إلى أن وَهى ركن العماد ، ومال إلى خراب عمره وماد .

وتـوفي بـالقـاهرة رحمـه الله تعـالى في أوائـل سنـة تسـع[٣] وخمسين وسبـع مئـة[٤] بالقاهرة .

وجمع لنفسه (تاريخاً) كبيراً ، يجيء في خمس عشرة مجلدة ، وله غير ذلك .

وكان يصحب الكبـار مثـل القـاضي كريم الـدين الكبير ، واختصّ بجمال الكفـاة وبـالوزير علم الـدين بن زنبـور وبـالأمير سيف الـدين أيتمش نـائب الكرك وصفـد ، وبالأمير بدر الـدين جنكلي بن البـابـا ، وبـالحـاج أرقطـاي لمّـا عمل النّيـابـة بـدمشق ومصر[٥] ، وبغيرهم ، واختص أخيراً بـــالأمير سيف الـــدين شيخـــو وسيف الـــدين صرغتمش .

---

(١) البيت للمتنبي . ديوانه : ٧٥/٤ .

(٢) (خ) : « ما » .

(٣) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) والدرر .

(٤) في (س) ، (ق) : « ومولده في سنة ست وسبعين وست مئة » .

(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) : « بمصر » فقط .

وكانَ يكتب إلي قصائد وغيرها ، فأحتاج إلى أن أجيبه عن ذلك ، وممّا كتبته إليه :

دار عماد الدين شوقي لها ... يجلّ أن يذكر بين العباد
ما راق طرفي بعدها منزلٌ ... لأنّها في الحسن ذات العماد

وكتبت إليه :

أوحشتني يا عمدتي ... وعلى الحقيقة يا عمادي
يا من غدا وشعاره ... بين الورى بذل الأيادي
وله محاسن نشرها ... متضوع في كل ناد
ومكارمٌ بحديثها ... فينا ترنّم كل شاد[1]
ومروءة أبناؤها ... مشهورةٌ بين العباد
يكفي محبك أنّه ... من بعد بعدك في جهاد
محنٌ يذوب بنارها ... صمّ الصخور من الجماد
وصبابة إن قلت قلّت ، فهي تصبح في ازدياد
والصبر كنت أظنّه ... ممن يوصلني بلادي
وحياتكم لم يرض أن ... يشقى وخالف في المبادي[2]
وكذا الكرى من عهدكم ... للآن لم يعرف وسادي
والله لم يخرج معي ... من عندكم إلاّ ودادي
فعدمت إلاّ أدمعاً ... تحكي بصيِّبها الغوادي
ووجدت كلَّ بليّةٍ ... حاشاكم إلاّ فؤادي
فغدوت أنشده وأطلب عوده ، ولمن أنادي
وأظنه في ربعكم ... تجدونه بين الرماد

(١) هنا البيت خلت منه (خ) .
(٢) (خ) ، (س) ، (ق) : « وفارق في » .

أفسدتموه بفضلكم لمّا غدا وفق المراد[١]
يا دهر زدت من النّوى وأطلت في هذا البعاد
ما آن [أن] تحنو، فقد أشمت بي كل الأعادي[٢]

١٩٠٣ ـ موسى بن مهنا*

الأمير مظفّر الدين ابن الأمير حسام الدين أمير آل فضل ، تقدّم ذكر والده مهنّا وعمّه فضل وأخَويه سليمان وأحمد في أماكنهم .

كان والده مهنا يقول : فرحتُ بأربع : عقل موسى ، وشجاعة سليمان ، وكرم أحمد ، وحُسن فيّاض .

وكان مَا مِن أحد من العربان الأمراء إلا وقد أكل إقطاع التتار إلا موسى ، فإنه كان السلطان يغضب عليهم ويطردهم من بلاده ، وما يأكل إلا إقطاع السلطان . وكان يتنقّل في إمرة آل فضل في حياة أبيه ، وأخذها [مرّة][٣] من عمه الأمير شجاع الدين فضل[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقعرة[٥] فجأةً بعد صلاة العشاء الآخرة في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وبموسى هذا كان يُكَنَّى أبوه مهنا ، فيقال يا أبا موسى . ونقل من القعرة بعد موته إلى تدمر ودفن بها[٦] .

(١) هنا البيت خلت منه (خ) .
(٢) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
* الدرر : ٣٨٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٣٠ ، والنجوم الزاهرة : ٧٦/١٠ .
(٣) زيادة من (خ) ، (ق) ، (س) .
(٤) زاد في (خ) : « في حياة أبيه » .
(٥) (خ) : « القعسرة » ، وكذا فيما يأتي .
(٦) قوله : « ودفن فيها » ليس في (خ) .

١٩٠٤ ـ موسى بن يحيى بن فضل الله*

الأمير صلاح الدين ، تقدّم نسبه في ترجمة أخيه القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله في حرف الهمزة .

كان من أحسن الأشكال ، وممن لا شبهة[١] في حسن صورته ولا إشكال ، مُترَّك الوجه والعين ، تنصرف النفوس إلى رؤيته ولم تلتفت إلى الورق ولا العين .

أدخله والده القاضي محيي الدين في جملة أرباب السيف ، ولم يُر أن يُهْدَى إلى[٢] وظيفة الكتاب في يقظةٍ ولا طيف ، فجمّل به المواكب ، وكمّل به الكواكب ، ثمّ إنّه عُدَّ في جملة الأمراء ، وكاد يستخدم الجلّة من الوزراء .

ولم يَزل في مطالع سعوده ، ومعارج صعوده ، إلى أن فسد صلاحُه ، ولم يسفر بالحياة صباحه .

وتوفّي رحمه الله في صفر سنة ستين وسبع مئة .

ومولدُه سنة عشرة وسبع مئة .

هذا الأمير صلاح الدّين توجَّه مع والده وإخوته إلى[٣] الديار المصرية ، وهو بزيّ الأتراك ، فأعطاه السلطان الملك النّاصر محمّد إقطاعاً في حلقة مصر . وهو شقيق القاضي علاء الدين صاحب دواوين الإنشاء الشّريف ، أخذ له في أيّام النّاصر أحمد إمرة عشرة بمصر ، ثمّ أخذ له إمرة عشرين . وكان مقيماً عند أخيه ، وبعدَ كلِّ فترةٍ من السّنين يحضر إلى دمشق لكشف أملاكه وتعلُّقاته ، ويعود إلى الديار المصرية ، وكان من أحسن الأشكال وأظرفها .

---

* الدرر : ٣٨٢/٤ .

(١) في الأصل : « شبه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ق) ، (خ) : « أن يهدي إليه » .

(٣) (خ) : « في » .

ولّما توفي رحمه الله تعالى ، وجد عليه أخوه القاضي علاء الدين وَجْداً عظيماً . وكتبت أنا إليه من دمشق المحروسة أُعزيه فيه :

قد شبّ جمر الأسى في القلبِ واشتعلا ... مذ قيل لي إنّ موسى قد قضى الأجَلاَ
موسى بن يحيي الذي قد كان طلعته ... كأنّها الشمس لمّا حلّت الحَمَلا
[موسى بن يحيي بن فضل الله ذو نسبٍ ... به إلى عمر الفاروق قد وصلا][1]
ذاك الأمير صلاح الدين خير فتى ... قد زيَّن الدهرَ والأيام والدُّولا
قد كان موكبُ مصر يستنير به ... إذا غَدَا بنجادِ السّيفِ مشتملا
قد كان بدرا تضيء الليلَ طلعتُه ... إذا بَدَا ، أفلا أبْكي وقد أفلا !
وكان ظلاًّ علينا وارفاً وبه ... نَلقى الرّدى ، أفلا نأسى إذا انتقلا !
لولا وفاة صلاح الدين ما وجدت ... «لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلاَ»[2]
فأعظمَ الله فيه أجر فاقده ... ولا استخف به من حزنه جبلا
والله يُبقيه في أمنٍ وفي دَعةٍ ... واللهُ أكرم مَدعوّ إذا سُئِلاَ
فإنّه في نهاياتِ العلا ، فإذا ... أراد غايةَ مِجْدٍ في الورى نَزَلا

١٩٠٥ ـ موسى*

الأمير شرف الدين الحاجب بحلب .

أقام زماناً بحلب أمير حاجب ، إلى أن كرهه الأمير سيف الدين الكاملي ، ولّما عاد إلى حلب نائباً ثاني مرّةٍ كتب فيه فتوجّه إلى قلعة الرّوم نائبا .

---

(١) زيادة من (س) ، (ق) ، (خ) .

(٢) عجز بيت للمتنبي ، صدره :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت

ديوانه : ١٦٣/٣ .

* الدرر : ٣٨٤/٤ .

ثمّ نُقل إلى نيابة البيرة فأقام بها إلى أنْ توفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة ستّ وخمسين وسبع مئة[١] بالبيرة ، وتوجّه عوضَه الأمير جمال الدين آقوش الحاجب بحلب .

١٩٠٦ ـ موفقية*

ستّ الأجناس بنت أحمد بن عبد الوهاب بن عتيق بن وردان المصرية ، مسندة القاهرة .

سمعت من الحسن بن دينار[٢] ، وعبد العزيز بن النقّار ، والعلم بن الصّابوني ، وطائفة ، وتفرّدت بسماعِ أجزاء .

أخذ عنها شيخُنا فتح الدين بن سيّد الناس ، والواني ، وابن الفخر ، وسائر الطلبة .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة ثلاثين وستّ مئة .

اللّقب والنّسب

☆ **الموفّقي :** نائب غزّة ، الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ **الموفّق :** محمد بن محمد .

☆ **الموفّق :** ناظر الدّولة هبة الله ، ثم تسمى بعبد الله بن سعيد الدولة .

---

(١) وفي الدرر أنّ وفاته سنة (٧٥٠ هـ) .

* الدرر : ٣٨٤/٤ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيول العبر : ٧١ .

(٢) الحسن بن إبراهيم بن هبة الله المصري (ت ٦٣٩ هـ) . الشذرات : ٢٠٤/٥ .

☆ **ابن المولى الحموي** : عبد الرحمن بن علي .

☆ **المؤيّد** : صاحب حماة إسماعيل بن عليّ .

☆ **المؤيّد** : صاحب اليمن داود بن يوسف .

☆ **والمؤيّد ابن خطيب عقربا** : عليّ بن إبراهيم .

☆ **ابن مُيَسّر** : الصّاحب عز الدين أحمد بن محمد .

☆ **ابن مينا** : شمس الدين محمد بن محمد .

حرف النّون

١٩٠٧ ـ ناصر بن منصور*

ابن شرف ، القاضي الإمام ناصر الدّين التّغلبي الزّرعي الشّافعي .

كان رجلاً جيّداً ، كريمَ النّفس ، حسن الخلق ، تام الشكل ، مشكور السّيرة ، نزها عفيفاً .

كان أوّلاً خطيباً بزرع ، ثم ولي القضاء بها ، وولي قضاء أذرعات ، وقضاء عجلون ونابلس وحمص ، وولي قضاء صفد وقضاء طرابلس ، وما باشر بلداً إلاّ وحصل الثناء عليه .

توفّي رحمه الله تعالى بنابلس في ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٩٠٨ ـ ناصر بن أبي الفضل**

ابن اسماعيل ، الفقيه المقرئ ابن الهيتي الصّالحي ، ابن شرف الدين الشافعي .

كان مليحَ الصورة في صباه ، مطرب الصوت ، يقرأ القرآن في التُّرب والختم ، وحفظ[1] (التنبيه) ، ثمّ إنّه ، على ما ذكره شيخنا الذهبي ، صحب الباجربقي وابن المعمار البغدادي والنّجم بن خلكان ، وتزنّدق ، واستخفّ بأمورِ الدّين ، وتفوّه

---

* الدرر : ٣٨٧/٤ .

** البداية والنهاية : ١٢٢/١٤ ، والدرر : ٣٨٦/٤ ، والشذرات : ٧٤/٦ ، وذيول العبر : ١٤٣ .

(١) في الأصل : « وقرأ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والبداية .

بعظائم ، وتزهد وتوجه إلى مكة ، ثم إلى بغداد ، ثم إنه فرّ منها لما همّوا بقتله ، ثمّ هرب من ماردين ، فشهدوا عليه بكفرٍ ثان بحلب ، فأمسكه قاضيها الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وبعثه مقيّداً إلى دمشق ، فأقيمت عليه البيّنة عند قاضي القضاة شرف الدين المالكي ، فما أبدى عذراً وسكت ، لكنّه تشهد وصلى ركعتين وتلا القرآن ثم ضرب عنقه ، وما كُفّن ولا غُسل .

وكانت قتلته في يوم الثلاثاء حادي عشري شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وعشرين وسبع مئة ، وكان عمره نحواً من ستّين سنة .

قلتُ : قال لي جماعة إنّهم لما توجهوا به ليضربوا عنقه أنشد :

إنْ كان سفك دمي أقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمي[1]

☆ **ابن نبهان :** الشيخ **محمد** بن نبهان . وولده الشيخ علي بن محمد .

١٩٠٩ ـ نجم الحطيني***

اسمه أيوب بن أحمد ، وإنّما اشتهر بالنّجيم الحطّيني ، وحطّين بكسر الحاء المهملة وتشديد الطّاء المهملة وبعدها ياء آخر الحروف ونون .

كان أفّاكاً ، جريئاً على الأهوال فتّاكاً ، لا يقدّم خوفاً من خالق ولا مخلوق ، ولا يبالي بعدَ إدراكِ غايته أهو سابقٌ أم مسبوقٌ ، يفتك نهاراً جهارا ، وإذا نزل بدار قوم رحل بخزيةٍ وترك عارا[2] ، ما حلّ في ناحية إلاّ ملأها فجورا ، وكان له النّقصُ فيها زائرا ومَزُورا ، يفرّ من الشام إلى مصر ، ويخفر الذمّةَ ويخونُ الإصر .

---

(١) في الدرر : « مرامهم » .

* الدرر : ٣٨٨/٤ .

(٢) يشير إلى قول جرير في هجاء الفرزدق :

وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

ديوانه : ٨٨٧/٢ .

ولم يزل يذهب ويحُور ، ويظلم نفسه وغيره ويجور ، ويفوت كلَّ زريّة ودمُه كما يُقال يفور ، حتّى وقع بأعماله ، وقطع الدهر بخيبة آماله :

وساقه البغي إلى صرعة للحين لم تخطر على باله

وكان المذكور شيطاناً من الشّياطين ، وإبليساً من الأباليس ، يسفك الدماء ، ولا يقفُ عند خُطَّةِ شرعٍ ولا غيره .

أوّل ما اتّصل بخدمة الشيخ شمس الدين محمد بن أبي طالب شيخ الرّبوة المقدَّم ذكره في المحمّدين ، وكان الشيخ شمس الدين شيخ الخانقاه التي بحطّين ، فاتّفق أنْ جاء إليهم فقيرٌ بات في الخانقاه ، فرأى نجيم هذا معه ذهبا ، فلما كان في الليل نبهه نجيم ، وقال له : قُمْ فقد طلع الصُّبح ، فقام فوجد الليل باقياً ، فقال : لا عليك أنا أخفرك حتّى تطلع من هذا الوادي ، فخرج به وعرّج عن الطريق وذبحه وأخذ ما معه . وجرى لشيخه مع كراي نائب صفد ما ذكرته في ترجمته .

وهرب نجيم إلى الديار المصرية ، ودخل إلى الصّعيد واتصل ببعض الولاة وجرت له هناك واقعةٌ أخرى من هذا النَّمط حدّثني بها الشيخ شمس الدين بن الأكفاني وأُنسيت أنا كيفيتها .

ثم إنه حضر بعد ذلك إلى الشام فوجد شيخه الشيخ شمس الدين شيخ الربوة بدمشق ، وأراد أن يعود إلى صحبته ، فأبعده ولم يقرّبه ، ولا أراه وجهاً لما تقدم منه .

وحدثني الشيخ شمس الدين بن أبي طالب قال : كنتُ أتحقّق جرأته وإقدامه وكنتُ أخافه على نفسي وأحذرُه ، فما أنام في مقام الربوة حتى أتحصن وأحكم غلق الأبواب ، فأكون في بعض الليالي نائماً ، فما أشعر به إلا وقد أنبهني من نومي بإزعاجٍ وبيده سكين ويقول لي : يا أفخاذ الغنمة ، أو يا أفخاذ النّعجة ؛ إيش أعمل بك الساعة ؟ فأقول له : اتق الله وخَفْه ، وأترفق له وأتلطف حتى يدعني ويمضي ، ومن رأى الربوة وحصانتها تعجب من فعل المذكور .

ولم يزل بدمشق حتى أنْ أتى السلطان الملك الناصر محمد من الكرك إلى دمشق سنة تسع وسبع مئة ، فداخل مماليك السلطان والخاصكية واتصل بهم .

حدثني الشيخ نجم الدين بن الكمال خطيب صفد رحمه الله تعالى ، قال : لم نشعر يوماً بالنجيم إلا وعليه تشريف هائل ، وقد جاء يسلّم علينا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : من السلطان ، ومهما كان لكم من الحوائج قضيتها ، قلنا له : عرّفنا بهؤلاء أصحابك ، فقال : لا والله ، متى عرفتموهم أنحستموني عندهم ، ولكن أنا أقضي أشغالكم ، قال : وقال لي إنني أنام في القصر الأبلق بين صناديق الخزانة الخاص ، وأرى السلطان في منامه وقيامه ، وليس بيني وبينه غير صندوق .

ثم إنه عمل ملحمة وعتقها وذكر فيها حلية واحد من مماليك السلطان اسمه جولجين . وقد تقدَّم ذكره في حرف الجيم ، وذكر فيها أنه يلي الملك ، وذكر فيها آثاراً وعلائم توصل إلى رؤيتها في الحمّام ، أو سأل عنها من البابكيّة ، ولعب بعقل ذلك المسكين إلى أن توهم أن ذلك يقع ، وكان يقول له ولخوشداشيته أوقعوا الفعل ، فيظهرون له الخوف ، فيقول لهم : إذا [لم][1] تقتلوا السلطان ، أنا أقتله لكم ، فما قدّر الله تعالى ذلك ، وتوجَّه معهم إلى مصر وأقام عندهم سنتين .

ثم إنه جاء إلى حطين فاطلع السلطان على القضية ، فوسط جولجين ومعهم جماعة ، ثم بعث أخذ النجيم على البريد من صفد وجهزه إلى دمشق مسمراً ، وكان الموكب واقفاً في سوق الخيل بدمشق ، وقد أقبل جملُه ، وهو مُبرقع ، فتوهم الناس أنه بكتمر الحاجب .

وكان وصولُه إلى دمشق مسمراً في يوم السبت سادس عشري شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة . وقلتُ أنا فيه :

لا بدّ في الاسم من معنى يخصصه ... بذلك االلفظ فافهم حكمه الأزلي
كنجم حطين شاء الله رفعته ... لكنّها بساميرٍ على جملِ

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

١٩١٠ ـ نجمة التركماني*

خرج على الدولة وتحرم وتجرم ، وأخاف السُّبل[١] ، وأخذ القفول ، وروّع الناس ببلاد ماردين والموصل وسنجار ، جهزت إليه الفداوية ، فوقعوا عليه ، وضربوه بالسكاكين مرّاتٍ وينجو ويقوم ويعود إلى الحالة الأولى .

ثم إنه في مستهل جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، انضوى إلى زبيد الأحلاف لما أبعدوا عن الرحبة ، وجاء إلى الشيخ حسن بن هندو حاكم سنجار ، وأخذ منه عسكراً وتوجه به وبالأحلاف ومقدّمهم محمد بن عبيد الزبيدي إلى الرحبة ، ولم يكن بها يومئذ يزك من عسكر دمشق ، فأغار على الرحبة وقتل بها ، وسفك الدماء ، وأسر ، وأثخن الجراح ، ونهب الأموال والمواشي ، وأبان في ذلك اليوم ، فكان يوهم أنه يرمي شخصاً بالنّشاب ويفوّق السهم إلى شخص بعينه ، ثم يطلق السهم على غيره . وبالغ في أذى الرعيّة ، وعاد إلى سنجار ، فتوجهت العساكر إليه من دمشق وحلب وحماة ، وحاصروا [سنجار][٢] ، ثم إنّ حاكم سنجار أظهر الطاعة وحلف هو ونجمة لصاحب مصر وأظهرا التوبة والإنابة . ثم إنّ الفداوية وقعت عليه وضربته خمس ضربات فأمسك الفداوية ، وحزّ[٣] رؤوسهم ، وعلّقها على باب سنجار . ثم إنه عُوفي بعد مدّة ، ونزح من سنجار ، وتوجه إلى ماردين وأقام هناك يعبث ويُغير ويؤذي ويعتمد كلَّ قبيحٍ ، إلى أن قتل هو وولداه ونوابه ، وحزَّ رؤوسهم صاحب ماردين ، وجهزها[٤] إلى باب السلطان صحبة سيف الدين تيتمر أمير آخور ، صاحب ماردين ، فلمّا وصل إلى حلب قال الأمير سيف الدين بيبغاروس نائب حلب : أيّ كلاب هؤلاء

---

* الدرر : ٣٨٨/٤ .

(١) (خ) : « السبيل » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « وحزّوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) (خ) : « جهزوا » .

حتى يتوجهوا برؤوسهم إلى باب مولانا السلطان ليسوا أمراء توامين ولا ملوكاً ، هؤلاء حراميّة قُطّاع طريق ، وباب مولانا السلطان أجلُّ من ذلك ، وترك الرؤوس في حلب ، وجهز أمير آخور صاحب ماردين بما على يده من المكاتبة ، وكان ذلك في شوال سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وقلتُ أنا فيه :

إذا بغى المرء لم تُحمد عواقبه ... وقلّ باغٍ نجا من قبضة العطب
كنجمةَ التركماني بات جثّته ... في ماردين وصار الرأسُ في حلب

الألقاب والأنساب

☆ **ابن النّجيبي**[1] : أبو بكر بن أيبك .

☆ **ابن النجّار** : **محمد بن أسد** .

☆ **ابن النّحاس** : جماعة ، منهم الشيخ بهاء الدين النحوي محمد بن إبراهيم . وكمال الدين الحلبي إسحاق[2] بن أبي بكر . وبهاء الدين بن النحاس الحنفي الحلبي أيوب بن أبي بكر . وعلاء الدين والي دمشق علي بن إبراهيم بن خالد ، وولي أبوه أيضاً مدينة دمشق . وأمين الدين محمد بن أبي بكر . وشهاب الدين يوسف بن محمد .

☆ **وابن نحلة** : علاء الدين علي بن يحيى .

☆ **ابن النحوية** : الشيخ بدر الدين محمد بن يعقوب .

---

(١) في (س) زيادة : « حسام الدين » .
(٢) في الأصل : « محمّد بن إسحاق » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩١١ ـ نسب خاتون*

ابنة الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليها نسخة أبي مسهر عن إبراهيم بن خليل ، ولا أعلم أنها روت غيرها . وكانت سمعت أيضاً من خطيب مردا ، وابن عبد الدائم ، وكانت كبيرة السن معمرة .

لم تزل شيخةً برباط بلدق إلى حين وفاتها . وكانت كثيرة الإقامة عند الحنابلة بالدّير تحبّهم وتؤثرهم ، وعندهم سمعت الحديث .

وتوفيت رحمها الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن النّشابي :** عماد الدين حسن بن علي . وناصر الدين محمد بن الحسن .

☆ **النّشائي :** الوزير ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله .

☆ **النشّو :** ناظر الخاص عبد الوهاب .

☆ **النشّائي :** عز الدين عمر بن أحمد .

☆ **ابن النشو :** محمد بن عبد الرحيم .

---

* لم نقف على ترجمة لها .

١٩١٢ ـ نصر بن سلمان بن عمر*

الشيخ الإمام القدوة المقرئ المحدِّث ، النحوي ، الزاهد ، العابد ، القانت ، الرباني ، بقية السلف المنبجي ، نزيل القاهرة وشيخها .

سمع بحلب من إبراهيم بن خليل ، وبمصر من الكمال الضّرير ، وتلا عليه بعدّة كتب ، وعلى الكمال بن فارس ، وتصدّر في أيّام مشايخه ، وشارك في العلوم وتفنن ، ثم إنه تعبَّد وانقطع ، وتردَّد إليه الكبار وكان يهرب منهم ، وارتفع ذكره جداً في دولة تلميذه الجاشنكير ، وكان ممن يؤذي الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وهو الذي أحرف الجاشنكير عنه .

قال [ابن] أخته[1] الحافظ عبد الكريم : مادخلتُ عليه قط إلا وجدته مشغولاً بما ينفعه في آخرته ، وكان يتغالى في الشيخ محيي الدين بن عربي ، ولا يخوض في مزمناته .

قال شيخنا الذهبي : ولقد جلستُ معه بزاويته ، فأعجبني سمته وعبادته .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء بعد العصر سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وثلاثين وست مئة بمنبج .

---

* البداية والنهاية : ٩٥/١٤ ، والدرر : ٣٩٢/٤ ، والنجوم : ٢٤٤/٩ ، وغاية النهاية : ٣٣٥/٢ ، والشذرات : ٥١/٦ .
ووقع في بعض مصادر ترجمته : « ابن سليمان » .

(١) في الأصل : « قال أخيه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
وعبد الكريم بن عبد النور ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٩١٣ ـ نصر بن محمد بن محمد*

السلطان أبو الجيوش ابن السلطان ابن الأحمر الأنصاري المغربي .

خرج على أخيه واعتقله وقتله وتملّك . وكانت دولته أربع سنين . ثم وثب عليه ابن أخته الغالب بالله وقهره ، وقرر أبا الجيوش أميراً بوادي آش ، فدام به نحواً من عشر سنين .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

١٩١٤ ـ نصير بن أحمد بن علي**

المناوي الحمّامي .

كان عامياً إلا في النظم الذي يأتي بسحره ، ويديرُ على الألباب كؤوس خمره ، وكان في تلك الحلبة في جيادها المعدودة ، وسوابقها التي تَذَرُ الرّياح الهُوجَ وأنفاسها مكدوده ، قعدت معه التوريّة وجادت ، ورأست على كلام غيره وسادت ، معانيه بليغة وألفاظه فصيحة ، وأبكاره برزت حاسرة ولم تخش فضيحة[1] ، وتراكيب كلماته في كلّ ما يأتي به في غاية الانسجام ، ومقاصده مليحةٌ تطوف على النفوس منها بالأُنس جام ، جاراه فحول عصره وجاراهم ، وكتبوا إليه فأجابهم وباراهم وما ماراهم ، وربما أربى في اللطف على مجاريه ، ولو لم يكن حماميا لما عرف حَرَّ الأشياء وباردها وأخذ الماء من مجاريه[2] ، كم ألغز فألغى ذكر من تقدم ، وأوجز فأوجب أنّ الذي أداره على الأسماع كأس[3] السلاف المقدم ، وأعجز من أعجب السامعين ، فقالوا ما غادر هذا

---

* الدرر : ٣٩٢/٤ .

** الفوات : ٢٠٥/٤ ، والدرر : ٣٩٣/٤ ، والبدائع : ٤٤٣/١/١ ، ووقع في الأصل : « نصر » تحريف .

(١) قوله : « وأبكاره .. » حتى ههنا ليس في (س) .

(٢) يشير إلى شعر للحمامي سيأتي .

(٣) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

الشاعر بعده من متردّم ، يقول من يسمع مقاطيعه الرائعة ، أو يفكر في مقاصده اللائقة :

أحروف لفظٍ أم كؤوس مدامة ... وافَتْ ونشوة سامعٍ أو شاربِ
ممّا يضمّ السلك في جيد المها ... ة الرّود ، لا ماضم حبل الحاطب
تحلو شمائل حسنها مجلوةً ... كالرّوض تحت شمائل وجنائب

وكان في مصر يرتزق بضمان الحمّامات ، ويُقيم بلاغة من فضالة[١] تلك القمامات ، عادة جرى الدهر على قاعدتها مع الأدباء ، وغادة[٢] لم تغن الأيام من كان كفؤها من الألبّاء .

ولم يزل على حاله حتى أصبح للأعداء[٣] رَحْمَة ، وبكته معانيه الجمّة .

وتوفّي رحمه الله تعالى في سنة أربع وسبع مئة .

ومولده بمنية بني خصيب سنة تسع وستّ مئة .

أخبرني شيخُنا العلاّمة أبو حيّان ، قال : كان المذكور أديباً بمصر كيّس الأخلاق يتحرَّفُ باكتراء الحمامات ، وأسنَّ وضعف عن ذلك ، وكان يستجدي بالشّعر . وكتبت[٤] عنه قديماً وحديثاً .

وأنشدني قال : أنشدني المذكور من لفظه لنفسه :

لا تَفُه ما حييتَ إلاّ بخير ... ليكون الجوابُ خيراً لديكا
قد سمعت الصَّدى وذاك جماد ... كل شيء تقول ، رُدَّ عليكا

---

(١) (س) ، (ق) : « فضالات » .
(٢) في الأصل : « وعادة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) (س) ، (ق) : « للعدو » .
(٤) في الأصل : « وكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

قلتُ أنا : قوله : « إنّ الصّدى جمادٌ » فيه نظرٌ ، لأنّ الصدى هو الصوت العائد عليك عندما يقرع صوتك ما يقابلك من حائط أو غيره ، ولكن يمكن أن يتمحّل له وجه ضعيف . والنصير رحمه الله تعالى أخذ هذا من قول ابن سناء الملك [١] :

بان عليها الذل من بعدهم ... ونراه حتى كاد أن لا يبين
فإن تقل أين الذين اغتدوا ... يقل صداها لك أين الذين[٢]

وأخذه ابن سناء الملك من الأرجاني حيث قال :

سأل الصدى عنه وأصغى للصدى ... كيما يجيب، فقال مثل مقاله[٣]
ناداه أين ترى محطّ رحاله ... فأجاب أين ترى محط رحاله

وقال ، أنشدني له أيضاً :

أقول للكأس إذ تبدّت ... في كف أحوى أغنّ أحور[٤]
خرّبت بيتي، وبيت غيري ... وأصل ذا كعبك المُدَوّر

وبه قال ، أنشدني له :

إنّ الغزال الذي هام الفؤاد به ... استأنس اليوم عندي بعدما نفرا
أظهرتها ظاهريات وقد ربضت ... فيها الأسود رآها الظبي فانكسرا

وبه قال : أنشدني له :

قالوا افتضحت بحبه ... فأجبت لي في ذا اعتذار
من لي بكتمان الهوى ... وبجده نمّ العذار

---

(١) ديوانه : ٧٩١ .
(٢) في الأصل : « اعتدوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والفوات .
(٣) في الفوات : « كيما يقول » .
(٤) في الفوات : « أقول والكأس » . وفي (س) ، (ق) والفوات : « تبدت » .

قلت : أحسن منه وأصرح قول الآخر :

لافتضاحي في عوارضه سبب والناس لوّام
كيف يخفى ما أكابده والذي أهواه نمّام

وبه قال : أنشدني له :

ما زال يسقيني زلال رضابه لما خفيت ضنىً وذبت توقدا
ويظنّني حيًّا ، رويت بريقه فإذا دعا قلبي ، يجاوبه الصدى

وبه قال : أنشدني له :

ماذا يضرك لو سمحت بزورةٍ وشفعتها بمكارم الأخلاق
وردعت نفسك حين تمنعك اللّقا وتقول هذا آخر العشاق

وبه إجازة ، قال : أنشدني لنفسه :

إنّي لأكره في الأنام ثلاثةً ما إن لهم في عدها من زائد[1]
قرب البخيل ، وجاهلاً متعاقلاً لا يستحي ، وتودُّداً من حاسد
ومن البليّة والرزيّة أن ترى هذي الثلاثة جمّعت في واحد

وأنشدني من لفظه القاضي جمال الدين إبراهيم[2] ابن كاتب سر حلب ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

لي منزلٌ معروفه ينهلُّ غيثاً كالسُّحب
أقبل ذا العذر به وأكرم الجار الجنب

وبه قال : أنشدني لنفسه :

(١) في (ق) والفوات : « لها » .
(٢) إبراهيم بن محمود بن سلمان . سلفت ترجمته في موضعها .

رأيت فتى يقـــول بشـــطِّ مصر على درج بـــدت والبعض غـــارق
متى غطّى لنـــا الـــدرج استقينـــا فقلت: نعم وتنصلحُ الـدّقـائـق[١]

قلت : في قوله « الدّقائق » هنا نظرٌ ، وقد أشبعت القول في فساد ذلك في كتابي المسمى « فضُّ الختام عن التورية والاستخدام » .

وبه قال : أنشدني له :

ومُـــذ لـــزمت الحمـــام صرت فتى خـلّاً يـــداري من لا يـــداريـــه
أعرف حرَّ الأشيـــا وبـــاردهـــا وآخـــذ المـــاء من مجـــاريـــه

قلتُ : لمّا كتب أبو الحسين الجزّار إلى النّصير قوله :

حسن التـــأني ممّـــا يعين على رزق الفتى والحظـــوظ تختلفُ[٢]
والعبـــد مـــذ كان في جـــزارتـــه يعرف من أين تـــؤكل الكتف

كتب النصير الحمامي بيتيه المذكورين ، وقد أربى النصير على أبي الحسين ، لأنّ الجزار أتى بمثل واحد ، والحمّامي أتى بمثلين .

وقال النّصير للسرّاج الورّاق : قد عملت قصيدةً في الصّاحب تاج الدين ، وأشتهي أنك إذا قرئت عليه تزهزه لها وتشكرها ، وسيَّرها إلى الصاحب ، فلما أنشدت بين يديه بحضرة السراج ، قال الورّاق بعدما فرغ من إنشادها :

شـــاقني للنّصير شعرٌ بـــديـــعٌ ولمثليَ في الشعر نقـــــــدٌ بصيرُ
ثمّ لمـــا سمعت بـــاسمـــك فيـــه قلتُ: ﴿نعم المـولى، ونعم النصير﴾[٣]

فـأمر لـه الصـاحب بـدراهم وسيَّرهـا إليـه . وقـال : قـل لـه : هـذه مئتـا درهم

(١) الدرج والدقائق : وحدات لقياس منسوب نهر النيل آنذاك .
(٢) في الفوات : « التأتي » .
(٣) اقتباس من سورة الأنفال : ٤٠/٨ .

صنجة[١] ، فلما أدى الرسول الرسالة ، قال : قبل الأرض بين يدي مولانا الصّاحب، وقل نسأل صدقاتك أنْ تكون عادة ، فلما سمع الصاحب بذلك أعجبه ، وقال : يكون ذلك عادةً .

وكتب النّصير إلى السراج[٢] يتشوق :

وكدّرت حمامي بغيبتك التي ... تكدَّر من لذّاتها صفو مشربي
فما كان صدر الحوض منشرحاً بها ... ولا كان قلب الماء فيها بطيّب

قلت : وهذان مثلان أيضاً يتعلّقان بالحمّام[٣] .

وكتب أيضاً يستدعي[٤] :

من الرأي عندي أن تواصل خلوة ... لها كبد حرّى وفيض عيون
تراعي نجوماً فيك من حرّ قلبها ... وتبكي بدمعٍ فارح وحزين[٥]
غدا قلبها صبًّا عليك، وأنت إن ... تأخرت أضحى في حياض منون[٦]

وكتب ناصر الدين بن النقيب إلى النصير ، وقد حصل له رمدٌ :

يقولون لي عين النصير تألّمت ... ولازمه في جفنه الحكُّ والأكلُ
فقلتُ: أعين الرأس أم عين غيره ... فلعلو شيء لا يداوى به السّفلُ
فقالوا: به العين التي تحت صلبه ... فقلت: لها التشييفُ عندي والكحل[٧]

(١) الصنجة : ما يوزن به الدراهم عند سبكها .
(٢) في الأصل : « الحواق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) (س) ، (ق) : « وهذان مثلان آخران تتعلق بالحمام أيضاً » .
(٤) عبارة الفوات : « يستدعي إلى حمّامه » .
(٥) في (ق) ، (س) : « بدمعي » . وفي الفوات : « قارح » .
(٦) في الفوات : « إليك » . وفي الأصل : « وإنما تأخرت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٧) في الفوات : « بل العين » . وفي الأصول : « التنشيف » ، وأثبتنا ما في الفوات ، وتشييف العين مداواتها بالشياف ، وهو من أدوية العين .

وميـل بمـاء الرّيـق يبتـلّ سفلـه ... فيـدخـل سهـلاً غير صعب وينسـلُ
وأغسلهـا بـالبيض واللّبن الـذي ... علي بتقطيري لـه تجب الغسـلُ
فـإن شـاء وافيتُ الأديب مـدانيـا ... ولم أشتغل عنـه وإن كان لي شغلُ[1]

فكتب النصير الجواب :

أيـا من لـه في الطبِ علم مبـاشر ... ومـا كلّ ذي قول لـه القـولُ والفِعْـلُ
أتيت بطبٍّ قـد حـوى البيـع والشرا ... تبيّن لي في ذلـك الخرج والـدخـل
وإن كان لي بطبّـك إنـه ... بسقمي صعب ليس هذا بـه سهلُ [2]
فـلا عَـدِمَ المملـوك منـك مـداويـاً ... ومـا زال للمـولى على عبـده الفضـلُ

وكتب ابن النقيب إليه وهو بقرية [3] في خطه :

رغبت في كسب أجر ... وفي اغتنـام مثـوبـهْ
وهـانَ مـا كانَ فيـهِ ... من السّراجِ صعـوبَـهْ
ولستُ في أرضِ شـامٍ ... ولست في أرض نـوبَـهْ
وبيننـا رميُ سهمٍ ... غلطت بـل رجمُ طـوبَـهْ

فكتب النصير الجواب :

رُحمـاكَ يـا خيرَ مـولى ... ففي العتـابِ عقـوبـهْ
وأنت إن زدت عتبـاً ... يغـدو غـلامـكَ قُـوبَـهْ [4]
والعبـد مـازال يهـوى ... لا بـل يحبّ الرطـوبـه
تمـوّز فكرك والعبـ ... ـدُ فِكره فيـك طـوبَـه

(١) في الأصل : « موافاة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٢) في (س) ، (ق) « لي سهلاً » . وفي الفوات : « وإن كان ذا سهلاً » .
(٣) في (ق) ، (س) : « بقربه » .
(٤) القوبة : تقلّع الجلد من الجرب ، وانحلاق الشعر ، والْقُوَبة : ملازمة الدار .

قلت : ما كان يليق ذكر « تموز » وهو من شهور الروم ، وطوبة[١] وهو من شهور القبط .

وكتب النصير إلى السّراج الوّراق :

كنتُ مثـــل الغـــزال واللهُ يكفي ... صرتُ في وجهـــه إذا جئت كلبـــا
ولعمري لا ذنب لي غير أني ... تُبْتُ لله ظنّ ذلـــــك ذنبـــــا
وهـــو لـــو جـاءني وقـــد تبت حتى ... يبتغي حـــاجـــة فلن أتـــأبّى[٢]

فكتب الوراق الجواب ، ومنه :

وأتى الظبيُ مُرْسَـلاً منـك فـاستغْـ ... ـربْتُ لّمـا دعـوتَ نفســك كلبـا
ولكم جئت عـــاديـــاً خلفـــه تلـ ... ـهث عَـدْواً للصيـد بُعْـداً وقَرْبـا
غير أني نظرت عينَ صفي الـــــد ... ين كادت أن تشرب الظبي شربـــا
فـاترك التـوبـة التي قـد رآهـا ... لـــك وزراً كما زعمت وذنبـــا[٣]
واجتهـد في رضـــاك عنـــه وقرّب ... كل نـائي المـدى تَنَـلْ منـه قربـا
فلكم رضت جـــامحـــاً في تراضيـ ... ـــه وذللت بـالسفـارة صعبـا

وكتب إلى السراج أيضاً ملغزاً في « نون » :

مـــا اسمٌ ثـلاثي يُرى واحـــداً ... وقـــد يُعـــدّ اثنين مكتـوبُـــهْ
يظهر لي من بعضـــه كلّـــه ... إذ كل حرف منـــه مقلـوبـــه
أضف ثمـــانين إلى ستـــةٍ ... إن شئت لا يعـدوك محسـوبَـهْ[٤]
اطلبـــــه في البَرّ وفي البحر لا ... فـاتَ حجى مـولاي مطلـوبَـهْ

(١) في (س) ، (ق) : « مع ذكر طوبة » .
(٢) في الأصل : « فلو » وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٣) في الفوات : « نراها » .
(٤) في الفوات : « يعدوك » .

فكتب الوراق الجواب :

يـا سـالب الألبـاب عن سحْرِهِ ... بمعجـزٍ أَعْجَـز أسلـوبُـه[1]
ألغـزت في اسمٍ وهـو حرفٌ وقـد ... يخفى علينـا فيْـكَ محجـوبُـه
وهـو اسمُ أنثى مُرْضَـعٍ، طِفْلُهـا ... غَيْرُ لبـان النـاس مشروبُـه
مطّرد منعكسٌ شكلـه ... سيّـان في العين مقلـوبـه

قلت : قول النصير : « أضف ثمانين إلى ستة » وَهَمٌ منه ، لأن النونين بمئة والواو بستة فيكون ذلك مئة وستة .

وكتب النصير إلى الورّاق ملغزاً في « سَيْلٍ » :

أيا مَن لـه ذِهْنٌ لدى الفكر لا يخبو ... ومَن لم يزل يحنـوُ ومن لم يـزل يحبْـوُ
قصدتُ سراجَ الدين في ليل فكرةٍ ... يكاد جوادُ العقل في سيلها يكبو
ليُرشد في شيئاً بـه يُـدْرَكُ الْمُنَى ... لـه قلبٌ صبٌّ كم فـؤادٍ بـه صَبُّ
إذا ركب البيـداء يُخشى ويُتّقى ... ولم يثنـه طَعْنٌ ولم يثنـه ضربُ[2]
بقلب يهـدُّ الصَّخْرَ يَـوْمَ لقـائـه ... ومن أعجب الأشياء ليس لـه قلبُ

فكتب الوّراق الجواب :

أراك نصير الـدين عـذّبتَ خـاطري ... وقد راق لي مِنْ لُغزك المنهل العَذْبُ
وأثبتَّ قلبـاً منـه ثم نَفَيْتَـه ... وأعرفُـه صبّـاً وهـام لـه قَلْبُ
وأعرفُ منـه أعينـاً لا تَحفّهـا ... جُفونٌ كعـادات الْجُفـون ولا هُـدْب
ومن وصفـه صَبٌّ كما أنت واصف ... صـدقت ولـولاه لمـا عرف الحَبّ
فـدونـك مـا ألغـزتَـه لي مُبَيَّنـا ... وذلـك مـا يحتـاجـه العُجم والعُرْبُ

---

(١) في (س) ، (ق) والفوات : « من » .
(٢) (ق) : « ولم يبنه » .

وكتب النصير إليه أيضاً :

أتى فَصْـــل الخريف عليّ جـــــداً بـــأمراضٍ لـواعجُهـــا شِـــدادُ[١]
وأعْـــذُر عـــائـــدي إن لم يَعُـــدني ورُبَّ مريضِ قـــومٍ لا يُعـــــادُ[٢]

فأجابَ الورّاق :

خـلائقـــك الربيـع فليس تخشى خـريفـــاً في الجسـوم لـــه اعتيـــاد
ولا والله لم أعلمْـــــــــــك إلاّ صحيحـــاً والصحيـحُ فمـــا يُعـــادُ

وكتب النصير إليه أيضاً :

أيهـــا المحسن الـــذي وهب اللـــــه تعـــالى الْحُسْنى لـــه وزيـــادَهْ[٣]
ضـــاع مـــا كان من وصـولات وصلي فتصـــدق بكتبهـــا لي مُعـــادَهْ
أين تلـــــك الطروسُ نظماً ونثراً منـك تـــأتي على سبيـل الإفـــادهْ
كل طرسٍ يحلى [عروساً] بـدرّ الـ ـقـول كم من عقـد وكم من قـلادَهْ[٤]
كان عيشي إذا أتـــــاني رســـولٌ منـــــك يحيي خـــلاً أمتّ ودادَهْ[٥]
شهـــــــد الله ليس لي غير ذكرا ك وإلا خرست عنـــد الشهـــادَهْ

فكتب الوراق الجواب :

لم يغب عن ســـــواد عيني حبيبٌ حـــلّ من قلبي المشـــوق ســـوادَهْ[٦]
فكأني ولا أذوق لـــــــــه رزْ ءاً جريرٌ وذاك عنـــــد سَـــوَاده

(١) في الأصل : « إليّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٢) في الأصل : « إلى لم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٣) في الأصل : « للذي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٤) (ق) والفوات : « يجلي » . والزيادة من (ق) ، (س) والفوات .
(٥) في الأصل : « يجلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٦) في الفوات : « لم يفارق سواد » .

ذو بيـــان أدنى بـلاغتـــه تُنْـ ـسيـــك قسّـــاً وعَصْرَهُ وإيـــاده
جـوهريٌّ الألفـاظ كم قلّـد الأجـ ـيـاد عقـداً من نظمـه وقـلادَه
فعبيـدٌ أدنى العبيـد لـديـه ولبيـد عن نظمـه ذو بـلادَه[1]
ولأزجـالـه ابن قُـزمـان يعنـو فلتـوشيحـه يُقرّ عُبـادَهْ[2]
فـات دار الطراز منـه خـلال لَـوْ بِهـا للسعيـد تمت سعـادَهْ[3]
يـاصـديقي الـذي غـدا راغبـاً فـ ـي ولـلأصـدقـاء فيَّ زهـادَهْ
هجروني كأنني مصحَفٌ أو مسجـدٌ قـد أقيم أو سُجّـادَه
دمت نعم النصير لي مـا تغنّت سـاجعـاتٌ على ذُرَا ميّـادَه

وكتب النصير إلى الورّاق :

يـا أيهـا المـولى السّرا جُ ومـاجـداً أعلى منـارَهْ
يـا من تجـاوز فَضْلُـه حـدَّ القيـاس مـع العبـارَهْ
يـا من يلـوح بـوجهـه حسنٌ لنـاظره نضـارَهْ
يـا بـدر تمٍّ كم عليـ ـه غـدت من الفضـلاء دارَهْ
كم في الـورى معنى تنيـ ـر ولم أقـل طـوراً وتـارَهْ
وإذا مـدحنـاه فمـا فيـه صفـاتٌ مستعـارَهْ
لمبشري إن زرتني بشرى ويحظى بـالبشـارَهْ
يـا واعـدي في السبت هـ ـذا السبت جـاء وشنّ غـارَهْ
متصـدقـاً زرني فـذا يـوم التصـدق والـزيـارَهْ

(١) أراد عبيد بن الأبرص ، ولبيد بن ربيعة .

(٢) ابن قزمان محمد بن عيسى بن عبد الملك إمام الزجالين بالأندلس (ت٥٥٥ هـ) . وعبارة بن ماء السماء ، أقام عماد الموشحات (ت٤٢٢ هـ) ، وفوات الوفيات : ١٤٩/٢ .

(٣) في الأصل : « لونها » وأثبتنا ما في (ق) والفوات . وأراد القاضي السعيد ، ابن سناء الملك ، صاحب كتاب الطراز في الموشحات .

فكتب الجواب عن ذلك :

مـولاي يـا حلـو الخـلا ئـق والعبـارة والإشـارَهْ
ومنّمقـاً في الطرس رَوْ ضـاً كاد أن يجري غضـارَهْ
قـد كنت يـوم السبت ذا عـزمٍ على قصـد الـزيـارَهْ
لـو لم تشنّ عليّ آ لامي ـ كفـاك الله ـ غـارَه

وكتب النصير ملغزاً في « النار » :

ومـا اسمٌ ثـلاثي بـه النفـع والضرر لـه طلعـة تُغني عن الشمس والقمر
وليس لـه وجـهٌ وليس لـه قَفَـا وليس لـه سمـع وليس لـه بَصَر
يمـدُّ لسـاناً يختشي الرمحُ بـأسـه ويسخر يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت إذا ما قمت تَسْقيـه قـاصـداً وأعجبُ من ذا أنّ ذاك من الشجر
أيـا سـامعَ الأبيـات دونـك شرحها وإلا فنم عنهـا ونبِّـه لهـا عُمَر[1]

فكتب الوراق الجواب :

أراك نصير الـدين ألغـزت في الـذي يعيـد لِمسـك الليل كافور في السَّحَرْ[2]
رأى معشرٌ أن يعشقـوهـا ديـانـةً وتـالله لا تبقي عليهم ولا تَـذَرْ
وكلٌّ على قلب لهم ران اسمهـا فمسكنهم فيهـا ومـأواهم سَقَرْ[3]

---

(١) يشير إلى بيت بشار :
إذا أيقظتـك حروب العـدا فنبّـه لهـا عُمراً ثم نَمْ
ديوانه : ١٦٠/٤ .

(٢) في الفوات : « في التي تعيد » . وفي (ق) ، (س) والفوات : « كافوره السحر » .

(٣) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى ﴿ بل ران على قلوبهم ﴾ [المطففين : ١٤/٨٣] .

وقد وصفوا الحسناء في لهجة لها ... كما وصفوا الحسناء بالشمس والقَمَرْ[١]
ولو لم تكن ماطاب خبزٌ لآكل ... ولا لذَّ ماءٌ في حماك لمن عَبَر

وكتب النصير إلى الوراق مُلْغزاً في « ديك » :

أيا من لديه غامضُ الشعر يُكْشَفُ ... ومن بَدْرُه بادي السنا لَيْسَ يُكْسَفُ
عساك هدىً لي إنني اليوم ذاهلٌ ... عن الرشد فيما قد أرى مُتوقّف
أرى اسماً له في الخافِقَيْن ترفّعُ ... أخا يقظة ذِكراً ولا يَتَعَفَّف
رأيت به الأشياء تَبْدوُ وضدَّها ... فكان لهذا الأمر لا يتكيّف[٢]
فعرّفَهُ ذو السمع وهو منكرٌ ... ونكّره ذُو اللّب وهو معرّفُ
فجاوبْ لأحظى بالجواب فإنه ... إذا جاوب المولى العبيد يشرّفُ

فكتب الوراق الجواب :

إليك نصير الدين منّي إجابة ... بها أُوضِح المعنى الخفيّ وأكشف
رأيتك قد ألغزت لي في متوّجٍ ... بتذكاره أسماعُنا تَتَشنفُ
يُنبّه قوماً للصلاة ومعْشراً ... عبادتُهم آسٌ وكاسٌ وقرقفُ[٣]
له كرم قد سار عنه وغيرةٌ ... وعرفٌ به مِن غَيْره ظَلّ يُعْرَفُ[٤]
حَظيّاً تراه وادعاً في ضرائر ... يُزَيّنه تاج وبُرْدٌ مفوَّفُ[٥]
وفي قلبه كيدٌ ولكنّ صَدْرَه ... غَدا ضيقاً مثلي بذلك يوصفُ

(١) في الأصل : « لهجة لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات : « بهجة بها » .
(٢) في الفوات : « فكاد » .
(٣) القرقف : الخمر .
(٤) في الفوات : « وغيره » .
(٥) في الفوات : « خطيٌّ » .

وكتب إليه النصير ملغزاً في « نعامَةً » :

[ومفردٍ جمعـــــاً يُرى بحـــــذف بعض الأحرف
اسمٌ نعى أكثره فقـــال بـــاقيـــه اكفف
تراه يعـــــدو مسرعـــاً في بُرْده المفـــــــوّف[1]

فكتب الوراق الجواب][2] :

لـو قلت فين قـــد نعى مـــات لصـــدقتـــك في
وكل بـــــاغ كالـــــذي يبغي رهين التلف
ألغـــزت في اسمِ طـــائر في الأرض عنّـــا مـــا خفي
يفحص فـافحص عنـه يـا ربَّ الفنـــــــون تَعْرِفِ
وهـــــو لعمري في السما ء يُـــقْتفى ويـــقتفي

وكتب النصير إلى الوراق ، وعنده أحمد الزجّال :

عنـدنـــا من غـــدا بحبـــك مغرى ولـــه فيـــك عشقـــة وغرام[3]
مـوصلي يهـوى المـــلاح إذا مـــا جـــاء صبـح اللحى وولى الظـلام
فهـولا ينتهي عن الشيب بـــالشـ ـيبِ فـاذا تقـول يُجـدي المـلام
لا تسلّي منـــه الفـــؤاد مُـــدامٌ عن حبيبٍ ولـــو تغنى الحمـــام
لـو تبـــدّى لعينـــه ابن ثمـــانيـ ـن غـدا وهـو عـاشـق مستهـام
يستبيـــه من العيـون بيـــاضٌ ومن الألعس الشفـــاه ابتســـام
قرّ عينـاً وطِبْ فـديتـك نفســاً عنـــده أنت أنت بَـــدْرُ تَمام

(١) في الفوات : « يغدو » .
(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ، (ق) والفوات .
(٣) في الفوات : « لوعة وغرام » .

فكتب الوراق الجواب :

حبـذا من بنـات فكرك عـذْرا ... ء لهـا من فتيـق مسـكٍ ختـامُ
خِلْت ميم الروي فـاهـا وقـد ضـا ... ق ومَنْ ذاق، قـال فيـه مـدام
ولهـا من عقـود لفظـك حلي ... لم يَحُـز مثـل درّه النظّـامُ[1]
أذكرت بـالشبـاب عيشـاً خليعـاً ... نَبْتُ فَـوْدَيْـه بعـد آسٍ ثمـامُ
كيف لا كيف لا ولم أر صعبـاً ... قـط يـأتي إلا وأنت زمـامُ[2]
وبمـا فيـك من تـأتٍّ ولطفٍ ... أنـا شيـخ للمـوصليّ غـلامُ
فهـو نعم المـولى ونعم النصير الـ ... ـمرتضى أنت صـاحبـا وإمـام[3]

وكتب النصير أيضاً إليه ملغزاً في « كُنافَة » :

يـا واحـداً في عصره بمصره ... ومَنْ لَـهُ حُسن الثنـاء والسنـا[4]
تعرفُ لي اسماً فيـه ذوق وذكا ... حلـو المحيّـا والجنـان والجنى
والحـلّ والعَقْـد لـه في دسْتِـهِ ... ويجلس الصـدر وفي الصـدر المنى[5]
إن قيل يـوماً : هـل لـذاك كنيـة ؟ ... فَقُـلْ لهم : لم يخـلُ ذاك من كنـا

فكتب الورّاق الجواب :

لبيّيْـك يـا نعم النصير والـذي ... أدنت بـه الْمُنيَـةُ لي كل المنى
عرَّفتني الاسم الـذي عرفتـه ... وكاد يخفى سرّه لـولا الكنى
لـه من الحـور الحسـان طلعـة ... تقـابـل المرآة منهـا الأحسنـا

---

(١) في الفوات : « عقود فضلك » .
(٢) في الأصل : « كيف لا تكون ولا أرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٣) في الفوات : « صاحباً والسّلام » .
(٤) في (س) ، (ق) والفوات : « الشتاء » .
(٥) في الفوات : « ومجلس » .

وخِـدنُـه بعض اسمـه طيرٌ غـدا ... أصـدقُ شيء إن بلـوت الألينـا[1]
وهـو لسـانٌ كلُّـه وبعـد ذا ... منظره عنـد الكـلام ألْكَنـا[2]
وفي خِـوان المجـد كان مَـألفي ... عنـد الصيـام ربٌّ فـاجمع بيننـا

وكتب النصير أيضاً إلى الوراق مع ظروف يقطين في فرد :

يـا مَنْ لـدفـع الردى غـدا جُنَّـهْ ... ومن لـه في قبـولهـا المِنَّـهْ
هـدّيـةٌ في الإنـاء يتبعهـا ... خير نَبي وهكـذا السُّنـة[3]
إذا بـدا ظرفهـا بغلطتـه ... يـودّ فَتـحُ الأديب لـو أنّـه

فكتب الورّاق الجواب :

يـا من غـدا لي من العـدا جُنَّـهْ ... ومَنْ بحمامـه لنـا جَنَّـهْ
جـاء بهـا الفردُ وهـو ممتلئٌ ... مثـل فـؤاد الحمـاة بـالكِنّـة[4]
وكل ظرفٍ منهـا بنـوه على الـ ... ـفتـح فَحَقِّـق في حُبّـه ظنـه

وكتب النصير إلى الوراق أيضاً :

رُبّ راوٍ عن النبي حـديثـاً ... مسنـداً شـافيـاً كـلامـاً فصيحـاً
قـال: قـال النبي قـولاً صحيحـاً ... قلت: قـال النبي قـولاً صحيحـاً
وفهمت الـذي أشـار إليـه ... وسمعت الـذي رواه صريحـاً
قـال لي: يـا أديب أنت فقيـه ... قلت: لا، قال: حُزتَ ذهنـا مليحـا

فكتب الوراق الجواب :

---

(١) في الأصل : « الألينا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٢) في الفوات : « تنظره » .
(٣) في الفوات : « ثناء » ، وفي بعض أصوله : « نبي » .
(٤) في الفوات : « ملء فؤاد » .

إن فعـلاً جعلتـــه أنت قـــولاً ... ليس فيـه يحتـاج منكم وضـوحـا[١]
فـائبنِ منـه مضـارعـاً يظهر الخـا ... في ويبـدو الـذي كَنَيْتَ صريحـا[٢]
وتراه يبـــدو لعينيـــك معتـ ... ـلاً وقد قلت فيـه قـولاً صحيحـاً
وهـو فعـلٌ لم تـأتـه أنت [يـا] شيْـ ... ـطـان فـافهم مقـالتي تلـويحـا[٣]

وقال النصير يصف « حمّامَهُ » :

حمّـــام الأديب العـــارف ... مـــا يجري، وحـــالـو واقف
بهـا اسطـول ومـا فيهـا اسطـال ... والمـاء يتّـزن بـالقسطـال[٤]
والعمّـــال رأيتـو بطـــال ... والاسكنـــدراني نـــاشف
ومـــاريت فيهـــا بـلاّن ... يسرّح لحـدّ بـالإحســان[٥]
والـزّبـــال يعَرّ القُـوســـان ... قـال والخـاتَمـهْ يَصّـالِفْ[٦]
ذي دونـــه وقيّمهـــا دون ... مبنيـــة على مئـــة مجنـون
والمـــاء في المجـــاري مخـزون ... والأنبـوب معـوّج تـــالِفْ
وتـــابـوت على فسقيّـــة ... قلت مت بـــالكليّـــة
خـــذوا من نصير الـــدّيـــة ... وإلاّ اثنينـــاً متنـــاسف[٧]

وما أحسن ما كتب به[٨] ابن دانيال وهو :

---

(١) في (س) ، (ق) : « منك » .
(٢) في الأصل : « كتبت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) الزيادة من (س) ، (ق) . ومراده أنّ لفظة « قول » من حيث هي كلام للنبي توصف بالصحة ، أما من حيث اللفظ فهي معتلة .
(٤) في الفوات : « وما فيه » . وأسطال : جمع سطل ، وهي الدلو . والقسطال : أنبوب يجري فيه الماء .
(٥) البلان هو من يقوم بعمل الخدمة في الحمام . وفي (ق) والفوات : « الأحد » .
(٦) في الفوات : « يتصالف » .
(٧) (س) : « أتينا » ، وفي الفوات : « نتناصف » .
(٨) في الأصل : « إلى » سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

لئن فخرتْ بالمكرمات بنو مصرٍ ... فإنك بين الناس أجدر بالفخرِ
فما زلت ذا النادي النديّ لقاصد ... كثير رماد القِدرِ مرتفع القَدْرِ
ونارك للعافين دائمة اللظى ... لها لهبٌ يبدو كألوية حُمْرِ
وبيتك بيتٌ لم يزره مدنّسٌ ... فيذهب إلا وهو معه على طُهر[1]
وكم سقت ياقوتاً إليه وجوهرا ... لزينته حتى نسبت إلى أمر
فلا زلت ذا الرمح الطويل تهزّه ... يمينك عند النقع للبيض والسمر[2]
وتسلب أسلاب الرجال وإنه ... لسلب فتى لم يأتِ ذاك على عَذْر
وكم لك من مشمولة قد عصرتها ... معتقة للشرب طيبة النشر
وكم تائب وفاك يكشف رأسه ... فحققت منه أنه جاء عن عذر[3]

قلت : لقد جوّد هذا النظم ابن دانيال ، وحقق أن مثله لا ينال . وقوله : « ومشمولة قد عصرتها » هو قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بعينه ملغزاً في « لسان الحرير » الذي يستعمله المصريون في عمائمهم ، وأبدع في ذلك غاية الإبداع ، وهو :

ومشمولة راقت ورقّت فأصبحت ... على الشرب تزهى حين تهدى إلى الكاس
وما عُصِرت يوماً برجلٍ وكم لها ... إذا ما أديرت من صعود إلى الراس
معتقة ما شمّست بعد عصرها ... لإثم وكم فيها منافع للناس

☆ **ابن النصيبي :** تاج الدين محمّد بن أحمد . وضياء الدين محمد بن محمد .

☆ **النصيبي القوصي :** محمد بن محمد بن عيسى .

☆ **ابن النصير :** كاتب الحكم علاء الدين علي بن محمد .

(١) في (س) ، (ق) : « منه » .
(٢) في الأصل : « النفع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩١٥ ـ نُضار*

ـ بضم النون ـ بنت محمد بن يوسف ، وهي ابنة الشيخ العلاّمة أثير الدين أبي حيان .

حجّت وسمعت بقراءة شيخنا البرزالي على بعض الرواة ، وحدثت[١] بشيء من مرويّاتها وحضرت على الدّمياطي ، وسمعت على جماعة ؛ وأجازها من الغَرْب أبو جعفر بن الزبير ، وحفظت مقدمة في النحو .

وعمل شيخنا أثير الدين والدها لَمّا توفيت فيها كتاباً سمّاه (النضار في الْمَسْلاة عن نَضَار)[٢] . وكان والدها يثني عليها ثناءً كثيراً .

وكانت تكتب وتقرأ ، وقال لي والدها : إنها خرّجت جزء [حديث][٣] لنفسها وإنها تعرب جيداً ، وأظنه قال لي : إنها تنظم الشعر . وكان يقول دائماً : ليت أخاها حيّان كان مثلها .

وتوفيت رحمها الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة في حياة والدها ، فوجد عليها وجْداً عظيماً ولم يَثْبتْ ، وطلع إلى السلطان وسأله أن يدفنها في بيته بالبرقية داخل القاهرة ، فأذن له في ذلك ، وانقطع عند قبرها ولازمه سنة .

ومولدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبع مئة .

ولما توفيت كنت بالرحبة فكتبت إلى والدها بقصيدة أولها :

بكينا باللُّجين على نُضار ... فسيلُ الدمع في الخدين جار
فيالله جارية تولت ... فنبكيها بأدمعنا الجواري

---

* الدرر : ٣٩٥/٤ .

(١) في الأصل : « وحديث » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) أورد صاحب الكشف : ١٩٥٨/٢ كتاب : « النضار » لأبي حيان ، وذكر أنّ مؤلفه تحدّث فيه عن نفسه واشتغاله ورحلته وشيوخه .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

الألقاب

☆ **ابن نفيس :** علي بن مسعود .

☆ **ابن النقيب :** محمد بن سليمان .

١٩١٦ النعمان بن دولات شاه*

ابن علي الخوارزمي الشيخ علي .

وصل إلى دمشق في شهر رمضان سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وأقام بها أياماً ، وتوجه إلى باب السلطان بالقاهرة ، وحج من هناك ، وأقام بالقاهرة مدّة سنة ونصف ، ورجع إلى مخدومه القان أزبك .

وكان فاضلاً ، طاف البلاد ، واجتمع بالفضلاء ، وحصّل المنطق والجدل والطب ، وعاد إلى بلده سنة إحدى [وعشرين][1] وسبع مئة ، واتصل بملكها وخدم عنده طبيباً ، وصار رئيس الأطباء ببيمارستان خوارزم .

ثم إنه أرسله إلى طقطاي بن بركة ملك دشت القبجاق[2] ، فحظي عنده ، ولما مات وولي أزبك أعطى للنعمان مالاً كثيراً ليعمر من بعضه خانقاه بالقدس ، ويفرق البعض على المجاورين .

ومولده سنة سبع وخمسين وست مئة .

وكان قد استصحب من كتب الطبّ شيئاً كثيراً من دمشق لمّا عاد إلى بلاده .

---

* الدرر : ٣٩٥/٤ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) والدرر .

(٢) (ت ٧١٢هـ ، الدرر ٢٢٦/٢ ، الشذرات : ٣١/٦ .

١٩١٧ ـ نعمون بن محمود*

ابن نعمون بن عزيز ، الشيخ نجم الدين أبو محمد بن الشيخ الصالح غرس[١] الدين الحرّاني الحنبلي المؤذن بالجامع الأموي .

سمع من ابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، وجماعة . وحدّث وحج ، وله نظم وأشياء مما تليق بالمئذنة .

توفي في تاسع شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة .

وكان خفيف الروح مع الديانة .

النسب واللقب[٢]

☆ **النمراوي :** عز الدين الفقيه عبد العزيز بن عبد الجليل .

☆ **ابن نوح :** الشيخ عبد الغفار بن أحمد .

☆ **النهاوندي[٣] :** شرف الدين محمد بن عثمان ، ووالده جلال الدين بن أبي بكر .

١٩١٨ ـ نوروز**

نائب القان غازان محمود .

---

* الدرر : ٣٩٦/٤ .

(١) في الأصل : « زين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

(٣) في الأصل : « النهاندي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

** لم نقف على ترجمة له . وورد خبره في ترجمة غازان . انظر : الدرر ٢١٢/٣ ، وفيه : « نوروز بن أرغون » .

كان ديّناً مسلماً عالي الهمة ، وهو الذي اجتهد وحرص وبالغ في أمر غازان حتى أسلم ، وملّكه البلاد ، ثم إنه وقع بينهما ، فقَتَل غازان أخا نوروز وأعوانه ، فجهز لقتاله النوين خطلوشاه ، فتغلل جمع نوروز ، واحتمى بهراة ، فقاتل أهلها عنه ، ثم إنهم عجزوا عن نصرته ، فقتل نوروز في سنة ست وتسعين وست مئة ، وبعث برأسه إلى غازان .

١٩١٩ - نوروز*

الأمير سيف الدين .

كان في مصر معظّماً إلى أن عاد الأمير سيف الدين طاز من الحجاز فأقام قليلاً ورسم بإخراجه إلى دمشق على إقطاع الأمير سيف الدين شيخو القازاني[1] الساقي ، وحضر إليها على ثلاثة أرؤس من خيل البريد ، ووصل إلى دمشق في رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها أميراً إلى أن ورد المرسوم على الأمير سيف الدين أرغون الكاملي نائب الشام بإمساكه ، فاعتقله بقلعة دمشق ، وجرى ما جرى في واقعة بيبغاروس ، وكان اعتقاله في حادي عشري شعبان من السنة المذكورة .

ثم أُخرج عنه وتوجه إلى مصر فيما أظن ، ثم أعيد إلى دمشق ، ولم يزل إلى أن كانت واقعة بيدمر ، وحضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجي ، فقطعت إمرته .

ولما كان في العشر الأوسط من شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة توفي رحمه الله تعالى .

---

* البداية والنهاية : ٢٨٨/١٤ ، والدرر : ٣٩٨/٤ .

(١) (ق) : « الفازاني » ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

اللقب والنسب

☆ **النور الحكيم** : عبد الرحمن بن عمر .

١٩٢٠ ـ نوغاي*

الأمير سيف الدين الجمدار .

أمر السلطان الملك الناصر محمد بإمساكه بدمشق في ذي الحجة سنة تسع وسبع مئة .

ولم يزل في الاعتقال بقلعة دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالباب الصغير ، وبقي الحرس على قبره أياماً .

١٩٢١ ـ نوغاي**

الأمير سيف الدين الجمدار .

كان أميراً قديم الهجرة بدمشق ، فلما توفي الأمير علاء الدين علي بن قراسُنقر أُعطي إقطاعهُ ، وتقدمتة على الألف .

وأقام على ذلك مدة بدمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ست وخمسين وسبع مئة . ودفن قبالة جامع كريم الدين[1] بكرة الجمعة ، فخلّف عليه ديوناً كثيرة ، وأُعطي إقطاعه للأمير زين الدين قطليجا الدوَادار .

---

* الدرر : ٣٩٨/٤ .

** الدرر : ٣٩٨/٤ .

(١) هو عبد الكريم بن هبة الله ، سلفت ترجمته في موضعها .

الألقاب والنسب

☆ **ابن أبي النوق :** عثمان .

☆ **النويري :** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب . وفخر الدين عثمان بن يوسف . وعماد الدين [ناظر][1] الكرك وصفد وغيرها محمد بن محمد بن يعقوب .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

حرف الهاء

١٩٢٢ ـ هارون بن موسى بن محمد*

رشيد[١] الدين ، المعروف بابن المصلّي الأرمنتي .

قال كمال الدين الأُدْفُوّي : اجتمعت به ولم يَعْلِق بذهني منه شيء ، وله شعر كثير يأتيه من جهة الطبع ، ليس يُعرف له اشتغالٌ ، وكان إنساناً حسناً فيه لطافةٌ .

وتوفي رحمه الله تعالى بأرمنت سنة ثلاثين وسبع مئة .

وأورد له قوله :

حَثَّها الشوقُ حثيثاً مِن وَراها ... فتراها عانقت تُرب ثَراها
واعتراها الوَجدُ حتى رقصتْ ... طرباً أسكرني طيبُ شذاها
غَنِّني ياساقي الراح بها ... ليس يُغني فاقتي إلا غناها

منها في ذمّ الحشيش ومدح الخمر :

وامـلَ لي حتى تراني ميّتاً ... إنَّ موت السُكْرِ للنفس حياها
ليس في الأرض نباتٌ أنبتت ... فيه سرٌ حيَّر العقل سواها
رامت الخضراء تحكي سُكرها ... قتلوها بعد تقطيع قفاها[٢]

---

* الطالع السعيد : ٦٨٦ ، وفوات الوفيات : ٢٣١/٤ ، وفوات الوفيات : ٢٣١/٤ ، والدرر : ٣٩٩/٤ .

(١) في الأصل : « ابن رشيد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات والدرر ، وفي الطالع « الرشيد » .

(٢) في الدرر : « تحكي فعلها » .

[قال][1] : وكان في قبلي الدُمقرات[2] قرية تسمى (بِبُويَة) وفيها ببَرويَّة ؛ فقال فيها الرشيد المذكور :

بدويّه في بَبُويَهْ ساكنا صيَّرت عندي المحبة ماكنا[3]
اسمها ستّ العربْ هيجّت عندي الطَّربْ
أنا قاعد بين جماعة نستريح
عبرت وحده لها وجهٌ مليح
بقوام اعْدَل من الغُصْن الرجيح
في الملاحة زايدا
ووراها قايدا
لو تكون لي رايدا

كنت نعطيها ألف دينار وازنا وابن في[4] داخل بيوتي ماذنا

وترى مني العجب في تصانيف الأدب
نفرت مني كما نفر الغزال
واسفرت لي عن جبين يحكي الهلال
ورنت[5] أرمت بعينيها نبال
ثم قالت يا فلان
خذ من احداقي أمان
معك في طول الزمان

(١) زيادة من (ق) ، (س) . والقول ما زال للأدفوي .
(٢) في الأصل : « الدمثرات » ، وفي الطالع : « الدمقراط » . وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وهي قرية في الصعيد الأعلى ، قرب : إسنا ، (معجم البلدان) .
(٣) في الأصل : « ساكنها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « كامنا » .
(٤) في الأصل : « لي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « وابني داخل في » .
(٥) في الفوات : « ودنت » .

فـأنـا والله مليحـه فـاتنـا ومن الحُسـاد مـا أنـا آمنـا
والملـوك واهـل الرتب[١] يـاخـذوا من الحَسَب
قلت يـاستي أنـا هـوني نـموت
ادفنـوني عنـدكم جـوّا البيـوت
والعـذراى حـولهـا يمشـوا سكـوت
ثم قـالـوا كلّميـه
يـا عُريْبـه وارحميـه
ذا غريب لا تهجريـه
يشتهر حـالـك يصير لـك كاينـا يقتلـوه أهلـك وتبقى ضـامنـا
ذا الحـديث فيـه العطب ليس ذا وقت الغضب
قالت امض لا يكن[٢] عندك ضجر
واصطبر واعمـل على قلبـك حجر
مـا طريقي سـابلـه[٣] من جَـا عَبر
ذي العـذارى يعرفـوك
مـا تراهم يسعفـوك
ظلمـوني وأنصفـوك
قم وعـاهـدني فمـا أنـا خـاينـا وأنـا الليلـة لروحي راهنـا
مرّ وعبّي لي الـذهب فترى عقلـك[٥] ذهبْ

---

(١) في الفوات : « والملك » ، وفي الأصل : « الأدب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . والطالع .
(٢) في الفوات : « لا يكون » . وكذا في الطالع .
(٣) في الطالع : « سالكا » .
(٤) في الفوات : « والعذارى » .
(٥) في الأصل : « عقلي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « عقلك قد ذهب » .

عـاهـدتني[١] وبقيت في الانتظـار
واورثتني الـذل بعـد[٢] الانكسـار
والـدجـا قـد صـار عنـدي كالنهـار
عنـــدمـــا غـــاب القمر
واظلم الليـــــــل واعتكر
جف قلبي وانكسر
وعُريبـــا في حـــديثي واهنـــا أمنـــه في سربهـــا مطَّـــامنـــا
والفـــــؤاد مني اضطرب ونشف[٣] ذاك الطرب

صرت نرى النجم إلى وقت الصبـاح
إذ بدا[٤] ذا الكوكب الـدرّي ولاح
وإذا[٥] هي قـد أتت ست المـلاح
والعـــذارى في عتـــاب
مـــع عريبـــا في ضراب
ثم قـــالت ذا الكـــلاب
ينبحـوا تـأتي الرجـال الظـاعنـا بـالسيـوف وبـالرمـاح[٦] الطـاعنـا
يـــدركـــوني في الطلب يجعلـــــــوا رأسي ذنَبْ

(١) في الفوات : « واعدتني » .
(٢) (ق) : « ثمّ » . وكذا في الطالع .
(٣) في الطالع : « ونسيت » .
(٤) في الفوات : « ذي » . وفي الطالع : « لي » .
(٥) في الفوات : « فإذا » .
(٦) في الطالع : « والرماح » .

اللقب والنسب

☆ **ابن هارون** المغربي : عبد الله بن محمد .

١٩٢٣ ـ هاشم بن عبد الله بن علي*

الشيخ الإمام الفاضل نجم الدين أبو محمد التنوخي البعلبكي الشافعي ، مدرّس المدرسة الصارميّة .

اشتغل بالعلم مُدَّة عمره ، وكتب بخطه ، ونسخ وحصَّل الأجزاء والكتب ، وقرأ على الشيوخ ، وسمع بقراءة شيخنا البرزالي على الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره . وتوجه في الجفل إلى القاهرة ، وسمع مع المقاتلي . وولي المدرسة المذكورة بَعْد[١] عماد الدين ابن قاضي القضاة علم الدين الأخنائي ، ودرّس بها في تاسع شهر رجب الفرد سنة ...[٢]

وتوفّي رحمه الله تعالى يوم السبت العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وحضر جنازته جماعة من الفقهاء .

ومن شعره :

ولقد سمعت بسُكّرٍ من وصلكم ... فَعَساكم أن تجعلوه مكرّرا[٣]
وأظنه حُلْواً لذيذاً طعمه ... إذ كنت أسمع بالوصال ولا يرى[٤]

---

* الدرر : ٣٩٩/٤ ، والدراس : ٢٤٧/١ .

(١) في الأصل و (س) و (ق) : « بعد » ، وهو سهو ، قال ابن كثير في البداية والنهاية : ١٥٣/١٤ : « وفي هذا الشهر تولّى عماد الدين ابن قاضي القضاة الأخنائي تدريس الصارميّة وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكي الشافعي » . وعنه في الدارس ٢٤٨/١ .

(٢) (٧٣١هـ) ، كما في البداية والدارس .

(٣) في الدرر : « من فضلكم » .

(٤) في الدرر : « ولا أرى » .

ومن شعره :

لا تركَنَنَّ إلى الخريف فجـــــوُّه كـدرٌ وخَفْـقٌ نسيمِـه خطّـافُ[1]
يجري مع الأبدان جَرْي صديقها من لُطفـهِ ومن الصـديـق يخـافُ

ومنه في المشمش اللوزي :

أنكر العـــاشقـون صُفرة لـوني بعـدمـا [كان] كالـزبرجـد أخضر[2]
مـــادروا أنني عشقتُ فَلَـوني اكتسى [صفرة] وقلبي تكسّر[3]

☆ **الهاشمي :** نور الدين علي بن جابر . وشمس الدين محمد بن هاشم .

١٩٢٤ ـ هبة الله بن عبد الرحيم*

ابن إبراهيم : شيخ الإسلام ، ومفتي الشام ، وأحد الأئمة الأعلام ، قاضي القضاة شرفُ الدين أبو القاسم ابن القاضي نجم الدين ابن القاضي الكبير شمس الدين أبي الطاهر بن المسَلّم الجُهني الحموي البارزي الشافعي ، قاضي حماة ، صاحب التصانيف .

سمع من أبيه وجدّه ، وابن هامل ، والشيخ إبراهيم بن الأرموي يسيراً ، وتلا بالسبع على التادفي ، وأجاز له نجم الدين الباذرائي ، والكمال الضريرُ ، والرشيدُ العطارُ ، وعمادُ الدين بن الحرستاني ، وعز الدين بن عبد السلام ، وكمالُ الدين بن العديم .

برع في الفقه وغير ذلك ، وتشعبت به في الفضائل الطرقُ والمسالك ، وانتهت إليه

(١) في الدرر : « فحدّه » ، تحريف .
(٢) في (ق) ، (س) : « كان » .
(٣) الزيادة من (ق) ، (س) .
* نكت الهميان : ٣٠٢ ، والإعلام : ٣١٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٥٩/١ ، وغاية النهاية : ٣٥١/٢ ، والدرر : ٤٠١/٤ ، والشذرات : ١١٩/٦ .

الإمامةُ في زمانه ، وتفرد برئاسة العلم في أوانه . وكان بحراً من بحور العلم الزخّارة ، وحبراً من أحباره ، الذين توقدوا للهدى مثل الكواكب السّيارة ، تستحي ذُكاء[١] من ذكائه ، وتفيضُ علومه حتى يأخذ الغمامُ منها ملء[٢] زكائه ، مكباً على الطلب لا يفترُ ولا يني [ولا يقول السأم لنفسه طالبي بالتي هي أحسن ولا يني][٣] قد جانب ملّة الملل ، وتحقق أن الإخلال بذلك من الفساد والخلل ، هذا مع الصون والرزانة والتواضع الذي زاده رفعةً وزانه[٤] ، والوقار الذي خفّت الجبالُ أن تكون وزانَه ، والحلم الذي هو زينةُ العلم ، وطراز الحربِ والسلم ، والمحاسن التي ماحا سناها[٥] ضوءُ صباح ولا حوتها الوجوه الصِّباح :

تراهُ إذا ما زرتهُ متواضعاً ... جليلاً على حشد الندي وحفلِه
وتعرف منهُ الفضل من قبل نطقه ... كما يُعرفُ الهندي من قبل سلّهِ
وتُبْصرُ منه أمةً وهو واحدٌ ... وما زاد في ذي عدّةٍ مثلُ نبلهِ
إذا كان في أُفقٍ وأظلم حادثٌ ... سرى خائف العشواء في ضوء[٦] عقله

ولم يزل على حاله بحماة إلى أن ترك القضاء ، وذهبَ بصَرُه فشكر القدر والقضاء . ثم إنّ البارزي[٧] أضمرهُ الضريح وأخفاه ، واستكمل الأجل واستوفاه .

وتوفي رحمهُ الله تعالى في ذي العقدة سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة .

ومولدُه سنة خمس وأربعين وست مئة .

---

(١) الذكاء : الشمس .
(٢) في الأصل : « مسك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) زيادة من (س) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « زاد رفعه وزانه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « التي ما يحاسنها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٦) في الأصل : « وصف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٧) (ق) ، (س) : « ابن البازي » ، وكذا في الموضع الآتي .

فتوفي رحمهُ الله تعالى عن ثلاثٍ وتسعين سنة ، وحج مرات ، وحدَّث بأماكن ، وحمل الناسُ عنهُ علماً جماً ، وأذن لجماعةٍ بالإفتاء .

وبلغني أن الشيخ برهان الدين بن تاج الدين الفزاري كان يقولُ : أشتهي أن أروح إلى حماة ، وأقرأ (التنبيه) على القاضي شرف الدين البارزي .

وكان يرى الكفّ عن الخوض في الصفات ، ويثني على الطائفتين ، واقتنى من الكتب شيئاً كثيراً بحيث إنه كان عنده من كل شيء نسختان وثلاثة .

وكان إذا سمع بتصنيف لأحد من أهل عصره جهّز الدراهم واستنسخ ذلك . وباشر القضاء بلا معلوم لغناه عنه ، وما اتخذ درّة ولا عزّر أحداً قط ، ولا ركب بمهاز ولا مقرعة ، وعُيّن مرات لقضاء مصر فاستعفى ، وكانت جلالته عجيبة مع تواضعه .

وكان قد أخذ الفقه عن والده وجده [وجدّه][1] ، عن القاضي عبد الله بن إبراهيم الحموي ، وعن فخر الدين بن عساكر ، وأخذ القاضي عبد الله عن القاضي أبي سعد بن أبي عصرون ، عن الفارقي ، عن أبي إسحاق الشيرازي ، عن القاضي أبي الطيب ، وأخذ فخر الدين عن[2] قطب الدين مسعود النيسابوري ، عن عمر بن سهل السلطان ، عن الغزالي ، عن إمام الحرمين ، عن أبيه ، عن أبي بكر القَفّال .

ووقف القاضي شرف الدين كتبه وهي تساوي مئة ألف درهم . ولمّا توفي رحمه الله تعالى أغلقت أسواق حماة لمشهده .

وله من التصانيف : تفسيران ، وكتاب (بديع القرآن) وكتاب (شرح الشاطبيّة)[3] وكتاب (الشرعة في السبعة) وكتاب (الناسخ والمنسوخ) ، و (مختصر جامع الأصول) في مجلدين ، و (الوفا في شرف المصطفى) ، و (الإحكام على أبواب

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ابن » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

(٣) اسمه : الفريدة البارزّية في حل القصيدة الشاطبية ، انظر : الكشف ١٢٥٩/٢ .

التنبيه) ، و (غريب الحديث) كبير ، و (شَرْح الحاوي) ، أربع مجلدات ، و (مختصر التنبيه) ، و (الزبدة) في الفقه ، و (كتاب المناسك) ، و (كتاب عروض) وغير ذلك .

وله مما يقرأ طرداً وعكساً : « سُور حماة بربّها محروس » .

قلت : وهذا في غاية الحسن ، لأنه فصيح الألفاظ ، عذبٌ منسجم ، ليس عليه كلفة ، وفي القرآن العظيم من هذا النوع وهو قوله تعالى : ﴿ كلٌّ في فلَكَ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ ربَّك فكبّر ﴾[2] .

ومما جاء منه في الحديث قوله ﷺ : « يقالُ لصاحب القرآن : اقرأ وارقَ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية »[3] .

وفيه تسامحٌ ما ، ومنه قولهم : « كبرّ رَجَاء أجر ربك » وقول الحريري في مقاماته :

آسِ ارمـــــــــلاً إذا عَرا وارعَ إذا المرءُ أســـــــــا

الأبيات .

وقول القاضي ناصح الدين الأرّجاني :

مـودتـه تـدوم لكّـل هـولٍ وهـل كلٌّ مـودتـه تـدوم

وقوله أيضاً وهو مطلع قصيدة :

دام عـــــــــلا العماد

---

(١) الأنبياء : ٣٣/٢١

(٢) المدثر : ٣/٧٤ .

(٣) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري : ١١/١ .

ومما ينسب إلى القاضي الفاضل رحمه الله « أبداً لا تدوم إلاّ مودّة الأدباء » وقول القائل :

أرانا الإله هلالاً أنارا

وقول الآخر : (مودتي لخلّي تدوم) ، وكما قال العمادُ الكاتب : (سر فلا كَبا بك الفرس) فقال له الفاضل[1] رحمه الله تعالى : (دام عُلا العماد) .

وقد يكون هذا النوع كل كلمتين قلبهما واحد ، كقولك : « أرضٌ خضراء » « فيها أهيف » « ساكب كاس » ، وكقول ابن النبيه :

لبقٌ أقبلَ فيه هيفُ كلٌّ ما أملكُ إن غنّى هبه

وتارة تكون كل كلمة قلب نفسها ، كقول سيف الدين بن قزل المشد :

ليلٌ أضاء هلالُه أنّى يضيء بكوكب

١٩٢٥ ـ هبة الله بن علي*

ابن السديد ، مجد الدين الشافعي .

اشتغل بالفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي[2] ، وكان يطالع (تفسير ابن عطيّة)[3] كثيراً . وبنى مدرسة بإسنا ، ووقف بساتينه عليها .

قال كمال الدين الأُدفوّي : اتفق أنه عند انتهاء عمارتها حضر الشيخ تقي الدين إلىَ أسنا لزيارة بهاء الدين القفطي ، فسأله مجد الدين أن يلقي الدرس بها ، فألقى الشيخ

---

(١) (س) : « القاضي الفاضل » .

* الطالع السعيد : ٦٩٩ ، والدرر : ٤٠٢/٤ .

(٢) هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل (ت٦٩٧هـ) . الطالع السعيد : ٦٩١ .

(٣) هو المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، وهو مطبوع .

درساً[١] ، وكان شيخنا تاج الدين الدشناوي[٢] في خدمة الشيخ من قوص ، فقال لمجير الدين : إذا فرغ الدرس قل للشيخ يا سيدي بدستور سيدي آخذ الدرس ؟ فيبقى ذلك إذناً من الشيخ ، فقال : لا ، هذه مدرستي ، وأقول له : أنا هذا الذي قلت ، فيسكت أو يقول : لا ، فينقل عني .

وكان يدرّس بها ويعمل للطلبة طعاماً طيباً عاماً ويقول لمن تتفق غيبته يا فلان اليوم الفوائد والموائد :

ارضَ لمن غاب عنك غيبته ... فذاك ذنبٌ عقابه فيه

وانتهت إليه رئاسة بلده ، وخطب بأصفون .

وتوفي رحمه الله في بلده سنة تسع وسبع مئة .

١٩٢٦ ـ هبة الله بن محمود*

ابن أبي القاسم بن أبي الفضائل بن أبي القاسم بن محمد ، الشيخ الإمام الزاهد العالم الكامل[٣] الفقيهُ أمين الدين بن قرناص الخزاعي الحموي الشافعي .

اشتغل بالفقه ، وسمع (جزء ابن عرفة) من شيخ الشيوخ الأنصاري ، وحدث بحماة وحلب ودمشق ، وحج ، وحدّث بمنى .

كان مدرساً بحماة ، فترك التدريس وصحب الفقراء ، وأعرض عن المناصب ، وغير ملبوسه .

---

(١) في (ق) ، (س) زيادة : « بها درساً » .

(٢) في الطالع : « بهاء الدين بن الدشناوي » .

* الدرر : ٤٠٣/٤ ، وفيه : « هبة الله بن محمّد » .

(٣) (س) ، (ق) : « العامل » .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (جزء ابن عرفة) .

وتوفي رحمه الله تعالى : سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبعٍ وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

وتأسّف صاحب حماة كونه لم يحضر جنازته لأنه كان غائباً عن حماة ، وكان قد عاده في مرضه .

١٩٢٧ ـ هبةُ الله بن مسعود بن أبي الفضائل*

القاضي الفاضل معين الدين بن حَشِيش . قد تقدم ذكر والده في مكانه من حرف الميم .

كان فاضلاً أديباً عاقلاً لبيباً ، ذا حافظة وذاكرة ، ونظمٍ كثُر الاستحسان له شاكِره ، عارفاً بوقائع الناس وأيامهم وتراجم أعيانهم[١] وأعلامهم ، يسْردُ من ذلك ألوفاً ، ويقولُ لسان حاله : « خُلِقْتُ لذا ألوفاً »[٢] ، آيةً في الحافظة عجيبة ، متى دعاها إلى شيء كانت له مُجيبة ، قد أتقن القلمين إنشاء وحساباً ، وبلغ فيها الغايتين مآلاً ومآباً ، وباشر الجيش شاماً ومصرا ، ووهب الله بهيبتهِ[٣] تأييداً ونصراً ، ودبّر فأقبل ما أدبر ، ورحّب المضائق بما نَمَّق قلمه وحبّر :

ورمى إلى الغرض البعيد بفكره ... فأصاب حتف كوامن ودقائق

يَقِظ لأعقاب الأمور مجرّبٌ ... طبٌ بأدواء الممالك حاذقِ[٤]

---

* البداية والنهاية : ١٤٧/١٤ ، والدرر : ٤٠٣/٤ ، والشذرات : ٩٢/٦ ، وذيول العبر : ١٦٢ ، والنجوم : ٢٨٠/٩ .

(١) في الأصل : « أعيالهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) فيه إشارة إلى قول المتنبي :

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا ... لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

(٣) في (س) (ق) : « له بهيبته » .

(٤) ضبط الصفدي بقلمه : « يقظ » ، ومابعدها من صفات بالكسر ، وإلاّ ففي البيت إقواء .

تنقّل من الشام إلى مصر مرّات ، ونال من السلطان مكارم ومبرّات .

ولم يزل على حاله بمصر أخيراً إلى أن جمدت[١] حواسه ، وخمدت أنفاسه .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وستين وست مئة .

ودفن بالقرافة في تربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش ، وكانت جنازة حافلة .

وكان ينظم شعراً جيّداً ، وليس له نثرٌ جيد ، اللهمّ إلا إن ترسّل وكتب بلا سجع ، فإنه يأتي في ذلك بالمثل السائر والبيت المطبوع ، ويأتي بالشاهد على ما يحاوله وذلك في غاية البلاغة والفصاحة ، يُوفي المقام في ذلك حقّه ، وكان عجباً في القوّة الحافظة .

كان في مبدأ أمره كاتباً في الدّباغة ، حتى إنه كتب إلى الأعسر أو لغيره من مشدّي دمشق ممن كان له الحكم في ذلك الوقت :

يـا أميراً حـاز الحَيَـا والبـلاغـة قَتَلَتْني روائـح الـدّبّـاغَـة

ثم إنه نقل إلى طرابلس وخدم في الجيش بها ، وكان يساعد ابن الذهبي كاتب الإنشاء بطرابلس ، فاشتهر وعرف بالأدب ، فأحبّه الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس[٢] ولم يزل إلى أن توجّه أسندمر مع السلطان الملك الناصر محمد من دمشق إلى القاهرة سنة تسع وسبع مئة ، فسعى له عند السلطان إلى أن استخدمه بديوان الجيش بالديار المصرية .

وكان قد حضر معين الدين إلى دمشق في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ناظر الجيش عوضاً عن القاضي شمس الدين بن حميد[٣] وأقام بدمشق إلى أن حضر

(١) في الأصل : « خمدت » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) كرر الناسخ ههنا قوله : « فاشتهر ... بالأدب » .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٦٦/١٤ ، وقد سلفت ترجمة أبي طالب في موضعها من حرف الطاء .

القاضي قطب الدين من الديار المصرية ، فتوجه القاضي معين الدين إلى مصر ، ولم يزل إلى أن أمسك القاضي قطب الدين ناظر الجيش بالشام في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، فحضر القاضي معين الدين عوضه في نظر الجيش بالشام[١] ، ووصل إلى دمشق خامس جمادى الآخرة [سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة][٢] ، فانفرد بذلك قليلاً . ثم إنه شورك بينهما في النظر بمعلوم لكل منهما نظيرُ الأصل ، وكان القاضي قطب الدين هو الأكبر والعَلاَمة له أولاً ، ولم يزل بدمشق إلى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ولّما عزم القاضي فخر الدين على الحجاز طلب السلطان معين الدين ليسد الوظيفة في الجيش عن القاضي فخر الدين[٣] ، فأقام بالديار المصرية إلى أن مات في التاريخ .

وكان يكتب خَطّاً قوياً ولا بدّ له إذا كتب اسمه « هبة الله بن حشيش » [أن][٤] ينقط الشين خوفاً من التصحيف .

اجتمعت به في دمشق وفي مصر مرات ، وأنشدني له كثيراً ، وممّا أنشدني له شيخنا علم الدين البرزالي إجازة قوله :

طيف ألمّ وطرف الهمّ وسنانُ ... وناظرٌ لا رتقاب الوَصْل يقظان
سرى وموكبه شوقي ومَوْطِنهُ ... خَدّي وذلكما طِرْفٌ وميدانُ[٥]
حتى تضمنه الطرْفُ السهيد وقد ... غطى شهيد الكرى للدمع طوفانُ[٦]
فلم يزل دون تهويم يمتّعنا ... بالوصل زوراً وطرفُ النجم سَهران[٧]

---

(١) البداية والنهاية : ١٠٥/١٤ .
(٢) زيادة من (س) ، (ق) .
(٣) البداية والنهاية : ١٣٥/١٤ .
(٤) زيادة من (س) ، (ق) .
(٥) الطِرف : الفرس .
(٦) في الأصل : « تطمّنه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وفي (س) ، (ق) : « الجفن السهيد » .
(٧) في الأصل : « تقويم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . والتهويم : النعاس .

فكم تلقى بصدري فرحةً فرشت ... له السرائر فالأحشاءُ أوطانُ
إذا تمشى إلى جَرْح الجوارح يأ ... سوه فكم طُفِئت للوجد نيرانُ
فشق باللطف عن قلبي وعزّل عنـ ... ـه ما يشقُّ فقلبي اليومَ فرحانُ
وراح يخلعُ جلباب السرور على ... وقتي وقد مرّ دهر وهو عُريانُ
أهلاً به من خيالٍ عادلي أملي ... به وعاودني رَوْحٌ وريحانُ
فالعيشُ رغدٌ ودارَ الأُنس دانية ... وجيرةُ الحي بعد الهَجْر جيرانُ
ورُقْبةُ البدرِ سُهْدٌ والمنى حُلُمٌ ... تحلو لنا ومَغَاني الحيِّ أوطانُ
فهذه مِنحُ الطيف المُلِمّ بِنا ... سرّاً فليت بواقي السِّر إعلانُ

وكتب من طرابلس إلى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم :

خيالك لمّا بان ركبُك ما بانا ... لأنّ له في ناظر العَيْن أوطانا
إذا ما اشتكى قلبي لهيب غرامهِ ... لدمعٍ يجاريه تأججَّ نيرانا
نَعِمتُ بما ترضَون لي يا أحبّتي ... ولم أخْشَ أشواقاً إليكم وهجرانا
وعَذْب عذابي فيكم وتحرّقي ... وكم من عزيزٍ في محبتكم هانا

فكتب شهاب الدين بن غانم الجواب إليه :

رقادي لمّا بنْت يا منيتي بانا ... فكيف يزورُ الطيفُ منّي أجفانا
وقلبي مُذْ ودّعتَ لا علم لي به ... وآخرُ عَهدي أنّه عندكم كانا
على أن ما شطّت نوى من غدت له الـ ... ـسرائر من صدري ربوعاً وأوطانا
وحاشى لمثلي أن يُرى متشكيّاً ... صدوداً وأن يخشى ببعُدك هجرانا
وما زال توحيدي وشخصُك والهوى ... بقلبي سكّاناً أقاموا وجيرانا

ومن شعره قصيدة في المجون ، وجوّدها ، أولها :

لا وَالأيورِ الصُّلّعِ

منها يقول :

ما وَقَع الكسّ على ... قلب الخصيّ بَوْقِعِ

١٩٢٨ ـ هدية بنت علي بن عسكر*

الشيخة أم محمد البغدادية ، اللّبان أبوها ، الهرّاس جدّها .

كانت امرأةً صالحة ، كثيرة الصلاة والنوافل . رَوَت عن ابن الزبيدي ، وابن اللتي ، وجعفر الهمداني ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليها (مسند الدارمي) ، ورافقتها في السفر من دمشق إلى القدس ، وقرأت عليها بعجلون ، والبيت المقدس ، وبلد الخليل عليه السلام ، وبالأردن عند جسر دامية ، وغير ذلك ، وكانت تتردد إلى بيتنا وتقيم عندنا الأيام المتوالية . وسمع منها جماعة من الطلبة .

ثم إنّها توفيت رحمها الله تعالى بالقدس في ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

الألقاب والنسب[1]

☆ **الهذباني :** نجم الدين الحسن بن هارون . ونور الدين علي بن محمد .
☆ **الهكاري :** الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد . عماد الدين داود بن محمد .
☆ **ابن هود :** الشيخ بدر الدين الحسن بن علي .
☆ **الهرغي**[2] **:** تقي الدين عبد الله بن محمد .
☆ **ابن الهمام :** ناصر الدين محمد بن الهمام .

---

* الإعلام : ٢٩٩ ، والدرر : ٤٠٣/٤ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيول العبر : ٧٠ .
(١) هذا العنوان وضع بعد « الهذباني » في الأصل .
(٢) (ق) : « الهرفي » ، وقد سلفت ترجمته .

☆ **أولاد ابن هلال :** الصاحب تقي الدين أحمد بن سليمان . ومعين الدين الحسين بن محمد . وفخر الدين عبد الرحمن بن عبد العزيز . ومخلّص الدين عبد الواحد بن عبد الحميد . ونجم الدين علي بن محمد . وأمين الدين محمد بن محمد بن عمر .

[☆ **ابن الهيتي :** صلاح الدين ناصر بن أبي الفضل][1] .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

حرف الواو

☆ **ابن والي الليل :** محمود بن رمضان .

☆ **الوتار القوّاس :** علي بن إسماعيل .

☆ **وحيد الدين إمام الكلاسة :** يحيى بن أحمد .

☆ **ابن وزّيدة :** عبد الرحمن بن عبد اللطيف .

١٩٢٩ ـ وهبان بن علي*

ابن محفوظ بن أبي الحياء السبتي ، الشيخ زين الدين أبو الكرم المؤذن بباب السلطان ، الجزري .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روى لنا عن ابن باقا الجزء الثالث من (البيوع) من مسائل الإمام أحمد الأثرم[1] ، قرأته عليه بمنزله في علوّ خان مسرور بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وست مئة بجزيرة ابن عمر .

---

* العبر : ٤٠٧/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(١) أحمد بن محمد ، أبو بكر الأثرم ، أخذ عن الإمام أحمد (ت ٢٦١ هـ) الأعلام : ٢٠٥/١ .

الألقاب والنسب

☆ **ابن واصل :** قاضي القضاة محمد بن سالم .

☆ **الـوائي :** الشيـخ برهـان [الـدين][1] إبراهيم بن محمـد بن أحمـد المـؤذن . وشرف الدين عبد الله محمد بن إبراهيم .

☆ **والواني :** علي بن عمر بن أبي بكر .

☆ **والواني :** محمد بن إبراهيم .

☆ **الواسطي :** الشيخ عماد الدين أحمد بن إبراهيم . وتقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن .

☆ **ابن الواسطي :** القاضي شهاب الدين غازي بن أحمد . وموّفق الدين محمد بن إبراهيم . والمسند شمس الدين محمد بن علي .

☆ **الوادعي :** علي بن المظفر .

☆ **الوردي :** القاضي زين الدين .

☆ **ابن الوردي :** عمر بن مظفر . وأخوه القاضي جمال الدين يوسف بن المظفر .

☆ **وليّ الدولة :** أبو الفرج .

☆ **ابن الوحيد الكاتب :** محمد بن شريف .

☆ **ابن الوزيري :** بدر الدين محمد .

☆ **أبو الوليد المالكي :** محمد بن أحمد .

☆ **الوطواط الوراق :** محمد بن إبراهيم .

---

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

حرف الياء

١٩٣٠ - يحيى بن إبراهيم*

الملك الناصر صاحب سنجار .

قتله القان خربندا ، وقتل معه الوزير سعد الدين الساوجي ، والوزير مبارك شاه في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

١٩٣١ - يحيى بن أحمد**

ابن خذاذاذ الخلاطي الشافعي ، وحيد الدين ، أبو حامد الرومي .

شيخ القراء ، إمام الكلاسة بالجامع الأموي .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشري جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة .

قرأ بالروم على الصائن البصري[1] . وولي إمامة الكلاّسة نحو خمس عشرة سنة ، وقبلها كان يؤم بمشهد ابن عروة . وولي مشيخة الخانقاه الأسدّية ، وبها مات رحمه الله تعالى .

---

* الدرر : ٤١٠/٤ .

** الدرر : ٤١٠/٤ ، وغاية النهاية : ٣٦٥/٢ ، والذي في أصول الأعيان : « حداد » ، وشد وما أثبتناه هو ضبط ابن الجزري في الغاية ، وفي الدرر : « خداداد » .

(١) محمد بن محمد بن موسى صائن الدين الهذلي البصري ، شيخ بلاد الروم في القراءات (ت٦٨٤ هـ) . غاية النهاية : ٢٥٥/٢ .

وكان إماماً عارفاً بفنّ القراءات ، وبلغ الثمانين من عمره ، وحضر جنازته خلق عظيم .

١٩٣٢ ـ يحيى بن أحمد بن يوسف*

ابن كامل ، السيد العدل الرضي عماد الدين بن شهاب الدين الشريف الحسيني ، عرف بالبصراوي ، ناظر ديوان الأشراف .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان رجلاً جيّداً متواضعاً عدلاً من أهل السنّة ، روى لنا عن ابن الصلاح ، وابن مسلمة ، وسمع من ابن البراذعي ، وعتيق السلماني ، والسخاوي ، وغيرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة ست وعشرين وست مئة .

١٩٣٣ ـ يحيى بن أحمد بن عبد العزيز**

ابن عبد الله بن علي بن عبد الباقي بن علي بن الصواف[١] الجذامي الإسكندراني ، الشيخ الفقيه الإمام المحدث المقرئ العدل شرف الدين أبو الحسين ابن المحدث نجيب الدين أبي الفضل .

حصل له صمم وكفّ بصره سنتين[٢] ، وعُمِّر ، وكا ن يروي (الخلعيّات) عن ابن

---

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٦ ، والدرر : ٤١٣/٤ .

** نكت الهميان : ٣٠٧ ، والدرر : ٤١٠/٤ ، وغاية النهاية : ٣٦٦/٢ ، والشذرات : ١٣/٦ .

(١) في الأصل : « الصوات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ومصادر ترجمته .

(٢) في (س) ، (ق) : « مدة سنين » .

عماد[١] ، وسمع من جده أبي محمد عبد العزيز ، ومن ناصر بن عبد العزيز الأغماتي[٢] ، وعبد الخالق بن إسماعيل التنّيسي[٣] ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن الجباب[٤] ، ومرتضى بن العفيف[٥] ، وجماعة . وقرأ القرآن بالروايات على ابن الصّفراوي[٦] .

قال شيخنا علم الدين البزرالي : وأجاز لنا في سنة إحدى وسبعين وست مئة ، ثم قرأت عليه (جزء السلفي) بسماعه من ناصر الأغماتي ، والخامس من (الخلعيّات) بسماعه من ابن العماد .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشري شعبان سنة خمس وسبع مئة .

ومولده بالإسكندرية في أحد الربيعين أو الجماديين سنة تسع وست مئة .

١٩٣٤ ـ يحيى بن أحمد بن نعمة*

ابن أحمد بن جعفر بن حسين بن حمّاد ، الشيخ الإمام بقيّة السلف محيي الدين أبو زكريا ابن الشيخ الإمام الصالح كمال الدين المقدسي الشافعي ، إمام مشهد علي بالجامع الأموي[٧] .

أول سماعه بالقدس في شعبان سنة أربعين وست مئة ، سمع مع والده مَكّي بن

(١) محمد بن عماد بن محمّد الجزري (ت٦٣٢هـ) . السير ٣٧٩/٢٢ .

(٢) في الأصل : الأغماني » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ت٦٣١هـ) الشذرات : ١٤٧/٥ .

(٣) في الأصل : « التنسي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « الحباب » ، وسلفت الإشارة إليه .

(٥) مرتضى بن العفيف جماعة بن عباد الضرير ، يعرف بابن اكشاب ، أخذ القراءات والشاطبية عن الشاطبي . غاية النهاية ٢٩٣/٢ .

(٦) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل الصفراوي مؤلف كتاب : (الإعلان) ، (ت٦٣٦هـ) . غاية النهاية : ٣٧٣/٢ .

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٨ ، والدرر : ٤١١/٤ .

(٧) وهو المشهد الشرقي الشمالي بالجامع ، ويدعى أيضاً مشهد الحسين .

علاّن والمرسي والفقيه محمد اليونيني وشيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري وإسماعيل العراقي والنجم البلخي وابن خطيب القرافة وابن عبد الدائم وجماعة ، وأجاز له السخاوي والفرضي وعتيق السلماني وابن الصلاح والعزّ بن عساكر وعمر بن البرادعي وجماعة .

وكان له اشتغال بالعلم في أول عمره ، وعنده سكون وسلامة صدر ، وأعاد بدمشق والقاهرة ، وكان صالحاً مباركاً موصوفاً بالخير والدين .

توفي رحمه الله تعالى سادس عشري شهر رمضان سنة [ست][1] عشرة وسبع مئة ومولده سنة ثلاثين وست مئة تقريباً .

١٩٣٥ ـ يحيى بن إسحاق*

ابن خليل بن فارس ، القاضي الفقيه الإمام محي الدين أبو زكريا ابن القاضي الإمام العالم كمال الدين أبي محمد الشيباني الشافعي .

كان شيخاً حسناً مباركاً ، ولي القضاء بشيزر وزُرَع وأذرعات ، وكان حسن السيرة ، كثير التواضع فقيهاً ، اشتغل وحصّل وكتب ، وكان من أصحاب الشيخ شرف الدين بن المقدسي .

وسمع الحديث من والده ، ومن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وأحمد[2] بن أبي الخير ، والقطب خطيب القدس ، وجماعة .

---

(١) زيادة من (س) ، (ق) ومصادر ترجمته .

* الدرر : ٤١٤/٤ .

(٢) في الأصل : « ابن أبي عمرو بن أحمد » ، وفيه خلل ، وأثبتنا ما في (س) (ق) .
وابن أبي عمر هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .
وأحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم الدمشقي (ت ٦٧٨ هـ) العبر : ٣١٩/٥ .

وخرّج له شيخنا الذهبي جزءاً ، وحدّث به .

توفي رحمه الله تعالى سلخ شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة ، ودفن بجبل قاسيون .

١٩٣٦ - يحيى بن إسماعيل*

ابن محمد بن عبد الله ، القاضي الصدر الرئيس النبيل شهاب الدين ابن القاضي عماد الدين بن القاضي شرف الدين ابن الصاحب فتح الدين بن[١] القيسراني المخزومي ، تقدم ذكر والده القاضي[٢] عماد الدين ، وذكر غيره من بينهم .

كان القاضي شهاب الدين قد طبع على الرئاسة ، وجمع في أجزائه من السيادة والسياسة ، يتجمّل في مركوبه وملبوسه ، ويتحمّل المضض من نكدِ دهره وبؤسِه ، لا يشكو والدهرُ قد عضّه بنابه ، ولا يُظهر الشماتة بعدوّ ولا يقول في شده : « ليت ما بنابه »[٣] ، ولا يتلفّظ بسوء في حقّ من آذاه ويقول : من أطلق لسانَه فليس بنابه . تخف الجبال الراسيات لوقاره ، وتتعجّب السلافة من لطفه وهي في خزف[٤] الدّن وقارِه ، أخلاقه كنسيم الصَّبا ، فالخمائل منها في خُمول ، ومحاسنُه كثيرةُ العَدَد وعلى ظهر الزمان منها حُمول ، وبشرٌ يتعجب من دوامه جليسه ، وتواضعٌ يشهد بالرفعة له أنيسه .

---

* وفيات ابن رافع : ٣٠٧/١ ، والدرر : ٤١٤/٤ ، والنجوم : ٢٩٠/١٠ ، والشذرات : ١٧٥/٦ ، وذيول العبر : ٢٩٠ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) إشارة إلى قول الشاعر :

عضنا الدهر بنابه ليت ما حلّ بنا به

(٤) في الأصل : « حرف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

شيمـــــة حُرّةٌ وظـــــاهرُ بشْرٍ راح من خلفـــــــهِ السماحُ يشَفُّ

هذا إلى كرم[١] يضطرب موجُه ، ويشهد لمؤمّله بالفوز فَوْجُه .

ولاّه السلطان الملك الناصر محمد كتابة السرّ بالشام إكراماً للأمير سيف الدين تنكز ، وتوهّم فيه التقصير ، فبدا منه كلُّ أمرٍ مُعْجز ، فنفّذ مهمات البريد ، وصانَ أسراره ، وصال على أعاديه بكتبه التي يجهزها على الحرارة ، حتى دخل في عين تنكز وملأ قلبه ، وجعل إليه إيجابه وسَلْبَه ، وألقى إليه مقاليد دولته . وروى الليث عنه أسانيد صولته ، فتقدم في تلك الدولة[٢] ورأس ، وجنى من ثمرات[٣] الشكر مما غرس ، فكان إذا جلس في صدر ديوانه كأنه كسرى في إيوانه مقددٌ وسُؤدَد ، وستورٌ من الجلالة عليه ترخى ، وأطنابٌ من المهابة تُمْدد :

بصفاتـه سَجَع الحمامُ وهزّ عِطْـ ـفيه قضيبُ البانةِ الأُمْلودُ[٤]

سلك المكارم والممالك عَزْمُهُ فغدت وليس لنظمها تَبْديدُ

من معشر مولودهم في مهده يُرجى ومن قبل الفطام يسودُ

وكان خطُّه أبهى من الرّوض وأبهج ، وسطوره في طروسه آنقُ من بحر كافور بالمسك قد تموّج ، قد صَغَت حروفها وقعدت ووضعت تيجان الحسن على رؤوسها وعَقدت .

إلاّ أن الزمان قطع عليه اللّذة ، وارتجع حسَنتَه الفذة ، فأمسك السلطان تنكز ، فانحل نظامُ السَّعد ، وزالت تلك المحاسن و ﴿ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبلُ ومِن بَعْدُ ﴾[٥] ،

---

(١) (خ) : « كريم » .

(٢) (س) ، (ق) ، (خ) : « الأيام » .

(٣) في (س) ، (ق) ، (خ) : « وجنى ثمرات » .

(٤) الأملود : الناعم الليّن .

(٥) الروم : ٤/٣٠ .

وأصابه في[١] تلك المحنة شؤبوب ، ومرّ عليه من لامع برقها ألهوب[٢] ، إلا أنها كانت شدة خفيفة ومحنة عفيفة ، فانقشع غيمها ، وانجمع ضيمها . ثم إنه أُرسل سعده بعد فترة ، ورفع على رأسه جترة[٣] ، وقالت له الأيام :

لُحْ في العلا كوكباً إن لم تَلُحْ قَمَراً أو قم بها ربوةً إنْ لَمْ تَقُمْ علَمَا

فعاد إلى توقيع الدَّست ، وحطّت نغمة نعمته في الدُّوكاة بعد أن طلعت في الرَّست[٤] .

ولم يزل على حاله إلى أن انطوى بعد ما تألق ، وتعلّى روحه إلى الجنة وتعلّق .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثاني عشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده رحمه الله تعالى .

ومولده تقريباً سنة سبع مئة[٥] ومات بعلّة الاستسقاء بعدما عالج لواعجه قريباً من عشرة أشهر ، وصبر على الامتناع من رؤية الماء وشربه جملة كافية .

وقلت أنا فيه :

قلت إذا استسقى الرئيس الذي بالجود عمّ الغرب والشرقا
عهدي أن البحر يسقي الورى مالي أرى البحر [قد] استسقى[٦]

وكان القاضي شهاب الدين ـ رحمه الله تعالى ـ قد ورَد مع والده إلى دمشق من حلب ، وقد رُسم له من مصر أن يكون مع والده مقيماً بدمشق ، وأن يكون والدُه

(١) (س) : « من » .
(٢) ألهب البرق : تتابع .
(٣) الجتر : المظلّة .
(٤) الدوكاة والرّست : من مقامات الموسيقا .
(٥) قوله : « دفن » حتى ههنا ليس في (خ) .
(٦) (خ) : « عهدي بأنْ » . والزيادة منها ومن (س) ، (ق) .

موقّعاً بالدست ، وأن يكون هو كاتب إنشاء ، فباشر ذلك على أتمّ ما يكون من التجمّل في ملبسه ومملوكه ودوابه[١] ومركوبه إلى غير ذلك ، حتى كان القاضي محيي الدين بن فضل يقول : هذا المولى شهاب الدين بن القيسراني[٢] يجمّل هذا الديوان .

وكانت يكتب الرقاع مليحاً إلى الغاية . ولم يزل على ذلك إلى أن توفي والده رحمه الله تعالى ، على ما تقدم في ترجمته ، فرتّبه الأمير سيف الدين تنكز في توقيع الدست مكان والده . ولم يلبث بعد ذلك إلاّ قليلاً حتى كتب فيه إلى السلطان وسأل له أن يكون كاتب السر بدمشق ، فأجابه السلطان إلى ذلك . وكان تنكز يحبّه ويميل إليه ويعتمد عليه اعتماداً كثيراً ، حتى إنّه كان في السفر لا يُمسك قلماً ولا يكتب على شيء ، لا مطالعة إلى باب السلطان ولا غيرها ، بل يسطّر قبل سفره ما يحتاج إليه من المطالعات وأوراق الطريق والمراسيم[٣] التي على الخزانة بالتسافير والإنعامات والْمُطلقات وجميع ما يكتب إلى النواب وإلى غيرهم ممن هو في باب السلطان ، يفعل ذلك وثوقاً به .

ولم يزل كذلك إلى أن أُمسك تنكز ورسم السلطان بعزل كلّ مَنْ هو من جهة تنكز[٤] ، فأمسكه الأمير سيف الدين بشتاك ، وأخذ منه تقدير عشرين ألف درهم وأفرج عنه . وأقام بعد ذلك بطّالاً إلى أن توفي السلطان .

وجاء الفخري وملك[٥] دمشق ، فاستخدمه في كتابة الدست بدمشق . وتوجه مع الفخري والعساكر إلى الديار المصرية ، وعاد إلى الوظيفة المذكورة ، وأقام عليها بدمشق إلى أن توفي القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر بدمشق ، فكتب

---

(١) في (ق) ، (س) : « ودواته » .
(٢) قوله : « ابن القيسراني » ، ليس في (خ) .
(٣) (ق) : « والمراسم » .
(٤) (خ) : « كل من هو في جهته » .
(٥) (خ) : « وقلك » .

الأمير سيف الدين يلبغا[١] وكان يومئذ نائب دمشق في القاضي شهاب الدين بن القيسراني وسأل من السلطان أن يكون كاتب سرّ بدمشق ، فما قدّر الله له بذلك . وحضر بريدي يطلبه إلى باب السلطان فتوجه إلى الديار المصرية ، فرسم له بأن يكون كاتب إنشاء بالقاهرة[٢] فأقام على ذلك[٣] قليلاً ، ورَسم له الملك الكامل بأن يكون موقع الدست قدام السلطان[٤] ، فعمل ذلك مديدة[٥] . ثم إنه خرج إلى دمشق على عادته موقع الدست[٦] ، فأقام على ذلك إلى أن مرض بعلّة الاستسقاء ، ومات في التاريخ المذكور ، رحمه الله تعالى .

وكان شكلاً حسناً تامّ الخلق ، مليح العمّة ، نظيف اللباس ، عطر الرائحة ، محبوب الشخص ، حسن الودّ ، صحيح الصحبة ، يملك أمر نفسه في حالتي الخير والشر ، لا يظهر عليه غضب ولا كراهةُ أحد ، يعامل صاحبه وعدوَّه بظاهر حُسْن وبشاشة[٧] ، كثير الاحتمال ، صابراً على أخلاق من يصحبه أو يعاشره ، كثير الآداب والرئاسة ، وكان أخيراً[٨] وهو كاتب السر يصوم الاثنين والخميس ، ويتعبّد ويذكّر ، لا يقابل أحداً بما يكرهه[٩] . لم أر مثله ، صحبتُه مدّة تزيد[١٠] على ثلاث وعشرين سنة ، ما رأيت منه سوءاً قط ولا ما أكرهه[١١] ، فجزاه الله عن الصحبة خيراً .

---

(١) (خ) : « يلبغا اليحيوي » .
(٢) (خ) : « فرسم له بكتابة الإنشاء بالقاهرة » .
(٣) قوله : « على ذلك » ، ليس في (خ) .
(٤) قوله : « قدّام السلطان » ليس في (خ) .
(٥) (خ) : « مدّة » .
(٦) (ق) : « موقعّ دست بدمشق » .
(٧) قوله : « وبشاشة » ليس في (خ) .
(٨) ليست في (خ) .
(٩) (خ) ، (ق) : « يكره » .
(١٠) (خ) : « أوفت » .
(١١) قوله : « ولا ما أكرهه » ليس في (خ) .

وكان يحب الفقراء والصالحين ، ويتودد إليهم ويقضي حوائجهم ، وعمّر العمائر المليحة الغريبة العجيبة ، ولم أر أحداً حاز مثل ذهنه في العمائر[١] واستعمال الصنّاع والصبر على ما عندهم من المكاسرة والمدافعة .

وقلت أنا أرثيه ، رحمه الله تعالى :

مات يحيى فكيف يحيا اللبيبُ ... وبه كانت الحياة تطيبُ
لم يمت إنما الرئاسة ماتت ... والمعالي تخرَّمتها شعوب[٢]
كان للناس والأنام جمالاً ... فهو للبدر في التمام نسيب
كان والله كاملاً في المعاني ... وحِماهُ للمعتفين رحيب
كان في جوده فريداً فأمّا ... إن ذكرت الوفا فأمرٌ عجيب[٣]
يملأ العين شكله وتسرّ النفـ ... ـس أوصافه فما تستريب
ورئيس إن قلت فيه رئيس ... ماله في الأنام قطّ ضريب
خُلق كالنسيم إن مرّ وَهْناً ... في خلال الأزهار وهو رطيب
ومحيّاً لو أن بدراً رآهُ ... لاعتراه بعد الطلوع مغيب
وحياء كأنه إذْ يُحيَّا ... عند ردِّ السلام منك مُريب
واحتمال لكل ضيم عظيم ... حيث رأس الوليد منه يشيب
وإذا نال حظوةً مِن مليك ... فلكلّ الأصحاب منه نصيب
هو في منصب يسامي الثريّا ... وندى من المنادي قريب
لم يشنْ لفظه بغيبة شخص ... يحضر الشخص عنده أم يغيب
من سراةٍ إن سار عنهم ثناءٌ ... مادَ منه غصنٌ وماج كثيبُ[٤]
إنّ مخزوم في قريش لريحا ... نٌ شذاه يوم الفخار يطيب

(١) (خ) ، (ق) ، (س) : « في العمارة » .
(٢) في الأصل : « تخرّ منها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٣) (ق) ، (س) ، (خ) : « غريب » .
(٤) في الأصل : « كئيب » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .

جـدّهم خـالـدٌ وخـالـد جـدٌّ ... لهم والجنـــــاس شيء عجيب
كلّهم كاتبٌ رئيسٌ كريمٌ ... عـــالم فـــاضـــلٌ سريٌّ نجيب
كتب السرّ عنـــد تنكـــز دَهْراً ... وهـو ذاك الملـــك العظيم المهيب
فـــأخـــاف العـــدا وسرَّ المـوالي ... فلهـــذا يثني وهـــذا يثيب[1]
وعلى كَتبـــهِ حـلاوةُ لفـــظٍ ... مقتضـــاه البيـــان والتهـــذيب
في طروس لنـــاتشِفٌ بيـــاضـــاً ... وسطـورٍ مـــدادهـــا غربيب[2]
دبّر الملـــك بُرهْـــةً ليس فيهـــا ... مـــا تراه ســوءاً ولا مـــا تعيب
يتلقّى أغراض كلِّ مهمّ ... فترى رأيـــه سهـــامـــاً تصيب
وإذا جُهِّـزَ البريـــدُ بـــأمر ... فيـه خـوف فبـالأمـان يـؤوب
ليس إلاّ اللفـظ الـذي هـو سحر ... ولمعنـــاه في القلـــوب دبيب
ولبعض الكـــلام رونـــقُ حُسْنٍ ... منه تُنْسَى البلوى وتُمحى الذنوب[3]
أيهـا الـذاهبُ الـذي ســار عنّـا ... وغمـامُ الـدمـوع منـا يصـوب
إن يكن شـقّ فيـك للصبـح جَيْب ... فلكم شُقِّقَتْ عليـــك جيـــوب[4]
كان دهري سِلمـــاً فمـــذْ غبت عني ... نشـــأت بينـــه وبيني حروب
كنت لا أختشي إذا اعتـلّ يـومـاً ... من أذى خَطْبِـــهِ وأنت طبيب
آه .. وا لـــوعتي وطـــول نحيبي ... مع علمي أنْ ليس يُجـدي النحيب
غير أني قضيت للـــودّ حقـــاً ... برثـــاءٍ لـــه عليّ وجـــوب
كم أيـــادٍ أوْلَيْتَنيهـــا ونُعمى ... ومحلّ الإحسـان مَحْلٌ جـديب[5]
جعـل الله بقعـــة أنت فيهـــا ... روضٌ عفـو فهـو الكريم الـوهـوب

---

(١) في الأصل : « يهيب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .
(٢) الغربيب : الأسود الحالك .
(٣) في الأصل : « تنشى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « قلوب » .
(٥) (س) : « وأياد » .

وكتبت أنا إليه من الديار المصرية أهنئه بكتابة السر بالشام في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة :

كم عـــدو يمـوت أيـــام يحيى ... ومحبّ في العـز والسعـد يحيـا
هـــذه دولـــةٌ تقـول الليـالي ... لعُـلاهـا أهـلاً وسهـلاً ورعيـا
طـالمـا اشتـاقهـا الـزمـانُ بنفسٍ ... هي للمجـد والمكارم ظميـا
جِمْجَمَ الـدهرُ مـدّة بسـواهـا ... وهـو منهـا يُسِرّ في القَلْب أشيـا
أطلعت في سما دمشـق شهـابـا ... منـه شمس النهـار في الأفـق خَـزْيـا
أين من يطلب المعـالي وتـأبى ... من رئيس تـأتي لمغنـاه سعيـا
لـو أراد الـزمـانُ يـأتي بمثـلٍ ... لعـلاه بين البريّـة أعيـا
كاتب السر سرَّ كل محبّ ... وأعـاد الجميـل فينـا وأحيـا
بسجـايـا من السحـائب أنـدى ... وجنـاتٍ من الحـدائـق أفيـا
ذو سكـون وعفـة ليس يشكـو ... من خُطـاه وجـهُ الثرى قـطُّ وطيـا
صرّفِ الآن دهرنـا يـا شهـاب الـ ... ـدين مهما أردت أمراً ونهيـا
ومر السعـد بـالـذي تشتهيـهِ ... فهو يأتي في الحال ما اخترت جَرْيـا
فلـك الحمـدُ والمـآثر إرث ... عن كرامٍ زكـوا مـاتـاً ومَحْيَـا
أنت من عصبـةٍ كرامٍ نمـاهم ... خـالـدُ بن الـوليـد في كل عَلْيَـا
عملـوا صـالحـاً وحـازوا المعـالي ... فهمُ الفـائـزون أُخرى ودُنيـا
بـك تـزهى دمشـق فـامنـع حماهـا ... فلهـا من عـلاء في العـز بُقيـا
قلم في بيـان كفـك يسعى ... فوق طرس أم حاك في الخط وشيا[1]
كل سطر كأنـه إذْ تبـدّى ... شفـةٌ بـالمـدادِ الأسـود لَمْيـا
ينثر الـدرّ بـل يُري السحر حقـا ... حين يُمْلي عليـه فكرك وحيـا
فـإذا مـا أعملتَـهُ في مُهمٍّ ... يستبيـح الأعـداء قتـلاً وسبيـا

(١) في (س) ، (ق) ، (خ) : « بنان » .

هـذه الـدولـة التي كنت أرجـو أن أرى لي بهـا مـع السعـد لُقْيـا
ويسر الفـؤاد نيـلُ الأمـانـي وأرى طعم صَبْره صـار أَرْيَـا[١]
لا أراني لهـا الـزمـان انفصـالاً مـا اشتكى عـاشـق من الحب نـأيـا

يقبّل الأرض ويهنئ نفسه والأنام ، ومملكةَ الشام والأيّـام ، وبيض الطروس وسُمْر الأقلام وأرباب الطيالس وأصحاب الأعلام ، بهذه الرتبة التي طلع في سمائها شهاباً توقّد نُورُه وكاتب سَرٍّ كثرت بمعاليه في ديوان الإنشاء شموسه وبُدورُه ، ووجدت الأقلامُ لها في ميدان[٢] البلاغة مجالاً ، وبلغت المعالي من قربه أمانيها فلم تعدم بمن[٣] تهوى اتصالا[٤] :

وزاد المرهفـات ضيـاءَ عـزمٍ فصـار على جـواهرهـا صِقـالا[٥]
وأبصرت الـذوابـل مِنْـه عَـدْلاً فـأصبـح في عـواملهـا اعتـدالا

فالله يرزقنا[٦] معاشر الأرقاء شكر هذه النعمة التي أقمر بها ليل الأمل والتحف الدهر منها برداء المحاسن واشتمل ، وانتشق خمائل فضلها من كانت الأيام أخرته حتى خمل[٧] ، وانتصف فيها من كانت واقعته تذكّر الناس بأيام صفّين والجمل :

وأضحى فضلهـا في النـاس بـاد يـدار بهـا على الشَّرب العُقَـارُ

فهذه الأيّام التي كانت بها الآمال في الضمائر أجنّة ، وهذه الأوقات التي جرت إليها سوابق الأماني مُطْلقاتِ الأعنّة ، وهذه الدولة التي جرت في رياض حماها جداول السيوف تشقّ رياحين الأسنّة ، ليس فيها ما يقال له : « كَمُلَتْ لو أن ذا كملا » .

(١) الأري : العسل .
(٢) (خ) : « ديوان » .
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .
(٤) للمعري ، شروح سقط الزند : ٧٠/١ .
(٥) في سقط الزند : « أفاد المرهفات » .
(٦) في (س) ، (ق) ، (خ) : « يوزعنا » .
(٧) في الأصل : « حمل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

فأنتم يا بني القيسراني فضلكم مثل جدكم خالد ، ونَجْمٌ من عاندكم هابط ونجم سعودكم صاعد ، وجنان الفضل تُرون فيها ﴿ مُتكئين فيها عَلَى الأَرَائِكِ ﴾[١] وتحيتكم فيها المحامد[٢] ، وأيديكم تضرب من البلاغة في الذهب الذائب إذا ضرب غيركم من العي في الحديد البارد ، وبنان حسانكم ينهلّ بالنّدى فهو جائد وبنانٌ غيركم جامد . زينتم الوجود من عصر نور الدين الشهيد سُقي ضريحه رحمة وبرّاً ، وبدأت حسنات الأيام بوجودكم من هناك وهلم جرّا ، كم قد تجمل[٣] منكم منصب الصحابة بوزير ، وكم جلس منكم كاتب سرّ بين يدي صاحب السرير ، وكم حلّيتم بدرر إنشائكم[٤] جيد قاضٍ وعنق أمير ، وكم روى الإحسان منكم عن نافع وابن كثير[٥] .

أما فضائلكم فإنها ملأت الدفاتر ، وأقرّت بالتقصير عنها مآثر البواتر .

وأمّا تشدّدكم في الدين فقد تفيأ الظل من سدرة المنتهى ، وبلغ غايةً لم تكن الشمس في علوّ المنزلة أُخْتَها .

وأما مكارمكم فما عهد الناسُ مثلها من البرامك ، ولا اجتلوا مثل أقمارها في الدياجي الحوالك . وكيف لا يجد الناس بكم صفاء الأيام وفي وجودكم لذّة[٦] العيش ، أم كيف لا ينشقون أرج الخزامى وبنو مخزومٍ ريحانة قريش ، فالله لا يُخلي الوجود من حسناتكم التي تفيد كل بهجة وتحيي من موت الفضائل كلّ مُهْجة .

بقاؤكم عصمةُ الدنيا وعزّكم ... ستُرٌ على بيضة الأيام منسدلُ

إن شاء الله تعالى .

---

(١) يس : ٥٦/٣٦ .

(٢) إشارة من قوله تعالى : ﴿ وَتَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس : ١٠/١٠] .

(٣) في الأصل : « تحمل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٤) (خ) : « أنسابكم » .

(٥) من القراء السبعة .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « لذ » .

وكتبت إليه وأنا بدمشق أتقاضاه وَعْداً بإقطاعٍ عند بعض الأمراء لفتاي :

يـــا سيـــداً دأبي الثنـــاءُ المجتبى عليـــه بـــالتصريـــح والرمـــزِ
أصبحتُ من جـودك أغنى الـورى لكنني أحلم بـــــــــالخبز

وكتبت أنا إليه عند وصولي إلى القاهرة أصف له مشقة كابدناها في الطريق بالرمل وغيره ، ونحن صحبة ركاب الأمير سيف الدين تنكز في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وهو مشتمل على نظم ونثر سقته جميعه في الجزء الحادي عشر من (التذكرة) .

١٩٣٧ - يحيى بن سليمان*

ابن علي ، الإمام العالم محيي الدين الرومي الحنفي المعروف بالأسمر .

مدرّس المدرسة الركنية ، تولاها[1] بعد الفقيه الفاضل شمس الدين محمد بن المعلّم الحنفي .

وكان شيخاً فاضلاً ، وله حلقة إشغال تفيد الطلبة بالجامع الأموي ، وقرأ عليه جماعة من الفقهاء .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٩٣٨ - يحيى بن صالح**

ابن عتيق ، القاضي محيي الدين الزواوي المالكي .

كان فقيهاً فاضلاً ناب عن القاضي المالكي مدّةً بدمشق ثم عزله ثم أعاده .

واستمّر إلى أن مات في أوائل شوال سنة عشر وسبع مئة .

---

* الدرر : ٤١٦/٤ .

(١) يوم الأربعاء رابع عشري جمادى الأولى سنة (٧٢٠هـ) . انظر : البداية والنهاية : ٩٦/١٤ ، والدارس : ٣٩٩/١ .

** الدرر : ٤١٦/٤ .

١٩٣٩ - يحيى بن عبد الله*

ابن عبد الملك ، الشيخ العلامة البارع ، شيخ الشافعية أبو زكريّا الواسطي .

قرأ الفقه والأصلين ، وبرع في الفقه وتخرج به الأصحاب ، ودرّس بالشرابية بواسط . تفقّه على والده وحدّث ببغداد بكتاب (مطالع الأنوار النبوية في صفات أفضل البريّة)[١] ، وكان يقال هو فقيه العراق في زمانه .

تفقه عليه ابن عبد المحسن ، وشمس الدين محمد بن القاسم الملحمي[٢] الواعظ ، والمجد عبد الله بن إبراهيم الدقيقي وغيرهم .

وله سماع من الفاروثي (صحيح البخاري) بفوت . وأجاز له الشيخ عبد الصمد[٣] ، والكمال بن وضّاح[٤] ، وابن أبي الدينة[٥] ، وله مؤلف في الناسخ والمنسوخ في الحديث وغير ذلك .

توفي بواسط في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

١٩٤٠ - يحيى بن عبد الرحمن**

الشيخ المحدث الكاتب المجوّد المحرّر الموسيقار نظام الدين بن النور الحكيم الجعفري .

كان يكتب طبقه ، ويتقدم بحسن أوضاعه كل من سبقه ، فإذا رأيت خطه في

---

* الدرر : ٤١٩/٤ .

(١) والكتاب له . انظر : الكشف ١٧١٧/٢ .

(٢) في (س) ، (ق) ، (ط) : « ابن الملحي » .

(٣) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش (ت ٦٧٦هـ) . الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٤) علي بن محمد بن محمد (ت ٦٧٢ هـ) . الشذرات : ٣٣٦/٥ .

(٥) في الأصل : « للدينة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وسلفت الإشارة إليه .

** الدرر : ٤١٧/٤ .

المهارق أنساك سحر الأحداق وزهر الحدائق ، وكان[١] له عناية بالحديث ، وسماع القديم والحديث ، قرأ بنفسه ، وأسمع أولاده ، ورحل بهم عن أوطانه ، وفارق أحباءه وبلاده .

وكان موسيقاراً يتقن اللحون والأنغام ، ويقرّ له في هذه الصناعة ربُّها ويخضع له ولو أنه الضرغام ، فإذا أورد لحناً أعرب فيه عن أستاذيّته ، وفتن أهل الغرب بمشرقيته ، [وسلب عقولهم بمشرفيته][٢] :

ما كان حين يُغنّي في مجالسهم إلاّ نسيم الصّبا والقوم أغصانُ

قدم من العراق إلى الشام ، وانتجع بارق الملك الناصر وشام ، وتوجّه إلى الديار المصرية ، وطلب العود إلى دمشق لما عند نفسه الأبيّة من الحريّة ، ثم إنّه عاد إلى عراقه وادّكر أوطانه لِطيب أعراقه .

ولم يزل هناك يكتب عن الملوك وينظم درّ[٣] رسائلهم في السلوك إلى أن انتظم النظام في سلك الأموات وعدّ بعد حياته[٤] من الرُّفات وفات .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وستين أو سنة ستين وسبع مئة[٥] . ورد خبر موته من بغداد .

كان هذا نظام الدين قد وصل من بغداد مع الوزير نجم الدين بن شروين وناصر الدين[٦] خليفة بن علي شاه[٧] لمّا وفدوا على السلطان الملك الناصر .

---

(١) (خ) : « كانت » .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) ، (خ) .

(٣) (خ) : « للملوك وينظم درر » .

(٤) في الأصل : « وفاته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) وفي الدرر أنه مات بعد السبعين وسبع مئة . وفي بعض أصوله : بعد سنة سبع وسبع مئة .

(٦) في الأصل : « وناظر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٧) في الأصل : « باشا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

حكى لي من لفظه قال : دخلنا مصر ، واستقر نجم الدين بن شروين أمير مئة مقدّم ألف ، وناصر الدين خليفة طَلَبه الأمير سيف الدين تنكز من السلطان ، فسيّره إليه ، وأعطاه إمرة طبلخاناه في دمشق ، وبقيت أنا عند الأمير سيف الدين قوصون ، إذ طلبني يقول لي : يا شيخ نظام الدين ، قول[١] لنا ذلك البيشوره ، قول لنا ذلك القول ، قول لنا ذلك الساذج[٢] الذي لحنته أنت : فقلت أنا في نفسي : متى فترت يا يحيى أداروك هؤلاء مغنياً لا غير ، فطلبت من السلطان العود إلى دمشق ، فجهزني إليها .

ولمّا ورد من باب السلطان أعطاه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى مشيخة الربوة ، فأقام بها مدّة يُسمع أولاده الحديث ويقرأ بنفسه على الأشياخ إلى أن طلب العود إلى بغداد ، [لأجل أملاكه ، وكان أوّلاً يكتب الإنشاء عن حكام بغداد][٣] ، ولمّا عاد إليها استمر كذلك وكانت[٤] الكتب ترد عن حكام بغداد إلى ديوان الإنشاء بخطه .

وكان والده النور حكيماً يطبّ ملوك المغل وغيرهم . وكان نظام الدين يكتب المنسوب ويضع الكوفي والمعقلي[٥] من أحسن ما يكون وأجوده ، ووضع أشياء بخطه في بيت القاضي شهاب الدين يحيى بن القيسراني ، وهي في غاية الإتقان ، وأراني درجاً قد كتب فيه منازل الحج من بغداد إلى مكة ، وصوّر ذلك ، وشجّره في خرقة كتّان ، وهو من أحسن الأوضاع في التحرير[٦] والإتقان .

وكان أستاذاً في علم الموسيقى ، له فيه أقوال وأعمال ينقلها عنه أربابُ هذا الفن في

---

(١) (خ) : « قل » ، وكذا في المواضع الآتية .
(٢) البيشورة والساذج مقامات موسيقية .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « المغلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « في غاية التحرير » .

الشام ومصر وكان إذا خلا بمن أحب من الأكابر اندفع وغنى من غير آلةٍ أشياء غريبة ، سمعته غير[١] مرّة ، وكان ينظم أيضاً .

نقلتُ من خط الشيخ الإمام العلامة صلاح الدين العلائي قال : نقلتُ من خط نظام الدين المذكور قوله[٢] :

أيُها المالكُ الذي زيّن المُلْـ ... ـكَ بفضلٍ يسمو على الوزراءِ
وبجودٍ قد أخجل المُزنَ منه ... وبعِلْمٍ يُربي على العلماءِ
ما اسم شيء مناسب الأجزاء ... مستطيلٌ إذا سعى في فِناء
مستديرٌ لكونه فلكاً فيـ ... ـه نجومٌ طوالعٌ في سماء
عمّ حيناً مشارق الأرض والغَرْ ... ب وطاف الدنيا بالاستيلاء
مُنزلٌ غير أنّه ليس قَرّا ... راً وأياتُه بلا إحصاء
ذو عيون له فمٌ وعليه ... شاربٌ وهو مفرطٌ بالحياء[٣]
صيته أنْ ليس عنه غناءٌ ... صوته مطربٌ بغير غناءِ
فتراه طوراً على جبلٍ عا ... لٍ وطَوْراً يُرى ببئر الماء
تارة كالجماد يُلفى على الأر ... ضِ وطوراً يطيرُ وسط الهواءِ
منهُ برٌّ ومنه بحرٌ وفيه ... كل نفسٍ تولدت بسواء
وهو ركنٌ الدنيا وغوْث البرايا ... وملاذُ الورى وعون الرواءِ
وحياة النفوسِ في حلبة السبـ ... ـق مبيد الأنام في الهيجاء[٤]
فيه نونٌ وأول الاسم ميم ... ألفٌ تِلْوَهُ بغير مراء[٥]

---

(١) (س) ، (ق) : « من غير » .
(٢) (س) ، (خ) ، (ق) : « المذكور له » ، والأبيات الآتية ألغز فيها نظام الدين في (ماء) .
(٣) الشارب هنا من شرب الماء .
(٤) في الأصل : « حلية » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) النون : الحوت .

صـــاحَبَ الأوليـــاءَ في أول العمـ ـر وأوفى في خـدمـة الأنبيـاء[١]
واصطفى كلّ من تصـــوف حتى عُـــدّ في الأوليـــاء والأصفيـــاء
فَبلقيـــاه قـــام بـــالفرضِ قـومٌ وبرؤيـــاه سنَّ كل سنـــاءِ[٢]
كم لـــه منّـــةٌ على كلّ نفسٍ ولَـــهُ ضِنّـــةٌ على نُفســـاء
واحـدٌ في صفـاتـه ثـاني اثنيـ ـين لتخمير طينـــة الأشيـــاء
ثـالثٌ إن يُعـدّ في عـالم الكـو ن وإن شئت رابـع الخلفـــاء
مـالـه خـامسٌ ولكنّ في الخـا مسِ منـــه عكسٌ بغير خفـــاءِ
عجب النـاسُ من تنـاقض مـا فيـ ـه مـع الاعتـدال والاستـواء
ظـــاهرٌ طـــاهرٌ خفيٌّ حفيٌّ زائـــدٌ نـــاقصٌ مريء مُراءِ[٣]
صـاعـدٌ نـازلٌ أمينٌ خـؤونٌ نـاصرٌ قـاصرٌ شـديـدُ العنـاءِ
فَـابن مـا ألغـزتُ يـا واحـد العصـ ـر كُفيت الروى وشر البـــلاء

وكتب الشيخ صلاحُ الدين رحمه الله تعالى الجوابَ عنهُ ، ونقلتُ من خطه :

يـا إمـامـاً حلّى عقـود العـلائي كـونـه واسطـاً لهـا ببهـاءِ[٤]
قـد بـدا لُغْـزُك اللطيفُ بـديعـاً مشرقـاً منـه أنجم الجـوزاءِ[٥]
هـو في دقـة الهـواء ولكن حـاز وصف الـزلال عنـد الصفـاء
فهـو درٌّ والـدرّ في المـاء يلقى فلهـذا لم يَعْـدُه بتنـاء
نـوّع الـوصفُ مـا لَغَـزت فـأضحى كلّ فكر لـديـه في إعيـاءِ
كيف لا والـذي تضّمن بحرٌ من بيـانٍ يعـزُّ في الإحصـاءِ
ظـاهرٌ لفظـهُ ولكن معـانيـ ـه تنـاهت في دقـة وخفـاء
وينـابيعـه تسِّـحُ زلالاً بمعينٍ من ألطفِ الأشيـاء

(١) (خ) : « من أول » .
(٢) في الأصل : « فبلقيا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) المرائي : الذي يرى الناس أنه يفعل ولا يفعل بالنّية .
(٤) في الأصل : « كونها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٥) في (س) ، (ق) : « شبه » .

ليست يخفى أني أشرتُ إلى مـــا ضمّن اللُّغـــز في أتم جـــلاءِ
فـابـق كنزاً للطـالبين مفيـداً والْـقَ عـزّاً ودمْ بكل سنـاءِ

يحيى بن عبد الرحيم*

الأرمنتي المعروف بابن الأثير الشافعي .

كان من الفقهاء المباركين ، درّس بمدرسة سيوط سنين كثيرة ، وتولى الحكم بأطفيح وبمنفلوط وكانت سيرته حميدة ، وهو من بيتِ علمٍ ورئاسة وجلالة وأصالة .

وتوفي بسيوط في سنة ثمان وسبع مئة رحمه الله تعالى[1] .

١٩٤١ - يحيى بن عبد الرحيم بن زكير**

محيي الدين القوصي الشافعي .

كان معتبراً جيّد الإدراك حَسَن الفهم .

سمع من تقي الدين بن دقيق العيد ، وبدر الدين بن جماعة ، وجلال الدين أحمد الدشناوي ، وأخذ عنه الفقه ، وأجازه بالإفتاء . ودرّس بقوص سنين كثيرة .

قال كمال الدين الأُدفوي : حضرتُ عنده الدرسَ ست سنين أو ما يقاربها ، وكان درساً مفيداً فيه تحقيق وقلة غلط ، يتقنه ويحرر[2] الكلام فيه ، وقرأ النحو والأصول على جلال الدين ، وتولّى الحكم بقِنا ، وناب في قوص ، وكانَ حميد السيرة محمود الطريقة ، ولم يعب الناس عليه إلاّ أنه كان يداوم مسألة الحيلة في المعاملات ، يبيع

* الطالع السعيد : ٧٠٨ ، والدرر : ٤١٩/٤ .
(١) الترجمة أخذها من الطالع السعيد ، وفيه : « ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة » .
** الطالع السعيد : ٧٠٩ ، والدرر : ٤١٨/٤ ،
(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « ويحققه ويحرر » .

السجادة ونحوها بآلافٍ ويشتريها بما يعطيه في المعاملات التي قررت قبل المعاقدة . وكان يقول : إذا طُولبتُ بها في غدٍ[١] ، قلتُ هذا الشافعي وأصحابه جوّزوا ذلك ، وأنا مُقَلّد .

ولم يزل إلى أن صُودر وأُخذ منه مالٌ ، وتضعضع وبقي في قوص .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

١٩٤٢ - يحيى بن عبد اللطيف*

ابن محمد بن سند ، محيي الدين بن سراج الدين التاجر الكارمي .

كان هذا محيي الدين لطيفاً ظريفاً غاية في الكرم .

قال كمال الدين الأدفوي[٢] : لم ترعيني أكرم منه ، عزيز النفس ، يحفظ من النظم والنثر كثيراً ، وَزَرَ باليمن ، وكان له حظ عند السلطان الملك الناصر محمد ، وكان محبوباً عند الخاص والعام ، صحب جملة[٣] من الصالحين ، وكان جماعة من أصحابه يلومونه على كثرة العطاء والنفقة ، فيقول : قال لي جماعة ممن لهم كشف : تُموت سعيداً :

توفي رحمه الله تعالى بمصر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وعمره ستة[٤] وأربعون عاماً .

١٩٤٣ - يحيى بن عبد الوهاب**

ابن عبد الرحيم ، الشيخ الفقيه النحوي تاج الدين الدمنهوري الشافعي .

---

(١) في الطالع : « في الآخرة » . وقول الأدفوي أخذ مختصراً الصفدي .

* الدرر : ٤١٩/٤ .

(٢) في غير الطالع السعيد .

(٣) (س) ، (ق) : « جماعة » .

(٤) (س) : « ست » .

** الدرر : ٤١٩/٤ ، والبغية : ٣٣٧/٢ .

كان مصدّراً لإقراء العربية بجامع الصالح خارج باب زويلة وبالجامع الظافري بالقاهرة ، بلغ السبعين من عمره ، وله مصنفات ، ووقف كتبه بالجامع الظافري .

كان قد غلب عليه التّدين والانقطاع .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٤ ـ يحيى بن علي*

ابن تمّام بن يوسف بن موسى ، الشيخ صدر الدين أبو زكريا السبكي الشافعي .

هو عمّ شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي .

كان قد ولي قضاء المحلّة وعدة مناصب . وروى عن ابن خطيب المزة ، وسمع منه حفيده قاضي[١] القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد ابن عبد اللطيف[٢] وغيره .

وكان إماماً عارفاً بأصول الفقه ، ومدرساً بالسيفية ، وتولاها بعده ابن أخيه العلامة تقي الدين .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٥ ـ يحيى بن علي بن أبي الحسن**

ابن أبي الفرج بن طاهر بن محمد ، الشيخ الإمام المسند الفقيه الفاضل المنشئ محيي الدين بن الحداد الحنفي .

كان ناظماً ناثراً ، قاعداً بفنّ الترّسل ماهراً ، كتب الإنشاء بطرابلس زماناً ، ونال

---

* الدرر : ٤٢٢/٤ .

(١) (ق) : « أقصى » .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

** وفيات ابن رافع : ٣٣٧/١ ، والدرر : ٤٢٧/٤ ، وذيول العبر : ٣١٤ .

من طول المدة في عمره أماناً ، إلى أن تخلى عن المباشرة ، وملّ المصاحبة من إخوانه والمعاشرة وانقطع بدمشق مُقبلاً على شانه ، عالماً بخيانة إخوانه ، وزمانةِ زمانه .

ولم يزل إلى أن عُدَّ فيمن أركبته المنايا على الأعواد ، ولم يحمل التطريق ابن الحداد .

وتوفي رحمه الله تعالى بمنزلة في الكفتيّين[1] داخل دمشق بعد العشاء الآخرة ليلة الاثنين حادي عشري شوال سنة سبع وخمسين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ جمال الدين الحصيري الحنفي[2] .

ومولده سنة ست وستين وست مئة بدمشق ، وأصله رقّي .

وكان قد تولى بالقاهرة نظر القنود[3] ، ثم دار الوكالة في سنة سبع عشرة وسبع مئة ، فلمّا توفي شمس الدين الطيّبي كاتب الإنشاء بطرابلس تولى مكانه ، وخَرج من القاهرة في أواخر سنة سبع عشرة وسبع مئة .

أخبرني ولده الأمير ناصر الدين محمد ، أحد البريديّة بدمشق قال : توجهت مع والدي إلى عند قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ وقال له وأنا أسمع : إن والده أحضره إلى الشيخ محيي الدين النواوي ـ رحمه الله تعالى ـ بالرواحية وهو أمرد ليشتغل عليه ، فقال له : هذا صبيّ أمرد ، وأنا مذهبي أن النظر إلى الأمرد حرام مطلقاً ، ولكن توجه به إلى تاج الدين الفزاري ، فأخذه والده وجاء به إلى الشيخ تاج الدين وهو يشتغل في الجامع الأموي ، أو كما قال .

وكتب الإنشاء بطرابلس نحواً من أربعين سنة ، وكانت له مباشرات بالشام في دمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب في غير ما وظيفة من وظائف الديوان .

---

(١) في الأصل : « الكفتين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط .

(٢) (ت٦٣٦هـ) . الشذرات : ١٨٢/٥ .

(٣) هو عصير قصب السكّر عندما يجمد .

وكان قد كتب هو إليَّ لّما ورد دمشق[١] :

يـا إمـامـاً قـد فـاق سحبـان بل قسـ ... سَ إيـــادٍ قـــل لي أأنت خضر[٢]
أنت للفضـلِ قبلـــةٌ ولأهـــل الـ ... ـعلم نجم يُهـدي وللـدين بَـدْر
فـــإذا مـــا نطقت أفنيت أفكا ... ر البرايـــا ولم يحرْ لـــك فكر[٣]
وإذا مـا وضعت في الطرس خطّـاً ... بـاهر الحسن جلّ بـل حـلّ سحر
وإذا مـــا نظمت شعراً فللشعـ ... ـرى حيـــاء منـــه وللشعر فخر
وإذا مـــا نحـوت نحـواً فمنْ زيْـ ... ـــدٌ من المـاهرين فيـــه وعَمْر
أخجـل النظم منـــك نظمٌ وأودى ... نثرة الشهب من مقـــالـــك نثر
أترى أنت عـــالم بـــولائي الـ ... ـمحْضِ أم بينـــه وبينـــك ستر
ليس شكل من الصـواب فلـو حقّـ ... ـقت قربي مـا عـاقني عنـك بحر
وعلى الحـــالتين بعـــدٌ وقرب ... لـك عنـدي حُبٌّ وحَمْـدٌ وشكر

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

لـــك مني حمـــد يفـوق وشكرٌ ... لي منـــه على مـدى الـدهر سكرُ
وولاء عَقَـــدْتُ منـــه لـــواءً ... منـــه طيّ في الخـــافقَيْن ونشر
ودعـــاء حـــقٌّ بغير ادّعـــاءٍ ... فيـــه من سرعـة الإجـابـة سرُّ
وثنـــاءٌ أعليت منـــه بنـــاءً ... فهـو أفـقٌ نجـومـه منـك زهرُ[٤]
قـــد تفضّلت بـــاديـــاً بقريضٍ ... كلُّ بيت فيـــه من الحسن قَصْرُ
فهـو ينهـل في انسجـــام ويحلـو ... فعلى كل حـــالـــةٍ فهـو قطْرُ[٥]

---

(١) (ق) : « إلى دمشق » .
(٢) في الأصل : « حضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) : « الخضر » .
(٣) (ق) : « ولم يخم » .
(٤) (خ) ، (س) : « فيك » .
(٥) في (س) ، (ق) : « هو » .

وكأن السطـــور روض مريـــع ... والمعـــاني كأنهـــا فيـــه زَهْرُ
أنت يـا ابن الحـداد صغت المعـالي ... لـك طـوقاً فيـه كـلامـك دُرُ
بـك قـد أشرقت دمشـق وتـاهت ... فلهـــا من سنـــاك فجرٌ وفخرُ
أنت فيهـا بحرٌ وقـد سبـق القـول ... ل ضميري فقلت إنـــــك حَبرُ
كيف يُـدعى بـالبحر مَنْ كل بحرٍ ... مستمـــــدٌ مِن فضلـــــه مستمرّ
فـابـق في نعمـةٍ تفيـد البرايـا ... فضـلَ علمٍ يغشـاه زيـدٌ وعمرو

١٩٤٦ - يحيى بن فضل الله*

ابن المجلّي بن دعجان ، القاضي الكبير الرئيس محيي الدين أبو المعالي القرشي العَدَوي العُمري ، كاتب السر السلطاني بالشام ، أوّلاً ، وبمصر أخيراً .

تقدم ذكر أخيه القاضي شرف الدين عبد الوهاب ، وذِكْرُ ولديه القاضي شهاب الدين أحمد ، والقاضي بدر الدين محمد [وذكر أخيه بدر الدين محمد] بن فضل [الله كلّ][1] منهم في مكانه .

كان سعيد الحركات إذا تحرك ، سديد السكنات ، كأن القدر تكفّل له بحُسن العقبى وتدّرك ، متعه الله تعالى بالمناصب والأولاد ، والسعادة التي لها الجبالُ أوتاداً ، فرأى في مناصبه ما لا رآه غيره ، وفي أولاده من السعد مالم يزجر به لغيرهم طيرُه . وكتب الخطّ الذي تودّ الرياضُ لو كانت أوراقه ، والعقودُ لو نُظمت مثل سطره في حُسن اللباقة . ما أعتقد أنه خدم الترك مثلهُ ، ولا نبتَ في وادي أغراضهم إلاّ بانُهُ وأثله ، قد دَرِبَ مقاصدهم وألفها ، وفرّع مرامي مراميهم وعرفها ، طال عمره في السعادة وخدمته في آخر عمره بالحسنى وزيادة .

* البداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، وفيات ابن رافع : ٥٤/١ ، والدرر : ٤٢٤/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٦/٩ ، وبدائع الزهور : ٤٧٥/١/١ .

(١) ما بين حاصرتين في الموضعين زيادة من (س) ، (ق) . وانظر النجوم الزاهرة .

وكان يرعى حقّ من خدمه ، ويعلي كعب صاحبه وقدمه ، ولم يكن فيه لأحد أذى ، ولا رأى غيره من عينه قذى ، منجمعٌ عن الناس ، لا يجتمع بأحد في مآتم ولا أعراس ، شُغْلُه بخويصّة نفسه ، والاعتزال عن أبناء جنسه . وكان شديد الحزم ، مديد الهمة والعَزْم :

لا يقرع السنَّ للفوات ولا ... يعضّ حُرّ البنان من ندمه
يقلّ قدرُ الأنام عَنْه كما ... يَصْغُر جَنْب الزمان في عِظَمه

ولم يزل على حاله إلى أن انهار به جُرفه ، وتهدَّمَ مِنْ عمره شُرفه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين [وسبع مئة][1] بالقاهرة ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازة عظيمة ، ثم إنّه نقل تابوته إلى دمشق ، ودفن بتربتهم التي في الصالحية في شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وسبع مئة[2] .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

وكتبتُ أنا إلى ولده القاضي علاء الدين كاتب السر أرثيه بقصيدة وهي :

ياقاصد الفضل عُد قد مات مُحييه ... وغاب من كان بين الناس يُبديه
وأوحشَ الدست ذاك لصَّدْرِ حين مضى ... فطالما كانت الأسرارُ تأويه
كم دبر الملك بالآراء فامتنعت ... ثغورُه وحماهُ مِنْ أعاديه
ورفَّة السُمر والبيض الصفاح فما احـ ... ـتاج الشجاعُ لأنْ تجري مذاكيه[3]
وكم كتابٍ له أردى الكتائب لَمْـ ... ـمَا بات في ساحة الديوان يُمليه
مهما نسيتُ فما أنسى توجّعه ... لي من زماني إذ خانت ليالیه

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) وفي وفيات ابن رافع ٧١/١ :-« وفي ليلة الاثنين السابع والعشرين من صفر وصل القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله ميتاً في تابوت من القاهرة إلى دمشق ، ودفن بتربته عند اليغمورية .

(٣) (س) ، (ق) : « البيض الرقاق » .

ولُطفـــه كلّما وافيتُ مجلسَـــه ... كأنمـــا نسماتُ الروض لي فيـــه
يـا ذاهبـاً تركَ الأسماع مِن حَـزَنٍ ... تـودُّ لـو أنهـا صُمّتْ لِنـاعيـه
ومن مضى والورى تدري محاسنه ... حتى لقـد شكر اللهُ مساعيـه
أقسمتُ ما خَدَم الأملاك مثلَك في ... سِرّ تبيتُ من الأعْـدَا تُراعيـه
ولا يوفّي الأمور الباهظات إذا ... ما أظلم الرشد حقاً أنت تدريه
رَبّيْت فيما مضى من دهرنـا دُولاً ... من غير عجزٍ ولا كبرٍ ولايتـه
وكم وصلت لمنْ قد بات ملتجئاً ... إليك رِزْقاً رآه لا يُواتيه
يُجنى عليك ولمْ تُظهر مؤاخذةً ... لأجل ذلك تعلو مَنْ تناويه
وما برحتَ عظيم القَدْر ذا شرفٍ ... عند المليك الذي جلّت أباديه
وقد مَضَيْتَ إلى الله الكريم وما ... يضيعُ مثلك ضيْفاً عند باريه
قَدِمت في مثل شهر الصوم حَضْرَتَه ... بُشراك بُشراك خيرٌ بتَّ تجنيه
فَقِرّ عيناً بمن خلّفتَ مِنْ وَلَدٍ ... فإنّ حَقَّك كلّ الناس يدريه
ولم يمت مَنْ بنوه سادةٌ نُجُبٌ ... كلٌّ على حِدَةٍ يُحيي معاليه
لا سيّما وعلاءُ الدين ثالثهم ... يَفُوه بالمسك مَن أضحى يسمّيه
كفاية ووقار في رسوخ نهىً ... فما أرى أحداً في ذا يوفّيه
أمّا الكتابةُ فاسألْ كلَّ يانعةٍ ... من الحدائق إنْ كانت تحاكيه
أو العبارةُ فاسأل كل بارقة ... من الدياجر إن كانت تجاريه
أو الترسّل فاسأل كلّ هاطلة ... من السحائب إن كانت تباريه[1]
أو الخلائق فاسأل كل نافحةٍ ... من النواسم إن كانت تضاهيه
نظمٌ كأن سلاف الدنّ شعشعها ... فينا ضُحىً وأدارتها قوافيه

---

(١) في الأصل :

«أو العبارة فاسأل كلّ هاطلة ... من السحائب إن كانت تباريه»

وواضح أن الناسخ لفّقه من بيتين ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

وكل سجع لو أن البحر يعرف ما ... يأتي به لاستحَتْ منه لآليه
يا من سردت معانيه وأقسمُ ما ... تدري الليالي له مثلاً فتحويه[١]
اصبر على فَقْد مولى كلُّ ذي أدب ... إن كان يُنصفُ لا ترقا مآقيه[٢]
وسلّمِ الأمرَ في هذا لخالقه ... تَنَلْ من الله ما تغدو تُرجيّه
فأنت أولى بصبر القلب في حزنٍ ... ما غير فضلك فينا من يُعانيه

ولم أر فيمن عاصرته مَن كَتَب النسخ وخرّج التّخاريج والحواشي أحلى ولا أظرف[٣] ولا آنق من القاضي محيي الدين بن فضل الله ومن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، نعم والقاضي جمال الدين إبراهيم بن شيخنا شهاب الدين محمود ، ولكن القاضي محيي الدين رعشت يده في آخر عُمره ، وارتجت كتابتُه أخيراً ، ورأيت بخطه (المثل السائر) ، و (الوشي المرقوم)[٤] وهما في غاية الحُسن .

وأول ما كتب الإنشاء بدمشق في أيام أخيه القاضي شرف الدين عبد الوهاب سنة إحدى وستين وست مئة ، ثم إنه جَهّزه إلى حمص ، فأقام بها سنتين ، ونُقل إلى دمشق ، فأقام مدة ، ثم أعيد إلى حمص وأقام بها قريباً من خمس سنين ، ثم إنه نقل إلى دمشق ، ولما توجه أخوه إلى كتابة السر بمصر وأقام بها إلى أيام السلطان حسام الدين لاجين حصل للقاضي شرف الدين استرخاء ، فجهّز[٥] السلطان أحضر القاضي محيي الدين سنة سبع وتسعين وست مئة ، فأقام بمصر ينوب عن أخيه تسعة أشهر ، ثم إنه طلب العود إلى دمشق ، فأعيد إليها .

---

(١) في (س) ، (ق) : « معاليه » .
(٢) ترقا : مخففة من « ترقأ » ، أي : تجف .
(٣) في الأصل : « أطراف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . ونقل هذا القول ابن تغزي بردي في النجوم ، وفيه بعض اختلاف عما هنا .
(٤) الوشي المرقوم في حلّ المنظوم لضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) . الكشف : ٢٠١٢/٢ .
(٥) في الأصل : « فحضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

ولم يزل بدمشق كاتب سر إلى أن حضر السلطان من الكرك إلى دمشق ، وتوجّه إلى مصر سنة تسع وسبع مئة وهو معه ، وعاد إلى دمشق على وظيفته إلى أن حضر أخوه القاضي شرف الدين عِوضَهُ بدمشق ، ثم إنه عُطّل من المباشرة مُدةً ، وأُخذ منه مبلغ مئة ألف درهم ، وبقي مدة بلا خَدمة ، ثم رسم له أن يكون موقعّاً في الدست قدّام الأمير سيف الدين تنكز ، فلبث بعد ذلك إلى أن باشر صحابة ديوان الإنشاء بعد القاضي شمس الدين ابن الشهاب محمود في رابع عشر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وأقام على ذلك[١] إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر إلى مصر ، وولاّه كتابة السّر بها لّما بَطُلتْ حركة القاضي علاء الدين بن الأثير ، وطُلِبَ معه القاضي شهاب الدين ، وولده[٢] ، والقاضي شرف الدين أبو بكر[٣] حفيد شهاب الدين محمود ، فوصلوا إلى القاهرة في تاسع عشر المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وأعيد شرف الدين إلى كتابة سرّ دمشق عوضاً عن محيي الدين ، وأقام بالقاهرة مُدة إلى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وكان شرف الدين قد طلع مع تنكز إلى مصر ، فرُسِمَ لشرف الدين أن يكون كاتب السرّ بمصر ، وأنْ يتوجّه القاضي محيي الدين وأولاده مع تنكز إلى دمشق ، وذلك في نصف شعبان من السنة المذكورة ، ولم يلبث شرف الدين في المنصب إلاّ ريثما حجّ السلطان وعادَ معه ، فرسم لشرف الدين بعوده إلى كتابة سرّ دمشق ، وطُلب القاضي محيي الدين وأولاده إلى مصر ثانياً ، واستمر القاضي محيي الدين على ذلك إلى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فزاد ضعفه ، وكَبُرت سنّه ، فطَلب من السلطان أن يعود إلى دمشق ليموت بها ، فرُسم له بالتّوجه إلى دمشق ، وألزم ولده القاضي شهاب الدين بالتوجه معه ، وكُتب له توقيع عظيم في قطع الثلاثين بأن يستمر على صحابة الديوان بالممالك الإسلامية ، وأن يكون جميعُ المباشرين لهذه الوظيفة من بالباب[٤] فمنْ دونه

(١) (س) : « على ذلك مدّة » .
(٢) في (س) ، (ق) : « ولده » .
(٣) في (ق) : « أبا بكر » .
(٤) في (س) ، (ق) : « بالباب الشريف » .

نوابه ، وأنّه حيث حَلّ يقرأ القصص والمظالم والولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ، ويوقع فيما يراه[١] ، وتُجهز إلى مصر ليُعلّم عليها العلامة الشريفة ، ورسم بعود أولاده معه خلا القاضي علاء الدين فإنه كان في صحابة ديوان الإنشاء الشريف بمصر .

وتجهز القاضي محيي الدين وجماعته للسفر ، وشدّت المحفة على البغال لتدمن على حملها ، ولم يبق إلا سفره ، فأُثقل في المرض ، وانقطع جملة كافية . فلبث أياماً قلائل ، وتوفي في التاريخ المذكور .

ولم أر في عمري مَن نالَ سعادته في مثل أولاده وأملاكه ووظائفه وعمره ، وكان السلطان قد بالغ أخيراً في احترامه وتعظيمه ، وكتب له في أيام الأمير سيف الدين ألجاي الداوادار توقيعاً بالجناب العالي ، فقبّل الأرض واستعفى من ذلك وكشطها ، وقال : ما يصلح للمتعمم أن يُعَدّى به المجلس العالي[٢] .

وأجاز لي بخطّه في القاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٧ ـ يحيى بن محمد بن علي*

ابن زيد بن هبة الله رشيد الدين أبو طالب ، الفقيه الحنفي ، الأديب الشاعر .

حدّث بشيء من شعره ، ورواه ولده أبو المحاسن يوسف والفقيه[٣] ظهير الدين علي بن عمر الكازروني وابن الغوطي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى وسبع مئة .

ومن شعره :

---

(١) (ق) : « ويوقع فيها بما يراه » .

(٢) نقله ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة عن الصفدي .

* الدرر : ٤٢٧/٤ .

(٣) في الأصل : « ابن الفقيه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

إن كنتَ من أهل الصبابة والجوى فاسمعْ ولا تبخل بنفسك في الهوى
من لا يـــذلّ لمن يحبّ فحظـــه من حبه إما الصدود أو النوى
فاخضع له إن شئت عزّة قربهِ فلقد هديت، فلا تكن ممّن غوى

١٩٤٨ - يحيى بن محمد بن علي*

ابن أبي القاسم ، محيي الدين ابن العدل بدر الدين العدوي الدمشقي ابن السكاكري .

مولده سنة إحدى وخمسين وست مئة[١] .

وتوفي بدمشق في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .

فاق في كتابه الشروط وسمع الحديث من جماعة ، وتزوج بقريب من[٢] المئة امرأة .

١٩٤٩ - يحيى بن محمد بن سعد**

ابن عبد الله بن سعد بن مفلح ، الشيخ الإمام الصالح المعمر ، مسند وقته سعد الدين أبو زكريا ابن الصاحب البليغ شمس الدين الأنصاري المقدسي الصالحي الحنبلي .

سمع حضوراً في الثالثة من ابن اللتي ، وسمع في الخامسة من جعفر الهمذاني ، واسمه في الطباق عليها « سعد » ، وبه يسمى أيضاً ، ما كان له أخ واسمه سعد ، وسمع من أبيه ، والشرف المرسي ، والكفر طابي ، وابن عبد الدائم ، وجماعة ، وأجاز له ابن

---

* الدرر : ٤٢٨/٤ .

(١) في الأصل : « وسبع مئة » سهو .

(٢) ليست في (ق) .

** البداية والنهاية : ١٠١/١٤ ، والدرر : ٤٢٦/٤ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، وذيول العبر : ١٢١ .

روزبه ، والقطيعي ، والأنجب الحمّامي ، وابن صباح المخزومي ، وعلي بن مختار العامري ، وعبد المحسن السطحي ، وأبو القاسم ابن الصفراوي ، وخلقٌ كثير .

وتفرّد في وقته وروى الكثير على سدادٍ وخير ، وتواضع وحضور ذهن ، وحُسن خُلُق ، وأكثر عنه ولده المحدّث شمس الدين[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشري ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

١٩٥٠ ـ يحيى بن محمد بن عبد الرحمن*

القاضي الرئيس جمال الدين بن الفويرة ، تقدم ذكر ولديه علاء الدين علي والشيخ بدر الدين محمّد الحنفي في مكانيهما .

كان القاضي جمال الدين رئيساً في نفسه ، يتودّد إلى الناس ، ويخدمهم ، ويتجمّل معهم .

توفي رحمه الله تعالى في أول جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

١٩٥١ ـ يحيى بن مصطفى**

الأمير جمال الدين ، أحد الأمراء العشرات بدمشق ، ابن الأمير زين[٢] الدين مصطفى البيري .

كان شاباً طوالاً حسن الوجه والقامة ، فيه خيرٌ ودين ، يلازم صلاة المغرب بالجامع الأموي .

---

(١) محمد (ت٧٥٩ هـ) ، وسلفت ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٤٢٧/٤ .

** لم نقف على ترجمة له .

(٢) في الأصل : « بدر الدين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

ولم يزل على طريقة جيدة ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى في أواخر شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وكان كمّاً[١] ، بقل عذاره ، تألم له والده والناس أيضاً .

١٩٥٢ - يحيى بن يوسف*

ابن أبي محمد بن أبي الفتوح ، الشيخ المعمّر المسند شرف الدين أبو زكريا المقدسي ثم المصري .

روى شيئاً كثيراً بالإجازة من ابن رواج وابن الجميزي والمرسي والمنذري وغيرهم ، وأكثر عنه شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطي ، والقاضي تقي الدين أبو الفتح السُبكي وأقاربه ، وشمسُ الدين محمد [بن علي][٢] بن أيبك السروجي ، وكانت الإجازة قد أخذها له أخوه محيي الدين محمد النحوي[٣] .

وكان شيخاً حسناً لابأس به ، يتعاسرُ في التحديث .

توفي رحمه الله بمصر سنة سبع وثلاثين وسبع مئة عن نيّف وتسعين سنة .

١٩٥٣ - يحيى الملك**

إمام الدين البكري القزويني ، صاحب الديوان بالعراق .

توفي رحمه الله تعالى بالحلّة سنة سبع مئة ، ونقل إلى بغداد ، ودفن بمدرسته بدرب فراشا ، وتولى بعده ابنه افتخار الدين مكانه .

---

(١) الكمّ : وعاء الطلع وغطاء النور .

* ذيول العبر : ١٩٧ ، والدرر : ٤٣/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٤/٩ ، والشذرات : ١١٦/٦ .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) سلفت ترجمته في موضعها .

** لم نقف على ترجمة له . وفي الأصل : « يزدار الملك » ، سهو .

١٩٥٤ ـ يزدار*

الأمير سيف الدين أحد أمراء الطبلخاناة بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى تقريباً في شهر رجب سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

١٩٥٥ ـ يعقوب بن إبراهيم**

الشيخ الفقيه شرف الدين ابن الشيخ الإمام صدر الدين ابن الشيخ محي الدين أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء بن ياسين بن عبد الله بن زهر البصروي ثم الصالحي .

سمع شيئاً من (مسند) الإمام أحمد بن حنبل على الشيخ شمس الدين بن أبي عُمر والشرف السراج .

وكان فقيهاً ، وله شعرٌ ، وفيه خيرٌ ودين وصلاح ، وكان قائماً بعياله .

توفي رحمه الله في مستهل شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في خامس عشري شعبان سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

١٩٥٦ ـ يعقوب بن عبد الكريم***

الرئيس الكبير الصاحب شرف الدين ناظر حلب وطرابلس .

كان رئيساً نبيلاً ، سؤوساً جليلاً ، سمح اليد ، لا يبالي بما وهب ، ولا يفكر في الدهر أنام عنه أم تيقّظ له وهَبّ ، يتلقى الواردين عليه بالإحسان ، ويكرمهم بكرامتي اليد واللسان .

---

* الدرر : ٤٣٢/٤ ، وفيه : « يزداد يحي الذي تقدّم » ، ووقع في الأصل : « يعقوب » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٤٣٣/٤ .

*** الدرر : ٤٣٤/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

وكان يخدم الأمير سيف الدين تنكز وحاشيته وجماعته وغاشيته وكان يرعاه إذا ورد من دمشق أو صَدَر ، ويكرم نزله إذا صعد أو انحدر .

وقضّى في حلب سعادةً عُظمى ، وأياماً نظمها الدهر في سلك السرور نظماً ، وتنقّل منها إلى بلد طرابلس مراتٍ ، والتقى من حروب الزمانِ كرّاتٍ ، وطُلِبَ إلى مصرَ غير مرة ، وعاد منها ووجوه عداه مغبرّة .

يلاقي العِدا بالقصمِ، والوَفد بالغنى، وحُسّادَه بالكبت، والداء بالحسمِ
خبيرٌ بأخلاقِ الزمانِ يروضها بلينِ الهُوَينى أو بعارِضَةِ الحزمِ

وكان يحبُّ الفُضلاء ، ويقرّب النُّبلاء .

ولم يزل على حاله إلى أن جفّت موادُّ لهواته ، وأكمل مدة حياته .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في إحدى الْجُمَادَيَيْن سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة بحماة .

كان أولاً مباشراً نظر الجيش بحلب قبل عود الناصر من الكرك إلى دمشق ، ثم إنه توجه إلى طرابلس[1] سنة اثنتي عشرة وسبع مئة . ثم إنه تولى نظر حلب ، فأقام بها في سعادة ورياسة وسيادة إلى أن عُزِل في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وتوجّه إلى نظر طرابلس فأقام بها إلى سنة سبع وعشرين وسبع مئةٍ ، ثم إنه عاد إلى نظر حلب ، ثم إنه نقل إلى نظر طرابلس فأقام بها دون السنة ، ومرض وتعلّل ، فتوجّه إلى حماة ليتداوى بها ، وأقام بها مدةً عليلاً ، وكان صاحب حماة الملك المؤيد يعوده ويزوره ويصله ، ولما مات مشى في جنازته ، وكان يخدمه لِما عليه من الخدمة والمكارمة .

---

(١) في (س) ، (ق) : « إلى نظر طرابلس » .

وفيه يقول جمال الدّين بن نباتة[١] :

قـــالَت العَلْيـــا لمن حَـولَهـــا سبـقَ الصـاحبُ واحتـلَّ ذُراهـا
فـــدعـوا كسبَ المعـــالي إنَّهـــا حـاجـة في نفسِ يعقـوبَ قَضـاهـا

وكتب إليه شهاب الدّين أحمد بن المهاجر[٢] يهنّيه بقدومه إلى حلب بعد القاضي جمال الدّين ابن ريّان ، ومن خطه نقلتُ :

أبدتْ سروراً وهـذا بعضُ مـا يجب وكيفَ لا وقدومُ الصـاحبِ السببُ
وأسفرت من محيـا البِشر عَنْ حسنٍ لـهُ إذا مـا انتهى من وصفـهِ حسبُ
وأقبلت تتهـــادى من غـلائـل في تيهٍ حكَتْ أنَّ مِمَّن حـاكها الطَّربُ
تقـولُ للبرقِ إذ تفترُّ بـــاسمـــةً «لقد حكيتَ ولكن فاتـكَ الشنبُ»[٣]
وتنشـــدُ الـدوحُ إذ تهتزُّ نـاسمـةً بيني وبينـــك يـــا دوحَ الحمى نسبُ
لـكِ البشارةُ يـا شهبـاءنـا فلقـد أمسى وأصبح من حسـادك الشهبُ
لقـد عَلـوتِ بـه قـدراً ولا عجبٌ فـإنّـه رجـلٌ تعلـو بـهِ الرتبُ
يكفيـك من ذي المعـالي أن منصبـه قد زال عنـه العنـا والبؤس والنَّصبُ
وأن مجلسـه المـأنـوسَ منـهُ زَهـا روضـاً فـآضَ إليـهِ الْحُسن ينتسبُ
ماغـابَ عنـه جمـالُ من حوى شرفـاً «إليـه آل التقصِّي وانتهى الطلبُ»[٤]

(١) البيتان ليسا في ديوانه ، وأوردهما ابن تغري بردي في النجوم : ٢٨٠/٩ .
(٢) أحمد بن عبد الله ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٣) عجز بيت لابن الخيمي محمد بن عبد المنعم ، صدره :
يابارقاً بأعالي الرقتين بدا
وقد سلفت ترجمته وقصة القصيدة .
(٤) عجز بيت هو مطلع قصيدة ابن الخيمي التي سلفت الإشارة إليها ، وصدره:
يامطلباً ليس لي في غيره أرب

١٩٥٧ ـ يعقوب بن مُظفر*

ابن مزهر ، الصاحب شرف الدّين . هو أخو القاضي فخر الدّين أحمد بن مظفر .

كان الصاحب شرف الدّين من أشياخ الكتّاب المعروفين بالنهضة والكفاية ، كثير[١] البِرّ لأهله وأقاربه ومن يلوذ به ، وكان المباشرون يخافونه ويخشون منه .

باشر النظر بدمشق وحلب وطرابلس وصفد وغير ذلك من المناصب .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بحلب في شعبان ثامن عشرةِ سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده بنابلس سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان وصوله إلى حلب في هذه المرة ناظر الدواوين بها في مستهل شعبان ، فأقام بها ثمانية عشر يوماً وتوفّي رحمه الله .

١٩٥٨ ـ يعقوب**

الأمير محيي الدّين ابن الملك الأشرف عبد الحق ابن السلطان الملك الصالح عماد الدّين إسماعيل ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

كان جنديّاً وله إقطاع وعدة أولاد ، وعليه ديون كثيرة ، وكان يحفظ شعراً كثيراً .

وتوفّي بالمزّة ظاهر دمشق في ثامن ذي الحجة سنة ست وعشرين[٢] وسبع مئة .

---

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٧ ، والدُّرر : ٤٣٦/٤ ، وذيول العبر : ٧٨ .

(١) (ق) ، (س) : « وكان كثير » .

** الدُّرر : ٤٣٣/٣ ، وفيه : « مجد الدّين » .

(٢) وفي الدُّرر : « سنة سبع وعشرين » .

١٩٥٩ ـ يلبسطي*

الأمير سيف الدِّين .

لما توفِّي الأمير سيف الدِّين بلبان البدريّ نائب حمص عُيِّن الأمير سيف الدِّين يلبسطي المذكور للنيابة[١] ، وخلع عليه في خامس عشر ذي[٢] القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وتوجه إليها وأقام بها .

١٩٦٠ ـ يلبغا**

الأمير الكبير سيف الدِّين اليحيوي الساقي الناصري نائب حماة وحلب ودمشق ، ابن الأمير سيف الدِّين طابُطا ، وقد تقدم ذكره في حرف الطاء .

كان جميل المُحيا ، قد طال رِيّاً وطاب رَيّاً ، بثغر يفترُّ عن أقحوانه ، وقوامٍ يَهزُّ منه رمحاً لدناً ، غلطتُ ، بل غصن بانه ، كريم السَّجايا والأخلاق ، عديم النظر في مجموع محاسنه على الإطلاق ، لا يكاد يمنع سائله ولا يرد وسائله ، هذا إلى إقدام زلَّت[٣] عنه الأقدام ، وشجاعة يُرَدُّ عنها عنترة بوجه دام :

قمرٌ يَروقك في سحاب بنودِهِ ... ضحكَ السيوفِ مِن البروق الخلّب
طبٌّ بأدواء الممالك راضها ... بندى يد سمحٍ وسيف مقضب[٤]
ذو سطوةٍ تَسَعُ البُغاةَ وتحتها ... حلمٌ يَفيضُ على المسيء المذنبِ
بسماحةٍ وحماسةٍ قد بيَّنا ... أنْ ليس يمنعُ مَهلكٌ من مطلبِ

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) (ق) ، (س) : « للنيابة المذكورة » .

(٢) (ق) ، (س) : « عشري » .

** تحفة ذوي الألباب : ٢٦٣/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ وما بعدها ، والدُّرر : ٤٣٦/٤ ، والنجوم : ١٨٥/١٠ ، وإعلام الورى : ١٩ ، وولاة دمشق في عهد المماليك : ١٨٨ .

(٣) (ق) ، (خ) : « تزل » .

(٤) هذا البيت ليس في (خ) .

خرج على الملك الكامل ، ورماه بالذّل الشامل ، وأراد أن يفعل مثلها بالمظفر ، فخرَّ صريعاً لليدين وللفم[١] وقد تعفَّر ، وكان يظن الثانية مثل الأولى ، فعادت صحيحات العُيون من أمانيه حُولاً ، وحزَّ رأسَه عن جسده وما نفعه مُثَقَّف سُمره ولا موضون[٢] زَرَده .

وكانت قتلته بقافون[٣] في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة .

كان الأمير سيف الدِّين يلبغا من أكبر الأمراء الخاصكية ، ولم يكن عند أستاذه الملك الناصر محمد أعزّ منه ، وكانت الإنعامات التي تصل إليه لم يفرح أحد بمثلها[٤] ، يطلق له الخيل بسروجها وعُددها وآلاتها : الزركش والذهب المصوغ في سروجها مرصعاً بالجواهر الثمينة خمسة عشر خمسة عشر فرساً ، والأكاديش من الجشار[٥] مئتين مئتين ، وتُجهَّز إليه التشاريف : الأطلس والحوايص الذهب والطرز الزركش وغير ذلك من التشاريف التي يحتاج هو إلى أن يعطيها مِن عنده لِمَن يُحضِر إليه ذلك .

حكى لي الحاج حسين أستاذداره قال : جرى يوماً بين يدي السلطان ذكر عشرين ألف دينار ، فقال يلبغا : والله يا خوند أنا عمري ما رأيت عشرين ألف دينار ، فلَمَّا خرج من عنده ، طلب القاضي شرف الدِّين النشو ناظر الخاص وقال : أحضر إليَّ الساعة خمسةً وعشرين ألف دينار ، وخمسة تشاريف أطلس أحمر وطرزها وكلوتاتها

---

(١) يشير إلى قول الشاعر :

تناوله بالرمح ثم اتني له فخرَّ صريعاً لليدينِ وللفمِ

وسلفت الإشارة إليه .

(٢) الموضونة : الدرع المنسوجة .

(٣) في الأصل : « بفاقون » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، وقد سلف ذكرها .

(٤) (س) ، (ق) : « غيره بمثلها » .

(٥) في الأصل : « والأكادش » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والتحفة . والجشار : ما يساق مع الجيش من خيل وبقر وسوى ذلك .

وحوايصها ، فلما حضر[١] ذلك قال : احمل التشاريف إلى عند يلبغا ، وقل له : إذا جاء الجمدارية بالذهب اخلع عليهم التشاريف[٢] ، وطلب خمسة جمدارية وحمّل كل واحد منهم خمسة آلاف دينار ، وقال : توجّهوا بهذا الذهب إلى يلبغا ، فأحضروها ، وخلع هو عليهم تلك الخلع ، وبنى له الإصطبل الذي في سوق الخيل تحت القلعة ظاهر القاهرة ، ولم يُعمِّر قبله مثلُه ، وأنفق عليه ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وكان يهندس الصنّاع[٣] فيه بنفسه ، ولَمّا فرغ مدَّ فيه سماطاً عظيماً ، وخلع على أمراء الدولة تشاريفَ وخيولاً . وبالجملة فكانت إنعاماته عليه وإطلاقاته له خارجة عن الحد .

وكان هو والأمير سيف الدّين ملكتمر الحجازي قد توليا تمريض السلطان لَمّا مات . ثم إن يلبغا سأل في أيام الصالح إسماعيل أن يكون نائب حماة ، فأُجيب إلى ذلك ، وجاء إليها عوضاً عن الأمير علاء الدّين ألطنبغا الماردانى ، وتوجه الماردانى إلى نيابة[٤] حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين طقزتمر ، وجاء طقزتمر إلى نيابة دمشق ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ولَمَّا مات الأمير علاء الدّين ألطنبغا الماردانى في حلب ، رسم للأمير سيف الدّين يلبغا بنيابة حلب ، ولما مَلَك الملك الكامل طلب طقزتمر من دمشق إلى مصر ليكون لها[٥] نائباً ، ورسم للأمير سيف الدّين يلبغا بنيابة دمشق ، فدخل إليها يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبع مئة[٦] ، وتوجه الأمير سيف الدّين أرقطاي إلى حلبَ نائباً ، وأقام يلبغا اليحيوي على حاله بدمشق ، وأرجف الناس كثيراً بأن الملك الكامل يريد إمساك يلبغا ، وذلك بعد إمساك الأمير سيف الدّين [آل ملك

(١) في (س) ، (ق) والتحفة : « أحضر » .
(٢) في (س) ، (ق) والتحفة : « هذه التشاريف » .
(٣) زيادة من (س) ، (ق) : « وكان هو .. » . وفي التحفة : « وكان هو مهندس العمارة » .
(٤) ليس في (خ) .
(٥) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) : « بها » .
(٦) البداية والنهاية : ٢١٧/١٤ .

وسيف الدِّين][1] قماري ، فاستوحش الأمير سيف الدِّين يلبغا من ذلك ، وبرَّز إلى الجسورة[2] بظاهر دمشق في خامس عشر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وسبع مئة[3] ، وأقام هناك أياماً ، وحضر إليه الأمير حسام الدِّين البشمقدار نائب حمص ، والأمير سيف الدِّين آراق نائب صفد ، والأمير سيف الدِّين أسندمر نائب حماة ، والأمير بيدمر البدري نائب طرابلس ، واجتمع الكل عنده بظاهر دمشق ، وعسكر دمشق جميعه ، واجتمعوا وأجمعوا على خلع الكامل ، وظاهروه بالخروج عليه ، وكتبوا إليه مطالعة بذلك ، فكان ما كان من أمر الكامل ، على ما مرَّ ذكره في ترجمته[4] .

ولَمّا تولَّى الملك المظفر حاجيّ أقرَّ سيف الدِّين يلبغا على حاله في نيابة دمشق وجعل ابنه أمير محمد أميراً بطبلخاناه ، وأعطى دَواداره الأمير عزّ الدِّين طقطاي طبلخاناه ، وعمَّر يلبغا قبة النصر عند مسجد القدم مكاناً كان قد برز إليه ، وكان قد عمَّر قبل ذلك القيسارية التي هي برّا باب الفرج ، وعمَّر الحمامَيْن اللذين بحكر العنابة برّا الجابية بدمشق ، وشرع في عمارة الجامع الذي بسوق الخيل على نهر بردى في أول سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة[5] .

وفي ثامن عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة ورد إليه الخبر على البريد[6] على يد الأمير شمس الدِّين آقسنقر المظفري[7] أمير جاندار بكتاب من

---

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : (س) ، (ق) : « الجسور » ، وأثبتنا ما في التحفة والبداية .

(٣) البداية والنهاية : ٢١٨/١٤ .

(٤) المصدر السابق : ٢١٩/١٤ .

(٥) انظر في آثاره : أمراء دمشق في عهد المماليك : ١٩١ وما بعدها .

(٦) قوله : « على البريد » ، ليس في (خ) . وفي (ق) : « في البريد » .

(٧) في الأصل : « المظفر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

السلطان الملك المظفر بإمساك الأمراء الستة الذين تقدم ذكرهم في ترجمة الأمير شمس الدِّين آقسنقر الناصري ، وفيه إعلامُه بالواقعة وإطابة خاطره وتسكينه . فكتب الجواب بالدعاء للسلطان وجهَّز أستاذداره سيف الدِّين أشتقتمر معه ، واستوحش يلبغا من هذه الواقعة كثيراً ، واستدعى أمراء دمشق بعد ذلك بيومين ، وهو في دار السعادة ، وعرّفهم ما جرى ، وكتب إلى نواب الممالك بالصورة ، وجهَّز الأمير سيف الدِّين ملك آص إلى حماة وحمص وحلب ، وجهَّز الأمير علاء الدِّين القاسمي [١] إلى طرابلس . وجاءه ليلة الجمعة مَن زاده وحشة فَلَمْ يصبح له بدار السعادة أثر غير نسائه ، وانتقل إلى القصر الأبلق[٢] ، ونزل والده وإخوته وألزامه ومَن معه من مماليكه بالميدان ، وكان يركب وينزلُ إلى يوم الأربعاء ، فجاءه الأمير سيف الدِّين آراي أمير آخور بكتاب السلطان الملك المظفر يطلبه إلى مصر ليكون رأس أُمراء المشور ، وأن نيابة الشام قد أنعم بها على الأمير سيف الدِّين أرغون شاه نائب حلب ، وقال سيف الدِّين آراي ذلك بغمة[٣] لأمراء دمشق ، فتحلَّلت عنه العزائم ، وفلَّت[٤] الآراء ، فتجهز وطلع إلى الجسورة ثانياً على العادة التي فعلها في السَّنة الماضية ، وكان ذلك بعد العصر خامس عشر جمادى الأولى ، وأقام إلى بعد الصلاة من يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى[٥] ، وكانت الملطفات قد جاءت من السلطان إلى أمراء دمشق بإمساكه في عشية الخميس ، فأنزلوا الصنجق السلطاني من القلعة ، واجتمع عسكر دمشق تحته ، ولَمَّا علم بذلك[٦] ركب بسلاحه في جماعته . ولَمّا عاين أوائلهم هرب[٧] بمماليكه وأهله ، وهرب معه أيضاً

---

(١) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .

(٣) في الأصل : « نعمة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والتحفة .

(٤) في الأصل : و (خ) : « قلت » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٥) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .

(٦) في الأصل : « ذلك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٧) (خ) : « ركب » .

الأمير سيف الدّين قلاوون[١] ، والأمير ناصر الدّين بن جمق[٢] ، وتبعه الأمير علاء الدّين بن طغريل[٣] أمير حاجب ، والأمير شهاب الدّين بن صبح وغيرهما من عسكر دمشق ، وعادوا بعد ما أوصلوه إلى ضُمير ، وقتل من العسكر جماعة .

ثم إن الأمير فخر الدين أياز نائب صفد وصل بعسكر صفد إلى دمشق في بكرة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى[٤] ، وخرج العصر بعسكر دمشق أيضاً وصفد وتوجه بهم إلى حمص وجدّوا[٥] ، وكان العرب قد أنكَوه ومنعوا منه الماء ، واقتطعوا بعض نقله[٦] ، وجدّ في طلبه سلار بن تتر البدوي[٧] وأخوه بُريد ، ومنعوه النوم والقرار ، وكَلَّ هو مَن معه ، وملّوا من حمل السلاح ليلاً ونهاراً ، وحَمِي الحديد عليهم ، وعاينوا الهلاك ، واختلف مماليكه عليه ، فقال لهم : بالله وسّطوني أو اضربوا عنقي . كل هذا وهم ما بين القريتين إلى أمهين وصدد[٨] ، ولَمَّا سمعت ذلك قلت :

تفرقِ شملُ السعدِ عن يلبغا وقد ... بغى وغدا في عكسِهِ متورِّطا
فقالَ لهُ السَّيفُ الذي شدَّ وسطهُ ... وقد بالَغَ الأعراب في الجورِ والسَّطا
تلذَّذ بقتلٍ فيهِ للنفس راحةٌ ... وإن رُمْتَ أهنأ العيشِ فابغِ توسُّطا[٩]

وقال له مماليكه : أنت قلت لنا إن نائب حماة معك ، توجَّه بنا إليه ، فلم يرَ إلا المطاوعة ، فعبر على ظاهر حمص وتوجه إلى حماة ، فخرج إليه الأمير سيف الدّين قلطيجا الحموي النائب بحماة ، فتلقّاه ودخل به إلى حماة[١٠] ، ثم إنه أمسكه وأمسك والده

(١) سلفت ترجمته . وفي التحفة والدُّرر :« قلاوون » .
(٢) في التحفة : « محمد بن جمق » .
(٣) في التحفة : « علي بن طغريل » .
(٤) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .
(٥) قوله : « وجدّوا » ليس في (ق) ، (خ) .
(٦) (خ) : « ثقله » .
(٧) في الأصل : « التبريزي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٨) أمهين وصدد : من قرى حمص .
(٩) في الأصل : « فبه توسطا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهذا البيت خلت منه التحفة .
(١٠) في الأصل : « جماعة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

وأخويه قراكز وأسَنْدَمُر ، وعز الدِّين [١] طقطاي الدوادار وسيف الدِّين جوبان وقلاوون ومحمد بن جمق ، وقيَّدهم وجهَّز سيوفهم إلى السلطان . ثم بعد ذلك جهَّز الأمير سيف يلبغا ووالده مقيَّدَيْن إلى مصر ، فلما وصلا إلى قاقون تلقَّاهما الأمير سيف الدِّين منجك ، فأطلعه إلى قلعة قاقون هو ووالده وحبسهما [٢] في بيتين منفردين ، ثم أُنزل والده من قلعة قاقون ، وجُهِّز وحده [٣] على البريد إلى السلطان ، وطلع إلى الأمير سيف الدِّين يلبغا مَشَاعِلِيّان ، فأحسَّ بذلك ، وسألهما الوضوء وصلاة ركعتين ، ولما فرغ من ذلك قال لهما : بالله هوِّناها عليَّ . فقالا له : يا خوند إن أردت ذلك فدعنا ندير كتافك ، فمكَّنهما من نفسه ، وخنقاه ، فسمع الناس شهقته من أسفل القلعة . ثم إنَّه حُزَّ رأسه وجعل في عسل ، وجُهِّز إلى باب السلطان ، ثم دفنت جثته بقاقون ، رحمه الله تعالى وسامحه وعفا عنه ، وذلك في العشر الأواخر من جمادى الأولى [٤] في السنة المذكورة .

وقلت أنا في ذلك :

إنَّ في يلبغا لكلِّ لبيبٍ ... عبرةً أصبحَتْ على الدَّهرِ تُتلى
ما تساوَى العزُّ الذي قد رآهُ ... في دمشق بذلٌ قاقونَ أصلا

وقلت أيضاً :

ألا إنما الدنيا غرورٌ وباطلُ ... فطوبى لِمَن كَفَّاهُ منها تفرغا
وما عَجَبي إلاّ لمن باتَ واثِقاً ... بأيامِ دهرٍ ما رعَت عهد يلبغا [٥]

---

(١) في الأصل : « وأسندمر وجهزهم أسندمر وعز الدّين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٢) (خ) : « فأطلعهما إلى قلعة ... وحبسهما » .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) (خ) : « من » .
(٥) في الأصل : « بأيام عهد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) ، والتحفة .

ثم إن الأمير سيف الدّين منجك وصل إلى حماة ، وجهز إخوة يلبغا وجماعته الذين أُمسكوا مقيَّدين إلى باب السلطان .

وخلَّف الأمير سيف الدّين يلبغا اثني عشر ولداً ، أكبرهم أمير محمد وعمره تقدير سبع سنين ، وكان له زوجتان : أخت صمغار وأخت بُزلار ، وكان يحبها كثيراً ، وأم محمد وهي أخت الخوندة أُردو .

وكان يتلو القرآن جيداً ، ويلازم تلاوته في المصحف ، ويحب أهل القرآن ويجالسهم ، ويحب الفقراء . ولم يكن فيه شرٌّ ولا انتقام . وقبل خروجه من دمشق أحضر[1] إليه قاضي القضاة تقي الدّين السبكي الشافعي إلى القصر ، ووقف أملاكه وخصَّ الجامع الذي أنشأه بدمشق بمبلغ ستين ألف درهم في كل سنة من صلب ماله ، رحمه الله تعالى . ومضى كأن لم يكن .

ولم أرَ مثل ما ناله من السعادة التي فاضت عنه على والده ووالدته وإخوته وأقاربه ومماليكه ، لأن والده كان أمير مئة مقدم ألف ، وأخواه أميري طبلخاناه ، وولده أمير طبلخاناه ، وذو قرابته الأمير شهاب الدّين شعبان أمير طبلخاناه ، ودواداره الأمير عز الدّين طقطاي أمير طبلخاناه ، ومملوكه سيف الدّين جوبان أمير عشرة ، وبقية مماليكه جماعة منهم لهم الإقطاعات الجيدة القوية في الحلقة . واعتنى بجماعة من أهل حماة وحلب ودمشق ، وخلَّص لهم الطبلخانات .

وعلى الجملة فكانت سعادة زائدة عن الحد ، لكنها ختمت بهذا الشرّ الكبير الذي فاض عنه على ذويه ، فلا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

بقدرِ الصعودِ يكونُ الهبو طُ فإيّاكَ والرُّتَبَ العالِيَه

ومن جملة ما رأى من العزّ أنه كان قد توعَّك وحصل له سوء مزاج ، فكان عند

---

(١) في الأصل : « احتضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

السلطان في المرقد وهو جالس ورجلاه إلى[١] ركبتيه في حجر السلطان وهو يُكبّسهما بيده ويرش الماورد[٢] على وجهه ، ويتولّى تمريضه وطبّه وعلاجه وخدمته بنفسه . وكان ولد السلطان وهو إبراهيم أكبر من أبي بكر قد مرض بالجدري فمات إبراهيم ودفن ولم يره أبوه ولا عاده شُغلاً منه بتمريض يلبغا ، فهذا نهاية في العزّ .

ومن جملة الذُّلّ الذي رآه أن تولّى خنقه في قلعة قاقون مشاعليّان ودفن في أرض قاقون جسداً بلا رأس ، اللهم خلّصنا من شرور هذه الدنيا[٣] الغرارة .

وقلتُ أنا فيه وقد التزمت الزاي المشددة :

دعِ الـدَّهرَ يُعلي من أراد [إلى] السُّهى ... ودافِعْـه مِنْ وَقْتٍ لـوقتٍ وجَـزِّهِ[٤]
فقـد نـالَ منـهُ يلبَغـا فوقَ مـا ابتَغى ... وقصَّتـــــــــه تُجلى على المتنزِّهِ
وأُنـزِل من عنـد الثُّريـا إلى الثَّرى ... وأمسكـــهُ صرفُ الرَّدى في محـزِّهِ
وألحفـــهُ العيشُ الغليـــظُ رداءَهُ ... على لطفِ معنـــاهُ ورقَّـــةِ بـزِّهِ
فـلا سعـدَ إلا مـا رأينـاهُ نـالَـهُ ... ولا ذلَّ إلا مـــا رأى بعـــد عِـزِّهِ

☆ **اليلداني :** أبو محمد الصحراوي عبد الرحمن بن عبد المولى .

١٩٦١ - يلقطلو*

بنت أبغا الخاتون .

كانت امرأة ديِّنـة صيِّنـة تقيَّـة نقيَّـة ، محبَّـة للخير وأهلـه ، وكانت عمَّـة غـازان وخربنـدا ، وكانت بين المغـل جليلـة القَـدْر نبيهـة الـذكر ، وافرةُ الْحُرمـة ، مسموعـة

(١) (خ) : « على » .
(٢) (خ) : « ماء الورد » .
(٣) (ق) : « الدار » .
(٤) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) ، والتحفة .
* الدُّرر : ٤٤٢/٤ .

الكلمة ، ذات شهامة وفروسية ، وكانت مزوَّجة بعرب طي ، ومنازلها لا تبعد من أطراف بلاد الإسلام ، ولما مات زوجها المذكور ركبت بنفسها وقتلت قاتله وقطعت رأسه وعلَّقته في قلادة فرسها ، وبقي الرأس على هذا زماناً[1] طويلاً حتى كُلِّمت فيه فألقته ، وقيل إنما ألقته بأمر اليرلغ ، ولم تتزوج بعد عرب طي ، وحرص الأفرم على زواجها وكتب إليها في ذلك وأخذ كتب السلطان وسلاّر إليها فيه ، وبذل لها حمص وبلادها صداقاً عنه فنهرت رسله وردَّتهم بالخيبة ، وقالت : أنا أنصح أمة محمد - ﷺ - ما أنصح فلان وفلان وفلان ، فإن كانت مناصحاتي للمسلمين هي التي أطمعت الأفرم فيَّ فما بقيتُ أُناصحهم ، وكيف تجاسر[2] الأفرم عليَّ ، ومن هو الأفرم ؟ وأنا أقل كوتلجي عندي مثل الأفرم .

وقَدِمَتْ هذه يلقطلو إلى الشام وتوجهت إلى الحج في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

قال القاضي شهاب الدِّين أحمد بن فضل الله : وكنت حاجّاً في تلك السنة فكنت أرى منها امرأة تعد برجال حزماً وعزماً وكرماً ، وعليها سيماء الجلالة ووسامة الملك ، وتصدقت بأموال كثيرة ، قيل إنها تصدقت في الحرمين بثلاثين ألف دينار ، وكانت تركب في الطريق محفة ، وتركب الخيل ، وتشدّ في وسطها التركاش ويُشال عليها الجِتر ، وكانت تضرب حلقات صيد وتتصيد طول الطريق . وكانت بَحْرَ كرم وغاية إحسان ، ولَمّا قدمت دمشق خرج الأمير سيف الدِّين تنكز لِلَّقيّها ولاطفها حتى دخلت دمشق بغير جتر على رأسها .

☆ **اليمني :** الشيخ تاج الدِّين عبد الباقي ، اسمه محمد بن أحمد .

☆ **ابن يمن :** قاضي القضاة الحنفيّ .

---

(١) (ق) ، (س) : « دهراً » .

(٢) (ق) ، (س) : « يتجاسر » .

١٩٦٢ ـ ينجي*

الأمير سيف الدِّين السلاح دار .

كان من جملة الأمراء بدمشق ، ولَمّا جاء الفخري وملك دمشق كان هو فيها مقيماً في شدّ الدواوين ، وكان يصدّ الفخري وغيره عن أشياء كثيرة من طلب الناس .

ومرض مدة بعد ذلك وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

١٩٦٣ ـ ينغجار**

الأمير سيف الدِّين الناصري أخو الأمير سيف الدِّين آرغون الدوادار الناصري .

كان سكنه على بركة الفيل في حكر الخازن ، وأُخرج إلى الشام سنة[١] ثلاثين وسبع مئة فيما أظن ، وأقام بدمشق مدة ، وولي نيابة قلعة دمشق مدة ، وولي الرحبة[٢] ، وولي نيابة بعلبك مديدة في أيام الأمير سيف الدِّين يلبغا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق في ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

---

* الدُّرر : ٤٤٣/٤ .

** الدُّرر : ٤٤٣/٤ .

(١) (ق) : « في سنة » .

(٢) في (ق) ، (خ) ، (س) زيادة : « وولي نيابة الرحبة بعد موت حسام الدِّين لاجين الغتمي وولي نيابة .. » .

١٩٦٤ ـ يوسف بن إبراهيم بن جملة*

الشيخ الإمام العالم الفقيه قاضي القضاة بالشام ، الحوراني المحجّي[١] الشافعي الأشعري .

كان قد تفقّه مدة لابن حنبل رضي الله عنه ، ثم إنه انتقل إلى مذهب الشافعي ، وتميّز وناظر الأقران ، وأخذ عن الشيخ صدر الدّين بن الوكيل ، وعن قاضي القضاة شمس الدّين بن النقيب ، وعن الشيخ كمال الدّين بن الزملكاني . وصار من الأعيان ، ونظر القمر إلى جماله وهو خزيان ، وجالد[٢] فرسان البحث وجادلهم ، وفضّ على الطلبة ما عنده في خزانة علمه[٣] وجاد لهم .

ولما باشر قضاء الشام وتولّى بحكمه الأوامر والأحكام ، باشر ذلك بصلف وأمانة ، وعفاف لم تتطرق إليها جناية ولا خيانة ، وكان ذا مهابةٍ وسطوةٍ على المريب ، وشدة وطأةٍ على القريب والغريب :

قاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عَنَّ لهُ ... رأيٌ يفرّق بينَ الماء واللبنِ
القائل الصدق فيهِ ما يُضَرّ بهِ ... والواحد الحالتَيْن السِّرّ والعَلَن
الفاصِل الحكم عيَّ الأولونَ بهِ ... ومُظهِر الحقّ للسّاهي وللذّهِنِ

وكان فيه ديانة وحسن عقيدة ، وله محاسن كل منها بيت القصيدة .

وكان في أيام نيابته لقاضي القضاة جلال الدّين بدمشق قد قام على الشيخ تقي الدّين بن تيميّة في مسألة الزيارة ، وسدّد سهمه إليه وأطلق زياره[٤] ، وانتصب لهذا الأمر ، وأوطأ قدميه على الجمر ، ولم يُصلّ على جنازته ، وتبرأ من حيازته .

* البداية والنهاية : ١٨٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٥٨/١ ، والدُّرر : ٤٤٣/٤ ، والشذرات : ١١٩/٦ ، والدارس : ٢١٤/١ ، وذيول العبر : ٢٠٢ .

(١) المحجي : نسبة إلى محجة من قرى حوران .

(٢) في الأصل : « وجالل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) (س) ، (ق) : « علومه » .

(٤) الزيار : القوس .

ولم يزل على حاله إلى أن وقعت له تلك الواقعة التي كان فيها غرضاً للسهام الرواشق ، ووَقَتْه في وقتها كل غاسق ، ودخل إلى دار السعادة وهو قاضي القضاة وخرج منها وهو فاسق ، واعتُقل في القلعة مُدّة ، وحلّت به في هذه الواقعة كل شدة ، ثم إنه أفرج عنه بعد مدة ، وأعطي تدريس المسروريَّة بعد أن كاد يموت غمّاً ، كما جرى لسيبويه في المسألة الزنبوريَّة[١] .

ولم يزل بعد ذلك على حاله إلى أن غاض ماء حياته ، وفاض دمع باكياته .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة[٢] ، ودفن بوادي العظام عند أهله .

ومولده سنة ستٍّ وثمانين وست مئة[٣] .

وكان قد درَّس بالدولعيّة ، وخرَّج له شيخنا علم الدِّين البرزالي عن الفخر علي وجماعة .

ولَمّا توفي قاضي القضاة علم الدِّين الأخنائي ولِيَ هو بعده قضاء القضاة بدمشق ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة[٤] ، لأن الأمير سيف الدِّين تنكز كتب في أمره للسلطان بعناية ناصر الدِّين الدوادار ، وباشر القضاء على أحسن ما يكون من الصَّلف والعفة . وكان فصيحاً بليغاً شديد العارضة في البحث .

ثم إن حمزة التركماني أحرف الأمير سيف الدِّين تنكز عنه وأغراه[٥] ، ولم يزل به إلى عقره وقال عنه إنه رشا ناصر الدِّين الدوادار بالذهب على القضاء ، وهذا أمر أنا وغيري

---

(١) من مشهور أخبار سيبويه مع الكسائي . ويقال : إن هذه المسألة كانت سبب موته .

(٢) في رابع عشر ذي القعدة ، كما أرّخ ذلك ابن رافع .

(٣) على ذلك يكون عمره اثنتين وخمسين سنة . وفي ذيول العبر أنه توفي « عن سبع وخمسين سنة » .

(٤) البداية والنهاية : ١٤/١٦١ .

(٥) في (س) ، (ق) : « وأغراه به » .

نستبعده من الجانبين . وكان تنكز قد فوّض إليه الأمر في الشيخ ظهير الدّين لأنه لم يصح ما نقله عنه ، فبالغ ابن جملة في تعزير الظهير واستقصى ، والاستقصاء شؤم ، فعُقد له مجلس في يوم الجمعة تاسع عشري شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة[١] ، وقد بيّت القضية له حمزة ، فدخل وهو قاضي القضاة في الشام ، وخرج وهو فاسق قد حكم بعزله وسجنه في القلعة . وكانت واقعة غريبة في تلك الأيام لم يعهد الناس مثلها .

أنشدني إجازة لنفسه القاضي زين الدين عمر بن الوردي :

دمشق لا زالَ رَبْعُها خَضِراً ... بِعَدْلِها اليومَ يُضْرَبُ المثلُ
فَضامِنُ المكْسِ مطلقٌ فَرِحٌ ... فيها وقاضي القضاةِ مُعْتقلُ[٢]

وقلتُ أنا في ذلك :

العفو يا ربِّ مِن بَلاءٍ . ... قِوى الوَرى ما تَطيقُ حَمْلَه
أمرٌ جَرى في الوجودِ فرداً ... يا عَجباً وهو لابن جَمْلَه

وأقام في الحبس خمسة عشر شهراً إلى أن شفع فيه موسى بن مهنا ، وتحدث الأمير سيف الدّين تنكز مع قاضي القضاة شرف الدّين المالكي في عاشر صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة في إخراجه من الاعتقال[٣] ، فقال القاضي : يكتب خطه ، ويُشهد عليه أن الحُكم الذي صدر منه في حقه صحيح ، فلم يُجب إلى ذلك ، وتردَّد الرسول إليه في ذلك غير مرة ، ثم إنه أجاب إلى أنه يمشي إلى مجلس المالكي ويسلم عليه ، فخرج من القلعة يوم الاثنين ثالث عشر صفر إلى دار القاضي المالكي ، ثم إلى الجامع ، ثم إلى أهله بالمدرسة المسرورية .

وولي القضاء بعده القاضي شهاب الدّين بن المجد عبد الله .

---

(١) البداية والنهاية : ١٦٥/١٤ .
(٢) ضامن المكس : هو الذي يتعهد أماكن الفجور .
(٣) البداية والنهاية : ١٧٣/١٤ .

ولما خرج من الاعتقال أُعطي تدريس الدولعيّة ، ثم تمرض ، وخلت المدرسة الشامية البرانية ، فدرَّس بها أياماً بعد ذلك زين الدِّين بن المرحَّل ، وكانت وفاته بالمسروريّة .

وكنت بالديار المصرية لَمّا رسم السلطان الملك الناصر بولايته قاضي[1] القضاة ، فكتبت له تقليده بذلك ونسخته :

الحمد لله الذي أعلى منار الشرع الشريف بجماله ، وجلَّى دُجاه بمن تحسدُهُ البدور في الأفق ليالي التمام على كماله ، وشيَّد ركنه بمن يقصر باع السيف في جلاده عند جداله ، وحفظ قواعده بمن إذا أمسك قلم فتاويه تفيَّأت الأحكام تحت ظلاله ، وأحيا سنَّته بمن تتضح به سنن حرامه وحلاله ، ونشر لواء فضله بمن إذا ظمئ البحر المحيط فَقُلْ دع ذا فإنك عاجز عن حاله .

نحمده على نعمه التي ادخِرت لأيامنا الشريفة حَبراً عزّ بوجوده اجتماع المِثْلين ، واقتطف ثمار العلوم فما داناه أحد في الفروع ولا وصل معه إلى الأصلَيْن ، وطال بالعلم ثم بالحلم وزاد في تطوّلاته ولم يقتصر على الطّولين ، وأجمع الناس على استحقاقه ، فلم تكن المسألة فيه ذاتَ قولين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندَّخرها ليوم القضاء والفصل ، ونعلم أنها أصل الإيمان وما سواها فرعٌ والقياس رَدُّ فرعٍ إلى أصل ، ونعتمد على بركات فضلها في الأمر والنهي والقطع والوصل ، وننال بإخلاصها على أعداء الدِّين عزّ العزم ونصر النَّصل .

ونشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من قضى ومضى[2] ، وأعدل من مضى ،

---

(١) في (س) ، (ق) : « قضاء » .

(٢) الأولى بمعنى : قضى الأمر ، والثانية بمعنى : مات .

وسيف شرعِه إذا استقبله مُشكل حكم فيه ومضى[١] ، وأشرف من ساس الناس بحلقة الرضى وحكمة المرتضى ، وأعزّ من أغضى الشيطان لظهور ملّته على جمر الغضا .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير من اتّبع شرعه في أحكامه ، وخاف مقام ربّه فشكر الله له حسن مقامه ، وقَصَر خطاه على ما أمره ونهاه ، فلم يكن له إقدام على حركة أقدامه ، واستبرأ لدينه في قضاياه فما أخطأت سهامه[٢] مرامي مَرامه ، صلاة تتألّق بأنوارها البروق اللامعة ، وتتعلّق بأستارها الخلائق في الواقعة ، ما قبّلت ثغورُ الأقلام خدودَ المهارق الساطعة ، ورقّمت إبَرُ الغمام برودَ الحدائق اليانعة ، وسَلّم تسليماً كثيراً[٣] إلى يوم الدّين .

وبعد :

فإن منصب الشرع الشريف لا شك في عموم نفعه ، ولا مَرية في أن السوابق جرت لنصبه ، والعوالي جُرّت لرفعه ، ولا ريب في أن شمم كلّ عرنين ينقاد صاغراً لوَضعِه ، ما حكمنا في شيء حتى نعود إلى أمره[٤] ونعوذ ، ولا خرجنا في السياسة عن حكمه لا على سبيل السهو ولا بحكم الشذوذ ، ولا برز أمره بحكمٍ إلا وقال : سيفنا المنصور له دائم النفوذ .

وكانت دمشق المحروسة كالشامة في وجنة الشام ، وكالجوهرة التي أصبحت واسطة عقد الملك في الانتظام ، هذا إلى ما جاء في فضلها في السُّنّة ، وثبت لنا في الخارج أنها أنموذج الجنة ، قد شغر منصب حكمها الشافعي من قاضٍ يسوس الرعايا ، ويجتهد في أحكامه حتى تدلّه الألمعيّة على المقاتل الخفايا ، ويتوسم وجوه الخصوم وكلامهم فيكون ابن جلا وطلاع الثنايا ، أمْهَلْنا آراءنا الشريفة هذه الفترة ، واستخرنا الله تعالى فيمن

(١) مضى الأولى بمعنى : ذهب ، والثانية : بمعنى أنفذ الحكم .
(٢) في الأصل : « سهام » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « كبيراً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٤) (ق) : « نعود لأمره » .

نحليه بهذا الطوق أو نخصّه بهذه الدرّة ، وذكر بين أيدينا الشريفة جماعة كل منهم جلّ إلا أن يكون قد جلّى ، واستوعب الشروط المعتبرة ، وكان بذلك الاستيعاب مُحَلّى ، فأشار مَن إشارته كالسهم الذي يصيب الإشارة ، وبركةُ رأيه خالصة من حظوظ النفس الأمّارة ، وعيَّن من عزّت به الشريعة الشريفة منالاً ، وزان رتبتها الجليلة فازدادت به جمالاً ، وحَمى حوزتها لأنه فارس الكلام الذي إذا التقت عليه مضائق الخصوم فرَّجها علمه بمضائق الإصابة جدالاً ، وجالد فوارس البحث وجدَّلهم فجدَّ لهم ونسف مغالط النسفي ولو كانت جبالاً ، ونقّى ونقّح كلام مَن مضى فكم قيّد مطلقاً يمرح وأطلق مقيّداً برَسف ، وجلس في حلقة دروسه وكأنما تطلع من محراب داود ويوسف[١] ، يَغْرق الْمُزني في وابل فضله الصيِّب[٢] ، ويفوق عَرفُ عرفانه على القاضي أبي الطيِّب[٣] ، ويتلوّن الصباغ في (شامله)[٤] من عجزه ، ويعترف الغزالي بأنه لم يكن من نسج طرزه ، قد صاغ ذهب أصوله وابن الحداد في (الفروع)[٥] ، والتَذّ بكراه وصاحب (التنبيه) لا يذوق[٦] لذّة الهجوع ، وأنفق من محصوله وابن الحاجب في ضيعة من صيغة منتهى الجموع[٧] .

وكان المجلس العالي القضائي الجمالي هو مُظهر هذه الضمائر والمقصود بهذه الأدلة والأمائر ، لا تليق هذه الصفات إلاّ بذاته ، ولا تحسن هذه النعوت إلا بأدواته . فلذلك

---

(١) في (س) ، (ق) : « داود يوسف » .

(٢) في الأصل : « الطيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري الشافعي ، له شرح مختصر المزني (ت ٤٥٠ هـ) ، السير : ٦٦٨/١٧ .

(٤) الشامل في فروع الشافعية لعبد السيِّد بن محمد (ت ٤٧٧ هـ) ، الكشف : ١٠٢٥/٢ .

(٥) الفروع في مذهب الشافعي لمحمد بن أحمد المصري ، المعروف بابن الحداد (ت ٣٤٥ هـ) ، الكشف : ١٢٥٦/٢ .

(٦) (ق) ، (س) : « لا يطعم » .

(٧) ابن الحاجب هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٤٦ هـ) ، ولعلّه يشير إلى كتابه منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل . انظر الكشف : ١٨٥٣/٢ .

رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري الناضري ، لا زال[١] الرعايا بعدله في أمان ، ومواقع اختياره ترتاد لهم الكافي الكافل[٢] من رب السيف والطيلسان ، أن يفوّض إليه قضاء القضاة الشافعية بالشام المحروس ولايةً أُحكم عَقْدها ، وانتظم عِقْدها ، وتبلج عُرْفُها وتأرَّج عَرْفُها . فليأمر بالمعروف ويَيْنَهَ عن المنكر ، ويسير سيرة عمريَّة تُتْلَى محاسنها وتشكر .

وليأخذ بحق المظلوم ممن ظلمه ، ويجر لسان قلمه بما قامت به البيِّنة فَعلِمَه ، وليتَّبع الحق إن كان مع المشروف أو الشريف ، ويطلب رضى الله تعالى في خذلان القوي ونصرة الضعيف .

وليُسَوِّ بين المتخاصمين في موقفها عنده ، ويسمع الدعوى إذا تمت والجواب إذا أكمل قصده ، وليُلِن جانباً لمن حضره ، ويتمسك بآداب الشرع التي حضَّه عليها وأمره .

وليتحرَّز من أمر الشهود في كل شيء ولينقِّب عن أحوالهم فإن منهم من يموت على الشهادة وهو حي ، ويتبعهم بألمعيَّته في كل أمر ، ويسمع شهادتهم بفطنة إياس وذكاء عمرو .

والأيتام فليولِّ عليهم مَن يراقب الله في أموالهم ، ويخشى الله في معاملاتهم ، فكفى ما بهم من سوء حالهم ، ولا يركن في أمرهم إلا لمن اختبره المرة بعد المرة ، وعلم أن عفته لا تسامحه في التماس الذّرة .

والأوقاف فليُجرِ أمورها على النظام البارع ولا يتعَدَّ بها شروط الواقفين ، فإن نصَّ الواقف مثل نصّ الشارع .

والأيامى فليزوجهنّ من أكفائهن شرعاً ، ويمنع من يُلبسهن[٣] من العَضْل

(١) في (س) ، (ق) : « لا زالت » .

(٢) في الأصل : « الكامل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « تلبسهن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

دَرْءاً[١] . والأنكحة الأهلية يستوضح عقودها ، والخليّة يعتبر شهودها . ومال المحجور عليه يودعه حرزاً يُحفظ فيه ، ومال الغائب ، وكذلك المجنون والسفيه .

ووقائع بيت المال المعمور فلتكن مضبوطة النظام ، محفوظة الزّمام ، مقطوعة الجدل والخصام . ونوابه في البلاد والجهات والنواحي المتطرفات هو المطلوب عند الله بجنايتهم ، والمحاسب على ما اجترحوه من ولايتهم . فلا يولّي من يراه فقيهاً ﴿ وإذا تَوَلَّى سَعى في الأرْضِ لِيُفْسِدَ فيها ﴾[٢] ، ولا مَن اتّصف بالجهل ، ورأى زينة المال[٣] والأهل ، بل يتحرَّ في أمورهم ، ويتّبع معاملتهم في غيبتهم وحضورهم ، فأنت أدرى بما إليه الأمر يؤول ، وكلكم راع وكل راع مسؤول[٤] .

والوصايا كثيرة ومنك تُعرَف ، وإليك ترجع وتصرف . فما نُعَلِّم عوانك الخمرة[٥] ، ولا نعرّف صنّاعَك[٦] كيف تصنع الشذرة ، فما تحتاج إلى أن نسردها ، بل نجمعها ولا نفردها ، وهي تقوى الله عزّ وجلّ التي مَنْ تمسَّك بها فاز قِدحُه ، وأمِنَ سَرْحُه ، وتعيَّن ربحه وتبيَّن نُجْحه .

والله تعالى يتولاَّكَ ، ويعينك على ما أولاك ، ويزيدك مما أولاك .

والْخَطّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه . والله الموفِّق بمنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأصل : « الفضل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . والعضل : الإكراه . وفي التنزيل : ﴿ فَلا تَعْضُلوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أزواجَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٢/٢] ، وفيه أيضاً : ﴿ ولا تَعْضُلوهُنَّ لِتَذْهَبوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُموهُنَّ ﴾ [النّساء : ١٩/٤] .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٥/٢ .

(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « زينة الدنيا المال .. » .

(٤) الجامع الصغير للسيوطي : ٩٥/٢ ، وسلفت الإشارة إلى هذا الحديث في سياق آخر .

(٥) من أمثالهم : « لا تعلم العوان الخمرة » . انظر تاج العروس (عون) .

(٦) في الأصل : « صناعتك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩٦٥ ـ يوسف بن أحمد*

ابن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد[١] الرحمن بن طاهر[٢] ، الشيخ الإمام الفاضل الصدر الكبير بهاء الدين أبو المحاسن ابن الصدر كمال الدِّين بن العجمي الحلبي ، سبط الصاحب كمال الدِّين بن العديم .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا (جزءَ ابن عرفة) عن النجيب عبد اللطيف الحرّاني ، وسمع كثيراً ، وقرأ الفقه ، واشتغل [وحصَّل][٣] وكتب المنسوب ، ودرَّس بحماة وولي كتابة الإنشاء بدمشق ، وحكم بحماة نيابة .

وكان صالحاً ديِّناً مشكوراً محبَّباً إلى الناس .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سابع عشري جمادى الآخرة سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وخمسين وست مئة .

ودفن بتربة خاله ، قبالة جوسق ابن العديم ظاهر دمشق .

وتوفي بعده ولده القاضي عزّ الدِّين محمد بعشرة أيام ، فإنه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع شهر رجب سنة عشر وسبع مئة وولي بعد القاضي بهاء الدِّين بن العجمي تدريس النجيبية[٤] القاضي نجم الدِّين الدمشقي[٥] الشافعي نائب الحكم .

---

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٨ ، والبداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدُّرر : ٤٤٦/٤ .

(١) في الأصل : « عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عبد » ، وأثبتنا ما في (س) وما يتفق مع الدُّرر . ووقع في (ق) : « ابن الحسن عبد ... » .

(٢) في الدرر : « ظافر » ، وفي بعض أصوله : « ظاهر » .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

(٤) وكان تولاَّها سنة (٧٠٦ هـ) . البداية والنهاية : ٤٠/١٤ ، والدارس : ٣٦٠/١ .

(٥) أحمد بن عبد المحسن ، سلفت ترجمته .

١٩٦٦ ـ يوسف بن أحمد بن جعفر*

ابن عبد الجبار الفقيه الإمام العالم الفاضل جمال الدِّين الشاطبي الشافعي .

كان فاضلاً اشتغل بفنونه وحصَّل فضائل ، وله نظم ونثر ، وفيه أمانة ونهضة وديانة ، وشهد له القاضي بدر الدِّين بن جماعة وغيره بأهلية التدريس والاشتغال والإفادة .

وولي خطابة جامع جرّاح[1] مدة يسيرة ، وكان يخطب بإنشائه .

وأدركه أجله دون الأربعين .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ حادي عشر شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٩٦٧ ـ يوسف بن أحمد بن إبراهيم**

علم الدين الخطيب القناوي الشافعي الأديب .

كان من الرؤساء الأعيان الكرماء[2] الأجواد الأذكياء .

قرأ الفقه على جلال الدِّين أحمد الدشناوي ، وكانت له معرفة جيدة بحلِّ الألغاز ، ونظم فيها أشياء كثيرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رجب سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

---

* الدُّرر : ٤٤٦/٤ .

(١) خارج الباب الصغير بمحلَّة سوق الغنم بالشاغور بدرب جراح ، كان أصله مسجداً للجنائز ، فجدَّده جرَّاح المنيحي ، ثم جعله الأشرف موسى جامعاً سنة (٦٣١ هـ) .
انظر : فهارس وفيات ابن رافع : ٢٠١ .

** الطالع السعيد : ٧١٥ ، وفوات الوفيات : ٣٣٩/٤ ، والدُّرر : ٤٤٥/٤ .

(٢) في الأصل : « الأكرماء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والطالع والفوات .

وله لغز في « لابس » ، الثاني من قوله :

يبين إنْ صحّفت مع قولِ لا وهو إذا صحّفته « لا يبين »[١]

وله لغزٌ في « مغني »[٢] :

ما اسمٌ إذا عَكَسْتَهُ يُطْرِبُ إن سَمِعْتَهُ
يُنْعِمُ بالوَصلِ مَتى صَحَّفتَ ما عَكَسْتَهُ

وله لغزٌ في (زغل) :

وما لغزٌ إذا فتّشت شعري تراهُ مُسَطَّراً فيه مسمّى
وإن تعكِسْهُ كان من التَّحرّي إذا حققتَهُ في البيرِ يُرمى[٣]
وفاعِلُهُ إذا نَمّوا عليهِ فيخشى أن تُزالَ يداهُ حَتما[٤]

قال كمال الدِّين الأدفوي : تولّى الخطابة ببلده ، وناب في الحكم في مواضع شتى ، منها دشنا وفاو من بلاد قوص ، والمنشأة ، وطوخ من بلاد إخميم . وكان يكرم الوارد .

١٩٦٨ ـ يوسف بن أحمد بن أبي بكر*

ابن عليّ بن إسماعيل بن عمرو بن عبد المجيد ، المسند المُعمّر ، بقية الرواة ، أبو علي الغَسّولي المعروف بابن غالية .

سمع من موسى بن عبد القادر ، والشيخ الموفق ، وتفرَّد في وقته .

وسمع منه خلق ، فسمع منه شيوخنا الذهبي والبرزالي والمزي ، وسمع منه المقاتلي ،

(١) في الفوات والطالع : « صُحّف » .
(٢) كذا في الأصل . وفي الطالع : « مغنٍ » على القاعدة .
(٣) في الطالع : « في البر يرقى » .
(٤) في الفوات : « تزلّ » .
* العبر : ٤١٢/٥ ، والشذرات : ٤٥٨/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٧/٨ .

وابن النابلسي ، والمحبّ الصدر أبو بكر بن خطيب حماة ، والشهاب بن عُدَيْسة ، ونجم الدِّين القحفازي[١] ، وخلق .

قال شيخنا الذهبي : كان شيخاً ساكناً فقيراً متعفِّفاً[٢] ، بدت منه هناتٍ وسط عمره ، ثم إنه كبر وصلحت حاله ، وكان حجَّاراً ، ثم عجز ولزم بيته .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع مئة .

وجبي له الكفن ، ومولده بقاسيون سنة اثنتي عشرة وست مئة .

١٩٦٩ ـ يوسف بن أحمد بن محمد بن عمر*

الفقيه محب الدِّين المقدسي الحنبلي .

كان يشهد تحت الساعات بدمشق ، ولديه فضيلة ، وفيه إقدام وشهامة ، ودخل بلاد الروم وغيرها ، وسمع من خطيب مَرْدا ، ولم يحدّث .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٩٧٠ ـ يوسف بن أحمد بن يوسف**

ابن عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن شكر ، الصدر نجم الدِّين بن علم الدِّين بن تاج الدِّين بن الصاحب صفيّ الدِّين بن شكر المالكي .

كان مدرباً بمدرسة جدّه بالقاهرة .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « الفخاري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ضعيفاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* لم نقف على ترجمة له .

** الدُّرر : ٤٨٤/٤ .

١٩٧١ ـ يوسف بن أحمد بن محمد*

ابن يوسف بن عبد الغني الجذامي الإسكندري الفقيه ، المالكي ، الأديب صدر الدِّين ، عرف بابن غَنّوم ـ بغين معجمة ونون مشددة وواوٍ بعدها ميم ـ موقّع الثغر .

كان فاضلاً ذكيّاً . كتب للقضاة زمناً طويلاً ، ثم إنه انقطع بمنزله ، وخمّس قصائد للصرصري .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بالإسكندرية سنة ستٍّ وسبعين وست مئة .

قال كمال الدِّين الأدفوي أنشدني لنفسه ، وقد سألته أن ينشدني شيئاً من شعره :

يا مَن يُسائل عَن شعري ليرويهِ ... مَهلاً فليسَ شعاري نظمَ أشعارِ
مُذ حلَّ زائر هذا الشَّيب صيَّرني ... بعدَ الصِّبا وإزاري ذِكْرُ أوزاري

قال : وأنشدني له أيضاً :

وبي غريب الدّارِ مُستأنسٌ ... أسالَ دَمعي منهُ خدّ أسيلْ
فإن أمُت شَوقاً إلى وصلهِ ... ففي سبيلِ اللهِ وابنِ السَّبيلْ

قال : وأنشدني له[1] :

قُم نفترِع بكر المدامة بُكْرةً ... في روضةٍ حَسُنت وراقَتْ مَنْظرا
فالرّاحُ سَيفٌ قاطِعٌ لهمومِنا ... أو ما تَراهُ بالْحَبابِ مُجَوْهَرا

---

* الدُّرر : ٤٤٧/٤ .

(١) في (ق) ، (س) زيادة : « أيضاً » .

قال : وأنشدني له أيضاً :

جَـــلا مســـواكُ ثغرك خَيْرَ دُرّ فَجَـلّ بـذاك واكتسبَ الْمَـزايـا
وأنشَـــدَ صَحْبَـــهُ تيهـــاً وفَخْراً «أنـا ابنُ جَلا وطَـلاعُ الثَّنـايـا»

١٩٧٢ - يوسف بن أسعد بن علم السعداء*

القاضي الرئيس صلاح الدِّين ابن القاضي سعد الدِّين بن العسّال .

شاب أنبته الزمان في رياض السؤدد وغرس ، وفرح به الْجُودُ لما نبغ ورأس ، لم أرَ في سنّة مَن حاز رياسته ، ولا من ملك سعادتـه وسيـادتـه [١] ، اتَّصَف بلزوم المكارم ، وحمل عن رفاقه الكُلف والمغارم ، هـذا إلى صورةٍ أبـدعهـا الجمـال ، وقـامـةٍ كالغصن إذا هبَّت عليه الصَّبا فماد ومال ، يجلس في ديوانه ، ويُرى إذا احتبى في إيوانه :

بـوجـــهٍ يَمْـلأُ الـــدُّنيـــا جَمالاً وكَفٌّ تَمـــلا العَليـــا نَـــوالاً[٢].

قصف غصنه ، وأسلمه إلى الحِمام حصْنُه .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

كان قد زوَّجه الصاحب شمس الدِّين غبريال بابنته ، واحتفل بأمره ودخل بـه إلى ديوان الإنشاء بدمشق ، وأحضر لـه توقيعاً من السلطـان بمعلوم جيِّـد من العين والغلـة والخبز واللحم والعَليق والكسوة . وكان مطبوعاً ظريفاً خيِّراً كريماً رئيساً فيـه حشمـة ، وتودد وحسن صحبة .

ولم يزل في خير وسعادة إلى أن أُمسك الصاحب شمس الدِّين ، فأُمسك هو أيضاً في جملة جمـاعتـه ، وصودر ونـالـه بعض أذى وعصر ، ثم طُلب إلى مصر ، وعـاد بطـالاً من كتابة الإنشاء .

---

* الدُّرر : ٤٤٩/٤ .

(١) (س) ، (ق) : « سيادته وسياسته » .

(٢) (س) ، (ق) : « الدنيا ضياءً » .

وكان قد عمَّر قاعة صغيرة ، فصنعتُ أنا له أبياتاً كتبت فيها وهي :

دار يـــدرٌ نَـــداهـــا إذا رَأت زائريهـــــا
ويَنزلُ الضَّيفُ منهـــا بجَنَّـــةٍ يَرْتَضيهـــا[1]
تَكادُ من فَرطِ جـــود تَهتزُّ بـــالضَّيفِ تيهـــاً
فكُـلُّ طـــالـعِ سَعـــدٍ تَراهُ من نـــازليهـــا
وللـوَرى في بنـــاهـــا أزاهرٌ تَجْتَنيهـــــا
وكم بُـــدورٍ تمـــامٍ من أهلِهـــا تَجْتَليهـــا
والشَّمسُ في أُفقهـــا من بنـــائهـــا وبنيهـــا
لا غروَ إن أدهشَتنـــا وحُسْن يـــوسف فيهـــا

١٩٧٣ ـ يوسف بن أسعد*

الأمير صلاح الدِّين الدوادار .

كان في مبدأ أمره نصف عامل في بيروت على ما قيل ، ثم إنه بطَّل الكتابة وتوصَّل بالجندية إلى أن صار دوادار الأمير سيف الدِّين قبجق ، ثم آل أمره إلى أخذ الأمرة بحلب ، وولي بها الْحُجوبية في أيام الأمير علاء الدِّين ألطنبغا الحاجب ، ثم ولي بها شدّ الدواوين ، ثم طلب إلى مصر مرات ، ثم إن السلطان ولاَّه ثغر الإسكندرية عوضاً عن بكتمر والي الولاة في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه ولي منفلوط بالصعيد ، ثم إنه جُعل مشدّ الدواوين بالقاهرة أيام وزارة الجمالي .

ثم عزل وبقي في مصر أميراً ، ثم إن السلطان جهَّزه رسولاً إلى القان بوسعيد ، فعاد وقد أشاع الناس أنه يكون وزيراً ، فلما وصل إلى مصر سُعي عليه ، فبطل ذلك ، فسعى له الأمير سيف الدِّين بكتمر الساقي لَمّا مات الأمير شهاب الدِّين المهمندار ، فرسم له السلطان بالمهمندارية ، فأقام فيها قليلاً .

(١) (ق) : « في جنّة » .

* الدُّرر : ٤٤٩/٤ .

ولَمّا توفي الأمير سيف الدِّين ألجاي الدوادار جعله السلطان دواداراً مكانه ، وكان القاضي شرف الدِّين أبو بكر بن الشهاب محمود قد رُسم له بعده بيوميات يسيرة بكتابة السر بمصر ، فقاسى شرف الدِّين منه شدائد ، وأنكاداً كثيرة ، وتوجها صحبة السلطان إلى الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وهما في ذلك ، النكد والشّر ، ولَمّا حضرا من الحجاز أقام القاضي شرف الدِّين قليلاً وهو يعمل عليه إلى أن عُزِلَ وأُخرج إلى دمشق ، وبقي صلاح الدِّين في الدوادارية ، وقد استطال على الناس أجمعين ، واستطار شرّه خصوصاً على الكُتّاب ، فحسّنوا للسلطان أن يخرج كاشف الثغور الحلبية ، فتعلَّل ، وانقطع في بيته مدة شهرين ، ولَمَّا قام ودخل إلى السلطان عزله في ثاني [عشر][1] شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وحضر إلى صفد أميراً ، فأقام بها ، ونقل إلى طرابلس ، ثم نُقل إلى حلب ، وجُعل بها والي البر فيما أظن ، ثم إنه حج بعدما نقل من حلب إلى طرابلس .

وورد الخبر إلى دمشق بوفاته في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

وكان يكتب خطّاً حسناً ، وله مشاركة كثيرة[2] في تواريخ وتراجم الناس ، وكان كافياً ناهضاً فيما يتولاّه ، خبيراً بما يفوّض إليه ، إلا أنه كان مفرط الشّح إلى الغاية .

لوماتَ من عَطَشٍ والكوزُ في يَدِهِ وكانَ مُمْتَزِجاً بالشَّهْدِ ما شَرِبا

إلا إنه رحمه الله تعالى ، وقف داره وهي عظمى بحلب مدرسة على فقهاء المذاهب الأربعة ، ووقف كُتّاب أيتام بالمدينة[3] .

---

(١) زيادة من (ق) . وفي (س) : « عشري » .

(٢) (خ) : « كبيرة » .

(٣) (خ) ، (ق) : « بالمدينة النبوية » .

وكان يدّعي النظم ، أنشدني من لفظه صلاح الدّين خليل بن رمتاش[١] بصفد ، قال : أنشدني من لفظه صلاح الدّين الدوادار[٢] وقال إنها له :

ما اللعبُ في النّارِ في الميلاد في سفَهٍ ... لكنّما هو للإسلامِ مَقصودُ[٣]

يُراد كبتَ النَّصارى أن ربّهُم ... عيسى بنَ مريمَ مخلوقٌ ومولودُ

وكانت عنده كتب عظيمة من كل فن ، وكان إذا كان بطّالاً مثلَ الزلال الحلو البارد ، فإذا ولي ولو حراسة الدرب مثلاً انسلخ من ذلك اللطف ولبس لمن يعرفه ولمن لا يعرفه جلد النمر ، وتحدث بحراسة الدرب في كل ما في الدولة من الوظائف ، قال له يوماً الأمير علاء الدّين ألطنبغا نائب حلب لَمّا ولي الشدّ بعد بطالته : يا صلاح الدّين ما في الدنيا مثلك إذا كنت بطالاً .

قلتُ : ولهذا لم تكن تطول له مدة في ولايته .

١٩٧٤ ـ يوسف بن إسماعيل*

ابن عبد الكريم بن عثمان ، الشيخ الجليل المسند تاج الدّين الحلبي .

سمع من الضياء صقر الحلبي وغيره .

وتوفي رحمه الله تعالى بكرة الخميس ثامن عشر شوال سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، [أجاز لي رحمه الله في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة][٤] ، وكتب عنه الشيخ تقي الدّين محمد بن رافع .

---

(١) في الأصل : « رمتاس » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .

(٢) في (س) ، (ق) : « من لفظة لنفسه » . وفي (ق) : « الأمير صلاح ... » ، وفي (خ) : « صلاح الدّين المذكور » .

(٣) (ق) ، (خ) : « بالنار » .

* الدُّرر : ٤/٤٥٠ .

(٤) زيادة من (س) ، (ق) .

١٩٧٥ ـ يوسف بن إسماعيل بن عثمان*

ابن محمد ، الشيخ الإمام [تقي الدِّين ابن الشيخ الإمام][١] ، العلامة رشيد الدِّين المعروف بابن المعلم .

كان فقيهاً ، درَّس بالمدرسة البلخية[٢] مدرسة والده بدمشق ، وكتب في الفتوى ، ثم إنه توجَّه هو ووالده في الجفل[٣] إلى الديار المصرية ، وأقاما هناك مدة بجوار الجامع الأزهر .

وتوفي في خامس جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة . وفقده والده ، ثم إنه عاش بعده شهراً واحداً ولحقه بالوفاة رحمها الله تعالى .

١٩٧٦ ـ يوسف بن أبي بكر**

الصَّدر الرئيس الكبير القاضي ضياء الدِّين بن خطيب بيت الآبار الدمشقي .

صدرٌ صدره رحيب ، ورئيس ماله في زمانه ضريب ، وكبير يكون الجبل الراسخ عنده صغيراً ، وكريم لا يزال الجود على ماله مُغيراً ، ذو مروءة يسعى أجْرُها بين الصّفا والمروة ، ونفس ما ترى[٤] أن تحلَّ في المجلس إلاّ في الذروة ، منزله كعبة الوُرَّاد ، وخِوانه مَنْهَلُ الروّاد ، كان أهل الشام به يجدون الجدا[٥] ، ويجتلون من وجهة قمر الهدى ، ويحتلون من بابه في مراتع الندى[٦] .

---

* الدُّرر : ٤٥٠/٤ .

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) الدارس : ٣٦٨/١ .

(٣) كان ذلك سنة (٧٠٠ هـ) . انظر ذيول العبر : ٧٨ ، في ترجمة والده إسماعيل .

** الدُّرر : ٤٨٢/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣٣٧/١٠ .

(٤) في الأصل : « تربى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) .

(٥) الجدا : العطاء .

(٦) (س) : « بانه » . وفي الأصل : « مراتع الهدى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

إن جـادَ للعـافي أجـادَ وإن سَعى في ضيـقِ طرق للسعـادة وُسّعا[١]
عن نشرِهِ فـاحَ النَّسيمُ مُعنبِراً وبشُكرِهِ غَنّى الحمـامُ مُرجِّعـا

انتقل من الشام إلى الدِّيار المصرية بطلب السلطان ، ونسي بإقباله عليه ما ألفه شبابُه في نعيم الأوطان ، وباشر الوظائف الكبار فسدَّها ، وأصلح فسادها وأحكم عقدها بكفاية وأمانة ، وعناية وإعانة ، خلا أن الزمان خانه أخيراً ، وأراه بعد عزّه يوماً كان من الذُّلِّ عبوساً قَمطريراً[٢] .

فأقام في بيته عاطلاً ، ولم يزل الدهر ببلوغ أمانيه مماطلا[٣] إلى أن أمسى منزل الضياء وقد أظلم ، وراح إلى من هو بسريرته علم .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى [٤] ـ في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة تسع وثمانين وست مئة .

كان أولاً بدمشق في [٥] ديوان تنكز ، وفيه سيادة وعنده رياسة ، داره مألوف الضيفان ، ومأوى الأصحاب والإخوان ، متى جاء الإنسان إلى منزله وجد كل ما يختاره إن كان هو حاضراً أو لم يكن ، يجد جميع ما يحتاج إليه إلى أن يروح ولو أقام جمعة وأكثر[٦] .

ولما تولّى قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني قضاء الديار المصرية في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، طلبه من السلطان ، فأحضره على البريد ، فولاَّه نظر الصدقات الحكميّة والأيتام ، وكان يحضر دار العدل مع القضاة .

(١) (س) ، (خ) ، (ق) : « للسماحة » .
(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ إنّا نَخافُ مِن رَبِّنا يَوْماً عَبوساً قَمْطَريراً ﴾ [الإنسان : ٧٦/١٠] .
(٣) (س) : « ماطلا » .
(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « بالقاهرة » .
(٥) في (خ) ، (ق) : « يباشرني » . وفي (س) : « مباشراً » .
(٦) (خ) : « أو أكثر » .

وساد في القاهرة ورأس ، وأحبه المصريون لمكارمه ومُرُوّته وحلمه ، وولاّه السلطان الملك الناصر محمد مطابخ السكر وولاّه نظر الأَهراء مع ما بيده ، وتولّى نظر البيمارستان المنصوري ، فسلك فيه أحسن السلوك ، ورافق[١] فيه الأمير جمال الدّين آقوش نائب الكرك ، وبعده الأمير علم الدّين الجاولي ، وبعده الأمير بدر الدّين جنكلي بن البابا ، ووقع بينهما ، وعُزل [منه][٢] في الأيام الصالحية إسماعيل ، ثم تولاّه ، ورافق فيه الحاج أرقطاي نائب مصر .

وكان قد تولّى أيام الملك الناصر محمد حسبة القاهرة ومصر .

وكان[٣] قبل ذلك محتسب القاهرة مع البيمارستان ، [ولما] كان[٤] الغلاء في سنة ستٍّ وثلاثين وسبع مئة جمع له [السلطان][٥] بين الحسبتين .

ولما خرج القاضي جلال الدّين من القاهرة إلى قضاء الشام تعصّب[٦] شرف الدّين النشوعليه ، وساعده عليه غيره ، وأخذوا منه الحسبتين والصدقات وأبقوا عليه البيمارستان .

فلما كانت أيام الصالح إسماعيل ولاّه نظر الدولة مع البيمارستان[٧] ، فباشر ذلك مديدة ، ولم يتناول معلوماً ، وطلب الإعفاء ، فأعفاه ، ثم ولاه الجوالي[٨] مع حسبة القاهرة والبيمارستان ، ثم إنه وقع بينه وبين الأمير بدر الدّين جنكلي ، فعزل من الجميع في أواخر دولة الصالح ولزم بيته .

(١) في الأصل : « ووافق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) زيادة من (س) ، (ق) .
(٦) في الأصل : « بغضب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٧) قوله : « فلما كانت » حتى ههنا ليس في (خ) .
(٨) في (خ) : « تولاّه » . والجوالي سيأتي بيانها في التقليد الذي كتبه المصنّف لصاحب الترجمة .

فلَمّا كان في أيام الكامل تولّى نظر البيمارستان والحسبة بالقاهرة ، ثم إن علاء الدّين بن الأطروش نازعه في وظائفه هذه مرات ، وتولاّها ، ثم تعاد عليه ، ثم إن الأمير سيف الدّين صرغتمش اعتمد عليه في الأوقاف بمصر والشام ، وكان يدخل به كل قليل إلى السلطان الملك الناصر حسن ، ويخرج من عنده بتشريف ، وزادت عظمته ووجاهته ، وبالغ في إكرامه وتقديمه على الناس كلهم .

ولما أمسك صرغتمش قُبض عليه ، وضُرب وعُصر ، وأخذ منه شيء قليل ، وأخرجوه إلى قوص ، فتوجه إليها ، وأقام بها سنة وأكثر ، ثم رُسم بعوده إلى القاهرة ، فأقام بها في بيته بطالاً إلى أن توفي .

وكان شكلاً تامّاً غليظاً ، عليه مهابة وله عبسة ، وهو مع أصحابه الذين نعرفهم من ألطف ما يكون ، وما رأيت أكثر رياسة منه ، ومع ذلك طاهر اللسان ، لا يذكر أحداً إلا بخير ، ويعامل صديقه وعدوه بمعاملة واحدة . يملك نفسه ولا تظهر عليه كراهة لأحد ، وصدره على طعامه متسع ، وكان لأهل الشام نِعْمَ الذخيرة ، انتفعوا به كثيراً .

وقلت لَمّا بلغتني وفاته بالقاهرة في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى :

مالنا في سوءِ عَيشٍ عَمَّنا فيهِ الشَّقاءُ[1]
وعلى الدُّنيا ظلامٌ أترى ماتَ الضِّياءُ

وكان الشيخ شهاب الدّين أحمد بن أيبك الدمياطي قد خرَّج له أربعين حديثاً عن أشياخه الذين سمع منهم في صغره ، وحدَّث بها في داره برأس حارة زويلة بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وكنت فيمن سمعها عليه ، وكتبت أنا عليها تقريظاً نظماً ونثراً ، من جملة ذلك :

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

كريمٌ سادَ بالأفضال حتّى غدا في مَجدِهِ بادي السَّناء
لهُ ذِكرٌ يطبِّقُ كلَّ أرضٍ فَيملأُ جَوَّها طيبُ الثَّناء
فَما تَخْفى عُلاهُ على بَصيرٍ وإن تَخفى فذو حَسدٍ مرائي
«وهَبني قلتُ هذا الصُّبحَ ليل أيَعْمى العالِمونَ عنِ الضِّياء»[1]

ولما كنت بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة كتبت له عن السلطان الملك الصالح إسماعيل ـ رحمه الله تعالى ـ توقيعاً بنظر الجوالي بالقاهرة ومصر والوجهين قبليّاً وبحريّاً ، ونسخته :

الحمد لله الذي جمَّل أيامنا الشريفة بضيائها ، وكَمَّل دولتنا القاهرة[2] بمحاسن أوليائها ، وجعل نعمنا الغامرة تكاثر الغمام بآلائها ، وضَوّا ممالكنا العامرة بَمن يجمّل النظر فيما يتولاّه من نواحيها وأرجائها .

نحمده على نعمه التي لا تزال تجول وتجود ، وتروم اختصاصنا بالمزيد من كرمها وترود ، وتؤم حرمنا بأفضالها فتصول بنصول النصر على الأسود وتسود ، وترد على حمانا الرحب فتجود بوافر أحسابها[3] على أهل التهائم والنجود .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترغم من الكفار معاطسهم ، وتجذّ[4] بحدّها منابت بهتانهم ومغارسهم ، وتحسم بحسامها أبطال باطلهم وفوارسهم ، وتهدم بإقامة منار الإسلام معابد ضلالهم وكنائسهم .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أعرض عن متاع الدنيا ، ورغب فيما أعدَّ الله له في الآخرة من المقام المحمود والدرجة العليا ، وشُغل بذكر الله تعالى في اليقظة وقلبه في الرؤيا ، وقام في نصرة الحق يسعى فشكر الله مقاماً وسعياً .

(١) البيت الأخير للمتنبي ، ديوانه : ١٠/١ .
(٢) (خ) : « الباهرة » .
(٣) (س) : « إحسانها » .
(٤) أي : تستأصل .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه خير سبيل وفازوا لما اتَّبعوه بالفخر المعظم والمجد الأثيل ، ونصروا الدين الحنيف بطعن الأسمر المثقف ، وضرب الأبيض الثقيل ، وعزَّ وجود مِثْلِهم لما ضرب مثلهم في التوراة والإنجيل ، صلاة لا يبلغ العددُ أمدها ، ولا يُنفِد الزمنُ مُدَدها ، ما تبسَّم ثغر صباح عن لعس ظلام ، وتنسم روض أرض عن نفس شيخ أو ريح[١] خزام ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد

فإن المناصب تعلو بمن يلي أمرها ، وتشرف على غيرها بمن يعظّم الناسُ لأجله قدرها ، وتفوق بمَن يُطلع في ليالي[٢] التام والكمال بدرها ، وتكبُر بمَن إذا تحدث فيها أجرى بالأموال والأمواه بحرها ، وتفخَرُ بمن إذا تولى نظرها جمع نفعها ومنع ضرها ، ونظر الجوالي التي[٣] في الوظائف الدينية عدادها[٤] ، وإلى القُرَب السَّنيَّة معاجها ومعادها ، وإلى الشرع الشريف ميلها[٥] واستنادها ، وبسيفنا الذي تجرده مهابتنا انتصارها واعتضادها ، لأنه استخراج مالٍ قد تقرَّر شرعاً ، وأخصب في الحل[٦] مرعىً ، ودرَّ بالبركات ضرعاً ، واتسع به الإسلام صدراً لَمّا ضاق به الكفر ذرعاً ، وقرَّت به عيون الدين ، وكيف لا تقر العين إذا أخذت من[٧] عدوها وهو لا يستطيع منعاً ، لا يدخل الحول على ذمّي إلا جاء إليه من يطلب الجالية ، وأحاط به الذُّلّ الذي

---

(١) (خ) ، (ق) : « أو أريج » .
(٢) (خ) : « ليل » .
(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « .. الجوالي من الوظائف التي .. » .
(٤) (س) : « عددها » .
(٥) في الأصل : « مثلها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٦) (خ) : « المحل » .
(٧) في (س) ، (ق) : « .. لا تقر إذا أخذت العين من .. » .

يقول معه ﴿ ما أغْنَى عَنِّي ماليَه ﴾[١] ، وتجددت له حال[٢] حالكة وحالة الإسلام حالية ، على أن أهل الذمة في الذلّة ماهرون ، وتمام المصيبة أنهم يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون[٣] .

وكان المجلس العالي القضائي الضيائي أبو المحاسن يوسف مِمَّن جمَّل الدول ، وأسعفته الأيام بمراده حتى كأنها له من جملة الخول ، وفخر زمانه بوجود مثله ، وشهد حتى حسّاده بوفور فضله ، وأجرى الله تعالى نهر دُرْبته فكان غير آسن ، وبهر حُسْن أوصافه حتى صدق من قال : إن يوسف أبو المحاسن ، ورفع الله خبَرَه فانتصب تمييزاً ، ومضت له مدة في الشام والسعدُ يقول : هذا في مصر يكون عزيزاً ، وخُطب إلى الديار المصرية فوردها وحلَّ بها فحلَّ الأمور تصرفاً وعَقَدها ، وولي المناصب العليّة ، وباشر الوظائف السنيَّة ، أحسن نظره في الأوقاف [وأجرى أمورها على أجمل الأوصاف][٤] ، ونظر في أموال الأيتام فنما[٥] حاصلهم وربا ، وأجمل المعاملة لهم فما انتهى لهم سبب إلا أتبع سبباً ، وتولَّى نظر البيمارستان المنصوري فغمَرَه بحسن النظر وعَمَره ، وأثَّر فيه بنياناً لألأ الضياء[٦] شمسه وقمره ، وزاد أوقافه ريعاً وملكاً ، ونظم درَّ تدبيره الجميل سلكاً ، وباشر الحسبة الشريفة ، فكانت بمعارفه أليق وأشبه ، وأصبح قدرها بولايته أنبل وأنبه ، وروّع أصحاب الغش بمهابته ، وما لكل محتسب عند الناس[٧] حسبه ، إلى غير ذلك من نظر الأهراء[٨] التي ملأها حبّاً ، وصبَّ الله البركات فيها بنيته الطاهرة صبّاً ، ونظر دار القنود التي حلَّت بحديثه فيها ، وتميز ارتفاعها جُملاً تُعْجِز واصفيها .

---

(١) سورة الحاقة : ٢٨/٦٩ .

(٢) (خ) ، (س) : « حاله » .

(٣) في التنزيل : ﴿ حَتَّى يُعْطوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وهُم صاغِرونَ ﴾ [التَّوبة : ٢٩/٩] .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « فيمن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق « بالضياء » .

(٧) في الأصل : « الله » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٨) (خ) : « الأوقاف والأهراء » .

هذا إلى صدر رحيب ، وخلق ماله مُشاكل ولا ضريب ، وثناء هو[١] في الذكر أبو الطيب ، ووجه إلى القلوب حبيب ، فكأنه كعبة قصّاد ، ومنزل روّاد ، ومنهل ورّاد ، وحِلبة جود سَبَق فيها حاتماً هذا الجواد . قد تورَّع عن المناصب الدنيوية ، وعرضت عليه أيامنا الشريفة وأيامَ والدنا الشهيد فلم يكن له فيها رغبة ولا نيَّة ، وندبناه لنظر دولتنا الشريفة ، ورقيناه[٢] ذُرا شرفاتها المنيفة ، فجعل نجوم أموالها أهلّة ، وأمطر سحائبها المستهلّة ، وأعرض عنها فما باشرها إلا تحلّة[٣] ، ولوى جيده عنها واستعفى ، ورنّق الإهمال في ناظره حتى أغفى ، فأجبنا قصده وأعفيناه ، وعلمنا تورّعه فآثرنا راحته إلا بما استثنيناه ، وخبأنا له عندنا ما يناسب مراده ويوافق اجتهاده ، ويعاضد اعتماده ، عِلماً بإعراضه عن[٤] العرض الأدنى ، وزهداً فيما وِزْرُه يبقى وحطامه يفنى .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالي المولويّ السلطاني الملكي الصالحيّ العمادي أن يفوّض إليه نظر الجوالي بمصر والقاهرة المحروستين والوجه القبلي والوجه البحري مضافاً إلى ما بيده .

فليباشر ما فُوّض إليه مباشرة عهدت من حسن اعتماده ، وشُهدت من وافر اجتهاده ، وهو بحمد الله غنيٌّ عن الوصايا التي تشير إليها أنامل الأقلام ، وتخفق بها من قعقعة الطروس أعلام ، فما نعلّم عوانه[٥] فيها خمرَة ، ولا نُطلِع في أفق هذا التوقيع نجماً ، ولو شاء[٦] أطلع شمس الصواب وبَدْره ، ولكن تقوى الله تعالى ملاك الأمور

(١) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، ق .
(٢) في الأصل : « ووفيناه » ، وأثبتنا في س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) التَّحلّة : ما يُكفّر به .
(٤) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « خوانه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . وهو من أمثالهم ، وقد سلف في غير موضع .
(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ولو شاء هو .. » .

المهمّة ، والوصايا[١] التي إذا راعاها الإنسان لم يكن أمره عليه غُمَّة ، فليجعلها لعينه نصباً ولقربه من الله قُربى .

والله تعالى يُديم صونه ، ويجدِّد في كل حال عونه .

والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

١٩٧٧ ـ يوسف بن أبي البيان*

رشيد الدين مقابل الاستيفاء بصفد .

كان شيخاً قديم الهجرة ، وكان يهوديّاً أولاً ، وخدم عند أرجواش ، ثم عند التلاوي ، وأسلم اختياراً من غيره إكراه ، لأنه كان يجتمع بالشيخ تقي الدِّين بن تيميّة ، والشيخ صدر الدين بن الوكيل .

وكان شيخاً وادعاً لا شرَّ فيه ، يحتمل الأذى ولا يكافي عليه ، قال : قال لي يوماً الشيخ تقي الدِّين بن تيميَّة : يا رشيد ، قال ابن حزم : أول كذبة كذبها بنو إسرائيل أنهم زعموا أنهم دخلوا إلى مصر في زمن يوسف الصديق ، وهم اثنان وسبعون نفساً ، وخرجوا منها مع موسى لَمّا فروا من فرعون ست مئة ألف ، قال : وكنت إذ ذاك يهودياً ، فقلت له : يا سيدي هذا ابن حزم كان نبياً ؟ فقال : لا . قلت : ولا كان من الصحابة ؟ قال : لا . قال[٢] : ولا من آل بيت النبي[٣] ؟ قال : لا . قلت : هذا ابن حزم ما كان يعرف اثنين واثنين أربعة ؟ فقال : لأي شيء ؟ قلت : ما يعلم مولانا أن رقعة الشطرنج أربعة وستون بيتاً ، وإذا وضعت في الأول عدداً واحداً وفي الثاني

(١) (س) ، (خ) ، (ق) : « والأمور » .

* الدُّرر : ٤٨٣/٤ .

(٢) (خ) : « قلت » .

(٣) (خ) ، (ق) ، (س) : « النبوة » .

اثنين وفي الثالث أربعة وفي الرابع ثمانية وهلمَّ جرّاً ، هكذا تضاعف العدد في كل بيت فبلغ[١] العدد أخيراً ثمانية عشر ألفاً ستّ مرّات ، وأربع مئة وستة وأربعين ألفاً ، خمس مرات ، وسبع مئة وأربعة وأربعين ألفاً أربع مرات ، وثلاثة وسبعين ألفاً ثلاث مرات ، وسبع مئة وتسعة آلاف مرتين ، وخمس مئة واحداً وخمسين ألفاً وست مئة وخمسة عشر عدداً ، ومع ذلك فبنو إسرائيل إنما عدّوا[٢] الرجال ، وأما النساء والصبيان والأشياخ الذين[٣] هرموا فلم يذكرونهم . فقلت له : إنا يا مولى[٤] رشيد الدين : قوم يخرجون في عدة ألف ألف نفس على القليل هاربين على وجوههم من فرعون ، على ماذا حملوا زادهم ؟ وأيّ ماءٍ إذا نزلوا عليه كفاهم[٥] ، هذا بعيد من العادة . فلم يحر جواباً . فقلت له : أنا أتبرع لك بالجواب ، وهو أنهم كان معهم موسى صلوات الله عليه ، وبيده العصا التي يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وعناية الله تعالى بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون إليه من كل شيء ، وعلى الجملة فالذي استبعده ابن حزم لا ينكر ، لأن هذا عدد كثير على ما يزعمونه .

وكان هذا رشيد الدين يحفظ كثيراً من (ديوان العفيف التلمساني) ، وأظنه رآه واجتمع به ، وكان بيني وبينه صحبة ومودة .

ولما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بصفد في ثالث عشري شهر رجب الفرد سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وكان قد عدَّى الثمانين . حكى لي قال : رأيت في النوم كأنني قد أكلت اثنين وثمانين مثقالاً من الدرياق ، والأطباء يقولون : إن كل مثقال لسنة ، فلعلّي أعيش هذا العدد ، فعدَّى الثمانين ، وربما تجاوز عدد المثاقيل ، وكان شيخاً طوالاً ، ولم يتزوج عمره .

---

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « فيبلغ » .
(٢) في الأصل : « عدوا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .
(٣) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .
(٤) ليست في (خ) .
(٥) (ق) ، (خ) : « يقوم بكفايتهم » .

ولما توفي رحمه الله تعالى أخبرني بوفاته القاضي جمال الدين عبد الله الكاتب ، وهو ابن أخت المتوفى ، وهو إذ ذاك شابّ يانع غض الشبيبة ، فاشتغل خاطري عامة ذلك النهار بالقاضي رشيد الدين رحمه الله تعالى ، فلما نمتُ رأيتني في المنام وأنا كأني أنشد الحكيم الفخر الطبيب ابن أخت رشيد الدين أيضاً وهو إذ ذاك شابٌّ أيضاً :

النّاسُ إمّا قادِمٌ في مَهْدِهِ ... أو راحِلٌ في نَعْشِهِ يُتَحاشى
هذا لزهرةِ هذه الدُّنيا أتى ... غَضّاً وهذا قد ذَوى وتَلاشى

فانتبهتُ وأنا أذكرهما ، وأعجبني هذا المعنى ، ونظمت فيه في اليقظة ، فلم ألحق هذه الطبقة ، لكن فيه مقابلة أربعة بأربعة . وهو :

أرى أنَّ البريَّةَ وفدُ زَهرٍ ... وفعلَهُم تَطابَقَ بالتَّساوي
فَهذا قَد أتى في المهدِ غَضّاً ... وهذا راحَ فوقَ النَّعشِ ذاوي

١٩٧٨ ـ يوسف بن حمّاد*

الشريف جمال الدين الحسيني المشهدي الإمامي ، شيخ الشيعة ومفتيهم .

حجَّ مرات ، وجاور بمكة[1] ، وله نظم .

مات في المعترك سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٩٧٩ ـ يوسف بن دانيال**

ابن منكلي بن صرفا ، القاضي الإمام الفاضل بدر الدين ابن القاضي ضياء الدين .

---

* الدُّرر : ٤٥٢/٤ .

(١) في (ق) ، (س) : « البيت » .

** الدُّرر : ٤٥٢/٤ .

تقدم ذكر والده في حرف الدال ، التركماني الكركي قاضي الشوبك .

كان فقيهاً فاضلاً ، قرأ على الشيخ تاج الدين ، وعلى ولده . وأقام بالكرك مدّة يُفتي ويُدرّس ، ثم ولي القضاء بالشوبك .

وكان حسن الشكل مليح الهيئة ، فيه كرم ومروّة ، وسمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وابن البخاري ، ومن والده وغيرهم . وحدَّث بدمشق والكرك والشوبك .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

١٩٨٠ ـ يوسف بن داود بن عيسى*

ابن محمد بن أيوب ، الملك الأوحد نجم الدين أبو المحاسن ابن الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر ابن الملك المعظم شرف الدين ابن الملك العادل أبي بكر .

كان من أعيان أولاد الملوك وأكابرهم المشهورين بالفضل والديانة والجلالة والمكانة والتقدم في المجالس عند الملوك ، وكان يُحْسن إلى الضعفاء والمرضى ، يفرّق عليهم الأكحال والأدهان وغير ذلك بالقدس .

وتوفي سنة ثمانٍ وتسعين وست مئة بالقدس ، ودفن برباطه بالقدس[1] عند باب حطّه .

ومولده في سنة ثمان وعشرين وست مئة .

---

* العبر : ٣٩٠/٥ ، والبداية والنهاية : ٥/١٤ ، والشذرات : ٤٤٣/٥ .

(١) ليست في (س) .

١٩٨١ ـ يوسف بن رزق الله*

القاضي جمال الدين الموقع ، هو ابن أخت القاضي شرف الدين بن فضل [الله][١] وأخيه القاضي محيي الدين .

أظنه باشر الجيش مدة ، ثم إنه انتقل إلى كتابة الإنشاء ، ورُسم له في وقت بكتابة الدرج في حماة عوضاً عن نجم الدين بن قرناص ، ولكن لم[٢] يمكّن من المباشرة . ثم إن الأمير سيف الدين تنكز جهّزه إلى غزّة موقعاً ، فأقام بها مدة ، ثم إنه نقل إلى توقيع صفد ، وأقام بها مدة ، ثم إن تنكز نقم عليه[٣] وعزله ، وأقام بطّالاً ، عزله بعلاء الدين بن نصر الله ، ولَمّا أُمسك تنكز طلع القاضي جمال الدّين إلى مصر ، وعاد إلى الوظيفة بصفد .

ولم يزل بها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبع مئة . وكان قد ثقل سمعه ، وأما باقي حواسه فإنه تمتع بها ، ولعله قارب التسعين ، وهمّته كما كان ابن ثلاثين سنة .

وكان فيه كرم ومروّة وعِشرة ، ودُفِنَ بصفد ومات له بدمشق ولدان[٤] كانا شابين مليحين ، صبر على مصيبتهما ، واحتسب .

وأنشدني من لفظه لنفسه في سنة أربعين وسبع مئة بدمشق :

بَدا لَنا ينفخ عُثْنونه ... وكبَّر العِمَّة واللِّحيه
وعنفص الأنفِ لأفسو به ... فجئتُ افسو طلعت خريه[٥]

---

* الدُّرر : ٤٥٣/٤ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) (ق) ، (س) : « قرناص ولم » .

(٣) في (ق) ، (س) : « نقم عليه شيئاً وعزله » .

(٤) في الأصل و (س) : « ولدين » ، وعبارة (ق) ، (ط) : « ودَفَنَ بصفد وبدمشق ولدَيْن » .

(٥) العَفَص : الالتواء في الأنف . والتعنفص : الصَّلف والخيلاء .

١٩٨٢ ـ يوسف بن سليمان*

ابن أبي الحسن بن إبراهيم ، الفقيه الأديب الشاعر الخطيب الصوفي الشافعي النابلسي .

نشأ بدمشق وقرأ بها الأدب على الشيخ تاج الدين اليماني ، وقرأ النحو على الشيخ نجم الدين القحفازي وغيره ، وحفظ (التنبيه) فيما أظن .

كان شاعراً قادراً على الارتجال ، ماهراً في[١] الإقامة على المعاني الجيدة والارتحال ، ينظم القطعة على ما يُطلب منه بديهاً ، ويجيد الإتيان بها والتَّصرُّف فيها .

وكان لذيذ المفاكهة ، جميل التخلف والمواجهة ، صحب الناس وعاشرهم وجاملهم بالودّ وكاشرهم ، وحاسنهم وما خاشنهم ، وشاجنهم وما شاحنهم ، وصافاهم وما نافاهم[٢] ، فاشتمل الرؤساء على ودّه ، والتقطوا من منادمته جنيَّ وَرْده ، وكان كما قال الحريري[٣] :

وعاشَرت كلّ جليس بما ... يُلائمُه لأروق الجليسا
فبين الرّواةِ أدير الكلا ... م وبينَ السُّقاة أدير الكؤوسا

وكان مليح النادرة ، سريع الجواب في البادرة ، وتنسّك في آخر عمره وحَسُن حاله في نهاية أمره ، وخطب فأشجى القلوب ، ونَدَّم على ما ندَّ من الذنوب .

ولم يزل على حاله أن خلا من مقامه المنبر ، وما ذكره صاحبُه إلاّ استعبر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشر[٤] شهر ربيع الآخرين سنة خمسين وسبع مئة في طاعون دمشق ، انقطع يومين لا غير .

---

* فوات الوفيات : ٣٤٣/٤ ، والدُّرر : ٤٥٣/٤ .

(١) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ووافاهم وما جافاهم » .

(٣) في المقامة الطبيعية . وفيها : « فعند الرواة .. » .

(٤) (خ) : « عشري » .

وحج في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه حج في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، عقيب موت ولده سليمان ، فإنه حصل له ألم كبير بوفاته ، وما رأى لنفسه دواءً غير الحج .

وكان شاعراً يجيد المقاطيع لفظاً ومعنىً ، وله في ذلك بديهة مطاوعة ، وفكرة متسرعة ، وكان القاضي شهاب الدين بن فضل الله قد جدَّد رسوم البدرية[١] التي في أرض مَقْرى[٢] ، وعمّرها في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وقرَّر فيها خطبة يوم الجمعة ، وجعل هذا جمال الدين[٣] خطيباً بها ، فهو أوّل من خطب بها ، وكان أول يوم خطب به يوماً مشهوداً ، اجتمع له القضاة والعلماء ووجوه الناس والأعيان ، وعمل القاضي شهاب الدين ذلك النهار طعاماً كثيراً ، وخلع فيه الخلع السنيَّة ، وخطب جمال الدين المذكور خطبة جيِّدة فصيحة الألفاظ بليغة المعاني ، واستمرَّ إلى أن مات - رحمه الله - وهو يخطب من إنشائه .

وكتبت له توقيعاً بالخطابة ، ونسخته :

رُسِمَ بالأمر العالي لا زال يكسو المنابر جمالاً ، ويُكسب أقمار الوجوه من الخطباء كمالاً ، أن يُرتّب المجلس السامي جمال الدين في كذا ثقة ببلاغته التي يرف على مياهها ريحانُ القلوب ، وفصاحته التي يكاد لفظها لمن يذوق يذوب ، وبراعتِه التي إذا قال : « أيها الناس » فقد غزا الأسماع بجيش غير مغلوب ، وعظاته التي إذا فاه بها بكى الناسُ ليوسف بأجفانِ يعقوب ، وعبارته التي نسج منها ابن المنيِّر[٤] على خير أسلوب ،

---

(١) المدرسة البدرية قبالة الشبلية التي بجبل قاسيون . الدارس : ٣٦٥/١ .

(٢) قرية من نواحي دمشق اندثرت بكاملها . (معجم البلدان) ، وانظر فهارس ابن رافع : ٢٤٦/٢ .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « الصوفي » .

(٤) أحمد بن محمد بن منصور ابن المنير الإسكندراني ، له ديوان خطب (ت ٦٨٣ هـ) . فوات الوفيات : ١٤٩/١ .

ومقاصدِه التي قطفَ ابن نباتة زهره[١] من روضها المحبوب ، لأنه في هذا العصر بحمد الله تعالى أفضل[٢] مَنْ عَفَّ ومَن بَرَّ ، وأفصحُ خطيب لو كُلف مشتاق فوق ما في وسعه لسعى إليه المنبر[٣] .

فليباشر ذلك مباشرة يُعقد على فخرها الإجماع ، وتُشنَّف بِدُرِّها الأسماع ، ويثق من إحسان هذه الدولة ببلوغ مناه ، وإزالة عناه ، وإزاحة ما يحجبُ غناه . فطالما خلت وظيفة كان يظنها له ملاذاً ، وشغر منصب استسقى منه[٤] رذاذاً ، ولاح رزق قلب[٥] وجهه في سمائه ، وهذه الولاية[٦] تقول : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هذا ﴾[٧] ، إلى أن لمع به[٨] شهاب تألق ، وأغدق وابل جوده الذي فاض وترقرق ، فرقاه خطيباً ، وهزَّ بلطفه المنبر غصناً رطيباً ، وضوَّع أرجاءه بأرجه حتى قيل إنه ضمّخ[٩] طيباً فليُجْرِ بعظاتهالزاجرة[١٠] سحب المدامع ، ويوقظ البصائر بإرشاده من كل ذي طرف هاجع ، ويُميل عِطف من يسمعه فإنه على غصن منبره بليلِ حَلّته[١١] بلبلٌ ساجع . وليستدرج القلوب الطائرة إلى لقط حب التوبة ، ويستخرج خبايا الندم على مافات ،

---

(١) في (خ) : « زهرها » . وابن نباتة السعدي الفارقي صاحب ديوان الخطب المشهور ، سلفت الإشارة إليه .

(٢) (خ) : « أضعف » .

(٣) يشير إلى قول البحتري :

فلو أنَّ مُشتاقاً تكلَّف غير ما ... في وُسعه لمشى إليك المنبر

(٤) في (س) ، (ق) ، (خ) : « استقى من وبله رذاذاً » .

(٥) في الأصل : « ولاح درق قلت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٦) في الأصل : « الولادة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وفي (خ) : « الوظيفة » .

(٧) سورة يوسف : ٢٩/١٢ .

(٨) في الأصل : « بلغ به » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٩) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « إنه صم خطيباً وضمخ طيباً » .

(١٠) في الأصل : « الزاخرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(١١) في الأصل : « جلته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

فكم للنفوس من أوبة بعد عظيم الحوبة ، ويغسل درن الذنوب بذكر الممات فكم لصخر القساوة به من لين وذَوْبَة . وإذا وعظ فلا يعظ إلا نفسه التي يمحضها النصيحة ، وإذا ذكّر فليذكر في ذلك الجمع انفرادَه إذا سكن ضريحه ، فإن ذلك أوقعُ في نفسِ السامع ، وأجلبُ لسَحِّ الجفن الهامي بالدمع الهامع ، وليأخذ لذلك طيبه العاطر وزينته ، ويرقى درج منبره بوقاره الذي لا تُزعزع الرياح سكنيته ، وليبلِّغ السامعين بإفهام واقتصاد ، ويذكِّرهم بتقوى الله تعالى والموت والْمَعاد .

وليأت بأدب الخطيب على ما يعلمه . ويَحْذر من تقعير اللفظ الذي يكاد أن يُعْربه فيُعجمه[١] ، وتقوى الله تعالى جُنّة واقية ، وجَنة راقية ، وسنّة باقية ، فليلبس حلّة شعارها ويُعْلي[٢] منازه منارها ، والله يليِّن لمقاله جامد القلوب ، ويَمْنح[٣] بعظاته ما سود الصُّحف[٤] من الذنوب .

والخط الكريم أعلاه ، حجة بمقتضاه ، والله الموفق بمنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكان القاضي محيي الدين بن فضل الله لما تولَّى كتابة السر بعد شمس[٥] الدين بن الشهاب محمود قد رتَّب جمال الدين المذكور في ديوان الإنشاء كاتب الغيبة على الموقعين ، وكان يحضر الديوان بكرةً وعصراً ، ويكتب اسم من تغيَّب ، ويؤخذ من كل من غاب من جامكيته ما يخص كل يوم ، ولازم الديوان مدة فتاقت[٦] نفسه ليكون من

---

(١) يشير إلى قول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلّمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه فيعجمه

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٥٧/٤ .

(٢) في الأصل : « ويقل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « ويسح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) (خ) : « من الصحف » .

(٥) (خ) ، (ق) ، (س) : « القاضي شمس » .

(٦) (خ) ، (ق) ، (س) : « ولازم الديوان لذلك فتافت » .

جماعة الجماعة في الموقعين ، وأخذ يرشّح نفسه لذلك وينجمع عن الناس ، وخلع ذلك الثوب الذي كان لبسه[١] ، فسلّطوا عليه الفخر عثمان النصيبي الذي كان يدخل إلى تنكز ، ويُمسخر بالناس عنده ، فدخل يوماً إلى تنكز وقال : ياخوند هناك[٢] صبيّ وما أقدر أعمل شغلاً إلا به ، فقال : اطلبوه ، فطلب في الحال ، فأحضر ، وأخذ عثمان يُمسخر وينزل في قذاله ، فتألم جمال الدين المذكور لذلك ألماً عظيماً وكاد[٣] يسافر من دمشق ، وتيقظ له جماعة الشعراء في ذلك العصر ، ونظموا فيه مقاطيع كثيرة ، وجمعها زين الدين عمر بن الحسام[٤] الشاعر ، وعملها صورة مقامة ، وكتب بها نسخ كثيرة ، ومما نظم في هذه الواقعة[٥] :

يوسف الشاعر من نقصه ... يروم جهلاً رتبة الفاضل
تطلّب التوقيع في جلّق ... فجاءه التوقيع في الساحل[٦]

وأنشدني من لفظه لنفسه في فرس أدهم :

وأدهم اللون فات البرقَ وانتظرَهْ ... فغارت الريحُ حتّى غلّبتْ أثَرَهْ
فواضِعٌ رجلَه حيثُ انتهت يده ... وواضعٌ يَدَه أنّى رَمى بَصَرَهْ
شَهمٌ تَراهُ يُحاكي السّهم مُنطلِقاً ... ومالَه غَرَض مُستَوقف خبرَهْ[٧]
يعقّر الوحشَ في البيداء فارِسُه ... وينثني وادِعاً لم يستثِر غَبَرَهْ[٨]
إذا توقّل قطب الدين صهوتَه ... أبصَرْتَ لَيلاً بَهيماً حامِلاً قمَرَهْ

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « وانعزل » .
(٢) (ق) ، (خ) : « هُنا لي » .
(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) هو عمر بن آقوش ، سلفت ترجمته .
(٥) في الأصل : « الرقعة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٦) يكنون بذلك عن الصفع على القفا .
(٧) في الفوات : « سهم » .
(٨) هذا البيت ليس في الفوات .

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قد مَضَتْ ليلةُ الوصالِ بحالٍ قصَّرت عن محصّل الأزمانِ
أخبرتنا أنَّ الزَّمانَ جميعاً قد تَقَضَّى في ليلةِ الهجرانِ [١]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

يعيبونَ مَن أهوى بكسرة جفنهِ وعندي لهذا العَيبِ قد تمَّ حُسْنُهُ
فقلتُ وما قَصدي سِوى سيف جفنهِ إذا دامَ فتك السيف يُكْسَر جفنهُ [٢]

وأنشدني أيضاً ما قاله في بستان الصَّاحب شمس الدِّين :

ودولاب يحنُّ بجسِّ عُودٍ على وَتَرٍ يساسُ بغيرِ جَسِّ [٣]
فلَمّا أنْ بَدَت منه نجوم حَكى فلكاً يدورُ بسعدِ شمسِ

وأنشدني من لفظه له في مليح ينظر في مرآةٍ :

سَقياً لمرآةِ الحبيبِ فإنَّها أمسَت لطلعَتِهِ البهيَّةِ مَطلَعا
واستقبلَت قمرَ السَّماءِ بوجهِها فأرَتني القمرَيْنِ في وقتٍ معاً

وأنشدني من لفظه وكان الغَزّي يدَّعيها :

كأنَّ السَّحابَ الغرَّ لَمّا تَجَمَّعَت وقد فرقت عنّا الهموم بجَمْعِها
نياق ووجه الأرض قعب وثلجها حليب ومرّ الريح حالب ضرعها

وأنشدني أيضاً ، والغزّي يدّعيها :

ونوّار خشخاش بكرنا نزوره وقد دُهش الرائي لحسن صفوفهِ [٤]
تغنّى به الشُّحرورُ من فرطِ وجده فنَقَّط بالياقوتِ ملء دفوفهِ

(١) (خ) : « عن الزمان » .
(٢) في الأصل : « سوى كسر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) ، والفوات .
(٣) (خ) والفوات : « حسّ » .
(٤) في الفوات : « صنوفه » .

وكنت قد سمعت له وأنا بصفد في حدود العشرين وسبع مئة :

كأنَّ ضوء البدرِ لما بَدا ونورهُ بينَ غصونِ الغصونْ
وجنةَ الحبيبِ زارَ عُشّاقه فاعترضَتْ من دونِهِ الكاشِحونْ

ونظم زين الدين عمر بن داود الصفدي أيضاً في ذلك قطعة ، وقد تقدمت في ترجمته فأعجبني نظم جمال الدين ، وقلت أنا فيه :

كأنما الأغصانُ لَمّا انثَنَت أمامَ بدرَ التَّمِّ في غَيهبِهْ
بِنْتُ مليك خَلفَ شِباكها تفرَّجت منهُ على موكبِه[1]

وقلت أيضاً :

وكأنَّما الأغصانُ تثنيها الصَّبا والبدرُ من خَلَلٍ يَلوحُ ويُحجبُ
حَسْناء قد عامَت وأرخَت شَعرَها في لجّةٍ والموج فيهِ يلعبُ[2]

وقلت أيضاً :

وكأنَّما الأغصانُ في دوحِها يلوحُ لي منها سَنا البدرِ
ترسٌ من التِّبرِ غَدا لامِعاً يَقيسهُ أسودَ بالشّبرِ

وكتبت أنا إليه ملغزاً في « مكوك الحايك » .

أيا مَن فاقَ في الآدابِ حتّى أقرَّ بفضلِهِ الْجَمُّ الغَفيرُ
وأجرَزَ في النّهى قصباتِ سبقٍ فدُونَ محلّه الفَلكُ الأثيرُ[3]
وأطلعَ في سَماء النَّظمِ زَهراً يَلوحُ فَمَن زهيرٌ أو جريرُ

---

(١) في الفوات : « بنت مليح » .
(٢) في الفوات : « فيها » .
(٣) في الفوات : « في المنى » .

قطعت أولي النُّهى في البحثِ سَبقاً ... فمالَكَ في مناظرة نَظيرُ[١]
إذا أغرَبَت في الإعراب وَجْهاً ... فكَم ثلجت بما تبدي الصدور[٢]
وإن قيلَ المعمَّى والْمُورّى ... فذهنكَ نافد فيهِ بصيرُ[٣]
وها أنا قد دعوتك للتَّحاجي ... لأنَّك في الحجى طَبٌّ خبيرُ
فما ساعٍ يُرى في غيرِ أرضٍ ... ولا هُو في السَّما مِمَّا يطيرُ
تَراهُ مردّداً ما بين طردٍ ... وعكسٍ قصَّرت عنهُ الطُّيورُ
ويُلْطَم كلَّما وافى مَداهُ ... ويُسْحَبُ وهو مَغلولٌ أسيرُ
وتُنزع كلّ آونةٍ حشاهُ ... ويُلقى وهو للبلوى صبورُ
ويُرْشف بعدَ ذلكَ منهُ ثغر ... ولا عَذْبٌ هناكَ ولا نميرُ
إذا ما سارَ أثَّر في خطاهُ ... طرائق دونَها الرّوضُ النَّظيرُ
يجرُّ إذا سعى ذَنباً طويلاً ... ويَفْتُر حين يعلوهُ قصور[٤]
ويُسْمَع منه عند الجري صوتٌ ... لهُ في صدرِهِ منهُ خَريرُ
قليلَ الْمَكْثِ كَم قد باتَ تُطْوى ... لهُ من شُقَّة لَمّا يطيرُ[٥]
ويفترِشُ الحريرَ ويرتديهِ ... غطاء وهو معَ هذا فقيرُ
وتَظهرُ في جوانبِه نجومٌ ... وفي أحشائِهِ فلكٌ يَدورُ
فأوضح ما ذكرت فغيرُ خافٍ ... على مجموعِ فضلِكَ ما أشيرُ
ودُمْ في نَعمةٍ وسعود جَدٍّ ... وعزٍّ ما سقى رَوضاً غديرُ[٦]

فكتب الجواب في أسرع وقتٍ :

---

(١) في الفوات : « أولي النهى والفضل بحثاً » .
(٢) في الفوات : « أعرب » .
(٣) (خ) والفوات : « ناقد » .
(٤) (ق) ، (خ) ، (س) : « يعروه » .
(٥) (ق) ، (خ) ، (س) والفوات : « يسير » .
(٦) في الأصل : « وسواد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) والفوات .

أوَجْهُـــــك لاحَ أم قمرٌ مُنيرُ ... وذكرُكَ فـــاحَ أم نشرٌ عبيرُ[١]
طلعتَ طلوعَ شمسِ الصَّحوِ صُبحاً ... على فرَسٍ حَكى فلَكاً يسيرُ
ويـــا للهِ رَوْضـــاً ضمن طرسٍ ... زهير في جـــوانبـــهِ جريرُ[٢]
رَميت بـــه إليَّ فقلتُ هـــذا ... شعـاع الشَّمسِ مـأخـذهُ عسيرُ
أراني رمـزَه الـوضـاح حسنـاً ... ينبهني على أني حقيرُ
وإنِّي مُلْحَـق بـــأقـلِّ صنفٍ ... إذا مـــا حقَّـــق الجمُّ الغَفيرُ
فَمُـــذْ صَحَّفتـــهُ فكري مَلُـولٌ ... ومُـذ نشَّرتُـه بـاعي قَصيرُ[٣]
هـو المأسورُ بـالمـاسورِ لكن ... لـــــهُ في أسرهِ مرحٌ كثيرُ[٤]
نشيـطٌ أيِّـدٌ ويقـادُ طَـوعـاً ... بخيـــطٍ متنـــهِ واهٍ طريرُ[٥]
يُراع لأنَّ مهجتَـــــهُ يَراعٌ ... لـهُ في الجوفِ من خوفٍ صَغيرُ
يحـــــورُ إلى يمينٍ من شمالٍ ... ومـا يَغْنى بـذا لكن يَخـورُ[٦]
غَـدا يَسعى بـأربعـةِ سراعٍ ... وليسَ لمشيـــــهِ بهم نَظيرُ[٧]
يُخـالِفُ بينَ رِجليـهِ فيجري ... وترفعـــهُ يـــداهُ فيستطيرُ
لـــهُ نـول يسير لكلِّ حيٍّ ... وميت فيـهِ إحســانٌ كثيرُ[٨]
إذا أسـدى إليـه الخيرَ مُسـدٍ ... جَزاهُ عليـه وهوَ بـذا قَـديرُ
كـذاكَ صِفـاتـكَ الْحُسنى ولكن ... بـدأت تطـوّلاً وبنـا قصـورُ
ففخراً ثم ستراً ثم قَصراً ... فـأينَ الثّمـدُ والبحرُ الغـزيرُ

(١) في الفوات : « أم نفح العبير » .
(٢) في الفوات : « روض » .
(٣) في الفوات : « مكوك » .
(٤) في الأصل : « هو المأمور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) ، والفوات .
(٥) في الفوات : « ويعاد » .
(٦) في الفوات : « يعيا » .
(٧) (ق) : « لمشبه » .
(٨) في (س) ، (ق) ، (خ) والفوات : « منه » .

وكتب هو يوماً متقاضياً :

إلى بابكَ العالي توجهتُ مُوقِناً ... بسرعةِ نيلِ القصدِ قبلَ التَّوجهِ
وعادتُنا منكَ النّجاحُ لقاصِدٍ ... نحاكَ وأنتَ الجاهُ للمتجوّهِ
ومِن مَسِّ دَهْرٍ مَن تأوَّه مَن لهُ ... سِواكَ وأنتَ الجبرُ للمتأوِّهِ
فلاقاهُ بالحمدِ امرؤٌ وهو مطنب ... لخلقٍ ولستَ القصدُ للمتفوِّهِ

واقترح علينا يوماً القاضي شهاب الدين بن[1] فضل الله معارضة أحمد بن حسن الموصلي في موشحه الذي أوله :

باسِمٌ عن لآلٍ ... ناسِمٌ عن عِطر ... نافرٌ كالغزالِ ... سافِرٌ كالبَدرِ

فكان الذي نظمه[2] ولم يلتزم قوافيه في الأغصان ولا الحشوات ، فقال :

زائرٌ بالخيالِ ... زائلٌ عن قربي ... باهرٌ بالجمالِ ... ناهر[3] بالعُجْبِ
أيّ غصن نضير ... نزهة للنَّظرْ
لحظُ عيني خَفير ... منهُ وَرْد الْخَفَرْ
يالهُ من غرير ... في هواهُ غَرَرْ
ساحرٌ بالدَّلالِ ... ساخرٌ بالصَّبِّ ... فائقٌ في الكمالِ ... لائقٌ بالحبِّ
بشَذا المسكِ فاحْ ... ثغرُ هذا الغزالْ
باسِمٌ عنَ أقاحْ ... أو فريد اللآلْ
ردّ نور الصَّباح ... كظلامِ الليالْ
ريقُهُ حينَ جال ... في لماهُ العذبِ ... صِرتُ بين الزّلالِ ... والهوى في كَرْبِ
ذو قوامٍ رطيبْ ... منهُ تُجْنى الْحَرَقْ

(١) (ق) ، (خ) ، (س) : « أحمد بن » .
(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة « نظمه هو » .
(٣) (ق) : « قاهر » .

رامَ ظلمَ القضيبِ فاشتكى بالورقْ
فتثنّى الحبيب ورنا بالحَدقْ
مثل[1] بيضِ النِّصالِ من سوادِ الهدب والعوالي أمال بالقوامِ الرَّطبِ
لو رآهُ القسوس[2] حسّبته المسيحْ
وهو يحيي النُّفوس بالكلامِ الفصيحْ
ما تبينَ الشُّموس عندَ هذا المليحْ
خلِّ عنكَ الغزال يرتعي في الكثب ثم قل للهلال يحتجِب في الغرب
ثغره في بريق إذ جلاه بِريق
كل حُرّ رقيق لِلَماه الرَّقيق
خدّه والشقيق ذا الهذا شقيق
قد بدا فيهِ خال كسواد القلبِ إذ غدا في اشتعال[3] فوقَ نارِ الحبِّ
مالِصبّ صبا في هواهُ نصيب
منه قَبْل الصِّبا قد علاني الشَّيب
يانسيمَ الصَّبا جُزْ بأرضِ الحبيب
واجتهِدْ أن تنالْ منهُ طِيْب القُرْبِ ثم عُدْ بالنوالِ من هدايا حِبّي
جائرٌ قد ظهَرْ عدلُه في القوام
في الوجودِ اشتهر مثل بَدرِ التَّمام
فيه يحلو السَّهر ويمرُّ المنام
صدَّ تيهاً وقال وهو يبغي حربي لحظ عيني نبال قلتُ آه واقلبي

وكان الَّذي قلته أنا :

---

(١) في الفوات : « سلّ » .
(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات : « لو رأته » .
(٣) في الأصل : « اشتغال » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات .

جـامِـحٌ في الـدَّلالِ جـانِـحٌ للهجرِ خـاطِرٌ في الجمـالِ عـاطِرٌ في النَّشرِ
غصنٌ بـــانَ رَطيب قـد زَهـا بـالطَّرب
يَنثَني في كَثيبِ بـالصَّبـا عن كَثَب
مـــالِقَلبي نَصيبٌ منـــهُ غير النَّصَبْ
قَمرٌ في كال فـــوقَ غصن نضرِ طـالِعـاً لا يـزال في دَيـاجي الشَّعَرِ
كم جَـلا بـالسَّنـا فَرْقُـه لي الصّبـاح
وحَـــلا في الْجَنى مبسَمٌ عن أقـاح[1]
إن رَنـا وانْثَنى أو تَبَـدَّى ولاحَ
يـا حيـاءَ الغـزال وافتِضـاح السُّمْر واختِفـاء الهِـلال وكُسـوف البَـدر
خـالَـهُ كالرَّقيب للعِـذار الرَّقيم
وسـطَ نـار تُـذيب حـولَ روضٍ وَسيم
يَتَشكَّى اللَّهيب في النَّعيمِ[2] المقيم
ذاقَ بردَ الظِّـلال في لَهيب الْجَمرِ واهتـدى في الضَّـلال ببروقِ الثَّغر
غصنٌ بـانَ يَميس في رِيـاضِ الـزَّهَرْ
ريقُـهُ الْخَنـدَريس في زلالٍ ظَهَرْ
فيـهِ دُرٌّ نَفيس في عَقيـقٍ بَهَرْ
جَفنُه حينَ صالَ في حَنايا صَدري لو كَفاني النِّبال لاكتَفى بـالسِّحر
شَـقَّ قَلب الشَّقيـق منـهُ خَـدٌّ أنيـق
والقـوامُ الرَّشيـق فيـهِ معنىً دَقيـق
كَم سَقـاني الرَّحيـق من فَمٍ كالعَقيـق
بَعدَ ذاكَ الـزُّلال مـا حَلا لي صبَري والقـوامُ الْمُمال قـامَ فيـهِ عُـذري

---

(١) (س) ، (خ) : « مبسمٌ كالإقاح » .
(٢) في الأصل : « النعيم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

١٩٨٣ ـ يوسف بن سيف الدولة*

أبي المعالي بن زمَّاخ ـ بالزّاي والميم المشدَّدة وبعد الألف خاءٌ مشدَّدة[١] ـ ابن بركة بن ثمامة بن أبي المعالي بن سيف الدَّولة بن حمدان التغلبي[٢] المصري المعروف بابن مهمندار العرب[٣] ، بدر الدِّين .

كان شيخاً متجنِّداً فاضلاً ، شاعراً مؤرِّخاً ، صنَّف تصانيف منها كتاب في الأنساب ، ومنها كتاب في البديع سمّاه (الآيات البيِّنات) .

أنشدني الشَّيخ العلاّمة أثير الدِّين ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

وليلة مثل عين الظَّبي وهي معي ... قَطَعتُها آمناً من يَقظةِ الرَّقَبا[٤]
أرْدَفتُها فوقَ دهمِ اللَّيلِ مُختَفِياً ... والصُّبحُ يُركِضُ خَلفي خَيلَهُ الشُّهبا[٥]
حتَّى دَهاني وعين الشَّمسِ فاتِرَة ... وقد جذبت بذيلِ اللَّيلِ ما انْجَذَبا
ما هِيْ بأوّلِ عاداتِ الصَّباحِ مَعي ... ليلُ الشَّبابِ بصبحِ الشَّيبِ قد[٦] هَربا

وبه قال : أنشدني له :

أعلى الورى هِمَماً أوفاهُم ذمَماً ... أسناهُم كَرَماً في كلِّ مُبْتَذلِ
ماضي العَزيمةِ وهّاب الكريمةِ دفّـ ... ـاع العظيمةِ ، وثّابٌ بلا فَشَلِ
مُعطي الألوف ومِطعام الضُّيوف ومِطـ ... ـعانُ الصُّفوف ومُردي الحادِثِ الْجَلَلِ[٧]

---

* الفوات : ٣٤٩/٤ ، والدُّرر : ٤٥٥/٤ .

(١) كذا في الأصول ، وعبارة الفوات : « والخاء المعجمة بعد الألف » .

(٢) في الأصل : « الثعلبي » ، وهو تصحيف وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) المهمندار : هو الذي يتلقَّى الرُّسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة .

(٤) (ق) ، (س) : « وهو معي » .

(٥) (ق) ، (س) والفوات : « أردفته » .

(٦) (س) ، (ق) والفوات : « كم » .

(٧) في الأصل : « ومطعام الطعام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

بادي الوَسامَةِ، دفَّاع الظّلامَةِ حمّـ ـالُ الغَرامَةِ ذُو عِلْمٍ وذو عَمَلِ
صافي السَّرائرِ، صوّامُ الهَواجرِ قَوّ امُ الدّياجِرِ والإصباحِ والأصلِ
تَأتي الوُفودُ إليهِ لا إلى أحدٍ ومَن رأى البحر لا يأتي إلى الوشلِ
الدّهر جِسمٌ وأعضاء جِسْمه دولٌ وأنت وحدكَ فيهِ جوهر الدّول

وأنشدني الشَّيخ فتح الدّين سيِّد النَّاس ، والشَّيخ أثير الدّين كلاهما ، قال : أنشدنا لنفسه :

فَلا تَعْجَب لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِنّي صِفاتك أذكرت حكَمَ البَوادي[1]
وقد تُبْدي لكَ المرآةُ شَخصاً ويُسمِعُكَ الصَّدى ما قَد تُنادي

وأنشدني الشَّيخ أثير الدّين قال : أنشدني له :

ما شيمةُ العرب العَرْباء شيمتُكم ولا بهذا عُرِفنَ الْخُرّدُ الغيدُ
كانَت سُلَيمى ولُبْنى والرَّباب إذا أزْمَعْنَ هَجْراً أتَتهُنَّ المواعيدُ[2]
ودارَ بينَهُما فَحوى مُعاتَبةٍ أرَقُّ ممَّا أراقَتْهُ العَناقيدُ
وآفَةُ الصَّبِّ مِثلي أن يبثَّ جوًى لِمَن يُحِبُّ ولا يُلوى له جيدُ[3]

ومن شعره :

إن كنتَ تَفْخَر أن تَفوهُ بوَصفِهِ حُسْناً ومثلكَ مَن يفوقُ قريضُهُ[4]
سَل عَن سَوادِ الشَّعرِ نَرجسَ طرفِهِ يُخبرْكَ باللَّيلِ الطَّويلِ مَريضُهُ

ومنه :

(١) (س) ، (ق) والفوات : « أظهرت حكم » .
(٢) (س) ، (ق) والفوات : « الأناشيد » .
(٣) (ق) ، (س) ، والفوات : « ولا يُثنى » .
(٤) في (س) ، (ق) : « تعجز » .

ما إن عَجِبتُ لِكَون نيلكَ فاتَني لِسَوادِ لَحْظي وهو بَحْرٌ مُزْبِدُ[١]
لكنَّني مُتَعَجِّبٌ كيفَ اختَفى بينَ الأيادي البيضِ حَظٌّ أَسود

ومنه :

كُنّا إذا جِئنا لِمن قبلَكُم أنصَفَ في التَّرحيبِ قبلَ القيامْ[٢]
واليوم صِرْنا حينَ نأتيكُم نَقْنَعُ مِنكُم بلطيفِ الكَلامْ
لا غيَّرَ اللهُ بِكُم خيفَةً مِن أن يَجيءَ مَن لا يردُّ السَّلامْ

وأنشدني الشَّيخ قطب الدِّين عبد الكريم إجازة ، قال : أنشدني لنفسه :

مسائل دورٍ شَيْبُ رأسي وهَجْرُها فكُلّ على كلّ لهُ سببٌ يُنبي[٣]
فأحلِفُ لولا الهجرُ ما شابَ مفرقي وتُقسِم لولا الشَّيب ما كرهتْ قربي

قلتُ : كنت قد سمعت أنا الشَّيخ العلاّمة تقيّ الدِّين أحمد بن تيميَّة ينشد هذين البيتين ، ويترنَّم بهما ، فأعجباني ، ونظمتُ المعنى مختصراً وقلتُ :

مسألةُ الدّور بنا عَجِبتُ مِن وُجودِها
صدَّت لشيبٍ قَد بَدا والشَّيبُ من صُدودِها

ولَمَّا خاض السُّلطان الملك الظّاهر بيبرس الفرات ؛ ورمى بنفسه وبالجيوش فيه ، قال القاضي محيي الدين بن عبد الظّاهر - رحمه الله تعالى[٤] - :

تجمّع جيش الشِّركِ من كلِّ وجهةٍ وظنّوا بأنّا ما نُطيقُ لهم غلبا[٥]

---

(١) (س) : « لفرط نيلك » . وفي الأصل و (ط) : « مثلك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) (س) ، (ط) : « بعد القيام » .
(٣) الدور : هو توقُّف أحد الأمرين على الآخر .
(٤) الأبيات في الوافي : ٣٣٣/١٠ ، والفوات : ٢٣٨/١ ، في ترجمة الظاهر بيبرس .
(٥) (س) ، (ق) ، والوافي والفوات : « كل فرقة » . وفي الأصل : « بهم غلبا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وجاؤوا إلى شاطي الفُرات وما دَروا ... بأنَّ جيادَ الخيلِ تَقطَعُها وَثْبا
وجاءَت جُنودُ اللهِ في العُدَدِ الَّتي ... تُميسُ بها الأبطالُ يومَ الوَغى عُجْبا[1]
فَعُمنا بِسَدٍّ من حَديدٍ سِباحةً ... إليهِ فَما اسطاعَ العدوّ لهُ نَقْبا[2]

ولَمّا سمع ابن مهمندار العرب ذلك ؛ قال : أنشدني الشَّيخ أثير الدِّين ، قال : أنشدني لنفسه[3] :

لو عايَنَتْ عَيناكَ يومَ نِزالنا ... والخيلُ تَطفَحُ في العَجَاجِ الأكدَر
وسَنا الأسنّةِ والضِّياء من الظبى ... كَشفا لأعيُنِنا قتامَ العِثير[4]
وقد اطلخمَّ الأمر واحتدَم الوَغى ... ووهى الجبانُ وساءَ ظنٌّ المُجتري[5]
لرأيتَ سدّاً من حَديدٍ مائراً ... فوقَ الفراتِ وفوقَهُ نارٌ تري
ورأيتَ سيلَ الخيلِ قد سدَّ الرُّبا ... ومن الفَوارسِ أبحُراً في أبحُرِ[6]
ظَفرتْ وقد منعَ الفوارسُ مدَّها ... تَجري ولولا خيلُنا لم تظفر
حتّى سَبقنا أسهُماً طاشَت لنا ... منهُم إلينا بالخيولِ الضُّمَّرِ[7]
لم يَفتَحوا للرَّمي منهم أعيُناً ... حتَّى كُحِلنَ بكلِّ لدنٍ أسمَرِ
فَتَسابَقوا هَرَباً ولكن ردَّهُم ... دونَ الهزيمةِ رمحُ كلِّ غَضَنْفَرِ
مَلؤوا الفَضاءَ فَعَنْ قَليلٍ لم ندع ... فوقَ البَسيطَةِ منهُم مِن مُخبِرِ
سَدَّت عَلينا طُرقنا قَتلاهُم ... حتّى جَنَحْنا للمكانِ الأوعَرِ

---

(١) في الفوات : « لها » .
(٢) في (س) ، (ق) : « إليهم » . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وما اسْطاعوا لَهُ نَقباً ﴾ [الكهف : ٩٧/١٨] .
(٣) (ق) ، (ط) : « أنشدني له » ، والأبيات في الوافي : ٣٣٤/١٠ ، والفوات : ٢٣٩/١ في ترجمة الظاهر .
(٤) العثير : التراب ، والبيت ليس في الوافي .
(٥) اطلخم : اطرخم ، اسودّ وادلهمّ .
(٦) في الوافي والفوات : « قد بلغ الزبى » .
(٧) في الأصل : « منها المنايا والخيول الضمّر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات .

مـــا كانَ أجرى خيلَنـــا في إثرِهِم ... لـــوأنَّهـــــا برؤوسِهِم لم تَعثرِ
مِن كلِّ أشهب خـاضَ في بحرِ الـدِّمـا ... حتّى بَـــدا لعُيـونِنـــا كالأشْقَر
كم قَـد قَلَعْنـا صخرةً مِن صَرخَـةٍ ... ولكُم مَـلأنـا مَحْجَراً من مَحْجَرِ[1]
وجَرى دِمـاؤهُم على وَجـهِ الثَّرى ... حتّى جَرَت مِنها مَجـاري الأنهُرِ[2]
والظَّـاهِرِ السُّلطـان في آثـارِهِم ... يُـــذري الرّؤوس بكلِّ عَضبٍ أبتَرِ
ذهبَ العَجـاج معَ النَّجيعِ بصَقْلِـهِ ... فكأنَّـــه في غِمْـــدِهِ لم يُشهَرِ[3]
إن شِئتَ تَمْـدَحـهُ فَقِفْ بـإزائـهِ ... مِثلي غَـــداةَ الرّوعِ وانظُم وانثِرِ

قلتُ : هذه الأبيات الأخيرة الأربع ليست من رواية الشَّيخ أثير الدِّين .

وكتب ناصر الدِّين ابن النقيب إلى بدر الدِّين بن مهمندار العرب :

أيـوسُفُ بـدر الـدِّينِ والْحُسْنُ كلّـهُ ... ليوسف يُعْـزى أو إلى البَـدْرِ يُنْسَب[4]
أتيتَ أخيراً غير أنّـــــك أوّل ... تعـــدّ من الآحـــاد شعراً وتُحْسَبُ
وأحسن مـــا في شِعركَ الْحُرِّ أنَّـــه ... بـــهِ ليسَ تستجـــدي ولا تتكسَّبُ

وتوفي بدر الدِّين ـ رحمه الله ـ في حدود السّبع مئة[5] .

ومولده سنة اثنتين وستّ مئة .

ومن شعره العذب ، ونظمه الَّذي كأنَّه في الصِّقال عَضْب ، قوله :

عَسى اللَّيـالي وفي قـولي عسى خـدَعٌ ... تردُّ لي من زَمـاني بعضَ مـا ذَهبـا
بـانـوا بـأبهى من الـدُّنيـا وزينتهـا ... عنـدي وأكرم مطلـوب إذا طلبـا

---

(١) في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات : « فلقنا » .
(٢) في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات : « وجرت » .
(٣) في الوافي والفوات : « ذهب الغبار » .
(٤) في الفوات : « إذ إلى » .
(٥) وفي الفوات أنه توفي بعد الثمانين وست مئة .

كالغُصْنِ مُنثَنِيـــاً كالظَّبي مُلْتَفِتـــاً ... كالشَّمسِ مُبْتَسِماً كالبَـــدْرِ مُنْتَقِبـــا
كَم بِتُّ أرشفُ ثَغراً حَشْـــوُهُ درر ... وكلَّما زدتُ لَثماً زادَني لَهبـــــا[1]

منها في المديح :

مَنْ حـاتمٌ وعطـايـا جـودِهِ جَمَـلٌ ... وجـودُ ذا جُمَـلٌ تترى ولا عَجَبـا
لكن هُوَ الحظّ ذكر الغَيث سـارَ ومـا ... هَمى لجيناً على عـافٍ ولا ذَهَبـا[2]
وسـارَ جَـدواهُ في الـدُّنيـا وسـاكِنهـا ... فـأدبَرَ الفقرُ عنهُم مُمعِنـاً هَرَبـا
فاضْمُم يَـدَيـكَ على مـالٍ حَبَـاكَ بـهِ ... تَعـوّدَ البَـذلَ، لـوقيَّـدتَـه وثَبـا
وارفـقْ بِنَفسِـكَ لا تعـديـكَ راحتـهُ ... فتغرق النّاس من بعضِ الَّذي وهبا[3]

١٩٨٤ ـ يوسف بن شاذي*

ابن داود بن شيركوه بن محمّد بن شيركوه بن شاذي ، الأمير صلاح الدِّين ابن الملك الأوحد ابن الملك الزّاهر ابن الملك المجاهد ، تقدَّم ذكر والده الأوحد في مكانه من حرف الشِّين .

كان الأمير صلاح الـدِّين من أحسن النّـاس صورة ، وهو أمرد ، وعمـل الإمرة من أحسن ما يكون . وكان ذهنه في العمائر وغيرهـا ذهنـاً جيـداً صحيحـاً ، ليس في دمشق أحسن من بستانه ، ولا من العمارة الَّتي رتَّبها فيـه . وكان الأمير سيف الـدِّين تنكز قـد مال إليه ، وأحبَّه ، وكان يطلع إلى بستانه ، ويأكل ضيافتـه فيـه ، وكانت تكون شيئـاً عظيماً .

---

(١) في (س) ، (ق) ، (ط) : « برد » .
(٢) في الأصل : « العيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .
(٣) في الأصل : « وافق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .
* تاريخ أبي الفداء : ١٣٣/٤ ، والدرر : ٤٥٦/٤ .

ولَمّا أمسك السُّلطان تنكز وأمسك بعده الأميرُ سيف الدِّين بشتاك الأمير ين[1] سيف الدِّين أجبغا ، وسيف الدِّين طيبغا حاجي وأودعهما الاعتقال بقلعة دمشق لاختصاصها بتنكز[2] داخَلَ الأميرَ صلاح الدِّين الرُّعبُ والفزع ، فانقطع في بستانه بالمرض جمعة .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ في صفر سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان قد لبس خلعة الإمرة في يوم الخميس عاشر شهر رجب الفرد سنة ثماني عشرة وسبع مئة لأنَّه كان قد توجَّه إلى مصر بتقدمة حسنة مليحة ، فَرُسِمَ له بالإمرة .

١٩٨٥ ـ يوسف بن عبد الله*

ابن محمّد بن عطاء بن حسن بدر الدِّين أبو المحاسن العدل ابن قاضي القضاة شمس الدِّين الأذرعي الحنفي الصّالحي .

كان فقيهاً فاضلاً مهيباً . سمع من ابن الزّبيدي ، وجمال الدِّين بن الحصيري . وحدَّث عنه ابن الخبّاز .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

ومولده سنة تسع عشرة وستّ مئة .

١٩٨٦ ـ يوسف بن أبي عبد الله**

ابن يوسف بن سعد جلال الدِّين أبو المحاسن النّابُلسيّ الدِّمشقي الشّافعي .

---

(١) (ق) ، (س) : « للأمير ين » .

(٢) البداية والنهاية : ١٨٨/١٤ .

* الشذرات : ٤٣٧/٥ .

** الدُّرر : ٤٨٣/٤ .

كان قاضياً مفتياً ، سمع من خالد الحافظ[١] ـ وكان عمّه ـ ومن مجد الدّين الإسفراييني ، والمرسي ، وشيخ الشُّيوخ وطائفة .

وأمّ بالشَّاميّة ، وأعاد بها ، وعرف بجودة النَّقل ، وولي قضاء بعلبك ، وكان حميد الأحكام .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في حدود عشر وسبع مئة .

ومولده قبل الأربعين وستّ مئة .

١٩٨٧ ـ يوسف بن عبد الرحمن*

ابن يوسف بن علي بن عبد الملك بن أبي الزَّهر ، الشَّيخ الإمام العالم العلاّمة الحافظ الفريد الرّحلة ، إمام[٢] المحدّثين جمال الدِّين أبو الحجّاج المزّي بن الزّكي القضاعي الكلبي ، الحلبيّ المولد ، خاتمة الحفّاظ ، ناقد[٣] الأسانيد والألفاظ .

طلب الحديث في أوّل سنة خمس وسبعين وستّ مئة ، وهَلُمَّ جَرّا إلى آخر وقتٍ ، لا يفتر عن الطَّلب والاجتهاد والرّواية والتَّسميع .

سمع من أصحاب ابن طبرزد ، والكندي ، وابن الحرستاني ، وحنبل ، ثمَّ ابن ملاعب الرّهاوي ، وابن البنا ، ثمَّ ابن أبي لقمة ، وابن البن ، وابن مكرّم ، والقزويني ، ثمَّ ابن اللَّتي ، وابن صبّاح ، وابن الزّبيدي . وأعْلى ما سمع بإجازةٍ عن ابن كليب[٤] ،

---

(١) الزين خالد بن يوسف بن سعد (ت ٦٦٣ هـ) ، الشذرات : ٣١٣/٥ .

* البداية والنهاية : ١٩١/١٤ ، والفوات : ٣٥٣/٤ ، ووفيات ابن رافع : ١٥٠/١ ، والدُّرر : ٤٥٧/٤ ، والشذرات : ١٣٦/٦ .
ووقع في الأصل : « يونس بن عبد الرحمن ... » ، وهو سهو من الناسخ .

(٢) (خ) : « الإمام ، إمام ... » .

(٣) في الفوات : « نافذ » .

(٤) عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن كليب الحراني (ت ٥٩٦ هـ) ، السير : ٢٥٢/٢١ .

وابن بوش[١] ، والْجَمّال[٢] ، وخليل بن بدر[٣] ، والبوصيري[٤] ، وأمثالهم ، ثمَّ المؤيَّد الطّوسيّ ، وزاهر الثَّقفي[٥] ، وعبد المعزّ الهرويّ[٦] . وسمع الكتب الأمَّهات المسندة ، والكتب الستة ، و (المعجم الكبير) ، و (تاريخ الخطيب)[٧] ، و (النَّسب) للزُّبير[٨] ، و (السِّيرة) و (الموطأ) من طُرق ، و (الزُّهد)[٩] ، و (المستخرج على مُسْلم)[١٠] ، و (الحلية)[١١] و (السُّنن) للبيهقي ، و (دلائل النُّبوّة) ، وأشياء يطول ذكرها . ومن الأجزاء ألوفاً . ومشيخته نحو الألف .

وسمع أبا العبّاس بن سلامة[١٢] ، وابن أبي عُمَر ، وابن علاّن ، والشَّيخ محيي الدِّين النَّوويّ ، والزَّواوي ، والكمال عبد الرَّحيم ، والعزّ الحرّاني ، وابن الدّرجي ، والقاسم الإربلي ، وابن الصَّابوني ، والرَّشيد العامري ، ومحمّد بن القوّاس[١٣] ، والفخر بن البخاري ، وزينب[١٤] ، وابن شيبان[١٥] ، ومحمّد بن محمّد بن مناقب ، وإسماعيل بن

---

(١) في الأصل : « يونس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وهو : يحيى بن أسعد بن يحيى (ت ٥٩٣ هـ) ، السير : ٢٤٣/٢١ .

(٢) مسعود بن أبي منصور بن محمد الأصبهاني (ت ٥٩٥ هـ) ، السير : ٢٦٨/٢١ .

(٣) خليل بن بدر بن ثابت الراراني (ت ٥٩٦ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢١ .

(٤) هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت البوصيري (ت ٥٩٨ هـ) ، السير : ٣٩٠/٢١ .

(٥) زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي الأصبهاني (ت ٦٠٧ هـ) ، السير : ٤٩٣/٢١ .

(٦) عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي الهروي (ت ٦١٨ هـ) ، السير : ١١٤/٢٢ .

(٧) أحمد بن علي ، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) . وكتابه تاريخ بغداد .

(٨) ابن بكار (ت ٢٥٦ هـ) واسم كتابه : (جمهرة نسب قريش) .

(٩) للإمام أحمد بن حنبل .

(١٠) لأبي عوانة ، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت ٣١٦ هـ) ، الكشف : ١٦٧١/٢ .

(١١) حلية الأولياء في الحديث ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) .

(١٢) أحمد بن أبي الخير سلامة (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣١٩/٥ .

(١٣) محمد بن عبد المنعم بن عمر (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤١/٥ .

(١٤) زينب بنت مكي (ت ٦٨٨ هـ) ، العبر : ٣٥٨/٥ .

(١٥) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥١/٥ .

العسقلاني ، والمجد بن الخليلي ، والعماد بن الشِّيرازي ، والمحيي بن عصرون ، وأبا بكر بن الأنماطي ، والصَّفي خليلاً ، وغازياً الحلاوي ، والقطب بن القَسْطلاني[١] وطبقتهم ، والدّمياطي شرف الدِّين ، والفاروثي ، واليونيني ، وابن بلبان ، والشّريشي ، وابن دقيق العيد ، والظّاهري[٢] ، والتَّقي الإسعرديّ ، وطبقتهم . وتنازل إلى طبقة سعد الدِّين الحارثي[٣] ، وابن نفيس[٤] ، وابن تيميَّة .

ولم يتهيّأ له السَّماع من ابن عبد الدّائم ، ولا الكرماني ، ولا ابن أبي اليسر ، ونحوهم . ولا أجازوا له ، مع إمكان أن تكون له إجازة المرسي ، والمنذري ، وخطيب مردا ، واليلداني ، وتلك الحلبة .

وحفظ القرآن ، وعُنِيَ باللُّغة ، فبرع فيها ، وأتقن النَّحو والتَّصريف .

وكان[٥] شيخنا الْحُجَّة جمال الدِّين أبو الحجَّاج شيخَ الزَّمان وحافظ العصر ، وناقد الأوان ، لو عاصره ابن ماكولا كان له[٦] مشروباً ومأكولاً ، وجعل هذا الأمر إليه موكولاً ، أو الحاكم[٧] لقال : لأمْرُهُ دائم النُّفوذ ، وكان إلى حرمه [يعود وعليه][٨] يعول وبه يعود[٩] ، أو ابن نقطة ؛ لأغرقته بحاره الزَّخّارة ، ورأى خطّه[١٠] المستقيم خارجاً

---

(١) في الأصل : « العسقلاني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) ، وهو محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٦٨٦ هـ) . الأعلام : ٢٨٦ .

(٢) أحمد بن محمّد ، جمال الدين ، سلفت ترجمته .

(٣) سعد الدين مسعود الحارثي (ت ٧١١ هـ) . البداية والنهاية : ٦٤/١٤ .

(٤) علي بن مسعود ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) في (ق) ، (خ) ، (س) : « كان » بلا واو .

(٦) (خ) : « كان له في الوقت » .

(٧) محمد بن محمد بن أحمد ، الحاكم النيسابوري (ت ٣٧٨ هـ) . السير : ٣٧٠/١٦ .

(٨) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٩) في الأصل : « النفوذ .. يعود » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(١٠) (خ) : « ورأس الخط » .

عن دائرته ، وبَدْرُه لا يدخل معه في هذه الدّارة ، أو ابن عساكر لعلم أنّه ليس من أبطاله ، ولا عدّه الطّلبة من أتباعه ولا رجاله .

أتقن أسماء الرّجال ، وحرّر صيغها [١] ، وتجاوز الغاية ، ومن أوّل ما خطا بلغها ، وكان أمره في ذلك عجباً عاجباً [٢] ، وإذا أمّ مقصداً في ذلك لم يجد له دونه حاجباً ، كأنّما عناه السّراج الورّاق بقوله :

أينَ إمـامٌ في الحـديثِ مِثْلُـهُ ... تَضْرِبُ آباطاً إليهِ الإبلُ
ذادَ عَنِ السُّنَّةِ كلَّ مُفْتَرِ ... بهِ جُلِيَ الدُّجا وحُلَّ الْمُشْكِلُ
وكانَ في عِلْمِ الرِّجالِ أوْحَداً ... بحيثُ قالَ العلمُ : هذا الرَّجُلُ
أتقنَهُم معرِفَةً يقولُ ذا ... مُسْتَعملٌ وقولُ ذاكَ مُهْمَلُ [٣]

وأمّا اللُّغة ؛ فأبو عبيدة يكون عَبْدَه ، والأصمعي أصمّ عيَّه [٤] من يسمع كلامه بعده .

وأمّا النَّحو ؛ فليس لأبي علي معه حجَّة [٥] ، ولا لابن خالويه عنده قولٌ يتوجَّه .

وأمّا التَّصريف فما ابن جنّي عنده ابن آدم ، ولا المازني من رجاله إن صادفه ، أو صادم .

ولم يزل على حاله إلى أن خلت منه الرُّبوع ، وجرت الجفون عليه دماً بعد الدُّموع .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

---

(١) (خ) :« وحرر أشكالها وصيغها » .
(٢) (خ) : « عجباً أراه عاجباً » .
(٣) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه الذي نشره الدكتور وليد قصاب في عجمان ١٩٩١ م .
(٤) (خ) : « عنه » .
(٥) يشير إلى كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ، وهو كتاب في علل القراءات .

ومولده بظاهر حلب في عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستّ مئة .

ودفن بمقابر الصُّوفيَّة .

وكان فيه حياءٌ وسكون ، وحلم واحتمال ، وقناعة واطِّراح تكلُّف ، وترك التَّجمُّل والتَّودُّد إلى النّاس ، مع الانجماع عنهم ، وعدم الكلام إلاّ أن[١] يُسأل فيُجيب ويُجيد ، وكلَّما طالت مجالسة الطَّالب له ظهر فضله ، لا يتكثَّر بفضائله ، ولا يغتاب أحداً . وكان يصعد إلى الصَّالحيَّة ماشياً ، لا يركب بغلاً ولا حماراً ، وهو في عشر التّسعين ، ويستحمّ بالماء البارد في الشَّيخوخة ، إلاّ أنَّه كان قد امتحن بأمر المَطالب[٢] ، وتتبَّعها ، فعثر به جماعة من الشَّياطين ، وأكلوا معه ، فكان لا يزال في فقر لأجل ذلك .

وحجَّ ، وسمع بالحرمين والقدس ودمشق ومصر وحلب وحماة وحمص وبعلبك ، والإسكندريَّة وبُلبيس وقطيا ، وغير ذلك . وأوذيَ مرَّة ، واختفى مدَّة من أجل سماع (تاريخ) الخطيب . وأوذي مرَّة أخرى لأجل قراءة شيء من كتاب (أفعال العباد)[٣] ممّا يتأوَّله الفضلاء المخالفون ، وحبس .

ولَمّا توفِّي ابن أبي الفتح حصل له من جهاته حلقة الخضر والحديث بالنّاصريَّة ، فأضاءت بذلك حاله ، واتَّسع رزقه ، ثمَّ إنَّه ولي دار الحديث الأشرفيَّة بعد ابن الشُّريشي سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، التزم بمذهب الشّافعي ، وأشهد عليه بذلك ، وذكر الدّرس بالأشرفيَّة في ثالث عشري الحجّة من السَّنة المذكورة[٤] . وقال الشَّيخ تقيّ الدّين بن تيميَّة : لم يلِ هذه المدرسة من حين بنائها إلى[٥] الآن ، أحقّ بشرط

(١) (خ) : « إلى أن » ، وفي الفوات : « إلاّ أنّه » .

(٢) جمع مطلب ، وهو الكنز ، والمطالبي من يتتبع نبش الكنوز .

(٣) للبخاري . انظر : الكشف ١٣٣/١ .

(٤) انظر البداية والنهاية : ٨٩/١٤ .

(٥) (خ) والفوات : « وإلى » .

الواقف منه ، وقد وليها جماعة كبار مثل ابن الصّلاح ومحيي الدّين النّواوي[١] وغيرهما ، لأنّ الواقف قال : فإن اجتمع من فيه الرّواية ، ومن فيه الدّرايّة قدّم من فيه الرّواية .

وأخبرني من لفظه شيخنا الذّهبي ، ونقلته من خطّه ، قال : ما رأيتُ أحداً في هذا الشّأن أحفظ من الإمام أبي الحجّاج المزّي ، وسمعته يقول في شيخنا أبي محمّد الدّمياطي[٢] إنّه ما رأى أحفظ منه ، وكان الدمياطي يقول : إنّه ما رأى شيخاً[٣] أحفظ من زكيّ الدّين عبد العظيم ، وما رأى الزّكيّ أحفظ من أبي الحسن علي ابن المفضّل[٤] ، ولا رأى ابن المفضّل أحفظ من الحافظ عبد الغني[٥] ، ولا رأى عبد الغني أحفظ من أبي موسى المديني[٦] ؛ إلاّ أن يكون الحافظ أبا القاسم بن عساكر ، فقد رآه ، ولم يسمع منه ، ولا رأى ابن عساكر والمديني ؛ أحفظ من أبي القاسم إسماعيل بن محمّد التّيمي[٧] ، ولا رأى إسماعيل أحفظ من أبي الفضل محمّد بن طاهر المقدسي[٨] ، ولا رأى ابن طاهر أحفظ من أبي نصر ابن ماكولا[٩] ، ولا رأى ابن ماكولا أحفظ من أبي بكر الخطيب[١٠] ، ولا رأى الخطيب أحفظ من أبي نعيم[١١] وأبي حازم العبدوي[١٢] ،

---

(١) (خ) : « الغوري » .

(٢) شرف الدّين ، عبد المؤمن بن خلف .

(٣) في الأصل : « شيخنا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) .

(٤) علي بن المفضل بن علي (ت ٦١١ هـ) . السير : ٦٦/٢٢ .

(٥) عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠ هـ) . السير : ٤٤٣/٢١ .

(٦) محمد بن عمر بن أحمد (ت ٥٨١ هـ) . السير : ١٥٢/٢١ .

(٧) الملقب بـ (قوّام السُّنة) (ت ٥٣٥ هـ) . السير : ٨٠/٢٠ .

(٨) محمد بن طاهر بن علي (ت ٥٠٧ هـ) . السير : ٣٦١/١٩ .

(٩) علي بن هبة الله بن علي (ت ٤٨٧ هـ) . السير : ٥٦٩/١٨ .

(١٠) سلفت الإشارة إليه في هذه الترجمة .

(١١) سلفت الإشارة إليه في هذه الترجمة . وهو صاحب الحلية .

(١٢) في الأصل : « العبدري » ، وأثبتنا ما في (ق) . وفي الإعلام : ٧٥ ، والسير : ٣٣٣/١٧ : « العبدوبي » ، وهو عمر بن أحمد بن إبراهيم الهذلي المسعودي (ت ٤١٧ هـ) .

ولا رأيا أحفظ من الدَّارقطني وأبي عبد الله بن منده[١] ، ومعهما الحاكم . وكان ابن منده يقول : ما رأيت أحفظ من أبي إسحاق بن حمزة الأصفهاني[٢] . وقال ابن حمزة : ما رأيت أحفظ من أبي جعفر أحمد بن يحيى بن زهير التُّسْتَري[٣] وقال : ما رأيت أحفظ من أبي زُرْعة الرّازي[٤] . وأمّا الدَّارقطني فما رأى مثل نفسه ، وكان[٥] الحاكم يقول : ما رأيت أحفظ من أبي علي النِّيسابوري[٦] ومن أبي بكر الجعابي[٧] ، وما رأى الثَّلاثة أحفظ من أبي العبّاس بن عقدة[٨] ، ولا رأى ابن عُقدة ، ولا رأى أبو[٩] علي النَّيسابوري مثل النّسائي ، ولا رأى النَّسائي مثل إسحاق بن راهويه ، ولا رأى أبو زرعة أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة ، وقد[١٠] رأى أبو علي النَّيسابوري مثل ابن خزيمة[١١] ، ولا رأى ابن خزيمة مثل أبي عبد الله البخاري ، ولا رأى البخاري ـ فيما ذكر ـ مثل علي بن المديني ، ولا رأى أيضاً أبو زرعة والبخاري وأبو حاتم وأبو داود مثل أحمد بن حنبل ، ولا مثل يحيى بن معين ، وابن راهويه ، ولا رأى أحمد ورفاقه مثل يحيى بن سعيد القطّان[١٢] ، ولا رأى هو مثل شعبة وسُفيان

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق (ت ٤٧٠ هـ) . السير : ٣٤٩/١٨ .

(٢) إبراهيم بن محمد بن حمزة (ت ٣٥٣ هـ) . الوافي : ١١٧/٦ ، والسير : ٨٣/١٦ .

(٣) (ت ٣١٠ هـ) . السير : ٣٦٢/١٤ .

(٤) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فرّوخ (ت ٢٦٤ هـ) . السير : ٦٥/١٣ .

(٥) (ق) : « بلى وكان » ، وفي (خ) : « بل وكان » .

(٦) الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري (ت ٣٤٩ هـ) . العبر : ٢٨١/٢ .

(٧) محمد بن عمر بن محمد بن سلم التميمي (ت ٣٥٥ هـ) . السير : ٨٨/١٦ .

(٨) أحمد بن محمد بن سعيد (ت ٣٣٢ هـ) . السير : ٣٤٠/١٥ .

(٩) في الأصل : « ابن أبو » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) ، (ق) .

(١٠) كذا في الأصول .

(١١) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت ٣١١ هـ) . السير : ٣٦٥/١٤ .

(١٢) (ت ١٩٨ هـ) . السير : ١٧٥/٩ .

ومالك[١] ، ولا رؤوا مثل أيّوب السَّختياني[٢] ، نعم ، ولا رأى مالك مثل الزُّهري[٣] ، ولا رأى[٤] مثل ابن المسيِّب ، ولا رأى ابن المسيِّب[٥] أحفظ من أبي هريرة رضي الله عنه ، ولا رأى أيوب مثل ابن سيرين ، ولا رأى مثل أبي هريرة ، نعم ، ولا رأى الثَّوري مثل منصور ، ولا رأى منصور مثل إبراهيم[٦] ، ولا رأى إبراهيم مثل علقمة[٧] ، ولا رأى علقمة كابن مسعود ، فيما زعم .

وقال شيخنا الذَّهبي : لم يسألني ابن دقيق العيد إلاّ[٨] عنه . وقال الذَّهبي أيضاً : وكان قد اغترَّ في شبيبته ، وصحب عفيف الدِّين التِّلمساني ؛ فلَمّا تبيَّن له ضلاله هجره وتبرّأ منه . وقال الذَّهبي : وكان يترخَّص في الأداء من غير أصول ، ويُصْلِح كثيراً من حفظه ، ويسامح في دمج القارئ ولغط السّامعين ، ويتوسَّع ، وكأنَّه يرى العمدة على إجازة الْمُسْمِع للجماعة ، وله في ذلك مذاهب عجيبة ، وكان يتمثَّل بقول ابن مندة : يكفيك من الحديث شمَّه .

وصنَّف كتاب (تهذيب الكمال) في أربعة عشر مجلداً . كسف[٩] به الكتب

---

(١) شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) . السير : ٢٠٢/٧ .
وسفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١ هـ) . السير : ٢٢٩/٧ .
ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) . السير : ٤٣/٨ .

(٢) في الأصل و (ق) و (س) و (خ) : « السجستاني » تصحيف . وقد توفي سنة (١٣١ هـ) . السير : ١٥/٦ .

(٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله (ت ١٢٤ هـ) . السير : ٣٢٦/٥ .

(٤) في الأصل : « أرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) سعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ) . السير : ٢١٧/٤ .

(٦) منصور بن المعتمر (ت ١٣٢ هـ) . السير : ٤٠٢/٥ .
وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (ت ٩٥ هـ) . الوافي : ٤٢/٦ .

(٧) علقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ) . السير : ٥٣/٤ .

(٨) (خ) : « قطّ إلاّ » .

(٩) (خ) والفوات : « كشف » . والكتاب طبع في مؤسسة الرسالة .

المتقدّمة في هذا الشأن ، وسارت به الرُّكبان ، واشتهر في حياته ، وصنَّف كتاب (الأطراف) للكتب السِّتّة[١] في ستّة أسفار ، وخرَّج لجماعة .

قال الذَّهبي : وما علمته خرَّج لنفسه لا عوالي ولا موافقات ولا معجماً ، وكلّ وقت ألومه في ذلك فيسكت ، وقد حدَّث بكتابه (التَّهذيب) خمس مرّات ، وحدَّث بـ (الصحيحين) مرّات ، وبـ (المسند) و (معجم الطّبراني) وبـ (دلائل النُّبوَّة) وبكتب جمّة ، وحدَّث بسائر أجزائه العالية وبكثير من النّازلة .

وقال الذهبي أيضاً : أعلى ما عنده مطلقاً (الغيلانيّات) و (جزء ابن عرفة) وابن الفرات[٢] بإجازة .

وسمع منه الذهبي سنة أربع وتسعين ، وأخذ عنه (صحيح البخاري) غير مرة . واستملى منه العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وقاضي القضاة عز الدين بن جماعة ، وشيخنا ابن سيّد الناس ، ومحب الدين وأولاده ، وشمس الدين السروجي ، وابن الدمياطي وابن عبد الهادي وابنا السفاقسي[٣] ، والشيخ تقي الدين بن رافع ، وسبط التنيسي ، وخلائق . وتخرّج به جماعة كشيخنا علم الدين البرزالي ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، والشيخ عماد الدين بن كثير ، وابن عبد الهادي ، وابن العطار ، وابن الفخر ، وابن الجعبري ، وغيرهم .

وقال شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس في حقه : ووجدت بدمشق الإمام المقدم[٤] ، والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانه ومن تقدم ، أبا الحجاج المزي بحر هذا العلم الزاخر ، القائل من رآه : كم ترك الأوائل للأواخر[٥] !، أحفظ الناس

(١) الكشف : ١١٦/١ . وفي الأعلام : ٢٣٧/٨ : « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » . والكتاب مطبوع .
(٢) أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي (ت ٢٥٨ هـ) . الكشف : ٥٨٥ .
(٣) إبراهيم ومحمد ابنا الحسن بن عبد السلام ، وقد سلفت ترجمتهما .
(٤) في الأصل : « المعظم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات .
(٥) (خ) : « كم ترك الأوّل للآخر » .

للتراجم ، وأعلم الناس بالرواة من أعارب وأعاجم ، لا يخص بمعرفته مصراً دون مصر ، **ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر ، معتمداً آثار السلف الصالح ، مجتهداً فيما نيط به** في حفظ السّنة من النصائح[١] ، معرضاً عن الدنيا وأشباهها ، مقبلاً على طريقه التي أربى بها على أربابها ، لا يبالي ما ناله من الأزل ، ولا يخلط جدّه بشيء من الهزل ، وكان بما يضعه بصيراً ، وبتحقيق ما يأتيه جديراً[٢] ، وهو في اللغة إمام ، وله بالقريض إلمام ، وكنت أحرص على فوائده لأُحرز منها ما أحرز ، وأستفيد من حديثه الذي إذا **طال لا يملل**[٣] ، **وإن أوجز وددت أنّه لم يوجز**[٤] ، **وهو الذي حداني على رؤية الشيخ تقي الدين بن تيمية ا.هـ .**

قلت : وكان معتدل القامة ، مشرباً حمرة ، قويّ التركيب ، متع بذهنه وبحواسه ، ولم أر بعد الشيخ فتح الدين بن سيّد الدين من يحكم ترقيق الأجزاء وترميمها مثل الشيخ جمال الدين ، ولم يستعر مني شيئاً فأعاده إلا وقد نبّه فيه على نكتة كنت محتاجاً إليها حتى في إجازة الشيخ فتح الدين بن سيد الناس لي . وفيه قلت[٥] :

درتُ على أشياخ عصري فيا ... فخري بما نلتُ ويا عزّي
وذقتُ طعم الكلّ في علمهم ... فلم [أجد] أحلى من المزي[٦]

وسمعتُ (صحيح مسلم) على البندينجي ، وهو حاضر بقراءة ابن طغريل ، وعدّة

---

(١) في الفوات : « المصالح » .
(٢) (خ) : « خبيراً » .
(٣) (خ) ، (ق) والفوات : « إن طال لم يملل » .
(٤) فيه إشارة إلى قول ابن الرومي :
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ... ودّ المحدّث أنها لم توجز
انظر الخصائص : ٣٠/١ .
(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « قلت أنا » .
(٦) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

نسخ حاضرة صحيحة ، يقابل بها فيردّ[١] الشيخ جمال الدين - رحمه الله - على ابن طغريل اللفظ ، فيقول ابن طغريل : ما في النسخة إلا ما قرأت ، فيقول من في يده بعض تلك النسخ الصحيحة : هو عندي ، كما قال الشيخ ، أو هو[٢] مظفّر عليه أو مضبّب[٣] أو في الحاشية تصحيح[٤] ذلك ، ولمّا تكرّر ذلك ، قلت أنا له : ما النسخة الصحيحة إلا أنت .

وقرأت عليه من لفظي (ديوان خطب ابن نُباتة) و (الأربعين النوويّة) ، وسمعت عليه من الأجزاء كثيراً ، وسمع هو شيئاً من شعري بدار الحديث ، وقرأت عليه كتاب (الشّمائل) للترمذي بعد ما كتبته بخطي ، ولم أر في أشياخي بعد شيخنا أثير الدين في العربية مثله خصوصاً في التصريف واللغة ، إلا أنه مع إتقانه لأسماء الرجال وله فيها هذا المصنف العظيم ، لم يكن يعتني بتراجم العالم من الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والقرّاء والأطباء والأدباء والشعراء ، ولا له فيها مشاركة البتّة ، وإنّما كان يعتني برجال الحديث لا غير ، ولقد[٥] سألته مرة عن القالي بالقاف ، والفالي بالفاء ، فقال : لا أعرف إلا الفالي بالفاء فعلمت أنه ليس له عناية بغير رواة الحديث ، وإلا فأبو علي القالي بالقاف مشهور بين صغار الأدباء ، ولكن عندي من الشيخ جمال الدين فوائد وقواعد في أسماء رجال الحديث ، لم آخذها إلا عنه ، ولا وجدتها في كتاب ، وكان أسماء الرجال الذين يجيء ذكرهم في سماعاته وطرقه يجيد الكلام في طبقاتهم وأحوالهم وقوتهم وضعفهم ولينهم ، وكان في ذلك بحراً لا يشقّ ثبجه[٦] وعجاجاً لا ينحط قتامه .

(١) في الأصل : « فردّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) المظفر : هو ما أصابه أثر حكّ ، وأصله الحكّ أو الخدش بالأظفار . والتضبيب : الإخفاء . إشارة توضع على المكتوب الغلط .

(٤) في الأصل : « يصحح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) طمست في الأصل ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وفي (خ) : « وقد » .

(٦) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .

ولما كان في سنة خمس وسبع مئة . تكلّم الشافعية وغيرهم مع الشيخ تقي الدين بن تيمية وبحثوا معه في القصر الأبلق ، وبحث معه صفي الدين الهندي ثم كمال الدين بن الزملكاني ، وخرجوا ، وانفصلت القضية ، فلما كان بعد ذلك في يوم الاثنين ثاني عشري شهر رجب الفرد قرأ الشيخ جمال الدين المزّي فصلاً في الردّ على الجهمية من كتاب (أفعال العباد) تصنيف البخاري ، وكانت قراءته لذلك تحت قبّة النسر في المجلس المعقود لقراءة الصحيح ، فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين ، وقالوا : نحن المقصودون بهذا ، ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي ، فطلبه ، وحبسه ، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فتألم لذلك ، وأخرجه من الحبس بنفسه ، وخرج إلى القصر الأبلق ، واجتمع هو وقاضي القضاة هناك م وردّ عن المزّي ، وأثنى عليه ، وغضب قاضي القضاة ، وأعاد المزّي إلى الحبس بالقوصيّة ، فبقي أيّاماً ، ثمّ أُفرج عنه ، ونادى الأفرم في دمشق أنّه أي من تكلّم في العقائد حلّ ماله ودمه[١] .

وكنت قد كتبت أنا له توقيعاً بمشيخة دار الحديث النورية عوضاً عن الشيخ علم الدين البرزالي ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك في المحرم سنة أربعين وسبع مئة ، ونسخته :

رسم بالأمر العالي ، لا زالت أوامره المطاعة تزيد العلم الشريف جمالاً ، وتزينه بمن يفيده كمالاً ، أن يرتب المجلس السامي[٢] الشيخي الجمالي في كذا ثقة بأنّه الثقة ، والعالم الذي لغيره المقت وله المقة ، والمحدّث الذي متى[٣] فاه بما عنده بادر كل أحدٍ بالقبول[٤] وصدقه ، والحبر الذي إذا تكلم نسخ[٥] كلام من تقدّم بأقواله المحققة ،

---

(١) فصّل في هذا ابن كثير : ٣٧/١٤ .
(٢) (خ) : « العالي » .
(٣) (خ) : « إذا » .
(٤) في الأصل : « بالقول » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) (خ) : « نسي » .

والحافظ الذي اجتحف[١] سيله ابن نقطة فأغرقه ، والناقد الذي كدر على ابن معين صفوه ورنّقه[٢] ، والمصنّف الذي شيب من ابن أبي شيبة مفرقه ، والمسند الذي لو عاصره عبد الرزاق[٣] حرمه الرحلة إليه مما رزقه ، والمتأخر الذي لا يعرف بعد الدارقطني مثله ، وربما تقدمه في فنّه المحرر وسبقه .

فليباشر ما فوض إليه مباشرة يتضوّع من نشر السنة بها النشر[٤] ، ويكون للحديث الشريف حفظ يدوم إلى الحشر ، مجتهداً في البيان للطلبة ، والإعانة لهم على سلوك المعرفة ، فمحجّتها بالغموض منتقبة ، لأن تهذيب كماله ليس للبدر في تمامه كما له ، وأطرافه سار في الأطراف ، فما ينكره علماء الحديث ولا رجاله ، وإتقانه للأسماء إتقان تزأر في غابة أسوده وأشباله ، ومحلّه من الحفظ محل يعزّ على صاحب (الاستيعاب) مناله[٥] ، وإعرابه لو عاصره أبو البقاء لم يظفر بلبابه[٦] ، وتصريفه لو عاينه ابن جني ما دخل سُوقه على تصنيفه (الملوكي)[٧] برفع حجابه ، ولغته[٨] لو سمعها ابن الأعرابي[٩] ما نقل شيئاً عن أعرابه .

ولينزّل الطلبة منزل البنين في الحنوّ عليهم عند الهفوة ، ولا يكن فيه قسوة المعلمين

---

(١) في الأصل : « احتجف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ)، (ق) . واجتحفه : جرفه .

(٢) في الأصل : « وريّقه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . ورنّقه : كدّره .

(٣) عبد الرزاق بن همّام الصنعاني . له : الجامع الكبير في الحديث . قال عنه الذهبي : وهو خزانة علم . (ت ٢١١ هـ) . السير : ٥٦٣/٩ . وكتابه « المصنف » مطبوع . وكذلك مصنف ابن أبي شيبة . وفي الكلام تورية .

(٤) في الأصل : « البشر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) (خ) : « مثاله » . و (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر ، مطبوع .

(٦) هو اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ) . الكشف : ١٥٤٣/٢ .

(٧) الملوكي مقدمة في التصريف لابن جني .

(٨) طمست في الأصل ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٩) محمد بن زياد (ت ٢٣١ هـ) ، له كتاب النوادر . الكشف : ١٩٨٠/٢ .

على من في ذهنه فترة ، ولم يكن من الفهم في الذروة ، وليَجْلُ عليهم حسن وجه الإقبال ، وإذا كان المؤمنون إخوة فيوسف أحسن الإخوة[١] ، حتى يوضح لهم ما أبهم من الأسانيد المظلمة ، والأسماء التي هي لتساوي صورها[٢] مبهمة ، والألفاظ التي هي لولا القرائن موهمة .

ولينبّه على الصحيح إذا ورد ، والحسن إذا أضاء وجهه لمن انتقد ، والضعيف إذا اعتلّ متنه ولم يصحّ له سند ، والموضوع الذي لا يعرفه إلا من امتاز برتبته وانفرد ، وليحرر لهم الألفاظ إذا رواها ، ويحقّق مخارجها الصحيحة[٣] الفصيحة التى فاخر بها هذا[٤] اللسان العربي وباهى ، ويحترز في أدائها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « نضّر الله امرأ سمع[٥] مقالتي فوعاها » عاملاً في ذلك بشرط الواقف أثابه الله فيما يبدي ويعيد ، ولا يتعدّ ما قرّره ، فإنّ الله تعالى يرى عمله ، وقد استفاض في الواقف أنّه شهيد ، والوصايا كثيرة ، وعنه تصدر بالإفادة جميع وفودها ، ومن أفق فضائله تتألّق كواكب سعودها ، وتقوى الله عز وجل ملاك أمرها ، وسداد ثغرها ، فلا يتعرَّ منها منكبه ، ولا يتعدّ عنها مركبه ، والله تعالى يمدّ في أجله ، ويُبلّغ كلاًّ من الطلبة في بقائه غاية أمله .

والخطّ الكريم أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ إلى أبينا منّا ﴾ يوسف : ٨/١٢ . وفي كلامه تورية واضحة .

(٢) (خ) : « مظلمة » .

(٣) ليست في (خ) ، (ق) ، (س) .

(٤) ليست في (خ) .

(٥) (س) ، (خ) ، (ق) : نضّر الله من سمع » . وانظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٨٧/٢ .

١٩٨٨ ـ يوسف بن عبد الغالب*

ابن هلال الإسكندريّ العلاّف .

كان عاميّاً ، ولكن له النظم الحلو ، وروى عنه الفضلاء ، وكتبوا شعره .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في بلده سنة عشرين وسبع مئة .

ومن شعره ، وقيل إنه لابن الوحيد[١] :

وخضراء لا الحمراء تفعل فعلها ... لها وثباتٌ في الحشا وثباتُ
تؤجج ناراً وهي في العين جنّةٌ ... وتعطيك طعم المرّ وهي نباتُ[٢]

ومنه :

كم قلت للحائك الظريف وفي ... يمينه طاقة يخلّصها[٣]
هل لك في ردّ مهجةٍ لفتى ... ليس له طاقة يخلّصها[٤]

١٩٨٩ ـ يوسف بن عبد المحمود**

ابن عبد السلام ، الشيخ الإمام العالم جمال الدين البتّي الحنبلي .

كان من فضلاء العراق ببغداد .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وكان إليه المرجع في القراءات والعربية .

---

* الدرر : ٢٦٢/٤ .

(١) محمد بن شريف ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) (س) ، (ق) والوافي ١٥١/٣ : « تؤجج ناراً في الحشا وهي جنّة » . وفي الوافي فقط : « وتبدي مرير الطعم وهي نبات » .

(٣) (ق) ، (س) : « وفي راحته » .

(٤) في (ق) ، (س) بعد هذين البيتين زيادة : « قلت : القافيتان واحدة » .

** الدرر : ٤٦٤/٤ ، وغاية النهاية : ٣٩٧/٢ ، والشذرات : ٧٤/٦ ، وذيول العبر : ١٤٨ .

١٩٩٠ ـ يوسف بن عمر بن الحسين*

الشيخ العدل المعمر بدر الدين الختني ـ بالخاء المعجمة وفتح التاء ثالثة الحروف وبعدها نون ـ المصري .

حضر في الرابعة على ابن رواج وتفرد به ، وسمع من صالح المدلجي ، والمرسي ، والبكري ، وابن اللّمطي ، وتفرّد بأشياء ، وله مشيخة ، روى منها عن نيّف وستين نفساً ، وأكثر الطلبة عنه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الثلاثاء منتصف صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٩٩١ ـ يوسف بن محمد**

ابن مظفّر بن حماد ، جمال الدين الحموي الشافعي ، مفتي حماة وخطيبها بالجامع الكبير .

حدّث (بجزء ابن الأنصاري) عن مؤمّل البالسي[١] ، والمقداد القيسي[٢] .

وكان على قدمٍ متين من العلم والعمل والتّعبد ونشر العلم .

وكان فقيهاً شافعيّ المذهب ، مشاركاً في الأصلين[٣] والنّحو ، أديباً شاعراً قدم القاهرة ، وحدّث بشيء من شعره ، وكتب عنه الفضلاء .

---

* الدرر : ٤٦٦/٤ ، والشذرات : ٩٧/٦ ، وذيول العبر : ١٦٧ ، والنجوم : ٢٨٧/٩ ، وفيه :« .. حسان » بدل حسين .

** تاريخ أبي الفداء : ١٠٧/٤ ، والدرر : ٤٧٤/٤ .

(١) في الأصل و (س) و (ق) : « النابلسي » ، سهو ، وأثبتنا ما في تاريخ أبي الفداء ، والدرر ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٢) المقداد بن هبة الله (ت ٦٨١ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) (ق) ، (س) : « الأصولين » .

أنشد شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال : أنشدنا أبو المحاسن يوسف لنفسه :

وددت لو كان يهوى عاذلي ليرى ... حال المحبّ على الأشواق والفكر
يتلو الملام على سمعي فيكذبه ... قلبي بناءً على ما قد رأى بصري
يافاضح الغصن من عطفيه في هيف ... ومخجل الظّبي من عينيه بالحور
إنّي ومدمعُ عيني سائلٌ أبداً ... حرمت جفني لذيذ النوم بالسهر
عسى توفي غريم الحبّ قبلته ... فيلتقي الحسن بين الغصن والقمر
وعلّ طيفك يسري نحو عاشقه ... إن استقرّت به تهويمة السّحر

وأنشدنا أيضاً له :

ولّما أن قضى أجلي بهجرٍ ... وسرت كليم وجدٍ لا محالة
بجانب خدّه آنست ناراً ... ولكنّي وجدتُ بها ضلالهْ

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في آخر نهار الأحد سابع ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة عن أربع وستين سنة[1] ، وتأسّف النّاس عليه ، رحمه الله تعالى .

١٩٩٢ ـ يوسف بن محمد*

الشيخ الإمام العالم صلاح الدين بن المغيزل الحموي الشافعي ، مفتي حماة وخطيبها .

كان كهلاً ، مفنّناً في العلوم مناظراً ، له محفوظات وفضائل ، وحدث عن الشيخ شمس الدين بن قدامة[2] .

(١) وفي الدرر نقلاً عن الكمال الأدفوي أنّ مولده في جمادى الآخرى سنة (٦٦٩ هـ) ، وموته في ذي الحجة سنة ٧٣٦ هـ .

* البداية والنهاية : ٩٥/١٤ ، والدرر : ٤٦٩/٤ ، وفيها : « يوسف بن محمد بن عبد اللطيف » .

(٢) عبد الرحمن بن محمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) . العبر : ٣٣٨/٥ .

حكى لي شمس الدين بن النّصيبي[١] بحلب ، قال : بحث يوماً صلاح الدين بن المغيزل هو والشيخ صدر الدين بن الوكيل بحضور ابن البارزي قاضي حماة من بكرة إلى أن قال المؤذن للظهر : الله أكبر ، فقال القاضي شرف الدين : طوّل الله في عمريكما للمسلمين ، سروراً بهما[٢] ، أو كما قال .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع عشرة وسبع مئة بحماة .

١٩٩٣ ـ يوسف بن محمد*

صلاح الدين ابن الملك الحافظ غياث الدين ابن الملك السعيد شاهنشاه ابن الملك الأمجد بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب .

سمع (جزء إسماعيل الصّفار) على إسماعيل العراقي حاضراً في الثالثة سنة ست وأربعين وست مئة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس عشري ذي القعدة سنة خمس وسبع مئة .

١٩٩٤ ـ يوسف بن محمد بن عثمان**

السيف ، الناسخ ، الدلاّل على الكتب بجسر اللبّادين بدمشق .

أصله من سرخس ، رأيته غير مرة ينادي على الكتب ، وينسخ ، وهو شيخ قد أنقى[٣] .

---

(١) كذا في الأصول والدرر . وأغلب الظن أنه تاج الدين بن النصيبي ، محمد بن أحمد بن محمد ، وكيل بيت المال ، وكاتب الدرج بحلب ، (ت ٧١٥ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « بهما سروراً بهما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الدرر : ٤٦٩/٤ .

** الدرر : ٤٧١/٤ .

(٣) رجلٌ أنقى : دقيق القصب .

وكان رَزِيّ الحال . كتب كثيرا من الدواوين المتأخرة ، خصوصاً (ديوان ابن قزل المشدّ) و (ديوان ابن محاسن) الشوّاء .

وكان يقول : أنا قبّلت قُبلة بألف درهم ، يفتخر بذلك .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٩٩٥ ـ يوسف بن محمد بن منصور****

ابن عمران المحدث الفاضل أبو الفضل الهلالي الحوراني .

كتب (أحكام) الضياء[١] ، وقرأه على [ابن] الكمال[٢] ، وحفظ متوناً جمّة ، وقرأ الحديث على ابن عبد الدائم ، وصحب محموداً الزاهد الدمشقي[٣] ، وسمع بمصر من الرشيد العطار ، وكتب عنه الجماعة ، وكان يقرأ على كرسي بالجامع من حفظه[٤] ، وربّما قرأ في القرى ، فيهبونه .

وكان ديّناً قانعاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة عشر وسبع مئة .

١٩٩٦ ـ يوسف بن محمد بن يعقوب*****

ابن إبراهيم ، القاضي الإمام العالم شهاب الدين بن الصاحب محيي الدين بن النحاس الحلبي الحنفي .

---

* الدرر : ٤٧٥/٤ ، وفيه : « ابن عمر » ، وسيكرر المصنّف هذه الترجمة بألفاظ قريبة .

(١) الأحكام في الفقه الحنفي لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) . الكشف : ٢٢/١ .

(٢) في الأصل : « الكمال » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر . وهو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٦٨٨ هـ) . العبر : ٣٥٩/٥ .

(٣) في الترجمة المكررة : « وصحب الشيخ محموداً الدشتي » .

(٤) في الدرر أنه أمّ بمسجد آدم بدمشق . وانظر ما يأتي في الترجمة المكررة .

** تالي وفيات الأعيان : ١٥٤ ، والبداية والنهاية : ٥/١٣ .

كان صدراً كبيراً ، خلف والده في تدريس المدرستين الريحانية والظاهرية ، وباشر في حياة والده نظر الخزانة ، وباشر بعد موته نظر الجامع مدة ، وكان معيّناً للمناصب الكبار .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٩٩٧ ـ يوسف بن محمد بن عبيد الله*

القاضي صلاح الدين كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة .

كان كاتباً مأموناً ، اعتمد عليه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ومن بعده . ولم يزل مقدّماً عند كاتبي السر واحداً بعد واحد إلى آخر أيام القاضي علاء الدين بن الأثير ، وكان يستكتبه في المهمّات ، وكان يلازم الديوان ، تطلع الشمس وتغرب عليه وهو في الديوان ، أقام كاتب درج مقدار خمس وخمسين سنة .

وكان ساكناً خيّراً ، ليس فيه شرّ البتّة ، محتملاً أذى رفاقه ، رأيتهم وهم يسبّونه في وجهه ، ولا يردّ عليهم ، خصوصاً القاضي قطب الدين بن المكرم ، كان يقول له : لعن الله والديك يا كلب يا ابن الكلب ، يا عبد النّحس يا ابن الأمة ، ولا يردّ عليه حرفاً . هذا وهو المقدّم على الجميع .

وكان أسمر اللون ، قطط[1] الشعر ، صغير الذقن .

ولّما حصل الفالج للقاضي علاء الدين بن الأثير ، طلبه السلطان الملك الناصر محمد ليكتب بين يديه شيئاً في السر على أن يجعله كاتب سر ، فلما أخذ الأمير سيف الدين ألجاي الدوادارية ، ودخل به في دهليز القصر ، أحدث في سراويله ، فأعفي من الدخول ، وكبرت سنّه ، وعورت عينه ، وانهدّت أركان قواه ، وهو ملازم الخدمة ،

---

* الدرر : ٤٧٠/٤ .

(١) شعر قط وقطط : جعد قصير .

فكنت أقول له : لو وفرت نفسك وقعدت في بيتك كان خيراً ، وكان يقول : أخاف أنهم يقطعون معلومي . ولم يكن أحد يقدم على ذلك لِقدَم هجرته ، وثبوت قدمه في الخدمة ، ولكن كل ذلك من ضعف نفسه ، وكان يكتب خطاً رديئاً ضعيفاً .

ولم يزل على حاله حتى توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان معلوم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قد رُسم به للقاضي شهاب الدين محمود ، ولم يزل عليه إلى أن خرج إلى دمشق كاتب السرّ ، فأعطى المعلوم للقاضي صلاح الدين بن عبيد الله ، ولما توفي رسم بالمعلوم للقاضي جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود[1] .

١٩٩٨ ـ يوسف بن محمد بن محمد*

ابن عبد الرحمن بن علوان ، القاضي الأصيل بهاء الدين بن القاضي محيي الدين[2] الإسكندريّ الحلبي .

كان مشهوراً بقضاء سرمين وأعمالها ، وكان له هيئة حسنة ، وعنده كرم ، وله معروف وفيه رئاسة ومروءة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وروى[3] لنا عن ابن قميرة وابن رواحة وابن خليل بحلب ودمشق والقاهرة وسرمين .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس عشري شهر رجب سنة سبع مئة .

ومولده في شعبان سنة تسع وثلاثين وست مئة بحلب .

وكانت وفاته بدمشق ، ودفن بمقبرة الصوفية .

---

* لم نقف على ترجمته .

(١) وبه انتهت النسخة (خ) .

(٢) انظر في ترجمته : الوافي : ١٨٣/١ .

(٣) (س) ، (ق) : « روى » .

١٩٩٩ ـ يوسف بن محمد بن منصور*

الشيخ الصالح المحدث الهلالي العامري الكفيري[١] الفرّا .

كان رجلاً صالحاً ، يقرأ الحديث على كرسي بالجامع الأموي ، ويصلّي بمسجد آدم عليه السلام ، وله كتب وأجزاء ، سمع بقراءته من ابن عبد الدائم ، وبمصر من الرشيد العطار ، وحدث عنها ، وصحب الشيخ محموداً الدشتي[٢] ، وسمع بعض تصانيفه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رجب الفرد سنة عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وثلاثين وست مئة .

٢٠٠٠ ـ يوسف بن محمد بن أحمد**

ابن صالح بن صارم بن مخلوف ، القاضي نور الدين بن تقي الدين بن جلال الدين بن تقي الدين الأنصاري الخزرجي المعروف بالفيّومي .

اجتمعتُ به بالديار المصرية ، وبصفد ، وبدمشق غير مرّة . أعرفه وهو شاهد العمائر في خدمة الأمير سيف الدين بكتمر الساقي بالديار المصرية ، ثم إنه ورد إلى صفد ، وكان في ديوان نائبها الأمير سيف الدين طشتمر الساقي . ثم توجه معه إلى حلب . ثم إنه عاد إلى مصر . واجتمعت فيها [به][٣] سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

وكتب هو إليّ لما قدمتُ القاهرة في هذه السنة :

---

* سلف أن ترجم له المصنف بألفاظ مغايرة .

(١) في الدرر : « الكفري » .

(٢) في الترجمة التي كررها من قبل « الدمشقي » ، والدَّشت : قريةٌ من قرى أصبهان . انظر : (معجم البلدان) .

** الدرر : ٤٧٥/٤ ، وفيه : « يوسف بن محمد بن منصور بن أحمد ... » .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) . وفي (س) : « به فيها » .

وجـــدنـــا أُنْسَ مـولانـــا فلمـــا وجـــدنـــا الأنس لم نقنـع بـــذاكا
وهـــام الطرف مني في انتظـــار يروم من الصبـــابـــة أن يراكا
عجـــزت عن المـــزار فكنتَ ممن نـواك بـــه كُفينـــا من نـواكا[1]
ولا عتبٌ على شيـــــخ ضعيفٍ إذا مـــا قـــام لم يملـــك حراكا
فعش لمسرّة الأحبـــاب إنّـــا إذا مـــا عشت عشنـــا في ذراكا

وكان قد كتب إليّ بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة أبياتاً جيدة ، ضاعت من يدي ، وكتبت أنا الجواب في وزنها [ورويّها][2] وهو :

أهـديت لي من نظمـك النـاضر زهر رُبـاً أفـديـه بـالنـاظر
نظمتـــه شعراً فـــألهى الـورى عن كلّ معنىً حسن نـــــادر
فجـــاء في لطف نسيم الصّبـــا إذا سرى وهنـــاً على حـــاجر
يكاد من رقّـــة ألفـــاظـــه يُشرب في كأس الطّـلا الـــدائر[3]
من كلّ معنىً فـــائـقٍ لم يـــدر في فكر نظّـــام ولا نـــاثر[4]
من أين أبـــدعت المعـــاني التي فيـــه ومـــا مرّت على خـــاطر
لو كان في عصرٍ مضى [مـا] رأى الـ ـنـــاس البكا في المنزل الـــداثر[5]
فـلا روى العشـاق مـع وجـدهم نسيب مجنـــون بني عـــامر
ولا رأى النـــاس غـــزال الحمى يروق فيـــه غـزل الحـــاجري[6]
ولم يمثـــل بســـوى لفظـــه شـواهـــد في (المثـل السـائر)
فـــأنت أولى النـــاس فينـــا بـــأن تُعرف بـــالسّـــاحر لا الشـــاعر

(١) في الأصل : « عن المراء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) قوله : « في » ليس في (ق) .
(٤) في الأصل : « يذر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) . وبها يستقيم الوزن .
(٦) عيسى بن سنجر بن بهرام ، شاعر رقيق الألفاظ ، حسن المعاني ، (ت ٦٣٢ هـ) ، وديوانه مطبوع .

علـوت نـور الـدين في ذروة تسمـو على الـواقـع والطـائر
لأنّ مـا تنظمـه لم يكن لأول فينـا ولا آخر
شعر متى ابتـاعـه مفلسٌ بنفسـه لم يـكُ بـالخـاسر
تـالله قـد بـالغتَ في وصف مـا يقـلّ في البـاطن والظـاهر
لأنني في أدبي قـاصرٌ أسبـح في بحر النّهى الـزّاخر
وليس مـا أجمـع مستحسنـاً في أدب البـادي ولا الحـاضر
وربمـا يختـار مـولاي أن يكـون من دون الـورى جـابري
فـاسلم ودم مـا ابتسمت روضـة بكى لهـا جفن الحيـا المـاطر

وأنشدته يوماً لغزاً نظمته في « قصب السُّكر » ، وهو :

عجبت لمعسـول الرّضـاب مهفهف يحـاكي أنـابيب القنـا حـال نبتـه
تنـاقض معنـاه الغريب فبـولـه على الرأس راسٍ والشـوارب في استـه

وأنشدني هو من لفظه لنفسه فيه :

في حلب أبصرت أعجـوبـةً تُخرج أذكى النـاس من عقلـه
شخصاً رشيق القـدّ عـذب اللّمى لا تقـدر الرّوم على مثلـه
وهـو بـلا عقـل جريـح الحشـا والـدّود لا يشبـع من أكلـه
لا يبرح البـول على رأسـه والقيـد لا ينفـكّ عن[1] رجلـه
لـه عيـون وهـو أعمى وفي عينيـه أولادٌ على شكلـه
يـا من سما بين الـورى قـدرُه اكشف لنـا عنـه وعن أصلـه

وأنشدني من لفظه لنفسه في « الْعُصْفر » :

أشبّـه عصفراً في الروض يُـزهى وتشبيهي لهيئتـه مقـارب
ككنز فيـه بلّـور عليـه دنـانير ومهلكهـا عقـارب

(١) (ق) : « من » .

٢٠٠١ ـ يوسف بن محمد بن نصر*

ابن أبي القاسم الشيخ الفقيه جمال الدين المقرئ .

سمع من ابن علاّق والنجيب الحراني .

أجاز لي بخطه بالقاهرة ، في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وستين وست مئة[١] .

وتوفّي رحمه الله تعالى[٢] .

٢٠٠٢ ـ يوسف بن محمد بن سليمان**

ابن أبي العز بن وهيب بن عطاء ، الشيخ الفقيه الإمام الصدر الكبير جمال الدين أبو المحاسن ابن الشيخ الإمام شمس الدين أبي عبد الله ابن الشيخ قاضي القضاة صدر الدين[٣] ، الأذرعي الأصل الحنفي .

كان مدرساً بالعذراوية والإقبالية للطائفة الحنفية ، ثم إنه تركها في آخر عمره لولده صدر الدين علي[٤] ، وولي نظر الجامع الأموي ، وتوكّل لجماعة من الأمراء ، ودرس قديماً بمدارس الحنفية بالقدس .

وسمع بالقاهرة من الرّضي بن البرهان الواسطي ، وله إجازة من عثمان بن خطيب

---

* وفيات ابن رافع : ٢٠٦/١ ، وفيه : « ابن قاسم » .

(١) في الدرر : « ولد سنة ٦٦٤ هـ ، وبخط ابن رافع سنة ٥١ ، وبخط غيره سنة خمسين » .

(٢) في الوفيات والدرر : أنه مات في الخامس عشر من صفر سنة (٧٤٥ هـ) وقد أسنّ جداً .

** الدرر : ٤٦٩/٤ .

(٣) (ت ٦٧٦ هـ) . الدارس : ٣٦٣/١ .

(٤) (ت ٧٣٧ هـ) . الدرر : ١٤٣/٣ .

القرافـة ، وعبـد الله بن الخشـوعي ، والعماد بن عبـد الهـادي ، والصـدر البكري ، وأبي طالب بن السروري ، وحدّث . وكان حسن الأخلاق ، وفيه مودّة وكرم .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث عشر[١] صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

٢٠٠٣ ـ يوسف بن مظفر*

ابن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، الفقيه الإمام العالم جمال الدين المعري بن الوردي ، أخو القاضي الفاضل زين الدين عمر بن الوردي ، وقد تقدّم ذكره في حرف العين . وكان القاضي جمال الدين هذا هو الأكبر .

وكان فقيهاً جيداً ، قرأ (التنبيه) ، واشتغل (بالحاوي الصغير)[٢] كثيراً . وكان ينقل من الرافعي[٣] ، ومن (الروضة)[٤] كثيراً . ذكر لي جماعة أنه كان فقيه النفس ، وكان جواد بما يملكه ، اشتغل على القاضي شرف الدين البارزي ، وتنقّل في القضاء بالبلاد الحلبية ، وربما أنه تعدى السبعين سنة ، وكان ضعيف العربية .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

٢٠٠٤ ـ يوسف بن موسى**

ابن محمد بن مسعود ، بهاء الدين بن الشيخ تاج الدين المراغي المعروف بابن الحيوان .

---

(١) ليست في الدرر .

* الدرر : ٤٧٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٧٢ .

(٢) للقزويني ، عبد الغفار بن عبد الكريم (ت ٦٦٥ هـ) . الكشف : ٦٢٥/١ .

(٣) يريد : المحرر في فروع الشافعية للرافعي ، عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣ هـ) . الكشف : ١٦١٢/٢ .

(٤) في الفروع للنووي ، يحيى بن شرف (٦٧٦ هـ) . الكشف ٩٢٩/١ .

** لم نقف على ترجمة له .

كان شاباً ذكياً فاضلاً ، وله شعر واشتغال ومحفوظ ، ولازم ابن الباجر بقي بعدما[١] تمفقر ، وكان يعظم الباجر بقي ، وامتدحه بقصيدة .

قال البرزالي : وسمع على جماعة من شيوخنا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

٢٠٠٥ ـ يوسف بن موسى بن أحمد*

القاضي الرئيس الصدر صلاح الدين ابن القاضي قطب الدين ابن شيخ السلاميّة .

كان شاباً نشأ غصناً في رياض سعادة ، وطلع بدراً بين الكواكب الوقّادة ، قطف زهرة دنياه الغضّة ، وأمطرت السما عليه ذهباً وفضة ، وفاز بلذات ما كان غيره يراها في الأحلام ، ورأس على صغر سنّه على كل من في الشام . وكان تنكز يحبه ويكرمه ، ويوفر جانبه ويعظمه .

ولم يزل إلى أن ذوى غصنه اليانع ، وسقت قبره من العيون الغيوثُ الهوامع .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكان قد تزوج ابنة الصاحب شمس الدين غبريال في جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

٢٠٠٦ ـ يوسف بن أبي نصر**

ابن الشقاري ، الأمير[٢] المسند عماد [٣] الدين أبو الحجاج الدمشقي .

---

(١) (ق) : « بعدها » ، (س) : « بعده » . والباجربقي عبد الرحيم بن عبد المنعم بن عمر . (ت ٦٩٩ هـ) . سلفت ترجمته .

* البداية والنهاية : ١٥٢/١٤ ، والدرر : ٤٧٨/٤ .

** العبر : ٤٠٧/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٢) (ق) ، (س) : « الشيخ الأمير » .

(٣) في الأصل : « جمال » ، وأثبتنا ما في (ق) والعبر والشذرات .

سمع (الصحيح) من ابن الزبيدي ، وابن الصلاح ، والناصح بن الحنبلي ، والفخر الإربلي ، والرشيد بن الهادي[1] ، والسخاوي .

وولي إمرة الحاج مرات عديدة ، وأنفق في ذلك وفي وجوه البر أموالاً كثيرة .

وكان سليم الباطن وقف بالنيّرب تربة مليحة بقبّة ، وخانقاه ومسجداً ، ووقف على ذلك أماكن . وحدّث بالصحيح غير مرة ، وقرأ عليه شيخنا الذهبي (الصحيح) في عشرة أيام .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة عشر وست مئة .

٢٠٠٧ ـ يوسف بن هبة الله*

الإسرائيلي ، الشيخ جمال الدين بن الحلبي الطبيب الفاضل المعروف في القاهرة بالصفدي ، لأنه سكن صفد مدّة .

وله كلام جيد على آيات تدل على ذكائه واطلاعه .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وتسعين وست مئة .

٢٠٠٨ ـ يوسف بن هلال**

ابن أبي البركات جمال الدين الحلبي الحنفي أبو الفضائل الطبيب الصفدي .

أخبرني العلامة أبو حيان من لفظه ، قال : كان المذكور فيه تعبّد واعتكاف في شهر رمضان بجامع الحاكم ، وكان يؤثر الفقراء ويطبّهم ويبرّهم بالشراب والطعام الذي

---

(١) محمد بن عبد الكريم بن يحيى القيسي (ت ٦٨٢ هـ) . الشذرات : ١٨٦/٥ .

* لم نقف على ترجمة له .

** لم نقف على ترجمة له . وانظر كلام المصنف في آخر الترجمة .

يواتيهم في مرضهم ، وأنشدنا لنفسه بالكاملية يوم الأحد تاسع المحرم سنة إحدى وثمانين وست مئة :

بكمال حسنك يا مخاطب ذاتي ... بلوائح أخفى من اللحظات
أنعم عليّ بترك ما هو عكس ما ... قد جلّ عن حصر وعن كلمات
يا قهوة مني إلي شربتها ... عندي إذا حظرت على الأموات
ارتجت الأرضون ثم تشققت ... عن كلّ ميت فيه كل حياة
هي روح سر السر فهي إذا بدت ... تستغرق الأرواح في الأوقات
من دونها موتٌ وفيها عيشةٌ ... فالرّوح أول نقدةٍ يا آتِ
ماذا أقول وما أصرّح واصفاً ... قد قلت في الحركات والسّكنات
فوصفت ظاهرها بما أظهرته ... والسر في سري ولا بصفات

قال شيخنا الذهبي : كان أديباً عالماً ، له أرجوزة في الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة ثالث عشري المحرّم سنة ست وتسعين وست مئة .

قلتُ : الظاهر أنه هذا الذي تقدم آنفاً ، وإنما وَهِمَ أثير الدين في اسم أبيه .

٢٠٠٩ - يوسف بن يوسف*

ابن اسرائيل بن يوسف بن أبي الحسن الفقيه الفاضل بدر الدين ابن الشيخ المقرئ جمال الدين الصالحي الحنفي[١] .

---

* الدرر : ٤٨٢/٤ .

(١) (ت ٧٣٤ هـ) ، الدرر : ٤٤٩/٤ .

كان فقيهاً مشتغلاً بالفقه والأصول ، حسن المناظرة ، باشر إعادة المدرسة الظاهرية وغيرها .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة ، وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، ورثاه العماد القطان بقصيدة .

٢٠١٠ ـ يوسف حَوْك*

النصراني الزغلي .

كان من أهل الكرك . أوّل ما عرفت من أمره أنه أمسكه والي الشقيف من بلاد صفد بزغل[١] ، وجهّزه إلى صفد ، وكان النّائب بها إذ ذاك الأمير سيف الدين أرقطاي في شهور سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، فدخل إليه ، وطلب الخلوة به ، فقال له : أحضر لي صائغاً خلوة ، فلما حضر قال له : قصّ من هذه النحاسة التي معك شيئاً ، فقصّ ذلك قدراً زنته[٢] أربعة خمسة دراهم ، ووضعها في البوتقة ، ولما ذابت ؛ ألقى عليها شيئاً مما معه مثل الذّرود ، فصارت فضة حجر ، ليس فيها ريبة ولا شبهة ، فقال النائب للصائغ : ما تقول في هذه ؟، فقال : هذه فضة حجر طلغم ليس فيها شيء ، فأطلعه إلى القلعة ، واعتقله بها . وبقي خائفاً من الأمير سيف الدين تنكز ، لا هو الذي يخرجه من الاعتقال ، ولا هو الذي يتمكّن منه ليعمل له الذي توهّمه فيه . ولم يزل يوسف معتقلاً بقلعة صفد إلى أن كتب ذلك قصّة وجهّزها في سنة ثلاثين وسبع مئة أو ما قبلها إلى تنكز ، وطلب فيها الحضور ، فأحضره تنكز من صفد ، ودخل إليه ، وعمل بين يديه كما عمل قدّام نائب صفد ، وكان تنكز سعيد الحركات والآراء ، فقال له : أحقّ ما عملت هذه الصنعة بين يدي مولانا السلطان ، فكتي مطالعة بصورة

---

* لم نقف على ذكر له .

(١) الزغل : تزييف النقود .

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « يكون زنته » .

الحال ، وجهّزه تحت الترسيم إلى السلطان الملك الناصر ، فدخل إليه ، وعمل ذلك العمل أيضاً ، فطار عقل السلطان به ، وقال له : أنا أعمل الذهب أيضاً .

وبقي عند السلطان ينام في المرقد ، ويركب من خيل النّوبة ، وينزل إلى القاهرة ، وأوهم الناس ، وأخذ منهم الذهب ، ومن بكتمر الساقي ومن الخدّام شيئاً كثيراً من الذهب ، وصار يقول لهم : كلّ من أحضر لي خمس مئة دينار أخذها خمسة آلاف ، فطمع الناس ، وأعطوه ذهباً كثيراً ، وهو يأخذ الجميع ، ويدكه في الفحم ، ويحرّك به البوتقة ، ويفرّغ ذلك ذهباً أحمر لا مرية فيه :

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب ... أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة ... إلا من الفضة المعروفة النّسب

وبلغ في أمره أن كان السلطان يطلب له الخمر من الأقباط ، ويشربه قدّامه ، ويقول له : يا خوند ما أقدر على الزئبق ورائحته إلا بهذا ، وكان يحتمل له السلطان هذا مع كراهيته في الخمر ، وشرع يدافعه من وقت إلى وقت ،إلى أن قال له : هذا يريد حشيشة ما رأيتها إلاّ في جبال الكرك ، فجهزه تحت الترسيم على خيل البريد إلى الكرك ، ولو قدر هناك على الهروب هرب . لكنّ الترسيم[1] الذي عليه ، احتفظوا به ، وأحضروه .

ثم إنه هرب من القاهرة ، وتطلبه السلطان ، وأمسك أناساً ضمنوه[2] ، وقتلهم بالمقارع ، و بالغ في طلبه إلى أن أمسك في الصعيد ، وأحضر إلى السلطان في أواخر الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، فسلّمه إلى والي القاهرة ، فقتله من بعد صلاة الجمعة إلى المغرب ألف شيب[3] ، فأصبح وقد ورم جسده جميعه ، وسُمّر على جمل ، وطيف به ، وهلك .

(١) (ق) ، (س) : « التراسيم » .
(٢) في (ق) ، (س) زيادة : « كانوا ضمنوه » .
(٣) الشّيب ، بالكسر : سير السوط .

والذي كان في ذهني منه أنّه كان قد ظفر من أحد ببعض شيء من إكسير ، فكان يعمل بين يدي أولياء الأمر منه قليلاً قليلاً ، والذي يتعيش به على الناس كله من الزغليات ، ولهذا كان لا يعمل إلا ثلاثة[١] دراهم أو أربعة .

٢٠١١ - يونس بن إبراهيم*

ابن عبد القوي بن قاسم بن داود ، فتح الدين الكناني العسقلاني أبو النون الدبابيسي ، مسند الديار المصرية[٢] .

قرأت عليه جميع القدر المسموع من كتاب (القناعة) لابن أبي الدنيا[٣] من أول الجزء الأول إلى قوله : « فكأنّما ملئت غنىً » ، وذهب عني ما كنت أجده بسماعه من الشيخ أبي الحسن بن أبي عبد الله بن المقير سنة اثنتين وأربعين وست مئة ، وجزءاً فيه ثلاثة أحاديث من رواية الشيخ أبي أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد الفرضي[٤] بسماعه من ابن المقير ، وجزءاً فيه الأسانيد[٥] الحسنة المختارة من رواية الشيخ أبي غالب شجاع بن فارس[٦] الذهلي الحافظ عن شيوخه بسماعه من ابن المقير ، وجزءاً فيه أحاديث منتقاة من أصول الشيخ الجليل أبي الرجاء محمد بن أحمد الجركاني[٧] ، وجزءاً فيه أحاديث عن مشايخ الإمام أبي طاهر السلفي ، وجزءاً فيه موعظة الأوزاعي للخليفة بإجازته من ابن المقير ، وجزءاً فيه خطب الإمام علي بن أبي طالب في وفاة

---

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « وزن ثلاثة » .

* الدرر : ٤٨٤/٤ ، الشذرات ٩٢/٦ ، وذيول العبر : ١٦١ .

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « هو أحد الأشياخ الذين سمعت عليهم بالديار المصرية » .

(٣) عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١ هـ) . انظر : هدية العارفين : ٤٤٢/٥ .

(٤) (ت ٤٠٦ هـ) . السير : ٢١٢/١٧ .

(٥) (س) ، (ق) : « الأناشيد » .

(٦) في الأصل و (س) و (ق) : « فارس بن شجاع » ، وهو سهو ، (ت ٥٠٧ هـ) . انظر : السير : ٣٥٥/١٩ .

(٧) (ت ٥١٤ هـ) ، وهو منسوب إلى جركان ، قرية من قرى أصبهان . (معجم البلدان) .

أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بإجازته من ابن المقير ، وجزءاً فيه مجلس من مجالس القاضي أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني[١] عن شيوخه بإجازة المسمع من السبط .

وسمعت عليه بقراءة غيري أجزاء أُخَر كثيرة .

وكان قد سمع بإفادته عمه المحدث داود [و][٢] ابن أبي الحسن علي بن عبد الله[٣] بن المقير . وأجاز له ابن المقير ، وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحباب ، وأسعد بن عبد الغني بن قادوس[٤] ، وحمزة بن عمر بن أوس[٥] ، وشعيب بن يحيى بن أحمد الزعفراني ، وظافر بن طاهر بن شحم المطية[٦] ، وأبو الحسن علي بن محمود الصابوني[٧] ، وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج الجوشني[٨] ، والفقيه بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن بنت الجميزي[٩] الشافعي ، وعبد الرحمن بن مكي بن الحاسب سبط السلفي[١٠] ، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن النّقار ، وأبو الرضا علي بن زيد بن علي التّسارسي[١١] ، ومحمد بن أبي الحسن بن يحيى بن ياقوت ، ومحمد بن إبراهيم بن الحبّاب ، وأبو المنصور مظفر بن عبد الملك بن عبد القوي ، ومنصور بن

---

(١) (ت ٥٠٢ هـ) . السير : ٢٦٠/١٩ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) في السير : ١١٩/٢٣ « عبيد الله » . ووفاته سنة (٦٤٣ هـ) ، وأشار ثمة إلى سماع يونس عنه .

(٤) (ت ٦٣٩ هـ) . الشذرات : ٢٠٣/٥ .

(٥) (ت ٦٤١ هـ) . الشذرات : ٢١١/٥ .

(٦) في الأصل : « ظاهر بن ظاهر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وفي العبر : ١٧٢/٥ ، والشذرات ٢١٣/٥ « ابن سحم » ، ولم ترد فيهما لفظة : « المطية » ، ووفاته سنة (٦٤٢ هـ) .

(٧) (ت ٦٤٠ هـ) . السير : ٨٢/٢٣ .

(٨) (ت ٦٤٨ هـ) . العبر : ٢٠٠/٥ .

(٩) (ت ٦٤٩ هـ) . الشذرات : ٢٤٦/٥ .

(١٠) (ت ٦٥١ هـ) . السير : ٢٧٨/٢٣ ، ووقع في الأصل : « الحاجب » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والسير .

(١١) (ت ٦٤١ هـ) . السير : ٩٢/٢٣ .

سند بن الدباغ[١] ، وأبو البركات هبة الله بن محمد المقدسي[٢] ، ويوسف بن عبد المعطي بن المخيّلي[٣] ، ويوسف بن محمود الساوي[٤] ، وأبو علي الحسن بن إبراهيم بن دينار ، وأبو بكر محمد بن الحسن السفاقسي[٥] ، وأبو الفضل المرجا بن أبي الحسن بن شقيرة ، ويعقوب بن محمد الهذباني ، ومنصور بن أبي القاسم الجهني ، وعبد العزيز بن عبد الوهاب بن عوف[٦] ، وعبد القوي بن عزون ، وابنه إسماعيل ، وأحمد بن يحي بن صباح ، وعبد الحق بن عبد الله بن علاّق[٧] ، والحسن بن علي الفارسي[٨] ، وأبو طالب محمد بن علي [بن][٩] الخيمي ، ومحمد بن إبراهيم التلمساني[١٠] ، ويوسف بن عبد الكافي بن الكهف ، ومحمد بن محمود الأموي ، وزهير بن محمد المهلبي[١١] ، وعبد المنعم بن رضوان بن مناد . وله رواية عن غير هؤلاء .

وحدّث بالكثير ، وسمع منه أبو الحجاج المزي سنة ثلاثٍ وثمانين ، وأبو محمد البرزالي ، وسمع منه الحافظ أبو العلاء الفرضي .

وكان شيخاً أمّياً ساكناً ديّناً ، له جلد على إسماع الحديث ، وتفرّد بغالب شيوخه ، وعلا سنده ، وانتفع الناس به ، وازدحم الطلبة عليه ، وهو آخر من حدث بالقاهرة عن ابن المقيّر ، وعن خلق من أصحاب السلفي بالإجازة .

---

(١) (ق) ، (س) : « الدماغ » (ت ٦٤٦ هـ) . العبر : ١٩١/٥ .

(٢) (ت ٦٥٠ هـ) . العبر : ٢٠٦/٥ .

(٣) في الأصل : « المجتلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . (ت ٦٤٢ هـ) . السير : ١١٦/٢٣ .

(٤) توفي سنة (٦٤٧ هـ) . العبر : ١٩٥/٥ .

(٥) (ت ٦٥٤ هـ) . السير : ٢٣٨/٢٣ .

(٦) (ت ٦٤٧ هـ) . الشذرات : ٢٣٨/٥ .

(٧) في الأصل : « علان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٨) ويقال أيضاً : « الفاسي » ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٤/٥ ، وحسن المحاضرة : ٣٨٠/١ .

(٩) زيادة من (س) ، (ق) .

(١٠) (ت ٦٥٦ هـ) . الشذرات ٢٨٣/٥ .

(١١) هو البهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ) .

وأجاز لي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة ، وأذن في الكتابة عنه الشيخ شهاب الدين أحمد العسجدي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في مستهل جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة تقريباً بالقاهرة .

قلت أنا فيه :

إنّ الرواية تحتاج العلوَّ فمن ... يسمع على صغرٍ يصعد بتأسيس
ولم يكن لي في الإسناد مرتبة ... تعلو وقد حصلت لي بالدبابيسي

٢٠١٢ ـ يونس بن إبراهيم*

ابن سليمان ، الشيخ الإمام الفاضل بدر الدين الصرخدي الحنفي خطيب صرخد[١] .

كان فاضلاً فقيهاً أديباً عارفاً بالنحو واللغة ، وأقام بالمدرسة العزية التي بالكجك[٢] بدمشق مدة منقطعاً عن الناس بنفس شريفة تقنع بالقليل . طُلب في أواخر عمره لخطابة صرخد ، فأجاب ، وفرح به أهله ، وذكر أنه سمع من الصريفيني[٣] .

وتوفي بصرخد في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وست مئة[٤] .

---

* بغية الوعاة : ٣٦٥/٢ .

(١) مدينة من أعمال حوران ، وتعرف اليوم بـ (صلخد) .

(٢) عبارة الدارس ٤٢٧/١ : « الكشك » ، وهو دربّ في دمشق .

(٣) إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت ٦٤١ هـ) . الشذرات : ٢٠٩/٥ .

(٤) ومولده سنة (٦١٤ هـ) كما في البغية .

ومن شعره :

ظمئت إلى سلسال حسنك مقلة ... رويت محاجرها من العبرات
تشتاق روضاً من جمالك طالما ... سرحت به وجنت من الوجنات[1]
حجبوك عن عيني وما حجبوك عن ... قلبي ولا منعوك من خطراتي
هل ينقضي أمد البعاد ونلتقي ... بلوى المحصّب أو على عرفات
وتضمنا بعد البعاد منازل ... بالخيف أو بمنى على الجمرات
وأفيق من ولهي عليك وينقضي ... شوقي إليك وتنطفي جمراتي

٢٠١٣ ـ يونس بن أحمد*

ابن أبي الجن ، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما .

كان كبير الأشراف بدمشق ، يدعى ناصر الدين .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وعشرين وسبع مئة[2] .

سمع من خطيب مردا ، وروى عنه . وقصده الطلبة ، وسمعوا عليه لشرفه ونسبه .

وكان جيداً متوددا ، له شهرة بين الناس .

٢٠١٤ ـ يونس بن أحمد بن صلاح**

الشيخ الإمام المفتي شرف الدين أبو النون القرقشندي[3] الشافعي .

---

(١) في الأصل : « الجنات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* الدرر : ٤٨٥/٤ ، وتمام نسبه ثمة ، وذيول العبر : ١٤٤ ، والشذرات : ٧٤/٦ .

(٢) ومولده سنة (٦٤٥ هـ) ، كما في الدرر .

** الدرر : ٤٨٥/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٥/٩ .

(٣) نسبة إلى (قرقشندة) قرية بأسفل مصر . (معجم البلدان) وفي النجوم : « القلقشندي » . وهما واحد .

كان فقيه مصر ، وسمع من عبد الهادي قطعة من (الموطأ) ، وطلب السماع عليه ، فامتنع . وكان معيداً بزاوية الشافعي بجامع مصر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

وقع في وقتٍ بينه وبين الشمس المحوجب نزاعٌ في مسألة ، وانفصلا من غير تراضٍ ، فجاء إليه المحوجب ثاني يوم ، واستغفر له ، وقال : رأيت الشافعي في النوم ، وقال : لا تنازعه فإنه ينقل مذهبي .

٢٠١٥ - يونس بن حمزة*

ابن عباس الإربلي ، الشيخ الصالح الكبير المعمر أبو محمد العدوي القطّان ، الساكن بالصالحية .

كان مشهوراً بطول العمر ، روى بالإجازة العامة عن داود بن معمر بن الفاخر[1] ، وكان يمكن أن يروي عمّن هو أقدم منه ، ولكن لم يقدم الطلبة على ذلك ، لأنه ذكر أن مولده سنة ستّ وستّ مئة بإربل .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في نصف ذي القعدة سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وحضر جنازته خلق كثير .

٢٠١٦ - يونس بن عبد المجيد**

ابن علي بن داود الهذلي ، القاضي سراج الدين الأرمنتي .

كان من الفقهاء الفضلاء ، الأدباء الشعراء ، المحمودين السيرة في القضاء .

---

* الدرر : ٤٨٦/٤ .

(١) (ت ٦٢٤ هـ) . السير : ٢٦٨/٢٢ .

** الدرر : ٤٨٦/٤ ، والشذرات : ٧٠/٦ ، والطالع السعيد : ٧٢٩ .

سمع من الشيخ مجد الدين بن أبي الحسن بن علي بن وهب القشيري ، والحافظ أبي الحسين يحيى بن علي العطار[١] ، وعمر بن موسى العامري ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

وحدث بقوص وغيرها ، واشتغل على مجد الدين القشيري ، وأجازه بالفتوى ، وورد مصر للاشتغال ، وأعاد بالمدرسة المعروفة بزين التجار ، كان هو والفقيه نجم الدين بن الرفعة معيدين بها ، قال نجم الدين بن الرفعة : كنت مرة في الإعادة ، فصار الطلبة يأتون إليّ ، ولا يجلسون إليه ، حتى وصلت الحلقة إليه ، فقام ، وأخذ سجادته على كتفه ، ونظر إليّ ، وقال : أروح إلى الجامع ، آخذاً دروساً في الأصول والنحو ، يعني أنك ما تدري هذا .

وكان حسن المحاضرة ، مليح المحاورة ، صنّف (المسائل المهمة في اختلاف الأئمة)[٢] ، وكتاب (الجمع والفرق)[٣] .

ولاّه قاضي القضاة تقي الدين بن بنت الأعز القضاء بإخميم ، وعملها ، ثم أقره الشيخ تقي الدين مدة ، ونقله إلى البهنسا ، فأقام بها فوق عشرين سنة ، ثم ولاه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بلبيس والشرقية ، ونقله إلى قوص بعد كمال الدين السبكي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص من لسعة ثعبان في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بأرمنت سنة أربع وأربعين وستّ مئة .

وكان لأبيه نظم وأدب .

---

(١) هو الرشيد العطار (ت ٦٦٢ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) الكشف : ١٦٧٠/٢ .

(٣) الكشف : ١/ ٦٠١ .

قال كمال الدين الأدفوي : أنشدته ارتجالاً حين خرج من عند ابن جماعة :

سراج الـــــدين سر في طيب عيشٍ قرير العين محمـــــود الفعـــــال
وقـــــــد كملت مسرّتكم وتمّت وقيت النّقص من عين الكمـــال[١]

قال : ورأيت بخطه على كتاب :

الحـــــال مني يـــــافتى تغني عن الخبر المفيـــــــد
وبغير سكين ذبحـ ـت وأدرجـوني في الصعيـد[٢]

وكان كذلك لم يخرج من قوص ، وكان يروي (التنبيه) و (المهذّب)[٣] بالسند .

قال : وأنشدني لنفسه في شروط « الكفاءة » :

شرط الكفـــاءة حرّرت في ستّـــة ينبيـــك عنهـــا بيت شعر مفردُ
نسبٌ، ودِينٌ، صنعـــة، حريـــة، فقـد العيـوب، وفي اليســار تردّدُ

قلتُ : الكفاءة عند الشافعي واجبة ، فلا يجوز لأحد من الأولياء أن يزوج[٤] المرأة من غير كفء إلا برضاها ورضا سائر الأولياء ، فإن رضوا بإسقاط الكفاءة ؛ صحّ النكاح ، خلافاً للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، حيث ذهب إلى أن الكفاءة شرط في الصحة ، وسبيل من سلك الطريق القطعي في بطلان مذهبه أن يقول : فقد تزوج على بن أبي طالب بفاطمة رضي الله عنهما ، وأبوها سيّد البشر .

والكفاءة سبعة أمور : وهي الدين ، والنسب ، والصنعة ، والحرية ، والتنقي من العيوب ، واليسار على أحد الوجهين ، وأن لا يكون الزوج مولىً للزوجة أو أهلها ، فموالي قريش ليسوا أكفّاء لقريش ، وفي وجه أنهم أكفاء لأن موالي القوم منهم .

(١) في الطالع : « من جهة الكمال » . وفيه : « فقال : أحسنت أحسنت » .
(٢) في الطالع : « فبغير » .
(٣) المهذب في الفروع للشيرازي ، إبراهيم بن محمد الشافعي (ت ٤٧٦ هـ) . الكشف : ١٩١٢/٢ .
(٤) في الأصل : « يتزوج » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وقال كمال الدين الأدفوي[١] : وأنشدني لنفسه في التعارض بين الاحتمالات ، وتقديم بعضها على بعض :

مجازٌ وإضمارٌ ونقل وبعده اشـ ـتراك ، وقبل الكلّ رتبة تخصيص
متى ما يكن إثنان منها تعارضا فقدم ما قدمت واحظ بتلخيص[٢]

قال : وأنشدني له :

إنْ ترمك الأقدار في أزمةٍ أوجبها أجرامك السالفه[٣]
فافزع إلى ربك في كشفها ليس لها من دونه كاشفه[٤]

ومن شعره :

وشادن زار بعد يأسٍ كالغيث وافى على قنوط
وبات يجلو عليّ كأساً جاءت بحلّ الدم العبيط[٥]
ولم نثلّث إذا اختلسنا إلاّ بإثم بنا محيط
فقلت والليل في شبابٍ عاجله الصبح بالوخوط
مشمّر ذيله لسير تشمير ذي الرحلة النشيط
بالله يا صبح لا تزرنا والصبح حربٌ لقوم لوط

ومن شعره :

يا أهل ودّي وما أهلاً دعوتكُمُ بالحقّ لكنها العادات والدرب
أبدعة ظهرت في الحب حادثة بالغدر أم رجعت عن دينها العرب

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « أيضاً » .
(٢) في الطالع : « تقدّم » .
(٣) أجرامك : ذنوبك .
(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ النجم : ٥٣/٥٨ .
(٥) في الأصل : « تحلّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

ومنه :

أيـــــا ميُّ إنّ البينَ أعمى بصيرتي فلم أدر بعـد اليـوم رَشْـداً ولا غيّـا
وإنّي لأسقي حيّكم من مـــدامعي وأعجبُ من ذا ميت قـد سقى الحيّـا

وقلبه مواليا فقال :

لمـا بـدت بين أتراب لهـا من طيْ خودٌ طوت ثوب صبري بعد نشره طيْ
قلت[1] سقيتُ بـدمعي حيّكم يـا ميْ قالت: عجب ما رأينا ميت يسقي الحيْ

ومنه :

يـا صـاحبيّ ديـار عَلـوَهْ ظهرَ الهـوى الخـافي الممـوّهْ
والصبّ يـوثقـه الجـوى وتخلّف الرفقـاء جفـوه
فقفـا وإلا فـالهـوى يستـوقف المشتـاق عنـوه
وسـلا على قـدريكمـا فـأعـزُّ مـا في الحبّ سلـوهْ
لا بـأس أن يشكـو المعـا هـدَ، أو يبثّ الـدار شجـوه[2]
يـا سطـوة البين المشـ ـتّ وهـل لغير البين سطـوه
خلّفتني أشكـو الصفـا شكـوى الخليـل خليـل صفـوه
بتـأوّهٍ أعيـا الصـدا لـو كان ينجـو من تـأوّه
بـأبي أُوَيْطَـانٌ تسقّيـ ـتُ الهـوى فيهنّ قهـوه
بلـواحـظ شهـدت سرا اهـا بقلبي ألف غـزوة
وأنـا المطيـع الحب إلاّ في تـأمّره بخلـوة
سـافرت في العليـاء حتى صرت شهـوة كلّ شهـوه
لا أستجيب لغير مـد ح الشيخ شمس الـدين دعـوه

(١) في الأصل : « فقلت لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « ويبث » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

٢٠١٧ - يونس بن عيسى*

ابن جعفر بن محمد ، القاضي شرف الدين الهاشمي الأرمنتي .

كان من الفضلاء النبلاء ، قليل الكلام ، كثير الاحتشام ، واسع الصدر ، رئيساً ساكناً .

سمع من أبي العباس أحمد بن محمد[١] القرطبي ، واشتغل بالفقه على خال أمه الرضي الأرمنتي ، وعلى الشيخ جلال الدين الدشناوي .

وتولى الحكم بعدّة أماكن منها : دشنا ، وأدفو ، وأسنا ، وأسوان ، وقولا وما معها من القرى ، ونقادة . وناب بقوص قريباً من ثلاثين سنة ، وأهلها راضون عنه .

وله معرفة بالفرائض والحساب والوراقة ، ودرس بالمدرسة العزيزة ظاهر قوص ، وأعاد بالمدرسة الشمسية مدة .

قال كمال الدين الأدفوي : وكان حلو الخلوة ، ينبسط[٢] ويتبسّم ، وفيه قعدد ، وعليه مهابة ، فقيه النّفس يتكلم على (الوسيط) كلاماً حسناً . ولَمّا حج آخر حجة اجتمع بقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وتحدث معه ، فأعجبه سمته ، وأحسن إليه ، وأضافه ضيافة حسنة كبيرة ، وخطر له أن يولّيه الشرقية ، فذكرت له ، فقال : أنا في آخر العمر ، ما أخرج من وطني ، وأيضاً فأنا في قوص أيّ من ولي أقرّني على حالي ، والكدّ على غيري .

---

* الدرر : ٤٨٨/٤ ، والطالع السعيد : ٧٣٣ .

(١) في الأصل : « ابن أحمد » . سهو . وأحمد بن محمد القرطبي توفي سنة (٦٧٢ هـ) . انظر ترجمته في الطالع السعيد : ١١٢ .

(٢) في الأصل : « وينبسط » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وهو موافق لما في الطالع .

وقع من علوّ ، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ساعة ، سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

★ **اليونيني :** الشيخ شرف الدين علي بن محمد . وقطب الدين موسى بن محمد .

تمّ الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، نهار الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (٩٧٣ هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، بخط العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير ، الراجي عفو ربه القدير أبو بكر[1] بن عبد الرحمن بن أبي بكر العِوَاجي نزيل مكة المشرفة .

عفا الله عنه بمنّه وكرمه ، آمين ، آمين .

(١) كذا بالرفع على الحكاية .

فهرس المصادر والمراجع

أدب الصناع : تأليف د. محمود سالم ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٩٩٣ م .

الأعلام : للزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٩ م ـ ط . رابعة .

الإعلام بوفيات الأعلام : للذهبي ، تح . رياض مراد وعبد الجبار زكار ـ دار الفكر ـ ١٩٩١ .

إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : للطباخ الحلبي ـ علق عليه محمد كمال ـ دار القلم العربي ـ حلب ـ ١٩٨٨ .

إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى : لابن طولون ـ تح . أحمد دهمان ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٦٤ م .

الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني : مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت ـ مصورة عن طبعة دار الكتب .

الأمالي : لأبي علي القالي ، دار الحكمة ـ لبنان .

إنباء الغمر بأنباء العمر : لابن حجر ـ تح . محمد أحمد دهمان ـ دمشق ـ ١٣٩٩ هـ .

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : لإسماعيل باشا البغداد ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ مصورة .

بدائع الزهور في وقائع الدهور : لابن إياس ، تح . محمد مصطفى ـ الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ـ ١٩٨٣ . ط . ثانية .

البداية والنهاية : لابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٨٣ م .

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : للشوكاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ مصورة .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ـ لبنان .

تاج العروس : للزبيدي ـ طبعة الكويت ـ والطبعة المصرية المصورة .

تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر .

تاريخ التراث العربي : د . فؤاد سزكين ـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض . ١٩٨٣ م .

تالي وفيات الأعيان : للصقاعي ، تح . جاكلين سوبلة ـ المعهد الفرنسي ـ دمشق ـ ١٩٧٤ .

تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب : للصفدي ـ تح . إحسان خلوصي وزهير حميدان ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٩١ م .

تذكرة الحفاظ : للذهبي ـ تح . عبد الرحمن المعلمي اليماني ـ حيدر أباد ـ ١٣٧٧ هـ .
تذكرة البنية في أيام المنصور وبنيه : لابن حبيب ـ تح . د . محمد محمد أمين ـ الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ .
التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : لمحمد قنديل البقلي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٨٤ .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : للثعالبي ـ تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٥ م .
الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : للسيوطي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
الجواهر المضية في طبقات الحنفية . تح . الحلو والطناحي ـ القاهرة .
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : للسيوطي ـ تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ ١٣٨٧ هـ .
خريدة القصر : للأصفهاني محمد بن محمد : قسم شعراء مصر ـ تح . شوقي ضيف وآخرين ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥١ م .
الدارس في تاريخ المدارس : للنعيمي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٩٠ .
الدر المنثور في طبقات ربات الخدور : لزينب العاملي ـ مكتبة ابن قتيبة ـ الكويت ـ مصورة .
الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : لابن حجر ـ دار الجيل ـ بيروت ـ مصورة .
ديوان ابن الرومي : تح . د . حسين نصار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ م .
ديوان ابن سناء الملك : تح . د . حسين نصار ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ م .
ديوان ابن نباتة : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
ديوان ابن الوردي : مطبعة الجوائب ـ القسطنطينية ـ ١٣٠٠ هـ .
ديوان أبي تمام : تح . محمد عبده عزام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط . رابعة .
ديوان أبي فراس الحمداني : دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٥٩ .
ديوان أبي نواس : تح . أحمد عبد المجيد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .
ديوان البحتري : تح . حسن كامل الصيرفي ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ طبعة ثانية .
ديوان بشار بن برد : تح . محمد الطاهر بن عاشور ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٠ م .
ديوان جرير بشرح ابن حبيب : تح : د . نعمان طه ـ داد المعارف ـ مصر .
ديوان حسان بن ثابت : تح . د . سيد حنفي حسنين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ .

ديوان ذي الرمة : تح . د . عبد القدوس أبو صالح ـ مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ ١٩٧٢ م .
ديوان الشاب الظريف : تح . شاكر هادي شكر ـ مكتبة النهضة وعالم الكتب ـ بيروت ـ ١٩٨٥ م .
ديوان الشافعي : تح . محمد عبد المنعم خفاجي ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة .
ديوان الشريف الرضي : المطبعة الأدبية ـ بيروت ـ ١٣٠٩ هـ .
ديوان الشماخ : تح . صلاح الدين الهادي ـ دار المعارف ـ مصر .
ديوان صفي الدين الحلي : دار صادر ـ بيروت ـ .
ديوان العفيف التلمساني : مخطوط ـ الظاهرية برقم (٥٩١٧) .
ديوان الفرزدق : دار صادر ـ بيروت .
ديوان قيس بن الخطيم : تح . د . ناصر الدين الأسد ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٧ م .
ديوان لبيد بن ربيعة : تح . د . إحسان عباس ـ سلسلة التراث العربي ـ الكويت ـ ١٩٨٤ .
ديوان المتلمس الضبعي : تح . حسن كامل الصيرفي ـ معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .
ديوان المتنبي بشرح العكبري : تح . السقا ـ الأبياري ـ شلبي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ مصورة .
ديوان مجنون ليلى : جمع وتحقيق عبد الستار فراج ـ مكتبة مصر ـ القاهرة .
الذيل التام على دول الإسلام : للسخاوي : تح . حسن مروة ـ دار ابن العماد ـ بيروت ـ ١٩٩٢ م .
ذيل العبر : للحسيني ـ تح . محمد رشاد عبد المطلب ـ الكويت ـ ١٩٧٠ ، مع ذيل الذهبي .
ذيل العبر : للذهبي ـ تح . محمد رشاد عبد المطلب ـ الكويت ـ ١٩٧٠ ، مع ذيل الحسيني .
الذيل على العبر : لابن العراقي ـ تح . صالح مهدي عباس ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٩ م .
ذيول العبر = من ذيول العبر (ذيل العبر للذهبي ، وللحسيني) .
ذيل مرآة الزمان : لليونيني ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ١٩٩٢ م ـ طبعة مصورة .
السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزي ـ تح . محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة ـ طبعة مصورة .
سير أعلام النبلاء للذهبي : تح . مجموعة بإشراف شعيب الأرناؤط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ ـ مصورة .
شرح أبيات المغني للبغدادي : تح . رباح والدقاق ـ دار المأمون ـ دمشق ـ ١٩٧٣ .
شرح حماسة أبي تمام للتبريزي : عالم الكتب ـ بيروت .
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : تح . أحمد أمين وعبد السلام هارون ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ .
شرح ديوان لبيد = ديوان لبيد .
شرح المفضليات : للتبريزي : تح . علي البجاوي ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة .
صبح الأعشى في صناعة الإنشا : للقلقشندي ـ دار الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٢٢ . مصورة .

صحيح البخاري : طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٢ ـ ١٩٩٢ .
صحيح مسلم : تح . محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد : للأدفوي ـ تح . سعد محمد حسن وطه الحاجري ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ م .
طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة = عيون الأنباء .
طبقات الشافعية : للسبكي ـ تح . الطناجي ـ والحلو ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ م .
العامل الحالي والمرخص الغالي : للحلي ، تح . د . حسين نصار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٨١ م .
العبر في خبر من غبر : للذهبي : تح . صلاح الدين المنجد ـ سلسلة التراث العربي ـ الكويت ـ ١٩٨٤ م .
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ١ ـ ٤ : للعيني ـ تح . د . محمد محمد أمين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٧ .
عيون الأنباء في طبقات الأطباء : لابن أبي أصيبعة ـ تح . د . نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت .
غاية النهاية في طبقات القراء : لابن الجزري ـ تح . برجستراسر ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ مصورة .
الغيث المجسم في شرح لامية العجم : للصفدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٧٥ م .
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : لأبي عبيد البكري ـ تح . د . إحسان عباس وعبد المجيد عابدين ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨١ م .
فقه اللغة وسر العربية : للثعالبي ـ تح . السقا والأبياري وشلبي ـ مط . البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ م .
فوات الوفيات . لابن شاكر الكتبي ـ تح . د . إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .
القاموس المحيط : للفيروز أبادي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة ـ مكتبة المثنى ـ بغداد .
الكشف عن وجوه القراءات : لمكي بن أبي طالب ـ تح . محيي الدين رمضان ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨١ .
الكليات : للكفوي : تح . د . عدنان درويش ومحمد المصري ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٨٢ .
لسان العرب : لابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت .
لسان الميزان : لابن حجر ـ حيدر أباد ١٣٢٩ هـ .
مجمع الأمثال : للميداني ـ تح . محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السنة المحمدية ـ مصر ـ ١٩٥٥ م .
المختار من شعر ابن دانيال : للصفدي ـ تح . محمد الديلمي ـ مكتبة بسام ـ الموصل ـ ١٩٧٩ م .

مختارات من شعر الأندلس : د . شاكر الفحام ـ جامعة دمشق ـ ١٩٧٩ .
المختصر في أخبار البشر : لأبي الفداء ـ استانبول ـ ١٢٨٦ هـ ـ مصورة .
المذكر والمؤنث : لابن الأنباري ـ تح . طارق الجنابي ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ـ ١٩٨٦ .
مرآة الجنان وعبرة اليقظان : لليافعي ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ـ ط . ثانية ـ ١٩٩٣ م .
مسند الإمام أحمد : المكتب الإسلامي ـ بيروت .
معجم البلدان : لياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٧٧ م .
مفتاح السعادة : لطاش كبري زادة ـ تح . كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .
المفضليات : للمفضل الضبي : تح . أحمد شاكر وعبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٤ م .
مقامات الحريري : للحريري ـ بيروت ـ مصورة .
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : لابن تغري بردي /ج ١ ـ ٧/ تح . مجموعة من الباحثين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .
من ذيول العبر = ذيل العبر للذهبي ـ وذيل العبر للحسيني .
ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي ـ تح . علي البجاوي ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ م .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي ـ تح . د . إبراهيم علي طرخان ـ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ـ القاهرة .
النشر في القراءات العشر : لابن الجزري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بلا تاريخ .
نظم العقيان : للسيوطي ، تح . فيليب حتي ـ المطبعة السورية الأمريكية ـ نيويورك ـ ١٩٢٧ م .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقري ـ تح . د . إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٨ م .
نكت الهميان في نكت العميان : للصفدي ـ تح . أحمد زكي بك ـ مصر ـ ١٩٨٤ م .
النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير ـ تح . طاهر الزاوي والطناحي ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ مصورة .
هدية العارفين : لإسماعيل باشا البغدادي ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ مصورة .
الوافي بالوفيات : للصفدي ـ تح . مجموعة ـ النشرات الإسلامية ـ بيروت .
الوفيات : لابن رافع السلمي : تح . عبد الجبار زكار ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٨٥ م .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان ـ تح د . إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٧٨ م .
ولاة دمشق في عهد المماليك : محمد أحمد دهمان ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٩٨١ م .